



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

العددان ١ و ٢ مجلد ٦٨ كانون الثاني وشباط « يناير وفبراير » سنة ١٩٨٠ م ، صفر وربيع الاول ١٤٠٠ هـ

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
	علم ، فكر ، أدب ، سياسة	
٣	الافتتاحية	نزار الزين
٤ ــ ٦	الصدق والكذب	مؤسس العرفان
٧ ــ ١٦	القرن الخامس عشر هجري	الدكتور محمد صادق
١٧ ــ ٢٧	جولة صاحب العرفان في جنوبي العراق	خضر عباس الصالحي
	مواضيع اسلامية	
٢٨ ــ ٥٤	ابو الاعلى المودودي ومختصر محاضرة له	اعداد المحرر
٥٥ ــ ٦٠	الاسلام يحث على العمل والامر بالمعروف	محمد فريد وجدي
	تاريخ	
٦١ ــ ٦٦	الفوضى في كربلاء	محمد حسن الكليدار آل طعمة
	ابحاث علمية	
٦٧ ــ ٨٠	قصة الحياة ــ ملايين الحكايا ٥ ــ الاسماك	الدكتور رغيد النحاس
	ادب الرحلات	
٨١ ــ ٨٥	اطلالة على جزائر اليوم	المحامي ناجي جواد

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
	ابحاث فنية	
٨٦ ـ ٩٠	النادي الموسيقي باللاذقية	عيسى فتوح
٩١ ـ ٩٦	مع الخالدين ـ الرسام سيزان	سمير شيخاني
	مع الكتب	
٩٧ ـ ١٠٤	الفرج بعد الشدة ـ تحقيق عبود الشالجي	زهير مارديني
	ادب	
١٠٥ ـ ١٠٩	سيرة وذكريات الشاعر مهدي جاسم	سلمان هادي الطعمة
١١٠ ـ ١١٣	العلامة شمس الدين في الجامعة الاميركية « مختصر محاضرة »	الشيخ محمد مهدي شمس الدين
١١٤ ـ ١١٦	كم نحبك ايها الشعر « مختصر محاضرة »	الدكتور حسين مروة
	وداع الراحلين	
١١٧ ـ ١٢٠	الشيخ محمد جواد مغنية	عباس مزنر
١٢١ ـ ١٢٧	بولس سلامة « ادبه ـ حياته »	اعداد « العرفان »
١٢٨ ـ ١٢٩	محمود الادهمي « وفاته »	العرفان
١٣٠ ـ ١٣١	الدكتور رياض شهاب « وفاته »	العرفان
	شعر	
١٣٢ ـ ١٣٣	طيور الكتاب	الشاعر القروي
١٣٤ ـ ١٣٥	يعز علي الكمال	الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء
١٣٦ ـ ١٣٧	اسين نخلة	حارث طه الراوي
١٣٨	الى صديقي محمد شرارة	خضر عباس الصالحي
١٣٩ ـ ١٤٠	ثورة الخطايا	
١٤١	النفط فتنة ورحمة	شعراء ثلاثة
١٤٢	علام أحامي عن فلسطين	
١٤٣	ابا ابن العارفين	
١٤٤	اليس من العجائب	موسى الزين شرارة
١٤٥ ـ ١٤٨	نشيد محمد	غوثه
١٤٩ ـ ١٦٠	ابواب العرفان : وفاة المستشرق جرمانوس ، التقريظ والانتقاد ، مختارات الصحف ، اخبار الناس والمجتمع .	

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله — وبعد :

ها هي السنة الخامسة تبدأ للذكرى المشؤومة لحادث لبنان أو الشرارة لشرور لبنان أو المؤامرة على لبنان الذي كان بلد المحبة والسلام فأحالوه الى بلد القنابل والرصاص والحقد والخصام ، ورغم ما منينا به من الخسارة على كل صعيد بنسبة تفوق طاقتنا ولم نتلق أي تعويض من أحد ، لا من هيئة أو حكومة ، فقد بقينا صامدين مضحين محتسبين ، لانا كنا بين خيارين أحلاهما مر ، بين أن نصدر فنخسر كثيرا ، وبين أن لا نصدر ، وكيف نفعل ذلك وقد قارب يوبيل العرفان الالماسي • لقد تعثرنا سنة ١٩٧٦ حيث لا كهرباء ولا ماء في لبنان ، فذهبنا الى دمشق وطبعنا هناك عددا مزدوجا ، ولكن عدا الغلاء المعاملة كانت سيئة ، ولذلك لم نكمل • وفي سنة ١٩٧٨ و ١٩٧٩ حينما عاد بنا تموز الـ ٧٨ الى الاغنية السابقة من الحوادث ، بل ان القنص كان أدهى وأمر وفي محلات متعددة ، وبقيت أعدادنا بالمطابع ولم يزل العدد الخاص بالصافي ينتظر «نصر الله والفتح» ليخرج من المطبعة ، تعثرنا قليلا في السنتين الماضيتين ، فأصدرنا الاعداد الثلاثة الاخيرة بعدد واحد ، وها هو هذا العدد يصدر مزدوجا ، ولا أدري اذا كنا نضطر الى مثل ذلك بقية السنة ، لانا لا نقبض الا قليلا وندفع كثيرا ، نظرا للقلق وعدم الاستقرار ، ولغلاء الطباعة والورق ، وحينما لا يقبض الانسان الا عشرة بالمئة مما يدفع ولا يقف على أبواب السفارات فمن أين يأتي بالعجز ؟ والمجلات تكثر وتكثر ، ونحن لم نعتد الا الترحيب بالنافعة منها ، ولكن ليتها تتمكن من أن تقف سدا منيعا في وجه الصحف الضارة أو الاقلام المأجورة !! والى اللقاء •

الصـــدق والكذب

بقلم : مؤسس العرفان

عليكم بالصدق ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنـة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا • واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا •

(حديث شريف)

الصدق أس الفضائل ، والكذب منبع الرذائل ، الصدق دعامة العمران والكذب هادم بنيان بني الانسان ، ما دخل الصدق دار قوم الا عمرها ، ولا دخل الكذب دار قوم الا دمـرها • فمرحى ثـم مرحى لأمـة جعلت الصدق شعارها والاعتصام بالحق دثارها ولا لعا لامة حادت عن طريق الصدق القويم وسلكت سبل الكذب الملتوية :

عليـك بالصدق ولـو انـه　　　أحرقك الصدق بنـار الوعيد

أجـل (ان اللـه يحب الصادقين) ومقت الكاذبين (ان المنافقين فـي الدرك الاسفل من النار) •

اي بني قومي اعتصموا بحبل الصدق الذي ينجيكم في دنياكم وأخراكم ويرفع من شأنكم ولا تلوذوا بظل الكذب فانكم لو رأيتم بـه بعض النجـاة العاجلة ، فانه حميم مقيم في الاولى والآجلة واعلموا ان النجاة فـي الصدق فعليكم به اذا أردتم ان تكونوا من الفائزين واجتنبوا الكذب فانه في اجتنابه النجـاح المبين •

يعز علينا وأيم الحق ان ينغمس هذا الشعب البائس في الكذب انغماس الغنم في الاوحال ، ويبتلي بهذا الداء الوبيل والمرض العضال ، واي كذب أعظم من السكوت عن الباطل ومجاراة الجائرين بل واتخاذهم أربابا من دون الله وماذا تقول لمن يقول لك مثلا (الدنيا خيال) ثم هو يحبها حبا جما وينشر حبائله لجمع المال حتى لو كان الدرهم بأتون من نار لتناوله، نراه يبتز مال الامة ولا ينفق على تعليمها ورقيها دانقا واحدا ، كثر لعمرك الكذابون حتى أصبح المرء في حيرة لمن يشير فرحماك اللهم بهذه الامة البائسة التي تنكر معروفها ، وتعرف منكرها ، وتغلغل حب الرذيلة في أفئدة أغلب زعمائها، وديست الفضيلة في اقدام جل أبنائها ، فاللهم اهدها الى الدواء الناجع ألا وهو نشر العلم والتعلم ، والتربية والتعليم ، وهبنا الهي جنانا ثابتا ولسانا صادقا ، لنكون من الذين صدقوا لا من الذين أفكوا ، انك تمقت المنافقين ، وتحب الصادقين •

ما قيل في الصدق والكذب •

روى الجاحظ في كتابه المحاسن والاضداد : قال بعض الحكماء « عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل وان كان فيه ما تحب وقيل « الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور » وقال ابن السماك « ما أحسبني اؤجر على ترك الكذب لاني أتركه انفة » وقال آخر « لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقا فكيف وفيه المأثم والعار » وقال الشعبي « عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك » •

ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اني استسر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فايهن أحببت تركه قال (ص) الكذب ، فمضى الرجل فهم بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه

وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته لـه وان أقررت حددت فلم يزن • فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الـى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع •

وقال قتيبة بن مسلم : لا تطلبن الحوائج مـن كذوب فانـه يقربها وان كانت بعيدة الاغوار وقيل كفاك موبخا على الكذب علمك بأنك كاذب ، قال الشاعـر :

حسب الكذوب مـن البليـة بعض مـا يحكـى عليـه
مـا ان سمعت بكذبـة من غـيره نسبت اليـه

وقال غـيره :

لـي حيلـة فيمن ينـم وليس فـي الكذاب حيلـه

ومن أقبح الكذب (شهادة الزور) التي سنعقد لها فصلا خاصا فـي الاعداد الآتية • والله الهادي الى سواء السبيل :

الصدق في أقوالنا أقوى لنـا والكذب في أفعالنا أفعى لنـا

***

لما قتل مصعب بن الزبـير خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينـة ، فأحاط بها أهل الكوفة ، وقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول اللـه • فقالت : والله لقـد قتلتم جدي وأبي وعمي وزوجي مصعبـا ؛ أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة ، فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكـم الخلافـة •

القرن الخامس عشر هجري

الهجرة الى الله

بقلم : الدكتور محمد صادق

يطل على العالم الاسلامي القرن الخامس عشر هجري حاملا معه تاريخا ضخما من الارث والتراث لا يشابهه تاريخ في الدنيا منذ ان عرفت الدنيا .

فحين انطفأت شموع التوحيد في مشارق الارض ومغاربها ، وأوشك الظلام الكثيف ان يطبق على العقل . ولم يعد هناك غير قلة من الموحدين ، شاءت رحمة الله تعالى ان تبعثه بآخر رسالات السماء الى الارض . ووسط كآبة الحياة وليلها الموحش ... جاءت شمسه .

وقال الحق في سورة الانبياء :

وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .

ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ..

كانت الدنيا تموت عطشا اليه قبل ان يولد .

كان عطشها عظيما الى الحب والرحمة والعدالة .

في خيمة خشنة يولد طفل يتيم سيصبح فيما بعد مسؤولا عن ارواء عطش العالم الى الحب .. والعدالة .. والحرية .. والحق .

كانت هذه الولادة رمزا لبداية انكسار الشر في العالم •• وتحرير العقل البشري من عبادة العباد والخرافات الى عبادة الله وحده •

بعدها أصبحت معجزته الاولى هي شخصيته وأفكاره ••

صارت معجزته الكبرى بعد القرآن •• هي هذا البناء الروحي الشامخ الذي احتمل في الله ما احتمل وقاسى في الحق ما قاسى •• وأدى أمانته بكمال لا يطاول •

وأجمل ما يقال عن معجزات النبي بعد بعثته ، انه كان بلا معجزة •

بلا معجزة سوى تحرير العقل ••

بلا خوارق سوى اطلاق الفكر ••

بلا دليل غير كلمات الله ••

لم يقهر محمد بن عبد الله أحدا على شيء ، آمن به من آمن عن رضا واقتناع ، ومات معه من مات عن رضا واقتناع •• ولم يحمل هو السيف الا حين اقترب السهم المسموم من قلب الاسلام وهدده •• بعدها لم يكن السيف في يد الاسلام الا مشرط جراح يشق الجسم الانساني انقاذا للجسم الانساني ورحمة به ورغبة في شفائه ••

ان طفولة البشرية •• وضعف العقول •• وانطلاق الحواس •• اقتضت من رحمة الله ان يكون نوع المعجزة من نوع العصر التي تتنزل فيه ، ومن نوع الناس الذين تبعث اليهم ، ولم يكن أهل مكة في ذلك الوقت عقلاء ، أو حكماء ، تكفيهم الكلمات •• وانما جاءت الصعوبة من كون الاسلام لم يبعث لهذا العصر وحده •• انما أنزل لكل العصور • وكان الله يعلم ان البشرية تدخل عصر النضج العقلي ، فشاءت حكمته ان تكون أول كلمات الرسالة (اقرأ) ••

وان تكون معجزة الرسالة هي نوعية الفكر الذي تنطوي عليه ، والنظام الذي تقيمه ، والتشريع الذي تضعه .. والحريـة التي تحميها .. والانسان الذي تبنيـه .

وزاد في قدر محمد انه بعث لعصر النضج العقلي .. وبعث قبل مجيء هـذا العصر .

وقطع الصبي الرحلة الشاقة .

يومـا بعد يوم ..

كان يفيض بالثقة والرحمة والامانة والحـب .. مثلما يفيض المصبـاح بالنـور .

اشتهر بين قومه بالامانة والصدق ، ولم يكن صدقه أو أمانته موضـع شك أو بحث .. وحين جاء برسالته بعد ذلـك بسنوات طوال ووقف ضـده المجتمع كله ، وانقلب عليه الملأ من قومه .. لم يجرؤ أحدهم أن ينال مـن أمانته وصدقه .

يومـا بعد يوم ..

كانت سنة تزيد .. وكان نقاؤه وصدقه يزيدان ، وفي بحـار الصمت الموحشة حيث نشر محمد بن عبد الله أشرعته البيضاء عثر محمد على نفسه .

كان صوفيا .. قبل بعثته الى الناس .

ثم اختاره الحق نبيا ، فهجر عزلته ونزل الـى الميدان ، وأمسك السلاح ودافع عن الحق .. وقرأ .

ان هذا الاسلام رسالة عالمية وانسانية خالـدة . ليست مقصورة عـلى العرب دون العجم .

هي دعوة للعقل الانساني ... أينما كان وحيثما كان .. بلا قيد عـلى الزمـان .

ولتكن هذه القراءة باسم اللـه •• باسم ربـك الـذي خلق •• خلق الانسان من علق •

هذا هو الاسلام في جوهره •• دعوة الى القراءة •

وهي دعوة تؤدي بالضرورة الى العلم •

كان المسلم الاول يؤمن ان الله خلقه ليعرف ••

وكان طموح المسلمين الاوائل مثيرا للدهشة •

لقد انطلقوا لتحرير العالم كله ••

يد تمسك القرآن ••

ويد تمسك السيف لتحطيم اغلال الراسفين في الاغلال •

ثم سقط من الاسلام جوهر العلم ، فسقط من المسلمين مقعدهم فـي قيادة الحياة وتوجيهها ، وعادوا لذيل القافلة البشرية •

يقول الله تعالى في سورة آل عمران :

(شهد الله انه لا اله هو ، والملائكة وأولو العلم ، قائمـا بالقسط ، لا اله الا هو هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام) •

بعد شهادة الله •• وشهادة الملائكة •• جاءت شهادة العلمـاء مباشرة ، فأي تكريم للعلم أعظم من هذا التكريم •

جاء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسليم ليعلن ان اللـه هو المعبود بحق ، وان الناس جميعا عبيده ، وبتحرير الناس من عبوديتهم للناس ، تبـدأ الحرية الحقيقية •

هذا هو فهم المسلمين الاوائل ، فلنقارن بين فهمنا المستخذي الذي يفتقر الى الشجاعة ، ويشيع فيه الخوف ، ويؤثر السلامة على قتال الظالمين ، وبـين فهمهم الشجاع الذي لا يخاف في الحق لامة لائم •

جاءت الدعوة الاسلامية بمثابة الدعوة الى القراءة والعلم والحرية وصراع قوى الظلام • فلما نزل القرآن استكمل الكون حكمته وفضله ومعناه •

وحين بعث الرسول استكمل النوع الانساني كرامته وعظمته ، وأدرك ذروته ومنتهاه •

وبهذا الكتاب الكريم ، والنبي الرحيم •• أكمل الله للبشر دينهم ، وأتم نعمته كما حدث في قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) •

ومضت دعوة النبي •• وانغرست في الارض أشواك المشركين •

ولعل أهم ما يميز المسلمين الحقيقيين هو تحررهم من غريزة الخوف وحب البقاء •• هذا هو المعيار الذي لا يخطىء لتمييز المسلم الحقيقي من المسلم بالاسم أو الوراثة أو الادعاء •

وحين انتهى المسلمون من دفع الثمن الكامل لعقيدتهم ، واحتملوا في الله أقصى الطاقة ، أوعز الرسول اليهم بالهجرة •• أعطى اذن بالهجرة لمن يريد أن يهاجر •• وبدأت موجات الهجرة ، وكان ذلك لخمس سنوات من نزول الوحي عليه •

بعد سنتين من اعلان دعوته •

وهاجر الى الحبشة ستة عشر مسلما ، خرجوا في الخفاء ، واتجهوا صوب البحر ، وركبوا الموج رغم كراهية أهل الصحراء له وخوفهم منه واعتقادهم ان الناس حين تركب البحر تتحول الى دود على عود سابح • وتلت موجة الهجرة الاولى موجة ثانية ، حملت هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلا ، وتسع عشرة امرأة • وبدأت قريش تحس الخطر بعد اسلام رؤوس مكة وأعظم رجالها •• وأدرك الخوف سادة قريش المشركين ، وتقرر ان تنتقل الحرب مع المسلمين الى مرحلة الحصار الاقتصادي والانساني •

وبدأ تضييق الحصار على المسلمين ، وانقطع عنهم الطعـام والشراب ، حتى بلغ بهم الجهد أقصاه •

استغرقت هذه الحرب ثلاث سنوات كاملة •

وصبر النبي في الله واحتمل •• وجاء عليه وقت أدرك فيـه ان الدعوة الاسلامية قد حوصرت في مكة •• أوحى الله اليه أن يهاجر •

انتهى الامر وبدأت رحلة المهاجر الى الله ••

بعد ثلاثة عشر عاما في مكة ••

يريد الاسلام ان يبني دولته ويتحول مـن الحصار الـى كسر الحصار والهجـوم •

وليس كالهجوم وسيلة للدفاع عن النفس والعقائد ••

كان فتيان مكة يحاصرون بيت النبي ، وقد توشحوا سيوفهم ، وأمسك النبي قبضة من التراب ورماها على القوم فنعسوا ، واخترق النبي حصارهم •

خرج من مكة مهاجرا •

بهذه الخطوة المباركة يؤرخ المسلمون أعوامهم •

السنة في الاسلام سنة هجرية •

أعوام الاسلام تبدأ بأول خروج في سبيل الله •

أول خروج من مركز الضعف والحصار والاضطهاد •• الى مركز القوة والانتشار والهجوم •

لم تكن هجرة الرسول فرارا من الاضطهاد فحسب ، وانما كانت سأمـا من التجمد •

لم تكن الهجرة خروجا الى الخطر ، كان الاسلام في مكة يدافـع عـن نفسه لمجرد الدفاع ، وحين خرج الى المدينة دافع عن نفسه بالهجوم ••

وطوال الاعوام التي قضاها النبي في مكة لم يحمل أحد المسلمين سلاحا في سبيل الله ، وحين خرجوا الى المدينة بدأ حمل السلاح ، وبدأ مذ المعارك، وبدأ الاسلام يحمل السيف ، مثلما يحمل الجراح مشرطه للشفاء والصحة •

أدرك النبي ان الاسلام لن يقضي عمره في صد الهجوم عن نفسه •

يريد الاسلام أن ينتشر ••

يريد الاسلام ان يؤسس دولتــه الاولى •• وهي دولــة لا تعرف دولة غيرها من دول الارض بلغت ما بلغته من عدالة ، ورحمة ، ومثالية ، وتفان في اللــه واحترام الانسان •

هذا هو عمق الهجرة البعيد •

تأسيس دولة الاسلام ، بعد بناء الفرد يبني المسجد ثــم تبنى الدولة •• بعدها تنطلق الدعوة •

كان السؤال : أيهم يقتل في سبيل الله قبل أخيه •

وكان السباق بينهم على ذلك •

بهذا انتشر الاسلام •

خاض النبي صراعه العسكري الممثل في عديد مــن المعارك المتشابكــة المتلاحقــة ••

وخاض النبي صراعه السياسي الممثــل في المعاهدات ورسائله لدعــوة الملوك والاباطرة ورؤساء الدول حوله ، الى الاسلام ••

وخاض صراعه على المستوى النفسي ومعارك الاعصاب ••

ولم تخل بيئته من الصراع ••

وكان المحارب في كل وقت وأي وقت •

بهذه المفاهيم البكر نستقبل القرن الرابع عشر للهجرة ، هذا القرن الذي يطل على العالم الاسلامي بالاسى والحسرة ، فهل بالامكان استحضار هذه المعاني لننطلق ؟

ان أساليب العصر في التذكير والتربية كفيلة بايقاظ الامة لماضيها وحاضرها ، وتقديرها لرجالها وأصحاب الفضل عليها .

ذلك ان الهجرة لم تكن حادثا يمر فينسى ، وهي التي كانت مفتاحا لهذا المجد الذي نعيش على حسابه ، وبفضله تعيش الامة التي تنتسب للاسلام في كل مكان .. وهي وان لم تكن قد وضعت في المحرم ، الا ان عمر العظيم والصحابة حين رأوا ان يضعوا للمسلمين تاريخا يؤرخون به أيامهم وسنيهم اختاروا حادث الهجرة مبدأ لهذا التاريخ . اختاروا الشهور العربية ، أو بلغة العصر الرائجة (الشهور القومية) بالنسبة لهم ، شهورا يؤرخون بها ، والمحرم هو بدء السنة العربية ، فهو بدء السنة الهجرية اذن .. فأصبح كلما دارت السنة دورتها وبدأنا به سنة جديدة يذكرنا بسنة أخرى مرت على هجرة المصطفى ، وبدء عام جديد يثير في نفوسنا ذكريات هذه الهجرة . فكيف اذن نستقبل المحرم وهو يذكرنا هذه السنة بأن هجرة الرسول وأصحابه للمدينة مضى عليها ١٤٠٠ سنة .

وليس المهم ان تتذكر ، ولكن المهم ان نعي انه قبل ١٤٠٠ سنة هجرية كانت الهجرة التي قادت الى النصر على المشركين .

ولماذا لا يحتفل بهذه المناسبة كما تحتفل الامم بأمجادها ؟

ان خير ما نقوم به ونحن نودع القرن الذي مضى ، والقرن القادم قيام دعوة صادقة لتعليم الجيل معنى الهجرة ، ولماذا هاجر الرسول وكيف احتمل هو وأصحابه صنوف الالم والعذاب ومرارة الاغتراب في سبيل الدفاع عن العقيدة التي هي أغلى شيء ..

لننتهز هذه الفرصة ونعلم اولادنا من خلال أحداث هـذه الذكرى روح التضحية والاقدم في سبيل عقيدة الانسان ، في سبيل الحق الذي يؤمن بـه ويدافع عنه ، ونحن في غمار الاحداث الجسيمة التي تمر بنا في أشد الحاجة الى ان نستلهم هذه المعاني ونربي أولادنا عليها ..

هل فكرنا ونحن نستقبل القرن الرابع عشر في مصير هذا الدين عـلى أيدينا ، وفيما نقدمه له من خدمات أو من لكمات وطعنات ؟.. وقـد عرض الرسول وصحابته أنفسهم للموت في سبيل نشره ورفع رايته .

هل عرفنا اننا ميراث ورثناه ويجب ان نحافظ عليه والله شاهد علينا ماذا نفعل بـه ؟

ان العالم اليوم يتطلع الى تلك الوثبة الاسلامية التي تشق بطن الارض لتظهر ، وينتظر ان نعني بأيامنا وأمجادنـا ، ولكن اذا كان أصحاب المناسـبة وأهلها لا يعنون بها فكيف يعنى بها غيرهم ممن لا تهمهم هذه المناسبة ، حقا !

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقهـا هوانا بها كانت على الناس أهونا .

وتقويمنا الهجري أين هـو وأين مكانه فـي تاريخنا لرسائلنا وأيامنـا وحوادثنـا ؟

لقد كان التاريخ المعتمد حين كان المسلمون أقوياء وكانت لهم دولة فلم يكونوا يعرفون التاريخ الميلادي ولا يؤرخون حوادثهم وأيامهم به ، والتاريخ الهجري كلما دوناه في رسائلنا وجعلناه محددا وضابطا لاحداثنا وأيامنا كان مذكرا لنفوسنا بهذا الحادث وعلى صلة مستمرة بمعانيه ؛ وهكـذا كان يفعل السابقـون .

ان تقويمنا الهجري مرتبط بديننا وعقيدتنا ورسولنا ، وذلك كله يرتبط به تاريخنا وتقوم عليـه حضارتنا وأمجادنا ونستمد منـه قوتنـا وأصالتنا

وصلابتنا ، فهو ليس مجرد تقويم لذكرى دينية لا ارتباط لها بحياتنا في الماضي والحاضر والمستقبل ، فحادث الهجرة الذي مضى عليه ١٤٠٠ سنة لا ينفصل عن حياتنا .. فكيف تنساه أو نهمله ، اللهم اذا انسلخنا من المعاني التي تربطنا به ، وبنينا حياتنا بعيدا عنه وعما يصل به ؟

انها غفلة ، أو غفوة لا نزال فيها بتخدير الهزائم المتوالية التي منينا بها ، ولكن الا نقول اننا صحونا .. استيقظنا .. فلماذا لا نتخلص من كل هذه الهزائم ونعود أمة اسلامية شكلا وموضوعا ، ظاهرا وباطنا ؟

قد يظن بعض الناس ان هذا أمر سهل ، واننا نسير مع العالم حيث يسير .. وكان من الممكن ان نقول كما يقولون ، ولا نشغل أنفسنا بهذا الحديث الذي جاءت به المناسبة العظيمة ، ولكن اهمال أي انسان لخصائصه ومقوماته وأحداثه وتاريخه ، وتقليده لغيره دليل على عدم شعوره بكيانه وشخصيته وقيمته في الحياة ..



— بيــان —

١ ـ تتمة الكلام عن العلامة المفكر الشيخ محمد جواد مغنية وعن الاديب المفكر الاستاذ محمد شرارة وعن بقية الوفيات تأتي في العدد القادم .

٢ ـ مؤتمر الكتاب اللبنانيين الذي عقد في بيروت في ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ في الشهر ١٩٨٠/١/١ سنتكلم عنه في أعدادنا القادمة مع نشر قسم من المحاضرات التي ألقيت فيه .

كذلك سننشر بعض المحاضرات التي ألقيت في المركز الثقافي الاسلامي .

٣ ـ وغيرها كثير من المقالات والقصائد .

جولة الاستاذ نزار الزين

في جنوبي العراق

بقلم : خضر عباس الصالحي

اعتاد الاستاذ نزار الزين صاحب مجلة « العرفان » الغراء زيارة وطنه الثاني العراق من حين لآخر ... وما ان تطأ قدماه أرض بغداد حتى ينزل ضيفا كريما على وزارة الثقافة والاعلام العراقية ... وذلك تثمينا لنضاله القومي المتواصل ضد الاستعمار والصهيونية ... ولما تقوم به « العرفان » الزاهرة من خدمة جليلة للغة الضاد ، وللنشاط الذي تبديه في مجمل الحركة الادبية المعاصرة ...

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان من السنة « ١٩٧٩ » الميلادية قام بزيارة المحافظات الجنوبية وذلك للاطلاع على الانجازات الثورية التي تحققت في ظل قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ، والمكاسب العظيمة التي حصل عليها الشعب بعد ثورة السابع عشر من تموز المجيدة ، والوقوف على الاعمال الادبية التي قدمها اعلام الفكر والادب ...

وكانت كربلاء أول محافظة نزورها حيث استضافنا الشاعر السيد سلمان هادي الطعمة في بيته وكان معنا الاستاذ كنعان الزين فتناولنا على مائدته طعام الغداء ، وكذلك زرنا الشاعر علي الفتال في بيته ، وزارنا الاديب محمد نور عباس ... وبعد ذلك التقينا بالسيد سعيد زيني صاحب مكتبة السعادة والسيد ابراهيم شمس الدين القزويني ودارت أحاديث شتى عن الحياة الادبية في كربلاء ...

وبعد ذلك قمنا بزيارة مرقدي الامامين الحسين وأخيه العباس عليهما السلام ••• وفي المساء عدنا الى بغداد •••

ومن الانصاف هنا أن نذكر حقيقة أكيدة هي ان الاستاذ الشاعر السيد سلمان هادي الطعمة يرحب بكل أديب عربي يقصد كربلاء للزيارة والاطلاع على الحركة الادبية الجديدة في كربلاء ، ويبذل قصارى جهده لتسهيل مهمته فيرافقه لزيارة العتبات المقدسة وبيوت العلماء والادباء . والمدارس الدينية ، ودور الثقافة الجماهيرية ، والاماكن السياحية والاثرية ، وبذا يعطي الدليل الواضح على ما تنطوي عليه نفسه من الروح الانسانية النبيلة ، وصدق حبه للادب والادباء ، وعمق تحسسه بأهمية الدور الفاعل الذي يقوم به رجال الفكر العاملين في تغيير المجتمع وتطوره •••

وفي اليوم التالي غادر الاستاذ نزار الزين فندق الامبسادور ببغداد ، وكنت بصحبته قاصدين محافظة النجف الاشرف فمررنا بكربلاء ومنها انطلقنا الى مدينة الهندية لزيارة الاديب جمال مهدي الهنداوي ••• وقد رحب بنا أجمل ترحيب ، وتناولنا طعام الغداء على مائدته ، وتحدثنا عن الادب العراقي الحديث ، وعن أدباء الهندية ••• وكان للطف المتزايد الذي غمرنا به الاستاذ جمال أن فجر شاعريتي ، وحرك قريحتي فقلت على البديهة هذين البيتين :

ودار بها قد تجلى الجمال ... جمال الندى، وجمال الخصال
ولا عجب ان نعمنا بها ... ففيها يشع أخونا « جمال »

وغادرنا دار الاستاذ جمال مهدي الهنداوي متجهين صوب مدينة النجف الاشرف فمررنا بالحلة الفيحاء عروس الفرات ومنها الى الكفل والكوفة ، ولم نلبث ان ظهرت لنا المنائر والقبة الذهبية تسطع في أشعة الشمس الوهاجة فتوحي بالجلال والهيبة ••• وفي فندق النجف السياحي ألقينا عصا الترحال

... وفي المساء خرجنا لأداء مراسيم زيارة مرقد الامام المجاهد الحكيم علي ابن أبي طالب عليه السلام ... ونحن نطوف بالمرقد الشريف مرت في مخيلتنا صفحات تاريخ هذا الامام العظيم الحافلـة بالبطولات والتضحيات السخية ، والزاخرة بالمواقف المشرفة ، ويكفي ان نذكر حادثة نومه على فراش ابن عمه النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلـة هجرته الـى يثرب ليفتديه بنفسه حيث تآمـر على قتله عشرة مـن المشركين فاستطاع بشجاعته وشدة بأسه ان يرجعهم خائبين دون أن يحققوا هدفهم الاجرامي فنزلت الآيـة الكريمة بحقه فقد قال الله تعالى :

« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » .

وبعد ذلك حظينا بزيارة الشاعر الكبير والاديب المفوه الدكتور الشيخ أحمد الوائلي في جمعية منتدى النشر ، وكان الدكتور محمود مظفر حاضرا فدارت أحاديث مهمـة في الشؤون الفكرية والادبيـة ، وانتفعنا كثيرا بآراء الشيخ الوائلي السديدة ، وهو اليوم في طليعة المفكرين العرب الذين تعتـز بهم أمتهم وشعبهم ..

وفي صباح اليوم التالي زرنا كلية الفقـه فاتصلنا بعميدها السيد الجليل عدنان البكـاء ، والتقينا بالعالم الشاعر السيد علي بدر الدين الـذي أصبح يرفد الشعر العربي المعاصر بقصائده التي تنم عن موهبة أصيلة ...

وقد زارنا في الفندق العلامة الشاعر الاديب الشيخ عبد الجبار الساعدي الذي لفت اليه الانظار من خلال نشاطه الدائب ، وانتاجـه الغزير في الشعر والدراسة وتدبيج المقالات التوجيهية .

وبعد الظهر بارحنا مدينة النجف الاشرف قاصدين مدينة الناصرية مركز محافظة ذي قار ، وكنا نردد في أعماقنا قول المتنبي في مدح الامام علي عليـه السلام :

وتركـت مدحي للوصي تعمـدا اذ كان نـورا مستطيلا شامـلا

واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوءالشمس تذهب باطلا

ها هي الناصرية بلد الشعر والجمال والضيافة العربية تطل من جانبيها على نهر الفرات كأنها غانية حسناء كشفت لنا عن وجهها الخمري الضاحك فتركت قلوبنا أسيرة الهوى والاعجاب ..!

وفي فندق الناصرية السياحي الرابض على ضفاف الفرات نزلنا في احدى حجراته ووضعنا فيها حقائبنا .. وتأسف ان ادارته سيئة .

وعندما بدأت الشمس تجنح للغروب رحنا نبحث عن ابن الناصرية البار، وأحد المفكرين البارزين الاستاذ المحامي شاكر الغرباوي ... ولم نكن لنبذل كبير جهد حتى اهتدينا الى مكتبه فاستقبلنا الرجل بحرارة ولهفة ، وبما هو معروف عنه من شهامة وطيبة وأريحية ... وقضينا معه فترة من الوقت حدثنا فيها عن الناصرية وأدبائها الموهوبين الذين لمعت أسماؤهم في سجل الحركة الادبية المعاصرة ، ومنهم عبد القادر رشيد الناصري ، ورشيد مجيد ، والسيد فاضل السيد مهدي ... وبعد ذلك دعانا الى تناول طعام الغداء في بيته في اليوم التالي بعد مرافقته لنا صباحا لزيارة سوق الشيوخ وعودتنا منها الى الناصرية ظهرا ...

واصطحبنا الاستاذ الغرباوي معه لزيارة العلامة الجليل الشيخ محمد باقر الناصري فذهبنا الى مكتبه الكائن في الجامع الذي يؤم فيه المصلين كل يوم ... فكان لقاؤنا معه مدعاة لسروره وابتهاجه ... وكانت أحاديثه المتشعبة في مختلف المعارف الاسلامية تنفذ الى قلوبنا قبل أسماعنا ... فهو رجل مثقف ثقافة اسلامية عميقة ... وقد تعرفنا على مواقفه الفكرية من خلال أقواله المركزة والموشاة بالآيات والحكم ، والموحية للمعاني الكبيرة .. وقد تفضل فأهدى كلا منا مؤلفيه القيمين « مع الرسول الاعظم (ص) في حكمه ووصاياه » و « مع الامام علي (ع) في عهده لمالك الاشتر » ...

ومن ثم استأذنا من الاخوة الحاضرين بالانصراف فشيعونا الى البـاب حيث أخذنا طريقنا نحو الفندق •••

واستيقظنا من نومنا مبكرين ، وبعد انتهائنا مـن تناول الفطور خرجنا من الفندق واذا بالاستاذ شاكر الغرباوي في انتظارنا فركبنا السيارة ونحـن نقصد سوق الشيوخ ، ونسير بين أشجار دائمة الخضرة تهتز أغصانها بحفيف يصل الى أسماعنا ••• وكانت الاستعدادات تجري بصورة جادة ومنتظمـة للاحتفال بالفاتح من شهر أيـار يوم العمـال العالمي حيث انطلقت المسيرات العمالية تحمل الشعارات الوطنية والقومية التي تندد بالاستعمار والصهيونية العنصرية ، وتدعو جماهير الامة العربية لتحرير كامل التراب الفلسطيني مـن أيدي المحتلين بالكفاح المسلح ، وتطالب بالوحدة والحرية والاشتراكية ، وهي تجوب شوارع الناصريـة ، وكانت الهتافات المدويـة في الآفـاق تستثير الحماسة ، وتلهب الاحاسيس •••

وبعد خمس عشرة دقيقـة ندخل سوق الشيوخ ، ونمشي فـي منبسط تحف به الاشجار المورقة ، وولجنا السوق المسقف ، والتقينا بالشاعر حمدي آل حمدي في محله التجاري ••• وخف لاستقبالنا بفرح غامر ••• ولم يكد يستقر بنا المقام حتى وفد علينا كل من الشاعر جميل حيدر ، والشاعر سالـم حسون السالم ، ودارت بيننا الاحاديث الموشاة بالروائع الشعرية التي جادت بها قرائح شعراء العرب القدامى والمحدثين ، واطلعنـا على الاعمال الادبيـة للجيل الجديد من شعراء سوق الشيوخ ، والذين تنم نتاجاتهم عـن مواهب وطاقات زاخرة بالعطاء الذي يشع بالحيـاة ، وهم يتطلعون الـى مستقبلهم بتفاؤل وثقـة ••!

وكان العلامة الشاعر الخالد المرحوم الشيخ محمد حسن حيـدر قطب الحركة الادبية في هذه المدينة الوادعة ، وباعث النهضة الفكرية فيها ••• وان أكثر شعرائها البارزين هم تلامذته الذين مـا برحوا يذكرون أياديـه البيض

عليهم بكل تجلة وتقدير ، ويتناقلون أخبار مجالسه الادبية بكل فخر واعتزاز ..! وكان رحمه الله من محبي العرفان وأنصاره .

وبعد أن قضينا وقتا حافلا بالمتع الذهنية التمسنا من أصدقائنا الادباء الانصراف ، فطلبوا منا ان نتناول عندهم طعام الغداء ... فأخبرهم الاستاذ شاكر الغرباوي : انهم مدعوون للغداء في بيتي ، وان الطعام جاهز الآن ، ويا حبذا لو شاركتمونا ، فاعتذروا ... وودعونا بعد ان تركوا في أذهاننا ذكريات جميلة ، وانطباعات لطيفة لا تنسى مطلقا ...

وها نحن في دار الاستاذ الغرباوي العامرة التي غصت بالمدعوين من أدباء الناصرية ووجهائها وموظفيها تلوح على وجوههم ملامح الغبطة ، وسمات البهجة ... وألقى الاستاذ الغرباوي كلمة قيمة ازدحمت فيها المشاعر الرقيقة، واحتدمت فيها الخوالج المتدفقة هذه صورتها :

لم تكن « العرفان » المجاهدة بالغريبة على « الناصرية » دار الجهاد ..

ولم تكن « الناصرية » بالغريبة على مجلة العرفان الزاهرة وأسرتها الكريمة ..

فمنذ أيام دراستي الثانوية كانت « العرفان » رفيقتنا في المدرسة ، بل مدرسة أخرى لنا ..

نقرأ فيها ألوانا من الحركة الادبية في مدينة الناصرية وعن ندوة الاثنين ونماذج من نتاج أدبائها وشعرائها ..

ولطالما حدثنا أستاذنا محمد شرارة عنها وعن منشئها المجاهد المرحوم أحمد عارف الزين ..

فكنا نمتلىء لها تقديرا واكبارا ..

وأتعب الجهاد عارف العرفان ..

فحمل « نزاره » اللواء رفراقا في يديه ..

أقوى ما يكون ايمانا وحيوية وشبابا وازدهارا ..

وحين تضم الناصرية الاستاذ الكريم (نزار الزين) والشاعر الرقيق (خضر الصالحي) بشوق فلا عجب فذي مضارب وائل ، وربوع عدنان ؛ وديار نزار ...

فمرحبا مرحبا بنزار العرفان ..

وأهلا وأهلا بخضر القوافي والبيان ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الناصرية في ١/٥/١٩٧٩ شاكر العرباوي المحامي

فرد عليه الاستاذ نزار الزين بكلمة ارتجالية فاضت بكل معنى كريم ؛ ومغزى رفيع ، وشعور جياش ... وما ان انتهى من كلمته حتى وقفت بين جموع الحاضرين وألقيت القصيدة التالية :

نحييك بالروح الشفيفة «شاكر» تحيات من تسبي حجاه المآثر
نحييك للفضل الذي أنت أهله ومن لا يحيي فهو بالفضل كافر
تراءى لنا دور لبذلك بارز وذكر كأشذاء الخميلة عاطر
فتى في سماء «الناصرية» قد بدا كشمس اذا لاحت تفر الدياجر
مزاياه تنبي عن عراقة أصله وعما انطوى فيه الحشا والسرائر
باحسانه قد جاوز الحد انه كمثل خضم ما له قط آخر
اذا ما انبرى يزجي الاحاديث انه بما فاض فيه من أحاديث ساحر
تجلت لنا فيه مواهب جمة ولا عجب فيه الزمان يفاخر
رقيق طباع اريحي ونابغ وفذ نبيل قل فيه النظائر
واني لدى ترحابه ولقائه قد احتدمت في جانبي المشاعر
وماذا أقول اليوم في حب فاضل وفي عمق أعماقي تجيش الخواطر
اذا الناس في هذي الحياة معادن فما «شاكر» في الناس الا جواهر

ولما فرغنا من طعام الغداء ، وتبودلت بيننـا عبارات التوديع المشحونة بالمودة الصادقة عدنا الى الفندق لجلب حقائبنا ، وحين تركناه ومررنا باحدى الساحات لفت نظرنا تمثال مقام في وسطها للعلامـة المجاهد والشاعر الملهـم السيد محمد سعيد الحبوبي الذي رفع السلاح ، وقاد أبنـاء العشائر الـى الشعبية لمحاربة الانكليز الذين دنسوا تربتنا الطيبة بأقدام جنودهم الغزاة •• وبذا ضرب المثل الرائع لرجل الدين المقاتل الشجاع •• وتوقفنا قليلا لنتذكر عبقرية العلم ، وعظمة البطولة اللتين امتاز بهما صاحب التمثال الـذي حفـل العرفان بشعره منذ مجلده الاول •

وبعدها غادرنا الناصرية فـي طريقنا الـى البصرة حاضرة الفراهيـدي والجاحظ والحسن البصري ••• وقد دخلناها والشمس تميل نحـو المغيب حيث بدت بساتين النخيل كأنها غابـات لا يبلغ مداهـا البصر ••• ولا أدري لماذا رجعت بـي الذاكرة الى الماضي السحيق اذ تراءى لي الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري وقد حط رحاله في بغداد وهو ينشد :

شربنا مـاء دجلـة خير مـاء وزرنا أكـرم الشجر النخيلا

ونزلنا في فندق شط العرب المطل على شط العرب •••

وبعد أن أخذنا قسطا من الراحـة في صالـة الفنـدق الواسعة خرجت والاستاذ نزار الزين نتمشى عـلى رصيف شط العرب الـذي كانت الاضاءة الحديثة تحيله الى نهار ••• ونقف لحظات لنتأمـل الجسر الحديدي الضخم الذي يربط جانبي شط العرب حيث تقـع جزيرة السندباد في الجهة المقابلـة لفندق شط العرب ، والتي يؤمها الناس في الاعيـاد والمواسم الشعبية حيث الحدائق الغناء والنافورات والساحات الفسيحة والمطاعم والمقاهي العصرية •• وتحدثنا عن استقرار الامن الذي يسود العراق حاليـا بفضل القيادة الحكيمة للحزب والثورة ، وانعدامه في لبنان الذي يئن من جراحه النازفة ، والـذي أحالت الحرب الاهلية العديد من مدنه وقراه وأريافه الى خرائب وأطلال ••• وما أروع قول الرسول الكريم « ص » :

نعمتان مجهولتان : الصحة والامان .

وفي اطلالة الصبـاح الضاحك خرجنا مـن الفندق فتجولنا في أسواق البصرة وشوارعها الواسعة ، وتوقفنا مليـا عند تمثالي الخليل بـن أحمـد الفراهيدي ، وبدر شاكر السياب الذي مات غريبا معدما في أحد مستشفيات الكويت فتلوت على مسامع الاستاذ نزار الزين قول الشاعر السوري بدوي الجبـل :

خلـق الشاعر والبؤس معـا فهما صنوان لـن يفترقـا

ويومها قال شاعرنا العراقي عبد المحسن الكاظمي :

بلـد يعيش الالمعي مضيمـا فيـه ويرفل بالنعـيم بليـد

ولم يتح لنا الوقت الاتصال بالادباء البصريين مـا عدا الاستاذ « بـدر العيبي » فقد التقيناه في محلـه التجاري وشربنا عنده الشاي ... وحدثنا عن البصرة ومعالمها الاثرية ... وقد كان انسانا ودودا لطيفا ... وليس ذلك منه غريبا فأهل البصرة معروفون بالوفاء والدعة وحسن المعاشرة ..!

وعند الساعة الثانية بعـد الظهر ودعنـا البصرة قاصدين « العمـارة » فوصلناها الساعة الخامسة مساء ... وذهبنا توا لزيارة الاستاذ عدنان الزين في محله التجاري الكائن في سوق العمارة المسقف فرحب بنا ، وفرح للقائنا فرح المزارع بهطول الغيث ..!

والاخ عدنان الزين من أقرباء الاستاذ نزار الزين ، وقـد نزحت أسرته من جبل عامل بلبنان الى العمارة منذ أكثر من مئة عـام ، واستوطنت فيها ، وهي اليوم من الاسر المعروفة فيها ...

وها هي العمارة التي أزورها لأول مـرة كأنها شبه جزيرة تحيـط بها

دجلة ونهرا المشرح والمجر ••• فتجعلها خميلة خضراء ، وقد نزعت عنها ثوبها القديم المهترىء ؛ واكتست بأثواب قشيبة تبهج الزائـر ، وتسر الناظر ••• وهي بشارعها النهـري ، وأبنيتها الجديـدة ، وساحاتها الكبيرة وجسرها الحديدي تعطي دلالات واضحة عن الانجـازات والتغييرات الجذريـة التي قامت بها ثورة السابع عشر من تموز المجيدة !••

وبتنا ليلتنا في دار الاستاذ عدنان الزين ••• وفي الصباح قصدنا بيت العلامة الشاعر الشيخ عبد الغفار الانصاري ، والملاصق للجامع الذي يقيم فيه الصلوات الخمس ••• وتلقانـا بشاشته الطافحـة على وجهـه ، وبصدره الرحب ••• وبعد لحظات من جلوسنا قرأت عليه هذين البيتين :

دخلنـا بيت فـذّ ألمعـي   به وجـه الحياة قـد استنارا
الى الانصار ينسب حيث فيهم   أبو الزهراء في البلوى استجارا

ولم يلبث الشيخ الانصاري أن رد عليّ قائلا :

بلقـي الصالحيّ نزار زيـن   تشرفنا وقـد زدنـا ابتشارا
كما الآبـاء من دون البرايـا   بلقيـا أحمد زادوا افتخـارا

وقد حضر الى مجلسه لفيف من أبناء العمارة لاستشارته في القضايـا الدينية ، وحل مشاكلهم الاجتماعية ••• كما كان ابن أختـه العلامة الشيخ أحمد الانصاري حاضرا ••• وقـد تفضل فأهـدى كلا منا مؤلفه القيـم « خلاصة القوانين » •••

وعند الظهر أقام الاستاذ عدنان الزين حفلة غداء سخية دعا اليها الاقرباء والاصدقاء ••• وكان في مقدمة المدعوين العلامة النابغ الشيخ عبد الغفـار الانصاري ، والعلامة المحقق الشيخ أحمد الانصاري ••• وقد ألقى الاستاذ نزار الزين في الحفلة كلمة عبر فيها عن عميق تأثره بما لقيناه من ود وترحاب ؛

ورد عليه الشيخ عبد الغفار الانصاري بكلمة رائعة ... وألقيت أنـا كذلك كلمة أفصحت فيها عن عواطفي تجاه هذه الحفاوة البالغـة التي قوبلنا بها من لدن اخواننا أبناء العمارة الابرار ... وبعدها ودعناهم جميعا عائدين الـى بغـداد ...

لقد كانت جولة موفقة اذ وفرت للاستاذ نزار الزين الاطلاع على معالم الحيـاة الجديدة التي يعيشها الشعب العراقي ، وجعلتـه يقف ازاء مجمـل المكاسب والتطورات التي تشهدها المحافظات الجنوبية ، والتي بلغت موقعـا متقدما يجسد عمق وأصالة وحيوية الحركة ، وصدق الاندفاع ، ويفرز جملة حقائق مهمة تستحق الوقوف عندها ، فهي تؤكـد صلتها الوثيقـة بمؤشرات تستهدف التطور الافضل ، وتضيفه له قوة دفع جديدة ..!

لقد كان كل شيء من حولنا ينطق بأننا نتقدم خطوات حثيثة نحو الرقي والازدهار ، وكل حركة الى الامام حيث تعبر عـن روح ومتطلبات الوضـع الراهن ... بالاضافة الى ما لقيناه من مظاهر الاعتزاز بالضيف واكرامه ... مما كان ذلك مصدرا لسعادتنا ، ومبعثا لبهجتنا ..!

انه لمن البداهة ان نقول : ان الجديرين بالحيـاة المثلى والسعيدة هـم اولئك الاكثر بذلا وعطاء ، والاسخى تضحية وايثارا ..!

بغداد ـ العراق — خضر عباس الصالحي

١٩٧٩/٥/٨ م

أبو الاعلى المودودي في ذمة الله ... والتاريخ

قالت زميلتنا اللواء في عددها الصادر في ٦/١٢/١٣٩٩ ما يلي :

بالامس القريب فارقنا الشيخ « أبو الاعلى المودودي » الى جنات ربه وفسيح جنانه ، فارقنا بعد طول معاناة وجهاد . لقد أمضى حياته وأيام عمره عاملا في سبيل نشر الدعوة الاسلامية .. بداية نشاطه كان في مهنة المحاماة عام ١٩٠٣ في الهند وبعدها انتقل الى العمل الصحفي فكتب في أكثر من مجلة وصحيفة نذكر منها على سبيل المثال : « مجلة مدينة » الاسبوعية التي كانت تصدر في بجنور ومجلة « مسلم » الاسبوعية أيضا ، ومجلة «ترجمانة القرآن» وهي من انجازه وجهده الشخصي فاعتبرت نظرا لقوة تأثيرها واتساع رقعة انتشارها رمزا للوعي الاسلامي . ولم يكتف المودودي بذلك بل ثابر على القاء المحاضرات والخطب حتى استجاب له عدد كبير من أبناء الهند وقامت الجماعة الاسلامية اثر ذلك منصبة المودودي أول رئيس لها .

من مؤلفات الشيخ كتيب « مبادىء الاسلام » الذي ترجم الى ٢٧ لغة ، فيه يعبر فضيلته عن الاسلام بمفهوم يكاد يصل الى جميع العقول على اختلاف المدارك والمستويات فتتوضح حقيقة هذا الدين بأسلوب بسيط يخلو من الاسفاف والتعقيد ..

أما كتابه (القانون والدستور الاسلامي) فهو يعتبر أول محاولة باللغة الاردية والانجليزية لتوضيح مفهوم الدستور في الاسلام ومجال تطبيقه العملي ..

و « الحجاب » وهو أسم مؤلف للشيخ المودودي له سمعة وشهرة فـي باكستان وغيرها من الدول الاسلامية ، وقد ترجم الى العربية بالاضافة الـى عدد من الكتب الاخرى منها : « تذكرة الدعاة » ، « الجهـاد في الاسلام » « نظرية الاسلام وهديه » •••

في كتابه « الحجاب » يعالـج المودودي مسألة مهمـة في التشريـع الاسلامي نص عليها القرآن الكريم واعتبرها الكثيرون في مجتمعاتنا المعاصرة ظاهرة تخلف ورثها الابناء من الآباء والاجداد • وبعد ان يستعرض المودودي المراحل التاريخية التي عاشتها المرأة يتحدث عن نتائج الثورة الصناعية فينطلق من البيئة المهيجة للاطفال الـى الاختلاط في المسارح والكباريهات والنوادي الليلية والمراقص ••

ولا ينسى المودودي الكتب الجنسية والصـور والاعلانات والاغانـي المبتذلة و •• وبعد ان يستشهد بالارقـام والاحصائيات بأسلوب لا يخلو من عنصر التشويق بعيدا عن التعقيد او الاسفاف يطرح الرأي الاسلامي والنظام الاجتماعي الذي ارتضاه الله لعباده •

كتاباته هـذه اختلط فيهـا الفكر بالشعور فتلاحظ العاطفـة الجياشة تنساب من بين السطور فتوقظ القلب وتنبه العقل يقول فـي مقدمة كتابـه « الحجـاب » :

« الحقيقة انني كنت منذ عدة سنوات ماضية أتمنى لو أنقل الى اللغـة العربية كتاباي « الحجاب » و « تفسير سورة النور » حتى أتمكن بهما مـن ابلاغ رسالتي الى اخواني أبناء البلاد العربية ، وذلك اني كنت أشعر بواسطة الجرائد والمجلات التي كانت ترد علينا من مصر وغيرها من البلاد العربية بأن المرأة في هذه البلاد قـد بلغت من اعتدائها الحدود الشرعيـة واتسياقها وراء تيار الحضارة الجديدة درجة ربما لم تبلغها المرأة حتى في بلادنا نحن ، فكنت لكل ذلك أجد في نفسي من القلق والاضطراب ما قد طالما أقض علي مضجعي وأجرى الدموع من عيني » •

قبـلان ... خسارة

وعندما سألنا سماحة المفتي الجعفري الممتاز عبد الامير قبلان عن مدى تأثير وقع نبأ الوفاة (وفـاة المودودي) في نفسه أجـاب مشيدا بالمودودي وآثـاره : « في الظروف الراهنـة التي يعيشها الانسان المتدين بصعوبـه ويمارس شعاراته وأحكامه بجهد مع وجود التيارات المعاديـة للاديان بشكل عام وللاسلام بشكل خاص يفتقد عالمنا المعاصر رجل كبير كالشيخ أبو الاعلى المودودي الذي كان يشغل حيزا كبيرا في مجالات الدعوة الدينية وكما ورد في الحديث الشريف « اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمه » .

ان موت العالم في هذه الظروف خسارة لا تعوض وكارثة تضاف الـى الكوارث التي أصابت عالمنـا الاسلامي ، ان الارض تنقص من أطرافها بموت العالم وان آثار ومآثر ومؤلفات ونشاطات وجهـد « أبو الاعلى المودودي » دليل واضح وساطع على غناء المكتبة الاسلامية بمؤلفات هذا الرجل وكم نحن بحاجة الى أمثاله وبالخصوص في باكستان البلـد الذي يعيش اسم الاسلام ومظاهر الاسلام فان افتقاد هذا العالم الكبير في هذه الايـام العصيبة ثلمـة كبيرة حلت في وطننـا الاسلامي الكبير حيث الهجمـات الشرسة والخبيثـة واللئيمة الموجهة ضد ديننا الحنيف العظيم الكبير .

ان موته لم يكن خسارة على الامـة الاسلامية فحسب بل على العالـم أجمع لان مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء والكلمة الحقة أمام السلاطين الجائرة تعادل كل الدنيا وما فيها ان أسفنا وحزننا وتأثرنا كبير .

ولكن الذي يخفف المصاب ما خلفـه أبو الاعلى المودودي من تآليف ومن مصنفات ومن نشرات انتشرت في جميع الاقطـار الاسلامية والعربيـة والعالمية . وقد جاء في الحديث الشريف « اذا مات ابن آدم انقطع عملـه الا من ثلاث : صدقة جارية وولد يدعو له أو علم ينتفع به » ، فان أبـا الاعـلى المودودي لم يمت بل هو حي بعلمه وبتآليفه .

أما الاستاذ أكرم زعيتر الذي صحب الشيخ المودودي في أكثر من مؤتمر وشهد له أكثر من محاضرة ولقاء فانه يعتبر العلامة المودودي أحد أئمة الفكر في عالمنا المعاصر وصاحب الجرأة والكلمة الحق التي لا تخشى السلطان وسيفه . ومما جاء في تصريحه « للواء الاسلامي » :

« لا ريب في ان أبا الاعلى المودودي من أئمة عصره ، ان لم يكن امام أئمتهم ، وقد عرفته شخصيا فزاملته في مؤتمرات اسلامية عديدة في دمشق وفلسطين ومكة ، ورافقته في رحلته الى المدن الفلسطينية وفي ضفتها الغربية . هذا العالم ضليع في العربية واسع الاطلاع في الفقه ، نير الفكر ، اصلاحي النزعة ولكنه لا يتحمل الهوادة في أمر ديني يتصل بالاسلام عقيدة وفقها وتشريعا ، وممن علمت من علماء المسلمين لم أر أكثر منه جرأة في الحق الاسلامي على الباطل الالحادي وما رأيت مثله رجلا لا يخشى السلطان ولا يرهب ذوي الحكم ، يخلص النصيحة ويجهر بالرأي ولو أدى ذلك الى أن يصاب بكثير من الاذى والاضطهاد » .

ولعل تفسيره للقرآن الكريم يصح ان يعتمد في المرتبة الاولى بين تفاسير المفسرين ، وبحوثه في العدل الاجتماعي في الاسلام يمكن ان تكون جديرة بكونها المرجع لمن ينشد التعمق في فهم فضائل الاسلام ولا سيما مواضيع العدل الاجتماعي والمساواة ، خطيب متحدث من الطراز الاول يبدأ خطبه وينهيها على غرار ما كان يفعل السلف الصالح اذ انني ما سمعته يخطب الا وأنهى خطبته بقوله : « واستغفره لي ولكم » واني أذكر مؤتمرا اسلاميا عقد في دمشق فيما أظن سنة ١٩٥٦ حضره الامام المودودي فاستقطب حوله علماء المؤتمر وفقهاء البلد ، وأقيم له حفل تكريمي ضخم في الجامعة السورية خطب فيه الكثيرون منوهين بعلمه وخلقه وفضله واذكر ان الاستاذ محمد المبارك حين خطب في فضائل المحتفى به أشار الى الحديث النبوي الذي يتضمن القول : بأن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد هذا الدين . ورشح (الخطيب) الامام المودودي ليكون مجدد هذه المائة التي نعيشها ،



ابـو الاعـلى المودودي

ولعل صلاحيته في ما يعتقد كانت من الشدة بحيث اعوزتها المرونة ممـا أدى الى جفوة بينه وبين الحاكمين ٠٠ » ٠

نصف مليون شخص شاركوا في تشييع جثمان المودودي في باكستان

اشترك أكثر من نصف مليون شخص يتقدمهم الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق في تشييع جثمان المغفور له العلامـة الشيخ أبو الاعلى المودودي مؤسس الجماعة الاسلامية في باكستان والـذي توفي يـوم السبت الماضي ؛ باحدى مستشفيات نيويورك ٠

والجدير بالذكر ان العلامة الشيخ المودودي قد منح جائزة الملك فيصل العالمية مكافأة له على ما قدمه من خدمات للاسلام ٠ والـى القارىء مختصر محاضرة للشيخ المودودي :

الى أين يتجه الاسلام والمسلمون

مختصر محاضرة لـ : « ابو الاعلى المودودي »

ليس لهذا العنوان الا مفهومان اثنان :

الاول : ما هو السلوك الذي يتبعه المسلمون تجاه الاسلام وما هو الموقف الذي يقفون منه في الوقت الحاضر ، وما هو مدى تأثير الاسلام في حياتهم الواقعية ؟

والثاني : هل من المحتمل أن تعود البشرية اليوم الى الاسلام وتسترشد بهديه أم ان هذا احتمال بعيد المنال ؟ اذا كان الجواب بنعم فكيف يكون ذلك . واذا بالغ أحد في تفسير هذا العنوان فله أن يقول مضافا الى التفسير الثاني :

ـ هل الاسلام صالح للتطبيق في الزمان الحاضر أم لا ؟

هذان هما السؤالان اللذان يتضمنهما العنوان المطروح وسأتحدث اليكم بما يجول في خاطري فيما يتعلق بهذين السؤالين . وذلك بقدر ما يتسع لي المجال في هذا المقام : داعيا المولى الكريم أن يهديني الى سواء السبيل .

المراحل التي اجتازتها الامة الاسلامية

ـ فيما يتعلق بموقف المسلمين من الاسلام أو بالسلوك الذي يختارونه نحو الاسلام ، وبمدى تأثير الاسلام في حياتهم الواقعية في الوقت الحاضر فلا بد لادراك كل ذلك من أن نلقي نظرة عابرة على « الاسلام في الزمن

الماضي » قبل أن تتناول « الاسلام في الزمن الحاضر » • اذ أن الذي نحـن عليه اليوم انما هو حصيلة ما كنا عليه في الامس • ولا نحصد اليوم الا مـا زرعناه بالامس • والـذي سنكون عليه في المستقبل سيتمخض عما نأتي بـه اليوم ونزرعه • وبحكم هذا المنطق اذا أردنا أن نعرف موقف المسلمين اليوم من الاسلام بدقة وامعان لا بـد لنـا من أن نتعمق في الموقف الذي اتخـذه المسلمون من الاسلام في الامس الدابر • ومنه نعرف الجذور التاريخية التي يقوم عليها موقفنا الحاضر ـ كما نستطيع خـلال هـذه الدراسة أن نحـدد الملامح التي سوف تسود موقف المسلمين من الاسلام في المستقبل • وانطلاقا من وجهة النظر هذه ـ اذا استعرضنا تاريخنا وقلبنا صفحاته يتجلى لنـا أن مسيرة الامة الاسلامية اجتازت ثلاث مراحل من تاريخها ودخلت اليوم فـي المرحلة الرابعـة •

المرحلة الاولى المثالية من مراحل التاريخ الاسلامي

بدء المسيرة الاسلامية :

ابتدأت أولى مراحل تاريخنا ببزوغ فجر الاسلام في مكة حين بعث الله تعالى رجلا من أهلها ، وأمره أن يشيد صرح الحياة الانسانية على أسس مـن توحيد الله والايمان بالآخرة واتباع الرسالة الالهية • وأن هذا الرجل العظيم ظل يعرض دعوته على خلق الله في مكة المكرمـة ثلاث عشرة سنة متوالية • ولم يكتف بعرض دعوته بلسانه فقط بـل كانت دعوته متجسدة في حياتـه الشخصية متمثلة في كـل عمل من أعماله وكل موقف من مواقفه في الحيـاة الاجتماعية مصورة الانسان المثالي الذي ينشده الاسلام ، والاخلاق السامية التي يصنعها الاسلام ، والسيرة التي يتوخاها الاسلام ، والسلوك الذي يجب أن يكون عليه في الحياة الدنيا كل من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا • وكل ما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم اليه كان يتجلى في حياتـه العملية واقعـا حيـا ملموسا •

وقد عاضده صلى الله عليه وسلم في تنفيذ مهمته ـ بعد أن سمع دعوته من لسانه ورآها حقيقة متمثلة في واقع حياته ـ ناس آمنوا بدعوته بكل تجرد ونزاهة وفهم ووعي . ولم ينضم أحد الى دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن جهل وعمى وعدم تفهم لحقيقتها ومتطلباتها ؛ بل لم يعتنقها الا وهو شاعر بجلالة الدعوة وضخامة مسؤوليتها . وسرعان ما أفرغ حياته في نفس القالب الذي كانت تريده هذه الدعوة .

والذين قد دخلوا في دين الله هذه الفترة ، التي امتدت الى ثلاث عشرة سنة حدث فعلا في حياة كل فرد منهم انقلاب رائع كان الاسلام يستهدف احداثه في حياة البشر . ثم لم يقف الامر عند ظهور هذا الانقلاب في نفوسهم فحسب ، بل جعلهم يكافحون بحماس واندفاع بالغين كل قوة من القوى الداخلية والخارجية التي أصبحت حجر عثرة في سبيل امتداد المسيرة الاسلامية واسعاد البشرية ببركاتها وخيراتها فان رأيت ثم رأيتهم يقومون باكبر تضحية يمكن لرجل أن يأتي بها في سبيل مبدأ من المبادىء . أنهم تكبدوا أفدح الخسائر المادية برحابة الصدر وارتياح النفس لان أعظم قيمة من قيم الحياة الدنيا وأسماها في أعينهم هي ما نالوها بفضل الاسلام . فلم يرتضوا التنازل عنها مقابل أي شيء ، واستعدوا لان يضحوا بعدها بكل شيء في الدنيا . بل فوق ذلك فجر الايمان فيهم عاطفة دافقة لجعل العقيدة التي آمنوا بها تسود الدنيا وتحكمها . وصمموا على تحطيم كل احتمال لتغلب نظرية من النظريات الباطلة عليهم ولو اقتضى الامر الى التضحية بالنفس والنفائس في هذا السبيل .

تأسيس الدولة الاسلامية :

وهكذا ، فان الفئة القليلة من المجاهدين المستميتين التي أعدها الرسول عليه الصلاة والسلام وشملها بتربيته الربانية في خلال مدة ثلاثة عشر عاما في مكة المكرمة قد انتقل بها الى يثرب (المدينة المنورة) وأنشأ فيها دولة

صغيرة جدا كانت مساحتها لا تزيد عن مساحة قرية صغيرة من قرى بلادكم ، وكان سكانها لا يتجاوزون ستة أو سبعة آلاف نفس • فقد قامت في هـذه القرية الصغيرة دولة جعلت تتحدى الجزيرة العربية برمتها • والذي يدعو الى العجب ويأخذ اللب هو أن تكون الجزيرة العربية الواسعة الاكناف الشاسعة الارجاء في طرف وتكون هذه الدولة الصغيرة الناشئة في الطرف المقابل في هذه المعركة • ومع ذلك شرع النبي صلى الله عليه وسلم في تكوين مجتمع بشري فذ يختلف بحذافيره عن المجتمع الجاهلي آنذاك واستطاع في سنوات قليلة اعداد نموذج حضاري رفيع ، وعرضه على عالم العرب ، وأتاح بذلك لكل رجل أن يشاهد ـ اذا شاء ـ بأم عينيه القالب الذي يريد الاسلام افراغ الحضارة البشرية فيه ، ويتبين الروح الخلقية الذي يستهدف بعثها فيها •

ان العدل الذي دعا اليه الاسلام أقيم فعلا في تلك الدولة ، وان المجتمع النزيه الذي يود الاسلام انشاءه ، أنشيء فعلا وصار واقعا ملموسا ماثلا للعيون • وان الاصلاح الذي يتوخاه الاسلام في الحياة الاقتصادية وضع فعلا موضع التنفيذ فيها • وهكذا فان كل ما كان يدعو اليه الاسلام ويطلبه من الناس أبرزه النبي صلى الله عليه وسلم الى حيز الوجود وجسمه في واقع الحياة ؛ لكي لا يكون ايمان الناس مقتصرا على ما سمعوه من لسانه بل يرون بأعينهم : ما هو الاسلام ، وما هي بركاته وما هو الطريق لتطبيقه وجعله واقعا حيا •

ومن أروع معجزات التاريخ البشري أن الدولة التي أنشئت في قرية صغيرة من قرى العرب ـ والتي كانت عبارة عن بضعة أميال مربعة في مساحتها ؛ وعن بضعة آلاف نفس في سكانها استطاعت أن تبسط سلطان الله في أكناف جزيرة العرب في غضون ثماني سنوات فقط • انها في هـذه المدة القصيرة غزت رقعة من الارض كانت تحتوي على مليون ميل مربع فأكثر • وكان من بدائع هـذا الفتح أن لم يصبح الناس مستسلمين للسلطان السياسي لهذه الدولة فحسب ، بل انقلبت بسببه نظراتهم الى الاشياء رأسا

على عقب ، وتغيرت مقاييسهم للقيـم ، وتبدلت أخلاقهم وخصالهم ظهرا لبطن وحصل انقلاب جذري في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وطرأت على حضارتهم ومدنيتهم ثورة لم تغير وجهة تاريخهم فحسب ، بل غيرت مجرى تاريخ العالم بأسره . فابتهج الناس أفرادا وجماعات أسلوبا جديدا للتفكير ونمطا جديدا من السلوك وغاية جديدة للحياة حرموها منذ مئات القرون في تاريخهم .

وكان بحسب النبي صلى اللـه عليه وسلم أن يقضي عـلى الفوضى السياسية التي أنشبت أظفارها في الجزيرة العربية من القرون المتطاولة ، ثـم يخضعها لنظام سياسي موحد فكيف وهو قد حقق ما يفوق ذلك آلاف المرات: حقق تلك الثورة الشاملة التي لم يشهد لهـا تاريخ مثيلا : ثورة في التفكير ، ثورة في الاخلاق ، ثورة في الحضارة ، ثورة في المدنيـة . ومما يدعو الـى الاسف أن النهج الخاطىء لتدوين التاريخ قـد تناولت هذه الثورة الكبرى كأنها قامت نتيجة الغزوات فقـط . وجـاء المستشرقون الغربيون يصرخون مـلء الفـم :

« ان الاسلام لم ينتشر الا بقوة السيف مع أن جميع الغزوات والمعارك التي اضطرمت نيرانها في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تكاد لا يتجاوز قتلاها من الطرفين ألفا وأربعمائة نفس . وعلى من عنده مسحة مـن العقل أن يتأمل فيما اذا كان من الممكن أن تحدث ثورة كهذه بقوة السيف على هـذا القدر الضئيل من الدماء ؟

سر نجاح هذه الدعوة في مدة قليلة :

ان السبب الحقيقي لحدوث هـذه الثورة الكبرى هو غير ما قيل ومـا يقـال :

لما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكـة يدعو الى الاسلام ويعرضه على المشركين لم يدرك الا القليلون منهم ما كانت تحمل هـذه الدعوة فـي أحشائها من الطاقة الهائلة . ولم يفطن اليها الا الذين كانوا عـلى رصيد كبير

من الذكاء والفطنة وكانوا من أصحاب الذهن الوقـاد والبصيرة النافـذة ، وكانوا يتمتعون بالقابلية التي استطاعوا معهـا أن يسموا بأنفسهم عن حمـأة العصبيات الجاهلية ليعرفوا الحـق فيؤمنوا بـه ـ لكونه حقـا وصدقا ـ ويتبعوه في حياتهم الواقعية ، ويقوموا برفع لوائه ونشره في العالم مهما غـلا الثمن وعظمت التضحية •

ولما برزت الى حيز الوجود جماعة هـذه سماتها وتلـك عزائمها شرع النبي صلى الله عليه وسلم على سواء ببناء مجتمع اسلامي منشود ، وبعد أن تولى زمام دولته الاسلامية أخذ يطبق هذا المجتمع ما أوحاه الله اليه من خطة اصلاحية للحياة الانسانية وما للاوضاع القائمـة والظروف السائدة آنـذاك ازاء هذه الخطة الا أن تتبدد بين عشية وضحاها •

وأخيرا شاهدت الدنيـا بأم أعينها نتائج هذه الجهود وصاحت قائلـة : ما أتم السلام في هذا المجتمع وما أرسخ قواعـد الصلاح وخشية الله فـي قلوب أهله ! وما أعم ظواهر الصدق والايمان فيه ! وما أنظف العدل فيـه ! وما أبعد الفوارق الطبقية فيه ! وما أبرز المساواة والاخوة فيه ! ومـا أطهـر الحياة الاقتصادية فيه من المعضلات والتعقيدات والنقائص ! وما أجمل الحياة الاجتماعية فيه وأطهرها من الاوساخ الخلقية !

وما استطاع ازاء ذلك من وهبهم الله عيونـا مبصرة أن ينكروا ذلـك النور الساطع الذي كانوا يرونه يملأ الدنيـا ضياء وسعادة ، ولا سيما أنهـم كانوا قد خبروا عصر الجاهلية وجنوا حنظلها المر ، ذلـك العصر الـذي كان الانسان فيه يبتلع الانسان ، وكانت حوادث القتل والنهب والسلب والاغارة من الامور العاديـة ، وكان الناس غارقين في ادمـان الخمر والزنـا والقمار والسرقة وقطع الطريق ، ومـا الى ذلك مـن الرذائل الخلقية حتـى أنوفهم • ولكنهم أصبحوا يشهدون الآن تلك القناديل النورانية مـن السلام والعـدل والصلاح والشرف والنزاهة والسمو تملأ أرجاء الدولة الاسلامية ضياء وبهاء،

وتضفي عليها حللا قشيبة من الجمال والنضرة . ولم يبق بعد ذلك الا نزر يسير ممن غشيت أبصارهم لم تحجبهم الا ظلمات الجاهلية كالخفاش الذي لا ينظر الا في الظلام وغير هؤلاء الشذاذ آمن بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في نهاية المطاف جميع من كانوا يضعون العراقيل في طريقه وكانوا يقاتلونه أعنف المقاتلة : آمن به خالد بن الوليد ، وخضع له عكرمة بن أبي جهل ، واعترف بدعوته عمرو بن العاص ، حتى ان ابا سفيان وزوجته هند : آكلة كبد حمزة أعلنا بأن الدعوة التي تؤتي هذا النوع من الثمار لا تكون الا دعوة حق وصدق . وذلك لانهم رأوا الحق متلألئا في واقع الحياة أمامهم . ولم يعد الاسلام فكرة مجردة معروضة عليهم في شكل دعوة جوفاء بل أصبح يتفاعل في الحياة الانسانية ويؤتي ثمراته الحلوة نتائجه الشهية في الواقع الملموس .

ومن حصيلة هذه الثورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كون أمة بكاملها كانت ترجمة حية للاسلام : كانت عقائدها وأفكارها ونظرياتها مشبعة بالاسلام وكان الدين الذي اعتنقته لا تشوبه شائبة من العبودية لغير الله الواحد الصمد . وكان سلوكها الفردي وأخلاقها الاجتماعية قد صيغت في قالب الاسلام بعد أن تطهرت من نتن الجاهلية وعفونتها ، وكانت الحضارة والمدنية اللتان رفعت لواءها تفسيرا حيا للاسلام ، وكان نظام دولتها يسير وفق قانون الاسلام . ان هذه الامة قررت ألا تحيا الا لأجل الاسلام ، ولا تموت الا في سبيله . وقد اتخذت اعلاء كلمة الله في الارض شعارها القومي . وكان من مبادئها الاساسية تشييد صرح الحياة الانسانية على دعائم الاسلام في كل بقعة تخضع لسلطانها ، ومتابعة نشر دعوة الاسلام فيما لا يخضع لسلطانها من البقاع . وهكذا تهيأت في العالم الامة المتكاملة العناصر التي تطبق الاسلام في حياتها الواقعية وتستهدف نشره على وجه الارض كجزء من أجزاء مهمته القومية . كما أن الدولة بعناصرها الشاملة قد برزت الى مسرح الوجود وكان الاسلام متجسدا في نظامها الداخلي بجميع مبادئها وأسسها في جانب ، وفي الجانب الآخر رفعت لواء الاسلام في أدنى الارض وأقصاها .

انتشار الاسلام في العالم :

وبعد أن قامت في الدنيا أمة هذه سماتها وخلالها وتأسست دولة هـذه خصائصها ومزاياها بـدأ الاسلام ينتشر في أرجـاء الدنيا في عصر الخلافـة الراشدة بسرعة وصفت في التاريخ بكلمة « الانفجـار » أي مثل السرعـة الهائلة التي أخذ بها الاسلام في الانتشار والازدهار كمثل انفجار المتفجرات . ولم تمض الا سنوات قليلة حتى امتدت السيرة الاسلامية من بلاد الافغـان والتركستان شرقا الـى افريقية الشمالية غربا . ونتيجـة أي شيء كان هذا الانفجار الرائع يا ترى ؟! ولكم أن تذهبوا الى جزيرة العرب اليـوم لتنظروا كم نسبة العمالقة فيها ، وما هي مصادر الثروة المادية في هذه الجزيرة ؟ دعوا البترول فانه لم يكتشف الا مؤخرا . مـاذا فيها من الوسائل الماديـة بعـد البترول ؟ وانظروا كذلك الى عددهم : يكاد لا يزيد عددهم في جزيرة العرب بأسرها على عشرة ملايين من النفوس ومـن المؤكد ان كـان عددهم في عصر الخلافة الراشدة أقل بكثير من هذا . فهيمنة شعب كهذا ، على هذا القدر من المساحة الارضية ، وبهذه الصورة الفجائية لم تكن في الواقع حصيلة تفوقـه على غيره في القوة المادية ، بل السبب الذي مكنه لاخضاع رقاب العالم كلـه يكمن في ذلك السلوك الرائع الفريد الذي سلكه كل فرد من المسلمين بصفته الفردية والامة الاسلامية بصفتها الجماعيـة في الصلح ، والحـرب ، وأدارة البلاد المفتوحة ، وحسن المعاملة مع شعوبها .

ان الذين عاشوا تحت الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الروميـة كرعايا لم يكونوا يتصورون ، بله أن يشهدوا ذلـك النوع الفريد من الولاة الذين يمشون على الاقـدام في الشوارع . يعيشون عيشة عامـة السكان ، ويتركون أبوابهم مفتوحة على مصراعيها في وجـه كل من مسته الحاجـة ، ويضع يده في عنقهم كل من دهمته الداهية ليطلب منهم ازالـة شكواه . ان سكان فارس والروم ما رأوا هذا النمط الرائع من الحكام في الاحلام فضلا عن أن يروه في اليقظة . بل لم يدر بخلدهم احتمال وجود هذا النوع الفريد

من رجال الحكم والادارة . الا أنه لما دخل النظام الاسلامي بسموه وثقافته أرض هذه البلدان ، وقدم لسكانها هذا النوع من الولاة فمن ذا عسى أن يكون منهم من يمنعه التعصب الاعمى من أن لا يعترف بهذا التفوق الخلقي والسمو الانساني اللذين يتفرد بهما الاسلام ، اللهم الا شرذمة قليلة طمس الباطل معالم فطرتها وعميت أبصارها عن رؤية الحق .

ومن النماذج الرائعة في السمو الخلقي الذي عرضته الجنود الاسلامية على الدنيا أنها كانت تدخل مدينة تفتحها ، وتجوب في شوارعها ونساء هذه المدينة واقفات في الشرفات في أبهى ثياب التبرج والاغراء يتطلعون الى المواكب . ولم يحاول جندي من هؤلاء الجنود البواسل أن يرفع رأسه وينظر اليهن ولو بنظرة عابرة . تقطع المواكب الشوارع بدون أن تعلم ما اذا كان هناك من النساء يطللن عليها من الشرفات . الامر الذي كان يختلف تماما عما جربته تلك الامم المغلوبة من ويلات الغزاة فيما خلت من القرون ، وما تناقله الناس من القصص والحكايات عن الامم الغازية . اذ كان من السنة المتبعة أنه كلما وطيء الغزاة أرض قوم عاثوا فيها فسادا ، ولم يتركوا عرض امرأة الا وانتهكوه وارتكبوا معها الفظائع ، فبعد هذه المواقف الفذة مع أهالي البلاد المفتوحة كيف كان من الممكن أن لا تكسب الجيوش الاسلامية قلوبها: الجيوش التي تكتسح المناطق بدون أن تنتهك حرمة أحد أو تمس بكرامة أحد .

وكذلك من روائع الاخلاق التي تقدم بها هؤلاء الفاتحون الربانيون الجدد أمام الدنيا أنهم اذا اضطروا الى سحب جيوشهم من منطقة من المناطق المفتوحة أعادوا الى أهاليها كل ما أخذوه منهم من الضرائب والاموال لدعم الامن فيها قائلين : ان هذه الضرائب انما أخذناها منكم للقيام بواجب حراستكم الا أننا اضطررنا للانسحاب ، ولا نتمكن من القيام بهذه المسؤولية فهذه بضاعتكم ردت اليكم . هذا في الوقت الذي لم يكن الناس يعرفون من الغزاة الا الذين اذا اضطروا للجلاء من بلد من البلدان المحتلة فبدلا من أن

يردوا الى أهاليها ما كانوا جلبوه منهم من الامـوال كانوا ينهبون مـا تبقى عندهم من الاموال فلم يكن أحـد من الناس يتوقـع من الحكام والولاة أن يحتذوا ما عرف عن أنبياء الله وأوليائه من السجايا والفضائل ، ويحتلوا هذه المكانة السنية من الامانة والنزاهة حتى في مجال السياسة والحكم •

هذه هي الطاقة الهائلة التي كان يتمتع بها المسلمون فـي صدر الاسلام فغزوا بفضلها القسم الاكبر من العالم • ومن الحقيقة التي لا يكابر فيها أحد أن الذي حققته أخلاقهم السامية وسلوكهم النزيه من المعجزات لا يقارن بما أنجزته سيوفهم • لان من اعتنق منهـم الاسلام اعتنقه بعـد ادراكه الكامل لحقيقته ومقتضياته ، ثم صاغ فيـــه شخصيته وسيرته وسلوكه ، ولذلـك أيما عمل قاموا به مثلوا فيه الاسلام بكامل أوجهه • وبهذه الخاصية الربانية لم تستطع أية قوة في العالم أن تصمد في وجههم • وكان يسبق تأثير أخلاقهم في قلوب الناس مضاء سيوفهم في عنقهم ، ولهـــذا السبب نفسه نـرى أن الاقطار التي فتحوها لـم يكتف سكانها بالخضوع لقوتهم السياسية بـــل أصبحوا من المولعين بهم والمريدين لهم : أعتنقوا دينهم ، واتبعوا حضارتهم ، وارتضوا لغتهم • وها هي الاقطار التي فتحهـا المسلمون الاوائل مـــا زال سكانها يعتبرونهم على مـدار التاريخ أبطالهـم وروادهـم ، ولا يحبون أن يرجعوا بأواصرهم الى أسلافهم الكافرين أن ينسبوا اليهم ماضيهم التليـد • فهل لسيف أن يحقق هذه المعجزة في العالم ؟!!

هذه هي المرحلة الاولى من مراحل التاريخ الاسلامي • ولا أريد فـي هذا المقام سرد المعلومات التفصيلية عن هذه المرحلة • وانمـا الذي يهمني أن أؤكد لكم أن الاسلام اذا تمكن من بسط سلطانه المدهش على القسم الاكبر من العالم لم يتمكن من ذلك الا لأجل أن الامة بكاملها قـد آمنت بالاسلام ايمانا صادقا وتمسكت به بعزيمة ماضية وتفهم صادق واخلاص عميق وصـار نور الاسلام يتلألأ في سلوك أفرادهـا الفردي والجماعـي بمنتهى النصوع والكمال • وقد برزت الى الوجود دولـة تبنت الاسلام هدفا رئيسيا لهـا ،

وهبت تستنفد كل ما تملك من الوسائل والامكانيات لتغليب كلمته في العالم . وهكذا تيسرت للاسلام في أولى مراحله حركة مستميتة قوية ما زالت آثارها في التاريخ واضحة المعالم جلية الملامح حتى اليوم وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا على انشائها . وتستطيعون أن تشاهدوا مع هذه الحالة التعيسة التي تدنت اليها الامة الاسلامية آثار الطابع الذي انطبعت به الامة الاسلامية في أولى مراحل تاريخها .

ان أي فرد من المسلمين مهما فسد أمره وساءت أخلاقه اذا استشففت ذات نفسه وجسست نبضه تعلم أنه لا يحن الا الى نفس المجتمع المثالي الذي أسسه محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون . وهذا هو الهدف الذي يطمح اليه دائما ولا يتناساه أبدا ، كأن هذا المجتمع شمس تشرق أمامه بنورها الساطع بصفة دائمة لا يدعها تغيب عن نظره . ان كل فرد من المسلمين يرى هذه المرحلة الذهبية نموذجا وقدوة ، ويولع بها لحد الغرام ، ويتمنى رؤيتها متمثلة في الواقع مرة ثانية . وما انفك الاسلام يشع بنوره على العالم من عصر الخلافة الراشدة الى هذا اليوم . ولم تبق صقعة من أصقاع العالم الا قد تغلغلت اليه أشعته . وقد نال هذا الازدهار على رغم ما منيت به هذه الامة من الامراء المنغمسين في حياة الترف والبذخ ، ونكبت بالطغاة والجبابرة ، ولم تعدم متعاطي المنكرات في يوم من الايام .

ولم تعد منذ مدة غير قصيرة أمة مثالية تحتذى ، وتتجذب اليها قلوب الناس . ولكن رغم كل ذلك لم تقف دعوة الاسلام من الانتشار . وليس مرجعه كون المسلمين على طريقة مثلى في الحياة تستهوي الناس الى دينهم ؛ بل الذين يعتنقون الاسلام من غير المسلمين لا يعتنقونه الا بعد أن يتأكدوا من أن الاسلام ليس الذي يتمثل في واقع المسلمين وانما الاسلام الحقيقي هو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ثم انما يوجد اليوم في واقع المسلمين من بعض السمو والنظافة وجوانب الخير في تفكيرهم وأعمالهم وسلوكهم وخلقهم فليس كل ذلك الا البقية الباقية من الآثار التي تركها

الاسلام فيهم ، لا تزال تعمل عملها على مرور أربعة عشر قرنا • وبكلمة أخرى ان المرحلة الاولى من تاريخنا كانت تبلغ من حيويتها درجـــة استحال معها أن يزول أثر طابعها على التاريخ •

المرحلة الرابعة عهد الاستقلال

وقد انتهت المرحلة الثالثة الى ما ألمحنا اليه من الاوضاع وها نحن دخلنا اليوم المرحلة الرابعة من تاريخنا • وهي المرحلة التي قد نالت فيها جميع البلاد الاسلامية الاستقلال في فترات متباعدات •

المأساة الحديثـة :

والذي تميثه المرحلة الرابعة من أوضاع هي : أنه يتولى في كل بلـد وفي كل قطر أزمة الحكم وشؤون الحياة الاقتصادية رجال يخلون من الوعي الاسلامي والتفهم الصحيح للدين • بل ينظرون الى تقاليد المسلمين المتوارثة بنظرة الازدراء والاستحقار ، ويعتقدون أنهم اذا اتبعوا الحيـاة الاسلامية ، وتمسكوا بأهداب القيم والمبادىء الاسلامية تصيبهم الذلة والمهانة في الدنيا ، ويسقطون من عيون الدنيا ولا تقوم لهم فيها قائمـة ، ويحرمون من التقـدم والنهضة التي تصبو اليهـا أنفسهم • وأنهـم اذا أرادوا اللحـاق بالركب الحضاري فلن يكون ذلك البتة بدون أن يعتنقوا الافكار والمبادىء الغربيـة ويتبعوها بنصها ويقلدوها بحذافيرها •

ووجهات النظر هذه ليست عفوية قائمة على المجازفة والاعتباط بل هي وجهات مدروسة نشأ القوم عليها وترعرعوا فيها • وهم الذين اختيروا ليحتلوا مكانة الصدارة في جميع المجالات الحيوية ، وما زالوا هم مصدر التوجيـه والارشاد في كل شعبة من شعب الحياة وفي كل قطر من الاقطـار الاسلامية بصورة عامـة •

وهل هناك من شيء أغرب من أن تضطرم معركة التحرير باسم الاسلام ويضرب المسلمون ، باسم الاسلام الرقم القياسي في تسجيل البطولات ، ثـم

اذا تحقق لهم ما أرادوا يعود الاسلام أول ضحية من ضحايا قيادتهم : يتنكرون له ويلفظونه لفظ النواة •• الاسلام الذي باسمه وببركته وبقوته تحقق اندحار القوي وانتصار الضعيف هل هناك من موقف أغرب من هذا ؟

وها أمامكم الجزائر أحدث مثال لذلك • وسبق أن قلت أن الجزائريين لم يظفروا بحسناء الاستقلال الا بعد أن ضحوا في سبيله بأرواح الآلاف المؤلفة من البشر وبعد أن تقدموا بالقرابين المدهشة من براءة الصغير وطراوة الشباب وكهولة الشيخ : ونعومة المرأة تشهد بذلك وديان الجزائر وجبالها ومدنها ودساكرها • ومن يخطب الحسناء يعطي مهرها • ثم اذا رفرفت على البلاد أعلام الاستقلال فان أول ما بشر به المسلمون فيها : ان الجزائر ستكون « الجمهورية الاشتراكية » • ونفس المسرحية أقيمت في تركيا وفي باكستان وفي تونس وفي مصر ودلوني على بلد اسلامي لم تلعب فيه هذه المهزلة دورها المشؤوم • وأضرب لكم مثالا ثانيا من تونس : تعالت فيها صرخات تحرير الوطن باسم الاسلام • وسارع المسلمون لبذل أرواحهم وأموالهم الى ساحة الجهاد في سبيل الله • ولما نالت تونس الاستقلال في آخر الامر على جماجم الشهداء وأشلائهم يأتي زعيمها يطلع الدنيا على أن الصيام في شهر رمضان يسبب انخفاضا في الانتاج كأن الامر الذي يلقيه الشيوعيون في روسيا في روع المسلمين فيها أصبح السيد بورقيبة أيضا يردده وينسج على منوالهم ويأمر الذين يشتغلون في حقول الانتاج أن لا يصوموا شهر رمضان كيلا تتناقص نسبة الانتاج • ومن الظاهر أن الذين كبرت بهم السن لا يطيقون الصيام • فهم معذورون بحكم الشريعة • وأما الشباب فما داموا يعملون لزيادة الانتاج في مصانع (بورقيبة) فلا صوم عليهم في شريعة بورقيبة • اذن على الركن الثاني من أركان الاسلام الخمسة السلام •

هذا النوع من الرجال يشكلون طبقة مستقلة بذاتها بيدها صلاحيات النقض والابرام ومقاليد الحكم • وهناك طبقة أخرى توصف بالطبقة الدينية • وهذه الطبقة حقا أنها تضطلع بأحكام الدين ، وتعلم ما أمر الله به

وما نهى عنه ، وتدرك ما هي الحضارة الاسلاميه . الا أن هـذه الطبقة لـم تتمكن من الحصول على الثقافة العصرية التي تجعلها موضع ثقة المسلمين فيما اذا كانوا قد انتزعوا أزمة الحكم والتوجيه من أيدي الطبقـة الاولى الحاكمة وحولوها الى الطبقة الاخيرة لتبرهن على جدارتها في تسيير دفة الدولة والقيام بالدور القيادي على أفضل منهج وأكمل وجه . وحقا ان الطبقة الثانية أقرب الطبقات الى أحاسيس المسلمين وأكثرها التحاما مع مشاعرهم الدينيـة وأن المسلمين يضمون فيها ثقتهم فيما اذا ولوها الحكم لا تخرب دينهم ، ولا تحطم تقاليدهم ولا تسلط عليهم أنظمة الكفر والفسوق ولكنهم لا يتوقعون منها أن تستعمل دهاءهـا وقدرتها في تسيير شؤون الدولـة العصرية على وجههـا الصحيح أو تثبت كفاءتها في قيادة الشعب في العواصف العاتية من الحضارة الغربية ، أو تستطيع تنظيم شؤون القضاء والاقتصاد والداخليـة والخارجية وما الى ذلك بموجب مقتضى العصر ان هـذه الامور لا يـرى المسلمون ـ ورأيهم قائم على الحجة والمنطق ـ أن تنتظم بصورة مرضية على أيدي الطبقة الثانيـة .

العقـدة الرئيسية :

ان عامـة المسلمين يقفون حيـارى مشدوهين أمـام هاتين الطبقتين . وصحيح قد يسودهم الجهل ، وربمـا فسدت عاداتهم وتفككت أخلاقهـم . ولكننا ، كما ألمحنا اليه سابقا ، ان القوة الهائلـة التي كانت تملكها الحركـة الاسلامية الاولى لم يستطع أحـد محو آثارها الخالـدة من كيان الامـة الاسلامية ، ولأجل ذلـك فان أي فرد من عامة المسلمين مهما بلـغ من الفساد قمته اذا سألته عما اذا كان الخمر حلالا أم حراما لا يقول أبدا بأنه حـلال . وكذلك اذا استوضحت رأيـه عن الزنى أو عن القمار : هل هما حلال فـي الاسلام أم حرام فلن يقول بحلهما . سله عن جميع المنكرات والسيئات تجده يستقبحها . لماذا ؟.. لان القيم الاسلامية التي يؤمن بها ما تبدلت لديه الـى هذه الدرجة ، ولا يزال ينظر اليها نظرة الاجلال والتقديس ، ويشعر بسموها

وجلالتها على رغم ما طرأ على عاداته وسلوكه من التفسخ والفساد ؟ لأن هذه القيم غذي بها من لبان آمه ؛ وتجري في نفسه مجرى الدم . وكذلك اذا سألت أحدا من المسلمين عما اذا كان من مظاهر الحضارة الاسلامية أن ترقص فتاة شبه عارية على المسرح ؟ يأبى ذلك بدون ما تأمل ؛ بل لن يخطر بباله كون هذا النشاط يمت الى الاسلام بصلة . وحقا انه يجهل الاسلام ، وحقا أنه لا يفهم القرآن ، وحقا أنه لا يلم بما في كتب السنة ولكن كيف للتصورات التي توارثها كابرا عن كابر عن الحضارة الاسلامية أن تندثر من مخيلته وتروح من سليقته ؟ بل هو على رغم قلة معرفته بالاسلام يستعرض كل ما يتعرض له من الاوضاع والقضايا في ضوء تقاليده وقيمه الاسلامية ولا يقرر رأيا الا في حدود اطارهما . وكل مسلم من عامة المسلمين يكون في ذهنه تصور اجمالي عن الاسلام ونظامه ومقتضياته ولك أن تجول في آكناف العالم الاسلامي ؛ فلن تجد الجمهور من المسلمين الا على نفس ما أشرت اليه من عواطف وأحاسيس . لايختلف في ذلك المسلمون في باكستان عن المسلمين في تركيا ، ولا مسلمو ايران عن مسلمي مصر ، ولا مسلمو الجزائر عن مسلمي شقيقاتها ، حيثما رأيتهم لا يؤمنون الا بنفس القيم الاسلامية ولا يجلون الا اياها ولا يحنون الا اليها . وليس في مقدور أحد ان يقنعهم بأن « القيم الاسلامية » هي تلك التي جاءتنا من الغرب ووجدنا عليها سادتنا الغربيين ..

والامر الثاني أن المسلم العادي وان كان لا يعلم عن الاسلام الا علما مبسطا الا أنه يحبه حب الولهان . وأنك لشاهد بعينك في التاريخ الحاضر كيف استحثه قادته باسم الاسلام خلال الحروب التحريرية ، ثم كيف كتب صفحات ذهبية من بذل النفس والنفيس . ولا يمكن استثارته الا باسم الاسلام ، ولا يمكن أن يرحب بالموت ويقارعه الا بعد أن يتأكد من أنه ينال بذلك الشهادة في سبيل الله ، ويكرمه الله تعالى بجنته . واذا أعوزه هذا المستوى من اليقين والقناعة فلا تجد أحدا من الناس أجبن منه في مواجهة الموت ، ولا تنتظر منه أبدا أن يريق دمه ، أو يقدم على ذات الشوكة ، أو

يسلك طريقا محفوفا بالمكاره . هذا ما عليه المسلم العادي . ولكن الويل كل الويل في الطبقة التي تملك أزمة التوجيه والحكم في معظم الاقطار الاسلامية . هذه الطبقة لا تزال تحاول دفع قطار الحياة القومية الى جهة تعاكس جهة الاسلام ، وتخالف آمال الامة وأحلامها وعواطفها وأحاسيسها . وهي حينا تنادي باللادينية علنا وعلى رؤوس الاشهاد كما شوهد في تركيا الكمالية ، وحينا آخر تستغل الاسلام لتحقيق مطامعها وتستتر وراءه ولكن بعد تشويه حقيقته ومسخ ديباجته : كأن تحتضن الحضارة الغربية بما تحويه من شرور وآلام ثم تغلفها بغلاف الاسلام . هذا ما نشاهده اليوم في كل بلد يضج بالشعارات المستوردة والمبادىء الهدامة التي تبعد عن الاسلام بعد السماء عن الارض . ولكن عامة المسلمين ليسوا على هذه الدرجة من الحمق والبلاهة حتى يسلموا بهذا الزيف . وهذه الكارثة لا تخص باكستان بل تعم أرجاء العالم الاسلامي . اذ في كل ناحية من نواحيه تتكرر هذه الطبقة وتتشابه قلوبها وتتجانس معالمها وتتوحد نوازعها . هذه الطبقة انهزمت أمام الغرب ، وتتربع على كرسي الحكم في بلادنا ، وتملك مقاليد حياتنا الاقتصادية وترغم الامة الاسلامية قسرا على اتباع النظام الغربي للحياة . بينما الامة تأبى هذا التحويل وترفض هذا الطريق المنحرف .

وفي الواقع أننا لا نستطيع أن نتصور : كم استخدم من الوسائل الجهنمية لجعل المسلمين غير مسلمين في تركيا وروسيا . اذ أن في تركيا وحدها قد أريقت فيها دماء الآلاف من المسلمين لا ذنب لهم الا أنهم عارضوا استبدال القبعة بالطربوش كأن هذا الامر أيضا من الاصلاحات الجذرية التي ما كانت لتتم الا به ومن الطريف في الامر أن قادة الاصلاح المزعومين لما لم يجدوا الكمية الوافرة من القبعات الاوربية استوردوا من أوربا أكواما من القبعات المعدة لاستيفاء حاجة الشعب التركي الى القبعات وكان هذا الاصلاح من الاهمية بمكان في نظر القادة حتى لجأوا لتطبيقه الى وسائل الحديد والنار والى اعلان الحكم العرفي في البلاد . ولكن مع كل ذلك ظل الاتراك

على نفس ما كانوا عليه من حبهم للاسلام ومن تحمسهم له ، لم يطرأ عليه أي شيء من التغيير والتحوير ، اذن من الواضح جليا ان هذه الطبقة لا تستطيع أن تحول الشعب الاسلامي عن الاسلام ؛ ولا تستطيع أن تسوغ لــه الكفر مهما أقامت الدنيا وأقعدتها .

الصراع الحديث :

أما الحالة الراهنة التي نحن عليها اليــوم فخلاصتها أن الحكومات تأبى أن تتبع النهج الذي تريده الامة الاسلامية ، والامة ترفض أن تتبع الوجهــة التي تتجه اليهــا الحكومات . فهنــاك صراع مستمر عنيف بــين الشعوب والحكومات في جميع البلدان الاسلامية . وهــذه الحالة تمثل : « الاسلام المعاصر » تبذل الجهود الجبارة ويستنفد آخــر ما في الجعبة من السهم فــي جعل المسلمين غــير مسلمين وتجنــد لذلك جميــع الوسائل والامكانيات . ويستخدم لذلك مجال التعليم والتربيــة بصفة خاصــة ؟ فتوضع مناهج من شأنها أن تقضي على جميع ما يوجد في المسلمين من القيم الاسلامية ، وتفسد أخلاقهم وأذواقهم ، وتبعدهم عما توارثوه من التقاليد كما تشجع فيهم ثقافــة تدمر كل شيء من البقايا الخلقيــة ، وتروج فيها العلوم الغربيــة لتثير فيهم الشبهات حول الاسلام . ولا ينتهي هــذا الامر الا أن يطرأ الضعف والوهن والخور والانحلال عــلى سلوك المسلمين ويصبحوا قوما فاقــدي الشخصية وهذا ليس من المستحيل . وانما المستحيل أن ينسلخوا عــن الاسلام عمــدا ويكونوا لهم دولة لا دينية عن طواعية أنفسهم .

والذي تقاسيه البلدان الاسلامية من وخيم العواقب من هذا الصراع ، حسبك لمعرفة أبعاده أن تنظر في نسبة الارقام التي حققتها هذه البلدان فــي مجال النهضة . هل تنظر أي مجال من مجالات الحياة حصل فيها التقــدم . وهاك تركيا التي تعيش كدولة مستقلة ذات كيان وسيادة من عــام ١٩٢٤ م ، الى أي مدى أنعشت فيها الصناعة ؟ وكــم جــاوزت من الاشواط في بــاب التجارة ؟ بينما اليابان التي من لدات تركيا في الاستقلال قد بلغت من النهضة

المادية شأوها البعيد . والسبب في ذلك ليس خافيا عـلى أولي الالباب . ان تركيا تنكبت الصراط السوي ، وتحولت الى حلبة الصراع الداخلي : حاولت الحكومات المتعاقبة اظهار الشعب التركي في مظهر الشعب غير المسلم ، وأبى الشعب التركي أن يتحول شعبا غير مسلم ، بـل يود أن يولي وجهـه شطر الاسلام . مما أثار بـين الحكومة والشعب صراعـا مستمرا مستعرا فكيف لتركيا بعد ذلك أن تخطو نحو الامام وتحرز التقدم المادي .

وبلغ الامر ذروته في الفترة الاخيرة حين تسرب التصدع الـى الجيش أيضا فأقصي منه حتى اليوم ستة آلاف ضابط . والذي يقـال عن تركيا يقال عن البلدان الاسلامية الاخرى .

وتأكدوا ، أيها الاخوان .. أنه حيثما يحدث التعارض بل التناحر بـين ضمير الشعب وسياسة الحكومة ، ينشب الركود أظفـاره ولا يـدع الشعب يتخطى نحو الامام ولا شبرا واحدا ولا تأخذ حوافز التقدم سبيلها اليه . ولا يمكن لأية حكومة أن توفر لنفسها القوة والمنعـــة الا اذا حصـل التناسق والتلاحم بين ضمير الشعب وسياسة الحكومة بحيث أن كل ما تضع الحكومة من سياسة تباركها أحاسيس الشعب ومشاعره واذا وضعت هـــذه السياسة موضع التنفيذ يستميت الشعب في انجاحها . هذا هو الطريق الوحيد لجعل الشعب شعبا ناهضا متطلعا أما اذا ظل الامر عكس ذلك وظل الشعب في واد ، والحكومة في واد ، فلا يتأتى له أي تقدم للابـد ولنفترض أن الشعب عـلى رغم محاربة الحكومة لرغباتـه ، لا يعلن الخروج عليها ولكن عـدم مناصرة الشعب للحكومة ومساندته اياها يكفي لسوق البـلاد الى الدمـار المحقق ، اذن ان عدم ارتيـاح الشعب لحكومته هو أمر خطير ووضع رهيب في حـد ذاتــه .

واصرار هؤلاء القوم على هذا الاتجاه المعاكس ليس مبعثه غير أنانيتهم واثرتهم واتباعهم لسلطان الاهواء مع أنهم لا يجهلون ما يريد شعبهم ، كمـا

أن تجاربهم الماضية خير شاهد على أن هـذا الشعب لم ينتفض ولـم يسجل دوره البطولي في المعارك التحريرية الا باسم الاسلام • وان انتفاضته المنبثقة من الاسلام قد أوصلتهم الى شاطىء الحرية والى منصة الحكم • ولذلك فان هؤلاء الناس لا يجهلون أبدا صلة شعبهم الوثيقة بالاسلام • وبما أنهم ربطوا مصيرهم ومصير أولادهم بالغرب وحضارته وسرابـه وانغمسوا في الحضارة الغربية وطبعوا عاداتهم وأذواقهم بطابعها ، ولا يريدون اتباع طريق الاسلام ، وتحول أنانيتهم دون أي عمل اسلامي • والمنطق الذي يستندون اليه في ذلك هو : « أنهم هم الذين كتب لهم أن يحكموا شعوبهم البائسة التعيسة عـلى كل حال ، ولا يروقهم الاسلام : دين هـذه الشعوب • اذن على الشعوب أن تتخلى عن دينها الاسلام » •

هذه هي القاعـدة الكليـة التي اتخذوها أساسا لجميـع نشاطاتهـم واتجاهاتهم •

هذا هو « الاسلام اليوم » والآن أوجز لكم القول عما ينبغي أن يكون عليه الاسلام في المستقبل •

مستقبل العالم الاسلامي :

ان مستقبل العالم الاسلامي يتوقف على مـا سيختاره العالم الاسلامي من السلوك نحو الاسلام • أما اذا استمر العالم الاسلامي فيما هو عليه اليوم من موقف مبني على النفاق والتمويـه والازدواج ، وواصل سلوكه المعادي للاسلام أخشى أن لا تتمكن الشعوب الاسلامية من المحافظـة على استقلالها وصونه من الضياع ، بل ستنكب ـ ولا سمح الله ـ بأغلال الاستعباد ثانيا وتصير الى حالة أسوأ مما عاشت فيما سبق من عهد الاستعباد ، نعم ، اذا عاد الى القادة الذين يملكون أزمة الحكم في العالم الاسلامي رشدهم قبل فوات الاوان ، وعملوا لاستعادة الحياة الديمقراطية النزيهة فيه ، ورجع أمر انتخاب

أهل الحكم الى الجماهير لتنتخب من تشاء وتلقي مقاليد الحكم الى من تحب بارادتها الحرة ، ووضعت أنظمة السياسة والاقتصاد والتعليم منسجمة مــع مبادىء الاسلام وأهدافه وحضارته سرعان ما تتحول الى قوة كبيرة في العالم بل تملك ميزان القوة في المجالات الامية ، وتكون لها الكلمة الحاسمة . ان وجود كتلة الشعوب الاسلامية ليس بأمر يستهان به ، ان الكتلــة التي تتسع أطرافها من اندونيسيا شرقا الــى المغرب الاقصى غربـا وتملك من الوسائل والامكانيات ما لا حصر له ، وتتمتع بالقدر الهائل من الطاقات العددية .

اذا انتفضت هذه الكتلة تتبع مبادىء الاسلام وتتضامن على أسسه فهل لقوة في الدنيا غربية كانت أم شرقية أن تصمد في وجهها ؟

مدى قابلية الاسلام لقيادة العصر الحاضر :

وأتناول الآن السؤال الثاني الذي أثرته في مفتتح الحديث وأرد عليــه بكلمات موجزة وهذا السؤال هو : هــل بامكان الاسلام أن يسود الدنيـا في هذا العصر أم لا ؟ وهل من المحتمل أن ترجع اليــه الامم العالميــة ؟ واذا ترجح احتمال رجوعها اليه فكيف يكون ذلك ؟ وهل الاسلام قابل للتطبيق في العصر الحديث ؟ هذه هي عدة نواحي من السؤال الذي يكثر عنــه الحديث في هذه الايام .

وأقول : لم يعلن الدهر من تلقاء نفسه في أي عصر مــن عصور التاريخ بأنه مستعد للاستمساك بالاسلام . وأكبر برهان على ذلك هو عصر النبــي صلى الله عليه وسلم نفسه فانه لما أعلن صلى الله عليه وسلم دعوته في المجتمع العربي الجاهلي قام مستجيبا لدعوته ملبيا لندائه قائلا : « رضيت بك ، يـا محمد ، رسولا وبالله ربا » . بل الامر يقتصر عــلى قوة الداعيــة وصموده وبسالته واباته ، الذي يقول للدهر : أيها الدهر اذا لم تبتغ السير معي طائعــا فأنا أرغمك على السير معي » ...

أين الشيوعية من الاسلام • بينهما ما بين الارض والسماء • الا أني أقول لكم ، على سبيل المناقشة • انظروا الى الانتصارات التي حققتها الشيوعية ، بينما الاسلام لا يريد انقلابا متطرفا يقلب الامر من الاساس كما فعلت الشيوعية التي حاربت الفطرة البشرية ، فألغت الملكية الفردية نهائيا ، وجعلت الحكومة تسيطر على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم واستجمعت الثروة القومية برمتها في يد واحدة • هذه الثورة انما هي تطرف وهدم وتدمير يتحاشاه الاسلام ويقلب وجهها معكوسا • ان الاسلام دعوة تتجاوب مع فطرة الانسان الذي يتوخى البناء والاصلاح • وكل دعوة اذا لم تجد العزائم الماضية والجهود المضنية والنيات الحسنة تبوء بالفشل • وقد نجحت دعوة لاسلام لما قام جماعة من الناس يعقدون العزائم على تغليبها فكان لهم ما أرادوا وأصبح الدهر ينساق وراءهم •

وكذلك السؤال عن قابلية الاسلام للتطبيق اليوم فهو من لغو القول لأن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، أثبت قابليته في الماضي ، ويحظى بنفس القابلية اليوم ، وسيظل كذلك الى أبد الدهر ، وانما الامر يتوقف على وجود شعب في الدنيا ينهض للاخذ به كاملا غير منقوص • وكما قلت في مطلع الحديث ان تاريخنا ابتدأ باستعداد الامة العربية لان تقيم بناء نظامها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والحضاري على دعائم الاسلام وأن تصهر حياة الناس الفردية وأوضاعهم الجماعية في قالب الاسلام • فآلت هذه الامة على نفسها أن تخرج الى الدنيا رافعة للواء الاسلام مبلغة دعوته في أقاصي العالم ، ولا تحيا الا لأجله ولا تموت الا في سبيله •

ولما تهيأت في الدنيا أمة كهذه رأيتم كيف تفجرت بطاقاتها وحيويتها

وأصالتها على العالم انفجار القنبلة ، وكيف رسمت على وجه المعمورة آثارها التي لا تزال خالدة باقية حتى اليوم • نعم ، اذا خرجت اليوم أمة بهذه السمات تأخذ بالاسلام ، وتسير وفقه نظام حياتها ، وتجعل حياتها ومماتها لله رب العالمين فليس من المستبعد أن تجد الدنيا نفسها مستعدة للاستمساك

بالاسلام والاستظلال بظله الوارف والاستنارة بهديـه الكريم • وليس مـن المعقول أن يرى الناس الاسلام متمثلا نابضا في الواقع البشري ثم يتلعثمون في قبوله • غير أنكم اذا مـا اقتصرتم عـلى نشر الاسلام بالمواعـظ والكتب والمحاضرات فمهما انهمكتم في هذا «العمل الشريف» الى قيام الساعة لا تكاد الدنيا تقتنع بقابلية الاسلام وصلاحه لقيادة الحياة الانسانية العملية •

وفي الختام أريد ان أعرب لكم عما في نفسي من أمل بما أن الله تعالى خلقني في هـذا الشعب أي الشعب الباكستاني المسلم لذلـك أود أن يكون هذا الشعب هو الشعب المنتظر الذي يعيد الى الاسلام مجده وبهـاءه • واذا كانت لي سياسة فهذا الامل منطلقها واذا كان لي دين فهذا مطلبه • ان جميع مجهوداتي تتركز على أن شعبي الذي خلقني الله فيه وجعلني أحـد أفراده ، يشعر بمسؤوليته نحو الاسلام ، ويرفـع لواءه ، ويتمثل الاسلام في واقعـه الحـي الملموس •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •••

ابو الاعلى المودودي

★★★

قيل : ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عاد صعصعة بن صوحان فـي مرضه وكان من شيعته الاقربين ، فقال : « يا صعصعة لا تتخذ عيادتي لـك أبهة على قومك » فقال صعصة : « بلى والله أعدها منة من الله علي وفضلا » فقال له الامام علي : « اني كنت ما علمتك لخفيف المؤنة ، حسن المعونـة » فقال صعصعة : « أنت والله ـ يا أمير المؤمنين ـ على ما علمتك بالله عليما ، وبالمؤمنين رؤوفا رحيما » •

••

مهمة الدين الاسلامي في العالم
الحث على العمل ، الأمر بالمعروف

بقلم : محمد فريد وجدي

دعوته الى قرن العلم بالعمل وحثه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا نعرف علة أهلكت الناس قديما وحديثا ، أشد فتكا من اهمالهم العمل بما يعلمون • فهذه العلة كما دنست حياة الافراد ، ورانت على نفوسهم وقلوبهم ، فحالت بينهم وبين بلوغ أقصى درجات الكمال ، وجعلت علمهم شرا عليهم من الجهل ، كذلك فعلت بالجماعات فأفسدت كيانها ، وفككت أوصالها ، وقذفت بها في أحضان الجاهلية ، رغما من بلوغ العلم فيها الى درجة كان يصلح معها أن يوجد لها مدنية فاضلة ، خالصة من جميع رعونات الحيوانية •

خلق الله النفس البشرية وحلاها بعلم ضروري ، من ادراك الحسن والقبيح ، والصالح والفاسد ، وكان هذا العلم الفطري وحده يكفي لو عملت به أن يقيمها على جادة التكمل ، ويفتح لها بابا الى الرقي المطرد ، ولكن التعاليم الفاسدة التي تحيط بها تدفعها للتهاون في العمل بما تعلم ، فتحيق بها آثار أعمالها السيئة ، قال الله تعالى : « فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون » وقال : « فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » •

وقد صرح علم الاجتماع بهذه الحقيقة فقرر أن للحوادث منطقا لا يختل قسطاسه ، وأن كل عمل تلزمه ثمرة حسنة أو ثمرة سيئة ، مناسبة له ومقدرة به تقديرا دقيقا •

لهذه الاعتبارات جاء الاسلام مشددا في وجوب قرن العلم بالعمل ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وقال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » •

وزاد الاسلام الانسان معرفة بأثر العمل في حياته الدنيوية ، فكشف له سرا خطيرا من أسرار العلم ، وهو أن الفساد الذي يشكو منه الانسان في نظمه الاجتماعية ، وضروب الشر الشائعة في شؤونه المعيشية ، وصنوف الويلات التي تصيبه في نفسه وعرضه وماله ، كل ذلك نتائج لمقدمات وضعها الانسان بنفسه ، وثمرات لبذور من الفتن غرسها بيده ، فاذا كان بعد ذلك شاكيا من شيء فليشكون حمقه ، ولا يلومن الا نفسه ، فقال تعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » • فاذا كان الامر جاريا على هذه السنة فكيف لا يسارع الانسان الى العزوف عن الموبقات ، والاقبال على الاعمال التي تعود عليه وعلى قومه بالخير والفلاح ؟

وقد زاد الله هذا الموضوع بيانا فقال تعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » •

وقال تعالى : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا » •

وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » •

وقال تعالى : « وان تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » •

ثم أولى الله هذا الموضوع عناية خاصة هو جدير بها ، اذ أبان انه

يشهد كل ما جل وحقر من أعمال الانسان ، وهذا موقف لو تصوره الانسان حق تصوره وهو يأتي المنكر ، لما أقدم عليه ، ولكان همه منصرفا الى الاتيان بالصالحات ، ليشهد الله منه على ما يوجب له الزلفى عنده ، وهي غاية غايات السعادة ، فقال تعالى : « ومـا تكون في شأن وما تتلو منـه من قرآن ، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فـي كتاب مبين » •

وقال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ومـا ربـك بظلام للعبيد » •

هذا أسلوب بليغ في تحبيب العمل الصالح الى الانسان ، فلا عجب أن ظهرت الامة الاسلامية تحت سلطانه أمة اتخذت الفضائل روحـا لوجودها ، وأساسا لأعمالها ، وهذا ما لم يوجد له شبيه في تاريخ البشر قاطبـة • فـان الذي يراه المتأمل في شؤون المجتمعات المختلفة أن الفضائل كانت تعتبر فـي نظر الشعوب حلى يتحلى بها بعض الافراد النابهين ، والفلاسفة المقدمين ، أما الدهماء من الشعوب فكانت تترك لأهوائها وميولها ، تخوض من غمراتها ما تخوض ، من غير رقيب ولا حسيب •

أما الاسلام فانه لم يكتف بمجرد الدعوة الى الآداب الكريمة والخصال الشريفة والفضائل العلمية والعملية ، ولكنه نصب من المسلمين عـلى أنفسهم رقباء منهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويراقبون أعمالهم ، فاذا آنسوا منكرا أعمدوا الى منعه ومجازاة مرتكبه ، فكان هذا النظام حافظـا للمجتمع الاسلامي من أن تشيع فيه المنكرات وتنتشر الموبقات •

الخلاصة أن المسلمين مكلفون بالعمل بما يعلمون تكليفا لا هوادة فيه • فان أطاعوا وعدهم الله بأن يبارك لهم في أعمالهم ، ويوفقهم في محاولاتهم ، ويفتح عليهم علوما جديدة لم يكونوا يعلمون بها ، قال صلى الله عليه وسلم:

« من عمل بما علم ورثه الله علم مـــا لم يعلم » ، وان عصوا واكتفوا من العلم بتحصيله دون العمل به ، أوعدهم الله بفتح بـــاب الفتن عليهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .

ومما يجب أن يلاحظه القارىء أنه ما من آيـــة ذكر الله فيها (الذيـــن آمنوا) الا أضاف اليهم (وعملوا الصالحات) ، اشارة منـــه تعالى أن الايمان يجب أن يكون مقرونا بالعمل ، فهو مظهره في عالم الشهادة ، وثمرته في مهلة الحياة ، وما لا مظهر له فموهوم ، وما لا ثمرة له فمكتوم .

وكما امتاز المسلمون بقرن العلم بالعمل في الناحيـــة الروحية ، كذلـــك امتازوا بتطبيق النظريات الكونية على التجارب العملية وكانت هذه الخصلـــة القويمة فيهم نفحة من نفحات دينهم الذي يأمرهم بالنظر والتفكير في ملكوت السموات والارض ، وتخـــير الاحسن من كـــل شيء ، واستصلاح معيشتهم بكل ما يستطيعون من الوسائل المشروعة ، وأشرب نفوسهم الاعتقاد بأنه مـــا من كمال الا وعند الله أكمل منه ، فتيقظت في نفوسهم غريزة التكمل في كل شيء . لذلك ما كادوا يتصلون بالامم ذات المدنيات القديمة ويأخذون عنهـــا المعارف الطبيعية حتى أكبوا على العمل بها ، والاستفادة منها ، فلم يمض عليهم ردح من الزمن حتى أصبحوا أئمة العلم والعمل في الارض ، وكانـــوا سببا مباشرا في احياء العلوم التي تركها الاولون ، وأهملها أعقابهم مـــن بعدهم ، فبعثوها من مرقدها وتعهدوها بوسائل الحيـــاة ، فنمت وازدادت مادتهـــا ، وأدتهم الى اكتشاف علوم جديدة ، والوقوف على مساتير كان لا يتخيل أحد لها وجودا قبلهم . وقد شهدهم كبار المؤرخين الاجانب بهذه المكانة الادبيـــة في العالم ، فقال العلامة الفرنسي (جوستاف لوبون) في كتابه تمدن العرب :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع ، فقد أكسبت علومهم صنائعهم جودة عظيمة جدا . واننا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك ، فاننا نعرف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلا

أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جدا في الصباغة ، ومهروا في صقل الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع قد برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل) » •

فالاستاذ جوستاف لوبون يشهد بأن العرب طبقوا العلوم التي اقتبسوها على العمل ، فبلغوا في الصنائع شأوا لم يصل اليه من تقدمهم ، ويعترف بأن العلم الغربي لم يزل يجهل الطرائق التي سلكوها لذلك ، وأنهم برعوا في بعضها براعة لم يلحق لهم شأو فيها الى اليوم •

وقد اعترف الاستاذ (درابر) المدرس بجامعة نيويورك في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) بأن المسلمين في ابان نهضتهم كانوا آخذون بالاسلوب العملي ، وذلك كما يقول : « لأنهم تحققوا أن الاسلوب العقلي النظري لا يؤدي الى التقدم ، وأن الامل في وجدان الحقيقة معقودة بمشاهدة الحوادث ذاتها • من هنا كان شعارهم في أبحاثهم الاسلوب التحريري والدستور العملي الحسي » •

ولا يزال الاسلام الى يومنا هذا يدعو الامم قاطبة الى قرن العلم بالعمل ، والى أن يكون منهم رقباء على أنفسهم وغيرهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فيدفعون الناس الى الخير والفلاح ، ويجنبونهم مزالق الشرور ومهاوي الموبقات ، فلو عمل الناس بهذه الدعوة وحدها ، لانقطعت عن الارض شرور تأخذ اليوم بمخنقها ولا تجد منها مخلصا ، بل أقول ان العالم قد أصبح في مأزق من الفتن لا محيص له منها الا باقتفائهم هذا الاصل الذي نحن بسبيله •

فهذا العلم المادي البحت يقرر أن الخمر أم الخبائث ، وأنها علة لأمراض عقام ، وجرائم لا تحصى كثرة •

والعلم المادي ينص على ضرر الزنى ، وعلى أنه أكبر موجب لفساد الاخلاق ، وانحطاط الآداب ، ومورث لأقتل الامراض ، ومروج للعزوبة واتخاذ الخديتات ، ومن هنا كان أقوى باعث على الترف والسرف والعهارة .

والعلم المادي يحرم المقامرة ويعدها مضيعة للاموال ، ومجلبة لانحلال البيوتات ، وتأثيرها في الدهماء أشد من تأثيرها في أصحاب الثروات ، ما مني بها شعب الا حلت به النكبات المالية فلم يجد لها مصرفا . فما الذي يخلص الامم من أوضار هذه الشرور وينتشلها من حمأة هذا الداء الوبيل ؟

ألست ترى معنا أن ليس لذلك كله من علاج سوى ما دعا اليه الاسلام من قرن العلم بالعمل ، واقامة الناس رقباء على بعضهم يمنعونهم أن يقتربوا من حافة الهلاك وبؤرة العار .

« ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .





قال الجاحظ عن الحسد : « الحسد ـ أبقاك الله ـ داء ينهك الجسد، علاجه عسير ، وصاحبه ضجر وهو مسلك خفي يعسر الخروج منه ، وما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء » .

الحسد عقيد (قرين) الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق ، ومنه تتولد العداوة ، وهو سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الاقرباء ، ومحدث للتفرق بين القرناء ، وملقح « مولد » الشر بين الحلفاء » .

الفوضى في كربلاء

عام ١٩١٦

بقلم : محمد حسن الكليدار آل طعمة

بعد انسحاب الجيوش التركية من كربلاء ، اجتاحها موجـة من الفوضى والارهاب ، والناس في غفلة عن الحقيقة ؛ فتصدر الحكم منها عملاء الانكليز الذين نثروا الاموال على أقـدام الكتاب والمؤرخين ، فتساهلوا فـي ضبط الحقائق التاريخية ، وكان مادون في هذه الفترة والحقائق على طرفي نقيض •

نشرت الصحيفة الهندية المسماة (أنجمن اسلام) في عددها ١٣٧ لشهر آب سنة ١٩١٦ م عن أحـداث كربلاء في هـذه الفترة ، فقالت : وفي نيسان ١٩١٦ م بذل الاتراك جهـدا ثانيا بمقدار أكثر من الحـزم والشدة لاخضاع كربلاء ، فقد اتهموا فخر الدين كمونة وأخـاه محمد علي بتحريضهما شيوخ اليسار على مساعدة أهالي كربلاء ضد بني حسن فأحاطوا بداره واعتقلوه • وعلى هذا ثارت البلـدة ، وبعد اصطدام عنيف جرت التـرك أثناءه مدافعهم ضد كربلاء وأنزلوا بعض الاضرار في العتبات (١) •

---

(١) التقط عملاء الانكليز صور القباب والمآذن الحسينية والعباسية وعليها علائم القصف بشكل مشوه كتب تحتها (الاتراك يقصفون كربلاء) اشارة الـى واقعة حمزة بك ، وتفصيل الحادث كما ضبطه السيد ابراهيم شمس الديـن القزويني في مذكراته الخطية قائلا : قـام الشيخ محمد علي وأخـوه الشيخ فخري وبعض الموالين للانكليز كالشيخ محمد كاظم الهندي المصور الذي صـور المآذن وشوه معالمها اذ جعل فيها ثقوبا مدعيا ان هذه الثقوب حصلت في المآذن اثر الرصاص ومدافع الاتراك ، فبعثوا هذه الصور مـع بعض العمـلاء ليعبروا الى امارات الخليج والعشائر العربية في جنوبي ايران بغية هياج الراي العـام ضد الاتـراك •

عاد الى كربلاء في صبيحة اليـوم الثاني عشر من شهر رجـب سنة ١٣٣٤ هـ الشيخ محمد علي كمونة من النجف يتبعه رهـط كبير من اتباعـه فاستقبلهم على أبواب كربلاء جمع غفير يتقدمهم بعض الموالين للانكليز أمثال منشيء السفارة الانكليزية في كربلاء السيد مظهر حسين ومحمد حسين حاجي خان بائع الصحف وشخص يدعى حسين الدلائل واخوه شرف وهم يهزجون بهـذه الانشودة :

لـو هلهلت كـب الصوايح واحنه نحـو فخري ذبايـح

فعاد الاعراب المدللون مـن عشائر بنـي حسن الى كربـلاء يمرحون ويسرحون ، واختفى اسم اولئك الاشاوس الذين ساهموا في طرد الاتـراك من كربلاء . وانفرد آل كمونة بالحكم ، ونكلوا بخصومهم . وقال العلامـة السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني ، وهو من أبنـاء كربلاء المجاهدين ممن واكبوا الاحداث الوطنيـة فيها : بلغنا ونحن في الطريق مـن الكوت الى كربلاء في أواخـر شهر رجب سنة ١٣٣٤ هـ أن القائـد التركي خليل باشا دحر الجيش الانكليزي الـذي كان يقـوده الجنرال (طاونـز) وأسره في ١٦ نيسان سنة ١٩١٦ م ، وبعد أن فشل الكابتن (لورنس) فـي ارشاء القائد الانكليزي وجيوشه بمبلغ مليون لـيرة استرليني ، توجـه في رجوعه الى كربلاء ، وكان زميلي العلامة السيـد ابو القاسم الكاشاني قلقا من هذا النبأ ، وأراد بنا الاسراع لعلمه بوجود عملاء كثيرين للانكليز في كربلاء آنذاك . وخشي على الكربلائيين من أن يقعوا فريسة لهؤلاء بعد أن أخرجوا الاتراك من كربلاء . ولما بلغنا كربلاء في أواخـر مايس ١٩١٦ م الموافق لشهر نصف شعبان سنة ١٣٣٤ هـ (١) شاهدناه وقد وقعت فيها الواقعة ، وصدقت

---

(١) نقل السيد عبد الحسين الكليدار في مجموعته الخطيـة : ظهور وبـاء الملاريا بشكل فظيع في كربلاء من جراء تراكم المياه الآسنـة في محلـة العباسية على اثر غرقها في شهـ شعبان ١٣٣٤ هـ .

نبوءة العلامة الكاشاني ، فقد كانت كربلاء تغلي كالمرجل ، وبلغني وأنا في كربلاء ان الخاتون المس بيل موجودة في مضارب عشائر عنزه تتجول في أطراف كربلاء .

وبعد انفراد فخر الدين كمونه بالحكم ، سلك سياسة البطش والارهاب في خصومه ، ومن باكورة أعماله نبش قبر العلامة السيد كاظم الرشتي وأحرقت رحمه . يذكر السيد عبد الرزاق آل وهاب : ان الشيخ فخري كان قد اشغل ذهنه منذ أمد بعيد في قضية جازف كثيرا في سبيلها ، وهي قضية سدانة الروضة الحسينية وتفصيل الحادث أن هجم الشيخ فخري كمونة مع بعض رجاله في احدى ليالي شهر شعبان ١٣٣٤ هـ على صحن الروضة الحسينية لاغتيال نائب الكليدار السيد عبد الحسين السيد أحمد آل طعمة لحقد كان يضمره منذ وقت غير بعيد عندما امتنع نائب الكليدار عن اتخاذ المآذن الحسينية حصونا لضرب عسكر حمزة بيك ، فتسلق رجاله جدار الروضة ، وفتحت باب الزينبية عنوة ، ودخلوا الصحن وهم شاهرون بأسلحتهم للفتك بالسادن الموكول اليه حراسة الروضة ، فتصدى لهم وقتئذ الملا خضر شويليه من آل عبس ، وخاطبهم قائلا : ان المسلمين يحرمون حمل السلاح في الجوار لقدسيتها . وعندها رجعوا الى طرف المخيم بعد أن أنذروا نائب الكليدار وأعوانه بوجوب مغادرتهم كربلاء فورا . وبعدها بساعات قليلة خرج نائب الكليدار يتبعه السادة الى ديوان آل شويلية . وفي اليوم الثاني تروا كربلاء مع أفراد أسرتهم وحاشيتهم البالغ عددهم زهاء ١٢٠ شخصا ما بين أطفال ونساء ورجال قاصدين المسيب وذلك عن طريق نهر الحسينية بسفن شراعية يحرسهم أربعون فارسا من عشيرة النصاروه وفي مقدمتهم عباس المجاهد من البوشكير وهو بن عبد الكريم بن الحاج شكير بن حمود بن حمد بن جمعة بن سبتي بن قصر بن نصر من قبيلة عبادة . وبعد خروج السادة من كربلاء ، انتزع فخري كمونة مفاتيح الروضة الحسينية قسرا من رئيس الفراشين المدعو شيخ محمد عبد الكريم الخزعلي . وعين ابن

أخيه الشيخ حميد سادنا للروضة الحسينية ، كما نصب صهره الشيخ هادي كمونة رئيسا لبلدية كربلاء (١) • وعلى اثر تلك الاحداث خاطب الشاعر الحاج محمد حسن أبو المحاسن السادة الذين قصدوا المسيب وأقاموا فيها بأبيات هي :

أقمتم بالمسيب يا رفاق ودون لقائنا حال الفراق
فليس يروق لي في البعد عيش نعم دمعي لبعدكم يراق
فان تك كربلاء غدرت وخانت فلا عجب فقد خان العراق (٢)

وجاء في (الرسالة الرجبيبة) للشيخ عباس الحائري : (ان الاعراب التابعين للشيخين من آل كمونة قاموا بهدم دار سادن الروضة الحسينية الواقعة أمام مدخل سوق باب قبلة الحسين وأضرموا فيها النار ونهبوا محتوياتها ثم التفوا الى سائر أبناء عمومته ، وقد أحرقت ضمن ما احترق مكتبة السادن القيمة التي كانت تعد في طليعة المكتبات الخاصة في العراق • حيث تضم في رفوفها التراث العلمي للعالمين العربي والاسلامي كما نوه عنها جرجي زيدان في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) المجلد ٤ ص ١٢٨ ثم فعلوا بمثل ذلك بدار السيد قاسم الرشتي حفيد العلامة السيد كاظم الرشتي ، وأضرموا النار في مكتبته التي ضمت عشرات الآلاف من الكتب النادرة • ومن المكتبات المهمة التي نهبت وأحرقت مكتبة العلامة الشيخ عبد الحسين الطهراني ، ومن بين المنهوبات التي ضبطت كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي بيع بستة آنات هندية ، ونقل الى مكتبات لندن • وهذه النسخة الفريدة هي التي استنسخ العلامة الكبير الشيخ محمد السماوي •

---

(١) مذكرات السيد يوسف السيد علي الرئيس آل الوهاب المتوفي في شعبان ١٣٥٠ هـ •

(٢) ديوان أبي المحاسن الكربلائي / تحقيق : الشيخ محمد علي اليعقوبي ص ١٦٠ •

ولما حاول الاعراب هدم دار السيد أحمد السيد محمد الوهاب ؛ تصدى لهم الشيخ حسون الحسن رئيس عشيرة النصاروه ، ورغم تقدمه في السن أشهر عليهم مسدسه . ولم يدر بخلد هؤلاء الرعاع ان اضرام لتبقى على مر العصور رمزا خالدا لهذه المدينة رغم ما أصاب أبناءها من النكبات على يد عملاء الاستعمار جريمة لا تغتفر) .

ومهما حاول هؤلاء الرعاع طمس الحقائق وتشويهها دون فريق من رجال الادب من المؤرخين وأرباب النظم الموضوعي من أبناء كربلاء أحداث هذه الفترة المظلمة قصيدة الشاعر محمد حسن أبو المحاسن ، فهي خير شاهد تاريخي على ذلك اذ يقول :

سلم على الدار وقف باكيا   فاتها اخنت عليها الصروف
كأنها لم تك ربع الندى   وملجأ العاني ومأوى الضيوف(١)

ومن قصيدة أخرى تربو على الثلاثين بيتا قوله :

منازل في أرض الطفوف وأرسم   على مثلها دمع المحبين يسجم
فيا ليت شعري هل تـرد لزائر   سلاما فيحظى بالجواب المسلم
عهدت مغانيها حمى كل خائف   يلوذ بها في النائبات فيسلم
فهل ذلت الاشراف من آل أحمد   فاصبحت الانذال فيهم تحكم
لقد ملكتهم عصبة أموية   تسير بهم سير الذين تقدموا (٢)

وفي ليلة ٢١ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ هجم أتباع الشيخين على دار السيد أحمد بن محمد علي آل طعمة الذي كان قد خرج ضمن من خرج للجهاد في ركاب العلماء الاعلام لمحاربة الانكليز دفاعا عن ثغر العراق برفقة العلامة السيد علي الداماد . ولما عاد الى كربلاء رأى ما حل بأبناء عمومته من تشتيت

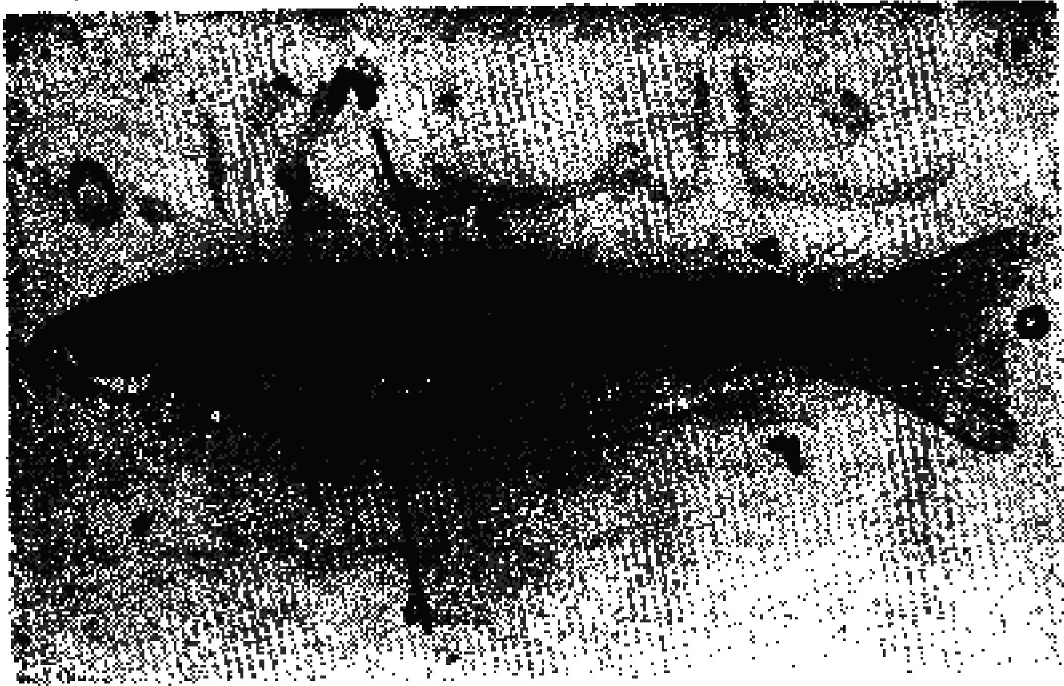
(١) ديوان ابي المحاسن الكربلائي ص ٢٨٤ .
(٢) ديوان ابي المحاسن لكربلائي ص ٢٢٠ .

وتبعيد على يد عملاء الانكليز ، فجاهر بمناوئتهم علنا فـي الروضة الحسينية المقدسة ، ولما لم يستطيعوا مواجهته وجها لوجـه لقوة بأسه وشـدة مراسه بالتزام العلماء له ، فاغتالوا هذا البطل المغوار وهو نائم في فراشه (٣) .

وصفوة القول هناك أحاديث وروايات كثيرة تروى عـلى ألسنة السواد العام عن مظالم هذه الفترة ، آثرنا أن نطويها ، لانها حديث ذو شجون . على أن نعود الى موضوع الرعاع وأعمالهم عنـد ذكر وقائـع الثورة العراقيـة الكبرى التي انبثقت أضواؤها من مدينة ابي الاحرار الحسين بن علي (ع) .

كربلاء ـ العراق محمد حسن مصطفى آل طعمة

(٣) المعروف والمشهور في كربلاء انه تسلق جدار دار السيد احمد بن محمد علي بن مرتضى بن مصطفى بن احمد آل طعمة ستة من اعوان آل كمونة وهم رضا قره الصباغ الايراني الجنسية وجون باقر ومهدي شابندر وآخرون لم تضبط أسماؤهم .



الشكل : فرخ السمك الترويت الذي يربى الآن في الكثير من المزارع الخاصة وهو ذو اهمية اقتصادية وعلمية .

الشكل يبين ما يلي :

١ ـ غطاء الغلاصم وتحته توجد الغلاصم (الخياشم)
٢ ـ زعنفة ظهرية
٣ ـ أحدى الزعنفتين الصدريتين (الاخرى تكون على الجانب الآخر)
٤ ـ احدى الزعنفتين الحوضيتين
٥ ـ زعنفة الذيل
٦ ـ العنفة الشرجية
٧ ـ يشير السهم الى الخط الجانبي (من الصعب تمييزه تماما)
٨ ـ هذا الحرف دمغ على السمكة لتمييزها عن غيرها اثناء احدى التجارب
٩ ـ بتفحص الجسم بالامكان رؤية الطريقة التي تصطف بها العضلات تحت الجلد . لاحظ أيضا النقاط المنتشرة على الجسم وهي التي تعطيه الالوان الخاصة والنموذج المتميز به .

قصة الحياة : ملايين الحكايا

٥ ـ الأسماك

بقلم : رغيد النحاس .

قد لا يخطر ببال القاعد في مطعم في مدينة ساحلية وأمامه وجبة شهية من السمك ، أن السمكة التي يلتهمها تنتمي معه الى مجموعة الحيوانات الفقارية ـ أي الحيوانات ذات الهيكل العظمي . وربما لا يصدق هذا الانسان أن الاسماك كانت قد وجدت على سطح الكرة الارضية قبل وجود الفقاريات الاخرى بحوالي مئة مليون سنة ، وقبل وجود الانسان القرد (سلف الانسان الحالي) بحوالي خمسمئة مليون سنة . وأنه لولا أن وجدت تلك الاسماك لربما كان من المستحيل أن تخلق بعدها الفقاريات الاخرى التي أدت الى تطور وظهور الانسان الحالي . وكما رأينا في حكايانا السابقة ، فلقد بدأت حياة الفقاريات خارج الماء بتطور البرمائيات عن الاسماك ، وانتهت بالثدييات التي تشكل في الوقت الحاضر قمة التطور الحياتي .

في كل مكان

تقترن حياة الاسماك بوجود الماء . والماء يغطي معظم سطح الكرة الارضية ، مما أدى الى توزع الاسماك في مختلف الانحاء : من المياه القطبية التي تهبط حرارتها تحت الصفر المئوي ، الى الينابيع الحارة التي قد تصل حرارتها الى أربعين درجة مئوية . ومن المياه العذبة ، الى مياه أشد ملوحة من ماء البحر . كما أنها تعيش في الاماكن المضاءة من البحر وفي الاماكن الداكنة الظلام . وبعضها نجده في أماكن تعلو عن سطح البحر بخمسة كيلومترات ،

والبعض الآخر في أماكن تصل في العمق الى أحد عشر كيلومترا تحت سطح البحر •

لقد مكن هذا التوزع أكثر الشعوب من التعرف الى هذا الحيوان والاهتمام به منذ أقدم العصور • فمزارع الصينيين القدماء شاهدت بعضا من تربية السمك • وفي سجلاتهم وسجلات المصريين القدامى بعض الملاحظات عن حياة الاسماك • وبرك البيوت العربية ازدانت بالاسماك الملونة ، والمزارع الحديثة في الغرب باتت تنتج الاسماك بكميات وفيرة بقصد الاستهلاك أو بقصد ترويج رياضة الصيد • وفي الولايات المتحدة الاميركية اليوم مزارع تصدر سمك الزينة الملون بالملايين •

أما صيد الاسماك كحرفة وصناعة فهو قضية عالمية وصلت في كثير من الاحيان الى حد المشكلة ، وأدت الى توتر في العلاقات الاقتصادية بين بعض الدول نتيجة الخلافات حول المياه التي يحق الصيد فيها • أضف الى ذلك تحذير علماء بعض الدول من عاقبة الصيد العشوائي وضرورة المحافظة على مستقبل الثروة السمكية • هذا التحذير الذي كثيرا ما تجاهلته الدول الاخرى •

وفي كل مجال

والاسماك بالاضافة لكونها ثروة غذائية غنية بالبروتينات ، فهي مصدر هام للزيوت والاسمدة ، وطعام الحيوانات الاخرى ، والاصمغة ، والجلود •

والاهتمام بالاسماك وصل الى المخبر والى أبحاث العلماء • ليس فقط من أجل فهم وتحسين هذه الثروة الطبيعية الهامة ، وانما أيضا من أجل فهم الكثير من الابحاث التي تهم الانسان • مثلا ساعدت التجارب على الاسماك في فهم الكثير عن فيزيولوجيا الكليتين وطبيعة عملهما ، وفهم بعض جوانب علوم الغدد الصم ، والعوامل الفزيولوجية والكيميائية للشيخوخة ، وعلى فهم انتقال المواد الحيوية بين الاغشية والانسجة الجسمية الحية •

ومن أهم لنواحي الاكاديمية في دراسة الاسماك من ناحيـة علم التطور كونها تساعد على فهم العوامل التي أدت الى ظهور بقيـة الفقاريات ومن ثـم الانسان كما ذكرنا •

وللاسماك فوائد كبيرة في البيئة المائية بحيث أنها تقوم بعمليـة توازن طبيعي • فهم تتغذى على النباتات وعلى الكائنات الاصغر حجما وتحولها الى غذاء (مختزن في جسم هذه الاسماك) بحيث يتوفر للكائنات الاكبر حجما •

فما هي هذه لاسماك ؟

الاسماك أكثر الفقاريات عددا • فهناك عشرون ألف نوعا معروفا • وقد يصل العدد الحقيقي الى ضعف هـذا الرقم • ويتراوح حجم الاسماك عنـد البلوغ من خمسة عشر مليمترا (١٥ مـم) مثل بعض أنواع القوبيون ، الى واحد وعشرين مترا مثل حال بعض أنواع القرش الضخمة التـي يصل وزنها الى خمسة وعشرين طنا •

وتسعون بالمئة من هذه الاسماك ذات هيكل عظمي • أما بقية الاسماك فهي ذات هيكل غضروفي مثل سمك القرش والشفنين البحري • وهناك أنواع أخرى قليلة تصنف مستقلة عما ذكر أعلاه مثل « الجلكا » و « الجريث » •

الوسـط المائـي

ان اقتران حياة الاسماك بالوسط المائي يفرض نمطا مميزا من العيش عن ذلك الذي وجدناه عند الكائنات التـي تعيش في الوسط الهوائي (عـلى اليابسة أو في الجو) • فالماء ذا طبيعة مغايرة لطبيعة الهواء • ولهـذا فلـه خواص كيميائية وفيزيائية مختلفة تمامـا • فكميـة الاكسجين المحلولة فيه ، وكمية الاملاح ، والضوء الـذي يخترقه ، والحرارة ، والمـواد السامـة الموجودة ، والكائنات الضارة أو النافعة ، أضف الى ذلك توفر المواد الغذائية وعلاقتها بالصفات والخواص المذكورة ، كل ذلك يشكل العوامل التي تؤثـر

في البيئة المائية والتي تؤثر بدورها على حياة الاسماك ، وكذلك على حياة الكائنات الاخرى التي تعتمد الاسماك عليها في حياتها •

هذه الاختلافات تستلزم بالضرورة اختلافات في شكل الكائن الذي سيعيش في البيئة المائية ، واختلافات في وظائف أعضائه وعمل مكوناته الحياتية •

الجسم الانسيابي ••

يلعب شكل السمكة دورا هاما في طريقه سباحتها وامكانية سرعتها في الماء • فالشكل العام للاسماك هو انسيابي مغزلي يوفر للسمكة الخواص اللازمة لجعلها تخترق الماء بأقل مقاومة ممكنة • لكن هناك شواذ كثيرة عن هذه القاعدة • فمن الاسماك ما هو مفلطح ، ومنها ما هو مضغوط ، ومنها ما هو على شكل الابرة ، وغير ذلك كثير •

ون الاسماك ما يتحرك بطريقة مختلفة تماما عن الطريقة المألوفة • مثال ذلك فرس البحر الذي يسبح في الماء وهو في وضع مستقيم شاقولي يدفع نفسه من مكان لآخر وكأنه يقفز قفزا في الماء •

والقوة المحركة

تساعد العضلات المنتشرة في جسم السمكة على السباحة • فهي الجهاز الذي يوفر للسمكة الحركة اللازمة لذلك • وهناك عضلات تساعد على السباحة السريعة وأخر مختصة بالسباحة البطيئة • وتصطف هذه العضلات بطريقة خاصة حول الهيكل العظمي للسمكة • وتشكل بمجموعها « اللحم » الذي يكتنز جسم السمكة به • ومن هذه العضلات ما اختص لتحريك الزعانف التي بدورها تدفع السمكة للامام ، أو الى اليمين أو اليسار ، أو أنها توازن السمكة في الماء ••

الاطـراف

وهي الزعانف • ومنها المفرد ومنها المزدوج العدد • أما المفردة فهي التي توجد في الذيل وعلى الظهر وخلف الفتحـة الاطراحية • والزعانف المزدوجة هي الصدرية والحوضية • وزعنفـة الذيل الكبيرة تساعد السمكة بدفعهـا للامام حين يتحرك الذيل يمينا ويسارا •

الجلد : اكثر من مجرد غلاف

يحتوي جلد السمكة على حراشف يمكن بواسطتها معرفة عمر السمكة وذلك بتفحص الحلقات المتكونة على الراشف وذلك تحت المجهر • وكذلـك فان طريقة اصطفاف الحراشف على الجسم يعتمد عليها أحيانـا فـي تصنيف بعض الانواع الى فئـات مختلفة • وفي بعض الانواع لا توجـد حراشف مطلقـا •

ويحتوي الجلد على خلايا ملونة وعلى خلايـا تفرز المخـاط • فالقدرة على تغيير اللون تساعد في حماية السمكة ضمن البيئة التي تعيش فيها وتجعل تمييزها من قبل المعتدين أمـرا صعبا • وأحيانـا يكون اللون بمثابـة انذار للاسماك أو الكائنات الاخرى بوجوب عدم الاقتراب ، أو أنه من ناحية أخرى يكون وسيلة لتعارف النوع الواحد ولهذا أهمية كبيرة في عملية التزاوج •

أما افراز المخاط فهووسيلة وقائية تدافـع السمكة فيها عـن نفسها من أذى الامراض والاصابة ببعض الجراثيم •

وفي بعض الانـواع الغضروفية من الاسماك يحتوي الجلـد على غدد سامـة •

وفي الاسماك التي تعيش في الاعماق المظلمة هناك أعضاء مضيئة مغروزة في الجلد تعطي ضوء يجذب أو يحذر غيرها من الاسماك •

الحواس

على كل جانب من خطم السمكة يوجد منخر واحد أو منخران •

والعيون تقع كل واحدة على جانب من الرأس، وتكون بدون أجفان • وكل عين مستقلة تماما عن الاخرى في الحركة وفي حقل الرؤية • وفي بعض الانواع تكون العيون في أعلى الرأس مثل حال الورنك (وهو سمك مفلطح له ذيل طويل) ، وفي بعض الانواع تكون كلتا العينان في جانب واحد من الرأس • وفي بعض الحالات تكون العيون غائبة تماما أو مضمحلة مثل بعض الاسماك التي تستوطن الكهوف المائية •

ويبدو أنه بامكان الاسماك أن تميز بعض الالوان • وهنا تجدر الاشارة أن الالوان الزاهية كما تبدو لعين الانسان ليست هي بالضرورة نفس المنظر التي تراه الاسماك • فلكل كائن حي مجال وخواص تختلف قليلا أو كثيرا عن غيره •

وعلى كل جانب من جانبي السمكة يوجد خط يسمى بالخط الجانبي وهو يتألف من فتحات حسية ميكروسكوبية • وهو يساعد السمكة على تمييز الاشياء التي تحيط بها بواسطة استقبال موجات ترتد عن تلك الاشياء • تلك الموجات يكون دماغ السمكة قد أرسلها مسبقا للاستكشاف فترتد الى الخط الجانبي •

التنفس بمعزل عن الهواء

من أهم الفوارق الفيزيولوجية بين الحياة في الوسط الهوائي وبين الحياة في الوسط المائي هو كون عملية التنفس في الماء تعتمد على استخلاص الاكسجين المنحل في الماء وليس على تناول الاكسجين من الهواء مباشرة كما هي الحال في الحيوانات التي تعيش خارج الماء • ولما كانت الرئتان لا تصلحان لوظيفة التنفس في الماء فكان لا بد من وسيلة أخرى •

والجهاز البديل عن الرئتين هو الغلاصم التي توجد على جانبي السمكة في مؤخرة الرأس . هذه الغلاصم تتألف من أغشية تتخللها أوعيـة دموية . حينما تفتح السمكة فمها يدخل الماء الى فوهته ، وحينما تغلقه يخرج الماء من فوهة الغلاصم . وأثناء ذلك تتم عملية التبادل الغازي بين الدم الموجود داخل الاوعية الدموية وبين الماء . أي ان غاز الاكسجين الموجود في المـاء يخترق أغشية الغلاصم ويدخل الى الدم . وفي نفس الوقت يخرج غاز الفحم مـن الدم الى الماء وهكذا تنقي السمكة دمها في منطقة الغلاصم .

يذهب الدم النقي الى جهة الرأس والى أنحاء الجسم حيث يتجمع فـي أوعية دموية تنقله الى الاذين في القلب ومنه الى البطين الذي يواصل ضـخ الدم الى الغلاصم . وأثناء توزع الدم في أنحاء الجسم يكون الدم قد أعطى ما يحمله من غاز الاكسجين الى الانسجة المختلفة واستخلص منها غاز الفحم . أي ان الدم العائد الى الغلاصم يكون بحاجـة لتنقية من جديـد . وهكذا تواصل الدورة الدموية عملها .

ونذكر هنا ان بعض أنواع السمك لها رئات تتنفس بواسطتها عن طريق الهواء من على سطح الماء . ولكن هذه الاسماك قليلة الانواع ، وتجمع عادة بين الغلاصم والرئات . وقد تمثل هذه الاسماك المرحلة الانتقالية بين التنفس في الماء والتنفس في الهواء أثناء عملية التطور الحياتي .

وهناك نوع من السمك يستطيع استعمال بعض أطرافه في الزحف على الارض خارج الماء . ويساعده جلده على تنفس الاكسجين من الهواء وهـو بذلك يستطيع قضاء فترة طويلة نسبيا خارج الماء .

الهضـم والتغذيـة

يماثل الجهاز الهضمي عند الاسماك في المبدأ تلك التي عنـد الفقاريات الاخرى . فهو يبدأ بالفم الذي يحتوي عـلى الفكوك والاسنان ، ثم يمـر

بالحلق ، والرغامي ، والمعدة فالامعاء الدقيقة ثم الامعاء الغليظة التي تنتهي بفتحة الاطراح .

وتنقسم الاسماك من ناحية التغذية الى أنواع . فمنها ما يفترس الاسماك والحيوانات الاخرى ، ومنها ما يتغذى على كائنات مجهرية ، ومنها ما يتغذى على الغذاء الموجود في قعر البحر بواسطة الامتصاص ، ومنها ما يعيش حياة طفيلية .

ويتنوع الطعام كثيرا بين نبات أو حيوان أو كليهما معا . ويتراوح الطعام بذلك من كائنات لا ترى بالعين المجردة مثل وحيدات الخلية ، الى بعض أنواع الديدان والبزاق والمحار والقشريات والحشرات والطيور والثدييات والبرمائيات والزواحف . فكثيرا ما يمكن أن نجد في معدة القاروس (ذئب البحر) أو معدة الكراكي (سمك نهري) أو الخرمان (أبو منقار) بعض السلاحف أو القوارض أو البط . وبعض الانواع تهاجم الانسان مثل بعض أنواع القرش ومثل البركودة والبيرانا (الضاري) .

المثانة الهوائية

وهو كيس يملأ بالهواء أو الغازات الاخرى ويتوضع بين أحشاء السمكة . وأحيانا يتصل بقناة الهضم بواسطة قناة صغيرة خاصة . ووظيفته مساعدة السمكة على العوم . وبما أن المياه المالحة تساعد على العوم بطبيعتها فلقد كان هذا الكيس أصغر حجما في الاسماك البحرية منه في الاسماك النهرية التي تحتاج الى مساعدة أكبر في العوم . وفي كثير من الاسماك لا توجد هذه المثانة مطلقا . مثلا القرش والشفنين البحري والاسقمري والبليني .

وتنظم السمكة كمية الغازات الموجودة داخل الكيس هذا حسب العمق التي هي فيه . والعملية نوعا ما تشبه ما يقوم به الغواصون حين الغوص في الاعماق .

وفي بعض الاسماك تقوم المثانة الهوائية مقام الاذن بحيث أنها تتلقى الامواج الصوتية الموجودة في الماء وتنقلها الى الدماغ بصورة آلية ، بحيث تنقل هذه المثانة الى العظام الصغيرة في الهيكل العظمي اهتزازات صوتية تحرك تلك العظام وبالتالي فان الجملة العصبية تخبر الدماغ بأمر هذه الاهتزازات التي تتوافق مع كمية الامواج الصوتية الواردة •

التكاثـر

أكثر أنواع التكاثر شيوعا هو ذاك الذي تلقح فيه النطفة المذكرة البويضة المؤنثة •

وفي بعض الانواع تكون السمكة خنثى أي تكون فيها أعضاء مذكرة وأعضاء مؤنثة معا وقد يحصل القاح ذاتي • وفي احدى الانواع الاستوائية يتم التزاوج بين الانثى والذكر دونما أن يحصل القاح بين نطفة الذكر وبويضة الانثى • وانما غرض هذا التزاوج فقط هو تحريض الانثى على انتاج البيوضة • والبويضة في هذه الحالة تتطور تلقائيا الى جنين يحمل فقط مورثات الام • ولهذا فان السمكة الوليدة في هذه الحالة تكون دائما أنثى •

والاعضاء التناسلية في الاسماك داخلية : أي أنها تتوضع داخل الجسم • وفي بعض الانواع هناك صفات ثانوية خارج الجسم يتميز بها الذكر عن الانثى ، مثال ذلك اللون وشكل الرأس وشكل الجسم وحجمه ، والزعانف الشرجية التي قد تتطور عند الذكر لتساعده في عملية الالقاح •

أكثر الاسماك لها فصول محددة للتزاوج • والالقاح قد يكون خارجيا أو داخليا • ففي الالقاح الخارجي يكون الذكر جانب الانثى وفي نفس اللحظة التي تضع الانثى فيها بيوضها يفرز الذكر سائله المنوي فوق البيوض •

وفي حالة الالقاح الداخلي يستعمل الذكر زعانفه الشرجية ـ المتطورة لهذا الغرض ـ في ايصال النطاف الى قناة الانثى •

وفي بعض الانواع هناك عملية « مغازلة » تسبق الالقاح وتتضمن هذه العمليـــة احداث أصوات معينـــة وافراز هرمونات جنسية تجتذب الطرفـــين وتدفعهما لافراز البيوض أو السائل في اللحظة المناسبة •

وبصورة عامة فان طرق التزاوج عند أكثر الاسماك غير معروفة تماما •

امومـــة ••

من الاسماك ما تبني أعشاشا تضع فيها بيوضها • والعش اما أن يكون على شكل انخفاض في الطين أو الرمل أو البحص ، واما ان يكون على شكل حفرة كبيرة نسبيا تحت حجر كبير • وفي هذه الحالة الاخيرة تلصق البيوض تحت الحجر (أي عـــلى سقف العش) • وتستخدم النباتات أيضا لتكـــون أعشاشا •

وتستفيد بعض الاسماك من الانفاق والحفر الطبيعية وتتخذها أعشاشا • وكل الانواع السابقة تعتني بصغارها •

أما بعض الانواع الاخرى فتهجر العش بعـــد وضع البيوض • وتكون أعشاش هذه الانواع عبارة عن شكل مميز واضح في البحص •

أما الاســماك التي لا تبني أعشاشا فتضع بيوضها بطرق مختلفة • فمنها ما يبعثر البيوض على النباتات أو على الرمل أو البحص أو مـــا شابه ذلـــك • ومنها مـــا ينثر البيوض على شكل كتـــل ذات شكل معين • ومنها مـــا يضع البيوض جانب سطح الماء • ومنها ما يضع البيوض في داخل حيوان آخر من الرخويات (البلح البحري) •

وقد تحمل بعض الاســماك بيوضها في الفم أو عـــلى جسمها أو عـــلى رأسها • وأحيانا داخل جسم الانثى وأحيانـــا داخل جسم الذكر • فمثلا أنثى فرس البحر تضع بيوضها في جيب خاص عند الذكر •

الانسان وصيد السمك

حين بدأ الانسان في سالف العصور ينظم نفسه في مجتمعات زراعية ويرتب أمور محاصيله وطرق ووسائل الزراعة الجماعية ، بدأ أيضاً يفكر في وسائل للصيد الجماعي على الارض بحيث انه اكتشف ان المجهود المشترك يؤدي الى نتائج أفضل من حيث المردود . وعلى هذا فلقد بدأ أيضا في صيد الاسماك بصورة جماعية مما أتاح له الحصول على مقدار أكبر من الغذاء . ومن غير المعروف تماما عما اذا كان الصيد الجماعي على الارض هو الذي بدأ أولا أم ان الصيد الجماعي في الماء هو الذي بدأ أولا . قد يكون الاثنان قد بدءا معا .

المهم أن الانسان قد بذل جهدا كبيرا خلال العصور في تأمين متطلباته الغذائية . وصيد الاسماك اليوم عملية عالمية وتجارة مهمة . وحتما لم يكن أبو العلاء المعري الذي أوصى بعدم أكل ما أخرج الماء يعلم أن صيد الاسماك وتنظيم هذا الصيد سيصبح علما قائما بذاته تتبناه الدول والمؤسسات العالمية.

ان أساليب صيد السمك القديمة لا زالت الى اليوم تشكل جزءا مهما من حياة بعض المجتمعات . ولا زالت هذه الاساليب تعيش جنبا الى جنب مع كل أساليب الصيد المتطورة الحديثة . فالوضع اليوم يلخص التاريخ كله .

اذا لم تكن لديك صنارة لصيد السمك استعمل يديك وحاول أن تلتقط سمكة . ربما لا تأتيك الهمة لذلك الا اذا كنت تتلوى جوعا . واذا كانت لديك حربة فارميها واصطد سمكة . والا فالشص يكون أفضل .

والتقاط سمكة باليد عملية ليست محصورة في الاماكن الضحلة أو الشواطيء . يمكنك التقاط سمكة باليد اذا أتتك الشجاعة للغطس في الاعماق أكثر . وهذا ما يقوم به بعض القرويين في اليابان وكوريا منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا دون ان تكون لديهم الادوات اللازمة للغطس . واليوم صار الغطس تحت الماء علما وفنا وحرفة قائمة بذاتها تتعدى صيد السمك الى مجالات أخرى كثيرة .

واستخدم الحيوانات في الصيد

لقد استخدم الانسان الحيوانات الاليفة أو الحيوانات التي استطاع ترويضها في عدة مجالات • وصيد السمك أحد تلك المجالات • ومن جملة الحيوانات التي روضت لهذه الغاية بعض أنواع الطيور وثعالب الماء خصوصا عند الصينيين •

ومن أشهر الطيور في هذه العملية « الغاقة » الذي يضع ما يصطاده في جراب تحت منقاره • ولقد بدأ استعمال هذا الطائر في اليابان سنة ٨١٣ ميلادية • وقبل ارسال الطائر للصيد يربط جيدا بحبال حتى تأمن عودته بما اصطاده • ويعيش هذا الطائر بين عشرين وثلاثين عاما • ولذلك يصرف عليه الكثير من الترويض والعناية حتى يعتاد على صاحبه وعلى عملية الصيد • وهذا النوع من الصيد لا زال يحافظ عليه حاليا لاسباب سياحية أو من قبيل الهواية •

واخبال السمك

ترمى الحجارة أو ما شابه على السمك بقصد اخبالها لوقت يسمح بالتقاطها • واستعمال المتفجرات (الديناميت) ما هو الا احدى العمليات التي تصعق كميات كبيرة من السمك • وهذه العملية تحرمها الكثير من الدول نتيجة للاضرار التي تسببها لصغار السمك •

وأحيانا تستعمل بعض أنواع السموم المستخرجة من النباتات برشها على سطح الماء أو خلطها مع طعم فتضطر الاسماك المتأثرة بالسم للصعود الى السطح •

ويمكن تخدير الاسماك بواسطة الصيد الكهربائي بحيث يوضع في الماء قطبين موصولين بمولد كهربائي • يتولد بين القطبين تيار فاذا ما دخلت الاسماك ضمن الحقل الكهربائي تتخدر وتنجذب نحو أحد القطبين ، وتجمع بواسطة شبكة • وتقتصر هذه العملية حاليا على الصيد في المياه العذبة •

واساليب متنوعـــة

وكما ألمحنا فان الانسان استخدم ولا زال يستخدم الحراب والصنارات والشبك ، كما أنه استخدم الفخاخ والعوائق ، وحتى أنه نصب الفخاخ فـي الهواء لاصطياد الاسماك التي تقفز في عكس التيار أثنـاء الهجرة مثل سمك السلمون الذي يهاجر الى أعالي الانهار .

ومن احدث الاساليب

لا شك أن السفن الضخمة المعـدة للصيد والتي تحتوي على مصانـع للتعليب والتبريد هي من أحدث وسائل الصيد ، وتتبع هـذه السفن أساليب معينة في صيد الاسماك حسب نوع السمك ، ومثال احدى الطرق استخدام الترول وهو شبكة مخروطية تجر خلف القوارب .

الحكاية التي لا تنتهي

ستظل قصة الاسماك وصيدها وزراعتها تشغل العالم ربما الى الابـد . وعملية تهجين الاسماك وتفريخها في المزارع المائية عملية ستأخذ منحى جديدا بعد أن يتمكن العلماء من فهم العوامل الوراثية والسيطرة عليها بصورة أكبر .



رغيـد النحاس

اطلالة على جزائر اليوم

بقلم : المحامي ناجي جواد

استيقظت مبكرا تطرب سمعي زقزقة العصافير الوافدة على الحقول الخضراء ، وتستعيد عيني بهجة الربيع وفرحته ، ولما رحت أطل من نافذة الفندق الذي شيد على عجل في ضاحية من ضواحي الجزائر ، وبطريقة البناء الجاهز (بري فاب) ليستقبل السياح القادمين الى الجزائر ، ورجال المال والاعمال الراغبين بزيارة المعرض التجاري العالمي ، أذهلت عيني الخضرة النضرة في الحقول المجاورة ، فهناك تنتشر أشجار الزيتون والنخيل والليمون، انه لمنظر شاعري ... يغري باللقاء الغزلي ...

الواقع يا صاحبي ان افريقيا التهمتني بخضرة حقولها ، وغمرتني برمال صحرائها ، ثم ابتلعتني بزرقة بحرها .

ثم خرجت من غرفتي واتجهت الى حيث (المصعد) ليأخذ بي الى طابق المطعم لأتناول وجبة افطاري ، فرأيت صحف الصباح بانتظاري ، فالتقطت جريدة (الشعب) الجزائرية الغراء ، ورحت أطالع عناوينها البارزة تقول :

(الاثنين ١٥ مارس ١٩٧١ م ... الملتقى الثالث للتكوين والتنمية ينهي أشغاله ... توصيات هامة ... الاخ معزوزي وزير العمل والشؤون الاجتماعية يلح على ضرورة تقوية التكوين بالوعي ... فقال الاخ معزوزي : ان كل تنمية اقتصادية تتطلب معارف فنية واستعمال الامكانيات والتنسيق بينهما ، يجب على التكوين أن يلبي أكثر حاجيات الجزائر ، ولكن ليس كل

الحاجيات لان هنـاك مشاكل التعليم التام بالنسبة للتعليم الفني وهو مشاكل هام جدا ، لان تكوين الرجال لا يتطلب فقـط توفير معرفة لتوسيع الطاقـة الفنية للعامل ، اذ يجب ألا تقارن الرجل بآلـة الانتاج ، بـل يجب أن نعطي للتعليم العام امكانية تحني الطبيعة والمشاكل الاجتماعية ، كمـا يجب تكوين الرجل للسيطرة على الطبيعة وتشييد المجتمع الاشتراكي ، هنا تكمن مهمـة وأهمية التعليم العام ، ومن هنـا يجب خلق الظروف الضرورية التـي تسمح للفرد بالترقي والوعي) .

ثم أنقل ناظري الى العنوان البارز الثاني حيث يقول (انتصار ساحـق لحزب المؤتمر الهندي فـي الانتخابات .. السيدة غانـدي ... الانتخابات أكدت ان الاشتراكية هي الطريق الوحيد لتقدم البلاد ... وقـد ألقت انديرا غاندي رئيسة وزراء الهنـد خطابا أمس أثناء اجتماع جماهيري عقدته فـي (نيودلهي) ووصفت نتائج الانتخابات البرلمانية العامة في البـلاد بأنها ، نصر للشعب واستحسان لنهج السلام والتقـدم الاجتماعي ، وقالت زعيمـة حزب المؤتمر الحاكم ، انه نصر للقوى المناضلة ضـد الرجعية اليمينية التي تعرقـل تحقيق التحولات الديمقراطية في البلاد .

ثم أطالع العنوان البارز الثالث يقول :

(الهيآت في العالم تحيي مبادرة الجزائر لقرارات ٢٤ فيفري التأريخية ، حول تأميم الغاز الطبيعي وكل وسائل النقل البري للبترول ، ووضع ٥١٪ من أسهم الشركات البتروليـة الفرنسية تحت مراقبـة الدولـة ... تثير حماس الجماهير والعمال في الداخل ، وتلقى استحسانا وتأييدا من المنظمات التقدمية في الخارج ، ويؤيدون مجلس الثورة والحكومة اللذين يعملان دومـا عـلى استعادة الثـروات الطبيعيـة واستثمارها لصالـح الشعب الـذي سيضمن وسيحتفظ بانتاجه كما وكيفا ، الاستقلال السياسي والاقتصادي) .

ورابعهم ... العنوان البارز التالي :

غولدا مايير تكشف لأول مرة عن نوايا اسرائيل التوسعية ، في حديث صحفي لها الى جريدة التايمز •••!

لقد أعلنت غولدا مايير في هـذا الحديث ، أنه ينبغي عـلى اسرائيل أن تحتفظ (بشرم الشيخ) و (مرتفعات الجـولان) و (القدس) كمـا ينبغي تجريد (سيناء) من السلاح لضمان قوة دولية تشارك فيها اسرائيل ومصر ••

وأضافت مايير تقول ، انه ينبغي ان لا يعاد قطاع (غزة) الى مصر ، وأن اسرائيل تعارض تكوين دولة (فلسطينية) مستقلة في الضفـة الغربية مـن الاردن •

ثم عانقت عيني الحزينة الصفحة الادبيـة من الجريـدة ، فطالعت تحت عنوان حديث اليوم (الجاحـظ في التلفزيون) (١) بقلـم الاستاذ محمـد مصايف ••• حيث يقول الخبر (ينتهج التلفزيون الوطني في الشهور الاخيرة نهجا أقل ما يقال فيه أنه النهج الوطني الذي طالما نادينا به في هذه الصفحة •

لقد شاهد المواطنون خلال هذه الاشهر المعدودة نخبة طيبة من الافلام والمسرحيات العربية الرائدة ، وللمرة الاولى عدنا نسمع اخواننا المتخوفين من انتشار اللغة القومية يشيدون بالافلام العربية ، ويطرون ممثليها ، ويباركون مخرجيها ، ويعلنون أن التمثيل العربي يتطور في طريق حسن الـى الاحسن ، ولقد كنا نقول دائما ان للاذاعة والتلفزيون الوطني فعاليـة كبرى في تعريب الالسنة وخدمة الثقافة الوطنية ، واليوم يقدم التلفزيون الوطني الدليل عـلى انه أهل لأن يقوم بدوره في هذه المعركة الثقافيـة التي تخوضها البلاد منـذ الاستقلال ، وخاصة في هذه السنة ١٩٧١ م ، سنة التعريب وادخال اللغـة القومية الاصيلة الى الادارة الجزائرية •

---

(١) لا يستغرب القارىء الكريم مـن أهمية الخبـر .. اذ ان التلفزيون الجزائري لم يعرف الافـلام العربية ولم يتعرف عليها من قبل ، اذ لـم تنهض بالقطر الجزائري العربي حركة التعريب الا بعد الاستقلال ، الذي فتح الافـاق والابواب على مصراعيها امام اللغة العربية كي تدخل العقول قبل البيوت .

فزيادة على هذه الافلام يقدم التلفزيون الجزائري دروسا في العربية (١) فمنذ أيام فقط شاهد الطلاب درسا قيا ألقاه الدكتور شكري فيصل عن الشاعر العربي النابغة الذبياني ، وهذه تجربة أخرى في التعريف بالتراث العربي القديم والقويم ، وذلك في اعطاء سلسلة من التمثيليات التي تعرض في كثير من الموضوعية ، وفي أسلوب جذاب ، شخصيات أدبية وعلمية ، وفلسفية مرة كل أسبوع (٢) .

لقد استهلت هذه السلسلة في مساء السبت الماضي ، حيث قدمت لنا الجاحظ على شاشة التلفزيون ، وكانت هذه الحصة مفيدة لكل المتفرجين . الذين يعرفون الجاحظ والذين يجهلونه ، فلقد استطاع الدكتور أحمد مكي كاتب هذه الحصة أن يجمع أهم ما يخص حياة الجاحظ الادبية والعلمية والقلمية ، وان يعبر من خلال اتصالات هذا الكاتب العبقري ، وخصوماته ، ومناقشاته عن البيئة الاسلامية بما كان فيها من محاسن ومساوىء ، وبفضل النصوص التأريخية ، مقدرة هذا الاديب العظيم على هضم المعارف وتقليبها في اطار منطقي وأسلوب سلس يستحقان الاعجاب والتقدير ، وبالجملة فان هذه الحصة كانت ذكرى نافعة لكثير من المثقفين ومناسبة طيبة للتعرف على ما اشتمل عليه الماضي العربي من كفاءات وعبقريات .. بالنسبة لمن كانوا يجهلون أو ينكرون هذه الكفاءات وتلك العبقريات) انتهى حديث الصفحة الادبية للاستاذ محمد مصايف .

---

(١) كنت اشاهد طيلة أيام بقائي في الجزائر ، عرضا تلفزيونيا لمدرسي اللغة العربية ، والمراكز التوجيهية ، يستغرق ساعة من الوقت لتدريس القراءة والكتابة بصورة مبسطة .

(٢) واني لن اتخيل ان القارىء العزيز يعتقد باهمية هذه الحملة الاعلامية التي اتخذتها الحكومة الوطنية في ثورة التعريب ، الا اذا زار الجزائر اليوم ، وشاهد الفلاح والعامل من مزارع وسائق ، يخلطون جلهم بين اللغة العربية والفرنسية ، فالاستعمار الفرنسي سيطر على العقل والحقل ...

مما ضاعف غبطتي في رحلتي السعيدة ، مشاهدتي الثورة الثقافية المنتشرة في الجزائر وعلى رأسها التعريب ، فقد خصص مجلس الوزراء عند أول اجتماع له هذا العام ١٩٧١ دراسة قضايا التعريب ، وأثيرت حوله مناقشات مجدية ، وأقوال مأثورة ، منها (التعريب الحاح تأريخي وسيكولوجي) وقال مثقف آخر (نحن نسعى الى استعادة هويتنا واقامة ثقافة عربية ، اذ لا يمكن تحقيق ديمقراطية التعليم دون استعمال اللغة العربية) •

ومبعث اغتباطي في انبثاق ثورة التعريب الجزائرية ، كما هي مبعث فخر واعتزاز كل مثقف حر يشعر بأن قضية التعريب ليست قضية لغوية غرضها ابدال لغة فرنسية بلغة عربية ، بل انها قضية تأكيد للشخصية الوطنية الجزائرية •

ويسعدنا اليوم أن نرى بأن الدول العربية المغربية ، اتجهت الى زيادة التفاهم والتقارب فيما بينها ـ بفضل اللغة العربية ، وانتشار المثل الانسانية ـ وسعت الى تدعيم التعاون مع جامعة الدول العربية ، وتوسيع التعاطف مع المجموعة الدولية ، لفض النزاعات الدولية بالطرق السلمية ، ثم مساندة الشعوب المستضعفة كي تعيش بكرامة وحرية •

المحامي ناجي جواد



النادي الموسيقي باللاذقية

بقلم : عيسى فتوح

أحب أهل اللاذقية الموسيقى منذ أقدم العصور ، وان كان لم يبرع أحد في هذا الفن الا في العصر الحديث ، فذكر اللاذقية اليوم مرتبط فنيا بذكر أسرة « العجان » التي لمع فيها أكثر من فنان ، وقل أن تجد فيها واحدا لا يجيد العزف على أكثر من آلة موسيقية واحدة ، ويأتي في طليعة هذه الاسرة الموهوبة عميدها الفنان الكبير محمود عجان ، الذي يعتبر بحق خليفة سامي الشوا ، ونابغة من نوابغ الفن في العزف على العود والكمان .

لقد قضيت في اللاذقية أربع سنوات ١٩٦٦ — ١٩٦٩ تعرفت خلالها بعدد من أفراد أسرة العجان الكريمة ، أذكر منهم : محمود ، وعبد القادر ، وزياد ، وعلي ، ومجد ... وحضرت لهم أكثر من حفلة موسيقية على مسرح المركز الثقافي العربي ، وكان هؤلاء وغيرهم — كالعلامة جبرائيل سعادة — هم العصب المحرك للنادي الموسيقي الذي أسس فيها عام ١٩٤٥ ، ليضم هؤلاء الفنانين ، وينظم نشاطهم ، ويتيح المجال للقائهم كل يوم ، لممارسة العزف ، والتدرب على الغناء والتلحين والتأليف المسرحي ، ولا أبالغ اذا قلت ان منزل الاستاذ محمود عجان المطل على البحر ، كان يتحول كل يوم جمعة الى ناد موسيقي صغير ، يلتقي فيه أفراد الاسرة وأصدقاؤهم ، ليعزفوا ويغنوا وينشدوا الادوار والموشحات الاندلسية ، ولا سيما فصل « اسق العطاش » و « لما بدا يتثنى » وغيرهما من الموشحات الخاصة بمدينة اللاذقية ، وقد جمعها الاستاذ جبرائيل سعادة في كراس صغير تحت عنوان « عندما تغني اللاذقية » .

يقول الاستاذ عدنان عجان : لقد كان لمرحلة الاستقلال وما تلاها من أحداث وطنية الاثر البالغ في جميع فئات الشعب آنذاك ، ومن الطبيعي أن تكون الموسيقى صدى لمشاعر الشعب وأحاسيسه القومية ، ففي موجة هذه المشاعر الصادقة ، فكر عدد من هواة الموسيقى في تأسيس ناد باسم « النادي الموسيقي في اللاذقية » فتم ذلك أواخر عام ١٩٤٥ .

اهداف النادي

اقتصرت أهداف النادي على تنشيط الفنون الجميلة عامة ، وفي مقدمتها الموسيقى ، لنشرها بين أفراد المجتمع ، ورفع مستواها ، وخلق جيل يقدر الفن ، ويسمو به ، ويجد فيه وسيلة للتفاهم بعيدا عن السياسة ، ولذلك منعت في النادي المشروبات الروحية وألعاب التسلية ، مهما كانت بسيطة ، حتى لا يهمل الاعضاء القيام بواجباتهم على أكمل وجه ، وحتى لا ينحرف عن الاهداف والغايات السامية التي عمل الاعضاء على تنفيذها .

عمل النادي منذ تأسيسه على تحسين أوضاع الموسيقى في اللاذقية ، لكنه لاقى في البدء صعوبة في افهام الناس حقيقة روعتها وسموها وقداستها ، ومحو الافكار السيئة التي تنجم عن استعمالها في مناسبات غير أدبية ، فقدم المحاضرات والحفلات الخاصة التي ترمي الى اظهار محاسنها في ترقية النفس والروح والاسرة والمجتمع والوطن ، فحارب الاغاني المائعة والموسيقى الرخيصة ، وسعى الى احياء الموسيقى العربية الاصيلة ، فأعاد غناء الموشحات ، وأرجعها الى عصرها الذهبي ولكن بثوب جديد كفصل « اسق العطاش » .

كذلك لحن النادي عددا من الاناشيد الوطنية ، وقدمها في المناسبات ، وألف مجموعة من المقطوعات الموسيقية ، وأسس مكتبة فنية وعلمية للاستفادة منها عند الحاجة ، واستقدم بعض الموسيقيين العالميين ، كمازفة الكمان

الشهيرة « مارتا اتيلر » عام ١٩٥١ ، وعازف البيانو الهولاندي « هانس هانكمانس » عام ١٩٥٨ ، والموسيقي المعروف « جون غاردنر » الذي قدم محاضرة عن الموسيقى الحديثة ، وعزف بضع مقطوعات من ألحانه على البيانو ، وكل ذلك على نفقته الخاصة •

لم يكن في اللاذقية حتى سنة تأسيس النادي الموسيقي أي ناد أو جمعية تجمع بين الجنسين ، بسبب التقاليد المحافظة ، فاستطاع النادي أن يتخطى هذه التقاليد ويغيرها ، ويعرف كيف يمكن أن يفيد المجتمع من اشراك المرأة في خدمته ، وقد ساهم عدد من الفتيات في أعمال النادي الفنية ، وانتسب اليه كثير من حاملات الشهادات العليا ، ما دامت الغاية من تأسيسه ترقية الفنون ، ونشر العلم ، وخدمة الوطن •

لقد تطور النادي ، وازداد عدد أعضائه حتى بلغ تسعين عضوا ، كما ازدادت امكاناته المادية ، فالتفت الى مجالات أخرى كالتمثيل ، واشتركت الفتيات في التمثيليات التي قدمها في شتى المناسبات من أدبية وهزلية وانتقادية ، ومعظمها من تأليف الفنان زياد عجان ، كما اهتم بالرقص الشعبي المحلي والعالمي ، ووصل فيه الى مرتبة عالية ، لم يتوصل اليها أحد من قبل •

لجان النادي

يضم النادي الموسيقي تسع لجان عاملة ، كل أعضائها من الهواة ، لكن عدد أفراد كل لجنة يزيد وينقص تبعا للمناسبات ومتطلبات النشاط ، وهذه اللجان هي :

١ ـ لجنة الموسيقى العربية : تتولى اعطاء دروس في العزف على مختلف الآلات الموسيقية ، وقد أقامت عدة حفلات خاصة •

٢ ـ لجنة الموسيقى الكلاسيكية : تعمل على شرح وتوضيح أعمال كبار الفنانين ودراسة حياتهم ، والاثر الذي تركوه في الموسيقى العالمية ، وقد

ساهمت هذه اللجنة في رفع مستوى الفن الموسيقي في المدينة ، بما هيأته من الحفلات المسجلة مع التعليق عليها •

٣ ــ لجنة الآثار والتاريخ : وتسمى « رابطة أصدقاء أوغاريت » : تهتم بكل ما له علاقة بالاماكن الاثرية والتاريخية ، ولها اتصالات عديدة مع مؤسسات مماثلة في مختلف أنحاء العالم ، وتتولى اصدار نشرة بعنوان « صوت الماضي » يشرف عليها جبرائيل سعادة •

٤ ــ اللجنة الثقافية : تتولى تأمين محاضرات منتظمة لرفع مستوى الجمهور علميا وأدبيا وثقافيا ، وكان النادي قد سعى لتقديم محاضرات قبل أن يكون في اللاذقية مركز ثقافي •

٥ ــ لجنة التمثيل والاخراج : تقوم بتنظيم الحفلات المسرحية ، من تمثيليات ورقص وموسيقى ، وقد أقام النادي عددا من الحفلات المسرحية في اللاذقية وغيرها من المدن السورية •

٦ ــ لجنة الرقص الفلكلوري : تقوم بعرض الرقصات والاغاني الشعبية المحلية منها والعالمية •

٧ ــ لجنة الرسم والنحت : يتلقى أعضاء هذه اللجنة دروسا في النحت والرسم ، وقد أقام النادي عدة معارض ، واستقدم أشهر الفنانين للتحكيم واختيار الفائزين ، كمصطفى فروخ ، وألفرد بخاش عام ١٩٥٤ ، ومحمود جلال ، وأدهم اسماعيل عام ١٩٥٨ •

٨ ــ لجنة التصوير الفوتوغرافي : قام النادي عن طريق هذه اللجنة بتنظيم عدة معارض ومسابقات ، كما خصص في مقره غرفة لتحميض الافلام وطبعها •

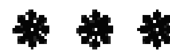
٩ ــ لجنة الرحلات : تتولى تنظيم الرحلات الى بعض الاماكن السياحية والاثرية ، داخل سورية وخارجها •

والجدير بالذكر أن النادي الموسيقي تعاون كثيرا مع السلطات الرسمية ، فساهم في اقامة الحفلات في شتى المناسبات الوطنية والقومية ، والترفيه عن الجيش ، وتشجيع الفتوة ، وأسبوع التسلح ، وعيد البحرية ، ونقطة الحليب ، ومهرجان الحمضيات ، واستقبال الوفود الرسمية والطلابية من عربية وأجنبية . كما اشترك في عدة مسابقات للموسيقى والغناء مع باقي الاندية السورية ، فنال الجائز الاولى ، وفاز بجائزة الرقص الشعبي ، وحظي بتقدير المسؤولين الفنيين .

مصادر البحث

١ ـ محافظة اللاذقية ـ سلسلة بلادنا لجبرائيل سعادة . وزارة الثقافة ١٩٦١ .

٢ ـ مجلة العمران ـ عدد خاص عن الساحل السوري . رقم ٢٥ و ٢٦ ايلول وتشرين الاول عام ١٩٦٨ .



كتب جان جاك روسو ، كاتب فرنسا الشهير (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) يقول : « انني أقسم شعوب العالم الى ثلاث فئات : هؤلاء الذين يصنعون الاحداث ، وهم قلة ضئيلة بين شعوب الارض ، وهؤلاء الذين يقفون متفرجين على هذه الاحداث وهي تمر أمامهم ولا يحركون ساكنا وأخيرا هؤلاء الذين لا يدرون من أمرهم ومن أمر هذه الاحداث شيئا !

سألوه : « أي الفئات الثلاث أجدر بالحياة ؟

فقال : « صانعو الاحداث ، فنحن في حاجة الى المزيد منهم ؟ لانهم وحدهم الذين يستطيعون أن يغيروا وجه التاريخ ! » .

مع الخالدين

الرسام سيزان

إعداد: سمير شيخاني

صوت : كان هدف بول سيزان ، الرسام الفرنسي الشهير الملقب بأبـي الفن الحديث ، الجمع بين المدرسة التأثرية الانطباعية في الرسم والفن القديم • وقد كانت لوحاته الاولى تتميز بابراز سمو عواطفه الخاصة أكثر مما تمتـاز بالالوان • الا ان اتصالـه بالرسام التأثري كميل بيسارو ساعده كثيرا عـلى الاحساس بعلم الالوان • وقـد برع سيزان برسم الاشياء الجامـدة التي لا حياة فيها واشهرها « الساعة الرخامية السوداء وصحن الفواكه » • كما رسم الشخصيات وعددا من الرسوم الشخصية ، والمناظر الطبيعية • ومن روائعـه في سنواته الاخيرة لوحة « لاعبو الورق » •••

والآن ، يا سيد سيزان ، دعنا نتناول تفاصيل حياتك في سؤال وجواب•

سيزان : كما تشائين ، يا سيدتي • فأنا من مواليد مدينة اكس ـ اون ـ بروفانس سنة ١٨٣٩ •

صوت : وكنت طويل القامة ، نحيل الجسم ، وذا عضلات ، ولحية كثة ، وعينين سوداوين حادتين •••

سيزان : كنت أشبه ما أكون بالرواد •

صوت : وكان شكلك الخارجي يلفت الانظار من بعيد : قبعة عتيقة على هيئة لوزة الهند ، وسترة زرقاء فاتحة ، وصدرية بيضاء تزركشها لطخات من الطلاء المختلفة الالوان • وبكلمة أخرى كان العنف البدائي الذي يتجلى مـن شخصيتك واضحا جليا •

سيزان : ولم أكن قد جاوزت التاسعة عشرة عندما قال عني رفيقي في الدراسة اميل زولا : « أنت لست من هذا القرن الذي نعيش فيه ••• ولو لم يكن الحب اختراعا قديما لاخترعته أنت •• » •

صوت : وكانت النار التي تشع من عينيك تفضح العواطف الجمة التي تعتمل في نفسك • وقد أبصرت النور في عصر عادي ، يكاد يكون مبتذلا • ولم تعرف طفولتك أي حدث له أدنى أهمية •

سيزان : ومع كل ذلك كان زولا على حق • فأنا لم أكن من القرن التاسع عشر في شيء ، بل كنت المبشر بفن القرن العشرين في الرسم •

صوت : تلك هي الحقيقة التي لا تقبل الجدل ••• فان تأثيرك البعيد المدى على الفنانين الحديثين أمثال بيكاسو ، وماتيس ، وديران ، وبراك ، لأكبر دليل على أنه اذا كان لنا ان نطلق لقب « أبي الفن الحديث » على امرىء واحد ، لما استحق هذا اللقب أحد سواك •••

سيزان : شكرا لك ، يا سيدتي ، على هذا اللقب • ولكن ثقتي ان فن الرسم لم يكن أمرا سهلا بالنسبة الي • فقد كان علي بادىء ذي بدء تلطيف عنف مزاجي لان الرسم يتطلب الثبات ورباطة الجاش بقدر ما يتطلب حرارة الوحي والالهام •

صوت : الواقع أنك كنت ، يا سيد سيزان ، عصبي المزاج ، منفجرا ، عاطفيا ، وعنيدا • وقد بذلت جهودا كبيرة في سبيل تهدئة ردود فعلك العاطفية لكي يتاح لك امتلاك الاصول الضرورية لصنع اللوحة الفنية •

سيزان : في صباي كان يتفق لي أن أمزق اربا اربا اللوحة التي تكون بين يدي عندما لا تعجبني ، أو ان أرميها في الحقول • وفي أواخر حياتي ، وعندما كانت لوحاتي تباع بأثمان لا بأس بها ، وكنت قد صرت على أكبر جانب من الهدوء والرزانة ، لفت نظر التاجر الذي كان يتولى شراء لوحاتي

شيء يتأرجح فوق شجرة أمام محترفي : فقد كانت لوحة لم أتم رسمها ، وقد ألقيت بها من النافذة في احدى سورات الغضب !•• (يقهقهان)

صوت : منذ البدء أحاطت بك المصاعب من كـــل جانب • فوالدك الذي أصبح أول صاحب مصرف في ايكس ، لـم يكن موافقا على امتهانك الفن ، وقد أجبرك على دراسة القانون •

سيزان : ولما أيقنت ان لا مجال للحصول على موافقة والدي اضطررت الى تسلم وظيفة في مصرف أبي •

صوت : ولكنك عندما بلغت الرابعـــــة والعشرين حصلت عـلى الاذن بالذهاب الى باريس لدراسة فن الرسم • فبدأت منذ ذاك كفاحا مريرا •

سيزان : كنت أعمل بجد واجتهاد ، الا أن الدروس الفنية الرسمية لـم ترق لي • فضلا عن أنها كانت مجموعة من التقاليد المتحجرة ، البالية •

صوت : وعلى ذلك ، وبالرغم من قضاء سنتين ونصف السنة في الدراسة والعمل ، فقد فشلت في امتحانات الدخول الى معهد الفنون الجميلة •

سيزان : وطوال ثلاثين عاما ، على أقل تعديل ، رفض استقبال رسومي ولوحاتي في معرض باريس ، وكان في ذلـــك العهد ، وبالنسبة الى الفنـان ، السبيل الوحيد لانطلاقه ، وتثبيت دعائم شهرته الفنية •

صوت : ولم تبق أبواب المعرض ــ أو « صالون باريس » ــ مقفلة في وجهك ، بل بقيت شخصيا مغمورا ، ومنسيا !

سيزان : وهكذا لم أقم معرضا خاصا بـــي الا سنة ١٨٦٥ ، وكنت قـــد أصبحت في حوالي العقد السادس من العمر •

صوت : وكنت تعيش مغمورا ، مجهولا الا من نفـــر قليل من الرسامين أمثال دينوار ، وديغا ، وبيسارو •

سيزان : على أن الشهرة التي كان يتمتع بها هؤلاء الرسامون لم تكن ذات فائدة لي لأن النظرة العامة اليهم لم تكن أفضل من النظرة الي •

صوت : وقليلون هم الذين قدروك حق قدرك • حتى أنك كتبت مرة الى أحد أصدقائك المخلصين من فرط يأسك : « ماذا بقي أمامي أن أفعل في مثل حالتي غير الخضوع والتذلل ••• » وطوال حياتك العملية حاد بك النقاد بقسوة ومرارة •

سزان : تصوري ان أحدهم كتب ذات يوم يقول : « ان الاطفال الذين يلهون بالورق والالوان يسمون أفضل مما يصنع سيزان » •

صوت : وكان أخبث من هذا الناقد الذي تحدث عن لوحة لك حاولت فيها ان تلتقط وهج الشمس ، فنصح للقراء بألا يتوقفوا طويلا أمام لوحاتك ، وخاصة اذا كانوا برفقة امرأة حامل خوفا من ان يصاب الجنين بالحمى الصفراء ! (يقهقهان) •

سيزان : كان جيراني وحتى أصدقائي ينظرون الي نظرتهم الى امرىء فاشل في هذه الحياة حتى ان والدي كان يعتبرني طفلا كبيرا فيعمد الى فض رسائلي • أما سكان مسقط رأسي ايكس فكانوا يعتبرونني غريب الاطوار، ومعظم الفنانين كانوا يعاملونني كما كنت أخرق • ولا عجب في ذلك عندما تعرفين ، يا سيدتي ، ان أفضل أصدقائي اميل زولا ، بعد صداقة ثلاثين سنة كان يتحدث عني فيصفني بالعبقري الطرح الذي يبعث على التأثر والشفقة •

صوت : ولاحقتك العزلة الاجبارية في حياتك العاطفية • ففي الثلاثين همت حبا بفتاة تدعى أورتانس ، كانت تعمل نموذجا لك • وقد وضعت بعد سنة طفلا اعترفت به من فورك وأحببته طوال حياتك • ولكن بسبب بعض الظروف الطارئة انقضت سنوات عدة قبل ان تقترن بأورتانس وكنت تفترق عنها أحيانا الشهور المتواصلة •

سيزان : لعل هذه القدرة على الانفراد والانعزال عندما تقضي الضرورة هي مقياس العبقرية . وثقي أنني لم أفقد الثقة بنفسي أبدا على الرغم من ساعات اليأس والخيبة والعزلة التي عشتها . ولقد توصلت الى الرسم بدقة ومهارة .

صوت : ولقد كان فنك الدقيق يضطرك الى تكريس كل نشاطك وتفكيرك وروحك ، وكل حياتك لتفهم دقائق الاشكال الظاهرة والمخفية في كل ما يحيط بك من أشياء . وكنت تجتهد ـ كما قلت أنت نفسك ـ في أن تجسد بالرسم احساساتك أمام الطبيعة . لقد كنت تجد أشكالك في الطبيعة وليس في الهندسة . ولوحاتك تمثل دائما الاشياء الحقيقية : الكائنات الحية والمناظر الطبيعية ، والطبيعة الميتة كالتفاح ، والاباريق وزهور الجيرانيوم . ولم يكن هدفك في يوم من الايام الفن الرمزي الذي عرفه العصر الحديث .

سيزان : وبلغت الخمسين من عمري دون أن أبيع أي لوحة . فقد قبل أحد أصحاب الحوانيت ان أسدد فاتورة حسابه بلوحة من صنعي . وكان بائع الالوان يتقاضى مني ثمن ما أشتريه من أنابيب الالوان لوحات كذلك . وقد باعت أرملة هذا التاجر ، بعد وفاته ، عددا من هذه اللوحات بثمن راوح بين خمسة وأربعين فرنكا ومئتين وخمسة عشر فرنكا .

صوت : وأخيرا بدأ تجار اللوحات الفنية يطلقونك ، فسجلت لوحاتك أثمانا مرتفعة : وما هي الا عشر سنين حتى بيعت اثنتان وثلاثين لوحة لك بمبلغ واحد وخمسين ألف فرنك . ومنذ ذاك راحت أثمان لوحاتك ترتفع بسرعة مدهشة .

سيزان : ولكن لسوء الطالع لم أعش طويلا لكي أشهد ذلك .

صوت : أما اليوم ، يا سيد سيزان ، فان شهرتك كاملة . واعلم أنه لا يمكن تصنيف متحف من المتاحف في الدرجة الاولى اذا لم يضم لوحة جيدة من لوحاتك على الاقل . وأعود فأكرر ما سبق ان قلته من ان معظم الرسامين الكبار في عصرنا هذا ينظرون اليك على أنك رائد الفن الحديث ...

سيزان : ••• وأبوه كذلك !••• (يقهقهان)

صوت : والآن ، قبل أن أستأذنك بالانصراف ، يطيب لي ان أردد عليك ما قاله عنك في سنة ١٩٦٣ أحد النقاد والفنيين الانكليز في الكاتالوغ الخاص بالمعرض الذي أقيم للوحاتك في أحد المعارض الانكليزية : « ان سيزان بالنسبة الينا هو المحك • انه أشبه بالقديس الحامي • وكل من لا يحس بقوة فنه ، وفضيلته البطولية ليس فحسب من أبناء عصره ، بل انه لا يقف على عتبة تقدير ما هو الثمين في هذا القرن العشرين » •

سيزان : شكرا جزيلا على هذه الاشارة ، يا سيدتي ، فقد أثلجت صدري حقا • وسماعي اياها يجعلني أردد ان لا نبي في وطنه ، ولا في عصره !•••

صوت : لا شكر على واجب ، يا سيد سيزان !•••

سمير شيخاني

* * *

قال رؤبة بن العجاج أتيت النسابة البكري فقال لي : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا ابن العجاج » قال : « قصرت وعرفت ، لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني ، وان تكلمت لم يعوا عني » قلت : « أرجو الا أكون كذلك » قال : « ما أعداء المروءة ؟ » قلت : « تخبرني » قال : بنو عم السوء اذا رأوا حسنا ستروه ، وان رأوا سيئا أذاعوه » ثم قال : ان للعلم آفة وهجنة ونكدا ، فآفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه ، وهجنته نشره عند غير أهله » •

القاضي عبود الشالجي
في تحقيقه
الفرج بعد الشدة

بقلم د. نصير مارديني

كنت ، ولعلي لا أزال ، من المولعين بكتب الارث والتراث . رائحة القدم فيها تبعث في نوعا من النشوة ، المدمنون وحدهم يعرفونها ... هل قرأت أو تقرأ شيئا من هذه الكتب ؟ اذن فهل وقفت مرة عند تلك الكلمة التي تقفل كل بحث فيها :

(الله أعلم) ، اني ما وصلتها مرة وحسبت انها خاتمة البحث ولكن بدءه ، كالقصة التي تقف دون النهاية لتقول لك :

أكمل من عندك ..!

كان هذا شعوري حين أمسكت بيدي المتعبتين كتاب (الفرج بعد الشدة) تأليف القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ، وقد توقفت طويلا عند اسم محققه القاضي « عبود الشالجي » ..

أقول توقفت لاني أعرف جيدا اسم هذا المحقق وأعرف احترامه للكلمة النظيفة الحرة ، وبعبارة أوضح (الكلمة الطيبة) ..

ان عبود الشالجي القاضي والمحامي وابن العراق العربي الاصيل الاصيل ... اكتشف وهو يتنقل بين المناصب القضائية الكبرى سر الكلمة التي تغازل قلب الصخر فيتحرك ويتحرك ليعطي أروع ما عنده وخير ما في ضلوعه

الحجرية ، وأكثر من هذا لقد عرف الشالجي كلمة الرصد لهذه الكلمة الطيبة، ففي كل قلب مهما قسا القلب جانب للحب والعطف ، ركن صغير تزقزق فيه بعض العواطف الحلوة . حتى من عين السفاح لا بد ان تركض يوماً ما دمعة وقد تكون بعض القلوب من الحقد والغل ، كعقدة الافاعي ... أتعرفها تلك الافاعي التي تقتتل وتقتل فيلتف بعضها في بعض عقدة من الغضب الراعف . لا يحلها الا دبيب الموت فيها شيئاً فشيئاً ، انك حتى في هذه القلوب تستطيع اذا تمتمت بكلمة الرصد التي اكتشفها الشالجي الباحث ، والمدقق ، والمؤلف، والاديب ان تجد طريق الكنز ، وليس في النفوس أبدا نفس تتأبى على الكلمة الطيبـة ...

وعبود الشالجي عاش بحسه المرهف ، وتبالته العربية المأساة اللبنانيـة بكل عنفها وضراوتها وصخبها ورأى عضة اليأس تزور اللبنانيين العاديين ... لقد أمضي في مصيف يحمدون الليالي الطوال بدون ماء ولا كهرباء ولا أمل ، يفكر ويلاحق لحظات العلقم والجراح التي زارت اللبناني الاعزل الذي وجد نفسه في حالة حصار أبكم ، تتبدى له الحياة من خلالها عبثـاً ينبع من عـدم لينتهي الى عدم ، ويخيل اليه معها انه وحيد ، وان كل شيء قد هجره ...

ولان الشالجي عربي راح يفكر بحس العربي السليم الذي لـم يدنسه الحقد ، عن الكلمة الطيبة التي تحول بين الانسان واليأس فبـدأ في تحقيق كتاب (الفرج بعد الشدة) ..

هذه العبارة المملوءة بطيب الامل وعطر الفرج يقف عندها العربي ليشـد كل غروره ويقول بعد كل الذي قال : لا يزال هناك أفق آخـر مـا عرفته ، درب ما زرعته عيناي ، نجم ما قطفته ولعله ..

ان هذا الكتاب هو واحد من كتب الارث والتراث الذي يعلمنا أهميـة السعي الحثيث للمعرفة ، والقاضي الشالجي يؤمن بهذا النوع من الجهـد ، ويؤمن أيضا ان وراء الدرب الذي سار عليه يقضي بين الناس بالحق ، ويؤلف

الكتب ، ويحقق ، يؤمن بأن وراء الدرب الذي تلوى أمامه دربا آخر أروع منه ، وفوق ما يعرف معرفة أرقى وأشمل ، وبعد القمة التي تداعب قدماه قمما وقمما ... همسة الكمال التي توسوس في صدره يعرف انها هي لحظة النقص والعقم ، ويداه تتصلبان ، تكفان عن الكتابة حين يكف فكره عن ان يتوق لشيء ...

لقد عرف وهو قاضي ، واداري ، ومحامي ان الانسان مهما تطاول فلن يزيد عن مائة وسبعين سنتمترا أو ثمانين ، ومع هذا فهو يتوق لاقتطاف القمر ، وهو مهما ضخم فلن يزيد عن تسعين أو مائة كيلو غرام ، ومع هذا فان هذا الانسان يسير آلاف الاطنان من الحديد في الماء والسماء ، ولو اعتقد البشر لحظة أنه بلغ الامر الذي كاد وانه كمل ، لغدا الكوكب الارضي جنازة راكضة ، ولعقمت الايدي وجفت اللهوات وجمدت الفكرة الملهمة ... ان الشعور بالكمال يعدل الشعور بالموت ، انه العقم ... ولان الشالجي عرف هذا الشعور والقنابل تزور الروابي اللبنانية وتدمر ، انطلق يبحث عن طريق الحياة الذي هو سعي الى اجتياز المحنة .. وهذا التوق الشالجي ، كتوق الفراش لشرب النور فيه كل القلق المبدع ، أليست لذة الحياة كلها في انها توق دائم الى اجتياز المحن ... الى القفز من فوقها ، ان كتاب (الفرج بعد الشدة) الذي حققه ، وأكاد أقول (ألفه) الشالجي يدعونا الى الحياة ، وأحسب ان الله انما خلق الكون في لحظة من لحظات الفرح وانه سيطويه طي السجل للكتب في لحظة تجهم ، والا فلم يتوى حبنا للارض حين ينطلق فيها الاقحوان ويشيل ويحط أول الفراش وتتفتح الرابية لاربيع ؟ ولم النشوة بالحياة حين يستبد بنا الرقص أو يهمي الوتر أو تنفجر النكتة الموفقة ؟ ولم تحاول النصر على اليأس يكره الدنى وأحيانا الانتحار ؟

وكتاب (الفرج بعد الشدة) يدلنا بالنثر والشعر والحكمة والآية القرآنية والحديث الشريف وأقوال الائمة والفقهاء أن الفرح كالتجهم ، وليس في الناس من لا يملك ان يفرح ... ولكن يجب أن نسلك طريق الفرح ،

لنعرف كيف نفرح ، وكيف نواجه المأساة والمصائب ، وكيف نواجه الالم ، أي ألم ، باليقين الباقي ، وبالثقة بالله ... هذه الثقة التي تقودنا الى (الامل) ..

ولقد انتصر الإنسان على الكثير حين رقصت له هذه الخاطرة (الامل) ورقص لها ، فالانبياء ــ كذلــك يقول الكتاب ــ مــا مشوا برسالاتهم الا بالامل ، والمكتشفون ما أفنوا الجهد والعمر الا على الامل ، والمناضلون مــا سالت على حــد الظبي أكبادهم الا في الامــل ... والمغامــرون والمفكرون والكتاب كلهم ساروا على دروب اليأس والامل ... ترى مــاذا يكون لــو استطاع شيطان مريد ان يقطع عن اللحظة العابرة في دنيانا العربية غدها وان يمسح عن عيوننا طيف الخروج من المحنة ، ويقنع اللبناني بعقم النصر عــلى المأساة ... لو استطاع ان يمد يده فيمسح الامــل من نفوس العرب كمــا تمسح الغيوم القمر ... ترى مــاذا يكون حالنــا ؟ وأي جحيم يلف بذلــك أرضنــا ؟

لقد قرأت الكتاب (الفرج بعد الشدة) ولمست بعيني كيف ان الآمــال تختلف عرضا وتختلف تعلقا بالنجم ... ورأيت مواكب الآملين العظام تمــر أمام عيني ، ورأيت في من رأيت مثلا عرض الامل أمــام الذين اجتازوا المحن العظام ... لقد حدثنا المؤلف أن عليا كرم الله وجهه قال :

(... عند تناهي الشدة ، تكون الفرجة ، وعند تضايق البلاء ، يكون الرخاء ، ومع العسر ، يكون اليسر) . وذكر عن الامام ، أنه قال : مــا أبالي بالعسر رميت ، أو باليسر ، لان حق الله تعالى في العسر والرضــا والصبر ، وفي اليسر الحمد والشكر .

وقصد أعرابي أمير المؤمنين عليا ، فقــال : اني ممتحن ، فعلمني شيئــا أنتفع بــه .

فقال : يا أعرابي ان للمحن أوقاتــا ، ولها غايات ، فاجتهاد العبــد فــي

محنته ، قبل ازالة الله تعالى اياها ، زيادة فيها ، يقول الله عز وجل : (ان أرادني الله بضر ، هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة ، هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون) ، ولكن ، استعن بالله ، واصبر ، وأكثر من الاستغفار ، فان الله عز وجل وعد الصابرين خيرا ، وقال : (استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم أنهارا) ، فانصرف الرجل • فقال الامام :

اذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجني عليه اجتهاده

وبعـــد :

ما هو هذا السفر الذي انتزع من المحقق الايام والشهور والسنوات لانجازه ؟

يحدثنا المحقق القاضي على الشالجي عن مؤلف كتاب (الفرج بعد الشدة) فيصفه بقوله :

(•• القاضي أبو علي ، المحسن بن علي التنوخي الذي أتحف المكتبة العربية ، بتآليف نادرة المثال ، أشهرها كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) ، وقد قضى التنوخي في تآليفه ، عشرين عاما ، وأخرجه في أحد عشر مجلدا ـ هذا الكتاب حققه وأصدره القاضي عبود الشالجي عام ١٩٧٨ في ١٢ جزءا ـ واشترط على نفسه فيه ، ان لا يضمنه شيئا نقله من كتاب) •

تكاد رحلة الشالجي مع كتاب (الفرج بعد الشدة) أكثر صعوبة من رحلة التنوخي مؤلفه ، فالشالجي الباحث والمدقق يأخذنا معه في مقدمة الكتاب في رحلة ممتعة ، يروي من خلالها الجهد الذي بذله لجمع الاجزاء الضائعة من الكتاب ، فيقول :

(••• جمعت ما أمكنني جمعه من أفلام نسخة المخطوطة ، فاجتمع عندي ، فلم مخطوطة الجزء الاول منه من المكتبة الظاهرية بالشام ، وفلم مخطوطة الجزء الثاني من الخزانة الملكية بالرباط وأفلام ثلاثة أخرى من دار

الكتب المصرية ، ومن مكتبة جون رايلند ، والاسكوريال ••• الخ) •

ثم يروي لنا المحقق أسباب اقدام المؤلف على تأليف الكتاب فيقول :

(••• ابتلي التنوخي بشدائد ومحن ، فرغب في تأليف كتاب : فيمن امتحن وابتلي ، ثم سري عنه ، بحيث أضحى كتاب التنوخي من دون الكتب التي ألفت في هذا الباب ، وما أكثرها ، مجليا ، يشار اليه بالبنان ، ويرد ذكره على كل لسان ، ولا عجب ، فانه قد جاء فريدا في بابه ، جمع فيه مصنفه من طريف الاخبار والاسفار وغريب القصص والحكايات ، ما يستهوي القارىء ، ويلذ السامع ، وقد ذكر القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان ، وياقوت في معجم الادباء ، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ، واسماعيل البغدادي في هدية العارفين ، وقال فيه الثعالبي في اليتيمة :

(كتاب الفرج بعد الشدة ، ناهيك بحسنه ، وامتاع فنه ، وما جرى القال بيمنه ، لا جرم أنه أسير من الامثال ، وأسرى من الخيال) ••

والآن سنرافق المؤلف في أخباره الشيقة المتعة ، وذكر ان نفعت الذكرى •

كتب سعيد بن حميد ، الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، كتابا من الاستتار ، قال فيه :

(وأرجو ان يكشف الله ، بالامير أعزه الله ، هذه الغمة الطويل مداها ، البعيد منتهاها ، فان طولها ، قد أطمع في انقضائها ، وتراخي أيامها ، قد سهل سبيل الامل لفنائها) •

وقف أحمد بن عروة بين يدي المأمون ، لما عزله عن الاهواز ، فقال له :
أخربت البلاد ، وقتلت العباد ، لأفعلن بك وأصنعن •

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تحب ان يفعله الله بك اذا وقفت بين يديه ،

وقد قرعك بذنوبك ؟

قال : العفو ، والصفح .

قال : فافعل بعبدك ، ما تحب أن يفعله بك .

قال : قد فعلت ، ارجع الى عملك ، فوال مستعطف ، خير من وال مستأنف .

أخبرني أبو الفرج الاصفهاني قال :

رأيت مروان بن أبي حفصة ، وقد دخل على المهدي ، بعد وفاة معن بن زائدة ، في جماعة من الشعراء منهم سلم الخاسر ، وغيره ، فأنشده مديحا فيه

فقال له : من أنت ؟

قال : شاعرك يا أمير المؤمنين ، وعبدك ، مروان بن أبي حفصة .

فقال له المهدي : ألست القائل في معن بن زائدة :

أقمنا باليمامة بعد معن مقاما لا نريد به زوالا
وقلنا أين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

فقد ذهب النوال كما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جروا برجله ، فجروا برجله حتى أخرج .

فلما كان في العام المقبل ، تلطف حتى دخل مع الشعراء ، وانما كانت الشعراء ، تدخل على الخلفاء في كل عام مرة ، فمثل بين يديه ، فأنشد ، رابع أو خامس ، شاعر ، قصيدته التي أولها :

طرقتك زائرة فحيّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبا فأمالها

قال : فأنصت المهدي يستمع منه ، الى أن بلغ منها الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

أوتجحدون مقالة عن ربه ... جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية ... بتراثهم فأردتم ابطالها

قال : فرأيت المهدي ، وقد زحفه من صدر مصلاه ، حتى صار على البساط اعجابا منه بما سمع •

ثم قال : كم بيت هي ؟ قال : مائة بيت •

فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أول مائة ألف أعطيها شاعر في أيام بني العباس •

ومضت الايام ، وولى هارون الخلافة ، فرأيت مروان وقد دخل في جملة الشعراء ، فأنشده قصيدة امتدحه بها •

فقال له : من أنت ؟

قال : عبدك ، وشاعرك ، مروان بن أبي حفصة •

فقال : ألست القائل في معن ؟ وأنشده البيتين اللذين أنشدهما المهدي •

ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه ، فلا شيء له عندنا • فأخرج أقبح اخراج •

فلما كان بعد أيام ، تلطف حتى دخل ، فأنشده :

لعمرك ما أنسى غداة المحصب ... اشارة سلمى بالبنان المخضب
وقد صدر الحجاج الا أقلهم ... مصادر شتى موكبا بعد موكب

قال : فأعجبته القصيدة ، فقال : كم هي ؟

قال : سبعون بيتا ، فأمر له بعدد أبياتها الوفا ••

فصار ذلك رسما له عندهم الى أن مات ••

على هذا النحو يمضي بنا الكتاب الصادر في خمسة أجزاء ، يمضي بنا خفيفا رشيقا ، فيمسح الحزن من الافئدة ، وينير أمامنا طريق الامل ••• فبعد كل شدة فرج ••

مهدي جاسم
حياة .. وذكريات

بقلم : سلمان هادي الطعمة



نخبة من أدباء كربلاء . من اليمين : حسن عبد الامير ، المرحوم مهدي جاسم ، السيد سلمان هادي الطعمة ، محمد نور عباس

لئن فقدت الضاد بوفاة مهدي جاسم الشاعر ، وان خسرت به خطيبا من خطبائها ، وان تفقد التربية به رجلا من رجالها ، فان خسارتي فيه خسارة عمر في الاخاء والمودة .

كنت أجد في مهدي جاسم شاعرا مجيدا بقصائده التي أخذ ينشرها في جريدة (القدوة) الكربلائية أوائل الخمسينات ، أو كان يلقيها في المناسبات الدينية في الروضة الحسينية المقدسة . وان بداية معرفتي به تعود الى أواخر

عام ١٩٥٥ م يوم زرته في مدرسة الحسين الابتدائية وهو مديرها ـ آنذاك ـ مهديا له أثرين أدبيين كنت قد أصدرتهما : الامـل الضائع وشاعرات العراق المعاصرات • وظلت العلاقة قائمة بيننا علاقـة الاخ الصغير بأخيـه الكبير • ولدى انتقاله الى الادارة المحلية موظفا ، توطدت صلتي بـه ؛ ورحت أزوره بين الفينة والاخرى لأبعث بقصائده الجديدة الى مجلة (العرفان) اللبنانيـة لنشرهـا •

وفي أوائل الستينات رحل شاعرنا الى بغداد ليلقي فيها عصا الترحال ؛ ويستقر به النوى ، ثم أحال نفسه على التقاعد ، لانه كان متعبـا من تكاليف الحياة • وقد كان يتردد على كربلاء لتجديد العهد مع أقربائه وأصدقائه •

وفي خلال اقامتي ببغـداد (١٩٦٧ ـ ١٩٧١) للدراسة في الجامعـة ، كنت أراه مصادفة في سوق السراي أو شارع المتنبي أو محل محمود السيد جواد الكائن في باب الآغا • وعندما تدعو الحاجة الى لقاء آخـر فانه يضرب معي موعدا فيفي في الموعد ولا يخلف مطلقا ، حيث نجد عدم الوفاء في تأدية الوعد صفة تلازم الكثير من الناس ، وهذه تعتبر سجية من سجاياه الحميدة • وكان صائب الرأي ، واثقا من نفسه ، ذا نظرات ثاقبة وآراء قيمة في النقـد والادب ، أحاط أدبه وثقافته بخلق كريم وتواضع جم • وأذكر مـرة انني التقيت به في مقهى تطل على شارع الامين ببغداد ، وقدم لي قائمـة بأسماء مخطوطاته ، اضافة الى ذلك فاجأني بهذا الخبر الطريف فقـال لي : (انتزعت سوق الكهرباء ومعداتها والتحف والهدايا ومـا شاكل ذلـك الشاعر الاستاذ مهدي جاسم انتزع من عالمنا الادبي ليفتتح له محلا في مدينة المنصور ونرجو أن لا يكون ذلك خيبة أمل لمحبي أدبه وشعره) • فاستغربت منه هذه البادرة غير المتوقعة ، لتفصح عن كساد سوق الادب في العراق آنـذاك ، ولكن واقع الحال كان خلاف ذلك ، فانه مضى بعزم قوي في طريق الانتـاج الادبي حتى أيامه الاخيرة • وقد ظل شاعرا ينظم الشعر حتى آخر لحظة من حياته وشهرته قبيل وفاته وقد بدا معافى وفي تمام صحته يزور كربـلاء فنلتقي فـي محل

الاديب الفاضل حسن عبد الامير ، ومن ثم ننتقل الـى مقهى الادبـاء ، حيث كان يشنف أسماعنا ما استجد من شعره ، ويحدثنا عـن جهوده الادبيـة ومتابعاته في شؤون الفكر والحياة ، فيدخل الى نفوسنا المتعة الذهنية .

شاعريتـه

مما لا يختلف فيه اثنان ان الفقيد شاعر لا يجف فيضه ، فشعره عصارة الفكر الحر والموهبة الاصيلة ، وصورة مشرقة من نفسه المنطوية على صور شتى من حياتنا الفكرية ، يغرف منها ويرسلها نفحات عبقة طرية .

يقول غالب الناهي : الاستاذ مهدي شاعر من شعراء كربلاء المعدوديـن وشعره يمتاز بقوة الديباجة وجمال السبك ورشاقـة الالفاظ ودلالـة المعاني فهو أنيق في استعمالاته . لذا ترى في شعره عذوبة القراح أو نفحـة الطيب وللاستاذ قوة خارقة في الابداع والوصف ...) (١) .

أما الدكتور داود سلوم فقال عن مجموعته (الحمأ المسنون) ما نصه : (أما الشاعر المجهول هذا فهو السيد مهـدي جاسم من كربلاء وفيـه عرض شعري لخلق البشريـة ومناقشة الاخـلاق البشرية وبواعثها ونتائجها وهـو متشائم في الطبيعة البشرية وفي حياة الانسان) (٢) . وقـال عـن مجموعته (أفيون وجبال وفاكهة) ما نصه : (وفيه يتسع أفق الشاعر ويزداد اغراقا في الحزن والاسى ، فهو يدعو الى احتقار كل شيء وعدم المبالاة فيما يقال عـن الانسان واغتنام الفرصة وعمل ما يحب الانسان) (٣) .

وللشاعر قصائد متفرقة تضمهـا مجاميعه المخطوطة ، تختـار للقارىء الكريم هذه الآهات التي يتحدث فيها عـن ذاته وعن تجاربه في الحياة ومـا قاساه من الخلان ، اذ يقول :

---

(١) دراسات أدبية ـ لغالب الناهي ج ٢ ص ١٠٩ (كربلاء ١٩٦٠) .
(٢) الادب المعاصر في العراق ـ للدكتور داود سلوم ص ١٧١ (بغداد ١٩٦٢) .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٣ .

كان لي يوما من الايام أحلام تغني
ثم ذابت فوق نار اليأس والقلب المسن
خانني خدني ويا ويلاه من خونة خدني
ضحكت مني الغواني ولكم يضحكن مني
آه من تهشم كاساتي ومن تحطيم دني
آه من ضيعة أحلامي ومن خيبة ظني
أيها اللائم لو تعلم ما بي لم تلمني
أنا مجموعة حرمـان وآلام وحزن
أنا شعر تافه القصد بلا معنى ووزن
انني لحن نشاز دونمـا ذوق وفن
جئت من أمسي احبو مثل لص في دجن
انما أمسي سوط يلهب الاحساس مني
وغدي لغـز معمى بينما يومي تجني
كيف أحيا خلف تاريخي وفي غفلة شألي

وفي قصيدته (أسد بابل) يتحدث عن تراثنا الخالد ، فيقول :

برغـم السنين ورغـم الدهـر ... ورغـم البقـاء ورغم الغير
ورغم الاعاصير فـي فعلها ... ورغم الثلـوج ورغـم المطـر
ورغم الفـرات ومـا كان منـه ... اذا مـا طغى من عظيم الخطـر
ورغـم الحرائـق مـن فاتـح ... يؤججها نقمـة حيث قـر
ربضت كرضوى قوي الاساس ... قـوي البنـاء قـوي الحجـر
شمخت بإنفك نحـو السماء ... وكشرت نابـا كنـاب القـدر
وأنشبت ظفـرك فـي غـادة ... تريـد النجـاة ولا مـن مفـر
ولذت بصمت كصمت القبـور ... وهل كالقبـور تصون الخبـر

الشاعر والادب الفارسي

كان شاعرنا مهدي جاسم يجيد اللغة الفارسية ؛ لذلك مكنته من الاطلاع

على الشعر الفارسي ، وقـد كان من مصـادر ثقافته ، انه لـم يدرس الادب الفارسي دراسة منهجية ، بل انه حاز عليه بطريقة التحصيل الذاتي ، ويعـود سبب اعجابه بالشعر الفارسي الى جزالة ألفاظه ومعانيه الجديدة ، ولعل مـن المفيد هنا ان نذكر ان شاعرنا كان معجبا بملك الشعراء بهار ، وليس مستبعدا ان يكون للشعر الفارسي ككل أثر في شعره ،

أما رباعيات قدس نخعي السفير الايراني ببغداد والشاعر المعاصر الـذي ترجم شاعرنا رباعياته ، فقد اتبع في تعريبها طريقة الصافي النجفي في رباعيات الخيام ، فلم يتقيد بوزن معين ولا قافية واحدة ، لان كل رباعية واحدة قائمة بذاتها من ناحية الفكرة والوزن ، ثم انه عرب كل رباعية بثلاث صور أو أربع صور طمعا في اجلاء معانيها ، وقد أعجب برباعيات حسين قدس نخعي نظـرا لجزالة ألفاظها وعمق معانيها واحاطتها بالتصوف الاسلامي ـ كما صرح ذلك في مقدمة الكتاب ، وقـد ترجم رباعيات الخيـام التي نشرتها له العرفـان يومـذاك ،

فاتني ان أذكر ان الشاعر مهدي جاسم الشماسي كان مولـده بكربلاء سنة ١٩٢٠ م وتوفي يوم ٢٠/٣/١٩٧٩ ودفن في النجف الاشرف ،

ان وفاة الشاعر الشماسي خسارة كبـرى للادب العراقي ، حيث تـرك فراغا كبيرا في الحركة الشعرية المعاصرة ، وحري بوزارة الثقافة والفنون أن تقوم بطبع آثاره خدمة للادب العربي ، ووفاء لذكرى الشاعر الراحل ،

كربلاء ـ العراق　　　　سلمان هادي آل طعمه

العرفان : لـم أزل أذكـر انه في احـدى سفراتي للعراق زارني فـي الامباسادور الذي تحول اسمه الى « السفير » اليـوم وعرض علي خدماتـه وقال لي : أملك هـذه الحديدة اشارة الـى سيارته الصغيرة واني مستعد أن أضعها تحت تصرفك ، فشكرته ،

العلامة شمس الدين في الجامعة الاميركية

الخائفون من طرح الاسلام كمبدأ في التغيير

هم ضحايا العماية الثقافية للحضارة العربية



تحدث نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين أمام حشد من طلاب الجامعة الاميركية حول « الاسلام والتغيير » .

بدأ شمس الدين حديثه بقوله « ان عملية التغيير في المجتمع هي ظاهرة ثابتة ، وقانون من قوانين الكون » . وأشار الى أن الانسان منذ فجر التاريخ استجاب لدعوات التغيير ، فكان يجرب بشكل عشوائي وغير ناضج لصيغة أو نظام ثم أصبح يغير ويتغير في مراحله المتقدمة وفقا لمخطط وصيغ محددة .

تصارع الفلسفة والدين

وحدد مبدأين متصارعين على مدى التاريخ كانت تتم فيهما عملية

التغيير ، هما مبدأ التغيير على أساس فلسفي ، ومبدأ التغيير على أساس الدين . وقال ان التعارض كان وسيبقى قائما : الى من يستجيب الانسان في عملية التغيير ، لمبدأ الفلسفة أم لمبدأ الدين ؟

أضاف : ان الفلسفة تدعي انها تبحث عن الحقيقة ، وهي عرضة لان تقع في تبرير الواقع الفاسد بدعوة انه الحقيقة ، أما الدين ، فهو يعبر عن الحقيقة ولا يقع في شرك الواقع الفاسد لانه جاء لتغييره .

وعاد شمس الدين بالتعارض القائم حاليا بين الفلسفة والدين الى عصر النهضة ، حيث تم حسم الصراع في المجتمعات الحديثة لمصلحة الفلسفة في العالم الغربي ، وأرسى في عقول الناس مفهوما جديدا للدين يسلبه أية قدرة على التصدي ويلغي التعارض نهائيا بحيث لم يعد هناك منهجان ومبدآن عموميان ، انما أعطيت للفلسفة دور صنع الحياة وأعطي للدين دور صنع الموت .

وتابع : أعطيت للفلسفة ان تضع نظام الانسان السياسي وحريته وزيه ومنزله وكل شيء يتعلق بحياته ، وأعطي للدين ان يجعل القبر روضة من رياض الجنة ؛ وأن يجعل الانسان يحلم فيما بينه وبين نفسه في عالم بريء جميل خال من العقد ، وهكذا ألغي دور الدين في قيادة الفكر والسياسة في العالم الغربي ، وألغي دوره كند ومواجه للفلسفة في صنع الحياة وقيادة وادارة عمليات التغيير ، وألغي الاسلام كمؤسسة سياسية وثقافية وفكرية . والفلسفة تحاول ان تجعله تراثا فقط ، وقد ألغت الاسلام كميزان ومقياس للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ، وكمصدر للقانون والتشريع . وحققت هذه الهجمة انتصارات كبرى في العالم الاسلامي لتجعل نموذج المسلم طبق الاصل لنموذج الانسان في العالم الغربي .

وتحدث شمس الدين عن مقاومة الاسلام في العمق لهذه الهجمة من خلال روحيته التي تجاوزت كل المؤسسات الظاهرة للشعوب والدول

الاسلامية ، وجعلته يعمل في الباطن داخل النفوس ويهيء نفسه لقيادة عملية التغيير •

وفي هذا الاتجاه ، أشار الى دور الحضارة الغربية في تغيير الشعب الايراني ، حيث عامله العالم الغربي كأي شعب اوروبي ، وألغى دور الاسلام في التغيير •

وخلص الى التساؤل : هل نبني حياتنا وتكيف مبدأ التغيير وفقا للفلسفة أيا كان نوعها ؟ ام نعتمد في مجتمعات العالم الاسلامي للخلاص على الاسلام ؟

واستطرد : ان الذين يذعرون من طرح الاسلام كمبدأ في صناعة عملية التغيير ، هم ضحايا العملية الثقافية الواسعة النطاق التي اعتمدتها الحضارة الغربية ، واستخدمت فيها سلاح الاعلام والاعلان والتغيير النفسي •

وتساءل أيضا : هل تنجح في العالم الاسلامي عملية التغيير وفقا للفلسفة أو لا تنجح ؟ وأجاب ، لقد جربنا كل الفلسفات ونقول ان التجربة لم تنجح ، وهي تقودنا الى مزيد من التخلف والخسائر والضعف وتشويه حقيقة الانسان فينا ، والى عجز مطلق لانظمتنا السياسية •

وأشار الى التفسخ الحاصل في الدول العربية والذي سيحصل في العالم الاسلامي فيما لو اعتمدت التغيير وفق مبدأ الفلسفة •

الاسلام هو الخلاص

وتابع شمس الدين : نحن في العالم الاسلامي نواجه سؤالا هو هل يقود عملية التغيير في العالم الاسلامي الاسلام كنظام ، أم أننا نتابع تجاربنا الفاشلة ونعطي للفلسفة قيادة هذا العمل ؟ في اعتقادي ان خلاص العالم الاسلامي والعالم العربي بوجه خاص هو ان دور العالم الاسلامي كمنقذ للحضارة ، ودور العالم العربي الاساسي في عملية الانقاذ هذه ، لا يكون الا باعطاء الاسلام قيادة العملية لان الفلسفة فشلت رغم كل التجارب التي استخدمتها •

وأضاف : يجب ان ننزع من فكرنا ، الفكرة الغربية التي تنظر للاسلام، ومصادره الاساسية لنفهم منه انه لا يقودنا الى القبر بل الى الحياة الرضية •

وفيما اذا كان الاسلام قادرا على عمليــة التغيير قال شمس الدين : ان التعامل مع المصادر الاساسية للاسلام ، في القرآن الكريم والسنة ، والفقــه التابع منهما يكشف عن امكانيات كاملة ومطلقة لبناء مجتمع حديث بما يتلاءم مع العلم والتحول الصناعي ، وان كان يتعارض كثيرا أو قليلا مــع مضمون العلاقات السياسية والاجتماعية داخل المجتمع •



نصائح للشبان

من أحد رؤساء الولايات المتحدة السابقين

لا تسهر طويلا واصرف نهارك في الشغل والمطالعة ، استيقظ باكرا ونم في المساء باكرا تجنب مطالعة القصص والروايات الغرامية وعود نفسك عــلى مطالعة الكتب النافعة • لا تكذب أبدا ولا تتدان لاعمال الخسة والاثم ، كن شفوقا على جميع المخلوقات لا تذم أحدا ، كن صالحا واعبــد خالقك وكن مخلصا لاصحابك محبا لوطنك أكثر من محبتك لنفسك • كن لطيفا وابتعد عن المخاصمات ولا تحاول أن تغير مجرى الحديث الرقيق الى جدال عنيف ، كن قليل الكلام فخير الكلام ما قل ودل • لا تؤجل للغد مــا يمكنك عملــه اليــوم •

لا تنفق درهما قبل الحصول عليه ، لا تشتر شيئا لست في حاجة اليــه لكونه رخيصا واعلم أن الكبرياء تؤلم أكثر من الجوع والعطش والبرد معاً• كل قليلا فانه لم يندم أحد البتةلانه لم يأكل كثيرا • لا تجلب المتاعب لنفسك•

كم نحبك أيها الشعر

أنت جسد ألموم كله

بقلم : الدكتور حسين مروة



بدعوة من « ندوة الخميس » حاضر في ١١/١٢/١٩٧٩ الدكتور حسين مروة في قاعة مكتبة بعلبك العامة في موضوع : « نحو أدب جديد » ، في نطاق التعاون بين الندوة واتحاد الكتاب اللبنانيين ، أمام حشد من رجال الادب والثقافة ، والسياسة .

افتتح المحاضرة مؤسس الندوة علي شرف بكلمة شكر وترحيب ، وقدم المحاضر زاهي ناضر بكلمة على « دور الدكتور مروة في حقلي العمل الاجتماعي والعلمي » ودراسة في مجالات « التراث العربي » ، كما بسط ، ايجازا ، مضمون كتابه : « النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية » .

وبدأ المحاضر بالتساؤل :

« ما معنى ان نطلق الشعار أو الدعوة نحو أدب جديد ؟ » •

وقال : « من الخطأ منهجيا ان تتخذ معالجتنا هذه صفة الدعوة الى أدب جديد على وجه مطلق ، فضلا عن أن تتخذ صفة شعار يرفع في هذا الصدد ، ذلك بأن الادب كوجود راهن معطى ، وكائن موضوعي وتاريخي ، يمتنع عن أية دعوة تفرض عليه أن يتجدد » •

« اذا كان الامر كذلك فما معنى اذن ، أن تتصدى في هـذا البحث ، لأدب جديد ؟ » •

وأجاب : « معناه ان هنالك قضية أخرى غير قضية خلق أدب عربي جديد منقطع عن مجرى هذا الادب المعطى الذي نمارسه الآن : ابداعا ونقدا ونشرا وقراءة • معناه تحديدا ان نحاول رؤية نقدية للمسار الذي يبـدو الآن أنـه يقود معظم نتاجنا الادبي الابداعي » •

و « يتحدثون عن أزمـة في مختلف أجناس الادب العربي المعاصر : في الشعر والقصة ، والادب المسرحي والرواية ، على أن أزمة الشعر تختلف عـن غيرها من أجناس الادب اذ أنها ترجـع الى مصدر سلبي ، بينما ترجع أزمـة القصة والروايـة والادب المسرحي ، في مجمل أدبنـا المعاصر الـى مصدر ايجابي • وأعني بذلك ان أزمة الشعر العربي صادرة عن خلل مـا ، في مساره الحاضر ، أما الاجناس الادبية الاخرى فانما تصدر أزمتها من سبب يعود الى قصر المسافة الزمنية التي قطعتها حتى الآن في تاريخ الثقافة الفنية العربية » •

وتوقف المحاضر في « المحطـة الكبرى » : الشعر ، لان طريقتنـا في التعامل مع الاجناس الادبية لا تزال محكومة بعلاقتنا التراثيـة فالشعر جسد الهرم كله ، اذ لا يزال العرب يروونه انه : جسد الهرم بالذات ، والشعر هـو تاريخنا الادبي نفسه ، وهو عمرنا الثقافي كله » •

بسط المحاضر المراحل التاريخية للشعر العربي في مختلف عصوره وخرج الى القول : « ينبغي أن نركز على القضيـة التي تدور حول علاقـة أدبنـا

المعاصر كله جملة وتفصيلا ، قضية العلاقة بين شعرنا وشعبنا في هـذه المرحلة من مسيرة الاثنين في آن » • و « مـا على الشعر العربي الا ان يحدد ذاتـه موضوعيا داخل هذا العالم الجديد فيتساءل كيف يمكن أن يكون داخل هذا العالم ، وان يتعامل مع ناسه وأشيائه وقضاياه ومشكلاته » ، و « الحداثـة الشعرية التي تدور فـي شأنها المعركة في وطننـا العربي هي وليـدة شروط تاريخية موضوعية كما أنها وليدة حركة شعرية ثوريـة وهي بالتالي ضرورة تقدمية للشعر العربي الحديث ، كيما تستطيع استيعاب العالم المتغير الجديد ، والتعبير عنه بطواعية وعمق والتأثير فيه في اتجاه تقدمي ملموس » •

وانتهى الى « اننا اذن مع حركة الشعر الحديث شرط أن يحافظ عـلى العلاقة العريقة والعميقة بين المجتمع العربي وناسه » •

وأوضح « ان ديالكتيك العلاقة بين الفن والعلـم وبين الفن والواقـع تشكل شرطا ضروريا لحياة الفن أولا وشرطا ضروريا آخر لثورية الفن ثانيا • فالاستنتاج الاخـير واضح اذن : ان خروج شعرنا الحديث ، رهـن بثورة جديدة يثور على نفسه ويصحح بها مساره » •

وكانت كلمته الاخير في محاضرته التي استغرقت ساعة ونصف ساعة :

« كم نحبك أيها الشعر ،
كم نرجو ان تكون معنا في هذا العالم ،
كم نحتاج الى الفرح العظيم من ينابيعك ،
كن معنا في هذا العالم أيها الشعر » •

الشيخ محمد جواد مغنية

بقلم : عباس مزنــر



الشيخ محمد جواد مغنية

أفنى عمره وسنين حياته في طلب العلم والدفاع عن الاسلام .. مؤلفاته التي تخطى تعدادها الخمسين تتقد نـــارا ونورا ، شرارها يطـــال المستشرقين المفترين على الدين وغيرهم من المسلمين . والنور ينبلج من بين ثنيات السطور فيوضح المفاهيم ويهدي القلوب الى الصراط المستقيم .

ذاق فضيلة الشيخ محمد جواد مغنيـــة مرارة الحياة وعرف طعمهـــا . ترعرع يتيما منذ الصغر ، دون ملجأ أو معيل . كان ينام دون لحاف أو غطـــاء يأكله البرد وينهش من عظامه فيتقوص جسده وتنطوي ساقاه اتقاء القر .

وينزل الفتى اليتيم (يتيم الام والاب) الى بيروت عله يجد في شوارعها ما يسد رمقـه ويعينه على متاعب الحيـاة • فيبيع القصص ، قصص عنتـرة وغيرها •• ثم يبيع الحلوى بنفسه ويصنعها وبقي على هذه الحال حتى هاجر الى النجف الاشرف •

وهكذا رغم الاشواك التي أدمت قدميه وجرحت جبينه كان يطمح لطلب العلم ، ولذا سعى بكل جهد وقوة من أجل السفر ، ولكن الامور تعقدت من جديد وحالت دون تحقيق الامنية الغالية • كان عليـه أن يدفـع الضرائب المتراكمة عليـه فلم يستطع لفقره وفاقتـه •• عندها ضرب بالقانـون عرض الحائط • استقل السيارة الـى النجف ويمر بأعجوبـة ويخترق الحـدود المرسومة ؛ ويصل الى الارض الطاهرة المقدسة •

« وهناك تبدأ معركة أخرى من معارك الحيـاة • ففي أحد عشر عامـا قضاها هناك يدرس الفقه والاصول ••• على أيدي كبار العلماء ذاق أيضـا طعم الصبر والعلقم فالفقر شـيمة المعممين لا يعرفون من الترف والامتـلاك والبذخ والثراء الا في الصحف والمجلات لـذا تراهم يتندرون فيمـا بينهم ويتحدثون عن الاغنياء ، والحديث عنهم نصف الغنى ـ كما يعتقدون ••

ومع ذلك فقد انكب فضيلة الشيخ على العلم ينهل من ينابيعه عله يروي غليله حتى اذا انتهى من السماع في الحلقة وجاء يوم العطلة غادر المكان الـى المكتبة يبحث وينقب بين طيات صفحات الكتب •

ويودع الشيخ الاخوة والاصحاب بالدموع والحرقة ويعود الـى أرض جبله عامل من جديد وتستقبله بلدة « طير حرفا » فيعيش فيها آمنا مطمئنا ••

وفي الوادي المجاور بجانب صخرة تفيأت بأغصان الشجر جلس الشيخ ـ أكثر أيامه • يطالـع مصطحبا ابريق الشاي والدخان الـى جانب مؤلفات توفيق الحكيم وطه حسين والعقاد ••

ويقيم الشيخ زهاء عشر سنوات على هذا المنوال يتأمل الطبيعة مقلبا صفحات الكتب والمؤلفات فيعجب بغاندي ويقرأ لتولستوي وشبنهور ..

وينتقل علامتنا الى سلك القضاء ليصبح قاضيا في محكمة بيروت الجعفرية عام ١٩٤٨ ، وبعد سنة يعين مستشارا الى ان يصل الى مرتبة رئيس بالنيابة في المحكمة .

وهنا تبدأ العراقيل فيقف الشيخ في وجه بعض الزعامات التي حاولت ادخال أناس غير مؤهلين الى سدة المحكمة ، ويطالب الشيخ بضرورة خضوع هؤلاء لامتحان خاص فيجابه بالرفض وتنقلب عليه القيادات السياسية فلم يتراجع لكنه ينفض عنه ضجيج الحياة وصخبها ويبتعد عن أجواء المجادلات والمناقشات التي كان يملها وتحن نفسه لاجواء « طير حرفا » ويؤثر الانطواء على نفسه عله يكتب ما يضطرب في قلبه ومشاعره . ويمسك علامتنا بالقلم ويخط السطور حتى يخرج للعالم الاسلام جملة من الكتب شملت مواضيعها كل نواحي الحياة .

كان رحمه الله يتميز بسعة الاطلاع والحب الشديد للمعرفة ، لقد كتب في الفقه (الفقه على المذاهب الخمسة) والتشريع والاجتهاد ، وألف في الفلسفة والعقل والالحاد (عقليات اسلامية) كما تطرق أيضا الى السيرة والشخصيات الاسلامية وآخر ما كتب « تفسير الكاشف » تفسير القرآن الكريم .

كان يبحث وينقب ١٦ ساعة يوميا وأحيانا كان يصل الليل بالنهار للدفاع عن الاسلام والدعوة الى العدالة والحرية .

هنيئا لك . هنيئا لك اليوم بسباتك العميق أيها الشيخ الفضيل .

اللـواء عباس مزنـر

العرفان : وقد أقيمت للفقيد حفلة كبرى في الاونيسكو تكلم فيها كــل مــن السادة :

سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية ــ الشيخ حسن خالد

سعادة رئيس الجامعة اللبنانية ــ الدكتور بطرس ديب

سعادة نقيب الصحافة ــ الاستاذ رياض طــه

عن أصدقاء الفقيد ــ الدكتور حسن عواضة

اتحاد الكتاب اللبنانيين ــ الاستاذ أحمد أبو سعد

دار العلم للملايين ــ الدكتور عمر فروخ

سماحة نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ــ الشيخ محمــد مهدي شمس الدين

عن عائلة الفقيد ــ عبد الحسين مغنية

وذلك في ١٩٨٠/١/٢٠

وللعرفان صلات وثيقة بالفقيد الراحــل ، وهي ومؤسسها أخذا بيــده وساعداه على اقتحام العقبات وسنوالي الكلام عنه في أعدادنا القادمة .



بولس سلامة

أدبه ، حياته ، وفاته .



بولس سلامة ابن الجنوب ليس أديبا ألمعيا فحسب ، بل انه جمع المجد الادبي من أطرافه ، كان كاتبا قديرا ، وشاعرا رفيع المستوى وخطيبا أطاعه البيان ومحدثا يشار اليه بالنبان . نترك الكلمة عنه لغيرنا ممن عاشروه وعرفوه أكثر منا .

مع تقديم تعازينا الحارة لانجاله وللادب والادباء ، وان من حقه علينـا أن نفيه حقه فقـد شاركنا في أفراحنـا وأتراحنا ، فكان مثال الوفـاء ، في اليوبيل الذهبي لمؤسس العرفان كان له كلمة من أحسن الكلمات وفي احدى الحفلات التذكارية بالاونيسكو كان له قصيدة رائعة • والـى القارىء بعض ما قيل فيه مع نبذة من حياته نشرتها كلها زميلتنا النهار •

في العاشرة قبل ظهر ١٥/١٠/٧٩ في كنيسة مار يوسف ـ الحكمـة شارك في الصلاة لراحة بولس سلامة النائب البطريركي المطـران رولان أبو جودة ومطران بيروت أغناطيوس زيادة ولفيف من الاكليروس ؛ ومثل رئيس الجمهورية محافظ بيروت المهندس متري النمـار وحضرها الوزيران يوسف جبران وبهيـج تقي الديـن والسيد سمير خوري ممثـلا وزارة الخارجيـة والمغتربين والنائب ادمون رزق ووفد من الجامعة اللبنانية الثقافية في العالـم وجمهور من المعنيين بشؤون الفكر •

وقرأ الاب بولس صفير حافظ المكتبـة البطريركية كلمـة البطريركية المارونية وجاء فيها :

« أديب كبير ، وشاعر مطبوع ، ووطني صميم ، وقاض نزيه ، ورجـل أوجاع ، هذا هو الوجه الذي يغيب اليوم عـن نواظركم ، ولم يغب هـذه السنوات الاخيرة عن مسرح الاحداث ؛ فظـل في عين الرمانة ، يـوم كانت هدفا للمدافع والرصاص •

كان المرحوم الاستاذ بولس سلامة من رجال القضاء البارزين الذين ما رعوا في ما أصدروا من أحكام الا شرعـة الحق والعـدل ولا استجابوا الا لداعي الضمير ، وسلخ من حياته على منصة القضاء سنوات طويلة ، وتقلب في مناصب قضائية عـدة ، تميز فيها جميعا وهـو يوزع العدالة بـين الناس ، بالاستقامة ورجاحة الرأي ونفاذ البصيرة وقوة الحجة •

وكان الى تبحره في القانون أديبا كبيرا ، جليسه كتابه وسميره قلمـه • فوقف، القسم الاكبر من حياته على تعاطي صناعة الادب ، وتميز بدقـة التعبير

وعنى الايحاء وتخير الالفاظ ؛ وقرض الشعر ، كان ينبع عنده من شعور فياض بما حوله من جمالات الطبيعة ومآسي الناس وعبر التاريخ . فكان البيت عنده عامرا متين القافية واضح الاداء . وكانت قصائده مطولات تنبض بالحياة وتزخر بسحر البيان ، كما كانت له محاضرات ومناظرات ووقفات على المنابر في لبنان وفي الاقطار العربية قوبلت جميعها باعجاب كبير . ووضع الى جانب ذلك مؤلفات عدة قيمة ، أبرزها نثرا : « مذكرات جريح ، وحكاية عمر ، وتحت السنديانة ، وخبز وملح » ، وشعرا : « عيد الغدير ، وعيد الرياض » . وفي الفلسفة « الصراع في الوجود » . واتسم فكره بالعمق وعبارته بالسلاسة وأسلوبه بالسهولة . فكان شاعرا مثله ناثرا ، يرتفع الى مقامات عالية قلّ الذين يجارونه في مضمارها .

وكتب الله للفقيد ان يكون « أيوب عصر العشرين في لبنان » ، وأن يذوق من الآلام قلّ من ذاقها . فظل ما يقارب الاربعين سنة طريح الفراش وأجريت عليه في أثنائها ثلاث وعشرون عملية جراحية ؛ فتحمل آلامها المبرحة بصبر المؤمن ، واستنبط من جرائها فلسفته في الحياة ، وأشركها بآلام المخلص على الصليب ، ووجد في غمرتها ما مكنه من التعالي عليها وهو ايمانه الشديد بربه ، وبجدوى الآلام التي كانت دائما ينبوع الهام لدى أمثاله من الموهوبين . ولقي من قرينته الفاضلة وأبنائه من ضروب العناية وبالغ الرعاية ما هون عليه نكد العيش وخفف عنه بلواه ، وأثلج صدره ان رآهم يحتلون مراكز رفيعة في عالم الادارة والمحاماة والتجارة والعمل الوطني (..) وسيبقى للاجيال الطالعة احدى المنارات الهادية الى طريق الحق والخير والجمال (...) » .

بعد الصلاة وقبول التعازي في باحة الكنيسة ، نقل النعش الى بتدين اللقش حيث ووري .

كلمة العلايلي

حتى العبارة تموت أو تغص فلا تبين • تلك هي قسوة الفجيعة • وهل شهدت موت العبارة ؟ انك اذا عند مشهد قريب من كنه ما يختلف على نفسي •

شق علي ، نعيك ••• فانا كلما حاولته محاولة القلب ، كانت الحروف تتبخر بين القلم والقرطاس ، لتعود أسى ينعقد أو دمعا ينهمر • فرجعت منك بغصتين : يوم قال الموت فيك ، ويوم أردت أن أقول عنك •••

لن يستقيم لي رثاؤك ، فأنت تعلم أني لا أطيق • فالذي يجمل الفجيعة هيهات أن ينهض بعبارتها ، فكيف لي بأن أشرع للناس مكنون قلبك ، وما انعقد عليه معناك ، وكان ماء المزن طهرا ، وفوح الزهر طيبا وعطرا •••

ولعلك تدرك من وراء هذا الجدار ، الذي نضعه حدا للحياة ، ان الموت قد قهر بك اخوانا واخوانا ــ وعفوك ، فما أنا بمحدد ، فقد كان الناس كلهم اخوانك ــ بأكثر مما قهر عليك ، هيكلا ، هو التراث الذي يسعى وكان للحياة بأعجوبة •••

هنيهة وبعضها كان لي من عمرك ، فعرفتك وما كان طويلا ، ولقيتك وما كان كثيرا • وفي حس القلب أي شأن للزمن الذي يحتضر بجبروته عند عتبته ، فقد انقلبت وكأن أمسي ما اتسع الا لك ، وكأن يومي ليس يعي الا ذكراك •

هي هنيهة ولكن ــ مما تركت في حس نفسي ــ بت أشعر لكأنما هو عمري كله جاء في مقدار هنيهة •••

أبصرني فقدك أن لبعض الموت كبرياء تجسد دون عتباتها كل كبرياء مترفة مما تعرف أوهام الناس :

كادح يموت في ثوب العمل ،

وجندي يموت في ثوب المعركة ؛

وأديب يموت الكلمة تنحدر عن أنامله •

وملاح يموت وهو يمسك الاعصار كما يمسك الشراع ••• هؤلاء يلاقون حتفهم بكبرياء لانهم عرفوا كيف يحملون الواجب بكبرياء ، فأية كبرياء كان موتك ، وأنت ذلك الاديب وذلك العامل وذلك الجندي وذلك الملاح •

كنت في هيكل الوطن كالذي يصلي ومعنى الله في صلاته أكبر صلاته ، فوق آخرين أكبر معنى الله في أنفسهم حظ أنفسهم • فصلاتهم في معبد الوطن رجس ، وصلاتك في معبد الوطن قدس •

ما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد قلت في حفل تكريمك سنة ١٩٤٧ :

كبير أن نزعم أننا نكرمك ، والوطن ؛ الوطن بكل ما فيه ، انما يجد الكرامة في الناس بأمثالك •

ثم ما الوطن ؟ ما امتيازه ؟ ما كبرياؤه ؟ ان لم يكن هذه الحبات في سنابله التي هي لنا وللناس الخبز اليومي •

عبد الله العلايلي

واجه قدره « كلمة الياس اديب » :

كان بولس سلامة من الرعيل اللبناني الرائد ، سواء على صعيد الشعر ، أو النثر ، أو المحاماة ، أو في سلك القضاء الذي عرفته منابره جنديا أمينا من جنود العدالة ، في لبنان .

ويرقى عهد صداقتي ببولس سلامة ، وأمين نخلـة ، وغيرهما من كبـار شعرائنا الى أوائل هذا القرن ، حين كنا نجوب معـا أندية الفكر والمجتمع ، ونسهم في الامسيات والمهرجانات والمحاضرات ، حيث تميـز بولس سلامـة ببلاغة خطابية ، وقوة حجة ، وتألق شخصية ، لم يتيسر مثلها الا للقلائل مـن جيلنا والاجيال اللاحقة .

وقبل أن يبدأ بولس سلامة رحلـة المأساة الايوبية التي جعلت مشارط الجراحين تتداول جسده أربعا وعشرين مرة في أربع وعشرين عملية جراحية ، كان بولس شاعر قصيدة ، مقلا ، وانه رائعـا . ولكنـه ، في خضم المأساة ، أحس بمثل التحدي المصيري الـذي جعله يواجه قدره ، وهو شبـه مهيض الجناح ، فاذا سلاحه قلم ، واذا ابداعه يتفجر ملاحم شعرية هي الاولى مـن نوعها في الادب العربي القديم والحديث .

وهذه ملاحمه « عيد الغدير ، وعيد الرياض » ، ثـم مطولته « عيـد الستين » ، وقصائده الباقية المفعمة بأنفاس البطولة الملحمية تشهد لـه جميعا بالريادة والتفوق .

وأما نثره الذي داخلته لطائف الفلسفة ، وانعكست على سطوره أصداء الثقافة المتعددة المناهل التي تحلى بها بولس سلامة على أسمى مستوى يتحلى به مثقف أو حامل قلم ، فهو يكاد يوازي شعره ، لا بل أستطيع التأكيـد ان بعض نثره يبلغ شأوا أبعد مدى من شعره ، على روعته ، وبلاغته .

واذا كان الرجل رافق مجلة « الاديب » منذ خطواتها الاولى ، حتى أيامه الاخيرة ، وأسهم في تحرير بعض أعدادها ، وشارك في تكريم صاحبها ، فان ذلك كله لمما يجعلنا نحس بالحزن العميق للخسارة التي مني بها لبنان ، وهو يودع علما من أعلام فكره ، ورائدا شامخا للشعر الملحمي العربي •

البير أديب

نبذة من حياته :

ولد في بتدين اللقش عام ١٩٠٢ ، تلقى علومه في معاهد الاخوة المريميين ومدرسة الحكمة وتخرج محاميا في جامعة القديس يوسف •

سار في مناصب قضائية عالية • صاحب أكثر من ٢٠ مؤلفا في الشعر والادب والفلسفة ، أبرزها نثرا : مذكرات جريح ، حكاية عمر ، تحت السنديانة ، خبز وملح •

شعرا : عيد الغدير وعيد الرياض ، بواكير الشعر الملحمي في اللغة العربية •

في الفلسفة : الصراع في الوجود •

يحمل وسام الارز اللبناني من رتبة ضابط وأوسمة دولية رفيعة •

عضو في مجامع علمية وأدبية وعالمية •

اشتهر بانفتاحه على المجتمع الانساني عبر الاديان السماوية التي احترمها وأفرد لها جميعا آيات من التقدير في مؤلفاته •

محمود الادهمي



فجعت الصحافة اللبنانية عامة وطرابلس خاصة بوفاة الزميل العزيز الاستاذ محمود الادهمي صاحب جريدة الانشاء الطرابلسية ، لنا العزاء بأنجاله وان الانشاء مستمرة بالصدور ، تعازينا الحارة لانجاله وآل الادهمي وهذا ما كتبه عنه الدكتور أمين الحافظ :

عصامي وأصيل استجاب الى نداء الوطن قبل ان يناديه • ودخل معمعة القلم والنضال منذ البداية ، فتجلت نباهته واستفحل أثره وحسب له ألف حساب •

ومنذ ربع قرن أسس الانشاء ، فاذا بها صوت مدينته الداوي في آذان الحكام والمواطنين ، واذا بها تتحمل مسؤولية ربط طرابلس بلبنان ، وتساهم بهمة ربط لبنان بالعروبة • تصدت لمشكلات انماء مدينتنا اجتماعيا واقتصاديا فنشرت الدراسات الجدية الرصينة وقرعت المسؤولين المحليين واللبنانيين لدى كل تواهن أو تقصير وعقد محمود الصداقات اللبنانية والعربية من أجل خير مدينته •

لقد كان منذ ان أسسها رفيقا بها ورفيقا لها . كافح الايام وسهر الليالي بمفرده في مكتبه ، كي يتيح لاولاده فرصا حرمه الدهر وهو في سنهم من نيلها ، حتى اذا ما تفتحت الاكمام وأينعت الثمار ، بت ألمح بريق السعادة في عينيه وأشاركه الهناء كلما تطلعت الى أشباله النجباء الاوفياء . فلقد انشأهم على حب الخدمة العامة وعلى تعشق الصحافة الرائدة العفيفة . وهو يعايشهم معايشة الصديق قبل الاب ، يحترم رأيهم ويتفهم مشكلاتهم ويتجاوب مع تطلعات عصرهم .

اذا كان محمود قد نجح في أسرته الصغيرة الادهمية ونجح في أسرته الكبيرة الطرابلسية ، فان هذا لخير دليل على ان باب النضال والعمل المثمر مفتوح في هذه المدينة، بل ان كل مجتمع يعاني من معضلات وتنقصه مكتسبات ومنجزات فانه بالتالي لديه للخدمة والتفاني مجالات ومتسعات .



أضخم اعباء الحياة

كان الفيلسوف البريطاني الشهير برتراند راسل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) ، يحمل فوق كتفيه آلام وأحزان البشرية كلها .. تلك الآلام التي قضى حياته في محاولات لتخليص العالم منها .. ولكنه كان سعيدا بهذا العبء الذي ظل يحمله ، وخاصة عندما كان يحس بأن هناك صوتا يستجيب لندائه كلما دعا الى السلام ونبذ العنف !

سأله شاب صغير يوما : « قل لي يا مستر راسل ، ما هو أكبر عبء يحمله الانسان في هذه الحياة ؟ » .

وراح الفيلسوف الكبير يفكر برهة ثم قال : « عندما يشعر الانسان يا بني انه لا يحمل عبئا على الاطلاق !

فالفراغ هو أضخم حمل في حياة الانسان رجلا كان أم امرأة !! » .

الدكتور ريـاض شهاب



لصيدا وصور في التاريخ مآثر وأمجاد وبطولات ، ولذلك لا عجب اذا ما ظهر بين الفينة والفينة أفراد برزوا في العلم والادب والوطنيـة الصحيحة ، مثل المرحومين الشيخ حسن الاسير والشيخ محي الدين الخيـاط والنابغـة الشيخ محمد علي حشيشو الـذي توفي في الحـرب العظمى وكان في ريعان الشباب والشهيد توفيق البساط ، وأخيرا الدكتور رياض شهاب ، حلق فـي الوطنية الحقة ، وكان في طبـه ممتازا ، وانسانيا يعطف على الفقير ويساعد المحتاج • أما في المقاصد الخيرية فله فضل لا ينسى ، وقاها العثار ، وسار بها الى الطريق القويم ، وبقيت صامدة رغم الرياح التي انتابتها ، وقد ترك شغله في عيادته وانصرف اليها بكليته • وفي القضايا الوطنيـة كان صادقا مخلصا ، عرفناه في صيدا وفي خارجها ، في الاجتماعات والمؤتمرات العربية والاسلامية، كان لا يحيد عن الحق ويبقى صامدا للنهاية ، مهما كانت المغريات ، وقد أقيمت له حفلة تذكارية في الساعة العاشرة من صباح ١٦/١٢/١٩٧٩ تكلم فيها عدد من الخطباء بينوا أعمال الفقيد وخدماته وتضحياته وهم السادة :

ــ كلمة الهيئة العامة لجمعية المقاصد الاسلامية في صيدا : رئيس الهيئة العامة المهندس بهاء الدين البساط .

ـ كلمة المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى : سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد

ـ كلمة المجلس الاداري للمقاصد : عضو المجلس الاداري الاستاذ عاطف النجيلي

ـ كلمة نقابة الاطباء : أمين سر النقابة الدكتور حسني المجذوب

ـ كلمة قدامى المقاصديين : الاستاذ منيف لطفي

كلمة خريجي المقاصد : أمين عام الخريجين الدكتور يوسف الجباعي

ـ كلمة مدارس المقاصد : مدير الثانوية الاستاذ حسين الشريف

ـ كلمة آل الفقيد : الاستاذ محمد شهاب

ونأسف اننا لم نتمكن من حضور هذه الحفلة نظرا لغيابنا عن لبنان ، ونقترح تسمية شارع في صيدا باسمه واقامة تمثال له .

تعازينا الحارة لنجلي الفقيد المحامي محمد والدكتور هيثم ولأرملته وكريمته وهم خير خلف لخير سلف . نسأل الله الرحمة الواسعة للفقيد الراحل جزاء حسناته ، ولهم الصبر والسلوان .

* * *

الشعر الحديث

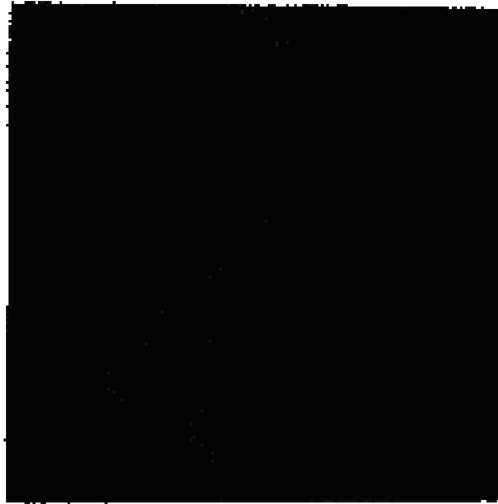
عجبت لقوم جددوا الشعر ضلة ... فجاءوا بشعر « سائب » متناثر
تجافوا به عن كل معنى وفكرة ... كأن المعاني حجبت بستائر
ويصغي اليهم سامع القوم سائلا ... أذلك شعر أم تعازيم ساحر

العوضي الوكيل

طيور الكتاب

بقلم : الشاعر القروي

في أثناء جلسة يوم ٢٦/١/١٩٨٠ لمؤتمر الكتاب الصباحية قدم رئيس الجلسة الدكتور نزار الزين الشاعر اللبناني المهجري الكبير رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) الذي شاء ان يدعم المؤتمر ويسانده بحضوره بالرغم من أعوامه التي تنوف على التسعين . وحيا الخوري المؤتمر والكتاب الحاضرين والغائبين ، وقال انه اتفق له بعد غياب عن الشعر طويل أن كتب أبياتا تصور واقعنا المرير ، وقد عنونها « طيور الكتاب » :



طيور الكتاب حججنا الحمى — عصائب من كل صوب وحدب
ليسقننا من الهوى لوحات فن — وباقات فكر وروضات كتب
ولما دنونا من البيت حولن — ابصارهن وصحن برعب
لماذا لماذا وماذا جرى — لك يا خير ارض وشعب
اذا وجه بيروت ام الحضارة — مبدعة الحرف كلا وربي ؟
اكل الظلال خراب ونهب — اكل المطارح ساحات حرب
شياطين قنص على كل سطح — ملائك صرعى على كل درب
ولا بسمة من اخ لاخيه — ولا صلة بين شرق وغرب
فهل ذهب العقل من الراس — وهل نضب من كل قلب
ولم يبق غير عداء وبغض — وفتك الاشقاء بعض ببعض
الهي لماذا وماذا تولاك — يا خير شعب ويا خير ارض

لقد ذبح الارز ذبح الخروف — وفيرت جماجمه بالالوف
بكل سماء أرض تطوف — وكم من رفوف اوت للكهوف
الهي لماذا ومباذا تولاك — يا خير شعب ويا خير أرض
يعيد الرفيق الحزين الكتاب — ليفهم كيف فقدنا الصواب
واقلامنا كيف امست سرابا — وكيف وكيف نبذنا الكتاب
وكيف وكيف انغلبنا ذئابا — نمد الى الفتك ظفرا ونابا
ولكنني لا احيل الجواب — وانفض راسي حياء ونمضي
لنبكي معا خير شعب وارض

الشاعر القروي

* * *

ما جاء بك ؟

كان ابو جعفر المنصور أيام بني أمية يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث ، فلما أفضت الخلافة اليه قدم أزهر عليه ، فرحب به وقربه ، وقال له : « ما حاجتك يا أزهر ؟ » قال : « داري متهدمة ، وعليّ أربعة آلاف درهم ، وأريد تزويج ابني محمد » ، فوصله باثني عشر ألفا ، وقال له : « قد قضينا حاجتك فلا تأتنا طالبا » ، فأخذها وارتحل وبعد سنة أتاه فلما رآه أبو جعفر قال : « ما جاء بك يا أزهر » قال : جئتك مسلما ، فأمر له بصلة وقال : « لا تأتنا طالبا ولا مسلما » .

وبعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر : « ما جاء بك يا أزهر ؟ » قال « أتيت عائدا » فأمر له بصلة ، وقال « لا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا » .

فلما مضت سنة أقبل فقال له : « ما جاء بك ؟ » قال : « دعاء كنت أسمعك تدعو به ـ يا أمير المؤمنين ـ جئت لأكتبه » فضحك ابو جعفر وقال: « إنه دعاء غير مستجاب وذلك اني دعوت الله به ان لا أراك ، فلم يستجب لي ، وقد أمرنا لك بصلة ، وتعال متى شئت ، فقدأعيتني فيك الحيلة » .

موجهة إلى مؤسس العرفان

يعز على الكمال

شعر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

الى كم انت تضحك في عبوسي ... وتؤنسني وما بك من انيس
درستك يا كتاب الكون حتى ... عرفت رموز سحرك في دروسي
ابيت سوى عداوة كل حر ... وغير مودة الوغد الخسيس
تموه بالحقائق كل وهم ... وما لك بالحقيقة من مسيس
تنافس يا زمان على الدنايا ... فما بك في الحقيقة من نفيس
فكم ضمنت طروسي فيك علما ... ولا علمي افاد ولا طروسي
كاني بالكتابة من علوقي ... اسود جلد وجهك بالنقوس
تقيس لي الليالي كل هول ... يماركها اصطباري في خميس
فشانني بالليالي ان اقاسي ... وشانك يا ليالي ان تقيسي
تعست فكم اخي جهل سعيد ... لديك وكم اخي فضل تعيس
وكم بي منك من داء دخيل ... رسى قدما على وجد رسيس
براسي حكمة تابى خضوعا ... لمرؤوس بحكمك او رئيس
احس بضجة في الكون تعلو ... وما الصدق فيها من حسيس
اذا لم الف صدقا من صديقي ... عسيت ترحلا وركبت عيسي
تنافست الورى في السبق لكن ... تنافسهم على غير النفيس
تنافس لا على املاء علم ... شريف بل على املاء كيس
سقتهم نشوة الدنيا كؤوسا ... فهم صرعى بهاتيك الكؤوس

* * *

يعز على الكمال (ابا اديب) ... سراك فديت من سوء وبوس
برغم المجد سرت وانت شهم ... مسير الليث ما بين التيوس
بيتك قد كبست وانت فرد ... كفذ اليوم في العام الكبيس
فلو اني بلغت بك الاماني ... فديتك بالنفيس وبالنفوس
فيا بدرا تنقل في بروج ... وتحسبه تنقل في حبوس
ويا ليثا ثوى في خيس غاب ... وغاب علا عن المثوى الخسيس

فالاسياف بعـد الغمـد سـل يسيل نعـاء حاميـة الوطيس
ومن بعـد السرار البدر يبدو ومن بعد الدجى الـق الشموس
ومـن ينهض لنصر الحـق يلقـى لـه العقبات كاشرة الضروس
وتلك شريعـة فـي الكون امست على الاحـرار نافـذة الطقوس
تسود على الاسود الرخـم فيـه وتستعلي الذيول عـلى الرؤوس
فلـو تبـدو الحقائـق عاريـات وتالقـي مـا عليهـا مـن لبوس
لكنت رايـت انـك في نعيـم نعـم وسـواك فـي عيش بئيس
سلمت وساتجاتك فـي سـعود بـوارح للاعـادي فـي نحوس

سنة ١٩١٢ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

★ ★ ★

بين ابي ذر الغفاري وعثمان بن عفان

أوفد عثمان بن عفان رضي اللـه عنه بعطيـة من النقود الى أبـي ذر الغفاري مع عبد له وقال له :

ان قبل منك ابو ذر الغفاري هذه العطية فأنت حر لوجه الله ، فتوسل العبد الى أبي ذر ، وقال له : تقبل هذه العطية من أمير المؤمنين يا أبا ذر ففيها عتقي ، فنظر اليه أبو ذر نظرا شزرا وقال له والله ان كان في قبول هذه العطية عتقك فان فيها رقي •

أمين نخلة

شعر : حارث طه الراوي

هجع الزهر ، فاستفاق العبير ... وانطوى كوكب لينشر نور
رقدة العبقري امضى من المو ... ت ، وكم صارع الحمام كبير
سنة الله أن يعيش اخو الفض ... ل وتطوي اخا الخمول القبور

* * *

قد نعاه الناعي ، ولبنان نار ... تتلظى ، واين منها السعير
وسيول الدماء تطفى على الار ... ز ويطفى عليه دمع غزير
صوت ناعيه غاب في ألف صوت ... راح ينعى ، وكل صوت جهير
أيموت الامين في ضجة الهول ... فلا يجهش باك ولا يرف شعور ؟!
آه لو مات قبل موت بني لبنا ... ن لامست تبكي عليه الصخور !

* * *

فقد العرب في الامين عظيما ... تتغنى بما اجاد الدهور
كلما فاخر الفرنجة يوما ... بعظيم فنحنا اليه نشير
ورث ابن الرشيد(١) مجد ابن بحر(٢) ... وغزا العصر زهره المظور
زان ام اللغات بالنثر يزري ... بعقود تزهو بهن النحور
يشحن اللفظ بالدعابة حتى ... يرقص اللفظ تارة او يطير !
كلف بالبليغ من اشرف القو ... ل وكم هز قوله المأثور

* * *

اكبر العصر معجزات أمين ... وهي ــ اذ تبهر الجميع ــ سطور
كان في الشعر من بقايا فحول ... انجبتهم الى الخلود العصور
كالشريف الرضي اذ يسكب القلـ ... ـب نسيبا بكل قلب يفور
تشتهيه مجالس الادب العا ... لي وتهفو الى لقاه الخدور

---

(١) رشيد نخلة .
(٢) الجاحظ .

اين ايامنا التي قد توارت وانطوى زهرها ليبقى العبير ؟!
يوم كان القريض خمرة دن ذاك يحسو منها وهذا يدير
لست انسى والندامى يصبو ن وكنت الساقي ومنك السرور
لست انسى والطرائف تترى منك والانس في النفوس امير
كم جلسنا ، وكم شربنا وكم با ح فؤاد وكم تسامى شعور
ذهب الصحب وانطوى عهد شعر ذهبي وسال دمع غزير

بغداد حارث طه الراوي

★ ★ ★

استقلال لبنان

اليوم ادرك قيمة استقلاله شعب ينوء بطغمة استغلاله
اليوم في ذكراه .. يذكر من سعت للنهب والاثراء .. في اهماله
هي طغمة مات الضمير بصدرها فبنت سعادتها على اطلاله
تعطيه من طرف اللسان حلاوة لتزيد بالتخدير في بلباله
وتمده بالامنيات تعلة وتضيق الحلقات في أغلاله
حتى اذا ضمن السبيل لعيشها بتحكم « الزعران » في احواله
قلبت له ظهر المجن فاهملت ما يبتغيه وتاجرت بنضاله
حنثت بما يقضي الوفاء اداءه ومشت بلا عطف على آماله
وتلفت الشعب الابي فلم يجد أجدى له من كفره برجاله
الهادفين من السياسة مغنما والمتهين بحالهم عن حاله
من كل ذي وجهين .. عز مثاله لا اكثر الرحمن من امثاله
في حماة الشهوات اغرق ذاته ومناه كل مناه وفرة ماله

الاتقاد

★ ★ ★

الى صديقي الاستاذ محمد شرارة

شعر : خضر عباس الصالحي

((شرارة)) يا اسمى خليل وصاحب ... تجليت في الآداب افصح كاتب
وانك في صوغ المقالات طالما ... صعدت بما ابدعت اعلى المراتب
وحزت بفضل الجهد صيتا وانما ... لمعت بافق الفكر لمع الكواكب
تطرز بالمعنى الشرود خرائدا ... وتعكس فيها رائعات التجارب
وتشعل فكرا رحت تومض نوره ... بما تدخره من عظيم المواهب
يراعك شمس كلما هي اشرقت ... تمزق بالاضواء قلب الغياهب
صنعت من الافكار سيفا بحده ... قطعت رؤوس المارقين الثعالب
وحطمت اصناما بمرقمك الذي ... يهدم ما تبنيه ايدي التكالب
اذا الحق يوما قد تعرض للاذى ... فانك عنه كنت اقوى محارب
وهبت ضحايا الظلم فكرا مقاتلا ... فكنت ببذل الفكر انبل واهب
تدافع عمن لم يجد قوت يومه ... ويحيا حياة البؤس بين الخرائب
تطالب يوما بالرفاه لكادح ... وقد حقق اهداف كل مطالب
سلكت طريق المجد غير محاذر ... بما صرت تلقى من شديد المصاعب
تحديت ما قاسيت من زمن غدا ... يعاني به الاحرار ادهى المصائب
وتلت بما جسدت من ثورة النهى ... وحرية التفكير شتى الثوائب
وما ضاحت الاصقاع منك لفرصة ... ونفسك لم ترضخ لشر القالب
ومن سانه الحق الصراح فانه ... يذوق من الاشرار سم العقارب
ومن سار في درب النضال هوى به ... الى وهدة الالام هول المتاعب
ونال من الاتعاب ما يزدرى به ... من الظلم الثابي وسوء المثالب
وانت الذي واصلت سيرا ما انثنت ... عزيمتك القصوى لكيد الاجانب
الى الهدف الاسمى تغذ ركابنا ... ورجلك انعتها بثوب المخالب
ومذهبك الفكري ملتزم به ... وغيرك اضحى دمية للمذاهب
وكم من اديب باع في السوق ذمة ... لصفقة مال او لقنص مناصب
ستزحف من هذي الجموع مواكب ... الى غدها المأمول اثر مواكب
وتبذل حتى الروح دون تخاذل ... لتنجز للاجيال اغنى المكاسب
هو الصدق في التعبير املى قصيدتي ... وان افتعال النظم ديدن كاذب
سكبت شعوري واصطراع عواطفي ... بشريان شعر صادق البوح لاهب
اصور في معناه خلق ((محمد)) ... وما لي سوى تقييمه من مآرب

بغداد ... خضر عباس الصالحي

ثـورة الخطايـا

شعر : حسون البحراني

عبي كؤوسك واشربي حمم المساوىء والخطيئة
وتمرغي بدم العفاف عفاف نبتتك البريئة
الاثم لوح في يديه لحمأ البغي الدنيئة
فطوى بساعده الاشل طوى معانيك الوضيئة

***

يا بسمة الفجر عذراء الخواطر والميول
رف الصباح العبقري لها ورف دم الاصيل
طافت على ثغر السنا المخمور بالحلم الجميل
ماذا عرى الزهر الندي فصوحته يد الذبول
غصت حياتك بالانين المستفيض وبالجراح
وتضامنت دنياك الا عن تـداء مستباح
فقست على طهر الخميلة واستخفت بالأقاح
ومضت خطاياها تشل من الصباح خطى الصباح

***

لمـا أفقت وكانت الدنيـا بموكبها تغني
كان الشعاع الغضي يبسم للرؤى بفم التمني
فيغص بالخلجات قيثاري ويجهش فيه لحني
أفتبصرين شبابك الريـان لوثه التجني

***

يـا نفحة سكر الزمان بعطرها المتضوع
وغفت بمكناه الطيوف السابحات فلم تعي
وتناثرت غرر الاماني على رؤاك فرجعي
ترنيمة الوتر المجرح من شظايا الادمـع

***

من ذا رماك لوهدة الاوحال يا نفح العبير ؟
هل غير حاجات الحياة وواقع جهم المصير
لا تعبأي بالكبرياء ومزقي ثوب الضمير
الكأس محموم اللذاذة فاترعي أو لا فثوري

سوق الشيوخ ــ العراق حسون البحراني

***

الصديـق

لسلمان هادي الطعمة

يعيش الفتى في ذي الحياة مجربا صديقا تجلى سيئا او مهذبـا
فنعم صديق الود في الدهر طالمـا يصون اخـاه في الملمات ان كبـا
وبئس قريـن السوء آن فعالـه تريك حيـاة الهـم مهما تقربـا
فعاشر صديقـا بالحجـى متالقا يشع باعمـاق الدجنـة كوكبـا
وكل صديق طـاب خلقا ومحتدا به يتغنى الكـون شرقا ومغربـا

كربلاء ــ العراق سلمان هادي آل طعمة

النفط فتنة ورحمة

العالم كله ، اليوم مملوء بأخبار النفط وأخبار البترودولار ••• ومع ان البعض عندنا جد مشغولين بالحديث عن المغني الفرنسي (شارل ازنابور) الذي تعطف وتنازل أن يغني في لبنان ، لاثرياء لبنان طبعا ، فان ذلك لم يمنع الكثيرين من تتبع أخبار النفط والاستماع الى كل ما قيل ويقال عن (النفطيين) وعن رحلاتهم عبر العالم وآثارهم التي يخلفونها وراءهم •• حتى الاطفال يسألون آباءهم لماذا نعيش في فقر مدقع والنفط في بلادنا ؟ لماذا تتغلب علينا اسرائيل ونحن لدينا ما لدينا من بلايين البترودولار ؟

هذه التساؤلات من الاطفال ذكرتنا بقصيدة اشترك في تأليفها ثلاثة شبان كانوا يقاتلون مع جيش الانقاذ في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ••• وقد اكتشف الثلاثة بعد هذه القصيدة ان فيهم لوثة الشعر ، وانه من الممكن أن يصبحوا شعراء العصر اذا عرفوا كيف يقتربون من الاحذية ويبتعدون عن الضمائر (العربية) و (النخوة) العربية ، ولا نريد ان نذكر أسماءهم ، لان كبيرهم مات لفشله في ان يكون (عبد شعر) ، وثانيهم يتنقل من غربة الى غربة لعناده في الدفاع عن أمته ، والثالث أقسم بالطلاق ان يقول الشعر بعد أن شاهد الشعراء يمعنون في تمزيق لغة قرآنهم •••

ولهذه القصيدة قصة لا تخلو من طرافة :

لقد كان هؤلاء الشعراء الثلاثة ينظمون قصائد الهجاء في المرحوم الملك عبد الله الذي كان يبادلهم شعرا بشعر ، وهجاء بهجاء •••

وحدث مرة أن تصارحوا فيما بينهم عن أسباب اختيارهم للملك عبد الله ليكون موضع هجومهم ، فاتفقوا على اختيار غيره من الاغنياء ، بعد أن ملوا هجاء الفقراء الشعراء ••• فكانت هذه القصيدة التي يمكننا أن نطلق عليها بصدق (القصيدة التي تبرأ منها أصحابها) !

علام احامي عن فلسطين ؟!

يلومونني اني بخلت ولو راوا
براميل بترول الرياض لاقصروا
تسيل بـه الصحراء تبرأ ملوبا
وتندى به ارض الحجاز وتزهر
ولم ار مثل النفط اما سواده
فمسك واما الريح منه فعنبر
غنينا بـه عن كل حاف مقمل
يجيء من الحجاز عريان يفخر
تزود من كل الذنوب بماله
وجـاء الينا مفلسا يتطهر
فبعد الجمال الجرب باتت
تقلنا تنابيل منها(هدسن)و(كرزلر)
وكل حصان الارض طوع اكفنا
تطير اليها او الينا تطير
وكنا وعمنا جنـة قبل هذه
تدور علينا الحور فيها وتخطر
فلما كفانـا ألعم سام جهادنا
قعدنا على جيراننا نتمسخر
ومـا كان زهدا للجنان قعودنا
ولكن طريق النفط للخلد اقصر !!
فان كنت عبد الله فيها تلومني
فواعجبي ممـا تقول وتذكر
فجئلا قبلي قال القانع الذي
اناخ لـه بباب مكة عسكر
جمالي ، جمالي ، ان للبيت ربه
يقيه اذا شاء العدو ويهجر

★ ★ ★

علام احامي عن فلسطين صارفا
فلوسي وبترولي اضيع واهدر
فلا والذي في مسجد القدس مسجد
وليس لاجدادي بغزة اقبر
وليس لاسرائيل عندي مطمع
سوى خيبر ، لا كان للدهر خيبر
فـان طلبوها قلت اهلا ومرحبا
بابناء اعمام علينا تقدروا
وان الحفوا فيهـا فلمت مضاربي
وفـي امريكا للمشرد مهجر

★ ★ ★

أيا ابن العارفين

شعر : الحاج طالب الحاج فليح المدو

القيت في قبول الدكتور عبد المجيد القصاب الذي يقام مساء كل يوم جمعة حين حضر المجلس الاستاذ نزار عارف الزين صاحب مجلة العرفان ، والمغتربان السيد جميل سولاقة والسيد جو مشو ابو ريمون .

(نـزار الزين) قـد الفيت اهلا بدار (مجيدنا) من طاب اصـلا
هو الرجـل الغيور أبو (بيـان) تسامى في الورى كرما وفضـلا
ايـا ابن (العارفين) بكـل درب بهـم يفضي الى القـدح المعلـى
لكم فـي العلـم والآداب فضـل عـلى صفحات عرفـان تجلـى
مقامكمـو كبيتكمـو رفيـع احـق بكـل اعـزاز واولـى
ومرحـى (يا ابا ريمون) مرحى حللتـم بيننـا فالبشر حـلا
واهلا (يـا جميل) الخلق اهـلا بكم فـي ارض بغـداد وسـهلا
لكـم مـا بيننا اخـوان صدق مودتهم تـدوم وليس تبلـى
وانتـم اهـل معروف وخلـق يفيض مـروءة ويفيض نبـلا
فكـل منكمـو للخيـر يسعـى ويطلـب الفضيلة لـمن يحـلا
تردكمـو لاصلكمـو صفـات كريمات فمـا يعرفن بخـلا
حداكم للعـراق هـوى قديـم وكم جمع الهوى للصحب شـملا
حببتـم ساكنيه وهـم ذووكـم وحبكمو بـدا قـولا وفعـلا
فجئتـم ارض بغـداد وكانـت مواطنكم بهـا تلفون أهـلا
وبغـداد العروبـة دار عـز لكل العرب مـا احـلا واغـلى
وهنا مجلس (القصاب) يزهـو بكـم ولانتمـو بـدر اطـلا
فهـلا ان تحلـوا بـه زمانـا ليحلوا العيش قربكمـو ، فهـلا

الحاج طالب الحاج فليح المدو

بغداد ـ الجمعة ١٩٧٩/٤/٢٧

اليس من العجائب ؟! (١)

شعر : موسى الزين شرارة

يقول ابن الجنوب ولا سميع — من الحكام — او مصغ اليه
يقول بحسرة وبألف آه كمشبوب اللظى في جانبيه
وينشد والدموع الحمر تجري كميزاب فتفرق مقلتيه
« اليس من العجائب ان مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه » (٢)
« وتجبى باسمه الاموال طرا وما من ذاك شيء في يديه »

العرفان : هذا حظ ابن الجنوب مهضوم في جميع المجالات ولو كنا من غير الجنوب ، لغنمنا قبل المأساة ، وعوض علينا ولو شيئا من خسارتنا بعد المأساة .

---

(١) من وحي اجتماع وزراء الشؤون العرب لبحث مساعدة ابناء الجنوب .

(٢) هذا البيت والذي يليه لخليفة عباسي معروف .





غوتـــه

كنت ، في طفولتي ، مولعا بالاديب الالماني العظيم « غوته » : أقرأ لـه كل ما أجده من كتبه ، وقد ترجمت له أشياء كثيرة فقدت مني ، غير أن قريبا لي حفظ بعضها ، فأعادها الي ، بعد أن قرأ في (المجلة العربية) قطعة لغوته : ذكرته بأوراقي العتيقة المنسية عنده !

بين هذه الاوراق ترجمة ــ ما أظنها جد أمينة ــ لنشيد سماه غوتـه : « نشيد محمد » ، يشبه فيه الرسول الكريم بنبع الماء ، يحيل الصحاري الى جنائن والخرائب الى مدائن ، وينقذ الشعوب الوثنية التائهـة من الضياع . ويجمعها على الايمان بالله الواحد !

كتب غوته هذا النشيد في أول شبابه وبدء تجربته الشعرية ، ومع ذلك يعده النقاد من عيون أشعاره الرمزية ، ويبدو أن غوته كان يريـد أن يؤلف رواية تاريخية كاملة عن سيرة محمد (ص) . ولكنـه بدأها ولـم يتمها .. فانتزع منها هذا النشيد ونشره في بعض مجموعاته (ولا تجدها في ديوانـه الشرقي !) .

بقي غوته حتى آخر أيامه معجبا بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكـان يعلن ذلك في مجالسه ، ويقال انه حدث باعجابه الامبراطور نابوليون بونابرت الذي كان يشاركه الرأي .

وها نحن ننشر اليوم ترجمة نشيد محمد ، ولعل هذه الترجمة تساعد بعض شعرائنا على نظم هذه القطعة بالعربية !

علي : انظروا الى نهر الجبل ،
كيف يتدفـق ،
فرحـا مشرقـا ،
كأنـه كوكب يتلألأ !
فاطمة : هناك ، فوق السحب ،
وبين الصخور والعوسج ،
كانت تتعهد طفولتـه
أرواح كريمـــة !

علي : انه يتحدر بخفة الشباب ،
مـن الاعالـي ،
ويثب فوق الصفـا ،
مرة بعـد مرة •••

فاطمة : ••• ويطرد بين يديه ،
الحصـا الناتئـة ،
ويخطو زعيم رائـد ،
يقود اخوته الانهار ، وراءه !

فاطمة : هناك في الوادي ،
تتفتح الازهار في طريقه ،
ويعيش المرج من أنفاسه !

علي : ولكن شيئا لا يقفه !
لا الوادي الظليـل ،
ولا الازهار التي تلتف حول ساقيه ،
وتداعبه بنظراتها الودود ،
لأنه ماض ، في سيره ، قدما ،
الـى السهل !

فاطمة : أنهار كثيرة تتبعه ،
بولاء وحـب ،
وها هو يدخل السهل •••

علي : ان السهل فخور به !
وأنهار السهل تهتف باسمه ،
وتناديه ، كلها ، بصوت واحد :
يـا أخانـا !

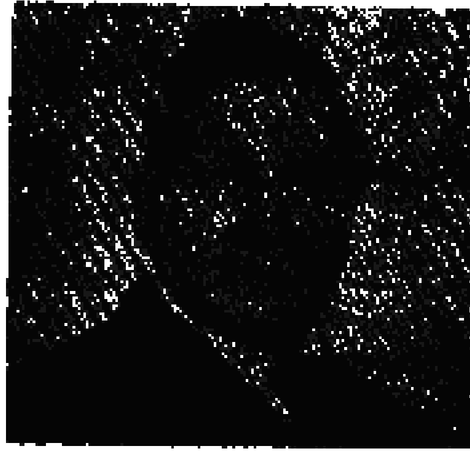
يا أخانا ، خذ اخوتك معك !
خذنا معك ، الى الوالد الكبير ،
الى البحر ــ المحيط الخالد ،
الذي ينتظرنا ، باسطا ذراعيه !
ولكنه ، وا أسفاه ، يمد يديه عبثا ،
ليضم اليه أولاده الذين يتلهفون للقائه !
ذلك أن التلال تحبسنا عن المسير ،
والشمس المحرقة تصوحنا وتشرب دماءنا !

علي : ها هو ذا يقول لهم : تعالوا جميعا !
وهكذا تتكاثر جماعته ،
وتسمو الى قمم المجد ،
وخلال مسيرته الظافرة :
تولد المدن تحت خطواته ،
والاقاليم الغامرة تعود عامرة ببركاته !

فاطمة : لا شيء يقفه ! لا المدن ،
ولا الصروح ذوات البروج ،
ولا قصور المرمــر !..

علي : انه يحمل اخوانه ، على كتفي عملاق ،
كما يحمل الاطلس صروح الارز ،
وألف راية تخفق فوقه ،
دلالة على مجده وسعة سلطانه !
.. انه يحمل كنوزه ... أولاده ،
الى أبيهم ، الذي ينتظرهم ..
ليضمهم الى صدره ، في حنان وفرح !

أبواب العرفان



توفي منذ أشهر المستشرق الهنغاري البروفسور عبد الكريم جيولا جرمانوس ، عن عمر يناهز الـ ٩٥ عاما .

يذكر عن جرمانوس انه أتقن اللغة العربية على يد المستشرق ايغنار عولد زايهر كما درس اللغة التركية في عهد السلطان عبد الحميد ، وساهم في الحركات التقدمية المناهضة لطغيان السلطان ، انتقل جرمانوس بعدها لدراسة اللغات الشرقية في المتحف البريطاني في لندن . وفي الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين تجول في عدد من البلدان العربية ، وتعرفه في جولاته على لورانس والملك عبد العزيز آل سعود . واعتنق جرمانوس الاسلام خلال حجه الى مكة . ثم شغل لفترة طويلة مهمة التدريس كأستاذ للتاريخ الاسلامي في جامعة بودابست حتى تقاعده عن العمل عام ١٩٦٣ .

ومن بين أبرز مؤلفاته كتاب من جزئين بعنوان « الله أكبر — اصدار عام ١٩٣٦ » وكتاب آخر عنوانه « على نور الهلال — عام ١٩٥٧ » ويتضمن مذكراته الشخصية . بالاضافة الى كتاب بعنوان « أضواء الشرق أصدره عام ١٩٦٦ » .

وقد عرف جرمانوس بمواقفه المناصرة لقضايا الامة العربية .

ذهنية ، وبصائر ثاقبة ، ومبادىء سامية ومثل متناثرة بين تضاعيفها ، يفطن اليها الاطفال ذاتيا حسب مداركهم ، أو تسترعي أنظارهم وأذهانهم اليها من قبل من يسردونها عليهم أو يتلونها على مسامعهم •

أما البهجة التي تتسلل الى أفئدة الاطفال وهم يصغون اليها من أفواه والديهم أو أشقائهم ، أو يطالعونها بأنفسهم ان كانوا متمكنين من ذلك ، فلا تعدلها بهجة أخرى في الحياة لدى كثيرين منهم ، حتى أن الهدايا واللعب وانفاق الاويقات الهنيئة في حدائق الاطفال ، وخصوصا اذا نشأوا في بيئة من سماتها الكتب والمجلات حواليهم ، وسرد الحكايات والقصص على مسامعهم في بعض ليالي الشتاء الطويلة وأمسية القيظ المقمرة • انها لديهم مدعاة لبهجة غامرة ، وحبور دافق • وقد استيقنت ذلك غب أن استدعيت صغيريّ في الثامنة والعاشرة ، وطفقت أتلو عليهما بعض حكايات المجموعات الثلاث الآتي ذكرها ، بعد العشاء كل يوم ، حتى أن غبطتهما أضحت حافزا لهما على تجديد نشاطهما الدراسي بشكل ملحوظ • أما البسمات العريضة التي ارتسمت على ثغريهما ، فكانت خير ترجمان ودليل على ما أقول • أما ملامح الذهول والشرود على قسماتهما أحيانا ، فكانت تنم عن بعض تساؤلاتهما وحيرتهما ، مما حدا بي أن أدرك حاجتهما الى الكشف عن الغامض والمستور من المعاني والمغازي والمسميات التي تطرق أسماعهما لأول مرة • فكانا لا ينصرفان عني الا بعد أن يحصلا على وعد قاطع مني بأن أقص عليهما في الغد أقصوصة أو حكاية جديدة ، وعندئذ يطبعان على خديّ قبلتين ، والنشوة في أحداقهما !

قديما قيل : « أولادنا أكبادنا تمشي على الارض » وهذا قول صحيح ولطيف • ولكني أضيف انهم في هذا العصر باتوا « مطمح سكان الارض » • فالاطفال اليوم اذا تشربوا مبادىء الحق والعدل والمساواة والتآخي ومناهضة الظلم ومحاربة الرذيلة ـ وأكثرها شرا الطمع والاثرة والتسلط والاستعلاء (ومعظم الحكايات والقصص تزخر بتجسيم مساوىء هذه النزعات الوضيعة)

التقريظ والانتقاد

حكايات وقصص للأطفال

بقلم : يعقوب افرام منصور

في الاعوام الثلاثة المنصرمة ، أرفد الاستاذ عيسى فتوح المكتبة العربية بثلاث مجموعات (١) من حكايات وقصص مترجمة للاطفال ، كل مجموعة تماثل دوحة سامقة وارفة الظلال ، يطيب الجلوس تحت أفنانها ، والتمتع بتنشق الاريج المنتشر حواليها ، وبهبوب الانسام اللطاف على من تظللهم بأوراقها المتراقصة وأغصانها المتأرجحة : المجموعة الاولى موسومة (مدرسة اللقلق) ظهرت عام ١٩٧٦ ، والمجموعة الثانية (الفأس الذهبية) ظهرت عام ١٩٧٧ ، والثالثة (دنيا الحكايات) في عام ١٩٧٨ . فغدا مترجم هذه المجموعات قمينا بشكران الوالدين أولا ، والاطفال ثانيا في أرجاء وطننا العربي ، لانه أسهم بأعماله الثلاثة اسهاما محمودا في توسيع مدارك الاطفال بالوقوف على مغازي هذه الحكايات والقصص والامثوليات ، وعظاتها ومراميها البعيدة وأهدافها الاخلاقية ، واستيعاب الطبائع البشرية — خيرها وشرها — وادراك واقع الامور والاشياء المحيطة بهم في مجالي الحياة ، ليكونوا في صباهم ثم في رجولتهم على بينة من أمرهم ، ولتكون خطواتهم في مناهج العيش وسبل معتركه مقرونة بالحذر والروية قبل بلوغهم مرتبة الثقة واليقين في ما يقدمون عليه من أعمال صغار في مطلع حياتهم الغضة ، وأعمال جسام بصورة متدرجة مع تقادم الاعوام . اذ لا مشاحة أن هذه القصص والحكايات — وأغلبها شعبية المنشأ — تزخر بتجارب غنية وعصارات

---

(١) من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي — دمشق — عناوينها (مدرسة اللقلق) ، (الفأس الذهبية) ، (دنيا الحكايات) .

عكسوا ذلك في تصرفاتهم ، وترجموها في أعمالهم وواجباتهم ، لانها باتت جزءا حيا فاعلا من مشاربهم ونزعاتهم • وفي هذه القصص والحكايات خير مورد ثر للاغتراف والارتواء ، وأفضل مائدة لتغذية أفكارهم وأفئدتهم ونفوسهم بقوت أسمى بكثير من قوت اللحم والخبز ، وبمواد أنفع لرقي البشرية خلقيا ، واسعادها روحيا من مواد الكيمياء والفيزياء والرياضيات •

ولو كنت وزيرا للتربية ، لرسمت بوجوب تخصيص حصة أو حصتين أسبوعيا في المدارس الابتدائية لسرد الحكايات والقصص والامثولات ، ففيها لا نجد محفزا على الشر ، ولا مشجعا على الفساد ولا على الخطيئة أو الرذيلة ، حتى فطن الى فاعليتها كبار الكتاب والمفكرين أمثال تولستوي وبوشكين وجوركي ، فتركوا في هذا الباب أعمالا رائعة ، يطالع القارىء بعضها في المجموعات التي تطرقت اليها ، وبدلا من تلك المحفزات والبواعث نلمس بجلاء ، بشكل غير مباشر ، دوافع الخير والفضيلة ودروس القناعة والايثار كما نجد في حكايات وقصص عيسى فتوح المترجمة التي أسلفت ذكرها • فبارك الله في مسعاه الحميد ليتحفنا بالمزيد من هذه الثمار اللذيذة المذاق ، الجليلة النفع ، وعسى أن تكون كلمتي المتواضعة بذرة صالحة للنمو في حقل التربية في وطننا من محيطه الى خليجه •

بغداد يعقوب منصور

١٩٧٩/٢/٢١



مختارات الصحف

من شهداء النبطية

الى سفهاء «الكوت دازير»

بقلم : نزار قباني

أطفال الجنوب اللبناني يغتسلون بدمهم الاحمر ..

وقياصرة العرب على الشواطىء الفرنسية يغتسلون بنبيذ بوردو الاحمر .. والتاريخ العربي يبصق قرفا .. وغضبا أحمر ..

من حق العرب أن يقيموا الليالي الملاح ، ويطربوا ، ويشربوا ، ويرقصوا حتى الصباح .. ابتهاجا بموت لبنان ..

لان لبنان كان فضيحتهم ..

ومن حـق العرب أن يتكحلوا .. ويتعطروا .. ويبرموا شواربهم .. ويصبغوا أصابعهم بالحناء .. شماتة بلبنان .

لان لبنان كان ضرّتهم ..

ومن حق العرب أن يلبسـوا الحرير والارجوان ، ويوزعوا كؤوس شراب الرمان ، ويضربوا الدفوف ، ويمدوا المناسف .. ويذبحوا الخرفان على قبر لبـنان ..

لان لبنان كان عقدتهم ..

ومن حق العرب ، أن يمزقوا هذا الكتاب النادر الـذي اسمه لبنان ، ويحرقوه صفحة صفحة •• خوفا من أن يقرأه الناس • لان كل كتاب جيـد يعلم الحرية •• والحرية تجلب الصداع ••

ولبنان كان صداعهم ••

نعم لبنان كان صداع الانظمة العربية •• ومن يقول غير هذا ، فهو اما خائف بالوراثة •• أو متزوج •• أو موظف حكومة ••

***

كل عربي يدخل الى لبنان يصاب بـ (ضربة شمس) •• أو بـ (ضربـة حرية) •• واذا كانت ضربة الشمس قابلة للشفاء •• فان (ضربة الحريـة) شديدة الخطورة لانها من الامراض السارية ••

ورغم أن الانظمة العربيـة كانت تلقح مواطنيها قبل وبعد سفرهم الـى لبنان ، ورغـم أنها كانت تحتجزهم في الكرنتينا عنـد عودتهم •• وترشهم بالمـواد المبيدة للحشرات ، فان جرثومة الحريـة كانت تنتقل في الثيـاب الداخليـة •• والمناديـل •• وفراشي الاسـنان •• وعلـب البسكويت والشوكولاته وبيبرونات الاطفال •• ورافعات نهود النساء ••

من أجل هذا كان لبنان صداعا يشتد في زمن الصيف ، مع ازدياد عدد رحلات الطائرات العربية القادمة الى مطار بيروت الدولي ••

كان السائح العربي اذا أكل سمكة في مطعـم لبناني تصاب حكومتـه بالحساسية •• واذا قـرأ جريدة لبنانيـة تصاب حكومته بالتسمم •• واذا شاهد مسرحية أو اشترى كتابا مطبوعا في لبـنان تصاب حكومته بانهيـار عصبي •• واذا صعد الـى بحمدون أو ضهور الشوير أو فاريـا ، أصيبت حكومته بارتفاع الضغط •• واذا تناول صحن (تبولة) لبنانية ظهرت عـلى حكومته أعراض الدوزانتاريا ••

واذا عاد المصطاف العربي الى بلاده حاملا اسطوانة فيروز .. كسروا الاسطوانة على رأسه .. وأجبروه أن يأكلها .. لان الغناء مؤامرة امبريالية للاستيلاء على الحكم ، والانقضاض على مكاسب الثورة .. ولان الموسيقى من تأليف الشيطان كما يقول آية الله روح الله الخميني ..

***

العارفون بالشؤون ان الجميلة تشكل خطرا حقيقيا على القبيحات ..

واذا جاز لنا تطبيق هذه القاعدة النسائية على العلاقات العربية ـ اللبنانية ، نقول ان لبنان كان ذلك الغزال الرقيق ، الدقيق الساقين .. البفسجي العينين .. الذي قرر أولاد آوى باجماع الاصوات سفك دمه ..

واذا كان لبنان يصرخ من أعماق البئر ، ولا يجيبه أحد .. فان سيدنا يوسف قبله ، قد رماه اخوته في البئر .. لأنه كان أصغرهم .. وأجملهم .. وأكثرهم وسامة ..

***

خطأ لبنان أنه تجاوز (النموذج العربي العام) ، وأراد أن يخلق نموذجه ، ويغير شرطه الانساني . والخلق والتغيير في العالم العربي معصيتان كبيرتان توصلان الى حبل المشنقة ..

وخطأ لبنان أنه كان (نشازا) جماليا ، وثقافيا واقتصاديا ، وحضاريا في منطقة مغلقة على ذاتها ، وقانعة بقناعاتها .

كان على لبنان أن يكون حبة من حبات المسبحة الاثنتين والعشرين ، في اللون ، والشكل ، والحجم ، والنوعية .. لأن أي تميز أو تفرد أو تفوق ، كان يعتبر ترفا غير مسموح به ...

وكان عليه أن يكون نسخة منقولة بالكاربون عنهم ••• وأن يكون خيطا في العباءة التاريخية الفضفاضة الممتدة من شواطيء عربستان ••• الى آخر شواطيء الاحزان •••

لم يكن مسموحا له أن يكون أذكى •• أو أجمل •• أو أطول •• أو أقصر •• أو أشطر •• أو أفصح من بقية اخوته ••

بمعنى آخر كان على لبنان ان يولد في التشابه ، ويعيش في التشابه ، ويموت في التشابه •••

★★★

لماذا أحرقوا لبنان ؟••

لأنه بكل بساطة تجرأ وأخذ على خارطة الحرية حجما أكبر من حجمه •• فصدرت الفتوى بتصفيته •••

ولأنه ـ بكل براءة ـ رسم عصفورا أخضر الجناحين على سبورة المدرسة ، فلما رأى التلاميذ العصفور يطير •• تركوا كتبهم ودفاترهم وأقلامهم •• وطاروا معه ••

وأصدر ناظر المدرسة العربية قرارا بجلد كل تلميذ خمسين جلدة •• وكل عصفور مئة جلدة •• لأن العصفور أكثر معرفة بخرائط السماء •• وأكثر استيعابا لمفهوم الحرية • ولهذا كان عقابه مضاعفا •••

★★★

اسمحوا لنا أيها السادة أن نبق البحصة ••

ونكشف كل الاوراق المستورة ••

كانوا يأخذون على لبنان بأنه غير محارب • فصار لبنان هو المحارب الوحيد ، في حين هم باعوا بواريدهم •• وملابسهم العسكرية •• وأحالوا أنفسهم الى المعاش ••

وكانوا يعيرونه بأنه شمام هواء •• وقطاف ورد •• فاذا بلبنان يحترق من جنوبه الى شماله ، وهم يشمون الهواء ، ويقطفون الورد ، على شواطيء نيس وكان ، وسان تروبيز ، وماربيا ••

وكانوا على مدى خمسة وثلاثين عامـا يتهمون لبنان بأنـه شعوبي •• وفينيقي •• و (لا عروبي) ••

فلما دخل لبنان امتحان العروبة تخرج منه برتبة (بروفسور) •• ولما دخل حرب الجنوب ، نيابة عن قريش ، كان أكثر قرشية منهـا •• وكان ولا يزال يدفع الضريبة من لحمه ودمـه ، في حـين ذهب عرب الميكروفونات •• والمسيرات •• والشعارات •• والانقلابـات •• والدولارات •• في اجـازة طويلة ولم يعودوا •••

***

أيهـا السادة :

دعونا نتفق على التعاريف أولا ••

ودعونا نتفق على معنى العروبة ••

فالعروبة ليست جمعية لسؤال الخاطـر •• وتنظيم الجنائـز •• وشراء أكاليل الـورد •• وتوزيع مئـة لـيرة وكيس طحين عـلى أولاد الشهداء وأراملهـم ••

وهي ليست استعراضا مسرحيا لعمل الخير •• يحضره رجـال السلك الدبلوماسي ، ومندوبو الاذاعـة والتلفزيون ، ومراسلو وكـالات الانبـاء العالمية •• ويخرج منه المتبرع كوكبا عالميا بشهرة عمر الشريف ••

ان الاسلام لا يقبل هذه (الزكاة السينمائية) •• ولا يعترف أبـدا بتحويل عمل الخير الى مسلسل تلفزيوني من ١٣ حلقة ••

ان العروبة ليست امتحانا (بالمراسلة) يدخلـه العرب وهم على بعـد آلاف الاميال •• وليست حبا عذريا على طريقة مصطفى لطفي المنفلوطي ••

انها امتحـان عملي وتطبيقي لا ينجح فيـه الا المقاتلون الحقيقيون ، والثوريون الحقيقيون •• فمـن أراد منكم أن يؤكـد عروبته فان مراكـز الامتحانات مفتوحة ليلا ونهارا في صور •• والنبطية •• ومخيم الرشيدية •• وعند الامتهان يكرم المرء أو يهان ••

هل تريدون مني أن أفتح مزيدا من الاوراق ؟

ان الجنوب اللبناني يشوى على سيخ اسرائيل ، والنـار بدأت تأكـل أطراف العباءة العربية •••

نعم • ان الجنوب هو أول حدود العباءة •• ولن تتوقف اسرائيل حتى تضرم النار في العباءة وفي لابسي العباءة ••

هذه ليست نبوءة سوداء أو حمراء •• وليست ورقة انذار موجهة الى العرب بواسطة الكاتب بالعدل • ولكنها دعوة للعرب للتأمين على ممتلكاتهم ، وقصورهم ، وسياراتهم ، ويخوتهم ، وطائراتهم الخاصة •• لان نار الجنوب اللبناني يمكن أن تطالهم حتى ولو كانوا فـي بروجهم المشيدة •• في جزيرة كابري •• أو في جزيرة هونولولو •• أو في جزيرة الواق •• الواق ••

هل تسمحون لي أن أبقّ البحصة الاخيرة ••

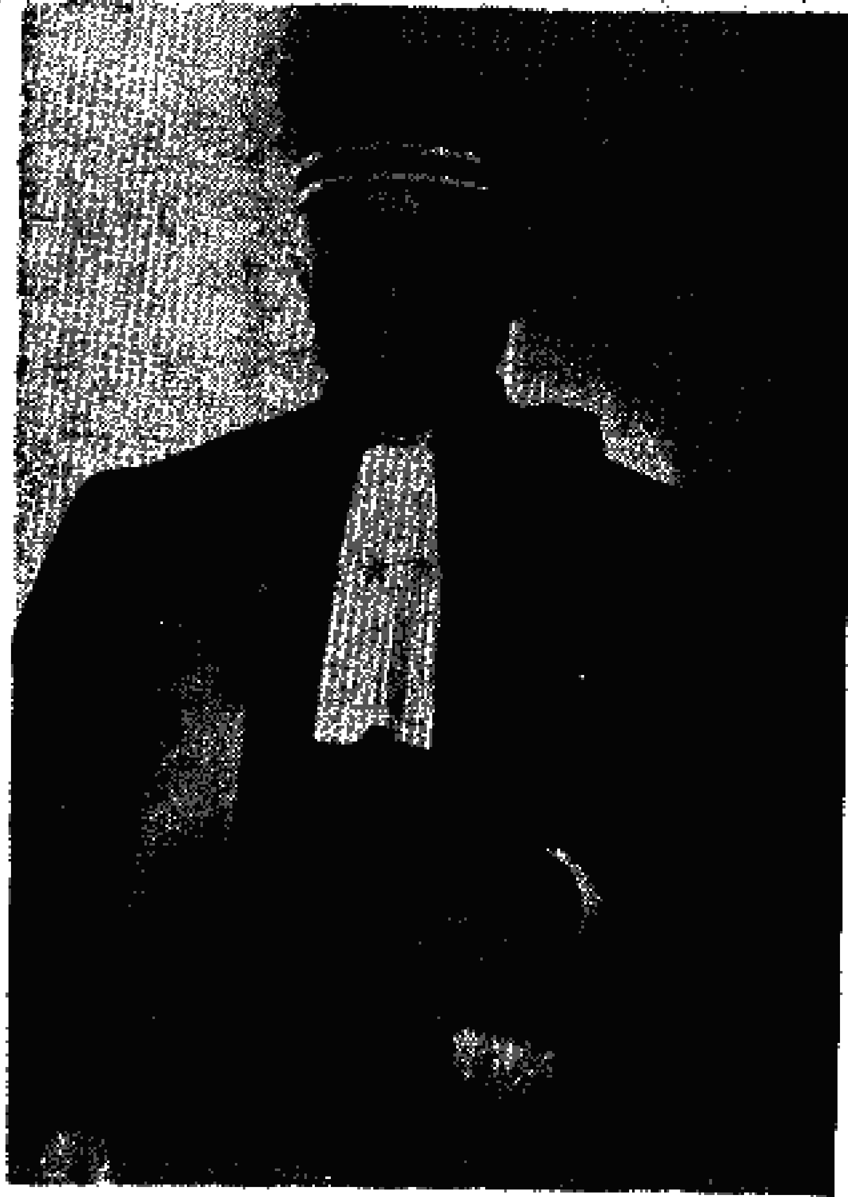
اذن سأقول لكم ان جنوب لبنان هو مضيق جبل طارق جديد •• فامـا أن يدخل منه طارق بن زيـاد ، ويحفظ شرف العرب •• وامـا أن يدخل منه مناحم بيغن •• ويلعن سنسفيل أجداد العرب ••

اللهم اني قد بلغت •••
اللهم اني قد بلغت •••
اللهم اني قد بلغت •••

الوطن العربي

أخبار الناس والمجتمع

القاضي الاول



يوسف جبران وزير العدل والاعلام

ان تولي قاض بكفاءة ونزاهة وعلم يوسف جبـران وزارتي العـــدل والاعلام لدليل على أننا بدأنا بوضع الاساس لبناء لبنان الجديد • فعندمـــا يوضع الحجر الاساسي للبناء ينطلق البناء ويشمخ شرط أن يأتي برجال الحكم من هذا الطراز • واذا كان القاضي يوسف جبران يواجـه في الحكم تيارات

متعددة الاشكال ومتنوعة الرواسب تريد المحافظة على مكاسبها السياسية وحكمها العشائري ، فهو بصموده أمام سماسرة الحكم والاقطاع السياسي يعطي المثال الحي على أنه لا يزال في هذا الوطن رجال صامتون يتسلحون بسلاح الايمان والشجاعة ليكون أمضى من سلاح الآلات المزيفة .

ان الجنوب الجريح الذي قاسى ما قاساه من ويلات الحرب والدمار والتهجير يتطلع الى اليوم الذي يصبح فيه ابن الجنوب القاضي الاول في جهاز الحكم ليساعده على تخطي البعض من محنته وهو الذي قدم خدمات جلّى لأبناء الجنوب . انها صرخة مدوية من أجل أن يتكاتف الجميع من أجل ايصال الرجل المناسب للمنصب المناسب .

* * *

ـ هذه الوزارة ـ

هذه الوزارة الحصية الاخيرة جيدة في بعض عناصرها ، فرئيسها مثالي مهما نظر اليها الخصوم ، ووزير ماليتها ابن الجنوب الدكتور علي الخليل مشهود له بالكفاءة والنزاهة ، وكذلك ابن الجنوب القاضي الاول الاستاذ يوسف جبران حين أسندت اليه وزارتي العدل والاعلام تساءلنا : هل يتركونه يصلح ويعمل ويختار الاكفاء النزيهين مثله ؟! أو نردد مع الزميل الاستاذ لويس الحاج : « لقد ظلموه مرتين » . وكذلك الوزارة كلها هل يفسحون لها المجال في العمل الجدي ، أم يبقى وضع العصي بالدواليب الى ما شاء الله . ويبقى لبنان الحرية هو لبنان الفوضى .



العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العددان الثالث والرابع آذار ونيسان « مارس وابريل » ١٩٨٠ م ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٠ هـ مجلد ٦٨ .

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر

علم ، أدب ، فكر ، سياسة

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
١٦٣ – ١٦٤	بيني وبين القارىء	نزار الزين
١٦٥ – ١٧٠	الامام علي – بلاغة علي	د. محمود أمين النواوي
١٧١ – ١٧٣	كلمة رئيس التحرير	نزار الزين
١٧٤ – ١٧٦	المبادىء الثمانية للميثاق القومي	الرئيس صدام حسين
١٧٧ – ١٨٣	دمشق بدون شفيق جبري	زهير مارديني

مواضيع اسلامية

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
١٨٤ – ١٨٨	دعائم المجتمع الاسلامي	د. عبد الكريم عدنان
١٨٩ – ١٩٢	القيادة التي تسيء الى الاسلام	د. ابراهيم ديب

ابحاث اجتماعية

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
١٩٣ – ٢٠٥	حول المؤتمر الاول للكتاب اللبنانيين	المحرر

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
	تاريخ	
٢٠٦ ـ ٢١١	نظرة في منهجية كتابة التاريخ	يوسف ابراهيم يزبك
	لغة	
٢١٢ ـ ٢١٩	العربية المعاصرة والابداعات	د. عفيف دمشقية
	وداع الراحلين	
٢٢٠ ـ ٢٣٢	الشيخ محمد جواد مغنية	العرفان
٢٣٣ ـ ٢٣٧	الشيخ نديم الجسر	العرفان
٢٣٨ ـ ٢٤٣	محمد شرارة	خضر عباس الصالحي
	ابحاث فنية	
٢٤٤ ـ ٢٥٠	مع الخالدين	سمير شيخاني
	ادب	
٢٥١ ـ ٢٥٣	النبع الصافي	السيد علي ابراهيم
٢٥٤ ـ ٢٥٦	الشاعر الانسان	علي الفتال
٢٥٧ ـ ٢٦٠	شاكر عبد القادر البدري	سلمان هادي آل طعمة
٢٦١ ـ ٢٦٨	مشهد الامام الرضا (ع)	د. ثروت عكاشة
٢٦٩ ـ ٢٧٣	محمد كامل شعيب العاملي	ز. م
٢٧٤ ـ ٢٨١	القصة في الادب العربي	د. خوان اويان
	شعر	
٢٨٢	جوهر الدين	يوسف ابي رزق
٢٨٣ ـ ٢٨٤	حقيقة الحياة	خضر عباس الصالحي
٢٨٥	وكم في الفن معنى للرقي	الحاج طالب الحاج فليح المدو

ابواب العرفان

٢٨٦ ـ ٣٢٠ مختارات الصحف ـ التقريظ والانتقاد ـ الصحة ـ اخبار الناس والمجتمع .

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

الوفاق كلمة لطيفة جميلة محببة الى النفوس المؤمنة والصدور النقيــة ، انها ذات جرس موسيقي عذب يدخل الــى القلوب بلا استئذان • وخصوصا اذا جاءت بعد خمس سنوات عجاف لاقى لبنان فيها ما لاقى من مذلة وهوان وبؤس وضيعان • فهل يهدي الله القوم فيحققون ولو وفاقا موقتا يكون بعده حوار تزول به الاحقاد ، وتعود البغضاء التي أوجدتها الحرب البشعة الى محبة وصفاء ، ونرجع الى عقولنا وضمائرنا فنجد عندهما الحـل الشافي الذي يقول لنا ان الخلاف ضرر على الجميع ، وان التفاهم والتصافي يعود بلبنان الى مـا كان عليه من نجاح وازدهار •

قارئي الكريـم :

الشباب هم أمل الحاضر والمستقبل ، لان عندهم النشاط الكافي للعمل ولكن من المؤسف ان الكثير مـن شبابنا يسيرون في طريق لا تنفع وطنهـم وأمتهم فاذا كان شاعر لبنان المحلق الاستاذ وديـع عقل صاحب الراصـد في قصيدة له مشهورة منذ خمسين سنة قال :

تخنث فتيــان هــذ االزمــان	فدلــوا علينــا دلال الحسان
ودقوا خصورا ورقوا نحورا	وكانوا ذكورا فصاروا غواني
أهــذا الشباب تربي بــلادي	لصد الاعادي ودفــع الهوان

فماذا نقول نحن الآن ؟ ثم انهم يأبون الا الانفصال عن تراثنا ومحاربـة لغتنا والتنكر لتاريخنا ، وترى الواحد منهم اذا حـاز على شهادة أيـا كانت

يصاب بالغرور فيهرف بما لا يعرف والامثلة على ذلك كثيرة تحتـاج الى مقال خـاص .

قارئي العزيز :

تحت عنوان : « يقولون الصحافة سلطة رابعة » كتب الاستاذ محمد علي جعفر في زميلتنا « صوت الخليج » الكويتية ما يلي :

مسكينة هي الصحافة في العالم العربي !

جميع دساتير العالم العربي تتحدث عن الحرية ، حرية الرأي ، وحريـة التعبير وحرية العمل السياسي الى آخر القائمة .

وكل ولاة الامور فـي العالم العربـي يؤكدون على ايمانهم بالحريـة وحرصهم على صيانتها والحفـاظ عليها ويتحدثون عن الصحافـة قائلين عنها سلطة رابعـة ومع ذلـك فصحافة العالم العربي تشكو من فقـر في الحريـة الاعلامية ! الحرية المتاحة لصحافة العالم العربي هي حريـة الرأي الواحـد . حرية التسبيح بحمد الولاة ، والتعبير عن وجهات نظرهم ، والتطلع الى العالم كله من زاويتهم فقط .

ومع ذلك ، فثم من يصر على القول ان الصحافة هي السلطة الرابعة ... وربما كان ذلك صحيحا ، في مكان ما من هذا العالم الشاسع ولكنه ليس في

العالم العربي حتمـا !
حقا ... مسـكينة هي صحافتنا !!

★ ★ ★

الامام علي ــ بلاغة علي

بقلم : د. محمود امين النواوي

قال الاستاذ الاديب محمد المرصفي وهو يتحدث عن اللغة العربية في مقدمة شرحه لنهج البلاغة (وبين هذه وتلك منزلة هي عليا منازل الكلام فيما نعلم وأشرفها مكانا وأجلها خطرا ما كان فيها من صدر الاسلام وشطرا من خلافة بني أمية جمعوا فيها بين جمال الحضارة الجديدة وجلال البداوة القديمة وبشاشة القرآن الكريم بهذه الخصال الثلاث امتاز الخلفاء الراشدون ومن تأثرهم كزياد والحجاج وقطري بن الفجاءة وقد كان المجلى من هذه الحلبة علي رضي الله عنه وما أحسبني أحتاج في اثبات هذا الى دليل أكثر من نهج البلاغة ذلك الكتاب الذي أقام الله به حجة واضحة على أن عليا كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته وعلمه وهدايته واعجازه وفصاحته اجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء من أفذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية وقواعد السياسة المستقيمة ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الاثر ٠

خاض علي في هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزا ولئن سألت عن مكان كتابه من الادب بعد أن عرفت مكانه من العلم فليس في وسع الكاتب المترسل والخطيب المصقع والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية من وصفه وحسبنا أن نقول انه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة والمنزل المفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه وتأوي اليه بعد أن زلت بها المنازل في كل لغة) هذا وأما أنا فسأحاول أن أحلل بعض عوامل تلك العبقرية العلوية مما يشوق الى مطلبها :

نشأ علي كما قلنا في بيت النبوة حيث تتلى آيات الله والحكمة فيحظى بالنصيب الاوفى من فيوضات الاسلام وهي المادة الخصيبة لكل أديب، وسعد مع ذلك بغصن النبوة فاطمة الزهراء فكانت تزيده أدبا الى أدبه وتمده ببعض ما أخذت عن أبيها من دونه ولقد حفظ علي القرآن كله ثم وقف على أسراره ومزجه بلحمه ودمه ويرى القارىء الفاضل ذلك في نهج البلاغة الذي تتخلل خطبه ورسائله وحكمته جملا كثيرة من آيات الكتاب العزيز وجدير بعلي في خصوبته وعبقريته واستمداده في صفائه النفسي وعزوفه عن الدنيا أن تتفجر من ذلك كله ينابيع الحكمة متدفقة كالمحيطات بالسلسل العذب من الكلمات كما يتجلى ذلك في نهج البلاغة الذي نحيلك عليه لترى العجب العجاب من هذا البيان الفياض ولقد تتلمذ على هذا البيان الحسن البصري فكان آية الآيات في بلاغته وله أعظم التأثير في ارشاده وتتلمذ عليه زياد بن أبيه فكان النمط الاسمى للبيان في عصره وتتلمذ عليه عبد الحميد الكاتب وصار امام الكتاب من بعده ، لقد كان علي كرم الله وجهه في تدفقاته خضما من الربانيين فخاض أسرار الكون وطبائع الناس وتشريح النفوس وبيان حقائقها وعرض لمداخل الشيطان ومخارجه وفتن الدنيا وآفاقها وتكلم بالعجب في الموت وأحواله وفي بدء الخلق وأطواره وفي شأن السماء وما يعرج فيها من أملاك وما يحف بها من أفلاك كما عرض لملك الموت ووصفه وأطال في وصفه وخطب علي في السياسة وكتب فيها وفي شؤون البيعة والعهد والقضاء واختيار الاحق من الناس وما أحاط بذلك من ظروف مثل التحكيم وما تبعه من آثار سيئة وتفريق للكلمة ولم يفته أن ينوه في خطبه بأنصار الحق وأعوان الخير والدعوة الى الجهاد ولم يترك محاجة الخوارج والنصح لهم ولأمثالهم في اتباع الحق ومنطق بديع غير أن ناحية عجيبة امتاز بها الامام وهي ما اختص بها الانبياء ومن كان في منزلتهم كانت تظهر في بعض تجلياته وأشار اليها في بعض مقاماته فقد ذكر كثيرا من مستقبل الامة وأورد ما يكون لبعض أحزابها كالخوارج وغيرهم ومن ذلك ومنه لصاحب الزنج وذكر الكثير من أحواله وذلك من غير شك لون من الكرامات ولما قال له بعض أصحابه لقد أوتيت يا

أمير المؤمنين علم الغيب وقال للرجل وكان من بني كلب : (يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم انما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله بقوله .. الآية الكريمة ان الله عنده علم الساعة .. فعلم الله سبحانه وتعالى خاص بالارحام من ذكر أو أنثى أو قبيح أو جميل وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ومن يكون في النار حطبا أو في الجنان مع النبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلم أحد غير الله الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي أن يعيه صدري ..) .

هذا الى أنه طرق نواحي من القول كانت من خواص الشعر اذ ذاك ولكنه ضمنها خطبه فوصف الطير وعرض للخفاش وما فيه من عجائب والطاووس وما يحويه من أسرار وغرائب وذكر ما في الانسان من عجاب الخلق وآيات المبدع الحق سبحانه وتعالى وأحيلك في هذا كله على نهج البلاغة ، ولكنني أتعجل لك جملا من قوله في الخفاش وهو يذكر بالله سبحانه وتعالى ... (من لطائف صنعته وعجائب حكمته ما أرانا من الغوامض في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل شيء وكيف غشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها ..الخ) ووصف الطاووس وهو يتحدث عن الطير أيضا ومن أعجبها خلقا الطاووس الذي أقامه الله في أحكم تعديل ونضر صفاته في أحسن تنضير بجناح أشرع قصبه وذنب أطال مسحبه واذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه الى أن يقول يفضي كافضاء الديكه ويؤر بملاقحه أر الفحول المغتلمة في الضراب فان شبهته بما أنبتت الارض قلت جنى جنى من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلى أو مرفق عصب اليمن أو شاكلته بالحلى فهو كفصوص من ذات ألوان ... الخ) وهكذا تجد في أدب علي الدين والسياسة والوصف العجيب والبيان الزاخر ففيه كتاب الى شريح القاضي يعظه وقد اشترى دارا ويحذره

أن يكون من مال المسلمين معان عجيبة وأسلوب خلاب وفي كتابه الى معاوية يجادله في الاحق بالخلافة وفي شأن قتلة عثمان بن عفان بيان ملزم وحجج دامغة صادقة لا يحسها غيره وفي كتبه الى العاملين على الصدقات تعاليم لبيان الواجبات وما يلزمهم من جميع ملابساتهم •

وله كرم الله وجهه عهد الى محمد ابن ابي بكر حين قلده مصر يفيض بالقوة والتوجيه العظيم وله وصية الى ابنه الحسن عند منصرفه من صفين لم يدع فيها معنى تتطلبه الحياة لمثله الا وجهه فيه أسمى توجيه في فلسفة نبيلة وحكم رائعة جليلة وكل تلك النواحي والاغراض في معان سامية مبسطة تدنو بها الى جميع النفوس وتمتلك بها أزمة القلوب ومما يذكر من شؤونه العجيبة أن رجلا من أصحابه قام اليه فقال له نهيتنا عن الحكومة (التحكيم) ثم أمرتنا بها فما ندري أي الامرين أرشد فصفق باحدى يديه على الاخرى ثم قال : (هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا ؛ فان استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن والى من ، أريد ان أداوي بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها ، اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة بأشطاء الركن أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه قرؤا القرآن فأحكموه وهيموا الى اللقاء فولهوا وله اللقاح الى أولادها وسلوا السيوف من أغمادها وأخذوا بأطراف الارض زحفا ومنعا منعا بعضه هلك وبعضه نجا ، لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن الموتى قدح العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك أصحابي الذاهبون فانظر أنت الى قوة الحجة والالجاء الى المحجة وغرابة التشابيه وروعة الاستعارات وسطوع التصوير وانسجام الالفاظ وتآخذها بعضها ببعض من هذا التراث المدهش العجيب ولقد يضيق بي مجال القول وتأخذ مني الحيرة كل مأخذ فأقف عاجزا عن شرح ما يجول بنفسي من تقدير

تلك المعاني السامية والاساليب الاخـاذة المذهلة ثم يسعدني تصوير الاستاذ الامام له (محمد عبده) وهو يقدم نهج البلاغة فيقول : (فكان يخيل الي في كل مقام أن حروبا شبت وغارات شنت وان للبلاغـة دولة وللفصاحة صولـة وان للاوهام عرامة وللريب دعارة وان جحافل الخطابـة وكتائب الدرايـة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج والقويم الاملج وتمتلك المهج بروائع الحجج فتقل من دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس فما أنا والحق الا منتصر والباطل منكسر ومرج الشك في جمود ، وهـرج الريب في ركود وان مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو أمير المؤمنين الغالب علي بن أبي طالب) وبعد فانه يتجلى لك ما يأتي في أسلوب الامام :

١ ـ الثروة من الالفـاظ العربية الجزلـة في مفردها وجمعها ومذكرها ومؤنثها وحقيقها ومجازها في غرابة مقبولة لا تخرج بالكلام عن الفصاحة بل تسمو به عن الركاكة •

٢ ـ المجازات والكنايات دون تعقيد ولا التواء في معرض رائـع أنيق وقالب جميل رقيق •

٣ ـ الايجاز الدقيق والاطناب العظيم كل في مقامـه ويظهر ذلك فـي سجعاته الغزيرة التي يجمل بكل أديب أن يحفظ الكثير منها ليصلح من شأن بيانه العربي السليم •

٤ ـ المحسنات البديعية في نمط ممتاز مـع الاحتفاظ بسلامة البيـان وروعة الاداء •

٥ ـ الجرس والموسيقية وجمال الايقاع مما لا يدركه الا أهـل الذوق الفني السليم •

ولا ينبغي أن أنتهي من هذا التصوير حتى أضيف اليه شيئا مما نوه بـه الامام يحيى اليمني صاحب الطراز لقـد تكرر تنويهه به في عـدة مناسبات

وباكورتها تمثيله للبلاغة في أول كتابه وتصويره لها اذ يقول في علي كرم الله وجهه فمن معنى كلامه ارتوى كل مسقع خطيب وعلى منواله نسج كل واعظ بليغ اذ كان عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومحط البلاغة ومولدها ومبوب مزنها الساكب ومتفجر ودقها الهاطل وعن هذا قال أمير المؤمنين في بعض كلامه نحن أمراء الكلام وفينا تشبثت عروقه وعلينا تهدلت أغصانه ثم أورد مثالا في أول خطبة في نهج البلاغة وقال العجب من علماء البيان والجماهير من حزاق المعاني كيف أعرضوا عن كلامه مع علمهم بأنه الغاية التي لا مرتبة فوقها •• الى أن قال وقد أثر على فارس البلاغة وأمير البيان الجاحظ اذ قال : (ما قرع سمعي كلام بعد كلام الله وكلام رسوله الا عارضته ، الا كلمات لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه فما قدرت على معارضته وهي مثل قوله ما هلك امرؤ عرف قدره ؛ استغن عمن شئت تكن أميره واحتج لمن شئت تكن أسيره ولقد خرج هذا الادب السامي العلوي والبيان العبقري المطلبي نوابغ هذه الامة من القديم والحديث من أمثال ابن عباس والحسن البصري ثم زياد والحجاج وقطري ثم عبد الحميد الكاتب وابن المقفع الفيلسوف الاديب ثم من أمثال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وسعد زغلول والهلباوي وغيرهم من قادة الفكر من كل عصر فهل عسى أن نسلك مسلكهم في التهافت على هذا التراث الثمين والكنز الدفين ، أن يرد الله الخير باللغة العربية وبالدعاة الى التحرر الصادق والثقافة الاسلامية النبيلة الكريمة فهيا أيها الشباب الى تلك المأدبة التي ما تذوقتم طعمها ولم تنهضوا بأنفسكم وأسركم وأممكم الا بالتزود ففيها كل ما لذ وطاب وكان السمو والنبل لأولي الالباب •

د• محمود امين النواوي
الاستاذ بالدراسات العليا
جامعة الازهر

كلمة رئيس التحرير

قطوف وطيوف

تجتاز الدنيا كلها اليوم ، أزمة أخلاق ، هي سبب كل ما يعانيه العالم من نكبات فردية أو جماعية ، فعندما تحلل ما يقوم بين الدول اليـوم من حروب حارة أو فاترة ، أو باردة أو وقوف على حافـة الحرب النووية الرهيبة ، فلن تجد سببا لهذه الازمة قط الا الاخلاق ، وعندما تحلل ما يقوم بين المجموعات أو التكتلات الصغرى من تنافس غـير شريف ، وتماسك بالتلابيب وتنابـذ بالالقاب ، وتماكر وكذاب ، فلن تجد سببا لهذه الازمة الا الاخلاق ، وعندما تحلل ما يدور بين الافـراد ، من تدابر وتقاطع وتباغض ، بـل وتنكر وغـدر وهبوط وبهت وقطيعة ونفاق ، فلن تجد سببا لهذه الازمة الا الاخلاق .

في ساحة الحرب ، في ميادين السياسة ، في دواوين العمل ، في المتاجر ، في المصانع ، في المواصلات ، في المساكن ، في المعاهـد ، في المعابد ، فيمـا نسميه بالهيئات الخيرية ، بل والدينيـة ، في مجالات العلم والادب والفنون ، في العائلات والاسر ، فيما بين المرء وجـاره ، وعميلـه ، وزميله ، وولـده ، وابنته ، وزوجته ، حتى فيما بين المرء ونفسه ، المشكلة أولا وآخـيرا مشكلة أخلاق ، والازمة أولا وأخيرا ، أزمة أخلاق !!

لقـد عادت المشاكل الاقتصاديـة كلها ، والمشاكـل السياسية كلهـا ، والمشاكل الاجتماعية كلها ، ثم المسائل الثقافية والعلمية والذاتية حتى مشاكل الاستهلاك والانتاج ، والعمل والعمالـة ، والمساكن والمكان : الى أزمـة أخلاق ، وليس الا الاخلاق !!

ولقد عانيت ذلـك بنفسي ، ودرسته دراسة منهجية وتطبيقيـة ، دراسة ممارسة ومقارنة ، وعلم وتحقيق ، فزدت ايمانا برسالة السماء ، وزدت يقينا ، واستيقنت أن نصيب كل انسان من الاخـلاق ، بمقدار نصيبه مـن الممارسة الفعلية للعلاقة بالله ، وتأكد اقتناعي بأن المؤمنين هـم الناس ، وأن الدنيا لن تستقيم قط الا اذا غمرها الايمان ، أعني الارتباط بالسماء ، بالربانية في أرقى مراتب الصفاء والنقاء وحالئذ فقط نجد عالما بغير مشاكل ؟

وفي لبنان أدهى وأفظع مخلفات الحرب البشعة التدهور الخلقي الـذي أصبنا به على كل صعيد • ربي ارحم •

وحول اتقان العمل واحسانه نقول :

لقد مدح الله نفسه باتقان العمل واحسانه ، لينبه الى ذلك عقول عباده، فقال في كتابه العزيز : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) وقـال تعالى يصف نفسه في كتابه العزيز : (الذي أحسن كل شيء خلقه) وقد حث اللـه تعالى عبـاده على احسان العمل فقال في كتابـه العزيز (وأحسنوا ان اللـه يحب المحسنين) وقال تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك على اتقان العمل واحسانه ، فقـد روى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان اللـه يحب من العامل اذا عمل أن يحسن) •

ان التاجر العظيم ، والمثري الكبير ، والصانع الشهير ، اذا لم يراع اتقان واجبات صناعته وتجارته وثروته ، كان مآل ذلـك كله لى الضياع وانصراف الناس عنه ، وعدم الثقة به وبغضهم له وذمهم اياه ، فيعود عليه ذلك بأفـدح الاضرار المادية والمعنوية ، ان أداء عملك بأمانة وجد واتقان واحسان ، انمـا هو من فرائض الاسلام ، فـاذا أهملت كنت مـن العاصين بـل من الخائنين والمضيعين الماكرين ، وستسأل عن ذلـك بين يدي أحكم الحاكمين ، ولسوف

يبغضك النـاس بقلوبهم ، ويذموتك بألسنتهم ، وان نافقوك فضحكوا فـي وجهك ، وأثنوا عليك ، هذا فوق ما يدخره الله لك من عقوبة ونكال ، جزاء الغش والخيانة والاهمال •

ان اتقانك العمل واحسانك فيه من أعظـم العبادات ومن أهـم الاعمال الصالحات ، وخـير من كثير من نوافل الصيام والصلوات ، وبهذا تنال جنـة الدنيا وجنة الآخرة ، جزاء انك خفت مقام ربك فاتقنت وأحسنت ، قال بعض المفسرين في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ، فجنة الدنيا هي عافيتها ونعمها ونعيمها بالحلال ، كما أن اتقانك العمل وأعمالك الصالحة تقيك نار الدنيا ونار الآخـرة فقد روى أبـو يعلي والبزار ، أن سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء) فان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيم العوج أي تصلح للانسان ما اعوج من أمره وتدفع عنه ميتة السوء التي يخشاها الانسان بحكم الطبع والعادة •

لا تستكبر على عملك ولا تتهاون فيه ، بل جد في عملك واشغل نفسك ووقتك بعملك ليشغلك ذلـك عن المعاصي والمآثـم ، وليبتعد عنـك ابليس وجنوده من الجنة والناس •

روى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ان اللـه يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) •



المبادىء الثمانية

***

تثبت « العرفان » في ما يلي النص الكامل للميثاق القومي الذي أعلنه الرئيس صدام حسين وذلك لأهميته البالغة :

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

في ضوء الأوضاع الدولية في الوقت الحاضر واحتمالات تطورها فــي المستقبل وما تنطوي عليه من احتمالات خطيرة تهـــدد السيادة والامن القومي العربي من ناحيـــة والامن والسلام في العالـــم من ناحية أخـــرى ، واستجابة لدواعي المسؤولية القومية تجاه الامة العربية شعبا وأرضا وحضارة وتراثا ، وتمشيا مع حركة عدم الانحياز يجد العراق نفســه مدعوا الى المبادرة لاصدار هذا الاعلان ليكون ميثاقا لتنظيم العلاقات القومية بين الاقطار العربيّة أولا ، وتعهدا من الامة تجاه الدول المجاورة التي تعلن احترامها لهذا الميثاق والالتزام بـــــه ثانيـــا .

ان الاعلان يقوم على المبادىء التالية :

١ ــ رفض تواجد الجيوش والقوات العسكرية وأية قوات أجنبيـــة في الوطن العربي أو تسهيل تواجدها بأي صيغة وتحت أي ذريعة أو غطاء ولأي سبب من الاسباب ، وعزل أي نظام عربي لا يلتزم بهذا المبدأ ومقاطعته سياسيــا واقتصاديا ومقاومة سياساته بكل الوسائل المتاحة .

٢ ــ تحريم اللجوء الى القوات المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد أية دولة عربية أخرى ، ورفض أيــة منازعات يمكن أن تنشأ بين الدول العربيــة بالوسائل السلمية ، وفي ظــل مبادىء العمــل القومي المشترك والمصلحة العربيــة العليــا •

٣ ــ ويطبق المبــدأ الوارد في البند الثاني على علاقات الامــة العربية وأقطارها مع الامم والدول المجــاورة للوطن العربي ، فلا يجوز اللجوء الــى استخدام القوات المسلحة في المنازعات مع هذه الدول الا في حالة الدفاع عن السيادة والدفاع عن النفس ضد التهديدات التي تمس أمن الاقطــار العربية ومصالحها الجوهريــة •

٤ ــ تضامن الاقطار العربية جميعا ضد أي عدوان أو انتهاك يقوم بــه أي طرف أجنبي للسادة الاقليمية في أي قطر عربي أو دخوله في حالــة حرب فعلية معه ، وقيام هذه الاقطار بالتصدي المشترك لذلك العدوان أو الانتهاك واحباطه بكل الوسائل والطرق ، بما في ذلــك العمل العسكري واجراءات المقاطعة الجماعية السياسية والاقتصادية وفي كافــة الميادين الاخــرى التــي تقتضيها الضرورة والمصلحة القومية •

٥ ــ تأكيد التزام الاقطار العربيــة بالقوانين والاعراف الدولية فيمــا يتعلق باستخدام المياه والاجواء ولاقاليم من قبل أيــة دولة ليست في حالــة حرب مع أي قطر من لاقطار العربية •

٦ ــ ابتعاد الاقطار العربية عن دائــرة الصراعات أو الحروب الدوليــة والتزامها الحياد التــام وعدم الانحيــاز ازاء أي طرف من أطراف الصراع أو الحروب ما لم ينتهك أحد أطراف الصراع أو الحرب السيادة الاقليمية العربية والحقوق الثابتة للاقطــار العربية التي تكفلهــا القوانين والاعراف الدوليــة وامتناع الاقطار العربية عن اشتراك قواتها العسكرية كلا أو جــزءا بالحروب والمنازعات العسكرية في المنطقة وخارجها نيابة عن أي دولة أو جهة أجنبية •

٧ ـ التزام الاقطار العربية باقامة طاقات اقتصادية متطورة فيما بينها بما يوفر ويعزز الارضية المشتركة للبنـاء الاقتصادي العربي المتطور والوحـدة العربية ، وتحرص الاقطار العربية على الابتعاد عن أي تصرف يمكن ان يلحق الأذى بهذه العلاقات أو يعطل استمرارها أو تطورها بغض النظر عن تبايـن الانظمة العربيـة والخلافات السياسية الهامشية التي تحدث بينها مـا دامت أطراف العلاقة ملتزمة بمبادىء هذا الاعلان • وتلتزم الاقطار العربية بمبـدأ التكافل لاقتصادي لقومي ؛ وتتعهد الاقطار العربية المقتدرة اقتصاديا بتقديم كل أنواع المساعدات الاقتصادية للاقطار العربية بالشكل الذي يصونها مـن احتمالات الاتكال على القوى الاجنبية بما يمس استقلالها وارادتها القومية •

٨ ـ ان العراق اذ يضع مبادىء هـذا الاعلان يؤكد استعداده للالتزام تجاه كل قطـر عربي وأي طرف يلتزم بـه وهو مستعد لمناقشته مـع الاشقاء العرب وسماع ملاحظاتهم حوله ، بما يقوي من فاعلية مبادئه ويعمق مضامينه•
كما يؤكد العراق أن هـذا الاعلان لا يشكل بديلا عن ميثاق الجامعـة العربية ، وعن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي القائمـة بين دول الجامعة ، بل يعتبر تعزيزا للميثاق والمعاهدة • وتطويرا لهما بما يتناسب مـع الظروف الدولية المستجدة والمخاطر التي تهدد الامـة العربيـة والمسؤوليات القومية التي تترتب عليها في الظروف الراهنة وفي المستقبل •

* * *

ان العرب حين يقتلون لبنان فانما يقتلون أنفسـهم •

صـدام حسين

دمشق بدون شفيق جبري

بقلم: زهير مارديني

•• وأخيرا لعب القدر لعبته ، وفصله عن دمشق ، ودفع بـه الى اخدود من أخاديد الارض ليثوى هناك مجرد ذكرى من الذكريات ، ولكنها بالتأكيد ذكرى من نوع خاص ، وخلود خـاص ! لغيري أن يتصور دمشق بدونه ••• أما أنا فقد اعتدت ان أقـرن دمشق باسـمه ، وأردد لفظـة الشام وصورته أمامي ، وأتمتـم باسم (جلق) وصوتـه يلاحقني • ومثلمـا لا أستطيع أن أتخيل دمشق بدون الغوطة ، والمكتبة الظاهرية ، وسوق الحميدية ، كذلك لا أستطيع أن أصدق أن دمشق قد تركته ينفصل عنها بمثل هذه السهولة •

فهو الذي جعل من الدنيا مجرد بيت صغير لدمشق ، أو مركب صغير ، أو جزيرة صغيرة لها ••! واليـوم ، وعيني على الذكرى العطرة التي خلفهـا الرجل ، ويدي تحتضن أحداث دمشق ، وعقلي يفكر في الوطن العربي الكبير الذي ما اعترفت به دمشق الا واحدا موحدا ، ولو كره جميـع المتفلسفين •• في هذا اليوم بالذات أقول مخاطبا الرجل بعد وفاته ، كما كنت أخاطبه فـي حياته : (•• كانت كلماتك أكثر من تنبوءات •• فما أكثر مـا احتوت دمشق من رجال وشخصيات ، ثم تركتهم بلا ظـلال وبصمات وصدى ، لا داخـل نفوس الدمشقيين ، ولا داخل احداثهم رغم كبر المناصب التي اغتصبوها ••

•• وبـلا ذكـرى !) •

ان ما أقوله هنا عن الرجل سبق أن عشته ، ورأيته ، وكتبته بأيام عمري ، قبل أن أكتبه بقلمي •• لقد رأيت فيه عظمة الانسان المحب لبلده •• ومـن



نظراته تعلمت الصبر والعناد والتحدي والسخرية من الطغاة ، كل الطغاة . طغاة الروح ، وطغاة الجسد ، طغاة الداخل الصغار ، وطغاة الخارج الكبار .. ويا لصوته القاسي النبرات عندما يرفعه ليذكر دمشق . وهو ، وكل قطرة من دمه تصرخ بالاصالة الدمشقية .. وعمره حين غادرنا قد تجاوز التسعين ، ولكنه ظل عمر الشاب المحب القريب من العشرين .

لم يتزوج خوفا من أن تغار دمشق من الزوجة والولد والبيت الصغير ..

طيلة سني الطغيان التي عرفتها دمشق ، وسورية تعيش على أنباء التعذيب وصرخات الموت ، كان الرجل يعلمنا كيف تتطلع الى السماء ..!

وكنا في عمر الورود حين كان الرجل يدخل خريف عمره ، ومع ذلك كنا نصغي اليه وهو يتكلم بعينيه ويديه وكتفيه وحركات جسمه ..

وكنا نعرف عنه الشيء الكثير .. نعرف انه شاعر دمشق وأديبها وخطيبها وكاتبها .. نعرف انه كان أكبر من الشهادات العلمية .. نعرف انه يفهم الدنيا من زاوية حبه لدمشق .. نعرف انه ذو خلق ومحبة ووجدان .

وكان أشباه الطغاة يكتسحون سورية بلدا بعد بلد ، وصوته في مقهى أبي زاد (بلودان) يعلو أمامنا عن الخسارة القادمة لهؤلاء الذين دنسوا تراب دمشق بغطرستهم وامتهنوا كرامة الناس بفتح أبواب السجون والمعتقلات على مصاريعها .. وكان الرجل يتحدث عن الله الذي أحب دمشق حين خلقها ..

سمع مرة أن أحد الحكام قال انه سيدمر دمشق على رؤوس أهلها ، وكان على موعد مع هذا الحاكم في مصيف الزبداني .. فطلب مني أن أذهب الى هذا الحاكم وأقول له :

ان من يقول سأدمر دمشق ، لن يظفر بمقابلة مني . وذهبت وبلغت الرسالة ، فاذا بالحاكم يطلب مني أن أصعد الى سيارته التي قادها بنفسه

وذهبنا معا الى منزل الرجل ، حيث أقسم أمامه ان هذه الحادثة كاذبة من أساسها !

كانت دمشق تركع على قدميها ، وكان صوته ينادي في مقهى صغير ببلودان :

سينتصر الثور ..!

وانتصر صوت الرجل أكثر من مرة .

ولم يمض يوم من السنوات العشر التي قضيتها قريبا من الرجل ، ولم أسمع فيه صوته .. كنت أرى فيه ظلا للسماء .. كنت أتحسس فيه معاني الطمأنينة والخير والمحبة . كان في وجهه صور الحب وفي صوته رنات الارغن وفي دعواته أصداء المسجد الاموي .. كان يمثل الحب في حياتي .. ومن أجله ، وبسببه ، أحببت دمشق ، وارث دمشق ، وتراث دمشق .

اذا صعدت يوما الى منتزه (أبو زاد) في مصيف بلودان فلن ترى بعد الآن ذلك الرجل الذي كان يسير بهمة الشباب وقد قارب على التسعين ، لأن شفيق جبري مات .

آخر قصيدة نظمها ، ولم ينشرها كانت أثر وفاة الاستاذ صبري العسلي الامين العام للحزب الوطني ، وأعتقد ان شفيق جبري انما كان يرثي نفسه فيها :

أغريب في ربعه ما باله ... كلما جال ضاق عنه مجاله
فتراه يحدث النفس في السر ... ومنه جوابه وسؤاله
لا تلمه اذا استبد به اليأ ... س ولم تبتسم له اماله
احرام على الجفون هدوء الـ ... جفن حل بما يمض اكتحاله



أين ربعي وأين منه رجال ذهب الربع واستطيرت رجاله
أتناجي أبا شجاع وقد غاب فهذي العيون كيف تناله
هاج في أعماق القلوب دفين الحزن فالقلب هائج بلباله
ذكرتنا أيامه زمنا ولى تولت قصاره وطواله
قم وحدث وأنت عذب الاحاديث ما أمسنا ومن أبطاله
أفما كنت من بقايا نضال ملأت تاريخ الحمى أعماله
ذكر الشام ما بنت ثورة الشام ، فأين البناء أم أين آله
انسينا زلزالها في الليالي كيف ينسى من الردى زلزاله
حقبة من زماننا نال منا الضيم دهرا وطال فينا مناله
ليس فيها للناس أمر ولا نهي فما أمرنا وما مثقاله
فاستوى الموت والحياة فنعم الموت ان حل بالفتى اذلاله
ما رفيف الريحان في وضح الصبح اذا أخفت طيبة آصاله
ما جلال التاريخ ان عقه الشعب وألوى بسحره أطفاله
واذا الشعب زال ذكر المواضي من مغانيه آن منه زواله



عجبا كيف يهدأ الشام والشام استبيحت في عقره أجباله
أيبيت العدو فوق جبال تتراخى على الجبال ظلاله
أيسر العيون غمض الليالي أفما أرق العيون احتلاله
كيف لم نحن رأسنا في احتمال العار في الشام طال منا احتماله
مل منا الصبر الجميل ألم يعل على الارض والسماء ملاله
اين من يدفع الهوان عن الشام وأين اهتزازه ونزاله
اخفض الصوت وادفن الحزن حتى يأتي النصر أو يهل هلاله
باطل طال جوله فاسأل الايام عنه متى يرى اضمحلاله



قربوا ، قربوا الوصول الى المريخ ليت المريخ سهل وصاله
أترى الحر في ذراه طليقا لم تقيد يمينه وشماله
أتراه اذا تصدى لقول جلجلت دون فزعة أقواله
واذا صال في ميادينه الفيح تنزى صليله وصياله
أتسينا الليالي السود هل ينـ ـسى زمان ملء الحمى أهواله
ليس يدري الفتى أيسلم من أغلاله أم تلوى به أغلاله
ليت هذا الشباب يعلم ما كلـ ـف أشياخ ربعه استقلاله
من هشيم على الجبال تردى وحصيد على الرمال اغتياله
لو تغني الرمال لحن المآسي لتغنت فوق البطاح رماله
أو تبين الاطلال ما كابدته لا بانت شجونها أطلاله
رب فعل أتى بغير مقال ومقال لم تستبن أفعاله

***

سائل الليل والكواكب والافلا ك أين التاريخ ، أين نضاله
لا تسل عن تاريخك الطلق هل يشـ في جريحا من جرحه تسآله
أين ماض اذا القتال تلظى زحم الليل والظلام قتاله
وترامى على الخطوب كأن الـ خطب فجر تسوقه أذياله ...
فاحبس الدمع لا تبل به الخد فما يغني بالدموع ابتلاله
رب ذكرى كأنها لهب القلب ومنها اعتلاجه واشتعاله

***

أيعفي العقوق ما غادرته أعصر فيها عزنا واختياله
كيف تحيا الربوع من دون ماض يتهادى على الربوع جلاله
نهدم اليوم ما بناه لنا الامس فيطوى بناؤه وكماله
ما حياة الاحرار الا بيان يملأ الكون سحره وحلاله

انما النقد للخصال كمرآ ة تجلت للمرء فيها خصاله
ليس يخشى المرآة الا قبيح ند عن وجهه القبيح جماله
وأرى الوجه ان أدل بحسن ملأ الارض ضجة ادلاله
ما سلاح المضل غير قيود يتوارى خلف القيود ضلاله
خذ متاع الحياة مني وخل القلم الحر دافقا سلساله
كيف حال الورد النضير اذا ما حجبوا الشمس دونه كيف حاله

***

خطرات أردهن ويرجعـ ن فما بال طيفها ما باله
جمح الشعر ما أردت جماح الشعر لكن طغى عليه خياله
واذا الشمر أشعلته المآسي زلزل الليل والضحى اشعاله

***

رجل بلغ السؤدد

كتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوله ، فكتب اليه : ان قبلي رجلين يصلحان لذلك ، الاحنف ابن قيس : وسنان بن سلمة الهذلي ، فكتب اليه معاوية : بأي يومي الاحنف نكافيه : أبخذلانه أمّ المؤمنين ، أم بسعيه علينا يوم صفين ؟ فوجه سنانا . فكتب اليه زياد : ان الاحنف بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل .

دعائم المجتمع الاسلامي

بقلم : الدكتور عبد الكريم عدنان

من معاد القول ، قولنا أن الاسلام قد وضع وشرع وحدد النظام الامثل الذي يقوم عليه المجتمع المطمئن ، أو بتعبير اسلامي « مجتمع البلد الآمن » •

أما دعائم هذا المجتمع الآمن كما استقر في المفهوم الاسلامي ، فهي مـا يؤخذ من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، ومـن سيرة الصحابة الكرام من تعاليم ومثل لو قام عليها مجتمع ما فارقته السلامة أبـــدا •

وأول ما يقيم أمر المجتمع ، أن يكون الدين الحنيف هو المظلة المهيمنـة على كـل شؤونه ؛ فلا يفصلن الناس بـين دينهم وبين شؤون حياتهم ، وانما يخضعون دنياهم لما ارتضاه الله لهم دينا ، فان لم يفعلوا باؤوا بخسران مبين ، وشاهد ذلك ما تتعرض له مجتمعات أوروبا الآن من فساد يقود الى الانهيـار وسببه انهم ــ أو أكثرهم ــ قوم لا دين لهم ، وما بقي لهم مما كانوا يدينون به ، فصلوا بينه وبين دنياهم ،بل وأدنوه درجات من حياتهم ، ثم لهم دنياهم التي لا يكاد يتصل بها الدين •

وما يصدق على مجتمعات هؤلاء ، يصدق على مجتمعات الملاحـدة في الشرق والغرب سواء •

أما المجتمع الذي ارتضاه الاسلام فهو مجتمع يقوم أولا على الايمـان بالله ، يصدر عن هذه العقيدة ، وتهيمن عليـه فكرة اقامة الحياة المتوازنـة الجوانب ، ويصدر أفراده عن الاقتناع الكامل بالعقيدة الاسلامية في الحيـاة

فتأتي متضافرة متوازنة علاقتهم بربهم بعلاقتهم ببعض ، فتقوى الرابطة الاجتماعية . فقد أكد الاسلام في كل مناسبة على هذه الرابطة الاجتماعية ، وضرورة تقويتها ، ولم يأل دعائمها ايضاحا وبيانا بل ونصبا عليها أسلوبا وشريعة .

العدل والرحمة هما الاساس الاول

وهذه الحياة المتوازنة لا تقوم الا بامتثال طاعات الاسلام من صلاة وزكاة وصوم وعدل ورحمة .

« يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

فالعدل أساس هذا المجتمع السليم ، والرحمة سياجه ، والتكافل والتراحم وسيلته الى المحبة والتآلف ، فالله سبحانه وتعالى هو خالق الخلق الذي يتكون منه هذا المجتمع هو سبحانه وتعالى يقول « وألف بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » .

دعائم المجتمع المطمئن :

وأهم سمات هذا المجتمع : الاخاء .. والمساواة ـ والحرية .. والتكافل .

الاخاء

فالاخاء هو أول دعائم مجتمع تسوده المحبة ويظلله السلام ، يقول تعالى « انما المؤمنون اخوة » ويقول عليه الصلاة والسلام ، عن قوم « تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها » يقول عنهم « ان وجوههم لنور ، انهم لعلى نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » .

وما يزال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحث الناس على الاخاء ويشرحه لهم ويبين لهم معنـــاه ، باعتباره دعامة أساسية يقوم عليهـــا المجتمع الآمن ، حتى قال « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه » ومن كان فـــي حاجة أخيه كان الله في حاجته » « ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » •• كما حث الناس على أن يرفعوا مما بينهم الاسباب التي تذهب بسلامة المجتمع وأمنه وقد شرحها ووضحها فيما أدركناه من جوامع كلمة « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابـروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله تعالى » •

ولو تتبعنا سمات المجتمع الاسلامي فحسبنا من أحاديثه صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ــ ولا يخذله ، ولا يحقره » « بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » •

كما يحرم الاسلام عدوان المسلم على المسلم بأي صورة وفي أي موطن « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه » •

كما يحض على التآلف والمودة ورفع أسباب التغابن « من هجر أخـــاه فوق ثلاث فمات دخل النار » •

المساواة

أما المساواة •• فهي دعامـــة أساسية للمجتمع المطمئن ، فلا يقر الاسلام أي تمايز بين الناس بسبب الجنس أو المولد أو اللون أو النشأة أو الجـــاه ، فلا تفاوت في الحقوق يرجع الى مثل هذه الاسباب •• « يا أيها الناس انـــا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عنـــد الله أتقاكم » •• « الناس لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » •

أما التمايز الذي يقرم الاسلام ، فهو الذي يقوم على اختلاف المواهب والتفاوت في القدرات المعنوية والنفسية وهذا التفاوت في القدرات المعنوية والنفسية أساس اطراد الحياة واصلاحها ، وان الحياة لتنطلق وتسير الى أحسن وضع وفق هذا التفاوت ، طالما كان مؤديا الى سباق نزيه في الحياة ، فالناس ليسوا نسخا متشابهة أو تروسا صماء كما يدعي الملحدون .

الحريــة

أما الحرية فهي نور يبثه الاسلام في المجتمع ، ابتداء من حرية الرقبة الى حرية الفكر ، وحرية التملك وحرية القول ، وغيرها من الحريات الانسانية ..

فقد سعى الاسلام الى قطع سبل الرق والاسترقاق ، حتى أسرى الحرب أوجد الاسلام سبيلا الى افتدائهم أو حتى اطلاقهم .

يقول تعالى : « فأمامنا بعد وأما فدا » كما رفع الاسلام عن كواهل الخلق كل رهبة بغير الحق ، ومنع من الطغيان والبغي والتجبر حتى تنجو من الرهبة والذل قلوب الناس وهذا ما يعصم المجتمع أن تزول منه الحرية ، وأباح الاسلام حرية الفكر ، بل وحث عليه ، ونص على ضمانات حريته ، وكذلك الرأي فالمبدأ في الاسلام أن الدين النصيحة ، وهو بالجملة قد أوجب أن يرفع عن الناس كل شعور بالخوف أو الارهاب بل وأباح لهم القتال وشرعه لهم ضد كل ضيم وكل ظلم ..

التكافل الاجتماعي :

وهذه الدعامة في مفهوم الاسلام مبدأ ونظام ، يهدف الى اقامة مجتمع الاخاء ، والمساواة ، والحرية ، ليكون مجتمعا مطمئنا آمنا وهو لا يكون كذلك وبعض أهله جوعى الا أن يرعاهم من أغناهم الله بفضله .. وفي القرآن « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وفيه « ويطعمون الطعام

على حبه مسكينا ويتيمــا وأسيرا » وفي الحديث « من كان عنــده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان لــه فضل ظهر فليعد بــه على من لا ظهر لــه » •

ولاقامة هذا التكافل •• كدعامــة أساسية في المجتمع ، شرع الاسلام الزكاة فريضة ، والزكاة هي وسيلة هذا المجتمع الى اقامة التكافل ونشره في أركانه أسلوبا ونظاما يستقيم به ما اعوج من حياة البشر •

وقد ضرب مجتمع المدينة المنورة ـ بعــد الهجرة ـ أروع مثل لهــذا التكافل •• فيما عرف بالمؤاخاة الاقتصادية بين الانصار والمهاجرين •• حيث أقسم الانصار المهاجرين ما في ايمانهم من دار ومتــاع وفرس ونخــل وزرع وأهل ، هذه هي أهم دعامات المجتمع المسلم •

د • عبد الكريم عدنان



قيمة الاشتراك بالعرفان

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسوريا •

عشر دنانير في البلاد العربية •

٢٠ عشرون دولارا في بقية البلدان بالبريد العــادي وبالجوي خمسون دولارا •

١٥٠ ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات والشركات •

القيادة التي تسيء الى الاسلام

بقلم : الدكتور ابراهيم ديب

كنا قبل أسابيع في منزل الزميل الصديق محمد صادق ، نتحلق حـول اللواء الركن محمود شيت خطاب أحد أعلام هذه الامـة الذين تركوا فـي العالمين العربي والاسلامي دويا !

كان اللواء الركن عائدا من مشاركته للمؤتمر الاسلامي الذي عقد فـي لندن وحضره كبار العلماء المسلمين •

كان الحديث يدور حول (القيادة في الاسلام) والاثر الذي تركته على الحضارة العالمية ، والدور الذي لعبته هذه القيادة الاسلامية في نشر العدالة ، واذ باللواء الركن محمود شيت خطاب يفاجئنا بحديث شيق عن مقابلته للفيلد مارشال مونتغمري في كلية الدراسات العليا بانكلترا عام ١٩٥٤ ، وكان يلقي محاضراته عن معركة العلمين على طلاب الكلية ، وكانت الكلية تدعو الاساتذة والمحاضرين لتبادل وجهات النظر والحديث ••

وكان مونتغمري (كما قال اللواء خطاب) متدينا ملتزما بتعاليم دينـه أشد الالتزام ، ولم يكن يخفي اشمئزازه من انصراف الناس عن الدين ، وعن مقومات الخلق الكريم •

لهذا التقى اللواء الركن المسلم ، بالفيلد مارشال المتدين وراح يحدثه عن قيادة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وعن العسكرية الاسلامية مستندا الى نصوص القرآن الكريم ، والسنة المطهرة •• كما حدثه عن تعاليم الاسلام التي تأمر بالعلم وتنهى عن الجهل وتحث على التمسك بأهداب الفضيلة والمثل العليـا ••

واتضح من الحوار بينهما أن الفيلد مارشال مونتغمري لا يعرف شيئا له قيمته عن الاسلام •• كما اتضح ان دراسته في هذا الدين قد اقتصرت على كتب محدودة تتسم بالانحراف والتحيز ، وتناصب الاسلام العداء •• وتتحدث عن المسلمين لا عن الاسلام •• وأبدى الفيلد مارشال لخطاب رغبته في قراءة مؤلفات عن الاسلام بقلم مؤلفين مسلمين ، فزوده اللواء الركن محمود خطاب بما تيسر من الكتب الاسلامية باللغة الانكليزية ، ومعظمها من تأليف علماء من الباكستان والهند واندونيسيا !



مونتغمري : اذا كانت العسكرية الاسلامية بالشكل الباهر الذي قرأت عنه فلماذا أصبح المسلمون ضعفاء ؟!

ويضيف اللواء الركن خطاب :

ومرت أيام وقرأ مونتغمري هذه الكتب ، ثم طلب مني الالتقاء به في منزله •

خلال هذا اللقاء أبدى الفيلد مارشال دهشته الشديدة من التناقض الذي قرأه عن الاسلام في مؤلفات الغرب •• والحقائق التي قرأها عن الاسلام في مؤلفات علمائه •• وتساءل مونتغمري :

اذا كانت العسكرية الاسلامية بالشكل الباهر الذي قرأ عنه أو فهمه أخيرا ، فلماذا أصبح المسلمون ضعفاء مستعبدين ؟

واذا كانت تعاليم الاسلام بناءة بالصورة التي وصفت له ، فلماذا أصبح المسلمون مفككين متخلفين ؟ وقال اللواء المسلم :

هل يطبق كل المسيحيين تعاليم السيد المسيح عليه السلام ؟ فهل تلوم تلك التعاليم ، أم ان اللوم ينصب على المنحرفين ؟

رغم الجواب الوحيد الذي قدمه اللواء المسلم ، يظل السؤال الذي طرحه مونتغمري بلا جواب ! والحقيقة أن جزءا من بحوث المؤتمر الاسلامي قد طرحت ـ بصراحة مطلقة وأمانة شديدة ـ قضية المسلمين الذين يسيئون الى الاسلام لانهم يحملون اسمه وان كانوا يهدرون تعاليمه •• لقد قال اللواء الركن محمود شيت خطاب في بحثه الذي قدمه الى المؤتمر :

(•• الحق ان أسوأ دعاية للاسلام هم المسلمون ، فلم يتركوا أمرا نهى عنه الاسلام الا ارتكبوه ، ولم يغادروا شيئا أمر به الاسلام الا تخلوا عنه !

هذه شهادة رجل عسكري مسلم يعيش في الشرق ، وهي شهادة جديرة بالتأمل والدراسة للرد على هؤلاء الذين يتكلمون الآن باسم الاسلام ، وقيادة الاسلام ، ويقدمون أسوأ المثل عنه !

ان (القيادة) في الاسلام أوضحت التعريف الحقيقي لهذه اللفظة حين تساءلت :

ما هو عكس القيادة ؟

انه (التضليل) ، ولا أعرف كلمة أفضل للتعبير عن ذلك • فكثيرون من

الناس الشجعان ذوي الارادة القوية لا تتبعهم لاي سبب كان ، لاننا لا نعرف الفكرة التي يدعون اليها ، أو الطريق التي يسيرون فيها ..

لقد أعطت القيادة في الاسلام الدليل المادي على أن القيادة الشريرة قد تنجح مؤقتا ، الا أنها تحمل في نفسها البذور التي تقضي عليها ، والقيادة المضللة هي شيء كاذب ينبعث عن شخصية قوية ، وكلما اشتدت قوة هذه الشخصية ، كان تدميرها النهائي أسوأ . على ان كلا من القائد الطيب والقائد الشرير يحتاج الى الشجاعة والى قوة الارادة التي تساعد في ممارسة قيادته ، وبذلك ينال اعجاب الآخرين . ففي وسعنا القول اذن :

ان القيادة يجب أن يمارسها ، ممارسة صحيحة ، أناس ذوو سلطة . وانه لمن المهم أن يعرفوا كيف يقودون . فان لم تكن لديهم سلطة لفرض ارادتهم على الآخرين ، فان الامر يتوقف كثيرا على شخصيتهم وماهيتهم .

ولن ينجح القائد نجاحا تاما في أي حال من الاحوال ، ما لم يكن محترما ومؤمنا ، يعتمد على تعاليم سماوية واضحة المعالم ، قادرا على أن يوحي بآرائه الى الذين يقودهم وان يثير الحماسة في قلوبهم ، فيكون موضع اعتمادهم وثقتهم ، ويجب أن يتمكن ايضاح ما يراد بلغة يمكنهم أن يفهموها. فيبدو اذن أن القيادة في الاسلام تبدأ بمعركة لاكتساب قلوب الرجال وأفكارهم .. وهذا هو جوهر القضية .

من هنا كانت قيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم القيادات التي ظهرت في تاريخ العالم ، فقد جمع بين الزعامتين السياسية والعسكرية الى جانب زعامته الروحية كنبي بعثه الله تعالى ليكون خاتم الانبياء والمرسلين .

الجديد : الدكتور ابراهيم ديب

حول المؤتمر الأول لإتحاد الكتاب اللبنانيين

إعداد : العرفان

أيها الزملاء الكتّاب ،

يمر لبنان في ظروف دقيقة وعصيبة تطرح فيها كل يوم أسئلة حول مستقبله ومصيره شعبا وأرضا وكيانا ، وتتعرض الثقافة في البلاد منذ نشوب الحرب الاهلية لانتكاسات بتنا نخشى أن تؤول بها الى الانحراف والتزييف ؛ ويتطلع الكتّاب والمثقفون اللبنانيون الى تحمل قسطهم من مسؤولية النهوض بدورهم الفاعل في الحفاظ على وحدة الوطن واستقلاله وتطوره الديمقراطي وحماية ثقافته الوطنية .

ازاء واقع كهذا ، رأت الهيئة الادارية لاتحاد الكتّاب اللبنانيين أن من واجبها الدعوة الى عقد مؤتمر يكون المؤتمر الاول للكتّاب اللبنانيين ؛ وفيه يجري التحاور بين الكتّاب حول ما يشغلهم كمواطنين ويؤلف هماً من همومهم كمنتجين ثقافيين مبدعين .

ولا شك أيها الزملاء أنكم تشاطروننا الرأي في أن انعقاد مثل هذا المؤتمر بات ضرورة موضوعية تطرحها مسيرة الثقافة في لبنان بل حاجة ملحة يستشعرها كل مثقف لبناني ، وقد جرى التعبير عن هذه الحاجة بأساليب مختلفة ، فثمة العديد من القضايا المزمنة والجديدة التي تستدعي التفكير

والمعالجة ان على صعيد الكتابة نفسها في ميادين الابـداع والفكر والبحث ، أو على صعيد الهموم المهنية والمعاشية التي يعاني منها الكاتب نفسه ، ولعلنا متفقون جميعا على أنه لم يعد من الممكن تجاهل هذه القضايا كما اننا متفقون على انه لم يعد من المجدي الاكتفاء بالتصدي لها عبر حوار مع الذات مهما يكن هادئا ، ولا عبر نقاش ثنائي مهما بدا عميقا ، بل لم يعد لنا من مفر من الخروج من هذه الصيغ الضيقة الى اطـار أرحب من التفكير الجماعي ، ومن النقاش الجماعي ومـن البحث المشترك الديمقراطي المتعدد الاصوات حـول مجمل هذه القضايا المرتبطة بتطور الثقافة والانتـاج الثقافي ، وان مؤتمركم بهـذا الصدد يأتي تعبيرا ساطعـا لا بديل عنـه عن نهوضكم الـى دوركم ومسؤوليتكم الطبيعيين في اغناء ثقافتنا وتطويرها •

ومن هذه المنطلقات وبهذا الفهم لطبيعة المؤتمر وفـي ضوء النظرة اليه على انـه :

ـ مؤتمر لجميع الكتّاب اللبنانيين وليس مؤتمرا يعقده الكتّاب المنتسبون الى الاتحـاد وحسب ، اذ أن قضاياه والشواغل المطروحة فيـه هي قضايا وشواغل كل الكتّاب في لبنان ، عـلى اختلاف ميولهم واتجاهاتهم الفنيـة والفكريـــة •

ـ وانه مؤتمر ديمقراطي يحافـظ على التقاليد العريقة التي تطور فـي مناخها تراثنا الثقافي ، ويسهم بتطوير الممارسة الديمقراطية للكتّاب اللبنانيين ولا يتنازل عن الموقف المبدئي في اعتبـار الديمقراطية الشرط الاول لتفتـح الثقافة وتطورها في لبنان وفي الوطن العربي وفي العالم بأسره •

فان الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب اللبنانيين حددت بعـد التشاور مـع عدد كبير من الكتّاب اللبنانيين شعار المؤتمر الذي سينعقد في ظله وهو « من أجل ثقافة وطنية ديمقراطية من أجـل وحدة لبـنان واستقلاله وعروبته » • وحددت القضايا التي سيعالجها المؤتمرون على الوجه التالي :

أ ــ المسار الوطني الديمقراطي لتراثنا الثقافي اللبناني .

ب ــ الظاهرات الثقافية الجديدة في سنوات الحرب : الجامعة الوطنية ــ المثقفون والحرب الاهلية ــ الصحافة الثقافية ــ الكتاب والنشر ــ المجلات الثقافية ــ الرسم والملصقات ــ السينما ــ المسرح ــ الاغنية الجديدة .

ج ــ قضايا الكتابة الابداعية : مشكلية الشعر الحديث في لبنان ــ مشكلية القصة والرواية .

د ــ حرية الكاتب وقضية الديمقراطية .

هـ ــ قضايا البحث والدراسة .

و ــ القضايا المهنية والنقابية .

وهي ترى ان انعقاد مؤتمر كهذا في لبنان يشكل حدثا ثقافيا بالغ الاهمية في تاريخ الحياة الثقافية اللبنانية ؛ ولذا فهي تتوجه اليكم من موقع المسؤولية الكبرى تجاه الدعوة الى هذا المؤتمر وتنظيمه اليكم جميعا ككتّاب مبدعين ومفكرين وباحثين من أجل المشاركة الفعالة الكثيفة بكافة أعمال هذا المؤتمر وبغاية حشد كافة الجهود والطاقات الكفيلة بالارتقاء الى مستوى طموح كتّاب لبنان .

كما ترى انه بمقدار ما تتسع دائرة المسهمين في أعماله على اختلاف اتجاهاتهم يقترب بأبحاثه وتوصياته ومقرراته من العمق والشمولية المنشودين، وتلح الحاحا كبيرا على أن انفتاح هذا المؤتمر على جميع التيارات والمناهج والمدارس الفكرية والابداعية المخلصة لتطور الثقافة ، وتوفير أجواء الحوار الديمقراطي في ما بين ممثليها يشكلان بيقين اتحاد الكتّاب وبممارساته وبتوجهاته في عمله التحضيري للمؤتمر الضمانة الاولى لنجاحه .

أيها الزملاء الكتّاب اللبنانيون ،

انه لمؤتمركم وانها لقضيتكم ، فأنتم مدعوون لتجسيد ادراككم أهمية الحدث بأهمية مشاركتكم في صنعه ، وبكافـة أشكال المشاركة : المشاركة بالحضور ، والمشاركة باعـداد الدراسات والابحاث في القضايا المقترحـة ، والمشاركة الجدية في النقاش ليس فقـط أثناء انعقاد المؤتمر بل ومنـذ الآن وعلى صفحات الجرائد والمجلات لتغتني تجربتنا جميعا ويسهم كل منا بأفكاره ومقترحاته في صنع هذا الحدث الاول من نوعه في تاريخ الثقافة اللبنانية •

فلتتضافر الجهود جهودنا جميعـا لنجعل من يوم الرابع والعشرين مـن شهر كانون الثاني المقبل موعد بـدء المؤتمر الاول للكتّاب اللبنانيين يومـا مشرقا في مسيرة ثقافتنا الوطنية •

الهيئـة الاداريـة
لاتحاد الكتاب اللبنانيين

العرفان : المجلات الثقافية وهي من أهم وسائل الاعلام والمسار الوطني الثقافي لم يعالج شؤونها وشجونها أحد ، فلماذا ؟! ورجاؤنا أن لا يبقى الكلام كلاما ، بل يتحول الى اتحاد وقوة •

« من أجل ثقافة وطنية ديمقراطية » افتتح ظهر يوم الخميس في ٢٤ كانون الثاني في فندق « الكارلتون » المؤتمر الاول لاتحاد الكتّاب اللبنانيين بحضور رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص ورئيس اتحاد الكتّاب العرب الاستاذ شفيق الكمالي والدكتور قسطنطين زريق والمحامي جوزف مغيزل والاديب توفيق يوسف عواد وخليل تقي الدين والرئيس تقي الدين الصلح والاستاذ منح الصلح ، والشاعر عمر أبو ريشة والشاعرة لميعة عباس عماره والشاعر معين بسيسو والاديب جورج شحادة والهيئة الادارية لاتحاد الكتّاب اللبنانيين ووفود من معظم الدول العربية ، ومن دول أجنبية .

بعد أن عزف النشيد الوطني ، افتتح الامين العام لاتحاد الكتّاب اللبنانيين الاستاذ أحمد أبو سعد المؤتمر داعيا للوقوف دقيقة صمت اجلالا لأرواح شهداء الثقافة في لبنان وهم : كمال جنبلاط ، انطون غطاس كرم ، بولس سلامة ، ابراهيم مرزوق ، الكسي بطرس ، وجان خليفة .

واستمر المؤتمر حتى يوم الاحد في ٢٧ كانون الثاني .

كلمة ابو سعد

ومن ثم ألقى أبو سعد كلمة جاء فيها :

انها مناسبة تاريخية أن ينعقد هذا المؤتمر الذي هو المؤتمر للكتّاب اللبنانيين في ظل الظرف الحاد الذي يعيشه الوطن في أعقاب حرب عصفت به وهددت كيانه ولا تزال .

أضاف : ولعله فرصة للخروج من جو التباغض والحقد والوقوف في المواقع المتاريس الى رحابة الحوار واقتحام الواقع والفعل فيه وتغييره بدلا من الوقوف الموقف السلبي المرفوض الذي يكتفي فيه بالتفرج على ما جرى

ويجري دون أخذ مبادرة تتيح اعادة بنــاء الانسان في لبنان ومعالجة قضاياه بروح المسؤولية الرسولية .

ان الثقافة في لبنان هي جزء أساسي في القضية الوطنية العامة ، وقــد تعمق شعورنا بهذا خلال الحرب الاهليــة ولذلك دعونا الى عقد هذا المؤتمر ليكون فرصة يتاح فيهــا للكتّاب عــلى بحث معضلاتنا الثقافيــة وتطويرها لتكون قوة فاعلة وعنصر نضوج وتغيير وتقدم في حياتنا ومساهمة في العمل من أجل وحدة لبنان وتطوره الديمقراطي واستقلاله وعروبته .

اننا لا نرتجي من هذا المؤتمر الا أن يكون حدثــا في مجــرى تطورنا يتحدى جميع أشكال المنع المفروضة من هنا وهناك ويفسح في المجال للتلاقي والحوار ومناقشة كــل المسائل بانفتاح كلي سمح وبمسؤولية وبذلك يتحقق هدفنا الذي هو اتاحة للقاء وتبادل الرأي وفتح النقاش حول مــا يهم الكاتب بما هو مواطن وما يهمه كمنتج وما يرتبــط بالضمانات الاساسية لحياتـــه وابداعـــه .

المطلوب قــوة فاعلـة

وقال : ليس المطلوب في هذا المؤتمر ان يجتمع الكتّاب فحسب بل ان يتحولوا الى قوة فاعلة ذات تأثير في مجرى الحيــاة ويساهموا فــي تصحيح بنية الدولــة والمجتمع وينهضوا للدفاع عن حقوقهم ورفع يد الارهاب عنهـم والاضطهاد الممتد اليهم من كل جهة .

ان مؤتمرنا يكتسب أهميته لا لكونه لقاء للبنانيين الكتّاب دون استثناء رغم كونه لقاء من هذا النوع لاول مرة بل لكونه أولا يضع كل قضايا الثقافة وعلاقاتها بقضايا الوطن والامة في هذه المرحلة الصعبة بخاصة يضعها كلها على بساط البحث والحوار والمناقشة بصورة ديمقراطية واسعة منفتحة ولكونــه ثانيا يضع العلاقة بين الكاتب وهموم شعبه وهموم الثقافة وضعا صحيحا غير مفتعل مع بقاء الكاتب على المسافة الجمالية الابداعيــة الفاصلة بين الواقــع والفن لكنها المسافة التي لا تلغي نفسها بقدر ما تؤكد نفسها .

أننا ونحن نعقد هذا المؤتمر نستشعر مسؤولية تاريخية في أعماقنا تجاه مستقبل شعبنا ووطننا وتجاه تراث أسلافنا الذين بنوا لنا مجدنا الثقافي المشع في هذا المحيط .

وان العرب القادمين وممثلي الدول الصديقة المشاركة الذين حضروا للبنان بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر انما حضروا ليقدموا صورة عن اهتمام المحيط القومي والعالم التقدمي بمعاناة اللبنانيين وليمثلوا عاطفة العالم نحو بلد كان دائما أكبر من حجمه في القيم التي رسخها أبناؤه في تاريخ النهضة الحديثة .

اننا نحرص على أن نظل أوفياء لتراثنا متعاونين مع أشقائنا العرب والعالم التقدمي .

كلمة زريق



الدكتور قسطنطين زريق

ثم تحدث الدكتور قسطنطين زريق فقال ان اتحاد الكتاب اللبنانيين لا يزال دون الشمول والاحتضان الواسع الذي أراده له مؤسسوه .

وقال : كل هذا ينبيء بحقيقة أساسية تقتضي منا أوضح ادراك وأصدق مجابهة . وهي ان حالة التشتت والتمزق التي يعاني منها هذا الوطن العزيز والتي أدت الى الكارثة العاتية التي نزلت به وبنا تشمل ، فيما تشمل رجال

الادب والعلم والثقافة • فهم ، مثل سواهم موزعو المقاصد والميول ، تتقاذفهم شتى التيارات العاصفة بهذا البلد ، واثرهم في مواجهة الازمة ضئيل لا يكاد يلمس ، بل لا نغلو اذا قلنـا انه كان لبعضهم أثـر سلبي في اذكاء الازمـة وتسعيرها وفي تعميق الجروح التي تثخن جسم الوطن •

أضاف الدكتور زريق : ان رجل الفكر الاصيل يعتز بأن له ولاء مركبا فريدا يتحكم به ، ويهيمن على كل ما يصدر عنه من قول أو من فعـل • هو الولاء للحقيقة أثمن قيم الوجـود وأرفعها ، والولاء للعقـل سبيلا لاكتشاف الحقيقة ونشرها ، والولاء للحرية والانفتاح والحوار ودعائم أساسية لعمـل العقل ولرقي الانسان •

وليس التمسك بهذا الولاء وأداء فرائضه أمـرا سهلا • فانه يتعرض كـل يوم ، بل كل ساعة ، لمختلف المثبطات الخارجية والموهنات الداخلية التي تعمل فيه زلزلة واضعافا وافسادا • انه يجابه تصاعدا جنونيـا في تكاليف العيش والحفاظ على حرمة الذات والاسرة ، ولا نقول طلب الرفه والترف والرخاء • انه محاط بالمفاسد والشرور ، وفي مقدمتها اختلال موازين القيم ، والتـواء أساليب العمل ، وانتشار الكذب والنفـاق ، وتسلط المصالح والاطمـاع ، وتغلب الشاطر بشطارته والقوي بسلطته والغني بماله ، مهمـا تفسد وسائل هذا وذاك ومهما تنحط مراتبهم في سلم الاستحقاق القويم •

كل هذا يتسرب الى نفس رجل الفكر فيهز ولاءه ويوهن عزيمته • ولا ننسى ان رجـل الفكر لا يخرج عـن كونه انسانا ، والانسان بطبعـه ناقص وضعيف ولا يقـوى ويكتمل الا بالجهد والجهـاد • انه بطبعـه أميل الـى اللامبالاة السهلة منـه الى الايمان المتطلب ، والى الكسل والتواني منـه الى التحفز والنشاط ، والى ارضاء الذات منه الـى تجاوزها ، والى سلوك سبيل الشهوة الواسعة اللينة منه الى اختيار سبيل العقل الضيق الصارم • وهكـذا تتضافر المثبطات الخارجية ومباعث الضعف الداخلية ، فتكون خطرا دائما ـ

وفي أيامنا هـذه خطرا متصاعدا ـ على الولاء الـذي هو عمار رجل الفكر وعنوانه وميزتـه •

وخلص الى القول : فليكن هـذا المؤتمر صورة من صور هذا الجهـد الذي نحن مدعوون الى ممارسته ساعة اثر ساعة في مجابهة التحدي المزدوج المرتسم أمامنا • ان ظفرنا في هذه المجابهة هو سبيلنا الى الظفر الذي ننشد في التصدي لاوضاع الوطن والاسهام في انهاضـه من كبوته ليبقى ، وليغـدو خليقا بما يحق له ، بل بما يجب عليه ، أن يكون •

ولتصدر من هـذا المؤتمر صيحة ترددها جبـال هـذا الوطن وأوديته وسهوله وسواحله ، صيحة من الاعماق الى الاعماق ومن الضمير الى الضمير، صيحة موجهة الى كل ما يتشرف بالمهنـة التي تجمعنا ويصبو الـى التقدس بالرسالة التي تنطوي عليها هذه المهنة : تعالوا الى كلمة سواء بيننا • تعالـوا نفتح أبواب الحوار حرة مشرعة ، تعالوا نخضع أنفسنا جميعا لاحكام العقل ، تعالوا نمتحن ولاءنا الفكر الاصيل ، تعالوا نجهـد معا في مجابهـة التحدي الذي يفرضه هذا الفكر وفي القيام بمطالبه العسيرة ، تعالوا نبني وحدتنا على أسس الصدق والصراحة والنقـد الذاتي تعالوا أولا وأخـيرا نحيي القيـم الانسانية الصحيحة في ذواتنا كي نستطيع المشاركة في احيائها في وطننا •

كلمـة الحـص

أكد رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص ان لبنان لم يفقـد تصميمه على الحياة وان أرضه لا تتسع لبغضاء أو ضغينة • وأشار الـى أن المشاكل عند اندلاع الازمة أصبحت أكثر تعقيدا بسبب الاحتكام الى لغة السلام التي لم تسفر عن حل أية مشكلة • وقال ان منطق المتصمين بالسلاح قـد سقط ، وان حل الازمة لم يعد متوفرا من خلال كلمـة أو موقف أو قرار أو لقـاء أو اتفاق بل هو مسيرة شاقة •

وكان الرئيس الحص يلقي كلمـة في افتتاح المؤتمر الاول لاتحـاد الكتّاب اللبنانيين في فندق « الكارلتون » •

وقال : انني أرى فـــي الكاتب اللبناني الكثير مما كانه لبـــنان والكثير مما أردنا ان يكونه لبنان ، لبنان الذي كان ، وسيبقى باذن الله ، هو لبـــنان الحريات : حرية التفكير ، وحرية التعبير وحرية المعتقد وحرية العمل ، أحسن اللبناني ممارستها أو أساء •

ولبنان الذي نريد هو أكبر من كيان وأرحب من وطن • انه في عالمـــه العربي عنوان لدور مبدع خلاق فاعل ولرسالة ثقافية حضارية انسانية •

وأضاف : واذا كان وجه الكاتب ، وهو وجـــه الخير والبشر والاشراق قد حجبه سحابة من الزمن ، ضباب الطيش ودخان المعركة ، فان عودة ذلـــك الوجه الى الاطلال سريعا هي خير شاهد على ان لبنان لـــم يفقد تصميمه على الحياة • وحياة لبنان كانت وستبقى أبدا ينبوع خلق واتاج وعطاء •

وأوضح الدكتور الحص بأن الاحتكام للسلاح لم يسفر عن حل مشكلة واحدة بل أدى العنف الى بروز معضلات اجتماعية حادة •

وقال : عجبا لاولئك الذين ما زالوا مع ذلك ، يعتصمون بالسلاح • أما آن لهم أن يعوا أن منطقهم قد سقط •

لقد أصبح واقع الازمة مركبا من أسبابها ونتائجها ولم يعد من الواقعية في شيء التطلع الى حل بسيط لمشكلة شائكة • فالحل لم يعد ميسورا مـــن خلال كلمة أو موقف أو قرار أو لقاء أو اتفاق • الاحـــرى أن نتقبل النظر الى الحل على انه مسيرة ومسيرة شاقـــة • والمهم ان نضـــع قدمينا عـــلى الطريق الصحيـــح •

وللكاتب ، لكل ذي قلم حر ، دوره في رسم الطريق وفي انارته •

نقيب الصحافـــة

وتحدث نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه باسم الصحافة اللبنانية فقال:

قبل قرن واحد كانت اللغة العربيــة وآدابها تعاني مــن عصر الانحطاط وقبل قرن واحد كانت فكرة القومية العربية تكـــاد تتلاشى • وكان الاسلام العثماني يحاول أن يطمس العربية والعروبة في بلاد العرب •

أضاف : ولكن في هذا القطر العربي الصغير انطلقت أول موجة للكتابة العربية والدعوة للعروبة • وقد ظل لبنان منذ مئــة عام أمينا على رسالتين : رسالة العربية ورسالة العروبة •

وقال : كان الكثيرون يظنون أن لبـــنان يشكل العنصر الضعيف فــي الجسم العربي وعندما كانوا يجتمعون ويخططون للصلح مــع اسرائيل كانوا يقولون أن لبـــنان سيكون أول الساقطين ولكن النكبات والعواصف والمحن التي مرت على لبنان ، هذه المحن كلها لم تجعل من لبـــنان يسقط وان كانت أكبر دولة عربية قد سقطت •

وتابع : لم يرتفع حتى اليوم صوت واحـــد يطالب بالاعتراف باسرائيل ولم يرتفع صوت جدي واحد مسؤول يتنكر للعروبة •

ومن محراب الكلمة ينبغي لنا قبل أي شيء ان ندعو الى تعزيز حريـــة القول والكلمة في الوطن العربي اذ لولا حرية الكلمة والفكر لمــا كان للعرب هذه الحضارة وهذه القيم •

وقال طه : وأنا أنتسب الى هيئة تقاتل وتقاتل من أجـــل حرية الكلمـــة أتوجه اليكم داعيا الى وحدة النضال من أجل هذه الحرية ، اذ لا معنى لحرية الوطن من دون حرية المواطن •

وبعد أن حيا المؤتمرين والضيوف دعا الاقلام الى مواصلة النضال مــــن أجل الحرية والى دعم هذا البلد والى دعم النضال الفلسطيني لانه هنا التقى المشردون من وطنهم وفي وطنهم •

كلمة رئيس الاتحـــاد

وألقى رئيس اتحاد الكتّاب العرب الاستاذ شفيق كمالي كلمة جاء فيها:

على وجدان الكلمة الخلق ، نلتقي هنـــا ، حيث يكون لبنان الرجاء ملء العين والقلب ، وحيث نطمح أن يبقى لبنان الرجـاء ، والحرية والجمـــال والواحـــة .. في زهوه ، كان الاشعاع وفي الحرب كان قداس الاحـــزان ، وتراتيل من صلوات البشر ..

اليوم ، حين تلتقي الكلمة الحرة ، التي عمدها لبنان بالدم والتضحيات لها تهمل الواجب ، ولها نستنهض العدم ، بل .. ولان لبـــنان يبقى الاصفى نبعا ، نستنهض الهمم من أجـــل وحدته شعبا وأرضا ، ومن أجـــل عروبتـــه واستقلاله .

واذ يشرفني اخوتي الادباء والكتّاب العرب أن أمثل فيهم صوت الحب والتعاطف والتآلف الحميم ، مع هـــذا البلد الجريح ، المعذب ، أضـــع نصب العين ، أهمية ان يبني الابناء وطنهم بـــلا احزان العذاب القاسي ... ان تبني أذرع العرب جميعاً ، واحد العرب جميعا .

ولاننا نؤمن بأن لبنان الاشم ، هو وجدان الامة ، نطمح ان يكون كما يجب ، وكما يراد له من طموح ..

لذا .. يعز علينا ان نـــرى جنوب لبنان على مـــا هو عليـــه وان يكون مشهدا عريضا للعدوان الصهيوني الممعن في الهدم والقتل والاحتلال ..

لقد تعذّب لبنان كثيرا ، وعانى التمزق والاحتراق والدمار .. حتى بات خلاصة عذاب الامة كلها ، وآلام الامة كلها .

اننا ، ومن على هـــذا المنبر ، ندعو العرب جميعـــا ، وقوى التحـــرر ، والانظمة ذات القدرة والفاعلية ، على العمل الجاد ليس من أجـــل نصرة لبنان فذلك أول الواجبات بل من أجل اعادة بناء لبنان الصفاء ، والحرية ، ووحدة الارض ، ووحدة الشعب .

أيها الاخوة الاشقاء

انكم تدركون ، ما للكلمة الخيرة من فعل مؤثر في الحياة ، أيام الحرب وأيام السلم . والمسعى الذي يلتقي الجميع من أجله يكمن في مواجهة السؤال الخطير : لبنان يكون أم لا يكون .. ولان لبنان لا بد أن يبقى ، وان يكون المرتجى ، كما الطموح .. لا بـد ، اذن ، أن تكرس فينا الشعور بعظم المسؤولية القومية والتاريخية .

الجلسة الختامية للمؤتمر الاول لاتحاد الكتّاب اللبنانيين (٢٤ ـ ٢٧ كانون الثاني ١٩٨٠) وناقشت التوصيات قبل التصويت عليها .

تحدث الامين العام للاتحاد السيد أحمد أبو سعد فقال بضرورة أن يتحول الاتحاد الى « اتحاد حقيقي شامل يضم جميع الكتّاب في نقابة تكون التعبير الاكثر واقعية وفعالية عن ذلك المضمون الحقيقي لكلمة اتحاد متوجها الى السادة توفيق عواد ، وجورج شحادة ، وقسطنطين زريق ، ومنير بعلبكي ، وحسين مروة ، ومنح الصلح ، وجوزف مغيزل ، ويوسف ابراهيم يزبك لان « يؤلفوا مجلس أمناء للاتحاد ويعيدوا النظر في تنظيمه » .

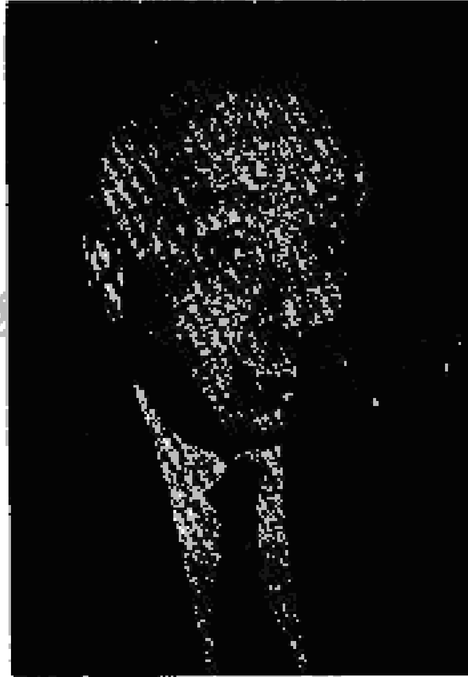
ووضع استقالته في « تصرف هؤلاء الزملاء » .

***

العرفان : نهاية حسنة وهؤلاء الزملاء الذين سماهم « أبو سعد » لا غبار عليهم ، فيجب الاختيار بعد التنظيم لا من فئة واحدة وخصوصاً حين الانتخاب .

نظرة في منهجية كتابة التاريخ

محاضرة : يوسف ابراهيم يزبك



يوسف ابراهيم يزبك

ان التجارب التي مررت بها طوال خمسة عقود في الكتابة أوصلتني الى اقتناع نما حتى صار ايمانا ، وهو ان كل بحث ـ سواء أهو تاريخي أم غير تاريخي ـ يجب ان يكون صاحبه قد ارتفع به ضميره الانساني ، وضمير العمل عنده ، الى سدرة القداسة حتى يستطيع الوصول الى الامانة في عمله. فالبحث هو التفتيش عن حقيقة ما ، تفتيش تنبه ونزاهة وصبر ، وبعده تقدم الحقيقة للمحتاج اليها وهي جلية واضحة ، لا يأتيها الباطل من جانب .

هذه الامانة في العمل بلغت عند روادها من سلفائنا انهم كانوا يسردون البراهين والاستشهادات والادلــة التي تثبت صدق روايتهــم ثــم يختمونها بقولهم : « هذا ما أوصلنا اليه البحث والتدقيق ، والله أعلم ! ومعنى كلامهم ان الباحث الذي نقب وفتش ، وعرب وقمش ، كان يظل على شيء من الحذر خوف وقوعه في الخطأ فيقول : والله أعلم !

لا بد لي من الاستدراك هنا بأنه لما « فلت الملق » فيما صار يزعم بحثــا وتاريخا ، وتنطح المتطفلون للكتابة جــرى بعضهم على سنة الباحثين الجديين المتحذرين واستعملوا قولهم « والله أعلم » تهربا من التبعة ، وتقليداً للعلماء أصحاب الوجدان في الانتاج .

وكان من عناية الباحثين الاولين في السلف الصالح ، الجادين بعملهم ان أخذوا يضعون شروطا وقواعد للتاريخ ، واقتفى تلاميذهم اثرهم وزادوا فيها، حتى صار التأريخ ، كما تعلمون ، عليما قائما بذاته مثل الحقوق والرياضيات والفلسفة ، وما اليها ، وصار اسم قواعــده الميتودولوجية (علم أو دراســة الاسلوب) وقد ترجم بكلمة المنهجية وكنا قبل ثلاثين سنة قد بدأنا ننهج عملنا باتباع المنهجية ، وأما اليوم فلا أعرف المدى الذي وصل اليه باحثو التاريخ في العالم العربي عامة ، وفي لبنان على التخصيص ، من تحقيق القواعد والشروط الوجوبية التي يفرضها علم التأريخ ، ولكنني أعرف أن ستين وسبعين في المئة من المؤرخين في الاقطار الشقيقة صاروا يلتزمون بها وأعرف ان ستين وسبعين في المئة من المؤرخين المبنان ـ قلت : للبنان ولم أقــل في لبنان ومن المؤرخين الجدد في مصر ، على اختلاف نزعــات الفريقين في القطرين ، وعلى تمايــل هواجسهما ، لا يتقيدون بالمنهجية ولكن الحق يقتضي هنــا بالاعتراف بــأن العراق يرئس جميــع أقطــار العرب في النهضــة التاريخية ، حيث الجديــة والرصانة صارتا تقودان العمل الادبي فيه . وهذا في رأينا رأس التقدم الذي يمشي اليه القطر الشقيق ، والذي نحتاج اليه ونريده في دنيا العرب كلها .

وكان من تراخي المدرسين الجدد ، وهم ليسوا بناضجين جميعا ، في كليات كثيرة بمصر ولبنان ، ان « فلت الملق » الغوغائي ، وعصفت بالطلاب موجة عبادة لقب دكتور ، فهجم كثيرون منهم ، على خزائن الوزارات الاوروبية يبحثون في ملفاتها عن الرسائل القنصلية التي تتعلق ببلادنا ، وراحوا ينسخونها « على علاتها » بقضها وقضيضها ثم راحوا يكتبون لكل رسالة بضعة سطور تمهيدا لها ، أو تعقيبا عليها ، ويقدمونها للقارىء على انها تاريخ أنالهم لقب دكتور ، دون ان يعرفوا « ما » ومن هو كاتب الرسالة بالنسبة الينا : أي ما هو « انسانه » على كونه بشرا سويا : هل هو صادق ؟ هل يكذب ؟ هل يظلم ؟ هل ماضيه نظيف ؟ ما هي نزعته السياسية ؟ ما موقف حكومته من السلطنة العثمانية ، وهي دولة بلدانا يوم كتب رسالته ؟

ثم : هل عرف الطلاب والباحثون الهاجمون على ملفات الوزارات الاوروبية من هم المواطنون الذين تربط القنصل مصلحة ليتأثر بهم؟ وما مدى معرفته للاشخاص الذين كتب عنهم ؟ وما مدى اطلاعه على كل حقيقة الموضوع الذي وضع تقريره عنه ؟

أيها الزملاء الاعزاء

أنتم تعلمون أن في علم التأريخ قاعدة أساسية تنص على وجوب التظني والشك في ما نقرأه من أخبار ، وعلى وجوب الحذر من تصديقها فورا • وقد قال ابن خلدون : « شك المؤرخ رأس حكمته » ••

وتحضرني هنا ، احدى حضرات اناتول فرانس العبقرية ، هذا الفيلسوف العلم بنزعته الاشتراكية وقلمه الساخر ، روى في موضوع التأريخ عن راو سبقه ، نقلا عن راو آخر ، ان المؤرخ ولتر لي كان ذات يوم قابعا في مكتبه ببرج لوندرة ، يعمل في المجلد الثاني من كتابه « تاريخ العالم » فسمع شجارا تحت النافذة وقام وشهد أشخاصا يتخانقون ، ولما رجع الى عمله ظن أنه شهد كل ما جرى •

واتفق أن صديقا له كان منخرطا بين المتشاجرين زاره في اليوم الثاني وحدثه عن ذلك الشجار ، فاذا بولتر يسمع تفصيلا جديدا يناقض كل ما خيل اليه أنه شهده بنفسه نقاضا تاما . فاستغرب المؤرخ الامر وأخذ يفكر متسائلا :

ـ لقد أخطأت في معرفة حادثة وقعت تحت نافذتي ، فأنى لي أن أتثبت من صحة الحوادث التي أنقلها وقد وقعت قبل مئات السنين ؟ وما تراه سيكون نصيب مؤلفي من الحقيقة ؟

وقام المؤرخ الكبير الى أوراقه ورمى بها في الموقد طعما للنار ...
وتروي لنا كتب الادب ان شاعرا عربيا قد سبق اناتول فرانس الى هذا التشكيك اذ أنشد :

فما كتب التاريخ في كل ما روت ... لقرائها الا حديث ملفق
نظرنا بأمر الحاضرين فرابنا ... فكيف بأمر الغابرين نصدق ؟

ان الكلام على وجوب الحذر والتروي في ما تقرأ من أخبار ـ والتاريخ أخبار ـ لا يحتاج الى برهنة . ولا نذهب الى بعيد للاستشهاد فهذه صحف الاخبار عندنا ، ماذا تقول ؟

تقع حادثة ما ، ذات علاقة بالسياسة ، أو ذات رائحة حزبية ، فترويها الصحف بأساليب منوعة ، ثلاثة في الحد الادنى ، ويتناقض السرد فيها والتفصيل حتى يصير الخبر المروي أسود أو أصفر أو أحمر في يوم واحد ، والالوان الثلاثة ليست بلونه الحقيقي . بعد عشرين سنة يأتي باحث مستعجل لنيل لقب دكتور فيختار لونا من الالوان الثلاثة ـ وكلها زائف كما قدمنا ـ ويكتبه في أطروحته ويفرض انها بحث علمي جدي ورصين ، ويضع لها عنوانا : « تاريخ القضية الفلانية » أو « تاريخ الحادث الفلاني » ، وتقرأه الناس وهي تظن انه تاريخ صحيح !

وأعتذر عن الاشارة الى أن قلمي جف وأنا أكتب منبها ، وصوتي بح وأنا أصرخ محذرا : « يا جماعة الخير ، يا طلابنا الاعزاء الراكضين الى لقب الدكترة ، ويا باحثينا ومؤرخينا الاجلاء ، دكاترة وغير دكاترة ، المتلهفين الى المزيد من مؤلفاتكم النفيسة القيمة ، احذروا القراءة السريعة واحذروا على الاخص القرءات السياسية ، واحذروا ملفات وزارات الخارجية والحربية والبحرية في دول الغرب ، الملفات الجامعة التقارير عنا ، ففيها مين وافك وسموم ، وفيها تعصب وتضليل وهموم » •

وقد أجاب الصدى دائما : لا حياة لمن تنادي !

ومرارا قلت : ان مهمة القناصل في ذلك الزمان نوع من الجاسوسية ، كمهمة السفارات في أيامنا • وتقاريرهم الى حكوماتهم ملتوية متناقضة متعاكسة • كل قنصل يرى حوادثنا بعينه ، ثم بين مصالح دولته ••• ونظرة سريعة الى شجوننا في مراحل رئيسية منها : كأحداث ١٨٤٠ ، و ٤٥ و ٦٠ و ١٩٢٠ و ٢٥ ، تريشا الاكاذيب مفضوحة ، والتناقض مخيفا في التقارير القنصلية الفرنسية والانكليزية عن تلك الاحداث (ومثلها التقارير الروسية والالمانية والنمساوية والتليانية) • أما الملفات العثمانية فتقاريرها عن الشخص الذي لا ترضى عنه السياسة التركية تزعم انه قد تنصر وغوى ، فيما ان كان مسلما ، وانه يخدم الكفار • وأما اذا كان مسيحيا فهو قد طعن بالدين الاسلامي وقذف بجلالة الخليفة ، وما الى ذلك •

وفتحت اليوم خزائن الملفات الاقرب الى زماننا ، وفيها أخبار ثوراتنا الوطنية وغضباتنا التحررية ، فيها أنباء مجابهتنا مستعمرينا من ترك وانكليز وفرنسيين وتليان وثعالب وشياطين ــ وجميع التقارير المكتوبة عنا متحاملة علينا ، وظالمة اباءنا وبلداننا ، وجاعلة من حبتنا قبة ، ومن جرائم المستعمرين تمدينا وارشادا •

وبعد ، فما رأيكم في من ينقل تلك التقارير على علاتها ، ويتبنى مروياتها ، ويطرحها على القراء الذين لا يعرفون التاريخ ، ويقولون لهم انها حوادث ومستندات وحقائق تاريخية •

تعلمون أيها الزملاء الكرام ان في النقل جهدا ، وفي التفتيش نصبا ، وفي وزن للمنقول تعبا ، وفي الحكم على صوابه علما • ولكن المتدكترين في سبيل التعالي والانتفاخ والاستدياك ، مسرعون يريدون دخول باب الشهرة بلا تعب ، فيصفعون ناموس العلم ويصفقون على الحقيقة ، غير مبالين بأن عملهم جريمة !

وهناك ما هو أشد اجراما : فبين « الباحثين » من يشوه النص الذي ينقله ، يحذف عندما لا يداعب هواه السياسي ، أو انه يقطع منه فقرات لتأييد وجهة نظر ، أو تسفيه وجهة نظر •

وهناك أيضا ما هو أفتك خطرا من كل ما تقدم : وهو ان في بعض جامعات الغرب مدرسين تختارهم حكوماتهم ليوجهوا الطلاب الشرقيين والافريقيين نحو آراء ونزعات تساعد على تشويه حركات بلداننا التحررية وعلى تخفيف الاخطاء وتصغير الجرائم التي ارتكبتها دول اولئك المعلمين في مستعمراتها ومحتلاتها القديمة ـ يتوجه المدرسون الساترون استعماريتهم بحجاب العلم هذا التوجيه ، حتى تتناسى جرائم دولهم مع مرور الايام ، ظانين أن المظلوم ينسى أنه لدغ من الاستعمار وتلاميذه ، ومن تلاميذ التلاميذ ما قد قهره وأذله وزاد في جهله •••

ولن أقول : والله أعلم ، كما كان يقول روادنا ، وهم أصحاب العلم والامانة في التاريخ • ولعل صرختي لا تذهب في واد •

* * *

العربيـة المعـاصرة والابداعات

محاضرة : الدكتور عفيف دمشقية

لا بد من الاتفاق في مستهل الحديث على أمر « العربيــة المعاصرة » : هل هناك « عربية معاصرة » حقا ، أم أن العربي ما يزال يستخدم في أواخـر القرن العشرين لغة الاجداد ؟

قد يطيب لاصحاب « النقاء اللغوي » تأكيد الامر الثاني ، صادرين في ذلك عن بعض الاوهام من مثل :

١ ــ فضل العربية وكمالها ، نكاد نقول المطلق ــ بازاء سائر اللغــات ، لانها لغة القرآن والسنة ، وهما كل الدين •

٢ ــ دور القرآن في حفظها والحؤول دون أن يصيبها مــا أصاب بعض اللغات من انحلال وموت وانقراض (اللاتينية مثلا) •

٣ ــ قيام السلف الصالح برسم حدودها وضبط قواعدها بما لا يتــرك مجــالا لمستزيد •

٤ ــ استعصاؤها على العاميات السائدة في شتى أقطار العالم العربي ، على الرغم من الدعوات الشعوبيــة التي لا تفتر لاحلال تلك العاميات محـل اللغة النموذجية المشتركة بين أبنــاء العروبة من المحيــط الى الخليج ، وبعد زوال لغات في طليعتها « اللاتينية » التي كانت لغة الكتابــة والفكر والادب في فرنسا وايطاليا ورومانيا واسبانيا والبرتغال ، ثـم انقرضت لدى اشتداد عود اللهجات المحلية في تلك البــلاد وانتقالها من أداة للمحادثــة وتصريف شؤون الحياة اليومية الى حامل لفكر القوم ، بعد أن وضحت دلالاتها وطرق استعمالها ، وتم لها تأدية الحقائق العلمية والادبية •

ونبادر قبل الافصاح عما اذا كان هناك « عربية معاصرة » الى القول بأنه ليس لباحث بالطبع أن يتعامى عن فضل القرآن في حفظ العربية ؛ ولا عن دور اللغويين والنحاة العرب في رسم حدودها وضبط قواعدها ووضع مقاييسها • لكنه لا يملك كذلك التعامي عن حقيقة علمية هي أن اللغة ؛ أية لغة ؛ تتمرد أبدا على الجمود في قوالب ، مهما يتفنن أبناؤها في وضع معجماتها ، وتحديد ألفاظها ومدلولاتها ، وضبط قواعدها وأصواتها • كما لا يستطيع التغاضي عن حقيقة علمية أخرى ، هي أنه لو بحث باحث عن تحقيق الكمال في اللغة لما عثر عليه في أي مكان • ذلك أن الكمال مثل أعلى ينشده المرء باستمرار ولا يعثر عليه قط •

وأما استعصاء العربية الفصحى على جميع العاميات العربية فأمره يختلف كل الاختلاف عن أمر « اللاتينية » وحلول العاميات الفرنسية والايطالية والاسبانية ••• الخ • محلها ذلك أن العاميات السائدة في أقطار العالم العربي اليوم ليست « لغات » أو « لغيات » محلية مختلفة في أصولها كل الاختلاف عن العربية الفصحى ، كما كانت حال العاميات المذكورة أعلاه مع « اللاتينية » • واذا كان في العاميات العربية بعض المفردات التي لا تمت الى الفصحى بصلة فهي لا تعدو أن تكون جزءا لا يكاد يذكر بالنسبة الى الكل ذي الاصول العربية الصريحة ، مفردات وصيغا وطرق تعبير ، حتى وان غابت عن هذا الكل قواعد الاعراب وعلاماته من ناحية ، وطرأت تغييرات شتى على أصوات بعض الحروف فيه ، أو حدثت بعض الاختزالات في الكلمة الواحدة؛ أو تراكبت كلمتان أو أكثر في كلمة ، من ناحية ثانية • فهذه الظواهر لا تخرج على المألوف من سنن التطور الذي لا محيد عنه في كل لغة ، ولا عن سنة الميل الى الاختصار تبعا لنظرية الجهد الاقل •

وبعد ، هل هناك « عربية معاصرة » ؟

لقد دلت الدراسات الرصينة على أن لغة عربية حديثة بدأت بالتكون مع اطلالة « الصحافة » على العالم العربي في أوائل القرن الماضي • ولعل أبرز

معالم « الحداثة » في تلك اللغة :

ـ تسرب عدد من طرق التعبير الاجنبية عبر الصحافة والمترجمات التي نهضت بالجزء الاكبر منها « مدرسة الالسن » التي أنشأها رفاعة الطهطاوي في مصر في عهد محمد علي •

ـ المشتقات والمنحوتات الجديدة التي ابتدعتها قرائح الكتّاب والادباء للحلول محل المقترضات العجلى من اللغات المترجم عنها •

ـ تغير طريقة الكتابة تبعا لتغير طريقة التفكير : من تقصير الجمل ، وفصل العبارات واستخدام صيغ جديدة لاداء معان جديدة ، والتجوز بكثير من المفردات لاصابة ما لا تطوله بأصل الوضع اللغوي ما دام اللفظ الجديد أو الاسلوب الجديد ليس من شأنهما افساد أصل من أصول اللغة أو الخروج بها عن طريقها المألوفة •

واذا كانت هذه اللغة العربية « الحديثة » التي ولدت مع بدايات القرن الماضي ونمت وترعرعت في أوائل هذا القرن حافلة بألفاظ ومفردات لم يعد لمدلولاتها الاصلية وجود الا في بطون المعجمات ، وفي أذهان نفر ضئيل من المتخصصين بالتراث ، لانه أصبح لها مدلولات جديدة في حوافظ المعاصرين اللغوية من مثل (برر عمله) بمعنى ذكر من الاسباب ما يبيحه وأصل معناها (زكّاه وطهّره) ، و (صوّت) ، بمعنى اقترع وأعطى صوته في الانتخاب ، وهي في ان الوضع مبالغة في (صات) أي أخرج صوتا ، و (أضرب) بمعنى توقف عن العمل احتجاجا على أمر ما ، وأصلها (أقام في مكانه ولم يبرح) ، الخ ••• واذا كانت كذلك تجمع ضروبا من التعابير المفترضة من اللغات الاجنبية مثل (ذر الرماد في العيون) و (الاصطياد في الماء العكر) و (لعب دورا) الخ ••• واذا كان القارىء العربي يمر اليوم بكل هذا فلا يكاد يخطر بباله انه ليس من صميم لغته ، فان المسيرة لم تتوقف ، بل ما زالت مستمرة مع أمثال (التقزيم) و (التحجيم) و (الاسقاط) و (البنى الفوقية والتحتية) و (تطبيع العلاقات) الخ ••• وأمثال (وضعه في الصورة) و (أعطاه الضوء الاخضر) و (سعى لاحتوائه) الخ •••

أضف الى هـذا عنايـة الكتّاب والباحثين العـرب المعاصرين بتسخير وسائل « الابلاغية » لخدمة ما يدعون ، كالاهتمام بعنصر من عناصر العبارة وابرازه بمختلف الطرق التعبيرية من تقديم وتأخير ، وتكرار والحاح ، الخ٠٠ وكاللجوء الى استغلال القيم التي تستدعي الى الاذهان ذكريات أو عبرا ، أو تثير مخزونات كامنة في الحافظة ، أو اللاوعي ، وغير ذلـك من الامور التـي يتوسلها الفنان الحق لابلاغ المخاطب بما يريد بأيسر السبل وألطفها وآكدها ٠

ويتضح من كل ما تقدم ان لا مراء في ان العالـم العربي اليوم يستخدم « عربية معاصرة » ، وان انكار وجودها ضرب من المكابرة لا طائل تحتـه ، أو هو ضرب من الجهل لا يليق بمثقف ، فكيف بمثقف يحيا في القرن العشرين في عالم يراهن ويضارب على ما ستكون عليه الامور في القرن التالي ؟

والآن ، ما دور « العربيـــة المعاصرة » بـازاء الابداعات والحاجـات الجديـدة ؟

انه لما كان المقام لا يتسع لتوفية الموضوع كل حقه ، فقد رأينا ان نقتصر على أربع نقاط هي :

ـ العالم العربي بوصفه كيانا خاصا لـه مشكلاته وهمومه ، وآمالـه وطموحاتـه ٠

ـ قدرة « العربية المعاصرة » على الوفاء بحاجاته ٠

ـ العالم العربي جزء من العالم الاكبر الذي يكاد يجـد فيه جديد كل يـوم ٠

ـ حاجـة العرب لتمثل ابداعات الحضارة العالميـة ، ودور « العربيـة المعاصرة » في ذلك ٠

العالم العربي اليوم في مخاض : بحث عن الذات ، ثورة عـلى التخلف والجهل ، سعي للاعتماد على النفس في الكشف عن مصادر الثروة ، وتوظيف الامكانات ، أمل وعمل لتحرير الارض المغتصبة ، نهضـة جديدة ومزيد مـن

الرقي الفكري والثقافي ، دأب متواصل للحاق بركب الحضارة المعاصرة ••• انه في حركة دائمة ، والحركة حياة •

ولما كانت اللغة مؤسسة انسانية ترقى برقي أبنائها ، وتحيا بحياتهم ، وتتطور بتطورهم ، ولما كانت أداتهم الحضارية الوحيدة للتعبير عن مشكلاتهم وهمومهم ، وتطلعاتهم وطموحاتهم ، ولتحقيق آمالهم وصبواتهم ، فلا غرو أن تستجيب « العربية المعاصرة » لحاجاتهم وتتمثلها ، وأن تحتوي ابداعاتهم وتمثلها • ولقد قدم المفكرون الطليميون من شعراء وقصاصين ومسرحيين وباحثين بين يدي لغتهم حياة نابضة بكل ما في الكلمة من معنى فلا عجب ان هي تلونت بها بأزهى الالوان ، وزفتها بدورها الى الجماهير العربية العريضة أصداء صافية لما يعتلج في الصدور من مقومات الحياة •

ولا نرانا في حاجة الى الاغراق في تأكيد هذا الامر ، فالادب ، شعرا كان أو نثرا ، ابداع • ولا يكون الابداع بغير « اللغة » التي تفكر داخل ذات المبدع فتصوغ ابداعه كخير ما تكون الصياغة ، وتفكر خارج ذاته فتبلغ مخاطبيه ، وجمهوره ذات الابداع كأحسن ما يكون البلاغ •

واذا حدث ان شعر انسان بقصور لغته عن أداء ما يريد فهو القاصر عن بلوغ مستوى الابداع ، وعليه ، بدل أن يصبّ جام غضبه على « اللغة » ، أن يحتشم وينسحب من الميدان لان العلة كامنة في ذات نفسه ، لا فيها هي •

ان في اللغة نوعا من « ما ورائية خفية » تحدد فكر الناطقين والكاتبين بها ، وتوجهه وترسم له قدره • انها ليست مجرد نظام لساني مهمته تجسيد الافكار والآراء ، بل هي نظام لصقل تلك الافكار والآراء ، ومنهج لارشاد نشاط الفرد الذهني ، وتحليل انطباعاته ، وتوليف ما في أعماق ذاته • وفيها كذلك من الطواعية ما يجعلها تستجيب لحياة كل جيل وحاجاته وابداعاته • ذلك انها ارث جماعي يعاد تأسيسه ويستكمل بشكل أو بآخر ، وبدرجات متفاوتة ، في كل جيل ، وحسب تبدل صورة العالم الماثلة لاذهان الناطقين والكاتبين بها •

وليست عربيتنا بدعا من اللغات • وقينا لحسن الحظ مفكرون ومبدعون قادرون على اعادة تشكيلها واستكمال نواقصها كلما دعت الحاجة ، وهذا هو الحاصل اليوم بالفعل ، وهو مـا سوف يحصل على الدوام ، طالمـا ان الامة العربية قد آلت على نفسها أن تنفض غبار الجهل والتخلف ، وأن تكون لهـا مكانتها المرموقة تحت الشمس •

بقي الشق الثاني من الموضوع ، وهو انه لما كان العالم العربي جزءاً من العالم الاكبر ، وكان يجد في هذا العالم جديد كل يوم تقريبا ، وكان لزامـا ان يساير العرب ركب الحضارة المعاصرة استجابة لطموحهم في القضاء قضاء مبرما على تخلفهم ، فانه ينبغي أن يقفوا اليوم موقف أسلافهم بالامس • لقد ساعدت اولئك الاسلاف ديناميكية رائعـة ورجاحة عقول قـل نظيرها عـلى التصرف كما يليق بأمة راقية ، حين احتكوا بحضارات لم يكن لهم بها عهد في مهدهم الاول : اقترضوا من لغات غيرهم دونمـا شعور بالنقص أو الخجل ، عربوا واشتقوا منه وتبنوه ، ابتدعوا ألفاظا جديدة بكل الوسائل التي تسمح بها اللغة ، من ارتجال الـى اشتقاق ، ومن نحت الـى توسع فـي الدلالات للحصول على معان جديدة ، استنبطوا أساليب تعبير تلائم الاغراض المستجدة، وباختصـار تمثلوا بـ « لغتهم الجديدة » الثقافات والحضارات الجديدة ، بـل أضافوا فوق ذلك الى تلـك الثقافات والحضارات الكثير مـن المبتدعات في « لغتهم الجديدة » •

وانه لمن حسن طالع العرب اليـوم ان يثبتوا بعض مقومات حضارتهـم الغابرة ، بل ربما الكثير منها ، بفعل ظروف القهـر والتسلط وسياسة التجهيل والافقار وتسوية الامية ، فانهم لم يفقدوا حيويتهم الاصيلة التي ما تزال تأخذ بيدهم وتهديهم كما هدت أسلافهم من قبلهم ، فهـم يقبلون عـلى مكتشفات العالم ومبتدعاته يتمثلونها بلغتهم « المعاصرة » علوما وضعية وانسانية ، وفنا وتكنولوجيا ، مقترضين من لغات المكتشفين ما لا نظير له عندهم ، أو ما لـم يجدوا له بعـد مقابلا ، ناحتين ومشتقين من أصول لغتهم مـا يمكن نحتـه

واشتقاقه ، مؤدين بأكبر قدر ممكن من الامانة معطيات الحضارة الجديدة ، ريثما يتم لعربيتهم تمثل تلك المعطيات وكأنها من نتاجهم ؛ أو ريثما يقدر لهم أن يضيفوا الى الحصيلة معطيات من نتاج قرائحهم .

واذا كان هناك من ملاحظة في هذا الصدد ، فهي انه في خضم هذه الحمى من سرعة الاكتشاف ، وفي هذا التعجل القسري للحاق بركب الحضارة المعاصرة ، لا بد أن تحدث سقطات وترتكب هفوات . وأكثر ما تنجلي هذه الهفوات وتلك السقطات في مجال تركيب الكلام . فلكل لغة في هذا المجال نظامها وخصائصها ، ولا يجوز التساهل تحت أي ستار في أن يختل نظام تركيب الكلام العربي ، لان اختلاله يؤدي الى استغلال الفهم في أحيان كثيرة ، ويفضي الى بلبلة الاذهان بدلا من تنويرها ، وقد يجر أحيانا الى الوقوع غير المقصود في التنقص من الامانة العلمية في نقل الحقائق كما شاءها صاغتها الاصليون .

وقادة الفكر في العالم العربي اليوم قادرون ولا ريب على ادراك هذا الواقع ، والمضي في طريقهم غير هايبين ولا آبهين للعدسات المكبرة التي يسلطها المتزمتون على كل مستجد في العربية من مفردات وصيغ ، للحكم على صلاحه أو عدمه ، وكأنهم أوصياء على اللغة ، أو هم ورثتها الوحيدون . ان اللغة وحدها هي المرجع الصالح لمثل هذا الحكم ؛ وان لها « حاميتها » التي تمنع غير المرغوب فيه من دخول حرمها ، وتسمح للخير الصالح بالدخول . لكن على قادة الفكر هؤلاء أن يحولوا في الوقت نفسه دون اختلال نظام التركيب ، وان يسارعوا اذا حدث شيء منه ـ وقد يحدث نتيجة لبعض الظروف ، وعلى رأسها ضرورة التعجل ـ الى اصلاحه ، وبذل كل جهد لمنع تكراره .

بقي أن نقول ان « العربية المعاصرة » بخير ما دام أبناؤها بخير ، وانه لا خوف عليها ولا هي تحزن، حتى من الدعوات الشعوبية عن قصورها وعجزها.

ذلك ان هذه الدعوات لا تعدو أن تكون « اسقاطا » لقصور دعاتها وعجزهم عن التفكير بها ، لانها هي لا تفكر فيهم بعد أن جاهروا بعدم انتمائهم اليها والى الناطقين بها .

وقد يكون هؤلاء الشعوبيون أحرارا في أن « يبدعوا » على هواهم . وباللغة التي يظنونها قادرة على أداء « ابداعهم » ، لكن ما ليس لهم الحرية فيه ، فهو الافتراء على « العربية » ونعتها بالجمود والضعف ، ما داموا قد ارتضوا أن يكونوا « غرباء » عنها مع اصرارهم في الوقت عينه على التطفل عليها !

الدكتور عفيف دمشقية

* * *

عنوان مجلة العرفان

بيروت ـ لبنان

ص . ب : ٣٩٧٨ ـ ١١

نزار الزين

الشيخ محمد جواد مغنية

حياته ــ وفاته

ما قيل في الاحتفال التأبيني في قاعة الاونيسكو •• لمناسبة مرور أربعين يوما على وفاة المفكر الاسلامي العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، وما ردده الخطباء : « المفتي حسن خالد ، الدكتور بطرس ديب ، النقيب رياض طه ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين والدكتور عمر فروخ وغيرهم ، وما تعمد قوله هؤلاء القادة حول :

« الوحدة الاسلامية •• محاولات زرع الفتنة بين السنة والشيعة •• قضية الجنوب والتجاوزات الفلسطينية •• وأعمال لجنة المتابعة العربية •• وقضية التدخل السوفييتي في أفغانستان » انما يمثل لبنان الحقيقي •• لبنان الفكر •• لبنان الطموح •• لبنان العرب ، وليس لبنان البندقية •• ولبنان المرافيء الحرة •• ولبنان الذي يقهر الدولة ، ليقيم مقامها دولة جديدة لم يعرف العالم لها مثيلا ، على كثرة ما عرف •

لقد تكلم المفكر « المسلم ، والمسيحي » بلهجة واحدة وفكر متناسق ؛ فسقطت مقولة السلاح والتسلح ، والجريمة واخواتها •

كلمة المفتي خالد

بدأ الاحتفال بتلاوة عشر من القرآن الكريم ، ثم تكلم مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد عن مآثر الفقيد مغنية •• قال :

كان الفقيد يتمتع بالعلم والفقه والنظرة الصحيحة لما يجري وكان بالاضافة الى مكانته الاجتماعية عالما واسع العلم غزير المعرفة في انتاج كبار العلماء المسلمين وغير المسلمين ، كاتبا « طيع القلم عميق الغوص ، دقيق



المفتي حسن خالد

النظرة درس واقع أمته وأسباب الظلم والعدوان فيها ، وهو من الحق أولا وقبل كل شيء » .

وأضاف المفتي : لقد دعا مغنية المسلمين الى وحدة الكلمة واجتماع الصف كما دعا كل الفئات والعناصر الوطنية في الشعوب المستضعفة الى التكاتف رغم ما بينهم من تناقضات ، ضد العدو المشترك والى الاستشهاد جنبا الى جنب دفاعا عن الوطن ، لذلك يجب أن ينسى المسلمون شيعة وسنة الماضي ، ويعملوا يدا واحدة لخير الاسلام ومستحيل أن يكون للاسلام عدو يطري له عوده ما داموا وحدة كاملة . والعلامة الفقيد مغنية يقول ان العامل الحاسم لنجاح الاسلام هو التخطيط الحكيم الدقيق لعلاقة العبد بربه والفرد

بالمجتمع والانسان بأخيه الانسان لترسيخ العقيدة واثبات الشخصية الاسلامية والقيم الروحية ، حتى يكون الاسلام القوة الرابعة في العالم ومبعث فجر الاسلام والحق .

وقال المفتي : « ما أحوجنا اليوم للسير على الخط الذي اعتمده مفتية فشعبنا في الشرق العربي والاسلامي كله شعب مؤمن بالله واثق بصحة دينه معتز به ، لكن الاطماع والاهوال التي فرضت علينا من الخارج ثم اتفق عليها في الداخل ، تلاعبت به فتقاسمته وضللته ووزعت وبعثرت كيانه ووجوده وشلت طاقاته ، فلقد تطلع العدو الخارجي الى هذه المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر ميلادي فجعل منها سوقا رائجا لبضاعته ومنتجعا غنيا لاستغلاله . ورغم انه نقل كنوزها الظاهرة والبطينة فهو لا يزال يتطلع الى ما بقي فيها مراكز وقواعد انطلاق ليحمي مصالحه ويصون مؤسساته . وفي الوقت الذي نهب فيه خيراتنا وكنوز أرضنا ، فهو ما زال ينقل الينا العديد من عاداته وأخلاقه وفنونه وثقافته وفكره ومناهجه في الحياة وأساليبه في التعامل والسلوك فيها من الخير الكثير ، كما فيها من الشر الكثير . من هذا الشر انه أشعل الفتنة بيننا فمزقنا على ضعفنا الى شعوب ودويلات لا تملك لنفسها نفعا بعد ان فرض نفسه وصيا على دساتيرها وصناعاتها ومناهجها وسلوكها وحال بينها وبين أسباب القوة والثقة والعزة والكرامة لانه حال بينها وبين اتحاد أبنائها » .

« في لبنان ، دخل مترفعا بحضارته فأطرب بايذانها البعض ، وضرب فيه المعارضين وقسم الشعب الى طوائف ذات كيانات ونفوذ ، وفضل بعضها فأغدق عليها النفوذ والمؤسسات مما مكن منها وحرم الآخر ليظل عاجزا ضعيفا طيعا اليه . وأوجد الزعماء والقادة الكثر والعائلات فأغدق عليهم مهابة ظاهرة بالمال والنفوذ والسلطة ومكنهم من رقاب اخوانهم فانخدعوا واعتقدوا أن هذا سيدوم . وعطف الى قادته وأثار فيهم حساسيات أبناء القبائل فأثار العصبيات وصنعت سياسته الانظمة » .

« أمة هذا شأنها ، موزعة الوجود ومبعثرة القـوى تتوزعها الاهـواء والمصالح ويحكم بعضها قوى البعض • لكن هذه الاشلاء لا بـد لها من مثل صرخة علامتنا الفقيد مغنية ورأيه ليعيد لحمتها وقوتها » •

كلمـة بطرس ديب



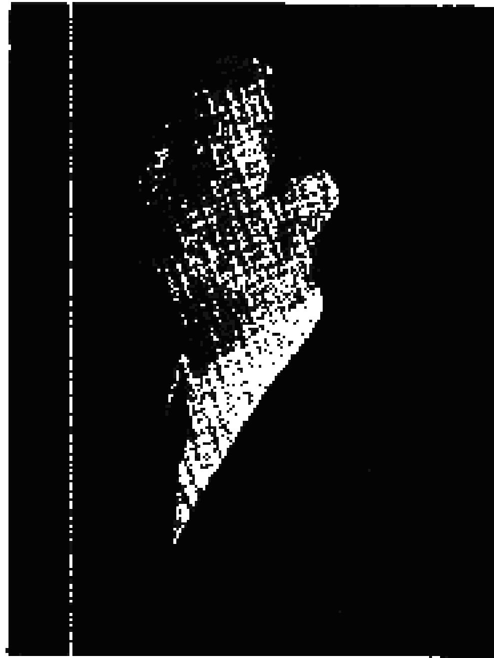
الدكتور بطرس ديب

ثم تحدث رئيس الجامعة اللبنانية وسفير لبنان حاليـا الدكتور بطرس ديب عن مؤلفات مغنية وبساطة تحليله وتأثره بالامام الجعفري • وتحدث عـن مغنية الانسان « البسيط بعلاقاته ، هادىء الحديث ، صاخب للحق ، واضح الاهداف ، دقيق الملاحظـة ، سلس العبارات ، متحسس لمقتضيات الساعـة ومتطلبات العصر » •

وتحدث عن مغنية المؤلف والعالم الذي « كتب عـن الروحانيات فتملك من جوهر المـادة ، يعطي لكل عنصر مـن عناصر الموضوع دوره وأهميتـه بأسلوب حيوي جذاب وجريء ، مجاهر بالـرأي ، رافض للمساومة ، دافـع للتحري عن الحقيقة ، جرأة تنطق بالامانة ، واثق من نفسه متواضع آنف ، لا يخاف أن تفسر الحقيقة مواربة ، لأنها لا بد أن تظهر » •

كلمـة رياض طـه

ثم تحدث نقيب الصحافة رياض طـه فقال : العالم هو من يدافع عـن كرامة الانسان وقد كان مغنية جريئا لا يخشى في قوله الحق لومـة لائم •• نكرم ذكـراه ليس لتعداد مآثـره لكن للاقتداء بـه والحـذو بشجاعته •• والارتجال هنا أفضل من الكلمات المكتوبـة لانه في العفوية مـا يشجع على قول الحـق » •



ريـاض طـــه

وأضاف طه : « نحن في لبـنان ، نستطيع أن نزعم صادقين بأننـا أولى العرب بالعروبة وقد انبعثت اللغة العربية من لبنان وانطلقت الفكرة القوميـة العربيـة من لبنان فلا يزايدن أحـد علينا في ذلـك • ونحن أعطينا القضية الفلسطينية ما لم يعطها آخر ولا يزايدن علينا أحـد في هـذا •• وينبغي أن

نكون صرحاء ونكلمهم كلام الند للند والمناضل لشريك النضال •• فـاذا كنا شعوبا في أمة واحدة واذا كانت القومية نقيض الانعزالية والاقليمية علينا أن لا نسمح أن يتميز أحد منا على الآخر أو فئة على الاخرى •

« نحن شاركنا في القضية الفلسطينية وينبغي أن يكون لنا المقام الاول مع الفلسطينيين واذا كان التعاون مع اسرائيل خيانة ، فان الخيانة أيضا هي في من يدفع الآخرين على الكفر بقوميته » • قبل ثلاث سنوات ، جاءت الهمسات من الجنوب ذلك الحين ووجدت تذمرا من تجاوزات الفلسطينيين فيه فذهبت الى عند أحد المسؤولين في الحركة الوطنية فأكد لي هذا التذمر •• وقال لـي انه أرسل الى قادة المقاومة تحذيرا ، من هذه التجاوزات • عدت الـى بيروت وطلبت الاجتماع الى قادة « فتح » • وقلت لهـم ان يتداركوا الامر قبل أن يتفاقم •• حصل هذا عام ١٩٧٧ •• لكن مـا حذرت منه تفاقم وتعاظم حتـى خفت الحماسة في النفوس المتحمسة للدفاع عن القضية وبتنـا نسمع المتألمين يقولون ان اخواننا يظلموننا من ناحية والعدو يأتي الينا من ناحية أخرى » •

« فاذا كنا أبناء أمة واحدة وقضية واحـدة ينبغي أن نصارح اخواننـا بذلك •• قال قائلهم مـرة « اننـا لا نستطيع أن نضحي بمكاسبنا من أجـل لبنان • « هذا الكلام هـو كلام انعزالي اقليمي •• فاذا كنا أمـة واحدة فلا يجب أن يضحي أحد بآخر من أجل نفسه • أقول هذا ، بلسان هذا الحفـل الذي ضحى للقضية العربية والفلسطينية حتى نعيد لهم روح الحماسة وينبغي أن تتدارك هذا الامر حتى يشعر اللبناني أنه ليس صاحب أرض محتلة وانما هو فدائي ضحى بأرضه من أجل قضيته •

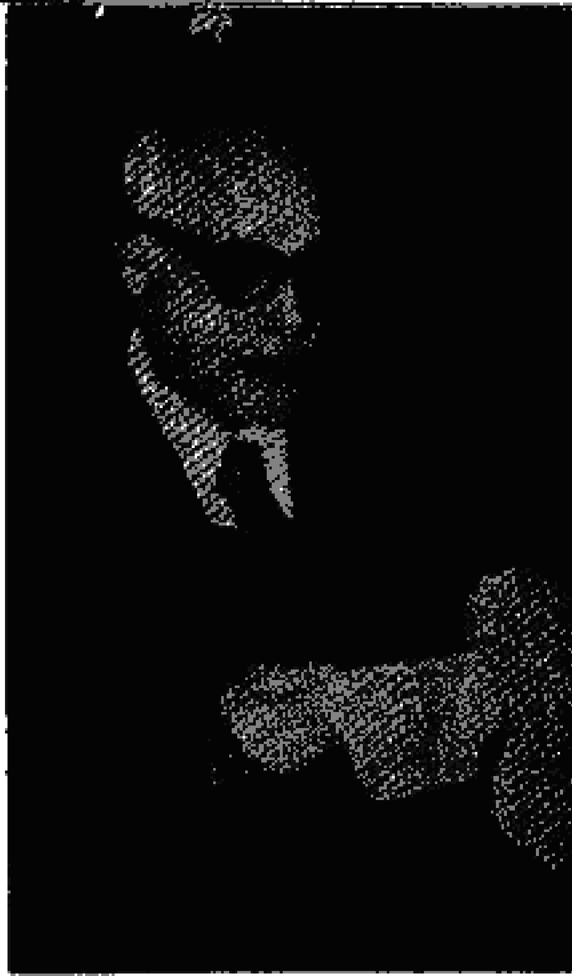
« انني أدعو الزعمـاء والسادة أصحاب السـاحة الى المبادرة للاتصـال بالقادة الفلسطـينيين للعمل فورا على تدارك هذا الامر • فقد كفى ابن الجنوب عذابا وتشريدا ونحن نريد ان يشعر ابن الجنوب انه يضحي وليس انه مرغـم على التضحية » •

وأشار طه في كلمته الى قضية اختفاء الامام الصدر فقال « أشير لقضية الصدر لانه انسان ولا يجـوز ان يختفي انسان في هذا العصر كمـا اختفى الامام الصدر وأين ؟ في الوطن العربي وفي بلد عربي • انني أطالب الدولة أن تفتح تحقيقا قضائيا عاجلا في القضية وتحويله الـى القضاء لاصدار حكم في ذلك • كما أطالب ، وقد اقترحت قبلا عندما كنت في ايران لستة أشهر خلت ، وفي مؤتمر صحفي بحضور وزير الارشاد الايراني ، اقترحت أن يدعو الامام الخميني الرئيس القذافي والاخ ياسر عرفات الى لقـاء لجلاء قضية الصـدر واحالة القضية الى القضاء لاصدار حكم فيها • لكن شيئا من ذلك لم يحصل لذلك فانني أطالب أن تقوم ايران بواجبها تجاه الامام الصدر » •

وختم طه بقوله : كان لا بد من أقوال جريئـة كأقوال العلامة الفقيـد مغنية في هذه المناسبة • لذلك فانني أطالب بضرورة لقاء لبناني فلسطيني في أقرب وقت لان قضيـة فلسطين قـد كبرت في العالـم ونخشى أن تخسر في لبنان • وقد قال المسيح : مـاذا يفيدني اذا كسبت العالـم وخسرت نفسي » فلولا لبنان لما كانت الثورة الفلسطينية التي وجدت أرض قيادتها في لبـنان ومسلحيها واعلامها على أرض لبنان •• كما نطالب الدول العربية أن تفتـح حدودها للثـورة الفلسطينية لئلا تختنق هـذه الثورة في لبنان ويختنق معها لبـنان •

كلمـة عمر فروخ

ثم تحدث عمـر فروخ باسم دار العلم للملايين ، عـن العلامة الفقيـد « المفكر والعالم والفقيه الذي أبطل الرأي القائل ان الشيعة والسنة فرقتـان مختلفتان ؛ والذي دعا الى الغاء الطائفيـة من الجماعات المتناقضة قبل الغائه من الشعب بكامله • حتى اتهم باليسارية خاصة وانه كان يقول بنظرة عصرية محذرا المتحاملين على الاسلام خاصة بالنسبة لتعدد الز وجات ••



عمـر فروخ

كلمة شمس الديـن

ثم تكلم نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الشيخ محمـد مهدي شمس الدين فقال : « في ذكرى عالم جديد من كبار علماء الاسلام في العصر الحديث تتذكر جهود علماء الاسلام منذ الصحابة في عهد الرسول الى يومنا هذا ، في تمثيلهم لروح الاسلام وفي جهادهم من أجل ارساء كلمة الله التي تتضمن كرامة الانسان وحريته وتقدمه وتكامله روحـا وجسدا مـادة ومعنـى » .

وأضاف : علمـاء الاسلام وفي جميع مراحـل التاريخ الاسلامي كانوا طليعة الامة الاسلامية في حفظ روح الامة وشرفها وكرامتها ليس بمـا كتبوا

وألّفوا وانما بحياتهم الشخصية وبجادهم اليومي مع الناس وضد الظالمين في الداخل والخــارج فقدموا التضحيات في سبيل الناس جميعــا والمسلمين جميعــا » •



الشيخ محمد مهدي شمس الدين

كانوا روادا « للتحرر السياسي ليس في العصر الحديث فحسب ، بــل في جميع العصور ومراجعة تاريخ علماء الاسلام الفقهاء تظهر انهم كانوا دائما في طليعــة التحرك السياسي على الصعد الاسلامية وكل الاصعدة من أجــل التحرر •• على صعيد التمييز الاجتماعي والاقتصادي والطبقي ، كان علمــاء الاسلام روادا في التحرك أمــام ظلم الاشخاص والانظمة والجماعات ليس في كتاباتهم فقــط بل في كفاحهم اليومي •• دورهم لم يكن معدومــا في مسألة التقدم كانوا يرون التقدم كما رسم الله منهاجه ومن هنــا شوه موقعهم مــن

هذه المسألة لانهم واجهوا منادي التقدم الخالي من الاخلاق والالهام والروحانيات والتكامل •

« وفي لبنان ، كما في كل وطن من الاوطان ، كما علماء الاسلام يمثلون الطليعة في هذه الميادين •• والعلامة مغنية كان من أبرز علماء لبنان كما كان من أبرز علماء الاسلام في هذا العصر وفي كل الميادين •• في حياته الشخصية وعمله اليومي وكتاباته المتنوعة الكثيرة التي كادت أن تستوعب جميع جوانب الفكر الاسلامي سنة وتفكيرا ، وكان اتاجه كثيرا متميزا لانه توجه نحو الناس العاديين بالدرجة الاولى واثر الاسلوب خاص الى الشبان فطرح المشاكل التي تثير القلق : الدين والحضارة والحياة العصرية والعلم والفكر •• حتى فهم في كثير من الاوساط على أن مغنية انسان عصري جعل الاسلام عصريا والحقيقة ان مغنية كان فقيها بارعا ومتعمقا لكنه لم يكن مجددا بالمعنى الذي يريد أن يحول الاسلام ليتكيف مع أي فكر ونظرية • تجديد مغنية هو انه فهم ان الحياة متغيرة وان المتغيرات التي تتسم الحياة العصرية فيها ما يجدي الاسلام ويرفض ما يؤذي ، تجديده ليس في أنه كيف الفكر الاسلامي بل في فهمه الصحيح للاسلام وللحياة الحديثة فلم يرفضها كما هو شأن البعض منها كما انه لم يقبلها جملة وتفصيلا كما هو شأن البعض الآخر » •

وقال شمس الدين : نجتمع اليوم لتؤبن عالما كبيرا من علماء الاسلام في هذا العصر ، وتتذكر انه توفي وفي حلقه غصتان وقد رحمه الله قبل أن تكون الغصة الثالثة قد حصلت •

« الغصة الاولى هي الجنوب والوحدة الوطنية والوحدة الاسلامية فالفقيد مغنية لم يكن متعصبا ، رأى الاسلام كدين واحد فيه تنوعات المذاهب وليس اختلاف المذاهب أو تناقضاتها ، ورأى ان هذه المذاهب تلتقي على حق وبصدق • والجنوب •• الجنوب الذي كان يؤرقه مغنية ويؤرقنا جميعا » •• ورأى مغنية ان الخطر هو من اسرائيل وأعوانها في الداخل والخارج ، خطر

حقيقي نأمـــل ونطالب باستمرار أن يعيـــه جميع اخواتنـــا الفلسطينيون وفي الحركة الوطنية وعيا حقيقيا وأن يعوا ان مسألة الجنوب ليست فقـــط مسألة جماعة من الناس اللبنانيين المسلمين والعرب وانما هي مسألة لبنان كله والعالم العربي المشرقي كله وان أي تدهور في وضع الجنوب الذي وصل أمره وأمر الناس فيه الى النهايات ، لن يقتصر عليه فقط ، بل سيتعدى الجميع لان هـــذا الامر يكون قد حقق في يـــد اسرائيل رهينـــة جديدة ونكون قـــد دخلنا في متاهات جديدة من متاهات خصومتنا .

وجهة النظر الوطنية الاسلامية في شأن الجنوب معلنة وواضحة .

لا بد أن تدخل الدولة الى الجنوب ولا بد أن تزال المعوقات من أمـــام الدولة في الدخول الى الجنوب جيشا وادارات وعلى الدولـــة أن تكون جادة فيه .. وفي مسؤولياتها تجـــاه الجنوب . فهي التي تثير فينـــا أعمق شبهاتنا وشكوكنا الآن بالنسبة لهـــذه المسؤوليات ؛ ففي المـــدة الاخيرة بتنـــا نشك بحقيقة أن الدولة جـــادة في توجهها نحو الجنوب . نحن نرفض وقد أبلغنـــا رأينا ، أن تكون لجنة المتابعة العربيـــة مجرد ناقل بريد بين الدولـــة والمقاومة الفلسطينية ، هذه اللجنة تمثل العالم العربي الذي اجتمع في تونس واتخـــذ قرارات أجمع عليها ومضى عليها شهران دون أن ينفذ شيء منها . ان النـــاس العاديين والنخبة منهم تتهم الدولة اللبنانية والمقاومة وتتهم لجنـــة المتابعة لان هناك تواطؤا لاستثمار الوقت بالاجتماعات وفي القيل والقـــال وفي المشاريع والمعوقات الى أن تحدث ظروف جديدة تستدعي عقد قمـــة جديدة وهكـــذا دواليـــك » .

« تدعو الحركة الوطنية الى التعامل مع الحقائق الموضوعية اللبنانية في الجنوب وليس مـــع الطموحات الدوليـــة في الشرق الاوسط ، كمـــا تدعو المقاومة الى التعامل مع الحقائق الموضوعية اللبنانية والفلسطينية في الجنوب . كما تدعو الدولة الى تحمل مسؤولياتها كاملة » .

الغصة الثانية التي توفي مغنية ولا تزال في قلبه هي غصة الامام الصدر الذي اختطف في الجماهيرية الليبية ، ونقولها بصراحة . لقد كان يجب أن يكون الامام الصدر أحد المؤبنين لمغنية ، فمن يتولى غير المجلس الاسلامي الشيعي والتجمع الاسلامي الجديد والشريف الذي عقد في دار الفتوى في أول الحادثة وتضمن تلاوة تقرير مفصل اطلع عليه جميع من حضر الاجتماع ؛ من يتولى متابعة هذه المسؤولية ؟.. الدولة مسؤولة بلا شك وبلا ريب .. وكانت وستبقى مطالبة أن ترتفع الى مستوى مسؤولياتها عن انسان روحاني وعالم اسلامي وزعيم وطني لبناني . على الدولة أن تحزم أمرها في حادثة الاختطاف قضائيا وسياسيا أيضا لانه من الخطأ أن يتخيل أي انسان أن المسلمين في لبنان ـ ولا أقول الشيعة في لبنان ـ وقياداتهم سيهملون هذه المسألة .. فلا يتخيل أحد .. لكن على جامعة الدول العربية أن تتحمل أيضا هذه المسؤولية ، لان الجريمة ليست جريمة عادية ولن نسمح بأن تتحول الى جريمة عادية .. ثأر المسلمين هو الصدر . هل هو حي أم استشهد؟ لا نعلم.. لكن مهما كان ، يجب أن ينكشف أمر الجريمة التي ارتكبت بحقه ان كان مستواها السجن أو الاسر والاختطاف أو ما جاوز ذلك لا سمح الله .. سيكون لهذه الجريمة مفاعيل سياسية على الجامعة العربية أن تتحملها .. فقد كان الصدر ضيفا رسميا .. في ليبيا واختطف من ليبيا وفي ليل ليبي ؛ كذلك فان الجمهورية الاسلامية الايرانية والخميني ملتزمون بهذه القضية لا باعتبار الصدر يحمل جنسية ايرانية ـ في وقت يحمل فيه الكثير من الناس الكثير من الجنسيات ـ لكن باعتباره عالما مسلما مجاهدا ، وهؤلاء سيكونون عند التزامهم ، ربما كان بعض الانتظار ليروا أهل الصدر في لبنان وأهل الاهتمام بموسى الصدر في العالم العربي .. لا بأس فالالتزام الايراني ثابت وموجع .. وستكون له في قضية الصدر تبعات على الرغم من عتبنا الكبير على موقف العرب المسؤولين على جميع المستويات في تحقيق حل لهذه القضية » .

وتابع شمس الدين : « أما الغصة الثالثة التي أعفى منها الله مغنية فهي قضية أفغانستان ، ففـي أفغانستان شعب مسلم متدين وملتزم وفقـير ، نحن نعرف تماما الشعب الافغاني ، شعب فقير ، وبدون آكاذيب البيانات التي تتلى في المنظمات الدولية ، فان الشعب الافغاني محتل ومداس ومصادرة حريتـه ومحاصر توجهه الاسلامي من قبل الاتحـاد السوفياتي ، هـذه المسألة كان يمكن أن تكون خيبة أمل كبرى لمغنية •

« نحن تشجب ونحارب وندين الاحتلال السوفياتي لأفغانستان وانتهاك حرية شعبها المسلم ومحاربة ثوارها المسلمين الذين يريدون أن يخرجوا مـن تخلف وقمـع عهدهم الملكي الى نور السلام ومن تخلف وقمع وعمالة عهـده الجمهوري الـى نور الاسلام •• واذا بالدولـة العظمى تأتي لتصادر هـذه الحرية والارادة •• ولكن نقـول ان اللـه يأبى الا أن يتم نوره ولو كـره الكافـرون •

« لقـد تجـاوز المسلمون فـي السنتين الاخيرتين مرحلـة الانكسار التاريخي ، وفي الوقت الـذي يحاربون ويندون بالولايات المتحدة لانهـا تؤيد اسرائيل ضد العرب والمسلمين ، وفي الوقت الذي يحاربون فيه الولايات المتحدة لانها تتآمر على الجهود الاسلامية في هـذا الوقت ، يتمثل المسلمون بقول الله « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم » ، ويدينون بصوت عـال عدوان السوفيات على المسلمين في أفغانستان » •



الشيخ نديم الجسر
حياته ـ وفاته



غاب وجه من وجوه لبنان المشرقة ، هـو مفتي طرابلس ونائبها السابق الشيخ نديم الجسر الذي توفي بعدما عانى لفترة طويلة مرضا مؤلما •

وبغيابه تفتقد طرابلس شيخا جليلا عمـل لافتائها سنوات وتنازل قبـل أشهر مفسحا في المجال أمام من يكمل مهمته •

ولد الفقيد في العـام ١٨٩٧ • والـده هو الشيخ حسين الجسر مؤلف الرسالة الحميدية الذي تخرج على يديه معظم علماء طرابلس وفقهائها في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين •

ونشأ الفقيد في رحـاب المجد العلمي الـذي خلفه والـده في أوساط المدينة ، فسلك طريق العلم وأطل على المجتمع بمثل ما أطل والده من قبـل • وهكذا كان صاحب الكلمة والرأي •

تقلب في مناصب عـدة في القضاء والادارة منها منصب قائمقام لمنطقـة عكار ثم عين قاضيا شرعيا لطرابلس في الثلاثينات والاربعينات •

في بداية الخمسينات انصرف الى المحامـــاة والتأليف والعمل العـــام ، فانتخب نائبا عن طرابلس في العام ١٩٥٧ وظل في الندوة البرلمانية الى العـــام ١٩٦٠ ، وكانت له كلمة راجحة ومواقف مشهودة وهو خطيب بليغ .

في بداية الستينات انتخب بالاجماع مفتيـــا لطرابلس ، وأصدر مؤلفات عدة تركت أثـــرا في العالـــم الاسلامي . واختير عضوا فـــي مجلس البحوث الاسلامية في الازهر الشريف .

من مؤلفاتـــه شرح قانون الجـــزاء العثماني ، موجز الفلسفة العربيـــة ، الجواب الالهي ، قصة الايمان ، أدب الحياة في الاسلام في القرآن والسنة ، غريب القـــرآن ومتشابهاته . ومن محاضراته المهمـــة ركائز التفكير الاسلامي والحرية في الاسلام ، والاسلام في العالم المعاصر .

يحمل وسام جوقة الشرف من رتبة ضابط .

والى القاريء بعض ما قيل فيه :

قال فضيلة الشيخ حسن تميم :

واحد من أعلام لبنان هوى أمس .

اذا عد العلماء فهـــو نقيبهم ، واذا أحصي الفقهاء فهـــو مقدمهم ، واذا حسب أهل الفكر والقلم فهو طليعتهم ، واذا نودي عـــلى القضاة والمحامين ، ورهط السياسة والاداريين ، فهو المجلي والسباق في هاتيا الميادين .

انه الشيخ نديم الجسر ، مفتي طرابلس ولبنان الشمالي .

لقد غاب ، والالســـنة ما زالت تتناقل خبر آخر بطولة لـــه ، والتعليقات عليها ما زالت حيّة ومتداولة بين المواطنين . لقد ملأ رحمه اللـــه مقامه الرفيع قرابة ربع قرن . ثم بدا له ، بعد طول عنـــاء ، أن اللقب الكبير قاصر أمـــام الهمة القيادية ، والتطلعات المستقبلية ، في خدمة الامة والوطن ، فرمى باللقب واستقال ، واحتفـــظ باسم « الشيخ نديـــم الجسر » الاكبر مـــن اللقب والمنصب ...

بغياب هذا الكبير ، تتذكر ما أخبرنا به رسول الله صلى الله علية وسلم حول تثمين العلماء ، وتقدير مهمتهم الرسالية ، وذلك فيما روي عنه من ان الله تعالى لا ينتزع العلم انتزاعا ولكنه يقبض العلماء •

صدق رسول الله ، فقد انتزعت أمس ، من المسلمين في لبنان ، بموت الشيخ الكبير ، موسوعة علم ، وخزانة نبل وفضل وثروة كبرى من الخلق والمناقب والمآثر والقيم •

وغدا سيبكي المسلمون فقيدا كان يشرف المركز السامي ولا يتشرف به ، وعالما لا يختزن العلم اختزانا صامتا ، ولكنه ينفقه بسخاء في المحاضرات والدروس والمقالات والكتب ، حتى انه ليصح القول فيه « انه أبرع وأبلغ من حكى » قصة الايمان « في الفكر الاسلامي المعاصر » •

ان لبنان ، لم يكن في يوم ما ، بحاجة الى الشيخ نديم الجسر كحاجته اليه اليوم ومن سوء حظ هذا البلد أن يكون الرجل خبرا من الاخبار ••• لا واحدا من صانعيها •

فلبنان أحوج ما يكون الى « الرصانة » التي كان يمثلها ، والى « النضج » الذي كان يتحلى به ، والى « الايمان » الذي كان يجسده ، والى الصلابة في الحق التي كان يعنيها ، والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الخير ، التي كانت كلها تفيض من لسانه وبيانه •

ولنعترف أمام الخبر الصاعق بأنهم قلة قليلة اولئك اللبنانيون الذين أدخلوا لبنان في طليعة العالم العربي والاسلامي •• والشيخ الجسر واحد منهم •

وانهم معدودون على الاصابع اولئك اللبنانيون الذين ، يعرف بهم لبنان ، أحيانا ، والشيخ الجسر واحد منهم •

وانهم نادرون جـداً اولئك اللبنانيون الذين اذا حضروا ملأوا بلادهم ، واذا غابوا فرغت منهم العواصم العربيـة والاسلامية وبكت عليهم ، والشيخ الجسر واحـد منهم •

اننا نقف بحزن وأسى أمام ذلك الوجه الاسلامي اللبناني العريق الـذي غاب أمس ، فغاب معه تاريخ حافـل من بواهر الاعمال ، وكرائم المواقف في المحاماة ، وفي القضاء ، وفي الادارة ، وفي النيابة ، وأخيرا في مركز افتـاء لبـنان الشمالي •

صدقا نقول : ان الدموع يجب أن تدخر للتعبير عن الفجيعة بفقـد مثل ذلـك الغالـي •

ورثاء قيم لفضيلة الشيخ طـه الولي

اذن •• غاب الشيخ نديم الجسر ولن يعود •

ان الخبر المهول حينما يصدع سمع الانسان الى واحـد من أمرين •• فاما أن يثير فيه الرغبة في التعبير عن عاطفته سلبا أو ايجابا بكل ما أوتي مـن قدرة على الاعراب عن هـذه العاطفة سواء بلسانه أو بقلمـه لكي يترجـم احساسه وانفعاله بهذا الخبر ، بالقول أو بالكتابة وامـا أن تفاجئه الصدمـة وتجعله أسير الذهول فلا ينبس ببنت شفة ولا يجد في نفسه القـدرة على أن يخط بيمينه أي كلمـة ويكون الصمت عن الكلام والعجز عن الكتابـة هو التعبير الوحيد عما حاق به من صادع النبأ •

ولعلني لا أعدو الواقع اذا قلت بأن ما اصطك به سمعي من نعي الشيخ نديم الجسر قد لجمني بطوق من الحزن والاسى وألقاني في غيابه من الجزع المطبق حتى بت أشعر بأن حمـام الموت لن يفرض قضاءه وقدره على عزيز لي مثل هذا الفقيد الكريم لولا اني تبت الى ما يعصمني من الايمان بالـلـه الذي بيده ملكوت كل شيء • وان اليه أن تصير مهما طـال الزمن وامتد المسير •

وان •• كل شيء ما خلا الله باطل • وان كل نعيم لا محالة زائل في أكرم الربيعين ، وأكرم ذكرى أسدل الموت ستار الردى على أكرم العلماء الاعلام في مدينة طرابلس الشام ، واطوى في أحشاء الارض الطرابلسية سجل من الدين والفضل والمعرفة والجهاد طالما أشرقت صفحاته تحت اسم يستعصي على النسيان ويستعصم به الخلود على مدى الزمان •

انه اسم الشيخ نديم الجسر الذي كأنما عناه الشاعر العربي حينما قال :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدم

وعندما يودع الطرابلسيون مفتيهم وبقية الشوامخ من أعيانهم وعلمائهم الشيخ نديم الجسر ثرى ضريحه في « باب الرمل » فانهم سوف ينقلبون الى أنفسهم وفي نفس كل واحد منهم تحت سماء طرابلس وفوق أديمها غصة وهم يتساءلون عن النبأ العظيم ••

نبأ وفاة خاتمة العلماء العاملين في جماعة المسلمين الذي غاب من بينهم •• ولن يعود ••

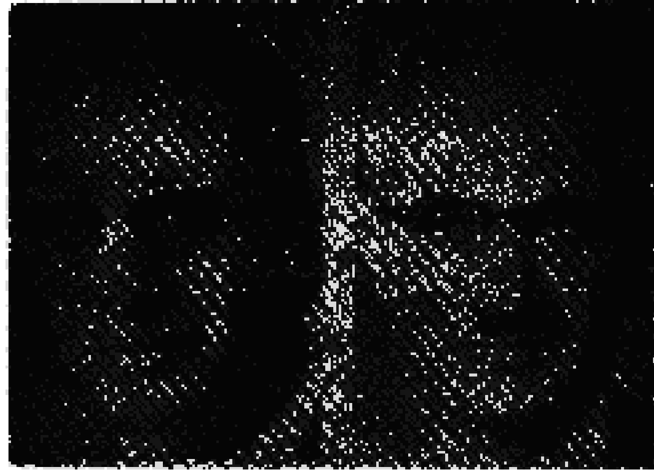
يا طرابلس الشام •• يا مدينة العلماء •• انك بعد الشيخ نديم الجسر مقبرة العلماء •

العرفان : هذا قليل بحقه ولعلنا نعود اليه بعد ذلك ؛ ويكفيه فخراً كتابه « قصة الايمان » •

محمد شرارة

أدبه ، حياته ، وفاته .

بقلم : خضر عباس الصالحي



محمد شرارة   حسين شرارة

هناك حقيقة لا يمكن أن نغفلها عند الكتابة عن هذا الاديب الراحل ... وهي ان الادباء مصابيح الدنيا يهدون الناس بثقافاتهم وآرائهم وأفكارهم النيرة نحو أهداف الخير والانسانية والمعرفة ، وهم ضمير الامة الذي يؤرخ لوجدانها القومي والانساني ، وحملة الكلمة التي توسع من المدارك ، وتنبض بالوعي ، ويجهرون بالرأي الشجاع للكشف عن الثغرات من آجل اصلاحها ، ويلفتون أنظار الجماهير الى الواقع والرؤية السياسية ؛ ويعبرون عن هموم الكادحين وآمالهم في تحقيق النهضة الشاملة ؛ والتغيير الجذري العميق لواقع المجتمع ، ويرفدون نهر الفكر الجاري بما عندهم من علم وأدب وثقافة سعيا وراء اثارة مشاعر القراء ؛ واثارة وعيهم من خلال التعبير عن أفكارهم ...

واذا كانت هذه هي مسؤوليات الادبــاء وتضحياتهم السخيــة فهل من المستغرب ان ترين على الانسان الواعي سحابة من الاسى ، وتجتاحه موجة من الحسرة عندما يسمع بخبر وفاة عالم جليل ، وباحث نافع عاش في خدمة لغتنا العربية ، ومات في هواها ••• ففي يوم الاربعــاء ١١/٧/١٩٧٩ م والموافق للسادس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٩٩ الهجريــة توفي ببغــداد المرحــوم الاستاذ محمد شرارة ، ودفن في اليوم التالي الخميس بالنجف الاشرف ••

لقد كان كاتبا انسانيا صادقا مع نفسه ، وذا تجارب حقيقية في الحياة ، ويتحلى بكل صفات الادبــاء الشرفاء وحسن نوايا سرائرهم ، ومــن الكتّاب والباحثين وحملة الاقلام المجددين ••• وقــد ظل طوال حياته يستكثر مــن العلم ، ويتزود من الثقافة بنصيب أوفى ، ويكتب المقالة بفكر رصين ، وينظم الشعر العذب فتلمس فيه موهبة وفطــرة سليمة لا تكلف فيها ولا صنعــة ، تحملان القارىء على تذوقه والاعجاب به !••

كان رجــلا حصيف الرأي ، ذا توجــه فكري ، وحركــة نشيطة ذات مستوى عال من المثابرة والحرص ، وله اسهامه الفعال في رفد الحياة الثقافية، يملك رغبة في ممارسة الاصلاح ، تلك الرغبة التي تعتمد على التأمل والوعي والروية ، والتي تدعو للخلاص من البؤس الاجتماعي ، والاضطهاد الفكري ، والاتجــاه نحو الشعب والنضــال في صفوفه ، ومحاربة الظلمــة والعذاب ، ومكافحة الزيف والاكاذيب ••!

ولد المرحوم محمد شرارة في بنت جبيل سنة ١٩٠٦ الميلاديــة ، وانتمى الى الحوزة العلمية في النجف فدرس المعارف الاسلامية ، والآداب العربية ، وأصبح ضليعا في الفقه والمنطق واللغــة ، وانخرط في سلك التعليم فمارس التدريس في مختلف المدارس العراقية ••• وبعــد فصله من عمله في العراق اشتغل فــي المدارس اللبنانيــة ••• ثم عــاد الى العراق وعمــل مدرسا في مدارسها ، كان يزاول النشر في الصحف والمجلات العربية ••• ولثباته عــلى

مبدئه فصل ثانية من وظيفته سنة ١٩٤٩ الميلادية ••• وخلال انتفاضة تشرين الشعبية أودع السجن وذلك سنة ١٩٥٢ الميلادية ••• وبعد اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة أعيد الى وظيفته ، وفصل مرة أخرى في سنة ١٩٦٠ الميلادية ، وعاش في الصين طوال سنة ١٩٦٢ الميلادية ثم رجع الى بغداد وعيّن مدرسا في الثانوية الجعفرية الاهلية ••• وعكف على التتبع والبحث والتأليف ومن كتبه المتنبي ورحلة العذاب ، ونساء ومواقف ، ونهلات طائر ، ومع العرب في امتحان البطولة والاخلاق ، كما ترجم عددا من القصص عن موبسان ، ونشر قسما منها في جريدة « الهاتف » •••

ولما أحيل على التقاعد انصرف كليا الى المطالعة والكتابة ، وسافر الى لبنان ، وعاش فترة من الزمن في بيته ببنت جبيل ، وكان على صلة وثقى بمجلة « العرفان » الصادرة في بيروت حيث يواصل النشر فيها ••• وبعدها قفل راجعا الى بغداد ••• ولم يلبث أن وافته منيته وهو في أوج نشاطه الفكري •••

وعندما تناهى الى سمعي نعيه نفذت الطعنة الى صميم كياني ، وانتابني شعور حاد بالفجيعة ، وأحسست ان الدنيا صارت بلون القنوط ، واكتسى وجهي بحزن عميق ، وأنا مثقل بالالم الذي يحز في الاعماق ••!

لقد كان على مستوى خلق عال ، ويتصف بسمات متفردة ، وخصائص متميزة ، فهو طيب السريرة ، سمح النفس ، سليم الطوية ، يملك ثقافة واسعة ووعيا وذكاء ، ويعيش حياة بسيطة متقشفة ، ويمتاز بمقوماته النفسية ، وذخيرته الروحية ، وطابعه الاصيل ، يجلله الشعور بالكرامة ، والايمان بالحق ، عميق النظرة الى الوجود ، شديد الحساسية بالصلات الانسانية التي تربط بين الناس ••

وكان صبيح الوجه ، طلق المحيا ، تنطلق النكتة من بين شفتيه ، وتمتزج روحه بروح محدثه كأنه متعارف معه منذ سنين حيث تهزه الكلمة العذبة ، وتطربه اللفظة المرنة ••• وكان لصفاء وجدانه ، ولطيف حسه ، وعجيب

فطنته ، وقوة الجذب في شخصه ، وخبرته بالحياة ، ووفرة تجربته فيها ان احتل موقعا أثيرا في نفوسنا ، وامتلك أحاسيسنا ، واستولى على مشاعرنا بأحاديثه الطلية التي تنفذ الى قلوبنا قبل أسماعنا ، ويجعلها تتسرب الى أذهاننا فتنطبع في مخيلتنا ، وتترك الانطباعات القوية والمؤثرة في نفوسنا حيث يتألف فكرا وأدبا وأريحية ..!

والشعر بوصفه شكلا راقيا من أشكال التعبير الادبي فقد اتخذه وسيلة ابداعية يعبر من خلالها عما يجول في نفسه من همومه العاطفية والفكرية ... وفي صياغاته الشعرية يعرب عن الانفعال بطريقة فنية جميلة تستثير لدى الآخرين انفعالا مشابها ، فهي ذات نكهة خاصة بعباراتها الشفافة ، وصورها الاخاذة ، وخلوها من التعقيد المفتعل ، وتملك عنصر التشويق والجمالية ، وشد القارىء اليها ..!

وكان ديوان شعره « شفق الفجر » قد ضمّ عددا من قصائده التي تؤكد خصوصية تجربتها وعناصرها المتفردة ، وهي سبر لغور الواقع الذي كان يعيشه ، وتحمل الكثير من التعاطف الروحي ، ويفصح من خلالها عن مشاعره وأفكاره ومواقفه ... وتتميز بالتقاط الصور المؤثرة والمثيرة ، والتي نلمس فيها قوة التعبير والتأثير ، ووضوح الفكرة وأهميتها ، وتدل على أصالتها وعراقتها مع عذوبة اللوعة ، وشجن العواطف ، واحتدام الاشواق ..!

ولا شك في ان الاديب يجب ان يحمل رأيا وموقفا ازاء كل شيء في الوجود ، وأن يكون له منهج في الفكر والعمل ، وأسلوب استدلالي منطقي يعبر عن أزمة الواقع المعاصر تعبيرا حيا يعكس طبيعة الصراع وجوهره ، ويستوعب كل الابعاد المستقبلية ، ويترجم عما يحسه وعن أحاسيس الناس البسطاء وتطلعاتهم ومعاناتهم اليومية ... وان الكلمة الحق تأخذ حجمها الحقيقي في الممارسة والتأثير ، وتقود الامة نحو نهوض قومي شامل ..!

ولما كان المرحوم محمد شرارة أحد الادباء العرب البارزين ، والذي لم

يهدأ قلمه البارع السيال عن الكتابة والنقــد والتقريظ ••• كان على مستوى رفيع من الوعي والادراك لواقع مجتمعه وحقيقة قضاياه ••• يعبر عن ذاتــه وعن واقعه ومجمل القضايا التي تتفاعل في صدره •• وكان يعرف أن القيمة الفنية لاي عمل ابداعي ترتبط أساسا بمدى أصالة هذا العمل ، ومدى الصدق فيه ، بالاضافة الى مدى عمق جذوره بالواقع ••• ولذا فلا بد من تقدير هذا الرجل والاهتمام بــه •••

لقد انعكست موهبته الادبية الفــذة في مقالاته ، تلــك المقالات التي رسمت آفاق وعيه الانساني العميق ، وترجمت تجربته الحياتية الغنية بالاطلاع والاحساس والمعانــاة ••• تلك الموهبــة القادرة عــلى الكشف والتحليــل والابتكار ، والتي تستطيع أن تنظر الى أبعد مما ينظر القاريء لانها تسترشد بالثقافة والوعي ، وتؤكد امكاناتها على ادراك المستقبل والتنبؤ بأسراره ••!

فكان تدبيج المقالات وسيلته التعبيرية البارعــة ذات المنحــى الذهني ، والمعتمدة على صيغ لغوية يديرها العقل ، ويرفدها الاحساس ، ويعطيها البعد الذي تستحقه ••• فتعكس الحقائق في شكل حسي من شأنه ايجاد الوعي ، وخلق المعرفة بين طبقات الشعب لتحقيق عالم أفضل ••!

وكان للفقيد أسلوبه المميــز ، وتستطيع التعرف بسهولة عــلى أسلوبه الفني الــذي كان في كثير من الاحيان يتعامل مــع التراث ويتخذه ينابيــع يستقي منها •• وكان يدرك اننا نعيش اليوم في ظروف مجتمع ينمو ويكبــر ليتخلص من رواسب التخلف التي عششت بيننا لسنوات خلت ، ولذا فقــد انتمى فكريــا الى المدرسة الواقعيــة الاجتماعية ••• وكان يعبر عــن حركة المجتمع نحو الامام ، ويجسد من خــلال كتاباته هموم الناس ، ويفصح عــن مشاركة وجدانية مع قضايا الامة العربية ، ولا يتنصل من قول الحقيقة المــرة التي نعاني منها ، فيهز القاريء ويوقظ الاحساس بالمسؤولية لكي يعي حقيقة موقعه وحقه في هــذه الحياة ، ويجعلــه يشعر بقسوة الاستغلال الطبقــي ، وبمرارة التجزئة القوميــة ، وبالاستلاب الانســاني ، وبضرورة المساهمــة

بالكشف عن المشكلات الاجتماعية ، وتحرير الوطن العربي وتوحيده وبناء الاشتراكية في ربوعه ••!

لقد شارك في الاحداث العامة فكرا وممارسة ، ورافق مراحل التطور الاجتماعي في العراق ، واستجاب لمعطيات الحياة ومستلزماتها ، وكابد معاناة الجماهير التي فجّرت الثورة العربية الطامحة التي تحرير الوطن العربي ، وبناء المجتمع الاشتراكي الموحّد ••• وكانت آثاره النثرية والشعرية تملأ النفوس بشحنات المقاومة والتصدي ، وتنطوي فيها عظمة الهدف الانساني الذي يسعى لتحقيقه ••

لقد حاول في جميع أعماله الادبية ايجاد حلول لمشاكل الفرد والمجتمع الاخلاقية والفلسفية ، والقيام بواجبه في التوعية ، وجلب الانتباه الى الاوضاع المتردية ••• وكان قادرا على التحليل والاستنتاج ••• وان القارىء يستطيع من خلال قراءة نتاجاته الادبية أن يقف على تيار كامل من الفعل ورد الفعل ، ومن الحقائق ونقائضها ••• وكان يعبر عن كل ذلك بأسلوب رصين يعد من روائع التعبير ، وجمال التصوير ، وومضات العبقرية ••• وبهذا كشف عن مكانته أديبا وانسانا ، وحقق المهام الملقاة على عاتقه ••!

لقد خسرنا بفقده كاتبا مجيدا اجتذب القلوب اليه بما كان يتمتع به من ضروب النشاط الادبي ، وقد ترك موته صدى مؤثرا في نفوس أهله وأصدقائه فتغضّنت جباههم حزنا وجهامة وكآبة ، وخلّف بعد وفاته تراثا فكريا يحيا به في ذاكرة التاريخ ، وضمير الانسان ، وستظل ذكراه شامخة في المخيلة ، ومتصلة الوجود في صيرورة الروح والقلب ، ويبقى صداه يدوي عبر سنوات وسنوات ••!

وهذه الكلمة التي نقدمها في غياب المرحوم محمد شرارة الذي نكبره انسانا ، ونعتز به أديبا هي من بعض الوفاء الذي يجب أن يتحلى به الاصدقاء المخلصون ••!

بغداد خضر عباس الصالحي

مع الخالدين

الرسّام غوغان

إعداد : سمير شيخاني

صوت : أيها السادة ••• ان كل لوحة فنية هي فصل من حياة الفنان الرسام • ولكي تتذوق عملا فنيا وتقدره حق قدره ، ينبغي لنا أن نعرف قصة الفنان • فلكي تفهم الكآبة في عيون شخصيات رسام ما ، ينبغي لنا ، أولا : فهم الكآبة في حياة هذا الرسام • فنحن لا نرى الا نصف اللوحة عندما لا نكون على معرفة بالرسام • وما أشبه ذلك بمشاهدة مسرحيته بلغة لا نفهمها • فمن خلال شخصية الفنان ، فحسب ، يمكننا فهم لغة فنه • ونعني بالشخصية الرجل كله ، الصورة الحميمة : وقائع حياته الخارجية ، ومطامح نفسه الداخلية الخالدة •

والرسامون أناس مثلنا ، شاطرونا مشاكلنا ، ومسراتنا ، وأفراحنا ، ومعتقداتنا ، وشكوكنا ، وآمالنا ، وخيبة آمالنا ، وجوعنا • وبكلمة أخرى ، مصيرنا البشري العادي • الا أنهم اختلفوا عنا ، وتميزوا ، من وجهة واحدة : فقد كانوا أرهف احساسا ، وأجلى رؤية ، فأغنونا بروائعهم الخالدة ، وأتاحوا لنا ، كذلك ، أن نشاطرهم خلودهم •

ولا ندحة عن القول ان الفن العظيم ينبثق من الالم الكبير • فأولئك الذين يعيشون بقوة ، وحدهم ، يمكنهم أن يخلقوا أشياء جميلة • ومن هؤلاء سنقابل الآن واحدا كانت حياته مغامرة حقا ، مغامرة نصف رومنطيقية ، ونصف مأساوية : انه بول غوغان •••

غوغان ــ الواقع انك أصبت في هذا الوصف • فقد كانت حياتي كمـا ذكرت بعد ان التهمني فني •

صوت : تعود بي الذاكرة الى اليوم الذي بيعت فيه كميـة من لوحاتك بعد وفاتك في جزر المركيز وذلك لتسديد الديون التي تراكمت عليك •

غوغان : انك تثيرين فضولي ، أيتها السيدة ، فماذا جرى اذ ذاك ؟

صوت : وقف المكلف باجراء المـزاد وراء المنضدة وحمل لوحة مـن اللوحات التي وجـدت في كوخك الحقير ، وقـال ضاحكا بعـد أن وصف لوحاتك بأنها تبعث على الضحك حقا : انظروا هذه شلالات نياغارا •

غوغان : لا بد أنه أمسك بتلك اللوحـة بالمقلوب ، أي رأسـا على عقب (مقهقها) •

صوت : ذلك ما فعل تماما • ثم قرع المنضدة بمطرقته وباعهـا بخمسة عشر فرنكا • وواصل عملية المزاد فباع سبع لوحـات أخرى بخمس فرنكات كل لوحة • أما اللوحة الثامنة فلم تحصّل فرنكين اثنين •

غوغان : أهذا كل ما بيع من اللوحات التي تركتها في ذلك الكوخ ؟

صوت : أجل ، ذلك ما بيع لان ذلك ما بقي منها • فقد اتفق أن اكتشف أحد الصيادين ثلاث حقائب مـلأى باللوحات الزيتية ولكنـه لم يكلف نفسه عناء بيعها ، فألقاها في اليم • وما يزالون في جزر المركيز يتحدثون الى اليوم عن ذلك الخطأ الفظيع الذي كلف مليون دولار •

غوغان : (بدهشة) ماذا تقولين ؟ أقلت مليون دولار ؟

صوت : ان هذا التقدير ، يا سيد غوغان لا أثر للمبالغة فيه • ففي سنة ١٩٥٩ ، وفي مزاد علني جرى في لندن بيعت لوحة واحدة من لوحاتك الـى أحد التجار بمبلغ ١٣٠ ألف ليرة استرلينية • أمـا سائر لوحاتك الرائعـة فلا تقـدر بثمن •

غوغان : يا لسخرية الاقدار ! فان كل ما حصلته من لوحاتي وفني طوال حياتي لا يساوي في مقداره ثمن ربع لوحة • فضلا عن انني ذقت الامرّين في سبيل فن الرسم الذي كرست له حياتي •

صوت : لم تكن الراحة والطمأنينة تمنيان كثيرا بالنسبة اليك • لانك وضعت كل قيمة في الهدف الذي سعيت اليه • هجرت حياة الجاه والفخفخة، وانتهيت بهجر المجتمع المتحضر لتنصرف بكليتك الى الرسم • وانك لتعتبر اليوم واحدا من أشهر الرسامين الحديثين • سماك فان غو « المعلم » ، وبيكاسو اليوم يعترف صراحة بما يدين به اليك •

غوغان : الواقع أنني فتحت أمام رسامي العالم آفاقا جديدة سواء من ناحية القوة السحرية للون أو من ناحية الرمزية في الاشكال • وأعتقد أن الجميع عبّوا من هذا الينبوع •

صوت : الامر كما تقول تماما • والآن لنعد الى استعراض وقائع حياتك • فأنت من مواليد باريس في سنة ١٨٤٨ •

غوغان : وكان والدي صحافيا مغمورا ، ووالدتي من أسرة عريقة من الاسر الاسبانية •

صوت : عندما بلغت السابعة عشرة من عمرك تركت دروسك وأهملتها لتلتحق بعمارة بحرية تجارية طفت على ظهرها البحار مدة ستة أشهر •

غوغان : لقد كانت هذه الرحلة البحرية نعمة عليّ • فبعد أن كنت مراهقا هزيل البنية أصبحت رجلا خشنا نتيجة الحياة على السفينة • فضلا عن أن هذه الرحلة كانت مصدر الحلم الذي قيض له تبديل مجرى حياتي بكاملها • فقد كانت أقوال القبطان في وصف الحياة أو أوقيانيا تحفر في نفسي بعمق ورسوخ •

صوت : علام كانت تدور هذه الاقوال ؟

غوغان : ما زلت أذكر بعضها من مثل : النساء فاتنات ، والثمار تتساقط من الاشجار ، والشمس تشرق كـل يوم على مـدار السنة ، وليالي رائعـة كليالي الجنـة .

صوت : ومع ذلك كله اكتشفت في نفسك لـدى عودتك الـى باريس موهبة قلما توجد لدى الفنانين ، وهي جمع المال في البورصة .

غوغان : وهكذا عملت لدى أحد الصرافين ، واثريت بسرعة واستثمرت أرباحي في مشاريع كسبت منها الكثير حتى ان دخلي السنوي بلغ في ذلـك العصر مئتي ألف فرنك .

صوت : وكنت مثال البورجوازيين المنعمين ، تعتمر قبعة عالية ، وتذهب كل صباح الى مكتبك في عربة مكشوفة فخمة ، وتتردد على أكبر المطاعم .

غوغان : ولتتويج هذه الحياة البورجوازية المثاليـة تزوجت ابنة أحـد الموظفين الدانمركيين وكانت تدعى ميتي صوفي غاد .

صوت : وكانت زوجتك هذه شقراء تتأنق في ملابسها وتقيـم حفلات الشاي المتقنة . وقد انجبت لك خمسة أولاد . ولكنك ، قبل ولادة الطفـل الاول ، اكتشفت الرسم .

غوغان : في باديء الامر رأت زوجتي في الرسم هواية تتفق وميولي ، ولا بأس من ان أمارسه أيام الاحد . ولكنها لم تفهم مزاجي الخاص . فبعـد أن عرضت احـدى لوحاتي وقـد دعوتها « دراسة في العـري » ــ وكانت النموذج الخادمة ــ صرح أحد النقاد الفنيين ان لوحتي هي أجمل لوحة عارية رسمت بعد رامبرانت مما شجعني على اهمال أعمالي التجارية أكثر فأكثر .

صوت : وهكذا لم تبلغ الخامسة والثلاثين حتى هجرت منصبك لـدى الصراف لتكرس كل جهودك لفن الرسم .

غوغان : وفي أقل من سنة ، أصبحت خالي الوفاض ، فبيع منزلي العائلي بما فيه من رياش فخم ثمين وسجاجيد وعادت زوجتي الى الدانمرك حيث كان

بامكان ذويها أن يطعموها • ولحقت بها ولكن الدانمركيين سخروا مني ومن فني ، وساءهم أن أكون عالة على زوجتي مما دفعني الى العودة الـى باريس وحدي والاستمرار في الرسم •

صوت : الواقع ، يا سيد غوغـان ، ان الكثيرين انحـوا باللائمة عليك لتركك زوجتـك وأولادك ، في حـين أن زوجتك ، في الواقـع ، هي التي هجرتـك •

غوغان : والدليل على ذلك أنني طالما رجوتها في رسائل عاطفية رقيقـة أن تعود الي برفقة الاولاد •• وقد تتالت رسائلي حتى آخر نفس من أنفاسي، ولكن ميتي لم تعد الي •

صوت : ومنذ عودتك الـى باريس تؤرخ بـدء اسطورتك ، أسطورة غوغان • فقد كنت تقيم في بيوت المؤونة الخاوية ، الباردة ، تتدثر بالثيـاب البالية ، وتكاد لا تأكل كل يوم •

غوغان : وكان يتفق لي أحيانـا أن أقـوم بلصق بعض الاعلانات عـلى الجدران لقاء بضعة فرنكات يوميا • ومـا زلت كذلك حتى انتقلت الى بلدة آرل لأعيش مـع صديقي وزميلي فان غو • وقـد موّل هذه الرحلـة شقيق الرسام تيو الذي كان تاجر لوحات فنية على أمل ان يكون وجودي بركة على شقيقه فانسنت البائس نصف المجنون •

صوت : في باديء الامر كانت الحال على مـا يرام بينكما ، فكنت أنت تهتم بتدبير شؤون المنزل وتقوم بالطهي ، وتجبر فانسانت فان غو على الرسم في أوقات منتظمة •

غوغان : ولكن مزاجينا كانا متناقضين ، وانتهت اقامتي معه ذات يوم • والجميع يعرفون أنه تبعني ذات ليلة وبيده مدية فلما تنبهت له وقاومته عـاد الى المنزل وقطع احدى أذنيه • وقد نقل بعد ذلـك الى مستشفى للمعتوهين حيث بقي سنة ، وبعد خروجه منه بشهرين انتحر بطلقة نارية في صدره •

صوت : وهكذا انتقلت الى منطقة بريتانيا في شمال فرنسا ، حيث راح يتجمع حولك نفـر من الشبان الموهوبين . ومـا يزال الرسامون الحديثون يرددون نصائحك القائلة : « لا تنسخوا الطبيعة ، الفن رمز . خذوا الرمز من الطبيعة وأنتم تحلمون ، وفكروا بالخلق أكثـر من تفكيركم بالنتيجـة ... البشع يمكن أن يكون جميلا ، أمـا الجميل فلا يمكن أن يكون كذلـك مطلقا » . وكانت حيويتك عارمة بحيث انك كنت بعد يوم عادي من العمل ، تنصرف الى النحت مستعملا الخشب آنا والرخام آنا اخر .

غوغان : ولكن على الرغم من تشجيع بعض النقاد لي فقد كانت نظـرة الجمهور الى لوحاتي نظرته الى أشياء غريبة ، وكنت وأنا في الثانية والاربعين من عمري ما أزال في غمرة البؤس .

صوت : وعندهـا أعلنت عن سفرك الـى بولينيزيا لكي تعيش هنـاك وترسم كانسان بدائي . فقد آن أخيرا لحلم حياتك الكبير أن يتحقق ، وعبثـا حاول أصدقاؤك ثنيك عن عزمك .

غوغان : وأقمت مزادا علينا للوحاتي جمعت منه المال الكافي للرحلـة . وفي تاهيتي ـ سنة ١٨٩١ ـ توغلت بعيدا في داخل البلاد واستأجرت كوخا يشرف على بحيرة صغيرة .

صوت : وعدت الى فرنسا بعد ثمانية وعشرين شهرا حاملا مجموعة من اللوحات الرائعـة .

غوغان : عرضت منها أربعين لوحـة فاشترى القليل منهـا فحسب بعض أصدقائي القدامى بمبلغ اجمالي لم يزد عن ٥٠٠ فرنك من عملة ذلك العصر .

صوت : وقـد قسا عليك يومذاك أحـد النقاد وأبكاك بهـذه العبارة الخبيثة : « اذا شئتم تسلية أولادكم فاصحبوهم الى معرض لوحات غوغان » .

غوغان : وهكذا عدت في السابعـة والاربعين من عمري حزينـا الـى اوقيانيا في جزيرة دومينيك البعيدة التي تتألف منها مجموعة جزر المركيز .

صوت : وكنت مصابا بداء خبيث حال دون شفاء جرح عنـد مستوى كاحلك وكان ألمك شديدا ، وساقاك لا تسعفانك على الحركة بفعل المرض .

غوغان : تصوري ، يا سيدتي ، غوغان ذلك الرجل النظيف المنظم وقـد بات أعجز من أن يعتني بنفسه .

صوت : ومت وحيـدا سنة ١٩٠٣ في كوخ حقير الـى جانب لوحتك الاخيرة « قرية بريتانية تحت الثلج » .

غوغان : انـه لموضوع غريب للوحـة مرسومة في البحـار الجنوبية الساحرة ، أليس كذلك ؟

صوت : ومـا هي الا بضع سنوات ، بعـد وفاتك ، حتى بـات اسمك اسطوريا ، مثل اسم زميلك البائس فان غو . واشتد الطلب على لوحاتك التي كان يجدها الجامعون في كل مكان تقريبـا : في الحانات وفي النـزل ، وفي المطاعم حيث كنت تقايضها لقـاء المأوى ، أو الوجبة ، أو زجاجـة النبيـذ ، والغريب في الامر ان أصحاب هذه الاماكن كانوا يخفونها في بيوت المؤونـة أو مخازن زجاجات الخمر لانهم لـم يقدروا قيمتها ، واعتبروها غـير جديرة بالتعليق على الجدران .

غوغان : أذكر في هذه المناسبة انني قبيل نهايـة أيامي وقد نفذ منـي القوت والقوى كتبت رسالة الى أحد أصدقائي قلت فيها : « أنا لا أرغب الا في الحصول على الصمت ولا شيء غير الصمت ، دعوني أمت هادئـا منسيا ، واذا ما عشت فدعوني كذلك أكثـر هدوءا ونسيانا . واذا كنت قـد صنعت أشياء جميلة فلا شيء يمكن أن يطمسها » .

صوت : ولقـد صدق حدثك ، يـا سيد غوغـان ، وأصبحت خالـدا بلوحاتـك .

رسوم

الشبيبي الصافي

بقلم : السيد علي ابراهيم

بقيت سمات كامل في نفسي بين الكتاب الذين قرأت لهم ، وكلما عدت اليه وجدته جديدا كأنني تركته أمس لم تؤثر عليه الليالي والايام مع أن العابثين بالقلم كثيرون ، وأذكر اجتماعنا الاول في مكتب مجلته الادبية التي كانت ملتقى الصحب والخلان ، ومأوى أولئك المتعبين الذين عاشوا مع الاحلام ولم يبزغ فجرهم عن أمل محقق ، وكان هو واسطة العقد ، خاطرا نيرا في الافكار وعاطفة صادقة في القلوب ، وقد بقيت تلك المجلة سنين طويلة ثم حجبها عن العيون انصراف أكثر القراء عن ذلك النمط المعروف من البيان ، الذي رافق المواهب الادبية منذ نشأت وجانس فيه اللفظ المعنى وزين العقل الجوهر فغمر سناه العيون ، وحبذا لو وصل دعاة التجديد الماضي بالحاضر ولم يهملوا التراث الثمين الذي يملكون .

رأيت عنده أداء واضحا اذا كتب أو حدث ترسم الكلمات فيه شعوره واحساسه فتصدقك المرآة النظر ، وتراه فيها انسانا بسيطا لا غموض لديه ، أشرقت شمس الحقيقة على خفايا نفسه فلم تترك ظلالا مبهمة يتيه فيها السائر ولا يعرف الى أين المصير ، سرنا معا بجو من الشك والقلق لا نجد في سعة الحياة ومباهجها ظلالا نلجأ اليها من لفح الهجير ، وانما هي محاولات لا تنتهي كلمات عثرت القدم فيها مرة سدد خطاها الامل هاتفا بها ان المنهل قريب ، نرى شركاءنا في المجتمع الذي نعيش فيه مع الصراع على موعد دائم كأنهم باقون طويلا ، يعملون جادين وراء المنافع تشغلهم دنياهم عن كل شيء حتى

عن الراحة والهناء ، واذا سألتهم عن سر ذلك وجدت الغد وحده في عقولهم وما يدريهم أين يكونون فيه ، فنفتش في هذا المضطرب الواسع عن سنة الكرى وراحة النفس ونطمح لساعات من التأمل والنجوى فلا نعثر في كل ذلك على غير المعالم التي لا تغني ، ولا تبعث الفرح للقلب ، والنور للفكر •

ولم تتغير صورة كامل في نظري منذ عرفته ؛ هو باحث عن نفح الطيب وألق النور يستهويه الجمال أينما كان في سائر مجالات الحياة فيتبعه ، مناجيا انسانية الناس لعلها تكف عن غلوائها ذات يوم فلا ترى غير مشاهد وصور يلونها الناظر مثلما يريد ، فينتشي من كأس السعادة اذا شاء ويرشف الصعاب اذا توغل بالنكد والاثارة ولم يقنع بنصيبه من نعم الحياة ، ثم فاجأتنا الدنيا بأحداثها فاذا الفكر والضمير والفن والادب وكل ما يتصل بالنفس الانسانية هاجع يحن للايام الماضية يوم كان الشعر والوحي والالهام وغير ذلك من المعاني التي ألفها الناس ، حلية وزينة الوجود ، يوم عكفنا على النبع الصافي ننهل من معينه ولا نرتوي •

بعد الثمانين

مضت أيامه العذاب وأوشك أن يجف عوده ، وهل بعد الثمانين من مأرب ؟! بقيت له أيام قليلة سيضنيها مر الغداة وكر العشي مثلما فعل بالسنين الطويلة ، وتأبى قامته الفارعة أن تنحني لأحداث الزمن وتقلبات الليالي والايام الى أن يأزف يومه الاخير وتتساقط أوراقه مؤذنة لنبت جديد ليمثل دوره على مسرح الحياة ؛ ولم تزل في ذهنه يقظة يعي بموجبها ما حوله ويذكر الماضي كأنه شخوص متحركة تتواثب هنا وهناك فيصورها لك ببراعة وصدق ، وتراه دائم اللفتات لاولئك الذين مضوا وذهبت بزعمه معهم أيام الصفاء والهناء ، وفي قلبه فتوة يخفق معها لكل هبة ريح ، ويخشى أن تنطفىء شعلة عمره اذا سكن وآوى لعزلة يهدأ فيها ويستريح ، يزين ذلك كله فرح وابتسام ومحبة للحياة وأبنائها ، وتشبث بقيادة أسرة كبيرة من البنات والبنين تحمل له الاحترام وترجع لرأيه في كل طارىء ، تمشيا مع عادة الناس

يومذاك ، ويزيده العمــل والكدح مضاء كأنــه الذهب الابريز كلمــا عركته توهج ، فهو في الحقل مع أشجار التين والزيتون يشذب فرعا ويسقي أصــلا ومع الارض يتعهدها بالبر والعنايــة لغرام بينهما قديم ، لــم يفارقها أو يرفع نظره عنها لغير السماء يستمطرها ويطلب منها الرحمــة ، ويرافق النبت النامي فينظر ما يصلح له ويبعــد عنه الطفيلي الدخيــل ، يبعث النضارة في وجهــه والحيوية في حركته منــاخ ريفي بديع يجمــع بين روعات الطبيعــة وسحر الوجود ، له قبلة الشمس الاولى عند البزوغ وهبة كل نسيم منعش ، وعمــل راض جسمه عليه فأذكاه ، وصيانة لم يعبث فيها غلو واسراف ٠

قلت : يا أباسعيد ، هل لــك أن تفتح أمامي سجل الماضي فــان النفس تشتاق وتحن اليه ، نحب ان نحتضن فيه لبنائنا الحبيب ونزرع على مفارقــه القبل ، فقد طالت غربتنا عن نفوسنا حتى ظننا ان اللــه قد بدلنا قوما آخرين ومنع عنا عطفه ورضاه ، فقال : كان الامن مناخا لنــا رحيا ، نعيش في ظلــه سعداء لا يلم بنــا قلق ولا نعرف الخوف والشك وقديما قيل : (الصحــــة والامان نعمتان مجهولتان) وكانت الامانة زادنا في الدرب الطويل يضاف الى ذلك تأثير الايمان في سلوكنا وممارستنا وأحسب ان الانسان بحاجــة للدين ليبعث العزاء في نفسه ، والطمأنينة في قلبــه ، كثرت أمامنا أزهــار الخير ، وقلت حاجتنا فلم تجد الاطماع سبيلها الينــا ، وهكذا نحن كما ترى ، عين في الارض ، وعين في السماء ، ويد تعمل ، وقلب يحب ، وتعلق بالوطن لا يعادله غير تمجيد اله الارض والسماء ٠

علي ابراهيم



الشاعر الانسان عبد الرزاق حسن عزيز

بقلم : علي الفتال

قبل سنوات كنت قد كتبت مقالين في صحيفة (العدل) العراقية عن الشاعر الحقوقي المرحوم عبد الرزاق حسن عزيز . كان المقال الاول تحت باب « مرايا صافيات عن كتاب العدل » تحدثت فيه عن خلق الشاعر كما تحدثت عن شاعريته بشكل عام .

وكان المقال الثاني تحت عنوان « قراءة في ديوان ظل النخيل » حيث استعرضت فيه قصائد الديوان وشخصت أبرز سماته وهي :

١ ـ وثوقه من نفسه ٢ ـ حبه الصادق لوطنه ٣ ـ شمولية المتابعة ٤ ـ جزالة اللفظ ٥ ـ الصدق ٦ ـ الاوزان الراقصة والقوافي الرشيقة ٧ ـ صوره الجميلة ٨ ـ عاطفته المشبوبة ٩ ـ طيبة القلب وسماحة الخلق ١٠ ـ واقعية الصور ١١ ـ الحكمة والمثل والنصائح ١٢ ـ اهتمامه بالموروث الشعبي .

وفي حينه قدم الشاعر المرحوم الى كربلاء ليشكرني على ذينك المقالين . وبعد ذلك اللقاء انقطعت أخباره عني .

وذات يوم وأنا جالس في داري اذ رن جرس الهاتف واذا بالصديق الشاعر السيد سلمان هادي الطعمة يخبرني بصوت حزين عن وفاة فقيد الكلمة الصادقة والخلق الرفيع المرحوم عبد الرزاق حسن عزيز . فوقع الخبر عليّ وقوع الصاعقة .

واليوم وأنا أكتب عن هذا الانسان الطيب لا أدري ماذا أقول .. لا لعجز مني ولا لان الرجل غير أهل للكتابة عنه ، ولكن الذهول وحده هو الذي يجعلني في حيرة من أمري . ولكي أبدد هذه الحيرة رحت أسوح في ديوانه مرة أخرى فوجدت فيه ضالتي ، حيث تبددت الحيرة وصفا الفكر واذا بالرجل يقدم نفسه للناس بالبساطة كلها ، التي كان يعيشها في علاقاته مع الآخرين وبالتواضع كله ، الذي كان قد اتخذه منهجا في حياته وبالطبيعة كلها ، التي كانت الصفة الغالبة على سلوكيته وبالصراحة كلها التي اتسمت بها أحاديثه وبالصدق كله ، الذي رفعه شعارا حتى آخر أيامه . وبالوفاء كله ، الذي لا يعرفه الا من كان قريبا منه في مفردات حياته .

ولكن الذي لا يعرف أبا علي يحتاج الى مصداق للقول . كيف يحصل على ذلك المصداق والرجل قد غادرنا الى حيث القرار الاخير ؟! ليس أمامنا الا أن نفتش في ديوانه فهو ترجمان صادق لحياته ، اذ يقول في قصيدة (سليمى ص ٢٨) :

واني لم أكن يوما كذوبا ... وما من شيمتي فعل الخؤون
واني من وفائي كنت أشقى ... وغيري في الحماقة يزوريني
واني حافظ عرضي وجاري ... وتلك حقيقة رفعت جبيني
واني للمروءة (احتضنها) ... واسقيها بكأس من معين

وأما عن شفافيه قلبه وحسن نواياه ـ تلك السمات التي يتسم بها اولئك الذين خبروا الحياة وسبروا أغوارها ـ فهو يقول :

ان لي قلبا اما شاهدته ... شفه الوجد مرارا فانفطر
ضمه صدري بليل هادىء ... ان ظني حسن مهما هجر

وكان ، رحمه الله ، من فرط حبه وتمسكه بالصفات الحميدة تلك يحاول أن يسحبها على أهل بيته الاقربين ، فهو يخاطب ابنه عليا بهذه العبارات التي اتصف بها المسلمون الاوائل :

ولا تكن ظلوما فالظلم ليس يجدي
واكظم بنيّ غيظا ولا تثق بسيدي (الذئب)
وكن بني شجاعا ذا شيمة كالاسد
ولا تكن فخورا فالفخر يوم الجد
وكن بني حليما فالحلم نور يهدي
واصبر لكل ضر واسع بكل جهدي
وكن بني كريما هذا جميع قصدي

لم يكن فقيدنا الراحل يسطر نصائحه بشكل تقليدي لكي يقال عنه أنه يجيد النصح والارشاد في شعره ، انما كان مؤمنا بكل كلمة يقولها لأنه آمن بالحساب وباليوم الآخر وآمن ان الدار الدنيا فانية ولم يبق فيها الا العمل الصالح ، والانسان ، اذا ما أراد أن يحقق حضورا دائما في الحياة عليه أن يترك له ذخيرة من العمل الطيب تبقى مشعلا يدل عليه مهما تقادم الزمن وهكذا كان شاعرنا الراحل . فلنقرأ له قوله :

اني أرى بعد الرحيل سعادة ولقد علمت في الذهاب ايابي
حتى تركت الفانيات لعلني أحظى بعيش في صفاء ثوابي

وهكذا كان اذا رحل الى جوار اللطيف الخبير وهو مطمئن القلب واثق من أنه ترك ذخيرة (شعره وسلوكه) لتسجل له حضوره الدائم لدى أهل بيته وأصدقائه ومحبي شعره .

تغمد الله الفقيد برحمته وأسكنه فسيح جنته .

كربلاء ـ العراق علي كاظم الفتال

شعراء كربلاء المعاصرون

شاكر عبد القادر البدري

بقلم: سلمان هادي آل طعمة

ظهرت مواهبه وهو في نشوة الصبا وعنفوان الشباب في المحيط المدرسي ، ذلك المجتمع الصغير الذي تظهر فيه قابليات الطلاب عادة ، وتدرج في السن ليتدرج في الادب كذلك . ونمّى مداركه بما كان يطالع من كتب ودواوين شعرية ، وظهرت مقدرته بصورة أوسع في صحف ومجلات كربلاء آنذاك ، وفي حفلاتها ومواسمها الثقافية ، فأعد نفسه اعدادا يتلاءم ورغبته الادبية . ومن المؤكد أن مجالس كربلاء أكسبت عطاءه بعدا جديدا وعميقا ، دفعته الى الامام ليلتحق بركب التطور .

ولد شاكر بن عبد القادر بن جبوري بن سعد الله البدري في قضاء علي الغربي في محافظة العمارة (ميسان) سنة ١٩٣٦ م ورحل الى كربلاء في أوائل الخمسينات ليقيم بها حتى يومنا هذا . أنهى دراسته المتوسطة فالاعدادية بكربلاء . ثم دخل كلية الآداب (جامعة بغداد) حتى اذا اجتاز مرحلة البكلوريوس سنة ١٩٥٩ م عين مدرسا في مسقط رأسه – علي الغربي – ثم انتقل الى كربلاء سنة ١٩٦٦ م ليواصل نشاطه الادبي الى جانب كوكبة من الشعراء لمعت أسماؤهم في هذه المدينة ابان تلك الحقبة . ومما يذكر بهذا الصدد ان للجامعة العراقية مهمة كبيرة هي احتضان المواهب الشعرية للطلاب في الحفلات والمهرجانات مما كان له أثر على صقل ذهنه وتنمية قابلياته . وبالرغم من وجود حبسة في لسانه ، فانه لم يمنعه عن المشاركة في المهرجانات الادبية التي كانت وما تزال تعقد هنا وهناك من محافظات قطرنا .

أصدر شاكر البدري مجموعة شعرية باللغة الدارجة تحت عنوان (زوارق الكحلاء) • كما أصدر (متاع الاديب) و (ألف مثال في النحو) ومجموعة شعرية باسم (لمن يبتسم الصبح) ومجموعة شعرية أخرى باسم (الخطوات) وله عدا ذلك مجموعة ثالثة أعدها للنشر باسم (لها وان فات الاوان) •

لعل من المفيد هنا أن نذكر أن شاعرنا لم يكن يقرض الشعر حسب ، بل انه كاتب وقاص جيد له اسهامات موفقة في تلك المجالات حيث كتب المسرحية وكان فيها مجيدا ، اضافة الى ذلك فان له مخطوطا بجزئين يحمل عنوان (جمهورية الامام علي) •

برع في قرض الشعر ، وله باع في كافة الابواب التي ولجها ، وقصائده تحفل بنزعة تجديدية في بناء القصيدة • وانه يملك مقدرة شعرية ذات ابداع، فهو مصور بارع في انتقاء الصور ، على أن هناك في البعض من شعره ما يكتنفه الغموض والوهن • وتتمثل في شعره رؤى الاحداث التي عاشها ورافقها في حياته • فقد واكب ثورات بلاده وانتفاضاتها في العراق والجزائر وارتريا وفلسطين وهكذا في بقية أقطار الوطن العربي الكبير • ولنقرأ له أبياتا من قصيدة يهلل فيها بانتصار الجزائر البطلة في معركته المصيرية :

أعرفت مهزلة العبيد ... بظل أوعية الصديد ؟
أرأيت شعبا أعزلا ... بالنار يسخر والحديد ؟
أرأيت عادية الشعوب ... عن التحرر لا تحيد ؟

خذ مني عهدا بالتزام
شعب الجزائر لن يضام

أرأيت ذؤبانا على حمل ... تزاحم بالتحام ؟
أرأيت نار البغي كيف سرت على فخر الظلام ؟
أرأيت شعب الثار كيف يهز عادية الطغام ؟

وغدا ترى من للانام
شعب الجزائر لن يضام

ومجموعته (لمن يبتسم الصبح) تضم قصائد غنائية وجدانية لـم تكن جديدة في رؤيتها وتعبيرها ، غير أن بعضها لا تخلو من صور مشرقة ملتهبـة ورموز موحية . ولعل خير مـا فيها قصيدة (اخـوة الجرح) ففيهـا نفحات ينتظمها سلطان التفاؤل بالمستقبل والحس القومي العارم ، فهو يقول :

وتسألني تريد الشوق عن أهلي وعن بلـدي
فأهلي مائـة المليـون دنيـا الفجر للابـد
تركز فيهمـا الاحساس مشحونا بلا مـدد
ونسقي كرمـة الاجداد غصن العز بالوعـد
خريطتـه من الابعـاد لن ترسو بغير يـدي
فمن يافا الـى هانوي نحن أخوة الجـرح
ونعصب هامة الدنيـا من الامجاد والفتـح
ونكتب شرعـة الثوار بين الليل والصبـح
بغير الثـار لا تتلـى نواقيس من الصلـح
بهـذا المنطق الاحداث لا بالقول والنصـح

وفي قصيدة (أخي) لغتـه شعرية رائعـة تكشف عـن صدق الشاعر وأصالته في التعبير ، وهي معارضـة لقصيدة الشاعر ميخائيل نعيمـة ، يقول فيهـا :

أخي يا يقظة الاحساس قـم واهتف باخوانك
غبـار الـذل احنانا وهـدد صرح أوطانـك
فقم واحفـر طريق الصمت لا تعبـأ بأوثانـك
حـرام أن ينـام الثـأر
أو يجـرح ماضينـا
أخـي قـد أنكروا الامجـاد عابونا بأهلينـا
ومـا أكثـر زيف الغرب في انكسار ماضينـا
ومـا عـاد لنـا برق ليغـذو طعم وادينـا

ومن يحرث درب السيل
هـذا الرعـد يؤذينـا

وفي غزله جزالة ورقة ، ومثل هذه الرقة التعبيرية نلمسها في شعره الوجداني الرقيق • فقصيدة (مناي) كما نراها منسابة خالية من الغموض ، يقول فيهـا :

منـاي ستبقين في خاطـري — حديثا ينـم بأحلى الصـور
وتبقين في صفحـة الذكريات — كطيف أجاش وأشجى ومـر
وكم يستطيب بايـل العذاب — اذا مـا ذكرت زمانا أغـر ؟
ستبقين حلمـا على خاطـري — اذا ما تولت ليالـي السمـر
سأذكر منك جميـل الحصاد — وأنسى المحيـا ودفء الشرر
وأنت منـاي اذا ما الحيـاة — دهتنـي بثالوثهـا المستعـر
مناي ألست لجرحي الضماد — ألست القضاء ألست القدر ؟

على أن الشاعر تجاوز حدود القصيدة التقليدية ، فراح ينظم في الشعر الحديث قصائد لا تقل قوة ومتانة في السبك والصورة عن شعره العمودي • ولعل خير مثال على ذلـك مجموعته (الخطوات) التي تولت طبعهـا وزارة الاعلام العراقية • وحـول محاولته هـذه أقـول انه مـن الشعراء الذين لا يقلون منزلة عن السياب والبياتي ونازك وغيرهم •

ذلك هو شاكر عبد القادر البدري الذي استطاع ان يثبت بجـدارة أن الشاعر يستطيع أن يتعامل مع الكلمة في أي صياغة فنيـة ، سواء كان ذلك في القصيدة العمودية أو الحديثة •

كربلاء ـ العراق — سلمان هادي آل طعمة

مشهد الامام الرضا (ع) بمدينة مشهد "خراسان"

د. ثروت عكاشة
وزير الثقافة سابقا بمصر

يعد الايرانيون كافة ضريح الامام الرضا « حرما » لهم يحيطونه بكامل تبجيل وتعظيم ، وقد جرى ترتيب عناصره بأحجامها المتباينة في الفراغ طبقا لنسب رياضية تربط بينها معبرة عن النواحي الرمزية المرتبطة بفكرهم الفلسفي ، فضلا عن ضخامة مساحته وفخامته والاسراف البالغ في انشائه ، مما جعله بحق كعبة للحجاج .

ولبناء الضريح تاريخ طويل تتعدد فيه المباني حتى ليحتاج تاريخها وتحليل تفاصيلها الى مجلد ضخم . فلقد تداخل العمل في هذه المجموعة من المباني على مر قرون عديدة بصورة محيرة حتى يمكن القول بأن هذا الاثر الخالد هو في حقيقة الامر وحدة متصلة لم تنل السنون من طابعها على الرغم مما زيد عليه من الاضافات العديدة المتتالية .

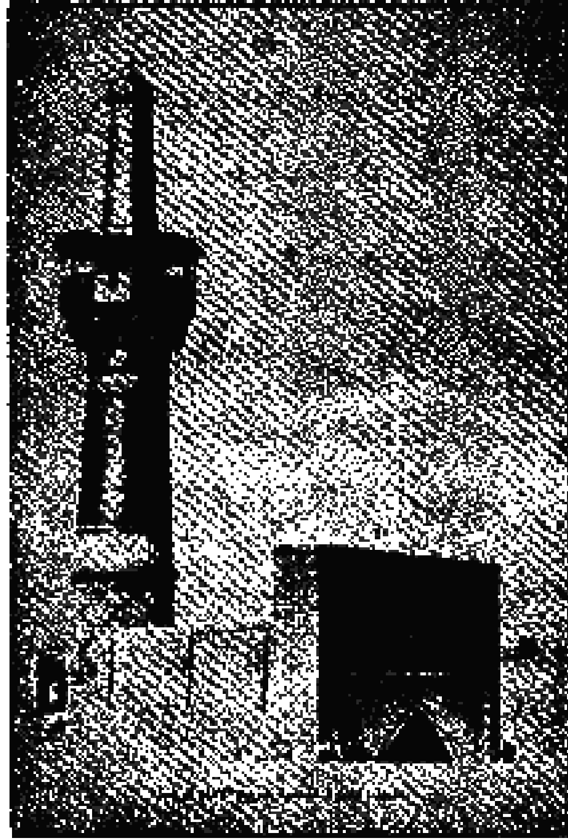
وكان علي بن موسى بن جعفر من الجيل الثامن لأحفاد الحسين رضي الله عنه محبوبا من أهل الشيعة يدينون له بالولاء مما دفع حماه الخليفة المأمون الى الاعتراف بانتسابه الى علي بن أبي طالب وأطلق عليه اسم « رضا من آل محمد » وما لبثت الشهرة والولاء اللذان كان يحظى بهما بين جماهير الناس أن دفعت خصومه الى قتله بالسم غيرة منه وحقدا عليه خلال زيارة صاحب فيها الخليفة المأمون لقبر هارون الرشيد بمدينة طوس ، ومن يومها صار الامام في نظر أهل الشيعة شهيدا . والمعروف أن هارون الرشيد والامام

الرضا قد دفنا تحت احدى قباب هذا الضريح الذي تعرض للزلازل ولتخريب الغزاة ولاضافات متراكمة متكررة ولاعادة بناء بعض أجزائه . وعلى الرغم من الدمار الذي لحق هـذا الضريح والتغييرات التي طرأت على بناء بعض أجزائه فانه لا يزال ينفرد بواجهاته ذوات الجمال الخلاب وفخامته المهيبة .

وقد تعرض هذا المبنى الذي يرجع الى بواكير القرن التاسع أول ما تعرض للتخريب على يد سبكتكين الذي خلفه أطلالا ، حتى جاء السلطان محمود في أوائل القرن الثاني عشر فأعاد بناء المحراب وتوجه بقبة شاهقة . ثم أعاد السلطان سنجر بناءه ثانية وزين الحرم بزخارف لا حصر لها من الفسيفساء والقاشاني الملون . وما من شك في أن الضريح قد أصابه التخريب من جديد عندما غزا تولى خان بن جنكيز خان مدينة مشهد .

وبعد أعوام طالت جاء السلطان أولجايتو خدا بنده فأعاد ترميم بعض أجزائه ، من ذلك اطار باب وراء الركن الشمالي من غرفة الضريح يحمل تاريخ عام ١٣٣٥ . ولا بد أن ثمة تحسينات جديدة أضيفت خلال القرن الرابع عشر، يدل عليها على سبيل المثال النقوش فوق بلاطات في غرفة الضريح لصقت عام ١٣٥٩ ؛ كما يقال أن القبة الحالية ترجع الى عهد أولجايتو . ومن أهم عناصر هذا المبنى ما أسهم بـه التيموريون بتشييدهم مسجد جوهر شاد ابنة تيمور الذي يعد جزءا من الحـرم وان كان مستقلا تماما من الناحيتين الواقعية والروحية . وقد أفاد الحرم من سخاء جوهر شاد ببنائها مسجدها الذي أثرى المجموعة ، ولولاه لما استكملت معانيها وروعتها من الناحية الجمالية .

وجاء الصفويون فأضاف الشاه طهماسب رواقا صغيرا شرقي غرفة الضريح (المرقد) ، كما أقام حلية ذهبية على هيئة عمود فوق قبة الضريح ، غير أنه حدث في اغارة شنت من بلخ ١٥٨٧ أن نهبت هذه التحف . كذلك شيد طهماسب منارة في وسط الجدار الشمالي الشرقي من « الصحن القديم » تم تجديدها وقت بناء نادرشاه المنارة المقابلة لها وقد اكتست كل منهما بطبقة كثيفة من التذهيب .



المنارة الذهبية ضريح الامام الرضا

وفي عام ١٦٠١ أمر شاه عباس بتجديد الضريح بما ذلك زخارف القبة فوقه وباستكمال « الصحن » ، ولم تتوقف أعمال التجديد والترميم والزخرفة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر •

ويندر أن نعثر على مجموعة مماثلة من المباني في العالم بأسره تعطي مثل هذا الانطباع بالوفرة ، فثمة قبة ذهبية ومنارتان ذهبيتان وايوانان ضخمان مذهبان وأبواب كبيرة من الفضة المطلية بالذهب تؤدي الى العديد من الغرف التي تسودها رهبة القداسة والتبجيل تؤكد ذيوع صيت هذا الضريح ، فضلا عن الصحون الكبرى التي تتكامل معها ستة صحون أصغر منها بما فيها صحن مسجد جوهر شاد •

وقد شيد الشاه عباس الاول طريقا متسعا للوصول الى الحرم يشطره جدول جار • ويفضي هذا الطريق الى الصحن الفسيح المسمى « الصحن القديم » (صحن كهنه) من خلال بوابة ضخمة على كلا طرفيه ، زينت كل منهما من ناحية الصحن بزخارف سخية فاخرة ، ويستمر جدول الماء الضيق حتى منتصف الصحن حيث يتصل بسقية مثمنة ذات تركيبات ذهبية تحيط بها أحواض الوضوء •

ويقع في جانب القبلة الايوان الذهبي المتألق الذي شيده في نهاية القرن الخامس عشر « علي شيرنوائي » الشاعر الوزير راعي الفنون ، وفي مقابلته من الناحية الاخرى من الصحن الايوان الذي أهداه شاه عباس الثاني وكان بسيطا مصمتا من الخلف • وقد كسيت جدران الايوانات الاربعة المطلة على الصحن القديم ، ومنها ايوانا المداخل من الجانبين بالقاشاني الملون ، في حين زينت أروقة البائكات ذوات الطابقين بكسوات من البلاطات الملونة •

وما يلبث الزائر أن يعقد مقارنة بين ايوان شاه عباس المهيب ومدخل مسجد شاه بأصفهان ، فالمنافسة بينهما سرعان ما تفرض نفسها عليه ، أيهما أعظم ؟ فايوان شاه عباس بمنحنياته الجميلة هو يقينا من أبدع مباني ايران • وعلى حين يظهر رواق البائكات ذو الطبقين مدى ارتفاعه الشاهق ، يعطي عمق المقرنصات والتجاويف الاحساس بانخفاض قمة السقف • والايوان بعامة مثال ممتاز للتصميم الدقيق الذي يعكس بصدق جوهر العناصر الاساسية في العمارة الايرانية ، ومع أن الفضل في انشاء هذا الايوان يعود الى شاه عباس الثاني الذي أمر بتركيب كافة حشوات القاشاني الا أن شاه طهماسب هو الذي شيد المنارة الذهبية لتي تشمخ من خلف الايوان •

ويطل الصحن الكبير الثاني المسمى « الصحن الجديد » ـ وتساوي مساحته صحن الضريح على وجه التقريب ـ على الطرف الجنوبي الشرقي من الطريق • ويسترعي الانتباه هنا ايوان ذهبي فاخر ذو ألق يتراءى على

سطح ماء البركة الوسطى تحيط بها الخضرة البديعة • لقد بلغت هذه الايوانات الذهبية من الوقار والمهابة قدرا جليلا ، دون أن تشذ عن العرف المتبع خلال القرن الخامس عشر الذي يتميز باستخدام الحشوات والتجويفات والمقرنصات •

وتلتف حول قبة ضريح الامام رضا ومنارتيه صفوف دائرية من القاشاني الازرق ، خطت عليها طرز باللون الابيض • أما ما يأخذ بالالباب حقا فهما الايوانان الذهبيان اللذان يبلغ ارتفاع كل منهما حوالي ثمانية عشر مترا • وقد خفف من غلواء استخدام الذهب بافراط لا داعي له في ايوان « الصحن القديم » اطار المدخل للضخم من القاشاني الازرق المتألق (*) ؛ كما أدت مرونة التشكيلات داخل الايوان لتجليته في التجاويف العميقة وعناقيد الهوابط (المقرنصات) وما تخلقه من ظلال متجاوبة دورا كبيرا في تخفيف أثر البريق المعدني لهذه الاسطح • كذلك يتحلى السطح الداخلي للايوان بنماذج زخرفية هندسية من دوائر متقاطعة وتصميم النجمة وحشوات متعددة • ولم يظفر الايوان الذهبي الآخر بغير تجديدات قليلة ، فثمة مجموعة من الحشوات فوق الخناصر المعقودة تقسم السطح الى مسطحات متنوعة عاكسة فتزيد من حدة تألق الذهب وتبدد بعضا من الظلال الكثيفة التي تلقيها حدبة أعلى المدخل •

أما الايوانات الثلاثة الاخرى التي أمر ببنائها « فتح على شاه » فقد انهارت أقبيتها في تاريخ لاحق ثم أعيد بناؤها ولكن بمواد روعي في اختيارها الحد من الانفاق •

وتؤدي الصحون الى عدد من الابنية الاخرى مثل مسجد السيدات ودار السيادة ودار السعادة ودار الضيافة وخانات القوافل والمدارس

★ اصطلح التشكيليون على أن اللون الازرق المتألق هو اجمل مقابل للون الذهبي •

والاسواق والمكتبات ، وتقع غرفة الضريح وسط هذه المجموعة من المحاريب والمصليات . وترقد رفات الامام الشهيد تحت قبة ذهبية تمنطقت طياتها بحروف من الذهب . ان الزائر ليصاب بالذهول وسط هذا الجمال الذي يفوق الوصف من فرط غلوه واسرافه ويضاعف من حالة الذهول تلك تعدد المباني وكثرتها وانتظامها في مجموعة واحدة .

وثمة باب من الفضة أهداه نادر شاه عام ١٧٤٣ يؤدي الى حجرة انتظاره ، يقابله في الطرف الآخر من « الحرم » الباب الذي أهداه فتح علي شاه من الذهب المرصع بالجواهر ، فضلا عن باب ثالث مطلي بالذهب . وتغطي سفل حجرة الدفن بلاطات مزججة متعددة الالوان يحمل الكثير منها تاريخ عام ١٢١٥ . ومن فوق هذا السفل افريز واسع رشيق من القاشاني المزجج المتعدد الالوان يضم نقوشا بخط النسخ الازرق الشديد البروز وزخارف التوريقات وشبكات الكروم باللون الابيض فوق خلفية ذهبية يزيد من نضارتها أزهار دقيقة . غير أن الشريط الضيق من البلاطات المزججة المنقوشة والذي يفصل فيما بين السفل والافريز يعد أهم منهما تاريخيا ؛ فهو يمثل كل ما تبقى من التزاويق التي أمرت بها ابنة السلطان محمود خلال حكمه عام ١١١٨ .

وتحت القبة مباشرة نقش بتوقيع علي رضا أشهر الخطاطين في عهد شاه عباس الذي نفذ كافة خطوط مسجد الشيخ لطف الله بأصفهان . ويلفت النظر فوق الستار المحيط بالمرقد والمحلى بالنقوش والزخارف صور لوحوش خرافية مثل التنين والعنقاء مما يدلنا على مدى تشبع البلاط التيموري بالمؤثرات الفنية الصينية .

وحدث لي وأنا قاصد الى المرقد أن شاهدت جمعا غفيرا من الناس يتدافعون بالايدي والمناكب ليصل منهم من يقوى الى قرب المرقد ، وتساءلت عن وقت آخر يخف فيه الزحام ، وهالني ما عرفت من أن هذا الطوفان من

القاصدين لا ينقطع ساعة من ليل أو نهار ، ولم أجد بدا من الاندفاع بينهم الى الداخل وعانيت مشقة لا أنساها ما حييت ، ولكنني ظفرت في النهاية بما أبغي ، وكان هذا عوضا لي عما لاقيت من نصب وعناء •

وثمة مرقد مقبب يستحق الذكر شيده وردي خان الوزير الاثير للشاه عباس الذي شيد ذلك الجسر الرائع فوق نهر زنده رود بأصفهان • وينافس هذا المرقد المقبب في جماله قبة مسجد الشيخ لطف الله المعاصر له في أصفهان •

وقد تختلف الآراء بالنسبة لمزايا هذين المبنيين المتنافسين : قبة وردي خان بمشهد ومسجد الشيخ لطف الله بأصفهان ، اذ تشمخ قبة وردي خان مهيبة تطغي عليها مثالية الاتساق والنسب وكافة العناصر التقليدية للعمارة الفخمة المعاصرة حتى تصل الى درجة التزاحم من شدة تنوعها وغزارتها ، كما أن الفراغ فيها محصور ومحدد بدقة تعرض لك فيه كل زاوية وسطح عناصر المعمار ووظائفها القابعة وراء تشكيلها ، تتجسم قريبة من عين الرائي وقلبه في جلال يكاد يجعله أسيرا ، وفي عظمة بلغت من الروعة حدا يمتزج فيه الواقع بالخيال ، وكأن المشاهد في حلم يقظة ، غير أنها تحمل بين ظهرانيها من الفكر المكثف ما يغدو به المرء مبهورا •

أما مسجد الشيخ لطف الله بأصفهان فليس أكبر حجما فحسب ولكنه أجمل وأفسح ، والفراغ فيه أكثر رحابة والاضاءة أصفى والاحساس أعمق • ويتميز من الناحية المعمارية بأنه أكثر تفردا وأن من بناه كان فنانا ملهما •

وقد انتهى بناء مسجد جوهر شاه حوالي عام ١٤١٨ وذلك وفقا لنقش أمر به بايسنقر ليحيط بالايوان الرئيسي تخليدا لذكرى أمه جوهر شاه وقد بني المسجد على طراز المدرسة من أربعة ايوانات وأروقة من طابقين بكتف الصحن • وينتهي الايوان الرئيسي من الداخل بعقد ذي عمق كبير ، وتنتصب على كلا جانبي الايوان منارتان اسطوانيتان تنبثقان من سطح الارض بخلاف العرف المتبع في فارس من قبل ، والذي كانت تنهض فيه منارات الايوان من

أعلى السطح خلف دورة المدخل •

ولقد أوحى مسجد جوهر شاه بفكرة تصميم مسجد شاه عباس بأصفهان ، ولا غرو فالمسقط والفكرة العامة متشابهان ، ويتميز مسجد جوهر شاه عن مسجد شاه بتألق خزفه وفسيفسائه ، كما أن مدخل قاعة المحراب يوحي بالقوة من ناحية الشكل فثمة سلسلة من العقود المتعاقبة العميقة الدخولات تضفي على المدخل جلالا وعنفوانا لم يبلغهما مدخل فارسي من قبل • كما أن منارات مسجد جوهر شاد أشد رسوخا لكونها ثابتة من الارض مباشرة على جانبي ستار المدخل صاعدة صوب السماء موحية بالثبات والتوازن ، على حين يفوق مسجد شاه عباس مسجد جوهر شاد فيما عدا ذلك ، فعناصره أرق وأرشق ، كما أن نصف القبة التي تعلو مدخل قاعة المحراب جاذبة الانتباه نحو العقد الاصغر للمدخل تهيء عين الزائر لبلوغ ذروة عظمة الايوان من الداخل •

ويدلف المرء الى صحن مسجد جوهر شاد عبر صحن مربع صغير يقع في الركن الغربي للصحن الجديد يقوده الى دهليز مسقوف يريح بظله العين المبهورة بالضوء ويهيؤها لاستقبال ذروة البهجة فجأة حال اطلاله على صحن جوهر شاد • لقد أحسست وأنا أتنقل عبر هذا الدهليز وحين أطللت على صحن جوهر شاد ، بنفس ما يخالجني من احساس حين أتنقل عبر دهاليز مسجد سلطان حسن بالقاهرة التي تفيض حنوا وبساطة هاربا من ضجة الطريق ووهج شمسه اللافحة ، لائذا بسكينتها الرحيمة ، ثم يبهرني الجمال والجلال والرضا حين تطأ قدماي الصحن العظيم ويطالعي ايوان القبلة الشامخ الجليل •

ومع أن المعماري الفارسي لم يستخدم عنصر التذهيب في مسجد جوهر شاد ، الا أنه استخدم أرفع أنواع القاشاني بطريقة تدل على عبقرية فذة وذوق مرهف في عرض الالوان النقية المتلالئة في اتساق وانسجام لم يسبق اليه •

محمد كامل شعيب العاملي

شاعر الارث والتراث
أضاع تراثه

بقلم : ز. م



قبل أن أودعه الوداع الاخير في مقبرة صيدا يوم الاحـد التاسع مـن آذار ، ودعته أمام مقبرة الشهداء في بيروت .

كنت في طريقي لزيارة قبر صديق أودت بحياته رصاصة طائشة ، واذا به يوقف سيارته العتيقة التي لم يبق من معالمها سوى اسمها (كاديلاك) ويسألني الى أين ؟ فأخبرته ، فتحامل على نفسه وازلق من السيارة بصعوبة واتكأ على عصاه وأحب أن يرافقني بعد أن قلت له :

ـ انني جئت الى قبر صديقي لأبكي فيه المروءة والفضل والاخلاق !

فابتسم وقال : وهل بقي لهذه الصفات زاويـة صغيرة فـي مجتمعنا ؟

أجبت : أنت أعلم !

وهكذا دخلنا مقبرة الشهداء مع خلق كثير من نساء ورجال وأطفال حيث يحمل كل واحد منهم أغصان الآس ، باستثناء صاحب الكاديلاك الذي رفض أن يدفع ثلاث ليرات ثمن حزمة الآس وراح يساوم البائعة البدوية التي صرخت في وجهه :

ـ شو تارك لآخرتك اشتري مني والا سأشكوك الى الحي الباقي !

بحثت عن قبر صديقي في الناحية التي ظننته فيها فلم أجده .. انني أذكره في الجهة الجنوبية من التربة المحاذية للقبر الذي دفن تحته الحاج أمين الحسيني رحمه الله ، ولكن هذه الناحية كانت ملأى بحشد كالنمل لا ترى قبرا .. (شاغرا) !

ودرت الى الجهة الثانية ، وأنا ألاحظ تأفف رفيقي ، وطقطقة طقم أسنانه ، وبحثت أيضا .. عبثا ..

في الجهة الشمالية ثلاثة قبور لا يقف عليها أحد فقلت له : لعله أحدها و .. مشيت ..

في القرب منها كانت امرأة محجبة تضع رأسها على حافة قبر وهي تنتحب وتنادي (لمن تركتني يا أحمد) واسترعى انتباه رفيقي كلامها فقال : انظر اليها فهي تبكي نفسها ولا تبكي الميت ... بالقرب من هذه الثكلى ثلة من نساء وأطفال يجلسون حول قبر وهم ... يصطبحون !

وغير بعيد عن القبرين هذين .. وقف شابان يضعان (كف) آس على قبر وهما يتبادلان بعض النكات .. ويتضاحكان ، فما كان من رفيقي الا أن راح يشتمهما مرددا أقوال الامام علي حين كان يضيق صدره فيزور القبور ..

كدنا أن نتشابك بالايدي مع الشابين لولا لطف الله وتدخل أحد المشايخ حين عرف اسم رفيقي وصيته العلمي ..

رأيت كل هذا ونفسي مشمئزة ، أضف الى ذلك فشلي في أن ألمس قبر صديقي عند قراءتي للفاتحة .. كل هذا جعلني أشعر بقرف من الحياة ..

ومن الناس ـــ أمثال هؤلاء الناس ـــ وانهـال على خاطري كل مـا قيل فيها وفيهم من قدح وذم وهجاء و •• لغو !

وسألنـي :

أصدقني القول بماذا تفكر ؟ فقلت له :

(خناقتك) مع بائعة الآس ، وأختها مع الشايين ، وما شاهدته في هذه المقبرة ، نبهتني الى فكرة ، فهذه الحياة يا أستاذ سواء أكانت مأساة أو ملهـاة أو مهزلة ، وناسها مهما وأيا كانوا فالحقيقة التي لا مراء فيها هي أنهـا تمثيلية وان من فيها ممثلون ••

ان (قانون المسرح) يسري عليها بالحرف الواحد وبدون استثناء ••

الذي وضع أسسه في الخمسين سنة الماضية هو (راينهارت) فهو أكبر مخرج عرفته أوربا حتى اليوم • في فن التمثيل مادتان هامتان :

الاولى : كل ممثل على المسرح مهما كان صغيرا ومهما كان شأنه فله أثره الهام في انجاح المسرحية ، فيجب الاخذ بهذا وعدم الاستخفاف به ••

الثانية : كل من يخرج على هذا القانون يرغم على مغادرة المسرح !

ان قانون مسرح (راينهارت) ، يكلف بتنفيذه النائب العام ، وأما قانون مسرح الحياة فيكلف بتنفيذه التاريخ ، واذا لم تصدق فدعه يدلك على الامم والجماعات والهيئات التي لم تعمل به ففشلت في أدوارها وأخرجت عنوة ••

وهناك بعض الاسماء العربية أيضا •• وتأكد أنك ستجد بينها •• تلك التي كانت يوما ما ضخمة جـدا •• فأين مكان الاستاذ محمد كامـل شعيب العاملي من قانون مسرح الحياة ؟!

من المؤسف أن الجيل الجديد قد لا يعرف عنه شيئا ، وحتى جيل الراحل يكاد بدوره لا يعلم الكثير ، أو ربما عرف عنه ـــ شذوذه ـــ فقط ، فالفضائل لا تنتشر بسرعة الا اذا أتيح لهـا لسان حسود ، وصحيح أن للعاملي شذوذا

ولكنه بلا جدال شذوذ مستظرف أحيانا . فهذا الشاعر ، وهذا الاديب ، الذي تجاوز الثمانين دون أن يسأم ، ودون حاجة سمعه الى ترجمان ، وحتى دون عرف ، قد أساء الى نفسه قبل أن يفكر أحد بالاساءة اليه ، ولعل الاساءة الكبرى التي لا يمكن أن ننساها ، عدم اشرافه على طبع ديوانه قبل أن يغيب ..

أليس عجيبا بأن امرءا رقيق الخصال لطيف الحكم
يموت وما حصلت نفسه سوى علمه انه ما علم

ان الآثار التي خلفها العاملي وراءه كثيرة ، ولكنها كلها لا تعادل ذلك التاريخ الحي الذي كان يختزنه في ذاكرته ، والمتعلق بالتاريخ المعاصر منذ قيام أول دولة عربية في دمشق تجمع العرب في أمة واحدة ، حتى بعثرة هذا العالم على النحو الذي نراه ونلمسه ..

كان العاملي رجلا من تاريخ مضى يتجول بين الاحياء .. وكان يلاحق بقسوة كل من يحاول تشويه هذا التاريخ ، أو التجني على رجاله .

والاساءة الثانية التي أساءها العاملي الى نفسه هي شغفه بالسياسة ، واعتقاده الراسخ بأن القدر ساقه ليلعب دورا في هذه (اللعبة) ، وكان الناس ينسون أدب العاملي ، وشعر العاملي ، ومعلومات العاملي ، عندما يرونه فيدخلون معه في مساجلات سياسية ظاهرها الدعابة وباطنها الخبث ، فيضيع كل شيء في العاملي !

في صيف العام الماضي كان الفقيد يتفضل علينا بزيارته اليومية في بحمدون ، وكنت ألح عليه لطبع ديوانه ، وقد تعهدت له بأن أشرف على تحقيق ديوانه وعلى تصحيحه واخراجه ، وكان الاستاذ نزار الزين صاحب العرفان ، المجلة التي حملت العاملي على كاهليها منذ صدورها يقول أمامه :

لن يطبع الديوان .. وأنا أراهن .. لا تتعب نفسك معه ، فالسج لا تعالج !

وكسب الاستاذ نزار الرهان لأن الحاج ست سنوات على العاملي لطبع ديوانه المبعثر بين الصحف والمجلات قد ذهب مع الريح •• فالطباعة تحتاج الى مال ، والعاملي لا يريد أن يدفع •

ومهما قيل عن الرجل فهو من ارث (أيام زمان) و (تراث أيام زمان)، ورحم الله أيام زمان فقد كانت من الايام التي لا تنسى ، والايام الحافلة بكل مثير •• يكفي أيام زمان فخرا انهـا لم تبتل بتفشي الثرثرة •• والنسيان •• داءان تفشيا في هـذا الجيل ، والشعوب التي تعرضت للفناء هي تلك التي تفشى فيها هذان الداءان •

فالثرثارون في كل أمة بلاؤها وهم الذين يقولون ما لا يفعلون •• وكبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون !

هؤلاء هـم الذين قال عنهم (محمـد كامـل شعيب العاملي) ثـوار الصالونات ، وكـان يشتمهم باستمرار ويتهمهم بالتنكـر للماضي العربـي والتاريخ العربي ••

أذكر الآن كيف سألني مرة عن الشاعر رضا توفيق وطلب مني أن أكتب له معانيه في هجاء ثوار الصالونات ، فكتبت :

مـا بالكم لا أقال اللـه عثرتكم هنتم فلا مجد يغريكم ولا شان
أفـي المخابيء آسـاد مزمجـرة وفي المخافر يوم الطعن حملان ؟

هذا في الثرثارين ، أما في الشعوب النساءة فالامر أدهى وأمر •• وقد مرت بالأمة العربية أزمات ونكبات وكان السبب في ذلـك هو نسيانها أمسر الاناتيين والدجالين والمخادعين ممن تولوا أمرها فكان الضحية دوما هـو •• الشعـب •

رحم الله العاملي لقد كان يذكرنا بنكباتنا •• وينصحنا دائمـا بعـدم نسيان ثوار الصالونات ••

ذ• م

م ــ ٨

القصة في الادب العربي

بقلم : الدكتور خـوان أويـان
استاذ مساعد بكلية الادب والعلوم الانسانية
(جامعـــة طهـران)

٤ ـ مفهوم القصة في اللغة العربية :

اسم القصة بالعربية على خلاف ما يسبق الى الخاطر ، يفيد معنى غـير معنى التوهم وخلق الحوادث على سبيل المحاكاة أو الحكاية . ومعناه مأخوذ من : « قص الاثر » لان الذي يقص الاثر يتتبع أخبار القوم ، ويعرف مذهبهم في الارض ومقامهم فيها ، فهي مـادة بحث وتحقيق وليست مـادة توهـم وتلفيـق .

قال الازهري : القص فعل القاص اذا قص القصص .

والقصة معروفة ، وقال الليث : القص اتباع الاثر ويقال : خرج فـلان قصصا في أثر فلان وقصا ، وذلك اذا اقتص أثـره ، وقيل : القـاص يقص القصص لأتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سواقا وجـاء في تفسير قولـه تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هـذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » القصص اتباع الخبر بعضه بعضا وأصله في اللغـة المتابعة قال تعالى : « وقالت لأخته قصيه » اتبعي أثره ، وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا .

ومن ثم كان القاص عند العرب هو من يأتي بالقصة على وجهها ، كأنـه يتتبع معانيها أو كأنه يتتبع الانباء في عالم الزمان كما يتتبع « قاص الاثـر » أنباء القوم في عالم المكان ، أمـا الاوربيون ، فهم يطلقون على الموضوعات القصصية كلمة واحدة هي كلمة « فكشن » باللغة الانجليزية ، مـع تصحيح

يسير في نطق الكلمة باللغات الاخرى . ومادة الكلمة في أصلها لا تدل على شيء غير معنى التلفيق والتخيل ، أما ما يعبر عنه أبو تمام بقوله :

تخرصا وأحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وليس من كاتب في العصر الحديث يرضى لمؤلفاته أن تنعت بالتلفيق والتخيل ، بل لا يرضى لها أن تنعت بمجرد المحاكاة والتقليد ، وهما معنى من معاني التخيل في بعض الاحوال . وأقرب الكلمات الى هذه المادة في اللغات الاوربية هي كلمة « استوري » لأنها مأخوذة من كلمة « هستوري » التي كانت في أصلها كل معرفة يصل اليها الباحث بالتنقيب والاستقصاء . ثم أطلقت من أجل هذا على التاريخ لأنه تسجيل للاخبار بعد التحري والمراجعة .

وللقصة معنى آخر وهو الفن الادبي الذي يجعل لها تركيبا معينا تتحرك خلاله الشخصيات وتنمو الحوادث وتترابط العناصر القصصية على خطة مقصودة وتدبير محكم من خارج حياة القصة نفسها ، اي بقصد من القاص وتدبيره ووعيه .

٢ ـ القصة في الادب الجاهلي :

كان للعرب في مختلف العصور فنونهم القصصية النابعة عن بيئتهم ، والمصورة لحياتهم وعقائدهم ومغامراتهم وبطولاتهم . وكانت هذه الفنون متقدمة في أزمانها . ومن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والامثال والخطابة وسجع الكهان . ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفا شديدا وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء ، فكانوا حين يرخي الايل سدوله يجتمعون للسمر ، وما يبدأ أحدهم في مضرب من مضارب خيالهم بقوله : كان وكان ، حتى يرهف الجميع أسماعهم اليه . وقد يشترك بعضهم معه في الحديث ، وشباب الحي وشيوخه ونساؤه وفتياته المخدرات وراء الاخبية . كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة .

ومن غير شك كان يفيض القصاص على قصصه من خياله وفنه حتى يبهر سامعيه ، وحتى يملك عليهم قلوبهم ، فيحولهم من الشفقة الى محبة الانتقام • ومن الضحك الى الجد ، وعيونهم تلمع في وجوههم السمر وقلوبهم تخفق من آن الى آن ، وليس بين أيدينا شيء من أصول هذا القصص الذي كان يدور بينهم • غير أن اللغويين والرواة في العصر العباسي دونوا لنا ما انتهى اليهم منه • وطبيعي أن تتغير وتتحرف أصوله في أثناء هذه المرحلة الطويلة التي قطعتها من العصر الجاهلي الى القرن الثاني الهجري ، وان كان من الحق أنها ظلت تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم وظلت تنبض بروحه وحيويته •

ويمكننا بواسطة ما دونه العباسيون أن نعرف ألوان هذا القصص الذي كانوا يتناقلونه بينهم ، وربما كان أكثر هذه الالوان شيوعا على ألسنتهم أيامهم وحروبهم ، وما سجله أبطالهم فيها من انتصارات رائعة وما منيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة • وقد ظلوا يقصون هذه الايام والحروب الى أن تناولها منهم لغويو القرن الثاني للهجرة ورواته ، فدونوها تدوينا منظما على نحو ما هو معروف عن أبي عبيدة وشرحه لنقائض جرير والفرزدق • وتوالى من بعده التأليف والعناية بها •

وكانوا يقصون كثيرا من ملوكهم عن المناذرة والغساسنة ومن سبقوهم أو عاصروهم مثل ملوك الدولة الحميرية ومثل الزباء ، مما نجده مبثوثا في تاريخ الطبري وفي السيرة النبوية لابن هشام • وسقط من ذلك كثير الى أبي الفرج في أغانيه • ومن المحقق أن كثيرا من هذا القصص يخالف التاريخ الحقيقي لهؤلاء الملوك على نحو ما هو معروف عن قصة الزباء فانها لا تتفق في شيء ووثائق التاريخ الروماني الصحيحة •

وعلى نحو ما كانوا يقصون عن ملوكهم وأبطالهم كانوا يقصون عن ملوك الامم من حولهم وشجعانهم • يدل على ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن النضر بن الحارث كان من شياطين قريش ، وممن كانوا يؤذون رسول

الله ويناصبونه العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم أحاديث ملوك الفرس وأحاديث « رستم وأسفنديار » فكان اذا جلس رسول الله مجلسا ، فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه اذا قام ، ثم قال : « انا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه ، فهلم الي ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه » ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار .

ومما لا ريب فيه أنهم كانوا يقصون كثيرا عن كهانهم وشعرائهم وسادتهم وهو قصص استمدت منه كتب التاريخ والشعر والادب معينا لا ينضب من الاخبار . وتراجم صاحب الاغاني تحفل بمادة غنية من هذه القصص . وقد بثوا فيها غير قليل من قصص الهوى ، كقصة المرقش الاكبر وصاحبته أسماء بنت عوف وغيرها من القصص ، وكقصة خرافاتهم عن الحيوانات ، مثل خرافة الحية والفأس التي رواها الضبي .

ومما لا شك فيه أن عرب الجاهلية قصوا كثيرا عن الجن والعفاريت والشياطين . وقد زعموا أنها تتحول في أي صورة شاءت الا الغول فانها دائما تبدو في صورة المرأة عدا رجليها ، فلا بد أن تكونا رجلي حمار . وكثيرا ما تتراءى الجن في صورة الثيران والكلاب والنعام والنسور وكانوا يزعمون ان أهم منازلها أرض وبار وصحراء الدهناء ويبرين . ومن غير شك دخل كثير من قصصهم عنها في كتب الاساطير والعجائب التي ألفت في العصر العباسي .

٢ ـ القصة في الاسلام :

وعندما ظهر الاسلام جاءهم « بأحسن القصص » ثم تكونت على هامش القرآن وتفسيره قصص وحكايات مبنية على أساس من تعاليم الدين الجديد ، ومستمدة عناصرها في الغالب من قصص التوراة وأساطير اليهود فظهرت « قصص الانبياء » وقصة « المعراج » ثم نمت هذه القصص وتضخمت حتى أصبحت في العصر الاموي عملا رسميا يعهد به الى رجال رسميين يتقاضون

عليه أجرا، ونصبت الخلفاء قصاصا يعظون الناس ويقصون عليهم سير الانبياء والملوك في المساجد ، وكان لهم مكانة في الامة ، حتى كان الرجل يجمع بين القضاء والقصص أحيانا ولعل أول من تمرس بهذا النوع من القصص كان تميم الدرامي منذ عهد عثمان ، اذ كان يقف في المسجد ويتلو على الناس هذا النوع من القصص الديني الذي كان يأخذ بألبابهم ويستأثر باهتمامهم ، لان الراوي كان يكسوه بكثير من الاخيلة والصور الاسطورية •

وقد لبث هذا النوع من القصص ينمو حتى انتقل من المدينة الى الشام والعراق وكان الامراء يستعينون بالقصاص في الحروب ، ليذكروا الناس ويحرضوهم ، ويضربوا لهم الامثال من سير المجاهدين الاولين • وكان قصاص المسلمين يتحدثون الى الناس في مساجد الامصار ، فيذكرون لهم قديم العرب والعجم وما يتصل بالنبوات ، ويمضون معهم في تفسير القرآن والحديث ورواية السيرة والمغازي والفتوح الى حيث يستطيع الخيال أن يذهب بهم الى حيث يلزمهم العلم والصدق أن يقفوا • وكان الناس مشغوفين بما يلقون اليهم من حديث •

وعنى الخلفاء منذ عهد معاوية بالاستماع الى التاريخ والقصص ، فكان القصاص يحدثونهم أو يكتبون لهم من الوقايع والسير ما يروقهم • وما أسرع ما فطن الخلفاء والأمراء لقيمة هذه الاداة الجديدة من الوجهة السياسية والدينية ، فاصطنعوها ، وسيطروا عليها ، واستغلوها استغلالا شديدا ، وأصبح القصص أداة سياسية •

والتعمق في درس حياة القصاص الذين كانوا يقصون في البصرة والكوفة ومكة والمدينة وغيرها من الامصار يظهرنا من غير شك على الصلات التي كانت تصل بين هؤلاء القصاص وبين الاحزاب السياسية • غير أن القصص لم يتأثر بالسياسة وحدها ، وانما تأثر بالدين أيضا • وتأثر القصص بشيء آخر غير السياسة والدين ، هو روح الشعب الذي يتحدث اليه ومن

هنا عنى عناية شديدة بالاساطير والمعجزات وغرائب الامور . ومن هنا اجتهد في تفسير هذه الاساطير واكمال الناقص منها وتوضيح الغامض .

اما عن القصاص وخطباء الوعظ :

فقد قلنا ان الوعاظ والقصاص في كل بلدة أسلامية كانوا لا ينون عن وعظ المسلمين ، وقد أفرد لهم الجاحظ في « البيان والتبيين » صحفا كثيرة . أورد فيها أسماء طائفة من مبرزيهم وكثيرا مما كانوا يعظون به الناس . ومن أشهر من وقف هو وغيره عن أصحاب كتب الادب والتاريخ عليهم : الاسود بن سريع وهو أول من قص بالبصرة ، وكان يقابله في الكوفة زيد بن صوحان ، وفي المدينة عبيد بن عمير . وكان عبد الله ابن عمر يتأثر بقصصه ووعظه حتى ليبكي من شدة تأثره . ومن القصاص أيضا ابراهيم التميمي الكوفي وسعيد بن جبير وكان يقص بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر . ومسلم بن جندب قاص مسجد المدينة ، وذر بن عبد الله ، وكان بليغا ، وهو الذي كان يقص في جند ابن الاشعث حاثا الناس على حرب الحجاج ، ومطرف بن عبد الله الشخير ، وكان يقص في مكان أبيه بمسجد البصرة ، ومنهم وهب بن منبه ويزيد بن أبان الرقاشي . ويكر الجاحظ من وعظه : « ليتنا لم نخلق ، وليتنا اذ خلقنا لم نعص ، وليتنا ان عصينا لم نمت ، وليتنا اذ متنا لم نبعث ، وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب ،وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب ، ولتنا اذ عذبنا لم نخلد » .

فالقصاص لا يقصون الا من أجل الوعظ . وممن اشتهروا بوعظهم عبد الله عمرو بن العاص في مصر ، ورجاء بن حيوة والاوزاعي في الشام ، وسعيد بن المسيب وأبو حازم الاعرج في المدينة . ومن وعاظ المدينة أيضا محمد بن كعب القرظي واعظ عمر بن عبد العزيز . وكان العراق يموج بالوعاظ موجا من مثل ابن شبرمة ومورق العجلي وبكر بن عبد الله المزني والشعبي وأيوب السيختياني ومحمد بن واسع الازدي البصري وقد تولى الوعظ في جيش قتيبة بن مسلم بخراسان . ومن كبار الوعاظ والقصاص مالك بن دينار ، وكان يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبير ، وينشد :

تروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

ومنهم اياس بن معاوية قاضي البصرة • وكان يضرب به المثل في الذكاء وصدق الفراسة • ومنهـم خالـد بن صفوان وشبيب بن شيبـة الاهتميان التميميان وفيهما يقول الجاحظ : « مـا علمت أنه كان في الخطباء أحـد كان أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذي يحفظـه الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما » ويقول في خالد : « ومن الخطباء المشهورين فـي العوام والمقدمين في الخواص خالد بن صفوان ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوارقين » وقد لحق خالد عصر أبي العباس السفاح وكان من سماره • ويؤثر عنه أنه كان يقول : « احذروا مجانيق الضعفاء يعني الدعـاء » ومـن قوله : « بت ليلتي كلها أتمنى فملأت البحـر الاخضر بالذهب الاحمر ، فاذا الـذي يكفيني من ذلـك رغيفان وكوزان وطمران » • وروى لـه ابن قتيبة موعظة طويلة وعظ بها سليمان بن عبد الملك وأبكاه •

ومن كبار وعـاظ العصر وقصاصـه الحسن البصري • وفيـه يقـول الجاحظ : « أما الخطب (الدينية) فانا لا نعرف أحدا يتقدم الحسن البصري فيها » وممن يأتي بعده في الوعظ عبد الله بن شداد • وهـو القائل : « أرى داعي الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع » ومن كبار القصاص والوعـاظ الفضل بن عيسى الرقاشي ، وكان يسجع في وعظـه ، وهو الـذي يقول في قصصه : « سل الارض ، فقل من شق أنهـارك ، وغرس أشجارك ، وجنـى ثمارك فان لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا » ومن أشهر الوعـاظ وأنبههم ، واصل بن عطاء ، رأس المعتزلة ، وكان أغزر خطبـاء عصره وأبلغهم وأعجبهـم وأبينهم • ويروى أنه حضر يوما مجلس عبد الله بن عمر بن عبـد العزيز في امارته على العراق (١٣٦ ـ ١٣٩) وحضره معه خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى الرقاشي وتبارى الاربعـةّ بين يديـه في الخطابـة ، ففضلهم بخطبته المشهورة التي جانب فيهـا ، اذ كان يلثغ فيها لثغـا فاحشا ، ونوه بذلك بشار بن برد طويلا ، قبل أن يفسد رأي واصل فيـه على شاكلة قولـه :

أبا حذيفة قـد أوتيت معجبة ... في خطبة بدهت من غير تقدير

وقولـــه :

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا — وحبروا خطبـا ناهيك عن خطب
فقـام مرتجـلا تغلي بداهتـه — كمرجل القين لمـا حف باللهـب
وجانب الـراء لم يشوبها أحـد — قبل التصفح والاغراق في الطلب

وخطبته من خير مواعظ العصر وأجملها وأبرعها • وقد استهلها بتحميد وتمجيد أطنب فيهما اطنابا لا تعرفه لأحـد من رصفائه ، على هذا النمـط : « الحمد لله القديم بلا غايـة والباقي بلا نهاية الذي عـلا في دنوه ودنـا في علوه الـخ » •

فنحن نستطيع أن نقول ان هذا القصص كان يستمد قوته وثروته مـن مصادر مختلفة • أهمها أربعة : الاول مصـدر عربي هو القرآن وما كان يتصل به من الاحاديث والروايات ومـا كانت تتحدث بـه العرب في الامصار مـن أخبارها وأساطيرها ، وما كانت تروي من شعر وما كان يتحدث بـه الرواة من سيرة النبي والخلفاء وغزواتهم وفتوحهم •

الثاني ـ مصدر يهودي نصراني ، وهو مـا كان يأخذه القصاص عـن أهل الكتاب من أخبار الانبياء والاحبار والرهبان وما يتصل بذلـك • وليس ينبغي أن ننسى هنا تأثير أولئك اليهـود والنصارى الذين أسلموا وأخـذوا يضعون الاحاديث ويدرسونها مخلصين أو غير مخلصين ••

الثالث ـ مصدر فارسي وهو هـذا الذي كان يستقيه القصاص فـي العراق خاصـة من الفرس مما يتصل بأخبارهم وأساطيرهم وأخبـار الهنـد وأساطيرها •

الرابع ـ مصدر مختلط هو الذي يمثل نفسية العامة غير العربية ، مـن أهل العراق والجزيرة والشام من الاقبـاط والسريان ومن اليهم مـن هؤلاء الاخلاط الذين كانوا منبثين في هذه الاقطر ، والذين لـم تكن لهم سيادة ولا وجود سياسي ظاهر •

جوهر الدين

شعر: يوسف أبي رزق

من عاش للروح ، فالاجواء مسكنه		أو عاش للطين،لا يسمو على الطين
فالدين لولاه لم يرق الوجود ولم		تحـظ الشعوب بتنوير وتمديـن
الدين قلت : ولا اعني بـه ابـداً		تلك المذاهب ، لكـن جوهر الدين

***

انجعل الله موضوع النزاع وقـد		تنـزه اللـه عـن كشف وتبيين
اذا جهلنـا من الاديان وحدتهـا		هل يفسد النص تبديل العناوين
يا شهوة الارض لم يطفىء تعطشها		الى الدماء ما جرى من عهد قايين
مـات السلام وبتنا فـي ضلالتنا		نعيش فـي عالم مثـل البراكين

***

قالوا : القوانين للانسان رادعـة		مات الضمير فما نفـع القوانين ؟
قلنا : دعونا نفنـد زعمكم فـاذا		مات الضمير فما نفـع القوانين ؟

يوسف أبي رزق

***

حقيقة الحياة

شعر: خضر عباس الصالحي

عجبت بمن يهوى الحياة وما بها ... سوى الالم المضني وحرب التنازع
اعايش فيها بيئة جل اهلها ... ضمائرهم ماتت بفصل المطامع
تراهم اناسا بيد ان فعالهم ... لقد برئت منها جميع الشرائع
وان الاذى والغدر فيهم سجية ... واشرفهم يحيا حياة المخادع
اذا ما سبرت الغور فيهم فلم تجد ... بهم غير ثوبان غلاظ الطبائع
فان شئت ان تحيا بعيدا عن الاذى ... وعن صولة الحمقى فعش في الصوامع

***

يهز كياني ما ارى من تعاسة ... وترهق اعصابي سيول المدامع
فكم في دروب البؤس من متشرد ... يطوف حزينا جنبه الف جائع
وكم في زوايا الكوخ تعلو مناحة ... مدوية تصطك منها مسامعي
وكم من صديق كان ملء نواظري ... غدا في ظلام القبر احدى الودائع
ادر طرفك الواعي بكل ثنية ... فلست ترى الا الاسى في المرابع
اليس من الظلم الفظيع بان ترى ... ضحايا المآسي في زحام الشوارع

***

ويولد في الارض الفتى ثم يصطلي ... عذابا ، وتفنيه صروف المصانع
كأن لم يكن ذاك التكالب المفنى ... لديه فقد اذرته هوج الزوابع
يبيت ويضحي وهو منجذب النهى ... بخيط احابيل الاماني اللوامع
ومن ليس يرضى بالقناعة انه ... تحطمه حتما هموم الدوافع
هو المرء مهما عاش يمضي ضحية ... لما تبتليه من ضروب المنازع

ولست بمـا سجلته متشائمـا ولكنني صورت بعض النـوازع
ارى الحق مذبوحا وكل اخي حجى يمزقه الارهـاب أن لم يصانـع
فلا تمتعض ان ساد شعري تذمر فشعري تغذى من لظى في أضالعي
وهل انا الا صادق الحس شاعر يعبر شعري عـن حقيقة واقعـي

بغـداد خضر عباس الصالحي

★★★

ايكما عبد الحميد ؟

قيل ان الخليفة الاموي مروان بن محمد ـ آخـر ملوك بني أميـة في دمشق ـ لما قوي أمر بني العباس وظهر ، قال لعبد الحميد الكاتب : انا تجـد أن الأمر زائل عنا لا محالة وسيضطر اليك هؤلاء القـوم ، فصر اليهم ، فاني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في خلفي ، وفي كثير من أسبابي . فقال عبـد الحميد الكاتب : « وكيف لي بأن يعلم الناس جميعا ان هذا رأيك ؟ وكلهم قد يقول : انني غدرت ، وصرت الى عدوك وأنشد :

أسر وفـاء ثـم أظهـر غـدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ويحكى أن عبد الحميد لما طلب كان مـع ابن المقفـع ، ففاجأهما الطلب وهما في بيت . فقال الذين دخلوا عليهما : « أيكما عبد الحميد ؟ » فقال كل واحد منهما : « أنا » ، خوفا من أن ينال صاحبه بمكروه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع ، فقال : « ترفقوا ، فان في علامات ، فوكلوا بنـا بعضكم ، ويمضي بعض بذكر تلك العلامات لمن وجه بكم ففعلوا ذلك ، وأخذ عبد الحميد فقتل .

وكم في الفن معنى للرقي

شعر: الحاج طالب الحاج فليح المدد

أقام الدكتور عبد المجيد القصاب حفل عشاء في داره ببغداد ـ الكرخ تكريما للفنانة التونسية (حياة بو طيبة) بمناسبة اقامة معرضها في بغداد وحضر الحفل عدد من رجال العلم والادب والفن في بغداد وألقى الدكتور القصاب كلمة طيبة في تكريم الفنانة حياة كما رحب بالاديبين الفاضلين الاستاذ عبد الحق فاضل والاستاذ نزار الزين بمناسبة وجودهما في بغداد ، وبالمناسبة فقد ألقيت هذه القصيدة :

(حياة الفن) تحيي الفن فينا ... وتعليه الى افق علي
بريشتها تريك بديع فن ... يجسم بالبنان العبقري
فيبدو للنواظر ذا حياة ... الا فاعجب لحي غير حي
وان ابصرت معرضها تراءى ... خفي السحر في الفن الجلي
حياة لانت مبدعة فعيشي ... لانك يا ابنة الشعب الابي
فانك يا حياة له رقي ... وكم في الفن معنى للرقي
انا ملك التي فيهن سحر ... غنيت بهن عن لبس الحلي
حياة بو طيبة يهنيك ما قد ... ربا بنا فيك من خلق رضي
ولا عجب (فتونس) ذات خصب ... كخصب الروض بالنبت الزكي
زهت بك دارة (القصاب) لما ... ازحت الليل بالنور البهي
وشكرا (يا مجيد) والف شكر ... ونعم مجيد من خل صفي
ارانا الفن فيك يتيه فخرا ... وقال كلوا من الزاد الشهي
وذي بغداد تهتف باعتزاز ... الا يا شعر حي الفن حي
تخطت للعلى بثبات عزم ... وسارت خلف (فارسها الكمي)
وما زالت لكل العرب دارا ... واهلا للقريب وللقصي
فقري عندها عينا وعيشي ... بها موفورة العيش الهني
سالت لك السعادة من اله ... كريم بالنبي وبالوصي

الجمعة ١٩٧٩/١٢/٢١
بغداد/الحارثية

الحاج طالب الحاج فليح المدو

ابواب العرفان

مختارات الصحف

التقريظ والانتقاد

الصحة

اخبار الناس والمجتمع الخ

وللحياة أسلوبها

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

انني أحب ألفاظ اللغة ــ واللغة العربية بصفة خاصة ــ حبا كثيرا ما يحملني على ترك ما أكون بصدد الكتابة فيه ، حتى أتعقب لفظة بعينها : كيف جاءت ، وماذا يحتوي جوفها من لباب ، ولم يحدث أن تناولت لفظة بمثل هذا التشريح ، الا وقد وجدت في حناياها رحلة عجيبة في أطوار التاريخ وتطوراته ، فأرى عقل الجماعة التي صنعت تلك اللفظة صنعا ، أقول أني أرى عقلها وهو يعمل ، وأحس شعورها وهو ينبض ، كلما لمحت لفتة جديدة في مسار اللفظة خلال الزمن وتغيراته •

واذكر اني منذ أعوام طويلة ــ ربما بلغت الثلاثين عاما ــ أردت الكتابة في الخصائص المميزة « لأسلوب » العقاد ، لكنني ما كدت أستوي في جلستي ، وأنشر الورقة ، وأرفع القلم ، حتى تحرك في رأسي شيطان اللفظة ، فأثار في نفسي السؤال : من أين جاءت كلمة « أسلوب » هذه ؟ اذا كان أصلها الثلاثي هو « سلب » بمعنى « سرق » أو مرادف من مرادفاتها ، فماذا يا ترى تكون العلاقة بين « الاسلوب » بمعناها الذي نعرفه لها ، وهو السرقة ؟

تركت معاني وقصدت الى حيث القواميس العربية المطولة ، التي تعطيك الكلمة وأصولها وفروعها ، وكأنها تقدم لك شجرة أنساب لاسرة عريقة الآباء والجدود ، وظللت أتعقب معنى « سلب » الى أن بلغت غايتي ، وهي أن

« أسلوب » الكاتب أو الفنان ـ انما سمي كذلك ، لان صاحب هذا الاسلوب قد استطاع أن يستلب من نفسه كوامن سرها • لقد كانت النفس منطوية على خبيء من جوهرها ، كأنها تحرص على أن يظل خافيا عن أبصار الناس ، فجاء صاحب تلك النفس ـ اذا كان أيضا صاحب « أسلوب » ـ فانتزع من نفسه سرها ، ونشره أمام الناس ، على الورق أو غير الورق من وسائط ••

واذن فمن لا يكشف عن حقيقة نفسه فيما يبدعه من أدب أو من فن ، كان غير ذي أسلوب ، ولقد عادت الى ذاكرتي الآن هذه القصة كلها ، فتأملتها ، ثم لم ألبث أن اتسعت أمامي رقعة المعاني المتلاحقة المترابطة ، فقالت :

اننا في هذه المرحلة التاريخية التي تجتازها الامة العربية ، لفي أشد الحاجة الى من يحلل لنا أصولنا الفكريه والادبية والفنية ، ليكشف لنا عن « أسلوبها » ، أي ليكشف لنا عن جوهرها الكامن وراء ستائر التبصير المختلفة • فليس الاسلوب بمعناه الحقيقي الذي ذكرناه ، بمقصور على أسلوب الكاتب الفرد أو الفنان الفرد ، لا ، بل ليست هذه الاساليب الفردية بذات خطر كبير ، وانما الاهم هو أن نعثر على الاسلوب العربي في عمومه ، أسلوب الحياة ، وأسلوب الثقافة ، وأسلوب الحضارة ، بالاضافة الى الاسلوب الفني العام ، بغض النظر عن خصائص الافراد المبدعين ، أو خصائص المجالات المختلفة في دنيا الفكر والفن •

وما ذلك الاسلوب العام الشامل الا لعناصر ثبتت على الايام ، فلكل أمة جوانب تتغير مع موجات الزمن المتلاحقة ، لكن لكل أمة كذلك من الركائز ما يثبت كأنه الطود الراسخ ، فاذا وجدنا تلك الثوابت في الرؤية العربية ، وجدنا بالتالي أسلوب العربي في وقفته من الكون ومن الانسان •

فلقد يتعدد ويتنوع النتـــاج الحضاري والثقافي عند أمة عريقة كالامـــة العربية ، لكن الناقد البصير ، يستطيع أن يلتمس خلال ذلك التعدد والتنوع، خيطا رابطا ، فاذا مـــا وقع عليه ، كان هو أسلوب الامة في فاعليتها العقليـــة والوجدانية ، واننا نختصر زمـــن النهوض اذا نحن قدمنـــا للجيل الراهن من شبابنا حقيقة الاسلوب العربي في كل مناحي حياته وعندئذ فقط لنا أن تتوقع من الموهوبين أن يقيموا بناءاتهم الفكرية والفنية على ذلك « الاسلوب » دون تكرار للموضوعات والمضمونات التي جـــاءت على ألسنة الاقدمين وأقلامهم وسائر مبدعاتهم في دنيا الثقافة والحضارة •

الاسلوب هو صاحبه ــ كما يقول الانجليز ــ أي أنك اذا عرفت لأحد من الناس ، أو لأمـــة من الامم ، أسلوبها في العيش وفي الصناعـــة وفـــي الابتكار •• الخ ، عرفت حقيقته ، لأنه لا فرق بين الجانبين فقـــد قال سقراط ذات مرة لرجل جلس مع سائر من أحاطوا بالفيلسوف ، لكنه جلس صامتا ، فقال له سقراط : كلمني يا هذا لكي أراك !•• وها هم أسلافنا قـــد تكلموا وتكلموا ، وكلامهـــم مثبت في الصحائف ، فلـــم يبق علينـــا نحن الاخلاف المعاصرين الا أن نراهم من خلال ما قالوا وما صنعوا •

العربـــي



عالمان يتنافسان

بقلم : الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

— ١ —

كنت أحفظ صغيرا قصة الدبة الجاهلة التي أرادت أن تذود عنها الذباب عن وجه صاحبها النائم فرمته بحجر ثقيل هشمه ، وقضى على حياته ، فكانت بجهلها الغاشم شرا عليه من أعدى اعدائه ، وهي خرافة ذات مغزى خلقي ، يوحي باجتناب الحمقى ومباعدة الجهلاء ، مهما صفت منهم القلوب وخلصت النيات ، ولست اليوم في حديث العدو العاقل بمتخذ طريق الاسطورة ، ولكني سأنقل عن صحائف التاريخ لتكون العبرة أوضح ، والقدوة أهدى الى الاتباع •

ان اصطدام الناس — والعلماء منهم — في معارك الكسب والارتزاق ، وطموحهم الى منازل الرئاسة ، ومناصب الجاه ، يجعل الحياة شبيهة بمعركة حربية طاحنة ، ترسم لها الخطط وتعد الذخائر وتهيأ الاسلحة ، ولا بد أن تنجلي هذه المعارك عن آثار نفسية تقوم مقام الادواء الجسمية في عنف تأثيرها ، وشديد احتدامها ، ومن الناس من يسترسل مع شهوته في اللجاج ، ويتمادى في الرعونة فيجر على نفسه شرا كثيرا ، حيث أراد الخير المفرط ، بل من الناس من يتأكد وقوع الشر ولكنه يتمادى في طريقه راجيا أن يلحق بغريمه ما يلحقه هو من الاذى جريا مع المثل القائل (علي وعلى أعدائي) •

والعاقل كل العاقل من يعلم أن عدوه يشاركه العقل والخبرة والدهاء ، فهو اذا نازله بأسلحة الشر فلا بد ان يقابل بقوة تصدم قوته ، فتكون الخسائر مشتركة بينهما ، والسبيل الاحزم ان تتخذ الوسائل لمنع الاصطدام منعا ينبع

عن حس خلقي واخلاص عملي ، ومجاهـدة النفس أمـر شاق عسير ؛ لانها بأهوائها المصطخبة ، وغرائزها المتعارضـة أقوى وأعنف من أن تنزع الـى التسامح ، وتميل الـى الاغضاء ، ومن يسيطرون على اهوائهم القاهـرة من العقلاء لم يقطفوا الثمرة في راحـة وهدوء ، ولكنهم كابـدوا صراعا لاهبـا يحترق له الدم ، ويغلي بـه الرأس كمرجل تشتعل من تحتـه النـار ، حتى استطاعوا بعد جهـاد عنيف أن يسيطروا على نوازعهم الغاضبة فتسلس بعـد جموح ، وتسكن بعد جيشان وغليل •

وقد قرأت في كتاب الصداقـة والصديق لابي حيان التوحيدي قصـة حقيقة رائعة لضبط النفس ، وطاعة العقل ، ولزوم الجادة بين زعازع الاحداث، وأعاصير الحياة ، وبطلاها فقيهان كبيران من أعـلام التشريع الاسلامي فـي الدولة ، ولهما قدرهما الملحوظ في الامامة والقضاء والفتوى ، ولكـل منهما تلاميذ واشياع ، ومجال التنافس بينهما على أشده في عصر مضطغن متشاحن تتنازعه الاهواء ، وتهب به الزلازل السياسية والاجتماعية بين الآونة والآونة، واذن فالبحر هائج ، والمـوج مصطخب ، والريح عاصفـة ، والسفينة تشق طريقها بعناية ربان بصيرفان نام لحظة واحدة قذفه التيار الى قرار سحيق •

أما أحد الفقيهين فأبو حامد المروزي استاذ ابي حيان التوحيدي ، وكان علم الفتيا والقضاء ، ذكر ابن خلكان انه من أئمة الفقه الذين لا يشق غبارهم ؛ وقال ابن السبكي في طبقات الفقهاء عن بعض الباحثين أن كتابه المعروف باسم « الجامع » أمدح له من كل لسان ، لاحاطتـه بالاصول والفروع ، وجمعـه النصوص والوجوه ، فهو لاصحاب الشافعي رضي الله عنه عمدة من العمد ، ومرجع من المراجع ، وقـد سمت همته فشرح المختصر للمزني شرحـا دقيقا كشف به الغامض ، ويقول ابو حيان تلميذه عنه انه كان بحرا يتدفق ، حفظا للسير وقياما بالاخبار ، واستنباطا للمعاني ، ومعنى ذلك ان الرجـل يستعين على مسائل الفقه بدراسة التاريخ واحاطته بسير الرجـال ونتائج الاحداث ، وهذا مما يحسب له حين امتد أفقه العلمي الى مدى تضيء فيه الانوار بأبهـر

اللالاء ، وكان يتمتع ببيان واضح يجعله أصبر على الجدل ، وأثبت في دنيا الخلاف ، والجدل هنا جدل الفقهاء لا جدل علماء الكلام ، لان أبا حامد كان ممن يشيحون عن مسائل علم الكلام ، وكان اذا ذكر المتكلمون في مجلسه يردد قول الراجز :

ومهمه دليله مطوح يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظلون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

ولا يعرف قدر هذا الاستشهاد غير من قرأ صحائف الجدل الكلامي ، ورأى التراشق بالمنطق والقياس ، والاحتكام الى الجنس والنوع دون أن يحصل القارىء بعد ذلك على يقين مريح :

ثم يظلون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وما تقدم عن أبي حامد يكفي في التعريف عنه ، كما يكفي في الوقت نفسه في التعريف عن منابذه عبد الله بن نصرويه القاضي الفقيه اذ ضنت كتب التراجم المشتهرة بالحديث عن حياته ، ولكن صموده للمورورزي ومنافسته اياه أربعين عاما في الفتيا والقضاء مما يلقى تصورا معقولا عن مكانته الدينية، فهو منه قريب ، ويطول عجبي حين أبحث عن أعلام كبار مثل عبد الله بن نصرويه فلا أجد عنهم ما يشفي الغليل ، على حين أرى صفحات كثيرة تحفل بتواريخ أناس ذا تأثير في كتابة التراجم بعد الموت كما كان ذا تأثير في ارتفاع زيد وخمول عمر وعلى مسرح الحياة ؟ تلك مسألة تتطلب النظر في غير هذا المجال .

مهما يكن من شيء فقد كان أبو حامد المورورزي خصيما للفقيه القاضي ابن نصرويه ينازعه الرئاسة والفتوى ، ويقاسمه التلاميذ والاتباع ، وقد ظلا كذلك أربعين عاما يرى أحدهما في أخيه منافسا خطيرا يحاول أن يزيحه عن موضعه ليخلو له الجو ، وهو شعور مؤلم ينتاب العلماء على مدى العصور ، فيضطرهم الى ما يجب أن يتنزهوا عنه من التحاسد والتباغض وقد امتحن

الرجلان أصدق امتحان على يد معز الدولة أحمد بن بويه حاكم العراق فخرجا من الامتحان بوجه مشرق ، وصحيفة بيضاء ، اذ كشفا معا عن طهارة النفس ، وارتفاع الهمة ، وبعد النظر ، اذ كانت عداوتهما عاقلة بصيرة ، تتجنب مزالق الريب ، ومداحض الشبهات ، فزاد قدرهما بذلك ، وظهر معدنهما الذهبي ساطع البريق بعد أن امتحن في ملتهب السعير .

كان معز الدولة حاكما جبارا سريع الغضب ، باطش العقاب ، يقول عنه معاصره ابن مسكويه المؤرخ الفيلسوف « وهو بذيء اللسان يكثر سب وزرائه وخاصة حشمه ويفتري عليهم » وقد رأى اجماع الناس على حمد القاضيين الكبيرين وتقديرهما ، فأراد ان يوقع بينهما ، ليثور كل قاض على أخيه وليكشف للناس ما يضع من قدريهما ، ولكنه اصطدم بعاقلين حصيفين لهما في دولة الخلق ما لهما في دولة العلم ، فاضطر الى اكبارهما معا ، وقد تحدث أبو حيان التوحيدي في كتاب الصداقة والصديق ، عن ذلك ، ببيان مشرق ، وتفصيل شاف ، ومن أحسن من أبي حيان نصاعة قول ، وتسلسل بيان ، وتجدد أفكار ، لذلك أوثر أن أنقل عنه اذ قال (١) :

« وكان بين القاضي أبي حامد المروروزي وبين ابن نصرويه العداوة الفاشية ، والشحناء الظاهرة ، فكان اذا ذكر ابن نصرويه أنشد القاضي :

وأبي ظاهر العداوة الا باضطغان وقول ما لا يقال

وكان ابو حامد يقول عنه « والله اني بباطنه في العداوة أوثق مني بظاهر صداقة غيره ، وذاك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مساءتي ، الا فيما يدخل في باب المنافسة ، ولذلك استمر أمرنا أربعين عاما من غير فحاشة ولا شناعة ، ولقد دعيت الى الصلح فقلت : لا تحرك الساكن منا ، فلقديم العداوة بالعقل والحفاظ من الذمام والحرمة ما ليس لحديث الصداقة بالتكلف والملق ، ولقد وقف مرة على ضربة تأتت له علي كان فيها البوار لي ، فكف

(١) الصداقة والصديق ص ٤١ بتحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

عنها وأخذ بالحسنى ، فأديته أختها ، وكانت خافيـة عنده ، فقال : لولا علمي انك تسبق الى مثل هذا ما قابلتك بتلك ، فقلت هو والله ذلـك ، ووالله ـ يقول أبو حامد ـ لقـد ضرني ناس كانوا ينتحلون مودتي ، ويتبارون فـي صداقتي ، لضعف نحائزهم ، ولؤم غرائزهم ، ولقـد تبت هولي في عداوته على عقل وتذمم أفضيا به الى سلامة الدين والنفس والحال ، ورد معز الدولة هذا المصر ، فسأله عني ، فأثنى خيرا وقال : ما قطن مصرنا غريب أعظم بركـة منه ، وانه لجمالنا عند المباهاة ، ومفزعنا عند الخلاف ، وقد سألني معز الدولة عنه سرا ، فأثنيت خيرا وقلت : أيهـا الامير ، والله مـا نشأت فتنة في هـذا العصر ، الا كان سبب زوالها ، واطفاء ثائرتها ، واعادة الحـال الى غضارتها ونضارتها ، فقال معز الدولة سرا لأبي مخلـد : كيف الحال بينهما ؟ يعنينا ، فقال : بينهما نبو لا ينادي وليـده ، وتعاد لا يلين أبدا شديده ، فقـال : لئن كانا كما تقول ، فانهما ركنا هذا البلد ، وعدتا هـذا السـواد ، اجعلهما عيني اللتين أبصر بهما أحـوال الناس في هذا المكان ، وأعول عليهما فيما يريـان ويشيران » .

ثم قال أبو حامد ، وقد تغلغل في أعماق النفس البشرية تغلغلا لا مزيـد وراءه : « والله ان عداوة العاقل لألذ وأحلى من صداقة الجاهل ، ومن فضل صداقة الجاهل انك لا تستطيع مكاشفته حياء منه وايثارا للارعاء عليه ، ومن فضل عداوة العاقل انك تقدر على معالنته بكل ما يكون منه اليك » .

ـ ٢ ـ

أنقل هذا الحديث على طوله لأظهر للقاريء كيف تكون العداوة اذا لم يكن منها بد ، مقيدة بحدود لا تتعداها ، فاذا كانت مغالبة النفس من الشدة والعنف بحيث لا يسهل انقيادها الى المصافاة في كثير من الاحيان فان التزام الحد في العداء مما يضمن الهدنـة الدائمة ، ويمنـع الافق مـن ان يتلبـد بالسحب ، فتتراكم كي ترسل الصواعق فيما بعد ، كما أن لهذا الحديث دلالة

واضحة على تمكن فقهائنا من أمثال أبي حامد المروروزي من معرفة الحقائق الاصيلة فيما يسمى اليوم بعلم النفس ، وقد كان بعض الاغرار يظنون ان هذا العلم من الجدة بحيث لم يهتد اليه أحد من أساطين المفكرين في الاسلام ، واهمين ان من يعرف المصطلحات الذائعة من أمثال اللاشعور والكبت والعقدة والانفصام هو وحده الذي يعرف دخائل علم النفس ، وقد فات هؤلاء أن المضمون الخالص لهذا العلم ليس وقفا على مصطلحات تتغير بتغير العصور ؛ وأن النفوذ الى الحقائق النفسية في أعمق الاعماق ، هو ما يهدف اليه هذا العلم الطريف التليد ، وكم رأينا من يملأ رأسه بمصطلحات مستحدثة في هذا المجال ، ثم لا يصل ببصيرته الى بعض ما يدركه مثقف غير متخصص اذا واصل استنباطه الشخصي في هدى من عقل حصيف ، والا فمن الذي ينكر خبرة أبي حامد المروروزي النفسية حين يستمع الى قوله : « اني بباطنه في عداوته أوثق مني بظاهر صداقة غيره ، وذلك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مساءتي » .

أو قوله : « وقد دعيت الى الصلح فأبيت ، اذ لقديم العداوة بالعقل والحفاظ من الذمام والحرية ما ليس لحديث الصداقة بالتكلف والملق ! » .

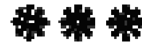
أو قوله : « عداوة العاقل ألذ وأحلى من صداقة الجاهل ، ومن فضل عداوة العاقل انك تقدر على معالنته بكل ما يكون منه اليك ، ومن فضل صداقة الجاهل انك لا تستطيع مكاشفته حياء منه » .

فان صاحب هذه الآراء دارس محنك قد أوتي القدرة على تعرية النفوس ، وكشف الاقنعة ، وقد عرف بخبرته أن الصداقة بين المتنافسين صداقة ظاهرة ، تضمن ما لا محيص عنه من الارتياب والحذر ، فلم يحرص عليها اذ كانت طلاء خادعا يزيف الحقيقة ويعمي العين عا النفاذ الدقيق ، وقد استعان الرجل بخبرته الشخصية في دنيا المشاعر والاحاسيس فاهتدى الى ما لا يهتدي اليه غير ذوي الالهام الوقاد ، وكانت مسألة العداء بعض ما يشغله فأخذ يوازن بين عداوة وعداوة ، وما ذكره ابو حيان عنه قليل من كثير لان

التوحيدي لم يفرغ له وحـده بل كان نحلـة دائمـة الامتصاص مـن شتى الحدائق ، وكم وردت من زهور ونشقت من عبير ، ولكنه عرف للمروروزي قدره حين قال عنه في خاتمة حديثه عن عداوة العقلاء :

وكان أبو حامـد بليل الريق ، يستحضر كيف شـاء بالطويل والعريض والجليل والدقيق ، وهو في كل ما قال يعيـد الى ذهني قول سقراط الحكيم « لا تكون كاملا حتـى يأمنك عـدوك فكيف بـك اذا كان لا يامنـك الصديـق » .

الاديـب محمد رجب البيومي



يهجوه بغير حق ، ثم يمدحه بحق

كان عبد الله بن جدعان من أجواد العرب وساداتها . هجـاه دريد بن الصمة مرة ببضعة أبيات ، فلقيه عبد الله يومـا بسوق عكاظ فحياه ولاطفه ، وقال له : « هل تعرفني ؟ » قال دريد : « لا » قال : « فلم هجوتني ؟ » قـال دريد : « هجوتك ، لانك كنت أثيرا كريما معروفا في القوم ، فأحببت أن أضع شعري موضعه » ، فقال عبد الله : « لئن كنت هجوت فقـد مدحت » وكساه وحمله على ناقة برحلها ، فمدحه دريد بقصيدة منها :

« وجلت البـلاد فمـا ان أرى   شبيه ابن جدعان وسط العرب »

عشرة من الناس

تأليف: زهير مارديني

الدكتور : صلاح الدين المنجد

الاستاذ زهير الماrديني صحافي أديب ، أتيح له أسلوب أدبي جذاب علا به عن مستوى أهل الصحافة ، مع اطلاع على اللغة وحساسية ألفاظها ومدلولاتها ، فهو يختار منها ما شاء لما شاء • ثم أتيح له أن يخوض غمرة الاحداث السياسية في سورية ومصر ، في فترة حرجة ، من قبيل الوحدة السورية المصرية ، حتى انقلاب حزب البعث العسكري عام ١٩٦٣ ، وما بعده• فعاصر ما جرى ، وخالط العسكريين الانقلابيين ، ورجال السياسة ، وكان يتنقل ، بحكم عمله ، بين دمشق وبيروت والقاهرة ، فيجتمع الى الذين كانوا يوجهون دفة السياسة في هذه العواصم ، ويستخرج ، بذكائه ، دفائن صدورهم • فاستطاع أن يطلع على أمور لا يكاد يعرفها أحد • وعقد صلات وصداقات مع كثيرين يصعب الوصول اليهم • ثم رأى أن يخرج ما في جعبته الملأى ، مما شاهده وشارك فيه ، فأخرج في عام ١٩٧٥ الجزء الاول من كتابه « عشرة من الناس » ، تحدث فيه عن الامينة الاولى للحزب القومي السوري ، وقاضي قضاة دمشق الشيخ عبد المحسن الاسطواني ، ورئيس وزراء سورية الاستاذ فارس الخوري ، والبعثي الاول ، فيلسوف الحزب ، زكي الارسوزي ، ورئيس الاخوان المسلمين الاستاذ عصام العطار ، وأكبر سياسي شعبي بدمشق فخري البارودي، والرجل الذي لا يشبه انسانا آخر محمد علي الطاهر ، مؤسس مجلة « العرفان » الشيخ أحمد عارف الزين ، والفنان ماسخ الوجوه « صاروخان » ، والقائد الانقلابي أديب الشيشكلي ، وغيرهم •

ومنذ شهر ، أصدر الجزء الثاني من كتابه ، بالعنوان نفسه « عشرة من الناس » • فتحدث عن الرئيس الياس سركيس ، رئيس الجمهورية اللبنانية ، والعلامة المغربي عـلال الفارسي ، والسياسي الاديب القانوني منير العجلاني ، ورجل حزب الوفد القومي في مصر فؤاد سراج الدين ، ورئيس وزراء سورية صبري العسلي ، وشاعر الشام الكبير شفيق جبري ، وصانع الانقلابات والخبير بالمؤامرات عبد الحميد السراج ، وقائد معركة القدس عبد الله التل ، والسياسي اليماني الاديب أحمد محمد النعمان •• وغيرهم •

ويعطينا المارديني في ذكرياته التي سردها عن هؤلاء جميعا الصورة التي اختارها عنهم • أقول التي اختارها هو ، لان لهؤلاء الرجال جوانب في حياتهم وأعمالهم تحاشى المؤلف أن يتطرق اليها • مع معرفته بها ، كما فعل عند حديثه عن السراج ، أو أنه ذكر ما عرفه فقط عن بعضهم • ولكنه ، على كل حـال ، أتى بما لا يعرفه الكثيرون ، حتى الذين عاصروا الاحداث ، من خـلال سير الذين صنعوه أو لعبوا دورا فيه • فالكتاب ، يدخـل اذن في المراجع الهامـة لفهم حقبة مضطربة معقدة من تاريخنا الحديث •

واذا كان المارديني قد وفق الى كشف كثير من الاسرار ، فقد وفق أيضا الى عرضها بأسلوب جذاب لا يمله القارىء • أسلوب هو أقرب الـى الادب منه الى الصحافة •

ولنا وطيد الامل أن يتحفنا الاستاذ الماريني بمزيد من هذه الذكريات ، عن رجال آخرين ، فلا يتوقف حتى يفرغ مـا في جعبته ، وهي جعبـة فيهـا عجائب وغرائب وطرائف •

* * *

الصحــة

ماذا يجب أن تعرفه عن السكري؟

مجلة مؤسسة السكري العالميــة ، تجيب كذلك على أسئلة قرائها الذين يريدون أن يعرفوا المزيد عن داء السكري • وفيما يلي بعض الاسئلة والاجوبة التي نشرتها هذه المجلة ، وقد نقلها الى العربية السيد ايلي كايد قطران :

س ــ ما هو سبب السكري ؟

ج ــ يعتقد الاطباء بصورة عامة ان السكري هو اضطراب وراثي مزمن، ينشأ عن كسل يصيب غدة البانكرياس • كما يمكن أن يظهــر السكري فــي الاحيان ، بنتيجة اصابة الغدة النخاميــة ، أو الغدة الكظرية ، أو الغــدة الدرقية ، أو في حالة كسل الكبد أو اصابته •

أما السمنة المفرطة ، فهي عامل آخر من عوامل الاصابة بالسكري ، ولا سيما بالنسبة للذين يصابون بهذا الــداء في منتصف أعمارهم أو بعد هــذه المرحلــة •

س ــ ما هو احتمال ولادة الطفل مصابا بالسكري ، اذا كان ثمرة لقــاء أبوين أحدهما مصاب بهذا الداء والآخر سليل عائلة لها تاريخ سكري وراثي ؟

ج ــ لا يمكن التحديد بالضبط مقدما ، ولكن هناك امكانيــة بنسبة ٥٠٪ لوالدة طفل مصاب بالسكري عندما يكون أحد أبويه مصابا به •

س ــ هل يمكن أن تكون الاصابة بالسكري نتيجة اصابة بمرض معــد مثل الحمى القرمزية ؟

ج ــ كلا • ولكن العدوى بالحمى القرمزيــة يمكن أن تضعف الجسم ، وبالتالي تعده ليظهر عليه السكري ، اذا كانت هناك حالة وراثية •

س ـ تظهر بقع حمراء على جبيني • فهل لها علاقة بالسكري المصاب به ؟

ج ـ كلا ، ولكن عليك بضبط مقـدار السكر في دمـك ، عن طريق استشارة طبيبك ، وهذا ما يساعد على سرعة اختفاء الطفح •

س ـ هل لا بد من ظهور العصبية والكآبة على كل مصاب بالسكري ؟

ج ـ كـلا •

س ـ هل يؤثر شرب « البيرة » على المصاب بالسكري ؟

ج ـ البيرة كالحليب ، فيهـا ٥٠٪ من السكر • ولكن البـيرة ، خلاف الحليب ، ليس فيهـا بروتائين ولا دهنيـات • واذا كنت تحـب شرب البيرة فاحسب الحريرات الموجـودة في كـل كأس تشربه منهـا وانزله من عـدد الكالوريات المسموح لك بتناولها يوميا لضبط السكر في دمك •

على كل ، كثير من الاطباء ينصحون المصاب بالسكري بالامتناع عـن شرب البيرة •

ج ـ كـلا • لا يمكن تشخيص السكري بدقـة الا اذا فحص الـدم والبول ، لمعرفة ما اذا كان الجسم يحرق تماما السكر الذي يدخل اليه أم لا ، بعد ساعتين من دخولـه جوف الانسان • ولكن هنـاك أعراضا تظهر عـلى المصابين بالسكري ، مثل زيـادة العطش ، والاحساس بالجـوع المتواصل ، وكثرة التبول ، والحكاك ، والتعب السريع ، وبعض التغير بالبصر ، والاندمال البطيء للجروح أو الخدوش •

س ـ كم يعمر المصاب بالسكري ؟

ج ـ أكثر مرضى السكري ، اذا ضبطوا السكر في دمائهم عن طريقـة اتباع تعليمات الطبيب الاخصائي ، يموتون عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، وقلة منهم يموتون قبـل الخامسة والخمسين وبعض مرضى السكري عمـروا أكثر من تسعين ، وآخرون منهم تجاوزوا المائة عام •

س ــ هل يوجد انسولين يؤخذ عن طريق الفم بدل الحقن تحت الجلد ؟

ج ــ كلا ... لا تزال التجارب مستمرة لايجاده مع الحفاظ على فعاليته . والمعتقد ان طرقا أخرى ستكتشف لمعالجة المصابين بالسكري ، قبل الاهتداء الى انسولين يؤخذ عن طريق الفم . وان كانت هنالك علاجات أخرى تؤخذ عن طريق الفم ، لتعدل السكر في جسم المصاب في بعض حالات السكري ، عن غير طريق استعمال الانسولين .

س ــ بموجب النظام الغذائي الذي أتبعه ، علي أن آكل مرتين في النهار لحم « الجانبون » أو « الباكون » مع البيض . فهل يسمح لي بتناول لحم آخر بدل الباكون ؟

ج ــ كل أنواع اللحوم ، وبمقادير محددة ، مسموح بها للمصاب بالسكري ، وقد تكون لدى طبيبك أسباب جعلته يصف لك غذاء معينا . على كل حال ، آكل الباكون والبيض مرتين في اليوم أمر غير عادي .

س ــ ما هو أحسن نظام غذائي لضبط السكر بالدم ؟

ج ــ ابتعد عن آكل السكريات ، وخفف من النشويات ، وأكثر من أكل الخضار ، وتناول مقادير معينة من اللحوم ، بما فيها الدواجن والاسماك . ولكن لاحظ أن نظامك الغذائي يجب أن يضبطه طبيب مختص ، وفق درجة اصابتك ، وعلى ضوء العمل اليومي الذي تقوم به .

س ــ اذا ظهر في دم المريض سكر بمعدل ١٥٠ ملغ ، ودل اختبار البول على وجود + ٤ ، فهل يعني ذلك ان المريض مصاب بالسكري ؟

ج ــ نعم ، اذا كان الدم المفحوص قد أخذ صباحا قبل الاكل والشرب ، واذا دل فحص البول على + ٤ ، ولو بعد الاكل .

س ــ ما هو سبب تلطخ البصر ، بعض الاحيان ، لدى المصاب بالسكري ؟

ج ــ (١) التغير الذي يطرأ على سوائل العين • (٢) التغير الذي قــد يطرأ على العدسة • (٣) والتبدل الذي قد يطرأ على شبكة العين •

بعض الاحيان ، وفي بداية علاج المصاب ، وعندما ينخفض معدل السكر عن طبيعته في الدم ، يتلطخ البصر مؤقتا • ولهذا فان اخصائي العين يمتنعون عن وصف العدسات العينية للمريض ، قبل مرور أربعة أسابيع على خلو بوله مـــن الســكر •

س ــ هل يسبب الانسولين عند حقنه رجفة في اليدين ؟

ج ــ الرجفة عادة علامة رد فعـــل الانسولين ، لا سيمـــا الانسولين ذو المفعول السريـــع •

س ــ هل الذين يصابون بالسكري قبل سن المراهقة يشفون منه ؟

ج ــ كلا • وانما يمكن ضبط معدل السكر في دمائهم •

س ــ هل الاصابة بالسكري قبل المراهقة سببها حدوث خلل في الغدد ؟

ج ــ نعم ، غدة البنكرياس خاصة •

س ــ كيف تعالـــج ردة فعل الانسولين عندمـــا تصـــل الى درجـــة الانتفاضـــات ؟

ج ــ اتصل بطبيبك حـــالا ، والى ان يصل الطبيب خذ قطعـــة سكر ، واذا بقيت الانتفاضة فان طبيبك قد يعطيك حقنة من الادرينالين كلورايد من ١/٢ الى ١ سنم٣ ، وأهم من ذلـــك انه قد يعطيك حقنـــة في الوريد فيهـــا ١٠ غرامات سكر العنب (كلوكوز) أو أكثر •

س ــ بعد ان ضبطت السكر في دمي عن طريق اتباع نظام غذائي معين لمدة ثلاثين يوما ، أصبحت الآن آكل كل شيء ، عدا المواد السكرية ، دون أن يرتفع معدل السكر • فهل يمكن تفسير ذلك ؟

ج ـ احمد ربك على هذا • ولكن افحص البول يوميا بعـد ساعتين من كل وجبة طعام تتناولها • واجتنب الافراط بالاكل ، وحافظ على وزنك لئـلا يزداد • ولا تنس فحص معدل السكر في دمك بين حين وآخر ، وقـدم نتائج الفحص الى طبيبك •

الشيء المهم الذي يجب أن تعرفه ، هو ان معـدل السكر في دمك قـد ضبط لا أكثر ، ولا تظن أنك شفيت من داء السكري تماما ، اذ لـم يكتشف بعد أي علاج شاف تماما لهذا الداء •

س ـ ما الذي يمكن عمله ، عندمـا يشعر المصاب بالسكري بألـم في رجليـه ؟

ج ـ يضبط السكر في الدم • ويرجع الى طبيبه •

س ـ ماذا يمكن أن يعمل لتحسين الدورة الدموية في الايدي والاقدام؟

ج ـ طبيبك هو الذي يعرف حالتك ، ولهذا هو الذي يختار لك العلاج المناسب •

ما نستطيع أن نوصيك به هو تجنب احراق قدميك عندما تقربهما مـن كيس الماء الساخن في سريرك ، أو من وسادة كهربائية • أما في النهار فالبس زوجين من الجوارب ، وبالمناسبة هناك جوارب للسرير اذا احتـاج الامـر ، واتبع تمارين بورجر ولا تدخن السجائر •

س ـ انني لم أستعمل الانسولين بعد فهل من طريقة لمنع ازدياد السكر في دمي ، أو بتعبير آخر جعل مرض السكر لا يتقدم عندي ؟

ج ـ الحمية تضبط معـدل السكر في الدم بعض الاحيـان • وأحيانا أخرى لا بد من علاج يختاه لك طبيبك وتتناوله عن طريق الفـم • ولكن اذا تطور المرض ، وقرر طبيبك ان لا بـد من استعمال الانسولين ، فكن منفتح الذهن واستعمل منه النوع الذي يصفه لك الطبيب ، وبالمقادير التي يحددها•

س ـ متى تؤخذ عينة البول لاختبارها من أجل ضبط معدل السكر في الدم عن طريق الحمية ؟

ج ـ تختبر عينة من البول قبل الطعام ، وعينة أخرى تؤخذ بعد الطعام بساعتين .

س ـ كم يمكن أن يعمر الشخص الذي يحقن بالانسولين ؟

ج ـ استعمل الانسولين لأول مرة عام ١٩٢٣ ، وهناك مرضى ابتدأوا في استعمال الانسولين منذ اكتشافه وما زالوا أحياء يرزقون .

س ـ عديدون من أفراد عائلتي مصابون بالسكري ... فهل من شيء يقيني من الاصابة بـه ؟

ج ـ كلا ، سوى اجتناب السمنة المفرطة ، والعيش حياة صحية .

س ـ أنا مصاب بالسكري ، فهل من خطر اصابة غدة البانكرياس عندي بالسرطان ؟

ج ـ المصابون بالسكري ، ليسوا أكثر عرضة من غيرهم ، للاصابة بسرطان البانكرياس ، فاطمئن .

س ـ هل لي حظ بعدم استعمال الانسولين مدى حياتي ؟

ج ـ نعم ... ولكني دائما أكثر قلقا على الذين يفضلون استعماله بعد ان استملوه ، اذ كثيرا مـا يترك مرضى السكر استعمال الانسولين اذا شعروا بالتحسن ، ويتركون كذلك نظام الحمية . عندها من المحتمل ان يرتفع السكر في الدم ، وينقل المريض الى المستشفى وهو في غيبوبة السكري . لهذا اياك من ايقاف استعمال الانسولين ، الا اذا أمرك الطبيب بذلك .

س ـ كيف أحفظ الانسولين في مكان ليس فيه وسيلة للتبريد ؟

ج ـ الانسولين يبقى صالحا للاستعمال بضعة أيام دون تبريد ، الا اذا كانت الحرارة مرتفعة جدا .

س ـ هل يمكن أخذ الانسولين العادي مـع البروتامين زنك في نفس الوقـت ؟

ج ـ نعم ، اذا وصف الطبيب لك ذلك .

س ـ عندما اخلط الانسولين العادي مع البروتامين زنك في الحقن التي أستعملها ، أشعر بردات فعل الانسولين على نحو أوضح مما لو أخذتهما فـي حقنتين منفصلتين ... فلماذا ؟

ج ـ ارجع الى طبيبك . عنـد خلط هاتين المـادتين يمكن أن تحدث تبدلات كيميائية تسبب ردات الفعل التي تشعر بها . يمكن تعديـل الخليط ، ولا ضرورة لردات الفعل .

س ـ هل يعطى الانسولين بروتامين زنك خلال الليل ؟

ج ـ نعم .. ففي بعض الحالات يصف بعض الاطباء ذلك .

س ـ أي صنف من الانسولين أفضل استعمالا ؟

ج ـ كـل صنف من الانسولين يستعمل في حالة معينـة من حـالات الاصابه بالسكري . لذلـك استشر طبيبك ، ليصف لك الانسولين الخـاص لحالتك الخاصـة .

س ـ ما قيمة تناول الفيتامينات لمصاب بالسكري ؟

ج ـ تناول الفيتامينات مفيد لمنـع مضاعفات السكري . ولكن تناول الفيتامينات لا يغني عن أخذ الكمية اللازمة من الانسولين حقنـا ، ولا ينقص مـن مقدارها .

س ـ هل أخذ كمية كبيرة من الانسولين في حقنة واحدة تحت الجلـد كل يوم ؛ افعل على ضبط معدل السكر في الـدم من أخذ كميتين حقنـا في الصباح والمساء ؟

ج ـ هذا يتوقف عـلى نوع الانسولين ، وعلى نوع اصابـة المريض • ولا تنس ان الحمية والرياضة تفيدان كثيرا في تخفيض نسبة السكر في الدم •

س ـ هل يجب حقن الانسولين في مواضع مختلفة من الجسم ؟

ج ـ يجب عدم اعطاء حقنتين ضمن انش مربـــع واحد من الجسم فـــي شهر واحــد •

س ـ هل يضر بالجسم أخــذ أكثر من حبتين من السكرين في اليـــوم الواحــــد ؟

ج ـ كــــلا •

س ـ هل يضر التدخين المصاب بالسكري ؟

ج ـ أعتقد أن جميع الاطباء ينصحون من يشكو من شاكل في عينيه ، أو من التهاب في أعصابه ، أو من قرحـــة في معدته ، أو من ضعف في وصول الدورة الدموية الى القدمين ، بترك التدخين •

س ـ ما دام العسل سكرا طبيعيا ، فهـل يسمح للمصاب بالسكري أن يتناولـه ؟

ج ـ كلا ، لا يسمح ••• فهو يعمل عمل السكر ، ومـا يتناوله منـه المريض يحسب من ضمن الحريرات المسموح له بتناولها يوميا •

س ـ هل تناول خبز القمح مفضل على غيره من الخبز بالنسبة للمصاب بالسكري ؟

ج ـ جوهريا ، كل الخبز متشابه • وان كان هنـاك خبز خاص معـد للمصابين بالسكري ، ولكنه مع ذلك لا يختلف في جوهره عن الخبز العادي •

س ـ هل العمل الشاق ، أو التمارين الرياضية ، تسبب زيادة السكر في الدم ، عند المصابين بالسكري ؟

ج ـ كلا ، والعكس هو الصحيح .

س ـ ما هو الوقت المسموح به للمصاب بالسكري بعدم أخذ الانسولين ؟

ج ـ هذا يختلف باختلاف حالة المريض . يحسن أن تذكر ان القليلين من المصابين بالسكر عاشوا عمرا طويلا قبل اكتشاف الانسولين . والدتي مثلا ، لو تناولت الانسولين ، لكانت قد تجنبت مضاعفات السكر واختلاطاته.

س ـ هل يستطيع المخبر اذا فحص الدم والبول أن يشخص للمصاب بالسكر حالته بدقة ؟

ج ـ كلا ... الطبيب وحده هو الذي يقرأ نتائج الفحوص ويفسرها على ضوء حالة المريض .

س ـ اصبت بالسكري منذ ١٩ سنة : عندما كان لي من العمر ٢٣ عاما . هل تتوقع اكتشاف علاج شاف من السكري أراه في حياتي ؟

ج ـ كثيرون هم الذين جهدوا بين عام ١٩١٤ و ١٩٢٢ لضبط معدل السكري في الدم . بعد كل هذه الجهود اكتشف الانسولين ، فساعد الكثير من المصابين . واليوم كثيرون هم الذين يجهدون ، وبوسائل أفضل من وسائل عام ١٩٢٢ ، للوصول الى اكتشافات أفضل من الانسولين . ان الامل بنجاحهم لم ينقطع ، وليس ما يمنع وصولهم الى علاج شاف في النهاية .

س ـ اذا كان لطفل والد مصاب بالسكري ، بدليل ظهور السكر في بوله مباشرة بعد الاكل ، فهل معنى ذلك ان الطفل مصاب بالسكري ؟

ج ـ كلا . خذ الطفل الى طبيب والده ، فهو الذي يفحص ويقرر . واذا جاء الجواب سلبيا ، فلا تطمئن اليه اطمئنانا أبديا . يحسن اعادة الفحص كل سنة ، لان ابن المصاب بالسكري معرض للاصابة به ، واذا لم تظهر الاصابة اليوم ، فقد تظهر في العام القادم . ولكن ذلك لا يعني أن الاصابة محتمة . المهم هو تشخيص السكر في بدايته ، لان علاجه يصبح أسهل .

س ــ لا يظهر عندي في البول أي أثر للسكر • ولكن فحص الدم فــي المخبر على الريق أظهــر وجود ١٤٥ ميليغراما في الــدم ، فهل أعتبــر مصابا بالسكــر ؟

ج ــ استشر طبيبك ، ليفحص الدم والبول بعد الاكل أيضــا ، وليرى نتيجة تحليلك لاختبار الســكر ، وبعدها يقرر •

س ــ هل ارتفاع نسبة السكر في الدم تسبب الحكاك ؟

ج ــ عند ظهور السكر في البول ، قــد يشعر المريض بالحكاك • واذا خلا البول من السكر ، وكان الحكاك ما يزال موجودا ، فارجع الى الطبيب •

س ــ كم ساعــة عمل في المكتب يمكن للمصاب بالسكري أن يعمــل ، دون أن يصاب بضرر ؟

ج ــ ساعات عمل المصاب بالسكري مثــل ساعات عمل غــير المصاب ، ولكنه يحتاج الى تمارين رياضية أكثر ، وساعات نوم أطول •

س ــ كيف تؤثر قلة النوم على المصاب بالسكري ؟

ج ــ عندما ينام المريض ، يوفــر بعض الوحدات الحرارية ، ويحتــاج جسمه الى طعام أقــل • والمصاب بالسكري يجب أن يأخــذ كل الوحــدات الحرارية التي سمح له بها الطبيب • وعدم أخذ نصيب وافر من النــوم يرهق غدة البانكرياس التي تفرز الانسولين الطبيعي ويزيد في كسلها • لهذا يحسن بالمصابين بالسكري أن يناموا كل يوم ساعة اضافية •

س ــ لماذا تلد الامهات المصابات بالسكري أطفالا أمواتا ؟

ج ــ قد يحصل شيء كهذا في حالة عدم ضبط السكر والهرمونات في جسم المرأة الحامل • من ناحية ثانية ، فان الحامل المصابــة بالسكري تكون أكثر عرضة لتسمم الحمل الدموي •

على كل حـال ، فان الاحصاءات الاخيرة قـد دلت على أن ٩٠٪ مـن المصابات بالسكري أصبحن ينجبن أطفالا أحياء •

س ـ هل يمكن اجراء عمليـة استئصال الحصاة من المرارة للمصاب بالسكري ؟

ج ـ نعم • وأعتقد ان المصابين بالسكري الذين استأصلوا الحصى مـن مراراتهم ، هم أفضل حـالا من مرضى السكري المصابين بحصاة المرارة ولـم يستأصلوهـا •

س ـ هل يستحسن لمن كانت في العشرين من عمرها ، اذا كانت مصابة بالسكري ، أن تنجب طفلا آخر ، مع العلم انها أنجبت الاول بعملية قيصرية ؟

ج ـ كثيرات مـن المصابات بالسكري أنجبـن طفلهن الثاني بعمليـة قيصرية • وقبل أن تقرري ، عليك استشارة طبيبك •

س ـ هل الالم في مفصل الكتف يسببه السكري ؟

ج ـ كلا ، مثل هـذه الآلام لا يختص بها المصابون بالسكري ، فقـد يصاب بها الاصحاء أيضا • المهم ان داء السكري لا يسببها •

س ـ ما هي النسبة المئوية لوراثة داء السكري ؟

ج ـ أقدر ان ثمانين بالمائة من المصابين بالسكري ، تظهـر الدراسة أن اصاباتهم قد نجمت عن عامل وراثي •

س ـ هل يمكن زرع غدة البانكرياس زرعا ناجحا يؤدي الـى الشفاء من السكر ، كما هي الحال في قرنية العين ؟

ج ـ زرعت غدة البانكرياس التي أخذت من طفلة ماتت فجأة في أمهـا المصابة بالسكري ، ولكن النتائج لم تظهر بعد •

س ـ سمعت أن عصير الصبير يشفي السكري • فهـل لهـذا العصير قيمـة ؟

ج ـ قيـل ان لمستخلص كثير مـن عصير الخضار قيمـة في معالجـة السكري • ولكن في حد علمي لم تثبت علميا بعد صحة هذه الاقوال •

س ـ هل يمكن اجراء عملية فتق لي ، وأنا من آخذي الانسولين ؟

ج ـ بالتأكيـد •

س ـ هـل تترك حقن الانسولين علامـات في الجسم ، أم ان ظهـور العلامات في جسمي معنى اني لا آخذ الانسولين بطريقة صحيحة ؟

ج ـ في بعض الاحيـان تظهر علامات محلية بعـد اعطاء الانسولين ، ولكنها تختفي بعد ذلك تدريجيا •

س ـ هل يستطيع المصاب بالسكري ان يزيد من وزنه ؟

ج ـ أبدا • فالمصابونبالسكري يجب ألا يزيدوا أوزانهم عن المعـدل المطلوب •

س ـ هل يسبب السكري السعال ؟

ج ـ كلا ، ولكـن اذا شكوت من السعال الشديـد ، وكنت مصابـا بالسكري ، فاسرع الى طبيبك •

س ـ ما هو المعدل المئوي من السكر المسموح بظهوره في البول ؟

ج ـ القاعدة الاصلية ، هي أن البول يجب أن يبقى خاليـا من السكر ، ولا سيما في ساعات النهار •

س ـ هل يسبب السكري آلاما في الاقدام وخدرا ؟

ج ـ نعم ، في حالة عدم ضبط معدل السكر في الـدم • لان ارتفـاع السكر قد يسبب التهاب الاعصاب •



رسالة الوفاق اللبنانية

الرئيس سركيس

أيهـا اللبنانيون

نحن على عتبة السنة السادسة للمحنة التي حلت بنا .

ان ما يجيش في نفوسنا جميعا من ألم واشتياق لحياة اخوة كانت لخمس سنوات خلت مثلا يحتذى ، لم تعـد مجرد شعور داخلي يخالج كلا منـا في أعماق ذاته ، بل تعدى ذلك الى التصريحات العلنية في مناسبات عديدة والى الاعلان عن برامج عمل تتوخى ترميم ما تصدع واعادة بناء ما تهدم ، وتأمـين السياج الحرير للوحدة والسيادة والاستقلال .

لقد أكـدت الاتصالات والاستشارات الاخيرة التي قمت بهـا ودولـة رئيس الحكومة عـلى ان اللبنانيين ، وان اختلفوا فـي الاساليب وفي بعض التفاصيل ، الا أنهـم متلاقون في المبـادىء الرئيسية التي يقوم عليها كيـان لبنان ، وعلى الاسس التي ينبغي اعادة بنائه عليها .

هذه الاسس ، وقد ناديت بها غير مرة منـذ قسمي اليمين الدستورية ، أعود الآن الى التذكير بها ، ايمانا مني بأنها تعكس حقيقة ايمانكم وحقيقة هذا الوطن المعذب .

اننا نمسك بوحدة لبنان أرضا وشعبا ومؤسسات ، ونؤكد على استقلاله وسيادته ، وعلى ان في قيام دولة قوية السياج الحريز والدرع الواقية لتلـك المبادىء الاساس ولا يجوز بالتالي التسليم بما يتعارض وكيان الدولة .

لذلك نرفض رفضا قاطعا قيام دويلات فيها وعلى حسابها كما نرفض استمرار ما نحن عليه من تشرذم وتشتت ، فلا بد من اخلاء الساحة من كل الكيانات التي تنمو على حساب الوطن لتحل محلها الدولة بقواها الشرعية وحدها من دون المجموعات المسلحة لبنانية كانت أم غير لبنانية •

وهذا يقضي بضرورة تعزيز سلطة الدولة وبالغاء كل ما يتنافى مع الشرعية أو النظام والقانون ، ويفرض بسط سيادة الدولة على كل الاراضي اللبنانية وعلى جميع المقيمين عليها •

اننا نؤمن بأن لا غنى لنا عن الدولة الواحدة المكتملة المعالم ، المتكاملة الاجهزة ، التي تستطيع فرض احترام القانون والذود عن حقوق المواطنين ، وضمان الحرية والامن لجميع اللبنانيين وفي جميع مناطقهم ، واعلاء بنيان لبنان سيدا مستقلا •

تتمسك بالنظام الديمقراطي البرلماني الحر ، وبتعزيزه وتطويره ، بحيث يبقى متجاوبا مع تطلعات الشعب في الاستقرار والتقدم والعدالة ، ومع متطلبات العصر ، كما تتمسك بالمحافظة على طابع لبنان القائم على احترام الحريات الاساسية في اطار النظام والقانون ، وعلى الانفتاح الثقافي والحضاري على العالم •

لبنان يجب أن يبقى بلد الحريات •

هذه هي تقاليدنا وهذه هي نظرة العالم الينا • ان مفهوم الحرية لا ينفصل عن مفهوم لبنان بالذات • نحن ندين بالحرية عنصرا من العناصر المكونة لشخصيتنا وحياتنا ، وفكرة لا تنفصل عن اثقة عرفنا بها وبدونها لا نعيش • انها ملازمة لتطورنا الحضاري والفكري ، ولما حققناه في شتى المجالات وتحت كل سماء •

تتمسك بالنظام الاقتصادي الحــر ، مع التأكيد على دور الدولــة فــي التنظيم والمراقبة ، وعلى ضرورة اعتماد التخطيط لاعمار لبنان وتطوير قدراته الانتاجية ، وتمتين أسباب عافيته الاقتصادية والاجتماعية ، وذلــك في اطــار تصميم انمائي شامل •

تؤكد على ضرورة الاخذ بمقومات الاستقرار الاجتماعي ، ومنها معالجة القضايا الاجتماعية الناتجة عن الاحداث ، والالتزام بمبــدأ تحقيق العدالــة الاجتماعية الشاملة ، ومبــدأ المساواة وتكــافؤ الفرص ، والعمل عــلى خلق الاجواء المؤاتية لمعالجة موضوع الطائفية في المستقبل البعيد والقريب • ونحن حريصون على ان تتجلى العدالــة والمساوة حقيقــة عمليــة توصل الانسان والمواطن الى حقــه في الخدمات الاجتماعية من صحية وتربوية ، وباهتمــام المسؤولين في الحقلين العام والخاص بايجاد عمل يتناسب والكفايات العلميــة والعملية ، وباقامة العدل وهو أساس لكل ملك ولكل حكم •

لبنان بلد عربي ، وعضو فاعل في الاسرة العربية • ويلتزم وفقا لميثــاق جامعة الدول العربيــة ، وهو من مؤســسيها ، بالعمــل على تعزيز دورها فــي المحافظة على التضامن العربي • واننا نعتز بما كان لنا وما نزل ، من مساهمة في النهضة الفكرية والسياسية العربية ، وبما أدينا ونؤدي على الصعيد العربي من خدمات في شتى الميادين •

اننا نعتبر قضية فلسطين قضيتنا :

لقد كان دأبنــا ولا يزال ، دعم القضيــة الفلسطينية ، ومساعدة الشعب الفلسطيني على بلوغ أهدافــه الوطنية واقامته دولته على أرضــه • وكــم استأثرت هذه القضية بجهودنا ومساعينا على الصعيد الدولي ، وكــم تحملنا في سبيلها على الصعيد الداخلي عملا منا بواجب الاخوة وايمانا بأنها قضيــة حــق •

ومن هذا القبيل ، وحرصا منا على نصرة كل حق :

ــ رفضنا ونرفض اتفاقات كمب ديفيد :

لانها لا تراعي الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في اقامة دولته على ترابه الوطني ، ولانها لا تشكل اطـارا صالحا لاحلال سلام عادل ودائـم في المنطقة وتؤدي ، في آخر مطافها ، الى اقصاء الفلسطينيين عن وطنهم وبيوتهم والى توطينهم حيث هم الآن مستضافون •

ــ تؤكـد على التضامن مـع الاشقاء العرب في كـل موقف مصري ؛ ونرفض كل أشكال التعاون مع العدو الاسرائيلي •

لقد تجنّد لبنان ، ولا يزال ، لكل قضيـة عربية ودافع عنهـا باخلاص واندفاع ، متضامنا مع الاشقاء العرب في كل موقف مصيري ، رافضا كل ما يتعارض ومصلحتهم العليا • من هنا مناداتنا بوجوب تعبئة الطاقات العربية في الصراع العربـي ــ الاسرائيلي ، وتأمين رص الصف في النضـال من أجـل قضايـا العرب •

ان لبنان يؤكد على وجوب احتـرام مقررات مؤتمرات القمة العربيـة برمتها وتمسكه بمواقفه فيها ، كما يؤكد على أن العلاقات بـين الدول العربية الشقيقة يجب أن تكون مبنية على أساس الاخوة والتعاون والاحترام المتبادل لاستقلال كل دولة وسيادتها وأنظمتها وقوانينها ؛ مع الحرص على عدم تدخل أي دولة في الشؤون الداخلية للدول الاخرى •

لبنان متمسك بمنزلته العالمية وبدوره الدولي وبمبادىء الامم المتحـدة وبعضويته في منظمتها • وهو يحرص عـلى احترام مقرراتها وبخاصـة على تنفيذ قرارات مجلس الامن الدولي المتعلقة بجنوب لبنان تنفيذا كاملا وصحيحا بكل الوسائل الممكنة بهدف انهـاء الاحتلال الاسرائيلي للشريط الحـدودي واستعادة الدولة لسيادتها على كامل أرض الجنوب دونما استثناء حتى الحدود المعترف بها دوليـا •

العلاقات بين لبنان وسوريا هي علاقات خاصة قائمة على أساس الاحترام المتبادل لسيادة كل من البلدين واستقلاله وتمامه •

وا ن لحكم الجوار والتاريخ والنضال المشترك وأواصر القربى والمصالح المشتركة بين الشعبين الشقيقين ، ان في ذلك بالغ الاثر في جعل العلاقات القائمة بينهما تفرض قيام تعاون وثيق وتنسيق متكامل بين البلدين وتنظيم اطار العمل المشترك بينهما لما فيه مصلحتهما المتبادلة •

أما العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية فينبغي تنفيذ الاتفاقات المتعلقة بها تنفيذا سليما ، وغني عن القول انه لا يجوز أن يتعارض ذلك مع سيادة لبنان وسلامته ، ومع مقررات مجلس الامن الدولي المتعلقة بالجنوب •

أيها اللبنانيون

ان من أراد البناء وجب عليه حمايته • والشعب الذي كتب له النضال ، عليه أن يمتلك الوسيلة الناجعة لجبه ما كتب له •

لذا أعود وأؤكد على أن لا دولة من دون جيش ، وعلى أن سياستنا الدفاعية تستهدف خدمة المبادىء التي ذكرت وبالتالي تمكين الجيش من تحقيق أهدافه الوطنية •

اني أعتبر جميع هذه المسلمات ــ المبادىء متماسكة متكاملة لا يجوز تجزئتها اذ هي تشكل الاساس الذي يبنى عليه حاضر لبنان ومستقبله • وككل أساس لا يمكن الا أن يكون متماسكا •

انها مسلمات لا يجوز أن نتصرف ازاءها وكأننا نريد الجدل للجدل • ان تصرفا كهذا ، كان دائما من أسباب انحطاط المجتمعات وانهيار الدول •

فلنبدأ باحلال هذه المبادىء المرتبة التي تستحق •

من هنا أدعو جميع اللبنانيين ، مقيمين ومغتربين ، الى الالتفاف حول هذه المبادىء . بذلك نخلق الجو المؤاتي للحوار الصحيح البناء ، وبالتالي نستطيع البحث في التفاصيل للانتقال الى مقررات عملية نضعها في حيز التنفيذ لنواصل المسيرة في خدمة لبنان واعلاء شأن لبنان .

عاش لبنان

٥ ـ ٣ ـ ١٩٨٠

★ ★ ★

يتفاخر بأمه

كانت أم الجلندح ـ والدة « أشعب » المشهور بطمعه ـ تدخل على علي بن أبي طالب ؟ وأينا أحب اليك ؟ » فقال شداد : « علي ـ كرم الله فطردها رسول الله .

قيل ان أشعب كان يوما في مجلس ، فتفاخر القوم ، فوثب أشعب وقال: « أنا ابن أم الجلندح ، انا ابن المحرشة بين أزواج النبي » . فقيل له « ويلك، أوبهذا يفتخر الناس ؟ » فقال : « وأي افتخار أعظم من هذا ؟ لو لم تكن أمي عندهن ثقة لما قبلن روايتها » .

مقتطفات صحافية

عقد الاستاذ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي مؤتمرا صحافيا هاما وذلك حينما كنا في العراق في ١٧/١٢/١٩٧٩ حضره العديد من الصحافيين عرب وأجانب وكانت أهم ردوده على الاسئلة بما يلي :

١ ـ العراق ضد التدخل العسكري بالمنطقة أيا كان نوعه •

٢ ـ العراق يريد من الدول الاوربية وخصوصا فرنسة الوقوف بعدل تجاه القضية العربية الفلسطينية بانصاف المعتدى عليه والضغط على المعتدي •

٣ ـ العراق رحب بفكرة الحوار العربي ـ الاوربي ولكن التفكير الاستعماري لم يزل موجودا في أوربا •

٤ ـ يجب أن نرفض أي تدخل أجنبي في الخليج ، فاذا كانت الدول العربية متحدة فلا شيء يؤثر عليها • لانها تحمي نفسها بنفسها •

٥ ـ بما أن السياسة والاقتصاد متلازمان فلا بد من تنظيم العلاقات بين النفط وغيره واستخدام سلاح النفط حين الضرورة ضد الصهيونية •

٦ ـ العراق لم يرفض الحوار مع ايران وهو لا يعتدي على ايران لانها دولة مسلمة ومجاورة ، وان عدم الانسجام بين المسؤولين الايرانيين يعرقل الوضع •

٧ ـ العراق سيبذل كل المساعي في اتجاه مساعدة لبنان على تخطي العقبات •

٨ ــ قمة بغــداد لعبت دورا كبيرا في مقاطعة نظــام السادات سياسيا واقتصاديــا •

٩ ــ نظرتنا الى الديمقراطية غير النظرة الليبرالية ، أما الشيوعيون فهم الذين اختاروا الخروج على الجبهة لوطنية ومناوئة الوطن •

وفي لقاء صحافي للرئيس صدام حسين في ١٩٨٠/١/٣١ مع الصحافيين العرب والاوربيين ، دعا الرئيس العراقي الصحافيين الاوربيين الذين شاركوا في مؤتمر الحوار العربي ــ الاوربي في بغــداد ؛ الى أن يروجوا للقضايــا العربية بمــا يجعل الاوربيين يشعرون بالذنب لخلقهم مشاكل التجزئــة في المنطقة العربية • وقال : « نحن معا في عالم مليء بالحيتان الكبيرة • وسنخدم الانسانية بمد جسور من التواصل الاقتصادي والثقافي والسياسي » •



هو أفضل ، وأنت ارجي

قال معاوية بن ابي سفيان لشداد ابن أوس : « يا شداد ، أنــا أفضل أم نساء النبي ، ثم صارت تنقل أحــاديث بعضهن الى بعض ، وتضــري بينهن ، وجهه ــ أقدم هجرة ، وأكثر مع رسول الله الى الخير مسابقة ، وأشجع منك قلبا ، وأسلم منك نفسا ، وأما الحب •• فقد مضى علي الى جوار ربه ، فأنت اليوم عند الناس أرجى » •

تعيين صادف محله

تعيين الاستاذ رضوان مولوي مديرا عاما لوزارة الاعلام صادف أهلــه ومحله لما يتمتع به الاستاذ مولوي من كفاءة ونزاهة ومحبـة ، لذلك نرجو أن يتعاون الوزير والمدير للوصول بهـذه الوزارة الهامة الى ما نصبو اليـه من منفعة للامة والوطن •



العيد الوطني للكويت

أقام سفير الكويت في لبنان الاستاذ عبد الحميد البعيجان حفلة استقبال في دار السفارة بمناسبة العيد الوطني لدولة الكويت حضرها حشد كبير من رجال السياسة والاعمال والصحافة الخ تأسف انا لـم نتمكن من الحضور ، فدولة الكويت ، حكومة وشعبا تستحق التهنئة بهذا العيد ، كما انها جديـرة بالثناء بشخص أميرها جابـر الاحمد وسفيرها في لبنان السيد عبد الحميـد البعيجان ومستشار السفارة الاستاذ يوسف البدر ، فموقف هـذه الدولة من القضايا العربية لا غبار عليه ، وهي لا تتلون ولا تميل يمينا وشمالا • نكـرر التهنئة وتتمنى للكويت حكومة وشعبا العزة والسؤدد والتقدم والازدهار •

حفلـة استقبال

أقامت سفارة العراق في لبنان حفلة تعارف في فندق الكارلتون توديعا للمستشار الصحفي في السفارة الاستاذ سيف الدين الدوري الذي نقل الـى العراق واستقبالا للاستاذ بدر عبد الله عداي الذي حل مكانه • ولا يسعنا الا أن نثني على الاستاذ سيف الدين لما كان يتمتع به من لطف ونشاط ولا بد أن الاستاذ عداي سيكون خير خلف لخير سلف •

صلاح الدين في الشعر العربي المعاصر

صدر مؤخرا كتاب (صلاح الدين الايوبي في الشعر العربـي المعاصر) وهو من تأليف الدكتور صالح جـواد الطعمة أستاذ اللغـة العربيـة والادب المقارن في جامعة انديانا الامريكية ورئيس رابطـة أساتذة اللغة العربيـة في أمريكا الشمالية ــ يقع الكتاب في ١٣٤ صفحة •

والدكتور صالح جواد الطعمـة أشهر من أن يعرف ، فهـو عالم أديب شـاعر •



كم لك من صديق ؟

قيل لبعض الفضلاء : « كم لك من صديق ؟ » قال : « لا أعلم ، لان الدنيا مقبلة علي ، والاموال موجودة لـدي ، وانما أعرف ذلـك لو زالت الدنيـا » •



العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

الاعداد ٥ ، ٦ ، ٧ ـ ايار وحزيران وتموز ـ المجلد ٦٨

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر

علم ، أدب ، فكر ، سياسة

٣٢٣	بيني وبين القارىء	نزار الزين
٣٢٤ ـ ٣٣١	خالد في مجامع الخالدين	الدكتور ابراهيم ديب
٣٣٢ ـ ٣٣٦	اخلاقنا	احمد عارف الزين

مواضيـع اسلاميـة

٣٣٧ ـ ٣٥٣	مشكلة الحكم على ضوء التاريخ الاسلامي	زهير مارديني
٣٥٤ ـ ٣٥٧	من اعلام الاسلام	صلاح الطفيلي

أبحاث علمية

٣٥٨ ـ ٣٦٧	قصة الحياة ـ ملايين الخلايا تتغذيات الجلد	الدكتور رغيد النحاس
٣٦٨ ـ ٣٧٤	نظرات في تاريخ اليهود في الاسلام	الدكتور حسين سليمان
٣٧٥ ـ ٣٨٥	المسار الوطني الديمقراطي لتراثنا الوطني اللبناني	منح الصلح
٣٨٦ ـ ٣٩٢	العمل قيمة ونظام	الدكتورة عبلة الكحلاوي
٣٩٣ ـ ٣٩٩	كمبيوتر الحروف العربية	السيد رضوان السيد رابح

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
٤٠٠ ـ ٤٠٤	مات بترونيتي	الدكتور محمد صادق

ادب الرحلات

٤٠٥ ـ ٤١٦	رحلة ابي دلف الخزرجي في ايران واسيا الوسطى	د. محمد عبد المنعم خفاجي

ابحاث فنية

٤١٧ ـ ٤٢٤	في مواكب النور	سمير شيخاني
٤٢٥ ـ ٤٢٧	رسوم ـ زينة الحياة	السيد علي ابراهيم
٤٢٨ ـ ٤٣٢	شعراء كربلاء المعاصرون	سلمان هادي الطعمة
٤٣٣ ـ ٤٥٢	القصة في الادب العربي	د. خوان اوبان

وداع الراحلين

٤٥٣ ـ ٤٥٤	محمد كامل شعيب العاملي	محمد حسين عباس
٤٥٥ ـ ٤٥٧	الشيخ عبد الكريم الحر في سطور	العرفان

شعر

٤٥٨ ـ ٤٥٩	اهنئي بالجنان	الدكتور ضياء الدين ابوالحب
٤٦٠ ـ ٤٦٢	القدس تحت المقصلة	عبد الجبار الخضير
٤٦٣ ـ ٤٦٤	الى روح ابي	جودت كاظم القزويني
٤٦٥	نجوم وليل	فاضل السيد مهدي

ابواب العرفان

٤٦٦ ـ ٤٩٦ مختارات الصحف ـ الصحة ـ اخبار المجتمع الخ.

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

يقضى على المرء في أيـام محنته   بأن يرى حسنا مـا ليس بالحسن

وهكذا قضي علينا في هذه النكبة العمياء .

انها حرب بشعة أو ثورة قذرة تجلى فيهـا صراع الدول عـلى مختلف أنواعها على هذه البقعـة الصغيرة الجميلة الستراتيجية لبنان عـدا ان بعض اللبنانيين فقـدوا عقولهم وضمائرهم فساروا مـع أعدائهم في هـذه الطريق الوعـرة ، التي أصابت أكثـر اللبنانيين فـي أموالهم وممتلكاتهم وأعمالهم وصحتهم ، وكنا ممن أصيب بها جميعا في الجولات الاربعة الاولى ، ثم فـي جولة تموز ١٩٧٨ الباقيـة للآن ، ولا ندري اذا كانت هـذه الحرب ستكون حرب البسوس أو حرب المئة سنة ، فنموت ولا نرى نهايتها .

وقد نال البعض حتى ممن لم يخسروا شيئا تعويضا قل أو كثر ، أما نحن الذين كانت خسارتنا جسيمة فلم نر شيئا ، ولم نحصل على درهم ؛ ذلـك لان في لبنان الامور معكوسة ، وجميع القضايا والاعمال غير مدروسة ، فاذا كنت مترفعا استحمروك ، واذا كنت بعيدا عن الشر استهبلوك ، واذا كنت كريمـا استباحوك ، ولذلك كانت مصيبتنا عامة من جميع الاطراف ، أو قل مصـاب العرفـان .

وهكذا اضطررنا أن تكون العرفان هذه السنة شبه فصلية يصدر منهـا في السنة أربعة أعداد ، وقد صدر للآن عددان مزدوجان عـن كانون الثاني وشباط وآذار ونيسان ، وهذا العدد عن أيار وحزيران وتموز ، ثم يصدر عدد في تشرين عن تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول . وفي أول السنـة القادمة ١٩٨١ اذا كان لبنان قد عاد الى طبيعته ، يجد القارىء ما يعجبه . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

خالد في مجتمع الخالدين

بقلم : الدكتور ابراهيم ديب

من أراد أن يعرف معدن الرجال الذين ينطبق عليهم قول أحمد شوقي :

تعلم مـا استطعت لعل جيلا سيأتي يحدث العجب العجابـا

•• ومن أراد أن يعرف حقيقة الرجال ـ الرجال ، فعليه أن يتعرف عـلى سيرة الاستاذ مصطفى مرعي •• أو على الاصح عليه أن يبحث بنفسه عن هذه السيرة ، لان الذين رسموا لهذه الامة مصيرها أغفلوا عن عمـد سير رجالها ، وأوقفوا الحديث في صحفهم على الرجال الذين يقدمون الى الامـة بمراسيم حكومية ، وصفات ماركسية •

ان هذا الرجل قال لا لأنور السادات ••

وقال لا لجمال عبد الناصر ••

وقال لا للملك فاروق ••

وترك في الدنيا العربية دويا •

وقبل أن نذكر لماذا قال مصطفى مرعي : (لا ••) لهؤلاء الثلاثة ، لا بد لنا من الاقتراب قليلا من ايمان الرجل بالمثل التي أوقف عليها حياته •

مصطفى مرعي لم يقع في الخطأ ، لانه عرف الخطأ !

لقد اختار ، وعن وعي ، طريق العذاب حـين عرف ان مكانه ليس مـع القطيع ، ولكن مع الحقيقة •• مع المستقبل •

وفي اختياره هذا دفع الثمن الذي كان لا بد أن يدفعه عن غيره .. ففي كل جيل من المثقفين تستطيع أن تجد دائما عددا قليلا من الذين يقبلون التضحية بكل شيء ، لكي يجيبوا عن السؤال المفزع :

كيف يجب علينا أن نعيش .. ونفكر ؟

السؤال .. والاجابة هامة .. والثمن فادح !

لقد عاش مصطفى مرعي أعوامه السبعين وضميره مستريح لانه قال ما يؤمن أنه حق ، ولانه رفض الانضمام الى القطيع .. فالاسماك الميتة فقط هي التي تسبح مع التيار .

ولانه لم يكن سمكا ميتا ..

ولانه لم يكن عقلا ميتا ..

قال لا للملك فاروق

وقال لا للرئيس جمال عبد الناصر

وقال لا لأنور السادات .

قال الرجل لا .. للثلاثة لانهم وجدوا في حرية الرأي خطرا مباشرا على عهودهم ، وترفا لا يريدونه بالنسبة لمواطنيهم ..

وفي العهود الثلاثة كان مصطفى مرعي يرى أن الحرية شجاعة عقلية .. وحينما تموت شجاعة المواطن في بيته .. فانها لن تولد فيه فجأة خارج بيته.. ان الانسان لا يستطيع أن يصبح شجاعا فجأة بمجرد سماعه قطعة من الموسيقى ..

انني أستطيع أن أعطيك قلبي .. سوف أصبح عاشقا .

أعطيك طعامي .. سوف أصبح جائعا .

أعطيك ثروتي .. سوف أصبح فقيرا .

أعطيك عمري .. سوف أصبح ذكرى .

ولكنني ــ أبدا أبدا ــ لا أستطيع ان أعطيك حريتي . ان حريتي هي دمائي ، هي عقلي ، هي تفكيري ، هي خبز حياتي . انني لو أعطيتك اياها .. فانني أصبح قطيعا .. حيوانا .. كمية مهملة .. شيئا بلا قيمة .. شيئا له ماض .. ولكن ليس أمامه مستقبل .. ان حريتي هي رأيي ، هي شجاعتي ، هي نبض الحياة في شراييني ..

لماذا قال لا للسادات ؟

لقد صبر مصطفى مرعي طويلا قبل أن يقول لا للسادات .

لقد عاش مصطفى مرعي تجربة العهد الملكي المريرة ، ثم عاش تجربة الرئيس جمال عبد الناصر القاسية ، وحين جاء السادات تعلق أمل الناس به وبدأ مصطفى مرعي تحت الحاح أصدقائه بكتابة المقالات في الاهرام ، والاخبار ، والمصور ، وروزاليوسف ..

طالب بعهد جديد للحرية وسيادة القانون ، وبرد الحرية الى الامة ، هذه الحرية التي افتقدتها سنوات وسنوات ..

لقد حدد مصطفى مرعي في مقالاته وأحاديثه الحرية التي يطالب بها :

الحرية في تكوين الاحزاب بغير قيود ، اذ كفى ما كان من تجارب لأنظمة فشلت وانه لعار أن تفرض الوصاية وهذه القيود على شعب أصيل عريق ..

حرية الصحافة بغير قيود .. والحرية هي الحرية في بساطة ويسر لا تحتاج الى تحديد وتعريف .. حرية تعديل الدستور بوضع دستور جديد ينص على اعتبار رئيس الجمهورية حكما فوق السلطات .. رمزا للدولة والضمان الذي يضمن في شخصه السير المنتظم للسلطات العامة واستمرارية الدولة والاستقلال الوطني والوحدة الوطنية واحترام الاتفاقيات الدولية واتساقا مع اعتبار رئيس الجمهورية حكما فوق السلطات وفوق التنظيمات

السياسية أيا كان شكلها يكون انتخابه بالاقتراع العـام المباشر حتـى يكون رئيس الجمهورية تعبيرا مباشرا عن ارادة الشعب صاحب السيادة ••

وفجأة ، اختفت مقالات مصطفى مرعي في الصحافة ، لقد حاول مصطفى أمين أن يقتطع من مقـال مصطفى مرعي فقرات بنـاء على الحـاح الرئيس السادات فرفض الرجل ، وقال لمصطفى أمـين بحضوري : (اسمع يا مصطفى اما ينشر مقالي كاملا واما يحذف كاملا ، ولكن اعلم أن الناس سيرددون حين لا يرون مقالي : لقد بدأ عهد طغيان السادات) •

وفعلا ، بدأ طغيان السادات ، ولكن مصطفى مرعي لم يدخل المعركة مع الداخلين من الوفديين والاخـوان المسلمين والمستقلين •• لقد تريث لعـل وعـى ••!

ولكن حـين رأى مصطفى مرعي العلـم الاسرائيلي يرفرف في سـماء القاهرة أحس بجـرح عميق ينزف في داخله ، وأدرك أن السادات لم يرفـع بيده علم اسرائيل في قاهرة المعـز الا بعـد أن بدأ البلـد يحترق ، ويمزقه الضياع ، ويتهدده الصراع •• وأدرك بعقله هذه المسرة ان الكارثة لن تتفادى الا بضمان وتأييد معاني الحريـة لكل الناس ، للصحافة ، للـرأي المعارض ، للاحزاب ، وان الشعب هو خير ضمان يفرض باختيـاره الطريق ، لا تفرض عليه الوصاية ولا يختار له الطريق ••

لقد أحزن الاحرار في العالـم العربي صمت مصطفى مرعي الطويـل ، وكلماته التي كان يطلقها ضد الحكام العرب لانهم تركوا مصر تداوي جراحها بوسائلها رغم التضحيات الضخمة التي قدمها الشعب المصري للنضال العربي ، وأحزنهم أيضا عودة مصطفى مرعي (الى مصريته) وهو الذي كان من بـين الذين قدموا مصر العربية للساحة الدولية ، ولكن هـذا الحزن سرعان مـا اختفى وحل محلـه البشر حين رأوا مصطفى مرعي يحمل مرضه معـه وأعباء السنين ، ويذهب الى نقابة المحامين في مصر ، معقل الاحرار ، ويلقي الخطاب

الداوي ضد (تطبيع العلاقات مع اسرائيل) وضد (قانون العيب) المقيد للحريات • ومن المفارقات أن الرئيس السادات الذي يعلم حقيقة العلم مكانة مصطفى مرعي ، وعلم مصطفى مرعي ، ووطنية مصطفى مرعي ، لم يلجأ الى محاربة الرجل بالمنطق ، بل عمد الى أسلوب (البلطجية) الذين يستأجرون عادة لضرب المدعوين ، فأرسل الى نقابة المحامين (بلطجية) حزبه الوطني الديمقراطي لافساد ندوة التطبيع التي كان يتحدث فيها القانوني الكبير مصطفى مرعي ••

حاول (البلطجية) احتلال المنصة ومقاطعة المتحدث بعد اشارة من (فكري مكرم عبيد) أمين (البلطجية) الا أن مصطفى مرعي تمكن بشخصيته من السيطرة على الموقف ، وأشار الى ضغوط رسمية مورست عليه للاعتذار عن المشاركة في الندوة •

صحيح ان مصطفى مرعي قد تأخر لكي يقول كلمته في سياسة السادات ، وعهد السادات ، ولكنه حين قالها جاءت فاصلة ، وأزالت الغشاوة عن عيون المخدوعين من المصريين بسلامة نوايا السادات تجاه الشعب المصري ••

قال لا لفاروق !

ولكن من هو مصطفى مرعي الذي يملك الجرأة والقوة على أن يقول لا للسادات الذي يحكم مصر بأشباه الرجال ؟

في عام ١٩٧٣ حضرت الندوة التي أقامها (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة لتقديم العضو الجديد الاستاذ مصطفى مرعي ، وكان المرحوم الاستاذ عزيز أباظة قد أعد كلمة في هذه المناسبة سجلت بعض فقراتها في مفكرتي الخاصة أقتطف منها ما يلي :

يقول عزيز أباظة باشا وهو يقدم مصطفى مرعي لمجمع الخالدين :

(•• عرفتك وزيرا من الوزراء الذين لا يشدهم كرسي الوزارة الى أسفل ، ولم تكن من الوزراء الذين هم أشبه الناس بالسكرتارين ، وأكثر من الكثر من هم • بل كنت وزيرا عرف قدر نفسه ، وقدر مسؤوليته ، فكنت تقول (لا) مجلجلة حين يقتضيك ضميرك أن تقول (لا) • وكنت تقول (نعم) حين يقتضيك ضميرك أن تقول (نعم) • غير آبه بملك قائم ، وقصر حاكم ، وتهديد جاثم •

ولم تكن وزيرا يكتفي في كبرى مصالح الدولة بما يعرض عليه • بل كنت وزيرا تقرر ما يجب أن يعرض عليه وكنت في مجلس الوزراء محركا : دافعا عند ثبوت المنهج الصالح ، كما كنت قابضا مانعا عند تلامح الهدف الواضح • وكنت نورا لمن يريد أن يستنير • وكنت كفيلا لمن يعمل منهم ، فاذا اتجاه اللوم نسب اليك التوجيه والتدبير •

وكنت وزيرا متعبا ، بل ثائرا ، حين ضاقت بوجهك السبل لاصلاح الفساد الذي استشرى بهذه البلاد ، في أواخر العهد الملكي ، تحدثت وناقشت ثم شكوت ثم نفذت • ثم خرجت من النقد الى لوم عاصفه ، وتجريح قاصف• وحين انست ان الطريق أمام آرائك مسدود ؛ وان الوزارة التي أنت عضو فيها تخاذلت عن هدفك المنشود وتولدت بين أعاصير الوعيد ودفاع الوعود، حين انست ذلك ألقيت باستقالة لم يعرف تاريخ الاستقالات لها مثيلا • قلت فيها بأسلوبك الرائع القائم على اخلاص ذي غور عميق ، واقتناع ذي بأس وثيق ، قلت مخاطبا رئيس الحكومة :

تحية ، وبعد ، فانك تعلم كما يعلم غيرك ، انني انما اشتركت في حكومتك على أمل فيك ، ان لك غاية هي جمع الكلمة ؛ وضم الصفوف ، وان لك هدفا ، هو الاستعانة بالقوى المؤتلفة على مواجهة الخطر من مشاكلنا الخارجية والداخلية • وقد تبين لي انك لا تتغيا هذه الغاية ، ولا تتوسل بوسائلها •• بل انك لتبدو كما لو كنت مسلطا لتجعل من كل حزب حزبين ، وكل فرقة فرقتين •

وقد رأيتك بنفسي ترى الرأي للحق وتنقضه للباطل ، وتقول الكلمة وتنكرها ، ولم يقع ذلك مرة واحدة في تافه الامر ، بل وقع مرارا وفي الخطير من شؤون الدولة .

أما لفظك : وأما عبارتك ، وأما أسلوبك في ادارة مناقشات مجلس الوزراء فقد أصبح هذا كله مضرب الامثال ، وموضع التندر في كل مكان .

لهذا أحيطك علما باعتزالي العمل في الوزارة ، والله المسؤول أن يدفع عن بلادنا السوء ، وأن يقيها غوائل الفساد .

ثم يمضي عزيز أباظة باشا قائلا :

وداولت أيها الزميل بين مقالاتك في الصحف ومواقفك في مجلس الشيوخ ، تلك المواقف التي توجت باستجوابك عن مأساة الاسلحة الفاسدة ، مما أدى الى اخراجك من مجلس الشيوخ مع تسعة من اخوانك فكانت جريمة دستورية طاغية ، هبطت بالعهد الى الهاوية ، وسهلت على السائلين مهمة انهائه ، والاجهاز على أشلائه .

ثم قال عزيز أباظة باشا في نهاية تقديمه :

أيها الخالدون :

ان مصطفى مرعي لا يعرف أن يقول لمبطل آمين ، ولو كلفه ذلك قطع الوتين .

انه لا يعرف أن يقول الا اذا تلاحمت في نفسه أواصر اليقين .

انه لا يعرف للرجل وجهين ، ولا للحق ميزانين ، ولا للكرامة صورتين ، ولا لقيمة الانسان معيارين . وانه من القلائل الذين لا يعرفون للمال قدرا عند الخدمة العامة ، فهي عنده قيمة وخلق وضمير . انه لا يعرف أن يقبل قضية لم يقتنع بها ، فهو يطرد المال الساعي اليه من هذا السبيل ، بل ليخال هذا النوع من الجزاء أفاعي تسعى لا مالا يساق ، وهو لا يعرف أن يحتج

بغير الصدق ، جل عنده الكلام أن يكون صنعة ، وتنزه ان يكون تكلفـا ، فهو حين يقول يجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين الصدق والاصالة .

ورجل القانون عنده لا بد أن يجمع بين الادب الرفيـع والعلم العميق ، وهو من الذين يؤمنون أن رجـلا لا يحسن أن يقول ، لا يحسن أن يكـون شيئا في أي شيء .

ان المقاييس التي يقاس بها (مصطفى) تتعدد تعدد جوانب النبوغ فيه، وهيهات لهذه أو تلك وهيهات أن يلم بها حديث مهما يطل هذا الحديث .

أيهـا الخالدون :

لقد أضفيتم عليه بالغ التقدير والتوقير ، وآيـة ذلك انكم لـم تقفوه كعادتكم عند بابكم ، وطال ما وقفتموني وغيري دورات ودورات عند بابكم ، ولكنكم عند أول دقة دقها عارفو فضله ، فتحتم له مصاريـع محرابكم وكنتم أعزكم الله عند دعوتنا الجواب . صيغ في بالغ التأهيل وخالص الترحاب .

هذا هو مصطفى مرعي الذي قال لا لفاروق ..

ثم قال لا للرئيس جمال عبد الناصر في بداية الثورة حين اختارته هـذه الثورة وزيرا ، لقد قال لأعضاء مجلس الثورة أنـا لا أقبل الحكم في ظـل حرابكم .. فمكان العسكريين الحدود ، ومكان السياسيين مقاعد الحكم .. وحين اختاره جمال عبد الناصر وزيرا في أول وزارة شكلها اعتذر وقال :

الحرية أولا ، وبعدها كل شيء يبحث .

وحين وقعت مذبحة القضاء شمر عن ساعديه وخاض معركته الكبرى ، ويا لها من معركة ما تزال تدرس في معاهد الحقوق ..

وها هو الآن يقول (لا) للسادات دون أن يمشي .. بل قالها في نقابـة المحامين وعلى مسمع من الحاكم ..

* * *

أخلاقنا

بقلم : مؤسس العرفان

الاخلاق جمع خلق والخلق طبيعة في الانسان تكتسب من التربية والعادة إذ (لكل امرىء من دهره ما تعودا) فان اعتاد الاتصاف بالاخلاق الحسنة كانت له عادة وان اعتاد ضدها كانت له عادة أيضا • ومن هنا يتبين لكم سر التربية وفضل الابوين والاساتذة وتأثير الشرائع في مجموع الاخلاق البشرية • ولنبحث الآن في أخلاقنا ليظهر الداء حيث يسهل وصف الدواء لان معرفة الشيء فرع تصوره فنقول :

يطرأ على لساني بلبال وتعتريني قشعريرة كلما ذكرت اخلاقنا التي هي سبب انحطاطنا ، وعلة بؤسنا وشقائنا ، أجل اذا نحن غالطنا أنفسنا ونسبنا اليها الاخلاق الفاضلة تكذبنا شواهد الامتحان ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان •

ماذا يرى أحدنا في مسائه وصباحه ، وغدوه ورواحه ، يرى ما يستثير الشجون ، ويسيل الدمع الهتون ، ونحن نتكلم الآن عما نراه في بلدتنا هذه ثم نسترسل في الكلام على بقية البلدان استرسالا لان صاحب البيت يجب عليه اصلاح بيته أولا ثم اصلاح بيوت جيرانه واخوانه وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) انزل من بيتك صباحا تجد في طريقك أولاد الازقة يتفوهون بألفاظ يحمر منها وجه الانسانية يرمي بعضهم بعضا في الاحجار وقد يصيبون بها المارة أحيانا ثم اذهب الى السوق لمشترى حاجيات بيتك تجد هذا يشتم ذاك وذاك يشتم هذا •

ساوم البائع على ما تريد شراءه تره يتلون تلون الحرباء وقد يبلغ الطمع ببعضهم الى تنقيص المكيال والميزان فيكون ممن توعدهم الله سبحانه بقوله : (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو

وزنوهم يخسرون) ثم عد بعد ذلك الى حانوتك أو مكتبك وراقب حركات من نسميهم وجهاء ، سراة ـ أعيان ـ أشراف ، وسكناتهم تجدهم يغدون ويروحون ، ويمشون في مناكب الارض ولها يذرعون ، فتتنسم بادىء بدء في غدواتهم وروحاتهم خيرا ثم لا تلبث متى استنفضت أخبارهم ، واكتشفت أسرارهم ، أن تعود بخفي حنين لانك تعلم انهم في طريق الشر يغدون ويروحون ولبذور الفساد يزرعون ، فهم لعمر أبيك (صغار في الذهاب وفي الاياب) •

ثم اعطف النظر على أكثر علمائنا الذين هم هداة الامة وحملة الشريعة ومنهم يطلب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تراهم يعملون لمنفعة أنفسهم ولا يهمهم موت أمتهم أو حياتها • ومنهم فريق جامد صامت ، وساكن ساكت ، لا ينفع ولا يضر فنقول لهؤلاء كما قال الشاعر :

اذا كنت لا مال لديك تفيدنا   ولا أنت ذو دين فيرجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة   عملنا مثالا مثل شخصك من طين

واما حكامنا فهم منا ونحن منهم ، كما تكونون يولى عليكم •

هذه حالة قادة الدين والدنيا وهي ما تسمعون وتبصرون بعيني رأسكم فما بالك بالسواد الاعظم وهم ينعقون مع كل ناعق ؟ ما بالك بالحمالين والنوتية والحوذية وغيرهم من اوزاع الناس فهم لا يعرفون غير السفاهة والنذالة أقول هذا ولا شك انه قد يوجد بين كل طبقة من هذه الطبقات الشاذ النادر الذي تمسك بعرى الفضيلة ، وابتعد عن أدناس الرذيلة ، لكن الشاذ لا يقاس عليه وانما يكون الحكم على الاعم الاغلب •

هذه أخلاقنا ونحن في معترك الاعمال (وما أقل العاملين عندنا) فما هي أخلاقنا ؟ حينما نأوي الى منازلنا لنفرج بها همومنا التي تحدق بنا من كل جانب وتلسعنا لسع الافاعي والعقارب ، نحن اذا اوينا الى منزلنا لا نجد من نسائنا الا اهتماما بالازياء والزينة فلهذا تجد بيوتنا مأوى الشقاء ، وملجأ

التعب والعناء ، فلا امرأة مهذبة ولا أولاد مهذبون أمـا الترتيب والنظـام ، فعليهما السلام ؛ فكل منا يستجير من الرمضاء بالنار ، وانا لا ألقي التبعة على النساء فحسب لانهن ترين كما ريناهن والمرأة كما وصفها أديب اسحق بقوله:

انمـا المـرأة مـرآة بهـا كل ما تنظره منـك ولـك
فهي شـيطان اذا أفسدتهـا واذا أصلحتهـا فهـي ملـك

ومن المبكي أنك تجد أغلب الرجال ينزلون نساءهم منزلة الآلة الصمـاء والبهيمة العجماء فيضربونهن لأقـل بادرة ويطردونهن أو يطلقونهن لجـرم أو شبه جرم • فيا للخجل ويا للعار !!!

سرح النظر في مجالسنا وقهواتنا ومجتمعاتنا تر في تلـك سوق الكذب والزور رائجة ، وفي هذه سلعة الميسر نافذة وفي الاخـيرة سماسرة الفساد والنفاق والاغتياب والفحش قائمة قاعدة فأي اصلاح يرجى وأي خير يؤمن ؟ اذا كانت أخلاقنا ما تسمعون وتبصرون •

كن أيها السامع متدينا أو غير متدين • أما اذا كنت متدينا فلا أطلب منك الا اتباع ما يأمرك به دينك واجتناب ما ينهاك عنه لا ما يأمرك به حملة العمائم والقلانس فانهم كما قال الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده :

ولكن دينا قد أردت اصلاحه احاذر ان تقضي عليـه العمائم
ولو كان مسيحيا لقال (القلانس) •

ان كنت أيها المتدين مسيحيا فاتبع أقـوال السيد المسيح عليـه السلام فانه يقول (باركوا لاعنيكم) ويقول (اذا ضربك خصمك عـلى الخد الأيمن فأدر له الخد الايسر) ومن هنا تعلمون تلك الاخلاق العالية ، والنصائح الغالية وان كنت مسلما فاتبع نبيك وخلفاءه الراشدين ومن اهتدى بهديهم فان اللـه سبحانه قال لنبيه (وانك لعلى خلق عظيم) ولو كان ثمة صفة أعلى من مكارم الاخلاق لوصفه بها وقال له (ادفع بالتي هي أحسن السيئة فـاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقال (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من

حولك) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل ارتعش حين تمثل بين يديه (هون عليك فاني لست بملك وانما أنا ابن امـرأة كانت تأكل القديد) وقال ابو بكر رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم وهو ما تعملون من الفضل والدرايه وقال عمر رضي الله عنه من رأى فيَّ اعوجاجا فليقومه ولمـا نهى عن المغالاة في مهور النساء تلت له احدى النساء الآية الكريمة (وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) فقال مـا معناه ألا فاعجبوا خليفة أخطأ وامـرأة أصابت ولما تمثل الامام علي عليه السلام أمام القاضي شريح لدعوى بينه وبين رجل يهودي قال له القاضي : وخصمك يا ابا الحسن فغضب الامـام فتوهم أن غضبه ناشيء عن مساواة خصمه فقال كلا وانما غضبت لكونك كنيتني ولم تكنه والكنية تشعر بالرفعة ، ولما طلب منه أخوه عقيل زيادة على المرتب له من بيت المال أحمى حديدة في النار ورماهـا اليه فتوهم أنها بدرة لانـه كفيف البصر ولما أصابت يده أنَّ وتوجع فقال له (أتئن مـن حديدة أحماها انسان للعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه) ولما افتتح المسلمون بلاد فارس فكر الفرس بكيد الاسلام بمكيدة عجيبة وهي انهم أرسلوا الاطعمة الفاخـرة مع أجمـل نسائهم ليبتاعها منهن المسلمون فيفتتنوا بالنساء ويلهـوا بهن عن الحـروب •

فكان المسلم يكلم المـرأة مطرقا رأسه فخـاب سعيهم ، ورد كيدهم في نحرهم وما ذلك الا لاتصافهم بتلك الاخلاق الفاضلة التي افتتحوا بها الممالك ومصروا الامصار وامتلكوا ناصية الامم •

هذه أخلاق سلفكم وأئمتكم وهذه أخلاقكم فهل ترون بينهمـا شبها أو بعض شبه ؟ واسمحوا لي أن أقول لكم ان الذي لا يتبع قول السيد المسيح عليه السلام ليس بمسيحي والـذي لا يتبع قول النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم ليس بمسلم فما أكثر الادعياء والمنتحلين في العالم بل أزيـد على قولي هذا ان أغلب رؤساء الدين ومن ينتسبون اليه ويتظاهرون بخدمته هم تجار لانا لو نظرنا الى حياة المسيح عليه السلام لوجدناها حيـاة رجل بائس لا يملـك شروى نقير فهو يواسي الفقراء ببؤسهم وشقائهم يلبس ثوب الشعر ويأكل من

نبات الارض ولو نظرنـا الى حياة خاتـم الرسل محمد عليـه أفضل السلام لوجدنا أنه كان يلبس ما تيسر من اللباس ويأكل مـا حضر من الطعـام وكان أكثر ادامه الخل والملح وأما الخلفاء الراشدون فكانوا يلبسون الشعر الخشن ويأكلون خبز الشعر حتى روي عن الامـام عليه السلام أنه كان يستعين عـلى كسر رغيفه بركبته مع مبلغه من القوة والشجاعة •

هكذا كان السلف وهكـذا كان امراؤنا وعظماؤنا الى أن تولى الملـك معاوية ابن أبي سفيان رأس الدولة الأموية فأوقع الامـة الاسلاميه لبذخه في ورطة لا تكاد تقوى على التخلص منها حتى يومنا هذا على أنه لم تخل تلـك الازمنة كما لم تخل الازمنـة الحاضرة من علمـاء عاملين وصلحاء زاهدين لا تأخذهم في الحق لومة لائم ولا يثنيهم عن المجاهرة به عسف ظلوم غاشم لكن بربك ما حال ثلـة من الامراء والعلماء اليـوم وما أدراك مـا اليوم يركبون العربات الفاخرة التي تجرها الخيل المطهمة يلبسون أحسن الملابس وأفخرها ، يأكلون الاطعمة المؤنقة ، ويشربون الاشربة المعتقة ، ولا يقنـع أحدهم بشكل من الطعام أو شكلين فعلى موائدهم الاشكال والالوان والفقير يتضور جوعا ولا يملك بلغة من العيش •

بقي الكلام على غير المتدين فهـو ان كان ذا حذق ومروءة ونفس كبيرة يأنف من فساد الاخلاق ومرذول العادات والا فهو ليس من الانسانيـة بشيء والانسانية ليست منـه •

بقي علينا البحث في أخـلاق الغربيين ومن حـذا حذوهم من الشرقيين كأمة اليابان النشيطة ومقايسة ذلك بأخلاقنا ليكون لنا منهم عظة بالغـة ولان كثيرين من المتفرجين يتعبـدون بأقوالهم ويقتدون بأفعالهم ، بيـد أن هؤلاء المقلدين كالغربان لا يهتدون الا الـى الجيف فهم يأخذون الضـار ويطرحون النافع يأكلون السم ويلفظون الدسم •

البقية في العدد القادم

مُشكلة الحكم على ضوء التاريخ الإسلامي

بقلم : زهير مارديني

قال له صاحبه وهو يحاوره :

ـ ألم تلاحظ اهتمام الكتّاب الاجانب ، من كل جنس ولون ، بالحديث عن الاسلام وتاريخه ، وكأن هـذا الدين الحنيف لـم يمض على قيامـه ١٤٠٠ سـنة ؟

ـ وكيف لا ألاحظ ، وكبريات الصحف العالمية تبدي اهتمامها بكل مـا هو مسلم ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا !!

صحيح ان معظـم الكتّاب يفترون على هـذا الدين ، ولكن الصحيح أيضا ان مجرد اهتمامهم به في هذه الحقبة من الزمن ، معنـاه قلقهم من ظهور هذا التيار الاسلامي ، وخوفهم من أن يشكل هذا التيار نهضة جديدة تعيـد الماضي الاسلامي الى الحاضر !

هذا الحوار الذي أشرنا اليـه يحتل الآن المكـان البـارز في أحاديث المثقفين العرب والمسلمين ، فأينما توجهت تطالعك الكتب والمجلات والصحف التي تتحدث عن الاسلام وقرآنه وسنته .

ان هذا الواقع الجديد يفرض على كل كاتب أن يقتحم الميدان ، لا ليشرح ويبسط ما يتناوله الكتاب الاجانب فقـط ، بل ليقتحم ميـدان : (مشكلة الحكم على ضوء التاريخ الاسلامي) .

مشكلة الحكم

مشكلة الحكم مشكلة أزلية ابتدأت منذ ابتداء الاجتماع البشري ، ولا أحسبها تنتهي الا بانتهاء حياة البشر على الارض •

ولقد شغل بها سقراط والقدماء ، وشغل بها المحدثون ، وما زال الفلاسفة والعلماء وأصحاب المذاهب يبحثون فيها ويختلفون •• الا أن كثرتهم مجمعة على أن الحكم ضروري وأنه لا بد للناس من دولة وسلطان •

يقول أرسطو : (الانسان حيوان سياسي) •

ويقول ابن خلدون :

(الانسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع ••• ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر ••• وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم) ••

ما شذ عن ذلك الا فئة من المفكرين من أصحاب المذهب اللاحكومي أو (الفوضوي) ، مع العلم ان هؤلاء لا يقصدون الى الفوضى في الاجتماع وانما يتوخون النظام الاجتماعي العادل بدون حكم وازع وسلطان قاهر • وقريب منهم موقف (كارل ماركس) حين يتطلع الى يوم تلغى فيه الدولة ؛ لان الدولة في نظره وسيلة من وسائل (الرأسمالية) ، وآلة في حرب الطبقات ، ولن تكون في مجتمع ليس فيه طبقات •

ماذا يقول فقهاء الاسلام

أما الفقهاء والمتكلمون فيذهبون الى وجوب نصب الامام •

طائفة تقول :

(قد وجب نصب الامام شرعا) ••

وطائفة أخرى ترى ان (قد وجب ذلك بالعقل) ، لا يخالفهم الا فريق من المعتزلة وبعض الخوارج ، أكتفي باقتباس (الاصم) منهم :

(اذا تواطأت الامة على العدل وتنفيذ أحكام الله لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه) •

وعندنا ان الطبيعة البشرية ما دامت في حاجة ماسة الى حكم وازع وسلطان •• فهي في الستة آلاف سنة الاخيرة التي تعاقبت فيها المدنيات لم تتغير تغييرا أساسيا ذا خطر • وما لم يحدث انقلاب في الطبيعة البشرية فان امكانية الخير والشر في كل مجتمع على ظهر الارض ستولد مع كل طفل جديد وسيجد القيصر عملا له ـ والقيصر عبارة عن مؤسسات الدولة التي تعتمد في التحليل النهائي على القوة ـ •

وسواء أكانت الدولة مؤسسة طبيعية فاضلة كما رأى فلاسفة اليونان ، أم كانت الحكومة شرا لا بد منه كما رأى المفكرون الثائرون في القرن الثامن عشر ، فنحن مضطرون الى البحث عن نوع الحكم الذي يلائم طبائع البشر •

كيف يساس العرب ؟

كيف يساس الناس ؟

هذه هي المشكلة الانسانية الكبرى •

هل هناك لون من الحكم يصلح لجميع الناس أم ان أمر الحكم نسبي ينظر فيه الى الزمان والمكان والظروف وأخلاق الامم ؟

واذا كان الامر كذلك فكيف يساس العرب ؟

هنا لا بد لنا من الرجوع الى التاريخ العربي علنا نجد أضواء تلقى على مشكلة الحكم وتنير بين أيدينا الطريق • فقد عرف العرب في زماننا هذا حكومة الفرد في اليمن ، والنظام الملكي النيابي في مصر والعراق ، والحكم الجمهوري في سورية ولبنان ، ولم يطمئنوا الى شكل من أشكال الحكم •

وان أكثر الدول العربية اصطنعت النظام النيابي وتعثرت به لانها أخذت الآلة والاداة ولم تأخذ الفلسفة والافكار والآداب التي تحرك تلك الآلة وتدفع فيها الحياة • مع انها لم تمهد للنظام تمهيدا طبيعيا ولم تحاول أن تربطه بشيء من تاريخنا ، ولا وصلته بنظام من الشورى قديم عرفه العرب في صدر الاسلام •••

العودة الى الجذور

وعندي انه يجب أن يزداد اهتمامنا بتلك الحقبة الفذة من التاريخ ــ أعني حكم الخلفاء الراشدين •

هناك طريقتان لدراستها :

أولا ، يمكن ان ندرسها فلسفيا من خلال نظريات الاصوليين والفقهاء وأهل الكلام ، ويمكن ثانيا ، أن ندرسها تاريخيا بالرجوع الى وقائع التاريخ ثم استخراج نظرية ذلك النظام •

١ ــ ان العلماء في الدولة العباسية تناولوا مسألة الخلافة وأدخلوها ضمن مباحث العقائد الدينية • أي انهم عالجوا الموضوع على صعيد ديني فقهي ، ونحن ننظر الى الموضوع من زاوية العلم السياسي المدني •

٢ ــ لم يميز أولئك العلماء تمييزا دقيقا أساسيا بين الخلافة على عهد أبي بكر وعمر وبين خلافة معاوية أو خلافة أبي العباس • فقالوا :

تكون الخلافة اما بالاختيار ، أو بالعهد ، أو بالقوة والغلبة • ونظموا ذلك كله في نظرية سياسية واحدة كأن لا فرق في السياسة والاخلاق أن يستمد الخليفة سلطانه من بيعة أولي الامر أو بعهد من خليفة سابق أو بحد السيف •

٣ ــ ولقد كتبوا في ظل الدولة العباسية ، أي في ظل حكم مطلق ، فلم يكونوا أحرارا في مناقشة نظام الحكم ووضع فلسفة له والتماس النظام

الامثل ، وانما أرادوا أن يبرروا الواقع ويحثوا على طاعة السلطان مهما كان السلطان • ولقد أسرفوا على أنفسهم في ذلك ، فقالت طائفة منهم تنعقد الامامة اذا بايع خمسة أو ستة من أهل الحل والعقد ، وقالت طائفة من علماء الكوفة تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكما وشاهدين ، وقالت طائفة تنعقد بواحد لان العباس قال لعلي :

(امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليه اثنان) •

وقالوا بوجوب طاعة الامام وان الخروج على الائمة وقتالهم حرام ، وان الامام لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ، واستشهدوا بالآية الكريمة :

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ، ونسوا أو تناسوا آية أخرى : (لا ينال عهدي الظالمين) هذا عند السنة أما عند الشيعة فلايسأل الامام عما يفعل لانهم يعتقدون بعصمته ، وحصروا هذه العصمة بالائمة الاثني عشر !!

أما الخوارج فمن أصولهم الخروج على السلطان الجائر ، ولكنهم قلة قليلة في الاسلام ، وهم انما يستحلون عزل الامام أو قتله (اذا قضت الضرورة بذلك) على حد تعبير المسعودي •

العلوم السياسية عند العرب

لذلك كانت العلوم السياسية في بدايتها عند العرب •

ولولا الصفحات الاولى من الاحكام السلطانية للماوردي و (المدينة الفاضلة) للفارابي ، ولولا خطرات وآراء ساقها بعض الاصوليين والفقهاء وأهل الكلام لما عثرنا على شيء له قيمة في الفلسفة السياسية عند العرب • ولعل مقدمة ابن خلدون هي الكتاب الاوضح حول هذا الموضوع •

فلنخترق اذن تلك النظريات والحجب ولنرق الى تلك التجربة الفــذة نفسها ، الى وقائع الحكم في صدر الاسلام ٠

اول تجربة من نوعها في العالم

عندما قبض الرسول وجد المسلمون أنفسهم أمام مشكلة خطيرة ووضع جديد ليس له سابقة ٠ كان الرسول المرجع الاعلى في شؤون الدين والدنيا جميعا ، وكانت سلطته قائمة على عقيدة الناس ان أحكامــه تصدر عن وحي الله وأمره ، فلما قبض انقطع الوحي (خبر السـماء) وتطلع المسلمون فلـم يجدوا في القرآن نصا صريحا على شكل الحكم ولا نظاما مقررا لاختيــار الخليفة ، ونظروا في السنة فلم يجدوا شيئا من ذلك ٠

والواقع ان القرآن الكريم جاء بقواعد كلية عامة :

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامــر منكم) ، (شاورهم في الامر) ، (وأمرهم شورى بينهم) ، لم يضع نظاما مفصلا ٠

فمن هم أولو الامر ؟

وكيف يعينون ؟

ومن الذي يستشير بعد الرسول ومن له أن يشير ؟

يقول الخضري :

(لم يرد في الكتاب أمــر صريح بشكل الانتخاب الا تلك القواعــد العامة ، وكذلك لــم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفــة كأن الشريعة أرادت أن تكل هذا الامر للمسلمين حتى يحلــوه بأنفسهم ولو لم يكن الامر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيــام) ٠

الحكمة في ترك الامر على هذا النحو

والنبي لم يرسم بسنته نظاما معينا للحكم ، ولم يستخلف على المسلمين أحدا من أصحابه بعهد مكتوب أو غير مكتوب • وربما كان لله في ذلك حكمة • و (حكمته) ، على رأي (هيكل) ، (ألا يظن الناس أن من استخلفه رسول الله قد استمد الامر على المسلمين من عند الله ، فأصبح خليفة الله) •

وهكذا ترك الامر للسنن الطبيعية والتطور التاريخي والاجتهاد ، وترك الامر للمسلمين أنفسهم يعالجونه بعبقريتهم الخاصة في حدود القواعد العامة التي وضعها القرآن والسنة •

وعندما اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول كان عليهم أن لا يؤلفوا حكومة فحسب ، وانما أن يضعوا دستورا وقواعد لتأليف الحكومة ••

كان عليهم أن يقرروا قبل اختيار الخليفة فيمن تكون الخلافة ، ومن الذي يختار ، أي كان عليهم أن يلعبوا دور (جمعية تأسيسية) •

ويبدو أن الاجتماع حصل ارتجالا ، عقده الانصار لمبايعة سعد بن عبادة سيد الخزرج فبلغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، وجرت مناقشة دستورية سياسية خطيرة تقررت فيها المبادىء الاولى لنظام الحكم ••

فماذا قال الرواة الثقاة عن تلك المناقشة الدستورية ؟

اول جمعية تاسيسية في الاسلام

سعد بن عبادة : يا معشر الانصار ، ان لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ••• ان رسول الله لبث في قومه بضع

عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن بـه من قومه الا قليل ، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله ولا يدافعوا عن أنفسهم حتـى أراد الله لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة ودانت بأسيافكم له العرب • وتوفاه الله وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهـذا الامر فانكم أحـق الناس بـه •

فأجابوه جميعا ان قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعـدوا ما رأيت توليتك هذا الامر ••

أبو بكر : نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأكرمهم احسابا وأمسهم برسول الله رحما ، وأنتم اخواننا في الاسلام وشركاؤنا في الدين ، نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا • فنحن الامراء وأنتم الوزراء • لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش • فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به فقد قال : (الائمة من قريش) •

الانصار : والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم ، ولكننا نشفق مما بعد اليوم فلو جعلتم رجلا منا ورجلا منكم بايعنـا ورضينا على أنه اذا هلك اخترنا آخر من الانصار فاذا هلك اخترنا آخـر من المهاجرين أبدا مـا بقيت هذه الامة ، كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد •

أبو بكر : ان اللـه تعالى بعث محمدا رسولا الى خلقه وشهيدا عـلى أمته ليعبدوا الله ويوحدوه فعظم على العرب أن يتركوا ديـن آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين بتصديقه فهم أول من عبد الله في الارض وأول من آمن بالله ورسوله وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالامر من بعده • وأنتم يا معشر الانصار ، من لا ينكر فضلهم ولا النعمـة العظيمة لهم فـي الاسلام ، رضيكم اللـه تعالى أنصارا لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعـد المهاجرين الاولين أحد عندنا بمنزلتكم ، فنحن الامراء وأنتـم الـوزراء •

الحباب بن المنذر : يا معشر الانصار املكوا عليكم أيديكم فانما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجترىء مجترىء على خلافكم . أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والنجدة وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم ، والله ما عبدوا الله علانية الا في بلادكم ولا جمعت الصلاة الا في مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم ، فأنتم أعظم الناس نصيبا في هذا الامر ، وان أبى القوم فمنا أمير ومنهم أمير ..

عمر : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد . انه والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته ؟

الحباب بن المنذر : يا معشر الانصار ، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ما سألتم فاجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الامر .

أبو عبيدة : يا معشر الانصار ، أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من بدل وغير ..

بشير بن سعد : (من سادات الخزرج لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد) :

ـ يا معشر الانصار ، ان محمدا رسول الله رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه ، وايم الله ألا يراني الله أنازعهم هذا الامر أبدا ، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم .

ثم قام أبو بكر ودعا الانصار الى الجماعة فقال :

اني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر :

ـ أنت أحق بهذا الامر وأقدمنا صحبة لرسول الله ، وأنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين اذ هما في الغار ، وخليفته في الصلاة • أبسط يدك أبايعك • فبايعه وبايعه بشير الانصاري فناداه الحباب ابن المنذر : ما اضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة ؟ قال : لا والله ولكن كرهت ان أنازع قوما حقا لهم • فلما رأت الاوس ما صنع بشير بن سعد وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض : لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم فضيلة ولا جعلوا لكم نصيبا فيها أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فبايعوه ••

غياب فريق من اكابر المهاجرين

ومما يستدعي الانتباه غياب فريق من أكابر المهاجرين ، فلم يشهد اجتماع السقيفة علي والعباس والزبير وعثمان • والذي يفهم من رواية (ابن قتيبة) ان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير ، واجتمعت بنو أمية الى عثمان ، واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف ، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وابو عبيدة قال لهم عمر :

ـ ما لي أراكم مجتمعين حلقا شتى ؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الانصار •

فقام عثمان بن عفان ومعه عدد من بني أمية فبايعوه •• وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا ••

أما علي فيروى أنه قال : أنا أحق بهذا الامر منكم • أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ، أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار ، نحن أولى برسول الله حيا وميتا ••

وفي رواية الطبري انه لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر وقال :

(ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول اللـه وثاني اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوا) .. فبايـع الناس البيعة العامة بعد بيعـة السقيفة . ثم تكلم أبو بكر :

(اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطـل فسددوني ، أطيعوني مـا أطعت الله فيكم فـاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم) ..

ملاحظات على حوار السقيفة

نلاحظ أولا ان الامر كان أمـرا مدنيا ، لم يذكر حق الهي لأحـد في الخلافة ولم يجد المسلمون حرجا في الاختلاف ، وجرى على لسانهم ذكـر الامارة والامـراء والوزارة والوزراء ، وتذاكروا القـوة والسيف والعـز والثروة والعدد والمنعة ، ودخلوا في مساومات وتسويات .

يقول علي عبد الرزاق في كتابه (الاسلام وأصول الحكم) :

(كان معروفا للمسلمين يومئذ أنهم انما يقدمون على اقامة حكومـة مدنية دنيوية لذلـك استحلوا الخروج عليهـا والخلاف لها ، وانهم انمـا يختلفون في أمر من الامور التابعـة للدنيا ، لا من أمور الدين ، وانهم انما يتنازعون في شأن سياسي لا يمس دينهم ولا يزعزع ايمانهم ..

٢ ـ هناك اتفاق ضمني بين المجتمعين على أن الخلافة تكون بالشورى والاختيار والبيعة . وقد جرت المناظرة على ذلك الاساس وحـاول كل فريق أن يقنع كثرة القوم وينال تأييد أهل الرأي .

٣ ـ اختلف المجتمعون أولا ، فـي أهل الامامـة أو من يحق لـه أن يرشح نفسه للخلافة فرأى فريق تخصيصها بالقرابة القريبـة من الرسول ، وكان ذلك رأي علي ومن شايعه . ويبـدو ان رأي علي كان معروفا عنـد المجتمعين فلم يحرصوا على حضوره وانما استبعدوا هذه الفكرة فما كانت

قريش ترضى أن ينحصر هذا الحق في آل البيت الى آخر الدهر وأن تصبح الخلافة ارثا • ورأى فريق آخر اطلاقها للمهاجرين والانصار • وفريق ثالث رأي تخصيصها بقريش واستطاع أن يقنع (الجمهور) •

لم يكن ذلك حلا ملكيا ولا حلا ديمقراطيا ، وانما كان حلا ارستوقراطيا اذ حصر الخلافة في فئة ممتازة من العرب •

٤ ـ واجتماع السقيفة سن الانتخاب من حيث هو ، ولكن مضت البيعة دون أن يتبين الناس اولئك الذين لهم حق في انتخاب الخليفة :

أهل الاختيار أو أهل الحل والعقد •

٥ ـ ثم ان بيعة السقيفة كانت البيعة الخاصة ، تبعتها في المسجد بيعة أخرى على نطاق أوسع هي البيعة العامة أو البيعة الكبرى •

٦ ـ ونلاحظ أخيرا أن الشورى لم تكن تامة وانما عجل عمر بالبيعة خوفا من عاقبة طول أمد الخلاف • وقال القائلون :

(ان بيعة أبي بكر كانت فلتة) ، وسمع عمر هذا الكلام وقال : (قد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها) •

اول حكومة اسلامية بعد النبي

وسار أبو بكر سيرة فاضلة جميلة ما يقرب من سنتين ، فكان يعمل بأحكام القرآن وسنة الرسول وكان يستشير أصحابه في الخطير والجليل من الامر • واشفق في مرضه الاخير من مصير المسلمين بعده ، ورأى أن يستخلف من يقوم بالامر مقامه ، وأن يجمع كلمة المسلمين عليه ، فدعا عبد الرحمن بن عوف وقال له :

(أخبرني عن عمر بن الخطاب • قال عبد الرحمن : يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة • قال أبو بكر : ذلك

لانه يراني رقيقا ولو أفضي الامر اليــه لترك كثيرا ممــا هو عليه • ودعــا الصديق عثمان بن عفان وقال : أخبرني عن عمر • قال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وانه ليس فينــا مثله • وشاور سعيد بن يزيــد وأسيد بن حصير وغيرهما من المهاجرين والانصار • وأملى كتاب العهد لعمر وخشي مع ذلك أن يختلف الناس من بعــده فأشرف من حجرة بداره عــلى الناس بالمسجد وقــال يخاطبهم : ــ أترضون بمــن أستخلف عليكم ؟ فاني والله ما الوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة • واني قد استخلفت عمــر ابن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا • قالوا : سمعنا وأطعنا) •

الاستشارات الدستورية

ورغم هذه الاستشارات التي قام بها أبو بكر ، ورغم انه كان موفقــا في اختيار عمر ، فان استخلافه لم يكن تعزيزا لمبدأ الانتخاب الذي سن في اجتماع السقيفة ، وان الشورى تقلصت وضاقت دائرتها على يديه •

ولقد انتقد فريق من أكابر الصحابة فعل أبي بكر • وروى المغيرة بــن شــعبة :

أتى عمر آت فقال : هل لك يا أمير المؤمنين في نفر من أصحاب رسول الله يزعمون ان الذي فعل ابو بكر في نفسه وفيك لم يكن له ، وانــه كان بغير مشورة ولا مؤامرة وقالــوا : تعالوا نتعاهد ان لا نعود الــى مثلها ••• فذهب عمر الى دار طلحة وقال للمجتمعين : أنتم القائلون مــا قلتم ؟ وقــال لعلي : والله ما خرج هذا الامر الا من تحت يديك •• قال علي : اتق اللــه ان تكون الــذي تطيعك فتفتنك • قــال وتحب ان تكــون هو ؟ قــال : لا ولكننا تذكرك الذي نسيت ــ يذكره بالقاعــدة الاساسية (وأمرهم شورى بينهم) ، ولم يكن اختيار عمر شورى وان كان ابو بكر شاور بعض أكابــر الصحابة فهو لم يشاور عليا ولا أحدا من بني هاشم • وكان علي قــد عتب على القوم حين بويع ابو بكر وقال لأبي بكر :

(والله ما نفسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير ، ولكنا كنا نرى ان لنا في هذا الامر شيئا فاستبددت به دوننا) .

عمر الحاكم

وسار عمر سيرة فاضلة في العشر السنين من حكمه الرشيد ، يشاور من في المدينة من أصحاب النبي فيما يلم من الخطوب كل يوم ويلقى عماله في موسم الحج ويسمع منهم في أمر الرعية ويسمع من الرعية في أمر العمال ويرد الامر في ذلك كله الى نصابه . فلما طعن اشار ابن عمر على أبيه أن يستخلف ، فقال عمر : ان الله يحفظ دينه واني لئن لم أستخلف فان رسول الله لم يستخلف وان استخلف فان أبا بكر قد استخلف . ويقول ابن عمر :

(فوالله ما هو الا ان ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمت انه لم يكن ليعدل برسول الله أحدا وانه غير مستخلف) . وبلفتة من لفتات عمر أنشأ مجلس الشورى فقال لمن حوله :

(عليكم بهؤلاء الرهط الذين قال الرسول انهم من أهل الجنة فليختاروا رجلا منهم . ولما أصبح دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن بن عوف والزبير فقال :

(اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض .. فاذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام .. ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله مشيرا ولا شيء له من الامر (عضو مراقب) وطلحة شريككم في الامر اذا حضر) .

وقال لصهيب :

(صل بالناس ثلاثة أيام وادخل طلحة ان قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له في الامر ، وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة ورضوا وأبى

واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فان رضي ثلاثة منهم وثلاثة رجلا آخر فحكموا عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس) •

قانـون الشورى

وبعد موت عمر تنافس القوم وكثر بينهم الكلام فتقدم عبـد الرحمن باقتراح : (أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟) فلم يجبه أحد فقال : (أنا أنخلع منها) فقال عثمان (أنا أول من رضي) وقـال القوم قد رضينا وعلي ساكت • فقال عبد الرحمن ما تقول يا أبا الحسن :

قال اعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحـم • فقال اعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم وعلى ميثاق الله الا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين • فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله • وخلا بعلي وقال :

(أرأيت لو صرف هـذا الامر عنك من كنت ترى من هؤلاء الرهـط أحق بالامر ؟ قال (عثمان) ، ثم خـلا بعثمان والزبير وسعد • ويقول الرواة أن عبد الرحمن دار لياليه يلقى أصحاب الرسول ومن في المدينة من أمـراء الاجنـاد وأشراف الناس يشاورهم حتى اذا استكمل الاجـل اجتمعوا في المسجد وجرت مناقشة حادة بين أميـة وهاشم فتدخل عبـد الرحمن تدخلا حاسما ودعا عليا فقال :

(عليك عهـد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسـنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعد) • قال علي : (أرجـو أن أفعل وأعمل بمبلـغ علمي وطاقـتي) •

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال عثمان : نعم فبايعه •

والملاحظ هنا ان نظام الشورى الذي وضعه عمر على عجل هو استئناف لمبدأ الانتخاب الذي عمل به في اجتماع السقيفة • وقد أصبحت الشورى الآن مؤسسة لها مجلس مؤلف من سبعة أعضاء ، كل منهم مرشح للخلافة وكل منهم ينتخب ما عدا عبد الله بن عمر له صوت وليس له من الامر شيء ، وأبو عبيدة صاحب الصوت المرجح أي أنه مرشح ليكون رئيسا وقد لعب دور الرئيس فعلا وخلع نفسه وأدار عملية الانتخاب •

وخرجت من المسلمين ثلاث فئات :

ـ أصحاب الشورى أو أهل الحل والعقد •

ـ أهل الرأي وهم بقية الصحابة وأمراء الاجناد وأشراف الناس •

ـ عامة الناس ، لا يؤخذ رأيها وانما عليها أن تبايع وتسمع وتطيع في الحق •

ما نوع هذا النظام ؟

ان أبرز عنصر في ذلك النظام انه كان نظام (النخبة) •• فأصحاب الشورى وأهل الاختيار وأهل الامامة هم قلة ممتازة من الناس • هذه القلة هي التي تقوم للبيعة الخاصة ؛ أما البيعة العامة فليست انتخابا وانما هي الموافقة على الامر الواقع والتسليم به •

ومن هم أهل الحل والعقد ؟

ان الذين حلوا وعقدوا وتشاوروا وناظروا وبايعوا في السقيفة ساده الانصار وزعماء المهاجرين • هم بتعبير (الماوردي) ـ أعيان العصر ـ • والذين عينوا في مجلس الشورى واختاروا الخليفة الثالث هم (رؤساء الناس وقادتهم) ، هم فئة مختارة من المسلمين •

هذه (الارستقراطية) قامت ، أولا على النسب القرشي ، وقد اجتمعت الصحابة على ذلك يوم السقيفة • وقامت هذه الارستقراطية ، ثانيا ، على

السبق الى الاسلام وحسن البلاء فيه .

هذا النظام لم ينظمه نص في القرآن أو السنة وانما هو اجتهاد أملته الاحداث ، فهو نظام انبثق من حياة العرب في الصدر الاول من الاسلام فهو دستور غير مكتوب ، وله لذلك دستور مرن نشأ نشأة طبيعية وأخذ ينمو ويكتمل وكان خليقا أن ينمو ويكتمل ويصبح مجموعة من الاصول المرعية والتقاليد والآداب لو سمحت بذلك الظروف .

ولقد ابتدأ النظام النيابي الديمقراطي في انكلترا على ارستقراطية النسب والاقطاع ثم توسعت فدخل فيها الطبقة الوسطى الغنية ثم اتسعت مدخلت الطبقة العاملة ودخل النساء في هذا القرن .. هذا التطور احتاج الى بضعة قرون وما كان ليتم لو لم تكن انكلترا جزيرة منعزلة عن القارة الاوربية بعيدة عن مشاكل القارة وحروبها الدائمة . وهذا ما أتاح لها أن تستكمل نمو أنظمتها في هدوء وعلى مهل .

الثورة الايرانية وهذه المبادىء

المطلوب الآن هو التأليف بين هذه المبادىء الاساسية وبين نظرية الديمقراطية الحديثة ؟ والخروج من كل هذا بنظام يلائم نفوس السكان وحاجاتهم في أواخر القرن العشرين ..

لو احترم الاسلام مبدأ الشورى وقاعدة الانتخاب ، ونظر المسلمون الى الحكم على أنه عقد وعهد بين الحاكمين والمحكومين ، واختاروا للحل والعقد أولئك الذين ترشحهم مواهبهم وفضائلهم وحسن بلائهم لقيادة الناس .. ان فعل المسلمون ذلك أو بعض ذلك فانهم يقتربون من حقيقة الاشياء ويوفقون الى الحكم الاسلامي .. وهذا ما يأمله جميع الذين يراقبون تطور الامة الاسلامية في هذا العصر !

زهير ماردينى

م — ٣

من أعلام الإسلام

عمر بن عبد العزيز المصلح - والقدوة

بقلم: صلاح الطنوبي

لقد كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رجلا صالحا تقيا متعبدا ورعا زاهدا وكان مع ذلك اماما عادلا رشيدا سائسا محبا للرعية مشفقا عليها رفيقا بها محسنا اليها جمع بين عبادة ربه ورعاية خلقه •

فقام بما أصلحهم من جليل الامور ودقيقها كما أنه لم تقعد به أعباء الخلافة وأوزارها وما تقتضيه سياسة الملك من سهر وتعب عما عليه لله من تأليه وطاعة • فكان رضي الله عنه يصرف النهار وبعض الليل أحيانا بما يعود على الامة بالخيرات فاذا فرغ من ذلك اذا هو في عداد من قال الله في حقهم « قانت آناء الليل ساجدا أو قائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » (سورة الزمر) •

كان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يتولى امارة الحجاز في خلافة الوليد بن عبد الملك وكانت هذه الامارة تشمل مكة والمدينة والطائف وكان في حكمه لتلك الولاية مثال التقوى والصلاح وقد عاش عمر عيشة طيبة هادئة وعاش في رغد من العيش ولم يزل على ذلك حتى ولي الخلافة فزهد في الدنيا ورفضها وكان رضي الله عنه يكره سياسة التعسف التي اتبعها غيره من الولاة الامويين •

كان عصره عصر سلم واصلاح واستقرار خمدت فيه الفتن التي سادت الدولة العربية الاسلامية منذ عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنهما) وعاش الناس في هدوء وأمان بعد الاضطراب والخوف وقد سار في الخلافة بسيرة

الخلفاء الراشدين ولم يتبع سلوك خلفاء بني أمية في ادارة الدولة بالاعتماد على التعصب القبلي أو التعصب لذوي القربى أو بالاعتماد عليهم في ادارة الدولة بتعيينهم في المناصب العليا .

وتتضح سياسة عمر بن عبد العزيز الاصلاحية في أول خطبة ألقاها بعد توليه الخلافة في عبارة موجزة وجامعة فقد قال : « أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم .. ألا واني لست بقاض ولكنني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع .. ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم .. ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وقد شعر عمر بن عبد العزيز بأن الخلافة ألقت على كاهله مسؤولية ثقيلة لذلك كان يخشى أن يقصر في حد من حدود الله تعالى ، وما كان يرضى أيضا أن يحيد أحد عماله أو ممن يلي أمور المسلمين عن السنة التي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن كتاب الله عز وجل .

وعلى هذا قرر عمر أن يطهر الادارة وان يقتلع جذور الباطل ويطمس معالم الغرور ويرد الحق الى نصابه ويعيد العدالة الى مجراها ويبني من هيبة الحق ما هدمه غيره وقرر ان يختار الولاة الجدد من ذوي التقوى والصلاح القادرين على فرض سياسة العدل والزهد والسير بالولايات الى الاستقرار والهدوء فكان يختارهم ويتحرى في اختيارهم حتى يسيروا على نهجه في السياسة والادارة كما كان يدرب عماله على الادارة الحسنة فيبعث اليهم من وقت لآخر بالكتب التي تحثهم على تقوى الله وأداء الامانة واتباع أوامر الله واجتناب نواهيه وأن يراعوا الله في معاملة الرعية . وباختيار عمال جدد وعزل عمال بني أمية أراد عمر أن يثبت للناس ان عهد القبيلة العصبية قد انتهى ولم يعد يصلح لمناصب الادارة العليا في الدولة الا ذوي الصلاح والعدل دون النظر الى قبلية معينة أو قرابة أو عصبية كما أراد تغيير وقت الادارةوابعاد الظلم الواقع على الناس من ولادة بني أمية .

وكانت لعمر (رضي الله عنه) فلسفة خاصة في تحمل المسؤولية ،

فهو يرى ان المسؤولية في الظلم مشتركة بين الحاكم والمحكوم فاذا كان الحاكم عليه اثم الظالم فان الرعية تحمل معه اثمه اذا لم تراقبه وتقف له بالمرصاد واذا لم تحاسب الرعية أولا أخطأت الرأي وأصيبت بالحرمان بل كان يرى ان الرعية التي لا تراقب الحاكم وتحاسبه تستحق العقاب لانها لم تنكر المعصية ولم ترفض الظلم وكتب الى عماله محذرا من عاقبة الظلم ومذكرا اياهم قدرة الخالق عز وجل على أن يأخذ للمظلوم من الظالم •

أصبح منصب القاضي من المناصب الهامة في عهد عمر فكان القاضي أكثر استقلالا وأكبر شأنا وتتضح أهمية منصب القاضي من رسالة بعث بها عمر الى عتبة بن زرعة الطائي وكان يتولى الخراج فيما وراء النهر اذ قال: « ان للسلطان أركانا لا يثبت الا بها : فالوالي ركن والقاضي ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا » وكأنه يريد أن يقول : ان الدولة ترتكز على أربعة دعائم أساسية تمثل المناصب الادارية الكبرى وهي : الخليفة والوالي والقاضي وصاحب بيت المال ولكن اهتمامه بالقضاء فاق كل اهتمام فقد رأ خصالا لا بد ان تتوفر في القاضي وهي خمسة خصال : ان يكون عالما مستشيرا لاهل العلم بعيدا عن الطمع منصفا للخصم متحملا للأئمة وعلى هذا الاساس اتصف قضاته بالتقوى والعدل •

ولم يتخذ عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) من جمع المال هدفا له• وانما رأى أن يكون الاصلاح المالي متمشيا مع الشعور الاسلامي بالحق والعدل ومطابقا لروح الشريعة الاسلامية ، وبدأ عمر في اصلاح الاوضاع المالية بنفسه حتى يدفع الناس الى اتباع خطواته فأحضر جمعا من وجوه الناس وقال لهم : « ان فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعها حيث أراد الله تعالى ثم وليها أبو بكر رضي الله عنه كذلك وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم اقطعها مروان ثم انها صارت اليه ولم تكن من ماله وأشهدهم انه قد ردها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

واتجه عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بعد ذلك الى مال زوجته فاطمة بنت عبد الملك وأخذ ما عندها من جواهر ووضعها في صندوق بيت المال .. وبلغ من حرصه على الاموال العامة ان رد فص خاتم كان في يده كان أعطاه له الوليد من غير حق وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم بالمجلس والمأكل والمتاع وكان دخله في السنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ..

ومن أخلاق عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) : أنه كان عنده قوم ذات ليلة في بعض ما يحتاج اليه فغشي سراجه فقام اليه فأصلحه فقيل له : يا أمير المؤمنين نكفيك . قال : وما ضر بي ؟ قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

وسئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجته عن عبادته فقالت : والله ما كان بأكثر الناس صلاة ولا أكثرهم صياما ولكن والله ما رأيت أحدا أخوف لله من عمر ، لقد كان يذكر الله تعالى في فراشه فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول : ليصبحن الناس ولا خليفة لهم .

وقرأ عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بالناس ذات ليلة : « والليل اذا يغشى » فلما بلغ « فأنذرتكم نارا تلظى » خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فرجع حتى اذا بلغها خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فتركها وقرأ سورة غيرها .

وأبطأ عمر يوما عن الجمعة قليلا فعوتب في ذلك فقال : انما انتظرت قميصي غسلته ان يجف .

وقال عمر بن المهاجر :

ان رجلا أتى عمر بن عبد العزيز بتفاحات فأبى أن يقبلها فقيل له : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال عمر : هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية وهو لنا رشوة ولا حاجة لي به .

قصة الحياة - ملايين الحكايا
قنفذيات الجلد

بقلم:
الدكتور رشيد النحاس

في البحر نجوم تتلألأ ألوانا براقة أينما وجدت ! ونجوم البحر هـذه حيوانات لها أشكالها الخاصة ومنزلتها المحددة في قصة الحياة التي لا تنتهي حكاياهـا .

وفي حكاياتنا السابقـة كلها تحدثنا عـن حيوانات تشترك جميعـا في احتوائها على هيكل عظمي . أما حكاياتنا التي تلي فستتناول تلك الفئة التي لا تحتوي على هيكل عظمي وبذلك تسمى « اللافقاريات » . واليهـا تنتمي مجموعة كبيرة من الكائنات الحية . فمن وحيدات الخلية التي لا ترى بالعين المجـردة ، الى الديـدان ، والحشرات ، والعناكب ، والرخويات ، وأيضـا قنفذيات الجلد التي نحن هنا بصددها .

وقبل الحديث عن قنفذيات الجلد لا بد من التنويه الى مجموعة مـن الكائنات تقع بين قنفذيات الجلد وبين الاسماك في مراتب التصنيف . هـذه المجموعة هي مجموعة « الحبليات البدائية » وهي تشكل الخطوة الاولى في تطور الفقاريات وتشترك معها في احتوائها على حبل ظهري .

و « الرميح » هو أحد هذه الحبليات . وهو عبارة عن حيوان بحـري لا يزيد طوله عن سبعة سنتمترات ، يسبح هذا الحيوان بحرّية ويدفن نفسه بين الرمال ، وله زعانف وهو بصورة عامة يشبه الاسماك .

وتنتمي الى نفس المجموعة بعض أنواع الكائنات والديدان ، والديدان ذوات الحبل الظهري هذه تشكل خطوة انتقال بين قنفذيات الجلد وبين الحبليات المذكورة أعلاه •

وقنفذيات الجلد تسمى كذلك لان جلدها في بعض الحالات شبيه بجلد القنفذ • حتى ان بعض الانواع تسمى بقنافذ البحر نتيجة وجود الاشواك على جسمها وليست هذه هي الحال في الانواع الاخرى التي تنتمي الى نفس المجموعة •

والصفات التي تميز قنفذيات الجلد عن غيرها من الحيوانات هي وجود تناظر شعاعي في شكلها • فمثلا نجم البحر له خمسة أذرع تشع من المركز ، وهذا ما يبرر تسمية هذه الحيوانات بالنجوم •

ومع أن الهيكل العظمي غير موجود ، فالبديل عنه هو هيكل يتشكل من ترسبات كلسية تحت جدار الجسم • وتشكل هذه الترسبات صفائح متشابكة • وهذه الصفة تجعل هذه الحيوانات قريبة الى الفقاريات ، خصوصا أن هذا الهيكل داخلي ، بينما يكون الهيكل خارجيا في بقية اللافقاريات الاخرى في حال وجوده •

والصفة الاخيرة ، وجود شبكة من الاوعية المائية في الجسم تنتهي بأقدام قنابية تنتشر على السطح الخارجي من جسم الحيوان وتساعده على الحركة وأحيانا على الحس •

نجوم البحر

يتألف نجم البحر من قرص مركزي محاط بخمسة أذرع أو أكثر يصل عددها أحيانا الى خمسين • وتكون الاذرع في بعض الانواع طويلة جدا وفي بعضها الآخر قصيرة جدا • ومنها الرفيع ومنها الغليظ (شكل ١) •



الشكل (١) : نجم البحر ـ لاحظ الاقدام القنابية التي تظهر عـلى الجانب السفلي من الذراع المرتفعة قليلا في يمين الصورة .

لون الحيوان رمـــادي أو أزرق أو أحمـــر أو برتقالي • وفـــي بعض الاحيان يكون الجسم مخططا •

السطح العلوي من الجسم غليظ الملمس ، كمـــا أن الصفائح الكلسية تشكل أحيانا نتوءات بارزة تساعد الحيوان في الدفاع عن نفسه •

في الوسط يقع القرص المركزي • وعلى السطح العلوي للقرص فتحة تتصل بالاوعية المائية • وأحيانا توجد فتحة أخرى هي فتحة الشرج لاطـراح الفضلات • أما على السطح السفلي للقرص فيوجد فم يحتل المركز • وتحيط بالفم أشواك متخصصة لحراسته وحمايته •

تصل بين الفم والشرج قناة هضمية • أما في الحالات التي لا يوجد فيها شرج ، فان الفم نفسه يقوم مقام الشرج بالاضافة لعمله كفم • وفي هذه الحالة تكون القناة الهضمية مسدودة النهاية • ويأخذ الفم الطعام الى القناة حيث يهضمه الحيوان ثم يعيد الفضلات الى الفم من جديد حيث تطرح • ومعدة هذا الحيوان تتسع لفرائس كبيرة الحجم نسبيا •

يبرز اللحم الذي يشكل جسم الحيوان الى خارج الجسم على شكل أكياس صغيرة وظيفتها التنفس بحيث يتخللها الاكسجين المنحل في الماء ، فتنقله الى سوائل الجسم •

على السطح السفلي لكل ذراع اخدود تخرج منه الاقدام القنابية • هذه الاقدام تستعمل في التغذية بحيث تولد تيارا من الماء بفعل حركتها وتوجهه نحو الفم الذي يقوم باستخلاص الغذاء • وفي بعض الانواع التي تطمر نفسها تفرز الاقدام مادة لاصقة على جدران الجحر الذي يحفره الحيوان وبذلك تمنع هدمها ، وبعض أنواع الاقدام القنابية يستعمل للحركة أو للحس •

يعرف من نجوم البحر حوالي ستمئة وألف (١٦٠٠) نوعا • بعضها ما ينتشر انتشارا كبيرا في معظم أنحاء العالم ، وبعضها يقتصر على بعض المناطق ، كما ان البعض قد يصل الى عمق ستة كيلومترات تحت سطح البحر •

الجنس والتكاثر

من الصعب التمييز بين الذكر والانثى من شكل الحيوان الخارجي ، أضف الى ذلك أن بعض الافراد خنثى أي تحتوي على غدد تناسلية مذكرة وأخرى مؤنثة في نفس الوقت •

تتكاثر هذه الحيوانات مرة واحدة كل سنة على وجه العموم • والغدد

التناسلية تتفرع على شكل أغصان على نهايـة الذراع بالقرب مـن القرص المركزي • وكل ذراع عليه زوج من الغدد التناسلية • أي أن النجم المتكون من خمسة أذرع يحتوي على عشرة غدد تناسلية •

قبيل موسم التكاثر تكبر الغدد التناسلية وقـد تمتد بطول الذراع ؛ وتخرج البيوض والنطاف من هذه الغـدد الى الوسط المحيـط حيث يتـم الالقـاح •

العناية الابوية بالصغار نادرة • وحـين تتوفر تأخذ أشكالا مختلفـة حسب نوع الحيوان ، فبعض الانواع يضع بيوضه تحت الاحجار قبل تركها نهائيا • وبعضها الآخر يحضن البيوض بين زوايا أذرعه أو في حنايا جسمه• وفي هذا النوع الاخير تفقس البيوض عادة لتشكل حيوانا جديدا مباشرة • وفي أنواع أخرى تفقس البيوض الى يرقـة تتطور فيما بعـد الى حيوان كامـل •

اجسام تحـت الطلب :

يستطيع نجم البحر تجديد ما يفقده من أقسام جسمه ! فبعض الانواع تستطيع في حال فقدها أحد الاذرع أن تعوض هذا الذراع ، حتى أن أنواعا أخـرى تستطيع تعويض جسمها كلـه من ذراع واحـد • وهـذا التكاثر اللاجنسي متوفر لدى تلك الانواع التي تستطيع فصل أذرعها الخمسة عـن الجسم وبذلك تتشكل خمسة نجوم بحـر جديدة • وفي نوع آخـر يقوم النجم بقسم نفسه الـى قسمين ، ويقوم كل قسم بتعويض قسمه المفقود • والنتيجة نجمين بدلا عن واحد •

آكلـة المحـار

لبعض أنواع نجوم البحر قابليـة عظيمة في قدرته على فتح المحـار والتهام لحمه • والمحـار من الرخويات المتواجـدة داخل صدفـة محكمة

الاغلاق تماما • ويستخدم النجم عضلات جسمه كما يستخدم قوة أقدامه القنابية في عملية فتح المحار التي تتطلب قوة تعادل خمسة كيلوغرامات وقد تأخذ العملية أحيانا أكثر من خمس ساعات • وحين ينجح النجم في فتح المحار ولو بدرجة بسيطة فانه يقذف بمعدته خارج فمه ويدخلها بين فلقتي المحار وهكذا يبدأ هضم اللحم الطري •

وآكلة المتمضيات

وأنواع أخرى من نجوم البحر تتغذى على الكائنات المجهرية التي تجذبها الى فمها مع تيار الماء • وأحيانا توجد شعيرات دقيقة تساعد الحيوان على توليد مثل هذا التيار المائي •

واكثرية النجوم

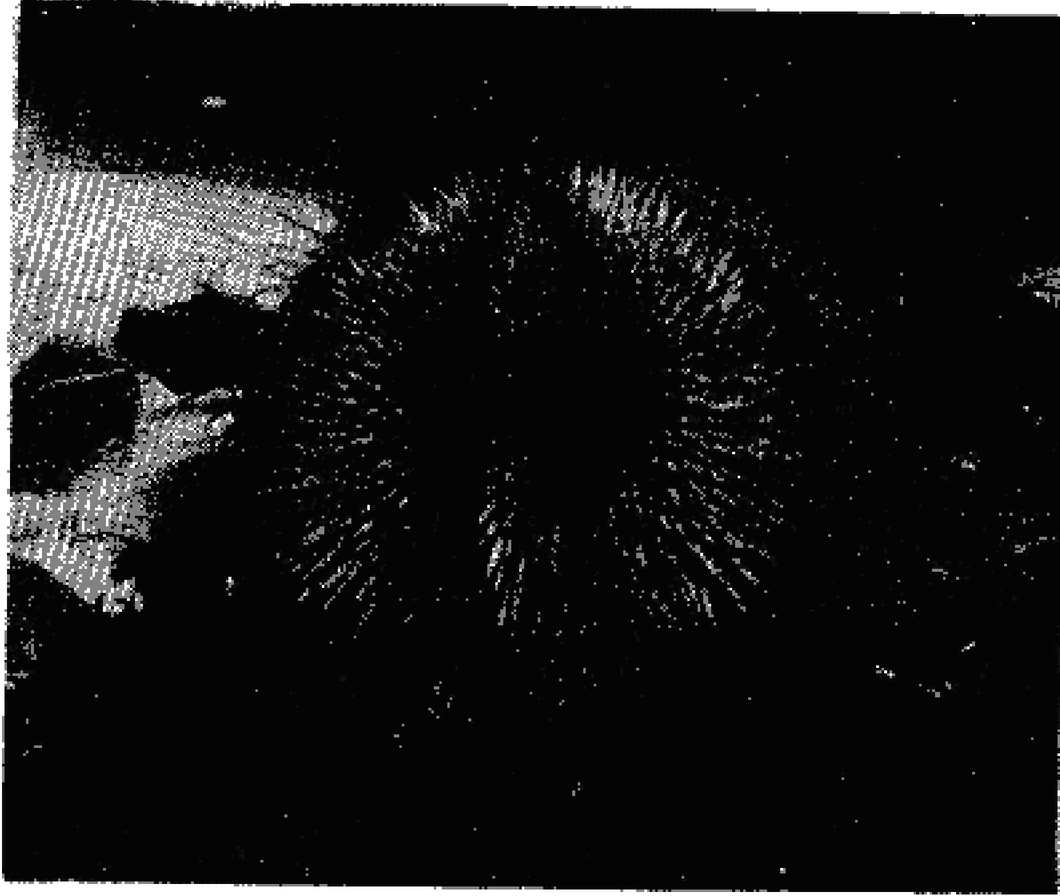
اما آكلة لحوم أو آكلة لحوم ونباتات معا • ويتنوع الغذاء بين الطحالب ، والديدان ، والاسفنج البحري ، والرخويات ، وحتى القنفذيات الاخرى ، ويستطيع نجم البحر ابتلاع حيوانات كاملة اذا كانت من الحجم المناسب •

قنفذ البحر

قنفذ البحر عبارة عن « كرة » محاطة بالاشواك (شكل ٢) • ولا شك أن الكثير من السابحين قد صادفه أو وخزه هذا الحيوان •

تتشكل هذه الكرة من عشرين صفا من الصفائح الملتحمة مع بعضها البعض عدا فتحة في الجانب البطني حيث يتواجد الفم ، وفتحة مماثلة في الجانب الظهري حيث الشرج ، كما توجد فتحات منتشرة في أنحاء الجسم لتخرج منها الاقدام القنابية • وفتحات أخرى للافرازات التناسلية • وهناك فتحة متخصصة من ثقوب عديدة صغيرة تتصل بالاقدام القنابية عن طريق

شبـكة الاوعية المائية • وتنتهي هذه الاقدام بأقراص ماصة تساعد الحيــوان في تثبيت نفسه على الصخور وفي تنقله من مكان لآخر • وفي حالات أخرى تساعد على التنفس •



الشكل (٢) : قنفذ البحر ـ لاحظ الاشواك المحيطة بالجسم وايضا الاقدام القنابية الطويلة الرفيعة المنتشرة بين الاشواك •

تتألف أحشاء الجسم من قنــاة هضمية وخمسة غدد تناسلية • ومــن الطريف أن هذه الاحشاء تتوضح أقرب ما يمكن من جدار الصفائح الجسمية الداخلي بحيث ان معظم داخل الجسم عبــارة عن صندوق فارغ (الا مــن السوائــل) •

وهنا أيضا يصعب التمييز بين الجنسين من الصفات الخارجيــة • تضع الانثى بيوضها من خــلال الفتحات التناسلية الى البحر ، كمــا يضع الذكر

نطافه ، فتلقح البيوض وتفقس الى يرقات حـرة السباحة • تتطور هـذه اليرقات فيما بعد الى حيوان كامل •

من القنافذ ما يتغذى على الحيوانات الصغيرة ، ومنها ما يتغذى عـلى الحتات المتوفر في البيئة المائية •

وفي بعض المجتمعات يتغذى الانسان على هـذا الحيوان بتناول غدده التناسليـة •

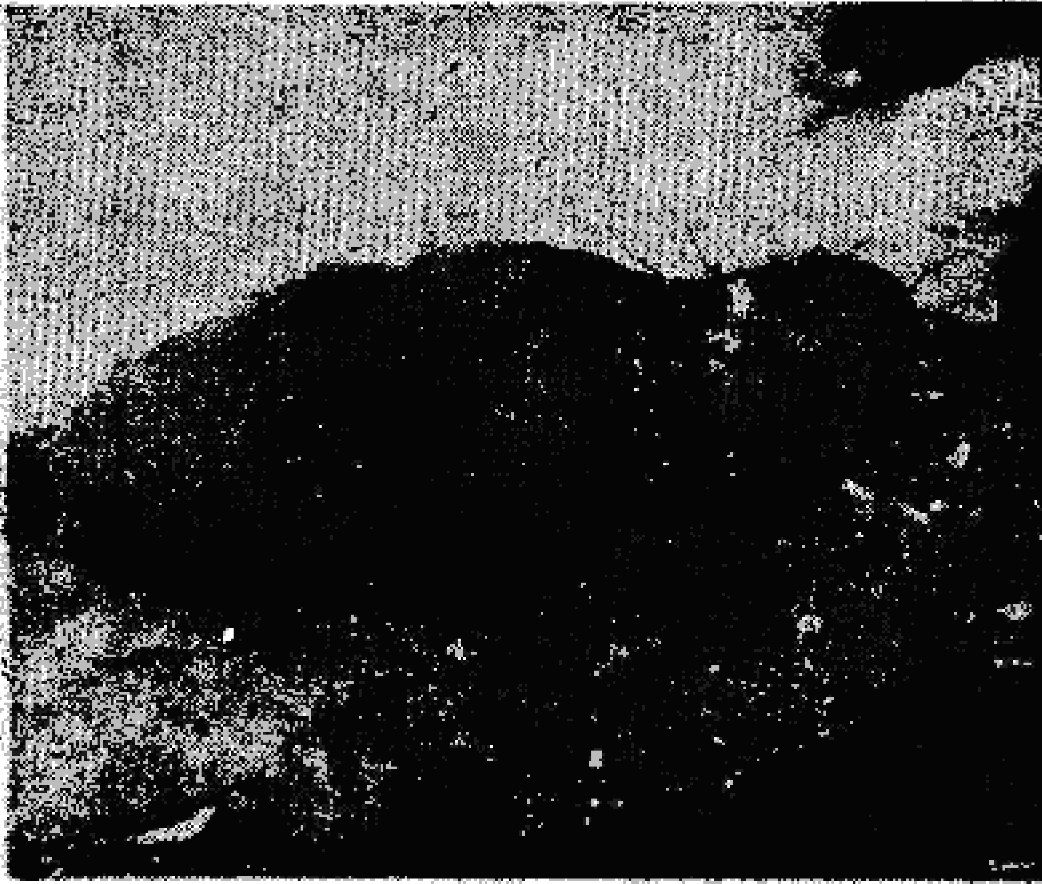
خيـار البحـــر

حيوان بحري شكله عـلى شكل الخيار ومن هنـا كانت التسمية (شكل ٣) • لونه رمادي أو بني أو أسود أو خمري • وجسمه خـال من الاشواك • له فم في مقدمة الجسم وشرج في مؤخرته • وعلى الفم توجـد مجسات ما هي الا زوائـد يستعملها الحيوان في اصطياد طعامـه • وهذا المجسات عبارة عن أقدام قنايية متخصصة •

والاقدام القنايبـة نفسها تتوزع في خمس قنوات على طول الجسم • ثلاثة منهـا على الجانب البطني ، واثنين على الجانب الظهـري • وتتخصص تلك الاقدام المتواجدة على الجانب البطني في الحركة ، أما تلك التي عـلى الجانب الظهري فوظيفتها تطورت الـى الحس • وفي بعض الانواع تتوزع الاقدام بشكل عشوائي •

الاحشـاء

يتصل الفم بمعـدة ثم بالامعـاء الدقيقة فالامعاء الغليظـة التي تنتهي بالاست • ومن الاست الى هذه التشعبات التـي تساعد في نقل الاكسجين المنحل في الماء الى سوائل جسم الحيوان • وهذا الجهاز التنفسي عبارة عن جذع تتفرع عنه عدة شعيبات تماما مثل الشجرة •



شكل (٣) : خيار البحر

ومن الطريف أن نذكر أن أحد أنواع السمك الصغير يستخدم هذا الجهاز التنفسي كمسكن له بحيث يبقي جسمه داخله ويطل برأسه من فتحة شرج خيار البحر على العالم المحيط . وفقط أثناء الليل يترك هذا المسكن ويخرج باحثا عن طعامه .

التكاثر

مثل بقية القنفذيات من الصعب التمييز بين الذكر والانثى . وتتوضع الفتحة التناسلية خلف منطقة الفم بقليل . وبصورة عامة فان الذكر يضع نطافه أولا ثم تأتي الانثى وتطرح بيوضها فوق هذه النطاف .

تفقس البيوض الملقحة الى يرقات بحيث تتطور هذه الاخيرة الى حيوان كامل . وفي بعض الانواع القليلة التي تحضن صغارها لا توجد يرقات وانما تضع الانثى بيوضها على ظهرها أو في جيوب خاصة في جسمها .

من غرائب خيار البحر

بعض الانواع لهـا أعضـاء متخصصة تتشعب من جـذع الشجيرات التنفسية وظيفتها مساعدة الحيوان في الدفـاع عن نفسه • فعندمـا يحس باقتراب الخطر منه يطرح هذه الاعضاء خـارج الجسم عن طريق فتحـة الشرج • وبما أن هذه الاعضاء لزجة ، فان العدو يقع في شركها ولا يستطيع الحركـة •

أما بعض الانواع التي ليست لها مثل هـذه الاعضاء فتتبع طريقة أكثر غرابة • عند اقتراب الخطـر يشق الحيوان جسمه ويلقي بأحشائه خارجـا تاركا عدوه ليلتهم هذه الاحشاء • أما خيار البحر فينجو بنفسه وبعد ذلـك يستطيع أن يعوض ما فقده من أعضاء •

الغـذاء

يتغذى خيار البحـر على البلانكتونات وعلى الحتـات وعلى المـواد العضوية الموجودة في الترسبات البحرية باستخلاصها من هذه الترسبات • وهذه التغذية الاخيرة تجعل خيـار البحر يؤثر على تركيب قاع المحيـط • فمثلا في أحـد الخلجان التي لا تزيد مساحته عن أربعة كيلومترات مربعـة يقوم نوع من خيار البحر بامرار أكثـر من ستمئة ألف طن من الرمـال كل سنة من خلال أقنيته الهضمية بغية استخلاص الغذاء •

الخيـار والسلطة

أكثـر الناس تعلم أن الخيـار في السلطة عبـارة عن أحـد أنـواع الخضراوات • ولكـن بعض المجتمعات تضيف خيـار البحر الى السلطة • وتختار لذلك الانواع من الحجم الصغير ويأكلونها نيئة • أمـا خيار البحر الاكبر حجما فانه ينظف بازالة أحشائه أولا ثم يجفف أو يعالج بالدخان قبل استهلاكـه •

رفيـد النحاس

نظرات في تاريخ اليهود في الإسلام

مواقف .. وأساليب .. مناقشة فكرية

بقلم : الدكتور حسين سليمان

العقيدة أهم ما يميز فكر الانسان ويمتاز الاسلام بأنه عقيدة دينية شاملة تعمل على تنظيم حياة الفرد والمجتمع .. لذا ناصبتها العداء سائر العقائد الاخرى خاصة التي بعدت عن أصولها وجذورها .

وفكرة الشعب المختار والمميز هذه رفضت من بعض اليهود في عصر النبي ، وآمنوا بدعوة الرسول كما رفضت أيضا من كثير من علماء اليهود في العصر الحديث . فالمؤرخ اليهودي « سالو بارون » أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة كولومبيا يرى في هذا تناقضا كبيرا ، وذكر — من واقع دراساته لتاريخ الشعوب — ان كل شعب من شعوب العالم له تاريخه الفريد ، وله ملامحه الخاصة به ، وعلى ذلك فانهم كسائر الشعوب ، دون تمييز .

وأمام ما اتضح لليهود من الدعوة الاسلامية وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، حددوا موقفهم (عداوة الاسلام الى الابد ، والعمل على محاربته) .

وكان عليهم بعد ذلك تهيئة المناخ لمحاربة الدعوة ، وهذا يتأتى — وفقا لأساليبهم — بصرف الناس عنها بشتى السبل والوسائل ، ومن ذلك : العمل على خلق مناخ من الشك حول الدعوة الاسلامية ، واثارة العداوة والاحقاد القبلية بين الاوس والخزرج — ثم اثارة عداوة العرب جميعا في الحجاز وغيرها على الاسلام .

وفي سبيل ذلك فليس هناك ما يمنع من تراجعهم عن مواقفهم السابقة من الوثنية بل وتزيينها للعرب ليتمسكوا بها في مواجهة الاسلام وبلغ بهم الامر معاونة المشركين عسكريا لحرب المسلمين •

أما عن التشكيك فقد أعلنوا – وهم الذين سبق لهم الاستفتاح بالدعوة قبل مبعثها – انكارهم لما جاء به الرسول ، وقالوا أنه لم يأت بشيء مما يعرفونه عن الدعوة أو عن النبي المنتظر •

ولما وجدوا اجتماع شمل الاوس والخزرج استعادوا نشاطهم القديم باشعال الفتنة بينهم فأرسلوا الى أحد اجتماعاتهم من يحفظ أشعار يوم بعاث ، فأنشد بينهم وكاد الشاب اليهودي يفلح فيما هدف اليه ، الا أن الخبر وصل رسول الله (ص) فأسرع مع بعض الصحابة اليهم وقال لهم (يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام ، وأكرمكم به • وقطع به عنكم أصر الجاهلية واستنقذكم من الكفر ، وألف بين قلوبكم) فأدرك القوم ما أراد اليهود بهم ، فبكوا وتعانقوا ، وأنزلت الآية القرآنية (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم من بعد ايمانكم كافرين) •

ومنذ هذا الحادث عرف المسلمون أمر اليهود ، فهم جماعة أنانية ، يحبون أنفسهم ، لا يعملون الا من أجل مصالحهم الخاصة التي تسهم في سيطرتهم على الجماعات الاخرى حتى ولو كان ذلك على حساب الدين والعقيدة ، أو على حساب غيرهم • ولقد شهد بذلك عبد الله بن سلام نفسه ووصفهم أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب • وفي العصر الحديث أكد ذلك ابن جوريون بقوله : (•• ان اسرائيل ليس لها في العالم غير حليف واحد وفي ، هو الشعب اليهودي • ان اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا أقارب لها • سواء من ناحية الدين أو اللغة أو الاهل •• كتلك القرابات التي تربط مثلا الدول العربية أو الاسكندنافية أو البوذية أو الكاثوليكية أو الانجلوسكسونية •• اننا شعب يعيش في هذا العالم بمفرده) •

وبناء على ما اتضح للمسلمين ، أسرعــوا بالاستجابة للرسول (ص) حين نهاهم ــ بأمر الله عز وجل ــ عن مباطنـــة اليهود أو الاجتماع بهــم أو موادتهـــم .

ولما رأى اليهود ذلك اتجهوا الى احداث الفتنة فطلبوا من النبي عليه الصلاة والسـلام أن ينحاز لهم عندمــا يحتكمون اليه مــع جماعات آخرى ـ هكــذا دون أن يستحوا ـــ فرفض الرســـول صلى الله عليــه وسلم فسعى بعضهم الى اعلان الايمان أول النهــار ثم الانتكاس والعودة الى اليهودية في آخر النهار علهم يلبسـون الامر على المسلمين فيصنعون مثل صنعهم ، ولكنهم لم ينجحوا بعد أن حذرهم الله ، وتزلت في ذلك الآيات .

واستغلوا ما عرفوه عن صفات النبي صلى الله عليــه وسلم من تسامح ووفاء بالعهد ، وتحت زعم المناقشة للدخول في الدعوة الاسلامية اتخذوا في مناقشاتهم أساليب أكثر التواء ومجادلة . وسعوا الى التعنت مع الرسول في الاسئلة بهدف احراجـــه أو اثارة غضبه للعمل على انتفاء أحد صفاتـــه لاستخدامها ضده في ردة بعض المسلمين ، بل وصلت أسئلتهم حــد الشرك بالله ، والتعدي على الذات الالهية ، وهو ما كان يغضب له الرسول (ص) ولا يتهاون فيه لانه حق الله . ومن أحداث ذلك انهم أرسلو الى النبي (ص) بعضا منهم يسألونه عن الساعة (متى تقوم الساعة ان كنت نبيا) . ثم سألوه عن ذي القرنين وكان يرد عليهم وفقا لوحي الله عز وجل . ثم انتقلوا يطلبون منه تحقيق بعض المعجزات كمــا كانوا يفعلون مع موسى عليــه السلام كأن يطلبوا أن ينزل عليهم من السماء كتابا يقرأونه لان القرآن ليس متسقا مــع التوراة والا فانهم يستطيعون أن يؤلفوا مثله وطالبوه أن يفجر أنهــارا ... الى مثل ذلك .

وأخيرا اعتمدت مناقشتهم عــلى الشرك . فأرسلوا بعضهــم يسألونه (كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيزا ابن اللــه) وأرسلوا

بعضا آخر يسألونه (يا محمد هـذا الله خلق الخلق ، فمن خلق اللـه ؟) وغضب الرسول ، الا آن جبريل جاءه بجواب ما سألوه (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .. ولم يتوقف هذا الامر على الرسول فحسب بل كانوا يناقشون الصحابة بمثل هذا .

ففي مناقشة بين أبي بكر وفنحاص ، حيث أفحم أبو بكر هـذا الحبر اليهودي ، قال فنحاص عن يأس (والله يا أبا بكر ، ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لاغنياء ، ومـا هو عنا بغني) فنزل في ذلك قول الله تعالى (لقـد سمع الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) .

وأما الاساليب التي صارت جزءا في عقيدتهم وعرفها العرب عامـة ، والاوس والخزرج بعد اسلامهم . انهم كانوا يقسمون بعضهم بـين الفئات المتنازعة ، لاستخدام خبثهم في استمرار التنـازع ، لأنهم كانوا يرون ذلـك سبيلا لدعم مصالحهم واستمرار حاجـة الطرفين المتخاصمين اليهم . ووضح ذلك في المعركة الاخـيرة . التي دارت بين الاوس والخزرج قبـل الاسلام والتي عرفت باسم « يوم بعاث » حيث انضمت بنو النضير وبنو قريظة الى الاوس ، وانضمت بنو قينقاع الى الخزرج لانهم كانوا لا يريدون الاجتمـاع وذلك على حد قول كبيرهم (والله ما لنا معهم ، اذا اجتمع ملؤهم من قرار). ولقد صار هذا الامر عقيدة لهم في العصر الحديث ، فقـد أفصحت عن ذلك الوثائق السرية الرسمية للحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها . لقد دلت هذه الوثائق خطأ ما كان سائدا من أن الحركـة الصهيونية كانت خلال الحرب العالمية الاولى مع الحلفاء تماما ، بل وأكدت أن اليهـود كانوا على صلة سرية بكل الاطراف المتنازعة من أتراك وألمان وحلفاء غربيين على السواء لامكان الاستفادة منهم ، وأنهم لم ينضموا الى الحلفاء الا بعـد أن وجـدوا أنهم الجانب الذي سيكتب لـه النصر والمستعد لمنحهم الثمن الاكبـر .

وعن جماعة هـذا حالهم فان موقفهم من المعاهدات والمواثيق يمكـن الحكم عليه • فانهم كانوا يلتزمون بها طالما كانوا في حاجـة الـى تطبيق نصوصها ، فاذا ما تعارضت هـذه المواثيق مع مصالحهم الخاصـة أسرعوا بنقضها وهدمها) والامثلـة كثيرة لهم من خـلال العلاقات مـع الدولة الاسلامية • سعوا أول الامر الى اثارة الفتنـة بين جماعة المسلمين بأمـور مختلفـة •

ثم ما كان من كعب بن الاشرف اليهودي حليف بني النضير عندما علم بانتصار بدر ، قال (لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها) ، ولم يقتصر على القول فحسب بل ذهب الى مكـة ورثى قتلاها بشعر • ومع ذلك لم تنصحه أو تمنعه بنو النضير عن ذلك ، وهذا ما أكدته الاحداث فيما بعد •

ثم ملأ الحقد قلوبهم ، فردت بنو قينقاع على الرسول حينمـا نصحهم بالاسلام : (لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم علم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن القوم) وبنو قينقاع كانـوا أقوى يهود منطقة المدينـة ، وهم صنـاع سلاح ، وبذلـك أظهروا البغي والحسد ، ونبذوا العهد والمرة ، بهذا الرد المتبجح على حد وصف ولفنسون وهددوا بالحرب • ونفذوا تهديدهم بالاساءة الى احدى نساء المسلمين أثناء انشغال المؤمنين بحفر الخندق ، فسار اليهم الرسول (ص) فتحصنوا فـي حصونهم ، شد عليهم الرسول (ص) وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكم النبي (ص) بالجلاء عن المدينة وكان لجلائهم أثر عظيم في قلوب بقية اليهود ، فامتنعوا بعدها عن المجالات الدينية الا قليلا •

وبعد شهرين من طرد بني قينقاع استضاف أحـد أشراف بني النضير أبا سفيان ، وقراه وسقاه ومن معـه خمرا ، ثـم أخبرهم بعض أخبـار الرسول (ص) ، وكـان أبو سفيان قد خرج من مكـة بأمل أن ينـال من

المسلمين وقتل رجلا من الانصار وحرق أبياتا وتبنا ، ولكنه أسرع فهرب بعد أن تبعه المسلمون وهي ما عرفت بغزوة السويق ٠

ثم قام كعب بن الاشرف اليهودي بالتشبيب بنساء المسلمين ، ويبدو أن ذلك لقي رضا من بني النضير ، وفي هذا نقض للعهد ، فأهدر الرسول (ص) دمه فقتله جماعة من المسلمين ، فعاد اليهود الى الخوف ٠

وبعد معركة أحد ، ذهب الرسول (ص) لبني النضير ، وحاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام غدرا بالقاء حجر عليه من حائط علوي ٠ وقد حاول زعيمهم سلام بن مشكم نهيهم عن ذلك بقوله (لا تفعلن فوالله لنخبرن بما هممتم به ، وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه) ٠ ولكن الوحي جاء الرسول (ص) فقام ثم طلب منهم الجلاء عن المدينة ، ثم حاصرهم الى أن نزلوا على حكمه ، وجلوا عن المدينة ٠

وامتد الامر بهم الى أن بعض بني النضير وبني وائل اليهود ، خرجوا جميعا يحزبون قبائل العرب من قريش وغطفان على الرسول ، وحتى يقنعوهم وأعلنوا دعواهم أن الدين الوثني خير من دين محمد ٠ واستطاعوا أن ينجحوا فيما أرادوه ٠

وخرجت جيوش المشركين وحاصروا المدينة المنورة فيما عرف بغزوة الاحزاب ٠ بل وذهب حيي بن أخطب النضري حتى أتى زعيم بني قريظة ــ الذين اعتزلوا الحرب مع الاحزاب ــ وهو كعب بن أسد ، واستطاع أن يقنعه بنقض العهد ٠

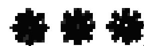
سار الرسول (ص) فيما بعد الى بني قريظة حاملا السلاح ، وكانت قريظة أشد اليهود عداوة لرسول الله (ص) ، أغلظهم كفرا ، وحصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى طلبوا المفاوضة والتحكيم ، فرضي الرسول (ص) بحكم سعد بن معاذ ، الذي حكم بأن يقتل الرجال ، وتسبى النساء والذرية وتقسم الاموال فقال الرسول (ص) (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق

سبع سموات) • ولو استعرضنا هنا الحكم بمنطق العصر الحديث ، فما اليهود الا مجرمو حرب يستحقون هذا الحكم لخياناتهم في وقت الحرب •

وقبل أن نختتم ، لنا وقفة حول ما دار من مناقشة بين يهود بني قريظة خلال فترة الحصار لما لها من أهمية في حكم اليهود على أنفسهم • فبعد أن تأكد كعب بن أسد زعيمهم أن الرسول (ص) لن ينصرف حتى يناجزهم ، عرض على قومه الامر ثم عرض عليهم مواجهته بأحدى ثلاث طرق : اما دخول الاسلام بعد أن تبين لهم أنه نبي مرسل وبذلك يأمنون على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم ، أو التمسك بالتوراة ، أو قتل الابناء والنساء ثم الخروج لمحاربة الرسول (ص) ، فرفضوا الحلول الثلاث • فطلب منهم مناوشة المسلمين يوم الاجتماع ، وكان السبت ولكنهم رفضوا أيضا • وهنا أصدر حكمه عليهم (ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما) •

أما الموقف الآخر الذي يستحق النظر اليه ، هو أنه حينما كانوا يخرجون من الحصن جماعات لينفذ فيهم الحكم سأل بعضهم كعبا : ما تراه يصنع بنا ؟ فقال أوفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وانه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل •

هكذا رأى كعب ابن أسد في قومه ، أنهم (ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما) •



المسار الوطني الديمقراطي لتراثنا الوطني اللبناني

محاضرة : مسنح الصلح

ان الحرب الفعلية التي عشناها منذ ١٩٧٥ والتي لا نزال نعيشها هي في واحد من أهم أسبابها بنت رفض مدبريها للمسار الوطني والديمقراطي للثقافة في لبنان • فقد كانت أوساط لبنانية وعربية ودولية تشعر أن الثقافة في هـذا البلد تتخذ أكثر فأكثر وبشكل حاسم وجهـة وطنية وديمقراطية صريحة ، وأن العقل اللبناني يسير نحو التوحد حول مبادىء مناقضة لمصالح ومفاهيم قائمة في لبنان والبلاد العربية • فكل ما هو غير وطني وغير ديمقراطي في الداخـل وفي المحيط القومي بات مهددا بالانهيار بفعل التحـرر المتبعث بصورة أقوى فأقوى من مؤسسة ديمقراطية لبنانية تعمل بنشاط وتتقـدم باستمرار فتزداد متانة في الداخل وأثرا في الخارج •

لقد نشرت الثقافة الوطنيـة اللبنانية المشعة عبـر المؤسسة الديمقراطية نهارا في لبنان كله ، وفي المنطقة العربيـة كلها ، فأصبح يستحيل عـلى قوى الرجعية أن تتحرك ، وعلى قوى الطغيـان أن تستفرد الناس وقوى الفساد أن تمعن • فالمعتدي على الحق في النهار مرتبك اليد ، وسارق الليل طليقاه •

ومسح وهج الحرية وجه كل مناضل لبناني وعربي بالسحر ، وأحاط كل بندقية حق باللمعان ، وجعل من كل قضيـة في لبنان أو أي بلـد عربي قضية عربية ، وعالمية ، لا يمكن الحاق الهزيمة بها من غير أن يشعر كل حر انه قـد هزم معهـا •

فظهرت هكذا الطبيعة الحقيقة لوظيفـة ثقافتنا الوطنية الديمقراطية في مرحلة تاريخية معينة وهي أن تنقل المبادرة داخليا وخارجيا على المنطقة العربية وعرضها الى القوى الوطنية والقومية المناضلة للتحرر والتقدم والوحدة •

وكان ذلك ، بلا شك ، من أسباب الحرب ، فهذه الحرب هي ، من بعض وجوهها ، عملية انقلاب على التطور الحيوي الذي كانت تسير فيه الثقافة في لبـــنان •

الا انه من المؤكد ان هذه الحرب مـا كانت لتتصاعد فتنتهي بأن تصبح مربكة للعرب كلهم بدون استثناء لو كان هنـاك استيعاب من جميـع العرب لحقيقة دور الفكر في لبنان ، اذ ما ضر ان ترتفع على هذه الارض اللبنانيـة ، المتفتحة منذ زمن بعيد لتيارات فكرية وحضاريـة متنوعة والمختبرة لأنـواع متعددة من الحياة أصوات حـرة ، متقدمة أو محافظة ، ثوريـة أو ليبرالية ، تسجل على العرب تخلفا في السير أو تسرعا ، تخـاذلا أو تهورا ، تورطـا أو تزمتا ، بل ما ضر أن يلعب الفكر في هـذا البلد بالنسبة للقضية العربيـة ككل الدور الذي تلعبه المعارضة البناءة في الدولـة الديمقراطية ، أي دور المنبـه للخطأ ، المذكر بالنقص ، المحذر من العثرات ، الناظر الى الموضوع ، من زواياه المختلفة ، التمسك أبدا بالمقاييس الملتزم دائما بها ؟

والمخاطبة الفكرية الواعية اللبنانية والعربية لجميع اللبنانيين دون استثناء واجبة لفصل الانعزالي العفـوي البريء في انعزاليته عـن الانعزالي المرضي والمتآمر • فبعض أبرياء نزعة الانعزال يخشى يتما في وجـه أمراض اجتماعية مخيفـة صورت له جـزءا من الواقـع العربي كالتعصب والجهـل والتخلف والاستبداد الفكري •

والكثير مما يبدو للوهلة الاولى انه عداء للعروبة مـا هو في العمق الا اشتراطا على هذه العروبة أن تكون بريئة من نقائص لاحقـة بواقع الاوضاع العربيـة •

يقول عبد الغني العريسي عام ١٩١٣ : هل للعرب حق جماعة ؟
ان الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق الا اذا جمعت على رأي علماء الالمان وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأي علماء الطليان

وحدة التاريخ ووحدة العادات وعلى مذهب ساسة الفرنسيس وحدة المطمح السياسي . فاذا نظرنا الى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا أن العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة عنصر ووحدة تاريخ ووحدة عادات ووحدة مطمح سياسي فحق العرب بعد هذا البيان أن يكون لهم على رأي كل علماء السياسة دون استثناء حق جماعة ، حق شعب ـ حق أمة .

تتساءلون عن ماهية الحق لجماعة الامة العربية فبيانا لهذا الحق أقول : أول حق لجماعة الشعوب حق الجنسية (القومية) .

فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية : حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة رغما عما كان ينتابنا من حكومة الآستانة من أنواع الادارات كالامتصاص السياسي أو التسخير الاستعماري أو الذوبان العنصري . فكل ما تذرعت به الآستانة من الوسائل لم يؤد الى غير نتيجة واحدة وهو الحرص على مكانة حق الجماعة واحياء هذا الحس الشريف النبيل حس الجنسية . فاقتفاء للماض نقرر مناهضة كل ما يؤول الى اضعاف هذه القوميـة والتذرع بكل ما فيه حياة لخصائص العرب وميزات العرب فنحن كتلة حية قائمة بذاتها وخاصتها لا تدع أية قوة تمس بناء هذا الركن الركين .

ـ انتهى كلام العريسي ـ

وفي الفترة نفسها التي كان فيها عبد الغني العريسي يقول هذا الكلام ، كان رفيقه في النضال وفي الحركة العربية ورفيقه في الشهادة في آخر المطاف محمد المحمصاني يضع أطروحة في باريس عن الحركة الصهيونية ، ويكتب مقالات تسعا في جريدة الكرمل في حيفا ستخرج قريبا في كتاب يمثل الى جانب كتابات نجيب عازوري ونجيب نصار الوعي المبكر على الخطر الصهيوني .

هذا النمط من الهموم والمواقف ، تحت الشعار الكبير الذي وضعه

المؤتمر العربي الاول في باريس يومــذاك « وهو مقاومــة خطر الاحتلال أو الاضمحلال » الاحتلال الغربي الــذي يهيء نفسه لوراثة الدولة العثمانيــة ، والاضمحلال الذي يهدد بذوبان الشخصية القومية داخل هذه الدولة ، هــذا النمط مثل الخط الوطني والديمقراطي العريض الذي تحركت ضمنــه طلائع المثقفين اللبنانيين •

كان هناك بين المثقفين جميعا سواء في الوطن أم في المهاجر من يؤكد على مقاومة الاحتلال الغربي ولو بالتساهل مع الدولة العثمانية وأكثرية هؤلاء من المسلمين وكان هنــاك من يفعل العكس فيؤكد على الشخصية القوميــة ولو ببعض التنازلات أمام احتلال غربي لا يزال في عالم الغيب (وكان أكثر هؤلاء مــن المسيحيين) •

غــير أن المقياس لم يكن عائمــا بالكامل ، فالذاهب الى حــد التسليم بالاحتلال والذاهب الى حد التسليم بالاضمحلال كانا معتبرين خارج الحركة الوطنية العربية ، كائنة ما كانت مبرراتهما •

وقد تشكل للجبل ، نتيجة لتوالي الفتن الطائفية المفتعلة منــذ ١٨٤٠ ، بأيد أجنبية ، ونتيجة للتركيز الثقافي الاجنبي والديني ، ونتيجة لوضع متصرفية جبل لبنان الخاص شعور حاد بذاتيه مستقلة عن المحيط •

ولهذا كان التعاطي الوطني شبه الدائم مع شعور الذاتية هذا هو عــدم الاصرار على اشراط الولاء القومي العربي المسبق داخل فئــة معينة ، اذا كان التهيب من اعتناق هذا الولاء لا يرافقه استناد الى الاجنبي أو تآمر على العربي أو تنكر للثقافة الوطنية • فها هنا يكفي للصفة الوطنية الامانــة للاستقلال والصدق في مكافحة أي شكل من أشكال التبعية والاستعمار •

أما شعار كل من هو على يميني فهو صديقي مــا دام مستعدا لمحاربــة العرب ، ولو كان هو المستعمر ، بل ولو كان هو اسرائيلي فانه اشعار انحراف لا تجوز هوادة في واجب الحرب عليه •

لا بد من القول ان التخوف في جبل لبنان من ذوبان الذاتية كان ينحصر على الغالب في السياسة فقط ، ويتخذ بصوة عامة صفة الرفض لاشكال الاندماج السياسي في المحيط الواسع ، ولم يكن يتجاوز ذلك ثباتا الى الثقافة العربية ، بل على العكس كان الجبلي يعوض عن هذا الموقف السياسي باستغراق في اللغة العربية لم تعرف شيئا منه أيام الدولة العثمانية الا في جبل عامل الذي نجا وحده من المرور في فترة الانحطاط التاريخية للغة والآداب العربية • وأبرز النماذج على الفصل بين العروبة والعربية في الجبل يوسف السودا المعروف بأنه الحركي الالمع والمنظر الاول للتخوف السياسي من المحيط المسلم ، وقد قال عنه بشارة الخوري في مذكراته « حقائق لبنانية » ، أنه كان في مصر قبل الحرب العالمية الاولى رأس مجموعة العاملين لاستقلال لبنان استقلالا ناجزا ، والمفارقة هي أن هذا الرجل مات في أوائل السبعينات في الثمانين من عمره وهو يؤلف كتابا في تبسيط النحو •

وقبله ألف البطريرك الاسبق عريضة مؤلفا في اللغة بنى فيه على أن اللغة العربية هي أم اللغات قاطبة •

وكالاثنين في حب العربية كان أمين نخلة الذي يقول في تأبين أديب عراقي كبير « مساكين جماعة الجغرافيين وأهل التخطيط حين يكون أمرهم مع هذه العربية ، يصورون الحدود والخطوط وهي تجاوز الصور ، ويا رب كلمة من الشعر يهتف بها قائلها في بلدة غامضة من أرض العرب فهي تتخطى الصحاري ، وتثب الجبال وتتطاير الى الفراتين الى ما وراء النهر ، الى الجزيرة ، الى النيل ، الى عدوة افريقيا ، الى الساحل الشرقي من المتوسط ، لا يحول دونها حد ولا حجاز •

ثم يضيف : أقول : ولا حد لبنان •

ويقول أمين نخلة في مكان آخر : محمد نغمة لا كلمة ، لفرط ما مسحت على شفاه الخلائق • فمن لم تأخذ بالاسلام أخذته بالعروبة ومن لم تأخذه بالعروبة أخذته بالعربية » •

لقد كان التحدي التاريخي منذ مطلع نهضتنا ومـا يزال هو في التوفيق بين الافادة من علم العالم المتقدم ، ومدنيته ، وقدرته على المساعدة في عمليـة التحديث ، ومن جهة ثانية مقاومة شتى صور الاحتـلال الثقافي وأشكاله من تسلط وتدخل وهيمنة وثقافة استعمارية •

قال المعلم بطرس البستاني : اننا نرى ان العلوم والفنون الأجنبية المبنية على مبادىء حقيقية قادمة الينا من كل فـج عميق ، وما مكث فيـه الافرنج السنين العديدة يمكن العرب أن يكتسبوا من أقرب زمـان مع غاية الاتقـان والاحكام • فالعلوم اذن قـد أكملت دورتها بوصولها الـى العرب عن طريق الاسكندرية واسلامبول والهنـد وبيروت • وكما ان الافرنج لـم يستحفوا بآداب العرب في أيام جهلهم لاجل مجرد كونها منسوبة الى العرب ، كذلك لا يليق بالعرب أن يستحفوا لعلوم الافرنج لاجل مجرد كونها افرنجية (١) •

فقبول حضارة الغرب لم يفصل عند هـذا الرائد الكبير عـن الاعتزاز بالشخصية القومية العربية • نرى ذلك في محيط المحيط في دائرة معارفه وفي جريدة نفير سوريا التي حمل فيها أيـام (١٨٦٠) على الاقتتال الطائفي ، وفي المدرسة الوطنية التي أنشأها واستقبل فيها طلابا من مختلف البلدان العربيـة ومن مختلف الاديان والمذاهب ، وفي الجمعية العلميـة السورية التي ضمته واليازجي الكبير صنوه في الروح الوطنـي العربي وزميله المتفوق في الادب واللغـة •

ومن نوادر القرى اللبنانيـة عن نشأة المدارس ان الدكتور كورنيليوس فانديك المبشر البروتستانتي صديق البستاني كان يغمز من قنـاة اليسوعيين بالقول أنه اذا فتح مدرسة واحدة فقـد ضمن فتـح مدرستين ، باعتبـار أن اليسوعيين سيلحقون به وينشئون الى جانبه مدرسة أخرى • ولكن الواقع أن فانديك كان يفتح ثلاث مدارس لا مدرستين • فقد أوجد المسلمون مدارسهم أيضا تحت تأثـير تنبهم للنشاط التبشيري ، انشأوا مدارس المقاصد الخيريـة

الاسلامية في بيروت وصيدا وكلية التربيــة والتعليم في طرابلس وفيمـا بعد مدرسة الشيخ أحمد عباس الشهيرة ولا شك أن عبد القــادر القباني صاحب ثمرات الفنون هو أحد بناة الرد الاسلامي على النشاط الثقافي الغربي •

أما الشيخ محمد رشيد رضا ، القلموني اللبناني بحدود لبنان بعد عام ١٩٢٠ فقد كان واحــدا من رواد مسلمين أربعــة أنفقوا أعمارهم يجيبون عن سؤال طرحوه على أنفسهم ، وهو لماذا تأخر المسلمون وتقدم سواهم • وهذا السوى يشمل مسيحيي أوربــا ونصارى الشرق على حــد سواء • فالافغاني ومحمد عبده ورشيد رضــا وشكيب ارسلان شركاء في هــذا الهم • الا أن صاحب المنار كان الاكثر انتاجا في الاجابة وفي الدل على الطريق •

في رأي السيد أن الحكام الفاسدين حملوا المسلمين على تناسي الشورى بتشجيعهم على التخلي عن التوحيــد ، والاسلام الحقيقي يقوم عــلى القول بالتوحيد وعــلى الشورى (٢) • ويدعو السيد الى بعث المدنيــة الاسلامية بالعودة الى القــرآن ، وتجنب الوهم بأن مجــرد الاخذ بالتقــدم التقني كــاف (٣) •

ويعتبر السيد أن ميزة الاسلام الاولى هي السعي • والجهد الايجابي هو جوهر الاسلام وهذا هو معنى كلمة الجهاد في مفهومها الاعم (٤) •

وميز الاسلام الثانية هي أنه أنشأ مــع التاريخ جماعــة واحدة تجمعها وحدة الدين والشريعة والمساواة وتبادل الحقوق والواجبات كما تجمعها أيضا روابط طبيعية ، وبالاخص رابطة اللغة واللغة هي العربية (٥) •

والاسلام الحــق ، كما يعتقد ، هو اسلام الجيل الاول الــذي عرف النبي (٦) وكان الشيخ يؤمن بأن الوحــدة بــين السنة والشيعــة ضرورة ماســة (٧) •

ويميز بين أفعال العبادة والافعال الخلقية • ويعطي الامــة الاسلامية في الثانية ، أو في مجموع العلاقات البشرية ، صلاحية التشريع انطلاقا من مبــدأ

المصلحة (٨) .

ولم ينطلق رشيد رضا في نظرته الى الغرب من الاعجاب كما نرى عند بطرس البستاني مثلا ، بل من الضرورة ، فمن الضروري أن يتحدى الاسلام العالم الجديد وأن يقبل بالمدنية الجديدة بالمقدار الكافي لاستعادة قوته (٩) .

ولا بد للشرائع ، في رأيه ، من أن تتغير تغيرا كبيرا لم يسبق له مثيل . وهذا التغير المنشود يجب أن لا يقتصر على تعيل المذاهب الاربعة (١٠) .

ويرسم رشيد رضا في كتاباته خطوط النظام الشرعي الجديد ، ويفارق في بعض فتاويه الموقف التقليدي .

في ما يخص الجهاد ، يفرق بين الحرب التي تستهدف نشر الاسلام ، وتلك التي تستهدف الدفاع عنه . فالثانية مشروعة والاولى غير مشروعة الا في حالة تعذر نشر الاسلام سليما (١١) .

أما في الاقتصاد ـ فالشريعة الاسلامية في نظره تحرم الربى . وهو يسأل هل يمكن أن يقال ان مقتضي شرع هذا الدين أن يكون أهله فقراء وأن يكون ما به قيام معاشهم وعزة أمتهم ودولتهم في أيدي الطامعين فيهم من الامم الاخرى (١٢) .

على أن رشيد رضا الطرابلسي القلموني ، وهو المصلح الاسلامي بالدرجة الاولى كان في عمله السياسي مؤمنا بالقومية العربية ، بل مناضلا في سبيلها . ولا يتجلى ذلك في تأكيده على صورة الاسلام العربية الاولى في الجزيرة فحسب ، ولا في تطلعه الى الجزيرة بانتظار دور اسلامي ، ولا في اعتباره العربية هي لغة المسلمين الطبيعية والوحيدة بل خصوصا في ايمانه بوجود أمة عربية ذات وجود قومي كما نرى في كتاباته وكما نعرف من تاريخه السياسي الحافل . وقد كان عدوا للاستعمار . وله موقف في آب ١٩١٩ من الاتحاد السوفياتي يدافع فيه عن هذا الاتحاد وعن حكم الاكثرية العاملة ويهاجم المفتي المصري الذي فوضه الانكليز بالحرب على البلشفية .

واذا كان منار رشيد رضا قد شكل مدرسة فكريــة فان مقتطف يعقوب صروف وفارس نمر وهلال جرجي زيدان (وكلهم لبنانيون جبليون مم خريجي الكلية البروتستانتية السورية) ، قد شكلا مدرسة فكرية أخرى تبشر بــأن العلم هو أساس المدنية ، وأن الخلقية الاجتماعية هي أساس القوة الاجتماعية، وان الوطنية يجب أن تعلو على كل رابطة اجتماعية ، ومنها الدينية •

وقد حمل أفــذاذ كالشميل وفرح انطون وسواهما الرايــة التي حملها بطرس البستاني من قبلهم ، ورفعوها الى أعلى ، واعتبر الشميل العلم ديانــة جديدة مهمتها الصراع مع الاديان القديمة ، ولهذه الديانة الجديدة مستلزمات اجتماعية وسياسية • فالعلوم الطبيعيــة هي أساس العلوم الانسانيــة • ولا تستمد الشرائع السليمة الا من العلوم الانسانية الصحيحة (١٣) •

ولم تكن المؤسسات والقوانين عند الشميل معصومة ، فقيمتها بمقــدار ما فيها من خير عام (١٤) • ويجب أن تتغير بالتــدرج • وفي بعض الحالات لا بد من الثورة • لكن الاصلاحات التي تنجح انما هي التي تنبثق عن تغير فــي الارادة العامة وتستهدف الخير العام (١٥) • ولا يمكن الاتفاق على ماهية هذا الحق اذا لــم تتوفر الحرية ، ولا سيما حريــة الفكر • ففي الاستبداد يسيطر عضو من أعضاء المجتمع على الآخرين ويضع مصلحته فوق مصلحتهم (١٦) • كذلك لا تكون ارادة عامــة بدون وحدة اجتماعية تقوم عليها ، ممــا يقتضي فصل الدين عن الحياة السياسية (١٧) • ولا يحاول التمثيل الاستعاضة عــن التضامن الديني بالتضامن القومي بل يهاجم التعصب القومي ، ويبشر بانتصار الوطنية العالميــة (١٨) •

ويقول الشميل بالاشتراكية ، ويفهم بها تدخل الدولة لتحقيق التقــدم الاجتماعي والتعاون في سبل الخير العام ، وايجــاد عمل للقادرين ، وتأمــين المساواة في الاجور وتحسين الصحة العامة ، وأكثر من ذلك تهديم المؤسسات الموجودة في بعض القطاعات لبناء جامعة حقيقية تدرس فيها العلوم ومدرسة

تقنية بدلا من مدرسة الحقوق ، ومحاكم محلية بسيطة ، ومؤسسات عامة لتوزيع المياه ومدارس ابتدائية في كل قرية ولبي وصحف لائقة لتنوير الرأي العام (١٩) .

الا ان أهم ما قام به شميل وأثار من حوله الجدل ليس خطه السياسي العملي ولا المنهاج الذي وضعه للحزب الاشتراكي في مصر ، وانما الافكار التقدمية والعلمية التي بثها ، وبصورة خاصة فلسفته المادية وقضية الداروينية ، وتطبيقاتها التي حركت الفكر عند الطلائع المثقفة في لبنان وأعطتها وجهة جديدة .

وكان جبران خليل جبران في المهجر الاميركي الشمالي ومعه رفاق في الرابطة القلمية منهم اللبناني والسوري على حد سواء يمثل اطلالة جديدة كل الجدة على الحياة الفكرية والادبية . وقد تعامل مع المقاييس السائدة في التفكير والتعبير بحرية غير مألوفة من قبل ، وخاطب الناس عبر لغة لم تكن لغة أدباء عصره .

« لكم لغتكم ولي لغتي » : « لكم منها القواميس والمجمعات والمطولات ولي منها ما غربلته الاذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس وتتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم .

لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ولي من لغتي نظرة في عين المغلوب ودمعة في جفن المشتاق وابتسامة على ثغر المؤمن واشارة في يد السموح الحكيم .. لكم منها الفصيح دون الركيك والبليغ دون المبتذل ، ولي منه ما يتمتمه المستوحش ، وما يغص به المتوجع وما يلثغ به المأخوذ ـ وكله فصيح وبليغ . لكم منها القلائد الفضية ولي منها قطر الندى ورجيع الصدى وتلاعب النسيم بأوراق الحور والصفصاف ... لكم منها الترصيع والتنزيل والتنميق وكل ما وراء هذه البلهوانيات من التلفيق ، ولي منها كلام إذا قيل رفع السامع الى ما وراء الكلام ، واذا كتب بسط أمام القارىء فسحات في الاثير لا يحدها البيان » .

ولم يعرف الأدب الانساني الا نادرا كاتبا كجبران حمل لواء التمرد على الاوضاع ، وكان قاطعا في موقفه من الاقطاع وشتى أنواع الاستعباد . ففي مقاله « حفار القبور ، في العواصف » يقول : « اتبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطىء الفرات الى مصب النيل الى جبل سنا الى ساحات أثينا كنائس روما الى أزقة القسطنطينية الى بنايات لندن فرأيت العبودية تسير بكل مكان في موكب العظمة والجلال والناس ينحرون الفتيان والعذارى على مذابحها ويدعونها الها ، ثم يسكبون الخمور والطيوب على قدميها ويدعونها ملكا ، ثم يحرقون البخور أمام تماثيلها ويدعونها نبيا ، ثم يخرون ساجدين لها ويدعونها شريعة ، ثم يتحاربون من أجلها ويدعونها وطنية ، ثم يجدون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالا وتجارة » .

وعلى الرغم من أن جبران أقرب الى أن يصنف رافضا كما تفهمه شبيبة العالم اليوم من أن يكون ثوريا سياسيا ، فانه قد أيد الثورة العربية . ويقول في رسالة الى ماري هسكل مؤرخة في ٢٩ حزيران ١٩١٦ (٢١) : ان الثورة العربية هي حقا أمر مدهش لا يعرف أحد خارج البلاد العربية الى أي حد قد نجحت وأي شوط ستصل . لكن حصول الحركة هو أمر عظيم جبار ، أمر حلمت به وعملت لأجله خلال السنوات العشر الاخيرة .

وقد علق رشيد رضا على مواكب جبران بالقول انه معري هذا العصر ، بما قال عنه لويس شيخو في المشرق ليست هذه مواكب وانما هي عناكب .

ونادى جبران بالتعليم الوطني (٢٢) يقول : لا يعم انتشار اللغة في المدارس العالية وغير العالية حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة ، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدراس من أيدي الجمعيات الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية الى أيدي الحكومات المحلية » ... « سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية ، وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية وتتبلور منازعنا القومية » .

العمل قيمة ونظام

بقلم: الدكتورة عبلة محمد الكحلاوي

قال سبحانه وتعالى في سورة الانبياء « وما جعلناهم لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين » •

ومن ذلك تتبين لنا نظرة الاسلام الى الجانب المعيشي من حياة الناس •• حتى الرسل منهم •

ومنذ أن هبط الانسان الى الارض أعلن الكفاح والكدح لكي يحصل على الغذاء ويتمكن من مواصلة الحياة •

وقد كفل له الله رزقه على ثراها ، ولكن جعل السعي والكفاح شرطا للحصول عليه • قال تعالى « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » ثم قال سبحانه : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » •

وحث الله الانسان على تدبر ما أمده الله به في الارض من خيرات •• ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •

وهكذا يدل الله الانسان على نعمه في الارض ويدعوه الى تدبرها وتسخيرها لمصلحته ، وكذلك يدله على ما منحه من نعمة في نفسه من قدرات ومواهب عقلية وروحية ، ويدعوه أن يتدبرها ويوجهها الى ما فيه مصلحته •

من كل هذا ندرك أن الاسلام يقدر الجانب المعيشي من حياة الفرد

والجماعة ، مؤكدا على ان العمل هو الوسيلة الاولى للحياة ، ولذلك يقول تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » وقال صلى الله عليه وسلم «ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا السعي في طلب المعيشة » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده » وروي أنه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى رجلا يلوذ بالمسجد راكعا ساجدا فسأل عنه فقيل أنه رجل عابد فقال : ومن الذي ينفق عليه ؟ قالوا أخوه يعمل ويعوله ، قال : أخوه أعبد منه » •

وقال عليه الصلاة والسلام «لئن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » •

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « رحم الله امرءا أمسك فضل القول وقدم فضل العمل » « والقوة في العمل ألا تؤجل عمل اليوم الى الغد » •

على أن الله أرسى لنا دعائم ثابتة وضمانات للعمل ، فالعمل المأمور به محكوم بضوابط من الصدق والامانة والضمير والرحمة ، فعندما فجر الله لعباده ينابيع الرزق • نبه الى انه لا يجوز أن يعدو الحلال الطيب ، فالانسان محاسب عن سلوكه ، ولا يجوز له أن ينطلق وراء الكسب المادي فيقترف العمل المحرم ، فما الدنيا الا ومضة سرعان ما تزول •

« يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا » ثم نقف بين يدي أحكم الحاكمين فنسأل عما قدمنا ونجزى به « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » •

فلا يغتر بنو الانسان بما في أيديهم من مال مريب المصدر ، فلو عرف عقباه في آخرته لألقاه في غياهب سحيقة •• يقول سيدي رسول الله صلى

الله عليه وسلم : لأن يأخذ ترابا يجعله في فيه ، خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه . وقال : أيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به .

كذلك حرم الاسلام التسول مع القدرة على العمل ، وكره أن يعيش الانسان عالة على غيره .. يقول عليه الصلاة والسلام .. ما تزال المساءلة في أحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم .

حكم الغش في العمل

يقول تعالى : « والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » . وقال سبحانه « وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين » « وزنوا بالقسطاس المستقيم » « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » « ويل للمطففين اللذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » .

فالغش في الاسلام لا يقتصر حرامه على البيع والشراء والميزان والكيل فقط . وانما على أي نوع من أنواع التعامل .. حتى في الشركة قال صلى الله عليه وسلم « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما » والغش حرام بالجملة « من غش فليس منا » .

حرمة الربا

كذلك حرم الله الربا ، يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها اللذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » ويقول « وأحل الله البيع وحرم الربا » . فالبيع حلال لأن فيه عمل وكفاح . أما الربا فلا عمل فيه وليس فيه الا الاستغلال .

وبعد أن مهد الله للانسان طرائق العمل الشريف وحببه في ثمرة كده ، ونها ءعن كل ما فيه حرام أو يؤدي الى حرام .. عاود المشرع الحكيم التأكيد

على ترسيخ المبادىء والسلوكيات فأوجب على العامل أن يخلص في أداء عمله ويتقنه « أن الله يحب اذا عمل أحدكم عمــلا أن يتقنه » وفي ذلــك الوجوب تأكيد دائم لدور الضمير في مراقبــة الانسان ، واذكاء للروح الجماعية بمــا يعود على المجتمع بالنفع والمصلحة « ان الله كتب الاحسان في كل شيء » •

ثم أقر الاسلام تمييز المتقن عن الذي لا يؤدي عمله باتقان •• وهو مــا يعرف اليوم بنظام الحوافز •• « وان ليس للانسان الا مــا سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » •

كذلك كفل الاجر المناسب لكل عمل يتقنه صاحبه « لكل درجات ممــا عملوا ، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » •

وينهى عن استئجار الاجير قبل أن يبين له مقدار الاجر وفي ذلك حماية له من الغبن •

قال صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقــه » ويقول : « من استأجر أجيرا فليسم له أجرته » •

وليست هذه هي كل الضمانات التي كفلها الاسلام للعامل •• بل تناول أيضــا حالته وقت البطالــة •• وأوجب على الدولة توفــير العمل اللازم للافــراد ••

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستجديه ، فباع خاتمــا له من حديد بدرهمين في السوق ، أعطاهما للرجــل وقال لــه كل بأحدهما واشتر بالآخر فأسا واعمل به وأوجب الاسلام تمكين العامل من آلــة العمل وكذلك توفير الغذاء والكساء له ومتطلبات الحياة كي يتفرغ لعمله وللانتاج •

واذا أصابته آفة تقعده عن العمل فقــد وجب ـ في الاسلام ـ عــلى الدولة كفالته الى أن توجد له عملا يناسبه •

كما أوجب حسن اختيار الولاة والعمال •• وتوخي القدرة والكفاءة في اختيارهم •• وقال تعالى على لسان ابنة شعيب « يا أبت استأجره ، ان خــير

من استأجرت القوي الامين » .

كما أوجب على الدولة مراقبة أعمال عمالها حفاظا على الصحة والمصلحة العامة ، يستوي في ذلك الولاة والعمال والاجراء وأصحاب الحرف .

يحدثنا ابن الاخـوة القرشي في الحسبة على الخبازين قائـلا « ويلتزم الخبازون بغربلة الغلة من التراب .. وتأمرهم بكنس بيت النـار .. وغسل المعاجن وتنظيفها ولا يعجن بقدميـه ولا بركبتيه ولا بمرفقيـه والا يعجن الا وعليه ملبسة ضيقة الاكمام ويكون ملثما فانه ربمـا عطس ويشد على جبينه عصابة (حتى لا يتساقط العرق على العجين واذا عجن في النهار فليكن عنـده انسان على يده مذبة لطرد الذباب) .

وكان من مهام المحتسب وهو يتفقد الاحوال أن يراقب نظافة الاجـراء والعمال والباعة الجائلين .

تشغيل الاحـداث

وأباح الاسلام تشغيلهم في الاعمال التي تناسبهم مـا دامت لهم القدرة والموهبة لممارسة الاعمال .. ووضع الضمانات الكافيـة لرعايتهم والمحافظة على حقوقهم ..

فمثلا جعل اختيار حرفة الحدث مسؤولية في عنق وليه .. ليعمل عـلى اختيار حرفة ملائمة له فليس من حقـه أن يسمح بتشغيله في عمل محرم ، أو عمل يلحق به الضرر .. وليس من حقه أن يأمره بشيء من ذلك .

كذلك جعل الحدث أهلا لا يرام عقـد العمل عن نفسه ان كان مأذونا . وللصبي اذا بلغ الحلم فسخ عقد العمل ، لانه أصبح له حق الاختيار ، كمـا منع صاحب العمل أن يضرب الحدث الاجير .

وقد أباح الاسلام تشغيل الحدث لما في ذلك من ايقـاظ لروح الكسب والتحفز ، ومن تشجيع له على الاعتماد على نفسه منذ الصغر .

ولقد أوضح العلماء المسلمون ان رعاية الحدث مسؤولية الدولة .. فعليها وحدها المواهب منهم وتتولاهم بالرعاية والتدريب والتثقيف عملا على تنمية مواهبهم منذ الصغر .

فالشاطبي ابان حديثه عن فرض الكفالة التربوية الاسلامية التي تحققها الدولة لكل ذي موهبة يقسم العمال والصبية الى مراحل متدرجة : المرحلة الاولى منها تكون عامة للصبيان والشباب جميعا الا يتخلف عنها أحد ، ومن يقطعها لا ينتقل الى الثانية الا اذا كان ذا نبوغ متميز ، يؤهله للانتقال ؛ ومن وقف عندها فقد وقفه عند فرض كفائي تحتاج اليه الامة ، وهم الذين يعملون بأبدانهم ، وهكذا يكون انتقال الصبية والشباب بين مراحل الترقي في التثقيف أساسه النبوغ والتميز .

عمل المرأة

أما النساء فقد أقر الاسلام حق المرأة فيما يناسبها من العمل ؛ فقد ذكر ان أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت تعمل بيديها في دبغ الجلود وخرزها ثم تنفق أجرها في سبيل الله ، كذلك كانت امرأة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود صانعة ، فقد ورد أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم تسأل على انفاقها على أهلها ، فقال عليه الصلاة والسلام .. لك في ذلك ما أنفقت عليهم .. فانفقي عليهم ..

غير أنه يشترط أن يكون العمل مناسبا للمرأة ، وألا يكون حراما أو فيه معصية ، أو داعيا لشبهة ، واشترط أيضا أن تكون المرأة العاملة وقورة محتشمة .

وأخيرا أوجب الاسلام على العمال أن يبحثوا ويدرسوا ويتقنوا العمل الذي بأيديهم ، وقبل هذا عليهم أن يتفقهوا في دينهم ، ويتعرفوا على نواهيه وأوامره ، والعلم المفروض شرعا لا يقتصر على طبقة دون أخرى .

خلاصة القول أنه كان للاسلام فضل السبق في كفالة حق العلم والعمل للناس كافة .. لكي يوجد العامل المتخصص والصانع الدارس للعمل الذي بين يديه .. وحتى يعمل الانسان على أن يأكل من كد يده حلالاً طيباً .. وحتى يتم تدعيم المجتمع بأسباب التقدم والازدهار .

دكتورة عبلة محمد الكحلاوي

* * *

عنوان مجلة العرفان

بيروت ـ لبنان

ص. ب : ٣٩٧٨ ـ ١١

نزار الزين

* * *

قيمة الاشتراك بالعرفان

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسوريا .

عشر دنانير في البلاد العربية .

٢٠ عشرون دولارا في بقية البلدان بالبريد العادي وبالجوي خمسون دولارا .

١٥٠ ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات والشركات .

كمبيوتر الحروف العربية

بقلم: السيد رضوان السيد راجح

زيارج جفر

ان العرفان لها منزلة في قلوب اخوانها الذين ولدوا في عامها ورافقوها في أيامها الحلوة والمرة وهي أم لمن جاؤوا بعدها وارتشفوا من مناهلها العذبة المتعددة الاتجاهات من أدبية الى تاريخيــة الى مناقشات مبنية على البنـــاء لا الهدم والتمحيص للحقائق لا المغالطات .

قبل نحــو سنتين أو ثلاث كتب عن علم الجفر ولــم يشف غليلي وفـــي الوقت الحاضر صدرت كتب جعل عنوانها ــ الجفر ــ وهي أبعد مــا تكون عن هذا العلم انما هي مجموعة تنبوءات عما سيحدث آخــر الزمان وأكثرها روايات من الاسرائيليات . وأغرب كتاب هو ما جعل له عنوان : الجفر طبــع المكتبات الازهرية حيث يقول بالنص انه حينما صعد علي بن أبي طالب المنبر وكان جعفر الصادق حاضرا فدون علم الجفر عن علي كرم الله وجهه ثــم يأتي الكتاب المذكور بما لا يقول به عاقل فضلا عن صاحب علم .

وكنت أغالــب النفس وأجاهدها على عــدم الخوض في هذا البحــر المتلاطم الامواج عساني أجد مــا يبرر علمي شيئا من المنطق أو الحجــة التي تدعم صحة هذا العلم ، وغيره من علوم الحرف العربي حتى أني جربت أكثــر من ثلاثين طريقة من علم الزيارج الى أن توفرت لي الادلــة على صحة هــذه

بعيدا كل البعد عن روايات احبـار اليهود الذين اعتنقوا الاسلام مـع عدم الثقة فيما تزخر به كتب عديدة لانهم غيروا دينهم ولا يهمنا ما بدلوه وقد حبانا الله سبحانه وتعالى بالحنيفية السمحاء وهذا النور الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وآله ثم هذه اللغـة بسيطة التعبير غزيرة في معانيهـا خصوصا التعبير القرآني الذي أصبح يرتشف منه كل صاحب علم فيما يتعلق بعلمه من أنواع العلوم وشتى النواحي من اقتصاد الى تربيـة أخلاقيـة أو سياسية أو مدنيـة .. الـخ .

أقرأت قوله تعالى في سورة الكهف «ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » كيف انها تضمنت لبيثهم في الكهف فيمـا لو حسبتها سنين قمرية كما عنـد اليهود في سنينهم تكون ثلاث مـأة وتسعة أو حسبتها سنين شمسية تكون ثلاث مئه سنين فقط .

أم قرأت في سورة يس المباركة التي هي قلب القرآن قوله تعالى « كل في فلك يسبحون» . كيف أنها تنطبق على جميع ما خلق الله كل الوجود من أصغر خلق الله وهي الذرة التي حتى لا تكاد ترى ولا في المكبرات انها فلك يدور: نيوترون وبروتون ، يدوران في مجال مغناطيس ويتولد من الدوران مجـال كهربي كما يقرره العلم .

أجل ، حتى تركيب الجملة التي تعبر عن الدوران في فلك هي نفسها لو قرأتها طردا أو عكسا فانها دائرة ـ وحتى الزيارج أو الجفر لو أردت أن تقرأ الجواب الخارج بعد الاجراءات التي تتخذها فان الجواب يكون عبارة عـن دائرة وذلك لان لا يفهم سرها من ليس بأهل كما سيأتي في محله انشاءالله .

وما زلت في صدد الكلام عن الحروف العربية واحاطتها بجميع مايخطر على البال ولا يدرك هذا الا من منحه الله صفاء الفكر واستجابة القريحة لمـا يريد أن يقول فاني أقدم اليك أيها الاخ خطبتين لأمير البيان وفارس الفرسان

الامام علي كرم الله وجهه ولا حرمنا الله من حبه وموالاته حتى نكون من حزبه الغر المحجلين والخطبة الاولى الخالية من الالف قرأتها في عدة كتب عند جميع من تصدى لمناقبه التي لا تعد ـ

كتب عنه انه جاء يوما الى مجلس ضم كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وعليهم وهم يتدارسون كيف ان الانسان لا يستغني عن استعمال حرف الالف في كلامه فانحدر كالسيل بهذه الخطبة التي هي جزء منها لا كلها واليكها تبركا وتيمنا بأن أضع هاتين في أول ما أكتبه عن علم الحرف الذي حسب التعبير الحديث اسميته بكمبيوتر الحروف العربية •

الخطبة الاولى

ذكر في البحار روي أن الصحابة قالوا ليس من حروف المعجم حرف أكثر دورانا في الكلام من الالف فنهض أمير المؤمنين وخطب خطبة على البداهة تشتمل على الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وفيها الوعد والوعيد ووصف الجنة والنار والمواعظ والزواجر والنصيحة للخلق وغير ذلك •

قال عليه السلام : ـ حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت غضبه ، حمدته وتمت كلمته ونفذت مشيئته وتلفت حجته وعدلت قضيته ، حمدته حمد مقر بربوبيته ، متخضع لعبوديته متنصل من خطيئته معترف بتوحيده مستعيذ من وعيده مؤمل من ربه رحمة تنجيه يوم يشغل كل عن فصيلته وبنيه ونستعينه ونسترشده ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود عبد مخلص مؤمن وفردته تفريد مؤمن متق ، ووحدته توحيد عبد مذعن ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه جل عن مشير ووزير وتنزه عن مثل ونظير علم فستر وبطن فخبر وملك فقهر وعصي فغفر وعبد فشكر وحكم فعدل وتكرم وتفضل لن يزول ولم يزل ليس كمثله شيء ، وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء • رب متفرد بعزته متملك بقوته متقدس

بعلوه متكبر يسموه ليس يدركه بصر ولم يحط به نظر قوي منيع بصير سميع حليم حكيم رؤوف رحيم عجز عن وصفه من وصفه وضل نعته من نعته، من عزته قرب فبعد وبعد فقرب يجيب دعوة من يدعوه ويرزق عبده ويحبوه • ذو لطف خفي وبطش قوي ورحمة موسعة وعقوبة موجعة ورحمته جنة عريضة مونقة وعقوبته جحيم موصدة موبقة •

وشهدت بيعة محمد (ص) عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله وبعثه في خير عصر وحين فترة وكفر رحمة لعبيده ومنته لمزيده ختم بسه نبوته وقوى به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكدح رؤوف بكل مؤمن، ولي سخي زكي رضي الله عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم من رب غفور رحيم قريب مجيب حكيم •

وصيتكم معشر من حضرني بتقوى ربكم وذكرتكم بسنة نبيكم فعليكم برهبة تسكن قلوبكم وخشية تذري دموعكم وتقية تنجيكم يوم يذهلكم ويبليكم، يوم يفوز فيه من وزن حسنة وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم مسألة ذل وخضوع وشكر وخضوع وتوبة ونزوع وندم ورجوع وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه وشيبه قبل هرمه وسعته قبل فقره وخلوته قبل شغله وحضره قبل سفره وحياته قبل موته وشبيبه قبل هرمه ثم يكبر ويهن ويهرم ويمرض ويسقم ويمل طبيبه ويعرض عنه حبيبه وينقطع عمره ويتغير لونه ويقل عقله ثم قيل هو موعوك وجسمه منهوك قد جد في نزع شديد وحضره قريب وبعيد فشخص ببصره وطمح بنظره ورشح جبينه وخطف عرينه وجنت نفسه وبكته عرسه وحفر رمسه ويتم منه ولده وتفرق عنه عدده وقسم جمعه وذهب بصره وسمعه ولقن ومدد ووجه وجرد وغسل وعري ونشف وسجي وبسط له وهيء ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه وقمص وعمم ولف وودع وسلم وحمل فوق سرير وصلي عليه بتكبير بغير سجود وتعفير ونقل من دور مزخرفة وقصور مشيدة وحجر منضدة فجعل في ضريح ملحود ضيق مرصود بلبن منضود مسقف بجلمود وهيل عليه عفره وحثي عليه مدره

فتحقق حذره ونسي خبره ورجع عنه وليه ونديمه ونسيبه وحميمه وتبدل به قرينه وحبيبه فهو حشو قبر ورهين قفر يسعى في جسمه دود قبره ويسيل صديده في منخره وتسحق تربته لحمه وينشف دمه ويرق عظمه ويقم في قبره حتى يوم حشره فينشر من قبره وينفخ في صور ويدعى بحشر ونشر فتم بعثرت قبور وحصلت سريرة في صدور وجيء بكل نبي صديق وشهيد ويضيق ووقف لفصل حكمه عند رب قدير بعبيده خبير بصير من زفرة تضفيه وحسرة تضنيه في موقف مهول عظيم بين يدي ملك كريم بكل صغيرة وكبيرة عليم ، يلجمه عرقه ويحفزه قلقه فعبرته غير مرحومة وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة .. الى آخر الخطبة البليغة الواعظة .

أما الخطبة الثانية وهي خالية من النقطة مذكورة في المناقب عن ابن شهراشوب والكليني وابن بابويه باسناده عن الرضا (عليه السلام) انه حدث أصحابه معاجز جده الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام فنقل لهم هذه المعجزة الخالدة وهي :

الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومالك كل مطرود ساطع المهاد وموصل الاطواد ومرسل الامطار ، عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها ومكرر الدهور ومكورها وموزد الامور ومصدرها عم سماحه وكمل ركامه وأهمل وطاع السؤال كما وحد ألا وهو الله لا اله للامم سواه ولا صارع لما عدل سواه أرسل محمدا علما للاسلام واماما للاحكام ومسدد الرعام ومعطل احكام ود وسواع علم وحلم وحكم وأصل الاصول ومهد والد الوعود واوعد وأوصل ، الله له الاكرام وأودع روحه السلام ورحمة الله وأهله الكرام ما لمع دال وطلع هلال وسمع اهلال اعملوا رحمكم الله ورعاكم لأصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واصرحوا الحرام ورعده واسمعوا أمر الله ووعده وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهرو أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع . ومصاهركم أطهر الاحرار مولدا وأسراهم سؤددا وأحلاهم موردا

وها هو امامكم وحل حرمكم مسلكا عروسكم المكرمه وماهرها كما مهر رسول الله أم سلمه وهو أكرم صهر وأودع الاولاد وملك ما أدى دوماسها ولا وكس ملاحمه ولا وصم ، أسأل الله لكم احمـاد وصاله ودوام اسعاده وألهم كـلا اصلاح حاله والاعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد .

هذا جزء من مفاخر الحرف العربي ويا لها من مفاخر لا تحصى أليس كل علم من العلوم العملية والنظرية قدنظم شعرا من نحو الى صرف الى معاني وقد ضاع منها الكثير حتى منظومة بن ياسمين في الجبر التي جمعت علم الجبر في قصيدة واحدة أولها :

عـلى ثلاثـة يدور الجبـر	المـال والاعداد ثم الجـذر
فالمـال كـل عـدد مربـع	وجذره واحد تلك الاضلـع

قد ضاع منها أبيات عدة وكان يوجـد كتاب اسمه مجموع المتون فيـه منظومة تجمع أربعة علوم الكلمة الاولى من كل بيت لو جمعتها افـادة بعلم بتمامه والاخيرة من المصرع كذلك والحرف الاخير من المصرع لو ركبتمنه كلاما ينطق بعلم والحرف الاخير من صدر البيت لو جمعته ينطق علما رابعا . وسوف يأتيك في علم الزيارج اثني عشر ميزان لكل برج ٧٦ حرفـا فاحصها عندما تأتيك انشاء الله وبتوفيقه ، اللهم وفق .

لكوسجها التقويم يتلوه ضاحك	ورايـة افراح سمت وبياضهـا
وخد تقى رايـة الحزن بعـده	وحمرتهـا والنكس لاعراضهـا
وخـارج نصر والثقاف وجامـع	وداخل نصر والطريق انتهاضهـا
وخارج قبض والجماعـة ساقه	وداخل قبض بعدهن انتماضهـا
زنانيـة التعـداد فأفهم مقالـه	بهـذا جـرأ ترتيبها ومفاضهـا



قهرزدبنة فيسيرة في علم الزايرجة لتصنيف الفسيح المربـاني جاعدين •

اعلم ان علم الزايرجـة مأخوذ في طريق الحروف بعـد معرفـة طبائعها وحارهـا ويابسها ورطبها ومحضها وتوليـدها وكسرها وبسطها وتكعيبهـا واعدادها واسقاطها العنصرية والكوكبية والفلكية والدوريـة وغيرها ومزجها وتعديلها وإستنطاقاتها بعد ترتيبها الجدول والاوفاق الحرفية والعددية ولفظها واخراج أزمتها ويسمى هـذا القسم بعلم الزايرجة الحرفيـة السببية وتلـك الحروف المذكورة وهي حروف أبجـد الى آخرها مع زيـادة لام الالف وهي منضومة على الطبايع الاربع والبروج والايـام والكواكب والمنـازل فالنارية اهطمقشذ والمائية دحلعرفغ والهوائية ج كس ق ث ظ والترابية ب و ي ن ص ت ض واللام والالف قد جمع الضيدين الماء والنار بطريقة التركيب كما هـو مشهور عند العارفين وهو الدليل تام بالنسبة الى اهل الله تعالى أيضا بعلمهم بالسبب وهو علم شريف لم يوهب كغيرهم ولهـذا اختص لهـم علم الزايرجة بدليل التام دون غيرهم • وأما الدليل المأخوذ من الاحاديث النبوية والاخبـار المصطفوية التي اخبر بها المصطفى صلى الله عليه وسلم في عقود حديثه وأسر بعضها الى خواص اصحابه كعلي ابـن ابي طالب وحذيفة ابن اليماني فهـي كثيرة وقد ألفوها دواوين وأبسطوا منها جملة من العلوم السرية بحسب الوقت المقابل فأول من شرح مضمونها وأظهر مكنونها علي ابن أبي طالب في الجفـر الجامع وجعل الابتداء منه عند وفاة رسول الله صلى الله عليـه وسلم لكون باب الاختلاف كان مقفولا في حياته صلى الله عليه وسلم وفتح في يوم قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير الشاهد قلتم وهذه الاقسام الثلاثة التي هي علم الجفر وعلم الفلك وعلم الحروف معلومة بالوصول وضوابط وقوانين فلا يقال انها علم الغيب أو شرط الغيب ان يكون جردا عند المؤاد والوسائط الكونية•

***

مات «بترونيني» زعيم الحزب الاشتراكي الايطالي الاشتراكي الذي وقف بوجه السوفييت

بقلم : الدكتور محمد صادق



في كانون الثاني من عام ١٩٦٣ اجتمعت في رومـا بالسيد (بترونيني) رئيس الحزب الاشتراكي الايطالي ، وسألته عن أمنيته الاخيرة بعد أن تجاوز الستين من عمره ، فقال لي وهو يتفرس في وجهي بعد أن عرفني بأنني عربي :

(.. لست رجلا برلمانيا .. ولست من رجال الحكم .. ولا أنـا رجل دولة .. انني مناضل عمالي ، وليس عندي سوى أمنية واحدة وهي أن يقول العالم يوم وفاتي :

(لقد مات واحد منا .. رجل كان يشعر بما نشعر به .. ولم يتخل عنا أبـدا) !

قبل أيام قليلة تحققت أمنية (بيترونيني) بوفاته في الايام الاولى مـن هذا العام بعد أن عاش (٨٨) سنة ، وذلك اثر نوبـة قلبية بعد صراع حـاد مـع المرض •

ان الجيل حتى من الشباب الايطالي لا يعرف الكثير عن الرجل الـذي أسس مع (دوغاسبيري) الجمهورية الايطالية بعد الحرب العالمية الثانية !

كان يوصف بأنه (صاحب اللسان الفضي) وهو يتحدث مع الناس فـي بلاده على مدى هذا القرن منذ بدايته ••

مناضـل بطبيعتـه !

لم يبدأ تاريخ (بترونيني) السياسي مع توليه رئاسة الحزب الاشتراكي الايطالي طوال ربع قرن • ولكنه بدأ منذ عام ١٩١٠ ، وتلقى بيترونيني كثيرا من الضربات وقاومها بعنف ودافع عن المثل التي نادى بها • ودخـل السجن وهو في سن العشرين بسبب احتجاجه على الغزو الايطالي لليبيا ، وكان رفيقه في الزنزانة (بنيتوموسوليني) الذي كان اشتراكيا في ذلك الوقت •

عاشا سويا في الزانزانة تسعة أشهر الى أن أفـرج عنهما بمقتضى عفـو عـام •

ومع ذلك •• فعندما استولى (الدوتشي) ـ موسوليني على السلطة•• هرب بترونيني الذي كان معاديـا للفاشية الى فرنسا ، ثـم قاتل في صفوف الجمهوريين الاسبان خلال الحرب الاهلية لكي يقطع الطريق على فاشي آخـر وهو (فرانكو) الاسباني •

كان يتطلع الى السمو والعمل البطولي ، وكان منطويا عـلى نفسه ••• متذمرا في بعض الاحيان •• سريع البديهـة •• ويمثل كـل المتناقضات التي عاش فيها مناضلا منذ أوائل القرن !

ولم يكن مثل الآخرين •• الذين يتطلعون الى السلطة السياسية ، بـل

م ـ ٦

كان موقعه دائما في المعارضة •• ويحصر قدراته وطموحاته في اطـار الحزب الاشتراكي الايطالي الذي انضم اليه في عام ١٩٢٠ •

وتاريخ بترونيني منذ ذلك العام هو تاريخ الحزب الاشتراكي ، ويمكن قراءة سيرته من خلال مؤتمرات الحزب •

قال في أحد الايام أن مكانه داخل الحزب : (سواء على قمتـه أو على بابـه ••) !

بائـع اللبـــن

ولد بترونيني في بلدة (فاينزا) في التاسع من شهر شباط عام ١٨٩١ ، وفقد أباه وهو في الخامسة من عمره • وكانت أمه بائعة لبن ترعى طفلتين من زوج سابق • ونشأ بترو في أحد الملاجىء •• ولم يعرف البيت ولا الاصدقاء ولا دفء العائلة • وهناك ــ في الملجـأ ــ عرف معنى الفوارق الاجتماعية •• قرأ فيكتور هيوغو ، ومازيني ، وأوجين سو ، وميشليه •

وعندما خرج من ملجأ اليتامى وهو في السابعة عشرة من عمره •• التحق بالحزب الجمهوري ليقف الـى جانب العمـال الزراعيين وعمال المناجـم في مسقط رأسه !

كان يعتقد ان دعاة الاصلاح سوف يوقظون الطاقة المتحركة للعمال •• واعتنق بيترونيني الاشتراكية بعـد أن اجتاز تجربـة الاشتراك مع صديقـه موسوليني في تأسيس الحركة الفاشية التي لم تستغرق أكثر من ستة شهور •

لقد وجـد أن الاغنيـاء يتكتلون وراء تلك الحركـة ، وكان الحـزب الاشتراكي الذي تأسس عام ١٨٩٢ يعد قوة انتخابية كبرى ويمثله في البرلمان ١٨٠ نائبـا •

وفي عام ١٩٢١ أوفدته صحيفة (أفانتي) ــ المستقبل ــ الناطقـة باسم الحزب الاشتراكي الى باريس كمراسل لها ••

الى السجن مرة اخرى

ومنذ عودته من باريس •• وجـد بترونيني الحزب الاشتراكي منقسما على نفسه بين الجناح اليميني والجناح اليساري الذي يمثله الشيوعيون ••

دافع نيني عن استقلالية الحزب رافضا في وقت واحـد كلا من الجمود العقائدي لأفكار لينين •• وسياسة التنازلات التي يتبناها الاصلاحيون •

كان يرى ان أي ثورة في ايطاليا لا بد ان تنادي بالجمهورية وتعمل على اعادة تنظيم المؤسسات الدستورية •

ودخل السجن على اثر مقالا كتبه يندد فيـه باغتيال النائب الاشتراكي (ماتيوتي) على أيدي العناصر الفاشية •• وسافر الى فرنسا بعـد خروجه من السجن •• وأصبح هدفـه الاول والاخـير هو توحيـد الحزب الاشتراكي الايطالي ليصبح منظمة قوية مناهضة للفاشية • ونجح في ذلك خلال مؤتمـر الحزب الذي عقد في (غرينوبل) بفرنسا في نيسان ١٩٣٠ •

وبعد أربع سنوات من المعارك السياسية العنيفة بينه وبين تولياتي زعيم الحزب الشيوعي الايطالي ، وافق نيني على اتفاق ينص على وحدة العمل مـع الشيوعيين لمواجهة أخطار الفاشية •

وتوالت الاحداث :

هزيمة النظام الجمهوري في اسبانيا !

الاتفاق بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفييتي ، ثم الحرب التي أدت الى عزل نيني في فرنسا بعيدا عن عمله كمدير تحرير لصحيفة (أفانتي) وتحولت فرنسا الى دولة خاضعة للاحتلال النازي •• وألقى رجال الغوستابو الالمـاني القبض عليه في شباط عام ١٩٤٣ ، وقاموا بتسليمه الى الحكومة الايطالية التي أرسلته الى المنفى في جزيرة (دي بونزا) ، وهناك رأى من مسافة بعيدة •• لآخر مرة صديق شبابه موسوليني • كان ذلك في يوم ٢٨ تموز ١٩٤٣ ، وكان الديكتاتور قد سقط قبل ذلك بثلاثة أيام !

ايطاليا التــي يحبها

عاد الى روما في الخامس عشر من أيلول حيث يجد الاحتفالات في كــل أنحاء العاصمة : انها ايطاليا التي لا يحبها •• التي تصفق لكل منتصر •

وكان يعبر بمرارة عن شعوره ازاء عدد كبير من الايطاليين الذين سبق أن صفقوا لموسوليني الذي يحتفلوا الآن بسقوطه !

ولكن الحرب تستمر ، وتحتل القوات الالمانية روما ١٩٤٣ ، ويعمل نيني في المقاومة السرية الى أن يتــم تحرير روما في عــام ١٩٤٤ ويصبح السكرتير العام للحزب الاشتراكي الايطالي ، ويتولى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في أول حكومة ايطالية بعد الحرب •

حاربه الجناح اليميني في حزبه الى أن تــم الانفصال بينهما في كانــون الثاني ١٩٤٧ ، وكان تحالفه مــع الحزب الشيوعي ومعارضته لحلف الاطلسي سببا في حصوله على جائزة ستالين للسلام ١٩٥١ ، ولكنه عاد ورفض الجائزة عندما قامت القوات السوفيتية بالتدخل في المجر في عام ١٩٥٦ وكان انفصاله عن الشيوعيين الايطاليين قد تم عام ١٩٥٣ •

وفي عام ١٩٦٢ انضــم الاشتراكيون بزعامــة نيني الــى الديمقراطيين المسيحيين في ائتلاف اشتهر باسم يسار الوسط ظل يحكم ايطاليا طوال أربعة عشر عاما شغل نيني خلالها منصب نائب رئيس الوزراء في ثلاث حكومات •• وفي عام ١٩٦٥ يفقد منصبه كسكرتير عام للحزب الاشتراكي ، ولكنــه يعود اليه بعد ثلاث سنوات بأغلبية أصوات أعضاء الحزب !

كان رجلا قويــا الى الحد الذي دفعــه الى اضفاء أبعــاد على الحزب الاشتراكي الايطالي لا يتيــح الواقــع ان تضفى عليــه •• وستظل شخصية بترونيني في تاريخ ما بعد الحرب في ايطاليا تعبر عن فكرة خياليــة في التعلق باستقلالية الحركــة الاشتراكية الايطاليــة في ظروف سياسة خاصــة جعلت الديمقراطية المسيحية والشيوعية الايطالية القطبين اللذين يتنازعان المسرح !

رحلة أبي دلف الخزرجي في إيران وآسيا الوسطى
في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

أبو دلف الخزرجي (٣٠٠ ــ ٣٩١ هـ • ٩١٣ ــ ١٠٠١ م) من أعظم الشخصيات التي عرفها القرن الرابع الهجري • فهو شاعر كبير عاش في عصر المتنبي والشريف الرضي ، وهو رحالة عظيم قام برحلات عبر الصين والهند وآسيا الوسطى ، وسجل مشاهده في كل مكان في عدة رسائل له ، وهو جغرافي وجيولوجي وطبيب وقصاص • وان عاش مجهولا حتى اليوم من كثير من الباحثين ، ولقد عرف المستشرقون مكانته في الرحلات ، واعتمدوا عليه في وصفه للبلاد التي رآها اعتمادا كبيرا ، ولكن الناس جميعا جهلوا مكانته الفكرية والادبية جهلا تاما ، حتى قمت بكتابة بحث عنه كشفت فيه عن شخصيته الادبية وشخصيته العلمية (١) ولكني لم أستطع ــ بباعث الايجاز ــ الحديث في هذا البحث المنشور عن رحلاته عبر بلدان وشعوب آسيا ، لذلك آثرت كتابة هذا البحث تكملة للبحث الاول المنشور عن أبي دلف عام ١٩٧٢ م •

وترجع أهمية أبي دلف في الجانب الادبي الى أنه كان أستاذا للبديع الهمذاني صاحب أو مبتكر فن المقامات في الأدب العربي وان أبا دلف كان

---

(١) نشر هذا البحث في سلسلة المكتبة الصغيرة التي يصدرها الاديب الجليل عبد العزيز الرفاعي في الرياض عام ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م بعنوان : « أبو دلف الخزرجي عبقري من ينبع » •

يجلس في مجالس الملوك والامراء فيقص قصص رحلاته ومشاهده في بلاد العالم ، ويتحدث عن العجائب والغرائب التـي شاهدها ، كما كان يفعل فـي مجلس عضد الدولة والصاحب بن عباد الوزير وغيرهما ، وكان البديع معجبا بشخصية أبي دلف كل الاعجاب وأوحت اليه قصص أبي دلف بفكرة المقامات، ومن أجل ذلك سمى بطل قصصه أبا الفتح الاسكندري ورمز بهذا الاسم الى أستاذه أبي دلف الخزرجي ، وذلـك ما أثبته لأول مـرة في بحثي الاول عن أبـي دلف .

ولقد هاجر أبو دلف من موطنه ينبع في الحجاز فعاش في ظلال ملـوك الدولة السامانية في بخاري وسمرقند وكانت صلته وثيقة بالملك نصر بن أحمد الساماني (٣٠١ ـ ٣٣١ هـ . ٩١٤ ـ ٩٤٣ م) ، واختار الملك نصر أبـا دلف سفيرا له وبعث به في مهمـة سياسية الى الهنـد ، فزارهـا وشاهد عجائبها ووصف ذلك في كتاب له مفقود بعنوان « عجائب المخلوقات » ، ثم بعث بـه الملك كذلك سفيرا له في الصين . وعاد أبو دلف من هذه الرحلـة ، ثم ترك بخاري والسامانيين الى دولة البويهيين ، حيث قربه ابن العميد الى الملوك من بني بويه فعاش في ظلالهم ، يتنقل بين عواصمهم الكبرى . اصبهان والـري وبغداد ، وقربه وزيرهم الصاحب بن عباد اليه حتى صار أثيرا عنده، وقال الملك عضد الدولة (٣٧٣ ـ ٣٨٥ هـ) فيه : « للـه درك يـا أبا دلف ملك يا أبا دلف ينادم الملوك » .. وهكذا كانت مكانة أبي دلف في عصره ، مكانة جليلة ، لم يبلغ شأوها أحد من العلماء والادباء والمفكرين .. ومن الجديـر بالذكر أن نعرف أن اسـم أبي دلف هـو « مسعر ابن المهلهـل الخزرجي الينبوعـي » .

ـ ٢ ـ

ويحتل أبو دلف منزلة ضخمة بين الرحالة والجغرافيين المسلمين على مرور الايام . وقد حفظ لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » ، وياقوت في كتابـه

« معجم البلدان » ، والقزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » وكتابه « آثار البلاد » مقتطفات كثيرة من أوصاف أبي دلف للبلاد التي شاهدها والمدن التي زارها ، ويصفه ابن النديم (٢) بالجوالة ، ويقول القزويني عنه : انه كان جوالة مشهورا ، جاب البلاد ، وشاهد عجائبها (٣) ، وانه كان سياحا زار البلاد ، وأخبر بعجائبها (٤) ، وانه كان سياحة ، رأى بلاد الترك كلها وتحدث عن قبائلها (٥) .

وقد ألف أبو دلف رسالته الاولى وتتضمن وصف رحلته عبر الصين والهند التي قام بها عام ٣٣١ هـ — ٩٤٢ م ، وقد قام المستشرق الالماني رورصوير عام ١٩٣٩ بتحقيقها ونشرها ، وقد عني بهذه الرحلة الكثير من المستشرقين ، من أمثال : وستنفلد الالماني وشاركه في ذلك المستشرق فراين فدرسا الرسالة الاولى ونشرا هذه الدراسة في كتاب « مجموعة الرحلات والنصوص الجغرافية » . وألقى المستشرق الروسي غريغوريف عام ١٨٧٦ بحثا في المؤتمر الدولي الثالث عشر للمستشرقين المنعقد في بطرسبرج . ودرسها روزن ، وماركفارت ، وبارتولد ، ومينورسكي ، وكراتشوفسكي مؤلف كتاب « تاريخ الادب الجغرافي العربي » (٦) ، وفيران ، وروز صوير ، وغيرهم .

وفيما بين ٣٣١ هـ حتى عام ٣٤١ هـ . ٩٤٢ — ٩٥٢ م زار أبو دلف بتشجيع من الصاحب الوزير على ما أظن ، وكما أشار الى ذلك الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، أماكن مختلفة في ايران وآسيا الوسطى في حماية الوالي على سيستان من قبل محمد بن أحمد (٣٣١ — ٣٥٢ هـ) ، وألف أبو دلف في

---

(٢) ٣٤٦ الفهرست لابن النديم .
(٣) ٢/٢٦٧ آثار البلاد للقزويني .
(٤) ٩٧ عجائب المخلوقات للقزويني .
(٥) ٥٨٩ المرجع السابق .
(٦) ص ١٨٩ من الكتاب .

وصف هذه الرحلة ومشاهده فيها عبر ايران وارمينيه واذربيجان رسالة ، سماها الرسالة الثانية ، وقد عثر على مخطوطة لهذه الرسالة في « مشهد » ، ويرجع الفضل في طبعها الى بارتولد وكراتشوفسكي . وقد كانت وزارة المعارف الايرانية قد قدمت صورة فوتوغرافية لهذه المخطوطة هدية للمجمع العلمي السوفيتي بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي عن الآثار والفنون الايرانية في لينينجراد عام ١٩٣٥ ، وقد أورد ياقوت في كتابه « معجم البلدان » جزءا كبيرا من هذه الرسالة ، وقد ظهرت الرسالة الثانية مطبوعة في موسكو عام ١٩٥٠ بتحقيق : أنس خالدون ، وبطرس بولفاكوف ، كما طبعت في انجلترا بتحقيق مينورسكي وخرجت طبعة مينورسكي مترجمة الى العربية في القاهرة عام ١٩٥٥ ، ثم ترجمت طبعة موسكو باشراف د. محمد منير مرسي وطبعت في القاهرة عام ١٩٧٠ .

وفي هذه الرسالة يولي أبو دلف عناية كبيرة بالمعادن والآثار ، وبخاصة الآثار الساسانية ، وتبدأ وقائع الرحلة التي تسجلها الرسالة الثانية من مدينة الشيز في جنوبي أذربيجان ، وتمتد لتشمل أماكن كثيرة في خراسان وايران والقوقاز وأرمينية .

– ٢ –

وفي هذه الرسالة يتحدث أبو دلف عن مدينة الشيز (٧) ، وهي مدينة

(٧) راجع معجم البلدان لياقوت ٣٥٣/٣ – ٣٥٦ – والشيز : قلعة قديمة تحمل اطلالها اليوم اسم «تخت سليمان» وهو اسم قديم معرب لجزيرة أورمي ، وتوجد في سار كوتز في روسيا ، ومن وصف أبي دلف لهذه المدينة أمكن لرجال الآثار التنقيب عنها ، فكشف رولنسون آثار تخت سليمان ، وفي مروج الذهب للمسعودي أن انو شروان (٥٣١ – ٥٧٩ هـ) قام بنقل النار من الشيز والران الى البركة .

بين المراغة (٨) ، وزنجان (٩) وشهر زور (١٠) ، والدينور (١١) ، وتقـع بين (جبـال) تجمـع معادن الذهب والفضـة والزئبق ومعـادن الاسراب (١٢) والزرنيخ الاصفر . ويحيط بمدينة الشيز سور ، وبهـا بحيرة فـي وسطها لا يدرك لها قرار (١٣) واني أرسيت فيها أربعة عشر ألف ذراع وكسورا من ألف فلم تستقر المنقلـة ولا اطمأنت ، واستدارة البحـيرة ، أي محيطها ـ نحـو جريب (١٤) ، وتخرج منها سبعة أنهار ، كل منها ينزل ويخرج من تحت السور وبها بيت نار (١٥) ، عظيم الشأن عندهم ، منه تزكى نيران المجوس الى المشرق والمغرب ، وعلى رأس قبته هلال فضة هو طلسـمه ، وقد حاول كثير من الأمراء والولاة نزعة فلم يقدروا على ذلك . وعند هذا البيت ايوانات شاهقة ، (أبنية عظيمة هائلة ، ومتى قصد هذه المدينة عدو ونصب المنجنيق على سورها فان حجره لا يقع في البحيرة ، فان آخر منجنيقه ولو ذراعا سقط الحجر خـارج السور ، كما يقول أبو دلف . ويذكر أن هذه المدينة قد بناها هرمز بن خسرو

---

(٨) مدينة كبيرة في جنوب اذربيجان، وفي اذربيجان الايرانية توجد مدينة بهذا الاسم (وراجع معجم البلدان لياقوت ٤٧٦/٤) .

(٩) مدينة صغيرة في شمال ايران على طريق (الري) في اذربيجان (ياقوت ٤٩٨/٢ و ٤٩٩) .

(١٠) مدينة في كردستان على الحدود بين تركيا وايران الى الجنوب الشرقي من السليمانية المعاصرة (٣٤٠/٣ ـ ٣٤٢ ياقوت) . وفي مخطوطـة مشهد ورد اسمها : شهرورد ، وهي مدينـة صغيرة بينها وبـين شهرزور مسافة كـبيرة ، وتقـع جنوب زنجـان .

(١١) مدينة كبيرة في منطقة الجبال ، ومنها اعلام كثيرون .

(١٢) اي القصديـر .

(١٣) « تخت سليمان » كما يصفه الرحالة العرب كانت عـلى ربوة ومحاطـة بأسوار قوية ، وبها بحيرة طبيعية من اصل بركاني ، ومنها تنبع انهار صغيرة .

(١٤) الجريب = ٤٠٠ مترا مربعا ، والذراع البلدي = ٥٨ر٠ مـن المتـر ، والذراع المعماري = ٧٥ر٠ منـه .

(١٥) اي معبـد زرادشتي .

شيرين بهرام ، وكان سبب بنائها كما يقول أبو دلف أن هرمز ملك الفرس بلغه أن مولودا مباركا يولد في بيت المقدس في قرية يقال لها بيت لحم ، وأن قربانه يكون ذهبا وزيتا ولبانا فأنفذ بعض رجال حاشيته بمال عظيم ، وأمره أن يشتري من بيت المقدس ألف قنطار زيتا وحمل معه لبانا كثيرا ، وأمره أن يمضي الى بيت المقدس ، ويسأل عن أمر هذه المولود فاذا وقف عليه دفع الهدية الى أمه،وبشرها بما يكون لولدها من الشرف وفعل الخير، ويسألها في أن تدعو له ولاهل مملكته ففعل الرجل ما أمر به، فلما أراد الرجل الانصراف عن مريم دفعت اليه جراب تراب ، وقالت له : عرف صاحبك أن سيكون بهذا التراب بناء ، فأخذه وانصرف فلما انصرف الى موضع الشيز ، وهي صحراء آنذاك مات ، واتصل الخبر بالملك ، فوجه رجلا من حاشيته وقال له : سر الى هذا المكان الذي مات فيه صاحبنا فابن هذا الجراب بيت نار ، فقال له : ومن أين أعرف مكانه ، قال له : امض فلن يخفى عليك • فلما وصل الى الموضع تحير وبقي لا يدري أي شيء يصنع ، فلما أمسى وجن الليل رأى نورا عظيما يرتفع من مكان بالقرب منه ، فعلم أنه الموضع الذي يريده ، فصار اليه ، وخط حول النور خطا ، وبات ، فلما أصبح أمر بالبناء على هذا الخط ، فهو بيت النار الذي يقوم بالشيز (١٦) •

ويخرج أبو دلف من الشيز الى مدينة الران (١٧) على أربعة فراسخ (١٨) منها • وفيها معدن الذهب وفيها نهر ماؤه يذيب الحصاة (١٩) ، ويسير الى وادي إسفندويه ، فالطرم ، ويقول : فوجدت بها (٢٠) عينا تنبع ماء يستحجر اذا ضربه الهواء ، ووجدت بها حجارة بيضاء تقوم مقام البازهر (٢١) ،

---

(١٦) هذه الاسطورة فيها تأثيرات زرادشتية ومسيحية .
(١٧) مدينة بين مراغة وزنجان (٧٣٩/٢ ياقوت) .
(١٨) تعادل ٢٤ كيلومترا .
(١٩) أي حصاة الكلى •
(٢٠) أي بالطرم •
(٢١) يعني به أبو دلف شيئا معدنيا غير معروف لنا اليوم .

ويصل أبو دلف الى قلعة ملك الديلم المعروفة بسميران (٢٢) فرأى في أبنيتها وعمارتها ما لم يره في غيرها من مواطن الملوك ، وذلك أن فيها ألفين وثمانمائة ونيفا وخمسين دارا كبارا وصغارا . وكان محمد بن مسافر (٢٣) صاحبها اذا نظر الى سلعة حسناء أو عمل محكم سأل عن صانعه ، فاذا أخبر بمكانه وموضعه أنفذ اليه من المال ما يرغب مثله فيه وضمن له أضعاف ذلك اذا صار اليه ، فاذا حصل عنده منعه أن يخرج من القلعة بقية عمره ، وكان يأخذ أولاد رعيته ويسلمهم في الصناعات ، وكان كثير الدخل قليل الخرج ، واسع المال ، ذا كنوز عظيمة ، فما زال على ذلك الى أن أضمر أبناؤه الثورة عليه رحمة منهم لمن عندهم من الناس الذين هم في زي الاسارى ، فخرج يوما للصيد ، فلما عاد أغلقوا باب القلعة دونه ، وامتنعوا عليه ، فاعتصم منهم بقلعة أخرى في بعض مملكته ، وأطلق أبناؤه من كان عنده من الصناع ، وكانوا خمسة آلاف ، فكثر الدعاء لهم بذلك ، وأدركت ابنه الاوسط (٢٤) الحمية والانفة أن ينسبه أبوه الى العقوق ، وأنه انما رغب في الاموال والذخائر والكنوز ، فجمع جمعا عظيما من الديلم ، وخرج الى أذربيجان .

ورحل أبو دلف الى موقان(٢٥) حيث سار ثمانين فرسخا تحت الشجر على ساحل بحر طبرستان العظيم (٢٦) ، حتى وصل باكويه (٢٧) ، وهناك رأى عيون النفط ـ وكان دخل العين ألف درهم كل يوم ، ومن هذه العيون عين تسيل نفطا أبيض لا ينقطع ليلا ولا نهارا .

---

(٢٢) هو اسم القلعة واسم المنطقة المحيطة بها (منطقة الطرم) لبني مسافر ، وهي عاصمة الطرم لبني مسافر .
(٢٣) هو ابن مؤسس عائلة الديلم من بني مسافر .
(٢٤) هو المرزبان الذي اسس فرعا مستقلا من اسرة بني مسافر وحكم جزءا من اذربيجان والقوقاز ما بين عامي ٣٣٠ و ٣٤٦ هـ .

(٢٦) هو بحر قزوين .
(٢٧) هي مدينة باكو عاصمة جمهورية ارمينيا في روسيا .

ومن هناك سار أبو دلف رحالتنا في بلاد الارمن حتى انتهى الى تفليس، وهي تقع في آخر حدود للاسلام ، وفيها نهر يقال لـه (الكر) ، يصب في البحر ، وعليها سور عظيم ، وبها حمامات شديدة الحرارة لا توقد ولا يجتلب لها ماء . ثم رحل الى أردبيل ، وبها معدن الشب المنسوب اليهـا ، وهو شب الحمرة ، المعروفـة باليماني ، ومنها تحمل الـى اليمن وواسط ، ولا ينصبغ الصوفه بواسط الا به . وبجوارها نهر الرس ، وعليه رمان عجيب ، يقول أبو دلف : انه لم ير في بلد من البلدان مثله ، وكذلك عليه تين عجيب ، وزبيبها يجفف في الافران ، لأنه لا شمس عندهم لكثرة الضباب والغيـوم ، وعندهم كبريت قليل يجدونه قطعـا على المياه ، ونهـر الرس يخرج الـى صحراء (البلاسجان) (٢٩) ، من برزند (٣٠) الـى بردعه (٣١) وورثـان (٣٢) ، والبيلقان (٣٣) ، وفي هذه الصحراء خمسة آلاف قرية ، أو أكثر خراب . الا أن حيطانها وأبنيتها قائمة لم تتغير لجودة التربة وصحتها . وبها البحيرة المرة التي لا نبات عليها ولا حيوان بقربها ، وفي وسطها جبال يقال لها (كبوذان)، وفيها قرى يسكنها ملاحو سفن ذلـك البحر ، واستدارتها – أي محيطها – خمسون فرسخا ، ويقطع عرضها في ليلة ، ويخرج منها ملح يشبه التوتيا (٣٤).

---

(٢٨) مدينة في الجزء الشرقي من اذربيجان الايرانية (ياقوت ١٩٧/١ و ١٩٨)

(٢٩) مترجمة عن التسمية الايرانية القديمة دشتي بلاسكان وهي تشير الـى حدود سلسلة الجبال بدقة .

(٣٠) مدينة على بعد ٨٥ كم من اردبيل في ناحية (كور) في مكان بلدة حالية في أذربيجان الايرانية .

(٣١) من اكبر مدن القوقاز في عصر أبي دلف ، وهي بالقرب من بلدة (برده) الحلية في اذربيجان الروسية .

(٣٢) مدينة على بعد ٤٥ كم الى الجنوب من بلدة اراكس، وكور على الشاطىء الجنوبي لاراكس ، وآثارها توجـد مقابل محطة سكة حديـد دشيورون عـلى الجانب الايرانـي .

(٣٣) مدينة كبيرة تحمل اسم (اوزين – كالا) .

(٣٤) الزنـك .

وعلى ساحلها عيون (٣٥) تنبع ويستحجر ماؤها اذا أصابه الهـواء ، وعيون تصب الى البحر ماءا وحامضا وملحا اذا صب على الزئبق فتته لوقته ، وأقامه حجرا يابسا ، وعليها قلاع حصينة ، وجانب من هذه البحيرة يخرج الى موضع يقال له وادي الكرد فيـه طرائف من الاحجـار (٣٦) • وعليـه ممـا يلي سلماس (٣٧) حمة تهسية كثيرة المنفعة ، وهي بالاجماع خير ما يخرج من كل معدن في الارض • ويذكر أبو دلف شفا ءمن يقصدها من المرضى ويقيم فيهـا عدة أيسام ، ويقول : ان ماءها ليس لـه مثيل الا في بلـده (التيـز) (٣٨) و (المكران) ، ومن شرف هذه الحمة أن مع مجراها مجرى مـاء عذب زلال بارد اذا شرب منه انسان شفي من الامراض •

وأرمينية رخيصة الاسعار ، وربما كان القحط بها عظيما جـدا ، وتقوم بها عدة أسواق في السنة تباع فيها أشياء كثيرة • وهي قليلة الآثار ، وتتصل بجبال الحور ثم بجبال (داس) ، ثم بالحمرانية ، و (نريز) التي كانت مملكة لحافره طيء (٣٩) ، وكانت طرفـا مقصودا قـد قصده أبو تمـام والبحتري وغيرهما ، وكان على بن مر صاحبها ممدحا يقصده الشعراء فينصرفون عنـه بالعطاء الجزيل ، ثم غلب على المدينة جماعـة من الاكراد فعاثوا فيها فسادا ، وبعد حين عادوا فأصلحوا ما دمروه قبلا ، ووصلوا قراها بالسلق (٤٠) •

---

(٣٥) يقصد مياه (شيرمين) على الشط الشرقي لارمية • ومن هناك يستخرج الرخام التبريزي • وارمية على بعد ٧ كم من شط بحيرة بهذا الاسم في منطقـة مدينة رضا الحلية ٢١٨/١ ياقوت •

(٣٦) اي المعـادن •

(٣٧) منطقة وجبل الى الشمال الغربي من جزيرة ارمية •

(٣٨) ميناء على خليج فارس في منطقة مكران •

(٣٩) امارة طائية في ارمينية كـان اول ملوكها مر بن عمـر الطائي ، ثم ابنـه علي بن مـر •

(٤٠) منطقة جبلية صغيرة في شمال شرق العراق •

ويرحل أبو دلف الـى شهر زور ، وهي مدينتان وقرى ، وفيها مدينـة كبيرة ، وقصبتها يقال لها « نيم آزراي » (٤١) ، وأهلها عصاة على السلطان ، والمدينـة في صحراء ، ولأهلهـا بطش وشدة ، يمنعـون أنفسهم ويحمون حوزتهم ، وسمك سور المدينة ثمانية أذرع ، وأكثر أمرائهم منهم ، وهم موالي عمر بن عبد العزيز ، وجرأهم الاكراد على الامراء ومخالفة الخلفاء ، وذلك أن ديارهم مشتى ستين ألف بيت من أصناف الاكـراد وبالقرب من هذه المدينـة جبل يعرف بشعران (٤٢) ، وآخر يعرف بالزلم (٤٣) . ومن نيم ازراي الـى ديلمستان (٤٤) سبعة فراسخ (٤٥) ، وديلمستان قريـة كان الديلم في أيـام الاكاسرة اذا خرجوا من بلادهم للغـارة عسكروا بهـا فهي تعرف الـى اليـوم بهـم .

وبشهر زور مدينـة أخرى دونهـا في النجـدة والعصيـان تعرف بـ (بير) (٤٦) ، وأهلها شيعة زيديـة صالحية أسلموا على يدي زيد بـن علي رضي الله عنه . وقد كان أهل « نيـم ازراي » أوقعوا بأهل هـذه المدينـة وقتلوهم وسلبوهم وأحرقوهم بالنـار عصبية للدين ، وذلـك في سنة واحد وأربعين وثلاثمائة .

وبين المدينتين (٤٧) مدينة صغيرة يقال لهـا دزدان ، بناؤها على بنـاء الشيز ، وهي ممتنعة على الاكراد والولاة والرعية . وكنت كثيرا مـا أنظر الى

---

(٤١) اسـم المدينة الرئيسية لمنطقة شهرزور ، ونيم ازراي معناها بالفارسيـة: نصف الطريق لانها تقع في منتصف الطريق من كيتسفوا الـى الشيز ، وموقعها غير معروف الآن .

(٤٢) جبل في كردستان على الحدود بين ايران والعراق .

(٤٣) هو في سلسلة الجبال بين ايران والعراق .

(٤٤) بلدة بالقرب من شهرزور تقع الى الشرق من شعران .

(٤٥) تساوي ٤٢ كم .

(٤٦) في الجنوب الشرقي من شهرزور .

(٤٧) نيم ازراي ، وبير .

رئيسها الذي يدعونه الأمير وهو يجلس على برج مبني على بابها عالي البناء ، ينظر الجالس عليه الى عدة فراسخ ؛ وبيده سيف مجرد ، فمتى نظر الى خيل من بعض الجهات لمع بسيفه فانجفلت مواشيء أهلها ورعاتهم . وفيهـا مسجد جامع ؛ وهي مدينة منصورة ، يقال ان داود وسليمان عليهما السلام دعوا لهـا بالنصرة ؛ فهي ممتنعة عمن يرومها ، وهذه المدينة بناها دارا بـن دارا (٤٨) ، ولم يظفر الاسكندر (٤٩) بهـا ، ولا أقـام أهلها له الدعوة ، ولا تملكهـا المسلمون وانما دخل أهلها في الاسلام بعد اليأس من طاعتهم . وأعمالها متصلة بخانقين (٥٠) وبكرخ جدان ؛ وبخانقين عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل ، وبها قنطرة على واديها عظيمة الشأن ، عليها جادة خراسان الـى الكوفة ومكـة ، وينتهي الطريق الى طريق قصر شيرين ، وبها أبنيـة شاهقة يكل الطرف عـن تحديدها ، ويضيق الفكر عن الاحاطـة بها ، ويطيل ذو اللب الوقوف عليها ، تنبيء عن طول وقوة وأعمار مديدة يعتبر بها ذوو البصائر ، والملك الذي بناها هو أبرويز (٥١) ؛ وبحلوان (٥٢) آثـار قريبة الشبه بآثار قصر شيرين ومـاء حلوان رديء كبريتي ، وبها رمان لم أر مثله في بلد من البلاد ، وبها أيضا تين عجيب الامر ، وبالقرب منها جبل فيه عدة عيون كبريتية ، ينتفـع بها من أدواء كثيرة . ورحل أبو دلف الى « طاق الحجام » (٥٣) وهو عقد من الحجارة على قارعة الطريق في مضيق بين جبلين ، عجيب البنـاء ، عالي السمك . ثم الـى « ماذروستان » (٥٤) وهو ايـوان عظيم ، وبين يديه دكة عظيمـة ، وبستان خراب ، بناه الملك بهرام جور (٥٥) ، يقـع الثلج على نصفه ممـا يلي المشرق

---

(٤٨) هو دارا الثالث (٣٣٦ ـ ٣٣٠ ق . م) .
(٤٩) هو الاسكندر المقدوني (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق . م) .
(٥٠) مكان بين شهرزور والعراق (٢٥٥/٤ ياقوت) .
(٥١) هو كسرى (خسرو) الثاني أبرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) .
(٥٢) مدينة ايرانية مشهورة في العصر الاسلامي . وهي غير حلوان مصر .
(٥٣) بناء اثري قريب من حلوان .
(٥٤) موضع يبعد أربعة فراسخ من حلون .
(٥٥) هو الملك الساساني بهرام الخامس (٤٢٠ ـ ٤٣٨ م) .

وخراسان ، ولا يقتنع على النصف الآخر الذي يلي العراق • ثم الى مرج القلعة (٥٦) وهو مرج واسع ، وبه آثار قلعة قديمة عجيبة البناء • وبمرج القلعة مدينة حسناء ، باردة الهواء جدا ، وفيها مياه باردة ، وعندها قلعة تشرف على بساتينها ، الا أنها خراب ويقال ان أبرويز قتل ابنا له فيها فخربت من ذلك • وقد كان بجكم التركي (٥٧) همّ ببنائها فمات قبل ذلك • ثم رحل الى الطرز (٥٨) ، وهي مدينة ذات جامع في صحراء واسعة ، وفيها ايوان عظيم ، بناه خسروكرد بن شاهان ولا أثر بها سواه • ويعطف منها يمنة الى ماسبذان (٥٩) ومهرجان قذق (٦٠) ، وهي مدن عدة منها أريوجان (٦١) وهي مدينة حسنة في صحراء ، بين جبال كثيرة الشجر ، وبها قبر المهدي • ثم الى الرد ، والبراو وبينهما وبين أربوجان عدة فراسخ ، وبالقرب منها السيروان (٦٢) وبها آثار حسنة ومواطن عجيبة ثم رحل أبو دلف الى الصيمرة (٦٣) ، وهي مدينة حسنة تجمع النخل والزيتون والجوز والثلج وفواكه الجبل والسهل ، وبينها وبين الطرحان (٦٤) قنطرة عظيمة (٦٥) ، ضعف قنطرة خانقين ، بديعة عجيبة •

---

(٥٦) مدينة صغيرة ومحطة على طرق خراسان على بعد ست فرسخ من حلوان.

(٥٧) قائد تركي خدم الخلافة العباسية في عصر الراضي العباسي ، وتوفي عام ٣٢٩ هـ •

(٥٨) مدينة في (جبال) في طريق خراسان على بعد ٢٤ كم من مرج القلعة .

(٥٩) احدى المناطق الجنوبية الغربية المحيطة بجبل ، والمدينة الرئيسية لها هي سيروان (٢٩٢/٢ ياقوت) •

(٦٠) احدى المناطق الجنوبية الغربية المحيطة بجبل ، ومدينتها الرئيسية الصيمرة •

(٦١) مدينة في منطقة ماسبذان (٢٣٠/١ ياقوت) •

(٦٢) مدينة عظيمة كثيرة الخيرات في ماسبذان (٢١٤/٤ و ٢١٥ ياقوت) •

(٦٣) مدينة في منطقة مهرجان قذق ، وتقع في وادي نهر صيمرة قرب شروان (٤٤٣/٢ ياقوت) •

(٦٤) مدينة في (جبال) قرب الصيمرة ، وهي باقية على الفرع الشرقي لنهر صيمرة •

(٦٥) تقع الآن على ضفتي نهر صيمرة •

في مواكب النور

ليوناردو دافنتشي ـ الرجل الكامل

بقلم : سمير شيخاني

السكرتير : سيدي الكونت .. بالباب امرؤ يدعى ليوناردو دافنتشي يود مقابلتك ليعرض عليك خدماته . وهو يدّعي أنه رسام ، ونحات ، وموسيقي ، ومهندس ، وعالم ، وفيلسوف .

الكونت : ماذا تقول ؟ ليوناردو دافنتشي هنا ؟ لقد سمعت باسمه ، وسبقته الي شهرته .. ليدخل !

السكرتير : (بعد فترة قصيرة) ـ لقد أذن لك مولاي بالدخول عليه.. تفضل !

ليوناردو : سيدي الكونت . عمت نهارا . جئت أضع نفسي ومواهبي في خدمتك وخدمة حكومتك .

الكونت : أهلا وسهلا .. تفضل اجلس .. ماذا يمكنك أن تفعل ؟ كيف تستطيع أن تخدمني ؟

ليوناردو : باستطاعتي أن أتولى منصب المدير العام للفنون في بلاطك العامر .. فنون السلم والحرب على السواء ..

الكونت : حسنا .. هات التفاصيل .

ليوناردو : سأسرد عليك ما يمكنني القيام به .. ستنعتني بالجنون ، ولا ريب ، ولكن اعلم ، يا سيدي الكونت أن العبقرية تتاخم أحيانا الجنون ..

يمكنني ، يا مولاي ، أن أصنع جسورا نقالة لمتابعة العدو •• وان أهدم جسوره ، وأن أجفف الانهر والمستنقعات •• لدي سر أستطيع به ان أدمر أي قلعة حصينة اذا لم تكن مبنية على أساس صخري •• وبوسعي صنع نوع جديد من المدافع الشديد التدمير • وقد استنبطت طريقة لفتح الانفاق تحت الانهر خفية دون أن يرافقها أي جلبة •• يمكنني كذلك أن أصنع دبابات مصفحة لمهاجمة العدو ، وغواصات للدفاع والهجوم معا •••

الكونت : (مقاطعا) كفى •• كفى !••

ليوناردو : المعذرة ، يا سيدي الكونت •• هذه أعمالي في زمن الحرب، أما في زمن السلم فيمكنني أن أقوم بتنفيذ مختلف الاعمال الهندسية من عمرانية وانشائية والاعمال الفنية ن رسم ونحت ، وتأليف وموسيقى ، وتمثيل !••

الكونت : انما الاعمال محك الاقوال •• ستبقى في البلاط وتشرف على مختلف الاعمال التي نحتاج الى تحقيقها في الحرب والسلم • ولكنني أريد قبل كل شيء أن تصنع تمثالا لوالدي الكونت سفورزا وهو على صهوة جواده•• بالحجم الطبيعي • بهذا ستبدأ عملك •

ليوناردو : سمعا وطاعة •• وثق أنني سأكون عند حسن ظنك في كل ما ستعهد به الي •

(انتقال موسيقي قصير)

الراوي : ليوناردو دافنتشي ، شخصية من شخصيات التاريخ الفذة التي قلما يجود الزمان بنظيرها •• يمثل النموذج البشري الاكثر كمالا في العصر الحديث في ذلك كان مجده العظيم•• ومأساته الكبرى في آن معا• كانت له أحلام الآلهة التي لا تحد ولكنه لم يكن يتمتع الا بقوى البشر المحدودة •

دفعه طموحه الى صنع كل شيء .. فصمم ألف مشروع ومشروع ولكنه لم ينجز الا القليل منها ذلك بأنه نفض يده من مشاريعه وأعماله عندما اكتشف أن تنفيذها لا يداني في شيء الصورة التي رسمها لها في ذهنه ، وصورها له خياله الخصب المولد .. كانت حياته شوطا لم ينته ، تضيئه شموع ساطعة النور .

ومع ان دافنتشي عاش قبل فرنسيس بايكون بزمن طويل فقد تفهم مبادىء التجارب العلمية أحسن من بايكون .. وعرف ما سيكتشف العلماء أمثال غاليليو واسحق نيوتن . ويقدر العارفون انه لو عرف عصر دافنتشي قوة من القوى الحديثة كالبترول ، مثلا ، لأتيح لهذا العبقري انهاء عمله في حقل الطيران ، هذا العمل اذ يعتبر بالنسبة الى عصره ، من أروع الاعمال وأجلها .

لقد فهم دافنتشي ووعى ، وتكهن ، واخترع الكثير مما اقتضى العلم أربعماية سنة كاملة لفهمه ووعيه ، واختراعه ! ..

الا ان أغلبية اكتشافات دافنتشي بقيت في بطون مذكراته ، ولم تجمع هذه المذكرات وتصنف الا حديثا لانها تبعثرت بعد وفاته ــ ولعل نصفها على الاقل ضاع الى الابد ــ لانها بيعت بالمزاد العلني لهواة جمع المخطوط الغريبة .. ولا عجب ، فخط دافنتشي وطريقة كتابته كانا فريدين في نوعهما.. كان يكتب بيده اليسرى ، ومن اليمين الى اليسار كما تكتب العربية فاذا شئت ان تقرأ مخطوطة من مخطوطاته وجب عليك ان تقلب الصفحة رأسا على عقب ثم تضعها أمام مرآة لتحل رموزها ، وتستقيم لك قراءتها .

لم يكن ليوناردو دافنتشي ، ويعتبر من أنبغ ما أنجبه الجنس البشري ، ليتذكر شيئا ما لم يدونه ، فاذا فعل ذلك فقد رؤوس الاقلام التي يكون قد دونها .

ولـد ليوناردو دافنتشي في فلورنسا سنة ١٤٥٢ من أب كان يتعاطى المحاماة ••• ودرس الاصول الموسيقية والفنيـة في مسقط رأسه حيث كان تحت رعاية أسرة ميدتشي الحاكمة • وقد غـادر فلورنسا سنة ١٤٨٥ متجهـا شطر ميلانو حيث رسم على جدار كنيسة « سيدة النعم » رائعتـه « العشاء السري » أو « العشاء الاخير » •• ولهذه اللوحة قصة ، أي قصة • انها قصة الخير والشر •• قصة الله والشيطان !

(مؤثرات صوتية : جلبة أشخاص)

صوت : هات حدثنا حديث هذه اللوحة ••

الراوي : عمل ليوناردو في خدمـة دوق ميلانو ، الكونـت لودفيكو سفورزا عشرين سنة كاملة ملأت خلالها شهرته الآفـاق ، ولكن جيوبه لـم تمتلىء •• فقد كان سفورزا من اولئـك الاسياد الذين يسددون مـا عليهم للفنانين عبارات معسولة بدلا من النقود الذهبية • هـذا فضلا عن أن اعجاب الكونت بليوناردو بـدأ يتضاءل شيئا فشيئا في نهايـة هذه السنين الطوال فصار يكلف فنانين أدنى منه مرتبة القيام بالاعمال التي لم يكن من قبل ليعهد بها الى سواه • فحز ذلـك في نفس ليوناردو الـذي جلس ذات يوم فكتب الرسالة التالية الى سورزا :

ليوناردو : يا صاحب السعادة •• انه ليسوءني جدا انك لم تعد تعهـد الي القيام بأية أعمال فنية •• وأعرف تماما ان أفكارك قد تحولت عني وبدأت تتجه اتجاهات أخرى • فاسمح لي أن أذكرك بخدماتي المتواضعة ، وبالمبالـغ المستحقة لي عن بعض الاعمال منذ ثلاث سنوات •• فأنا في حالة عسر شديد، وضيق مادي لا يمكنك تصوره •

ختاما أجدد لك ، يـا صاحب السعادة ، احترامي ، واضـع حياتي في خدمتـك •

الراوي : أخجلت الرسالة الكونت سفورزا ، وأيقظت في نفسه ما كان يكنه من تقدير واعجاب لدافنتشي ، فطلب اليه رسم لوحة خلدت اسمه على مر الاجيال . فقد أكمل دافنتشي أروع لوحة فنية في تاريخ الرسم سنة ١٤٩٨ .. وكانت « العشاء السري » أو « العشاء الاخير » التي رسمها على الجدار الامامي لقاعة الطعام في كنيسة سيدة النعم في ميلانو .. وهي تمثل آخر عشاء للسيد المسيح مع تلاميذه الاثني عشر ..

صوت : انها حقا قصة غريبة ..

الراوي : (مقاطعا) هذه ليست الا بدايتها، فالقصة بحد ذاتها لم تنته بعد .. طلب الكونت الى دافنتشي رسم اللوحة ، فانهمك هذا في عمله .

(انتقال موسيقي)

ليوناردو : انطونيو .. انطونيو .. أنا بحاجة الى مساعدتك .. سينتابني الجنون . لقد رسمت صورة السيد المسيح ومحوتها أكثر من مرة.. أنا لست راضيا عنها .. ان التعابير السامية التي أود اظهارها على وجهه ليعجز خيالي عن ابرازها . أريد ان أرى مثالا حيا يلهمني .. أريد أن أرى شابا مليح الصورة ، تتجلى في ملامحه امارات الطهر والالوهة .. فالواقع أروع من الخيال قل لي ألا يمكن العثور على مثل هذا الرجل ؟!

انطونيو : أنا لم أشأ ان أبدي هذه الملاحظة من قبل .. خشيت أن تعتبرها اهانة لفنك اذا أنا أشرت عليك بألا تعتمد كليا على مخيلتك !

ليوناردو : (مقاطعا) ـ ماذا تقول ؟ لماذا تركتني أحاول عبثا طوال هذه المدة ؟ هل تعرف أين يمكننا العثور على ضالتنا المنشودة ؟ قل بربك ..

انطونيو : سأريك هذا الشاب الساعة .. تعال معي الى كنيسة سان انطونيو .. فقد أبصرته هناك مرارا .

ليوناردو : هيا بنا .. هيا بنا الآن !

(انتقال موسيقي قصير)

ليوناردو : أنـا ليوناردو دافنتشي الرسـام •• أود ان أرسم لوحـة « العشاء الاخير » وقد وجدت فيك من امارات البراءة والطهر مـا يساعدني على رسم وجه السيد المسيح •• أنا مستعد ان أدفع لك أي مبلغ تريد لقـاء سماحك لي برسمك •• ولن تطول مدة العمل •

الشاب : ليوناردو دافنتشي •• يا للشرف العظيم الذي تسبغه علي ، يا سيدي!•• اسمي جيوفاني ، وأنا رهن اشارتك •• متـى تـود أن نبـدأ الجلسات ؟••

ليوناردو : شكرا •• من الآن يا جيوفاني •• هيا بنا الى محترفي •

(انتقال موسيقى قصير)

ليوناردو : انظر يا انطونيو ، لقـد أوشكت اللوحة أن تتـم •• ها هم التلاميذ يحيطون بالمعلم على المائدة •

انطونيو : لقد عرفتهم جميعا •• ولكن يبدو لي ان أحد عشر تلميذا لا اثنا عشر •• أين يهوذا الاسخريوصي ، لست أرى له وجها ••

ليوناردو : ان هذا الرجل هو مبعث حيرتي •• اني أجـد صعوبة كبرى في رسم ملامحه الشيطانية •• انه بـاع معلمه بثلاثين من الفضـة •• لست أستطيع تجسيم الشرور في تقاطيع امرىء من خيالي • لقد أصابني الآن مـا أصابني من قبل عند رسمي صورة المعلم !•• فأنا في حيرة من أمري •• ترى ألا نستطيع العثور على انسان تتجسد في ملامحه شرور الدنيا التي تجسدت في يهوذا الخائن !؟

انطونيو : ينبغي أن يوجـد مثل هـذا الشخص •• علينـا بالحانـات بالحانات الوضيعة ، وأماكن القمار •••

ليوناردو : ان الوجه الذي أتخيله ليهوذا يجب أن تتجسم فيــه شهوات الدنيا وشرور الجحيم •••

انطونيو : اذن ، علينا بهذه الاماكن القذرة ، ففيها ضالتنا المنشودة •••

(انتقال موسيقي قصير)

(جلبة في مقهى)

انطونيو : انظر ، يا سيدي •• هوذا مثال رائع ليهوذا •• لا أعتقد أن بالوسع العثور على أفضل •••

ليوناردو : لنقترب منه •• صحيح ما تقول !!

لست أعتقد اننا سنجد صعوبة في حمله على قبول رسمه •• فهو ، ولا ريب بحاجة الى مال •

انطونيو : هــــه •• يا هذا •••

جيوفاني : من يناديني ؟ ماذا تريد مني ؟

ليناردو : أنا رسام وبودي أن أرسم صورة لأحد رواد هذا المكان هل لديك مانع ؟ أنا مستعد ان أنقدك مبلغا من المال لقاء بضع جلسات في محترفي!

جيوفاني : أنا رهن اشارتك •• فاني في أمس الحاجة الى المال••ولكن ألا تذكرني أيها الرسام العظيم ؟ ألــم ترسم صورتي من قبل ؟ منــذ بضــع سنوات ؟

ليوناردو : (بدهشة) أنـــا رسمتك من قبل ؟•• منــذ بضع سنوات ؟ لا •• لست أذكر !

جيوفاني : بلى يا سيدي •• لقد اتخذتني وقتئذ مثــالا لصورة السيد المسيـــح ••

ليوناردو وانطونيو : يا الله ! وما بدلك من حال الى حال ؟••

الراوي : لقد انقلبت سحنة هذا الشاب ، مع الزمن ، لانغماسه في الموبقات ، من صورة آله الى صورة شيطان .

(انتقال موسيقي)

الراوي : ولم يغادر دافنتشي ميلانو الا في عام ١٤٩٩ فانطلق الى البندقية ، ومنها الى فلورنسا حيث صنع عدة تحف أكسبته شهرة عريضة ، منها لوحة « الجيوكنده » أو موناليزا ، التي نفض يده منها بعد جهد استغرق أربع سنوات .

خدم دافنتشي سيزار بورجيا بصفة مهندس عسكري مع انه كان يعتبر الحرب نوعا من البربرية . وبين ١٥٠٦ و ١٥١٣ أقام معظم وقته في ميلانو . ثم رحل الى روما حيث عاد يعمل تحت رعاية أسرة مديتشي .

وقضى دافنتشي الشهور الثلاثين الاخيرة من حياته في خدمة ملك فرنسا فرنسوا الاول الذي كان يجله ويحترمه كثيرا وكان يقوم بزيارته بانتظام . واتفق ذات يوم أن أصيب دافنتشي بمرض ألزمه الفراش فكان الملك يتردد عليه يوميا في ساعة معينة .

دذات مرة ، وبينما فرنسوا يهم بمغادرة البلاط دخل عليه أحد النبلاء فلم يؤخر ذلك الملك عن القيام بزيارته اليومية المعتادة . واستغرب أحد رجال الحاشية تصرف الملك .

رجال الحاشية : مولاي .. لقد خرج هذا النبيل ممتعضا غاضبا .. ألم يكن بالامكان تأجيل زيارتك للفنان الايطالي واستقبال هذ االنبيل ؟

الملك : (مقهقها) لا ، يا هذا .. ليغضب هذا النبيل وسواه .. فبوسعي أن أصنع النبلاء بالعشرات ولكن عبقريا مثل دافنتشي ، فالله وحده يستطيع صنعه !!!

« موسيقى النهاية »

رسوم زينة الحياة

للسيد علي إبراهيم

ألقى في ذهنها ان المال والبنين زينة الحياة ، ولم يكن لديها من المال سوى مورد ضئيل لا يبل الصدى ولا ينهض بالحاجة لولا حسن التدبير ، أما البنون فقد حفل بيتها بهم ، وعاشت أيام شبابها وهي ترقب فجر السعادة عندما يصبح أولادها رجالا قادرين ، ولم تكن ظلال الحياة وارفة عليها في بداية أمرها سيما بعد وفاة زوجها وحملها المسؤولية وحدها ، فعالجت شح المورد بالصبر ، وكلما ونى عزمها أمام الشدائد بعثه الامل ظنا منها أن شاطىء السلامة قريب وانسجاما مع المعاني التي توحيها عاطفة الأم ويزينها حب التضحية فتصبح سنة مألوفة ولعلها أجمل ما وصل اليه الانسان في مسيرة التمدن والحضارة والحصول على المراتب السامية ، لو جردت الحياة منها ومن مثيلات لها تضيء الفكر وتغني النفس ، لم يكن لها هدف يصح للعقلاء الوقوف عنده .

ومضى الزمن تباعا كأن بلوغ أم عصام الستين فيه يقظة غافل مر بالاحداث سريعا وعمل حساب الايام والليالي فوجدها بحاجة لمزيد من الجهد والعناء لا يهدأ فيهما الانسان حتى ينتهي ، وكأن الحياة على موعد دائم مع الكفاح يكمن فيه سر البقاء ومعنى الوجود ، ومن آمن بغير ذلك وسلم نفسه للهو والبطالة طائعا أصبح مخلوقا تافها لا يرجى خيره ، وكانت أم عصام سعيدة بالبنات والبنين ، ترى فيهم الامل الباسم الذي يطرد عنها أشباح الخوف والالم ويعزيها عن الوحدة والحرمان الى أن اشتد عودهم وخاضوا غمار الحياة مع أقران لهم وأشباه ، وكلما استقل واحد منهم وأصبح رب أسرة نظرت لمن بقي كأنها قائد سفينة لا عمل له سوى نقل المسافرين لشاطىء

الامن والسلامة والمودة من جديد لمرافقة من تهيأ وأزمع السفر ، وكنت أراها في بيوتهم حانية متفقدة تجيل فيما حولها نظرة الفاحص الخبير وتسدي لهم النصيحة فيعتبرون ذلك فضولاً منها وتدخلا في شؤونهم الخاصة .

ثم أمعنوا في الاستقلال والغربة وبقيت أم عصام وحيدة في الدرب الطويل ، ولم يصح معها الحساب ، حلمت بدنيا زاهرة يضيئها الحب ويسمو بها الحنان لذروة المروءة والوفاء ، فاذ الجيل الجديد بمعزل عن أحلامها وآمالها ، يدفعه حب الكسب في سائر مجالاته ، وتحث سرعة العصر خطاه فلا يعرج على ما ينبغي له اطالة الوقوف عنده ، أما التعاون والحنان والعواطف الانسانية فلها عنده مفهوم آخر استوحاه من حاجة عصره وقضت عليه به سنة التطور ، وكنت جارا لهذه الاسرة لا يحق لي التعرض لشؤون غيري ، ولكن ذلك لم يمنعني من التساؤل ، هل ينكر الفرع أصله ومنه استمد السري والغذاء ؟ وهل ينتفع الوطن ببنيه ان لم تكن البداية تعاطف الاسرة لتواجه أحداث الزمن قوية متماسكة ، وتقف بوجه الصعاب .

وحدة المصير

قبل أن تصبح نجوى مفوضة أولى في الامن العام واجهت مشكلة مع ذويها الذين استقر في أذهانهم ان المرأة تتعثر في الجندية ولا تصلح لها ، وان المبدأ الذي يناسبها هو التعليم والتمريض وربما جاوزت ذلك للقضاء والمحاماة أو الطب ، وهم بذلك يخضعون لمؤثرات يحسبونها حقيقة دون أن يكون لها نصيب من الصحة أو أسباب واضحة معقولة ، فليس بمقدور أي انسان أن يخط لغيره طريقه أو يرسم له حياته وما يمنيه هو دون غيره بكلمات يرددها ، وقد انتصرت الارادة والرغبة الصادقة عند نجوى فلبست الثوب بعد كفاح طويل ولمعت على صدرها الشارة ، وكنت أراها فخورة مزهوة بعملها تسير بخطى متزنة وقامة فارعة كأنها علم الوطن الذي تخفق له القلوب وتخشع الابصار ، ويسحر بهاؤه وسناه النفوس ، أراها في الغدو والرواح بمواعيد

لا تعدوها فأعرف منها الوقت دون أن أسأل ساعتي عنه ، وسمعت بعـد ذلك تقديرا لها من المواطنين سرني ، فنحن بأمس الحاجـة لاشتراك المرأة بكافـة الميادين والتحرر من الوهم السائـد ، والخلاص من التحكم والفضول بأشياء يعود أمر البت بها لأصحابها .

وتشاء الصدف أن أسمعها تتحدث بهذا الموضوع في سهرة عائلية مـع شاب أراد أن يسبر غورها ويعرف حقيقة مـا عندها ، وكنت مسجلا للحديث الدائر ، قال : هل لك يا نجوى أن تشرحي لنا سبب اصرارك عـلى وظيفتك بالذات وعن مدى نجاح المرأة فيها ، لنرى ملامح عن هـذه التجربة وصورة صحيحة بعد الممارسة تصلح حجة على من يرى غير ذلك فأجابت قائلة : لقـد اجتاز الزمن موضوع التفرقة بين قدرة الرجل والمـرأة على العمل وأصبح من البديهيات المسلم بها ان لا فضل لانسان على غيره الا بمقدار ما يبذل من جهد واخلاص سواء كان رجـلا أو امرأة ، فلا داعي لمناقشة هـذا الموضوع ، ولا تستغرب اذا قلت لـك ان نداء في أعماق ذاتي دعاني لاختيـار طريقي فلبيت النداء ، وان شعورا لا يقاوم دفعني منذ نشأت ووعيت لاختيار الجندية .

ويبدو لي ان الاحساس بوحدة المصير بين المواطن وأبناء وطنه في طليعة الاسباب والدوافع ، انني أحس بأن قدرا مشتركا يجمعني بكل مواطن وأنـا أتعامل مـع الناس على نطـاق واسع وأنظر في شؤونهم ، ويشعـر الانسان المعافى عندما يطبع النظام ويتمثل للقانون براحة نفسية واطمئنان داخلي وأرى في الجندية المثل الواضح لتطبيقه بصورة عملية ، أما مبلغ توفيقي ونجاحي في عملي فيعود ذلك لرؤسائي ولك ولأمثالك من المواطنين ، وقصارى مـا أعلم أنني قمت بواجبي وحققت ذاتي وبلغت هدفي في عملي الذي أصبو اليه .



شعراء كربلاء المعاصرون

باسم يوسف الحمداني

بقلم:
سلمان هادي الطعمة

الشعر الحق زفرات قلب مكلوم ، وهو يصدر عن تجارب حية عاناها الشاعر في نفسه • والشاعر الاصيل هو الذي يتحسس آلام الانسانية ، ويتألم من أجلها ، ويندفع بصدق واخلاص ليعبر عما يتراءى له من صور آلامها وأحزانها في مشاهد حافلة بمشاعر وأحاسيس ذات ألوان بديعة جذابة حينا ومأساوية حينا آخر •

ونحن أيها القارىء بصدد شاعر شاب دخل معترك الحياة ، مرهف العاطفة ، مشبوب الحس ، استطاع أن يعرض صورا لكثير من الاحداث التي يمر بها وطننا العربي الكبير ، بما كان يضرب على أوتار قيثارة ألحانه الثائرة من أنغام ، تعبيرا عما اختلج في نفسه • انه الشاعر باسم يوسف الحمداني •

ولد باسم بن يوسف بن علوان بن عيسى بن محمد الحمداني في كربلاء يوم ١٩ تموز ١٩٤٤ م ، أنهى الدراسة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فيها ، وتخرج معلما من الدورة التربوية • وهو اليوم يواصل دراسته الجامعية في بغداد •

ارتاد المكتبات العامة والخاصة في المدينة ، وقرأ دواوين الشعراء القدامى والمحدثين ، فشب شاعرا ناضجا يدعمه التشجيع ، وساهم في عدة ندوات بالقاء نتاجه الجديد ، وكان للمحيط المدرسي أثره الكبير في انجاح مسيرته •

أما شعره فهو ذو لونين ، لا يخلو من وهن وضعف في أغلب قصائده • فشعره الحديث فيه صور طريفة وجـادة • أمـا شعره العمودي فليس فيـه تجديـد •

وباسم كما يبدو أنيقا في عباراته ومعانيه المهذبـة • فهو يمدنا بتجربـة خاصة عبر عن أفكاره في ايجاز وسهولة ومقدرة ، كمـا في بعض قصائده : طاحونة الآلام • عودة تموز • حوار مع الحروف • خطاب من بلادي • فقـد انطلق للتعبير عما اكتوى قلبه بسعير الحب مستخدما الالفاظ المتدفقة مع رنين الموسيقى والصور الفنيـة والحس المتدفـق • وقصيدته (نيسان) بخاصـة تنبض بالقوة وتلتهب بالمشاعر • اسمعه يقول :

نيسان أعـدت لي الذكـرى   وأعـدت الانغـام السكرى
ففتحـت البـاب لمقدمها   فاتثالـت أنفـاس خـضرى
وانساب الضـوء بنافذتـي   واندلحت انـداء أخـرى
وتسلـل وجـه تغمـره   ألوان من وهـج الذكـرى
واذ بالـدفء يطوقنـي   بيديـه اليمنـى واليسرى
فلثمـت شفاهـا أعرفهـا   ولصقت بذا الصدر الصدرا
وتخطـت حولـي أفيـاء   وتهـادى زورقنا سحرا (١)

وشاعرنا يتألم لأمته العربية ، وهو يرى هوانها على الامـم والشعوب العربية عامة • فهذه فلسطين القطر العربي الممزق المنهوب الذي دمره الصهاينة الاذلاء ودنسوا مسجده الاقصى ، ألم تكن نكسة حزيران ١٩٦٧ وما تركتـه من تجاوب عميق للنضال المسلح الـذي يخوضه الفدائيون ضـد الصهيونية تأثيرا على حسه القومي المرهف ؟ فتجعله يهتف قائلا :

(١) مرافيء الظلال/مجموعة الشاعر ص ٨١ •

دروب الصمت تحضن عابريها — وتحزم كل جفن بالسهاد
فإن صلب المسيح فسوف يبقى — صلاح الدين حنجرة تنادي
ويبقى مازن شباك نور — نبوءته تنم عن السواد
خطى الثوار طوفان المنايا — سيغسل كل ادران الفساد
ستطرق باب مريم من جديد — ويكشف كل مكنون وباد
وان فاضت لمرأى القدس عين — ستمسح دمعها بيض الايادي
يناجي طيفه والده خشوعا — سيثأر يا أبي من الرشاد
سأنقش فوق قبرك من جراحي — حروف النازحين عن البلاد
حروف الحاضنين دم الضحايا — حروف الزاحفين على اتقواد
حروف الجائعين الى رغيف — من الخبز المدمم باعتقادي (١)

أما قصيدة (عودة تموز) ففيها حرارة متدفقة تكشف عن قدرة الشاعر على التعبير عن نوازع الانسان الثائر في معترك النضال ، اسمعه يقول :

تموز اضمامة شوق نقي — عدت وعاد المطر للمدورق
عدت وعاد الصبح يا مرتجى — آمالنا فيا رؤى حلقي
ويا سواد الليل لا تحتشد — يا عتمة الايام لا تطبقي
نحن فصمنا نير أغلالنا — في افقنا الرحب رؤى تستقي
نحن مع النور على موعد — نحن خلقناه ولم تتق
نحن صنعناه بأقدارنا — بألف جرح فاغر ريق
بألف ألف منكب وأسمع — بالدم بالارواح بالمنطق (١)

ولعلنا لم نأت بجديد حين نعرج على مواكبة الشاعر للشعر الحديث ، فهو هنا يحيي الشاعر السياب بموسيقية رتيبة لا تختلف عما جاء بها الآخرون ، فيقول :

---

(١) فارس الصمت ـ مجموعة الشاعر ص ٤١ .
(١) فارس الصمت ـ مجموعة الشاعر ـ ص ٢١ .

وبويب
مبهور الضيــاء
فلا جرار ولا خرير
يثال فيه صدى اللحون
ويختفي اللحن الاخير
صفحات سلسلة الصموت
تنام في شبه احتضار
والقريــة الخرساء
تطفيء بالدموع سنى النهار
لا وجه شاعرنا الحبيب
يطل من بعد انتظار (٢) .

وها هو يثور كالبركان على المستبدين الماضين ، فيطلق صرخته القوية الثائرة من فؤاد جريح فيقول :

وتيقنــوا بالنصــر
ان الكاظمين الغيظ قد بلغت قلوبهم الحناجر
فلتنخر الديــدان
من صبغت تهوسهم المظاهر
لا يبتغون من الحياة ،
سوى التفكه والنوادر
زفراتهـــم
ضاقت بها الاجــواء
وامتصت عروقهم الضمائر
فالمجــد للتاريــخ

(٢) مرافيء الظلال ـ مجموعة الشاعر ـ ص ٦٢ .

ان شب الهوام من الطيور على الكواسر (١) •

وأخيرا ، تلك كانت مرآة عاكسة لشاعرنا باسم يوسف الحمداني ، وان ما ذكرته ليس عن كل نتاجات الشاعر ، فهو ما يزال ثر العطاء في شعره •

كربلاء ـ العراق سلمان هادي آل طعمة



الناس على دين ملوكهم حتى في النحو

لقي الحجاج اعرابيا فسأله : يا هذا ، « كم عطاءك ؟ » •

فقال الاعرابي : « ألفين » •

فقال الحجاج : ويحك ، كم « عطاؤك ؟ » •

فقال الاعرابي : « ألفان » •

فقال الحجاج : فلم لحنت في الاولى ثم أعربت في الثانية ؟

فقال الاعرابي : لحن الامير فلحنا ، ثم أعرب فأعربنا •

(١) فارس الصمت ـ مجموعة الشاعر ص ٦٨ •

القصة في الأدب العربي

بقلم: الدكتور خوانسي أوربان
أستاذ الأدب بجامعة طهران

٤ ـ الخرافة في الأدب العربي :

قد تستعمل الخرافة مكـــان الاسطورة • ولم ترد كلمة « خرافـــة » في القرآن لكن العرب عرفوها في لغتهم • كما عرفها أدبهم ونقادهم •

جاء في القاموس عن الخرافة أنها : « حديث مستملح كذب » وأصـــل المادة « خرف » من باب تعب • ومعنـــاه فسد عقله • وجـــاء في أمثالهم : « حديث خرافة » فسره اللغويون وقالوا : خرافة كثمامة ـ أي بضم الخاء ـ رجل من عذرة استهوته الجـــن فكان يحدث بـــا رأى • فكذبوه وقالـــوا : « حديث خرافـــة » •

وجاء في لسان العرب : أن خرافة من بني عذرة أو جهينة اختطفته الجن ثم رجع الى قومـــه فكان يحدث بأحاديث ممـــا رأى ، يعجب منهـــا الناس ، فكذبوه • والراء فيه خفيفة ؛ ولا تدخله الالف واللام ، لأنه معرفـــة • الا أن يراد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل أجروه على كل ما يكذبونه مـــن الاحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه •

أولئك اليهـــود والنصارى الذين اخـــذوا يضعون الاحـــاديث ويدسـونها مخلصين أو غير مخلصين • •

ولا شك أن هذا التفسير اللغوي لا يبعـد كثيرا عن الاساطير بمعنـى الاباطيل والاكاذيب أو الاحاديث المنمقة المزخرفة ، أو التي لا نظام لها • أمـا الكلمة « خرافة » فقد استعملت استعمالا شمل الاحاديث والقصص ، حتـى قصص الحيوان والطـير والشجر ، وقـال ابن النديـم : « أول مـن صنف الخرافات وجعل لها كتابا وأودعها الخزائن ، وجعل بعضها على ألسنة الحيوان الفرس الاول • ثم أغرق في ذلـك ملوك الاشغانية ثم زاد واتسع في أيـام ملوك الساسانية ونقلته العرب الى اللغة العربيـة • وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه • فأول كتاب عمل في هـذا المعنى كتاب « هزار افسان » ومعناه ألف خرافة وكان السبب في ذلك أن ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد • فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها « شهر آزاد » فلما حصلت معه ، ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها وسؤالها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطأها الى أن رزقت منه ولدا أظهرته وأوقفته على حيلتها عليه • فاستعقلها ومال اليها واستبقاها وكان للملك قهرمانـة يقال لها « دينـار زاد » فكانت موافقة لها على ذلك • وقد قيل ان هذا الكتاب ألف لـ « هما » ابنة بهمن » •

وقال : « ان أول من سمر بالليل الاسكندر ، وكان لـه قوم يضحكونه ويخرفونه • لا يريد بذلك اللذة ، وانما كان يريد الحفظ والحرس • واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب « هزار افسان » وهو يحتوي على ألف ليلة ، وعلى دون المائتي سمر ، لان السمر ربما حدث به في عدة ليال » •

ثم أخبرنا كذلك أن ابن عبدوس الجهشياري حـاول تأليف كتاب فيـه أسماء العرب والعجم والروم • ثم قال : « وكان قبل ذلك ممن يعمل الاسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبـد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » •

فابن النديم يحدثنا هنا عن قصص نعرف بعضها على الاقل وهو « كليلة ودمنة » وكأنه جعل هذا النوع ، من الاسمار والخرافات . وكأن الخرافات عنده هي هذا النوع من قصص الحيوان والطير والبهائم والناس . ويطلق على هذا النوع من القصص بالانجليزية والفرنسية « فابل » .

وقد كان لكتاب « كليلة ودمنة » أثر كبير في الادب العربي وفي غيره من الآداب . وعنى الناس به عناية كبرى وحذوا حذوه . من ذلك أن كثيرين نظموه ، نعرف منهم ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن غفير الرقاشي (١٤٠ ـ ٣٠٠ هـ ٧٥٠ ـ ٨١٥ م) جعله في أربعة عشر ألف بيت وقدمه الى يحيى بن خالد البرمكي . وقد ضاعت هذه الترجمة وبقي منها في كتاب « الاوراق » للصولي نحو ثمانين بيتا ، منها في باب الاسد والثور :

وان من كان دني النفس ... يرضى من الارفع بالاخس
كمثل الكلب الشقي البائس ... يفرح بالعظم العتيق اليابس
وان أهل الفضل لا يرضيهم ... شيء اذا ما كان لا يعنيهم

ويبتديء الكتاب بهذين البيتين :

هذا كتاب أدب ومحنة ... وهو الذي يدعى « كليلة ودمنة »
فيه احتيالات وفيه رشد ... وهو كتاب وضعته الهند

وهكذا لم يصل الينا من نظمه الا القليل . ثم نظمه ابن الهبارية (٥٠٤ هـ ـ ١١٠٠ م) في كتابه « نتائج الفطنة في كليلة ودمنة » ويذكر ابن الهبارية في ترجمته أنها خير من ترجمة أبان اللاحقي . وقد وصل الينا نظمه كاملا . وله نظم آخر باسم « درر الحكم في أمثال الهنود والعجم » . أكمله عبد المؤمن بن الحسن الصاغاني من رجال القرن السابع للهجرة . ونظمه أيضا سهل بن هارون (٢١٥ هـ ٨٣٠ م) الفارسي الاصل باللغة العربية وقدمه أيضا الى يحيى بن خالد البرمكي . ولم يصل الينا شيء منه . ولسهل في

دستميسان « دشتميشان » بــين البصرة والاهــواز • ثم انتقل الــى البصرة فبغداد، حيث اتصل بيحيى بن خالــد البرمكي في زمــن الرشيد ثم اتصــل بالمأمون فجعلــه قيمــا على « بيت الحكمــة » واشتهر بالحكمة حتــى لقب « برزجمهر الاسلام » وله مؤلفــات كثيرة : مثل كتاب « ثعله وعفرة » فــي معارضة « كليلة ودمنة » وكتاب « النمر والثعلب » وكتاب « وامق والعذراء» وكتاب « اشك بن أشك » وغيرها • وكذلك نقل « كليلة ودمنة » الى الشعر علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد • وكان أحــد البلغاء يسلك في تصنيفاته طريقة سهل بن هارون • ثم نظمه أبو سهل بشر بن المعتمر مــن كبار المعتزلة ورؤسائهم (٢١٠ هـ • ٧٢٠ م) • وذكــر صاحب كشف الظنون في عرض كلامه عن « كليلة ودمنــة » فقــال : نقله أيضا عبــد الله بن هلال الاهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ ونظمه أيضــا أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد فلما وقف عليه أجازه بألف دينار •

وحذا حذوه كتّاب كثيرون • فابن الهباريــة ألف على منواله كتــاب « الصادح والباغم » وكذلك ألف على منواله أبو عبد الله محمد بن أبي قاسم القرشي المعروف بابن ظفــر المتوفي سنة ٥٩٨ هـ كتاب « سلوان المطــاع في عدوان الطباع » ألّفه لبعض القواد بصقلية وكذلك ألف على هذا النسق ابن عربشاه كتابه « مفاكهة الخلفاء الظرفاء » وكتابه « مرزبان نامه » الذي ترجمه من الفارسية • ويذكر كشف الظنون أن أبــا العلاء المعري ألّف كتابــا اسمه « القائف » على مثال كليلة ودمنــة وهو ستين كراسة لم يتــم • وفي رسائل « اخوان الصفا » رسالة في المناظرة بين الحيوان والانسان لا تخلــو من لون من « كليلة ودمنــة » بل يظن « جولــد زيهر » أن اسم « اخوان الصفــا » مقتبس من « كليلة ودمنة » اذ ورد الاسم في أول فصل « الحمامة المطوقة »•

وعلى كل فقد أدخل هذا الكتاب على الادب العربي القصص على ألسنة الحيوانات • وكان له أثر من ناحية تفصيل القصص ووضع الحكم والامثــال والمثلة على ألسنتها •

أما الاساطير التي هي قصص الآلهة والابطال فلا تدخل في هذا التعريف • وأما القصص الاخرى التي تفسر خلقة الحيوان أو تتحدث حديثا رمزيا له مغزى ويكون بطلها من الناس أو الطير أو البهائم فيشترك فيها الاسطورة والخرافة • وهناك أرواح تقوم بأعمال عظيمة ، كما يرجع ابداع الشعر اليها عند العرب • وهذه الارواح آلهة عند بعض الامم • وجن أو ملائكة عند البعض الآخر • فهي بعيدة بهذا المعنى عند الخرافة • أما التفرقة بينهما على أساس أن كلا منهما معقولة أو غير معقولة ، فليست مبنية على أساس قوي • لان كلا منهما يكون معقولا وغير معقول بحسب الشخص الذي ينظر اليهما • والانسان الاول كان يؤمن بالاساطير التي هي قصص الآلهة والابطال • كما يؤمن بالخرافات التي هي قصص الحيوان والطير • والآن لا يؤمن بهما معا مع أنها كانت معقولة عنده أولا ، ولم تعد كذلك بعدما ارتقى عقله • وكل من الاساطير والخرافات يمكن أن يكون حقا وكذبا ، وأن يكون حديثا مستملحا ، ومن أحاديث الليل والنهار والجن والانس ، والطير والبهائم والنبات • ويجعل مصطفى صادق الرافعي الخرافات مقابلة اذ يقول : « ولبعضهم نوع من التاريخ الوضعي يسميه الرواة تكاذيب الاعراب وأضاحيك الاعراب وهو الخرافات أو الميثولوجيا » وجرجي زيدان يستعمل الكلمة اللاتينية « ميثولوجيا » مراد بها الاساطير • ولكن تخصص كلمة الاساطير بالميثولوجيا والخرافات بما يسمى « فابل » اصطلاحا •

ونتيجة ما سلف وخلاصة ما ذكرنا : ان القصة عامة نشأت بنشوء الانسان • « كان بدء الخليقة قصة وكان الانسان بطلها الاول » • ومنذ أن نظر الانسان الى الطبيعة ، وعجز فهمه عن ادراك كنهها ، أخذ خياله يحيك حولها القصص وينسج الاساطير ، متصورا أن وراءها قوى خفية تحيا مثله وتؤثر في حياته • فرهبها وأله مظاهرها • وقدم اليها الذبائح والقرابين تسكينا لغضبها ، وطلبا لرضاها • كما نسب اليها كثيرا من التصرفات والعواطف البشرية • فهي تأكل مثله ، وتشرب وتنام وتهوى وتعشق وتعرف الزواج •

فتتناسل وتتوالد • ولها عقل مثل عقله • ولكنها ذات قدرة عجيبة فائقة تمكنها من الطيران في الهواء والركض على السحب ، والغوص في المياه • والتشكل في صورة شاءت • وكل منها موكل بتدبير : فاله منها للبرق واله للرعد واله للحرب واله للمطر واله للعمران واله للموت واله للحكمة والمعرفة واله للمحبة واله للاخصاب في الخضرة والارض واله للخير واله للشر ••• وقد تتقمص هذه الآلهة بعض الاشخاص فيكون لهم أجساد الآدميين وأرواح الآلهة ، ينبئون الناس بمصائرهم • ويقسمون حظوظهم • فيسعى هؤلاء لاسترضائهم ، ويستعينون بهم وقت الضيق • ويلقبونهم بأبناء الآلهة ، ظنا منهم بأنهم ولدوا من تزاوج عجيب بين الآلهة وبين انسيات فاتنات من بنات حواء •

هذا هو العالم الذي نشأت فيه القصة ومنه استمدت عناصرها • وهو ليس يختلف عن العالم الذي نشأت فيه القصة العربية وحدثتنا عنه أساطير الاولين • ألم يأتك نبأ الزهرة وقصة فتنتها للملكين : هاروت وماروت ، وما كانوا يتحدثون به عن القمر حين أراد أن يزوج الدبران من الثريا • وما تحدثوا به عن الشعريين ، وسهيل والجدي وبنات نعش ، وعن « هبل » رب الارباب ، وعن خرافة نار الحرتين ، ونار قزح وأصنام عمر وبن لحي ، وحديث الكعبة وبنائها ، وتطور المعتقدات بشأنها ، وحديث الحجر الاسود فيها ، وقصة عام الفيل ، وعن الغيلان والسعالي ، وقصص شياطين الشر ، والغرام بين الثقلين ، وعشق الجن للانس • وقصص الكهانة والعرافة والسحر ، والقصص التي تحدث عن ابليس • وتحكي عبادة العرب للبرق والجن والملائكة • وأخبار العرب الاولين من عاد وثمود ، وطسم وجديس وجرهم والعمالقة • وما يدور حول عاد ومدينتها ارم ذات العماد والتي لم يخلق مثلها في البلاد • ثم ما يدور حول ثمود وبلدها الحجر ، وما يحكى عن علاقات طسم وجديس • وعن الصفا والمروة ، وأساف ونائلة • وعوج بن عنق أو عناق ، وعن العزى واللات وثالثتها مناة ، وعن سد مأرب والسيل ، وعن

شق وسطيح ؛ وعن لقمان بن عاد وخبره في العباد وغير ذلك من عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ؟

كلها لعمري طرائف وحكايات تزخر بالقصص الاسطوري المتدفق بالخيال والذي يؤلف في تراث الادب العربي مادة غزيرة من أدب الخرافات والاساطير تضارع دأب الخرافات عند الامم أو تقاربه وتعكس حياة العرب وما مروا به من أطوار وعقايد دينية ونظم اجتماعية أشار اليها القرآن بقصد العظة والعبرة كانت متداولة ومعروفة من كل فئة في جزيرة العرب •

ب ـ الاساطير في اللغة العربية :

وردت هذه الكلمة في المعاجم في مادة (سطر) وفسرت بأنها الاباطيل والاكاذيب والاحاديث التي لا نظام لها ، والاقاويل المنمقة المزخرفة ، وصيغتها صيغة منتهى الجموع • وسطر تسطيرا ألّف الاكاذيب ، أو جاء بأحاديث تشبه الاباطيل • ويقال سطر فلان على فلان اذا زخرف له الاقاويل ونمقها • وتلك الاقاويل هي الاساطير • واختلف في مفردها ، فهو أسطر وأسطار وسطور • ومفرد هذه كلها (السطر) وهو الصف من الشيء ، كالكتاب ، والشجر والنخيل وغيره • وقيل انها جمع اسطير واسطار بكسر الهمزة وأسطور بضمها ، وتزاد الهاء في كل • وأشهر المفردات استعمالا هو أسطورة • وجاءت كلمة « أساطير الاولين » في القرآن الكريم في تسع آيات جميعها مكية • وفي هذا دليل على أن الكلمة كانت معروفة عند عرب الجاهلية من أهل مكة وكان لها مدلول خاص ، ومعنى مفهوم • فلما أرادوا تكذيب محمد فيما جاء به قالوا « أساطير الاولين » •

أما المعاني التي أرادها المكذبون من هذه الكلمة « أساطير الاولين » فيفهم من سياق الآيات أنها البعث ، او أنه شيء وعد الرسل به قومهم ولم يتحقق ، او أنه شبيه بأساطير الاولين في أنه كذب وباطل لا أصل له • وتحتمل أن يراد بالكلمة « القرآن » كله ، ما نزل منه وما سينزل وذلك حملا لما لم

يسمعوا على ما سمعوا ، وحكما على الكل بما نسبوه الى البعض لتشابههما في نظرهم أو يراد بها القصص التي جاء بها القرآن وفيها أخبار الاولين من المرسلين من عند الله ، أو أنها تلفيق واختراع وباطل مثل تلك الاخبار •

وتزيد كتب التفسير الامر ايضاحا : فأساطير الاولين هي : ما سطره الاولون • قال ابن عباس معناه أحاديث الاولين التي كانوا يسطرونها أي يكتبونها • أما قول من فسر الاساطير بالترهات فهو معنى وليس مفسرا • ولما كانت أساطير الاولين مثل حديث « رستم واسفنديار » كلاما لا فائدة فيه • لا جرم فسرت أساطير الاولين بالترهات • وقائل هذا القول في أكثر الحالات هو النضر بن الحارث • فقد أشير اليه في تفسير سور الانعام ، والانفال ، والفرقان ، والمطففين ، ولقمان ، على أنه هو الذي كان « يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم » : « اشترى كتب الاعاجم ، وكان يحدث بها قريشا ويقول : ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود ، فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة » •

بل ان الفخر الرازي يجعل هذا النضر يخرج الى الحيرة تاجرا ويشتري أحاديث « كليلة ودمنة » وكان يقعد مع لمستهزئين والمقسمين ـ الى الذين يجعلون القرآن أقساما كالسحر والشعر الخ ـ فيقرأ عليهم أساطير الاولين ويزعم أنها مثل قصص الاولين التي يزعم محمد أنه أوحي بها اليه بل ، قالوا في أساطير الاولين ، ان محمدا اكتتبها ، كتبها له قوم من أهل الكتاب • كما جاء في تفسير آية الفرقان وآية النحل •

وظاهر من كل ما ورد في كتب التفسير وفي سياق الآيات الكريمة ، أنهم أرادوا بأساطير الاولين : الاكاذيب والاباطيل • فقد كان موقف القائلين موقف عناد وانكار وتكذيب ينصب على القرآن والبعث وأخبار السابقين من حيث نسبتها الى الله ، أو تكذيب لها في ذاتها • وبعبارة أخرى : أنهم أطلقوا الاساطير على القصص القديمة دينية وغير دينية ، ومكتوبة ومروية ، كما أرادوا بها العقائد التي أراد القرآن حملهم عليها وأخصها البعث •

وبذلت الى الآن مجهودات للبحث عن أصل هـذه الاساطير وغايتها ومضمونها ، والمؤثرات فيها ، وصلتها بالدين والادب والاجناس • ومن أهم فروع هذا العلم الميثولوجيا (ميثولجي) ، وهو ما يسمى علم الاساطير المقارن وعلم الاساطير العام •

أما الاسطورة التي هي موضوع هـذه الدراسات فتسمى بالانجليزية « ميث » وهي مأخوذة من أصل يوناني كالكلمة السابقة ومستعملة في لغات كثيرة بصورة لا تختلف كثيرا عما تقدم • وليس لها تعريف متفق عليه عند العلماء كلهم وفي كل العصور ، ولكن يستفاد من أقوالهم أنها قصص شعبية في الغالب ، تدور حول خلق العالم وأخبار الآلهة والابطال كما رآها الانسان البدائي • فهي تشمل شيئين : هذه القصص ، ثم الآراء الدائرة حول ما سبق• واختلف في سبب نشأتها • وأشهر الآراء فيها تفسير لظاهر الطبيعة والمشكلات التي تواجه الانسان الاول ، ويحاول عقله أن يجد لها حلا ، كالبحث في أصل العالم ، ونظام النجوم ، وحركات الكواكب ، وألوان الاشجار والازهار ، والطير والانسان وأصل هـذا وذاك من قوانين العادات وآداب السلوك • وفي الحق ان انشاء الاسطورة عمل يتطلب تعاون العقل والعاطفة والخيال • ففي الاسطورة يبذل الانسان جميع صنوف نشاطه ، ومن ثم يستعين بذكائه الذي يحاول أن يجد تفسيرا نهائيا للاشياء • كما يستخدم خياله وحساسيته الشاعرية ولكنه يساهم أيضا بعاطفته الدينية •

وعصر الاساطير في أمة من الامم ، الزمن الذي تكون فيه الامة بادية في حياتها وتفكيرها وذلك أول عهدها بالوجود غالبا ، وتستمر الامة في هـذا العصر كثيرا أو قليلا حتى يهيء الله لها الخروج منه برسالة سماوية كخروج العرب من عهد جاهليتهم وأساطيرهم برسالة محمد أو برقي عقلي كخروج اليونان من عصرهم الاسطوري بتقدمهم في العلوم والفلسفة ، وتكون دفعة واحدة كحالة الاولى وتدريجيا كما في الحالة الثانية •

ولا تخرج الامم من عهدها الاسطوري وتقطع الصلـة بالقديم خروجها تاما ، بل تظل بقايا العهود القديمة عالقـة بالناس : يؤمن بعضهم بما فيها من آراء • ويذكر بعضهم قصصها ، وينقد آراءها ، ويستمتع بهـا اذا كانت ذات قيمة أدبية أو تاريخية ، أو كان لها شأن ديني ، كأخبار عاد وثمود التي قـال عنها العرب انها أساطير الاولين •

أما عصر الاساطير المعروف عنـد العرب فهو الزمن الـذي يسمى عصر الجاهلية ، ويبتدىء قبل الاسلام بحوالي قرنين ويستمر حتى يضيء الاسلام ، ويخرج الناس من الظلمات الى النور : وفي هذا العصر شاعت أساطير عربيـة متعددة النواحي ، بعضها جاء اليهم عن الجاهليـة الاولى ، وبعضها لم يعرف مصدره ، ونقل اليهم بعضها عن الامـم المجاورة كآل كلدان واليهود • وبعضها ديني ، وبعضها عـن الطبيعة ، وعدد منها عن أبطـال وعدد آخـر عن أماكن مقدسة ، وأخرى تاريخية ، تقص أخبار أمة أو تاريخ جيل •

صلة الاساطير بالادب :

والاساطير نوع من القصص : غريب فـي أشخاصه وحوادثه ، ومسرح هذه الحوادث • فأكثره عن عالم عجيب يشوق الناس أن يعرفوا عنه كثيرا مما يشغل أذهانهم • وكانت الاساطير الشعبية الاولى صدى لهذه الرغبة • فأعجب الناس بهذه الاساطير ، وشاعت بينهم ، ورواها الخلف عن السلف ، فكانت نوعا من الادب محبوبا تتسلى به الجماعات ويسمر به السامرون في مجالسهم ، ولا يخلو الامر عن زيادة تضاف الى القصـة ، أو زينة تتحلى بها في اللفـظ أو المعنى وتظل القصص الاسطورية عرضة للتغيير حتى يقيض الله لها أديبا يحسن صياغتها ، ويلائم بين أجزائهـا ، ويضفي عليها شيئا من جمـال الفن وحسن التعبير ، وقد يصوغها شعرا أو نثرا ، أو يجعلها تركيبا مكونا منهما • وذلـك هو ارتقاء القصة من أدنى الى أعلى • وقد تدون عندئـذ فتعود من الخاصة الى العامة ، عليها هذا الرواء والبهاء الذي اكتسبته من فن الكتّاب والشعراء• فالالياذة مثلا قصص كثيرة جمـع بينها هوميروس كما يرى بعض لعلمـاء •

وكثيرا ما ألهمت هذه الاساطير الشعراء والكتّاب في القديم والحديث ، بل ألهمت بعض الرسامين والمثالين أيضا ، ومن المؤلفين الذين ألهمتهم الاساطير موضوعاتهم ، شعراء اليونان القدماء ، نذكر منهم اسكيلوس الذي اقتبس ماسيه مثل بروميثيوس ، من أساطير بلاده ، وكذلك سوفوكليس الذي كتب عددا من المآسي مقتبسة من أساطير بلاده أيضا مثل أوديب الملك ومثل انتيجون والكلترا ،

ويرى فونت أن الاسطورة الادبية مرحلة بعد مرحلة من الاسطورة المفسرة للطبيعة ، وسرعان ما تتجاوز مرحلة التفسير الى قصص الابطال ، ثم تظهر الاساطير بمعنى الكلمة ، وهي الخاصة بمغامرات الآلهة ، وقد تتطرق اليها بعض المعتقدات السحرية والاوهام الشعبية ، ومع ذلك فانها وليدة الخيال الفني في جوهرها ، فهي أكثر اتصالا بحاسة الجمال الفني منها بالدين ، ويرى أن هذه الاساطير تشبه الملاحم من جهة أنها بنت خيال الشعراء والمؤرخين والفنانين ، والاسطورة تدع الخيال طليقا حرا يمتد كيفما يشاء ، وفيها تجد عبقرية الشعراء مجالا أي مجال ،

وفونت وهو عالم ألماني حديث يرى رأي العلماء المحدثين في ارجاع الابداع الفني في الاساطير الى خيال الشعراء ، أما الاساطير نفسها ، فترجع الادب الى قوى أسطورية كالآلهة والجن ، ولليونان ربات الشعر أن عرائسه وللعرب شياطين الشعراء ، وهؤلاء وأولئك يوحون الى أوليائهم بكل بديع جميل ،

فصلة الاساطير بالادب واضحة في أن القصص الاسطورية من أقدم الفنون الادبية وأعجبها وأحبها الى الناس وأكثرها شيوعا ، ثم انها كانت وما زالت مددا للادباء عامة في كل العصور ، فاقتبسوا منها موضوعاتهم ، واتخذوها رمزا لبيان أغراضهم وآرائهم ، وجددوا فكرتها وصياغتها مع شيء من التعديل في أكثر الاحيان ، ولا ننسى أن الموهبة الادبية والعبقرية الفنية عمل من أعمال آلهة الاساطير ، أو الارواح التي تشبهها في المقدرة على الوحي الى الناس واطلاق ألسنتهم بالقول المختار ،

الاساطير العربيـــة :

الاساطير العربية هي جـزء من الاساطير العامـــة ، خاضعـــة لقواعدها وأحكامها ، فهي قديمة قدم الخلق ومتنوعة أيضا ، وشعبية تتضمن آراء فـــي الآلهة والابطال ونظام العالم وتفسير مظاهر الطبيعة في السماء والارض ، بل ان بعضها رمزي أيضا ، لـــه ظاهر وباطن • وهي ـــ مـــع خضوعها للاحكـــام العامة ـــ قد تأثرت بالبيئة العربيـــة في كثير من النواحي • فكان مسرحها تلك البلاد بصحرائها وجبالها ومياهها • وكان أبطالها من سادات العرب وفرسانهم، والمشهورين من رجال أديانهم وحكمائهم • وكانت حوادثها متصلة بمـــا عرف عنهم من أخلاق كالكرم وحماية للجار ، والاخذ بالثـــأر كما قيل • ان الخيال العربي ظاهر في تخيلهم للجن في صورة حيوان دائما ، وتصورهم للروح في صورة مادية كالدم والهامة • وأكثر هذه الاساطير العربية الباقية يرجع الـــى الجاهلية التي سبقت الاسلام بحوالي قرنين • وتتصل هذه الاساطير بالتاريخ الاجتماعي والادبـــي والديني للعرب • وروى كثير منهـــا في كتب التاريـــخ والادب والتفسير ، ودونت في هذه الكتب زمن التدوين وربما ظهر في بعض الاساطير اشارات الى انها تسبق هذا العصر أو انها انتقلت الى العرب من أمم أخرى ، كقولهم ان بلقيس ملكة سبأ بنت جنية • وان طوق الحمامـــة المذكور في شعر أميـــة بن أبي الصلت كان مكافأة لها من اللـــه بدعوة من نوح (ع) لأنها أرشدته الى اليابسـة كي ترسو عليها سفينه • وكأخبار عاد وثمود التـــي سماها العرب « أساطير الاولين » •

وقد عرض سميث لقدم الاساطير الساميّة عامة والعربية بوجـــه خاص وصلتها بالادب فقال : « في الحق ان بقايـــا الاساطير لا يمكن أن تبقى بغـــير الادب ، ولا يوجد أدب قديم للوثنية السامية ، اذا استثنينا الادب المسماري في بابل الذي نجد فيه أجزاء من أساطير كثيرة • وفي الحق أنه ليس هنـــاك كثير من الاساطير في شعر الجاهليـــة ، لكن هـــذا الشعر ليس قوي الصلـــة

بالدين ، وهو يرجع الى عهد انحلال الوثنية انحلالا تاما ، ولم يحفظه لنا الا المجموعات التي جمعها رواة المسلمين . وهؤلاء كانوا حريصين على أن يتحاشوا أو يهملوا ما استطاعوا آثار وثنية الآباء » .

وفي الحق أيضا أن الاساطير العربية التي بقيت ، ظلت تروى مشافهة في عصر الاسلام ، ومتأثرة به ، يعاديها اذا كان فيها خطر ، أو يسكت عنها اذا لم تعارض مبادئه ، وقد لا يقوى على انتزاعها من النفوس . ثم تلقفها رجال الادب فصاغوها قصصا أدبية جميلة ورووها بأسلوب عذب لطيف . كما فعل الجاحظ وأبو الفرج الاصفهاني بعده بقرن من الزمان . أما المفسرون من أمثال الطبري والنيسابوري ، وكذلك كتاب السير والمغازي والمؤلفون في التاريخ والانساب وأخبار العرب وأيامها ، وقصص الانبياء وتاريخ الملوك ، فقد حوت رواياتهم وكتبهم من الاساطير العربية والاجنبية من الجاهلية القريبة والبعيدة شيئا كثيرا . ولكن موقف العلماء منها ، كان موقف التكذيب والنقد اللاذع ، خصوصا اذا وضعت في غير موضوعها . ورواها هؤلاء الرواة على أنها حقائق تاريخية وأخبار صحيحة .

٦ ـ المقامات في الادب العربي :

في القرن الرابع الهجري وضعت القصص العربية القصيرة التي تسمى « المقامات » ألفها بديع الزمان الهمزاني والتي يعتبرها المستشرق ماسينيون أول مظهر للقصة العربية . والمقامات أظهر أنواع الاقاصيص التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو خطرة وجدانية ، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون . ولها في اللغة والادب تطور مع الزمن ومفاهيم . فهي في الجاهلية اسم يطلق على مجلس القبيلة وناديها اطلاقه على الجماعة من الناس تكون فيهما ، وقد جاء عند زهير بن أبي سلمى :

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

وهي في الاسلام بعـد ذلك تحمل معنى الخطبـة أو المحاضرة تلقى في مجالس الخلفاء والملوك وتدور في الغالب على الوعظ والتزهيد • وفي القرآن الكريم « أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا » ويظهر مما جاء في « الرسالة العذراء » لابن المدبر أن أهل القرن الثالث كانوا يعرفون نوعا من المحاورات الادبية يسمى « المقامات » • اذ رأيناه يوصي المتأدب فيقول : « واقلو فـي كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب » •

غير أن « المقامات » في كلام ابن المدبر قد تكون جمع مقـام بالتذكير وهو الخطبة أو العظة يلقيها الرجل في حضرة الخليفة أو الملك • وقد عقد ابن قتيبة فصلا سماه « مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك » وذكر نمـاذج كثيرة منها : مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي • ومقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور • ومقام خالد صفوان بين يدي هشام • ومقام الحسن عند عمر بـن هبيرة •

وقد تؤنث كقول بديع الزمان في أحد الواعظين : « غريب قـد طرأ ، لا أعرف شخصه ، فاصبر عليه الى آخر مقامته ، لعلـه ينبيء بعلامته » • وقـد انتقلت المقامات بعد ذلك الى كلام المتفين الذين يتوسلون الى الاغنياء بكلام مسجوع • واستقر مفهوم اللفظة بمعناها الاصطلاحي الخاص مع الهمزاني ، فقد استعملها تعبيرا جامعا لأحاديث ، أنيقـة الاسلوب • مساقها سرد قصص ومدارها على الكدية وعرض جوانب من اللغة والعلم والاجتماع •

ويجمع أكثر الباحثين على أن بديع الزمان هو مخترع هذا الفن الادبي• وأبرز شهادة في ذلـك يقدمها كبير من كتاب المقامـات « الحريـري » حيث يعترف صراحة بسبق البديع وتأثيره فيمن جـاء بعده : « جرى ببعض أنديـة الادب الذي ركدت في هـذا ريحه ، وخبت مصابيحه ، ذكـر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همزان ، فأشار من اشارته حكم وطاعته غنم ، الى أن أنشيء مقامات أتلو فيها تلو البديع ، وان لم يدرك الضالـع شأو الضليع •

ولبيت دعوته تلبية المطمع » ولا يعدو القلقشندي هذا الرأي حين يقول : « ان أول من فتح باب عمل المقامات ، علامة الدهر ، وامام الادب ، البديع الهمذاني فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه ، وهي في غاية البلاغة وعلو المرتبة في الصنعة . ثم تلاه الامام أبو القاسم محمد الحريري » .

بيد أن هناك طائفة قليلة ترى غير هذ المذهب . فيقول الحصري ان ابن دريد في أحاديثه الاربعين ، ألهم بديع الزمان فكان مصدرا لمقاماته . وقد أشار الى هذا الرأي المستشرق بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية . واستغله الدكتور زكي مبارك على نطاق واسع فقال : « وكان المعروف أن بديع الزمان الهمزاني هو أول من أنشأ فن المقامات ، ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان الى هذا الفن . وانما رأيت من يعل سبقه بنزعته الفارسية .. وقد وصلت الى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وانما ابتكره ابن دريد المتوفي سنة ٣٢١ هـ والى القارىء النص الذي اعتمدت عليه في تحرير هذه المسألة ، قال ابو اسحاق الحصري حين رأى أبا بكر محمد بن دريد الازدي أغرب بأربعين حديثا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وتوسع فيها اذ حرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة ، وضروب متفرقة ، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفا وتقطر حسنا ، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى » .

ولا يستبعد أن يكون ابن دريد أوحى الى البديع فكرة تأليف الاحاديث (المقامات) التعليمية وحسب . أما الاختلاف بينهما فواضح سواء من حيث الموضوع أو من حيث الخصائص الفنية . فالاحاديث عند ابن دريد لا تعتمد على السجع الا في لمحات من الوصف ، ولا تدور على بطل ورواية يلتزمهما المؤلف كما هي الحال في المقامة ، ولا على التسول والكدية وشؤون المجتمع . بل هي حركات وأقاصيص عربية قديمة تتناول الحسب والتاريخ وتصوير الشمائل العربية في الغالب . بالاضافة الى ذلك لانجد واحدا من معاصري

البديع يرميه بالتقليد والمحاكاة . حتى ان الخوارزمي خصمه الذي يتتبع سقطاته ويفض منه أقر له بالابداع في مجال المقامة ، واعتبر أنه « لا يحسن سواها » .

والدكتور زكي مبارك نفسه لا ينكر عليه تفوقه وفضله ، وكونه المرجع الاول في هذا الباب . قال : « ومع أن ابن دريد هو المبتكر لفن المقامات فان عمل بديع الزمان في هذا الفن أقوى وأظهر . وطريقته في القصص تختلف عن طريقة ابن دريد ، والذين كتبوا مقامات بعد ذلك لم يكن في أذهانهم غير فن البديع . فهو منشيء هذا الفن في اللغة العربية . ولم تسم تلك القصص بعد ذلك أحاديث كما سماها ابن دريد . وانما سميت مقامات كما سماها بديع الزمان .. وكل ما كتب من المقامات يرجع في جوهره الى فن بديع الزمان فالصورة واحدة من حيث السجع والازدواج ، وطريقة القصص واحدة والافتنان في الموضوعات هو كذلك من مبتكرات بديع الزمان ، حتى الطريقة التعليمية التي عرفت في مقامات السيوطي وابن الجوزي والقلقشندي هي أيضا مما ابتكر بديع الزمان . والفرق يرجع الى صور الثقافات في مختلف العصور ، فبديع الزمان صور مشكلات عصره والحريري مثل معضلات زمانه ، والسيوطي فصل أوهام الناس وعلومهم في أيامه . وجاء محمد المويلحي في العصر الاخير فوضع كتابا في نقد الحياة الاجتماعية في مصر تأثر فيه سجع بديع الزمان وحفظ من رسومه اسم روايته عيسى بن هشام » .

وأول من تأثر خطوات بديع الزمان في القرن الرابع هو أبو نصر عبد العزيز بن نباته السعدي المتوفي سنة ٤٠٥ ولم تحفظ عنه الا مقامة واحدة كما أشار بروكلمان . ثم جاء ابن ناقيا عبد الله بن محمد بن الحسين المتوفي سنة ٤٨٥ فأنشأ عدة مقامات تختلف في أسلوبها عن مقامات بديع الزمان بعض الاختلاف . ثم جاء الحريري فصير فن المقامات شريعة أدبية وقد انتشرت مقاماته في جميع الاقطار العربية وصارت مضرب المثل في الفصاحة والبيان . ومضى الكتاب بعد ذلك يترسلون على هذه الطريقة في جميع الصور حتى اليوم . ولم يمض عصر لم تحفظ فيه مقام .

فكان من الاقدمين في فن المقامات يحيى النصراني ٥٨٥ وشمس الدين الجزري ٧٠١ ومحمد الدمشقي ٧٢٧ ومن المتأخرين نقولا الترك ، وابراهيم الاحدب ، وأحمد فارس الشدياق ، وناصيف اليازجي وأحمد البربير وحنانيا المنير وجميعهم من أدباء القرن الماضي .

وفن المقامات الذي نشأ في القرن الرابع لم يعرف وطنا عربيا وانما عاش في جميع الاقطار الاسلامية فكان من أهل فارس والعراق والشام واليمن والحجاز ومصر والمغرب والاندلس كتّاب برعوا في فن المقامات . وأشار بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية الى أن هذا الفن انتقل بفضل بديع الزمان الى اللغة الفارسية . وكان الدكتور أحمد ضيف يظن أنه انتقل من الفارسية الى العربية .

وأشهر أصحاب المقامات في الادب الفارسي ، القاضي حميد الدين أبو بكر بن عمر بن البلخي المتوفي سنة ١٩٩ وهذه المقامات تحتوي على مناظرات مختلفة بين الشباب والشيخوخة ، وبين أهل السنة والشيعة ، وبين الطبيب والمنجم ، وفيها وصف للربيع والخريف ، والحب والجنون وفيها مناقشات فقهية وصوفية . وهي كالمقامات العربية تصاغ في قوالب فنية .

وأشار بروكلمان كذلك الى أن هذا الفن دخل اللغة العبرية بفضل اليهودي الرباني يهودا بن شلومو الحريزي الذي ترجم مقامات الحريري الى العبرية وأنشأ على نمطها خمسين مقامة سماها (سفر تحكموني) بمعنى « كتاب الحكمة » وضمنها كثيرا من آيات التوراة .

ودخل هذا الفن أيضا الى اللغة السريانية . فقد نظم أحد السريان من مدينة نصيبين خمسين قصيدة على نمط مقامات الحريري ضمنها جملة من العظات في لغة مثقلة بالزخارف والتهاويل ، ونشرها جبريل قرداحي في بيروت سنة (١٨٨٩ م) .

ونلاحظ ان في كل مقامة من مقامات البديع :

١ ـ بطلا ورواية : فالمقامـة تدور على بطـل واحد نسجت حوله أكثر مقامات البديع هو أبو الفتح الاسكندري وهو رجل واسع العلـم والادب ، حاضر النكتة والبديهة ، وافر الحيلـة والدهاء ، يضع فنه وحذقه في خدمـة التسول ويعمد لذلك بشتى الطرق والاساليب • ومن صفاته أنـه مجموعة من الاضداد • فهو مرة دين واعظ يدعو الى الله ومكارم الاخلاق ، وحينا ماجن منافق همه الكسب المادي دون أن يقيم وزنا لعدل أو ضمير • وهو تارة قراد مشعوذ يضحك الناس ويخدعهم وطـورا خطيب ناقد يأخـذ السامعين بسحر حديثه وبليغ خطبته •

أما عيسى بن هشام عند المويلحي ـ فرحالة راوية ، يضرب في الامصار والبلدان ، وتسوقه المصادفات الى أبي الفتـح فيحضر مجالسه ، ويقـع في حبائله ، ثم لا يلبث أن يكتشف سره وينقل أخباره على فصاحة وحسن بيان •

والبطل والرواية شخصان وهميان ، أبدعهما خيال المؤلف وأسند اليهما العمل والسرد في جميـع المقامات ، وهما ثابتـان لا يتغيران ، وان تبدلـت الظروف والعصور والمناسبات والاغراض •

٢ ـ كديـة : نرى في المقامـة الارمنية عنـد البديع أن أبـا الفتـح الاسكندري عمد الى رجـل فاستماحه كف ملح وقال للخبـاز : أعرني رأس التنور ، فاني مقرور • فلما فرع سنامه جعـل يحدث القوم بحالـه ويخبرهم باختلاله وينشر الملـح في التنور من تحت أذياله ، يوهمهم أن أذى بثيابـه ، فقال الخباز : ما لك لا أبا لـك ؟ اجمع أذيالك ، فقـد أفسدت الخبز علينا ، وقام الى الرغفان فرماها وجعل الاسكندري يلقطها ويتأبطها • فأعجبتني حيلته فيما فعل وقال : اصبر علي حتى أحتال الى الادم •••

٣ ـ سجع وتصنيع : انظر الى هذه المقامة كلها صنعة وتنميق ، تزخـر بأساليب البيان والبديع والجناس والاسجاع المتوازنة : « حدثنـا عيسى ابن

هشام قال : اتفق لي في عنفوان الشبيبة خلــق سجيع ورأي صحيح ، فعدلت ميزان عقلي ، وعدلت بين جــدي وهزلي واتخــذت اخوانا للمقــة وآخرين للنفقة ، وجعلت النهار للناس ، والليل للكاس » .

٤ ــ سرد قصصي : تبع البديع وأصحاب المقامات طريقة القصص فــي عرض أحاديثهم . فجعلوا من الروايــة كما قدمنا ظــلا للبطــل يسرد حوادثه ومواقفه وينقل طرائفه، وما يقصد اليه من تعليم . وهذا الاطار الاخباري حمل الكثيرين من النقاد على اعتبار المقامة قصة قصيرة . غير أن العناصر القصصيه فيها ضعيفة ، اذ أنهــا تخلو من أهم مقومات القصــة القصيرة وهي الحادثــة الواحدة ، الحسية أو الروحية التي تدور حولها أعمال الاشخاص . كمــا أنها تخلو من الشخصيات القصصية الحيــة التي يعرضها الكاتب ويحللها ويدرس أجزاء نفسها . كما ان أسلوبها المقيــد المتكلف يذهب ببقية الحيــاة الباقية فيها ، وبوحدة تيرثيرها في نفس القارىء . وهذا لا ينفي أن هنــاك مقامات ــ كالمضيرية لبديع الزمان ــ بلغت من الفن مبلغا كبيرا . لان هذه المقامــة لا تنطبق عليها كافة الاحكام والخصائص التي نلقاها في أغلب المقامات فهي تشذ من حيث محتواها ، اذ ليس فيها الكديــة المألوفة التي تقــدم على ضرب من الاحتيال في سبيل العيش يكون بطلــه أبا الفتح الاسكندري . وهكــذا لا يسعنا الا الاقرار بأن المقامة المضيرية قصة موفقة ، سواء درى بديع الزمــان بما كان يصنع أم لا . ثم هي تخالف الاطار التقليدي القائم على الكدية الذي صيغت بواسطته معظم المقامات . فهذا القالب الكلاسيكي للمقامة ، كما نرى لا يرقى الى القصة في مفهومنا الحالي بصلة ذات شأن . ويذهب فخري أبــو السعود الى أبعد من ذلك ويقول : « فمقامات البديع في الادب العربي بمثابة مقالات أديسون وستيل في الادب الانجليزي تعين بدء ظهور القصة الفنيــة الاجتماعية التحليلية . بيد أن تطور القصة العربيــة وقف عند هــذا الحد لا يتخطاه ، ولم يبلغ مرحلته التالية لان الاسباب اللازمة لذلك لم تكن مكتملة . فالمقامات ذاتها قد ظهرت متأخرة ، ظهرت في أوج رقي الادب العربي في القرن

الرابع • وكان أجدر أن تأتي متقدمة في القرن الثاني مثلا فيليها باقي التطور المنشود الذي تلا مقالات أديسون وصاحبه في الانجليزية » •

ونتيجة مـا سلف ان القرن الرابـع أثرى اللغة العربيـة بفن من فنون القصص هو فن المقامات وذيوع هذا الفن يرجع الى أنه وافق السليقة العربية التي تميل الى القصص القصيرة ، والى الزخرف والانشاء •

وقد ظن ناس أن فن المقامـة هو فن القصـة ، وكذلك نراهم يذكرون المقامات كلما أثـير موضوع القصة في اللغـة العربية • والواقـع أن العرب بفطرتهم لم يكونوا يميلون الى القصص المعقد الذي وجد كثير منه فيما أثـر عن اليونان القدماء ، والذي ذاع عند لانجليز والروس ولفرنسيس والالمان •

ولا عيب في أن تخلوا آثـار العرب من القصص الطويل • فان الفـن الصحيح يرتكز أولا على الفطرة ولم يكن العرب مفطورين على القصـة التي تقرأ في أيام أو أسابيع • ولذلك خـلا شعرهم ونثرهم من الآثـار القصصية التي وجدت عند معاصريهم في الشرق والغرب •

وليس معنى هذا ان آثـار العرب خلت خلوا تاما عن القصـة ، ولكن معناه ان فن القصة في شكلها المعاصر حاليـا من الفنون الدخيلة على اللغـة العربية • وقـد يكون لبساطة الطبائع العربية أثر في وقوفهم عنـد القصص القصيرة • ومثل القصة في ذلك مثل الموسيقى • فقد كانت موسيقاهم بسيطة لان نفوسهم كانت بسيطة • فلمـا أخذت العواطف تتعقـد وتشتبك أخـذ القصص والموسيقى في التعقد والاشتباك •

ولهذا السبب عينه لم يفكروا في التمثيل • ولم ينقلوا عن اليونـان شيئا يذكر عن القصص التمثيلية لان أسمارهم كانت تغنيهم عن التمثيل •



محمد كامل شعيب العاملي :

وقفة وفاء

بقلم : محمد حسين عباس

وفاء للفقيد الاستاذ محمد كامل شعيب العاملي واظهارا للحقيقة وحفظا للتاريخ أقول : تعرفت على الاستاذ العاملي سنة ١٩٣٥ يوم ان سكنت في صيدا ويومها اعتقلتني السلطات الفرنسية وأبعدتني الى دمشق ، وزارني المرحوم في دمشق وبعدها انتقلت الى كيفون في قضاء عاليه فكان يتردد على بيتنا في فصل الصيف العديد من العلماء والادباء ومن جملتهم الاستاذ العاملي وأحيانا يكون بصحبته أبو سميح مصطفى الصلح وأحيانا زهير المارديني والاستاذ نزار الزين صاحب مجلة العرفان . والحق يقال ان هذه المجالس قد حققت عندي الكثير مما سمعته من الاستاذ العاملي انه كان ملما بالتاريخ الحديث فكان يحدثنا عن الاسلام منذ ظهور النبي الكريم سلام الله عليه الى يومنا هذا ، وكان حديثه شاملا للعقيدة الاسلامية فكان المستمع اليه يحس كأنه أمام متتبع للسيرة وكانت كتاباته عن الاسلام والمسلمين وبالاخص عن خلافة الامام علي سلام الله عليه وما تبعها الى يوم صفين والى يوم كربلاء ، وكان يشرح الاسباب والمسببين ويشرح عن الائمة الاثنا عشر وعلمهم ونزاهتهم وعصمتهم فكانت حلقة متتابعة حتى اعلان الثورات العربية التي أعلنها الشريف حسين طيب الله ثراه وبقي على مبدئه وولائه الهاشميين وكان شعره في مدح الشريف حسين وأولاده الملك فيصل والملك عبد الله ولم ينحرف عن ولائهم . وأكثر مقالاته مدونة في مجلة العرفان التي يوجد اعدادها عندي من أربعين سنة فكان وفيا لبني هاشم ومات على هذا الولاء .

وكان يحدثنا عن الدولة العثمانية وعن جمعية الاتحاد والترقي التي خلعت السلطان عبد الحميد عن العرش وأعلنت تنصيب السلطات محمد رشاد، وعن اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وعن دخول الدولة العثمانية في الحرب الاولى مع ألمانية سنة ١٩١٤ وعن اتفاق الشريف حسين مع الحلفاء

واعلانه الثورة العربية على الاتراك ووعد الحلفاء له بأنه سيكون ملك العرب فلما انتصروا سنة ١٩١٨ خانوا ما وعدوا فيه وكان مؤتمر أريحا تحت رئاسة الشريف حسين وزعماء العرب وبحضور المندوب السامي الانكليزي على فلسطين وقال المندوب الانكليزي ان فلسطين خارجة عن هذا الاتفاق فمزق الشريف حسين المعاهدة ورماها تحت قدمه فقال له المندوب الانكليزي سوف نمزق البلاد العربية مثل ما مزقت هذه المعاهدة وكان هذا بحضور الامير شكيب رسلان وعند دخول الجيش العربي الى دمشق برئاسة الامير فيصل وتتويج فيصل ملكا على دمشق وكيف كانت المؤامرات تحاك ضده داخلا وخارجا حتى سقوط الملك فيصل يسعى في جامعة الامم الى توحيد سوريا والعراق في دولة واحدة حتى قضى نحبه قبل أن يتم ذلك الحلم وكان يحدثنا عن الملك عبد الله رحمه الله واجتماعاته اليه مرار ، وكان شعره في الشريف حسين والملك فيصل والملك عبد الله غزيرا فيه تهنئة وفيه رثاء وفيه مديح .

أما عن لبنان فكان الفقيد زهرة المجالس فكان يحدثنا عن صداقته مع الرئيس شارل دباس وما كان بينهما من ود وتقدير واحترام ومثل هذا سمعته من العاملي . أما صداقته مع الرئيس حبيب باشا السعد ، فهذا شيء رأيته بنفسي . لقد أعطاني المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين رسالة الى رئيس الجمهورية حبيب باشا السعد فقدمت له الرسالة في البيت فوجدت الاستاذ العاملي هناك ولقد دهشت حين رأيت ما بين الاستاذ والرئيس وعياله وبناته من وحدة الحال ، وكنت أزور الرئيس الفريد نقاش مرارا وكنت أجد عنده العاملي ورأيت ما بينهما من مودة واحترام ووحدة حال ، وما القصد من شرحي هذا الا أن أبين لنا للاستاذ العاملي من مكانة مرموقة . والعاملي رجل معروف من الجنوب وكان من الافضل اقامة حفل تكريم له في الاونسكو ليتعرف الناس على آثاره ومواقفه وسيرة حياته .

وكلنا أمل أن يلهم الله الورثة طبع تراث الفقيد ليتعرف الجيل الجديد على نموذج من الشعر والادب يكاد يمحى ، وبذلك نكون قد وفينا الفقيد حقه .

العلامة الفقيد الشيخ عبد الكريم الحر في سطور

وجه بارز من وجوه العلم والدين في الطائفة الشيعية الاسلامية ، وسليل عائلة كريمة كانت لها الريادة في ميادين العلم والفقه في البلاد الاسلامية بما ترك علماؤها من مؤلفات ضخمة ونعني بها عائلة الحر .

ولد عام ١٩٠٠ ميلادية وكان أكبر أنجال المجتهد المعروف الشيخ عبدالله الحر وعلى والده تلقى مبادىء العلم في الفقه والاصول وسائر العلوم الدينية.

رحل في عام ١٩١٩ الى النجف الاشرف طلبا للعلم وزيادة في المعرفة ، وأمضى في الحوزة العلمية ما يزيد على عشرين عاما قضاها في الجد والاجتهاد لتحصيل العلوم في سائر فروع الدين وتتلمذ على كبار أئمة العلم أمثال المرجع الاعلى الامام أبو الحسن الاصفهاني والمرجع الاعلى النائيني والمرجع الاعلى كاشف الغطاء وغيرهم .

قال عنه استاذه الشيخ كاشف الغطاء « انه أدرك ملكة الاجتهاد وصار من أعلام الفضل والتقى والسداد مع حسن سيرة وطيب سريرة » وقال عنه استاذه المرجع الاعلى الاصفهاني « انه أتعب نفسه وجد واجتهد وصار من الاعلام المروجين للاحكام » أما المرجع الشيخ علي آل الجواهري فقال عنه ووصفه بأنه « بلغ بحمد الله أقصى ما يراد ووصل الى مرتبة الاجتهاد ، فله أن يستنبط من المدارك والادلة ، ويعمل به ، كما له أن يتصدى للقضاء » .

عاد الى لبنان سنة ١٩٤٠ ميلادية حيث قضى فترة في بلدته جباع في جبل عامل يعظ ويرشد ويفتي ويوجه بعدها أقام في بلدة قناريت قضاء صيدا وأسس جامع الصلاة فيها وكان أول عالم من أهل الفضل يحل فيها . ثم ارتحل الى مدينة بيروت واستقر فيها .. وكان من أوائل العلماء الذين استوطنوها واتخذ من جامع (البسطة التحتا) دار علم وعبادة فأقام لمدة عشر

سنين حلقات من الدروس اليومية كان خلالها يفقه الدين للمصلين عاملا عـلى خدمـة المبادىء الدينية •

ثم التفت الى الناحية الاجتماعية فساهم مع اخوانـه العلماء في تأسيس جمعية الهداية والارشاد العلميـة في بيروت والتي كانت غايتها رفـع مستوى الطائفة الشيعية ولم شملهم في لبنان من الناحيتين الدينـية والمعيشية •



العلامة الفقيد الشيخ عبد الكريم الحـر

انتقل الى جوار ربه عام ١٩٨٠ ميلادية يـوم الاربعاء في التاسع مـن كانون الثاني الواقـع فيه ٢٠ صفر ١٤٠٠ هـ وقـد شيع جثمانة الطاهـر الى النجف الاشرف حيث نعاه المرجع الاعلى للطائفـة الشيعية في العالم الامـام السيد أبو القاسم الخوئي وفي لبنان نعاه المجلس الاسلامي الشيعي الاعـلى وأجهزة الاعلام من اذاعة وصحافة وتلفزيون وبعد تشييعه في النجف الاشرف بحضور أركان الحوزة الدينية وكبار الائمـة والعلماء والمجتهدين أقيـم لـه أسبوع حافل في بيروت وذكرى أربعين في بلدته جبـاع وأبّنه في التشييع والاسبوع والاربعين عدد من العلماء فذكروا فضائله وعددوا مآثره وخدماته الجلى طوال عمره الشريف •

تغمد الله الفقيد الكبير برحمته وطيب ثراه بجوار الائمـة وصحابة آل البيت الطاهرين •

ومما ألقي في ذكرى أربعينه قصيدة عصماء للقاضي الشاعر الالمعي الاستاذ محمد علي صادق نقتطف منها الابيات الآتية وان كانت كلها رائعة :

يا سليل الاحرار

اذن الحق فاستجبت النداء تتحدى ملء الخلود الفناء
تلفظ العمر وهو ما زال موارا يضفي عليه المشيب الرواء
أتراها تلك النضارة في الخلق تجلت فوق الجبين سناء
أم تراه زهو المتيم بالحب وقد أدركت مناه اللقاء
أي وصل أندى وأعذب من أن تلتقي وجه ربك الوضاء
فعلى ذكره تدوي الحنايا بالنجاوى الاصباح والامساء
طاب ذكر الاله صرف رحيق فيه تستغرق النفوس انتشاء
قد سرى كنهد بروحك بردا وسلاما ورقة وصفاء
يتولى بالحدب ما ضاق به القلب ويأسو بالرفق داء عياء
فتهاوى جسم لتسمو روح في جوار الاله تبغي الشفاء
فتصدر بفضل ربك خلدا يستظل الابرار والاتقياء
ما وعتك الحياة الا اتيا مستفيض الندى يروي الظماء
في مهب الحرمان والندب السوداء تسدي الايادي البيضاء
تتحدى الايام بالهمم الشم فيسمو بك الكرام اقتداء
يا سليل الاحرار انجبت أحرارا تباروا مع السيوف مضاء
كيف تعنو الى صروف الليالي ومنيع الردى بعودك نساء
نعم مثوى بظل حيدر يزكو شئت فيه الى العلي العلاء
لم تكن تلكم المناكب الا مهجا قد تفطرت اشلاء
بحر جود سرى ببحر دموع ليس يدري أي أشد سخاء
قدر الحر ان يكرم بالموت ويلقى الاحرار عنه العزاء
ما على الشمس ان توارت لتبقى في ضمير الورى هدى معطاء

★★★

إهنئي بالجنان

شعر: الدكتور ضياء الدين أبو الحب

« قيلت بمناسبة اربعين اختي في الرضاعة نورية بنت عودة »

خطفت نورنا دياجي الليالي ... ودهتنا الخطوب بالتنكيد
وارتنا الايام افدح رزء ... يوم ساروا بنعشها في الحشود
ثم هالوا التراب فوق المحيا ... مشرق الوجه بالرجا الموعود
جيدث طاهر توارى من الـ ... انظار لكن سميره في صعود
في لقاء الله الرضا والتراضي ... وبفضل الاله نيل السعود

★★★

من اعزي بفقد خير فقيد ؟ ... اعزي « محمدا » في الوفود ؟
ام اعزي « طه » اليتيم المسجى ... اكما بالاساة والتشريد ؟
ام اعزي غر « المعالي » أضيمت ؟ ... ام اعزي « المنى » بحزن مبيد ؟
ام أعزي « سلامة » ثم « ليلى » ... وهما تنحبان في تعديد ؟
ام اعزي نفسي وقد داهمتني ... يوم راحت معاول التهديد
حيث اني بفقدها غير مرتا ... ح بدنيا مغارم وجحود
ام اعزي الاحباب والتابعين الـ ... كل منهم ، ما بين شهم وصيد
فجعوا بالتي اقامت دليلا ... بارزا الوفا ونهج فريد
عفة النفس ، جمة الخلق الـ ... فضل بظهر في ثوبها والبرود
سعفوا ان تكون تلك المر ... جاة لخطب قروع وعنيد
تتصدى لكل هول مهول ... فتصديه بالجهاد المجيد
وتحل العويص من كل امر ... مشكل بالسماح والترشيد

★★★

يـا لـك الله من عزيـزة نفس ونقـاء على الابـا معقـود
نعـم الله قـد توالت واربـت يـوم ارفدتها بجهـد جهيـد
وتطامنت والمصـائـب شـتى ان تكوني في حصن راي سديـد
لا تخافيـن نهـزة للاعـادي او تقربـن منكـرا لكنـود

★★★

كل خير اسديته يا ملاك الخيـ يفضـي الـى ثـوابـ سـعيد
الجـزاء الادفـى تنالين حتمـا مثلمـا قـد بذلتـه مـن جهود
فاهنئي بالجنـان يـا ابنـة دري وانعمي في رحـاب رب مجيـد
يقـرن الخيـر بالسـعادة والايـ ـمان فـي منـزل لالـه مشيـد
ولتقـري عينـا لفرقـة من فـا رقـت من اهـل بيتنا والشـهود
كلهـم يحمدون ذكـرك دومـا ثـم يدعون ربهـم فـي السجود
ان تناقي فـي دار مثواك مجـدا مثلمـا نلـت من مقـام حميـد

البحرين في ١٦/٢/١٩٨٠ د. ضياء الدين ابو الحب

★★★

انصـار العرفـان

السـادة :

الشيخ عبد الحليم الزين مفتي النبطية

عبد الكريم نمر الزين التاجر المحبوب

عبد الرؤوف خاتون المهاجر في كانو

القدس تحت المقصلة

شعر: عبد الجبار الخضر

مصلوبة منائر المدينة
مدينة السلام والاقداس والسكينة
الريح فيها صرصر مجنونة
الموت فيها يبسم
يبذر في أرحامها شؤونه
ينسج في أطيافها
يغرز في أعطافها قرونه
مقفرة قلوبنا .. حزينة
تشكو يباس اللوعة الحرونة
مقفـرة .. دروبنـا
مقفـرة .. كؤوسنـا
مقفـرة .. أعمارنـا
موصدة .. أبوابنـا
تشكو انهمار الوحشة اللعينة

مبحوحة حناجر الكهـان
مغلقـة منافـذ الشموس
مقفلة كل الكوى مسدودة
مثلومة خناجر الفرسان
سيوفنا مغمدة .. مكسرة
مبحرة مهاجرة .. رغائب الانسان

مهمورة أضرحــة القداسة
مشلولة مطــارق الاجراس
مقطوعة مدامك الابــراج
شموعنا منطفئة محطمة
نامت على أيقونة المظالم

الليل شيء غامض المعالم
الموت رعب غلف العوالم
الصبح عار نابح الصوط
والشمس فيه عاهر مفتونة

موحشة مرافيء السكينة
أشرعتي من حولها طعينة
تبكي صلاح الديــن
النصر فـــي حطين
لن يبعث الامجــاد
مخضلة الذكــرى
يروي عـــن الاجداد
مواكبـــا تتــرى
وبابل الآسرة المنتصرة
سياطها •• سيوفها •• رماحها
مغموسة تستل من أصلابهم
منابــع الجريمــة
تطهر العوالم المدنسة
تبشر المسيح
قبل رحلة الآلام نحو الجلجلة
تبشر العــذراء

يا عذراء أورشليم محطمة
أسوارها مهدمـــة
أبراجها مثلمـــة
جحافل الفرسان دكت سورهم
وأثقلت أعناقهم
عزرا يشد القيد طوقي معصمه
وحزقيال ترتوي غطرسة الجنود مما يؤلمه
من يبعث الامجاد حتى ترتوي
وتنشر الاشرعة المطهمة

هذا سياج الموت يا رفاق
هـــذا سياج الموت
و (البعث) باب واسع الانطلاق
من كـــل تنور
من كل ثقب مغمض جفنه
من كل ديجور
من كل بئر قابع في القرار
ينشق عملاق
يبشر الايـــام
يبذر في الارحام
ليولد الاعصـــار
ويهـــدر التيـــار

كربلاء ـ العراق عبد الجبار الحسين الخضر

***

الى روح ابي

شعر: جودت كاظم القزويني

كل ما في حياتنا اوهام ... عجزت أن تناله الافهام
ممكن واجب وممتنع – قيل – ... فاين الانقاض والابرام ؟
سل عن الكون اهو سفر طواه ... من اكف خفية – ايهام ؟
وعن النفس هل ترى لك نفسا ... كان مفتاحها هو الالهام
فهما عالمان – بعدا – تناهى ... ولكل حقيقة لا تسرام
ايها الماخر السنين رويدا ... إنما ومضة الحجى احلام
هل ترى غير محنة ليس تعرى ... وخفايا في جانحيها ظلام ؟
لا تقل زم في المتاهة عقل ... ليس في راحة العقول زمام
قلت هل للتراب آل الانسام ... وأحال الرغام ذاك الرغام ؟
ذرة اثر ذرة قد بنتنا ... فلماذا تشوه الانسجام ؟
دع مقال الحجى فانك ادرى ... بدعاوى يستن فيها الانام
من انا ، ما الوجود يا ايها العقل ، ... وهل لي بداية او ختام ؟
حيرة البست حياتي ثوبا ... ليس تبليه هذه الاعوام !

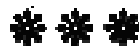
***

يا ابي والسنون تطوى سراعا ... باكف مدارها الايام
انت مثلي شربت كاس المنايا ... واختلافي بأعين لا تنام !
لحت كالبرق ومضة تخطف العين ... صفاه ينشق عنها الغمام
وانفصلنا كانني لست قلبا ... كان يوحي بخفقه الالتئام
يا ابي قد اتيت رمسك وحدي ... صامتا ، والنجوى بصدري كلام
وعلى خاطري ادرت سؤالا ... لاح فيما اردته استفهام :
كيف شاهدت عالم الغيب قبلي ... اهو حق ام انه اوهام ؟
ابروح فقدتها انت ابصرت ... حياة ، ام ابصرت اجساما ؟
ام بطي التراب تحيا سعيدا ... ولك الحور سلوة والمدام ؟

صح عندي ما قرأته القدامى ذاك سر به تحيط اللثام
مر عام على غيابك لكن كل يوم يمر عندي عام
الف عين ابكيتها بعدما رحت بعيدا ، وحالك الإبتسام
فمتى نلتقي فقد طال شوقي للقائنا — وطالت الايام ؟
ليس في مسمعي سوى همسات اطلقتها الالام لا الانغام
حليت روحي المدامع ، فاعجب لرضيع فيه يطول الفطام
يا لسر كأنه همسة الموت ، تعالى في جانحيها القتام
لا انادي اليك كفي خذها فانا موقن بأني رمام
ليس يهنأ لي الشراب فصفوي بعد فقدي الاب الابر حرام

بغداد — الكرادة الشرقية

جودت كاظم القزويني



شكوى

شعر : ناصر ابراهيم

عيوني لا يفارقها البكاء وقلبي قد تعهده الشقاء
ومرت كل اعوامي عجافا فلا نبت .. ولا في البئر ماء
نهاري مثل ليلي في ظلام تساوى لصبح فيه والمساء
وعمري قد تقضى في شقاء فما افراحه الا عزاء
وجسمي صار للآلام مرعى فلا يشفيه من ألم دواء
وعاداني اللذي املت فيه ليخذلني اذا نزل القضاء
فعق ابوتي ونسى حناني فضاع الجهد فيه والرياء
وشح بقربه ونأى بعيدا ليمنح من حليلته رضاء
فباطل زوجه حق وعدل وعدلي فيه ظلم وافتراء
وقول الزوج مسموع لديه وقولي في مسامعه هراء
فخاب الظن فيما كنت ارجو من الآمال وانقطع الرجاء

نجـــوم وليـــل

شعر: فاضل السيد مهدي

صوري الليل يـا نجـوم السماء ... وابعثيه تهالـة من بهـاء
صوريـة فمـا دياجيـه الا ... زخـم ارواح عالـم من هنـاء
تتبـارى بـه طيـوف عـذارى ... صاخبـات فـي لـذة وعنـاء
الفـراغ المهيب بـين حنايـاه ... غمـوض الشمـوخ والكبريـاء
والفراغ الفـراغ هـذا شرايين ... حيـاة الوجـود للاحيـاء
فيه مـا فيـه من عناصر مـا ... يوهب بعث النشاط للاشيـاء
فارس عمـره النضـال ودنيـاه ... شظايـا الغبـار في الهيجـاء
فهـو للاقويـاء حلـم جميـل ... وهـو حلـم مخيف للجبنـاء
وهو من يوقظ الخيال فتمتد ... رؤاه المـدى اللانهائـي
والخيـال الذي يؤججـه الشوق ... صـلاة الالهـام للعظمـاء
نسجت افقـه اصابـع نـور ... مـن نسيـج العبير والانـداء
يسبح الانس فـي شموس امانيه ... تلالا فـي بهجـة وانتشـاء

***

صوري يـا نجوم ليلـك تصويرا ... امينـا بدقـة واعتنـاء
انـه ظلك الـذي اينمـا رحت ... فمـا انصـاع لحظـة للجفـاء
انت لولاه مـا ازدهرت على الكون ... ولا لحـت مـرة للرائـي
وهـو لولاك مـا تعاظـم شانـا ... فوق هـذا الوجـود في استعلاء
عشت في حضنه منارا وما زلت ... تتيهين فـي فضـا الخيـلاء
فلتكونـي ام الحنـان اليـه ... ابـد الدهر والمنـى والرجـاء
ولتـردي جميلـه فهـو اولـى ... منك بالعطف يـا نجـوم السمـاء

الناصرية ــ العراق

فاضل السيد مهدي الناصري

* * *

ابواب العرفان

مختارات الصحف

التقريظ والانتقاد

الصحة

اخبار الناس والمجتمع الخ

ابواب العرفان

مختارات الصحف

الدين في عصر العلم

بقلم الدكتور : عون الشريف قاسم

كانت الحرب العالمية الثانية حــدا فاصلا بين عهدين في تاريخ البشرية . وبداية لتحولات جذرية على كافة المستويات في الفكر والسياسة والاجتماع . فقد دخل العالم فيها عصره الذري الاول وشهد في أعقابهـا تكريس انقسام العالم الـى معسكرين ايديولوجيين لم يلبثـا أن فقدا مــع الزمن تماسكهما وقوتهما ، فانهارت الامبراطوريات الرأسمالية في افريقيا وآسيا ، وتقلصت كل من انجلترا وفرنسا وهولنــدا وبلجيكا ــ وأخـيرا البرتغال ــ الــى حجمها الطبيعي داخل حدودها الجغرافية .

وسعت الولايات المتحــدة الامريكية الى وراثة هــذا الماضي الاوربي . ولكن نضال لشعوب المستضعفة خاصة في الهند الصينية وضع حــدا حاسما لمثل هذا التطلع غير المشروع ، فارتد الامريكان على أعقابهم بعد حرب فيتنام يبحثون عن دور جديد في استراتيجية العالم .

ولم يكن المعسكر الشرقي الوليد بأحسن حـالا من المعسكر الرأسمالي العتيق ، فقد دبت الخلافات الايديولوجية والقومية بين دوله ، ممــا اضطرت معه الدولة المهيمنــة الى استعمال لقــوة لبعض الوقت لوضع حــد للتفتت والانفلات ؛ ولكن هيهات ! فقد كان التطور الاجتماعي والفكري أقوى مــن كل رابطــة ايديولوجية وعسكرية ، فانشق العالــم الماركسي عــلى نفسه ، وانعكس ذلك على فكرة الاممـيــة فاستحالت الى قوميــة تبشر بها الاحزاب الشيوعية في دول المعسكر الشرقي وفي الدول الغربية على السواء ، وفقدت النظرية الماركسية في أثناء ذلــك أهم أركانها الفكريــة من مثل (دكتاتورية

البروليتاريا) التي ألغتها معظم الاحزاب الشيوعية في العالم العربي من برامجها ، ومن مثل (العنف الثوري للوصول للحكم) الذي استبدلت به كثير من الاحزاب الشيوعية الاوربية طريقة الانتخاب الديمقراطي للوصول الى الحكم .

وكان لا بد للمنافسة الاقتصادية بين الشرق والغرب من أن تترك آثارها الواضحة على شعوب أوروبا الشرقية التي بدأت تتطلع الى تحسين مستوى حياتها بطلب المزيد من بضائع الاستهلاك بدل التركيز على الصناعات الثقيلة وصناعة الاسلحة ، فاقتحمت أبواب المعسكر الشرقي للشركات الغربية لسد النقص في بضائع الاستهلاك في الاسواق الشيوعية . وكان ذلك دافعا للاتحاد السوفيتي ليلتقي مع لولايات المتحدة الامريكية للبحث عن الدور الجديد الذي عليهما أن يلعباه في الاستراتيجية العالمية الجديدة . وما سياسة التعايش السلمي ، وما تبعها من سياسة الوفاق ، الا تعبير عن احساس لدولتين الكبريين بأن مصالحهما المشتركة كدولتين صناعيتين في مواجهة بقية العالم تجعل الخلافات الايديولوجية بينهما تأتي في المقام الثاني ، وفي ذلك ما فيه من اشارة الى أن التقدم العلمي والصناعي هو أساس التجمع والتحالف ، وان حروب المستقبل ستكون حروبا اقتصادية أكثر منها ايديولوجية ، والدلائل كلها تشير الى الفجوة التي تزداد اتساعا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المنتجة للمواد الخام المتخلفة .

تغيير شامل في المواريث

وقد كان لكل ذلك آثاره على الصعيد الفكري والحضاري . فقد تمخضت الازمات الاقتصادية ولاجتماعية والتي اجتاحت العالم الغربي ، وما نجم عنها من اضطرابات وحروب قومية واستعمارية ، عن تغيير جذري في المناخ العقلي الموروث عن القرن التاسع عشر ، والذي كان من أهم سماته التفاؤل بمستقبل الحضارة الغربية خاصة والجنس البشري عامة ، والايمان

بالعلم التجريبي كسبيل أوحد الى التطور ، مع لتصديق المطلق بفكرة التقدم ، وما يتصل بكل ذلك من فكر مادي يرتكز على النظريات الميكانيكية والبيولوجية التي قام عليها العلم التجريبي ، وكلها نظريات جبرية تنظر الى الوجود كآلة دقيقة الصنع تسير سيرا ذاتيا وفق قوانين حتمية لا ارادة فيها ولا خيار .

وقد فسرت هذه النظريات نشأة الكون من عدم ، وخرجت بنتيجة ان المادة وحدها هي التي تتطور متى تهيأت لها الظروف دون تدخل من قوة عليا أو ارادة الهية ، وان الانسان نفسه بحسبانه قمة التطور لا يخرج عن هذه القاعدة . وقد سعي داروين الى البرهنة على هذه النظرية من خلال نظرية النشوء والارتقاء المعروفة بنظرية التطور التي ترصد تطور الحياة من عناصرها المادية الدنيا خلال ملايين السنين وصولا الى الانسان العاقل . وقد انعكست هذه النظرة المادية الحيوية على الحياة الفكرية بدرجات متفاوتة ، وكانت أعظمها تأثيرا على الوضع الديني في العالم الغربي ، فاهتزت الاسس الدينية القائمة على ارادة الله المسيطرة على الكون ، وبدا وكأن العلم التجريبي قد جرد هذه الارادة الالهية من مفعولها ، وأنها أصبحت لا معنى لها في عالم ينشأ ويتحرك تحركا ذاتيا ميكانيكيا جبريا دون حاجة الى عون من خارج ذاته .

وعلى هذا جاءت معظم الافكار السياسية والاجتماعية الاخرى ، فقام الفكر الماركسي ليقيم على التحليل المادي نظريته السياسية والاجتماعية في الحتمية التاريخية التي تسير الانسان خلال التاريخ كما تسير الآلة وفق قوانين مادية اجتماعية محددة لا دخل لارادة الانسان فيها . وجاء علم النفس ليدعم كثيرا من الاسس المادية في النظرة الى الانسان بحسبانه آلة تدور وفق انماط من السلوك الميكانيكي محددة ، توجهها غريزة الجنس عند فرويد ، واللاوعي الجمعي عند يونج ، وعقدة النقص عند آدلر . وقد سعى الروسي بافلوف الى توضيح استجابة الانسان الميكانيكية الى المؤثرات الخارجية بما

اجراه من تجربة على الكلب الجائع الذي عوده على انتظـار الطعام كلما قرع جرسا ، فكان الكلب يستجيب لقرع الجرس وان لم يكن هناك طعام .

وقد كانت هذه النظريات العلمية الواثقة المتفائلة التي تستطيع أن تتنبـأ بكل ما يمكن أن يحدث في كل ميادين العلم والاجتماع وتفسره تفسيرا ماديا مما قوى من ثقة الغربيين بأنفسهم وبقدراتهم ، فتطورت المجتمعات الصناعيـة وازداد ثراؤها بفضل التطبيق الذكي لمنجزات العلم ، وقـد انعكس كل ذلك على سيطرتها العسكرية والثقافية على معظم شعوب العالم غير الغربية . ولكن هذا التفاؤل بقدرة الحضارة الغربية على التقـدم أصيب بنكسة عظيمة وهي تشهد كـل أفكارها تتهاوى تحت الانظمـة الفاشية والنازيـة والاستعمارية والقمعية ، واستحال الايمان بالعلم الى شك مريب وهو يتحول تحت أيـدي الاشرار من بني البشر الـى أسلحة فتاكـة تفني البشر بالملايين ، وقـد بلغت حصيلة ذلك أكثر من أربعين مليونا من القتلى في الحربين الكبريين وحدهما .

آثار القنبلة الذرية

واهتزت القاعدة الفكرية للنظرة المادية كلها حين تمكن العلمـاء من شق نواة الذرة الذي كان السبب في صنع القنبلة الذرية ، وأصبحت ذرة المـادة التي كان العلماء وكل الماديين يحسبونها باقية دائمة لا تتغير ولا تتجزأ ، فانية زائلة ككل شيء في الوجود ، ونسفت نظريـة النسبية التي طورها اينشتاين الجبرية الميكانيكية في النظرة الـى الوجود لتحل محلها النظريـة النسبية ، وأصبح قانون الاحتمالات في تفسير حركة المادة هو الاتجاه العلمي السائد ، بدل قانون السببية الميكانيكية القائمة على الحتمية المطلقة الموروثة من القرن الماضـي .

وبذلك أوسع الجبر مجالا للاختيار ، وانفتح الباب أمام حريـة الارادة من جديد ، وكان لكل ذلك آثـاره البعيدة المدى على الفكر الديني خاصـة والفلسفي عامـة . اذ ان العلم الحديث لـم يكتف بتجريد المـادة من مجالها

الخارجي الثابت المتمثل في حركتها الملموسة في اطار الزمان والمكان فجعل كل ذلك أمرا نسبيا فحسب ، بل ذهب الى أبعد من ذلك بأن جرد المادة نفسها من ماديتها التي ارتكزت عليها كل النظريات في العلم الحديث • وبذلك فقدت المادة صلابتها وتفتت الى مجموعة من الذرات ، وحتى الذرات استحالت الى عوالم عجيبة التكوين مكونة من حزم من الالكترونات والبروتونات وما اليها من الاجسام الكهربية التي تتحرك في مجالاتها تحركا لا يخضع لقياس يمكن التنبؤ به ، وانما هو الى الاحتمال أقرب منه الى الجزم والحتمية • وبذلك تحولت المادة الصلبة الى طاقة مختزنة قوامها ذرات كهربائية هي في نهاية المطاف ذبذبات أو موجات ضوئية يختلف العلماء في تفسيرها ، وبذلك دار العلم دورة كاملة ليلتقي في الوقت الحاضر على الاقل مع موقف الفلاسفة المثاليين الذين كانوا يقولون ان مظاهر الكون الخارجية ليست هي حقيقة الكون ، وانما هي بأشكالها التي تبدو لنا من صنع عقولنا أو حواسنا القاصرة ، فلو كنا مثلا نملك عيونا مزودة بالاشعة السينية لبدت هذه المظاهر مختلفة عما هي عليه مثلما تبدو صورة الانسان الذي يتعرض لأشعة اكس •

في عصر الايمان

وليس معنى ذلك ان أساس العلم الطبيعي قد انهار ليصبح مجموعة من التصورات الذاتية تختلف باختلاف العقول ، وانما الذي تغير هو التفسير المادي الجامد لظواهر الكون ؛ ليحل محله منهج جديد في النظر الى الكون يتجاوز نظرة التعصب لكل ما هو مادي ومحسوس ، الموروثة عن القرن التاسع عشر المجافية لروح العلم الحقيقي الذي يجب ان يبحث في كل شيء • وان لم نستطع في الوقت الحاضر ابتكار الوسائل التي نخضع بها كثيرا من ظواهر الكون الغامضة للبحث العلمي ، لان طبيعتها مختلفة عن كل ما عهدناه من الظواهر المادية الملموسة ، ولا تستطيع مناهجنا العلمية الراهنة النظر فيها أو اخضاعها للتجربة في المعمل •

ومعظم جوانب الظاهرة الانسانية تدخل في هذا المجـال ، ولذلك كانت معظم العلوم الرامية الى تفسير الظاهرة الانسانية كعلم النفس وعلوم السياسة والاجتماع تبدو أقرب الى التفسيرت الذاتية منها لى الحقائق العلمية المجردة التي لا تقبل الجدل ، وذلك راجع الى تغول النظرة المادية الموروثة التي تسعى الى تفسير كل ظواهر الوجود من خلال المنهـج الميكانيكي القائم على سرمدية المادية والقوانين الحتمية التي تحكم حركتها • ومما يلفت النظر في هذا المجال ان علوم الطبيعة كالفيزياء والبيولوجيا التـي اقترنت في الماضي بالايغال في المادة والدعوة الى الالحـاد هي نفسها التي أحدثت هـذا التغيير الشامل في المناخ العلمي لعصرنا بحيث أصبحت تدفع بالكثيرين من العلماء الى الايمـان الى درجـة صارت فيها لغـة بعضهم شبيهة بلغة فلاسفة المتصوفـة في الفكر الاسـلامي •

كل هـذه التحولات الجذريـة في أوضـاع العالم الغربي السياسـية والاجتماعية والفكرية تلقى بظلالها الكثيفة على مجريات الاحوال في مجتمعات العالم الثالث التي ظلت لفترات طويلـة تعكس بالتقليد السالب أفكار الغرب ومؤسساته ، وتسعى جاهدة الى صب ذواتها في قوالبه الفكرية والاجتماعيـة المستوردة دون كبير اعتبار لخصائصها الذاتية التي قـد تستعصي على عملية الصب في القوالب الجاهزة •

وما دام للحضارة الغربية كل هذا التأثير على واقع الحال في مجتمعاتنا في العالم الثالث فان فهم مـا يجري من تطور في هذه الحضارة الطاغيـة خطوة لازمة لفهم ما يجري في العالم من انعكاس له من ناحية ، ثم للاستفادة من كل هذا الفهـم وانعكاسه في بلورة موقف حضاري مستقل تستعيد بـه شعوب العالم الثالث شخصياتها السلبية ، وتسهم في دفع مسيرة الانسان الى الامام•

العربـي



صلاة مكرم
بعد انتدابه للحكم

لما نجا مكرم عبيد باشا من الاعتقال وتولى وزارة المال في حكومة مصر الجديدة ناجي ربه في دعاء بليغ رفيع ، قال :

اللهم لا شماتة بل عبرة وتذكيرا ، اللهم لا انتقاما بل قصاصا وتطهيرا ، اللهم لا استغلالا للحكم ولا محسوبية ولا فوضى ، بل نزاهة في الحكم وحكمة وتدبيرا ، اللهم لا تنصفنا على حساب مواطنينا بل أنصف مواطنينا على حسابنا ، اللهم غنى عن الغنى ، اللهم لا ميلا مع الهوى ، بل ميلا عن الهوى ، اللهم دينا عن الدنيا أو فارفع دنيانا الى مستوى الدين ، اجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصارا ، ونحن النصارى لك وللوطن مسلمين ، اللهم ملكا صالحا لمليكنا الصالح ، اللهم لا تحرمنا منه ، ولا تحرمه منا ، اللهم ارفعنا به وارفعه بنا ، اللهم أدم للامة شبابه ، وافتح على الدوام بابه ، اللهم أبعد عنا شيطان الغرور ، والشيطان المغرور ، لتصغر نفوسنا دون صغار ، ولتكبر دون استكبار ، ولنكبرك أنت على الدوام تكبيرا ، اللهم لقد أكرمت شخصي باعتقالي ، فاكرم الامة بأعمالي ، اللهم سبحانك فيما ارتضيت ، وفيما أرضيت ، فقد هيأت لي من يذكرني عند ربي فجعلني على خزائن الارض أمينا ، بعد أن كنت في زاوية من زوايا الارض سجينا .

العرفان :

رب يوم بكيت منه فلما　　صرت في غيره بكيت عليه

الصلاة والسلام على أيام زمان .



المسلمون امة واحدة فلماذا الشقاق والقتال

بقلم : ناصر الدين النشاشيبي

.. لصديقنا الكبير الرئيس صائب سلام عبارة مأثورة عن محبة العرب لشقيقهم العربي لبنان يقول فيها ان العرب اذ يحملون الكثير من الاحداث والقضايا في عواصم بلدانهم الا أنهم لا يضعون الحلول لها ولا يولدون النتائج عليها الا في لبنان وعلى أرض لبنانية ..!

والحمل — في القاموس — هو ما في البطن من ولد ، وما على الشجر من ثمر . ومجموعها : حمال ، واحمال ، وحمول ...

ويبدو أن ايران بحكم الموقع الجغرافي القريب أو مشاركتها للعرب في حبهم للبنان — قد أبت الا أن تنضم الى عملية « الحمل هنا والولادة هناك »، فاذا بالاحداث الاخيرة في بيروت تتأزم وتنهار واذا بالاخوة في الله والدين من شيعة وسنة يتراشقون بلغة الموت والدمار ، ويلتحمون في معارك الفناء والخراب وكأنهم ليسوا مسلمين كتابهم القرآن وايمانهم التوحيد ونبيهم محمد ...

.. ورغم ان بطن لبنان — كما يقولون — « احمل من الارض ذات الطول والعرض » الا أن مثل هذا التطور المخيف على الارض اللبنانية مأساة لا تدعو الى شيء من الارتياح . فقد قلت لنفسي وأنا أقرأ عن آخر تفاصيل هذه المعارك المذهبية العجيبة : أليس مما يدعو الى الاسف والالم الا يجد المسلمون طريقة يحتفلون بها ببدء القرن الخامس عشر الهجري أحسن من هذه الطريقة ؟ ان ما جرى في حرم مكة مع فجر هذا القرن الهجري الجديد كان عارا كبيرا . وما يجري اليوم على أرض بيروت بين المسلمين هو عار آخر . انني أصدق مناحيم بيغن في قوله بعد اجتماعه الاخير مع جيمي كارتر في واشنطن بأنه

لم يتعرض الى ضغط أميركي من قريب أو من بعيد حول موضوع القدس والسيادة الاسرائيلية عليها » •

لماذا نريد من أميركا أن تضغط على اسرائيل لحسابنا أو لحساب مقدساتنا الاسيرة الجريحة بينما قد وفرنا نحن بأيدينا وبارادتنا مثل هذا العناء على أميركا عندما تجاهلنا وجودنا وشهرنا السلاح في وجوه بعضنا فأسأنا الى الاسلام والى الاقصى معا ومكنا الصهاينة من البقاء أسيادا لا ينازعهم أحد فوق ساحة الحرم في بيت المقدس •

ولكن هذه الغيوم الحزينة السوداء التي استبدت بي على مدى الايام القليلة الماضية بسبب مأساة العراك السني لشيعي في بيروت لم تقدر أن تحجب ما هو عالق في ذاكرتي حتى اليوم وما أشعر بالفخر عند استعادته من صور زاهية لمواقف دينية وقومية وسياسية نبيلة عشت بعضها وسمعت عن بعضها وقرأت عن بعضها الثالث وكلها تروي العزة والفخار قصص جهاد نفر من اللبنانيين كانوا في كل ما نطقوا به وكل ما كتبوه وكل ما أعلنوه عمالقة كبارا يرتفعون بشموخهم فوق التعصب وفوق المذهبية •••

هل تعرفون اسم : الشيخ احمد عارف الزين ؟

هل تسمعون عن مجلته التي كان اسمها : العرفان ؟

سأروي لكم بعض ما تعلمته عن الاثنين : الرجل ومجلته •

في مطلع القرن صدرت في مدينة صيدا في لبنان مجلة تحمل اسم العرفان ويرئسها الشيخ الجليل أحمد عارف الزين • وكان الشيخ الزين من أوفر العلماء قدرا وأوسعهم أدبا وأكرمهم خلقا •

وكان مسلما شيعيا يعتز باسلامه ويفخر بلبنانيته ويحارب الفرنسيين على أرض وطنه • وكان في افتتاحياته وكلماته يبشر بالوحدة الصحيحة بين السنة والشيعة ويراسل الاساطين في مصر وسوريا والعراق من أجل حثهم على الدعوة لمثل دعوته • وكانت له جولات وصولات مع رجالات من أمثال محمد

عبده ، ورشيد رضا ، واسعاف النشاشيبي ، والحاج أمين الحسيني ، والشيخ اسماعيل الحافظ ، والامير شكيب أرسلان ، ورجالات العلم والفقه في مختلف عواصم العرب • وكان على الدوام يعقد اجتماعاته في « النبطية » مع الشيخ سليمان الظاهر والشيخ أحمد رضا ويدفع في كل بياناته معهما ضد أي خلاف بين السنة والشيعة داعيا الى الوحدة الاسلامية بكل معانيها هاتفا على الدوام بتوقيعه الصريح : « ان الطائفية والمذهبية في لبنان انما عادت وترعرعت وقويت لحساب الفرنسيين وتوجيهاتهم لكي يوازوا بها المذاهب المسيحية المختلفة في البلاد التي يحكمونها • اننا نعترف بوجود خلافات طبقية في بلادنا قد تزول مع الايام عندما يصبح الفقير غنيا ولكن المستعمر يشجع ترعرع الخلافات المذهبية عندنا وعند اخواننا المسيحيين لانه يدرك انها ـ على عكس الخلافات الطبقية ـ غير معرضة للزوال فانها باقية ما بقي الدين وانه اذا كان من السهل رأب الصراع الطبقي الا انه من الصعب رأب الصراع المذهبي » •••!

هكذا كان يكتب رجال كأحمد عارف الزين وهكذا كان الحال على أيامهم في الامس البعيد •••

ترى اين هي مجلة العرفان واين هو صاحبها الشيخ احمد عارف الزين في هذه الايام السود ؟

المستقبل

***

آراء الناس ومشاكلهم

مؤتمر وزراء الاوقاف في الدول الاسلامية المنعقـدة فـي جـدة

توصيات المؤتمـر

الحركات المعادية للاسلام

١ ـ الصهيونيـة

يقرر المؤتمر مـا يأتي :

أ ـ الوقوف في وجـه الصهاينة ومؤيديهم وعلى رأسهم الولايـات المتحدة الاميركية وعدم التعـاون معهم وعدم السماح لهـم بدخول العالـم الاسـلامي .

ب مقاطعة الشركات والمؤسسات الصهيونية .

جـ ـ مقاطعـة الافلام والصحف والمجـلات الصهيونية المتعاطفة معهـا وحصرها في العالم الاسلامي ولأجل ذلـك يجب اعداد قائمـة بأسماء هـذه الافلام والصحف والمجلات والفنانين والكتاب وتعميمها على العالم الاسلامي .

د ـ رعاية الشباب المسلم في الغرب وحمايتـه من الوقوع تحت سيطرة الصهيونيـة .

هـ ـ لا بـد من ايجاد جهـاز اعلامي قوي يدحض أباطيلهـا بالوسائل الاعلامية المعروفـة .

٢ ـ الماسونيـة

(أ) فضح أهدافها والتركيز على بيان صلتها بالصهيونية وعمالتها لها.

ب ـ اعتبار الشكل الجديـد الذي تظهر بـه الماسونية لستر حقيقتها والمثل في مـا يسمى باسم (نوادي الليونـز (نوادي الروتاري) والمائـدة المستديرة وحركات التسلح الخلقي وشهوديهوه واخوان الحرية) الخ اعتبارا هذه الاشكال الجديدة امتـدادا عضويا للحركـة الماسونية تعامل جميعهـا معاملتهـا .

ج ـ تأييـد مقررات مجلس المجتمع الفقهي في دورته الاولى بمكـة المكرمة عام ٩٨ هـ / ٧٨ م والذي استعرض تاريخ الحركة الماسونية وثبت له بما لا يقبل الريب انها منظمة سريـة . ذات أهداف سياسية وانها في أسـاس تنظيمها يهودية الجذور يهودية الادارة والتمويل وصهيونية النشاط وانها ضد جميع الاديان وخاصـة الاسلام ولذلـك ولكثير من المعلومات المفصلـة قرر مجلس المجمـع الفقهي اعتبارها من أخطـر الحركات الهدامـة على الاسلام والمسلمين وان من ينتسب اليها وعلى علم بحقيقتها فهـو كافر باسلام مجانب لأهلـه .

٣ ـ البهـائية

أ ـ يؤيد المؤتمر قرار المجمع الفقهي في دورته الاولى الذي نص على مـا يأتـي :

(تبين للمجمع الفقهي بشهادة النصوص الثابتة عقيدة البهائيين التمهيدية للاسلام ولا سيما قيامها على أساس الوثنية البشرية في دعوم الوهية البهـاء وسلطته في تغيير شريعة الاسلام ويقرر المجمع باجمـاع الآراء خروج البهائية والبابية عن شريعة الاسلام واعتبارها حربـا عليه وكفرا تباعهما كفرا بواحـا سافرا لا تأويل فيه .

ب ـ يقرر المؤتمر منع البهائيين من العمل داخل بلدان العالم الاسلامي

وغلق مراكزهم في هـذه البلدان ومنع منشوراتهم وكتبهم من دخول العالم الاسلامي .

جـ يوصي المؤتمر بتأييد مقررات الندوة الاسلامية العالمية الثالثة والتي نصت على ما يأتي :

(١) الكشف عن زيف البهائية وخطرها على مفهوم الاسلام وتوضيح ثبات الشريعة الاسلامية بوصفها شريعة ربانية عامة لها قدرتها على النماء والاستجابة لتغيرات المجتمع والاحداث والبيئات عن طريق الاجتهاد في الفروع .

(٢) التنبيه الى العلاقة الوطيدة بين البهائية والصهيونية وخدمة البهائية للصهيونية والتوصية بحظر كل نشاط بهائي في البلاد الاسلامية سواء كان سريا أم علنيا .

٤ ـ العلمانية

.

أ ـ يقرر المؤتمر ما يلي :

(١) لفظة العلمانية تعبير تضليلي لاخفاء معناها الاصلي وهو (اللادينية) أو ما يسمى تضليلا (بالعلمانية) نشأت في أوربا نتيجة الصراع بين الحكام ورجال السلطة من ناحية وبين العلماء ورجال الكنيسة من ناحية ثانية .

(٤) انتهى الصراع الى ما عرف باسم نظرية (فصل السلطات) وعزل الدين عن التأثير في الحياة .

(٥) دوافع ظهور (اللادينية) في أوربا ليس لها أي مبرر بالنسبة للدين الاسلامي الذي لا يتناقض ووجود (الدولة) ولا يتعارض أبدا مع نشاط العلم .

(٦) استخدمت العلمانية ستارا لتقديم تفسيرات من صنع البشر لحركة الكون والحياة وموقف الانسان منها وتأثيرها على قيـام المجتمعات وتوجيهها كما حدث في نظريات ماركس وانجلز وأمثالها •

(٧) استغلت كل الانجازات المادية في حضارة الغرب للتمكين للنزعـة العلمانية بعزم انها وحدها الطريق الى القوة والسيادة •

(٨) المشكلات وعمليات التخريب التي صنعتها الفكرة العلمانية لـدول العالم الاسلامي هي كما يأتي :

أ ـ المدارس والجامعات (العلمانية) المنتشرة في كثير من بلدان العالم الاسلامي وخطرها على أبنـاء المسلمين الذين هـم كثرة الطلاب في هـذه المـدارس •

ب ـ وجود الدساتير والقوانين التي تعزل الفكـر الاسلامي وتصطنع هذه النزعـة •

جـ ـ طرح الشعار الزائف (الدين لله والوطن للجميع) بهدف اقصـاء الفكر الديني عن التأثير في الحياة •

ب ـ يناشد المؤتمر الدول الاسلامية بما يلي :

(١) رفض فكرة العلمانية التي تحاول أبعاده عن التأثير في الحياة العامة للامـة الاسلامية •

(٢) مطالبة الدول الاسلامية باعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الوحيد لدساتيرها وقوانينها •

(٣) إلزام المؤسـسات التعليمية العلمانيـة في العالم الاسلامي بادخـال العقيدة الاسلامية في برامجها •

٥ ـ التبشير

أ ـ يقرر المؤتمر ما يلي :

(١) تكوين مركز لمتابعة النشاط التبشيري ومقاومته (ويصرف عليه من صندوق العمل الاسلامي المقترح انشاؤه) .

(٢) العمل على ايقاف النشاط التبشيري في العالم الاسلامي والاشراف الكلي على المؤسسات التبشيرية .

(٣) ايجاد محطات اذاعية اسلامية قوية تذيع بمختلف اللغات على أن تكون برامجها مدروسة وموجهة ويرجو المؤتمر من المملكة العربية السعودية باعتبارها مهد الاسلام أن تعمل على ايجاد اذاعة خاصة للدعوة الاسلامية ومقاومة التيارات الهدامة وتوضع تحت اشراف رابطة العالم الاسلامي وتزويد الاذاعات الموجودة بالمادة الاعلامية الاسلامية المناسبة .

(٤) تتولى الهيئات الاسلامية رصد نشاط التبشير مع مراعاة الدقة والتركيز في المعلومات ووضع الخطط اللازمة لمقاومته .

ب ـ كما يؤيد المؤتمر توصية المجلس الاعلى العالمي للمساجد فيما يتصل بمنع اقامة كنائس أو مؤسسات تبشيرية في الجزيرة العربية ودول الخليج بوصف خاص والدول الاسلامية عامة .

جـ ـ يطالب المؤتمر دول الجزيرة العربية بعدم منح جنسياتها لاي شخص غير مسلم وتحريم قيام أي نشاط تبشيري انطلاقا من وصية الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع في الجزيرة دينان) .

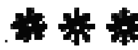
د ـ يطالب المؤتمر الدول الاسلامية بعدم منح الجنسية للاجانب غير المسلمين .

هـ ـ مطالبة المجمع الفقهي ببحث موضوع تحريم تأجير العقارات واعطاء التسهيلات للمؤسسات التبشيرية في البلاد الاسلامية وخاصة دول

الجزيرة العربيـــة •

و ـ ويوصي المؤتمر رابطة العالم الاسلامي والدول الاسلامية وسائـر المنظمات بمواجهة المجلات والصحف التبشيرية وخبراء التبشير الـي مختلف أنحاء العالم العربي والاسلامي • ولذ يجب دعـم العمل الاسلامي القائم في لبنان عن طريق دار الافتاء والوقف الاسلامي وتقديم المساعدات اللازمة لهم •

ز ـ يناشد المؤتمر الحكومات الاسلامية باتخــاذ الاجراء اللازم لسد الطريق على المبشرين وذلك عن طريق التضييق عليهم في تحركهم •



من محاضرة الاستاذ شفيق الارناؤوط

لم يكن رصيد « العرفان » حسابا في مصرف ، أو بنــدا من بنـود النفقات السرية للدعاية ، او مساعدة من دولة وطنية أو أجنبية ، أو تشجيعا من حزب أو جمعية بل كان رصيدها الايمان والثبات والتضحية المتواصلـة، العدد الكبير من القراء في البلاد العربية وايران والهند وبلاد الاغتراب • فأنفق عليها صاحبها بدلا من أن تنفق عليه ، وأذاب صحته في العمل لهـا ، وباع ورهن ما تركه له أبوه وشريكة حياته بدلا من أن يثري ويبني الدور الفخمة للنشر والسكن والاستثمار •

وعاشت « العرفان » في رعايته خمسين عاما تهاوت فيها صروح مجلات زميلة كبرى ، كالمقتطف ، والرسالة ، والثقافة ، والكتاب ، وبقيت«العرفان» صامدة بفضــل ايمان صاحبها ونفســه الطويل على الكفاح والمثابرة ، فلم يسترح يوما ، ولم يلق سلاحه ، فليس ذلك من طبيعة المجاهدين • ولـــم ينكس راية النضال الوطني في أي من العهود الثلاثــة التي عاشها ، لان المغريات لم تكن قط في الحسبــان •

باب السؤال والجواب

الجمع المباح بين الصلوات

كان بعض شباب الدول الاسلامية يزور القاهرة ، وعرضت له حالة شرعية فأفتيناه بجواز الجمع بين الصلوات ، ولما عاد الى بلده أبلغ بذلك أحد العلماء هناك ، فأفتاه بخطأ الفتوى ، فأرسل يطلب نشر الحكم لعل السيد العالم أن يقتنع ، نقول :

أولا ـ يجوز الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء تقديما وتأخيرا متى ما توفر الداعي الشرعي ، أما فيما بين الصبح والظهر ، أو بين العصر والمغرب فلم ترد مشروعية الجمع ، سواء في كل ذلك السفر والحضر الا للمضطر .

ثانيا ـ الجمع كالقصر ، لا تشترط فيه النية عند الحضور ، وان شرطها بعضهم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه جمعا وقصرا دون أن يأذنهم باستحضار نية خاصة .

ثالثا ـ أكثر السلف على جواز الجمع في الحضر للحاجة ، بل قال بعضهم : ولغير حاجة عملا بالسنة ، على ألا يصبح هذا الجمع عادة ، أخذا من حديث مسلم ، أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء بالمدينة ، في غير خوف ولا مطر ، قيل لابن عباس : ماذا أراد صلى الله عليه وسلم بذلك ؟ قال : أراد ألا يحرج أمته ، قلنا : قلنا : وله شاهد معروف في المتفق عليه بين البخاري ومسلم ، يرجع اليه فيهما .

رابعا ـ ولهذا ذهب بعضهم الى أن الجمع الممنوع الذي هو من السهو أو الاهمال أو الكسل هو الجمع اختيارا (أو ملازمة الجمع) بين الاوقات التي لم يجمع بينها النبي صلى الله عليه وسلم أعني فيما بين الصبح والظهر ، وبين العصر والمغرب ، وعند المالكية القول بأن الظهر والعصر وقت واحد ، كالمغرب والعشاء ، وقد تابعهم بعض أئمة المذاهب الاخرى على ذلك ، والامامية من هذا الرأي كذلك .

خامسا ـ ومن هنا جاز الجمع تقديما وتأخيرا ، للمريض أو للمضطر الذي يجد المشقة في أداء كل صلاة لوقتها ، من غير حاجة الى حج أو سفر ، أو خوف أو مطر وبخاصة عندما يتحقق الترك ان لم يجمع .

سادسا ـ أوسع السادة الحنابلة في هذا ، فأجازوا جمع التقديم والتأخير في كل زمان ومكان ، لكل صاحب عذر ، فضلا عن المرض ، كالعاجز عن الطهارة والمرضع والنفساء ، والخائف على نفسه أو ماله أو عرضه ، بل أجازوا الجمع اذا كان شغل (تأمل قولهم : اذا كان شغل !!) يريد الله بكم اليسر .

وبعد : فلعل السيد العالم لو رجع الى أمثال ابن قدامة والنووي من أصحاب الموسوعات الفقهية ، لعل ما لم يكن يعلم ، وكفانا شر ما كان يعلم ، والله أعلم .

وهذا يطابق ما عليه الشيعة الامامية ولذلك اعتمدنا عليه في الجواب .

* * *

بيان واعتذار

مقالات كثيرة وشعر أكثر وأكثر وكلمات عن الراحلين لم يتسع المجال لها في هذا العدد فالى العدد القادم .

القرحـــة

القرحة ، مرض العصر ، لا تقتصر الاصابة بها على الرجال الذين تثقـل كواهلهم الضغوط ، فالنساء بل والاطفـال الرضع معرضون كذلك للاصابـة بهـذا المرض •

كانت الفتاة ذات الشعر المعقوص تقضم في تـأن سندويش سجق مسح خردل وتوابل وقد بدت كأنها طفلة • وبادرتني قائلـة « أعلم ان علي الا آكل هذا الطعام » • وابتسمت ثم أضافت : « سأدفع الثمن بعد ساعة عندما تنتابني آلام القرحـة » •

هنالك ميل الى الاعتقاد أن مرضى القرحة يكثرون عادة في أوساط مديري الاعمال النشيطين ، المتوترين ، الذيـن يشعلون السيجارة من عقب الاخـرى ويسرفون في الشراب وهاجسهم الوحيد هو الوصول الى القمة •

الا أن هذه الفتاة طالبة جامعية ، لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها وان حالها ليست باستثنائية ، فعلى نقيض الاعتقاد السائد ، ان القرحة كالانفلونزا ، لا تصيب فقـط مديري الاعمال الذين تجـاوزوا مرحلـة الشباب وأرهقتهم مسؤوليات مناصبهم • فكل انسان معرض للاصابة بهذا المرض ، حتى الطفـل الرضيـع •

وعلى رغم ان أكثرنا يتحدث عن قرحة المعدة ، فان خمسين في المئـة من القـرح لا تصيب الغشاء المخاطي المغلف للمعـدة وانما السنتيمترات الخمسة الاولى من المعي الاثني عشري ، أي ذلك لجزء من الامعاء الدقيقة حيث تفرغ

المعدة محتوياتها . (ينطبق اسم « القرحة الهضمية » على الحالين) .

ان قرحة المعي الاثني عشري تكاد تكون غير سرطانية ، في حين أن الحالات السرطانية المتولدة عن قرحة المعدة ، ترتفع الى معدل ثلاث في المئة . واذا كانت القرحة غير الخبيثة « لا تتحول أبدا الى سرطان » ، فان الحالات المستحكمة منها (أي حالات القرحة الثاقبة) قد تكون مميتة . ويطلق على ذلك النوع اسم القرحة الثاقبة لانها تحدث ثقبا في المعدة أو في المعي الاثني عشري .

درس في التشريح

دعونا نأخذ درسا قصيرا في علم التشريح حتى نفهم أسباب الاصابة بالقرحة ونتعلم كيف يمكننا الحؤول دونها أو معالجتها .

ان خلايا الغشاء المخاطي المغلف للمعدة تفرز احماضا قوية المفعول بالإضافة الى مادة « البيبسين » التي تساعد على الهضم فاذا كنا نتمتع بالهدوء والسعادة فان معدتنا لا تفرز هذه المواد الهاضمة الا ساعة الاكل حيث يعادل الطعام مفعول الحامض . بيد ان هذه الخلايا المنتجة للحامض تستجيب لمنبه آخر هو العصب الكبير الذي يربط بين المخ والمعدة ويعرف بالعصب الحائر ، فكلما شعرنا بالجوع أو رأينا طعاما أو شممنا رائحته أو شعرنا بقلق أو غضب فان هذا العصب ينقل اشارة من الدماغ تثير افرازات حمضية في المعدة .

وهكذا فان كنا متوترين معظم الوقت تدفقت الاحماض الى معدتنا طوال ساعات النهار لا في أوقات الاكل فحسب ، حيث يعادل الطعام مفعول الحامض . وفي حال خلو المعدة من الطعام ، فان هذه المواد الحمضية تؤثر على الغشاء المغلف للمعدة أو المعي الاثني عشري محدثة فيهما ثقبا متقرحا يعرف بالقرحة الهضمية .

وقد لاحظ الاطباء ، منـذ أعوام ، ان الارهاق الشديد يمثـل دورا في الاصابة بالقرحة . وثبت أثناء الحرب العالمية الثانية ان القرحة الهضمية كانت من أهم أسباب العجز في صفوف القوات الكنديـة والبريطانية التي أضنتها المعارك . كما أن عدد ضحايا القرحــة الذين عولجوا في المستشفيات كاد ان يتضاعف خلال فترات الغارات العنيفة على لندن . لكن العلاقــة بين الارهاق والقرحة لم تحدد بدقة حتى الآن .

وكمثال على صعوبة التنبؤ بالقرحة ، أذكر مديرين عرفتهما يعملان فـــي مجال التأمين :

مارشا ، تبدو وكأنها تعيش حياة هانئة خالية من الهموم . فهي دائمــة الابتسام تواظب على حضور الاجتماعات كلها .

بيل ، يتحمل مسؤوليات مماثلة لها ولكنه كتلة أعصاب ، لا يكف عـن تناول الاقراص المضادة للحموضة . أيهما في اعتقادك يعاني القرحة ؟

مارشا . ذلك ان القرحة مرض شائع في عائلـــة مارشا . وهي وان لـم تكشف عن أساها مطلقا ، امـــرأة قاست الامرين من خلافات زوجيـــة جعلتها منفعلة باستمرار .

لماذا يصاب البعض بالقرحة تحت وطـأة الارهاق بينما لا يتأثــر البعض الآخــــر ؟

تشير الدلائل الـــى أن الاحساس بالقدرة على الانجاز . قـــد يخفف من الآثار المؤذية التي يولدها التوتــر . فالشخص الذي يكافأ على عمله المضني بسخاء هو أقل عرضة للاصابة بالقرحة ممن يؤدي عملا يتطلب جهدا مماثلا من دون ان يكافأ على ذلك . فسبب القرحــة اذا ليس الارهاق في ذاته وانمــا طريقتنا في مواجهة التوتر .

مؤشرات القرحـــة

كيف تستطيع الحكم اذا بأن هناك ما يدعو الى القلق ؟

ان المؤشر الاهم هو الالم البطيء الذي يقرص الجزء الاعلى من البطن . وتزداد حدة هذا الالم في الليل عادة وبين الوجبات بحيث يبدأ في فترة تراوح بين نصف ساعة وساعتين بعد الاكل . والمؤشر الثاني هو توعك ما بعد الاكل. فاذا كنت لا تعاني الا عسر هضم بسيطا فـــان الاكل يشعرك بالانتفاخ في حين انه يشعرك بالارتياح الفوري اذا كنت مصابا بالقرحة .

ماذا يمكنك أن تفعل اذا ظننت أنك مصاب بقرحة ؟

أولا ، تستطيع أن تطلب صورا بالاشعة للمعدة والمعـــي الاثني عشري . يمكن أيضا اجـــراء فحص بمنظار خـــاص (فاييـــر أوبتيك) يستطيع الطبيب بواسطته رؤية الغشاء الذي يغلف معدة المريض . أما اذا تعرضت لآلام حادة أو تقيأت دما (وان مرة واحـــدة) أو اذا تكررت اصابتك بأدوار عسر الهضم لمدة تزيد على أسبوع ، فاذهب الى الطبيب فورا . فالقرحة اذا أهملت تحولت الى قرحة ثاقبة تسبب التهابا أو سكتة وقـــد تؤدي الى الوفاة . كذلك فـــان ألم القرحة قد يخفي سرطانا معويا ومن الحماقة تأجيل الفحص الطبي .

وتعالج قرحة المعي الاثني عشري في معظم الاحيان بينما يظـــل خمسون في المئة من قرح المعدة مصدر متاعب للمصابين بها . لماذا ؟ لان هؤلاء مـــا ان يبدأوا الشعور بالتحسن حتى يرجع كثيرون منهم الى عاداتهم القديمة . فـــاذا أردنا القضاء على القرحة نهائيا يجب علينا الحد من التدخين والقهوة والكحول والاستمرار في تجنب الارهاق الذي لا داعي له .

فمنذ عشرات السنين فرض الاطباء على المصابين بالقرحة الالتزام بنظـــام غذائي مزعج يقوم على الاطعمة الخفيفـــة كالارز والجبنة البيضاء والهـــلام (الجلاتين) . وقد تغير هـــذا العرف نتيجة البحوث التـــي أجريت اذ ثبت أن

المرضى الذين يأكلون ما يشاؤون لا يتعرضون لنكسات القرحة الهضمية أكثر من اولئك الذين يخضعون لنظام غذائي معتدل .

الحليب هو الافضل

وهناك أنواع عدة من العقاقير المسكنة لنوبات القرحة ، ولكن عليك أن تحذر أيها تختار . فالبحوث الحديثـة ترجح أن المركبات التي تحتوي عـلى الكلسيوم قد تسبب « رد فعـل حمضيا » ، أي أن تلـك المركبات تعـادل الحامض أول الامر لكنها لا تلبث أن تؤدي الى مزيد من الافرازات . وقـد يصف لك طبيبك دواء لتهدئة المعدة عن طريق الحـد من التوترات التي ينقلها العصب الحائر من المخ الى المعـدة . الا أن الحليب يبقى ، بـين كل هـذه الاساليب ، المهدىء الاكثر فاعلية .

ومعظم القرح تلتئم اذا مـا نحن نفذنـا ارشادات الطبيب التي توجـز بالآتي : تناول الادوية بانتظام ، الراحة ومن ثم ، وهذا الاهم ، الاسترخاء .

ولا يزال هناك مرضى يمضون ليالي تاعسة ويعانون آلاما مبرحة ، على رغم كل المحاولات . فبالنسبة الى تلك الاقلية فان الجراحة هي العلاج . وقد تقتصر العملية على اغلاق الثقب . أو تشمل استئصالا جزئيا للمعدة . ويعتبر استئصال العصب الحائر من العمليات الجراحية الشائعة حيث تقطع عن المعدة الاشارات التي تولد افرازات حمضية ، وهذه الاشارات تصدر من المـخ في حالات القلق الذهني .

ويقول الدكتور مورتون آي غروسمان ، مديـر مركز دراسة القرحـة وأبحاثها في لوس انجيلوس انه تم اكتشاف أقراص جديدة لعـلاج القرحة قد تلغي الحديث عن العقاقير أو الجراحة . وتحتوي هذه الاقراص على مواد تحد من افراز الحامض المعدي وتعجل بالتالي في التئـام القرح ، ومن الواضح ان العقار فعّال وان كنا لا نزال غير متأكدين من أضراره .

وهنا توصيات ينصح بها الخبراء من شأنها الحد من احتمالات اصابتك بالقرحة . وهي تتضمن بعض الاساليب الصالحة للتغلب على الارهاق :

١ ـ ضع حدا لتناول القهوة والكحول وكذلك التدخين . فلا أسوأ من قهوة من دون حليب بالنسبة الى المعدة الخاوية ؛ فكلما زاد الحليب خف تأثير القهـــوة .

٢ ـ اذا شربت الشاي تجنـب الاسراف فـــي تناول مـــا يحويـــه من « كافيين » بعدم غلي الشاي كثيرا أو بنقـــع الكيس (اذا كنت تشتريه فـــي أكياس صغيرة) لمدة ثلاثين ثانيـــة ثم تخلص مـــن المنقوع . استخدم الشاي نفسه أو الكيس نفسه لتحضير فنجان ثان خال من الكافيين .

٣ ـ تناول أقراص حامض سأليسايليك لعلاج الصداع لا للوقاية منه . ذلك أن جرعة كبيرة من هذه الاقراص قد تهيج المعدة .

٤ ـ لا تؤجل عمل اليوم الى الغد . فان تراكم الاعمال اليومية يعقـد أداءها ويزيد التوتر حدة .

٥ ـ أكثر من ممارسة الرياضـــة التي تخفف وطـــأة الارهاق والتعب . العب كرة المضرب أو اركب الدراجة .

٦ ـ وفر لنفسك فتـــرة هدوء كل يـــوم لتصفية ذهنك والحـــد من انفعالاتك .

٧ ـ مارس العمل الذي يمتعك . يقول الدكتور هانز سلي مؤلف كتاب « ارهاق من دون كرب » : « يجب علينا البحث عن مهنة تناسب ميولنا وتجمع بين العمل واللهو فتكون مسلية ومفيدة وبنـــاءة » . وهو يرى أن « العمـــل الشاق لا يؤذي اذا كان من أجل شيء تحبه . ولكن لا بد من التأكد من أنك تريد هذا الشيء حقا وبذلك تكون قد راهنت على الحصان الرابح » .

٨ ـ يجب أن تدرك أن من المستحيل الوصول الى الكمال في كل شيء. ويقول كاتب أعرفه : « كلما وجدت نفسي مندفعا لأداء مهمات عدة في آن واحد ، تذكرت مثلا لسلون ويلسون ، وهو مؤلف كتاب « الرجل ذو البزة الصوفية الرمادية » لا بد للمرء الذي ينشد وقتا للقراءة والكتابة أن يدع العشب ينمو طويلا » .

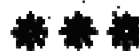
عن المختار



الحرية تشكو

كيف أشكو للبرية ضيماً ومن الروح في الجسوم بقية
أسروني فهان أسري لديكم كيف يا قوم تأسر الحرية
هدموا لجدي المؤثل حتى بت مرمى لأسهم العصبية
أقضت سنة التمدن في ذا أم قضت فيه بدعة الهمجية ؟
عيل صبري وطل منكم صدود أين أنتم يا للوفا والحمية
أنسيتم زمان رغد تقضى في محياكم ودولة عربية ؟

أحمد عارف الزين



المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

لا يزال المجلس الثقافي للبنان الجنوبي يقوم بنشاط واسع في تعريف أبناء العاصمة الى العبقريات الجنوبية في مختلف المجالات ، فبعد البرنامج الحافل والناجح للسنة الماضية ، الذي لاقى حضورا كثيفا وتجاوبا عارما من جميع الاوساط ، فقد بدأ المجلس الثقافي وبهمة ونشاط أمينه العام الاستاذ حبيب صادق والعاملين معه ، ببرنامج واسع خصص خلاله أسبوعا متواصلا عن الجنوب ، وبموضوع من دفتر الذكريات الجنوبية كان في كل يوم جمعة من كل أسبوع يعرض أديب أو شاعر أو صحافي ذكرياته ومن بين الذين عرضوا ذكرياتهم الشاعر موسى الزين شرارة ، والسيد حسن الامين ، والصحافي الفرد أبو سمرا وغيرهم •

وقدم شعراء الجنوب بواكير انتاجهم ، وعرض الفنانون لوحاتهم التعبيرية عن مأساة الجنوب وواقعه الحاضر •

أما خلال شهري أيار وحزيران سنة ١٩٨٠ ، ركز المجلس على عرض أبرز الوجوه الثقافية من أبناء الجنوب •

ففي ٢ أيار سنة ١٩٨٠ افتتح المجلس أولى محاضراته بهذا الموضوع مع الاستاذ شفيق الارناؤوط الذي تكلم عن الشيخ أحمد عارف الزين وعرفانه وقدم المحاضرة بكلمة قيمة عن منشىء العرفان ـ الدكتور محمد المجذوب مدير كلية الحقوق اللبنانية •

وفي ٨ أيار مع الاستاذ محمد علي مقلد عن الشاعر عبد المطلب الامين •

وفي ١٥ أيار مع الاستاذ محمد فقيه عن الشاعر محمد علي الحوماني •

وفي ٢٢ أيار مع الدكتور حسين مروة عن الاديب محمد شرارة •

وفي ٢٩ أيار مع الاستاذ عبد اللطيف شرارة عن الشيخ أحمد رضا .

وفي ٥ حزيران مع الاستاذ حبيب صادق عن الشاعر فؤاد جرداق .

وهكذا بالتتابع مساء يوم واحد في الاسبوع في الساعة السادسة في مركز المجلس : بيروت ـ شارع المزرعة ـ نزلة أبو حيدر ـ قرب محطة بدران .

ومن منشورات المجلس :

١ ـ الخطر الاسرائيلي على لبنان الجنوبي .
٢ ـ في نتائج العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان .
٣ ـ .. وكل الجهات الجنوب .
٤ ـ صفحات من تاريخ جبل عامل .
٥ ـ معا من أجل الجنوب ـ معا من أجل لبنان .
٦ ـ جنوب لبنان : خط المواجهة الاول .



وجــوه ثقافية من الجنوب

« عرفان » الشيخ احمد عارف الزين
أثمر نضالا وحركات أدبية ناشطة

في الصفحــة الاولى من الفصل الجديد مــن أمسيات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي « وجوه من الجنوب » تحدث الاستاذ شفيق الارناؤوط عــن المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين صاحب « العرفان » ، وقد استهل الدكتور محمد مجذوب مدير كلية الحقوق والعلوم السياسية الامسية بكلمة افتتاحية قال فيها انه لولا بقية من تراث مجيد يحرك بعض النفوس الصالحة ، وبقيــة من ايمان وطيد يشدنا الى ماض تليد ، وبقية من عنفوان قومي يذكرنا بأصالة الهوية وضرورة التواصل الحضاري ، لزال كل أثر للمجاهدين في الحق مــن رجالنــــا .

لقد لاحظ الكواكبي ، منذ بداية هذا القرن ، أن بين الحكام والمعرفــة حربا دائمة : يسعى العلمــاء والمفكرون في نشر المعرفــة ويجتهد الحكام في اطفــاء نورها وطمس معالم المنتسبين اليها . ولكن وجــود بعض الجماعات المؤمنة بتراثها والمتمسكة بقوميتها قد ساعد على حفظ جزء من ذاكرة الامة ، الحافلة بأسماء المبدعين .

ومن هنا تكتسب البادرة التي يقوم بها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، في هذا المجال ، أهمية ومغزى ، لان المجلس ، باحيائه ذكرى بعض الوجــوه الثقافية ، يذكرنا بأن الامــة التي لا تعتز بماضيها لا تحفل بحاضرها ولا تبالي بمستقبلها . وقد أحسن المجلس وعدل عندما قرر افتتاح ندواته لهــذا الموسم بالحديث عن المجاهد الرائد ، الشيخ أحمد عارف الزين .

وأشار المحاضر الارناؤوط في مستهل حديثه الى بروز وجــوه الجنوب الثقافية من خلال عصور ثلاثة : تركية وفرنسية واستقلالية ، جرت فيها وقائع

وأحداث تاريخية عاصفة لعب الجنوب فيها دورا قوميا ووطنيا مؤثرا وصل لبنان بحركات التحرر والاستقلال في الوطن العربي وصلا وثيقا لم يكن الدور الثقافي فيه منفصلا عن الدور القومي . وكان الدور القومي البارز الذي أداه الجنوب ولم يزل يؤديه ـ العمل لقضية العرب الاولى ـ قضية فلسطين .

وفي العام ١٩٠٤ أقام في صيدا الشيخ أحمد عارف الزين المولود في شحور من أعمال صور سنة ١٨٨٣ ، بعد أن تلقى علومه الدينية والمدنية في النبطية ، ودرس اللغات الاجنبية ، ولا سيما الفرنسية ، على بعض الاساتذة . وشرع بمراسلة أكبر الصحف المنتشرة في العهد العثماني « كحديقة الاخبار » لخليل الخوري ، و « ثمرات الفنون » لعبد القادر القباني ، و « الاتحاد العثماني » للشيخ أحمد حسن طبارة .

وفي خضم الحياة السياسية والوطنية في البلاد ، وعودة الحياة النيابية والدستور سنة ١٩٠٨ أنشأ الشيخ عارف « عرفانه » الشهرية سنة ١٩٠٩ .

وفي العام ١٩١٢ أنشأ جريدة « جبل عامل » الاسبوعية . وقد جاء في عددها الاول « لا تتبع الجريدة خطة ملتوية ومبدأ متغيرا ، وانما تعتصم بالحق في كل حال وتنطق بالصدق ولو أدى بها الى الاضمحلال .. » .

ولم يمض على صدورها سنة حتى أوقفتها السلطات التركية وحكم الديوان العرفي في عاليه على صاحبها بالسجن شهرا ونصف الشهر لهجومه على طغيان السلطة .

وكذلك أوقف صدور العرفان أكثر من مرة في العهود الثلاثة : التركية والفرنسية والاستقلالية . وسيق صاحبها الى السجن أكثر من مرة منهما سنة ١٩١٥ بتأليف « جمعية فتاة العروبة » مع عبد الكريم الخليل ومحمد حيدر .

وقد بدأ الشيخ عارف كتابته ـ على نحو ما يقول ـ « بمحاربة الزعماء المعتدين ، ونقد الموظفين الخائنين المرتشين ، ونصرة القائمين بنشر الحرية والدستور .. » وسار على نهج اصلاحي ووطني وعلمي وسياسي لم يتغير ـ

محاربة العبودية والتخلف وتشجيع العلم والادب والثقافة وسائر المعارف .

وفي العام ١٩٣٦ حكمت عليه سلطات الانتداب الفرنسي بالسجن شهرين في اضطرابات صيدا التي جرت تأييدا للوحدة السورية ولعروبة فلسطين .

وكان يحضر المؤتمرات الوطنية في بيته أمثال عبد الحميد كرامي ورياض الصلح والشيخان العالمان أحمد رضا وسليمان ظاهر وزعماء الكتلة الوطنية في سوريا . وكان يساهم في جميع المؤتمرات القومية في البلاد العربية ويخطب في التظاهرات الوطنية في صيدا وجبل عامل .

وكتب في مجلته أشهر الكتاب والادباء والشعراء في لبنان والعالم العربي ، فتافست « العرفان » مجلات كبرى « كالمقتطف » و « الهلال » ثم « الرسالة » و « الكتاب » و « الثقافة » .

وكان رصيد « عرفانه » عددا كبيرا من القراء في الوطن العربي وايران والهند وبلاد الاغتراب وحركات أدبية ووطنية ناشطة احتضنتها المجلة ونشرتها ولا سيما في الجنوب وغذاها الشيخ عارف بماله وكفاحه واخلاصه . فقد كان حب وطنه وأمته طاغيا على جوارحه كلها ، وكان كاتبا عفه اللسان والقلم ، وصحافيا لم تتسع يده لغير مقبض القلم الذي حمل به لواء العروبة والاصلاح وقوم به طغيان السلطة والجهل والاقطاع فعاش سنواته السبع والسبعين عيشة التقشف والاباء وتوفي سنة ١٩٦٠ في مشهد . فكان مثلا يضرب بـه لرجال الدين والعلم والادب والوطنية في ايثار الحق والعدل والموضوعية على المغانم وشهوات النفس والدعاية الشخصية .

وسننشر نص المحاضرة في العدد القادم .



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان
مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

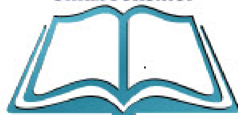
الاعداد : ٨ ، ٩ ، ١٠ ـ مجلد ٦٨ ـ الاشهر : تشرين اول ، تشرين ثاني ، كانون اول ١٩٨٠ م الموافق ذو الحجة ١٤٠٠ ، ومحرم وصفر ١٤٠١ هـ

هذا الكتاب

هو عن الشاعر الظريف المرحوم بيرم التونسي ، وكان من الشعراء الذين امتازوا بالجودة واللطف في وقت واحد ، وبقي مغمورا مع الاسف ، لم يكتب عنه شيء يستحق الذكر ، ولذلك أفردنا هذا العدد الاخير من العرفان لحياته وشعره ونهايته .

ولا شك بأنه سيلاقي قبولا عند القراء الكرام .

وموعدنا بهم في السنة القادمة ١٩٨١ حيث نأمل ، اذا ساعدتنا الظروف والاحوال ، أن ننهض بالعرفان نهضة جديدة تتفق وتطلعات القراء ، وجهاد هذه المجلة التي قاربل يوبيلها الماسي .



كتب للمؤلف

الشيوعية بأقلام أقطابها .

عشرة من الناس (الجزء الاول) .

الف يوم مع الحاج امين الحسيني .

عشرة من الناس (الجزء الثاني) .

نهاية الشاعر محمود بيرم التونسي .

تحت الطبع

عشرة من الناس (الجزء الثالث) .

وحدة الانفصال .

صدر في
شهر كانون اول ١٩٨٠

عن مؤسسة مجلة (العرفان)
وجريدة جبل عامل للصحافة والنشر

ص. ب ٣٩٧٨
هاتف ٣١٩٦٠٤

الإهداء

إلى
شيخ
الصحافة
العربية

الأستاذ
رفائيل بطي

أهدي هذا
الكتاب

المؤلف

قال له صاحبه وهو يحاوره :

ـ اسمع مني (بلاها) ، فاذا كنت تريد اهداء الكتاب الى رياض طه فاختصر الاهداء بكلمات دون الخوض في سيرة الرجل وسريرته ، لانك ان فعلت خالفت قواعد الاهداء .

ـ اذكر لي سببا واحدا حقنا لاقبل بوجهة نظرك !

ـ يا اخي ان رياض طه يرئس نقابة اصحاب الالسنة الطويلة ، والاقلام الاطول. وبتعبير اوضح يرأس البرلمان المصغر الذي يضم ممثلين عن اهل القلم ، والاهم من هذا فان الرجل قد قبل ، وعن رضى ان يكون نقيبا لمن بقي من الصحفيين العرب بعد ان اختطف الموت .. والاغتيال .. والتشريد .. والتعذيب معظمهم .! ثم لماذا الاصرار على اهداء الكتاب الى النقيب ؟

ـ لاكثر من سبب ، ولعل السبب الرئيسي يعود الى ان محمود بيرم التونسي عاش مظلوما ومات مظلوما واكثر الذين ظلموه كانوا من ابناء مهنته (رجال الصحافة) فهو بحكم كونه صحفيا عربيا يعتبر من رعايا رياض طه .. لقد امضى نفس بيرم الحرمان ، فصدر عنه شعره وادبه كما يصدر الانين من المجروح ، والصراخ من المظلوم ، ولم يفهم الادب على انه سلاح يحمي ، أو شبكة تصطاد ، وانما فهمه على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدى ، لهذا لم أجد من هو جدير بالاهداء غير رياض طه ، ومنذ آن بدات اعد الكتاب للطبع وانا اقلب النظر في موضوع الاهداء ، لقد اختزنت الفكرة داخل تلك العلبة المحبوسة باعلى جمجمتي ، وطالما حاولت اظهارها من طرف اللسان او من بين الاصابع ..

ثم لا تنسى يا اخي ان رياض طه عاش الصراع الثقيل الذي عاشه بيرم ، والذي قاده الفكر العربي الحديث ضد السيف ، وهو عهد طويل ترع بالاضطهاد ، وقضبان السجون ، والتشرد ، كما يزرع الخريف الدروب بالورق الاصفر .. وقد رايناه ، انت وانا واهل المهنة في المواقف الحرجة يتمرد على القيود المرئية وغير المرئية .. الم تسمعه يقول وهو يغادر مكتبه لحضور الموكب الجنائزي الذي جرى لضحية من ضحايا التقلم :

(لقد اصغيت الى نصائحكم جيدا .. وصدقوني اذا قلت لكم ان الانسان الذي يدافع عن الحرية لا يابه للنصائح ، لان هذا الدفاع يصبح في لحظة من لحظات التوتر النفسي هوى جامحا يستهلك الشخصية كلها ، واذ ذاك تضحي قيمة المرء كلها في كلمة بين شفتيه .. واذ ذاك يتميز المرء عن غيره من امثاله بموقفه) .

وذهب رياض طه الى الموكب الصحفي الحزين الذي غاب عنه كل الآكلين من صحن الضحية ، وقال كلمته ، وترك للخائفين ، والوجلين ، والمرتعدة فرائصهم حرية سلق الضحية بألسنتهم !

ـ ولكن هل تذكر ماذا سمعناه عن رياض من زملائه وقضيتنا الموقف؟

ـ ما قيمة القول امام الفعل ؟

ان نقيق الضفادع ، ضفادع المستنقع ، حول الذين يتولون كلمة

(الحرية) ، والايدي المتشنجة التي تحمل حجارة الرجم ، والقلب الذي يأكل من الصدر والسمعة ... ان كل هذا هو الاطار الذي لا بد منه لتدلل الحياة الانسانية على انها جديرة بان تعاش رغم كثرة الاعداء .. اعداء الحرية !

هذا الحوار بيني وبين صاحبي ، حول ، ومن اجل ، وبسبب رياض طه لم ينقطع ، بل استمر على مدى ايام .

.. وسألني صاحبي :

ــ هل تعتقد ان رياض طه قد نجح في حياته بجهده ، ام ان الحظ قد لعب دوره ؟

ــ انا اؤمن بان الانسان يصنع نفسه بنفسه ، فهو الذي يصوغها حجرا حجرا .. وبعدا لعصا الحظ السحرية ان يكون لها يد في حياته ، وسحقا للشيطان ان يضلل مجاريها حيث يضل . لا الحظ ولا الصدفة ولا الشيطان يستطيع تبديل خطوة من خطواتنا ... او عليه ان يتحمل مسؤولية اعمالنا ، ولكننا مع هذا نرغب في الاختباء من فشلنا ، نغطي وجهنا منه .. وهكذا نجعل الحظ مشجبا نعلق به كل هزائمنا ونجعل من الشيطان (سقيفة) نلقي عليها بكل اوزارنا . ان رياض طه لم ينجح الا لانه احترم (عقل) الاخرين ، لقد حاول ان ينظر من الزاوية التي منها ينظرون ، وحذر كل الحذر من ان يدعي الحكمة دون غيره ، او عمق التجربة دون مبرر .. او ان يمد يده ويقول للناس هاهنا الطريق الوحيد ، وهو يعرف ان دروب الحياة .. ما اكثرها ..

ورياض طه يعترف امام القلة القليلة من خلصائه انه ما ندم مرة على فهم الاخرين ، وانه اكثر من هذا ما وجد نفسه على مسافات متفاوتة من الخطأ بالنسبة اليهم .. فقلبه ، على رغمه ، كالحقل المدود ينمو مع السنبل فيه الشوك والقتاد ، ومع الدرب الى النجم فيه يمتد الف درب ارعن الى الحضيض . ثم انه لا يحب ان تشبهه بالاخرين ، لانه لم يحب مرة ان يرغم نفسه على الدخول في قوالبهم ، ولكنه يعيش معهم برغمه ، كما تعيش انت برغمك ، ويلقاهم حوله ، كما تلقاهم انت حولك ، يتحركون دون انقطاع ويشبهون امام عينيك من كل زاوية ، وينظرون اليك في فضول

الحراس ويتسللون الى نفسك ليكونوا جزءا منك . انهم عوالم شتى زاخرة .. وانت لا تتحرر منهم وتتصل بهم في وقت معا الا اذا عرفت كيف تلهمهم وكيف تنفرد عنهم .. وهذا ما فعله رياض بعد ان صقلته التجربة وغرسته الاحداث .

وسألني صاحبي :

ـ الاحظ انك تنفرد من دون اقرانك بالحديث عن الرجال الذين يتركون دويا في حياتهم ، ثم يتساءل الناس بعد وفاتهم .. والرجال الذين لا يملكون نفعا ، ويملكون ضرا .. فهل لتصرفك هذا سببا ؟

ـ .. ان للفضولي هذا سببا ، وهو انني سبق ان زرت متحف الانسان بقصر شايو (في باريس) برفقة سفير عربي يعتبر ، ليس من الطف السفراء ، بل من الطف الاشياء .. ووقفنا معا امام واجهة زجاجية ودار بيننا حوار حول (جمجمة .. جمجمة) السمت بعده فيما وهو ان الكتب باستمرار من الرجال الذين تظلم امتهم من امثال بيرم التونسي .

ـ ماذا كان في الواجهة الزجاجية ، وما هو الحوار ؟

ـ هما جمجمتان في المتحف .. علبتان فارغتان من العظم الابيض تسكنان هناك ، بدل القبر ، في جامين اخوين من البلور ، كتبوا تحت الاول : (جمجمة مجرم : سليمان الحلبي) ـ الشاب السوري الذي قتل الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية على مصر بعد هروب نابليون سنة ١٨٠٠ واعدم على الخازوق ـ .

وتحت الجام الاخر (جمجمة عبقري : ديكارت) !

مر رفيقي السفير العربي ، على الجامين ، واستعرض ما فيهما بعين جوالة متأملة ، وجاد عليهما بنظرة الفضول البليد وقال : من هو المجرم الحلبي ، ومن هو العبقري ديكارت ؟

قال السفير عبارته هذه وتركني اتوغل بينهما بين الجامين الزجاجيين ، وتدرج وراءه خادمة جميلة محاولا غزلها .. اما انا فقد وقفت على الجمجمتين ، وفي خاطري دهشة من يلتقي بصديقين عتيقين لم يكن ينتظر لقياهما .. ولا لقياهما معا . وفي ذلك المكان ، وفي تلك الساعة ، ومع هذا السفير !

اية صدفة جمعتهما وجمعتني بهما هناك ؟

خطرت في بالي النجوى بعد ان عاد السفير وافهمني انه تسابق مع رائحة الاموات ، وانه بانتظاري في مطعم (مكسيم) .. فضحكت لسخافة الفكرة الرومانتيكية ، وضحكت لاستاذنا فيها : جبران .! على انني لم استطع منع عيني من التنقل ، كمكوك النول البطيء ، بين القرتين السمراوين العاريتين ، لم اكن اقارن بينهما ، ولكنني كنت انسج لهما تاريخا في دماغي ، كنت اكسوهما ما احتشد لي جمجمتي لنا عنهما !

الان ! فهذا ابن وطني (سليمــــان) لست ادري اذا كان تنسم (في) رائحة الاهل) بعد طول اغتراب ، ام وجدت نصيرا متاخر الزمـان ؟ تذكرت وانا امامه لذة التشفي التي غمرتني حين حدثنا معلمنا في البكالوريا اديب التقي بحديث قتله للجنرال الفرنسي الغاصب وتذكرت يومها حزني لمصرعه الرهيب بعد ذلك .. وخطرت الجمجمة ، في وهمي ، خطيرة طائفة ، هذا بها تنتقل ، امامي ، من حلب بلد سليمان الى القاهرة ، فتقيم مدة في اروقة الازهر الرطبة ، تعيش على الجراية وحلقات الدرس ، ثم يلهب جوفها حماس ديني مشبوب بضرورة الفتك بالكفرة المحتلين فيتحقق الجهاد ونكون الشهادة ثم .. ها هي ذي الجمجمة منذ قرن ونصف في ايدي هؤلاء الكفرة وتحتها دمغة الاجرام ..!

استوت الجمجمتان الان في كل شيء الا في شيء واحد : طفي وطني : سليمان هو هناك في قصر شايو ، مجرم لان امته العربية لم تجد ثمن جام بلوري تضع جمجمته فيه لتعرف قومه على قصته كبطل .. وصاحب الفكر الفرنسي : ديكارت جعلوه هناك نموذج العبقري ، وليسوا بالفلاقل اولئك الذين يحمونه من الكبر العقلي والشلل ..!

والف عذر بعد من شيخنا ديكارت فان احد المفكرين من ابناء وطنه (باسكال) هو الذي علمني هذه الكلمة : (الحق امام البيرنة خطأ وراءها) ! ولئن عدوا ديكارت مطلع عصر جديد في الفكر الغربي فسيأتي اليوم الذي يكتب فيه مؤرخ منا تاريخ العصر الحديث بعد ان نفرغ من عملية تشويه التاريخ ، ويضع في مطلعه اسم اول متمرد منتقم للعرب من العدوان الغربي ! سليمان الحلبي !

فهما جمجمتان يا صاحبي جارتان في متحف الانسان.. عليتان فارغتان من العظم الابيض ، وفي جامين اخوين من البلور : جمجمة مجرم وجمجمة عبقري ... والسخرية الكبرى لو اخطأ خادم المتحف ذات يوم فوضع جمجمة مكان جمجمة .!

سمع صاحبي حديثي عن الجمجمتين فافتر ثغره عن ابتسامة خاطفة، لا ادري هل هي ابتسامة اشفاق ، أم ابتسامة رثاء ، وأردف بابتسامته بكلمة : (مجنـــون) !

لست اذكر الان ، وانا اكتب عن رياض طه نص الحوار الذي دار بيني وبين صديقي ، ولكن اصداءه ما تزال - برغمي - في مسمعي ! تلاحقني وتختلط في الكلمات .

لقد عرفته منذ زمن بعيد ..

فرابطتني برياض طه ، اذا اسعفتني الذاكرة ، ترقى الى اليوم الذي رايته في حمص يتحدث مع المقدم برهان ادهم المسؤول عن تأمين السلاح الى الثائرين اللبنانيين عام ١٩٥٨ .

لم يتنبه الى الشاب الذي كان برفقة المقدم ، وسمعته يقول :

خذوا سلاحكم فانتم بحاجة اليه ، في معركتكم الكبرى ضد الصهيونية .. لقد اشترطنا عند استلامه ان نستعمله ، وحين عز علينا استعماله اعدناه اليكم .

وقال رياض طه كلاما كثيرا يومها عن الثورة في لبنان، واخطاء السلطات السورية في الاعتماد على اشخاص ليسوا من اهل الثقة .. واتذكر عبارته الموجهة الى الضابط المسؤول عن سلامة الثورة اللبنانية :

(اسمع جعجعة ولا ارى طحنا) !!

حين عدت مع برهان ادهم الى دمشق كان تعليقه على حديث رياض طه يختصر في كلمة واحدة : (مجنون)

وسألته : لماذا ؟ فأجاب :

كل (البكوات) الذين استلموا منا السلاح باعــوه وقبضوا ثمنــه وجاؤوا الينا يطلبون غيره فأعطيناهم ، وذكر برهان اسماء (حصبة بكـوات) فعلـوا نقيض مـا فعلـه رياض طـه ..

صحبته بعدها عن بعد سنوات طويلة زاخرة بالاحداث ، وما انكـر اني انكرته مرة ، او خفي عني ..

حدث مرة أن طلعت جريدته الكفاح بحديث عن سورية وما يجري فيها من احداث وخلافات ايام حكم الفريق امين الحافظ ..

لقد زار رياض طه دمشق بصفته صديقا لاهل الحكم مـن البعثيـين القياديين ، فتحدثوا اليه بصراحة عن أسباب الخلاف بين القيادتين القومية والقطرية ، وعلى التحديد بين شخصين رئيسيين : الفريق امين الحافظ ، واللواء محمد عمران ...

عاد رياض الى بيروت وكتب ما سمع من زاويـة الصديـق وليس مـن زاوية الصحفي ، وحين صدرت الكفاح في بيروت قـامت القيامـة في دمشق وارتفعت الشرعـة الاتهـامات !!

وأمضت دمشق يوما عصيبا مليئا بالشائعـات السوداء حـول تطـور الخلاف بين الرفاق المتحدين الذين فسروا صدور الحديث لصالح الفريـق القابض على عنق السلطة ، وليس الفريق القابض على عنق « الحزب » !

ودق جرس المنزل في الساعة الرابعة صباحا ، وفتحت الباب فوجدت سيارة جيب عسكرية وضابط برتبة نقيب يدعونـي الى ارتـداء ملابسي ومرافقته .

لم اتجرأ على سؤال الضابط الى اين ، ولكني تذكرت تلـك النكتـة التي كانت سائدة يومها في دمشق وهي انه حين يقرع جرس المنزل في تلـك الساعة فليس معناه خيرا ، وانما الشر بعينه .

وارتديت ملابسي وانا ارتعد بردا وخوفا معا .. وحين وجدت نفسي أمام القصر الجمهوري في المهاجرين عاد الي بعض الاطمئنان لا كله ..

ودخلت غرفة الرئيس الفريق امين الحافظ فوجدته ثائرا والى جانبه اللواء محمد عمران ، ووزير الخارجية حسان مريود .

دعاني الفريق الى الجلوس بعصبية وكأنني انا الذي كتبت ما كتب في الكفاح ، وقال :

(شوف شو عمل رياض طه بمقاله .. خرب الدنيا .. حكينا قدامه كصديق فنقل كلامنا على الورق ، أريد ان ترد عليه ، اكتب .. اكتب ..

ولم اكتب .. بل لجأت الى محمد عمران ورجوته أن يتدخل لاعفائي من الرد على رياض طه .

وبعد نقاش ، وبنتيجة تدخل محمد عمران امسكت بالقلم بعد أن قرأت بامعان ما نشرته الكفاح ، وبدأت اخط بعض العبارات التوضيحية حول أسباب الخلاف بين القياديين البعثيين الحاكمين ، وفجأة ، دخل اللواء صلاح جديد ، وهب القوم وقوفا وانهالوا ترحيبا ، وبدون أن يستأذن امسك بالاوراق التي كنا قد انتهينا من تسويدها وبدأ يقرأها لم رماها على الطاولة وقال :

(شو هالحكي .. انتم تكتبون عن رياض طه وكأنه زعيم .. وليس صحفيا .. لو كان في دمشق لاعتقلته ، ردوا عليه بقسوة .!) .

رد محمد عمران بتهذيب وقال : رياض طه كتب هنا كصديق ، ويجب ان نرد عليه كصديق ، فنهض صلاح جديد وغادر الغرفة وهو يتمتم ببعض الكلمات لعلها شتائم ضد الجميع .

كان الامر قد صدر الى جريدة الثورة بايقاف الطبع ريثما يصلها المقال ، وحين صدرت الثورة وهي تحمل الرد الهادىء لم يكن رياض طه يدري ان مقاله كان سيحدث هزة في صفوف الرفاق الالداء !!

وبالرغم من هذا الموقف الذي وقفه الرجل فان اسمه كان يلمع في اوساط حزب البعث في كثير من الحب .. ولم تستطع النعمة الكره المتبادلة بين ابناء مهنة الصحافة ان تخبيء رياضا عني وراء التهم التنكرية ، فاذا به مظهر انيق ، وقلم حاد على جسد نحيل يدرج درجا على التراب !

وحين سألني الاستاذ ميشيل عفلق عن قصة رياض طه مع الحفائظ وعمران ، وقصة مقاله الذي احدث هزة في صفوف القياديين ، ورويت له ما اعرف افتر ثغره عن ابتسامة لا يدرك مغزاها الا كل من عرف الاستاذ ميشيل عفلق ، اليس من حق الاستاذ الذي عرف الكاتب على حقيقته يوم اضطرته الظروف السياسية الى الهرب من سورية والقدوم الى بيروت مع الاستاذين البيطار والحوراني ، ولجوء الثلاثة الى احضان الكفاح والاحد وقلم صاحبهما .. اليس من حقه ان يبتسم من عدم معرفة القياديين الحاكمين للتاريخ الاول للحزب ؟ ذلك انهم لو عرفوا تفاصيل هذا التاريخ لما ثاروا ضده ، ولما تكلم صلاح جديد بما تكلم به وهو يغادر غرفة زميله رئيس الدولة السورية يومها !!

ان الاستاذ ميشيل عفلق يعرف ابن الهرمل الذي اضحى صحفيا ، وصحفيا معروفا يكتب في المجلات ، وكنت بدوري اعرفه ، عن طريق اصدقائه في سورية ..

انا لا اعرفه سريع الغرور ، ولكني اعرفه سريع التصديق .. واحمد الله انه لم يتعبني بعمل الرقي والتعاويذ كي ادفع عنه سحر الغرور وشيطان العجب . كان في منتصف الخمسينيات في اول الشوط ، والجياد الاصيلة تشق اشواطها بحوافر كمسامير الفولاذ .. ولم يتسرع رياض طه حين استوى في جريدة الكفاح واخذ يدفع ما يكتب بين مجلات الطليعة لم في اختصار اوراقه الجافلة مرة بعد مرة ، وفي ترك القراء يعرفون اسمه ..

ان لكل كاتب رسالة ، ولكن رياضا لم يقل لنا ما رسالته ؟ وما اللهب الذي يشرب منه ويسقي الناس ؟ والله ، الى هنا يعرف لمن يكتب !

اذكر مرة انني كتب على موعد لمقابلة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وحضرت في الموعد المعين للمقابلة ، فاذا بي افاجأ بلهفة شاكي جعفر

مكتب (الريس) يطلب مني الانتظار ريثما يتفرغ الرئيس من استقبال السفير الامريكي الذي طلب مقابلة عاجلة .

في مكتب امين شاكر كان الصديق الاستاذ احمد شومان يتهامس مع البكباشي محمد انور السادات ، وكان الهمس متحركا ، لم يكن احمد شومان يتكلم بشفتيه فحسب ، بل بيديه وجسمه كله ، وكان السادات يصغي .. وعرفت ان الحديث يتناول تصرفات السفير المصري في لبنان عبد الحميد غالب ، والخصومة بين السفير وشومان لم تكن سرية ، بل كانت مكشوفة تطالعنا صباح مساء في مقالات شومان التي كانت تثري ادب الصحافة .. ويظهر ان السادات كان يشاركه شومان في رأيه بالسفير ، فمد له الخيوط ليقفز شومان من فوقها كما يحلو له .. ودعاني السادات الى المساهمة بالحديث فانتصرت لشومان انتصارا اسعد السادات وربحت اهاجم السفير من غير معرفة واكيل له التهم جزافا .. متسترا بالقول المأثور : انصر اخاك ظالما او مظلوما .. ودخل امين شاكر علينا ليقول لي تفضل ..

وقبل ان انهض سمعت السادات يقول لي بصوته الجهوري :

(لقد تكلمت هنا عن عبد الحميد غالب بلسان طوله ثلاثة اشبار ... طوله اكثر عند الريس وقول له عن عمايل السفير غالب .. قول له يا اخي زي ما قلت هنا ، هوه حيصدقك) .

لم أجب على شومان والسادات وقلت للريس كل شيء سمعته من شومان عن غالب ، فاذا به يخفي ابتسامته ويضع مكانها علامات عدم الارتياح ويقول :

انا مش حاصدقك ، ولا اصدق السادات الذي اوحى لكما انت وشومان صاحبك ، انا حاسأل رياض طه ، هو الوحيد اللي حاصدقه ... اصله لم يكذب علي ولا مرة ! بس شوف اعداد الكفاح والاحد ، انا بانتظر الوقت عشان اقراهم) ..

الآن ، لقد كان رياض طه يستطيع ان يستبين في حساب نفسه موطن قمحه .. او مكازه .!؟

لقد كتب عنه عدد من اصدقائه يمدحون .. واعلم انه يدين لهم بالشكر القلبي ، ولكنه يتهمهم بانهم كانوا يكتبون عن صديق ، وكانوا يصدرون فيما يكتبون عن روح الصداقة التي تربطهم به .. واذكر انه قال لي مرة :

(.. لو انصفت الحق لاقتطعت عدة امتار من ذلك الثوب الفضفاض الذي اسبغته علي ، ولو شئت التخلي عن نظرة الرضى – وهي في العادة كليلة عن كل عيب – لوجدت في العديد من العيوب انا نفسي لاخجل من الاعتراف بها !)

ولقد عرفه القراء من خلال اصدقائه الصحفيين بوجه مجمل بالاصباغ والبريق الحلو ، كعروس (الجلوة) ولقد وددت أن اقدم ذلك الوجه على نسخته الاصلية بكل ما فيه من تجاعيد والوان ، ولكني لا استطيع أن اكتب عنه دون أن يتحول ما اكتب الى اعترافات .. اعترافات لا تنفع احداً ولكنها تجرح ضميري انا ! اتراه يسامحني على ما اجترئ في حقه ؟

عرفته نجم العمل ، يصل الى مكتبه قبل الآخرين ، وله في كل ميدان علاقة يقبل عليها بشغف متجدد غريب ، كالأخ الذي يتخذ في كل ثغر زوجة .. ويزعم لها انها ثغره الوحيد .! انه يسمي ذلك نشاطاً واسميه انا اتلافاً .. فهو ابداً كالمنفلت من دوامة لا تراه الا مسرعاً كمن تلاحقه السياط ولكن الى اين ؟ ..

لقد باع نفسه لا بيعة الدكتور (فاوست) لمفيستو، وانما لشيطان مريد آخر .. هبة مجانية .! فلا هو بمنصرف للادب فيعمل له ، ولا بمنقطع للصحافة فيغرق فيها ، ولا متفرغ للسياسة فيركض وراءها ، ولا هو بذي امكانيات مالية فيرتاح الى تنميتها او جمعها .. كان بامكانه أن يفعل كما فعل غيره .. (يهجر) نفسه عن عمله ، ويصدر مجلة (مقتربة) يجني من ورائها الملايين ، ويستشفر من اجلها منصبه .. ولكنه لم يفعل .. لماذا ؟

عند هذه « اللماذا » لا بد لك ان تشد امامه كل غرورك .. انه يرد عليك حين تسأله عن (اللماذا) بأن القلم في محنة ، ولا بد من وجود

(متراس) دائم لانقاذ اهل القلم من هذه المحنة وقد رضيت أن أكون ذلك المتراس ريثما يرفع الله هذه الغمة عن الأمة التي تنتسب اليها ..

أنا أعرف ان من خصاله السيئة الوفاء الاعمى للاصدقاء .. فهو يجهل ما يقوله هؤلاء الاصدقاء عنه .. ؟ أهو يجهل تصرفاتهم ضده .. أهو يجهل ما يريد فلا يستطيع أن يقول : هذا انا ولا استطيع أن أكون غير ما شببت عليه .! أم تراه يتصرف على هذا النحو ليهرب من القهر .. وليهرب من مأساة يلسع عليها جلده ولا سبيل الى قتلها الا بعمر تناسيها ؟

لعلي اسأله ذات يوم أن يعترف وان كنت اعلم انه لن يجيب .. لا كبرا ولكن ضنا بالتي في قلبه ! ولكن احتراما للصفة التي يعتز بها وهي : الوفاء دون تمييز !!

وعرفته محبا للاطلاع .. كأن له ثأرا لدى المعرفة او سرا صميميا في كل كتاب .. أن حديثه المفضل مع الاصدقاء يظل دائما حول آخر ما قذفت به المطابع في الوطن وخارجه ، وأحلى هدية يمكن ان تقدم اليه كتاب لم يسمع به ولا قرأ عنه .. ولكنه مع ذلك لا يؤمن بالمعرفة ولا بالكتاب ولا يستطيع أن يدعي لرأي من آرائه أنه صحيح كما لا يستطيع أن يدعي أنه فاسد .. ويفسح لوجهات النظر الاخرى في المكان نفسه مما يجعله يؤمن دوما انه على مسافة واحدة من الخطأ والصواب ..

لقد حدث مرة أن انتقد تصرفات المخابرات ايام حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، فقام رفاقه الذين عملوا معه في الكفاح والاعتصام أن تناولوا ضده ، وقالوا رأيا في بعض مقالاته يخالف رأيه ، لم يتقم ، ولم يطلب منهم الاختيار بين الايمان برأيه والدفاع عنه ، وبين ترك العمل ، وكل ما فعله انه امتنع عن الكتابة وترك لهم حرية الدفاع عن آرائهم التي تخالف رأيه ..

وترهقني (ربته) احيانا كثيرة ، وتملؤني حسرة ونقمة .. ولكنه يرتاح اليها فيسمح مثلا لمهنته أن تطغى على ما يكتب .. ويسمح لقلمه ان يختبئ وراء ذلك الرعيل المرهق من المفكرين والموجهين .. وهو من سخف

(الريب) والجحود بحيث يظن الناس جميعا انه في اعظم درجات الايمان ' ما هو بالمتشائم ابدا ولكنه يتمتع بحرفة او براحة آله نينشه الذي تستوي عنده جميع الحالات . وعرفته اخيرا كلفا بالحياة ، يدرك انها الثروة الاولى والاخيرة ويشتهيها – كما يقول – غنية . لقد أقلع عن التدخين لمجرد قناعته بان التدخين يضر بالصحة ، وهو ينام باكرا ليعتني بصحته ، ويصحو باكرا ، ولديه الكثير من الآراء التي يعرضها عن الحياة وفلسفتها ، وبسبب هذه الآراء تحس انه ما يزال في الاربعين ، مع انه تجاوزها بسنوات . ومع انني من جيله فانني سالت نفسي هل البقية الباقية مني قادرة على ان تحملني على اللحاق بتفاؤله بالحياة والمستقبل.. وقبل ان اصل الى الجواب على هذا السؤال .. سمعت صوت الخمسين يحذر من جهة وينذر من جهة اخرى ، لا لان الخمسين عليها بأس في ذاتها ، ولكن العشرين الاخيرة منها كانت بالنسبة لي على الاقل فترة تشتت وتمزق وضياع ، كنت وما ازال مغتربا بالجسد ، مغتربا بالروح في كل الاحيان.. كنت مغتربا بالمعنى الذي اراده ابو حيان التوحيدي حين قال : (اغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه ، وابعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه ، لان غاية المطلوب ان يسلو من الوجود ، وان يغمض عن المشهود وان يقصي عن المعهود) ..

كلمات التوحيدي هذه قد تبدو خاطفة حذرة مبهمة غامضة ، ولكن الطبع فوق التطبع ، وكان التوحيدي جريئا بطبعه لم يلبث ان قال :

(يا هذا من اذا ذكر الحق هجر ، واذا دعا الى الحق زجر ، يا رحمتاه للغريب ، طال سفره من غير قدوم ، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى) ..

والذي لا شك فيه ان التوحيدي نفسه كان مغتربا بالمعنى الذي تصوره عباراته ، والذي لا شك فيه انه انما كان يعبر عن الامه والام من كانوا على شاكلته من بني قومه حين قال ما قال .. ذلك لان عصره ، كعصرنا الحالي ، كان عصر طغيان فشا فيه ما يفشو عادة في عصور الطغيان ، من ظلم وبغي وكذب ونفاق وضلال ..

وهو يقول في ذلك :

(الى متى نعبد الصنم بعد الصنم ؟ الى متى نقول بافواهنا ما ليس في قلوبنا ؟ الى متى ندعي الصدق والكذب شعارنا ... الى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها ؟ الى متى نبتلع السموم ونحن نظن ان الشفاء فيها ؟) .

من خلال هذه السطور نستطيع ان نرى التوحيدي وهو يلقي القفاز في وجه الطغيان ، ونستطيع ان نراه في الوقت نفسه وهو يضع اوراقه مكشوفة على مائدة المعرفة ليقرأها من شاء متى شاء .

ومن خلال هذه السطور ايضا نستطيع ان نرى التوحيدي وهو يجول جولة رائدة رائعة في علم النفس قبل ان يعرف علم النفس ، وفي علم الاجتماع قبل ان يعرف علم الاجتماع ، وفي علم نفس الجماعات قبل ان يعرفه علم نفس الجماعات .

ومضى التوحيدي ومضت بعده قرون، وجاءت في عصرنا الحاضر اجيال ساخطة على النظم التي تحكمها، رافضة لها، متمردة عليها، ومن هنا تبدو اهمية وجود امثال رياض طه في الساحة ، يفهم المرحلة ويتعايش معها ، يقترب من الساخطين والغاضبين ليحميهم من غضب الحكام ، ويقترب من الحكام بمقدار ما يستطيع معه حماية كبرياء القلم .. ولكن رياض طه لا يعرف كيف يمسك العصا من طرفها الصحيح فتراه يعمي عن الحياة وهي فوارة كينابيع الفردوس في دمه ومن حوله وقد تتعرى له .. تتعرى له تعري جنيات الغاب لبودا فيشيح عنها كاطفال الرهبنات الاغرار في الثياب السود . كانما هنالك شرطة روحية او لعنة تدفعه في الطريق الاخر ، طريق الحرمان ..

الامر الذي حيرني وحير معي كل من يعرف رياض طه عزوفه (مؤقتا) عن الخوض في ميدان الصحافة المقيمة والمغتربة والمهجرة .! فحين كان يصدر وكالة انباء وصحيفة ومجلة ، ويشكل (وحده) جهازا اعلاميا متكاملا قبل ان تظهر هذه الاجهزة الرسمية بفعلها البغيض ، كان حركة دائمة لا يكل ولا يمل .. يجري هنا .. ويجري هناك والافكار والخواطر تجري في راسه وهو يريد دائما ان يجري معها الى نهاية الشوط .. فاين ذهبت كل هذه المواهب التي لو اجتمعت في واحد لاعطت اكثر مما تعطيه نقابة الصحافة؟

اعود بالذاكرة الآن الى بداية الخمسينيات ، ولو سفت الخواطر ، وتحررت الاعين من اليومي والعابر اذن لرأينا كيف كان الوطن العربي يومها وكل منا في بلده يعيش بيديه وقلبه ودمه الجهاد الذي يعيشه اخوه الزميل في البلد العربي الاخر .. فهذه الاسرة الكبيرة الموزعة القوى والافكار والاقلام من الدار البيضاء حتى اقصى عمان .. والمشتبكة الموج والصور والحروف تعيش برغمها الكفاح الاعلامي اليومي نفسه نبضة نبضة .. وثانية ثانية .. خطى واحدة كتبت عليها .. او ليست قضايا العرب الكبرى والاساسية واحدة ؟ من يجمعها وينسقها ويدفعها نحو الهدف الواحـــد ..!

لقد حاول رياض طه ، اقول حاول بعفوية ، ان يجعل مـن لبنـان الارض ، والقاعدة ، لاطلاق الكلمة الهادفة .. لقد ابتلينا ـ ولنعترف ـ وما نزال بمعاناة الكلمة الهادفة ، الكلمة التي تروغ وتزوغ كل لحظة تطوي الارض سبع مرات ونصف المرة في الثانية ، او تختندق في ركن من سطر .. تمزق او تحتل القلوب بصورة او بعض صورة ، تقود ، تحارب ، تناور ، تثير ، تقعد ، تحكم العالم ..

كانت بداية الخمسينيات يوم ما انطلق رياض طه يبني جهازه الاعلامي حجرا حجرا ، بداية لعصر الكلمة ، بعد ان عاد السيف الى قرابه وهدات الحرب العالمية الثانية التي اكلت ما اخضر مـن الحضارة .. وتركت للناس اليابس منها ..

عشنا في عصر الكلمة التي تحكم العالم ، الكلمة التي اصبحت جـزءا من الحياة الحديثة .. دخلتها من الباب الاوسع .. واصبحت الخبز اليومي للناس .. في تلك الفترة طرح رياض طه قضية الاعلام العربي .. لـم يكـن جمال عبد الناصر قد ظهر بعد ، كان عهده يختبيء في ضمير الغيب .. مـن يراجع اعداد الكفاح الاولى ، واعداد الاحد الاولى ايضا يتلمس بنظراته ، ومن وراء ما كان يكتبه الكتاب العرب في الكفاح والاحد ، ذلـك التحذير الذي انطلق من لبنان ، وعلى صفحات الجريدة والمجلة ، لاهمية الاعلام العربي في عصر الكلمة ..

كـان جهـاز التحريـر الذي جمعـه رياض طه ، ومعه الكتاب العرب يتساءلون عبـر تعليقاتهم ومقالاتهم عن القـوى الرهيبة الاعلامية التي بدأت تفرض نفسـها على الساحة العربية العريضة ، وهل ان الكلمـة العربيـة بمستوى هذه القوى ؟ هل هي ـ الكلمة العربية ـ على الطريـق القومـي الهادىء، هل نحن نطلق بالفعل الكلمة العربية المناضلة عن كل انسان عربي في يومه وغده ، الموقظة لكل انسان عربي في يومه وغده ، هل نقول بالفعل الكلمة العربية التي تقف لهذا التحدي الاكبر للوجود العربـي في معتـرك الوجود الواسع؟ انحن نقف باعلامنا بالفعل حيث يجب ان نقف من التحدي الحضاري المحكم لنا ، فنندفع باليمنى عـوادي الاستعمـار والصهيونيـة الـسوداء عنـا ، ونجتذب باليسرى وعـي النـاس ، وقلـوب الاصدقاء مـن شعـوب الارض ؟

استطيع ان اقول ان رياض طه ، اراد ام لم يرد ، كان من اوائـل الذين طرحوا قضية الاعلام العربي على اساس قومي شامـل .. كـان مـع جهازه التحريري والكتاب الذين ارتموا في احضان جريدته ومجلته يـرون ان قضايا العرب وراء (الايديولوجيات) وخلف تباعدات الساعة، والتكتيك اليومي ، قضايا واحـدة ، في جميـع مستويـات التحليـل والتخطيـط والعمل .. انها قضايا التحرير والتوعية للناس في الداخـل ، وقضايـا الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية في الخارج.. ومن ذا الذي يختلف يومها على ذلك ، في العرب ؟ ان مليون نازح ونيف مـن العـرب الفلسطينييـن في الخيام يربطـون بالرغـم منـا بيننـا علـى الاقـل ، ويوحدون ، على النهج القومي الاسمى، خط الاعلام العربي والعمل، ويشيرون للشموع على السبيـل وان ادلهـم الليـل .

ويقتضي الانصاف هنا أن نذكر ان اجهزة اعلام رياض طه التي اخذت تحبو لم تكن وحدها في هذه المعركة ، بل كان معها تلك النخبة الخيرة مـن الطليعة اللبنانية التي نظرت الى الاعلام العربي علـى اساس الجماهيـري الواسع ..

كان الهدف الاول لرياض طه في عمله الصحفي، وفي علاقاته الصحفية، جعل قلب لبنان ينبض بالحقائق العربية ، وبناء جسر من التعاطف والتفهم بين اللبنانيين وسائر العرب ، وإعادة النسغ ليجري في العروق كما كان عليه الحال في بداية النهضة العربية الكبرى .

لا ينكر احد الان اسهام الصحافة اللبنانية في تلك المرحلة في التمكين للسمعة العربية ، وفي اضفاء هالة من الكرامة حول اسم (العربـي) ، وفي هذا الميدان تمر في الخواطر مواكب كثيرة من الاعمال التي ظهرت في الصحافة اللبنانية ، وروائع الادب والشعر التي انسكبت عطرا ونضالا وتمجيدا لكل ما هـو عـربـي ..

عندما بدأ رياض طه يدافع عن التهمية اعتبرها البعض خطة (شاذة)، وقد عاش ليرى الناس وهم يعتبرون كل ما عداهـا شاذا .. ولكـن احـدا لم ينكر جهود الرجل في هذا الميدان . الكثـرة الغالبـة مـن الصحفييـن والكتاب تقرا ، ولكن القلائل هم الذين يهضمون ما يقرأون .. ورياض طـه مـن الذيـن يهضمـون .!

ذاق حلاوة الرفاهية فما عاد يطيق بعدها مرارة الكفاح والنضال ، ولو عاد من جديد الى الساحة الصحفية لوجد العديد من الكتاب المقهورين على استعداد للانضمام اليه لكسب القضايا العربية من جديد ، لانـه حين يهاجم لا يشعر بمرارة هجومه على حقيقته الا من يهاجمه لانه يعـرف ايـن ومتـى يضرب .!

حين تعرف على اهل النفط لم يكن احد يقصدهم ، او يتفاهم معهم.. وحين اصبح هؤلاء محجة يستقبلون الافواج تلو الافـواج مـن الصحفييـن والكتاب لم نعد نسمع باسمه من بين الزاحفين ولعل هذا التصرف المفرد هو الذي ابقى اسمه لدى اهل النفط يختلف عـن الاسمـاء الاخـرى . (حمامـة سلام) في الحـرب وعكسهـا ، و (حمامـة سلام) في الهـدوء والاضطراب .. يكاد يبحث عن معركة يطفيء نارها او زميلين اختلفا ليؤلف بينهمـا ..

الصحافة اللبنانية على كثرة ما فيها من عملقة والتزام مدينة لـه بالحركة التي رفعت اسهم الصحفيين اللبنانيين في بورصة الصحافة الخليجية والمهجرة ، والصحافة التي توقفت عن الصدور .

الاخلاص والوفاء ، وحفظ العهد ، اشياء غريبة على الوسط الصحفي ، ولكن رياض طه يخرج على هذه القاعدة.. ولست اعرف احدا يحب اصدقاءه ،ويغني في حبهم كرياض .. وهذه ابرز ميزاته ، رغم ما عاناه ويعانيه بسببها .

سألني مرة فقيد العربية الاستاذ عباس محمود العقاد بحضور فنان الشرق محمد عبد المنعم رخا :

ـ من هو رياض طه الذي يقرا عبد الناصر مقالاته ، فاجبته :

ـ شاب نجح والشباب قليل . لقد نجح في ان يثير الحسد هنا وهناك والغيرة هنا وهناك ، وكانت النتيجة ان لفت اليه الانظار .!

رد العقاد على كلامي بقوله :

ـ اذا كان صاحبك، وانت تحبه، انصحه الا يغرق في خضم السياسة.!

تدخل الفنان الكاريكاتوري رخا في الحديث قائلا :

ـ الا دي .. مش حيعملها .. لان الصحفي الناجح يحلم ان يكون سياسيا ، وحين يحاول تحقيق حلمه يطب على راسه .!

ترى ما هو راي رياض طه ؟

الذي اعرفه انه كاد ان يصبح نائبا اكثر من مرة، ولكن النيابة كانت تنتزع منه في اخر لحظة.. ليس بسبب ذكائه، بل لانه يعيش للسياسة قبل ان يعيش لنفسه وللصحافة ..

ترى متى يعقل ويتوكل ، ويشمر عن ساعديه ويعود الى ميدان الصحافة الذي افتقده طويلا ، لا لينجح بل ليجند هؤلاء الذين يؤمنون معه بأن الكلمة العربية اليوم بحاجة الى ان تشعر – ولو للحظة قصيرة من الزمن – بأنها ما تزال تحمل للعرب وللعالم كله رسالة .. غير تلك الرسالة المغموسة بالصمغ و ... الدم !!

.. ولقد كانت هذه رسالة محمود بيرم التونسي ايضا .

زهير المارديني



وفاء لذكراه

كنت قد حررت هذه الكلمة وكان ريساض

كما هي ذكرى للفقيد ووفاء لذكراه .

طه في قيد الحياة وقد آثرت أن اتركها

القوة

[illegible]

[illegible]

القوة

في الإسلام

[illegible]

[illegible]

تقديم

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

كما في السماء كذلك على الارض ...

وكما يحرق الجو الارضي آلاف الشهب كل يوم : تلتمع حتى الاشتعال وهي تخترق ظلماته ثم تتحول لهبا ثم تصبح رمادا ثم تذهب هباء لا اضيع ولا أتفه ، كذلك على الارض ، تعبر آلاف الشهب الانسانية جو الارض سنين . تلتمع . تلتمع . تشتعل لهبا ثم تذهب هباء لا عين رأت ولا قلوب ابهت! الذين يحاولون التقاطها هم وحدهم الذين يكتوون بنارها لا ينالهم منها الا الحروق في الاصابع والصدور !

ولقد اختار صديقي زهير المارديني ـ على عادته المؤلمة في اختيار الطريق الصعب ـ احدى هذه الشهب الطايرة المحترقة المحرقة ليكتب هذا الكتاب . ولكنه شهاب من نوع خاص ولد غريبا وعاش غريبا ومات غريبا ولكنه خلال ذلك ثقب كل عتمة اخترق !

بيرم التونسي اسم قد يعرفه الكثيرون . الاغنية الكلثومية جرته في اذيالها. اما قصته نفسه كانسان وشاعر، وصاحب موقف في الحياة فقل ان اهتم بها انسان . ولكنها قصة الكثيرين من الغرباء تلك القصة . ولهذا تستحق ان تكتب في كتاب طويل ... وانك لواجد منها صورا بعد صور في الصفحات التالية وتكاد تحسبها قصة الغربة الدائمة لولا ان بيرم ، في الواقع ، ما كان الغربة ابدا . كان تحدي الغربة . الغربة كانت لعنته التي طاردته من تونس ومن مصر مرة بعد مرة ـ وفي باريس وفي سورية ثم ... حين استراح اخيرا ، كان غريبا بين اهله ! ولكنه عاش في القلب العميق من عصره حيث ينبع المد والجزر وتولد اخفى الهزات .

حياة بيرم كانت هربا متصلا من بلد الى آخر:

غلبت القطع تذاكر وشبعت يارب غربه!
بين الشطوط والبواخر ومن بلادي لاوربه !

ولكنها كانت فقط غربة الجسد لا النفس . لم تكن نابعة من اعماقه القلقة ولكنها كانت الاطار الذي فرض عليه فرضا . وقد تحداها على طريقته . تركها تجره من منفى الى آخر . تطوف بجسده في التيار البوهيمي الطليق اما مشاعره وروحه وينابيع نفسه فتركها مستقرة هانئة، في عطفة زقاق رطب من حي السيدة زينب او على مقهى في ارصفة الاسكندرية . او ... في غرزة حشيش ! لم تهاجر معه . لقد عرف كيف يتركها في ترابها الدافيء !

تحديه للغربة كان في أنه جردها من ثياب المأساة . قتلها بعدم الاهتمام بها . بتجاوز الحنين . بحمل الوطن في حقيبة السفر . باخذ الحياة الهينة ساخرة :

قضيت عمري جميعا على سبيل التسلي
الناس تلعب يوما وكان لعبي... تملي!

جذوره المتصلة بارضه واهله وترابه كانت اعمق وابعد في المدى من ان تلعب الغربة باوتارها المشدودة فتتحول الى اغنية رومانتيكية من الحنين . ظل بيرم وهو على السين يعيش في حي السيدة على النيل ، وظل وهو على سفرة مرضها عشر من « الارض التي طولها شهر » (١) ... ويعيش الناس في مصر احداث مصر اما الذي كان يكتبها ويلذعهابالنقد ويصوغها اغاني وشعرا وازجالا فهو بيرم البعيد عنها آلاف الكيلومترات . قدماه وحدهما هما اللتان حفيتا اما مشاعره فكانت مع الفلاح في « العزبة » وعربجي الحنطور في آخر الليل ومع بائع الفجل وزبون الفرزة والمطرب الذي يغني ليظفر بعشاء !

اكان في وسع بيرم ان يهادن الغربة ؟

لقد كان ... لولا انه اختار ان يكون شاهد عصره، ان يغرق فيه بدل أن يهرب منه او يرفضه ، ان ينزل عليه بالمطرقة والسندان بدل أن يهادن أو يداري ...

ولقد كان كرة اخرى ... لولا الثالوث الذي صلب بيرم نفسه على خشبته . وهو ثالوث كان فوق طاقة المجتمع المصري في تركيبه المتناقض وملاك ان يحتمله : حس شديد

الارهاف لا اصدق ولا اصفى ، ومين تعري القلم حتى النخاع الشوكي ، وقدرة على التعبير المرقص عجيبة الطواعية .

ومــاذا بعــد ؟

اهي دراسة اخرى اعترض بها طريق القارىء واقطــع الطريق على صاحب الكتاب وعلى الكتاب ؟ بعدت من دعوى . ولكنها احدى خاطرتين ازهرتا في جبيني وانا اطوي الصفحـة الاخيرة من المخطوط . اما الاخرى فسؤال لم اصنعه لصاحبه ولكني اكتبه لــه هــا هنــا :

ـ ومن ذا الذي يقرا لك هذا الكتاب يا زهير ؟

رجل لا يعترف به عالم الادب التقليدي بعــد . ولقــد لمجتمع مات فليس منه الا الذكرى . ورجل سحقه في الحياة نفسها التحدي ورد التحدي فهو حطام لا يعزمــز اسمــه الا بعض الاغنيات القديمة ! انها صفقة خسران ان تكتــب عــن بيرم التونسي والناس في عوالم اخرى بعيدة ففارق في بحران السياسة او هلوع لخطر اسرائيل او هلوك على السوق مــن الربح بالتجارة او مجتر لمآسيه الخاصة او ماخــوذ برحلــة القمر او مطلق اقدامه والشعر مع الهيبيز !.. النــاس كــل شيء الآن الا من بيرم !

ولعل الجواب حكمة عنيدة سبق ان تعلمتها مــن فيلــم قديم يتابع فيه المحامي الكلام ثلاثــة ايــام في الدعــوى دون انقطاع ويقول له القاضي :

ـ ولكنها قضية خاسرة !

فيجيب المحامي :

ـ ان القضايا الخاسرة هي التي تستحق الدفاع عنها !

و ((بيرم)) يستحق من يدافع عنه !

او لعل الجواب كلمات يستعيرها زهير من بيرم نفسه :

من قبل مـا اكتب انا عارف القـول ضايـع
والاجـر بـالتـاكيـد ذاهـب حسب الشايع
والشتـم حايجيني مسوكـر من واد صايـع
مهمـا اكتويت بالنـار والزيت برضك فنان !!

ان الذوق الفني قـد فرض نفسه وفرض مصائبـه .
او لم تفرض نفسها الغربة ايضا يا ترى ؟

ولقد مضى بيرم . اخذ حصته . ويابى أخي زهير الا ان يدفع الضريبة ناسها لانه بدوره ـ كمثل الكثيريـن ـ غـريب بالرغم منه ... وفنان .

الكويت الدكتور شاكر مصطفى

مقدمة

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

في الفترة التي كان فيها ادب مصر وصحافتها وفنها هي كل شيء في العالم العربي ، وكان ذلك بالنسبة الي والى ابناء جيلي في صبانا ومطلع شبابنا ، في تلك الفترة كنت اجد كل ما ياتينا من شقيقة بلادنا الكبرى في الذروة ، الا شيئا واحدا هو الزجل . الزجل المصري في نظري كان شيئا سقيما ، مهلهلا في مبانيه تافها في معانيه . وكنت اعجب كيف ان موسيقيين مبدعين مثل محمد عبد الوهاب وذوي اصوات عبقرية كصوت ام كلثوم يطامنون من موهبتهم ويدنون من قيمتهم بان يصوغوا الحانا او يغنوها في هذه الضروب من الكلام المبتذل . قلت ذلك مرة لصديق لي ، وهو الآن صحفي مشهور مقيم في القاهرة ، فانكر علي رايي واخذ يستشهد ببعض الزجل المصري الذي غنته ام كلثوم لاحمد رامي . اذكر اني اجبته في حينها ان زجل احمد رامي ليس الا شعرا فصيحا ((مفروطا)) ، او ان احمد رامي نثر معاني شعره الفصيح في كلام عامي وسماه زجلا . اما سائر الزجالين

المصريين ، ولا سيما في اللون الغنائي من نظمهم ، فهم يصفقون الكلمات في ترتيب شبه هندسي ليصنعوا منها ازجالا . يضعون كلمة دموعي تحت كلمة ضلوعي وكلمة حبي تحت كلمة قلبي ، فتتكون بذلك قصيدة يغنيها مطرب مغمور او مطربة مشهورة . واحد وحده من كل الزجالين المصريين نستطيع ان نستثنيه من هذا ونقول عنه انه شاعر . وهذا الواحد الفرد هو بيرم التونسي ...

كان ذلك رايي ، وهو لم يتغير بالنسبة الى ازجال ذلك الحين . لقد نشات في مصر في العقود الاخيرة من السنين مدارس جديدة في الزجل استطاعت ان تسكب شاعرية صحيحة في اوعية العامية المصرية ، وبرز شعراء غنائيون حقيقيون بين الزجالين . ومع ذلك فان بيرم التونسي يظل المفرد الاول الذي ادى بالعامية المصرية احاسيس شعرية تقصر عن ادائها اللغات الاخرى ، والعربية الفصيحة من بينها . لم تكن كلماته هي الشعبية فحسب ، بل كل احساس ضمنه تلك الكلمات كان نابعا من قلب الانسان الشعبي الذي تمتزج فيه البساطة بالصدق بعفوية الشعور . وكان يملك المقدرة الموسيقية على تحميل الكلمات والجمل والمقاطع ما يريده من احساس مرقص او مفرح او حزين . فكان زجله غناء قبل ان يغنى . الى تلك الموهبة التي هي سمة الفنانين العالميين في اعطاء ما هو محلي ، ما هو مستقى من بيئة ضيقة ومحدودة ومعينة ، معنى شموليا وقدرة على التاثير في مختلف صنوف الناس في مختلف البيئات ومن مختلف الثقافات .

هذه هي منزلة بيرم التونسي التي اكتسبها في تقدير الناس في انحاء العالم العربي كله ، لا في مصر وحدها ، والتي

ترشحت اليهم من خلال ما غني له من ازجال عامية مصرية وبدوية ، ولا سيما في ما غنته له ام كلثوم . الا ان قليلا من الناس في انحاء هذا العالم من كان يعرف اية شاعرية كانت لبيرم ، لا في كلامه المنظوم من عامي وفصيح فحسب ، بل في حياته كانسان ، وكانسان معذب . قليل من الناس يعرف انه من اولئك الذين اصابتهم لعنة الادب ولاحقتهم الى كل ركن مظلم وبعيد حاولوا اللجوء منها اليه . لقد قال دعبل بن علي الخزاعي لمن خوّفه من مصير مظلم لهجوه في شعره الخلفاء والامراء : انا احمل خشبتي منذ اربعين سنة ، فلا اجد من يصلبني عليها . وكان بيرم من نوعية دعبل بين الشعراء ، الا انه وجد من يصلبه على خشبته في شخص احد خلفاء هذا الزمان ، وهو السلطان ، ثم الملك فؤاد الاول . ومع ان عهد الملوك في مصر التي اصبحت الجمهورية المصرية ثم الجمهورية العربية المتحدة قد انقضى ، فان الظل الحالك لنقمتهم استمر لافا بيرم في ظلمته ، يكاد يقضي عليه بالخمول الدائم لولا دفقات عبقريته ولمع شاعريته . وهكذا يعود بيرم الى ضفاف النيل بعد طول غربة ومرارة تشريد ، ويعيش في ظل جمهورية متحررة من سطوة آل محمد علي ، ولكنه يظل بعيدا عن التقدير الذي تستحقه موهبته وعن التنويه الذي يستحقه نضاله وتمرده على البغي والباغين .

قلت ان قليلا من الناس في العالم العربي من يعرف الشاعرية التي اتصفت بها حياة بيرم التونسي كانسان معذب . نحن كقراء لشعره او سامعين لازجاله المغناة لانعرف غير ان نتمتع بعطاء موهبته ، دون ان نتعمق في الاصول التي استقت منه هذه الموهبة عطاءها . المتمتعون بقراءة ما كتبه دستوفسكي مثلا ، قليلا ما يدركون ان ما يقراونه هو ثمرة

البؤس والجوع وليالي السجن السوداء والوقوف امام فصيلة الاعدام التي تعرض لها مؤلف الاخوة كرامازوف . ومع ذلك فانهم لو أتيح لهم معرفة الوان الشقاء التي انبجست منها فصول ديستوفسكي العبقرية لاخذ تمتعهم بما يقراونه نكهة جديدة وغنية . ولعل الامر كذلك في ازجال بيرم واشعاره ومغنياته . ان معرفة الاوذيسة الاضطهادية التي اضطر الى التجوال بها هذا الشاعر ترينا نتاجه في نور حزم ضوئية جديدة . ولكن فصول تلك الاوذيسة لا يعرفها الا القليلون ، ولم تسجل الا في صفحات متفرقة وطيارة من المجلات ، ولم تتردد الا على السنة نفر معدودين من الرواة يبتلعهم الزمن واحدا بعد الاخر .

على من تقع المسؤولية في لف حياة بيرم التونسي في الظلام ؟ قد تكون لعنة الادب الاسود هي المسؤولة عن ذلك ، وقد تكون سطوة الحكام المنقرضين التي تلاحق بيرم حتى بعد زوال سلطانهم . وقد يكون بيرم نفسه مسؤولا عن عزوف مؤرخي الادب عن تسجيل اخباره ، بما كان يتصف به من مزاج متمرد ونفسية مشاكسة ولسان لاذع . وايا كانت المسؤولية فان امرا واحدا يبقى صحيحا ، وهو ان تهاونا لا يتناسب مع قدر ذلك الشاعر وعطائه قد نزل ببيرم التونسي ، ولا يزال الى اليوم به نازلا .

من كل هذا الذي اسلفت تتضح قيمة الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء . انه كتاب واجب الكتابة كحق لموهبة متميزة على الاجيال التي تنعمت بعطاء تلك الموهبة وعلى الاجيال اللاحقة بتلك الاولى . وهو تسجيل لما يتهدده الضياع من سيرة حياة صاحب الموهبة تلك ومن نتاجه الادبي المبعثر .

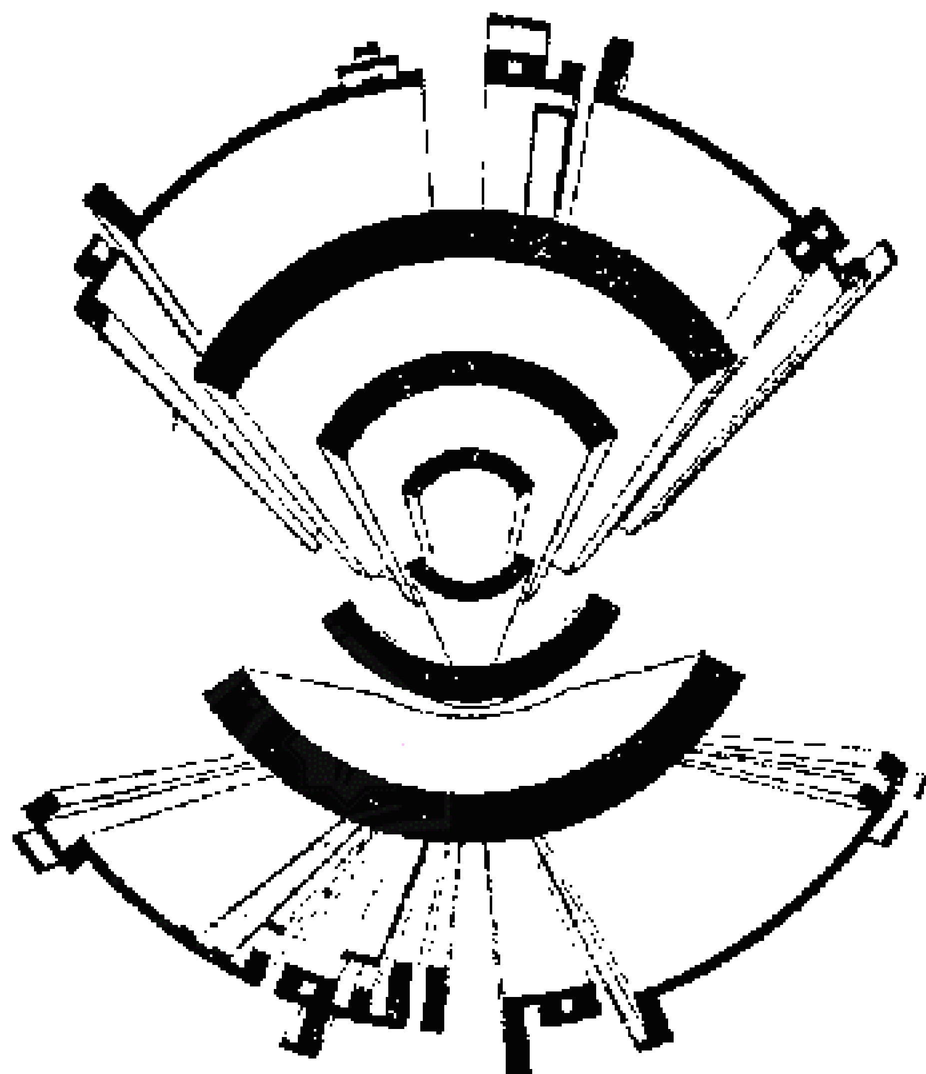
وهو الى ذلك كتاب ممتع كبيرة حياة ، وبما احتواه من ازجال بيرم وقصائده ومقاماته ، وبكونه مكتوبا بأسلوب زهير المارديني : اسلوب الرواية الشيق الحديث ، الدقيق الملاحظة ، البارع النكتة اذا اراد ان يضحك او يضحك ، المر السخرية حين ينقد او يهاجم .

وانا اذ اذكر مؤلف هذا الكتاب ، الاستاذ زهير المارديني ، واذكر نكتته البارعة وسخريته المرة اقول انه كان مستطيعا ان يملأ لنا بالظرف والضحك صفحات كثيرة من رواية حياة بيرم التونسي ، الشاعر الذي طالما اضحك الناس في سخريته من الناس . ولكن زهير المارديني آثر ان يكون جادا حتى حدود الاسى في رواية حياة انسان كان يعيش المأساة ويفرز الضحك ، انسان عرفه زهير المارديني شخصيا وربطته به فوق المعرفة عرى الصداقة . وليس لنا الا ان نعذر مؤلف هذا الكتاب في ما كتب وان نشكره عليه . بل ربما كان لنا ان نضيف الى العذر والشكر عجبنا من ان يكون الذي كتب هذا الكتاب وحاول ان ينصف فيه بيرم بعض الانصاف هو زهير المارديني ، اعني به كاتبا عربيا من دمشق بعيدا عن بيرم التونسي ، الشاعر المصري ، في الدار وفي البيئة . فلقد كان احرى ان يكون الكاتب عن بيرم أديبا مصريا يتكلم في حياته اليومية العامية التي نظم بها بيرم ، من ابناء القاهرة او الاسكندرية في البلد الذي فيه ولد وعاش بيرم والذي احبه وفي سبيله تعذب ومن اجله نفي وتشرد .

ولكن هل هذا المؤلف بعيد حقا عن المؤلف عنه؟ استغفر الله والعربية . ان البعد بين ابناء هذه الامة اسطورة تتهافت خيوطها امام بعض النفحات الواعية . تأمل في هذا الكتاب :

ماردیني (وماردين بلدة على الحدود السورية في تركية ، هي في الاصل جزء من ديار ربيعة في القديم ، لا يزال اهلها حتـى اليوم يحركون بالاعراب اواخر الكلمات) ماردیني من دمشق، يكتب عن تونسي من مصر ولد في الاسكندريـة وعـاش فـي القاهرة ، كتابا يطبع في بيروت بلبنان اعد ليقرأه اناس لغتهـم واحدة ومنازلهم تمتد بين المحيط والخليج ! حسبـي بهـذا تصحيحا لما حسبته بعدا بين بيرم وزهير . فما البعد بعد مـا بين الديار ولكنه بعد ما بين الافكـار والارواح . ولا عجب ان يكون قريبا من بيرم العربـي مـن مصر ، عربـي مـن دمشق ربطته به معرفة وصداقة ، ولطالما قرب بيرم بين ارواح العرب المتباعدة اشباحهم في مشارق الارض ومغاربها علـى كلمات اهزوجة بدوية او موال بلدي ناتح او اغنية عاطفية مرقصة . ان هذا الكتاب دليل على هذا القرب مثلما هو ثمرة له ، ولعله يكون كذلك سبيلا اليه ومعوانا على الزيادة فيه .

الرقة — الدكتور عبد السلام العجيلي



معتصم أحمد الدرويشي

طلب من ابنته (فنجان قهوة سادة) ، وعادت الصبية لتصطدم بـه ، وقد انكفأ على مكتبه ، وانطفأت شعلة حياته ، والقلم في يمينه ...

وشهد حي السيدة زينب في القاهرة ، في الساعات الاولى من يوم الثلاثاء ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ موكب النهاية لشاعر ملا دنيانا شعرا ، وزجلا ، ونثرا ...

حملوا على الاعناق جثمانه المحطم وبه الف طعنة من طعنات القدر ، واسدل الستار على احدى ابرز المواهب الادبية التي ظهرت في القرن العشرين ..

وبينما كانت روحه بآلامها تشق طريقها الى السماء ، كان ملايين الناس يتابعون صوت ام كلثوم وهي تنشد كلماته ..

« الحب كده !! »

ومات بيرم التونسي الذي هز بزجله ضمير الناس ، ومات معه معظم ما خطه من ادب ..

مات الشاعر الذي أمسكه يوما أحمد شوقي وصاح في وجهه ..

ــ ان زجلك يا بيرم ، هو فوق مستوى العقل والعبقرية ..

غاب عن الوجود خالق الصور الشعرية التي تغادر خياله ، وكأنها مواكب افراح وأحزان ، تسير الى دنيا الحواس ؛ وافتقد الادب الفنان الذي استخلص لنفسه في الفن طرازا خاصا به ؛ فقد كان أدبه ينبض بالحيوية ؛ وتشيع في جميع ما يقوله خفة الروح والاثارة ، وتجدد المفاجآت ، مع التصوير المتقن ، والقوافي العجيبة ؛ يرسلها متدفقة ، حتى لتكون العبارة مع القافية اعجازا لا يجاريه في جمالها احد .

شاهدته في منتصف العام الذي غاب فيه عن الدنيا ، وبدا لي أن حياته الطويلة قد القت مراسيها عند نقطة دقيقة بين الوضوح والضباب ، فالرجل الذي أحس كل خفقة من خفقات الحياة الشعبية ، لم يعد في جسمه موضع لخفقات مشابهة ، والرجل الذي رسم اروع القطع الزجلية ، بحيث كان يتخير لكل قطعة من زجله وزنا وايقاعا موسيقيا في سياقها ، يلائم موضوع القطعة ، ويتمشى مع معناها والهدف منها ؛ فالقطعة التي يتحدث فيها عن مرقص مثلا يكون وزنها مع الايقاع التعبيري راقصا ... هذا الرجل الذي ملأ سمع الدنيا ، وتجاوز بآثاره وفنه وطنه الى اوربا واميركا وروسيا ، واصبح هناك في معاهد الادب والثقافة علما واماما جديرا بأن يدرس ، ويعنى بمواهبه وملكاته ، لانه يصور جيلا زاهرا من اجيال الفكر في بلاده ، ويعتبر عندهم مرحلة من مراحل التطور الذهني ، والنفسي ، التي خلقت قيما ادبية لم يكن لها وجود فوق الارض العربية ، هذا الانسان الذي علمنا ان هناك ادبا عظيما ، له تاريخه ، وله حياته المتدفقة المستمرة ، الى جانب ادبنا الذي يكتب باللغة الفصحى .. هذا الاديب الذي قال عنه عباس محمود

العقاد بأن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقرية ، لا ينفق منها بغير حساب ...
هذا الفنان لا يريد ان يمضي في السير ، وكان يتكلم عن الموت بلهفة ، وأحسست انه يريد ان يموت ..

في مقهى الفيشاوي رحت أصغي اليه بكل ما املك من احاسيس ، لقد كان اقوى ما فيه فراسة الالتقاط والتمييز وكانت خلاصة بلاغته انه يناجي الناس ، بما يهمس في خواطرهم ، وما يخطر في هواجسهم ، قال لي وقد اطلق زفرة حبيسة في صدره المثخن بالجراح :

قال ايه مرام ابن آدم — قلت له طقة (١)
قال ايه يكفي ابن آدم — قلت له شقة
قال ايه يعجل بعمره — قلت له زقة
قال حد فيها مخلد — قلت له لاءة

وطال بنا الحديث حتى نسينا الزمن ... وكنت أتابعه .

لقد تحول في نهاية المطاف الى واضع اغنيات عادية ، ومؤلف الغاز يتسلى بها الناس ، وسألته :

— هل انت مرتاح لما تقوم به من اعمال ؟ ...

كان رأسه الضخم المهدل الشعر ، يميل في العادة — الى كتفه — وعيناه الضيقتان تدوران مع الحديث كعائد من سفر مرهق .. ورفع رأسه واطلق ابتسامته الساخرة ..

— كلا لست راضيا .. ولكن ، ماذا اكتب غيرها ؟ لقد تعبت ...

وكانت كلمة « تعبت » هي كل ما بقي من رحلة التشريد والنفي ، وراح يردد كلمة « تعبت » بسخرية عميقة ، مخيفة .. ويطلق معها نوبات سعال تشهد على صحتها ..

---

(١) « الطقة » في العامية المصرية يراد بها الوجبة من الطعام .

وخيل الي وانا اتابعه انه تحول بعد التعب الى صقر تولت ايـام النفـي تقليم مخالبه ، لقد كان وهو يتحدى ينقض انقضاض الصقـر ، تـرى مـاذا اصابـه ؟ •••

لقد تزاحمت عليه طيور الردى الجارحة ، فنهشته وهو حي ••• واستمر في منفاه يقاسي الشقاء ، وأي شيء كان يستطيع بيرم ان يصنع في المنفـى ••

ان كل ما تعلم في حياته ان يسخر كما يسخر المصريون ، ويحـزن كمـا يحزنون ، ويتذوق الحياة باحساس المشفق على الفقراء ، المتأثـر بآلامهـم ، لقد أعدته الاقدار لان يكون ترجمانا خفاقا بالشعر ، فحصد مـن ذلـك أقل حظ ، وعندما عاد بيرم الى القاهرة ، اختار ميدانا سهـلا رائجا •• ولكنـه ليث كالصقر منتظرا الصيد الكبير ••• سألته لماذا لم تتقدم الى جائزة الدولة؟

وخطف البريق الغريب عينيه ، واكتسى بعزة الشاعر الفنان وقال :

جائزة ايه ؟!• انا لا اتقدم لاية جهة !! لن ازاحم الزجالين الشبان ، ثـم انا اكبر من لجنة الشعر ••• واحسست انه رغم تعبه لا يزال الشاعر الثائـر ، العزيز الانتاج ، الذي احدث في الفن احداثا غير مسبوقة •• واخـذ يلهـث تعبا ، وتتلاحق انفاسه في سرعة واضحة ، وكان قفص صدره يرتفـع وينخفض في حركات متتابعة •• وحين قلت له لماذا لا تأتي الينا الى دمشق التي احببتهـا بكل وجدانك ••• اغتصب من الامه ومتاعبه وشيخوخته ابتسامة حـاول ان يصبغها بلون المرح والسخرية معا وقال :

« ايه يا زهير انت بتدعوني جادا او مجاملا ، اذا كـانت الثانيـة فانـا مستعـد ••• »

كان بيرم يكره الضعف والمرض ، ويكره ان يراه النـاس ضعيفـا ، او مريضا ولهذا أخذ بيدي القوة •• وعندما سألته أما زلت تعتقد أنك موليـير زمانك كما كنت تعتقد عندما قلت :

الاولــه آه •

والثــانــة آه •

والثــالثــة آه •

الاولة : مصر • قالوا تونسي • ونفوني •

والثانية : تونس • وفيها الاهل جحدوني •

والثالثة : باريس • وفي باريس • جهلوني •

الاولة • مصر • قالوا تونسي • ونفوني جزاة الخير •

والثانية • تونس • وفيها الاهل جحدوني • وحتى الغير •

والثالثة • باريس • وفي باريس • جهلوني • وانا موليير ••

الاولة • مصر • قالوا تونسي • ونفوني • جزاة الخير • واحساني •

والثانية • تونس • وفيها الاهل • جحدوني • وانا موليير • في زماني •

الاولة • شربتني مـــن فراقها كاس • بمرارة •

والثانية • آه فرجتني عالجمال يتداس • يا خسارة •

والثالثة • يا ناس يا ريتني كان لي فيها ناس • وادارة ••

الاوله آه •• والثانية آه •••• والثالثة آه •••

اولة • اشتكيها للي اجرى النيل •

والثانية • دمعي عليها غرق الباستيل •

والثالثة •• لطشت فيها ممتثل وذليل ••

الاوله آه •• والثانية آه •••• والثالثة آه •••

اجاب بيرم التونسي :

الكلام ده كان من زمان •• انا غير موليير ، ولكن !! وبلع كلمة ، خجل أن يطلقها ، وبيرم كان لا يفتخر بشعره او زجله • بل انه لا يحفظ منــه شيئا، ولا يذكر شيئا • وكان من أدبه ، كذلك ، ان يتوارى عن النــاس قــدر مــا يستطيع • ويبلغ به التواضع ان يؤثر السكوت والانزواء • فكنت لا تــراه متصدرا جماعة ، او متعاليا ••• وتم الاتفاق بيننا على ان ينهي اعماله بسرعــة ويلبي دعوتي لقضاء فصل الصيف في بلودان ، علّه يستطيع ان يسجل ما بقي عالقا في ذاكرته من اشعاره ، وازجاله ، ومسرحياته • لقد كانت ذاكرته المكتبة الوحيدة لانتــاجــه •

واودعنا عند صديق الطرفين الاديب العربي المرحوم الاستــاذ محمــود العزب موسى ٢٩ جنيها لتأمين بطاقة السفر الى دمشق ، وعدت الى بلــودان بانتظار وصوله ، فاذا بالموت يختطفه ، ويختطف معه كل هذه الثروة الادبية ، وغابت عن الوجود تلك الثمرة الناضجة من الدوحة الشعرية التــي تــأصلت جذورها في شعرائنا القدامى ••• وغاب الشاعر الذي امضى عمره يتحدى •• تحدى الظلم •• التشرد •• تحدى الفقر ••• تحدى الناس البلهــاء •• ومات وهو لا يملك من هذه الدنيا سوى « جنيه واحــد » وتذكــرة سفــر بالطائرة الى دمشق ، طار بها الى السماء !

***

بــيرم التــونسي

لا ادري من أين أبدأ الحديث عن بيرم التونسي ، وكل ناحية من نواحيه تحتاج الى مجلدات•• هل أتكلم عن بيرم الثائر الذي أمضى حياته بين القاهرة وتونس وباريس ودمشق ، لانه قال لا ••؟ أم أتكلم عن بيرم الفنــان الــذي عاش حياته كلها للناس ، ينقل آلامهم ، ويصور احلامهــم ، شعــرا وزجــلا ونثرا •• هل أتكلم عن بيرم الاديب الذي ماتت بموته الوان متعـددة مــن

المبتكرات الادبية ، والفكاهة المنظومة والمنثورة ؟ أم أتكلم عن بيرم الانسان الذي كان يتقاضى خمسة جنيهات عن كل اغنية يقدمها لام كلثوم ، وترفض ان تزيد حصته جنيها واحدا ...

لقد كان بيرم مبرزا في كل فن من فنون الادب العربي ، لقد كان نبتا وحده من ادباء هذا العصر ... نشأ كالنبتة البرية في الرملة الجافة التي عاشت على علالة الجدب ، وبلالة الندى ، فاخضرت من غير نضارة ، وظلت في العراء تقاسي السموم والقيظ ، وتكابد العذاب والظمأ حتى اقتلعها الزمن والقى بها هشيما في اخدود من اخاديد الارض .

لقد كان بيرم موسوعة للالام والعذاب والتشرد ..

عاش بعيدا عن الوطن ثم عاد اليه وظلت روحه بين مراتع الالام والعذاب ...

ولا اعتقد ان الناس يعلمون الكثير عن بيرم التونسي ، لقد كان يقول الشعر للفن ، وللفن وحده ، وكان شعره يصدر عنه ، كما يصدر الانين عن المجروح ، والصراخ عن المظلوم ، والزمجرة عن الساخط ، ولم يكن رحمه الله بساما ، بل كان دائم الوجوم حتى في اعز اوقات مزاحه ، لم أر ابتسامته تتراقص على شفتيه ، او تبدو معالمها على قسمات وجهه ، كان يضحك حجارة الارض وهو حزين ، وفهم الادب على انه رسالة تؤدى فلم يسجله على الورق، بل تركه لافواه الرواة وصدور الحفاظ ، حيث يتجدد من جيل الى جيل انشودة معبرة عن اعمق الاحاسيس ..

***

القصة المأساة

لا يعرف أحد بما فيهم عائلة الفقيد قصة هجرة والده من تونس الى مصر ، وكل الذي سمعناه من الرجل ان والده نزح الى ميناء الاسكندرية ،

ليستقر فيها ، ويتخذها وطنا .. هذا النازح (محمد مصطفى بيرم) تزوج من مصرية انجبت منه ثلاثة اولاد .. احدهم بيرم ..

لندع بيرم التونسي يحدثنا بنفسه عن قصته المأساة ، فهو وقد نقل الينا مآسي الاخرين بامكانه ان ينقل مأساته ..

يقول وهو يحاول ان يتذكر بداية القصة :

ولدت في الرابع من (مارس) ١٨٩٣، ولم آكد أشب عن الطوق حتى أدخلني ابي مكتبا لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، في الحي الذي كنا نقيم فيه وهو حي « السيالة » بالاسكندرية ..

وقضيت في ذلك المكتب فترة من الزمن تعلمت فيها القراءة والكتابة ، وحفظت بعض صور القرآن . ثم نقلت لطلب العلم في مسجدي المرسي ابي العباس والبوصيري . وهنا يروي الفقيد قصة مؤلمة جرت له مع أحد المشايخ الذي احتضنه بعناية لغرض دنيء اكتشفه فيما بعد فسبب له عذابا ظل يقاسيه الى ان لاقى وجه ربه ، وكان هذا الحادث سببا مباشرا لنقمة بيرم على أمثال هذا الشيخ ، ويعلق على هذا الحادث بقوله :

اشمأزت نفسي من هذا الشيخ ، وعولت على الفرار من وجهه ، وتركت المعهد الى غير رجعة ، بعد ان كنت معدودا في طليعة الطلبة النجباء ... وتربت في نفسي عقدة من جميع الشيوخ الذين يلبسون مسوح التقى والورع ... وكرهتهم كراهة الارض للدماء ..

وودعت المعهد الديني غير آسف عليه . ثم اشتغلت بقالا في الحي .

وما لبثت ان ازددت ثقافة من كثرة ما كنت اقرأ من الكتب القديمة ، التي كنا نجلبها لنبيع فيها للمشترين . وسرعان ما أصبحت هوايتي آن أطلع على ما هو مكتوب في الورقة قبل ان أطوي فيها البضاعة ، وأعي ما فيها ، ومن العجب انني عثرت ذات يوم على مخطوط قديم ضم تاريخ (محي الدين بن العربي) وحياته ورأيه في الدنيا فراقني كثيرا، واقبلت عليه في نهم وشغف ...

وكان هذا الكتاب نقطة تحـول في حياتـي ، اذ حبب الـي التصوف ودفعني الى دراسة الاسلام وأحوال المسلمين ، على نمط يتناسب مع العصر، ويتفق وروح الجماعة التي نعيش فيها . واتسـعت مداركي ..

وكنت أقرأ الى جانب ذلك ما كتبه الذين سبقونا في الزجـل والادب ، من ابناء الفكاهة الراقية، والنكتة اللاذعة . فاجتمع لي كل هذا ، مضافا اليـه استعدادي الفطري للتمرد على البيئة القذرة التي أعيش بين ظهرانيها.. وأرى عيوبها الاجتماعية والامراض المتفشية فيها . فاخـذت أنظم الزجـل في بعض الحالات ، وانتقد بعض التصرفات ، وفي نفسي حنق شديد على المجتمع الذي يحيا في جو خانق من الاحتلال الانكليزي ، وفي اعماقي ثورة عارمة على الذين يعملون على ان يظل الجهل والفقر سائدين بيئتنا الى ابد الابدين ..

ويمضي بيرم في الحديث عن الفصل الثاني من مأساته ..

« ـ تركت محل البقالة .. واخذت أجوس خلال الديار ، واتجـول في الشوارع . ارى وانقد واكتب واؤلف . واحمل في يدي سوطـا اضرب بـه فـي كـل ميـدان ..

لا اعرف شواطىء لهذا الموج الزاخر الذي يهدر في نفسي ، وفي قلبـي، وفي رأسي ، من روائع الشعر ، لاضخم الشعراء في أعظـم العصور حفـاوة بالشعر والشعـراء ..

وقد حفظت القرآن ، ودرست ستة كتب مشهورة في تجويده وتلاوته ، بقراءاته الثابتة عن ائمة الشريعة والدين ، ثم استوعبت دراسة الادب العربـي من امهات مصادره ، وشربته من اصفى ينابيعه . ودرست البلاغة ، وعلـوم اللغة وفقهها ، واحطت بشواردها واوابدها احاطة السوار بالمعصم .. وكنـت أقدر انني سأجتر هذه الثقافات العربية الصميمية في صقل استعدادي وموهبتي الشعرية . الا انني شهدت في مطلع حياتي صرعى الشعر واشلاء الشعراء تحت أقدام المشعوذين ، وشذاذ الافـاق ، والمتجريـن في سوق الادب الفـارغ .

والكلام المساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة ..

ثم تعاقبت المحن الثقال ، مع الليالي الطوال . فأخذت المجاعة بخناقي وخناق الاطفال . وتلقيت وحشة الاغتراب ، ونكد المرض ، وفقدان الاوطان والاخوان ، وضراوة المجاعة في بيت لا يؤنس بقايا الادميين فيه الا الأنين والدموع ، والانفاس اللاهثة . فلم أر أن أضيف الى هذه المحن القاصمة محنة الشعر . فتركت ثقافتي واستعدادي ، وموهبتي الشاعرة ، امانة في ذمة الايام الى الزجل ، انظم به المسرحية والموال والاغنية ...

وفي الفصل الثالث من مأساة الشاعر الانسان يقول :

وكم استأجرني كل دعي ومتساق ، لقاء منحني القليل من الثواب والمكافأة التي أجابه بها شظف العيش ، وخشونة الحياة ، ودعوة حاقد استجابت لها الاقدار ، فبت ارزح تحت وطأة الهم والرزء والجوع الازلي ..»

مات ابوه وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر ، وماتت امه وله من العمر سبعة عشر عاما ، فلم يبق له من أحد ، وفقد كل معين ..

افتتح محلا للبقالة ، ببعض ما تركته له امه من ميراث . ولكنه لم يدم في هذا النوع من التجارة غير شهور قليلة لعلها خمسة او ستة ... ثم احترف التجارة في صفائح السمن ، ولكن متى كان الفنان تاجرا ، فسرعان ما أفلس فارتمى في احضان الصحافة ، وكان رحمه الله يسميها مهنة الفحم .. ومهنة الـزفت ...

اشترك بيرم في معركة الحرية الكبرى ، ونفي عن مصر بعد ان عومل معاملة الاجانب بصفته تونسيا ولم يسمع عنه طيلة حياته بأنه مصري او تونسي ، بل كان يرد دائما انا عربي ..

وأخرج من مصر بعد ان حيل بينه وبين زوجه وأطفاله ، وكان له ولد يحبو ، وابنة رضيعة وجنين في بطن امه ورأى بعد نفيه ، وتحت تأثير يأسه

من العودة الى مصر ان يطلق زوجه لكيلا يظلم شبابها ، ولما عاد بعد عشرين حولا ، كان الطفل الذي يحبو قد اصبح موظفا ، والطفلة الرضيع زوجة ، أما الجنين فقد خرج الى الدنيا فتاة تملأ الدار بهجة ..

امضى بيرم ما يقرب من عشرين عاما في المنفى ابتلعت باريس معظمها ، ولبيرم قصة مؤلمة مع اولاده ، وشوقه اليهم ، وحنينه لرؤيتهم ، وقد كتب في ذلك اشعارا وزجلا ورسائل لو جمعت لبذت ما قاله الشعراء في هذا الموضوع ..

وكما قضى بيرم حياته متشردا ، كذلك تشرد شعره ..

عمل بيرم في الصحافة ، وكتب المسرحية ، والقصة والمقامة ، والشعر والزجل ، وكان وهو في باريس يغذي المجلات المصرية بادبه ، كتب للمسرح عشرات التمثيليات لقاء دراهم معدودة ، وكتب للمغنين الوف الاغنيات لقاء ملاليم ، وكان رواد الادب يسرقون انتاجه ويقبضون ثمنه مئات الجنيهات ..

ولبيرم حساد كثيرون دفعهم الحسد الى ان يبخسوه حقه من التقدير ، ومنهم من كان يشنع عليه بشتى الطرق ، ومنهم من كان يخون امانته .. وكان بيرم يشعر بذلك ولا يوليه اكتراثا ، فقد كان يؤمن برسالته كناقد كرس جهده لخدمة المجتمع ، وهو يلمح الى هذه الحقيقة بزجل مؤثر ..

من قبل ما أكتب انا عارف القول ضايع
والاجر بالتأكيد ذاهب حسب الشايع
والشتم جايبجني موجر من واد صايع
مهما اكتويت بالنار والزيت برضك فنان

ولم ينس المسرح طيلة حياته ، فكتب عدة مسرحيات منها مسرحيتان زجليتان هما (عقيلة) و (ليلة من الف ليلة وليلة) ، والثانية تكاد تكون تقريبا مسرحية (قسمت) التي ظهرت على المسرح والسينما في انكلترا ،

وكتب كلمات اوبريت (عزيزة ويونس) التي قدمتها الفرقة المصرية واخرجها زكي طليمات •• ثم اوبريت (مايسة) ، وأعقبها بأوبريت أخرى هي (سفينة الفجر) ولم يقبض من ثمن هذه المسرحيات أي مليم ••

* * *

ولد حزينا ومات حزينا

كان بيرم صاحب صوت جميل ، وكان محللا لنفسية النـاس ، سمعته مرة يتحدث عن الاغنية العربية الحقيقية فوصفها بأنها تلك التي يضطرب لها القلب اضطرابا حركيا ؛ فكان يطرب من اغنية عبد المطلب ـ يا بـو العيـون السود ـ فيرى ان مردد هذه الاغنية مضطر الى تحريك عضلات جسده والى ترك قلبه في حركة الجذب والشد • ومن يصغي الى كلمات بـيرم في الاغنيـة يعتقد ان هذا الفنان يعيش حياة مرحة ، والحقيقة هي العكس تماما ، لقـد لعبت المأساة في حياته دورا بارزا وتركته حزينا ، ينفر من الناس ، فـلا تـراه جالسا الا وبين اناملة القلم ، وامامه الورق ، وفي فمه لفافة التبغ •

وكان يحب الليل والظلام ، وهكذا عاش حياتـه في الظـلام ، نفـي في الظلام ، وعاد الى وطنه في الظلام ، ومات في الظلام بعد ان اعطى خـير مـا يعطيه فنان ••

***

بيرم المتمرد الدائم

قلما عرف التاريخ الحديث شاعرا تجرأ على الحاكم كمـا تجـرأ بـيرم التونسي ، لقد تناثرت شظايا شعره الزجلي فأصابت الملك فؤاد ـ والجيـل الماضي يعرف من كان الملك فؤاد في حينه ـ •

حدث حين تزوج الملك فؤاد من الملكة نازلي كريمة المرحوم عبد الرحيم صبري (باشا) ان روي الكثير عن هذا الزواج ، ومن جملة ما روي انها أرغمت عليه ، وانها كانت تحب شابا من اقاربها (ش • ش) ••

كانت نازلي تحب قريبها الشاب ، وكان املها في الزواج منه كبيرا الى ان خطبها (عظمة السلطان) احمد فؤاد من أبيها ••

وفي اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلي ـ في الصباح الباكر ـ من قصر أبيها ، ولجأت الى حبيبها •• وراح الفتى يتنقل ـ وهي معه ـ طوال اليوم من دار صديق الى دار صديق •• خوفا من مطارديه ، فقد انطلق الاقارب وسلطات الدولة كلها تبحث في كل مكان عن خطيبة عظمة السلطان••

وأخيرا ادرك الفتى الا فائدة ! ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش السلطان ، فأركبها عربة واعادها الى قصر ابيها ••• في المساء •

واخذ افراد الخاصة الملكية ، وبعض العارفين بأخبار القصر ، ورجال السياسة وأنصارهم وأتباعهم يتحدثون عن هذه القصص التي انتشرت وكبرت وتضخمت بعد مولد فاروق ، وقد سجل بيرم هذه القصص والشائعات في أزجال رددتها شوارع الاسكندرية والقاهرة ، وتغنت بها ابان ثورة عام ١٩١٩ •

وتناقل الناس هذه الابيات الزجلية حتى وصلت الى القصر ، وتناقلها افراد من الخاصة الملكية لم يرقهم هذا الزواج ، وسمعت الملكة نازلي بها ، وثارت ثائرة الملكة وأهلها ، وطلب السلطان اخراج الشاعر من مصر ، وسرعان ما اعتقل واخرج من الاسكندرية ونقل على ظهر باخرة شحن الى باريس •

ولنصغي الى بيرم التونسي المتمرد الدائم وهو يروي قصة هذه الازجال التي تسببت في تشريده ونفيه ••

لقد طلبت منه مرة ان يروي لي حقيقة هذه القصة ، وكان رحمه الله يملي وانا أسجل •• قال :

« لا تطلب الي أن أحدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت يا ولدي ثورة من النوع الذي لا يبقي ولا يذر . ولقد تركها الانكليز تتأرجح وتتآكل الى ان يخمد اوارها ثم يعالجوها بالطرق الناعمة ..

ايقن الشعب ان امانيه الوطنية اصبحت في يديه وقال الانكليز :

(نعم ، وها هو سلطانكم المستقل وبرلمانكم وما عليكم الا ارسال السفراء والقناصل الى كافة نواحي العالم) ..

وكانت جريدة المقطم لسان القائد العام الانكليزي بدأت تتحدث عن الامير احمد فؤاد الذي سوف يسند اليه منصب خطير في الدولة المصرية ...

وتساءل الناس عن الامير فؤاد لان رجال ذلك البيت وأميراته لم يكونوا يومئذ موضوعا تخوض فيه الصحف الا بقدر معلوم . وذات يوم مر موكب عظمة السلطان احمد فؤاد من شارع راس التين . وقد جلس في مركبته التي تجرها ستة من الجياد . وفي شمائل وزينة القرون الوسطى ..

فلما مضى الموكب اخذ الشعب الاسكندري يقول ..

ــ عامل زي قبانية مينا البصل ... ده اصله شيخ زامة !.

ــ شنباته زي شنكل الجزار ...

الى آخره !.

وادرك العارفون ان الحركة الوطنية قد تحولت الى (زفة) عريسها السلطان احمد فؤاد وموائدها كراسي البرلمان ووظائف السلك السياسي ..

ثم اذاعت جريدة المقطم عزم السلطان (التقي) على الزواج ، ودفت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانكليز وبين جماعات الشعب في كل عاصمة وقرية ..

واخذ الناس يتحدثون عن العروس (نازلي صبري) واسرتها وجدها

الاول •• وكيف خطفت وكيف حبست ، وكيف هربت •• واختلطت احاديث الناس عن زواج السلطان باحاديثهم عن بطولة البلاد التي قامت فيها الثورة••

ما اشجع طنطا •• وما اعظم وطنية دمنهور •• ولله در اسيوط ومدن الصعيد ••

ولم أسمع من يقول (لله الانفوشي) وهو مسقط رأسي في حي راس التين •• وفيه يعيش منذ خمسة الاف عام (ارذل) انواع البشر كما قال علماء الشعوب •

ولم أكن من هواة تحطيم المصابيح او اشعال النار في الترام لانني لا أحب أن أموت (فطيس) برصاصة عسكري •• ولكنني اردت ان اشارك الثورة •• وطبقت فرخ الورق (جاير الجاير) على ثمانية اوجه وسميته (المسلة) •• ولما كان بدون رخصة كتبت في الرأس (المسلة •• لا جريدة ولا مجلة •)

ولكن ماذا اكتب في (المسلة) وانا لا اعرف شيئا في الدساتير او في السياسة ••؟

سلكت طريقة فتولت (الانفوشي) عندما يقررون هدم العرس ••

يكفي ان تحطم (الكلوب) او تضع لغما تحت (الموتور) الذي يدير المصنع•• لكي يمسي العرس في ظلام دامس•• ويتعطل المصنع كله عن العمل••

و (الموتور) هو السلطان احمد فؤاد •• والمناسبة حاضرة وهي قصة نازلي وما يقال عنها •• وعن ظروف زواجه بها •• ومن هنا كانت افتتاحية (المسلة) ! •

وهي على وزن اغنية سورية كانت جاءت حديثا الى مصر وانتشرت فيها ومطلعها ••

مرمر زماني ••• يا زماني مرمر •• قلبي تولع في هواك يا اسمر ••

ولها نغمة عذبة مرسلة .. وها هي الانشودة .

البنت ماشية من زمان تتمخطر — والغفلة زارع في الديوان قرع اخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامي — اسبق على القبة وطير قدامي
تلقى العروسة شبه محمل شامي — وجوزها يشبه في الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك — وهات لها الشبشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك — يطلع في طوعك لا الولد يتكبّر
العطفة من قبل النظام مفتوحة — والوزة من قبل الفرح مدبوحة

والاشارات يا ولدي والتلميحات مفهومة .. فالبنت هي نازلي . والغفلة هو احمد فؤاد وكانت شواربه مبرمة مدببة الاطراف . واما النونو القديم .. والعطفة .. والوزة .. فأمرها متروك لذكائك ..

وحدث يا ولدي ان ولد فاروق ، وبدأ الناس يتحدثون عن هذه الولادة بين اصوات المدافع ، وزحمة الولائم ، وقد قلت في هذه الولادة :

البامية في البستان تهز القرون — وجنبها القرع الملوكي اللطيف
والديدبان يرمح يجيب الزبون — وربة الجارية تجيب الرغيف
شوف الميراث حصل ولاد البطون — ودخل الاغراب (فاملية) علي
يا باديشاه دنت ابنك ظهر — ربك يبارك لك في عمر الغلام
نزل يلعلط تحت برج القمر — ياخسارة بس الشهر كان مش تمام

وكان احمد فؤاد قبل اعتلائه العرش يقيم في قصر اسمه قصر البستان..

وفاميليه علي .. يعني اسرة محمد علي ...

و (باديشاه) كلمة فارسية ومعناها السلطان ..

والشهر كان مش تمام .. ليست في حاجة الى تفسير، ومعناها ان فاروق ولد قبل مضي تسعة أشهر على الزواج .. »

هذه هي الازجال التي أثارت نقمة الملك وسببت في اعتقال بيرم وتفيه ، وقد بقي في المنفى نحو عشرين عاما •• وتشاء الاقدار ان تنتقم للشاعر من الشخص الذي كان السبب في نفيه وهو احمد محمد حسنين باشا مرشد الملك فاروق ورئيس ديوانه الملكي بعدئذ ••

لقد استطاع الموظف في القصر ان يتغلغل في اوساط العائلة المالكة ، حين تزوج لطفية كريمة صاحبة السمو الاميرة شويكار مطلقة الملك احمد فؤاد وام ابنته الاميرة فوقية ، وهكذا أصبح احمد حسنين ابن الشيخ محمد حسنين المدرس بصحن الازهر الشريف ، صهر الاسرة المالكة ، وزوج كريمة الزوجة الاولى لصاحب العرش والتاج •••

وسافر فاروق الى اوربا مع والدته نازلي ، وهناك نشأ غرام عنيف بين مربي فاروق والملكة الوالدة ، وانتشرت أخبار هذا الغرام في مصر ، وتناقلت أنباءه الاوساط الشعبية ، وكانت بعض الصحف الاجنبية تنشر عنه اخبارا مثيرة ، وكان الناس في حينه يتغنون بأزجال بيرم التونسي في الشوارع والمظاهرات ، وثارت ثائرة الزوجة في القاهرة ، فسرعان ما طلبت من اقاربها نسخة عنها ، فطبعتها ووزعتها يوم عودة فاروق وأمه الملكة نازلي ••

سمع حسنين (باشا) بهذا •• ثم لم يلبث ان جاءه الخبر بأن الملكة نازلي قد سمعت هي ايضا بمطاعن السيدة لطفية ضدها ••• وبالنشرات التي طبعتها ووزعتها وفيها ما فيها من تعريض بها وبزوجها الملك احمد فؤاد وابنها فاروق •• وذهبت نازلي وأعلمت ابنها فاروق ، وسرعان ما استدعى فاروق أمينه ليقول له :

ــ مراتك اتجننت يا حسنين ؟•• شوف لك طريقة معاها •• وبسرعة !!

وذهب حسنين الى زوجته وقال لها انها بتوزيعها الازجال في نشرات ، ارتكبت جريمة العيب في الذات الملكية •• وانها عابت في ذات الملك فؤاد ،

وعابت في ذات الملكة نازلي ... وعابت في ذات الامير فاروق ... وأن أقل ما يجب عليها أن تفعله الان انقاذا للموقف ـ وللمظاهـر ـ هـو أن تلتمس مقابلة جلالة الملكة نازلي وتنكر امامها كل ما هو منسوب اليهـا .. وتؤكـد اخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك ..

ولكن لطيفة لم تتركه يتم حديثه .. بل صاحت فيه :

ـ أنا .. أنا أروح لنازلي ؟

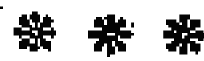
واندفعت تسب وتشتم .. في نازلي وتقول :

ـ واذا كنت عايزني أروح لها .. أنا مستعدة أروح .. بس راح أقول لها كل الكلام المكتوب في الازجال ..

وترك الزوج الزوجة وخرج ليفكر في هذا الوضع الصعب ، او الـوضع المستحيل الذي يجد نفسه فيه ..

رائد الملك .. ثم أمينه الاول ...

ولكن زوجته تطعن في ذات الملك .. وفي ذات أمه . وضحـى عشيـق الملكة بزوجته ، وأوقع يمين الطلاق .. واحتفظ بمنصبه وعشيقتـه الملكـة ، التي عقد عليها بأمر ملكي زواجا عرفيا ، كما روى في ذلك الحين .



بيرم والاسرة المالكة

لم يكن بيرم التونسي مجرد شاعر ينظم القصائد والازجال ويتكسب من أدبه ، كان يشعر في قرارة نفسه بأنه واحد من هؤلاء المصلحين الاجتماعيـين الانجراء الذين يجب عليهم ان يعالجـوا موضوعـات الحيـاة في المجتمـع ، ويفضحون المساوىء ، والمتتبع لسيرة بيرم التونسي لا يستطيع الا أن يـرى

أثر انتاج بيرم الادبي في تهيئة المجتمع للثورة على الفساد ، وكانت اسرة محمد علي في حينها رأس هذا الفساد ، فأحس بيرم بأنه يجب اعلان الحـرب عليهـا وهكذا فعل ، كان ذلك حين كان مجرد صبي بقال ، وقـد بـدأ هجومـه الجريء في عهد السلطان احمد فؤاد نفسه ، مرات بأزجال مكتوبة ، ومـرات بأزجال لم تنشر ولكن الناس كانوا يحفظونها ويرددونها في الطرقات ..

فقد شاعت أخبار غرام ابنة السلطان (الاميرة فوقية) من زوجه الاولى شويكار ، وكان هذا الغرام مثارا لاقاويل كثيرة ، وشائعات متعددة ، منها ان محافظ القاهرة (الباشا) على علاقة بالفتاة ... وعرف السلطان بالقصة فأمر بأن يتم الزواج فورا ، مقابل تعيين (الباشا) سفيرا في فرنسا ، وفعـلا عقـد القران سرا وصدر الفرمان السلطاني بتعيين محمود فخري (بـاشا) سفـيرا المملكة المصرية بفرنسا ...

نقل بيرم هذه القصة بأزجال مكشوفة لا يمكن كتابتهـا او تحريفهـا ، ونشرها في جريدته (المسلة) وتناقلها الناس ومن عبارات هذا الزجل :

اسمع حكايـة وبعدهـا هأهأ — زهر الملوك في الولد أو طأطأ
مالناش قرون كنا نقـول مأمأ — وناكـل البرسيـم بالقفـة
سلطان بلدنا حرمتـه جـابت — ولـد وقـال سموه فـاروق
فاروق فارقنا امال بـلا نيلـة — دي مصر مش عايزة لها رذيلة
دي عيشة بالقـوة وبالتيلـة — ومين بقـى يلحس دي التفـة
يا دايـة ليـه مانتش حدايـة — خدتيه ورحتي علـى الجبلاية
جبتي لنا خبره وتنـك جايـة — وندق لـك في البيت الزفـة
يا عزرائيل اخلص بقى تـاوي — نـاقص سوا وديـه عالنـار
وخـود كمان جوليا قطـاوي — ياما الزمـان كشفه الاسرار

بعد نشر هذا الزجل طلب السلطان القبض على بيرم وايداعه السجـــن ، ولكن بيرم كان اجنبيا فهو يحتفظ بالحماية الفرنسية بصفته تونسي ، وكـــان قانون الامتيازات الاجنبية يحول دون ذلك ، فاكتفي بتعطيل المسلـــة وجـــ اعدادها التي طبعت ..

لم يستسلم بيرم فسرعان ما اصدر بدلها صحيفة أخرى باسم (الخازوق)، وجاء في العدد الاول منها خبرا تحت عنوان (لعنة الله على المحافظ) وجـــاء فـــي الخبـــر مـــا يلـــي :

بينما كنت سائرا في طريقي (لا ليـــه ولا عليـــه) اذ حدثتنـــي النفس الامارة بالسوء ، وقادتني رجلاي اللعينتان الى العتبة الخضراء ، حيث يكثـر النشالون على الطريقةالاميركانية ، فتقدم مني نشال في خفة ورشاقة وسرعة . واتشل محفظتي ، فصحت بأعلى صوتي (لعنة الله على المحافظ) .

وعرف الناس ان بيرم يريد ان يسجل حادثة زواج محمود فخـــري باشا بالاميرة فوقية .. وعطلت المجلة . ومرة ثانية طلب السلطان حبس الشاعـــر ، واتصل بالسلطات الانجليزية التي ادركت بدورهـــا خطـــورة هـــذا الاديب فانتهزتها فرصة للتخلص من شروره ، واتخذ القرار بنفي بيرم الـــى خـــارج البلاد ، وحين سئل السلطان الى أي مكان يرغب بأن يستقر فيه الشاعر قال :

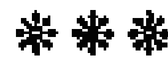
« ــ الى جهنم بس طلعوه من مصر ... »

كان بيرم يومذاك يسكن في حجرة مـــن بنسيـــون متـــواضع في درب الطواشي خلف بنك عمر أفندي بشارع عبد العزيز ودخل الى حجرته فيساعة متأخرة من ليلة عيد الاضحى بعد ان قضى السهرة مع بعض اخوانه واصدقائه، ولم يكد يغمض جفنه حتى سمع حركة قوية ودقا عنيفا علـــى باب حجرتـــه ، وقام من نومه فزعا فوجد البوليس المصري ومندوبا من القنصليـــة الفرنسيـــة ومعهم امر بترحيله الى فرنسا في التو والساعة ولم يمهلوه لكي يرتب حقيبته،

بل أخذوه عنوة الى الاسكندرية ومنه الى باخرة وجهتها مرسيليا وسنه اذ ذاك سبع وعشرون سنة .. شباب وثاب ، وآمال كبار ، ومستقبل يريد أن يبنيه ، كل ذلك انهار في لمحة عين ..

رحل وخلف وراءه اسرة واولادا ليس لهم من عائل ، ولا من معين . هنا دبت الحسرة في قلبه ، وهزت الكارثة نفسه هزا ، ولكن ماذا يملك وماذا يأتي او يدع ، فليترك أسرته في كنف الله ، وليكن ضحية افكاره ..

وقيض الله لزوجه واولاده من مد اليهم يد المعونة ، وعطف عليهم في أيام المحنة والبؤس والشقاء ، وهو رجل كان يشتغل بتوزيع الصحف في القاهرة والاسكندرية ، (ماهر حسن فراج) فاخذته النخوة وظل يبذل لاسرة المنفي المسكين ما يقيم اودها ويغنيها عن الحاجة مقابل توزيع الصحيفة التي كان يرسل اليها بيرم انتاجه .



في مرسيليا

ويصل بيرم الى مرسيليا ويندمج مع الخليط من جزائريين بائسين الى مراكشيين مضطهدين ، الى تونسيين مغضوب عليهم ، وهم جميعا يقاسون شظف العيش ، وذل النفي ، وعذاب التشرد ، ولا يجد عملا الا بعد جهد كبير حيث يشتغل عاملا يحمل على كاهله بعض صناديق البيرة ، وحقائب المسافرين الى باريس من مختلف البلاد ...

وهناك يشتد حنينه الى مصر ، ويبكي عيشه فيها ، ويذكر ثورتها التي كان أحد السنتها ، وهو الآن لا يستطيع ان يشترك فيها ولكن انى لليأس ان يعتري تلك القوة الجبارة ، او يصد ذلك الروح الوثاب ، ويذكر بيرم في المنفى السحيق ان صحفا كانت تصدر من النوع الذي يحبه ويميل اليه وهو

النقد اللاذع ، والتوجيه المستقيم في أسلوب سهل ممتنع ، وفكاهة محببة . وارتفاع باللغة الى مستوى لا يستطيع أي أديب او شاعر مهما سما قدره ان يتورع عن قراءته ، والاعجاب به ، ويختار من تلك الصحف صحيفة الشباب ويكاتب صاحبها ويتفق معه على ان ينشر ما يرسله اليه ، ويرحب صاحب الصحيفة بالعرض لان فيه كنزا ثمينا وثروة نزلت عليه من السماء ، ويبعث الى بيرم موافقا لكنه ينتهز فرصة بعده عن الحركة الادبية والسياسية في مصر فلا يمده الا بالنزر اليسير من أجر لا يسد الرمق ، ولا يكاد يساوي ثمن الورق الذي يرسل اليه فيه المداد ..

في هذه الحقبة من الزمن يكتب بيرم في الشباب آزجالا ومقامات وانتقادات وملاحظات في غاية الروعة والجودة منها ما وصف فيه حاله وبؤسه دون ان يغفل نقده وتوجيهه والالمام بحالة البلد في كل مرفق من مرافقها سياسيا كان او اجتماعيا او صحفيا او ثقافيا ... وهنا تتجلى عبقرية بيرم والهبة التي اختصه الله بها دون جميع الزجالين والمشتغلين بالادب الشعبي ، فلقد كان ـ رحمه الله ـ بعيدا عن مصر بعد المشرقين ، ولم يكن يعلم من اخبارها الا ما يقرؤه في الصحف التي يرسلها اليه صاحب الشباب ومع ذلك كان يرسل الزجل او المقال او المقامة او القطعة الشعرية ، متغلغلا في كل بيئة ، واصفا كل جماعة ، كأنه يعيش فيها ومطلع على جميع اسرارها وخباياها .

ولقد ارسل في طليعة ما ارسل زجلا عنوانه (عطشان يا صبايا) جاء فيه:

عطشان يا صبايا	عطشان يا مصريين
عطشان والنيل في بلادكم	متعكر مليان طين
ولا نهر الرين يرويني	ولا مية نهر السين
ودموع العين ما بتروي	نار القلب الحزين
دا سبع حكومات وانا وحدي	تهموني اشكي لمين

شدة وتزول يا معوض سبحان رب العالمين
يا بنت املي واسقيني كاسات البندكتين
فاضل على العتبة الخضرة خمسين يوم بالهجين

ثم يذكر ان الصحافة هي التي استهوته وان الادب هو الذي جره الى هذا المصير الذي لا يعلم مداه الا الله ، فيعنف نفسه ويعاتبها ..

دا جزات الهايفه اللي يعشق بنت الستين

ثم أرسل بعض الازجال الجارحة يعرض فيها بأسرة محمد علي وعلى رأسها السلطان احمد فؤاد منها :

ما قلتليش يا راعي الرعيان بقى لك ازمان
ازاي احوال الخرفان بتوع المجزر

وحين اصبح السلطان احمد فؤاد ملكا نفحه بيرم بأزجال فاضحة يمكن استعراض بعض ابياتها :

ولما عدمنا بمصر الملوك جابوك الانجليز يافؤاد قعدوك
تمثل على العرش دور الملوك وفين يلقوا مجرم نظيرك ودون
وخالوك تخالط بنات البلاد على شرط تقطيع رقاب العباد
وتنسى زمان وقفتك يا فؤاد على البنك تشحت شوية زيتون
بذلنا ولسه حنبذل نفوس وقلنا عسى الله يزول الكابوس
ما نابنا الا عرشك يا تيس التيوس لا مصر استقلت ولا يحزنون

وتذهب صرخته ، او صرخاته ادراج الرياح فيرضى بالامر الواقع ، ويرتب حياته على الوضع الذي قدر له ، لكن العقل الخصب والهواية التي تمكنت من نفسه ، وسيطرت على عقله ووجدانه لا يمكن ان تفارقه فيظل يتتبع الاحداث الجارية في مصر ، ويتعقب الخطير منها وما له أثر في حياة الشعب ، ويقرأ ذات يوم ان المرحوم عمر لطفي فكر في تكوين تعاون شعبي

يستطيع المواطنون به ان يتغلبوا على أزمة الجوع والعري التي انتابتهم من حرمان الانكليز لهم وتضييقهم عليهم، وأخذ خيراتهم ، وينجح ذلك المشروع، ويشترك فيه كثير من الكبراء والمفكرين ، ويضم عديدا من العمال والطبقة المتوسطة ، ويهول الانكليز هذا النجاح ، ويحسبون له الف حساب ، ويحاربونه بشتى الوسائل ، ولا يجدون الا رجال الطرق يسلطونهم ويحرضونهم على الكتابة في الصحف متهمين القائمين بهذا المشروع بأفظع تهمة يبرأ منها الاسلام وهي (البلشفية) ـ كما كانوا يسمونها ـ ، وتولى الشيخ التفتازاني وكان شيخ طريقة مشهورة ، ورجلا معروفا من رجال الدين قيادة هذه الحملة، فكتب مقالا في جريدة الاهرام يسب فيه ويطعن ويسفه اراء القائمين بالفكرة ، ويتهم الاستاذ عمر لطفي واصحابه بأنهم خوارج على الدين الحنيف ، ويرسل بيرم زجلا يرد فيه على هذا الاتهام وينشر الزجل وهو من أقوى ما خطته يراعة بيرم ، ولا يلبث ان يترنم به كل مواطن حتى ليتوارى الشيخ فلا يستطيع الظهور امام الناس ، وتنجح الحركة العمالية ، ويكتب الشيخ التفتازاني في قائمة اعداء الوطن اعوان المستعمرين .. وقد نقلت هذا الزجل من بيرم وعنوانه :

عالم ومسلم وبتعارض في فعل الخير

الحمد لله لا انا لتات ولا عجان ولا قريبي بوليس سري ولا سجان
« يا زفتزاني » كلامك كله باذنجان تبزق عليه الخلايق انسها والجان
جماعة شافوا الغلابة ميتين م الجوع حنوا عليهم وقاموا وضبوا مشروع
جي انت بتقول دا دين البلشفيك ممنوع ايش ادخل البولشفيك في نجدة الانسان
لا في الجوامع رأيت مثلك ولا في الدير عالم ومسلم وبتعارض في فعل الخير
مدام فضيلتك بتاكل كستليته وطير يبقى الدريس والدره والفجل للخرفان
طب انت مالك بتتفلحس وتتفلسف وتخش في اللي ماهو لك ليه وتكشف
هي النهار ده البلد لما بتتبلشف حاتجردك م القاووق والجبة والقفطان

لا والتلامة بتستشهد لنــا بالديــن ... انه أمر تبقى نص المسلمين جعانــين
ان كنت فاهم شريعة العدل عن لينين ... انظر شريعة نبينا نازلــة في القرآن
كان النبي والصحابة يجلسوا عا الارض ... مافيش لهم حد لا بالطول ولا بالعرض
مجمعين والفقير عند الغني له فرض ... والكل في الكل الا في الحرام اخوان
سيدنا عثمان ما كانش عنده رتبة بيه ... حتى الخليفة عمر كان يشتغل بايديه
ولا امامنا علي كان عنده الف جنيه ... ولا ابو بكر عنده ست الاف فدان
ولما تتوزع الحنطــة وصاع التمــر ... كان اللي ياخده بلال قد اللي يخده عمرو
والامر لله لوحده هو صاحب الامر ... ينزل سماوي لا ديكريتو ولا فرمان
اوجب عليهم اله العرش شيء معلوم ... يطلع ما فيش هرش للسائل وللمحروم
صار الكلام ده النهار ده في بلاد الروم ... والمسلمين اصبحوا لا دين ولا ايمان
يشغلوا الشحط في الجامع بستة ريال ... يكنس ويمسح محلات الادب عال العال
واخر الشهر يتحاسب علــى الاهمال ... يطلع من الدين والدنيا كمان خسران
ويبقى فيهم غني مفرد وصاحب بنك ... يشغل ابن الاصول طول النهار بفرنك

وتدور الايام دورتها ويحل عيد الاضحى بيرم وهو ينسكع في فرنسا ، ويمشي على غير هدى ولغير غرض في شوارع باريس ويتذكر وهو يسير على نهر السين أنه بعيد عن مصر التي أحبها بكل قطرة من قطرات دمه، وكل خطرة من خطرات نفسه ، ويرجع به الفكر الى يوم اخرجوه عنوة من بنسيــون درب الطواشي ، وان ذلك الدرب على ضيقه وقذارته احلى مئــات المــرات مــن الشانزليزيه ونهر السين وما احتوته باريس من جمال وفتنة واغــراء فيكتــب هذه القطعة الحزينة الباكية التي تعبر على قصرها عن مدى حنينــه وتعلقــه بــوطنــه مصر .

ولا جــواب جانـــي

يــوم الدبايـــح كـــان   اخــر مـــواعيـــدك
وقفــت لـــك فرحـــان   انصب رايات عيدك
وافرش لـــك الريحـــان   واسمـــع زعاريـــدك
زعـــق غـــراب البـــين   فضلـــت اكمـــانـــي
خيبـــة وامـــل ومـــرام   واعســـر ومتعســـر
يا ريتـــه كان في منـــام   يصبـــح ويتفســـر
او حكـــم بـــالاعـــدام   عالنـــاس ومسطـــر
ما كـــان تشوف العـــين   حالي اللي بكانـــي
عالسين يـــا مصر مشيت   ايـــداك يسليـــنـــي
عليـــه عبـــد جـــوليـيت   تركـــي علـــى صيني
يامـــا التقيـــت ورأيت   جســـال ينسيـنـــي
وافتكـــر الهـــرمـــين   تجري الدموع تاني
بعـــت لـــك جوابـــين   ولا جـــواب جانـــي

ويتجول بيرم في مختلف بلاد فرنسا ، ويقرأ في صحفها اخبار المصريـــين المنفيين فيها وفي غيرها من بلاد اوربا ، ثم تأتيه الانباء مـــن مصر بأن شهـــداء يسقطون كل يوم صرعى ضحية ظلم المحتلين وأعوانهم من المصريـــين فيكتب الزجل الاتي وصفا لهذه الحالة ، ولا ينـــى ان ينزل بسوطه علـــى الاعـــوان والمـــأجـــوريـــن .

تاولينـــي التـــار يا بهيـــة   انـــــدب عـــالميتـــين
اندب على اللي ما ارتاحوا   حتى بالشكوى ما باحـــوا
واخرتها انحطوا وراحـــوا   فـــي القبـــر صغـــيريـــن
اندب على اللي فـــي التربة   واللي فـــي بـــلاد الغربـــة
ناس هنه وناس في اوربا   دايـــريـــن ومـــوحـــين

الله يخلي الشيـــخ سمبـــو   واسيادنا بتوع الكابـــو
وسي زفت ومن كان جنبه   عـــا الطاولـــة مرصصـــين

***

عشرون عاما في المنفى

لقد ظل بيرم قرابة عشرين عاما يقاسي شظف العيش ، ولوعة الغربـــة ، ويحتمل ما لا طاقة لبشر ان يحتمله لولا انه كان مؤمنـــا ، قـــوي الايمـــان ، مستقيما أشد الاستقامة ، يؤكد الذين رأوه في أوربا أنه كان يؤدي الفرائض في وقتها ، ويصوم رمضان ولا يشرب الخمر ابدا ، ولقد ظل يرسل الاستعطاف تلو الاستعطاف الى ولاة الامور لكي يتوسطوا له لدى الملك الحانق فما ظفـــر بطائل حتى ان سعد زغلول حينما تولى الوزارة ، وسافر الى لندن لمفاوضـــة مكدونالد ، قابله بيرم في باريس ــ وكان سعد مـــن المعجبـــين بـــأدب بـــيرم المتذوقين لازجاله وانتقاداته ــ وقص عليه بيرم قصته فوعده بـــأن يتكلـــم في شأنه عند عودته الى مصر وفعلا كلم سعد الملك فؤاد في امره ، فثـــار الملـــك وقـــال لـــه :

ــ يا باشا لا تذكر هذا الاسم امامي ابدا فانه قـــد طعـــن في عـــرضي ، واذاني ولن اسمح بعودته ما دمت على قيد الحياة ، ولقد حاول عبد الخالـــق ثروت ، ومصطفى النحاس بعد سعد زغلول ان يعيدا بيرم الـــى مصر فكـــان فؤاد يثور ثورة عارمة ويغضب غضبا شديداً ..

ولكن ماذا كان بيرم يفعل في باريس ؟

في باريس اتقن الفرنسية ، وقام باعطاء دروس في اللغة العربيـــة لابنـــاء المغتربين من الجاليات العربية ، وكتب الفكاهات للطلبة ، وبعض القطع الادبية للصحف الفرنسية ، لقاء أجور زهيدة ، ثم بدأ يـــراسل الصحف المصريـــة ،

وكان اصحاب هذه الصحف يأكلون اتعابه ولا يرسلون له الا الزهيد لكي يستمر فقط ... فقد كانوا يعلمون حاجته الماسة الى المعونة .. لقد كسب أصحاب الصحف التي كان يراسلها بيرم اموالا كثيرة من رواجها نتيجة لمشاركته فيها ، ولكنهم كانوا لا يتذكرون بيرم .

وحين كان الشاعر يتذكر كل هذا يطلق آهة من اعماقه ويردد ..

ـ وماله المهم اني عايش رغم كل المآسي !

وحدثت في فرنسا أزمة بطالة ، فاضطرت السلطات الى ان تبعد الغرباء العاطلين ، فكان نصيب بيرم أن يرحل عام ١٩٣٢ الى تونس ..

في وطنه الاول عاش بيرم أربعة اعوام ، اصدر خلالها جريدة اسماها (الشباب) هاجم فيها اعداء الوطن العربي ، فثارت عليه ثائرة الحاكم الفرنسي هناك ، وهو قائد القوات الفرنسية الجنرال (جاملان) فقرر نفيه الى السنغال .. وهناك ايضا وجدوه خطرا على الاذهان ، فأخرج منها قاصدا بيروت على ظهر باخرة شحن ايطالية ، وكان يعلم ان بقاءه في بيروت لا يدوم طويلا ، ففكر في طريقة للتسلل الى دمشق ، فارتدى لباس اعرابي ولم يكن في جيبه ما يساعده على السفر ، فاضطر الى السير والتنقل في السهول والجبال وخاف قبل وصوله الى دمشق أن يفتضح أمره فتخفى في لباس راهب ذي لحية مرخاة ..

وضمته دمشق الى صدرها ، وعاش فيها مكرما عزيزا ، لم يقبل ان ياخذ معونة من احد ، وراح ينشر في الصحف لذعاته ونكاته وفكاهاته ، وزجله ضد الاحتلال والمحتلين ، وانتهى به الامر الى ان انذره المندوب السامي الفرنسي بالكف عن نشاطه الادبي ، ولكن بيرم لم يذعن لهذا الامر ، فسرعان ما اعتقل واعيد الى بيروت بعد ان اقام في دمشق قرابة اربعة اشهر ، وهناك اركبته السلطات الفرنسية باخرة شحن ــ دائما باخرة شحن ــ واعيد الى فرنسا تحت الحراسة ..

كان على هذه السفينة ان تمر خلال رحلتها الى بور سعيد ، واغتنمها بيرم فرصة ليغافل حراسه ، وفر من الباخرة بعد ان علق في عنقه صندوقا فيه بعض الحلوى التي يبيعها الصبيان للمسافرين ..

دخل بيرم ارض مصر متخفيا ، وكان من بين الوسطاء الذين سعوا للعفو عن بيرم كبراء منهم المرحوم النحاس (باشا) ، ولكن فاروق كان يرفض بعناد ، ويصر على ان يظل بيرم مبعدا وهو لا يعلم انه في مصر ، يتجول في شوارعها وينام عند كبرائها ، واخيرا سمح له بالبقاء بناء على تدخل حزب الوفد وزعيمه .

ويصف تشرده بعد عودته بهذا الزجل الرقيق فيقول :

غلبت اقطع تذاكر	وشبعت يا رب غربة
بين الشطوط والبواخر	ومن بلادنا لاوروبا
وقلت عالشام اسافر	اياك الاقي لي تربه
فيها اجاور معاويه	واصبح حماية امية
جاورت قاسيون(1)وجيرته	توحش ولافيهش حاجة
وعزرائيل انتظرته	ماجاش وجاني الخواجة
نافخ وسايق امارته	وقال لي:شوف السماجة
البر تحت انتدابنا	اخرج دي ما هش وسية
رجعت للبحر تاني	مخفور ورايح فرنسا
ولسه طعم البوداني	فاكره وانا عمري ما انسى
وان رحت تونس كفاني	عذاب انا والتوانسة
(جاملاذ) مخضر مدافن	للامة والامة حية
في بور سعيد السفينة	رسيت تفرغ وتملا..!

(1) « قاسيون » جبل في دمشق .

والبياعين حوطونا بكارت بوستال وعملة
لكن بوليس المدينة ما تزوغش من جيبه نملة
في بور سعيد والله حسرة ولسه يا اسكندرية
هتف بي هاتف وقال لي انزل ومن غير عزومة
انزل دي ساعة تجلي فيها الشياطين في نومة
انزل ده ربك تملي فوقك وفوق الحكومة
عشرين سنة في السياحة واشوف مناظر جميلة
ما شفت يا قلبي راحة في دي السنين الطويلة
الا اما شفت البراقع واللبدة والجلابية

***

الدنيا زحام

لقد ترددت في اشعاره ، معان مشتركة تدور كلها ، حول حظ الفنان من هذه الحياة وحظه هو منها . كان يتحدث عن زحام الدنيا قبل نفيه الى باريس ... فلما استقر في منفاه ، لم تغترب عواطفه ...

لم ير باريس الناعمة ، ولا باريس الانافة ، بل راى زحمة مراقص الزنج ... وحارات البائسين ، واذا عاد الى القاهرة من جديد بحث عن حظه ، وحظ الفنان في زحمة الحياة . رأى عربة فسخر من ركابها ، وأشفق عليهم ، ثم صفت روحه ، وهو يرسم مصير الفنان ..

يا ريس الفن يا سارح بارغولك ، طالب من الله ..
ان شفت بين القبور ميت يناديلك ، اجرك على الله
زمر على بلوتك واجمع هلاهيلك ، وتوب الى الله ..
طالب من الله ، وليه طالبه ، العبيد منك يا ليل يا عين ...
اجرك على الله ، لا أجرك على فنك ، الفن دا زين
زمر على بلوتك ، الله يزيح عنك يوم الحساب دين ..

المغني الفنان ، السارح في وادي الصمت بلواء هذا الفن . ولكن كيف يربي الفنان مواهبه التي رمته بها الاقدار .. بالاحساس .. وتأمل الطبيعة والدراسة ... وفي هذا الصدد يقول بيرم :

يا طالب الفن افتح أي كتاب في الفن واقراه ...
يا مطول الشعر ، ومشلشل بدلوتين وميلم ..
شوف النجوم في السما متوجهة على فين واتعلم ...
وشوف بكا العين وضحك الفم في الاثنين واتكلم ...
واسمع نغم من عواطف وقفة على سلم .

★ ★ ★

ثم يجمع بيرم خطوط اللوحة كلها في كلمات قليلة :
ورد الخدود فن ـ فيه الفن يتغير
طول القدود فن ـ فيه العين تتحير
وكل شيء في الحياة بالفن متسير ...
يا طـالب الفـن !..

ولو كان لنا ان نتصور اهتمامات بيرم بخيوط مـن نور ، تبحث عـن مواقع معينة ، لكان اولها هذا الخيط الذي كان يبحث عـن حظوظ الناس ، فعند خروجه من مصر واثناء شقائه في باريس ، كان مشغولاً بحظه هو وحظ الكثرة الكاثرة من غير الفرنسيين ، وعندما سمع الاذاعة المصريـة لاول مـرة انتفض حنينه الى الوطن ، وكان لا يزال طريدا مشردا ...

ارض الحبـايب بعيـدة	يـا لهفتـي عالحبايـب
قالـوا المحطة الجـديدة	حـرر عليهـا العقـارب
تحظـى بمصر السعيـدة	عنـدك في أرض المغارب
جبت الجهـاز أمريكانـي	بالديـن ومبلـغ يساوي
يـا مصر فالـك مبـارك	يا قايمة من بعـد نومـه

خليتـــي صيتــك يشارك لنـــدن وباريس وورومــه
انـــا الـــرزيـــل المعـــارك لاجلك عشقت الحكومـــة
اللـــي بنت لـــك محطـــة فـــي المحجـــر الزعبلاوي
حطيت على القلب ايــدي لمـــا سمعـــت المنـــــادي
ولهـــان وناكر وجـــودي في وادي والنيـــل في وادي
أقول له شنف يا سيـــدي ياما انتظرنا الساعـــة دي
احنا اللي بلايبــين عطاشة هات اللي عندك يـــا راوي
صوتـــه الحنين قربه لـــي مخنوق وفي الحلق شارق
حسبته في الوجـــد مثلـــي يبكـــي وفي الدمـــع غارق
ولا احسبوش حس طفلي يبكـــي في اربـــع مفارق
فيها الترامـــواي يرطـــع والرعـــد من تحتـــه داوي
(رفعت) (١) بدا في القراية وانا اللي (رفعت) سباني
دارت عليـــه الـــرحايـــه احسبهـــا في بيت جيراني
احلـــف مـــا فـــرت ايـــة ولا فهمـــــت المعـــانـــي
درسني صوتك يـــا رفعت وانت اللي صوتك رهاوي
وبعـــده قـــــام المغنـــي فتـــح لـــه الراديو عالـــي
واسمع معـــاه الف جنـــي في الاوده واقفـــين قبالـــي
صوتهم يطشطش في ودني ولا طشيشـــــس المقـــالـــي
فضلـــت آفـــت واقفـــل لمـــا بـــريـــت المـــلاوي
يا مصر مغـــرز وجالـــك ما تلتقيش فيـــه مجامـــل
احلف بشهـــرة جمالـــك ماركوني (٢) بالعند عامل
شمـــر دراعـــه وبنالـــك محطـــة مـــن غير فرامـــل
تصـــود وتلـــود وتربـــع زي الحمـــــار الحصـــــاوي

وفي تونس يندب بيرم حظه ويندم على ما فرط منه بسبب بعده عن مصر، ويقرأ في الصحف ان الفوضى ضربت اطنابها وان الادباء قـــد انساقـــوا وراء

(١) المرحوم الشيخ محمد رفعت .
(٢) شركة ماركوني التي ادارت الاذاعة أول نشاتها .

الاغراض والاهواء فيرسل هذا الزجل ، وقــد نقلته مــن فقيد الادب عباس محمود العقاد ..

انــا اتلهيت وخــدل زندي　　مــانيش نبــي الله غانــدي
ان كانت الغلطــات مــن دي　　يكون في عــون اللــي عاملها
ان كان على السجن دخلنــا　　وان كان علــى الملــح اكلنا
والصــوم نحلنــاه ونحلنــا　　خلي اللــي فاضل لرجالهــا
يــامــا نطــح شاعر قبلــي　　واللوح كتب له اللي كتب لي

ويقول عند وصول نجيب الغرابلي باشا الى الوزارة وكان أديبا معروفا:

واشمعنى شعرك يا غرابلــي　　خــلاك تصــوت مــن غربالها
انا اللــي ضليت في جهــادي　　وغشنــي حســن الــوادي
وهبـــت للنيـــل ولادي　　مــن بعــد ما عمــرو دخلها
يــا آم الكوانــك والدلتــا　　حتعملــي طــرشه لامتــى
مــا تغــيرت كلمــة زفتــي　　والــدنيا راقــت احوالهــا
قالوا اللي يشرب من نيلــك　　لا بد يرحــل ويجــي لــك
وانا اللي عطشان في سبيلــك　　الــدنيا ايــه اللــي جرالهــا
باريس خلاص صبحت خربة　　اللقمـــة فيهــا بمضاربــة
وانا اتــرميت وسط مغاربــة　　الضــرب والكــرب قاتلهــا
مضــاربــة الــزز فــاشوكة　　يــاوز تــربط بــه فلوكــه
ياكل معاهم شكشوكــة (٢)　　تشمط وتشوي اللــي ياكلها
لا سطل خــروب يسعفنــي　　ولا ابــن نكتــه يكفينــي
مــا يقصف العمــر ويفنــي　　غــير الخــلايــق بعبلهــا
يــا مصر هجــرك يكفانــي　　يــا عاملــه قمع وناسيانــي
دا يوم ما ارجع لــك تانــي　　حاتبقــى راجعــة برسنالها

(١) الشكشوكة طعام مغربي ويخلط به الفلفل والشطة وجميع التوابل .

(٢) هو الاستاذ عبد المنعم ابو بثينة الذي لقبــه حسين شفيــق الحصري اميرا للزجالــين .

ولم يغب طيف مصر عن بيرم وهو في تونس كما لم يغب عنـه وهـو في فرنسا فقد ظل يتابع الاحداث كما كان يفعل ويتطور بتطور الزمـن ويجـري وراء كل واقعة كأنه موتور يواصل دورانه ..

وترد الانباء بأن في مصر ازمة مساكن لان جنود الاحتلال ملاوءا العاصمة فيتخيل بيرم هذه الصورة الفكهة الرقيقة التي يخيل لمن يقرأ زجلها انه كلام مرسل لخلوه من التكليف .

شهرين ادور وادعبس في البلد على بيت
للاجرة دور عالسطوح اوده أرضي يا ريت
بالاختصار اني برضاك بعد مـا لفيت
على مشايخ الحواري والسمـاسرة لقيت
خبطت عالباب واسمه بيت علي العلاف
فتحت في ايدها الاساور واحدة قلت عواف
ماهش هنا سي علي قالت دا في الارياف
وعايزه ليه قلت مستأجر هنـا انـدليت
قالت دي اوده يا اخويا في الدور المسحور
زايدة علينا واهي فاضية سنـة وكسور
عايز الافندي يسكنها امـير مقصور
ولك مره ولا عـازب قمت انـا كحيـت
قلت لهـا عازب يا ستـي انما صايـن
ديني وعني اسألوا قـالت اهـو بايـن
ان كنت لك رغبة ادخل حضرتك عاين
خشيت وسكت ورايـه بعـد ما سميت
الست فوق صدرها التوب الحرير زاناه
والطرحة فوق صدغها زي القمر في سماه
وحرفهـا بالمقور والحـرير شغـلاه
رأيت انا الشكـل دغري عالنبـي صليت
بصت وقالت تعالى عـن يمينك خش
شقتنا قبله وشوف بيت الادب والـدش

قلت لها انا كل شيء مقبول عشان دي الوش
اياك يكون لي نصيب قالت يا خويا ياريت

الدش اهه شاضنايا لو تحب حمـــوم
وتجيب غسيلك اذا مـرة قلعت هـــدوم

وأي شيء يلزمك خبط علـــي أقــوم
افتح لك الباب ولو وش الصبح خشيت

وبالقصد كله الوض قلت لها انا استكفيت

خشت وفاتتني واقف في الصالون مده
جابت معاهـا بقـى المفتـاح والعـده

والاوده دي عالسلالـم قفلهـا صده
ساعتين تعاقر واخرتهـا افتح بالـزيت

راتها زنزانـة فيهـا بالكثير متريـن
وملــه مدغدغــه وقمــاص وصحارتــين

والعنكبوت اللي يهندس قاسمها دورين
رايت انا الشكل دغري قمت انا اتخضت

ضحكت وقالت دي مهجوره بقى لها كثير
ركك عليهـا امـا تتبيض بحبـة جـير

وشين ثلاثه وبلاطها يتمســح يا أمـير
يصبح جايبك عليهـا قلت والله هـويت

بستان وندمان يا ريت الحبيب معنـا
ولما تلقى الحبيب تلقـى العمـى معنـا

يا عين ادي اللي انتي طالبه وبس يمنعنا
منامه تعمي المفتح آه يا ريتني مـا جيت

كان وهو في مصر قبل النفي يرسم باروع التعابـير والكلمـات صورة الاحياء البلدية ، والعادات الجارية بين الشعب ، يسخر ، يضحك ، يواسي ، يغتاظ ، يعنف ، يهاجم ، ثم يعود الى صفاء الاحساس بالصور ، في وصفه يضم بيديه مائة فرشاة وفرشاة ، وفي ضربات قليلة يقدم لنا معرضا لعادات العصر ، ومنها هذه المقطوعة الزجلية لمختلف الالوان التي تخفيها عيون النساء ..

العيـــون

من العيـون يا سلام سلـم   شـــوف واتعلـــم
تحـت البـراقـع تتكلـم   والـدنيـا نهـــار
عيون تقول لك قصدك ايـه   بتبحلـــق ليـــه
ما لكش شغـل تعس عليـه   يـا راجـل يـا حمـار
وعيون تقول لك انا عارفـاك   والنبـــي مـا انسـاك
من يوم ما شفتك م الشبـاك   يـا جـدع يـا صغـار
وعيون تقول لك روح يارذيل   يـــا بــو دم تقيـــل
يا بـاي كبـه في المخاليـل   يـا مـا همـة كتـار
وعيون تقول لك بالمحسوس   انــا عـاوزة فلـوس
وان شاالله حتى تحوس وتدوس   انــا عـامـلاه كـار
وعيون تقول لك امشي يا واد   انـــــا ام اولاد
وعيون تقول لك عندي ميعاد   ويـــا المســـار
وعيون تسبل فـوق الخـد   دي جـــد في جـــد
وعمرهـا مـا تكلـم حـد   دي عيـــون احـــرار
وعيـون مـا تعرف زعلانـة   او فـــرحـــانـــة
صباح مسا أهـي سهتانـة   وصـاحبـــة افكـــار
وعيون لها ضحكـة في وشك   بســـس تغشـــك
وتبص مـن تحت اليشمـك   تلقـــى المنقـــار
وعيون كـده يبقم ساهتين   صفـــر وبـــاهتـــين
بالشكل ده عيون الخاينـين   تضـــرب بصفـــار

ونسير في معرض بيرم ، الواسع ، المتعدد الدرجات واللوحات ، وسيرنا في هذه اللوحة الصوفية البارعة ، اعترافه بالمرأة مشيدا بعظمة الخالق المصور المبدع ...

النســوان

فـ كـل عام للـورد آوان   الا النســـوان

بقدرتك تأتين الوان ... ابيض واحمر
وانت اللي تعلم وانا اجهل ... ايه فيه اجمل
من دي الخدود اللي لاتدبل ... ولا تتغير
ودي العيون اللي اشهد لك ... بها واسجد لك
دي خلت الطاغي انقاد لك ... و المتكبر
والشفتين اللي فالقهم ... كنت خالقهم
للابتسام والا رازقهم ... دائت تحير
بذمتي انت اللي جاذبني ... يا معذبني
وياللي ذوقك يعجبني ... لما تصور
لك صنعة في العين والحاجب ... بها تعاجب
ونقول وجود الله واجب ... مين به يكفر
ولك قوالب في الاجسام ... غلب الرسام
يقلدك بحجر ورخام ... يلقاك اشطر
يا ست يا ام زناق محبوك ... وقميص مفكوك
حطي على القلب المشبوك ... ايدك يعمر
ويا ام نص ملاية حرير ... والنص يطير
على الكتاف انا عقلي صغير ... غطي المرمر
وياللي ساقك يسوى رقاب ... حارت الباب
في لون حقيقته ان كان بشراب ... ولا مقشمر
وياللي خصرك له حركات ... تقفل شركات
ويضج منها (داود بركات) ... لما يحرر
وياللي لابسة لي جواتي ... اربعة سنتي
في ايه خفيتي وبينتي ... لي ما يظهر
ويا ام شمسية يا عايقة ... على فين سايقة
يا مرشقة الوردة اللايقة ... عا المشجر
هواكي بالياسمين هافف ... وحلق رافف
يصافح العقد اللافف ... على دي المنحر

---

(١) داود بركات : رئيس تحرير الاهرام في حينه .

يا مسلمين الله يا حريم	انا مالي غريم
غيركم اروح وياه فجحيم	يوم المحشر
الدنيا والنسوان وخلاص	والرجل لاص
لا طيلة ينفع ولا بلاص	لو يتكسر
عليه قفا عايز الخية	وخلقة ردية
وجتته المشعرانة	حاجة تقشعر
والا الشنب والدقن ياهوه	مهما حلقوه
باين وعاوز لعن ابوه	برضك اخضر

ثم يقل امير الشعراء قوله المشهور عن بيرم بانه لا يخشى على الشعر العربي طغيان احد او شيء ، الا بيرم وادبه الشعبي ... لم يقل ذلك اعتباطا ، فهو يعلم بان هذا المصور المبدع قد استطاع ان يكون شاعرا حقيقيا ، ولكن بلغة غير لغة الشعراء ، هي اللغة العامية السهلة المبسطة المفهومة ، وبيرم التونسي احب المراة وقال في حقها مئات القطع الزجلية ، فهو تارة يعنفها ، واخرى يطالب بتعليمها ، واحيانا كثيرة ينقد تصرفاتها ويحمل عليها بعنف ، وهو رغم حبه لهذه المخلوقة ، لا ينافق او يداهن ، انه يقول الصدق مهما كان الثمن ..

ولنقرأ له هذه لقطعة التي يفتح فيها الطريق امامها لتربية اولادها فيقول :

ما تضفيش للعيال الاكل بسنانك
والنفخ في الاكل سم ، في عرض ايمانك
مرة جهولة ، حمارة ، خصلتك سودة
ما تسمعيش الكلام ، تنشكي في لسانك
ان عيط الواد، وقال لك اشتري نعناع
وحمصية ، ونبوت الغفير ، وبتاع
اوعك تطاوعي كلامه واعملي طرشة
دا السقم ، والسم ، اصله من ايد البياع

وان قدر الله وكان عندك ولـد عيّان
ما تحطوش بين خواته دا العيـا دفـان
وابقي عملي زي ما يقول الطبيب عليه
وتمنعيه رم الطبيـخ وترتبـي اللبـان
شيلي يا بنت الحلال الابرة من المسند
ليتكسر سنها فـي ايد الـولد اسعـد
شيلي ترني الابرة مـا تحـوميش أبدا
مش فاكرة يوم شكت سعدية أم احمـد
وان كان في بيتك شوك والا معاق بقص
خافي عليهم ليبقـوا كـل يـوم في تقص
واغلي لهم المية لما تغسلـي المواعـين
ونضفي البيت، وخلي الاودة ترقص رقص
وبطلـي قولـة العفـاريت والغـولة
ليطلع الـواد عبيط والبنـت مخبولـه
ما تعرفيش الكـلام ده يتلف الاولاد
ويفرجوكي المـرار ، وتعيشي مخبولـة
حاتعملـوا ازاي لمـا تصبحوا عيلـة
واتتم بتاخـدوا الجنيـه بتفرقوه بليلـة

ويحاف يبرم على احساس المرأة المرهف ، فهو يعلم ان زجلـه ينشد في الدور والقصور ، وفي المدن والارياف ، من اجل هـذا تجده بعـد ان يعنف يبادر الى الغفران

يـا ســت

اهـلا وسهـلا مـن قلبـي
كل ما اشوفـك
اقولهـا واطلب مـن ربـي
لمـس كفوفـك
جسمك في فستان السواريـه
عريـان نصـه
لـو كنت افصل بست عليـه
ايـد مـن قصه
ولمشيتـك في ساان استناهو
بالمتجـر جـر

قـالت جميع اهـل الكازينو — اللــه اكبــر
والخطـوة لمــا تخطيهـا — واحـدة اتنينـه
اقـول يـا رب تكفيهـا — شــر عنينـا
وشعـرك اللـي الفن لـواه — يـا اصلـع يا ني
لو كنت اعرف الاسطى كواه — والا كـوانـي
ونظرتـك مـن تحت لفوق — كـده للراجـل
تخلـي بارومتـر الشوق — طالع نازل ! ...
امـا اللـي زود في جمالـك — ونصب قامتـك
وشوق النـاس لـوصالـك — تقـل عظمتـك
والشفـة لمـا تعضيهـا — يـا ام جواتنـي
دي نايـة وبتفكريهـا — شفتـك اتنـي
يا مجلـس الانـس اجمعنـا — بينـات حـوا
دول نصنا وعظـم ضلوعنـا — وبيـه تتقـوى
يـا مجلـس الانس تضلـم — لمـا نجـومك
تغيب ونسهـى مـا تتكلـم — غـير في همومك

ان زجل بيرم الوان وصور لهذا القطاع الواسع من حياة الشعب ، انـه الشاعر ، الذي لم يستطع الهرب من بيئته ، ولم يستطع ان يتذوق حياة طبقـة أخرى غير حياة المغمورين ..

وزجل بيرم خاصة ، وثيقة ادبية ذات مكانة ، فعلى لسانه اجتمعت قـوة التعبير الخارقة بهذه الكلمات العادية التي يلقيها كل لحظة ، ومن قلمه الساخر خرجت أبرع المقاطع الشعرية التي تصف دقائق البيئة ..

يقول بيرم عن أسباب ولوجه ميدان الزجل :

كان استعدادي الفطري للتمرد على البيئة القذرة التي أعيش في ظهرانيها، وأرى عيوبها الاجتماعية والامراض المتفشية فيها ، فأخذت أنظم الزجل فـي بعض الاحيان ، وأنتقد بعض التصرفـات ...

كان بيرم يعتقد ان الزجل أقرب الى افهام العامة من الشعر الفصيح ، وكان يرى زجله ينشد في الشوارع والدور والمقاهي وفي كل ركن من أركان القطر المصري ، فيعمد الى الاكثار منه ، من أجل ذلك نراه يستخدم الفاظا وعبارات طريفة كل الطرافة ، تعج بخفة الروح والظرف ، وماقدم صورة لا تحتاج الى شرح لانها أشبه بالفيلم السينمائي الضاحك الذي لا يحتاج الى تفسير ، هذا فضلا عما نلاحظه ، وتحس به من المهارة في التصوير والابداع في اختياره للاوضاع المناسبة ، واللقطات البارعة ، التي تثير الاعجاب ، بل الضحك على ما فيها من مواقف مسلية ومشجية . مثل قوله :

بيت رضوان

سكنت بيت جوه حارة اسمه بيت رضوان
فيه كل ما تشتهيه ، الفشة والمصران
من الصباح للغروب ، اهجم على الديدان
ومن الغروب للصباح ، آجري ورا الفيران
في أول الشهر صاحب الملك وصاني
على الملاقي ، وحفظني وقراني
قال اوعى حاسب تعيد الحظ من تاني
لان يوم طب فيه واحد وكان سكران
رضيت ، ومن يرضى حتى بالعذاب يرتاح
وفضلت وحدي ، ماليش صاحب غير المفتاح
بعيد عن الشر ، جاني اول استفتاح
تهمة غرام ، وادعتها اوحش الجيران
جارة عجوزة ، ولكن عايقة غندورة
حاطة السنان الذهب ، والقمطة عالقورة
اولادها جدعان ثمانية ، والبنات طورة
وجوزها مستهوي ، مقطوع النفس دهبان
الست بتحب سرا ، واد مجاور شيخ
يومي على الله تدخل له بصحن طبيخ

رخر يجيب الهدية ، م الاجـازة فسيـخ
لا القرع يظهر ، ولا قشر الفسيخة يبـان

اما العدول اللي شايف دي الغـراد جارة
عرجة ، وفوق ظهرها كمبور ، ومكـارة

خلت فضيحة انولية شايعـة في الحـارة
وناوية تصبح تبلغ جوزها فـي الدكـان

سمعت رفيقة المجاور دى الخبر في الليل
وجوزها داخل في ليلة جمعة ، عنده ميل

شهقت ومالت وضربت صدرها بالحيـل
قال جوزها مالك ما هي الدنيا بخير وامان

قالت: جابوا لنا جدع عازب، وحطوه فوق
جدع يا بو فرغلي ، بارد ما عندوش ذوق

تبعني نوبة مـن القلعـة لبـاب اللـوق
نهـار ما جيت ازور البنت في حلـوان

والليلة جالي نخـده بنفسي النـور
وهو على البسطة في الضلمة وانا في النور

دعس عليه ، لا يا ساتـر لا ولا دستـور
مالحقتش اتغطى، والبارد ضحك لي كمان

اهي، اهي... ينضرب، قادر، ما يوعي بيات
اهي، ... وينشك في قلبـه ولا يتغـات

وينضرب زي ماخلانـي قاعدة وفـات
وشافني من فوق لتحت ، الصايع الندمان

سمـع صحبنـا الحكايـة تنتـه طالـع
على السلالـم ، وعينـه قصهـا والـع

خبط ، فتحت ، القى ده راجل كبير قالع
وماشي حافي ، وفي ايـده عصا خـرزان

اول ما شافه وشي قال: يلعن ابوك خنزير
وابو اللي جابك هنا، عبد الله افندي بكير

وابو اللي بيجي يحامي لك ، كبير وصغير
بارد ، قليل الحيا ، دمك صحيح هربـان
عشرين سنة، ما ابن آدم شاف حريمي يوم
وبيتي جامع ، ما فيه غير الصلاة والصوم
حتى ابندت واتعيان نايمين على ذي العوم
وازاي ما تدخل في بيتي والحريم عريـان
اطلع لي بس كـدة ، بـره وانا اوريـك
واجيب لك ابني الكبير عبد اللطيف يعميك
وابني كامل افندي ، في البوليس ياذيـك
تفيت ، وقلت : استعذ بالله من الشيطان
على أيه يا عم البوليس والنخوته والهوجة
احلف يمين اني في الدخلة وفي الخرجـه
ما شفت في البيت دا عمري غير مره عرجه
ووواد مجـاور ، بجبـة اصلهـا قفطـان
ردت ، وقالت لي : منك يا جدع للـه
انزل ، يا بو فرغلـي ، دا شغل انا عارفاه
انشاء الله من جاب سيرتي ينضرب في حشاه
وتخوض في دمه اليهوده والمسم[illegible]
نزل ، وقال: حابقى اشوف شغلي انا بعدين
واجعص جعيص يتسم لك ، والا يضرب عين
عن اذني حطي صوابعك في عينيه الاتنين
باقول على علو حسي ، قـدام الجيـران

نورد فيما يلي (اسكتش قصير) يدور بسرعة ينقلنا من مشهـد الـى اخر ، ونحن نريد ان لا ينتهي هذا المشهد المسلي الخفيف ..

لوكانـدة الحاج سالـم

نزلت في مصر مستخفـي ، فقـير وأديب
دخلت لوكانـدة مفتوحة لكـل غـريب

تعلق الحاج سالم نعمـة اللـــه حبيب
راجل معلم ، مكمـــل ، تربيـة كتـاتيب
قال المعلم يا واد ! شوف الزبون دا أمـير
اعطي له في نمره خمسة في البريمو سرير
وخد له وياك كمـان القلـة والبشكـير
واعطي لــه اكبرها ما عندك من المراكيب
الساعـة دقـت ٣ بعـد نص الليـــل
والفلاحين جم كتار شالوا اللوكاندة شيل
الخدامين يرمحـوا عالسطح زي الخيــل
طالعين يلموا الفوط في الفجـر بالقباقيب
اما المصيبــة اللي خلتنـي قـوام سنحت
صاحب اللوكاندة مشغل في اللوكندة تخت
ولاجل ما تتم افراحنـا وحسن البخـت
باب اللوكندة من الباب الحسينـي قريب
شارع عمومي ، عمار ، فيـه تلتميت بياع
وفيه قهـاوي ، ملانـة للصباح صيـاع
لهم وحايد ، ونكتة ، تجلـب الاوجـاع
غير القرف والصداع من دوشة المجاذيب
واحد يقول يا عنب لـنا أنـت فيومـي
والثاني يا ناس يقول التين دا برشومـي
ودوكها يصرخ يقول سرك يـا بيومـي
يا قطب يا غوث ياللي يندهك ما يخيـب
اما السرير نمره خمسة كان عداك مبلول
وكل قملـة تزيـد علـى فلبان الفـول
والبق ده كـل بقـة زي عـين الغـول
تسمع لها من بعيد فـوق الملايـة دبيب
طلع علينا النهار واحنـا في قلب دمـاغ
سألت كام البياتة قاللـي عشريـن صاغ
وان كنت بايت هنـا تانـي تحط بـلاغ
قلت البياتة دي عدت ، واللقا دا نصيب .

وينقلنا بيرم الى هوليوود ليصور لنا السينما الجديدة والمصايب التي جرتها على الجيل فيقول :

هوليود

هوليوود خربتي عقول الناس — اشكال واجناس
لا ذوق باقي لهم ولا احساس — ولا دين ولا طين
كل المعابد خربانة — أي ديانة
واتتي صلاتك عمرانه — يومي بملايين
الدين يقى حب واشواق — وغزل وعناق
واهو انتهى بزواج وطلاق — من غير مآذين
مستخدمة جن سليمان — طالعة بألوان
سجد لزخرفها الشيطان — شيخ الشياطين
جريتا جاربو بقت يا بنات — والا يا ستات
فوق القياصرة والبيوات — وفوق السلاطين
اول ما تظهر تسريحه — وحركة قبيحة
تمشي بها الست سميحة — في دراع مي أمين
وبنت مدبولي الجزار — بمايوه عالبار
عشان تقلد هيدي لامار — تشرب طزازين
هوليود وانا هنا في بلادي — بالسينما دي
خربت بيتي واولادي — طلعم صايعين
ومنين اجيب من غير لازمة — تلاتين جزمة
في الشهر لمراتي وحزمة — من دي الفساتين

لقد منح بيرم التونسي حسا مرهفا ، وقريحة وقادة ، وذهنا لماحا . فاذا رأى ما يثيره عبر عنه بواقعية لا تخطر على بال .. يطلق لخياله العنان في تصوير المرئيات او الاحداث الي تمر به ، فيأتي بيانه صورا رائعة ، وكأنه فنان واقعي ... يدخل المعرض الصناعي الزراعي ، فلا يخطو بقدمه الا ليضع اللمسات في الصورة بكل تفاصيلها ؟

حالي انا له العجب • واتعجبوا يا نـــاس
تتفرج الناس على المرض وانا ع الناس

وحين يصور ، عاملا مسكينا وهو عائد حزينا من عمله ، بحالته المعنوية، وشكلـــه ، وهمـــه :

عم ابراهيـــم راجع حزين مـــن شغلـــه
ماشي علـــى العكـــاز ، ورابط رجلـــه
شايـــل رغيفـــه تحـــت باطـــه وفجلـــه
يـــا رب الطـــف بـــالغلابـــة ، وبيـــه

وهذه قصة سمعتها منـــه ، وهـــي قصة واقعيـــة جـــرت حوادثهـــا في اسكندرية •• مطرب فقير ، ترك ولده مريضا وجلس في مقهى انتظارا لصديق يقرضه ثمن الدواء • فيطول به الانتظار ، ثم يأتيه الخبر بأن ابنـــه الوحيـــد مات ، كان بيرم الى جانبه حين تلقى النبأ فانهـــارت دمـــوع بـــيرم ودمـــوع الفنان ، وتشاء الاقدار ان يأتي في هذه اللحظة رجل يساومه على احياء ليلـــة طرب ، وينقده جنيهين • فيأخذهما ، ويذهب الى بيته ليجهز ولده للقبر ، ثـــم يعود بعد دفنه ليحيي حفلة الغناء ••

والمطرب معروف ، وقد أصبح بعد ذلك من الفنانين المرموقـــين ، كـــان المطرب يغني وبيرم يبكي ويكتب هذا الزجل الذي لا يمكن وصفـــه بأكثـــر مـــن حقيقتـــه ••

آه عاللـــي قاعـــد قـــدامكم — لـــه نفس ملوك
وشكلـــه ظاهـــر لعيونكـــم — اول صعلـــــوك
العصـــر قـــاعـــد عالقهـــوة — مش لاقي القوت
جاته اللي قال له علـــى سهرة — ابنـــك بيمـــوت
بـــين العشا كـــده والمغـــرب — راجـــل جـــزار
داخل يفتش علـــى مطـــرب — ولقـــاه في البـــار
طلـــع علـــى التخت وفمـــه — بـــاسم فرحـــان

وكل ما ينوح من همه — يقولوا له كمان
في سهرته الناس اتهنوا — على لحن نواه
وحقهم كانوا يبكوا — وهوه يقول آه

ويصور بيرم الزواج الفاشل ، بين امرأة غنية ورجل فقير فيقول :

ان كنت يا ابن العرب راجل فقير وعفيف
فوت الجواز للغني واقعد وحيد وشريف
دي العفة غالية ولكن تنشري برغيف
والفقر يرمي العفيف في اوسخ الاوحال

في مدينة النور

كتب بيرم ونظم وألف المقطوعات الشعرية والزجلية والنثرية والمقامات في باريس ، ولذا كان معظم ما خطه الشاعر قد ذهب بذهابه ، فان بعضه موزع بين الصحف القديمة وأوراقه ، ومن انقطع الزجلية التي نظمها .. مقطوعة يدون فيها مشاهداته بفرنسا بهذا التصوير الجميل ..

فرنسا

قضيت حياتي غريب في أرض فرنسا — يا ويحه من يدخل فرنسا غريب
لقيت كلام القوم شهد مكرر — لكن عيونهم تشتعل لهساليب
مليون أوتيل مفتوح ، يآووا جنتنا — وخدامينها ، كل واحد ديب
يرجع كلا منا ، والصلاة على النبي — للرستوران ، والرقص والتخشيب
عشر غيلان واقفين عليهم سموكن — حول الغيلان قاعدين بنات مكاليب
يا ما انجليزي اتشال بدفتر شيكاته — وياما هندي اتحط في سنديب
دفع الفتي علي خان ملايين ربابي — لبنت قرعة ما عليها ريب
واللي جرى لفهمي من مرات فهمي — خلت رصاصها من ضلوعه يغيب
اتعس عباد الله هناك الاجانب — اقولها ، والمولى علي حسيب
اللي دخل بفلوسه ، يا ضيعة فلوسه — واللي دخل يكسب جزاه توضيب

بـــاريـــس

الفجر نايم واهلك ياباريس صاحيين — معمرين الطريق داخلين على خارجين
ومنورين الظلام راكبين على ماشيين — بنات بتجري وياما للبنات اشغـــال
وعيال تروح المدارس في الحقيقة رجال — ورجال ولكن على كل الرجال ابطال
ولــه حامد وعيشة واسماعيل نايمــين
راحت على الشمس نومة والبلد في ظلام — وقبل دي الشمس فاق ابن المدينة وقام
الكون ينور بايده لما شمسه تنــام — فايتها للشرق تتلطع على الاطـــلال
يتشف عليها الغسيل والطبلة والغربال — ويقوم على لدعها النايم سنة بطـــال
صبحت باريس في غنـــى عنــك يا شمس الدين
العلم والرقص دول في معهد السربون — اعجب عجيبة اشوفها لو ألف الكون
معهد حكومي وحقه يشبه الكراكون — لكن فرنسا لها دون الامم احـــوال
ليبران في الاحتفال بيصافـــح الشيال
وبنت سوق الخضار ساكنة مع الماريشال
والبوستة صندوقها واقف داخل الدكاكين
جارتي سوزان الجميلة اللي تبيع الموز — نازل عليها المطر من فم متراليـــوز
ابتسمت للمطر احسبها فازت فوز — لكن سوزان اللي واقفة وقفة التمثال
مجلس بلدها جعل رجلين سوزان سخنين
شفت العيون والشفايف في باريس بتقول — احنا ملوك البرايا حكمنا مقبـــول
البدع والفـــن كله عنــــا منقـــول — سادات بنا في السيادة تنضرب امثال
احرار محرم علينا السجن والاغلال — الفقر والذل ما لهم في بلادنا مجـــال
ويوم سباق النجايب كلنا سابقين
ان دقت اثنين صباحا خش مونبارناس
حي العذارى السكارى تحت كعب الكاس
وجوه غزلها جمالها عن وجوه الناس
من كل نجمـــة عانقها في سماهـــا هـــلال
تجذب بنورها امم في الهند والشلال
هـــي فينوس عبادهــــا مـــن ملوك المال
وتبقى صالة بديعة واللي فيها مين

ويصور بيرم ما رآه من أنواع النساء الباريسيات اللاتي يتخطرن على طريق (جران بولفار) .

شوف المخفة

أم الشعور اللفة فوق اللفة ... غير ام شعر طويل

والمقصوعة

ورجلها فوق أختها مرفوعة ... تستنظر اطوموبيل

والعرانة

من المعاصم للكتاف عريانة ... زي اللي غاسلة غسيل

والملفوفة

باين غصبها والنهود مكشوفة ... ما خلت الا قليل

والمحتارة

بالشنطة والشمسية والنضارة ... رايحة على التمثيل

والفندورة

تحسبها لولا مشيتها صنيورة ... والا ام خصر نحيل

طالع نازل

لولا ماهي ماسكة دراع الراجل ... من لمة واحدة يميل

ويرى بيرم البعثات المصرية التي كانت توفد من مصر ، فيتحسر على الانحلال الذي كان فاشيا بينهم ويقول في ذلك ..

مونبلييه

زريبه متطرفة فيها المعيز سايبين
ترعى حشيش المحبة والرعاة غايبين
سبع مراكب بتشحن ، عدد بالطزازين
دكتور، مهندس ، محامي والجميع خايبين

دكتور وراجـع بـلاده ينجـد العيـان
وهو فيـه العيـا اربـع خمس السـوان
تشليل وتشويش وقول هربس وقول سيلان
يعدي السليم قبلما يشفي المريض ياشاهين
وفي البلـد واد مهندس بس في البوكـر
ضاع نص عمره يا ريت كان ضاع في طوكر
له كل اسبوع جواب من والدته مسوكر
تسأل على الهندسة اللي اتكلفت ملايـين
وواد بيـدرس تجـارة ، انمـا نصـاب
يقبض ما يدفع ولا يحسب لحـد حساب
ان جاءه مطـالب بـديه يلطمـه عالباب
ويقول له خليك مؤدب داحنا مصريـين
سألت شيخ الاسـاتـذة في البلـد سؤال
عن الشهادات اللي بنشوفها مع الجهـال
قام شد عقب السيجارة، والتفت لي وقال
حار الطبيب والاديب فيكـم يا شرقيـين
يطار مواشينـا ينفـع عندكم دكتـور
والبنـا ينفع مهنـدس يبني ستـين دور
وان شاالله يبقى اللي داخل في بلادكم طور
يرضك تجوز له العبادة في بني القفاطـين
فالحمد لله بقـى عالجتـر والبونجـور
وعا المونوكل اللي زان العور ولاد العور
والفالس والهلس والطونجور والكونكور
لا علم نابهم ولا اخـلاق بقت ولا ديـن

ومن المؤسف ان يغيب انتاج بيرم في تلك المرحلة ، وكل ما لدينا منه هو تلك الرسائل التي كان يبعث بها لاصدقائه ومحبيه .

لا أدري مقدار صحة هذه القصة التي يتداولها الرواه في القاهرة والتي تقول بأن حسين شفيق المصري كان يتعمد الاساءة الى بيرم في كل مناسبـة،

ويذهب بعض الرواة الى أن حسين شفيق المصري كان ينتحل أشعار بيرم وزجله وينسبها لنفسه ، وكانت الخصومة بينهما على أشدها فقال بيرم :

يا حسين بن شفيقة ضجرت منك الخليقه
ابدا تحدث كالناقوس اصواتا عتيقه
هل ترى الناقوس قد غير في الدنيا زعيقه
او رايت الجحش يستبدل ما عاش نهيقه
حامل جمجمة جوفاء بالقطع خليقه
انت لولا بائعو الفول وابناء الطريقه
ساكنو سنقر والمذبح والمصر العتيقه
انت في الكتاب كالجميز في وسط الحديقه
لا تقف لي وقفة الابله لا يدري الحقيقه
مستعيرا هيئة المظلوم يسترعي صديقه
كم وكم تسرق مني فكرة كانت رشيقه

استشهدنا بهذه القصيدة الزجلية في مكان آخر ؛ نوردها هنا بنصها :

من قبل ما اكتب انا عارف القول ضايع
والاجر بالتأكيد ذاهب حسب الشايع
والشتم حايجيني مسوكر من واد صايع
مهما انكويت بالنار والزيت برضك فنان
يا مصري وانت اللي هاممني من دون الكل
هزيل ويحسبك الجاهل عيان بالسل
من دي الكيوف اللي تصبر على كتر الذل
ونمت والعالم فايق قوم بص وطل
شوف الشعوب والتعص ودوب وارجع انسان
واللي المني وبكاني انت يا شامي
عالاكل نازل طول عمرك بارد حامي
وقلت لي لما نهيتك مصري حرامي
لحد ما انجزار خلا جرحك دامي

والله الخروف سايب معلوف ما يفوته جعان
والمغربي المسلم راخر ابو زر فاشوك
لما انتقدته فزع قال لي يلعن بو ابوك
وانا اللي قصدي اشوف قيده يصبح مفكوك
لقيته فرحان به راضي طيب مبروك
خليك فقير دق البندير وكل الشبان
روح العراق راخر قول له كيف الاحوال
لايستى تفضل يا أخينا بحرام وعقال
واوعى المداس يفلت تحتاس وتقوللي امال
يا شرق فيك جو منور والفكر ضلام
وفيك حرارة يا خسارة وبرود اجسام
فيك تسعميت مليون زلمة لكن اغنام
لا بالمسيح عرفوا مقامهم ولا بالاسلام
هي الشموس بتخلي الروس كدا هو بذنجان ؟

العامل المصري

ليه امشي حفيان وانا منبت مراكبكم
ليه امشي عريان وانا منجد مراتبكم
ليه يبتي خربان وانا نجار دواليبكم

هي كده قسمتي ؟
الله يحاسبكم !

ساكنين علالي العتب وانا اللي بانيها
فارشين مفارش قصب ناسج حواشيها
قاتيين سواقي ذهب وانا اللي ادور فيها

يا ربي ما هوش حسد
لكن بعاتبكم ..

من الصباح للمسا والمطرقة ف ايدي
صابر على دي الاسا حتى نهار عيدي

ابـن السبيـل انكمـى　　　واسحـب هرايسدي

تعروا من مشيتي

واخجل اخاطبكم

ليـه تهدمـونـي ونـا　　　اللـي عزكـم بانـي

انـا اللي فـوق جسمكم　　　قطنـي وكتـانـي

اهلـي نهـار دفتـي　　　مـا لقيتش اكفـانـي

حتـى الاسيـة وانـا　　　راحـل وسـايكـم

ثم يشرح حياة الفلاح التي عاشها تحت اقسى حالات الطغيان التي مـر بها في العهود الغابرة في زجل على الارغول بعنوان (الفـلاح)

الاوله آ ... والثانية آه ... والثالثه آه

الاوله عيروني أن انا فلاح ، بذ فيه وعيشي حاف

والثانية أزرع وأقلع للي نام وارتاح ، في دهبيه ، بميت مقداف

الثالثة آه اللي أحبه شط مني وراح ، صبحية ، ما قال لي عواف

الاوله ... مش بايدي دا قضا محتوم

والثانية ... مسيرها ناس تغرق وناس حتعوم

والثالثة ... ميت هم يرحل الف هم يدوم

الاوله آه ... والثانية آه ... والثالثة آه ..

وقد ترجم هذا الزجل الى اللغة الانكليزية الاستاذ هيـلاري الاسـتـاذ السـابق في الجامعة المصرية .

ثم كتب عن الاقطاعيين وكيف جمعـوا اقطاعياتهـم بالاغتصاب ، ثـم ينذرهم بسوء العاقبة كلما يأتي الخريف بعد الربيع في زجل له بعنوان :

ريـح الخـريف بيهف

ريـح الخـريف يهف　　　علـى ورق بـيرف

علـى الشجر دبـلان　　　خلـي البلاوي تخـف

يـا جامـع الاطيـان عشـر تـلاف فـدان
بـالغصب والتسخـير والـسجـن والمـآمـير
وجـبارك المحتـمـاج واقف لـه بالكربـاج
ياكـل رغيفـه حـاف وطقتـسـك أصنـاف
كان ليه يـا نور العين تاكـل كثـير وتحف

خلي البلاوي تخف

وياللي فـي التمويـن لـوشت عـالملابـين
ولك رصيد فـي بنك من ناس تعيش في ضنك
وعـزبـه وعمارتـين جولك يا خويا منـين
م البفتـه والدمـور وأمور وراهـا أمـور
تربح حـلال وحـرام كتير قليـل مـا تعف

خلي البلاوي تخفه

وياللي فـي التحقيـق شغلت لـي التلفيـق
والضـرب والتخبيـق قـد ايه ظلمت بـريء
عشر سنـين اشغـال في الصخر والاهـوال
وتشنـق المظلـوم قبل المـداد مـا يجف

خلي البلاوي تخف

ربيع وعـدى وفـات خلـف وراه حسـرات
ما هـو الزمان بيدور مـن الظـلام للنـور
راح الربيـع والـورد وجـه زمـان الطـرد
الريـح تهـب عقيـم تحصد عيـدان وهشيم
بـدوامـات يتلـفه خلـي البـلاوي تخف

كان بامكان بيرم أن يعيش كما يعيش أقرانه من الشعراء ، كان بامكانه أن يملك الدور والقصور ، لو قبل أن يكون كاذبا ، ولكنه فضل التشرد ..
كان بيرم يبدي وجهة نظره في المشاكل الحقيقية التي تواجـه النـاس بكـل صدق ، وحدث ان قام صدقي بتزوير الانتخابات فألهبه بيرم بقصيدة زجليـه

راح الناس ينشدونها في انحاء القطر المصري ومنها ..

سألت ناخب على صندوقه بيطاطي
اللي انتخبته صحيح نائب ديمقراطي ؟
قال « عنده عزبه وعماره » سبحان العاطي
وحاله من حالي عمره ما دخل كتّاب ..

***

قصة قصيرة



كان بيرم ، يحفظ الكثير من الشعر العربي الفصيح ، ويعرف الكثير من تاريخ الادب العربي • اذا تحدث بين اساتذة الادب ، جلب لنفسه الاحترام ، واذا تحدث في مجال الادب الشعبي ، انفرد بالمكانة الاولى ويذكر من نوادر الفنانين ، ما يكفي لملء مجلد ضخم • وكانت له تجاربه في التأليف للمسرح الغنائي ، ومع هذا ، فكان يحس احيانا ، انه تلميذ امام الانواع الجديدة من الفن ••

ذلك هو بيرم ، الصقر الساخر ، المتعب المنتج ، المعتز بنفسه ، ذلك هو الرجل الذي كان شوقي يحب ان يسمعه بنفسه ، ويحفظ الشيء الكثير من أزجاله ••

ولم تكن مصاعب الحياة هي المسؤولة عما حل به ، لقد تفجر منذ صباه بروائع الزجل والاغاني • و (المقامات) كانت اقواله الاولى ، فيضان نهر ، تتدفق اليه المياه من عيون خفية • وكان هو يعرف ان أروع ما في الشعر

الشعبي : هو هذا المزج الغريب بين المأساة والملهاة ••• وأن الفنان الشعبي : هو هذا الذي يبكي بعين وضحك بأخرى •

وكان في ذهنه تقاليد الشعر الشعبي ، وجاء زجله يمتاز برشاقة الروح وعمق المغزى ، والعبارة السهلة المتداولة ، وظلت عين الصقر تلمع الى آخر يوم من حياته ، كانت عين رسام موهوب ، تربت على رؤية الحياة الشعبية ، وعرفت دخائلها ، واستطابت الوانها ، وانتبهت الى مواقع الابداع فيها •

كان بيرم التونسي نسيجا خاصا من الادباء في عصره ، وكان مبرزا في كل ناحية : مجيدا في أي باب يطرقه ، تطاوعه الالفاظ والمعاني والصياغة كأنها خلقت له وحده ، وامتاز فوق هذا بأنه ـ وهو المنفي المنقطع الصلة بالديار ـ يتتبع أحداثها الخطيرة وحوداثها العامة والخاصة فيدلي برأيه ، ويرسل الى الصحيفة التي يراسلها تعليقه بالزجل الرائع أو الكلمة المرسلة أو المقامة الظريفة ممتلئا بالنقد اللاذع ، والعظمة القيمة التي يعيها من يقرؤها ، ويتقبلها من غير سأم أو ملل او امتعاض •

من اجل هذا أحببت الشاعر وكنت في كل مرة أزور فيها القاهرة اتحين الفرص للقائه ، وكان المرحوم محمد مصطفى حمام يعد من أبرز رواة شعر بيرم ، وكانت لحمام ذاكرة عجيبة كنا نطلق عليها (آلة تسجيل) •• وقد حدثني حمام (رحمه الله) عن زجل لبيرم غني في الحفلات ، وتناقلته أفواه الرواة يتعلق بمقال نقله مفتي الديار المصرية عن مجلة العروة الوثقى للاستاذ الامام محمد عبده عنوانه (العصبية والتعصب) فجاء الشيخ المفتي ونشره في الاهرام بعنوانه ونصه وفصه ووقع عليه ، وضبط الفضيحة سعد زغلول وكلف الاستاذ محمد أبو شادي نقيب المحامين آنذاك ان ينشر الخبر في نفس جريدة الاهرام ويأتي بالنصين معا، وكانت فضيحة كبرى ظلت حديث المجالس وقتا غير قصير ولما اطلع بيرم على الخبر وهو في المنفى أرسل هذا الزجل ••

الكافـر الحـادي عشر

ستـين سنـة لاعمـل تبيت — واشرب لـي كبيتـين نبيت
وألعـن أبو الشيخ كفـريت — الكـافـر الحـادي عشـر
لابـزق فـي وشـه اولا — وانتـف لـه دقنـه ثاتيـا
وأعطـي لـه رزه تـالتـا — حسـب قـرار المـؤتمـر
حسب قـرار اللـي غبـط — الشيـخ ده لازم يتـربـط
لا المسلمـين ولا القبـط — يحـرمـوا ربـط البقـر
قلت لكـم الشيـخ ينجلـد — قلتولـي اخـرج م البلـد
قلت انت مـالك يـا ولـد — حـاتنحشـر مـع الغجـر
حسبت شيخ الـدولة تـاب — جـه هـو سخمهـا بهباب
سـرق مقالـة مـن كتـاب — شهـير وصاحبـه مشتهـر
ايـه رأيكـم يـا سامعـين — في الشيخ كباب كفته الامـين
طـالـع يعـر المسلمـين — امـال يا ريتـه كـان كفـر
لازم تجيبـوا المفتـري — حـالا فـي مجلس عسكري
يـاكلهـا لمـا يتهـري — وغـيره راخـر يعتبـر
آلـزم مـا يعمـل فيلسوف — ويحط لـي فـروة خـروف
وتحـت منهـا جبـة صوف — آل يعنـي عـالـم معتبـر
يا خـي اتلهي جـاك البلـه — فـي دقنـك المـدلـدلـه
روح اتـرمـي في مـزبلـه — واكفي الماجور علـى الخبـر

كان بيرم يخترع شخصياته العجيبة ، بحيث يكـون مجـرد ذكر اسم الشخصية المخترعة يثير الضحك •• من هذه الشخصيات (الشيخ شفـروق ابن فشكع الدقماقي) •• كتب رسالة يخاطب بها النساء :

يا سيدتي ــ أكمل لكن حكايتي عن المرأة مراتـي ، وأمانـة عليكـن لا تشتمن في ولا تسخرن مني ، ولا تضحكن علي ، فاني أشكو لكن المـرار والغلب الذين عبيا قلبي من عيشتها البيضـاء ، ووساختهـا الفيحـاء ، اما قذارتها فيـا حفيظ ••

فرشتها الى الضحى مفروشة ... منفوشة كَراسها المنكوشة
وتضع البرقع والملاية ... في مطرح الكانون والدفاية
أقوم ألقى ساعة الصباح ... حوائجي في سائر النواحي
اخرج من تحت السرير عمتي ... والتقي في كل ركن بلغتي
كم فتشت معي على الصابونة ... وهي وراء ظهرها مركونة
تزين بيتها كسوق العصر ... قد فرشوه مثلها بالحصر
وهي به كالدبة الوسخاة ... تنهش في جسمي وفي حياتي
أقول يا حرمة بيتي يقرف ... تقول نحن هكذا لا نعرف

ثم يقول :

ولكنها لا أمساها الله بالخير ، ولا أطلع عليها النهار لم تعجبها عمتي ، ولا بلغتي ، فأحبت ولدا أفنديا عائقا من أولئك الذين يتعلقون بأذناب الحمير يتشون بها عليهم ، فكانت تقعد معه كل مساء في المشدره ، ويعملن سواء أعمالا مسخره ، فقلت لها يا هذه ان رضيت منك بالمتانة والقرف ، فلن ارضى بضياع الشرف ، اذهبي فانت طالق ثلاثا ، فلما سمعت هذه الطلقات صوتت ثلاث تصويتات متتاليات ، فقلت لها تصوتين تنفلقين لعن الله أبا من يسأل عنك .

لقد أجمع شعراء عصر بيرم التونسي على أنه نسيج وحده في كل ناحية عالجها ، او موضوع تعرض له ويذكر أمير الظرف الفقيد محمد مصطفى حمام ان الشاعر حافظ ابراهيم والشيخ عبد العزيز البشري وابراهيم عبد القادر المازني ، وعباس العقاد وشوقي ومطران ، كانوا جميعا شديدي الاعجاب بما يكتب بيرم . وقد سمعت المرحوم بديع خيري يقول بين جمع من اخوانه :

ان غيبة بيرم في المنفى يسر السبيل لكثير من طلاب العيش ودعاة الادب الشعبي ولو كان في مصر ما استطاع احد ان يلاحقه .

بيرم واعداء الـوطن

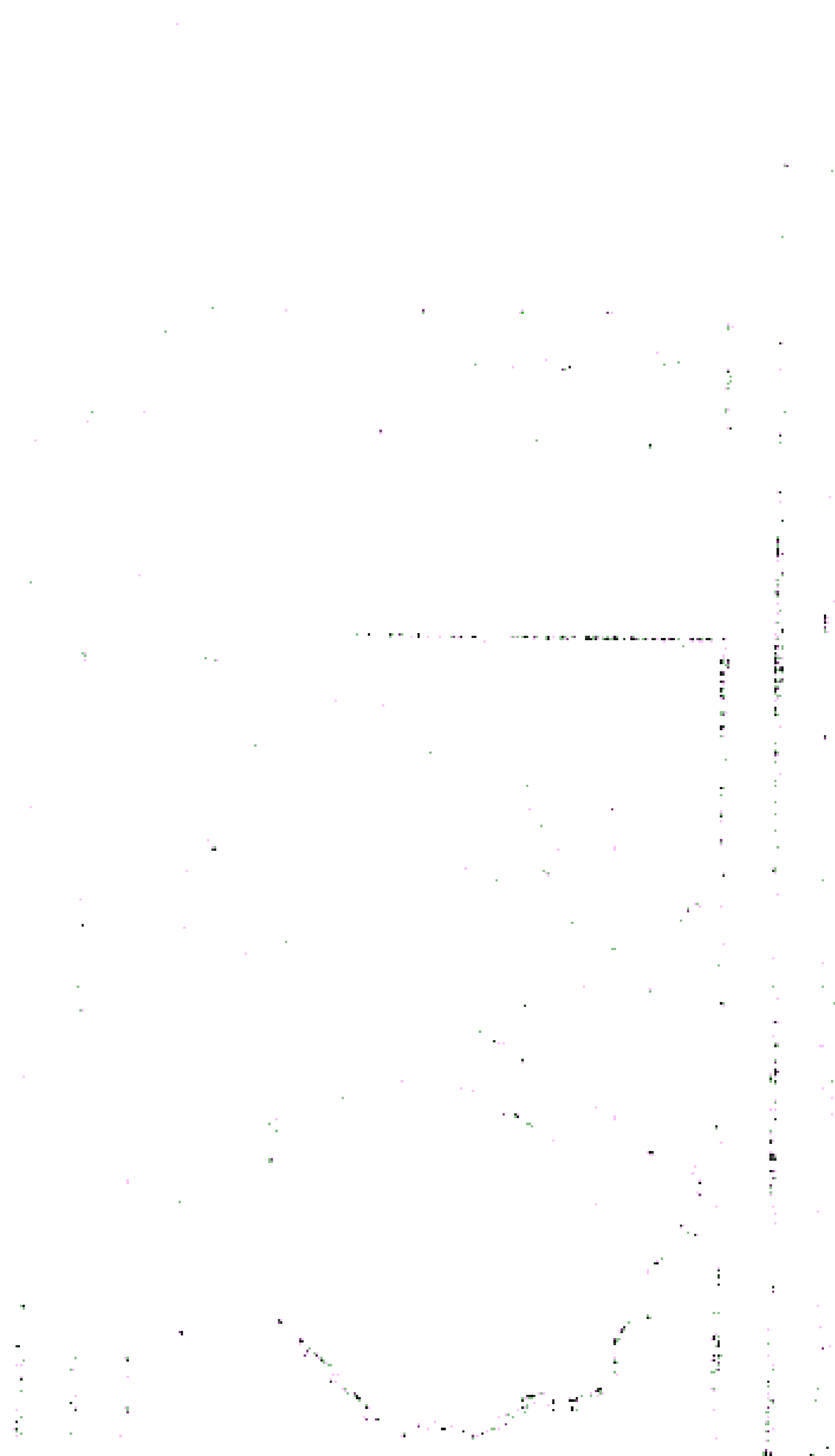
يعلم بيرم ان عددا كبيرا من المناضلين في مصر قدموا للمحاكمات العسكرية الانجليزية وان فريقا من ابناء وطنهم كانوا شهود الاثبات عليهم : أو شهود الملك كما كانوا يسمونهم ، ومن هؤلاء الشهود من هم طلبة في الازهر وعمال في العنابر ؛ وبوليس سري ، وموظفون وغيرهم أغراهم الانجليز بالمال ؛ وهددوهم بالانتقام فساروا في ركابهم ، ويقرأ عن احدى المحاكمات أن شاهدا اسمه أحمد عبد المحسن أحد جنود قسم الجمالية تقدم للشهادة في القضية التي كان يحاكم فيها بعض المجاهدين فيرسل الى مصر قصة بعنوان الجاسوس — للكاتب الذائع الصيت لطخ — نقلها الى لغة التجديد الدكتور طه حسين ، ويحاكي فيها أسلوب طه وتكراره بدقة ثم ينتهي الى زجل على الجندي فيقول :

أيام ما كانت حكومتنا لها دبابيس
وكل دبوس ورا بابه نصب متاريس
كان نص أهل البلد مسيبين جواسيس
ونص أهل البلد متربطين محابيس
محسن كريم الجاسوس ياخد تمانيه جنيه
غير كل وارث وفيه عله يطب عليه
وبعد قوله تشرفنا يا محسن بيه
يسكر وياخد جنيه غير شكر وتمحليس
محسن عدوك في أعيان البلد ضبع
والبغل أيام دي ما بين الغنم ربع
المجلس اللي ما يدفعولوش في يوم اربع
تنزل مصيبه تفرق جمعهم في خميس
ست أم محسن سنة دي دورت خطاب
وكان لها رخره شبشب عالخطوبة داب
حصل نصيب في نعيمه بنت قطب غراب
تاجر فواكه وبات محسن في ليلة عريس

اما حماة العريس سموه مـــن الناشفـــين
الحشمة بس العيـــون مكحلـــين بالطـــين
تخرج خيـــواتم صوايعهـــا المحنيـــين
من كم اسود طويل والكركي لونه غطيس
لكـــن لسانهـــا فشر عقـــرب وفـــرقلـــه
تســـب بالديـــن في وقـــت الشر والملبـــه
وفي الهـــزار بخـــراب البيـــت تتسلـــه
وكـــل منـــزل تخشـــه يدخلـــه ابليـــس
الاربعـــين انتهت والـــواد نقـــل عفشه
في بيت حماته وفـــات اللـــي بنـــت عشه
وبالطـــلاق بالتلاتـــه بيتهـــا مـــا يخشه
بوليسنا حتـــى على اهله لئيـــم وخسيس
لو كنـــت شفت المـرة في بيتها مفشوخه
فشخه جميـــدي كسب نمـــره ومنفوخه
تمخت أمير قطر بعـــد الكف والـــدوخة
جوز بنتها في الحكومة قال كبير ورئيس
ان خش محسن ترحب بـــه بللـــو عجيب
وتبات تعـــد الدقائـــق لما ليلـــه يغيـــب
وسيدنا عمـــال بينهب م البلـــد وبيجب
يحق له حكم عـــرفي في البلـــد وبوليس







تعرف بيرم على الشيـــخ سيـــد درويش في مقهـــى بسيـــط في حـــي بالاسكندرية ، كان الشيخ سيد ثائرا ، وكذلك بيرم فنشأ بـــين الروحـــين نوع من الامتزاج الصافي وأعجب كل منهما بالاخر .. وسرعان ما أصبحـــا صديقين حميمين ، متلازمين لا يفترقان ، وأخذ بيرم ينظم لسيد درويش أغاني شعبية يلحنها ، ويغنيها ، فلا تلبث ان تسري بين الجماهير يترنمـــون بهـــا ، وينشدونها في غدوهم ورواحهم ، ثم تدرج الـــى تأليف اوبـــرات شعبيـــة ، وأدوار غنائية كتب لها جميعها الخلود منها أوبرا شهرزاد ، والبروكة وادوار ..

أنا عشقت وشفت غيري كتير عشق   عمري ما شفت المر الا في هـــواك

ضيعت مستقبل حياتي في هـــواك   وازداد علـــي اللوم وكتر البعـــده

وأناشيد ... أنا المصري كريم العنصرين وغير ذلك من عشرات الاغاني والادوار والطقاطيق . ومن لا يذكر تلك الاغنية التي شاعت وحفظت ورددت وهـــي ..

على قد الليـل مـا يطـول | مستوضي بسهـري ونوحي
في حبـك يا للـي مـا أول | ما أشوفـك تـرد روحـي
سنـين وأيام دايب فيكـي | بـزمـارتـي بصحيكـي
طول ما أنا وانتي في الدنيا دي | طظ فـي أهلي وأجـدادي

وهي أغنية نظمها بيرم للشيخ سيد درويش على لسان فتى زمـار يحب فتاة من بيئته ويدور بينهما حوار على طريقة وعوائد وسطها ... فان لكـل وسط لغته كما هو معروف ، ولقد ألف عصرنا هذا في تطوره وتمشيـه مـع الحضارة والتقدم ومشاهـدة الافلام الغراميـة والقصص المثـيرة للغرائـز الجنسية أن يطلب المحب من حبيبته قبلة ، وأن يقبلها فعلا علـى الشاشة أو على المسرح قبلات مثيرة ... ولكن الجيل الذي ألف فيه بيرم هذه الاغنيـة كان جيلا محافظا يستحي من ان يطلب القبلة صراحة ، فنرى بيرم علـى لسان الفتى العاشق يحاور محبوبته ويقول لها :

شفتي بتاكلني أنا في عرضك | خليهـا تسلم علـى خـدك

فتجيبه الفتاة وهي كما تعلم من وسط وضيع :

يا دين النبـي تنك سايـح | ما شبعتش مـن ليلة امبارح

ويـرد عليهـا :

ما تفكرنيش اما دي كانت ليلة في غاية الرقة ... الى آخر تلك الاغنية الـرائعـة .

وعندما تنشر هذه الاغنية تقوم قيامة المتزمتـين ، وينـادون بالويـل والثبور ، وعظائم الامور ، ويتهمون (بيرم) بأنه اباحي وقليل الحياء ، والله يعلم أنهم متجنون ، فان كان بيرم بالنسبة لما نقرؤه من أدب هذه الايـام الا في غاية الادب والاحتشام . كما يتهمون الشيخ سيد بالكفر .

ألف بيرم والسيد درويش أوبريت شهرزاد ووضع الشيخ سيد ألحانها، واشتركا معا في النضال ضد الانكليز ، وملآ الحياة الفنية بالالحان الوطنية والحماسية والاناشيد بالكلمات النارية وزادها سيد درويش اشتعالا وتأججا.

كان أقوى ما في بيرم فراسة الالتقاط والتمييز . يستخرج من الافكار العامية زوايا جديدة ..

ابليس ، اوقع آدم في الضلالة ... فكيف سحره آدم ؟

رسم بيرم هذه الزاوية عام ١٩٤١ ، في زجله عن ذكرى سيد درويش فقال : ان ابليس طغى على آدم وعايره بأنه من (طين) وهو من (نار) فأمر آدم بالضرب على الآلات ، فاذا ابليس يسجد على وجهه «

وسجد وراح في كل بيت
يقول لهم أنا هويت
آدم واولاده يا ريت
كنت اهتديت ولا عصيت
ارادة الحق الصمد
السيد اللي لو ضرب
الجن يسحرها الطرب
والترك تفهم والعرب
اللي يقول على الطبول
والبنت ترقص والولد
السيد اللي في الغرام
اهتز له أحسن قوام
وزاد مقام على مقام
اما بكى واما اشتكى

من هجر محبوبه رعـد
السيد اللـي فـات لنـا
كنوز تعيش مليـون سنـة
فيها المسرات والهنا
لو تنسحب أو تنتهب
مـا تنتهيش الـى الابـد

ويموت سيد درويش وبيرم في المنفى فيكتب هذا الزجل :

مـن بعـد موتـه بعـام	طلعـت لنـا أقوام
حطـوا عليـه مكـدام	وقالوا فنـه قديـم
قـديـم وسوقـه بـار	وشغل طبلة وطـار
وشبعـانـين ادوار	وشبعانين طقاطيـق
هـو القـديـم يـا قوم	يقدم في ليلـة ويوم
لا هـو بصـل او تـوم	ولا بلـح ابـريـم
دا فنـه لـو يتـذاع	وفي تسجيلات ينباع
حتصبحـوا ضيـاع	ما تكسبوش مليـم
انـا عشقـت بكـام	و (انا هويت) ياسلام
و (منيتـي) دي غـرام	اروح معاها غريـم
هـو العظيـم يـا نـاس	في ارضنا ينـداس
و (مقتبـس) هـلاس	نشبعـه تكـريـم
قـولـوا تخمنـا السوق	حتى صبح مخنـوق
بفننـا (المسـروق)	من (ارث) كل لئيم

انـا عشقـت

وقد حدثني رحمه الله عن كيفية اجتماعه بالشيخ سيد فقال :

عرفت سيد درويش حق المعرفة قبل ان أراه . عرفته من قهوة ملاصقـة لمسجد أبي العباس المرسي ، أكثر زبائنها من الفقهاء العميان ..

كانوا يتذكرون اغانيه . ويستخرجون ما فيها من براعة فنية او حركات تستعصي على كبار المطربين أو نغمات لم تسمع من قبل ..

كان أحدهم يتباهى بأنه ربط الدور الجديد ..

(عواطفك أشهر مــن نار)

ويشرع في الغناء الى أن يصل الى هذا البيت ..

يمكننــي دايمــا اراضيــك   والعاذل ما يكونش شريك

فيسكته اعمى اخر ويقول :

ــ مش كده يا مغفل سلطني الصبا عالنوا ..

وتقوم بينهم مشادة ومكابرة الى ان يستقروا على الصواب ..

ويصيح اعمى اخر

ــ سمعتم (ما قعدش معاك)

ويرد عليه الاخرون بضجة عالية يا سلام ...دي جنان ملحنها (جريجي) مش بالذمة جريجي ؟

وينطلق الذي وصف الاغنية بانها (جريجي)ويغنيها ويتبعه الاخرون..

في مساء أحد الأيام دخل الشيخ طلبة وقال : يا ولاد : يا شيخ علي .. يا شيخ خليل ... السيد درويش سهران في فرح في باب سدره .. مين يجي معايا ؟

لم يبق في القهوة الا نفر قليل من هوءلاء الهواة المساكين، وقام الاخرون يسند بعضهم بعضا ليقطعوا ثلاثة كيلومترات او اربعة وانا معهم ...

كان اقتحام الاعراس بلا دعوة .. من الامور المباحة بل كان من دواعي الفخار لاصحاب الاعراس ..

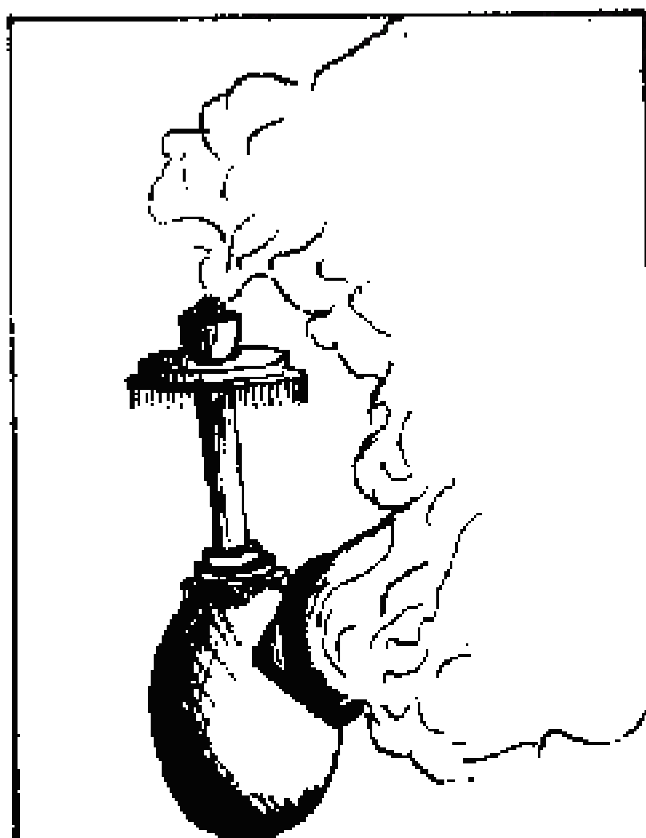
أفسحت الجموع المزدحمة في الطريق للمشايـخ ، وقدم لهم أصحـاب المروءة كراسيهم ، وكان السيد محلقا في دوره الجديد (أنا عشقت) والناس مأخوذة تحبس أنفاسها ..

كان المغني ، نجم الحفلة ، لا العريس ولا العـروسة ، ولاجلـه ينصب الصيوان وتعلق الكلوبات والثريات ، فاذا غنى انطلق بنفس مرحـة ، وأحس مـا يقول وجاوبه السامع باحساسه .

غادرنا حفلة العرس في الفجر ، وسار المشايخ يترنحون بما علـق فـي أذهانهم من فقرات الأغنية .

ـ وكم صبرت ... يا ما شربت ..


بيرم
والحشيشة



روى لي بيرم قصة تجربته الاولى مع الحشيش وهو في سن الخامسة والعشرين فقال :

ذات ليلة جلست في مقهى على ساحل الانفوشي بالاسكندرية ، ومعي بعض الاصدقاء عندما رأيت أحدهم يلف سيجارة محشوة بالحشيش ويشعلها ويأخذ منها بعض الانفاس ويقدمها لصاحبه ، وصاحبه يقدمها للاخر ... وهكذا جاء الدور علي ، فخجلت أن أرفض حتى لا أتهم بأني (مش راجل) ، فأمسكت بالسيجارة وأخذت منها أنفاسا ثم قدمتها للذي يجلس بجانبي .. وتلتها سيجارة ثانية وثالثة ورابعة ... وبين كل سيجارة وسيجارة كنا نشرب الشاي (الزردة) ونستنشق هواء البحر .. ونحن نحس بمتعة لا حدود لها ..

وانقضت (القعدة) وعدت الى بيتي وأنا أشعر بدوار الرأس ، وجفاف في الحلق ... وأغمي علي عدة مرات في هذه الليلة ...

ومع ذلك أدمنت شرب الحشيش لمدة لا تقل عن خمسة عشر عاما •••

كنت في كل قعدة أخرج منها مصمما على عدم العودة الى مثلها ••• واذا كانت بلوة الادمان لا خلاص منها فالسيجارة تكفي ••• وما أفظع السجاير •• سجاير الليل تنتهي بأزمة قلبية لا أتخلص منها الا بالاستلقاء في الفراش ••• وعلى المخدة أضع برنامج أعمالي ، فاذا جاء الصباح : شربت سيجارة أخرى تجعلني ألغي البرنامج الذي وضعته بالليل ، وأفضل على البرنامج الجلوس في قهوة مشرفة على ميدان فسيح ، أشاهد منه الرائحات الغاديات المتبخترات في الموردات •• ويمر اليوم كما مر الامس ضياعا في ضياع ••• فهل لذة الحشيش تساوي كل هذه المتاعب البدنية والخسائر المادية ؟ ثم يقول :

الحشيش سلب المدمنين نضرة ألوانهم ، وبريق عيونهم ، وسلامة تفكيرهم بعد سلب أرزاقهم • والحشيش جعل كل صاحب مهنة يتناولها من رأسها او رجلها ولا يبالي بالعواقب الوخيمة ، والمستقبل الوبيل ••

وهو الذي هوى بالفنون الجميلة الى الدرك الاسفل واذا علمت أن القاهرة تدخن كل يوم ألف أقة حشيش لا يقل ثمنها عن ٥٠ ألف جنيه، فاعلم ان التدخين خيانة وطنية ••

وليس التخلص من الحشيش معضلة كبرى ، كما حدث لي حين صممت على الاقلاع عنه ، فما هي الا ثلاثة أيام يحتملها المبتلي •••

في اليوم الاول صداع ••• والثاني قرف ••• والثالث اشتهاء كاذب ••• ثم الشفاء

ثم يصرخ بيرم بأعلى صوته •••

أربع حاجات ، أوجبت ترك الحشيش يا هوه

الاوله ، اسرائيل ، في أرضهم زرعوه

ومن العرب وحدهم تمن السلاح قبضوه
من يشتريك يا حشيش يستاهل الاعدام
والثانية (جدوار) برسراس الجزم معجون
بالعفص مخلوط ، ومن زيت الكافور مدهون
وبالرقايق مقطع ، والجرام موزون ...
يبيعه مجرم عريق في الشر والاجرام .
والثالثة في (قعدتك) ، في اصطبل جنب حمار
والا في عشة آرانب ، فوق سطوح الدار
حواليك مخاليق ، من الاخيار والاشرار
وشد ويا المسفلس ، واللي عنده زكام
والرابعة لو تنظبط يا محترم وتروح
سنتين ، ثلاثة ، أربعة ، وتعيش ذليل مجروح
تطلع من السجن تلقى عرضك المفضوح
ولاهل حارتك عليك في كل قعدة كلام .

ويردد بيرم ما قاله علماء النفس في الحشيش وعلاقته بالجنون، بالزجل، والاغنية والموال ...

أول نفس يجعلك صاحب مقام ورئيس
ويبتدي يوشوشك ملك الحشيش ابليس
يقول لك الليلة (حاتفنطز) وتبقى عريس
كمل بقى الانس واسحب لك كمان نفسين
من قبل ما يتربس البواب بالترابيس
تاني نفس تفتكر كيد النسا يا غيور
اللي تحبه يحبك ، ولا فيه مغرور ؟
يا هلترا كلمت جاركم خليل عصفور ؟

ودوغري تحلف في سرك أغلظ الايمان
ملا انت قالق دماغه الليلة بالساطور ...
تالت نفس ينقلك من حال لغير الحال
وان كنت كاتب عمومي يجعلك بقال
وان كنت طباخ يقول لك : اشتغل طبال
والا امسك الصنعتين واقبض من الاتنين
والمال يجيب المال ومن الصيام شوال
رابع نفس ينقلك من عالم الاوهام
الى الحقيقة ، وتدخل عالم الارقام
وآكل بكام النهار ده ، وانبسط بكام ؟
فاضل معاك خمسة صاغ باقي الجنيه كله
والقبض فاضل عليه لسه عشر تيام
خامس نفس يجعلك زاهد من الزاهدين
ترفض نعيم الحياة وتدوس على الملايين
مين يبقى (عبود) أمامك ولا (حافظ) مين ؟
انت القنوع ... والقناعة كنز لا يفنى
واللقمة واحدة ، وكله حشو في المصارين
سادس نفس تنطرب من نفخة في مزمار
وتموت من الضحك من نكتة جدع حمار
وتسأل الحيط ـ يا حيط ـ من دق لك مسمار ؟
والفار يفوت يرعبك وينرفزك صرصار
وتحس بالجسم تقله ستميت قنطار
سابع نفس يجعلك فاسق من الفساق

كعب أم عرقوب يجرك ـ م الحسين لبولاق ـ
ولكل فترينة تنظر نظرة المشتاق
لكل (مانكان) عليها سلعة النسوان
من الاشارب الجميل ، للروب ، للسوتيان ٠
لحد ما يطفي نوره صاحب الدكان
وتعود الى الحي في قهوة خليل علوان
والقهوة سادة يجيك فنجان ورا فنجان
وتروح البيت ، وتفضل للصباح سهران
وتقوم م النوم تسب الدين والايمان
م الجهل ، والفقر ، والامراض بأنواعها
سلمت روحك بايدك للتلات أعداء

ويرد بيرم على الاسطورة التي تقول ان القلم لا يجري على الورق الا في جو الدخان الازرق ، وعلى الفنان (الملهم) أن ينتظر شيطانه حتى يأتي على مهل ٠٠٠ ويرتشف رحيقه قطرة فقطرة ٠٠ في ضباب المخدرات والمغيبات ٠٠

من غير حشيش الورق ماشي
يقول ويعيد
من غير حشيش الموتور داير ، ما يعصاشي ٠٠٠
بعزم شديد
قالوا الحشيش لسه ضارب في البلد فاشي
بشكل عنيد
طحن هنيدي الداتورة ، وقال لنا غيره
ومن لبنان

وحتة زي الحلاوة تتعجن ، حمرة
دي م اليــونــان
وتقول لي في الاكل هايلة يا ابراهيم صبرة
وفي الــدخــان
وسعرها من جنيه راسي على عشرة
ولســه كمــان
وملفلفة في الورق زرقة على خضـرة
ولـف ميـزان
وصوروا (عالطرب) صورة (كليوباترا)
و (فيــل) و (حصان)
وقالوا جبناها بطلوع روح ومخاطرة
وشغــل لــومــان
ويصرخ بيرم بأعلى صوته ومن الاعماق ..
لمو الجوز واكسروها و (الحسن) يتلم
الحرب قامت علينا والحشيش اتسم
من ايد شالوما اليهودي لايد خميس للفم
غازت عدانا ، ولا ضحت بقطرة دم
عد الضحايا وخليني أعد معاك
بسكتة القلب كام ماتوا هنا وهناك
واللي احتضر يسألوه : ما تقول لنا شكواك
قام سلم الروح ، وخايف نكهته تنشم ...
شلة عليوه الهباري اللي سكن في بولاق
مات منها خمسة ... وشلة سالم البنداق
مات منها سبعة .. وشلة عزت الحلاق

ماتوا جميعاً ، ولا مين بالضحايا اهتم
سألت عمك خميس جبت الحشيش ده منين ؟
قال من فلسطين ، وسكتها سفر ساعتين
أقرب من الشام ، ووقتهم هناك بميتين
أما الحشيش اليهودي بأربعين يا عم
قالوا الحشيش اللي فات أكتر من المزبوط
ارواح بريئة ، وجوريون متشكع مبسوط
ميت من الضحك من مقلب أعده وتم

* * *



لم يسبق لاي أديب عاصر بيرم التونسي أن احتل المكانة التي احتلها بيرم بين الادباء .. وكان أحمد شوقي من أشد المعجبين بأدب بيرم (كما يؤكد ذلك محمد مصطفى حمام) وأكثرهم اشادة بكثرة انتاجه ، وجودة ما يكتب ، وكان شوقي على قدر ما يضيق ذرعا بنقد الناقدين من ابناء الحرفة ويثور في وجه كل من يطعن في شعره أو في أدبه ، يطرب كل الطرب لنقد بيرم ، بل ويقرأه جميعه ، ولقد صل به الحد الى أنه كان يأتي الى دار الفنون كل يوم ثلاثاء ليطلع على رسالة فرنسا التي تصل من البريد في ذلك اليوم ، ويروي المرحوم (حمام) انه كان يرافق شوقي في هذه الزيارة ، فيقول : وذات يوم جئنا الى الدار فقيل لنا أن (فلانا) قد أخذ الاصول معه وذهب الى حفل سياسي فظللنا شوقي وأنا نفتش عن (فلان) حتى عثرنا عليه فسأله شوقي بعصبية عن رسالة بيرم فأطلعه عليها ولم يكد يقرأ الزجل حتى برقت أساريره وابتسم وأبدى اعجابه واهتز طربا وهو الذي ما كان يهزه شيء أبدا ولقد جاء في هذا الزجل :

يا بنت باني العرم لمي شلاشيلـك
والبرقع اللي انخرم في قيد مناديلك
غلبت أقول للرجال خلو المره حره
تخش رخره المجال تفهم وتـداوي
العاقله بنت الحلال ما يضرهاش بره
لكن بتنصح في مين روس جامـده صنطاوي

جهل النسا بالعلوم خلانا اتيكـا
تفهم في فن الهدوم رقعه وتشتيكـه
وفي البلد عا العموم ما تلقى فابريكه
غير فابريكات الطحين فليحي بدراوي
داية ولاد العرب في الارض منكوسه
طول عمرها والسبب احسان وتفوسه
والله اللي قال ما كدب نسوانا موكوسه
حتى اللي متعلمين باردون ياشعراوي

ويروي المرحوم حمام انه كلما التقى بشوقي يسألـه أمـير الشعراء أن يعيد على مسمعه القصيدة الزجلية المذكورة ويقول حمام :

وما كنت انتهي من قراءة القصيدة الزجلية حتى يصيح أمـير الشعـراء قـائـلا :

ان هذا الزجل يساوي أربع قصائد لاربعة شعراء من خيرة من نختار .

كان الادباء جميعا شديدي الاعجاب بما يكتب بيرم وكانوا كثـيرا مـا يترنمون بأزجاله وبخاصة اذا كان فيها تعريضا بأحدهم وكان ابراهيم عبـد القادر المازني الكاتب المعروف يطرب كل الطرب لزجل قال فيه بـيرم (مـن غير مناسبة) جـاء فيه :

يا ابراهيم يا مازني ليه ما اعرفش مالـي
كل ما اكتب التقي طيفك قبالـي
احترك في الوسط واعمل فيـك مقالـي
قل لي ايه أصل السبب في دي الاذيه
أخبـرك ان السبب فـي دي اللجاجـة
أولا دمك خفيف خالي السماجه
ثانيا انـك لطيف مـا تقولشي حاجـه
لا زجل تنظم ولا ترفـع قضيـة
من كـده باسمك في زورك كل ساعـه
لما ما القاش كلمتين املا البتاعـه
قال ما فيش غيرك هـزؤ شوف الفظاعـه
امتـثل امـرك لخلاق البريـه
يا ابراهيم حيث ان باظ سوق الجرائـد
قوم ندعبس عالمعاش ياما مدايد

مدهـا سيـدك بـلاش فيهـا فوائـد للي ينهب واللي يلهط مستويـه
خد قفايا وهات قفـاك وامسك معايـا نار صفيح والبس يا واد طرطور برايه
واتسخ مثلـك واقطـم لـك حكايـه وندور احناالجوز نزورالحلوجيه
وان لبس عبـاس كمـان زعبوط وضنفر فوقه عمه مزهره من فرمه مصغر
هوه بالارغـول يتمتـم واحنـا نجعـر عاالطبول تنجح كمان الكومبانيه

ثـم يقـول :

يا ابراهيم كار البـلا الزفت الصحافـة يمشي فيه بس اللطايف(١) واللطافة
اما جبار مثلـي لا وصاحـب سخافـة مثلك انت الفقر اولى بك وبيـه
حيث بان الشعب مـاسك لـك خصومه من زناخ عقلك وناضل لي الحكومة
قول لهم ينفـوك واحظى بـك بابومـة او يخلونـي اجيلك من عينيـه

أما المرحوم الاستاذ العقاد فما زلت أذكر طربه كلما تذكر الزجل الـذي قالـه بيرم فيه قبيل الحرب الاخيرة وجاء فيه :

هتلر وهريو وأبو القمصان موسولينـي اقطاب في فن الادب يارب خليني
اعمل رئيس الحكومة فـي الكنانة يـوم احكم ومن بعده في البحر وارميني
وانفيك يا عقـاد في قبرص ولا تل ابيب عشر سنين واربعة خاوي الجيوب واديب
وان كنت أقول يوم صناعة الاديب ماتجيب راسمالها امن عليه يا ضنا عيني

وكان المرحوم الاستاذ كامل كيلاني صاحب قصص الاطفال وهـو مـن اشتهر بالتعصب للشاعر ابن الرومي والكتابة عنه يطرب كل الطـرب حـين يسمع لبيرم قصيدة عنوانها ابن الرومي في القرن العشرين قال :

أحـب المـرأة العورا وأهوى طول منخرهـا
لالقى اللـه مأجـورا علـى تقبيل ماكرهـا
وتعجبني التـي تعرج أو تمشـي بعكـاز
لانصر دولـة للحسـن طـاحت بعـد اعـزاز

وكان شاعر النيل حافظ ابراهيم قد نظم في مظاهرة للسيدات ابان الحركة الوطنية قصيدة جاء فيها :

خرج الغواني يحتججن ورحت أرقب جمعهن

فلما نشرت مقامة بعنوان المقامة البربرية لبيرم وفيها الابيات الآتية في وصف بنات المدارس :

أحب الانسات لانهن يقمن بكل واجباتهنه
ويمشين الهوينا حاملات دفاترهن تحت اباطهنه
بنات لو بصقن على بلاط لأقسم يا عذولي لتلحسنه

كان حافظ يترنم بها ويقول انه عارضني في قصيدتي في خفة ورشاقة .

ومن ذا يحسن الوصف لمدمني الجلوس على المقاهي اكثر من بيرم ..

الملاطيع

قاعد لي للبصبصة والرجل فوق الرجل
كراسي مترصصة ، والعجل جنب العجل
طالع لي في الحنشصة ، وامه بتاعة فجل
لكن سبب نفخته عمه ، جوز امه ، غفير

وها هو كمصلح اجتماعي يعرض الفارق بين الحال في وطنه والحال في البلاد الاخرى التي عاش فيها مثل باريس فيقول :

حا اتجن !

حا اتجن، يا ريت يا اخوانا ما رحتش لندن ولا باريس
دي بلاد تمدين ونظافة ، وذوق ولطافة ،وحاجة تغيظ
ما لاقيشي جدع متعافي ، وحافي ، وماشي يقشر خص
ولا شحط مشمرخ أفندي، معاه عود حلفه، ونازل مص

ولا لب، أسمر، وسوداني ، وحمص، وانزل يا تقزقيز

حا اتجن، يا ريت يا اخوانا ما رحتش لندن ولا باريز

ولا عكرة في نص الليل، دايرة بالحيل، وساحبها بوليس

قدامها جدع متجرجر ، وشه معور قال ده عـريس

الخلق ما هي بتجوز ، واشمعنـى احنا مـا فيش تسيير

حا اتجـن ....

ولا واحدة في وش الفجر، تبرطع، مالية الدنيا صوات

قال ايه جوز خالتي ام أحمد سلفة اخوها السيد مات

سبحانك ، ما أعظم شأنك ، والله الموت دا مفيد ولذيذ

حا اتجـن ....

ولا واحد طالع يجري ، وواحـد تاني يجـري وراه

ويقول هاهع ، حصلتك ، يا ابن اللي ابصر ايه عاملاه

لا الشارع غيط يا اخوانا ، ولا احنا بداره ، ولا حنا معيز

حا اتجـن ....

ولا واحد يبيع حاجة يقول بريـال ، تاخـدها بصاغ

يا اخوانا دي حتى الابرة تاخدها بدوشة وقلب دماغ

حلفان ، وعراك ، ومناهدة ، ويمكـن ضرب كفوف يـا حفيظ

حا اتجـن ....

ولا فيش ميت الف صعيدي بتوع يانصيب، ولا فيش

ميت الف معوض داعس ، جاه معاه صندوق ورنيش

والله كرهت القهاوي ، وحرمت أقعد عا الافاريز

حا اتجـن ....

بعثـات

يا فندي ياللي أبوك باعتـك تتعلـم طـب

وفـــايـــت العلــــم ودايـــر تعشـــق وتحـــب
سبـــع سنـــين فـــاتت وانت تعطس مـــا تقب
خليت أبوك من مصروفـــك يكفـــر ويســـب
سيك يقى مـــن دي الغربـــة وارجع بيـــع لب
وان شفت في مصر بطـــالـــة اقعـــــد بطـــال
دي مصـــر عايـــزة رجالـــة مش عايزة عيـــال
وحضرتـــك ياللـــي بتدرس فـــي اوربا حقوق
بتغـــط مـــن قهـــوة لقهـــوة سكران ما تفوق
ان كان قانونك يسكت لـــك انا اقول محروق
والله اللي جابك من ضهـــره ما خد الا خازوق
رجعـــت لـــه بفـــرق وقصة وشنب محلـــوق
وتنجعص لـــه فـــي الصالـــة تقـــرا الجـــرنال
دي مصـــر عايـــزة رجالـــة مش عايزة عيـــال
وحضرتـــك ياللـــي بتدرس فـــن الـــدوبيـــا
وتحـــت باطـــك لرفايقـــك دفتـــر كـــوبيـــا
تاكل فراخ وأبـــوك قاعـــد يـــاكـــل لوبيـــا
وتشـــرب البـــيره وهـــــوه يشـــرب سوبيـــا
حتى السيجـــارة ما تشربهـــا الا زنـــوبيـــــا
دي مصـــر عايـــزة رجالـــة مش عايزة عيـــال
اما اسمـــه ايـــه ده فالقنـــي وعامل لـــي عظيم
قـــال بالـــزراعـــة بيتعلـــم علـــم التطعيـــم
يقول لي طعم التـــين يشبـــه طعـــم البـــرسيم
والفلـــح لـــمـــا بتـــربـــي بتـــربـــي بهيـــم
يطلع يبرطـــم فـــي العزبـــة مـــن غـــير تعليم
والساقيـــة مـــا دام شغالـــة الطـــور شغـــال
دي مصـــر عايـــزة رجالـــة مش عايزة عيـــال
فلوس بتـــورد من الكايـــرو تحاويل عالبنـــك
كتـــير ومـــين عارف يمكـــن ميت الف فرنـــك
مـــع الـــولـــد يبعثـــرهـــا بين هنـــك ورنك

يحط للمشروب عشرة — والجرسون سنك
ويعيش هنا زايط هايص — وقرايبه في ضنك
تقول اذا شفت الحالة — يا خسارة المال
دي مصر عايزة رجالة — مش عايزة عيال

ويتناول بعض الناس المتظاهرين بغير حقيقتهم فيقول :

يا رب سلطان جمالك يتعبد بالذات
خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات
لكن عبيدك وخلقك يعبدوك لغايات
صبحوا ، وانا عبد منهم كلهم ترسات

التاجر اما افتقر صلى وصام الفرض
والعمدة لما اترفد جالك وقع في العرض
والقطن لما انحرق صاحبه سجدعلى الارض
وكلهم عالعبادة يطلبوا حسنات

ولما قلت اعملوا بالشرع والسنة
اضمن لكم يا عبيدي الخلد في الجنة
جنات بها المتقين بالحور تتهنى
قام المريض والكسيح بالسبع ركعات

وانا اللي ناوي اذا حققت احلامي
لأحج في كل عام ماشي على أقدامي
واضبط ميعاد الصلا وامسك على صيامي
وانفق جميع ما أملكه في البر والصدقات

تقصف لي عمر المرة لو حصلت الخمسين
وبالخصوص لو تكون وحشةمن الناشفين
تروق لنا الدنيا ، ويروق كمان الدين
والخلق تستغني عن ماشطات وعن دايات

تبلى العجائز بحمى حامية تمحيهم
واذا اقتضت قدرتك انك تخليهم

الامـــر لك • بس تطرشهـــم وتعميهـــم
انت اللي عالم بهـــم يا خـــالق الحيـــات

ويصور لنا بيرم الحقائق التي تختفي في ضريح السيدة زينب فيصرخ :

ضريح حفيدة محمد سيد الاكـوان

زواره تنسى الهمـــوم وتفارق الاحـــزان
فيه جوهرة • مفخـــرة • متصورة انسان
اخت الحسن والحسين • السيـــدة زينب
واقـــرب الناس بعهـــد الوحـــي والقرآن
وفي المقـــام الكريـــم محتـــال ومحتالة
عالزائريـــن يلعبـــوا نســـوان ورجالـــة
تعرفهم لمسلمـــين فيكـــي يـــا بغـــالـــة
ويدور عليهم نقيب يبحث عـــن الحلوان
وكـــل يوم تنتشـــل كام محفظة فـــلاح
وكـــل يوم تغنـــم الشباحـــة والشبـــاح
واحـــدة الحلق مـــن ودانها باللطافة راح
والثانيةضاعمن سكاتمنصدرهاالكردان
والنصابينواللصوص قاعدين بشكلمريب
في القبة ليـــلا نهارا واسمهم محـــاسيب
مترصديـــن بالمقـــالب ضد كـــل غـــريب
والغرب تحضر الوف من كافـــة البلـــدان
وفي المقام الكريم يدخل هاموش وهاموش
يحبوا اهل النبـــي لكـــن ما بيصلـــوش
ويحبوا أهل النبي لكـــن ما بيزكـــوش
غير قرش • والقرش يا ريته لفقير غلبـــان

ويصرخ في وجوه الامهات وسوء رعايتهن لاطفالهن ويقول :

في التربـة حطـت ثمانيـة

لو شفتني يا تظلة هانـم خلتك ام روؤف
والموت بيجرف عيالها بالجـارف ويزوف
في التربة حطت ثمانية ،جنب بعض صفوف
وادي اللي فاضل على اديها ولد مقصوف
جابت في اول ولادة البكري في شعبـان
في النص باين، وقام كمل يا دوب رمضان
تعالي قال دغدغي له الكعك دي الغلبان
ما بات بعيد عنك الا في الكفـن ملفوف
والثاني كان كـل لحظـة تعطيـه البزة
ولمـا يصـرخ تهزه ستميـت هـزة
راح من اديها علـى التربـة ولـه حزة
عالبطن والركبتين من دي القماط الصوف
والثالث اللـي جـى لمـا بلـغ سنتين
فايتاه موسخ وقال خايفه عليـه م العـين
يقوم على اديه ، ويتدعور : صلاة الزين
شاف لك وابور الطبيخ والع وراح محدوف
وعاش لها الرابـع اتناشر سنـة بالـزور
باعت عليـه الاساور في علـب وبخـور
طلع عداكي ، بليد ، الدغ فاضي ، مطيور
يوقع القرش ، ويقول عالحمامة خـروف
استنظره الموت ، وفي العيد الكبير جالـه
في اللحم ، لمـا حشر مـن كل ما طالـه
اكل في بيتهم ، وبيت عمه ، وبيت خالـه
وبعيد غداه ، كل ما يدخل لاهله ضيوف
والخامس اللي طلع لك مـن اخوه اعبط
فسد، وخاب، ما تشوفيه في البحر يتلعبط
يـا عاالترومـاي يتقنـزح ويتشعبـط
وصل الخبر للمـرة ، ان ابنهـا منسوف

اما روؤف اللي كانت كل يوم توصيــه
اذ ان ابوه يسأله عــن أي شيء يخفيــه
كبر ، وكان ان طلب حاجة ، ولم تعطيــه
يدغها العلقة ، والسيم القــديم معــروف
ولمــا كــان الولد في نشأتــه كــذاب
والكذب دا يخلي صاحبه في الكبر نصاب
روؤف في كل الصنايع والوظائف خــاب
طفش على (الكمبو) مات ويا اللي ماتوا الوف
قلت لها يــا دلعــدي العيــل اذا كتــر
من اللبن يتعجــم ويش حال اذا اتظفــر
قالت : يا شيخ كل شيء مكتوب ومقدر
قلت لها طب والحجاب قالت داشيء موصوف
يا ظظله هانــم ، في نسوانا انــا كليــت
حتى الشتيمة بعيد عن ستــي مــا خليت
قصدي صلاح النسا ، والعائلــة والبيت
لان نسوان بلدنا رجالتهــا قحــوف ..

ويعالج مشكلة الحب الجنوني الذي يندفع فيه الشباب بطيش ...

الحــب

يااللــي تقــول الحب نعيــم
بــس انــت بهيــم
مــا يعلمــك غــير التلطيــم
بــين الجمــالات
حسدت عاشق علــى معشوق
لــو كنــت تــدوق
تعلــم بــأن الحب خــازوق
مش بلح « امهــات »
مــا حــد منــه بلــغ أملــه
وركــب جملــه
يــا مــا عمــل وبلــغ عمله
بــدع الستــات
آه لــا تاخــد مــرة ميعــاد
وتقــف منكــاد
تقول ما جاتش البنت يــا واد
ليلتــك حــومــات
تقف مــن اتنــين تحت الكن
لخمســة تــسرن
لا ست ولا ستــوتــة تحــن
علــى الشحــات

ولا امـا تنحـك عا الباب | ويجـي الـبـواب
ويسألـك ايـه الاسبـاب | لـك ست ساعـات
يا يقول عليك سافل ملعـون | يـا يقـول مجنـون
يبقـى ان ما كان دا يكـون | ضـرب مقشـات
الحب لـه تخاييـل وامـور | وتـاريـخ مسطـور
ودعس كبس مـن المأمـور | عـا لعـربيـات
الحب خـلا نـاس سهـرت | ونـاسـات كفـرت
ويا مـا ناس فيـه انتحـرت | ف الـدهيـات
ومش مصيبـة امـا الانسان | شرفـه ينهـان
لما يكلـم دي النسـوان | يـا لعـرضحـالات
واللـي أنـا متعمشق فيـه | وبـروحـي أفـديـه
ما شفت له في الدنيا شبيـه | ولا فـي الـمـوات
مـن بعـد ما أحلف باللـه | احلـف بهـواه
وعشقـي له طاهـر تـرضاه | كـل الـديـانـات
والقلب دا يـا نـور العيـن | مـا يساعش اثنـين
غيرك مـا فيش يام الهرمـين | معشـوق بـالـذات

ينقلنا بيرم في زجله عبر المحيط ليصل بنا الى باريس ، وهناك يصور لنا مرقصا من مراقص الزنوج ، وكأنك ، وأنت تتلـو عباراته تتبـع الايقـاع الموسيقي في (جازباند) الزنوج خطوة خطوة ، وقد ترجمت هذه القطعة الى الانكليزية والفرنسية ، ونشرت في كبريات المجلات الادبية .

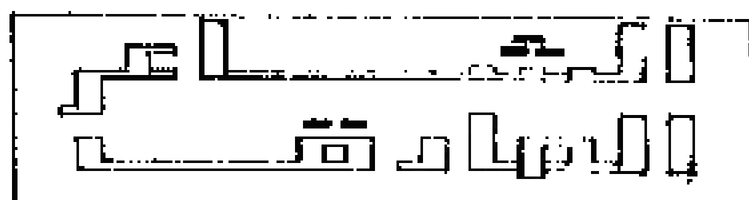
تحت في الظلام (دانسينج) | يجمع البدور والزنـج
مخبـوطـين بحقنـة بنـج | احلى من حقن مورفين
بنـج مـن جمـال اشكال | بنج مـن نغـم شغال
مـن جعـب قصار وطـوال | مـن نغـم شياطـين
تـرجف القلـوب وتطـب | والقـدود تميل للحب
هـب شدوا حيلكـم هـب | ياللي في الميدان نازلين
طبلـة العيـد الـسود | دايرة والنفير ممـدود
خلـت أم جميـل عـود | تنتقل شمـال ويمـين

تسمع الودع يشن — يقلب الملايك بجن
لما كل عرق يحن — في المدموازيل جوزفين
ترفع اليمين وتشيل — اختها الشمال وتميل
عا الجدع بشكل جميل — يا ختي والعيون ناعسين
واللي حطوا لون على لون — (وكتوريس) من السربون
والجدع من الكاميرون — عن عصب امم غافلين
يشغل الغرام ويقيد — في المهج بفحم عبيد
بدع من اوربا جديد — بعده يطلوا الكوانين
واللعين اديه بتلف — خصر يترعش ويرف
جسمه يتعد ويخف — دوغري والجميع شايفين
لابسة روب حرير مكشوف — من حروف تشد حروف
للي ما اتصلش يشوف — يعني كلهم فايزين
يجعل الكلام ده خفيف — عاللي عقله لسه ضعيف
واللي قلبه لسه عفيف — يفهم الشرف والدين

ويجن بيرم الى الجمال ويذكره في زجله وشعره ونثره ، ويتوق اليه ؛ ولنصغي اليه وهو يصف لنا بنات بحري ..

بنات بحري

ابواب جهنم في يونيه تنفتح رسمي — للي على الشط قالت ياجمال جسمي
افواج بتدخل جهنم بعدها أفواج — وفي كل فوج الزبانية تلتفي اسمي
لادخل جهنم مع اللي جسمها م العاج — ووسطها لما تمشي يتثني رجراج
تمثال من الحسن فوق الشط والامواج — قلوب تسلم على التمثال وتسمي
وادخل جهنم مع اللي خصرها مزنوق — وجسمها في المايوه المختزن مخنوق
الكورة ترميها في وشي وانا مفلوق — تيجي تقولي ناولني الكورة يا عمي
وادخل جهنم مع اللي مشعبطة عالبار — وتنتني وتتفرد لي في ادب ووقار
خلتني أروح للشيطان اللي قاعد في الدار — واقول لها امتى تبقي طالقة زي امي
واقول يا ربي تحرقني وانا عبدك — واللي عشق واتعشق منك ومن عندك
انا كنت في الدنيا بتفرج على قندك — قال لي هناك صنعتي لكن هنا حكمي





كان بيرم التونسي بشهادة أساطين الشعر في عصره أمثال شوقي وحافظ والمطران والبارودي ، من الشعراء القلائل الذين يقولون الشعر للفن وليس للارتزاق ، وكان في الحقيقة فريدا في اسلوبه الشعري ، كان قطعة متحركة حية من وجدان الناس الطيبين ، والغريب ان بيرم بدأ حياته شاعرا . فاول ما أنتج في حياته كان شعرا . ثم آثر أن يكون اقرب الى الناس فيتجاوب معهم في روحيتهم ومشاعرهم ...

وقد سمعت شهادة من اديب العربية عباس محمود العقاد في شعر بيرم قال :

ـ « ان بيرم الذي زحم ايامه باثاره الخالدة، من الاوبريت ، والمسرحية، والموال ، والاغنية لا يعرفه كثير من المثقفين بانه كان شاعرا كبيرا، أسهم بشعره في افراح الناس ومباهجهم ، وجوانب حياتهم الضاحكة . »

وكان لبيرم منزل صغير ولم تسمح له ظروفه بان يدفع ضريبة البلدية ، وفوجيء ذات يوم بقرار المجلس البلدي في الاسكندرية الذي يقضي بحجز المنزل ، دون النظر الى مصير العائلة الكبيرة ، وجلس بيرم في مقهاه المفضل وكتب قصيدة ، سرعان ما ارسلها الى جريدة البلاغ التي كانت تصدر اسبوعية ، فنشرت في صدر صفحتها الاولى ، وكتب المرحوم عبد القادر حمزة فوقها انها من شعر الشاعر المبدع محمود بيرم التونسي ، وشاعت هذه القصيدة حتى لم يبق أحد من انحاء القطر لم يحفظها ..

والقصيدة لم تنشر بكاملها حتى الان ، بل كانت الصحف تتناقل بعض أبياتها في المناسبات التي تتحدث فيها عن الشاعر الكبير ، وقد سألت الفقيد مرة عنها ، فقال :

ـ قد تستغرب بأنني لا أحفظ شعري ، وهذه هي القصيدة الوحيدة التي أحفظها لانها كانت باكورة انتاجي ثم بدأ ينشدها بصوته الشجي ، وأقوم أنا بكتابتها حتى آتينا على نهايتها ...

قصيدة المجلس البلدي

لا تنكروا ما رأيتم من ضنى جسدي   ولا فؤادي الذي امسكته بيدي
بمحنتي لم يصب في الناس من أحد   قد اوقع القلب في الاشجان والكمد
هوى حبيب يسمى المجلس البلدي

كم حل والله هول ساحتي وثوى   فما فزعت ، وكم ذئب الشتات عوى
فما أرقت ، وزادتني الخطوب قوى   ما شرد النوم عن جفني القريح سوى
طيف الخيال ، خيال المجلس البلدي

أحببته وفؤادي لا احوله   عن حبه وكفاني ما اؤمله
عن وصفه ، وكما تدري عواذله   اذا الرغيف أتى فالنصف آكله
والنصف اجعله للمجلس البلدي

ان جاء مهندت خدي موطئا نضرا   او راح أرسلت قلبي يقتفي أثرا
لم ألق عن هجره ما عشت مصطبرا   أقول حتى لو اني في الطريق أرى

قرشين دا لي ودا للمجلس البلدي
فقــدت مــن أجلــه داري وربتهــا :كذلك معشوقتي الاخرى وجيرتهـا
لكــن مواثيقــه أحكمــت عروتهــا :كــأن أمــي بــل اللــه تــربتهـا
اوصت وقالت أخوك المجلس البلــدي
أحببت من لم أرد عــن حبــه بــدلا قال الوشاة نراه عــن هــواك سلا
وأنت مــا زلت تهــواه ، فقلت بلــى وما كسوت عيالي في الشتــاء ولا
في الصيف الا كسوت المجلس البلــدي
افاق كل صريع في الهــوى وصحــا ورحت في الحب مخمورا مساوضحى
ان غبت مــن قــدح اتبعتهــا قــدحا وان أقمت صلاتــي قلت مفتتحــا
الله اكبر باسم المجلس البلــدي
ضلت أناس لغير اللــه قــد سجــدت والكل قد خفيت أسرارهم وبــدت
اللــه يعلــم ما نفسي ومــا عبــدت أستغفر الله حتى في الصلاة غــدت
عبادتي نصفها للمجلس البلــدي
سلــوا الرسائل عن أهل الهوى قدما وكم برى الشوق في تحبيرها قلمــا
وخبروني ، وكونوا خير مــن حكمــا هل دارت الرسل بين العاشقين كما
تدور بيني وبين المجلس البلدي
أعجب لعشقي ، لــه عشق وهنــدسة جدران حبي علــى قلبــي مؤسسة
وتلــك أرقــامهــا طهــر مقــدسـة عندي (قــائم) أشواق مكــدسة
وكلها من حبيبي المجلس البلــدي
كم بت في الليل وحدي والــزمان شتا بــلا نساء ، ومثلــي للنساء فتــى
مــا قلت اف ولا قلــت الزواج متــى أخشى الزواج اذا يوم الزفاف أتــى
يبغي العروس صديقي المجلس البلــدي
لا أبتغي ابــدا عــن بلدتــي بــدلا وان تزوجت وافانــي ومــد يــدا
لم أنتظــر منــه يومــا عفــة أبــدا وربمــا وهب الرحمــن لي ولــدا
في بطنها يدعيه المجلس البلــدي
ان قلت من حيرتي ملك الرقاب لمــن ؟ أجابني الارض ملكي والسماء اذن
له النفوس ، وقد أحصى لهــا عــددا أمشي وأكتم انفــاسي مخافــة ان

يعدها عامـل للمجلس البلـدي

قد كنت في المـال والاولاد أشركـه وقـد قلاني ، لسر لست ادركـه
فـان رأيـت ظلامـا لست أسلكـه وان جلست فجيبـي لست أتركـه
خوف اللصوص وخوف المجلس البلدي

هو الذي لم يـدع في الارض شاردة كـلا ولا رطبـة فيهـا وجامـدة
الا وكانت علـى التحصيل شاهـدة يا بائـع الفجـل بالمليـم واحـدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدي

غـاز ، اذا صارع العبسـي جندلـه ويبرم الامـر عسفا ، لن يعد لـه
اذا رأيـت علـى بـابـي محصلـه يبكي الصغير يريـد الخبز قلت لـه
دعنا لندفع مال المجلس البلدي

يبقـى ويطلـب أثوابـي ، فأنزعهـا والروح أيضا ، ولا أسطيع أمنعها
اذا الخطوب أحـاطت كيف أدفعهـا والارض والناس والانعام أجمعهـا
الكل ليست لغير المجلس البلدي

لـو يأمن الناس ليـلا مـا يؤرقهـم لجاء صبحا نذيـر السوء يطرقهـم
معاون الحجـز ، بالانـذار يرهقهـم لـه مـن الجند اجـلاف يفرقهـم
ليجحفوا الناس باسم المجلس البلـدي

هـذا يقـل المنـايـا فـي حقيبتـه وذا ينفـذهـا قسـرا بقـوتـه
ثلاثـة قـد أقامـوا تحـت امرتـه من كـل جلف قفاه نصفه جثتـه
كأنه صدغ باب المجلس البلدي

كـالصل ، أولـه ينتـاش اخـره وطـاول الهـرم الاعلى وتافـره
ما بال (زبلن) أعمـى اللـه ناظـره يردي البلاد ويعفي المجلس البلدي
لو سمتشـي الصخر والفولاذ أمضغـه والريح أمسكها ، والمـاء أدفعـه
علـى نكـايتهـا ، قـد زاد مبلغـه ان الدعـاء علـى الجبـار ابلغـه
يا رب سلط عليه المجلس البلدي

بعد قصيدة المجلس البلدي التي كانت اول مقطوعة شعرية تنشر للشاعر نظم بيرم قصيدة أخرى في نفس موضوع المجلس البلدي ، وفيها يتهكم على الفارق بين حظ الاجانب من المجلس البلدي وحظ أهل البلد :

وحــول منازل الغربــاء عنا   غرست الورد ثم الياسمينــا
واخضلت الغصون لهم سناء   ومهدت الرخام الجذع حينــا
وما قرموا للحم الطــير حتى   منحتهــم الاوز العــائمينــا
تفجر تحت أرجلهــم عيونــا   وتفقأ وسط أعيننــا عيونــا
وترضى عنهمــو وتصد عنــا   وقد سخطوا، ونحن الشاكرونا
فمــر بهــا علينا كــل عــام   بحــي الاشقيــاء البائسينــا
ترى الوحلات جاثمة وفيهــا   بنــات قــد تعلمن العجينــا
اذا كنت الطبيب ونحن مرضى   فاوصي الناس خيرا بالبنينــا

كان بيرم متدينا يؤدي الصلوات الخمس خلافا لما كان يعرفــه الناس ، وكان وهو في باريس لا ينقطع يوما عن الصلاة ولنقرأ له هذه القطعة الشعرية الصوفيــة الرائعــة :

قد دعاك المحزون في غسق الليــل   وقــد نام كــل حــي سواك
رب انت اللطيف بالبر والعــاصي   مجيــب لكــل عبد دعــاك
لك لطف في الخطب لو أمعن المكر   وب في وقعــه يكاد يــراك
أنــا مستمسك بحبلــك في اليــم   اذا الكائدون مدوا الشبــاك
فوق من دبروا على الارض كيــدا   كيــد رب يدبــر الافــلاك

في هذه القطعة الشعرية يصور لنا بيرم التونسي فقيها يبهره الرقص في داخل المرقص الذي يعج بالرجال والنساء :

يا صاح وحقــك ليس علــى   من رام المرقص مــن حــرج
الرقص نعيــم العمــر فقــم   وادخل في المرقص واندمــج
جمعــوا الفتيــات على الفتيا   ن فيــا لــلامــر المنبهــج
ما كــاد مغنــي القوم يــدق   الــدف بلحــن منــه شــج
حتــى انفــرطت وحداتهــم   ثم ازدوجــت بــالمــزدوج
رجــل وقــرينتــه التقيــا   بصــدور العــز وبــالمهــج
فعلــى كتفيــه معاصمهــا   ويــداه بخصــر ذي عــوج
وخطــا الأقــدام مــوقعــة   بــالرقص علــى نظم الهزج
ورواحهمـــا ومجيئهمـــا   في النهج علــى ارقى نهــج

طورا كالصاعد في درج او كالمنحط من الدرج
فاذا انجذبت فلمنجذب واذا اختلجت فلمختلج
واذا نقلت قدما ، رفعت قدما .. والرفع بلا عرج
وأساورهم وخواتمهم خطفت عيني من الوهج
والقوم تموج الارض بهم مما هم فيه من الهرج
وفقيه الله على حدة ثمل بالشوق المعتلج
في الركن يرقص لحيته وتروح عمامته وتجي

قصيدة الاستانة

كان الشيخ فهيم قنديل يصدر جريدة أسبوعية سماها (عكاظ) وكان ممن يتطوعون لنشر قصائد شوقي بلا اذنه ويهاجم أعداء شوقي دون ان يكلفه شوقي ، ويثني على شوقي ايضا فلا يهتم بثنائه ، بل كان أمير الشعراء يتبرم بلقاء هذا الرجل ويعتذر عن مقابلته .

وقد جعل الشيخ فهيم يهاجم العقاد والمازني لانهما ينقدان شوقي فلا يزيدهما الا ولوعا بمهاجمة شوقي .

وقد أصاب الشيخ فهيم بيرم التونسي بغمزاته، لانه كان من جلساء العقاد والمازني ، بل كان يغري به السلطات ، ويحصي حركاته وسكناته ويبلغ عنها ادارة الامن العام لان الشيخ كان أحد مخبريها ، وكان الشيخ مبتلى بمرض جلدي في رأسه لم تفلح عمامته الواسعة في اخفائه .

فكان بيرم ينتظر قصائد شوقي الكبرى ويحولها الى معلقات في راس الشيخ بطريقة التضمين ، وهي أن يحذف المضمن الشطر الاول من كل بيت في القصيدة المطلوب تضمينها ويضع بدله شطرا جديدا يصرف القصيدة عن غرضها الاول الى غرض آخر . هذه قصيدة شوقي التي كتبها عندما احتلت أساطيل الحلفاء مدينة استنبول عاصمة الخلافة ، وقد حولها بيرم التونسي فجاءت كما يلي :

يا قرعة أفدي جمالـك كلما (عز النصير وقـل من يفديـك)
ملساء كالبطيخ فـي ريعانـه (والقوم من اخلاقهـم نحتـوك)
وغدت بتدليك لجلدك ساطعا (كالشمس لمـا اذنت بـدلـوك)
لو كنت مرآة لاقصى مسجد (لرأيت صخرتهـا أساسا فيـك)
وعلوت فوقفا أبيك فطأطأت (شم الجبال رؤوسهـا لابيـك)
يرضاك قيصر تاجه ويود لـو (اعـوانـه بـأكفهـم لمسـوك)
في كل آونة بخارك صاعـد (هو في السحاب وانت في اهليك)
ويجانبيك دم فهل هو جامـد (او سال من عقباتـه شاطيـك)
تبدو حصاة الذهن في قيعانه (كالحق حصحص من وراء شكوك)
معها شعيرات تعـد ، وهـذه (تحف الضحى من جوهر وسلوك)
ولئن عطلت من السوالف حقبة (فسوالف اللـذات في ناديـك)
مهما عريت ، فانت أبهى منظرا (من كـل نـيرة وذات حلـوك)
والجلد يصبح حين يبقى عاريا (ابقى على الايام مـن ماضيـك)
في الشمس ينمو حين تشرق فوقه (والشرق ينمينـي كما ينميـك)
والدهن تلحسه الحرارة ان طغى (بلسان مفتي النـار لا مفتيـك)
اني اشتريتك في العراء كرامة (حـين الشيـوخ بجبة باعـوك)
اني أعيذك أن ترى أضحوكة (كالبابويـة في يـدي ردريـك)
بالزوج يصفعك الجبان وتارة (بالقـرد واستبـداده يرميـك)
قد أحجم الحجام عنك بموسه (وفتـاك سل حسامـه يبقيـك)
فتخاصم الاضداد فيك وقد بدا (جهد الشريف وعمة الصعلـوك)
وبقيت رغم النـازلات سليمة (كالصخر في عصف الرياح النوك)
لا بأس ان سالت دماؤك انما (تبنى الممالك بالـدم المسفـوك)
لا تذكري بالعتب ان لم تحسبي (رأسا سوى النفر الاولى رفعوك)
بعمامـة وطقيـة مسحـورة (من ذا الذي من سحرها يرقيك)
خلعت عليك جمالهـا وتأملت (فاذا جمالك فـوق ما تكسوك)
لكنما الصيبان يربض فوقها (كالبوم خاف جدارك المـدكوك)
لا تستطيع ورود احواض الحمى (كعيون مائك ، او ربى واديـك)
بادت كتائب كالجراد بغارها (وغزا الحديقة ظافـرا غازيـك)
تعريج تفسك في المخدة ظاهر (كتلائـد الخلجان في هاديـك)

ويظل من بعد الغسيل كأنــه (فوق الرياض ووشيها المحبــوك)
فاذا (الجماعة) زحزحوك بمعزل (او ضيعوا الحرمات او خانــوك)
فلسوف ينسج عمةمن سندس (لك من ربــى جناتــه باريــك)
لو (زفت) الازواج قبلك قرعة (لمليحــة لعذلت مــن عذلــوك)
فليعزلوك ، فان هذي خطــة (كانت هي المثلــى وان ساؤوك)
كوني لنا قبسا وكونــي بيننا (في حلبة الفرسان مــن حاميــك)
تفديك اخوان الصفا بنفوسهم (عمر يسوسك ، والعتيق يليــك)
ان قصرا ، أنجدك ثم بنجدة (بشباب خيبر ، او كهول تبوك)
لا يغلن منك العــدو اساءة (والاسد شارعة القنــا تحميــك)

محاكاة الشعراء المعاصرين والقدامى

لم يدع بيرم التونسي مجالا من مجالات النشاط الادبي الا اقتحمــه ، ولعل ابتعاده عن الشعر هو الذي دفعه الى الميدان الشائك ؛ كان يدلل علــى خبرته وكفاءته كأديب أصيل •••

لقد حاكى الشعراء المعاصرين والشعراء القدامى فيما اشتهروا به مــن اختصاص ، كابن الرومي ، وابن الفارض ، وأبي العلاء ، والشريف الرضي••

نظم قطعة فكاهية عنوانها (ابن الرومي في القرن العشريــن)

اني عبد الاله وقــد جلسنــا من اللهــو المحبب في شؤون
فرحبنــا وافسحنــا مكانــا يليق بذلك الحبــر السمــين
فأنذرنــا بصــوت بلغمــي كصوت الكف تعبث بالعجين
سمعنــا عاخهــا منه فملنــا نحاذر بالاكف علــى البطون

يتهكم بيرم على لاعبي القمار، فيستعير من ابن الفارض قوافيه، فيعارض قصيدته التي مطلعها :

اتتم فــروضي ونفلــي اتتم حديثي وشغلــي

فيقول :

أهـل الكلـوب ومالـي عـن الكلـوب تخلـي
قضيـت كـل حيـاتـي علـى سبيـل انشلـي
الناس تلعـب يـومـا وكـان لعبـي تملـي
كمي بجسمـي دليـلا وشعـري المتدلـي
وبـدلـة ليس فيهـا من النظـافـة ملـي
وجـزمـة بنـت كلـب منها ترى الناس رجلـي
الابعـديـة راحـت وكـل فحـل وعجـل
والبيت مـن بعـد رهن رسـا علـى كوتارللـي
والاكـل خبـز وفجـل لا بل ومـن غـير فجـل
يـا مدعـي وهـو مثـر حب القمـار اكتب لـي
لـو كنـت تعشق حقـا لكـان شكلـك شكلـي
انـا الذي قد بقـى لـي يومـين مـن غير أكـل
هـل مـن ريال لامضي الى الكلوب لعلـي ...

وحاكى الشريف الرضي في تهكمه على رجال الامن ، فتناول قصيدتـه التـي مطلعهـا :

منازل العشب ، لاحام ، ولا راع ، مضى الردى بطويل الرمح والباع

فقـال :

حطوا الخفير علـى الدكان يحرسه فباعـه جملـة لا بيـع قطاعـي
جاء الحرامي له ليـلا ، وقاولـه على الذي فيـه مـن مال وابضاع
والصبح جاء الى الدكان صاحبـه فلم يجد فيه غـير السقف والقاع
قال المعـاون شغـل ليس نعرفـه فاللص لا يـرقن الراجل الواعـي
وحرر المحضر المكتـوب صورتـه لكـل لـص ونشـال وقطـاع
يا ابن اللئيمـة يا شاويش بلدتنـا جعلتنـا ضحكـة الدنيا باجمـاع
يا ابن التي غضبت من زوجها حسن شيخ الطريق، وراحت رافقت ساعي
اللـه يخـرب بيتـا أنت ساكنـه وبيت أمك يا بكـر بـن منـاع

كان بيرم التونسي يقلد شعراء مصر اذا حانت المناسبة ، وجاءت فرقـة

(اتكنز) الانكليزية لتمثيل مسرحيات لشكسبير فنشر بيرم علــى لسان بعض الشعراء قصائد ترحيب باسمهم ..

أحمـد شوقـي بـك

قم كسول الشرق واستقبل صباحا | غررا مـن أنجـم الغرب وضاحـا
امــة الفتــح الغشـوم ارسلـت | رهط حق ينشر السلـم الصراحـا
شكسبــير ، اذ بنــى حــائطــه | جعــل الرفرف والصحن فساحـا
والجــدار الصلب مـن اخــلاقه | شاده في حــين لـم يشرع رماحـا

حــافظ ابراهيـم

زوروا الكنانــة في حرب وتمثيــل | هذا ، وذاك ، ترجـى امة النيــل
ايها شكسبير ، فالتيميسز مفتخـر | بنفســك المنتقــى لا بالاساطيــل
لو يعلم النيل أي القوم قد قدمــوا | سعى لهــم بـين تكبـير وتهليــل
بالله يا مصر ، لا تلقــي ضيافتهــم | على كواهل ، اهــل القال والقيل

الحــاج محمـد الهرواي

ابتهجــت بـلادنــا | وفـرحت اولادنــا
بقــرقــة رشيــدة | من لنــدن البعيدة
جــاءت هنــا ومثلـت | وزمــرت وطبلــت
وكسبـــت الامـــوالا | والفخـر والاقبـالا
وكــانــت الحبيبـــة | للشيب والشبيبـة
وهكـــذا المســرة | فلتحــي مصر حـرة

وقال بيرم يهجو أحد أعوان الانكليز من المشايخ ، وقــد نشر هــذه القصيدة في الجريدة التي أصدرها بدون ترخيص واسمها (المسلة) لا جريدة ولا مجلة ، وكان شباب الجامعة يؤثرون المسلة على طعامهم وشرابهم .

للشيخ أثياب غـدت لطولها | تمســح في طريقــه اذا مشى
وعمــة علــى قــذال أصلع | وجبهة منحوتــة مــن القفا
يقابل الصفع بصدغ جامــد | او يجلب الصفع لعينيه العمى

يا لك من شيخ ينادي باسمه | يا مظلم الوجه ولماع القفا
قبحك اللـه اماما سافلا | مهزءا ؛ لطخاء بخيلا .. بالبلا

وقعت في اليابان فاجعة كبيرة ، يوم جاء الزلزال على مدن بكاملها ؛ فكتب بيرم التونسي على ألسنة شعراء عصره محاكيا كل واحد منهم بأسلوبه الشعري الذي اشتهر به ، ويقول في ذلك :

« ... أما ألامر الصعب فهو مجاراة حضرات الشعراء ، واستخراج (أرواحهم) من شعرهم ، لسمو صناعتهم ووعورة مسالكها ونواحيها ، ولقلة ما يتكرمون به على الناس من نفثاتهم ، الا ان الحادث العظيم والخطب الجليل .. فاجعة اليابان الكبرى قد أثارت من (أمخاخهم) المراكز التي ينبع الشعر ، فاذا قالوا شيئا في هذه الزاوية ، فهاك أقوالهم ترى في كل منها صورة فريدة من الحسن والجمال » ..

حافظ ابراهيم

بلد الشمس ، أي خطب دهاها | فطغى سفلها على أعلاها
ايه يا مطلع الشموس لقد اظلـ | ـمت ما بين ليلة وضحاها
في بلاد الميكادو ، قد صاح اسرا | فيل بالارض كي تدور رحاها
فوران ، فرجة ، كشف القشرة | عن ذوب نارها ولظاها
احملي يا شموس ، بالله ، عن مصـ | ـر عزاء ورددي نجواها

خليل مطران

تقطعت الاوصال من عزمة الفتى | وما الخطب الا ان تقطع أوصال
عجبت وارجاء السماء عريضة | عن الارض ان يبقى على الارض أثقال
ترى الناس لا يرجون رحمة ربهم | سوى في سموات الاله اذا زالوا
تفجر صلصال الاديم .. وما درى | على علمه ان البرية صلصال
أفي كل يوم للسماء صواعق | وفي كل حين للبسيطة زلزال

احمد رامي

في رياض الهوى وتلك الجنان خلياني في سكرتي خلياني
واسقياني كؤوس ذكر حبيبي واغلظا، والحفا على السكران
خفق القلب وهو دار حبيبي ولهذا أخشى من الخفقان
انت اما سألت عن خفق قلبي لا تسل بعده عن اليابان

محمد عبد المطلب

واها لربع قام يستبكي متبمجر الجنبين مندك
قد أصبحت عرصاته جزرا كاليعقموص ، بغير ما شك
وترندحت افنانه فزعا فغدا كقعب الفرصح الضنك
يا رب زلزلة مفجعة ترمي جموع الناس في الهلك

مصطفى صادق الرافعي

ما للورى ؟ هلك الورى ، ضل الورى اين الورى ؟ ذهب الورى كهباء
والموت ، ليس الموت ، بل هو نفسه يفني فناء ، قبل كل فناء
يا امة الشرق التي قد انزلت بين الطبيعة من ذوي العلياء
أجدر بشعبك ان يعيد فخاره بين الانام بهمة قعساء
ان كان فوق يد الطبيعة من يد ما خلتها غير اليد الصفراء

عبد اللطيف النشار

وما الشعر الا العلم لولا عيونه تبيت تراعي هجمة المتطاول
ترينا القوافي كل يوم زعانفا يضيق بهم ذرع الحليم المجامل
ولم ألق الا شاعرا غير عالم ينبيه عليه عالم غير قائل
فيطلع ايماني ، وتخرج ملتي واركع حتى تستجير مفاصلي
فيبدي اله الشعر غضبته التي يرددها عنه اله الزلازل

وقلد بيرم أبا العلاء المعري في مقطوعات شعرية كثيرة لا يعلم أحد أين هي الآن ، فهي موزعة في الصحف التي كان يحرر فيها ، وجاء تقليده للمعري لما التزمه أبو العلاء في القافية بحرفين او أكثر ، وأسماه لزوم ما لا يلزم ..

وهذه بعض المقطوعات التي تصور هذا التقليد البديع ..

الافلاس

أفلست حينا لا ابث شكايـة حتى عرفت فضيلة الافـلاس
المفلسون ، هديت، أكثر فطنة لتغامـز الاخوان والجلاس
ولقد يغم على الغني صديقه اذ لا يرى ابدا سوى محلاس

الغني والفقير

خل الانـام ولا تأمـل منافعهـم فالله قـد خلق الانسان مرزوقـا
هم يأخذون نفيس الشيء ان طلبوا وان هموا وهبوا اعطوك خازوقـا
ترى الغنـي بعيدا عنـك مختبئـا أمـا الفقـير تـراه تبيك مازوقـا
ثم جاءني من فقير يشتكي سغبـا ومـن غني بطين جـاء محزوقـا

الفقـير

سليمى لـم يكن بعـدي لصـد او غنـى عنـك
ولكـن لم أكـن القـى بجيبـي نصف افرنـك
ولا فـرشا بـه اشـري لعينـي قطـرة الزنـك
كفـى بـالفقـر والتلطيشمناعـا عـن الهنـك
عسى ان تصل الشكوى لطلعتصاحـب البنـك
هو الحرب الذي اضحـى بمصـر هـازم الضنـك

النـاس

الارض عندي كلها ارض فلا باريسها تمتاز عـن بيروتهـا
والناس في نظري سواء كلها وشريفها ما امتاز عن عكروتها
ويغيظني اني رايت جماعـة حملت لتعرفها الدنى بكروتها
ولقدضحكت منالجبابرة التي زلت بها الاقدام في جبروتها

من الابواب التي اقتحمها بـيرم بجـرأة ولباقـة فـذة ، مداعباتـه و (قفشاته) ـ كما كان يسميها ـ لاصدقائه من الشعراء والكتاب ، وكان عصره عصر ازدهار الادب بكل فنونه .

هذا لون من ألوان المداعبة تناول فيه بيرم قصيدة أمير الشعراء أحمـد

شوقي (منفاي بالاندلس) والتي مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نأسى لواديك أم تأسى لوادينا
ماذا قصصت علينا غير ان يدا ... قالت جناحك جالت في حواشينا
رمى بنا البين ايكا غير سامرنا ... اخا الغريب ، وظلا غير نادينا

ويقول بيرم في مداعبته :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نأسى لواديك ام تأسى لوادينا

قال : يعني (يا نائح الطلح) احنا وانت واحد في الاحزان ، حانعيط على انفسنا والا عليك ... والكلام ده ولا مؤاخذه زي كلام المعدديـن او كلام النسوان لما يدخلو عزا ميت غريب ، ويسموا الندابة ، يقوموا يفتكروا رخرين مصايبهم ، ويعيطوا ..

ـه (يا نائح الطلح) دى تهويش في الصنعة ، لعل القصيدة تبقى قال زي بتاعة أبو العلا مثلا لما يقول : يا ساهر البرق ، ويا مفرد الغيث .

ماذا قصصت علينا غير ان يدا ... قالت جناحك جالت في حواشينا

يعني ما قلتش حاجة جديدة ، الا يادي اللـي قصصت جناحـك ، او تنتفه ، او عوجته ـــ هي بذاتها دخلت في بطننا ، وفضلت تلعب ...

أمير الشعراء عايز يقول اللي قاله في البيت الاول ، ويستحي طبعا يكرره زي ما هو ، قام عمل للوادي جناح بالزور ، وجاب له يد (ثالثة) وبعدهـا قـــال :

بجالت فيه مش عارف ليه ... يعني يا نائح الطلح أتأذينا احنا الاتنين ، وودتك منين ؟ من هنا ... ويداعبه مرة أخرى في قصيدته (شكسبير) التي مطلعها :

أعلى الممالك ما كرسيه الماء ... ومـا دعامتـه بالحق شمـاء

ويعارض بيرم قصيدة شوقي ، الذي منح له الجائزة الاولى حين نظـم

النشيد الوطني ..

بني مصر مكانكمو تهيا فهيا مهدوا للملك هيا
على الاخلاق خطوا الملك وابنوا فليس بغيرها للعز ركن

فيكتب بيرم في مجلة (الشباب) قصيدة بعنوان (نشيدنا نحن)

بني مصر مكانكمو تهيا فهيا واحضروا بالعجل هيا
على الرفين ماجور وصحن وطنجير وفيه الرز سخن
عليه لكم بوادي النيل سمن وصلصتها الى (طلعت) وشويا
تطاول قرعنا لونا وسعرا كلوه كله حلقا وقمرا
وناموا واملأوا الثقلين شخرا يعلم عصبة الامم الرقيا
فماذا قولكم في ذا المجال وعندي الكيف يؤخذ في الهلال
وخدامي كصف من سحالي يزق البربري البربريا

وهذه صورة من صور بيرم التونسي ، اوعز اليه بها خياله الجانح فداعب فيها أساطين الشعر في عصره ، متخيرا لكل واحد منهم الصفة التي تلصق به :

قال : سئل اديب من كبار الادباتية ، يسكن سوق الليمون ، ويسرح جهة الحسينية ، عن أشعر الشعراء في مصر الفيحاء . فأجاب :

شوقي بك اذا شرب .

والحاج محمد الهرواي اذا هرب .

وعبد القادر المازني اذا تعب .

وعباس افندي العقاد ان كتب .

وخليل افندي مطران ان ظل في حلب .

وحافظ بك ابراهيم لو تمجلس على الكتب .

واحمد أفندي نسيم في دار الكتب .

وأحمد أفندي رامي اذا ولول وندب •

وعبد الرحمن افندي شكري لو قرأ نهاية الارب •

والشيخ ابراهيم الدباغ كلما نظر الى العنب •

والشيخ عبد المطلب اذا ارخى العذب •

واحمد افندي الكاشف ان سار على نهج محمود العزب •

وأحمد أفندي محرم لو كان من أرباب العزب •

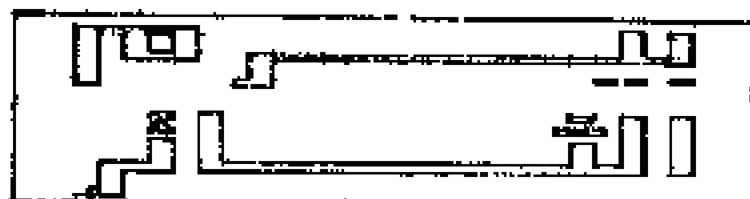
ومحمود افندي عماد لو عرف السبب •

وحسن افندي الدرس لو ضم الركب من غير تعب •

ومصطفى افندي صادق الرافعي لو سمع فطرب •

والشيخ الهيهاوي لو خطـــى العتب •

***





أمضى بيرم التونسي فترة طويلة في باريس خبر خلالها مختلف أنـواع العذاب ، عمل في المحطة شيالا يحمل حقائب المسافرين لقاء قروش معدودات، ونام في العراء، وقضى أياما في الحدائق العامة، ومع ذلك كان يعيش بواجدانه مع البائسين في مصر، وحين كانت تتاح له الفرصة لاستئجار غرفة يلجأ اليها في المساء ، تكون الغرفة فوق سطوح أحد المنازل في حي فقير من أحياء (ليون) مدينة صناعة الصلب • الغرفة من الخشب الذي حولته الامطار الى شيء لـه رائحة ولكن بلا لون ، وداخل هذه الغرفة يتلوى عامل عاطـل ، طـرد مـن العمل •• انه محمود بيرم التونسي ••• لقد أمضى يوما في انتظار معجزة •• أن يهبط عليه صديق بطعام أو نقود ، ولكـن المعجزة لم تحدث ، وهـو لا يستطيع أن يهبط الدرج لان صاحبة الغرفة لم تتناول أجر (البـواد) منـذ أسبوعين ، والاكل قد نفذ ، ان آخر قطعة خبز آكلها (حاف) في الثانية عشرة ليلا بالامس ، وقد مضى عليه أربع وعشرون ساعة على الماء فقـط ، وفكـر للمرة الالف في آن يبحث في الغرفة عن شيء يؤكل • ولكن المسألة ليست في

حاجة الى بحث فكل ما في الغرفة تراه العين من أول نظرة ... وتحت السرير وجد بصلة قديمة ، وشعر ساعتها انه عثر على العشاء ، وفكر في شيها ، ولم يجد سوى شمعة صغيرة ، سرعان ما فكر في اشعالها ، ولكن الكبريت كان مفقودا ، لقد تذكر أن علبة الكبريت استهلكها في اشعال أعقاب السجاير التي كان يجمعها من الشوارع المقفرة ليلا ، ووجد في العلبة عودا واحدا ، كان الورق الوحيد الذي يملكه هو القاموس الذي يتعلم فيه الفرنسية ، فمزق صفحات منه ليساعد الشمعة على شي البصلة ، ولكن البصلة لم تشو ، فأكلها بدون شي ..

حدثني بيرم عن شوقه مرة الى لقمة سائغة ـ أشني غدوة طيبة ـ فقال :

قليل من الناس من يعلم انني أجيد الطهي ، انني أجيده كأحسن ما يجيده طباخ . وزارني في مسكني بباريس الدكتور محمد صبري المعروف باسم السربوني . وقال يا بيرم لقد دعوت بعضا من أصدقائي وأساتذتي لتناول وجبة الغداء ـ غدا ـ وهم يرجون أن يكون الطعام شرقيا بحتا . وقد سمعت أنك تجيد الطهي فأرجوك انقاذي من هذه الورطة .. تعد لنا الطعام ثم نتناول سويا الغذاء ، ونحن ـ يا أخي ـ أصدقاء .

وقد رحبت لاكثر من سبب . الاول نفسي وهو أنني سأتعامل مع أصناف من الخضر واللحم نسيت شكلها ، ونسيت مذاقها . الثاني فني وهو أن أتمرن من جديد على الطهي الذي حذقته وتهفو نفسي اليه وتحن ، والثالث فلسفي وهو اشعار الصديق بوقوف الصديق الى جانبه . والرابع وطني اذ أقدم للاجانب روعة المطبخ الشرقي . والخامس شخصي اذ أطعم عصافير البطن طعاما جيدا ظلت تناديه عشر سنوات ويزيد ..

المهم أنني ذهبت الى الدكتور السربوني في الصباح وعقدنا لجنة مالية وانتهينا الى تحديد الانواع التي تقدم . وذهب صبري الى السربون وبقيت مترددا بين السوق والدار . ثم وجدت أن أدوات المطبخ ناقصة فأرهقت في

نفسي عمرا بالذهاب على القدمين الى مسكني الخاص وأتيت بالادوات اللازمة لذلك .

وجاء صبري ومعه أصدقاؤه مع مجموعة من الرفيقات ، وألقى نظرة عابرة على الطاهي فاذا بي أشر عرقا ومرقا ؛ وعلى صدري مريلة بيضاء ، ثم صففت ألوان الطعام على المائدة وقدمت أقداح النبيذ ، ولعابي يسيل الى كل لون ... واتخذ كل وغد مجلسه ...

اتدري — يا زهير — ماذا صنع ! حدثني بالفرنسية وبصوت السيد المترفع قائلا :

يا ولد ... لقد تعبت اليوم فاذهب الى دارك واتركنا لحياتنا الخاصة..

قال — رحمه الله — : ثم غادرت المكان دون أن أنبس ببنت شفة ...

هذه ليلة من ليالي بيرم في المنفى ؛ وما أظن معظم هذه الليالي كانت ببعيدة عن هذه الليلة السوداء ؛ كان بيرم وهو في باريس يسمع ضمير الناس الفقراء ، كان يترجم أحاسيسهم في رسائل يبعث بها الى الاصدقاء ، وهؤلاء كانوا ينشرونها كروائع أدبية دون أن يفكروا بارسال أي مبلغ لكاتبها ..

والحقيقة ان هذا الفنان لم يكن يعنيه من الحياة أكثر من تأمين لفافة التبغ ، فاذا ما توفرت توفر له نصف السعادة ، ولم يحمل في نفسه حقدا على أولئك الذين وافاهم بخير ناتج عقله وهو في باريس ، يجمعون الجنيهات ، ويضنون عليه بالمليمات ...

لم يندفع بيرم في مجال النثر الا بمقدار ما ألزمته الحاجة أن يصوغ عباراته منثورة الى جانب مقطوعات النظم ؛ وان كان قد عمد أحيانا الى كتابة قطع من النثر وحده ، وفيما يلي نموذج من نماذج كتاباته النثرية ..

هناك شيء من نثر بيرم كان يحاول اخفاءه خوفا من أن يصل الى أيدي العامة فلا يفهموا أسبابه •• كان يقوله مرغما بسبب ظروفه •• وهـذا الشيء الذي يخفيه أطلق عليه اسم (سور) لانه كان يقوله وهو كاره ، وكان يطلـع عليه الخاصة الخاصة من الادباء أمثال شوقي وحافظ والعقاد والكيلاني ولقد أتيت على نموذج منه في أربعين الزعيم سعد زغلول •• وهـذا مثـل آخـر ننشره هنا ليطلع القارىء على المقدرة العجيبة المدهشة الفذة التي امتاز بها هذا الرجل الميت الحي •• وهناك أيضا فصل كتب بعنوان سورة الستات••

اربعين سعد زغلول

س ، والدستور العظيم ، ذكر ما أنزل على مصطفى وفريد ، وما أوحـي الى الزعماء من لدن عزيز عليم ، قالوا ربنا هب لنا قوة • وأمددنـا بجرائـد وأحزاب وجنبنا القوم الرجعيين • اذ خطب مصطفى قومه وكانوا غافلين ، الا تجعلوا في الوطن شركاء آخرين ، يسعـرون قطنكم ، ويعلمون أبناءكـم أن هذا هو الخسف الكبير • ثم اصطفاه ربه كما اصطفى عيسى بن مريم عن ثلاث وثلاثين • أما فريد فكان من أولي العزم ، اذ ابتلاه ربه ببرلين • قـال : رب اني بلي الثوب مني ، ولا أجد الخيط الابيض ، ولا الخيـط الاسود ، وأنت على ذلك شهيد ، وكانت شلة من أهل فرعون يعيشون في الديار ، ويتامـرون ويرقصون مع الراقصين ، فما سندوه ، وما نصروه ، ومات من الجوع وهـو زعيم ، وكم من زعماء ماتوا وهم يشحذون • الا أن آل فرعون قوم منحطون• ما كان سعد وفديا ولا دستوريا ، ولكن مصريا من المصريين • فمن اتبع هداه جعلناه خليفة في الارض ، وانا له لمصوتون • فان تولوا فالذي توفى سعـدا يأتي بأربعين ، وما ذلك عليه بعزيز • يا قوم اذكروا مصر التي انبتتكم ، وفيها رزقكم ومتاعكم ، وفيها تدفنون •

مثال آخـر :

يا أيها المحافظ اذا أبصرتم النسـاء يقصرن ملابسهن ، ويبدين صدورهن

فأصدروا لهن منشورا ، ألا يتخططن ويتحككن ويقورن الثوب تقويـــرا .. انما الاحمر والابيض والكحل والاقلام زينة من عمل الشيطان وليست شيئـــا مشكورا ؛ صنعة الله التي تعجب المتقين مـــن الرجال ولا يعجب الاحمـــر الا رجلا غفيرا ، وقل للمتزوجات يسترن أفخاذهن ، ويغطين سمانات أرجلهـــن ؛ ولا يلبسن فستانا قصيرا ، ذلك بأنهن تزوجن ، ومن تتزوج فقد فازت فـــوزا كبيرا ، العانسات والابكار يغسلن وجوههن ، ويمشطن شعورهن ولا يضعن جبسا ولا جيرا ؛ ليعلم الذين يخطبون ذات البعل ، وغير ذات البعـــل وكفـــى بذلك تفسيرا .. ما كان لرجل يتبع المرأة وهو مؤمن ان الرجل كان خنزيرا ، يا نساء الشعب أن يملك منكن الرجال اغراضهم فلن تتزوجـــن أبـــدا ولـــو أعجبتهم كثيرا ، الراقصون للراقصات والصرماحون للصرماحات والمعلمـــون للمعلمات ولا تتزوج شريفة غفيرا ؛ حرمت على المؤمنات السمكـــة والأساور من القشرة والحجل وما جعل الله في أرجلهن جنزيرا ، أفيستـــوي النحـــاس والذهب ، خاب ذلك وساء تفسيرا .

انطباعـــات بيرم في باريس

يقول بيرم التونسي في رسائله :

العربي المسلم أقل قدرا عند الفرنسيين من انسان الاسكيمو وزنجـــي الصومال والكاميرون .. منذ أكثر من مائة عام خالطوا العربي مخالطة الناهب والسارق ، ولم يتكلفوا معرفة أصله وتاريخه وثقافته رغم وجود الكتب التي ألفها علماء فرنسا عن التمدن العربي الاسلامي ..

لا يصغون الى قول جوستاف لوبون (العرب أجمل وأقوى أمة علـــى وجه الارض) ولكنهم يحفظون عن ظهر قلب قول هانوتو (العربـــي جهـــول كسول يصبر على الجوع طويلا . ثم يثور ثورة الاحمق المجنون) .

عندما ساعدهم العرب بأرواحهم جعلوا لقدماء المحاربين منهـــم ثـــلاث مكافآت يختار المحارب احداها وهي : رخصة بدكان دخاخنـــي في الاحيـــاء

الوطنية • عسكري بوليس يحرس الحدائق ويقف على الابـواب ، قـاضي محكمة شرعية في القرى •••

وعندهم أن العربي لا يعرف الفرق بين العسكري والقاضي ، كما كنـا نقول في بعض أمثالنا السخيفة (كله عند العرب صابون) •

ولكن قدور بن غبريت استطـاع أن يجعـل لنفسه عنـد الفرنسيـين والفرنسيات منزلة لم يبلغها أحـد •

كان بوابا في قنصلية فرنسا في مدينة تلمسان التي تقع بـين الجزائـر ومراكش ، استخدمته امرأة القنصل في أعمال البيت والذهاب بالاطفال الـى المدرسة ، ورأت من طاعته واخلاصه ما جعلها تجزم بأن هـذا الشخص ليس من طينة العرب •• شاب أبيض اللون ممشوق القوام ، التقط اللغة الفرنسية سماعا ، وأجادها كلاما وساعدته سيدته على اتقانها كتابة وقراءة ••

يقول انه درس العلوم الدينية في جامعة القرويين • ولكن معارفه الدينية كما سمعت لا تزيد على أن المسلمين يتبعون أربعة أئمـة •

الامام مالك رضي الله عنه وقبره في المدينة المنورة • والامام الشافعـي رضي الله عنه وقبره في القاهرة • والامامين أبي حنيفة وابن حنبل في مدينة بغـداد دار السلام •

انتقل القنصل بعائلته الى باريس وأخذ معه ربيبـه المدلـل وقـدموه للاوساط الفرنسية الراقية بملابسه الحريرية الفضفـاضة وخمـاره الابيض المحيط بوجهه كخمار الراهبـة •

قدموه عالما من كبار علماء المسلمين ، وصديقا لفرنسا يشيد بعظمتهـا ومدنيتها اناء الليل وأطراف النهار •

وسريعا ما علق بن غبريت في طـرف برنسه العـروة الحمـراء لنيشان الليجون دينور ، من الدرجة الاولى • وأصبح سفيرا عرفيا لافريقيا الشماليـة كلها ، يبدي الرأي في مشاكل العرب ، والمسلمين بوجه عام من المغـرب الـى

الافغان واندونوسيا ..

في الحرب العالمية الاولى انتدبه كليمانصو الوزير الفرنسي المشهور بعدائه للمسلمين ليخطب في الفرقة الجزائرية قبل نزولها الى معركة فردان الشهيرة . فوقف بينهم خطيبا ، وأنا أنقل خطبته من أفواه بعض التونسيين..

قال بن غبريت :

ـ يا ولاد الزاير .. يا ولاد ماروك .. جيت لكم توه من عند الشيخ موسيو كيليمانصو عاليه السلام . قال لي انه ما يحب الا أولاد الزاير وولاد ماروك والليلة يطب لكم الكسكوس باللحم . ويزيد لكم الكاردومان بقرعة كبيرة . وفي الصباح يحب يشوفكم في الفيرون باش تحاربو الالمان وتنحوا لهم دين والدين بوهم . يلعن والدين بوهم ، قولوا امين ..

وها هي الخطبة العصماء بالكلام المفهوم ...

يا أبناء الجزائر ، ويا أبناء مراكش ، جئتكم الان من عند المسيو كليمانصو الذي أكد لي حبه وتقديره لكم ، وسيحضر لكم في هذا المساء عشاء فاخرا من الكسكسي واللحم ويبدل ربع ليتر النبيذ بنصف ليتر . ويسره أن تتقدموا غدا في الصباح الى جبهة القتال لتقضوا على الجيش الالماني الملعون ..

(ملاحظة : قتل في موقعة فردان هذه ١٥٠ ألف جزائري في يوم واحد).

ويقول بسيرم :

جامع باريس

مسجد أسس على غير التقوى . وهو من مبتكرات بن غبريت ، أعطته الحكومة قطعة أرض بين الحي اللاتيني الذي يكثر فيه الطلبة الشرقيون وبين حي (ايتالي) الغاص بالعمال المغاربة ليتمكن هؤلاء وأولئك من تأدية

الصلوات الخمس وعلى بن غبريت بعد أن حصل على الارض أن يجمع مـــن أنحاء العالم الاسلامي نفقات البناء •

وطاف بن غبريت على المسلمين في جميع أنحاء المعمورة وقوبل بالاحترام والإجلال في كل مكان • أعجب به الملك فؤاد واستضافه مدة طويلة وتبـــرع للمسجد بمبلغ محترم ، وكلا الرجلين لا يتكلم بغير الفرنسية ••

وتم بناء المسجد على طراز أندلسي بديـــع • وفي أحـــد أضلاع الارض المربعة أنشأ بن غبريت مطعما شرقيا ، وحماما ومعـــرضا لبيـــع المصنوعـــات الشرقية ، وهنا الفائدة المطلوبة في بناء المسجد •

الصلوات لا تقام في المسجد الا في عيدي الفطر والأضحى وبقية الأيام لا ترى فيه غير السواح الاجانب والشرقيين • كان الزحام كلـــه في المعـــرض والمطعم والحمـــام ••

المطعم ممتلىء بالزائرين الجالسين على المقاعد الجلدية حـــول الموائـــد المنخفضة ، يتذوقون أطعمة الشرق ، يطوف عليهم فتيان سمر الوجوه يتمايلون في السراويل الحمراء وعلى رؤوسهم الطرابيش وفي جيوبهم سجاير الحشيش والبانجو • وفي جانب من المطعم تخت شرقي يعزف التواشيح الاندلسيـــة ، يتوسطه مؤذن المسجد وهو عواد مصري يدعى الشيخ عبده •• عواد ومؤذن ولا فرق بين الاثنين في نظر بن غبريت ••

كان بن غبريت يحيط نفسه بهالة من الكبرياء الملوكية ، ويقضي معظـــم وقته في مخدع بناه فوق المعرض ، ولا ينزل الى المطعم الا اذا طـــرقه زائـــر كبير كالجلاوي باشا •

ولا يرى في المسجد الا في صلاة العيد جالسا على كنبه وعن يمينه سفير مصر محمود فخري باشا وعن يساره السلطان عبد الحفيظ سلطـــان مراكش المخلوع • وهنا ، أو هناك ، لا يجلس الا دقائق معدودة يتبـــادل فيهـــا مـــع

زائريه عبارات التحية ، وبالفرنسية فقط ، ثم يصعد الى مخدعه مشيعا من الخدم يتقدمهم شريكه ، وهو رجل مطوف من أهل مكة .

لباقة المطوفين

جاء هذا الرجل من مكة الى تونس في الزيارة السنوية التي يقوم بها المطوفون بعد موسم الحج، ولكنه استمرأ الاقامة في تونس الخضراء، وأحبه القوم لانه كان ظريفا من أبناء النكتة .. كان يتحفهم بحكايات أبو نواس وهارون الرشيد ، وهي تعد من الطرائف الادبية في بلد ينوء بكابوس الاحتلال الفرنسي .

كانت الهواجس والاحزان تلفني لما أتوقعه في هذه الغربة من متاعب ، ولما أراه من انصراف الناس عن مظان التهم والشبهات . وأعجبت بهذا الشجاع الذي دعاني الى الغداء في بيته وملأ نفسي راحة واطمئنانا ..

وعلى مائدة الطعام رويت له قصتي ، وكأنه ندم على التعرف الي ، فانصرفت نفسه عن الاكل وتباعد عن المائدة وقال :

كل ... وقل الحمد لله الذي أطعمنا وأسقانا ، ثم اضطجع على ظهره وقال :

انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ..

أقام في تونس نحو خمسة عشر عاما اقتصد فيها قدرا من المال سمح له بمشاركة قدور بن غبريت في المطعم والحمام . وها هو يجلس في البهو العربي الفاخر على دكة عالية يرتدي الجبة التونسية المفقلة الصدر وعلى رأسه عمامة مكسوة من الاغباني الاصفر ، ولا ينقطع برهة عن الصياح بالخدم بصوت عال يسمع في دائرة قطرها ميل ..

ــ شوف الناس يا ولد ... هات المشوي يا ولد ..

وأسكنوا الحاج هذا في قصر أثري ذي قباب خضراء وجدران مكسوة

بالقيشاني ، وانعقدت عنده جلسات السمر وتوالت عليه الهدايا من كل نـوع بصفته ضيفا من الاراضي المقدسة ، وأديبا عربيا لا نظير له في البـلاد ..

أحتفظ لهذا الرجل بحسنة لا أنساها وباهانة لا أنساها .

نزلت من الباخرة الى ميناء تونس في عام ١٩١٩ لاول مرة في حياتـي ، وحجز البوليس جوازي وطلب الي الحضور بعد يومين ليتحقق من شخصيتي وليعرف سبب حضوري ..

وفي اليوم التالي شعرت ببرد تونس فارتديت عباءة حملتها معـي مـن مصر، ولكن الناس كانوا ينظرون الي متعجبين الى أن ناداني من أحد المقاهي:

ـ تعال يا ابن مصر . تعال سلم على أخيك ، أهلا بك وسهلا ..

رجل أسمر هندي الملامح مستدير الوجه واسع العينين له فم صغير تـم الطفل هذا اللقاء أنقذني مـن البوليس .

نعود الى ذكر هذا المطوف العجيب ..

كان هذا المطوف يراقب الافواج الداخلة الى جامع باريس ، فان كانـوا الرجال ظل في مكانه والنعاس يداعب عينيه ، وان رأى في الداخلـين امـرأة انتعش وقام يقدم التحيات ويصدر الاوامر للخدم .. ثم يقول بالفرنسيـة :

زرتم مسجدنا ؟ هل رأيتم حمامنا أتفضلوا ..

وبعد الفرجة على الحمام يقول للضيوف :

اسمحوا للسيدة بزيارة قسم السيدات ..

وليس هناك قسم للسيدات الا باب يصعد منه الى مخدع قـدور بـن غبريـت ..

زرت هذا المسجد عدة مرات ، ورأيت المطوف الذي أطعمني لوجه الله ، ولكنه لم يرني ، أو رآني وتجاهلني لا أدري ؟

وفي أحد الايام دخلت المطعم ومعي السيدة فاطمة رشدي وعزيز عيد وادمون توما ..

وجلسنا حول المائدة المستديرة والخادم الاسمر حولنا يزهي في ملابسه العربية ، فسمعت المطوف يقول وهو ينزل من منصته العالية ..

ــ يا خويا يا محسود .. نسيت أخوك داخل لا سلام ولا كلام ..

واقتربت منه وقلت : هذه السيدة فاطمة رشدي كبيرة الممثلات المصريات ، وقبل أن أقدم له الاخرين هجم وقبل يدها على الطريقة الاوربية وقال :

ــ ازيك يا رشدي .. هو انتي رشدي ؟ سمعنا عنك في الشرق والغرب يا رشدي وعلى الفور ألقى بيتين من أشعار الف ليلة وليلة ..

لو تعلم البسط من ذا فوقها لمشت واستأخرت ثم باست موضع القدم
وأنشدت بلسان الحال قائلة أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

وانطلق في الحديث مع السيدة فاطمة ، وقالت السيدة ونحن نغادر المكان :

ــ راجل متعلم صحيح ..

الدكتور بن غبريت

ولم يمت قدور بن غبريت قبل أن يحصل على لقب (دكتور) في الاداب من جامعة السربون ، ولا أعرف أي فرع من الادب استحق عليه الدكتوراه ..

ولا تهولنك هذه الدكتوراه، فليس أسهل من الحصول عليها اذا درست خطواتها المرسومة المنظمة ..

فلكي تضمن النجاح في السوربون تخير موضوعا ترتاح اليه نفوس الاساتذة المعجبين ..

قل عن نافع بن الازرق الذي كان يناكف عبد الله بن عباس ويسأله عن الفاظ القرآن ومعانيه ، أنه أول رجل وضع قواعد البحث الحر في الاسلام ..

أذكر ما وقع من الخلاف بين عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود عند جمع القرآن لتقول في النهاية أن المصحف الحالي فيه تقديم وتأخير وحذف واضافة ..

بهذا تضمن رسالتك ..

وبعد هذا تجد حول السربون كتابا كهؤلاء الذين يرابطون عندنا أمام دار المحافظة ، صناعة هؤلاء الكتاب صياغة فكرتك في (قالب علمي) وبأسلوب يليق بكتابة الرسائل العلمية ، وبأجر بسيط .

وسيقول أساتذة السربون أنك زودت الثقافة العامة بمعلومات جديدة وسلطت أشعة أنوارك على أركان مظلمة . يا دكتور .

النثر الفني

من هؤلاء الدكاترة المرحوم زكي مبارك .. وقد جعل موضوع رسالته (النثر الفني) ، فأتعب أساتذة السوربون وأتعبوه حتى أقام في باريس أكثر مما كان يظن وأنفق على نفسه فوق طاقته ..

والحق أن هذا النثر الفني كان من اختراع متحذلقين جانبوا البساطة التي تتميز بها أساليب العرب ، واخترعوا زخارف معقدة يصعدن بها الى كراسي الوزارة ، من هؤلاء الصاحب بن عباد وابن العميد والخوارزمي وعشرات من اضرابهم وتحضرني الآن نماذج من هذا النثر الفني كتبها القاضي الفاضل وهو أحد وزراء صلاح الدين الايوبي ..

قال في بائع كحل :

(كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بخيوط كحله الملعون لعلة المنون ،

ويدرجه في كفن من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العين ، ينقـل العـين الى بياض الثغور ، ويسلبها سواد اللما وما برحت عصبة مردودة ولديها عصي العمى • قد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل ؛ اذ قيل يسرق الكحل من العين، بهذا يسرق العين من الكحل ، وهو لص من اكابر اللصوص ، وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص • وقـد اودع كحلـه حـزن يعقوب • فمن كحل منه ابيضت عيناه • وجحد معجز القميص اليوسفي فلـو مروا به على ناظر انفرج جفناه ••)

واقرأ وصفه لوفاء النيل ••

(نعم الله سبحانه وتعالى من اضواها بزوغـا • واضفاهـا سبوغـا • واصفاها ينبوعا • واسناها منقوعا • وامدها بحر مواهب • واضمنها حسـن عواقب ، النعمة بالنيل المصري الذي يبسط الامال او يقبضها مده وجـزره • ويربي النبات حجره • ويحي مطلقة الحيوان •ويجني ثمرات الارض الصنوان وغير صنوان ، وينشر القطوى حريرها • وينشر مواتها • ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها • وكان وفاء النيل في تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب • وامن يوم بشراه من كان خائفا يترقب • ورأينا الاباذة من طائف الله التي حققت الظنون ، ووفت بالرزق الضمون ، ان في ذلك لايات لقـوم يؤمنون •••)

أتعب زكي مبارك في ترجمة هـذا الكـلام بنصه وفصه الـى اللغـة الفرنسية ، وكان يبدأ كل فقرة بسطر من المديح (وها أنا أقدم مثالا رائعا من هذا النثر الذي بهر العقول واستحوذ على القلوب ••• ويختم الفقرة بسطر اخـــر •••

(فهل رأيتم أبدع من هذا الكلام • وأجمل من هـذا النظام) •

قيل له ان رسالتك ليست أكثر من عواطف اعجاب وعبـارات ثنـاء • وما هكذا تكتب الرسائل العلمية ، ويجب أن تكون رسالتك هادفـة وعلـى

أساس مفهـــوم ..

وهكذا أخذ الدكتور يحذف ويضيف وهدفه الاول والاخير أن يعـود من باريس ومعه دكتوراه أخرى غير التي نالها من الجامعة المصرية عن شتـم الامام الغزالي .. وكما نعلم كان يسمي نفسه الدكاترة زكي مبارك ، تبكيتـا للاخرين الذين لا يحملون الا دكتوراه واحـدة ..

فيـلا في لـوزان

كنت أنا ، وادمون توما نعيش في ضيق ، اذا ضمن أحدنا غـذاءه فلـن يضمن عشاءه ..

جاءني ادمون في الصباح ضاحك الوجه وقال :

ــ جبت لك راجل حايشغلك زي الحصان .. عزيز عيد هنا في باريس .

وفي المساء قدم لي عزيز عيد نسخة من مسرحية (قسمت) وقال :

ــ أقلم لنا زجل

و « قسمت » من تأليف كاتب ألمانـي . لا يصل الـى مثـل حبكتهـا المسرحية مؤلف شرقي .

وأنجزت نصف المسرحية في أسبوع ، وأعجب بهـا عزيـز عيـد كـل الاعجاب ، ونفحنا بعشرين جنيها ، وكانت الجنيهات الذهبية لا تزال في أيدي الناس ، فاقتسمتها مع ادمون مناصفة ..

وقال عزيز عيـد :

باريس دي دوشة شوفوا لكم فيلا في لوزان بين البحـيرات والمناظـر الطبيعية الذي ينطلق منها الخيال . ادمون يختار لك المسرحيـات ، وانـت تكتبها ، وأرسلوا لنا في كل شهر رواية ، وسيصل اليكم في كـل شهـر ١٠٠ جنيه ، بس استنوا لما تيجي فاطمة من مصر ...

وكنا ننتظر حضور السيدة بفارغ صبر لنقبض بقية الاجر ، وجاءت السيدة وعقدنا سهرة في الفندق لقراءة الرواية مع مدير الفرقة ••

وبدأت أقرأ القصة •

كان عزيز مضطجعا على جنبه على السرير الوحيد في الغرفة ، وكان يلف سيجارة في ورقتين بافرة ، وكانت السيدة أمام المرآة تسرح شعرها ، أو تعقده استعدادا للنوم •

واذا بهما يشتبكان في معركة لاسباب قديمة وكأنهما كانا ينتظران تصفية الحساب في باريس وفي هذه اللحظة بالذات أخذ كل منهما يقذف الاخر بأقسى العبارت واخشن الالفاظ ••

ــ طول بالك ، ان ما كنت حاطربق الفرقة على دماغك •••

أنت ؟ أنت مغفل ، أنت سافل ••

وبعد أن يشبع كل منهما من شتم الاخر يقول عزيز عيد :

ــ اقرأ ياسيدي ، اقرأ من أول المشهد ، والى آن أعثر على أول المشهد تسد السيدة الفراغ وتسأله :

ــ ناسي يا مجرم اللي عملته في النسر الصغير •••

وتعود المعركة من أولها ، وتزداد عنفا •• الى أن يقول ادمون :

ــ يا ماما وطي صوتك ، أحسن أصحاب الاوتيل ينتقدونا ••

وفرغت من قراءة المسرحية بصوت منخفض وفي جو قاتم ••

ولاحت مني التفاتة فرأيت السجاير التي لفها عزيز أثناء المعركة أكثر من عشر سجاير مصفوفة على الجريدة المبسوطة على السرير ••

وفي الطريق كنا نتساءل :

خرجت أنا وادمون في الساعة الثالثة صباحا ••

ــ لقاء بعد فراق • ومبيت في غرفة واحدة • وسجاير محشوة •

فما معنى العراك ؟

رجحنا أنه عراك مصطنع ، لكي لا نجد الفرصة لطلب بقية الاجر الذي وعدنا به عزيز في تلك الليلة .

وفعلا ، لم نقبض الدفعة الاخيرة الا بعد أن غادرا باريس ، وتركانا نعمل بنشاط في رواية أخرى اسمها عقيلة .

كل اسبوع رواية

كان هذا في سنة ١٩٢٨ ، وكانت الفرق المسرحية في مصر تتنافس وتتبارى في ارضاء الجماهير .

كانت احدى الفرق تعلن في الصحف عن نشاطها بهذه العبارة (كل أسبوع رواية جديدة) . فترد عليها فرقة أخرى (كل ليلة رواية جديدة) ولا يدري هؤلاء أنهم يسيئون الى أنفسهم أبلغ اساءة بهذا الاعلان . لأن الرواية الناجحة هي التي تقول عنها الاعلانات أنها في الاسبوع الرابع ، أو العاشر .. والعبقري الذي اشتهر بحكاية المسرحية الاسبوعية اشتهر في الوقت نفسه باحتقار الناس . والاستخفاف بعقولهم ، فلم يخطر على قلبه أن فيهم من يسأل عن قيمة الرواية التي تكتب وتعد للتمثيل في أسبوع ...

انقطعت الصلة المالية بيننا وبين فرقة عزيز عيد . وتوالت علينا الخطابات تطلب انجاز مسرحيات أخرى . فأرسلنا مسرحية عقيلة ودفعنا لها اخر ما نملك من النقود أجرا للبريد ..

ومثلت الفرقة ليلة من ألف ليلة على مسرح الازبكية أربعين ليلة متوالية ، ورأت فاطمة أن دورها صغير بجانب دور عزيز الذي يسيطر على القصة من اولها الى آخرها . فأمرت بايقافها ، وبالبدء في عقيلة ، ولكن عزيز استأثر بدور بطلها . وكان جبارا من طراز هانيبال ونيرون فتناوله النقاد بالسخرية وسقطت الرواية ..

وأقلعت أنا وادمون عن السكنى في لوزان ..

بيرم المبتكر

بهذا الاسلوب الحي كان بيرم يصور أشخاصه ، لم تخدعه أضواء باريس ، بل راح يكتب ويصور الاشخاص وكأنهم يعيشون معه في جلسة واحدة ، انتقل الى باريس طلبا للحياة الناعمة ، ورغبة في رفع مستواه ، فضنت عليه باريس بالعمل . وبقي فيها مشردا ، وليس بيده ثمن تذكرة تعيده الى ميناء فرنسا ، وعاش في باريس صامتا ، لا يتناول انسانا بسوء . أراد بعض المصريين المقيمين في باريس — في تلك الحقبة — أن يتقربوا الى سفير مصر بفرنسا وكان زوجا لكريمة الملك فؤاد ، وكانت القنطرة التي يعبرون عليها هي جسد بيرم التونسي ، يختلقون ، ويكذبون ، ويبالغون في ارهاقه لا يتركون نهشه في مجلس خاص ولا في مجلس عام ، هكذا عاش بيرم في باريس ، عاش قوي النفس وان أكثر من شكوى الحياة ، كان مؤمنا وان ضاق بظلم الاحياء من بني الانسان ، وقد صور لنا كل هذا بأسلوب رشيق هين ، فيه كل معاني الحياة الصادقة ، ولنمض معه في رحلة قصيرة عبر باريس لنصغي الى هذا الاديب الذي أسمعنا نبضات قلبه في الاغنية والزجل والمقامة والموال ، ثم في المقال والمسرحية نثرا وشعرا ...

النصب في باريس

يقول بيرم التونسي :

كلما كان العمل شاقا طلب الفرنسي أجرا مضاعفا بعكس البلاد الاخرى .. وأرخص العمال أجرا في البلاد العربية ذلك الذي يحمل على ظهره أكياس الدقيق من اللوري الى المخزن ، أو بالعكس . ولكن شيال الدقيق الفرنسي لا يرضى بأقل من أجر العامل الفني ، بل أكثر من العامل الفني .

ولهذا فتحت فرنسا أبوابها لمائتي ألف عامل أفريقي ، ولعشرات الالوف

من جنسيات مختلفة ليعملوا (باللقمة) في حمل الاثقال ، وفي مسابك الحديد ونحــو ذلــك .

وقفنا صفاً طويلا من الفعلة أمام بوتقة هائلة يغلي فيها الصلب المصهور خمسة الآف درجــة .

وها هو ذا المهندس يحرك العجلة والبوتقة تميل لتفــرغ ما فيهــا مــن الجحيم المصهور في الجرادل ورذاذه الملتهب يتطاير على الوجــوه والايــدي ويخترق السراويل والاحذية .

ويتسع الجردل لنحو ١٥٠ كيلو غرام تتوهج قطعــة واحــدة كقــرص الشمس تلفح الوجوه وتغشي الابصار .

وتسير هذه الشموس بين أيدي العمال لتنصب في عشرات من قــوالب الطين المبنية على هياكل القطع المراد سبكها . وبعد دقائق تهــدم القــوالب ويحمل طينها الثقيل بالجاروف الى حيث كان ، ليستعمل في الطبخة القادمة .

تبدأ عملية السبك هذه في الساعة الثالثة بعد الظهر وتنتهي في السادسة، وبعدها يخرج العامل من المصنع ولا شيء أحب اليه من الاستلقاء في فــراشه الى الصباح .. اذن أين هي مسرات باريس ومتى يراها من هذه عيشته ؟

كثير من حذاق الشرقيين هربوا من هذا العناء واحترفــوا النصب علــى مواطنيهم بطــرق مختلفــة .

الامير اليعقوبــي

سمعت صبي الطباخ المغربي يصيح في أرجاء المطعم :

ــ واحد بطاطا للامــير ..

وكان الامير يجلس في أقصى المطعم على مائدة وحده ، وقد وضع تحت ساعده جريدة يقي بها بدلته الفراك السوداء من الدسم وفتات الخبز .. حقا

انه أمير ، فوجهه يتلألأ بياضا واشراقا • وشاربه الذهبي يتصل بلحيــة مثقفــه ذهبية كأنه أحد ملوك النرويج أو الدانمارك •• كانت أنامله تقبض علــى الشوكة والسكين برشاقة ملوكية وكذلك يرفع الى فمه القطعة الصغيرة مــن الخبز أو البطاطس ويمضغها وشفتاه مطبقتان ، وهكذا يأكل النبــلاء • قلت هذه سهرة طيبة ، بعد يوم شاق في مسبك الصلب •

ثم يرني الامير وأنا أدور بين المقاعد الى أن جلست بجانبه • وتعارفنـــا بسهولة شأن الجالسين على مائدة واحدة ، واليكم خلاصة قصته ••

ـ انه من سلالة العائلة اليعقوبية التي كانت تجلس على عرش مراكش منذ ثلاثة قرون •

يوجد في القوانين الدولية نص يجيــز المطالبــة بالعروش بعــد ثلاثة قرون • وقد مضت •• ونص آخر « بعد ثلاثة قرون » وخمسة عشر عامـــا ، ومن هنا يتسع الامــل لاستعادة العرش ، ومضى الــى الان خمسة اعوام • ولا تزال امامنا عشرة ••• هانت • قابــل مسيو ميللوان وزير خارجية فرنسا وقدم له المستندات التي تثبت نسبه وحقه فاقتنع بها في بدء الامر • ثم راوغه ثم خاشنه ، ثم خصص له معاشا قدره مائة فرنك في الشهر الى أن يعتلي عرش اجداده •

كان الرجل يتكلم بحساب ، وبرزانة ، ومــع خبرتي الفائقــة باللهجات العربية ـ حتى لهجة مالطة ـ عجزت عن معرفة البلد الذي ينتسب اليه ••

جيم معطشة لا تسمع الا في الريف المصري •• التــاء والذال ينطقهــا سليمتين ولا يفعل ذلك الا اهل تونس ••

يتكلف تنغيم صوته بنبرات عراقية وسورية •

الخلاصة : انه يتناول طعامه في مطاعم المغاربة علــى الحساب الــى ان يعتلي العرش ••

وفي كل آونة واخرى يجمعون له اعانة في صمت يليق بعزيز عرش ذل.

ويختفي من باريس ليظهر في ليون ومرسيليا حيث توجد جاليات اخرى من العمال المغاربة.

مــامور السيدة

اسمه بهجت او نحو بهجت ، ابيض ممتلىء دما وشحما ، يلهث اذا مشى او تحدث. يقول انه كان مأمــورا لقسم السيدة زينب ، وابــى ضميره ان يستمر في مثل هذه الوظيفة فاستقال. وتنازل عن المعاش والمكافــأة وقــال للحكومة المصرية ..

ــ حد الله مــا بيني وبينكم ، لا انــا عايــز معاشكم ولا انــا عايــز مكافأتكم ..

كان اذا دخل قهوة جلي الحاوي تلقاه بالاحضان ، وتبادل الاثنان قبلات صادقة ، ثم يجلس ويداه في حجره وينادي جلي باسمه الرسمي ..

ــ ازيك يا دسوقي بيه.

جلي المتعطش الى الاحترام يرى احــد رجــال الضبط والربط يتخاذل امامه ويحييه بصوت خفيض. فيصيح باخيه الذي يساعده في القهوة ..

ــ هات الغدا يا وله يا محمد .. طابخ ايه النهارده ؟

كان محمد شقيق جلي اسمر ، قصيرا كعرفيل مــاء ، وكان لا يستخف ظل بهجت ولا يبتلع ظرفه فقال : النهارده عامل لك مسقعة ، بس لسة عالنار.

فقال جلي : طيب هات البطارخ ، وهات نبيذ ابيض وأحمر ..

بطارخ البوري ، والبسطرمة ، وملبن الحبال ، والفستق المحمص ، كل هذا لا يوجد الا عند بقال ارمني يعيش على اثرياء الشرق المقيمين في باريس، ومنهم جلي ..

وذهب محمد متمعر الوجه وعاد ومعه عامود من البطارخ بلون العقيق ولا يقل طوله عن ست بوصات •

فأخذ جلي السكين وقطع العامود الى خمس او ست قطع وقال : اتفضل يا خويا يا بهجت ••

نظر محمد الى بهجت وهو يضع في فمه قطعة البطارخ دفعة واحدة وهي عند العارفين بقيمة البطارخ تؤكل بنصف رغيف على الاقل ••• فذهب وجاء بحلة المسقعة كما هي فرأى بهجت يتناول القطعة الاخرى • وايضا على دفعة واحدة فاختطف الطبق وقال :

ـ في بيتكم بتأكلوه كده ؟

في احد الايام التي مأمور السيدة على القعلة الجالسين في قهوة جلي هذا السؤال ••

ـ صحيح يا جماعة باريس فيها مطبعة عربي ؟ فأجاب احدهم : نعم • اعرفها ولكن لا اذكر اسم الشارع ••

فقال بهجت : طيب يللا بينا ••

وجد بهجت المطبعة على تمام الاستعداد لطبع الكتب والجرايد ••

فذهب الى قدور بن غبريت يقول :

يا سيدي الباشا • لا العرب • ولا العالم الاسلامي يعرف مجهودك في خدمة العروبة والاسلام • ومن أين يعرف وليس لنا هنا لسان يتكلم ويذيع•• نريد جريدة اسبوعية جريدة تتكلم عن الرجل الذي جعل للعرب شأنا في العاصمة الفرنسية • الرجل الذي رفع منار الاسلام عاليا وبنى المسجد بين الكنائس والاديرة •• الرجل الذي •••

وما اسرع ما استجاب غبريت للفكرة ، فاستخرج له الرخصة في ٢٤ ساعة وأملي عليه أسماء المئات من باشوات الجزائر كل باشا منهم يحكم على

مئات الاعيان •

والباشا الجزائري ، نسخة طبق الاصل عن العمدة المصري • وله الحق ان يخلع على نفسه لقب باشا ولو كان سكان قريتـه لا يزيدون عـلى ٢٠٠ نسمـة •

وتعهد بن غبريت بدفع النفقات من جيبه ، وصدرت من الجريدة ثلاثـة اعداد في ثلاثة اسابيع •

كان بن غبريت يبسط الجريدة امامـه ويقـرأ في صدرها مثـل هـذا الكـلام ••

(اذا اراد الله بأمة خيرا ، وكتب لها ان يستبدل بذلها عـزا وبخمولها رفعة وجاها قيض لها من بنيها الاخيار من ينشلها مـن وهدتها ويأخذ بيدها الى أوج المجد والسعادة) ••

وينظر بن غبريت الى بقية المقال فيراه يغطي الصفحة بأكملهـا فيضعها ويقول لبهجت « باهية بالزاف » ••

سافر بهجت الى الجزائر مزودا بوصايا مكتوبة من الباشا الاعظم الى بشوات القرى •• وانزله كل باشا في دار الضيافة والراحة الى ان يجمع لـه الاشتراكات من الاعيان والتجار ••

كان اشتراك الجريدة مائة فرنك في العـام • وعـدد المشتركين عشرة الاف ، جملة هذا مليون فرنك •• وقبـل عودتـه بأيام عقد في العاصمـة الجزائرية مؤتمرا من هؤلاء الاعيان ووضع امامهم رزمة ضخمة مـن الورق المكتوب وقال : (اشكركم على ما لاقيت منكم من الاكرام والمعونة الصادقة واحب ان أقابل حسناتكم الوافرة بحسنة متواضعة ••)

اشار الى رزمة الورق وقال :

هذا الكتاب الذي يتناول قضايا العرب والمسلمين ، وساطبعـه واوزع

منه نسخا على العالم الاسلامي تبلغ مائة ألف نسخة ، واني متبرع عن طيب خاطر بنصف ايراد الكتاب للجمعيات الخيرية الجزائرية ومكاتب القرآن الكريم •• وزيادة في الثقة فاني سأترك لكم عملية الطبع والبيع لاني اكره النواحي المادية ويكفيني ما اعانيه من التحرير •

(هاكم الحساب على الوجه الاكمل : تبلغ مصاريف النسخة اربعة فرنكات وتباع بعشرة • فيكون صافي الايراد ٦٠٠ الف فرنك ، لكم نصفها من الان •••)

وكما تعلمون ايها السادة • ان غيبتي عن باريس طالت والجريدة معطلة • ولا بد لي من السفر في هذا الاسبوع وحيدا لو تكرمتم علي بنصف ايراد الكتاب لاواصل الكفاح ولابلغ الباشا نتيجة رحلتي الموفقة ، ثم ترك لهم رزمة الورق وهي نسخة ما نشر في اعداد الجريدة الثلاثة ••

وغادر بهجت الجزائر وفي جيبه (١٦٣٠٠،٠٠٠) فرنك ، وكان الجنيه وقتئذ يساوي ١٠٠ فرنك •

لم تصدر الجريدة • ولم يقابل بن غبريت ••• وانما كان يزور جلي بين ليلة واخرى مدعوا على العشاء •

سأله جلي : الراجل اللي عايز يبقى سلطان مراكش ده مش نصاب ؟

فقال : نصاب ••• ولكن حمار •• مش عارف يشتغل ••

الفقـــي

سألت عنه احد القادمين من باريس فقال :

ــ تعيش انت • اعدمه الفرنسيون بالرصاص لانه تعاون مع الالمان اثناء احتلالهم لباريس •

وانا لا اعرف اجنبيا اكرمته فرنسا ــ على غير قصد منها ــ كما اكرمت

هذا الفقي ..

كان ضخم الوجه مكتنز الجسم خمري اللون ، لـه شفتان مصريتـان كشفتي رمسيس ، وكان يصدق عليه الوصف المشهور ..

نهاب وهاب ...

انقطعت الصلة بينه وبين أهله في مصر . اذ مضى عليه عشرة أعوام وهم يمدونه بالنقود ليعود اليهم طبيبا او مهندسا او عالمـا في الكيميا الصناعيـة فخاب فألهم وقطعوا عنه المدد ..

وما حاجته الى المدد ؟

لقد احبته فتاتان فرنسيتان ، احداهما شقراء ، والاخرى سمراء .

كانت الشقراء موظفة في بنك ، وتعيش مع أبيها في شقة ذات صالـون وحمام ، وهي معيشة فوق المستوى الذي يعيش فيه العمال وعامة الشعب .

كان الفقي يضع عندها ملابسه الخارجيـة والداخليـة ويزورها كلمـا احتاج للاستحمام وتبديل ما على جسده من الثياب .

ولا ينسى ان يحمل اليها صندوقا من الحلويات المحشوة بالخمور ، او علبة من الدخان الانكليزي لوالدها .

والوالد في فرنسا لا يتدخل في شؤون ابنته ، اذا اختارت لنفسها شابا حسن المنظر ظريف المعشر ، كريم اليد ، طالب علم ...

وفي كل مرة يزور الفقي هذه الشقراء .. ينزل ومعـه مرتبهـا او مـا تقتصده من عملها في (التريكو) .

وعند السمراء يتعشى ويبيت لانهـا تعيش في شقـة وحدهـا . وليس عندها من يعترض على دخوله في اخر الليل ونومه الى نصف النهار . وهـي الاخرى لا تضن عليه بدخلها من عملها الشريف .

كلتا المرأتين تعلم علاقة الاخرى بصاحبها ولا تغـار ولا تغضب • بـل كانتا تجلسان بجانبه في الهواء الطلق ، وفي القهوة تتحادثان في اخوة وصفاء الى ان يفرغ من عشرة طاولة ••

واحسب ان الغيرة من الضرائر خرافة اذا كان للرجل مـن الفحولة مـا يكفي مثنى وثلاث ورباع ••

سألني الفقي في احد الايام : انهي احسن من الاثنين دول •••

هذا السؤال فكرني بحكاية قديمة •• رويتها للفقي ••

سأل الرشيد القاضي يحي بن آكثم •• أيهما أفضل ؟ الفالـوذج ؟ أم اللوزينج ؟

فقال القاضي لا حكم على غائب ••

فأمر الخليفة باحضار الصنفين ، وجعل القاضي يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة ، أتى عليهما ثم قال :

كلما اردت ان احكم لاحدهما ادلـى الاخر بحجتـه ، كلاهما مفضل ، كلاهما لذيذ ••

والفالوذج واللوزينج يساويان (البودنج الانكليزي ، وعيش السراي في زمننا هذا ••)

وضحك الفقي وقال : يعني قصدك ايه ؟

ما تتكلموش عربي

في كل مساء يجتمع الطلبة في ركن خاص من قهوة (مـوقليه) ••

في بعض الليالي يصيح احدهم منذرا بالخطر •••

ـ هس •• ما تتكلموش عربي ••

ذلك انه ابصر جماعة من سمر الوجوه يسألون خادم المقهى عـن فلان وفلان •• او عن المصريين جميعا •• وهم جميعـا • يهربون مـن كـل قادم جديد •

قالوا : ان القادم الجديد يرجـو ويتعشم ان يقوم لـه القديم بواجب الضيافة ، كما يفعل والده عمدة كفر صقر • أو يريـد مرشدا يعلمـه كيف يركب المترو • ثم يطوف به على ما في باريس مـن متاحف ومـلاه وحدائق حيوانات • وعند الدفع يتراخى ويهرش الى أن يقوم المضيف بهذا الواجب •

ويأتي بكل أمر مستهجن كالتجشوء على المائدة والبصق بين الكراسي• او تسليك الاسنان والاذنين على مرأى من الناس • ولكن الفقي الذي يجلس في معزل عن الرفاق يتدارك الامر وينهض من مكانـه بشهامة وعـزم ويقول للضيوف الحائرين •• (اهلا وسهلا • الحمد الله على السلامة اتفضلوا)••

وكنت اعلم انه لا يجلس في (سوقايه) الا اذا كان خالـي الوفاض • وأعجبت من أمره وهو ينادي خدم المقهى ليقدموا لضيوفه الاشربة الغاليـة الثمن • ثم يغادر معهم القهوة الى سهرات اخرى تمتد الى الصباح ••

يقول لي الفقي في اليوم التالي :

ــ ليه اخواننا دول بيهربوا من المصريين اللي زيهم ؟ مش عيب ؟ وهـو معقول ان ناس جايين من مصر ويبقوا مفلسين لدرجـة ان الواحـد يهـرب منهم •• طيب اهو الجدع الاسمر القصير اللي شفته امبارح ما خلانيش امد ايدي في جيبي وبعد ما سهرنا للصبح ، سلفني خمسين فرنك ••

كان البوليس الفرنسي يراقب الفقي • وامثال الفقي • فليس ابغض الى الفرنسيين من اجنبي يتمتع بنسائهم •• يتربصون بـه ساعة نحس ويأخذونه الى المخفر ويشبعونه ضربا بالاحذية •• ولكن الفقي الذي امتد نشاطه الـى التعاون مع الالمان اعدموه بالرصاص ••

وفي باريس كثيرون من ابناء الكرام تضيق بهم السبل • ويترفعون عن سلوك الطرق الشائنة كما يفعل الامير اليعقوبي وبهجت والفقي •

رأيتهم يذهبون في غسق الليل الى سوق باريس (الهال) وفي هذه الساعة تحتاج اللوريات الواردة من الاقاليم لمن ينقل حمولتها الى مخازن التجار • فترى الفتى بالبنطلون الجولف والصدرية الانكليزية يحمل قفص الكمثري او التفاح او الكوسة • ولا تشرق الشمس حتى يحصل اجرا يقيه شر المسغبة • في ستر • وبلا جهد يذكر • لم أفطن الى هذا الهال الا في اخر ايامي في باريس ••

***





في هذه الجولة سنمضي مع بيرم مشوارا اطول ، سنقرأ كيف كان يكتب نقده ، وكيف كان يصور أحاسيس الشعب وخلجاته ، بأمانة وصدق وفكاهة حلـوة ...

يقول بيرم : وهو يصف الاجواء الشعبية التي كان يعيش بينها ، ومن اقدر على بيرم من رسم الصور المتحركة الحية التي تنبض بالحياة ..

الانفوشي سنة ١٩٠٠

ميناء الانفوشي اجمل موانيء الاسكندرية ، فهي في الصباح ذات ظل ظليل ، وفي الاصيل تتوسطها الشمس هابطة بين اجنحة من السحاب الملون كأنها ملكة الكرنفال ..

سكان الانفوشي يدركون الان هـذا الجمال وكانـوا يدركونه منـذ عشرات السنين ، وكانوا كالعطار الذي لا يشمها في حانوته من شذا العطور.

وصف عالم انكليزي سكان هذا الحي في القرن الماضي فقال انهم ارذل اناس على وجه الارض ...

ولعل الرجل مر بهذا الحي منذ قرن فاصابه ما أصاب كل غريب وعابر سبيل .

فما ان يرى الاطفال هذا الغريب حتى يقذفوه بكل مـا في الارض من احجار وقاذورات ويشبعونه بأقذر ما ينطق به الانسان من العبارات المهينة..

وطفل الانفوشي يظل طفلا الى ان يبلغ العشرين من العمر ، وكلما كبر ازداد افتنانا في الشر والاذى .

والصغار والكبار على السواء يشبهون هنود اميركا ، في وجوههم التي احرقتها الشمس وشعورهم الشعثاء . ونفورهم من كل غريب ..

ولهم اسماء خشنة مخيفة ترتجلها امهاتهم او تأخذها مـن لثغتهم عندما يبدأون بالنطق . وهذه الاسماء تلازمهم الى الممات .

حنكورة ــ طمازو ــ دعبس ــ حنشية ــ كهـور ــ طيـان ــ جنس (بكسر الجيم وشدة عـلى النون) ــ السبنجـي ــ الحنتيري ــ واعـر ــ جيلليلي ــ الانكليزي .

كل هؤلاء من ابناء الصيادين والسماكين .

وعلى الساحل مبان جميلة تشبه القصور في العصر العباسي الـى جانب مساكن الصيادين والسماكين ، وتملكها كرام العائلات القديمة التـي تقـرأ اسماءها في تاريخ الجبرتي كعائلة المسيري والعواموري والصحن وابو شجرة وكلا يوسف .

ولكن ابناء الصياديــن والسماكين لا يقيمــون وزنــا لهؤلاء الناس • ويشتمون على ابنائهم وهم في طريقهم الــى المدرسة •• اه يــا بتاع المدرسة يا ••• بل يعتبرون الانفوشي كله ملكا لهم •• وانهم اعيانــه وحماته مــن المغيرين ••• وكانوا يجلسون على اعتاب هــذه البيوت ولا يتحرك احدهم للداخل والخارج ولو كان صاحب البيت الا بعد رجاء واستعطاف •

العــريس

في احد الايام طلع عليهم من احد البيوت طفل في السابعة مــن عمره ، ناصع البياض اصفر الشعر ، حافي القدمين يلبس جلبابا مــن الزفير يخالف جلابيبهم وسراويلهم المتهدلة السوداء ••

فصاحوا جميعا : عدو الشمس اهو ، عدو الشمس اهوه •••

ولكن طفلا منهم يبلغ الثانية عشرة صاح فيهم ••

بس يا واد انت وهوه احتشم •••

ثم تقدم الى الصغير وقال له : ماعليش ياخويــا حجك عليــه ، تعــال نلعبلهم عروسة وعريس ••

واحاطوا به مبتسمين ، وارتفع نشيدهم ••

الصلاة عليه ••• الصلاة عليه •••

وبعد خطوات سقطت رجل الطفــل في حفرة عميقة امتــلأت بشظايــا الزجاج والصفيح فهربو وتركوه يبكي ويحصي ما في قدمه من الجروح ••

الطفل مولود على الميناء الشرقية ، وفي حــي البوصيري المجاور لهــذا الانفوشي •• ومات ابوه منذ اسبوع وجاء الى منزل أمــه التي طلقت مــن قبل ••• وها هو يتلقى تحية القدوم من ابناء الحي الذي سيعيش فيه ••

البطـــر

حقا ان المحيط يطبع الناس بطابعه .. الهواء طلق .. والرزق ميسور.. والمعيشة رغدة .

البحر يقذف كل يوم بأنواع الاسماك التي تزيد على مائة نوع ، ولكل منها موسم . فهـذا موسم المياس ، وهـذا موسم السردين وغـدا موسم البربون والمرجان ...

اما البوري والبلطي والتعابين فـلا ينقطع مددهـا مـن بحيرة ادكوو ملاحات القباري ..

وتسمع الباعة يصرخون في الشوارع بأسعار السمك .

ــ بنص فرنك يا مياس .

ــ بقرشين الاقة يا سردين .

هذه الاسعار للاسماك الموسمية المهاجرة ، اما الانواع المتوطنة فتؤخذ شروة بلا ميزان ولا ثمن محدود ..

بجانب هذا ــ ترد الاغنام والابقار على الاسكندرية من سواحل سوريا والاناضول والموصل . وليبيـا ، وكلها تساق الـى المجزر قبـل ان يتكلف التجار نفقات اطعامها .

وبجانب هذا ايضا ــ ترد على الاسكندرية المراكب الشراعية والبخارية محملة بفواكه أزمير وقبرص ورودوس ، ويحملها الباعة على عرباتهم ويقفون في الشوارع صفوفا لا نهاية لها ويصرخون :

ــ تفاح بولس الاجة بجرش .. الكرز بنص فرنـك .. بتلاتـة ابيض عنب ازمير ..

كل هذا الرخاء . وكل هذا اليسر يخلق البطر والرعونة في الادميين الى ان يؤدبهم الجدب والفاقة .

كانت الانواء والزوابع تزعج أهل الانفوشي ايما ازعاج حتى ولو كانت خفيفة .. لان الامواج إذا هاجت عـلى ساحل اسكندريـة الصخري كانت خطرا داهما على زوارق الصيادين الصغيرة التـي يتراوح طولهـا بين عشرة أقدام وخمسة عشر قدما، وهنا يتفرقون في المقاهي أو على الارصفة، وأعتاب بيوت الذوات ..

ولهم طريقة خاصة في معرفة الانواء قبل وقوعها ، فاذا سمع (حنتيشة) ورفاقه قطة تموء في البيت او الطريق قال :

انتي بتجولي نوح .. روحي الله يخرب بيت املك .

في يوم زمجرت رياحه واصطخبت امواجه جلس (حنتيشة) ورفاقه على رصيف احد البيوت ، يشتمون البحر ويشتمون انفسهم ويتضاحكون ..

ومر احد باعة ام الخلول ينادي عليهـا بنغمته الاتكاوية فقـال حنتيشة لرفاقـه :

تتقـدم ...

فقاموا جميعا وقالوا : يللا ..

واحاطوا بالرجل الاتكاوي ، وجلس حنتيشـة القرفصاء امـام القفـة وبسط طرف جلبابه وقال للرجل :

ــ حط لنا ربعة ..

وكان الثاني من الرفاق قد نزع المنديل الكبير الذي يلفه عـلى طاقيته وبسطه تحت حنتيشة ..

وافرغ الرجل كيلته في حجر الزبون فجعل هـذا يرفـع طرف جلبابـه ويخفضه وام الخلول تتحرك علوا وسفلا وتتساقط مـن ثقب في الجلبـاب وتنزل في المنديل السالف الذكر ..

وقال حنتيشة للرجل ــ ربعة ما تكفيش ــ كيل لنا ربعة كمان ..

واافرغ الرجل الكيلة الثانية فنظر حنتيشة الى الرفاق وقال : بزيادة كده؟

فقال احدهم . لا ما ينفعوش . حط كمان ربعة يا عم ..

فلما أفرغ الرجل الكيلة الثالثة في حجر حنتيشة كان المنديل قد امتلأ وسحبه احد الرفاق ومضى ..

ونظر حنتيشة الى ما في حجره نظرة شك وارتياب ، ثم قال للاتكاوي :

ـ وريني يا راجل الربعة دي اللي بتكيل بيها ..

ونظر في الكيلة وقال للرجل : دي ربعة يا حرامي ؟ دي ربعة يا ضلالي ؟

وهم واقفا وافرغ ما في حجره في قفة الرجل . وقال :

ـ روح في داهية احسن تاكل علقة سخنة ، ومضى الرجل وهو يحسب انه نجا من شر عظيم ..

وانتدب حنتيشة اثنين من الفتيان ليأتيا بالخبز .. وكانت صبيان الفرانين تروح وتجيء حاملة الواح الخبز الى أهل الحي . ومن السهل ان يشغل احد الزميلين صبي الفران بالسؤال عن اسمه واسم الفرن الذي يعمل فيه ، وهل هو متعب من العمل ، او مرتاح .. بينما الزميل الثاني يجمع من فوق رأسه ارغفة ويذهب الى سبيله .. بقي حباش ام الخلول .. قام رئيس العصابة واخذ من القهوة فنجانا كبيرا وذهب به الى كوستا البقال اليوناني..

ـ ودينك يا كوستا ، حط لنا هنا شوية خل وزيت طيب ..

وبلا تردد يصب كوستا الخل والزيت ، ويسأله ؟

ـ عايز حاجة كمان ؟

وكوستا هذا . يطوي جوانحه على مكائد اسلفها اليه حنتيشة وعصابته ..

فتحوا دكانه في احدى الامسيات وحملوا منها طردا كاملا فيه ١٢ قرصا كبيرا من الجبن التركي او البلقاني ...

وفي الصباح جلسوا في قهوة مواجهة لدكانه وجعل بعضهم يسأل الاخر بصوت عال :

وله يا زريخة ... الجبنة التركي ازيها ؟

ويجيب زليخه وهو يضع عينيه في عيني كوستنا :

ـ دي طعمة جوي .. زي البطارخ تمام .. سلم الجلاب ..

وباعوا له مرة صفايح مملوءة بالبترول ، فكان يفتح الواحدة بعد الاخرى فيجدها مملوءة بماء البحر ، ومدهونة بالبترول ليس الا ..

هذه الحكايات وامثالها يبتلعها كوستنا .. ولا يرجع اليهم بعتاب ولا ملامة ..

مثل هذا اليوناني يعيش في مثل هذا الحي على فلسفة معقولة . وهي ان قانون الحياة أقوى من قانون الموت . والخير أكثر من الشر والربح اكثر من الخسارة . وعدو اليوم صديق الغد .. حنتيشة وامثاله لا يلجأون الى السرقة الا في زئير العواصف واصطخاب الامواج ، فاذا هدأ البحر وأصابهم الخير ، فهم احسن زبائن البسطرمة والسجق ، وخير من يشتري النبيذ القبرصي الذي يبيعه بلا رخصة ، وبأربعة اضعاف الثمن ..

الصالحـــون

على الانفوشي زاوية للصلاة اسمها زاوية خطاب . ومن خلفها في الازقة زاوية اخرى اسمها زاوية خطابية . كلتاهما عامرتان بالكهول من اصحاب الزوارق والشباك الذين يؤثرون رضى الله على سخطه والذين يخافون أن تصيبهم نكبات البحر بما ارتكبوا من معاصي البر . غير أن الانفوشي هو الانفوشي . كان احد هؤلاء يصغي الى الدرس الذي يلقيه الشيخ بين صلاة المغرب والعشاء . قال الشيخ فيما يقول :

ــ والصابون نجس عند السادة الشافعية ، ويجب ازالته عنـــد الغسيل والتطهر منه ••

فقال الريس : الشافعية دول مش حاجـــة •• طيب ده الصابـــون زيت طيب ، منين يجي النجس ؟ لا سيبك من الشافعية قول لنا حاجة ثانية ••

وليس لابناء الانفوشي من مدارس غير كتاب صغير قريب مـــن مسجد ابي العباس وهو مدفن تتوم فيه القبور ذات الهياكـــل الرخاميـــة ، ويجلس الاطفال بين هذه القبور وفوقها وهم لا يدركون انها قبور تضم رفات قباطنة الاسطول المصري وذوات بحري الغابرين •

كان فقيه الكتاب لا يختلف كثيرا عـــن اللص حتتيشـــة الا في عمتـــه البيضاء ولحيته التي وخطها الشيب ••

كان يبني منزلا له في ازقة الحي ، فالف مـــــن الاطفال فرقة تسرق لـــه الاحجار من الخرائب يجرونها عـــلى ابراش الارز المطبقة او عـــلى شرائح الصفيح ، وقد تمكن من بناء الدور الاول كأحسن ما يبنيه الصناع •

وكان (عدو الشمس) بين اطفال هذا الكتاب ••

وابتدأت البلدية في وضع هذا الكورنيش • واخـــذ السكان يسمعون كل صباح صفارة اللنش الذي يجر بضعة براطيم محملـــة بالصخور والعمال يلقونها في الماء على بعد ستين مترا من الشاطيء الواحدة بجانب الاخرى ••

وعلى ارض الشاطيء امتدت سكة حديد صغيرة ضيقـــة تسير عليهـــا قاطرة صغيرة تجر نحو عشرين صندوقا مملوءا بالتراب لتلقي في الماء يومـــا بعد يوم الى ان تصل الى صف الصخور الممتدة في البحر ••

وكانت عربات الدبش تلقي كل يوم على الشاطيء مئات الامتار المكعبة من الاحجار البيضاء المنحوتة وتتركها بلا حارس ولا رقيب •

وما أسرع ما حول فقيه الكتاب أطفاله من الخرائب الى هذه الاكـــوام حتى بنى الدور الثاني ••

مش انا جدع

كلمة يقولها ابن الانفوشي .. اذا انتصر على خصم ، او ربح في صفقة او نجا من كارثة .. فمن قصص البطولة هذه القصة التي يرويها احدهم ..

(جماعة رشايدة عايزين يسجطوا عليه وانا جاعد في قهوة حسينجم ويشربوا كل واحد شيشة وجهوة ، رحت طالب لكل واحد شيشة وجهوة . وطلبت انا شيشتين وجهوتين ، وبعدين زغت من الباب الثاني .. مش انا جدع) ؟

ولكن في رجال الانفوشي من يستحق الاصغاء الى حديثه كالقبطان كلايوسف ، امضى معظم حياته قبطانا على مركب ضخمة تسافر بين الاسكندرية وسواحل الاناضول ..

كانت سفينته تحمل من الاسكندرية الارز والسكر والبن والبلح ، وتعود بجذوع مقطعة من خشب السنديان والبلوط واعواد الشوم وهراوات الفئوس والمساحي وقطاع الخشب ..

كان انيق الملبس .. تتألف ملابسه من الجوخ والحرير وتتدلى على صدره سلسلة ضخمة من الذهب . ويجلس في كل اصيل يتحدث عن اسفاره ورحلاته ويصف سفينته ..

(كانت تمشي بعشرين حتة جماش . وتشيل ميتين طورناطة . وفيها حبال وعدد يفوح عن خمسين جني ؛ لفيت بيها الاناضول كله : اضاليه واضنة وازمير ومرسين واسطمبول كمان) ..

ويأخذ انفاسا متوالية من الشيشة التي يشتعل تنباكها ويستأنف الحديث ..

(الترك دول ناس طيبين جوي ، وكرام جوي ، ثم يضحك من اعماق صدره ويقول : وجلايخ قوي) .

صليت الجمعة في جامع اضنة ، وطلع لــــك الامام عالمنبر لابس جتــة فرجية ، وعليه جتة دين عمامة ، وجتة دين دجن •• يعني لمــا تشوفــه لازم تبوس ديله وش وضهر ••

اسمعوا بجا الخطبة ••

ويشرع القبطان في تلاوة الخطبة كما سمعها من امام اضنة مرتلة بانغام حزينة خاشعة ••

وها هي الخطبة كلها ••

(ابو بكر الصديق •• رضي الله عنه •• او مارو بن الخطاب •• رضي الله عنه •• عثمانو ابنو عفاني •• رضي الله عنه •• علي بن ابــي طالب •• رضي الله عنه •• ان الله يأمر بالعدل واحسان وايتاء ذي القربى • وينزل ••)

ويعلق القبطان كلا يوسفه على هــذه الخطبــة ويقول بصيغــة جــد وحماس ••

ــ انا ياللي ما نعرفش نقرأ ولا نكتب ، ولا نخطب ، نقول احسن مــن خطبة الجفا التركي اللي عامل عالم ••

ويستطرد القبطان في حديثه الشيق وقــد غابت الشمس وبقــي الشفق متوهجا في السماء واوى الاطفال الازرال الى بيوتهم ، قال : دعانــي صاحب غابة الاخشاب الى الغذاء في بيته بعد صلاة الجمعة • بعد مــا اتغذينا لجيت الراجل واخواته واولاده زعلانين جوي ، مالكم •• جالوا عندنا حنش طوله عشرة متر خارب لنا الارض لا احنا عارفين نقطع الخشب • ولا نرعى الغنم ؛ ولا حتى نجطع الفاكهة ••• جلت لهم هاتو خروف مولود جديد ، واذبحوه، واسلخوا جلده واجلبوه واحشوه جير مخروج من غير طفي ، وخيطوه كويس وعلقوه على ثلاث خشبات زي ميزان القباني •• ومالكمش دعوة •• وعنهــا يا سيدي • بعد ثلاث ايام طلعت عليهم ريحة والعياذ بالله ، يجــو يجولــوا الحكاية ايه ؟ جلت لهم الحنش مات يا مغفلين •••

ويشرح القبطان عمايته شرحا فنيا ويقول :

(بجا الخروف الصغير جلده بتفرك قوام في بطن الحنش ، ولما الجير يصهد على جن يفنش ، واذا شرب •• جول عليه السلام ، النار تجيد في ايمان ابوه ، ولا يعرفش يكع اللي بلعه لانه اتفرتك خلاس ••• مش انا جدع ؟)

الترسانة

وعلى ساحل الانفوشي طائفة من الصناع تستحق الاحترام اولئك هم صناع الزوارق والفلايك والبراطيم الكبيرة ••

كان عدو الشمس يفر من اذى الاطفال ويجلس بجانب هؤلاء الصناع • ويشاهد الاطوار التي تمر بها السفينة الى ان تنزل الى الماء •

يتناقش اصحابها في اختيار اسمها والصور التي تزين مقدمتها والكلمات التي تعوزها من شعر العين ••

يقول البوهيجي :

ــ نسميها ايه يا ريس ••

ــ سميها السيدة ••

ــ طلبة مسمي فلوكته السيدة ••

ايوه صحيح •• سميها الصبية ••

ــ ماشي ، ونصور عليها وردتين ••

ــ لا انا مش بتاع ورد ، دي فلوكة راجل •• مش فلوكة •••

صور عليها مدفع ••

واكتب لي عليها بسم الله مجراها ومرساها ••

لا •• اكتب عليها ملحة في عين اللي ما يصلي عالنبي ••

كانت الرسوم والخطوط في الدرجة العاشرة الفنية ؛ وكان عدو الشمس الصغير ينتقدها ويظهر عيوبها ، ويدعي انه يكتب ويصور خيرا منها ..

فيرد عليه البوهيجي : بس يا وله بلاش غلبة .

ابـــو العباس المـــرسي

مجموعة من المساجد لولاها لما كان لهذا الحي قيمة ، مسجد أبو العباس ومسجد البوصيري ، ومسجد ياقوت العرسي . كل ما يعرفه اهل الانفوشي ، او الاسكندرية كلها ، ان ابا العباس ولي ، زيارته تهـون الصبـر ؛ وتقضي الحاجات، ماء حنفياته ــ وهو ماء ترعة المحموديةــ يشفي جميع الامراض.. فالرجال يتمسحون بقضبان الضريح النحاسية ، والنساء في الميضة تملأن القلل لاطفالهن المرضى بالحصبة والتيفوئيد ...

بل قد لا يعرف امام المسجد ولا سدنته اي شيء عن هذا الامام ..

ولد في اوائل القرن السابع بمدينة مرسيه الاندلسية ، التي خرج منهـا الشاعر الحصري الضرير صاحب القصيدة الطائرة الصيت ..

(ياليل الصب متى غـده   اقيام الساعة موعده)

كان من طائفة جعلت ديدنها السفر من بلد الى اخر الـى ان تجد البلد المظلم الضال فتستقر ، لتقوم بواجبها في أخراج الناس مـن الظلمات الـى النـور ..

نزل القاهرة واقام في حي السيدة زينب ثم ذهب الى الاسكندرية ورأى الانفوشي وضلال الانفوشي فقال : هنا المقر ..

وكان يقول : كلما قويت الظلمات قوي نور الولي ..

ارسل اليه والي الاسكندرية يطلب زيارته فقال للرسول : اذهب فلست ممن يلعب به الولاة ..

لم يكن من اصحاب الرايات والطبـول ، وانما صاحب حلقـة درس ، يفسر للناس التول كما يجب ان يفهموه • لعل كـل مسلم يسأل نفسه وهـو يقرأ الفاتحة في الصلاة وغير الصلاة ، مـا معنى الاستمرار في قولنا (اهدنـا الصراط المستقيم) الى ما لا نهاية ؟ ألم نهتد بعد ؟ وهل من هداية فوق هداية مسلم واقف يصلي في المحراب ••؟

يقول السيد ابو العباس ••

(عموم المسلمين يقولون اهدنا الصراط المستقيم ، أي بالتثبيت لمـا هو حاصل ، والارشاد لما ليس بحاصل ، فانه حصل لهم بالتوحيد وفاتهم درجات الصالحين) •

(والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم ، معنـاه نسألك الثبات لما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء) •• والشهيد يقول اهدنـا الصراط المستقيم اي بالتثبيت لمـا هـو حاصل ، والارشاد لما ليس بحاصل ، فانه حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات الصديقية ••

والصديق يقول اهدنا الصراط المستقيم اي بالتثبيت لمـا هـو حاصل والارشاد ليس بحاصل فانه حصل لهـم درجات الصديقية وفاتهم درجـات القطبانية •• والقطب يقول اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت لما هـو حاصل ، والارشاد ليس بحاصل فانه حصل له رتبة القطبانية وفاته علم لـو شاء الـلـه لاطلعه عليه ••

ويفسر المعاني الباطنية في آيات القرآن كتفسيره لهـذه الآية (يولـج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) ••

يقول ابو العباس :

يولج المعصية في الطاعة ويولج الطاعة في المعصية ، يطيع العبد الطاعـة

ليعجب بها ، ويعتمد عليها ، ويستصغر من لم يفعلها ، ويطلب من الله العوض عنها ، فهذه حسنة احاطت بها سيئات ..

(ويذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله، فهذه سيئة؛ آحاطت بها حسنات فأيهما الطاعة، وأيهما المعصية).

هو ابو العباس المفسر ، وابو العباس الفقيه يسألونه عن رجل غزير العلم ولكنه موسوس فيقول : واين العلم ؟

واما ابو العباس الشاعر الاديب فهذا بعض قوله :

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ارض النفوس ودكت الاجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها حين التزلزل والرجال رجال

يصف ارض النفوس والاجساد كيف تتزلزل فتتداعى اذا أشرقت عليها انوار المعرفة بالله ..

واليوم ترى المتحمسين والمتحمسات بقضبان الضريح وكل يقضي بمشكلته الدنيوية ..

تقول الست كاملة ام علي :

ــ يا سيدي ابو العباس ؟ يا مرسي احلتك على نفيسة بنت عرفه تعميها وتكرسحها ، وتخرب بيتها زي ما خربت بيتي ..

وتقول حسنة امرأة زعرب :

ــ ندر علي يابو العباس لو طلع جوزي براءة لنعمل ختمية نذبح فيها خروف ...

وبجانب الضريح الذي اتخذه المسلمون وثنا يجلس السدنة الجهلاء المعممون يتلقون نقود النذور في الصندوق او في أيديهم .. وأبو العباس ليس عندهم اكثر من هذه القضبان النحاسية والعمة الخضراء ..

دخل الطفل (عدو الشمس) مع احد أقاربه مسجد أبي العباس قبل ان يهدم ويحول الى هذا الهيكل البغيض ، فأعجبته الطنافس الفارسية الناعمة الملمس والثريات المعلقة التي تتماوج في منشورتها البلورية الالوان ألسبعة ، فكان يهرب من اطفال الانفوشي ومن حمل حجارة فقيه الكتاب الى هذا المسجد وما ان بلغ الثانية عشرة حتى كان ناسكا من النساك يحافظ على الصلوات الخمس في اوقاتها ويقرأ اوراد الشاذلية مع المهتدين من أبناء الانفوشي .

بيرم المصور الحاذق

ننتقل مع بيرم التونسي من الانفوشي الى احياء الاسكندرية لنرى كيف يصور لنا ما كان يراه من الوان شعبية بريشته الساخرة الناقدة ، ذلك ان هذا الفنان ضرب جذوره في تربة الارض ، راسخة ، رسوخ النخلة . ثم أنتشرت فروعه فوق الارض انتشار اغصان الشجرة، توفر لديه العلم بالاشياء، واغدق هو الظل على الاحياء ..

يؤرخ بيرم فترة من أدق الفترات التي مرت على مصر ، فلا يغلف كلامه بالزيف ، بل يطلقه كما يحس به ، انه يضرب ريشته على الورق بأمانة ، ثم يتركها كما ضربها ...

يقول بيرم :

بعد ان دمر الاسطول البريطاني مدينة الاسكندرية في عام ١٨٨٢ قام الخصام المسلح بين طوائف الاجانب والمواطنين واستفحلت الفتنة العمياء التي لا تعرف السوري من اليوناني ، ولا التركي من المالطي ، ولا المسلم من الوثني ..

يومئذ اذاعت القنصليات الاجنبية منشورات تحث فيها رعاياها على قيد اسمائهم في سجلاتها . والا فليست مسؤولة عن حمايتهم ..

ذرع الالوف من الاجانب وبعض المصريين على السواء وقيدوا اسماءهم في سجلات القنصليات من الاسكندرية الى اسوان . لان الاجانب كانوا يتمتعون بامتيازت ترفعهم فوق الادميين في مصر . لا يدفعون الضرائب ولا يخضعون لاحكام القانون !

وكانت القنصليات تسجل اسم طالب الحماية دون أن تتحرى عن صدق دعواه ..

كل اعوج اللسان أو أبيض اللون يستطيع ان يقول انه مالطي أو افرنسي أو جزائري أو ..

وتحول سكان حارة اليهود الى انجليز وفرنسيين وايطاليين والمان ونمساويين ، بل تحول كثيرون من سمر اسيوط الى روس ويونان ... وأخذ الناس يوازنون بين الدول التي يجب الانتساب اليها .

ـ مين اقوى يا ريس حسين ؟ الحماية الانكليزي ولا الفرنساوي ؟

ـ الراية الفرنساوي مايعلاش عليها ..

ـ ططظ فيك وفي الراية الفرنساوي .. الانكليز يابني حاكمين الموند ..

ويحسم الخصام رجل ثالث :

ـ الفرنساوي ولا الانكليزي . اقوى راية الراية العجمي . أم سبع ماسك سيفه ..

سوق المغاربة

ويومئذ ـ قام اللغط في سوق المغاربة حول منشور القنصلية الفرنسية بالذات ..

لقد شعروا انهم في مفترق الطرق .. قال فريق منهم اننا نعيش في هذه البلاد منذ قرون ، وقبل ان تحتل فرنسا الجزائر وتونس .. ولن تكسبنا

هذه الحماية مزيدا من الخير • بل وبما خرجنا من الاسلام بانتسابنا الى دولة غير اسلامية •

وقال فريق اخر • اننا نعيش على استيراد البطاطين والطرابيش والملسح والزيت ونخشى ان يجد ما ليس في الحسبان فتتعطل تجارتنا ، وتنقطع الصلة بيننا وبين أهلينا في تونس ••• والحماية ليست كفـرا كما تزعمون ولكنهـا قبقاب يحمي أرجلكم •

ذهب هؤلاء الى القنصلية الافرنسية •• ودفع كـل منهم ريالا وأخـذ الباسبورت ليضعه في عين جاويش النقطة ومأمور القسم •• وبقي الفريـق الاول راضيا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمصر وطنا ، الى يومنا هذا ••

والذين سجلوا أسماءهم في القنصليات خلفوا علـى أثرهم جيلا مـن الاشرار احترفوا الاجرام • واجـروا أنفسهم لحمايـة بيـوت الخنا وغـرز الحشيش • بل عطلوا قوانين الدولة وأبطلوا أحكام المحاكم ، ولقـد كـان صاحب الدين يأخذ حكما على المدين المماطل ويأتـي المحضر لينفـذ الحكم فيجد أحد الحمايات جالسا على باب المدين يمنـع المحضرين والجنود مـن تنفيذ الحكم •• وأذن على الدائن ان يرفع القضية مـرة ثانيـة أمام المحاكم المختلطة لتفصل في القضية بعد ربع قـرن •••

عبقــــري

لا أنسى ظريفا في الاسكندرية ترك لـه ابوه منزلا في حـي (الهاميل) الذي لم يكن يسكنه غير الحثالة من الاجانب وكان والده يعاني الامريـن في اخراج الساكن الذي يماطل في دفع الاجر حيث يرفع عليـه قضيـة تستغرق عامين ونصف ، ثمن رسوما للقضية وأجـورا للمحامين الاجانب ، ثم ينتهـي الامر بخروج الساكن دون ان يدفع أي شيء ، وربما قبض أجرة نقل العفش وأجرة شهر للمنزل الجديد ••

فلما تسلم الوارث منزل أبيه أستخف به المستأجرون • وأزدادوا كفـرا وطغيانـا •••

قال له الخواجة خريستو بولو •••

روح أعمل وأخذ جضية •••

فذهب صامتا • وعاد في اليوم التالي في غيبة خريستو بولو ومعه أحـد النجاريين ، فلما فتحت سيدة البيت قال لها بلطف ••

ـ من فضلك النجار عايز يشوف ابواب البيت ويصلـح لكم الطبلـة الخربانـة •••

فقالت السيدة بغضب : معلوم ••• دي كان لازم يصلحه من زمان ••

وأمر النجار بخلع مصراعي الباب • وحمل كل منهما مصراعا وغادرا حي (الهاميل) الى حيث يسـكن •

جاء خريستو بولو في المساء فوجد عائلته تعيش في العـراء ، وانتظروا منتصف الليل حيث كان يتفرج عليهم الصاعد والنازل من الجيران ولم يحضر النجار الباب فقطعوا ليلتهم يتناوبون حراسة الشقة •

وبحث في اليوم التالي عن صاحب الملك حتى عثـر عليـه فسآله بعظمة الاجانب ؟

ـ أنت علشان أيه يأخذ الباب ؟

فقال المالك : هو باب أبوك ؟ باب آمك ؟ بابي يا أخـي •• انت مأجـر بيت •• ولا مأجر باب ؟ خليك قاعد مبسوط مش عاوز فلوسك ••

فلم يسع الخواجة الا مغادرة الشقة في نفس اليوم ••

وعرف بقية السكان حكاية البـاب فاحترسوا مـن النجارين • وعرف المالك بدوره أن الحيلة لا يمكن اعادتها •

وكان ينتظر حكم المحكمة المختلطة على خواجة اخر لم يدفع الاجرة منذ عشرة شهور ... فذهب الى اعرابي في المكس يصيد الثعابين فاشترى منه نصف طزينة (حسب تعبيره) ، واقتلع الاعرابي انيابها وخاط اشداقها ليؤمن شرها ..

وفي ظلام الليل صعد ووقف أمام الشقة وأطلق الثعابين من تحت الباب لتنساب كما يحلو لها ..

وفي الصباح وجدت العائلة ضيوفها الطارئة وبعضها مختبيء بين مخدتين ، والبعض يتسلق كنبة ، والاخر يحاول الاختفاء في أحد الاركان ..

فأنزلوا أثاثهم الى الشارع . وباتوا في منزل اخر ، وكان الظريف مدعوا في حفلة فشم رائحة خبيثة ازعجت المدعوين وفرقتهم ..

وقال الناس . هذه انبوبة من سائل برمود البوتاسيوم ، حطمها لئيم بقدميه نكاية في أصحاب العرس .. يا لها من نذالة ..

وقال هو نفسه :

بل يا لها من مهارة ..

وسأل عن برمود البوتاسيوم ، تعرف عليه ، انه يباع في الصيدليات ، فاشترى عدة انابيب ليطلقها بمضخة من ثقب الباب على كل ساكن مماطل فاغنت عن خلع الابواب وشراء الافاعي ..

حميد والفارس

لم يبلغ الخط ولا سليمان الاشوح ولا غيرهما من اعلام المجرمين ما بلغه حميد والفارس من بعد الصيت في عالم التشطر والعيارة ..

لم يكن من قطاع الطريق ، ولا من قابضي الارواح ، ولا من اللصوص ، ولكنه كان يهوى اذلال الناس بالضرب . ويهوى تحطيم المقاهي وهو

سكران ...

يضرب من رفع صوته على صوته . او وضع أمامه رجلا على اخرى . او قصر في تحيته كما ينبغي ..

كان يأخذ غريمه فجأة ويضربه بما حضر من كرسي أو شيشة أو قلة ... وبهذه الجرائم قضى معظم حياته في السجن . وكانت اوصافه البدنية ابعد ما تكون عن أوصاف الشجعان الاقوياء . فقد كان مربع القامة ، مفرط السمنة ، اذا مشى يترجرج كل جزء من جسمه ..

وكل ما يملكه من قوة . جمجمة صلبة اذا نطح بها خصمه اتلفه . وربما قضى عليه ..

وكان لا يضرب خصمه . او يحطم المقهى الا اذا خلا له الجو من قريع يقاومه او من كثرة تصده .

وكان يستعين بالخمر اذا نوى الاعتداء لتنتهي جريمته بمحضر سكر وعربدة .. يحتسي عدة اكواب من النبيذ في الحانات الواقعة في حي الجمرك، ثم يقوم هو وحاشيته ويمشون هادئين لا يعربدون ولا يترنحون ، حتى اذا اشرفوا على حي السيالة ، صاح حميدو صيحة مرعبة ..

— اي .. انا حميدو خطاب .. ياولاد الـ ..

ويعقب الصيحة تحطيم كل ما في المقهى من زجاج وأدوات .. ويأبى مع هذا الا ان يعتذر اليه صاحب المقهى ويسترضيه ، فداك يا ريس حميدو .. الجهوة جهوتك وأنا أخوك ...

وحميدو عندما يعتدي على المقاهي لا يسترد ثأرا قديما ، ولا يشفي نفسه من ضغينة يختزنها . ولكن ليحفظ هيبته ولكي لا تنسى الاسكندرية اسمه .. وسواء عنده احطم قهوة خميخم ، او قهوة السنجي ، أو أي مكان اخر ... فاذا سمع أهل الحي صيحته المرعبة لم يعرفوا على أيهم تحل الكارثة فيبادر كل منهم الى اغلاق محله اذا امكن ...

مصارع يوناني

جاء الى الاسكندرية مصارع يوناني ليناذل فيها المصارعين . وأعد له صاحب الشاطيء (كازينو) مسرحه ، وهو يوناني مثلـه ـ وانتصر اليوناني على كل من نازله من المصارعين ، ووقف يقول هل من مزيد ؟

وأحس فتوات الاسكندرية عامة ، وفتوات بحرى خاصة بالعار يجلـل رؤوسهم ..

ـ أخ على اسكندرية وعلى جدعناتها .. حتـة جريجـي مياس . مش لاجي حد ينزل له ؟ ـ ما تنزل يا حميدو ..

ورطة لم يستطع فتوة الاسكندرية ان يتخلص منها فقال :

ـ تنزل ايـوه ...

وذهب أنصار حميدو فابلغوا مدير الكازينو عن رغبة حميدو الفارس في منازلة البطل اليوناني ، وتحدد الموعد في عصر يوم الاحد القادم ..

وشاع الخبر بين الجالية اليونانية فاحتشدت كلها في الكازينو ..

وذهب حميدو في موكب يتألف من العربيات الحنطور والكاريتات التي تدل كل منها على اسم صاحبها من الفتوات ، واستأجـر أنصار حميدو كـل ما في الشارع من فرق الموسيقى النحاسية ليزفوه بعـد خروجه منتصرا مـن المعركة ..

ولبس حميدو سروالا مربعا مـن الجوخ الكحلـي المطرز ، وجاكتـه افرنجية من نفس اللون ، وعلى كرشه البارز حزام من الحرير الاحمر ، وعلى رأسه طربوش مغربي قصير تهتز شرابته الغليظة السوداء على أذنه .. ودخل الكازينو يشق الصفوف يتبعه عشرات من الصيادين والغواصين والفدائيين ومهربي الحشيش .

ولم يجد صاحب الكازينو غير مقاعد تعد على الاصابع قدمهـا لحميدو وللبارزين من حاشيته . ووقف الباقي متفرقين هنا وهناك ...

وجاء صاحب الكازينو يطلب من حميدو ان يتكرم بالدخول في حجـرة خاصة لينزل ملابسه ويرتدي سروال المصارعة .

فوقف حميدو وخلع جاكتته وساعته من حزامه واعطاهما لاحـد انصاره وقـال للمدير :

ـ خلاص أنا كده كويس . هات الراجل بتاعك ..

ووقف احد اليونانيين يعلن في البوق عن بدء المباراة بين بطل اثينا وبطل الاسكندرية ..

وارتفع الستار عن عملاق ضخم كأنه احد الهة اسبارطة . يزيـده رهبة شارب طويل مفتول كشارب الزناتي خليفة ...

وصعد حميدو على المسرح يهز منكبيه ويحرك ذراعيـه في الهواء حتى واجه الرجل . وظن الرجل انه امام زميل يعرف قوانين الرياضة وأدابهـا فمد اليه ليصافحه . ولكن حميدو تجاهل يده وقبض بكلتا يديه على طرفي شاربه وجذبه الى اسفل وبادره بنطحة بين عينيه احدث صوتا سمعه كـل النظارة . ثم اعقبها بأخرى في فمه . وثالثة عـلى جبهته ، وترنـح البطل بين صيحـات الجمهور اليوناني وكلها شتائم منتقـاه ..

وترك حميدو خصمه غارقا في دمه ونزل وقد احاط به اعوانه وشقوا لـه الطريق الى الشارع .. وطاف موكب المنتصريـن شوارع الاسكندرية الـى ساعة متأخرة من الليل وهم يهتفون ..

يا لجريجي يـا مياس   ايجي تعلم ضرب الرأس

وفي اليوم التالي اقام اثرياء الصيادين وتجـار الحشيش حفلـة تكريم لحميدو بسطوا سماطها على الرصيف الذي يمتد بين الارض وقلعة قايد باي:

وكان يشبه في الطول وتعدد الوان الطعام سماط الخلفاء الفاطميين • غير انـه يزيد عليه بعشرة براميل مملوءة بالبيرة والنبيذ القبرصي •

مهـربـو الحشيش

كانوا جميعا من الصيادين الذين لا تحـوم حولهم الشبهات ، وعندمـا تصل البرقية من (بيريه) بقيام الباخرة التي تحمل البضاعة يستعـد هـؤلاء بزوارقهم ويأخذون الشباك والمجاذيف وادوات الصيـد ليستقبلوا الباخـرة الواقفة في ظلام الليل على بعد بضعة اميال من الشاطىء ••

ينتظر هؤلاء على البر فريق اخر ، وعدد من عربات الحنطور ليحمل كـل منهم شوالين كبيرين أحدهما تحت قدمي الحوذي والثاني داخـل المركبـة ؛ ويسيرون ببضاعتهم في شوارع المدينة مهللين هاتفين ليقال أنه موكب عريس• الى أن يسلموا البضاعة للتاجر الذي تسلم البرقية ••

لا خوف ولا فزع من تهريب الحشيش ولا من تدخينه ولا من الأتجار به ، وكل ما يهم المهربين • هم حراس خفر السواحل فان كان الحارس جنديـا من ابناء البحيرة استبشروا •• وأن كان سودانيـا تشاءموا • لان الجنـدي السوداني لا يخشى العصابات ولا يقبل الرشوة • وما أسرع ما يبـادر الـى النفخ في الصفارة او اطلاق الرصاص ••

كانت عصابات المهربين كلها تابعة لحميدو الفارس • وسواء اشترك فـي عملية التهريب أو لم يشترك فان نصيبه في كل عملية يصل الى بيتـه ، أو في السجن ••

في أحدى الامسيات كانت عصابة حميدو على موعد مع الباخرة اليونانية، ولكن الحارس سوداني لا يحسن النطق بالعربية • وقـد خبروه مـن قبـل فوجدوه لا يكسر ولا يعصر • فابلغوا أمره الى الريس حميدو فقال :

ـ مالكمش دعوة بيه ..

وفي الهزيع الأخير من الليل وقف حميدو مع رجال البر ينتظرون رجال البحر ..

وتقدم حميدو وحده الى الشاطيء ليتبين الامواج والزوارق القادمة .. وأطال العسكري السوداني النظر اليه ثم سأله بجرأة رجل الميري :

ـ انتي هنا بتعملي أيه ..

فلم يجبه حميدو . فتقدم اليه وقبض على ساعده وهزه بعنف ..

ـ مش بتردي ليه ؟

فدفعه حميدو فجأة فسقط في الماء يتخبط . وقبل أن يسترد قواه سحبه الى العمق المناسب وغطس رأسه الى أن فاضت روحه .

واقترب الزورق من البر ونزل منه أحدهم يسأل حميدو الذي وضع يديه في خاصرتيه .!!

ـ الراجل فين ؟

فأشار الى الجثة وفوقها الكبود الاصفر تلعب به الامواج وقال :

ـ أهو جدامك ..

فساد الصمت . وتوقعت العصابة مرور الصف ضابط الذي يتفقد الحرس كل ليلة ..

فقال أحدهم ويدعى الشحات ..

ـ وبعدين يا حميدو ؟

فقال حميدو بحدة : ولا جبلين انت حاتعمل لي جاضي ؟ ياللا نزلوا الحشيش ..

قهـوة حميـدو

انبسطت الارض الجديدة على الشاطىء •• وكانت أعرض مـا تكـون وأجمل ما تكون على الميناء الشرقية التي أصبحت على ما فيهـا مـن حفـائر وحصباء منتزهات للمدينة ••

وبادر أحد الاذكياء فبنى عليها قاعة سينما أقرب ما تكـون للكـراج ، ولكنها جذبت الناس • ومشت عليها بنات بحري ملتفات بملاءاتهن الشهيرة ، يتبخترن في حذر ••

وجرت على الارض الجديدة مباريات في كرة القـدم ، أقامهـا طلبـة المدارس • وتألفت على أثرها فرق من الفتوات كل منها تنتصر لمدرسة وتهتف لابطالها وتشتم أعداءها ••

هنا فتح حميدو قهوته • ونثر موائدها وكراسيها على مساحة كبيرة من الارض الجديدة • واشترى لها مجموعة جميلة من النارجيـلات ذات المباسم الكهربائية ، وزودها بالصواني النيكل وفناجين البورسلـين كأحسن مقهـى أوربي في الاسكندرية • وما من فتوة كان في الاسكندرية الا وكـان يملـك قهوة تحمل اسمه ويباشر فيها أعماله الاخرى • وفيهم من اشتـرى الامـلاك من قهوته •• وفيهم من كف عن الشر واكتفى بالرزق الحلال وأصبح حاجـا ملتحيا يلف على طربوشه شريطا من الاغباني الاصفر •• وها هـو حميـدو يكمل هذا النقص • ويمضي يومه جالسا علـى كرسيه والشيشة أمامـه •• ولكن أين الزبائن • كان مجرد جلوسه منفرا للنـاس مـن عابـري السبيـل والمتنزهين •• كانوا ينظرون اليه ويتهامسون ويستعيذون بالله من شياطـين الانس والجن ••• ولكن حميدو لم يهتم باعراض الناس عنه • ولـم يغتـم لرؤية موائده شاغرة ؛ بل كان يعجبه أن يخلو برؤساء المهربين ورجال عصابته يتناقشون في شؤونهم بحرية وفي منأى عن أعين الحسدة • وفي هذه القهـوة وقعت كارثة هزت المدينة بأسرها •••

جنـازة حـي

بات الوالدان يسالان عن وحيدهما الغائب فلم يعثرا له على اثر ، هـل استحم فغرق • هل تبع زفة فضل ؟ •• هل ؟ انه طفل يخوض في الرابعة عشرة من عمره • فيه جمال الشباب اليافع ونضرة الرغد والنعيم ، وجهل الطفولـة الغريرة •• ذهل الاب عن الوجود واحترق كبد الام •• وبعد اسبوع جاء من يقول :

ـ ابنكم عند حميدو الفارس •• في القهوة اللي عالبحر ••

طار الرجل الى ولده فوجده جالسا على كنبة المعلم في داخل القهوة وفي يده مبسم الشيشة يشتف منه بصعوبة • وقد وشم علـى احدى يديـه اسدا ممسكا سيفا وعلى الاخرى ثعبانا يلتف على نفسه ••

وحار الرجل في الامر هل يحتضن ولده ويقبله فرحا بلقائه بعد حسرات تجرعها ، ام يقتله ليتخلص من عار لا يمحى فقال :

ـ بتعمل ايه هنا يا ولد ؟

كان حميدو ينظر للرجل وينتظر ما يقول فرد على السؤال ••

ـ هو ايه اللي بيعمل ايه ؟ جاعد زي الباشا اهوه انت عاوز ايه منـه ؟
فقال الرجل : انا ابوه يا سي حميدو ••

فاجاب الطفل : لا، مش ابويا ولا نعرفك ••

ـ طيب تعال كلم امك ••

ـ ما هيش امي ولا نعرفها •• عاوز ايه كمان ؟

وطالت المشاهدة بين الوالد وابنه الذي يجيب علـى كـل سؤال بجرأة ووقاحة ••

ـ انا ما نحبش الا حميدو •• ولا ننامش الا عند حميدو •• حميـدو خلاني راجل ••

وهجم الرجل على طفله وجره من ذراعه فقام حميدو وربت علـى ظهـر الوالد وقال :

ـ اسمع يا عم •• ده مش عيل صغير •• ده راجل زيي وزيك ••

وبالغ •• ومترشد •• وكل حاجه •• انجر من هنا احسن لك ، ودفـع الرجل بعنف الى خارج القهوة والابن يضحك ••

انعقد مجلس العائلة ليتشاوروا فيما يجب عمله ••

ليس في البلاد قوانين لحماية الطفولة • وسن الرشد في الشريعة ١٤ عاما وقد اوشك الطفل على بلوغها •• والبوليس يتقي شر حميدو حتى ليتراخـى عاما او عامين في تنفيذ الاحكام الصادرة بحبسه •

وانبثقت قريحة الوالد الذي كان يموت غيظا واسفا عن فكرة لم يسبقه اليها احد •• وهو ان ينصب صيوانا يقبل فيه التعازي علـى وفاة ولـده •• ووافقت الام على اقامة مأتم نسائي يرن فيه دف الندابـة ••

وملأ الرجال صيوان المأتم جادين غير هازلين، مقتنعين بأن المصيبة تستحق الحزن ويجب عليها العزاء • وكان حديثهم عن طغيان حميدو الذي لا يحد ولا يصد ، وعن شذوذ حميدو الذي كلف اهل الحي ما لا يحتمل ••

وملأ النساء دار المأتم ثلاثة ايام متوالية مشاركة لام الطفل في الصيـاح ولطم الخدود • ويردين ما تقول الندابة على دقات الطار •••

يا ريته في تربتـه
ولا غريب في غربته
ولا جابولي جثته

واصبح صاحب المأتم يتجول في الحي بحرية • ويمر بداره ويلوي عـن

قرابته ولا يقربهم السلام . وقـد ارتدى ملابس الفتيان الشطـار . جلابيـة مفتوحة الصدر .. تحتها صدرية من الطيفة الحمراء فيها ثلاثون زرا متصلـة بعضها كحبات المسبحة ،وقد انتفخ صدغاه وعيناه من شرب الخمر والسهر.. وتدارك الله الوالدين بلطفه الخفي .. فتوفي الطفل في نفس العام مريضـا بالجدري . وخرجت جثته من المستشفى الميري في جنازة جديدة ..

من سعادة الذي عاش في ذاك العهد ان يمتد عمره الـى ان يرى دولـة الحمايات قد زالت . ودولة الفتوات اخذة في الزوال ...

بـيرم في الاسكندرية أيضا

لن نقطع شريط الاسكندرية ، بل سنمضي فيه لنرى كيف سيصور لنـا بيرم التونسي بريشته الحادة الوانا من الطبقات الشعبية التي يحفل بها المجتمع المصري ، ونلاحظ ونحن نتابع هذا الشريط صدق الرؤيا عند هـذا الانسان المرهف الحس ، فهو لا يبالغ ، ولا يسدل على الصورة البشعة ستارا شفافـا من الجمال ، انه يريد من الناس ، كل الناس ان يروا مجتمعهم كما هو بـدون روتوش .. انه ترجمان صادق لكل ما يعتلج في صدره من خلجات ..

الايصال والفـاتـورة

يقول بيرم التونسي ..

كان لوكائل التجار في الاسكندرية هيبة . كهيبـة البنوك اليوم ، فنـاء واسع فيه بئر ومصلى . تحيط بالفناء حجرات ومخازن ترى فيها التجـار في قفاطين الحرير وجلباب الجوخ ، جالسين على الكنبات التركيـة والطنـافس العجمية ، وبجانب كل تاجر خزينة حديدية للاموال تناسب مقامـه وثروتـه ، وبجانبها كاتب عاكف على الدفاتر يعلوه الجد والوقار .

وفي فناء الوكالة لا تنقطع حركة القباني الذي يزن على الميزان الروماني

طروده ، السمن السوري ، والعجوه السيوي ، والمغات العراقي ، والياميش التركي ٠

هؤلاء هم تجار الجملة المستوردون والمصدرون والذين لا يعرف أحد مقدار ربحهم في صفقاتهم المستورة المباركة ٠٠ بعض هؤلاء يوسع تجارته كلما زاد رأسماله ، وبعضهم يحول أرباحه الى عمارات ، لا يكاد يفرغ من بناء احداها حتى يبدأ في الاخرى ٠٠

كانوا يكرهون الكلام في السياسة ويسخرون ممن يحفظ بيتا من الشعر ، ولا يشترون من الصحف غير نسخة واحدة من جريدة (البصير) يتبادلون قراءتها ليعرفوا اسعار الكمبيو وحركة البواخر ، واخبار البورصة ٠٠

قال احدهم لآخر وقد راى ابنه يذهب للمدرسة وهو في السابعة عشرة من العمر ٠٠

ـ لا متى حا تخليه في المدرسة ؟ هو مش يعرف يكتب الفاتورة ؟ مش يعرف يكتب وصل الايجار ؟ خلاص خليه يقعد معاك ٠ احسن يروح يتعلم الكورة !

وكان ابناء التجار يتسللون الى دهليز الوكالة ليدخنوا السجاير ويمازحوا البوابين والشيالين ٠٠

طلبة الشيال

يتحدث طلبة الشيال عن نفسه فيقول انه من أبناء الدقهلية ، ونزح الى الاسكندريه لان اجره من العمل في الارض لا يكفي لملء معدته ٠٠ كان يشوي خمسين كوزا من الذرة ويأكلها ويقول هل من مزيد ؟

ويأكل قفتين من البلح الاخضر الفج ولا يشبع ٠٠٠

ويسأله احد ابناء التجار عن سعر القفة وما تستوعبه من البلح ٠٠

فيقول : تلات اجات اربع اجات ..

ويسأله اخر ـ تقدر تاكل صينية هريسه يا طلبه ...

ويقول عبد الله ..

ـ اكلها بس الرهان نص ريال ..

ويشترك ابناء التجار في شراء صينية هريسة يبلغ نص قطرها ستين سنتيمترا ، قد يعجز عن التهامها عشرون من اكلة الرجال الشرهين .. ثم يجتمعون حوله ليضحكوا منه وهو يزدرد الهريسة المصنوعة بالسمن الشيحي المحشوة بالجوز والصنوبر ، وكل منهم يثبط همته ويبشره بالاخفاق ودفع الرهان .. ولكنه يخيب ظنهم وياتي على الصينية في نصف ساعة ويقول ـ هاتوا النص ريال ..

صار طلبة متعة لاهل السوق . ولغيرهم المولعين بمشاهدة العجايب .. ولا يجد اسبوع دون ان يجد من يراهنه على اكل عشر اقات من الموز او مائة سلطانية من العاشورة ، او مشنة جميز ...

مر على باب الوكالة بائع يدفع عربية موقرة بالرمان القبرصي ، وقد فلق منها عدة رمانات وبدت حباتها الياقوتية تلمع في النور .

فقال احدهم : تاكل كام اقة رمان يا طلبة ؟

فقال مفيش كام ، اكل رمان من الصبح للضهر ..

وتحاشى الناس مراهنته على المأكولات اللذيذة فراهنوه على مأكولات غير لذيذة .. احضروا له ماجورا من الفول المهروس المعد للطعمية فاعمل فيه مخلبه واكله بنفس الشهية التي يأكل بها الهريسة والعاشورة واخذ الرهان .. وقدرة فول مدمس اكلها بلا زيت ولا ملح ولا خبز واخذ الرهان ..

تركوا الاطعمة والحلوى واقترحوا عليه انواعا أخرى ..

قدح من الملح الرشيدي الخشن يأكله بنصف أقة صابون مطبخ والرهان ريال •• وكسب طبلة الرهان ••فردة حذاء قديمة يقطعها كالبسطرمة ويمضغها وقد فعل •••

خمارة بخورا

كانت خمارة بخورا اليهودي تقع تحت منزل قديم في الحلوجي • وكان زبونها يدخل من باب لا يزيد ارتفاعه عن متر واحد ، ثم ينزل بثلاث درجات الى فناء واسع أسود الجدران تتدلى فوقه ستائر من نسيج العنكبوت • وفي وسط الفناء مائدة مستطيلة من الخشب القديم على جانبيها مقعدان في طولها وعليها يجلس الزبائن متراصين جنبا الى جنب ومتقابلين وجها لوجه ••

كأس الزبيب أو عرق البلح بخمسة مليمات ، يقدمه للزبون ومعه نصف رغيف وسيجارة من النوع الرخيص ••

هذه التشكيلة من الخمر والغذاء والكيف استهوت فقراء المدمنين من عمال وشيالية ومتسولين •• كان بعضهم يدخل الحانة بورقة سمك مشوي أو صحن كرشة ويقوم بعد عدة كؤوس شبعان ريان نشوان ••

جاء بخورا في أحد الايام الى الوكالة التي يعمل فيها طلبة الشيال واشترى منها خمسين طردا من العجوة مضى عليها اكثر من عامين في مخزن التاجر ، وأصبحت لا تصلح للتقطير •• باعها له التاجر بلا ميزان ليتخلص منها ومن الاجر الذي كان يدفعه لحمالين يلقونها في البحر ••

باع الاربعين طردا بجنيه واحد •• وطفق طلبة يحمل الطرود ويلقيها في حوش الوكالة فلا يكاد الطرد يصل الى الارض حتى يتشقق ويتناثر منه التمر المتاكل ••

وفي هذه الآونة جادت السماء بوابل من المطر فتحولت أرض الوكالة الى وحل غليظ مرصع بالعجوة تطوءه اقدام الداخلين والخارجين ••

ودخل الوكالة يهودي مبرنط من محصلي البنوك متأبطا حقيبة ثمينـة وقال وهو ينظر الى العجوة :

ــ مين يأكل الوساخة دي ؟

فأجابه طلبة أنا آكلها ••

وانحنى على الارض وجمع بيديه نحو اقتين من العجوة والوحل وقال :

ــ تدفع نص ريال وأنا آكل دول ؟

فقال المحصل : واذا ما آكلتهمش ؟••

فقال طلبة : ادفع نص ريال •• ثم قال طلبة لرئيس الشيالين ••

ــ خذ منه النص ريال يا عم الحاج علي •• واذا أنا خسرت الرهان أدفع له نص ريال من حسابي ••

ودفع المحصل اليهودي نصف الريال وهـو واثق من انـه سيسترده ، ويكسب نصف ريال اخر ••

كان بخورا متغيبا • فلما عاد ، كان طلبة يلتهم الجزء الاخير من العجوة ، ويمد يده الى رئيس الحمالين ••

ــ هات النص ريال يا عم الحاج علي ••

ــ خذ يا طلبة حلال عليك ••

ولما علم بخورا بجلية الامر •• صرح خانقا محتجا ••

ــ النص ريال ده ليه أنا ؟ ده اتراهن على بضاعتي اللي شاريها بمالي ••

ولكن محصل الضرائب قال لبخورا ، في داهية النص ريـال ده حايموت الليلـة ••

في المساء كان طلبة بين زبائن الخمارة ينتظر كأس العرق ونصفه الرغيف والسيجارة ••

ولكن بخورا وضع أمامه الكأس ، ولا شيء معه ••

ــ فين السيجارة ونصف الرغيف ؟

ــ عليك نص ريال كسبته مــن عجوتي ، وعليــك ثمن اوقتين عجــوة آكلتهــم ••

وهم عبد الله واقفا وقال مش عايز أسكر عندك ••

وعز على بخورا أن يفقد أحد زبائنه فنادي أحد أولاده : هات هنا شقــة عيش يا ايزاك ••

فقال طلبة ، العيش والسيجارة ، أنا باجي عشان سيجــارة الدخــان •• فقال بخورا لابنه :

ــ هات السيجارة وبلاش العيش ••

ثم قال لطلبة : حاتدفع لي النص ريال من ثمن شقة العيش في ميت يوم•• يعني كل يوم مليم ••

وللخواجة بخورا ثلاثة أولاد يساعدونه في الخمارة • وكان أكبرهم في الثالثة عشرة من عمره • ويمتاز عن اخوته بقبقاب يلبسه في قدمه القذرتين••

أصبح الاطفال الثلاثة الى يوم قريب مــن كبار تجار الغــلال في مينــاء البصل • وقد سموا أنفسهم (شركة التسليفات) ، وأحسب أنــي قرأت أسم هذه الشركة في هذه الايام في كشف الشركات الاخرى •• التي وضعت تحت الحراسة • أو صفت أعمالها •• وقرأت بجانب الاسم رقم رأس مال الشركــة وهو مليون ونصف مليون من الجنيهات •

أغانــي البطالسة

كتب لي استاذ مصري يقيم في انكلترا ويقوم بدراسة أغاني الاسكندرية في عهد البطالسة ليتقدم بها للدكتوراة ••

كتب يقول : كانت هذه الاغاني اباحية مطلقة لا تتحرج من معنى فاحش ولا لفظ بذيء ومع هذا لا بد من تسجيلها للتاريخ ، وللفن ، وبوصفك احد الشعراء الشعبيين ، ومن أبناء الاسكندرية ارجو أن توافيني بنصوص هـذه الأغاني ... هل ترى ان صاحبي يطلب المستحيل .. فليس مـن المعقول ان يختفي قبر الاسكندر الاكبر ، ومصاغ كليوباترا وتاجها ، وتبقـى كلمـات الاغاني في أفواه الناس الى اليوم ...

قلت لصاحبي ان الاغاني الفاحشة يخلقهـا الاقليم والزمـن والظروف وقلة الحياء ، وانعدام الوازع والرقيب ..

وان اختفت اغاني البطالسة فقد خلقت الاسكندرية اغاني اخرى تحتوي على الاوصاف المطلوبة او ما يقرب منها ..

في أواخر القرن التاسع عشر كانت العوالم تنشد في الافراح، وفي الحريم أغاني توارثتها من قرون مضت وهذه احداها :

الحلو مخاصمني شاهده يا أمه
نفسي يكلمني بس مرة
بدلتي البمبي ولبسني
بدلتي البمبي وقلعني
لومه على جنبي بس مرة

وبعد البدلة البمبي ، تذكر الاغنية بقية الالوان ... بدلتي القطني .. بدلتي القدممي ..

ولا حرج على العوالم من ذكر كل شيء وتسمية كـل شيء ، لانها فـي أفراح ولان الرجال في الصيوان ، وفي الشارع ..

كتبت مرة للدكتور مجموعة من هذه الاغاني بالفاظها ، ومجموعة أخرى من اناشيد قذرة ينشدها (جدعان) الاسكندرية في القرافـة أيـام زيارات الموتى يقلدون فيها الندابات .. والاغاني البذيئة شائعـة في كثير مـن مواني

البحر الابيض المتوسط فقد سمعت اوباش مرسيليا يعارضون الاغاني الشائعة باغان من تأليفهم لا يمكن ترجمتها ولا الاشارة الى معانيها .

ولاوباش السواحل الايطالية أناشيد داعـرة يذكرون فيهـا القديسين ورجال الدين بما لا يليق من القول ..

بخــلاء بحــري

قرأت كتب الجاحظ كلها فوجدت بعضها ممتعا ولكنه يحتاج الى ترتيب وهو كتاب الحيوان ، وبعضها ثقيلا متعبا وهـي رسالة التربيع والتدوير ، او البيان والتبيين . ولكنني قرأت كتاب البخلاء في مدى عشرة اعـوام ، وكلما فرغت منه عدت اليه .. وكلما تباعدت عنه اوحشني غيابه .. انـه الكتـاب الوحيد من كتب الجاحظ الذي ترجم الى أكثر من لغة ، وقال عنه النقاد انـه بلغ القمة في الفكاهـة .

وليس كل انسان يستطيع ان يدرك ما يعرضه الجاحظ من نوادر تنشق لها المرائر من الضحك ، يعرض الجاحظ للبخلاء افرادا وجماعات ..

فهذا أحد الاثرياء كان يرى المصلين في يوم الجمعة خارجين مـن مسجد البصرة ، ولا يقل عددهم عن مليون رجل فيدهش لهذه الكثرة ويقول :

ـــ سبحان من يرزق هذا الخلق ؟

لم يهتم بشيء من أمر هؤلاء الناس الا انهم يريدون ان يأكلوا ..

واخر من النبلاء الاعيان نادم صديقا له عـلى الغناء والشراب وهزتـه اريحية السكر فخلع جبته على صديقه ، كما يفعل الخلفاء والوزراء .. ولكن الصديق الذي يعرف بخل صاحب الجبة أرسلها على الفور الى الصباغ ..

ولما افاق النبيل تذكر ما فعل بالامس ، فأرسل خادمه الى صديقه وكلفه أن يقول لـه :

ـ ثلاثة لا يجوز لهم بيع ولا طلاق ولا هبة ، وهم : السفيه والمجنون والسكران .. وأنا وهبتك جبتي وأنا سكران فلا حق لك بها ، وأذن اعدها لاهبها لك باختياري ...

فقال الصديق للخادم : قل له ان الجبة أتلفها الصباغ فقطعتها طيلسانا لزوجتي ...

فعاد الخادم الى الصديق بهذا الجواب ..

(اذا كان لك زوجة تلبس الطيالس فان زوجتي أيضا تلبسها ، أعد الجبة وأترك المماحكة) .

فقال الصديق لخادم النبيل : أن زوجتي وجدت الطيلسان قصيرا ومشوها فقطعته سراويل ولبستها ولا اظن زوجتك تلبسها بعد ذلك ..

فلما يئس النبيل من استرداد الجبة قال :

بأبي انت وأمي يا رسول الله حيث تقول .. وضع الشر كله في بيت وجعلت الخمر مفتاحه ...

ويصف الجاحظ بخلاءه جماعات يتزاورون في البيوت ويتذاكرون دروس الاقتصاد وتدبير المعيشة .. قال الزائر لصديقه صاحب البيت ..

ـ اين عقلك يا فلان .. أنك تستضيء بمصباح من الفخار ، وتحسب انك أهتديت الى الصواب ، لماذا لا تتخذ مصباحك من الزجاج ؟

حقا ان مصباح الفخار أرخص ، ولكنه يرشح من الزيت أضعاف ما توفره من الفرق بين ثمن الفخار والزجاج ..

ونسيت أصلحك الله ان مصباحا واحدا من هذا الزجاج الشفاف يضيء أكثر من أربعة مصابيح من الفخار .. ونسيت اصلحك الله شيئا اخر . لا ادري كيف غاب عن فطنتك ، وهو أنك أتخذت العود الذي تصلح به الفتيلة من الخشب ، ولو حسبت ما يشربه العود في كل ليلة لخرج لك من

زيت كفاية ليلة ..

أما أنا فقد أتخذت اعواد الفتايل كلها من الحديد والمسامير .. وينظـر احد هؤلاء الاثرياء الى زميل له فيراه وقد أرتدى عباءة من وبر الجمل في أول فصل الخريف فيقول :

ـ يا سبحان الله .. علام تعجلت لبس هذه العباءة ولم يحن وقتها بعد؟

اين نحن من الشتاء ؟ ان التراب لا يزال جافا مـن شمس الربيـع . والرياح تذروه على الناس فتستقر ذراتـه في مسام الملابس فتنسفها نسفـا وتعجل بها الى الفناء ..

والغبار أعلق بوبر الجمل منه بالملابس الملساء المصقولة ، وليس ثمـن الوبر كثمن الصوف والقطن .. فمتى كنت من المسرفين ؟ ويصف لنا الجاحظ جماعة اخرين سماهم المسجديين لانهم كانوا يجتمعون في المسجـد ليوفـروا مؤونة الضيافة ..

قال أحدهم لاخوانه :

ـ هل علمتم أن فلانه توفيت اليوم ، قالوا وما شأنها ؟

قال انها من كبار المدبرات ذوات العقل الراجح والبصيرة النافذة ...

ذبحت شاة (خروف) وانتفعت بكل شيء فيها ، عدا الدم فلم تعـرف له منفعة ، وحزنت لذلك واغتمت ..

قالت لي : يا أبا فلان الصوف جزته قبل ذبح الشاة وغزلتـه خيوطـا ، والجلد دبغته وفرشته في البيت ، والقرون وضعتها في الحائط لتكون مشاجب تعلق عليها الثياب . واللحم حولته الى قديد متبل . والدهن سليتـه وحـده وأودعته القدور والعظام طحنتها وأعدت غليها على النار فخرج منهـا دهـن يكفينا أسابيع .. وما بقي من العظام بعد السلي جعلته وقودا للتنور ، وهـو أصبر على الاحتراق من الحطب .. وبقي الدم ، وهـا أنا أضرع الـى اللـه

أن يلهمني وجه الانتفاع به •• قال المحدث : ثم قابلتها بعد شهور فقالت :

ــ ها ••• هل تعرف ماذا فعلت بدم الشاة ؟ طليت به القدور والجرار فعادت لامعة ملساء لا ترشح منها قطرة زيت أو عسل ••

وهاج السامعون من الطرب ؛ فضرب الارض بيده وقال يخاطب نفسه ••

ــ لا تعرف أنك من المسرفين حتى تسمع أخبار الصالحين • هيا يا قوم نشيع جنازة هذه المرأة الصالحة ••

ولا يعلم الجاحظ الذي يشنع على هذه المرأة أنها ستكون امامـا يسير خلفه رجال الاقتصاد على مر العصور وكر الدهور • فما من شيء في أيامنـا هذه الا وفيه منفعة ؛ أكثر المصنوعات مأخوذة من نفايات كانت تلقى غير مأسوف عليها • مثل تفالة القصب وقشور الموز ورجيع الفحم ••

أما البخيل المذموم فهو الذي أحدثكم عنه الان ••

في أحد أيام رمضان وقبل الغروب بدقائق كان الحي يموج بالناس كبارهم وصغارهم حاملين أطباق المدمس والطرشي وطواجن السمك واليخني •••

واذا بالسيد المليونير يهرول بملابس المنزل ومعه خادمة قصيرة اشترت له مدمسا بمليم فلم تعجبه الكمية •••

وشق الجموع الواقفة أمام الفوال ، وأخذ الصحن من الخادمة وقال للرجل :

دول بمليم يا ظالم ؟

وابتسم الفوال وأخذ منه الطبق وجعل يضع فيه المغرفة بعد الاخرى حتى طفح بما فيه ••

ثم قال كمان يا حاج ؟

قال الحاج : أيوه كدة عشان ربنا يبارك لك • وما تبقاش تضحك على الناس تاني مرة ••

وسار يحمل الطبق باحتراس والفول يتساقط من جوانب الطبق •

قال الفوال : روح الله يرصد مالك ، ولم يبق أحد من النظارة الا وتناول الرجل ••

ـ عنده سبع عمارات ••• الخنزير ••

سبعة ازاي ؟ اتناشر عمارة •• تلاتة في المنشية ، وأربعة في محطة الرمل، واتنين في العطارين ، وواحدة في محرم •• ووحدة لسه بانيها في المسلة ••

وكان هذا الرجل لا يهتم بما يقوله الناس عن جبته الرخيصة وقفطانه الذي لا يساوي أكثر من خمسة عشر قرشا ، وحذائه المكشوف الذي لم يبدله منذ عشرة أعوام • بل كان يتباهى بكل هذا ويعتبره دليلا على النباهة والمهارة ••

دخل في احدى الامسيات على اخوانه في القهوة وجلس يلهث •• ثم نزع عمامته ومسح عرقه بالمنديل الذي يشتري فيه البرتقال والطماطم • ثم نزع قدميه من الحذاء ، وجعل يدلك أصابعه ، ثم ضحك وقال :

عارفين أنا جاي منين ؟ جاي من المكس ماشي على رجليه •• رحت السلخانة نشتري بيعة كرشة نطبخها مكمورة •• لقيت جزارين الطرطوشي اشتروها كلها ، من زعلي ما رضيتش نرجع في الترامواي ، مشيت خطوة خطوة من حفاير المكس ، طلعوا أربعة حرامية من اللي يدبحوا الراجل على قرش صاغ • قالوا بتعمل ايه هنا يا راجل ؟ قلت لهم يا ولادي أنا راجل فقير بنقرا على الميتين •• كنت في جنازة رجل اعرابي ، قريت عليه ولقنته وعطوني قرش صاغ ، ما رضيش نركب الترمواي وقلت نشتري بالقرش صاغ عيش للعيال ••

ثم يستغرق في الضحك ويقول :

ــ ايه رأيكم في الحراميه ، جمعوا لي من بعضهم نص فرنـك ؟ ...

ثم يخرج النقود من جيبه ويقول :

ــ أهم أربع قروش حاططهم لوحدهم ..

كان في كل يوم يتفقد العمارة الثانية عشرة التي يبنيها في المسلة ..

وعند الظهيرة يرى الفعلة وكل منهم يدفع خمسة مليمات ليشتروا غـذاء جماعيا ، فيدفع لهم الخمسة مليمات ويقول : احسبوا حسابي معاكم ..

ارتفعت العمارة التي يبنيها هذا الرجل في حـي المسلـة الـى الـدور السادس في مدى شهرين ، فقال له المهندس :

ــ لازم نعمل تصليبة كمرات أحسن البنا حايـرتاح علـى بعضه ومـا يحصلش طيب ..

والتصليبة دي تتكلف كـام ؟

ــ حاجة زي ميت جنيه ؟

فوضع الحاج يديه في خاصرتيه وقال :

ــ انت بتستكردني ؟ دي مش أول عمارة بنيتها .. أنا أفهم منك ومـن أي مهندس في البلد ..

بعد أيام قليلة انهارت العمارة من أعلاها الى أسفلهـا . وجـاءت فـرق المطافىء ، فأخرجت من تحت الركام عشر جثث بينهم صاحب العمـارة ..

وعلم أهل السوق بالحادثة فور وقوعها فكان التاجر ينادي على زميلـه في الدكان الاخر ..

ــ حاج ابراهيم .. صاحبك هلك ..

ــ الى حيث ..

اتفضـــــل

أصحاب الدكاكين يدعون عابـري السبيـــل (بالتفضل) بـلا غضاضة عليهم •• ولا امتعاض من الناس •• (اتفضل) مفهومة من الحلاق وصالونات التجميل أقصد محلات مسح الاحذية ، ومن الجـزار والخضري •• ولكنهـا غير مستساغة ولا جائزة عندما يقولها الحانوتي لمن يمر أمام دكانه •••

الحانوتي وهو جالس وحوله صفوف من النعوش مستندة الى الجدران وكل منها واقف فاغرا فاه ينتظر من يشغله لا يشعر هذا انه كريه بغيض تتحول عنه العيون وتتحاشى النظر اليه والى دكانه ، بل يحسب نفسه كالجواهرجـي جالسا وحوله الاساور والخواتم والساعات الثمينـة ، أو كبائـع الملابس الجاهزة يعرضها ويباهي بجمال صنعها •• واذا كانت النعوش ترعبكم أيهـا النظارة •• فهي لصاحبها مصدر أنس ، ومورد رزق يتأمل مقاساتها المختلفـة ويقارن بينها وبين مقاسات الناس المنتظر قدومهم الى الآخرة ••

والحانوتي الذي أقصده ، أمر عليه في أكثر الايام ذهابا وايابا فأجـده ، هو وأعوانه ، وضعوا أحد النعوش على الرصيف وأقبلـوا علـى كسوتهـا بالشيلان الكشمير وبالاطلس البمبي ، هذا يكشكش القماش وهـذا يشلـل ويعقد الفيونكات وكأنما هم من كبار التوزية يحضرون ثوبا لعروس من بنات الذوات وينتظرون الاجر والبقشيش ••

في الاسبوع الماضي كان أسطوات الاخرة جالسين بلا عمـل والرصيف فارغ من النعوش فناداني أحدهم :

ــ اتفضل •••

والتفت اليه مستنكرا ظرفه وكرمـه •• فقال مـرة ثانيـة اتفضل ••• فقلت كل آت قريب •••

في مساء هذه الدعوة أصابتني هذه الحمى الوافدة ، ابتـدأت بنوبـة

سعال استغرقت الليل كله ، واليوم التالي •• ولم يفلح ما عندي من الادوية في ايقافها • بل كان الاكثار من الادوية سائلها وجامدها سببا في تسمم بولي•• وجاءت الاعراض الاخرى لهذه الحمى يتلو بعضها بعضا •• واستسلمت للنوم ، وأنا أفكر في دعوة الحانوتي واصراره علي أن أتفضل ••• وذكرت ما أحفظه لابن الرومي الذي كان يستنتج الحوادث المقبلة من مشاهداته الحاضرة ويقرر مذهبه في هذين البيتين ••

لا تهاون بطيرة أيها النظار   واعلم بانها عنوان
فلما غاب من عيونك عنوان   مبين وللزمان لسان

وما هذا الحانوتي الا ملهم أنطقه الزمان ، ليبشرني بدنو الرحلة الى المقر الاخير ، مع فنجان قهوة تحية القدوم •• كان هذا الخاطر يضحكني ، وقد شاهدت الموت عيانا في مرات سابقة فما خفت ولا ارتعبت ، بل أعلم علم اليقين أنه انتقال الى جيرة من يرجى خيره ، وفراق من لا يؤمن شره من البشر ••

وهذه النعوش لا تخيف الا الاحياء ، ولو نطق الميت المسجى في فراشه لاعرب عن شوقه الى ركوبها ، اذ لا يصلح له غيرها • ولكنني لا أحب أن يدعوني الحانوتي للتفضل ، ولو كان ضامنا للخلود في هذه الدنيا •••

الرئيس المنتخب

لنا جمعية اسمها جمعية المؤلفين والملحنين ، تألفت لتخلص رقاب أعضائها من حبل يمسك به تاجر اسطوانات ويجرهم كما يجر الجزار الانعام الى السلخانة ••

ولكن عملية انتخاب الرئيس ومجلس الادارة أسفرت في عشر سنوات متواليات عن انتخاب تاجر الاسطوانات نفسه رئيسا لهذه الجمعية ••

وقد أدركت بمشاهداتي المتوالية ان بين هؤلاء المؤلفين والملحنين بلطجية من النوع الذي يؤجر نفسه لحراسة الصالات وقد قارنوا ربحهم من التأليف

والتلحين ، وبين ربحهم من المنح المتوالية عليهم من تاجر الاسطوانات فوجدوا هنا خيرا من هناك بأضعاف ..

فاذا حان موعد الانتخابات ، تولـى البلطجـي الاول ارسال الدعـوة للاعضاء وفي نهايتها هذه الجملة ..

(واذا لم يتكامل العدد القانوني ، فان الاجتماع الثاني سيكون صحيحا مهما كان عدد الاعضاء) .

ومن باب الاحتياط لضمان نجاح الخواجة الجزار يعتمـد السكرتـير ارسال الدعوة للمعارضين قبل الانتخاب بأربع وعشرين ساعة لتصل اليهم بعد ثلاثة أيام كما هو معروف عن مصلحة البريد .. أو يرسل الدعوة الـى محل عملهم بدلا من منازلهم والنتيجة واحدة ..

وطريقة ثانية يتخذها السكرتير لابعاد عدد من أعضاء الجمعية ، وهـي أن يغير مكان الاجتماع دون اعلان .. فاذا كان الاجتمـاع الاول في معهـد الموسيقى ، وجاء الاعضاء الى المكان نفسه ، وجدوا السعاة يصدونهم ــ لان خطابات سرية وصلت الى الادارة تقول انكم أيها المؤلفون مختلفـون فيمـا بينكم وسوف يضرب بعضكم بعضا بل انكم ستحطمون المعهـد ــ وتتساءل: واذن أين مقر الاجتماع الثاني .. فيقول بعض السعاة ..

ــ اما في شارع توفيق ، أو في نادي السينما ..

وهنا تبرد عزائم المتحمسين ويتكاسلون عن البحث عـن المكـان وكـل منهم ينتظر كفاح بقية الاعضاء الذين أقسموا جميعا علـى اقصاء الخواجـة ووكلائه عن جمعيتهم .. والاحتياط الثالث الذي يتخـذه البلطجـي الـذي يدير هذه الحركة هو أن يحشد في مكان الاجتمـاع عشرات مـن طريـدي الاندية الرياضية وانفارا من المقاهي . ولكل من هؤلاء أجر يقبضه علنـا .. واليهم وحدهم تدخل الصوانـي عليهـا زجاجـات المثلجـات والسجايـر الاميركاني .. هؤلاء مكلفون بالصراخ والهتاف عندما تصدر اليهم الاشارات

المتفق عليهـا ..

في جيب كل بلطجي الذي يدير هذه الحركة كشف فيه أسماء الناجحين من رئيس وسكرتير وأمين صندوق ووكلاء أول وثاني وثالث .. ومع الكشف أجرة النشر في الصحف اليومية صباحية ومسائية . ولا تقل الاجرة عن خمسين جنيها يجودبها الخواجة عن طيب خاطر . مع مصاريف المصوتين والصارخين ... وعندما تبدأ عملية الانتخابات يذهب حامل الكشف ويوزعه على الصحف ويدفع أجر النشر ..

وينفض الاجتماع عن شاتم ومشتوم ، وضارب ومضروب ، واستغاثة من أصحاب الملك ، أو انذار بالاخلاء ..

في الصباح يرى كل مؤلف أو ملحن أنه انتخب عدوه الذي أقسم أن لا ينتخبه ، وفي أول جلسة يقول مدير الحركة : اللي يتكلم أرميه من الشباك .. ليه تنتخبوه ؟ هو كان ضربكم على ايدكم ؟

نتيجة هذا أن مجلس ادارة المؤلفين والملحنين يتألف من غير المؤلفين والملحنين ، أو ممن لا تزيد حصته في توزيع جمعية باريس عن ١٥ قرشا . ولكنه يتكلم بالنيابة عمن يتناول ١٥٠ جنيهـا ..

يتكلم بما يمليه عليه تاجر الاسطوانات الذي يشتري من أحدهم الاغنية بخمسين جنيها وهي حبر على ورق بينما يشتري الاغنية التي غنتها مشهورات المطربات بعشرة جنيهات او يغتصبها مجانا .

حديث الخروف

اشتهر بيرم التونسي بكتابته الاحاديث على لسان الحيوانات حين يريد أن ينفذ الى موضوع سياسي معين ، هربا من الرقابة ، وقد انتقينا من هذه الاحاديث حديثا عن الخروف ..

ولدتني أمي في القافلة السائرة من مصراطة الى الاسكندرية ..

ونزلت من بطنها أسير على أقدامي خمسة عشر يوما ، تسوقنا نبابيت الرعاة الغلاظ الاكباد . ولقد ذبحوا أختي عندما رأوها مشرفة على الهلاك . وليتهم ذبحوني . أو تركوني أرعى في المروج حتى أبلغ رشدي ..

لا بد من السير الى أن نصل الى مجزر الاسكندرية ، وها هو الراعي يضرب بلا رحمة .. لقد أشرفنا على منابت الشيخ العطار وسوف يشرب الرعيان الالبان مضمخة بعبيره . وسوف يذبحون من الخراف الصغيرة ويشتمون شواءها المعطر . ثم لا يحمدون الله ، ولا يرحمون مخلوقاته الضعيفة ..

لنا الفخر على بني آدم ، اننا نذبح لنؤكل ، وهم يذبحون ليدفنوا ..

تجاوزنا قفار برقة . ورمال الجغبوب ، وصخور مطروح ، وحفائر مريوط . ولاحت روائح المكس حيث نبقى عدة ايام فاما يأمر الطبيب البيطري بذبحنا ، واما تترك أحياء لنقضي بعض الوقت داخل القطر بين اخوان لنا في حقول البرسيم .. يداخلني الرعب من المجزر . وقسوة البشاكرة ، وحملة السكاكين ..

وترى أين يوزع لحمي ..

أستطيع أن أتخيل ذلك :

بعض أضلاعي موضوعة مشوية في طبق أمام قباني في ميناء البصل يمز بها على كؤوس البيرة الالمانية ..

والفخذ يعده طباخ غشاش على باب مطعمه ليبيع عليه الشغت المطبوخ .. وجلدي الذي لا ارضى الدنيا ثمنا له ، أين يكون ؟

سيكون في مندرة يجلس عليها مجاور يذاكر دروسه ، أو يمسح فيه نعليه قبل أن يدخل حجرته ..

كل هذا أفكر فيه وأنا مطرق منساق الى مصيري المجهول ..

لكن بني آدم لا يفقهون كلام الحيوانات ، الا من آثار الله بصيرته وكتب في قلبه الرحمة ...

الفــن والشعب

كان بيرم التونسي يؤمن بالفن ، وبالفن وحده ، من أجل هــذا كــان يسعى لانقاذ الفن من براثن بلطجية الفن ــ على حد تعبيره ــ ولنصغي اليــه وهو يحدثنا عن الفن والشعب ..

أشاهد الافلام والمسرحيات كغيري من الناس ، ولكنــي أحمــل نفسي عبء مشاهدة المتفرجين في الوقت نفسه ..

أحصيت المتفرجين وقسمتهم الى أنواع :

غواة التعليق الخفيف والثقيل ، وهم أرذل أنواع الصاخبين ..

كان أحدهم يشاهد فيلم (الملك وأنا) وعز عليه أن يرى الملــك يخطــر في قصره حافيا .. فجعل يقول من بدء الفيلم الى نهايته ..

ــ انت حافي ليه ؟ ما تشتروا له قبقاب ؟ وكمان عامل ملك يابــن الـ .. أوعى تدخل في رجلك قزازة ..

وبين الكلمة والكلمة همهمة تصك الاسماع، فيا لها من سهرة نكدة تلك التي يكون فيها من هواة هذا التعليق .. ونوع اخر يتساءل في كل لحظة عن سير القصة كيف بدأت والى أين تنتهي .. أو تبدأ مقدما بما سوف يجري من زواج او خصام او انتحار وهؤلاء كثيرون ...

غير انك تجد بعض الافلام تخطف ابصار المشاهدين وقلوبهم ولا تترك فرصة للمعلقين والمنكتين ..

معنى هذا ان مخرج الفيلم هو السبب الاول في كل ما يحدث في الصالة من خير وشر .. واحسب ان افلامنا المصريــة لها المقــام الاول في تحريــك المشاهدين لما تخلفه من ضحك مفتعل ، ولما فيها من ثغرات وحلزونيات يحسبها المخرج براعة تثير الشوق وتجر الناس جرا ولا يعلم ان زمام الجمهور افلــت من يده من أول عرض الفيلم ..

وعندي ان المداحين وشعراء الربابة اقدر من المخرجين في حمل الناس على الانصات في وقـــار وأدب ...

أنظر الى الريفيين يجلسون حول شاعر الربابة وكل منهم يحرص على ان لا تفوته كلمة أو نغمة ، هؤلاء قذفوا المسرح الشعبي بالطوب ... وانظر الى حلقة المداح الذي لا يملك من وسائل الاخراج غير الدف الساذج ، كيف يلتف حوله طبقات من الناس لا يعرف عنها حسن الاستماع ولكنها تنصت في خشوع واعجاب ..

لا يزال امام المخرج المصري او المؤلف المصري طريق طويل حتى يعرف كيف يقود الجماهير ..

(حـــدوتـــة) الكسكسي

التسمم الجماعي من أكل الكسكسي حكاية قديمـــة في مصر ولكنهـــا تتجدد على مرور الزمن خاصة في الافراح والليالي الملاح . هذا الكسكسي طعام رئيسي لعشرين مليونا من عرب أفريقيا الشمالية تعلموه من البربر ومنه يخزنون مؤونتهم للعام كله ، وأكثر البيوت تطبخه ٣٦٠ يومـــا في السنـــة ولا يتغير الا بما يضاف اليه من ألوان الخضروات .

يقول لك الرجل :

ـ بالامس كان عشانا كسكسي باللفت ، واليوم طبخناه بالقرع . وغدا سيكـــون بالسفرجل .

والحق انه أكلة لذيذة اذا صحبها مرق اللحم أو الدجاج ، ذلك المـــرق الدسم المجهز بالبصل والحمص والفلفل . غير انك لا تسمع هنـــاك بحادثـــة تسمم فردية أو جماعية منذ عرف الكسكسي الى اليوم ..

وهاكم أسباب التسمم في الكسكسي المصري :

ليس كل امرأة في مقدورها أن تصنعه ، ولا بد من مختصات اشتهـــرن بصنعه وعددهن قلة ، تعد على الاصابع ، وقد يمضي زمن طويل قبل أن تدعى

احداهن الى عرس وليمته الكسكسي ، أي عرس الفقراء .

وقد صحبت وأنا طفل امرأة انتدبها أهل العرس لتساوم الحاجة زنوبة الشهيرة بصناعة الكسكسي وتدفع لها العربون وتحدد الموعد .. طلبت الحاجة زنوبة ريالين كاملين لتصنع أربعين أقة من الدقيق في مدى يومين فتلا وطبخا ... فقالت مندوبة العرس (بس ريالين كتير قوي يا خالتي الحاجة ، دي العروسة يتيمة وفقيرة) ..

وأشارت الحاجة زنوبة الى دست كبير من النحاس الصدىء وفوقه مصفاة في حجمه وقذارته وقالت :

ــ شوفي العدة جنسها ايه ، دول حايعتهم للبميض قبل ما اشتغل ، وأقل من نص ريال ما ياخدش ومش حاشتغل الاربعين وقة دقيق لوحدي حاجيب واحدة تساعدني . تاخدلها رخرة نص ريال ..

ولكن الشاطرة مندوبة العرس أقسمت برأس سيدي مقرح وست نعيمة أن لا تدفع أكثر من ريال وأخرجت لها ربع ريال من الفضة ووضعته في كفها بقوة وقالت :

ــ أدي العربون وتعرفي خلاصك ..

واذن سيطبخ الكسكسي في العدة الصدئة الملوثة ، وهي السبب الوحيد في التسمم الجماعي بالكسكسي الى هذا اليوم .

ولكن الناس الى اليوم يلقون المسؤولية على التعابين ...

وما أسهل ما يقولون (الكسكسي) يتشم ..

فكأن الثعابين تظل في أوكارها سنين طويلة الى أن يقع في البيت عرس كسكسي فتزحف اليه وتشمه أي تزوره ثم تقيء فيه سمومها ... الداء كله في أوعية الكسكسي .

كسكسي بالسمـان

غير أن الكسـكسي يقتل آكله بطريقة أخرى ..

هذان شريكان يملكان أرضا زراعية في ناحية مريوط ، أحدهما يقيم في الارض والثاني وهو صاحب النصيب الاكبر يقيم في الاسكندرية ، وفـي كل عام يحضر المريوطي ويقدم الحساب للاسكندري ..

ــ زرعنا الميتين فدان شعير لكن السماء بخلت علينا بالمطر الكافي فلـم نحصد الا عشرة أرادب بعناهم ودفعنا أجرة الحراثين وهذه حصتكـم ٢٧٤ قـرشا صاغـا ..

أو يقول : جادت علينا السماء بالخير العميم وارتفع الزرع وأوشك أن يؤتي أكله ، ولكن قبائل أولاد الرحالة أطلقوا أغنامهم على الارض فأتت على الزرع الا أقله ، وها هي حصتكم ٤١٠ قروش .

واهتدى الشريك الاسكندري الى طريقة يتخلص بها من الشريك الخائن فأعد له قصعتين من الكسـكسي الفاخر ..

الاولى غارقة في السمن الحديدي العطر وفوقها أربعون سمانة مشويـة وبجانبها سلطنية اليخني المتبل بالافاوية .

وبجانب هذا شفشق بلور مملوء بالماء المثلج المعطر بماء الزهـر ...

فكان الرجل يأكل بلا حساب ويشتف الماء بلا وعـي ، وكلمـا قـارب الشبع أقسم عليه مضيفه بالطلاق أن يأكل هذه السمانات وذلك المقـدار من الكسكسي الى أن عجز عن الحركة ..

وهنا قدم له القصعة الثانيـة وهـي أيضا كسكسي ولكنـه بالسكـر والزبيب البناتي ، والصنوبر المحمص وقال :

من آكل وتحلى صار كمن بنى وعلى ..

ولما ذاق الضيف ملعقة من القصعة الجديدة انفتح في معدته طريق جديدة وأتى على جانب كبير منها وحمد الله وجلس للمسامرة نحو ساعة شرب فيها ما لا يقل عن خمسة ليترات من الماء المثلج المعطر ..

هذا الماء هو صاحب الدور الرئيسي في القضاء على الرجل لانه سيضاعف حجم الكسكسي في المعدة الى أربعة أضعاف حجمه ، وهو في القصعة ..

رأى الاسكندري شريكه والنوم يداعبه فأعد له فراشا في مكان ظليل يهب عليه تيار من النسيم العليل .. ونام الرجل الى يومنا هذا ..

التوتيا الخليلي

وهذه حدوتة اسكندرانية لا تبعد كثيرا عما نحن فيه ...

يعرف الناس ان التوتيا الخليلي دواء ناجع للرمد الصديدي ويتحرون الدقة في شرائها ..

فالتوتيا الاصلية هي التي تأتي من جبل الخليل في أرض فلسطين وهي فلذات ثمينة تحضرها الطبيعة الحكيمة وتعرف هذه عند الكيماويين بسلفات النحاس ، وتستعمل الى اليوم .

وأما غير الاصلية فهي الصدأ الذي يعلو الاواني النحاسية ، ويسمى عند العامة (الجنزارة) وعند العلماء (كبريتات النحاس) ولا فرق بين الاثنين في اللون .

خطر لاحد الشياطين أن ينتقم من عدو له صاحب قهوة في باب سدرة وكان يبحث عن التوتيا الخليلي الاصلي ، ليداوي بها رمده المزمن فلا يجدها ، أو يشك في الموجود منها بالاسواق ..

كشط الشيطان نحو درهم من صدأ النحاس وذهب الى القهوجي ..

ـ حاج ـ التوتيا الخليلي الاصلي أهه ، وديني وايماني أخذتهـا لـك من واحد جاي من الخليل . باللاهات قص ليمون واعصره عليها وحـط فـي عينك وادعي لي ...

تذكر القهوجي ما بينه وبين الرجل من الضغائن فقال :

ـ طيب لما نروح البيت نحط منها قبل النوم . كتر ألف خيرك على كـل حـال ..

وذهب الرجل الى سبيله وبقي القهوجي مترددا في استعمـال التوتيـا الخليلي هذه .. ثم تذكر أنه يعرف لبانا في كرموز على ساحـل المحموديـة يشكو من الرمد ويبحث عن التوتيا الخليلي بأي ثمن ، فعزم علـى تجربتهـا فيه فوجده في دكانه وقدم له الورقة ، وهذا تأمل ما فيها وقال :

ابوه .. هي دي التوتيا الاصلي عايزين بقى ليمونه ..

ونهض القهوجي فاشترى ليمونتين، ووضع كمية لا بأس بها من التوتيـا في صحن كالفنجان وعصر عليه ليمونه وأخذ يحركها حتى ذابت بعض الشيء ، وخرج اللبان عندما رأى عجينتها غليظة سخية فأخذ عودا مـن الكبريت ولف عليه التوتيا ، وسمى ، وكحل العين الاولى وصرخ :

ـ أي دي جهنم .. يا هوه . دى فلفل شطيطة ..

قال القهوجي وهو يغمس عود الكبريت للعين الثانية ـ بتحـرق عشان بقى لك زمان ما حطتش منها خد ، حط في العين الثانية بالمـرة عشان يبقـى الحرقان واحد ..

وتجلد اللبان وكحل العين الاخرى ، فازداد كربه وجلس علـى الارض يضرب بيديه على رأسه وصدره ثم يضرب الارض ويصيح بأعلى صوتـه .. هذا والقهوجي يقول : كلها خمس دقائق دلوقت تبرد ، مـا هـي بتاكـل في اللحمية أمال .. لازم تستحمل .. ومرت عشر دقائق وحاول اللبان أن يفتح

عينيه فأبصر الكائنات ظلاما وفتحهما مرة ثانية وثالثة حتى أيقن أنـه أعمـى تماما ..

كريتات النحاس لا تصلح للعين وهي اذا دخلتها ثقيلة مركـزة أتلفـت شبكتها وسطحها الزجاجي ، وهذا ما وقع للبان المسكين . واراد اللبـان أن يعمي طبيبه كما أعماه فوقف يمثل هذا الدور ويلقي المونولوج ..

ـ يا سلام ابن الحلال مين اللي عطاك التوتيا دي ..

ـ كويسة ؟

ـ كويسه وبس ، ثم نظر الى الأفق حيث الملاحة مترامية الاطراف واتم حديثـه ..

ـ أنا ما كنتش بشوف على بعد مترين .. أنـا دلـوقت شايف اخـر الملاحة ..

وأشار بأصبعه وقال : بص ، شايف الراجل الراعي اللي ماشي في وسط الزرع ، وينظر القهوجي فلا يرى شيئا فيسأله ..

ـ هو فين ، انا مش شايف حد ..

فيقول اللبان راعي عربي ماشي ووراه تـلات خرفـان بيض ، ونعجـة حمرة ، ومعزة سودة أهم قدام ..

جن القهوجي من الفرح فقال :

ـ أما نحط أنا راخر ..

وأذاب الجزء الثاني من التوتيا في عصير الليمونه الباقية ، وكحل عينـه الاولى ، وصاح .. فقال اللبان الذي لا يـراه :

ـ خليك راجل وحط في التانية حالا زي ما عملت أنا ...

فقال القهوجي : أديني يا سيدي حطيت دي حاجة صعبة ، انا عذرتك..

واعاد اللبان السؤال ..

حطيت في الاثنـين ؟

ـ في الاثنين ..

فقال اللبان : شوف لنا بقى ولدين يروحونا البيت ..

بيـرم علـى طبيعته

على هذا النحو كان بيرم التونسي يصور مشاكل الناس بصدق ، انـه لا يتصنع ، و لايكذب ، بل يذكر الحادثة بعين الناقد الامين الذي يحب مـن ينتقده ، كان ناقدا أصيلا ، فأحبه الجميع ، لن ندع هذا الشريط يتوقف عند هذا الحد ان في جعبة الفنان من الكنوز الادبية ما لا يمكن حصرها ، ولكن أين هي ؟ كل ما بقي منها لا يتعدى بضعة محفوظات يرددها مـن عاشر هـذا الفنان وحفظ منه .. يقول بـيرم :

في مستهل هذا القرن ظهرت في مصر عدة اختراعات اعتبرها الناس مـن علامات الساعة ، وهي الترام ، والفونوغراف ، والسينما ، ظهر التـرام فـي شوارع الاسكندرية الرئيسية ، ولم يره الكثيرون من أهل الاحياء القديمـة الا بعد مدة طويلة • وانما كانوا يتحدثون عنه كأعجوبـة العجائـب • شيء ضخم يمشي وحده .. ويكهرب الراكب فيه ويحرقه ، دهس فلان بن فـلان وكهرب الاخرين • وأظهر عربجية (الحنطور) سخطهم علـى هـذا المنافس الجبار ، وخفضوا من جبروتهم وأخذوا يصغون وهم أذلاء الى أغنيـة ألفهـا الشامتون ..

الكهربائية .. الكهربائية .. عطلت عالعربجية ..

وأما العربجية الكارو ، فقد نكلوا بالترام أشد تنكيل ، وسخـروا بـه ـا وسعهم السخـر ..

كانت شوارع الاسكندرية مبلطة ببلاط كبير الحجم من الصخر الازرق، وربما غارت البلاطة وانخفضت عن أختها وتحولت الى فجوة لو انزلقت اليها عجلة العربة الموقرة لاحتاجت الى عدة رجال لدفعها ..

ولكن شركة الترام أنشأت للقضبان شريطا من الاسفلت المنسرح ، أعجب به العربجية ، وساروا فوقه ذهابا وايابا بصرف النظر عن مركبات الترام التي تواجههم أو تسير خلفهم . وعن صياح الزمارة وصراخ الكمسارية ــ كان العربجي يعجب بانزلاق عربته في يسر وسهولة ولا يخرج عن الشريط الا اذا وصل الى الشارع الذي يجب أن ينعرج اليه .

كنت على احدى العربات الكارو ، جالسا مع عدة أطفال ، تحيط بنا أمهاتنا .. في طريقنا الى العامود . والعربة كما قلت تسير على نفس القضيب الحديدي الذي ساواها في السمة . وأقبل الترام من بعيد يملأ الشارع . وأخذ الكمسري يسحب الحبل المعلق فوق رأسه والزمارة تدوي بصوت غليظ مرعب ، وارتفع أصوات النسوة بأشد مما يرتفع في الجنازات وصرخت الاطفال واستولى عليهم رعب قاتل ..

لقد قيل ان هذا الترام لا يخرج من القضيب ، ولا يدهس الا من يعترض له . فما باله مقبلا علينا عامدا متعمدا ؟

قالت بعض النسوة للعربجي ــ يبارك لك يا بني تقول له يحود ، قل له يروح من حتة تانية .. ولم يخطر لاحداهن أن تقول (حود) للعربجي الذي يقودها الى الهلاك .. وأخيرا سمحت نفس العربجي أن ينحرف عن الشريط وهو يلعن آباء وأجداد سائق الترام الوقح ..

الحديــد يتكلــم

اما الفونوغراف فكان له صدى من نوع اخر ، كان الرجل يعود من عمله الى الحي الذي يسكنه ويقسم لاهله أو أصحابه في المقهى الصغير انه

سمع الحديد ينطق ويغني ويقول بالفم المليان يا ليل يا عين •••

ولم يدم هذا العجب كثيرا فان المقاهي ابتدأت تضع هذا الفوتـوغراف على أبوابها وتتنافس في كثرة الاسطوانات ، وتوكل بها شابا يديرها باستمرار من الصباح الى أن يغلق المقهى •

كذلك تربع الفونوغراف في المنازل وأحدث الاذى الذي تحدثـه الان أجهزة الراديو من مضايقة الجيران وعدم المبالاة بالمريض والحزين ••

أذكر أن قريبا لي متوسط الحال اشترى فونوغرافـا ، واشتـرى معـه اسطوانتين ، اثنتين لا غير •• احداهما موال يغنيه سليمان ابو داوود وهـو من بطانة عبده الحمولي ، ونص الموال •• (كل المجاريح طابـو ، بس أنـا فاضل • وطبيب الاجراح داوى الناس ونا فاضل •• أنا قلت للطبيب الجراح شوف لي عندك دوا فاضل •• كشف على القلب شافه والتفت قال لي : روح يا جريح الفؤاد ما بقي لك عندي دوا فاضل •• والثانية أغنيـة للست بهيـة المحلاوية ونصها :

معليش النوبة معليش

يا شاويش النقطة ما تزعلش

واجتمعت رجال العائلة ونساؤها وأطفالها بل والاقـارب والضيـوف وتناوبوا ادارة هاتين الاسطوانتين ، فمـا يسكت الشاويش حتـى تبتـدىء المجاريح ، وهكذا من شروق الشمس الى غسق الليل •• وأذكـر أن امـام مسجد مشهور كان يجاورنا ويحتمل هذا الاذى الى أن نفد صبره فأطل مـن فوق سطحه في نحو الثانية صباحا وقال :

ــ بزيادة يا ناس يا جهنمية ، الله ينتقم منكم يا بعدا •••

وقد أجاب الله دعوة الشيخ ••

اما السينما فقد قوبلت بالاستنكار التام من العائلات المحافظـة •

هي نفسها كانت قبيحة الصنع ، وأثرها أقبـح منهـا اذ تجمـع النساء والرجال لاول مرة في تاريخ البلاد العربية ...

عاش كثيرون وماتوا دون أن يشاهدوها . ووقعت عشرات من حوادث الطلاق بسببها .. لم تخل ليلة من صراخ امرأة يتصاعد من البيوت ويتهامس الجـيران ..

ـ مالهـا دي ؟

ـ راحت السينما من ورا جوزها ...

عصر المماليـك

تكلفني محطة الاذاعة بتأليف روايات عن عصور المماليـك ، ولا أجـد الفرصة للقراءة والمراجعة ، ثم للترتيب والتأليف وأي المماليك تقصد الاذاعة ؟

لعل مصر عاشت منذ الفتح العربي الى أوائل الخمسينيـات ، وعهدهـا كله عهد مماليك ، وحكامها كلهم مماليك ، أولهم ابن طولـون ، وآخرهـم فاروق بـن فؤاد ..

والحق يقال أن في هؤلاء المماليك من ترك سيرة معطرة على مدى الايام كالملك المعظم توران شاه ابن الملك المعظم نجم الدين أيوب (٦٤٨)، وحسبك ما ترك من آثار تبهر الانظار . ولقد اخترت هذا القائد الـذي جـر لـويس التاسع ملك فرنسا من رقبته ووضعه أسيرا في دار ابن لقمان في المنصورة .. ثم استدار الى جيوش التتر التي كانت تهاجم مصر من الشرق فقضى عليها في عـين جالـوت ...

اخترت هذا البطل ووضعت له ملحمة غنائية على الربابـة وكتبت منهـا ثمانين حلقة بتكليف من مدير الاذاعة ولكن رجال الاركان في هذه الاذاعة لم يسمعوا بها ، ولم يسمعوها هي نفسها ، لان صاحب كل ركن لاه فيما لديـه من مؤلفين ، وفيما يختار من روايات بوليسية واجتماعية ، فمـا ان وقعـت

حوادث بور سعيد حتى تركوا هذه الملحمة تسقط تحت أقدامهم الى هذه الساعة قبل أن تتم ..

وها هو أحدهم يطلب رواية عن عصر المماليك ..

يوجد في تاريخ مصر مماليك صعاليك ، وحكام لصوص ، لا يمكن لاصفق مؤلف أن يحول سيرتهم الى روايات غنائية الا اذا كانت مصحوبة باللطم والصراخ أو ضحك الابالسة والشياطين ..

اليكم صفحة من أزهى عصورهم وهو عصر مراد بك أكبر أمرائهم ..

صفحة يسطرها الجبرتي مع ألوف الصفحات التي سجلها في يومياته ..

قال الجبرتي : وفي يوم السبت خامس عشر ذي الحجة من عام ١١٩٨ أرسل مراد بيك الى الباشا (المندوب السامي التركي) وأمره بالنزول فأنزلوه الى قصر العيني معزولا ، وتولى مراد بيك (قائم مقام) ، وعلق الستور على بابه فكانت ولاية هذا الباشا أحد عشر شهرا (سوى الخمسة أشهر التي أقامها بثغر الاسكندرية) ، وكانت أيامه كلها شدائد ومحنا وغلاء ..

ثم يستطرد الجبرتي ويقول :

وفي آخر ذي الحجة شرع مراد بيك في اجراء صلح بينه وبين ابراهيم بيك فأرسل له سليمان بيك الانبار ، والشيخ أحمد الدردير ، ومرزوق بيك ولده ، فتهيأوا وسافروا يوم السبت في ثامن عشر منه ..

وانقضت هذه السنة كالتي قبلها في الشدة والغلاء . وقصور النيل والفتن المستمرة . وتواتر المصادرات والمظالم من الامراء . وانتشار أتباعهم في النواحي لجبي الاموال من القرى والبلدان ، وأحداث أنواع من المظالم ويسمونها مال الجهات . ودفع المظالم ، والفردة حتى أهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم .

فحولوا طلب الاموال على الملتزمين ، وبعثوا لهم المعنيين في بيوتهم ،

فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك ، مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك وتتبع من تشتم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه ..

وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة .. ولما تحقق التجار عدم الرد (أي رد السلف) استعرضوا خساراتهم من زيادة الاسعار .. ثم مدوا أيديهم (أي المماليك) الى المواريث فاذا مات الميت أحاطوا بموجوده سواء كان له وارث أم لا .

وصار بيت المال من جملة المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعها في كل شهر ، ولا يعارض فيما يفعل في الجزئيات . أما الكليات فيختص بها الامير . ومعنى هذا ان أحد الاشرار الذين يعيشون بقبضة اليد يلتزم دفع مبلغ شهري للحاكم ثم يحصله من التجار والاهالي بالطريقة التي تعجبه ، فاذا دفع للامير مائة دينار فلا حرج عليه اذا حصل من الناس عشر أضعافها .

ويمضي المؤرخ المصري في وصف هذا البلاء فيقول :

فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء الا من تداركه الله برحمته واختلس شيئا من حقه ، فان فطنوا اليه عوقب باستخراجه . وفسدت النيات وتغيرت القلوب ، ونفرت الطباع ، وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض ، فيتبع الشخص عورات أخيه ويدلي بها الى الظالم ، حتى خرب الاقليم ، وانقطعت الطرق ، وعربدت أولاد لحرام ، وفقد الامن ، ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب الغرر .. أي لا يستطيع أحد الانتقال من مكان الى مكان سواء بمفرده أو بسلعته الا في حراسة يدفع أجرتها ..

رحل الفلاحون من بلادهم من الشراقي والظلم وانتشروا في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره فلا يجد الزبال ما يكنسه ..

واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال ، فاذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأكلوه نيا من شدة الجوع ، ومات الكثير من الفقراء بالجوع .

هذا والغلاء مستمر والاسعار في الشدة ، وعز الدرهم والدينار من أيدي الناس ، وقل التعامل الا فيما يؤكل ، وصار سمر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير ، وضاع الناس بين صلح المماليك وغضبهم . وخروج طائفة ، ورجوع أخرى ، ومن خرج الى جهة قبض أموالها وغلالها .. ثم يلخص الجبرتي رأيه في كل هذا فيقول :

والمماليك الذين حكموا مصر كلهم من الافاقين ، ومن أجناس مختلفة كالصقلب والسلاف والجفجاق ، والتتر والترك ، فاذا استشرى أحدهم واشتد عوده تاقت نفسه للامارة واتخذ لنفسه مماليك اخرين يمشون أمامه وخلفه ..

وليس لأحد هؤلاء في الشعب أم ولا خال ، ولا والد ولا جد ، فاذا بطش ، بطش بلا رحمة ..

أي تمثيلية اذاعية أو مسرحية أو سينمائية يمكن تأليفها من هؤلاء الا أن تكون مأساة يبكي لها النظارة والمستمعون من بدايتها الى نهايتها .

قال الجبرتي وقد امتدت أيديهم الى المواريث . الخ ..

وقال مؤرخ آخر في هذا الصدد ..

كان المملوك يسمع بموت أحد الاثرياء فيذهب بموكبه اللامع الملون الى دار الميت قبل أن تخرج جنازته ويجلس في مكان ممتاز بين المشيعين وهم يعلمون أنه الذي سيرث الدار والتركة وزوجة المتوفى ابتداء من هذا اليوم..

وكانت النساء يتركن الندب على الميت المسجى ينهن وينظرن من خروق المشربيات الى العريس الجديد ، التي ستبيت الارملة في أحضانه ..

أي رقيب اذاعة يسمح للمؤلف برواية مقتبسة من هذه الحوادث ؟

سليمـان الاشوح

قال لي أحد الاصدقاء :

سمعنا منك عن حميدو الفارس أنه بلغ من بعد الصيت في عالم الاجرام ما لم يبلغه الخط ولا سليمان الاشوح .. فمن هو سليمـان الاشوح ؟

ـ كان سليمان الاشوح يؤجر نفسه لقتل الارواح لقاء أجر متفق عليه .

كان المساجين يحيطون به وقت الاستراحة ليحدثهم عن بطولته ، فسألـه أحـدهم :

ـ قتلت كام روح يا عم سليمان ؟

فقال: والله ما نا عارف ، ان قلت لك ألف تقول كذاب، ناسيهم خالص..

وسأله الثاني عن أبشع جريمة ارتكبها فقال :

ـ أجرني أحد الاغنياء على قتل خصم له فقتلته وجئت أطالبه بالاجـر فماطلني شهورا وأخيرا أبى أن يدفع أي شيء . بل هددني بابلاغ السلطات . فأخذت البندقية وذهبت اليه وأنا مصمم على قتله ، فلم أجده ولكني وجدت ولديه يلعبان أمام بركة قراميط ، ولا يزيد عمر أحدهما على سبعـة أعـوام والثاني في الخامسة ، وتنت فلم أجد أحدا يراني .. فألقيت بالطفلـين فـي البركة ، ووقفت أتشفى بمنظرهما وهما يغرقان ، ثم تواريت خلف شجرة فـي انتظار الوالد اللئيم ، واذا به مقبل على بغلة فصوبت البندقية الى قلبه فسقط يتخبط في دمه ، واقتربت منه وقلت :

ـ ولادك الاتنين البركة فيـك ..

وسأله سجين ثالث :

ـ ما عملش خير أبدا يا عم سليمان ؟

فقال : مرة واحـدة .

ولية مسكينة اشترت جاموسة لباني ، ولما دفعت الفلوس وجدتها جاموسة ساقية، جت ترجعها ما رضيوش يرجعوها وشتموها، وشخطوا فيها، قعدت في السوق تلطم وتبكي وتجار الجاموس يضحكوا ويألسوا عليها ••

قلت لها : دفعتي كام يا ولية في الجاموسة دي ؟

قالت : اتنين وعشرين جنيه ذهب ••

قلت : أهم الاتنين وعشرين جنيه ، وأخذت منها الجاموسة ورميت حبلها على ضهرها وقلت :

ـ روحي انتي والاتنين وعشرين جنيه على سليمان الاشوح ••

فلما سمعوا تجار الجاموس أسم سليمان الاشوح جم اللي يبوس ايدي واللي يبوس رجلي •• يا سلام •• هوه سليمان بيه هنا في السوق ؟

واستردوا الجاموسة ، وأعطوا المرأة الجاموسة المطلوبة وبنصف الثمن •• ثم يضيف سليمان الى المستمعين :

ـ بقى الناس يستحقون القتل والا لا ؟ •••

وسأله سجين آخر •• وان شا الله لما تطلع بالسلامة ناوي تعمل ايه ؟

فقال سليمان الاشوح : حاقتل الناس ••

بيرم الضائع

لو كان بيرم التونسي انكليزيا أو من أبناء فرنسا ، لدرست ذخائره في الجامعات بوصفها تمثيلا للادب الشعبي الصافي ، ولكن بيرم من أبناء البلاد العربية ، لهذا نجده يعطينا في أدوار حياته المختلفة خير ما يعطيه الفنان ، ولا يجد في حياته من يوفيه حقه ، أو بعض حقه على الاقل •••

قد نكون الان في طريقنا الى نهاية شريط بيرم التونسي الكاتب الساخر،

ونهاية هذا الشريط الحي تنقلنا بسرعة بين صور شعبية اختلط فيهـا النقـد بالسخرية ، صور واقعية عن المجتمع الحقيقي الذي تغلي فيه الكثرة الغالبـة من أبناء القطر المصري ... انه يجعل من هذه الصور النابضة بالحياة حقـلا يمزج فيه الاخطاء بالفضائل ، انه لا يمسخ القيم ، بل يعرضها بأمانة ويتـرك لغيره مهمـة التوجيه .

يقول بيرم:

كانت جريدة الاهرام تلصق على جدران المدن ، اعلانات تتباهى فيهـا بضخامة الكمية الي توزعها وهذا أحدها ..

(الاهرام ــ جريدة يومية سياسية) ، توزع ٥٠٠٠ نسخة يوميـا فـي القطر كله ، ترى ما هو نصيب الاسكندرية وحدها وما هو نصيب الانفوشي والسيالة بالذات ؟

أذكر أن أحد باعة الصحف ضل الطريق واخترق حي السيالة ينادي على الاهرام فأخذته السخرية من كل جانب وقذفه الاولاد بالطوب ..

في هذه الظلمات الحالكة يظهر البطل ..

تونس في عهد الانحطاط العقلي والادبي والاجماعي ، ظهـر فيها ابـن خلدون ، أول من وضع علم الاجتماع على وجه الارض ، ومدينة حلب ، وكان الرجل فيها يضرب ابنه اذا رآه ممسكا بجريدة ــ ظهـر فيها عبـد الرحمـن الكواكبي صاحب كتابي ، طبائع الاستبداد وأم القرى ، ولهذيـن الكتابيـن هاج أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان عبد الحميـد خـان ، وأرسل للرجل من يبطش به حيثما وجدوه في انحاء الامبراطورية ، وقد وجد هذا الفيلسوف من يسقيه السم في مقهى النيو بار في القاهرة ..

والذي سقاه السم صحفي معمم كان يخدم أصحاب السلطان من أتـراك وانكليز وخـلافه ...

والاسكندرية ، انتفضت من سباتها العميق وقذفت بعبـد الله النديـم الذي أنشأ مجلات الاستاذ والنديم ، وكان يخاطب الناس بالنثـر البليـغ ، والزجل العامي ، حتى نثاه ولي النعم الخديوي توفيق ..

أما قصيدة الشيخ عليش التي أرسلها الى أحمد عرابي في السجـن فهي أعجوبة حيثما تأملتها ..

لم تنشرها صحيفة او مجلة ، ولكنها اخترقت الاسماع وانفتحـت لهـا القلوب ، وحفظها بائع المدمس وعربجي الدبس ، وعجائز البيوت ، وتبـارى أساتذة الخط في كتابتها بالخطوط الجميلة ، وعلقها التجار على رؤوسهـم في اطارات مذهبة ، بل أنشدوها في حلقات الذكر حقبة طويلة ..

وها هي القصيدة :

الزم بـاب ربـك

الـزم بـاب ربــك ... واتـرك كـل دون
واسألــه السلامـة ... مـن دار الفتــون
لا يضيــق صدرك ... فالحـادث يهـون
اللــــه المـــدبـر ... والعالـم شـؤون
فكــرك واختيــارك ... دعهمــــــا وراك
والتــدبـير أيضـا ... واشهــد مـن يراك
مــولاك المهيمـــن ... انــه يـــــراك
فوض لـه أمـرك ... وأحسن الظنــــون
نحـــن والخلائــق ... كلنـــا عبيـــــد
والالـــه فينـــا ... يفعـل مـا يريـد
وهمك واهتمامـك ... ويحـك لا يفيـد
القضـــا تحتـــم ... فالـزم السكـون

لا تكثر همومك
ما قدر يكون

وها نحن في هذه الايام نريد الوصول الى هذه الدرجة من التعبير الذي يوفق بين الفصحى والعامية ، ويحسم هذا الخلاف الذي لا ينتهي ..

ومن ناحية المعنى والهدف يخيل اليك ان الشيخ عليش العالم الازهري المتصوف يحض على الكسل والاستسلام . ولكنه يقرر الحقيقة الكبرى (الله المدبر والعالم شؤون) .

يقول الشيخ للبطل السجين : (لا تكثر همومك) فانك على حق ، وناصر الحق الذي الهمك بالبداية سوف يرسل بعدك من يسلك طريقك ويكمل الشوط الى النهاية فلا تسيء الظن به بل (سلم لـه أمـرك ، وأحسن فيه الظنون) .

وعدا الشيخ عليش تسمع صوفيا آخر يقول بنفس الاسلوب الظريف الذي يلج القلوب بلا استئذان ..

ما لذة العيش الا صحبة الفقرا   هم السلاطين... والسادات والامرا
خالطهم ، وتأدب في مجالسهم   وخل حظك مهما أخروك ورا ...

سمعت هذين البيتين من عجوز رشيدية تبلغ الثمانين من العمر فقدت بنيها وذويها وأصبحت فقيرة تستضيف الناس .

فقيـه غجـري

تصور أحد أبناء عشش الترجمان يصبح معلما في مدرسة ..

لقد كان حي رأس التين المجاور للاتفـوشي صورة طبق الاصل عن عشش الترجمان القاهرية ، الرجال يرقصون القـردة ، والنساء تسعى في الازقة بمعيز ترعى القمامة ، والاطفال يجمعون السبارس ..

كانت أكثر مبانيهم مؤلفة من عشش الصفيح المرقعة بالخيش والابراش يعلوها الدجاج والمعيز ، وكان قسم كبير من هذه العشش يمتد في شارع راس

التين الموصل الى السراي العامرة يتفرج عليه السفراء والقناصل في كل تشريفة .. الاجانب يقولون : ما أبعد الهوة بين الشعب ومليكه ، والمليك يقول ما أقربني من الشعب ، وما أقربه مني ، ولولا أني أحب الفقراء ما تركت أكواخهم حول قصري ..

وأسوأ ما كان يعرف عن أهل رأس التين هو الشجار الذي يقع بين نسائهم ..

النساء سافرات تقريبا ، بعكس نساء الانفوشي والسيالة ، وأكثرهن كادحات ، يبعن البيض واللبن والفواكه التالفة التي يعتزم تجار الفاكهة القاءها في البحر ..

هؤلاء اذا اختصمن استمرت خصومتهن أياما وليالي ، فاذا بدأت الخصومة في النهار واصلتها الى الليل ، واذا انقطعت في الشارع واصلتها من فوق السطوح ..

والمعروف عن النساء عادة أنهن اذا اختصمن وترامين بالشتائم ، تقف كل منهن عند حد لا تتعداه فلا تذكر احداهن ما تعرفه عن أسرار الأخرى لانها هي أيضا ذات أسرار وخبايا ..

ولكن نساء راس التين لا يتحرجن عن كشف كل شيء ، وتفصيل كل شيء ، وأسماء الاشخاص ، وتاريخ كل واقعة ، أين وقعت . ومع من ؟ وبالادلة الدامغة والبراهين القاطعة . كل هذا بتعابير يهتز لها عرش الرحمن ، وبألفاظ ترقص عليها الشياطين ..

كانت الخصومات مباراة بين اثنتين .. ايهما أقدر على اختراع المعاني الخبيثة ، وصوغها في قالب بشع ..

وللمختصمات اشارات بالاذرع والاصابع والحواجب تفوق في مدلولها ما يقال باللسان ..

وكانت بقية النساء يتفرجن على المباراة بشغف ليحكمن للبطلة المتفوقة ..

ـ لا يا اختي منجدة مش حمل السيدة أبدا ...

ـ صلي عالنبي أمال ... دي تاكل عشرة زيها وزي أبوها ..

من هذا الحي جاء الفقيد الشيخ رجب الى مدرسة الرشاد ليعلم أطفال السنة الاولى القرآن والنحو ..

كانت السنة الاولى هذه حجرة واحدة فيها نحو عشرين طفلا بينهم الطفل (عدو الشمس) ولا يتجاوز أحدهم الثامنة من عمره .

أما القرآن فقد حفظوا منه الجزء الثلاثين في الكتاتيب التي كانوا فيها قبل التحاقهم بمدرسة الرشاد .

ما هو النحو ؟ وما معنى النحو ؟ وما هدفه ؟ وما فائدته ؟ لا أحد يعرف شيئا من هذا .. ها هو الشيخ رجب في جبته الصفراء التي أحالها الزمن الى عدة ألوان ، وعلى كتفيه شال أحمر تلتفع به النساء العجائز في البيوت..

ها هو يشرح الدرس للمرة الثانية أو الثالثة بعد أن كلت يداه من ضرب الصغار ..

جاء زيدن ، جاء يا ولاد الكلب فعل ماض ، يا أوباش يا ولاد الاوباش مبنيون على الفتحى . الله لا يفتحها عليكم ولا على أهاليكم ...

كان الطفل يصغي اليه ولا يدري ما هو الفعل ولا ما هو الماضي ، ولكنه يميل على زميله ويقول :

ـ ده لابس شال مسره ...

ـ أسكت أحسن يضربنا كمان ..

معلم شعبي

كان يقف في ميدان أبو العباس وبين يديه دف واسع ـ ينقر عليه

بأنامله نقرات مختلفة الضروب والمسافات ويتلو بنغمات قريبة من هذا النشيد الميري ملحمة سيدي ابراهيم الدسوقي ، وما أظهره من الكرامات في طفولته ..

أم ابراهيم غاضبة على ولدها لانه كشف قصعة العجين عامدا متعمدا وترك الدجاج تأكله .. ولكنه غطى القصعة ثم كشفها ثانية فاذا بالعجين كما هو والام لا تزال غاضبة ، ويستمر المعلم الشعبي في سرد القصة ..

قال لها ارضي عليه وخليكي صافية النية
قالت له يا نور عينيه انا قلبي لسه غضبان
ان كان بدك ترضيني وتبقى ولدي ونور عيني
خذني يا ابراهيم وديني فرجني جنة رضوان

ويحمل الطفل ابراهيم والدته ويطير بها بين قصور الذهب وكثبان المسك ، وحصباء الياقوت ، وكل ما هنالك من نعيم مقيم أعد للمتقين .. ثم يسألها الرضى فتقول ثانية :

أنا قلبي لسه زعلان ..

ان كان بدك ترضيني وتبقى ولدي ونور عيني
خذني يا ابراهيم وديني فرجني طبق النيران

وتهولها رؤية جهنم فتسأل ابنها ..

قالت يا ابني يا ابراهيم جهنم موعودة بمين
قال لها للمذنبين واللي ياكل عرق الشقيان

وتلي هذا مربعات أخرى ينتهي كل منها بذكر أنواع المذنبين أو اللي بقولوا فلانة وفلان ــ واللي يطفف في الميزان ــ واللي يموت وهو سكران، واللي ينام على كل اذان ..

أدب ، وفقه ، وعلم مصاغ في قوالب موسيقية أخاذة يسمعها الناس ويستزيدون ..

هرب (عدو الشمس) من مدرسة الشيخ رجب ولازم هؤلاء المداحين ،

ولم يعد بعدها الى المدرسة قط ..

ابـراهيـم الـدسوقـي

وكما جهل العامة أبا العباس المرسي والسيد البدوي وصوروهم كما يدور في أوهامهم جهلوا أيضا العالم الشريف القرشي ابراهيم الدسوقي ..

كان رضي الله عنه يفرض على تلامذته هذه الشروط (من لم يكن متشرعا متحققا نظيفا عفيفا فليس من أولادي ولو كان ابني من صلبي ..)

لا يكمل الفقيه حتى يكون محبا لجميع الناس مشفقا عليهم ساترا لعوراتهم ، فان أدى الكمال على خلاف ما ذكرناه فهو كاذب ... ويبين لتلامذته الفرق بين الشريعة والحقيقة فيقول :

ـ الشريعة أصل والحقيقة فرع ، الشريعة جامعة لكل علم مشروع ، والحقيقة جامعة لكل علم خفي ، وجميع المقامات متدرجة فيها ...

واقظر الى تقديره للرجال ..

الرجال فيهم رجل ونصف ورجل وربع ، ورجل كامل وبالغ ومدرك وواصل ..

ولعمرك انها الدرجات التي تضعها الكليات لخريجيها في هذه الايام ..

واسمع هذا الكلام الجامع للتوحيد المحض ..

(احذر يا أخي أن تدعي أن لك معاملة خالصة او حالا ، واعلم أنك ان صمت فهو الذي صومك ، وان قمت فهو الذي أقامك وان عملت فهو الذي استعملك ، وان رأيت فهو الذي أراك ، وان شربت شراب القوم فهو الذي سقاك ، وان اتقيت فهو الذي وقاك ، وان ارتفعت فهو الذي رقى منزلتك ، وان نلت فهو الذي نولك ؛ وليس لك في الوسط شيء ...)

وما أحوج الناس في أيامنا هذه الى هذه النصيحة التالية ..

أكل الحرام يوقف العمل ، ويوهن الدين ، وقول الحرام يفسد على المبتدىء عمله ، ومعاشرة أهل الادناس تورث الظلمة للبصر والبصيرة ..

ومن هو الفقير ؟ يقول سيدي ابراهيم ..

من شأن الفقير ان لا يكون عنده حسد ، ولا غيبة ، ولا بغي ، ولا مخادعة ، ولا مكابدة ، ولا مماراة ، ولا ممالقة ، ولا مكاذبة ، ولا كبر ، ولا عجب ، ولا افتخار ، ولا شطح ، ولا تصدر في المجالس ، ولا رؤية نفسه على أخيه ، ولا جدال ولا امتحان ، ولا تنقيص ، ولا سوء ظن بأحد ..

انني أحاول أن أتحلى باحدى هذه الخصال فلا أستطيع .

مصحف لحافظ عثمان

قضى الترك على أجمل فن تفوقوا فيه على الناطقين بالضاد ، وهو الخط العربي . فلقد نبغ منهم أئمة لا يسمح الزمان بمثلهم ، فمنهم عبد الله بك زهدي ..

وهو الذي تقرأ خطه على سبيل أم عباس في شارع الصليبة ، وفي مسجد أبي حديد ، وفي صدر الحرم النبوي .

ان الخطاط اذا تأمل خط زهدي فله في كل حرف دهشة ، ولكل كلمة سجدة وكأنه أمام معجزة تتحدى من يأتي بمثلها وهي صامتة ساخرة ..

والمعروف عند طلبة هذا الفن أن الطالب لا يصل الى الدرجة المرضية الا بعد تمرين يستغرق خمسة أعوام على الاقل ولكن لا مطمع لاحد في الوصول الى زهدي ولو قضى عمره في التمرين ..

وفي عصر زهدي ، ظهر في تركيا خطاطون مثل مؤنس ، وعزت ، وحسني ، وهم أصحاب هذه الخطوط التي تعلق فوق رؤوس الناس .. مثل : (توكلت على الله .. هذا من فضل ربي .. الحياء من الايمان .. اتق شر من أحسنت

اليه ••) وفي دار الكتب المصرية من آثار هؤلاء القوم ايات ساحرة ومعجزات باهرة • اما الحافظ عثمان التركي الورع فكان من حفظة القرآن الكريم ونبغ في خط (النسخ) لدرجة اتعبت غيره في عصره وبعد مماته ، وقصر نشاطه على كتابة المصاحف ، ويقال ان كل ما كتبه في حياته لا يزيد على عشرة مصاحف أخذها الملوك والاثرياء ••

أحد هذه المصاحف كان يحمله خادم بجلابية وقبقاب ويعرضه في شارع الميدان على تجار البن والسكر وباعة المانيفاتورة والحلاقين ، والزياتين ، وكلهم لا يلتفتون اليه ••

ـ مش عايزين •• عندنا ختمة في البيت ••

الى أن وقف على وكالة يجلس على بابها بعض نظار الاوقاف الغارقين في النعيم ولا يتحدثون الا عن الماكل والمشارب •

ـ امبارح اشتريت جاووله من بتاع الدخيلة ما تجولش الا عسل صافي•؟

ـ دخيلة مين ؟ أنا اشتريت امبارح عشر جاوونات من جاوون أزمير ، الواحدة تسوى الدخيلة كلها ••

كنت على مقربة منهم عندما اقترب الخادم بالمصحف ، بعضهم صعر خده ، وبعضهم لوى وجهه ، وتناول الاخر المصحف وقلبه وقال عايز فيه كام ؟ تاخذ ريال ؟ ••

تناولت المصحف ، وانشق صدري عندما قرأت على الصفحة الاولى (كتبه الفقير اليه تعالى الحافظ عثمان)

يبلغ طول المصحف ثلاثين سنتيمترا ، وكل سفحة منه يزينها اطار عريض صورت فيه الازهار بألوانها الطبيعية مشابكة بعروق وأوراق من الذهب ، وبين الاية والاية زهرة مستديرة يحيط بها أهداب مذهبة •

هذه النقوش وحدها لا يفرغ منها الرسام قبل عشرة أعوام ••

وهذه النقوش كلها تتضاءل وتتلاشى بجانب خط الحافظ عثمان .

لو عثرت دار الكتب في لندن أو باريس أو برلين علـــى هــذا المصحف لاشترته بعشرة الآف جنيه بلا تردد ..

سألت الخادم من أين جاء بهذا المصحف ..

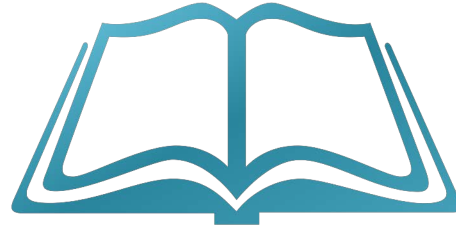
فقال : انه مصحف رشاد بك القاضي ، الذي تــوفي في شهــر رمضـــان الماضي ، ولم يكن له وريث غير سيدة تركية وهي تبيع كتبه الواحد بعد الاخر لتعيش منهــا ..

لم آكن وقتئذ في سعة من العيش ، وعلمت أن المصحف سيباع بريال أو بنحو ذلك ، فكتبت على ورقة عنوان مدير المكتبة البلدية وأوصيت الخـــادم بمقابلته على الفور ..

وقال مدير البلدية : ما عندناش ميزانية نشتري منها الكتب ..

غير أنه اتصل بالامير عمر طوسون وأبلغه أمـــر المصـحـف وشرح لــه قصته ، فاشتراه بعشرين جنيها ذهبا قبضتها الارملة الجائعـــة ..

هذا المصحف على ما أعتقد لا يزال في مصر ، ولكن ترى أين هو الان..


Shiabooks.net



انقطع أدب المقامات بعد بديع الزمان الهمذاني الى أن جاء بيرم التونسي. هكذا قال عباس محمود العقاد حين سئل عن رأيه في القيمة الادبية لمقامات بيرم ... ترى الى أي حد يصدق هذا الرأي ؟

لا شك ان المقامة في الادب العربي فن قصصي لذيذ ، حسب تعريف النقاد ، نشأ في القرن الرابع الهجري ، ومن الغريب ان هذا اللون في الادب القصصي ظل حيا على مر العصور ، حتى أن كثيرا من الكتاب تناولوا هذا الفن في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، وللمغاربة في هذا اللون محاولات ، ولكن معظم هذه المحاولات ، اما ضاعت فيما ضاع في الفتن السياسية ، واما لا يبرح مخطوطا لم ير النور بعد ..

لقد اتفق المؤرخون ، وقلما يتفقون على ان بديع الزمان الهمذاني قد تأثر حين كتب مقاماته بأحاديث ابن دريد ، بل عارضها معارضة صريحة مقصودة ، ولكن بيرم التونسي لم يتأثر بأحد ، فقد كان أدبه ينبع من ذاته ..

وأبطال بيرم في مقاماته من الوان مختلفة ، ومذاهب متباينة ، وان كانوا جميعا من هؤلاء المشايخ الذين درسوا في الازهـر ، ولم يتأثروا بالحضارة ، بل ظلوا على ما هم عليه يوم دخلوا الازهر طلبا للعلم ، بالرغم مـن حصولهم على شهادة التخصص ..

بطل بيرم في المقامة ، رجل ماكر ، محتال ، وهو رجـل فصيح ذو بيان ، وهو احيانا رجل لص ، واحيانا واعظ ، تارة مجنون ، واخرى عاقـل . رجل يحترف وينتحل السؤال ، قد جاب كل أفق ، وطوف بكـل قطر ، وعبر كـل بحر ، وهو في الاسكندرية احيانا ، وفي باريس احيانا أخرى ، في المقهى وفـي البرلمان ، في الشارع وفي المسجد ، وهو في كل مكان .. هو في الليل متسول محتال ، وهو في النهار ماكر ساخر ، وهو في كل ذلك يعول في بيانه عـلى هدف واضح يرسمه في ذهنه قبل ان يخطه على الورق ، ويعتمد على فصاحة لسانه الذي كان طليقا ، وعلى قلبه الذي كان مفعما بالحكمة ، زاخرا بالالم ، فياضا بحسن الرأي ، وصواب التدبير ، فبطل بيرم التونسي ، شيخ ، ولكنه ليس شيخا فارغا يحشو رأسه بنصوص قرأها ، ولم يفهمها ، بل شيخ أديب ، ولكنه لا يتخذ له مجلسا يملي فيه على التلاميذ ، بـل يؤثـر ان يتنقل فـي الآفاق ، ويتجول في الاقطار ، كأنه يريد ان يملأ الدنيا كلها أدبـا وظرفا .. وكل هذه العناوين نستطيع ان نأخذها من كل فقرة من فقرات المقامة ..

« ما هي حفلات التكريم ؟ انها كلام يقـال ، ومدائح تكال . الـى ان تجف الحلوق ، وتتشنج العروق ، وتفرغ علبـة الشوق ... » وفي مقامـة أخرى يقول بيرم .. على لسان بطله :

(اعلم اننا لم نستحضرك للسجود والركوع ، ولكن ليتم بك الموضوع. والسفارة جعلت للابهة والفخار ، لا للنفع والاتجار . ويلزمها خيرة الموظفين. وخيرة رجال الدين . وخيرة البوابين . ولا يلزمنا مـن العمل الا الذهـاب والاياب ، والوقوف على الابواب . حتى اذا سألوا لمن هـذا القصر ؟ قيـل هذه سفارة مصر ...)

ويصف بيرم الكوكتيل :

(شراب الكريز يخلط بعصير الفريز ، ثم يضاف اليـه شيء من الكينـا ليكسب مرارة ، وشيء من القرفة ليكسبه حرارة ..)

وهكذا نجد في فقرات كل مقامة دفقا مـن الحوار والحركـة والعقدة ، الحبكة ما يجعلنا نقرر في اطمئنان أنها تمثل الذروة القصصيـة ، في الادب العربي الحديث ...

ومقامات بيرم لا تخلو من الشعر ، ولا تفتقر الـى الحركة ، حتى اننـا نستطيع ان نقوم بتمثيلها في أحسن الظروف .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد ، هل للمقامات قيمة ادبية..

يعتقد النقاد ، على أن المقامات كتبت من أجل تعليم الناشئة في عصرنا ، فهي لا تهتم بالمضمون قدر ما تهتم بالشكل ، قد يصح هذا القول في المقامات القديمة التي عرفت قبل بديع الزمان الهمذاني ، ولكـن مقامات بيرم تختلف كليا عن المقامات القديمة ، لانها تمثل جانبا كبيرا مـن تفكيره ، فالعلاقة بـين مقامات بيرم ومجتمعه علاقات وثيقة ، متراصة ، فهي تمثل عصره ، وتمثل ذلك المجتمع المغلق الذي عاش فيه فترة طويلة من حياته ، وهو مجتمع المشايخ .. انه يأتينا بفكرة قائمة بذاتها في السرد ، وفي الحوار معا ، ثم انه يتناول فـي كل مقامة، جانبا خاصا من الجوانب الاجتماعية التي كان يحياها المشايخ، فهي اولا وقبل كل شيء ، انتقادات لعادات المشايـخ القديمة ، وتصوير حقيقـي لنزعاتهم ، ورسم لمناحي حياتهم على اختلافها ..

ومقامات بيرم ليست عبارات تافهة ، تقوم عـلى السجع ورص الكلمات دون النظر الى قيمة اللفظ في ذاته ، أو احترام لمعنـاه ، وتنتهي بحكمة سمعها الناس قبل ذلك ألف مرة ، أو بنكتة لا يطرب لها الا خالي البال ، فنحن نرى من خلال دراستنا لمقامات بيرم انـه يحاول بضراوة ان يهـدم عادات قبيحـة بكلمات حلوة ، مرحة .. فيأتي سجعه سجعا بديعا ، سجعا مبنيا على الموسيقى

والنغم ، وليس على التلاعب بالالفاظ •••

يصف بيرم في المقامة الكوكتيلية بضعة مشايخ شربوا الخمر لاول مرة وهم لا يعلمون انه خمر ••

(وتفرقت النسوة ••• هذه تملأ وتقدم ، وهذه ترحب وتسلم فلما شربنا الدور الاول احمرت الوجنات ، وفي الدور الثاني ، دارت النكات ، وفي الدور الثالث تكلست العيون ، وفي الدور الرابع ابتدأ المجون ، وفي الخامس أشتبك المعصم والساعد ، وفي السادس اختلط الواقف بالقاعد ، وفي السابع جن القوم ، وفي الثامن غلبهم النوم •••)

ولا يكتفي بيرم بوصف العادات ونقدها ، بل يحاول جاهدا ان يصرخ في وجوه المشايخ المتخلفين عن ركب الحضارة ليثوروا وينتزعوا حقوقهم ، ويعمل جاهدا ليرسم لهم طريقهم ، ويدلهم على كيفية سلوكه ، وفي المقامة البرلمانية يقول بيرم •• وهو يخاطب وزير الاوقاف :

أيصح ان الناس تأكل لحمة ... اذ تأكل الفقهاء عيشا حافا
والصوف تلبسه الاسافل بينما ... ساداتها لا تلبس الاصوافا
ان جاع يوما حامل القرآن ، هل ... تولونه من حكمكم انصافا

وبعد ان ينهي بيرم مخاطبته لوزير الاوقاف يعود الى رفاقه المشايخ ليقول لهم :

(يا قوم •• أما وقد جلبت لكم الغنيمة ، وجعلت لكم قيمة ، فان لي على كل غني منكم أكلة ، وعلى كل فقير نكلة •• فلما سمعوا سيرة الاكل ، افرنقعوا على أقبح شكل •• قلت اذهبوا أيها المناجيس ، كان في عونكم ابليس ، وجمع بين أقفيتكم أكف البوليس •••)

ان بيرم لا يكتفي بالتعنيف ، بل يشتم أحيانا ليصل الى هدفه ، أنه يريد من هؤلاء المشايخ أن يثوروا ، وحين يترددون يلهب ظهورهم بكلمات قاسية، علهم يهتدون ••

أن أدب بيرم هو أدب حي يركض حولنا ، ويعيش وسوف يعيش اجيالا، لانه أدب صادق ، وأن أي تعريف بهـذا الادب ، وخاصة المقامات منه ، مـن شأنه أن يشوه معالمه ، لا من حيث الاسلوب الملون فحسب ، ولكن من خصب تلك الاعماق التي تطوف فيها . ليست حوادث مقاماته اشعاعـا نفسيا فقط ، انه حدث معين ذو قيمة نفسية ، انها قصة (الفكرة) بكل ذلك المهرجان مـن التوتر النفسي الذي يهزج ، لها ومعها ، في الاعماق ، كل هذا بأسلوب سهل، ولغة مفهومة ، ونكتة بارعة حية ...

وبيرم كان يكتب مقاماته وحده في المقهى ، وبينما الناس يلعبون النرد ، ويدخنون الشيشة ، ويتسامرون ، كانت المقامة ، أو الاغنيـة ، أو المقالـة ، تستقيم وتتكامل . أن اشخاصها أمامه في المقهى ، وفي الشارع ، وفي المسجد ، يسمع أصواتهم ، ويشاهد تصرفاتهم ، وليس بامكان هـذا النوع من الكتابة ان يجري ضمن مخطط ، هندسي الاطراف والطريـق . وليـس بامكـان (تكتيك) المقامة الصارم ، ان يفرض عليها اللمسة الثابتة ، فهيكل المقامة عند بيرم ، ليس صناعة ، هو ابن اللحظة التي توضع فيها على الورق ، ولهذا فان مقاماته تمثل النكتة العفوية ، انه منطق الذوق المرهف ، والحس الفني وحده، هو الذي كان يلتقط هذا ويدع ذاك فيها ، او يهرول في ذلك المنحى ، وهـو نفسه الذي يشيع فيها الوحدة الفنيـة ، ويمنحهـا التوازن حسب مزاجـه ، ووفق الهامه .

وكتابة المقامات فن وحده ، له قواعد وأصول ، أما بيرم فقد اخترع له أصولا وقواعد ، تختلف عن المألوف .

يلتقط الحادثة ويسير معها خطوة خطوة ، فالذي يهمه هو صدق الحادثة التي يعيشها ، وسرعان ما ينقلها كما أحسها صورة عابرة الـى قلب الحيـاة نفسها ، ويحولها الى تجربة حية ، فالذي يهمه في الحالين ، هـو التوتر الذي تحمله الحادثة لتصبح ذات قيمة . كل حوادث مقاماته ، من تجربته الشخصية،

يسبكها ، ويشد بعضها الى بعض • خط بياني مستمر الصعود والتركيز حول الهدف الذي رسمه ، لفتات الاستشهاد ، وخفقات الحس ، كلهـا تحشد فـي الطريق الشائك • والانوار لا تتوجه الى خارج الهدف ، بل الى داخله ، وقد يبقى الهدف غامض الاسباب ، ولكن ظلاله التي ترتمي وتنعكس في داخـل الاضلاع ، وعلى الهوامش، هي التي تكشف قيمة الموقف الانساني النموذجي التي تمثله ، وتقود في رشاقة اليه •••

لن نخوض كثيرا في تحليل القيمة الادبية لمقامات بيرم التونسي ، فهـذه المقامات على قلة ما بين أيدينا منها تتحدث من ذاتها عن قيمتها ، لقد كتب بيرم ما يقرب من ثلاثمائة مقامة لا يعلم أحد أين هي ، وفي أيـة صحيفة نشرت •• اذ كل ما لدينا هو ما نورده هنا •••

تختلف مقامات بيرم التونسي عن مقامات بديـع الزمـان الهمذانـي والحريري ، بانها نوع من الادب الخفيف مكتوب بلغة عربية سليمة ، وتمتاز عن مقامات الحريري والهمذاني بالسجع المرسل والنكتة اللاذعة والفكاهـة الراقية ، والشعر العربي الرصين ، والاجدر بالذي يتفرغ لكتابة تاريخ بـيرم ان يسعى للحصول على مقاماته بكاملها، وهو جهد يحتاج الى سنين، ذلك ان هذه المقامات غير موجودة عند أحد •• وكل الذي استطعت الحصول عليـه انما يعود الفضل فيه الى فقيد الادب الاستاذ مصطفى حمام وذاكرته ••

وكنت انقل من هذه الذاكرة المقامات واسجلها ••

وقد كتب بيرم مئات المقامات ، ولكنها مع الاسف ضائعـة بين ملفـات المجلات التي كان يحررها ، فمن المقامة البيجامية الى المقامة القرشصاعية ،الى البرلمانية ، الى الاسفنجية ، الى البربرية ، الى السرية ، الى الافوكاتية ، الى الجنهاتية ، الى الطابعية ، الى الصندويشية ، الى الشوالية ، الى الحجاجية ، الى مئات من هذا النوع نشر معظمه في مجلة (الفنون) ••

***

المقامــة الحجابيــة

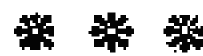
حدثنا الفاضل بن عجلان قال :

كان لــي جار ، يقيم لزوجته حفلات الزار ، ويفصــل لهــا العباءات والطواقي ، ويكلف الدقة صح الباقــي ؟ وهــي لا تزيده علــى الاحسان الا سفاهة، وعلى المحبة الا كراهة، فجاءني ذات يوم يشكو أمره، ويكشف سره، فقلت له أدبها بالفراق ، فالنساء عوج لا يعدلهن الا الطلاق •• قال صه انهــا ابقونتي ، ومزاجي وافيونتي ، فضلا عن انها من قراء الجرائد ، وخريدة مــن اجمل الخرائد ، ولكنها مع كونها من ذوي الالباب ، فهــي تعتقــد كثيرا في الحجاب •

وتظل المحادثة بين الجارين على هذا المنوال وتنتهي بان يكتب لها حجابا فتلبسه وينصلح امرها ولكنها تفتتن بصاحب الحجاب وتحبه حبا شديــدا •• الخ ••

ولم نستطيع الحصول على هذه القامة بكاملها فاتينا على هذه الخلاصة من الذاكرة لنوضح منحى بيرم في مقاماته ••

وفي المقامات التالية الكاملة صورة لهذا الادب الذي انفرد به بيرم ••



المقامـة (الاوتوميبلية)

قال احمد بن حزلقان ..

في شهر رمضان ، يستحضر الاعيان ، حملة القرآن ، ليرتلـوا آي مـن الذكر الحكيم ، بالصوت الرخيم وكان نصيبي في هذا الشهر عند أحد الذين ابتسم لهم الدهر ..

كان بناء ، فاصبح من اغنى الاغنياء ، والله يرزق من يشاء ...

ولكن الحق اقول ، انه لطيف معقول ، لم تبطره النعمة الجديدة ، ولم يطلق زوجته حميده ، لم ينفق ماله على بنت الحان .. ولا على سماع السخف من الالحان ، بل ابتنى لنفسه قصرا مشيدا ، واشترى اتومبيلا جديدا .

وقد كنت اتناول عنده طعام الفطور .. ثم طعام السحور ..

ففي احد الليالي قرات يوسف، واجدت فيها اجادة لا تقدر ولا توصف.. فاقسم ان لا اذهب الى منزلي على الاقدام . . وامـر باحضار الاتوموبيـل قوام ..وكان منزلي في الامام ..

فلما خرجت من باب الدار ، وجدت الاتومبيل في الانتظار ، فركبـت فيه ، ومثل هذا لم يقع قط لفقيه ، قال السائق الى اين ؟ فقلت ..

مر بي يا فتى بكـل مكـان	انهـا فرصـة بغـير اوان
لا تدع شارعا ولا تبـق ميدا	نا ، ولا عطفـة لها منفذان
مر بي من أبي العلاء، فباب اللوق	فالاوبـرا ، ذات الحصان .
وتمهل في السير ان جئت صولتا	او جروبي المعظم الحلوانـي
ومن السكة الجديدة فالصورين	عـد للخرنفش العمران .
وهناك استقم وعـرج شمالا	عند دكـان نخلـة النصرانـي
لا لشرب الزبيب فيه ولكـن	لي عدو واشتهـي ان يراني
ثم عد للحسين واربط قليـلا	عند دكـان صالح الفاكهانـي

وإذا جاء في طريقك شيخ   فانفخ البوق نفخة الغضبان
أو فحطم عظامه لا تحاذر   أو تجامل لكل ذي قفطان •

فانطلق الهمام حسب البروغرام •• وإني •• وإن كنت اركب السياره للمرة الاولى • الا أنني أستطيع أن أكتب فيها فصولا ••

يقولون ان السيارة تزعج المارة ، وتثير الغفارة وانا اقول انها تؤرجح الراكب • وتربرب الظهر والمناكب ••

ويقولون ان رائحة البخار وطقطقة (الموتار) ، توجع الراس ، وتزعج الناس • وأنا لا أراها الا دليلا على الابهة • واعلانا لاهل الجهة •

ويقولون لكل سواق سيء الاخلاق ، يستسهل الدهس • ويستخف بالنفس •• وهذا اولا لا يصدر الا عن جهال ظلام • لان الناس تسير في الطريق كالانعام ، فمن افندي مذهول • ومن فتى بلدي مسطول • ومن شيخ في ملابسه مخبول فماذا يصنع السائق او يقول •

وقفنا على دكان صالح الفكهاني ، وكان يسد باب دكانه • والنوم يلعب باجفانه • فاخرجت راسي من السيارة وقلت ••

ايها النائم قل لي بكم الموز المعلق ؟

فاستفاق واضطرب ، وقام واقترب وقال : ١٥ صاغ ، فقلت :

وبكم تفاحك السالم هذا • لا المفلق

فقال بعشرة • فقلت :

وبكم رطل ابي فروه صاغا لا مخربق

فقال بخمسة صاغ فقلت :

وبكم تمرك هذا الاحمر القاني المفرق

فقال بثمانية صاغ فقلت :

وبكم بالقرش تعطيني من اليوسف افندي •

فقال اثنين بقرش •

فعلمت ان الفتى غره الاتومبيل • الذي لا يقف على دكانه الا من الجيل الى الجيل• او انه اضطرب من لوثة النوم • ورد فعل الصوم • فقلت لا كان ركوب السيارة • اذا جلبت الخسارة •

وانتقلت الى السائق وقلت :

انفخ البوق اربعا وانطلق بي مبرطعا
لا تدعني لفاجر يترك الجيب بلقعا

فلما وصلنا الى المنزل ، ورجع السائق ، اشتريت للاولاد أقة عجوة من دكان ابي عطوة ••

★★★

المقامـة الشعريـة

حدث الحاذق بن قمذان . قال :

جلسنا دسته من المشايخ البهاليل ، في جهة على شاطيء النيل . وكلنا فصيح شاعر ، واديب واعر . عارف بالاستعارة والتشبيه ، والاطلاق والتوجيه . والترديد والتوشيح ،والتفريق والتسريع ، وحفظ الصرف والنحو ، بلا خطأ او غلط أو سهو .

فقال احدنا :

ان الجلوس على شطوط الانهار ، والاستظلال بغصون الاشجار ، شيء يفتق الاذهان والافكار . فليقل كل منا ما يقدر عليه ، وهذا الحازق بن قمذان نحتكم اليه .

فقال اخر ، وكان انشطنا همة ، واكبرنا عمة :

ما بالنا أيها المشايخ جامدين، وبأفكار القدماء متمسكين . مالنا وللعبسي والجعدي ، والقيسي والسعدي . واين نحن من ذاك العصر ، واين صنعاء والحيرة ، من الاسكندرية ومصر . واذا وصف العرب الناقة والجمل ، فمالنا لا نصف الوابور والترام . وان وصفوا السماء والامطار ، فلنصف نحن الكهرباء والبخار . وبهذا ترقى مدراك الشعب ، ويسهل على الناشئة كل صعب . فان رقي الامم ، موكول الى ذوي العمم .

فقال الثالث : نعم وان ما اصابنا من العذاب الاليم ، لم يكن الا من اتباعنا للقديم .

وقال الرابع نحو ما قالوا ، وكان الخامس مثل ما كانوا .

فاتفقوا بالاجماع ، على ان يصف كل منهم ما يعجبه من اختراع . فجلسوا يحكون الجباه ، ويعضون الشفاه . فكان بعضهم يتمتم ويكتب ،

والاخر يلحس ويشطب . فلما فرغوا أعطاني احدهم ورقته ، وكان وجهه كقعر الوابور ، وشفته كحرف الماجور . ولما كان يظن نفسه احد الاعلام العظام ، قال يصف الترام :

ان ارتكانا على لوح من الخشب لم يبق شخصاً من الاشخاص في تعب
لله هـذا ترام حـين تركبـه تستغن حقا عـن الافراس والنجب
ان الترام عجيب حين يخرج مـن شبرا ، فكالوت ، فالميدان ، فالعتب

فوقعت تحتها :

من كان همته تكبير عمته فحسبه صنعـة الافتاء لا الادب

قبح الله شعرك ، وارخص سعرك ...

وتقدم الثاني، وهو قدم بغيض ، ولكنه ينتحل القريض. ولما كان بلحية بهائية ، قال يصف الانوار الكهربائية :

بشرى ، فقد وصف الاستاذ ما قدرا شمس الكواكب في افق العـلا طلعـا
تضيء في الليل والعـداد يحسبهـا الساعتـان بمليـم فوا عجبـا
لهـا كذلـك زر شأنـه عجـب يضيئها الـزر طـرا كلمـا انفتحـا

فوقعت تحتها :

لو ان ذقنك كانت هكذا ، نتفت ولو قذالك كان هكذا صفعا

وتقدم الثالث :

وهو ذو وجه مستدير كالرغيف ،ولحية حمراء كالليف . يعتلي كل منبر، ويحمل معه المنزول والعنبر . ولما كان مكثرا للمشي والطواف ، قال يصف التلجراف :

على الاسلام والدنيا السلام اذا بالسلـك ينتقل الكـلام
ارى الافرنج قد قاموا ونمنا وقبـلا طالمـا قمنـا وناموا
الا يـا قوم هبوا مـن رقاد فمصر اليوم يسمعهـا الشـام

فوقعت تحتها :

الا قبحت مـن شيخ خطيب	يضم مـراق معدتـه الحزام

اذا تمنجهت فاست غربيا ، وان تفلسفت فلست عصريا .

ثم يتقدم الرابع ، وهو شاعر مطبوع باقبح طابع . له اسلـوب عنتري ، والالفاظ أخفها كالحجر الفنتري، فأما هو فانه كالبربري، وقال يصف الباخرة:

الفلك فـوق فقاقـع البحـر	عجبا بغـير صنيجـة تجري
متشنقعـا في اليـم تدفعـه	مجدولة الاطراف في القعـر
يتنفـس الصعـداء تحسبـه	متقعرطا مـن شدة الـوقر

فوقعت تحتهـا :

فـاذا صعدت عليـه منفردا	اغرقتـه مـن ذلـك الشعـر

انت يا هذا ناعق او ناعر ، ولست بشاعر .

ثم تقدم الخامس . وهو شيخ نصفه قفا ، والنصف اختفى . ولما كـان من منفلوط او سمالوط ، قال يصف التلفون والخيوط :

يا يراعي أسعد يمينـي وانظم	في التلفون هـذه الاشعـارا
وتوخ السهل المنيع وحـاذر	ان ترى يـا يراعنـا مهـذارا
هـذه آلـة التكلـم دقت	بتغـن وحركـت اوتـارا

فوقعت تحتها :

لو نظمت الدموع من عبرات	الشعر درا ما كنت الا حمـارا

الشهرة ان كانت قبيحة ، فليس وراءها الا الفضيحة .

قالوا : قد عبتنا جميعا ، وهجوتنا هجوا شنيعا ، فاسمعنـا أشعـارك ، وأرنا ذوقك واختيارك .

فقلت : ليس عندي الا ما علمتم ، تسمعونه كلما تظلمتم ، فاذا بعدتم بعدنـا ، وانعدتم عدنا .

المقامـة الكوكتيليـة

قال عمران بن عبد العال ..

كدت أذوب خجلا أو تبلعني الارض مثلا ، وذلك عندما رأيت رجال المعهد ، يكرمون وزير الاوقاف الجديد ، بخطب وقصيد ، كأنه مأمور مركز انتقل . أو وكيل محطة ارتقى ووصل . أو رئيس مصلحة كبر ورحل . وكأنه لم يكن أول صاحب عمة ، يشرف على شؤون الامة . ولم تكن المشايخ قبله غير مأذون ومحام . ومؤذن وامام .

ثم ما هي حفلات التكريم ؟ انها كلام يقال ، ومدائح تكال . الى أن تجف الحلوق ، وتتشنج العروق ، وتفرغ علبة النشوق ..

ذهبت على الفور . لصديق لي دكتور . تعلم في المانيا ، وعرف شؤون الدنيا ، وقلت له :

ــ اخترع لي ابدة اخلد بها ذكر الوزير الى الابد ،ويرويها الوالد للولد .

فقال : أرى أن تتركوا الامور المبتذلة ، والطرق المستعملة ، كاهداء المحابر والاقلام ، ونصب التماثيل والازلام ، أقيموا لمعاليه حفلة كوكتيل والسلام .

قلت وما هو الكوكتيل ؟

قال ــ شراب الكريز يخلط بعصير الفريز ، ثم يضاف اليه شيىء من الكينا ، ليكسب مرواة ، وشيىء من القرفة ليكسبه حرارة ..

قلت ــ واين يباع ؟

قال ــ عندي له امراة صناع ... وهي تقدمه لكم الوانا ومجانا ..

قلت واين تقام الحفلة ؟

فقال ــ لا بد لها من مكان انيس ، كفندق السميراميس .

فسكت ، قال ماذا ؟

قلت ــ لم احسب حسابا لهذا ..

قال ــ بما اني صاحب الاقتراح . فاني اقدم لكم منزلي الـى الصباح . غير ان هناك امرا من الاهمية بمكان ..

قلت ــ وما هو ؟

قال ــ حفلات الكوكتيل لا يعقدها الا الجنسان . الرجال والحسان .

فقلت ..

اما الرجال فعندي منهم فرق ... لو جندوا ، مزقوا تركا والمانـا

فمن لمثلي بالنسوان يجمعهـ ... انا الذي لم يلامس قط فستانا

قال : لا تهتم .. عليك بالمدعوين .. وسأحضر لك المدعوات .. من الجامعيات ، وبنات الذوات .

قلت هل اعين موعد الدعوة ؟

قال ــ وادع من شئت بكل ما فيك من قوة ..

وقال ابن عمران : فبدأت بالمدعو الكبير وهو الوزير ، وكتبت اليه هذه البطاقة ..

يا سيدي يا صاحب المعالي . ... عبدك غمران بـن عبد العـال

يدعـوكم لاكبـر احتفـال ... وشرب كوكتيل ثمـين غـال

تحضره اعاظـم الرجـال ... من نخبة القسم القديم العالي

ومن ذوات التيـة والـدلال ... كـل فتاة ذات كعـب عـال

وذاك في يوم الخميس التالي ..

وارسلتها بالبريد . بعنوان وزير الاوقاف الجديد . ثم فكرت في اختيار المدعوين من الرجال ، فقررت الابتعاد عن اثقلهم وزنا ، واطولهم ذقنا ، وادقهم عرقوبا ، واغلظهم مركوبا . واخذت للحفلة كـل منتصب القامـة . خفيف العمامة . لا يستعمل النشوق ، ولم يحضر من سوق دسوق ..

ثم جمعتهم في بيتي أولا • ووقفت قائلا :

دعوتكم لابسطكم جميعا ... ولست بطالب منكم فلوسا
ولكني دعوتكم لحفل ... وهذا الحفل ممتلىء شموسا
اذا ما اشرقت منهن شمس ... لها تحني الجبابرة الرؤوسا
وقد يحلو لها منكم صديق ... يسر ، وربما اتخبت عريسا
فلا تتمزمزوا الكوكتيل مصا ... كقوم يشربون العرقسوسا
ولا تتناولوا المزات الا ... كما يتناول الرجل الغموسا
ولا تتجشاوا فيكون صوت ... كصوت العجل يفتقد السريسا

قال ابن عمران •• فاقسم لي القوم باغلظ الايمان ، بانهم سيكونون احسن من اي جنتلمان ••

ولما جاء الموعد توارد أصحاب الجبائب ، وصاحبات الحقائب • ورأيت الدكتور الجبار ، قد أعد لنا منصة يقال لها البار • وتفرقت النسوة ••

هذه تملا وتقدم وهذه ترحب وتسلم ، فلما شربنا الدور الاول احمرت الوجنات ••

وفي الدور الثاني دارت النكات •
وفي الدور الثالث تكلمت العيون •
وفي الدور الرابع ابتدأ المجون •
وفي الخامس اشتبك المعصم والساعد •
وفي السادس اختلط الواقف بالمقاعد •
وفي السابع جن القوم
وفي الثامن غلبهم النوم ••

فلما طلع النهار أطلعني الدكتور على بطاقة من الوزير وفيها يعتذر ويشكر ••

قلت ــ والله لقد احسن • فانه رجل لا يلبس الا المركوب ، ولا يشرب الا الخروب •••

المقامــة البيجــاميــة

قال القالح بن خجلان ..

قسم الحظ للعمة . وطلبت السفارات أئمة . فاختاروا من المشايخ عشرة انفار ، واوقفوهم للانتخاب والاختبار ، لانه لا يجوز الذهاب الى اوربا ، الا لمن تهذب وتربى . وكان حسن الهيئة شريف البيئة ..

فجعلوا يفحصون الاجسام ، ويتأملون الشكل والقوام ، ويختبـرون الكفاءات ، ويسألون عن الاباء والامهات . فكانت النتيجة كما يلي ..

عطـا عطيـة

وجـدوه مكلبظـا وقفـاه　　　احمـر كالذبيحـة المسلوخـة

والدسوقي زيـن

جسمه ضامر كمنـز هزيـل　　　وعليـه عمامـة منفوخـة

وعلـي عليوه

اهرت الشدق اسود الناب يبدو　　　فمه النتن ماضغـا فاسوخـة

وراضي رضوان

فيلسوف أرخى على الصدر منه　　　لحيـة ذيلها كذيـل الفسيخة

وعبد القاهـر

سالـوه عـن اصلـه فلقـوه　　　ابن من تعرف الورى شمروخه

وفهمي عبد ربه

احدب الظهـر ، زره مستقيم　　　فهو عـود وزره ، زمبوخـة

ومهران الشندويلي

ابصروه يخب في كـل لـون　　　فنفـوه واكثـروا توبيخـه

وزهران السيـد

جاء في الصف هارشا كل عضو　　　لم يدع رجلـه ولا يافوخـه

والعطوي شعــث

يكثر البصق في الهواء ولا يبصق   الا فتــى يعــر شبوخــــه

قال الفالح : فاستطوا هؤلاء الغفر ، واختاروني للسفر . لما رواه مــن علم كثير ، وأدب غزير ، وملابس حرير .

فقطعوا لي التذكرة ، وسافرت في أول باخرة . وخرج المشايخ لوداعي وهم يودون هدمي واقتلاعي .

وقد وصلنا الى الوظيفة ، في سفارة باريس المنيفة . فاستقبلني السفير في الصالون ، واجلسني امامه على الشاذلون . وقال :

ـ اعلم اننا لم نستحضرك للسجود والركوع ، ولكن ليتم بك الموضوع . والسفارة جعلت للابهة والفخار لا للنفع والاتجار . ويلزمها خيرة الموظفين . وخيرة رجال الدين ، وخيرة البوابين ، ولا يلزمنا من العمل الا الذهاب والاياب ، والوقوف على الابواب . حتى اذا سألوا لمن هذا القصر؟ قيل هذه سفارة مصر . افهمت قم الآن . الى السكرتير فلان ليبحث لك عن مسكن ، ويساعدك بمــا امكــن ...

فذهبت مع السكرتير واشترينا ملابس افرنجية ، كالجاكيتة والبنطلون ، والفانيلا والقالسون ، وقميصا وقبعة ، ومناديل أربعة . ثم اجرنا (ابارطمان) ، أصحابه نسوان ...

ومكثت أسبوعا للاستراحة . ولاتبين المنزل وافراحه . وقــد اكتشفت فيه أحدى العبر ، وأليك الخبر ..

دخلت عندي صاحبة البيت لابسة لبس الرجال ، حالقة سوالفها والقذال ، ثم جلست على الفوتي ، وهي بهذا الزي ، ثم وضعت رجلا فــوق أخــرى فحسبتها تريد بي سخرا ...

فأنطلقت الى السفارة وسألت السكرتير :

هل تلبس النسوان في خلواتها لبس الرجال : ومثلهم تتقمط ..

قال ما الخبر : قلت ..

أبصرت ربة منزلي وثيابها مثلي ومثلك لا أراني اغلط ..

قال وما هو اللبس . فقلت :

هو بنطلون فوقه جاكتة مفتوحة منها النهود تلعلط ..

قال وماذا أيضا .. فقلت :

لا ياقة فيها ولا كراباطة الا حزام فوق خصر يضغط ..

قال ما لونها .. فقلت :

زرقاء كالبحر المموج متنها بالابيض القلم العريض مخطط ..

فابتسم فقلت :

أفكان سحرا ذاك أم هي عادة قل لي فعقلي منذ ذاك ملخبط ..

قال ، هذه بيجامة فقلت :

ان كان هذا فالبيجامة شكلها في مذهبي شكل يسر ويبسط ..

قال هل أعجبتك ، فقلت :

لفاء كالتمثال حتى خلتها من مقلتي لا من يدي تتزلقط ..

فهمس وقال : وهن يرقدن بهذه البيجامات .. واسمع . قد جاءك أربعة من الطلبة يسألون عنك ، ولا أدري ماذا يطلبون منك ، يقول أحدهم انه من أنشاص ، والثاني ابن عمدة دماص ، والاثنان الاخران يقولان انهما من ابناء عيون الاعيان . وعلى كل حال حينما رأيتهم اخوانك ، أعطيتهم عنوانك . وكأني بهم الان في دارك ، جالسين بانتظارك ...

قال الفالح .. فانطلقت كالسهم ، بوجه جهم ، لاطرد أولئك الضيوف ، بالمعروف ، او بالمتلوف ، لان ابناء العمدة ، ومشايخ البلدة ، اذا أبصروا مثل هذه المدامة ، في مثل هذه البيجاما ، فلن يخرجوا الى يوم القيامة ..

ولكن والحمد لله ، لم يقع ما كنت أخشاه ، فكأنهم ضلـــوا الطريق ، أو ابتلعهم منجنيق .. ومع ذلك فقد كتبت على الباب هذه الابيات ، احتياطــا لكــل آت :

يا أيها ذا الزائري لست هنــا
وذا الــذي تقرؤه خطي أنــا
فلا تــدق عامــدا أو ماجنــا
واذهب ذهبت شاكرا أو لاعنا
ليست أوربــا مثل كفر البلينا

* * *

المقامـة الكـامب شيزاريـة

قال شعيب بن عثمان :

ركبت قطار البحر ، الذي يركبه الفقراء ، ليستنشقوا الهواء .

فأنزلنا في سيدي بشر رضي الله عنه . ولا حرم الفقراء منـه . وكـان معي زميل في القسم الثانوي أحمق مهذار . قليل التبصر والاختبار .

فلما نزعنا الجبب والعمائم . لندخل البحر مع العائمة والعائم . تنهـد متلهفا ، وقال متفلسفا :

على هذا الشاطىء توجد محطة كامب شيزر ، التي تستحم فيهـا نساء الاعيان . وبنات الجرمان . سمعت عنها كثيرا في القاهرة . ولا بد من رؤيتها ولو في هذه الهاجرة .

فقلت له ان الشط كله شط . وحيث يوجد المـاء يوجد البط .

قال : لا .. تلك لا يعرفها من الطلبة الا القليـل ، العارفون للجغرافيا بالتفصيل ...

قلت : وأنا أعرفها قبلك ، وبينك وبينها الآن عشرة كيلـو مترات . ولا تصل اليها قبل ثلاث ساعات . فوفر المشوار . حتى لا يفوتك القطار ، وهـا هي النساء ، تملأ الماء .

فهذه المنبطحة على وجهها قد تكون امرأة وكيل وزارة . وتلك المشعلقة ساقيها في الهواء ، والاخرى الشقراء ، قد تكون من بيت امارة .

قال : لا بد من الذهاب الى كامب شيزر ..

قلت : أذهب الى كامب سقر .

فمضى يهرول في خطوته . كأنـه لا يزال في جبته ، ومـا كـاد يذهب المشؤوم ، حتى ظهر سرب من النجوم ، يتعاجبن بالقدود ، ويتزاحمن بالافخاذ

والنهـــود .

فقلـــت :

ذهـب الجلف لحاجـة ... هـي في النفس لجاجة
لا خطـــا الا ويلقـى ... تحت رجليـه زجاجـة

حسبتهن فرنجيات . فاذا بهن مصريات ، قالت احداهن للاخرى :

ـ تعالي يا ثريا تتسابق في العوم كأمس .

فقالت ثريا : حتى أخذ حمام الشمس ..

فقالت الاخرى : نلعب الجومباز اولا ..

فقالت ثريا : لا . لا . لا ..

وقامت على جنبها فتاة ، اسمها نجاة ، وتلتها الاخريات سعاد ، وحياة .

وكان فيهن نصف ... معها مقطف ، اخرجت منه خبزا فرنجيا ، وسمكا مقليا . وجعلت تأكل وتنظر لي .. فضحكت أنا ، وقامت ثريا وقعدت بيننا.. وكانت اطولهن قامة . واحلاهن ابتسامة ، وأدقهن خصرا ، وأضخمهن ردفا..

جلست ومدت كالملـوك أمامهـا ... ساقـي لجين يغشيـان المبصرا
وتراجعت للخلف مائلـة علـى ... كوعين زوجتـا الرمال المرمـرا
ثم التوت فلويت بعضي قاعـدا ... لمـا تمكن خصرهـا وتكسـرا
ولقـد تراخى المنكبان وعرضت ... للشمس في الخدين وردا احمـرا
وتلفتت لـي فجـأة وتبسمت ... ولوت حياء وجهها ، والمنخـرا
وكـان شيئـا شكهـا فتقلبـت ... فرأيت ردفـا بالمايـوه مفنرا

قالت المرأة التي تأكل السمك ..

ان هذا الرجل الثقيل . ينظر الينا بشكل رذيل .

فقلت لها يا سيدتي استغفري الله مما تقولين . فما أنـا مـن أولئـك الرجال لو تعلمين .

لست أفنديا تخور همتــه ولا أنا بيكا تسيء كلمتــه

بل انني شيخ وهذي عمته ...

وأشرت الى العشة ، حيث توجد العمة والجبة والعفشة .

فضحكن كلهن ..

وقالت ثريا :

ـ من أي الشيوخ أنت ؟

فذكرت لها الوظيفة التي ادرس من أجلها ، وأعرف أنني مرشح لها .. وهي القضاء الشرعي ، وقلت لها أيضا ان لي في القضاء اخوانــا ، وفي نقابــة المحامين عنوانا . وهي شعيب بن عثمان .

وقد جئت الساعة في قطار الصيف . وكسف الله من يكسف الضيف .

قالت ثريا : هل تحسن العوم ؟

قلت : بلــى .

فقالت النساء : هيا نعوم الان .

فذهبن الى الماء ، حيث يختلط الرجال بالنساء ، وتبعتهن ، واستحممت بينهن ، الى ان انقضى النهار ، ورجعت في القطار ، تاركا ملابس الحمار .

في اليوم الثالث من هذه الرحلة جاءني خطابان .

احدهما مظروفه طويل . ولونه وردي جميل ، وهو مــن ثريا ، والثاني مربع شثيم كل مائة بمليم . وهو من اخينا وفيه انه أشرف على الغرق ونقلوه الى المستشفى ، ولم يبق من ثيابه غير جورب وقميص ، وانه في ضيق ، وانــه لي صديق ، وانه كذا وانه كذا ...

فوضعته في مظروف جديد ، وأرسلته الى مصلحة البريد ..

المقامـة الشواليـة

قال الخائب بن خجـلان :

لبست جبة من الجوخ السلطاني • وقفطانا من الكمخ الحمصاني ، وعمة شالها من الشاش النعماني ، وحذاء يقال لجلده امبركانـي ••

وخرجت الى ميدان الاوبرا • استطلع النساء ، وأنتقي لي منهن خنساء• فلم أر الا خواجات وهوانم ، لا يرغبن في مجاور ولا عالم ••

فقلت عليك باحياء الوطنية ، مثـل المنشية والغوريـة • وهنـاك يحن الجنس الى الجنس • وتكمل المعرفة والانس ••

بابي النساء اللابسات خلاخلا الحاملات مقاطفـا ومناخـلا
الرابطات شرائطـا وحمائـلا والحاططات خمائسا ودلادلا
والماضغات لبانـة وحـلاوة والاكـلات مدمسا وفلافـلا
والداخلات محاكما ومكاتبـا والعاملات مع الرجال عمائلا
والضاربات صدورهن تعجبـا والقائلات البخت اضحى مائلا
هن اللواتـي يحترمن مكانتي ويخلنني في القطر شيخا هائلا

قال فوقفت عند موقف الترام • ونقطة الازدحام ، فمرت امـرأة ، لهـا كفل مهول ، فمشيت خلفها أقول :

أيها الردف الذي قـد عظما وعـلا جـدا ، وفاق الهرمـا
يتهادى يمنـة • • أو يسرة تابعـا فـي حالتيه القدمـا
كلمـا سارت بـه ربتـه اظهر الطيش واخفـى الحلما
كيف يلقـاك معنـى والـه ذهب الشوق بـه واحتكمـا

فمشت على طول • ولم تفهم ما أقول • فرجعت الـى موقف التـرام • فمرت ثانية •• لمئزرها ثانية ، ولها ساق ، سبحان الخـلاق ، فمشيت خلفهـا أقـول :

أيها السـاق الذي قـد دملجا وتحاشى حجلـه ان يخرجـا

يتهـادى يمنـــه أو يسـرة	حليــة ، وخفــة ، لا عرجـا
كلمـا سارت بــه رتبـه	خلتها عمـدا تدوس المهجـا
كيف يلقـاك معنـى والــه	ان تمددت عليــه ابتهجـا

شمرت ولم تفهم فقلت الى جهنم . ورجعت الى موقف التـرام ، فمرت ثالثة بمئزرها عابثة ، ولها قوام يقد ، ونهد يهد ، فمشيت خلفها أقول :

ايها النهد الذي قـد قبقبـا	وغـدا كالطاس حين انقلبـا
يتهـادى يمنــة أو يسـرة	فاتنـا افرنجهـا والعربـا
كلمـا سارت بـه رتبـه	اظهر الطيش واخفى اللعبـا
كيف يلقـاك معنـى والــه	قـد تلظى قلبـه والتهبـا

فلم ترد علي ، فرجعت الى موقف الترام ، فمرت امرأة كالبرج المشيد ، وفيها محاسن الاخريات وتزيد ، وفوق رأسهـا شوال خفيف ، كأنـه محشو بالليف ، فهجمت عليها في الحال ، وقلت والله لاحمل عنك هذا الشوال ..

فقال : فلما استقر الشوال على رأسي ، كـاد يخمـد انفاسي . ولكن التظاهر بالرجولة . صبرني على هذه الحمولة ، وسارت تتأوه وتتبختر ، وأنا خلفها أتلوى وأتعثر . كلما رأتني اقترب منها أسرعت . واذا تباعدت عنهـا تمهلت وتملكعت فسألتها :

ـ بالله ما هي محتويات هذا الشوال .. فقالت :

ـ في هذا الشوال مرتبة ولحافين ، وكليم ومسندين . وطشت وحلتين . وهون وكانونين . وعشرة صحون ، واقتين زيتـون وست رؤوس سكـر ، وعشرة ارطال بن أخضر . ومالية بقسماطة ، وعشر اقات بطاطة ، وجرن رخام للكفتة .. ومقطع بفتة ، واربعة أزواج قباقيب ، وأربعة مراكيب ..

وبقيت تسير وأنا أسير . وتقول . وأنا في ذهول ، الى ان وجدت نفسي قدام شباك التذاكر ، فقالت هنا ، يا زميل الهنا ..

قلت ـ وهل أنت مسافرة ؟

قالت ـ نعم ولك شاكرة ..

المقامـة الفسيخيـة

قال سعران بن فلسان :

احترفت من الصناعات • السعي خلف الاموات • فعاهـدت نفسي ان صادفت عظمة خشنة • او جنازة حسنة • لاكلن آكلـة أشتهيها • ومن زمان نفسي فيها • وهي ان أتغذى بفسيخ • واحلى ببطيخ •

وكنت أمر في بعض الاحيان على فسخاني يبيـع السردين • والفسيـخ السمين • فلمحت عنده فسيخة عظيمة • ذات قدر وقيمة :

هـذي الفسيخة فيهـا الدهن منجمـد
لـذي البصيرة يبـدو مـن حواشيهـا
كأنمـا الفضـة البيضـاء قشرتهـا
كأنمـا الذهب الابريـز مـا فيهـا
كأنهـا وهـي حبلـى مـن بطارخهـا
بكـر ، تداري بلاياهـا وتخفيهـا
كأنهـا وهـي بالخيشـوم باديـة
خـود مبرقعـة عـن عـين رائيهـا
كـأن فتحتـه مـن فـوق وجنتهـا
جفـن العقيلـة تغضـي عـن مناجيهـا
كـأن جعبتهـا ، والـرأس مـرتفـع
امـيرة تـتـوارى فـي زواييهـا
وذيلهـا مرسـل ، والخـصر منكسـر
مثـل الامـيرة مـدت ساقهـا تيهـا
لـم ينفـع المسـك ذا أنف كما نفحـت
أنفـي روايـح فاحـت مـن نواحيهـا

قال • فمكثت أسأل الله صباح مساء • ان يتوفى أحـد الاغنياء • لان

توصيلنه الى الامام ، ويالي تمام . فأجاب سبحانه دعوتي . واغـاث لهفتي . فقبض وهو العلي القدير . روح غني كبير . فسرت خلف جنازتـه المبهجة ، اقرأ البرد والسنبهجة . الى أن وارينـاه التـراب ، ووقفنـا لقبض الحساب والاتعاب ، فاذا الذي يتولى المصروف ، رجل بعيد عـن المروءة والمعروف . لابارك الله فيه .. ولا فض غير فيه . اذ أشار الى المشايخ وقال : اعطوا لكل من هؤلاء الوحوش ثلاثة قروش .

الله يخرب بيتـه ويميته سكران اعمـى
ويذيقه بـذل الغذاء أذى وزقوما وسما
ويطيل فـي احزانـه ويزيـده هماً وغما
وينام ثم يقوم ثم ينام فوق فراش حمـى
ويجيء دبان وباعـوض يطم عليـه طما
والله يجحم من توفى تاركـا عـارا وهما

قال فانصرفت باكيا . ونمت شاكيا . ثم دارت الايام وانقضى العـام ، واحدثك عن العجب ، وما جرى في جمعة رجب . نادتني ذات حجلين . قاعدة بين قبرين . وقالت اقرأ ما تيسر . وخذ من الاجر مـالا يتعسر . فلما قرأت السورة . اعطتني من الخبز طورة . ثم قالت . لقد اعجبتني قراءتك وكذلك جبتك وعباءتك . وسارتبك في البيت .. لتقرأ علـى روح هـذا الميت . ثم حلفت ان لا أقوم ، حتى اتغذى على روح المرحوم . فقلت ما أسمه بالامانة ، قالت فلان بن فلانة . فاذا هو الرجل الذي محق اجـرى . يـوم كنت خلف قريبه اجري .

واخرجت الغذاء من المقطف . وهي تبتسم وتتلطف ، فـاذا فسيخـة ، بجانبها بطيخة .



المقامــة البرلمانيــة

قال حزبلق بن خمران :

جاء في الاسبوع يوم احد ، لم يمت فيه من اهل المدينة احد • ولـم ادع الى عناقه • ولا عرس ولو فيه خناقة • فقعدت الى الظهر لعلي اسمع صواتا في بيت • او تمر بي جنازة ميت • مستحيل •••

فقلت في نفسي لاقيمن هذه الصياعة • واجعلها في العتبة ساعة • وفـي هذا البرلمان ساعة •• ووقفت في البرلمان مع المتفرجـين اراقـب الجالسـين والواقفين • وكان الاعضاء يشتبكون في مناقشة ، او قل مشاكسة ومهارشة • هذا يقول القانون• وهذا يقول الطعون• ثم يشربون القهوة وينصرفون• قلت والله لاقعدن في وسطهم •واتطس في سمطهم • فوجدت كرسي نائب •صاحبه غائب ، فجلست •••

فلما جاء دور الاسئلة والاجوبة ، قلت هذه فرصة اتطاول فيها على وزير الاوقاف ولا اخاف ، فقلت : هل تعلمون ؟

وفي الـوزارة شخصكـم ••	ان الحكومة تأكل الاوقافـا ؟

فقال لا اعلم • فقلت •

ماذا فعلت بوقف ستي زينب	خصت بغلة وقفها الاشرافـا ؟

قال من هم الاشراف ؟ فقلت •

نحن الاولى حفظوا الكتاب وكلنا	ازرى على هذا الورى وانافـا •

فقال تتشرف • فقلت :

ايصح ان الناس تاكـل لحمة	اذ تاكل الفقهـاء عيشا حافـا

فقال لا يصح • فقلت •

والصوف تلبسه الاسافل بينما	ساداتها لا تلبس الاصوافـا

فقال عيب • فقلت :

ان جاع يوما حامل القران هل تولونه من حكمكم انصافا .
فقال انشاء الله . فقلت :
واذا الفقيه اهانـه صرافكم هل ترفتون لاجلـه الصرافـا
فقال لك هذا . فقلت :
الان أشكو ذا المعالـي انـه قد راقب الله الكبير وخافا .

قال حزبلق ..

وخرجت من البرلمان الى حي السيدة ، وجمعت اخواني واقراني . مـن فقيه وامام . ومأذون ومحام ، ووقفت فيهم أقول :

ابشـروا اهـل حرفتـي بسـم الدهـر للفقـي
فمـن اليـوم لا فلافـل والفـول مـا بقـي
سوف تلقون نجمكـم وهـو اسمـى محلـق

حين تبقون قادة الناس في كل مأزق
تأكلون دجاج يحشى بجوز وفستق
فانزعوا عن جسومكم كـل ثوب ممزق
واستعدوا لفيض صوب مـن الله مغدق
ولقصر لكـل شيـخ كقصر الخورنـق
في مقـاصـيره نسـاء بلبسـ مـزوق
كـل حسناء ذات قـد ، وردف مشوق
لو علمتم بما جرى مـن اخيكم حزبلـق
دخـل اليوم بـرلمان العتـاه المخنـدق
وانتضى السيف بين جمع من القوم محدق
ثم ادلـى بمنطق ، قاذفـ كـل منطـق
قال يا ايها الوزير خفـ اللـه واتقـي
ايـن اوقافنا التـي اوثقوهـا بموثـق

نقيبه علـــى المنارة يعلــو ويرتقـــي
يطلب العفو للورى من سعيد ومن شقـــي
وبافتائه يــرد يمـــين المطلــق
ـــقد اكلتم حقوقه • اكل مـــن ليس يتقي
فاتق اللـــه في الضعاف وفتشـــن وحقـــق
وخذ الاكلين وقدا الـــى الحبل واشنـــق
يعطك الله مـــا يـــرى للسعيـــد الموفـــق
قسما ايها الوزيـــر بربـــي فصدق
لست مـــن هجمة المشايـــخ يوما بمحتـــق
حـــين تلقـــى جموعهم بعصـــى وبنـــدق

قال حزبلق ، فصفق القوم كثيرا ، وقالوا الله اكبر كبيرا •• هكذا تكون البلاغة ، وهكذا تكون الصياغة ••

فقلت يا قوم • اما وقد جلبت لكم الغنيمة ، وجعلت لكـــم في البرلمـــان قيمة • فان لي على كل غني منكم اكلة • وعلى كل فقير نكلة •••

فلما سمعوا سيرة الاكل • افرنقعوا على اقبح شكل ••• قلـــت اذهبوا أيها المناجيس • كان في عونكم ابليس ، جمعت بين أقفيتكم أكف البوليس••



المقامـة الديبلوماسية

قال بكر بن عثمان :

تقابلني فتاة . في طريقي الى الصلاة ، فاذا كان الظهر فهو وقت ذهابهـا الى الجامعة ، واذا كان العصر لقيتها وهي راجعة .

كانها فهمت بطول الايام ، انني اشغل منصب امام . فاخذت تنظر الـي باحترام ..

لقد تاملتها وهي سافرة ومتزرة ، وفحصتها وهي مقبلـة ومدبرة ، ثـم اكتشفنا اننا جيران والحيط في الحيط ، وان التيرد من خيـط ، وقـد تمت المعرفة ، على اكمل واشرف واروع صفة ..

رات رجـلا مسبطـر القوام　　جميـل الشمائـل والقالـب
لطيـف الرداء ثمـين الحذاء　　تجللـه هيبـة الراهـب
وقـد راسلتنـي وراسلتهـا　　كفعل الخطيبـة والخاطـب
وقد اخبرتنـي بقول صريـح　　وانـي لا خبـر بالكـاذب
بـان الهناء وطيـب الحيـاة　　نهـار الجلوس الى جانبـي
وقـد قدمتني الـى اهلهـا　　كما يفعـل المرء بالصاحـب
وما حال عـن ربطنا بالزواج　　سوى رتبتـي وسوى راتبـي
امام ، ويستشفـع المسلمون　　بستـين قرشا الى اللـه بـي

قلت لاستفتحن الكنوز . بما يجوز وبما لا يجوز . ولادخلن كل باب . بفاس حطاب . فذهبت الـى حيث يجتمـع المجاورون ، واحطت بمـا فيـه يتحاورون ، وهم بين ساخط لسقوط في علمين ، وثائر يريد استبدال الرغيف بقرشين ، او مرفوت ومعه الاهلية ، او مهمل ومعه العالميـة ، وكانهم كانـوا ينتظرون ما أقول (لان حقي مثلهم مهضوم والوعد ممطـول) ..

فقلت للجبالي موسى .

ما يصنع الشيخ لو فرجت ازمته   وجئته بالذي يرضيه من كتـب ؟

قال اشكرك الى موتي ، وانصرك بصوتي ..

وقلت لعبد المتعال عبد المتعال .

وانت يا وافر الانتاج ، هل قدرت كلية الشرع ما ألفت من كتب ؟

قال بل زادتني اهمالا ، وحقرتني حالا ومالا ..

وقلت لسعد المنياوي

هل كنت في بطن حوت عندما بعثوا   لانجلترا بعثة اللاهوت والادب

قال بل حاضرا امام اللجنة ، وقلت لياسين عبد الشهيد ..

وانت هل كنت يوما في مظاهرة   حتى احالوك للتاديـب والعطـب

قال والله لم اتظاهر وقلت لزيد .

خذني اماما نصوحا واتبع اثري   يا زيد تغنى عن التجوال في الترب

قال انا اول المقتدين بك ..

قلت هلموا يا مساكين تؤلف الان وفدا يذهب الى الازهـر ، ليقابـل الشيخ الاكبر ، ويخيره بين ثلاث ، اما ان تجاب مطالبنا ، فناخـذ حظنـا في الوظائف والدرجات ، والعلاوات ، واما أن تذهب الى دار المندوب ، ناصرة المغلوب ، ومنصفة المكروب ، وترجع الرؤوس مرفوعة شامخة ، ويعقد العار للمشيخة ، واما الثالثة وهي الانضمام للطلبة الافندية ، والاشتراك في الحركة الوطنية ، وفي ذلك خطر على المناصب الكبرى ، والرجوع بالعهد القهقرى..

قالوا لقد اصبت المحز ، وعرفت الفرص وكيف تنتهز . فتقدم تقدم ، فلا خاب من بك ائتم ..

قال بكر بن عثمان .

ومررنا في طريقنا على الربوع والمساجد ،فانضم الينا كل قطحل ومجاهد واقترح ، احدهم ان تذهب الى الشيخ في البيت ، قلت هكذا نويت . لانــه الان في راحته وخلوته ، وبين نشوقه وقهوته ، وصدره للقصاد اوسع ، وقلبه للمساكين اخشع . وانتم لو احسنتم لاتتخبتم ، واحدا منكم . لاننا لو دخلنا جميعا ، وهجمنا قطيعا ، لضاق بنا المكان ، واضطررنا للاختصار والاستئذان. وما لهذا ذهبنا ..

قالوا ادخل عليه يا بكر ونحن في انتظارك ، فانت مبارك في اقتراحـك واختيارك . ادخل . ادخل ...

قال ، فدخلت فابصرت ..

الالمعيـــة والذكــاء — المتقــى والعبقريــة
والاستقامة والصراحة — تحــت بردتــه النقيــة
ولــه ابتسامــة اروع — تغنيك عن رد التحيــة

قال . انت الشيخ بكر ؟ قلت انا بكر . والحمد للــه الذي لم ينســك تلميذك ، قال كيف صحتك ؟ قلت كجميع الناس،قال والمسجد؟ قلت لا بأس . قال ووالدك قلت موجود ، قال وبيتك ؟ قلت مهدود ..

قال فامر لي بقهوة معطرة . وقلة مبخرة ، ثم قام وقال انتظرني برهة في المندرة . حتى اصلي الظهر ، قبل وجوب العصر . وعاد يقول امعك هؤلاء ؟ قلت نعم وهم اصدقاء ثقلاء ، يتبعوني حيث رحلــت ، ويقفون هكذا حيــث دخلت . قال كم مرتبك ؟ قلت ثلاثة ريالات ، تخصم منهــا الدمغــة واصلاح الحنفيات ، وثمن زجاج اللمبات ، قال لا حول ولا قوة الا بالله . قلت ولــم تنفعني شهادة الاختصاص ، ولا كوني من الخواص .

قال عدمبكرالىمكتبي، وثقباللهثمبي، فقبلتيدهوخرجت، ثمقلتللقوم يا قوم ... المطالب قد انجزت ، والاستمارات جهزت ، وستعلمكم الادارة . بتاريخ تعيينكم في وظائف الوزارة ، والسلام عليكم بقى ، والــى الملتقــى ، واوصيكم بالصبر ، وكتمان الامر .

فلم يمر أسبوع حتى وظفت .. ولم يمضي الشهر حتى زففت ..

اما هي ..

هـــي واللـــه في الجمـــال وفي الحسن بارعة
تسجد الارضـــ والسماء لها وهـــي قالعـــة
وهي في عقــل شكـــبـــير وفي ديـــن رابعـــة
وهـــي بالفول والمخلـــل والخبـــز قانعـــة
واذا غبت تقطــع الليـــل عطشى وجائعـــــة
فـــاذا بـــت ، عاتبتنـــي والعيـــن دامعـــة
ثـــم لا تنســـى بعـــد ذا انها بنت جامعـــة
تقـــرأ الشعر في الكتـــاب وللشعر قاصعـــة
وتنـــاغيـــك بالفرنجيـــة ان شئت ساجعـــة
قـــل وكـــم عمرهـــــا بنت عشر وسابعة

واضحكوا معي

كنت يوما في القيلولة ، اذ سمعت الباب يدق ، وكنت في الـــرير ببجامة حمراء حرير ، قلت لها اذهبي فانظري من خلف الدنتيلا ، وخبريني عن هـــذا الوباء ..

فوقفت في الشباك تنظر ثم قالت : جماعة يبلغون الطزينه ، ولا بهاء لهـــم ولا زينـــة .

قلت صفيهم كما ترينهم

قالت ــ احدهم طويل القامة ، كبير العمامة .. قلـــت هـــذا الجيالـــي المعتوه .. ثم ماذا ؟

قالت : والاخر ، أصفر الاسنان ، عليه القفطان جربان ، قلت وهذا عبد الشهيد المشبوه ، ثم ماذا ؟

قالت ــ وشيخ بمركوب احمر ، وزر ازعر ••

قلت ــ هذا زيد البائس ، ثــم ؟

قالت شيخ يلبــس نظارة من الزجاج ، وفي يده عصا قبضتها عاج •

قلت ــ هذا المنياوي الرقيع ، قالت تعال فانظر • فان معهم شيخا طويــل اللحية ، وهو منفوش كالديك ، ويكلمهم ويشير الــى الباب والشبابيــك • قلت هذا عبد المتعال اثقلهم واجهلهم ، أسمعي •• تصامي عن الدق والنداء، وان الحوا فصبي عليهم قلة ماء •

***

المقامة الاهرامية

قال قطيط بن خليفان •

منذ عشرين من السنين

صرح الوزراء من البشاوات• للانسات السكرتيرات• أن تتخذكل منهن بعلا • يتزوجها فعلا •

وللسكرتيرات منزلة في قلبي ، يعلمها ربي وهو حسبي •

اعرف منهن زكية

ذات قوام اهيف بارع فيه ضمور كقوام الغلام

ومرتبها اربعة جنيهات ــ ونجية

انيقة يخبر عن جسمها بجحة الثوب وضيق الحزام

ومرتبها خمسة جنيهات ــ وعلية

حقيبة العلم على صدرها تلامس النهد الذي لا يرام

ومرتبها ستة جنيهات ــ وثريا

ناضجة ، فائقة ، حلوة لكن بلا بعل ، وهذا حرام

ومرتبها سبعة جنيهات ــ وبهية

الناس ان سرت بها باهت او داهش ، او قائل يا سلام

ومرتبها ثمانية جنيهات ــ ورقية

لا احمر فيها ولا ابيض يا من جهلتهم فتنة الاحتشام

ومرتبها تسعة جنيهات ــ وبدرية

تحسبها الصين فرنجية جاءت من الترويج يا آل حام

وما أن أطلق لهن الخيار، حتى تهافتن تهافت الاشرار، كبلطجي الصالة، وابن الغسالة، وما الى هاتيك من الحثالة . قمت على الفور الـى اخوانـي المشايخ، واخترت منهم كل ذي حسب شامخ، ومجـد باذخ وقلت :

الامة مزرعة انتم قمحها المغربل، ولبنها المصفى، وزبدتهـا المخضـ، وعصيرها المعتق . والناس ساهية وانتم في ذكر، ومرابطون وانتم في فكر . لم نعرف لكم فحشاء . ولم يضبط احدكم في سينماء .

سارعوا الى حماية اخوانكم في العلم . وهلموا نؤلف وفدا يقابل الوزير المختص، ونرجوه ان يقيد زواج السكوتيرات .

بما هـو آت :

يشترط في بعل السكوتيرة ان يكون ذا عمة بيضاء . ولحية سوداء، وجبة مقفولة أي كاكولة، ويحمل بوجه خاص، شهادة الاختصاص، ولا مناص .

قولوا له فريدة معلمـة
فائقة على النساء مسلمة
باخذها الفاسق والوغد لمه ؟

واذا اكثرتم عليه الالحاح، في المساء والصباح ... اما تتكلل مـساعيكم بالنجاح ..

قالوا بلى، فقلت :

ـ واذا توسط لكم كل ذي امر مطاع، من علماء الاجتماع، الا تفوزون بالباع والصاع والمتاع ؟ .

قالوا اجل ـ فقلت .

ـ واذا شدت الجرائد ازركم . واسند البرلمان ظهركـم الا تنجحون وتفلحون ؟

قالوا نعم ، فقلت هيا الى الوزير الآن ، قبل ان يفوتكم الاوان •

قال قطيط •• فأطرقوا للجباه ، وهرش كل منهم صدغه أو قفاه وقالوا :

ـــ من أين رويت هذه الاخبار • وكيف سمعت بهذا القرار ؟•

قلت ـــ قرأته في الاهرام •

قالوا ـــ أين هو الاهرام •

قلت ـــ اشتريته ثم قريته ، ثم رميته •

قالوا ـــ امهلنا ريثما نذهب ونطلع على الاهرام ••

فقاموا وعادوا اخر النهار • بهذه الاخبار • قال الشيخ بكر :

سألت عن الاهرام حلاق حينا   فقال اعرناه زبونا وقطعه

وقال الشيخ يونس :

وفي حجرة الشيخ الوكيل طلبته   فلم ألق من أوراقه غير اربعة

وقال الشيخ حسين :

وقد كان يتلوه السكرتير قاعدا   فقلت اعرنيه فقام بزوبعة

وقال الشيخ محرم :

شربت بمقهى النصر شايا وقرفة   فقيل زبون بارد ، شاله معه

وقال الشيخ ابراهيم :

مررت بزيد وهو مشترك به   فاقسم لي ان قد تلاه ، وضيعه

وقال الشيخ مرسي :

وسألت كواء الطرابيش عامرا   فقال هنا شغل وليس بمطبعة

وقال الشيخ صالح :

وسألت عنه كــل صاحب متجر وتاالله ما أقسى السؤال واقطعه

وقال الشيخ منصور :

الا لعن الرحمن قومــا تجاوروا وليس لديهم ساعة الضيق منفعه

وقال الشيخ زكي :

كذلك يبقى الشيء ملقى امامنــا سنينا ، فان رمناه ، لــن تتوقعه

قلت وعلام هذه اللكاعة ، وهو موجود مع الباعة ، فاشتروه بقرش ..

قالوا : القرش لا يخرج الا لغذاء . أو كساء ، وأما شراء اهرام لتحقيق اوهام . فلا والسـلام . !!

***



لبيرم التونسي كراس صغير أطلق عليه أسم (السيد ومراته في باريس) ان هذا الكراس الذي طبع في حياته ويكاد يكون مفقودا كراس فذ في نوعه نسيج وحده في الملاحظة والدقة والوصف وتصوير حياة الاسرة ، ولقد بلغ من اهتمام جميع العناصر والطبقات به ان أصبح كتابا عالميا يدرس الان في جامعات موسكو وباريس وواشنطن ، وقد رأيت بنفسي بعض الطلاب في جامعة بون يتداولونه من مكتبة الجامعة ويعكفون على قراءته ، والغريب ان هذا الكراس قد ترجم الى معظم لغات الدنيا ويكاد يكون مفقودا في الاسواق العربية ، والنسخ المتوفرة في بعض المكتبات الرسمية هي نسخ رديئة طبعا وتنسيقا ... وكان الاولى بالذين يهتمون الان بطبع تراث الفقيد الكبير ان يعيدوا طبع هذا الكراس الذي لا تتجاوز صفحاته الـ ـ ٥٠ ـ صفحة من القطع الصغير ..

ان هذا الكراس على صغره قد خلد أسم بيرم التونسي مؤلفه عالميا ويحتاج الى دراسة لوحده .

ابتكر بيرم حوارا بينه وبين زوجته التي زارته في باريس •• وقد أعجبت الزوجة (الوهمية) من كلام زوجها ، ونقده اللاذع لاهــل بلاده ، وعاداتهم السيئة ، وجهلهم حتى بابسط أساليب التخاطب اليومي ، وطريقــة معالجتهم للامور التي تعترض طريقهم •• فالمرأة التي هي (الزوجة الخيالية) جاءت من صعيد مصر لتزور زوجها الذي يقيم في باريس ، وأخــذت تتصرف في عاصمة النور كما كانت تتصرف في مصر فانطلق زوجها ينبهها الـى الاخطاء بأسلوب بسيط ••

يقول الزوج الذي خبر الحضارة وعاشها في باريس جوابا علــى سؤال زوجته التي اقترحت عليه تأليف كتاب في متن الكلام الذي يجهله أهل مصر، وسرعان ما تنبه الزوج الى حقيقة الواقع المرير الذي يعيشون فيه !

« ــ أألفه لمين ، الناس اللي لازمهم التعليم ، واللي أنا تابح حسي عليهم ما يعرفوش يكتبوا ولا يقروا مين حايوصل كلامي للواد البلدي الحافي اللي داقق على ايده قصر انس الوجود ، أو للفلاح اللي اسمه سالم أبو مصباح من جهة سندويل ، أو للمرة أم ملاية لف وبرقع بعروسة •• واللي هــم أغلبيــة الشعب • الوسيلة الوحيدة للفهم هي القراية والكتابــة ودول لا يكتبــوا ولا يقروا بقى ايه تنفع الكتب والجرائد ؟ خدي عندك مثلا الطريقة الامريكانيــة اللي بيستعملوها لصوص العاصمة مع الفلاحين والعبط والمغفلين • الجرايــد كتبتها الف مرة • وشرحتها الف مرة • واللي بيقروا وبيكتبوا كلهم عرفوها • ما عدا الفلاحين والعبط والجهلة • ما عندهمش خبر عنها بالمرة، وهي بتحصل لغاية النهارده وبكره •• »

كتب محمود بيرم التونسي هذا الكلام في العشرينات ، وهــو يعيش في باريس مشردا منفيا لا يجد قوت يومه الا بكل عناء ومشقة ، وله سنوات طوال لم ير بلده ، ومع ذلك فقد ظل قلبه وعقله لا يشغلهما غير « الــواد البلــدي الحافي » و « الفلاح سالم سالم أبو مصباح من جهة شندويل » و «المــره أم

ملايه لف ، وبرقع بعروسة » .. لا يرى مظهرا من مظاهر التقدم في باريـــس الا تذكرهم وتمنى لــو أخـــذوا بـــه ، وتخلــوا عـــن كـــل مظاهـــر جهلهـــم وتخلفهم .. ومن اجل ذلك ملا الصحف بالازجال والحواريات والمقـسمـات ، ولم يدع عادة من العادات السيئة الا ونبهنا اليها ، وهجانا من أجلها بكلماته المقذعة ، لكي نقلع عنها ونلحق بركب الحضارة والتقدم ..

ولكن وا حسرتاه.. ان الذين كتب من أجلهم كل ذلك.. لا يقرأون ولا يكتبون .. فكيف يصلهم كلامـــه ؟

لقد وضع بيرم اصبعه في ذلك الوقت المبكر على موضع العلة في جســـد امتنا ، وشخص بوضوح تام أخطر اسباب تخلفنا .. وحدد في الوقت نفســـه الطبقة التي يتجه اليها بفنه ، لولا عجزها عن القراءة والكتابة ، وهي الطبقـــة التي ينبغي أن يتجه اليها كل فن أصيل ، بل كل عمل وبناء واصلاح ، لانهـــا غالبية الشعب وصاحبة كل الحق فيما تنتجه أيديها من خير ..

ولم يكتف بيرم بتحديد العلة وتشخيص المرض ، بل أخذ يتتبع اسبابـــه حين يقول لزوجته في الحوار :

« ــ والمصيبـــة دي اسبابهـــا الفقها والمفتشـــين والبهوات اللي في وزارة المعارف ، واللـــي محكمين رأيهم ان كل شيء لازم ينكتب باللغتى العـــربيتى الفصحى

ــ اه ، اه ؟

ــ اديكي انتي ما فهمتيش كلمة واحدة من كلامهم واسمك مره عاقلـــة كاملة عمرك ثلاثين سنة ويش حال يقى العيل اللي عمره ست سنين لمـــا يقعدوه ويقولوا له « كانا فعلون ماض ناقصون مبنيون على الفتحى لا محلا لهو مـــن الاعرابي » ..

انتي فاهمة ؟

ــ ابدا !

ـ والواد راخر ما يفهمش يقوموا ينزلوا عليه بالعصايـة واللكاكيـم والمراكيب مع ان كلمة « كان » الواد عارفها وفاهمها طيب من قبل ما يشوف خلقتهم • لكن لما يلاقيهم بيعلموه بالشكل ده يفتكر نفسه حمار وان حضراتهم العلما الكبار اللي عندهم حل الطلاسم • يقوم عقله يتبرجل ويضيع ولا يعرف يروح ولا ييجي ويكره الدروس والمعلمين ويهرب على قد ما يقـدر • وحياة شنبي ان ما قعد الشعب المصري خمسة تلاف سنة تانيين وهـو كـدا تسع اعشاره جاهلين ما أيقاش السيد •• دا حتى يا ولية معظم اللي بيكتبوا ويقروا ما يفهموش لغة الجرايد والكتب •• »

وبعد أن شخص المرض وتتبع اسبابه يمضي بالحوار بين الزوجين المغتربين الى ذكر العلاج ، فتقول الزوجة :

« ـــ وحانعمل ايه بقى في غلبنا ، أدي احنا اتخلقنا كده خلاص •

ـــ نقوم نسكت ؟

قول لي ، انا والا انت بيدنا حاجة •

ـ طيب على الطلاق منك ، ومن كل مرة حاتجوزها اني اقدر اعلم الشعب القراية والكتابة في ست شهور •

ليه كنت عفريت ؟

« مصطفى كمال » كان عفريت ••

واذا كان بيرم التونسي لم يحدثنا في هذه الحواريـة التعليميـة عـن الاساليب التي اتبعها « مصطفى كمال اتاتورك » لتعليم شعب بلاده في ستـة اشهر ، فالحق ان هذا ليس عمله ؛ يكفيه ان وضع اصبعه على الداء ، وعرف اسبابه ، وأشار ألى وسيلة العلاج ، وعلى رجال السياسة والتعليم أن يبحثوا الاساليب التي اتبعها مصطفى كمال وغيره من المصلحين الذين علموا شعوبهم ، ويأخذوا منها ما يصلح لبيئتنا وشعبنا •• ولكن يبدو أن احدا منهم لم يفعل ، اذ ما زالت مشكلة الامية قائمة بنفس حجمها الرهيب تقريبا •• رغـم مـرور حوالي نصف قرن على حديث بيرم !!

الاستشهاد السابق ليس الا جانبا من حوارية واحدة من بين اثنتي عشرة حوارية يضمها كتاب « السيد ومراته في باريس » ، وهو كتاب شبه مجهول بين دارسي ادبنا رغم اهميته البالغة في تاريخنا الفكري ، بالاضافة الى اهميته الفنية من حيث حسن تمثل كاتبه للغة الحوار العامي وادق مصطلحاته وتعابيره، حتى لقد اختارته جامعة برلين ليدرس في قسم اللغات الشرقية كنموذج للهجة العامية المصرية . كما كتب بيرم على غلافه باعتزاز واضح .

ومن الغريب ان بيرم ـ كما يقول في مقدمته القصيرة ـ كان يكتب هذه الفصول ـ او « المقالات » كما يسميها ـ بعد ان يفرغ من تحرير احدى الصحف الاسبوعية ، ليكمل بها ما بقي من مساحة احدى الصفحات ، معتقدا انها لن تلقى شيئا من اهتمام القراء ، فاذا بها تحظى وحدها بهذا الاهتمام ، حتى ليطبعها صاحب الجريدة في كتاب يروج ، ويعيد بيرم طبعها مرة اخرى بعد عشرين سنة .

والكتاب في الحقيقة رحلة من نوع خاص في سلسلة الرحلات الاوربية التي كتبها رواد الفكر الحديث ابتداء من رفاعة الطهطاوي في « تلخيص الابريز في أخبار باريز » .. وتعتبر هذه الصور مواجهة العقل والوجدان للحضارة الاوربية الحديثة بعد طول الانفصال والتخلف ...

ومن الطبيعي ان تسفر هذه المواجهات عن مقارنات بين الاوضاع والعادات التي عرفها الكاتب ونشأ عليها في بيئته المصرية وبين مظاهر التقدم والتحرر التي بهرته في أوروبا ، وان تختلف هذه المقارنات باختلاف اهتمامات كل كاتب والزاوية التي يتطلع منها الى هذه الحضارة المتقدمة ..

اما بيرم التونسي فيكفي المثل الذي سقناه في مستهل الحديث لتتبين طبيعة الزاوية التي سيرى منها هذه الحضارة ، انه يعيش في باريس حقا ، ولكنه يحمل في عقله وقلبه وكل كيانه هموم « الواد البلدي الحافي » و « الفلاح سالم سالم ابو مصباح » و « المرة ام ملاية لف وبرقع » وامثالهم من ابناء الطبقة الكادحة المهضومة التي نشأ بينها ، وبقدر ما احبها وتعلق بها

كره الكثير من عاداتها السيئة وكل مظاهر جهلها وتخلفها ، فلم يستطيع ان يرى اي مظهر من مظاهر التقدم الحضاري في باريس الا من خلالها ومن اجلها ، وكل سطر في «السيد ومراته في باريس» موجه اليها، لائم لها، ناصح وموجه لنسائها ورجالها او لكل « سيد » ومراته ممن يملأون مدن مصر وحواريها •• وآه لو كانوا يقرأون !

ويلائم هذا الهدف تماما ويؤكده ان يكون الكتاب كله عبارة عن حوار متصل بين زوجين من ابناء هذه الطبقة الكادحة الزوج « أفندي فقير » على قدر كبير من الثقافة ونفاذ البصيرة ••

« ــ عارفة من ايه ؟ ••• لاني قلبي صافي ، ونيتي نضيفة ، ولا اقولش غير الحق ولو على امي ، يقوم ربنا سبحانه وتعالى يبعث لي شعاع من نوره امشي عليه وافهم بيه كل شيء • »

اما الزوجة فهي نفسها تلك « المرة ام ملايه لف وبرقع بعروسة » بكل عاداتها السيئة وسلامة فطرتها وخفة ظلها ودلالها الانثوي•• في السطر الاول من الكتاب تقول :

« كدهو يا راجل تقلعني ملايتي وبرقعي وتخليني امشي في السكة عريانة ؟ »

فيجيبها الزوج بلسانه السليط :

« ــ عايزه تمشي في باريز بالملايه والبرقع عشان تلمي علينا الناس ؟ ما كنا احسن نجيب معانا قرد وحمار لجل تكمل الفرجة ، انتي كده وانتي عريانه تبقي مستورة اكتر ، واحدة في وسط ، مليون ما حدش عارفك ان كنتي من مصر والا من قبرص •• »

ويمضي « السيد ومراته في باريس » بهذا الاسلوب التعليمي المشوق ، مقارنا بين مختلف مظاهر التخلف في مصر وما يقابلها من تقدم حضاري في باريز، مبتدئا بنظافة الشوارع عندهم وقذارتها في مصر، الى المطاعم والفنادق،

وآداب المائدة ، وباعة اليانصيب وماسحي الاحذية « اللي المحافظة مسيباهم على الشعب المصري » ، وعادات الطعام والملبس والعبادة واللهو والاستحمام . والحلاقة ، وتأمينات العمال ، واساليب التجارة وحي العاهرات، وتربية الاطفال ، وعمل المراة ، والاباحية في العلاقات الجنسية . . الى غير ذلك من التجارب التي عاشها بيرم في باريس أثناء سنوات نفيه الطويلة .

واذا كان قد قسا في وصف تأخرنا وأقذع في سب عاداتنا المتخلفة ، فلم يفعل ذلك الا من فرط الحب :

« عمال افتكر البلاوي اللي في بلدنا ودمي يغلي ، والله يا شيخه مسيري تنزل على نقطة .. »

وقدترسب في نفسه ان الله لن يعاقبه على هذا الباب ، بل على العكس من ذلك :

« حا يسامحني ويكافئني مكافأة عظيمة على شتمتك ، لانكم ماتتربوش الا بالكلام اللي يوجع .. »

وآه لو كانوا يقرأون !!

و « بيرم » لا يرى عيبا في فضح مظاهر تخلف بلاده بالقياس الى فرنسا فالعيب عنده أن ندفن رءوسنا في الرمال ولا نبصر ما بنا من سلبيات ونواقص:

«اهو دا اللي تاف املنا . نخاف نجيب سيرة المصايب ونختشي نتكلم في المواضيع الوسخة، يعني معناها أن الاوساخ تفضل زي ماهية مغطية محدش ينبشها او يفحصها لا الشعب ولا الحكومة »

غير ان « بيرم » حين يعرض لتفصيلات دقيقة من عاداتنا ويقارنها بعادات الباريسيين بأسلوب حي يعتمد على الصور الحركية والمبالغات المضحكة (الكاريكاتير) ... بيرم حين يفعل ذلك ببراعة وتشويق وخفة ظل لا يتوه بين التفصيلات ، ولا يتوقف عند المظاهر ، بل ينفذ من خلالها الى جوهر الحضارة

الاوربية والأسس التي اقامت عليها تقدمها ، وهي العمل ، والحرية ، واحترام حرية الاخرين وكرامتهم ، وحرص الدولة علـى رعايـة العاملـين وضمـان حقوقهم ... الخ ، ومن امثلة ذلك قوله :

« من الساعة ٦ صباحا ما تلاقيش في اوربا كلها مخلوق نايـم في الفرش الا اللي في المستشفيات، وعلى كده استعمرونا وشغلونا فعله ندحرج لهم براميل البيرة ونشيل بالات القطن وما اشبه .. »

« .. استهيالي ان الرحمة كلها ربنا حاططها هنا ، ده مفيش هنا كبير او صغير ينام من غير عشا ، البطال اللي ما عندوش شغل ياخد اعانة ماياخدهاش اربعة عمال عندنا بعرق جبينهم ، والعاجز له اسبتالية وملجأ محروم منه واحد باشا عندنا ، فأن كنتي فاكره ان الرحمة هي ان جارتك تبعت لك صحن طبيخ فمفيش كلام من ده هنا .. »

وحين تقول له الزوجة مثلا ان عندنا في مصر المدارس والملاجيء وكـل شيء يجيبها بقوله :

« تقليد بس ، اهو كل شيء موجود في اوربا موجود زيه في مصر ، لكن فين ؟ موجود لطبقة مخصصة . يعني ان قلنا يا حافيين يطلع لي واحد أفندي يمد جزمته في وشي ويقول لي أمال دي ايه ؟ عمى ؟ واذا قلنا يا فقرا يجي لي واحد باشا يقول لي : كذاب ، انا عندي عشر تلاف فدان . تعرفي لمـا يبقـى الشعب كله بشوات وبهوات وقصور واتومبيلات ، الابهة دي كلها تضيع لـو كان في السكة ولد مهربد نايم على البلاط ، او واحد حافي وسخ بتاع مدمس سارح بقدرة مزفتة على عربية ، أو واحد حافي ماشي يهرش في خربته وكـل خطوة والتانية ينف تفه تملا سلطانية عاشورة . والوساخة تبان اكتـر مـن النظافـة . »

وحين يبدي السيد افندي اعجابه بنظام المحاكم الصغيرة الموجـودة في اقسام البوليس بفرنسا للحكم في المنازعـات الصغيرة وتنفيذ الحكم فـورا، يضيف :

« ما عندناش احنا محاكم صغيرة للامور المستعجلة اللي يتفصل فيها في الحال ؛ وعدم وجود محكمة من النوع ده بتخلي الناس تخلص حقها بأيدها ، ولذلك تسمعي أن واحد قتل واحد عشان بصله وعشان مليم ، ودا جاي منين ؟ لان الباشوات اللي بيعملوا القوانين ما بيجرى لهمش مشاكل من النوع ده ، كلها بتقع بين الفقراء وبعضها وعلى كده ما يلزمش تشريع . »

واشادة بيرم بمظاهر الحضارة والنظام والنظافة والتقدم في باريس ليس معناها تخليه عن عروبته او استسلامه التام لنموذج الحياة الباريسي ، فما أكثر العادات والتقاليد التي عبر عن عدم رضاه عنها ، فقد رفض « السيد » ان يسمح لزوجته بالرقص او تزجيج الحواجب مثلا ، وعبر في اكثر من موضع عن اعتزازه بقوميته واسلامه :

« بقى مفيش حاجة كويسة الا ومعاها خمسين مصيبة . صدقيني ان النظام الاسلامي أحسن نظام ظهر في العالم . الراجل مايشوفش غير مراته ، والمرأة ماتشوفش غير جوزها .. الخ »

وتزداد أهمية « السيد ومراته في باريس » حين نلاحظ انه يحوي افكار كثير من الازجال التي صاغها بيرم بعد ذلك ، مما يدل على تأصل هذه الافكار في نفسه وايمانه بها ؛ فحينما تعجب الزوجة لنظافة شوارع باريس في مستهل الكتاب ، يرد عليها الزوج بقوله :

« الشوارع نضيفة لان الشعب نضيف ؛ ولما يبقى الشعب وسخ وكل واحد يرمي في الارض اللي يقدره عليه ربنا من قشر خس وزعازيع قصب وورقة فيها قشر سمك ؛ الشارع يبقى مزبلة » .

فكأن بيرم كان يضع في هذه السطور مسودة زجله الرائع الذي كتبه بعد ذلك بسنوات :

« حاتجن يا ريت يا اخوانا مارحتش لندن ولا باريز

دي بلاد تمدين ونضافة وذوق ولطافة وحاجة تغيظ

مالقيتش جدع متعافى وحافي وماشي يقشر خص

ولا شحط مشمرخ افندي معاه عود خلفه وتازل مص

ولا لب أسمر وسوداني وحمص وانزل يا تقزقيز . »

والامثلة على هذه الظاهرة كثيرة في (الكراس) وفي أزجال بيرم التي تغلب عليها الروح التعليمية الواضحة في كتاب « السيد ومراته في باريس » ، ونفس الاسلوب الهجائي المقذع الصادر عن الحب العميق للشعب ، وطبقاته الدنيا بصفة خاصة ، واعتزاز بانتسابه اليه رغم كل عيوبه وسوءاته .. اسمعه يقول في ختام الزجل السابق :

« دول كنا أحسن منهم ، قول ومصيرنا باذن الله

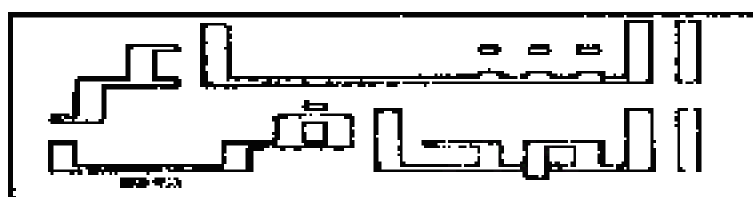
نبقى أحسن منهم يرضه بعد السمك اللي اكلناه

ودا عيب وهوان تتهجي دروس يا أساتذة على التلاميذ

خاتجين ياريت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز »

وكان النجاح الكبير الذي حققه « السيد ومراته في باريس » حافزا لبيرم لكي يؤلف كتابا اخر على نسقه أسماه « السيد ومراته في مصر » ، غير ان الكتابين لم يحظيا بما يستحقانه من درس وانتشار رغم اهميتهما البالغة ، اذ طغت عليهما شهرة ازجال بيرم وأغانيه .

* * *





الحديث عن بيرم التونسي الشاعر الصحفي يحتاج الى مجلد لوحده ، فالرجل الذي عمل صبي بقال ، وتاجرا صغيرا سرعان ما أفلس ، دخل الى ميدان الصحافة من بابه الواسع ، وكان ذلك عام ١٩١٩ ، عام الثورة ، وعام النضال ، وعام اعلان الحرب الحقيقية على الاحتلال .

في الرابع من شهر مايو ١٩١٩ صدر العدد الاول من (المسلة) وكتب على غلافها :

بقلم محمود بيرم التونسي ، صاحب قصيدة المجلس البلدي . وقد سميت المجلة باسم (المسلة) اقتباسا من مسلة الاسكندرية الاثرية ، فضلا عما يحمل هذا الاسم من اشارة الوخز والطعن ..

انتقل بيرم بهذه المجلة من الاسكندرية الى القاهرة بعد أن أصدر منها بالاسكندرية عددها الثاني ..

في القاهرة رأى الشاعر الصحفي المفاسد والاستبداد والاستهتار ، وغطرسة الاحتلال ، فنشر في عددها السادس زجله اللاذع ضد السلطان (أحمد فؤاد) ، ثم نشر في العدد الثالث عشر زجلا آخر يطعن في مولد فاروق وصدر أمر سلطاني باغلاق هذه المجلة ، وأخرج بيرم من مصر بعدما صدر العدد الثاني من مجلة (الخازوق) ثم أغلقت هي الاخرى .

انقطعت صلة الصحافة بالشاعر كصاحب جريدة حتى عام ١٩٣٢ حين عاد خلسة الى مصر واشترك مع الاستاذ عبد العزيز الصدر في تحرير جريدة الشباب .

في هذه الفترة نشر بيرم المقامات ، وداعب الشعراء ، وابتكر أنواعا من الابواب الصحفية لم تكن الصحافة المصرية قد ألفتها من قبل ، ونفي بيرم بعد أن افتضح أمره .

في تونس اشترك في تحرير جريدة اسمها الزمان .. وكان ينشر فيها أشعاره وأزجاله باللهجة التونسية . ولم تكن الصحافة في ذلك العصر مهنة سهلة يدخلها من هب ودب من عباد الله الفاشلين ، بل كانت مهنة شاقة وكان الكسب عن طريق هذه المهنة ضئيلا ، ومع ذلك فقد لاقت الصحف التي أصدرها رواجا لم تكن تألفه الصحف السائرة في ركاب الارهاب والظلم . كانت المبالغ الضئيلة التي يربحها بيرم تكفيه ثمن الطعام والدخان فقط ، وكان بيرم كأنداده من الادباء، كالشمعة التي تحترق وهي تضيء ما حولها..

عرف بيرم مهنة الصحافة ، وخبر أسرارها ، فاذا أضفنا الى ذلك ما عاناه في سبيلها لا نستغرب السخط عليها . وله في هذا المعنى قوله :

ياللا العجب على خلقتنا	والدود بيهري في جتتنا
وان كنت تلقى في صحافتنا	دوا الدمامل تستنكر
ان قلت يا حكومة جري	واحد فاتح له بيت سري
تقول لي طب ليه بتسوري	ما كان في حاله ومستتر
وان كنت أكتب في حكاية	لا طعن فيها ولا غايه

يقولوا تحريض وغوايه — على الفسق قوم امضي المحضر
وان كنت أكتب في الحكمه — وفي البخاري والختمه
وخالي جرنالي حشمه — عا الشكل دا الجرنال يخسر
عمك (زميعي) (١) عطا التصاريح — لكل جلنف جلنف قبيح
زلم بها في الناس تشبيح — لا خلوا سالم ولا بعجر
صحافي من همه وغمه — مسك القلم ونفث سمه
في واحدة من طبقة امه — والدون عالدون يشطسر

ولعل من أطرف ما كتبه بيرم في هذا الميدان ، ذلك الذي داعب فيه صديقه الكاتب ابراهيم عبد القادر المازني ، والاستاذ عباس محمود العقاد ، وقد وضع لكل منهما صورة كاريكاتورية بارعة ، ومنها ...

فرقة رمز

يا ابراهيم يا مازني .. ليه ما اعرفش ما لي
كل ما اكتب ، التقي طيفك قبالي
أحشرك في الوسط ، واعمل بك تقالي
قول لي ايه أصل السبب في دي الاسية
أخبرك ايه السبب في دي اللجاجة
أولا ، دمك خفيف خالي السماجة
ثانيا : انك ضعيف ما تقولش حاجة
لا زجل تنظم ، ولا ترفع قضية
من كده ، با امسك في زورك كل ساعة
لما ما القاش كلمتين أملا البتاعة
قال ما فيش غيرك هزؤ شوف دي الفظاعة
امتثل ، أمرك لخلاق البريه

---

(١) يريد به الاستاذ حجيمي بك الذي كان في حينه مديرا للمطبوعات

يا ابراهيم حيث ان باظ سوق الجرائد
قوم ندعبس عالمعاش يا ما موايد
مدها سيدك بلاش • فيها فوائد
اللي يلهف ، واللي يلهط ، مستوية

خد قفاية ، وهات قفاك ، وامسك معايا
طار صفيح ؛ والبس يا واد طرطور براية
واتمسح متلك ، واقطم لك حكاية
وندور احنا الجوز نزور الحلوجية

وان لبس عباس كمان زعبوط وضنأر
فوقه عمة مألوطة والشال مزهر
هوه بالارغول يتمتم ، واحنا نجعر
عاالطبل تنجع تمام الكومبانية

ننجعص زي الذوات ، والعصر نسرح
في البلد ونشيل هموم الناس ونشرح
منها شغلة ، ومنها فسحة ، ومنها نربح
تبقى دي ، صدقني ، عين العبقرية

وان كسبنا نروح لعزمي الاحتياطي
بالفطاير ، والسجاير تحت باطي
بلكي — مين عارف — يجينا يوم نطاطي
روسنا في التخشيبة ، تبقى لنا الهدية

يا ابراهيم ، كار البلا ، الزفت ، الصحافة
تمشي فيه بس اللطايف واللطافة
اما جبار مثلي ، او صاحب سخافة
متلك انت ، الفقر اولى بيك وبيه

حيث بأن الشعب ماسك لك خصومة
من زناخ عقلك ، تناضل لي الحكومة
قول لهم ينفوك ، واحظى بك يا بومة
او يخلوني أجيلك من عينيه

صب بيرم التونسي جام غضبه في الصحافة على رجال الدين المنافقين ، وكان يعرفهم ابان ثورة ١٩١٩ ويعرف عنهم الشيء الكثير . فما ان أصبح يملك جريدة حتى انبرى لهم بكل ما أوتي من قوة.. كان الانجليز يستعينون ببعض رجال الدين لتخفيف حدة الثورة ، وكان فريق منهم يتردد على القصر ، وفريق آخر يترد على دار المعتمد البريطاني وفي طليعتهم الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية الذي شوهد أكثر من مرة يدخل الى هذه الدار تحت جنح الظلام ، فانبرى له بيرم في قطع زجلية لا يمكن نشرها ومنها :

يا بخيت يا ابو دومة — يا بو خلقة مشومة
لا ديك بالشومة — ان كنت ما ترجع
ضبطوك متنيل — عالقصر متحول
تجري وتتشندل — وعامل لي واد مجدع
اتلم أحسن لك — دا الشعب قاعد لك
بالصرمة حيذلك — اتامل واسمع

ويتناول رجال الازهر الذين يعملون مع القصر الملكي بزجل آخر منه :

يا ازهر العلم انت ازهر صحيح وشريف
لكن مع العلم اهلك كلهم م الريف
طالبين اجور للمظاهرة كل خطوة رغيف
وجبة كشمير ، بقفطانها ومركوبها
وانشالله يحكمها مالطي يرعى في الحلاليف

وتنشر الصحف فضيحة علمية لمفتي الديار المصرية وبيرم في المنفى فيرسل بيرم هذا الزجل :

ستين سنة لاعمل تبيت — واشرب لي كبايتين نبيت
والعن ابو الشيخ كفريت — الكافر (الحادي عشر)
قلت لكم الشيخ ينجلد — قلتولي اخرج من البلد
قلت انت مالك يا ولد — حاتتحشر مع الغجر
حسبت شيخ الدولة تاب — جه هوه سخمها بهباب





لم يستطع أي شاعر معاصر أن ينافس بيرم التونسي في صياغة الاغنية ... ولم يتأت لاديب واحد أن ينتج ما أنتجه بيرم في حياته من أغنيات ..

كان فن بيرم في الاغنية فنا خاصا به فالاغنية عنده ليست كلاما مرصوصا ولا عبارات رخيصة ، ومعاني تافهة ، ولكن قطعة فنية ، نابضة من القلب والوجدان ؛ تحمل العبارة الرقيقة والمعنى الصادق ، في ليونة ملحوظة ، مع حسن صياغة . ثم هي تتميز بعد ذلك باطراد التطور فيها . فلا تجد بين أغنية وأخرى الا تجديدا وابتكارا ، مما يجعلانك تتصور أن بيرم يتذوق الاغنية ويحس بها ايقاعا وموسيقى ، قبل أن يدونها كلمات وعبارات . ومن ذلك لا تكاد تختلط عليك قطعة من انتاجه بين ما تسمع لغيره ..

وأغنياته من العذوبة ، وحسن التنسيق ، بحيث تلائم اللحن ، وتستجيب للنغم ، ويجد الملحنون فيها مجالا لنجاح اللحن الذي يضعونه لها ..

ونظم بيرم ألوانا شتى من الاغاني ، بعضها روايات مسرحية ، وأخرى سينمائية وبعضها ملحمات وقصص . كما نظم أناشيد شعبيـة . منها ما أنشده سيد درويش ، وأسمهان وفريد الاطرش ومحمد عبد الوهاب ونـور الهدى والسيدة أم كلثوم ..

كان يتقاضى من أم كلثوم على الاغنية الواحدة خمسة جنيهات، وكانت تتقاضى أم كلثوم في ذلك الحين ثلاثمئة وخمسين جنيها في الحفلة الواحـدة من الاذاعة المصريـة . وكـانت تتفضل عليـه بتذكـرة في الصف الاول ، ليسمع ويطرب ..

اشتد التصفيق عند مقطع احدى أغنياته الرائعة فأشارت له برأسها أي (شوف المجد اللي انت فيه ؟!.) فاذا به يشيح في الهـواء بأصابعـه العشر ملمحا بأن الاغنية تستحق عشرة جنيهات لا خمسة . فتضايقت أم كلثوم من هـذا الانـذار ..

السيدة أم كلثوم معروفة بالحرص ، دخل عليها مرة في ندوتها بدارهـا ولم يلق بسلام أو تحية بل جعل يحرك أصابعه طلبا لثمن أغنية .. فبادرتـه بقـولهـا :

أعوذ بالله . ان من يرى هذا الشكل لا يتصور أن صاحبه هو الـذي تصدر عنه هذه الرقة . والله !!. لو أن في الدنيا عدالة لكنت اليوم صانـع سفن وتشتغل فيها (قلفطي) ؛ والقلفطي هو من يقوم بسد خروق السفينـة بعد استكمال بنائها ، فيضج الحاضرون بالضحك . واذا بيرم يواجهها قائلا:

اسم الله عليكي يعني اللي يشوف الشكل ده يقول انه صاحب الصوت ده ... والله لو أن في الدنيا عدلة لكنت بائعة جبن . تضربـين في الاسواق مغنية عليها بقولك :

جبنة حلوم ، جبنة حلوة ، وأخذ يغني ويردد العبارة الاخـيرة ...

لقد صاغ بيرم أغاني أم كلثوم صياغة الفنان الذي يشكل تماثيله أنواعا

وألوانا . فلا يصنع تحفة منها كأخت لها .. وهي ان اجتمعت في معرض واحد اختلفت أشكالا وصورا وأهدافا . وهو لم يكن يحب ، ولم يكن ينطق عن لوعة ، ولكن عباراته كانت هي الحب وهي اللوعة ، بواقع من اللباقة والقدرة الفنية على صياغة العبارة .

ووري بيرم التراب ولم يشترك أحد من الفنانين والادباء في التعزية باستثناء رجل المروءة والوفاء ، ورجل الأخلاق والفن الأصيل المرحوم بديع خيري ، فقد حضر مع ضعفه ، وقضى وقتا طويلا يواسي أسرته ، وقد زاد في حسرة بديع خيري أن أم كلثوم التي كانت تشدو بأغنية بيرم ـ الحب كده ـ ساعة فاضت روحه لم تكلف نفسها بتعزية آل الفقيد ولو ببرقية تحوي بضع كلمات .. ولعل أم كلثوم قد امتنعت عن المشاركة بالتعزية بسبب خلاف استجد بينها وبين الشيخ زكريا أحمد رجل المروءة والفن الاصيل .. وقد تضامن بيرم مع صديقه الوفي .

كان سبب الخلاف كما سمعته من بيرم قبيل وفاته منصبا على الشيخ زكريا الذي كان يقدر نفسه حق قدرها ، ويريد أن يأخذ حقه كاملا في المقطوعات التي يلحنها لام كلثوم ، وطلب أجرا عدته عاليا فرفضت وامتنع زكريا عن التلحين ، ورفع أمر الخلاف الى القضاء ، ولما كان بيرم مرتبطا ارتباطا وثيقا بزكريا ، بحيث أصبح كل منهما جزءا مكملا لاخيه ، فقد لجأت أم كلثوم الى ملحن غير زكريا وبالتالي الى مؤلف غير بيرم ، بعد ان انقطع بيرم عن التأليف تضامنا مع صديقه الفنان بالرغم من أن أغانيه لام كلثوم كانت تشكل موردا من موارده ، وحكم القضاء لصالح الشيخ زكريا ..

ووضع بيرم أغنية جديدة لام كلثوم بعنوان (أهو دا اللي جرى) وقدمها لزكريا أحمد ليلحنها ، فوضع لها الشيخ زكريا لحنا اية في الابداع ، أودع فيه كل ما كان يختزنه طيلة سنين الخلاف والتوقف عن التلحين لام كلثوم..

وقد بلغ هذا الشاعر الصناع القمة في صياغة الاغنية ، صنعة بارعة ، لا اثارة من حب او دافعا عن عشق . ولكنها العبقرية والمقدرة ، التي تميز بها

هذا الشاعر الفذ .. هذه العبقرية والمقدرة جعلته يتمكن من صنع المعجز . ولا تقف أغنية الى جانب أختها الا جديدة عليها ، مختلفة عنها في النسق والسياق ، بل النغم والايقاع .

وقد غنت أم كلثوم جميع منظوعاته التي ألفها لتغنيها ..

ـ انا وأنت .. وكل الاحبة اتنين اتنين ، ايه أسمى من الحب ، وأهل الهوى يا ليل ، وراح فين حبيبي ، الاولة في الغرام ، والاهات ... والامل ، وانا في انتظارك ، حبيبي يسعد أوقاته ، ونور محياك ، وعيني اه عيني ، شمس الاصيل ، وهوه صحيح الهوى غلاب ، وبعد الصبر ما طال ، وصوت السلام ، دلال حبيبي ، الخ ...

هذا عدا أغانيه التي نظمها لها في فيلمي سلامة وفاطمة ، وغنتها ، وهي كثيرة منها :

ـ ظلموني الناس ، ويا صباح الخير .. وغني لي شوي شوي ، وبرضاك .. وسلام الله .. وقولي ولا تخبيش يا زين ..

ونعرض ألوانا من انتاجه في الاغنية التي أنشدتها أم كلثوم ،

الآهات

آه من لقاك في اول يوم ونظرتك ليه بعينيك
خاصم عيوني ليلتها النوم وبت أسأل روحي عليك
يا هلترى راح يعطف على فؤاد متلهف

تقول لي روحي ... آه

واقول لقلبي يا قلبي حبه يعادل حبي

يقول لي قلبي ... آه

العقل يا ربي ضايع ومتبدد والقلب في جنبي يسكت ويتنهد
آه من لقاك في أول يوم ومن رجايا ومن حبي آه

وآه لما بلغت آمالي وفرحت بك والجو صفالي

ومليت كاساتك وسقيتها لي

اشرب بايدي كاس يرويني واشرب بايدك كاس يكويني

بات السرور كله بيني وبينك متقسم

والزهر ويانا ينظر ويبتسم

يا دي النعيم اللي وجدناه واللي دخلناه ..... آه

ده الانس كان انت والابتسام انت

ما احسبش ده كله في يوم يضيع مني

وآجري ورا ظله اللي ابتعد عني

ما تقول لي فين انت

آه يا للي است وهديت آه ياللي اضحكت وابكيت

آه من رضاك وصدك آه

شمس الاصيل

شمس الاصيل دهبتخوص النخيل يانيل

تحفة ومتصورة في صفحتك يا جميل

والناي على الشط غنى والقدود بتميل

على هبوب الهوى لما يسر عليل

يا نيل

يا نيل انا واللي أحبه نشبهك في وفاك

لانت ورقت قلوبنا لما رق هواك

ووصفنا في المحبة هوه هوه صفاك

ما لناش لا احنا ولا انت في الحلاوة مثيل

يا نيل

انا وحبيبي يا نيل نلنا امانينا

مطرح ما يرسي الهوى ترسي مراسينا

والليل اذا طال وزار تقصر ليالينا

واللي ضناه الهوى باكي وليله طويل

اهــل الهــوى

أهل الهوى يا ليل فاتوا مضاجعهم واتجمعوا يا ليل صحبة وانا معاهم
يطولــوك يا ليــل من اللي فيهــم وانت يــا ليــل اللــي عالــم بيهم
فيهــم كسيــر القلــب والمتــألم واللي كتم شكــواه ولــم يتكلــم
واللــي قصــد بعد الحبايب وحده وبات حزين يشكي ضيامه ووجــده
يشكوا ولا المخلوق سمع شكواهم الا الكواكــب في السما سامعاهم
يطولوك يا ليل ، بالسهد والافكار والشمس بعد الليل تطلع عليها نهار
وبعــد طــول الليــل تعــود لهــم يــا ليــل
ويسألــوك يــا ليــل امتــى تعــود يــا ليــل
ناس مــن قلوبهــا تقــول يا ليل وناس على الارغول تقول يــا ليل
احنــا معــانــا بــدر طالــع في ليلــة القمــدر
فيهمــا حبيــب القلــب وافــي ووفــي النــدر
هــو يقــول يــا ليــل يــا ليــل واحنــا نقــول يــا ليل يــا ليــل

وكلنا بنقــول يا ليــل

هوه صحيح الهــوى غلاب

هوه صحيح الهــوى غلاب مــا اعرفشــ انــا
والهجر قالوا مــرار وعذاب و اليــوم بسنــة
جاني الهوى من غير مواعيد وكل ماده حلاوته تزيد

ما احسبش يوم حا ياخــدني بعيد

ويمتي قلبــي بالافــراح وارجع وقلبي كلــه جراح

ازاي يا ترى

أهو ده اللي جرى

ما اعرفش أنا

نظرة وكنت أحسبهــا سلام وتمــر قــوام
أتاري فيها وعــود وعهــود وصــدود والآم

وعـود لا تصدق ولا تنصان   وعود مع اللي مالوهش امان
وصبر على ذلة وحرمان
وبدال ما اقول حرمت خلاص   أقول يا ربي زدنـي كمـان
ازاي يـا ترى
أهو ده اللي جرى
ما اعرفش أنا

ألف بيرم أغنيات لصالح عبد الحي ومنها قطعة البنفسج ، وهي قطعـة من الادب الذي يمتاز بجمال العبارة ، وقوة التصوير ، بحيث تكاد تكـون ومضة من ومضات الوجدان وتألق القريحة المبدعة ..

البنفسج

ليـه يا بنفسج بتبهـج   وانـت زهـر حزيـن
والعين تتابعك وطبعك   محتشـم ورزيـن
ملموم وزاهي يا ساهي   تسـم تبـوح العـين
بكلمة منـك كأنـك   سـر بـين اثنـين
حطوك خميلـة جميلة   بـين صدور الغيـد
تسمع وتسرق ، يزرق   الهمسـة والتنهيـد

ونظم بيرم أغنيات لمحمد عبد الوهاب ، وهي أغنيات ريفيـة ، تصور طبيعة الريف ، والمحصول ، والبرتقال ، والقمح ، ويجمع النقـاد علـى أن تيار أغاني الحب قد جرف المؤلفين الغنائيين باستثناء بيرم ، فهو الوحيد الذي أخلص للزجل في ألفاظ أغانيه وأوزانها ، وكتب بيرم قطعة صور فيها من عهد بعيد ، مأساة الاغاني عندنا ، وكأنه ينطق بلسان الكثيرين ممن تثيرهم هـذه المـأساة ..

يا أهل المغنى ، دماغنا وجعنا ، دقيقة سكوت للـه
داحنا شبعنا ، كلام ما له معنى ، يا ليل ويا عين ويا آه

طلعت موضة • غصون وبلابل • شبط فيهـا حزين
شاكي وباكي • وقال مش عارف• يشكي ويبكي لمين
واللي جابت له الداء والكافية• طرشه ما هش سامعاه
يا أهل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت للـه
ردي عليه يا طيور بينادي • وارمـي له الجناحـين
وانت كمان يا بابور الوادي • قل له رايح على فـين
قـل لـه ايـاك يرتـاح يا وابـور ، ويريحنا معاه
يا أهل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت للـه
كل جدع فرحان بشبابه • يقـول فـي عينيه دموع
ياللي جلبتي شقاه وعذابه • حلـي لنـا المـوضوع
طالـع نازل • يلقـى عـوازل • واقفـه بتستنـاه
يا أهل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت للـه
حافظين عشرة اتنـاشر كلمة • نقـل مـن الجرنال
شوق• وحنين• وأمل• وأماني• وصد• وتيه• ودلال
واللي اتعاد • يتزاد • يا اخوانا • وليل ونهار هـواه
يا أهل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت للـه

كانت اخر أغنياته هي قطعة ألفها ومات قبل ان يتـم لحنها وعنـوانها

دلال حبيبي

دلال حبيبـي محـيرنـي — بس اروح علـى فين
أقـول له ملكتـك قلبـي — خلـي لـي عقلـي

قال لي لاء •• •• لتنين

حكـم علـي أسـير ويـاه — والعـب فـي هـواه
خضعت لـه وبقيت أجاريـه — فـي اللـي امر بيـه
لعب الهوى دا جنان في جنان — ويا ريتـه مـا كـان

ويا ريت ما خليت كـل عزول يقـــول ويقـــول
واللوم علـى ولـد منين والاقـــي منـــين
وقلـت لـه عنـدك قلبـي وخلـي لـي عقلـي

قال لي لاء ... لتنين

فلدب بيرم في اغانيه لهجات البدو ، في اغنيات (غني لي شوي شوي) و (برضاك) و (قولي ولا تخبيش يا زين) وغنتها ام كلثوم في الافلام التـي اشتركت في تمثيلها ...

وهناك أغنية « صوت السلام » التي صور فيها « بيرم » براعـة انتصار الشعب على المتدين في العدوان الثلاثي على بور سعيد :

صوت السلام

صوت السلام هوه اللي ساد واللي حكم
على الدخيـل اللي اندحر واللي انهـزم
عـــدوتـــا لمـــا اعتـــدى
قـــدمنـــا أرواحنـــا فـــدا
واستعجبت من بأسنا كـل الامم
تـلاث أمـم يـا بـور سعيد متقدمـة
بدبـابـات وطيـارات تمـلا السـما

الاولة : داخلة للبلاد مستعمرة
والثانية : بعد الانكسار متجبرة
والثالثة : على العرب متأجرة

هدموا البيوت ، قتلوا النفوس ، وانمـا
احنا هدمنا عزمهم في الشرق كله ، ومجدهم
تـلات دول جايبـة العتـاد ، لكنهـم
متقدموش مـن بـور سعيد ولا قـدم

اسم السلام هو اللي ساد واللي غلب
وبدمنا الغالي على الارض اتكتب
لا يتمحي من أرضنا
ولا يزول واحنا هنا
متمكنين بحقنا
متسلحين بعزمنا
اعدانا شافوا البينة
اللي بنوه في سنين
في ساعة انهدم
شافوا العدا في مصر عزم ومقدرة
شافوا النفوس تنباع والله اشترى

شافوا الهوان واتندموا عاللي جرى
وعادوا بالخذلان والعار والندم

ماساة عودة الاديب الى وطنه هي ابلغ من ماساة تشرده

...لقد ضاقت الدنيا على بيرم بما رحبت واصبحت فرنسا وباريس عاصمتها امامه ضيقة، ولم يجد فيها قوته ولا عملا يعمله قط فسافر الى تونس فوجدها تعيش محنة الاحتلال بكل عنفها وضراوتها فتركها الى دمشق كما ألمعنا، ولكن المفوض السامي الفرنسي الذي كان يحكم سورية اذ ذاك أصدر أمره اليه بأن يبرحها حالا ولما لم يرضخ للامر قبض عليه ووضعه في باخرة بارحت اللاذقية في طريقها الى فرنسا تحمله مرة أخرى .. واجتمعت في نفس بيرم عوامل الاسى والحسرة والالم وهو يرى نفسه لا يستطيع ان يقيم في بلد عربية فهي معظمها تحت الاحتلال الاجنبي، وسارت به السفينة تمخر عباب البحر الابيض في طريقها الى مصر ومنها الى فرنسا، ووصلت الباخرة الى بور سعيد في يوم قائظ من أيام صيف عام ١٩٣٨، فهرب كما أشرنا، ومكث في القاهرة مختبئا .. وبعدها ظهر في القاهرة بأمر من النحاس باشا وبمساعدة

بعض أصدقائه (خلافا لما يرويه نجله محمد بيرم التونسي الذي أصدر كتابا أغفل فه نضال والده وأبرز منه الجانب الذي كان الفقيد يستره ..)

وانتقل يحرر بالقروش القليلة في بعض الصحف (دار الهلال ، روز اليوسف) . واتجه بنشاطه الى تأليف الاغاني والروايات فألف لفرقة ملك رواية (طباخة بريمو) و (سفينة الغجر) ، وهما روايتان تجلت فيهما عبقرية بيرم على طبيعتها ، وعلم الناس الذين لم يكونوا قرأوا له او اتصلوا به أي جبار أدب ذلك المطارد المختبيء ، وبعد فترة من الزمن بدأ يظهر في المجالس ويتصل بالادباء والاوساط الفنية ، وكان لظهوره رنة فرح شديدة في نفوس عاشقيه ومقدريه ، وأخذ يملأ الصحف بانتاجه في كل ناحية .. ألف للمسرح وللسينما ووضع مئات من الالحان لمختلف الروايات ومئات من الازجال .. واختص وحده دون سواه بالتأليف باللهجات البدوية ومحاكاة جميع لغات البلاد العربية ، وتجلى ذلك بصورة واضحة في رواية (عنتر وعبلة) و (رابحة) و (سلامة) وغيرها وغيرها مما لا يستطاع حصره ولا حتى الالمام به في هذه الصفحات .. لقد وضع بيرم لام كلثوم أغاني خلدتها وخلدت الغناء العربي وتولى الفقيد الكبير الشيخ زكريا أحمد الموسيقار تلحين هذه الالحان فاجتمعت العناصر الثلاثة فجاءت اية في الابداع .

ومن ذا الذي ينسى لبيرم أنه مؤلف الاهات التي تشدو بها أم كلثوم فتهز أوتار القلوب ، وتتمشى في حنايا الضلوع حينما تقول :

اه من لقاك في أول يوم ، ومن ذا الذي ينسى أغنية بيرم التي أدخلها لاول مرة على فن الغناء وهي : (أهل الهوى يا ليل ، فاتوا مضاجعهم)

او أغنية :

الاولة في الغرام والحب شبكوني ــ والثانية بالامتثال والصبر امروني ــ والثالثة من غير كلام رحوا وفاتوني ...

الاوله في الغرام والحب شبكوني بنظرة عين .

والثانية بالامتثال والصبر امرونــي ، واجيبه منين ••

والثالثة من غير كلام راحوا وفاتوني ، قولوا لي فين ••

راح فين حبيبي •••

أو من ذا الـــذي ينسى أغنيـــة :

انـــا فـــي انتظـــارك خطيت ايدي علـــى قلبـــي وعديت
بالثانيـــة بعـــادك ولاجيت يـــا ريت يـــا ريت يـــا ريت

أو أغاني رواية سلامة التي يعرفها كل انسان •

او شمس الاصيل أو عشرات غيرها مما تشدو به أم كلثوم كـــل يـــوم وتذيعه اذاعات الدنيا •

ولقد ألف بيرم أغنية واحدة لعبد الوهاب في أحد أفلامه وهي :

ما أحلاها عيشة الفـــلاح مطامـــن قلبـــه مرتـــاح

ثم لم يتفق معه فانقطع عن الكتابة له • وألف لاسمهان في رواية غرام وانتقام لحن ••

أنا اللي أستاهل كل اللي يجرالي الغالي بعته رخيص ما بحسبوش غالي

وكتب لفريد الاطرش عشرات الاغاني •• ومن يريـــد أن يؤرخ لبـــاب الاغاني وحدها من فن بيرم فهو في حاجة الى مجلدات ••

روى لي الفقيد محمد مصطفى حمام أن بيرم ذهب لزيارة صديـــق لـــه يعمل في الحكومة ، وحين حاول مقابلته منعه الحاجب فذهب الـــى المقهـــى وكتب زجلا سلمني اياه •• وحين أطلعت عليه العقاد صفق أكثر من مرة وكان يستعيدني اياه ، ثم سجله •• ويذكر حمام بعض أبيات هذا الزجل :

دخلت قســم الخليفة اطلب الكوبونـــات
لقيت شاويش منتفـــخ بيبـــرم الشنبات

قريت عليه السلام بالقــول وبالاشارات
قال لي ارتكن لما ييجي الباتشاويش بركات
وقفنــا شلــه الــى ان يحضر المذكــور
ولمــا فــات المعــاون وقفونــا طابــور
ولــا شــرف سعــادة عــزت المأمــور
خلانــا نذكر الــه الارض والســموات
قلت التذلل الــى الحاكــم مهش عيبــه
والــدولة يلــزم لهــا التفخيم والهيبــه
او يصبــح الشــر بالقنطــار وبالويبــه
ولا السجون والحديــد ولا اللومانــات
ولمــا جيت يــا جماعــة مجلس الوزره
حسبت روحي راح ادخل في بلاط كسرى
حجاب ورا كــل باب واقفــين بالعشرة
وكل حــاجب وباشحــاجب عليه زغــره
تغير الدم مــن حمره الــى صفــره
لكن أخينــا العزيــز لمــا دخلت عليــه

غير يقيني وأخلف ظني بالمرة

ويختم هذا الزجل الرائع بقوله :

يا ابو كمال دا الظهــور والابهة لازمــين
لاي واحــد يحصل مركــزك يا فطــين
ما تبص للي يجيلــك بصتــين حمشــين
ولا الجرس اضربه وازعق شمال ويمــين
هات السكرتير وقل له كلمتين جامديــن
خليت ديوان الرياسة مثل من الدواوين
عيادة او مصطبة دكــان من الدكاكــين
قال لي كمال واسمعوا ده القول يا سامعين
قال لي مش الــدنيا فانية قلت له حقــه
قال ايه مراد ابــن ادم قلت لــه طقــه

قال ايه يكفـي منابـه قلت لـه شقـه
قال ايه يعجـل بعمـره قلت لـه زقـة
قال لي مـا حدش مخلـد قلت لـه لاءه
قال لي ما دام ابن ادم بالصفات دي تويت

احفظ صفات ابـن آدم كل ما اترقـى

***



حدثني الاديب الاستاذ محمود العزب موسى قال :

ففي ذات مساء سعى الــي صديقي المرحوم حسن فهمي رفعــت باشا ، وكيل الداخلية ، وقال : ارجو ان تشترك معي في وضع نظام لينام على هديــه احد الاصدقاء ، بحيث ينام عند قوم بعيدين عن منطقة البوليس وشبهته ... فوافقت ثم انحرفنا الى مقهى صغير بشارع (جامع جركس) فاذا بهذا الصديق هــو بيرم .

بيرم بشحمه ولحمه . بقضــه وقضيضــه . انسان مكتنــز ... ذات الوجوم .. وذات الصرامة .. وذات الاسلوب . كل هذه النزوات مجتمعة وعلى التوالي تؤلف بيرم التونسي بعد العودة الى الوطن . ..

من امثال العوامل السابقة تألفت شخصية بيرم الحزينــة والعاتيــة . وزادت في وجومه ونفوره من الناس عوامل شخصية لا مجال هنا لذكرهــا ، يعرفها كل من عاشر هذا الانسان الطيب . كانت لفافة التبغ سلوله الاخيرة ،

فقلما كان يشاهد بدونها ، كانت دائما في فمه ••• الرمـاد كالنجوم الهاديـة ينكدر على المائدة • والدخان كارواح الحالمة يتصاعد الى فوق ••• والبقايا ـ الاعقاب ـ كالحياة الذليلة ، يلقي بها في منفضـة او تداس علـى الارض بالقدم •• اما هو ، فالنبع الفوار ، ماؤه رقيق ، ومذاقه رحيق • •• اغانيـه فلسفات ••• وانك لتسمعها من كل اذاعة في شتى انحاء الارض ••

ولما الف اغنيته ـ وحدة ما يغلبها غلاب اسمعني اياها غناء علـى النحو الذي سمعته فيما بعد ، والحق تلحينها بالملحن عبد العظيم عبد الحق • كـان يريد ملحنا يقبل تلحين بيرم ثم وجد الملحن •••

في الحرب العالمية الاولى ، اصدرت انجلتره بلاغا تقول فيه :

اعلنت مملكة الجبل الاسود الحرب في صف الحلفاء ، وكـان المصريون يتمنون فوز المانيا رغبة في الخلاص من الاحتلال البريطاني وسخر بيرم مـن هذا البلاغ فقال ••

فتشت كل الخريطة احترت أشوفك فـين
بس اللي سماك جبل جاب الكلام ده منين
ملك ومجلس وزارة وبرلـمـان وجيشـين
مدني وحربـي وكل المملكـة قيراطـين

نهـايـة المطـاف

مات بيرم عام١٩٦١ ولا يعرف أحد ماذا حل بالتراث الضخم الذي خلفه، ويقال بأن محمد محمود بيرم التونسي، ابن بيرم الاكبر، وهو قد تجاوز العقد الخامس من عمره قد جمع اوراق ابيه ، وقصاصات الصحف التي نشرت فيها ازجاله ، ومسودات الاعمال الادبية ، وكل ما كتبه الوالد ، ولكن من يقتحم على النجل الاكبر المفتش في تموين الاسكندرية خزانته ، ويتفق معه علـى طباعة هذه الاثار •• لقد خلف بيرم الى جانب محمد ، محي الدين وهو طالب بمعهد اللاسلكي ، وهناك ايضا ايمن الطالـب الثانوي ، وهؤلاء جميعا لـم يترك لهم بيرم ثروة تمدهم في طباعة اثاره ••

لقد نفي بيرم بالسكتة ، وعاد الى الوطن بالسكتة ، ومات كذلك بالسكتة ، وها هي اثاره تصاب بما اصيب به ، اعطى بلاده في ادوار حياته المختلفة خير ما يعطيه الفنان ، ومات دون ان ينال حقه من التكريم •• ان اثار بيرم التونسي ، وثيقة ادبية ذات مكانة وخطر ، فعلى لسانه اجتمعت قوة التعبير الخارقة بهذه الكلمات العادية التي نلقيها كل لحظة لتذهب هباء في الهواء ••

ومن قلمه ، خرجت أبرع المقاطع الشعرية التي تصف دقائق البيئة ، فاذا شاء القدر — بعد اجيال — ان ينشر تعريفا بحياة العامة ، فيما بين عشرينات القرن وخمسيناته ، فسوف يضع في المقدمة ، ديوان هذا المسافر في رحلة الدنيا بلا راحة ، الساخر ، الرقيق ، الصقر ، ذي العينين النفاذتين ، الرجل الذي سارت جنازته الصامتة في الاحياء الشعبية ، واخترق موكبه تلك الاحياء التي طالما عاش في زحامها ، ثم استقر به ، حيث يتساوى الجميع ••• وحيث يصعب على التراب ان يدفن مع الجسد المرهق ، اشعارا كلها فتوة وخلود ••

***

الفهرست

الموضوع	الصفحة
أنى بيرم التونسي	١
الاهـــداء	٣
تقــديم	٢٥
المقــدمة	٣٣
نهاية شاعر	٤٢
فنون مبتكرة	٩٩
هو وسيد درويش	١٠٧
بيرم والحشيش	١١٥
هو وادباء عصره	١٢٥
الشاعر الصادق	١٣٩
بيرم الثائــر	١٥٧
الصحافي الاديب	١٨٧
مقامات بيرم	٢٦١
هو ومراته في باريس	٣٠٣
الشاعر الصحافي	٣١٥
شاعر الاغنية	٣٢٣
العودة الى الوطن	٣٣٩





العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العددان الاول والثاني مجلد ٦٩ كانون الثاني وشباط

« يناير وفبراير » ١٩٨١م ، ربيع الاول وربيع الثاني ١٤٠١هـ

علم ، أدب ، فكر ، سياسة

الصفحة	الموضوع	الكاتب أو الشاعر
٣	العرفان في عامها الجديد	نزار الزين
٤ ـ ٥	احذروا الفرقة أيها المسلمون	مراجع الاسلام في العراق
٦ ـ ٢٥	عالم أديب مجاهد ومجلة رائدة	شفيق الارناؤوط
٢٦ ـ ٣٦	نزار الزين « للراية »	سعيد الصباح
٣٧ ـ ٤٠	اخسر لغتك تخسر وطنك	الياس ربابي
٤١ ـ ٤٤	ايام العزال	علي محمد ابراهيم
٤٥ ـ ٤٦	سلامة الامة من سلامة اللغة	سلمان هادي الطعمة
	مواضيع سياسية	
٤٧ ـ ٥١	عبد الحميد شرف	الدكتور محمد صادق
٥٢ ـ ٥٤	هموم المواطن ومفهوم الاسرة الواحدة	صوت الخليج
	اسلاميات	
٥٥ ـ ٥٩	نحو مجمع للفقه الاسلامي	د. محمد عبد المنعم خفاجي
	مع الكتب	
٦٠ ـ ٦٢	شاعر يقدم أديبا محققا	جعفر الخليلي
٦٣ ـ ٧١	أكرم زعيتر في ذكرياته	زهير مارديني

الصفحة	الموضوع	الكاتب أو الشاعر
	أبحاث اجتماعية	
٧٢ ـ ٧٦	وصية الملك لويس السادس عشر	سمير شيخاني
	تـاريخ	
٧٧ ـ ٨٠	صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء	محمد حسن الكليدار من آل طعمة
	أبحاث علمية	
٨١ ـ ٨٣	الكورتيزون عقار خفف آلام الملايين	فاضل جواد الطعمة
	مع الراحلين	
٨٤ ـ ٨٦	يوسف أسعد داغر	س. م
٨٧ ـ ٨٨	الشيخ حسين معتوق	العرفان
٨٩ ـ ٩١	مع المعمرين ـ حديث مع صديق معمر	المحرر
	قصص ـ مسرحيات .. الخ	
٩٢ ـ ٩٥	انتصار الشر	مترجمة
	شعــــر	
٩٦ ـ ٩٧	أبا المعجزات	صدر الدين الحكيم
٩٨ ـ ٩٩	سبحان الذي أسرى بعبده	محمد حسين الزين
١٠٠	الى السيد حسن الامين	علي محمد الحائري
١٠١	لبنان حي	زكي قنصل
	العرفان وغيرها من الصحف منذ خمسين عاما	
١٠٢ ـ ١٠٦	افتتاحية المجلد «الثلاثون» من العرفان	احمد عارف الزين
١٠٧ ـ ١١٥	الدنيا أوروبا فقط	مجلة السيدات والرجال

أبواب العرفان

١١٧ ــ ١٦٠	مختارات الصحف	الصحــة	الاخبار والاراء

بسم الله الرحمن الرحيم

العرفان في عامه الجديد

بقلم: نزار الزين

هذه سنة العرفان الرابعة والسبعون هجرية والثانية والسبعون ميلادية ، ففي السنة القادمة ستؤلف اللجان في لبنان وجميع الاقطار العربية للاحتفال باليوبيل الالماسي لمجلة العرفان، يشترك في هذا اليوبيل أدباء وشعراء من جميع أنحاء البلاد العربية والاسلامية كما جرى في اليوبيل الذهبي وأكثر طبعا • فنرجو أن يكون هذا العام الجديد عام خير تنقشع فيه الغيوم الدكناء ويعود لبنان الى صفائه ومحبته •

عزيزي القاريء

ليس آلم للانسان ولا أضنى لجسمه وعقله ، بل ولحياته كلها من هذه الحالة التي يتخبط فيها لبنان في هذه الأيام الصعبة ، كيف يمكنه أن يشتغل وينتج ؟! أن يعمل ويخطط ؟!

كان بودنا هذه السنة لو استقرت الحال وعادت الأمور الى مجاريها الطبيعية في لبنان أن تصدر العرفان نصف شهرية لتكون أكثر اتصالا بالمشتركين والقراء ولكن « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » فاذا بنا نضطر أن نبقي العرفان هذه السنة شبه فصلية مثل السنة الماضية ، فعسى أن تنقشع هذه الغمة عن هذه الأمة قريبا فنتمكن من السير بالعرفان كما نريد لا كما تريد الحالة التي نتعثر بها الآن بين المادة والمعنى • شكرا لأنصار العرفان المعنويين ، ولأنصار العرفان الماديين ، وان كانوا قلة ، لأن العواطف البريئة لا يعادلها شيء •

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه المنتجبين قد رأينا ان اختلاف الخمسة فرق الاسلامية في بعض ما يتعلق بالديانة والشقاق بين طبقات المسلمين هو السبب الموجب لانحطاط دول الاسلام واستيلاء الأجانب على معظم ممالكها ، فلأجل المحافظة على الكلمة الجامعة الدينية والدافعة عن الشريعة الشريفة المحمدية قد اتفقت الفتاوى من المجتهدين العظام الذين هم رؤساء الشيعة الجعفرية ومن علماء أهل السنة الكرام المقيمين بدار السلام على وجوب الاعتصام بحبل الاسلام كما أمر الله تعالى به فقال عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وعلى وجوب اتحاد كافة المسلمين في حفظ بيضة الاسلام وصون جميع الممالك الاسلامية العثمانية والايرانية عن تشبثات الدول الاجنبية وهجمات السلطة الخارجية وقد اتحد الرأي منا جميعا تحفظا على الحوزة الاسلامية أن نبذل تمام قوانا ونفوذنا في ذلك ولا نكف عن كل اقدام يقتضيه المقام واثقين بكمال اتحاد الدولتين العليتين الاسلاميتين وعناية كل منهما بحفظ استقلال الأخرى وحقوقها وقد أعلنا لعموم الملة الاسلامية وجوب السكون والتعاون في حفظ استقلال دولتها العلية وحماية حمى مملكتها وصيانة ثغورها عن مداخلة الأجانب فيكونوا كما قال الله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ونذكر عامة المسلمين الاخوة التي عقدها الله تعالى بين المؤمنين ونعلن لهم وجوب التحرز والتجنب عما يوجب الشقاق والنفاق وأن يبذلوا جهدهم في حفظ نواميس الأمة والتعاون والتعاضد وحسن المواظبة على اتفاق الكلمة حتى تصان الراية الشريفة المحمدية ويحفظ مقام الدولتين العليتين العثمانية والايرانية أدام الله تعالى شوكتهما بمحمد وآله وصحبه خير البرية

غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٨

(أقل خدام الشريعة المقدسة محمد كاظم الخراساني)

(خادم الشريعة المطهرة عبد الله المازندراني)
(الأحقر شيخ الشريعة أصفهاني)
(الراجي اسماعيل بن صدر الدين العاملي)
(أقل خدام الشريعة شيخ نور الله الأصفهاني)
(الأقل محمد حسين الحائري المازندراني)

عن العرفان المجلد الخامس
العدد الثاني سنة ١٩١٤

العرفان : بدون تعليق .

عواطـف ملآنـة نحو العرفان

السـادة :

١ ـ الشيخ عبد الحليم الزين : مفتي النبطية .
٢ ـ الدكتور اسماعيل عباس : بنت جبيل .
٣ ـ عبد الكريم نمر الزين : شقرا ـ بيروت .
٤ ـ عبد الحميد الزائر : الدمام ـ السعودية .
٥ ـ فاروق عسيران : دكار .
٦ ـ عبد الرسول التاجر : البحرين .
٧ ـ هاني شفيق الزين : الكويت .
٨ ـ الحاج حسن علي الشواف : الكويت .

أما ذلك الشيخ الذي جاءنا مع بعض أعوانه يظهرون العواطف الطيبة وانهم يحبون العرفان ويهمهم أمره والنهوض به من أزمتـه الحاضرة وأن يوجدوا له عشرات المشتركين كمشتركي أنصار ، فقد تبخرت هذه العواطف وذهبت بها ريح عاصف لانها من الاساس نعرفها « عواطف فارغة » ، فكيف يوجد مشتركين من ليس مشتركا . وهل يرى هؤلاء ان الكذب على الناس يمكن أن يطول أمره حتى يظهر ؟؟ رحماك اللهم ، « كم في البشر عدو في ثياب صديق !! » .

عالم أديب مجاهد ومجلة رائـــدة

محاضرة : شفيق الأرناؤوط



المحاضرة التي ألقاها صاحب التوقيع في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

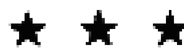
وجوه الجنوب الثقافية تبرز من خلال عصور ثلاثة : تركية وفرنسية واستقلالية ، جرت فيها وقائـــع وأحداث تاريخيـــة عاصفة ، لعب فيها الجنوب دورا قوميا ووطنيا مؤثرا ، وصل لبنان بحركات التحرر والاستقلال في الوطن العربي وصلا وثيقا.

ولعل الدور الراهن من أهم الأدوار التاريخية الحديثة التي أداها الجنوب ، وما زال يؤديها دفاعا عن قضية العرب الأولى : قضية فلسطين ، وذلك بصموده وتضحياته اليومية ، ومساهمته الفذة في الثورة الفلسطينية منذ نشأتها ، بالمـال والسـلاح والأرواح !

فالدور القومي لم يكن منفصلا قط عن الدور الثقافي ، وتلك هي ميزة الحركة الثقافية التي ارتبطت ـ في الجنوب ـ بالحركة الوطنية ارتباطا عضويا • فقلما وجدت أديبا أو شاعرا أو عالما أو مثقفا أو صحفيا في الجنوب لم يتأثر ولم يؤثر في الكفاح من أجل التحرير والوحدة • وفي هذا الميدان تبرز أسماء كثيرة من مستهل القرن العشرين حتى اليوم ، وان كانت فترة الثلاثينيات والأربعينيات أحفل بالنشاط الثقافي الوطني وأشمل •

و « الجنوب » مصطلح جغرافي انتشر ترديده في أيام الانتداب الفرنسي اثر اعلان الجنرال غورو ، المندوب السامي الفرنسي سنة ١٩٢٠ ، انشاء « دولة لبنان الكبير » من بيروت ومتصرفية جبل لبنان القديمة ، وقضائي صور وصيدا جنوبا ، ومتصرفية طرابلس شمالا ، وأقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا غربا وكانت صور وصيدا وطرابلس من أجزاء ولاية بيروت القديمة في عهد الأتراك •

لذلك كان جبل عامل أولى بالتسمية من الجنوب ، لا استنادا الى الجذور التاريخية للتسمية ، بل نظرا لدلالتها السياسية والوطنية والعلمية والأدبية • فجبل عامل ، في التاريخ ، يمتد من نهر الأولي شمالا ، فتدخل فيه مدينة صيدا ، وينتهي في الجنوب عند بحيرة الحولة • وقد التحمت صيدا بجبل عامل في الحركات الوطنية أولا ، ثم في الحركات الأدبية والثقافية • ولن نعود في هذه المحاضرة الموجزة الى التاريخ السحيق لاستعراض تلك الحركات ، بل سنحاول ابرازها من خلال أديب مجاهد ومجلة رائدة ، عرفا العهود التركية والفرنسية والاستقلالية بيقظة وشجاعة وأنفة ، فتركا بصماتهما على صيدا وجبل عامل ، ثم على سائر الوطن العربي مدة نصف قرن • عنيت بهما الشيخ أحمد عارف الزين ومجلة « العرفان » •



ولد الشيخ أحمد عارف الزين في شحور من أعمال صور سنة

١٨٨٣ وتلقى علومه الدينية والمدنية في القرية وفي النبطية ، ثم درس اللغات الاجنبية ، ولا سيما الفرنسية ، على بعض الأساتذة ٠

وفي العام ١٩٠٤ أقام في صيدا حيث بدأ حياته الصحفية والأدبية والسياسية في سن مبكرة بمراسلة أكبر الصحف المنتشرة في العهد العثماني ، وهي :

١ ــ « حديقة الاخبار » لصاحبها خليل الخوري من الشويفات أنشأها سنة ١٨٥٨ فكانت أول جريدة عربية تصدر برخصة رسمية من قبل الحكومة العثمانية خارجا عن عاصمة السلطنة ٠

٢ ــ « ثمرات الفنون » الاسبوعية السياسية العلمية الأدبية التي أنشأها سنة ١٨٧٥ أدباء المسلمين وعلماؤهم في بيروت ، وكانت أولى الصحف الاسلامية في بيروت ، فوض تحريرها الى عبد القادر القباني ٠

٣ ــ جريدة « الاتحاد العثماني » في بيروت أيضا لصاحبها الشيخ أحمد حسن طبارة ٠

وفي ذلك يقول الشيخ عارف في المجلد التاسع والثلاثين من « عرفانه » عدد ربيع الاول الموافق ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢م تحت عنوان « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ما يلي :

« ٠٠٠ ابتدأنا في الكتابة منذ ٥٥ سنة ٠ وأول كتابتنا كانت في ثمرات الفنون والاتحاد العثماني ثم في جريدة حديقة الاخبار اذ كنت وكيلها ومراسلها في صيدا ٠ وكل كتابتنا أو جلها كانت في محاربة الزعماء المستبدين ، ونقد الموظفين الخائنين المرتشين ، ونصرة القائمين بنشر الحرية والدستور ٠٠٠ » ٠

وهنا نستطيع أن ندرك الروح الثورية التي دفعت الكاتب الى الكتابة منذ نعومة أظفاره ٠ فقد شب وشاب على محاربة الزعماء المستبدين ، ونقد الموظفين الخائنين المرتشين ، ونصرة

القائمين بنشر الحرية والدستور ... هذا الدستور الذي كان السلطان عبد الحميد قد عطله ، فقام رجال الاصلاح والاحرار العثمانيون ، ومنهم الشيخ عارف بالضغط على العهد لاعادة الحياة النيابية الى السلطنة ، فأعيدت سنة ١٩٠٨ واستبشر العرب بها ، ورفعوا شعارات الحرية والمساواة التي نادى بها الانقلابيون ، وبادر كثير من المثقفين العرب الى الانتساب الى جمعية الاتحاد والترقي . ولكن تبين فيما بعد أن أقطابها عنصريون يسعون لسيادة الحكم التركي فقط .

في هذا الخضم السياسي أنشأ الشيخ عارف مجلته الشهرية « العرفان » ، فصدر الجزء الاول منها في المحرم سنة ١٣٢٧هـ الموافق فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩م في ١١٤ صفحة في حجم مجلة « الهلال » المصرية لصاحبها جرجي زيدان ، وظهر على غلافها التعريف التالي :

« **العرفان** »
مجلة علمية أدبية أخلاقية اجتماعية
تصدر كل شهر عربي
لمنشئها
أحمد عارف الزين
في صيدا

قيمة اشتراكها في صيدا ريال مجيدي واحد وفي الخارج ربع ليرة فرنسية .

والى يمين هذا التعريف الآية التالية :
« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .
والى اليسار : « تعلم العلم من المهد الى اللحد » .

أما فاتحة العدد الاول فيشير صاحبها الى عوامل الانحطاط التي أنهكت الأمة العثمانية ، والى قيام نيازي وأنور ، بطلي الحرية ، بواجبهما المقدس نحو الأمة والوطن ، ثم يتمنى للمملكة

مدنية تضاهي بها أعظم ممالك الارض ، ثم يقول :

« هذا ولما انتشرت أشعة الحرية على أرض المملكة العثمانية انبرى فريق من حملة الأقلام أصحاب الافكار النيرة الى انشاء الصحف والمجلات علما منهم بأنها أنجع ذريعة لتهذيب الشعوب وتنوير العقول ، وخير عامل على رقيها وفلاحها ، وأحسن ضامن لسؤددها ونجاحها . وعلماء الاجتماع اليوم يعدونها مقياسا لترقي الأمم ، ونبراسا مضيئا ينقذها من الظلم والظلم . ونحن مما انتشر بيننا من الصحف بعد الدستور لا يعد شيئا بالنسبة لغيرنا من الأمم الحية .

ومنشيء هذه المجلة منذ نعومة أظفاره وهو يتشوف لانشاء صحيفة يتمكن بها من خدمة أمته ووطنه اذ (كل امرىء ميسر لما خلق له) وقد قيض الله لنا ما نتمناه (والأمور مرهونة بأوقاتها) فأنشأنا هذه المجلة على اعتراف منا بالعجز والتقصير، ودعوناها (العرفان) ولكل مسمى من اسمه نصيب . وقد أخذت على عاتقها البحث في العلم والأدب والاخلاق والاجتماع قدر ما يستطاع ، على أنها ستزيد مباحثها اذا رأت اقبالا ، فهي تعمل على ناموس الارتقاء وسنة الكون (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا) وتصدر في كل شهر عربي وفقنا الله لاتمام هذه الخدمة والقيام بهذه المهمة كي يتسنى لنا خدمة الوطن والأمة خدمة حقيقية في ظل حكومتنا الشوروية بمنه ويمنه » .

وفي العدد نفسه قصيدة لصاحب « العرفان » بعنوان « الحرية تشكو » نظمها عند اشتداد الأزمة ، وذلك قبل الحرية ببضعة أشهر ، يقول فيها :

كيف أشكو للبرية ضيما ... ومن الروح في الجسوم بقية
أسروني فهان أسري لديكم ... كيف يا قوم تؤسر الحرية
هدموا مجدي المؤثل حتى ... بت مرمى لأسهم العصبية
أقضت سنة التمدن في ذا ... أم قضت فيه بدعة الهمجية ؟

عيل صبري وطال منكم صدود أين أنتم يا للوفا والحمية
أنسيتم زمان رغد تقضى في حماكم ودولة عربية ؟

وهكذا نشأت أول مجلة شهرية في صيدا وجبل عامل وشرعت تنافس أشهر مجلات الوطن العربي « كالهلال » و « المقتطف » ، وبدأ يكتب فيها الشيخ محمد علي حشيشو ، والمحامي سليمان مصوبع ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ منير عسيران ، والشيخ أحمد رضا ، ثم أصبحت منبرا للأدباء والعلماء والشعراء ، من جبل عامل ومن جميع الاقطار العربية أمثال شكيب أرسلان ، ومحمد كرد علي ومحمود تيمور وحافظ ابراهيم وأحمد شوقي وعبد الرحمن الشهبندر وأمين الريحاني وايليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) والسيد صدر الدين الصدر والحبوبي والحلي والشرقي وفارس الخوري وعباس محمود العقاد وشبلي الملاط وخليل مطران ومحمد مهدي الجواهري ومحمد رضا الشبيبي والسيد حسن الصدر ومحمد مهدي البصير وموسى الزين شرارة وعبد الرزاق الحسني ومحسن الأمين وحسن الأمين وعبد اللطيف شرارة ومحمد شرارة وحسين مروة وعبد الحسين شرف الدين والشيخ علي الزين ومعروف الرصافي وعبد القادر المغربي وغيرهم . وأصبحت « العرفان » مرجعا لكل باحث ، شرقيا كان أم غربيا .

وفي العام ١٩١١ أنشأ صاحب « العرفان » أول مطبعة لطباعة مجلته ، فكانت من أهم مطابع الشرق في حينها .

وفي نفس العام أصدر جريدة « جبل عامل » الاسبوعية ، وقد جاء في عددها الاول :

« لا تتبع الجريدة خطة ملتوية ومبدأ متغيرا ، وانما تعتصم بالحق في كل حال ، وتنطق بالصدق ولو أدى بها الى الاضمحلال »

وأتبع ذلك بهذا البيت من الشعر :

« عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد »

وفي مقدمة كتابه « تاريخ صيداء » المطبوع سنة ١٣٣١هـ و ١٩١٣م يقول :

« ••• وبعد ، فقد اختلفت مناحي المؤرخين باختلاف الزمان والمكان ونهج كل منهم منهجا خاصا تحدى به من قبله ، أو استنبطه من تلقاء نفسه • وليس من شأننا أن نفيض القول هنا في التمييز بين الغث والسمين ، أو نعقد فصلا للمفاضلة بين المؤرخين ، من شرقيين وغربيين • غير انا نقول كلمة اجمالية ، وهي أن الذين يكتبون التاريخ بدون عصبية وتحيز قليلون جدا بين الفريقين • فلذلك أصبح تمييز صحيح التاريخ من فاسده من أشق الاعمال• ولا أظن مؤرخا يسلم من الغلط ، وينجو من الشطط مهما بالغ في التمحيص وبلغ الغاية من العناية في تتبع الصحيح • ولكن (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) وشتان بين من يبذل ما في وسعه للوصول الى الحقيقة الثابتة فيخطئها أحيانا ، وبين من يراها بأم عينه فيدفعه عنها تعصب أعمى ونفاق وتدليس ••• »

على هذا النهج الاصلاحي والسياسي والوطني والعلمي سار الشيخ أحمد عارف الزين في مجلته وجريدته • نهج واحد لم يتغير •محاربة العبودية والتخلف،وتشجيع العلم والأدب والثقافة وسائر المعارف ، فكانت المجلة والجريدة ومطبعتهما ومكتبتهما مسرحا ضخما لحركة أدبية وعلمية ووطنية قل أن انفرد بادارتها والانفاق عليها ، مالا وجهدا ، رجل واحد •

وفي دعوته في مجلته للعلم يقول :

« هبوا الى العلم والتهذيب جهدكم
فانما أعلم الأقوام أسعدها
واسترشدوا بضيا العرفان واقتبسوا
ما ضلت الناس والعرفان مرشدها »

وحبه لوطنه وتفانيه في سبيله جعله يتوج « عرفانه » بشعار « حب الوطن من الايمان » وكان مؤمنا بالوحدة العربية فعمل

لها طويلا بقوة واخلاص ، ثم طالب بالوحدة السورية ، ودعا لها تخلصا من الانتداب الفرنسي ، وزرعا لنواة الوحدة العربية ٠

وكان يردد في خطبه :

ان تسل عني فهذا نسبي عربي عربي عربي !

وكان لا يعرف الحلول الوسط في القضايا الوطنية ، فلا هوادة عنده في مقارعة الاستعمار وأعوانه مهما اشتد بطشه وبطشهم ٠ وخطبه الكثيرة ، ولا سيما المرتجلة ، ضد الاستعمار والمستعمرين تتدفق لهيبا ٠ ومقالاته في « العرفان » وجريدة « جبل عامل » اللتين كانت السلطات التركية والفرنسية تعطلهما، شاهد على ذلك ٠

في العام ١٩١٢ أوقفت السلطات التركية جريدة « جبل عامل » أي بعد سنة من صدورها ، وحكم على صاحبها بالسجن شهرا ونصف الشهر في الديوان العرفي ببيروت لهجومه على طغيان السلطة ، وعلى « جمعية الاتحاد والترقي » التي كانت تعمل على تتريك الشعوب العثمانية بعد أن تظاهرت اثر عودة الدستور سنة ١٩٠٨ بتأييد العدل والمساواة ، وعودة الحياة النيابية الى البلاد ٠

وفي العام ١٩١٥ سيق صاحب « العرفان » مرة آخرى الى المجلس العرفي بعاليه بتهمة تأليف « جمعية فتاة العروبة » مع عبد الكريم الخليل ومحمد حيدر ٠٠ وفي ذلك يقول :

« ٠٠٠ وأخذنا بعد ذلك للديوان العرفي في عاليه بعد تفتيش بيتنا تفتيشا دقيقا ، وشاءت العناية الالهية أن لا يجد المفتشون ما يدينون به لأن الواشي اللئيم أكد للمفتشين أن في جيبنا بطاقة تشعر بدخولنا في جمعية فتاة العروبة ٠ ويا لها من جريمة عظيمة لو وجدت لكان جزاؤنا الشنق كما فعلوا بالشهداء الأبرار ٠ لكن ظهر أن في العمر بقية ٠ وكان المرحوم عبد الكريم الخليل ، وفي صحبته الدكتور محمد حيدر ، قبل أن ينال

الشهادة الطبية ، أعطانا هذه البطاقة ولفيف من الاخوان • ولما نفذت البطاقات ، كلفنا أن تحلف اليمين لمن يريد الدخول بهذه الجمعية الفتية (١) ••• » •

أما القسم الذي تتضمنه البطاقة فهو :

« أقسم بالله العظيم المنتقم الجبار ، وأقسم بشرفي وشرف الأمة العربية انني أتعهد القيام بخدمة مبادىء الشبيبة العربية بكل صدق وأمانة واخلاص باذلا كل ما في وسعي في سبيل الوصول الى غايتها الشريفة ، ألا وهي تأسيس الجامعة العربية ، ولا أنفك عن خدمتها ما دمت حيا ، ولا أرتبط بجمعية ما دون اشارة منها• والله على ما أقول شهيد (٢) » •

ويصف حالته في عهد الأتراك والفرنسيين فيقول :

« ••• هذه هي حالنا على عهد العثمانيين حيث سجنا سنة ١٩١٣م شهرا ونصف شهر ، ثم أخذنا مع من أخذ سنة ١٩١٥م بعد أن روع أهل بيتنا في المرة الأولى والتالية ، اذ أحاط الدرك بدارنا ، وأخذنا محفوظين أخذ عزيز مقتدر ، وعطلت جريدتنا ومجلتنا • وهكذا كان حالنا على عهد الفرنسيين ، فقد منينا بالتعطيل ، وحرق العرفان ، وشدة مراقبتها ، والتشريد والسجن و •• و •• والى ما لا نهاية له (٣) » •

ولم يكن رصيد « العرفان » حسابا في مصرف ، أو بندا من بنود النفقات السرية للدعاية ، أو مساعدة من دولة وطنية أو أجنبية ، أو تشجيعا من حزب أو جمعية ، بل كان رصيدها الايمان والثبات والتضحية المتواصلة ، والعدد الكبير من القراء في البلاد العربية وايران والهند وبلاد الاغتراب • فأنفق عليها صاحبها بدلا من أن تنفق عليه ، وأذاب صحته في العمل لها ،

(١) « العرفان » المجلد ٤٧ ايلول ١٩٥٩ •
(٢) « العرفان » المجلد ٤٨ ايلول ١٩٦٠ •
(٣) « العرفان » المجلد ٣٩ العدد من ربيع الاول الى ذي الحجة ١٣٧١ و ١٩٥٢ • حيث كانت العرفان معطلة مدة عشرة أشهر من قبل الفرنسيين

وباع ورهن ما تركه له أبوه وشريكة حياته بدلا من أن يشري ويبتني الدور الفخمة للنشر وللسكن والاستثمار !

وعاشت « العرفان » في رعايته خمسين عاما تهاوت فيها صروح مجلات زميلة كبرى « كالمقتطف » و « الرسالة » و « الثقافة » و « الكتاب » ، وبقيت « العرفان » صامدة بفضل ايمان صاحبها ونفسه الطويل على الكفاح والمثابرة • فلم يسترح يوما ولم يلق سلاحه ، فليس ذلك من طبيعة المجاهدين ، ولم ينكس راية النضال الوطني في أي من العهود الثلاثة التي عاشها ، لأن المغريات لم تكن قط في الحسبان ، وليس في ذلك غرابة ، بل الغرابة أن ينأى رجل العلم والأدب ، أو أي رجل فكر ـ بعلمه وأدبه ـ عن قضايا وطنه وأمته ، ولا سيما عندما يكون الوطن والأمة تحت نير الاستعمار أو استغلال أو اقطاع !

وكان يكره الجمود والتحجر ، ويحب لنفسه ولقومه التقدم والتطور • وكان مؤيدا لسياسة عبد الناصر في مؤتمر باندونغ الداعي الى الحياد الايجابي •

قيل له : أيها المجاهد العربي ! يا شيخ المسلمين ! كيف تزور موسكو ؟ فانتفض انتفاضة مهذبة وأجاب :

« شعب الاتحاد السوفياتي شعب صديق لنا ، ودولة الاتحاد السوفياتي دولة كبيرة • وقد وثب الجماعة وثبتهم التاريخية الجبارة في مدة ثلاثين عاما ، بينما اقتضت نهضة غيرهم مئات السنين ، فلم لا نطلع على نواحي حياتهم الخصبة ، ونقف بأنفسنا على وجوه نشاطهم ونهضتهم ؟ اني كعربي أرى مصلحة بلادي في الحياد الايجابي بين المعسكرين المتنافسين المتناحرين ، ولأني كمسلم أكره الجمود ، وأحب لنفسي ولقومي التطور (١) » •

أما فلسطين فقد أولاها شطرا كبيرا من نشاطه واهتمامه ،

---

(١) « العرفان » المجلد ٤٨ ك٢ وشباط ١٩٦١ •

سواء أكان في « عرفانه » أم في خطبه وفي المؤتمرات التي كان يحضرها ٠

وفي تشرين الاول من العام ١٩٥١ أقيمت في صيدا حفلة اليوبيل الذهبي لصاحب « العرفان » حضرتها وفود كثيرة من مختلف الاقطار العربية ٠ وكان من هذه الوفود وفد فلسطين يمثله عبد الله القلقيلي ، صاحب جريدة « الصراط المستقيم » فألقى كلمة تساءل في مطلعها :

« ٠٠٠ وهل من الجائز أن تقعد فلسطين عن المساهمة في عرفان صاحب (العرفان) وقد كانت مجلته موردا لأدباء فلسطين وفضلائها ، يعبون منها العلم والأدب والمعرفة ؟ وان مجلة (العرفان) لأول مجلة دخلت فلسطين وأفاد منها أهل فلسطين الحكمة والأدب ، وكان في الرعيل الاول من الذابين عن حياضها حتى اليوم،وهو رأس في العطف على لاجئيها وما زال (١) ٠٠٠ »

ولعل العام ١٩٣٦ أبرز أعوام حياة صاحب « العرفان » في النضال القومي ، في ذلك العام غلى جبل عامل وصيدا بأحداث الوحدة السورية ، وبثورة فلسطين الكبرى على الانتداب البريطاني وتهويد فلسطين ٠ فكان الجنوب بأسره مسرحا لنشاط ثوروي لم يعهد له مثيلا من قبل ٠ وجاءت انتفاضة بنت جبيل على احتكار الريجي في اطار التصعيد القومي في المنطقة ٠ فقد كانت مدن الساحل وجبل عامل وبعلبك ، منذ أن أعلن الجنرال غورو « دولة لبنان الكبير » معارضة لذلك الاعلان ، ومقاومة لسلخ الاقضية الاربعة : راشيا وحاصبيا وبعلبك والبقاع عن سورية والحاقها بلبنان ٠ وكانت تلك الاقضية تابعة لولاية سورية في العهد التركي ٠

وكان المؤتمر السوري العام الذي عقد سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ قد أصر على بقاء بلاد الشام كلها تحت راية الأمير فيصل الذي

(١) « العرفان » المجلد ٣٩ ربيع الاول ١٣٧١ وكانون الاول ١٩٥٢ ٠

توج ملكا في دمشق في ٨ آذار ١٩٢٠ فأرسلت الحكومة السورية منشورا الى جميع المناطق تعلن فيه موقفها من تأييد الملك فيصل، واستقلال سورية التام • فكان تأييد جبل عامل وصيدا كاملا • فشنت سلطات الاحتلال حملة اعتقال على الوطنيين ، وعمدت الى حمل أهل صيدا وجبل عامل على توقيع عرائض تستنكر ملكية فيصل ، وتطالب بالالتحاق بلبنان ، ولكن أحدا من السكان لم يوقع •

وقد أجاب مدير ناحية النبطية قائلا : « ان الحصول على التواقيع غير ممكن للروح السائدة في البلاد من التعلق بالملك فيصل وبالوحدة السورية ، والنفور من الالتحاق بلبنان (١) »•

ويذكر الشيخ أحمد رضا حادثة جرت في صيدا عندما وفدت اليها سنة ١٩١٩ لجنة الاستفتاء الاميركية « كينغ كراين » المولجة باجراء استفتاء في نوع الحكم الذي يريده أهل البلاد ، يقول :

« ••• فجاء الى صيدا وفد من مئة شخص يمثلون الشيعة مطالبين بالانضمام الى الوحدة السورية ، وبرفض الانتداب الفرنسي • وحين قابلهم الحاكم العسكري سألهم :

ـ كيف تريدون الشكل الموافق للحكومة في هذه البلاد ، وهل الأصلح لها الفرنساويون أو العرب ؟

فقلنا له : ونحن شعب عربي سوري ، نتمنى أن تكون حكومتنا عربية سورية ••• وهل يلام المرء على حبه لقومه ؟ ثم قال : ان الحكومة الفرنسية تحب الشيعة وتميل اليهم ••• ومتى تقرر المصير ، وأصبحت فرنسا هي الدولة المنتدبة لسوريا فان الشيعة ستنالهم حقوقهم وزيادة • فقلنا له : ان علماء الاجتماع قرروا أن على الحاكم واجبا ، وعلى المحكوم واجبا آخر ••• فاعطاء المحكومين حقوقهم ، والعدل بينهم مما يجب

(١) احمد رضا ، « العرفان » المجلد ٣٣ ص ٧٣٤ .

على الحكومة ٠

فقال : وهل تظنون ان الشام تعطي الشيعة حقوقها ؟ فقلنا : وما الذي يمنع ذلك ؟ ثم قال : لمن تدعون في مساجدكم ؟ قلنا : اننا ندعو للملك العرب حسين ٠ قال : وكيف تقولون برئاسة الملك حسين الدينية ، وهو سني وأنتم شيعة ؟

قلنا : لأنه قد حاز الشروط من حيث كونه قرشيا هاشميا ، ولا يمنع من خلافته كونه سنيا (١) ٠٠٠ » ٠

وعندما استشار المندوب السامي الفرنسي « هنري دو جوفنيل » الهيئات والشخصيات السياسية والوطنية في البلاد في المبادىء والخطوط التي يطلب اعتمادها في دستور البلاد الجديد الذي وعد بدراسته وتحقيقه ، وجهت صيدا عريضة الى المندوب السامي تحمل تواقيع ملاكها ومزارعيها ومحاميها وتجارها ومخاتيرها وأئمة مساجدها ، وفي رأس الموقعين صاحب «العرفان» والعريضة تعلن مقاطعة الاستفتاء ، وتكرار طلب الانضمام الى الوحدة السورية على أساس اللامركزية ٠

وفي العاشر من آذار ١٩٣٦ عقد في منزل سليم علي سلام في بيروت « مؤتمر الساحل » المشهور ٠ وكان في مقدمة حضوره صاحب « العرفان » ٠ وقد قدم المؤتمرون مذكرة الى المندوب السامي بطلب الوحدة ٠

وفي منزل صاحب « العرفان » ومنازل عادل عسيران وآل الجوهري في صيدا كانت تعقد اجتماعات ومؤتمرات من أجل الوحدة السورية ٠

وكان علي بزي وموسى الزين شرارة والشيخ علي الزين وكاظم الصلح وعادل عسيران وغيرهم من أبرز الشبان تحركا ونشاطا الى جانب الشيوخ : أحمد عارف الزين ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وسليمان ظاهر وأحمد رضا وأمثالهم ٠

وفي ١٢ تموز ١٩٣٦ تقرر انطلاق تظاهرة سلمية نحو سراي

(١) المصدر السابق ٠

الحكومة ومكتب المستشار الفرنسي للاحتجاج على سياسة الارهاب التي تستعملها سلطة الانتداب ضد رجال الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية • وراحت الجماهير تهتف للوحدة السورية ، فأمر قائد الدرك (الياس المدور) باطلاق النار على الجماهير ، فاستشهد بعضهم ، وأصيب معروف سعد وهو يقتحم قشلة الدرك في جرأة ومجازفة خطيرتين ، ووقع أرضا لكثرة ما نزفت جراحه من دماء ، فاقترب منه رجال الشرطة وحملوه الى أحد مكاتب القشلة حيث عولج وأوقف •

فهاجت المدينة ، ووقف الشيخ عارف في جموع المتظاهرين يخطب منددا بالاستعمار وعملائه ، ومعلنا أن الاضراب والتظاهر لن يتوقفا ما لم يطمئن الناس الى سلامة معروف سعد • وعندما رأى قائد الدرك بوادر هذا العصيان ، أمن للشيخ مخابرة هاتفية مع معروف سعد (الموقوف في القشلة) تأكد له فيها سلامة رفيق كفاحه • ولكن الاضراب المفتوح تقرر الى أن يفرج عن سعد • وقامت وفود غفيرة من النبطية وبنت جبيل وصور ومرجعيون وطرابلس وبيروت وصيدا بمقابلة رئيس الجمهورية للاحتجاج على قائد الدرك الذي أمر باطلاق الرصاص • وتألفت لجنة في صيدا للاشراف على تنظيم الاضراب وجمع الاعانات للمنكوبين ، وانتخاب المحامين للدفاع عن المتهمين • أعضاء هذه اللجنة هم : الشيخ أحمد عارف الزين وحسني أبو ظهر وعادل عسيران وكاظم الصلح وشفيق لطفي والحاج علي البزري والدكتور رياض شهاب ومحمود الشماع ومحمد السنيورة وتوفيق الجوهري وكامل قاسم ونديم حماده ونور الدين الجوهري ومحمد عبد السلام المجذوب •

وفي ليلة الخامس عشر من تموز وصلت من بيروت قوة كبيرة من رجال الشرطة ، فاعتقلت الشيخ عارف وبضعة شبان من صيدا ، فأثار ذلك من جديد موجة سخط عارمة على سلطة الانتداب ، فاستمر الاضراب ، وراحت الوفود تؤم منزل الشيخ

عارف معربة عن استنكارها لاعتقاله ، وتنتقل الى بيروت لمطالبة المسؤولين بالافراج عنه ٠

وفي التاسع والعشرين من تموز أجرت جريدة « بيروت » تحقيقا واسعا عن الاضطرابات في صيدا وجبل عامل تحت عنوان « يقظة الجنوب » نقلت فيه حديثا للضابط المدور ـ لم يصدقه المحرر كله ـ اتهم فيه الشيخ عارف بتنظيم الاضراب والتظاهرات مع ان عبد الحميد كرامي اتصل به قبيل الاضراب يعلمه بالغائه ٠ قال المدور :

« ٠٠٠ وحضر من طرابلس كرامه وبضعة أشخاص وآخرون من بيروت الى صيدا ٠ عقدوا اجتماعا في بيت عباس الحر بوجود الشيخ عارف الزين ، وفوضوا الشيخ عارف بالزعامة ٠ وقد عقد هذا الاجتماع قبل المظاهرة بثلاثة أيام ، وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع على اقفال المتاجر ، والقيام بمظاهرة في يوم واحد في صيدا وطرابلس ٠٠٠ » ٠

ثم يذكر الضابط كيف اتصل بعبد الحميد كرامي ليقنع الشيخ عارف بالغاء الاضراب والتظاهرة ، ولكن الشيخ عارف لم يعلن ذلك على الناس ٠٠٠

وفي الثالث من أيلول أصدرت محكمة بداية الجزاء المختلطة في بيروت حكمها على الشيخ عارف بالسجن شهرين ، وعلى معروف سعد بالسجن عشرة أشهر ، وقد دافعا عن نفسيهما دفاعا مجيدا ٠

ومما يذكر أن المفوض السامي الكونت دو مارتيل استدعى ـ في العام ١٩٣٦ أيضا ـ رياض الصلح وعبد الحميد كرامي والدكتور عبد اللطيف البيسار والشيخ عارف الزين ، ووجه اليهم السؤال التالي :

ـ لماذا أنتم طلاب وحدة سورية ؟ فرد الشيخ عارف قائلا : اذا قرأت اللاروس الذي تعلمون به أطفالنا ، يا سيد دو مارتيل،

فستجد علماء اللغة في بلادك كتبوا الى جانب لبنان (جبــل في سوريا) فيثور المفوض السامي ، وينهي المقابلة محتدا (١) ٠

وفي الثامن من آب ١٩٣٧ عقد في بلودان « المؤتمر القومي العربي » الكبير الذي ضم وفودا وشخصيات معروفة من الاقطار العربية منها : الأمير شكيب أرسلان ورياض الصلح ومحمد علي علوبة (باشا) واحسان الجابري وناجي السويدي ولطفي الحفار وفخري البارودي ونبيه العظمة ، والمطران اغناطيوس حريكة ــ ممثلا البطريرك غريغوريوس حداد ــ ومحمد عزة دروزة وجبران تويني والدكتور فريد زين الدين وعمر الداعــوق والأمير أحمد الشهابي وصبري العسلي وناظم القدسي وفايز الخوري ٠ ومن صيدا والنبطية وبنت جبيل ومرجعيون : الشيخ عارف الزين ومعروف سعد والشيخان أحمد رضا وسليمان ظاهر وعلي بزي وموسى الزين شرارة وألفريد أبو سمرا (صاحب جريدة القلم الصريح) ٠

وكانت أهداف المؤتمر الدفاع عن فلسطين ، وتنفيذ التدابير الفعالة لمقاومة أخطــار الصهيونية التي تهدد الوطن العربــي بأسره ٠

ولم يعقد مؤتمر وطني أو قومي في أي بلد عربي الا كان الشيخ عارف في طليعة المدعوين اليه والمشتركين فيه ٠ وكان له في دمشق بنوع خاص مكانة مرموقة ، تشده الى زعمائها ووطنييها صداقات وطيدة ٠

في مهرجان كبير أقيم في اللاذقية في العام ١٩٤٥ لمناسبة وفاة عبد الواحد هارون من زعماء « الكتلة الوطنية » دعي الشيخ عارف الى المهرجان ، فرافقته في هذه الرحلة ، فارتجل خطبــة وطنية قوبلت بالاستحسان ٠ ثم سافرنا في اليوم التالي الى حلب ٠ وما ان عرف احسان الجابري الزعيم السوري ورئيس مجلس

(١) « العرفان » المجلد ٦٣ اذار ١٩٧٥ .

نواب الوحدة فيما بعد بقدوم الشيخ عارف حتى أقام له مأدبة عشاء دعا لهـا أدبـاء حلـب وصحافييها ، أذكر منهم سامي الكيالي ، صاحب مجلة « الحديث » • وفي تلك المناسبة ألقى الجابري كلمة ثناء عاطرة على مواقف الشيخ عارف الوطنيـة وتقدير سورية له حكومة وشعبا •

وجاء في « قاموس الأعلام » لخير الدين الزركلي عن الشيخ أحمد عارف الزين ما يلي :

« ••• تعلم في النبطية ، وابتدأ يكتب في بعض جرائد بيروت سنة ١٩٠٥ وأصدر مجلته « العرفان » عــام ١٩٠٩ في صيدا فاستمـرت ، مـا عـدا فتـرات ، الى عـام وفاته • ثـم تتابع اصدارها ، فبلغت ستـة وثلاثين مجلـدا سنـة ١٣٦٨هـ • وأصدر سنة ١٩١١ جريدة « جبل عامل » فعطّلت ، هي والعرفان وسجن خمسة وأربعين يوما ، ثم أحرقت مطبعة العرفان سنـة ١٩١٥ وسجن أيضا • وفي عهد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٨ نُفي من بلده ، وعاد وسجُن سنة ١٩٣٦ مع بعض الزعمـاء وأطلق • وأدركته الوفاة وهو يصلي في محراب الامام الرضا في مدينة مشهد بايران • وكانت له مشاركة في حركـة اليقظـة العربية • ولم يـُعقه ما لقي في سبيلها من تجن ونفي عن متابعة العناية بمجلته التي كانت أعظم ميدان لأقلام كتّاب عصره من العامليين على الخصوص ، والشيعة الامامية والعرب بصفة عامة • وكان لمطبعتها الفضل في نشر جملة من كتب الأدب والتاريخ • وصنف « تاريخ صيداء » و « ومختصر تاريخ الشيعة » و « الحب الشريف » •

وعند وفاة الشيخ عارف في ١٥ تشرين الأول ١٩٦٠ انهالت برقيات التعزية من الرؤساء والزعماء السوريين مكبرة في الرجل كفاحه وجهاده في سبيل الوحـدة والتحرر • وكذلك أرسلت البرقيات والرسائل من جميع البلاد العربية الى لجنة الاحتفال بذكراه في اليونسكو ببيروت •

أما صيدا التي حضنت الفقيد وحضنها في حـب واخلاص

وتقدير أكثر من ستين عاما ، فقد مثل حرقتها على فقده نائبها المناضل معروف سعد ، رفيق جهاده ، بقوله :

« ... هنيئا لأستاذنا وقائدنا الشيخ عارف مرقده الاخير وضجعته الطاهرة . ولكن انها لحرقة لنا ، أي للبلدة التي جاهد وناضل من أجلها الشيخ عارف ، والتي وضع تاريخها ، ورفع اسمها عاليا في أنحاء الدنيا ، وشاركها سراءها وضراءها وآلامها وأمانيها ، أن لا تكون ضجعته الأخيرة فيها ، وأن لا يتمكن أهلها من التعبير عن شعورهم نحوه (١) » .

لقد كان منزله في صيدا مضافة للزوار من الأدباء والعلماء والشعراء والشخصيات الوطنية والسياسية : وكانت الأحاديث والمناقشات الادبية والعلميةوالوطنية تطغى على سائر الأحاديث، وذلك على غرار الصالات الأدبية المشهورة التي كان يقيمها العقاد وطه حسين ، والصالات الباريسية في القرن السابع عشر . ولكن هذه الصالات كانت تُفتح مرة في الاسبوع ، في حين أن صالة الشيخ عارف مفتوحة في كل يوم .

كنت أختلف الى تلك الندوات بعد الظهر في أواسط الثلاثينيات ، وأستمع بشغف الى ما يدور فيها من مناقشات ومساجلات ، كما كنت أتردد الى مكتب صاحب « العرفان » في مطبعته للاطلاع على الكتب الصادرة حديثا ، والواردة اليه لتقريظها . وكان منزله ومكتبه يضمان عددا لا يستهان به من الكتب النادرة ، ولا سيما المخطوطة .

وكان يشجع العلم والمعرفة ، فاشترك سنة ١٩١٢ مع الشهيد الصيداوي الضابط توفيق البساط في تأسيس «جمعية نشر العلم والفضيلة» وانتُخب رئيسا لها . وبعد ثلاث سنوات أعدم جمال باشا (السفاح) توفيق البساط في قافلة الشهداء الأولى في ساحة البرج في السادس من أيار عام ١٩١٦ .

(١) « العرفان » الجزء الرابع المجلد ٤٨ كانون الاول ١٩٦٠ .

وكان يشجع الناشئين على الكتابة • فكان حلمي أن أقرأ اسمي مطبوعا في « العرفان » في ذيل مقالة ••• الى جانب أسماء الكتّاب المعروفين • فلخصت موضوعا عن الفرنسية ، ولم أجرؤ على تسليمه للشيخ عارف يدا بيد مخافة الاعتذار عن النشر ••• فأرسلت المقالة بالبريد ، وراحت تؤرقني حتى آخر الشهر ••• واذا بي أتلقف العدد ، وأقلب صفحاته سريعا حتى عثرت على الاسم المنشور ••• فرحت أعيد قراءة ما كتبت مثنى وثلاث ورباع منتشيا اعجابا ! وفي اليوم التالي زرت الشيخ عارف في مكتبه أول مرة ، وكان ذلك في العام ١٩٣٦ فشجعني على متابعة الكتابة في « العرفان » ، فتابعتها حتى نهاية الأربعينيات ثم دفعني التشجيع ـ أو غرور الشباب ! ـ الى النشر في « الثقافة » المصرية وفي « المكشوف » و « الأمالي » و « العلوم » و « الآداب » اللبنانية و « التمدن الاسلامي » الدمشقية ، وتحولت من التدريس في مقاصد صيدا الى الصحافة والاعلام ، ثم الى القضايا القومية ، فلم يعد اسمي مطبوعا ، مثار اهتمامي وأحلامي ••• ولكن بقي محفورا في نفسي اسم ذلك الشيخ الوقور الشجاع الذي مثّل العقيدة والجهاد أمام القوة والسلطان أبلغ تمثيل،وامتُحن بالسجن والحرمان والجحود ، فلم تلن له قناة ، ولم تهن عزيمته ، ولم يضعف ايمانه •

بقي مطبوعا في نفسي وفاء ذلك الرجل الذي اشتهر بـه ، والوفاء خَلة شريفة نادرة في كل عصر ومصر !

بقيت صورة ذلك الكاتب عف اللسان والقلم ، والصحافي الذي لم تتسع يده لغير مقبض القلم الذي حمله لسوى العفة والطهارة والاصلاح ، وقاوم الطغيان والجهل والاقطاع ، فعاش سنواته السبع والسبعين عيشة التقشف والاباء ، فكان مثلا يُضرب به لرجال الدين والعلم والأدب والوطنية في ايثار الحق والعدل والموضوعية على المغانم وشهوات النفس والدعاية الشخصية •

وبقي حب وطنه الطاغي على جوارحه كلها عميقا في نفس جميع قارئيه وسامعيه وعارفيه ، حتى لكأنه يتمثل قول معروف الرصافي :

أشربت حب بلادي ما نشأت بها
الا لأدفع عنها كل عدوان
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
نفسي وأهلي وأحبابي وخلاني
يا موطنا لست منه في موادعة
عش بعد موتي عيش الوادع الهاني
ان سرك الدهر يوما سرني واذا
آذاك بالمزعجات آذاني
وليس ينعشني عز ولا شرف
ان لم تكن أنت ذا عز وسلطان !

شفيق الأرناؤوط

قيمة الاشتراك بالعرفان

ل٠ل٠

٥٠ خمسون ليرة لبنانية في لبنان وسورية ، عشرة دنانير في البلاد العربية خمسون دولارا في افريقية وأوروبة وأميركة ٠

٢٠٠ مئتا ليرة لبنانية للحكومات والشركات والمؤسسات الرسمية ٠ واشتراك الانصار لا حد له ٠

عنوان مجلة العرفان

بيروت : لبنان
ص٠ب٠ : ٣٩٧٨ ــ ١١
العرفان أو نزار الزين

نزار الزين لـ «الراية»

الشعر الجديد نثر وهمهمات غير مفهومة المعنى !!

الاستبداد العثماني ينوء بثقله على كاهل الأمة العربية وفكر الرجعية يسيطر على عقول جماهير شعبنا ، وأفكار « أبو الهدى الصيادي » كانت هي السائدة ، وجاء ما هو في منظومة الايديولوجية ما هو أسوء منها ألا وهو فكر جماعة « الاتحاد والترقي » « الطوراني » العنصري ٠

وسط هذا الليل المدلهم بالعتمة ، كان « العرفان » هذا الشرر الذي أطلق الوهج ، فأنار حالك ظلمات الأمة ، وأذن ببزوغ فجرها ٠ انه الأذان بانبلاج الصبح وتبدد الظلمات وتحطم القيد ٠ و « العرفان » ، هذا اللهب العربي المقدس الذي أحرق عبر كلماته معاقل العثمانيين وسرايات الفرنسيين ٠

فلله در هذا الفتى العربي « أحمد عارف الزين » الذي حمل صليبه وسار على طريق الجلجلة ، ليقود بالكلمة وبالعمل نضالا طويلا وشاقا خاضته أمته العربية من أجل التحرر والوحدة ٠

باع ثروته وكل ما ملك ، هذا هو النضال ، وها هي الصفات القيادية فيه ، نعم أنفق ما ملكت ايمانه ولكن ربح نفسه وقضيته وبقي خالدا في ضمير أمته ٠

« العرفان » مدرسة جيل ونجم جنوبي ساطع في سماء وطن العرب ٠

حكاية « العرفان » هي حكاية نهضة شعب وانطلاق مسيرة أمة ، عندما كان لـ « الراية » لقاء مع الأستاذ نزار الزين الذي سار على درب والده ، باصدار « العرفان » فان الحديث معه جعلنا نعيش الأيام الأولى لنهضة عربية بعثت على أيدي رواد ، ضحوا بالغالي والنفيس لأجل أمتهم ، وكانت أنفسهم رخيصة في سبيل القضية ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود • فمجلة « الشهيد الحي » هي التاريخ والصوت والصدى لمرحلة من أهم مراحل النضال القومي العربي وأخطرها ، فعلى صفحاتها كانت المناظرات الفقهية واللغوية والشعرية والتاريخية ، وبين صفحاتها صوت « حارقات » تلهب قلوب الناس عداء للاستعمار والصهيونية ونظم الاستبداد • انك يا صاحب « العرفان » بمنزلة الانبياء ، ألم يقل الرسول « صلعم » : بلغني انه يسأل العلماء ما يسأله الانبياء ••

● لماذا توليتم أنتم بالذات رئاسة تحرير « العرفان » بعد وفاة والدكم ؟

ـ ان توليتي رئاسة تحرير « العرفان » بعد وفاة المرحوم الوالد عام ١٩٦٠ ، كان أمرا حتميا لأني كنت ساعده الأيمن منذ عشرات السنين ، ونتعاون سويا في اصدار « العرفان » ولأن دراستي الجامعية كانت في مجالي الأدب والصحافة ، ومنذ عام ١٩٣٨ • وأنا أعمل في مجلة « العرفان » بصفة « نجي التحرير » كما كان المرحوم الوالد يحب أن يصف عملي بالمجلة •

● مجلة العرفان متى بدأت بالصدور ؟

ـ صدر العدد الاول من مجلة « العرفان » في ٥ شباط سنة ١٩٠٩ ، بعد أن أعلن الدستور العثماني ، وقتها كان هذا الدستور يعد بممارسة الحريات الديمقراطية • والمرحوم والدي كان يحلم منذ نعومة أظافره بأن يؤسس مجلة ، يستطيع من خلالها التعبير عن أفكاره التقدمية والوطنية ، فمنذ أواخر القرن الماضي وهو يناضل ضمن الجمعيات السرية العربية ضد الفساد

والتمييز في السلطة العثمانية ومن أجل اللامركزية ثم الاستقلال للأمة العربية •

● هل كان « العرفان » مشروعا فرديا أم أن هنالك جمعية من الجمعيات العربية كانت وراء اصدارها ؟

ـ العرفان مشروع فردي قام على أكتاف المرحوم والدي ولكنه كان ملتزما بالنضال القومي ، فكان من الطبيعي أن تعبر هذه المجلة عن هذا الخط القومي العربي التحرري •

● ولكن من أين أتيحت له الامكانات المادية لاصدار هكذا مجلة ؟

ـ لقد ورث بعض الأراضي عن المرحوم والده فباعها ، وكذلك المرحومة والدتي باعت أيضا تركتها وأنفقا سويا ما توفر لهما من المال على اصدار « العرفان » ، لقد ضحيا بالغالي والنفيس لأجل إصدار هذه المجلة •

● هل كان « للعرفان » أسرة تحرير ؟

ـ كان الوالد يقوم بالتحرير بنفسه ، ثم أصبحت مساعدا له كما بينت ، فكنا نجمع بين رئاسة التحرير والتصحيح وتأمين ارسال الاشتراكات والاشراف على الطباعة •

● هل كنتم تدفعون بدلات أتعاب لمن يحرر في المجلة ؟

ـ الجميع كانوا متبرعين دون استثناء ، وكان هنالك تنافس بين الكتّاب للحصول على حيز لمقالاتهم على صفحات مجلة « العرفان » •

● والعلاقة بين المجلة والسلطة العثمانية كيف كانت ؟

ـ كان « العرفان » يعبر عن خط الرعيل الاول المنادي باللامركزية وبالمساواة واصلاح الفساد في الدولة ، كان هذا هو التوجه العام للمجلة ، والسلطة العثمانية بعنصريتها الواضحة المعالم بعدما تولى السلطة جماعة « الاتحاد والترقي » فكانت السلطة العثمانية تعطل مجلة العرفان بين حين وآخر ، وفي عام

١٩١١ أصدر المرحوم الوالد جريدة جبل عامل ، الى جانب مجلة « العرفان » وكانت تصدر اسبوعية ، بينما كانت « العرفان » تصدر شهرية فاعتبرت السلطات التركية ، ان الكيل قد طفح ، لا سيما بعدما نشر الوالد مقالا هاجم فيه الوالي وقبله الباب العالي ، عندها أصدرت السلطة قرارا بتعطيل « العرفان » لمدة سنة ، أما جريدة « جبل عامل » فقد صدر قرار بمنعها من الصدور نهائيا عام ١٩١٢ ، وقد تحركت قوات السلطة الى منزلنا قبل طلوع الفجر ، وكان حينذاك المرحوم الوالد يتوضأ استعدادا للصلاة فخطفوه بثياب النوم الى السجن في صيدا ، ثم الى المجلس العرفي في بيروت وحكم عليه مدة شهر ونصف بالسجن مع الغرامة .

● هل بقيت مجلة « العرفان » تصدر أثناء الحرب العالمية الأولى ؟

ـ منذ بداية هذه الحرب فان مجلة « العرفان » توقفت عن الصدور بسبب فقدان « الورق » من الاسواق ، وسائر المواد بسبب الحصار البحري الذي ضربه الحلفاء على أرجاء الدولة العثمانية .

● والى متى استمر هذا التوقف القسري ؟

ـ حتى بداية عام ١٩١٩ ، حيث عادت « العرفان » الى الصدور مجددا وكعادتها شهريا .

● أثناء الحرب العالمية الأولى هل تعرض الوالد للاضطهاد من قبل السلطات العثمانية ؟

ـ عام ١٩١٥ سيق المرحوم الوالد مع رفاقه في النضال الشهداء أمثال عبد الكريم الخليل ، وتوفيق البساط ، والشيخ أحمد حسن طباره ، وغيرهم ، من كوكبة المناضلين القوميين العرب ، ولقد حوكم أمام المجلس العرفي التركي في عاليه ، وحكم فقط لمدة شهرين سجنا ، والسبب مرده الى كون قائد الدرك في صيدا آنذاك كان يخاف الله وتربطه صداقة متينة بالوالد ،

« الشهيد الحي »

الشيخ احمد عـــارف الزين مؤسس مجلة العرفان وجريدة جبل عامـــل وعدد من الجمعيات العلمية والخيرية والاجتماعية وناشر افضل الكتب قبل ان يفكر احد بدور النشر •

فأخبره قبل القاء القبض عليه بأن يحرق كافة الأوراق والمستندات السرية التي كانت بحوزته لأن « هيئة تفتيشية » قادمة من بيروت للقيام بعملية مداهمة وبحث عن وثائق في منزله فأحرقت العائلة الأوراق ، وعندما حضرت « الهيئة » لم تجد أية أدلة تعتبر من وجهة نظرها تدين المرحوم الوالد ، فكان أن أنقذ من حبـــل المشنقة وأسمي بعدها « بالشهيد الحي » •

● وبعد الحكم العثماني جاء الانتداب الفرنسي ، فكيــف كانت العلاقة ما بين المجلة وصاحبها ، وهذا المستعمر الجديد ؟

ـ لقد استدعـــاه المسيو « ماسنيون » المستشرق الافرنسي للاجتماع به ، وعرض عليه أعلى المناصب وشراء مطبعة جديدة « للعرفان » ، اذا ما هادن الافرنسيين ، ولكن الوالد ، أجابه : لتبق صداقتنا يا مسيو « ماسنيون أدبية » ،لأني لا يمكن أن أهادن الانتداب أو الاستعمار من أي وجهة أتى •

وبعد ذلك كانت المجلة تعطل كل سنة تقريبا وأحيل للمحاكم العسكرية والمدنية أكثر من مرة وقد حكــم عـــام ١٩٣٦ لمدة شهرين ، ووقتها ترافع دفاعا عنه المرحوم حبيب أبو شهلا وغيره من كبار المحامين ، فتحولت المحاكمة الى ادانة للممارسات القمعية لسلطة الانتداب •

والسبب المباشر لهذه المحاكمة وهذا التعطيل للمجلة هو رفعها لشعار الاستقلال الناجز والوحدة السورية كمقدمة للوحدة العربية ، وقتها عقد في مدينة صيدا مؤتمر « الوحدة السورية » بدعوة من المرحوم الوالد وحضره عدد كبير من رجالات السياسة ، وانتخب المرحوم عبد الحميد كرامي رئيسا للمؤتمر ، وكلا من المرحوم الدكتور ملحم الفرزلي والد النائب السابق أديب الفرزلي والمرحوم الوالد كامينين عامين للمؤتمر •

● وأيام الاستقلال هل كوفئت المجلة على نضالها الوطني ؟

ـ لقد تجاهل رجالات الاستقلال نضالات « العرفان » بل قوبلت بانكار كامل للجميل وحجبت عنها كميات الورق التي كانت حكرا على الدولة ، وبالمقابل فان المجلات والجرائد « الانتدابية » أعطيت بل استغنت ، ورحم الله دولة الرئيس رياض الصلح •••

● المجلة كما يتضح من سياق الكلام كانت ملتزمة بخط النضال القومي العربي ؟

ـ أجل ومنذ صدور عددها الاول وحتى أيامنا هذه ، وكان صاحبها يقول : نحيا ونموت في سبيل العروبة ، ودائما يردد :

ان تسل عني فهذا نسبي •• عربي عربي عربي ••

● •• والمناظرات على صفحات « العرفان » ، وبينها وبين المجلات والصحف الأخرى ، هلا حدثتمونا عنها ؟

ـ المناظرات كانت بروح علمية صرفة بدأت ما بين «العرفان» ومجلة «المنار» ثم بينها وبين مجلة «المشرق» ومع مجلة «المقتبس» الذي كان يصدرها المرحوم محمد كردعلي ، فهذه المجلات كتبت أشياء مغلوطة عن المذهب الجعفري وكانت مستقاة من مصادر أجنبية متحيزة بقصد ايقاع الفتنة بين المذاهب • فتصدى « العرفان » لهذه الحملة الظالمة بروح علمية وبعيدة عن التعصب فوضعت النقاط على الحروف ، انطلاقا من روحية الوحدة العربية ، فكان الكتّاب على صفحات « العرفان » كثر ، ومنهم

على سبيل المثال المرجع الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، والسيد محسن الأمين ، والسيد عبد الحسين شرف الدين ، والسيد عبد الحسين نور الدين ·

والمناظرات اللغوية فكانت تدور على صفحات « العرفان » وبين الكتّاب فيها والآخرين في صحف ومجلات أخرى ، كالمناظرات التي كان يتصدرها كلا من الشيخين المرحومين أحمد رضا وسليمان ظاهر وغيرهم ·

والمناظرات التاريخية والتي كان أبرز من يخوض غمارها المرحوم محمد جابر آل صفاء والشيخ علي الزين ·
أما المناظرات الشعرية فلها شرح يطول ، نكتفي منه بذكر ما كتبه الأديب الأستاذ محمد كامل شعيب العاملي عن « مآخذ الشعراء المتقدمين والمتأخرين » فاظهر البعض ما أسماه السرقات الأدبية فرد عليه المرحوم أديب فرحات وغيره فكتبوا تحت عنوان أسموه « سرقات العاملي » ·

وأيضا من الذين نشروا في هذا الحقل الشعري الشيخ محمد علي الحوماني ، والسيد عبد الرؤوف الأمين ، والشاعر موسى الزين شراره ، والمرحوم الشيخ عبد الحسين صادق ، والمرحوم الشيخ محمد رضا الزين ، والشاعر عبد الحسين العبدالله ، والسيد علي ابراهيم وغيرهم مما لا تتسع الذاكرة لايرادهم ، ووقتها كان القراء ينتظرون بفارغ الصبر صدور عدد « العرفان » الشهري لكي يقرأوا في مجالسهم هذه القصائد الشعرية ·

● وعلى ذكر الشعر ، هل نشرت « العرفان » لبعض الشعراء المحدثين ؟

ـ لم تنشر « العرفان » أية قصائد من الشعر الحديث لأنه بنظرنا من شروط القصيدة الشعرية العربية ، أن يتوافر فيها الموسيقى والمعنى ، لذا ومع احترامنا للشعراء الجدد ، فاننا نعتبر هذه الموجة دخيلة على الشعر العربي ، فهي أشبه بالنثر لا بالشعر في الواقع وهمهمات غير مفهومة المعنى !

● والموضوعات القومية والسياسية والشعرية ، هل لكم أن تحدثونا عن أبرز كتابها ؟

ـ لقد تصدر للكتابة في « العرفان » منذ أواخر العشرينات « أمير البيان » الأمير شكيب أرسلان وأخيه الأمير عادل آرسلان ، والاستاذ علي ناصر الدين ، والاستاذ فارس الخوري ، وخليل مردم ، والشيخ سليمان الأحمد ، وشفيق جبري ، وسامي الكيالي ، و « بدوي الجبل » من سوريا الشقيقة ، والشيخ محمد رضا الشبيبي ، والشاعر محمد مهدي الجواهري ، والسيد أحمد الصافي النجفي ، ومصطفى جواد والأستاذ عبد الرزاق الحسني ، والدكتور عبد الرزاق محي الدين ، وغيرهم من العراق الشقيق ومن أبرز كتّاب الكنانة المرحوم عباس محمود العقاد ، وكان هؤلاء وغيرهم يمزجون في كتاباتهم بين الاتجاه القومي التحرري وبين الأدب والشعر الرفيعين بحيث كانت « العرفان » منبرا لكل أحرار الأمة العربية .

● هل استطاعت مجلة « العرفان » أن تستمر في الصدور خلال الحرب العالمية الثانية رغم الصعاب الكثيرة ؟

ـ لقد استطاعت رغم الصعوبة المتمثلة بعدم توافر «الورق» فكنا نشتريه من السوق السوداء ، وبأسعار خيالية ، اذ أن أزمة الورق بالنسبة للصحافة هي أزمة مستمرة ومستعصية عن الحل .

● ما هي بالتحديد منزلة « العرفان » بين القراء والجماهير منذ تأسيسها ، وبما كانت توصف ؟

ـ يقول الأديب الدكتور حسين مروة واصفا علاقة «العرفان» بقرائها : « قبل أن حفظت الحرف حفظت عن أمي ، يا طيب ذكراها ، اسم « العرفان » : كانت أمي تسمي كل كتاب «عرفانا» وكل جملة كتب « عرفانات » .

لم أفهم سر التسمية هذه حتى وعيت ، وتعلمت الحرف وصرت أبحث في مكتبة أبي الضخمة عن كتاب مطبوع بالأحرف الحديثة ، لا بالمطابع الحجرية لتسهل عندي قراءته . كنا حينذاك

في سنوات الحرب العالمية الأولى وكانت قريتنا مجهل من مجاهل هذه البقعة ، التي تسمى « جبل عامل » • وأول مرة ـ عهد ذاك ـ تنورت عيناي بهذه الأحرف « العرفان » مكتوبة بخط جميل واضح على جبهة « كتاب » عرفت بعد ذلك ان اسمه مجلة ، وأول مرة أيضا في ذلك تلامع في ذهني هذا الاسم « أحمد عارف الزين » •

ثم أضاف قائلا :

والحقيقة الواقعة هي أن « العرفان » هي أول خيوط النور في فجر النهضة العربية الحديثة يمتد الى مجاهل حياتنا هناك من « جبل عامل » ، من هنا يجب أن يبدأ من يريد أن يعرف سيرة «أحمد عارف الزين» في أنبل صفحاتها وأبهج مآثرها • لقد كان يجمع لنا خيوط النور من كل مكان ويبثها شعاعا في جبلنا تلمع به فجر الحياة العربية الطالع حين لا ملمح للنور في هذا الجبل الامن حيث يطلع « العرفان » ومن حيث يكتب صاحب «العرفان» •

● « العرفان » بدأت مسيرتها كمنارة من منارات الفكر العربي المعاصر ، ولكن يلاحظ البعض بأنها حاليا لم تعد تلعب الدور الذي كانته بالأمس ، فما هو سبب ذلك يا ترى ؟

ـ هذا السؤال يثير قضايا عديدة ، فهنالك أسباب متنوعة أدت الى هذا الحال الذي تعاني منه « العرفان » •

ـ أولها : ان هذه المجلة كانت وما زالت تقوم على أكتاف فرد باع ثروته ليمولها ، وأبى أن يساير ويحابي ويستزلم لتامين « الرأسمال » الوفير ، فكانت النتيجة انه وفي عصر تقدم التقنية لم تعد المطبعة « القديمة » لتجاري مقتضيات الطباعة الحديثة فصرنا نطبع بالأجرة •

ـ ثانيا : كما تعلمون فان المجلة لا تدفع لأي من الكتّاب وقد غيب الثرى الغالبية العظمى من الرعيل الاول من كتّابها والكتّاب الحاليون ينتمون الى أحزاب أو هيئات سياسية لها صحفها ومجلاتها ، وآخرون يرفضون الكتابة الا بمقابل ، وهذا غير متوفر لدينا •

ـ ثالثا : التوزيع ، الاشتراكات :

قديما كانت تتوفر للمؤسسة مئات الاشتراكات في الوطن العربي والمهجر ، وتغيرت الظروف في الوطن كما تعلمون ، ودون الدخول بالتفاصيل ، وهي مؤلمة ، وكذلك في المهجر حيث غاب ذاك الرعيل الذي كان على صلة بثقافته الأم فأصبحت الاشتراكات قليلة ولا يأتينا منها الا النذر اليسير .

ـ رابعا : الاحداث الاخيرة وقد أدت الى تدمير واحراق مكاتب المجلة في بناية « اللعازارية » وكذلك منزلنا فأدى ذلك الى ضياع « الأرشيف » الكامل للمجلة . وأيضا فان الارتفاع الجنوني لسعر الورق وأكلاف الطباعة يجب أن نأخذه بعين الاعتبار .

● من ضمن قضايا التحرر في الوطن العربي ، هل احتلت قضية فلسطين حيزا واسعا من اهتمامات « العرفان » ؟

ـ « العرفان » رافقت القضية الفلسطينية منذ بداية الغزوة الصهيونية لهذه البقعة العربية ، ومنذ العشرينات و « العرفان » ينبه لما يعده الصهاينة من مؤامرات ، وعام ١٩٣٦ كان المرحوم الوالد دعا لاضراب وتظاهرات في صيدا تأييدا لانتفاضة عام ١٩٣٦ الفلسطينية ، وانتشرت موجة التظاهرات والاضرابات المعادية للصهيونية وللافرنسيين والمنادية بالوحدة السورية وعروبة فلسطين ، وكانت الصلات دائمة بين صاحب «العرفان» وقادة النضال الفلسطيني ، فالمرحوم الحاج أمين الحسيني كان على صلات مستمرة بالمرحوم الوالد ، واستمر التلاحم بين القضية الفلسطينية و « العرفان » طوال أيام الصراع والنكبة ، واستمر ليومنا هذا باعتبار القضية الفلسطينية مسألة محورية في نضال الأمة العربية .

● و « العرفان » والثورة الايرانية ضد الحكم الشاهنشاهي ؟

ـ عام ١٩٠٩ نشر «العرفان» فتاوى للعلماء الشيعة بمحاربة الشاه آنذاك ، والمدعو محمد علي لحجج الاسلام الشيخ محمد كاظم الخراساني ، والسيد اسماعيل صدر الدين ، والشيخ محمد تقي ، والشيخ عبد الله المازندراني ، ومفهوم هذه الفتاوى

جواز محاربة الشاه والايقاع به لهتكه حرمة الشرع الشريف والاستبداد بالعباد » ٠

وتابع « العرفان » خطه المعادي لكل الانظمة «الشاهنشاهية» ووقف مع انتفاضة الدكتور محمد مصدق ، وتبنى حركة « المجاهد » آية الله الخميني منذ بداية عام ١٩٦٣ ٠

هذا هو خط « العرفان » انطلاقا من قول الرسول « صلعم » ان من أعظم الجهاد كلمة حق تقال بوجه سلطان جائر ، ولكن جهادها هذا مع الأسف لم يقدر أيضا من قبل الايرانيين ٠

سعيد الصباح

أخلاق الكبار

* كان عقيل بن علفة رجلا شديد الهوج والعجرفة والبذخ ، وكان يفتخر بنسبه وحسبه لا يرى له كفوًا ، وهو من بيت شرف في كلا طرفيه ، قيل أن يزيد بن عبد الملك خطب ابنته الجرباء (لقبت بالجرباء لفرط جمالها) فقال عقيل : قد زوجتكها على ان لا يزفها اليك اعلاجك ، بل أكون أنا الذي أجيء بها اليك ٠

ثم مضى على ذلك زمن ، فدخل الحاجب على يزيد بن عبد الملك وقال : بالباب اعرابي على بعير معه امرأة في هودج ، فقال يزيد : أراه والله عقيلا ، ثم أناخ عقيل بعيره وأخذ بيد الجرباء ودخل بها على الخليفة فقال له : هذه زوجتك فضع يدك في يدها بارك الله لك بها ٠

وقد حملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله (أي أعطاه منحة) ثم مات الصبي فورثت أمه الثلث ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب يزيد الى عقيل بن علفة : ان ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منها فوجدته عشرة آلاف دينار فهلم فاقبضه، فكتب اليه عقيل : ان مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه ، فلا حاجة لي في ميراثهما ، وقد رأيت عندك فرسا سبقت عليه الناس فأرسله الي أجعله فحلا لخيلي ، وأبى أن يأخذ المال فبعث اليه يزيد بالفرس ٠

إخسر لغتك.. تخسر وطنك

بقلم: الياس ربابي

(ان قيصر نفسه ليس فوق علم قواعد اللغة ــ سوياتون)

••• في بعض الكتب المقدسة ان الله ــ سبحانه وتعالى ــ أوعز الى موسى النبي ، وهو يتسلم الوحي الوصايا الالهية ، في أن يذهب الى شعبه ، ويقرعه على انصرافه الى عبادة العجل الذهبي ، عوضا عن عبادة الاله الحق ، والواحد ، خالق السماء والأرض •

فاعتذر موسى ، كليم الله ، عن عدم امتلاكه قدرا من الفصاحة كافيا لاقناع الضالين ، وردهم عن غيهم • وتوسل الى الرب ، قائلا : « ان أخي هارون أفصح مني لسانا ، فأرسله معي بشيرا ونذيرا يشهد لي » •

★ ★ ★

••• كان الخليفة الأموي ، عبد الملك بن مروان ، شغوفا باللغة ، حريصا على ما لها من نقاء وبهاء ، وضنينا بها تنكب بعثرات وهن ، أو شذوذ ، أو اسفاف • وكثيرا ما كان يوصي الناس في مجالسه ، قائلا : « تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض » •

وبلغ من غيرته على « الضاد » انه نحى أحد الأئمة عن امامته لأنه كان يلحن • وقال في ذلك ، غير مرة : أضر بنا في الوليد حبنا له ، فلم نلزمه البادية » •

(اشارة الى عدم ارسال الوليد الى البادية ليتعلم أصول اللغة من أربابها) •

••• كان « فينيلون » ، الأديب والمفكر الفرنسي المعروف ، مشهورا بشدة تعصبه للغة الصحيحة والصافية ، وكان لا ينفك

عن الدعوة ، باستمرار ، الى تنزيه الفرنسية عن كل ما يعيب ويشين ، وتحصينها بكل ما يجمل ويزين ·

وقد قال ، في رسالة له الى المجمع العلمي الفرنسي ، ما ترجمته : « كان كل شيء في أثينا منوطا بالشعب وكان الشعب منوطا بالكلمة : باللغة العالية » ·



أقدم لكلمتي غير السياسية ، اليوم ، بهذه الأمثلة الثلاثة ـ وهي نموذج من نموذجات كثيرة ـ في معالجة بعض جوانب موضوع اللغة العربية ، وما راحت تتعرض له من ضروب العدوان عليها في غير وسط ، ومناسبة ، وحال : في الصحف ، والاذاعة ، والتلفاز خاصة · وفي معظم نتاج الأدب والعلوم والفنون عامة ·

ودافعي الى ذلك تأثر بقول « مونتيتيه » الفرنسي : « ان التبعة في كثير من اضطرابات العالم ترسو ، غالبا ، على عاتق الاخلال بعلم قواعد اللغة » ·



فباسم الحداثة والتحديث ·· باسم التطور والتطوير ·· باسم الاستسهال والتسهيل ·· باسم الجديد الخارج على البالي من القديم ··

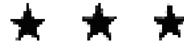
بهذه الأسماء ، وما يماثلها من نوعها ـ نظما وتلحينا وانشادا ـ مسخت اللغة العربية ، وشوهت ، وانتهك غير قدس من أقداسها ، وانحطت : سلامة وفصاحة ، وبيانا وأسلوبا ، كما لم تنحط على أيدي الشعوبيين ، أو العثمانيين ، أو سائر محاولي طمسها ومحوها :

فمن أخطاء لغة وصرف ونحو فوق العد والحصر ·

الى مفردات منها ، مثلا : دائمية ، ونهضوية ، ونخبوية ، وسلطوية ، وضيعيوية ، وتصفوية ، وثوراتية ، وحياتية ، ومناضلية ·· الخ ·· الخ ··

الى أنماط كتابية أعجمية الطابع ، وغريبة الوجه واللسان ،

يصر متبنوها ، من عرب ومستعربين ، على أن يزفوها الينا عرائس جمال وكمال ودلال لم تحلم « الفصحى » بأن يكون لها نظائرهن في يقظة أو منام · وما من عرس ، ولا عرائس ، ولا من يحزنون !



يعذرني فوضويو اللغة ، والعابثون بها عبث الجهل ، والمعصية ، والاساءة ، اذا ما رأيت في طرائقهم غير ما يريدون ايهام الآخرين به ·

ان هذه الطرائق لا تدل ـ في نظري واعتقادي ـ على سوى العجز ، أو الكسل ، أو محاولة ستر الضعف · والفقر والقصور والتقصير حسب قاعدة « ستر السموات بالقبوات » ، كما يقال في عاميتنا ·

فالحداثة والتحديث ·· والتطور والتطوير ·· والاستسهال والتسهيل ·· والجديد الخارج على البالي من القديم ·· و « العصرنة » ومجاراة الزمن ···

ان هذه الأهداف جميعا ، وما هو أعظم منها شأنا وقدرا ، يستطاع بلوغها دون مس جوهر لغتنا الطيعة ، والقابلة التكيف، شرط أن يكون « فارس ميدانها » خبيرا بأسرارها ، واقفا على دقائقها ، جاهدا في طلب الصحيح والمتمافي منها · دون عجز يمنع من التطلع الى فوق وقدام · ودون كسل يقعد بصاحبه حتى عن فتح المعجم في مواطن الارتياب · ودون ضعف وفقر وقصور وتقصير طالما شدت بمرضاها الى الوراء وتحت ·

ولنا في مقالات ابراهيم اليازجي العلمية ، في مجلته « الضياء » ـ كي لا تذكر سواه ـ أصدق شاهد على طواعية اللغة العربية ، ومدى تناسبها وجميع متطلبات « مقتضى الحال » ·



ثم ، هب ان الجميع تخلوا عن الاحتفاظ « بالفصحى » في موقع السلامة والكرامة ، فعلينا ـ نحن في لبنان ـ أن نحافظ

عليها وهي في حالة التاج والصولجان كما يكونان على عرش منعة وعزة ٠

وان أرضا اطلعت من المبدعين ، وأصحاب البيــان الصافي والمشرق أمثال ابراهيم اليازجي ، وأحمــد فارس الشدياق ، وشبلي ملاط ، ووديع عقــل ، وأمين ناصر الدين ، وبطرس البستاني (الثاني) ، وكرم ملحم كرم ، وكاظم الصلح ، وأمين نخله ، وعبد الله العلايلي ٠٠٠ وغيرهم وغيرهم ٠٠٠ ان أرضا كهذه الارض لا حق لها في قطع سلسلة بنت لنا من المجد والصيت الحسن ما لم تبن بعض بعضه أجيال من الساسة : عمالقة (أين هم ؟٠٠) كانوا أو أقزاما ٠

وقديما قيل : من يفقد لغته يفقد حضارته ٠ ومن يفقــد حضارته يفقد وطنه ٠

ومعاذ الله أن يكون بيننا « مؤامرون ومتآمرون » من هذا الطراز * ٠

الأنوار الياس ربابي

★ ★ ★

● العرفان : سلمت يد نمقت هــذا المقال وهل ادل علــى العروبة من مثل هذا الكلام الصحيح الفصيح ٠

رجــل بليــغ

● كان صعصعة بن صوحان عائدا من مكة فلقيه رجل فقال له : يا عبد الله كيف تركت الارض ؟ قال : عريضة أريضة ٠ قال : انما عنيت السماء قال : فوق البشر ومدى البصر ٠ وقال : سبحان الله ، انما أردت السحاب قال : تحت الخضراء وفوق الغبراء ٠ قال : انما أعني المطر ، قال : قد عفى الاثر وملأ القتر وبل الوبر ، ومطرنا أحيي المطر قال : أنسي أنت أم جني؟ قال : بل انسي من آمة رجل مهدي ٠

رسوم أيام العزال

للسيد علي ابراهيم

عندما تمر أمام ذهنه صور الماضي يطول وقوفه عند بعضها ، ولا غرابة في ذلك فان ذكريات الشباب من ساعات العمر الزاهرة، وحبذا الأمن والسلامة والتمتع بجمال الحياة ومناجاة روعات الوجود بقلب تغمره النشوة وعين يضيء فيها الأمل ، وقديما قيل : (الصحة والأمان نعمتان مجهولتان) يذكران أيام العرزال من أيامه الغر التي ظللتها السعادة وأسبغت عليها المنح والعطاء ، فهو على قمة من القمم الشم يداعبه النسيم العليل ويشرف على الأشجار البواسق والسهول الفيح ، ويمتد من النظر على طول المدى بين صنوف الجمال ومشاهد الطبيعة الخلابة ، لم تغفل اليد الصناع التي أحكمت ترتيبه وتنسيقه عن مظهر من مظاهر الابداع فيه فتحار أيها تصف .

ويذكر ان الخواطر الشعرية يومذاك كانت بحاجة لايقاف مدها ، فان الصفاء والراحة النفسية من روافد الوحي ومصادره الأولى ، يضاف الى ذلك ما يحتضن في فكره ونفسه من رؤى جميلة خلابة هي صورة عن الجنان في الارض قبل السماء ، نهاره بين كتاب يرجع اليه فيحس براحة المسافر وقد وجد الزاد ورفيق الطريق ، وبين صديق لا يعرف من الحياة غير جانبها المشرق فيعب من معين البهجة ولا يرتوي ، أما الليل فهو للتأمل والنجوى يراقب فيه النجوم ويشرف على الأحياء في مضطربهم

● توفي رحمه الله قبل صدور العدد وكان قبل يوم من وفاته قال : انا راحل عن هذه الدنيا وتمنى للعرفان طول العمر لانها للجميع وليست لشخص واحد . وسنتكلم عنه في العدد القادم .

الواسع ، تطرق سمعه في الهزيع الاخير من الليل أصوات من هنا وهناك تؤلف بمجموعها موسيقى حالمة تناجي الطبيعة في تلك اللحظات الهادئة الخاشعة ، هي أصوات الحيوانات الحرة التي تمرح في سائر المجالات وتحس بأن الدنيا ملك لها لا ينازعها فيه أحد حتى اذا خطا الصائد خلفها وطاردها نفرت منه الى كهف حصين ساعية في سبيل الحرية والسلامة ٠

أما الأمن فلا يذكر في السنين الطويلة التي مرت عليه انه سمع بما يزعج الناس ويمس صفوهم وهناءهم ، تسير في دنيا العرب كل عام معلقة شعرية لواحد من أعلامهم يحيي فيها لبنان فترويها الرواة وتضيف ثروة جديدة للغناء العربي ، يذكر من قول شوقي :

لبنان والخلد اختراع الله لم ... يوسم بأزين منهما ملكوته
هو ذروة في الحسن غير مروعة ... وذرى البراعة والحجى بيروته
ملك الهضاب الشم سلطان الربى ... هام السحاب عروشه وتخوته
وكأن أحلام الشباب ربوعه ... وكأن أحلام الكعاب بيوته

ومن قول الجواهري في زحلة :

ثقــي زحيلــة ان الحســن أجمعــه
في الكون عن حسنك المطبوع تقليـد
أنــت الحيــاة وعمــر في سواك مضى
فانمــا هــو تبــذير وتبـديـد
لا أوحش الله طيفــا منــك يؤنسني
اذا احتــوتني في أحضــانهـا البيـد

طريــق العــودة

لم يختر الطريق الذي سلكه فقد فرض عليه وعلى غيره ، اندفع مع الناس دون أن يكون لديه مجال للروية والتفكير ، ولم يحسب حسابا للنهاية وانما هي نزوات عابرة سارت به الى حيث لا يعلم ، وشغلته نفسه عن كل ما حوله فقد أحس بالغربة عنها

وعندما يصبح الانسان كذلك يتساوى لديه الامل والالم ويشتبه عليه الحق والباطل ، ولم يألف ذلك في مطلع شبابه وبداية ممارسته لما عقل ووعى من قيم حضارية ومباديء أخلاقية ، فيذكر ان السباق يومذاك كان على العمل والانتاج ، والبحث عن كنوز الارض حتى اذا شحت الموارد عمد الطامحون للهجرة على أن تكون وسيلة لبناء الوطن وعزته وازدهاره ، ونقل الثروة وثمرة الجهاد اليه ٠

يتحدث المواطنون في مجالسهم عن المروءة والكرم ، والتضحية والوفاء وينبري من وجوههم وذوي الرأي فيهم من يعمل للاصلاح بينهم اذا اشتجروا فيصل صاحب الحق لحقه من أخصر طريق ، أما حاضره ، فلا يدرك منه شيئا كأنه بعيد عنه في مجهل من الارض تمر الاحداث أمام نظره دون أن يفهمها ، فقد مملكة التمييز حتى تساوى لديه النور والظلمة ، قلت ولكن الى أين المصير ؟! هلم بنا يا رفيقي نتلمس طريق العودة ، قال ولكنني أحب فهم هذه الرحلة الطويلة الشاقة ومعرفة أسرارها فلا يصح أن أبذل فيها ما بذلت حتى اذا سألني السائل وقفت حائرا لا أعرف الجواب ، قلت : هلم فان العمر قصير ، ما لك سامحك الله أضعته دون ثمن ، انك كنت تبحث عن العنقاء ، فقال سبحان الله انني لم أزل بين الرموز والطلاسم؟ ما هذه العنقاء التي تذكر ؟! ألمحتها في صورة ! أشهدتها في حالة ؟ أرأيتها في موضع ؟

فقلت : ذهب الربيع فلم تكن في الجدول الشادي ولا الروض الأغن الممرع ٠

وأتى الشتاء فلم يكن في غيمة الباكي ولا في رعده المتفجع ٠

تبقى ضالة منشودة كلما طلبتها ، فاذا جد بك السير لم تجد غير السراب الخادع ، أما اذا عدت لنفسك وجدتها فيها ، لقد طلبتها قبلك وانتعلت في سبيل طلبها الدماء ، وفي لحظة من

لحظات التأمل :

عصر الأسى روحي فسالت أدمعا
فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى
ان التي ضيعتها كانت معي

لم يبعث الغرابة في نفسي منذ نشأت غير العبث بالحياة وتحويل نعمها وخيراتها ومواطن الجمال فيها لاطلال دار تصفر فيها الرياح العاتية ، ان ورود المنهل لا يحتاج لكل هذه الجلبة والضوضاء ، ولا تكون بغير التواضع والصفاء والرجوع لشريعة المحبة فهي التي تهدي الناس سواء السبيل •

مال الدولة

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أحد أحق بمال الدولة من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من أحد من الناس الا وله في هذا المال نصيب فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته • والله لئن امتد بي العمر ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من المال وهو في مكانه يرعى الغنم •

حكمة بليغة

* قالت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها : جعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة •

ثلاث

* قال القائد العباسي طاهر بن الحسين : ينبغي للملك الا يقدم على ثلاث : الظلم ومنه ينتظر العدل ، والبخل ومنه يتوقع الجود ، والعجلة ومنه تلتمس الاناة •

سلامة الأمة من سلامة اللغة

بقلم: سلمان هادي الطعمة

يحسن بالانسان العربي أن يكـون سليم اللهجة في قوله ، بليغا في تعبيره ، فهو يستخدم لغته حلية وزينة • فاللغة هي أداة التفاهم في الأمة قديمها وحديثها ، عليها ينهض تطور الفكر ، لأنها الصديق المرشد الى أقوم السبل ، كما أنها وبلا شك الأداة التي تربط الماضي بالحاضر ، وهي أمة حية تعيش في عالـم لا يدركه المرء • وكلما أمعن الانسان في درس اللغة والالمـام الكافي بلغة القرآن بصورة خاصة واتقان الأحاديث النبويـة والاحاطة الشاملة بأسرار العربية وفهم كلام العرب ومراميهم ، توفرت لديه أسباب الفكر القائم على تهذيب اللغة وتوجيهها • أي أن الواجب يدعوه لدرس لغته درسا محكما فيحيط بدقائقها ومفرداتها •

ولئن جمعتنا من لغة العرب جامعة أدبية كبرى ، واعتصمنا من غريب اللغة ودخيلها بحصن منيع ، كانت لنا لغة سليمـة لا تشوبها شائبة ولا ينالها نائل •

وليس من شك ان كل قرن من القرون الخوالي أدخلت العلوم والصناعات في العربية روحا وزخما ، ومفردات جديدة ، ونبغ العلماء والفصحاء ، وانتشرت كتبهم وكلها تهدف الى تعزيز اللغة العربية وسلامتها • وان ما تكلمت به العرب مـن جيد المنثور مثلما تكلمت به من جيد المنظوم ، وهناك آثار مطبوعة لأعلام العرب في هذا المجال وهي مثال البلاغة والفصاحة فيها حكـم ومواعظ واعتبار •

ان المحافظة على روح الفصحى وتجديد شبابها هدف نبيل • وان مجموع كيان الأمة يتوقف على الأصالة في العقيدة واللغة

والاخلاق التي تربطها كلها رابطة اللغة • وكلما أمعن الفرد في تفهم اللغة وتهذيب عقيدته والتمسك بأخلاقه كان مرآة صافية يعكس آمال وطموحات بني قومه •

فعلينا أن نعنى بتهذيب اللغة من الشاذ والحوشي والغريب والدخيل لكي نجعل لغتنا تحافظ على أصالتها ونقائها وتجذرها التاريخي في الفكر العربي والقومية العربية من ناحية ، ونجعلها تواكب التطور الحضاري والتقني من ناحية أخرى • لأن لغتنا كما أثبت التاريخ لغة مضيافة تتسع لاستيعاب كل تمخضات العلوم الانسانية منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا •

والحقيقة التي لا جدال فيها ان نهضة اللغة والأدب منثورا ومنظوما من مقومات كل نهضة شاملة ، وهي تستهدف تعزيز الرابطة الثقافية والعلاقات العلمية والادبية بين الاقطار العربية ، لأنها الأداة الحاسمة التي يتعامل بها في المجالات تلك •

كربلاء ـ العراق ـ سلمان هادي آل طعمة

لا تكونوا لعانين

● حكي أن حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي كانا من أنصار علي بن أبي طالب يوم صفين وكانا يظهران البراءة واللعن من معاوية وأهل الشام ، فأرسل اليهما علي بن أبي طالب ان كفا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين : ألسنا محقين ؟ قال : بلى ، قالا : أوليسوا مبطلين في حربهم لنا ؟ قال : بلى ، قالا : فلم منعتنا من شتمهم والتشهير بهم ؟ قال : كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين ، ولكن لو وصفتم مساوىء أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كيت وكيت ، كان ذلك أصوب في القول وأبلغ في العذر ، ولو قلتم مكان لعنكم اياهم وبراءتكم منهم ، اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به كان هذا أحب الي وخيرا لكم •

شريف غاب

عبد الحميد شرف

بقلم : الدكتور محمد صادق

أن ينفجر القلب أو الدماغ ، تلك هي العلامة الوحيدة الباقية على القيم الحبيسة في ذواتنا ، أو هي القيمة الوحيدة الباقية لدينا في مواجهة الزيف والعسف والقهر وامتهان الكرامة ، كرامة أقدارنا وأوطاننا ٠

كذلك انفجر قلب الشريف عبد الحميد شرف أخيرا ، ومضى به الى الطرف الآخر ٠٠

ومضى السياسي الذي رفض أن ييأس ، وأن يستسلم رغم جميع الظواهر التي تشير الى أن المتفائل هو وحده الذي يستحق أن ينعت بالغباء !

هناك أناس يموتون فجأة فتحزن عليهم لأنهم خسارة وطنية أو قومية ، وهناك آخرون تحزن عليهم لأنهم كانوا يمثلون لك أهمية خاصة ، غير أنه من النادر جدا ما تحزن لوفاة انسان ، لا لأنه كفؤ فقط ، وانما لأنه فوق هذا كله قد تجمعت فيه وتركزت خصال هي في النهاية التي تجعل من الانسان انسانا ، ومن العنصر البشري عنصرا ساميا ، أسمى ما في الكون الذي يجعله رغم كل أخطائه جديرا بلقب انسان ٠

كثيرون حزنوا لوفاة الشريف عبد الحميد شرف ، ولكن أكثر هؤلاء حزنا هم الذين واكبوه في حياته الجامعية والدبلوماسية و ٠٠٠ السياسية ٠ لقد حزن أولئك على الشريف حزنا هز أعماقهم هزا ، ولم يحدث لاخوان الشريف أن أحسوا بالحزن لوفاة أحد من هؤلاء الذين يملأون الساحة العربية السياسية منذ الهزيمة الحزيرانية السوداء ، ولم يكن الحزن على الشريف

(عقليا) ولكنه نابع من وجدان كان يرى في الشريف الانسان العربي ، الذي يستحق هذا اللقب ٠

أعود ثلاثين عاما الى الوراء ، لقيته في مطعم فيصل ، كان واحدا من الشباب الجامعي الذي أخذ يتحسس بوجدانه الجرح الذي أصاب الأمة العربية نتيجة لقيام دولة الاغتصاب ٠٠

لقيته هناك لأول مرة مع الحكيم جورج حبش ووديع حداد وتوفيق شخشير وسمير صنبر ، وأذكر أننا انتقلنا معا الى بيت الحكيم جورج الذي يبعد عشرة أمتار بالضبط عن مبنى الجامعة الامريكية ، ولا أذكر من كان يقيم مع الحكيم في بيته (بيت الأمة ـ كما كنا نطلق عليه ـ فقد كانوا جماعة من الطلاب الأردنيين والفلسطينيين والعراقيين والسوريين والكويتيين يتناوبون على الدراسة والتفكير بمصير هذه الأمة العربية ٠ وفي أمسية من تلك الأماسي التي قضيتها لديهم ، وبعد عشاء اقتصر على الخبز والحلاوة والزيتون ، قرأ سمير صنبر مقالة ساخرة عنوانها (القرش) ـ والقرش آنذاك سيد يقام له ولا يقعد ـ وقرأت قصيدة مماثلة عنوانها (الرغيف) أعددتها لتنشر في مجلة (العروة الوثقى) وكانت تعليقات وضحكات ونكات ٠٠٠ كانت المأساة تفجر ميلنا الى الضحك ، كأنما نخرج بها من اطار حياتنا الشقية ٠

لم يكن غريبا أن نتآلف بسرعة ٠٠ كانت المآسي حرية بأن تجمعنا ٠٠ كان قيام اسرائيل في قلب الوطن العربي بداية مرحلة التشرد ٠٠

كنا نشعر ونحن نستقبل القوافل الفلسطينية القادمة الى لبنان على الشاطىء أن تشرد هؤلاء هو تشرد أمة ٠٠ وقد أثبتت الأيام ان التشرد لم ينته حتى اليوم ٠ فكل بضع سنوات تضاف أقدام حافية على الدروب القلقة الى الأقدام التي أقلقت الدروب من قبل ٠

وقامت حركة القوميين العرب ، وكان الشريف عبد الحميد شرف من دعائمها الأولى ، ولكن هذه الدعائم سرعان ما لحقتها

عدوى التشرد العقائدي ٠٠ ومضى كل من الرفاق يبحث عن طريق ليحمل أعباء الأمة ٠٠ فمنهم من نسي العقيدة وأهلها وناسها واختار الطريق المعادي لها ، طريق الماركسية ٠٠ ومنهم من آثر السلامة ، فباع واشترى في السوق وأثرى باسم العروبة وأخواتها ٠٠ وبقي الشريف على قسمه الاول ، فلم يختر الدرب السهل ، بل اختار الدرب الصعب ، طريق الخدمة الشريفة !٠

ولم يكن غريبا أن يختار (الشريف) درب الخدمة الشريفة ، فهو بحكم نسبه الشريف ينتسب الى آل البيت ، هذه العائلة التي اجتمعت لها خلاصة الصفات الكريمة وتقاربت سماتها وملامحها في كثير من أعلامها المقدمين ، وهي في جملتها النبل والأيد والشجاعة والمروءة والذكاء ، عدا المأثور في سماتها الجسدية التي تلاقت أو تقاربت في عدة من أولئك الأعلام ٠٠

و (آداب الفروسية) هي مفتاح شخصيات آل البيت الطاهر الذي يفض منها كل مغلق ويفسر منها كل ما احتاج الى تفسير ٠

وآداب الفروسية هي تلك الآداب التي نلخصها في كلمة واحدة وهي : النخوة ٠

وقد كانت النخوة طبعا في الشريف عبد الحميد شرف فطر عليه ، وأدبا من آداب أسرته التي طالما سمعت عنها الكثير من العلامة الفقيد محسن الأمين ، فلم ينس الشريف الشرف قط ليغتنم الفرصة ، ولم يساوره الريب قط في الشرف والحق أنهما قائمان دائمان كأنهما مودعان في طبائع الاشياء ، حين مضى كل من الرفاق المؤسسين الى طريقه لم أكن أحسب أننا سنلتقي ثانية عام ١٩٦٢ ، ففي ذلك العام التقينا في شتوره ، وفي اجتماع للجامعة العربية عقد بناء على طلب الحكومة السورية للبحث في الشكوى المقدمة من قبلها ضد الحكومة المصرية ٠٠ أيام الراحل جمال عبد الناصر واثر الانفصال !

كان الشريف عضوا في الوفد الأردني الرسمي ، وكانت علاقتنا هذه المرة أغنى وأعمق ٠٠ فبعد أن توزع الرفاق تحت كل كوكب عقائدي بقي الشريف بعيدا عن هذا التشرذم البغيض

لقد تعاظم شعوره بالمسؤولية وتفاقم احساسه بالضياع ‥ ولكنها مسؤولية تتعاظم بتعاظم تردي الأوضاع من حوله ‥ واحتمالات الغدر بهذه الأمة كانت أوضح على النطاقين العربي والدولي ‥

كانت فلسطين قد ضاعت ، ولم ينفع طموح الشباب واقباله على التضحيات ، وقدرته عليها ‥ كنا نحس ونحن في زحلة نتناول الطعام ونستعيد ما كان يجري في اجتماعات مجلس الجامعة العربية أن مصائرنا في مهب الريح رغم وعينا الكامل لما يدور حولنا ‥ أما الضياع فكان حقيقيا لأنه نتيجة تلك الظروف ، ولم نستورده مما نقرأ في الكتب ونطبقه كلاميا ‥

ما أذكره عن الشريف تلك الأيام ، أنه كان جادا وجديا في رغبته للقيام بعمل ما على الصعيد الايجابي يعيد الى هذه الأمة رؤياها التي فقدتها ، وكان سريع الاستيعاب والفهم ‥ كان يحلم باقامة نوع من الحكم العربي القائم على احترام حرية الانسان ‥ وحين سألته :

أين يمكن أن يقام مثل هذا الحكم ؟ أجاب في الأردن يا أخي ‥

وعاش الشريف طيلة حياته يعمل بصمت للوصول الى هذا الهدف ‥ وحين أمسك بيديه هدفه وبدأ يعمل لتحقيقه اختطفه القدر ، فكأن هذا القدر قد ضن علينا بالأمنية فأخذ عبد الحميد وهو في عز عطائه لكي يبقينا على حزننا الاسود المقيم ‥

آخر مرة رأيته فيها كانت قبل سنوات قليلة ، وفي مطعم فيصل ، المكان الذي التقينا فيه للمرة الأولى ، ولم أكد أسلم عليه كعادتي ، فما ان وصل الى رفاقه منح الصلح ، وأحمد شومان ، حتى تسللت الى خارج المطعم لكي لا أراه ‥ ولحقني فأسرع خلفي صائحا :

ـ ولو يا أخي ما في سلام ؟

أجبته :

ـ لقد ألهاكم المنصب حتى نسيتم الرفاق ‥

ـ تريد أن تقول ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ‥ أعتقد

انك غلطان ٠٠ أرجوك أن تحدد الموعد والساعة بالدقيقة ، نريد أن نتحدث اليوم كما كنا نتحدث أيام زمان ، واتفقنا على اللقاء ، ولكنني لم أحضر خوفا من أن أسبب له الألم ، لقد كان في جعبتي الكثير من الملاحظات على تصرفه حيال ما بقي من الرفاق ، وحيال بعض الأحرار الذين يجب أن يكونوا الى جانبه ٠

وحين صعدت روح الشريف الى السموات العلى ، وكان جسده محمولا على أعناق الرجال ، ورجالات العرب يتقدمهم العاهل الأردني وراء النعش ٠٠ في تلك اللحظات ندمت على تصرفي حيال الرجل الشريف وكنت بحاجة الى من يسألني عنه لأتحدث عن الزهرة السياسية التي ذبلت والى الأبد ٠٠ أو على الأصح أجمل زهرة كانت تعبق في صمت في حياتنا السياسية ، والمؤسف أنها كانت تعبق للقليل من الناس ـ الناس ! والمؤسف أن جمالها ورائحتها لم تكن تصل بطريق مباشر الى (الجمهور) ، والا لبكوا عليه بحرقة ومن قلوبهم وأكبادهم مثلما فعلنا نحن الذين عرفناه ، وكانت معرفته تمثل لطموحنا نسمة رقيقة ترطب من سعير الأحداث !

اتهـــام

* دخل أحد الاعراب يوما على عبد الملك بن مروان فقال له : يا أخا العرب صف لي الخمر وأوجز فقال :

شمول اذا نشـت وفي الكـاس مزة
لها في عظـام الشاربـين دبيـب
تريك القذى مـن دونها وهي دونه
لوجـه أخيهـا في الانـاء قطوب

فقال عبد الملك بن مروان : ويحك يا اعرابي ، لقد اتهمك عندي حسن صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها ٠

همـوم المواطـن
ومفهوم الأسـرة الواحـدة

صوت الخليج

كان حديث الشيخ سعد منصبا على الموضوع الأمني حيث وضع النقاط فوق الحروف ، ورسم الخريطة الامنية في البلد من موقع المسؤول العارف ببواطن الأمور ، ومارس نقدا ذاتيـا مريرا وقال :

« ان الوقت قد حان لتطبيق سياسة الحزم والشدة مع العناصر التي تعبث بأمن البلاد وتسعى لتخريبها ٠٠ لا تهاون ولا تساهل ولا تقاعس ولا رحمة مع أي شخص أو أشخاص أو فئة تحاول خلق بلبلة عندنا ٠٠ بل علينا استعمال الشدة في محلها وايقاف كل شخص عند حده » ٠

« ان جرائم عديدة حصلت في الآونة الأخيرة ــ والكلام لولي العهد ــ هي غريبة على مجتمعنا لم نألفها في الماضي ونستنكرها ونشجبها في الحاضر ٠٠٠ وهذه الجرائم بدأت تولد عند الكثير من المواطنين الكثير من الخوف والقلق على حاضر ومستقبل هذا البلد الآمن » ٠

وهذا خوف مشروع ، لأن الانسان لا يمكن أن يمارس حياته ويضمن سعادته ، ويوفر مورد رزقه في ظل الخوف ، والارهاب ، والمتفجرات ٠

وهو خوف مشروع لأن لغة العنف لا تؤدي الا الى نتيجـة واحدة ، هي دمار المتحاورين ودمار البلاد ، وتحويلها الى أرض خراب ٠

وهو خوف مشروع ، لأن المتحاورين بالقنبلة على أرض

الكويت ـ في الأعم الاغلب ـ غرباء عنها ، لا بالجنسية نقصد ، وانما بالانتماء • هؤلاء يريدون تصفية حسابات خارجية على الارض الكويتية • وهذا أمر لا يرضاه أحد •

ومن هنا نشعر بالارتياح حينما يرفع رئيس الحكومة شعار : أمن البلد وسلامة المواطنين تأتي فوق أي اعتبار • فذلك يعني ان الخطوات الصحيحة على طريق الأمن مستمرة • وذلك يعني ان الحكومة ستضرب فعلا بيد قوية •

يد الحكومة هم رجال الأمن والقانون ، وعليهم تقع مسؤولية حفظ الأمن واقرار القانون • وقد أعطت القوانين هؤلاء الكثير من الصلاحيات للقيام بواجبهم • واذا كانت المسؤولية مشتركة بين رجال الأمن والمواطنين فان الثقل الاكبر يقع على كاهل رجال الأمن •

اذا صلح رجال الأمن تحقق الأمن والعكس صحيح • واذا تولى حفظ الامن رجال حريصون عليه أمن الناس في حياتهم وفي بيوتهم • واذا تولاه رجال يعرفون قيمة الانسان اطمأن الناس على حقوقهم الشخصية والانسانية والسياسية •

أما اذا تسيب رجال الأمن •• ضاع الأمن في البلاد وانتشر الخوف والفوضى والمحسوبية والمداراة •

ان رجال الأمن يتحملون قسطا كبيرا من مسؤولية حالات خرق القوانين في البلاد •

ويستطيع المواطن الكويتي أن يرصد عددا كبيرا من هذه الحالات :

● منح الاقامات لمن هب ودب أصبح تجارة رائجة تدر ربحا وفيرا على « شبكات » كثيرة متورطة بهذا الامر والواسطة تلعب دورها الكبير أيضا •

● كثير من رجال الأمـــن يستغلون « نفوذهم » ومراكزهم الوظيفية لتحقيق أغراض شخصية بحتة ، في وقـت يجب أن يكونوا فيه مثالا على التجرد والتفاني في سبيل الخدمة العامة •

● بعضهم ينحرف في محاربة البغاء فتتحول مكافحة الرذيلة

الى البحث عن المتعة الحرام لدى الساقطات اللائي يلقى القبض عليهن ·

● والخمرة التي تمنع القوانين ادخالها البلاد تجد طريقها سالكا الى حوزة رجل الأمن الذي « يلقي القبض عليها » بدلا من تدميرها واتلافها ·

● بعض رجال الأمن والشرطة يتساهلون أو يتشددون مع الآخرين طبقا لاسمه أو مركزه الاجتماعي ، فمن كان ابن فلان يجوز التغاضي عنه ، أما من كان مجهولا فيجب تطبيق أقسى الاجراءات بحقه وهذا ما دعا ولي العهد الى محاربته بحيث لا يكون هناك فرق بين فلان وعلان وانما يجب تطبيق القانون على الكل بسواء ·

● وتؤثر العلاقات الشخصية والصداقات والقرابات كثيرا علي تصرفات بعض رجال الأمن · وفي أكثر من حالة نجد ان شخصا يفلت من عقوبة أو مخالفة لأن المسؤول يعرفه ·

● ويجب أن نلاحظ أن بعضهم دخل سلك الشرطة وقوى الأمن ، لا حبا بالأمن وحرصا عليه ، وأنما ـ لغاية في نفس يعقوب ـ طمعا في الحصول على الجنسية الكويتية مثلا ، وهذه حالات كثيرة تعرفها الدولة ، وان مثل هؤلاء من الصعب أن يؤتمنوا على الأمن ·

● ونشير أخيرا أن قوى الشرطة والأمن تعاني من عجز في العناصر البشرية المؤهلةوالمقتدرة منجميع النواحي الضرورية ·

تلك بعض من هموم المواطن الكويتي بخصوص المسألة الأمنية ، انما ذكرناها ليعمل الجميع سوية من أجل تحقيق أمن النظام وأمن المواطن على حد سواء ·

الكويت   صوت الخليج

★ ★ ★

* العرفان : ماذا نقول نحن في لبنان عن قوى الأمن ؟! ذلك يحتاج الى مقال خاص ، وجميع ما قاله الزميل في صوت الخليج ينطبق علينا في لبنان تماما وأكثر منه ·

نحو مجمع للفقه الاسلامي

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي
عميد كلية اللغة العربية : جامعة الأزهر

في مؤتمر القانون المقارن الذي عقد بمدينة لاهاي عام ١٩٣٧ قدم الى المؤتمر بحث في المسئولية الجنائية والمدنية في الاسلام ، وبحث آخر في استقلال الشريعة الاسلامية عن القانون الروماني ، واتخذ المؤتمر قرارا بالاجماع بأن الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور ، وأنها قائمة بذاتها ليست مأخوذة عن غيرها .

ويقرر جاك أوستروي في كتابه « الاسلام أمام التطور الاقتصادي » أن الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، واذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحا أمامه فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، كما يرى أنه وحده أقدر على ذلك من غيره من المذاهب الاقتصادية العالمية الأخرى .

ان الشريعة الاسلامية أعدل الشرائع وأحكمها ، وهي يسر ورحمة ، وأساسها رعاية المصالح ودرء المفاسد ، وغايتها اسعاد الناس في الدنيا والآخرة ، وهي بحر زاخر يحوي كل أسباب الأمن والطمأنينة للانسان وللمجتمع ، وكل أسباب القوة والرخاء للأمم والشعوب . وهي الأساس المكين لبناء الحضارة ، وفيها من الأصول المرنة ، والقواعد الشاملة ما يجعلها مسايرة لمصلحة الناس في كل زمان ومكان . ففي التشريع الاسلامي الوفاء كل الوفاء بحاجات المجتمعات الكبيرة والصغيرة ، وبمطالب الدول

في مختلف الأجيال لأن هذا التشريع هو تشريع منزل من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين لخير الناس ، ولسعادة ورفاهية الانسانية ، والمسلمون يملكون بهذا التشريع أعظم كنز ، وأجل المدخرات التي تحرص عليها الشعوب في بناء نفسها وعزتها ٠

ولما ألف أحد الباحثين القانونيين ، وهو الدكتور محمود فتحي ، رسالته في « مذهب الاعتساف في استعمال الحق والخروج عن حدود الحق في غير ما شرع له عند فقهاء الاسلام » كتب كهلر العالم القانوني الألماني يقول : ان الألمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم في ابتكار نظرية الاعتساف والتشريع لها في القانون المدني الالماني الذي وضع سنة ١٨٧٧ ، أما وقد ظهر بحث الدكتور فتحي الذي أفاض فيه في شرح هذا المبدأ عند رجال التشريع الاسلامي ، وأبان أن الفقهاء المسلمين تكلموا عنه طويلا ، ابتداء من القرن الثامن الميلادي ، فانه يجدر بالعلم القانوني الالماني أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل الألمان بعشرة قرون ، وأهله هم حملة الشريعة الاسلامية ٠٠ ويقول ليفي ادلمان : يجب اعتبار الشريعة الاسلامية في المعاملات مصدرا حيا للقانون العصري ، ومناطا للحق في أدواره المختلفة ٠٠ وقد عقد العالم الأمريكي هوكنج أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد فصلا مستفيضا عن مصير الثقافة الاسلامية ، في كتابه « روح السياسة العالمية » المطبوع عام ١٩٣٢ ، حيث تكلم فيه باسهاب عن أصول الفقه الاسلامي وعن المذاهب الاربعة ، وقال : ان الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة ، واصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ، والجواب عن هذه المسألة هو أن في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانما في انعدام الميل نحو استخدامها ، واني أشعر بأني على حق حينما أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة جميع المبادىء اللازمة للنهوض ٠ وقال:

ان سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية وعن القانون في النظم السماوية ، وانما يجب أن يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم ، وأحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام قادرا على الصمود أمام مشكلات العصر ، وأقول : انه لا يعدل الاسلام في ذلك مذهب من المذاهب •

وصلة الاسلام بشريعة التكامل الاجتماعي ، وبنظريات المساواة والاخاء والعدالة ، وبالمذهب الاقتصادي الحر غير الموجه ، وبالابداع الانساني الخلاق الساعي نحو البناء والرخاء والتجديد ، صلة معروفة ووثيقة •• يقول المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس : كان الذائع أن فكرة الاخاء والمساواة والديمقراطية والحرية من ابتكار أوروبا في القرن السابع عشر ، بينما هي حقيقة من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأ •• ويقول جوته الألماني في كتابه « الديوان الشرقي للشاعر الغربي » : يجب أن ينظر الى القرآن على أنه شرع الهي ، وتعليم سماوي ، وليس كتابا انسانيا للدراسة والمتعة •

وكان أكثر الناس ممن تأثروا بدعايات خصوم الاسلام ينعون عليه أنه يعوق تقدم المعاملات الاقتصادية ، ولا يسمح بتنظيم المصارف والشركات لتحريمه قروض الربا في مختلف صورها • فلم يمض جيل واحد ـ كما يقول العقاد في كتابه « الاسلام دعوة عالمية ص ١٩٧ طبعة دار الهلال » حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن رأس المال نكبة على الانسانية ، وعائق من عوائق الحرية الكريمة ، والعمل النافع •

والقوانين الجنائية والمدنية والمالية والأحوال الشخصية ، وكافة القوانين في الاسلام تحوي أعظم ثروة تشريعية عرفها العالم • وهذا الى جانب التكاليف الشرعية العامة التي يطالب المسلم بأدائها من العبادات •

ومصادر الفقه الاسلامي حافلة بكل جديد ، اهتدى اليه عقل المشرع الاسلامي واجتهاده في نطاق قواعد التشريع وأصوله

العادلة ، التي حكموا بهـا على الحوادث والمسائل الفرعيـة ، وشمل ذلك جميع متطلبات وحاجات الأفراد والدول : من عادات ومعاملات وأحكام سياسية واجتماعية وجنائية ومدنية ٠

فتطبيق الشريعة الاسلامية ضرورة ملحة وهو اليوم مطلب حضاري ، بعد أن فشلت القوانين الوضعية في توفير السعـادة والطمأنينة والأمن للناس ٠٠ بل ان سيادة القوانين الوضعية في تشريعاتنا كان سندهـا الاحتـلال الاجنبي أو نفـوذ الدول الاستعمارية ، وعملها الدائب من أجل تغريب شعوب الشرق ٠

ولهذا كله نجد المسلمين اليوم في أمس الحاجة الى الاجتهاد الذي تراعي فيه أصول الشريعة وقواعدها ، ولن يستطيـع النهوض بذلك الا علماء مجمع فقهي تمثل فيه جميع المذاهب ، ويقوم بترتيب الفقه في مختلف مذاهبـه ، وبتجميعه في بنود مرتبة ، في العبادات والمعاملات والعقوبات والاحوال الشخصية وسواها ، كما يقوم باستنباط الأحكام لكل ما جد ويجـد من الوقائع والحوادث والمعاملات ، مراعيا في ذلك القواعد الأصولية ومبادىء الشريعة ٠

وبذلك نضمن استقرارا في محيط حياتنا العامة ، وتوفيرا أكبر للعدالة التي جاء بها الاسلام،وسوّى بها بين الكبير والصغير والغني والفقير والامير والاجير ، فالاسلام حريص على توفير هذه العدالة كل الحرص ٠٠

وفيما يروى أن مسلما جاء يشكو الى عمر مظلمة له ، وكان عمر في تفكير شديد في أمور الدولة ، فقال له : أتتركون عمر حين يكون فارغا ، حتى اذا شغل بأمر المسلمين أتيتموه ، وضربه بالدرة فانصرف الرجل حزينا ، وعاد عمر يحاسب نفسه على ظلمه للرجل ، ثم دعا به وأعطاه الدرة ، وقال : اضربني كما ضربتك ، فأبى الرجل ، وقال : تركت حقي لله ولك ، فقـال عمر : اما أن تتركه لله فقط واما أن تأخذ مني بحقك ، فقال له الرجل : تركتـه لله ، وانصرف عمر الى منزله ، فصلـى ركعتين ، ثم جلس يحاسب نفسه قائلا لها : يا ابن الخطاب كنت

وضيعا فرفعك الله ، وضالا فهداك الله ، وضعيفا فأعزك الله ، وجعلك خليفة فأتى رجل يستعين بك على دفع الظلم فظلمته ، ما تقول لربك غدا اذا أتيته ، وظل يحاسب نفسه حتى أشفق الناس عليه ·

وقال رسول الله (ص) للناس ذات يوم : أيها الناس من أخذت له مالا فهذا مالي ، فليأخذ منه ، ومن ضربته ضربة فليقتص مني قبل يوم القيامة ·

وخلاصة ما أقوله :

١ ـ ان حاجتنا الى الشريعة الاسلامية وتطبيقها ملحة وضرورية وهي حاجة انسانية لازمة ·

٢ ـ ان ضرورة فتح الاجتهاد قائمة وحافزة لنا الى العمل ·

٣ ـ انه لا مناص من قيام مجمع للفقه الاسلامي يمثل جميع المذاهب الفقهية ، ويعمل من أجل مبدأ سيادة التشريع الاسلامي وتطبيقه ·

٤ ـ وفي الامكان دعوة ممثلين للمذاهب الاسلامية ، ليتألف منهم هذا المجمع الفقهي الكبير ، الذي يجب أن يبدأ العمل من أجل رسالته الكبيرة ·

ولنا أكبر الأمل في الاستجابة لتلك الدعوة ·

د· محمد عبد المنعم خفاجي

مجمع اللغة العربية الأردني

هذا المجمع منذ تأسيسه وهو يبدي نشاطا واسعا في مختلف الاتجاهات والميادين في التحقيق والتأليف والتعريب وهذا يعود الى أن رئيسه الدكتور عبد الكريم خليفة وأمين سره صديقنا الأستاذ عيسى الناعوري جمعا الى العلم والفضل النشاط والاخلاص ، فنهنيء المجمع بانتاجه القيم ، وندعو الى الاشتراك بمجلته التي تحوي الرائع من الابحاث مع اشتراك زهيد ·

الرسالة البغدادية
تأليف : ابي حيان التوحيدي
تحقيق المحامي الكبير والمحقق
البارع عبود الشالجي •

شاعر يقدم أديبا محققا ٢

بقلم : جعفر الخليلي

خرج الى الأسواق أخيرا الكتاب الذي لم تصل اليه الأيدي الا نادرا بجميع ما احتوى عليه فيما يخص بغداد مما تقتضيه الحياة من أكل ، ولبس ، وشرب ، وغناء ، وطرب ، وهجاء مقذع هو غاية في البذاءة ، وأمثال عرفت في القرن الرابع الهجري ، وأشعار تأتي بها المناسبة عند شعراء ذلك القرن وما قبله ، حبكها أبو حيان التوحيدي حتى صار الكتاب هذا موسوعة للفلكلور العام في القرن الرابع الهجري ، والغريب في الأمر ان كثيرا مما ورد من أسماء المآكل والمشارب ، والأمثال ، والمعتقدات لا تزال حتى اليوم معروفة في العراق ، وفي بغداد خاصة ، حتى أسماء المدن والقرى منها والأنهار ، وقد جاء التوحيدي بكل هذا مقارنا بغداد بأصفهان فذم أصفهان ذما تجاوز به الحدود ، ومدح بغداد وحياتها العامة مدحا صادقا ، ولما كان التوحيدي متقلبا في رأيه مادحا هاجيا ، عاد في نفس الكتاب فمدح أصفهان وذم بغداد كما لو كان قد ندم على ما فعل !•

ومن حسنات هذا الكتاب انه يصلح أن يكون مرجعا يستنبط منه المتتبعون طرز الحياة في القرن الرابع في كثير من الأحوال حتى في الموبقات والمواخير والتهتك ، فضلا عن أساليب العيش ، من ضروب المآكل ، والمشارب ، والملابس ، والشعر ، والغناء •

ومن سيئات هذا الكتاب أن القذع أو البذاءة فيه تجاوزت كل حد من الحدود التي تنبو عن الذوق والطبيعة البشرية بحيث يبلغ فيه الفحش شعرا ونثرا مرحلة لا يمكن أن يطيق

الانسان الاستماع اليها دون الشعور بما يشبه الغثي والغثيان والاشمئزاز ، ولم يكن ايراد ذلك بالمفيد النافع ، ولكن طبيعة التوحيدي والتذاذه بهذه الأنواع من القبائح التي تنجس اللسان هي التي تحمله أن يخلط القمح بالزوان ، أستغفر الله ، بل القمح بالنجاسات ، والطيب بالخبيث ، بدون داع سوى اللذة ، لذة التوحيدي نفسه ٠

قلت ان هذا الكتاب لم يتيسر أن يقع المطبوع والمخطوط منه بأيدي جميع طالبيه ، ولذلك لا يعرف أكثر المتتبعين الا اسمه الوارد في المصادر والموسوعات ، واذا ما أتيح العثور عليه فلا أحسبه سيكون مفهوما الا للقليل القليل من اللغويين المتبحرين والملمين بالمصطلحات العربيـة والفارسيـة ومفاهيم الأمثـال والاشارات في العصر الرابع الهجري ببغداد وأصفهان ، في خطوط مبهمة لا تقرأ الا بالقرينة ، ولغة عويصة لا تغني القواميس وحدها في حل رموزها والتوصل الى مقصودها ٠

وينبري المحقق الكبير المحامي عبود الشالجي الى هذا الكتاب ويتسلح بكل مصدر من المصادر التاريخية والأدبية والعربية والفارسية ، وما يطلق عليه اليوم اسم (الفولكلور) ويبـذل أقصى مجهوده في قراءة الكتاب أولا حتى يستوعب الكثير مما تتعذر قرائته ، ثم يحوم حول مبانيه ومعانيه ، فيمين منه المدن ، والقرى ، والأنهار ، والاهواز ، ثم يترجم لمـن ورد اسمه في الكتاب ترجمة موجزة كافية ، بحيث قلما ترك علما من الأعلام دون التعريف به والاشارة الى موطن ذكره في المصادر من الكتب ، والاشارة الى الحكايات ، والأمثـال ، والمصطلحات ، والكلمات التي ظلت بغداد تستعملها كما هي أو بتحريف جزئي في الحرف والحركات ، كما لو كانت بغداد في القرن الرابع الهجري اليوم من حيث الطبخ ، وأدوات الأكل ، والحلي عند النساء ، والعطور ، وآلات الطرب ، والسفن النهرية ، ووسائل النقل ، وكل مـا يتعلق بالحياة العامة التي ورثت بغداد منها شيئا غير قليل ، وهي تنطق بأسمائها اليوم وتمارسها عملا !! وتسودها بعض

المعتقدات ٠

والأستاذ الشالجي الذي سبق لمن تسنى له أن يقرأ تحقيقاته الواسعة وجمعه لكتاب (نشوار المحاضرة) وتحقيق كتاب (الفرج بعد الشدة) تلك التحقيقات والتعليقات الدالة على الخبرة الواسعة والملكة الادبية وفهم أغراض الشعر ومغازيه البعيدة والقريبة ، قد لا يستكثر عليه تحقيق (الرسالة البغدادية) ولكن الواقف على المخطوط من هذه الرسالة ، وأنا ممن قرأت بعض صفحاتها المخطوطة ليستكثر والله القيام بمهمة تحقيق هذه الرسالة لأربعة وأكثر من مهرة المحققين والعارفين والمؤلفين ، فكيف بشخص واحد يقوم بها وحده ، ولا غرو اذا ما شردت بعض الكلمات وتعذر على المحقق وضوح بعض المصطلحات ، سواء التي ورد اعترافه بشرودها ، وتعذر وضوح معانيها ، أو لم يرد فان هذا المجهود كبير جدا يتجاوز طاقة شخص واحد ، وان أوتي من الكلمات ، والمواهب ما أوتي ٠

وليس هذا وحده الذي يثير الدهشة في تحقيق الأستاذ عبود الشالجي ، وانما للمقدمة الضافية التي عرض فيها لموضوع (الرسالة البغدادية) ولمؤلفها التوحيدي أهمية جد كبيرة ، فهي من المقدمات التي تصور ملكات هذا المحقق علما ، وأدبا ، واحاطة بالمفاهيم خير تصوير ، وليس في ذلك من غرابة ، فالشالجي شاعر وأديب ومحام من أكبر محامي العراق ، وقد تجلت قدرته كمحام في المناقشة التي أبدع بها في تصوير التوحيدي وتحليل شخصيته ، بما له وما عليه غاية الابداع في مقدمته التي قدم بها هذا الكتاب ٠

وللأستاذ الشالجي بعد هذا كتب أخرى من تآليفه ،وتحقيقاته هي اليوم في طريقها الى المطبعة ، وأنا أعتبر كل انتاجه في جميع الميادين تأليفا ، وتحقيقا ، فتحا كبيرا في عالم الثقافة ، بارك الله قلمه ، وزاد توفيقه ، ونفعنا بمساعيه ٠

سوق الغرب (لبنان) جعفر الخليلي

أكرم زعيتر في ذكرياته
ثورة كبرى وإضراب عظيم

بقلم: زهير مارديني

كان كتابه أمامنا على الطاولة (يوميات أكرم زعيتر ، الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) ، كنا ثلاثة من أغبياء العرب نتساءل : كيف يمكن لعربي أن يوظف قلمه وضميره لشتم العرب .. وتاريخ العرب .. وماضي العرب .. وحاضرهم ومستقبلهم و .. تمشيا مع الموضة الكتابية السائدة الآن !

كنا نصغي بانتباه الى ما كان ينقله تلفزيون العدو من مشاهد حية « لجريمة الاقدام » التي تسابقت بعناد للتشبث بأعماق الارض العربية .. العربية . فبعد أن احتلت أقدامنا مكان الرؤوس ، اضطر بسام الشكعة وكريم خلف استعمال أقدامهم لرفس الأعداء ومخططاتهم وتحالفاتهم !

انفتحت أمام عقولنا أبواب مدينة غامضة من الحزن الاسود مدينة طرقاتها هي المهانة وحيطان بيوتها حجارة محروقة في نار غضب هادئة ، أما حجرات البيوت فحسرات آدمية تجتمع تحت الضوء ، وتدخن !

وتنعقد سحائب الدخان تحت المصابيح .. ويبدو الظاهر لاهيا ضائعا منصرفا ، وثمة عمق تنصهر فيه المعادن ، وتتحرك ، وتتخاطب بلغتها الكونية الخاصة التي يستحيل تسجيلها .. وكل شيء هاديء على السطح وجداول المياه تجري حول البركان فتشرب منها العصافير والحيات على سواء .. وتجيء اللحظة في فلسطين المحتلة التي تخرس فيها الألسنة عن الحديث .. لقد

اتفق الاطفال الصغار مع « الأرجل » على القيام بنزهة خارج البركان الخامد ٠٠٠ سئموا جميعا من زنزانة العار التي تكوم فيها أهلهم وناسهم في البلدان التي يسمونها عربية ٠٠٠ واتفقوا على اندفاعه واحدة لأعلى ٠٠٠ الشيء المؤكد أن ريش الطيور سوف يحترق ، وستتحول الثعابين السامة الى سماد محروق يغذي الارض فتنبت حيث ماتت زهور الحياة الجديدة ٠

ألقى أحدنا سيجارته من يده وقال :

احساسي بالألم لا يعادله الا شعور دفين بأن « أقدام الشكمة وخلف » لا بد واصلة الى الرؤوس ، كل الرؤوس ٠٠

ـ لن تزهو اسرائيل طويلا بشجاعتها على الاقدام !!

أمسكت بكتاب يوميات أكرم زعيتر ، وحدقت في عنوانه طويلا ، ثم سرعان ما أعدته الى مكانه بعصبية وقلت :

ـ لا أدري ماذا فعلت لأستاذنا أكرم زعيتر ، فكلما أقسمت على الابتعاد عن (عمايل) بعض الفلسطينيين خارج فلسطين طالعني بكتاب ، أو مقال ، أو محاضرة ، أو (فركة أذن) ليعيدني الى الكتابة عن هذه القضية التعيسة بنا ، والتعساء بها !٠

انخرطنا في حديث طويل وعميق ، عن أحداث الأردن عام ١٩٧٠ ، وأحداث لبنان منذ عام ١٩٧٥ وحين وصلنا الى (جريمة الأقدام) قلت :

ـ ان أقدامهم توقظنا ٠٠٠ ان أطفال فلسطين ونساء فلسطين وشيوخ فلسطين يتحركون الآن لايقاظنا ٠٠٠ ليس أكثر مدعاة لليقظة من ضربات الأقدام الموجعة !

ترى هل نعرف كيف نستغل الحادث دوليا كما استغلت اسرائيل حادث ميونيخ ؟

صرخ أحدنا :

لا ٠٠ لا نريد أن نستغل الحادث في الدعاية للقضية ٠٠ أفضل أن يظل الحادث جرحا داخليا عميقا ٠٠ وتظل أصابع الأقدام مرسومة على وجوهنا ٠٠

من المؤكد أن حكام العرب اليوم لن يتفقوا على طريق موحد لاعلان حزنهم ·· لهذا فالحزن المكتوم أفضل في مثل هذه المعارك التي يخوضها أبناء فلسطين المحتلة ·· الحزن المكتوم يوجعك ويسمم حياتك ويجعلك أقرب الى نفسية البراكين ··

قال أحدنا :

لو أن حكام العرب ساروا جميعا في جنازة صامتة في عواصمهم وسار خلفهم ممثلون للشعوب العربية كلها وسار معهم الناس تعبيرا عن سخطهم لما فعله الارهابيون الحاكمون في تل أبيب ، لكان هذا التصرف بمثابة تعزية للمجاهدين البررة الذين يخوضون المعارك المكشوفة في الضفة والقطاع !·

اعترض واحد :

لو حدث هذا لكان لهذا التصرف دوي في العالم ، وكان لها رد فعل داخلي هو الاحساس بالارتياح ·· لقد فعلوا شيئا ·· ولكن من يضمن لهؤلاء الحكام عدم تحويل هذه التظاهرات الى نار تأكل الحكام ؟

قال صديق لم يكن قد تكلم بعد :

حمدا لله ان شيئا من ذلك لم يحدث ·· لا يريد الله لهؤلاء الحكام الاحساس بالارتياح ، يريد أن تظل صدورهم ثقيلة بغير راحة ، ويريد حزننا مكتوما بغير تعبير ، ويريد فجيعتنا كامنة بغير غناء أو عويل ··

يريد الله لنا هذا كله لأنه يريد أن توقظنا الأقدام ، بعد أن عجزت كل وسائل الايقاظ أن تهزنا ··

طاف الحديث حول عديد من الاشياء ·· ثم كان يعود في كل مرة الى فلسطين وثوراتها ونضالها وتاريخها الذي اختصر بعضه أكرم زعيتر في كتابه ·

بدأت الذكريات التي عرضها أكرم زعيتر في كتابه مثل جبال المغنطيس ·· مركزا لا يقاوم ·· وتوقفت الكلمات ، وجلسنا نحتسي الشاي مريرا رغم أننا حليناه بقطع عديدة من السكر ··

انتهى الأمر ولم تعد قطع السكر في أرضنا قادرة على محو

مرارة الأفواه ..

تركني الاصدقاء للكتاب ، الذي أقبلت عليه اقبالي على غذاء روحي افتقدته طويلا .

قرأت الكتاب في ليال ثلاث .. لا لأنه يتحدث عن نضال فلسطين أيام زمان ، لا رحم الله أيام زمان ، بل لأن مؤلفه هو أكرم زعيتر بالذات .. ولكن كم عدد الذين وصلهم الكتاب هدية وقرأوه ؟

ان عديدا من الأوهام والاكاذيب التي نشرتها الدعاية اليهودية ، والدعاية العربية المتهودة ، حول بيع الفلسطينيين لأرضهم وتفريطهم في حقوقهم أثرت في عقول الناس ... كما أن عديدا من الأكاذيب عن تخلي قادة العرب يومها عن الثورات الفلسطينية قد حفرت أخاديدها في العقول .. ولقد أعادني كتاب أكرم زعيتر الى الحقيقة المريرة ، ورأيت صورة الثورة الفلسطينية ، ابتداء من مأساة اتفاق الكبار على الصغار ، وانتهاء باخماد أصوات الصغار ..

مزق كتاب (يوميات أكرم زعيتر .. الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) أقنعة الوهم عن العقول أصلا .. وكشف حقيقة تلك المرحلة بنبلها وضعفها وتناقضاتها وانسانيتها وأحلامها وايمانها بالله ..

بتواضع العلماء قدم أكرم زعيتر سفره الى الناس بعنوان لا ينقصه التواضع : (ثورة كبرى واضراب عظيم) وقال :

منذ شرعت أعي ما يراد بوطني فلسطين العربية من شر ، ومنذ شعرت في صدر الفتوة بأن واجبا وطنيا علي أن أؤديه ، وهو شعور أضرمه في نفسي بيت فيه نشأت ، ومدرسة وطنية عنها أخذت ، وبلد باسل اليه اعتزيت ، وبدا يتجلى دعوة وعملا ، لم أبرح أحتفظ بما يقع في يدي من أوراق تتصل بالقضية التي تملكني وبقصاصات من كل صحيفة كان لي فيها مقال كتبته ، أو خطبة ألقيتها ، أو استهوتني فيها رائعة أو جاء فيها خبر عن جهد عام بذلته ، كما احتفظت ولا أزال ، بكل

رسالة وردتني ، سواء أكانت عامة المحتوى أم شخصية السمة ٠ وقد رأيتني حين تقحمت الميدان أدون في مفكرتي الكثير مما أشهد أو أسمع أو أشارك فيه ، وان لم يساعفني الوقت اكتفيت بعناوين الأحداث وبقصاصات وصور أستبين بها ما يستغلق علي منها ٠

ثم يقول :

ان القضية الفلسطينية هي قضية الأمة العربية كلها ، وخطر الصهيونية خطر على العرب أجمعين ، والشوط لتحرير فلسطين طويل طويل ، والثورة على الباطل الصهيوني والاستعماري مستمرة ، ولا يزكي ضرامها ويشد عزيمتها ويقوي ايمان الجيل الحاضر بالمستقبل الظافر أكثر من تذكارات البطولة في تاريخها، فهل يؤدي هذا السفر التذكاري بعض ما كتب لأجله ، ونشر في سبيله ؟ واني بهاتف من ضميري واعتذار عن خطأ في الاجتهاد ، أو تقصير في تدوين بعض الأمجاد ، أو غمط غير متعمد لجنود في القضية ايثاريين ، أرتل في ختام القول :

(ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) ٠٠

هذه الكلمات خطها أكرم زعيتر في المقدمة لتكون شاهدا على أنه يعيش خارج جسده ، ان فكره العظيم الثائر هو سر شقائه ومعاناته ٠٠ قاد الفكر خطواته من الثورة ضد البريطانيين الى الثورة ضد الفرنسيين ، الى البقاء في صفوف المناضلين البسطاء حتى أوصله الى جذور المشكلة الفلسطينية ٠

وبعد ، ماذا في الكتاب ؟

من الصعب على أي كاتب أن يلخص كتابا خطه أكرم زعيتر، ذلك ان الاحداث التي يرويها مترابطة ، بحيث اذا اقتطعت حادثة ، أو قفزت من فوق مرحلة ، تسيء الى السفر بكامله ، لقد قرأت الكثير عن تلك المرحلة وما أزال ، ولست أغرق في تقييم ما كتبه عن عاطفتي نحوه،أو أتجنى على زملائه ومعاصريه وأقرانه ممن كتبوا عن هذه القضية في مراحلها الأولى ، أو كانوا قد سبقوه الى الرواية اذا جزمت بأنه كان أكثرهم أمانة ،

وأحرصهم على وفاء حق مناضل عاش للقضية فقط ، دون أن ينجرف الى مستنقعات العبث المعيب ، ومن يقرأ الكتاب كما قرأته يحس ان المؤلف لا يزوق ولا يزور ، انه لا يبتغي فيما يكتب تملق (الجماهير) ولا اصطناع التشامخ والشموخ ليقال مثلا ان المؤلف تحدث عن نفسه أكثر مما تحدث عن الآخرين ، وهنا مع أكرم زعيتر نلتقي مع المثقف العادل المعتدل ، ومع الانسان الأمين ، ومع الأديب المهذب الفطرة ، حيث التاريخ ليس لهوا ، ولا سلعة ، ولا مسح كاهن ، ولا بخور مذابح مقدسة ولا ألغاز كلمات متقاطعة ، بل حيث الأدب لا يدل على ذوق رفيع ومعرفة واسعة فحسب ، بل على توافر عناصر التكون الحضاري في شخص الأديب الذي شاهد وروى ، وذات المثقف الذي لا يجامل ٠٠ فاذا أضفنا الى ذلك كله قلق روحه المتوفزة المفتوحة على الدنيا عيونا ، وتفرع ذكرياته وانتشارها الى أكثر من غرض واحد ، وأفق واحد ، وطموحه الى تعميق الهدف الذي يريد ابرازه والابتعاد به عن الشاطيء الضحل ، الى الغور العميق ، وما يرافق هذا الطموح من حرص على المحاسبة ٠٠ نقول اذا أضفنا هذا كله الى ما عرفنا من صفات المثقف الطموح الجريء ، حق لنا أن نحكم بأن هذا النجم العربي الفلسطيني ما يزال في شغل شاغل عما في جواره من أخطاء ، وتجاوزات ، وبله ، وجهل ، وجنوح ، وتصرفات رعناء ، هو في شغل شاغل عن كل هذا ليثبت شراع القضية الفلسطينية ، ويصلح شباكها ، ويتأمل في آبعاد الأبعاد : مستقبلها ٠

لقد اضطر أكرم زعيتر للرحيل عن وطنه لينتقل بكل مكان في أوروبا والأمريكيتين وآسيا والبلدان العربية حاملا فلسطين في صدره وجبينه ٠٠ ولقد عاد أكثر من مرة بعد ذلك الى وطنه نابلس ، ولكن لفترات محدودة ، ينطلق بعدها في أركان الدنيا محطات طريق للتعريف بهذه القضية وتنبيه الغافلين ٠٠

انه يحدثنا في كتابه عن المؤتمرات التي حضر ، المقالات التي كتب ، الثورات التي ساهم فيها والثورات التي ساهمت فيه ،

عروبته ، ايمانه بالله ، كل هذا ذكره بأمانة ، لا ليتحدث عن ذاته ، بل ليقول للغافلين والمغفلين معا ان القضية الفلسطينية أقدس وأشرف من أن يستغلها المستغلون ، ويستأجرها المستأجرون ، لأنها قضية شعب ما يزال يدفع الثمن ويموت .. و (أكرم زعيتر) ليس شيئا آخر غير (فلسطين) لتعرفه يجب أن تعرفها ... هناك في القدس ونابلس وجنين وطولكرم والخليل و .. و .. يمد جذوره وحبه وسفح شباكه .. لقد جمع الدنيا كلها الى طرق فلسطين .. وهو في مؤلفه يحكي لنا عن الأحداث والمواقف كعربي فلسطيني .. كل بيت ، كل حائط ، كل حجر في فلسطين لديه عند أكرم تاريخ .

ان أروع ما قدمه الينا المؤلف ذلك التلاحم العضوي بين أبناء الأمة العربية التي تداعت لنصرة هذه القضية ، قبل أن تمتد اليها أيدي الجزارين ، والماركسيين ، وتجار العقائد ..

كم كنت أود أن أسأله حين كنت أقرأ ذكرياته ، ولكن من أين ظهرت هذه الهياكل السياسية الضخمة التي اختطفت القضية من بين أيدي أبنائها ، وراحت تخنق أنفاسنا حتى النفس الأخير ؟ أخاف أن يجيبني أستاذي أكرم بأننا نحن صنعنا هذه الهياكل بأيدينا لتسحقنا ، بنيناها حجرا حجرا فوق أكتافنا والرؤوس لتخنق احساسنا بها كقضية مقدسة .

أخاف أن يقول لي وهو يعنفني :

أنا وأنت نعرف انها تنين دون قلب .. انها (دراكولا) مصاص الدماء ، ومع ذلك نعجز عن تحطيمها ، لأنها تكبر وتكبر ، وتصبح مع الزمن أعظم من أن تحيط بها أيدينا ..

أرهب أن أسمع منه أن هذه الهياكل البشرية التي تتحكم بالقضية الآن ، هي قمة بدون قاعدة ، تحاول أن تجعل من القضية مادة للخطب السياسية والانقلابات ، ولهذا اعترفت اسرائيل بالدول العربية ، وهنا التقى عمى الساسة العرب مع بدائية الفكر السياسي العربي فأعطيا الفرصة الذهبية لاسرائيل .

أبعد أصحاب الارض الى العتمة ، فلم ينظر أحد في العالم الى القضية ، ولا الحكام العرب عرضوها على أنها حرب تحرير ، ولكن على أنها خلاف بين دول .. وخلاف الدول تتولاه الأمم المتحدة ! أليس هذا ما يجري يا أستاذ ؟

ترى من يعيد القضية الفلسطينية الى الينابيع الأصلية التي حدثنا عنها المؤلف في كتابه ؟

هل سنترك الأمر لأقدام المناضلين في الضفة والقطاع والقدس ؟

من يعيد لنا الى الساحة أمثال سعد الله الجابري ، ورياض الصلح ، ومصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وجبران التويني ، وفارس الخوري ..

أين مصر الآن مما كانت عليه ، يوم ذهبتم (ص ٤٦٨) الى منزل الزعيم مصطفى النحاس الذي وقف خطيبا في وفد المؤتمر البرلماني لنصرة القضية الفلسطينية وقال :

(.. ليس بدعا أن نرحب بكل مسعى تنال فلسطين من ورائه خيرا وتدنو فيه من غايتها ، أيا كان هذا المسعى ومصدره أو أصحابه ، فان هدفنا الاول هو أن يحيا اخواننا الفلسطينيون حياة حرة طيبة تنجيهم مما هم فيه من عذاب مقيم وشقاء وألم واضطراب لا استقرار معه ولا اطمئنان ، وسواء لدينا أن ينجح هذا المسعى على يد زيد أو عمرو من الناس .

من يعيد الينا تلك الأيام التي كان فيها زعماء النصرانية (ص ١٥٣) يناشدون العالم انقاذ الاراضي المقدسة من الخطر الصهيوني ؟) .

وكم كان رائعا حديثك عن ثورة عز الدين القسام ، ورواياتك عن استشهاده وصحبه ، وأقوال الثوار بزعيمهم ..

جهاد ، استشهاد ، ثورات ، تحدي ، مقاومة ، تآمر ، كل هذا ورد باسهاب في الصفحات الـ (٦٦٠) التي تضمنها السفر وأحلى ما في الذكريات تعمدك أن تذكر كيف كانت القضية الفلسطينية تسمو عن الطائفية ، وكان المسيحي يناضل الى جانب

المسلم ، والسني وراء الشيعي ، والدرزي مع الاسماعيلي ..
وطن واحد وقضية واحدة يجللها الله أكبر .

وأخيرا ماذا أقول أكثر من هذا ؟
لقد فتحت جراحا اذ فتحت فما !.

مصـاب صديـق

● صديقنا الحميم الاستاذ السيد سلمان هادي الطعمه ، أصيب بوالدته التي اختارها الله لجواره ثم بعمه ، وقد شيعا الى مقرهما الاخير بالتكريم ، تعازينا الحارة للأخ السيد سلمان وهو يعلم انا نشاركه في أفراحه وأتراحه لأنه يستحق كل محبة عدا كونه من أنصار العرفان الماديين والمعنويين ، اضافة الى أن آل طعمه وهو في مقدمتهم عائلة علم وفضل ونبل وأدب .

مصاب الأستاذ ملحم كرم

● صديقنا الكريم الاستاذ ملحم كرم نقيب المحررين أصيب أيضا بوفاة والدته ، فأقبل الرؤساء والوزراء والصحافيـون يشاركونه في مصابه ، ونحن الذين عرفناه عن كثب وخبرناه ، نشاركه في مصابه ونعزيه ، وان كان العزاء انها زوجة المرحوم الاستاذ كرم ملحم كرم ووالدة الأستاذين عصام وملحم كرم ، أمد الله في حياتهما .

وبهذه المناسبة نطلب من نقابة الصحافة أن تجمع شملهـا وتعزز نشاطها فتقتفي أثر الاستاذ ملحم في نشاطه لتحصيـل حقوق المحررين ، فالصحافيون للآن محرومون من كل شيء ، فلا تعويض لهم عما خسروه في هذه الاحداث ولا ولا مما يكثر تعداده .

وصية الملك لويس السادس عشر

بقلم: سعيد شيباني

الليلة هي ليلة ٢٤ كانون الاول ، ليلة عيد الميلاد المجيد ، ففي تلك الليلة لم تحتفل باريس بأي قداس من قداديس منتصف الليل كالمعتاد ، فقد كانت الكنائس قد تحولت الى أمكنة لعقد اجتماعات الجمعيات الوطنية ، ورقد الصغار باكرا ، وكذلك ذووهم الذين لم يحتفلوا بالعيد كالسابق ، بل راحوا يتذكرون أعياد الميلاد السابقة التي كان التقليد فيها يقضي بالذهاب الى قصر فرساي لمشاهدة الملك يتناول عشاء الميلاد بأبهة وعظمة . غير ان الملك ، في تلك العشية كان أسير « كومونة » باريس مع جميع أفراد أسرته ، في برج « التامبل » ، ولكنه عُزل عنهم منذ بدء المحاكمة في ١١ كانون الاول .

وفي عشية الميلاد تلك عبثا حاولت الملكة ماري ـ أنطوانيت النوم . ففوق حجرتها ، في الطبقة الثانية ، استطاعت أن تسمع وقع خطى الملك المتثاقلة جيئة وذهابا . فمنذ انفصالهما كان الأسيران يتصلان كل مساء أحدهما بالآخر ، ومن طبقة الى أخرى ، بواسطة البطاقات القصيرة التي كان الوصيف الملكي كليري يربطها بالخيط الذي كانت الملكة ، أو مدام اليزابت ، تدليانه من النافذة ، فأي رسالة وجهها لويس الى زوجته ليلة ٢٤ كانون الاول ١٧٩٢ ؟ أهو سر من أسرار القلوب ؟! ولكن في تلك الليلة ، وفي برج حجرته الصغير ، وعلى ضوء شمعدان مدخن ، كتب لويس مسودة وصيته التي حرص على أن يؤرخها بتاريخ الغد :

« أرجو زوجتي أن تغفر لي كل الاساءات التي تعانيها من أجلي ، والغموم التي يمكن أن أكون قد سببتها لها خلال اتحادنا

بالشراكة الزوجية • ويمكنها أن تكون واثقة من أنني لا ألومها على شيء، اذا كانت تعتقد أن ثمة ما تؤاخذ نفسها عليه ••• » •

وصباح يوم الميلاد المجيد ، كانت العتمة ما تزال تلف البرج عندما دخل كليري ، بعد أن أيقظ الضابط البلدي الذي قضى الليل في القاعة الأولى من « طبقة الملك » حجرة لويس ، وقال له :

ـ سيدي ، انها العاشرة والنصف !

وبينما كان الوصف يوقد النار ، ارتدى الملك مباذله ، وحلق ذقنه ـ بعد أن أعيدت اليه الموسى • ثم دخل المصلى وصلى ، وكان النهار قد بدأ يظهر ، ووصلت اليه جلبة المدينة ••• ولكن للمرة الأولى منذ ألف سنة ، في هـذا الصباح الميلادي ، بقيت أجراس باريس صامتة ، حتى أنهـا لم تعـد تقرع في الأعراس ! فقد كانت تجري مراسم زفاف ثلاثين أو أربعين من الأزواج معا في دار البلدية ، حيث تتردد بصوت واحد « النعم » الطقسية !

وتناول لويس مجددا ريشته ، وأعاد نسخ مستهل وصيته هذا : « باسم الثالوث القدس الآب والابن والروح القدس • اليوم الخامس والعشرون من كانون الاول سنة ١٧٩٢ ، أنـا لويس السادس عشر ، ملك فرنسا ، المسجون مع أسرتي منذ أربعة أشهر في برج « التامبل » في باريس ، من قبل أولئك الذين كانوا من رعاياي ••• وفضلا عن ذلك أنا متورط في دعوى من المستحيل التكهن بنتيجتها ، بسبب أهواء البشر ، دعوى ليس لها آي مبرر في القوانين المعمول بها ، وليس لي غير الله شاهدا على أفكاري ، وملجأ أتوجه اليه ، فاني أكشف هنا في حضرته ، رغباتي ومشاعري الاخيرة •

أرجو كل الذين يمكن أن أكون قد أسأت اليهم دون قصـد (لأنني لا أذكر أنني قد تعمدت الاساءة الى أي انسان) ، وكل الذين يمكن أن أكون أعطيتهم الأمثلة السيئة ، أو الفضائح ، أن يغفروا لي الاساءة التي يعتقدون أنه كان بامكاني أن ألحقها بهم • وأرجو كل الذين عندهم محبة أن يوحدوا صلواتهم مع

صلواتي للحصول على مغفرة الله لكل خطاياي ·

اني أصفح من كل قلبي عن جميع الذين أصبحوا أعدائي دون أن أمنحهم أي سبب ليصبحوا كذلــك ، وأتوسل الى الله تعالى أن يغفر لهم » ·

كيف كان يمكن لأعدائه أن يفهموه ؟ لقد كان هو نفســه لغزا : بالنسبة الى بعضهم كان « ظاهرة خارقــة مــن الخوف الاخلاقي والخور » ، حسب حكم باربي دو ريفيي القــاسي ، وبالنسبة الى البعض الآخر كان رجلا ذكيا ورزينا ، خانته حاشية يرثى لها ·

« اني أرثي من كل قلبي لاخواننا الذين يمكن أن يكونوا على ضلال ، غير أني لست في مجال محاكمتهم ، ولا يقلل ذلك من حبي لهم في يسوع المسيح ، على حسب ما تعلمنا اياه المحبة المسيحية » ·

واذا لم يكن هذا وداع ملك لشعبه ، فانه بكل تأكيد فعل رجل مسيحي كبير ، في صبيحة الميلاد ، وقد مسه جناح الملاك !

« اني أوصي ابني ، اذا شاء سوء طالعه أن يصبح ملكا ، بأن يفكر في تكريس نفسه لاسعاد مواطنيه ، وفي أن عليه نسيان كل حقد وغيظ ، وبخاصة ما له علاقة بالآلام والفجوع التي أعانيها ، وفي أنه لا يمكنه توفير السعادة للشعوب الا بالحكــم حسب القوانين ، ولكن في الوقت نفسه فان الملك لا يسعه أن يؤمن احترام هذه القوانين ، وأن يضع الخير الذي تنطوي عليه جوانحه ، ما لم تكن له السلطة الضرورية · وفي ما عدا ذلك ، فانه يكون أكثر ضررا منه نفعا اذا ما كان مقيدا في أعماله ولا يوحي بأي احترام » ·

على الرغم من كل هذه النيات الطيبة ، ألم يخش الملــك لويس السادس عشر ، في صبيحة ذلك اليوم الميلادي من سنــة ١٧٩٢ ، أن يكون هو ذلك « الملك الذي كان أكثر ضررا منه نفعا ؟ » ·



بعد ظهر ذلك اليوم ٢٥ كانون الاول وصل الى « التامبل » محاموه الثلاثة : ماليرب ، وترونشه ، ودوسيز ، فأدخلوا على موكليهم بعد أن جردوا من ثيابهم ، وفتشوا تفتيشا دقيقا جدا • وكان الملك يكمل وصيته ، وهو شاحب الملامح ، منقبض الصدر ، فدخل القاعة التي ينتظر فيها الرجال الثلاثة ، فبادرهم بالقول :

ـ لقد رتبت كل أموري الصغيرة ، ويمكنهم الآن أن يفعلوا بي ما يشاؤون •

فطلب اليه دوسيز أن يسمح له بقراءة المرافعة التي أعدها للالقاء في اليوم التالي في الكونفنسيون ،في اليوم الثاني والحاسم للنظر في الدعوى • وفي القاعة المقتطرة ارتفع صوت المحامي الشاب الدافيء :

« ارتقى لويس العرش في سن العشرين ، وفي سن العشرين كان ، وهو على العرش مثال الآداب الحسنة والاخلاق الحميدة• فلم يحمل الى العرش أي ضعف يؤاخذ عليه ، ولا أية أهواء مفسدة ••• كان ضنينا ، عادلا ، قاسيا ، وقد دلل دائما على أنه الصديق الدائم للشعب • أراد الشعب الغاء ضريبة باهظة كانت تثقل كاهله فألغاها • طالب الشعب بالغاء الرق ، فبدأ بالغائه بنفسه في ممتلكاته ••• باسم هذا الشعب نفسه يطالبون اليوم ••• أيها المواطنون ، أن لا أكمل ••• أنا أتوقف أمام التاريخ ، فكروا في أنه سيُحكم على حكمكم ، وان حكمه سيكون حكم العصور » •

وكان دوسيز قد كتب نهاية أكثر هزا للمشاعر ، ولكن الملك طلب اليه أن يحذفها ، قائلا :

ـ أنا لا أود أن أبدو أنني أستعطفهم !

★ ★ ★

وبعد ذهابهم فتح لويس تاريخ تاسيتوس الشهير ، ثم قبل أن يخيم الظلام ، نسخ للمرة الثانية وصيته :

« وانتهي بالتصريح أمام الله ، وأنا مستعد للمثول أمامه ،

بأنني لا أؤاخذ نفسي على أي من الجرائم المقدمة بحقي » ·
(حرر من هذه الوصية نسختان ، في « التامبل » ، يوم ٢٥ كانون الاول ١٧٩٢ ، لويس » ·

* * *

ـ معروف سعد
نضال وثورة ـ

هذا الكتاب نشرته مؤسسة الخدمات اللبنانية للنشر والخدمات الطباعية وهو من تاليف الاستاذ شفيق الارناؤوط الذي رافق المرحوم معروف حدة وهو طويلة ورافق الحركات الوطنية في صيدا منذ صغره وهو اليوم من موظفي الاعلام ، اذا هو اقدر من يكتب مثل هذا الكتاب ، ولذلك جاء الكتاب مستوفيا للشروط التاريخية عدا بعض القضايا البسيطة التي لا تضر بالجوهر · وقد جاء في مقدمة الفصل الاول : « لمحة عن الحركة الوطنيـة في صيدا » ··· لان الواجب القومي يقضي بسكب التاريخ الحي في وجدان شبان هذا الجيل الذين لم يقدر لهم ان يعيشوا سنوات ما قبل الاستقلال وثورات فلسطين ··· ولان تعريفهم بالنماذج البشرية من الابطال والكتاب يقع في ٤٢٥ صفحة طبع طبعا انيقا على ورق ابيض جيد وهو يستحق المطالعة · شكرا للمؤلف والناشر والى اقتناء هذا الكتاب ·



صفحات مجهولة من تاريخ كربلاء

عودة الأتراك

بقلم: السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة

مضت على كربلاء فترة من الزمن وهي تدار من قبل شيوخ آل كمونة بشكل مضطرب غير مستقر ، حتى سأم الناس حكمهم ، وبات ظلمهم في تقلص مستمر • فحان الوقت المناسب لظهور قوى تستطيع أن تكبح جماحهم • فاجتمع في محرم سنة ١٣٣٥هـ الموافق لشهر أيلول سنة ١٩١٦م نفر من أقطاب الفكر وذوي الرأي الحصيف في محضر سري وتدارسوا فيما يجب اتخاذه من الخطوات الصارمة لانتشال مدينتهم من هذه الهوة السحيقة ، والحفاظ على شرفها المهان من عبث أعراب بني حسن واليسار وسائر الرعاع الذين يصطادون بالماء العكر •

اجتمع هؤلاء الجهابذة من رجال العلم والأدب وهم كل من الحاج محمد حسن أبو المحاسن والسيد حسين القزويني الحائري والسيد محمد علي الطباطبائي والسيد محمد علي هبة الدين الحسيني والسيد أبو القاسم الكاشاني ، وبعد أن تدارسوا عن كثب الاحداث التي وقعت في كربلاء ، خلال فترة حكم آل كمونة، اتخذوا بعض القرارات كانت على جانب كبير من الأهمية • وعلى أثرها غادر كربلاء الى النجف كل من السيد حسين القزويني والسيد أبو القاسم الكاشاني والسيد محمد علي الطباطبائي واجتمعوا بالامام المجتهد السيد كاظم الطباطبائي ، وبعد عودتهم الى كربلاء ، أخذوا يستفزون الجماهير الكربلائية وبعض رؤساء العشائر العربية بضرورة الاستبسال والوقوف بوجه تحديات آل كمونة وايقافهم عند حدهم • اذ كان الامام

الطباطبائي قد وجه اللوم اللاذع لبعض طلاب العلم الذين كانوا يسايرون آل كمونة ، وعندها اضطر بعض هؤلاء ، وتحت ضغط فتوى الامام ، أن يقلبوا لآل كمونة ظهر المجن ، ويأخذوا بردعهم ، ووجه النصح لهم حليفهم العلامة الشيخ محمد حسين المازندراني الحائري الذي كان الى عهد قريب من أشد أهل العلم حماسا ومناصرة للشيوخ • اذ بدت له البوادر التي تشير الى أن الأتراك قد يبذلون الجهود الجبارة لاسترجاع كربلاء ، كما استرجعوا الحلة على أثر غزوها من قبل عاكف بك على رأس الأوردي الانتقامي الذي شكله الاتراك لتأديب المدن التي أعلنت العصيان على الاتراك • وصادف أن أطلق الأتراك سراح الشيخ عبد الكريم رئيس عشيرة آل عواد في أيلول ١٩١٦م ، ذلك الذي كان يعتبره الاتراك من أشد المناوئين لمشيخة آل كمونة ، وله أنصار ومؤيدون أكثر عددا وعدة منهم •وبرجوعه نشطت كتلته في مناوئة الشيخين محمد علي وفخر الدين كمونة مما سبب لهما بعض المتاعب •

ومن جهة أخرى راجت في كربلاء شائعات تشير الى قرب هجوم عاكف بك على المدينة على رأس أوردي الانتقامي ، وان ما سيفعله عاكف بك في كربلاء سيكون نظير ما فعله في الحلة ، وستنصب المشانق على قارعات الطرق وساحات البلد وسيساق الانقلابيون اليها كما تساق البهائم الى المجازر • وكانت الفظائع الوحشية التي ارتكبها عاكف بك عند غزوه الحلة خير بلاغ ينذر آل كمونة وحلفاءهم الانقلابيين بما سيؤول اليه مصيرهم المحتم ، عندما يغزو عاكف بك كربلاء • والى هذا أشارت الخاتون المس بيل السكرتيرة الشرقية في دار المعتمد البريطاني في العراق في كتابها (فصول من تاريخ العراق القريب) فقالت ما هذا نصه :

« وكان محمد علي كمونه المستمر على تبادل الرسائل معنا يكرر اعرابه عن مخاوفه من عودة الأتراك ، وازداد قلق المدن المقدسة ازديادا حادا من الاعمال الفظيعة التي وقعت في الحلة

في تشرين الثاني سنة ١٩١٦م ، حيث ان جنودا أتراك كانوا يحملون عتادا الى عجمي اقتربوا من الحلة وطلبوا المرور ، وعندما ذهبت جماعة من الوجهاء للاتفاق على الشروط ألقي القبض عليهم ، وشنق في اليوم التالي عدد منهم ، فنجا السيد محمد علي القزويني أقدم رجال الدين في الحلة من مثل هـذا المصير بأعجوبة ، ثم دخل الجنود البلدة فهدموا وأحرقوا ونهبوا وتحدوا شعور المسلمين أكثر من ذلك بسبي نساء الأسر وارسالهم الى بغداد ليوزعن على الجنود (١) ٠

ومما ساعد ذلك أن فخري كمونه وأتباعه كان قد نفد عتادهم وقلت حيلتهم وضعفت قواهم وتفرقوا أيدي سبأ ٠ اذ رجع معظم أولئك (الافرارية) الذين كانوا هاربين من الجندية ، وكان الشيخان محمد علي وأخوه فخري كمونه قد بذلا المزيد مـن الجهود المضنية لجلبهم اليهم بغية اضعاف قوى رؤسائهم قـد رجعوا الآن الى مشايخهم الأصليين معلنين لهم ولاءهم وندمهم ٠ وحينذاك أبرق العلماء الأعلام وبعض الوجوه السادة وقسم من رؤساء العشائر العربية في كربلاء الى القائـد التركي العـام يطلبون منه العفو عن جريرة الانقلابيين وعقـد الصلح بين الكربلائيين وبين الحكومة التركية ، وذلك في شهر ربيع الاول سنة ١٣٣٥هـ ٠ وبعد أن تم الصلح ، دخل الجيش التركي في أواسط شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٦م بأمر المتصرف جلال بك الذي سبق له أن أشغل متصرفية كربلاء سنة ١٣٢٦هـ ٠

وهكذا عادت الحكومة التركية الى كربلاء ، وعين جلال بك متصرفا لها ، وبعد أن مكث فيها زهاء خمسة عشر يوما غادرها ٠ وكان من باكورة أعماله خلال هذه الفترة القصيرة اقصاء الشيخ حميد بن الشيخ محمد علي كمونه عن سدانة الروضة الحسينية وأعادها الى السادن السابق وأشغلها بالنيابة رئيس خدمـة

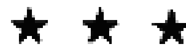
(١) فصول من تاريخ العراق ـ للمس بيل ـ ترجمة جعفر الخياط ص ٩٧٠

الروضة الحسينية السيد محمد سعيد السيد أحمد آل طعمة ، وكذلك أعفى الشيخ هادي كمونه الذي كان رئيسا لبلدية كربلاء من منصبه وعين مكانه السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن عبد الوهاب الكبير من آل طعمة وكيلا لرئاسة البلدية ٠

وبعد مغادرة جلال بك مدينة كربلاء ، عين أسعد رؤوف بك متصرفا لها ، ومكث بها حتى سقوط بغداد في شهر جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ ٠ هذا ما وصلت اليه الحالة في كربلاء ابان ذلك العهد ٠

كربلاء ـ العراق : محمد حسن السيد مصطفى آل طعمة

بعض مصادر البحث :



١ ـ مذكرات الشيخ محمد حسن أبو المحاسن ٠
٢ ـ مذكرات السيد عبد الحسين الكليدار ٠
٣ ـ مجموعة خطية بقلم السيد عبد الرزاق آل وهاب ٠
٤ ـ مذكرات السيد ابراهيم شمس الدين القزويني ٠

★ ★ ★

مجلة صوت الاسلام

● صدر العدد الاول للسنة الثامنة من مجلة (صوت الاسلام) الكربلائية التي تصدرها جمعية النهضة الاسلامية في كربلاء ، ويضم العدد طائفة من المقالات الادبية والتاريخية والسياسية ، وحفل بكل ما لذ من الاخبار الطريفة ٠ نهنيء صوت الاسلام ونتمنى لها كل تقدم وازدهار ٠

مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء

● صدر الجزء الرابع من كتاب (مدينة الحسين) أو مختصر تاريخ كربلاء ، لمؤلفه الأستاذ السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة ، والكتاب يتحدث عن فترة من فترات تاريخ كربلاء ، ويناقش الآراء والمعتقدات البهائيـة ويتعرض في رده علـى الدكتور علي الوردي ، والكتاب سجل تاريخي يفيد كمرجع لكل من يريد أن يكتب عن تاريخ هذه المدينة المقدسة ٠

الكورتيزون عقار خفف آلام الملايين من البشر

بقلم: فاضل جواد الطعمه

قبل بضع سنوات كان لويس سوريت Lewis Surett منهمكا في مباراة حماسية للعبة السكواش عندما ارتدت الكرة المطاطية الصلبة وأصابته في عينه بكل قوتها ، ولم يكن ألم الضربة القوية أشد مما يُحتمل بل انه فقد الابصار في اللحظة بالعين المصابة ، فذهب الى الطبيب وحقنه بجرعة كبيرة من عقار الكورتيزون ، ولم يمض على ذلك أسبوع واحد حتى كان لويس سوريت قد استعاد بصره كاملا •

وفي أوائل شهر شباط من عام ١٩٨٠ احتل لويس سوريت مكانا له في حفل كبير في القاعة القومية للمخترعين الامريكيين وهو شرف اكتسبه قبل ثلث قرن بوصفه أول كيميائي في العالم يقوم بتصنيع الكورتيزون وهي المادة التي أنقذت بصره ، وقد شرح الدكتور سوريت في تقرير له ما هو الكورتيزون ، وما الدور الذي قام به في احالة الكورتيزون من مادة علمية و نادرة الى واحد من أهم العقاقير الطبية في هذا العصر ، وفي هذا يقول الدكتور سوريت : « الكورتيزون هو مادة كيميائية عضوية معقدة تتألف من جزيء يضم احدى وعشرين من ذرات الكاربون بالاضافة الى عدد مناسب من ذرات الهيدروجين والأوكسجين ، ويُفرز الكورتيزون بصورة طبيعية في الغدد الادرينالية لجميع الثدييات بما فيها الانسان ، وقد ظل لسنوات عديدة ندرة علمية نظرا لضآلة الكميات المتوفرة فيها ، وكانت تلك الكميات الطفيفة تستخلص من الغدد الادرينالية للماشية بعد ذبحها • ولما كان الكورتيزون ندرة علمية فانه لم يحظ الا بقدر ضئيل

من اهتمام العلماء والباحثين لفترة طويلة من الزمن . الا أنهم مع بداية الحرب العالمية الثانية اشتد الاهتمام الى درجة كبيرة للكورتيزون » •

وكان السبب الذي حدا بالباحثين الى الاهتمام بالكورتيزون هو ادراكهم لما يسببه عدم وجود الغدد الادرينالية في الحيوانات من ارهاق واحساس بالصدمة ، وفي امكان الكورتيزون المصنع ، أي المادة التي تنتجها الغدد الادرينالية عادة أن تزيد مقاومة الانسان للصدمة والارهاق،وقد أثار محاولة تصنيع الكورتيزون نشاطا كبيرا في عديد من المعامل الكيميائية ومختبرات الابحاث ، كما أمن وظيفة للشاب لويس سوريت الذي كان قد حصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء من جامعة برنستون الامريكية ، فقد التحق بشركة Meark وهي واحدة من أكبر شركات انتاج الأدوية ، وبعد ذلك بعامين ، أي في عام ١٩٤٤ ، نجح في تصنيع كميات ضئيلة من الكورتيزون ، وما أن حل عام ١٩٤٨ حتى كان قد أنتج من الكورتيزون كميات تكفي للشروع في تجارب علمية لتحديد مدى فائدته • وقد أجريت عدة تجارب علمية في ولاية مينيسوتا أثبتت فعالية الكورتيزون في علاج الالتهاب ، وخاصة التهاب المفاصل الروماتيزمي ، ويستخدم الكورتيزون في علاج ما يربو على ثمانين حالة مختلفة ، فأطباء الامراض الجلدية يستخدمونه بعد أن أحدث ثورة في علاج الامراض الجلدية وعديد من أمراض الانسجة وهي أمراض شديدة الوطأة تبين أنه أيضا في الامكان علاجها بالكورتيزون •

ويرأس الدكتور سوريت الآن مختبر أبحاث شركة Meark Sharp and Dohme مشرفا على عمل عدد كبير من العلماء والباحثين ، فقد شهد خلال الأعوام الثمانية والثلاثين التي أمضاها مع الشركة ذاتها تغيرات جوهرية في الابحاث الكيميائية المختلفة •

وقد جاء تصنيع الدكتور سوريت للكورتيزون نتيجة لابحاثه في مجال الانتاج ، أي أنه كان يعمل من أجل تحقيق هدف محدد ،

أما معظم ما يجري اليوم من أبحاث فيتم في مجال البحث الاساسي أو ما يسميه البعض البحث الاستكشافي ، وكمثل على هذا النوع الاخير من الأبحاث ما يجريه بعض زملاء الدكتور سوريت على الأنزيمات وفي ذلك يقول : « الانزيمات كما هو معروف جزئيات بروتينية كبيرة ومعقدة تتألف من عدد كبير من الاحماض الامينية وتقوم بدور الوسيط الكيميائي الذي يساعد على التفاعل دون أن تشترك فيه ، وهذه الانزيمات موجودة بالآلاف وهي أساسية للحياة ، ومن المرغوب فيه قمع نشاط أنزيمات معينة لأنها تعمل بصورة ليست في صالح الانسان ، واذا حاول الكيميائي تصميم قامع لنشاط الانزيم فانه يصادف صعوبة كبرى ، وأسهل عمل يمكنه القيام به هو انه يجرب آلافا من المركبات على أساس تجريبي بحت مجربا أنواعا عديدة من المركبات ، الا أن الشيء المهم بالنسبة اليه حقا هو أنه يتطلع الى قسم صغير من جزيء الأنزيم يوصف بأنه مركز النشاط » .

ومركز النشاط في الانزيم هو النقطة التي يتصل عندها الانزيم بالطبقة الداخلية لمادة أخرى ، فان الانزيم يهاجم هذه الطبقة الداخلية أو يمزق جزءا منها أو يندمج فيها بشكل من الاشكال ، ويحاول الكيميائيون الذين يشرف الدكتور سوريت على أبحاثهم تصميم ما يسمى بطبقة داخلية زائفة يمكن أن تظلل الانزيم وتقمع نشاطه المعادي ، ومن شأن ذلك أن يحيد مركز النشاط في الانزيم أو بمعنى آخر يزيل خطورته ، ومتى عرف العلماء كيف يصنفون الانزيمات حسب نوع عملها وكيفيته أمكنهم أن يميزوا بين الانزيمات المفيدة والانزيمات الضارة في ما يتعلق بأي مرض من الامراض أو اختلال في الجسم وسيكون في مقدرة العلماء مزودين بهذه المعرفة تصميم عقاقير مناسبة لمختلف الامراض بناء على معرفتهم بالأنزيم الاساسي لكل مرض من الامراض .

فاضل جواد آل طعمة
كربلاء ـ العراق

الدكتور يوسف أسعد داغر

وفاته - علمه - أدبه

فقد صباح الخميس أول كانون الثاني ١٩٨١ الدكتور يوسف أسعد داغر البيبلوغرافي والمؤرخ ، عن عمر يناهز ٨٢ عاما .

بوفاة داغر تنقضي مرحلة أساسية ومهمة من تاريخ «المكتبة» في لبنان والعالم العربي ، ومن علم التوثيق والبيبلوغرافيا في بلادنا . في أكثر من ستين عاما في التاليف والتوثيق والبحث ترك داغر ثروة بيبلوغرافية وأدبية وتاريخية في ٣٣ مؤلفا مطبوعا و١٢ مخطوطة معدة للنشر واثنين قيد الطبع باللغتين العربية والفرنسية . فهرس لاكثر من ١٠٠ مجلة كبرى استوعبت ٦٠٠ ألف بطاقة .

ولد يوسف داغر في قرية مجدلونا قضاء الشوف ، ودرس في القرية ثم انتقل عام ١٩٠٩ الى اكليريكية القديسة حنة في القدس المعروفة باسم المدرسة « الصلاحية » للأباء البيض ، وغادرها عام ١٩٢٣ متقنا لغات عدة ودارسا الفلسفة واللاهوت .

بدأ حياته معلما في معاهد لبنان الخاصة من عام ١٩٢٩ ، حين أرسل في بعثة علمية الى باريس للتخصص بعلم المكتبات ودرس في مدرسة « شارت » المعروفة ، وتخرج فيها ، اضافة الى حصوله على ماجستير في الأدب والتاريخ من جامعة باريس ودبلوم معهد الوثائق ودبلوم معهد المكتبات .

عاد لبنان عام ١٩٣٢ وعين أمينا مساعدا لدار الكتب الوطنية .

في ١٩٥٠ انتدب للجامعة اللبنانية أمينا لمكتبتها مدة سنتين ، وسافر الى واشنطن وعمل في قسم الشرق الادنى في مكتبة الكونغرس تنظيما وضبطا للنقصات في هذا القسم وزار خلال اقامته كبريات المكتبات الاميركية .

عام ١٩٥٤ عاد الى بيروت حيث عين أمينا مساعدا في مكتبة الجامعة الاميركية ، وانتقل الى السفارة الاميركية في بيروت عام ١٩٥٥ كمحرر في قسم الصحافة والانباء الى ١٩٦٢ ، حيث شغل منصب أمين مكتبة المركز الاقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية لاربع سنوات وأخيرا عام ١٩٦٧ انتدبته الاونيسكو كخبير لدى وزارة التربية في السودان ٠

بين ١٩٧٢ و١٩٧٥ كان الخبير والموثق الببيلوغرافي لدى المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، آخر وظيفة له ٠

ويوسف داغر عضو في عدد من الجمعيات اللبنانية والعالمية ، منها جمعيات أمناء الكتب البريطانية والفرنسية والاميركية وعضو جمعية أصدقاء الكتاب اللبناني وعضو مجلس الشوف الثقافي ٠

أهم مؤلفاته المطبوعة :

١ ـ تقنية التدقيق العلمي وفقا للقواعد في فهرسة الكتب والدوريات العربية ٠
٢ ـ دليل الأعارب الى علم وفن الكاتب ٠
٣ ـ الديموقراطية في العالم العربي ٠
٤ ـ التوثيق التربوي ٠
٥ ـ الأصول العربية للدراسات اللبنانية ٠
٦ ـ مصادر الدراسة الادبية ٠
٧ ـ قاموس الصحافة اللبنانية ٠
٨ ـ تاريخ الحضارات العام ، ترجمه مع فريد ميخائيل داغر ٠
٩ ـ سلسلة الببيلوغرافات الخاصة ٠
١٠ ـ معجم المسرحية العربية والمصرية ٠

المخطوطات المعدة للنشر أهمها :

١ ـ التراث اللبناني ، وهو مشروع ضخم من حلقات :
ـ المؤلفون اللبنانيون باللغة العربية ٠
ـ المؤلفون اللبنانيون باللغة الفرنسية ٠
ـ المؤلفون اللبنانيون باللغة الانكليزية ٠

ــ المؤلفون اللبنانيون باللغة اللاتينية •
٢ ــ الأدباء الأحياء في العالم العربي •
٣ ــ معجم الرواية والقصة في العالم العربي •
٤ ــ المرأة في المكتبة العربية •
٥ ــ تاريخ دار الكتب اللبنانية وحكاية تأسيسها •

مؤلفات تحت الطبع :

١ ــ معجم فرنسي ــ عربي •
٢ ــ معجم الكتاب والمؤلفين العرب المحدثين الذين كتبوا بأسماء مستعارة (يصدر قريبا) •

بوفاة يوسف أسعد داغر يشعر الموثق والبيبلوغرافي في لبنان باليتم ، بمنارة كان يسترشدها يوم يتعثر ، ومحجة • والبيبلوغرافيا ، الفهرسة ، التوثيق ، البطاقات ، الادراج ، التراجم كلمات ستبقى الى فترة غير قصيرة غير ملباة •



عزاؤنا الوحيد أن ترى مؤلفات داغر المخطوطة النور في أقرب وقت ، علها تسد فراغا كبيرا •

« النهار » ــ س•م•

★ ★ ★

★ العرفان : أسفنا كثيرا لوفاة الصديق العزيز الدكتور يوسف فهو عالم بحاثة عديم النظير وكنا قد تباحثنا واياه بوضع فهارس للعرفان فتبرع مشكورا ولكن سفره ومرضه حالا دون ذلك • وكان حين عودته من اميركة لاول مرة قد ابلغنا عن سروره لوجود العرفان في اهم مكاتب الجامعات الكبرى •

طرائف عربية

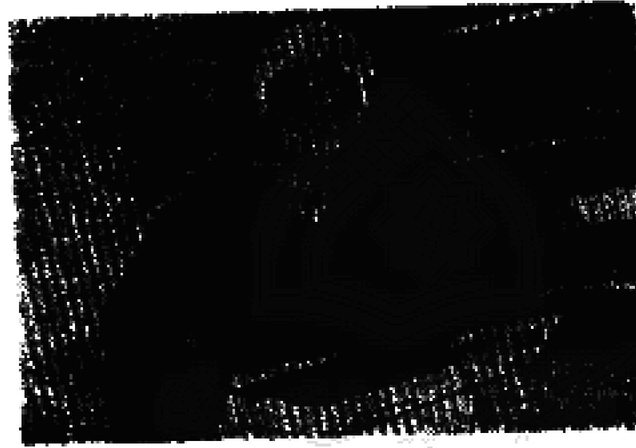
أحجية :

● كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه •

الشيخ حسين معتوق

وفاته - علمه - ورعه

إعداد العرفان



هذا الشيخ الفقيه الأديب الشاعر المجتهد ، هو مثل أعلى لرجل الدين وأهله : خدمة للدين بصمت وهدوء وجرأة في الحق ، ولهذا جرى تعتيم اعلامي أثناء وفاته مع أنه يستحق الكثير الكثير .. لم يتدخل في السياسة ولذلك بقي نقيا لم يفسد كما فسد غيره حين أغرته السياسة « ما دخلت السياسة شيئا الا أفسدته » له في العرفان قصائد ومقالات كثيرة وكان رحمه الله من أنصارها ومحبيها . كلفنا ولده وبعض العلماء بالكتابة عنه سننشرها متى وردتنا ، ولكننا الآن نذكر بالمناسبة كلمة صغيرة كنا سجلناها عنه في احدى المناسبات :

فيض روحاني في جامع الغبيري

تركت برج البراجنة قاصدا بيروت وبينما أنا بقرب جامع الغبيري اذ سمعت المؤذن في مأذنته ينادي « الله أكبر » لصلاة الجمعة ، فنزلت من السيارة وقصدت المسجد لأرى هل تقام فيه الصلاة أم لا ، وكان مكتظا بالمصلين وأقبل الامام فضيلة العلامة الشيخ حسين معتوق فسلمت عليه ، ولم يكن قبل هذا الاجتماع بيني وبينه صداقة قوية كصداقتي مع غيره من علماء الدين ، انه منكمش متحرر ، منكمش عن الابتذال والتعرض لما لا يفيد ، متحرر ، أي يعرف تماما جوهر الدين ويطبقه دونما تزمت أو جمود •

جلس على كرسيه في وسط المسجد وأخذ يعظ ويتكلم باللغة الفصحى حتى اذا ما أحس القوم لا يتجاوبون معه كلمهم بلغتهم ففهم عليه حتى البليد ، ثم انه يمتاز بشيء آخر ، ان موعظته تأتي من القلب فتدخل الى القلب ، يسير على سجيته دون تكلف ، فتقبل النفس على ما يعطيها من غذاء روحي •

العرفان : نتمنى أن يعود الى لبنان قريبا ويتولى مكانه العلامة المجتهد الشيخ حسن طراد صهره الى أن يكون ولده الشيخ أحمد قد استكفى دراسته •

اختيار صادف محله

● يسرنا أن اتحاد الكتاب اللبنانيين قد اختار لرئاسته صديقنا الاديب المحامي الاستاذ أحمد سويد وهو اختيار صادف أهله ومحله فنرجو للاتحاد على عهده كل تقدم وازدهار وأن يكون اتحادا بالمعنى الصحيح لا أن يجمع بعض الكتاب من لون واحد •

حديث مع صديق معمّر

بقلم : المحرر



تمثل هذه الصورة السيد سليمان ديب جلبوط والصورة التي في الصفحة الثانية تمثله مع احد احفاده الدكتور سهيل ديب جلبوط الذي تخرج في السنة الماضية من الجامعة الاميركية طبيبا بتفوق وكنا منذ صغره نتوقعنا له مستقبلا باهرا .

روابط محبة وصداقة ثابتة متبادلة تجمعني وعائلة آل ديب الجلبوط دفعتني سابقا لزياراتهم في بلدتهم الخيام ــ مرجعيون ، وبعد أن أصبح الخياميون مهجرين وكبير العائلة السيد سليمان ديب الجلبوط مقيما وولده الاستاذ سميح وعائلته لدى ولده الأستاذ كليم ــ رئيس مالية في الشمال سابقا ــ في البترون .

قمت برفقة الأخ الأستاذ الشاعر وديع ديب ابن أخيه بزيارة عمه وكان لقاء عاطفيا مع الشيخ الجليل وأولاده وأحفاده .. فعادت به الذكريات للماضي والحاضر .. يطيب لي أن أنشر بعض مقتطفات منها :

١ ــ كيف الصحة :

ان صحتي جيدة أتمتع بذاكرة خصبة ونظر جيد وسمع ثابت رغم الشيخوخة .

٢ ـ اسمح لي أن أستأنس بمعرفة عمرك :

عمري يا أستاذ في الهوية من مواليد سنة ١٩٧٠ والحقيقة من مواليد سنة ١٩٧٩ .

٣ ـ ما هذا التفاوت ؟

تعود بي الذكرى للحرب الأولى سنة ١٩١٤ وقد أجبرنا للتجنيد لأننا من الولاية الامر الذي اضطرني لتكبير سني وقد تخلصت بدفع بدلات نقدية قيمة البدل مئتا ليرة عثمانية وتاريخ هذه الحرب وويلاتها أوردتها بشعري بما ينوف على خمسمئة بيت من الشعر .

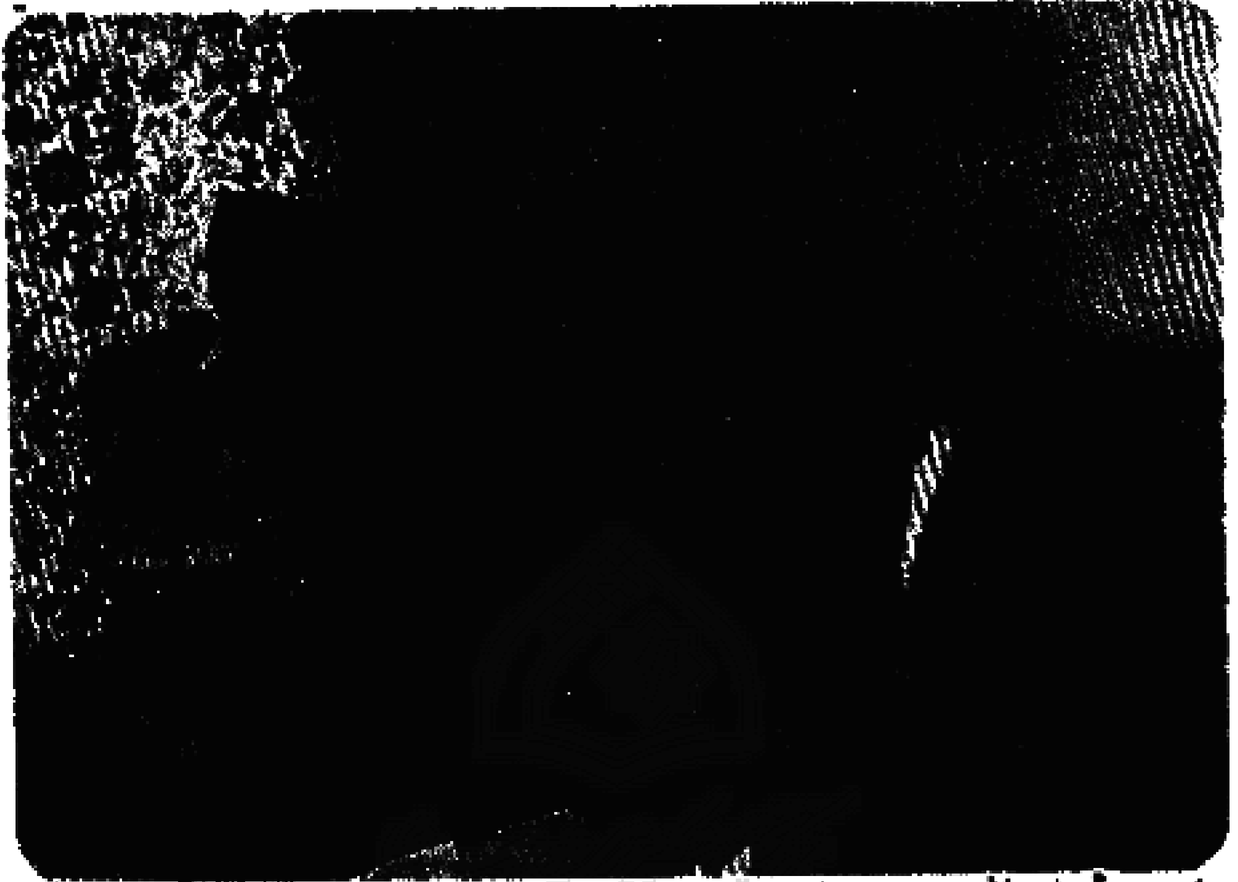
٤ ـ أما وقد أنعم الله عليك بهذا العمر ، فهل لك أن تخبرنا عن هواياتك الشخصية والاسباب التي أكسبتك الصحة وساعدتك على هذا النشاط ؟

يا أستاذ من جهة الطعام : طعامي مثل بقية الناس ، غير اني لا أحتسي الخمرة ولا أدخن ، والقهوة تركتها منذ عشرين سنة وصدقني يا أستاذ عشت رحب الصدر لا أعرف الحقد والكراهية لأحد ، أحب العمل في أملاكي مستغلا خيراتها مستقبلا المحبين في بيتي . هوايتي في شبابي الصيد والشعر رافقني حتى الساعة واني أحفظ آلاف الابيات غيبا من نظمي ونظم غيري . وكم رددت قصائدي في دواوين الزعماء والمجتمع على اختلاف طبقاته . واني أحمد الله الذي أعطاني أولادا وأحفادا محبين مهذبين من أطباء ومهندسين وضباط وأساتذة ومراكز محترمة أفتخر بهم وبأولاد أخي وديع واخوانه ، وهذه من نعم الله فأنا متدين يا أستاذ ...

٥ ـ اذا كيف تعيش مسرورا وأنت بعيد عن بلدتك التي تحبها؟

أجاب وقد ظهرت على وجهه غصات وآلام . الجنوب ـ الخيام مسقط رأسي والذي أخشاه وقد « اغرورقت عيناه بالدموع » أن تنتهي حياتي وأدفن غريبا .. فالله أسأل أن تستقر الاحوال ويعم الأمن ويعود كل امرىء الى بيته .. ثم أردف قائلا : أحمل في قلبي المحبة والتقدير لمواطني الخياميين حيث عشنا عائلة

واحدة لا نعرف الطائفية المزيفة ولا أنسى ما قاله المرحوم سيادة الشيخ عبد الكريم صادق في احدى مجالس عاشوراء : كان في



زمن أهل البيت رجل مسيحي يدعى وهب يؤاسيهم باخلاص ومحبة واليوم يوجد سليمان ديب الجلبوط .. وهل هناك تعزية أكبر من ذلك ...

وأما الخيام ومرجها الاخضر الخير كم لي فيه من قصائد .. وبالمناسبة أذكر بيتي شعر زجل للمرحوم الشاعر علي الحاج :

أرض الخيـــام لو كنـــت مره بعوفهـــا
قـــول السعاده عاكستنـــي ظروفهـــا
راجـــع سليمـــان عنـــي وخبـــرو
حكمـــة سليمـــان بدنـــا نشوفهـــا

٦ ـ ما هي أمنياتك وقد بلغت من العمر مئة وسنتين والله يطيل بعمرك :

أطلب رضى الله دائما داعيا لله أن تعم السعادة جميـــع اللبنانيين والأمن ليعود لبنان مزدهرا كما كان .

وبعد أن تناولنا الغـــداء عدنـــا الى بيروت حاملين أطيـــب الذكريات للشيخ الجليل معجبين بحديثه رغم السنوات وبنضارة وجهه ونشاطه وبراءته وطيب آخلاقه ...

قصـة العـدد

انتصار الشر

مترجمة

كانت لوسي تعيش في بيت خالها منذ فقدت أبويها وكان خالها يعطف عليها ولا يفرق في معاملتها عن ابنته ماشا بعكس زوجته التي كانت تضطهدها وتوكل اليها أعمال المنزل الشاقـة دون ابنتها ٠ أما الابنة فقد وجدت في لوسي رفيقة لهـا تؤنسهـا وتفهمها ، ولا بدع فقد كانت كلتاهما في سن واحد وعلى مستوى علمي متقارب ، على أن لوسي كانت تمتاز عليها بجمال الطلعة واشراق المحيا ٠ وظلت الصداقة مخيمة على الفتاتين الى أن دخل شيطان الغيرة بينهما ففرق بين قلبيهما ٠

كان على الفتاة لوسي أن تهيء الطعام وتبتاع حاجاته وتقوم بتنظيف أرض البيت ، فاتفق ان رآها شاب يوما عائـدة من السوق وكلبها الصغير يسير وراءها فاستوقف بصره ما رآه فيها من ملامح الجمال المفرط الممزوج بالرزانـة والكبر ورآتـه لوسي يحدق بها فاضطربت وارتعشت يدها المثقلة بسل الخضار فسقط بعضه الى الارض فأسرع الشاب والتقطه وقدمه لها ، فشكرته باماءة لطيفة ظلت ماثلة أمام عينيه ذلك النهار بطوله ٠

وفي صباح اليوم الثاني قصد الشاب الى المكان الذي لقي فيه الفتاة كأنما جاذب دفعه الى تلك الجهة فرآها كالأمس ، وكان من الجائز طبعا أن يتبادلا التحية بعد حكاية الامس ، وتكررت المقابلات ، وتبع التحية تعارف ٠

وبديهي أن الفتاة المحرومة عطف الوالدين ومحبة الاخوة ، المضطهدة في بيت آنسبائها تفتقر نفسها الى صديـق يؤاسيهـا ويبعث في قلبها نسمة ود تنعشه ، فلا عجب اذا توطدت أواصر الحب بينها وبين الشاب دبلوك ٠

احتال دبلوك على التعرف بأسرة خالها وجعل يزورهم من وقت الى آخر فيرحبون به ، لأدبه ودماثة أخلاقه ولطف معشره ،

ولا سيما ماشا فقد عللت آمالها به وكانت أكثرهم ترقبا لزيارته وسرورا بلقياه ، وكانت تسمع ثناء بنات القرية علـى أدبه واعجابهن بجمال طلعته فزادها ذلك حبا به •

على أن المحب كحامل المسك لا يخفى أمره على أحد وعين ماشا كانت أقوى من أن تفوتها نظرات الهيام المتبادلة بين دبلوك ولوسي ولكنها كتمت ملاحظتها وجعلـت تحول بين اجتمـاع الحبيبين • فحين يحضر دبلوك تشغل ابنة عمتها بأعمال بيتية وتنصرف هي الى محادثته ومجاملته مستعملة أقصى ما يمكنها من أساليب الرقة والدهاء لاستمالته • ولم تكتف بذلك بـل أوهمت دبلوك أن لوسي مخطوبة لشاب يحبهـا وتحبه وأنهـا عديمة الثبات وقد تتركه اليوم لتعلق غيره وغدا تفعل بغيره ما فعلت به •

وهكذا دست السم في فؤاد الشاب جرعات متوالية حتى اذا سرى في عواطفه وتغلب على حسن اعتقاده بلوسي أخذت تداويه بترياق حبها وتعوضه عن محبة ابنة عمتها بما تبديه له مـن ضروب الرقة والدلال •

واذا عاينت لوسي انصراف دبلوك عنها وتعلقه بابنة خالها تولاها حزن شديد خصوصا حينما كانت ماشا تخلو بها وتنقل اليها كلمات تحبب عذبة تدعي أن دبلوك خاطبها بها ، فكان ذلك أقصى ما تستطيع احتماله • ورأت أن تذعن لأحكام الهزيمة وتترك المجال خاليا لابنة خالها فصارت تعمد الى الهرب من وجه دبلوك كلما أتى زائرا •

وجاء هربها مصداقا لما اتهمتها به ماشا واعتقد أن محبـة لوسي قد فترت وكان هذا الاعتقاد يؤلمه لأن حبها ظل راسخا في قلبه برغم ما سمعه عنها وما شاهده من تجنبها اياه ونفورها منه ، واتفق ان أتى يوما ولم يكن أحد في البيت سوى لوسي فاستقبلته ، وقياما بالواجب جلست معه تحادثه بكلام بسيط وبعدئذ تنهد الفتى وقال : لوسي اريد أن أصرح لك بأمر قد لا ترضي عنه فاسمعي ، أجابته : قد عرفت ما تريد التصريح

به وقد شعرت بذلك من مدة وانني لا أوبخك على عملك ولا ألومك فأنت حر ، أما أنا فما لي الا الصبر بعد أن حرمت من حبك ٠

كلا يا لوسي لم يزل حبك في قلبي ولكن حبك لغيري دفعني الى هجرك ، ثم أخبرها ما بلغته عنها ماشا ، وبكلمة منها زال منه كل ريب ، فاعتذر اليها وهو يطوقهـا بذراعيه ، وقـد امتزجت دموعهما فرحا بجمع شتاتهما وتأثرا لما مر بهما ٠

في تلك الساعة عادت ماشا ورأتهمـا متعانقين ، فأرغـت وأزبدت وأسرعت الى بندقية معلقة على الحائط فوجهتها نحو لوسي وأطلقتها فأخطأت الغرض وأصابت ديلوك فوقع يتخبط بدمه ، وقبل أن يلفظ نفسه الأخير نظر الى لوسي وهي جاثية الى جانبه تحاول أن تنقذه من يد المنون وقد انحدرت الدموع من عينيها ٠ قال لها : سامحيني يا لوسي لقد أخطأت بتصديقي ماشا وكان يجب علي أن أفاتحك بالأمر ولكن ماشا كانت تضيق علينا ولا تدع لي فرصة للانفراد بك ٠

لوسي ، لقد أحببتك بكل قوتي حبا لم أشعر بمثله لغيرك ٠

فاذكريني يا حبيبتي بكل جميل وسامحيني ٠٠ الوداع ٠٠ الوداع ٠٠ وما كادت تخرج من بين شفتيه كلمة الوداع حتى شهق شهقة قوية فاضت معها روحه ، فانفجرت لوسي بالبكاء وعلا الصياح ، أما ماشا فقد تولاها جزع لا يوصف انتهى بها الى الجنون المطبق ٠

هناك على مسافة حجر من المنزل بقرب الصفصافة التي كان يجتمع تحتها الحبيبان دفن ديلوك ، وظلت لوسي تتردد على البقعة المقدسة التي تضم في أحضانها عظام أعز مخلوق عرفته وتنثر على ضريحه الزهور مبللة بدموعها ٠

أبت نفس لوسي العالية أن تبقى في بيت خالها بعد ما لقيت من معاملتهم السيئة لها ، فاستأذنت خالها أن تذهب لبلدة أخرى تشتغل لتقوم بمعيشتها فلم يأذن لها ٠

ومرضت لوسي بعد هذه الحادثة وتبدل منها ذلـك الجبين

الوضاح والوجه المنير الطافح بالحياة هيكلا نحيلا تقرأ فيه علائم الموت ، وأخذت تمشي رويدا رويدا الى القبر ، اذ لم يبق لها من أمل في هذا العالم الخائن الفاني فودعته غير عابئة به وانطلقت الى الدير رجاء أن تجد فيه راحة لنفسها الحزينة المثقلة بالآلام والأحزان .

أما ماشا فقد انتهى بها الأمر الى مستشفى المجانين حيث قضت بقية عمرها مروعة من مشهد القتل والدماء الذي ظل ماثلا أمام عينيها يعذبها عذابا شديدا كفارة آثامها .

بمناسبة عقد قران

الدكتور مظفر الشذر و ابتسام جعفر الخليلي

يتشرف المحامي ناصر الشذر بدعوتكم

لحضور حفل الاستقبال

الذي سيقام بهذه المناسبة في فندق الهوليداي ان ــ عمان

وذلك يوم الجمعة الموافق ١٩/١٢/٨٠

ما بين الساعة العاشرة والثانية عشر صباحا

وبحضوركم يتم الفرح والسرور

وصلتنا هذه البطاقة بعد عشرة أيام أي في ٢٩/١٢/٨٠ ولولا ذلك لسعينا ولو كان المكان أبعد من عمان لأن الدكتور مظفر جدير بالمشاركة ، والعروس كريمة صديقنا القديم الأستاذ جعفر الخليلي ، تهانينا للعريسين ، وبالأفراح والمسرات وعسى أن توفق للقيام بالواجب فيما بعد .

أبا المعجزات

شعر: صدر الدين الحكيم الشهرستاني

تيقظ أخي أيها المسلم ... تيقظ فقد خسر النوم
أخي لا تنم وانتفض جامعا ... لشملك فالحق لا يقسم
أخي لا حياة لكل الشعوب ... بغير نظامك ان يفهموا
أخي ان قانوننا كامل ... يضاء به دربنا المظلم
نظام الاله لخير الوجود ... وتعديله الكفر بل اعظم
نظام به اعترف الحاقدون ... على أمة الحق فاستسلموا
فلا عنصرية في شرعنا ... وللظلم في عزمنا تهدم
أخي وحد الصف ان العدو ... لتشتيتنا خططا يرسم
يظن بأنك في جدول ... وصيدك سهل ولا يعلم
بأنك بحر محيط وفي ... بحار الهدى يغرق المجرم
خذ الدرس من أحمد المصطفى ... ومن فاز في شرعه المسلم
وبشر بمولده العالمين ... وقل : ولد المنقذ الاعظم

* * *

أيا المعجزات رسول الاله ... بحبك ها جمعنا مغرم
ولدت فهدمت عرش الضلال ... وباسمك في عصرنا يهدم
ولدت فحررت كل العقول ... وهار لها سجنها المظلم
وحطمت بالدين أصنام من ... تروم لكل معالمه تحطم
وأخمدت بالنور نارا طغت ... ليعبدها معشر قد عموا
وأنت هو العربي الذي ... اليه زمام الورى سلموا
وأنت هو الهاشمي الذي ... بشرعته في الدنى يحكم
وأنت هو العبقري الذي ... بتطبيق قرآنه نحلم
وأنت وأنت هو المقتدى ... وأنت هو العالم الاعلم
فباسمك ترفع اصواتنا ... وباسمك للحق لا نكتم

* * *

فيا يوم ميلاده ته ففيك تجلى لنا مجدنا الاقدم
بك انبزغ المصطفى وابنه امام هو الجعفر العيلم
به انقشعت ظلمة الموبقات بك اتضح السر والمبهم
بك الحق نشوان من شوقه غداة رأى ضده يرغم
بك العدل تشرق أنواره وليس يرى فيك من يظلم
ففيك أتى واضع المكرمات رسول الاله فتى ضيغم
وفيك أتى الصادق المرتجى مجدد اسلامنا المحكم
فته يا ربيع ففيك الهنا وفيك بنو الدين لن يظلموا
وفيك تجدد عزم الجدود بكل قوانا ولا نرغم



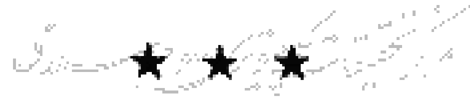
الى الدين يا معشر المسلمين ففيه الرقي ألم تعلموا ؟
ولسنا نرى السلم الا به ونحن باسلامنا نسلم
ولسنا من الوحش حتى نروم بقتل وسحل الملا نحكم
ولسنا نقيد في شرعنا شعوبا كما قيدوا أعدموا
ولسنا نقول وأقوالنا تخالف أعمالنا فافهموا
وسوف نحرر شرق الدنى ليهنأ أبناؤه ينعموا
ولا ندع الغرب في غيه بتوحيدنا يعدم المجرم
الى الاتفاق ونبذ الشقاق ففيكم مبادؤنا تدعم
الى الاتحاد وجلب الوداد وهذا لنيل العلى سلم
الى رفع راياتنا في الورى وفي الكون قرآننا يحكم

صدر الدين الحكيم الشهرستاني
كربلاء ــ العراق

سبحان الذي أسرى بعبده

شعر: الشيخ محمد حسين الزين

ماذا أقول بمدح أحمد من حوى ... في ذاته كل الكمال الخارق ؟
هو خاتم الرسل الكرام ومرشد ... كل الانام الى سبيل الخالق
حيث السعادة في الحياة بالفة ... ومودة وتصافح وتصادق
من مثله في علمه أو حلمه ... أو بأسه أو جوده المتدفق ؟
من مثله بفصاحة وبلاغة ... وتصبر وتعبد متناسق ؟
ومهابة ونزاهة وعدالة ... وتعفف وتقشف وترفق
ونبالة في حربه أو سلمه ... وبشاشة في وجهه المتألق



قد جاهد الكفار مع أصحابه ... ومشى كليث في طليع الفيلق
كسرت ثناياه وطوق جيشه ... والقلب فيه صامدا لم يخفق
حتى أتى نصر الاله وفتحه ... في بدر الكبرى ويوم الخندق
في يوم خيبر والحصون جميعها ... ذات الثراء مع العتاد الفائق
في فتح مكة وهي مسقط رأسه ... ظفر المظفر بالعدو الحانق
فعفا عن الطلقاء منه تكرما ... من بعد ما أعطوا عظيم الموثق
قد ألف الانصار بعد تباغض ... ما بينهم وتناحر وتراشق

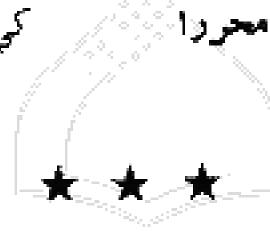


هذي مكارم من أتى ليتمم الا ... خلاق فينا كي نسود ونرتقي
سبحان من أسرى به من بيته ... للمسجد الاقصى بليل مغسق
على البراق سرى بأجواء السما ... حتى دنا من ربه المترفق
وحباه قرآنا كريما أعجز ال ... عرب الكرام وهم فصاح المنطق
وشريعة سمحاء مدنت الورى ... وسمت بأهليها الى أوج الرقي
فرضت نظافتهم بكل مطهر ... من كل شيء موبيء أو موبق

ونهتهم عن كل ما هو شائن ... للجسم أو للعقل أو للمنطق

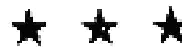


صلحت لابناء الزمان جميعهم ... وتجددت فيهم ولما تخلق
مدت ذويها بالعلوم وبالهدى ... فغدوا هداة المارق المتزندق
والعدل قد نشرته خفاق اللوى ... فوق الجميع بمغرب وبمشرق
والزهد بالدنيا شعار هداتها ... والشوق للاخرى شعار المتقي
حثت جميع الناس أن يترفقوا ... في كل حيوان لديهم موثق
أو يطلقوه الى الفضاء محررا ... كي يغتذي منه ومنه يستقي



فيها من التوحيد أوسع وحدة ... ومن الزكاة ضمانة للمرهق
راعت حقوق الشعب في أملاكه ... عدلا كما راعت حقوق المملق
وعلت بأعلام السلام الى العلى ... ان السلام سلامة من مأزق
ودعامة للاقتصاد قويمة ... وركيزة للازدهار المشرق
وحصانة للناس في أرواحهم ... أو عرضهم أو مالهم لم تخرق
الا لمن عاثوا فسادا بيننا ... من قاتلين وهاتكين وسارق
فالشرع أوجب قتلهم أو جلدهم ... أو قطع أيديهم ولما يشفق

محمد حسين الشيخ عبد الكريم الزين



في ذمة الروح

الى السيد حسن نجل الأمين العاملي

شعر علي محمد الحائري

أغالب فيك اعتساف الزمن ... ومثلك من اصطفي بالاحن
فتى الخلق والادب المستظل ... بايكته كل ذوق حسن
ويا غرس (هاشم) طابت اصول ... نمتك ولم تفترع بالدرن
وصلت مع الاكرمين الجدود ... حبلا مع المجد شد العطن
فما المجد تكسبه طارفا ... ككسبك تالده المؤتمن
فمن كأبيك اعتلى ذروة ... ومن مثل جدك فاق الفطن ؟
وما قطرة من نهى تجتلى ... كبحر سواحله لم تدن
تغيض الحلوم وجماتها ... ويعثر ذو مرة من وهن
وخيل عزائمكم في الطراد ... يشأى بها السابق المرتهن
أحييك يا شبل ذاك الهصور ... ويا نفح نوار ذاك الفنن
وكم وقفة في مزار (الامين) ... (بجلق) عاتبت فيها الزمن ؟
أتفترش الارض هام البدور ... ويسدل فوق النسور الكفن ؟
جريرة موت عنونا له ... وفي ذمة الروح موت البدن

علي محمد الحائري
كربلاء ــ العراق

لبنان حيّ

شعر : زكي قنصل

اخلصت في انصافه   يا صاحب الخلق المجيد
غنيت لبنان الذي   نهكته غائلة الحقود
ونظمت في احداثه   وعنائه احلى نشيد
لم يشك صرف الدهر لو ـ   لا ما يكابد من جحود
قد اثخنوه بالجرا ـ   ح ، وكبلوه بالقيود
لـم يذكروا ماضيه وهو   يضم افقا من جهود
من اي عهد ، ان سألت   اجبت : من فجر الوجود
من حضر الدنيا بما   في الحرف من نور مفيد ؟
من علم الانسان انّ   الله في القلب الودود ؟
من صدّ بغي المستبدّ   وصان آثار الجدود ؟
من قرّب الارجاء عبر   اليمّ بالسعي الحميد ؟
من شاد للضاد الصروح   بنودها أعلى بنود ؟
بالفن والعرفان قد   ملك النفوس وبالقصيد
ويح الذين جنوا على   ما فيه من حسن فريد
في ذمة التاريخ حيدتهم   عن النهج السديد
هي فترة ويزول عنه   فيها من النكد الشديد
وسينفض الازراء عنه   ثم يبدأ من جديد
ويعود بعد شقائه   ليظل رمزا للخلود
هو روضة عبثت برو   عتها نيوب من حديد
لكنها فشلت وما   وصلت الى القصد البعيد
جار القضاء على الورو ـ   د ، وعيّ عن ارج الورود
تزهو عروبته بما   فيها من الاصل النضيد
ما عقّها غير الذي   في نفسه ذلّ العبيد
لبنان حيّ بالخليل   وبالامين وبالرشيد (١)



(١)خليل مطران ، وامين الريحاني ، ورشيد سليم الخوري (القروي) .

افتتاحية «المجلد الثلاثون» من العرفان

نستفتح هذه السنة الجديدة باسمك الأعظم ، مستمدين منك يا فتاح يا عليم الهداية والتوفيق ونصلي ونسلم على رسولك الأكرم ، النبي العربي الهاشمي الذي بعثته لخير فريق ، وهديته لأقوم طريق ، صلى الله عليه وآله الغر الميامين وصحبه الهداة المهتدين ، واخوانه من الرسل والمصلحين الذين بعثوا رحمة للعالمين ·

اللهم انا نعترف أنه لا حول لنا ولا قوة الا بحولك وقوتك فحول حالنا لأحسن حال ، وقونا لنكون ألبا على أنصار الباطل وأشياع الضلال ، واهدنا صراطك المستقيم ، وثبتنا بالقول الثابت ووفقنا لمثلك العليا واجعلنا في زمرة أهل التقوى ، وانصر قضية الحق والعدل فمنك وبك يرتجى النصر المبين ·
وبعد فقد مضى على العرفان أكثر من ثلاثين عاما ، وان شئت فقل جيلا كاملا وهو يجاهد ويجالد في سبيل القضية العربية ، ويكافح وينافح عن الوحدة الاسلامية ، ولا يألو جهدا في نشر العلم والأدب والثقافة بين أنصاره وقرائه ويساهم الفينة بعد الفينة في توطيد أسس هذا المجتمع ، وتشييد صروح هذا الوطن ، الذي أحبه طفلا وصبيا وناشئا وشابا وكهلا وشيخا ، وما برحت كريات دم الشباب تسري في عروقه وتغذي جسمه الحي فتزيده حبا وطالما ردد وأنشد :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

أما عروبته فقد ملكت عليه حواسه ، وأخذت بمجامع قلبه ، وكانت عروسة شعره في خلواته وجلواته ، وخطبه ومجتمعاته ، وأضحت له وهي النسب الأعلى فوق كل نسب ودونها كل سبب

وما أكثر ما تغنى وأنشد :

ان تسل عني فهذا نسبي عربي عربي عربي

ونحن ولدنا ونشأنا وعشنا باسم العرب نحيي وباسم العرب نموت .

ولئن خان أو غدر أو خاتل بعض العرب على قومهم فنحن ما برحنا مقيمين على العهد ، لا نخف ذماما ، ولا نخشى في عقيدتنا جاسوسا أو نماما :

دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحر من دان انصافا كما دينا

وشاءت الاقدار ، أو ما يفرضه الفلك الدوار ، أن ننشيء في صيداء المدينة الفينيقية القديمة والبلدة العربية الجميلة ، ذات الحدائق الفتانة ، والبساتين الفينانة مجلة (العرفان) سنة ١٣٢٧ هجرية (١٩٠٩م) حيث طبعت في بيروت في السنتين الأولين وأتبعناها بتأسيس مطبعة العرفان سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) التي قال عنها المقتطف أنها تضاهي أكبر المطابع العربية في اتقان الطبع واختيار الكتب ، وأنشأنا سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢م) جريدة جبل عامل التي عاشت سنة واحدة وطبعنا الكتب النفيسة ، وأهمها (الوساطة بين المتنبي وخصومه) ، وتاريخ صيداء ومجمع البيان في تفسير القرآن وغيرها من عشرات الكتب ، فأضاف هذا العمل لصيداء مجدا طريفا ضم لمجدها التليد وجدد لها ذكرا وأي ذكر حتى نظم الشاعر العراقي الخالد وزير المعارف السابق وعضو الأعيان الحالي تلك القصيدة الخالدة التي قال بها :

ديون لصيداء علي كثيرة ورهن وفاها أنني رجل حر

هذا بالنسبة لصيداء خاصة ، أما بالنسبة لجبل عامل عامة وللعرب ، ولا سيما الشيعة ، فذاك ما يعرفه العارفون ويقدره الحاذقون ، نقول هذا ونعيده ، تحدثا بالنعمة ولا فخر ، خضنا غمار الصحافة بعد تقلص العهد الحميدي وبعد عهد الدستور والحرية حيث قلنا من قصيدة نشرت في المجلد الاول من العرفان

بعنوان (الحرية تشكو) :

كيف أشكو يا للبرية ضيما ومن الروح في الجسوم بقية
أسروني فهان أسري لديكم كيف يا قوم تؤسر الحرية
أنسيتم زمان رغد تقضى في حماكم ودولة عربية

ومن قصيدة بعنوان (الحرية تشدو) :

ذهبت ظلمة وبان ضياء أين مني عطارد وذكاء
كنت أشكو فصرت أشدو طويلا نشر النور ولت الظلماء
عدت للشرق والمعاد بقاء ما توالى على المعاد فناء
وقد تزوجت في المشارق بدرا وبناتي تسامح واخاء

بيد انا ما طفقنا أن ألفينا الحرية تقمصت في الاستبداد وان عهد عبد الحميد لم يكن خيرا من عهد رشاد ، وكم وكم رددنا قول حافظ ابراهيم :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى صار ظلما منظما

وقوله رحمه الله :

وكان عبد الحميد بالأمس فردا فغدا اليوم ألف عبد الحميد

وما عبثت العرفان مع غضارة عودها ، ولدونة أغصانها ، بما كان ينصبه لها المتزعمون من دينيين ودنيويين من المكائد والأشراك وما يصمونها به من وهابية ، فالحاد ، بل كانت في عامها الثالث ذات مجلد بألف صفحة على أحسن ورق وأجود طبع ، وضاهت المقتطف والهلال في أبحاثها العلمية والاجتماعية وفاقت كل صحيفة عربية في مباحثها الادبية وما تنشره من الشعر النفيس ٠

ولئن تدنت عدد صفحات المجلد الرابع فقد نشرت مع العرفان جريدة جبل عامل ، فكانت من خيرة الجرائد الاسبوعية، طبعا وورقا واتقانا وترتيبا ومواضيعا وتبويبا ٠

وحملت جبل عامل حملات عنيفة على الزعماء والموظفين ، ولا سيما على الاتحاديين ، الذين ألبسوا المظالم والمغارم ، لباس الحرية والعدل والمراحم ، فقامت قيامتهم ، وارتفعت عقيرتهم ،

وهبوا زرافات ووحدانا لمعاكسة جريدة جبل عامل ونصب الأشراك لصاحبها ، فأقاموا عليه الدعوى الجزائية لدى المحاكم النظامية فلم ينجحوا لأنها انتهت بالبراءة بعد الحكم وانتهزوا فرصة تأليف الديوان العرفي في بيروت على أثر ضرب الطليان لهذا الثغر الآمن فأخذنا من بيتنا ليلا بحيلة غريبة ، وكانت النتيجة أن أرسلنا محقوفين بالجند الى بيروت للثكنة العسكرية (محل المفوضية الفرنسية اليوم) وحكمنا بالسجن شهرا ونصف شهر وبعشر ليرات عثمانية جزاء نقديا أمضينا منها أربعة أيام في الثكنة و١٤ يوما في السراي الصغير حيث أبلغ الوالي آنئذ حازم بك مدير السجن خالد أفندي (والد الدكتور مصطفى خالدي) أننا ضيوف لا سجناء . وهكذا كان فقد كان الاخوان يحيطوننا بعنايتهم ، وكان الزائرون لا ينقطعون الا نادرا ، وان ننسى لا ننسى تقديم الاستاذ عمر مجاهد الجزائري لنا غرفته ، وكان مستنطقا ثانيا ، وزاد في الفضل والنبل ، انه كان يقوم بنفسه في خدمة الزوار وتقديم السكاير وطلب القهوة وكنا حينما نرى هذا العربي الصميم بين فئة من الترك والمتتركين ننشد :

ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها   على عربي ضاع بين الأعاجم

أمد الله في حياتك يا عمر ، وجعلك كما جعل سميك مفخرة أهل البدو والحضر ، أما مكافأتك فنحن عنها عاجزون متوسلين له سبحانه أن يجزيك عنا أحسن الجزاء ويتم عليك النعماء ، أما البقية الباقية فقد قضيناها في صيداء في غرفة مأمور النفوس ، وكان أول من زارنا المرحوم عبد الله بك عسيران قنصل ايران آنئذ وتمنينا أن يطول هذا السجن لما به من العناية والرعاية :

جزى الله الشدائد كل خير   عرفت بها عدوي من صديقي

ولما خرجنا من السجن مرفوعي الرأس عالي الجبين رفعنا اعتراضا (برتستو) بواسطة كاتب العدل ، أو محرر المقاولات ،

على رئيس الديوان العرفي نظمي بك قائد الدرك في ولاية بيروت بينا به خطأ الحكم علينا من ١٤ وجها طالبين تعويضا قدره خمسمائة ليرة عثمانية • خرجنا من السجن ونحن نردد قول الشاعر الشرقي في ختام قصيدة نشرت في العرفان وعنوانها (شاعر في سجن) :

فيا سهم ان صدتني ظالما شكرتك اذ لم تصب مقتلي
أرى الناس معرضة للشقاء واني من السجن في معقل
رأيت السعادة رهن السجون نعيش عن الناس في معزل
وما حط من يوسف سجنه وما أوهن الغمد بالمنصل
وهيهات هيهات يخلو الزمان فاما معاوية أو علي

وكيف يُنسى هذا السجن الشريف وقد لقينا من عواطف الاصدقاء والزملاء مما نشر في جبل عامل آنئذ ما لم نستطع القيام بنشره ولو لم يكن الا تلك الغضبة المضرية التي غضبها لنا علامتنا الكبير واعرابه عن تلك العواطف السامية بتلك القصيدة التي نشرت في المجلد الرابع من العرفان ص ١٥٢ ، بعنوان (يعز على الكمال) •

وهل تصدق أيها القارىء الكريم ان هذا السجن الشريف كان من أبهج أيام حياتنا ، أجل لم نتغلب على العواصف المادية اذ آلمنا تيارها فأكملنا سنة جبل عامل والعرفان وتركنا الصحافة الى أجل قريب وما لبثنا سنة واحدة حتى عدنا والعود أحمد بعزيمة وثابة ونفس كبيرة غير وجلة ولا هيابة ، ولا أكتمك ان المجلد الخامس من العرفان كان من أغزر المجلدات مادة ، وقد صدر سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣ ـ ١٩١٤م) وصدر بعد ذلك جزء مزدوج أول سنة ١٣٣٣هـ ، ١٩١٥م •

★ ★ ★

الدنيا أوروبا فقط*
والشرق وليمة أوروبا
وجمعية الأمم مؤامرة أوروبا على الشرق
والشرق ماذا يفعل؟!

كان أذكياء القرن العشرين قبل المسيح (لا بعده) يعتقدون أن الدنيا كلها هي البقعة بين جبال أرارات وصحراء افريقيا وجبال فارس والبحر الابيض . وأهل أوروبا اليوم يعتقدون أن الدنيا هي أوروبا فقط ، وأن الناس ناس أوروبا فقط ، ومن سواهم أصفار على اليسار ، ذلك لأنه في ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) الماضي وقع مندوبو دول أوروبا الكبرى في لوكارنو على « ميثاق السلام » ، أو « عهد الامن الدولي » ، ومعاهدات التحكيم وتسوية جميع الأمور المختلف عليها ، ومن جملتها « المسألة الشرقية » وكان فرح عظيم وزينات ومهرجانات في أوروبا ، وقوي الامل بأن يسود السلام في أوروبا عشرات من السنين ــ كذا أنبأتنا شركة روتر الاخبارية .

وفي ابان ذلك الفرح العظيم كانت جيوش اسبانيا وفرنسا تتدفق الى مراكش ، وجيوش فرنسا ترد الى سوريا ، وفرنسا تتوسل الى أميركا أن تسامحها بجانب من ديونها . فهل بقي عندك شك بأن أهل أوروبا لا يحسبون العالم الا أوروبا وحدها والسلام لأوروبا وحدها ؟

ولما شرعت نكبة سوريا بالمستعمرين الافرنسيين تحل على دمشق من أفواه المدافع كان هم قنصل انكلترا أن يخلص انكليزه فقط من مصائب المدافع . وكان هم الافرنسيين أن يبرهنوا للعالم ان الأوروبيين لم يصابوا بسوء . وما من أحد منهم حسب نكبة أهل الشام .. واسمع أيضا ..

الشرق وليمة لأوروبا :

وفي ٢٢ اكتوبر المذكور نشرت جريدة « دايلي هرالد » الانكليزية مقالا لكاتبها السياسي تكلم فيه عن الجلاء عن منطقة كولونية فقال ان هذا الجلاء هو الدفعة الأولى من الاغراءات

التي عرضت على الهر سترمان وزير الخارجية الالمانية للتغلب عليه وحمله على الدخول في جمعية الأمم بدون قيد ولا شرط • أما الاغراءات الاخرى فما زالت تحت البحث ، ومنها اعطاء انتداب لالمانيا • والمفهوم ان هذا الامر قد تم الاتفاق مبدئيا عليه في لوكارنو ، ولكن توجد بعض المصاعب لاختيار مستعمرة لالمانيا ، فلا ينتظر أن يقع الاختيار على سوريا ولا على العراق •• لأنه لا يمكن ان فرنسا ولا انكلترا أن تعطي ألمانيا أمثال تلك النقط الحربية المهمة • وفضلا عن ذلك فان المانيا ترغب في الحصول على توغولاند احدى مستعمراتها السابقة ، ولعل أقرب شيء هو أن تعطى المانيا بعض الجزر في الباسفيك •

فهل بقي عندك شك بعد هذا أن ميثاق السلام الذي تم الاتفاق عليه في لوكارنو معناه اتفاق دول أوروبا على مجالسهن حول مائدة الاستعمار التي تؤكل فيها لقمات الشرق السائغة ؟ اسمع أيضا ••

في أول نوفمبر (تشرين ثاني) نشرت جريدة الجورنال الفرنسية لمراسلها في الشرق تحت عنوان : « ماذا جئنا نفعل في الشرق » ، واليك « شظية » مما رمى به :

« ما هي الفائدة التي نجنيها في هذه البلاد مقابل الجهد العظيم الذي نبذله فيها ؟ وهل من مصلحتنا أن نستمر في بذل الرجال والعمل والمال في سورية ؟ انه يجدر بالفرنسيين أن لا ينظروا في الوقت الحاضر الى سورية كما نظر اليها لامرتين وغيره من الكتاب الذين أجادوا وصف محاسن ربوعها • بل يتعين عليهم الآن أن يذكروا ان بلادهم فقيرة ومهددة ومدينة لغيرها بمال كثير وأنها لا تستطيع والحالة هذه أن تهتم بالكماليات ما لم تفكر في الربح الذي يعود اليها من وراء اقتنائها • فنحن نعيش في عصر يسوده الربا ، فلندن عميلتنا في سورية ولنحسب حسابنا برباطة جأش ، فكلنا يعرف ما هو نظام الانتداب ،وكلنا يعلم ان معاهدة سيفر جردت تركيا المقهورة من ممتلكاتها الواسعة بحجة « انه أصبح للشعوب الصغيرة الحرية في تقرير

الادنى • ويرجو المحرضون أن يقطعوا بأعمالهم حلقات الخطر الأوروبي كله • فمن الامور الجوهرية والحالة هذه أن تؤيد بريطانيا فرنسا تأييدا قلبيا أدبيا فتحافظ على التعاون بينهما من مصر الى فلسطين وسوريا والخليج الفارسي • وليس من المغالاة أن نقول ان هناك عناصر قوية تبذل أقصى جهدها لاحداث ثغرة بين انكلترا وفرنسا واستثمار أعمال فرنسا في دمشق • لقد ارتكبنا نحن أيضا أغلاطا يسلم الفرنسيين بها ولكنهم لا يرضون ذكرها • وعلى ذلك ليس ثمة ما يدعو الى الانتقادات التي لا مبرر لها ؟ وهذا رأي الموظفين الذين حدثتهم فعلينا أن نبرهن على صداقتنا الحقيقية بمساعدة حليفتنا في وقت حاجتها مساعدة خالية من الانتقاد » انتهى •

حذار أوروبا من الشرق :

ومع أن أوروبا لا تحسب لشعب غيرها حقا بالحياة وان أهل الشرق أغنام مخلوقة للذبح والاكل فلا تستطيع أن تتجاهل أن لهذه الاغنام اللذيذة المأكل قوة النطاح اذا غضبت ولذلك تتحذر منها • فاسمع ما ورد في البيان الوزاري الفرنسي عن سوريا في ٤ نوفمبر (تشرين ثاني) :

« كانت سوريا ساحة لحوادث محزنة ، ولكن ليس من الانصاف أن ينكر ان هذه الحوادث نشأت عن عاصفة هياج الخواطر والاضطراب التي هبت على الشرق من الصين الى المغرب الاقصى • وهي التي اضطررنا الى مواجهتها شمالي فارس ، فان شهوات متنوعة ودسائس دست كرها بالأوروبيين وأخبارا كاذبة صدرت من مصادر ثورة ، هذه كلها أنشأت في مواضيع شديدة الانفعال اضطرابات لا يسع الحكومة تسكينها الا اذا احتفظت بالسكينة ودعت الرأي العام الى التوسل برباطة جاش » انتهى •

تريد الوزارة الفرنسية ان على الخروف أن يحب الجزار ويتعبد له لا أن يكرهه ، فلا ندري ان كان بين آلهة الاقدمين اله يستطيع أن يخلق خروفا يحب ذابحه •• واسمع ما قاله

مصيرها بنفسها » • ولكن اذا أردنا أن نقول الحق قلنا ان تلك الدول لم تقدم على ما أقدمت عليه الا لأنها تريد اقتسام الغنيمة » •

ولم ينتظر الحلفاء قتل الدب ليوزعوا جلده ، فأدت عجلتهم الى دسائس ومشاحنات كثيرة واستهدفت علاقاتهم في وقت من الاوقات لشيء من الخطر • ولكنهم اتفقوا في آخر الامر على تعيين نصيب كل فريق منهم • غير ان الحرب طالت وخاض غمارها حليف جديد هو الولايات المتحدة التي اكتسبت بالمعونة الحاسمة التي أسدتها الى الحلفاء مقام الحكم بينهم • فلما حان موعد عقد الصلح اضطروا الى الاذعان للمبادىء التي نادى بها الدكتور ولسن وهي تتلخص في تحرير الدول الصغيرة وعدم ضمها الى دول الحلفاء » انتهى •

اذا ترى مما تقدم ان دول أوروبا تعترف بصراحة ان الانتداب وما جرى مجراه معناه الدعوة الى الوليمة ، وفرنسا لا تسيطر على سوريا الا بصفة كونها مقتني لها منه ربح يساوي على الاقل هذه السيطرة • ولذلك تسوغ لنفسها أن ترهق سورية لكي تستحلب منها الربى القانوني على الاقل •

مؤامرة أوروبا على الشرق :

لم يخجل المؤتمرون في لوكارنو أن يصرحوا علانية انهم اتفقوا على « المسألة الشرقية » أيضا وأن يفرحوا فرحا عظيما ، ولماذا يخجلون ، اذا كانوا يعتقدون أن العالم هو أوروبا فقط ؟ كلا لا يخجلون ، فهم يتآمرون بصراحة جهارا على الشرق •• فاسمع صراحتهم •

نشرت جريدة « المورنن بوسط » الانكليزية في ١٣ نوفمبر (تشرين ثاني) تلغرافا لمراسلها في دمشق •• ومما قاله :

« ومع ان عداء السوريين موجه كله الى الفرنسيين فان الدعاية السابقة تدل على شعور قوي معاد للاوروبيين في جميع أنحاء هذه البلاد التي تحمل صحفها على فرنسا لأنها صارت بعد حوادث دمشق أضعف حلقة في سلسلة النفوذ الأوروبي في الشرق

كاتب الدايلي تلغراف في ١١ نوفمبر (تشرين ثاني) :

« لم يعترف الايرانيون يوما ما بسلطة الخليفة التركي ، ومع ذلك احتجوا احتجاجا شديدا على الغاء الخلافة • وفي وسع الالمان بعد أن أبرمت ايران المعاهدات مع تركيا والافغان ، أن يشير الى التحالف الثلاثي الاسلامي وهو عنوان عريض الدعوى وأذكر انني لما شاهدت حفلة افتتاح المفوضية المصرية في طهران كانت هناك مجهودات جلية لاعطاء الحفلة مغزى دينيا • فكان كثير من الخطب التي ألقيت لا يتضمن شيئا غير الاشارة الى ضرورة اتحاد أعضاء الأسرة الاسلامية الكبرى ، وقد رأى الخطباء في مبادرة مصر ، وهي الدولة الاسلامية السنية العظيمة الى ارسال ممثلها الى عاصمة امبراطورية الشيعة دليلا على عهد الاتحاد • وقد طلب من العلماء أن يدعوا لعلم مصر الاخضر • نعم يجب عدم المبالغة في مغزى هذه الأمور ، ولكن مع ذلك ترى ان الغاء الخلافة أثار من أدنى العالم الاسلامي الى أقصاه حركة رجعية ترمي الى تأييد الخلافة • ومع ان هذه الحركة دينية في أصلها غير ان بعض المحرضين يستغلونها لمآربهم • ولا يزال الاسلام بعيدا عن ادراك الوحدة الدينية للجامعة الاسلامية ، وهي فكرة خيالية ستصير ذات يوم حقيقة واقعة بلا مراء • على ان الذين يبشرون بها قد مهدوا الطريق لشكل من أشكال الجامعة الاسلامية يلقى معارضة منيعة • غير انه لا فائدة من انكار تقدمه • وقد سمعت أعيان المسلمين في مصر والهند وبلاد الافغان وايران يستنكرون اندفاع الكماليين في محاربة المبادىء الدينية ويصرحون ان الشعور القومي يجب أن يتولى الدور الذي كان يلعبه الى الآن الشعور الديني ، وان الوقت يصلح لتأسيس عصبة من الأمم الشرقية » انتهى •

واسمع أيضا ما قاله ثالثة الأثافي الامبراطور غليوم المخلوع لمندوب الاويزرفر الانكليزية في دورن :

« ان الخطر الاصفر الذي تنبأت به منذ ثلاثين عاما قد ظهر بشكله الجدي المخيف • وان التحالف الثلاثي في آسيا ضد

الاجناس البيضاء (وهي في الاصل الكتلة الانكليزية السكسونية) ذلك التحالف الذي طال التنبؤ به قد بات حقيقة راهنة » •

وقال : (ولم يعين المصدر الذي استقى منه هذه الرواية) ان مائتي رجل مأجورين من موسكو ومسلحين من اليابان هم الآن على أهبة الاستعداد للذهاب الى الصين عند الطوارىء ، وتبني اليابان البوارج الحربية لنفسها ولروسيا في حين يحتمل الصين أن تؤلف جيشا قوامه ٨٠٠ ألف رجل يتولى تدريبهم وقيادتهم ضباط روس ويابانيون فقط •

« على ان غليوم يشكو من أن فرنسا تنغمس في المداعبة مع روسيا واليابان على حساب الكتلة الانكليزية السكسونية •ومن رأيه ان المانيا تنقب ثغرة في الجدار الغربي سوف يتمكن البلاشفة وحلفاؤهم الآسيويون من جعل جماهير الرعاع الاصفر ينحدرون منها بكثرة ، حتى يتم لها اجتياح أوروبا • وقال : فاذا أرادت حكومات لندن وباريس وواشنطن والحالة هذه أن تتلافى من وقوع الكارثة فيجب أن تسمح لالمانيا بالعودة الى السلاح • ويجب أن تسمح لها بالعودة الى الوقوف على قدميها والا فقد ذهب كل شيء » انتهى •

تألب الشرق للنجاة من مخالب أوروبا :

فترى ان أوروبا تحسب حساب تألب الشرق قبل أن يتألب • فاذا لم يكن حذر أوروبا منبها للشرق الى التألب لا يستطيع هذا أن يتغدى ذاك قبل أن يتعشاه ، ولكننا نعتقد أن أوروبا التي لا تستطيع أن تكتم دسيستها وكيدها ضد الشرق ، والتي شرعت تطبخ وليمة الشرق جهارا لا بد أن تحرج الشرق الى هذا التألب الذي تتحذره لكي ينقذ نفسه من مخالبها ، وبعض مفكري أوروبا الذين ينظرون الى بعيد يرون ان الشرق شرع يتألب • فاسمع ما قاله السنيور فرنشيسكو كويولا الايطالي الذي يبحث الآن في ثورة الشرق على أوروبا ، فقد ورد في مقالة له في ١٥ اكتوبر في احدى جرائد روما ما محصله :

« عقدت الشعوب المختلفة آمالا عظيمة على نتيجة الحرب العظمى ، ولكن هذه الآمال تلاشت دفعة واحدة بعد الصلح ، لأن الدول الظافرة أنكرت عهودها الواحدة بعد الأخرى وعمدت الى تنفيذ برنامج استعماري جديد لا ندري ماذا تكون نتيجته . غير اننا نعلم ان الثورة ضد أوروبا تتمخض في مصر والهند والمغرب والصين ، فقد كتبت على أعلامها مبادىء ولسن الاربعة عشر ، فأثارت الفكرة الوطنية المصرية على ضفاف النيل ، والعربية في سورية وفلسطين ، وعلى ضفاف دجلة والفرات ، والكردية والايرانية في العراق الاعلى وايران . وقام الوطنيون الهنود حتى نهر الكانج والمغاربة في الريف والصينيون في جميع الموانيء الصينية يطالبون بالحرية والاستقلال . وقد ألف مصطفى كمال باشا جيشا كبيرا في الاناضول ، وظهر جيش آخر في تركستان وضع نواته أنور باشا . ونظم الامير الافغاني جيشا على الطراز الحديث ، وكذلك الامير عبد الكريم ، وأصبح للوطنية زعماء محترمون ، مصطفى كمال في تركيا ، وزغلول باشا في مصر ، ومحمد علي وغاندي في الهند ، وسان يات سين وفنج يوهسيانغ في الصين . وقد أريقت في سبيلها الدماء في دلهي وامريشار والاسكندرية وشنغهاي ، وعقدت باسمها مؤتمرات في باكو وجايا ودلهي ، والمؤتمر الاسلامي المنوي عقده في القاهرة » .

« وقد وجدت هذه المبادىء الاستقلالية أنصارا أقوياء لها في أوروبا حيث تنظم تنظيما عسكريا وسياسيا على يد هيئة أركان حرب عامة تقيم في موسكو » انتهى .

جمعية الأمم عش المؤامرة :

انظر ما أشر هؤلاء الأوروبيين وما أخبث قلوبهم ، يسمون جمعيتهم جمعية الأمم وليس فيها من الأمم الا أمم أوروبا وبعض الامم التي تخدم أوروبا . فهي بالحقيقة « جمعية أوروبا » لا « جمعية الامم » ... ولكن عفوا وعذرا .. غاب عن ذهني أن أوروبا لا تحسب العالم الا أوروبا ، ان هذه الجمعية التي

اتصل الى نظريتها علماء الاجتماع ودعا ويلسن الأمم لانشائها قبض عليها أهل أوروبا وهي طفلة وجعلوها عش مؤامراتهم · واليك أحد الأدلة الراهنة على ذلك ·

نشرت جريدة « الديلي تلغراف » مقالا لمكاتبها السياسي في ٥ نوفمبر قال فيه :

« تتنافس بعض دوائر جمعية الأمم في فكرة تأليف لجنة تتولى تحقيق ما وقع في سورية ولكن مجلس الجمعية وحده هو الذي يستطيع القيام بهذا العمل · نعم في وسع لجنة الانتدابات أن تشير على المجلس بتعيين لجنة تحقيق · ولكن لا يمكن اتخاذ هذه الخطوة الا بطلب الحكومة الفرنسية أو بموافقتها التامة · ولا ريب ان الحكومة الفرنسية ستشرع قريبا في اجراء التحقيق اللازم بنفسها » ·

اذا فرنسا تذنب ، وفرنسا تستجوب فرنسا ، وفرنسا تحاكم فرنسا ، وفرنسا (طبعا) تدين فرنسا ـ لله در المتنبي اذ قال ـ كأنه تنبأ عن هذه الجمعية :

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

ترى ان جمعية الأمم هذه التي كانت فكرة مقدسة دنستها أوروبا وجعلتها الأفعى اللاذعة · لهذا لم تدخل فيها أميركا · وما دخل من الشرق فيها الا الحبشة بناء على اغراء فرنسا لاغراض ، وقبلتها الحبشة بشوق كما قبلت حواء التفاحة من الحية ·

أوروبا لا تخجل ، ولكن أعضاء « جمعية الأمم » من مشاهير الناس ألا يخجلون أن يكونوا سما في فم الأفعى ؟ لو كانوا يخجلون لكانوا يستعفون من عضويتها نفضا لهذا العار ·

وترى مما تقدم عليه بكل جلاء ان أوروبا كانت ولا تزال تتآمر على الشرق بصراحة لاهتضامه · وقد عيدت في الشهر السابق لاتفاقها في لوكارنو وتصافحت أممها لكي تتفرغ لطبخ

أطعمة الوليمة الشرقية ، فمنذ اليوم أصبح الشرق تحت سكين الجزار .

للتنبيه لمثل هذا اليوم وقفنا هذه المجلة كما ترى في غلافها : « يقظة يا شرق » .

(حاشية) : تلقت الجمهورية السورية في أميركا الرسالة التالية من السناتور بواره رئيس لجنة الشؤون الخارجيــة في مجلس الشيوخ الاميركي وهي :

« اعتطف كل العطف على الرأي الذي أعربتم عنه في كتابكم أما رأيي الخاص في المسألة فهو ان السكينة لا تستقر بين الشعب السوري ، والسلم لا تتوطد أركانه في سورية على الاطلاق ، الا بعد أن تتحقق العهود التي قطعت للسوريين في أثناء الحرب وتنفذ بنية صالحة . فالسوريون لهم الحق في الاستقلال وحكم أنفسهم بأنفسهم والواجب أن يبر بالعهود التي قطعت لهم من هذا القبيل واني أود أن أساعد على تحقيق هذا الغرض لو كنت أعرف السبيل الموصل اليه » .

مجلة السيدات والرجال



* العرفان : اليوم صارت « الدنيا اميركا وروسيا » .

ابواب العرفان

الصفحة	الموضوع	الصحيفة
	مختارات الصحف	
١١٧ ـ ١١٩	الامام الشافعي	منبر الاسلام
١٢١ ـ ١٢٨	ملك اراوكانيا	العربي
١٢٩ ـ ١٣٤	مصر عربية أو فرعونية	كل شيء المصرية

★ ★ ★

الصحـة

الصفحة	الموضوع
١٣٥ ـ ١٣٦	نصائح للآباء والامهات
١٣٧ ـ ١٤٠	كيف تجدد شبابك
١٤١ ـ ١٤٦	الزواج ليس جنسا فقط
١٤٧ ـ ١٥٤	اعراض صحية خطيرة لا تهملها

★ ★ ★

الاخبار والآراء

الصفحة	الموضوع
١٥٥ ـ ١٥٧	تكريم الدكتور حسين مروة
١٥٨ ـ	الشيخ صبحي الصالح مناقش ومحاضر
١٥٩ ـ ١٦٠	الشيخ محمد مهدي شمس الدين في بعلبك

✻ ✻ ✻

مختارات الصحف

الامام الشافعي «رضي»

بقلم: عبد اللطيف اسماعيل عباده

قمة عظمته وروح عبقريته في الفكر الاسلامي تجديدا واجتهادا .

هنا يشرق ذلك الامام المجدد « محمد بن ادريس الشافعي » .

كان الناس قبل « الشافعي فريقين » :

(أ) أصحاب الحديث الذين حفظوا أخبار رسول الله (ص) ، بيد أنهم عجزوا عن الجدل أمام سؤال أو اشكال وكانوا في « المدينة » يمثلهم الامام « أبو حنيفة وتلاميذه » .

(ب) وأصحاب الرأي ، كانوا أولي نظر وجدل عاجزين عن الآثار والسنن .

التقى بمالك زهاء تسع سنين والتقى بتلاميذ « أبي حنيفة » وأخذ عنهم ، فاجتمع له فقه « الحجاز » وفقه « العراق » وصنع بهذا كله قمة الفكر الاسلامي .

كان الامام محيطا بسنة رسول الله وقوانينها ، قويا في آداب النظر والجدل ، حجة ظاهرة ، قاهرة للخصوم ، اجاباته عما يسأل عنه شافيه كافيه .

وبذلك استطاع أن يستنبط « علم أصول الفقه » وان رحلته بين « المدينة » و « العراق » و « مصر » قد صنعت فكرة وصاغت طريقة .

ولد « الامام الشافعي » بغزة في « فلسطين » ورحل منها الى

« مكة » وهو ابن عامين ، ثم رحل الى « المدينة » وسافر الى « اليمن » ثم أسر الى « بغداد » متهما ، ثم عاد الى « مكة » ثم الى مصر وفيها أقام بقية حياته ·

منحته الرحلة قوة روحية ، وأنضجت ذهنه ، والتقى بمالك، وأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة و ابن حنبل ·

كان له مذهب في العراق ولما قدم الى مصر أعاد صياغته ·

ولقد ولد في العام الذي توفي فيه أبو حنيفة وتلقى في المدينة على مالك فأعجب بذكائه وجودة حفظه ·

وقد قال عنه الرازي : ان نسبة الشافعي الى علم الأصول كنسبة أرسطو الى علم المنطق ·

والشافعي أول من تكلم عن القياس ضابطا لقواعده ·

يقول الشافعي عن نفسه خرجت الى اليمن في طلب كتب الدراسة حتى كتبتها وجمعتها ·

ويقول : « ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطيء ، وما في قلبي من علم الا وددت أنه عند كل أحد ، ولا ينسب الي علم الا وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس » ·

وقد أخلص الشافعي للحق وبعد عن الزهو حتى تمنى أن ينتفع الناس بعلمه دون أن ينسب اليه ·

يقول هارون بن سعيد : « ما رأيت مثل الشافعي » قدم علينا مصر فقيل : « قدم رجل من قريش » فجئناه وهو يصلي ، فما رأينا أحسن صلاة منه ، ولا أحسن وجها فلما تكلم ما رأينا أحسن من كلامه ، فأنسنا به » ·

وفي مصر واجه الشافعي أتباع مالك وأتباع أبي حنيفة وجدد مذهبه ، وأملى خلال اقامته بها وهي أربع سنوات ألفا

وخمسين ورقة وخرج كتاب الأم وكتاب السنن وأشياء كثيرة .

وفي سبيل الحق الذي يعتقده لقي الصعاب ، وألح عليه المرض وأجهده في أيامه الاخيرة .

ودخل عليه الربيع بن سلمان وهو مريض ، فقال له قوى الله ضعفك فقال الشافعي لو قوى ضعفي لقتلني فقال الربيع والله ما أردت الا الخير .

قال : « أعلم ولكن قل قوى الله قوتك وأضعف ضعفك » . عاش الشافعي حياة العالم الورع الـذي يضرب المثل لخلقه وسلوكه ، وكان أسخى الناس بما يجد .

وكان الى ذلك عارفا بحق علمه على نفسه .

ومات فقيرا ، لم يترك شيئا يذكر .

يقول : « ما شبعت منذ ست عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسي القلب ، ويجذب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة » .

لقد ترك الامام الشافعي علما وافرا ، وترك نموذجا من الخلق العربي الاسلامي .

وكان كما وصفه أصحابه : « عربي النفس ، عربي اللسان » .

منبر الاسلام





● للاطفــال

محمد ·· وعلي

كلنا نحب الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم ·· ومن واجب المسلمين جميعا أن يحبوا الله ورسوله ·· والرسول هو أحب الناس الى الله سبحانه وتعالى ··

وكلنا نحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ·· فهو أول صبي في الدنيا ·· قال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ·· وهو أول صبي في الدنيا تعلم الصلاة ·· وصلى في الاسلام ··

وعلي هو الشاب الصغير ، الذي فدى النبي صلى الله عليه وسلم بحياته ليلة الهجرة ، حين نام في فراشه ، وتعرض لخطر مواجهة الأعداء ، الذين دبروا قتل الرسول ·· فحماه الله ·

وعلي هو زوج فاطمة بنت رسول الله ، وأحب الناس اليه وهو أبو الحسن والحسين ، حفيدي رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة ·

وهناك صورة أخرى ، يشترك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وابن عمه علي رضي الله عنه ·· وهي ان أبا طالب عم الرسول ، تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب ، وكان في سن الثامنة ·· وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أغناه الله ·· فأخذ عليا في بيته لرعايته وتربيته ··ليعاون عمه أبا طالب ·· الذي كان فقيرا كثير العيال ·· وهكذا نشأ كل منهما في بيت الآخر ·· بنفس الطريقة ··

ولهذا يتبرك كثير من المسلمين باسم محمد وعلي ·· وبعض الآباء يسمون أطفالهم : « محمد علي » تبركا بصاحبي الاسمين الكريمين : محمد وعلي ·

مجلة سمير للصغار

مغامرة تحولت الى حقيقة
ملك أراوكانيا

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

هل أتاك حديث أراوكانيا ؟ وملك الآراوكانيين ؟

انه مما أسقطه التاريخ الحديث فلا علم ولا خبر ! حتى أراوكانيا هذه قطعة من المجهول عندي وعندك • وجزر واق الواق الاسطورية أكثر حقيقة منها •• فما اراوكانيا هذه ؟ وأين أين ؟ ومن هم الآراوكانيون ؟ هذا الشعب الذي لم تسجله التوراة في شعوب الارض القديمة ولا تحدث عنه المؤرخون ، على ما أكثروا من الثرثرة والحديث ؟!

ان شئت ان تعرف فاقرأ أولا بعض أشعار بابلو نيرودا شاعر شيلي العالمي • انه ابن تلك الارض ، كل براكينها الكتيمة ، كل قممها الثلجية المسنونة ، كل غاباتها تغوص الاقدام في ورقها الميت وتموت الاطياف ، كل صخورها البنفسجية زمر الوحش ، النباتات الكسلى ارتمى بعضها فوق بعض ، زهر الثلج ، عصائب العصافير ، السحن النحاسية المغلقة ، المطر ، المطر كالابر الطويلة من البلور يتكسر شهورا طويلة على أسطحة المنازل أو يستحيل أمواجا شفافة تلطم النوافذ أو وحولا لزجة على الطرق ••• كل اراوكانيا تجدها في أشعار نيرودا • بلى ! انها في أقصى الارض ، على سفوح جبال الاندس المطلة على المحيط الهادي في جنوب شيلي ، ولكن نيرودا نقلها حية دافئة الى كل قلب ! في مذكراته قال :

« من لا يعرف الغابة الشيلية فهو لم يطأ هذا الكوكب الارضي •• من

« تلك الاراضي ، من ذلك الطين ، من ذاك السكون خرجت

« أنا الأسير ، لأغني عبر الكون • ولدت للحياة ، للارض ، للشعر ، للمطر •• »

على ان القصة المنسية كانت قبل ولادة نيرودا بقرابة نصف قرن (١) ولا علاقة للقصة به ، ولكن بأرضه وبأهله · انها تبدأ في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٦٠ ·· المطر كان يرهق أربعة فرسان يهبطون الدروب الموحلة من جبال الاندس هناك ويبلل لحية كبيرهم ويقطر من أذناب الخيول ··· حين توقف الفرسان ، بعد أسابيع من السفر والجهد ، كانت قد انبسطت أمامهم هضبة مد البصر ، من الخضرة الندية والشجر الغابي والاسرار المكفتة بالضباب ·· ومسح كبير الفرسان شاربه ولحيته السابغة علامة الرضى · وسار ساعة على ضفاف النهر الجاري بعرض مائة متر من الماء المتدفق المزبد يلتمس ممرا عبره ··

ـ اذن فهذا هو نهر (بيوبيو) الذي يفصل شيلي عن أراضي اراوكانيا !!

في حرب الافقار :

لقد جاء هذا الفارس : انطوان دوتونين من فرنسا خاصة لاجتياز هذا النهر وتجربة حظه فيما وراءه · ولا يغرنك شبح النبالة القديمة في لقبه فهو ليس أكثر من ابن لأسرة كانت تعد تسعة أطفال ، تعيش في الفقر والمسغبة · ويعلم الله كم قاسى (انطوان) ليدرس ثم ليهاجر ثم ليكون هذا الموكب المتواضع الذي يسير فيه ··· يطمع في تحقيق حلم أعرض من الأفق ·· يطمع أن يقيم لنفسه ملكا ، في اراوكانيا ، حيث لا ملك لاحد بعد · المغامرون الآخرون الذين عاصروه اختاروا افريقيا خاصة ميدانا لممالكهم « الاستعمارية » ، أما انطوان فاختار المسير الى أقصى بقعة في الارض ، الى اراوكانيا · ولست تدري من أين هبط عليه هذا الحلم ؟ ولا كيف عرف بوجود تلك البلاد ومتى قرر المسير اليها ···

(١) ولد الشاعر بابلو نيرودا سنة ١٩٠٤ وتوفي ١٩٧٣ · وفيما بين المولد والوفاة كان قيثارة امريكا اللاتينية كلها في الشعر · نال جائزة نوبل سنة ١٩٧١ بوصفه « شاعر الكرامة البشرية المنتهكة » ·

مائة سنة ظل الفاتحون الاسبان الذين أسسوا شيلي يحاربون قبائل الآراوكانيين ، السكان الاصليين لتلك الارضين . دون أي نجاح .. دفعوا هناك من الضحايا أكثر مما دفعوا في فتح أمريكا كلها وظل الآراوكانيون يدفعون بالمقابل .. دون كلل كل ما نجح به الاسبان هو اجبار ذلك الشعب على التقهقر جنوبا جنوبا جنوبا الى أن حوصر في تلك الشقة الساحلية الضيقة الباردة في الجنوب ... كانوا يسمون ذلك « تهدئة اراوكانيا » أي مواصلة الحرب بالدم والنار لافناء ذلك الشعب القديم وانتزاع أراضيه بنيران البنادق ، باحراق الاكواخ . بالافقار المتمادي ، باستخدام القانون والقضاة والمحاكم لاجلائهم ، بالكهان يهددونهم بنيران جهنم .. وأخيرا بتوزيع الخمور أيضا !. صحيح ان الحرب الدموية توقفت سنة ١٦٥٥ ثم اعترفت اسبانيا باستقلال اراوكانيا سنة ١٧٧٣ ولكنها الحرب الاخرى ، حرب الافقار والخمر والحصار ظلت على أشدها والشعب العريق يؤتكل .. يؤتكل كبعض الهضاب الصخرية الصلدة .

ولم يكن اسم الشعب بالأراوكان . ولكن الكلمة أتت من أوكايس وتعني « الثائر » في لغة ذلك الشعب القديم . انهم اذن شعب « الثوار » .. ولكن دون أمل ! أرضهم التي بقيت لهم في أواسط القرن الماضي كانت حوالي ٦٠ ألف كم٢ وأما عددهم فكان قد تضاءل الى حوالي ٢٠٠ أو ٢٥٠ ألفا فقط . وكانوا ضعف ذلك مرتين ! وكان لهم من قبل الملوك ولهم الحضارة والنظام النظيم . ولكن الخمر والقتل والفقر والحصار كل أولئك قد أحالهم الى شعب في طريق الاندثار ..

وحين وصل الفارس انطوان دوتونين الى نهر بيوبيو كانت شيلي تعتبر هذا الشعب وأرضه من رعاياها ومن أرضها ولكن دون أن تمس الشعب أو تدخل الارض .. أما الاراوكانيون ، بالمقابل فكانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين . اسبانيا الحاكمة قبل قرنين كانت قد اعترفت لهم بالاستقلال ... وقد عادوا

الى زعاماتهم العشائرية (الكاسيكه) ولم يأتهم من وراء نهر بيوبيو في الشمال أي سلطة ...

القادم لأجل الخير :

كان الفارس دوتونين وحاشيته من الفرسان الثلاثة يخترقون الأعشاب الطويلة بعد أن عبروا النهر حين فوجئوا بكوكبة من فرسان الاراوكانيين ، على السرج ، بسحنهم النحاسية العريضة وأغطيتهم السميكة من الصوف التي يتوقون بها المطر ينبعون لهم من قلب الادغال ويقطعون عليهم الطريق ! وحين قادوهم الى زعيم القبيلة الكاسيكه ماغنيل في القرية استطاعوا بسهولة ان يقنعوه أنهم ليسو امن شيلي ، وليسوا من الاعداء · وانهم انما يرافقون هذا « السيد المظيم انطوان دي تونين » الذي جاء لا يريد لهم الا الخير ·

وما الخير ؟

الفارس انطوان كان قد قضى سنة ونصف السنة من قبل في شيلي ، وفي مرفأ « كوكيمبو » يحضر لهذا اللقاء ، يتعلم الاسبانية لأنه لم يجد من يعلمه لغة الاراوكان · يحضر الخرائط والمعلومات والوثائق يجمع الدراسات القليلة لنبات الارض ومعادنها ... ولمواصف الاهواء فيها ! ولذلك سرعان ما عرض الامر على الكاسيكه ذي الشعر الرمادي من الزاوية التي تهمه وتستأثر به !

قال له في جمل قصيرة حاسمة كأنها القدر : ان لم يتحرك الشعب الاراوكاني وينظم نفسه ضاع · شيلي سوف تجتاز ذات يوم قريب نهر بيوبيو وتأخذ البلاد نهائيا · وأنتم لا تستطيعون المقاومة كما أنه ليس لديكم الخبرات اللازمة لاستغلال هذه الارض واقامة استقلالكم الاقتصادي · وأنتم متفرقون ، فيجب أن تتحدوا في دولة ذات نظام وأن يكون لديكم الخبير القوي الذي يعرف البيض جيدا ويقودكم ·· ويستخرج لكم أيضا ما تحتوي أرضكم من ذهب !

وبالرغم من أن الكاسيكه العجوز ظل طويلا يرمق انطوان ولحيته السابغة بالحذر ، الا أنه في أعماقه اقتنع بالأمر لأنه

كان مستعدا من قبل لمثل هذا الاقتناع .. الذي يدغدغ أحلام الآراوكانيين ، وقال وهو يعب من « الماته » الحارة في أوعيتها الخشبية التقليدية ويحلم بـ « الذهب » المنتظر الذي استدارت له عيناه وجوانحه :

ـ ان ذلك يحتاج الى معجزة !

وأجاب انطوان بسرعة ، كلا انكم تحتاجون فقط الى ملك يجمعكم ويصبح الأب للجميع . وأنا مستعد أن أكون ذلك الملك ...

ولم تدم مفاجأة الكاسيكه طويلا . لقد ساله :

ـ ولكن لماذا أنت ؟ ومن أنت ؟ ومن يساندك ؟ وما هي قواك ؟ وأين ذلك .. الذهب ؟

ولكن انطوان أسرع الى الكذب الذي كان تهيأ له من قبل . بنى للكاسيكه العجوز قصورا من الأوهام ، وزوق الابواب والمداخل والمخارج .

بشهادة المحفل الماسوني :

حمى الاستعمار كانت آخذة بألباب أوروبا في ذلك الوقت . وكانت انكلترا وفرنسا خاصة ، في السباق للسيطرة الاستعمارية قد ابتلعتا معظم « الفطيرة » السوداء الافريقية وجنوب آسيا وتراودان الشرق الاقصى وبلاد العرب ، وارث «الرجل المريض» العثماني . وروسيا تبدأ الزحف ، لاحتلال تركستان الاسلامية وتعبر سيبيريا للوصول الى المحيط الهادي ... والمغامرون يتطلقون كالأسهم النارية في كل اتجاه ، وفي الجباه أحلام يقظة عرضها السموات والارض ... ولم يكن صعبا على الفارس المغامر أن يصوغ اسطورته :

ـ أنا الأمير انطوان دوتونين . ولدي كذا من الخبرات . عندي الاموال . سوف تلحق بالقوى .. الموجودة في أوروبا . أعرف الوسائل الحديثة في الحرب . وأنا حيادي وانما جئت خصيصا لانقاذ اراوكانيا وتقديم العون لها .

وسأله الكاسيكه :

ـ ولكنك وحيد هنا . وأوروبا بعيدة . هل لديك كتب توصية وأموال ؟

الفارس المزيف لم يكن يملك سوى مبلغ محدود جدا من المال ولا شهادة معه سوى شهادة التحاقه بالمحفل الماسوني في بلده وأخرجها ! أما المال فالذهب الاراوكاني موجود ينتظر فقط من يعرف استخراجه .. وهذا « المنقذ » على استعداد لاستقدام أعوانه الخبراء من أجل ذلك ...

كان المطر يهطل كالمزاريب .. وغرق « الكاسيكه » في فترة من الصمت تحت دثاره السميك . ثم استمهل الى اليوم التالي ليقول كلمته ...

لا تهم المفاوضات التي تمت بعد ذلك ، ولا الاحاديث التي رددها انطوان بلحيته الطويلة المؤثرة على مجمع الزعماء الملحيين لاقناعهم . المهم هو أن نعرف ان الفارس المغامر قد استطاع في النهاية أن يصوغ لهم الاحلام وان يضع نفسه على رأس هذه الاحلام وما كاد يفوز بموافقتهم حتى أصـــدر في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٠ أول مرسوم من مراسيم الدولة بدأ كما يلي :

« نحن الامير أوربي انطوان دي تونين ،
آخذين بعين الاعتبار أن أراوكانيا لا ترتبط باي دولة .
وانها مقسمة الى قبائل وان حكومة موحدة قد أعلنت فيها للمصلحة العامة .
نرسم بما يلي :
مادة أولى : تؤسس ملكية دستورية وراثية في اراوكانيـــا ويسمى الامير انطوان دي تونين ملكا باسم أوربي انطـــوان الاول ... » .

المغامرة صارت حقيقة :

ولما كان الملك مستعجلا فقد اتبع هذا المرسوم بست وستين مادة تشكل دستور المملكة الجديدة « مملكة اراوكانيا » وبعد فترة قصيرة تلقي رئيس جمهورية شيلي ، ووزير خارجيتها ،

رسميا ، نص هذا الدستور وبلاغ استلام الملك الجديد عرش اراوكانيا ... ونشرت ذلك الجرائد الشيلية .. بعد أيام أخرى تلقت حكومة شيلي من هذا الملك « مرسوما مؤرخا بـ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٠ يبلغها فيه أنه انضم الى تاج اراوكانيا بلاد باتاغونيا في أقصى الجنوب الشيلي !

ولأن لأهل باتاغونيا ما للمواطنين الاراوكانيين من الحقوق .. » .

ومهما بدا الامر مزاحا غريبا فيجب أن نعرف ان الفارس المغامر قد أقام ، بهذا الشكل المفاجيء ، مملكة تبلغ في المساحة ضعفي مساحة فرنسا وفي منطقة ذات شأن اقتصادي واستراتيجي فريد ... وبلغ الامر من الجدية بحيث قبلت انكلترا وايطاليا وفارس قناصل اراوكانيا ، بالفعل وظهر اسم أمير اراوكانيا في تقويم (غوطا) للملوك (١) .. وأخذت المغامرة التي لا معنى لها تتحول حقيقة ... وحقيقة واقعة ! لولا ان صاحبها ارتكب الخطيئة المميتة .

كانت موارد البلاد المالية تنضب بسرعة شديدة وليس لديه من مورد فاجتاز نهر بيوبيو شمالا الى بلدة (فالبارايسو) (بجانب سانتياغو عاصمة شيلي) ومن هناك في (٣ حزيران ١٨٦١) أطلق الى فرنسا والفرنسيين نداء قال فيه : « ليأت أولئك الذين لا يخيفهم السفر البعيد ، لمعونتي في بناء فرنسا الجديدة ... لا أطلب منهم الا الفعالية والخلق الكريم لأننا حين نرغب في تمدين الآخرين فيجب أن نقدم لهم المثل الطيب » .

وطلب من الفرنسيين الاكتتاب الوطني لذلك ...

كانت حكومة شيلي تحسب ان فرنسا تقف وراءه وأنها سيأخذها الحماس لندائه ولم تكن تريد الاصطدام بها فاضطرت للسكوت . ولكن نداء المغامر سقط في الفراغ . ولم يجب عليه

(١) غوطا هو اسم تقويم سنوي ودليل للانساب والدبلوماسية والاحصاءات كان يصدر في المدينة الالمانية التي تحمل هذا الاسم منذ سنة ١٧٦٣ باللغتين الالمانية والفرنسية ولم ينقطع عن الصدور الا سنة ١٩٤٤ .

أحد ولا دفع له أحد فلسا ·· ما أخذه أحد على محمل الجد · كانت التعليقات الفرنسية بالعكس تعليقات قاتلة · كانت تتكلم عنه كلامها عن مهرج وتتحدث عنه على أنه ملك من ملوك الورق أو بعض الأوبيرات ! أما امبراطور فرنسا في ذلك الوقت نابليون الثالث فكانت لديه غزلان أخرى يطاردها ···

وهكذا قررت شيلي التحرك !

وبينما عاد انطوان الى اراوكانيا فجمع القبائل في مسطح من الارض ودار زعماؤها الفرسان حوله خببا أربع مرات ، وناول الكاسيكه علما مثلث الالوان (أزرق أبيض أخضر) معلنا أنهم يجب أن يموتوا فداءه وصاح الاراوكانيون : عاش الملك ·

بينما كان ذلك كانت حكومة شيلي تقدر وتدبر ···

كيف انتهى الامر ؟

بأبسط وسيلة ! اشترت شيلي الدليل الذي يستخدمه «الملك» انطوان فوقع في كمين على الحدود وسيق الى زنزانة لا يرى فيها أي نور ··· وبالرغم من أنه استطاع الفرار بعد ستة عشر شهرا الا أنه وقع في قبضة السلطات الشيلية مرة أخرى وفي سجن أمر وأدهى ···

وفي المحاكمة كانوا يدعونه « بالملك انطوان الاول » · ألم يكن قد كسب هذا اللقب بجهوده وبتأييد الشعب ؟ وكان له بلاد وعلم وجيش ودولة ودستور ؟ ولكنه في النهاية أعلن أنه ·· مجنون ! ووضع على ظهر مركب فرنسي مطرودا من البلاد !

بلى ! حاول عدة مرات وخلال خمس عشرة سنة أن يصل الى مملكته عبر جبال الأندس الثلجية فأخفق ·· وحين عاد في النهاية الى بلده الاصلي مجرد أفاق فقير لم يطل عمره سوى عدة أشهر · وحين أعلنت الصحف موته أعلنته وسط أسطر من السخر المفترس أليس ذلك دوما نصيب المخفقين ؟

« العربي »   د· شاكر مصطفى

مصر عربية أم فرعونية أم غربية
آراء طائفة من كبار المفكرين

في ابريل الماضي نشرت مجلة الهلال استفتاء أجاب عنه طائفة من المفكرين وهذا الاستفتاء يتعلق بموضوع خطير . وما هذا الموضوع الا البحث في اتجاه حضارتنا بغية تبين الطريق الذي نحن فيه سائرون . فمصر اليوم في دور تنبه وانتقال تتجاذبها عوامل مختلفة وتتجاوب في جوها دعايات متباينة بين قائل باصطناع المدنية الغربية وقائل باحياء حضارة الفراعنة ، وقائل باعتماد الحضارة العربية الاسلامية . وقد رأينا بمناسبة اصدار هذا العدد الخاص بالشرق العربي أن نلخص ما جاء في أجوبة هؤلاء المفكرين عن استفتاء الهلال .

رأي أحمد شوقي بك أمير شعراء العرب

« ان أدب العرب لم تسمح له تقلبات التاريخ وغزوات الفاتحين بالنضوج ، وها نحن نكمل ما نقص منه .

« ولا شك عندي في أن الأدب في مصر سيأخذ مكانه اللائق به بين آداب العالم حين تبتكر القصص والمسرحيات ونقرض التاريخ الشعري على أسلوب فذ تشيع فيه الروح الاسلامية العربية .

الآداب والفنون من أقوى دعامات الحضارة ، ولعل أحدا لا يماري في أن الآداب والفنون من فيض الايمان . وانها تستمد أصولها من العقائد آيا كانت ، فمن الرعونة وغفلة العقل أن نجازف بقولنا أن القصص التي نؤلفها عن حياة الفراعنة تند عن روح الادب العربي . وقد سمعت وقرأت أن الحضارة القادمة في مصر ــ وهي ستكون اذا وفقنا في تشييدها عربية النزعة ــ أكمل من الحضارة الراهنة لكنها ستحذف الآداب من حسابها .. وهذا قول لا يستند الى التحري وامعان في فهم معنى الحضارة .

« حضارة مصر المستقبلة ستكون لغتها العربية ، فكيف نرضى بأن يظل أدبها ناقصا على الصورة التي عليها الأدب العربي ..

« ان الأدب الغربي أو الاغريقي لن يغنينا تعريبه عن التأليف كل حضارة لها شخصية ولها طابع . ولن تبرز شخصية الحضارة بدون الادب ولن تتجلى بدون الفنون .

« على ان أدبنا المصري سترحب به الدنيا لما فيه من روح عربية شرقية ، وسيضاف الى ذخر الأدب العالمي على اعتبار أنه جديد له ذوق خاص ومزاج خاص وطابع خاص » .

الدكتور علي باشا ابراهيم عميد كليات الطب بالجامعة المصرية

« أشعر اليوم بأن الحضارة الحالية ينقصها عامل هام هو الجانب الروحاني .

« فلعل رسالتنا للحضارة تكون في أن تكمل هذا النقص .. ان مصر أقدر البلاد على تأدية هذه الرسالة الروحانية .. ان العقلية الشرقية لم تمت ، وأراها نشطت في مصر وغير مصر . ولما كنا قد سبقنا الشعوب الشرقية التي بالشرق الادنى والاوسط وفي جملتها تركيا ، فاننا سنحتفظ بهذه الزعامة الفكرية وسنقود العالم العربي .

« ولا مراء في أن تقدمنا سيكون في نطاق الحضارة الاسلامية على صورتها السابقة .. لا يمكن أن يتأتى ذلك ، فاننا مضطرون الى الاقتباس من الحضارة الراهنة ، ثم نضيف من عندنا . وليس ثمة خوف من أن الحضارة التي نرجو انشاءها تتأخر عن التقدم العالمي الحالي الذي هو نتيجة التقدم العلمي .. فالاسلام قد وسع علماء من المسيحيين ومن اليهود ، وأغدق الخلفاء على العلماء بقطع النظر عن دينهم وجنسهم الخلع والأعطيات وساعد على التجارب العلمية ، واستطاع طلاب العلم في ظل الحضارة العربية الاسلامية أن يحصلوه بلا أجر ، ففي بغداد والقاهرة وقرطبة كان الطالب الفقير يتمكن من تلقي العلوم والتفرغ لها بفضل الاوقاف المحبوسة على المساجد والتكايا ووجوه الاحسان ، وأنواع المبرات الاخرى .

« وبالجملة اننا لن نرتمي في أحضان المدنية الحاضرة ، ولا نرفضها كلها ولا غنى لنا عن أن نقتبس من حضارة الفراعنة ونستوحي ماضيهم كما يصح أن نستوحي حضارة الاغريق أو الأشوريين ٠

« ولكن الشيء المحقق هو أن اتجاه مصر انما هو نحو حضارة يسودها الكثير من جمال الحضارة العربية الاسلامية ومظاهرها اذ لا مفر للمستقبل من تأثير العوامل التي تنشط في الوقت الحاضر ، هذا الحاضر وليد الماضي ، به اقتدى وعنه تلقى ، ثم زال من عنده تحت دور التجربة ، وبفعل المجهود الذهني والنشاط الاجتماعي » ٠

السيدة هدى هانم شعراوي

« اننا كلما أوغلنا في اقتباس الحضارة الغربية ، وكلما تعمقنا في تفهمها ازددنا يقينا بأن حضارتنا لها جمالها ولها عظمتها ، واننا يجدر بنا أن نثبت وجودنا بالمساهمة في اكمال الحضارة ٠٠ نعم اكمال الحضارة ٠٠ فأنت تعلم أن الحضارة الانسانية تقلبت في أدوار كل منها لعبت فيه أمة من الأمم دورا ممتازا عن التي تقدمتها ، وما من شك يخالجني في أن الحضارة القائمة لها عيوبها الكثيرة ولها محاسنها الكثيرة حتى انها شرعت في الايام الاخيرة تأخذ عن الحضارة الاسلامية العربية نظام الطلاق ٠٠٠ أما الحضارة العربية التي ارتكزت على الاسلام ـ ولا بد لكل حضارة من دين ـ فقد اعترفت بحقوقها ٠ ونحن في مصر نسعى للحصول على جميع هذه الحقوق ٠

« ان المستقبل مجهول وهنا عوامل خفية وأخرى ظاهرة ٠٠ وقد أرى ان المرأة المصرية ستكون قدوة للمرأة في سائر البلاد العربية وتسري من هنا الى سائر الأمم الناطقة بالضاد فكرة تحرير المرأة في دوائر لا تنافي تعليم الاسلام ٠٠٠ هذا ومن المستحيل أن يروج في الوسط النسائي ما تتورط فيه المرأة الغربية الحديثة مما تضج منه أوروبا ٠ اذ أن الاحوال الاقتصادية

وعوامل شتى قصرت الاخيرة على الشطط أحيانا وفي حالات معينة ·

« احتككنا بالمدنية الغربية قرنا وربع قرن ، واذا قيل ان هذا القدر من السنوات لا يحسب في عمر الأمم شيئا مذكورا فقد يعمر الرجل الواحد مائة عام ويزيد ، قلنا ان طفولة الأمم قصيرة الاجل وطفولتها ممكنة ووثوبها الى النضوج قد يأتي بغتة وعلى غير انتظار ، لا سيما اذا كانت ذات تاريخ مجيد وحاضر بسام متفائل ، اذ يخيل لي ان الأمم التي تحمل حضارتها ولا تبيد تحتفظ ــ مثل مصر ــ في أعماق نفسها بتلك الخصائص والكفايات العالية التي تستأنف البناء وتبغي الكمال على نموذج تتجلى فيه روحها ومزاجها وشيء غير قليل من ماضيها وتراثها الفكري والفني » ·

الدكتور منصور فهمي

« ليس من شك في أن الكثرة من أهل البلاد المصرية تلقت عن العرب اللغة والدين ، سواء منهم من يمت بسبب الى الفراعنة أو الاغريق أو الرومان ، أو التتر أو غيرهم من الاجناس ، وان أبناء مصر من أي دم يكونون ــ اذا كان للدم شأن يذكر في الجماعات ــ فهم المصريون على كل حال بالانتماء الى محيطهم الذي يفعل في سحنهم ويحكم منها على نحو ما يحكم كل محيط جغرافي في السحن والصورة ·

« واذا كان المصريون مصريين على هذا النحو السالف فهم عرب باعتبار لغتهم ، وما أدخلته اللغة في نفوسهم من العواطف والأفكار · وعلى هذا ليست المصرية بنقيضة للعربية ، وليست العربية بنقيضة للمصرية ، فنحن قد ننتمي الى الأولى من جهة ، والى الاخرى من جهة ، وليس من حاجة البتة لأن نصل تاريخنا بعنصر واحد أو نصل حياتنا الاجتماعية بأصل واحد ·

« وأزيد على ذلك ان كل دعوة لرابطة من الروابط مهما كان نوعها لا يمكن أن ينشأ عنها أي ضرر لواحد أو لهيئة من

الهيئات التي تتألف من وحداتها الأمة المصرية ·

« وعندي ان الروابط انما تؤسس وتبنى لاصلاح الفاسد وللبر وللتحسين · وليست الروابط تبنى للبغي والعدوان · فالرابطة العربية مثلا اذا قامت فانها تقوم على احياء وانعاش كل ما فيه معنى الخير من جهته العربية · ورابطة الاسلام اذا قامت فانها كذلك تقوم على انعاش الطيب من عقائده ، ورابطته الشرق اذا قامت وعاشت فانها تعمل على انعاش المثل العليا الملائمة لنزعات الشرقيين وأحوالهم · فكأن كل رابطة من هذه تنشط أسلوبا من الخير · وحرام علينا أن نفهم على غير هذا الأسلوب وان تنأى الروابط ما دام قصدها الخير ، والخير ليس من طبعه أن يؤذي أحدا » ·

الأستاذ علي عبد الرازق

« الحضارات خطوات متتابعة كل خطوة تمهد لما بعدها · والحالة الراهنة في مصر تمهد للمستقبل ـ ونحن فينا مؤهلات ـ وقد امتازت مصر بالزعامة الفكرية من عهد المماليك حتى اليوم · نعم ان الحضارة تخضع لمؤثرات خارجة عنا الا أن المستقبل مهما يكن لا بد أن يحتوي الحاضر ويتأثر به وتمد فيه خيوطه · شاهد ذلك أننا نعيش في أكتاف الحضارة العربية ، ونأوى الى وارف ظلال الاسلام الذي مكن لهذه الحضارة وأتاح لشمسها أن تنبلج ·

« اللغة العربية مثل الدين الاسلامي خالدة · ومظاهر التجديد والتفكير والادب فيها تبشر بنهضة لا أشك في أنها مسترسلة حتى توفي على الغاية المباركة ·

« ولا تنس فعل التقاليد الاصلية لا التقاليد العرضية التي لا تصدر عن طبيعة المجتمع ، هذه التقاليد تقاوم كل المؤثرات تقاوم الآراء الجديدة التي تبرهن على أنها أصبحت لا فائدة منها ولا لزوم لها · وهي تقاوم بايجاد مبررات جديدة ، وما ذلك الا لأن التقاليد تعيش بقوة الايجاد وفعل التكرار ·

« وأن تقاليدنا حية خرجت من كفاح عنيف بينها وبين تقاليد لا عدد لها منصورة ظافرة ، ومن التقاليد ما يلائم كل عصر ٠

« خلاصة القول أن الحضارة القادمة التي ستظلل مصر لن تشذ عن مقومات الحضارة الاسلامية العربية من حيث اللغة والدين والتقاليد والروح العامة » ٠

الدكتور محمد شرف

« اني وان أكن قد أثبت على أن الصلة بين المصريين والفراعنة وثيقة لا غبار عليها ولا شبهة في أنهم من جنس واحد، فاني لا أعتقد أن مصر ستحيي حضارة الفراعنة وتلبسها في حياتها ،لأن الفن الفرعوني مثلا يقوم على دعامتين لا يستسيغهما العصر الحديث ، ولا تتذوقهما الحياة الحالية ، ولا تمهد لهما وسائل هذه الحضارة القائمة أو الحضارة التي لا يبعد أن تبدعها مصر ملونة بالصبغة العربية الاسلامية ٠

« هاتان الدعامتان هما الروعة والتناسق السمترية والبساطة ٠ وقد ترى ان ضخامة البناء وعظمة الآثار لم تعد في الطوق والحال على ما نعلم والسمترية تلفظها الاذواق ، والبساطة غير ممكنة والحضارة صارت معقدة ٠٠ ثم ان العصر الحديث قد أطرح الفنون ، وهو عصر علمي ٠ واننا لا نجهل علوم الفراعنة ٠٠ وهبنا عرفناها فانها لن تكون شيئا يذكر بجانب ما وفق اليه أقطاب العلم الحديث من مكتشفات ومخترعات ونظريات ٠

« لا يخالجني أقل شك في أن حضارة المستقبل في مصر ستكون اسلامية عربية ، لأن اللغة العربية ــ واللغات من أسس الحضارة ــ غنية بمادتها الرائعة ، وبلاغتها الكاملة ، وقد استطاع العلماء أن يعبروا بها عن الافكار الفلسفية والآراء العلمية وكتبوا بها التواريخ الجليلة ودونوا التشريع الاسلامي ٠ ففعلوا ذلك قديما ولم نعجز عن فعله الآن ٠ ومهما يكن جنس الباحث والعالم ، ومهما يكن دينه فان آثاره الفكرية تحسب في جملة تراث اللسان العربي وتتكون بمزاج بيانه ولهجته » ٠

القاهرة ــ مجلة كل شيء

الصحـــة

نصائح للآباء والأمهات

دعوا الأطفال يلعبون دون أن تفسدوهم بالدلال

تقوم في كثير من ولايات أمريكا المتحدة عيادات خاصة يديرها أطباء درسوا علم النفس وفنون تربية الاطفال يهرع اليها الآباء والأمهات يطلبون النصح والارشاد في شئون أطفالهم النفسية المختلفة ٠

وأهم دعاية تقوم بها هذه العيادات هي لفت نظر الأمهات الى وجوب أخذ الطفل بالحزم منذ نشأته ، وليس الحزم القسوة أو الارهاق بل عدم التدليل و « التدليع » والنزول على رغبات الطفل الصبيانية الضارة لمجرد بكائه أو صياحه ، والاذعـان لمشيئته ارضاء له وزيادة في افساده ، والسماح له بأن يتناول من طعام أبويه الذي لا يقوى على هضمه امعانا في تكريمـه واعزازه والاضرار به في نفس الوقت ٠

وقد حادث أحد الصحفيين الامريكيين واحدا من مديري تلك العيادات النفسية الخاصة بدراسة شئون الاطفال فأفضى اليه بنصائح طريفة للأمهات والآباء ننقلها للقراء لما فيهـا من فائدة كبرى ٠

قال الطبيب :

« يجب أن تعلم الامهات والآباء أيضا ان كثرة الاوامـر والنواهي تحير عقل الطفل وخاصة اذا كانت تلك الاوامر وقتية تمنع عنه شيئا في حين وتمنحه اياه حينا آخر ، فان ذلك يحول دون تعويد الطفل على الطاعة ونشوئه عليها ٠

« ويجب أن لا تؤنب الطفل وتعاقبه على أفعال نحن المخطئون في تقدير أهميتها بالنسبة له ٠ فاذا رأت ربة الدار أنها دخلت ذات يوم الى احدى غرف البيت فوجدت الطفل قد بعثر أثاثها ونثره هنا وهناك وأحدث به عطبا وتدميرا ، فلا تلومن الا نفسها

ولا تتحامل على الطفل لأن طبيعته هي التي تحمله على اللعب والحركة والتوثب فاذا لم يتيسر له ذلك في مكان خاص يقوم فيه بألعابه تحت اشرافها ومراقبتها اندفع الى افساد نظام الغرف واتلاف ما تصل اليه يده اشباعا لرغبة اللعب الثائرة في نفسه .

« كونوا حازمين مع أبنائكم ولكن في حدود التعقل وحسن التقدير ، وليكن الآباء خير مثل يحذوه الابناء ، فان الطفل اذا ما شاهد أباه يثور لأوهى سبب ويصخب من حين الى حين ويسب ويشتم زوجته علق بذهنه هذا كله وسارع الى تقليده ونشأ عليه .

« وحذار من أن يحاول الآباء تهديد أبنائهم أو رشوهم او توبيخهم بعنف أو ارهابهم وتخويفهم اسكاتا لهم عن البكاء ، فخير للطفل أن يبكي ما شاء الى أن يسكت ، فيعرف ان كلمة أبويه نهائية فلا يعارض فيها بعدئذ ولا يتخذ البكاء سلاحا يشرعه في وجوههم كلما أراد أن يحصل على شيء قد يضره في بعض الاحيان .

« وأشد خطرا على الطفل أن تنهره وتمنع عنه شيئا رغم بكائه والحاحه في طلبه ثم تذعن بعد ذلك الى مشيئته وتشتري سكوته باعطائه ذلك الشيء الممنوع » .

ولم تكتف عيادات الاطفال « النفسية » بالقاء النصائح للوافدين عليها والراغبات في استشارة أطبائها الاخصائيين ، بل اصطنعت شريطا سينماتوغرافيا عبارة عن قصص صغيرة تتلمس الأمهات والآباء بين حوادثها ضرورة الاخذ بهذا المبدأ في تربية الاطفال أو الاقلاع عن تلك العادة في تدليلهم مثلا ، وغير ذلك من وسائل الايضاح العملي المنتج السريع المتعلق بالأذهان والخواطر .

ولعل البلاد العربية أحوج ما تكون الى مثل هذه العيادات أو على الاقل الى نصائح يلقيها الاخصائيون على الآباء والأمهات لمعونتهم على تربية الاطفال التربية الصحيحة الراشدة .

كيف تجدد شبابك ؟

" مترجمة "

هرمون الذكر (استحضر) طبيا والمعروف باسم (التستوسترون)

ويرى أنصار الهرمون في عصرنا الحالي ، أكثر من بارقة أمل في نضالهم من أجل اطالة مدى القوى الجنسية لدى الرجال ·

هذا وقد أجريت مئات التجارب على الحيوان قبل تجربة هذا العقار المكتشف آنذاك في الانسان · فأعطى نتائج مدهشة للغاية ·

وها هو هذا الهرمون العجيب ، يحقق اليوم المعجزة الكبرى بالنسبة للضعفاء والعاجزين · فقد استطاعت حقنه الطبية ، أن تبعث هؤلاء الرجال المحطمين نفسيا خلقا جديدا من العقول والأبدان على السواء ·

وكان الدكتور (فوس) من جامعة بريستول في انكلترا ، أول من كشف عن اثر بعث هذا النشاط في أولئك الاشخاص ·

فقد حقن طبيبا بيطريا أفقده غدده الجنسية جرح بليغ ، فاستعاد قواه الجنسية التي ظل مفتقدا اياها نحو (١٨ عاما) ، وذلك من بعد الحقنة الأولى بثلاثة أيام فقط ·

ولقد فار شبابه فورة لم يتمكن من تخفيف غلوائها الا بخفض جرعات الهرمون التي كان يتناولها ·

أما في العيادات الاميركية ومستشفياتها ، فقد أظهر الدكتور (ماك كولاخ) من جامعة (كليفلاند) قوة « التستوسترون » المنشطة في اثني عشر رجلا من أولئك المحطمين ·

كما أجرى الاطباء « أرنست سيمنسون » و « وولتر كيرنز » و « نوربرت انزر » وغيرهم من مستشفيات « ميلووكي » ، تجارب بهذا الاكسير العجيب ، فوجدوا له مفعولا هائلا بالنسبة للنشاط الذي يبعثه في العضلات والاعصاب على السواء ·

وقد شملت تلك التجارب الشيوخ الذين دب اليهم الهرم

باكرا فأعادتهم رجالا ملئت قلوبهم بالبهجة والنشاط •

أما الاشخاص الذين لم تتضخم لديهم الاعضاء التناسلية كما يجب ، فقد أحدث هذا الهرمون فيهم تبدلا ظاهرا وهم المعروفون بالمخنثين ، والمعتبرون أشباه رجال ، لهم صوت رقيق حاد النبرات ، مرد الوجوه ، لا ينبت الشعر على ذقونهم وعلى أجسادهم • أما عضلاتهم فواهنة ، ويعانون ما يعانيه الشيوخ من ضنى العقل والجسد •

وأثبتت جمعية الاطباء في جامعة « جون هوبكنز » ان ٢٢ من أشباه الرجال قد أيقظ هرمون الذكر قواهم الجنسية بالاضافة الى اكساب صوتهم الخشونة والغلظة ، وشد في عضلاتهم ،وجمع المبعثر من مواهبهم •

وتجاه التناقص الحاصل من هذه المادة بسبب عوامل التقدم في السن ، فان الاطباء يصرون على أن ذاك النقص لا يسبب الضعف الجنسي فقط ، بل يعرض كلا من القلب والمخ الى عدد من العلل التي لم يكونوا ليتعرضوا اليها ، لو أمكن تدارك هذا النقص باستخدام ذاك الهرمون العجيب •

وعلى هذا الاساس جرى جمع نحو ١٧ كهلا وشيخا من قبل لجنة طبية مختصة ، وجرت معالجتهم بحقن « التستوسترون » الأنف الذكر ، فتخلصوا من كثير من العلل التي نجم عنها الانحلال في الجملة العصبية ، الى جانب الآلام المبرحة التي كانوا يشعرون بها حول القلب ، وكاد الواحد منهم يصبح عالة على المجتمع •

كما أن المعالجة الطبية الحديثة تناولت مداواة المصابين بالذبحة الصدرية حيث أدى هذا الهرمون المهمة أحسن اداء •

وما الذبحة الصدرية سوى استغاثة القلب حين تحرم عضلاته من الدم بسبب تصلب شرايين القلب وتضييق لمعاتها (أقطارها) • وقد عالج أحد مستشفيات أميركا الحديثة ٤٦ ضحية من ضحايا الذبحة الصدرية المزمنة ، فأخذت آلام القلب المروعة تتناقص بالتدريج سواء في شدتها أو في مدتها •

واستطاع عدد ملحوظ منهم أن يستعيدوا نشاطهم الجسماني الى حد كبير دون أن يشعروا بلذعات الألم السابقة ، وعادوا الى عملهم القديم وهم أوفر حيوية ٠

ولذا فالأطباء المعاصرون لهم الحق في أن يعتبروا (التستوسترون) ذا اثر واضح في تقوية العضلات والمخ والاعصاب عندما يدب فيها معا أو على انفراد الكلل والاعياء ٠

على أن العلاج بالهرمون لا بد له أن يقترن بمعالجة نفسية يتلقاها المريض عن طريق (الايحاء) ، حيث ان هذا الاخير يلعب دوره الكبير في هذا المجال ٠ ولطالما سبب اليأس للكثيرين من الرجال وهم يرون أنفسهم يمرون بمرحلة الشيخوخة من العمر ٠

فالوهم الذي يتعرض اليه الانسان في المرحلة الاخيرة من العمر ، يقف حائلا دون أي علاج طبي ٠

ذاك الوهم الذي يدفع بالكثيرين الى الاستعانة بالدجالين والمشعوذين لانقاذهم من ذاك الكابوس المخيف ، الذي كثيرا ما يفلت الزمام من أيديهم ويصبحون عرضة للرضوخ لسيطرة هؤلاء الهدامين فتسوء حالتهم وتزداد ضغثا على ابالة ٠

بقي علينا أن نوضح أخيرا ان المعالجة (بالتستوسترون) يجب أن يوكل أمرها الى طبيب مختص ، اذ أن الانسان قد يعاني أحد الامراض التي لا علاقة له بنقص هذا الهرمون ٠

فاذا تعاطى المريض (التستوسترون) من تلقاء نفسه فقد يدفعه الشعور بالعافية الى تأجيل الاستعانة الضرورية بأحد الاطباء ٠ كما أن قوة هذا العقار الحيوي ، قد تشعر الشيوخ بعودتهم الى شرخ الشباب ، بل قد تسوقهم الجرع الكبيرة منه ، الى ارهاق أنفسهم بالرياضة والعمل مرة أخرى ، ثم الى ما يؤدي اليه هذا الارهاق من آثار سيئة في القلب والشرايين ٠

ثم هناك نذير أهم من هذا يتنادى به الاطباء الذين أصابوا خير النتائج من علاجهم تضخم (البروستاتا) بالتستوسترون ٠ ففي بعض الحالات قد يختفي السرطان وراء هذا التضخم ،ومثل

هذا الورم السرطاني قد يصبح آشد فتكا باستعمال هرمون الذكور ٠

ومن أجل ذلك تتضح ضرورة قصر العلاج بالتستوسترون على الاطباء خشية تفاقم السرطان ٠

الانهيار النفسي

الانهيار النفسي مرض العصر بل مشكلة انسان القرن العشرين ، وتدل الاحصاءات على أن الاضطرابات النفسية والعصبية تزداد يوما بعد يوم ٠ وأبناء المدن هم أكثر عرضة لهذه الاضطرابات من أبناء الريف نظرا للضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي يتعرض لها باستمرار ٠ ٩٠ بالمائة من الامريكيين يتناولون يوميا مهدئا نفسيا مثل مركبات الميروبمات ٠

ان نسبة الامراض النفسية والعصبية تزداد بكثرة في المجتمعات الحديثة وقد تفوق في السنوات المقبلة نسبة الامراض الجسدية ٠ وتدل الدراسات اليوم أن كثيرا من الامراض الجسدية مردها أسباب نفسية مثل آلام الرأس والمعدة والشلل والارهاق واضطرابات الجهاز الهضمي والعصبي ٠



بخيل على فراش الموت

مرض أحد البخلاء واشتد عليه المرض حتى قارب الموت ، وكان في غرفته وهو في حالة النزاع زوجته وطبيبه فقالت قرينته: أظن انه فقد الاحساس ٠ فقال الطبيب سنرى ذلك ٠ ولما كان الطبيب يعرف شدة بخل مريضه قال بصوت عال : ائتوني من الاجزاخانة بزجاجة من الاكسير ٠٠٠ وثمنه ٠٠٠ افرنك ففتح البخيل عينيه للحال وقال بصوت متقطع لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ ان هذا الدواء ٠٠٠ غال ٠٠٠ جد جدا ٠٠٠ جدا !!

الزواج ليس جنساً فقط ..

ان ما يحدث بين الزوجين في الفراش وخارجه قد أصبح خلال السنوات القليلة الماضية مادة للبحث « العلمي » الجاد ، بعد آن كان هذا البحث في الماضي مقتصرا على الامراض الفتاكة ٠

وهذا الفحص السريري للجنس والحياة الجنسية ، مع كونه قد قضى على كثير من الجهل وأسباب البرود والتوتر ، الا آنه قد اغفل ناحية هامة من نواحي الحياة الجنسية : ما يجري خارج فراش الزوجة ٠ وهذه الناحية لا تقل في أهميتها عن الناحية الجنسية ٠ والواقع ان ما يجري بين الزوجين في الفترات الواقعة بين اللقاءات الجنسية ، قد يكون أكثر أجزاء الدورة الجنسية عرضة للاهمال ٠ وكما قالت احدى الزوجات موضحة هـذه الناحية : « ان الزوجين لا يهمـان بعضهمـا بعض في فراش الزوجية ، الا اذا كان يهمان بعضهما ايضا على مائدة الافطار ، أو عندما يصاب أحدهما بالرشح أو عند العودة من العمل » ٠ لقد تعلمت هذه الزوجة ، مثل كثيرات غيرها ، عن طريق التجربة والخبرة ، ان شعور الزوجين بتوثق حياتهما جنسيا يكون مستحيلا الا اذا كان هناك بينهما وفاق عاطفي وعقلي ٠

ان الوقت وتبادل الكلام هما عاملان كبيران من العوامل التي توجد الانسجام الزوجي الوثيق وهو الانسجام الذي يبلغ ذروته في علاقة جنسية ممتعة بين الزوجين ٠ لقد أجرت الدكتورة آن ماري وليامز الباحثة في مجلس الزواج في فيلادلفيا ، دراسة منذ زمن ليس بالبعيد على جماعة من الازواج والزوجات ٠ وتحرت عن عدد ونوع المرات التي قضاها الازواج مع زوجاتهم خارج الفراش ٠

وقد تبين من هذه الدراسة ان نصف عدد الاشخاص الذين اشتركوا فيها كانوا سعيدين في حياتهم الزوجية ٠ أما النصف الآخر فكان أزواجا وزوجات يعيشون حياة زوجية تعيسة وقد طلب الى كل رجل وامرأة من المشتركين في الدراسة أن يدون كل

يوم عدد مرات لقائهما ونوع هذا اللقاء حسب ما يشعر به كل واحد • ومن مراجعة هذا السجل أمكن الحصول على تقدير للقيمة التي يعلقها الازواج والزوجات على علائقهم •

وقد تبين ان الزوجين السعيدين يقضيان مع بعضهما فترة أطول بكثير مما يقضيه الزوجان التعيسان في حياتهما الزوجية•

فالنوع الاول السعيد من الازواج والزوجات يقضي مع رفيق حياته ٣١ بالمئة من سائر أوقات اليقظة • أما النوع الاخر فانه لا يقضي أكثر من ٢٠ بالمئة من أوقات اليقظة مع شريكه أو أقل من ذلك • ثم ان الزوجين السعيدين كما تبين من الدراسة قد رتبا أمور حياتهما ترتيبا واعيا كي تحدث مثل هذه الزيادة في اللقاء • وكانت هناك قلة من أوقات اللقاء التي تحدث كيفما اتفق وبدون تدبير سابق • واستخلصت صاحبة الدراسة من ذلك أن الزوجين السعيدين القانعين ببعضهما هما اللذان يصنعان أوقات اللقاء • وهذه الاوقات تكون محددة ومخططا لها لأن تكون ذات قيمة كبرى •

ان أي زوج وزوجة في حاجة الى وقت للانفراد ببعضهما كي يتكاشفا بدون أن تعكر عليهما متطلبات أو توقعات خارجية • ولكن فوق الوقت بحد ذاته فان أهم ما يحتاج اليه الزوجان هو التخاطب الصحيح الامين ـ وتجاوز الاقوال البسيطة في الحديث العادي الى أفكار أعمق ومشاعر أوثق وحاجات أكثر جدية • ولكن بسبب ضغوط العمل التي لا مناص منها وكذلك الانشطة الاسرية والاجتماعية ، فان عددا كبيرا من الازواج والزوجات يجدون أنفسهم مضطرين الى العيش حياة فيها كثير من الخطوط المتوازية القليلة التلاقي مما يقلل فرص لقائهم وتخاطبهم • وهؤلاء لا بد أن ينتهي بهم الامر الى التعجب من فتور حرارة لقاءاتهما •

ان أوقات اللقاء الخاصة توجد السياق اللازم للعلاقة الخاصة الوثيقة ، ولكن زيادة أوقات التخاطب بين الزوجين هي التي تربط بينهما برباط قوي • وكما أن هناك جمالا في فورة

العاطفة التي تحمل أحد الزوجين على اعلان حبه لشريك حياته، فان ما يهم على المدى الطويل هو أن يتشاطر الزوجان جميع حالات الامزجة والافكار وما يحبانه وما يكرهانه على أساس يومي .

يحدث في كثير من الاحيان ان لا يتخاطب الزوجان الا عندما يجدان نفسيهما ملزمين بمعالجة المسائل العائلية والمنزلية . وهذان الزوجان ينسيان مباهج تبادل الشغف والبوح بالتقدير . فاذا الزوج أو الزوجة يظنان ان شريك حياتهما قاص حاذق أو يمتاز بجسم رشيق أخاذ أو انه قادر على تحليل المواقف السياسية المعقدة فان الظن والافتراض لا يكفيان ـ بل يجب البوح بما يدور بخلدهما حول هذا الموضوع . ان اظهار التقدير والموافقة من شأنه أن يضفي الحرارة على العلاقات الزوجية كما لا يستطيع أن يفعله أي شيء آخر ، ان ذكرى اطراء صادق كثيرا ما تزدهر عقب البوح بذلك الاطراء وتتحول الى شعور رقيق وتجاوب محسوس .

ومن جهة ثانية اذا كان الزوج أو الزوجة كثيري الانتقاد لبعضهما بعضا كأن يخاطب الزوج زوجته قائلا : كنت أجمل في قصة الشعر السابقة أو أن تقول الزوجة لزوجها : لقد سمعت هذه القصة مرارا حتى سئمتها ، فان لقاء مثل هذين الزوجين لا يمكن أن يؤدي الا الى خمود عواطفهما .

ان كبت حالة الزهو عند الانسان مهما كان شكله يدمر الاحترام المتبادل ، سواء أكان ذلك مقصودا أم غير مقصود . وتأثير ذلك هو تسفيه العلاقة عن طريق تسفيه أحد نصفيها .

وتقدير الانسان لنفسه هو ، بالنسبة للعلاقة الزوجية الحميمة ، مثل تقدير الزوجين لبعضهما بعضا .

قد تنظر احدى الزوجات التعيسات في حياتها الزوجية الى الصحراء التي عاشتها مع زوجها خمسة وعشرين عاما وتتساءل كيف استطاعت أن تصمد لهذه الحياة كل ذلك الوقت الطويل . وقد تقول : « لم يكن هناك تواصل حقيقي في حياتنا الزوجية .

لقد كان حديثنا ينصرف دائما الى طريقة تربية أبنائنا والى المشاكل التي يواجهها كلانا في عمله • ولكننا لم نتحدث قط عن نفسينا كرجل وامرأة • وجميع محادثاتنا كانت اما واقعية أو اكاديمية ، ولكننا لم نبحث مع الآخر أي شيء عاطفي وأنا أذوب توقا الى هذا النوع من الحديث • أريد أن أكلمه عن تلك التوافه الصغيرة ـ كان أقول له مثلا انني لم أنم نوما هادئا ، أو ان قدمي تؤلمني أو ان أحادثه عن مشاعري المقبلة عندما يكبر الأولاد • ولكن الشيء الذي يستطيع التحدث فيه هو مشاكل أسرتنا والقضايا الدولية » •

والحديث عن الجنس بين الزوجين هو من أهم المواضيع • الا أن البوح بالحاجات والرغبات الجنسية في كثير من العلاقات ليس يسيرا ولا يأتي عفو الخاطر • والأزواج والزوجات ليسوا متكافئين في دوافعهم الجنسية وحاجاتهم العاطفية وقد تكون الفروق بين الزوجين في هذا المجال كبيرة • لذلك فان الشريك الاكثر نشاطا يصبح في أغلب الاحيان الشريك البادىء في طلب الجنس • فاذا تطور هذا الشكل من أشكال العلاقة بين الزوجين ـ أي اذا صار أحدهما على الدوام هو البادىء بطلب الجنس وظل الآخر محجما عن الطلب حتى ولو كانت الفرصة مواتية ـ فان العلاقة الزوجية هي التي تتضرر من جراء ذلك في نهاية المطاف • والقضية الاساسية مثار الخلاف هنا في وجود فروق في الرغبات الجنسية بين الزوجين • وهذه الفروق الطبيعية في حد ذاتها اذا لم يردعها التفاهم بين الزوجين فانها غالبا ما تنتهي بالخصومة والشجار فاذا أوى الزوجان بعد ذلك الى الفراش فانما يأويان اليه وهما في حالة من الغضب والخصام •

ومن سوء الحظ ان التجاوب الجنسي لا يعمل كما يعمل المصباح الكهربائي • والزوجان اللذان طال أمد زواجهما لا يصلان بالضرورة الى التطابق حتى التام في علاقتهما الجنسية عاطفية كانت أم جسمانية • فاذا قال أحد الزوجين مثلا مخاطبا شريكه بلهجة التساؤل محاولا أن يصوغ طلبه بصورة سؤال :

« ألا تود ــ أو تودين أن تأوي الى الفراش الآن ؟ » فان الطرف الآخر يشعر وكأنه قد حوصر في الزاوية لذلك فانه قد يتردد أو يرفض وذلك يقابل بالشعور بالاهانة ولكن اذا روعيت اللباقة وحسن التصرف في السؤال كأن يقول أحدهما : « ان ما أحس به الآن يدعوني الى التساؤل عما اذا كان ينبغي أن نذهب الى الفراش الليلة » . فان هذا التلميح يلغي عامل القسر والرغبة في تنفيذ الطلب من جانب الفريق الاخر . وهكذا يزول الاحساس بالذنب الذي يرافق الرفض في أغلب الاحيان .

يحدث في كثير من الاحيان أن يعيش الزوجان معا عشرين عاما دون أن تبدي الزوجة ولو تلميحا رغبتها بالجنس . وقد يضعها هذا في موقف حرج عندما يطلب منها زوجها ذلك . فاذا كان الزوج قد عنف أفراد أسرته لسبب من الاسباب أو قلب كيان الأسرة ذات ليلة ثم جاء ليلا يطلب الجنس فان الزوجة بحكم الظروف الآنفة تكون متوترة غير مؤهلة للقيام بدورها . فاذا تمنعت فليس تمنعها دلالة على أن محبتها لزوجها قد ضعفت وانما هو نابع من حقيقة أنها غير مؤهلة عاطفيا لذلك . وهكذا قد يكون الامتناع عن الجنس وسيلة لابداء مشاعر مكبوتة . وينام الزوج . وفي الصباح يبدأ تأنيب الضمير عند الزوجة .

ان صمت مثل هذه الزوجة يجعل من المستحيل على الزوج أن يفرق بين الغضب والارهاق الفعلي الذي قد تتذرع بــه الزوجة لصد زوجها لذلك فانه يترجم رفضها غير المبرر بأنه رفض شخصي له وهكذا تتولد لديه الرغبة في أن يرد الصاع صاعين .

انه لا ضير في تمنع أحد الشريكين عن الجنس ومن الطبيعي جدا أن تقع ظروف تمنع أحدهما عن أن يكون مهيأ لذلك . ولكن المهم في الامر ألا توحي طريقة الرفض بوجود رغبة مبيتة لذلك بدون دافع معقول . والصراحة هنا لا بد منها . وليقل الشريك المستنكف بدون مواربة : « ... انني ما أزال أشعر بالاضطراب من جراء خصومتنا اليوم وحبذا لو تركت وحدي

الآن » •

العلاقة الوثيقة بين الزوجين اذن هي مزيج بين معاملة الاثنين لبعضهما بعضا وطريقة تخاطبهما معا •

وفي الحياة اليومية تتكلم الافعال بلغة لا تقل فصاحة عن لغة الكلام • ولكن نظرا للصمت الذي يلف في أحيان كثيرة العلاقات الوثيقة بين الزوجين فانهما قد يلجآن الى قراءة أفكار بعضهما بعضا ولكن بطريقة خاطئة • وعلى أساس هذه الافكار الخاطئة قد يقعان في رذيلة اصدار الاحكام المتعجلة • والزوجان في مثل هذه الحالة يخلطان بين أفكارهما ومشاعرهما ، ويظنان بأنهما يعبران عن هذه المشاعر في حين أنهما في الواقع انما يصدران الاحكام على بعضهما بعضا •

لذلك اذا قمت بتهيئة الفرصة المناسبة للكلام بقصد اصلاح الأمور ، فليكن كلامك معبرا عن نفسك ولا تضمنه أية عبارة تحمل حكما خاطئا أو ظنا لا أساس له بصدد الطرف الآخر • فاذا فعلت ذلك وشجعت شريكك على فعل نفس الشيء بكلمات دافئة ايجابية مشحونة بالعاطفة الصادقة فانكما بذلك انما تهيئان السبيل لقيام علاقة جسمانية وطيدة وعندها تخلق المشاعر الرقيقة بصورة طبيعية من تلقاء نفسها •

« طبيبك »

تغلص طريف

سئل اعرابي : « من أشجع الناس ؟ » فأجاب : « أشجعهم عباد ابن حصين ، وعمر بن عبد الله ، والمغيرة بن المهلب » • فقيل له : « فأين من هؤلاء : ابن الزبير ، وابن حازم ، وعمير بن الحباب ؟ » • وأحرج الاعرابي ، ولكنه لم يلبث أن قال : « انما سئلت عن الانس ولم أسأل عن الجن ! » •



اعراض صحية خطيرة لا نهملها

نحن جميعا على علم بكثير من الاعراض الشائعة ـ العطاس وجريان الأنف الدالين على الرشح والصداع المرافق للتوتر والطفح الجلدي الذي يظهر بغتة اثر تناول مآكل أو مشروبات تحدث التحسس لدى بعض الناس . هذه الاعراض تدل على حدوث تبدلات في الجسم . وكثيرا ما تكون عابرة لا أهمية لها .

ولكن هنالك أعراضا أخرى ذات دلالات خطيرة . وهذه لا سبيل الى تجاهلها . وفي ما يلي طائفة من هـذه الأعراض ، والحالات الهامة التي قد تدل عليهـا وهي تتطلب مراجعـة الطبيب .

آلام البطن :

اذا كانت هذه الآلام مصحوبة بغثيان وحرقة ونفخة وامتلاء بعد وجبة طعام . واذا استمرت كلها وقتا يسيرا فقد تكون دليل عسر هضم . وهذا يزول . ولكن اذا كان الألم :

١ ـ حول المعدة أو أعلى البطن من اليمين ، ويمتد الى الكتف الأيمن ، وغالبا ما كانت ترافقه حمى وقشعريرة وغثيان وانتفاخ ويرقان ، فقد يكون هذا الألم دليل التهاب حاد في المرارة .

٢ ـ في أسفل الجانب الايسر مع انتفاخ وغثيان وقيء ومغص وامساك مستعص أو اسهال ، فقد يكون دليل التهاب في الجيوب المعوية .

٣ ـ فوق منطقة المعدة وكان هذا الألم يحدث بعد وجبات الطعام خلال ساعة الى ثلاث ساعات ، وكانت آثاره تخف عادة بعد تناول الطعام أو مضادات الحموضة فانه قد يكون نذيـر اصابة بالقرحة المعدية .

٤ ـ تشنجيا متقطعا في أوسط البطن مع براز داكن بسبب ألوان دموية فقد يكون نذير سرطان في المعي الدقيق .

٥ ـ الغثيان واضطراب المعدة اللذان يعقبهما ألم حـول السرة يتحرك نحو الجزء الاسفل من المنطقة اليمنى من البطن ،

يرافقها سعال أو عطاس أو حركة امعاء مع الاحساس بألم عند الضغط باليد ، قد تدل على حدوث التهاب في الزائدة الدودية ٠

آلام أسفل الظهر :

ان آلام أسفل الظهر التي ترجع عادة الى تعب بعد رفع أثقال أو اللف أو الانحناء تزول عن طريق اتباع اجراءات بسيطة وتدليك وتناول اقراص الاسبرين ٠ ولكن لا بد من تشديد الانتباه :

٦ ـ عندما يصيب الألم أسفل الظهر ويمتد الى الساق (العرق الانسر) فقد يكون ذلك نذير اصابة الغضروف الظهري (الديسك) ٠

٧ ـ اذا أصاب الألم أحد جانبي أسفل الظهر ، أو كلا الجانبين مع تكرر التبول والحاحه ، مع حمى وقشعريرة فهذه قد تكون دلائل التهاب في الكلية ٠

٨ ـ في أسفل الظهر مع انخفاض ملحوظ أو انقطاع في التبول ٠ فألم كهذا قد يكون دلالة على قصور كلوي حاد ٠

٩ ـ اذا كان الألم ملحاحا وأحيانا مع آلام في الصدر والحوض ويرافقه عادة عند الشخص فوق الاربعين وهن وانخفاض وزن فقد يكون دلالة على سرطان في العظام ٠

١٠ ـ اذا كان ألم الظهر حادا خارقا فقد يدل على انتفاخ جزء من الشريان الرئيسي على خط الجذع ٠

ألم العظام :

ان سقطة قاسية أو اصابة أخرى يمكن طبعا أن تسببا آلاما في العظام ٠ ولكن اذا كان الألم :

١١ ـ مفاجئا مع شكوى عند لمس العظام أو ألم عند الحركة ، وحمى ، فانه قد يكون دليلا على عدوى عظمية ٠

١٢ ـ ذا تأثير على الجمجمة أو الحوض أو العمود الفقري أو الساق مع حدوث تضخم أو سماكة أو تشوه فقد يكون دليل مرض عظمي يسمى مرض باجيت ٠

ألم الصدر :

ان هناك آسبابا محتملة كثيرة بالاضافة الى مرض القلب (وهو أول خاطر مرعب يخطر على ذهن الانسان) ، منها حتى ابتلاع كمية زائدة من الهواء بسبب السرعة في تناول الطعام . وآلام الصدر قد تحدث أيضا بسبب تناول الملكة أو التدخين أو شرب مقادير كبيرة من المشروبات الغازية . وتكون آلام الصدر خطيرة اذا :

١٣ ـ كانت مصحوبة ببصاق ذي لون ضارب الى الحمرة مما قد يدل على الاصابة بالتهاب رئوي .

١٤ ـ اذا كانت حادة أو ملازمة وتزداد حالتها سوءا عند الشهيق . فهذه قد تدل على الاصابة بذات الجنب .

١٥ ـ الاحساس بتضيق في منتصف الصدر ، ويظهر عند بذل الجهد ويتوقف عند توقف النشاط . ويمتد أحيانا الى الكتف الايسر والمرفق والرسغ ، وأحيانا الى الذراع اليمنى والفك ، وذلك قد يدل على الذبحة الصدرية .

١٦ ـ ان الألم المستمر يجعل الصدر وكأن ملزمة تسحقه سحقا ، والذي لا يتحسن مع الراحة ، وغالبا ما يرافقه تجشؤ ومحاولة تقيؤ وقيء وقصر تنفس يمكن أن يدل على اصابة بنوبة قلبية .

آلام الأذن :

ان ضغط المواد الصمغية في الأذن يمكن أن تسبب الانزعاج . ولكن آلام الاذن التي تكون مصحوبة :

١٧ ـ بعرض أو أكثر سوى ذلك كالحمى والاحساس بامتلاء الأذن وسماع أصوات مجلجلة وخلل في القدرة السمعية ، هذه الآلام قد تكون دلالة على التهاب في الاذن الوسطى أو طبلة الأذن أو قناة الاذن الخارجية والقناة السمعية التي تصل بين الأذن والحلق .

آلام العين :

قد تكون هذه الآلام أحيانا بسبب أو بمصاحبة بعض

الامراض الجسدية العامة • ولكن اذا حدثت :

١٨ ـ مع تحسس بالضوء ودمع وتشنج في العين ، فقد تكون ناشئة عن تقرح القرنية (واجهة العين الشفافة) •

١٩ ـ حدوث آلام حادة يمكن أن تنتشر الى الجبهة (وتزداد سوءا أثناء الليل) مصحوبة عادة باحمرار وتقلص في البؤبؤ وشدة تحسس بالضوء وعدم وضوح الرؤية وتحسس مؤلم في الحدقة ، فهذه قد تكون نذير التهاب في القزحية أو الجزء الملون من العين •

آلام الوجه :

ان التوتر أو التعب قد يسببان تقبضا أو ألما في الجبين • وآلام كهذه تستجيب عادة للاسبيرين والراحة خلال بضع ساعات ولكن الالم في الوجه الذي :

٢٠ ـ يشبه الطعن بالمدى ، الالم الخاطف الذي يصيب الوجه والجبين ويستمر أولا دقيقة أو دقيقتين مع فترات خالية من الالم قد تستمر أسابيع أو أشهرا ، ولكن مدة الراحة تتناقص باطراد ، هذا الالم قد يكون ناشئا عن اصابة في العصب الوجهي •

٢١ ـ واذا كان الالم أمام الاذن مصحوبا بأصوات ظاهرة عند المضغ ، وتقيد لحركة الفك ، فقد يكون دلالة على اصابة المفصل الفكي الصدغي •

آلام الكلية :

ان آلام الكلية التي تتكون :

٢٢ ـ مبرحة متقطعة تتشعب عبر منطقة البطن الى منطقة الاعضاء التناسلية والقسم الداخلي من الفخذ مصحوبة أحيانا بغثيان وقشعريرة وحمى وكثرة تبول ، قد تكون نذير حصى في الكلية •

٢٣ ـ الآلام المتكررة التي ترافقها أحيانا حمى ونزول دم وقيح مع البول قد تكون دلالة على توسع في الكلية بسبب امتلاء بالبول ، وهذه قد تكون مرتبطة بالحصى والخراجات وتضخم البروستات أو التهاب في المسالك البولية أو سرطان المثانة أو

مجرى البول أو القضيب ·

آلام الساق :

ان الآلام العضلية قد تكون ناشئة عن تمرين غير مألوف · ولكن آلام الساق اذا كانت :

٢٤ ـ مصحوبة بتورم مع طلب الدفء وانتشار في أوردة الساق فانه قد تكون دالة على جلطة وريدية ·

الكتل والدرنات :

الكتلة البطنية ، اذا كانت :

٢٥ ـ صلبة ولكنها عادة غير رخصة مؤلمة مع حمى ونقص في الوزن ، وأحيانا مع ضيق في التنفس وانحباس بول ، فقد تكون اشارة الى وجود خراج خبيث (ويكون عادة عند الاطفال) يمكن أن يكون منشأه في البطن ·

الكتلة الثديية ، ان الكتلة الصلبة الملمس الجيدة الاستدارة، المرنة كالمطاط أحيانا في قوامها والتي يسهل تحريكها دائريا داخل الثدي هي في أغلب الاحيان كتلة حميدة لا ضرر منها · وكثيرا ما تحدث عند صغيرات السن · ولكن اذا كانت الكتلة :

٢٦ ـ صغيرة غير مؤلمة ، وفي أغلب الاحيان في القسم العلوي الخارجي من الثدي مع ارتفاع الحلمة وانجذابها ، ويرافقها غالبا تكون جلدي فوق الكتلة وحدوث اضطراب في شكل الثدي ، فهذه قد تكون نذير سرطان ثديي ·

كثرة التبول :

ان استهلاك مقادير كبيرة من السوائل يمكنه بالطبـــع أن يؤدي الى زيادة في البول ، ولكن اذا كان التبول :

٢٧ ـ مؤلما ملحا محرقا مصحوبا بحمى وغثيان وآلام عضلية، فقد يكون دلالة على وجود التهاب في المسالك البولية ·

٢٨ ـ الاحساس بالحاجة الملحة الى التبول مع صعوبة فيه وازدياد الحاجة ليلا ، مع تلكؤ في انطلاق البول وتقطع فيه ، قد تكون بادرة تضخم في البروستات ·

الشلل والخدر :

وهما ينشآن عن تلف عصبي يؤثر على العضلات ٠

٢٩ ـ ان شلل أحد جانبي الجسم مع صعوبة في النطق ، وأحيانا مع ضعف في الرؤية وغيبوبة قد يدل على الاصابة بنوبة دماغية ٠

الخـدر :

ان ضعف الدورة الدموية ـ بسبب قلة التمرين الرياضي والتدخين ـ قد يسبب خدرا في الاطراف ٠ ولكن اذا كان الخدر يحدث :

٣٠ ـ خلال ساعات بعد الوجبات مع اعراض اخرى كالأرق أو الشحوب والقشعريرة والارتعاد والصداع والدوار والضعف والاغماء فانه قد يكون نذير اصابة بانخفاض في مستوى سكر الدم ٠

النزف والحيض :

ان الطمث قد يختلف مقدار تدفقه بين شهر وآخر ٠ ولكن اذا كان الطمث الزائد ترافقه :

٣١ ـ قشعريرة وجفاف وبرودة في الجلد وازدياد في الوزن ونعاس فقد تكون هذه الاعراض دليل اصابة باضطراب في الغدة الدرقية ٠

٣٢ ـ الحيض المؤلم ، والافرازات المهبلية وكثرة التبول قد تشير الى وجود خراج رحمي حميد كثير الشيوع ٠

ان الايقاع الشهري عند المرأة قد يضطرب بصورة مؤقتة ٠ ولكن اذا اشتمل الاضطراب على :

٣٣ ـ حدوث تدفق شديد أحيانا يعقبه انقطاع ، غالبا ما يرافقه نزف مهبلي وتدفق كريه الرائحة ، فذلك قد يكون دلالة على وجود سرطان في المهبل ٠

التبدلات الجلدية واليرقان :

كلما تعرضت منطقة ملونة من الجلد موجودة منذ زمن بعيد الى :

٣٤ ـ تغير في الحجم أو اللون أو المظهر ، أو عند حدوث أي تبدل آخر في الجلد غير قابل للشفاء بصورة صحيحة فذلك قد يكون نذير اصابة بسرطان الجلد ٠

اليرقان : ان اصفرار لون الجلد والعينين يصاحب كثيرا من الامراض الخطيرة التي يكون معظمها قابلا للشفاء ٠

٣٥ ـ اذا رافقته حمى وصداع وغثيان ونعاس فانها قد تكون نذير اصابة بالتهاب الكبد ٠

٣٦ ـ واذا صحبه تورم في البطن بفعل السوائل وتضخم وألم في الكبد ، فقد يكون ذلك ناشئا عن سرطان الكبد ٠

البحة :

ان الصراخ الكثير والطويل قد يسبب البحة ٠

٣٧ ـ ولكن البحة التي تأبى أن تزول حتى بدون أن يرافقها ألم ولا سيما لمن هم فوق الاربعين من العمر ، قد تكون نذيرا بالاصابة بسرطان الحنجرة ٠

التهاب الحلق :

٣٨ ـ اذا رافقه ارتفاع كبير في درجة الحرارة وأحيانا آلام مفصلية وظهور كدمات صغيرة حمراء ـ ارجوانية ، ونزف من الفم والانف والامعاء والكلي ، فقد يكون نذيرا بحدوث اصابة شديدة بسرطان الدم ٠

تسارع دقات القلب :

وهذه ضربات سريعة (تبلغ عادة ١٢٠ ضربة أو أكثر في الدقيقة) ٠ وقد تكون قوية غير منتظمة ٠ وهي عادة تنشأ عن الاستثارة أو العصبية أو الجهد الكبير ٠ ولكن اذا وجدت :

٣٩ ـ مع عرض أو أكثر كالصداع والدوار والتعب والضعف وصعوبة النوم ، فانها قد تكون دلالة على الاصابة بارتفاع متقدم في ضغط الدم ٠

٤٠ ـ واذا رافق التسارع تألق في اللون وخفق مسموع في الأذنين وصعوبة في التنفس وسعال واضطراب فانه قد يكون مؤذنا بحدوث تحسس عنيف بالعقاقير أو الامصال أو لسع

الحشرات ٠

العطش الزائد :

من الطبيعي أن يشكو العطش الانسان بعد التمرين الرياضي الشاق أو التعرق الشديد ولكن :

٤١ ـ اذا كان العطش مصحوبا بتبول زائد وجوع وضعف وفقدان وزن وجفاف في الجلد فقد يكون دليلا على الاصابة بالسكري ٠

الاضطرابات البصرية :

ان التعرض الطويل للانوار الساطعة يمكن أن يؤدي الى مشاكل بصرية مؤقتة ولكن :

٤٢ ـ اذا رافقتها ومضات من النور مع احساس بسجف متحركة عبر العينين فان ذلك قد يكون نذيرا بالاصابة بانفصال الشبكية ٠

٤٣ ـ ضعف الرؤية مع عتمة وضبابية وحاجة الى زيادة الضوء من أجل القراءة وكثرة تغيير النظارات الطبية وأزواج المرئيات أحيانا ، هذه الاعراض قد تكون نذيرا بالاصابة بمرض الماء الاسود (اعتكار عدسة العين) ٠

٤٤ ـ أما ضياع حواقي المرئيات كمن يشاهد المرئيات عبر اسطوانة مع ضبابية الرؤية وظهور أنوار ساطعة أو هالات حول المرئيات اللامعة فذلك يكون علامة على الاصابة بالماء الازرق (أو ازدياد الضغط داخل الحدقة) ٠

٤٥ ـ ان العمى المفاجيء قد يشير الى انسداد الشريان المركزي ، وغالبا ما يمكن التغلب على هذه الحالة عن طريق المعالجة السريعة ٠

الأخبار والآراء

تكريم حسين مروة : اللوتس والسبعون

منحه جائزة « اللوتس » وبلوغه السبعين ، كرمهما فيه المجلس الثقافي للبنان الجنوبي واجتمعت عائلة المجلس حوله تحيي فيه سيرة علم وعناد وأمل .

الدكتور حسين مروه من جنوب الجنوب من حداثا وصولا الى السبعين وبينهما ، عاش هموم الجنوب كجزء من وطن وآلام شعبه كجزء من آلام شعب .

اثنان حملهما دائما : الحقيقة فغاص عليها بحثا وتدقيقا صاقلا أسلحة الناقد ، ثم سعيه الى واقع أفضل من الذي نعيش .

عاد من الاول بمؤلفات منها : « قضايا أدبية » و « دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي » و « النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية » . ولئن كان الثاني ، هم التغيير ، وهو حلمه لم يتحقق فان حسين مروه عنيد في حلمه .

ــ ماذا تعني السبعون لك ؟

ــ لا أشعر بأني تغيرت .

في الخامسة والنصف بتاريخ ١٨/١٠/١٩٨٠ ألقى الامين العام الاستاذ حبيب صادق كلمة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي قال :

« اسمح لنا في هذا البيت الجنوبي ، وأنت واحد من بناته

الاوائل ، أن نجهر بالحديث عنك ، أن نشهر افتخارنا بك وزهونا وأن نعلن ، على الملأ ، اعتزازنا بالانتماء الى تلك الارض التي أنجبتك والى أولئك الناس الذين صنعوا لغة عينيك ورهافة يديك والتفاتة القلب •

وتأبى ، أنت المثقل بالأعباء ، الا أن تكون في طليعة الاوفياء لهؤلاء الناس الأخيار ولتلك الارض الطيبة ••• فاذا رأيت الى الصدور جميعا لم تر أجمل من صدر « حداثا » تضع عليه زهرة « اللوتس » التي اختارا صدرك لها في ذلك المحفل العالمي الباذخ » • (•••)

« واذ لا يسعني هنا الطواف بك وقراءتك في العناوين جميعا فحسبي أن أشير الى ثلاثة منها تبدو لي في متناول لحظتي الراهنة :

فأولا : تلك الارادة العجب على التمرد والتخطي بتحد لا يعرف الهوادة ودأب هو المثل يضرب في الناس •

فأنت الجندي المقتحم أبدا لا من أجل مغنم خاص أو مكسب ، حاشا ، انما من أجل ثروة العرب الفكرية في حاضرها والماضي انماء وكشفا على نحو تأسيسي رائد •

وثانيا هذا التواضع النقي الوديع حتى لكأنك ، وأنت من أنت ، ذلك المستخفي في الظل والصمت فلا يستميلك صخب الظفر ولا تبهرك أضواء الفتوحات •

أما ثالثا فذاك التعلق الجارح بالجنوب وأهله لا عن انحياز تقليدي الى الجغرافيا والتوزع السكاني بل عن انحياز مسؤول قاطع الى وجه العدالة ثم عن استجابة لنداء الملاقة الاجتماعية في قرار الوجدان » •

وأقام اتحاد الكتاب اللبنانيين في الكارلتون حفلة استقبال

تكريما للدكتور مروه حضرها حشد غفير من السياسيين والمثقفين وألقى الاستاذ حبيب صادق أمين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين كلمة قال فيها : « دعونا الى الاحتفال ممثلين لجميع الأوساط الثقافية والادبية والفكرية والاجتماعية والسياسية في لبنان . ونأمل أن تكون تظاهرة ليس لتكريم حسين مروة فحسب بل لتكريم الثقافة الوطنية والفكر التقدمي اللذين يمثلهما المحتفى به » .

وفي مقر اتحاد الكتاب اللبنانيين علق سفير جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسام الآداب والفنون للدكتور حسين مروه ، وقال السفير : « ان السيد علي ناصر محمد الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ، رئيس مجلس الوزراء ، أصدر قرارا جمهوريا قضى بمنح المفكر والكاتب العربي الكبير الدكتور حسين مروة وسام الآداب والفنون ، تكريما لانجازاته العظيمة في مجال الفكر العلمي والثقافة الوطنية التقدمية . وهي أسهمت اسهاما كبيرا في اغناء الحياة الثقافية العربية على مدى نصف قرن من الزمن » .

ومن أحق من العرفان في تكريم هذا الاديب الكبير ، وكان من كتابها المبرزين ، وتكلم وكتب عنها وعن مؤسسها الشيء الكثير بعلم ووفاء ، ولو كانت الظروف غير هذه ومكتبنا لم يزل مكانه لما قصرت العرفان بالحفاوة به ، لأن الدكتور حسين مروة يستحق كل تكريم وتقدير ، هو كبير في أدبه ، كبير في وفائه ، كبير في جهوده وانتاجه ، وان كل تكريم له أقل مما يستحق . تهانينا له والى مزيد .



صبحي الصالح المناقش والمحاضر في جامعة ليون

عاد الشيخ الدكتور صبحي الصالح من جامعة ليون ـ كلية الآداب والحضارات حيث ناقش أربع رسائل دكتوراه ، حلقة ثالثة .

والجامعة طلبت الى رئيس الجامعة اللبنانية ، عبـر وزارة الخارجية ، تكليف أستاذ جامعي لبناني المشاركة في مناقشـة الرسائل الاربع من طلاب لبنانيين في موضوعات عربية واسلامية، فكلف رئيس الجامعة الدكتور الشيخ الصالح المهمة نظـرا الى اختصاصه وخبرته .

والرسائل التي نوقشت والتي استغرق كل منها أربع ساعات هي :

١ ـ « مجلة العرفان ودورها في الفكر الاسلامي » ، للطالب علي شعيب ، نال لها درجة جيد جدا .

٢ ـ « الحركة الفكرية في النبطية من ١٩٠٠ الى ١٩٥٢ » للطالب علي سلوم ، نال لها درجة جيد .

٣ ـ « جورج صيدح . أخباره وأدبه » ، للطالبة تغريد بيطار ، نالت لها درجة جيد جدا .

٤ ـ « انطون سعادة ناقدا أدبيا » . للطالب رامز حوراني ، نال لها درجة جيد جدا .

وحاضر الدكتور الصالح في « الاتجاهات الراهنة للحوار الاسلامي المسيحي في لبنان » بناء على اقتراح من جامعة ليون ، وعلى دعوة من البروفسور جورج غاري مدير معهد تاريـخ الكنيسة في كلية الآداب في جامعة ليون والبروفسور علي مراد مدير معهد الدراسات العربية والاسلامية في الجامعة نفسها .

« النهار »



★ ★ ★

شمس الدين في بعلبك

أكد نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين ان « قضيتنا التي نعطيها ونتحرك من اجلها ، هي قضية جميع اللبنانيين ، لأننا نريد العدالة والكرامة للجميع ، واقامة الدولة العادلة التي هي الخلاص من المحنة » . وأعلن رفضه « كل طرح غير عادل يتأثر بتيارات دولية تبعية ولا يطرح من صميم الوطن ولا يخدمه ويخدم المواطن » .

وكان شمس الدين يتحدث في احتفال أقامته حركة « أمل » أمس في بلدة النبي شيت في قضاء بعلبك لمناسبة ذكرى مرور أربعين يوما على سقوط « أبو علي الموسوي » و « أبو التقى » .

استهل كلمته مذكرا بقضية الامام موسى الصدر ورفيقيه ، معتبرا اياها « مؤامرة لاطفاء نور الحق وهذا النور ينمو وينمو حتى يكتمل باذن الله ويكون التغيير الذي يولد من خلاله الانسان الحر » .

وتحدث عن معاني « الشهادة والاستشهاد في سبيل الواجب » وقال : « نحن هنا في لبنان كنا في الماضي نموت ثم غدونا ضحايا ، وكانت دائما حالة الضحية الذليلة المغلوبة على أمرها هي حالتنا الى أن قررنا أن نكون شهداء قضيتنا التي نعطيها وتتحرك من أجلها هي قضية الانسان في لبنان ليس الانسان الشيعي والمسلم والمسيحي ، هي قضية كل الناس الى أي دين انتموا والى أي بقعة هي قضية الاطفال الذين لا مستقبل لهم ، الرجال الذين يعانون الذل ويحملون هموم العيش ويواجهون حالات المذلة ، قضية الانسان الذي نريد أن نرد له كرامته واعتباره وحريته الحقيقية . فقضيتنا لا تنحصر في الجنوب والبقاع وبيروت ، بل تشمل كل لبنان من أجل كل اللبنانيين لأنهم في أكثريتهم مستضعفون ومقهورون وخائفون .

وكل ما جرى منذ ان وضعنا أقدامنا على الطريق وبدأنا

نقدم الشهداء من أجل الجميع ، قامت دوافع الخوف منا والذعر ممن نمثل • لا نريد أن نقهر أحدا لأننا خبرنا ما معنى القهر ، لا نريد أن نذل أحدا لأننا جربنا ما معنى الذل • اننا نريد الحق لكل انسان والامن والعدالة لكل الناس • نريد دولة عادلة يتساوى فيها الجميع ، ليس فيها سقوف لبعض المواطنين • ومن هنا أعلن رفض كل الاقطاع السياسي والهيمنة » •

وأكد أنه « لا بد أن نعلم ان هذه القضية هي ضمان استمرارنا ووجودنا • اننا وصلنا الى مستوى نقول لكل قوة لا ، بينما كنا نقول في الماضي لكل شيء نعم ، أو نسكت • الآن نقول نعم حينما نقنع وسنقول لا ، لا شعارية وكلامية وانما لا من صميم الفعل السياسي والعمل السياسي » •

وطالب شمس الدين بالطرح « التكاملي والمتكامل الذي ينطرح من مصلحة الجميع وهو الذي ينقذ لبنان من محنته • وأي طرح آخر يقوم على الظلم الناشيء من القوة سيؤدي بعد وقت طويل أو قصير الى الفتنة • وأي طرح غير عادل يتأثر بتيارات دولية تبعية ولا ينطرح من صميم الوطن ولا يخدم المواطن والوطن مرفوض أبدا •

ان طرحنا يأخذ في الاعتبار كل الاتجاهات والاعتبارات ، وينطلق من واقع الغاء الطائفية السياسية وبناء الدولة العادلة التي هي الخلاص ولا تفيد الحلول بالقوة لأنها جربت منذ بداية الفتنة ولا تؤدي الى شيء • وانطلاقا من هوية لبنان العربي المعادي لاسرائيل نحن جزء من المستضعفين وفئة خرجت من حالة الاستضعاف ، دخلنا حالة الجهاد من أجل جميع اللبنانيين » •

*   *   *

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العددان ٣ و٤ مجلد ٦٩ آذار ونيسان « مارس وابريل » ١٩٨١م
جمادى الاولى وجمادى الثانية ١٤٠١هـ

علم، أدب، فكر، سياسة

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
٣ ـ ٩	الطاقة الشمسية والبطارية الشمسية	الدكتور نقولا شاهين
١٠ ـ ٣٠	الحب والجمال في شعر الدكتور عبد الله الطيب	
٣١ ـ ٤٦	شفيق المعلوف « محاضرة »	وديع ديب
٤٧ ـ ٥٢	جان بول سارتر	زهير مارديني
	أبحاث علمية	
٥٣ ـ ٥٥	ما هو مستقبل مادة الانترفيرون	فاضل جواد آل طعمة
٥٦ ـ ٦٦	مع ابن النفيس	سمير شيخاني
	اسلاميـات	
٦٧ ـ ٦٩	تكريم الانسان في القرآن	الوطن « الارجنتين »
٧٠	معجزة العرب الكبرى	ميخائيل نعيمه
	تـاريخ	
٧١ ـ ٧٤	غرس بذور الوحدة في كربلاء	السيد محمد حسن الكليدار
٧٥ ـ ٨٠	الاتجاهات السياسية في الكوفة في القرن الاول الهجري	محمد تقي كنبوه

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
	أدب	
٨١ ـ ٩٨	الادب في ظلال دولة المناذرة	د. ابراهيم عبد الله الضحيان
٩٩ ـ ١٠١	عجبا للغة تنتصر رغم تراجع أهلها	الدكتور محمد جابر الانصاري
١٠٢ ـ ١٠٦	شعراء كربلاء المعاصرون	سلمان هادي الطعمة
١٠٧ ـ ١٠٩	الدكتور صالح جواد الطعمة	
١١٠ ـ ١١١	قيم خالدة	السيد علي محمد ابراهيم
	أوزان الشعر الحر وقوافيه للدكتور محمود السمان	د. م. ع. خ
	أبحاث اجتماعية	
١١٢ ـ ١١٩	كمبيوتر الحروف العربية	سيد رضوان السيد رابع
	ما نشر في العرفان وغيره من الصحف قبل خمسين سنة وأكثر	
١٢٠ ـ ١٢٢	زكاة الاخلاق	ابن شرف الدين
١٢٣ ـ ١٢٩	في مجالس السيدات جمعية مجانين	مجلة السيدات والرجال
	مع الكتب	
١٣٠ ـ ١٣٥	الاسلام يتحدى « لوحيد الدين خان »	الدكتور محمد صادق
	قصص ، مسرحيات الخ	
١٣٦ ـ ١٤٣	القدر	مترجمة
	شعر	
١٤٤ ـ ١٤٥	في مولد الرسول	صدر الدين الحكيم
١٤٦ ـ ١٤٧	يا غارسا في النشء	مظهر اطيمش
١٤٨	حلم	صالح الخفاجي
	الصحة ـ الاخبار	
١٤٩ ـ ١٦٠	أبواب العرفان	

الطاقة الشمسية والبطرية الشمسية

بقلم : الدكتور نقولا شاهين

لا نغالي اذا قلنا ان الطاقة على اختلاف أنواعها ، هي من أهم أركان العمران ، وهي الوسيلة الاساسية في تقدم الصناعات وازدهار المدنيات • ولم يترك الانسان نوعا من أنواع الطاقة الا وجرب أن يسيطر عليه بقدر ما تسمح له امكانياته ، فاستخدم الطاقة الهوائية في تسيير المراكب الشراعية في البحار ، كما أنه استفاد من الطاقة المائية في تسيير المراكب في الانهار • ومن الوقود المختلفة ، حول الماء الى بخار يحتوي طاقة عالية ، كانت أساس عمل الآلات البخارية في شتى حقول الصناعة • ومن شلالات الماء ولد الطاقة الكهربائية ، وهذه لعبت دورا هاما في انارة المدن والمعامل الكهربائية ، كما هي الحال في مدينة بيروت، وهي تعتمد على الطاقة الكهربائية من مشروع نبع الصفا ونهر البارد • وهناك أنواع عديدة من الطاقة تأخذ أشكالا مختلفة بحسب حاجة الانسان اليها • لكننا اذا ألقينا نظرة عامة على مصادر الطاقة ، نجد ان المرجع الاساسي في معظم الحالات هو الشمس •

فحرارة الشمس مسؤولة عن تبخر الماء ورفع دقائق البخار الى أعالي الجو ، حيث تتكثف وتسقط الى الارض في أيام الشتاء ،

فتتكون البحيرات والانهار في أعالي الجبار ، وتصبح هذه مصدر طاقة مائية وكهربائية • والوقود بأسرها نتيجة لحرارة الشمس في نمو النباتات والاشجار ، وليس الفحم الحجري سوى بقايا مواد نباتية مرت عليها ملايين السنين ، مدفونة في باطن الارض تحت ضغط عال ، فأصبحت في حالة صالحة كمصدر الطاقة ، وهكذا قل عن البترول وأنواع الزيوت المختلفة ، لقد جرب الانسان منذ زمن بعيد ، أن يتوصل الى استخدام حرارة الشمس مباشرة كمصدر للطاقة ، لكن النجاح لم يكن حليفه في هذه المحاولات ، بالرغم من أن الشمس تمده يوميا بهذه الطاقة ، والملاحات على الشاطىء اللبناني هي أكبر مثال على هذا ، اذ ان مياه البحر تجمع في أحواض ، وبعد التبخر تبقى أطنان الملح وتؤلف باب رزق للكثيرين •

وتقدر قيمة الحرارة التي يتلقاها سطح مساحته مئة متر مربع ، بما ينتج عن احتراق سبعين كيلوغراما من الفحم أو ستين ليترا من البنزين ، وذلك في اليوم الواحد • أمور كهذه جعلت العلماء والمهندسين في مختلف البلدان يعودون لدرس هذه القضية ، فكانت النتيجة انه باستطاعة الطاقة الشمسية أن تزاحم أنواع الطاقة الاخرى في ظروف معينة • والمهم ان أشعة الشمس منتشرة في كل بقعة على سطح الكرة الارضية ، ويمكن الاستفادة منها بصورة أعم وأفضل • ومن المؤكد أن نور الشمس ، وقد انعكس بواسطة بعض المرايا ، كان مصدرا لحرارة كافية لادارة مطبعة بخارية ، وذلك في باريس عام ١٨٨٤ • لقد تحقق استخدام الطاقة الشمسية للحاجات المنزلية والصناعية في كثير من البلدان ، وقد عرضت سخانات شمسية في الاسواق ، كما عرضت أجهزة لتقطير الماء ، والمراجل الشمسية والافران ذات الحرارة العالية ، وأجهزة لتدفئة المنازل ومزارع الفاكهة ومساكب النباتات • وستصبح هذه الاجهزة سهلة التناول عندما يصير انتاجها لكميات كبيرة •

لم يقف الباحثون عند هذا الحد ، بل توصلوا الى استخدام الشمس للحصول على الطاقة الآلية والكهربائية • وهناك مشاريع قيد الدرس والتحقيق في بعض البلدان لتوليد طاقة كهربائية تبلغ نحو ألفي كيلوات • وعندما يتم ذلك يصبح بالامكان الحصول على طاقة كهربائية وافرة في بعض المناطق ، حيث لا شلالات ولا وسائل رخيصة لتوليد هذه الطاقة • وقد وضعت في ايطاليا مضخات رافعة للري ، تعمل بواسطة الطاقة الشمسية ، وهي كناية عن مرجل شمسي يرتفع البخار المتصاعد منه بواسطة آلة ومضخة •

لقد قيل الكثير عن الطاقة الذرية ، وما يحتمل أن تأتي به من فوائد في الحقول العلمية والصناعية • لكن المواد الاساسية لتوليد الطاقة الذرية ستظل منحصرة في بلدان محدودة الى أمد طويل ، فضلا عما يرافق انتاجها من اخطار ، بسبب أشعة راديومية تنطلق من النظائر المشعة في حالة انفجار ، فتتخذ احتياطات هائلة لتجنب ما يحتمل أن يقع من كوارث • أما الشمس فهي أعظم مولد للطاقة ، حيث تندمج ذرات الايدروجين الخفيفة معا ، لتشكل ذرات الهيليوم مع خسارة صغيرة في المادة ، فيحصل من ذلك اطلاق مقدار عظيم من الطاقة • وفي كل ثانية يندمج ٦٠٠ مليون طن من الايدروجين ، وينتج ٥٩٦ مليون طن من الهيليوم ، وهذا ما يعرف بالتفاعل النووي الحراري ، فالشمس اذا هي معين لا ينضب للطاقة •

أما الطاقة الشمسية فهي ملك الجميع وأجهزتها ستكون جاهزة للعمل بصورة اقتصادية ، خصوصا في البلدان حيث لا يوجد مياه كافية للشرب ولري الارض • وعلى سبيل المثال نأخذ بلدا كالكويت ، حيث لا يوجد مياه صالحة للشرب • لقد ظل أهل الكويت يعتمدون على ناقلات الماء ، تقطع المسافات البعيدة لتجلب الماء للشرب من شط العرب ، مصب نهري دجلة والفرات ، وكثيرا ما كانت تعود بالماء المالح بدلا من الماء الصالح

للشرب · أما اليوم فهناك الآلات الضخمة لتحويل ماء البحر الى ماء عذب ، وذلك بتبخير الماء وتكثيف البخار لفصله عن الملح · لكن هذا يلزمه كمية هائلة من الحرارة ، مستمدة من طاقة كهربائية ، وهذا يجعل الاكلاف باهظة وفوق مقدرة الشعوب ذات الموارد المحدودة ·

على ان الولايات المتحدة الاميركية تقوم بمشروع لتقطير مياه البحر بواسطة الطاقة الشمسية ، قصد استخدام الماء العذب في مشاريع الري وغيرها · ففي النهار يحصل التبخر بواسطة حرارة الشمس ، وفي الليل يستفاد من برودة الطقس لتكثف البخار · وهكذا يعمل الجهاز ليلا نهارا وتصبح العملية ذات وضع اقتصادي أكثر مما هي في الوقت الحاضر · أما أكلاف الحصول على الماء العذب من المالح فتبلغ اليوم نحو ليرة لبنانية لكل طن من الماء ، أي ألف لتر ، وهذا يعد شيئا معقولا بالنسبة لحاجة بعض المناطق · وقد عرضت أجهزة تعطي أربع ليترات من الماء لكل متر مربع من المساحة المعرضة لحرارة الشمس · ويتألف هذا الجهاز من وعاء طويل له سقف يشبه سقوف البيوت ، يمر في أسفله جدول من الماء المالح · وعندما تقع أشعة الشمس على سطح الماء يحصل التبخر ، ويتجمع البخار بشكل ماء عذب على جدران الوعاء حيث يمر في مزاريب ويسيل الى خزانات معينة ·

لم يقتصر استخدام الطاقة الشمسية في هذه الناحية بل تعداها الى نواح عديدة · فقد أقيم في أوروبا مرجل شمسي حيث تصل الحرارة الى سبعة آلاف درجة مئوية ، وهذا يعادل الحرارة على سطح الشمس ، وذلك بواسطة مرآة مخروطية الشكل يبلغ قطرها سبعين مترا · وتعمل بعض الخطوط الهاتفية بواسطة بطاريات تشحن بالكهرباء عندما تتعرض لنور الشمس ، كما تعتمد بعض أجهزة الراديو على هذا النوع من البطاريات ، وقد عرضت هذه الاجهزة في الاسواق العالمية ·

كان لهذه البطارية شأن كبير في ريادة الفضاء ، فهي تخزن الطاقة الكهربائية عندما تتعرض لنور الشمس ، وعليها تعتمد عربات الفضاء والاقمار الاصطناعية ، لأنها مصدر طاقة كهربائية وحرارية ، هي أساس عمل الاجهزة من الكترونية وغيرها • ولما كانت هذه البطارية عرضة للتمطيل بسبب ما يعترضها من اشعاع في الفضاء ، لجأ العلماء الى طريقة تعيد لها نشاطها ، وذلك برفع حرارتها الى مقدار ٤٥٥ درجة مئوية • ويمكننا أن ندرس صعوبة هذه العملية ، اذا تذكرنا ان البطارية تدور حول الارض بسرعة ٢٨٫٨٠٠ كيلومتر في الساعة ، وكثيرا ما تزيد على ذلك ، على بعد ملايين الكيلومترات عن الارض • فهناك مجموعة من العدسات ، تجمع نور الشمس الذي يغذي هذه البطارية ويحصرها في نقطة ضيقة • وعند وصول اشارة راديوية من الارض ، تتجه العدسات الى الناحية المطلوبة ،وتركز أشعة الشمس كما هي الحال في العدسة المحدبة المحرقة • عندها تعود ذرات السيلكون الى وضعها الاصلي ، بعد أن تكون قد تعطلت بسبب الاشعاع في الفضاء • ومن أطرف ما سمعناه ، هو ان المركبة الفضائية سرفايور واحد ، توقفت عن البث عندما صار ليل على سطح القمر ، وبعد اسبوعين عادت الى البث لأن الشمس أشرقت ، وشحنت البطاريات من جديد •

تتألف هذه البطارية من شريحة رقيقة جدا من السيلكون ، قطرها نحو سنتيمترين ونصف ، يخرج منها سلكان معدنيان ، كما هي الحال في البطارية العادية • وعندما تتعرض لنور الشمس ، تخزن طاقة من مقدار نصف فولت • والمتر المربع منها يولد طاقة تكفي لانارة مصباح كهربائي قوته ١٠٠ واط ، أو مروحة كهربائية • واذا اتسعت المساحة تصبح القوة كافية لانارة مدينة صغيرة •

لقد تنبه العالم حديثا الى الاستفادة بصورة فعلية من الطاقة الشمسية ، لكن العالم العربي حسن كامل الصباح ، من بلدة

النبطية في لبنان ، كان في مقدمة الذين فكروا في سرج الطاقة الشمسية لخدمة الانسان ، وذلك منذ عام ألف وتسعماية وثلاثين (١٩٣٠) • ففي ذلك العام سجل الصباح اختراعا هو كناية عن جهاز للتلفزة يحول أشعة الشمس الى طاقة كهربائية وتيار كهربائي • فجاء هذا الاختراع فتحا في عالم الاشعاع ، ومنبها الى القوى التي تذهب هدرا والمتولدة عن أشعة الشمس وخصوصا في الصحارى التي هجرها الانسان لعدم وجود مصدر للثروة فيها • ولما صار مقتنعا من الناحية الرياضية بامكانية استخدام النور وتحويله الى طاقة كهربائية ، تحول الى التجارب التطبيقية معتمدا على عدسات تجمع كمية كبيرة من الاشعة ، فتوصل الى نتائج لا بأس بها • ثم استعمل اسطوانات كبيرة مفضضة لتجمع وتعكس أكبر كمية ممكنة من حرارة الشمس وتركيزها على مسافة معينة • وبعد اختبارات دامت ستة أشهر توصل الى وضع جهاز للتلفزة يحتوي على بطارية كهربائية تستمد قوتها من الشمس • وقد أنفقت الشركة التي كان يعمل لها (جنرال الكتريك) ربع مليون دولار على تسجيل هذا الاختراع ، واستعملت هذه البطارية في تسيير احدى سيارات الشركة فكانت مكللة بالنجاح •

وكان من الطبيعي أن تتجه أفكار الصباح الى تطبيق اختراعه هذا في البادية السورية ، لأن روحه الوطنية كانت ترافقه في كل عمل من أعماله • وقد كتب الى الملك فيصل الاول في ذلك الوقت يفاوضه لانشاء مولدات للقوة الكهربائية تعتمد على نور الشمس ، وتوزعها على الاقطار العربية • مما تقدم نرى ان استخدام الشمس لتوليد طاقة كهربائية هو أفضل سبيل لتجهيز البلدان العربية بما يلزمها من الطاقة ، بذلك يستغنى عن مولدات كهربائية من مائية وغيرها • وما دامت الشمس تشرق وتغرب في جونا ، فان قوتها تظل مصدرا لطاقة كهربائية ، تحل محل الزيوت والفحم وغيرها من أنواع الوقود • لكن حلم الصباح

لم يتحقق لأن شركة جنرال الكتريك لم تسمح له بأخذ امتياز باسمه ، معتبرة أن ذلك باسمها .

واليوم عندما نرى العلماء في كافة أقطار العالم يتسابقون لاستثمار أشعة الشمس ، لا يسعنا الا أن نقف بخشوع أمام روح الصباح الجبارة ، مصدر تلك الفكرة وغيرها في عالم الاختراع . وبلادنا الغنية بمساحاتها المعرضة لنور الشمس يجب أن تكون في مقدمة الامم التي تستفيد من تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية وحرارية وميكانيكية ، ففي ذلك توفير يذكر وضمانة في حال نفاد مصادر الطاقة الاخرى .

د. نقولا شاهين
الجامعة الاميركية

سيكولوجية الشيخوخة

● فيكتور كوزان (١٧٩٢ ــ ١٨٦٧) الفيلسوف الفرنسي الشهير ، كتب في سيكولوجية الشيخوخة يقول : « ان المواقف التي تساعد على الاحتفاظ بشباب الفكر والعقل ، يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هذه الكلمة هي الالتزام .

فالحياة لا تكون الا مع الالتزام ، والالتزام لا يكون الا اذا سبقه احساس باستعداد لتحمل المسؤولية التي يرتبط بها المرء بهذا الشيء أو ذاك ، وكلما تمسك الرجل بالتزاماته وحرص على تنفيذها ، تضاءلت فرص تعرضه للفرق في خضم هذا البحر الواسع من الحياة الذي تتقاذفنا أمواجه .

واضرب لذلك مثلا ، المرآة التي بقيت بلا زواج ، فهي بقيت بلا التزام فصارت أكثر تعرضا للشعور باقتراب الشيخوخة ، من أختها المتزوجة ... فالأولى غير ملتزمة الا بالقدر الذي تفرضه عليها طبيعة الحياة التي تعيشها .. أما الثانية فهي تلتزم بأمر نفسها من أجل نفسها وزوجها وأطفالها ، فهي اذن ملتزمة ، وهي اذن مسئولة عن رعاية هذه الأسرة والمحافظة عليها » .

من جوانب الحركة الشعرية في السودان

الحب والجمال

في شعر : عبد الله الطيب
دراسة ونقد بقلم :
د. محمد عبد المنعم خفاجي

الدكتور عبد الله الطيب من رواد النهضة الفكرية والادبية والجامعية في السودان الشقيق .. وكتبه ودواوينه الشعرية غذاء للعقل والذوق والعاطفة والشعور ، ومنها : المرشد ، وسقط الزند الجديد ، ومع أبي الطيب ، والقصيدة المادحة ، واللواء الظافر ، وبانات رامة .

وآخر دواوين الدكتور الطيب هو « أغاني الاصيل » ، وقد صدر عام ١٩٧٦ عن دار جامعة الخرطوم للنشر ، وقامت بطبعه دار الطباعة بجامعة الخرطوم ، في ١٧٠ صفحة ، ويحتوي نحو ١٧٠ قصيدة وقطعة شعرية كلها في الحب الا قصائد قليلة ، كقصيدته في رثاء الدكتور طه حسين وقصيدته في رثاء أخته ، وقصيدته الشعر والنقاد ، وهي صورة لطفولته وحياته وكفاحه ، وقصيدته « مصابيح القلوب » وهي في المدح النبوي .

وباقي قصائد الديوان في الحب والغزل والجمال ، حتى لا تخلو قصيدة منها من حديث عن المرأة ، ووصف للجمال ، واسترسال لذيذ مع الحب ، والحب عند عبد الله الطيب هو جزء من روحه وقطعة من حياته ، وحديث عميق يصدر من عاطفته ومشاعره الدفينة •

وقد أهدى الشاعر الدكتور الطيب ديوانه ـ أغاني الاصيل ـ الى علي الجارم وطه حسين وفاء وتقديرا وذكرى •

والديوان مصدر بمقدمة كتبها شاعرنا بروح الاستاذ الموجّه ، ونادى فيها :

١ ـ بالاستمرار في تعليم أشعار الأوائل ومختاراتهم الجياد ، وروائع فحولهم ، من أمثال أبي تمام ، والمتنبي ، والذين ساروا على منهجهم الى عصرنا كالبارودي وشوقي وحافظ •

٢ ـ كما نادى بتصحيح الأذواق ، وبالتمكن من اللغة وفهمها والمحافظة عليها •

٣ ـ وبجوهرية عنصر الموسيقى في الشعر ، معلنا التزامه بالوزن العمودي الخليلي •

وفي قصيدته الطويلة الجميلة « أناشيد ذلفاء » يتحدث الشاعر عن طفولته في موطنه « كسلا » حديثا شيقا جميلا عذبا ، ويصف الطبيعة والحياة هناك وصفا شاعريا مؤثرا ، يقول :

فاذّكر أيامك الأولى اذ العيش رخاء
والحيا في «كسلا» خصب وأهلوك سواء
وعلى الآفاق اعصار وقد غام الفضاء
ومن السقف لصوت الرعد في العين هباء
ومن الخضرة حول البيت للارض كساء
وعزاء القلب ذلفاء وما منها عزاء
وقديما يعشق الحسن العزيز الشعراء

ويتذكر أباه وحبه له وآمـاله الواسعـة العراض فيـه ، فيقول :

وتذكرت أبي كـان أبي ضوء قبيلـة
ولقد أمّل أن أبلغ غايـات جليلـة
والمنايا تعجل الحازم والدنيـا بخيلة
ولقد خُصّك اذ أعجبه منـك المخيلة

وفي قصيدة « الشعر والنقاد » يذكر الشاعر جوانب مـن طفولته وحياته ، فيقول :

تذكـرت أيـام الطفولـة حينمـا
يعلـق بي آمـاله الغـرّ والـــدي
وكـان أبي يـا عطّر الله ذكـره
فريدا وبين النـاس جمّ المحـامـد
يعلمنـي علـم المـروءة ناشئـا
وفي قلبه حبـي وعرفان واعــدي
وكنـت صغيرا جـاهلا غـير آبـه
لما خبأتـه من صروف مشـاهدي
فأيقظنـي مرّ السنـين وذادنـي
عن الورد مـن كأس الحداثة ذائدي

وقصيدته « في كسـلا » تصوير جميـل لمظاهر حياته فيها ، اذ هو صبي صغير ٠

والديوان مملوء بصور حياة الشاعر في شتى مراحل عمره ، وهي صور كلها مشتقة من البيئة ـ والأسرة والامل والألـم والطبيعة الحالمة في أودية النيل المعشوشبة ـ الجميلات ٠

وقلب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب ومشاعره وروحـه ثرية بحب الجمال والهيام به والتصوف فيه ٠ ولعل من أسباب

تعلقه به : حياته الأولى نفسها في كسلا ثم في الخرطوم ، حيث مشاهد الحياة والطبيعة والمرأة تثري القلب والعاطفة والوجدان، ثم حياته في لندن طلبا للعلم فترة ليست بالقصيرة ، وهذه الفترة يذكرها الشاعر بكل أعماق مشاعره ، يقول من قصيدته « أناشيد ذلفاء » :

ولقد تذكرت من « لندن » أياما جميلة
وفتاة زودتنا وصلها عند الخميلة
وتفارقنا فعين الصب بالدمع كحيلة
والتي هام بها القلب مُفدّاة نبيلة

وفي قصيدته « لندن وباريس » يصف حياته في انجلترا ، ويقول :

وكنت بها قد قضيت الشباب
الى العلم في سوحها أختلف
تعلمت فيها علوم الحياة
ومن ثمرات الحجا أقتطف
وشاركت في حلقات النقاش
وأقرأ كل ضروب الصحف

كما يصف حبه فيها في قصيدته « صهباء لميس » ، ومنها يقول :

هل تذكرن أخي أيام لندرة
اذ لذة العيش وثب والهوى درج

الى آخر هذه الأبيات .

وبالوفاء يذكر أيامه اللندنيات الجميلات ، كلما واتته الذكريات .

وليست حياته وذكرياته في لندن من أسباب هيامه بالجمال

وحدها فقد طاف الشاعر العالم شرقا وغربا ، فهو حينا في أبادان ، وحينا في طشقند ، وحينا في بغداد ، وحينا في مصر وآخر في الحجاز أو الرباط ، ويوما في يوغسلافيا ، وآخر في اليونان .. الخ ، ومن شأن هذه الرحلات الدائمة أن تثري العواطف والمشاعر بكل ألوان الجمال ومشاهده :

أقلب نفسي بين البلاد
تقلبني الغربة الكادحة
كذا أستمر ولا أستقر
على الموج كاللوحة الطافحة

ويذكر طوافه في العالم في قصيدته « الحبيب يزار » .

ويقول الشاعر الدكتور عبد الله الطيب :

واني لمغرى بالجمال وانني
لعمرك قد خلدته عند خالد

ويقول حيث يمتزج الحب عنده بالتصوف والايمان العميق أو بالشاعرية الموهوبة ، والبيان الثري :

وأُوتيتَ مقدرة في البيان
وتبهر بالأدب الرائع
وأنت امرؤ عربي السليقة
تصفو بوردك للكارع
وتهوى الجمال وتبغى الكمال
وتخبت بالورع الخاشع
وتتلو الكتاب وترجو الثواب
وليس دعاؤك بالضائع
وطاع اليَّ القريض العصيُّ
الذي ما لغيري بالطائع

وأبيـــات شعـــري رنّاتهـا
كصلصلـــة الجرس القـــارع

والحب عنده أقوى سلاح في يد الشاعر يحارب به حتـى أعداءه ، كما يقول في ديوانه :

غـرد بحبـك يـــا متيم غـرد
وعلى عدوك سيف حبـك جرد
فالحب أقوى مـا تقاتلهـم بـه
اذ لا تبالـي بالجموع الحشـد

والحب عنده أقوى مـن اللـذة ، وأسمى مـن الجنس ، يقول :

فمن ظن أن الحب بادرة الهوى
من الجنس فليعلم بأن ليس ذا حبي

وقد ورث الشاعر حب الجمال عن أبيه حيث يقول :

وأبـي كـان عاشقا مثل عشقـ
ها ، ويلفيَ صداه في مزمـاري
ونظمت القريض بالألـق الغا
لص فيه الضياء مـن أنـواري
ولـديَّ الشماع مـن عالـم الذ
ل ، ونفسي بعيدة الأقطـــار
حبذا أنت يـا « لميس » وأهوا
ك وقد لاح في دجـاك منـاري
والتي تيمتـك يا أيهـا الشـا
عر حـوريـة مـن الأغـوار
وأحـب الأنـام طـرا الى قلـ
بي وما كـان حبها مـن عـار

وكان المنطق أن يقول : « وقد لاح في دجاي منارها » فلماذا عكس الشاعر ، هل يتغزل بنفسه أمام حبيبته لميس ؟ أو هل هي ضرورة الشعر ؟ لا أعرف سببا لذلك ، فغزل الشاعر بنفسه أمام محبوبته مما لا يرضى عنه العشاق والمحافظون على تقاليد الحب وآدابه ، والشاعر نفسه يقول من هذه القصيدة نفسها :

وتحب الثنـــاء ذات الفـــراشـــا
ت ، وتهوى الى هواهـــا اعتذاري

والشاعر يحيط الجمال دائما بتقديره واجلاله فيراه حرية ، ويقول :

والحســـن حريـــة وأنت بـــه
فاتنـــة للقلـــوب مفتونـــة

والنبع الاول والاكبر لشاعرية شاعرنا الطيب هو الحب ، يقول :

فيـــا أحبـــاء فـــؤادي بكـــم
أشدو وألحـــاني ملء الزمـــن

بل يقول معبرا عن هذه الحقيقة :

وقد تعلمـــين بأني لحبـــك سد
ت فكـــل فتـــى مـــادحـــي
وحبـــك فتـــق فـــي البيـــان
واورى بـــزنـــدي للقـــادح
ومن أجـــل حبـــك أهـــوى بلادي
على عنـــت الحاســـد الكاشـــح

وفي الحب كان له شغل شاغل عن كل شيء حتى عن السياسة وما اليها يقول :

ولقد وقفت أراقب الأحداث والا
حـداث لا تالـو اليّ فنونـا
ولقد نسيت من السياسة حولنـا
اعصارهـا وجحيمهـا الملعونـا
والغيب أسـرار ونـور حبيبتي
يمحو الظلام ويبـرز المكنونـا

ويرى الشاعر أن الحب هو أقوى حقيقة من حقائق الحياة ، فيقول :

تحملـين الأعباء مثلي من الحـب
وكان الغـرام أقـوى حقيقـة

وهو السعادة الكاملة التي اهتدت اليها نفسه وروحه ، ومنه كان الشعر والبيان والبلاغة التي عرفها الناس في شعر الشاعر ، فيقول في موقف لقاء وتسليم :

وقد عرفت نفسي السعادة حينما
تهلـل بالتسليم كـف وساعـد
وحنّ اليهـا طائـر النفس انها
هي الدوحة الخضراء والظل بارد
وعيناك مصبـاح منـير وعالـم
كبير وانساني بعينيك ماجـد
ألم تجدي أني اشتهيتك فوق مـا
يكون اشتهاء الجنس والجنس مارد
تعالي الى مأواك لي وتأملـي
بيانك عندي ان شعري خالـد

ويقول كذلك يصف سعادته في الحب :

وأبصرت اقبال السعـادة حينما
رأيتك يا ليلى وهبّ نسيمـي

بل ان الشعر عنده عزاء عن الحب ، فيقول :

طالما غنيت باشا عز والشعر عزاء

ومن هنا كان مزجه بين الشعر والحب ، وبين الجمال والعبقرية حيث يقول :

وهي الجميلة لا نظير لحسنها
أبدا ، وهذا الجيل أنت أديبة

والشاعر يعجب كيف مزج في حياته بين الحب والتصوف ، فيقول :

ألا ليت شعري أي عفريت جنة
أتاحك هذا الحب ياابن المساجد
وانك ذو قلب تضمن ثورة
على كل شيء فيه تامور مارد
تكبله مذي القيود ولم يزل
يحطمها بالعبقري المجالد
واشراق نفسي بالبيان كأنه
على لبّة الحسناء در القلائد

والشعور بالعظمة عند الشاعر يقترن بالحب ، ويأتي في أحاديثه عن الهوى والجمال ، يقول الشاعر متحدثا عن حبيبته :

قالت أرى أنك العظيم وأخـ
ـشى الناس أن يجعلوك مفتونا
وأنت فخر البلاد والقائر الفكـ
ـر ومن ذخره سيغنينا

ويقول كذلك ينقل الينا حديث حبيبته له :

والغناء الرخيم في شعرك الخـا

لد مـن وحي ربـك القهـــار

ويتصور الشاعر أنه بفكره وشعره قد ملك عرش الحياة، ولبس تاج المجد:

ولي تـــاج أراه يضـيء لمـــا
كسا الآفـاق اظـلام الليالـي
وأنت عميق غور الفكـر ماض
على سنن العباقـرة الأوالـي

وليس للشاعر عن الحب من مفر، يقول:

الحب يـا صـاح أمـره قـــدر
مـن قـدر الله والنهـي قسـم

ـ ٣ ـ

والشاعر الدكتور عبد الله الطيب في حديثه الى حبيبته يسترسل في قص ذكريات حبه العذاب، ووصف مشاعره المفعمة بالسعادة في الحب، كل ذلك في عذرية بريئة، وخيال شائق، وبساطة حلوة، وتنقل بين مشاهد الطبيعة ومفاتنها، يقول فيما يقول:

صديقــة قلبـي وراحة نفسـي
ومتعــة روحـــي والمرتعـــا
وتفسح عمريَ حتـــى الزمـان
يصيـر باشراقهـــا أوسعـــنا
وحتـى نكـون معـــا واحدا
بشخصين هامـا ولـن يفزعا
ألا حبـــذا جلســـات لنـــا
مهذبـــة كوبهـــا شَعْشَعـــا
فان كنـت تجهـل أمـر الهـوى

فعنـــدي أســراره أجمعـــا
تعـــال أعلمكَــــه انـنــــي
تيقنتـــه وســــواي ادّعـــى

وحول أن الحب يفسح عمر الشاعر يقول أيضا في عذوبة صادقة :

وأشرقت الدنيـا بنـور أديمها
وعيشي بها رحب وعمري أفسح

وهي حقيقة نفسية واضحة ، فشعور الانسان بالسعادة في الحب مما يطيل في حياته ، ويبعد عنه الآلام والاسقام ..
وليس هناك من وصف أجمل من هذا الوصف الذي يصور فيه الشاعر الدكتور عبد الله الطيب حبيبته ، اذ يقول :

وأبصرتها في النيـل وهي عبابه
وأمواجه والريح تهدر هدرهـا
وأبصرتها قمراء ليـل ترفعـت
وألبست الدنيا سناهـا وفخرها

ويقول أيضا :

حبذا أنت والجمـال كســـاء
الله والحـب عصمـة ووقـار

أو يقول :

لها بَشرٌ الياقوت والدر جلدها
صفاء وكانت تفضح الناس والكتبا

ويناجي حبيبته في همس وسكون وخشوع فيقول :

أنـــا يـا ذات الفـراشـــا
ت أحـــاديـــث حســـان
جيــدك النــاعـم للحـــب

أمـــــان وأمـــــانُ

أو يقول في وصف جمال خدها وتورده :

تــورد خدهــا فأضــاء فيهــا
ربيــع كــان قبــل لــه ذهــاب

ـ ٤ ـ

وتتعدد المواقف والمشاهد ، وتكثر الصور والمناظر في شعر الدكتور الطيب وهو يتحدث الى محبوباته ، وهن كثيرات ، وكأنه كما كان يقول عمر بن أبي ربيعة : « اني امرؤ مولع بالجمال أتبعه حيثما كان » .

وفي أغلب ظني أن الشاعر الدكتــور الطيب يكنى بتلــك الأسماء الكثيرات عن حقيقة واحدة هي محبوبته التي يشهد بها في كل قصائده .

وأقرب الى خلدي أن ندرجه في سلك الشعراء العذريين الذين يهيمون بالجمال من حيث هو الجمال ، لا من حيث لذات الجسد ، ومتعة الجسم ، ولنقرأ قصيدتــه « زودينا » فسنرى الشاعــر محبا صادق الحب ، خالص الهوى ، عذري النزعة ، بعيدا عن اللهو والعبث واللذة ، ويقول الشاعر من هذه القصيدة :

زودينا تحيــة يــا سعــاد وألمــي فــان قربــك زاد
واعلمي أننا على العهد باقو ن ولا زال شوقنــا يزداد
ولنا الذوق والتجلي وفينــا مــا حبتــه آباؤنا الأوراد
ومرّنا على الصيام عن الشهـ ـوة حتى كأننــا زهــاد
وعرفنا معنى الفناء الذي لا تطلب الوصل عنده الاجساد
وعشقنا العشق العظيم الذي تعـ جز عن درك كنهــه العباد
ما نسيناك قد رأيناك يا ليـ لى ولا زال منك يصبو الفؤاد

لا تضني بالقرب يا أم حسا ن كلانا الى أخيه مراد
أنت حقا جميلة ومحيا ك مضيء وعندك الاسعاد

ففي هذه القصيدة تلمس عذرية الحب وصوفية الهوى عند الشاعر ، فهو قانع بالتحية ، طالب للزيارة ، مقيم على العهد ، شوقه في ازدياد ، وهو يعيش وكأنه من الزهاد ، يعرف الفناء في الحب ، الفناء الذي لا تطلب الاجساد عنده وصلا ، وعشقه عشق عظيم ، حتى العباد لا تدرك كنهه ، وهو لم ينس محبوبته ، ولا يزال فؤاده يصبو اليها ويشتاق لها . وهو يخاطبها في توسل ظاهر أن لا تبخل عليه بالوصال ، انها جميلة حقا ، محياها مضيء ، ولديها الاسعاد .. الى غير ذلك من المعاني الثرية النبيلة التي يصورها الشاعر في قصيدته .

وهو يشمل بحبه كل شيء : الوطن ــ الاهل ــ الديار ــ النيل :

في مصر لست غريبا اذ أكون بها
لي الصديق وأنس كان كالراح
ما أشرف النيل من واد وأترفه
وردا لصاد ، وأشهاه لمحتاج

ومصر عنده هي وطنه أيضا ، ولها الهوى والحب والهيام :

ووقفت عند (سميرميس) أرى لكم
طيفا ، وأبصر جيزة ونخيلا

والشاعر الدكتور الطيب من مدرسة الكلاسيكيين الجدد ، أمثال عزيز أباظة والشابي وعلي محمود طه ، ومن اليهم ، وهو يرى الشعر تجويدا وتهذيبا ، يقول :

والشعر أنظر في تجويد أشطره
للناقدين ، اذ التجويد من همي

ويقول أيضا :

وقد نظمت قريض الشعر ، أحسنه
والدهر يعجب من صوتي وافصاحي

وهو يصوغ قوافيه نبيلة محكمة ، حيث يقول فيما يقول :

يا رب نصرك فانصرني وانك ان
لا تنتصر لي فمن فصحاك يحميها
ومن يفسر آيات الكتاب وبالاء
سراب معجزة القرآن يرويها

وهو بثقافته الواسعة يسير في ميدان القريض مجودا ومجددا :

وأعاجيب علوم وفنون حويت
وصنوفا من حديث حسن الجرس وعيت

وهو ينوه بمواهبه في شعره فيقول :

وجربت ريب صروف الزمان
وقد ذهب الأخ والوالد
وأقبلت تبغي سبيل المروءة
يا صاح اذ سوقها كاسد
حفاظا كريمان وكان الحفاظ
عندك من ارثه الخالد
وأحسب أن جميع الحياة
سراب وأنت له وارد

ولا أدري ما اعراب « الخالد » هل هي مرفوعة أو مجرورة ولعل الشاعر استجاز هنا الاقواء على أنه معيب أو ضرورة .
ويؤكد الشاعر أن الشعر كان ميراثه عن والده فيقول :

ولقـد ورثـت أبي وكان مجودا
نظـم القريض وبيتـه معمور

ويقول أيضا :

ولقد ذكـرت أبـي وكان مجودا
نظم القريض ويبـدع الابداعا

وللمتنبي نصيب كبير من تأثره وتأثيره الفني والفكري في شعر شاعرنا د. الطيب فنراه يقول كما قال أبو الطيب :

وجربت هذا النـاس حتى سئمتهـم
وصابرتهم حتـى سئمت مخارجـي

ويقول أيضا :

وجربت أصناف هذا الأنـام
وكم كـان فيهـم لـك الحاسـد

وهو يصرح بالأخذ عن المتنبي والرجوع اليه ، حتى ليقول له في احدى قصائده :

وقال أبو الطيب العبقري : ان الهوى كله فاسد .

واثنان من المفكرين الأدباء تأثر بهما شاعرنا د. الطيب : واحد في القديم هو أبو عثمان الجاحظ الذي يذكره في قصائده ، حتى تجده يقول في بعضها :

وقال أبو عثمان: قد يذهب الهوى وتبقى صدوع منه هيهات رأبها

والآخر من المحدثين وهو الدكتور طه حسين ، الذي يقول فيه الشاعر :

وغرسـت الغرس الكريم من المجـ
ـد وللدهر حولـه اعصـار

وسعيت المسعى الذي أعجز الطا
لب ان الأصالة المضمار
ورأيت الرؤيا التي عميت عنها
القلوب الغلاظ والأبصار

وللشاعر قصيدة غزلية عنوانها « فكر طه » يقول منها :

وهش الينا فكر طه برأيه
ومنه خلاصات السنين نُقادُها

بل لقد كتب قصيدة في رثاء طه تعد من أجود شعره ، ويقول فيها :

شغفنا به في زمان الصبا
وذقنا التذوق من عذبه
قرأنا تصانيفه واستفدنا
بعب السلافة من شربه
ونحن بها من تلاميذه
وأي أولي الفضل لم تسبه
وأحزنني الناس لما نعوه
اليّ ، ومجدي من سيبه

ومع ذلك كله فالشاعر يتأثر بالشعراء القدماء ويحتذيهم ، فنجد بعض قصائده تذهب مذاهب قصائد قديمة ، فقصيدته « رقة وشكاية » هي مثلا « نواسية » المذهب ، ومطلعها :

لعل الفتاة المشتهاة تزور وانني الى معروفها لفقير
وان لها وجها عليه نضارة
وفي طرفها طير الحياة أسير
وفي الشفتين رقة وشكاية
اليك واعياء مما وحبور

فهي على نهج رائية أبي نواس في مدح الخصيب ، والتي يقول فيها :

أجارة بيتينا أبوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

ومن ثم حسب بعض الدارسين أن نهج الشاعر الدكتور عبد الله الطيب نهج قديم ، والشاعر يذكر ذلك ويرد عليه في قصيدته الخيال الشعوبي فيقول :

ألا ان ـ لا تنظم « ألا ان » ـ أنهم
يقولون هذا الشعر نهج قديم
وقد ملكتنا الأدعياء وسلطت
صنوف دعي بيننا وزنيم

والحقيقة أن الشاعر الدكتور عبد الله الطيب يملك الى جانب ما يملك من مواهب وعبقرية شاعرية ثرة ، وفكرا رائعا ، وخيالا خصبا ، ومقدرة لغوية فائقة الحد ، رفيعة المستوى ، لا يملكها أحد من شعراء اليوم ، وهو بحياته مع التراث واشاراته اليه في شعره كثيرا ، يرمي بأن نهجه نهج قديم ، وما أروع النهج القديم اذا تحلى بالأصالة والشخصية والعبقرية ، وليس الشاعر الدكتور الطيب الا واحدا من هؤلاء الشعراء من مدرسة الكلاسيكيين الجدد الذين أثروا نهضة الشعر بكل جديد ورائع وعجيب ، مع محافظتهم على الاصول اللغوية الموروثة .

وعبد الله الطيب يعيش بعبقريته في غربة ، ويقول :

ان العبقري غريب دار
وان تبصره في أهل ومال

وهو معتد بنفسه كل الاعتداد حتى ليقول :

وللك السفلة والدون من الناس فداء

ويصور عقلية الجماهير فيقول :

وسواء لدى الجماهير لو تعـ
ـلم أهل الصلاح والفجار

ويعلن ثورته على الانتهازيين فيقول :

وقد ضقت ذرعا بهذا العناء
وفطنت نفسي على الواقع
وذقت الأمرين حتى دربت
بتجربة الألم الناقع
وأحمل نفسي على المكرمات
ويا رب ذي رحم قاطعي

ويقول أيضا :

وقد ضقت ذرعا بهذا النفا ق والمين والكذب الشائع
وافك انتهازية قد طغت على كل شيء بلا وازع

ويقول :

ألم ترني قد سهرت الدجى ومن حولي السأم المجدب

ويعلن تمرده على بعض الناس فيقول ويعرض للحديث عن الطبيعة في السودان وجوه الحار :

ألم تر طول اليوم والحر زاده
عناء وأبصرت الوجوه به جربا

ثم ينعي على الجامدين جمودهم فيقول :

وقد نفست لين المعيشة عندنا
وحرية التفكير أهل جمود

ويقول أيضا :

أيمنعني حرية القــول فاجــر
بلى ان ركنـــي للنضال منيع

— ٦ —

وبعد فان ديوان « أغاني الأصيل » للشاعر الدكتور عبد الله الطيب جدير بالدراسة والتأمل ، فهو كله أو جله شعر في الحب والجمال ، والشاعر يكتب قصيدة الحب ، ويتخذ منها وسيلة للحديث عن حياته وذكرياته ، وآرائه فيجيد كل الاجادة ·· وفي هذا الديوان ثلاث ظواهر فنية تتصل بالأسلوب :

الأولى :

التقديم في الجملة وبخاصة تقديم المفعول من مثل قوله :

وشهدا من الهـوى نشتــار
وكنـا لـك الغــرام نُسر
والبـــــذلَ تعطينــــا

وان لي مـن غضبي مديــة في الروح أعدائي بها أقتل
وكتــاب اللـــه أتلـــو اذا الخطـــب نـــزل

والثانية :

كثرة اضافة المصدر الى ضمير الفاعل أو المفعول ، مثـل : كراهيتهم ـ هواناها ـ وربكم ـ اكراميك ـ حبيك الخ ·

والثالثة :

وهي ظاهرة فنية واضحة في شعر الشاعر كل الوضوح ، وهي كثرة التشبيهات وجودتهـا حتى ليكـاد الشاعر ينافس أمراء التشبيه في الشعر العربي من أمثال امرىء القيس وذي الرمة وابن المعتز ، وأغلب هذه التشبيهات أو كلها في شعر الحـب والجمال من مثل :

وفي شفتيك التمر والخمر والعسل

أو قوله :

كأن محياهـا صبـاح وروضه
وليـل بآفاق السماوات مقمـر

أو قولـه :

وجيد « لميس » مثـل تمثال معبد
اذا التفتت بالجيد جـل المصور

أو قولـه :

ومـا أرسلـت ليلى الي بمرسل
ولكنها جـاءت تضيء الدياجرا

أو قولـه :

انك ريحانـة ونرجسـة وتينة لا تشبـه التينـا
انك زيتونـة منـورة من قبس الله ليس زيتونا

أو قوله : أنت مثل اقبال الغمامة بالحيا ـ الا مقلتاك هما الكوثر ـ وثغر المليحة كالسكر ـ جميلة كحسام السيف ـ مثل بركان ـ وهي التبر والبلور .

أو قولـه :

ولا يمـل حديـث منك يسكرني
وأنت وجهك يا حسنـاء كالعيد

أو قولـه :

اني أحبك يا لميس محبة مثل الخريف بكردفان المعشب

ومن تشبيهاته القريبة كذلك قوله :

رب تاج أبهى من العاج في اللو نومثل السراج والتينة

ويأخذ أحيانا تشبيهاته من البيئة فيبعد عن جزالة العربية ،

مثل قوله :

وهي الأرز الرشيدي بسمن وعسل

وقوله :

خضراء كالرجلة النضيرة في الرمل
لـلألاء وجهها ضـرم

وقوله :

لدن كان غضا كالبقول شبابكم

واكتناز المبيت بالمعاني ، واستئناف الجملة الوصفية عن موصوفها ، والخيال المحلق ، الذي يتعلق بخيال القدماء من الشعراء ، والأسلوب الجزل • كل ذلك بعض خصائص أسلوب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب في ديوانه الجديد « أغاني الأصيل » •

وبعد فان ديوان « أغاني الأصيل » يضعنا أمام شاعر عملاق، وأمام شاعرية ، تتسم بالأصالة ، والموهبة الفائقة والشخصية الواضحة •• بل انه يضعنا أمام أسلوب « المتنبي » وجها لوجه •

انه ديوان شاعر الحب والجمال •• يفد الينا من الخرطوم على جناح الفكر والسحر والخيال •

د• محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

شفيق المعلوف

محاضرة : وديع ديب

أيها الحفل الكريم :

انه لمن دواعي سروري أن تتاح لي فرصة التكلم ، في مركز ثقافي كريم ، يعمل جاهدا ، من أجل تعزيز الروابط الروحية والادبية ، في البلد الواحد والوطن الواحد ، بما يتفق والآية الكريمة : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا • ولولا كلمة من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون » • وانه لمن دواعي اعتزازي أن تكون كلمتي في شاعر كريم ، بادلته الرسائل في مهجره ، وصافحته يوم زار أهله في لبنان ، واذا بي أجد فيه الصديق الوفي ، والانسان السوي ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه • فلا أذكر أن سمعته ، يتعالى على شاعر مهما كان وضيعا أو رفيعا ، أو يتبرأ من نسيب أو غريب أو يدعي أنه أمير الشعراء وسيد الادباء ، أو أنه يؤثر حزبا على آخر ، أو يلهج بطائفة دون الثانية ، أو يغضب من أجل نقد ، وكأني به ذلك الانسان الذي عناه أبو تمام في قوله :

من لي بانسان اذا أغضبته   وجهلت كان الحلم رد جوابه
وتراه يصغي للحديث بسمعه   وبقلبه ولعله أدرى به

ذلك أنني عندما وضعت كتابا في موضوع : « الشعر العربي في المهجر الامريكي سنة ١٩٤٥ » قابلت فيه بين فوزي وشفيق فيما نظما من شعر وفضلت أخاه عليه واتهمته أنه في ملحمة

عبقر ، مقلد لأخيه ، في ملحمته على بساط الريح ، وأنه لم يُصب في عمله ذاك ، النجاح الذي توخاه • وأذكر عند أول لقاء به في بيت والده ، أن شكر لي ما قمت به من جهد في خدمة الأدب المهجري وطلب الي أن أتابع هذا الجهد • وقال مبتسما : « آمل أن نسترشد بما أبديت من ملاحظات حول هذا الموضوع • وكان في كل حفلة يدعى اليها يتصل بي ، على أمل اللقاء من جديد • وقد تأتى لي ، أن كنت من قبل ، صديقا لوالده المؤرخ العالم ، عيسى اسكندر المعلوف ، عضو المجامع العلمية العربية، الذي له الفضل في الكثير مما أعرف عن أبنائه • فقد كنت أختلف الى منزله كلما دعت الحاجة الى شيء من علمه • خصوصا، فيما يتعلق بالأدب ، من أبناء عائلته • وهو الذي من مؤلفاته كتاب في موضوع : ذكرى فوزي المعلوف • جمع فيه كل ما قيل عن ولده • وطبع هذا الكتاب سنة ١٩٣١ وقد كان والد فوزي يقيم آنذاك هو وعائلته في شارع كليمنصو على مقربة من الجامعة الاميركية التي مكثت فيها ما يقرب من عشر سنوات طالبا وأستاذا ، والتي في أنديتها قدمت للجمهور المستمع ، الشاعر ايليا أبو ماضي والاديب حبيب مسعود رئيس تحرير مجلة العصبة وكان ذلك بتكليف من شباب العروة الوثقى التي كنت في يوم من الايام من أعضائها العاملين ومن محرري مجلتها ـ أنا وسيرين الحسيني شهيد ـ وها أنا اليوم أقف أمامكم وقفة طالب في حضرة أساتذة ، لا وقفة أستاذ في مجلس طلبة ، علما مني ، أن رئيسنا الأستاذ المحترم أكرم زعيتر يعلم من أمر أدباء المهجر شيئا كثيرا • وقد كان على اتصال دائم بهم ، خصوصا بعد أن ذهب سنة ١٩٤٧ الى الارجنتين على رأس وفد عربي كريم • كان من قوامه ، أديبان عالمان ، هما نصري معلوف وتوفيق اليازجي • وهو الى ذلك أديب كبير وخطيب مفوه لا يشكو من عقدة في لسانه ، أو هفوة في بيانه •

ولقد كان القصد الاول من زيارته تلك ، توثيق الصلة بين مغترب ومقيم ، من أجل دعم القضية الفلسطينية وغيرها من

القضايا العربية • وغني عن البيان أن أدباء المهجر وفي طليعتهم أمين الريحاني،وان شعراء المهجر وفي طليعتهم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، وقفوا من هذه الأمور موقفا مشرفا • لذلك يصح عندي القول ،بأن آدباء المهجر وشعراءه ، هم سفراء الدول العربية منذ أن وطأت أقدامهم تلك الارض النائيسة • أخبرني صديقي الكبير ، الشاعر عمر أبو ريشة ، أنه سرعان ما استقر في البرازيل سفيرا لدولة سوريا حتى توافد الأدباء والشعراء الى لقائه والترحيب بـه ، على مختلـف أهوائهـم ونزعاتهم • ووجهت اليه الدعوات التكريمية من كل فج وصوب وكان شفيق معلوف وهو رئيس العصبة الاندلسية ، المرحـب الاول • وقد أقيمت لشاعرنا الكبير عمر أبو ريشة حفلة مترفة ، في النادي اللبناني جمعت نخبة من رجالات الجاليات العربيـة والاجنبية الى نخبة من الأدباء والشعراء من عرب وأجانب • وكان أن ألقى سفيرنا الشاعر قصيدة من روائعه استهلها ، وهو واقف الى جانب صديقه شفيق المعلوف ، بقوله :

لبنان اني في نديـك واقف ‏ وبنوك أضلاع علي حواني
عرفوا وفائي في هواك وما دروا ‏ من يا ترى السوري واللبناني

قد لا أكون مبالغا اذا أنا قلت بأن الشعر الرفيع ، لا فرق بين ما نظم منه في لغة المعاجم أو في لغة الحياة ، هو السبيل الى توحيد القلوب وتناسي الاحقاد والذنوب •

أيها الحفل الكريم :

ليس من أحد لا يعرف بأن الذي حمل المغترب على الاغتراب كان الظلم في الدرجة الأولى ، الظلم الذي عاناه الناس في الايام الأخيرة من عهد بني عثمان • يوم علقت المشانق لأحرار العرب على غير ما تمييز بين نصراني ومسلم • ومن هذا القبيل ما حدث في أيام الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، وبهذا

يقول فوزي المعلوف :

قسما بأهلي لم أفارق عن رضى أهلي وهم ذخري وركن عمادي
لكن أنفت بأن أعيش بموطني عبدا وكنت به من الأسياد

ومع هذا ، فقد بقي الحنين يشد الشعراء المغتربين الى ربوع بلادهم التي هي أقرب ما يكون الى الفردوس روعة وجمالا . ولا سيما زحلة حيث نشأ الشعراء الثلاثة : فوزي وشفيق ورياض هنا ولد شفيق المعلوف ، في المدينة المعروفة بعروس البقاع ، التي قال فيها أحمد شوقي :

ان تنكري يا زحل شعري انني أنكرت كل قصيدة الاك
أنت الخيال بديعه وغريبه الله صاغك والزمان رواك
قسما لو انتمت الجداول والربى لتهلل الفردوس ثم نماك

نعم في هذه المدينة الساحرة ، التي هي جارة وادي العرائش وُلد شاعر عبقر ، وذلك سنة ١٩٠٥ لأبوين كريمين ، هما عيسى اسكندر معلوف وعفيفة ابراهيم باشا معلوف ، كلاهما من عائلة واحدة ومن دوحة واحدة ترجع في انتسابها البعيد الى ألف سنة . وقد رزقهما الله سبعة بنين هم : فوزي واسكندر وشفيق ورياض وادمون وآفلين وأوديت معلوف طرابلسي . كما كان لوالدتهم سبعة اخوة ، هم : قيصر وجورج وشاهين وميشال وجميل ونقولا وفدعه . وكان بينهم خمسة شعراء ، أشهرهم قيصر صاحب قصيدة :

رلى عرب قصورهم الخيام ومنزلهم حماة والشآم

ثم ميشال الذي اليه يرجع الفضل في تأسيس العصبة الاندلسية وقد كان أول رئيس لها . ولما توفاه الله الى رحمته ، تولى رئاستها ، نائبه الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، لسنة واحدة . ثم أسندت الرئاسة الى شفيق معلوف الذي تعهدها بماله ورعايته الى آخر يوم من حياتها وذلك سنة ١٩٥٢ .

من هنا يلاحظ بأن شفيق كان حريصا على تراث قومه وعلى لغة قومه كما كان يحلم هو ورفاقه في العصبة الاندلسية ، بايجاد أندلس جديدة ، من حيث تـرجع الى هذا النازح الغريب كرامته ومكانته تحت الشمس • وهنا يلذ لي أن أشير الى نشأة هذا الشاعر الخالد والى ترجمة حياته الأولى وذلك قبل أن يمتطي سفينة الأماني الى دنيا عالمه الجديد • لقد درس شفيق في بادىء الامر بمدينة زحلة ، في المدرسة الشرقية للروم الكاثوليك ، التي كان والده أحد أساتذتها ، فتتلمذ له ، وكان في جميع دروسه طالبا متفوقا • وبعد تخرجه منها ، التحق بأسرة جريدة ألف باء الدمشقية وكان في السابعة عشرة من عمره • وفي تلك السن المبكرة وضع أول ديوان له بعنوان « أحلام » وكان من تحقيق أحلامه بعد ذلك أن تزوج من نسيبة له هي روز فرح معلوف وهي على غاية من الجمال والذكاء • وقد ألهمته في الكثير من روائع شعره • وكان أن رزقهما الله غلاما ذكيا أسمياه اسكندر وهو اليوم من كبار شعراء اللغة البرتغالية •

وبعد ، فلشاعرنا شفيق دواوين عديدة منها : نداء المجاذيف ومجامير الصندل وستائر الهودج وليلى الأخيلية ، وعيناك مهرجان ، ولكل زهرة عبير • ومن أعماله الادبية الباهرة ملحمة عبقر التي استوحى مشاهدها ورسومها من الأساطير العربية ، وقد اتخذ من بعض تلك الأساطير رموزا لما ينتاب الانسان من خير وشر في مسيرة حياته من المهد الى اللحد • ثم خلص من بعض رموزها الى فلسفة تتسم بالاشراق الصوفي ، وقد كان بارعا في تجسيد تلك الأساطير واخراجها الفني ، مما أكسبتها أصالة وعمقا • ذلك أنه شاعر مطبوع من حيث أن الحروف تصدح بين أنامله بما يشاء لها من صور الجمال • وانما الشعر في جوهره ايقاع موسيقي • ثم هو بعد ذلك رؤى بعيدة لا يدركها الا من كان عبقريا من الشعراء • في ذلك يقول ابن رشيق في كتاب العمدة بأن الوزن هو أعظم أركان الشعر وأولاها به ، وأن الشاعر المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان • وعليه

يصبح عندي أن الشاعر يولد ولا يصطنع وكل ما قيل من أقوال وأحاديث حول الشعر المنثور أو النثر المشعور هو في نظري من غرائب الأمور • وان دل على شيء فانما هو يدل على أن الآخذ بهذا الجديد من الشعر حاول أن يكون شاعرا مطبوعا ففشل ، فراح يزعم بأن الجديد هو من التجديد •

هذا ، واليكم ما يقوله شفيق في هذا الصدد ، وهي من كلمة له في موضوع : « جمال الادب ونقده » وفيها ما يستدل به على رأيه في أهمية اللغة وما يجب أن يكون عليه الادب العربي وبصورة خاصة ، الشعر ، قال رحمه الله : « ما نحن من يؤمن بالمذاهب في الادب ولا ممن يتحزب للمدارس في الشعر • فالشعر فن ركيزته الجمال • والجمال وجد قبل أن يُخلق الادب القديم ، بما فيه من مثال للكمال يحتذى ، وقبل أن ينبثق الجديد في مناحيه المتشعبة • ان الادب الحق يقاس بما فيه من جمال ولا يوزن بمثاقيل النُظم والمذاهب • ومهما أعمل الروية علماء الأدب الحديث في درس جمال الادب ، فهم لا يخرجون في تحديدهم له ، عما رواه ابن المعتز ، من أن ممتوها سُئل ما هو الشعر فأجاب : هو الذي لا يحجبه عن القلب شيء • وعندي والقول لشفيق ، أن الشيء الذي يحجب الشعر عن القلب هو كلام ضعيف اللغة ، شوه به عبيد الابتذال ما تكشف لهم من معالم الجمال • أو هو قول متين الحبك ، جيد السبك ، الا أنه خلا من المعنى المستنبط الذي تنبجس به مناهل القلب والروح ، والتي تُضفي على الشعر ظلال الجمال وأضواءه • ثم يضيف قائلا : ليس من يجهل أن بعض الأدباء نادوا مرارا بجعل اللغة العامية موضع الفصحى • فقد أرسل الينا أحدهم قائلا : انظموا لنا بلغة الشعب ليفهم الشعب • وقد أجبناه بأن الذنب ليس ذنب اللغة بل هو ذنب أبنائها • فالأولى بهم أن يرتفعوا اليها ، لا أن تتدنى هي اليهم • وقد فاتنا في ذلك الحين أن نستشهد بما قاله الطائي لرجل سمعه يُنشد في حفل ، فسأله : يا أبا تمام لما لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فأجاب : وأنت لِمَ لا تفهم من الشعر

ما يُقال • ثم يضيف شفيق قائلا : هذا ، وما نحن من يناصب الأدب الشعبي العداء ، فكم مقطوعة منه ، من حقها أن تُرصف بين روائع الفصحى • هذا بعض ما قاله شفيق معلوف بلسان كل أديب مهجري وشاعر مهجري ، لعلمهم بأن اللغات الشعبية في الديار العربية ، لا تجمع بينها بل تفرق ، وهي التي تجمّع في مختلف أمصارها كل لسن وأمة فما يفهم الحدّاث الا التراجم • والدعوة تلك ، بحسب رأيي المتواضع ، ينطبق عليها قول الامام علي ، من أنها : « كلام حق يراد به باطل » •

وبعد ، فاذا جاز لي أن أعود الى الحديث ، من حيث بدأت ، قلت في اقتناع واخلاص بأننا نحن اليوم بحاجة الى كلمة تجمع ولا تفرق ، تهدي ولا تضلل ، تبارك ولا تلعن الشيء الذي فطن اليه الشاعر العباسي الكبير أبو تمام عندما قال منذ ألف ومئة سنة :

ان يختلف نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مُقام الوالد

ومثل ذلك ما أشار اليه المتنبي يوم ذهب مرغما الى شيراز يطلب الأمن والعافية ، فاذا به يجد نفسه غريبا من حيث لا يدري واذا به يقول :

مغاني الشعب طيبا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

ولعله ، في هذا القول ، أول من وضع تعريفا للقومية في أجمل معانيها • فهي وجه يتعارف به الناس ، وهي يد يتعاون بها الناس ، وهي لغة يتفاهم بها الناس •

أيها الحفل الكريم ، من هذا المنطلق ، يُلاحظ أن الشعوب الحريصة على وحدتها وكيانها تفرض على قومياتها اللغة الواحدة ، كما تفعل الدول الراقية مع الحفاظ على لغاتها الخاصة ، كما أن بعض الشعوب تتلاقى باسم الكلمة الواحدة

واللسان الواحد ، من مثل رابطة الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية ، ورابطة الشعوب الناطقة باللغة الفرنسية ، وبوحي من هذا الواقع ، قال فوزي معلوف :

ان لم نكن كلنا في أصلنا عربا فنحن تحت لواها كلنا عرب

ومن قول ايليا أبو ماضي :

نحيا على الدهر اخوانا وان فصلت
تلك الحدود رباكم عن روابينا
ما دام من هذه الفصحى لنا صلة
لا يطمع الدهر يوما تنائينا

وهنا تجدر الاشارة بأن أكثر هؤلاء المغتربين كانوا من لبنان وسوريا وفلسطين ، كما أن التعصب هنا لا يعني الخلاف القائم بين مسلم ومسيحي فحسب ، بل يشمل ما كان من الاختلاف المذهبي في الطائفة الواحدة ، في الوقت ذاته ، وأبرز ما يتجلى ذلك في قول أستاذ الجيل ، أستاذنا الجليل ، المرحوم أنيس المقدسي ، من قصيدة له ألقاها من على منبر الجامعة الاميركية سنة ١٩١٠ ومنها :

دعني وشأني والذيأنا عابد وكما يشاء ايمان قلبك فاعبد
اني أخوك وان لميكنايماننا في البعد ما بينالثرىوالفرقد
ان فرّق الايمان بين جموعنا فلساننا العربي خير موحد

وهكذا فقد انضوى الى لواء لغة الضاد جميع الفرقاء ، وكان أبلغ من دعا الى وحدة الصف العربي ، باسم الكلمة العربية وباسم نهضتها ، الأمير شكيب أرسلان ، المعروف بأمير البيان • كذلك ما فعله الدكتور حبيب اسطفان الذي كان يُعرف بأمير المنابر في الارجنتين كما عُرف بلقب ميرابو الشرق في عهد فيصل الاول • وكان في باديء أمره قد سيم كاهنا وعُرف باسم الخوري

يوسف اسطفان ثم ما لبث أن تحول الى العلم بكليته واستهوته المنابر .

ومفاد القول ، هو أن اللغة العربية ، والاندفاع الى تعزيزها، كانا المساعد في تحريك القرائح ، وانشاء المجلات والجرائد العربية والاندية الخطابية ، وكان من ثمرات هذه الحركة المباركة ، أن وُلدت الرابطة القلمية في أميركا الشمالية على يد جبران خليل جبران ، كما ولدت العصبة الاندلسية على يد ميشال معلوف وشفيق معلوف . ومما يزيد من شأن الشاعرين فوزي وشفيق هو أنهما نهضا الى وضع الملاحم العربية كما فعل سليمان البستاني من قبل ، يوم ترجم الياذة هوميروس الى الشعر العربي ممهدا لمن سيأتي بعده السبيل الى وضع الملحمة العربية في لسانها العربي ، مع العلم أن الملاحم هي التي تنظم في البطولات الحربية والامجاد القومية بالنسبة الى ما يتحقق من الفتوحات والتوسع على أيدي هؤلاء الابطال . وهنا قد يتساءل المرء وما هي قيمة الملاحم في مختلف أنواعها وأشكالها ؟

انني من أجل هذا السؤال والاجابة عنه أرجو أن يسمح لي بأن أستعين برأي أديب عربي كبير وناقد عالم ، كان قد زار بيروت فاتصلت به لشهرته والافادة من علمه وقد أهديته كتابي المهجري ، هو الدكتور محمد مندور صاحب كتاب « في الميزان الجديد » حيث يقول في كتابه هذا : ان الاساطير قد أخذت تشق سبيلها الى آدابنا العربية كما فعل الدكتور طه حسين في رواية « أديب » وكما فعل توفيق الحكيم في أسطورة بجماليون ، ثم ما لبثت أن انتقلت العدوى الى الشعر العربي كما في أسطورة أشباح وأرواح لعلي محمود طه ، ويضيف الدكتور مندور قائلا : جميل أن نتخذ من الاساطير مادة للشعر ، فقد سبقنا الى ذلك شعراء كبار في مختلف اللغات العالمية ، على شرط أن ينجح شعراؤنا كما نجحوا . اذ أننا لن نستطيع أن نخلق من أسطورة معروفة ، قيما فنية جديدة ، ما لم نتمثلها حتى تصبح جزءا من

أصالتنا ·

أيها الحفل الكريم ، ان أكبر دليل على نجاح شفيق في عبقر ، هو أن هذه الملحمة تُرجمت الى لغات عديدة وكتب فيها وعنها العديد من المقالات والمؤلفات ، في اللغة البرتغالية وغيرها · وقد قيل فيها كل ما هو جميل ورائع وفي شاعرها ، كل ما هو مدعاة للفخر والاعتزاز بهذا الشاعر اللبناني الكبير وبأخيه فوزي يوم وضع ملحمة « على بساط الريح » · وبحسبي أن أذكر هنا ما قاله طه حسين عميد الأدب العربي في فوزي وفي شاعريته الفذة وذلك على أثر وفاته سنة ١٩٣١ ، ومما قاله :

« قضى شابا لم يتجاوز الثلاثين ولو عاش أكثر لكان له في حياة الشعر العربي الحديث شأن ، أي شأن ، ولكان له بين الشعراء المحدثين مكان أي مكان · وكثير من الشعراء يمرون بالأرض سراعا ولكنهم يتركون فيها آثارا باقية طويلة البقاء » ·

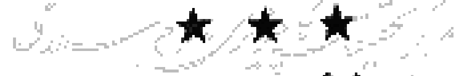
أيها السادة ان ما فات فوزي من فرص الحياة توفر لأخيه شفيق · فقد اتسع له العمر ، وحالفه النجاح في أعماله الصناعية، كما حالفه في أعماله الادبية ، بحيث جمع بين العلم الوافر والمال العامر · وكان أن نضجت ملكة الشاعرية في نفسه ، لذلك أعاد النظر في عبقره مرة ثانية فجاءت على غاية من الابداع الفني · هذا ولا أخالكم تنتظرون مني أن أستعرض مشاهدها وأدوارها في دقائق معدودات · وهي التي تستحق أن تدرس في المستويات الجامعية لمدة فصل دراسي كامل أو لسنة كاملة · يضاف الى ذلك أن قيمتها الادبية والفنية قد اشتملت على مقدمة لها شغلت من الكتاب ما يقرب من مئة وأربعين صفحة · وذلك في موضوع الأساطير أو الميثولوجيا · على أنني سأكتفي الآن بشيء من الشعر الذي جاء في ختامها ، من حيث يتضمن فلسفة الشاعر بالنسبة للحياة الزمنية · وخلاصتها أن الانسان يشقى من أجل بلوغ أهدافه وتحقيق أحلامه ، واذا حقق شيئا منها ، عاد من

حيث لا يدري الى الشقاء من آجل أن يحلم من جديد • وعندي أنه ما نظم عبقره هذه الا بوحي من وفاة أخيه فوزي • وكأني به قد آفاق من حلم رهيب من حيث رأى فيه تمثال أخيه فوزي قائما على جانب من وادي العرائش ومن حوله حشد من الناس يستمع له ولصديقه الياس أبي شبكة الذي كان من جملة أبياته، البيت الذي يقول فيه :

ورب حي غدا في قومه حجرا ورب ميت غدا حيا به الحجر

فكان أن عاد الى ايمانه بالله ، واذا به يقول في ابتهال الصوفي المتعبد لخالقه :

عشنا مــع الناس دهرا نحلــم بالشبـــاب
واليــوم والعمــر مــرّ وضمنـــا التــراب
نعيش فيهــم بذكــرى أحلامنــا العــذاب



أحلامنا نحــن فقــل للألى شادوا لنا الانصاب اكبارا
أحلامنا كــن لطافــا فــلا تصيّروا الأحلام أحجــارا

هذو ومن الاتفاق الغريب ، أن يلتقي شفيق وفوزي في كل منعطف ومجال وفي كل موطن وأرض • وشاء القدر أن يقضي فوزي نحبه وهو في حدود الثلاثين من عمره • وعندما أقيم له تمثال في وادي العرائش من قلب مدينة زحلة ، وقف شفيــق يرثيه بقصيدة هي من عيون شعره وبحسبك المطلع الذي يقول فيــه :

فوزي وما لي في الخطوب يدان مــا هكــذا الأخوان يلتقيان
قربت صدري للعناق فلم أقع الا على قطــع من الصــوان

وكان أن علت أصوات النائحات وشرق الشاعر بدمعه ومشى بعد أن فرغ من القاء قصيدته ، ساهما لا يدري كيف يتجه • وفي نفسه تساؤل لا يلقى له جوابا • ثم شاء القدر أن يقضي

شفيق نحبه سنة ١٩٧٦ وأن يتذكر الناس بعض ما قاله في رثاء أخيه ، وبعض ما انتهى اليه من فلسفة في ملحمة عبقر :

أحلامنا نحن فقل للألى شادوا لنا الأنصاب اكبارا
أحلامنا كن لطافا فلا تصيروا الأحلام احجارا . . .

وقد تذكرت أنا فيما أتذكر أنه ترجم للشاعر دافونسكا الشاعر البرتغالي والاسباني مقطعا من الشعر يتجلى فيه ايمان الشاعر بمراحم الله واحسانه حيث يقول :

ألا دع يد الآمال تُلقي ذرودها
على قلبك المجروح مسكا مطيبا
وكن مثل قلب الارض لو لم يفتحوا
به الجرح فوق الجرح ما كان أخصبا
وكن كفضاء الله ان يرشق الورى
حجارتهم لم يبلغوا منه مأربا
وكم حجر يرمي به العبد ربه
يصير اذا مس السموات كوكبا

ومن هذا القبيل ، مقطوعة لشفيق تجري في هذا السمت الرفيع بموضوع « البستاني » يقول فيه :

مررت به يكب على غراس لوين العنق للعصف الشديد
فيرفعهن فوق الارض كيما ينجيهن من ذل السجود
بصوت به ينقل راحتيه على الأغراس من عود لعود
فينزع سلخة من كل غصن ويدفنها لتولد من جديد
يداه على التراب ومقلتاه معلقتان في الأفق البعيد

فأي وحي هو هذا ، وأي ايمان هو هذا ، وأي جمال باهر . بهذه القصيدة وأمثالها يلتقي شاعرنا شفيق المعلوف مع طاغور شاعر الهند الاكبر ، في قصائد البستان وحرارة الايمان . وكأني

بهما ما تغنيا بالبستاني وبكل عامل في حقل الا لأن هذا وذاك يشاركان الطبيعة في صنع الجمال • والجمال هو نور الله في كل ما صنع وأبدع • قال لي أحدهم ان صاحبك شفيق ، شاعر يتكلم من برج عاجي ، وكذلك صاحبك مخائيل نعيمة ، فأجبته بأن الشاعر الذي يتأبى أن تنشأ الغراس ذليلة بين يدي الرياح ، كيف له أن يرضى بأن ينشأ أبناء قومه أذلاء بين يدي مستعمر سفاح • وأضفت قائلا : اسمع يا أخي ما يقوله الدكتور مندور عند تحدثه عن الادب المهجري المهموس ، وبصورة خاصة عن مخائيل نعيمة بالذات ، ثم قل ما شئت بعد ذلك •

قال مندور في ميزانه الجديد : يوم تحدث عن مخائيل نعيمه ونسيب عريضه وذلك في ختام كلمته :

« والآن قد يتسائل القاريء : لِمَ استطاع شعراء المهجر ما لم يستطعه سواهم ؟

وجوابي هو : لأنهم من بلاد تحرك مناظرها الجبلية من الخيال ما لا تحركه السهول • ولكن السبب الأهم في نظري هو أنهم قوم مثقفون ، أمعنوا النظر في الثقافات الغربية وغيرها ، وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها في لغاتها الاصلية، فهم اذا ، ليسوا كالذين يسرفون في الغرور عن جهل وكسل ، ظانين أن الادب هو في متناول كل انسان وأن كل كلام منظوم هو شعر • الثقافة هي التي تشع في ألفاظ هؤلاء الشعراء ، وانك لتقرأ الجملة لهم فتحس أن خلفها ثروة من التفكير والاحساس »• هذا ما قاله الدكتور مندور •

أيها السادة : لقد شعرت ، وأنا أقرأ دواوين هذا الشاعر واحدا واحدا بعد الآخر ، أنني أمام شاعر كبير في أحلامه وأمانيه ، كبير في ايمانه بالله وما قدّر للانسان من موت وحياة• فكأن كل ما يحلم به الانسان ، حقيقة ثابتة ، ودليل على أن الأحلام هي التي تقرر مصير الانسان نعيما كان أو جحيما •

فهو يذكر في مقدمة ملحمة عبقر : أن أساطير الزمن الغابر قد أصبحت حقائق الحاضر • فحصان طروادة هو دبابات هــذا الزمان • وأجنحة ايكار في الأساطير اليونانية وبساط الريح في الأساطير العربية هي طائرات هذا الزمان • واذن فما يمنع أن يكون النعيم الذي بشر به الانبياء وحلم به الشعراء ، حقيقة ثابتة ، ومصيرا محتوما • واذن فمن مميزات الانسان عـن الحيوان ، هو أنه يحلم ويحلم ، وهو كلما حقق حلما من أحلامه، راح يحلم من جديد • ان الاحلام هي التي تدحرج الحجر من أمام عيني المرء فيرى حقيقة ذاته •

أحلامنــا نحن فقــل للألى   شادوا لنا الأنصاب اكبـارا
أحلامنــا كــن لطافــا فلا   تصيروا الأحلام أحجـارا

ومن الرؤى المجنحة في خيال الشاعر أن يحلم بأن الحجارة عندما تحلم ، تعود الى الحياة هي بدورها من ذلك ما يقوله في مقطوعة بعنوان : « زهرة في صخرة » :

حلمت بزهرتهاالقديمةصخرة   حنت الى عهد التراب الفائت
فتفتقت آمالها عــن وردة   بيضاء لم تك غير حلم نابت
ينشق عنها الصخر وهي كأنها   حي تململ في ذراعي مائــت
ساءلتها فاستجمعت أطيابها   ومضت تقول بهمسهن الخافت
أنا لست الا ومضةالذكرىعلى   تقطيبة الصخرالكئيبالصامت
قبح يخالطه وميض خلابــة   أحلى بعيني من جمال باهت

لقد كان شفيق أيها السادة يحلم ويعمل وقد أصاب نجاحا في آمــاله وأعمــاله ولكــن الكثيرين مــن الشعراء والموسيقيين والرسامين فشلوا في تحقيق الامرين معا • الا أنهم آثروا أن يعملوا بما أرادت لهم الحياة من تحقيق ما رسمت لهم الحياة ، فعاشوا من أجل مواهبهم في أكواخ وضيعة ، ما لبثت أن أصبحت محجة ومزارا • وهنا مقطع من الشعر الذي ترجمه شفيــق معلوف عن شاعر اسباني كبير يصف فيه حالة شاعر بائس نجع

فيما أوحاه الخيال وفشل في كل ما مارس من الاعمال • ولعل هذا الشاعر الاسباني الكبير هو ذلك البائس الفقير ، حيث يقول :

سار في قفر بعيد الدرب وعر ينقل الخطوات من نصر لنصر
حاملا من مجده زادا وقوتا
قيل هذا عبقري لا يموت فمضى يسأل هل يوما حييت
يا بني قومي لأخشى أن أموتا

وكأني بشفيق قد أراد أن ينبه وزارات المعارف في البلاد العربية الى واجب رعاية الفنون الجميلة بكل ما لديها من أسباب الرعاية التي تضمن لهؤلاء العباقرة حياة كريمة ، بحيث ينصرفون الى العمل الفني بكل ما هيأ لهم الله من مواهب خلاقة •

والآن فانني أشعر بأن الاستطراد من حديث الى آخر شيء لا ينتهي وقد بت أخشى أن يستحوذ الضجر على النفوس ، لذلك لا أجد شيئا يذهب بالضجر كالشعر الغزل ، فالى قصيدة «حاطمة الكأس» وهي من أروع ما نظمه شفيق معلوف ، حيث يقول :

غفت ورقات الحور والنهر انتشى
وكنا عليه عصبة حول منشد
تخالني احدى الملاح لحاظها
ويشغلني عنها هتاف المجود
وتشغلني كأس اذا ما رشفتها
تبش فتلهيني عن الأمس والغد
فعضت لماها كبرياء وحطمت
بقبضتها كأسي بسخط المعربد
ومدت الي الكف ينزف جرحها
على ما تشظى من حطام مبدد

وقالت تجاهـل يا شقـي صبابتـي
وما شئت أمعـن في الجهالـة وازدد
فمن لا يـرى في مقلتي مـا بمهجتي
حملت اليه جرح قلبـي على يـدي

وديع ديب

ملاحظة : (ألقيت هذه المحاضرة في المركز الثقافي الاسلامي)

مـرض ••• ومـرض

● أصيب اليك دوجلاس هيوم ، وزير خارجية بريطانيـا بسل في عموده الفقري ، منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما مضت ، واضطره المرض الى ملازمة الفراش شهورا طويلة ، وفي أحد الأيام ، تلقى هيوم رسالة قصيرة ، حملها اليه رسول خاص في غرفته بالمستشفى في لندن •

وفض السياسي البريطاني الرسالة ، فاذا بها تحمل توقيع الزعيم الافريقي الكبير جومو كينياتا ، الذي صار من بعد ذلك رئيسا لجمهورية كينيا ، وكان يقوم بجولة في أوروبا في ذلك الوقت ، يدعو فيها الى تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني ، وعلم بمرض هيوم فكتب اليه يقول :

« صدمني نبأ مرضك •• انني أرجو لك الشفاء ، وآمل أن تبرأ من علتك ، وأن تكون قد وعيت الدرس •• لقد كنتـم تقولون دائما ان صيحة الحرية التي تطلقها الشعوب المستعمرة ما هي الا صرخة عن مرض وجب القضاء عليه ••• ولكنني أراك اليوم تنحني أمام مرض أشد خطورة ، فهو يتهدد حياة واحد من هؤلاء « الاطباء » الذين زعموا أنهم شخصوا الـداء ووصفوا العنف والقمع له دواء ! رحمة بالمرضى أمثالنا ، فنحن لا نبغي سوى الحياة •• نفس الحياة التي تنشدها أنت في مرضك هذا » •

جان بول سارتر

بقلم: زهير مارديني

(اذا زرت باريس فلا يفوتك مشاهدة جان بول سارتر ، وصديقته سيمون دي بوفوار) .

بهذا أوصتني صديقة عزيزة ، وأنا أستعد لزيارة باريس ، فأخذت على نفسي تحقيق الوصية منذ وصلت .. ففي ليلة ضاع مني تاريخها ، ولم يكن قد مضى على تعرفي باحدى فتيات باريس أكثر من ساعات أخذت هذه الفتاة بيدي الى مقاهي (الوجوديين) قالت لي :

(اني أؤمن بباريس) بهذا الينبوع الخصب من الافكار الذي لا تضاهيه عاصمة أخرى .. انك لا تزال تجد في باريس جديدا كل يوم ولا تزال تلقى لهذا أنصارا يؤمنون به ثم لا تزال تجد بين الانصار من يحول الفكرة عملا ويحياها بكيانه كله .. وبدعة الحي اللاتيني اليوم هي (الوجودية) ومعظم شبابه يطوفون كفراشات الربيع حول (سارتر) .

والتفتت فتاتي الي بعد ذلك ريانة العين بالتساؤل وقالت :
ألم تسمع (بالزازو) أنصار الوجودية ؟
ألم تصبح وجوديا بعد ؟
ألست تحب أن تستمع الى سارتر ؟
ألم تر مسرحيته (الايدي القذرة) في مسرح انطوان ؟

أقرأت شيئا لغابرييل مارسيل ؟ ألست تكره مثلـــي بعض أفكار كيركغارد ؟ أيهما ترى أشد أصالة • وجودية نيتشه أم وجودية هايدغر ؟

وأرهقتني بالأسئلة ،فكنت أجيبها تارة باقتضاب واستفهام وأخرى بانطلاق •• لقد كنت وأنا أدور مع دليلتي بين مقهى (تابو) و (الفلور) و (كلوب سان جرمان) يغمرني الشعور بأني قائم في قطب العالم وكأنما تيارات الدنيا الفكرية تتدفق سهلة المنال عند قدمي •

ذكرت لي أن (الزازو) ـ الوجوديين ـ يهبطون كل مساء مقهى الفلور في (سان جرمان) كما يهبط سرب العصافير في الحقل المحروث في أوائل الشتاء •• الى الفلور ••

دخلت المقهى متصنعا قليل الاكتراث ونظرت الى النـــاس نظرة جامدة عرفت من خلالها كيف أخفي وراءها كل الفضول الذي يدفعني •

وجلست في الركن أتفرس بالوجوديين الذين يملأون المقهى•

انهم ليسوا بحيوانات غريبة ولا بأثر فني مدهش ، ولكني كنت أراهم من خلال أفكاري أناسا غير الناس ، وشبابا غـــير الشباب ••

انهم مخلوقات لم تضع حاجزا فيما بين أفكارها وأعمالها ، انهم صنع أنفسهم ، كنت في غمرة من تصوراتي حين رأيت الناس يلتفون نحوي ونحو رفيقتي ، ولم أكن بحاجة لكثير من الملاحظة لألاحظ أنهم لم يكونوا يتكلمـــون الفرنسية وانمـــا يتبادلون الاسئلة بالانكليزية وانهم ••• أوه ! كلهم غرباء مثلي جاء بهم نفس الفضول الذي جاء بي وحسبوني وجوديا كمـــا حسبتهم •

أما الوجوديون •• فلم يكن لهم هناك وجود •

بعد منتصف الليل كنت أتبع فتاتي الى (كلوب سان جرمان) لأشهد الوجودية في مباذلها ولأقارن بين الوجودية الفكرية التي قرأتها والوجودية العملية التي سأشاهدها ، وتوقفت قليلا قبل أن تسمح لي نظم النادي باجتياز باب القاعة التي امتلأت بمجموعة غريبة حية متنوعة من الفتيات والفتيان ·· هذا الذي جلس بقربي كان ذا لحية شقراء قصيرة وقميص مهمل الياقة مخطط بالحمرة ، وتلك التي أنهكها الرقص فاستراحت على صدر رفيقها ذات شعر غلماني وسراويل مرفوعة الاكمام ،وهذه الفارعة القامة التي تدخل حديثا الى الصالة تلقي كيس حوائجها على كتفها وتجذب فتى شغلته الكأس الى الرقص ··· والجو محموم بموسيقى الجاز ورقصة (السوينغ) ـ الرقصة الرسمية للوجوديات ـ لا تنقطع وفي الأرجل عربدة وفي الشفاه حمى وفي الاجساد اهتزاز عنيف وفي العيون شرر ولا مبالاة ··

هذه ليلة وجودية استمرت حتى الصباح !

وقد عرفت طلوع الصباح من تسلل الازواج والافراد من الصالة في كلل وهدوء ·· لقد وقعت عين احداهن علي وهي ترمي كيس حوائجها على كتفها ثم تنطلق في طريقها ··· كم وددت لو يكون لي كيس حوائج أنا الآخر لألقيه على كتفي وأنقل بعض الخطى مثلها الى حيث لا أدري ·

لا أنكر انني لم أعجب بما رأيته وشاهدته في تلك الليلة ! ولا أنكر انني احتقرت آدمية من رأيتهم في مباذلهم ·· وأذكر انني بدأت في محاولة للتعرف على جان بول سارتر من خلال كتبه أولا ، ومن خلال التعرف عليه ثانيا ·· وخرجت من هذه المحاولة بنتيجة سلبية ·· لقد كرهت سارتر وكرهت أفكاره منذ أن بدأت أتعرف على مواقفه المتيمة من اليهود ·

ليس من الضروري أن نصدق هذه العبارة التي جاءت في (التلمود) اليهودي : (ان فلسطين قلب العالم · والمعبد قلب

القدس • وقدس الاقداس قلب المعبد • وتابوت العهد قلب قدس الاقداس ••• وفي قلب التابوت قطعة من الحجر هي أصل الدنيا واننا يجب أن نستردها وأن تبني عليها عرشنا) •

وليس من الضروري أن نكذب هذه العبارة التي قالها سارتر من عشرين سنة في كتابه بعنوان : (تأملات في المسألة اليهودية): لا حرية لأي فرنسي ما دام اليهود لا يتمتعون بحقوقهم كاملة •• ولا طمأنينة لأي فرنسي ، لا في فرنسا وحدها وانما في العالم كله ، ما دام اليهود يعيشون في خوف •

ولا من الضروري أن نحترم ما يقوله سارتر في نفس الكتاب عندما يصف كل عدو لليهود بقوله : انه انسان خائف من نفسه من ضميره •• من حريته •• من غرائزه •• من مسؤولياته •• من عزلته •• من المجتمع •• من العالم •• انه جبان ولا يريد أن يعترف بأنه جبان •• انه قاتل يكتم نزواته الاجرامية •• انه يريد أن يقتل في الظلام ••

ولا يهمنا أبدا أن نفكر معه وهو يتساءل :

كيف نكسب قضية بني اسرائيل ؟ في استطاعتنا أن نكسب نصف هذه القضية اذا تمكن أصدقاء بني اسرائيل من أن •• يستعيروا الحماسة والاصرار والعناد الذي يتمتع بها أعداء اليهود ••

نحن نعرف ان سارتر له رأي في اليهود •• وانه في رواياته ومسرحياته يعطف على المومسات واليهود ، وان الشخصية العربية الوحيدة التي جاءت في مؤلفاته هي شخصية شاب ثري خطف زوجة بطل رواياته وهرب بها •• وسارتر له تاريخه الفرنسي الأوروبي ، فأجداده قد عذبوا اليهود وأحرقوهم ، لأسباب دينية ولاسباب أخلاقية •• أحرقوهم ابان الحروب الصليبية •• وجاء لويس التاسع وطردهم ••

وأجداد سارتر من الالمان قد أحرقوا اليهود قبل هتلر بمئات السنين .. ولا شك ان ضمير سارتر ظل يوجعه الى أن مات لما حدث لليهود في سنة ١٩٤٢ عندما أخرج اليهود جميعا من باريس ، ولا يزال اليهود يحاولون أن يؤكدوا أن الجنرال ديغول مسؤول عن طرد اليهود أيام الاحتلال النازي ، وقد ظهر منذ مدة كتاب بعنوان (المطاردة الكبرى) من تأليف (كلود ليفي) يقول ان أحد رجال ديغول كان مسؤولا عن طرد اليهود ، وان اثنين من رجال ديغول أيضا قد وقفا في بلكونة السفارة الاسرائيلية عندما جاءت جماهير الشعب الفرنسي تهتف باسم اسرائيل أيام حكم الجنرال ، وهذا الكتاب يحاول أن يضغط على ديغول لعله يكفر عن موقفه الحيادي تجاه العرب فيساند اليهود ، ولكن ديغول لم يفعل مؤكدا بذلك انه أعقل رجل في فرنسا وانه آخر الرجال العقلاء في أوروبا ..

لم يخف سارتر حبه لليهود طيلة حياته ، لقد زار القاهرة وذهب الى قطاع غزة ، ورأى وسمع ، ومع ذلك لم يغير رأيه فهو (حر) وليس من الضروري أن يغير رأيه ، بل ان سارتر عندما كان في غزة تمسك برأيه أكثر فأكثر .. والصحفيون العرب الذين رافقوا سارتر عادوا وقالوا ان سارتر نظر الى خواتم اللاجئين فوجدها من الذهب الخالص ، ولاحظ أن بعضهم كانت له (أكراش) ضخمة ، ولاحظ سارتر ان بيوت اللاجئين كانت مصنوعة من الحجارة .. وان لها أسوارا من الحديد .. واستنتج سارتر ان اللاجئين قد قرروا البقاء ، وانهم لم يستعدوا لأية معركة ، ولاحظ سارتر ان في الاسواق سلعا ألمانية وسلعا أمريكية ، وقال ان امريكا هنا كما أن أمريكا في اسرائيل أيضا .

وعندما ذهب سارتر الى الاسكندرية جاءت على لسانه هذه العبارة :

(.. انني لا أستطيع أن أكون محايدا أمام قضية اللاجئين لقد كنت غائبا فقط) .. وهذه العبارة قالها سارتر بشكل

أوضح في مقدمة العدد الممتاز من مجلته (العصور الحديثة) ٠

فقد قال انه بعد أن زار قطاع غزة ورأى الاطفال الجياع وآباءهم الجياع أيضا !؟ وبعد أن رأى اسرائيل وأطفالها الاصحاء ونظراتهم القلقة فانه لا يستطيع أن يقف على الحياد ، فالحياد هنا معناه اللامبالاة السلبية ، وهو ليس سلبيا ٠٠ وكل ما يستطيع أن يقوله هو أنه كان غائبا عن هذا الموقف ٠٠ وهو يحاول الآن أن يكون حاضرا وأن يستحضر كل شيء ليبدي رأيه وسوف يبديه قريبا ٠

ولما زار سارتر بعض البلدان العربية ظل غائبا أيضا ٠٠٠ وعندما غاب عن اسرائيل كان حاضرا فيها أيضا ، لأنه لم ير ، وما رأى ولم يسمع ما سمع ٠٠ وانما ظل على موقفه فرنسيا ألماني الاصل أوروبيا ٠

ولم يكن سارتر بحاجة الى أن يصدر بيانا مع عشيقته المصون سيمون بيانا لتأييد كل مطالب اسرائيل ٠٠

لقد مات سارتر وقامت الضجة الماركسية للدفاع عنه ، أما الذين عرفوه من العرب ففي قلوبهم غصة من أدبه ، وغصة من أفكاره ٠٠

لقد عاش سارتر وجوديا يدافع عن اليهود ، ومتعصبا ضد العرب يدافع عن اسرائيل ٠٠

كلب المليونير

● فقد المليونير كلبه الثمين ، فأعلن في احدى الصحف المسائية عن جائزة قدرها ١٠٠ دولار لمن يعثر عليه ٠ وأقبل المساء ، ولكن الصحيفة لم تصدر ، فتوجه لادارة الصحيفة ، وهناك لم يجد غير الحارس الليلي ٠ فقال له : هل ستصدر الصحيفة الليلة ؟ فقال الحارس : أشك في ذلك يا سيدي ٠٠ فقد ذهب كل المحررين للبحث عن الكلب ٠

ما هو مستقبل مادة الانترفيرون ؟

بقلم : فاضل جواد آل طعمه

في عام ١٩٥٧ قام العالمان البريطانيان ALICK ISAACS & Jean Lindenmann بوضع تقرير حول اكتشاف الانترفيرون وهو المادة التي ينتجها الجسم لتحميه من الاصابة بالفيروسات حيث أن معظم خلايا الحيوانات الفقرية لها القابلية على تصنيعه ٠

ويعتبر الانترفيرون من العقاقير المهمة في معالجة الفيروسات والأورام السرطانية على الرغم من اكتشافه منذ أكثر من عشرين عاما ، وينتظر له مستقبلا مرموقا في هذا المجال ٠ وعلى الرغم من ظهور آثار جانبية ضارة نتيجة استعمال الادوية المستخدمة في علاج السرطان الا أن الاهتمام اتجه في الآونة الاخيرة الى مادة الانترفيرون والتي من شأنها أن تحفز أجهزة المقاومة في جسم الانسان الى التصدي للسرطان ودرئه ٠ ومادة الانترفيرون ليست عقارا بالمعنى المفهوم ، فهي شيء يولده الجسم ، ولكن بكميات لا تكفي لمقاومة السرطان ٠ ومن المرجو أن توفر مادة الانترفيرون والادوية الجديدة علاجا لانواع متعددة من السرطان ، واذا تمكن العلماء من صنع كميات كبيرة من الانترفيرون فسوف يكون بالتأكيد أحد المضادات الحيوية التي تستعمل في معالجة الفيروسات كما هو الحال بالنسبة الى البنسلين ، ولكن هنا يبرز سؤال مهم وهو : على الرغم من مرور أكثر من عشرين عاما على اكتشاف الانترفيرون فلماذا لم تجر محاولات تحضيره في مختبرات البحوث الكيماوية ، فالجواب على هذا السؤال هو صعوبة تحضيره أولا ، ومن ثم تنقيته بكميات كافية لغرض استعماله كعلاج للمصابين بأمراض

الفيروسات والسرطان ·

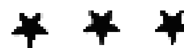
يعتبر الانترفيرون من المركبات الفعالة جدا حيث تكفي جزئيات قليلة منه لاظهار تأثيره المضاد للفيروسات في الخلايا الحية ، وهذا يعني بأن هناك كميات قليلة تنتج ، ولكن صعوبات كبيرة في فصل وتنقية هذه الكميات عن باقي أجزاء البروتين الخلوي · ويكفي الغرام الواحد من مادة الانترفيرون في علاج أكثر من ألفي حالة من أمراض الفيروسات المزمنة أو حوالي مئة ألف حالة من الامراض الفيروسية غير المزمنة أو الثانوية ·

ويوجد الانترفيرون بأنواع مختلفة ، فلكل كائن حي أنترفيرون خاص به ، وعلى هذا الاساس لا يمكن استعمال انترفيرون مستخلص من الدجاج في حماية الفئران من اصابة الفيروسات وكذلك لا يمكن استعمال الانترفيرون المستخلص من الفئران في حماية الانسان من اصابة الفيروسات ، ولذلك الانترفيرون المستعمل في معالجة الامراض الفيروسية في الانسان يجب أن يصنع في الخلايا الحية للانسان ، ولكن التكنولوجيا الحالية لنمو كميات كبيرة من الخلايا البشرية خارج الجسم تكون غير ملائمة في الوقت الحاضر وتحتاج الى توظيف أموال ضخمة ووقت طويل للبحث في مختبرات بحوث الأدوية ومراكز بحوث الكيمياء الحيوية للوصول الى تكنولوجيا ملائمة لصنع كميات كبيرة من الانترفيرون البشري ، غير أن العلماء والباحثين في الولايات المتحدة وأوروبا تمكنوا من احراز تقدم كبير من تصنيع الانترفيرون وتطبيق سبل الهندسة الوراثية مما قد يؤدي الى انتاج واسع النطاق من هذه المادة · ففي شهر كانون الثاني من عام ١٩٨٠ قام فريق من الباحثين يضم أربعة علماء من بلدان مختلفة بوضع تقرير حول نجاحهم من نقل المادة الوراثية للانترفيرون البشري الى البكتريا وبذلك سهلوا طريقة صنعها عن طريق البكتريا ، حيث يمكن للانترفيرون أن ينتج بكميات

قليلة بواسطة البكتيريا وهذه الطريقة لها فوائد كبيرة ، منها القابلية على حصول كميات كبيرة من البكتيريا لسهولة نموها ، وكذلك عدم الحاجة الى الفيروسات لكي تساعد على انتاج الانترفيرون ، وأخيرا سهولة تنقية الانترفيرون الناتج بهذه الطريقة ، ولكن تبرز هنا مشكلة صعبة ، هي صعوبة تطبيق هذه الطريقة على وحدات صناعية لانتاج كميات كبيرة من الانترفيرون .

لقد تم حديثا فصل وتنقية أنواع مختلفة من الانترفيرون وتم أيضا تعيين مكوناتها من الاحماض الامينية ، ولكن لم يتمكن أحد من تحضير الانترفيرون بطرق كيميائية على الرغم من توفر التكنولوجيا في الوقت الحاضر . ففي باريس قام كل من Jaqueline and Edward بعمل متسم بالمثابرة والجهد الى أن تمكنوا من فصل وتنقية كميات كافية من أنترفيرون الفئران وقاموا أيضا باستعمال هذه الكميات في تجارب عديدة لمعرفة فعاليتها على نفس النوع من الحيوانات فلاحظوا بأن هذه الكميات من الانترفيرون تمنع نمو أعداد كبيرة من الفيروسات في خلايا الفئران وكذلك تقلل من سرعة نمو الخلايا ومن ثم تقلل من نمو الأورام السرطانية في الحيوانات التجريبية وكذلك تزيد من فعالية الكريات اللمفاوية ضد الأورام السرطانية . وأخيرا تمنع انتاج الاجسام المضادة بواسطة أنواع أخرى من الكريات اللمفاوية أو اللمفوسايت .

فاضل جواد آل طعمة
كربلاء ــ العراق



مع الخالدين

مع ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى

بقلم: سمير شيخاني

صوت : حاول الطبيب السويسري باراسلوس المولود سنة ١٤٩٣ والمتوفي سنة ١٩٤١ للميلاد أن ينزل سلفه الشهير جالينوس من مقامه الرفيع الذي كان يحتله في ميدان الطب • ولكن جالينوس رفض البقاء حيث أريد له ، الا أنه ما لبث أن تداعى ، واهتزت به الارض ومادت • ومذ ذاك لم يُهمل الهجوم على هذا البطل ، بل المعبود ، الذي سيطر بعلمه زهاء أربعة عشر قرنا • فقد استطاع أخيرا ايطالي عظيم يدعى فيزاليوس عاش بين عام ١٥١٣ و١٥٦٤ أن يحطم جالينوس كعالم ثقة في الطب • وقد أظهر بلا شفقة الاخطاء التي ارتكبها ذلك العالم اليوناني الروماني في كتاب شهير أصدره بعنوان « فابريكا » • وهكذا ارتفع صوت جديد من مدينة بادوى الايطالية ، صوت من ذهب الى الجسم البشري للحصول على الحقائق • وما كان أشد الضجة التي أحدثها ذلك الكتاب • وكان أول المهاجمين لفيزاليوس والساخرين منه أستاذه سلفيوس على الرغم من معرفته أنه كان على حق في أقواله ، ولكنه كان يساير الفئة المتسلطة • وبعده جاء تلميذ سلفيوس ويدعى كولومبو ، وشاركهم في ذلك كبار علماء بادوى جميعا الذين هالهم أن يسفه فيزاليوس جالينوس العظيم • فاضطر فيزاليوس الى ترك عمله بسبب قوله الحقيقة التي لم يشأ العالم أن يسمح له بقولها ، وأحرق كل ما تجمع لديه من معلومات ومعارف ، وانتقل الى اسبانيا حيث أصبح من رجال البلاط الملكي ، مديرا ظهره الى

عبقريته . وقد توفي في الخمسين من عمره ، في اللحظة التي كان ينوي فيها تجديد المحاولة التي كلفته من قبل ذلك الثمن الباهظ . الا أن مصيره كان أقل مجدا وشهرة وألما من المصير المشؤوم الذي آل اليه من قبل الاسباني سرفيتوس المولود سنة ١٥١١ الذي أحرقه كالفان حيا سنة ١٥٥٣ في جنيف . فقد كان سرفيتوس نزّاعا الى الشك ، محبا للبحث والتدقيق ، الامر الذي لم يكن كالفان يتحمله ، ولم يكن ليرضى بأي جدة وابداع في العالم . وهكذا سيق سرفيتوس الى المحرقة ، وكل جرمه التفكير السليم ، مضيفا بذلك شهيدا آخر الى قافلة شهداء العلم وحرية الفكر . وصحيح أن هذين الطبيبين اهتما بالدورة الدموية الصغرى في الجسم البشري ، الا أنهما لم يستطيعا أن يدفنا جالينوس . فقد تُركت هذه المهمة للعالم والطبيب الانكليزي وليام هارفي الذي أبصر النور سنة ١٥٧٨ وتوفي سنة ١٦٥٧ ، واليه يعزى اكتشاف الدورة الدموية سنة ١٦٢٨ ، بعد نشر كتابه عن حركات القلب والدم .

كان لا بد من هذه المقدمة الطويلة التفصيلية بعض الشيء لنقول بكل تأكيد مع المستشرقة الالمانية زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تستطع على الغرب » المنقول الى العربية على يد فاروق بيضون وكمال دسوقي :

« ان أول من نفذ ببصره الى أخطاء جالينوس ونقدها ، ثم جاء بنظرية الدورة الدموية لم يكن سرفيتوس الاسباني ، ولا هارفي الانكليزي ، بل كان رجلا عربيا أصيلا من القرن الثالث عشر الميلادي ، وهو ابن النفيس الذي وصل الى هذا الاكتشاف العظيم في تاريخ الانسانية والطب ، قبل هارفي بأربعمائة عام ، وقبل سرفيتوس بثلاثمائة عام . وقد قيل فيه : « لم يوجد على وجه الارض قاطبة مثيل له في الطب ، ولا جاء بعد ابن سينا مثله . قالوا ، وكان في العلاج أعظم من ابن سينا » .

مع ابن النفيس ، هذا العالم العربي الفذ ، وهذا الحكيم

الفاضل العلامة في فنه الذي لم يكن في عصره من يضاهيه في العلاج والطب والعلم ، سيكون لقاؤنا اليوم • اليه انتهت رياسة فنه في زمانه لأنه كان امام وقته في فنه شرقا وغربا بلا مدافعة • فلنتعرف اليه قبل أن نتعرف الى منجزاته العلمية الخطيرة الخالدة •••

ابن النفيس : أشكرك وافر الشكر ، يا سيدي ، على كل ما تفضلت بقوله في حقي ، وعلى كل المعلومات التي سرني أن أعرف منها أن العالم اليوم قد عرف أخيرا كل الحقيقة حول مكتشف الدورة الدموية الصغرى ، والدورة الدموية الرئوية ، وأعاد الفضل الى ذويه !

صوت : لا شكر على واجب يا أبا الحسن ••• والآن اسمح لي بأن أستعرض معك وقائع حياتك البارزة ، قبل الخوض في غمار الشؤون العلمية المتعلقة بعملك الرائع العظيم • ذلك بأن اكتشاف الدورة الدموية ، هو ولا ريب ، أعظم اكتشاف تشريحي قام به العرب في عهدهم • وقد عدك سارتون بحق من الرواد الذين مهدوا للطبيب الانكليزي وليام هارفي الذي يعزى اليه إكتشاف دورة الدم •

ابن النفيس : على ذكر هارفي ، هلا حدثتني قليلا عنه قبل استعراض وقائع حياتي ، فلكم أود التعرف اليه •

صوت : لك ما تريد ، يا سيدي • فلقد سبق ان ذكرت لك تاريخ ميلاد هارفي • فعندما بلغ العشرين أوفده والده الى مدينة بادوى الايطالية لتعلم الطب • وفي هذه المدينة التي علّم فيها فيزاليوس وضرب ونفي ، درس صاحبنا علم التشريح • وبقي فيها خمس سنوات عاد بعدها الى انكلترا طبيبا ماهرا ، وفي نفسه الهادئة المستكينة لم يكن هناك شيء من العاطفة والقوة التي تميز بها باراسلسوس وفيزاليوس ، ولم يخطر بباله قط أنه

سيمسك بخناق العالم ويقولبه حسب طريقة تفكيره الخاصة ٠

ابن النفيس : هلا أطلعتني على قوام نظريته في دورة الدم٠

صوت : الواقع ان حركة القلب والدم عرفت منذ أقدم الازمنة ، وفي ايطاليا وبمساعدة غاليليو عمل الكثير في حقل النبض ٠ وسرفيتوس كتب عن دورة الدم عبر الرئتين ، كما اكتشف سلفيوس الصمامات في الاوردة والعروق ، ووصفها ٠ أما مساهمة هارفي في هذا الحقل فهي انه واصل العمل الذي اضطر سرفيتوس أن يتركه ، والعمل الذي لم يستطع سلفيوس أن يواصله ٠ فقال ان الدم يجري في سيل متواصل عبر كل أجزاء الجسم من القلب ، ويعود من جديد الى القلب ٠ وقال ايضا ان تقلص القلب يدفع الدم خارجا ٠ وعندما يسترخي هذا القلب يجري الدم اليه ويملاه ٠ وقد دفن نظرية جاليتوس عندما أظهر أن لا علاقة بين الجانبين الأيمن والأيسر من القلب الا من خلال الرئتين ٠ وقد كانت هذه النظرية في ذلك العصر تعتبر هرطقة ، وتهديما للأصول والمبادىء المقررة ٠

ابن النفيس : وماذا حدث لهارفي الذي طلع بهذه النظرية ؟ وكيف نجا ، وقد ذهب ، على ما تقول ، الى أبعد مما ذهب أسلافه في هذا الصدد ؟

صوت : الواقع أنه نجا من الموت ، ولكنه لم ينج معنويا وأدبيا ، فبعد ظهور كتابه ، المؤلف من ست وسبعين صفحة ، تأثرت مهنته الطبية كثيرا لأنه لم يكن هناك من يثق بطبيب مجنون ــ كما وصف ــ ليضع بين يديه حياته ٠ والحقيقة أنه لم يتأثر كثيرا بهذه الخسارة المادية بسبب كونه طبيبا للملك تشارلز الاول ٠ ولم يتعرض كثيرا للانتقاد لأن ظل العرش كان يحميه ٠

ابن النفيس : اذن هذه قصة هارفي الذي دحض كل شيء

تقريبا مما كتب في السابق عن القلب والدم ؟ لك شكري وامتناني ، يا سيدي ، على كل هذه المعلومات ٠

صوت : لا شكر على واجب ٠ فلنتعرف اليك الآن ٠ فأنت أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم ، المعروف بابن النفيس ٠٠٠

ابن النفيس : ٠٠٠ وأحيانا بالقرشي ، نسبة الى قريش ، في ما وراء النهرين ، ومنها أصلي ٠

صوت : وأنت طبيب ، عالم ، فيلسوف ، ولدت في دمشق سنة ٦٠٧ هجرية الموافقة ١٢٨٨ ميلادية ، وقبل ٦٩٢ أو ١٢٩٢ ٠ وقد درست الطب في دمشق على مشاهير العلماء و بخاصة على مهذب الدين الدخوار ، مع ابن بلدك مؤرخ الطب الشهير ابن أبي أصيبعة ، ابن أحد أطباء العيون في دمشق ٠٠٠

ابن النفيس : صحيح ما تقول ، فقد كان ابن أبي أصيبعة هذا يكبرني بسبع سنين ، ثم درسنا الطب معا على يد رئيس أطباء البيمارستان النوري الكبير ٠ وان استاذنا الدخوار الذي اشتهر بمحاضراته القيمة وبدروسه السريرية في البيمارستان من جهة ، اشتهر بغناه الوافر من جهة أخرى ٠

صوت : على ذكر ثروة الداخور الطائلة نذكر في هذا المجال أنه تمكن بها من تأسيس مدرسة طبية في داره الفسيحة ، وألحق بها عيادة خاصة ، كان يوفر لها المال اللازم من الريع الذي كانت تدره عليه أملاكه الواسعة وقراه الكثيرة ٠ وكان يدرّس كتب الرازي وابن سينا ، وبالطبع كتب جالينوس المحبب الى قلبه ٠

ابن النفيس : وكان ابن أبي أصيبعة يسخر من أستاذه الدخوار الذي كان يردد كلما سمع اسم جالينوس وبعض نظرياته : « هذا هو الطبيب ، هذا هو الطبيب ! » وتمر الايام

ونلتقي معا ، ابن أبي اصيبعة وأنا ، طبيبين محدثين في البيمارستان الناصري في القاهرة ، وهو البيمارستان الذي أنشأه السلطان صلاح الدين في القاهرة • وقد ترك ابن أبي أصيبعة مصر فترة غير طويلة الى أطراف الصحراء السورية ليصبح طبيبا خاصا لأمير سوري ، ففقدت اذ ذاك كل اتصال به •

صوت : أما أنت فما لبثت أن أصبحت عميد أطباء البيمارستان الناصري ، والطبيب الخاص للسلطان بيبرس • وبقيت طوال عشر سنين تلقي محاضراتك على تلاميذك الكثر عن جالينوس وابن سينا دون اي تحضير • ويروون أنك كنت تكتب دون العودة الى أي مرجع ، ولك في ذلك قصة تستحق أن تروى ، فهل لك بذلك ؟

ابن النفيس : ذات يوم كنت منهمكا في دلك جسمي بصابون زيت الزيتون النقي في أحد حمامات القاهرة التي كان فيها آنذاك أكثر من ألف ومئتي حمام ، خطرت لي أشياء تتعلق بالنبض ، فخرجت من حوض الحمام على حين غرة الى القاعة الخارجية ، وطلبت ورقا وقلما ومدادا ، ورحت أكتب رسالتي عن النبض • فلما فرغت من ذلك قفلت عائدا الى الحمام كأن شيئا لم يكن •

صوت : وكان يحضر مجلسك في دارك جماعة من الامراء ، وأكابر الاطباء • وقد ابتنيت دارك في القاهرة وجهزتها بالرياش والأثاث ، وفرشتها بالرخام حتى ايوانها • ولما لم تكن متزوجا ، أوقفت كتبك وكل ما كنت تملك على البيمارستان المنصوري • وفي هذا المجال ، وقبل الانتقال الى موضوع آخر يطيب لي أن أذكر أنك كنت ذا مروءة • ومن غريب الأمور التي أود أن أوردها ها مهنا أن ابن أبي أصيبعة ، رفيق الدراسة وابن بلدك دمشق ، وزميلك في البيمارستان ، أغفل ذكرك في كتابه الضخم الذي ترجم فيه لحوالي أربعمائة طبيب عربي •

فلم ينشر حتى اشارة عابرة في هذا الكتـاب التاريخي الضخم الذي سماه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » الى من كان من أعظم الاطباء في عصره · ويقال ان السبب في هذا التجاهل هو خلاف حصل بينكما ·

ابن النفيس : لا مجال لذلك الآن ، وعلى أي حال سامحه الله ·

صوت : وقد اهتممت ، يا أبا الحسن ، الى جانب الطـب ، بالفقه ، والحديث ، وبعلم البيان ، والمنطق ، والفلسفة · فكتبت فيها جميعا ، وألقيت المحاضرات في المدرسة المنصورية في هذه العلوم حيث تمتعت بشهرة واسعة وبخاصة في الفقه · ولم تكن لتتقبل الاشياء على علاتها ولو كانت صـادرة عـن العباقرة ···

ابن النفيس : ··· في هذه الناحيـة كنـت على نقيض الدخوار ، والكثيرين من زملائه · ولم أكن لأرضى بتعليـم تلاميذي آراء متوارثة ولو عن عظماء من القدامى ، وأنا أشك في صحتها · وقد اعتمدت قبل كل شيء على استقراء الطبيعة أسرارها بواسطة الملاحقة والدرس والتجربة · ورأيت تباينا في تركيب أجسام الحيوانات المختلفة ، فأوصيت بدرس التشريح المقارن لكي نلم بالاختلافات · ثم اعتمدت التشريح طريقـة خاصة لي في العمل والبحث ···

صوت : الواقع انه كانت تعمر قلبك الشجاعة الادبية التي عمرت قلب هارفي من بعدك ، والرازي من قبلك ، وهما اللذان دفعا بالطب أشواطا واسعة الى الامام · وتدليلا على ذلك نذكر ما قلته في مقدمتك لكتاب « شرح تشريح القانون » لابن سينا : « وأما منافع الاعضاء فانما يعتمد في تعريفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم ، ولا علينا ، أوافق ذلك الرأي من تقدمنا أو خالفه ··· » ·

ابن النفيس : بالطبع ، يا سيدي • فالعلم والحقيقة توأمان لا ينفصلان ، وقد سبق وقلت ان سرفيتوس أحرق حيا لقوله الحقيقة ، ولم يجبن عن قولها لأنه كان عالما حقيقيا •

صوت : ومن مؤلفاتك في غير المواضيع الطبية « الرسالة الكاملية في السيرة النبوية » ، و « كتاب فاضل بن ناطق » ، وهو مجاراة لكتاب « حي بن يقظان » لابن طفيل ، ولكن بطريقة دينية لا فلسفية • أما في الطب فلك مصنفات كثيرة تتميز بالجرأة وحرية الرأي ، فهل لك أن تعددها لنا ؟

ابن النفيس : « الكتاب الجامع » أنجزت منه ثمانين مجلدا من ثلاثماية •••

صوت : ولكن معظمها فقد ، مع الأسف •••

ابن النفيس : و « المهذب في الكحالة » ، أي في طب العيون ، و « المختار من الاغذية » في علم الحمية و « شرح تقدمة المعرفة » لابقراط ، و « شرح فصول أبقراط » ، و « شرح مسائل حنين ابن اسحاق » ، و « شرح الهداية في الطب » لابن سينا ، و « بغية الفطن في علم البدن » ، و « شرح تشريح القانون » ، و « الموجز في الطب » وهو موجز لكتاب القانون لابن سينا ، الذي رتبته على أربعة فنون •

صوت : دعني أذكر هذه الفنون الاربعة :

أولا ــ في قواعد أجزاء الطب العلمية والعملية بقول كلي •

ثانيا ــ في الأدوية والاغذية المفردة والمركبة •

ثالثا ــ في الامراض المختصة بعضو دون عضو •

رابعا ــ في الامراض التي لا تختص بعضو دون عضو ، وأسبابها ، وعلاماتها ، ومعالجتها •

وقد اشتهر هذا الكتاب وطبع مرات عدة ، وكانت أولاها في الهند • وترجم الى التركية مرتين ، ومرة الى العبرية • فهات الآن ، يا أبا الحسن أسمعنا ما تقول في « شرح القانون » لابن سينا عن الدورة الدموية •

ابن النفيس : « ان القلب له بطنان فقط : أحدهما مملوء من الدم هو الأيمن ، والآخر مملوء من الروح ، وهو الايسر » •

صوت : دعني ، يا أبا الحسن ، أوضح هنا المعنى المقصود بالروح • فكلمة روح تستعمل عند القدماء ، حتى عند هارفي ، للدم المنقى بعد مزجه بالهواء •••

ابن النفيس : صحيح ، يا سيدي ، ما تقول ، وقد أحسنت صنعا اذ لفت الى هذا المعنى المقصود بالروح ••• ولنعد الى موضوعنا ••• ولا منفذ بين هذين البطنين البتة •• والتشريح يكذب ما قالوه ، والحاجز بين البطنين أشد كثافة من غيره • فان نفوذ الدم الى البطن الايسر انما هو الرئة بعد أن تسخنه ، وتصعده من البطن الأيمن ، كما قررناه ••• ولكن ليس منهما ـ أي تجويفي القلب ـ أي منفذ • فان جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر ، كما ظنه جماعة ، ولا منفذ غير ظاهر يصلح نفوذ هذا الدم ، كما ظنه جالينوس • فلا بد وان يكون هذا الدم ، اذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة لينبت في جرحها ويخالط الهواء ، ويصفي ألطف ما فيه ، وينفذ الى الشريان الوريدي ليوصله الى التجويف الايسر من تجويفي القلب ، وقد خالط الهواء وصلح لأن تولد منه الروح » •

صوت : وماذا تقول في موضوع غذاء القلب ، معارضا رأي ابن سينا ؟

ابن النفيس : « ان جعله للدم الذي في البطن الأيمن منه يتغذى القلب لا يصح البتة ، فان غذاء القلب انما هو من الدم

المنبث فيه من العروق المتنبتة في جرمه » •

صوت : ان هذه العبارات الموجزة المأخوذة من كتابــك في « شرح تشريح القانون » تكفي لاظهار أسبقيتك في وصف دوران الدم الرئوي ، والقول بعدم وجود نافذ بين تجويفي القلب ، وفي الاشــارة الى الشرايين التاجيــة التي تغــذي القلــب • فسرفيتوس ، وفيزالوس وسواهما لم يأتوا بجديد فوق ما قلته ، الامر الذي لا يمكن أن يضع أسبقيتك موضع شك •

ابن النفيس : ولكن هل بوسعك أن تقول لي هل ان كتابات علماء عصر النهضة الذين تحدثت عنهم ، صادرة عن اكتشافهم ما سبق واكتشفته ؟ أم ان أقوالي قد وصلت اليهم فتأثروا بها أو نقلوها دون الاشارة الى مصدرها ، كما كــان يحدث أحيانا •

صوت : ان الجواب عن هذا السؤال عسير ، يا سيدي • على ان ما نعرفه هو أن مؤلفات العرب في الطب كانت تصل الى العالم الغربي ، بل كانت تـُدَرس أحيانا في مدارسه الطبية ، كما هي الحال مع قانون ابن سينا • وقد كان الاتصال أوثق ما يكون اسبانيا حيث ولد سرفيتوس ، فلا يستغرب اذن أن يكون هذا العالم قد قرأ شرحك أو سمع به • وقد ذكر بعض المؤرخين ان سرفيتوس هذا كان يعرف اللغة العربية ، فضلا عن معرفتــه اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية • وفي هذا الصدد أحب أن أسمعك ما يقوله المستشرق ميرهوف :

صوت : « عندما قرأت المقطع الاول من هذا الموضوع ــ أي موضوع دوران الدم الرئوي ــ في شرح ابن النفيس ، فوجئت بشبهه العظيم ببعض عبارات سرفيتوس الاساسية ، فكأن المقطع العربي قد ترجم ببعض التصرف الى اللاتينية » • ومثل هــذا الرأي يطلقه أيضا المستشرق ميــالي ، مشيرا الى الشبــه بين عباراتك وعبارات العالم الاسباني ، مؤكدا أن ذلك كاف لابراز

حقيقة الامر بكل جلاء ووضوح ٠

ابن النفيس : ودعني أستنتج من كل ما ذكرت ، يا سيدي ، أنني كنت أسبق العلماء جميعا ــ وبخاصة علماء عصر النهضة ــ في اكتشاف دوران الدم الرئوي ، وفي القول بعدم وجود نافذ بين تجويفي القلب ، و ٠٠٠

صوت : وفي الاشارة الى الشرايين التاجية التي تغذي القلب ٠

ابن النفيس : وان سرفيتوس وسائر علماء النهضة ، ان لم يكونوا نقلوا عني ، فانهم لم يزيدوا شيئا على أقوالي في هذا الموضوع الطبي الخطير ٠

صوت : ومن هنا كنت بحق وحقيق صاحب الفضل الاول بين العلماء الذين مهدوا لاكتشاف العالم الانكليزي هارفي ، وسبقوا الى معرفة دوران الدم معرفة جزئية ٠ فالعثور على كتابــك في « شرح تشريح القانون » يحملنا على اعادة النظر في أسبقية كل العلماء الذين ذكرنا ، اذ يتأكد لنا أنك سبقت علماء الطب ، باستثناء هارفي الذي يبقى له على كل حال مركز الطليعة في هذا المجال الى معرفة هــذا الموضوع الخطير ، بحيث وصفــت الدوران الرئوي قرونا قبل عصر النهضة ٠

ابن النفيس : ومن اكتشف هذا الكتاب يا سيدي ؟

صوت : ان أول من اكتشفه بعد نسيان طويل طبيب مصري هو محيي الدين الطهطاوي الذي ألف عنه بالألمانية أطروحة في جامعة فريبورغ سنة ١٩٢٤ مستندا الى مخطوطــة موجودة في برلين ٠

ابن النفيس : شكرا له ، وشكرا لك ، يا سيدي ، على كل ما زودتني به من معلومات !٠

(الخاتمة الموسيقية)

تكريم الانسان في القرآن

لقد كرّم القرآن الانسان من حيث هو انسان بقطع النظر عن جنسه ودمه ودينه ولغته ووطنه ومركزه الاجتماعي . قال الله سبحانه : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرت به جنازة لرجل من غير المسلمين فقام لها فقيل يا رسول الله انها جنازة غير مسلم فقال : « أوليست نفسا » .

ومن مظاهر تكريم الانسان : ان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة في الارض ، وسخر له ما في السموات وما في الارض جميعا منه ، وحتى يكون هذا التكريم حقيقة قائمة أوجب الله حفظ حقوقه وصيانتها فحق الحياة وحق الملكية حقوق مقدسة .

فلا يجوز اهدار دم أي انسان ولا سلب ماله ولا انتهاك عرضه ولا مصادرة حريته ولا اهدار كرامته بأي وجه من الوجوه .

نظر ابن عمر للكعبة وأخذ يناجيها فكان مما حفظ من قوله : « ما أعظمك وأعظم حرمتك وما أطيبك وأطيب ريحك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك ، حرمة ماله ودمه وعرضه » .

وكما أن تكريم الانسان واجب أثناء حياته فهو كذلك واجب بعد وفاته . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في تعظيم حرمة

الانسان بعد موته : « كسر عظمة ميتا ككسر عظمة حيا » ويقول لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات فانهم أفضوا الى ما قدموا ·

وبلغ من تكريم الاسلام للانسان انه لا يحل أن يدعى باسم بغيض أو يلقب بلقب يسيء الى صاحبه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في هذا : لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وفتاي وفتاتي ·

وعلى الانسان في مقابل هذا التكريم أن يشكر الله من جهة وأن يعرف قيمة نفسه من جهة أخرى وشكر الله ينتظر أمورا ثلاثة :

الامر الاول : أن يعرف الانسان ان الله هو الذي أسدى اليه هذه النعم وأفاضها عليه ·

الامر الثاني : أن يستعمل هذه النعم في الخير وفي طاعة الله وفيما يعود عليه وعلى غيره بالنفع ·

الامر الثالث : أن يحمد الله ويثني عليه بلسانه كتعبير عن اعترافه بالجميل لصاحب الجميل ·

أما ما يجب على الانسان نحو نفسه فيعرف قدرها وأنه شيء كبير في هذه الدنيا وأن له رسالة يجب عليه أن يؤديها ويحافظ عليها ·

ومعرفة الانسان بقدر نفسه تقتضي أن يحفظ عقله ويطهره من الخرافة والشكوك والأوهام ، ويتشبث بالحقائق التي قام عليها البرهان ·

كما تقتضي أن يحفظ نفسه من الرذائل والنقائص الخلقية وأن يتحلى بأكرم الصفات ·

ومتى كان ذلك كذلك ارتفعت قيمة الانسان ووصل الى المكانة الرفيعة الجديرة به كخليفة عن الله في الارض فاذا لم يشكر الانسان ربه ولم يهبط الى مستوى دون مستوى الحيوان ، ومن ثم نجد القرآن يصف مثل هذا الانسان بأقبح وصف :

« ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ان الله كرّم الانسان ولا بد أن يقابل هذا التكريم بشكر الله من جهة ومعرفة قيمته من جهة أخرى حتى يتخلص من مغبة الجحود والجهل والخسران .

« والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » .

قد هيأوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

الوطن ـ الأرجنتين

أجمل ما قيل في الصمت والكلام

● اعقل لسانك الا عن حق توضحه أو باطل تدحضه أو حكمة تنشرها أو نعمة تذكرها .

الزم الصمت تعد حكيما ، جاهلا كنت أو عالما .

الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار ويكفيك مؤونة الاعتذار .

تكلم اذا اشتهيت الصمت واصمت اذا اشتهيت الكلام .

اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

معجزة العرب الكبرى

« أما معجزة العرب الكبرى فهي القرآن ، وهي وحدها التي تستطيع أن تجعل من العرب قوة ، أين منها قوة الأساطيل البحرية والجوية ، والقنابل الجهنمية ، وأين منها قوة المال والرجال ، فالأساطيل للصدع ، والرجال للموت ، والمال للزوال، أما معجزة القرآن فللبقاء ، ذلك انها أقامت للعرب ولغير العرب، هدفا من حياتهم وكانوا بغير هدف ، واختطت لهم طريقا الى الهدف وكانوا بغير طريق ، وبرهنت لهم بحياة النبي وصحبه أن الهدف مستطاع بلوغه على من سار في الطريق ولو لم يترجم النبي وصحبه القرآن الى أفعال ، لما كانت المعجزة معجزة • أجل ، معجزة العرب هي القرآن ، الا أنها أصبحت اليوم وكأنها عندهم ليست بمعجزة ، بكثرة ما ألفتها الشفاه والآذان والعيون، وأغلقت أمامها القلوب بعد أن حكم العرب دنياهم في دينهم فهم اليوم يؤمنون بالراديو ، والدبابة ، والطائرة ، ثم بالفلس يبتاع كل هذه • يؤمنون بها كما لو كانت المفاتيح الى الراحة، والهناء ، والسلام ، والحرية والكرامة الانسانية » •

ميخائيل نعيمة

الايمـــان

● الأمة المؤمنة بربها ورسله ، وبكل ما صدر عنهم ، المؤمنة بعظمة ماضيها وشرف أصلها ، الواثقة بنفسها ورجولة أبنائها ، العاملة على اعزاز وطنها وتقوية سلطانها ، هي الأمة التـي تستحق الحياة : حياة العزة والكرامة ، حياة المجد والخلود •

ان الايمان الصادق يدفع صاحبه لبذل النفس والنفيس ، والغالي والرخيص في سبيل الدفاع عن ايمانه وأمته وبلاده ، وفي سبيل المعذبين من أبناء الانسانية جمعاء •

غرس بذور الوحدة الوطنية في كربلاء

بقلم: السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة

تشكل في كربلاء سنــة ١٣٢٤هـ منتدى أدبـي ضم بعض مفكريها وأدبائها منهم الشاعر محمد حسن أبو المحاسن والشيخ هادي بن عباس كاشف الغطاء والحاج عبد المهدي آل حافظ والسيدان محمد مهدي وأخيه صدر الدين العاملي والسيد رضا صاحب كتاب (نقد الفلسفة الداروينية) • كان هذا المنتدى خير مجلس للمنادمة وتناشد الأشعار والمباريات في نظم القصائد، فضلا عن انه مجال للتداول في أمور البلدة وأحوالها السياسية والاجتماعية •

وفي احدى أمسيات شهر رمضان سنة ١٣٢٩هـ الموافق لشهر أيلول سنة ١٩١١م ، وبينما كان اعضاء المنتدى قــد بــدأ مجلسهم كعادتهم ، انطلقت تظاهرة كبرى في ساحات كربلاء وذلك على اثر صدور فتاوي العلماء ، كالسيد محمد كاظـم الطباطبائي اليزدي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيــد اسماعيل الصدر وآخرين غيرهم بضرورة الجهاد في سبيــل الله كجهاد المسلمين في بدر وحنين ، ضد ايطاليا لغزوها طرابلس الغرب (ليبيا) • فما كان من اعضاء المنتدى الا الانضمام الى التظاهرة ، ولم يفتأ الشاعر الشيخ أبو المحاسن الا أن تقــدم التظاهرة ، وأطلق لشاعريته العنان ، ثم أنشد قصيدته الشهيرة مناديا بالوحدة العربية وضرورة الاتحاد فيما بينها فكانــت كربلاء هي المدينة السباقة الى غرس بذور الوحدة العربيــة

في نفوس الجماهير العربية الثائرة . والى القارىء بعض هذه الأبيات :

يــا أيها الوطــن العزيز لك الهنا
قد نلت أشرف بغيــة ومراد
سيعيد تاريــخ العلى لك نفسه
ويعــود مجــد رجالــك الأمجاد
أبنــاء يعــرب يطلبــون تراثهم
ان البنين أحـــق بالأجـــداد
لا يقنعـــون مــن الفخار بتالد
مــا لــم يضيفــوا طارقــا لتلاد
يــا ناطقـــا بالضاد ما لفضيلة
معنــى يتــم لغــير أهل الضــاد
فافخر فانك مــن سلالــة معشر
من طيب ذكرهــم يضوع النادي
أوليس عصــر النــور من آثارهم
قبســت لوامــع نوره الوقــاد
وعلى مبادئنــا الحضارة أسست
أيــام ليست غيرهــن مبــادي
من عنصر الدين الحنيف اذا انتموا
للدين كانـــوا أشرف الأولاد
عرب تحن الى الفخار سيوفهــا
وتصــد اعراضــا عن الأغماد
لبيك يا داعي الرشاد شعارهــم
قدست من داعــي هدى ورشــاد

وما أروع قوله :

فمتــى تؤلــف وحدة عربيــة

وطنيـــة الأصـــدار والايراد

ليس العراق بموطني هو وحده

فبـــلاد قومـــي كلهـــن بـــلادي

كانت هذه القصيدة النابعة من وجدان الشاعر أبي المحاسن دعوة الى تحقيق هذه الوحدة ـ آجلا أو عاجلا ـ ولو على جماجم الشهداء وأشلاء الضحايا مستقاة من ثورة أبناء أمته ، فأصبحت خير ملهم للعاطفة الوطنية في نفوس أبناء الأمة العربية . وقد ظلت هذه الأبيات الترنيمة التي يتغنى بها الاحرار من رجال العرب . ففي الاجتماع الذي عقده جمال باشا السفاح في نفس العام ببغداد لمؤازرة الحكومة العثمانية قبيل الحرب العالميـة الأولى ، داعيا زعماء القبائل العربية بمناسبة العيد الوطني التركي ، أنشد الشيخ مبدر الفرعون رئيس عشائر آل فتله القصيدة العصماء التي ألقاها الشيخ محمد حسن أبو المحاسن ذاكرا مآثر العرب وأمجادهم ، وداعيا الى توحيد الأمة العربية التي حملت الرسالة الاسلامية ونشرتها الى أبعد أقاصي العالم الحضاري ، فكان لهذه القصيدة الأثر الاكبر في نفوس أبناء يعرب المتطلعة الى سيادة الحق واقامة العدل ونشر الحريـة والاستقلال ، بينما ثارت على أثرها ثائرة الأتراك ، واعتقل الشيخ مبدر الفرعون وبعض القادة المتظاهرين في كربلاء قبل هذا التاريخ كالشيخ عبد الكريم آل عواد ورفاقه ، فما كان من الوالي العثماني الا أن يستخدم اسلوب المكر والتضليـل ليترجم سياسته ولينقذ الموقف ويهدىء جذوة نار الغضب التي ملأت نفوس الاتراك بايعازه الى صديقه السيد قاسم الرشدي ليكلف الشيخ أبو المحاسن بالقاء القصيدة في نفس المحفل يطري فيها على الأتراك ، ويشير الى همتهم في انقاذ طرابلس الغرب من براثن الاستعمار الايطالي ، باعتبارهم أخوة في الدين . واليك أبيات الشيخ أبو المحاسن :

عبقــت نفحــة التهاني الذكية

في رياض البشائر المليه
طلع العيد بالسرور عليها
فهو يجلو الكواكب الدريه
جاءها عيدها السعيد بنعمي
فهي بالبشر والسرور حريه
اطلقت فيه من أسار وقيد
واستلذت بنعمة الحريه
وشفت غلة بيوم سقاها
من رحيق الهنا كؤوس رويه
واستضاءت بظل عدل ظليل
في حمى دولة الرشاد العليه
وعلت باتحادها والترقي
ذروة المجد والمعالي السنيه
قف ببغداد في المعسكر وانظر
كيف تجلى المناظر العسكريه ؟
فيلق تخبر الشجاعة عنه
انها من صفاته الذاتيه
فيلق تسطع البوارق منه
من وميض البنادق الموزريه

وهكذا كانت كربلاء سباقة الى غرس بذور الوحدة العربية والتضامن مع الشعب العربي في طرابلس وفي غيرها من البلدان العربية ، بحيث كانت تتأثر متى ما سمعت بأن قطرا عربيا قد هوجم من قبل الاستعمار الغاشم أو تعرض الى خطر ٠

محمد حسن السيد مصطفى آل طعمة
كربلاء ــ العراق

الإتجاهات السياسية في الكوفة في القرن الأول الهجري

بقلم: محمد تقي كنبوه

بعد تحصير الكوفة وتحولها من معسكر من الخيام الى بيوت من الخصاص (حصران من الخوص) ومن ثم الى دور مبنية من الطين واللبن ثم الى دور من الآجر والجص صارت مدينة كبيرة سكنها الجند الفاتح وعوائلهم ، سكنها كذلك الموالي حلفاء العرب ، وكذلك المسيحيين من الانباط والعرب الذين كانوا في الحيرة والبادية وعين التمر ، وبعد زمن جاء الى الكوفة بعض الحجازيين الذين أقطعت لهم الاراضي في سواد الكوفة (اي ريفها) ·

فهؤلاء لم يكونوا جميعا على رأي واحد ، فكانت اتجاهاتهم السياسية متباينة ، وكان التنافس والحسد بينهم على أشدهما ، وكانت هناك خصومات بين بعض القبائل ، الا أنها لم تبلغ الى مرحلة النزاع المسلح لأن الخصومات كانت سياسية ومعظم القبائل كانت يمنية قحطانية ، حتى المسيحيين منهم ·

الخصومة بين القبائل العربية في الكوفة :

منذ أوائل العهد الأموي كان الحسد والتنافس قد أضعفا القبائل العربية ولكنه لم يصل الى حد اشهار السلاح والعنف ، لأن النزاع كان بين الاحزاب السياسية ·

الأحزاب السياسية في الكوفة :

قبل أن أدخل في موضوع الاحزاب السياسية ينبغي أن أذكر بأن الأحزاب السياسية آنذاك لم تكن كما هي اليوم ذات قيادات

ولجان وسجلات وفروع ٠٠ الخ ٠٠ بل كل ما كان هو ان جماعة من الناس الذين كانت لهم آراء موحدة واتجاه سياسي واحد يؤلفون حزبا ، ولكل حزب رؤساء وشخصيات بارزة ٠٠ فعلى هذا النحو كانت في الكوفة خمسة أحزاب :

أولا ــ حزب آل البيت أو شيعة علي وكان عدد أفرادها كبير جدا يؤلفون ٨٠ بالمئة من مجموع سكان الكوفة بما فيهم المسيحيون الذين جميعهم كانوا شيعة لعلي كما انهم يؤلفون ٦٥ بالمئة من مسلمي الكوفة ٠ فالقبائل اليمنية القحطانية كانت جميعها بشتى بطونها شيعية الا من شذ منهم ٠

ثانيا ــ شيعة بني أمية وكانوا قليلي العدد والافراد من مختلف القبائل اليمنية ولم تكن هناك قبيلة كانت برمتها من شيعة بني أمية ٠

ثالثا ــ أعداء علي وآله وهي القبائل التالية : ١ ــ قريش ، ٢ ــ هوازن ، ٣ ــ ثقيف ، أما سبب عداوتهم لعلي هو ان قريشا كانت تطلبه بثارات معارك بدر وأحد والخندق ٠ أما هوازن وثقيف فكانت لهم ثارات معركة حنين لأن عليا كان قد قتل أعدادا من فرسانهم وأبطالهم وشجعانهم ولم يبق هناك بطن من بطونها لم يقتل علي من رجالها ٠ وقد عصبوا تلك الثارات من بعده في آله ٠

رابعا ــ خصوم الشيعة ويتمثلون في القبيلتين المضريتين تميم وأسد ٠ أما موالي (حلفاء) بني أسد فكانوا قاطبة من الشيعة ، وكانوا حلفاء من غير العرب ، ومع ان القبيلتين كانتا خصما للشيعة الا أنهم لم يكونوا في حزب أمية ٠

خامسا ــ المحايدون وهم البقية الباقية من أهل الكوفة فلم يكونوا الى هؤلاء والى أولئك ٠

القبائل الشيعية :

أولا ــ همدان ، هذه القبيلة القحطانية اليمنية ذات الشوكة

والبأس والعدد ، كان أفرادها قاطبة شيعة رجالا ونساء ، ومن أكثر الناس تحمسا وتفاديا وتضحية لعلي ، وكان عددهم كبيرا لأنهم كانوا أكثر القبائل عددا ٠

بطون همدان :

١ ـ أرحب ٠ ٢ ـ شبام ٠ ٣ ـ شـاكر ٠ ٤ ـ حارث ٠ ٥ ـ السبيع ٠ ٦ ـ يام ٠ ٧ ـ ثور ٠ ٨ ـ ناعط ، فهذه البطون لم يشذ أحد منها عن التشيع ، وقد مدحهم علي وأثنى عليهم وخاطبهم بقوله : « أنتم درعي ورمحي » ٠٠ وفي مورد آخر قال :

ناديت همدان والابواب مغلقة
ومثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه
وجه جميل وقلب غير وجاب

وفي معركة صفين يوم ٩ صفر قال :

فلما رأيت الخيل تقرع بالقنا
فوارسها حمر العيون دوامي
وأقبل وهج في السماء كأنه
غمامة ليل ملبس بقتام
ونادى ابن هند ذا الكلاع وحوشيا
وعمروا بجند فلسطين وشام
تيممت همدان الذين هم هم
اذا ناب أمر جنتي وحسامي
دعوت فلباني من القوم عصبة
فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزل
غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشيم المطاعين بالقنا

وجرهـم وأحيـاء السبيع وبـام
ومن كل حي قد أتتني فـوارس
ذوو نجـدات في اللقاء كهـام
يقودهم حامـي الحقيقة منهم
سعيد بن قيس والكريم محامي
فخاضوا لظاها واصطلوا بشرارها
وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
لهمدان أخلاق ودين يزينهـم
ولين اذا لاقـوا وحسن كـلام
أناس يحبون النبـي ورهطـه
سمام العدى في كل يوم خصام
فلو كنت بوابا على بـاب جنـة
لقلت لهمـدان ادخلوا بسلام

ثانيا ـ كنده ، كلهم كانوا شيعة سوى أسرة ملكهم الاشعث بن قيس ، وبعض الشواذ ·

ثالثا ـ طيء جميعهم وبطونها نبهان ، جديله ، سلامان ، خارجة ·

رابعا ـ الأزد ، جميع بطونها وأفرادها ومنها خزاعة ·

خامسا ـ حضرموت ·

سادسا ـ مذحج قاطبة المسلمون منهم والمسيحيون ، ومن بطونها النخع وزبيد وجناب ·

سابعا ـ بنو مره ومنهم بنو لخم ·

ثامنا ـ خولان ، الا من شذ منهم ·

تاسعا ـ قضاعة ، وبطونها جذام ، كلب ، الأوس ، الخزرج ، بهراء ، نهد ، تنوخ ، أسلم ، تيم اللاة ، بن ثعلبة · وهؤلاء منهم سكن بادية عين التمر وبادية الشام ومنهم من سكـن الجزيرة (ما بين النهرين) في القسم الشمالي ، كبهراء وبجيلة وتغلب ·

فهذه القبائل الاربعة كانوا مسيحيين (أي بني كلب وبهـراء وبجيلة وتغلب) ٠

وحينما سار الامام علي لغزو الشام انحدر أربعة آلاف فارس من الجزيرة والتحقوا به في الطريق ، فحين قدموا قال لهم علي : لا جهاد عليكم ، فقالوا : « نحن جئنا ننصرك فانضموا لجنده » ٠

نساء همدان والمناحات على الحسين :

لما قدم الكوفة جحفل عمر بن سعد المسلمين بسبايا آل بيت نبيهم خرجت نساء همدان باكيات ناحبات معولات ، ثم أقمن المآتم والمناحات في دورهن لعدة أيام ، وعلى هذا كن أول من بكى على الحسين ورثاه ٠

والسؤال الآن هو أين كان رجال همدان وبقية رجال الشيعة حين قدم الحسين العراق ولِمَ لم يستقبلوه وينصروه والجواب هو ، أولا : كان عبيد الله بن زياد أمير الكوفة قد أودع في السجون كافة رؤساء الشيعة وعدد كبير من غيرهم ، حتى قيل انه بلغ عددهم أربعة آلاف ٠ أما البقية فمنهم من خرج من الكوفة ومنهم من قعد في داره لا يبارحها ولم يلتحق بالحسين سوى بضع عشر رجلا ٠ أما الهمدانيون الذين كانوا في جحفل ابن سعد وعددهم خمسون رجلا ، فقد انضموا جميعا الى الحسين ، هذا كل ما كان من أمرهم ٠

ولنتساءل الآن ؟ أما كان الاجدر بهم جميعا ، ألم يكن لزاما عليهم أن يستقبلوا الحسين وينصروه ، يفعلون ذلك قبل أن يزجوا في السجون وأن يتحصنوا ضد ابن زياد ، بدل الخروج من الكوفة والقعود في الدور ٠

ثانيا ــ التخاذل ، فقد تخاذلوا ، والكوفيون قد اشتهروا به وبعدم الثبات والصبر والشقاق ٠

الندم والتوبة :

غب شهادة الحسين أخذت الشيعة بالتلاوم فيما بينها وندمت

على عدم نصرتهم للحسين ، ثم صاروا يتهيئون للاخذ بثأر الحسين وأصحابه ويعدون السلاح والتجهيز ، ودامت الحالة هذه سنوات ، وقد اختلفوا كذلك في كيفية الأخذ بالثأر . فجماعة منهم سموا أنفسهم بالتوابين كانوا يرون المسير الى الشام ومقاتلة بني أمية هناك أولا • وفريق آخر كان يرى أخذ الثأر أولا من الذين قتلوا الحسين وأصحابه كلهم كانوا في الكوفة ، وكان يرأس الجماعة الأولى ، وهم الاقلية ، سليمان بن صُرد الخزاعي والمسيب بن نجية الفزاري ورفاعة بن شهراد وعبد الله بن دال أما الفريق الثاني فكان يرأسهم المختار بن أبي عبيد الثقفي وابراهيم بن مالك الاشتر النخعي ، وسأفرد مقالة حول هذا الموضوع وما يختص بالتوابين والمختار وكيفية أخذ الثأر •

تقي كنبوه (الكربلائي)

روسو ••• ورسائل الحب

● جان جاك روسو ، الفيلسوف والكاتب السياسي الفرنسي الكبير (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) كتب أروع رسائل الحب لامرأتين : الأولى أمه ، وكان يبثها آلامه ، وهو يعيش في المنفى في لندن ، هربا من الطغيان ، أما الثانية فكانت عشيقته مدام دي وارن وكان قد تركها وراءه في جنيف ، حيث ولد وعاش سني شبابه ، قبل عودته الى باريس •

قالوا يسألونه يوما : كيف تكتب خطاباتك ، وما سر جمالها وروعة المعاني التي تحملها رسائل حبك ؟•

وأجاب الكاتب الفيلسوف في تواضع شديد : « عندما كنت أجلس لأكتب خطاب حب ، كنت أبدأه دون أن أعرف ماذا أريد أن أقول ، فاذا وصلت الى نهايته ، نسيت ما كتبت •• انني لا أذكر أنني أعددت يوما خطابا واحدا قبل أن أشرع في كتابته » •

الأدب في ظلال دولة المناذرة

د. إبراهيم عبد الله الضحيان

تكمن قيمة هذه الرسالة التي نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر للحصول بها على شهادة الدكتوراه في الآداب امام لجنة علمية برئاسة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في الكشف لأول مرة عن تصور شبه كامل لأداب الحيرة وتراثها في العصر الجاهلي شعرا ونثرا منذ قيام دولة المناذرة فيها حتى نهاية هذه الدولة على أيدي الجيش الاسلامي الفاتح بقيادة القائد البطل خالد بن الوليد .

وقد احتوت الرسالة على عدة أبواب ، واشتمل كل باب على عدة فصول :

ففي الفصل الاول من الباب الاول : قدمت لمحة سياسية عن هجرات القبائل العربية الى العراق وتأسيسهم لمدينة الحيرة في عهد سابور الاول عام ٢٤٠ (أربعين ومائتين للميلاد) .

وسمي هؤلاء العرب فيما بعد « بالتنوخيين » .

وتألف شعب الحيرة من عناصر ثلاثة هم :

أولا : التنوخيون . ثانيا : العباديون . ثالثا : الأحلاف .

وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ ملوك الحيرة السياسي بدءا بجذيمة الابرش أول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وأشرت الى بعض الاحداث التاريخية لهؤلاء الملوك ، كالحروب والايام والمعاهدات ، حتى قدم خالد بن الوليد الحيرة فاتحا وكان ذلك في عهد المنذر بن

النعمان بن المنذر آخر ملوك المناذر ·

وفي الفصل الثاني : وضحت وثيق الروابط والصلات بين الحيرة والمدائن عاصمة فارس ، حيث كان طابع المجتمع الحيري مزيجا متشابكا من بداوة العرب وحضارة الفرس ما عدا الملوك فان طابعها ظل عربيا أصيلا طيلة ملكهم ·

وكان سكان الحيرة والعراق عامة خليطا من العرب وغيرهم ، الا أن تأثير العرب كان قويا على جيرانهم ، حتى نسي أكثرهم لغته الاصلية وصار في عدادهم ·

وكان هؤلاء السكان يصدرون عن روح المجتمع العربي في علاقاتهم الاجتماعية وفي معاملاتهم ومعاهداتهم وفي تذوقهم للشعر واجزالهم العطاء عليه وبخاصة الملوك والسراة ، وفي حفظهم لدمائهم واعتزازهم بأنسابهم وما عرف عنهم من الاسراف في أخذ الثأر من أعدائهم ، وكان الملوك أشد انتقاما من أعدائهم وحرصا على السيطرة ، الى جانب عيشهم المترف وتمتعهم بالملذات وباللهو والصيد والطرد واسرافهم في ارتداء الحلل المذهبة ، وكانوا يفعلون ذلك في المواسم والأعياد ·

وقد استعنت في معرفة أبرز المعالم الاجتماعية لهؤلاء السكان ببعض النصوص الشعرية ·

وتحدثت في الفصل الثالث : عن مظاهر الرقي العقلي عند سكان الحيرة ، مما أظهر في احاطتهم بكثير من المعارف الاساسية كمعرفتهم للقراءة والكتابة واشتغالهم بالتدوين ، وتفوقهم في مجال الهندسة مما ظهر أثره في قصورهم الشاهقة ، مثل قصري الخورنق ، والسدير ، وقصر ذي الشرفات ·

وكانت لهم الى جانب هذه المعارف معارف أخرى شاركهم فيها غيرهم من عرب العصر الجاهلي ، كمعرفتهم بالنجوم ومسالكها ومواقعها ، والكهانة والعرافة والعيافة والزجر والطرق بالحصى وغيرها ·

وفي الفصل الرابع : أشرت الى تعدد الديانات في بيئة الحيرة ، كاليهودية ، والمسيحية ، والوثنية ، والمجوسية وغيرها .

وكان ملوكها يعبدون الأصنام الى أن اعتنق المنذر بن ماء السماء النصرانية ، ثم تبعه الملوك من بعده من آل المنذر وتبعتهم بعض القبائل .

أما القبائل العربية المنتشرة حول الحيرة فكان أكثرهم يعبدون الأصنام ، ومن أصنامهم ذو الكعبات وذات الودع وغيرهما .

وقد ذكرت نشوء هذه الديانات في الحيرة وأسباب انتشارها ومداها وتحدثت عن تاريخ دخولها الى الحيرة .

الباب الثاني : ويتضمن عدة فصول :

الفصل الاول : تحدثت فيه عن أسباب نهضة الشعر في الحيرة ، ومن أهم هذه الاسباب :

أولا ـ نفوذ ملوك الحيرة وسلطانهم وهيمنتهم على بقاع واسعة من جزيرة العرب ، مما جعل الحيرة مركزا سياسيا اتجهت اليه وفود الشعراء من شتى قبائل العرب في ذلك العصر .

ثانيا ـ احاطة الملوك أنفسهم بهالة من الكبرياء والجبروت ، مما أدى الى أن يرهبهم الناس ويخشى بأسهم الشعراء ، ويخاف من جورهم الزعماء والسادة ، مما كان له أثره في كثرة شعر الهجاء . وقد أشرت الى أسماء بعض الشعراء الذين هجوا ملوك الحيرة ، ونماذج من شعرهم ، وكذلك كان له أثره في نشأة فن الاعتذار ، وكان بطله هو الشاعر النابغة الذبياني .

ثالثا ـ تشجيع هؤلاء الملوك للشعر وطربهم له واجازتهم له وقد ذكرت أمثلة من هذه المواقف بين الملوك والشعراء ، مما أدى الى ازدهار فن المدح وكثرته .

رابعا ـ عروبة هؤلاء الملوك وأصالتهم كانت سببا في تذوقهم

للشعر وادراكهم لقيمته ، لا سيما ذوي الأذواق الادبية السليمة منهم ، ومنهم عمرو بن هند والنعمان بن المنذر .

وقد بلغ من عنايتهم بالشعر واهتمامهم به أن النعمان بن المنذر كان يأمر بتعليق القصائد التي يستحسنها في خزائنه ويثبتها عنده ، وحين ألقى الحارث بن حلزة معلقته في مجلس عمرو بن هند من خلف الحجب والستور ، لم يزل الملك يأمر برفعها ستر سترا ، حتى أجلسه على سريره استحسانا لشعره مع ما كان بالحارث من مرض منفر .

خامسا ـ وكذلك أدى تذوقهم للشعر ، ومعرفة ملوك الحيرة بأصول الشعر ، ومعرفة الجيد والرديء منه ، الى أن يحرص الشعراء على تجويد نظمهم وأن يتفننوا في ابراز أشعارهم في أبهى الحلل وأحسن الصور ، وقد أشرت الى مواقف نقدية مختلفة لبعض النقاد من الملوك والشعراء .

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني : تحدثت عن الشعراء الذين ربطت بينهم وبين ملوك الحيرة صلات أو مناسبات .

وقسمت الشعراء الى ثلاث طوائف :

أولا : المقيمون في الحيرة ، ومن بين هؤلاء الشعراء : لقيط ابن يعمر الايادي ، وأبو دؤاد الايادي ، وعدي بن زيد العبادي ، والاسود بن يعفر النهشلي ، والمرقش الاصغر ، والمنخل اليشكري وعبد المسيح بن بقيله وغيرهم .

ثانيا : طائفة الشعراء الوافدين ، ممن قدموا الحيرة للزيارة أو التجارة أو للتكسب بشعرهم أو للوساطة عند ملك الحيرة في أمر من الأمور أو للعزاء وغير ذلك من الاسباب التي كانت تدعو الى وفودهم على الحيرة ونظم الشعر فيها .

ولم يكن نتاج هؤلاء واحدا ، فقد كان منهم مقلون وكان منهم مكثرون .

ومن هؤلاء الوافدين : لبيد بن أبي ربيعة ، وأوس بن حجر ، والحارث بن ظالم ، وحاتم الطائي ، وعبيد بن الابرص ، وعلقمة الفحل ، والمثقب العبدي ، والنابغة الذبياني ، وحسان بن ثابت وغيرهم •

ثالثا : الشعراء والملوك : والامراء من المناذرة اللخميين ، وتعد هند بنت النعمان بن المنذر من أغزرهم مادة وأكثرهم شعرا •

وترجمت في هذا الفصل مع ذلك لعدد مـن شعراء الحيرة بمختلف طبقاتهم ، وأثبت من خلال ذلك علاقة كل شاعر بالحيرة ومناسبة شعره فيها ، وذكرت نماذج من أشعارهم وتناولتهـا بالتحليل والدراسة ، مما أفاد في معرفة بعض جوانب الحياة في الحيرة •

أما بقية الشعراء ممن كانت لهم صلات بالحيرة وكان لشعرهم صدى عند ملوكها فقد أجملت ذكرهم ، وأوجزت الحديث عنهم •

وفي الفصل الثالث : تحدثت عن موضوعات الشعر في الحيرة ومن بينها خاصة : المدح ، والهجاء ، والغزل ، والاعتـذار ، والمواعظ الى جانب بعض الاغراض الشعرية الأخرى : كالرثاء ، والحكمة ، ووصف الخمر والمناقضات والاستعطاف •

ومن ثم تحدثت عن هذه الأغراض وذكرت ما تيسر لي ذكره من النماذج الشعرية مع تحليل موجز لها بالقدر الذي اتسع له مجال البحث •

وفي الفصل الرابع : عرضت للخصائص الفنية للشعـر في الحيرة عرضا مفصلا ، فذكرت ما انفردوا به في المعاني والصور ، فمن المعاني :

أولا : المواعظ مما نجده في شعر :

لقيط بن يعمر الايادي ، وابي دؤاد الايادي ، والاسود بن

يعفر النهشلي ، والنابغة الذبياني ، وعدي بن زيد العبادي •

ثانيا : الاعتذاريات : ونجدها في شعر :

عمر بن قميئة ، والنابغة الذبياني ، وعدي بن زيد العبادي •

أما الصور والأخيلة فقد درست دراسة مفصلة •

الصورة الشعرية عند أبي دؤاد الايادي حيث عرضت باسهاب للصورة الفنية في شعر أبي دؤاد ورأيت أن لها خصائص ومميزات واضحة ، وان بعض الشعراء قد شاركوه في هذه الخصائص ، من مثل النابغة الجعدي ، وطفيل بن عوف الغنوي ، وعلقمة الفحل ، ولكل هؤلاء صلات وثيقة بملوك الحيرة •

ثم وازنت بين شعراء هذه المدرسة وبين امرىء القيس بن حجر الكندي في وصف الخيل خاصة واختلاف الصورة بينهم •

وذكرت أمثلة شعرية على ذلك •

ولما كان أبو دؤاد الايادي هو رائد هذه المدرسة وزعيمها ، فقد توقفت عند شعره وعرضت لنماذج عديدة منه •

وأوضحت أن لهذه المدرسة سمات وخصائص تتميز بها ، أهمها :

أولا : ظهور العامل النفسي بقوة عند شعرائها فيما يتعلق بوصف الخيل والابل والصيد •

ثانيا : الصورة التي يرسمونها لسرعة الجياد صورة متميزة •

ثالثا : اعتماد أبي دؤاد على التشبيهات المادية المحسوسة ، وسبقه في هذا الميدان ، وقد ذكرت أمثلة من شعره في وصف الابل والسحاب وغير ذلك •

وعلى ضوء خصائص هذه المدرسة ذكرت الطريقة التي يمكن

بها تمييز شعر شعرائها وجعلت شعر أبي دؤاد خاصة مادة للتطبيق والتوضيح والتحليل وذكرت نصوصا شعرية أخرى له تساعد على تمييز شعرهم جميعا تمييزا دقيقا يقوم على الموضوعية البحتة والنهج العلمي السليم .

ورأيت أيضا أن الالمام بخصائص هذه المدرسة يساعد كثيرا على معرفة شاملة لكثير من سمات شعر الشعراء الجاهليين ، كما يساعد أيضا على تقويم النقد وسلامة أحكامه حيال الشعر الجاهلي كله .

وقد أشرت الى تأثر شعراء هذه المدرسة المباشر والقوي ، ببيئة الحيرة التي عرفوها وألفوها .

ولقد ظهر أثر ذلك كله في صورهم وأخيلتهم الشعرية وأصبح لهم منهج خاص ومذهب متميز في رسم الصورة الشعرية وصياغتها ، عرفوا به وانفردوا بخاصيته من بين غيرهم من الشعراء .

وبعد أن فرغت من الحديث عن الصور والأخيلة في شعر أبي دؤاد وجماعته ، انتقلت الى الصياغة اللفظية للشعر الحيري ، حيث درست بعض الجوانب الفنية لهذه الصياغة ، ومنها :

أولا ــ شكل القصيدة : اذ أن كثيرا من الشعراء في الحيرة لم يتقيدوا بالمطالع التقليدية التي سار عليها جمهرة الشعراء الجاهليين ، وكان من بين هؤلاء الشعراء الذين خرجوا عن مضمون القصيدة العربية : عمرو بن كلثوم التغلبي ، وطرفة ابن العبد البكري ، والمتلمس جرير بن عبد المسيح الضبيعي ، والأخنس بن شهاب التغلبي .

وكان من أهم أسباب تمردهم على هذه المطالع قلقهم النفسي في مجتمع يفتقدون فيه الحرية ، فلم يكونوا يفرغون لوصف الأطلال ولا للحديث عن الامن والآثار .

ثانيا ــ الوحدة العضوية : التي أبنت عن معناها وآراء النقاد المختلفة فيها .

وأشرت الى رأي الدكتور محمد مندور في أنه لا وجود للوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية بأي شكل من الاشكال ٠

ثم ذكرت رأيي حول ما يقال من وجود وحدة عضوية في شعر عدي بن زيد العبادي والنابغة الذبياني ٠

وأشرت الى رأي بعض النقاد المعاصرين في أن وحدة القصيدة تتوفر عند أولئك الذين يظهر في شعرهم الاتجاه الرومانتيكي ، مثل طرفة بن العبد ، والمرقش الاكبر ، والمرقش الاصغر ٠

ورأيت أن قصيدة لقيط بن يعمر الايادي التي مطلعها :

يا دارمية ٠٠٠٠٠ ٠٠٠٠

من أجود القصائد التي تتمثل فيها الوحدة العضوية ، لا في شعر الحيرة فحسب ، ولكن في الشعر الجاهلي كله ٠

ثالثا ــ الموسيقى الشعرية : وقد عرضت لموسيقى الشعر وأوزانه في الحيرة ، وتحدثت عن بحور المدرسة العراقية وآراء المستشرقين حول ذلك ٠

وعرضت بمزيد من التفصيل لآراء « غرونباوم » حول بحور الشعر في مدرسة الحيرة وخصائصها الفنية التي ميزتها ٠

وقد رأيت هذه الخاصية أيضا عند الشعراء المترددين على ملوك الحيرة ٠ ولاحظت عدم وجود بحري الخفيف والرمــل الذائعين في الاستعمال عند شعراء الحيرة عند قيس بن الخطيم والشماخ بن ضرار لأنهما لم يفدا على الحيرة ، مما يؤكد صحة آراء « غرونباوم » ٠

وقد لفت نظري عدم وجود هذين البحرين عنــد النابغــة الذبياني مع طول معاشرته لملوك الحيرة وأرجعت سبب ذلك الى ظاهرة الجد والصرامة التي اتسمت بها حياته منذ صغــره ، وكأن هذين البحرين مظهران من مظاهر التعبير عن الحيــاة اللاهية المرحة التي كانت شائعة في الحيرة ، الا أن النابغة لم

يجد لها مساغا في نفسه فلم تظهر آثارها في شعره كما ظهرت في أشعار الآخرين ٠

وشاعر آخر أيضا هو علقمة الفحل ، وقد عللت عدم استخدامه لبحري الرمل والخفيف بقلة ما أثر من شعره ٠

فاذا تجاوزنا هاتين الخاصيتين وجدنا الشعر في الحيرة لا تختلف موسيقاه عن سائر الشعر العربي ، وذلك باستخدام البحور والأوزان الملائمة للموقف الذي يمر به الشاعر بحسب طبيعة هذه الأوزان والقوافي ومدى تعبيرها عن مشاعره وأحاسيسه وخلجاته وعواطفه ٠

كما تحدثت عن عمود الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى جاء العصر العباسي ، فاستحدث بشار بن برد ضروبا من الشعر حيث بنى القصيدة من مقطوعات مخمسة تنتهي كل خمسة أشطر فيها بقافية واحدة ، كما استحدث ضربا من الشعر المزدوج تتوالى فيه وحدات القصيدة الثنائية الشطور ٠

أما الفصل الخامس من الباب الثاني : فقد ترجمت فيه لشاعرين من أبرز شعراء الحيرة أحدهما حيري وطنا ، والآخر حيري وفادة ، وهما : عدي بن زيد العبادي والنابغة الذبياني ٠

فذكرت نسب عدي واتصال أسرته بالحيرة وثقافته ،ورجحت أن يكون عارفا باللغة السريانية ، الى جانب اللغتين العربية والفارسية ، وعرضت لشعره وأهم مصادره ٠

ثم تحدثت عن خصائص شعره الفنية ، وان أكثره كان في الوعظ والزهد ، وخاصة هذا الشعر الذي نظمه في أخريات حياته ، عندما كاد يبطش به النعمان ٠

وقد اعتمد على عنصر القصة من أجل ايصال المعاني والتأثير بمواعظه وتذكيره ٠

وكانت القصة عنده لونين : تاريخية وهي التي يصوغ مادتها ويأخذ أحداثها من أخبار الأمم والملوك السابقين ٠

ودينية جاء منها في شعره قصيدتان ذكرتهما وأشرت الى ضعف أسلوبه فيهما ، وان السبب في ذلك راجع الى أنه كان يقوم بدور الوسيط في نقل القصص الديني من لغة العهد القديم الى اللغة العربية .

ثم تحدثت عن أغراضه الشعرية الأخرى التي نظم فيها ، ومنها : شعر الحكمة ، وهو يمثل المرحلة الاخيرة من حياته ، وشعر الخمر ، وكان عدي واحدا من أولئك الذين شربوها ووصفوا مجالسها في مقتبل حياته ، وشعر الغزل وما يتميز به من تجسيده للصور واعتماده على المادة والمحسوسات .

وعرضت لآراء النقاد القدامي في شعر عدي بن زيد وناقشت هذه الآراء ودافعت عن شعره حيال تحامل النقاد عليه ، وخاصة علماء البصرة ، وعلى رأسهم الأصمعي .

وأشرت الى آراء بعض النقاد المحدثين حول نحل الشعر على عدي بن زيد ، وان ذلك راجع الى عصبية النصارى له ، اسوة بغيرهم من قبائل العرب ممن كانوا يتعصبون لشاعر القبيلة أو المدينة .

وترجمت كذلك للنابغة الذبياني ، فذكرت وفادته على الحيرة وصلته بعمرو بن هند ، والنعمان بن المنذر ، وأنه اختص الاخير بمدائحه وثنائه حتى صار نديمه ورفيق سمره الى أن وُشي به عنده فهرب الى الشام ، وأشرت الى اختلاف الآراء حول سبب غضب النعمان عليه .

ثم توقفت عند اعتذارياته ورأيت أنه مسبوق اليها من قبل الشاعر عمرو بن قميئة وان شهرة النابغة الذبياني في هذا الفن انما جاءت من أنه توسع في فن الاعتذار وتفنن في صياغته وبرع في تصوير خلجاته وعواطفه وما يعتريه من قلق وملل بسبب قطيعة النعمان بن المنذر له .

وأشرت الى خصائص هذه المدرسة الفنية ، وأن لها ظواهر

مميزة تشكل بمجموعها الاطار الفني لهذه المدرسة التي اشترك فيها شعراؤها الثلاثة : وهم عمرو بن قميئة ، وعدي بن زيد ، والنابغة الذبياني ، وتتلخص في : جزالة اللفظ وحضارة المعاني واصطناع الخوف وسيلة لاستدرار عطف الملك ، ويختلف عدي ابن زيد عن صاحبيه في أنه لا وجود لذكر الخوف في اعتذاره ، وهذا راجع الى مركزه الاجتماعي في الحيرة واعتداده بنفسه .

وقد نفيت ما وصم به النابغة من أنه كان يخاف النعمان بن المنذر خوفا شديدا ابقاءا على عطاياه ومنحه السنيات ، وذكرت أن خوفه هذا مصطنع وليس له وجود على وجه الحقيقة وأشرت الى آراء بعض النقاد حول وجود هذه الظاهرة عنده .

كما خالفت أيضا ما تواتر عليه الرواة من أنه مكث عند ملك غسان عمرو بن الحارث الغساني وبقي عنده حتى عاد الى الحيرة واتصل بملكها النعمان بن المنذر مرة أخرى ورأيت أنه كان طيلة هذه الفترة في قومه وأنه نظم اعتذارياته بين ظهرانيهم ولم يزل محتفظا بصداقته للنعمان بن المنذر ، دون أن ينفي وفاءه لهذه الصداقة ، ما كان يقوم به من زيارات متكررة الى ملوك غسان في الشام .

ثم عرضت للقصة الشعرية في شعر النابغة التي ألم بطرف منها ، وان كان هو لم يستوف بقية عناصرها بمفهومها الحديث ، الا أنه قدم لنا وصفا حيا لجانب هام من حياته خلال قصص شعرية قصيرة .

وذكرت أمثلة من شعره القصصي ، ورأيت أنه لا يكتفي بسرد الأحداث ، وانما يقف عند جزئياتها فيصفها وصفا دقيقا ، وان له مغزى يرمي اليه في كل جزئية يقف عندها ، فقد ظل حينا من الدهر يكابد الخصوم والأعداء ويواجه دسائسهم ووشاياتهم في جو مليء بالأحداث والمفاجآت ، فكأن وقفاته عند هذه الجزئيات ذات الصور المتعددة ترجمة صادقة لما ألم به وعاناه من فعل الوشاة ودسائس الاعداء في صور مختلفة ومواقف

متعددة .

وذكرت منزلته بين شعراء عصره وآراء النقاد في شعره ، وما عيب عليه منه وتأثر الشعراء من بعده بألفاظه ومعانيه ، وما نحل عليه من الشعر .

وفي الفصل الاخير من الباب الثاني : أجملت ذكر آرام النقاد القدامى والمحدثين في الشعر الحيري ، ورأيت ان هذا النقد كان منصبا على لغة هذا الشعر ، فعابوا من أجل ذلك الشعر الحيري وحطوا من منزلة عدي بن زيد وأبي دؤاد الايادي ، وقد وقفت عند لغة الشعر في الحيرة ، وذكرت آراء بعض العلماء الذين ذهبوا الى أنه لا فرق في اللغة بين شعراء الحيرة وشعراء البادية .

وأشرت الى موقف علي بن عبد العزيز الجرجاني من شعرام الحيرة ودفاعه عن لغة هذا الشعر دفاعا قويا ومنصفا .

ورأيت أن التأثير الفارسي قد تجاوز لغة أهل الحيرة الى سائر البيئات العربية الأخرى وظهر أثر ذلك في شعر الأعشى ميمون بن قيس ، وعمرو بن الاطنابة وغيرهما ، وذكرت أمثلة من الالفاظ الفارسية المعربة ، وقد وصف ابن سلام لغة الشعر في الحيرة بالليونة كما وصف بها أيضا لغة قريش في مكة .

ثم ذكرت عددا من آراء النقاد في شعر الحيرة ورددت بعضها وأشرت الى أبي العلاء المعري واشادته بشعر عدي بن زيد .

أما الباب الثالث : فقد خصصته للحديث عن النثر في الحيرة، ومهدت له بأن أثبت وجود الكتابة في الحيرة ، وأكدت وجود التدوين وقدمت لذلك كله شواهد من النثر والشعر والنصوص والنقوش .

وتحدثت في الفصل الاول : عن القصة في الحيرة وقدمت لها بعرض وجيز تناول مختلف مراحل تطورها .

وذكرت أنواعها مشفوعة بشواهد من قصص الحيرة ، وهذه

الأنواع هي :

أولا ــ القصص الواقعي : ومثلت له بقصة صحيفة المتلمس، وجزاء سنمار ، وقصة حنظلة الطائي مع المنذر بن ماء السماء ، وندماني جذيمة ، واكتفيت بهذه النماذج عن سواها ، وقيمة هذا النوع انه يعكس جوانب متعددة من حياة الملوك والناس في بيئة الحيرة عبر أطوار تاريخها ٠

ثانيا ــ القصص العاطفي : كقصة المرقش الاكبر والمرقش الاصغر والمنخل اليشكري ٠

ثالثا ــ القصص الخرافي : مثل قصة الحية مع الأخوين ، وقصة عمرو بن عدي فيما يروونه من اختطاف الجن له وهو صغير حتى كبر وشب عن الطوق فردوه الى أهله ٠

رابعا ــ القصص الاسطوري : وكان شائعا في الحيرة وممن تأثر به ونقله عنها النضر بن الحارث المكي ٠

خامسا ــ القصص الهزلي : ومن أشهر القصاصين الهزليين في الحيرة : العيار ابن عبد الله الضبي ، وسعد القرقرة ، وحنين الاسكافي ٠

ورددت مزاعم القائلين بنحل بعض هذه القصص ، وأثبت صلتها الوثيقة ببيئة الحيرة وانعكاس أخلاق ملوكها وسكانها على أحداث هذه القصص مما يؤكد واقعيتها وأصالتها ٠

ثم عرضت بالنقد والدراسة للقصة في الحيرة ، وشرحت وجهة نظري حول احجام القدماء وتقصير المحدثين عن دراستها وتحليلها وعرضها عرضا موسعا باعتبارها فنا قديما قائما بذاته ٠

وفي الفصل الثاني : تناولت فن الخطابة في الحيرة ومهدت بتعريفها وبما كان لها من مكانة عظيمة عند العرب في العصر الجاهلي ، وعرضت لأصولها وأنواعها وبواعثها ، موضحا ان من أهم الاسباب التي أدت الى ازدهارها في الحيرة ما يلي :

أولا ــ القبائل الوافدة على ملــوك الحيرة ، وحب هؤلاء الملوك للفصحى وتعشقهم لآدابها واجازة المبرزين والمتفوقين في ميادينها ، وتساءلت حــول ندرة المأثور مــن هــذه النصوص الخطابية ، وبينت الاسباب التي أدت الى ذلك ، والاسباب التي عملت على بقاء بعض النصوص وسلامتها من الضياع ، وتأثر هؤلاء الخطباء ببيئة الحيرة وتأثيرهم فيها •

ثانيا ــ الأيام : اذ لم يكن ملوك المناذرة بمعزل عن الحروب والمعارك ، وكانت الخطابة من لوازم هذه الحروب ، لذا رأيت أن مادتها كانت غزيرة جدا ، ولكن توالي المناسبة وعدم تدوينها هو الذي أدى الى ضياعها في حين بقيت خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني ، لأهمية المعركة وجلال الموقف ، ثم ذكرت بعضا من هذه الأيام •

ثالثا ــ التنافس على الردافة ، وكانت في بني يربوع من قبيلة تميم ، وقد أدى هذا التنافس الى معارك ضارية بينها وبين القبائل العربية الاخرى ، مما أدى الى رفع مستوى الخطابة في ربوع الحيرة •

رابعا ــ الشعور القومي في بلاط كسرى : مما أدى بهم الى توسعة مداركهم وتقوية ملكاتهم الخطابية ، ليظهروا بالمظهر اللائق بين يدي كسرى وليكون تمثيلهم لشعوبهم قويا مشرفا •

ثم ذكرت فنون الخطابــة في الحيرة مشفوعــة بالنصوص والأمثلة ، وهذه الفنون هي :

أولا : الحكم والأمثال •

ثانيا : الوصايا والتعازي •

ثالثا : فن المناظرة والنقيضة •

وألمت بأشهر الخطباء في الحيرة وذكرت نماذج من خطابتهم •

أما الفصل الثالث فقد عرضت فيه لما تبقى من فنون الخطابة والنثر في الحيرة ، ثم أعقبته بذكر الخصائص الفنية للنثر في

الحيرة بشكل عام ٠

الجديد في الرسالة :

أساتذتي الأجلاء :

كان الكشف عن مدرسة أبي دؤاد الايادي ومنهج هذه المدرسة في الصورة والخيال من أهم ما في هذه الرسالة من جديد ٠

ولقد تبين لي من خصائص هذه المدرسة ومنهجها المميز ما يأتي :

أولا : توفر شعراء هذه المدرسة وعلى رأسهم أبـو دؤاد الايادي في صورهم وأخيلتهم على هذه الخصائص وأبرزها :

أولا ــ اخلاص الصورة وسلامتها من التعقيد وانسجامها انسجاما تاما مع الغرض الذي وضعت من أجله ــ وخاصة في وصف الخيل ــ فاذا تحدث أبو دؤاد مثلا عن رحلة من رحلات صيده أخلص الوصف والصورة لهذه الرحلة ، من بدايتها حتى نهايتها ، دون أن يستوقفك طويلا لتتأمل فرسه ، قوتها ونشاطها وضخامتها ومشابهتها للحيوانات الاخرى ٠٠ الى غير ذلك مما جرى عليه امرؤ القيس ومقلدوه في تشبيهاتهم ٠

ثانيا ــ الاتصال النفسي الوثيق بينهم وبين خيلهم وابلهم ، بل بينهم وبين صيدهم أيضا ، وهذا بلا شك رفق مبكر بالحيوان جرى عليه شعراء هذه المدرسة ، وقد اتخذت من أبـي دؤاد رائدا ومثلا لهذه المدرسة ووقفت عند صوره وشعره ، فلكـم يسهر الليل بطوله على راحة فرسه واسعادها وهو ينزع الصفار من شفتيها ، فاذا ركبها للصيد رأيته يصرع خمسا منها تباعا من غير أن يمزقهن بسنان رمحه كما يفعل الآخرون ٠

وذكرت أمثلة من شعر طفيل الغنوي والنابغة الجعدي تؤكد هذه العلاقة النفسية الوطيدة ٠

ثالثا ــ وتميز به أبو دؤاد ــ خاصة ــ ارتفاعه بمستوى المرأة وتقديره لها ولحياتها ، فاذا تغزل بها لم يجعلها دميـة

شرقية بالعبير ، ولا عارية تسبح في الغدير ، ولكنها امرأة حية محجبة كريمة السجايا سامية الخلق مهذبة الطباع مصونة العرض ·

وقد اكتسب هذا الخلق الكريم من وسط ملوك الحيرة وطول معاشرته لهم ·

ثانيا : وضوح منهج هذه المدرسة للمشتغلين بالنقد في العصر الجاهلي ، ويتبين ذلك من حكومة أم جندب حين فضلت علقمة الفحل على امرىء القيس لأنها نظرت الى الخاصية النفسية التي انفرد بها علقمة وعامل بها فرسه ·

ويزيد من ذلك وضوحا معرفتنا نحن للشعراء المتأثرين بهذه المدرسة والسائرين في فلكها ، وذلك من خلال الخصائص التي بينتا والتي هدتنا الى أن علقمة الفحل واحد من الشعراء الجاهليين المتأثرين بها ·

ولقد شفعت دعواي هذه بالنصوص والامثلة والتطبيقات الدالة على صحة ما ذهبت اليه والمؤيدة له ·

وأثبتت ان أبا دؤاد الايادي سابق لأوس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير وكعب بن زهير والحطيئة في ميدان التشبيهات المادية الحسية ، وأنهم متأثرون به تأثرا قويا وضربت مثالا على ذلك في وصفه للحساب ·

وكشفت هذه الدراسة عن اعتماد امرىء القيس بن حجر عليه ، وأخذه منه كثيرا من صفات الخيل ونعوتها ، وانه كان يتكيء عليه في صوره ومعانيه كما يقول ابن رشيق ، لكن على طريقته هو ، والمتتبع لديوانه يلاحظ ذلك ، خاصة في وصف الخيل ·

ولقد دلت هذه الدراسة على أن وصف الخيل في العصر الجاهلي يتنازعه شاعران ، لكل منهما منهجه المميز ، الاول : أبو دؤاد الايادي صديق فرسه الحميم ، والثاني امرؤ القيس

الذي لا ينظر الى جواده الا من خلال تلبية رغباته في العدو والجري والصيد والطرد والاستمتاع بفراهته ونشاطه وقوته فحسب ٠

وما كنت لأتمكن من استجلاء هذه النتائج كلها لولا ما أنعمت به الحيرة على أبي دؤاد ، خاصة وشعراء بيئتها عامة ، من حضارة ومدنية هذبت طباعهم ، وارتقت بعقولهم ، وأفكارهم ، فجاء شعرهم صورة صادقة لما كانوا عليه من مكانة أدبية عالية وذوق فني رفيع ٠

وكشفت الدراسة أيضا أن شعر عدي بن زيد لا يعول عليه في معرفة حضارة الحيرة ورصد ظواهرها ، ولكن شعره يمثل حياته الخاصة هو ، ولم تكن حياة أهل الحيرة مجالس ، وغناء ، وخمر ، وسكر ، ولهو ، ولا هي أيضا انشودة سجين واعظ ، مذكر ، متدين ، ولكنها غير ذلك تماما ، انها معارف وآداب ، وشعر ونثر وخطابة وقصة ومثل وحكمة وفنون شتى كانت عامرة في ربوعها ، وثقافات مختلفة كانت ذائعة في مجالسها وأنديتها ٠

وقد أثبت سبق الشاعر عمرو بن قميئة للنابغة الذبياني في الاعتذار ، وسبق لقيط بن يعمر الايادي لعدي بن زيد في مجال الوعظ والنصح والارشاد ٠

وأثبت قدم القصة في الحيرة وأرجعت بواكيرها الى أوائل النصف الاول من القرن الثاني للميلاد مما يحمل على الاعتقاد بوصول تأثيرها الى اليونان ٠

وارتأيت في الخطابة العربية المنسوبة الى ايوان كسرى ، ان ما كان منها غير متصل بشعر ، فان نسبتها صحيحة ، وأنها نقلت الى اللغة الفارسية ولم ينقل الشعر لصعوبة ترجمته ٠

أما ما كان منها متصلا بالشعر فانني رجحت أن يكون قد ألقي في الحيرة ، فسلم الشعر من الضياع ، واستأنست لذلك

بوجود عبارة التحية المعروفة لملوك الحيرة في ثنايا هذه النصوص وهي قولهم : « أبيت اللعن » ٠

وأخيرا فاني أحمد الله على كريم عونه ورعايته ، وعلى ما هدى اليه ، والحمد لله أولا وآخيرا ، والشكر خالصا لأساتذتي الأجلاء ، وما توفيقي الا بالله ٠

د٠ ابراهيم عبد الله الضحيان

مــع جوتيــه

● الشاعر الالماني الكبير جوتيه (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) سألوه يوما ، من هو الرجل الذي أثر في حياتك أكثر من غيره » ٠

قال : « أبي ٠٠ ولم يكن أبي شاعرا ٠٠ ولكنه كان رجلا عظيما ٠٠ كان أقسى ناقد لكل ما أكتب ٠٠ كان يصحــح لي أخطائي ، وكان يلومني ، اذا أحس أن الخطأ أكبر من أن يسكت عليه ، ولكنه لم يكن أبدا ينسى أن يشجعني بعد كل لوم يوجهه الي ٠٠ وكنت أشعر بالدفء يسري في أوصالي بعد كل مرة يلومني فيها ٠ ثم يشجعني بعد لومه ٠ تماما كما لو كنت أجلس تحت أشعة الشمس بعد حمام بارد ! » ٠

● دخل بعض الشعراء على النعمان بن المنذر فقال :

تخف الارض ان تفقدك يوما وتبقى ما بقيت بها ثقيلا

فنظر اليه النعمان نظر الغضبان ، وكــان كعب بن زهير حاضرا ٠

فقال : أصلح الله الأميران مع هذا بيتا ضل عنه وهو :

لأنك موضع القسطاس منها فتمنع جانبيها ان يميلا

فضحك النعمان وأمر لهما بجائزتين ٠

عجبا للغة تنتصر .. رغم تراجع اهلها!

بقلم : الدكتور محمد جابر الانصاري

رغم كل تراجعات الأمة العربية ، فان اللغة العربية تتقدم وتنتصر !

فكرة الوحدة السياسية تراجعت أمام التجزئة ، ولكن اللغة العربية انتصرت على كل لهجات التجزئة ، فلم تتحول أية لهجة محكية في البلاد العربية الى لغة رسمية أو ثقافية ، سواء في تلك البلاد المؤمنة بالاتحاد ، أو تلك البلاد المؤمنة باستقلال الكيان .. وسواء في تلك البلاد المتمسكة بالتراث العربي التقليدي ، أو تلك البلاد الميالة الى الثقافات الأوروبية .. وفي المغرب العربي اليوم اصرار على التعريب يفوق حماسة المشارقة للعربية ..

الجميع ، بلا استثناء ، متمسكون بلغة الضاد ، بفصاحتها ، بنحوها ، بصرفها ، وبجمالها الذي لا يخضع لأي تعريف .. والقاعدة المشتركة الوحيدة للاجماع العربي هي قاعدة اللغة العربية !

حتى في البلاد المتمسكة بقوة باستقلال الكيان تجد التمسك باللغة العربية في قوة التمسك بالكيان وبالاستقلال رغم كل الدعوات للهجة المحكية ، أو للاحرف اللاتينية أو ما أشبه ..

ولم تنتصر اللغة العربية الفصحى بسهولة وبدون مقاومة فقد ظهرت دعوات طوال نصف القرن المنصرم في عدة بلدان عربية الى استخدام العامية ، أو الغاء النحو والصرف ، أو الكتابة بالحروف اللاتينية . كما أن انتشار الأمية بين الغالبية العظمى من الشعوب العربية كان خطرا يتهدد اللغة الفصحى ويساند الدعوة لاستخدام العامية ..

أضف الى ذلك ان عدم وجود كيان عربي اتحادي كبير يحمي اللغة العربية ، ويعطيها سلطة القانون ، قد ترك هذه اللغة تصارع العواصف والتحديات بمفردها ، وبطاقتها الذاتية ، وبعبقريتها الكامنة فيها •• رغم خطورة التغييرات اللغوية التي جلبتها التطورات العصرية •

فاللغة العربية لم تساندها قط قوة كبرى في العصر الحديث مثلما ساندت اللغة الانكليزية قوة بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، ومثلما ساندت اللغة الفرنسية قوة الدولة الفرنسية وامبراطوريتها ، ومثلما ساندت الروسية والالمانية قوة روسيا وقوة المانيا ••

العربية خرجت من تحت مظلة الدولة العثمانية ومن بين مخاطر العجمة التركية لغة يتيمة اذا صح التعبير ليس وراءها دولة قوية تحميها ، ولا شعوب متقدمة تسندها ، ولا فكر حضاري يغذيها ، سوى تمسك العرب ، كل العرب بها دون تمييز ديني أو مذهبي أو اقليمي ••

فمن أمجاد اللغة العربية ، التي اشتهرت بأنها لغة القرآن ، هو أن أول انتصار سجله لها التاريخ في العصر الحديث كان انتصارها من خلال نضال الكنيسة العربية المشرقية كلغة وطنية وقومية أصلية للصلوات والادعية وجميع المعاملات الدينية داخل الكنيسة ، بل وكلغة علم وتعليم للثقافة العربية المسيحية كلها •

نعم •• لقد حققت الكنيسة العربية في المشرق أول انتصار للغة القرآن في العصر الحديث •• قبل أن تتطور في رحاب الأزهر ذاته !

واذا كان العرب المسلمون قد أنقذوا لغتهم من الرطانة التركية ، فان العرب المسيحيين ، قد أنقذوا لغتهم ، بالمثل ، وفي وقت أبكر ، من مختلف الرطانات الاجنبية المؤثرة عليهم •• وقدم هؤلاء وأولئك رابطة اللغة واللسان على أي رابطة أخرى تربطهم بغير العرب • وكانت هذه الظاهرة المدهشة في مقدمة

أسباب ظهور الفكرة العربية ـ فيما بعد ـ كقوة سياسية وكاتجاه فكري في كثير من البلاد العربية ·

ومن معجزات العربية ، أنها انتصرت في المهاجر كما انتصرت في الوطن ·

ففي الغالب عندما يهاجر المرء يترك لغته تدريجا ويذوب في لغة الارض الجديدة ·· ولكن عندما هاجر ذلك النفر من جيل لبنان الى أميركا في مطلع القرن ، هاجرت معه العربية ، وتحولت معه هناك في الارض البعيدة ، الى أدب جديد ، وفكر جديد ، بل الى دعوة والى ثورة ·· واكتسبت اللغة العربية سمعة حضارية في الغرب بفضل كتابات مهاجرين فقراء مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ·· أكثر مما اكتسبته اليوم من كل دعايات الاعلام النفطي !·

لغتنا العربية ظاهرة تفاؤل مستمر وتأكيد يومي لقدرتنا على البقاء ··

فحمى الله لغة العرب من ··· تقصير العرب !

الأنوار : العدد ٧٠٦١ تاريخ ١٩٨٠/٨/٢٠

أسلوب حكيم

● كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن ارطاة ـ وكان عاملا على البصرة : أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر ان قبلك عمالا قد ظهرت خيانتهم ، وتسألني أن آذن لك في عذابهم · كأنك ترى أني لك جنة من دون الله · فاذا جاءك كتابي هذا ، فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك ، والا فأحلفهم بعد صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئا ، فان حلفوا فخل سبيلهم ، فانما هو مال المسلمين ، وليس للشحيح منهم الا جهد ايمانهم · ولعمري لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب الي من أن ألقى الله بدمائهم ·· والسلام ·

شعراء كربلاء المعاصرون
الدكتور صالح جواد الطعمة

بقلم: سلمان هادي آل طعمة


الدكتور صالح جواد الطعمة


سلمان هادي الطعمة

وهذا شاعر لامع يمثل المدرسة الرومانتيكية في الشعر العراقي المعاصر • أتحف الأدب العربي بقلائد مرصعة بالمعاني ، ونقل الينا أروع الصور الشعرية الثرية بالأناقة اللفظية والموسيقية • فهو ماهر في تصوير الألوان والظلال والتعبير الرشيق • تتجلى في شعره أصالة الفن وسحر اللفظ • انه شاعر أجاد في سبك القصيد واقتناص الكلمة الشعرية بأسلوب سلس تغلب عليه خفة الروح وبراعة الصور التي تزخر بعناصر الحياة •

فهو الدكتور صالح بن جواد كاظم بن مرتضى بن مصطفى ابن أحمد آل طعمة من آل فائز الموسوي • ولد في كربلاء سنة ١٩٢٨م وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية والتحق بدار

المعلمين العالية ببغداد (كلية التربية حاليا) فنال تحصيله العالي ، وتخرج بتفوق سنة ١٩٥٢م ، ثم دفعه طموحه لمواصلة دراساته العليا في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الامريكية ضمن طلاب البعثة العراقية ، فحاز على شهادة الماجستير في الآداب سنة ١٩٥٥ ثم واصل دراسته فنال شهادة الدكتوراه في التربية وعلم النفس سنة ١٩٥٧ ثم عاد الى بغداد مدرسا في كلية التربية فمعاونا للعميد لشؤون الطلبة · كما شغل وظيفة مدير الترجمة والتأليف في ديوان وزارة المعارف · ثم التحق ثانية بجامعة بغداد · ومنها آثر أن ينخرط بالملحقية الثقافية العراقية بالولايات المتحدة الامريكية ، وبعدها عين أستاذا للغة العربية والادب المقارن في جامعة انديانا الامريكية حتى يومنا هذا ، وأصبح رئيس رابطة أساتذة اللغة العربية في أمريكا الشمالية ·

شاعريته :

الدكتور صالح من رواد المدرسة الرومانتيكية ، شاعر مرهف الحس ، رصين اللفظ ، شعره عذب رقيق · يقول غالب الناهي : شعر الاستاذ صالح ينبض بالحيوية ولو أنه من الأسلوب الجديد · واللون الحاضر الذي طغى في هذا الزمان ، وفي نفس صالح اختلاجة يعبر عنها بغمغماته ويفرج كبرياء نفسه بتأوهاته ، فشعره شعر رقة يستحوذ عليه الحنين والشوق ··· الخ (١)

صدر له ديوانان الاول (ظلال الغيوم) سنة ١٩٥٠ والثاني (الربيع المحتضر) سنة ١٩٥٢ · أما ديوان (ظلال الغيوم) فقد حدثنا عنه الدكتور داود سلوم بقوله : ديوان يغرق في رومانتيكية عميقة الجذور تكون من سماتها الحزن والحب الشاعري وفي الديوان تيار مخفف من الشعر الوطني والاجتماعي لا يكاد يتبين منه القارىء عقيدة الشاعر السياسية وان هذا الضرب من الشعر الاجتماعي والوطني لهو أقرب الى نفوس

(١) دراسات ادبية / غالب الناهي ج ٢ ص ٥٠ ·

قراء الشعر الممتاز في القاريء يتمتع دون أن يقوده الشاعر أو يدفعه دفعا الى الخوض في أفكار سياسية قد يمجها وقد لا يتمكن من مسايرة الشاعر على الخوض فيها ، وقصائد الديوان جيدها كثير (١) .

أما عن ديوان (الربيع المحتضر) فقال أيضا : والكتاب ديوان غني بالمعاني الجيدة التي بدأ الشاعر باضافتها الى الكلمات للتوسع في معانيها باستعمال المجازات في صور مبتكرة حديثة . والمجموعة مغرقة في الرومانتيكية عدا قصائد ثلاث تختلف في موضوعاتها (٢) .

كما علق الدكتور أحمد زكي أبو شادي على هذا الديوان وأعني به (الربيع المحتضر) فقال : وانه ليسترعي انتباهنا من بدايته بظاهرتين : أولاهما ثقة الشاعر الشاب برسالته فنا وموضوعا . وهذه تتجلى في انطلاقه ومزجه الأوزان ومعالجته موضوعات فكرية ووجدانية رفيعة ، وثانيهما طاقته الشعرية المتأرجحة تأرجحا بيّنا ، فهو يعلو حينما يتناول موضوعات الحرية والكرامة البشرية مجاريا ومنافسا الشعراء الأحرار من بني قومه وغيرهم . وهو يهبط حينما يضطر الى شعر المناسبات المألوف وحينئذ لا نسمع منه الا نظما هو أقرب الاشياء الى الخطب السياسية ، ولكنه في هذا وذاك على السواء متأثر بالحركة التحررية العصرية في التعبير وعلى الأخص بطابعها العراقي الجميل (٣) .

ومن القصائد التي تستحق الوقوف عندها قصيدة (ظلال الفنان) التي تتدفق منها نزعة جديدة بتصويرها ولون جديد غني بالموسيقى وعذوبة الألفاظ . اسمعه يقول :

أيها المطرق الكئيب الى اللوحة تلهو بالريشة الحمراء

---

(١) تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي / الدكتور داود سلوم ص ١١٣ .

(٢) الادب المعاصر في العراق / الدكتور داود سلوم ص ١٩٤ .

(٣) قضايا الشعر المعاصر / الدكتورة أحمد زكي ابو شادي ص ١٩٢ .

تبعث الفجر والينابيع والزهر وسحر الظلال والأشذاء
وتشيع الحياة في الميت الروح وتحنو عليه بالأنداء
فتلوح الرسوم مشرقة الألوان تزهو بذائب الاضواء
من سني مقلتيك يا منيعة العمر وتمتص منك زهو الدماء

أما قصيدة (أغنية زنجية) فهي تفيض بالعاطفة والصدق وقوة الاحساس ، حيث يقول فيها :

على الأفق طال انتظار العبيد الى النور في الأفق الأجهم
وأغنية من وراء الظلام تغني تقدم ولا تحجم
أمانيك كم داسها السيد المذ ل عتوا ولم تأثم
وكم يترع الكأس مما سفحت وما لك منه سوى العلقم
تقدم لقد ملنا الغل مل الرضا والخضوع ألم تسأم
أعدلا تفديهمو بالحياة وما لك في الارض من مغنم
وظلما اذا تتأبى الهوان لتهنا ـ من العمر ـ بالأنعم

وانك لتلمس في قصيدة (عباب) ضربات قلبه وخلجات نفسه وتصورات أخيلته ، حيث يقول :

وفي بحر تلك الأماني الظماء أفقت على زورقي المفرد
هناك صراخ العباب المخيف ولا من منار لكي اهتدي
وللموج بطش كبطش الضلال يبيد مني السائح المرشد
فؤادي هات النشيد الدليل فما من سكوت أرى منجدي
يمينا وثيقا ساكوي الظلام لأبلغ قلب الهوى المنشد
ومن روحي اللاهب المستهام سأطلع لحنا من المسجد

والشاعر صالح الطعمة من رواد الشعر العراقي الحديث ، فقد كانت له الى جانب رفاقه السياب والملائكة والبياتي مشاركات في هذا اللون تتميز بقوة الشاعرية وتدفقها مع بساطة اللفظ والخروج على عمود البحر الخليلي دون المساس به من حيث الجوهر .

والى القارىء نموذجا من ذلك ، ففي قصيدة (العائد) يقول :

لا زلت أذكر كيف عاد بي الطريق
قلق الملامح واجم اللحظات يعبث بي الذهول
وبراعم الأحلام ينثرها على الارض الذبول
وتكاد أنفاسي تضيق
والذكريات تطل في ذعر من الماضي تفيق
ماذا أثار الذكريات
السحب والأغصان عارية أم الحقل الموات
أم مشهد الاكواخ ، تهجر خوف عاصفة الشتاء
والدوحة الزهراء أوحشها الخريف فلا يرن بها غناء

ولا أراني بحاجة أن أنقل للقارىء كثيرا من شعره ، ويمكنه الرجوع الى مجاميعه الشعرية ، حيث ان كلها تشير الى ما ذهبت اليه .

وكانت لصالح مشاركات جمة في الدراسات الادبية ، تجلت في الكتب التي ألفها وفي المقالات والابحاث التي نشرها في المجلات والصحف داخل البلاد العربية وخارجها باللغتين العربية والانكليزية .وفي كتاباته يحمل رسالة الوعي والتحرر والتهوض أضف الى ذلك فهو ناقد جريء يتجلى طموحه في ثنايا كتاباته .

سلمان هادي آل طعمة
كربلاء ـ العراق

رسوم قيم خالدة

بقلم : السيد علي ابراهيم

كان قليل الكلام ، فان نطق بذ القائلين ، تعرف ايمانه من نهجه وسلوكه ، أما علاقته مع ربه فهي من الأسرار التي لم يكتشفها متطفل ولكن الطيب تمام ، يعبد الله في صدقه ووقوفه عند الحق لا يعدوه ، فاذا رأى انحراف القافلة عما ينبغي لها ، جهر بالكلمة التي يعتنقها ، ولم يقف في سبيله عائق ، أما الصلوات والاذكار والتهجد في الليل الطويل ، فتأتي بالدرجة الثانية يفكر فيها اذا انتهى من عمله ، ومن مشاطرة الأبرار سعيهم في سبيل الاهداف الكبيرة والقيم الخالدة ، يلفت نظرك اليه هدوءه وصفاء وجهه ، ونقاء ثوبه ، كأنه النغم الحنون بين هدير الاصوات الصاخبة التي تصك سمعك كل يوم .

قلت يا صاحبي : ولكنك تجهد نفسك ، ولا تأخذ نصيبك من الدنيا ، فهل توجه التكليف لك وحدك ، وألقي على عاتقك عبء الاصلاح ومحاولة التوجيه النير الرشيد ؟ ثم متى كانت الحياة خيرا لا شر فيه لتصعد وتهبط حيث لا موجب لذلك ، ألا ترى الركب يسير ولا يعرج عليك ويستمع اليك ، انه لا يحفل بنداء الروح ، فقد أفقده غليان العاطفة ملكة التمييز ، ولم يعد أمامه سوى أشباح ورموز ، ومن أين له في هذه الغمرة الطاغية أن يصيخ سمعا لصوت الحق فيؤوب لرشده ، فقد توغل بالمسير حتى لم يعد مجال لديه للرؤيا الصحيحة والقصد السليم ،

فقال : وهل تظن ان راحة النفس وبلوغ المرتبة السامية من الفرح والسرور وقف على المنافع المادية ونيل الشهوات ، آلا تدري ان لكل نفس هواها ، وانني سعيد بهذه الطريقة التي أعيشها وأرى فيها تحقيقا لأحلامي وآمالي وذلك نصيبي من الدنيا ، فما لك سامحك الله وقفت مني موقف الشفقة والرحمة وقلبت الموضوع رأسا على عقب فأصبح الصحيح لديك مريضا ؟! أما ما ذكرته من آن الحياة لم تكن خيرا وحده منذ وجد الانسان (فحق ما تقول) ولكنها لم تكن شرا محضا ، فقد أضاءت تعاليم الصفوة دروب الحائرين وسددت خطاهم ، فهلم معي لنستمع لعباس محمود العقاد وهو يقول : يتناوب طبائع الناس مزاجان متقابلان : مزاج يعمل للأريحية والنخوة ، ومزاج يعمل أعماله للمنفعة والغنيمة ، والمزاجان لا ينفصلان كل الانفصال ، ولكل منهما سبيله الى النفوس وأمله في النجاح على حسب الأوقات والبيئات ، الا أن الاريحية أخلد من المتفقه بسنة من سنن الخلق التي لا تتبدل مع الاوقات والبيئات ، لأن منفعة الانسان وجدت لفرد من الافراد ، أما الأريحية التي تجاوز بها الانسان منفعته فقد وجدت للأمة كلها أو للنوع الانساني كله ، ومن ثم يكتب لها الدوام اذا اصطدمت بمنافع هذا الفرد أو ذاك .

من ملامح المروءة :

ألحقتها وزارة التربية بالقرية التي نشأت فيها ، فأعادت بذلك الجني لمن غرس ورافق النمو والتفتح ، وحسبت أول الأمر ان المهمة ستكون عسيرة عليها للحساسية الموجودة عند أبناء القرى ، والتي كثيرا ما تؤثر على العاملين المخلصين وتغير نهجهم وسلوكهم ، وبعث ذلك في نفسي ما أثير حول زملاء لها سابقين من شكوك ، للتمييز بين الطلاب في البر والعناية تبعا لأواصر المودة والصداقة وسنة العلائق الاجتماعية التي تربطهم بأهلهم وأقربائهم والأسر التي تتكون منها القرية ، ويبدو ان القمم الشامخة تعجز المتسلق ، وان الفرق كبير بينها وبين

الربى والسفوح ، فكانت المعلمة منى تحل احترام وثقة الجميع ولم تتعرض لشك واتهام ، شجعها ذلك فلم تقنع بالقيام بالواجب وحده فهو من أهداف الناس العاديين الذين لا يرتفع طموحهم للذرى ، استعرت المروءة بين جوانحها فشغلها حب العطاء عن كل شيء ، واذا بها تعيش لطلابها وتنظر لنفسها من خلال نظرتها للمواطنين جميعا ، فليس لها هموم وآمال خاصة وانما هو الوطن بمجموعه ، اليه تعمل وعليه تحبس حبها وحنينها ٠

بعثت بعد طول الدأب والسرى في المنطقة نهضة اجتماعية مباركة فاذا السباق بين الفتيان والفتيات يقوى ويشتد حول النوادي والمكتبات وسبل العلم ، أيها أجدى وأقرب منفعة لفكر الانسان وقلبه ، وكنت أفكر بهذه الانسانة المتواضعة وأعود في ذهني للتاريخ القريب والبعيد ، فأرى القلب الطيب والنوازع الانسانية ، الرصيد الاول والأخير للحياة ، وأرى ملامح المروءة هي الخالدة الباقية في الوجود ، لقد مر على قريتنا قادة ورؤساء وكانت مسرحا للنضال ، وشهدت غلابا وصراعا حول الامجاد الفارغة ، وسرعان ما ذهب كل ذلك مع أصحابه وتلاشى في العدم ، أما التاريخ الصحيح المكتوب بأحرف من نور فيدون أخبار النهضة الاجتماعية التي قادتها المعلمة منى ، وكان لها التأثير العميق في المستوى العلمي والاخلاقي الذي وصلت منطقتنا اليه ، حتى ان المرأة في كفاحها وطموحها لا تستطيع أن تنسى في مسيرتها ذلك الصوت المخلص الهادىء الرصين الذي ارتفع فعم صداه الربوع والارجاء ، وكان المحاولة الأولى للتحرك في زمن انصرف فيه الناس لأنفسهم ٠

قلت لها ذات يوم : ولكنك قنعت في العمل عن البيت والأسرة، والزوج والبنين ، فكان الجواب سهلا على النفوس الكبيرة المعدة لحمل الرسالة ، انني أشعر بأن الكتب التي تقرأ ، والجهود التي تبذل في سبيل الخير والمعرفة ، وأفواج الشبان والشابات الذين ينهلون من معين العلم ، هم جميعا لي ، يضيء لأجلهم عيوني ويخفق قلبي بالمحبة والحنان ٠



اوزان الشعر الحر وقوافيه

للدكتور محمود السمان

بقلم : د. م. ع. خ.

اذا كان الخليل بن أحمد قد وضع عروض الشعر العمودي واذا كان ابن سناء الملك أو الخليل الثاني قد وضع عروض الموشحات .. فاننا نعتز حقا بأن يكون بيننا الخليل الثالث ، الدكتور محمود علي السمان واضع عروض الشعر الحر .

انني لا أرى ان الشعر الحر صالح للبقاء ، ولا للخلود ، وليس فنا جميلا رفيعا مؤثرا في مشاعر الجماهير الا حيث يصطنع منهج الشعر العمودي وعروضه .. ولكن الذي لا أحب أن أظلم فيه الحقيقة أنه اذا جاء معاصر لنا فوضع أصول عروض الشعر الحر ، فان ذلك في حد ذاته يكون عملا كبيرا جليلا سوف يخلد على مدى الايام ، كما خلد عمل الخليل وابن سناء .

وفي مقدمة هذا الكتاب الذي ألفه الدكتور السمان يقول : كان لا بد لي ـ وهو ما فعلته ـ أن أستقريء نصوصه ـ أي الشعر الحر ـ الكثيرة لأستنبط منها بحوره وتفاعيله وضروبه وكل ما هو جديد فيه ، مقارنا بأصله العمودي الذي تفرع منه .

وهنا ندرك في اعجاب سلامة المنهج الذي سار عليه المؤلف .

ولقد تتبع الدكتور السمان نشأة الشعر الحر تتبعا علميا سليما .

ثم تحدث عن بحور الشعر وتفعيلاته وضروبه حديثا جديدا

مبتكرا ، له فيه حق الريادة بلا شك ٠

وتحدث المؤلف عن بحور : الــوافر ــ الهزج ــ الرجز ــ السريع ــ المتدارك ــ المتقارب ــ الرمل ــ الكامل في الشعــر الحر حديثا مفصلا وجديدا ٠٠ كما تحدث عــن بحر البسيط والخفيف والطويل حديثا علميا رائعا ٠

ثم أفاض المؤلف في بحث قافية الشعر الحر ، وفي بحــث الظواهر الجديدة في الشعر الحر : كظاهرة الشعر الجــاري ، وظاهرة الشعر المنثور ، وظاهرة اجتماع الأوزان في القصيدة (أي مجمع البحور) ، ويختم كتابه بأهم نتــائج البحث وفي مقدمتها : علاقة الشعر الحر بالشعر العمودي ٠

لقد هالتني روعة بحث الدكتور السمان ، الجديد حقا بكل معايير هذه الكلمة ، الأصيل بكل موازين الأصالة ، وبعد أن كنت حائرا حول عروض الشعر الحر وجدت المفتاح الذي كنت أبحث عنه ، ووجدت ضالتي التي تعيد الشعر الحر من جديد أمامي مرة أخرى على بساط البحث والدراسة ٠

وماذا أقول ، في الخليل الثالث ، نابغة عصرنا ، د٠ محمود علي السمان ، الذي صار له في عنق شعراء الشعر الحر جميعا دين يجب أن يؤدى ، وصار له في عنق البحث العلمي فضل لا يمكن أن يجحد أو ينسى ؟٠٠ ماذا أقول وروعة بحثه فوق كل قائل ، فوق كل ما نستطيع أن نعبر به عن صنيعه من بلاغة وبيان ٠

كنوز الحروف العربية
زيارج وجفر
"٢"

بقلم: سيد رضوان السيد راجح

زايرجة عبد الله بن سهل الاشبيلي :

هذه الزايرجة صدرت مدونة في كتاب الدر المثقوب في أسرار الغيوب عام ١٣٥٤هـ واتصلت بصاحبها ومارستها سنينا كثيرة وأصل روايتها عن اسماعيل أبي الفداء أمير دمشق فهو يقول انها نسخت من نسخة بخط ابراهيم بن عبد الله بن سهل بن عبد الله الاشبيلي الاندلسي الاسرائيلي الاسلامي الفريق مع بن خلاص سنة ٦٤٩هـ نقلها من خط والده سهل بن عبد الله ، وتلقاها عنه واشتغل بها ولقنها لبعض خواص أصحابه من أهل عصره وقد وجدت ضمن كتب اسماعيل أبو الفداء أمير دمشق المتوفي سنة ٧٧٠هـ وقد كتب على هامشها بخطه أنه اشتغل بها وأغنته عن الشورى بعد أن تلقاها من شيخه العالم الفاضل نجم الدين علي القحفازي المنتهي نسبه الى الزبير بن العوام رضي الله عنه . وهو قد تلقاها عن صدر الدين الشهاب المقدسي العابر صاحب التصانيف وهو قد تلقاها عن وحيد عصره أبو الحسن اليشكري المنجم وهو قد تلقاها عن القطب الشيخ خضر الكردي شيخ الملك الظاهر في مصر وهو قد تلقاها عن شيخه الشيخ نصر الطوسي صاحب كتاب المجسطي وحامات الأمير اسماعيل أبو الفداء وبيعت كتبه ، كان نصيبها أربعماية دينارا ابتاعها علم الدين ابن زنبور وكان وزيرا بالديار المصرية . ولما وقعت عليه الحوطة وحبس في دار صرغتمش وأفرج عنه سافر الى قوص ومات بها فوقعت بيد أبناء القفطي بصعيد

مصر الأعلى وقد نقب عنها العلماء وحرضوا الأمراء على هدم السبيل الذي بناه ابن زنبور عند باب زويله كما بلغهم أنها مدفونة هناك فلم يجدوا به شيئا • وفي سنة ١٢٢٣هـ سافرت الى مصر لما بلغني أن بها من يرتب الزايرجة السهلية فاجتمعت به بواسطة ، ورأيت نسبه متصلا بالوزير القفطي فنقدته ألفين وأربعماية غرشا من عملة بلادنا ونقلتها وأجازني بها بعد أن رتبتها بحضرته وقد جمعت عدد ٩٢ زايرجة فلم أر أكمل منها ولا أصدق ان أحكمت شرائطها وجمعت الهمة وصح التجرد عند وضع السؤال ورسم خطها ـ أي خط الرمل ـ فانه بابها وقد نقلت هذه من تلك •

عبد الله بن سهل قال : ولما اشتهر أمري طلب مني من حكم فظلم ان أسأل عن موضع الباري الأجل الأعلى والانبار الظالم أصلي ، وحضر ومعه جمع من حاشيته من عرب وعجم ولما لم أتمكن من الهرب استعنت بكاشف الكرب وسالت ورتبت النسب فكان الجواب ان الله جل وعلا تنزه عن سائر الامكنة والازمنة وقد أحاط بكل شيء علما فالتقم السائل حجرا ولما جمعت وعدت الى تركيبها بقطبها جاء الجواب هكذا :

سؤالك عن حـال المنزه فتنـة
وكفر تعالى الله عمـا تسـألا
أحاط بعلـم الكـون ليس كمثله
شبيه فذرهم في الجهالـة جهلا

بعد ذلك ارتفع قدري فنظمتها من نثرهم وما بدت بـه معاني سرهم وسميتها فتق الرتقة المعنوية في تركيب الزايرجه السهلية •

نص القصيدة السهلية :

يقول ابن عبد الله سهل محاولا — لوضع طريق للغيـوب موصـلا
اذا رمت كشف الامران غاب واختفى — فكن تابعي فيمـا أقـول مرتـلا
وكـن فطنا واصبر على بعـد شقة — فمـا العلـم الا بالثبات يحصـلا

وكن من رجال القوم ان ضل فهمها وضاقت مداركها على النفس تحملا
بليت بحب الكشف عن كل غائب وأنهكني نطـق الحروف المعطلا
فلم ارعـوي حتي عثرت ببغيتـي وأظهرت مكتوم العلوم الى المـلا
نظمت شتات القول ممن رووا له وعهدي وأيم اللـه أكتم مـاحلا
وقد قادني بحثي وشدة ما جرى من التعب الممزوج بالكد في الفلا
نبذت عهود القوم حتي مشايخي ودونت علمي خيفـة أن يبـدلا
وقد كلت الاقلام من رسـم رتقة وملت ولـم تفتـق فلـم آتحولا
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا فكن ثابتا ترقـى الى أوج العلا
وما ذاك الا جمـع همـة وقلب كذلك لاستحضار دوما على الولا
تكامل في شخصي الذكاء وبلغة وأجهدت نفسي جهدها المتواصلا
وكنت حريصا لا أفـوه بعلمهم صبورا على وقـت الزمان المطولا
والقط كالطير الحبوب من الثرى ولا أدع القول البسيط ولا ولا
وأجمع من سقط الكلام صحيفة وأنبذ منـه الغـث حتى يبـدلا
وأقبل قـول المدعين كما رأوا ومنه ارى بعض الغوامض تجتـلا
أصيد ولا ظهر الفـراء يعيقنـي وأنقب في بطـن الفـراء وأدخلا
وأخرج أحيانـا بفائـدة كـذا يكون خروجي تـارة منـه عاطلا
أقمت على تلك الخصال وأرعها فقيض لي الفيـاض شيخا مكملا
وذي سبل التكوين تظهر ما خفي اذا رق ستر الظلمـة المتأصلا

بعض الشرح : ان ابن سهل رحمه الله وغفر ذنوبه ذكر لك هذه الابيات يوصيك بالتحلي بالأخلاق الحميدة حتى يرق ستر ظلمة الجسد المتأصلة في كل انسان والتي لا تنمحي منـه الا بالاستقامة واياك أن تنسب ما يظهر لك من الكشف الا الى توفيق الله سبحانه لك وليس الى ذكاء مفرط أو اجتهاد متواصل فانهما قد يكونا باضلال من الشيطان .

واستعن على النجاح بالكتمان فاني قد علمت هذه الطريقة لعدة أشخاص ولما نجحوا أخذوا يتشدقون في المجالس العادية بين البسطاء وبعد مدة ليست بالطويلة حتي نسوا ولم يوفقوا الى شيء من ذلك بعدها فكأنما حصل لهم غسيل بالمخ أنساهم جميع ما تعبوا في تعلمه . والله يوفقني الى اتمام هذه القصيـدة

وشرحها وتوضيح سبلها آمين ٠

سؤالك والابـراج من بدء طالـع وذا بعد قطـب ضبطه الجد مثلا
وحرف يد والليل أصدق حظهـا كذا نظر الاوتـاد والنطق تجملا
وتحذف ما يبقي اذا كـان زائـدا متى تم حرف الميم كالقطب اولا
وحرف سني القبط والشهر يومه وما قطعته الشمس في الواو نزلا
نظائر قطب تحت هـذا وطالع بأسفله في الحاء بالضبط أسفلا
وأولهـا مـن أبجدتـم ايقـغ ودائـرة تحكـي العناصر أكملا
تواني حروف اليد في الطاء سمها توالت سطر الهاء من ابجد طلا
وترسم أضلاع المربـع بعد ذا وعمره بالارقام اعـداد سائـلا
وتطرح لاما ثـم تأخذ ربعـه كقاعده الا وفاق فـي السير عدلا
ومفتاحه بالنـار تسقط عداده وتحفظ باق بعـد طرح تحصلا
ومغلاق وفق بالهوى طرح عده ومجموعهـم بالمـاء يا ذا التفضلا
كذا الضلع فاطرح باليبوسة عده وتحفظ ما يبقى كباقي الغد اصلا
بما قد بقي من عنصر الجمر القطن ثماني حروف درو قطبـك أولا
وفاضل طراح للهوى خذ به كذا ثماني من حـرف البروج مهرولا
بباقي طبع الماء تفعل بـه كما فعلت وذا من حرف سؤل السائلا
وعنصر أرض خذ بباقي فضلـه ثماني من خـط برتقتك انجـلا
وبالجمر من حرف السين كسابق وبالربع من حرف النظائر حـولا
بفضلة مـاء من نظائـر طالـع وفضله يبس من نظائـر سائلا
وبالاوليـن مـن الثواني وآخرا وقد تم لقط الرتقـة المستكملا
ثمانون حرفا يقضي الحال لفظها تكون جوابـا للسؤال مفصـلا

بعدما أوصاك في الأبيات السابقة بيّن اليك ما يجـب أن تعمله ٠ أولا أن يكون السؤال عربيا في تركيبه سائلا عن شيء محدود واحد فقط ويكون بأن تسطر عشرة أسطر وتقسمها كل سطر الى أربعين بيتا صغيرا فتكتب أولا القطب الوهبي وهو هنا أربعون حرفا مفصلة كل حرف في خانة صغيرة من السطر الاول والقطب هو سؤال عظيم الخلق حزت فص اذا غرايب شك ضبطه الجد مثلا كما تراه في جدول للتمرين عليه ٠ ثم تأخذ طالـع الوقت لتلك الساعة التي ضربت فيها خط الرمل المخصوص لهذا

ثم تكتب السؤال أربعين حرفا بلغة عربية سليمة ثم تأخذ أربعين حرفا من حروف (١) أشكال خط الرمل • ومعلوم ان ستة عشر شكلا لا تفي بذلك حيث تكملها من حروف الاوتاد الاربعة التي هي الاول والرابع والسابع والعاشر فان لم تكفي حروف النظر تكملها من حروف نطق الاوتاد وتحذف ما يزيد على أربعين حرفا – سيأتيك معرفة طالع الوقت وخط الرمل • وفي السطر الخامس تكتب حروف اليوم والشهر والسنة القبطيــة ودرج الشمس من برجها الذي أنت فيه •

وفي السطر السادس تكتب نظائر حروف القطب من آبجد ويكون ذلك بأن تكتب حروف أبجد كل أربعة عشر حرفا تحت بعضها وأول حرف من القطب هو السين يكون نظيره حرف ألف والواو يكون نظيره الراء والألف السين ثم اللام نظيره الضاد وهكذا •

ثم نظائر حروف الطالع من ايقغ تفعل بأيقغ كما فعلــت بأبجد تماما • ثم نظائر السؤال من الدائرة التي تحكي العناصر وهي اهطم تفعل بها كما فعلت بأبجد وأيقغ تماما •

ثم تكتب في السطر التاسع ثواني حروف خط الرمل •

وفي السطر العاشر تكتب توالت حروف اليوم والشهر والعام القبطي ودرج الشمس •

قد تم لك الآن اتمام جدول الرتقة أرجو أن تراجع جدول التمرين بدقة متناهية وتعمله مرارا حتى يرسخ في ذهنك العمل فانه في الابتداء يكون صعبا شأن كل العلوم • أبجديات اللغة العربية أربع أبجديات وهي هذه :

(١) ا ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن
س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

ابجد

(٢) ا هـ ط م ف ش ذ ب وي ن ص ث ض

ج ز ك س ث ظ د ح ل ع ر خ غ

ابجدية اهطم

(٣) ا ى ق غ ب ك ر ج ل ش د م ت هـ
ن ث و س خ ز ع ذ ح ف ض ط ص ظ

ابجدية ايقغ

(٤) ا ح س ت ب ط ع ث ج ى ف خ د ك
ض ذ هـ ل ق ض و م ر ظ ن ق ش غ

ابجدية احست

هذه الابجديات الاربعة كلها مستعملة في الزيارج والرمل وعلم الحروف والأولى لها أعداد صغرى تبتدي من واحد الى ثمانية وعشرين وكبرى تبتدي من واحد ثم الى عشرة ومنها بالتضعيف الى آلف ٠

طالع الوقت :

عدة طرق لمعرفة طالع الوقت أذكر لك هنا طريقتين : الأولى أن تنظر الى شروق الشمس في ذلك اليوم من تقويم بلدك وتجعلها ساعات ودقائق واطرح من ذلك ما قطعته الشمس من درج البروج باعتبار كل درجة أربع دقائق سير الشمس في الدرجة الواحدة فتكون الساعات والدقائق الباقية هي نهاية البرج السابق لبرجك الذي فيه الشمس ثم أعط كل برج ساعتين مبتديا من برج الشمس حتى تصل الى الساعة التي فيها السؤال فالبرج المنتهي اليه الحساب هو طالع الوقت ٠

مثلا كانت الشمس في برج السرطان قطعت منه أربعة عشر درجة وكان شروق الشمس على عشر ساعات وثلاثين دقيقة ذلك اليوم فتضرب أربعة عشر درجة في أربع يحصل ست وخمسون دقيقة فاطرح ذلك من عشر ساعات وثلاثين دقيقة يكون الباقي تسع ساعات وأربعة وثلاثين دقيقة وهو نهاية ما قطعته الشمس

في الجوزاء الذي قبل السرطان ثم أعطينا السرطان ساعتين والذي بعده كذلك حتى وصلنا الى آخر الحساب فهو طالع الوقت ٠

أما اذا كان مطلوب منك تعيين الطالع مع الدرجات بالضبط فانك تعمل كالآتي ، وهو يسمى مكث البروج في الأفق الشرقي :

فمكث برج الحمل هو ساعة وخمس وعشرين دقيقة فقط فيخص الدرجة الواحدة ثلاث دقائق ٠

فمكث برج الثور هو ساعةوسبع وثلاثيندقيقة فيخص الدرجة ثلاث دقائق وعشر ٠

فمكث برج السرطان هو ساعتين وثمانية عشر دقيقة فيخص الدرجة أربع دقائق وثلاثة أخماس ٠

فمكث برج الأسد هو ساعتين واثنين وعشرين دقيقة فيخص الدرجة أربع دقائق و١١/١٥ ٠

فمكث برج السنبل هو ساعتين وثمانية عشر دقيقة فتخص الدرجة أربع دقائق و ٣/٥

فمكث برج الميزان هو ساعتين وتسعة عشر دقيقة فيخص الدرجة أربع دقائق و٣/٥ ٠

فمكث برج العقرب هو ساعتين وأحد وعشرين دقيقة فيخص الدرجة أربع دقائق و٧/١٠ ٠

فمكث برج القوس هو ساعتين وثمانية عشر دقيقة فيخص الدرجة أربع و٣/٥ ٠

فمكث برج الجدي هو ساعتين فقط فيخص الدرجة الواحدة أربع دقائق ٠

فمكث برج الدلو هو ساعة وسبع وثلاثين دقيقة فيخص الدرجة ثلاث دقائق و٧/٣٠ ٠

فمكث برج الحوت هو ساعة وثلاث وعشرين دقيقة فيخص الدرجة الواحد ٠

دقيقتين و٢٣/٣٠ دقيقة ٠ واليك اخراج طالع الوقت على

هذه الطريقة الثانية حيث كان وضع السؤال حين ضرب خط الرمل لهذه الزايرجه الساعة الخامسة وعشرين دقيقة وكان الشروق الساعة العاشرة وثلاثين دقيقة فالماضي من الساعات والدقائق على وقت السؤال هو سبع ساعات ٠

ودرجة الشمس ١٤ من برج السرطان فتقضي للأيام الباقية ما يخصها فنضرب ستة عشر يوما في أربع دقائق وثلاثة أخماس الدقيقة ونطرحها من الماضي من الشروق ثم نعطي كل برج ما يخصه الى أن نصل الى البرج الطالع للوقت كما يلي :

٠٠ ــ ٧ الماضي من الشروق الى وقت السؤال
١٩ ــ ١ حاصل ضرب الايام في أربع دقائق و٣/٥ نطرحها

---

٤١ ــ ٥
٢٢ ــ ٢ ما يخص برج الاسد
١٩ ــ ٣



---

١٨ ــ ٢ ما يخص السنبله

---

٠١ ــ ١ الآن وصلنا الى برج الميزان فهو طالع الوقت ٠ نكتبه حروفا مفرقة على هذا الترتيب الطالع ثم رابعة ثم سابعة ثم عاشرة كما تشاهده في المثالين المرفقين كما يأتي ٠

بعض الزيارج تشترط كتابة الطالع ودرجته بالضبط وهذه الطريقة تعين لك معرفة الدرجة فالباقي هو ساعة واحدة ودقيقة فاذا أردناها درجات نحول الساعة الى دقائق بضربها في ستين ثم نقسمها على ما يخص الدرجة الواحدة من الدقائق فيكون الخارج درجات فنقول مثلا : الطالع الميزان خمسة عشر درجة ٠ فاحفظ هذا توفق انشاء الله ٠ أما العاشر الذي هو وسط السماء فيؤخذ من وقت الزوال الى وقت السؤال ٠ ومكث البروج وسط السماء يختلف عن مكثها في المشرق ٠ بقي علينا الآن معرفة حروف خط الرمل الى وقت قريب انشاء الله ٠

مختارات ادبية واخلاقية

زكاة الاخلاق

انتقاء الأصحاب :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره أو ذكر أعـانه) • يستفاد من هذا الحديث الشريف أنه لا خير الا في صحبة رجل صالح من أهل المعرفة بحيث يذكرك الله والدار الآخـرة ان نسيت ويعينك ان ذكرت • وقال (ص) : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) • وقال (ص) ومثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما (الأخرى) لا يخفى ما في هذا الحديث من الايحاء الى أن الصحبة الحسنة مشروطة بالتعاون على غسل الذنوب ، ولذلك شبههما (ص) باليدين تغسل احداهما الاخرى، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمعـون الى قول أهـل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) ومنه دلالة على أنه ينبغي أن تؤثر بالصحبة من يكون لك عدة في الدنيا وشفيعا في الآخرة مـن صلحاء المؤمنين وأبرار علمائهم • وقال الامام أبو محمد الزكي سلام الله عليه من موعظة طويلة وعظ بها بعض أصحابه وكان اذ ذاك قد لفظ طائفة من كبده بما جرّعه معاوية من السم بيد زوجته بنت الاشعث بن قيس : واذا نازعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا صحبته زانك واذا خدمته صانك وان قعدت بك مؤونة مانك وان قلت صدّق قولك وان صلت شد صولك

وان حاولتما أمرا أمرك وان تنازعتما في شيء آثرك وان مددت يدك بخير مدها وان بدرت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك احدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا يخذلك عند الحقائق فكأنه عليه السلام أراد أن يجمع حقوق الصحبة بأسرها ويشترط أن يكون الصاحب قائما بجميعها فيكون حينئذ مصداقا لقول أمير المؤمنين (ع) :

ان أخاك الصدق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

وقال الصادق عليه السلام : لا تصحب خمسة : الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد عنك القريب والأحمق فانك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع أحوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك عند الوثبة ويفر عنك عند الشدة والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو أقل منها فقيل له : وما أقل منها قال : الطمع فيها ثم لا ينالها • وقال أمير المؤمنين لابنه الحسن الزكي عليهما السلام : يا بني اياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه (أي القليل) واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد لك القريب • وقال (ع) : لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته وفي غيبته ووفاته • وله سلام الله عليه نواه عن مصاحبة الاحمق كثيرة منها قوله :

فلا تصحب أخا الجهل ... واياك واياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه
يُقاس المرء بالمرء ... اذا ما المرء ما شاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

أجل انه لا خير في صحبة الأحمق لأن غايتها الوحشة والقطيعة وعاقبتها الاثم والندامة حتى قال بعضهم : النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة وقيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله وذلك لأن صاحبه ملق بيده الى الشر مخاطر بجاهه ونفسه وعرضه ودينه ولذا كانت مودته أعظم ضررا من عداوة العاقل كما قال بعض الحكماء في شعره (وان من الشعر لحكمة) :

اني لآمن عدو عاقل ... وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد طريقه ... أدري فأرصد والجنون فنون

وقال ابن أبي الحديد :

حياتك لا تصحبن الجهول ... فلا خير في صحبة الأخرق
يظن أخو الجهل ان الضلا ... ل عين الرشاد فلا ينتقي
ويكسب صاحبه حمقه ... فيسرق منه ولم يسرق
وأقسم ان العدو اللبيب ... خير من المشفق الأحمق

ان الأحمق اذا ساوره الغضب أو الطمع أو الشهوة أو البخل أو الجبن أطاع هواه وهدم من مجده جميع ما بناه وقلب لحميمه ظهر المجن فخذله مم الخاذلين وحاربه مع المحاربين ونسي الفضل بينهما . فأي خير في صحبة الأحمق يريد أن يزينك فيشينك ، ويحاول أن ينصرك فيخذلك ، يضرك وهو الحريص على نفعك فأي خير في صحبته ، ان في صحبته أنواع الضرر واقسام الخطر أقلها سراية الحمق الى رفيقه ، كما دل عليه الكلام السابق لأمير المؤمنين ولذلك قال (ع) : لا تصحب المائق (أي الأحمق) فانه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله .

ابن شرف الدين

صور ـ المجلد الثاني ـ مجلة العرفان

في مجالس السيدات

جمعية مجانين

العادة في البدن لا يغيرها إلا الكفن

وكانت صالة المزورة غاصة بالزائرات والموقد الكهربائي ولغط السيدات قد جعلا المكان كالحمام السخن المقطوع ماؤه ، واذ دخلت السيدة م· وهي في فرائها كالحمامة الغارقة في ريشها ولم يبد الا عيناها · فقالت السيدات مازحات : أهلا برويتر ·· ذلك لأن عادة هذه السيدة أن تأتي بالأخبار التي تعصى على مخبري الجرائد ، ولذلك لقبوها بروتر ، تلك الشركة التلغرافية التي تأتي بالاخبار من جميع أنحاء العالم ·

ــ اخلعي المانتو وانزعي الفرو يا مدام فان كهرباء اديسون جعلت الشتاء صيفا والليل نهارا ·

فقالت : والله ما تدثرت بالصوف والفرو لأني بردانة ، بل لأن « الملكة موضة » أمرت فأطعت ، انني أقاسي من ثقل هذا الجلباب أكثر مما أقاسي من البرد ، وزوجي يقاسي من فاتورة الحساب أكثر مما يقاسي من الاستحقاقات للبنوك : تالله كم تقدرون في هذه الصالة الآن من سلع وبضائع ؟

فجعلت السيدات ينظرن في رياش الصالة وزخارفها البديعة · فقالت صاحبتنا : ما بالكن تتطلعن هنا وهناك ؟ لماذا لا تنظرن في أنفسكن وما عليكن من أطالس ونفائس وجواهر ومفاخر ، أليست كلها تملأ مخزنا كمخزن صيدناوي أو الماوردي او غيرهما ؟

فقالت مدام ص : و « مالو » لولانا ولولا أمثالنا لانقفلت

المخازن والدكاكين ، أما نحن سبب حركة السوق ٠

بلى يا أم حركة ، ولولانا أيضا لما حدثت في هذا الشهر تسع مئة تفليسة ٠

فقالت بعضهن : « يا حفيظ » تسع مئة تفليسة ؟ ما شعرنا بشيء منها ٠ كيف حصلت وما زلزلت الارض زلزالها ٠

فقالت أخرى انت الصادقة ١٩٠ تفليسة فقط ، لقد كانت رواية الجرنال خطأ وقد تصححت اليوم ٠

فقالت مدام م : اذا كان في هذا الشهر ١٩٠ تفليسة ففي الشهر القادم نسمع بألف وتسع مئة تفليسة ، الرجال ونحن هنا نهلس ٠

ــ وماذا في يدنا يا مدام ، الرجال احتكرت الاشغال ٠

ــ ونحن احتكرنا الاقوال ، تفضلوا لتوا واعجنوا ورجالكم صامتون مغمومون يفكرون كيف يستشفون من هذا الطاعون ٠

ــ أي طاعون يا مدام ؟

ــ طاعون البذخ والاسراف ، طاعون الموضة المشوقة التي تعميكم ٠

هلس النساء ولهو الرجال :

فقالت مدام ن : ولماذا أنت زعلانة يا مدام ٠ الدنيا بألف خير ٠ نحن هنا « نهلس » والرجال في القهوات يلعبون ويشربون ويطربون ٠ روحي للسنماهات تجديها غاصة بالمتفرجين روحي للتياترات (المسارح) تجديها ملآنة من المقهقهين ، روحي لسائر الملاهي تجديها تعج بالمترنمين والراقصين ، فلو كان التفليس عموميا لكنت تجدين كل رجل يأوي الى منزله ويساهر عائلته ويوفر على زوجته ثقلة الزيارات ٠

فقالت مدام م : انهم يفرجون كروب النهار بملاهي الليل ٠ ولو كانت الدنيا بألف خير كما تقولين لما كنت ترين صاحب الأوتوموبيل يبيع أوتوموبيله وصاحب الأطيان يرهن حلي زوجته لكي يسدد نفقاته ٠ ولو كانت الدنيا بألف خير لما كانت

البنوك تصد المستدينين وتسحب بروتستات على المديونين ، أما قرأت انه في هذا الاسبوع سحب ألف بروتستو ؟

فقالت مدام ل : يا ساتر ألف بروتستو ؟ يعني ايه البروتستو ؟ ورقة والسلام ٠

فقالت مدام م : أي نعم ورقة والسلام ، وآخرتها ورقة طلاق يا شاطر ٠ متى وقف زوجك في المحكمة وسمع نطق الحكم بالدفع ترين تلك الورقة تشد أذنك ، فأما أن تنزعي الحلقة منها وأما يفلس زوجك ولا يستطيع أن يلبي طلبك متى ترعرعت الموضة القادمة يا روحي ، فاما أن ترضي بما قسم الحظ أو تطلقي ٠

فقالت مدام ل : الكريزة (الازمة) عمومية في كل الدنيا يا مدام ٠ وما هو ذنبنا نحن اذا كان رجالنا لا يستطيعون أن يمنعوا الكريزة ٠

فاستشاطت مدام م ، وقالت : كل الذنب ذنبنا لأننا نحن نبدد كل تعب رجالنا سدى على هذا البذخ ، كل يوم فستان جديد وبرنيطة جديدة ومركوب جديد والى ما لا نهاية له ٠ هل مكاسب الرجال نبع دائم الجري (اختشوا على عرضكم) ٠

فقالت مدام ع : والله ما لبست الا لأن زوجي البسني هو أراد وأنا فعلت ٠ فأنا خلاصة ارادته وصورة أهوائه وأمياله ٠

فقالت مدام م : والله ما أراد الا لأنه خاف من أنك تقيمي القيامة على رأسه وأنت تقولين فلانة تلبس وأنا لا ٠

وهل تريدين أن أبقي بلا موضة وخدامتي تلبس برنيطة أنفس من برنيطتي ومركوب أعلى من مركوبي ٠

خدامتك تلبس لأنها تتشبه بك ٠ وأنت تلبسين لأنك تتشبهين بصديقتك ٠ وهي تتشبه بصديقتها ٠ وكلنا مثل السعادين مرضنا هذا التشبه اللعين « حطوا عقولكم بروسكم » يا مجانين ٠

الرجال للعمل والنساء للبس :

فقهقهت جميع السيدات وقالت مدام ع : ورأيك اننا نلبس (خيش) ؟ عجب يا ناس كلما حدثت كريزة قالوا بذخ النساء • نحن مالنا • الرجال خلقوا للعمل ونحن خلقنا للبس • وليعرف الرجال شغلهم • اذا كانــوا لا يقدرون أن يتلافــوا الكريزة فليدعونا ننزل لميدان الشغل ونريهم كيف نحارب الكريزات •

فضحكت مدام م لأول مرة وقالت : (أرينا بدعك) أظنك تحاربين الكريزة (بجوزين كلام هلس) •

فقالت مدام ع : لا لا • بل نؤلف عصبة ونحتج على الرجال ونحوجهم أن يمتنعوا عن اللعب والشرب والملاهي فيتوفر المال وتصلح الحال ونبقى نحن تماثيل الجمال في دولة الدلال •

هذا كلام فارغ • لا يصرف الرجال في هذه الملاهي عشر معشار ما نصرفه نحن في الموضة اللعينة •••

فقاطعتها مدام س ، وقالت : « طيب » وما رأيك ؟

رأيي اننا نمد بساطنا على قدر رجلينا • الرجال الآن في نكبة من سوء الحال • وكل رجل يقطع من لحمــه لكــي يقوم بنفقات عائلته •• حرام عليكم •• يجب أن نقابل هذه النكبة بسلاح الاقتصاد •• الآن وقت الاقتصاد ولا يمكن أن يكــون الاقتصاد مخففا وطأة هذه المصيبة الا باتفاق كل النساء على الكف عن تبديد ما يكسبه الرجل • رأيي أن نؤلف جمعيــة غايتها السعي الى هذا الغرض أي للاقتصاد جدا بكل شيء في اللبس واللهو والنزهة • يكفي أن تجتمــع ببساطــة الملابس وبساطة الاثاث ونقتنع بفنجان قهوة وبلاش هذه السكاير التي انصرفت عن الرجال واستعبدت النساء ، نلهي أنفسنا باللت والعجن ونتنافس على الاقتصاد • اذا فعلنا هذا خففنا كثيرا من أحمال الرجال • مساكين الرجال لقد وقعوا تحت الحمل الثقيل الذي نحملهم اياه • نحن نتنافس في البذخ والاسراف فيضطرون أن يتقاتلوا لأجل الفلوس • عودوا لعقولكم يا نساء •

جمعية مجانين :

فقالت مدام ج : والله ان مدام م تقول الحق وكل الحق ، كلامها كله حكم • تستحق أن تكون زعيمة فأقترح أن ننتخبها رئيسة الجمعية التي اقترحتها •

فصاحت مدام م : لالالا • لا أستحق أن أكون زعيمة جمعية مجانين •• فقهقهن جميعا وقالت مدام ل : لماذا تقولين جمعية مجانين يا مدام ؟

فقالت مدام م : كم جمعية ألفنا ؟ وأي جمعية من جمعياتنا لم تنحل من أول اجتماع أفلسنا مجانين ؟ فتشوا عن أجن واحدة فيكم وانتخبوها رئيسة لجمعيتكم •

فقالت مدام ع : من أجن واحدة فينا ؟

فقالت مدام ن : نسحب قرعة •

فقالت مدام ص : لا القرعة لا تصدق • نريد أن نعرف من هي أجن واحدة فينا لكي نعرف كيف يكون الجنون •

فقالت مدام م ضاحكة : أنا أقول لكم كيف تعرفون من هي منا أليق بالرئاسة للجمعية • أسألكم سؤالا والتي تجاوب أولا تكون الرئيسة •

فقالت فقالت بعضهن متوقعات سؤالا غريبا : ما هو سؤالك يا مدام ؟

فقالت مدام م باسمة : نزلت أمس الى السوق ، فوجدت في أحد المخازن أوكازيون نصف أسعار • فدخلت الى قسم البرانيط فقدمت لي بائعة البرانيط برنيطتين الواحدة جميلة جدا وفاخرة وغالية كانت تساوي خمسة جنيهات وقد عرضوها بجنيهين فقط ولكن (موضتها) انتهت والأخرى جميلة غير فاخرة ، أي أنها لا تساوي جنيهين وانما هي على آخر موضة وقد جعلوا ثمنها خمسة جنيهات ، فاحترت أيهما أشتري ، فماذا تشوروا علي ؟

فبادرت مدام س بالجواب قائلة : بالطبع أشتري التي على آخر موضة •

فقالت مدام م : هذه هي آجن واحدة فيكم فانتخبوها رئيسة الجمعية ٠

فقهقهت السيدات جميعا وسرى اللغط بينهن كأنه كما قال شوقي :

لجة عند لجة عند أخرى كهضاب مادت بها البيداء

ثم قالت مدام ي : لماذا تحسبين مدام س آجن واحدة يا مدام ماذا تنفعك البرنيطة التي بطلت موضتها ولا تستطيعين أن تضعيها على رأسك ٠ أليس الافضل أن تشتري البرنيطة التي لا يليق غيرها لهذا الرأس المملوء عقلا ٠

فقالت مدام م : دونكم مدام ل ٠ نائبة للرئيسة فهي نمرة ٢ ٠

فدوى الضحك في المكان كأنه الرعد القاصف وقالت مدام ل : لماذا أنا مجنونة نمرة ٢ ؟ لأنك جعلت نفسك عبدة لملكة الموضة٠ أما أنا فأشتري البرنيطة الأولى لأنها فاخرة ورخيصة وأدوس على ملكة الموضة برجلي ٠

ولبطت الارض برجلها فارتجت تحتها ، فقالت مدام س : « حاسبي » يا مدام على كعب مركوبك فقالت : لا تخافي ٠ كعب مركوبي واطيء وقد لبسته خصيصا لكي أدوس به على رقبة الموضة ٠

الموضة العدوة :

ولبطت الارض برجلها مرة أخرى واستمرت تقول :

أما قلت لكم ان جمعيتنا جمعية مجانين لأننا لا نزال نعبد الموضة وهي عدوتنا التي جرت الافلاس على رجالنا ٠ أفلسنا حتى أصبحنا لا نستطيع أن نقتني الغالي ولا الرخيص ٠ وما تبنا عن هذه الموضة ٠ وغدا نرى آنفسنا اننا لا نقدر أن نشتري البرنيطة الجديدة ولا القديمة ٠ فان كنتم عاقلين تقاتلون هذه الموضة اللعينة الخبيثة التي تسلبنا أموالنا قبل آن تقتلنا ٠ ان قطننا كسد لأن معامل أوروبا أضربت عن شرائه ٠ فاذا كنا عاقلين نغزله نحن ونحوكه بايدينا ونعلم أوروبا كيف

يكون الاضراب ••

فقالت مدام ع : صدقت صدقت يجب أن نكون عاقلات ونحارب الموضة • هلم نؤلف جمعية لدعوة السيدات الى هذا القصد • اني أقترح أن تكون مدام م رئيسة •

وباجماع الاصوات انتخبن مدام م رئيستهن في الحال • وفيما هن يتباحثن في قانون الجمعية ونظامها دخلت مدام ط

وهي أميرة الخياطات فاستقبلنها بالحفاوة والاجلال • وبعد التحيات والتسليمات المألوفة جعلت هذه تسألها عن الموضة الجديدة ، وتلك عن الألوان الجديدة ، وهاتيك عن التطرين ورسومه ، ومدام م صامتة وهي تغلي غيظا حتى انفجر مرجل غضبها وصاحت : اني متنازلة عن رئاسة الجمعية لمدام ط • قلت لكم اني لا أستحق أن أكون رئيسة جمعية مجانين • السلام عليكم •

ونهضت تريد الذهاب فأمسكن بأذيالها ضاحكات وقلن : لا تغضبي يا مدام سنغير الحديث الذي أصبح عادة النساء ونعود الى حديثنا الجديد •

فقالت : نعم « عادة في البدن لا يغيرها الا الكفن » متى متم وولدتم ثانية أخبروني لكي نعقد اجتماع الجمعية الثاني وخرجت •

مجلة السيدات والرجال

* * *

كتاب « وحيد الدين خان »

الاسلام يتحدى

حضارتهم تنتحر بعد تخليها عن الدين !

بقلم : الدكتور محمد صادق

بعد أن دخلنا القرن الخامس عشر هجري ..
ودخلنا عام ١٩٨١م ..

ففي هاتين المناسبتين يجدر بنا أن نلقي نظرة الى الأحداث التي خلفناها وراءنا لتأخذ منها العبرة ونحدد معالم الطريق .
لقد جاءت الأحداث الصاخبة في شرقنا العربي لتثبت لكل ذي عينين وأذنين ان معركتنا ، برغم صليل الحديد حولنا وقعقعة السلاح .. ان معركتنا التي نفرض شروطها على أنفسنا ، قبل أن يفرضوا شروطها القاسية على مصيرنا ، ليست سلاحا كلها ، وليست سياسة وديلوماسية كلها ، بل هي الى ذلك ، وفوق ذلك كله ، ثقافة ..

انها ثقافة من أذن لهم أن يعدوا ما استطاعوا من قوة . فما هم أقوياء ، وما هم مستطيعون الا بها ، مناجزة العدو ومثاقفته .
انها ثقافة من سلمهم غنى لأنفسهم ، وحربهم أذى على أعدائهم ورسالتهم أن يبلغوا بقوتهم مبلغ الرجال ، يبطلون الحرب لأنها لن تكون سوى دمار للمنتفعين منها ، المتاجرين بها ، والواقفين مجدهم عليها ..

والثقافة بمعناها الاسلامي الجزل الجليـــل ، أو بمعناهـــا الحديث الذي اصطلحت عليه الأمم ، ليست معرفة فحسب ، بل اتقان فنون المعرفة والحذق بها أيضا ، فهي علم وتقنية معا .
وهي أعظم من الاتقان ، عندما تبلغ حدود الابداع . ثم هي

تصميد الابداع الى أفق المشاركة الحضارية كما يعلمنا الاسلام. وقد بلغت ثقافة الحضارة العربية بالاسلام هذا الأفق الطلق الرحيب ، وانفتحت على العالم شعوبا وأعراقا ، لتنتقل منه وتبدع فيه وترد اليه . ولسنا بنشداننا حضارة السماحة والجود نأخذ من الغير بلا حرج ، ونمنحهم بلا منة ، الا عائدين بمعنى الثقافة الحضارية الى منابعها في أعماقنا وفي ذرى تاريخنا الاسلامي ..

بهذا فهمنا التحدي الاسلامي الذي بدأ يظهر في الأفق ، ان الاسلام اليوم يتحدى !.

ان الرقي والاحترام ، والسخاء ، وعظمة الاخلاق ، والقيم والمشاعر السامية ، وكل ما يمكن اعتباره نفحات الهية ، لا يمكن الحصول عليها عن طريق الالحاد ..

الالحاد نوع من الأنانية .. حيث يجلس المرء على كرسي الله ..

سوف تنتحر هذه الحضارة بدون العقيدة والدين ..
سوف يتحول النظام الى فوضى ..
سوف ينعدم التوازن ، وضبط النفس ، والتمسك .
سوف يتفشى الشر في كل مكان ..
ان الحاجة ملحة لأن نقوي من صلتنا وعلاقتنا بالله ..

بهذه النبوءة التي كتبها رئيس أكاديمية نيويورك ، يختتم الكاتب الهندي (وحيد الدين خان) كتابه (الاسلام يتحدى) .

ولقد صدر الكتاب أول ما صدر باللغة الاردية ، ثم ترجم الى الانكليزية والفرنسية ، ومن ثم الى العربية .

قرأت الكتاب في طبعته العربية الأولى التي نفذت ، وتحركت للكتابة عنه ، ثم ردني الى الصمت احساس بأن هذا الكتاب ليس من نوع يكفي فيه أن تقرأ عنه ، أو تقرأ حوله ، سواء كان عرضا ، أو تلخيصا .

ينتمي الكتاب الى نوع الكتب الجيدة التي يزيد ثراء المرء لو قرأها •• ويضيع عليه الكثير لو اكتفى بالقراءة عنها دون قراءتها •• ويا ليت الذين يجلسون على رأس السلطة في العالم الاسلامي يقرأون هذا الكتاب ليتذكروا معالم الاسلام ، وصفاء الاسلام ، وروح الاسلام •

مؤلف الكتاب هو ثالث ثلاثة من كتّاب الهند والباكستان •• يحملون اليوم عبء الدعوة الاسلامية وينطلقون وسط تحديات العصر وتيارات الالحاد بأقلامهم وضمائرهم محاولين وقف زحف التيار الأثيم واشعال شمعة تبدد الظلام الفاجع •

العمالقة الثلاثة هم : (أبو علي المودودي ، توفاه الله مؤخرا) و (أبو الحسن الندوي) و (وحيد الدين خان ••) •

وهكذا يسخر الله تعالى لهذا الدين ، أقلاما لا تعرف العربية ولا تنطق بها ، وان كانت تفهم الاسلام حق الفهم وترعى أمانة تبليغه للناس ، واذا كان أكثر ما يكتب عن الاسلام في هذه الأيام لا يخرج عن الشكل التقليدي ، فقد جاء هذا الكتاب نقلة حقيقية في الاقتراب من الاسلام والدعوة اليه •

نحن نعرف ان الاسلام يقوم على جناحين هما العقل والوجدان •• أو العلم والحلم ، أو المعرفة والحب • واذا كانت المؤلفات التي تدعو الى الله بايقاظ الوجدان واثارة الحب قليلة، فان المؤلفات التي تدعو الى الله بالعلم أقل من قليلة ••• ومن هذا النوع الثاني ينتمي كتاب وحيد الدين خان ••• وليس هناك حصر لعدد المشكلات التي يواجهها الاسلام في هذا العصر ومن هذه المشكلات ما هو علمي بالدرجة الأولى •

وأيا كان الامر ، فان هدف الكتابات العلمية والوجدانية واحد ، وهو احياء دولة الاسلام كما يريدها الله تعالى لعباده ، وبعث المجتمع الاسلامي الراقي الذي تنبعث فيه الرقابة من الضمير ، ولا تجيء من عصا الشرطة ، وأخطر ما في كتاب

(الاسلام يتحدى) انه يدعو الى الله بالعلم ٠

ومن المعروف ان العلم نسبي ، ومتغير ، ومتطور ٠٠ والله تعالى مطلق لا يدركه تغيير ولا يخدش جلاله تطور ٠٠٠

فكيف ندعو بما هو نسبي الى ما هو مطلق ٠٠٠

وقعت كثير من الكتب في هذا الفخ ٠٠

وكره كثير من رجال الاسلام والمدافعين عنه أن يكون العلم هو آية الدلالة على الله ٠٠٠

ونجح كتاب (الاسلام يتحدى) أن يتجاوز هذا الفخ ٠٠

انه يثبت بالعلم الذي يكتمل كل يوم ، جلال الكمال الالهي ذاته ٠٠

أبدا ٠٠ انه لا يفعل شيئا من هذا ٠٠

كل ما في الامر انه يثير بالعلم أفكارا تجعل من العسير على انسان يحترم عقله أن يؤمن ان الخلق جاء صدفة ، أو ان الكون يمضي بغير تدبير من أحد ٠٠

وقديما كان علم الكلام هو كل جهد السابقين للبرهنة على وجود الله واثبات الرسالة ٠٠٠ وكان علم الكلام يستخدم الأقيسة المنطقية ، وهي أقيسة بليت لطول ما لاكتها الألسن ، وأصبح التحدث بها داعية الى الملل منها ، فضلا عن صعوبة لغتها لشباب الاسلام ، الذي يعيش ظروفا تختلف عن ظروف الزمان القديم ٠٠٠ وتطالعه ثقافات جدلية ماهرة ، ومناهج علمية تجريبية ، ولم يعد العقل يقتنع بدونها ٠٠ لقد تقدم الشك واستولى على كل الجبهات الأمامية في عقول الناس ، وسقطت كل القضايا القائمة على المسلمات المنطقية ، ولم يعد العقل الحديث يقبل التسليم منطقيا بأمر الا بعد مناقشته ٠٠ وصار علم الكلام غير قادر على اقناع ملحد حديث بخطئه ، وصارت الحاجة ماسة الى أسلوب جديد في الفكر والاقناع يتفق مع عصرنا الذي ساده العلم ، وساده في نفس الوقت احساس الشرق بالهزيمة أمام الغرب ٠

لهذا السبب يقودك الكتاب في رحلة خارج النفس وداخلها ٠
رحلة مع الذرات المادية ، ومع الأفلاك والنجوم والمسافات الضوئية ٠٠
رحلة مع قوانين الرياضيات والكيمياء ٠٠
رحلة يصعب عليك أن تصدق ان هذا الاحكام والاعجاز يمضي هكذا كيفما اتفق ٠٠ أو يمضي طبقا لقوانين الصدفة٠٠
يقول الكتاب في باب (صدفة أم عمليات حكيمة) :

استطعنا معرفة عمر الكون بعد كشف العناصر المشعة ٠٠ وتثبت الأشعة أنه قد مرت ألف وأربعمائة مليون سنة على تجمد أقدم جبال في الارض ٠٠ ويذهب البروفسور (سولينان) الى أن المعدل المعقول لعمر الارض هو (٢٠٠٠) مليون سنة ، نتأمل الآن ، كيف تستطيع هذه المدة أن تنتج لنا ما نراه على الارض من حيوان أو نبات ٠

ان المادة العادية ـ التي تخلو من الروح ـ تحتاج الى بلايين البلايين من السنين حتى يتسنى مجرد امكان لحدوث (جزيء بروتين) فيها بالصدفة ، فكيف جاءت خلال الالفي مليون سنة وهي عمر الارض المقدر ، كيف جاءت مليون نوع من أنواع الحيوان ، وأكثر من ٢٠٠ ألف نوع من النبات ، وكيف انتشرت هذه الكمية الهائلة على سطح الارض ، وكيف جاء من خلال هذه الانواع كلها المخلوق الاعلى الذي نسميه الانسان ٠

تقوم نظرية النشوء والارتقاء ، على أساس تغيرات صدفية محضة ، ولقد حسب الرياضي (باتو) هذه التغييرات ، وكانت نتيجة بحثه أن احتمال تغيير جديد في جنس ، قد يستغرق مليونا من الاجيال ٠

فلنفكر في أمر الكلب الذي يزعمون انه جد الحصان الأعلى كم من المدة ، على قول الرياضي (باتو) سوف يستغرقها الكلب حتى يصبح حصانا ٠

يقول عالم الأحياء الامريكي (مارلين بركريدر) :
(.. ان الامكان الرياضي في توفر العلل اللازمة للخلق ، عن طريق الصدفة ، في نسبتها الصحيحة هو ما يقرب من لا شيء) .

وهكذا يلجأ الكاتب لمنهج جديد في الدراسات الاسلامية ... منهج قد يبدو مستحدثا وغريبا .. انه يحاول اثبات الدين أمام الفكر المادي الجديد ، بنفس الأسلوب الذي يثبت به الملحدون عقائدهم .

كأنه يستعير عقول القوم وألسنتهم ليريهم بها أن ما يحاولون اثباته ، هو عكس الحقيقة التي كان ينبغي أن تطالعهم لو أحسنوا استخدام العقول ..

والكتاب لا يستهدف تفسير الدين .. ومن حقه اذن أن يختار الأسلوب الذي يحلو له في الاقناع ، واللغة التي يراها مناسبة للنفاذ الى العقول والأفئدة ، والمنهج الذي يعين على بلوغ الهدف ، ونشهد ان الكتاب قد اختار ... فأحسن الاختيار .

ومنذ بعث الاسلام الى اليوم ، وعلى امتداد أربعة عشر قرنا من الزمان ، كتب الكاتبون وسطر المسطرون ملايين الكلمات في الاسلام وعبقريته ..

ولو نخل التاريخ وغربلنا الكتب الجيدة التي تدعو الى الله ، لكان كتاب « الاسلام يتحدى » هو أحدها بغير شك ..

نسأل الله لمؤلف الكتاب أن يتقبل عمله .. ويملأ قلبه بالنور ، وعقله بالمعرفة ، وروحه بالرصانة ، وقلمه بمداد لا يكف عن التحدي ..

قصـة العـدد

القدر

«مترجمة»

خيم الظلام والمرضع لم ترجع بالطفلة الى البيت •

قلقت ماري وأخذت تطل من النافذة بين دقيقة وأخرى وتنصت لعلها تسمع صوت عجلات السيارة القادمة • وأخيرا نفذ صبرها فأسرعت نحو زوجها في مكتبه وقالت له : ادمون اني قلقة على ابنتنا فقد ذهبت بها المرضع للنزهة كالعادة وحتى الآن لم تعد •

فنظر اللورد في ساعته وقد بدت عليه معاني القلق ثم قال لزوجته مهدئا اضطرابها :

ــ لا تخافي يا عزيزتي فقد تكون عائدة بها الآن ومع ذلك فسأبعث الخدم للبحث عنها •

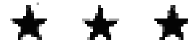
ثم قرع الجرس لكبير الخدم ، وخرجت زوجته عائدة الى مخدعها •

بعد ساعتين عاد الخدم يحملون جثة المرضع وسائق السيارة• وقرروا أنهم وجدوهما على الشاطىء •

ورأوا السيارة مقلوبة في البحر أما الطفلة فلم يقفوا لها على أثر •

فقامت قيامة الأحزان في قلب الوالدين وظلا أياما جادين

البحث والسؤال عن الطفلة في تلك الضواحي والغواصون ينشدونها في اللجة على غير طائل ·



مضى سبع عشر سنة على هذه الحادثة الاليمة ، وقلب الزوجين داميان لفقد طفلتهما ، خصوصا أنهما لم يرزقا سواها ولدا يؤنس وحدتهما ويرث أموالهما ·

وكان للورد أخ أصغر منه سنا توفي وزوجته عن ابن بلغ الخامسة من العمر فأحضر اللورد ابن أخيه اليتيم الى قصره وعني بتربيته فكان بمنزلة ولده · وقد أحبته ماري لأنها وجدت فيه تعزية عن ابنتها المفقودة فنشأ الصغير في أحضان الدلال مغمورا بعطف عمه وامرأة عمه ، وكان يدعوهما والديه ·

على أن كثرة التدليل تأتي غالبا بعكس المرغوب من تهذيب الأخلاق · اذ يشب الولد على ضعف في الارادة واتباع أهواء النفس ، والنفس أمارة بالسوء كما هو معلوم ، فلا تعجب اذا كان وليم في شبابه يقضي معظم ليله على موائد الميسر وما اليها من سبل الزيغ التي كانت تكلفه أموالا طائلة ·

ورأى عمه منه ذلك فاستاء وحاول ردعه بالنصح والارشاد وقد ضيق عليه بالنفقة ظنا منه أنه يضع بذلك حدا لضلاله ، غير أن وليم استمر سائرا في طريقه الشائك فلم يدر الا وقد وقف الدائنون سدا في وجهه وتهددوه باشهار افلاسه ففقد صبر عمه حينئذ وطرده من منزله ، فخرج يتعثر بأذيال الخيبة · ولم ينس في تلك الساعة واجبه نحو التي كانت بمنزلة أمه ، فعرج الى مخدعها وارتمى بين ذراعيها وقد انفجرت مآقيه ·

فبكت ماري لبكائه وجعلت تخفف عنه برقة كلامها ، ثم حاولت أن تصلح ذات البين بينه وبين زوجها فلم تفلح · فزودته بما كان لديها من الدراهم والحلي ليستعين بها على العيش ، لبينما يفتح عليه بعمل يقتات منه ·

وأول فكرة خطرت لوليم هو أن يهجر وطنه ويذهب الى حيث لا يشاهد عارفوه ذله وفاقته ، وأخذ يستعد للسفر ، فذهب الى أحد الصياغ وعرض عليه الحلي التي معه ، فاشتراها منه ونقده ثمنها ٠

وكان بعض اللصوص يراقبونه حتى اذا ابتعد من السوق الى شارع صغير قليل المارة هجموا عليه كالذئاب فتلقاهم وليم بعصاه ٠ وكان بارعا بلعب السيف ولما شعروا بضعفهم أمامه لجأوا الى الغدر ، فانسل أحدهم الى ورائه وطعنه بخنجر بين كتفيه طعنة ألقته الى الارض مضرجا بدمائه ، ثم أفرغوا جيوبه وذهبوا آمنين ٠

في تلك الساعة مر كهل وصبية من النور الذين يتعاطون ألعاب البهلوان واذ رأيا القتيل ذعرا وأراد الرجل أن يسرع في الهرب خوف أن يتهم بقتله فأوقفته الفتاة قائلة : ليس من الشهامة يا أبي أن نضن بالاسعاف على هذا الشاب فقد يكون فيه رمق من الحياة ٠

وكأنما كلماتها نبهت فيه المروءة البدوية فوقف ثم انحنى على الجريح يجس قلبه بينما كانت الصبية تمعن فيه نظرها آسفة على شبابه الغض وطلعته الجميلة ٠

وما لبث الرجل ان قال : هو حي فيجب أن نعلم جمعية الاسعاف ٠

ـ بل نحمله الى خيمتنا ونعتني به بأنفسنا ٠

ـ واذا فاجأنا رجال الشرطة ٠

ـ لا خوف علينا ما دام حيا ، فسيفيق من اغمائه ويقرر الحقيقة ٠

وكان لألفاظ الفتاة ونغمتها تأثير سحري في قلب النوري الجاف فما لبث أن أحاط الجريح بذراعيه ورفعه كالطفل ، ثم

انطلق به وابنته خلفه •

وبعد ساعة عاد الى وليم رشده ففتح عينيه ولما رأى نفسه في خيمة على فراش خشن صاح مستغربا أين أنا ؟!

فمثل أمامه وجه مليح بعينين ترسلان أشعة اللطف والاطمئنان وثغر باسم قد ضمت شفتاه المرجانيتان اشارة الى التزام الصمت وتلا ذلك صوت موسيقي يقول :

ـ اطمئن يا سيدي فأنت في ضيافة أصدقاء يسهرون عليك •

تململ وليم محاولا الجلوس فشعر بألم ، فحاول أن يتذكر ما مر به ، الا أن الفتاة خففت عنه تعب الفكر بأن قالت :

ـ أنت جريح أيها السيد وقد وجدناك ملقى على قارعة الطريق فأتينا بك الى حيث نستطيع معالجتك وخدمتك الى أن تشفى فتخرج معافى •

وكانت عيناها وهي تتكلم تفيض نورا ونبرات صوتها اللطيفة تفعل في دماغ وليم فعل السلاف ، فتناول يدها السمراء وقبلها قبلة الامتنان ثم أغمض أجفانه ونام نوما هادئا • ولم يمض بضع ساعات حتى هاجمته الحمى بشدة فأخذت الفتاة تحاربها بالمكمدات الباردة وسائر الوسائل التي تعرفها ، وكان والدها يساعدها في تمريضه ويحضر له جرعات مختلفة من الأدوية التي يتقنها النور الى حد يغنيهم عن الطب والاطباء •

ومضت أيام والجريح في خطر ، والفتاة نينا تبذل وسعها في خدمته ملازمة اياه ليلا ونهارا الى أن اجتاز دور الخطر وهبطت الحمى عنه ففتح عينيه ، وأول شيء فعله هو أنه أجال بصره باحثا عن الوجه الوسيم الذي انطبع في مخيلته من أول نظرة وما برح ماثلا في غيبوبته •

وشعر حينئذ بيد لطيفة تمر على جبهته وشعره فأغمض عينيه ثانية خوف أن تجفل من وهج نظراته •

وبعد قليل طرق سمعه ذلك الصوت الرائق الذي هز أوتار فؤاده قبلا ٠

صوت نينا الفتاة النورية ممرضته تقول له وقد انحرفت في مجلسها بحيث قابلته بوجهها :

ـ كيف أنت الآن يا سيدي ٠

ـ انني بخير ٠٠ شكرا لك ٠

ـ لا موجب للشكر فقد فعلت الواجب ٠

ـ كلا بل أنت في حاجة الى الراحة أسبوعا كاملا وربما أكثر الى أن تتعافى تماما ٠

لم يكن أشهى الى قلب وليم من البقاء قريبا الى جانب ذلك الملاك لولا شعوره بالتثقيل عليها ٠ الا أنها ما لبثت أن أزالت منه هذا الشعور بحسن معاملتها اياه وتفانيها في خدمته وتوفير أسباب الرفاهية له ٠

وقد زاره والد الفتاة وبعض من رجاله فسر بعشرتهم وقضى أيام النقاهة في هناء وحبور متمنيا لو يتاح له أن يقضي أيام حياته في تلك الخيمة بين أولئك القوم السذج الذين لا يعرفون التمويه والخداع والتزلف والنفاق المرافق لحياة المدينة ٠

وسمع يوما جرسا يدق في الخارج ثم جلبة وضوضاء فأطل من النافذة فرأى أصدقاءه البدو على استعداد لاجراء ألعاب رياضية ومسابقات على ظهور الجياد ولعب الجريد ٠

وما هي الا ساعة حتى امتلأت الساحة بالمتفرجين ، وحينئذ برزت نينا على ظهر جواد مطهم وأخذت تجري به ضمن حدود الدائرة والناس تصفق لها استحسانا ، ومن ثم أخذت تبدي من ضروب الخفة والشجاعة ما حير عقل وليم ٠

فلما عادت الى الخيمة تناول يديها مهنئا ، وأثنى عليها ثناء طيبا ، الا أن نينا لم تكن مغتبطة بشيء لأنها شعرت بقرب

الساعة التي سيفارقها فيها الشاب فكانت تعلو محياها معاني الحزن توقعا لتلك الصدمة . فقد أحبت الشاب دون أن تعرف من هو ولكنها أدركت البون الشاسع بينها وبينه ، فتولاها يأس عظيم .

أخيرا أتت الساعة التي توقعتها ودخل والدها على ضيفه يعلمه بأنهم راحلون عن تلك الضاحية وله أن يعود الآن الى منزله .

فلم يتردد وليم بل قال له : لقد أحببتكم وصبت نفسي الى معيشتكم والاشتراك بألعابكم مع قليل من التمرين فاني ماهر بركوب الخيل فاذا شئتم أن تقبلوني بين رجالكم فاني أعاهدكم على الاخاء وأجري على شرائعكم وأقوم بشروطكم وأفعل كلما تطلبونه مني . فنظر اليه النوري محملقا وقال : أنت !. أنت يا سيدي تتحمل شظف العيش نظيرنا ؟ وصاحت نينا ابتهاجا وقد لمعت عيناها ثم هطلت دموعها تأثرا وانفعالا فدنا منها وليم وبسط لها يده وتناول باليد الثانية كف أبيها مقسما على الاخلاص لهما حتى النفس الاخير .



مضى سنة على وجود وليم بصحبة البدو برع فيها بألعاب الرياضة والتفنن بركوب الجياد ، فكان مكرما ومحبوبا من أسرته الجديدة ، وأخيرا عقد زواجه على نينا ، وبينما كان يوما يطالع الجريدة على عادته وقع نظره على الاسطر الآتية بين الاخبار المحلية : « اشتد المرض على اللورد ادمون جراهم وهو يطلب أن يرى ابن أخيه » .

ودع وليم زوجته وسافر واعدا اياها بأن يعود بأسرع ما يمكنه فنزعت من عنقها حلية بصورة قلب معلقة بسلسلة ذهبية وقالت له : احتفظ بهذا التذكار الذي لم يفارقني منذ كنت طفلة ، فتناوله منها وعلقه بسلسلة ساعته .

كان قصر اللورد جراهم ساكنا هادئا حين وصول وليم ، لا يسمع فيه سوى مداولة الاطباء وقد عقدوا اجتماعا طبيا للنظر في حالة اللورد ٠

دخل وليم على عمه بعد استئذان الاطباء حيث جثا عند سريره وانحنى على يده النحيلة يقبلها ويغسلها بدموعه ٠

فتح اللورد عينيه واذ أبصر ابن أخيه ابتسم ارتياحا وتمتم بصوت ضعيف تتبين فيه آنة الفرح :

ـ وليم ٠٠ ولدي ٠٠

وكأنما عودة وليم قد أعادت الصحة الى اللورد المريض ، فقضى ليلته تلك مستريحا ونام نوما هادئا ٠

وبعد اسبوع دخل اللورد في دور النقه فجلس في فراشه وأمامه زوجته وابن أخيه ، وشرعوا يتحدثون في أمور كثيرة ٠

وحدث أن وقع بصر ماري على الحلية معلقة بساعة وليم ، فمدت يدها وقبضت عليها وهي تقول : من أين لك هذه ؟

لم يستطع وليم جوابا لأنه خشي أن يكدر اجتماعهم خبر زواجه ببدوية فانتزع الحلية وقدمها لوالدته صامتا ٠

ففتحتها ، وما ان نظرت الى ما في داخلها حتى صاحت : ابنتي ، طفلتي فلذة كبدي ٠

فقبض اللورد على يدها وانتزع الحلية منها وحدق نظره فيها ثم أعاد كلمات زوجته :

ـ ابنتي ٠٠ من أين لك هذه يا وليم ؟

فقص عليهما حوادثه بتفاصيلها فلم يشكا بأنها ابنتهما المفقودة ، خصوصا حينما قال لهما آنه كان دائما يستغرب شكلها البعيد عن سحنة النور ٠

بعد اسبوع من هذا التاريخ جاء وليم بزوجته وأبوها الى

القصر . وكان الأب يحمل صرة تحت ابطه ، فقرر أمام اللورد واللادي زوجه انه من ثمانية عشر سنة وجد طفلة على شاطيء البحر بين جثتين باردتين فحملها والتحق برجاله الرحل وكانت تلك الحلية معلقة بعنقها ، فاحتفظ بها كما احتفظ بالثياب التي كانت عليها ، ثم فتح الصرة وما ان رأتها ماري حتى ضمت الثوب الصغير الى صدرها وجعلت تقبله وتقول : ابنتي .. حبيبتي ..

وكانت ساعة اللقاء أعظم من أن يستطاع وصفها . وبهذا اجتمع شمل الأسرة بعد تشتتها ، وشفي بعد ذلك اللورد من دائه وأغدق على مربي ابنته أموالا طائلة ، وخيره بين أن يقيم بينهم أو يأتي متى شاء لمشاهدة ربيبته .

الحب .. والعطاء

● ما أجمل الحب وما أروعه اذا رافقه العطاء ، العطاء الكلي ، العطاء بصدق واندفاع ..

وأجمل أنواع العطاء ، هو الذي يكون بدون مقابل ، وهذا ما يجب أن يشعر به كل مواطن تجاه لبنان .. لبنان الذي أخذنا منه أكثر مما يجب ، ولم نعطه شيئا .. واذا أعطيناه فأقل ما يستحق ..

ولكن ، لندع المثاليات جانبا ، ونتطلع الى الواقع .. والواقع هو الممارسة ..

والممارسة هي أكبر برهان .. ومن يعرف منا كيفية تحقيق « واقع » أفضل هو أحكمنا ، لأننا حتى الآن فشلنا في تحقيق الواقع المثالي ، وربما هذا أمر بعيد المنال .. لنعمل اذن الكثير حتى ننال القليل مما يمكن أن نسميه مجتمعا أفضل ..

فلنكن اذن واقعيين ، وانما بلا مهادنة ، ونعمل بتصميم وتخطيط واندفاع لتخليص مجتمعنا من كل العيوب أو بعضها التي ساعدت وأدت حتما الى انهياره ..

في مولد الرسول "ص"

شعر: صدر الدين الحكيم الشهرستاني

يا مشرق العرب جدد عهد ماضينا — وانشر لواء التآخي في أعالينا
وحقق الوحدة الكبرى يباركها — قرآننا مبدأ للدرب يهدينا
وابعث من العزم في أعماقنا هِمماً — تحيي من السلف الماضي امانينا
وافتح من النصر ابوابا توحدنا — حتى نحرر في عزم فلسطينا
وذكرن قومنا جهرا بعزتنا — انا بنينا على العليا مبانينا
انا رفعنا وللتحرير رايتنا — خفاقة والدنى كانت تلبينا
الله اكبر والتوحيد غايتنا — به ابدنا وفي الماضي أعادينا
الله اكبر والتحرير ديدننا — باسم الرسول رسول الله هادينا
ويوم ميلاده درس لامتنا — به ستحيي بعز مجد ماضينا

* * *

ولدت يا منقذ الدنيا وقائدها — وفيه عطر ماضينا ودانينا
ولدت فانهزم الكفر الظلوم الى — شقيقه الملحد المخذول ملعونا
ولدت فانهدت الاصنام هاوية — فوق التراب وبات الشرك محزونا
وقد تهاوى سجودا كل مقتدر — من الرجال وقد كانوا سلاطينا
وفي السماء نجوم للهنا انتثرت — تبشر الخلق مليونا فمليونا
وقد جعلت حبيب الله من قدم — وفيك قد ختم الله النبيينا
واختارك الله للدنيا مطهرها — فانت نبراسها تهدي المضلينا

* * *

يا صاحب الحوض ما احلى ولاءك في — كل القلوب وقد غذى الشرايينا
سموت قدرا فمن عيسى المسيح ومن — موسى ولو قد علا في طور سينينا
لولاك لم يخلق الله الوجود ولا — ضاءت شموس لنا تمحو دياجينا
فانت سر لهذه الخلق سيده — وانت محموده لا زلت مأمونا

وأنت أحمده بل مصطفاه وقد أهداك خالقه بالحق ياسينا
وقد سريت من البيت الحرام على البراق للقدس في اقصى فلسطينا
وخصك الله بالمعراج فازدهرت بك السموات تشريفا وتزيينا
وقد عرجت اليه بل دنوت له في قاب قوسين يا رمز المجينا
وعدت كي تملاء الدنيا علا وهدى وتنشر العدل والقرآن والدينا
وقاتلتك عصابات مذمرها غرورها وبقيت المصطفى فينا
حملت راية دين الله فانتصرت بك الشريعة احكاما وقانونا
الله ما اعظم الاسلام معتقدا شريعة كملت فيها مبادينا



يا قادة الحق والاسلام في بلدي من كربلاء اتينا الحق يحدونا
هاكم يد الشيعة البيضاء يدفعها اخلاصها لذري التوحيد يدعونا
وحطموا عصبيات تفرقنا لا تخدم العدل بل لا تخدم الدينا
وقد تكون جسرا للخصوم الى بلادنا ومحال ذاك يرضينا
تحطم القيد بالثورات واندحرت قوى الضلال وحررنا اراضينا
وكيف نسمح للقيد المحطم ان يصاغ ثانية يملى ايادينا
لا طائفية بعد اليوم فانتبهوا فالطائفية في الدهياء ترمينا
لا يقبل الدين أن نبقى تشتتنا روح التنازع في الاوحال تردينا
توحدوا الصف جذوا انف خصمكم وطهروا من بقاياه مغانينا



عجبت من معشر قد غرها نفر لشعبهم اصبحوا حقا مذلينا
قالوا كفرت ولم افهمه ما زعموا هل كفروا شاعرا يهجو الشياطينا
هل كفروني لاني لم اخن وطني أم كفروني لاني ارفض الهونا
فيا رؤوسا بها الاهواء لقد لعبت فتيدت عقلها فكرا وتخمينا
الله يعلم والاعداء تعرفني لم أتبع غير دين الله لي دينا
وان أحمد خير الرسل قاطبة نبينا وبه نهدي المضلينا
واهل بيت رسول الله سادتنا ائمة بهم نلقى معالينا
وانني لرسول الله ممتثل فلن اخون ترابا فيه ربينا
ولن اخون بلادا عشت مرتضعا من درها وانا طفل تناغينا
كانها أمنا حبا وعاطفة وانها مجدنا حكما وتقنينا

كربلاء ــ العراق صدر الدين الحكم الشهرستاني

يا غارساً في النشء

شعر: مظهر أطيمش

لجلال قدرك ها هنا ما نعقد وكريم فضلك بيننا ما تشهد
وعظيم ما أسديت من منن سمت مننا تلقفها الخلود السرمد
ولما بذلت من الجهود عظيمة عقدوه حفلا لا لغيرك يعقد
في حيث يحتشد الذين جهودهم ما أن تزال على الجهالة تحشد

* * *

يا غارسا في النشء ما تبغي العلى من أهلها ، ومواكبا ما يسعد
أنا ما نظمت لك القريض مضمخا بالعاطفات الصادقات وأنشد
الا لاني واحد من أسرة في كل ما نفع البلاد لها يد
ولانني بالذائبين نفوسهم والعاصريها عن جوى يتوقد
والواصلين صباحهم بمسائهم حبا بأفئدة لنا يتجدد
المبدعين الخالقين مواهبا تأبى التواكل منهلا يستورد
أدرى بما يلقى المعلم من عنا بحياته ، وبما يروم ويقصد
ما رام الا أن يكون مخلصا نشأ تسود به البلاد وتخلد
نشأ تعانقه الحياة ليبتني وطنا به الايدي المجدة تسعد
وطنا جموح الكادحين عماده لا طغمة لعداته تتودد

* * *

يا محرقا بسبيل أكباد لنا نفسا ليشرق بالسنا منها غد
ما أنت الا من أشاد لسقيه بجهوده ما يبتغيه وينشد
مجدا دعائمه الكفاية منهجا والعدل قصدا جل ما يتقصد

علم بنيـك الحب للوطن الذي أحببته وعلـى ثـراه تولـدوا
والى العروبـة في جميع رحابها دمهـم فـداء أن تطلب يفصد

* * *

علمهـم ان الحيـاة مجيدة لم تنتظـر مـن لا يجد ويجهد
واذا تأخـر عن طلائـع ركبها أحد ففي عجلاتهـا يتقـدد
أمثقـف الجيل الجديـد لأمـة كانـت تخـر لها الملوك وتسجد
حيث العدالـة والمروءة شرعـة في حكمهـا وتسامـح وتـوادد
تلك المحامـد والخلائـق جمـة ظلت بها الدنيـا الحياة تفرد
علمه حب الخالدين وكيف هـم سلكوا سبيل الخالدين فخلدوا
ولج العقـول الحائرات فانهـا بك لا بغيـرك بالسنـا تتـزود
لترى الحياة جميلـة وضاءة تفدى بوارق ظلهـا وتهدهـد

* * *

بسخاء نفسك راضيـا وبذلهـا يحيـا الموات ويستفيق الهمد
فابذل لارضك للعروبة كلهـا دمك الزكي فمجدهـا بك يولد
وازرع بجيلك ما يوحـد صفها كيما بوحدتهـا ثمـارك تحصد
وابعث بها الحـب المؤجج ثـورة بدمائهـا فبحبهـا نتوحـد

كربلاء ـ العراق
مظهر عبد النبي اطيمش

* * *



حلم

ذكريات جلسة على نهر الحسينية في كربلاء

صالح هادي الخفاجي

حتى اذا ستـر المدينـة برقع الليـل الحزيـن
وتلاطمـت في جوهـا ظلـم الكآبـة والشجون
وهفت الى النوم الطيور ولـذن بالعيش الحنون
وترى البيوت الواجمات تضج بالصمـت المهين

★ ★ ★

فهناك سرت مع الرفـاق تتيه في مـرح ولـين
نمشي ولا شيء يدنس لـذة العيش الأمـين
نمشي ويكنفنـا الهوى عبر الخمائل والغصون

★ ★ ★

واذا المقاهي الضاحكـات تفيض بالسحر المبين
حيث البساتين المـلاح وعنـد ورد الياسمـين
حيث الفرات ومـاؤه ينسـاب عذبا في سكون
وقد ابتدرنا للكراسي الخاضعـات الى الزبـون
وتحملتنا عند شاطيء النهـر يزخر بالفتـون
واذا المصابيح ارتسمن بصفحة المـاء المعـين
فبـدت تشـع جميلـة وتتيـه في زهو ولـين
فتهز روعتهـا القلـوب سمنظـر ملؤ العيون
يوحي الى الشعـراء آلاف الخواطر والفتـون

★ ★ ★

ثم انطلقنا وادعين يلفنـا فـرح المجـون
نمشـي ونرفل بالنعيم الطلق والحلم الحنون
نمشي مع النهر الجميـل وتحـت آلاف الغصون
نتبادل الشـدو الطروب ونحتسي خمر اللحون

صالح الشيخ هادي الخطيب الخفاجي
كربلاء ــ العراق

الالم .. وطرق التغلب عليه

شكا الكثير من الرجال والنساء فيما مضى من كابوس الالم الذي لم تكن لتخمد ناره ، فما كان منهم الا أن استسلموا اليه نتيجة الفشل في تحديد أسبابه وطرق معالجته ٠

ان هذه الصورة قد تبدلت جذريا في العصر الحاضر وحل الأمل محل الاستسلام للالم ، وذلك بعد توفر الكثير من المعلومات المتعلقة بماهية الوجع وكيفية معالجته ٠ فكان أن ظهرت عقاقير تسكين الوجع الجديدة بصورة أكثر ضمانة وفعالية من أدوية الامس ٠ ورافق ذلك ابتكار أجهزة ووسائل حديثـة لنفس الغرض علاوة على تطوير علم تخصصي حديث في المجال الطبي أطلق عليه اسم « علم الوجع » صحبه احداث مشاف خاصة بهذا الداء في بعض دول العالم ٠

ما هو الألم ؟

والسؤال الذي يطرح نفسه دائما في هذا المجال :

ما هو الالم : ان كل الخبراء والاخصائيين في الحقل الطبي يجمعون على أنه ليس هناك بالفعل أي تعريف دقيق للالم ، وان كل ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن الالم عبارة عن الشعور الذي يحدث انزعاجا يتراوح شدة وضآلة ويترك صاحبه في حالة غير طبيعية ٠ والحقيقة ان الاجابة عن السؤال المتعلق بسبب الشعور بالألم أسهل من الاجابة عن سؤال تعريف الألم ٠

فمن الواضح ان الالم يقوم بدور جرس الانذار في جسم الكائن الحي ، وهو الجرس الذي تراه يدق بصوت عال وبصورة مستمرة ليبلغ المصاب ضرورة العمل على ايقافه بأية طريقة ممكنة ٠

فعند لمس مدفأة مشتعلة على سبيل المثال يدق هذا الجرس فجأة ليطلب من الشخص ضرورة ابعاد يده تلافيا للاحتراق • وظاهرة الشعور أو الاحساس بالألم ظاهرة ايجابية وحيوية لكل انسان وتظهر أهميتها الكبيرة عند أولئك الاشخاص الذين يولدن بدون هذا الاحساس ربما بسبب خلل ما في الجهاز العصبي • وهؤلاء الاشخاص هم الذين يطلق عليهم الاخصائيون صفة « الاشخاص الذين لا يحسون بالوجع » وهم غالبا ما يتمرضون لاخطار واصابات جسدية بالغة نتيجة فقدان جهاز الانذار في الجسم •

وقد يحدث أحيانا أن يتوقف جهاز الانذار الفعال عن العمل لسبب ما بحيث يستمر الالم عند المصاب لفترة طويلة بعد أن يكون ، باديء ذي بدء ، قد نبه الى حدوث اصابة معينة في أحد أجزاء الجسم • وهذا ما يلمسه الرياضيون بشكل واضح خلال أوقات استراحاتهم • والوجع في حالات مشابهة لألم مرفق لاعب التنس قد يستمر لعدة أسابيع أو حتى عدة شهور • وهذه الحالة يمكن لمسها أيضا عند المصابين بأوجاع الظهر أو صداع الشقيقة •

أما الأوجاع الحادة التي يعاني منها غالبية المصابين بالتهاب المفاصل أو داء السرطان أو الامراض المزمنة الاخرى فتفشل في أكثر الاحيان في تنبيه الانذار الفعال بحيث يصبح جهاز الانذار نفسه خطرا على طبيعة تركيبة الجسم في الاستجابة لمختلف أنواع الالم •

فما الذي يمكن فعله اذن للتغلب على ظاهرة الالم الذي لم يعد يؤدي الغرض المرجو منه في الجسم ؟

مما لا شك فيه ان العصر الحديث حفل بالكثير من المنتجات الطبية والطرق والاساليب الحديثة للتخلص من مختلف أنواع الوجع • فانتشرت العقاقير الجديدة وأساليب تنبيه العصب كهربائيا واتباع طريقة تخدير العصب وتطبيق أسلوب التنويم

المغناطيسي واعتماد طريقة الاغذية الاسترجاعية الحيوية وطرق العلاج النفسي الاخرى ٠

أولا : مسكنات الألم الجديدة :

دأب الاطباء ، خلال عصور التاريخ ، على البحث عن عقاقير التخلص من الاوجاع والآلام الى أن عم ، قبل قرن تقريبا ، انتشار المورفين كمسكن ناجع لكن مضاعفاته الجانبية التي نتجت عنه فيما بعد ، كصعوبة التنفس عند الاكثار منه ، وخطورة الادمان على تعاطيه ، حالت دون اعتباره كمسكن دائم للألم ٠

وحوالي العام ١٩٠٠ استعيض عن المورفين بالهيروين كمسكن جديد الى أن ثبت فيما بعد أن ضرره ومضاعفاته الجانبية لا تقل عن ضرر ومضاعفات المورفين الذي سبقه ٠

وفي حوالي العام ١٩٦٧ تم انتاج عقار جديد أطلق عليه اسم تالوين الا أنه لم يسفر في الحقيقة عن تقديم الفائدة المرجوة منه في تسكين الالم علاوة على أن مضاعفاته الجانبية كانت تحدث حالة من الاضطرابات النفسية عند المصاب ٠

وظل الامر كذلك حتى حوالي العام ١٩٧٨ حين تم اكتشاف جملة من المسكنات الجديدة كان منها البوتورفانول الذي ظهر باسم ستادول والنالبوفين الذي ظهر باسم نوبين ٠

وقد تميزت كل المسكنات الجديدة بنفس فعالية المورفين في تسكين الاوجاع لكن دون احداث أي من المضاعفات التي يتركها المورفين في جسم المصاب ويصر الخبراء في الوقت ذاته على ضرورة توفير المزيد من الوقت للتأكد من خلو جميع مسكنات الآلام الجديدة من أية مضاعفات ثانوية ٠

ومستقبل الانواع الجديدة من المركبات الكيماوية المسكنة يبشر باشراقة جديدة في الحقل الطبي فمن بين المكتشفات المثيرة

التي تم التوصل اليها خلال العقد الماضي برز اكتشاف مواد طبية مسكنة موجودة في المخ أطلق عليها اسم أندروفين وهي قادرة على تسكين الالم أينما وجد في الجسم ، لكنه تبين ، في الوقت ذاته أن المخ ينتج ما يكفيه فقط من هذه المادة •

ويرى الباحثون في هـذا المجال ان الاختلافـات في كميـة الاندروفين في الجسم قد تمكن من تفسير ظاهرة كون شخص ما أكثر أو أقل حساسية للاصابة بالألم من شخص آخـر • ويقوم الاخصائيون حاليا بالتحقيق فيمـا اذا كانـت عملية الحقـن بالأندروفين تساعد على تخفيض نسبة الالم عند المصاب •

ثانيا ــ منبهات العصب الكهربائية :

كلنا تقريبا يدرك ان الكهرباء تتسبب في حدوث الالم لا في تسكينه وهذا ما يمكن بالفعل ملاحظته عند تعرض الشخص لأية صدمة كهربائية • لكن احدى المكتشفات الحديثة أكدت على أهمية دور الكهرباء في التغلب على مختلف أنواع الوجع بشرط معرفة كيفية استخدام التيار بشكل دقيق جدا • والغريب في الامر ان سبب هذه الظاهرة لم يعرف تماما بعد ، رغـم أن الكثيرين من الاخصائيين يعزون ذلك الى اسباب كيموحيويـة (كيمائية ــ بيولوجية) •

وقد قام بعض الاطباء المختصين بزرع أقطاب كهربائية في الاعمدة الفقرية للمصابين بآلام مزمنة ، كما قاموا بزرع مثل هذه الاقطاب في المخ عند بعض المصابين الذين تطلبوا اجراء عملية جراحية في هذه المنطقة من الرأس • ولدى استخدام منبه كهربائي صغير يرتكز على مستقبل خاص يقوم المريض باصدار كمية ضئيلة من الكهرباء تمر عبر الاعصاب المصابة وتكـون النتيجة حدوث تمور في مستويات الاندروفين الامر الذي يؤدي الى تسكين الوجع بصورة سريعة لدى المصاب •

وبما ان القليل من المصابين يميلون الى قبول طريقة زرع

الاقطاب الكهربائية في أجسامهم فان الاطباء يعمدون بصورة عامة الى تسكين الوجع باستخدام أجهزة كهربائية صغيرة يسهل على المصاب حملها وتثبيتها فوق منطقة الالم متى شاء • وطريقة المعالجة بالمنبه الكهربائي بسيطة جدا وهي تقتضي وضع المنبه الصغير فوق المنطقة التي يصدر عنها الالم بعد ذلك يتم رفع مستوى التيار الى أن يشعر المصاب بحرارة تسري في المنطقة المؤلمة • وهذه الطريقة الجديدة التي أثبتت نجاحها يمكن الاستفادة منها في مختلف أنواع الوجع بما في ذلك أوجاع التهاب المفاصل وأوجاع الخلع في الكتف •

ثالثا ـ مخدرات العصب :

غالبا ما ترتبط مشكلة الوجع بالاصابة في العصب ولهذا فان تخدير العصب المصاب عن طريق حقنه بمادة مخدرة مثل النوفوكين قد يسفر عن تسكين الالم عند المصاب لمدة ساعات أو أيام أو حتى بصورة دائمة •

وقد تمت في أحد مستشفيات نيويورك مؤخرا معالجة امرأة تعاني من أوجاع حادة علاوة على كونها مصابة بسرطان الرحم• وتضمنت المعالجة عزل العصب المصاب ومن ثم حقنه بمادة مخدرة للتحقق فيما اذا كان بالامكان تخديره بصورة دائمة • وبعد أن أسفرت المعالجة عن تحسن حالة المرأة من ناحية التغلب على الاوجاع الحادة التي كانت تعاني منها مرارا تم اعطاؤها حقنة بينول قضت على العصب نهائيا • وقد ذكرت المرأة فيما بعد ان نتائج هذه العملية كانت ايجابية ومرضية للغاية •

الا أن هذا الاجراء قد لا ينطبق على جميع المصابين بمثل هذه الحالة وذلك لأن عملية التخدير قد تؤثر على الجسم في بعض الاحيان الامر الذي يثير اضطرابات جسدية ونفسية تجعل المصاب يفضل تحمل الالم على تحمل المضاعفات المحتملة من المخدر •

رابعا ـ التنويم المغناطيسي :

من الصعب في الحقيقة تحديد سبب فعالية التنويم المغناطيسي في ازالة الالم عند البعض من المصابين • لكن معظم الخبراء يعربون عن اعتقادهم بأن السبب في ذلك يعود الى كون الوجع ظاهرة جسدية ونفسية في الوقت ذاته •

ويعتقد هؤلاء الخبراء أيضا بأن الانفعالات السلبية كالخوف والقلق تسير بالألم نحو الاسوأ فيما نرى ان السرور والبهجة وغيرها من الانفعالات تلعب دورا كبيرا في تخفيف حدة الوجع عند المصاب •

فالكثير من الرياضيين لا ينتبهون بادىء الامر الى الاوجاع التي تحدث لهم خلال مباراة هامة أو مثيرة في حين أن الشعور بالألم يبدأ بعد وقت من انتهاء المباراة •

ويحكي بعض المصابين أيضا ان انشغالهم في العمل أو انسجامهم بمطالعة رواية شيقة أو مشاهدة فيلم سينمائي ينسيهم الوجع بعض الشيء • ومن هنا تأتي أهمية دور التنويم المغناطيسي في معالجة الآلام •

والتنويم المغناطيسي لا يتطلب اللجوء الى تخدير العصب أو استعمال المنبهات الكهربائية فالتنويم المغناطيسي ـ كما يقول القائمون عليه ـ كاف بحد ذاته لازالة الالم • وقد روي ان أحد الأساتذة كان يعاني من ألم حاد في رسغه الامر الذي كان يسبب له صعوبة في الكتابة والقاء المحاضرات • وعندما لم يجده تعاطي مختلف أنواع العقاقير المسكنة لجأ الى معالجته بالتنويم المغناطيسي حيث قام الاخصائي بوضعه في حالة من الغيبوبة الخفيفة وطلب منه أن يتخيل رعشة تخدير باردة تسري في أوصال ذراعه المصابة وبعد تكرار هذه العملية لعدة جلسات طلب القائم بعملية التنويم المغناطيسي من الاستاذ القيام بين الحين والآخر بوضع كيس من الثلج على اليد المصابة بهدف

ابقاء الاحساس السابق مزروعا في مخيلته وكانت النتيجة الشفاء التام لرسغ الاستاذ •

وغالبا ما يوصف التنويم المغناطيسي على أنه الاسلوب الذي يعطي أفضل مسكن لما يصحب الدورة الشهرية عند النساء من آلام واضطرابات كما يستخدم التنويم المغناطيسي في بعض المراكز الطبية في عدد من بلدان العالم لازالة الآلام التي ترافق حالات الولادة وذلك بدلا من اللجوء الى المواد المخدرة التي قد تترك بعض المضاعفات الجانبية عند الحامل •

خامسا ـ التغذية الاسترجاعية الحيوية :

ان وسائل التغذية الاسترجاعية الحيوية تعمل على قياس نتاج الطاقة التي تولدها بعض الاشياء في الجسم كالعضلات ودرجة الحرارة • وأحد الاجهزة الشائعة هي التي تربط الى مراكز النبض أو درجة الحرارة في الجسم • ولدى رؤية ما يشير اليه الجهاز أو عند سماع الصوت الذي يصدره هذا الجهاز يتم تحديد ماهية ردود الفعل في الجسم • وهذا ما يساعد بالتالي على تعلم كيفية رفع أو خفض درجة حرارة الجسم أو تعديل نسبة النبض •

وقد أسفرت هذه الطريقة عن نتائج ايجابية في معالجة صداع الشقيقة الناتج عن توسع الاوعية الدموية حول المخ •• وقد وجد ان المصابين بصداع الشقيقة غالبا ما يعانون من برودة اليدين وبهذا يمكن ارشادهم الى كيفية معالجة درجة حرارة الجسم بالطرق السهلة •

سادسا ـ الأساليب النفسية :

يعتبر الالم من الوجهة العلمية أكثر من مجرد شعور جسدي• والطريقة التي يعالج بها الوجع تختلف من شخص الى شخص ومن وقت الى وقت آخر فبعض حالات الصداع الخفيف قد يكون

موهنا عند البعض من الاشخاص في حين ان الصداع الحاد عند البعض الآخر من هؤلاء قد يؤثر على طبيعة حركة الجسم مطلقا ٠

ولهذا يرى الاخصائيون في معالجة الاوجاع ان العلاج النفسي كثيرا ما تدعو الحاجة اليه في معالجة أغلب حالات الالم المزمنة ٠ وقد وجد أحد الاطباء على سبيل المثال ان بعض الحالات تتطلب من جميع أفراد عائلة المصاب الوقوف الى جانبه في التغلب على مشكلته وبعض المصابين يجدون العلاج باهتمام الآخرين بهم وبمعاناتهم بمعنى آخر ، مكافأتهم على وجعهم ٠ ومثل هذه الظاهرة تتطلب وسائل علاج نفسية ناجحة ومن هنا يأخذ العلاج النفسي أهميته كبديل عن العقاقير المسكنة ٠

ويرى الاخصائيون ان طريقة العلاج النفسي تتطلب من المصاب بادىء ذي بدء الحد من المقادير الكبيرة من المسكنات التي يتعاطاها ومن ثم تشجيعه على ممارسة برامج منتظمة من التمارين الرياضية دون الالتفات الى تذمره وشكواه في أول الامر اضافة الى ضرورة تنبيهه الى عدم التحدث الدائم عن وجعه ومعاناته ٠

والعلاج النفسي يتطلب من المصابين ايضا تعلم كيف يعتبرون ان حالة الالم عندهم سطحية خارجية لا أهمية لها كما يتطلب أيضا التفاهم لملء فراغهم بالحاجات المفيدة ، وهذه كلها بعض الجوانب الاساسية في المعالجة النفسية التي بدأت تتسع وتنتشر كثيرا في العصر الحاضر ٠

ومهما يكن الامر فان الابحاث والتجارب لا تزال مستمرة من أجل اكتشاف أنواع جديدة من العقاقير المسكنة وابتكار أساليب حديثة تهدف الى التغلب على مشكلة الالم بصورة أكثر فعالية لكن أهم نقطة يجب التنبيه اليها هنا هي ضرورة قيام المصاب بمراجعة الطبيب المختص قبل اختيار أي عقار مسكن يعتبره مفيدا له ٠

المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

لا يزال المجلس الثقافي للبنـان الجنوبي يوالي نشاطاتـه بصورة مستمرة ، بهمة أمينه العام الأستاذ حبيب صادق وأعضاء المجلس ، ففي مركز المجلس في بيروت (نزلة برج أبو حيدر قرب محطة بدران ــ هاتف ٨١٥٥١٩) كل يوم خميس من كل أسبوع محاضرة أو ندوة أو مساجلة شعرية طيلة أيام السنة ٠

وفي الذكرى الثالثة لحرب آذار سنة ١٩٧٨ وتحت شعـار النضال من أجل :

ــ وقف حملات الابادة الاسرائيلية عن جنوب لبنان ٠

ــ تحرير الشريط الحدودي واعادة المهجرين الى قراهم ٠

ــ وحدة لبنان القائمـة على أسس السيـادة والديمقراطيـة والانتماء العربي ٠

قام بالنشاطات التالية :

أولا ــ في الأبعاد السياسية لقضية الجنوب : ألقيت محاضرات عن البعد القومي لمنح الصلح ، البعد الوطني لفواز طرابلسي ، البعد الفلسطيني لماجد أبو شرار ، قضم أرض الجنوب ومصادرة مياهه في السياسة الاسرائيلية لعبد العزيز قباني ٠

ثانيا ــ في الابعاد الاجتماعية والاقتصادية لقضية الجنوب ، أقيمت ندوة عن التحرك السكاني بسبب العدوان الاسرائيلي لأسعد الاتاث ، والاثر النفسي والاجتماعي للعدوان لمصطفى حجازي ، وأثر العدوان على القوى العاملة والنقابات ليوسف الجباعي ، وأثر العدوان على التنمية الزراعية لأحمد بعلبكي ، وأدار الندوة عباس مكي ٠

ثالثا ــ في الجنوب اللبناني والأمم المتحدة ، أقيمت ندوة عن

قرارات مجلس الأمن في التطبيق العملي لجوزف مغيزل ومواقف الأمم المتحدة من قضية الجنوب لسمير صنبر ، ودور الأمم المتحدة في الجنوب لسليم حداد ، وأدار الندوة طارق شهاب ٠

رابعا ــ في النشاطات المختلفة تم لقاء مع الشاعر شوقي بزيع في قصيدة جديدة عن صور ، ومحاضرات عن الجنوب ومنطق التوسع الاسرائيلي لفيصل حوراني ، والهجمة الامبريالية ــ الصهيونية على المنطقة لنهاد حشيشو ، وتهديد الاعتداءات الاسرائيلية للآثار والمعالم الحضارية في الجنوب لمحمود أمهز ، وملصقات جديدة عن الجنوب اللبناني للفنانين حسن الجوني وموسى طيبا وناظم ايراني ٠

خامسا ــ سيقام في قاعةوزارةالسياحةمعرض الجنوب ــ كتاب وشظية من ٨ الى ١٦ نيسان ١٩٩٨١ عن المؤلفات التي صنفها مواطنون من الجنوب قديما وحديثا حول مختلف المواضيع ، وعن المؤلفات الموضوعة من هذا الجانب أو ذاك من حياة الجنوب ، ومجموعة كبيرة من شظايا الصواريخ والقنابل والقذائف التي تمطر بها اسرائيل يوميا معظم أنحاء الجنوب ٠ وفي العدد القادم تقرير مفصل عن هذا المعرض ٠

سادسا ــ ستصدر هذه الندوات والمحاضرات في منشورات متلاحقة ٠ وقد صدر حديثا : « وجوه ثقافية من الجنوب » دراسات عن :

ــ الشيخ أحمد عارف الزين ، الشيخ أحمد رضا ، الشيخ سليمان ظاهر ، الاديب محمد شرارة ، المؤرخ محمد جابر آل صفا ، الشاعر عبد المطلب الأمين ، الشاعر فؤاد جرداق ٠

وصدر « من دفتر الذكريات الجنوبية » أحاديث للسيد حسن الأمين ، الشيخ علي الزين ، السيد علي ابراهيم ، الشاعر موسى الزين شرارة ، الصحافي الفرد أبو سمرا ، الصحافي سليمان أبو زيد ٠

فنهنيء المجلس على نشاطه الدائب في اسماع صوت الجنوب الصارخ الى العالم ٠

خسارة صحفية جسيمة
بافتقاد وفيق الطيبي

طوى الموت في لبنان صفحة مشرقة متألقة في سجل النضال الصحفي والوطني ، بوفاة المرحوم الاستاذ وفيق الطيبي صاحب جريدة اليوم ونقيب محرري الصحافة اللبنانية الاسبق وعضو مجلس نقابة الصحافة وأمين سرها في عدة مجالس ٠

- عميد المعهد القومي للاعلام في اتحاد الصحافيين العرب ٠
- رئيس جمعية الصحافيين العرب في باريس ٠
- أستاذ محاضر في كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية من ١٩٧٠ الى ١٩٧٤ ٠
- من مؤسسي لجنة « كل مواطن خفير » في مطلع الخمسينات ٠
- أول لبناني يحصل على اجازة ليسانس في الصحافة من جامعة كولومبيا ٠
- اشترك بنجاح في تمثيل الصحافة اللبنانية في عدد كبير من المؤتمرات العربية والدولية ٠
- له مؤلفات جديدة في حقل الفكر والاعلام بدأ الاعداد لاصدارها باللغات العربية والفرنسية والانكليزية التي كان يتقنها ٠

وبوفاة الاستاذ وفيق يخرج الموت من ميدان النضال الصحفي والوطني ، قيادة كان لها وزنها وأثرها وفاعليتها في اذكاء جذوة النضال وتوجيهه لصالح وحدة ابنان الوطنية وصهر شعبه في وحدة المشاعر الوطنية والانسانية ٠

ماتم مهيب

وقد شيع جثمان الفقيد بماتم حاشد مهيب مثل فيه الرئيس الوزان رئيس الجمهورية والنائب علي العبدالله الرئيس الاسعد وتقدمت الموكب كبار الشخصيات اللبنانية الرسمية والشعبية ٠

وقد رثى الفقيد في المقبرة وزير الاعلام ميشال اده ونقيب الصحافة فريد أبو شهلا ونقيب المحررين ملحم كرم ٠

مـن أجلهـا

صدر مؤخرا ديوان شعر جديد باسم (من أجلها) للشاعر العراقي السيد سلمان هادي آل طعمة ، يضم بين دفتيه نيفـا وسبعين قصيدة من الشعر الوجداني والوصفي والوطني وفنون شعرية أخرى • وقد ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه • يقع الديوان في ١١٠ صفحات بالقطع المتوسط ، وطبع بمطبعة الارشاد في بغداد ، نلفت الى ذلك الانظار لاقتنائه •

مهرجان شعري في كربلاء

● أحيت نقابة المعلمين ــ فرع كربلاء ــ أمسية شعريـة بمناسبة عيد المعلم وذلك في يوم السبت ١٩٨١/٢/٢٨ على قاعة نقابة المعلمين ، شارك فيها فريق من الشعراء الكربلائيين منهم : علي محمد الحائري وسلمان هادي الطعمه وعبد الجبار عبد الحسين الخضر وشاكر عبد القادر البدري اضافة الى عدد من الشعراء الشعبيين • وقد حضر الحفل جمهور من المثقفين وعشاق الكلمة الحلوة •

الرائد الجديـد

● صدر العدد الرابع من (الرائد الجديد) صحيفة نقابة المعلمين فرع كربلاء ، وهو عدد خاص عن القادسية وعيد المعلم • يحتوي على العديد من المقالات والقصائد والبحوث التي تتغنى بأمجاد قادسية العرب •



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

الاعداد ٥ ، ٦ ، ٧ مجلد ٦٩ ايار ، حزيران ، تموز ، مايس ، يونيو ، يوليو ١٩٨١م رجب وشعبان ورمضان ١٤٠١هـ

علم، أدب، فكر، سياسة

الصفحة	الموضوع	الكاتب أو الشاعر
٣ ـ ٨	الصالونات النسائية الادبية في العصر الحديث	عيسى فتوح
٩ ـ ١١	الادب الشعبي والاسطورة	د٠ محمد عبد المنعم خفاجي
١٢ ـ ٢١	الطبقات المؤينة في جو الارض	د٠ نقولا شاهين
٢٢ ـ ٢٧	الشيخ أبو المحاسن وشعره	السيد محمد حسن آل طعمة
	أبحاث اجتماعية	
٢٨ ـ ٣٦	هل نحن في عام ١٩٨١	زهير مارديني
٣٧ ـ ٤٢	السر رينشارد برتون	سمير شيخاني
	مع الكتب	
٤٣ ـ ٥٠	مدخل الى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر ٠	حسان الكاتب
٥١ ـ ٥٤	دراسة جديدة لمسرحنا المعاصر	د٠م٠ع٠ خفاجي

الصفحة	الموضوع	الكاتب أو الشاعر
	ماذا في العرفان وغيرها من الصحف قبل خمسين عاما وأكثر	
٥٥ ـ ٦٣	ارتقاء الحكومات والعرب	رضا
٦٤ ـ ٦٨	المسلمون على مفترق الطرق	عبد الحميد محمود المسلوت
٦٩ ـ ٧٧	في مجالس السيدات	روز حداد
	أدب	
٧٨ ـ ٨٣	الدكتور ضياء الدين أبو الحب	سلمان هادي الطعمة
٨٤ ـ ٨٥	لبنــان	عبد اللطيف اليونس
	قصــص	
٨٦ ـ ٩٦	الجانية على نفسها	مترجمة
	شعــر	
٩٧ ـ ٩٩	على أعتاب الكهولة	محمد علي الخفاجي
١٠٠	نهضا بني العرب	صدر الدين الحكيم
١٠١ ـ ١٠٢	أمــاه	علي محمد الحائري
١٠٣ ـ ١٠٤	أهلا بــ « سامي »	وديع ديب
	أبحاث علمية	
١٠٥ ـ ١١١	نحو انشاء مجمع للبحوث العلمية	الدكتور فؤاد الزين
١١٢ ـ ١٢٦	الشيخ أحمد رضا	عبد اللطيف شرارة
	أبــواب العرفــان	
	رسائل الادباء ، مختارات الصحف ـ الصحة	
١٣١ ـ ١٤٠	مختارات الصحف	الدكتور محمد فتحي عثمان
١٤١ ـ ١٤٣	عمر فروخ ينفض غبار السنين	الدكتور عمر فروخ
١٤٩ ـ ١٦٠	شاعر من تاريخ مضى ينبه الاحياء	الدكتور محمد صادق

الصالونات النسائية الأدبية في العصر الحديث

بقلم: عيسى فتوح

١ ــ صالون هدى شعراوي :

كانت السيدة هدى شعراوي وجيهة مصرية ثرية ، تقدمت المظاهرات النسائية عام ١٩١٩ ، وحضرت المؤتمرات النسائية العربية والدولية لتدافع عن حقوق المرأة ، ولما توفي زوجها ترك لها ثروة ضخمة ، فأنفقت قسما منها على أعمال البر وتأسيس الجمعيات ، وتعليم الفتيات الفقيرات ، والقاء المحاضرات ، فقد دعت الآنسة « كليمان » سنة ١٩٠٩ و ١٩١٤ لالقاء المحاضرات في منزلها على جماعات النساء ، وكانت تستقبل في هذا المنزل الشرقي الأنيق الذي يبعث منظره ذكرى القصور البغدادية والاندلسية بشرفاته ورواشنه نخبة من المفكرين والسياسيين ، وتضفي على الحضور فيضا من آنسها وأريحيتها .

تقول السيدة وداد سكاكيني أنها دعيت الى صالونها ذات عشية ، فشهدت من صنوف رواده من كانوا ألمع رجال المجتمع المصري ونسائه ، كأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد ، وأحمد حسنين باشا ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والاستاذ فكري أباظة وغيرهم .

٢ ــ صالون ماري عجمي :

عندما انحل عقد الرابطة الادبية التي تأسست في دمشق عام

١٩٢٢ بمساعي الآنسة ماري عجمي ، صاحبة مجلة العروس ، وتوقفت المجلة الناطقــة باسمهــا ، استأنف أعضاء الرابطــة اجتماعاتهم ولقاءاتهم في منزل الآنسة ماري في حي « باب توما » وكان منزلا دمشقيا واسعا وعريقا ، يلتقي فيه كل من الأدباء والشعراء : خليل مردم بك (رئيس الرابطة) ، وأحمد شاكر الكرمي ، وأخيه أبي سلمى ، وحليم دموس ، وفخري البارودي ، وحبيب كحالة ، وقبلان الرياشي ، ومحمد الشريقي ، وشفيق جبري ••• حيث يدور الحوار ويطول النقاش حول مشاكــل الأدب والنقد ، ولم يكن الحديث جافا عنيفا ، لأن ماري كانت تطبع مجلسها بطوابع الظرف والمرح والنكتة التي لم تكــن تفارقها ، وكانت أختها ايلين تشنف آذان الحضور بعزفها الجميل على آلة البيانو التي اتقنت أصول العزف عليها ، وأبدعت في ذلك أيما ابداع •

لم يستطع صالون ماري عجمي أن يرقى الى مستوى صالون مي زيادة في وادي النيل وان قال فيها الأستاذ فارس الخوري :

يا أهيــل العبقريــة	سجلوا هذي الشهادة
ان مــاري العجمية	هــي مــي وزيــادة

كما أنها لم تكن تتمتع بجمال مي زيادة ، ولم يكن يرتــاد صالونها أعلام الادب وعمالقة الفكر ، كأحمد شوقي ، وخليل مطران ، وطه حسين ، وشبلي شميل ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأحمد لطفي السيد ، وعباس محمود العقاد ••• الذين عمروا صالون مي ، علما بأن ماري عجمي كانت ناقدة أدبية من الطراز الرفيع ، وكانت ناصعة الحجة ، جريئة اللسان ، حاضرة البديهة حسنة النكتة ، متينة الأسلوب ، متمكنة من العربية والانكليزية ، وتميل الى الدعابة والمرح •

٣ ـ صالون زهراء العابد :

كانت السيدة زهراء العابد ، زوجة محمد علي العابد ، أول رئيس للجمهورية في سورية هي التي دعت الى تأسيس هذا الصالون في منزلها ، في الأربعينات من هذا القرن ، وأطلقت عليه اسم « حلقة الزهراء » ، مع كل من الآنسة ماري عجمي ، وعفيفة صعب ، وثريا الحافظ ، والدكتورة طلعة الرفاعي ، ولم تكتف بتقديم صالونها ليكون مقرا لعقد الندوات والاجتماعات ، بل كانت تقوم بتوفير كل ما يلزم من واجبات الضيافة لرواد الصالون ، وكان منهم خليل مردم بك ، وشفيق جبري ، وأحمد الصافي النجفي ، وسليم الزركلي ، وأنور العطار ، وزكي المحاسني ، وممدوح حقي ، وعبد السلام العجيلي وغيرهم ، وكانت مواعيدهم ولقاءاتهم فيه لا تتخلف قط ، حيث يتناقشون في مختلف قضايا الأدب والفكر والفن ...

٤ ـ صالون ثريا الحافظ :

قامت السيدة ثريا الحافظ زوجة الأستاذ منير الريس بتأسيس هذا الصالون في منزلها بحي المزرعة في دمشق ، وأطلقت عليه اسم « منتدى سكينة » تخليدا لاسم السيدة سكينة بنت الحسين ، صاحبة أول صالون أدبي في الاسلام ، واحتفل بافتتاحه في مقر النادي العربي مساء يوم ١٩٥٣/١٢/٢٦ ، وكان من أسرته السيدات : زاهدة حميد باشا ، ومرزية القوتلي ، وماوية الشيخ فضلي ، وألفة الادلبي ، والشاعرة عزيزة هارون ، وأمل الجزائري ، وعناية رمزي ، أمينة سر المنتدى الدائمة ، وكانت غايته رفع مستوى الآداب والفنون ، وتنمية الثقافة والذوق الأدبيين .

---

(١) نشر الجزء الاول من هذا البحث في مجلة العربي الكويتية رقم ٢٦٥ كانون الاول ١٩٨٠ .

وعلى الرغم من مشاركة عدد من الأدباء فيه كأسعد محفل ، وابراهيم الكيلاني ، وعبد الكريم اليافي ، وفخري البارودي ، والأمير مصطفى الشهابي ، وأبي سلمى (عبد الكريم الكرمي) ، وعزة النص ، وحكمة هاشم ، وبدوي الجبل ، وفؤاد الشايب ، وحلمي اللحام وغيرهم ... فقد تقرر أن تكون الهيئة الادارية من السيدات فقط ، لئلا يأخذ تأسيسه الصفة الرسمية .

قام المنتدى منذ تأسيسه حتى توقفه عام ١٩٦٣ بنشاط أدبي وقومي كبير ، وأسهم في نشر الأدب والفن والثقافة ، ومعالجة القضايا القومية ، وتوجيه الحياة الوطنية ، ورفع مستوى الحياة الاجتماعية ، وقد ترك هذا المنتدى بصماته الواضحة على الحياة الأدبية طوال عقد من الزمن ، وكان منبرا من منابر الفكر الصحيح ، لا نظير له ، واذا كنت لا أستطيع هنا احصاء عدد ممن تحدثوا فيه من الأدباء من مختلف أقطار الوطن العربي ، فلا يمكنني أن أغفل أسماء الأديبات والشاعرات اللواتي كن يتحدثن فيه بشكل دوري في السابع عشر من كل شهر ، منذ تأسيسه حتى توقفه ، كألفة عمر باشا الادلبي ، وهبة الوادي البهنسي ، وأسماء الحمصي ، وعزيزة هارون ، وعفيفة صعب ، وادفيك جريديني شيبوب ، وثريا الحافظ ، وغادة السمان ، والدكتورة طلعة الرفاعي ، وعناية رمزي وغيرهن ...

لقد تفتحت قرائح الشعراء في وصف هذا الصالون واظهار الشوق اليه بعد الغياب عنه ، ومن هؤلاء الشاعر الامير صقر بن سلطان القاسمي الذي كان أحد رواده الدائمين أثناء اقامته في دمشق ، بعيدا عن وطنه الشارقة ، كقوله :

ايه يا منتدى سكينة مني وانثر الورد زاكيا وأنيقا
فاهد مني تحية للثريا لك أن أبقى في حماك الصديقا

لم يقتصر نشاط منتدى سكينة على اقامة الجلسات الادبية ،

وعقد الندوات الفكرية ، واحياء الأمسيات الشعرية ، بل كان يهتم بالمناسبات الوطنية والقومية ، كذكرى الجلاء عن البلاد ، ويوم الشهداء ، وذكرى الوحدة العربية ، ويوم الجيش ، ويوم الجزائر ابان ثورتها •

زار منتدى سكينة وحاضر فيه عدد من الأديبات السوريات والعربيات ، كالدكتورة سهير القلماوي التي تحدثت فيه عن خريجات المعاهد العالية في مصر ، وعفيفة صعب التي تحدثت عن القلق في المجتمع العربي ، وأسبابه ، وخلصت الى أن المجتمع العربي مجتمع سليم ، يتطور كسائر المجتمعات في العالم ، وأن القلق الذي يساوره ليس الا مظهرا من مظاهر حيويته وعافيته ، وهو لا شك بالغ أهدافه ، والاديبة ادفيك شيبوب التي قدمت فيه مرتين مختارات من شعرها العاطفي •

كما احتفل المنتدى بالشاعرة نازك الملائكة التي قدمت يومئذ مختارات من ديوانها « عاشقة الليل » و « شظايا ورماد » ، ثم تحدثت عن قضايا الشعر القديم والحديث ، وأوجه التشابه والاختلاف بينهما ، وحضر حفلة تكريمها الدكتور منصور فهمي ، والشاعر خليل مردم بك •

كانت المهرجانات القومية تقام سنويا في المنتدى ، ويتكلم فيها الادباء والمناضلون من مختلف الاقطار ، ومن المهرجانات التي كانت أشبه بسوق عكاظ ، مهرجان تكريم الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، حيث التقى لفيف من الشعراء والشاعرات ، كفخري البارودي ، وجميل سلطان ، وأنور العطار ، وأبو سلمى ، وعزيزة هارون ، وألقت الشاعرة في ختام الحفلة قصيدتها « نداء الارض » التي كانت صرخة مدوية لنكبة فلسطين •

ومن الأديبات اللواتي ظفر المنتدى بطائفة من أحاديثهن

السيدة ألفة الادلبي ، والدكتور طلعة الرفاعي ، والسيدة هبة الوادي البهنسي التي ألقت حديثا بعنوان « مساكين هؤلاء الشعراء أذلوا وعذبوا وجن بعضهم في سبيلنا » وحديثا آخر بعنوان « يا حلاق النساء جمّل لنا الوجوه ، واسألنا أن نصقل الأرواح في زينة البساطة والعفة والمعرفة » والسيدة أسماء الحمصي التي تحدثت عن « الخوجة وقبقابها » ، وكانت صاحبة المنتدى تلقي حديثا سنويا عن المرأة السورية ونشاطها وجمعياتها وأنديتها وحقوقها السياسية ، وعن المؤتمرات النسائية التي كانت تحضرها في كل من لبنان ، والقاهرة ، وبغداد ، وموسكو ، وبكين ...

الشجرة ... وقلم الكاتب

● المؤلفة الانجليزية الكبيرة جين أوستن (١٨٦٦ – ١٩٤١) : صاحبة قصة ايما ، التي أكسبتها شهرة واسعة ،قالوا لها يوما : « ان المرء ليحس من خلال قراءاته لمؤلفاتك أنك تتقمصين شخصية جديدة في كل مرة تقدمين لنا فيه قصة جديدة » .

فقالت جين : « ان قلم الكاتب كالشجرة ، انها تبدأ صغيرة هشة رقيقة العود ، ثم تكبر مع الزمن فيشتد عودها وتتشعب جذورها وتنمو فروعها ثم لا تلبث أن تثمر ويجني الناس ثمارها ولكننا هل نجد الثمار دائما ناضجة ؟ وهل تبقى الشجرة دائما نضرة ؟

« والجواب : لا ، فهي تتغير بتغير فصول السنة ، وهكذا قلم الكاتب ، غير أن عوامل التغيير هنا تختلف ، فالقلم يتغير بتغير المناخ السياسي ، والمزاج الشخصي ، والحياة نفسها .. ولكن أليست هذه هي حال كل الناس .. ان هناك شيئا جديدا تراه فيهم في كل مرة تلتقي بهم » .

الأدب الشعبي والأسطورة

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

للأدب الشعبي اليومي حلقات علمية كبيرة في جامعاتنا وهيئاتنا الثقافية ، وذلك بفضل رائد جليل لا ينساه جيلنا المعاصر . وقد أصبح هذا الأدب مقترنا باسم الدكتور عبد الحميد يونس . وقد بدأ هذا العالم الكبير الطريق وحده مناديا بضرورة الحفاظ على تراثنا الشعبي ، وباذلا في سبيل ذلك الجهد والوقت حتى أصبحت حكايته مع الادب الشعبي في حد ذاتها ملحمة علمية جديرة بالاحتفال . وها نحن أولا اليوم مع آخر كتاب صدر من تأليفه وهو « الأسطورة والفن الشعبي » .

ومن أجل مكانة المأثور الشعبي والاسطورة في حياتنا المتحضرة المعاصرة ، كانت هذه الدراسة المتخصصة العميقة لموضوعات الأساطير والآداب الشعبية . ويفيض المؤلف في شرح مختلف المراحل التي مر بها علم الأساطير على حداثته مسجلا انشعاب المدرسة اللغوية الى شعبتين : الشعبة التي جعلت الشمس هي المحور الاكبر للأساطير ، والشعبة التي جعلت الظواهر الجوية هي التي حفزت الانسان البدائي ، الى محاولة تفسيرها بمنطقه المتميز ، فحين يذهب ماكس مولر مؤسس المدرسة اللغوية الى أن الهة الشمس هي محور الاسطورة والتراث الشعبي ، وان آقر مؤيدوه بوجود أساطير أخرى ترتبط بالنجوم والسدم ، يذهب غيرهم الى أن الظواهر الجوية هي المحور الاكبر لكل الاساطير .

على ان غالبية الظواهر الجوية الطبيعية الكونية وعلى رأسها الشمس والقمر والنجوم قد أثمرت أساطير أخرى ، خاصة بها

في جميع البيئات ، وفي كثير من العصور • ومن أجل ما في الذهب من لمعان الشمس وضوئها كان الاهتمام به ، ونحن نعرف أن كلمة (نوب) في اللغة المصرية القديمة تعني الذهب والنوبة هي أرض الذهب لديهم ، وصار الذهب محورا من محاور الأساطير أيضا • وقد حفل الأدب الشعبي على مدى العصور بالكثير من الحكايات الشعبية الاسطورية عنه ، ومنها قصة (ميداس) ملك فريجيا بآسيا الصغرى ، الذي كان مفتونا بالذهب كل الفتنة ، حتى انه تمنى أن يمنح القدرة على تحويل كل شيء يلمسه الى ذهب ، ولما مس ابنته بشفتيه تحولت الى تمثال بارد من الذهب ، الى أن تخلص من هذا الداء الوبيل بالاستحمام في مياه نهر باكتولوس ، وحمل بعض الماء وصبه فوق ابنته فعادت اليها الحياة •

ويعود الدكتور يونس ، فيدرس في امتاع في هذا الكتاب الذي صدر له من المركز الثقافي الجامعي بالقاهرة ـ الاسطورة والرمز الفني والملحمة الشعبية والمقومات الاساسية للبطل الملحمي ويوازن بين البطل الملحمي من جانب والبطل الدرامي من جانب آخر •

ولقد أسهم الدكتور يونس اسهاما فعالا على مدى نصف قرن في توجيه الدراسات الادبية في العالم العربي الى طبيعة التراث الثقافي والعناية بالعناصر الميثولوجية في الثقافة العربية، والاحتفال بالملاحم الشعبية وسائر أشكال الأدب الشعبية وبحسبه أنه في دراساته كان موجها حقيقيا الى حقيقتين كبيرتين :

الأولى : أن للشعب العربي ملاحم شعبية تعد من الروائع العالمية ، ومن بينها ملحمة عنترة ، التي رأى فيها الغرب صورة الشعب العربي ، وأصبحت موضوعا من موضوعات الادب المقارن في أوروبا ابان القرن التاسع عشر ، فوزن بينها وبين ملحمة السيد الاسبانية ، وأغنية رولان الفرنسية ، ونوه بها

التاقد الكبير تيمد ، كما نوه بها الشاعر لامرتين ، تنويهـا كبيرا •

والثانية : ان الفولكلور العربي عامة ، والادب الشعبـي خاصة الذي هو حلقة كبيرة من حلقات الفولكلور ، قد نفذا من حدود الوطن العربي الكبير ، وأثرا في العديد من الاتجاهـات والبيئات الادبية العالمية ، ومن الروائع التي استلهمتها الشعوب الأوروبية : الحكايات الشعبية ، والملاحم الشعبية العربية •

وفي أهمية الفولكلور يشرح المؤلف الوظيفة التعليمية له في بيئات الأميين ، ويشير الى أنه يستحدث الانسجام بين العناصر الثقافية من ناحية والوحدات الاجتماعية من ناحية أخرى ، وهو من أجل ذلك عصا الميزان الحقيقية في المجتمعات الحديثة •

مرحبا بالكتاب ، وبالمؤلف ، وبكل ما تضمنته آراء المؤلف من حقائق وثقافات •

د• محمد عبد المنعم خفاجي

التعليقـات والنوادر

● صدر عن وزارة الثقافـة والاعلام العراقيـة كتـاب (التعليقات والنوادر) تأليف أبي علي الهجري ، وهو رسالـة دكتوراه نال بها الأديب الكربلائي الدكتور حمود عبد الأمـير الحمادي في جامعة عين شمس بالقاهرة باشراف الدكتور رمضان عبد التواب درجة جيد جدا • وقد سبق للمحقق الحمادي أن أصدر كتابه (الشبيبي الكبير) وهو رسالة ماجستير نال بهـا درجة جيد جدا •

الطبقات المؤينة في جو الأرض وتأثيرها على البث اللاسلكي

بقلم: الدكتور نصر الله شاهين

لقد كان للبرق والرعد ، وما يصاحبهما من صواعق ، تأثير عميق في نفس الانسان ، لأن قوى عنيفة ترافق تلك الظاهرة ، حيث يبلغ الجهد الكهربائي أكثر من عشرة ملايين فولت أحيانا • ومن ان الانسان لم يتمكن من فهم أسباب هذه الظاهرة الا حديثا ، الا أنه لم يتوصل الى وسيلة فعالة تقيه خطرها الوقاية الكاملة •

من المعروف ان شحنة كهربائية تظهر على سطح جسم ما اذا ما دلك ذلك الجسم بقطعة من القماش ، وقد عرف اليونان هذه الظاهرة في القرن السادس قبل الميلاد ، نتيجة لدلك حبة من « الكهرباء بقطعة من الحرير » • ثم مر نحو ثلاثة وعشرين قرنا قبل أن يعرف شيء عن علاقة كهربائية الدلك بكهربائية الجو ، وذلك عندما أطلق « بنيامين فرانكلن » طيارته الورقية نحو سحابة راعدة عام ١٧٥٢م ، وتمكن من الحصول على شرارات كهربائية بواسطة حبل رطب • هذه التجربة أثبتت وحدة الظاهرتين • ومن هنا بدأ علماء الفيزياء يتوسعون في الوسائل لفهم الكثير من الحقائق عن كهربائية الجو ، على الرغم من اختلاف النظريات في طبيعة الشحنة الكهربائية ، وتأثيرها على ما يجاورها من أجسام ، فكان ان صنعت مانعات الصواعق التي كان لها الأثر في درء الاضرار عن المنازل والناس في مناسبات عديدة •

طبقات الجو العليا :

تبين من الدراسات العلمية ان جو الارض يتألف من طبقة رقيقة من الغاز ، يبلغ سمكها ثمانمائة كيلومتر تقريبا • وهذا الاعتقاد يرتكز على قياس علو نيزك عندما يرى بريقه لاول لحظة ، وعلى طرق علمية أخرى • كما أن كثافة الهواء تنقص كلما ارتفعنا عن سطح الارض ، لذلك يصبح الضغط الجوي على ارتفاع خمسة كيلومترات نصف ما هو عليه عند مستوى سطح البحر •

جرى استكشاف طبقات الجو أولا باستعمال مناطيد يحلق فيها العلماء ، ومعهم أجهزة تسجيل مختلفة الانواع • وفي عام ١٩٣٣ سجل « بيكارد » الفرنسي رقما جديدا في الارتفاع حينما ارتفع في الجو الى علو ثمانية عشر كيلومترا ، وكان الضغط الجوي عند ذلك الارتفاع نحو ثماني سنتيمترات من الزئبق • وفي عام ١٩٣٤ تمكن طيار ايطالي من بلوغ نحو خمسة عشر كيلومترا فوق سطح البحر ، حيث سجل ميزان الضغط الجوي عشر سنتيمترات • ثم جاء بعد هذا اثنان من رجال سلاح الطيران الاميركي ، عام ١٩٣٥ وحلقا الى علو نحو اثنين وعشرين كيلومترا ، بواسطة كرة معدنية مفرغة ومقفلة اقفالا محكما ، ربطت الى منطاد مليء بغاز « الهيليوم » •

كانت هذه الطرق في استكشاف طبقات الجو صعبة محدودة المدى • لذلك عمد العلماء الى مناطيد مملوءة بالآيدروجين ، تحمل في داخلها آلات دقيقة لقياس الحرارة والضغط ، فيصعد المنطاد الى طبقات الجو العليا ، حيث يكون الهواء مخلخلا الى درجة عالية ، فينتفخ وينفجر ، ويسقط الغلاف ، الذي يحمل الاجهزة ، التي تعمل تلقائيا ، الى الارض ، وتخفف المظلات ، المشدودة الى ذلك الغلاف ، سرعة هبوطه لكي تصل الاجهزة سالمة • وبهذه الوسيلة تمكن العلماء من الحصول على معلومات كان لها شان كبير في فهم ما تصادفه الطائرات من عوامل غريبة أثناء تحليقها •

وهذه هي بعض الارقام التي تبين درجة الحرارة عند بعض الارتفاعات :

الارتفاع	درجة الحرارة صيفا	درجة الحرارة شتاء
صفر	١٥ مئوية	٧ مئوية
٣ كم	ـ ٢	ـ ٩
٦ كم	ـ ١٦	ـ ٣٠
٩ كم	ـ ٣٨	ـ ٥٠
١٢ كم	ـ ٥٣	ـ ٥٧
١٥ كم	ـ ٥٢	ـ ٥٧
٢٠ كم	ـ ٥١	ـ ٥٧

من هذا يتضح ان الطائرة تتعرض الى حرارة متدنية عند ارتفاع ثلاثة كيلومترات ، وان الحرارة تهبط الى أدنى الدرجات عند علو اثني عشر كيلومترا • ومن أغرب ما سجلته المناطيد الاستكشافية، هو وجود طبقة لا تتغير عندها الحرارة مع الارتفاع الا قليلا ، وهي تبتدىء عند علو أحد عشر كيلومترا • والمسلم به اليوم هو ان الهواء يتألف من طبقات الواحدة منهـا فـوق الأخرى ، وتختلف كل منها عن غيرها في مقدار الرطوبة واتجاه الهواء وسرعته ، ويعود السبب في ذلك الى تسرب الهواء البارد الى أسفل وارتفاع الهواء الساخن الى فوق ، وذلك بسرعة تبلغ أحيانا خمسين كيلومترا في الساعة • وهناك أمور أخرى على جانب كبير من الاهمية ، سجلتها المناطيد الاستكشافية ، وكان لها شأن كبير في عالم الطيران •

دثار الارض الكهربائي :

في عام ١٩٠١ تمكن « ماركوني » من ارسال اشارة لاسلكية لاول مرة بين أوروبا وأميركا ، فأحدث هذا الامر تطورا كبيرا في معرفة الانسان لنواميس الطبيعة في ذلك العصر فيما يتعلق

بانطلاق الامواج اللاسلكية من المحطات التي تبثها • فقد كان الاعتقاد السائد عند جمهور العلماء في مستهل هذا القرن ان الامواج اللاسلكية تنطلق من محطات الاذاعة في خطوط مستقيمة، كأمواج الضوء ، فلا تجاري في سيرها تحدب الارض ، وبالتالي تخترق الهواء وتغور في الفضاء وتتلاشى • لكن « ماركوني » تحدى الآراء السائدة في ذلك الزمن ، وقام بتجربته الحاسمة في أواخر سنة ١٩٠١ ، التي أثبتت صحة ما كان يجول في خاطره •

كانت هذه التجربة دليلا على أن هناك في أعالي طبقات الجو حالة كهربائية ، من شأنها أن تعكس الامواج اللاسلكية وتردها الى الارض ، كما تعكس المرآة أشعة النور التي تقع عليها ، وقد دعيت الطبقة أو المنطقة المتواجدة فيها هذه الحالة «ايونوسفير»، أي الغلاف الكروي المؤين • وعكف بعض العلماء علـى درس أوصاف هذه الحالة ، فتوصل « هينيفيسيد » و « كنللي » الى استخراج هذه الاوصاف نظريا ، وأطلق على هذه الطبقة اسم « كنللي ـ هيفيسيد » نسبة الى هذين المكتشفين • ومن غرائب الصدف أن يتم هذا الاكتشاف في الوقت نفسه تقريبا على يد عالمين في قارتين مختلفتين ، فأحدهما انكليزي والآخر أميركي •

وكان على العلماء بعــد ذلــك أن يثبتوا بواسطة التجربة العملية وجود طبقة أو طبقات من الغازات المؤينة في أعالي الجو تعكس الامواج اللاسلكية ، ولم يتم هذا الا في عام ١٩٢٥ ، على يد « بريت » و « توف » بمعهد « كارينجي » في واشنطن وفي « ابلتن » في انكلترا ، وذلك عندما تحققا من انعكاس الامواج اللاسلكية انعكاسا مباشرا من طبقات الجو العليا على ارتفــاع نحو ١٠٠ كيلومتر • وقد ثبت ان هذه الطبقة عرضة للتغير من حيث الشكل والارتفاع ، تبعا للاحوال الجوية ، ولتأثير فعــل الشمس خاصة ، فتنخفض قليلا أثناء النهار لتأثير أشعة الشمس فيها • وهذا هو السبب في اختلاف قوة البث الاذاعي ليلا ونهارا بالنسبة الى الاذاعات ذات الامواج المتوسطة الطول • ويرجــع

السبب في وضوح الاذاعات في الشتاء عنها في الصيف ، الى أن ساعات ليل الشتاء أطول منها في الصيف ، لذلك تكون تلك الطبقة من الغازات المؤينة مرتفعة في الشتاء ، مما يساعد على وصول الامواج اللاسلكية الى أماكن بعيدة ٠

بيد انه ظهرت حالات في البث اللاسلكي ، لم تتمكن طبقة « كنللي ـ هيفيسيد » من ايجاد تفسير لها ٠ فهذه الطبقة من الغازات المؤينة معلوم عنها ان الاشارات اللاسلكية ذات الامواج الطوال أو المتوسطة الطول لا تستطيع اختراقها ، بل تنعكس عنها ، أما الاشارات ذات الامواج القصار فانها تخترقها وتنفذ منها ٠ ولكن لاحظ العلماء ان الاشارات ذات الامواج القصار كانت ترتد أيضا ، وقد ظلوا في حيرة من هذا الامر ، الى أن جاء « ابلتون » من جامعة لندن ، وأثبت في عام ١٩٢٧ اكتشاف طبقة ثانية تعلو طبقة « كنللي ـ هيفيسيد » ، وأشد منها تكهربا ٠ لذلك فقد كانت أقدر على عكس الامواج القصار ، التي تنفذ من طبقة « كنللي ـ هيفيسيد » ٠

وكانت التجربة التي قام بها « ابلتون » في غاية الابداع ، فقد بث اشارة تلغرافية على موجة طولها ٣٠ مترا ، فانتشرت تلك الاشارة في جميع الجهات ، وتكمن من تسلمها في مكان يبعد عن مكان البث ٠ ثم بث ثلاث اشارات أخرى ، أدى تفسيرها الى اكتشاف وجود طبقات مكهربة أخرى ٠ فقد سارت الاشارة الأولى من محطة الارسال الى جهاز الاستقبال رأسا دون أن تصطدم بأية طبقة مؤينة ، فاجتازت المسافة في أقل مدة زمنية ممكنة ، وسارت الاشارة الثانية حتى التقت بطبقة « كنللي ـ هيفيسيد » فردتها الى الارض ، وسجلها جهاز الاستقبال بعد جزء ضئيل من الثانية بين وقت البث والاستقبال ٠ أما الاشارة الثالثة فهي التي عكستها طبقة « ابلتون » الجديدة ، ويقدر علوها بمائتين وخمسة وعشرين كيلومترا ، استنادا الى الزمن الذي استغرقته الاشارة ذهابا وايابا ٠ ولم يعلم « ابلتون » سببا لارتداد الاشارة

الرابعة ، فافترض أنها معكوسة عن طبقة رابعة علوها نحو ٨٠٠ كيلومتر عن سطح الارض ٠

هذه المعلومات ، من حيث علو الطبقات المختلفة ، ومدى تأثيرها على البث الاذاعي أثناء ساعات اليوم المختلفة وفصول السنة ، أضافت الكثير الى معرفة أفضل الامواج طولا ، لايجاد حالات ملائمة للبث على مدار السنة ٠ فالرأي السائد اليوم ، هو ان الاشارات ذات الامواج الراديوية الطوال ، تسير في الهواء كما هو في حالته الطبيعية حول الارض عند سطحها ، لا تؤثر فيها عوامل تؤدي الى تحولها عن خط سيرها ٠ وتعرف هذه الامواج بالأمواج الارضية ، وهي لا تتمكن من اختراق الطبقة المكهربة الأولى ، بل تنعكس وترتد الى سطح الارض ٠ أما الاشارات ذات الامواج القصار ، فان الارض والطبقات المؤينة تصبح مناطق حدود لمساراتها ، فهي تنطلق مائلة الى الطبقات المؤينة التي تعكسها لتعود الطبقة المؤينة ، متبعة خطا متعرجا حول الارض ٠ وقد تبين انه في كثير من الحالات تسير الموجة القصيرة عدة مرات حول الارض ، قبل أن تتلاشى تدريجيا بسبب النقص في طاقتها عند الانعكاسات المتعددة ٠

وتتوقف قوة الطبقات المؤينة في عكس الامواج ، على الكثافة الكهربائية في كل طبقة ، لذلك تخترق بعض الامواج القصار طبقة سفلى وتنعكس من طبقة فوقها ٠ وهناك أمواج غاية في القصر ، تنفذ من جميع الطبقات وتغور في الطبقات المختلفة ، فانها تتغير أثناء ساعات اليوم ومع تغير الفصول ٠ وتتأثر الامواج القصار أيضا بالتفريق أو الالتواء أثناء مرورها في طبقات الجو السفلى ، بسبب وجود بخار الماء ٠ ولا شك بأن هذه الطبقات المؤينة تعكس الكثير من الامواج اللاسلكية المنبعثة من الفضاء الخارجي ، فتمنعها من الوصول الينا ٠ اذ لا تستطيع أجهزة علم الفلك الراديوي الا أن تلتقط تلك الامواج التي

تكون أطوالها في غايــة القصر ، نظرا لتمكنها مــن اختراق الطبقات المؤينة •

ماهية « الأيونات » :

عُرفت « الأيونات » أثناء دراسة طبيعة التيار الكهربائي ، وقد أدت هذه الدراسة الى معرفة ان الكهرباء ذات بنية متقطعة ، كالمادة ، وذلك عن طريق التعرف الى مقدرة المحاليل والغازات على نقل التيار الكهربائي • فالمعروف ان الماء الصافي لا ينقل التيار ، أما اذا أضيف اليه بعض قطرات من حمض كلور الماء أو قليل من ملح الطعام ، فانه يصبح ناقلا ، وذلك لانشطـار جزيئات كل من هذين المركبين • فجزيء ملح الطعام ينشطر ، ويتولد عن ذلك ذرة « صوديوم » تحمل شحنة موجبة ، وذرة « كلور » تحمل شحنة سالبة • وقد دعيت هذه الذرات « المشحونة بالأيونات » أو « الشوارد » ، وقد كانت متماسكة قبل أن تنحل الجزيئات في الماء •

في عام ١٩٣٣ وضع « فراداي » قوانين نقل التيار الكهربائي في المحاليل • أما النظرية التي جاءت تفسر مقدرة المحاليل على ايصال الكهرباء ، فكانت للعالم السويدي « ارهينوس » الذي نال جائزة « نوبل » عام ١٩٠٣ ، عقب اكتشاف « الكهرب » عام ١٨٩٥ على يد « السر طومسون » ، عندما كان يجري أبحاثه الفيزيائية في جامعة « كمبردج » • و « الكهرب » هو من أهم أركان القوة التي تربط أجزاء الجسيمــات بعضهــا ببعض • والمسلم به اليوم في عالم الفيزياء ، ان « الكهرب » ينتقل من جسم الى آخر ، فيختل التوازن الكهربائي ، ويصبح لدينا تلك « الأيونات » ، المعروفة « بالشوارد » •

وعندما ننتقل لدرس مقدرة الغازات على نقل الكهرباء ، نجد ان الغازات بطبيعتها غير حائزة على هذه الصفة ، لكنها

في حالة التأين تصبح مؤهلة لذلك • فالهواء عند سطح الارض غير قابل للتوصيل الكهربائي ، ومناعته هذه تنقص كلما زاد الارتفاع ، وهذا يعود لازدياد عدد الأيونات أو الكهارب • فعند علو نحو ١٠٠ كيلومتر يصل العدد الى ٥ بلايين من الأيونات في السنتيمتر المكعب ، وعند هذا الارتفاع توجد منطقة « كنللي ــ هيفيسيد » العاكسة • ولما كانت طبقة الجو المؤينة كثيرة التعقيد في تركيبها ، لما يطرأ عليها من تغيرات عديدة من حيث الارتفاع والاتساع وخلاف ذلك ، فقد لجأ العلماء الى البث الراديوي لمعرفة خواصها وكثافة الكهارب فيها • فأصبحت لديهم معلومات كافية عن القسم السفلي منها ، هذه المعلومات وسعت مدى البث اللاسلكي من ٣٠ مليون الى ٣٠٠٠٠ مليون ذبذبة في الثانية ، الأمر الذي حقق الاتصال العالمي لاسلكيا •

والثابت ان الجو ليس مصدرا للحوادث الكهربائية أثناء العواصف فحسب ، بل ان الانسان أيضا معرض لكهربائية الجو في كل آن • ويتضح لنا ذلك اذا وضعنا في يوم صاف جاف ، ناقلا معزولا في حالة الاعتدال الكهربائي • فيتكهرب هذا الناقل ايجابيا في قسمه السفلي ، وسلبيا في قسمه العلوي ، وتفسر هذه النتيجة وجود مجال كهربائي في الجو ، تتجه خطوط قوته من الاعلى الى الاسفل ، فيزداد « الكمون الكهربائي » لهذا المجال كلما ارتفعنا في الجو • ومن قياس المجال الكهربائي الطبيعي على علو بضعة أقدام في الهواء فوق سطح الارض ، يتضح ان الارض تتمتع بشحنة كهربائية مقدارها ٤٠٠٠٠٠٠ «كولومب» فنحن اذن نمشي على سطح الارض ورؤوسنا في الجو حيث يوجد جهد كهربائي مقداره ٢٠٠ فولط •

وتفقد الارض من شحنتها الكهربائية بمعدل ١٨٠٠ أمبير ، وهذا يبلغ نحو ٩٠ بالمئة من شحنتها ، في مدة ساعة ، لكن الدراسات الدقيقة أثبتت أنه على الرغم من هذه الخسارة ، لا تزال الشحنة كما كانت عليه تقريبا منذ أول العصور الجيولوجية

لذا كان لا بد من البحث عن المصدر الذي يعيد الى الارض ما تخسره • وأثناء هذا البحث برزت الاشعة الكونية ، كعامل رئيسي بين عوامل أخرى • وبالرغم من التقدم الذي أحرزه الانسان في هذا المضمار ، فان العلماء يعترفون بأنهم لا يزالون بحاجة الى معلومات اضافية •

مصدر « الأيونات » :

توصل الباحثون الى افتراض وجود طبقة مكهربة في الجو ، أثناء بحثهم عن سبب حدوث الشفق القطبي وهو عبارة عن نور يتألق ليلا بشكل رقع منيرة ، أو ألسنة من نور ، أو أعمدة مستقيمة ، أو ستائر متموجة وسجف مضيئة ومتدلية من الأعالي ، أو خلاف ذلك من الاشكال البهية الرائعة • ويرافق هذه الظاهرة أحيانا عاصفة مغنطيسية كهربائية ، تعطل المواصلات البرقية والهاتفية ومحطات الراديو ذات الموجات القصيرة •

لقد ظن العلماء عند اكتشاف الاشعاع « الراديومي » ، في نهاية القرن الماضي ، ان الاشعاع في المواد والغازات الراديومية (وعلى الاخص غاز الرادون) ، هو السبب في تأين جزيئات الهواء • ولم يطل الوقت حتى تبين ان الهواء يكون موصلا للكهرباء ، حتى ولو بقي معزولا تماما عن أشعة « جاما » مهما بلغت قوتها • وهنا لجأ العلماء الى افتراض وجود أشعة أقوى من أشعة « جاما » ، مصدرها معدن مجهول في باطن الارض •

وفي عام ١٩١١ حلق العالم النمساوي « فكتور هس » الى ارتفاع خمسة كيلومترات تقريبا ، فوجد ان التأين يزداد قوة مع الارتفاع ، فاستنتج من ذلك ان الاشعة ، التي هي أشد قوة من أشعة « جاما » ، مصدرها طبقات الجو العليا ، لا السفلى ، ودعيت تلك الاشعة « بالأشعة الكونية » • وجدير بالذكر ان

هذا العالم منح جائزة نوبل عام ١٩٣٦ • ثم تمكن العلماء من تطوير طرق عديدة ، لاستكشاف أنواع الاشعة التي تصل الينا ، فاستخدموا أحيانا ألواحا فوتوغرافية تغبش بهذه الاشعاعات • وعند استخدام مستحلبات فوتوغرافية كثيفة ، يمكـن فحص هذه الالواح بعد تحميضها تحت المجهر ، للتعرف على جزيئات جديدة • ومن العلماء الذين لمعوا في هذا المجال الاستاذ « باول » من جامعة « بريستول » في انكلترا ، وقد نال جائزة « نوبل » نظير جهوده ودراساته •

أما مصدر كهربة أعالي الجو فهو أولا الاشعة فوق البنفسجية في نور الشمس ، تلي ذلك الشهب والاشعة الكونية وتفوق طاقة الاشعة فوق البنفسجية في تأيين الهواء ، عشرة أضعاف المصادر الاخرى مجتمعة • وليس ذلك ، لأن هذه الاشعة أقوى فاعلية وأنفذ من الاشعة الكونية ، ولكن ما يصل الى الارض منها أكثر بكثير مما يصل الى الارض من الاشعة الكونية •

وفي عام ١٩٥٨ أضيف حـدث مهم في عالم الاشعاع حـول الارض ، وذلك باكتشاف حزامي « فان آلن » بواسطة أجهزة تحملها صواريخ أو أقمار اصطناعية الى أعالي الجو ، وقد حلق أحد هذه الصواريخ الى علو ١٠٠٠٠٠ كيلومتر مكتشفا طبقة اشعاع عليا على علو نحو ١٦٠٠٠ كيلومتر • ويقول العلماء ان الالكترونات والبروتونات في هذه الطبقة ، هي ناتجة عـن الريح الشمسية ، وهذه الريح تتألف من دقائق مشحونة تنطلق بسرعة تتراوح بين مليون ومليونين ونصف المليون كيلومتر في الساعة • وهناك أسرار تتعلق بالريح الشمسية ، لا يزال العلماء عاكفين على تفسيرها في ضوء ما هو معروف في حقل الدقائـق الصغيرة المكهربة •

نقولا شاهين

الشيخ أبو المحاسن وشعره

بقلم: السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة

هو المرحوم الشيخ محمد حسن بن حمادي بن مهدي من أسرة آل محسن القاطلتة في قرية جناجية التي تبعد حوالي ٢٥ كيلومتر شرقي كربلاء · وآل محسن بطن من قبيلة آل علي المنتمية الى مالك الأشتر النخعي ، المعروفة بالشجاعة ، لها ماض عريق مشرق في قضايا الدفاع عن العراق في أوقات المحن ، وأخيرا شاركت في ارهاصات ثورة العشرين المظفرة · وليس بغريب ان تكون لشاعرنا الكبير أبو المحاسن هذه المواقف النضالية في جميع العهود · ناضل وكافح ضد الاستعمارين التركي والانكليزي في عراقنا العربي ، فأصبح اسمه عنوانا مشرقا لتلك المواقف ، دخل السجن وتعرض للمطاردة والتشريد · ولد في كربلاء سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٧م وترعرع فيها ودرس المبادىء ثم علوم العربية على يد كثير من الفضلاء، فاستقصى آداب اللغة العربية بجميع فروعها ، وكذا التاريخ والجغرافيا وحضر دروس بعض العلماء ، فتضلع في الفقه والأصول والتفسير وغيرها من العلوم· وكانت له منذ نشأته رغبة خاصة في حفظ الشعر ونظمه ، فعكف على النظم ، وعرف شعره بالجودة والانسجام والرقة · ومعظم شعره في الادب السياسي والنسيب والغزل ، وطالما تغنى بالقومية والوحدة العربية واستنهاض الأمة من كبوتها ·

كان رحمه الله في أوائل أيامه من رواد ديوان السيد قاسم الرشدي ، الذي كان يعد في عصره بمثابة سوق عكاظ ، وكان منتدى أدبيا رائعا يرتاده الشعراء والأدباء من الكربلائيين

والوافدين من النجف والحلة وبغداد • وكانت مجتمعاتهم مستمرة ، وكان ديدنهم نظم الشعر والمطاردة الشعرية وتبادل الطرائف والنكات الادبية والمذاكرة بالتاريخ وأحوال البلدة سياسيا واجتماعيا • وكان المنتدى قد نعت المترجم بلقب أبي المحاسن لما كان يحمل من مزايا طيبة وصفات حسنة • واننا لم نخطىء أصحاب ذلك المنتدى تسميته بهذا الاسم ، اذ أنه عدا صفاته الخلقية التي أكسبته حبا واحتراما من مختلف الطبقات ، يتصف بعدة صفات ، ويتقمص عدة حلل فانه شاعر وعالم ثائر وسياسي محنك في آن واحد ، وانه قام بأداء كل منها خير قيام ، حتى أصبح من كبار شعراء العراق المعروفين وفضلائها المشهورين • وقد نشر قصائد عصماء في القومية والدعوة الى الوحدة العربية وفي الدستور والحرية ، وعين وزيرا للمعارف العراقية سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م نظرا لمكانته العلمية والادبية في المجتمع العراقي ، واستقال على أثر تصديق المعاهدة العراقية الانكليزية ، بعد مشادة عنيفة مع رئيس الوزراء • نظم الشاعر قصيدة قبيل الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣١هـ الموافق سنة ١٩١٣م وكانت تشير الى ما يتحسس به في ذلك العهد رجال السياسة والمتتبعون للحوادث والمترقبون لوقوعها بين حين وآخر وما كان يضمره الساسة الانكليز للعراق وما يبيتون له من نوايا • وقد كان لتلك القصيدة شأن كبير في النوادي ، حيث تلاقفتها الأيدي وحفظها المولعون بالشعر والسياسة ، لأن شاعرنا نظم قصيدة سياسية مرتدية حلة غزلية قشيبة جذابة فتنت حواس كل من له المام وذوق بالشعر ، وهذه هي بعض أبياتها :

انكليزية تروق وتسبي ... عاشقيها بوجنة ورديه
برزت وانثنت فأشرق بدر ... نير فوق صعدة سمهريه
قلت ما نسبة الفتاة فقالت ... وأشارت لخصرها لتدنيه
قلت بالله من أبوك فأوحت ... لي بالطرف ناظر الحربيه

قلت هلا شفيت وجد قلوب نارها مثل وجنتيك ذكيه
ان مشروطة الملاحة فيكم وبأهليك قامت المدنيه

وعند احتلال الانكليز للعراق أشعل أبو المحاسن همم القبائل العربية ، وقد تجد هذا الهيجان في ثورة العشرين التي كان لشاعرنا الدور الكبير فيها ، فهو الرجل المقدم والمعتمد الخاص عند الامام الحائري مرزا محمد تقي ، حتى بات كالعقل المفكر والمدبر للثورة • فما من فتوى للامام القائد الروحي لثورة العشرين في العراق الا وكتبها بقلمه وسعى لنشرها ، ثم قلده الامام رئاسة المجلس العلمي ونيابة رئاسة المجلس الملي التي شكلت في العراق ابان الثورة في كربلاء • وبعد الثورة ألقي القبض عليه وسجن مع رفاقه الاحرار ، فكانت له هذه القصيدة التي تجسد روحه الانسانية :

أنا والنجم كلانا ساهر
غير أني مغرد بالشجن
لا أبالي والمعالي غايتي
وصل أشجاني وهجر الوسن
ليس غير الشعب واستقلاله
لي شغل فهو أضحى ديدني
عرف المعروف والعدل بنا
ولنا تأسيس تلك السنن
لست أشكو السجن بل أشكره
فهو بالاخوان قد عرفني
من رجال نقضوا ميثاقهم
وجزوا بالسوء فعل الحسن

أظهروا مـا أضمروا من حقدهم

وبـدت بغضـاهـم بالألسـن

ويحهـم مـا نقمـوا من ناهض

طيـب السر كريـم العلـن

ثـورة أصبـح مـن آثـارها

حظـوة الخـائـن والمفتتـن

لقد امتاز شاعرنا بصدق احساسه وسرعة بديهيته ، نلمس ذلك في قوله مرتجلا بيتين في الفيلسوف أمين الريحاني الذي زار كربلاء يوم الاربعين من سنة ١٣٤٠هـ شهر صفر المظفر ، وقد شاهده الشاعر في الطريق فجاة فقال :

يا من رأى خلق (الأمين) وفضله

حدث عـن الأزهـار والريحان

قد شاهدت عينـاي عند لقائـه

انسان عـين فضيلـة الانسان

وقال في دار صديق له هدمت في حوادث كربلاء الداخلية في الحرب العالمية الأولى :

سلـّم علـى الـدار وقف باكيـا

فانهـا أخنت عليهـا الصروف

كانهـا لـم تـك ربـع النـدى

وملجأ العانـي ومأوى الضيوف

وقال مؤبنا ربان سفينة الأحرار الشيخ محمد تقي الحائري زعيم الثورة العراقية سنة ١٣٣٩هـ وهي قصيدة رائعة تنم عن

احساسه الأليم وعواطفه الصادقة وقد أنشدت في الحفل التأبيني الذي أقيم في الصحن الحسيني الشريف :

طافوا بقبرك والدموع سجايا
وبكل قلب لوعة وأوام
قبر تضمن آية قدسية
رفعت فأكبر شأنها الاسلام
يا مضجع التقوى ويا جدث التقى
بكرت عليك تحية وسلام
ومجدد الاسلام بعد دثوره
حياك من صوب النعيم غمام
للمسلمين بكل عام موقف
فيه المآتم للتقي تقام
فيه الرزية لا يزال لذكرها
حزن تجدده لنا الأعوام

ومنها قوله :

أحييت مجدا للعراق وأهله
لله محيي المجد وهو رمام
فالشعب يحكم نفسه في نفسه
وعليه عترة احمد حكام
وأطاعك الشرق العصي فأهله
ان سرت ساروا أو أقمت أقاموا

كنت القوي على الخطوب تقلها
بضعيف جسمك والخطوب جسام
كنت المنار بلا ضلال لمهتد
رفعت له من نورك الأعلام
ونهضت مضطلعا بكل عظيمة
منها ينوء مقالع وشمام

وصفوة القول ان أبا المحاسن كان مثالا للعفة والنزاهة والاخلاص والجد في العمل ، لا سيما في أيام وزارته ، وبعد استقالته منها عاد الى مسقط رأسه كربلاء ، وبقي فيها موضع اعجاب وتقدير • وفي ذات يوم ذهب الى مزرعته في قرية جناجه ، وبينما هو يسقي أرضه فيها فاجأته المنية فتوفي بالسكتة القلبية وذلك بتاريخ ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ ، وحمل جثمانه باحتفال مهيب الى مثواه الاخير في النجف الاشرف حيث دفن في الصحن الشريف •

كربلاء ــ العراق محمد حسن مصطفى آل طعمة

الأدب الشعبي الاسلامي المقارن

● صدر في القاهرة كتاب (الأدب الشعبي الاسلامي المقارن) تأليف الدكتور حسين مجيب المصري أستاذ الأدب الفارسي في جامعتي عين شمس والقاهرة • والكتاب من منشورات مكتبة الانجلو المصرية •

هل نحن في عام ١٩٨١

لزهير مارديني

هل نحن في عام ١٩٠٠ أو في عام ١٩٨١ ؟

هل نحن نعيش في عصر السلطان عبد الحميد ، أو في عصر الديمقراطية والحرية ؟

كان هذا شعوري وأنا أقلب الصفحة الاخيرة من الكتاب الذي ألفه عبد الرحمن الكواكبي ..

ان الكتاب كان له عنوان غريب هو :

(طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، وهي كلمات حق وصيحة في واد ، ان ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غدا بالأوتاد .. محررها هو الرحالة (ك)) .

ولكن من هو (ك) هذا ؟

الشام

مدينة حلب

ان مدينة حلب هي ـ في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ـ صورة مصغرة لما يحدث في الامبراطورية العثمانية كلها فيها وال عثماني صغير ممثل للسلطان العثماني الكبير ـ الوالي عارف باشا . وفيها أيضا صوت صغير يشكو من ظلم الوالي ، صوت رجل عادي ـ عادي جدا ـ اسمه (عبد الرحمن الكواكبي) .

ان الكواكبي يعيش في مدينة حلب منذ ولد بها في سنة

١٨٤٨ ، لقد ماتت أمه وهو في السادسة ، ولكن أباه استطاع أن يعلمه كما يتعلم أي طفل في تلك الأيام ، اللغة والدين ٠

وعندما وصل الكواكبي الى سن العشرين أصبح يتكلم الفارسية والتركية ، بالاضافة الى العربية ، وبالاضافة الى دراسة الكتب الدينية والتاريخية وقوانين الدولة العثمانية ٠ بعدها عمل الكواكبي في وظائف عديدة ، عمل صحفيا وكاتبا ورئيسا للبلدية ثم محاميا وقاضيا للحاجات وتاجرا ٠

وفي كل وظيفة يعمل بها الكواكبي ٠٠ كان يرى الاستبداد والطغيان حوله في كل مكان ٠

ان الولاة والحكام يستخفون بالشعب ويضربونه بالنعال ٠

ان الشعب عندهم لا فائدة منه سوى دفع الضرائب ٠

انهم ينشرون فيه الرشوة والفساد ، يحكمونه بالسيف والجواسيس ٠

يستعبدون الناس ويخرقون القانون ويدوسون العدالة ويتجاهلون الحقوق ويستغلون الدين ويفسدون الاخلاق ويراقبون الصحف ويحجبون الحرية ٠

انهم يذلون الغني ويستعبدون الفقير ويسجنون الاحرار ويعدمون المتمردين ٠

وبدأ الرجل يتأمل حال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ٠

لماذا ضعفوا ؟ لماذا استكانوا ؟ لماذا يستسلمون لمن يستبد بهم ؟ لماذا ؟

أسئلة كثيرة شغلت بال الكواكبي في تلك الايام ٠٠ كل سؤال يجر سؤالا آخر ٠٠ كل مرض يكشف مرضا آخر ٠٠

وشيئا فشيئا بدأ الكواكبي يضع يده على بعض الاجابات ·
هنا أشياء كثيرة يراها سببا لتدهور حال المسلمين ·· أسباب
دينية ·· أسباب خلقية ·· أسباب سياسية ·

ان المسلم تدهور حاله حينما أصبح مجردا من حرية القول والعمل ومجرد من الامن والامل ·· وحينما فقد المجتمع حريته فقد أمله وبطل عمله وماتت نفسه وفسد عقله واختل قانونه وسئم حياته ·· فاستولى عليه الفتور واستسلم للاستبداد ·· الاستبداد ؟

بدأ الوالي يراقب الكواكبي ، ثم اخذ في التضييق عليه ·· وأخيرا قام بالقاء القبض عليه ·· التهمة : التآمر على الوالي ·

المتهمون : الكواكبي والآخرون · ان الوالي واثق من ادانتهم جميعا الى درجة أنه سمح بمحاكمتهم سياسيا ·

براءة !·

ولكن البراءة لم تكن نهاية كل شيء بالنسبة اليه ، اذ كانت مشاكله مع الوالي قد بدأت ·· فانها لن تنتهي · لقد منعه من السفر ، وراقبه ، ووضع الجواسيس في ذيله ، واغتصب مزرعته ونهب أمواله · ولكن هذا أيضا لا يكفي فعندما جاء الى حلب وال آخر ــ هو عارف باشا ــ وجد ان الكواكبي قد افتتح مكتبا للمحاماة خصصه للدفاع عن المظلومين ضد مظالم الوالي وحاشيته · وحتى يستريح الوالي الجديد من ازعاج هذا الكواكبي ــ هذا المشاغب ــ اختار لاسكاته سلاحا آخر ، هو : القبض عليه بتهمة انه يعمل على تاليف جمعية لمناوأة الدولة ·

تهمة خطيرة ·· سلاح قاتل ·

ولكي تكون الاصابة مضمونة فان الشرطة ــ عند تفتيش منزل الكواكبي ــ دست له في الاوراق المصادرة صورة خطاب ــ مزور طبعا ــ زعموا ان الكواكبي قد (·· بعث به الى قناصل

الدول الاجنبية يحرضهم فيه على مخاصمة الحكومة والعمل على تخليص البلاد من المظالم) ٠

هذه اذن خيانة عظمى ٠

عدلية حلب

فتحت الجلسة

كان الكواكبي واثقا من براءته ٠٠ ان الوالي يستطيع أن يشتري الشهود ٠٠ أن يرهبهم ٠ ولكنه قطعا ، لن يستطيع شراء القضاء أو ارهابه ٠٠ ان الاستبداد يستطيع أن يستخدم أسلحته خارج هذه المحكمة ، ولكن في داخلها قطعا ـ سوف يلتزم حدوده ٠٠ وخضع القضاء ٠٠ فبعد سماع الشهود والأدلة والمرافعات نطقت المحكمة بالحكم ٠

ان الحكم هو الاعدام !

مرفأ بيروت

١٨٩٩

مكتب ناظر النفوس

عندما قام مدير جوازات بيروت ـ يسمونه ناظر النفوس ـ بمراجعة جوازات المسافرين على الباخرة من بيروت الى الاسكندرية ٠٠ لم ينتبه الى أن من بينهم رجلا في السابعة والاربعين ، رجلا مستدير الوجه ، واسع الجبين ، أزرق العينين ، كثيف الحاجبين والشارب واللحية ٠٠ رجلا شابت فيه أشياء كثيرة غير مجرد شعر رأسه ٠٠ رجلا يكاد يكون طويل القامة ـ والى جانبه يسير ابنه الشاب كاظم ـ ٠

وبعد أن مر الجميع برجال الشحنة (الشرطة) ٠٠ صعدوا الى الباخرة ٠٠ ساعتها فقط التفت كاظم الى أبيه وتنهد بعمق ثم قال : الحمد لله !

وتمتم الأب : نعم يا بني .. الحمد لله اننا نجونا آخيرا من هذه البلاد ، هذه بلاد لا يعيش فيها حر ، ولا ينجح نزيه ، ولا يسلم مفكر !.

ولم يكن هذا الرجل سوى شيخ سوري اسمه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن مسعود الكواكبي .. نعم الكواكبي الذي صدر عليه حكم الاعدام من قبل في مدينة حلب .. لقد كان هذا الحكم صدمة عنيفة بالنسبة للكواكبي .

صدمة كشفت له عن قرب ان الاستبداد يستطيع أن يشتري كل شيء .. يستطيع أن يشتري الشرطة والشهود والقضاة والمصفقين .. صدمة جعلته يتحرك بضراوة دفاعا عن نفسه .. لقد اعترض على حكم الاعدام .. وأعلن عدم ثقته بحكومة حلب وواليها .. وأصر على أن تحول محاكمته الى محكمة أخرى في بيروت .

وفي بيروت ، وبعد أخذ ورد مع نظارة العدل في الآستانة .. قررت محكمة التمييز محاكمته أمام محكمة بيروت .. وتبين للمحكمة ان التهمة ملفقة من أساسها ، فحكمت ببراءة الكواكبي ، وطلبت عزل الوالي .

القاهرة

١٩٠٠

شيء لا يصدقه عقل !

هذه فصول تنشرها جريدة (المؤيد) في القاهرة ، غريبة في اللهجة والأسلوب والموضوع .. انها فصول .. مشبعة بالصراحة والجرأة ، انها مجهولة التوقيع !.

ـ ترى من الذي كتبها ؟ هل يكون كاتبها هو الشيخ محمد عبده ؟

ـ مستحيل فصحيفة المؤيد هي لسان حال الخديوي عباس الثاني ، الذي بدأ يختلف مع الشيخ الامام ·· ان الشيخ علي يوسف ـ صاحب المؤيد ـ علاقته بالشيخ محمد عبده سيئة ·

هكذا بدأ الجمهور يتساءل عندما بدأ الكواكبي ينشر مقالات عن طبائع الاستبداد في صحيفة (المؤيد) بالقاهرة ·

في عام ١٩٠٠ جمع الكواكبي مقالاته في كتاب ·· وحتى عندما فعل ذلك فانه لم يوقع باسمه ·· ان الكواكبي يبدأ كتابه بالتساؤل : ما هو الاستبداد ؟

ومن السطر الثاني مباشرة يبدأ الكواكبي في اجابة السؤال، والانطلاق منه ، هكذا يكتب :

(ان الاستبداد هو ·· صفة للحكومة المطلقة العنان ، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية ولا عقاب) ·

وسبب الاستبداد هو أن تكون الحكومة (مطلقة العنان ، لا يقيدها قانون ولا ارادة أمة ، أو انها مقيدة بنوع من ذلك · ولكنها تملك بنفوذها أبطال هذه القيود والسير على ما تهوى) ·

والحكومات ميالة بطبعها الى الاستبداد ·· لا يصدها عنه الا وضعها تحت المراقبة الشديدة ومحاسبتها محاسبة لا تسامح فيها، والا قوة الرأي العام وعظمة سلطانه ·

و ·· المستبد يتحكم في شؤون الناس بارادته لا بارادتهم ·· ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم ·· ويعلم من نفسه انه الغاصب المعتدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته ··

و ·· المستبد عدو الحق وعدو الحرية وقاتلهما ·

و ·· المستبد يتجاوز الحد لأنه لا يرى حاجزا ، فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفا لما أقدم على الظلم ·

و ·· المستبد يود أن تكون رعيته كالغنم دورا وطاعة ··

وكالكلاب تذللا وتملقا .. وعلى الرعية أن تعرف مقامها ، هل خلقت خادمة للمستبد أو هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها .

و .. المستبد انسان مستعد بالفطرة للخير والشر . فعلى الرعية أن تكون مستعدة لأن تعرف ما هو الخير وما هو الشر .. مستعدة لأن تقول : لا أريد الشر ، مستعدة لأن تتبـع القول بالعمل .

لقد انفجر البركان أخيرا .. بركان ضخم متفجر ، ملتهب ، بركان ظلت فوهته مسدودة مدة طويلة داخل عقل الكواكبي .. الآن انفجر البركان .. انفجار يقذف الى صفحات الكتاب بكل الملامح التي ظل الكواكبي يختزنها داخل عقله سنة بعد سنة .. انك في هذا الكتاب لا تشعر انك تقرأ كلاما مكتوبا .. لا .. أنت تشهد بركانا يتفجر ، بركانا تلفح حرارته وجهك وعينيك وعقلك .

ان هذا الكتاب ليس خيالا أو أحلاما أو تجريدا أو ميتافيزيقا ان الكواكبي في هذا الكتاب ليس شاعرا .. ليس أديبا .. ليس قصاصا .. انه مصور لا يخترع .. لا يبتكر .. لا يخلق .. لا يضيف .. انه يلاحظ .. انه يرى .. انه يسجل .. ان الصورة نفسها تحمل رأيه .

والكواكبي في هذا الكتاب مجرد مصور .. ان عينه كاميرا تسجل ما تراه حولها من مظاهر الاستبداد .. لا يستطيـع أن يضيف للواقع جمالا يفتقده ، أو يستر قبحا لا يريده .

ان الكواكبي هنا ليس قاضيا يصدر الاحكام ، ولا هو محام تهمه البراءة . انه مجرد شاهد على الواقع الذي يراه .. على السلطة التي يخضع لها .. انه في متابعته لملامح هذه السلطة ، لا يصورها كمحايد ولكن كمجرب .. لا يكتب عنها كمتفرج .. ولكن كضحية .

انه يكتب عن الحرية وسط قوم غابت عهم الحرية ، لقد غابت عنهم لضعفهم ، وغابت عنهم لاهمالهم ، ان الحقوق والحريات يمكن فقدها بالاهمال ‥ مثلما يمكن فقدها بالهزيمة ‥ ان الحرية كالقوة ، كالذراع، كالعضلات ‥ استعملها أو اخسرها. وحينما يخسر شعب حريته فانه يدفع لاستعادتها ثمنا مضاعفا ثمنا للحرية نفسها ‥ وثمنا لاستعادة الايمان بها ‥ ان فقدان الحرية لا يعد خسارة في نظر قوم لم يعرفوا الحرية أبدا ‥ نحن هؤلاء القوم ، لقد عرفنا فقط ان السلطان هو قيصر ‥ وهو مندوب الله ‥

والكواكبي يدلل على أن الاسلام فرّق بين شيئين جوهريين :

النظرة الى الله ، والنظرة الى الحاكم . ان الحاكم فرد يخطيء ويصيب ‥ يظلم ويعدل ‥ انه في جميع الاحوال يلتزم ــ بحكم الدين ــ الا يستبد بالرأي . ان الله تعالى يقول : (وشاورهم في الأمر) أي في الشأن ، ويقول : (أمرهم شورى بينهم) أي شأنهم . ويقول : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، أي أصحاب الشأن منكم ، وهم العلماء والرؤساء على ما اتفق عليه أكثر المفسرين .

القاهرة

١٩٠٢

شرب الكواكبي فنجان قهوة سادة ، فبدأ يشعر بالألم ، وركب « حنطورا » مع ابنه الى شارع الامام الحسين في الأزهر .

بمجرد وصوله الى منزله بدأت الآلام تطارده ‥

ان الكواكبي يحاول الآن آن يتحدث مع ابنه كاظم ، انه يقول له بصوت عال يتجه الى الانخفاض شيئا فشيئا :

يا بني ‥ استدع لنا طبيبا فورا ‥

مات الكواكبي مسموما .

حي الأزهر

منزل المرحوم الكواكبي

اليوم التالي لدفنه

شيء غريب !. كيف استطاع السلطان عبد الحميد ــ وهو في قصره بالآستانة ــ أن يعلم بوفاة الكواكبي بمثل هذه السرعة. كيف استطاع خبر (تمام المهمة) أن يصل اليه في مثل هــذا الوقت الشيق ؟

لقد أرسل السلطان الى مندوب له في بيروت بأن يهبط سريعا الى القاهرة ، هناك سيجد ان الكواكبي قد مات .. هناك سيقابل أناسا آخرين يمثلون السلطان ، ان على الجميع أن يذهبوا فورا ــ مع أقصى الحذر ــ الى بيت الكواكبي . ان السلطان يريد مصادرة كل الاوراق التي كتبها الكواكبي بخط يده ، هــذه الأوراق يجب أن ترسل فورا الى السلطان عبد الحميد شخصيا في قصر يلدز بالآستانة ، السلطان نفسه ينتظرها . سلطــان في الوحل .

ان المهم .. هو السرعة ، قبل أن يظهر أي دليل يشــير الى علاقة السلطان بوفاة عبد الرحمن الكواكبي بعد يوم واحد من دفنه .

وجدوا مفاجأة جديدة في انتظارهم .

فمن بين الأوراق والكتب التي تركها الكواكبي بعد وفاته كان هناك كتاب قد بدأ تأليفه .. ولم ينته منه بعد .. كتاب يحمل عنوانا بسيطا يقول :

(العظمة لله) .

ان الكواكبي ــ حتى وهو ميت ــ ما زال محتفظا برأيه .

ان الله وحده هو العظيم ..

مع الخالدين

السر رتشارد برتون

بقلم : سمير شيخاني

صوت : نحن الآن في حضرة رجل فريد حقا ، جمع في شخصه عدة رجال : فكان مغامرا ، ورحالة ، ومستكشفا ، ودبلوماسيا ، وجنديا ، وعالما ، ولغويا ، ومستشرقا ، وأكثر من ذلك ، وبلا أدنى ريب ، كان السر رتشارد فرنسيس برتون من أبرز الوجوه في العصر الفكتوري في انكلترا • ولعله كان من أكثر البشر اثارة في أكثر من عصر ومصر ••• والطريف في هذه المقابلة اننا سنتجاذب أطراف الحديث باللغة العربية التي اتقنها كأحد أفضل أبنائها •

برتون : وقد اتقنت كذلك ، لزيادة معلوماتك يا سيدي ، ثلاثة عشرة لغة ، بينها الفارسية ، وخمس لهجات هندية ، لكي نحصر الموضوع في الشرق فحسب •

صوت : على ذكر الشرق ، أنت عشت ردحا من الزمن في هذه البقعة من العالم ، واختلطت بسكانها ، وتعرفت الى عاداتهم ، واتقنت لهجاتهم ، وسبل حياتهم وطرائقها •••

برتون : في الهند أقمع سبع سنوات ، فأرسيت أسس معرفتي بالحياة الشرقية والعادات والتقاليد ، وبخاصة في أوساط الطبقات الدنيا في المجتمع • وبصفتي مساعدا في دوائر المساحة في منطقة السند استطعت أن أظهر في الاسواق كسائر الهنود ، دون أن يشك أحد بأصلي الانكليزي •

صوت : لقد أُثر عنك ذكاؤك الحاد ، وغرابة أطوارك ، فلم يكن تلبسك الشخصية الهندية أمرا عسيرا عليك • وذلك يحملنا الى العودة قليلا الى الوراء لكي نتعرف اليك أكثر في مطلع حياتك •

برتون : كما تشاء ، يا سيدي ، فأنا مولود في توركواي في انكلترا سنة ١٨٢١ ، في أسرة موسرة ، على جانب من المحافظة •

صوت : ولكنك لم تكن من أنصار المحافظة في شيء ، بل على النقيض تمردت منذ البدء ، واضطررت الى هجر جامعة أوكسفورد بسبب تصرفاتك الغريبة ، فالتحقت اذ ذاك بشركة الهند الشرقية لكي تكمل دراستك حول الحياة الشرقية واللغات التي كنت بدأتها في الجامعة البريطانية الشهيرة • وكنت قد أبديت مهارة كبيرة في حقل اللغات •••

برتون : هبطت بومباي سنة ١٨٤٢ ، فما لبثت أن اتقنت خمس لغات هندية ، الى جانب العربية والفارسية •

صوت : وفي الهند ، بلاد السحر والأرواح ، شرعت في بنيان مجدك الادبي ، فأصدرت أربعة كتب نشرتها بعد عودتك من الهند ، وذلك الى جانب أعمالك الكتابية الروتينية التي كانت يفرضها عملك الحكومي •

برتون : لقد كنت غزير الانتاج ، سريعا في الكتابة ، فوضعت في حياتي خمسين كتابا في مواضيع مختلفة ، معظمها يدخل في أدب الرحلات ، ويتناول علم الآثار ـ الاركيولوجيا •

صوت : ولكنني أسمح لنفسي بأن أردد في هذا المجال رأيا أعتقد أنك ستوافقني عليه بما عرف عنك من رحابة صدر ورجاحة تفكير •

برتون : وما هو هذا الرأي ؟

صوت : لا شك ان خمسين كتابا بقلم رجل فرد يعتبر هرما أدبيا ،ولكن لعل ضخامة هذا الانتاج لم تسمح لك باتقان الأسلوب الادبي ، ومهره بالخيال الجبار ، ويقدر العارفون أنك لو اهتممت بذلك لضمنت الخلود لمؤلفاتك التي لم تُعرف على نطاق واسع .

برتون : الواقع انني من هذا الرأي،ولكن ما رأيك بترجمتي الحرفية لكتاب « ألف ليلة وليلة » ؟

صوت : ان نقلك « ألف ليلة وليلة » الى الانكليزية لعمل جبار ، وقد أكسبك شهرة لأنه دليل ساطع على تبحرك باللغة العربية ، وسعة اطلاعك على الحياة الشرقية بدقائقها . لذا جاءت ترجمتك لهذا الأثر الادبي الروائي الشرقي رائعة ودقيقة وأمينة ...

برتون : شكرا على هذا التقدير ، ودعني أذكر ههنا ان ألف ليلة وليلة » الانكليزية صدرت في ستة عشر مجلدا كاملة ، وبلا حذف شيء منها ، وطبعت طبعة خاصة بين سنة ١٨٨٥ و١٨٨٨ .

صوت : ولكنها اليوم نُشرت مجددا في طبعة عالمية ، ولعل ما يجعل لها أهمية كبرى تلك الاشارات والتفسيرات والتعليقات التي تزخر بها ، وتكسب القارىء الغربي ثروة من المعلومات التاريخية والانثروبولوجية التي جمعتها من معرفة للعلم العربي والشرقي ، والشعوب التي تقطن هذه المنطقة ، ومن التجارب التي مررت بها أثناء اقامتك بين ظهرانيها .

برتون : الواقع ان ترجمتي هي الترجمة الكاملة لهذه الرائعة الادبية بعد أن تعرّف العالم الأوروبي اليها من طريق المستشرق والدبلوماسي الفرنسي انطوان غالان سنة ١٧٠٤ . ولكن

ترجمته لم تكن كاملة ، وحتى الطبعة العربية لألف ليلة وليلة لم تظهر الا سنة ١٨١٤ ، وكانت كذلك غير كاملة ، ذلك بأن الرقابة كانت تفرض حذف الكثير من الحكايات الصريحة اللهجة والاباحية •

صوت : أما أنت فكانت لك الجرأة على نقلها كاملة غير منقوصة لأنك لم تنشرها اذ ذاك للجمهور بل لعدد محدود من العلماء والمختصين والطلاب •

برتون : صحيح ما تقول !

صوت : وننتقل الآن من حقل الكتابة والتأليف الى حقل المغامرات والرحلات في أرجاء الشرق والغرب ، في العالمين القديم والحديث ، فقد قمت بحملات استكشافية خطرة عرضتك للموت غير مرة ، جبت أنحاء الهند وتوغلت في مجاهلها ، واكتشفت مع النقيب سبيك منابع النيل في افريقيا ، وبلغت في رحلاتك التي كانت تحف بها المخاطر والأوبئة الأميركتين الشمالية والجنوبية ، وساعدك على التنقل هذا عملك في حقل الدبلوماسية وخدمتك العلم •

برتون : ولعل من أمتع رحلاتي ومغامراتي كان حجي الى المدينة المنورة بصفتي حاجا أفغانيا لكي لا يفتضح أمري ، ان من ناحية التصرفات أو من ناحية الخطأ اللغوي • وكان ذلك سنة ١٨٥٣ بعد أن كنت قد أصبحت ملما الماما كبيرا بالتقاليد والعادات المفروضة • وأثمرت رحلتي تلك كتابا قيما حقا هو « حج الى المدينة ومكة » نُشر سنة ١٨٥٥ ، فجاء وثيقة تاريخية لا بأس بها •

صوت : ولك كتاب بعنوان « مدينة القديسين » كان نتيجة لزيارتك الخاطفة للولايات المتحدة الامريكية سنة ١٨٦٠ ، فهل لك أن تحدثنا قليلا عنه ؟

برتون : ان كتابي هذا يدور حول طائفة دينية هي طائفة المورمون الطريفة في مدينة سولت لايك ، في ولاية يوتا،وزعيمهم بريغام يونغ الذي كان له سبع وعشرون زوجة ·

صوت : ولكن لِمَ تزوج بريغام هذا العدد الكبير من النساء ؟ هل كان ذا شهوة جامحة تملك عليه مشاعره ؟

برتون : كلا ، فقد كان رجلا شديد الاعتدال والتقوى · الا أنه وأفراد طائفته كانوا متقيدين تقيدا تاما بتعاليم العهد القديم من الكتاب المقدس ··· فرأوا في التوراة ان ابراهيم واسحق ويعقوب وسليمان الحكيم وداود قد أخذوا بمبدأ تعدد الزوجات ، واعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى اليهم بأن يتزوجوا أكثر من واحدة ، وينجبوا البنين والبنات لتمتلىء بهم الارض · ومن أقوال بريغام يونغ ان الشخص الذي لا يعتقد بحسنات تعدد الزوجات قضت عليه اللعنة الى الأبد ، وان الشبان العازبين سيُلعنون ما بقوا دون زواج ·

صوت : وكم من عازبين انصبت عليهم اللعنة بعد الزواج !

برتون : وفكر بريغام يونغ بضرب المثل الصالح لأتباعه ذات يوم فاقترن قبل الغداء بامرأتين معا ، وبعد أن تناول وإياهما الطعام تزوج امرأتين أخريين قبل حلول موعد العشاء ··· وكان وقتذاك في الرابعة والاربعين من عمره ·

صوت : وكم بلغ عدد أولاده ؟

برتون : ستة وخمسين ولدا ، ذلك بأن احدى عشرة زوجة لم ينجبن له أولادا ، أما طفله الاخير فقد أبصر النور وهو في الثامنة والستين ، وتعتبر قصة هذا الرجل الذي استطاع أن يؤسس شيعة جديدة وينصّب نفسه كاهنا أعلى لها ، ويجعلها تتسع وتشتهر لهي من أغرب القصص في التاريخ الاميركي · وصدّق

أو لا تصدق أن بريغام يونغ هذا لم يتردد على المدرسة الا لمدة أحد عشر يوما فحسب في حياته كلها • ومع ذلك فقد أصبح من قادة القرن التاسع عشر البارزين وقد صرح ناظر الخارجية في عهد الرئيس لنكولن بأن أميركا لم تنجب سياسيا أذكى من بريغام يونغ وأدهى •

صوت : ونعود ، اذا سمحت الى قصتك أنت ، يا سيد برتون ، لننهيها بعد أن دهمنا الوقت فنقول انك تزوجت في سن الاربعين ، فكان ذلك الزواج مبعث دهشة كبرى لاصدقائك لأنه كان يتعارض وطريقتك في الحياة •

برتون : صحيح ، فقد اقترنت بامرأة محافظة جدا ، ولكن مع الفارق الكبير الذي كان بيننا من مختلف النواحي فقد أخلص أحدنا للآخر طوال حياتنا المشتركة ، وقمنا معا بالعديد من الرحلات •

صوت : وكانت وفاتك في تريستا ، في ايطاليا ، في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٨٩٦ ، حيث كنت قنصلا •

برتون : تماما ، يا سيدي ، فقد سبق لي أن التحقت سنة ١٨٦١ بالسلك الخارجي البريطاني وكنت ، على ما أعتقد ، قنصلا ناجحا في فرناندويو ، بولاية سانتوس بالبرازيل ، سنة ١٨٦٥ ، وفي دمشق سنة ١٨٦٩ ، وفي تريستا من سنة ١٨٧١ الى يوم وفاتي •

سمير شيخاني

* * *

مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر

تأليف الدكتور نسيب نشاوي
عرض وتقديم: حسان بدر الدين الكاتب

الاتباعية ـ الرومانسية ـ الواقعية ـ الرمزية

هذا الكتاب الضخم الذي يقع في ٦٢٣ صفحة من القطع الكبير والذي أصدره مؤلفه الدكتور نسيب نشاوي في مطابع ألف باء بدمشق في شهر ـ ذو القعدة ١٤٠٠هـ / أيلول ١٩٨٠م هـو رسالة نال بها المؤلف شهادة « دكتوراة دولة » في الآداب ٠٠ من كلية الآداب والعلوم الانسانية ، بجامعة القديس يوسف ٠

وقد أشرف على الدراسة الأستاذ الدكتور أسعد علي، وشارك في قراءتها وتوجيهاتها العلمية والمنهجية الأستاذ الدكتور عبـد الكريم اليافي ٠

أما لجنة المناقشة فكانت مؤلفة من الأستاذ الدكتور جبور عبد النور ، والاستاذ الدكتور سليم قهوجي ، والاستاذ الدكتور حليم اليازجي ، والاستاذ الدكتور أحمد أبو حاقة ، مـع الاستاذين المشرفين ٠

وقد درس المؤلف في هذا السفر الشعر العربي الحديـث في مرحلة (١٩٠٠ ـ ١٩٨٠) من حيث انتماؤه الى مدارس محددة هي : الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية ٠ وقسّم كتابه الى أربعة أبواب ٠

وقسّم المؤلف الباب الاول الى فصول خمسة ٠٠ تحـدث في

الفصل الاول عن الكلاسيكية الأوروبيـة والاتباعية العربيـة وعرض الى الصفات العامة للكلاسيكيـة الأوروبيـة ، ونشأة المدرسة الكلاسيكية العربية وتطورها وأبرز أعلامها ، والصفات الاساسية للمدرسة الاتباعية العربية ، ونشأة المذهب الاتباعي العربي وتطوره والاتباعية العربية والكلاسيكية الغربية ·

وتحدث في الفصل الثاني عن التقليـد الأسلوبي والمعنوي فاستعرض بعث الشعر واحياء أنماطه التقليدية عند محمـود سامي البارودي وأحمد شوقي فوضعه في ذروة التقليد وحافظ ابراهيم شاعر النيل ·

وفي الفصل الثالث تحـدث الدكتـور نشاوي عن التقليـد الأسلوبي والتجديد المعنوي فعرض نماذج عن ذلك : معـروف الرصافي وأحمد رفيق المهدوي (شاعر الوطن الكبير) ومحمد رضا الشبيبي ـ الشاعر المحافظ ـ وأحمـد الصافي النجفـي وأرواح الشعراء الاقدمين وسعيد العيسى الذي أطلق عليـه المؤلف « شاعر الأطلال » وحسني فرير والروائع القديمة وحسن عبد الله القرشي ورواء الشعر العربي الصافي ·

وتناول في الفصل الرابع من الباب الاول الشعراء المحافظون في سورية « محمد البزم والعودة بالشعر الى أنماطه القديمة ـ الجزالة والرصانة وبدر الدين الحامد شاعر العاصي وتقديس الأقدمين ومحمد سليم الزركلي بين الواقع والتقليد وبـدوي الجبل محمد سليمان الاحمد شاعر العربية وعدنـان مردم بك رائد الشعر المسرحي العربي » ·

وأتى على الشعر الجزائري في الفصل الخامس فتحدث عن أحمد سحنون وشعراء آخرون ·

وفي الباب الثاني :قدم مقدمة له بدراسة المدرسة الرومانسية أو الابداعية في الشعر العربي الحديث ثم تحدث في الفصل الاول عن المدرسة الرومانسية الأوروبية وبين خصائص الابداعيـة

العربية والتيارات الممهدة في الفصل الثاني (سمات الابداعية ـ نشأة المدرسة الرومانسية العربية والموهبات التي مهدت لها) ٠

وكان حديثه عن الدعوات التجديدية المنتظمة في جماعات أدبية في الفصل الثالث (مدرسة المهجر ـ الرابطة العلمية ـ جبران خليل جبران في مواكبه وميخائيل نعيمة مع الانسان والطبيعة ووحدة الوجود ورشيد أيوب الشاعر الباكي ونسيب عريضة وأرواحه الحائرة وايليا أبو ماضي بين جداوله وخمائله) ٠

كما تحدث عن شعراء المهجر الجنوبي والعصبة الاندلسية والرابطة الادبية (جورج صيدح ـ وزكي قنصل ـ وفوزي المعلوف وشفيق المعلوف) واستعرض مدرسة الديوان وشعراؤها فتحدث عن عباس محمود العقاد وشعر التجديد التطبيقي وابراهيم عبد القادر المازني في قيود التجديد وعبد الرحمن شكري والرومانسية الانكليزية) وعندما جاء دور جماعة أبولو تحدث عن أحمد زكي أبو شادي وابراهيم ناجي ٠

وفي الفصل الرابع اعتبر المؤلف (خليل مطران والاخطل الصغير والياس أبو شبكة وميخائيل خليل الله وردي وخضر عباس الصالحي) حلقة الوصل (البرزخ) ٠

ثم تحدث الدكتور نسيب نشاوي عن تبلور المذهب الرومانسي في الشعر العربي الحديث وضرب أمثلة على ذلك (سعيد عقل ورومانسية الفرح وخليل شيبوب والنزعة الرومانسية) ٠

وقد تجلت الرومانسية في أوج تألقها في الفصل السادس من الباب الثاني التي قدم المؤلف الفاضل أمثلة عليها علي محمود طه المهندس الشاعر الرومانسي الصرف وأبو القاسم الشابي والرومانسية المتألقة وعمر أبو ريشة وبدائعه الرومانسية

الحزينة ، وعبد المجيد بنجلون بين مواكب جبران وخمائل أبي ماضي وعبد الباسط الصوفي الشاعر المحترف ·

كما روى الدكتور نشاوي الرومانسية في شعر اليمن عند لطفي جعفر أمان والرومانسية في الشعر السعودي عند طاهر الزمخشري في لحظات الابداع الرومانسي والرومانسية في الشعر الأردني وقدم على ذلك مثالا شعر الدكتور عيسى الناعوري والأدب الانساني المبدع وفي تونس تحدث عن منور صمادح ، وتحدث عن شعراء آخرين هم : كمال أبو ديب ومحمد كزما وصلاح لبكي وعمر يحيى ·

وكانت دراسة المدرسة الواقعية العربية مقدمة الباب الثالث فتحدث المؤلف في الفصل الاول عن المدرسة الواقعية الغربية ، خصائصها العامة وتاريخ المدرسة الواقعية الغربية وأبرز أعلامها ·

وجاء دور الخصائص الواقعية في الشعر العربي (سماتها العامة ـ تاريخ المدرسة الواقعية العربية ومظاهرها) وصراع المذاهب الادبية (الواقعية) في الفصل الثالث من الباب الثالث ·

وتحدث المؤلف عن الشعر الواقعي الملتزم المقاتل في الفصل الثالث ، وضرب أمثلة على ذلك شعراء اليمن بين الواقع والعذاب ، وعبد الله البردوني والاتجاه الواقعي وشعراء الجزائر في ثورتهم على الواقع ، ومحمد العبد آل خليفة أمير شعراء المغرب العربي ، ومفدي زكريا (ابن تومرت) شاعر الثورة الجزائرية والدكتور صالح الخرفي مع ليلاه « الجزائر » وشعراء العرب في ميادين الواقع والالتزام منهم (محمد مهدي الجواهري والشعر الواقعي الثائر وسليمان العيسى الشاعر البشير والسندباد المتعب وأحمد محمد زين السقاف بين هموم الواقع والفخر بالماضي ومحمد الهواري شاعر الواقعية في المغرب) ·

أما الواقعية الجديدة وصلتها بالوجدان الرومانسي فكان الحديث عنها في الفصل الرابع من الباب الثالث حيث ضرب أمثلة عليها ، دراسة مستفيضة (بلند الحيدري ـ والوجدان الرومانسي مع هموم الواقع وعبد الرحمن الشرقاوي والواقعية الجديدة ومحمد مصباح الفيتوري والواقعية الجديدة وصلاح عبد الصبور وأزمة الانسان العربي وأحمد عبد المعطي حجازي والواقعية الجديدة والميداني بن صالح ونقد السلوك الاجتماعي) .

ولم يغفل الدكتور نشاوي الحديث عن شعر الارض المحتلة فوضع مقدمة حول أدب أبناء فلسطين العربية قبل النكبة وبعدها وسمات شعر الارض المحتلة وأبعاده وأعلامه .

(سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية ومحمود درويش اللاجيء الفلسطيني في فلسطين وتوفيق زياد شاعر الشعب والقضية وشعراء آخرون من الوطن المحتل) .

وختم الفصل الخامس من الباب الثالث بدراسة عن المذهبية الواقعية واهتماماتها وتلويناتها وأبرز أعلامها وأتباعها مع شعراء آخرين .

وكان آخر فصل من فصول كتابنا الباب الرابع الذي يقع في فصول ثلاثة ويتحدث عن الرمزية العربية .

ففي الفصل الاول (حديث عن المدرسة الرمزية الغربية وخصائصها العامة وتاريخ المدرسة الرمزية الغربية وأبرز أعلامها) .

وفي الفصل الثاني (سمات الرمزية ومظاهرها في الشعر العربي الحديث وتاريخ المدرسة الرمزية العربية ومظاهرها في الشعر والنقد) .

وفي الفصل الثالث (حديث عن شعراء الرمزية العربية وأبرز أعلامها) .. « الدكتور بشر فارس رائد الرمزية في العالم العربي والدكتور خليل حاوي الشاعر الرمزي الباحث عن ينابيع الخصب في صحراء العقم وأدونيس والكتابة الرمزية الجديدة ونازك الملائكة والاتجاه نحو الرمز وبدر شاكر السياب بين الواقع والرمز والاسطورة وعبد الوهاب البياتي الشاعر الضائع بين الواقع والمثال والدكتور أسعد علي شاعر الرمز البعيد ومحمد أحمد العزب والرمز في رحلته التاريخية مع الواقع والدكتور أحمد سليمان الاحمد بين الواقع والرمز ومحمد أبو القاسم خمار وميخائيل عيد ومحمد عمران والتعبير عن الواقع بالأسلوب الرمزي وشعراء آخرون وفايز خضور وخليل الموسى والياس طعمة .

وكان كتابنا الذي نحن بصدده طاقة زهر جميلة فواحة جمعها المؤلف من نصوص الادب الحديث ودرسها دراسة مليئة بالدراية والوعي وأوضح من خلالها مذاهب أصحابها الفنية والفكرية والوجدانية وقد اتخذ مصطلح « الاتباعية » مرادفا لـ « الكلاسيكية الجديدة » في الأدب الغربي و «الابداعية» مرادفا للرومانسية ، ثم الواقعية والرمزية .

وقد بيَّن المؤلف الدكتور نسيب نشاوي أن الكلاسيكية في عرف المصطلح الأوروبي تشير الى الادب الاسمى المتميز عن أدب الطبقات الدنيا ، وأنها تتوخى محاكاة الاقدمين ، وتعتمد اللغة الاصيلة ، وتنأى عن العامية والالفاظ المولدة وتبغي تركيز القول وايجازه ، وان هدفها السمو بالانسان ، ولذلك وجدناها تسخر الشعر في وجهة تعليمية أخلاقية ، وهي في أساسها دعوة الى العودة الى معايير الجمال في الآداب اليونانية واللاتينية ، بحجة أن أصحابها واضعوا المعايير .

أما الاتباعية العربية فلم تكن تبتعد عن النظرية الأوروبية ،

ولذلك وجدنا أدباءها ، يعانقون جذورهم الأولى ، ويعتقدون أن كل ما هو قديم جميل • وكأن الادب عطر ، كلما ازداد عتقا ازداد طيبا • لقد رجعوا الى التاريخ يمجدون الحضارة العظيمة التي أقامها العرب ، ويتغنون بالعصور الذهبية في فجر الاسلام وعصر الأمويين والعباسيين • وكاد هذا التقديس يسد على بعضهم منافذ الابداع ، فاذا بأغراضهم تحاكي أغراض العصور المتقدمة في الوصف والفخر والمدح والرثاء والغزل •

ولكنهم لم يجمدوا في حدود هذه المحاكاة ، وانما كانوا يخرجون في رحاب المعاني الانسانية والقومية والوطنية يستمدون من التاريخ المضيء قوة تضيء الحاضر وتبعثه • فقد شع في التيار الاتباعي ألف غرض جديد ، تمثل في بكاء المجد العربي الصريع ، وانهمرت من عيون الشعراء دموع الأسى على الايام الخوالي ومسير عظمائها من الأمراء والقواد ، وكانوا يهدفون في ذلك الى أغراض أخلاقية تهذيبية ، توقظ الانتباه على القدوة الحسنة ، التي خطتها أعمال الأمراء والخلفاء والقواد الذين شادوا الحضارة الرفيعة •

وكانت مرحلة الشعر الاتباعي،وما تزال ، ضرورية للمجتمع العربي ، لا لأنها لون من ألوان الادب فحسب ، وانما لأنها أحيت في النفوس حماسة ليس منها بد ، أمام التراخي الذليل الذي عاشه العرب في مطلع عصر النهضة • وقد استلهم دعاة القومية العربية التاريخ في مؤلفاتهم وكتاباتهم ، فتحدثوا عن مجد العرب ، وعن مآثر الحضارة العربية الزاهرة لتكون للاجيال العربية منار هدى ، وقدوة سلوك ، وحافز نضال •

لقد اعتمد المؤلف على أكثر من ٢٣٠ مرجعا ومصدرا عربيا ومجموعة مراجع أجنبية أورد ذكرها بالاضافة الى الجرائد اليومية والاسبوعية والدورية • بالاضافة الى فهرس ضخم ضم الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا السفر الضخم •

وبعد فان للمؤلف الدكتور نشاوي بعض الكتب التي أعدها والتي أصدر منها كتاب الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ـ تحقيق ـ أصدره بدمشق ١٩٨٠ ٠ وكانت رسالة الماجستير التي أعدها بعنوان ـ لبيد بن ربيعة العامري ـ حياته وشعره في الجاهلية والاسلام ٠ وله كتاب مخطوط سيصدر قريبا بعنوان ـ شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة لصفي الدين الحلي ـ تحقيق ، وهو يمارس الكتابة والنقد الأدبي وينشر أبحاثه ومقالاته في المجلات السورية والعربية وهو يعمل حاليا مع مجموعة من الباحثين في تحقيق تاريخ ابن عساكر بمجمع اللغة العربية بدمشق ٠

دمشق ١٩٨١/٣/٢٠

حسان الكاتب



من الأقوال المأثورة

اياك ٠٠ اياك ٠٠ أن تجالس الحمقى فانه يعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا من الصلاح ، فان الفساد أشد التحاما بالطبائع ٠ نعم :

اتق الاحمق لا تصحبه
انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا
حركته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع في زجاج فاسد
هل ترى صدع زجاج يرتتق
واذا عاتبته كي يرعوي
زاد جهلا وتمادى في الحمق

دراسة جديدة لمسرحنا المعاصر

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

هذه الدراسة الجديدة لمسرحنا المعاصر ، التي كتبها الاديب الناقد ، جلال العشري ، ونشرتها له دار المعارف في القاهرة في أكثر من سبعين ومائتي صفحة ، عمل جديد يستحق الاكبار والتقدير حقا .

وفي مقدمة هذه الدراسة « المسرح وماذا يقدم ؟ » يثير الناقد جلال العشري قضايا كثيرة حول المسرح المصري ، وماذا أدى من أعمال فنية بعد اكتوبر العظيم ، اكتوبر العبور ، وهو من أجل ذلك يدرس في عمق : المدارس والتيارات الجديدة في المسرح العالمي والعربي ويوازن بينها وبين واقع مسرحنا المصري ، في حكم نقدي نزيه ، فان الحقيقة التي تفرض نفسها ــ كما يقول ناقدنا ــ على وجداننا الفني ، بل وعلى وجداننا الثقافي كله ، هي أن السادس من اكتوبر لم يكن مجرد تاريخ مادي ، وكفى ، ولكنه أصبح بعد ذلك تاريخا روحيا للنفس العربية تستطيع عبره ، أو من خلاله ، أن تستأنف مسيرتها الحضارية ، بطول الماضي ، وعرض الحاضر ، وعمق التراث ، وأن تبدأ زحفها الطويل في ضمير عالمنا المعاصر نحو آفاق أرحب، وغايات أبعد مدى .

ويحتوي هذا الكتاب القيم ، الذي تألق فيه الناقد جلال العشري كل التألق ، على مجموعة من الدراسات النقدية ، تجمع بين التنظير والتطبيق ، وتحاول أن تقدم نوعا من التاريخ التقييمي ، أو التقييم التاريخي لعطاء المسرح المصري ، انطلاقا

من يوم السادس من اكتوبر ، باعتباره فاصلا بين مرحلتين : بين ساحق النكسة ، وشاهق النصر ، كما يقول المؤلف ، أو من واقع الاستجابة للتحدي الحضاري والقومي كما أرى •

ومن طور المعاناة في المسرح المصري ، التي يتأرجح فيهـا ذوقنا ووجداننا الفني بين « حالة المسرح واللامسرح » والتي لا يزال يعانيها حتى الآن •• تتجدد دعوة المؤلف الى عبور هذا الطور ، فوق القصور والتقصير ، ليصبـح مسرحنا عميـق الجذور ، واسع المساحة ، معبرا عن العقل الجمعي ، ومستوعبا للوجدان القومي ، وليعود واعيا بحقائق حياته ، ومدركا لوقائع مجتمعه ، ومعبرا عن روح عصره ، كيما يعود من جديد ، ليحتفل احتفالا خلاقا بالحوار الديمقراطي ، والصراع الاجتماعـي ، والحدث القومي •

ويبلور المؤلف في هذا الكتاب هدفه منه في سؤال عميـق ، يعرضه أمام القراء : كيف الطريق أمام مسرحنا ، كي يستطيع أن يكون وقودا حيا في قضايـا التحـرر الوطني ، والتنويـر الاجتماعي ، والتعمير الحضاري ؟

وفي اجابة مختصرة غاية الاختصار ، يرد المؤلف على هـذا السؤال الواسع ، فيقول : « انه طريق الانبثاق من هذا الاختمار العظيم ، الذي تعيشه جماهير شعبنـا بعد معركـة العبور ، بولادات جمالية ودرامية أصيلة ، تعبر عن الصراع الحيوي داخل الابنية الاجتماعية ، والانفتاح الحي فوق خريطة العصر• فبذلك يصير المسرح حقيقة لا مجازا ، لقاء الفنان بالانسان فوق خشبة الفعل والانفعـال •• الجـدل والصراع ، الخلـق والابداع ، وأمام ستار الحب والحرية والحياة ، وبين جمهور اكتوبر المجيد الذي يريد أن يعبر لا مع العبور ، ولا فوق العبور ولكن الى ما بعد العبور •

ويؤكد المؤلف الناقد جلال العشري نظريته في المسرح المصري الجديد الذي يريده فيقول : أكثر من أفـق من آفاق العبور

استطاع السادس من اكتوبر أن يفتحه لا أمام حياتنا العامة وكفى ، بل وأمام حياتنا الفنية بخاصة ، وحياتنا المسرحية بوجه أخص ، فهذا العبور المعركي الذي حققه ذلك اليوم المجيد ، هو فاتحة الطريق أمام آفاق من العبور الحضاري ، وبلورة لصراعنا مع حضارة العصر ذاته ، ويرى المؤلف آن مسرحنا يجب أن يكون في مستوى ذلك الحدث الكبير ، وأن يكون صدى لطموحنا ، حتى نستطيع أن ننطلق من ذواتنا الأصيلة غير منقطعين عن أبدع وأروع ما في تراثنا ، وغير منعزلين عن قضايا المجتمع وروح العصر .

والدراسات التطبيقية على واقع عالمنا المسرحي المعاصر في مصر ، التي كتبها الناقد جلال العشري تنطق عن فكر علمي ، وذوق فني ، وأصالة نقدية رفيعة .

وننتقل من دراسته « مسرح العبور الى سيناء » الى دراسته للعرض المسمى « حدث في اكتوبر » ، الى رأيه العميق في الكوميديات الهزلية في مسرحنا المعاصر الى تحليله ونقده لمسرحيات :

ــ أيوب الجديد : الذي يرفض الصبر ويعلن الثورة .

ــ شامينا : دراما العِرض والارض .

ــ بعد أن يموت الملك : المسرحية الشعرية التي كتبها صلاح عبد الصبور .

ــ أقوى من الزمن : ليوسف السباعي .

ــ الشيطان يسكن في بيتنا : للدكتور مصطفى محمود .

ــ مسرحية يا عنتر : ليسرى الجندي .

ــ شهرزاد : لرشاد رشدي .

ــ مسرحية « ليه ، ليه : التي قدمتها فرقة الكوميدي المصرية .

ـ أولادنا في لندن : لعلي سالم •

ـ عودة الغائب : لفوزي فهمي •

ـ مدرسة المشاغبين المقتبسة من المسرحية الفرنسية « المدرسة الجديدة » ولغيرها من المسرحيات الراهنة التي مثلت على مختلف مسارحنا المصرية •

ويبرز « العشري » في هذه الدراسات كلها في ثوب الناقد المسرحي العظيم والاصيل حقا •

ويثير العشري كثيرا من القضايا في كتابه ، قضية الهجرة الى الغرب ، وما يثيره الوقوف أمام الحضارة الغربية وجها لوجه عند كثير من كتابنا ، من مثل : طه حسين في « أديب » ، وتوفيق الحكيم في « عصفور من الشرق » ، ويحيى حقي في « قنديل أم هاشم » ، وسهيل ادريس في روايته « الحي اللاتيني » ، والطيب الصالح في روايته « موسم الهجرة الى الشمال » •

وما أصدق ما يقول الناقد جلال العشري : ان المسرح اذا كان قديما عند أرسطو أداة للتطهير ، فقد صار حديثا عند بريخت عاملا من عوامل التغيير •

ويثير قضية موقف الفنان المسرحي حيال المادة الاسطورية أو التاريخية ، فيقول : ان الفنان عند أرسطو حر في مادته الاسطورية أو التاريخية ، يعالجها كما يشاء ، ولكن الشرط الأساسي أو الجوهري ، الذي يشترطه في مقابل هذه الحرية هو الاقناع أو الايهام بقوة الفن أن الممكن محتمل الوقوع ، بل أن الممكن والمحتمل قد وقعا فعلا ، وبمقدار ما يستطيع الفنان تجسيد رؤيته حتى يسقط الحاجز بين الخيال والواقع ، يكون فنانا كبيرا ، وهذا هو فيصل التفرقة بين الفن واللافن •

تحية لهذا الكتاب ، وللناقد المؤلف جلال العشري من الاعماق •

إرتقاء الحكومات والعرب

بقلم : رضــا

وجد الانسان في أول أمره مسيطرا على نفسه مالكا أزمة اختياره لا يرى لغيره عليه سلطة ولا يستحب لارادته غالبا حتى اذا أقيم على تربية صغاره والاعتناء بهم يجلب اليهم المنفعة ويدفع عنهم المضرة سيرا مع عاطفة الحنان والرأفة التي أثبتها في أخلاقه بقاء الانسب حفظا للنوع ــ دخل حينئذ في شئون غيره واجتذبته الغيرية اليها فأباح لها بعض أعماله وصرف شيئا من الهمة في تدبير أمر من تولى شأنهم من أبنائه فنشأوا في كنفه ، حتى اذا عرفوا الضار والنافع وميزوا الحسن من القبيح رأوا أن لأمورهم وليا يبذل لهم عنايته ساهرا على انتظام أحوالهم وانهم مع حداثة عهدهم في الوجود لم يتوصلوا الى خبرة وليهم الذي حلب الدهر أشطره وعرف حلوه ومره فعلقوا به آمالهم وألقوا اليه أزمة أمورهم وانصاعوا لتدبيره وخضعوا لحكمه واتبعوا رأيه وكلما تقدموا في العمر واتسعت مداركهم وارتقت عقولهم ورأوا استقلال وليهم بلا مسيطر اقتبسوا شيئا من هذا الاستقلال حتى اذا بلغوا مبلغه من العمر وصل بهم نمو هذا الاستقلال الى حيث أصبح الرجل منهم يدبر أمره بيده مع ميل منه لاحترام رأي شيخه وخبرته والغاء أزمة الحكم فيما يختلفون فيه اليه حيث أدى اشتباك المصالح الى تنازع بينهم وليس الا الولي محل الثقة فكان هو الحكم والحاكم في عائلته ولتسمى هذه الحكومة بالحكومة العائلية ولما تشعبت فروع العائلة وكثرت وأجاب رئيسها داعي ربه وتكوّن منها أفخاذ بحيث أصبحت عشيرة انصاعت كلها الى أسدها رأيا وأحسنها في مصالحها مضاء

وأكثرها عليها غيرة فألقت اليه أزمة أمرها أو انها لجأت الى أقربها قربى من رئيسها الاول فسلمته أمرها فكانت حكومة العشيرة ثم زادت في نموها وانشعابها واتساع دائرتها فكانت منها الحكومة القبيلية ولما تفرقت القبائل في الارض طلبا للرزق وانتجاعا للبلغة من العيش التف كل فريق في قطره حول من عرف فيه الاصالة في الرأي وحسن الاختيار فيما ينفعهم أو حول من رأوه أهلا لذلك لمكانة في نفوسهم من عصبية سابقة له معهم تجتذبهم اليه فكان مرجع أمورهم ، فمن تقاربت ديارهم من هؤلاء واشتبكت المصالح بينهم بحيث تمصروا وتمدنوا كان لا بد لهم من توحيد مرجعهم دفعا لعوامل الخلاف بينهم فتوصلوا اما لتأليف ندوة من حكام كل قبيلة فيهم بحيث يكون لهذه الندوة ادارة أمورهم العامة وتكون هي مبعث قوتهم ومصدر أحكامهم فتكون حينئذ كالجمهورية أو أنهم يجتمعون الى رئيس واحد في عقله متفرد في حكمه مستقل في تدبيره لا يُسئل عما يفعل فتكون لهم حكومة مطلقة استبدادية أو انهم لم يفيئوا الى داعي الاتحاد فلعبت فيهم الانانية وحب الاستئثار والطمع أدوارا في ميدان هذا الغلاب حتى اذا تطاحنوا في معاركهم وتعاركوا على مبدئهم غلب عليهم أكثرهم قوة وأشدهم حولا وأقواهم عدة وعديدا واستأثر الغالب بحكم من في مصره واطاعته القبائل والبلاد المجاورة التي ضعف دون قوته رهبا وخشية فمد في بلاده أمره ونهيه ولما أراد توثيق عرى رياسته وتأييد مبادىء سلطته كان منه أحد الرجلين اما أن يستضيء بنور العقل ويعلم انه بشر يخطيء ويصيب وان المستقل بعقله ضال والمستغني برأيه زال فيؤلف ممن حوله جماعة يقربهم اليه لينتفع برأيهم ويهتدي بمشورتهم فيسري مسرى السداد ويسلك نهج الحكمة فيؤسس لنفسه بين محكوميه عصبية ثابتة يقيم دعائمها العدل ومحاسن الاعمال التي يبذلها والنفع العظيم المنبعث منه لمحكوميه بها تقر عينه في داخلية بلاده بحب قومه له ووقوفهم عند رضاه وفي خارجية أمته بما كف عنه من شر أعدائه اجتماع قومه اليه

واشتداد حوله وقوته بالتفافهم عليه بحيث تقاعس عن قوته هذه كل مريد به وببلاده الشر فتسعد بأهلها وبحاكمها ويكون حاكمها ذلك الرجل العادل القريب من نفوس شعبه الموطد أمره الخالد في الصالحين ذكره واما أن يتخذه القوة وازعا والشدة والبأس سلاحا والعنف والقسوة أعوانا بعد أن أخذته عزة الظافر وعنجهة الغالب فتنفر منه القلوب وتشمئز منه النفوس فيجنح الى القوة لأن الملك بطبيعته لا يقوم الا بأحد الأمرين : اما عصبية صالحة أو قوة قاهرة والأولى منها لا تجامع العسف والقهر فلم يبق الا القوة القاهرة حيث يظهرها غير مراقب عدلا ولا مراع فضلا فيفارقه أولو الرشد ان كان لهم معه قبلها صحبة ويلتف حوله أولو الاطماع ارواء لظمائهم بما يبتزونه من الاموال وهو يكثر بهم جمعه ويعتز بهم في سلطانه فيغرونه بزيادة المظالم وكثرة المغارم فينضب معين الثروة من أمته وتتكيف أخلاقه حينئذ بما لها من الاستعداد بأخلاق معاشريه فيكون من عددهم ومددهم حتى اذا حان الأجل وأغلق الرهن بيد المرتهن وأمكنت الفرصة قلبوا له ظهر المجن فانقلب بالحزن والعار وباء بالاثم والعدوان ورجع بالذكر القبيح على اسلات الألسن وفي صفحات التاريخ وبين هاتين الحالتين مراتب جمة تختلف باختلاف درجاتها على قربها وبعدها من مسالك الفضيلة والعدل فمنهم الضعيف الرأي الواهن العزيمة الذي تنطبع فيه أخلاق من حوله صلاحا وفسادا فأمره غير مستقر على حال ومنهم ذو العقل الثاقب والحكمة الرائعة أحب سلوك نهج الفضيلة فاعترضه في أول الطريق المعارضون الطماعون المخربون الذين رسخت أقدامهم في الدولة على عهد أسلافه فألقوا عليه من قوتهم ثقلا رزح تحته فأحبطوا عمله وليست له شعب يدرك معنى الاطلاق من الاستعباد أو ليس له صوت يسمع ، قد أخنى عليه الذل فسبح في الضيم سبحا طويلا ونام في مهد الاضطهاد نوما عميقا فقعد ذلك المصلح بعد نهوضه وتقلص أمله بعد امتداده ومنهم ذو الفكر الثاقب والعزم الثابت المتغلب على من

حوله من المخربين ولكنه لم يقدر على ايقاظ شعبه من نومه المستغرق فلم يكن له من يقاوم سلطة من يخرب صنعه من بعده فيذهب اصلاحه بذهابه ٠

بلاد العرب لم ترتق عن عهدها القديم حيث الرمال المحرقة والصحارى القاحلة وأهلها بادون في أقطارها يتطلبون الماء والكلأ لا تستقر لهم دار ولا يطمئن بهم منزل فكيف تنشر بينهم أعلام المدنية وكيف تكون بلادهم قابلة للاستعمار وهم ليسوا بأولي حول وقوة يغلبون بهما من جاورهم على البلاد الخصيبة وكيف ترتقي حكومتهم وارتقاء الحكومة بارتقاء الشعب ٠ من طبيعة المرء أن يتطلب العيش الهني ويجتنب الشقاء والعناء ومن الفطرة أن يرتقي المرء في أفكاره كلما طال عليه الامد ولكن العرب البادية اذا طلبت الهناء لم يظفرها بطلبها هذا ضعف القوة الاجتماعية بينها واذا رأوا البلاد المجاورة لهم ذات الخيرات وأهلها راضخون لحكومات مطلقة تحكم في أعشارهم وأبشارهم كيفما شاءت فضلوا العيش الخسيس مع العزة والاباء على العيش الهني في ظل الشقاء لذلك لبثوا في ديارهم اباة للضيم ولم يغيروا عمرانهم البدوي فان تبدل عمرانهم بأحسن منه انما يكون حيث تكون السعة في الرزق والبسط في العيش ولا شيء من ذلك في ديارهم فلم يبرحوا ضاربين على المياه القليلة لكل حي ماء فاذا الماء ازدرعوا ما حوله حتى اذا آن حصاده اجتنوه وغادروه الى محل آخر تابعين حالة الفصل والمكان ٠

بلاد العرب ليست بأرض تنمو فيها الزراعة بحيث تدعو أهلها الى الاقامة والتحضر ليتركوا المعيشة البدوية وليس لهم من فضلة الرزق ما ترتقي بهم عن الكفاف ليتنعموا بها في رفاهيتهم بل جل مالهم محصور في سوامهم فحيثما حلوا أو ارتحلوا احتقبوا متاعهم ومساكنهم واستبدلوا بالدار دارا وبالجيران جيرانا فكيف لمن كانت هذه حالهم ان تتألق منهم دولة واحدة أو تجتمع لهم صولة قاهرة وكيف يخضعون لحاكم عام يجمع اليه

قبائلهم المتفرقة وعشائرهم المقسمة • نعم ان لمشارق الشام وسواد العراق دولتين قضت بوجودها المنـاظرة الشديدة بـين الفرس والرومان فعضد الفرس دولة اللخميين في العراق وقوى الرومان دولة غسان في البلقاء من أرض الشام ومـا ذاك الا ليصطنعوا من ورائهم من أمم البادية ليكونـوا لهم ألبا علـى أعدائهم وردءا دون دؤبان العرب كي لا يجوسوا خلال الديار المجاورة لهم من اصقاع هاتين الدولتين وقد رأى سكان العراق والشام من العرب خصب الاراضي وخيراتها فألفوها وجنوا من ثمراتها رزقا لهم وحفظوا مع ذلك اباء نفوسهم وعزتها ولـم يعطوا الدولة المجاورة غير شرف الانتماء والسيادة الاسمية ولم يدفعوا ضريبة ولا خنعوا لذلة • وقد علمنا ان النعمان بن المنذر حرك ثائرة الاباء في نفوس وفده الى كسرى بقوله :

وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غـورا ويكون انما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ العرب خولا له كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بالأمم حوله ، بمثل هذه الاخلاق كان العرب باقين على عمرانهم البدوي متمسكين بحبال الحرية في القول والعمل غير خاضعين لحاكم حتى ظهـر النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة أم القرى يدعوهم الى الاجتماع بعد الافتراق يدعوهم الى الدين القويم وهم قوم نشأوا على الغلظة والجفاء خاصتهم وعامتهم بما ألفوه من الحرية والاطلاق مع الجهل فقاسى ما قاسى في تأييد دعوته بينهم حتى اذا هاجر الى يثرب وقام بنصرته الأوس والخزرج وأيده الله بروح منه عمت دعوته البلاد العربية وخضعت لتعاليمه القبائل البدوية لما علموا انها خير لدنياهم اذ أصبحوا بنعمة الله اخوانا فحل الوئام بينهم محل الشقاق • وانها الذخيرة لهـم في أخراهم اذ حلت عبادة الملك الديان محل الحجارة والاوثان •

اجتمعت كلمة العرب على التوحيد وساروا في منهج التعليم الاسلامي فتغيرت حالتهم الاجتماعية تماما فلم يكن عندهم أبهة

الملوك ولا عنجهية ذوي الرياسة وكانت أحكامهم قائمة بالمساواة فليس لغني ميزة على الفقير ولا لكبير فضل على صعلوك صغير وقد تولى زيد بن حارثة مولى رسول الله جيشا فيه أكابر المهاجرين والانصار كابن عمه وأعز الناس لديه جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وأمثالهم فكانوا جميعا طوع أمره ولم يكن في الشرع فرق في الحقوق والواجبات بين بلال الحبشي وسعد بن عباده كبير الانصار وانما كانوا يتفاضلون بالأعمال الصالحات فالمرء رهن عمله وقيمة كل امرىء ما يحسن ·

الشرع الاسلامي لم ينظر في الأحساب والانساب والآباء والابناء بل نظر الى الاعمال التي هي عندهم ميزان التفاضل فيقتص من جبلة بن الابهم ملك غسان لرجل من عرض الناس لطمة بلطمة ويقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في موقف الحكومة مع الرجل اليهودي في دعوى الدرع ·

ان خلافة الخلفاء الراشدين كانت مقيدة بالقوانين الشرعية والخليفة خاضع لقاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي بذلك دينية مشروطية ديمقراطية وكان للأمة جمعاء حق النظر مع الخليفة فيما يصلح ويفسد وكان لأهل الرأي منهم اشتراكا في الامر وعلى كل فرد مسلم حق واجب أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وهذه القاعدة من أركان الواجبات الدينية عند المسلمين ومن علم ان الخليفة الاول أبا بكر رضي الله عنه يقول على المنبر : اذا رأيتم فيَّ زيغا فقوموني فانما أنا بشر أخطىء وأصيب علم حينئذ كنه الخلافة الاسلامية ومبلغها من العدل والصواب ولما اختل ركن المساواة وآنست الأمة من ولي الامر وحاشيته بعض الاستئثار وشيئا من الاعمال التي تغاير ما ألفوه ورأوا فيها مغايرة للسيرة الصالحة وذلك في النصف الثاني من خلافة ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنه اضطرب أمره ما كان الا أن هذا الاختلال أيقظ أطماع كثيرين لم يرضوا من

رابع الخلفاء عليه السلام رجوعه الى السيرة الصالحة في المساواة بين الناس وأدلى باليأس الى المحزبين الذين التفوا حول سابقه بأن لا يكون لهم ما كان قبل ذلك فأيقظوا الفتنة وعم الخطب حتى اذا توفاه الله غلب على أمر الأمة وتولاها من لم تجمع الأمة وأهل الحل والعقد منها على أمره فانتقلت الخلافة الى الملك العضوض وأصبحت الحكومة الاسلامية تتدرج في مدارج العنف والاستبداد شيئا فشيئا ما سمحت لها الفرصة ونفوس المحكومين فكان معاوية بن أبي سفيان رحب الصدر واسع الحلم يسمع القارص من الكلام فيغض طرفه عليه ولكنه على الضد من ذلك في كل أمر يؤدي الى اضعاف عصبيته والى انتقال الامر عن أهل بيته ضغط على أفكار العلماء والمحدثين في أن يطلقوا ألسنتهم في ما ورد في الهاشميين اصطنع كثيرا ممن غرتهم الاهواء واشترى منهم دينهم فوضعوا الاحاديث المخترعة لتنفير الناس من العصبية الهاشمية التي كانت تنازعه السلطة وأي شيء أعظم في تقييد الافكار من عظيم مراقبته لمن يذكر الهاشميين أو يروي حديثا يدل على فضلهم وقد بلغ من أمر الضغط في الخلافة الاموية على أبناء الشام انه لما ادال الله من الدولة الاموية بالدولة العباسية أتى جماعة من شيوخ أهل الشام وأكابرهم الى عبد الله بن علي العباسي وحلفوا له بالطلاق والعتاق ان كانوا يعلمون لرسول الله قرابة غير بني أمية وأي أمر في الضغط وهدم الحرية أعظم من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي دعامة التهذيب وركن الاصلاح الركين والسنة والدين وقد قوض الامويون أركانها وبينما يقول أول الخلفاء الراشدين رضي الله عنه على منبره : اذا رأيتم في زيغا فقوموني فانما أنا بشر أخطيء وأصيب يقول عبد الملك بن مروان على منبره : من قال لي اتق الله ضربت عنقه ومن قرأ محاورة عبد الله بن مروان مع ملك النوبة يوم فراره بأهله من سجن أبي العباس السفاح علم منها سيرة الامويين فيمن حكموه من البلاد والعباد فقد قال له ملك النوبة في ختام المحاورة على ما رواه صاحب العقد الفريد : بل

أنتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما نهاكم عنه وظلمتكم من ملكتم فسلبكم الله العز الخ ..

وسئل بعض شيوخ بني أمية عن سبب زوال ملكهم فقال جمار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا وخربت ضياعنا فخربت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا .

باغت الظلم والارهاق نفوس الأمة العربية والفتن قائمة وتولى من لا خلاق لهم في الذمة والشرف أعمال الحكومة فعملوا على استئصال أعظم ركن للشورى في الامة الاسلامية وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب على كل أحد لا يفرق فيه بين كبير وصغير وصعلوك وأمير بشرط أن يطابق الامر والنهي المنهج الشرعي .

كان الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه ويوسف بن عمرو وخالد بن عبد الله القسري وأضرابهم لا يعرفون لسيطرة حدا يقفون عنده ومن تصفح ما كتبه الجاحظ في كتابه المحاسن والاضداد في باب محاسن الصحبة وضدها من أعمال يوسف بن عمرو رأى العجب قال لهمام بن يحيى وكان عاملا له : يا فاسق خربت مهرجانقذف قال : اني لم أكن عليها انما كنت على (ماه دينار) وعمرت البلاد فأعاد عليه مرارا قوله الاول وهو يبرهن له انه لم يلِ مهرجا نقذف ويوسف لا يسمع له بل يعذبه حتى مات في العذاب .

وروى المدائني قال : حدثني رضيع يوسف بن عمرو من بني عيسى قال كنت لا أحجب عنه فدعى بجوار ثلاث له وخصي اسمه خديج فقرب اليه واحدة منهن فقال أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقال صحبة الأمير أحب الي ولكن احسب مقامي

وتخلفي أخف على قلبه فقال أحببت الفجور يا خديج اضربها فضربها حتى أوجعها ثم قرب اليه الثانية وقد رأت ما حل بصاحبتها فخاطبها كالأولى فاختارت الشخوص معه فقال أحببت الجماع حتى لا تفوتك ليلة يا خديج اضربها فضربها حتى أوجعها وأتى بالثالثة وقد رأت ما حل بصاحبتها فخيّرها فقالت ما عندي اختيار فليختر الامير أخف الامرين عليه ليفعله فقال اختاري فقالت ما عندي اختيار فقال أختار لك أوجعها يا خديج ضربا فضربها حتى أوجعها فولت وهي تقول الخيرة والله في فراقك ما تقرعين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فسأل خديج عن قولها فأخبره فقال يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام خذ السوط من يده فأوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرف من الغلام كم ضربت قال لا أدري فقال يا غلام أتخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه • وأما أعمال الحجاج فهي أشهر من أن تذكر ومن طالع كتب السير رأى من العجائب ما يحزن قلب المصلح •

لم يقم بأمر العدل من الامويين غير عمر بن عبد العزيز ذلك الرجل الصالح لكن مدة ملكه لم تبلغ الثلاث سنوات فلم تؤثر في سير المصالح حتى اذا انساق الامر الى العباسيين كان فيهم المصلح والمفسد والفساد غالب • وتداولت أزمة الامور بعد ذلك دول كانت تنحدر بشعوبها في مهاوي التأخر والشعوب لا تستفيق من سبات الذل الذي سجل عليها من عصر الامويين وما تلاهم من الدول ولا يدرك أبنائها حقهم الشرعي ووجوده الحقيقي حتى اذا أراد الله العقبى الصالحة واختلط الشعب بالأمم الراقية المستنيرة بنور العلم والحرية فاء الى أمره ولله تعالى عاقبة الأمور •

النبطية ــ العرفان ــ المجلد الثاني

« رضا »

المسلمون على مفترق الطرق

بقلم: عبد الحميد محمود السلوت

تسرع الأمم الحية ، وتخف الشعوب الناهضة الى التماس العبرة واقتباس العظة مما تسوقه الاحداث المطيفة وتتمخض عنه الايام من وقائع ومفاجآت ، لتقف في معترك الحياة قوية الجانب منيعة البنيان خفاقة العلم ، كاملة الهيبة ، لا يتمكن منها عدو ، ولا يتحكم فيها دخيل ولا يبسط عليها ظالم يد الظلم ، ولا يمد اليها سيف البغي والعدوان ٠

والأمة التي تمر بها الخطوب وتحل بساحتها المحن ، فلا تثير من حفيظتها ، ولا توقظ من غفوتها ولا تلهب من غيرتها وحماستها ، هي أمة متبلدة الحس ، فاترة النفس لا تستحق البقاء لأن منطق الوجود يحتم عليها أن تشعر وأن تنفعل بما يجري حولها من الظواهر ٠

هكذا علمنا التاريخ ، وقص علينا الزمن ، فالأمة تقر وتسود وتبقى وتخلد بمقدار ما يتغلغل فيها من مضاء العزم وذكاء القلب ونقاء الفطرة ، وما يسري في دمها من شجاعة ويوجهها من ايمان بالله واستعصام بالفضائل ٠

فاذا ضعف فيها الايمان وتزلزلت الثقة وتحللت الرجولة ونال منها الخمول وألقت عن كاهلها العبء واستسلمت الماضي تعيش على أطيافه وتتغنى بأطلاله وتسبح مع خياله ، سكن في نفسها معنى الهزيمة ، وربض في حياتها روح الذل ، ولازمها دائما مظهر الضعف والاستسلام ، فتوارت في زحمة الحياة وتخلفت عن ركب الوجود ، وأصبحت هدفا لكل رام وغرضا لكل صائد ٠

ولقد أنذر الرسول الاكرم ـ صلوات الله عليه ـ المسلمين بهذه الحالة حين قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعي الأكلة الى قصعتها • فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ فقال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن • قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » •

ان للمسلمين في ماضيهم المجيد عبرة أي عبرة ، ولهم كذلك مثل عليا تروع الناس بجلالها وجمالها •

لقد كانت لهم دولة قامت على الخلق وتحصنت بالعدالة وسادت في ربوعها الحرية والاخاء والمساواة ، وأشرق عليها نور العطف والتراحم ، فكان المسلم على قلب أخيه المسلم : يفرح لفرحه ، ويأسى لأساه ، ويدله منعما بثوبه من مهام العيش ومشاكل الحياة اذا مرض عاده ، وان افتقر عاد عليه ، وان غاب سأل عنه ، وان مات تبع جنازته وتعهد أسرته ، وان زاغ عن الحق أذكره به وحمله عليه وان تحرف عن الهداية بصره بالسبيل القصد وسدده على النهج الواضح •

وكان لهم ولاة ورعاة يستشعرون في أعماقهم خوف الله فيما ولاهم ، ويتمثلون رقابته فيما عهد اليهم من أمانة ، ويلوح لهم دائما دستور عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسأل عنه آل الخطاب » •

كانت للمسلمين دولة قامت على الامانة والعفة فلا يطمع حاكم ولا محكوم فيما ليس من حقه أن يأخذه ، وكانت عفتهم في هذا مضرب المثل حتى ليروى أنه قد أتى عمر ابن الخطاب بتاج كسرى عقب فتح فارس ، فاستعظم الناس قيمته لما كان يحوي من جواهر ، وجعل عمر ينظر اليه متعجبا • ثم قال :

والله ان قوما أدوا الينا مثل هذا لأمناء ، فالتفت اليه علي بن أبي طالب وقال : يا أمير المؤمنين انك عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا • كان أسلافنا رضي الله عنهم يوقنون أن أساس عزة المسلمين هي قول الحق تبارك شأنه « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، وبهذا الشراء او بهذه العقيدة انطلقوا يحملون الراية ويخوضون المعامع ، لا يحرصون على دنيا ولا يلتفتون الى حياة ، وبهـذا دكوا المعاقل واقتحموا الحصون وثلوا العروش وصرعوا التيجان ، وتغلبوا على خصوم أقوياء أشداء ، وامتلكوا أرضهم وديارهم ووقفوا في ساحاتهم يرددون قول رب العالمين : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) •

فلما بدل المسلمون ما بهم ونسوا الخلال والآداب التي ملكوا بها الدنيا ، والتعاليم التي بهروا بها العالم ، لما نسوا سماحة دينهم ورسالة نبيهم والشمائل التي يجب أن يتحلى بها جندي الاسلام ، لما نسوا التقـى والورع وحرصـوا على الشهـوات والمطامع تسرب الدخيل الى صفوفهم فأشاع فيها الخصام والفرقة وتمكن العدو منهم فألقى بينهم العداوة والبغضاء ، وتركهـم شيعا وأحزابا ، يلعن بعضهم بعضا ، وينشر بعضهم سيئات بعض وهكذا تقسمتهم المحن وانتاشتهم الغوائل وأصبحوا غرضا للزمان يرمهم بنبله ويقذفهم بسهامه • لمـاذا يتصارع المسلمون الآن بالشكوى ويجأرون بالأنين ؟ لمـاذا يقفون في المعترك الدولـي يتلقون لطمة اثر لطمـة ويستقبلون عدوانـا بعـد عدوان ، ويستصرخون خصومهم أن ينجدوهم فلا يرون منهم نجـدة ، ويتلفتون الى أعدائهم أن يعينوهم فلا يحسون منهم من عون أو نصير ؟ لماذا ضعف المسلمون وغلبوا على أمرهم وملكوا زمامهم ومواردهم ومصاير أمورهم لمن لا يحس في قلبه رحمة لهم ، ولا تتردد في فؤاده عاطفة من الاحترام والحب نحوهم ؟ ليس لذلك

من سبب الا ضعف الايمان وانحلال العزم وفتور النفس والاغترار بالدنيا والبعد عن الله ٠

ليس لذلك من سبب الا أنا تعودنا أن نقول فنحسن القول ، فاذا اتجهنا الى العمل خارت قوانا وتفككت أوصالنا وشاع فينا التخاذل والنكوص !٠

هؤلاء اخواننا في الدين يلقون ألوانا مضنية من الاعنات والارهاق ، فماذا صنعنا لهم وماذا قدمنا من أجلهم ؟ هؤلاء اخواننا في تونس والجزائر ومراكش وفي فلسطين يسامون الخسف ويلقون الذل والهوان والعسف ، يسفك العدو دماءهم ، ويمزق أشلاءهم ويهتك حرماتهم ، ويقف في الميدان الدولي وقد تلطخ وجهه بجريمته مما يندى له جبين من الخجل ، وما يخفت له صوت من الحياء ٠ ها هي ذي قراهم تدمر وأرزاقهم تسلب وقادتهم وزعماؤهم يقتلون ويسجنون ، وشبانهم يتساقطون صرعى تحت وابل الرصاص المنهمر من الأيدي الغادرة المجنونة، فماذا صنعنا لهم مما يعين به الأخ أخاه ، ويسعد الجار جاره ؟٠

ان العقلية الاستعمارية لم تعتبر بما مر عليها من عظات الحياة وعبر الاحداث وضربات القدر ٠ لقد كانت بالأمس تستصرخ الدنيا وتستنجد العالم ليعينها على عدو أذلها وعبث بمقوماتها ومقدساتها ، وكانت تصور الظلم ومآسيه بصورة تقشعر لها الجلود ويشيب منها الولدان ، فما بالها لم تنفض عنها بعد غبار الهزيمة والعار ، تحاول أن تمثل دور الظالم الطاغية الذي يستمتع بمنظر الدماء المسفوحة ، والاعراض المفضوحة والجلود الممزقة ٠ انه لا ينبغي أن نخاطب هؤلاء الناس باسم السلام العالمي ولا الامن الدولي ولا القوانين التي يحتمون بها ويدعون أنهم حاملوا لوائها ، لأن هذه الكلمات لا وزن لها في نفوسهم ولا تقدير لها في مجتمعاتهم ، ولا ينبغي أن نخاطبهم باسم العاطفة الانسانية والرحمة البشرية التي تسكن كل قلب

وترى في كل نفس ، فقد صفرت قلوبهم من العاطفة وخلت نفوسهم من الرحمة وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة ·

فهؤلاء الذين تمردوا على انسانيتهم وثاروا على بشريتهم ولبسوا جلود الوحوش الكاسرة والذئاب العاوية ، لا يجدي لديهم المنطق ولا ينفع عندهم الاتجاه الى الشعور والاحساس ·

انما منطقهم الذي يفهمونه واللغة التي تفزعهم وترهبهم هي لغة القوة أو لغة المقاومة المصممة المعاندة التي لا تضعف ولا تلين ·

لقد هب المسلمون في كل مكان وتيقظوا لأساليب الاستعمار ودسائسه ومكايده التي يدبرها في كل مكان ، ولن يغضوا عيونهم بعد اليوم عن القذى ، ولن يطووا صدورهم على الهوان ،وعندما تنطلق الصيحة من أقصى الشرق فسيتردد صداها في أقصى الغرب ·

فلنقف على أقدامنا نستمد القوة من صدورنا وايماننا ، ولنلتمس الحلول من وحي تفكيرنا وعقولنا ، وليكن شعارنا دائما في كفاحنا وجهادنا ، قول الله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ·

بهذا نأخذ في الحياة وضعنا الكريم الذي ننشده ، ومكاننا اللائق الذي نصبو اليه ، ونستطيع أن نفخر حقا بأننا مسلمون تجري في دمائنا العزة الاسلامية ، وتملكنا الفضائل الدينية الكريمة ، والله الهادي الى سواء السبيل ·

مجلة الأزهر ــ عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس بكلية اللغة العربية

في مجالس السيدات

الحماة والكنة ، والكنة والحماة

بقلم : روز حداد

كاد سقف الصالون ينتفض الى السماء من عجيج أصوات السيدات حين دخلت السيدة ر٠ وهي تتهادى كأنها الشجرة المثقلة بالأثمار وقد تلاعبت بها الريح ، فصحن ضاحكات :

ـ أهلا بأم أخبار ٠٠ أهلا برويتر وهافاس ٠

وما استقر بمدام ر٠ المقام حتى سألتها : ما هي أخبارك اليوم يا مدام ؟

فقالت : لا أخبار جديدة بل هي الاخبار تتكرر كل يوم وكل يوم وكل واحد يمثل دوره في وقته في الحياة ٠ فالقيامة قائمة على الدوام والدنيا عمرانة خربانة ، كأن أهلها أطفال لاعبون يبنون فيها ثم يهدمون ٠

فقالت احداهن : أخبرينا يا مدام عن القيامة فان الناس ينتظرونها الساعة بالساعة فضحكت مدام ر٠ وقالت : القيامة قائمة بين مدام س٠ وكنتها ، وكل يوم « خناقة » تسمع الجيران ضجتها ٠ فقالت مدام ل٠ عجبا ! مدام س٠ وكنتها ؟ لا أحد يصدق ، لأن هذه السيدة عملت ما لا يعمل حتى زوجت الفتاة هـ٠ لابنها ، وكان الناس يظنون أنها هي لا ابنها عشقت تلك الفتاة ٠ فقالت أخرى : نعم كذا كنا نعلم ، فماذا جرى ؟

فقالت مدام ر- : جرى كما قال الشاعر :

وقد علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

أو كما قال الفارس العربي : « ركبناه وراءنا فمد يده الى الخرج » .

كذا جرى مع فتاتنا هـ . ما احتلت البيت حتى تملكت وخيل لها انها هي الملكة المستبدة صاحبة الامر والنهي .

فأجابتها مدام ع- : طبعا ، هذا جزاء التدليع يا ستي . الحق أن مدام س. قد دلعتها كثيرا قبل أن زوجتها لابنها .

فقالت أخرى : وما أصل الحكاية ؟

نزاع القديم والجديد :

فأجابت : رواية حديثة قديمة تمثل كل يوم ، وموضوعها بالعربي الفصيح أن قلبا يتنازعه اثنان ، ومملكة يتزاحم فيها شعبان ، وجيلا يصدم جيلا آخر .

فقالت مدام ل. : لم نفهم شيئا من هذا الكلام ، بل فهمنا من قولك « اثنان يتنازعان قلبا واحدا » ، ان أم الرجل وزوجته يتنازعان قلبه ، ولكن لم نفهم ماذا تعنين بالشعب والجيل .

فسبقت مدام د. وقالت : أنا فهمت . فهمت أن أهل الزوج وأهل الزوجة يتزاحمان على السيادة في المنزل . فقالت أخرى هذا مفهوم ولكن ما معنى « الجيل يصدم جيلا » ؟

فأجابتها : هو فلسفة يا شاطرة . الجيل الجديد يصدم الجيل القديم . تأتي الى البيت بأزياء جديدة وعادات جديدة وذوق جديد وأميال غريبة فتجد الحماة لا تزال متمسكة بتقاليد قديمة وعادات راسخة وأميال متمكنة . وكل منهما تريد أن تنفذ

ارادتها بحسب ذوقها الخاص ، فيتصادم القديم والجديد ويقدح شرر الشر • وفي وقت قصير يصبح البيت منطقة من مناطق جهنم ، والزوج المسكين يصبح بين نارين •

فقالت مدام ج• : اذا المسألة هي نزاع القديم والجديد ، وهو أمر طبيعي نراه في كل شهر ، ليس بين الحماة والكنة فقط بل بين كل قديم وكل جديد • فهو نزاع لا نهاية له فقالت مدام أ• : اذا لماذا لا تتساهل الكنة مع الحماة كما يفعل رجال الحكومة والهيئات المسيطرة فانهم يعرفون المبادىء الجديدة والعلم الحديث ومقتضيات العصر الجديد ، ولكنهم يحرصون على التقاليد القديمة خوفا من هياج الرجعيين ، ولئلا يصبح العالم شعلة ثورات فيما لو أصروا على تنفيذ الجديد • فلو كانت الكنة حكيمة تفهم أن القديم لا يمحى بشطبة قلم أو لا يطير بنفخة • وتصمت وتقول : ان ما هو كائن لا بد أن يكون وان المسايرة والممالأة أهنأ للحياة من المعاندة ــ والمكابرة ــ لكانت تعيش أنعم بالا ، فالكنة أقدر على الاحتمال وألين للمطاوعة ، وعندها وسائل كثيرة للسرور فيمكنها أن تتساهل مع حماتها اكراما لخاطر زوجها ان كانت له كرامة عندها •

بغض في ثوب حب :

فأجابت مدام ن : بالله لا تتفلسفي كثيرا فانه يستحيل على الحماة أن تحب الكنة ولو كانت من الجنة • أما سمعت حكاية احدى الحموات •• كانت هذه الحماة تحب كنة ابنة أختها حبا يضارع حب الأم لابنتها اذ لم يكن لها بنت وكانت تدعوها دائما يا بنتي يا كنة • ثم زوجتها لابنها • وبعد عقد الزواج نظرت الى كنتها وهي خارجة الى جنب عريسها وقالت : الوجه وجه حنة ، ولكن القفا قفا كنة ، أي أنها لم تعد تراها كأنها ابنتها ، بل صارت تراها كنة مكروهة •

فقالت مدام ع٠ : تقصدين أن تقولي أن لا حماة تحب كنة٠ وأنا أقول أيضا لا كنة تحب حماة ، حتى أصبح هذا الامر عقيدة شائعة في كل العلم ، وقد وضعت احدى الجرائد جائزة لأغرب صورة كاريكاتيرية فنالت الجائزة صورة كنة تحمل حماتها وهي تعبر نهرا فائضا ٠

فقالت تلك : كأنك تريدين أن تقولي ان أغرب ما في الوجود أن الكنة تحمل حماتها ولا ترميها في النهر ! وهو المستحيل ٠

فأجابت : لست أنا أقوله بل الناس أجمعوا عليه ، فوجود حماة وكنة متفقتين تحت سقف واحد أمر غريب جدا ٠

فقالت مدام ص٠ : والذنب ذنب من يا ترى ؟

فقالت مدام م٠ : الذنب ذنب الرجل لأنه لا يعرف كيف يوزع قلبه ببيته ، فأجابتها : اسكتي يا ستي فهو لا يملك شيئا لا قلبه ولا بيته ، بل هو يفعل ما تريده زوجته ولا تصير كلمتها اثنتين ٠

فقالت مدام م٠ : تريدين أن تقولي أنه يحبها وهي تحبه ٠ وهل في الزواج غير الحب ! فيجب على الأم أن تكون مسرورة لان ابنها وكنتها متفقان ٠ واتفاق الزوجين نعمة في هذه الايام ، لأنه نادر ٠

فقالت مدام ر٠ : طبعا هي تود أن تراهما متفقين وفي الوقت نفسه لا تود أن ترى حقوقها مهضومة ، فالأم التي ربت ابنها كل شبر بنذر كما يقولون ، وسهرت عليه الليل أكثر من النهار في آخر الامر تأتي فتاة غريبة وتسلبها اياه وقلبه وماله وتطير به ٠٠ هذه الأم لا تحتمل أن تبقى مرمية كالكلبة « بره » ٠

فقالت مدام م٠ : لا لا ٠٠ كلا لا أقصد هذا يا مدام ٠٠

ولذلك قلت الحق على الرجل لأنه لا يعرف كيف يوزع قلبه • ان حق الأم محفوظ وعلى ابنها أن يحفظ لها هذا الحق لا على الكنة ، أعني عليه أن يقدم لها حاجتها وكل ما هو حق لها • وثم له أن يمنعها عن التدخل بينه وبين زوجته التي لهـا حقـوق أيضا •

الحماة حمى :

فقالت مدام ب : لو كان الامر كذلك لانتهى الخلاف هنا ، ولكن الحماة حمى أو عمى ولو كانت ملاك من السما •

فأجابتها : ولماذا لا تقولين : الكنة فتنة ولو كانت من حواري الجنة •

فقالت : الكلام بسرك « كما حنا كما حنين لعنة الله على الاثنين » •

فقالت مدام ص متحمسة : هل تريدين أن يبقى الابن لاهيا بأمه يدلعها « ويطبطب » لها ويترك زوجته كالقطة في البيت • لا يا ستي • ان الفتى متى تزوج أصبح بينه وبين والديه حجاب ـ حجاب الزوجية •

فصاحت مدام ر• غاضبة : أترجاك لا أحب ان أسمع هذا الكلام البارد ، هذا شيء لا يحتمل يا ناس •• أنا لا أزوج ابني الا على شرط •

فقالت مدام ع• ضاحكة : كل الشروط سائدة الا شروط الحماة ففاسدة ، فلا تنفذ ولو كتبت في الورق وتسجلت في المحكمة المختلطة • متى تزوج الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته فيكون جسدا واحدا • ان ما جمعه الله لا يفرقه انسان• هذه الحكاية قديمة وستبقى غير قابلة للنسخ •

فقالت مدام ر : متي كبر ابنك ربنا يخليه وزوجته ابقي قولي هذه الحكاية قديمة وستبقى ٠

فقالت مدام ص : ان مسألة الحماة والكنة مشكلة قديمة جدا والناس المتمدنون لم يجدوا لها حلا الا ليكون للملاقة بين الحماة والكنة حدود ٠

بيت يلد بيتا :

فقالت مدام ج : اذا أفضل من هذا وذاك أن يعيش الزوجان الجديدان في بيت جديد وحدهما فيزوران والديهما ويزورونهما كسائر الناس ٠

فقالت مدام ر : واذا كانت أحوالهما لا تسمح لهما بأن يعيشا وحدهما في بيت آخر ؟

فقالت مدام ج : لا بأس ٠ يجب أن تعتبر الحما كنتها في بيت جديد مستقلة ٠ فاذا اجتمعتا في النهار ساعة وجب أن تكون الحماة قانعة ومسرورة ولا يجوز لها أن تتدخل بشؤون كنتها ولا بيتها ٠

فأجابت : ولكن لا يخفي عليك ان أكثر الحموات فضوليات يتدخلن بما لا يعنيهن ٠ ومهما كانت الحماة حكيمة فهي على الغالب رجعية كما قلنا قبلا ٠

فقالت مدام م : طبعا تلك بنت الامس ٠ وهذه بنت اليوم ٠ وذوق اليوم غير ذوق الامس ، فلا يمكن أن تتفق الحماة والكنة اذا كانت كل منهما تصر على تأييد ذوقها ٠ وان اتفقتا ظاهرا فلأن احداهما مظلومة مع الأخرى تنصاع لها كاظمة غمها ٠٠ وانما تتفقان باطنا اذا كانت كل منهما تترك الاخرى لحريتها في شؤونها الشخصية ، والا فتعيش كل منهما في بيت مستقل ٠٠

وهكذا كل واحدة تعيش حسب ذوقها ·

فقالت مدام ر : حسنا ولكن اذا كان ذلك غير ممكن ، لأن حالة مالية الرجل لا تحتمله ولا هو يستطيع أن يوفق بين أمه وزوجته ، فما العمل ؟ أنسمح للكنة أن تستبد بحماتها ؟

فقالت : اذا رأيك أن للحماة أن تستبد بكنتها ؟

فقالت مدام ص : يجب على كل منهما أن تتساهل قليلا لكي تستطيع أن تتفق مع الأخرى ·

فقالت : واذا لم تشأ أو لم تستطع أن تتساهل فما الوسيلة ؟

فقالت مدام ن : اذا الافضل أن تختار الأم لابنها الفتاة التي يمكنها أن تعيش معها ·

ـ رأيك اذا أن الحماة تتزوج الكنة ·· ما شاء الله ! اننا نمشي الى الوراء ونزوج أولادنا على أذواقنا بالرغم منهم ·

قانون الحموات والكنات :

فقالت مدام ح : المسألة صارت واضحة يا ستات ، فلماذا لا نسن قانونا للحموات والكنات وننشره على الناس ليسهل لهم أمر الحياة المنزلية ؟

فقالت مدام ل : أول مادة في القانون هكذا : يجب أن تتولى الحماة أمر المطبخ ، والكنة أمر الاستقبالات والزيارات الخ ·

فقالت أخرى : واذا كانت الحماة تطبخ « بابا غنوج » والكنة لا تحب البابا غنوج مثلا ؟

فأجابت : فلتأكل « ماما دلوع » ثم ان الكنة تفهم أنه ليس

بالأكل فقط يحيا الانسان •• فلا يهمها الأكل والشراب •

فقالت : حسنا ولنفرض أن الحماة تريد زيارة والكنة لا تريدها •

فأجابت : فلتذهب الحماة لزيارة المرضى والأموات والكنة لزيارة الجن والعفاريت كل هذا لا يهم في نظام المنزل •

فقالت أخرى ثانيا : على الحماة الخياطة وعلى الكنة اختيار الموضة •

ـ فأجابت يمكن ما أعجبت الحماة الموضة التي تختارها لها الكنة •

ـ ان شاء الله ما أعجبتها • ثالثا : على الكنة التنزه مع زوجها وعلى الحماة البقاء في البيت مع الأولاد •

فصاحت مدام ر : قبحا لكن ! تردن أن تدفن الحماة حية ؟

فقالت ـ طبعا ـ الحماة تموت بحب الأولاد •• دعيها تربي الأولاد • رابعا : على الكنة أن تضرب على البيانو وعلى الحماة أن تسمع وتقول : « يا حلاوة يا أصابع الفضة » •

فصاحت مدام ر وقالت : ويحك •• ما بقي الا أن تقولي : على الكنة أن ترقص وعلى الحماة أن تزمر لها • على الكنة أن « تتفندر » وعلى الحماة أن « تتدوش » •• وعلى الكنة أن تثرثر وعلى الحماة أن تصلي •• على الكنة أن تمثل وعلى الحماة أن تصفق لها •• لا والله يا ليتنا ما جبنا أولادا ولا زوجنا •• تبا لهكذا قانون •• ياالله بنا •• لا قانون ولا من يحزنون •

فقالت مدام ل : لقد وضعت يا مدام في القانون بنودا : خامسا وسادسا وسابعا وثامنا بقيت اربع مواد أخرى ليتم القانون . فتاسعا : على الزوج أن يقبل زوجته ويد أمه .. وعاشرا : أن يأخذ زوجته الى التياترو وأمه الى المقبرة لزيارة أبيه .. وحادي عشر : متى تكلمت أمه وزوجته معا يدير وجهه لزوجته وظهره لأمه .

فصاحت مدام ر ضاحكة : والثاني عشر اذا « تخانقت » زوجته وأمه يفصل بينهما فيجعل زوجته « جوه » وأمه « بره » . انه لقانون بديع .. عاشت القوانين وعاشت السيدات المطالبات بحق الانتخاب .

أهكذا يكون برلمانكن يا فصيحات ؟ الويل لأمة مشرعاتها أنتن .. في هذه الجلسة قانون الكنات وفي الجلسة القادمة قانون الحموات .. وسأريكن كيف يضرب هذا عنق ذاك .. السلام عليكم .

وارفض المجلس وسلم الدار يدوي بصهيل السيدات الضاحكات المثرثرات .. هذا حديث السيدات في مجلسهن عن حموات الكنات فما هو حديث الرجال عن حموات الاصهار يا ترى ؟

مجلة السيدات والرجال
روز حداد

* * *

شعراء كربلاء المعاصرون

الدكتور ضياء أبو الحب

بقلم: سلمان هادي آل طعمه

نحن الآن ازاء شاعر مطبوع ، فياض الأحاسيس ، كريم النفس ، يتدفق الشعر من نبضاته عذبا ، ملتهبا ، صادقا ، يدلل بوضوح على صدق نزعته الحرة ورقة التعبير الشعري وسهولة تذوقه .

وكربلاء موطن الفن والأدب منذ أمد طويل ، وشاعرنا نشأ في أسرة عربية النجار والفخار عرفت بحدبها على العلم والأدب منذ أكثر من قرنين ، تخرج فيها رعيل من الخطباء والشعراء وأهل الفضل ساهموا بقسط وافر في الحركة الثقافية ورفدوا الساحة الادبية بالعطاء الوفير والانتاج الغزير كان من بينهم الشيخ محسن الكبير المتوفى سنة ١٣٠٥هـ أحد أدباء القرن التاسع عشر الميلادي وله ديوان شعر مخطوط باسم (الحائريات) ومنهم نجله الشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٣٥٧هـ كان خطيبا ذاكرا للامام الشهيد ، يدير أغلب المجالس الحسينية في كربلاء ، ومنهم الخطيب الشيخ محسن المتوفى سنة ١٣٦٩هـ وهو والد المترجم له ، له ديوان مطبوع باسم (ديوان أبي الحب) حققه كاتب المقال . ومنهم الاديبان المعاصران الدكتور جليل أبو الحب والدكتور ضياء الدين أبو الحب مدار البحث عنه . وهنا نورد للقارىء لمحة من سيرة الشاعر .

ولد الدكتور ضياء في كربلاء سنة ١٩١٣م ونشأ بها ودخل المدرسة الفيصلية الابتدائية (العزة حاليا) سنة ١٩٢٥م حتى أتم دراسته فيها ، ثم انتقل الى دار المعلمين الابتدائية في بغداد وتخرج معلما سنة ١٩٣٠م وواظب على الدراسة الخارجيـة ، فحاز على الشهادة الثانوية ، ثم أرسلته الحكومة ضمن بعثتها الى الجامعة الاميركية في بيروت ، وهناك ظهرت مواهبه وتفتحت قريحته في حلقات الشعر التي كانت تعقدها الجامعة ، ثم عاد الى بغداد ، فعين مدرسا في دار المعلمين ، فمفتشـا في وزارة المعارف • وبعد فترة وجيزة أرسل مبعوثا الى أمريكا للتخصص في التربية وعلم النفس ، وحاز بعد سنوات على شهادة الماجستير وفي عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ سافر الى القاهرة للحصول على شهادة الدكتوراة فنالها بتفوق وكـان موضوع أطروحته (الموسيقى وعلم النفس) •

لأبي الحب شعر ينهج فيه نهج الشعراء القدامى في الأسلوب والمعنى • على أن هناك ركاكة تسود بعض هذه الاشعار ويشم من بينها رائحة التكلف والصنعة ، وهذا لا يمنع أن يكون البعض الآخر حقيقيا أصيلا لا يمت الى الركاكة بأدنى سبب •

عالج فنون الشعر التقليدية من غزل ووصف ورثاء ، كمـا نظم في الشعر الوطني الجيـد في مناسبـات مختلفـة • ولئن استعرضنا نماذج من شعره ، لمسنا فيها رهافة الاحساس وصدق العاطفة ومدى عمقه وشموله وتدرجـه في النمو والتصاعد • فالتأمل والحيرة والذهول واليقظة كلها مشاعر صادقة تنم عن قلق نفسي وشبوب عاطفي • فشعره يعلـو ويهبط كالموج في العاصفة • وهو شديد التأثر ، ملتهب الشعور ، له غزل رائع ومشاعر جياشة نابعة من أعماق القلب • ويجدر بنا أن نورد بعض النماذج من انتاجه • اسمعه يقول في قصيـدة (مـات غنائي) :

أكـذا تضحكين مـن برحائـي
غـير معنيـــة بجرحي ودائي
قـد نشرت القلوع لـم تلفتـي
جيـدا ولم تحتفي بطيب ندائي
كـم تشكيـه ثـم لـم تسمعـي
الشكوى ولا قد حفلت بح ندائي
وتشهيـــت أن أراك ولكـــن
آسفا منـك لـم تريدي لقائـي
غـير معنيـــة ذهبــت الى آن
جن شوقـي ومـات لحن غنائي

وهنالك قصيدة أخرى فيها تصوير رائع وجمال تركيب ، حيث نلمس لدى قراءتنا أبياتا سهلة رقيقة تسكر بروعتهـا العواطف المشبوبة ، فيقول :

بـين جنبيـــه لوعـة مجنونـة
ليس بدعـا في أن يطيـل أنينه
مـا الذي ضر لو مسحت بكـف
الطهر عن قلبه الظلال الحزينه
ما الذي ضر لو سكبت بعينيـه
شعـاع الحسن الـذي تنشرينه
ايـه يـا سلوتي اذا أظلم الليل
وثـارت بـه الشجـون الدفينه
اشرقـي كالشعـــاع في مطلـع
الفجر تضـيء العوالم المستكينه
اشرقي كاليقـين في مهجة العابد
أبـدى الـى الالـه حنينـه

أنت برء لخاطري ولجرح القلب
آنـت الشفـاء لـو ترحمينه

وحين يقول رثاء تنساب منه العواطف المتدفقة ، فتراه أدق احساسا وأرق شعورا حين يندب احدى قريباته ، وهي من أحدث قصائده :

خطفت نورتـا دياجـي الليالي
ودهتنـا الخطـوب بالتنكيـد
وأرتنـا الأيـام أقـدح رزء
يوم ساروا بنعشها في الحشـود
ثم هالوا التراب فوق المحيـا
مشرق الوجه بالرجا الموعـود
جدث طاهر توارى عن الانظار
لكـن سعـيره في صعـود
في لقـاء الله الرضا والتراضي
وبفضـل الالـه نيل السعود

كان الشعر منذ أن عرفه الانسان سلاحا أمضى في معارك الحرية ، فالشعر الوطني عند ضياء صورة من صور النضال ، حيث يصور في شعره آلام شعبه وآماله ، وها هو ذا يفخر ببلاده، ويغرد بأمجاد وطنه الثاني فلسطين التي راحت تسير في طريق المجد ، ويشيد بعزم الابطال قائلا :

كم ببغـداد مـن مواقـف عـز
لفلسطين كـم هتـاف تعـالى
ينشدون استقلالها منذ (بلفور)
رأى حلمـه فكـان خيـالا
وجنود العراق ثاروا الى الحرب
مـرارا حمـاسـة ونضـالا

ما استطاعوا التقصير في نجـدة
الحـق فكانـت نجداتهم تتوالى
نخـوة قـد توافدوا للتفـادي
واستماتوا فجندلـوا الأبطالا
ايـه أبنـاء جلدتـي وبـلادي
جددوا العزم واركبـوا الأهوالا
وأنشدوا العز بعـد حرب عوان
ولتكونوا رجـالهـا الأمثالا
وانشروا مبـدأ العروبة فيها
ثم خفـوا الى الحيـاة مثـالا

وما أبرعه في تصوير هذه المشاهد وهـو يتنقل مـن درة نضيدة الى جوهرة فريدة ، اسمعه يندد بالاستعمار الغاشـم وأذنابه في هذه الأبيات :

ويح ابن يعرب كم قاسى وما لانا
ويضحك الغرب بالشرقين جذلانا
يا غرب تعبث بالأحرار متصلا
منك الأذى بأذى أورى فأضنانا
يا مغرمـا بكؤوس العز نكرعها
جرعتنـا وصب الأحزان ألوانا
أجدادنا فتحوا الدنيـا بعزمهم
وطاولوا شهب الجوزاء بنيانا
دانت ليعرب هذي الارض قاطبة
واليعربي لغـير الله مـا دانـا
يا ممتطي الدهر لا تأمن مصائبه
لن يغمض الدهر عن ابناك أجفانا

أودى فلسطـين جرح غير مندمل
الا اذا شمرت للحـرب اردانا
عدا على(القدس)رزء غير محتمل
فكل يوم يصيب(القدس) قربانا
ما الغرب ان طمعت فينا ثعالبـه
الا لدى الروع ان حققت حملانا
لن يبلغوا من نفوس العرب مطلبهم
فالغرب قصّر عن ادراك مرمانا

ذلك كان ضياء في شعره . أما في مجـال النثر فانه جاد في اخراج كتب قيمة في التربية وعلم النفس زينت المكتبة العربية، وكان في كتاباتـه يتلمس الحقيقـة ، ويبسط آراءه بجـلاء ووضوح .

هذا هو الدكتور ضياء الدين أبو الحب في شعره الذي نأمل أن يطبع في ديوان ويوزع ليطلع عليه الدارسون والنقاد .

سلمان هادي آل طعمة
كربلاء ــ العراق

* * *

لبنان

بقلم: عبد اللطيف اليونس

مهداة الى صديقي « الدكتور كريم منصور »

سان باولو ـ البرازيل

لبنان .. الذي لا أعز ، ولا أغلى .

لبنان .. الذي امتدت السماء الى جبله ، وامتد جبله الى السماء !

لبنان .. الصخرة ، والزهرة ، والينبوع .. والثلج ، والنجمة ، والأرز .. والناقوس ، والمئذنة ، والكتاب .. والصقيع في القمم ، والدفء على الشاطيء .. والتاريخ في « جعيتا » ، والفن في « بعلبك » .. والنغم الهادىء في « البردوني » والصاخب في الشلال .. والنسيم الناعم في المنحنى ، والعاصفة المزمجرة في الذرى !

لبنان .. المجذاف ، والحرف ، وحبة الحنطة .

أول من اكتشف وعرّف . أول من أعطى اللون الارجواني ، وأعطى الكلمة ـ وربما كان ، هو ، الكلمة الأولى التي قالتها السماء .. ثم نقشتها في الارض !

لبنان .. الذي ارتحلت أمواجه الى العالم ..وغرست مدنيته في سائر أنحاء العالم !

منذ آلاف السنين ·· غزا الكون بمعارفه وتطلعاته ، وغرس فيه أفكاره ونظرياته ــ وما يزال ·· وسيظل !

ذاك لبنان ·· ذو الماضي العريق العريق الذي نعرفــه ، ويعرفه التاريخ ·

وأما لبنان ·· الذي يعرفه الانسان الآن ·· فهو لبنــان المذبحة والاغتيال والدم ، والقتل والسلب والنهب ،واللصوصية والطائفية والتشريد !

لبنان ·· الذي لم يعد انسانه يساوي الا رصاصة ــ مــن مجرم أحمق أرعن عميل !

فهل تردت القيم حتى صارت قنابل بأيدي مجرمين ، وسلعة لبائعين وشارين ومنطلقا للصهاينة المتآمرين ؟!

يا للعلى ! أهكذا تهبط القيم ·· ويعبث بها مجرمون من الناس ــ الذين لا يعرفون قدر أحد من الناس ؟!

أهكذا يحولون النور الى عتمة ·· والعلم الى جهل ·· والجنة الى جحيم ؟!

يا للعلى ! أهكــذا تتدنى العلى ، وتُخنق ، وتُشنــق ، وتموت ؟!

كيف نهنىء لبنان بعيد استقلاله ــ وهو لم يبق منه الا علم وذكرى ·· ونشيد تردده النجوم وهي تبكي ؟!

يوم يموت لبنان ، ويضيع لبنان ·· فلا كانت الحياة ، ولا كان الانسان ·

الوطن ــ عبد اللطيف اليونس

قصة العدد

الجانية على نفسها

مترجمة

ليست الحادثة التي نبسطها الآن من نسيج الخيال وانما هي حكاية حال سيدة أرادت أن تفضي بها الى القارئات لتكون لهن عبرة وذكرى ، علها تفيدهن درسا أخلاقيا في حياتهن الزوجية تقيهن السقوط في وهاد الاخطاء فيندمن حيث لا ينفع الندم ولا يرجى الاصلاح •• قالت :

كانت أيام حداثتي طافحة بالهناء والسعادة لم يؤلمني فيها سوى فقد والدتي وأنا في الثامنة من سني ، الا أن ما لقيته من حنان والدي وعطفه أنساني الحزن مع توالي الايام ، فما لبثت أن عدت الى المرح والابتهاج وقد زاد تعلقي بأبي الى حد ظننت فيه أني لا أستطيع مفارقته يوما •• ولكن ما بلغت العشرين من عمري حتى خضعت لأحكام كيوبيد ، اذ تعرفت بجيم مالوري وقد قدم الى بلدتنا لتأسيس فرع تجاري لشركة كان يرأس أعمالها •

أحببت جيم وأحبني ووافق أبي على خطوبتنا ، فكنا حينئذ أسعد أهل الارض ، ومضى نحو ستة أشهر على خطبتنا توطدت فيها دعائم الحب بيننا على أساس الصداقة وحسن التفاهم ، ومن ثم تزوجنا وذهبنا نقضي شهر العسل على ضفاف البحر •• واني لا أنسى تلك الساعات الجميلة التي كنا نجلس فيها على

الشاطىء في ضوء القمر أو تحت الاشجار نتناغى فيها بأناشيد الحب ونفكر في وضع أجمل الرسوم لبناء قلاع أمانينا واسعاد مستقبلنا .. ولا تزال كلمات جيم تتردد في أذني وهو يداعب حلقات شعري مؤكدا لي ان غاية ما يرجوه من الحياة هو أن يوفق لاسعادي وتوفير وسائل هنائي .. فكنت بذلك أسعد امرأة .

وانتهى شهر العسل وجاء وقت العمل وكانت أعمال الفرع الجديد قد استتبت ووجب على زوجي الرجوع الى مركز رياسة الشركة ، فطلبت اليه أن يصحبني في رحلته ولكنه أشفق علي من الانزعاج لأن لوفيوروج وهي الضاحية التي يقصد اليها لم تكن حاوية ما يلزم مثلي من أسباب الرفاهية ، ورأيت انه مصيب في قوله فاذعنت له ، وافترقنا على أمل أن يكون لنا شهر عسل آخر عند عودته .

وقضيت أياما بعيدة عنه كنت ألهو فيها بالمطالعة ومعاطاة بعض أشغال يدوية ولم يكن لي ثمة تسلية الا تلاوة رسائله الطافحة بعواطف الحب والشوق .

وعاد بعد ذلك فعادت أشعة السرور الى الاشراق في بيتنا الصغير وكان جيم يقضي معظم نهاره في عمله ، وفي غيبته كنت أهتم في ترتيب منزلي واعداد الاطعمة التي أعلم أنه يستسيغها. وبعد العشاء كنا نذهب معا الى السينما أو نمكث في البيت نتبادل الاحاديث العذبة ونعلل النفس بأحلام المستقبل الباهر .

وحان وقت الفراق ثانية ولكنه أكد لي في هذه المرة انه لن يغيب طويلا وانه سيسعى جهده بعد ذلك لان نجتمع اجتماعا لا يهدده الفراق .

وبينما كان يودعني نظر الي وجلا وقال :

ـ انك شاحبة اللون يا مرجريت وأنا خائف عليك من

الوحدة فلِمَ لا تذهبين الى أبيك فتأنسين به في أيام غيبتي ؟

فوعدته بما أراد ، وذهبت الى منزل والدي حيث قضيت شهرا وفي نهايته كتب لي جيم انه سيحضر يوم السبت لقضاء بضعة أيام الى جانبي •

فأسرعت بالعودة الى منزلي مساء يوم الجمعة لاستقبل جيم بعد أن كتبت له بذلك •• وهناك شرعت في تنظيف البيت واعداد الطعام ، حتى اذا حان موعد وصول القطار الذي يأتي به عادة جلست أصغي منتظرة سماع وقع خطواته بين دقيقة وأخرى •

ودقت الساعة السادسة ، فنبض قلبي جزعا واضطرابا لأنه لم يسبق له أن تأخر الى مثل هذا الوقت وبدأت الهواجس تخامرني والحوادث تتمثل لي منكلة بي أفظع تنكيل وأخيرا ذهب صبري فتناولت قبعتي ورفعت الطعام عن النار وهممت بالخروج لأبحث عنه •

وحينئذ قرع الباب فأسرعت وفتحته ، وما كان أصعب طعنة الفشل التي أصابتني حينما رأيت ساعي البرق يقدم لي رسالة• فمددت يدي المرتجفة ببطء وتناولتها وأنا عالمة انها تحمل لي خبر تأخره عن الحضور ودخلت الى مخدعي فخلعت معطفي وقبعتي وارتميت على مقعد والرسالة لا تزال في يدي أنظر اليها بألم وانكسار وغيظ •• وهذا ما جاء فيها :

« آسف انك برحت منزل أبيك •• فقد اضطررت الى البقاء هنا أسبوعا آخر » ••

ولبثت حينا ذاهلة حزينة وقد تملكني القهر والغضب •• انه سليم معافى اذن •• وما تأخره الا بداعي الأشغال •• انه لم يحسب لقلقي ولبالي حسابا فيسبق الى اخباري بذلك قبل الآن• لقد علم اني آتيت الى البيت انتظارا لقدومه ومع ذلك لم يحضر

انه لم يعد يحبني قط ·· وما كلماته المعسولة التي كان يلقيها على سمعي سوى أدوار تمثيلية كالتي أطالعها في الروايات ثم انخرطت في البكاء الى أن تقرحت أجفاني وهدت قواي فغلبني الرقاد وهو أشبه بالاغماء ·

ولما استيقظت صباحا وجدت نفسي لا أزال على المقعد في ثياب النهار فنهضت متثاقلة وغسلت وجهي وقد عزمت على العودة الى أبي فهو الوحيد في العالم الذي لا يزال يحبني ·

وبينما أنا أمشط شعري استعدادا للخروج ·· واذا بي أسمع قلقلة المفتاح في الباب ·· واذا بجيم يهتف قائلا :

ــ أين أنت يا حبيبتي ··

كان انتقالي الفجائي من الغم واليأس الى السرور قاسيا فعالا ، فهطلت مدامعي وأنا أركض نحوه وارتميت بين ذراعيه وأنا أقول بين شهيق وزفير :

ــ اذن أنت تحبني يا جيم ··

فجعل يقبلني ويرتشف دموعي ·· ثم أخبرني انه عول على المجيء أمس وأتى الى المحطة وكاد يصعد الى القطار حين أتاه رسول يعلمه بأن مدير الشركة أصيب فجاة بالتهاب الزائدة وانه على الطريق الآن الى المستشفى ، فكان عليه أن يعود الى الادارة وقد بذل أقصى جهده في انجاز الضروري من الاعمال ليأتي الي في أول فرصة ·

وشعرت بخجل اعتراني مما حل في ساحتي من الشك فيه ·· وحاولت أن أمحو ذنبي بتوفير وسائل السرور له وابداء عواطف حبي الذي أحسست بأنه قد تزايد بي عن كل زمن مضى ·

وصباح الاثنين عاد جيم الى عمله ·· ولبث بعيدا عني ستة أسابيع ، فلما عاد كان لدي خبر سار زففته اليه ·· وهو اني

سأصبح عما قريب أما .. فضمني الى صدره وقد ترقرقت عيناه بدموع الفرح والغبطة .

وتوالت أسفاره بعد ذلك اجابة لداعي الواجب ، فكان لي من المشاغل السارة باعداد لوازم الطفل ما صرفني عن الاهتمام لغيابه .

ولما قرب زمن الوضع تبينت القلق في أفكاره وكان يلح علي بكلامه ورسائله أن أبرق له حالما أشعر بأقل ألم فيحضر سريعا مهما كان لديه من العوائق .

وأخيرا دنت الساعة وفاجأتني الآلام فأشار الطبيب بنقلي الى المستشفى .. ولدى وصولي سطرت رسالة برقية الى زوجي أعلمه بأمري وكلفت الممرضة بارسالها .. ولسوء حظي نسيت الممرضة أن تبعث بها حتى اليوم الثاني .

وقضيت النهار بطوله في الأوجاع ، وكنت كلما نظرت حولي ولم أر زوجي تتألم نفسي فوق ما بي من ألم الجسد .. وفي الليل وضعت صبيا .. ولم يكن جيم قد حضر بعد .. فانسحق قلبي وعاد الي الشك في حبه .. كيف لا وقد تكرر نكثه بوعده لي وها هو يسخر مني للمرة الثانية فلم يبق لي ثقة به .

وبدأت أندم على زواجي به .. ووددت لو أستطيع الانفصال عنه ، لولا الطفل الذي يربطني به .. وجعلت أقنع نفسي بأنه لم يعد يستحق محبتي .

وحضر في اليوم الثاني فقابلته ببرود وجفاء فكان يتحمل مني ذلك بصبر وأناة ..

ومضت الايام وأنا أزداد نفورا منه وتجنبا للانفراد به وعبثا كان يحاول مراضاتي والتقرب مني .. وقد نظم أشغاله بحيث

لم يعد يخطر الى مفارقتي •• الا أن ذلك زادني بعدا عنه ورغبة في هجره حتى اذا أخفق في استعادة ودي صار يقضي ساعات فراغه من العمل خارج المنزل •• وأمست مقابلاتنا نادرة •

وبلغني يوما انه يعاشر امرأة غيري فغلى الدم في عروقي وكتبت الى أبي أطلعه على ما أنا فيه من شقاء ، فأجابني بقوله : كوني مطمئنة فاني سأسعى الى ما فيه ازالة الغموض •

وبعد البحث والتحري ظهر لي ولأبي ان ما أشيع عن سوء سلوك زوجي كان حقيقة لا شك فيها ، فطلبت الطلاق منه ، وكان ابني حينئذ في الثامنة من عمره •• وبعد أن أجريت المعاملات القانونية تم لي ما أردته لنفسي من الحرية والاستقلال وعلى أثر ذلك اقترن زوجي بالمرأة التي كان يعاشرها •

ولما توالت الايام قلق ابني لعدم وجود أبيه معنا وجعل يسألني عنه وأنا أراوغه بالجواب وأخيرا كان لا بد لي من أن أفهمه ان أباه قد هجرنا بتاتا فيجب أن ينساه •

فجعل يبكي في صمت ولزمه الغم •• وسقم جسمه الى حد أني خشيت على حياته فكنت أقول له : آلا تكفيك محبتي يا ولدي ؟ أولست تحبني أنت أيضا فيجيبني :

ـ نعم اني أحبك ولكنني أحب أبي أيضا •

ـ ولكن هو لا يحبنا •• والا لما كان تركنا من أجل امرأة أخرى فكان يردد قوله :

ـ اني أحب أبي وهو يحبني •

وعبثا حاولت بعد ذلك أن أصرف أفكاره عن ذكر أبيه فما كان الا ليزداد تعلقا به وحزنا لبعده ، حتى بان عليه أثر السقام وفارقته قابليته للطعام ولم يعد يميل الى اللعب كعادته •

فأدخلته احدى المدارس على أمل أن يجد في رفاقه سلوة ولكنه ظل على حاله من الاكتئاب والصمت وكثرة التفكير ·

وجاء يوم لم يعد فيه الى البيت بعد الانصراف من المدرسة فأسرعت بالبحث عنه ، فأجابني أستاذه بأنه لم يحضر الى المدرسة في ذلك اليوم ·

فصعقت لهذا الخبر وخيل لي أنه أصيب بحادثة فهرولت الى دار الشرطة أسأل عنه فلم يكن ثمة لديهم علم عنه ·· وكان المعاون رجلا رقيق القلق فأشفق علي ونصحني بالعودة الى منزلي واعدا اياي بأن يبذل الوسائط اللازمة لايجاده ·
فعدت وأنا ألطم كفا بكف واذا برسالة برقية وردت في غيابي من جيم يقول فيها :

« جورج عندي اطمئني وسأحضره لك غدا صباحا » ·
وبت بليلة الملسوع ·· فلما كان الصباح أقبل جيم ممسكا بيد ابني الذي حينما رآني أسرع الي باكيا وهو يقول :

سامحيني يا أماه ·· فقد أردت أن أرى أبي ·

وكيف استطعت السفر اليه في ليدموث ؟·

ـ لقد أخذت من حقيبتك دراهم أجرة السفر في القطار وذهبت اليه ·

فقلت له اني أصفح عنك اذا وعدتني بأنك لا تقترف مثل هذا الجرم مرة أخرى ·

ـ لا أستطيع أن أعدك الا اذا عاد أبي الينا ·· فأنا أحبه ولا أطيق الحياة بعيدا عنه ·

فلم أر بدا بعد ذلك من زيادة السهر عليه والاحتفاظ بنقودي في مأمن منه حتى لا يتيسر له السفر ·

وجاء عيد الميلاد فكان تأثر ولدي بالغا أشده لأنه تعود في

مثل هذا اليوم أن ينعم بهدايا والده وعطفه •• فثقل عليه الامر ولم أجد وسيلة لتعزيته •

وفي اليوم الثاني ذهب الى المدرسة على عادته ولم يعد مساء فلم أشك في أنه قد ذهب الى أبيه ، وللحال أخذت أول قطار يقوم الى ليدموث •• وهناك اتجهت الى منزل زوجي وقد عرفته من دليل التلفون وكان الوقت صباحا فقرعت الباب ففتح لي خادم واذ رآني تراجع كأنه يرى أمامه شبحا •• وربما كانت هيئتي حينئذ توجب الفزع •• فصحت به أسال عن ابني ••

وسمع جيم صوتي فأقبل نحوي مهدئا روعي ودعانـي الى الدخول •

فصحت : ولدي •• ولدي •• أريد ولدي ••

فأمر الخادم في الحال بأن يوقظه •• فغاب الخادم هنيهة ثم عاد وهو يقول :

ـ اني لم أجده في فراشه ••

فجعلت أصرخ وأبكي واقول لجيم :

ـ أبلغ منك الأمر أن تسرق مني ابني ؟

ـ فأقسم لي على أنه لم يدر بغيابه الا تلك الساعة فلـم أصدقه •• فقال :

ـ ادخلي وابحثي عنه بنفسك في غرف المنزل •

وحينئذ برزت امرأة في ثياب النوم وسألت جيم عن سبب تلك الضجة التي سمعتها فنظرت اليها شذرة وصحت بها مغضبة:

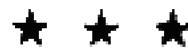
ـ ماذا فعلت بابني ؟ ألم يكفك انك اختلست مني زوجي فأردت أن تأخذي ولدي أيضا ••

ـ اني لم أختلس منك زوجك •• وانما أنت طردته مـن دائرة حياتك ونبذته من قلبك فلجأ ووجد الحب الذي ينشده •

أما أنت فانك لا تحبينه وكل ما أردت منه المال ٠٠ فأنت رديئة القلب محبة لنفسك ٠٠ وهذا ما قلته فيك لابنك ٠٠

فكان كلامها اللاذع فوق ما أستطيع احتماله على ما بي من الاضطراب وعدم النوم والاكل يوما وليلة فسقطت مغمى عليَّ ٠

ولما استيقظت وجدت نفسي ملقاة بجانب جيم ينظر الي باشفاق مرتقبا يقظتي ٠٠ واذا بجرس التلفون يقرع ٠٠ فتناول جيم السماعة وأصغى ٠٠ واذا بمدير الشرطة يقول له : ان ابنك عاد ليلا من ليدموث وتسلل مع رفاق له الى محل بقال وسرقوا منه ٢٥ جنيها وقد ألقي القبض عليهم متلبسين بالجريمة وهو يستدعيه للنظر في أمره فجمد كلانا في مكانه واشتبكت أعيننا بنظرة عميقة يمازجها الدهشة والتساؤل والحيرة ٠٠ وأخيرا صاحت بي عاطفة الأم : ان هذا مستحيل ٠٠ أيكون ولدي سارقا ؟! كلا وألف كلا ٠٠ ثم تذكرت كيف ان الشرطي قبض عليه منذ أيام لأنه كان يقذف حجارة مع رفاقه على واجهة أحد المحال التجارية فتكست رأسي تحت أثقال الشك والحزن ٠



وبعد سفر ثلاث ساعات في القطار انتهينا الى دائرة القضاء فقابلنا المدير باحترام ٠٠ وأفضى الينا مع الأسف بقوله : ان ابنكما قد تسلل مع رفاق له الى أحد المحال التجارية في أثناء غياب صاحبه وسرقوا منه ٢٥ جنيها كان نصيب ابنكما منها ٥ جنيهات وقد قبضنا عليهم أمس ٠

فصحت كالمجنونة : هذا لا يمكن ٠٠ لا ريب انك مخطيء يا سيدي ٠٠

وكان مدير الشرطة رجلا لطيفا أديبا وهو صديق لنا ٠٠ فنظر الي نظرة اشفاق ، ثم أمر باحضار ولدي ٠

وبعد دقائق أقبل جورج واذ أبصرنا أفلت من يد الجندي

وأسرع فارتمى على عنقي أولا ثم قبل أباه وحينئذ دعاه المدير اليه فامتثل طائعا ووقف أمامه مكتوف اليدين فرمقه بنظرة توبيخ ثم سأله عما دفعه الى ارتكاب جريمة السرقة ٠

فقال : اني آسف جدا لأني اضطررت الى ذلك ٠٠ فقد أردت أن أرى أبي وكنت بحاجة الى ثمن تذكرة للذهاب اليه في ليدموث ٠

فالتفت المدير نحوي وخاطبني بلهجة يتبين فيها الوقار والاخلاص فقال :

ـ ترين يا سيدتي انه ما من خلاص لك من هذه الورطة الا بأن تسمحي للولد بأن يرى أباه من وقت لآخر والا عرضته لما لا تحمد عقباه ٠٠ نعم ان المحكمة قد خصت الطفل بك دون والده الا أن ذلك لم ولن يستأصل حبه من قلبه فعليك أن تتدبري الامر والا اضطررنا الى ارساله لاصلاحية الاحداث حيث يسمح لك ولأبيه برؤيته مرة واحدة في الشهر ٠٠

وكانت تلك ضربة قاضية على قلبي الحزين جرحت أنانيتي وأذلت نفسي فوعدت بأن أسير فيما خطه لي ٠

وجاء عيد الميلاد في العام الثاني وذهبت لزيارة جورج في المدرسة الداخلية فجعل يريني هدايا أبيه وهو فرح لأنه زاره ٠٠ فسألته اذا كان يود أن يقضي مدة عطلة العيد معي في البيت ٠٠ فأجابني : اني أود ذلك من صميم فؤادي على أن يكون أبي معنا ٠٠

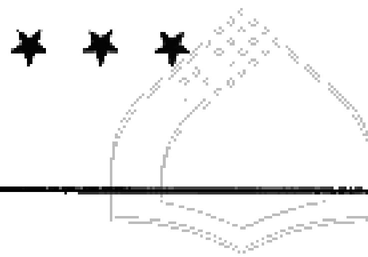
فعدت الى بيتي ووحدتي حزينة منكسرة الخاطر ولم يكن لي من سلوة في الحياة سوى انتظار الساعات التي يسمح لي فيها بزيارة ولدي ٠٠

والآن وقد زال غشاء الغرور وخداع النفس عن بصيرتي فأدركت اني كنت مخطئة في تصرفاتي أولا مع زوجي وثانيا مع ابني فلم أعرف قيمة السعادة التي كنت حائزة عليها فسرت من

خطأ الى خطأ أفظع منه فمزقت بذلك أوصال هنائي ونعيمي بيدي وقذفت بنفسي الى وهدة الشقاء حيث لا أجد لي مخرجا مما أنا فيه من حسرة .

واني كلما عدت الى ذكرى أيامي الماضية أشعر بخجل من نفسي لما جلبته على ولدي من حرمانه المستقبل الباهر الذي كان معدا له في كنف أبيه وأتمنى لو يتاح لي أن أبدأ حياتي من جديد لأتقي مواطن الخطأ والضلال التي انتهيت اليها .. ولكن هيهات أن يعود الماضي أو يسترد ما فات !.

* * *



محاورة مع البحتري

مر البحتري بجماعة الشعراء .. فرأى بينهم صبيا فقال له : أشاعر أنت ؟.

قال الصبي : نعم .. وانني لأشعر منك !.

قال البحتري : مرحى .. هل تستطيع أن تجيز قولي : ليت ما بين من أحب وبيني ..

الصبي : أتريد أن تقربه أم تبعده ؟

قال البحتري : أقربه ..

رد الصبي : ليت ما بين من أحب وبيني مثل ما بين حاجبي وعيني .

فطرب البحتري وقال : واذا كنت أريد أن أبعده ، فماذا تقول ؟.

قال الصبي : ليت ما بين من أحب وبيني مثل ما بين ملتقى الخافقين ..

على أعتاب الكهولة

شعر: محمد علي الخفاجي

خمسون عاما جئن بابك صادحات بالكهوله
والدوح صوّح منك والانسام ناعية ذبوله
ها قد أتاك الشيب لا تهرب فما في الامر حيله
وتعتمت أحلام جفنك فهي نقلات عليله
تظما تشيب على الطريق تموت في سحر الطفوله
والشعرة البيضاء تلهب شعر رأسك أو تديله
وتعل من دفقات عبقك رشفة العمر النحيله
وغدا يموت اللحن فيك ويسدل الماضي سدوله
يبكيك صحبك بعد طول العهد أياما قليله
حتى اذا ما شاب ذكرك عدن أياما جميله



بالأمس قد كان الشباب يميد بالغصن الرطيب
ويضاء بيتك بالصبا ويتيه بالدفق الرحيب
وضجيج ريحان يطرفه الهوى بث الوجيب
وتقول للدنيا كذبت فلا أشيب أنا وشيبي
يبتل ثغرك من لماك فكله رشفات طيب
كم قبلته وداعبته شفاه أم أو حبيب
حزني تموت النار فيه يعود ثلجي الدروب



واليوم رحت تجاذب الورقــاء آنات النحيــب
وتحن للماضي،وأمس ضحكت ـ كم هو من قريب
وغدا على الأعواد تلفي اللحد كالضيف الغريب

★ ★ ★

وسفت خدك بالــورود تشقت أنفــاس الزهر
ورصفت من طل الصبــاح سواقيا تحكي القمر
وشدوت ألحــان القنابر والكناري والشجــر
حتى اذا بئس الشبــاب على جبينك فانتحــر
أنزفت زيتك في الذبالة ، شل ـ خفيك واندثر

★ ★ ★

قد كان خــدك قبلــة يحبو لها نســم السحــر
ويضــوع منــه المسك يعبق في الربى والمنحدر
وغــدا تجرح ورده تدميــه أسنــان الحجــر
وتنام حبات التراب عليــه‥ تغفو ، لا سحــر
ويظل يندبك الصبا يلفــي فراشا مــن سهر

★ ★ ★

طرزت بيتك من حرير الــورد أسورة ، قلائد
وشدوت موال الشباب ومــا ظننته غير عائــد
وأفقــت مــن آبط الشقائق من جدائلها موارد
عربدت صعرّت الخدود فأنت جبــار ومــارد
نتفت ليلك والصبا مــا بين غانية ‥ وناهــد
خلت الليالي الحالمات تظــل باقيــة سرامــد

★ ★ ★

ما لي أراك اليوم والنســاك ترتــاد المساجد

وأراك ليلك قائمـــا متضرعا لله ســاجــد
وتكاد تختـــق أنفــك العطري مبخرة المعابد
وتذكر النفس الشقية بالمقابر ·· والملاحــد



ما لي أراك تنوح أمسك في الغــدو وفي الأصيل
تطوي الشراع ، تكسر الاشواط ، تلهج بالرحيل
وأرى حمام المرج تفضحه الصبابة بالهديــل
وعيون وطفاء الجفون تسربلت بلظى النحول
ذبَّحت برعمك الصبي سفحت نسغك يا خليــل
وغمست وجهك في الشحوب فكل ما فيه عليــل
من هيم الشحرور من ···من عتم الحلم الجميل؟
لا تبكيِّ الأمس ·· لا تضفي على الزهر الذبول
واندب غدا واعصر عيونك ··ان··ان له قليل

محمد علي عبد عون الخفاجي
كربلاء ــ العراق

من جواهر الأدب

اذا رقت حال الانسان هان على الاخوان ·
اذا بلغ المرء في الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس ·
اذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل ·
اذا لم يكن لك ما تريد فأرد ما يكون ·
اذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك ·
اذا أردت أن يصلح لك يومك فافتتحه بصدقــة واختتمــه بمعروف ·

نهضا بني العرب

صدر الدين الحكيم الشهرستاني

متى نــرى وحدة الأفكار تحدونا
حتى نحــرر في عزم فلسطينا ؟
متــى نرى راية الاسلام يرفعها
حماتهــا ليعيدوا مجد ماضينا ؟
متى ينادي المنادي في الدنى اتحدوا
يــا قادة العــرب وليحيا تآخينا ؟
متى نرى العرب والتوحيد يجمعها
باسم النبي فيلغي حزب ليتينا ؟
كنا قديمــا يهاب الخصم سطوتنا
واليوم قد لعبــت فينــا أعادينا
كنا يــدا لا أيــاد وهي تعبث في
تفريقنا وبهــا بيعــت أراضينا
طال الرقاد وعم الذل وانتشرت
مبادىء تنسف الاخلاق والدينا
نهضا بني العرب قد ضاع حقكم
ولم يطالــب به الا الأقلــونــا
هبــوا لافناء اسرائيل واتفقوا
وحطموا في صعيد القدس صهيونا
وزلزلوا الكــون جمعا في هتافكم
بقوة الحق لا نخشى الشياطينا

صدر الدين الحكيم الشهرستاني
كربلاء ــ العراق

امـــاه

شعر : علي محمد الحائري

مدي جناحك من عطف وضميني
ما عاد غير حنان منــك يؤويني
مدي جناحيك أغف في ظلالهما
طفلا تهدهده أحلــى التلاحين
مدي جناحيك أضــواء مرفرفة
تنيمنــي في رؤى حلم وتصحيني
أمــاه مــا سكرت في غيرها شفتي
حبا ومــا غيرها خمرا ترويني
يــا صنو روحي ويا حبا آلوذ به
مــن عالم بشرور الحقد مشحون
يا مستجما اذا مــا الخطب مزقني
ويا مراحا اذا ما الدهر يضنيني
لا مس قلبك بعض السوء ان دمي
من فيض نبعته ما عشت يسقيني
لله عارضــك المغضون آرهقــه
ثقل السنين وجهد غير ممنون
التضحيات وما عانيــت من حرق
تكاد تزهق من روحي وترديني
هــات فديت يدا يهــف لقبلتهــا
فمي وتزه الرؤى في دربي الجون

كانت من المهد في البلوى ترافقني
رؤومة وذماء الـروح تغذونـي
للآن لـم يغنني عن غيرهـا بدل
يد الملائـك عنهـا لا تعزيني
يـا فذة بالحنـان المحض غامرة
دنياي أنفـاس ريحـان ونسرين
سهاد قلبـك أهداني الكرى مقة
وسال دمك نسغـا في شراييني
أمـاه ما أعجـز الدنيا وأعجزني
عن الوفاء وما النكران من ديني
اذا الملمـات آوتنـي بقبضتهـا
آنست عندك ترياقا يداوينـي
وان غرقـت بدأماء الحياة فما
الا هواك بشاطي الأمن يرسيني
أي القرابـين للزلفى أقدمهـا
محراب قدسك أسمى من قرابين
انـي سأحمـل ذكراك سنا ومنى
ورحمة في سغاب العمر تقريني
يا ضحكة الفجر يا قيثارة عزفت
لحن الخلود ويـا أنغام أرغـون
يـا ظل دوح المنى في حر هاجرة
يا صبغة الورد في عرس البساتين
يا كل ما أبدعت دنياي من صور
يا زهو وحي أتي من غصن زيتون
يـا عالمـا مـن نبـوات مقدسة
يا سفر مجد بقدس العرش مقرون

علي محمد الحائري
كربلاء ـ العراق

أهلا بـ « سامي »

شعر : وديع ديب

السيد « سامي جبارة » رئيس نادي « مرجعيون » في مدينة سان باولو ـ البرازيل يعتبر من أركان الجالية العربية المرموقين وله نشاط واسع مثمر في ذلك المحيط • وقد زار لبنان في الصيف الماضي بعد غياب طويل ، واحتفي به حفاوة تتناسب مع خدماته الجلى ، ومواقفه النبيلة في هذا المغترب •

وهذه القصيدة ألقاها الشاعر الملهم الاستاذ « وديع ديب » في أحد الاحتفالات التكريمية التي أقيمت له ـ وهذه هي مع مقدمتها المقتضبة التي قدمها بها :

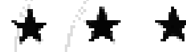
في تكريم المغترب سامي جبارة

يوم زار وطنه لبنان ، واتصل بأبناء بلدته مرجعيون ، وبالكثيرين من رجالات العرب الذين رحبوا بقدومه :

يحن للأمس صوت يشتكي الوصبا
أفاق من حلم ليل بالصبا ذهبا
أو شاعر هام في الدنيا على ظمأ
والخمر ترقص في أكوابها حببا
كأنما العمر أحلام مجنحة
أحب أطيافها ما عز مطلبا

★ ★ ★

« سامي » أتذكر أيامـــا لنـــا سلفـــت
في المرج نمـــرح في أفيـــائهـــا لعبـــا
ومعهـــدا عاليـــا لا يحتـــوي غرفـــا
تعلو ، وينـــدر أن تلقـــى بها كتبـــا
حتى اذا مـــا أطـــل البـــرد عاصفـــة
جئنـــا نـــزف اليـــه الفحـــم والحطبا
مـــا عابه الفقر في شيء فكـــم رجـــلا
أعطـــى واطلـــع في آفاقهـــا شهبـــا



وهـــل تذكـــرت دنيا مـــن حداثتنـــا
أيام نجري الى « فوارها » (١) خببـــا
ويافعـــا يمتطـــي الزرقـــا على كبر
يخالـــه المـــرء عبسيـــا اذا انتسبـــا
فتـــى المهاجـــر مـــن الآك فـــارسهـــا
وقـــد تنـــادوا الى ساحاتهـــا عربـــا
أهلا بـــ « سام » سما خلقا ومكرمـــة
أهـــلا رفيـــق الصبـــا حييت مغتربا

وديع ديب

---

(١) نبع الفوار في بلدة«الجديدة»المرجعيونيةالتي ولد فيها المحتفى به٠

دعوة لانشاء مركز عربي للبحوث العلمية

بقلم الدكتور : فؤاد الزين

الهدف من هذا المقال هو الدعوة الى اقامـة مركز عربـي للبحوث العلمية تشترك فيه جميع الدول العربية ليكون وسيلة الاتصال مع عالم البحوث ٠

سأتكلم بالتحديد عما يجب أن يكونه فرع الرياضيات في هذا المركز ، لأنه ميدان اختصاصي ، ولكن ما سأقوله ينطبق على العلوم الاخرى ، كالفيزياء والطب مثلا ، ولا يسعني الا التوجه بالدرجة الأولى لدعوة زملائي أساتذة الجامعات والمسؤولين عن التربية والتعليم في الوطـن العربي لمشاركتي في هـذا المطلب وابداء آرائهم في هذا الموضوع ، وهم أعلم الناس بالحاجة الى المؤسسات التي تؤمن الاتصال الدائم مع الجامعات في الخارج ٠

وانطلاقا من ذلك ، سأحاول شرح أنظمة العمل في البحوث في العصر الحاضر ، لبيان أهمية الدور الذي تلعبه مراكز البحوث في العالم ٠

١ ـ تنظيم البحوث الرياضية في العالم :

أشير أولا الى أن العلاقات بين الباحثين تقوم على نمـاذج تقترب أكثر ما يمكن الى الديمقراطية (هنا أرى الديمقراطية كهدف يحاول الانسان التقرب منه دون أن يستطيع الوصول اليه) ٠

نرى الحاجة الى مقاييس للبحوث لتنظيمها في نظريات ونشرها

على الباحثين الآخرين وتكريسها لتوجيه التعليم الجامعـي ، فيكون بذلك التفاعل بين البحث والتعليم . وسأذكر من هذه المقاييس نقطتين :

أ ـ المجلات والجمعيات العلمية : يوجد في كل من بلدان العالم المتقدمة جمعية رياضية تكون وسيلة اتصال بين الباحثين في الرياضيات في مختلف الجامعات أذكر منها على سبيل المثال : الجمعية الرياضية الامريكية (American Mathemratical Society) والجمعية الرياضية الفرنسية (Societe Mathematique de France) وتتألف الجمعية من هيئـة اداريـة ينتخبهـا الاعضاء ، ومـن الجدير بالذكر انه توجد عادة صعوبات جمة في تكوين الهيئة الادارية لأن أغلب الباحثين يتهربون من الاعمـال الاداريـة للتفرغ لابحاثهم ، ويكون عمل الجمعية الاساسي في تنظيـم اللقاءات بين الرياضيين حسب اختصاصهم في حلقات دراسيـة تعقد في احدى الجامعات وتدوم اسبوعا أو أكثر ، يحاضر فيها كل من أحرز تقدما في البحـوث المتعلقـة بالموضوع المطروح للمناقشة . وتسهم الجمعية بتوجيه البحوث من خلال اختيـار مواضيع البحث في هذه الحلقات .

وتصدر عن الجمعية مجلة علمية يدون فيها الباحثون نتائج أعمالهم (تدعى في فرنسا وأمريكا Bullalin) وكذلك تصدر هذه المجلات عن الجامعات الكبرى التي اشتهرت بأحد الفروع الرياضية ، وتصدر أيضا عـن مراكز البحوث ولكـل مجلـة مسؤولون علميون تصل نشرات الباحثين اليهم لمراجعتها والتأكد من صحتها وأهميتها قبل نشرها ، وتكرس هذه المجلات أهميتها حين ينشر فيها أحد الباحثين المشهورين عالميا أعماله .

توجد هذه المجلات في جميع المكتبات الجامعية في العالم ، ويفوق عددها في عصرنا الحاضر على المئة مجلة في الرياضيات . وأذكر هنا انني لم أجد آي مجلة علمية في الرياضيات صادرة عن احدى الجامعات أو المؤسسات العربية ، في أي من جامعات

أوروبا وأمريكا ، بينما توجد مؤلفات تذكر أعمال العرب القدماء وأثرها في ميدان الرياضيات ·

ب ـ المؤتمر العالمي : وقد قرر الباحثون في الرياضيات في العالم انشاء مؤتمر عالمي يعقد كل أربع سنوات في احدى دول العالم لمناقشة التطورات التي تحدث في مختلف الفروع الرياضية التي يفوق عددها حاليا على ٣٠ مادة حسب تصنيف الجمعية الرياضية الامريكية ·

١ ـ يجري في بدء المؤتمر توزيع ميداليات فيلدس (Fields Medals) لاثنين أو أربعة من الرياضيين الشباب الذين لا تزيد أعمارهم عن الاربعين سنة ، وتعتبر هذه الجائزة بمثابة جائزة نوبل (Noble) لأن نوبل استثنى خطيا في وصيته الرياضيات من بين جوائزه ، ويعزى ذلك الى أسباب شخصية ، فقد اشتهر في السويد في زمن نوبل أستاذ الرياضيات في جامعة استوكهولم ميتاغ لفلر (Mittag Leffler) ولم يكن على وفاق مع نوبل ، فاستبعده نوبل عن نيل جائزته بعد موته بهذه الطريقة ···

ويحصل عادة على هذه الجوائز الرياضيون الذين أسسوا نظريات جديدة في العلم أو قدموا حلا لمسائل مفتوحة منذ عشرات السنين (وبعضها منذ مئات السنين) والتي عصي أمرها على العديد من الباحثين ـ أذكر على سبيل المثال :
(Hypothese de riemann, Egnations de Fermat) ومن المعلوم انه في سبيل حل (Conjecture de Weil) علم (Grothendieck) طور الهندسة الجلبرية حتى استكمل تلميذه (P. Deligne) الحل ونال كل منهما الميدالية ، الاول سنة ١٩٦٦ في مؤتمر موسكو والثاني سنة ١٩٧٨ في هلسنكي ، ومن الجدير بالذكر ان ميخائيل عطية (M. Atiyah) وهو أستاذ في جامعة أوكسفورد في انكلترا ، نال هذه الميدالية ، وهو من أب لبناني عمل في الجامعة العربية ، وتسابقت جامعات العالم لدعوته ليحاضر فيها ، ولكن لا أعتقد

انه تسنى له زيارة أي جامعة عربية ٠

٢ ـ توجه الهيئة المسؤولة عن المؤتمر ، الدعوات الى الباحثين البارزين لالقاء محاضرات عن التقـدم الذي طرأ في مختلـف النظريات الرياضية وفي جميع الفروع في سلسلتين من المحاضرات الأولى تجري صباحا لفترة ساعة لكل منها والاخرى تجري مساء لفترة نصف ساعة لكل منها ٠

٣ ـ يراوح عـدد حضور المؤتمـر في الفتـرات الاخـيرة (Van Couver, Canada) سنة ١٩٧٤ (Hilsinki, Finland) سنـة ١٩٧٨ بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ شخص ، بينما يقدر عدد الباحثين الرياضيين بـ ١٠ آلاف باحث منتشرين في العالم ٠

وهنا ألاحظ انه لم يدع أحد من الباحثين في داخل البلاد العربية ليحاضر في المؤتمر العالمي حتـى الآن ٠ أمـا الذيـن يحضرون من الجامعات العربية فيفدون بشكل خاص ولا يتجاوز عددهم الستة ، ولا يوجد لهم أي اتصال مع الباحثين العرب في الجامعات الاجنبية ٠

٢ ـ نماذج من معاهد البحوث الاجنبية :

أ ـ المراكز الكبرى في العالم ـ من أهم مراكز البحوث حاليا في العالم (Advanced institude For ressarch) في (Princeton) الولايـات المتحـدة و (Steklow institue,) في موسكـو و (Institut des hautes Etudes Scientifiques) أو (L. H. E. S.) في أوروبا وموقعه قرب باريس ٠

وسأتكلم قليلا عن هذا الاخير ـ يتألف هذا المعهد الأوروبي (وليس فرنسيا فقط) من فرع للرياضيات وآخر للفيزياء ، يوجد أستاذان دائمان للرياضيات حاز على ميدالية فيلدس وهما (P. Deligne) الذي بدأ أعماله بانشاء نظرية Structures ds Holge Mixte والتي أعمل فيها حاليا ، وتوج أعماله بحل R. Thom, Conhecture Mixte الذي أنشأ نظرية « الكوارث » (Catastroph theory)

وينتمي للمعهد ايضا أستاذان ملحقان ويصدر المعهد مجلة علمية باسمه ٠

ب ـ نموذج آخـر عن المعاهـد ـ مركز (Oberwolfach) في ألمانيا الغربية الذي أنشأته شركة (Volkswagen) في عهد هتلر ، ويعمل بأسهل الطرق ، ويتكلم فيه كثير من المبتدئين في البحث ، بعكس المعاهد السابقة ٠

ت ـ البلاد الصغيرة أو النامية ـ البلاد الصغيرة تستطيع انشاء معهد للبحوث أذكر منها معهد (Mittag Leffler) في السويد ٠ كذلك البلاد الناشئة ، فالهند مثـلا أنشأت مركـزا للبحوث في (Bombay) اشتهر بمستواه العالي ، وهو يدعو كثيرا من مشاهير الرياضة لالقاء المحاضرات فيه ، ويصدر سلسلة كتب في البحوث والجدير بالذكر ان الباحثين في الغرب يحبون كثيرا زيارة هذا المعهد ٠ ومن المعلوم ان مركز (Bombay) يشابه المراكز الغربية لدرجة انه طبق الاصل عنها ، وهكذا تمكنت الهند من صنـع القنبلة الذرية ، فبدلا من جعل الهند كامريكا ـ وذلك صعب جدا ـ كانت الفكرة اقامة مراكز بحوث تعادل مثيلاتها في البلاد المتقدمة ٠

وأخيرا توجد ما أسميه المعاهد المتنقلة وأعني بها الحلقات الدراسية التي تنظمها الجمعيات الرياضية في الجامعات (أو تنظمها الجامعات بالذات) ٠

٣ ـ البحوث في العالم العربي وفوائد انشاء مركز لها :

أ ـ نتبين مما سبق انه لا توجد حتى الآن أي محاولة جماعية لتنظيم البحث في داخل العالم العربي ، بالمعنى الذي يترك آثرا في النظريات العلمية الحديثة ، فقد قامت في العالم العربي عدة جامعات وعملت جهدها لرفع مستوى التعليم كي يوازي التعليم في الخارج ٠

(وهنا أسجل ان عدد التلاميذ العرب في الخارج يدل على

الحاجة الى المزيد من الجامعات في الوطن العربي) ويضطر أغلب الأساتذة الى التوقف عن متابعة البحوث الرياضية ازاء المجهود الكبير الذي يبذلونه في سبيل رفع مستوى التعليم • وقد أنشأت بعض الدول العربية مراكز للبحوث أعتقد أنها لا تحاول حتى الآن القيام بأبحاث تتفاعل مع البحوث العالمية حسب المقاييس السابقة الذكر ، وانما تكتفي بتقديم المنح للطلاب المتفوقين لاتمام دروسهم في الخارج دون تقديم أي مساعدة نظرية لهم لتوجيههم ، أي ان الصفة الادارية لهذه المراكز تغلب الصفة العلمية ، والامل كبير في أن يتمكن العرب من القيام بدور فعال في الرياضيات الحديثة اذ كان دور الباحثين العرب في تاريخ الرياضيات مشرفا للغاية ولم يقتصر على نقل الرياضيات عن اليونان وانما أضافوا كثيرا من الدراسة القيمة :

١ ــ تأمين التبادل الدائم بين الجامعات العربية والجامعات في الخارج •

٢ ــ اصدار مجلة علمية ذات مستوى عال تكون مقبولة لدى المعاهد العلمية الاخرى يشترك في ادارتها أحد الباحثين المعترف بهم دوليا ، ومن الذين حازوا على جائزة (Fields) مثلا •

٣ ــ انشاء حلقات دراسية ، يدعى اليها الباحثون من الخارج الى جانب الباحثين من الداخل •

٤ ــ تأمين حلقات دراسية تجمع بين الطلاب العرب حين عودتهم لقضاء فصل الصيف في البلاد العربية وتسهيل التعارف بين الأساتذة العرب •

٥ ــ يساعد المركز على انشاء جمعية عربية رياضية •

٦ ــ يؤمن المركز تأمين التمثيل العربي في المؤتمرات العالمية •

٧ ــ يساعد المركز على تأمين الأساتذة العرب للجامعات •

٨ – يقيم المركز دورات للتثقيف الدائم لأساتذة الجامعات المنقطعين عن البحث ·

وأخيرا أود الاشارة الى الصعوبات النفسية التي يواجهها الطلاب العرب (وحتى المتفوقون منهم) ازاء المجتمع المضاد لهم في الغرب ، والشعور بالضياع الذي يحدث بسبب فقدان الاتصال بالمراكز العربية ، زد على ذلك ان الصحافة العربية والسائحين العرب يصورون للطلاب أن وجودهم في الغرب سيجلب لهم اللهو والمرح ، ويتجاهلون تماما المصاعب التي تصادف هؤلاء الباحثين المبتدئين ولم أسمع صوتا واحدا ينبه لها ·

وأختم حديثي هذا بأن انشاء مركز عربي علمي مستقل عن الضغوط المحلية الخارجة عن العلم ضرورة لربط الجامعات العربية واستكمال البناء السليم للأمة العربية فضلا عن كون هؤلاء الباحثين قدوة لأبناء هذه الأمة ·

د· فؤاد الزين

● الدكتور فؤاد عضو في مجلس البحوث « جامعة باريس » وعضو منظمة البحوث الوطنية في جامعة (M.L.T.) الولايات المتحدة وهو نجل ابن عمنا محمد جواد الزين الذي امتاز على أقرانه وخلانه بطيبته ومحبته وخلقه الرضي وايمانه القوي ، كأنه النسخة المفردة لوالده العلامة الشيخ محمد رضا الزين رحمه الله ·

وما ورد في المقال من رياضة ورياضيون الخ لا يقصد به الرياضة البدنية ، بل ما يشمل علم الرياضيات من حساب وجبر وهندسة الخ ·

الشيخ أحمد رضا *

محاضرة : عبد اللطيف شرارة

الحديث عن رجل تعرفه يعيدك الى ماض معين من حياتك ، أيا كان بعد هذا الماضي أو قربه من حاضرك • وكان شوقي قد أوضح هذه الحقيقة في قوله •

وأمس كعاد وان كان منك قريب   الخيال مطيف الصور

وثمة حقيقة أخرى أعقد من هذه وأعسر منالا ، وهي أن معرفة الاشخاص تختلف بين حال وحال ، وزمان وزمان ، ومكان ومكان ، فقد يخيل للواحد منا انه يعرف شخصا ما ، لكثرة ما رآه ، أو سمعه ، أو تحدث اليه ، أو قرأ كتاباته أو اطلع على أعماله ، ولكنه يجد نفسه انه لم يكن يعرف ذلك الشخص معرفة تامة أو دقيقة ، حين يقع بين يديه مثلا كتاب أو رسالة أو أثر كان على جهل به ، في حياة ذلك الشخص ، وحتى خلال معرفته بـه !

كان أول ما عرفت العلامة المرحوم الشيخ احمد رضا في مستهل الثلاثينات من هذا القرن ، وكنت يومذاك تلميذا في ابتدائية النبطية الرسمية ، وراحت معرفتي تلك تنمو مع نموي ، وتزداد مع ازدياد سني ، وتتسع مع اتساع الآفاق أمامي ، في الكتب والحياة على السواء •

وعدت في الاربعينات الى منطقة النبطية ، لا الى النبطية نفسها ، وفي هذه المرة كنت معلما ابتدائيا لا تلميذا ابتدائيا ،

وكنت أحضر مجالس الشيخ أحمد رضا الادبية ، وأستمع الى تعليقاته ، وملاحظاته السياسية ـ الاجتماعية ، وحتى لانتقاداته اللغوية · وكانت انطباعاتي عنه ، وأنا أقارنه في سري بمن حوله كالشيخ سليمان ظاهر ، ومحمد علي الحوماني ، والشيخ علي الزين ، انه أهدأ الناس أعصابا ، وأوسعهم اطلاعا ، وأكثرهم مرونة ·

كان هذا هو الانطباع الذي أذكره وأحمله في نفسي عن الشيخ أحمد رضا · ثم لم يهتز ولم يتزعزع يوما من الايام ، بل كان يقوى ويشتد ويزيد رسوخا · كلما زادت معرفتي به ·

تلك ناحية مهمة ، جد مهمة في كيان ذلك الوجه الثقافي من وجوه جبل عامل ، فهي على التحقيق ، سر التكامل في شخصيته ، والاساس الوطيد الذي بنيت عليه تلك الشخصية في كل ما صدر عنها من أعمال وأقوال ·

لقد وصف أحد الروائيين المحدثين هذا النوع من الهدوء والمرونة في طباع أحد أبطاله ، فقال : « كان لديه في صميم الاعصار الذي يمزق السماء ··· مكان لهدوء مركزي » وحين قرأت هذه الجملة ، وأنا أطالع تلك الرواية ، تذكرت الشيخ أحمد رضا ·

أما الناحية الثانية التي أود أن أوضحها في شخصية الرجل ، والتي تبدو غامضة ، وحتى خافية على أكثر الذين عرفوه وكتبوا عنه ، فهي انه يمثل الى حد بعيد ، خلاصة النهضة الادبية التي عرفها لبنان في النصف الثاني من القرن الماضي ، وكأنه تتويج لتلك النهضة ، بمقدار ما هو انبثاق عنها ، أو مظهر متجدد من مظاهرها ·

ننتقل الآن من جبل عامل الى جبل لبنان في الربع الاخير من القرن الماضي ، حيث نجد ان المعلم بطرس البستاني قضى نحبه يوم كان الشيخ أحمد رضا في الحادية عشر من سنيه أي عام

١٨٨٣ ، وكان في الخامسة عشر يوم قضى أحمد فارس الشدياق وفي السابعة عشر يوم قضى الشيخ يوسف الاسير • وفي الرابعة والثلاثين يوم قضى الشيخ ابراهيم اليازجي ، وفي الاربعين يوم قضى الشيخ سعيد الشرتوني ، وفي الثامنة والخمسين يوم قضى جبر ضومط ، والشيخ عبد الله البستاني •

هؤلاء جميعهم : البستاني ، والشدياق ، والاسير ،واليازجي، والشرتوني ، وضومط ، صرفوا اهتمامهم أو معظمه الى الدراسات اللغوية والمباحث التاريخية والقضايا الادبية والاجتماعية وتلك بالضبط كانت حال الشيخ أحمد رضا •

نشأ اذن وشب عن الطوق في هذه الاجواء اللغوية التاريخية الأدبية • وكانت أسماء هؤلاء الأعلام الذين ذكرتهم تتردد على كل شفة ولسان هنا في لبنان ، وفي سائر الاقطار العربية من أقصاها الى أقصاها • وحين أنشأ الشيخ أحمد عارف الزين مجلة « العرفان » ومطبعتها في صيدا عام ١٩٠٩ ، أصبحت بعد فترة وجيزة من الزمن ، ملتقى الاقلام ، وبوق النهضة المتصاعدة الى جانب « الهلال » و « المقتطف » و « المشرق » وأعادت في صيدا وجبل عامل سيرة « الجوائب » ومطبعتها اللتين كان يشرف عليهما أحمد فارس الشدياق في الآستانة ، عاصمة السلطنة العثمانية •

كانت تلك النهضة تهدف أكثر ما تهدف الى احياء اللغة العربية ، وهذا الاحياء نفسه لم يكن الغاية القصوى التي تنتهي عندها المطامح وتقف الجهود والمساعي ، وانما كان وسيلة الى ايقاظ هؤلاء النيام الذين يتكلمون العربية ، وقد ران عليهم سبات دام قرابة خمسة قرون •

والواقع ان ركاكة التعبير هنا ، وفي كل أرض عربية ، كانت آفة تثير الاشمئزاز وتبعث على الغثيان ، لانها تشير أول ما تشير الى انتشار الأمية ، وسيادة الجهل ، وافتقاد الحس الجمالي، وغياب الانسان عن انسانيته ، وانغماسه في القشور ، وتحلله

من كل تبعة تجاه مواطنيه ·

يقول مارون عبود في كتابه « صقر لبنان » وهو يعني « الشدياق » في عرضه صورة ذلك العصر الادبية ما يلي :

« اني أذكر كما يذكر غيري ممن وقعوا على قصاصة من ذاك الانشاء الديواني تلك العبارة التي كان يكتبها المحقق العدلي : الضارب فر هاربا ولم عاد صار القاء القبض عليه » ·

وينقل من كتاب عربي ترجمه قبل أكثر من مائتي سنة شخص يبدو انه مغمور ، ترجمه عن الايطالية ، وهذا نموذج من بيانه العربي : « اعلم اننا قبل أن نشرع عما قاصدينه في هذا الكتاب يجب أن نخبر المطالعين والسامعين بأنا ، ولو أطللنا الشرح باسهاب كلي لكي يفهم جيدا مبدأ الشريعة وحسن نظامها ··· بما أنه واجب أن ترتشد به جميع الشعوب فمع ذلك نقول : انه ليس بضروري لهم علم كل ما نشرحه لكمال الزام الشريعة ولنيل المجد الابدي ، بل يكفي لكل منهم أن يعرف على مقدار زكاوة عقله ! » ·

أيها السيدات والسادة :

لم يكن من المعقول ، ولا من المقبول بحال ، أن يستمر ذلك الوضع الركيك ، بكل معاني الركاكة في التعبير ، والتفكير ، والذوق والاخلاق ، والعادات ، والتقاليد · وذلك هو السر الحقيقي الكامن وراء اندفاع المنورين من أبناء ذلك الجيل في دراسة اللغة ، والعناية بالنحو والصرف ، وتأليف المعاجم والقواميس ، والتشدد في ضبط الألسنة ، وحملها على التقيد بقواعد البلاغة والفصاحة ·

غير ان المنوّرين كانوا يصطدمون والاوضاع السائدة في المجتمع ، ولا يملكون وحدهم أن يقاوموا تلك الركاكة في كل منحى واتجاه ، فان مثل تلك المقاومة تفرض ، أول ما تفرض ، ايجاد المدارس الكافية للقضاء على الأمية ، ثم تدريب المعلمين

الأكفاء الذين يحسنون التعبير والتفكير والتدريس ، ثم توفير الوسائل الصحية اللازمة في البيت والمدرسة والمجتمع لصون الأبدان والعقول من مختلف الامراض والآفات ، وأخيرا تأمين المناخ السياسي الذي يكفل الحريات ، ويضمن الحقوق ، ويدرأ عوادي الفساد والانحلال والاجرام ٠

وهكذا ، نعم هكذا ٠٠٠ نفهم كيف ان رجلا كان معنيا باللغة ، والصرف ، والنحو ، والانشاء ، والشعر مثل الشيخ أحمد رضا يعمد الى انشاء مدرسة في النبطية ورعاية القسم الاكبر من شؤونها ، ويسعى الى تأليف جمعية لعلماء الدين في جبل عامل يتولى أمانة الصندوق في تنظيمها ، ويتصل بكبار العاملين في هذه الحقول من معاصريه مثل الأمير شكيب أرسلان ، والشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبد القادر المغربي ، وغيرهم من أعضاء المجامع العلمية في دمشق ، والقاهرة و بغداد ،ويضطر أخيرا الى خوض غمار السياسة في تلك الايام الحالكة ، ويبلغ من تورطه فيها درجة تُدني عنقه من حبل المشنقة ٠ كل ذلك لأنه أراد أن يخلص من ركاكة التعبير التي قدم لنا مارون عبود نماذج منها !

ولم تكن الحال في جبل لبنان أحسن مما كانت في جبل عامل ، اذا نحن استثنينا قضية المدارس ، اذ كان التنافس بين المذاهب المسيحية هناك ، وبين البروتستانت والكاثوليك خاصة ، على اكتساب المؤيدين ، يحمل الاطراف المتنافسة على انشاء المدارس وتعزيز المعاهد والمؤسسات الثقافية كالمطابع ، والصحف ، والاندية ، والجمعيات الرياضية والخطابية مما أفضى الى تكوين جيل جديد يتمتع بقسط وافر من المعلومات اللغوية والتاريخية والأدبية ٠

الا أن الآفة الكبرى التي كان يعاني منها ذلك العصر أمر المعاناة ، وأحفلها بالآلام والاوصاب والكوارث ، انما كانت في ذلك المناخ السياسي العام الذي نشأ مع انكسار فرنسا عام

١٨٧٠ ، وارتقاء ألمانيا سدة الصدارة في الشؤون الدولية ، اذ راحت تتجه بعد انتصارها في الربع الاخير من القرن الماضي ، نحو اعادة الامبراطورية الجرمانية التي كانت قائمة قبل أكثر من عشرة قرون سلفت ، وكانت لها صفة « القداسة » في القرون الوسطى ٠

ذلك بأن الفكر الذي كان يهيمن على ألمانيا ذلك الزمن ويوجه مجتمعها ، ويصرّف قادتها ، ذو منحى عنصري ، ونزعة استعلائية تجده أكثر ما تجده لدى نيتشه وتلامذته ومريديه ٠ وكان كل ما أحدثه نيتشه في عالم الفكر والاخلاق ينحصر أو يكاد في شيء واحد : ارادة القوة ، وحيازة القوة ، والعمل بما يقتضيه الابقاء على القوة ٠

ويشاء سوء الطالع أو المصادفة أو طبيعة الاشياء ــ وذلك هو الأصح ــ أن تنجرف السلطنة العثمانية في تيار ألمانيا ، وتتأثر بفكرها ، ثم يؤول بها هذا التأثر الى اصطناع أساليبها في الحكم والادارة والتعامل مع الشعوب الاخرى ، دون أن يكون لديها في ذلك الزمن ، شيء من تماسك ألمانيا وقدراتها العلمية والصناعية والعسكرية ٠

هذا التخبط الفكري المفجع الذي منيت به السلطنة العثمانية ، راح يتشعب ويتوسع ويتغلغل في مختلف نواحي حياتها ، وغدا مع الايام تخبطا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا في آن واحد ، لدرجة أنها سيقت الى خوض الحرب العالمية الأولى انحيازا منها لالمانيا دون الالتفات الى مصالحها ، ومستقبلها ، ومكانها من هذا الصراع ٠

ثم كان من نتائج ذلك التخبط العثماني الشامل ، ما شهدته بلادنا العربية ، ولبنان في مقدمتها ، من كوارث ومآس وفواجع لا حصر لها ٠ وكان لجبل عامل السهم الاوفر من تلك الفواجع والكوارث ، مما لا يزال يذكره المنوّرون وغير المنورين منا ، على نحو ما سمعتم من الاشخاص الذين حدثوكم عن ذكرياتهم

في الاسابيع القليلة الماضية ·

كان شيخنا يوم وقع الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ في السادسة والثلاثين من سنيه ، ويبدو انه آدرك بثاقب نظره هذا مصداق لما بينت في بداية هذا الحديث عن هدوئه ومرونته ـ ان ذلك الانقلاب ليس في مصلحة العرب ، ولا هو في مصلحة تركيا نفسها ، مع انه لقي فرحا غامرا ، وابتهاجا وهاجا في معظم الأوساط آنذاك ·

هاك ما يقوله شيخنا في تأبين المغفور له الامير شكيب آرسلان : « ··· كنت على أثر الانقلاب العثماني . واستيلاء الاتحاديين على سياسة الامبراطورية العثمانية وتوجيههم لها نحو الجهة العنصرية التركية ، ونفور العرب من هذا الاتجاه ، قد تحدثت معه (أي مع الامير شكيب) عن هذه الحال وما تؤول اليه ، فكان شديد التطير ، ومن جملة ما قال : ان هذه السياسة ، وهذا التفرق ما بين العرب والترك ··· سيجلب الضرر على الأمة العربية بانفصالها التام عن الاتراك ، وذلك أقصى أماني الاجانب المستعمرين الطامعين في تحطيم الاسلام والمسلمين ، وسترون بعد هذا من آلام الاستعمار الاجنبي ما لا يطاق » · (انتهى كلام الشيخ احمد) ·

ها هي مباديء العمل تتضح اتضاحا تاما في ذهن الشيخ أحمد ، ولم يبق أمامه سوى التطبيق ، ويمكن تلخيص تلك المباديء كما يلي :

١ ـ محاربة الجهل على كل صعيد ، والتزود بأكبر قدر ممكن من المعرفة ·

٢ ـ تهذيب ألسنة العرب والحيلولة دون سقوطها في هاوية الركاكة والابتذال ·

٣ ـ الدفاع عن الحقيقة ، في اللغة ، في التاريخ ، في الادب ، في الدين ، في المجتمع ·

٤ ـ مقاومة الاتجاهات العنصرية ، والعنعنات التي تمسخ الانسان وتشوه الحقائق .

٥ ـ الجهاد لتحقيق وحدة الاسلام والمسلمين .

لم تكن هذه المباديء في ذلك الزمن ، كما تبدو لنا اليوم ، أي من الوضوح بمنزلة تبلغ حد الاشراق ، وانما كانت تلاقي من يجادل فيها ، ويأبى اقرارها والاخذ بها ، ويعمل على مقاومتها حتى من الناحية النظرية الخالصة . والذين كانوا يجادلون فيها هم الذين يحسبون أن تفشي الجهالة في المجتمعات العربية مثلا ، يؤمن لهم السيادة عليها ، ويصون مقاماتهم ، ويحفظ امتيازاتهم ، فلا داعي اذن لانشاء المدارس ، ولا معنى للاهتمام بالعامة وتهذيب ألسنتها !

واذا كان هذا هو الموقف النظري الذي كانت تتخذه سلطات ذلك الزمان من محاربة الجهل ، ومن بقية المباديء التي اعتنقها شيخنا ومضى في تطبيقها ، فكيف يكون موقفها العملي ؟

هنا ، يجب أن نتذكر ـ أيها السيدات والسادة ـ ان جيل الشيخ أحمد رضا تفتح أول ما تفتح على دنيا هي الظلم ، وهي الظلام : السلطان فيها عبد الحميد الثاني الطاغية الشهير ، وأمور الناس وأعراضهم وأموالهم بأيدي أعوانه من الارذال والجواسيس والمرتشين والاقطاعيين الذين لا يتورعون عن جريمة مهما عظمت ، ولا يخشون عقوبة على أذى يلحقونه بانسان أيا كان ، وجمهرة الشعب رازحة تحت كوابيس الفقر والتعصب البغيض ، والخرافات ، والجمود الروحي والفكري . وأبناء العربية من كل صقع ، تائهون في مجاهل وأدغال مخوفة من السياسات المحلية الضيقة والعنعنات البالية المهترئة ، ودول أوروبا في الخارج تتوثب مجتمعة ومنفردة ، للانقضاض على الرجل المريض آنذاك ـ وهو السلطنة العثمانية ـ لتتناهب فيما بينها تركته ، وتتوزع مناطق النفوذ في العالم ، ولا هم لها سوى التوسع بقوة الحراب فوق أكبر رقعة ممكنة من أديم الارض ،

والمجتمعات هنا ، وفي كل مكان تحيا بلا حياة ، وتموت بلا هدف، شأن السوائم بلا راع ولا مرشد أمين •

ذلك هو الموقف العملي الذي اتخذته سلطات ذلك الزمان وتلك هي نتائجه في آن واحد ، ولم يكن ليفصل بين الانقلاب العثماني وأول حرب عالمية كبرى سوى ست سنوات ، والنتيجة واحدة : انهيار السلطنة ، وانكسار ألمانيا ، وعودة الصدارة في الشؤون الدولية لبريطانيا وفرنسا •

هناك مذكرات مخطوطة كتبها شيخنا عن تلك الفترة ، فترة الحرب العالمية الأولى ، تحدث بها عن رفاقه : رياض الصلح ، وعبد الكريم الخليل ، وأبناء المحمصاني ، وغيرهم ممن زجهم جمال باشا في السجن ، في عاليه ، تمهيدا لمحاكمتهم ، وهم الذين رفضوا العنصرية التركية ، فأعدم منهم من أعدم ، ونجا من نجا •

غير ان الذين أفلتوا من مشانق تركيا ، ومنهم الشيخ أحمد ، حلت بهم نكبة لا تقل عن سابقتها ألا وهي «العنصرية التمدينية» ذات الرأسين : الانكليز والفرنسيين ، اذ حسب فرنسيو ذلك العهد ، ردا منهم على ألمانيا وتركيا ، انهم انما قدموا الى هذه الديار المتوحشة ليمدنوا أبناءها لا أقل ولا أكثر ، وهم لم يفعلوا ذلك الا قياما بمهمة انتدبتهم لها عصبة الأمم ، ثم لم يحدثونا ، أو أنهم نسوا أن يحدثونا ، كيف ذهبوا الى الجزائر ، ومن بعدها الى تونس ، ومن بعد تونس الى مراكش يومذاك وهي المغرب اليوم ، وما هي المهمات التي فرض عليهم أن يؤدوها قبلا في تلك البلاد ومن هي الهيئة الدولية التي فرضت عليهم اداءها ؟!

واذا كان الفرنسيون ــ وأعني بعضهم لا كلهم ــ قد غفلوا عن تاريخهم ذاك ، أو أغفلوه عمدا ، فان المنوّرين في ديارنا ، وفي فرنسا نفسها لم يغفلوا عن الحقيقة ، ولا انخدعوا بعصبة الأمم ، ولا ببنود الرئيس الاميركي وودرو ويلسن الاربعة

عشر ، بله ان تخدعهم مهمات التمدين !

هكذا ··· وعلى هذا النحو ، بدأ الصراع من جديد ، بين الوطنيين في هذه البلاد وغيرها ، « الممدنين » القادمين من أوروبا على اختلاف أسمائهم ، وعناوينهم ، وألسنتهم ·

الا أن الشيخ أحمد التزم هذه المرة جانب الحذر في ممارسة السياسة ، وانصرف منذ العام ١٩٢٠ الى متابعة دراساته اللغوية ، وأعماله التجارية ، ومباحثه الفكرية ، محتفظا في الوقت نفسه بمواقفه الوطنية وعلاقاته السابقة ، راسخ القدم في التشبث بمبادئه الخمسة التي بينتها قبل قليل ·

وفي ذلك العام ــ ١٩٢٠ ــ انتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق وكان اختياره ذاك مستندا الى دراسات تاريخية وفكرية قيمة لا أملك أن أتحدث عنها بالتفصيل ، ولكني أشير الى ثلاث منها : الأولى نشرت في « المقتطف » عام ١٩١٠ في عدة مقالات بعنوان « المتاولة أو الشيعة في جبل عامل » ، وقد أحدثت صدى بعيدا يومذاك ، وتناولها الباحثون والمؤرخون بالتعليق ، منهم ثقة الاسلام علي بن موسى التبريزي ، وأثبتها الامير شكيب أرسلان في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، وكان من آثرها أن تغيرت الى حد كبير نظرة المثقفين والدارسين الى هذه الفئة التي يطلق عليها اسم « المتاولة » في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ·

أما دراساته الثانية ، فقد تناولت موضوعا فكريا دقيقا هو « التقية في الاسلام » ونشرت في المجلد الثالث من « العرفان » أي سنة ١٩١١ على مدى أربعة أجزاء ، وليست التقية هذه كفكرة وكعمل سوى أسلوب تتبعه المقاومة ، أية مقاومة ، في كتمان أمرها ، اتقاء للاعداء الذين يتعقبونها ويريدون القضاء عليها · فالذين كانوا يحاربون موسوليني في ايطاليا مثلا عملوا بمبدأ التقية ، وأنصار ديغول داخل فرنسا في عهد فيشي وحكومة الماريشال بيتان عمدوا الى التقية ، وهذا هو الأسلوب الذي

اتبعه أنصار آل البيت من الشيعة وغير الشيعة بعد مصرع الامام الحسين ، ثم في ظل السلطة العباسية من بعد ، في بغداد وغير بغداد .

ونأتي الى الدراسة الثالثة ، وهي من أطرف الدراسات وأحفلها بالجهد والجلد ، وأكثرها الحاحا على المتابعة ، ألا وهي « رد العامي الى الفصيح » ، وقد صدرت في كتاب عام ١٩٥٢ ، عن دار العرفان ، وقدّم لها الشيخ سليمان ظاهر ، وبيّن في مقدمته هذه ان الشيخ أحمد كان « يأخذ الكلمات العامية عن العوام كما يلفظونها في موارد استعمالها ، في مرافق حياتهم بمختلف صناعاتها وحرفها ، فكان يسأل ولا يمل من السؤال كل ذي حرفة عن أدواتها ولا يستنكف من ذلك ، ويقيدها ثم يعرضها على أمهات الكتب اللغوية كلسان العرب والتاج ، والمخصص وسواها ، فيخرج بنتيجة صحة عربية حملها ببحث فيه الدقة والعمق ، مؤيد بالبرهان ، معزز بالشواهد ، ولم يكد يغفل شيئا مما يدور على ألسنة العامة في ديار الشام ، وبعض ما انتهى اليه علمه مما يدور على ألسنة الاقطار العربية الاخرى .. » (انتهى كلام الشيخ سليمان) .

هذا هو بالضبط ما يسمونه اليوم في الجامعات ، وفي الحلقات العلمية « دراسة ميدانية » .

تصوروا شيخا معمما يطوف على الحدادين والنجارين والبنائين والندافين والاسكافيين والسمكريين ، وسائر أصحاب الحرف ليسألهم عن أدوات أعمالهم ، ويتأمل طرائق تعبيرهم وألفاظهم فيسجل ملاحظاته ، ويستنطق القواميس من بعد ، ليعرف ماضي تلك التعبيرات والالفاظ .. أليس في ذلك من الطرافة ما يثير الدهشة ؟ ولكن ذلك هو العلم ، والاخلاص للعلم ، وذلك هو الوفاء للاجداد ولسان الاجداد !

واذا أنتم تمثلتم ذلك وما يقتضيه من جهد وجلد ، يصبح من السهل تبين الدقة في الرسالة التي وجهها اليه رئيس المجمع

العلمي العربي بدمشق ، وهذا بعض ما جاء فيها : « كتابي اليكم والمجمع في جلسته الثمانين المنعقدة لاثني عشر يوما خلت من شهر تشرين الاول سنة عشرين وتسعماية وألف ، قد قرر انتخابكم عضو شرف لما يعهد فيكم من الكتابة في العلم ، والتمكن من آداب اللغة العربية التي نعدكم من فرسانها لما قمتم به من الخدمات الجلي بلسانها ، ولذلك يرجو مجمعنا هذا الصغير بأعماله اليوم ، الكبير بآماله ، أن يصل بكم حبله ، ويشد بمعاضدتكم عضده ... » .

وكان هذا التقدير من جانب أعضاء المجمع الدمشقي ، حافزا لشيخنا على متابعة الجهد ، فوضع مجموعة أبحاث لغوية صدرت بعنوان « مولد اللغة » وكانت من بعد مقدمة لمعجمه الكبير « متن اللغة » ، وقد سبقتها « رسالة الخط » وهي من أنفس المباحث ، وأحفلها بالفوائد .

ها نحن نصل الى أهم أثر من آثاره ، أعني الى المعجم الذي استغرق من وقته قرابة عشرين عاما ، وكان المجمع العلمي العربي قد انتدبه لوضعه ، على أن يضم بين دفتيه الكلمات المستحدثة للاشياء المستحدثة في شتى فروع المعرفة . وهنا نجده أيضا يدرس المقادير عند العرب مما لا نعثر عليه في أي من المعاجم ، قديمة كانت أم حديثة .

نجده يحدثنا عن وحدة الثقل « الحبة » . ووحدة المقاييس « الذراع » ووحدة المكاييل « المد » ، ثم عن الدرهم والمثقال الشرعيين ، والاقة ، والرطل ، والقيراط ، والقمحة .

هذه المقادير القديمة التي ظلت قيد الاستعمال حتى أواخر الدولة العثمانية أهملت من بعد ، وحل محلها الكيلو والغرام في الأوزان ، والمتر في المقاييس ، والليتر في المكاييل . وهنا تجد ، أي في الجزء الاول من هذا المعجم ، معجم « متن اللغة » جداول مفصلة للمقاييس والأوزان والمكاييل وما يقابلها أو يوازيها من الوحدات الحديثة في المتر وأجزائه أو أضعافه وفي

الغرام وأجزائه أو أضعافه ، وبذلك تعرف مثلا ، وربما لاول مرة في حياتك ، ان النقير يساوي جزءا من مليون و٩٣٠ ألف من الغرام ، ويتضح لديك الوصف الذي يصف به العرب الفقير حين يقولون انه « لا يملك شروى نقير » كما يتضح لديك الفرسخ ، والصاع ، والأوقية ، الى آخر ما هنالك من أشياء تقع عليها في مؤلفات الاقدمين ، ولا يدرك المحدثون منها شيئا .

تلك أولى المزايا الفائقة التي يتفرد بها « متن اللغة » ، والمزية الثانية أن مؤلفه وضع بيانا بالكلمات الطارئة التي أقرتها مجامع اللغة ، أو استحدثها العلماء أمثال الأب انستاس الكرملي وأحمد تيمور والشيخ أحمد رضا نفسه ، وقد جمعها فبلغ عددها ٧٥٨ كلمة .

أما الميزة الثالثة والاخيرة التي تجعل هذا القاموس فريدا في قيمته ، عظيما في نفعه ، فهي انه خلاصة نحو من ثلاثين تجربة مهمة في هذا النوع من التأليف ، وهي التجارب التي بدأت في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة على يد الفراهيدي صاحب « كتاب العين » ، والتي يتابعها اليوم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، وكان علامتنا هذا قد أثنى على معجم « متن اللغة » ، يوم كان مخطوطة في أدراج مؤلفه ، اذ اطلع عليه قبل أن ينشر ، وكتب عنه ، في مجلة « الاديب » .

وكان الشيخ أحمد قد فكر في طلبة المدارس ، بعد أن فرغ من معجمه المطول ، ووضع لهم ملخصين : « الوسيط في متن اللغة » و « الموجز » يعمل الآن نجله الدكتور نزار على تنسيقهما واظهارهما ، كما يعمل في الوقت نفسه على نشر كتاب كان والده قد سماه «التذكرة في الاسماء المنتخبة للمعاني المستحدثة» .

بقي علي أن أحدثكم ــ أيها السيدات والسادة ! ــ عن جانب آخر من شخصية الشيخ أحمد ، وهو « شاعريته » ، هذه الشاعرية التي طغت عليها جهوده المعروفة في الادب والتاريخ والفكر

واللغة ، وطمستها الى حد بعيد أو كادت تطمسها · ثم لا يصح أن ننسى أيضا أن شيخنا كان يمارس التجارة مع ذلك كله ، وكانت تجارته تستغرق قسما كبيرا من وقته ، فقد اطلعت على ترجمة لحياته بقلمه ، أنقل لكم منها هذه الفقرة : « ولدت في النبطية ضحى يوم الاربعاء لثلاثة أيام بقيت من ربيع الاول الانور سنة ١٢٩٨هـ ، وهو اليوم الرابع من شهر حزيران سنة ١٨٧٢ ·· » وينهي هذه الترجمة بقوله : « ··· وحين وقفت مدرسة السيد حسن بن يوسف سنة ١٣٢٠هـ انصرفت الى التجارة » ·

ولكن هذا التاجر ، العالم ، المفكر ، المؤرخ ، اللغوي كان شاعرا أيضا ، وأغرب ما في شاعريته أنها كانت تقتصر عفويا ، ومن تلقاء ذاتها على الجوانب العاطفية الخالصة من تجاربه النفسية ، بمعنى ان وجدانه لم يكن ينصرف الى الشعر أو الى التفكير في نظم الشعر الا تلبية لحالة وجدانية تستلزم بطبيعتها أن تمتزج الكلمات بالموسيقى وأن يرافق النغم الداخلي حديث الذات عن ذاتها ، فلا نجد لديه كمعاصريه من الشعراء أمثال الشيخ عبد الحسين صادق في جبل عامل والشيخ محمد رضا الشبيبي في العراق ، لا نجد له قصائد في الوصف مثلا ، أو في الغزل ، أو في سائر الموضوعات الشعرية المتداولة في ايامه الا على وجه الندرة ·

هناك تجربتان قاسيتان في حياته : الأولى تلك الغربة الروحية التي كان يعانيها في ذلك المناخ الاجتماعي السياسي الذي وصفناه آنفا ، وكان يشكوه في معظم أشعاره ، بل كلها تقريبا :

تمرست بالأيام حتى خبرتها
فلم أرها ترعى لذي شرف عهدا
وقلبت أبناء الزمان فلم أجد
خليلا أصافيه ، فيصفي لي الودا

وهو لا يشكو من فاقة ، أو من علة ، أو من وضع خاص :

ولكنه حب لقومي غذيته
وسار مسار الروح في الدم واللحم
يسوقهم للذل سوقا رعاتهم
ألا ارفق بمن ترعاه يا راعي البهم!
تسابق في استرقاقهم زعماؤهم
شفاء لغيظ ، أو وصولا الى غنم

أما التجربة الثانية ، وكانت في الذروة من الشدة والقساوة، فهي وفاة أكبر أبنائه الدكتور محمد علي عام ١٩٤٨ ، اذ انهارت بهذه الفاجعة آماله ، وازداد معها شعوره بالغربة ، فراح يرثيه ، ولا يجد من عزاء الا في تذكره والبكاء عليه :

واليوم مذ هاض الزمان جوانحي
ورمى مجامع شملنا بشتات
حال الربيع بناظري وتحولت
أنوار أيامي الى ظلمات
هيهات أن يشفي جراحي بعدما
قد غيبوا رهن الضريح أساتي

ثم أضيفت الى هذه النكبة الخاصة ، نكبة العرب عامة بفلسطين ، في تلك السنة نفسها ، وقد عاش بعدها خمس سنوات قضاها في وحشة واكتئاب وهو يشهد المبادىء التي جاهد في سبيلها تلاقي الضربة تلو الضربة من أعدائها وأعدائه على السواء ، ولم يستطع أن يتحمل أكثر مما تحمل ، فرزح وهو في الواحدة والثمانين من سنيه ، بيد أنه ظل ، بعد وفاته ، علما من أعلام العروبة والاسلام ، في هذا القرن ٠

ذلك بأن سيرته وحدها ، وما تنطوي عليه من مبادىء ، وجهاد ، وشموخ ، ووطنية واخلاص للعلم ، تؤلف أعظم أثر في حياة وطنه ، وأمته ، ومجتمعه ، يضاف الى آثاره الادبية والفكرية واللغوية ، وتشكل للاجيال الحاضرة والمقبلة أحسن قدوة ، وأعظم أسوة ٠

ابواب العرفان

رسائل الادباء

الاخ الاستاذ عيسى فتوح

تسلمت عدة أعداد من جريدة « تشرين » السورية الغراء ، ومهما حاولتم أن تقدروا فرحي بمقالكم القيم « من أجل نافذة لمحمد زفزاف » المنشور في الصفحة السابعة من العدد ١٦٩٠ تاريخ ٢٥/١١/١٩٨٠ ، فلن تستطيعوا ، ذلك أنني أحسست بصدق الأدب العربي في المغرب الحبيب يتردد في أرجاء سورية الشقيقة ، اذ ذاك حمدت الله على أن الرسائل المتبادلة بيننا ، قد نسفت البعد الجغرافي والعوامل الاخرى التي تحول دون تفاعلنا · الا أنني ـ وأثناء اطلاعي على الأعداد الآنفة الذكر ـ ارتأيت أن أصحح بعض الآراء التي لا تتحملون أدنى مسؤولية في طرحها ، لأنها شائعة هنا وهناك ، ولم تجد حتى الآن من ينهض لتقويمها ، وأؤكد مرة أخرى أن هذه الآراء الخاطئة في نظري ولدى الكثيرين ، لا تعود في الاساس الى مضمون مقالكم ، بل الى الفقرات المستمدة من الاستجواب الذي أجراه ادريس الخوري مع محمد زفزاف ، وليس الهدف من تصحيحه هذا الا وضع النقاط على الحروف ، وارجاع الامور الى نصابها ، كما يقال في مثل هذه الحال ·

أجل ! انني متفائل جدا ـ حسب رأيكم ـ وبالفعل ، فانني متفائل الى أبعد الحدود · لماذا ؟ ان اهتمامي الكبير والمتواضع في آن بالأدب المغربي والثقافة المغربية بصفة عامة ، وما يتعلق بهذا الحقل الواسع من نشر وتوزيع ··· هو الذي حفزني الى هذا التفاؤل · فنحن لا نعاني أزمة نشر ، بل العكس هو الصحيح ، والأدلة على ذلك كثيرة جدا وهي كما يلي :

أولا : ان أغلبية النقاد والشعراء والروائيين والقصاصين أساتذة ، اما في جامعات ، أو في كليات ، أو في معاهد عليا ، أو في ثانويات ، ما علاقة هذا بالنشر ؟•

العلاقة حميمة ، فالأجور المرتفعة بطبيعة الحال ، قادرة على أن تسدد تكاليف الطبع والنشر والتوزيع ، ولهذا نرى الكثيرين من أدبائنا يصدرون كتابين أو ثلاثة خلال السنة الواحدة •

ثانيا : هناك دور نشر بالمجان ، لكنها تشترط الجودة شكلا ومضمونا ، وأذكر على سبيل المثال « دار النشر المغربية » التي أصدرت لادريس الخوري نفسه طبعتين من مجموعته القصصية « ظلال » ، والحقيقة التي لا مراء فيها أن ادريس الخوري هذا ، قاص مغربي ذو شهرة واسعة النطاق ، نظرا لقيمة قصصه الفنية ، ورصده لحالات اجتماعية دقيقة ، وهناك مجموعة شعرية للشاعر الكبير محمد الفرقاني ••• وهناك عدد كبير لا يحصى من المجموعات الشعرية والقصصية الصادرة عن هذه الدار • ثم « دار الثقافة » التي نشرت نتاجات ابداعية عديدة ، ككتاب « الشعر الوطني في عهد الحماية » للدكتور ابراهيم السولامي ، وكتاب آخر له بعنوان « تأملات في الادب المعاصر » و « دار الرشاد الحديثة » التي لم تكتف بنشر ابداعات مغربية ، بل تجاوزتها الى أخرى مشرقية كديوان « الفارس والعتمة » للشاعر السوري محمد حمدان ••• ومطبعة « الرسالة » التي يرجع لها الفضل في ابراز نتاجات الأحياء والاموات على السواء •

واذا أضفنا الى هذه الدور الجهد الذي بذله اتحاد الكتاب في المغرب في مجال النشر ، كديوان محمد الاشعري « صهيل الخيل الجريحة » ورواية « أبراج المدينة » والعمل المشكور لاتحاد الكتاب العرب بسورية بنشر مجموعات قصصية وشعرية منها « دائرة الكسوف » لمصطفى يعلى » و « عيون تحت الليل » لمبارك الدريبي ، وكتب لكل من محمد أديب السلاوي ومحمد

الطوبي ••• اذا أضفنا هذه الجهود الكبيرة الى ما قلناه سابقا ، فيتجلى لنا أن أزمة النشر غير موجودة بتاتا في المغرب ، ونسيت أن أشير الى « نادي القلم » بالدار البيضاء الذي نشر لشاعر واحد خمسة دواوين ، فما بالكم بالأدباء الآخرين ؟•

ان تفاؤلي مستمد من الواقع الزاخر بالعطاء الذي أحياه ، وكل انسان ينطلق من خلفيات ، لا بد أن يخطيء في التصور ، أما الذي ينطلق من الصفر ـ تبعا لقواعد «ديكارت الاساسية» ـ أي الذي لا يرتكز على نوايا مسبقة ، فستكون الحقيقة ، ولا شيء سواها ، مرماه •

ونقطة أخرى بدت لي وأنا أتمعن الفقرة التي تتعلق بجريدة « العلم » ، فالذي لا يجهله أحد من مؤرخي الحركة الادبية أن زفزاف والخوري والسولامي والاشعري والطريبق حسن ••• وغيرهم كثير لا يحصى ، يرجع الفضل في تكوينهم واثراء تجربتهم الادبية الى جريدة العلم وأسرتها التي ما فتئت حتى الآن تسد فراغا فسيحا في الساحة الثقافية ، ويمكنكم الاطلاع على العدد الخاص بالأدب المغربي من مجلة « الآداب » اللبنانية لتتأكدوا من صحة قولي •

فلا ينبغي ـ والحالة هذه ـ أن ننكر جهود هذه الجريدة وما حققته من مكاسب أدبية طوال نصف قرن تقريبا •

كما لا ينبغي أن نتناسى دور الأدباء الاوائل في ارساء قواعد القصة المغربية والشعر المغربي، اذ بفضلهم وتشجيعهم للمناقشة استطاع الأدب المغربي أن يصمد أمام مختلف التيارات والاحباطات •

والمسألة العامة هي أن الادب المغربي لا يمثله محمد زفزاف فقط ، بل كل الأدباء الموجودين على الساحة المغربية ، والذي دفعني الى هذه الملاحظة هو أن الاغلبية من اخواننا في المشرق العربي ، يتناولون الادب المغربي من خلال زفزاف ، بينما ـ والحمد لله ـ يتوفر المغرب على مئات الشعراء والقصاصين

والروائيين الذين يبدعون باستمرار ، وأثبتوا حضورهم الادبي فعلى مستوى الرواية هناك : الحمداني حميد ، ومبارك ربيع ، وابراهيم بوعلو ، وعبد الكريم غلاب ، ومحمد الاحسايني ... وعلى مستوى القصة هناك : الميلودي شغموم ، وعبد القادر السحيمي ، ومحمد قنديل ، ومصطفى اجماهري ، ومحمد صوف ، وأحمد بطا ، وبوشته حاضي ، وأحمد المديني ، وعبد الكريم التمسماني ، ومحمد المصباحي ، ومبارك الدريبي ، وادريس الصغير ، وعبد الرحيم مودن ، ومصطفى يعلى ... وعلى مستوى الشعر هناك : حسن الطريبق ، ومحمد الاشعري ، ومحمد الحبيب الفرقاني ، ومحمد الحلوى ، وعبد الكريم بن ثابت ، ورشيد المومني ، وأحمد المجاطي ، ومصطفى المعداوي ، وعبد العلي الودغيري ... وعلى المستوى النقدي هناك : محمد براده ، وعبد الله كنون ، ونجيب العوفي ، وابراهيم الخطيب ، وادريس الناقوري ... وأسماء أخرى لا تحضرني الآن ، لأنني أرتجل هذه الكلمة على صفحات رسالتي هذه ، وعلى كل فللموضوع بقية ...

العربي بنجلون
القنيطرة — المغرب

الزعيـم الحـق

● ليس أهلا للزعامة من لا يفهم نفسه على حقيقتها ، ولا يستطيع أن يكبح جماحها ، فالزعامة تعني خدمة الآخرين ولا تعني تمجيد الذات أو الزهو أو اشباع الرغبات والنزوات . فاذا كنت زعيما — أو أردت أن تكون زعيما — فيجب أن تحدد هدفك بوضوح ، ثم تحدد كل خطوة تخطوها للوصول الى ذلك الهدف . ولكي تثير حماسة الناس لفكرة ما ، يجب أن تكون أنت سواك .

مختارات الصحف

الفكر الاسلامي •• ومسئوليات قرن جديد
فتح باب الاجتهاد يقتضي ضمان حريات المجتهدين
التعميم لم يعد كافيا •• والتعامل مع العصر بحاجة الى صياغة جديدة •••

بقلم : الدكتور محمد فتحي عثمان

المسلمون مدعوون لأن يستقبلوا هذا القرن الجديد بنهج ايجابي يزيد من حيويتهم وقدراتهم وفعاليتهم ، فلا يقنعوا بالتحسر على الماضي المجيد ، ولا يقنطوا من تغيير الحاضر المتخلف والامل في مستقبل أفضل •

والفكر الاسلامي أحوج ما يكون الى النهوض والانطلاق •• فلم يعد يكفي العقول تلك التعميمات والاطلاقات التي تؤكد ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، بل لا بد من تفصيل وتدقيق لتبيين أن الاسلام صالح لعلاج مشكلات زماننا ومجتمعاتنا •• واذ كانت التعميمات قد فعلت شيئا فيما مضى لاعادة ثقة المسلمين في دينهم وأنفسهم حين تعرض كيانهم المتداعي للهجمات الضروس ، وحين بلغ منهم اليأس مبلغه ورأى بعضهم أمل الانقاذ في الانسلاخ من تاريخهم وشخصيتهم ومتابعة « الغرب » المظفر في كل شيء » « ما تحب منه وما نكره » وانقياد أكثرهم لهذا الرأي ، فان العبارات الساذجة المتفائلة لم تعد تغني العقل الاسلامي المعاصر فضلا عن غيره ، وهو يحتاج الى معالجة أكثر تعمقا لمشكلات المسلم ــ والانسان بوجه عام ــ في القرن الجديد •

من التعميم الى التحديد :

ويتندر البعض للاقوال المجملة المتفائلة عن الاسلام بأن هذه طبيعة « الدين » الذي يخاطب به منزل الكتاب مختلف العقول أفرادا وجماعات في مختلف العصور والبيئات ••• ولا ينكر أحد

طبيعة « الدين » ورسالته العامة الخالدة ، ولكن واجب المسلمين في كل عصر ومصر أن يحيلوا المبادىء العامة الى صيغ أكثر تحديدا تعالج المشكلات القائمة معالجة خاصة ، وتخاطب الناس بما يفهمون وتبين لهم طريق الخرص مما يعانون بالذات ولا تضيع في تيه التعميمات السطحية التي لا تحدد الداء أو الدواء ، ولعلها تقنع بترداد أن الداء العياء هو غفلة الناس عن ربهم وان الدواء الفرد هو رجوعهم اليه !· وليس ثمة اختلاف في أن هذا هو الاصل العام بالنسبة لدعاة أي دين ، ولكن يبقى بعد ذلك واجب « المفكر » الذي يختلف عن واجب « الواعظ » وهو أن يبرز « المشكلة » في الانحراف عن الدين ، ويحدد « العلاج » في تعاليم الدين ، في بيان مفصل دقيق ·

ومهمة « المفكر » بطبيعتها محدودة بحدود زمانه ومكانه ، فينبغي ألا يخشى الخطأ والقصور ، وينبغي ألا يخشى الحوار والنقاش ، ولا يحسبن أن اختلاف الآراء مما يذهب بروعة الدين ووحدة المؤمنين ··· ان مهمة المفكرين ليست أن يصوغوا دينا عاما خالدا تقبله الانسانية في جميع عصورها ومجتمعاتها فهذا ما استأثر به رب الناس اله الناس الذي نزّل الكتاب « تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ··· وانما مهمة المفكرين أن يقدموا « فكرا بشريا » واجتهادا انسانيا يستلهم مبادىء الدين وأصوله ليصوغ تعاليم الدين الخالدة في قوالب أكثر تجديدا وتفصيلا وأقرب لمعالجة الواقع الذي يعايشه الناس وأبعد عن التجريد والتعميم ·· وهي بطبيعة ملامسة الواقع وتفصيل القول أدعى لاختلاف وجهات النظر وأولى بموالاة التعديل ابتغاء الافضل والاكثر ملاءمة للواقع المتغير دائما ··· ومن ثم فلا حرج أن تختلف الآراء في شأن من الشئون وان كانت كلها تستلهم مصدرا واحدا ، بل لا حرج أن يختلف رأي المفكر الواحد من وقت لآخر ، فيصدر منه رأيان متباينان وفقا لتغير نظره ، فيكون ذاك على ما « قضى » وهذا ما « يقضي » ··· وتشهد بهذه « الديناميكية » الرائعة ذخائر

الفكر الاسلامي منذ عهد رسول الاسلام صلوات الله عليه الذي علّم أمته بمحكم قوله : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الا فزوروها ... » . « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي ، انما كان ذلك لاجل الدافة ... » وسواء أكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم اجتهادا بالرأي تغير ، أم كان تشريعا موحى به نسخ ، فان الحقيقة تبقى قائمة تعلم المسلمين كيف يواجهون الظروف بالأحكام المتباينة وكيف يواجهون بحركة الفكر و « ديالكتيكيته » ، حركة المادة والاحياء في هذا الكون و « ديناميته » ... ثم تتوالى الشواهد على هذه الدينامية في أحكام الخليفة الراشد عمر واجتهاداته ، وفي فقه مالك الاخذ بالمصلحة المعتبرة المرسلة وفقه أبي حنيفة الاخذ بالاستحسان ، وفقه الشافعي المنتقل من القديم للجديد بحسب ما تغير من ظروف الامام المجتهد ومن ظروف الناس ، وفقه مجتهدي الاسلام رضي الله عنهم أجمعين .

العالم يتطور :

وليأخذ المسلمون ومفكروهم من تطور الفكر العالمي خلال القرن العشرين الميلادي وحده العبرة والمثال . فالليبرالية « الكلاسيكية » المطلقة المعروفة منذ الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر (الميلادي) والتي لا ترى قيدا على حرية الفرد أكثر من واجب ضمان حريات الافراد الآخرين ، قد تعرضت لتعديلات وتعديلات في المجالات الاقتصادية والسياسية فاضطرت الولايات المتحدة الامريكية ازاء كساد الثلاثينات من القرن العشرين الى (سياسة النيوديل **New Deal**) التي تعلن ضرورة التدخل الحكومي في مجال التنظيم الاقتصادي وتعلن بذلك خطأ نظرية « التوازن الميكانيكي » المفروض في السوق بالنسبة للعرض والطلب ، وفي غير ذلك من صور « الاتساق » الطبيعي المزعوم في المجالات الاقتصادية ... واضطرت بريطانيا ازاء أزمات الحرب العالمية الاخيرة وما بعدها الى صور

متزايدة من التدخل الحكومي لضمان عدالة التوزيع والتأمين الاجتماعي ، وارتأى الاقتصادي البريطاني المعروف « كينز » في « الانفاق الحكومي » ضرورة لتعديل المسيرة الاقتصادية ومواجهة الانكماش والبطالة ، ولم يعد « سعر الفائدة » وحده هو العصا السحرية التي تعدل ميزان الاقتصاد ·

وتزايدت أهمية العمال الفنيين الخبراء ، ناهيك « بالتأميم» لبعض مرافق الانتاج والخدمات تحت حكم العمال ، الى جانب الضرائب التصاعدية على الدخول المتطورة والمعقدة نتيجة التقدم التكنولوجي الهائل فغدوا قوة ضاغطة لها وزنها وحسابها ازاء قوة رأس المال ، ولم يعودوا مجرد « ناخبين » كل قوتهم في أصواتهم ، بل مارسوا حقوقهم النقابية وسائر حقوقهم في الاجتماع والتظاهر والاضراب ·

بل استخدموا العنف في بريطانيا ، موطن الديمقراطية الكلاسيكية ، حتى شكت الحكومة العمالية من أن العنف العمالي يهدد حقوق السلطة التشريعية والنظام البرلماني الحزبي العريق في بريطانيا ·· وارتأت فرنسا بعد حركات الطلاب في الستينات أن تعدل عن فكرة « رئيس الدولة » (الرمز) الذي يملك ولا يحكم ، واستشعرت منذ زعامة ديجول حاجتها الى الرئيس (الزعيم) الذي يحكم ويتدخل ويسعى لتعديل الموازين بين الاحزاب وبين الحكومة والبرلمان ·

حدث هذا في العالم الرأسمالي ··· وحدث في الكتلة الشرقية الماركسية ما يعرفه الجميع من انشقاق تروتسكي عن لينين في الاتحاد السوفيتي ومن اختلاف خروشوف عن سياسة سلفه ستالين بالدعوة الى « التعايش السلمي » بدلا من الحرب المحتومة بين العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي ، وبتقرير أن انتصار الاشتراكية قد يأتي عن طريق ما تعانيه الرأسمالية من تناقضات داخلها وتكلم ليبرمان عن ضرورة الحوافز الاقتصادية للعمال ، وتكلم غيره عن وجوب مراعاة مطالب المستهلكين كما حدث تطور

في « الشيوعية الأوروبية Euro Cmmunism » منذ أيام (توليياتي) الاخيرة في زعامة الحزب الشيوعي الايطالي ، فأعلنت ايمانها بالنهج الديمقراطي وعدم ضرورة اعتبار العنف الثوري ودكتاتورية البروليتاريا النهج الاوحد لتحقيق الاشتراكية ٠٠٠ كذلك حدث الانقسام والخلاف الخطير بين يوغسلافيا والاتحاد السوفيتي ثم الانقسام والخلاف الاخطر بين الصين والاتحاد السوفيتي ٠

خشية التيه والضلال :

فاذا كانت هذه حصيلة التطور داخل كل من الايدولوجيات العالمية في مدى قرن من الزمان ٠٠٠ فما أحوج الفكر الاسلامي الى التطور ٠٠ وقد جمد طيلة قرون متتابعة ٠٠٠ ولا يقال هنا : ان الدين الهي خالد لا يحتاج ليتطور كما تتطور أفكار البشر ، فانما الحاجة هنا الى تطور الفكر الانساني المتجدد المستمد من المباديء والاصول الالهية الخالدة ، والى الاجتهاد في الفهم والاستنباط من النصوص وفي الحكم فيما لا نص فيه ٠ كما لا يقال هنا : ان الخلاف والانقسام والشقاق نذير موت لا امارة حياة ، فان اختلاف الآراء ظاهرة صحية اذا توافرت له الشروط المنهجية والاخلاقية ، فلا يصدر عن هوى وفتنة بل يكون تمحيصا رشيدا وحوارا بناء مثريا للفكر معينا على تلمس وجه الحق ٠

ان المسلمين أثبتوا ازاء دورات الزمن وما واجهوه من أهوال ومحن جسام قدرتهم على الصمود والبقاء ، وقدرتهم على التحرك من حين الى حين للخروج من ربقة الاستعمار والاستبداد، ولكن يبقى أن يثبت المسلمون قدراتهم في مجالات الوجود الفكري والحركة الفكرية ٠

لقد مضى القرن المنصرم والمسلمون يلحون على فتح باب الاجتهاد ، وينعون على اغلاقه وعلى الذين أغلقوه ٠٠٠ ولكن

ما يكاد آحاد يحكون رؤوسهم ويعملون أذهانهم ويقدمون للناس رأيا ـ صوابا أو خطأ ـ حتى تنقض عليهم الغالبية العظمى ، من متعلمين وغير متعلمين ، بحجارة المروق والضلال وأحيانا الزندقة والكفر ، وتصب عليهم أسواط عذاب لهم وارهاب لمن قد يتأثر بهم • ولعل المسلمين مع اطلالة القرن الجديد يعون حق الوعي ، ان فتح باب الاجتهاد يقتضي ضمان حريات المجتهدين وحرماتهم ، أصابوا أم أخطأوا ، ويستلزم الحفاظ على الحق في الخطأ غير العمدي • وما أروع حديث المعصوم صلوات الله عليه الذي ضمن للمجتهد المخطيء أجرا حين قرر للمصيب أجرين ! ولعل المسلمين قد تبينوا أن الاجتهاد ممارسة عملية ، وان تقرير اباحة الاجتهاد أو وجوب الاجتهاد لن يخرج مجتهدين وانما يتكون المجتهد الذي استكمل أدوات الاجتهاد وعدته ومقوماته وشرائطه بممارسة الاجتهاد فعلا والوقوع في الخطأ الى جانب ادراك الصواب •

وأمام المفكرين المسلمين مجالات واسعة متعددة لتقديم صيغ اسلامية لمقتضيات العصر وحصيلة التطور الانساني الجاد والمنجزات التي حققها البشر بكد الفكر وكفاح البدن •

مجالات واسعة للحركة :

نعم ما أحوج المسلمين في القرن الجديد الى صياغة اسلامية لمقتضيات العصر وقضاياه على هدى الاسلام ووفقا لمناهجه وأساليبه : حقوق الانسان وحرياته العامة (وفي مقدمتها حرية الرأي والتعبير ، وحرية الاجتماع وما ينبثق عنها ويترتب عليها ، وحرية اقامة الجمعيات ومنها الاحزاب ••• الخ) متوازنة مع واجبات الفرد والتزاماته ازاء الافراد الآخرين وازاء الجماعة والدولة •• المؤسسات السياسية وطبيعة وضعها ومهامها وحقوقها وواجباتها •• المساواة الدستورية والقانونية والاقتصادية : طبيعتها وحدودها وضماناتها وفعالياتها في مجال التطبيق وبخاصة بالنسبة للمرأة ولغير المسلم ••• المؤسسات

الاقتصادية في مجالات الانتاج والخدمات والنشاط الرأسمالي والفعاليات الممكنة للقطاعين العام والخاص ومناشط المؤسسات المصرفية ومؤسسات التأمين حكومية وأهلية ...

ولن يقتنع أولي الألباب في القرن الجديد بين المسلمين وفي العالم أجمع ، أن يقال ان حقوق الانسان تكفي في بيانها وتفصيلها آية من القرآن ذكرت كرامة بني آدم ، وان بقيت الآية الاصل الجامع الخالد الذين تتفجر منه صيغ غير متناهية تتوالى بتوالي الازمان وتباين الحاجات والافهام لتفصيل ما يحقق كرامة الانسان وما يضمن انفاذ الحقوق المقررة ... ولن يقنع أحدا من الذين يعقلون أن في الآيتين اللتين ذكرتا الشورى في القرآن غناء عن معالجة طبيعة هذه الشورى وحدودها ومجالاتها والاجهزة القائمة على تحقيقها ... ولم يعد مقنعا أن يذكر تحريم الربا بنصوص محدودة معدودة من القرآن والسنة دون نفاذ الى تطوره التاريخي وصور المعاملات الواقعية التي ورد عليها التحريم وحكمة التحريم بالنسبة لتلك المعاملات في أطار الاوضاع الاقتصادية السائدة وقتذاك ، ودون متابعة للتطور الاقتصادي وآثاره بالنسبة لقيام المؤسسات الرأسمالية والمصرفية والتأمينية ومناشطها ، حتى تتمكن المقارنة عن بينة ويصدر الحكم بقبول معاملة معاصرة أو رفضها أو تعديلها بناء على البحث المستوعب والمتعمق . ولن يقبل المسلمون اليوم ما يكون بعضهم قد قبله بالأمس وما يكون أفراد منهم قد افتتنوا به فيما مضى من تصيد شيء من النصوص تعالج بالتأويل السطحي لتتسع للتأميم والاشتراكية تارة أو لتوجه لنقيض ذلك تارة أخرى ..

ان المسلمين في القرن الجديد حري بهم أن يرشدوا عن نزعات الرفض المطلق لكل مؤسسات العصر السياسية والاقتصادية ولكل صور معاملاته واجتهاداته الفكرية والعلمية ، مثلما شرع مسلمو هذا القرن يرشدون عن نزعات القبول والمتابعة باطلاق

لكل مؤسسات العصر ومعاملاته واجتهاداته ·· ان التقليد مذموم في كل حال والأصالة مطلوبة بالنسبة لمعالجة اجتهادات المعاصرين غير المسلمين واجتهادات الأسلاف المسلمين سواء بسواء ، والرد الى كتاب الله وسنة رسوله بالنسبة للقديم والجديد يقتضي التمحيص والتعمق والحكم بعد قيام الدليل الناصع المبين ·

المسلمون والآخرون :

وحري بالمسلمين في القرن الجديد كذلك ، وقادة الحركات الاسلامية منهم بوجه خاص، أن يتوصلوا الى صيغ لملائمة التعامل مع العاملين على أساس المصلحة الوطنية وحدها ، مع أصحاب النزعات القومية بصورة من صورها ··· فليس كل من اعتبر النطاق الوطني أو المجال القومي منطلقا للعمل السياسي زنديقا لا يتعامل معه الاسلاميون وكأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة وانما تعالج القضية بحوار منير لابعادها ، يوضح المكاسب والخسائر في كل حال ، والمسلمون مدعوون لأن يفرقوا بين تعاليم الاسلام في التآلف والتعاون وبين تصور لدولة الاسلام الشرعية وكأنما ينبغي أن تكون دولة عالمية واحدة ، وأن يفرقوا بين « الخلافة » باعتبارها صورة تطبيقية تاريخية ، وبين التعاون الدولي العالمي الاسلامي كهدف يمكن أن يتحقق في صور متباينة وفقا لتباين الظروف في العصور المتوالية ، وأن يتبينوا أن « الخلافة » باعتبارها صورة للدولة الاسلامية العالمية الواحدة لم تمش طويلا وان التطلع الى مثل هذه الدولة على أنها أمل بعيد منشود مثلما يتطلع مفكرون آخرون الى الحكومة العالمية الواحدة ، مثل هذا التطلع شيء ، والقول بوجوب المبادرة الى تحقيقه فورا ورفض كل ما عداه شيء آخر !·

ولا تزال نظرة المسلمين الى علاقاتهم الدولية مع العالم المعاصر الذي يعيشون فيه تحتاج الى تأمل ومراجعة وسيطرة عمالقته في مختلف المجالات ، وواجهوا في حضارة الغرب

وايديولوجياته السائدة ما يخالف قيمهم ومبادئهم ، فلا يعني هذا الرفض المطلق لعالم اليوم والعزلة عن التعامل مع دولـه القائمة ٠٠٠ ولا يعني الخلاف السياسي أو الايديولوجي نكولا عن التعاون الدولي واعلانا للعزلة ٠٠٠ ان الولايات المتحـدة الدولة العملاقة شبه القارية قد فشلت سياستها في النزوع الى العزلة ٠٠٠ ودول العالم كلها محتاجة الى التعاون والتعامل ٠٠ وعزلة المسلمين تزيدهم ضعفا وتزيد غيرهم فيهم شكا وبدينهم جهلا ومنهم ومن دينهم نفورا ٠٠٠ وتقسيم العالم الى (دار اسلام) و « دار حرب » ليس هو التقسيم الثابت المطرد الصحيح، ولم يرد به كتاب أو سنة ، وانما قال به بعض الفقهاء وارتأى آخرون أن يضاف الى الدارين « دار العهد » وغير هؤلاء وأولئك من قال بالتقسيم الى « أمة الاسلام » و « أمة الدعوة » ولم يذكر الحرب على الاطلاق ٠

ان على المسلمين في القرن الجديـد أن يعيشـوا بفكرهم وعقيدتهم في عصرهم وأن يتعاملوا مع الناس من حولهم ، في بلدانهم وفي عالمهم ٠٠ وأن يعوا جيدا ان دعوتهم انما تعيش في اطار من العلاقات الانسانية ، وانها تجد طريقها حين تقـام الجسور وتتوافر المواصلات الجيدة أمامها ، وانهم يقطعون السبيل على فكرهم ودعوتهم في بلدان الاسلام وفي العالم أجمع بالعزلة والانطواء !٠

ان الاسلام فتح الطريق للتواصل الانساني والحوار الفكري المنير حتى حين تضيع الثقة وتتعطل الكلمة ويمتشق الحسام ، فهتف كتاب الاسلام بالمؤمن المجاهد والمعلن للحرب أن يحكـم الكلمة والحجة عند أول فرصة تتاح لذلك بين قعقعة السلاح ، فقال عز من قائل : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغـه مأمنه ، ذلـك بأنهم قـوم لا يعلمون » ٠ (التوبة ٦) ٠٠ وهكذا يفعل الواثقون بأنفسهم ودينهم وحجتهم ٠٠ الواثقون بالانسان الذي فطره الله عاقلا

مميزا بصيرا .. الواثقون بالانسان الذي فطره الله عاقلا مميزا بصيرا ، وعلمه البيان من جهة ، والاستماع الى القول وتفهمه وتمييزا حسنه وأعطاه الارادة لمتابعة هذا الاحسن من جهة أخرى .

وهكذا يكسب المسلمون لأنفسهم ودينهم كلما عاشوا في العالم وتعاملوا مع الانسان ، وتواصلوا مع غيرهم على الحفاظ على حقوقه وكرامته ، وأخلصوا للتعاون العالمي على أساس العدالة الدولية « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » (الزمر ١٧ ـ ١٨) صدق الله العظيم .

العربي ـ د. محمد فتحي عثمان



* * *

شرط المصاحبة

● كان عمر بن عبد العزيز يقول لجلسائه من اراد أن يصحبني فليصحبني بخمس : يدلني من العدل الى ما لا أهتدي اليه ، ويكون لي على الخير عونا ، ويبلغني حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، ولا يغتاب عندي أحدا ، ويؤدي الامانة التي حملها مني ومن الناس ، فاذا كان كذلك فأهلا به والا فهو خارج من أشد تحمسا لها ، لأنك ان لم تؤمن برسالتك فلن يؤمن بها صحبتي والدخول علي .

عمر فروخ ينفض غبار السنين

« قصص ... من بيتي »

هذه قصص من بيتي أقصد من أسرتي التي أنشأتها منذ أربعين عاما أو تزيد بالتربية والعلم لأنني لم أشيد منزلا من الحجارة والطين ٠

(١) كان أسامة (ولد عام ١٩٤٤) في نحو الرابعة من العمر حينما جلس ذات مساء كعادته الى المائدة ٠ والطعام في بيتنا لا يكون الا في غرفة المائدة وعلى المائدة نفسها ٠ ومثل ذلك شرب الماء ٠ حتى حبة الدواء الضرورية في بعض الأحيان يتناولها أحدنا (اذا لم يكن طريح الفراش) في غرفة المائدة ٠ ليس عندنا أحد يشرب في غرفة النوم أو يأكل موزة على الشرفة أو يقضم تفاحة وهو يسوق السيارة أو يلتهم « منقوشة » وهو مسرع الى عمله ٠

ووضعت السيدة ، كعادتها في كل مرة ، طبق الطعام أمام أسامة ٠ نظر أسامة الصغير الى طبق الطعام قليلا ثم قال : « ما بدي » (لا أريد) ٠ واتفق اني سمعت هذه الجملة منه فدار في مخيلتي سلك طويل من الجمل : أريد هذا ، لا أريد ذاك ، أعطني ذلك ٠٠٠ تلك قصة طويلة لا تنتهي ٠

فقلت للسيدة : يجب أن يذهب أسامة الى فراشه اليوم بلا طعام ٠ واتفقنا على ذلك ٠ فقالت السيدة لأسامة : اذهب الى الفراش ٠ ونهض أسامة كعادته في كل يوم وذهب الى فراشه بلا كلام ولا ملاحظة (ان أقوال السيدة الأم في البيت قانون طبيعي لا يفكر أحد في ترك التقيد به) ٠

وفي صباح اليوم التالي وضعت السيدة أمام أسامة ذلك الطبق

الذي لم يشأ أسامة أن يأكل منه في مساء اليوم السابق . ومنذ ذلك اليوم لم نسمع في البيت جملة مثل « هذا أحبه ، وهذا لا أحبه » . وكبر الأولاد الخمسة وتزوج أربعة منهم ورزق نفر منهم أولادا . ولا يزالون ـ كلما جاءوا الينا للطعام ـ لا يعرف أحدهم نوع الطعام الا بعد أن يجلس الى المائدة .

(٢) ومروان (ولد عام ١٩٤٦) ، كان منذ بضع سنوات يعمل في لندن . كنا في ذلك الحين راجعين من الولايات المتحدة وأردنا أن نبقى اسبوعين في لندن . نزلنا في الفندق ولم ننزل في منزل مروان . وبما أن مروان كان أعرف مني بلندن ، وتسهيلا على نفسي ، أعطيته مائتي جنيه لينفق منها نفقاتنا العارضة .

وانتهت زيارتنا للندن . وفي المساء كنا نعد الحقائب فقال لي مروان : بابا ، أتريد أن نتحاسب ؟ فسألته : وعلى أي شيء تريد أن نتحاسب ؟ فأجاب : لقد أعطيتني مائتي جنيه للنفقات العارضة ، وقد بقي منها بقية .

فقلت له : يا مروان ، أتينا بكم الى هذا العالم وربيناكم وعلمناكم ـ وكنتم اذا مرض أحدكم سهرنا عليه وداويناه وداريناه ثم اهتممنا بأمر زواجكم ، ولم نقل لأحد منكم يوما : تعال لنتحاسب . وأنت الآن تريد أن نتحاسب على بقية من مائتي جنيه .

(٣) ومازن (ولد عام ١٩٤٨) وكان بعد البكالوريا اللبنانية يدرس الهندسة في جامعة عين شمس (في مصر) . ذهبنا مرة الى القاهرة فرأينا أنه يسلك اتجاها يساريا . فقلت له : لا مانع عندي ، على شرط أن تفكر في كل شيء تعمله ، فقال لي : وأنا الآن أتعلم اللغة الروسية وأريد أن أنتقل لمتابعة دراستي الى موسكو . فقلت له مرة ثانية : افعل ما تشاء ، على شرط أن تفكر في كل ما تفعله .

ثم ذهبت مرة لحضور دورة لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، فرأيت أن مازنا قد ترك الاتجاه اليساري . فقلت له : ما عدا

مما بدا ؟ فأجاب : لقد حدثوني حديثا لم يكونوا فيه صادقين (كيلا أستعمل التعبير الذي أستعمله) .

لقد صدقته فيما قال ، فليس بنا حاجة الى أن نكذب ، ثم انني أعرف شيئا من هذا من اختباري . لي بالاشتراك مع الدكتور مصطفى خالدي (رحمه الله) كتاب عنوانه « التبشير والاستعمار » نقل الى التركية والفارسية والى الاردية (ولم أر طبعته في الاردية) ونقلت أشياء منه الى غيرها من اللغات . ثم علمت انه نقل أيضا الى الروسية وطبع بالروسية مرتين .

واتفق أن حضر الى بيروت وفد من جمعية الصداقة السوفياتية العربية ودعيت الى حفل استقبال . ذهبت وحادثت رئيس الوفد في هذا الشأن ، فقال : « اكتب الينا في موسكو » . وبعد مدة فعلت وجاء الجواب بأن الاتحاد السوفياتي لا يدفع بدلا عن حقوق التأليف ؟

لا شك في أن رئيس الوفد كان يعرف أن الاتحاد السوفياتي لا يدفع حقوق تأليف ، فما هو السبب في طلبه مني أن أكتب الى موسكو ؟

واتفق ان كان في بيروت ملحق ثقافي سوفياتي اسمه شمالكوف (فيما أذكر) . حدثته في الأمر ، فقال : نحن لا ندفع حقوق تأليف . قلت له : أنتم لا تدفعون حقوق تأليف للمواطن السوفياتي الذي تهيئون له السكن والتعليم والتطبيب وسوى ذلك . أما أنا هنا فانني أدفع لتعليم أولادي (والكلام من نحو عشرين عاما) ألف ليرة في كل شهر . فردد القول : نحن لا ندفع .

فقلت له مرة ثانية : أما كان بالامكان ــ على الاقل ــ أن ترسلوا الينا نسختين من الترجمة الروسية : نسخة لي ونسخة للدكتور مصطفى خالدي ؟ فأجاب : وهذا أيضا شيء لا نفكر به . حينئذ قلت له : ألا تعرفون أن تبعثوا الينا ببطاقة صغيرة عليها كلمة « شكرا » ؟ (١٩٨٠/١٢/٢٨)

العرفان : بدون تعليق . السفير ــ د. عمر فروخ

اذا قالت حذام ...

الشعر « الحر » .. وبول فاليري

الشعر « الحر » ... أنا لست ضده . لأن الشعر عندي ليس الوزن وحده . ولا هو القافية وحدها . فالشعر أكبر من ذلك بكثير . انه حالة من نشوة تقدر على اشاعة حالة مثلها عند من يقرأ وعند من يسمع كما عند الشاعر الذي قال .

قد لا يكون هذا هو تحديد الشعر . بمعنى التحديد الجامع المانع . لكنه محاولة تحديد ما يبقى من الشعر في النفس عبر الكلمات والقوافي .

الشعر « الحر » حر في أن يتحرر من القافية ومن الروي ومن الوزن كذلك . فالشاعر ليس ملزما بأن يلتزم ما لا يلزم كما فعل أبو العلاء المعري في لزومياته .

هذا كله صحيح .

ولكن ، هل يسمح لي أهل الشعر « الحر » بالقول ان شعرهم يتحرر من كل شيء حتى من الشعر نفسه ؟

هذا ليس تحاملا على الشعر الحر . ولا هو نقمة على أهل الشعر الحر . فان في هذا الشعر ، أحيانا ولو قليلة قليلة ، شيئا من الجديد الجميل . لكن هذا الجديد الجميل قليل الى درجة انه لا يعطي الشعر الحر حق فرض نفسه نسقاً شعريا .

كان بول فاليري يقول : أعطوني شعرا ولتذهب الأشكال كلها الى الجحيم !

فهل يقبل أهل الشعر الحر بأن نكون واياهم على دين بول فاليري ؟.

البيرق ــ واصل بن عطاء

التقريظ والانتقاد

خليل مردم في مؤلفاته

شاعر من تاريخ مضى ينبه الاحياء

بقلم : الدكتور محمد صادق

أجلّ سراة الشام بيتا وانه لأحدثهم سنا وأكبرهم قدرا

الأمير شكيب أرسلان

حين جلس أفلاطون ينسج جمهوريته الفاضلة أصابته الحيرة، ولم يعرف أين يضع الشعراء فيها ، أخيرا ، وبعد تفكير عميق ، قرر استبعادهم من الجمهورية ••• فهم في رأيه يملأون العقول بالأوهام ، ويصرفون النــاس عن الجـد الى الهزل ••• وهم بصراحة لا يفيدون أحدا ، الا اذا تقــدموا الجيوش بأشعــار الحماس ••!

هذا الرأي (الافلاطوني) اعتبر بنظر تلاميذ الفيلسوف فيما بعد (سقطة) !

ان جمهورية أفلاطون بغير الشعراء يمكن أن تصير مكانــا هادئا •• عاقلا •• باردا •• وجحيما في نفس الوقت ، وكــم كانت تخسر حياتنا العربية بغير أشعار امرؤ القيس ، والمتنبي ، وجلال الدين الرومي ، وأحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وبيرم التونسي •• وخليل مردم !•

هذه الفكرة برزت أمام شاشة ذهني وأنــا أحتضن بقلبي ويدي كتابه (الشعراء الشاميون) الذي حققه وأصدره نجله

الأستاذ عدنان مردم بك ، لقد تحرك في وجداني ذلك الصمت الذي يخيم على أبناء جيلي ممن عرفوا مؤلف الكتاب (خليل مردم بك) .

فمنذ ان غادرنا الخليل في عام ١٩٥٩ الى دار البقاء ، والأدب العربي عامة و (الشامي) خاصة يبدو مثل مخلوق عجيب احدى أذنيه من طين والثانية من عجين .

لقد (صمت) النثر الاصيل في مجتمعنا ، وكذلك (صمت) الشعر .. كان هذا (الصمت) ظاهرة غريبة أشد الغرابة ، فان الأصل في الادب أن يعكس روح الأمة ، وأن يقوم بتربية وجدانها ، وأن يشف قناعه عن الآلام والاحلام ، وأن يكون في نهاية الامر شهادة حقيقية على عصره !.

ترى ألا يستحق هذا العصر الذي نعيش شيئا مسطورا ؟

ان الاصل في الأدب أن يقوم بتربية وجدان الأمة وضميرها ، لأن الوجدان لا يتربى في البيت والمدرسة وحدهما ...

فاذا كان الادب قد (صمت) ، فان الامر يحتاج الى وقفة طويلة ! وقفة نسأل فيها لماذا هذا (الصمت) الذي عم دنيانا العربية منذ أن غابت تلك العصبة من الأدباء المجلين التي كانت تربي وجداننا القومي ، ومن هذه العصبة الشاعر الشامي خليل مردم .

* * *

ان الأمر أخطر من أن نمر عليه مرور العابرين على عجل . ان دور الشاعر العربي في عصرنا الحاضر يتعرض لحكم بالغ القسوة من أجيال الادباء القادمة ، وما زال هناك وقت لتمزيق الاقنعة عن وجه الحقائق المجردة .

من هنا ، من هذا المنطلق بالذات لا بد أن نقول شيئا عن

أحد أقطاب هذه العصبة التي أعطت الأدب والحياة الكثير ، في محاولة لشق هذا (الصمت) ، فهو ثقيل الوطء مثل صمت القيام ، أو صمت الموت !•

قبل أن أتطرق الى (كتاب الشعراء الشاميون) أريد استشفاف معالم الشاعر خليل مردم رفيق محمد البزم ، وشفيق جبري ، وكل الرعيل الادبي الذي علمنا ، والذي كانت الفضائل طبيعة ثابتة فيه ، وكان عطاء الفن طبيعته الأولى !•

يحدثنا أقرانه بأنه ولد والقرن التاسع عشر يلفظ أنفاسه ، في دمشق لأب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الحمزاوي ابنة السيد محمود الحمزاوي مفتش الشام وعلامتها ، وكان ذلك حوالي عام ١٨٩٥ •

وعرف الصبي منذ ترعرع نعمة العيش الدمشقي المترف ، ولم تكن له اخوة من الذكور ، وانما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به أبوه الى التعليم في مدارس ذلك العهد البسيطة ، فتعلم القراءة والكتابة ، ودرج في مدرسة الظاهر الابتدائية ، يميل الى العربية ويعنى بالشعر والنثر منذ نعومة أظفاره ، وكان مرهف الحس ، قليل الكلام ، يغلب عليه الحياء والاحجام •

وما كاد يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ، فعلقت بذهنه منذ صباه هذه الصورة الحزينة ، فانطلق ينظم في رثاء أبيه وفي رثاء أمه ليصور هذا الحزن والأسى •• قال في أبيه :

أقول ونعشه يختال تيها   تحيط به المهابة والجلال
خليلي احسرا دمعي قليلا   لانظر كيف سيرت الجبال

وقال في أمه يرثيها ، ويفتخر بنسبها ورفعتها :

يا قبر لم تدر ما ضمنت من شرف
عال تفرع من (فهر) و (عدنان)

أمـــاه أبدلـــت بالأمـــلاك مكرمـــة
(أهـــلا بأهـــل وجيرانـــا بجـــيران
ذهبـــت قانتـــة للـــه صائمـــة
فكـــان عيـــدك لقيـــا الله ذي الشـــان

وهكذا افتتح حياته بالحزن والفاجعة ، ففقد أبويه في مطلع عمره ، وراح يسير في الدنيا يتيما وحيدا يعتمد علـى الحذر والصمت ، والصبر في حياء وخجل وتردد وقلـق ، فانطبعـت شخصيته بذلك ، وعاش كل عمره قليل الكلام ، شديد التأمل ، هادئا متزنا ، ووراء ابتسامته الدمشقية حزن قديم عميـق ، يستشفه الذين عرفوا نشأة الشاعر وتمرسه بالصبر والسكون.

ومضى الشاب في طريق التعليم على أسلوب ذلك العصر ..

أقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الخالد الشيخ بدر الدين الحسني ، والفقه على قاضي الشام الشيخ عطا الكسم ، والصرف والنحو على الشيخ عبد القادر الاسكندراني ، وكان هؤلاء بمثابة الجامعة الكبرى في عصرهم . وبفضل انتسابه الى هذه (الجامعة الاسلاميـة) انطلق في مطلع شبابه يخـاطب الشعراء الفحول ، والكتّاب المشهورين في زمانه ، ينظم فيهم رسائله الشعرية ، ويجيبونه على تلك الرسائل بشعر كذلك ، وكـان فيهم الامير شكيـب أرسلان ، والامير (أمير البيان) كتب الى الشاعر قصيدة يمدحه فيها ، ويثني على قوته ويقول :

كمـا هـام بالخليـل بن مردم
هناك الهوى العذري قد صحب العذرا
أجـل سراة الشـام بيتـا وانـه
لأحدثهم سنـا وأكبرهم قـدرا

ومن المفارقات ان خليل مردم الذي ولد وفي فمه ملعقة من ذهب ، وعاش بين ورود الشام ورياحينها ، قضى شبابه منعزلا عن الناس ، فما كاد يجتاز العشرين مـن عمره حتـى ظهرت

مواهبه على السطح الادبي ، وعرف بين أقرانه بشاعريته المميزة ، فاذا قامت الحرب الكبرى ولعلعت المدافع في الغرب ، ظل الشاب في مواقف العزلة أول الامر ينشد أغاني قلبه ، يصف الحزن والبؤس متأثرا بمشاهد الحرب والفقر ، فراح يصب شعره في حب قومه وفي الدفاع عن قضيتهم الكبرى وهي الاستقلال والحرية ، وكره الاتراك ، فما نراه في شعره يحدب عليهم أو على غيرهم ، وما عرفناه من خلال شعره الأولي الا محبا للتراث العربي ، مفضلا العرب على غيرهم ٠٠ فما أن انطفأ العهد التركي في الشام ، وأطل العهد العربي حتى احتاج الحكم الى من يتقنون اللغة العربية ليضعوا أسس المراسلات باللغة الأم ، اللغة التي حاربها الترك ، فكان ان وقع الاختيار على الشاعر الشاب ليكون أمينا لرئاسة الوزراء ٠

عيّن (مميزا) لديوان الرسائل العامة ، سنة ١٩١٨ بعد أن بلغ الثالثة والعشرين من العمر ، وكان من مهمته في هذا العمل أن ينقح ما بين يديه من أوراق ، وأن يصحح الألفاظ وأن يختار أشرفها وأنقاها ، فقد عرف بمتانة التركيب فأخذ عن فحول الكتاب والشعراء ، وسار على سننهم في الفصحى ، فقد ساد القوم شعور عربي عميق في الرجوع الى الامجاد العربية وفي السير على سننهم وأساليبهم ٠

من اللغة العربية التي اتقنها الشاعر تعلم الصراحة والجد ، ولقد أخرج سلسلة من المؤلفات الادبية درس فيها شخصيات فنية معروفة من مثل : (ابن المقفع ، وابن العميد ، والجاحظ ، والصاحب) فكانت هذه المؤلفات مصدرا أساسيا من مصادر الدراسة عند طلاب (البكالوريا) في أول عهدها ، يوم كان طلاب (البكالوريا) يصفون اللبنات الأولى في قواعد الادب العربي ودراساته ، هذه الدراسات التي لم تكن معروفة في تلك الايام ٠

كانت الدنيا العربية في مطلع شباب الشاعر تتحفز لتقفز ،

وكانت الحركة الادبية عند أدباء العربية في المهجر في أوجها ، فآثار (الرابطة القلمية) بدأت تصل الى الشام التي فتحت آذانها على أصداء النغمات الحلوة ، وتلقفت الآذان ، والأفهام ، شعر ايليا أبي ماضي ، وأدب جبران ونعيمة والريحاني ، ونسيب عريضة ، وندرة حداد ، فاذا بالأصداء تنعكس في الشام فتتشكل الرابطة الادبية برئاسة خليل مردم يعاونه في ذلك المطران ايفانيوس (وكان شماسا آنئذ) ، كما عاونه عدد غير قليل من الأدباء ، وأصدروا مجلة باسم هذه الرابطة خدمت الأدب العربي خدمات جلي ، كما خدمت بشكل خاص الصاعدين على سلم الادب .

حين اقتحم الفرنسيون دمشق بحرابهم ترك الشاعر الوظيفة وانصرف الى بيته ، فقد كان هؤلاء الفرنسيون يعرفون أنه من أنصار الحرية والاستقلال ، وأنه من دعاة العروبة ومن ألسنتها الناطقة ، فلم يثقوا به ، وهو من ناحيته أعلن كرهه لهم ، وما عرف انه مال الى لقائهم أو الى ثقافتهم ، فانصرف الى ميدان النضال العريض يغذي ديوانه بالشعر القومي ، ويسلم اليه أجمل ودائعه وثقافته الحرة ، ويجعل نفسه فداء للوطن ، ويقول :

أنا ما حييت فقد وقفت لأمتي
نفسي ومالي في سبيل بلادي
فاذا قتلت ، وتلك أقصى غايتي
لي فالوصية عندها أولادي

وهكذا بدأ الشاعر يرتقي سلم المجد الادبي ركضا ..
ـ عام ١٩٣٤ أصبح عضوا بارزا في المجمع العلمي العربي .
ـ عام ١٩٤٨ أمسى عضوا في المجمع اللغوي بالقاهرة .

ـ عام ١٩٥١ انتخب عضوا في معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن •

وفي أواخر عام ١٩٣٩ اختير أمينا لسر المجمع العلمي العربي ، ثم رئيسا له فيما بعد ، وخلال هذه الآونة عكف على الشعراء الشاميين يحيي أدبهم ، ويجمع مخطوطاتهم ، ويقابل بين أوراقها ويصحح أخطاءها ويعلق على غوامضها ، ويفسر المستغلق منها ، فكأنه أصبح رجلا آخر ، يعنى بشعر زملائه ممن تقدموه سبعة قرون على الاقل ، فأخرج للناس دواوين :

(ابن عنين الدمشقي ، وابن حيوس الدمشقي ، وابن الخياط الدمشقي ، وعلي ابن الجهم) •

وقد كان شعر هؤلاء بعيدا في مظانه ، لا يعرف الادباء منه الا ما حوت كتب المختارات ، فيسره ووطأ أكنافه على تدقيق واف ، ومقدمات ودراسات •••

خلال هذه الفترة من حياته بدأ يتولى المناصب الوزارية ، كما تولى السفارة السورية في العراق •

كان يقترب من المناصب الوزارية كلما أحس باقتراب المنصب من الادب العربي ، ويبتعد عنها كلما ابتعدت عن احترامها للارث والتراث ••

كان أستاذا ••

معلما كما يقولون في الأوساط الأكاديمية •

رجل صارم اذا تعلق الامر باللغة العربية وآدابها وفنونها •

عذب أعظم العذوبة اذا تعلق الامر بالكياسة الشامية ، ومنه سمعت ذات مرة تعريفا للفظة (تدمشق) ، لقد سأله أحد أدباء الفارسية :

ــ ماذا تعني كلمة (تدمشق) ، فأجاب بصرامة وجدية :

ــ انها تعني (تحضر) !٠

قاس كل القسوة اذا تعلق الامر بماضي الادب العربي العريق ٠٠

كان يحرس مع القلائل من اخوانه هذا الصرح العظيم المسمى (الشعر العربي الشامي) ، وكان هذا الشعر قد تعرض لكل ما تتعرض له الاصالة حين تجور عليها الايدي المختلسة ٠٠

لهذا رأيناه وسط دنيا لم تعد القيمة فيها للشعر الاصيل٠٠ ووسط جو صار فيه تملق غرائز المستمع والقارىء أسهل من تربية روحه وتغذيتها ٠٠٠ وسط هذا الجو راح الخليل ينبش الارث الشامي ، والتراث الشامي ٠٠ وكان متعصبا لثلاثة أشياء :

الاسلام

الشــام

اللغة العربية ٠

ولم يكن تعصبه ينبىء على احساس فاتر أو دعوى عاطفية ، انما كان يؤمن أن دنيا الشعر الشامي أغنى آلاف المرات من دنيا غيره ٠٠

يكفي أن تذكر أمامه اسما شاميا ، أو مكانا شاميا ، أو حادثة شامية ، ليحكي لك عنه قصة مدهشة ، حتى لو كان أصل الاسم أو المكان أو الحادث محزنا ٠٠٠ فقد كان قلبه يستطيع أن يعثر على اللب والمرح وراء أعظم الأستار قتاما وحزنا ٠٠

في هذا الاطار كان في حياته شيء مدهش ٠

في كل ما كتب وألف ، ترى (الشام) في الشرح والمتن ، في البداية والنهاية ، ما ان يخرج من قصة حب للشام حتى يدخل

في أخرى .

ونحن نعرف أن للحب قوانينه الحاكمة التي لا يفلت منها انسان ، سواء كبر أو صغر ..

والحب طاغية يحكم رعاياه بالهوى فيتحكم فيهم .. ويلعب بهم ، ويرفعهم يوما لقمم الهناء ، ويختصهم أياما لقيعان البلاء وحده خليل مردم شذ عن هذه القاعدة لأن حبه كان صوفيا .

لقد كان يرى في حب الشام وآدابها غاية مضيئة للوجود ، وعطرا كونيا تنتشي به الروح ... ولعل هذا كان من حظ الشام التي أنجبته :

آدال الله جلق من عداها ... كذاك الأم تدفع عن حماها
فكم حملت عن العرب الرزايا ... وأحسن عن أضاحيها عزاها

ثم يلتفت الى الشهيد يوسف العظمة :

أيوسف والضحايا اليوم كثر ... ليهنك كنت أول من بداها
فديتك قائدا حيا وميتا ... رفعت لكل مكرمة صواها
فيا لك راقدا نبهت شعبا ... وأيقظت النواظر من كراها
ويا لك عاثرا أنهضت منا ... عزائم بعد ما وهنت عراها

ويختتم القصيدة بقوله :

سأقصر فالقوافي اليوم جمر ... أخاف على المسامع من لظاها

وبينما ينظم للشام نشيدها الوطني (حماة الديار عليكم سلام) نجده ينتقل في حبه الى الغوطة ، غوطة الشام ، فيخاطبها:

كم في أزاهير الرياض لناظر
من مقلة وسنى وخد ناضر
ماست أماليد الغصون بوشيها
معطارة وازينت بجواهر

لله مـا صنعـت ومـا جاءت به
في الغوطتين يد الربيـع الباكـر
بسطت وثير قطيفـة فوق الثرى
خضراء فيها كـل لون زاهـر
من أحمر قـان ، وأصفر فاقـع
أو أزرق زاه ، وأبيض سـاحر
وكسـت وحلت سمحـة آثارها
فجلت عرائسهـا بوشـي فاخر
معقودة الاكليـل ، زهراء الحلي
خفاقة الاقـراط ، ذات أساور
أرخت من الظـل الظليل غصونها
طررا وأذيالا وفصل مآزر ....

من هذه الحمى التي يسمونها الحب ، صاغ الخليل كتابـه (الشعراء الشاميون) ، ولعلي أقترب من حقيقة حب الشاعر للشام حين أنقل هنا من الذاكرة ما كنت أسمعه منه وهو يلقننا دروس الادب في صف البكالوريا عن الشام وتاريخها الادبي . أذكر ذلك ولا أنساه .

أذكر يوم دخل علينـا في صف البكالوريا عميدنـا المربي المرحوم الدكتور منيف العائذي،وكنت ما أزال تلميذا بالبنطلون القصير ليزف الينا بشرى قبول خليل مردم بك منصب أستاذ الادب العربي ..

وصفقنا نحن التلاميذ طويلا لهـذه البشرى ، واغرورقت العيون بدموع الفرح ، ومنها عيون العائذي ومردم . لم تكن كتب الادب في أيامنا متوفرة كما هي اليوم ، كنا نسمـع من أساتذتنا وندون على الورق ، ومن الورق تأخـذ الافكـار والنصوص طريقها الى الذاكرة لتستقر ..

وطالما ردد أمامنا الشاعر خلاصة مطالعاته عن الشام ، وأدب الشام ، وشعر الشام ، وكان يقول :

أولادي ، احفظوا جيدا ما أقوله لكم ..

الشام ... شامنا وشامكم لم تسترح قط الى الضيم ، ولم تطمئن قط الى ما لا يطمئن اليه كرام الرجال .. فالشعر العربي في الشام تميز وحده بخصائص فريدة ، وهي خصائص قلما نجدها في شعراء العرب الذين استقروا في العراق ، وغير العراق من الأوطان العربية المختلفة ..

الشعر الشامي لا يحب المجون في الادب فقط ، وانما يتجه دائما للجد ، حريص أشد الحرص على الصراحة ، لا يحب اللهو ، ولا يحب العبث ، ولا يحب أن يتخذ الادب وسيلة الى لهو أو عبث ، وهو يمتاز بهذا من بين الاقطار العربية كلها ، امتيازا قويا ، ظاهرا ، ومع ذلك فقد حاول المجون الادبي أن يلم به ، وأن يستقر فيه وقتا ، ولكنه لم يستطع أن يطيل المقام فطرد منه أعنف الطرد وأشنعه ..

ان الشاميين عندما أرادوا أن يعشقوا ، وأن يتغزلوا ، وأن يظهروا عنفهم وغزلهم ، لم يحتاجوا الى أن يكتبوا ، ولا أن يستخفوا ، وانما جهروا بذلك ..

مرتان حاول فيهما الشعر والغزل والغناء والعبث أن يستقر في الشام فلم يستطع ..

كانت الأولى في أيام يزيد بن معاوية ..

والمرة الثانية في أيام يزيد بن عبد الملك ..

في أيام الوليد حين كان وليا للعهد حدث هذا أيضا ، ولكن غزل الوليد ومجونه كانا يتنقلان معه ، لأن الوليد كره أن يجاور فنأى عن العاصمة الشام ، وجعل يتنقل في باديتها ، ومن حوله

أصحابه وأترابه الذين كانوا يعابثونه • فكانت الكارثة التي انتهى اليها أمر الوليد بن يزيد بعد أن آلت اليه الخلافة ، وبعد أن أراد أن يسير سيرة أبيه يزيد ، وأن يقر الغزل والمجون في قصر بني أمية في الشام ••• وقتل في تلك الفتنة المنكرة •••

ويشرح الشاعر لتلاميذه الاسباب فيقول :

ان هذا ان دل على شيء ، فانه يدل على أن الشام قد حرصت على تقاليدها العربية المحافظة المتشددة في محافظتها •

وكان الشاعر حين يأتي في محاضراته الادبية الممتعة على عدي بن الرقاع (أحد الشعراء الشاميين الذين ضمهم الكتاب) كان يردد أمامنا ونحفظ :

لم يكن في جنوب الشام شعر قبل الاسلام ، ولم يكن في جنوب الشام شعر ملحوظ أيام بني أمية ، ولا نكاد نعرف من شعراء الشام في الجنوب أيام بني أمية الا شاعرا واحدا هو عدي بن الرقاع الذي كان منقطعا للوليد بن عبد الملك ، أما شمال الشام فقد كان حظه من الشعر عظيما حقا ، ويكفي أن نعرف أنه موطن الأخطل ، وانه موطن القطامي ••• موطن جماعة من القيسية التي استقرت في الشام أيام يزيد بن معاوية ، وجعلت تقول الشعر ، ومن هؤلاء ذخر ابن حارثة الكلبي الذي يقول لبني أمية :

أفي الحق امـا بحدل وابن بحدل
فيبقى وامـا ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيـت الله لا تقتلونـه
ولما يكـن يـوم أغـر محجـل
ولم يكـن للمترفيـة فيكـم
شعاع وضوء الشمس حين ترحل

ومن أقوال الشاعر •••

ان أول ما تمتاز به الشام في الشعر هو الصناعة ، والعناية

الفنية التي نجدها واضحة ، نستطيع لمسها بالأيدي في هـذا البيت من شعر عدي بن الرقاع :

تزجي أغن كان ابرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

لقد ذهب شعراء الشام بعيدا في التجويد ، والعناية بالمعاني والألفاظ ، وامتحان الشعر قبل اظهاره لسامعيه • والتجديـد الهام الذي غيّر اتجاه الشعر العربي ، انما نشأ في الشـام ، وكان منشؤه هو أبو تمام • لقد كان له الفن الخاص الذي لم يأخذه عن أحد ، وانما صنعه لنفسه صنعة ، وابتكره لنفسه ابتكارا ، ولهذا حقد اللغويون جميعا من أهل العراق على شعر أبي تمام ، وأجمع نقاد العراق على أن أبا تمام قد خالف عمود الشعر ، وكانوا يعيرون أبا تمام بكثير من الشعر الذي نعجب به اليوم أشد الاعجاب ، كان أبو تمام قد سبق العصر الذي كـان ينبغي أن يعيش فيه ، ولو عاش أبو تمام في عصرنا هذا لكان من حقه ، وفي غير تردد وفي غير اضطراب أن نوازن بينه وأن نقيسه الى أكبر الشعراء الممتازين في العالم العربي ، من حيث انه عني بشيئين خطيرين ، أولهما أنه لم يعتمد في الشعر على قلبه وذوقه وعاطفته وحدها ، ولكنه أشرك عقله في الشعر ، أشرك عقله في صناعة الشعر ، وكان عميق الثقافة ، فهو لم يكن يقول الشعر بقلبه وطبعه وحدهما ، وانما كان يقول الشعر بقلبه وعقله أيضا ، فكان يصحح معانيه ويحققها ، وكـان في شعره أشبه شيء بالفيلسوف الذي لا يحب أن يطلق الكلام دون أن يتحقق من أنه صحيح ، وكان يعمد الى صور لم يألفها الشعر العربي ••

اذن ، يقول خليل مردم ، فالمذهب الشامي القديم في الشعر كان مذهب العناية بتجويد الشعر ، ومنتفعا بما أتيح له من علم وثقافة ودراية بالعلوم التي كان المسلمون يعرفونهـا في تلك الأوقات •

والصناعة في الشعر هي التي أتاحت لأبي تمام أن يبتكر لاول

مرة فنا جديدا في الشعر لم يكن يحتفظ به الشعراء الذين جاؤا بعد أبي تمام وحاولوا أن يقلدوه :

نعطي الزجاجة لونها فكأنها   في الكف قائمة بغير اناء

ومع ان البحتري الذي عاصر أبا تمام وأخذ منه قد حاول تقليده ، فالبحتري على كل حال ظل من الشعراء الذين حافظوا على طريقة الشعر ، وعلى عمود الشعر ، ولكنه على كل حال شاعر من مشاعر الشام كان يصنع شعره كما كان الشوام يصنعون شعرهم دائما .

والشعر الشامي أضاف بعد أبي تمام الى الادب العربي ثروة لم يضفها شعر آخر ، بل أضاف الى الشعر العربي ثروة لم تستطع الآداب العربية الموروثة كلها أن تضيفها ... مثل فنون المعري والمتنبي .

ان الشام هي التي أعطت العالم تجويد الشعر في الاسلام ، أعطت العالم أعظم شاعر فيلسوف ، وأعظم فيلسوف شاعر ، لهذا فالعالم العربي الاسلامي مدين للشام بأجود ما عنده من شعر ..

على هذا النحو كان معلمنا خليل مردم يشرح لنا فنون الادب عامة ، وفنون أدب الشام خاصة ، ولهذا أيضا استطاع طلابه أن يشقوا طريقهم في الادب وفي الحياة ، هذا الطريق الذي ظل معبدا حتى الآن الى أن أصيب بالتدمير .

ولكن ، أتراني ابتعدت كثيرا عن الشاعر وكتابه (الشعراء الشاميون) ؟

ان ما نقلته عن الشاعر وأفكاره انما هو في حقيقته جولة خاطفة عن الكتاب ومحتواه .. وقد عرض لنا نجله عدنان في المقدمة قصة الكتاب ، والدراسة التي وضعها المؤلف عن شعراء الشام في القرن الثالث للهجرة ..

دراسة على سبعة شعراء شاميين لم تحفظ دواوينهم بالطبع حتى عام ١٩٤٤ ولا أشعارهم بعناية الباحثين والمدققين ، ومنهم من لم يعثر له على ديوان مخطوط كعدي بن الرقاع ..

كان هؤلاء من فحول الشعراء ، ولكـن المؤسف انهم كانوا سيئي الحظ بندرة دواوينهم المنسوخة بسبب عوامل متعددة ، فسلخ المؤلف خليل مردم الاشهر الطويلة في التنقيب والبحـث وراح يجمع البيت والبيتين من كتب مختلفة ، منها ما هو أدبي ، ومنها ما هو لغوي ورد بها على سبيل الاستشهاد حتى استطاع أن يطلع على الناس بدراسة وافية عن :

(عدي بن الرقاع ، الوليد بن يزيد ، الطرماح ابن عدي ، ابن حيوس ، ابن الخياط ، ابن عنين ، عبد الملك ابن عبد الرحيم الحارثي) .

لقد اعتمد المؤلف في دراسته عن هؤلاء على النص وحده ، أي على ديوان الشاعر المخطوط ، وقام باستقرائه واستطاع من قراءة النص النفاذ الى البواطن الخفية للشاعر ، الى ثقافتـه العامة ... خياله الشعري ... لغته والى العصر الذي عـاش به . وأعطى المؤلف لكل شاعر كتب عنه الصورة الكاملة لمجتمعه السياسي والفكري والاقتصادي ، وذكر ما لهذه العوامل من أثر فعال في حياة الشاعر ، كما أن المؤلف لم يهمل العامل النفسي والفطري وبيان ما لهذا العامل من أثر فعال ..

وأرى بعد قراءتي للكتاب أن الشاعر خليل مردم قد بذل جهدا كبيرا في الحديث عن (ابن عنين) ، وقد يعود هذا الى تشابه بينه وبين ابن عنين .

كان ابن عنين لا يرى في الدنيا غير الشام ، وكذلك كان خليل مردم .

لقد شهد ابن عنين قيام الدولة الصلاحية في دمشق ، وكذلك شهد خليل مردم ولادة الدولة العربية .. كلاهما كان مترفا ، وكلاهما كان عف اليد ، والفرق بين خليل مردم وابن عنين ان الاول كان عف اليد واللسان ، أما ابن عنين فلم يكن عف اللسان ، بل وقف موقف الناقد المشنع ، يغمز الدولة والقائمين بها من وزراء وقواد وقضاة حتى وصلت به الجرأة مبلغا بعيدا حتى تمرس بصلاح الدين الايوبي وتعرض له بقوله :

سلطاننا أعرج وكاتبه
ذو عمش والوزير متحدب

فنفاه السلطان ، فخرج ابن عنين رافعا صوته :

فعلام أبعدتم أخا ثقة
ما خانكم يوما ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم
ان كان ينفي كل من صدقا

وآخر مؤلفات شاعرنا الكبير « ذكرياته » الحلوة وما فيها من تاريخ وأدب .

● العرفان : ان نجله صديقنا العزيز الأستاذ عدنان مردم الشاعر المسرحي الشهير هو خير خلف لخير سلف ، شكرا له على نشره لتراث والده ، وهكذا يكون الأبناء الصالحون .



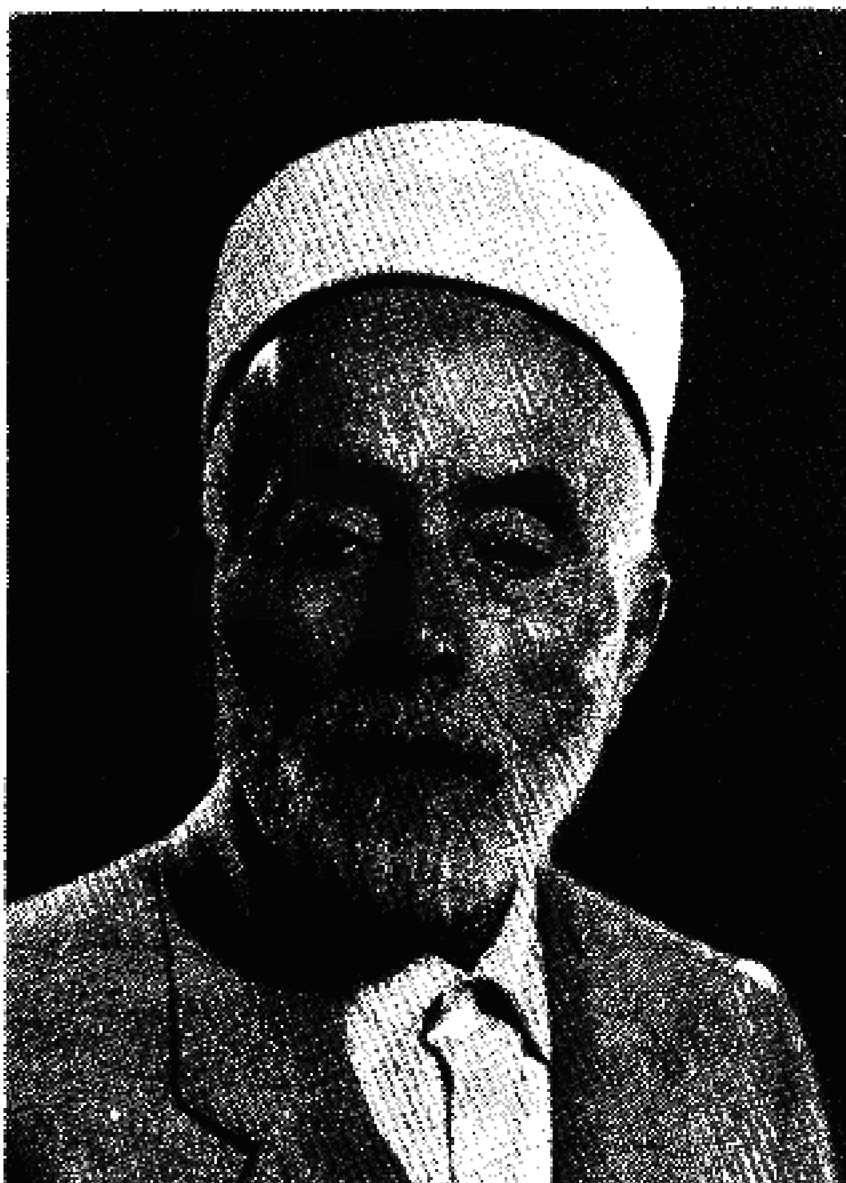
* * *

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين



« الشهيد الحي »

الشيخ احمد عارف الزين مؤسس مجلة العرفان وجريدة جبل عامل وعدد من الجمعيات العلمية والخيرية والاجتماعية وناشر افضل الكتب قبل ان يفكر احد بدور النشر



عزيزي القارئ

ان من قضى حياته من الفها الى يائها من مبتدئها الى خبرها وهو يخدم أمته ووطنه ويُعلي شأن الدين والعلم والأدب والثقافة والأخلاق والفضيلة والمُثل العليا ، لهو صاحب حق مكتسب في التكريم والتقدير ومجلته في المؤازرة والمناصرة .

والآن بمناسبة قرب مرور ثلاثة أرباع القرن على اصدار المجلة ـ أي ما يسمونه « اليوبيل الالماسي » ـ وقرن على ولادة منشئها ، وضعنا هذا العدد من العرفان كذكرى ، ولاعطاء معلومات عن صاحب هذه الذكرى لمن لم يتيسر له ذلك .

مجلة العرفان المجلة المجنحة والمدرسة السيارة يوم تأسيسها ، كانت من الأحداث الجسام والوقائع العظام ، فالورق نادر ، والطباعة صعبة والاتصال بالعالم الخارجي صعب جدا ، ومع ذلك تصدر العرفان وشقيقتها جريدة « جبل عامل » بحلة قشيبة وأبحاث قيمة ، وتأخذ مكانها منذ أول صدورها في الصدارة بين الصحف التي يشار اليها بالبنان ، ويكتب فيها كبار العلماء والأدباء ، وتنفرد بأن الشعر العالي وقف عليها . ولعلنا في السنة القادمة نضع جائزة مالية مقدارها عشرين الف ليرة لمن يؤلف أحسن كتاب عن مؤسس العرفان ومنشيء جريدة « جبل عامل » ، كما أن اللجان ستؤلف في جميع البلاد العربية ، للاحتفال باليوبيل الألماسي الحفاوة التي يستحقها مؤسس العرفان ومجلته كما وقد اضطررنا في السنة الماضية وهذه السنة أن نجعل العرفان شبه فصلية ، وسنعود بها الى سيرتها الأولى في السنة القادمة ان شاء الله ويجد فيها القارىء كل نافع ومفيد ، كما انا ستضعها في المكتبات للبيع ، ونحاول اصدار الجريدة كلما سنحت الفرصة .

فالى اللقاء في العام القادم .

تكريم العارف ومناصرة عرفانه

ان الأمـــة التي لا تكرم العــارف وتقدره وتعظمه وتناصر عرفانه لهي أمة لا تستحق الحياة بل الأولى بها أن تكون تحت بطــن الأرض وفي أحافيرها مــن أن تكــون فوق ظهرها ٠

الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

تكريم العرفان وصاحبها

فكم تخرج على العرفان من شاعر مجيــد وكاتب سديد وعالم رشيد ، وكم كشفت عن كنوز خبيئة من الأدب الرفيع ما كانت لولاها لتظهر وما كان أصحابها ليعرفوا ٠ فاذا مــا فكر اليوم فريق من كرام القوم في تكريــم العرفان وصاحبها فانهم ليؤدون بذلك بعض ما لهذا الرجل الفذ من دين في عنق هذه الأمة التي خدمها فتى ويافعا وشيخا خدمة خالصة لوجه الله لم يبغ من ورائها نفعا ولا طلــب أجرا ، وانهم بذلك ليعترفون ببعض ما كان لهذه المجلة من أثر في انهاض هذا الشعب ٠

السيد محسن الأمين

الدفاع عن كرامة الحق وشرف الحقيقة

كتاب الامام الحكيـم

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

ولدنا الفاضل الموفق نزار الزين المحترم دام مسددا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء لكم بالسداد في خطاكم والتوفيق في أعمالكم ، وبعد فان المسلمين عامة والطائفة الشيعية خاصة ليعرفون ما للمرحوم والدكم تغمده الله برحمته وأسكنه الفسيح من جنته من مواقف حميدة وجهود مشكورة في سبيل رفع راية الاسلام الظافرة والدفاع عن كرامـة الحـق وشرف الحقيقة والآن وقد اختاره الله لجواره وارتضاه لرحمته يجدر بكم أن تنهجوا نهجه وتسلكوا طريقه في تكريس طاقاتكم ونشاطكم لخدمة المبادىء الاسلامية العليا والذب عن تعاليمـه السامية المقدسة واننا لنأمل أن تكونوا مصداقا لقول القائل : « في الفرع ما في الأصل وزيادة » وانه سبحانه هو ولي العصمة والسداد وما توفيقي الا بالله عليه توكت واليه أنيب • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

١٩ رجب ١٣٨٠ ـ محسن الطباطبائي الحكيم

الفقيد العظيم

كلمة : الشيخ عبد الكريم الزنجاني

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد في السراء والضراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد ، فقد شق علينا نبأ الحزن وعز علينا نعي أخينا العلامة المجاهد فقيد الاسلام والعروبة المغفور له الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان أسكنه الله فسيح الجنان ، وعظم لدينا مصابه ، وجل عندنا خطبه ، وان العالم الاسلامي بأسره ليشاركنا في هذا الحزن •

فلقد أفنى عمره الطويل في العمل الصالح والجهاد في الذود عن حياض دينه وأمته وكان من رسل الاصلاح والنهضة والتجديد ، وعبقرية ثائرة لا تعرف القيود ولا الحدود ، وكان يعمل للشرق عامة وللاسلام والعروبة خاصة مجدا في احياء الاسلام على وجهه الحقيقي حتى يظهر للعالم كله أن الاسلام جامع للسعادة المزدوجة في النشأتين ، وصديق للعلم والأدب والحضارة الى جانب الزهد والتقوى ومكارم الاخلاق ، وعدو للجمود والكيد والفناء في المادة • وكان أكبر عون لنا في نشر الدعوة الى الاصلاح وتوحيد كلمة المسلمين حرصا منا ومنه على أن تعود للاسلام مكانته العالية فيؤثر في نفوس المسلمين ويظهر عليه الهيبة والجلال أمام غير المسلمين • زهاء نصف قرن ثابر على العمل الجدي لصالح الاسلام والمسلمين، وأصابنا وأصابه ما يصيب كل مصلح ، وما يصيب المصلحين غير قليل •

اذا فلا غرو في طلب لجنة تخليد ذكرى المغفور له فقيد الاسلام كلمة تأبينية مني لكي تلقى بالنيابة عني في ذكرى أربعين الفقيد الغالي ، بيد أن مناقبه الغر وجهوده الجبارة وجهاده الطويل ومواقفه الشريفة وآثاره الخالدة يعترف بها

العدو قبل الصديق ·

كل حديث كان عن حسنه
يعشقه القلب ويستعذب
لكن ما يرويه أعداؤه
عندي في شرع الهوى أعذب

فقدته الأمم الاسلامية والعربية في هذه الظروف العصيبة ، ولم يحتج الاسلام في يوم من الايام الى مصلح قوي عليم أمين حكيم يذود عنه كما هو محتاج الى ذلك في هذه الأيام ·

توفي فقيدنا الغالي (بعد أن قيد اسمه في قائمة المجاهدين العظماء) وقضى نحبه متلبسا بالجهاد في ديار الغربة وفي محراب عبادة ربه في الروضة الرضوية المشرفة فأصبح في درجة الشهداء·

ولقد بكته العروبة والأمم ونعاه الشرق ، ورثاه الأدباء ، وأبنته الصحف ، وهكذا يقضي قضاء الله المحتوم وناموس الكون الجاري على سنة الله بأن نهاية كل حركة الى سكون وغاية كل متكون أن لا يكون انا لله وانا اليه راجعون ·

ولكن ما مات من خلف وراءه دويا يملأ الاجواء وذكرا تتعطر به الارجاء ، ونورا تستهدي به الأحياء ، وسيرة تترسم خطواتها القادة العظماء ، نعم لم يمت شيخ الادباء ولكنه ارتقى من عالم الفناء الى عالم البقاء ومن مواطن العمل الى مواطن الثواب والجزاء :

(ومن عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون) · نسأله تعالى أن يرفع درجات فقيدنا الغالي في أعلى عليين ، وأن يلهمنا ويلهم المسلمين وآله وذويه وأنجاله الصبر الجميل ، ويوفقهم لاتمام رسالته ، انه سميع مجيب ·

٥/٦/١٣٨٠ ــ النجف الأشرف
عبد الكريم الزنجاني

الشيخ ... وعرفانه

بقلم: نصير مارديني

هل أتاك حديث الشيخ (أحمد عارف الزين) و ٠٠ (عرفانه)؟

ان شئت أن تغوص في تلك الدنيا التي كانت ترعف بالحياة والناس والقلم ، والمثل ، والارث والتراث التي كان الشيخ يلملمها من هنا وهناك وهنالك ويجمعها في عرفانه ٠٠

ان شئت آن تطلع على العالم الفكري الذي عاش فيه الشيخ الوحدة الاسلامية ٠٠ الوحدة العربية ٠٠ مقاومة الطغيان ٠٠ تحدي الجبابرة ٠٠ العلم ، القصة ، المقال ٠٠ أخبار الساسة والسياسة ٠٠ أنباء المتخاذلين ٠٠ قصص الذين وضعوا أدمغتهم في قوالب من الحجارة والاسمنت ٠٠

ان شئت أن تعرف فاقرأ في هذا الكتاب ما كُتب عن (العرفان) وصاحبها الشيخ ٠

الشيخ أحمد عارف الزين ابن الارض العربية التي لم تكن قد تعرفت بعد على النفط ، فتلطخت الوجوه بسواده ، وتحجرت القلوب والضمائر بسخائمه ٠

الشيخ واحد من بناة الفكر العربي الحديث الذي تفتح على الحياة الحرة ٠٠ الحرة ٠٠ والاخلاق ٠٠ فهو من القمم الشامخة في العالمين العربي والاسلامي ٠

انه ابن التاريخ العربي قبل أن يعرف هذا التاريخ حكام الصدفة ، ودهاقنة الردة ، ومفلسفي النكبات والهزائم،وسماسرة الافكار الوافدة بأسمائها ومسمياتها ٠

وحين أقول ابن التاريخ العربي •• أعني ابن كل براكينه الكتيمة •• كل ثوراته المتعثرة •• كل صحرائه التي تغوص الاقدام في طياته •• وتموت الاطياف في رماله •• كل نهضاته التي طلعت من بطن الارض فاعترضها قطّاع الطرق على الدرب وسلبوها معالم الخير ••• وألبسوها الشر •

لقد خرج الشيخ ليملأ الدنيا العربية وأختها الاسلامية حركة وضجة •• وولد للحياة الكريمة •• للأدب •• للشعر •• للدفاع عن الحق •• لارشاد الناس الى الينابيع الصافية •• وحين بدأ يشب انبسطت أمامه المآسي العربية على مد البصر •• وعرف لحمه التراب المر من نضال أهله وقومه •• وعرف ناسه وبلاده المعرفة المباشرة ، الزخمة ، من خلال الطفل الذي سمع أخبار جده وقومه •• وعرف ناسه وبلاده المعرفة المباشرة ، الزخمة ، من خلال الطفل الذي سمع أخبار جده الاكبر الحاج زين الذي قيل انه عمّر فوق المئة وتوفي سنة ١١٧٧هـ بقرية شحور ، وابنه الشيخ علي الزين الذي عبّر عنه الشيخ علي السبيتي في مخطوطته النادرة التي بقيت بعد حرق مكاتب جبل عامل بصاحب شحور بأنه كان من ذوي المكانة العالية ، ولما امتد ظلم الجزار والي عكا الطاغية المشهور أبت نفسه العالية البقاء تحت سيطرته فجهز جيشا كان هو مديره وأحد آل علي الصغير رئيسه وتوجهوا الى تبنين وقتلوا عامل الجزار وأخذوا خزانة الاموال التي بها وساروا نحو العراق ، فالتجأ آل علي الصغير الى احدى قبائل العرب وتوجه هو واخوته الى العراق ، فبقي أحدهم واسمه الشيخ حسن يطلب العلم في النجف الاشرف ، وتوجه وأخوه قاسم الى بلاد العجم ووفدا على محمد شاه فأكرم وفادتهما ، ثم سارا نحو الهند فوفدا على أحد ملوكها (نواب) ، ونظرا لما اتصف به المرحوم الشيخ علي من الذكاء المفرط والشجاعة والاقدام جعله وزيرا له ، وقيل انه تزوج بابنته ، وبعد وفاته قام مقامه ، ثم لما احتل الانكليز الهند لم يعط قياد الطاعة فحارب مدة سنتين أدت به الى رجوعه لوطنه مشردا ، وصرف بقية حياته في شحور

مقره الاصلي عزيزا مكرما ·· وولد له بعد رجوعه جد الشيخ الحاج سليمان الزين ، وكان كاتبا شاعرا أديبا حاسبا اشتهر بحسن الرأي والتدبير ، وقد قطن صيدا واشتغل بالتجـارة ، وخلف أربعة أولاد أولهم الشيخ محمد الزين ، وكان عالما في علوم العربية ، وثانيهم الشيخ حسين المعروف بالشيخ آبو خليل وكان متفقها ، والثالث الحاج علي الزين والد الشيخ عارف ، وكان عالما أديبا فقيها ، أما الرابع فهو الحاج اسماعيل الزين والد قرينة الشيخ ·

ولد أحمد عارف الزين في رمضان سنة ١٣٠١هـ في بلـدة شحور في الجنوب اللبناني ، وشحور كلمـة رومانية معناهـا (المحبة) نشأ فيها وتعلم القرآن على شيوخ القرية ، وعودة خاطفة الى تاريخ هذه البلدة ترينا شيئا من تاريخ جبل عامل·· شيئا من العزة هنا ، ومن السخط هناك ، وشيئا من الشعور بغير التسليم وراء كل تسليم ، ولكنه متفرق متقطع يراه الناظر اذا تبينه وفتش عنه ، ولا يكاد ينكشف له من النظرة الأولى في نطاق أوسع من نطاق الآحاد منفردين متفرقين · ومـن الحق ألا نعجب من هذه الصورة لبلدة مـن بلدان الجنوب في تلـك الفترة ، فانه كان أحرى أن نعجب لتلك البلدة آن تبقى فيها بقية من التربة الفكرية المخصبة بعد جوائح الطغيان الذي عم أرجاء الوطن العربي على مدى سنوات الحكم التركي ·· ان تاريخ جبل عامل مليء بثورات المقاومة ، فقد احتفظ هـذا الجبل بالشعلة الاسلامية ، ولم يتمكن الحاكم الظالم على مدى العصور استئصال جذور هذا الدين الحنيف من هذا الجبل وقراه ومسالكه ·· لقد وجد آبناء الجنوب اللبناني منافـذ للحريـة تتمثل في الحوادث الكثيرة التي رواها المؤرخون لتلك الفترة ونقلها الشيخ الى عرفانه ·

ان مواقف الشيخ في عرفانه ودفاعه عن الوحدة الاسلامية ، والوحدة العربية ، وتخليص العقيدة من شوائـب الخرافـات

والأساطير لو كتبت اليوم بلغة العصر وترجمت لجاءونا خبرها مع كتب القوم في علوم السياسة الحديثة بعنوان من تلك العناوين الكثيرة عن حقوق الشعب أو الدستور أو (الماجنا كارتا) وما اليها من مصطلحاتهم التاريخية .. ان لحمة مواقف الشيخ مبنية على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله .. وهذه المواقف تدلنا على أنه بقي في جبل عامل القدرة على المطالبة بالحق ومقاومة الظلم ، وهذه القدرة تمثلت في أحلك الأوقات بمواقف الشيخ ، هذه المواقف المتحركة في قلب انسان مؤمن بالعدل والخير متحفز للجهر بهما يؤمن به حيث يجدي الجهر بالايمان أو يجد له متسعا من القلوب والآذان ..

كل هذا نجده مسطورا في كلمات هذا الكتاب ، ومن قبل النخبة المؤمنة التي عاصرت الشيخ ، وعرفت قدره وجهاده ..

ولد الشيخ في أحلك ساعات الظلام ، هذه الساعة التي يقال انها هي ساعة الهزيع الاخير من الليل قبل مطلع الفجر الصادق بلحظات .

ويصدق ذلك على أوقات الظلام في عصور التاريخ ، فان أظلم أوقاته لهو الوقت الذي يسبق فجر اليقظة بقليل من السنوات ، ثم تأتي اليقظة في حينها فاذا هي بصيص النور الاول، قبل تباشير الصباح .

وعلى هذه الوتيرة كانت بداية القرن التاسع عشر في الشرق العربي أحلك ساعات ليله الطويل : ليل الجهالة والجمود ، ولم تكن بين العصور نسبة متصاعدة في ترتيب الزمن كتصاعد الارقام في حساب القرن ، فلم يكن القرن الثاني عشر ــ مثلا ــ أعرق من (النكسة) و (الرجعية) من القرون التي تليه الى أواخر القرن الثامن عشر الذي بدأت به نهضة العالم العربي في عصر الشيخ .. لقد كان هذا القرن أسوأ ــ ولا ريب ــ من أسوأ القرون التي تقدمته في أيام الجهالة

والجمود ، لأنه القرن الذي انبعثت فيه (المسألة الشرقية) من بقايا الحروب الصليبية ، فكان نذير الخطر الاكبر ، اذ كان الخطر قد تفاقم وتراكم ، وتجمع وتوسع ، حتى لا يزيد .

وكانت (المسألة الشرقية) قد تمخضت عن دور آخر ، دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دور الاستعمار على تركة الرجل المريض .. فبعد أن كان الغرض من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من أملاك الدولة العثمانية أصبح هذا الغرض هو تقسيم أقطارها جميعا من مسيحية واسلامية وتبادل الاغضاء عن كل نصيب متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها بقيد الحياة .

من هنا يجب أن نفهم طبيعة الهدف الذي نصبه الشيخ في عرفانه ، وهو (الوحدة الاسلامية) ثم الهدف الثاني وهو (الوحدة العربية) التي كانت تتمثل أحيانا في (الوحدة السورية اللبنانية) .

ان هذا الهدف الأساسي (الوحدة الاسلامية) كان المحور الذي دار حوله الشيخ في عرفانه ، ولكي تتعرف على الشيخ لا بد من التعرف على الهدف .. الذي لم يفارقه حتى وفاته ..

المؤتمرات التي حضر .. المقالات التي كتب .. الألقاب التي جمع .. الاقلام التي فتح لها صدر العرفان .. الكتب التي أصدر .. الاتصالات التي قام بها في أرجاء الوطن العربي ، والوطن الاسلامي كانت بدورها مراحل طريق .. فالكاتب الاسلامي ما يزال في أوج نشاطه المنتج وركضه .. الى أين ؟ الى الوحدة العربية ..

والشيخ أحمد عارف الزين ، ليس شيئا آخر غير الوحدة الاسلامية والوحدة العربية .. لتعرفه يجب أن تعرف حقائق هاتين الوحدتين المتلاصقتين ..

لقد جمع الدنيا العربية كلها الى تلك الطرق من جبل عامل الى أندونيسيا ، فالعرفان بكل ما حوته وضمته يبدأ من هنا ·· في العرفان تاريخ الأمة العربية ·· كل سطر في العرفان ، كل صفحة ، كل غلاف ، كل حكمة ، كل رواية يحكي شيئا من تاريخ الأمة العربية ، ومن تاريخ الوحدة الاسلامية ··

لهذا ، وبفضل جهاد الشيخ واخوانه من رجال الرعيل العربي الاسلامي الاول ، لم تستطع القوى المعادية من تحقيق أغراضها بعد استيلائها على تركة الرجل المريض ·· فاذا بالمسألة الشرقية تصنع المعجزات في ايقاظ الشرق ··

كان سر هذه المعجزات انها فتحت أعين الشرق على مواطن عجزه ونقصه ، وعلمته قهرا ما كان يأبى أن يتعلمه باختياره ، فأدرك حاجته الى التغيير العاجل ، وأدرك الشرق العربي ما هو ألزم له من ذلك ، وهو حاجته الى علم يجهله ، واعتقاده ان أمم الغرب قد انتصرت بذلك العلم عليه ، وانه لا غنى له عن ذلك العلم ليستعيد القوة التي انتصر بها على أعدائه ، قبل أن ينتصروا عليه ويأخذوا عليه كل طريق غير طريق الفناء أو التغيير ، ومن لم يطلب التغيير بعلم يتعلمه من المنتصرين عليه فقد آمن بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وآمن بأن قومه غيروا دينهم فتخاذلوا وانخذلوا ، فلا نجاة لهم بغير الرجوع الى الدين الصحيح ، مبرءا من لوثة البدعة والخرافة سليما من شبهة الدجل والغفلة ·· فكانت العرفان ·

فاذا كانت قارة الاستعمار قد حصرت خطتها حيال العالمين العربي والاسلامي في سياسة واحدة تريدها وتتعمدها ، فهناك من تصدى لها بسياسة أخرى لم تردها ولم تتعمدها تلقاها الشرق العربي منها على أيدي القادة المسلمين فهب لمقاومتها فكانت الثورات المتلاحقة في ايران والعراق وفلسطين وسورية ومصر ·

ونلاحظ في هذه الفترة رضوخ المستعمرين ظاهريا لمتطلبات رجال الاصلاح ·· ولعلنا ندرك حقيقة الحال ونعلم أن وعود

الاصلاح كانت ضرورة لازمة ولم تكن انعاما واحسانا من ولاة الأمور ·· اذا نظرنا الى بقاع العالم العربي فلن نجد فيه بقعة واحدة رضيت بما هي فيه ولم ينهض أملها للمطالبة بنوع من الاصلاح على نحو من الانحاء ، فتحركت السودان ، وتحركت الصحراء وتحركت قبائل المغرب في ثورتها ، بل في ثوراتها التي تكورت ولا تزال تتكرر الى اليوم وصدق على العالم العربي بين أطرافه المترامية تلك الاقوال التي تصدرت (العرفان) عن الغرب :

(انه مارد خرج من القمقم ولن يعود اليه) وكان في الحق ماردا هائلا يتململ في الأسر ليخرج من قمقمه المظلم المحصور ، ولكنه لم يكن في حياة الشيخ واخوانه من القادة الاسلاميين ماردا معصوب العينين كما صوره أولئك الراصدون للقمقم أو كما أرادوا أن يتصوروه ·· اذ كان للمارد زمامه في أيدي الهداة من القادة الملهمين ، ومن رواد الثقافة الأولين (الشيخ أحمد عارف الزين ·· السيد محسن الأمين ·· الامير شكيب أرسلان عبد الرحمن الكواكبي ·· الشيخ رشيد رضا ·· السيد جمال الدين الافغاني ·· والشيخ محمد عبده و ·· و ··) وكان لهذه الهداية بين المسلمين وغير المسلمين طابع الشرق الخالد منذ الأزل : طابع العقيدة والايمان ·· وربما قال الجامدون قبل المجددين ان الأوروبيين عملوا بأدب الاسلام فأعدوا العدة ونظروا الى حكمة الله في خلقه فتقدموا وتأخر المسلمون ···) ·

ونحن حين نغتبط بما قرأناه في هذا الكتاب من أقوال بحق الشيخ ، فان واجب العظة الصادقة يتقاضاها أن نذكر في كل حين ان الشرق العربي في قيادة هذا الرعيل المجاهد لم يكن سريع الخطى في انتقاله من دور الجمود الى دور محاولة الخلاص ، لأنه قضى نحو قرن كامل يجاذب بعضه بعضا عن الطريق القويم بين من يحسبون ان هذا الخلاص مطلب بعيد المنال ، علينا اذا نحن أن لا ننبذ الجديد بقضه وقضيضه ، وكأنما خرج المارد من

القمقم الى فضاء الارض والسماء ولكنه خرج اليه مكبلا بالأغلال والأعباء التي تثقل الرؤوس قبل أن تثقل الأقدام ، ولبثت كل أمة من أمم الشرق الادنى تنتظر القارعة التي تخصها بالعظة بين جاراتها وأخواتها التي تشبهها في المصاب وتشبهها في المصير ، فلم تتعظ أمة من هذه الأمم بمصاب غيرها على النحو الرشيد الذي يعفيها من تكرار الجهود وابتداء المسير من جديد .. وكأنما كانت أثقال الماضي أكبر وأخطر من دواعي اليقظة والحركة في الحاضر والمستقبل ، فبقيت هذه الأمم المتيقظة تجرجر وراءها تلك الاثقال شوطا بعيدا بعد استقامتها على منهج الاصلاح المحتوم .

وفي سورية ولبنان كان الاحتلال الفرنسي هو الصدمة الكبرى التي خصتهما بدروسها العاجلة ، وكانت دروسا محتومة لا تمهل المتعلم أن يتردد بين الجمود والحركة .

وربما كانت الغلبة العسكرية على الدولة العربية الأولى أضعف تلك الدروس أثرا ، لأن هزيمة يوسف العظمة لم تقع من الأمة موقع الدهشة فحسب ، بل دفعتها للتحفز ..

وربما كان من بواعث الثقة بعد ركودها ، ومن بواعث الاقبال على العلوم ، ان أذكياء الوطن فهموا انها (بضاعتنا ردت الينا) وان الفرنسيين انما أخذوا من علومنا في المشرق ما أهملناه وضيعناه فبلغوا به من القوة حديثا ما بلغناه قديما ، ولا يزالون يبحثون عن المزيد ليبلغوا فوق ما بلغوه ، ومكن لأذكياء الوطن من هذا الاعتقاد انهم نظروا الى الجلة المختارة من علماء الاجنبي فرأوهم يجدون في البحث ولا يترفعون عن التمرغ بالأتربة والخرائب ليكشفوا بين ودائعها عن أسرار التاريخ .

ان من أولى الفضائل التي اتصف بها الشيخ واخوانه من رعيل القيادة اكتشافهم حاجة المجتمع الى الرجل المثقف ، وشرط

مثل هذا الرجل في كل عصر انه (ابن عصره) وان طابع عصره يلازمه في تفكيره وعمله كما يلازمه في نظرته الى العالم من حوله، فلا يعيش في الزمن الحاضر بعقل الزمن الماضي ، ولا يترجم الواقع والحقيقة بلغة الوهم والخرافة ، وقد وجد الشيخ وعرفانه في عصر استطاع فيه أن يفتح عيون أبناء الجيل على النور بعد الظلمة ٠

واذا ما لاحقنا الكتابات الأولى للشيخ في عرفانه لامست عيوننا الفارق بين من ينظر بعينيه وبين من يتخبط في الظلمة أو يقاد ٠٠

كان الشيخ في عرفانه من هؤلاء الناظرين بأعينهم الى النور بعد منتصف القرن التاسع عشر ، بل في الطليعة من أولئك الناظرين البصراء الى حقائق زمانهم ، وقد كان الشاب أحمد عارف يدعو بصدق واخلاص الى بذل الجهود لابعاد الحمقى عن القيادة ، وقد سجل بذلك طابع العصر كله من منتصف القرن الثامن عشر الى منتصف القرن التاسع عشر ، ومن هزيع الليل الاخير الى مطلع النهار ٠٠

ولقد يذهب ذات يوم كل ما في دنيانا من خلافات مذهبية وصراعات اقليمية ، وحروب طائفية ولكن العرفان تبقى معلقة بأسطر الشيخ ٠٠ لأن هذه المجلة الاسلامية كانت بجانب المجتمع الحقيقي ، المجتمع بكل أخطائه ونبله ، وبجانب الزمن العادي الراكض ، الزمن الذي يملأ ويفرغ حياة الناس ، ثمة مجتمع آخر ومدى زمني ثان يمشيان بجانب المجتمع والزمن الحقيقيين ذلكم هو المجتمع الذي يقدمه المؤمن الشيخ ، من خلال رؤيته ومدى ظنه ، وهو الزمن الذي يطلقه للناس عالما آخر ٠٠ أقليلون هم أولئك الاندونوسيين ، والهنود ، والفرس الذين تأثروا بما كانت تكتبه العرفان ؟ لقد عرف هؤلاء الشيخ والتهموا أفكاره وكتاباته ، وكانوا بهذا التوجه يدلون على أصالة عقيدتهم الاسلامية ٠٠ لقد كان ينقل عبر كتاباته النخوة

الاسلامية في نطاقها الواسع ، وهذه النخوة هي محور الحياة في نواحيها الكثيرة ، وان رسالة الكتابة عنده انما كانت في صميمها رسالة خلقية قبل أن تتجه الى وجهتها الفكرية ، فلم يكن يعنيه أن ينقل الى الناس (معلومات) يجهلونها وكفى ، ولكنه كان يكتب ليحفز الناس الى عمل يتوانون عنه ، ويحملهم على خلق يحبب اليهم ذلك العمل ويسعدهم عليه ..

ولم يكن للشيخ أستاذ معين يجتذبه ، ولكن الحوادث كانت لها صيحة في مسمعه أقوى من صيحة المرشد ، فاقتحم معركة الحياة لينصر الحقيقة والتعاليم الاسلامية ، والاهداف النبيلة ، فشهد الثورات وحضر الوقائع فازداد جرأة في قول الحق واستخفافا بالموت وأقام أيامه ولياليه لا يرى الراحة ولا الهدوء لأنه كان يخوض معارك المثل العليا .

ويعلم الله كم قاسى الشيخ ليكون هذا الكوكب المتواضع الذي يسير فيه .. يطمع في تحقيق حلم أعرض من الأفق .. يطمع أن يشهد في حياته الوحدة الاسلامية تواكب في سيرها الوحدة العربية .. الذين عاصروه اختاروا الاهداف المتواضعة، أما الشيخ فاختار المسير الى أقصى بقعة في الارض يقطن فيها مسلم ليعلمه .. ونتساءل هنا كيف استطاع أن يخلد هذا الشيخ بعرفانه ؟

من دأب الايمان الديني في الطبائع القوية أن يقارب الروح المثالي والفكر العملي ، على غير المألوف في أكثر المفكرين العمليين من غير المتدينين ، أو غير المؤمنين ايمان اليقين .. فان القيم الاخلاقية العليا ، والاريحية المثالية خيال يحلم المصلحون المثاليون بتحقيقه في المستقبل ان صح انه قابل للتحقيق في وقت من الأوقات .. ولكنه واقع مقرر في كل وقت في كل لمحة من لمحات الزمن ، حاضر بحضوره في كل مكان ، غير ميئوس من ادراكه بارادة الله وارادة خلقه مع صدق النية واستقامة الطريق على هداه ..

وبهذا الايمان يتلاقى في طبيعة المؤمن القوية هذان الخلقان اللذان يفترقان بين مثالي يخطيء طريق العمل وواقعي يرتاب في امكان المثل العليا وسداد الاريحية الاخلاقية ، فهما خلقان متفقان تمام الاتفاق في ضمير المصلح المؤمن بوجود الكمال المطلق في كل وقت وكل جهة ، وهو وجود الله ..

ونحسب أن هذا الاتفاق بين الخلقين هو أصح تفسير لتلك السجية البينة في طوية الشيخ .. أمل لا حد له في الخير وفهم للواقع العملي لا يضل طريقه بين الشعاب المتفرقة في مسالك الاصلاح .. كان رفضه للظاهر رفضا للقشور وألوان الطلاء ، وكان بحثه عن الباطن بحثا عن حقيقة المعنى الصحيح من وراء اللفظ السقيم .. هو مصلح يتصل اصلاحه بالتفكير كما يتصل بالعمل . وهنا نلتقي مع الشيخ .. مع الكاتب العادل المعتدل ، ومع الانسان الامين ، ومع الاديب المهذب الفطرة ، حيث الادب ليس لهوا ، ولا سلعة ، ولا مسح كاهن ، ولا بخور مذابح مقدسة ولا ألغاز كلمات متقاطعة .. بل حيث الأدب لا يدل على ذوق رفيع ومعرفة واسعة فحسب ، بل على توافر عناصر التكون السليم في شخص الكاتب المسلم .

وأنت .. وأنا ، عندما نقرأ في العرفان كلماته التي تركها نحس بقوتها وتدفقها وهديرها وبأن أجمل ما فيها ، وعدها ، وأبلغ ما أتى فيها وورد : ما سيأتي بعدها ويرد ، مملوءة بالبراعم ملقحة بالخصب ، كأن السنوات الاخيرة من عمره ، لم تكن سوى المدخل الضيق الى حياته العريضة التي لو مكنه منها القدر الظالم ، وعاش الى سنوات أخرى لخلق لنا المؤلفات ، أو على الاصح ثروة فكرية وأدبية لا تقاس بالكتب والمؤلفات ..

اما أن يمجده الأبناء ، فحسب هذه الاوراق المجموعة في هذا الكتاب شرفا انها رد للتحية على من ألقى التحية ذات يوم وولى حسبها انها غصن أخضر يوضع على ترابه الجاف ، وقبره الغريب في ايران ، رمزا لخضرة شبابه الخالد .

الشيخ أحمد عارف الزين

حكايته

حكايته حكايتان :
حكاية رجل وحكاية عصر ٠
وما أدري كم يتهيأ لي من روايتهما على العجالة ، كما لا أدري أيهما أطرف وأعجب وأولى بالتقدير والاكبار ٠

★ ★ ★

حكاية الرجل في « شيخنا » حكاية شمائل تجمعت غرا فكانته ولم تخطىء اذا قلت كانت بطلا ٠



وما البطولة ان لم يكنها ؟٠
عرفناه الشجاعة يوم الفزع ٠
والسحابة يوم الجفاف ٠
والانصاف في زحمات الاجحاف والتحيف ٠
والنجدة في ظلمات اليأس والانقطاع ٠
والوداعة أيام الصفاء ٠
والصلابة في معارك الوطنية والعقائد ٠
والاقدام في حرب الجمود ، وشق الطرق الوعرة ٠
والثبات اذا قطعت المشاق كل الرفاق ٠
وهات شرطا للبطولة يختل به في هذا السياق !٠
هذا تلخيص مجمل ليس فيه حرف مشتهى ، فان لم ينقص لا يتزيد شيئا على واقع الرجل المهور بشارات بطولة نفسية ، وأخرى نضالية سجلت له كلتاهما انتصارات كثر على النفس وعلى العدو كلها باهر سني جليل ٠

ان زمانا يحترم الكلمة تخلع على الناس الخيال ، وتهبهم التصور لزمان راحل رحمه الله ، وما ينشأ في زماننا من هـذه الكلمات انما هي كائنات غير موسمية ، فلك أن تعتبرها من التحف في أقصى اعتبار ٠

الرجل : كل رجل مجموعة أحداث أكثر منه كمية من لحم ودم ٠ فاذا كلفتني من الشيخ أحمد عارف بوقائع أسردها لم تترك لأهل الذاكرة شيئا ٠

عاش هذا الرجل شابا يتجـدد ، على ثباته الصخـري ، بالتطورات في وعي مؤمن داعية وبين يوميه منعطفات تاريخية لا يعرف عمر البشر الطويل كمفاجآتها كما ولا كيفا ، ولعـل فترة منه أغنى بالمفاجآت من مجموع ما انكشف للبشر قبـل القرن العشرين ، ومع هذا ظل عقل شيخنا عصريا منفتحا لم تربكه التيارات المختلفة ، ولم تزعجه الافكار الجديدة الصالحة ٠

وعاش ما عاش حاملا غير محمول حتى ألفاه الناس يمشي الى « بيته الجديد » ـ كما يسمي السجاد القبر ـ بقدميه خفيفـا نشيطا مشية الشباب الخالد ، وقد حدثني مضيفه في (طوس) الطيبة انه أدى نافلة الليل ، وقلم أظفاره قبل أن يرقد بسويعة ، وان وطأة الساكن في حياته الثانية سُمع مختلطا بأصداء حديثه الباسم في حياته الأولى ، وليس هذا عبثا ، انه يكشف عن وحدة ليس الفناء في مضمونها الا خطا « عرضيا » يجد المحسوس ، وهو في حقيقته بقاء يتجدد باستمرار ، فالموت والحياة تعبيران عن معنيين من حقيقة البقاء ، والموت طريق الحرية وما فني انما هو الاحقاد وأسباب البغضاء الطارئة القشرية لا الشيخ عارف ٠٠ لقد بقي الشيخ عارف بقاء الحقيقة الحرة ، والماء اذا تبخر لا ينعدم ٠

انه لفخر لأرضنا أن تنبت قدوة في الرجولة كالشيخ عارف ٠

وأية قدوة أعلى في حساب القيمة من قوة في رجل تقهـر المشاق ، وتذل الطغيان ، وتستأنس بالوحدة في دروب الحـق

والضمير وتتنمر في دفع الأذى ورد العدوان ؟

من يعرف الشيخ عارف ولا يعرف أنه ظل واحدا في أصعب امتحانات الاحرار ؟ لقد امتحن بالحرمان ، وامتحن بالجحود ، وامتحن بالسجون ، وامتحن بالتشهير الكافر الجلف ، ولكن شيئا من هذا كله لم يسلس شيئا من قياده ، ولم ين شيئا من صعوبته ، ومضى عزيزا شريفا نقيا .

ماتت الاحقاد ومات اللؤم ، وبقيت الحقيقة .



وحكاية المرحلة في شيخنا حكاية زمن يمر باخوان لأهل الكهف ، وهي حكاية مرتبطة بأختها كما لا يخفى .

كان الشرق العربي يتمخض بأجنته ، فتترنح أنحاؤه هنا وهناك بدوار الثورة متجمعة للوثوب ، ولم يكن لمنطقتنا من النهضة الفكرية حظ يبرز من تناقضات المرحلة ما تبرزه منها حظوظ المناطق الأخرى ، وكانت تضاعف من تخلفنا المعوقات المحلية الناتجة من النظام التركي في مأساته المعروفة ، فلما تنظمت الحركة العربية ، وآذنت لها الظروف الزمنية بالبروز ، كان الشيخ عارف واحدا من الطليعة اللبنانية ، وحين أنقذه الله من انشوطة السفاح عام ١٩١٥ لم تردعه المشانق عن معاودة الكرة مع الكارين حتى زال العهد العثماني الكريه ، ثم لم تهدأ دوافعه الثورية تقدمه للكفاح في عهدي الانتداب والاستقلال ، فالمحرضات الثورية في العهد التركي ان لم تتكرر بالذات جاءت على نحو آخر لعله أبشع وأخزى في الدورين الاخيرين .

على أنه اقتنع منذ فجر نضاله بأن النضال السياسي لا يؤتي أكله دون تهيئة فكرية ، وتحضير ثقافي يعدان المرحلة الى التحول بأسبابها الطبيعية . من هنا أسس مجلة « العرفان » سنة ١٩٠٩ ان لم تخنى الذاكرة .

وفي « العرفان » تتحد حكايتا الشيخ فيتداخل رجل وعصر .

والعرفان قل : انها مدرسة في أمية هذه المنطقة المهملة خلال تاريخها الحديث كله ٠

أو قل : انها جسر امتد فوق الهوة الفاصلة بين انقطاع هذه المنطقة وبين العالم المتحرك الضاج ٠

قل : انها ثغرة في السد المضروب حول هذه المنطقة فلا يسمح لها بومضة نور ، ولا يأذن بنسمة عقل ٠ ليهبها جوع الفكر كما كان يهبها جوع المعدة !٠

وأكرم بالعرفان مدرسة وجسرا أو أجل من ذلك ، وأكرم بمؤسسها قادرا للحرف ، مؤمنا بقدرته الخلاقة ٠ لقد فدى عرفانه بحريته فدفع عنها ضرائب السجون والاضطهاد ومختلف ضروب التعويق ، وغذاها بقوته فتنازل لها عن أسباب رزقه ، وأغناها بابائه ففضلها على المغريات من الطيبات ، واستمر يقودها بحكمته : « من ثبت نبت » حتى سارت ببلده وبه مسير الشمس ، وحتى انشأت في لبنان والاقطار العربية كلها طبقات من الأعلام والمفكرين هم الآن في مقاعد القادة ٠

واذا جاز لي الحاق نفسي بخريجيها فاني ذاكر بوفاء وحب وتقدير انها اجازتني بشهادة في صباي كانت ذات حركة دافعة في نموي الادبي ، وقد وعدت مني في تعليق على نشرها لأول آثاري بمستقبل استشفه عارفها ، وما ونت من يومها ذاك حتى يومنا هذا تشجعني وتشجع غيري من خريجيها وفرسانها ، والتشجيع أحد وسائلها التربوية التقدمية ٠

أما وقد عاد الشيخ عارف في ذمة الحق والخلود فان « العرفان » الباقية ارث للجميع وهو ارث يجب أن يبقى متطورا ما بقي الجميع ٠

وقوف العرفان اذا حدث ، لا سمح الله ، يدل على وقوف نبض الأمة ٠

النهج ــ صدر الدين

عالم أديب مجاهد ومجلة رائدة

محاضرة : شفيق الأرناؤوط

وجوه الجنوب الثقافية تبرز من خلال عصور ثلاثة : تركية وفرنسية واستقلالية ، جرت فيها وقائع وأحداث تاريخية عاصفة ، لعب فيها الجنوب دورا قوميا ووطنيا مؤثرا ، وصل لبنان بحركات التحرر والاستقلال في الوطن العربي وصلا وثيقا .

ولعل الدور الراهن من أهم الأدوار التاريخية الحديثة التي أداها الجنوب ، وما زال يؤديها دفاعا عن قضية العرب الأولى : قضية فلسطين ، وذلك بصموده وتضحياته اليومية ، ومساهمته الفذة في الثورة الفلسطينية منذ نشأتها ، بالمال والسلاح والأرواح !

فالدور القومي لم يكن منفصلا قط عن الدور الثقافي . وتلك هي ميزة الحركة الثقافية التي ارتبطت – في الجنوب – بالحركة الوطنية ارتباطا عضويا . فقلما وجدت أديبا أو شاعرا أو عالما أو مثقفا أو صحفيا في الجنوب لم يتأثر ولم يؤثر في الكفاح من أجل التحرير والوحدة . وفي هذا الميدان تبرز أسماء كثيرة من مستهل القرن العشرين حتى اليوم ، وان كانت فترة الثلاثينيات أحفل بالنشاط الثقافي الوطني وأشمل .

و « الجنوب » مصطلح جغرافي انتشر ترديده في أيام الانتداب الفرنسي اثر اعلان الجنرال غورو ، المندوب السامي الفرنسي سنة ١٩٢٠ ، انشاء « دولة لبنان الكبير » من بيروت ومتصرفية جبل لبنان القديمة ، وقضائي صور وصيدا جنوبا ، ومتصرفية

طرابلس شمالا ، واقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا غربا • وكانت صور وصيدا وطرابلس من أجزاء ولاية بيروت القديمة في عهد الاتراك •

لذلك كان جبل عامل أولى بالتسمية من الجنوب ، لا استنادا الى الجذور التاريخية للتسمية بل نظرا لدلالتها السياسية والوطنية والعلمية والادبية ، فجبل عامل ، في التاريخ ، يمتد من نهر الأولي شمالا ، فتدخل فيه مدينة صيدا ، وينتهي في الجنوب عند بحيرة الحولة • وقد التحمت صيدا بجبل عامل في الحركات الوطنية أولا ، ثم في الحركات الادبية والثقافية • ولن نعود في هذه المحاضرة الموجزة الى التاريخ السحيق لاستعراض تلك الحركات ، بل سنحاول ابرازها من خلال أديب مجاهد ومجلة رائدة ، محركا العهود التركية والفرنسية والاستقلالية بيقظة وشجاعة وألفة ، فتركا بصماتهما على صيدا وجبل عامل ، ثم على سائر الوطن العربي مدة نصف قرن • عنيت بهما الشيخ أحمد عارف الزين ومجلته « العرفان » •



ولد الشيخ أحمد عارف الزين في شحور من أعمال صور سنة ١٨٨٣ وتلقى علومه الدينية والمدنية في القرية وفي النبطية ثم درس اللغات الاجنبية ، ولا سيما الفرنسية ، على بعض الأساتذة •

وفي العام ١٩٠٤ أقام في صيدا حيث بدأ حياته الصحفية والادبية والسياسية في سن مبكرة بمراسلة أكبر الصحف المنتشرة في العهد العثماني ، وهي :

١ ـ « حديقة الاخبار » لصاحبها خليل الخوري من الشويفات أنشأها سنة ١٨٥٨ فكانت أول جريدة عربية تصدر برخصة رسمية من قبل الحكومة العثمانية خارجا عن عاصمة السلطنة •

٢ ـ « ثمرات الفنون » الاسبوعية السياسية العلمية الادبية

التي أنشأها سنة ١٨٧٥ ادباء المسلمين وعلماؤهم في بيروت ، وكانت أولى الصحف الاسلامية في بيروت ، فوض تحريرها الى عبد القادر القباني ٠

٣ ـ جريدة « الاتحاد العثماني » في بيروت أيضا لصاحبها الشيخ أحمد حسن طبارة ٠

وفي ذلك يقول الشيخ عارف في المجلد التاسع والثلاثين من « عرفانه » العدد من ربيع الأول الى ذي الحجة ١٣٧١ و ١٩٥٢ تحت عنوان « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا » ما يلي :

« ٠٠٠ ابتدأنا في الكتابة منذ ٥٥ سنة ٠ وأول كتابتنا كانت في ثمرات الفنون والاتحاد العثماني ثم في جريدة حديقة الاخبار اذ كنت وكيلها ومراسلها في صيدا ٠ وكل كتابتنا أو جلها كانت في محاربة الزعماء المستبدين ، ونقد الموظفين الخائنين المرتشين، ونصرة القائمين بنشر الحرية والدستور ٠٠٠ » ٠

وهنا نستطيع أن ندرك الروح الثورية التي دفعت الكاتب الى الكتابة منذ نعومة أظفاره ٠ فقد شب وشاب على محاربة الزعماء المستبدين ، ونقد الموظفين الخائنين المرتشين ، ونصرة القائمين بنشر الحرية والدستور ٠٠ هذا الدستور الذي كان السلطان عبد الحميد قد عطله ، فقام رجال الاصلاح والاحرار العثمانيون ، ومنهم الشيخ عارف بالضغط على العهد لاعادة الحياة النيابية الى السلطنة ، فأعيدت سنة ١٩٠٨ واستبشر العرب بها ، ورفعوا شعارات الحرية والمساواة التي نادى بها الانقلابيون ، وبادر كثير من المثقفين العرب الى الانتساب الى جمعية الاتحاد والترقي ٠ ولكن تبين فيما بعد ان أقطابها عنصريون يسعون لسيادة الحكم التركي فقط ٠

في هذا الخضم السياسي أنشأ الشيخ عارف مجلته الشهرية « العرفان » ، فصدر الجزء الأول منها في المحرم سنة ١٣٢٧

الموافق فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ في ١١٤ صفحة في حجم مجلة «الهلال» المصرية لصاحبها جرجي زيدان . وظهر على غلافها التعريف التالي :

« العرفان »

مجلة علمية أدبية أخلاقية اجتماعية

تصدر كل شهر عربي

لمنشئها

أحمد عارف الزين

في صيدا

قيمة اشتراكها في صيدا ريال مجيدي واحد

وفي الخارج ربع ليرة فرنسية

والى يمين هذا التعريف الآية التالية

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

والى اليسار : « تعلّم العلم من المهد الى اللحد » .

أما فاتحة العدد الاول فيشير صاحبها الى عوامل الانحطاط التي أنهكت الأمة العثمانية ، والى قيام نيازي وأنور ، بطلي الحرية ، بواجبهما المقدس نحو الأمة والوطن ، ثم يتمنى للمملكة مدنية تضاهي بها أعظم ممالك الارض ، ثم يقول :

« هذا ولما انتشرت أشعة الحرية على أرض المملكة العثمانية انبرى فريق من حملة الاقلام أصحاب الافكار النيرة الى انشاء الصحف والمجلات علما منهم بأنها أنجع ذريعة لتهذيب الشعوب وتنوير العقول ، وخير عامل على رقيها وفلاحها ، وأحسن ضامن لسؤددها ونجاحها . وعلماء الاجتماع اليوم يعدونها مقياسا لترقي الأمم ، ونبراسا مضيئا ينقذها من الظلم والظُلَم . ونحن بما انتشر بيننا من الصحف بعد الدستور لا يعد شيئا بالنسبة لغيرنا من الأمم الحية .

ومنشيء هذه المجلة منذ نعومة أظفاره وهو يتشوق لانشاء صحيفة يتمكن بها من خدمة أمته ووطنه اذ (كل امريء ميسر لما خلق له) وقد قيض الله لنا ما نتمناه (والامور مرهونة بأوقاتها) فأنشأنا هذه المجلة على اعتراف منا بالعجز والتقصير، ودعوناها (العرفان) ولكل مسمى من اسمه نصيب • وقد أخذت على عاتقها البحث في العلم والادب والاخلاق والاجتماع قدر ما يستطاع ، على انها ستزيد مباحثها اذا رأت اقبالا ، فهي تعمل على ناموس الارتقاء وسنة الكون (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا) وتصدر في كل شهر عربي وفقنا الله لاتمام هذه الخدمة والقيام بهذه المهمة كي يتسنى لنا خدمة الوطن والأمة خدمة حقيقية في ظل حكومتنا الشوروية بمنه ويمنه » •

وفي العدد نفسه قصيدة لصاحب « العرفان » بعنوان «الحرية تشكو» نظمها عند اشتداد الازمة ، وذلك قبل الحرية ببضعة أشهر ، يقول فيها :

كيف أشكو من البرية ضيما
ومن الروح في الجسوم بقيه
أسروني فهان أسري لديكم
كيف يا قوم تؤسر الحريه
هدموا مجدي المؤثل حتى
بت مرمى لأسهم العصبيه
أقضت سنة التمدن في ذا
أم قضت فيه بدعة الهمجيه ؟
عيل صبري وطال منكم صدود
أين أنتم يا للوفا والحمية
أنسيتم زمان رغد تقضى
في حماكم ودولة عربية ؟

وهكذا نشأت أول مجلة شهرية في صيدا وجبل عامل وشرعت تنافس أشهر مجلات الوطن العربي « كالهلال » و « المقتطف » ، وبدأ يكتب فيها الشيخ محمد علي حشيشو ، والمحامي سليمان مصوبع ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ منير عسيران ،والشيخ أحمد رضا ، ثم أصبحت منبرا للادباء والعلماء والشعراء من جبل عامل ومن جميع الاقطار العربية أمثال شكيب أرسلان ومحمد كرد علي ومحمود تيمور وحافظ ابراهيم واحمد شوقي وعبد الرحمن الشهبندر وأمين الريحاني وايليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) وفارس الخوري وعباس محمود العقاد وشبلي الملاط وخليل مطران ومحمد مهدي الجواهري ومحمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي البصير وموسى الزين شرارة وعبد الرزاق الحسني ومحسن الامين وحسن الامين وعبد اللطيف شرارة وعبد الحسين شرف الدين والشيخ علي الزين ومعروف الرصافي وعبد القادر المغربي وغيرهم . وأصبحت « العرفان » مرجعا لكل باحث ، شرقيا كان أم غربيا .

وفي العام ١٩١٠ أنشأ صاحب « العرفان » أول مطبعة لطباعة مجلته ، فكانت من أهم مطابع الشرق في حينها .

وفي العام ١٩١٢ أصدر جريدة « جبل عامل » الاسبوعية ، وقد جاء في عددها الاول :

« لا تتبع الجريدة خطة ملتوية ومبدأ متغيرا ، وانما تعتصم بالحق في كل حال ، وتنطق بالصدق ولو أدى بها الى الاضمحلال » وأتبع ذلك بهذا البيت من الشعر :

« عليك بالصدق ولو انه   أحرقك الصدق بنار الوعيد »

وفي مقدمة كتابه « تاريخ صيداء » المطبوع سنة ١٣٣١هـ و١٩١٣م يقول :

« ••• وبعد ، فقد اختلفت مناحي المؤرخين باختلاف الزمان والمكان ونهج كل منهم منهجا خاصا تحدى به مـن قبله ، أو استنبطه من تلقاء نفسه • وليس من شأننا أن نفيض القول هنا في التمييز بـين الغث والسمين ، أو نعقـد فصلا للمفاضلـة بين المؤرخين ، من شرقيين وغربيين • غير انا نقول كلمة اجمالية وهي ان الذين يكتبون التاريخ بدون عصبية وتحيز ، قليلون جدا بين الفريقين • فلذلك أصبح تمييز صحيح التاريخ من فاسده من أشق الاعمال • ولا أظن مؤرخا يسلم من الغلط ، وينجو من الشطط مهما بالغ في التمحيص وبلغ الغاية من العناية في تتبع الصحيح • ولكن (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) وشتان بين من يراها بأم عينه فيدفعه عنها تعصب أعمى أو نفاق وتدليس ••• » •

على هذا النهج الاصلاحي والسياسي والوطني والعلمـي سار الشيخ أحمد عارف الزين في مجلته وجريدته • نهج واحد لم يتغير : محاربة العبودية والتخلف ، وتشجيع العلم والادب والثقافة وسائر المعارف • فكانت المجلة والجريدة ومطبعتهما ومكتبتهما مسرحا ضخما لحركة أدبية وعلمية ووطنية قل أن انفرد بادارتها والانفاق عليها ، مالا وجهدا ، رجل واحد •

وفي دعوته في مجلته للعلم يقول :

هبوا الى العلم والتهذيب جهدكم
فانما أعلـم الاقـوام أسعدها
واسترشدوا بضيا العرفانواقتبسوا
ما ضلت الناس والعرفان مرشدها

وحبه لوطنه وتفانيه في سبيله جعله يتوج « عرفانه » بشعار « حب الوطن من الايمان » وكان مؤمنا بالوحدة العربية ، فعمل لها طويلا بقوة واخلاص ، ثم طالب بالوحدة السورية ، ودعا لها تخلصا من الانتداب الفرنسي ، وزرعا لنواة الوحدة العربية

وكان يردد في خطبه :

أن تسل عني فهذا نسبي عربي عربي عربي

وكان لا يعرف الحلول الوسط في القضايا الوطنية ، فلا هوادة عنده في مقارعة الاستعمار وأعوانه مهما اشتد بطشه وبطشهم • وخطبه الكثيرة ، ولا سيما المرتجلة ، ضد الاستعمار والمستعمرين تتدفق لهيبا • ومقالاته في « العرفان » وجريدة « جبل عامل » اللتين كانت السلطات التركية والفرنسية تعطلهما شاهد على ذلك •

ففي العام ١٩١٣ أوقفت السلطات التركية جريدة « جبل عامل » أي بعد سنة من صدورها ، وحكم على صاحبها بالسجن شهرا ونصف الشهر في الديوان العرفي ببيروت لهجومه على طغيان السلطة ، وعلى « جمعية الاتحاد والترقي » التي كانت تعمل على تتريك الشعوب العثمانية بعد أن تظاهرت اثر عودة الدستور سنة ١٩٠٨ بتأييد العدل والمساواة ، وعودة الحياة النيابية الى البلاد •

وفي العام ١٩١٥ سيق صاحب « العرفان » مرة أخرى الى المجلس العرفي بعاليه بتهمة تأليف «جمعية فتاة العروبة» مع عبد الكريم الخليل ومحمد حيدر • وفي ذلك يقول :

« ••• وأخذنا بعد ذلك للديوان العرفي في عاليه بعد تفتيش بيتنا تفتيشا دقيقا • وشاءت العناية الالهية أن لا يجد المفتشون ما يدينون به لأن الواشي اللئيم أكد للمفتشين ان في جيبنا بطاقة تشعر بدخولنا في جمعية فتاة العروبة • ويا لها من جريمة عظيمة لو وجدت لكان جزاؤنا الشنق كما فعلوا بالشهداء الأبرار • لكن ظهر أن في العمر بقية • وكان المرحوم عبد الكريم الخليل ، وفي صحبته الدكتور محمد حيدر ، قبل أن

ينال الشهادة الطبية ، أعطانا هذه البطاقة ولفيف من الاخوان .

ولما نفدت البطاقات ، كلفنا أن نحلف اليمين لمن يريد الدخول بهذه الجمعية الفتية (١) .. » .

أما القسم الذي تتضمنه البطاقة فهو :

« أقسم بالله العظيم المنتقم الجبار ، وأقسم بشرفي وشرف الأمة العربية انني أتعهد القيام بخدمة مباديء الشبيبة العربية بكل صدق وأمانة واخلاص باذلا كل ما في وسعي في سبيل الوصول الى غايتها الشريفة ، ألا وهي تأسيس الجامعة العربية ، ولا أنفك عن خدمتها ما دمت حيا ، ولا أرتبط بجمعية ما دون اشارة منها . والله على ما أقول شهيد (٢) » .

ويصف حالته في عهد الاتراك والفرنسيين فيقول :

« ... هذه هي حالنا على عهد العثمانيين حيث سجنا سنة ١٩١٣ شهرا ونصف شهر ، ثم أخذنا مع من أخذ سنة ١٩١٥م بعد أن روع أهل بيتنا في المرة الأولى والتالية ، اذ أحاط الدرك بدارنا ، وأخذنا محفوظين أخذ عزيز مقتدر ، وعطلت جريدتنا ومجلتنا . وهكذا كان حالنا على عهد الفرنسيين ، فقد منينا بالتعطيل ، وحرق العرفان ، وشدة مراقبتها ، والتشريد والسجن و ... و ... و .. الى ما لا نهاية له (٣) » .

ولم يكن رصيد « العرفان » حسابا في مصرف ، أو بندا من بنود النفقات السرية للدعاية ، أو مساعدة من دولة وطنية أو أجنبية ، أو تشجيعا من حزب أو جمعية ؟ بل كان رصيدها الايمان والثبات والتضحية المتواصلة والعدد الكبير من القراء

---

(١) «العرفان» المجلد ٤٧ ايلول ١٩٥٩ .

(٢) «العرفان» المجلد ٤٨ ايلول ١٩٦٠ .

(٣) «العرفان» المجلد ٣٩ العدد من ربيع الاول الى ذي الحجة ١٣٧١و١٩٥٢

في البلاد العربية وايران والهند وبلاد الاغتراب . فأنفق عليها صاحبها بدلا من أن تنفق عليه ، وأذاب صحته في العمل لها ، وباع ورهن ما تركه له أبوه وشريكة حياته بدلا من أن يشري ويبتني الدور الفخمة للنشر وللسكن والاستثمار !

وعاشت « العرفان » في رعايته خمسين عاما تهاوت فيها صروح مجلات زميلات كبرى « كالمقتطف » و « الرسالة » و « الثقافة » و « الكتاب » ، وبقيت « العرفان » صامدة بفضل ايمان صاحبها ونفسه الطويل على الكفاح والمثابرة فلم يسترح يوما ، ولم يلق سلاحه ، فليس ذلك من طبيعة المجاهدين . ولم ينكس راية النضال الوطني في أي من العهود الثلاثة التي عاشها ، لأن المغريات لم تكن قط في الحسبان . وليس في ذلك غرابة ، بل الغرابة أن ينأى رجل العلم والادب ، أو أي رجل فكر ــ بعلمه وأدبه ــ عن قضايا وطنه وأمته ، ولا سيما عندما يكون الوطني والأمة تحت نير استعمار أو استغلال أو اقطاع !

وكان يكره الجمود والتحجر ، ويحب لنفسه ولقومه التقدم والتطور . وكان مؤيدا لسياسة عبد الناصر في مؤتمر باندونغ الداعي الى الحياد الايجابي .

قيل له : أيها المجاهد العربي ! يا شيخ المسلمين ! كيف تزور موسكو ؟ فانتفض انتفاضة مهذبة وأجاب :

« شعب الاتحاد السوفياتي شعب صديق لنا ، ودولة الاتحاد السوفياتي دولة كبيرة . وقد وثب الجماعة وثبتهم التاريخية الجبارة في مدة ثلاثين عاما ، بينما اقتضت نهضة غيرهم مئات السنين ، فلم لا نطلع على نواحي حياتهم الخصبة ، ونقف بأنفسنا على وجوه نشاطهم ونهضتهم ؟ اني كعربي أرى مصلحة بلادي في الحياد الايجابي بين المعسكرين المتنافسين المتناحرين ،

ولأني كمسلم أكره الجمود،وأحب لنفسي ولقومي التطور(١)».

أما فلسطين فقد أولاها شطرا كبيرا من نشاطه واهتمامه سواء أكان في « عرفانه » أم في خطبه وفي المؤتمرات التي كان يحضرها .

وفي تشرين الاول من العام ١٩٥١ أقيمت في صيدا حفلة تكريمية لصاحب « العرفان » حضرتها وفود كثيرة من مختلف الاقطار العربية . وكان من هذه الوفود وفد فلسطين يمثله عبد الله القلقيلي ، صاحب جريدة « الصراط المستقيم » . فألقى كلمة تساءل في مطلعها :

« .. وهل من الجائز أن تقعد فلسطين عن المساهمة في عرفان صاحب (العرفان) وقد كانت مجلته موردا لأدباء فلسطين وفضلائها يعبون منها العلم والآداب والمعرفة ؟ وان مجلة (العرفان) لاول مجلة دخلت فلسطين وأفاد منها أهل فلسطين الحكمة والادب ، وكان في الرعيل الاول من الذابين عن حياضها حتى اليوم ، وهو رأس في العطف على لاجئيها وما زال (٢) .. » .

ولعل العام ١٩٣٦ أبرز أعوام حياة صاحب « العرفان » في النضال القومي . في ذلك العام مر جبل عامل وصيدا بأحداث الوحدة السورية ، وبثورة فلسطين الكبرى على الانتداب البريطاني وتهويد فلسطين . فكان الجنوب بأسره مسرحا لنشاط ثوروي لم يعهد له مثيلا من قبل . وجاءت انتفاضة بنت جبيل على احتكار الريجي في اطار التصعيد القومي في

(١) «العرفان» المجلد ٤٨ ك٢ وشباط ١٩٦١ .
(٢) «العرفان» المجلد ٣٩ ربيع الاول ١٣٧١ وكانون الاول ١٩٥٢ .

المنطقة . فقد كانت مدن الساحل وجبل عامل وبعلبك ، منذ ان أعلن الجنرال غورو « دولة لبنان الكبير » معارضة لذلك الاعلان ، ومقاومة لسلخ الاقضية الاربعة : راشيا وحاصبيا وبعلبك والبقاع عن سورية والحاقها بلبنان . وكانت تلك الاقضية تابعة لولاية سورية في العهد التركي .

وكان المؤتمر السوري العام الذي عقد سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ قد أصر على بقاء بلاد الشام كلها تحت راية الأمير فيصل الذي توج ملكا في دمشق في ٨ آذار ١٩٢٠ فأرسلت الحكومة السورية منشورا الى جميع المناطق تعلن فيه موقفها من تأييد جبل عامل وصيدا كاملا . فشنت سلطات الاحتلال حملة اعتقال على الوطنيين ، وعمدت الى حمل أهل صيدا وجبل عامل على توقيع عرائض تستنكر ملكية فيصل ، وتطالب بالالتحاق بلبنان ولكن أحدا من السكان لم يوقع .

وقد أجاب مدير ناحية النبطية قائلا : « ان الحصول على التواقيع غير ممكن للروح السائدة في البلاد من التعلق بالملك فيصل وبالوحدة السورية ، والنفور من الالتحاق بلبنان (١) ».

ويذكر الشيخ أحمد رضا حادثة جرت في صيدا عندما وفدت اليها سنة ١٩١٩ لجنة الاستفتاء الاميركية « كينغ كراين » المولجة باجراء استفتاء في نوع الحكم الذي يريده أهل البلاد . يقول :

« ... فجاء الى صيدا وفد من مئة شخص يمثلون الشيعة مطالبين بالانضمام الى الوحدة السورية ، وبرفض الانتداب الفرنسي . وحين قابلهم الحاكم العسكري سألهم :

ـ كيف تريدون الشكل الموافق للحكومة في هذه البلاد ، وهل الاصلح لها الفرنساويون أو العرب ؟

فقلنا له : ونحن شعب عربي سوري، نتمنى أن تكون حكومتنا عربية سورية ... وهل يلام المرء على حبه لقومه ؟ ثم قال :

---

(١) أحمد رضا «العرفان» المجلد ٣٣ ص ٧٣٤ .

ان الحكومة الفرنسية تحب الشيعة وتميل اليهم ••• ومتى تقرر المصير ، وأصبحت فرنسا هي الدولة المنتدبة لسوريا ، فان الشيعة ستنالهم حقوقهم وزيادة • فقلنا له : ان علماء الاجتماع قرروا ان على الحاكم واجبا ، وعلى المحكوم واجبا آخر •• فاعطاء المحكومين حقوقهم ، والعدل بينهم مما يجب على الحكومة ، فقال : وهل تظنون ان الشام تعطي الشيعة حقوقها ؟ فقلنا : وما الذي يمنع ذلك ؟ ثم قال : لمن تدعون في مساجدكم ؟ قلنا : اننا ندعو لملك العرب حسين • قال : وكيف تقولون برئاسة الملك حسين الدينية ، وهو سني وأنتم شيعة ؟ قلنا : لأنه قد حاز الشروط من حيث كونه قرشيا هاشميا ، ولا يمنع من خلافته كونه سنيا (١) » •••

وعندما استشار المندوب السامي الفرنسي « هنري دو جوفنيل » الهيئات والشخصيات السياسية والوطنية في البلاد في المبادىء والخطوط التي يطلب اعتمادها في دستور البلاد الجديد الذي وعد بدراسته وتحقيقه ، وجهت صيدا عريضة الى المندوب السامي تحمل تواقيع ملاكيها ومزارعيها ومحاميها وتجارها ومخاتيرها وأئمة مساجدها ، وفي رأس الموقعين صاحب «العرفان» والعريضة تعلن مقاطعة الاستفتاء ، وتكرار طلب الانضمام الى الوحدة السورية على أساس اللامركزية •

وفي العاشر من آذار ١٩٣٦ عقد في منزل سليم علي سلام في بيروت « مؤتمر الساحل » المشهور • وكان في مقدمة حضوره صاحب « العرفان » • وقد قدم المؤتمرون مذكرة الى المندوب السامي بطلب الوحدة •

وفي منزل صاحب « العرفان » ومنازل عادل عسيران وعباس الحر وآل الجوهري في صيدا كانت تعقد اجتماعات ومؤتمرات من أجل الوحدة السورية •

---

(١) المصدر السابق •

وكان علي بزي وموسى الزين شرارة والشيخ علي الزين وكاظم الصلح وعادل عسيران وغيرهم من أبرز الشبان تحركا ونشاطا الى جانب الشيوخ : أحمد عارف الزين ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وسليمان ظاهر وأحمد رضا ، وأمثالهم ·

وكانت مدة امتياز « شركة التبغ والتنباك » الاحتكارية الفرنسية قد انتهت سنة ١٩٣٢ فعزمت السلطات الفرنسية على تجديد الامتياز · فهب الوطنيون في بنت جبيل والنبطية وصور يقاومونه وينظمون التظاهرات والاضرابات احتجاجا على تجديد الامتياز · فعمدت السلطة الفرنسية الى تعيين ضابط عسكري في صيدا (بتشكوف) مستشارا للجنوب ، وذلك لضرب المطالبين بالغاء الامتياز وبالوحدة · فاستبد بتشكوف في صيدا وجبل عامل استبدادا شديدا ، واتخذ اجراءات ظالمة بحق مزارعي التبغ ، فتدوولت الاغاني الساخرة منه ، تتحداه ودولته ·· ورددها الناس في التظاهرات ···

وحمل على استبداده وبطشه صاحب « العرفان » وفي ١١ تموز ١٩٣٦ أصدرت محكمة الجزاء المختلطة في بيروت حكمها على الشيخ عارف بالسجن اسبوعا مؤجل التنفيذ لخطاب ألقاه في صور ، وهاجم فيه المستشار الفرنسي حاكم الجنوب بأمره !

وفي العام نفسه برز في صيدا الشاب معروف سعد مندفعا في سبيل الوحدة وفلسطين ، فكان يتقدم التظاهرات ويخطب فيها · ثم قاد حركة المقاطعة التي تقررت في فلسطين ضد الصهيونيين ، وراح واخوانا له يمنعون تهريب الخضرة والفاكهة وغيرها الى فلسطين عبر الحدود الجنوبية ·

وفي ١٢ تموز ١٩٣٦ تقرر انطلاق تظاهرة سلمية نحو سراي الحكومة ومكتب المستشار الفرنسي للاحتجاج على سياسة الارهاب التي تستعملها سلطة الانتداب ضد رجال الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية · وراحت الجماهير تهتف للوحدة

السورية ، فأمر قائد الدرك (الياس المدور) باطلاق النار على الجماهير ، فاستشهد بعضهم ، وأصيب معروف سعد وهو يقتحم قشلة الدرك في جرأة ومجازفة خطيرتين ، ووقع أرضا لكثرة ما نزفت جراحه من دماء ، فاقترب منه رجال الشرطة وحملوه الى أحد مكاتب القشلة حيث عولج وأوقف ٠

فهاجت المدينة ٠ ووقف الشيخ عارف في جموع المتظاهرين يخطب منددا بالاستعمار وعملائه ، ومعلنا ان الاضراب والتظاهر لن يتوقفا ما لم يطمئن الناس الى سلامة معروف سعد ٠ وعندما رأى قائد الدرك بوادر هذا العصيان ، أمن للشيخ عارف مخابرة هاتفية مع معروف سعد (الموقوف في القشلة) تأكد له فيها سلامة رفيق كفاحه ٠ ولكن الاضراب المفتوح تقرر الى أن يفرج عن سعد ٠ وقامت وفود غفيرة من النبطية وبنت جبيل وصور ومرجعيون وطرابلس وبيروت وصيدا بمقابلة رئيس الجمهورية للاحتجاج على قائد الدرك الذي أمر باطلاق الرصاص ٠ وتألفت لجنة في صيدا للاشراف على تنظيم الاضراب وجمع الاعانات للمنكوبين ، وانتخاب المحامين للدفاع عن المتهمين ٠ أعضاء هذه اللجنة هم : الشيخ أحمد عارف الزين وحسني أبو ظهر وعادل عسيران وكاظم الصلح وشفيق لطفي والحاج علي البزري والدكتور رياض شهاب ومحمود الشماع ومحمد السنيورة وتوفيق الجوهري وكامل قاسم ونديم حمادة ونور الدين الجوهري ومحمد عبد السلام المجذوب ٠

وفي ليلة الخامس عشر من تموز وصلت من بيروت قوة كبيرة من رجال الشرطة ، فاعتقلت الشيخ عارف وبضعة شبان من صيدا ، فأثار ذلك من جديد موجة سخط عارمة على سلطة الانتداب ، فاستمر الاضراب ، وراحت الوفود تؤم منزل الشيخ عارف معربة عن استنكارها لاعتقاله ، وتنتقل الى بيروت لمطالبة المسؤولين بالافراج عنه ٠

وفي التاسع والعشرين من تموز أجرت جريدة « بيروت » تحقيقا واسعا عن الاضطرابات في صيدا وجبل عامل تحت عنوان « يقظة الجنوب » نقلت فيه حديثا للضابط المدور ـ لم يصدقه المحرر كله ـ اتهم فيه الشيخ عارف بتنظيم الاضراب والتظاهرة مع ان عبد الحميد كرامي اتصل به قبيل الاضراب يعلمه بالغائه قال المدور :

« ٠٠ وحضر من طرابلس كرامي وبضعة أشخاص وآخرون من بيروت الى صيدا ٠ عقدوا اجتماعا في بيت عباس الحر بوجود الشيخ عارف الزين ، وفوضوا الشيخ عارف بالزعامة ٠ وقد عقد هذا الاجتماع قبل المظاهرة بثلاثة أيام ، وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع على اقفال المتاجر ، والقيام بمظاهرة في يوم واحد في صيدا وطرابلس » ٠٠٠

ثم يذكر الضابط كيف اتصل بعبد الحميد كرامي ليقنع الشيخ عارف بالغاء الاضراب والتظاهرة ، ولكن الشيخ عارف لم يعلن ذلك على الناس (١) ٠

وفي الثالث من أيلول أصدرت محكمة بداية الجزاء المختلطة في بيروت حكمها على الشيخ عارف بالسجن شهرين ، وعلى معروف سعد بالسجن عشرة أشهر ٠ وقد دافعا عن نفسيهما دفاعا مجيدا ٠

ومما يذكر ان المفوض السامي الكونت دو مارتيل استدعى ـ في العام ١٩٣٦ ايضا ـ رياض الصلح وعبد الحميد كرامي والدكتور عبد اللطيف البيسار والشيخ عارف الزين ، ووجه اليهم السؤال التالي :

ـ لماذا أنتم طلاب وحدة سورية ؟ فرد الشيخ عارف قائلا : اذا قرأت « اللاروس » الذي تعلمون به اطفالنا ، يا مسيو

(١) الغاء التظاهرة والاضراب لا يجوز الا بموافقة الطرفين ولذلك قال الشيخ عارف للقضاة : أنا وحدي مستعد لتحمل كل مسئولية ٠

دو مارتيل ، فستجد علماء اللغة في بلادك كتبوا الى جانب لبنان (جبل في سوريا) فيتور المفوض السامي ، وينهي المقابلة محتدا (٢) .

وفي الثامن من آب ١٩٣٧ عقد في بلودان « المؤتمر القومي العربي » الكبير الذي ضم وفودا وشخصيات معروفة من الاقطار العربية منها : الامير شكيب آرسلان ورياض الصلح ومحمد علي علوبة (باشا) واحسان الجابري وناجي السويدي ولطفي الحفار وفخري البارودي ونبيه العظمة ، والمطران اغناطيوس حريكة ــ ممثلا البطريرك غريغوريوس حداد ــ ومحمد عزة دروزة وجبران تويني والدكتور فريد زين الدين وعمر الداعوق والامير أحمد الشهابي وصبري العسلي وناظم القدسي وفايز الخوري . ومن صيدا والنبطية وبنت جبيل ومرجعيون : الشيخ عارف الزين ومعروف سعد والشيخان احمد رضا وسليمان ظاهر وعلي بزي وموسى الزين شرارة وألفريد آبو سمرا (صاحب جريدة القلم الصريح) .

وكانت أهداف المؤتمر الدفاع عن فلسطين ، وتنفيذ التدابير الفعالة لمقاومة أخطار الصهيونية التي تهدد الوطن العربي بأسره .

ولم يعقد مؤتمر وطني أو قومي في أي بلد عربي الا وكان الشيخ عارف في طليعة المدعوين اليه والمشتركين فيه . وكان له في دمشق بنوع خاص مكانة مرموقة ، تشده الى زعمائها ووطنييها صداقات وطيدة .

في مهرجان كبير أقيم في اللاذقية في العام ١٩٥٤ لمناسبة وفاة عبد الواحد هارون من زعماء « الكتلة الوطنية » ، دعي الشيخ عارف الى المهرجان ، فرافقته في هذه الرحلة ، فارتجل خطبة وطنية قوبلت بالاستحسان . ثم سافرنا في اليوم التالي الى حلب .

(٢) «العرفان» المجلد ٦٣ اذار ١٩٧٥ .

وما ان عرف احسان الجابري الزعيم السوري ورئيس مجلس نواب الوحدة فيما بعد بقدوم الشيخ عارف حتى أقام له مأدبة عشاء دعا لها بعض أدباء حلب وصحافييها ، أذكر منهم سامي الكيالي ، صاحب مجلة « الحديث » . وفي تلك المناسبة ألقى الجابري كلمة ثناء عاطرة على مواقف الشيخ عارف الوطنية وتقدير سورية له حكومة وشعبا .

وجاء في « قاموس الاعلام » لخير الدين الزركلي عن الشيخ أحمد عارف الزين ما يلي :

« تعلّم في النبطية ، وابتدأ يكتب في بعض جرائد بيروت سنة ١٩٠٥ وأصدر مجلته ببيروت عام ١٩٠٩ ونقلها الى صيدا سنة ١٩١٢ فاستمرت ، ما عدا فترات ، الى عام وفاته . ثم تتابع اصدارها ، فبلغت ستة وثلاثين مجلدا سنة ١٣٦٨هـ . وأصدر سنة ١٩١٢ جريدة « جبل عامل » فعطلت ، هي والعرفان وسجن خمسة وأربعين يوما ، ثم أحرقت مطبعة العرفان سنة ١٩١٥ وسجن أيضا . وفي عهد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٨ نفي من بلده ، وعاد وسجن سنة ١٩٣٦ مع بعض الزعماء واطلق . وأدركته الوفاة وهو يصلي في محراب الامام الرضا في مدينة مشهد بايران . وكانت له مشاركة في حركة اليقظة العربية . ولم يعقه ما لقي في سبيلها من تجن ونفي عن متابعة العناية بمجلته التي كانت أعظم ميدان لأقلام كتاب عصره من العامليين على الخصوص ، والشيعة الامامية بصفة عامة . وكان لمطبعتها الفضل في نشر جملة من كتب الأدب والتاريخ . وصنف « تاريخ صيداء » و « تاريخ الشيعة » و « الحب الشريف » .

وعند وفاة الشيخ عارف في ١٥ تشرين الاول ١٩٦٠ انهالت برقيات التعزية من الرؤساء والزعماء السوريين مكبرة في الراحل كفاحه وجهاده في سبيل الوحدة والتحرير . وكذلك أرسلت البرقيات والرسائل من جميع البلاد العربية الى لجنة الاحتفال بذكراه في اليونسكو ببيروت .

اما صيدا التي حضنت الفقيد وحضنها في حب واخلاص وتقدير أكثر من ستين عاما ، فقد مثل حرقتها على فقده نائبها المناضل معروف سعد ، رفيق جهاده ، بقوله :

« .. هنيئا لأستاذنا وقائدنا الشيخ عارف مرقده الاخير وضجعته الطاهرة . ولكن انها لحرقة لنا ، أي للبلدة التي جاهد وناضل من آجلها الشيخ عارف ، والتي وضع تاريخها ، ورفع اسمها عاليا في أنحاء الدنيا ، وشاركها سراءها وضراءها وآلامها وأمانيها ، أن لا تكون ضجعته الاخيرة فيها وأن لا يتمكن أهلها من التعبير عن شعورهم نحوه (١) » .

لقد كان منزله في صيدا مضافة للزوار من الأدباء والعلماء والشعراء والشخصيات الوطنية والسياسية . وكانت الاحاديث والمناقشات الادبية والعلمية والوطنية تطغى على سائر الاحاديث وذلك على غرار الصالات الادبية المشهورة التي كان يقيمها العقاد وطه حسين ، والصالات الباريسية في القرن السابع عشر . ولكن هذه الصالات كانت تفتح مرة في الاسبوع ، في حين ان صالة الشيخ عارف مفتوحة في كل يوم .

كنت أختلف الى تلك الندوات بعد الظهر في أواسط الثلاثينيات ، وأستمع بشغف الى ما يدور فيها من مناقشات ومساجلات ، كما كنت أتردد الى مكتب صاحب « العرفان » في مطبعته للاطلاع على الكتب الصادرة حديثا ، والواردة اليه لتقريظها . وكان منزله ومكتبه يضمان عددا لا يستهان به من الكتب النادرة ، ولا سيما المخطوطة .

وكان يشجع العلم والمعرفة ، فاشترك سنة ١٩١٢ مع الشهيد الصيداوي الضابط توفيق البساط في تأسيس « جمعية نشر العلم » وانتخب رئيسا لها . وبعد ثلاث سنوات أعدم جمال

(١) «العرفان» الجزء الرابع المجلد ٤٨ كانون الاول ١٩٦٠ .

باشا (السفاح) توفيق البساط في قافلة الشهداء الأولى في ساحة البرج في السادس من أيار ١٩١٦ ٠

وكان يشجع الناشئين على الكتابة ٠ فكان حلمي ان أقرأ اسمي مطبوعا في « العرفان » في ذيل مقالة ٠٠٠ الى جانب أسماء الكتّاب المعروفين ٠ فلخصت موضوعا عن الفرنسية ، ولم أجرؤ على تسليمه للشيخ عارف يدا بيد مخافة الاعتذار عن النشر ٠٠ فأرسلت المقالة بالبريد ، وراحت تؤرقني حتى آخر الشهر ٠ واذا بي أتلقف العدد ، وأقلب صفحاته سريعا حتى عثرت على الاسم المنشود ٠٠٠ فرحت أعيد قراءة ما كتبت مثنى وثلاث ورباع منتشيا اعجابا ! وفي اليوم التالي زرت الشيخ عارف في مكتبه أول مرة ، وكان ذلك في العام ١٩٣٦ ، فشجعني على متابعة الكتابة في « العرفان » ، فتابعتها حتى نهاية الاربعينيات ٠

ثم دفعني التشجيع – أو غرور الشباب ! – الى النشر في « الثقافة » المصرية ، وفي « المكشوف » و « الامالي » و « العلوم » و « الآداب » اللبنانية ، و « التمدن الاسلامي » الدمشقية وتحولت من التدريس في مقاصد صيدا الى الصحافة والاعلام ، ثم الى القضايا القومية ، فلم يعد اسمي مطبوعا ، مثار اهتمامي وأحلامي ٠٠٠ ولكن بقي محفورا في نفسي اسم ذلك الشيخ الوقور الشجاع الذي مثّل العقيدة والجهاد أمام القوة والسلطان أبلغ تمثيل ، وامتحن بالسجن والحرمان والجحود ، فلم تلن له قناة ، ولم تهن عزيمته ، ولم يضعف ايمانه ٠

بقي مطبوعا في نفسي وفاء ذلك الرجل الذي اشتهر بـه ، والوفاء خلة شريفة نادرة في كل عصر ومصر !

بقيت صورة ذلك الكاتب عف اللسان والقلم ، والصحافي الذي لم تتسع يده لغير مقبض القلم الذي حمل به لواء العفة والطهارة والاصلاح ، وقاوم الطغيان والجهل والاقطاع ، فعاش سنواته السبع والسبعين عيشة التقشف والاباء ، فكان

مثلا يضرب به لرجال الدين والعلم والادب والوطنية في ايثار الحق والعدل والموضوعية على المغانم وشهوات النفس والدعاية الشخصية ٠

وبقي حب وطنه الطاغي على جوارحه كلها عميقا في نفس جميع قارئيه وسامعيه وعارفيه ، حتى لكأنه يتمثل قول معروف الرصافي :

أشربت حب بلادي ما نشأت بها
الا لأدفع عنها كل عدوان
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
نفسي وأهلي وأحبابي وخلاني
يا موطنا لست منه في موادعة
عش بعد موتي عيش الوادع الهاني
ان سرّك الدهر يوما سرني واذا
آذاك بالمزعجات الدهر آذاني
وليس ينفعني عز ولا شرف
ان لم تكن أنت ذا عز وسلطان !

* * *

أقوال من حفلة اليوبيل الذهبي
سنة ١٩٥١



صورة الشيخ أحمد عارف الزين مع قسم من عمال مطبعته

رثاء سنوي للصديق العظيم الامام الشيخ عارف الزين

شعر الدكتور زكي المحاسني

« مهداة الى الكاتب الكبير الصديق الاستاذ نزار عارف الزين » •

ايـه شيخي ، يا حجـة الاسلام ومنـار التقـى وفخر الانـام
ان تغب فالجسوم رهن فنـاء وخلـود الارواح رجع ونـام
يا جبينا يشع تقوى كأن الله حـلاه بالهـدي والسـلام
قلت : خلي (نزار) أين ضريح بـات يحويـه في الثرى والرجام
هو في موئـل الجفون تسجى وبلحـد القلوب رهن منـام
قال : في « مشهد » جوار ولي بات ضيف « الرضى » وخير امام
يا بعيدا ما كان الا قريبـا طيفـه زائـر بوجـه ابتسام
لكأنـي أراه والعمـة البيضـاء تـاج لهـامـه الصـلام
وسمـت لحيـة عليهـا وقـار زانهـا أنـف أصيـد همـام
وعلى منكبيـه جبـة طهـر تنفح المسك في مدى الاكمـام
كـان يأتـي بيتـي بجلق حينـا فأرى العلم فيـه غنم اغتنـام
بحديث في الفقـه والادب السـامـي وفي حكمـه جنى الاحكـام
راويـا شاعـرا وحافظ نص ينتهـي للنبـي بالاعظـام
وخطيبـا تجري المنابـر فيـه وأبيـا للضيـم عالـي المرام
يا هـزارا غنـي طويلا على لبنـان ثـم اكتفـى برمـز الكـلام
لـو تبيـن الاشعـار حائر معنى جـال في النفس في رثاء الكرام
لسكبـت البيـان طيع شعري بدمـوع على الوفـاء سجـام
يا رعيلا مـن قومـه عند صيداء لذكـراه لوعـة فـي غـرام
البساتين في الربيـع مع الزهـر مـن البرتقـال والانسـام
ذاكرات لـه ٠٠ اما كـان زهرا ضمخ الجو بالشـذى المستهـام
وثمار العقول أبقـى على الدهر ومن دونهـا ثمـار الرغام
ايه يـا (عارف) الالـه ، سلاما خالـد أنت رغـم أنـف الحمام
انت(زين) الاسلام في أمة العرب فنـم فـي ظـلال خيـر مقـام

دمشق في رمضان ١٣٨٨ — الدكتور زكي المحاسني

بارك الله الكريم والمكرَّم والمكرِّمين

كلمة : السيد عبد الحسين شرف الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وعلى المجاهدين أولهم وآخرهم ورحمة الله وبركاته وبعد فان فكرة اقامة هذا العيد قامت في نفوس المخلصين من أبناء الضاد ، قيام الايمان في صدر صاحب العرفان •

وبقيت قائمة تتلجلج في نفوس المنصفين حينا من الدهر ، ثم ظهرت على الشفاه تدافع الحواجز حتى نضجت وتخطت متهادية يرحب بها المخلصون في بلاد الاسلام والعروبة التي تحمل للمجاهد صاحب هذا اليوم صورة مشرقة القسمات ، رائعة السمات غنية بالمُثل الحسان ، مسلحة بالصبر والايمان ، تحمل بين جنبيها نفسا رفيعة المنى ، يقودها فكر وضاح السنا ، مشرئب الامل ، الى خير العمل ، هكذا عرفنا صاحب العرفان : صغيرا فشابا ، ثم كهلا وشيخا • عرفناه مثلا صالحا للاخلاص ، والصدق ، في القول وفي العمل • وقد تجهز بهما في فجر النهضة العاملية ، ودلف على نورهما الى ميدان الحياة ، فكان طليعة من طلائع تلك النهضة الفتية ، ودعامة من دعامات عهدها المتطور •

أنشأ مجلة العرفان فانبعثت في الجو العاملي والآفاق العربية أشعة باهرة النور وأدبا خصب البذور ، وشيئا يقوم على دستور يساعده في ذلك نفر من قادة الفكر ورجال ذلك العصر أولهم والده الفذ الألمعي الذي لم أعرف له رحمة الله تعالى عليه قرينا

الا القليل ، في حدة ذكاء واتزان منطق ، ونبع تفكير • وفي طليعتهم الفاضلان الجليلان والعالمان العاملان الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان الظاهر وغيرهما من أفاضل سورية ولبنان والعراق •

وكانت أسرة العرفان هذه بادارة صاحب العرفان ودرايته يقصدون الى سهولة التلقين وتيسير التوجيه ويمشون في ظل العقيدة الاسلامية الحقة وفي ركاب المبدأ الصحيح لينهضوا بشعب وتره الزمان ، وتمالأ عليه الحدثان •

ثم استمر ذلك القرم العارف المجاهد لا يلوي على حدث وثبت في طريق تقطعت برفاقه ، ونفذ وحده وراء ما يقرب من نصف قرن يزحم المواكب في وجه لم يتجهم ، وخلق لم يتلون •

رغم الوعد والوعيد ، والترغيب والتهديد • ودع عنك سجنا سيق الى ظلماته ، واضطهادا خط عليه في معظم أدوار حياته •

كل ذلك ولم نسمعه مرة واحدة قال : « نعم » لأي أجنبي غاشم ، ولم نسمعه مرة واحدة قال « لا » اذا دعاه اي آمر حازم، فهو المتقحم الباسم اذا ارجحنت الخطوب ، وهو الرائد العازم اذا تشعبت المسالك والدروب ، فلا عجب أن يصبح الصدق والثبات من عنوانه ، وأن ينتظم حاشيتي البر والبحر بلألاء « عرفانه » ولا عجب أن يحاط بأصدقاء مخلصين في لبنان وسورية والعراق وايران ، وفي شتى مطارح الغربة والنوى من الامريكتين والافريقتين • والكل يعرفون جهوده في سبيل الدين والمذهب ، وجهاده في سبيل العرب والأدب ويشكرون عناءه ، وحسن بلائه ، ويحتفلون بعيده الذهبي في ندي هذا المعهد الكريم • وما أروع الجهاد يكرمه المجاهدون في معقل من معاقل المعرفة في هذه المدينة التي انبثق العرفان منها الى دنيا العرب والمسلمين •

ألا وان تكريم الأمم لمخلصيها واجب تنهض به : زنة اخلاص المخلصين وهناء عناء المجاهدين تشجيعا لاحتذاء هذا المثال ، والنسج على هذا المنوال ·

وعسي أن يكون هذا التكريم زنة كفة « العرفان » وكفاء اثالة « العارف » · بارك الله التكريم والمكرم والمكرمين ·

وكلمتي الاخيرة للميامين من أبنائنا المغتربين وراء البحار يحملون لواء الجهاد في سبيل بلادهم ، فينعشون ما ذوى من آمالها ، ويهدهدون ما استشرى من آلامها ، ويلطفون ما تأزم من أمورها · ولا يفوتني في هذا المجال الا أن أشكر نجدتهم المنقذة التي جعلت من معهدي جبل عامل « الجعفرية » و « العاملية » صرحين شامخين يرتد الطرف عنهما وهو حسير الى غير ذلك من خدمات ترفع سمك الوطن ، وتعز شأن الأمة ·

الى هؤلاء الغر الميامين أبعث بهذا النداء الحار طالبا مساهمتهم في خدمة العرفان بالمؤازرة والامداد · فان العرفان ليست للشيخ أحمد عارف الزين وحده ، وانما هي لهم ولنا كما هي له ، فلماذا يختص وحده بانفاق فكره ووقته وثروته عليها · وان من تكريمه الصحيح تغذية مشروعه بالمقويات ، وارهاف عزمه بالمعدات والمساهمة في امداد فكرة العرفان الاستقلالية الحرة بما يضمن لها اجتياز العقبات الكؤود التي تعترض سبيل المصلحين في هذا البلد ·

والسلام عليكم وعليهم وعلى العرفان وصاحبه ما قمتم بواجبه وقام بواجبكم ورحمة الله وبركاته ·

١١ المحرم الحرام سنة ١٣٧١هـ

١٣ تشرين الاول سنة ١٩٥١م

عبد الحسين شرف الدين الموسوي ــ صور

جهاد ناصع في سبيل الحق

كلمة : الشيخ محمد كامل القصاب

اخواني الأفاضل

لقد عرفت الاستاذ المجاهد شخصيا منذ نحو نصف قرن ، وشاهدته بأم العين رافعا لواء العروبة والاسلام مجاهدا وصابرا ، وكثيرا ما قرأت في مجلته الفريدة أبحاثه العلمية والأدبية القيمة ، الدالة على علو كعبه في الجهاد العام ، فلا عجب أن يحيي عارفو فضله وأدبه السنة الحسنة التي ابتدعها العرب ، يجتمعون من أنحاء الجزيرة في صعيد واحد « يتبارى الخطباء على منابر العز والكرامة » مشيدين بالأخلاق السامية والجهاد الصادق الجريء مؤيدين للعلم الصحيح داعين الى العمل به • وان الواجب ليدعو كل عارف مزايا عارفنا ، أن يسعى للاشتراك في هذا الحفل المبارك الميمون ، اعترافا بفضل المحتفى به ، وتقديرا لخدماته الجليلة ، ولكن المرض وضعف الجسم حالا دون تلبية نداء الواجب ، وانني اذ تحتفلون بذكرى مرور نصف قرن ذهبي على جهاد ناصع في سبيل الحق ، فاني أشكر لكم تقديره للعلم وأهله ، وأشارككم روحيا وأدلي بدلوي مع دلائكم راجيا للأخ الأستاذ العارف ولعارفي فضله حياة طيبة مباركة وجهادا مستمرا موفقا ، حتى يعيد الله الى هذه الأمة ـ المفجوعة بدينها وأخلاقها ـ على أيدي المصلحين المخلصين سالف عهدها وتالد عزها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

سوق عكاظ العلماء والأدباء

كلمة : الدكتور شريف عسيران

طلبت مني لجنة اليوبيل الذهبي الخمسيني لصاحب العرفان المساهمة في هذه المناسبة السعيدة فلبيت الطلب مبتهجا ، ومن أحق مني بهذا الواجب الادبي ؟ وقد رافقت العرفان من عهد صباي الى أن شخنا معا ، وكان للعرفان الفضل الاول في دخول قلمي عالم الكتابة فكانت صفحاته الغراء مسرحا لأبحاثي المتواضعة وحافزا قويا لاستمراري على هذه المهنة الشريفة ــ مهنة الكتابة ــ .

لا أتذكر بالضبط التاريخ الذي هبط فيه صاحب العرفان صيدا وكان لي حظ التعرف به ، وأظنه كان حوالي ١٩٠٤ ، وكنت حينئذ طالبا في مدرسة الفنون الاميركية ، وقد تمتنت أواصر الصداقة بيننا ، بالاضافة الى أواصر القرابة حين بدأت أدرسه اللغة الانكليزية ، وناهيك بانكليزيتي في ذلك العهد ، وأولى انطباعاتي عنه أنه كان نظيفا ومرتبا جدا في بيته ، اتبع الطريقة العصرية في حياته الشخصية وفي تربية أولاده وطعامه وشرابه ، كان يستمد معلوماته من المجلات العربية المصرية ، وخاصة المقتطف ، حتى انه كان يسرف أحيانا في تطبيق النظريات العصرية ، وأبرز ما أعجبني من أخلاقه اجتهاده الشديد ، فقد عكف على دراسة اللغة الافرنسية والانكليزية ، بالاضافة الى مطالعاته الواسعة في الصحف العربية المختلفة .

ولما أنشأ العرفان أصبحت مطبعته سوق عكاظ الأدباء والعلماء والكتّاب من الاقطار العربية المختلفة ، وكانت داره منزلا لأهل العلم والفضل من علماء جبل عامل ، وغيرهم من

الشخصيات العربية البارزة ، ولا أنسى موائد الشاي والمجالس الادبية التي ألتقي فيها خيرة رجال العلم والادب في ندوة صاحب العرفان والتي كانت عاملا فعالا في ميلي الادبي ، ومن الاشخاص البارزين الذين كانوا أعضاء دائمين في ندوة العرفان العلامتان الشهيران الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر اللذان كانا كوكبين ساطعين في عالم الكتابة والشعر في جبل عامل وكان لهم الفضل العظيم في تعريف هذه البقعة المنسية الى العالم العربي والدفاع عنه في مناسبات شتى ، وتعرضا لانواع الاضطهاد لتمسكهما بقوميتهما ، ومن الاشخاص البارزين الذين رافقوا العرفان في أول نشأته المرحوم الشيخ محمد علي حشيشو الذي كان يجاري المرحوم الشيخ مصطفى المنفلوطي في اسلوبه الكتابي ، وكان يرجى له مستقبل زاهر في عالم الادب ، لكن المنية اخترمته في ريعان شبابه وحرمت الأمة العربية كوكبا لماعا من كواكب أسحاره ٠

كان هذا الثالوث المبارك من أعز أنصار العرفان في عهد شبابه يغذيه بأقلامه وآرائه ويناصره مناصرة الصديق الحميم لصديقه ، وكانت مجلة العرفان ميدانا تبارى فيه أقلام مشاهير العلماء والادباء والشعراء في العالم العربي ، ولا أتطرق الى ذكر أسماء الاموات والاحياء منهم خشية اللوم من نسيان قسم منهم ، كانت العرفان تترجم مقالات قيمة عن أرقى المجلات الافرنسية والانكليزية وغيرهما من اللغات الاجنبية حتى أصبحت مطمح الانظار بأبحاثها ولغتها وطبعها الانيق ولذلك كانت من أشهر المجلات في عالم الصحافة العربية ، وأوسعها انتشارا ٠

للعرفان فضل عظيم في تقوية الروابط الادبية بين الاقطار العربية واذكاء روح القومية ، والدفاع الباسل عن حقوق العرب وقاسى صاحبها الخسائر المادية والاضطهاد والسجن في سبيل مبادئه العربية الحرة وقد باع أملاكه للاستمرار على اصدار

العرفان ، وقد أخرجت مطبعة العرفان أنقى الكتب العربيــة خطية وغير خطية وأبرزت كوكبــة مــن الشعراء العراقيــين والعامليين الذين كانوا مجهولين بسبب بعد المواصلات وقلــة الصحف وعدم وجود التطورات العصرية ، كالمذياع وما أشبــه ذلك • أما صاحب العرفان فهو من عرفت من أصحاب المبادىء الثابتة والعزيمة الصادقة والاخلاق العالية ، فقد ضحى بماله وراحته في سبيل مبدئه وفي الزود عن حوض العروبة ، وقاسى شظف العيش ومرارة الحياة في سبيل التمسك بمبادئه ، ويظهر أن الظروف لم تساعده على التكيف الكافي والتطــور اللازم لينهض بالعرفان الى مستوى أعلى من مستواها الحاضر وللبيئة والظروف تأثير عظيم في حياة الانسان ، وحق على العالم العربي بصورة عامة والعامليين بصورة خاصة المستقرين منهم والمهاجرين أن يحتفلوا بيوبيل العرفان الذهبي الخمسيني وأن يناصروه مناصرة فعلية أدبية ومادية ، والوفاء من شيم العرب البارزة • فالعرفان من أعرق مجلاتنا العربية وأصلبها عقيدة وأثبتها مبدأ وقد خدمت العرب ، وخاصة جبل عامل ، خدمات جلى وجاهدت في سبيل العروبة والمبدأ حق الجهاد والتشجيع عامل فعال في التحسن والتكيف والتقدم فعسى أن ننادي أحياء تنبض فيهم روح الغيرة على قوميتهم ولغتهم وكيانهم فان العرفان جزء من هذه الأمة •

واخيرا أتمنى لصاحب العرفان ولعرفانه عهدا مديدا وعيشا رغيدا ينسيانه ألم الماضي ويجعلان مستقبله خير من حاضره •

بغداد : شريف عسيران

صاحب العرفان

كلمة : عبد العزيز سيد الأهل

كان من حسن الرأي وسداد الفكرة أن يحتفي برجل من أكابر العلماء قضى عمرا ضخما كان له خطره في عالم العرب قبل لبنان ·

ومنذ عرفت هذا الرأي طفرت في نفسي أمنية ليتها كانت ! فلقد تمنيت ان لو كان الاحتفاء به في جامعة من الجامعات ، واذن لمنحت اليوم شيخنا الجليل درجته الفخرية التي يستحقها· ويظهر أن هذه اللمحة لم تفت الرئيس الفطن رئيس الجمهورية المعظم فأدى عنه وعن الشعب الكريم واجب التكريم فمنح شيخنا العالم الجليل وسامه الذهبي ، ومن حقنا اذن ألا نندم على الأمنية التي لم تكن ، فقد أغنانا عنها ازدواج التكريم وجلال التعظيم ·

وهذا الكاتب أو الصحافي أو المعلم أو العالم أو هو هذه كلها جميعا أكان حين أنشأ مجلته وأقبل على جهاده ، أكان يتخذ من خدمة العلم والادب وسيلة للشهرة وذهاب الصيت ، أم كان يخدم العلم والادب ويتخذهما ذاتهما غرضا من دون نظر للشهرة أو شهوة لبعد الصيت ؟

انه أول سؤال همس في خاطري حين رجعت بذهني مع الزمن

فرأيت الفتى أحمد الزين وهو في العشرين ودون العشرين ينشيء مجلته ويتخذ وسيلته ، وفي زعمي انه لن يستطيع أحد أن يجيبني عما خطر ببالي الا الرجل المحتفى به • ومهما اتخذ طريقة في الاجابة فظن أو تحقق ونسي أو تذكر فاننا لن نعني الا بالغاية لأنها أصبحت لنا وهي تشغلنا عن البداية التي كانت له •

ومعنى هذا أن تاريخ هذا الشيخ الذي خدم العلم والادب والخلق والذي بلغ غاية الشهرة أصبح كله لنا • ومن حقنا اليوم أن نفخر وأن نزهى حين نجتمع لتكريم رجل منا أقررنا بمكانه في جماعتنا ، وسلطانه في زماننا ، من وراء هذا العمل العظيم الذي اضطلع به وصبر له • ومن حقه هو أن يفخر وأن يزهى لأني أظنه حين جمع حروف مطبعته عند الابتداء لم يكن يظن انها ستجمع له في يوم من الايام مثل هذا الجمع الحاشد الذي تألف له على صادق الولاء وخالص الوفاء •

وكنت أنا من الذين قرأوا عرفانه أو بالأحرى كنت من الذين تتلمذوا عليه ، وكنت كلما طوفت حوله أو درت في أرجائه وهمت بأن له ثلاثة أخطاء :

أولها : وأصعبها انه بدا رجلا متعصبا لا تغب صلابته ولا تطفأ هيجاؤه وخيل لي الرجل في صورة وجه متجهم لا يجد السرور سبيلا الى مجلسه ، ولا يلبث الصبر في حضرته أن يبرم • وما أوشك أن اضمحل شكي فقد غلب ظني في تعصبه وتجهمه باثنتين : فاني حينما نزلت في منزله رأيت رجلا حافل المعشر حلو اللقاء وضيء الابتسام ، فلم أعجب له حين رأيته ، ومن قبلي لم يعجب أحد للماء أن يلطف وأن يكثف ولا للهواء أن يرق وأن يعصف • ثم أثنيت على تعصبه فانما يتعصب لمن فرض لهم

التعصب ، وما من مسلم الا وهو معاتب أو معاقب اذا لم يتعصب لأهل البيت وليس التشيع الا مبدأ الحب لهم ومذهب القربى اليهم وحب أهل البيت من الدين ولا دين بلا حب كما لا عاطفة بلا قلب •

وثاني الاخطاء أنه سكن الى صيدا الساكنة وجاور قلعتها المحطومة كالتاجر المكسد ، فلم ينتقل للشام أو بيروت ولم ينزل القاهرة أو يتحول الى باريس ليصدر مجلته من مكان واسع ، ويسير بها في تيار جارف • ثم عرفت له خُلقين اثنين جمعاه هنا على البقاء ، هما الجود والوفاء ، وقد بدد ما اجتمع له من الثروة بينهما ، وأن خلقا ثالثا هو سلامة الادراك ، كان له فيه أكبر الأثر ، فان دوافع الجشع لم تزله عن رأيه في أن مكارم العربي الاصيل لا تكون في القصور والسرر والزخرفة والتجد وانما تكون في البر بالناس وصلة الرحم وقرى الضيف وانتجاع كل ذي حاجة بما في القلب من حنان وما في اليد من احسان •

وكان الخطأ الثالث أنه يكاد يقول لك كلما طلع عليك في قلمه ، إنني غير منزه عن الخطأ ، وفي هذا التواضع الكريم تنزه من الرجل عن الغي وترفع منه عن البغي • وما اعترف بالخطأ الا المكثر من الصواب ، وقد سمعت الاسكندري يقول وهو يكرم أمير الشعراء : أنني أستطيع أن أعد لشوقي عشرات الصفحات من اخطاء ولكنه مع ذلك نادرة الفلك وبكر عطارد •

وأرجو ألا يعتب علي أحد حين نهجت في خطابي على هذا الأسلوب فسلكت بكم طريق الاستثناء ، فقد خفت ان أنا انطلقت أن أتهم بالمبالغة اذا قلت انه رجل أعظم من دولة ، انه لحقا أعظم من دولة فان دولة مهما عظم شأنها وبلغت قوتها لتتغير وتنثني في مدى خمسين عاما خمسين مرة أو أكثر ولكن رجلا

وحده مضى مقداما شجاعا لا يتعثر ولا ينثني ، وما من كمي بطل مهما بلغ من قوة قلبه الا واغبر جبينه في اثر معركة من المعارك ، ولكن الشيخ الشجاع خاض معارك الدهر وعاد منها مظفرا أبيض الوجه واضح السن ، وكأنما خلق فريد الجوهر مصون الابداع رائع المجد والخلود ٠

وقد حق لصيدا أن تفتخر باثنتين : قلعتها وعرفانها : أما القلعة فتتحدث بالفخر مرة وتمسك مرة حديث ذكريات مكررا معادا ، ولن يكون لها مهما جددت اثر من منفعة جديدة ٠ وأما العرفان فهي المنبع الفياض الذي لا يغيض ، سحابا ودرا يقذف بهما كل يوم ٠ ومهما قدمت العرفان فانها كنز من الذهب الثمين فابحث عنها وقلّب صفحاتها وسترى في كل قديم منها شيئا فريدا ونفعا جديدا ٠

القاهرة : عبد العزيز سيد الاهل

* * *

الشيخ البطل

كلمة : بولس سلامه

كنت صبيا ساعة جيء بي الى صيدا تلميذا لمدرسة الفرير ، وكان ذلك اليوم أول عهدي بمدينة ، ولا تزال صيدا ، تستبق حواضر الدنيا جميعا الى ذهني كلما ذكرت المدينة فكأن خاطري فلذة منها على رأي الواقعيين وكأنها جزء من نفسي في مذهب المثاليين •

وسحر ذلك العالم الجديد وليد قرية لا تجاوز الستين بيتا عدا • وراعني أكثر ما راعني بحر تضل فيه العين ، وكان أكبر ما شهدت قبله صهريج القرية ، ومآذن بيض تذكر باللانهاية ويسبح فيها الله بكرة وعشيا ، وكان أرفع ما رأيت قبلها عمود البيت ، ومطبعة العرفان ، ولم أكن قد شهدت قبلها في عالم الآلة سوى آلة الخياطة لدى جارتنا العجوز الشامية •

ولو درى صاحب العرفان يومئذ أن ذلك الولد يستطلع من وراء الزجاج آلات المعرفة ولا يجرؤ على الدخول لما ضن عليه بابتسامة مشجعة ، ولكان أطلعه على سر تجسد الروح في الحديد وانطباعها على الورق فكرا يقرأ ، بعد أن علم الله بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم •

ولكن خوف الصبي ومهابة الشيخ الذي استعجل الرصانة فاختصر الشباب ونذر نفسه للعلم فتوج بتاج العرب اذ تعمم ، كل ذلك قصر فضول التلميذ الذي أدرك ولو من وراء حجاب ان خلف الواجهة الزجاجية في ساحة السراي حديدا نابضا يركز

المعرفة ويثبتها في كل قطر كوثرا رائقا وسلسالا شرابا تخف اليه الأفئدة قبل الحناجر ، وان ذلك الشيخ الفتى الجليل هو ألف الحركة وياؤها • ولو انكشفت له الغيب يومئذ لعلم أن صاحب العمامة التي صدته عن الدخول سيغدو صديقه المفضل، وأن تلك الهالة البيضـاء اطـار يتصهر فيـه الانس الوادع والأريحية الوثابة والهمة التي تذيب الحديد ولا تذوب •

ويقينا أن الشيخ أخلق حروف المطبعة وأبلاها ثم جددهـا وأعادها ، ذلك انها ناءت بما حملها ، فصب عليها مما يضطرم في صدره مارجا يسمونه في عرف القومية جهادا ، وسيرها في حركة دورية كحركة الكواكب أو دورة الدم في الجسد في ما يدعونه اللغويون أدبا ، فاذا ما وهنت واشتكت نصبا أهاب بها صاحبها وكأنه يقول : أيتها الحروف ، لقد شهد هذا الشاطىء مولدك منذ ثلاثين قرنا فتداولتك الامصار مفاتيح معرفة ، وباهت بك صيدون أمم الارض جميعا فلن يشهد الشاطىء مصرعك بين يدي ، وأنا ابن أمة افتتح كتابهـا بآيات خمس جمعـت بين الانسان والمعرفة فكأنهما توأمان فبأي آلاء ربكما تكذبان •

بمثل هذه الحيوية الدافقة قضى صاحب العرفان في عرفانه تدفعه قوة الايمان وشجاعة الربان الذي يسير الزورق بالمجذاف اذا بلي الشراع وكل الهواء وسجن الماء ، وأعجب من هذا أن يسير الزورق لا في حوض دمث المسالك لين النسيم بل في غدير تكتنفه الصخور المرهفة الأسنة وقد يتناقص الماء في لفح الهجير حتى يستبين القصر وحلا فما أشبه ملعب الزورق المجهد بغدير في الحجاز بين مكة ويثرب •

ولكن هذا الجفاف نفسه زاد في همة الشيخ فمشى علـى العقبات كلما تلاشت واحدة أوجد أختها لتكون لهمته مسرحا جديدا • وكذلك يفعل البطل فاذا خمدت الحرب خشي على ساعده أن يضمر وعلى سيفه أن يصدأ فلا يزال يشحذ غراره •

وبديهي ألا يضرب به الخلاء لأن الساعد الذي مرن على بتر الجلاميد يؤلمه الفراغ ويستطيب الصدمات فكأنها خلقت برهانا على صلابة عزمه ٠

وانما تاريخ الشيعة سفر جهاد دفتاه غربي النجف ومباسط كربلاء ، من هنا أبو الحسن ومن هناك أبو عبد الله ٠

من هذه الأمة خرج عارف الزين المجاهد النافس بكرامة بلاده عن الهوان ، اذ أنطقه الحق يوم خرس الاكثرون الا عن الزلفى فقال للعميد قولا لا تفوقه الا جرأة الفرزدق في حضرة الخليفة الأقوى ٠ ولتلك شيمة القائد الباسل لا يبرح الساحة بل تظل يده على اللواء حتى لا تبقى له يدان ٠ ولو تفردت برأيي في الشيخ لاتهمني من يرى في الصداقة للاتهام سبيلا ولكن الاجماع حجة أسندت الى حديث لا ينقطع ٠ ولو لم يكن للشيخ ــ على كثرة مناقبه ــ الا فضيلة الثبات لأوضحت سبب اعجاب العرب بعرفانه ، وانما الثبات أفضل درس يتلقاه النشء الطالع الذي يشده الترف الى التلجلج والخور ٠ أولم تر أن الكتاب آثر الصابرين حتى على الموفين بالعهد ٠

فيا أيها الشيخ الجليل ان مهرجانك عيد الجهاد والاخلاق الطيبات ، وانما الخلق الطيب أرفع ما أودعه الله في الانسان . وانه لأرفع من الدين نفسه وأبعد مدى وأوسع أفقا ، وهو قطب التدين وجوهره ومقومه وليس أدل على ذلك من الحديث الشريف : بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ٠

الخلق الطيب صفعة للمتكبرين وهوان للانذال وتحد لعبيد المال ، ومعراج الى عالم الروح ووسام يتالف بين الارض والسماء دونه كل أوسمة الدنيا شرفا بما فيها وسام ربطة الساق عند الانكليز ٠ واذا كان شذا عرفانك أيها الشيخ قد انتظم سفوح الشرق العربي وصروده وامتد الى مهاجر أبنائه امتداد الضياء

فان صيداء الوفية مسرح تكريمك اليوم مدينة لك أكثر من كل بقعة سواها من بقاع الارض ، فقد كانت لرسالتك الرفيعة نقطة انطلاق ، ولقد تركت فيها أثرا أخلد على الزمان من قلعتها القائمة على أول ميناء عامت عليه خشبة انسان ٠ وسيأتي يوم تنهار فيه القلعة ويتراجع البحر بحكم الزمن وتطفو الرمال على أنقاضها وتعفي الرياح على آثارها وتغدو موطئا للمتنزهين والمتنزهات أو منشرا لشباك الصيد ٠ أجل تتمحي القلعة التي لمعت الأسنة بين جدرانها زمنا وتفجرت المدافع من كواها أزمانا وتبقى مجموعة العرفان بين أيدي الناس ، يموت السيف ويعيش القلم ٠

ويقول قائل يومئذ : كان في صيداء صحيفة مجنحة زفت من أريجها الى الأرواح المبثوثة في جنبات المعمور ما لم تستطعه بساتين المدينة في عشيات الربيع وأسحاره ، وانما الربيع بساط جميل محدود الأفق ينتشر الى حين ثم ينطوي اذا احتدمت عليه الشمس ويظل الفكر حيا سواء أغابت الشمس أم طلعت ٠

في ذلك الزمان يقول الآباء لأولادهم والاولاد لابنائهم : كان في ساحة باب السراي بصيداء بطل يدعى عارف الزين

بولس سلامة



رسالة إلى المسلمين والعرب

كلمة : الدكتور عمر فرّوخ

أرأيت شجرة الزيتون القائمة في وجه السماء تدرج بقربها السنون وتمر بها الفصول وتدمدم عليها عواصف الزمن ؟ أرأيتها كيف تفعل السنون في جذعها وتأخذ الفصول من قشرها وتنزل العواصف في أطراف أغصانها ، تمر بها سنوات المطر والجفاف وتختلف عليها فصول الصيف والشتاء وتتحرك حول أغصانها الرياح الهوج ، ولكنها هي تظل ثابتة الاصل في الأرض ، بارزة الفرع للسماء ثم لا يكون ثمرها الا أطيب طعما ولا زيتها الا أضوأ نورا ، ذلك هو مثل مجلة العرفان .

ليس من شرف الانسان ـ أيها السادة ـ أن يكون خشبة في مجرى النهر تتقاذفها مياهه ذات اليمين وذات الشمال ثم ينتهي بها التيار الى حيث يجري هو . ولكن من شرف الانسان أن يكون القائم على سكان السفينة يوجهها الى حيث يجب أن يصل بها ، مهما تلاطمت حوله الامواج وهبت في وجهه الريح . لقد خلق الله الانسان ثم خيره بين أن يكون سائحا على وجه الارض مكفي الحاجات وادعا مرتاحا غير مكلف بعبادة ولا مسؤول عن قيادة ثم بين ان يضطلع برسالة وأن يحمل في عنقه أمانة ، فاختار أعظم الحياتين وأشق الخطتين : « انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » . ظلوما لنفسه ، جهولا بما سيجر عليه اختياره ، ولكنه بعمله هذا وحده أصبح انسانا .

لقد أنشئت مجلة العرفان لتحمل رسالة الى المسلمين والعرب فبنت رسالتها على العلم والاخلاق والادب الصحيح والعزة الدينية والقومية • وهبت في وجهها الريح فلم تن وتحركت أمام عينيها عوامل الاغراء فلم تنثن ، وحاق بها التهديد من كل جانب فلم تجبن ، ووضع الاستعمار يده على فمها حينا من الدهر ، ولكن صوت الحق في صدرها لم يخفت ، ثم جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •

وبدلت المجلات حللها ولبست غير لبوسها ثم أخذ نفر من أصحابها يتسقطون شهوات الشباب ونزعات الاحزاب واهواء الناشئين وميول الطامعين فيقدمون لقرائهم مائدة حافلة بأصناف المقبلات • وكان هؤلاء النفر يبررون عملهم هذا بأن الناس يريدون ذلك وبأن الحياة أصبحت عبئا ثقيلا فيجب عليهم هم أن يروحوا عن المتعبين وأن يقدموا الى القراء ما يفهم القراء وما يشتهون • ثم هم يقولون : اذا لم نفعل ما يمليه الزمن علينا لم يشتر المجلات أحد ، ولكن العرفان لم تفعل ذلك لأنها كانت تريد أن تعطي الناس لا أن تأخذ منهم •

يا صاحب العرفان ان لك رسالة أنت اخترت أن تؤديها ، وان في عنقك أمانة أنت أردت أن تحملها • ولكنك لم تخسر اذ رفعت للمسلمين والعرب منارا يضيء سبيلهم فيهتدون به ، « ولئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » •

ولعل بعض الناس يقولون : انك لم تشق طريقا جديدا ، فلا ضير عليك ، لأن الذين يشقون الطرق الجديدة للانسانية هم الانبياء ، وأما الذين يحاولون أن يقوموا الطرق التي اعوجت فهم العلماء ــ والعلماء على كل حال ورثة الانبياء •

١٣ المحرم ١٣٧١ ١٤/١٠/١٩٥١

الدكتور عمر فروخ
عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

صدق جهادك ، ونبل غايتك وثبات عقيدتك

كلمة : عيسى الناعوري

لقد دُعيت للمساهمة في مهرجان يوبيلك ، وليس أحب الى نفسي من أن أبادر الى اجابة الدعوة • ولقد تمنيت لو كانت الظروف تتيح لي أن أشترك في هذا الاحتفال بنفسي بغير أن توجه الي دعوة لذلك فلا يحتاج مثلي الى دعوة ليقوم بواجبه من تكريم ذي فضل مثلك ، أما وظروف عملي تحرمني من اداء هذا الواجب بنفسي ، فلا أقل من أن أقوم به بقلمي من بعيد ، ومثلك من يعذر على ضغط الظروف ، ويرضى بجهد المقل المخلص ، لقد عرفتك يا سيدي الشيخ في « عرفانك » وان خانني الحظ في معرفتك بشخصك فأكبرتك وأحببت روحك العاليـة النبيلة ، وأهم ما أكبرت فيك وأحببت أشياء منها : عقيدتك العربية القومية ، فقد وجدتك على عقيدة عربية مخلصة ، تطالب بوحدة العروبة ومجد العرب بغير تفريق بين بقعة وبقعة وشعب وشعب وحدود جغرافية وحدود ، والوحدة العربية ومجد العرب هما الغايتان اللتان يجب أن يعمل لهما كل مخلص غيور على هذه الأمة •

وهذه أعداد مجلتك الطويلة العمر ، شاهد على صدق جهادك ونبل غايتك وثبات عقيدتك القومية ، والثانية حفاظك على حرية الفكر ، فقد رأيت مجلتك ميدانا مفتوحا لكل نقاش على أن لا يخرج عن قواعد الأدب والمنطق وحدود الخلق المهذب • وكم استباحت ذلك الميدان أقلام ليست من عقيدتك ومذهبك

على وفاق • فكنت ترخي لها عنان التسامح والحرية ، وتفسح لها مجال النقاش حتى تظهر الحقيقة ويتجلي النور ، وهذا ميدان تتحاشاه الاغلبية الساحقة من الصحف العربية لأنه قد يجر على أصحابها المصاعب ويعرضهم لضروب من النقد القاسي ممن لا يفهمون حرية الرأي وصراحة التعبير •

وخصلة ثالثة أكبرتها فيك وأحببتها ، غيرتك على دينك ، وحفاظك عليه عن وعي ، واعتقاد يقين ، وأنا وان لم أكن على مذهبك الديني ، الا أنني عربي يؤمن بأن ليس للعرب تاريخ سوى التاريخ الاسلامي ، وان العروبة لا تعز ولا تذل الا بعز الاسلام وذله ، وأن لا بقاء للعروبة بغير بقاء الاسلام في بلاد العرب •

وبحسبك يا سيدي الشيخ أن تكون لك هذه المزايا الثلاث ، حتى تستحق كل اجلال واكرام من الذين يقدرون الخلق الكريم وليكن نصيبها منك الرضى وحسن القبول •

عيسى الفاعوري
أمين سر مجمع اللغة العربية الاردني

العرفان ساحة جهاد

كلمة : الياس فرحات

تلطفت لجنة الاحتفال بتكريم العالم العامل ، والوطني الحر المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين ، بأن دعتني الى الاشتراك في هذا الاحتفال الواجب الاداء والذي سيكون دون شك ، متفقا في الأهمية والرونق مع الدرجة العليا ، التي يحتلها الشيخ الكريم المحتفى به •

تسلمت الدعوة فشعرت بوجوب التلبية ، وأحسست احساسا داخليا ، أن الواجب يقضي علي بتأدية بعض الدين الذي علي لمجلة العرفان الزاهرة ، ولصاحبها البطل العربي الذي استل قلمه للدفاع عن شرف العروبة منذ خمسين سنة ، ولما يغمده بعد ، ان الشيخ أحمد عارف الزين يواصلني بمجلته الراقية ، من سنوات فتخفف عني ما أحمله من ألم الغربة بما ينشره وأدباء العالم العربي فيها ، حتى لأشعر وأنا غارق في مطالعتها كأني في وطن العروبة وكأن ما يفصلني عن هذا الوطن ، من المسافات الشاسعة ، قد تلاشى ولم يبق منه أثر ولا عين • والشيخ أحمد عارف الزين ، رجل دين وعلم وأدب ورجل عقيدة وطنية ثابتة وجهاد مستمر متواصل ، ومجلته مجلة الدين والعلم والأدب والعقيدة الوطنية الثابتة والجهاد المتواصل المستمر ، فأنا لا أعرفه بشخصه ، ولكني أعرفه بمجلته ، وما أظنهما يختلفان في الجوهر ، فهو كأنه هي ، وهي كأنها هو ، انها مرآته السحرية التي نرى فيها « شكل روحه » وما في روحه من سمو وحرارة وايمان ، انا نرى فيها عقيدته الدينية تتهادى وعقيدته الوطنية ويد احداهما في يد الاخرى •

هذا الشيخ المحب المسالم ، الذي يأتمر بأمر من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، لا يكاد يسمع بأذى ألم في العروبة أو بنقص تتعرض له حتى تتحول عمته البيضاء الى خوذة ويتحول قلمه النحيل الى سيف صقيل ، وحتى تتحول العرفان الى ساحة جهاد لا تخبو ناره أو يعود الحق الى نصابه ، وهو الى هذا أرحب رجال الدين صدرا وأكثرهم تقديرا لحرية الفكر حتى أنه لينشر في مجلته أحيانا ، مما يرده من الكتاب ما يخالف اعتقاده وقد يتلطف بالتعليق عليه •



يا دولة الأدب السامي

قصيدة: محمد علي الحوماني

أبا أديب رجونا منـك أي أب ... يفضي بنا للعلى من أية الرتب ؟
كم ذا تجد وكم تمشي بنا صعدا ؟ ... مهلا تبوأت حتى مصدر الشهـب
أنى رأيت ؟ أفوق الافق منزلـة ... أسمى وأبعد اشراقا مـن الادب ؟
أي امرىء نال من جاه ومن سعة ... ما تلت في صحف منا وفي كتـب
جهد العلى أن نرى علياك يغمرها ... فيض من الشعر أو سيل من الخطب
أين الملوك وأعـراف بها ضربـوا ... على السماكين بيتا فارع الطنب
دالوا ولم يبق الا مـا يخلدهـم ... بيت من الشعر في كوخ من القصب

★ ★ ★ ★ ★ ★

كم شاعر خامـل قامت على يـده ... أسرة دان فيهـا الرأس للذنب
هذا ابن كندة مغمورا يدل بـه ... مجد العروبة من مصر الى حلب
وذا جرير أخس الناس منتسبا ... الى أب زل عنه كل ذي نسـب
حسب الزعامة في غير الألى نضجت ... عقولهم ، انها ضرب من اللعـب
تمسي وتصبح غرثى لا يهيب بها ... الى القرى غير خوار من السغب

★ ★ ★ ★ ★ ★

يا دولة الادب السامي عدتك يـد ... عزت بها دول التضليل والكذب
جبارة القلم الجوال مـا فعلـت ... دنياك منذ دهتنـا محنة العرب
لا الشاعر الحر في أرجائها غرد ... يشدو ويمرح في جو من الطرب
ولا الخطيب على أعواد منبرهـا ... حي الحفيظة حر المقـول الـذرب
ولا الاديب يعل الفـن مرقمـه ... بكل أمثولة من وحي كـل نبي

كم نال منك امرؤ لم تعل همتـه الا ليخفض مـن أم لـه وأب
وكم دعـي تمادى فيك منتحـلا ارثا تحدر مـن آبائك النجـب
يغريه باللحن ايقاعا وتصديـة ان المزامير قد قدت من الخشـب
ويحسب الشعر أوزانا وهينمـة من قلب أروع أو من فأس محتطب

* * *

أبا أديب خبرت الناس واضطربت عيناك في مستواهم كل مضطرب
وخضت منهم خضما ملؤه جيف أثرى بها العز من جاه ومن لقـب
واستعرضت يدك العصماء سادتهم شاكين من خيلاء البيض واليلب
وأبصرت عينك النجلاء كل فتـى ريان من حسب ذاك ومن نشـب
وجلت في كل نفس جولة تركت عينيك تلتهمان الوحي عن كثـب
قل لي : أأبصرت ما يرقى اليك بنا من ظافر عز أو جاث على الركب
لو عززوا القلم السامي لما انقلبوا وأعرق الجهـل فيهم شر منقلب

* * *

يا أمة جهلت حتـى تعبدهـا رهط من الناس لم يخطىء ولم يصب
لو عز فيهم أديـب لاستقام لنـا ركن العلى وأخذنـا منه بالسبب
ما سجـل القلم الجبار مكرمـة الا انطوى الدهر فيها زاهر الحقب
كم شاعر هز من أعطاف أمتـه فانجاب عنها الردي خفاقة العذب
وأرسل الشعر في تاريخها صورا تضفي على الدهر ألوانا من الذهب
في كل قيثـارة لحـن تروع به سمع الملائك أوتارا مـن العصـب
ويبعـث الـدم في آفاقهـا نغم دام فلم تر أفقـا غير مختضـب

* * *

وكم أديب جرى في شق مرقمـه ما يملأ الارض من ماء ومن لهـب
ان شاء حلق في آفاقهـا شررا أو شاء وشحـها باللؤلؤ الرطب
بوركت يا باحثـا في كل كائنة عن سر تكوينها المحفوف بالحجب
تعري لتكسوك في تحبير ما نسجت أعصابك الهوج من أبرادها القشب
ترقى اليك بنو الدنيا بكل فتى لم يبق عند نجوم الافق من أرب

أبا أديب ختمنا كل مأثرة … بالخاتم الحق من يوبيلك الذهبي
« عرفانك » السبب الادنى يحفزنا … الى العلى بين موهوب ومكتسب
فتش «ذرى» عامل هل قام قائمها … الا تناهى الا يمناك بالعجب
وهذه الغلب مـن أعلامه صدرت … ملء العمائم عن كفيك والجبب
وفي العراقين خصب منك منتشر … يكاد يمطر وجه الافق بالسحب
وبنت صيدون لولا ما يدبجه … عرفانك الحي لم تنهض ولم تثب
وجنيها الغض لولا طيب ما حملت … منك الشمائل لم تنضج ولم تطب
والفجر اذ ذاب فارفض السقيط به … لولاك صيداء لم يسقط ولم يذب
وأنت اذ تهبين الافق اسورة … من زندك البض لولا الشعر لم تهبي
والشعر وقف على «عرفان» عارفه … صدحا مع الطير أو رشحا من العنب
عملاق : يا جبل الاحرار من سبأ … ضاقت بمعقلك الدنيا فلا تهب
تاريخ مجدك ايمانا ومعرفة … أرسى وأشمخ آنافا من الهضب
كم نهضة لك قبل اليوم حافلة … بالعز ينجاب عن عنوان كل أبي
علم تتيه به الدنيا الى أدب … طاغي الحفيظة فشاء على القضب
في صدر كل نبيل منك أوسمة … من عهد يعرب لم تهرم ولم تشب

★ ★ ★

جبار يا جبل الاحرار كيف هوى … ارث سما بك بين الغلب والغلب
ارث تقلب في الاصلاب صاعدة … وانحط من صعد فينا الى صبب
هل لا يزال بنا في كل آونة … ذخر من العز لم يوصم ولم يعب
ولا يزال شعار الدين معتصما … بالقائمين عليه حافل الرحب
أواه يا جبل الاحرار كم ملأت … أيدي الملائك في مغناك من عيب
دالت رجولتك المثلى وأعقبها … جيل ترسم خطو الظالع الترب
تصدر الدست منا كل ذي سفه … وزاول الحكم فينا كل مرتكب
يا قوم اني أرى أن سوف يجرفنا … الى المهالك تيار من العطب

★ ★ ★

أبا أديب أذع ما اسطعت من درر … وانفض بنانك منها غير محتسب
القوم قومك ان عاشوا وان هلكوا … وأنت فيهم مكان العقد في اللبب
لا تأس ان لم يروا في كل رائعة … مما تخلد ، بدرا غير محتجب
فقبل يومك أيام جبابرة … ضاقت بمثلك في سلطان مغتصب

محمد علي الحوماني
صاحب مجلة العروبة

تحيــة من العــراق

قصيدة : السيد محمود الحبوبي

لبنـان حن اليك قلـب شيـق ... فأتاك وهو عواطـف تتدفـق
لم ينس اذ يلقـاه ثغـر باسـم ... في كل ناحية ووجـه مشـرق
يتنشـق الاخلاق عطرا نافحـا ... فيظن عطر الخلد مـا يتنشـق
وتفيض من هنا ومـن هنا لـه ... كأس بألـوان المسرة ترهـق
ويزيـده شوقـا الى أحبابـه ... مـا شع نجم ، أو تبسـم زنبـق

* * *

لبنان مـا أنا حين يعبـر خاطر ... بي في رباك سوى فؤاد يخفـق
يهفو لانديـة تضـم توابغـا ... هم نحو آفاق العلا بـك حلقـوا
يتفجـرون مواهبـا أدبيـة ... فيروق انشـاد ويسحر منطق
ويعيش منهم فيك ألـف فرزدق ... « ان عاش في دنيا هشام » فرزدق
فازدد سموا بالألى بـك حلقـوا ... يـا أيهـا السامـي الاشم الابلق
ان يسبقوا ليجـل فضل فيهـم ... فذووا الفضيلة للفضيلة اسبـق
أو يحفلوا بجهاد « أحمد » انهم ... أدرى بصدق المخلصين وأحذق
مـا هذه الخمسون عاما بينهـم ... يخطوبهـا الا كفـاح مرهـق
خمسون عاما قد مضت ووراءها ... سعـي لادراك المـرام موفـق
خمسون عاما أوقرت فضلا بلا ... منّ كما يهمي السحـاب ويغرق
خمسون عامـا عمـر حافـل ... بالصالحـات بهـا المنى تتعلق
خمسون عامـا كالسبائك زانها ... صفو من الادب الرفيع ورونق

* * *

ولقد طوى صفحاتها ذهبية   بفخار من يهوى الفخار ويعشق
ألف العلا والمجد شيخا والتقى   بهما وماء شبابه يترقرق
لبس الفضيلة تاجها وحل ازدهى   بأجل من تاج الفضيلة مفرق
ومضى يزود عن العروبة جاهدا   بيد تنمق مجدها وتنسق
يجلو لنا أسرارها فنرى بها   دنيا بسؤددها تضيء وتشرق
ان ضاق ذرعا بالخصوم فانما   صدر المناويء بالخصومة أضيق
أومرت الخمسون يتبع فيلقا   منها بأحداث جسام فيلق
فلقد أعد لكل هول نفسه   دون الحمى بثبات من لا يفرق
ورأى الخطوب السود جن جنونها   ببلاده ورأى العروبة تشهق
ورأى العفاة كما اشتهت أطماعهم   قد أسرفوا بالموبقات واغرقوا
ورأى السجون تغص بالاحرار من   اخوانه ورأى الجرائم تطلق
ورأى الحراب تعب من دم قومه   ورأى نفوسهم الذكية تزهق
فسجت على تلك البقاع دماؤهم   حلل العلا فاستحقروا الاستبرق
ورأى المشانق فوقها رفقاؤه   فرأى الكرامة والشهامة تشنق
شق الطريق الوعر ليس يضيره   ما أول الحساد عنه ولفقوا
وسعى ليشكر سعيه بخلاصه   شعب بأصفاد الاجانب موثق
أمقدري هذا المجاهد انما   هي ومضة الفكر التي لا تسحق
زيدوا المحافل ثورة فكرية   يفتح لكم باب النجاح المغلق
وصلوا النضال بمثله في أمة   باتت لاخذ تراثها تتحرق
طمعت بها حتى اليهود فما نجا   لبنان من غزواتهم أو « جلق »



يا صاحب اليوبيل

أبيات: السيد عبد الرؤوف الأمين

أمكـــرم العرفـــان في يوبيلـه ... كرمت جيلا طالعا ، وقبيـــلا
خمسون باركها الجهاد فأنتجـت ... للعبقريـــة ألسنـــا وعقـــولا
ومعلم الجيليـن فـي عرفانـه ... « كاد المعلم أن يكون رسولا »
علمتنـــا أن الجهـــاد عقيدة ... شمـــاء، تأبـى الختل والتضليلا
يا أمـة جـاءت تكرم واحـدا ... في الناس يعدل في المكارم جيلا
جاءت تكرم والوفـاء شعارهـا ... جنديهـا المعلوم ، لا المجهـــولا
ايه « أبا العرفان » ! وهي صحائف ... وطنيـــة لا تقبـــل التأويـــلا
ما زلت والتاريـخ أعدل شاهـد ... سيفا علـى أعدائهـا مسلـولا
فضحى يمـد يراعها ولسانهـا ... بالعبقريـــة سيفهـــا المصقولا
عربيـة سمحـاء يأبى ربهـــا ... أن يقبـــل التحويـر والتحويلا
وأنا الذي غنـى علـى ألحانهـا ... زمنا ، ورتـل ذكرهـا ترتيـلا
ونظمت ـ ما شاء الوفاء ـ قصائدا ... فيها ، فهل أجدى القريض فتيلا ؟
يا صاحب اليوبيل ، عاشت أمـة ... أعطتك أجـر جهـادك اليوبيـلا

عبد الرؤوف الامين ... فتى الجبل

* * *

أحمد عارف الزين

رسول من رسل الانسانية فقدناه !!

عمة بيضاء ناصعة كالفل الطري ، والثلج النقي ، ووجه مشرق ذو ثغر باسم ، طيب القلب • ذو همة عالية وارادة صلبة وحب واسع ، وانسانية رفيعة ، ومعرفة شاملة ••• هذا هو فقيد الأدب الرفيع ، والخلق المتين ، والجنان الصادق ، والثقافة الواسعة •

أحب أعداءه قبل أصدقائه ، وقرب مبغضيه قبل محبيه • وضحى بكل ما لديه من نفيس المدخر ، ووافر المال في سبيل عقيدته وفي سبيل خدمة أمته • فكانت داره بيتا لكل من تعرف عليه وأولاده اخوانا لكل من أسعده الوقت في زيارته • ومجلته منبرا لكل من مسك القلم ليجرب كلمة المعرفة ، ورسالة الادب والعلم ، ومحبة الوطن وتقديسه وهو الذي جعل شعار مجلته « حب الوطن من الايمان » ودعا الى المعارف بقوله :

هبوا الى العلم والتهذيب جهدكم
فانما أعلم الأقوام أسعدها
واسترشدوا بضيا العرفان واقتبسوا
ما ضلت الناس والعرفان مرشدها

وليعلم القارىء ان هذا الشعار ولد في « العرفان » وفي قلب صاحبه وذريته منذ عام ١٩٠٩ ــ ١٣٢٧ يوم ان كان بعض الناس من حملة « العلم المزيف » و « الجاه المريض » والأبهة

الكاذبة يبيعون أوطانهم لمستعمر ويضطهدون اخوانهم لجاه زائف ، ومظهر كاذب ولقمة دسمة ، وسرير وثير !؟.

أما صاحب « العرفان » فكان انسانا جاءنا من الفردوس وعاد اليه ، جاء الى دنيا تحيطها الآثام والشرور ، فوجد الناس وهم في صراع المادة ، وفي شهوة الحكم ، وفي نفاق الكلمة وفي مظاهر الايمان ، وفي جهالة الفكر .. فأراد أن يصلح من أمرهم ، ويجمع من كلمتهم ، ويذهب من جهالتهم ، ويرفع من قدرهم ، ويذيع لأمجادهم ، وينشر لاخبارهم ويعظم من قدرهم !.

فحاربوه لايمانه ، وصارعوه لحقيقته ، وآذوه لغيره ، وضايقوه لنفسه . وكان (أبو أديب) ذلك الوجه الذي وصفناه والقلب الذي أحببناه ، والخلق الذي سرنا على طريقه !.

لقد كان (الشيخ أحمد عارف الزين) رجلا يجمع بين جوانحه قلوبا لا قلبا من المحبة ، فنجد العراقي ــ والسوري ــ والمصري ــ واللبناني ــ كلهم قد احتلوا المنزلة التي لا يفرق بينهم فيها ، كثيرون هم الذين ناوؤوه ، وهاجموه ولكنهم أخيرا وضعوا أسلحتهم معتذرين مقدرين .

حسبوا محبته طائفية ، فاذا هي تفتح صدرها للمسلم والمسيحي وغيرهما .

وخالوها اقليمية ، فاذا هي ترحب بكل نتاج من البلاد العربية ــ والمغربية .

امتدت أجنحة محبتها من (صيدا) حتى (طنجة) ومن طنجة حتى (المهاجر الامريكية العربية) . ومنها سارت الى الهند وايران . مضت (المقتطف) ، وضعفت (الهلال) ومن ورائهما الاموال والرصيد ، والثروة ــ والجماعة المساعدة وظلت (العرفان) تكافح وحدها ، أموالها أصحابها المخلصون ، ورصيدها الايمان والثبات واليد البيضاء الكريمة .

اقتطعت من حشاشتها قطعا حولتها الى صفحات من المحبة ، والعلم ، والفضيلة والاخلاص ، وجمعت من دموع نواظرها قطرات حولها الى مداد ذائب منير ! وقاست مر العيش ، وغدر الاصحاب ، ونكران الجميل ، وبقيت صامدة شامخة قوية •

ويظن الجاهلون الغافلون ان صاحبها الجليل (رحمه الله) استغنى من ورائها ولم يحسبوا انه رهن داره ، وباع متاعه ، وفقد ذخيرته ، وأذاب مهجته وصحته في سبيلها • فولدت ونمت وترعرعت وعاشت وهي عذراء طاهرة مقدسة ، لا يرقى اليها الشك ، ولا تصل اليها الشبهات !•



لكل رابطة تاريخ ، ولكل محبة دواع وأسباب • وتاريخ رابطتي بالعلامة الفقيد (الشيخ أحمد عارف الزين) ترجع الى عام ١٩٤١ يوم كنت في لبنان مصطافا ، أحمل في محفظتي مجلة (العرفان) التي لم أفارقها وتفارقني منذ عشرين عاما وتزيد •

وكان معي الاستاذ الأخ المفضال (الشيخ علي الزين) حيث دفعني بأن أكتب للعرفان ، وأن أزور (صيدا) وأتصل بـ (جبل عامل) لكي أرى عالما جديدا يختلف كل الاختلاف عن عالم العراق ، ولبنان ، والمصايف ـ فراسلت العرفان ـ وأنا لا أزال أحبو في رياض العلم والادب • فكانت المراسلة ،والكتابة والزيارة ، من بعدها •

السيارة تنزل بي من الجبل اللبناني العزيز وأمر على (بيروت) ـ وكان يوما يرسل رذاذا من المطر الناعم ـ وبعد استراحة قصيرة ، قصدت (صيدا) المعطار ذات الأريج الدائم والمنظر الرائع !•

وصلتها بعد سفرة لطيفة جميلة ، كلها نشوة ، ولذة وسرور وعند وصولي سألت عن (العرفان) و (صاحب العرفان) •

فاذا الناس كلهم يعرفون الفقيد الشيخ طيب الله ثراه وكلهم قد تبرع بايصالي الى ادارته ٠

ها هو الثغر الباسم ، والوجه الملائكي ، يستقبلني ويرحب بي ، ويقبل وجهي ، ويفتح كل جوارحه بحرارة الأبوة في استقبالي ، وتشجيع أدبي ٠

وكان في مجلسه (رحمة الله عليه) ثلاثة وجوه علمية لامعة ربحت معرفتهم وعلمهم ٠ هم العلامة الفذ الشيخ أحمد رضا (ره) والعلامة الناقد الشيخ سليمان ظاهر (ره) والعلامة المجدد الشيخ محمد جواد مغنية ٠ وكنت بينهم يومذاك نقطة صغيرة تلاطمت حولها أمواج المعرفة ، أو نجمة تمازج ضوءها اللامع طاقات نور واشعاع !٠

نهضت بعد سويعات مودعا شيخنا الفقيد للعودة الى (بيروت) الا أنه أصر بأن أبقى وأكون في ضيافته ، لأستمع الى عذب حديثه ، وطيب روايته ، وحسن نكاته ، وبدائع طرفه ، مرة بلهجة عراقية ، مستملحة ، وأخرى بطريقة عاملية ناعمة ٠

وكانت ليلة أعقبتها ليال ، هي من طيب الذكريات بمكان ، وفي جوانب القلب بحراسة وأمان !٠

لم أنقطع من بعدها عن زيارة (العرفان) والاستفادة من لباب كتابها ، وموسوعات علومها ، وأبواب ثقافتها ، وروائع أشعارها ٠

وهنا حقيقة مرت بي ، يجب أن أقولها صريحة ٠ وهي ان أغلب هؤلاء الكتاب والشعراء والحصيلة الادبية المعروفة في عالم الأدب العراقي (خاصة) انما هم من مدرسة العرفان ، ومن خريجي صفوفها الأول ، وسنواتها الكريمة !٠

ومنهم كمثال أسرة الشبيبي ، وعلى رأسهم العم العلامة الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي ، والشاعر المعروف الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، والمؤرخ العراقي الكريم الاستاذ عبد

الرزاق الحسني ، والاستاذ الشاعر العراقي الشيخ علي الشرقي، والدكتور الشاعر محمد مهدي البصير والمرحوم الشاعر الرقيق الحاج عبد الحسين الازري • وكل من مسك اليراع وكتب في علم وآداب ، وثقافة • من رجالات النجف الاشرف ، وبغداد ، والبصرة وغيرها من مدن العراق •

ومن كان يعوزه الدليل فليرجع الى مجلدات (العرفان) النادرة الأولى القيمة ، ليجد فيها برهان ما أوردته ، واني لأستغرب صمت أغلب الاحياء من هؤلاء الاخوة • وهم الصادحون الكاتبون ، البارعون في مجالات الآداب والمعارف •

لماذا صمتوا عن اقامة الحفلات التأبينية ، ونشر المقالات والقصائد المعبرة عن حقيقة مشاعرهم تجاه صاحب العرفان ، وانسانيته ، وحبه ــ وأنا لا أجحدهم حبهم نحوه !؟ وهو الذي حورب من أجلهم ، ومن أجل أفكارهم ، منذ عهد الدولة العثمانية والاستعمار المسمم ، الى اليوم !•

وهو الذي جعل داره ندوة لهم عند زيارتهم لبنان أو مرورهم عليه !•

ان على هؤلاء كلهم ــ وأنا منهم ــ واجبا تجاه (العرفان) يجب أن لا يتناسوه ــ وهو ان الشيخ أحمد عارف الزين (ره) لم يؤسس هذه المجلة لنفسه أو لأسرته ، بل أسسها وأصدرها لكل من حمل لغة العروبة وبها سما في قلبه ولسانه !•

ان الشيخ أحمد عارف الزين هو في غنى عن الرثاء والتعزية وعن كل مدح واطراء وكل حفلة ومهرجان ، لأنه خالد بعرفانه، عظيم بفضله كريم بعطفه ، محترم لمعروفه ، مقدر لجهاده • ولست أدري والاستاذ المؤرخ الحسني ، يشاركني هذا الرأي عن أسباب صمت اخوان وأحباب أبي أديب ، عن نشر عبيره ، وترديد اسمه ، ورسم الجوانب من صور شخصيته على الناس ، في زمن قل فيه الذاكرون وكثر فيه المتناسون !•

« لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال»

وها نحن يا شيخنا الفقيد نردد قول ابن العم الشاعر (مصطفى جمال الدين) قوله : (١)

« .. كيف ننسى رأيا على وهج الشمس تغذى واسمنته الجهود »

« وحديثا كجلوة الورد باق منه في كل سامر ترديد »

« ما نسيناك ، كيف ينسى الربيع الشهم والمنبع السخي البرود ؟ » .

« كنت ملك الجميع لم يحتجز نبلك قوم ، ولا ادعتك حدود »

« قد بلغت المصاب في الثكل لكن بياني عن الوفاء قعيد »

« لن يوفيك فالحقوق التي اسديت يعيا بحملها ويؤود »

« وعذيري ان الصداقة شيء فوق ما تدعيه هذي القيود »

★ ★ ★

... لك الرحمة يا من جاهدت ، وصبرت ، ومت غريبا عن وطنك بجوار امام صابر ، ذاق ما ذقته من ألوان السياسة ، ومن قسوة الحياة ، وتقلب الوجوه ، مما جعلك تسكن اليه ، وتتقرب منه ، وتتوسد التربة التي ضمت ضريحه . واليك يا شيخي ــ تحية وذكرى ــ وواجب قليل ، ممن أحبك ، وذكرك ، وسجل فضلك وهو بعض ما يقدمه الولد لوالده ، والتلميذ لأستاذه ، والأخ لشقيقه ، والخل لصاحبه .

وعلينا وعلى أسرتك أمانة الوديعة ، وعظم الرسالة ، في احياء (عرفانك) وفي نشر دعوتك ، وفي ابقاء ذكراك ، رغم كل ناس ، وجاحد ، وناكر لعلمك ، وشمائلك وانسانيتك .

بغداد ــ كلية الآداب الدكتور محسن جمال الدين

(١) النجف ــ العدد (٤ س ٤) ١٩٦٠ ص ١٤ وما بعدها .

حجة للشيوخ وحجة للصحافة!

كلمة: الشيخ عبدالله القلقيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . قال الله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

أما بعد ، فقد قدمت أوراق اعتمادي الى اللجنة الكريمة التي عهد اليها بتنظيم هذا الحفل ممثلا لصحافة فلسطين وناطقا باسمها في تكريم سماحة الشيخ الجليل الشيخ عارف الزين ومساهما في التنويه بفضله والاشادة بذكره وقد قبلت اللجنة ذلك ، وما ذلك الا تيمنا ببقاء فلسطين واصرارا على أن فلسطين لم تزل ولن تزول بعون الله تعالى . وهل من الجائز أن تقعد فلسطين عن المساهمة في عرفان فضل صاحب العرفان ، وقد كانت مجلته موردا لأدباء فلسطين وفضلائها يعبون العلم والادب والمعرفة ، وان مجلة العرفان لأول مجلة دخلت فلسطين وأفاد منها أهل فلسطين الحكمة والادب وكان في الرعيل الاول من الذائدين عن حياضها حتى اليوم ، وهو رأس في العطف على لاجئيها وما زال ، وقد كانت المجلات لذلك العهد تنشر في الناس المقالات المترجمة عن الملحدين من علماء أوروبا ، ومن الابحاث في الفنون الطبيعية ما فيه من الشبه المضلة لاصحاب العقول الضعيفة والافهام السخيفة .

وكانت المدارس الحديثة في أول عهدها تخرج من الطلاب من

يظنون في الدين أنه مخالف للعلم ، وكان أقومهم رأيا من يرى أن الايمان بالله واليوم الآخر والاخذ بالدين لا ينبغي أن يدخل في شيء منه العقل ، وأظن أن كثيرا منا يذكر تلك المجلة التي كانت تسمى بالجامعة وتصدر في مصر وما كانت تنشر من المقالات التي انتقدت الدين الاسلامي ، ومنها مقالات هانوتو التي رد عليها الشيخ محمد عبده ٠

في هذا العهد وفي أوائل الخمسين عاما التي نحن فيها ظهرت مجلة العرفان فكان شيخنا الجليل الشيخ العارف مدره قومه ، والذاب عن دينه والمحامي عن تراث أمته ، ولقد كان بلا ريب ممن ثبت الله به الدين وشد به أزر العروبة ونصر به المؤمنين وهزم به هذا الباطل وحطم به أقلام الضلال ورد به لسانا خاسئا وهو حسير ولم يكن في هذه الرقعة من العالم العربي سوى هذه المجلة تنطق بالحق وتنافح عن الدين ٠

ان معاني المجلة أيها الحفل الكريم في لغتنا الشريفة الجليلة صحيفة الحكمة فيما أذكر ، ولم نر مجلة من المجلات حافظت على هذا المعنى وطابق مسماها اسمها ومعناها سوى هذه المجلة وشيخنا الجليل العارف أطال الله بقاءه وأدامه الله حجة للشيوخ وحجة للصحافة ٠

اذ في الناس من أساء الظن في الشيوخ فظنوا أنهم ليسوا كأسلافهم في فهم مضار الدنيا والعزوف عن مطامعها والصدود عن أعراضها والاعراض عن زخارفها وفي السماحة والهدي والورع والبر والتقوى وايثار الآخرة على الحياة الدنيا فكان شيخنا الجليل الحجة القاطعة الداحضة لسوء الظن بالشيوخ والدالة على انه ما يزال في الشيوخ من يسير على نهج السلف ويسير على آثار أولئك الشيوخ الذين كانوا نجوم هدى وبدور دجى وبهم يُقتدى ٠

وفي الناس أيضا من أساء الظن في الصحفيين وأنا صحفي فظنوا في الصحفيين أنهم لم يقصدوا من صحفهم الا متاع الدنيا

من المال والجاه ، وان المشتغلين بالصحافة هم من كل من ضاقت بهم سبل العيش ولم يجد للرزق سبيلا ، فهم قد جعلوا الصحافة سلما للمال ولم يبالوا بما آخذوه من حرام أو حلال ، تتقلب بهم المطامح وتدور بهم الأهواء ، فيوما يمدحون زيدا وينصرونه ويوما آخر يهجونه ويخذلونه ، وتراهم في ذلك كمن قال الله فيهم : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون » • فكان شيخنا الجليل صاحب العرفان الحجة القاطعة للصحافة على انها يمكن أن تعيش ويطول بقاؤها وهي مقيمة على مبدأ ، حافظة العهد ، ثابتة على رأي ، تجاهد في سبيل الحق وتدعو الى الخير وتنهى عن المنكر ولا تأخذها في سبيل ذلك لومة لائم •

وكانت الحجة على أن الحق لا يعدم انصارا والسالك لطريق الهدى لا يعدم مرافقين ، والداعي الى الفضيلة لا يعدم مؤيدين •

لكن هذه الدنيا انما هي دار ابتلاء وامتحان لا يبلغ الانسان فيها العليا الا بتعب ولا يدرك المجد دون أن يرهق ودون اجتناء النحل لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر •

فشيخنا الجليل قد جاز الامتحان وخرج من السباق مجليا فكان حقيقا بأعظم من هذه التكرمة وجديرا بأكبر من هـذه التجلة •

ولعله من رضا الله عز وجل في الآخرة ما يجعله عن الله راضيا • « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيهاأبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه» •

وأمتعنا الله بشيخنا بعمر مديد وحياة طويلة وعيش هنيء أمين •

مهرجان العلم والجهاد

كلمة الهدف - زهير عسيران

خمسون سنة تمر و « العرفان » تملأ دنيا العرب اشعاعات من العلم والثقافة والأدب ، وتملؤها أضواء مصدرها عقيدة قومية راسخة ، وجهاد مخلص دائب منزرع في النفوس بذارا طيبا لا يلبث أن ينمو ويورق ويزهر ويعطي خير الثمرات .

وفي الخمسين سنة تكن لم يتردد صاحب العرفان عن أن يبذل على عرفانه بسماحة ، وأن يقرن جهاده التعليمي والتثقيفي صحفيا بجهاده السياسي الفعلي ، فعرف الشباب في الشيخ أحمد عارف الزين قائدا من أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وكان قدوة وما زال مثلا يُحتذى في التضحية والثبات والايمان .

وقد حق للشيخ أحمد عارف الزين أن يكرم بشخصه أهل العلم والجهاد ، وحق لصحيفة « العرفان » أن يكون لها يوبيلها الذهبي ليكون يوبيل نشر المعرفة والثقافة والتعليم وحق على الذين يقدرون الجهاد والمجاهدين ، والعلم ، أن يقيموا الاحتفال .

وكان الموعد لدى الساعة الرابعة من بعد ظهر أمس الأحد وفي صيدا ، وكان أقبل مقدروا العلم والجهاد من كل صوب وحدب ، من بيروت والانحاء اللبنانية ومن سوريا ، ومن البلدان الشقيقة الأخرى يتقدم الجميع معالي محمد صفي الدين وزير الانباء ممثلا فخامة رئيس الجمهورية وحاملا وسام الاستحقاق المذهب يقلده الى العالم المحتفى به وبعمله وجهاده وعرفانه في وسط ذلك الحشد الكبير الذي لازم مكانه حتى السابعة والنصف مساء .

وكان عريف الحفلة الزميل الأستاذ كامل مروة .

الصحافة الرصينة

كلمة: سعيد أبو الحسن

وردتنا من لجنة يوبيل العرفان الذهبي ، دعوة الى الحفلة التي تقيمها هذه اللجنة في صيدا يوم الاحد في ١٤ تشرين الاول الجاري تكريما لصاحب مجلة العرفان العلامة المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين بمناسبة مرور خمسين عاما على جهاده في نشر العلم والثقافة في البلاد العربية ، وليس قليلا على رجل العلم والأدب أن يظل خمسين عاما يصدر مجلته بانتظام ويتقبلها الناس بالسرور والاحترام ، لأنهم يجدون فيها ما يطلبون من فائدة ولذة ، يجدون فيها العلم والادب ، يجدون التاريخ والقصة والشعر وسائر العلوم ، ويجدون أكثر من ذلك ، يجدون روح صاحبها القوية المخلصة المترفعة عن كل تجارة أو شعوذة أو تملق ٠

وليس كثيرا على الجميع أن يحتفي بمثل هذا الرجل مكافأة أو تشجيعا لسواه ، مكافأة لذات الاخلاص والمثابرة في الجهاد ٠

وعندما تلقينا هذه الدعوة ، عدنا الى هذه الأعداد الرصينة من مجلة العرفان نقلب صفحاتها النظيفة مادة ومعنى ، وانتقلنا بالمخيلة الى ذلك السيل من الصحف اليومية وغير اليومية التي تمطرنا به دور الطباعة كل يوم أو كل اسبوع أو كل شهر ، انتقلنا الى الصحافة الرخيصة التي يفرضها بعض الصحفيين على الناس ليقرأوها أو ليهملوها شرط أن يدفعوا بدل اشتراكها الى الصحافة المهلهلة المتاجرة المشعوذة المرتزقة التي غصت بها

بيوت الناس ، وعافتها نفوسهم وبرمت قلوبهم ، باستثناء بعض الصحف المحترمة طبعا ٠

وكيف لا ينتقل بنا الخيال الى هذه الصحافة الرخيصة ونحن في منطقة ابتلاها الله بما لم يبتل سواها ، ابتلاها بشهرة الغنى واليسار ، وصار الصحفي النبيل يأتي بذاته فيطلب ببدل الاشتراك الخاص ، المفروض على أهل الجزيرة ، أجل ليطالب ببدل اشتراك خاص يساوي ثلاثة أو أربعة أو عشرة أضعاف البدل العادي ٠

فاذا دفع المشترك المسكين مئة ليرة أو خمسين ليرة تخلص من العار ولقي كل تكريم ومديح على صفحات الجريدة ٠ واذا خانه الحظ ولم يدفع المبلغ المطلوب أو بلغت به الجرأة أو القحة ، ودفع الاشتراك العادي فقط فالويل له ولآبائه وأجداده ولأبنائه وأحفاده ٠

فهو مراب وهو مقامر وهو سفاح أعراض وسفاك دماء ٠ انك لتقرأ عنه أخبار السوء في كل عدد من أعداد الصحيفة المحترمة فتعتقد ان ذلك منه صحيح ، ولكنك عندما تقف على الحقيقة تأخذك الدهشة ، ان هذه الصفاقة والسخافة والانحطاط عند من حشروا أنفسهم بين مجلة الاقلام وأرباب صاحبة الجلالة ٠

هذه كلمة أوردناها عرضا على هامش حفلة التكريم الخمسينية المقامة لصاحب العرفان ، وقد أردنا من ورائها أن نفهم أدعياء الصحافة كيف يجب أن يكون سلوكهم وكيف يجب أن تكون صحافتهم اذا أرادوا أن يُحترموا وأن يحفظ لهم القراء ذكرهم وأن يقيموا لهم اليوبيل القضي فالذهبي فالماسي ٠

فاليك يا سيدي صاحب العرفان تحية الاحترام العميق الصادق من مجلة ناشئة ترجو أن تتحلى بشيء من رصانة

« عرفانك » وغزارة مادتها وتنوع مواضيعها وتعدد أبوابها وكتابها • ونرجو منك المعذرة اذا نحن ذكّرنا الصحفيين بواجباتهم في مناسبة الكلام على يوبيلك لأننا لم نجد أفضل من هذه الفرصة لالقاء مثل هذا الدرس ، لأنه درس واقعي أمام شخص يصلح أن يكون قدوة واماما ، راجين أن يفيد بعض الصحفيين من هذا الدرس وأن يحفظوا على الصحافة كرامتها ورصانتها ، والله من وراء القصد أولا وآخرا •

جريدة الخابور ـ سعيد أبو الحسن

❋ ❋ ❋

سقيًا لهذه الوجوه ما أكرمها وما أطهرها

كلمة : كامل مروة

يقام يوم الأحد في صيدا مهرجان الاحتفال بتكريم العلامة المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين بمناسبة مرور خمسين عاما على جهاده ٠

وما من رجل في الجنوب يستحق التكريم والتقدير كهذا الرجل الذي حمل على عاتقيه عبئا ثقيلا طيلة نصف قرن ، في محيط عقوق ، ومع ذلك أدى رسالته على أكمل وجه ٠

ولد الشيخ عارف الزين سنة ١٣٠١ هجرية في قرية شحور ونشأ فيها وفي صيدا ، وقد بدأ دراسته في مدرسة النبطية التي كان يديرها المرحوم العلامة السيد حسن يوسف فدرس فيها التركية والفارسية الى جانب العربية ٠

وفي سنة ١٩٠٩م أنشأ مجلة العرفان في صيدا يوم كانت العربية شبه مجهولة في الامبراطورية العثمانية ، وكان يطبعها أولا في بيروت ، ثم اشترى سنة ١٩١١ مطبعة ، وأخذ يطبع المجلة في صيدا ، وفي السنة نفسها أصدر في صيدا جريدة اسبوعية أسماها « جبل عامل » نادى فيها بالأماني القومية العربية ، فغضب الاتراك عليه وعطلوا الجريدة وحكموا عليه بالسجن شهرا ونصف الشهر ، وقد سجن في الثكنة العسكرية في بيروت وهي اليوم السرايا الكبير ٠ ولم يجرأ أحد على زيارته في سجنه غير المرحومين أحمد مختار بيهم ورياض الصلح ٠

بعد ذلك اشترك الشيخ عارف بالحركات العربية على اختلافها ، وظل ينادي بالاستقلال ، حتى وقعت الحرب ، ثم دخل الفرنسيون البلاد ، فكان في طليعة الشخصيات التي أراد الفرنسيون اكتسابها ، فحاولوا اغراءه بالمال والوظائف ولكنه رفض التعاون معهم وظل ينادي بالاستقلال ويهاجم الانتداب بعنف ، في الوقت الذي وجد الانتداب في الجنوب ألف عون وعون ، وما عُقد منذ الانتداب مؤتمر وطني في أي قطر عربي الا وكان في طليعة المشتركين فيه ٠

هكذا بقي الشيخ عارف مع نفر قليل جدا من اخوانه الكرام يمثلون كرامة العقيدة الصامدة أمام القوة والسلطان ، ويوحون الى الجيل الطالع في الجنوب أن في الدنيا فضائل أسمى من مغريات المال ونفوذ الحكام ٠

في هذه الاثناء كانت مجلة « العرفان » توالي الصدور ، بالقدر الذي تسمح به السلطة المنتدبة التي ساءها أن يتمرد نبيل على ارادتها ، فانصبت عليه بانتقامها ، وناله من ذلك نصيب ، وآخر من الاضطهاد والسجن والحرمان ٠

وما تبدلت عقيدته وخطته أثناء الحرب الاخيرة بل صمد في السلب والايجاب أمام الاحتلال الجديد ، حتى كانت حركة تشرين وكان الاستقلال ٠

ولم يكن حظ الشيخ عارف الزين شخصيا في هذا العهد أفضل منه في العهود السابقة ، ولكنه قنع من الدنيا بتحقيق أمانيه الوطنية معتمدا على نفسه في شق طريق حياته الى النهاية ٠ واليوم وقد قام نفر من الأفاضل بتنظيم هذا المهرجان فانهم قد أدوا عن المجموع بعض الواجب حيال الشيخ عارف الزين ٠

وانني ـ شخصيا ـ لفخور بأن أساهم في هذا التكريم ، فلن أنسى ما حييت ان السطر الاول الذي نشرته لي صحيفة ما قد ظهر في « العرفان » سنة ١٩٢٩ ، وقد شجعني الشيخ عـارف الزين على المضي في هذا الاتجاه ، وفتح لي صدر « العرفان » ومكتبته ومطبعته طوال سنين ، فكان نقطة البداية في المضمار الذي أوصلني اليوم الى « الحياة » ·

هذا رجل فاض قلبه حتى على قلبه ولسانه ، وطغى ايمانه حتى على عرفانه ، سارت حياته في مزالق وتعاريج بمسالـك الجبال ، ولكن عقيدته القومية ظلت تصعد به وتحتضنه ، وان رجلا جهر برأيه يوم كان الجهر به أقرب طريق الى الأعواد ، وثبت عليه نصف قرن ، لصاحب حق راسخ في التقدير والتكريم وراسخ في تاريخ الحركة العربية سقيا لهذه الوجوه ، وهـذه القلوب ما أكرمها وما أطهرها ·

جريدة الحياة ـ كامل مروة

* * *

إنسان الطيبة أحمد عارف الزين

كلمة : رئيف خوري

أيها الحفل الكريم :

رجال القلم الذين أوتوا البيان الجميل فكتبوا النثر الرائق ، والشعر الشائق ، ورجال الجهد والتدبير الذين دأبوا ـ على قلة الوسائل ـ فحققوا نافع الاعمال وجليل الافعال ٠

ورجال الوطنية الذين أحبوا بلادهم وأرادوا لها الراحة والهناء ، والمجد ، والعلاء ، هؤلاء جميعا ليسوا قلة في التاريخ ٠

ولكن في التاريخ رجالا كانوا أروع من صحف البيان الجميل التي جلوها ، وأكبر من نافع الاعمال التي أدوها ، وأعلى من الخدمات الوطنية التي وفوها ، على عظم قدرها كلها ٠

نعم ، ان في التاريخ مثل هؤلاء الرجال الذين تصبح أشخاصهم قيمة بنفسها تتخطى قيمة كل أثر تركوه مهما بلغ من اتقان ونفاسة وابداع ٠

هؤلاء الرجال قلة في التاريخ ٠

صدقوني : أسهل على المرء أن يكتب كتابا بليغا من أن يكون في ذاته انسانا صحيحا أهون عليه أن يعمل عملا نافعا من أن يكون في واقع نفسه انسانا نظيفا ٠

أيسر عليه أن يكون وطنيا قوميا ، الى آخر الصفحات ، من

أن يكون في سريرته انسانا حقيقيا ·

والشيخ أحمد عارف الزين من أولئك القلة الصغيرة في التاريخ ·

كان شخصية قيمة بنفسه من القيم الفريدة ·

لقد كتب الشيخ أحمد عارف الزين بقلم يضيء على سنته رونق العربية السليمة المعافاة ، ولم يدخر وسعا في انجاز أعمال نفع بها جيله والاجيال ، ولقي الاضطهاد فلم تلن له قناة في حب لبنان والعرب ، ولا اضطربت خطاه في السير على الاشواك والاشراك ·

ولكن الشيخ أحمد عارف الزين كان أثمن من هذا كله · كان انسانا حقيقيا صحيحا نظيفا ·

لذلك كان أكبر من جميع آثاره ، ولم يعط لأثر من آثاره أن يغني عنه ويشمخ الى مستواه · وستبقى ذكراه أجمل آثاره باطلاق ، ويبقى مثال شخصه في الصفوة المختارة ينجبها لبنان ، هذا الوطن الخير بالرجال ·

عرفت الشيخ أحمد عارف الزين فما أذكر انني امتلأت بفرح أعمق من فرحي بطيبة ذلك الانسان ·
كنت كلما لقيته أحس كأني أريد أن أحمله على راحتي ،

وأتطاول وأتشامخ ، حتى أشرف على ذرى لبنان ودنيا العرب والدنيا بأسرها وأهتف بالناس ·

وما كان أسعدنا لو ان لنا طيبة هذا الانسان !

وأشد ما كان يعجبني منه تلاقينا في آخر كل مطاف : تلاقينا على حب لبنان ، والاعتزاز بالعرب واحترام جميع الشعوب ·

تلاقينا على تعظيم رسالة عيسى بن مريم ، وابن عبد الله وحب الامام الراشد المرشد ، والدعوة للسلام العالمي والعدالة الاجتماعية • تلاقينا ، وكان كل منا مقبلا من طريق •

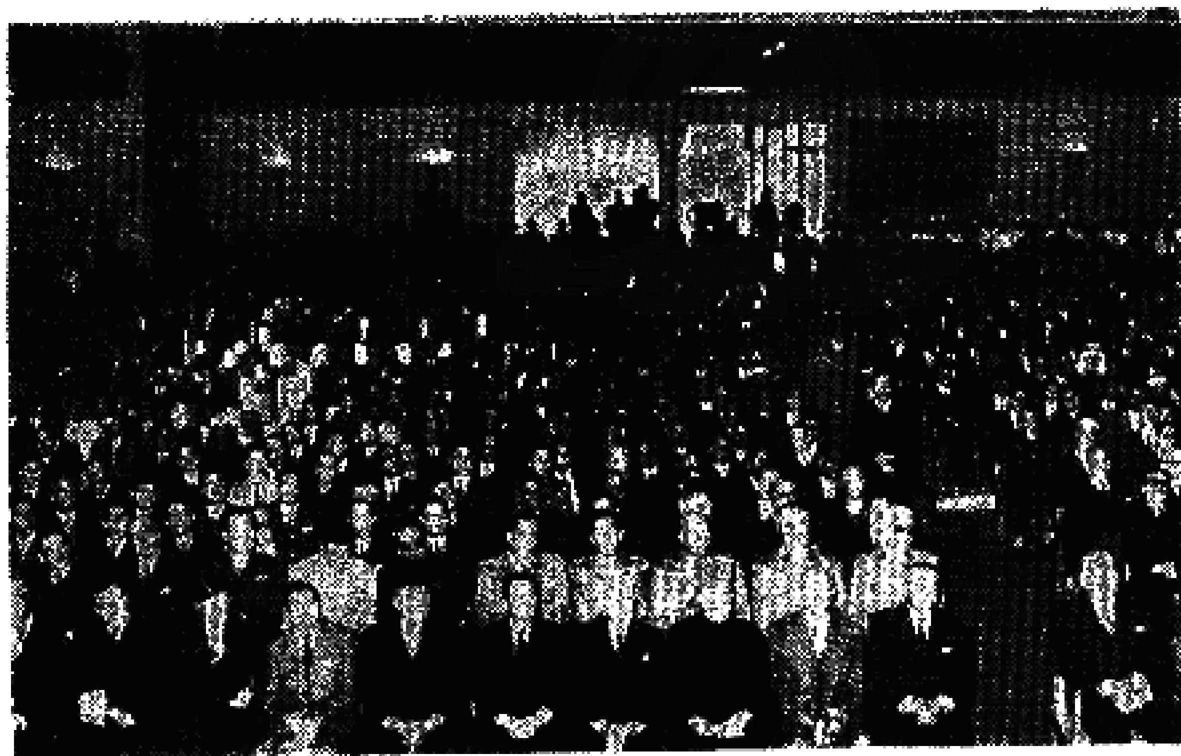
وفي كل مرة جلست الى هذا الشيخ المتحدث بصراحة وبساطة وحماسة ، الممتلىء وجهه رضى وابتساما ، المفعمة نفسه ايمانا وصبرا وعزيمة وطمأنينة ، هذا الانسان الطيب البعيد من الدعوى ، المحب الذي لا مكان للكره في جوانحه الا كره الظلم والتعصب والعدوان ، كنت أشعر بأنني زدت كسبا في الآدمية والمعرفة ، وثقة بالانسانية وبأن الناس مهما اختلفت الطرق التي يقبلون منها ، فانهم متلاقون فمتفاهمون فمتحابون •

رحمة الله عليك أيها الشيخ ، كلنا يتلفت اليك في حنين موجع ، على أن لنا العزاء بأن أرضنا التي حملتك قد ازدادت جمالا مذ ان عشت فيها وتعيش فيها ذكراك المتألقة على الدوام •

رئيف خوري

* * *

أقوال في الحفلات التذكارية بعد وفاته



مشهد من احدى الحفلات التذكارية في الاونيسكو .

كنت عنوان جيل وتاريخ وطن وقصة كفاح

كلمة : رشيد بيضون

أيها الحفل الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

باسم الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية في بيروت ، أشكر حضوركم للمساهمة في احياء الذكرى الثانية للفقيد الكبير الشيخ أحمد عارف الزين ، ذلك الراحل الغالي والقمة العليا في تاريخ أمته ووطنه ٠

وما هذا الاحتفال بالذكرى ، سوى نفحة من نفحات صاحبها الذي أصاب علوا في حياته وبعد مماته فحقق بذلك بعض ميزاته فعاش كبيرا وقضى كبيرا ٠

ومن يقضي من العمر ما قضى من عمره في خدمة وطنه وأمته ، لهو جدير حقا أن يحتفل الوطن بذكره ، ليكون عنوان العمل الصالح للمواطن الناجح ٠

أيها الفقيد :

لقد كنت عنوان جيل وتاريخ وطن وقصة كفاح ، وعشت حياة هذا الجيل وأدركت تاريخ هذا الوطن وسطرت في قصة هذا الكفاح صفحات رائعة ٠

ومن أبسط الأمور أن يكون الاسم الذي اقترن بالمبادىء

والوطنية والعلم والاخلاق والكفاح موضع التقدير والثناء والاكرام والوفاء .

واذ يتداعى الوطن لتخليد ذكراك كل عام ، فمن أحرى من العاملية باحياء ذكرى النهضة الفتية التي فجرتها في الربوع السنية من الجبل المبارك في البقعة الزكية معقل العروبة والوطنية .

وأكرم بكم خطباء وأصدقاء ، أيها السادة الأوفياء تكرمون الجهاد والعقيدة ، وتذكرون الناس بالواجبات العديدة نحو المجاهدين الابرار .

وبوركت حياة المجاهدين تخلدها الشعوب بعصارات الفكر وحبات القلوب فيستمر نجاح المجاهدين بعد مماتهم كما في حياتهم ، لأن النجاح الناتج عن صدق في القول والعمل ومروءة في الخدمة والكفاح وعصامية في الجهاد والتضحية هو وحده النجاح المستمر الذي تخلده الايام ويحتفل به الأوفياء وتصونه المجتمعات ويحفظه الاصدقاء .

هكذا عرف الراحل المجاهد ، ان الانسان يخلد بأعماله ، وان السير في الطليعة يؤخذ ولا يُعطى ، فعمل جاهدا حتى بلغ المقدمة وثبت فيها باسم يكبر مع الايام وصفات لا تضام .

وحين بدأ طريق البداية في درب النهاية ، في أرض مباركة وجوار مقدس ، عرف الناس مجددا أن حياته الثانية سيلتمع في جنباتها شعاع كمثل الذي سطع من عرفانه في ربوع أوطانه .

ومن يتسنى له أن يعرف مقاما انتقل فيه الفقيد الى ربه ، يدرك أي سر لله في خلقه يختار اليه من يشاء كيف يشاء وأين يشاء ، ويختص برحمته من يشاء .

أيها الراحل العزيز :

اذا كانت اللغات والاخلاق حياة الأمم والجهاد والتضحية

تاريخها ، فأنت وحدك أمة وتاريخ • ولو أن جيلا واحدا ممن تتلمذوا عليك في أدبك وأخلاقك ومبادئك وجهادك سار على دربك من بعدك لكفى لرسالتك أن تستمر ولذكرك أن يبقى •

وما خدمت اذ خدمت بني وطنك فحسب ، وانما خدمت الناس جميعا في بني قومك وكما وصلت بين الناس بأفكارك ، كذلك واصلت بينهم بعرفانك ، فكنت بعقلك وجنانك وفكرك ولسانك رجل مبدأ وصاحب عقيدة •

ولم تساهم في تحريك السفينة الى شاطىء السلامة فحسب ، بل بقيت لها منارة وهي تدرج في اليم لتهتدي بك كلما هب الريح وارتفعت العاصفة • فيكفيك ذكرا خلود صفاتك في قلوب أصحابك ، واستمرار عرفانك في تأدية رسالتك وتصوير وجدانك •

ونحن على يقين بأن الصدى الذي تحليت به في حياتك يتعكس على أقوالنا في رثائك لأن الحديث عن الصادق صدق •

أيها السادة الكرام :

في مثل هذه المناسبة ، وفي معرض هذا الذكر ، بلاغة القول في السكوت لا في الكلام ، وقد اجتمعتم اليوم في احياء الذكرى الثانية للشيخ أحمد عارف الزين على صفات تعرفونها في الفقيد الغالي أكثر مني ، فليس لي وأنا أشكر حضوركم باسم الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية وأقدم لعائلة الفقيد مجددا أحر التعازي الا أن أقول : ما مات أبدا من له مثل هذه الصفات والاعمال والذرية والاصدقاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

رشيد بيضون

الأقربون أولى بالمعروف

كلمة : الدكتور بطرس ديب

أيها الحفل الكريم !

اذا كان في مصير هـذا البلد أن يبشر بالمدنيـة ـ ولتعم الرسالة ـ فحري بالصحافة أن تتربع في السدة البارزة فيه وهي لسان الفكر مبدع المدنيات ·

واذا كان تاريخ الصحافة لا ينفصل عـن تـاريخ الحريات ـ وكم من صحيفة قد سطرت بدماء الاحرار ! ـ واذا كانـت الحرية من تلك القيم الاساس التي تدخل لا في حقوق الانسان فحسب بل في مفهومه أيضا ، اذ لا يعقل الانسان الا حرا ·

واذا كان الباري سبحانه قد شاءه كذلك وانما أمر عبـاده تخييرا ونهاهم تحذيرا ··· ولم يطع مكرها « على حد قـول الامام ، ولو كان على العكس لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد » كما جاء أيضا في نهج بلاغته ·

اذا كان ذلك يا سادة ، فأي بلد أولى من لبنان بأن يكـرم الفكر في اعلامه والصحافة في بناتها ، ومهد الابجدية من صنع هذا الشاطىء الخالد ، ونهضة الضاد من هذي الربوع ومن كيان لبنان أن يؤمن الانسان ، ومن تراثه أن يحيا بالحرية ؟!

أيها الفقيد الكبير !

كم من الذكريات تحضرني الساعة ، ساعة ذكراك ! ولا مجال

للاطراء ، لأن اطراءك يستلزم من التعداد ما لا يتسع له المجال • حسبنا جرأتك في عقيدتك ومضاؤك في خدمتها حتى وقفت لها الحياة وحتى كان وفاؤك لاصدقائك ــ وبه اشتهرت ــ جزء من وفائك لها ، لأنك لم تصادق الا بعد ايمان •

واذا كان للكلمة وقع دونه السحر ، فكيف بها اذا ارتكزت الى عقيدة هي في صلابتها الصخر ! وقد يتفتت الصخر ، وتدك القلاع ! قد تنهار المادة أمام المادة ! أما الكلمة فأين من سلطانها القوة والمغريات اذا هي احترمت ذاتها فلم تنحط الى مستوى الماديات !؟

وكم من معركة ما تزال تدوي أصداؤها حتى كأنها قد خنقت كل صرخة أو صوت ، وكأن الكلمة والحق صدى لأساطير بالية • لكن ما ان انقشع الغبار حتى عادت شمس الفكر متلألئة هادية ، يضيع في غمرة نورها السيف مبهورا ويسير في موكبها سلطان القوة صاغرا ، كأن كل محاولة من محاولاته قد استحالت خطوات نحو احقاق الحق واعلاء معاقله وهي أخيرا معاقل كرامة الانسان ! وهل في أسفار التاريخ أجمل من انتفاضات تلك الكرامة كأنها الروح المحيي يبعث الحياة في الأمم فتستفيق من كبوة الخمول وتستعيد حرية سلبت ، ويأتي نصرها هذا في زمن ما زالت فيه قوى المسيطر مطردة النمو ! أجل انها قوة الكلمة انه سحر العقيدة !

وما التحرير والتحرر بكسر قيد أجنبي وحسب • التحرر الصحيح هو انعتاق كامل من شتى العبوديات وفي طليعتها الجهل وما وراءه من وجوه التخلف ، أو قل من الاستطراد في التخلف ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن « الحق » على حد تعبير الامام • واذا كان الوجه الاول من التحرر من شأنه أن يستقطب الأنظار ، فللمعارك الصامتة بطولاتها الغالية وحسبها قيمة ندرتها • نضالك السلمي دونه بطولات أيها الفقيد الغالي ، اذا كنت ناضلت الى جانب كثيرين في سبيل كرامة بلدك تجاه

الغير ، فأنت لم تجد حولك سوى قلة من نخبة القوم قد تنبهوا الى آفات المجتمع • ومن العبث التحدث عن شيد استقـلال أو كيان ، من العبث التحدث عن قوة الروابط الوطنية تدعم هذا الكيان ، من العبث التحدث عن لبناننا الحبيب بما يليق به ، وما اعترى بعض حلقاته من ضعف وما دام في بعض مناطقـه تخلف •

ان حملاتك المباركة في سبيل تلك المناطق وفي طليعتها جبل عامل ــ والاقربون أولى بالمعروف ــ ان في ذلك لاكبر خدمـة أسديت الى بلدك هذا لبنان • وأنت اذ وجهت الانظار الى جبلك وجبلنا نبهت في الوقت ذاته الى ما فيه من كنوز دفينة ولا سيما في حقل القيم الانسانية التي بها يحيا لبنان •

ان العدالة أصبحت حقا للضعيف ، ودينا يستوفي ، لا منة واستعطاء •

ان القيم الانسانية التي بها ناديت ، كان لا بد من أن تستعيد مكانتها الطبيعية في بلد يؤمن بالانسان وبحقه الطبيعي •

وأي حق طبيعي أوضح مما للفكر على الانسان ؟! واذا كان تكريم الفكر من خصائص الانسان فهل أولى من بلـد الانسان وكرامته ، والفكر وحريته ، بأن يكرم الانسانيـة ويكـرم الفكر ؟!•

بيروت ــ بطرس ديب
سفير لبنان بباريس

حفلة تابين فقيد العروبة

أحمد عارف الزين

بدار رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

في الساعة السابعة مساء من يوم الثلاثاء ١٤ فبراير ١٩٦١

أقيم حفل تأبين كبير بدار رابطة الادب الحديث بالقاهرة لفقيد العروبة الخالد الشيخ أحمد عارف الزين ، حضره كثير من الادباء والكتاب والشعراء والمفكرين والصحفيين وقد تليت آيات من القرآن الكريم ثم بدىء الحفل بكلمة للأستاذ مصطفى السحرتي أبن فيه الفقيد وعدد مآثره ٠

ثم تلاه الشاعر العربي محمد علي الحوماني فألقى قصيدة رثاء بليغة في تأبين الفقيد ٠

وأعقبه القائد العربي الكبير عبد الله التل فألقى كلمة مؤثرة عن الفقيد وحياته وكفاحه ٠

وتلاه الصحفي اللبناني الاستاذ محمد حمد خضر ذكر فيها بعض ذكرياته عن الفقيد الخالد ونوه خاصة بالأمور الآتية :

١ ــ ان الزين كان أحد دعاة القومية العربية ٠

٢ ــ وانه كان أحد دعاة الاسلام والتقريب بين السنة والشيعة ٠

٣ ــ وانه كان أحد دعاة السلام ٠

٤ ــ وانه كان من محاربي الاستعمار : الفرنسيين والاتراك وسواهم ٠

٥ ـ وانه رحالة استطلاعي ولغوي وفقيه كبير ٠

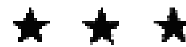
٦ ـ وانه صحفي جريء نزيه ٠

وأعقبه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي فألقى الكلمة المنشورة في هذا العدد ٠

وتلاه الأستاذ يوسف حمودة فاستخلص العبر من حياة الفقيد وكفاحه ٠

وختمت الحفلة بكلمة للأديب الفلسطيني الاستاذ كامل السوافيري ألم فيها بحياة الفقيد وأعماله ٠

وانتهت الندوة بقراءات من القرآن الكريم كما بدئت ٠
وانصرف الجميع وهم يكررون العزاء للرابطة وللعالم العربي والاسلامي في الفقيد الخالد ٠



أحمد عارف الزين

البطل المجاهد

كلمة : د . محمد عبد المنعم خفاجي

ألقيت في رابطة الأدب الحديث مساء الثلاثاء ١٤/٢/١٩٦١

- ١ -

عن سبعة وسبعين عاما مات البطل العربي المجاهد ، مات المفكر الحر الانسان ، مات الصحفي الجريء النزيه ، مات صاحب مجلة العرفان الجهيرة وصاحب المقالات الوطنية التي كانت تنشر منذ عام ١٩٠٥ في مجلات « ثمرات الفنون » لليازجي و « الاتحاد العثماني » و « حديقة الاخبار » وسواها من الصحف العربية القديمة ، مات ابن جبل عامل وصاحب جريدة « جبل عامل » الاسبوعية .

مات الرجل الذي وقف مجلته « العرفان » على الاقلام الرفيعة من أبناء العروبة الميامين وجعلها صوتا مدويا لشكيب أرسلان وأحمد شوقي وحافظ ابراهيم وجورج صيدح والشاعر القروي وأحمد زكي أبي شادي وايليا أبي ماضي وفارس الخوري والشهبندر وأمين الريحاني والياس فرحات ومحمد كرد علي والحوماني ومحمد مصطفى الماحي وسواهم من أعلام الفكر العربي الصاعد ، وصور فيها جهاد يوسف العظمة وهنانو والجابري وسعد زغلول وسلطان الاطرش وعبد الله التل وسواهم

من قادة الأمة العربية وأبطالها الميامين وجعلها ندوة سامقة للفكر والثقافة وللمساجلات الادبية والدينية والعلمية وغذى بها الشباب العربي المكافح الصامد في معركة الحرية والبناء .

مات المكافح النبيل الذي لم يمنعه السجن والتشريد والوعد والوعيد من أن يقول كلمة الحق ، يرفع بها صوته عاليا جبارا ومتهددا قهارا ... ومن حوله الذمم تشترى بالمال والضمائر تباع بلا حياء ولا وجل ... مات أحمد عارف الزين الذي ضحى في سبيل اداء رسالته بكل ما يستطيع والذي لم يتخذ مجلته الذائعة وسيلة للمساومة الرخيصة وتهاوت من حول عرفانه صروح المجلات العتيدة « كالمقتطف والرسالة والثقافة والكتاب » ومجلته صامدة بفضله في معركة الأمة العربية صمود الجبال واقفة وقفة الابطال لا تتزلزل ولا تتزعزع ولا تميد ولا تميل .

- ٢ -

وما أكثر ما قدم الزين لأمته ولدينه ولابناء العروبة من مثل وجلائل ومفاخر وتضحيات . كان الزين شخصية جليلة دوى صوتها في كل مكان واهتز بأنباء جهادها وكفاحها الزمان فهو مجاهد قديم كافح من أجل الأدب وقضايا العرب ومن أجل العروبة وعزة شعوبها وسيادتهم كفاح المناضل المستميت .

ومواقفه من الاستعمار التركي والفرنسي في الشام مشهودة معروفة ودعوته للأمة العربية الى التحرر والتكاتف والتعاون والى البناء والتجديد خالدة خلود المبادىء الشريفة الصاعدة ، وكان سندا قويا للدعوة الى القومية العربية كما كان يقدر الثقافة العربية قدرها ويرى ان تكون هي الاساس في معركة الكفاح والتحرير .

سافر الى أغلب الاقطار الاسلامية واتصل بالكثير من المفكرين

والكتاب والاحرار ووقف عرفانه على التوجيه الروحي والفكري في العالم العربي ·

وقد ولدت « العرفان » عام ١٩٠٩ وعاشت حتى اليوم مثلا نبيلا من أمثلة النضال في سبيل المبادىء الشريفة ·

- ٣ -

وكان ميلاد الزين عام ١٨٨٣م في لبنان في جبل عامل ودرس وتثقف وقرأ الآداب القديمة والمعاصرة وأصبح بعد قليل كاتبا مشهورا يشار اليه بالبنان ، ثم أصدر العرفان عام ١٩٠٩ ، وأصدر بعد ذلك جريدة جبل عامل الاسبوعية عام ١٩١٢ وبعد قليل قذف به في السجن مرة بعد مرة بعد اخرى : الأولى عام ١٩١٢ والثانية عام ١٩١٥ والثالثة على أيدي الفرنسيين عام ١٩٢٨ والرابعة عام ١٩٣٦ ·

وكان قد نقل من قبل عمله الى صيدا وأصدر منها روائع التحقيقات والمؤلفات وواصل ليله بنهاره لاخراج العرفان ··· وفي عام ١٩٥١ احتفلت الأمة العربية بتكريم صاحب العرفان واشترك في تكريمه الحاكمون والمحكومون على حد سواء ··· وهكذا عاش الزين مفكرا حرا ورائدا وطنيا وداعيا من دعاة القومية العربية ومجاهدا في سبيل المثل الشريفة والانسانية المعذبة ·

وفي أواخر عام ١٩٦٠ سافر الشيخ الى خراسان وزار قبر الامام الرضا ومات فيه وهو يؤدي صلاته في المحراب وذلك يوم الاثنين ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ ١٥ تشرين الاول ١٩٦٠م ودفن في الحضرة الرضوية الشريفة مع العظماء وكبار العلماء ·

- ٤ -

وبكاه ورثاه كل من وقف على فضله وعرف أخبار علمه وجهاده ونبله وأدرك أثر عرفانه ، التي كانت صلة وثقى بين العالم الاسلامي ورابطة قوية بين أدباء العالم العربي وأدباء المهاجر الامريكية والتي يقول فيها وفيه السيد عبد الحسين شرف الدين من رسالة الى الزين : « ما أبدع عرفانك وأسطع برهانك وأعلى هممك وأنصحك لوطنك » ٠

ويقول فيه كامل مروة : « كان الزين مجموعة مناقب مدهشة تمتزج فيها الارادة بالعناد والايمان بالاجتهاد والتقليدية بالأصالة والجرأة بالاستخفاف ، يضاف الى هذا وفاء نموذجي ونشاط فريد في نوعه رافقه من المهد الى اللحد وصمود عند الرأي وثبات على العقيدة وتبدل الزمن ولم يتبدل الزين وظل الزين واقفا بسلاح الجندي على عرفانه الى نهاية عمره » ٠

- ٥ -

ولا ننسى ها هنا في رابطة الادب الحديث بالقاهرة اعتزاز البطل الزين ونجله الاوسط نزار وأسرته جميعا برابطتنا ـ رابطة الأدب الحديث ـ وتقديرهم لجهادها ونضالها من أجل الثقافة والادب ومن أجل قضايا العرب ، وخليفته وابنه نزار الزين عضو من أعضاء هذه الرابطة ومجلته مفتوحة لأقلام كتابها ونقادها وأدبائها ويكتب فيها من بينهم السحرتي والخفاجي والعزيزي والماحي وسواهم من الاقلام الحرة والرؤوس المفكرة والنفوس النزيهة ٠

- ٦ -

ونحن هنا من القاهرة ومن فوق منبر رابطة الادب الحديث٠

نشارك بالعزاء العالم العربي والاسلامي ولبنان الحر وجبل عامل المكافح وصيدا الدائبة والعرفان المناضلة وآل الزين الصيد الميامين في فقيد كريم ... وعالم جليل

وشيخ عظيم

ومكافح خلده كفاحه

وبطل معلم يشير اليه المجد بالبنان ، في أحمد عارف الزين رحمه الله .

فالى الجنة مأواه والى الرفيق الأعلى منقلبه ومثواه والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة ـ د. محمد عبد المنعم خفاجي
عميد كلية اللغة العربية
بالأزهر الشريف



وقف الجهاد

قصيدة: السيد عبد اللطيف فضل الله

وقف الجهاد وجفت الاقلام
وطوت صحيفتها الرجولة حرة
ودجى على ألق الصباح بجنحه
نزل القضاء ففل جيش عزائم
ولطالما كشف الكروب بحده
وجلا التراب فقلت عين أطبقت
وغفا ضجيع امامه .. فكأنه
ولئن أصيب فانه من عزه
والارض ما سقت الدماء شرابها
طوت القرون على القرون وجمعت
يتهاتفون .. بهدنة ما بعدها
لبس الملوك بها رداء عبيدهم
وقعوا على الخطب الذي من هوله
واسترضعوا ثدي الغرور فغالهم
والموت حق ضاق فيه غريمه
لو أعطي الانسان شاء لذاته
وجرى القضاء من السماء مسخرا
والكون بات لما يريد ... كأنه
ان أودقت آماله بين الورى
واذا ذوى غصن الرجاء فانه
يقضي العليم بما يشاء .. وانما
ولد الزمان فكان رائد قسمة
يعطي ويأخذ ما لهذا .. عنده
ومراقد الايمان كعبة وافد

وكبا بواسع شوطه الاقدام
تعنو الرجال لها ويحني الهام
ليل به تتضارب الاوهام
وارتد منه لغمده الصمصام
وجلا غمار الخطب ... وهو ظلام
وطفت على انسانها الاحلام
حرف طواه بمثله .. الادغام
ضربت له فوق السماء خيام
ولها نفوس العالمين طعام
فيها رعاة للورى وسوام
للطامعين معارك وصدام
وتساوت الذؤبان والاغنام
شابت نواصي الدهر ..وهو غلام
قدر به بعد الرضاع .. فطام
ولكل ناطق حجة افحام
ما شاءه لكيانه العلام
ليمينه وانقادت الاحكام
جمل له في راحتيه خطام
صلوا له عند القبور وصاموا
لوّامة لالهه .. هضام
شأن العباد لامره استسلام
في أهلها تتعادل الاقسام
فيما قضاه .. ولا لذاك دوام
فيها يطوف الحل والاحرام

ولربما رجعت على أطوادها ... رمم ثوت في قبرها وعظام
لله ما ضمن الضريح وما حوى ... في بردتيه من الفخار همام
كل المطاعم حين يأخذ زاده ... للصالحات لفائف وإدام
وجه من المعروف في لفتاته ... تحيا السهول وتشمخ الآكام
وكأنما وجه الحياة وقد قضى ... فيه .. أطل من المقابر حام
تلك المآثر .. ما تبرج حسنها ... بيد الغرور .. ولا بها ابهام
تملي على الدنيا عروبة ماجد ... والحق يشهد ما عليه لثام
نقشت علاه كأنما هي مصحف ... وكأنما لوح الوجود رخام
وبكتبه خير مجدد كانت به ... تبنى العقول وتصقل الافهام
وموجها ولد الكمال بحجره ... فهو البداية منه .. وهو ختام
أسد يذود عن الحمى فكأنما ... كانت تغص بأسدها الآجام
أوت المبادىء ربعه .. فتمكنت ... ورسا عليها يذبل وشمام
حمل العقيدة واطمأن لنجدة ... فيها يرد السيف وهو حسام
أعوامه الستون صرخة ثائر ... لم يثنه هول ولا اعدام
وكأنما ـ العرفان ـ معجز ـ احمد ـ ... ومن السماء الوحي والالهام
هي روضة الآداب فيه ترنحت ... وجلا الغياهب ثغرها البسام
يملي الحديث ..فتى..كأن حديثه ... مسك المحافل فض عنه ختام
تندى البشاشة من حماه كأنما ... خلعت عليه ربيعها الايام
جبل الرضا بكيانه حتى قضى ... فاذا « الرضا » كهف له وعصام
أعطى أعنته السماء فقاده ... للطهر من دنس الحياة .. ذمام
واذا تشاكلت النفوس أوت الى ... أمثالها الارواح .. والاجسام
غال بمضجعه الابا فأبى له ... وطنا به تتكدس الآثام
ما كان أكرمه .. وأطهر تربه ... لو كان فيه بقية وذمام
يبني العروش على الضلال كأنها ... نعش يعد لدفنه وحمام
ان جئت بابيه لحاجة معتف ... رجعت بك الآمال وهي جهام
باب العدالة بلقع من أهله ... خاو وباب المستغل زحام
في كل ربع منه ناعب فرقة ... ولكل قوم مذهب .. وامام
يفضي وان قتل الحسين يزيده ... وعلى الرؤوس تعالت الاقدام
شر الفساد .. رعية موبوءة ... وأشر منه .. فسادها الحكام
هل تأمن الامصار صولة خصمها ... يوما .. اذا شغل الجميع خصام
لا مرحبا بالنور يصرع أهله ... وعلى الظلام .. تحية وسلام
أعصارة الخير الوفير .. ولمحة ... مما حواه العرب .. والاسلام
لا كان يومك للصحافة انه ... يوم به تتنكس الاعلام

خلعت سماء الفكر ..فيه رواءها ... وانحط عنها البدر .. وهو تمام
ان الألى شقوا ثراك وحوله ... طافوا بأجنحة القلوب وحاموا
يتهافتون بها .. لصرع ضيغم ... ما خانه الاخوال والاعمام
غرسوك في قلب الحفاظ لتجتني ... أدبا .. به تتفتح الاكمام
المجد بعدك والمآثر .. حلبة ... طفقت بها تتسابق .. الاقلام
نظمت بك الآداب فهي فرائد ... لولاك .. لم يجمع لهن نظام
البشر يطفح والمحيا عندها ... بدر تألق .. والحديث مدام
قمنا نعدد من علاك .. وما عسى ... منها تحيط بعدها الارقام
لا سؤددا عرف الزمان ولا ابا ... الا وأنت ذؤابة وسنام
اذ أنت للشرف المنيف وللنهى ... فلك تدور .. بأفقه الاجرام
كم موقف لك .. والحفاظ يزينه ... حر تطيش بمثله الاحلام
نكس الضلال به أمامك ساجدا ... عن عرشه .. وتهاوت الاصنام
حالفته طبعا يشف .. كأنما ... بين النسيم وبينه .. أرحام
نمت عليك به المكارم اذ ذكت ... بأريج فضلك .. والشذا نمام
وملأت ناموس الحياة فضائلا ... سبحت ببحر .. كمالها الاعوام

لبنان .. عين لا تغيض ومهجة ... فيها لبركان الاسى .. ألغام
صدع القلوب جلال خطبك فاغتلت ... وطغى عليها الحزن وهي ركام
برقت بها سحب المصاب وارعدت ... فانهل منها للعيون .. غمام
نم هانئا للخلد يحفزك القضا ... ويزفك الاكبار .. والاعظام
شدت الاساس على الهدى وبنيته ... شرفا .. له يتصاغر الاهرام
تغدو الخطوب أليمة بمصابها ... وتهون .. ان خلف الكريم كرام

عيناثا - بنت جبيل ... **عبد اللطيف فضل الله**

* * *

● يلاحظ القاريء ان السيد حفظه الله قال في أبيات من القصيدة أثناء كلامه عن لبنان ما نصه :

يبتني العروش على الضلال كأنها ... نعش يعد لدفنه وحمام

السيد ليس نبيا ولكن العلماء ورثة الانبياء والشعراء الملهمون أمثال السيد أنصاف انبياء .

سيّد الكلمة المهذّبة

كلمة : سعيد عقل

أحمد عارف ، رجل التدين ابن أصفى التعاليم ، المعاند ولو في الايام المظلمة يأبى الا أن يكون لصيدا مجلة ، خادم الكلمة التي من نار ، عضد الاقلام الطرية ، القلب الحلو العامر بارادة العمل ، حامل السبع والسبعين وهي على منكبيه مشاعل هداية وحق ، الرأس الجميل الابيض نتلفت اليوم الى مكانه على أزائك الشرف فنجده خاليا حزينا .

قليل من قداسة هجر القاعات ! ريشة ذات شمم توقفت عن عطاء ؟ لا وانما على الارجح ولفرط ما شغفت بالنضال ، تطلعت الى النضال على كوكب آخر ، في مغترب من مغترباتنا آخر .

الشيخ أحمد عارف ، الشيخ وكفى كما كان يطيب لي أن أسأل عنه كل قادم من صيدا ، ماذا ! ساهم بعد اليوم بأن أسأل ولا أفعل ؟

تشدني الى الشيخ وشائج عمرها بعمر شعري : كنت بعد في مستهل شأني بالقلم يوم قيل لي :

ــ اقرأ « العرفان » ، انها تتناولك بنقد .

ــ وما « العرفان » ؟

ــ مجلة تصدر في صيدا ، صاحبها رجل دين .

في صيدا مدينة أمجادنا ، عاصمة العلم ذات يوم ، كما يقول

بيار هوباك ، تلك التي من جميع أطراف الدنيا قصدها ملوك وحسان وأهل ريشة،وصدرت الذوق والخاطر الطريف والمغامرة في صيدا هذه ، مجلة يصدرها رجل دين ، تتلطف بأن تحمل علي؟

وساعة قرأت صفحة بعينها من « العرفان » تعلمت أول درس أن أعادي بتهذيب .

طوال حياتي كان لي أفكار يثور عليها الشيخ ، وطوال حياتي وفرت له في قلبي مكان الصدارة .

احتجب اليوم الرأس الجميل الابيض ، معلمي المعاندة والانصاف معا ، سيد الكلمة المهذبة ، الرزين على اقدام ، المهيب ، الشهم ، الشجاع ، الحيي على ارادة الحياة ، الخير على الخواطر اللدنة ، شاهد كل معركة ولو تخلف عنها الابطال ، السمح البادرة ، العف ، المتدين بخشية وجلال ، المتطلع أبدا الى القيم يبريها ينصرها ولا يهاود .احتجب ولكن آراءه ومواقفه حاضرة أبدا ولا حضور الضمير .

وفي عصر ناضلنا فيه ضد متحجرين وأهل طفرة وقف أحمد عارف موقفا كله بناء .

لا من أهل الطفرة هو ولا مع المتحجرين . انه واحد الثوار وطليعة الصامدين .

قال الجديد ولكن الجديد الذي ما تنازل عن التبرك بواحدة من قيمنا الخالدة .

يُروى بيت الشعر على مسمعه أو يحدث عن الموقف السياسي فيفرق بحدس عجيب بين جدة مريضة وأخرى نابعة من صميم الجمال .

قبيل سفره بأيام الى حيث لاقى وجه ربه قلت له ممتحنا :

ـ أضمر لصيدا ، في جملة ما أضمر ، أن أحرك لبنان يوما

الى آن يرفع في كل قارعة من طرقاتها نصبا يذكر بمجـد • وسأحرص ، اكراما لك ، على أن تكون الامجاد غير بعيدة عن قلبك •

فقـال :

ــ تجهلني في مسايرتك هذه • صيدا كل لا يتجزأ • وأنا أحبها منذ هي معلمة اليونان الى أن أصبحت منجبة حسن كامل الصباح (١) •

أحمد عارف أيها القلم الطلق كجبالنا •• أيها السيف الذي آن له أن يرتاح ، لن أنسى لك الكلمة الأمثولة •

انها كلمة البناء •

الى أيام خلت في اجتماع لجنة من مهامها الدعوة الى تسمية شوارع بأسماء أهل القلم ، من آثارهم مجال اعتزاز ورفعـة رأس ، ذكر اسم أحمد عارف ، فالتفت الي صديق يعرف كم أجل الشيخ فرآني ساكتا • فعجب • وعقب ارفضاض الاجتماع استوضحني سر موقفي فقلت له :

ــ الشيخ كان أكثر من صاحب قلم • كان ثائرا ومعاندا في نصرة الخواطر الصعبة ، وكان بالأخص قيما على مجد صيدا • اسمه أكبر من أن يتوج شارعا • يوم سنقيم في صيدا مؤسسة تنشر على الملأ عظمات المدينة الفريدة ، سأقترح أن تدعـى المؤسسة باسمه • كتابه (تاريخ صيدا) سبقنا جميعا الى اكرام المدينة التي كانت ، ذات يوم ، عاصمة العقل في العالم •

سعيد عقل

---

(١) تذهب أكثر الاقوال الى ان جبل عامل يمتد الى نهر الاولي وهنا صيدا أي محافظة صيدا لأن حسن كامل الصباح من النبطية •

يوم كانت الكلمة تحرق شفتي
قائلها كان أحمد عارف الزين آلاماً وتضحيات

كلمة : الشيخ عبد الله العلايلي

حتى العبارة تموت ... تلك هي قسوة الفجيعة .

وهل شهدت موت العبارة . انك اذن عند مشهد قريب ، من كنه ما يختلف على نفسي !

شق علي رثاؤك ، فأنا كلما حاولته محاولة القلب ، كانت الحروف تتبخر بين القلم والقرطاس ، لتعود أسى ينعقد أو دمعا ينهمر .

فرجعت منك بغصتين : يوم قال الموت فيك ، ويوم أردت أن أقول عنك !

نعم لن أرثيك رثاء القلب ، لأنك تعلم أن قلبي افتقدته غداة يومك ، وانني لم أزل أتحسس مكانه بأنامل عمياء منذ ترامى الي نعيك . فلا يعتب علي من بعد ، اذا أنا لم أطق أن أرثيك الا رثاء الذكرى ...

أراني فقدك أن لبعض الموت مجدا يسجد عند عتباته كل مجد مترف مزور مما يعرف أوهام الناس :

جندي يموت في ثوب المعركة !

وكادح يموت في ثوب العمل !

وملاح يموت وهو يمسك الاعصار كما يمسك الشراع ٠

هؤلاء يلاقون حتفهم بكبرياء ، لأنهم عرفوا كيف يحملون الواجب بكبرياء ، فأي كبرياء كان موتك ، وأنت ذلك الجندي ، وذلك العامل ، وذلك الملاح ؟

« ضرب الله مثلا ، كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » ٠

شجرة طيبة أجرت معين قلبها للناس فوحا وثمرا ، وسكبت آنيتها الملأى في دنياهم سكب السخاء ظلا ونورا ، واعرافا وحبورا ، وانداء وعطورا ، فكان يجد عندها المكدود الذي أرهقه عنت الطريق ، ما شاء من راحة نفس وطمأنينة قلب ٠

هذه الشجرة الطيبة هي حكاية المعنى لفقيدنا الكبير ، الذي كان للتاريخ مذ كان للحياة ونحن ازاءه نجد أنفسنا مدعوين للحديث عنه أردنا أم لم نرد ٠ انه ملأ دروبنا بالاعجاب وليس الخادع ، فلا بدع أن نملأ دربه بالورود وليس المزورة من ورق مصنوع ماحل ٠

أجل ، مثلما يرجع الجندي الظافر هو رجع الى ربه ، في قلبه شعلة ايمان ، وفي يمينه لألاء ما قدم من قربان ، وعلى جبينه أكاليل غار ازدانت بالروح والريحان ٠

« أحمد عارف الزين » وكان الوطنية يوم كانت آلام وتضحيات حمراء ٠

وكان النزاهة يوم كانت حكاية تُروى ٠

وكان الفكر الحر النير يوم كانت حرية الرأي سبيلا الى الأعواد ٠

وكان الصرخة المجلجلة الهادرة يوم كان الهمس الرعديد عنوان جرأة واستبسال ٠

« أحمد عارف » هذا رجل يعز على الرثاء ، ليماش غلابا ماردا صنو غلابه ، وعزمة جميمة مثل عزمة أعصابه ، وطلابا مقتحما يحكي روعة طلابه ، وأمثولة يقصها المناضل العربي في سفوحه وهضابه ، وتلاوة صلاة يبثها مضمخة بالعبير من أحقابه ومن حضوره الى غيابه ، راسما في اطار قدسي ملامح رجل أقدم في الروع وما ارتد على أعقابه ٠

أنا هنا لا لأقول كلمة دموع ، والا بت كاذبا مع حسي الذي لم يغب فيه ٠٠٠ وانما هي حبة من بخور القلب ، أهز مجامرها مثلما يفعل المؤمن المتبتل في الهيكل ، هو يحرك أعواد نده وبخوره ، لا ليطيب الهيكل وهو معقد الطيب ، ولكن ليقول : ان قلبه أرسله في عبارة الند معنى من طهر التبتل ونقاء النجوى ٠

حاولت أن أرسم للمجاهد الفقيد صورة حياته ، حياة معناه ، فجاءت في هذه الكلمات : نفس خصبة بانسانيتها ، أطاف بها شعور من الواجب اتبعتها قوة ماضية ، وارادة لا تنسى وعزمة غلابة ٠

وما ظنك برجل في حياته اختصرت قضية ، قضية وطن تململ في القيود ، وشعب بادر يطلب الانعتاق دافعا بصدره عقبات الطريق ٠

ما أقرب الخلد وما أبعد بابه ، ما أقربه للذين يحيون المجتمع حياته يعطونه خيرها ، وما أبعد بابه وأناه عن ملتمس آخرين انما يحيونه انتهاجا لخيره ٠

تريني هذه الذكرى من عن يمين وشمال ، احياء يحملون أجسادهم الى قبورهم ، ويسعون بها في دروب الناس ، وكانوا أولئك الذين يعيشون أنانيين ، يعيشون لأنفسهم دوائر مغلقة ٠

وأظنكم لا تجهلون يقينا ، ان المكان المغلق في جوه يجثم الاختناق ٠

لكأني أشهد فقيدنا الكبير من وراء هـذا المنحنى الارضي الذي يفصلنا عنه ، ينعم اليوم بتحقق حلمه في النضال كما ننعم ، ويغتبط كما نغتبط ، ويقر به عينا كما نقر به عينا •

فهذه اليقظات الشعبيـة الماردة ، والانتفاضـات الحرة ، الماضية قدما الى ما نريد ، أشاء أم لم يشأ السادة العبيد ، تملأ بالغبطة قلوب الذين انطووا على رغبة الصراع ، حقيقة حياة وخطة عمل ، ومنطق صيرورة •

لقد ظل هذا اليوم النضالي المفعم بكبرياء الشعب وارادته وعناده ، حلم عيد في قلوبنا نتلفت اليه كامل منتظر ، ونتلمس طلته في الدروب والمفارق ، ثم كان هذا اليوم ، وكان شيئـا كبيرا •

كان كبيرا في تحققه وعيا ، وفي تجسده ارادة فاعلة ، وقوى متطورة • ثم كان كبيرا أيضا في أنه سجل أو كاد ، النصر لنا نحن الشعوب في كل الميادين •

نعم ، أذكر فقيدنا وقد استفاق على عبوديات مدلهمة ، وليس ضحاياها الا الشعب ، الا الأمة ، فانبرى يناضل : عين له مع الناس ، وخفقة قلب له مع الله •••

عادت بي الذكرى الى حفلة ترفع أعلامها لتكريمك ، وجار عليها قدر فلم تكن ، وهذه حفلة تأبينك التي جرى بها قـدر فكانت ••• أترى ان مأساة الأديب المناضل عندنا هي أكثر من هذه الصورة : كائن هو الشمعة يصفق له كلما ذاب ، وراح خبرا في التراب !

عبد الله العلايلي

أزف الليل

شعر : بولس سلامة

أزف الليل يا شهيد الجهاد ... فتنعم ببهجة الآباد
ساهر القلب كنت ألف المعالي ... أسد الوجه في ظلام الاعادي
دائم الهم والعزيمة ، جياشا ... سني الاهواء تابي الوساد
العليون همة وذكاء ... لا يوازرون عمرهم في الرقاد
هم كما النور طبعه من صفاء ... ومعاني سنانه لامتداد
لو تعرى الزمان منهم لبات ... العصر أخلى من مجدبات البوادي

★ ★ ★

يا منار « العرفان » والجهل داج ... ويراع الاحرار في الاصفاد
اذ مضيق «البوسفور»امدى ضريح ... حفرته براثن الصياد
يوم لا منبر لومضة فكر ... عبقري ولا رحابة نادي
عهد سلطان يلدز ، فلسان العرب ... ديوان هجنة وفساد
قد بعثت البيان في ليلة القدر ، ... على حرقة الشفاه الصوادي
صنت للضاد حرمة حيث شعت ... دولة الحرف والزمان الغادي
فكأن الزمان طفلا ،وفجر الحرف ... بكرا كانا على ميعاد
يوم (فينيقيا) أطلت على الدنيا ... بفيض من ضوئها الوقاد
ولد الحرف والشراع بصيدون ... هنيئا صيدون بالميلاد
أيها الثائر الندي بيانا ... والبعيد الاصداء يوم التنادي
لم يضرك الجسم النحيل وفيه ... رفعة من شوامخ الاطواد
حاسرا سرت في الملمات شهما ... خاليا من مجنة وعتاد
غازيا قمة الصعاب عزوفا ... عن رخي الجني ، وخفض الوادي
وكأن العقاب تغري بمجد ... فذراها وقف على الآحاد
يا عدو الطغاة من أي عرق ... وزمان ومذهب وبلاد
كنت تذكي ان العزائم هانت ... مارج النار من بصيص الرماد
ترسل الصيحة المديدة حرى ... فاذا البرق احمر في المداد
دون ذاك اليراع يوم ذياد ... ومضة الموت من شفار الصعاد
عن فلسطين ذدت حتى تشكى ... الطرس من غضبة الفؤاد الجواد
ما لصهيون في فلسطين حق ... ظل طه فيها ومهد الفادي

بولس سلامة

شيخة المجلات

كلمة : عبد الله المشنوق

(الكلمة التي ألقاها وزير البلديات والأرياف وممثل الصحافة في الوزارة الاستاذ عبد الله المشنوق في الحفلة التأبينية الكبرى التي اقيمت للعلامة الكبير الشيخ أحمد عارف الزين صاحب (العرفان) في الأونيسكو) .

كنت كلما اجتمعت الى صاحب « العرفان » أو قرأت عددا من « العرفان » الأغر أرتفع من تفاهة المادة التي طغت على تفكيرنا ومحيطنا فضعنا في مجاهلها عن مثلنا العليا ، الى عالم من الجد والصدق والرصانة في الادب والعلم والوطنية ، عالم له أقطابه ومنابره ، عالم مثالي عشنا فيه حقبة رغيدة من الزمن في كنف أعلام الفكر والادب أمثال يعقوب صروف وفارس نمر وولي الدين يكن وجرجي زيدان وشوقي وحافظ والمطران وكرد علي وسلام والريحاني والغلاييني والرصافي والزهاوي وغيرهم ، رجال حملوا رسالة الفكر والادب فأناروا للعرب طريق التحرر لا تخيفهم المشانق ولا ترهبهم المعتقلات .

هذا العالم المثالي ارتفعت فيه أصوات الحرية على ألسنة الشعراء الخالدين ، وقامت فيه مدارس سيارة ارتوينا نحن وآباؤنا الاقربون من معينها الصافي أعظمها : مدرسة في الكنانة على شاطىء النيل الخالد ، ومدرسة في دمشق على ضفاف بردى ، ومدرسة في صيداء على ساحلنا الساحر ، كل مدرسة منها شيخة في وقارها وجدها وحكمتها ، مجلة « المقتطف » الشيخة

الكبرى ليعقوب صروف ، ومجلة « المقتبس » شيخة سوريا لمحمد كرد علي ، و « العرفان » شيخة لبنان لاحمد عارف الزين • هذه الشيخات الثلاث التي رفعت لواء العلم والادب قرابة قرن كامل ، امتازت بسعة الأفق ورحابة التفكير ، وانطلقت في بعث أمجادنا الماضية حاملة الطابع الواسع الشامل الرحب ـ الفسيح الذي وسمت به نهضتنا الفكرية العربية خلال العصور الوسطى ، يوم كانت راياتنا الفكرية تخفق في بغداد ودمشق وحلب والقاهرة والاندلس • ينشد المتنبي خالدات قصائده فترددها أجواء مصر والشام ولبنان ، ويكتب ابن خلدون روائع الحكمة فتتناقلها مكتبات العواصم العربية ، لا حدود ولا حواجز ولا سدود ، فالحرية الفكرية تخترق هذه الحجب وتكشف الظلمات عن بصائر الناس •

هذا العالم المثالي الذي ارتفع اليه كلما قرأت « العرفان » هو التتمة المنطقية الصادقة لعهدنا الزاهر على عهد المعري والفارابي وابن سينا ، فيه يصب الزهاوي والرصافي على ضفاف دجلة والفرات جام النقمة على الظلم والاستبداد فيردد أبناء بردى والنيل ولبنان رجع هذه القصائد نقمة وثورة على المستعمرين في ربوع بردى والنيل ولبنان وفي كل مكان ، وفيه يتغزل شوقي بجمال لبنان :

خلقت لبنان جنات النعيم وما   نبئت أن طريق الخلد لبنان

ليقول :

أمر بالمسجد المحزون أسأله   هل في المصلى أو المحراب مروان

ويقول :

كان شعري الغناء في فرح الشرق   وكان العزاء في أحزانه

ويحيي شوقي نضال الاتراك ـ العرب أنصار التحرر في كل مكان ـ فيقول مخاطبا كمال أتاتورك :

الله أكبر كم للفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العرب

ويحيي نضال الهند حين يزور غاندي القاهرة فيقول شوقي:

سلام الله يا غاندي   وهــذا الزهر من عندي

ثم يخاطب الاستعمار وأفاعيه :

وقل هاتوا أفاعيكم   أ تي الحاوي مــن الهند

وتردد دنيا العرب هــذه القصــائد صيحــات وانتفاضــات وانطلاقات في أجواء الجهاد والحرية ٠

كذلك كان يعقوب صروف يكتب في المقتطف ، ومحمد كرد علي في المقتبس ، وأحمد عارف الزين في العرفان ، فتختــرق آراؤهم الحواجز الوهمية التي أقامها المستعمرون في دنيانــا وتنتشر في كل حاضرة من حواضر العرب تباشير ثورة عارمة ثم ترسي قواعدها في كل عاصمة وتبني صرح الفكر العربي الشامخ لبنة لبنة في هدوء العلم وتواضع العلماء ، صرحا ممردا صمد في وجه الظالمين من المحتقنة أفكارهم وتمرد على الجاهلين من الذين ارتدوا غير ثيابهم ورطنوا بغير لغتهم ومشــوا في غــير ركبهم ٠٠

ان رسالة الشيخات الثلاث هي رسالة المستقبل ، هي الرسالة الصامدة على الدهر ، هي رسالة البعث الفكري لأمجادنا الغابرة في دروب لا تضاء فيها شموع الانطواء الباهتة ولكن تسطع فيها شمس الثقافة العربية ، الشمس التي أضاءت دروب الدنيــا طوال أجيال وركزت معالمها في كل بقعة من بقــاع العالم خيرا وعلما وحضارة وازدهارا ، اسألوا عن هذه الحضارة المنصفين من علماء الغرب ، واعلموا انه لم يترك أجدادا لأحفادهم مثلما ترك أجدادكم لكم أيها العرب الميامين ٠

شيخة صيداء التي حملت طوال ٦٠ عاما مشعال

الادب والعلم والوطنية في ظل شيخ صيداء المغفور

له أحمد عارف الزين ، سوف تظل في عصر الصواريخ والذرة ، في ظل فتى صيداء نزار الزين حاملة ، في وقار الشيخ وعزم الشباب ، لواء الجد والرصانة في الادب والعلم ، سوف تظل الحصن الوطني الحصين الذي تمرد على الظلم والاستعمار ، وظل ضاحكا ينظر الى البحر ويرى القراصنة والصهاينة يرحلون أفواجا أفواجا عن دنيا العرب المتمردة على الظلم المنطلقة نحو النور والحرية ...

عبد الله المشنوق

* * *



آمنت بعبقرية القلم

كلمة : عبد اللطيف اليونس

كان ذلك سنة ١٩٣٨ حينما قررت لجنة من كرام القوم ، اقامة يوبيل ذهبي للعلامة الجليل الشيخ سليمان الاحمد ·

وكانت أول مرة أزور فيها صيداء · وقد ذهبت اليها للاشراف على طباعة كتاب عن حياة الشيخ سليمان الاحمد ـ في مطبعة « العرفان » · وانتزعني الشيخ عارف الزين يومئذ من الفندق ، وأبى الا أن يضيفني في منزله طيلة تلك المدة ـ التي أربت على العشرين يوما ·

وكانت مناسبة طيبة ، قدر لي من خلالها أن أعرفه عن كثب معرفة تامة · زادتني وثوقا بصلاحه وطهره ، وفضله ونبله · بصدقه وايمانه ، واستقامته واخلاصه · سمو نفسه ، وكرم روحه · بسخاء يده ، وتسامح قلبه ·

ولن تعرف المرء ·· الا اذا عرفته في حالتي الرضى والغضب الامل واليأس ، اقبال الحياة وادبارها ، اشراقها وعبوسها ·

واذا لم تعش مع المرء وتواكبه ، وتسع معه وتعامله ، فلن تعرف شيئا عن واقعه وجوهره ·· بل تظل على هامش حقيقته ، وشاطىء روحه ·ولن تستطيع التغلغل الى أعماق طباعه وخلائقه الا اذا أمسست بتيار حاجتك ، وطول معاشرتك دخيلة نفسه ، والعصي من سره وخبره · ورحت معه وجئت ، وأكلت وسمرت، وبحثت وحاججت · وحينئذ تعرف من هو ·· وأين مكانك منه ، ومكانه منك ·

ولقد أخذت ـ وأنا حينئذ في مطلع ربيع الحياة ـ بنفسه الخيرة وروحه النيرة • بضميره النقي ، وخلقه الأبي ، بتلك الصراحة البريئة ، لا تجامل صديقا ، ولا تراعي قريبا •

وكنت أنام على صدى صوته الهادىء ـ وهو يتلو الاوراد : بخشوع عجيب • وأفيق على صدى صوته الهادر ـ وهو يرتل القرآن بنغم مهيب •

لقد كان يتجه بكليته الى الله ـ حينما كان يتجه الى الصلاة • ينم على ذلك عينان مسبلتان وتقى واضح ، وخشوع ما يزال أثره في نفسي ـ الى الآن •

وبعد أن يفرغ من واجباته الروحية ـ والشمس ما تزال في خدرها ـ يهرع الى تفقد حديقة منزله ، ويخلد بعد ذلك الى عمله التوجيهي والادبي ـ منصرفا اليه بكل ما في نفسه من قوة وعزم ، وصبر واحتمال •

نفس صافية ، وقلب كبير • رجولة كاملة ، وتهذيب رفيع • كبرياء متواضعة وتواضع مترفع • وطنية صادقة ، وجهاد صامت • انسانية كريمة ـ لا تعرف الحقد ، ولا يعرفها الحقد •

أبعد شيء عنه الممالأة ، وأقرب شيء اليه الصراحة • أحب شيء اليه : لقيا صديق واغاثة ملهوف ، اطعام جائع ، ومساعدة مسكين • كأنه أحد الذين عناهم الشاعر القروي بقوله :

الباسطين الى الفقير أكفهم
والذائدين عن الضعيف العاني
والمصلحين الساكبين عقولهم
وقلوبهم في خدمة الانسان

تلك كانت بعض خلائقه ومزاياه ، ومبادئه وسجاياه •

لقد كان انسانا وما أكثر من يدعي الانسانية ، وهي منه

براء . وكلمة « انسان » هي خير ما يطرى به امرؤ ويحمد :

لن تستطيع أن تكون الها فاذا استطعت فلتكن « انسانا »

ـ ومن مزايا الانسانية أنها لا تخفى على أحد ـ فهي تطل من عيني « الانسان » ، ومن قلبه وقلمه ويده ، ولعل اللسان آخر ما تطل منه . وربما كان أبو الطيب يشير الى ذلك بقوله :

ـ لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعف النطق ـ ان لم تسعف الحال ـ

ولقد اجتمعت به بعد ذلك كثيرا ... وكنت كلما لقيته مرة شعرت ان محبتي له قد نمت ، واكباري قد تضاعف ، وتقديري قد زاد . كنت أجد في نفسه دنيا من الفضائل والمكرمات ، والخير والمروءة .

وكثيرا ما عاتبته على صراحته ـ يلقيها غير هياب ، ويطلقها غير وجل . لا يهمه أين تقع وكيف تقع . فهي انما صدرت عن قلبه ، ونبعت من ضميره . وليس وراءها الا حسن نية ، وكريم قصد ومحاولة اصلاح .

لقد كان يقول لي دائما : ان الصدق ـ هو الصدق . وان المجتمع الذي لا يقوم على أساس من الصراحة والتجانس ، هو مجتمع فاسد منحل .

لقد كان يؤمن بالمجتمع الفاضل ايمانا عميقا . ويرى ان المجتمع لا يكون فاضلا كاملا متماسكا متساندا .. الا اذا سادته الرحمة والانسانية ، والصراحة والود .

ـ وكم كنت أجد لذة بالتحدث اليه . وكان يجد ـ أحيانا ـ بعض الصعوبة بايجاد توافق وانسجام بين تفكيره الواسع المصقول ، وتعبيره المرهق المثقل . فقد كانت الكلمة ـ على قدرتها ، أعجز من أن تحيط بالمعنى الدقيق العميق ، وفكرته القومية الغنية . وكان سيل الخواطر يطغى على لسانه فينآد

تحتها ـ لا عن عي ، ولا عن عياء •• وانما العبقرية : دماغ مفكر ، أو لسان معبر •

كان واسع الاطلاع ، قوي الذاكرة • يضرب المثل بقوة حافظته ، ورهافة ذاكرته • لا يكتب كلمة الا ويملؤها بالشواهد الكثيرة : قرآنا وحديثا ، وشعرا ، وآراء لعباقرة موهوبين •

ولم يكن كاتبا يلهي القارىء بالتنميق والتزويق ، والتوشية وزخرف الكلام • بل كان كاتبا رصينا • تضيء أفكاره (الحرف) ـ فيسطع به ، وتحتشد المعاني في كلماته ـ فتزهو بها •

كان قلمه قلم عالم يتخذ الأسلوب وسيلة للتعبير عن آرائه وأفكاره • فيجيء أسلوبه خلوا من الاصباغ والألوان لا يأبه في كتابته الا بالصراحة والصدق ، والواقعية والجدية والامانة الحقة للأدب والتاريخ •

كان صديق القارىء ـ لا يمل رفقته ، ولا يكره مصاحبته •• ولو سار به في طريق شائكة مضطربة • فرفيقه سعيد ـ جد سعيد ـ • لأن زاده متوفر ، وطريقه أمين وخاتمته مضمونة •

والكاتب الموهوب يقتنص القارىء من وقته المكتظ • ويفرض عليه نفسه وتفكيره ، وآراءه ونظرياته ـ صائبة كانت أو خاطئة ، واقعية أو خيالية •

آمنت بالعبقرية : عبقرية الادب والعلم • عبقرية الكلمة والمعنى • عبقرية الخيال السابح الوضيء ، والفكرة القومية الغنية ـ تجعل الحرف الاسود ومضة من نور ، يشرق منه الفكر ويشع المعنى ، ويرسم للحياة خطا طويلا عريضا •

آمنت بالعبقرية : تورق الصخر ، وتنطق الزهر • تخلق من اللاشيء شيئا ومن العدم وجودا •

آمنت بعبقرية القلم : وما فيه من رقة وترف وحساسية ، وعناد ونزق وجموح • يقتنص الفكرة من مكمنها ـ ويرسمها على قرطاس ، وينقشها في أذهان الناس •

ـ وأي فكرة عصية لا تخضع لسلطان (القلم) ، ولا يجرفها هذا السيل الذي يندفع منه ـ ثم يجمدها في حروف ساكنة تصبح أسيرتها الى الأبد ؟٠

آمنت بالقلم الذي يجعل الأديب صاحب رسالة ٠ ورسالته هي الحق والخير والجمال ٠ يقتبس منها ، ويدافع عنها ٠ ويعمل على السمو بها ، ورفع مستواها ٠

وليس صاحب كل أسلوب أديبا ٠ ولا كل ذي ديباجة أنيقة مشرقة صاحب رسالة ، فالرسالة وقف على صاحبها ـ لا تتعداه ، ولا تتخطاه ٠ وأما الأدعياء الدخلاء فسرعان ما ينكشفون ويفشلون ٠٠

ـ آمنت بالقلم ـ ومن علم بالقلم ٠٠ علم الانسان ما لم يعلم ٠

وآمنت برسالة الاديب وانسانيته ٠

آمنت به ٠٠ صاحب فكرة نقية خيرة ، وريشة ناعمة حنون ، يلونها خيال أنيق ، ويزخرفها شعور رقيق ، وتضفي عليها العاطفة غلالة مترفة ، وبردا خالبا ، ومسحة ناعمة حالمة ٠

ولقد كانت مجلة العرفان غنية بالفكر المبتكرة ، والبيان السائغ العذب ، والمواضيع الشائقة المثيرة ، والابحاث الناضجة المختلفة ٠

لقد كانت مجلة العالم والاديب ٠

كانت مدرسة طيلة نصف قرن حافل بالأحداث ٠٠ وكم خرّجت خلال هذه المدة الطويلة من أدباء ، ونمت فيها عبقرية علماء ـ رغم العقبات التي اعترضت سبيلها ، والاشواك التي زرعت في دربها وكم أذكت نار الوطنية في نفوس المقيمين والمغتربين ، وكانت حلقة اتصال بين النازحين والوطن الأم ٠

لقد كانت نافذة يطل منها كل عربي على أدب قومه ،

وتاريخهم وأمجادهم . كانت منبرا حرا ، ورسالة قومية ـ تضطلع بأعباء التثقيف والتوجيه ، والاصلاح والارشاد . ومن يتصفح أعدادها يقرأ تاريخ بلاده وأمته فيها .

لقد كانت حديقة غناء ـ تحوي مختلف أنواع الثمار والأوراد .

وكان صاحب « العرفان » خير من يرعى هذه الحديقة بعنايته ويصونها برعايته ، ويتعهد الزهرات الناشئة ، فيسقيها من قلبه ، وروحه ، وجبينه ـ حتى يسطع طيبها ، ويضوع عبيرها ، ويعبق أريجها ، ويفوح شذاها . وما أكثر من تتلمذ على « العرفان » ، وأفاد منها وانتفع بها .

كان صاحب العرفان فتى الهمة في شيخوخته ـ مثله في صباه .

كان ذا حركة دائبة ، ونشاط مستمر . لا تثنيه النائبات ، ولا تضعفه الحادثات ، ولا ترهبه الملمات ، ولا تقعده المثبطات .

كان ذا عقيدة ثابتة وطيدة ـ كم أغري حتى ينحرف عنها ، أو يتنصل منها ، أو يسير في الطريق التي سار عليها الآخرون .. فكان يهزأ بالاغراء ، ويسخر من المغرين . وظل يغذ السير في طريقه القويمة ـ لا يوقفه ترغيب ، ولا يثنيه ترهيب ، يعرض عن كل عرض مغر ـ بكل ما في نفسه من أنفة وحمية وترفع واباء .

وكان جهاده متصل الحلقات ، من العهد التركي الى العهد الفرنسي . وقد حارب العهدين ورجالهما بكل ما أوتي من قوة وشجاعة . لقد كان خصما عنيدا للاستعمار ـ لم يهادنه ولم يسالمه ولم تلن له في محاربته قناة ، ولم تضعف عزيمة ، أو تلو شكيمة وظل في مكانه فوق أريكة النزاهة والوطنية والعلم .. صامدا ، متحديا ، شامخا كالطود ، كالهرم ، كالصخرة السامقة . والنخلة الباسقة ـ لها على الناس فضل الثمر ، وهنية الفيء .

وكم أوذي في سبيل كلمته وعقيدته • وكم تعرض لمثل ما يتعرض له رجل عقيدة ومبدأ وكم حورب واضطهد ، وسجن وأبعد ـ كل ذلك في سبيل فكرة يؤمن بها ، ورسالة يدافع عنها ، ووطنية صادقة مخلصة لا مجال للشك بها ، أو النيل من قدسيتها ونزاهتها •

وصاحب العقيدة الحقة •• لا يزيـده الضغط الا تشبثـا وثباتا وحماسة واصرارا •

ولم يعرفه أحد متوانيا في الليالي السود ، ولا متبجحا أو متعاليا في الايام البيض • كانت حاله واحدة •• لا تتغير بتغير الأحوال ، ولا تتبدل بتبدل الظروف •

« كان من نفسه الكبيرة في جيش ومن كبرياه في سلطان »

وتذل الرسالة وتهان • وتجرح الوطنية وتمتهن ـ اذا ساوم صاحبها عليها ، ونزل بها الى أقل من مستواها • وجعلها سلعة للبيع ، أو مطية للطمع والاغراء •

ولن تضعف الرسالة ، وتفشل ، الا اذا استهان بها حاملها ، وعرضها للنيل والتجريح •

وما أعظم صاحب الرسالة الذي يصبر على الأذى ، ويتحمل الضيم • انه يدخل التاريخ من بابه العريض • وما أحراه بالمجد وأجدره بالخلود •

وطوّف الشيخ عارف الزين في أنحاء الدنيا ـ يحمل رسالته في قلبه ، وعلى كاهلـه ولسانه رسالـة العلم ، والعروبـة ، والعرفان ، يبشر بها ، ويدعو لها •

ولم أره مرة في سمته الرصين ، ومظهره الرزين ، وعمته التي تضفي على وجهه مهابة ووقارا الا ذكرت قول « بـدوي الجبل » :

لبس العمامة للجلى •ولست أرى الا العمائم في الاسلام تيجانا

وقول « جورج صيدح » :

تاج « العروبة » فوق مفرقه استوى
حينـا ، وتـاج العبقريـة حينـا
حسـدت لآلـؤه ضيـاء جبينـه
سبحان من صـاغ الضيـاء جبينا

وكان الشيخ عارف الزين من الرواد الذين انطلقوا من لبنان يجوبون الآفاق البعيدة ، والاقطار القريبة ـ مبشرين ، وهادين ، وداعين للحق والخير ٠

ـ ولبنان درة في جبين العالم العربي،وجوهرة مشعة فريدة ـ تشرق في سمائه ، وتسطع في صحرائه ، ونسمة عليلة بليلة ، تهب من أرزه الخالد ، لتنعش ـ الدنيا العربية ، فيها خميلـة ممرعة ، وجنة رائعة ، وظلا أليفا ٠

ـ كأن في حقيقته وواقعه ٠٠ اسطورة أبديـة ، وخيـالا مجنحا ٠

كم منّ علينا لبنان ـ كما من الله عليه ـ بأدباء موهوبين ، وعباقرة خالدين ٠ كانوا تراثا للعروبة ، ومفخـرة لأبنائها الميامين ٠

وقد أحبت دمشق الشيخ عارف الزين ، وآثرته ٠ وكان له فيها مقام مرموق ، ومنزلة رفيعة ٠ وذكرت له أياديه ، وشكرت له مواقفه وعرفت قدره ، وتتبعت أثره ٠ وأكبرت علمه وفضله، وجهاده الصادق الصامت ٠

وما عقت دمشق جهاد مجاهد ، ولا نضال مناضل ، ولا عاطفة مخلص ٠ وما أحلته الا في سويدائها ، وبين الكـرام الطيبين المخلصين من أبنائها ٠

ولم تكن حسرة لبنان على فقيده ، بأعظم من حسرة سورية على فقيدها ٠

والشيخ عارف الزين فقيد العلم والادب والوطنية ـ لا في

لبنان فحسب ، وانما في كل بلد عربي ، مؤمن بعروبته وقوميته •

« يدك البيضاء لا ننكرها سوّد الله وجوه المنكرين »

ويوم نعاه الناعي في لبنان ، أدرك أبناء العروبة الغيارى : ان العروبة قد فقدت ركنا ركينا وحصنا حصينا ، ودعامة متينة ورجلا ــ كان وحده قبيلة وجيشا ، وقلعة منيعة • وما أندر الرجال :

« هكذا هكذا ــ والا فلا لا ليس كل الرجال تدعى رجالا »

وتوفي الشيخ عارف الزين ــ عن أبناء كرام بررة ، وسمعة نقية عاطرة ، وماض طويل عريض ، وتاريخ مشرق حافل ، واسم مدو عاطر ، وذكريات ناضرة خالدة ، ومجد أدبي مؤثل ، وثروة علمية لا تفنى • ومجلة كانت وما ــ زالت ــ مدرسة ، ومنبرا ، وتاريخا ، وما رأيت مصابا جمع الناس حوله ، أكثر من مصاب الناس بفقد الشيخ عارف الزين ــ فكأن الاخطل الصغير قد عناه بقوله :

أنت كالحق ألف الناس يقظا ن وزاد ائتلافهم وهو نائم

ولن يُنسى الشيخ عارف الزين ــ ما دام في الناس من يذكر الفضل ، ولا ينكر الجميل •

لن ينسى الشيخ عارف الزين وهيهات أن تنسى جرأته النادرة ، وحيويته المتدفقة ، ووطنيته الصادقة ، وانسانيته الكريمة ، ومثاليته الفريدة ، وايمانه العميق ــ ايمان بالله ••• مجرد عن الزيف والزهو ،والعصبية والغلو ، والكسب والاتجار •

ايمان ••• بان « الله محبة » • وان « الانسان أخو الانسان ــ أحب أم كره » • وان « الدين لله ، والوطن للجميع » •

وانك :

«ما دمت محترما حقي فأنت أخي آمنت بالله ، أم آمنت بالحجر»

عبد اللطيف اليونس

صاحب جريدة الوطن بالارجنتين

لقد كنت أمة وحدك

من قلم : ردكس بن زائد العزيزي

أبا نزار !

أحقا خفت الصوت المدافع عن الحق المجاهد في سبيل أمته ولغته وبلاده ؟

أحقا جفت الابتسامة التي تنم على الأريحية والندى ؟

رحمك الله أخي أحمد عارف لقد كنت أمة وحدك ،وقارعت استعماريين غاشمين ، وعدوين أزرقين ، فما خارت لك عزيمة ولا لانت لك قناة ، وما زادك الاضطهاد والظلم ، والنفي والسجن سوى مضاء وعزما وتصميما على الخدمة المخلصة والجهاد الصابر المثمر !

أخي أحمد عارف !

اليوم خبت الشعلة النورانية التي أنارت الايام المظلمة ، وصمت صرير القلم الملهم الذي خدم العلم غير متبذل ، ولا مترخص ، وخدم الأمة غير مساوم ، ولا مراوغ ٠

أجل لقد سكت الصوت الذي كان يدوي بالحق فيسمع صداه كل من في الوجود ، لا يهاب صاحبه في الحق لومة لائم !٠٠٠

أخي أبا نزار !

لقد كان من أبرز ما من الله به عليك من المزايا التي هي وقف على أفذاذ الابطال ، انك شجاع يوم يجبن الشجعان ، وكريم يوم يبخل الكرماء ، ويشح السمحاء ؟٠٠٠

لأنك تستمد مثلك الأعلى من ايمان لا يعتريه شك ، بأن الشجاعة تكلفنا أقل مما يكلفنا الجبن وأن الكرم يكلفنا أقل مما يكلفنا البخل • فكان الناس الذين حولك يرون أنك ستعود من اقدامك وقد شقت عليك الجيوب وتعود من كرمك وقد سُدت في وجه من تحب أبواب الرزق •

فما هي الا أيام حتى تنجلي الغمة ، وحتى تخرج من المعركة، وقد هزمت خصومك الاقوياء ، مكللا بأكاليل الغار ، رافعا راية الجهاد • وما هي الا أيام حتى يرى الذين بخلوا وأنت تجود ، انك نصبت لك في كل قلب عرشا من الحب والتقدير ، لأنك كنت تتصل بعون علوي يمهد لك النصر يوم ينهزم الابطال ، ويمهد لك سبيل البذل يوم بشح السمح الوهوب !••

أخي أبا نزار ، أبا الأدباء

اذا وقفت اليوم في ذكراك الخالدة أرثيك ، فانما أنا أعالج جرحا في قلبي لا يندمل ، لأني أرثي فيك الوفاء تجسم رجلا ، والبطولة تحولت شمما ، والشجاعة الادبية كانت قلما في يدك ، ولسانا ناطقا بالحق وخدمة الانسانية • ما صمت الا حيث يزين الصمت صاحبه • فلا غرابة أن يرى كل من عرفك هول الفجيعة فيك وأنت الرجل الذي سمت أخلاقه فوق مخلفات العصور السود فكنت ناصرا للحق ، مخلصا للانسانية فسلام الله عليك •

أبا نزار

لقد كنت تعلم يا أخي ما أكن لك من اجلال وتعظيم ، ولعلك اليوم وقد زالت الحجب بينك وبين الحقائق المطوية ، والأمور المغيبة أعلم بما أبقى رحيلك في نفسي من حزن صامت ، وألم عميق •

أخي العلامة العظيم !

لولا علمي بأن آل الزين الأعيان مأسدة ، لا يخلو مكان ليث منهم حتى يليه ليث يحمل لواء البطولة والجهاد ، لقلت ان المصاب فيك لا عزاء له ·

أما وأنت من مأسدة عرفت بالبطولة والعلم ، وبكل ما تفخر به الرجولة ، فنم قرير العين راضيا مرضيا في جوار ربك ، فقد أورثت نزارا خلقك المصفى ومناقبك الغر ·

فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا !

روكس بن زائد العزيزي
ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الأردن



العارف الله

كلمة وقصيدة : عبد المطلب الأمين

قبر بطوس الى جنب الرضا ولـه
عين الرضا والهدى والحق تبتسم
العارف الله عرفان الوصـي لـه
ومن لـه بهـدى خطواتـه أمم
الناصعـان صغيراه وعمتـه
والداميـان صراع الحر والقلم
بالامس أغمد سيف ظل ملتمعـا
يكافح العسف من ذلوا ومن حكموا
وما جريمة من سيموا ولم يثبوا
في وجه ظلامهم الا كمـن ظلموا
أبا أديب لقد جاهدت مـا وهنت
عزيمة لك اذ هانوا لدن عزمـوا
فأنت أنـت حديـد لا يلين ولا
يرقي لعليائـه شـك ولا تهـم
وأنت أنـت كجلمود وصومعـة
من الاباء حماهـا الله والشمم
وأنت أنت بياض في المشيب وفي
طيب السريرة اذ عقوا واذ لؤموا
وأنت أنت امـام في الوفاء وفـي
رعاية الـود فليخز الألى زعموا
وأنت أنت سماح في اليدين وفي
شم الطباع سداها الحب والكرم
وأنت أنت من العرفـان مقتبس
تقشع الظلم مـن جراه والظلم
وأنت أنـت من السبعين في قمم
من النصاعة دانـت دونها القمم

أستاذي !

ما تعودت تأبين أحد لا أحبه وأحترمه في وقت معا لأن الرثاء الذي لا ينبع من القلب ليس رثاء مهما بلغ من مستوى البلاغة والافصاح وأنت يا أستاذي ، بعد والدي الانسان الذي يتمتع بحبي واحترامي وتقديري ، أما حبي فمرده الى هذا الخلـق الملائكي الذي كنت تتمتع به والى الحدب والرعاية التي كلأتني بها منذ تفتحت عيناي ويداي على دنيا القلم وأنا لم أزل بعد طفلا ففتحت لي صدر مجلتك وأنا لا أنكر أني كنت ولدا عاقا

للعرفان فبعد أن بدلت زغبي الادبي بالريش انصرفت عن العرفان وكان شأني في ذلك شأن كل العصافير وحتى الكواسر التي نشأت في عش العرفان ، وكان تسامحك مع ولدك وانتهازك الفرص والمناسبات لتنشر لي انتاجي الادبي بثناء لا أستحقه متجاوزا عقوقي لك ، فكنت بذلك مثال الأب السموح الذي ليس في نفسه غير الحب ولا يمكن أن يكون في نفسه غير الحب والتسامح فهو من المعدن الذي أشار اليه السيد المسيح صلوات الله عليه بقوله : باركوا لاعنيكم وتجاوزوا عن سيئات من أساء اليكم ٠ وأما احترامي فما أحسبني بحاجة للتدليل فليس هناك من انسان عرف الشيخ عارف الزين أو سمع به الا وانحنى أمام هذا العملاق المتواضع وهذا الجبار الانسان الذي ليس في سلوكه في حياته الخاصة والعامة الا ما يدعو للاحترام والتقدير ٠

وأنت يا سيدي وأستاذي ، فوق ذلك والى ذلك انسان لك على هذه البقعة العاقة المعقوقة التي تسمى بجبل عامل والتي أنا منها لحما ودما وبداية ومصيرا فضل لا يوازيه فضل وأياد دونها كل الأيادي ، فأنت بعرفانك وبنضالك السياسي والادبي تعد الرائد الاول الذي فتح عين الدنيا على هذه البقعة ، فتح عين الدنيا عليها وعلى خاماتها المجهولة وعلى عبقرياتها الجبارة ٠

وأنت يا سيدي وأستاذي الى ذلك وفوق ذلك عملاق من عمالقة النضال السياسي الصامت من أجل الوطن العربي الاكبر ومن أجل الوطن العربي الاصغر ٠

واذا كان نصيبك العقوق والتكران شأنك في ذلك شأن المجاهدين المخلصين واذا كان عليك الغرم ولسواك الغنم فحسبك عزاء يا سيدي هذه الدموع الصافية النقية المخلصة التي ذرفتها عليك هذه النخبة الصالحة من تلاميذك وحوارييك فلعل فيها تكفيرا عن عقوق الايام ٠

عبد المطلب الأمين

أعلامة الجيل

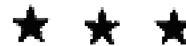
قصيدة : يوسف أبي رزق

القصيدة التي ألقيت في أسبوع المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين عصر الأحد ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩٦٠ في صيدا رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه .

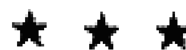
تواري زعيم المجد جمعا ومفردا ليسطع في تاريخ أمتنا غدا
فمن رفع الآداب هيض جناحه ومن نشر «العرفان» قد غاله الردى



قضى في جوار الطيبين فأفسحوا له في حمى الوحي المطهر مرقدا
أقبر الرضا عطفا على عارف الرضا على الميت في حضن العلي توسدا
يحف شعاع الاولياء بروحه ويغمرها رضوان بالنور والندى
تؤبنه سبعون عاما مليئة جهادا وعرفانا ودينا ومحتدا
ويحمله لبنان في الموت أرزة لتغرس في ايران غرسا مخلدا



أعلامة الجيل الذي مات بعدما بعرفانه أحيى وأروى وشيدا
ستخلد في تاريخ أمة يعرب حساما على الجهل البغيض مجردا
وخير يراع أنجبت أرض عامل أذاب حماقات العقول وبددا



لقد شاد بالعرفان جيلا من الحجى فكانت لنا في الشرق والغرب معهدا
وباتت لابناء العروبة مرجعا وموسوعة من عامل حملت هدى



لقد كان شيخ الجيل رائــد قومه الى النور حين الجيل قد كان أسودا
فما ضره أن ألــب الشر حوله غيومــا وأشواكا ونارا وحسـدا
اذا المرء في دنياه عاش عقيدة يموت ويلقــى ربــه طاهرا يدا

★ ★ ★

لقد رزئت فيك الصحافة عندمـا هويت وفيها كنت ركنا مشيدا
أقامت لك الاقلام أروع مأتـم لدن شيعت في موكب العلم أحمدا
وقالت ، عزائي فيك ان تكــن تواريت قد خلفت لي أعطر الصدى
يموت ندي الورد أمـا أريجـه فيعبق في الاجيال عطــرا مؤبدا

★ ★ ★

اذا جــار دهر بالاديب وعقـه وجند ضد الحر جيشا من العدى
فما كنت الا عبقريا مجاهــدا يثور على الطغيان سيفا مهندا
لانك بالعرفان أضرمت ثـورة وأطلعت في ليل الضلالة فرقدا

★ ★ ★

سلكت سبيل الخالدين وكنت في حياتـك ذاك الثائــر المتمردا
كأني به في حضرة الله ماثـل يردد آيـــات العلـي تشهــدا
ويمضي عن الدنيا الى الله مؤمنا عزيزا كريمــا مطمئنا موحدا
وقد صغرت في عينه الارض كلها فداس على أمجــادها وتجردا
وذوب في النفس الزكية نفسه ومــات عظيمــا زاهدا متعبدا

★ ★ ★

عزاء ذويه فالذي غاب وجهــه قضى سيدا حرا كما عاش سيدا
فقولوا له : نعطي ثراك الى الثرى ونستودع الــروح النبي محمدا
اذا كنت قد أوحشت بالموت أرضنا فانك قد آنست بالموت «مشهدا»

صيدا، ـ يوسف أبي رزق

العظيم لا يموت ولكنه يرتفع منارا

بقلم : عبد الكريم الحمود

هل عرفتم أي رجل تمثل فيه الاباء والشمم أصدق تمثيل ، وتجلى الايمان والاخلاص في قوله وعمله بأجلى معانيه ، وأي عظيم كان فيه من الجبل شموخه ورسوخه ومن السيف صرامته ومضاؤه ومن المطر بذله وسخاؤه ومن الفلاسفة صمتهم وتفكيرهم ومن الانبياء صفحهم وتسامحهم ومن العلماء لينهم وهديهم وتواضعهم ، وأي بطل كان يبتسم كلما ادلهم الكرب واعصوصب الخطب ويتحدى الرياح الزعزع والعواصف الهوج بعزم ثابت وعزيمة صادقة غير هياب ولا وجل ، فهو آمة من العظماء ،تمثلت في رجل فكان مثال العظمة والرجولة الصادقة ذلك الرجل هو الشيخ « أحمد عارف الزين » الذي فوجئنا بنعيه منذ أسبوع فقد اشتاق الى لقاء الله وجواره :

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

وأخيرا فقدنا الامل الكبير الغالي علينا ، والبطل الذي ادخرناه للمخطوب ، والدرع الواقي الذي نتقي به العاديات ، وسكت القلب الكبير الذي لا يضيق الا بالبغضاء ولا يتسع الا للحب ولا يخفق الا بالحنان ولا يختلج الا بالاخلاص للاصدقاء والاعداء على السواء ٠

وطوى الرجل العظيم صفحة حياته التي هي سجل فخار وسفر جهاد ليفتح صفحة أخرى هي صفحة الخلود في تاريخ الشرف والكرامة والعزة والمجد ٠ وأخيرا أخلد البطل الى السكون والراحة ، وعاد السيف الى غمده بعد جهاد وجلاد ٠

ونحن اذ نحتفل ونحتفي بذكراه انما نكرم البطولة والعظمة في شخصه ، أليس رجلنا العظيم وعلامتنا المجاهد وصحفيننا الكبير بطل جهاد ورمز كفاح ؟ ٧٩ عاما قضاها في كفاح طويل ونضال مرير فسلام عليه خالدا في الخالدين وبطلا مجاهدا في زمرة المجاهدين فلقد عاش كريما ومات مؤمنا ورحمه الله رحمة واسعة تعطر جدثه الطاهر وجثمانه المقدس •

ولئن بكيناه فاننا لا نبكيه ميتا فالعظيم لا يموت وانما يرتفع منارا للسائرين ، ولئن نعيناه فلسنا ننعاه مفارقا فان من يعيش في القلوب والافكار لا يعد مفارقا ، وانما نبكي وننعي أملا غاليا فقدناه : (وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر) •

ولئن فارقنا بجسمه فان روحه معنا لا تفارقنا لأن الروح لا تموت ولا يأتي عليها العدم ولئن غاب عنا شخصه فلن يغيب عنا مثاله والسلام على الامام علي اذ يقول فيه وفي أمثاله : « أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة » •

اننا نذكره دائما كلما ذكرنا الجهاد والشرف والكفاح الحر فاسم الشيخ أحمد عارف الزين يقترن بأسمى المعاني وأقدسها وأسماها •

ان اسمه يقترن بالكرامة والعزة والشمم ، بكل هذه المعاني ومشتقاتها ومترادفاتها •

عاش فقيدنا العظيم شريفا نزيها ، ومكافحا مناضلا ، ومات كريما مؤمنا يحدوه الشوق لرفاق له في الجهاد قضوا نحبهم دون رسالتهم المقدسة وتقدموا للقاء الله بيض الوجوه فرحين بما آتاهم الله من فضله لينتظم الى قافلتهم ثم ليأخذ مكان الصدارة بينهم : في مقعد صدق عند مليك مقتدر •

ولقد كان المفروض فيه أن يتقدمهم الى المشنقة لولا ان أجله لم يحن فبقي ليستوفي أجله ويكمل رسالته بقي ولكنه لم يلق

السلاح جانبا بل واصل السير في الطريق نفسها ، الطريق التي رسمها وإياهم ، وحمل المشعل الذي أنار السبيل في الظلمة الحالكة المدلهمة ، لم تلن له قناة ولم يخر له عزم ، حتى اذا دعا داعي المنون لبى النداء لأنه كان مستعدا • غير ان البطل أبى أن يموت على فراشه وبين أهله وهو الذي لم يألف الراحة والذي تعود خوض المعارك وركوب الاهوال بصبر وثبات أبى الا أن يموت مجاهدا ـ كما أراد نفسه ـ في ساحة الشرف والكرامة •

فحزم حقائبه وذهب الى خراسان لزيارة الامام الرضا الذي قضى هو الآخر مجاهدا دون دين جده غريبا عن وطنه بعيدا عن أهله ودياره ، هذا ان كان للاحرار وطن معروف ، والا فالاحرار غرباء في أوطانهم ، غرباء في ديارهم وبين أهلهم :

أيا جارتا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

غرباء بما يحملون من أفكار سامية وهمم عالية فوق العادة فلا وطن للاحرار ـ اذن ـ وان كان لهم من وطن فوطنهم الحرية والحرية ليس لها مكان يختص بها دون مكان وليست تحد بحدود فهي فوق حدود الزمان والمكان •

نعم ان الشيخ أحمد عارف الزين غريب في وطنه ودياره ، غريب وهو بين أهله ، غريب لأنه ارتفع على العرف وسما فوق التقاليد ، ارتفع بشممه وهمته وعزة نفسه ، وسما بعلمه وفضله وورعه وتقواه •

ولو ان الشيخ أحمد كان من الطراز العادي لما كان له شأن يذكر •

فهو غريب لأنه حر وكل الاحرار غرباء في أوطان لم تعرف للحرية معنى ولم تذق لها طعما •

ولو ان الشيخ أحمد عارف ـ بما قدم من جهاد وتضحية في

سبيل أمته ووطنه ـ كان في بلد غربي لاستحق أرفع وسام في الدولة ولكن ..

وحسبه فخرا أنه يحمل أرفع أوسمة الشرف يعلقها عليه القلة القليلة من أحرار الأمة التي عليها تدور رحى الكفاح .

لن يضير الشيخ أحمد عارف أن أمته لم تقدر له جهاده وتضحيته فهو لم يعمل للناس من أجل الناس فلقد حسب حساب الناس ووضع نصب عينيه أسوأ الاحتمالات وهو أن الناس وفي طليعتهم من هو يعمل لأجلهم سيحاربونه بدلا من أن ينصروه ويؤازروه فارتاح ضميره لذلك لم يعاتب أحدا ولم يحاسب أحدا بل تجرع الغصص غصة اثر غصة وكظم غيظه وسكت على مضض .

ولكنه كان يعمل لوجه الله يعمل بما يمليه عليه الواجب ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسان حاله يقول :

(فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب)

فسيان عنده رضي الناس أم غضبوا لأنه (لا يريد منهم جزاء ولا شكورا) فالله هو الذي يجزي العباد ويجازيهم على قدر أعمالهم ونياتهم فجزاؤه على الله (والله لا يضيع أجر المحسنين) . قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) .

ولئن فقدناه في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لأمثاله في وقت عز فيه المخلصون وقل فيه المجاهدون وكثر فيه المدعون فان من بيننا من نعقد الآمال على نهضة أمثاله من أشباله وان لنا لأحسن العزاء في أنجاله أديب ونزار وزيد فان عليهم أن يسيروا في طريقه ويكملوا رسالته .

وان على الاستاذ نزار الذي هو سر أبيه أن يشد قوى العزم والعزيمة وأن يتسلم الراية ويسير على الطريق التي رسمها بطلنا المجاهد وعلامتنا العظيم بهمة كهمته لا تعرف الملل ولا

الكلال ، وعليه أن يعتصم بالصبر وان الله لمع الصابرين ، وأن لا يفت في عضده فقد والده وان عظم الخطب فان العظيم لا يكرم بالأسف ولا يودع بالبكاء ولا يشيع بالدموع ولا يؤدى حقه بالجزع أبدا •• وهو أسمى مفخرا أن يفتدي بطلا يبكي عليه الضعفاء) وانما يكرم ببعث فكرته واحياء قضيته ونشر رسالته •

ولئن فاتكم أيها السادة المجتمعون أن توفوه بعض حقه في حياته فلن يفوتكم أن توفوه بعض حقه بعد وفاته •• فهذه عرفانه التي هي اشعاع من نوره وقبس من فكره وقطعة من قلبه وعصارة من مهجته شجعوها وآزروها ماديا وأدبيا تكونوا وفيتموه بعض الحق الذي له عليكم :

العرفان •• العرفان •• فهي منبرنا الحر وندوتنا الادبية ومنتدى الاحرار وملتقى الافكار الحرة والآراء النزيهة وصحيفتنا المفضلة الناطقة باسمنا المعبرة عن أهدافنا التي لم يشترها المستعمر ولم تتعفر على أعتاب السفارات ولم تستجد المال من الملوك والامراء وهي لو أرادت ، وبالمعنى الأصح ، لو أراد صاحبها لضاقت البنوك بثروته وانه ليعرف الطريق المختصر الى ذلك ، انه ليعرف كيف تهبط عليه الثروة من أقرب طريق وليس غيره من الذين شيدوا الدور وبنوا القصور أقدر منه ولا أقدم ولا أظهر اسما ولا أعلى جاها ومركزا فهو أستاذهم جميعا ومصلحهم ، ولكن الكريم يأبى أن يفرط بالكرامة في سبيل المال لأن الكرامة باقية والمال زائل •

أبى أن يتخلى عن ثمرة كفاح قضى فيه عمره الطويل الغالي وكان فيه البطل المجلي من أجل مجد زائف يزول بزوال صاحبه ، ان شيخنا يعرف بثاقب بصيرته ان المال وسيلة للحياة والكرامة غاية في الحياة • والجاهل هو من جعل الوسيلة غاية والغاية وسيلة •

لن يضير الشيخ أحمد أن لا تكون له قصور شامخة أو مؤسسات شاهقة أو دور للنشر فان له من ايمانه وبعد نظره وسمو تفكيره وعلو همته ما يجعل كل ذلك زهيدا حقيرا في عينه وان كان قد أخطأه سربال الفن ، عاش بن مريم ليس يملك درهما ولكنه أي المسيح يقول : (أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على وجه الارض أحد أغنى مني) • فالغني انما هو بنفسه وعقله ومعارفه وأخلاقه •••

ولئن كانت المهنة الصحفية في نظر غيره وسيلة لجمع المال وبناء الدور والقصور فليست في نظر فقيدنا الا العمل الشاق المرهق والجهاد المتواصل والمسؤولية الكبرى التي لا يضطلع بها الا أولو العزم من الرجال ، ولقائل أن يقول : لماذا لم يعملوا عمله ويجاهدوا جهاده فالجواب : انهم لا يملكون الايمان الذي يملكه ولا الصراحة التي يتصف بها ولا الجرأة ولا الشجاعة التي يتحلى بها ، ولو كانوا يملكون شيئا من ذلك لنهجوا نهجه ولاحتذوا مثاله ولعملوا كما عمل وضحوا كما ضحى غير سائلين عن مال ولا أبناء ولا قصور ولا عقار ولا حتى عن الحياة:« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » • فالكرامة عنده هي فوق اعتبارات الدنيا كلها • هذا هو الشيخ أحمد وهذه أعماله وهذه أرصدته •

ولئن كانت أرصدة غيره أموالا مودعة في المصارف وأرقاما تصاعدية يضاف اليها كل يوم أرقام فان رصيده الوحيد عمله الصالح النزيه الذي لا تشوبه شائبة شك أو رياء أو نفاق ، وشتان بين المال والعمل للخلود • عرضوا عليه العروض المغرية من كل الجهات ولكنه لم يمد يده لأن يده لا تتسع لغير مقبض القلم الذي أرعب به قلوب الظالمين وهيهات أن تتسع للمال وان

من يجرد قلمه للحق لا يمد يده للمال وحين يئسوا من شرائه ساوموه على السكوت فلم يسكت بل واصل حملات الاستنكار ، ولم يبال انه وحده في الطريق فمن كان درعه الصبر وعدته الايمان بالله وسلاحه القلم لا يبالي بالعواصف والانواء .

وهكذا يكون أصحاب المبادىء : انهم لا ينظرون الا في حدود مبدئهم ولا يقتنمون الا بوحي ضميرهم فرحمه الله من مثل أعلى للابطال المجاهدين وأسوة حسنة لرواد الفضيلة وقدوة صالحة للاحرار المؤمنين ورائد لكل من سار على طريق الكفاح الحر وجزاه الله عنا خير ما جزى مخلصا لدينه ووطنه وأمته وألهم آله وذويه الصبر والسلوان .

عبد الكريم محمد حسين الحمود
القطيف ـ سيهات

* * *

زفرات واحساسات

نظمها حين علم بنبأ وفاة صاحب العرفان

حمل البريد من العراء النائي ... نبأ العزاء ولات حين عزاء
ومشى الهوينا وهو يعصب رأسه ... كمنيحة تمشي على استحياء
أترى جناح البرق أخطأ قصده ... أم ناء تحت بواعظ الاعباء
لولا معالجة الحمام لطبقت ... أنباء نعيك سائر الارجاء
ولرب رزء للبرية فادح ... هانت لديه فداحة الارزاء
فجع الحفيظة فاجع في ربها ... ودهى البيان بنكبة دهياء
الجامع الضدين من عنف ومن ... دعة بحالي شدة ورخاء
والباسط الكفين للوطن الذي ... أوفى له بالعهد والنزلاء
كالرسل الا أنه لم يختلف ... عنهم بغير البعث والايحاء
فكأن روض الياسمين وحسنه ... قبس البها من وجهه الوضاء
وكأنما الديم اقتفت آثاره ... في وابل غدق ومحض سخاء
يا باعث الموتى بعاملة الذي ... لولاك لم يحسب من الاحياء
والذائد الحاني على أوطانه ... كحنو مرضعة على الابناء
انفض غبار الموت عنك وعد بهم ... بعد لتلك السيرة الغراء
واطلع على الدنيا بعذب دمائة ... أروى وأعذب من نمير الماء
في أريها طعم السلاف وطيبه ... وشذا العبير ونشوة الصهباء
وتعهد النشء الجديد مجددا ... بنفائس الابحاث والآراء
ولطالما قد فت في أعضاده ... في المشرقين معاشر الجهلاء
أوليته حسن الصنيع ولم ترم ... يوما مكافأة وحسن جزاء
وأقلت من داء الخمول عثاره ... بجلائل الاعمال والآراء
حملت نفسك بالدنا ما لم تطق ... من نهضة ومشقة وعناء
وجريت والتاريخ لم تعبث به ... نضو الشراع بحلبة الانشاء
وفيت قسطك للسياسة لم تكن ... بمخاتل يوما ولا بمراء
لم تعط للذل المقادة اذ ثنى ... منك العنان تألب الاعداء
لا فرق عندك بين أن تبقى وأن ... تبغي اللحاق بموكب الشهداء
متدرعا بالصبر في حمل الاذى ... صبر الكريم على أذى وبلاء
فضل الثبات وأي مقلة ناظر ... جحدته غير المقلة العمياء
فاذا حياتك في المواقف كلها ... يومان يوم هدى ويوم نداء

وأبيك مـا اخترت الدنية ساعة | خوفا مـن الابعـاد والاقصـاء
بل كنت كالطود الممنع ضاربـا | عرض الجدار بغضبـة الدخلاء
كنت الامين على مصالـح أمـة | وكذا تكـون خلائـق الامناء
وتسوقها صعـدا لابراج العلا | حتى مشت عنقـا على الجوزاء
وعدوت من تخذوا السياسة حرفة | أنفـا بفـرط حميـة وإباء
وسياسـة خرقاء قد هتكوا بهـا | حـرم البتـول وحرمة العذراء
وخرجت صفر الكف من هذي الدنا | من دونمـا سعـة ولا اثـراء
ما زلت موضوع الحفـاوة مثلما | قد كنـت مغمـورا بكـل ثنـاء
وكذاك مثـوى الخالدين وهكذا | شأن العظـام وسيرة النبغـاء
يشكو فراقك لي تباريـح الجوى | شكوى العليل من الضنى والداء
وأعود بالذكرى لايـام مضـت | وقديـم عهـد بيننـا وولاء
فيسح دمعـي ثم تسكن لوعتي | وأظل بيـن تماسك وبكـاء
كيف السلو ولـم يكدر صفونا | بـرم بسـراء ولا ضـراء
فاذا بكيتك أو رثيتـك لم أكـن | متكلفـا فـي مدمعي ورثائـي
أأبا أديـبي رعـت كـل تقيبـة | وشبيبـة وكتيبـة ولـواء
أظفرت في عبد الحسين وأنت ذو | ولـه الـى ظفـر بـه ولقاء
فتخذت في الفلوات دار اقامـة | وحمى الامـام وموطن الغربـاء
من للحفـاظ وأنـت باني ركنه | في عامـل والنهضـة الشمـاء
واقامة الصلـوات فـي أوقاتهـا | والنفـل في محلولـك الظلماء
وحديقـة الازهار وهي محاطة | في عليـة الادبـاء والفقهاء
تلك المجالس عطلت فيهـا فلا | أثـر لخـلان ولا نـدمـاء
طويت وقد لف الصفاء بساطـه | ومسامرات النخبـة النجبـاء
ولعلهـا ببنيك ترجـع عهدهـا | كـم في البنيـن نجابة الآباء
ويعود للعرفان سالـف عزه | ونضـارة البهجـاء واللألاء
انا علـى ظمـأ فمتـع سمعنا | ان شئـت في نفثاتـك الغراء
قم هـات حدثنا فانا نكتفـي | بدلا عـن الافصـاح بالايماء
الشرق في رهـج وتعلم داءه | ألديـك للاوجـاع بعض دواء
انظر الى الانواء فـي حال طغت | هوج العواصـف فيـه والانواء
والنـاكثـون جراحـه بمباضع | يتظـاهـرون بسيـرة الرحماء
أخذت بناصية التسامح طغمة | أودت بكـل تسامـح واخاء
ما ضر لو عقدوا الخناصر بينهم | يومـا على استئصال كل جفاء
قم وفهم منك النصيحة جهـرة | فلعل ثـم بقيـة لرجـاء

في ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٠ | محمد كامل شعيب العاملي

المجاهد المثالي

* * *

قال العلماء قديما وحديثا : (الموت نهاية كل حي) وقال خالق العلماء : (أينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم في بروج مشيدة !) ٠

فنحن مع علمنا بعدم خلود الانسان وسائر مخلوقات الله ، وعلى الرغم من ايماننا بما جاء في الكتاب الكريم ـ تلقينا النبأ الفاجع الذي حملته أسلاك البرق من مدينة « مشهد » بوجوم ، ثم تحول هذا الوجوم الى دهشة ، ثم الى حسرة ، ثم الى تفجع : ذلك ان من فقدنا ليس بالرجل العادي ، ولا هو ممن يخلفون مجتمعهم ودنياهم دون أن يتركوا بعدهم فراغا ٠٠

فالفقيد الذي جمعتنا ذكراه في هذا اليوم التاريخي مجموعة مناقب وفضائل ، وذخيرة أدب وعلم ، قلما اجتمعت في رجل واحد أو انسان فرد ٠

كان عصاميا على أبلغ ما تكون العصامية ٠ فهو ابن نفسه ، صاغها بيمينه ، ووسمها بروحه ٠ انتضته الأمة من قلبها مجردا من ارث الزعامات ، زاهدا بزيف الوجاهات ، فبنى مجده الاول بيديه ، وركمه حجرا فوق حجر ، فاذا هو في سنين معدودة يبذ كل زعامة في الوطن اللبناني ، ويعلو على كل وجيه ووجاهة ٠

وكان صدره خزانة أدبية ، وموسوعة علمية ، فهو الفقيه العالم ، واللغوي المدقق ، والاديب البليغ ، والراوية القوي الذاكرة ، والصحفي اللبق ، والمؤرخ الواسع الاطلاع ، والاجتماعي المحدث الذي تهفو الى سماعه العقول والقلوب قبل الآذان ٠

كان أحمد عارف الزين ـ وأنا أذكر اسمه مجردا من كل لقب ، كما كان يحب ويرغب ـ رجلا رجلا ، قضى حياته المثمرة في عمل دائب ، وجهاد مستمر ، لا من أجل وجاهة أو مال أو منصب ، بل من أجل القضية الوطنية الكبرى ومن أجل انارة الزاوية التي هو منها وفيها • فان هذا الرجل العصامي المجاهد الذي قال منذ ستين عاما « ها أنا ذا » قد حطم مقاييس الاقطاعية في هذا الوطن ، بل الأصح أن نقول في هذه المنطقة من الوطن المعروفة باسم (جبل عامل) ، هذا الجبل الحبيب ، الطموح ، الذي عاش ـ فيما مضى ـ قرونا طويلة يتبلغ بالألقاب ، ويعبد الأنصاب ، ويخر للركب ، وينحني بالأذقان للرتب ، حتى أنتن ، وآسنت مياهه الشحيحة ، وتآكلت عناصر الحياة فيه ، فكان أحمد عارف الزين ـ مع فئة معدودة من أبناء جيله (كالمغفور له الشيخ أحمد رضا ، والمرحوم محمد جابر ، والمرحوم الشيخ سليمان ضاهر) ـ أول من بنى نهضة جبل عامل الحديثة ورعاها وسواها ، دون أن يتكل على زعامة زعيم ، أو وساطة نائب ، أو عون وزير ، أو مساعدة حكومة •

ففضل الشيخ أحمد عارف الزين ، وأثره في نشر العلم والأدب ، وبث الروح القومية التحررية ، يعرفها القاصي والداني ، وقيمة هذا النضال المستمر في الحقلين الأساسيين ـ التربوي والوطني ـ انه جاء في زمن ضعفت فيه الوسائل ، وطغى فيه الجهل ، وعم الفقر ، وتفشت الاقطاعية ، واستأسد الاستعمار ، فكان فقيدنا الغالي مؤسس مدرسة وطنية قائمة بذاتها ، لا مثيل لها : نهج واضح ، وروح وطنية صرفة ، وعقيدة قومية عربية راسخة لا تلين ، وايمان بالمستقبل القريب المشرق الوضاء • والويل كل الويل لمن يتصدى لهذه الروح ولو كانت دولة كبرى ! ففقيدنا الكبير لا يعرف التوسط في وطنية أو سياسة ، ولا هوادة عنده في مقارعة الاستعمار وأعوانه مهما اشتد بطشه وبطشهم ! فخطبه المرتجلة ضد الاستعمار

والمستعمرين تتدفق نارا ولهيبا ، ومقالاته في « العرفان » في تقويمه الاعوجاج لا تعرف اللين ولا المسايرة • فالحق عنده حق ، والباغي في نظره باغ ، ولا توسط بينهما • فشعاره في هذا الامر « كل شيء أو لا شيء » • أما سياسة ـ خذ وطالب ـ تلك السياسة التي كانت رائجة قبل عهد الاستقلال عند ملوك العرب ورؤسائهم وأكثر قادتهم ـ فلم تكن في نظره الثاقب سوى نوع من الركوع أمام الاجنبي المستعمر •

اشترك فقيدنا الخالد في الحركات العربية على اختلافها ، ونادى في « عرفانه » وفي خطبه النارية بالأماني القومية العربية الصافية • وقد اضطهد في العهد العثماني البائد وسجن وظل ينادي بالاستقلال وبالوحدة العربية حتى وقعت الحرب العالمية الأولى ، ثم دخل الفرنسيون لبنان وسوريا ، فكان في طليعة الشخصيات الوطنية التي سعى المنتدبون الاغبياء الى خطب ودها واكتساب عطفها ، فحاولوا اغراءه بالمال وبالوظيفة وبمختلف المساعدات الا أنه رفض باباء ما بعده ولا فوقه اباء • وظل ينادي بالاستقلال التام الناجز ، ويهاجم الانتداب بعنف في الوقت الذي وجد الانتداب في لبنان ألف عون وعونا ! •

ولم يعقد ، منذ مطلع الانتداب ، مؤتمر وطني في أي قطر عربي أو سواه ، الا كان فقيدنا المخلص في طليعة المشتركين فيه • فنشاطه في هذا المجال المشرق وافر ، وحركته دائمة • بلغ الثامنة والسبعين من عمره وهو محتفظ بحيويته ، كأنه يجدد نشاطه الفكري والبدني بتجدد السنين ! فهو اليوم في بيروت وغدا في بغداد أو النجف الاشرف ، وبعد غد في طهران أو مشهد، وبعدها في عمان أو القاهرة أو القدس أو موسكو •

أجل ! في موسكو ••• وما أدراك ما موسكو •••

قلت له مرة في جلسة من جلساتنا الصيفية في كيفون :

ـ أيها المجاهد العربي ! يا شيخ المسلمين ! كيف تزور موسكو ؟! فانتفض انتفاضة مهذبة وأجاب :

« شعب الاتحاد السوفييتي شعب صديق لنا ، ودولة الاتحاد السوفييتي دولة كبيرة ، وقد وثب (الجماعة) وثبتهم التاريخية الجبارة في مدة ثلاثين عاما ، بينما اقتضت نهضة غيرهم مئات السنين ، فلم لا نطلع على نواحي حياتهم الخصبة،ونقف بأنفسنا على وجوه نشاطهم ونهضتهم ؟! اني لم أزر موسو ولو سمحت الظروف لزرتها لأني كعربي أرى مصلحة بلادي في الحياد الايجابي بين المعسكرين المتنافسين المتناحرين ، ولأني كمسلم أكره الجمود وأحب لنفسي ولقومي التطور » ٠

هذا أحمد عارف الزين الشيخ المسلم الذي لم يتخذ الدين سبيلا الى ما لا يرضاه الدين ٠ كان يعبد الله لا طمعا في جنته ، ولا خوفا من ناره ، بل كان يعبده لأنه أهل للعبادة ، هذا هو الدين الصحيح ، وهذا هو في الاصل مفهوم عبادة الله في نظر الأحرار ٠

أما عقيدته الصلبة ، الراسخة ، في الحقل القومي ٠٠٠

وأما طغيان الشعور الوطني عنده ٠٠٠

وأما جهاده في سبيل الحرية والاستقلال وتأييده المندفع ، الدائم ، لقضايا التحرر في جميع الاقطار العربية والآسيوية والافريقية ٠٠٠

فقد أصبحت مضرب الأمثال !

والمدهش حقا،بل ما يدعو الى احترام الفقيد الكبير وتقديره والاعتزاز به ، ان نهجه السياسي كان واحدا في خلال ثلاثة عهود سياسية طويلة مختلفة مرت على البلاد ٠ فكان ـ رحمه الله ـ مثاليا في جهاده ، نموذجيا في مسلكه الوطني ٠ وقد مثل كرامة العقيدة الصامدة أمام القوة والسلطان أحسن وأبلغ تمثيل ،

وأوحى الى الجيل الطالع ـ في الجنوب وفي غير الجنوب ـ ان في الدنيا فضائل ومكارم أسمى من مغريات المال ، وأجل كثيرا من رضى السفارات الاجنبية ، ونفوذ الاقطاعيين والحكام ·

ان المتأمل البصير في سيرة الراحل الكريم ، المطلع على كافة مراحلها وتفاصيلها ، ليعجب كيف ان هذا الانسان الانسان ، والشيخ التقي ، والمجاهد الذي خاض ضد الجهل ، والحكـــام ، والمستعمرين ألف معركة ومعركة ، لم تلن له قناة رغم المغريات، ولم يقنط أو يتسرب الى نفسه اليأس ، ولا مل وكل !·

رحم الله هذا المجاهد العربي ، الشريف الأبي ، الذي مثّل كرامة العقيدة ، وصدق الجهاد ، والذي كانت حياته الكريمة وسيرته المثلى شوكـــة في أعين السياسيين المحترفين والزعمـــاء المحنطين ، وقنابل متفجرة في أعين العملاء والمستعمرين ودروسا بليغة تلقى على الوصوليين منا ، والانتهازيين والجامدين ·

بيروت ١٦/١١/١٩٦٠
محمد قاسم كزما

* * *

الصفحة المشرقة في عالم الخلود

بقلم : فاضل خلف

عندما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر الكبرى ظافرا كان بين مستقبليه امرأة حسن اسلامها وقوي ايمانها · لقد كانت تنتظر قدوم ابنها الذي خرج مع النبي في هذه الغزوة · فأخذت تتصفح الوجوه والبشر يغمر قلبها ويطفح على وجهها عل عينها تكتحل برؤية ولدها الذي كان جنديا شجاعا في جيش محمد · ولكنها تعبت دون أن ترى فلذة كبدها بين القادمين المظفرين · فعلمت ان ولدها العزيز حارثة بن سرافة قد خر صريعا في الميدان وأصبح من شهداء الاسلام ·

تلقت هذه المرأة المسلمة هذا النبأ بشجاعة نادرة وايمان راسخ ، وظل وجهها يطفح بالبشر كما كان عندما جاءت تستقبل النبي وجيشه المنتصر · فأخذت تشق طريقها بين الصفوف حتى مثلت بين يدي النبي فتلقاها (ص) بالترحاب · فقالت : « قد علمت يا رسول الله منزلة حارثة في نفسي ، وأحب أن أعرف مكانه أهو في الجنة أم في النار فان كان في الجنة لم أبكه وان كان في النار بكيته لعمر الله وأعولته » · فقال رسول الله (ص) : « هبلت جنة واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الأعلى » ·

ذكرت هذه القصة عندما تلقيت العدد الثالث من العرفان ووجدت فيه نعي المجاهد الحر الشيخ أحمد عارف الزين · فقد كان رحمه الله من المجاهدين الذين أبلوا بلاء حسنا في سبيل الله والوطن والعلم والادب ومن الذين تلقوا الارهاب والتشريد

والظلم في سبيل العقيدة :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا ان الحياة عقيدة وجهاد

لقد عرف المرحوم أحمد عارف الزين ان الحياة عقيدة وجهاد فلم تستطع السياسة أن تستميله الى حظيرتها ، وقد توفي بعد أن خدم الصحافة أكثر من نصف قرن وهو لا يملك معشار ما يملكه الصحفيون المرتزقة الذين احترفوا الصحافة للتكسب واعتنقوا الوطنية للتجارة والاثراء ٠

لذلك لم آت هنا لأرثيه ٠ فالرثاء لصغار الراحلين ٠ أما الذين دخلوا التاريخ وسجلوا مجدا بين صفحاته اللألاءة فهم يستحقون شيئا أهم من الرثاء ٠ انهم يستحقون أن تعدد مناقبهم ليستفيد منها الناس ٠ وسيرة المرحوم أحمد عارف الزين معطرة بأريج المناقب العظيمة والمآثر الجليلة ٠ فقد تحمل عذاب السجن والسجن يجد فيه المناضلون الاقوياء ريح الحرية لأنه يشحذ هممهم ويجعل منهم أبطالا يواجهون الحوادث الجسيمة بقلوب الأسود ، فيضاعفون الجهود في سبيل هذه الحرية ٠ وتحمل عذاب التشريد ٠ والتشريد في سبيل العقيدة لذة ما بعدها لذة ٠٠ لذة تدفع المخلصين الى الأمام لمواصلة النضال والكفاح ٠ وتحمل الظلم من المستعمرين الغرباء فصمد بعزيمة لا تزعزع ، وصبر لا ينفد ، فلما رحل الغرباء وجاء الاقرباء ـ آه من الاقرباء ـ لقي منهم ضروبا من العقوق والجحود :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على الحر من ضرب الحسام المهند

ولكنه رغم هذا العقوق ورغم تقدم السن ، ظل جنديا مخلصا في الميدان ، وكان قلمه النزيه يهتف لكل قضية يراها في وصف العدل ٠

وأما مآثره في خدمة الأدب العربي ، فلا تحتاج الى زيادة في

الاطراء فمجلة العرفان ستبقى حية خالدة في تاريخ الادب ، فهي التي أخرجت عددا كبيرا من الأدباء والشعراء لا من لبنان حيث نشأت بل من جميع أنحاء الوطن العربي والمهاجر حيث انتشرت لتؤدي رسالة الحق والعدل والأدب والعلم . فصاحـــب العرفان ـ اذن ـ حي وان فارق هذه الحياة . وهو خالد وان غاب جسمه عن الأحباب :

الناس صنفان موتى في حياتهم وآخرون ببطن الارض أحياء

وسيذكر التاريخ أحمد عارف الزين في عدة مواضع في صفحاته المشرقة ..

سيذكره عندما يتحدث عن الوطنية الصادقة ..

سيذكره عندما يتحدث عن العقيدة الثابتة ..

وسيذكره عندما يتحدث عن الايمان الراسخ ..

وسيذكره عندما يتحدث عن الأدب ..

وسيذكره عندما يتحدث عن العلم ..

وسيذكره عندما يتحدث عن الصحافة ..

وسيذكره عندما يتحدث عن القضية الاسلامية ..

وسيذكره عندما يتحدث عن القضية العربية ..

فالى روح المجاهد الكبير الشيخ أحمد عارف الزين في عالم الخلود أطيب تحية وسلام .

فاضل خلف
كمبرج ـ انكلترة

مجاهد يغيب

بقلم : كاظم حطيط

نقف في ذكراك وقفة اعجاب واكبار ·

فقد فطرت على النضال · فما لنت وما وهنت · ولم تزدك الملمات الا صلابة واصرارا · وعرفت كيف تختار الطريق · فنشدت القومية العربية منهجا ومراما فمنحتها جريدتك (جبل عامل) ثم مجلتك (العرفان) وكنت تتخلى عن القلم أحيانا لتخطب وتتظاهر ثم لتعمل في سبيل الوطن عمل القادة الاحرار وانطلقت مثلا في الصمود والاقدام فما اكترثت بظلام الطريق وأشواكها · وشهدت في الكفاح لتنال ما شئت من أهداف حرة كريمة · وهيأ لك السفاح التركي المصير الاحمر لتكون في الشهداء العرب الأبرار · ولكنك نجوت من جبروته لتواصل الجهاد كما يرام الجهاد · وتكافح العبودية في كل مكان من وطنك وفتحت مجلتك لكل قلم عربي حر ليكون من ذلك نيران تحرق الظالمين وأعوان الظالمين · ثم ليكون المجتمع العربي العزيز الافضل وعملت للوحدة العربية بكل حق وأصالة وصفاء وجعلت من مجلتك ميدانا فسيحا لها · والتقى القوميون العرب عندك كخير ما يكون اللقاء · ووجدت الوحدة العربية حقيقة ملموسة فرعيتها في الأدب حق الرعاية وبذلت في سبيلها كل ما تستطيع أن تبذله · وقد عدت الى ماضينا لتطلعنا على أيامنا المجيدة حينما كنا دولة عربية واحدة وجيشا عربيا واحدا نفتح ونهدي· واذا بنا رسل حضارة وبناة وجود انساني عظيم ·

وشاركت كل المشاركة في بناء حاضرنا الصاعد فأهبت بالأقلام العربية الحرة أن تمدك بالبذل والابداع وما بخلت عليك فتهادى الكثير منها ليصب في مجلتك قوة ولهبا واذا

بمعاركنا تنجلي و"قادة في صفحاتك الساطعة الصادقة • وكنت بذلك حارسا ورائدا وقائدا • فأغظت حاسديك وزدتهم حقدا عليك • ولكنك كنت قويا فمررت مر الكرام بما لفقوه من تهم وتخرصات •

وتابعت كفاحك • ولم تكن تهدف من عملك سوى خدمة الحق • ولم تكن تنشد سوى وحدة الصف العربي ولم تكن تقصد سوى الخير لأمتك وللانسانية •

وقد نظرت الى المسلمين فهالك ما وصلت اليه حالتهم وما صنعت بهم يد التفرقة فما سكت ولا تجاهلت بل انطلقت مع العاملين المخلصين لجمع الاخوة جمعا لا تباعد بعده • فعملت مع جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية فاحتضنت آثارها وآراءها ومهدت لها الطريق الى قلوب المسلمين • وسرت في هذا المجال شوطا بعيدا والتقى عندك في (العرفان) العلماء المسلمون وقد ضعف ما بينهم من خلاف ، ليعملوا معك في البناء الاسلامي الجديد لجمع المسلمين تحت سقف واحد • وفي صف واحد • بعد أن فرقتهم الفتن وأضعفتهم المحن • وما عرف عنك شيء من التعصب فكنت تدعو للتسامح بين الأديان جميعها • وما كان دفاعك المتواصل عن الدين الا عملا في سبيل حفظ الرسالة التي لا يجب أن يسهل أمرها على أحد من الناس ، نظرت الى جبل عامل نظرة الرائد الشفوق فكشفت أيامه الماضية يوم كان موردا صافيا للعلم والعروبة والانطلاق • وعملت جاهدا لتبعد عن كل ما ران عليه من فساد وعبودية وانحطاط • وسرت في ذلك لا لمأرب خاص بل بدافع اخلاص قومي وهدف كريم فلم تكن كأولئك المتزعمين الذين يدعون تزعمه ولا يعملون الا لازهاق الكرامة في بنيه وابعاد كل حلم بالسعادة عنهم • وأنك حدبت على براعم الادب فيه وتعهدتها لتكبر وتكبر ولتكون لها أبا ومرشدا حكيما •

ودعوت للسلام ولكن لا كما يدعو الزاعمون فقد عملت له ليكون الانسان أنى كان لا لفئة دون فئة أو لغلبة قوم على آخرين ولم تقتبسه من فلسفة مادية أو سياسية متحيزة بل استوحيته من دينك وقوميتك العربية الانسانية ٠

وقضيت حياتك طيب القلب حلو المعشر ثابت المبدأ مخلص العقيدة ٠ تبسم للشدائد وتجتاز المخاطر وأنت أنت المجاهد المنطلق كيفما كانت الظروف والاحوال والايام ٠

وهكذا حملت رسالتك وعبرت دربك ووفيت قسطك ٠ فكانت لك العظمة والاجلال فسلام عليك في المجاهدين الخالدين ٠

كاظم حطيط



★ ★ ★

كلمة حق في موقف الحق

* * *

منذ نيف وخمس وثلاثين سنة أسعفني الحظ ، فدخلت مدرسة العرفان ، وتتلمذت فيها حتى هذه الآونة ، تحت يدي العالم العلامة الامام الجليل أحمد عارف الزين .

ينبوع عذب انتهل منه العديدون ، مكارم الاخلاق ، الاخلاص للعروبة ، الايمان بالله وبالوطن العربي ، التضحية والتفاني في اداء الواجب الوطني ، رجل كل الرجل ، من الله به في هذه الربوع ، قرابة جيل كامل ، يعمل أعمالا عجزت عنها الجماعات ، يبذر هنا وهناك مبادىء الخير ، والصلاح والتقوى ، ينثر من درره ما يقنع ويشجع ، وينشر من خوافي وكوامن وذخائر السلف العربي العظيم ما يرفع الرأس ويعلي الجبين .

لم تلن له عريكة ، ولم يُخفض له قدر رغم نوائب الدهر .

قاسى الأهوال في سبيل عقيدته ، في زمن الاستعمار التركي وفي زمن الاستعمار الفرنسي ، وفي زمن الاستعمار الطائفي ، فكان طيلة حياته قوي الشكيمة ، صلب الرأي ، عالي التفكير لا يزعزع ايمانه بالعروبة ، غطرسة حاكم أو فجور ذي سلطان ظالم غاشم .

كان يعتز بأصله العربي ويتحدى من يتنكرون للعروبة ، يتحداهم لتبيان حقيقة أصلهم أعرب هم أم من بقايا المستعمرين من رومان أو صليبيين أو أتراك أو افرنسيين .

كان يسعدني باشراقه علي صيفا بعد صيف ، يتلطف بتمضية بعض الوقت ، ينفحني بآراء سديدة وتوجيهات محببة جدا الى قلبي ، وكان يصطحب معه بعض رجالات العروبة من الداخل

والخارج ، يعرفني عليهم ، فيتسع أفقي وتزيد معلوماتي ، كان يحسبني كأحد أبنائه ، وكنت أعتبره كأب أدبي اجتماعي .

كان اجتماع الوداع بيننا ، حينما زرته في مصيفه بكيفون منذ حوالي الشهر وكان باسم الثغر ، منشرح الصدر ، يوزع حكمه ودرره وأمثاله النادرة ، يمينا ويسارا ، فيملأ المجلس بهجة ورزانة وكان وعدني بزيارة مشبعة قبل مداهمة الشتاء ، فاذا القدر وحكمة الله تسيره الى « مشهد » في ايران ، ليلاقي هناك وجه ربه ، فتحرم أرض لبنان من التبرك بضم جثمانه الطاهر .

ايه سيدي وأستاذي ، العالم العلامة ، الامام الجليل ، الشيخ أبا أديب .

رحمة الله عليك ، أسكنت فسيح الجنان ، وتغمدت بالرحمة والرضوان .

وانتم يا اخواني : أديب ونزار وزيد ، أرجو منكم أن تكملوا المشروع الذي بدأه الوالد ، عسى أن تتوحد كلمة الأمة العربية فيعلو شأن العرب ونصل جميعا الى الغاية العظمى التي نهدف اليها ، الاعتزاز بعلم القومية العربية يخفق عاليا في جميع الأقاليم العربية شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

وأنتم يا آل الزين الكرام ، يا أبناء الجنوب ، يا أبناء لبنان يا أبناء العرب : لنعمل جميعنا في سبيل العروبة كأننا نعيش أبدا ، ولنعمل للآخرة كأننا نموت غدا .

انا لله وانا اليه راجعون

عاليه ـ المحامي أنيس ملحم جابر

عبر اثنين وثلاثين عاماً

كلمة : جريدة الحياة

ما تزال ذكرى الحادث ماثلة أمام عيني ، وسترافقني الى آخر لحظة من حياتي ...

كان ذلك قبل اثنين وثلاثين عاما ، في عشية يوم من أيام الصيف الحارة .

وقفت أمام مكتبه أترقب خلوه من الزائرين ، وفي يدي ورقة أقبض عليها وكأنها كنز . وطال انتظاري ، ولا عجب ، فمكتب فقيدنا الشيخ أحمد عارف الزين صاحب « العرفان » في صيداء كان مقصد الأدباء وملتقى الخلان !

وأخيرا خرج آخر زائر ، فدخلت عليه ، أتعثر الخطى ، ومددت اليه الورقة ، وقد احمر وجهي حياء فاستقبلني بابتسامة الحنان التي طالما غمرني بها منذ وفاة والدي ، واقامته وصيا علي . تناول الورقة وراح يقرأها ، وقبل أن ينتهي منها ، أرخى ـ رحمه الله ـ نظارتيه وقال لي :

ـ أنت كتبت هذا ؟

فأومأت بالايجاب ، فقال :

ـ أحسنت ! أحسنت ! سأنشرها لك في عدد « العرفان » القادم ، شرط أن توالي الكتابة .

★ ★ ★

هكذا ، أيها القارىء ، رأى النور أول مقال كتبته في حياتي في العام ١٩٢٨ ، وكنت في الثانية عشرة من عمري ، وهكذا خطوت الخطوة الأولى في الطريق الوعرة ، التي قادتني عبر اثنين وثلاثين عاما الى هذه السطور ..

وكان موضوع مقالي « واحة سيوه » استوحيته من مجلة جغرافية أجنبية ، ولكن من أين لي أن أطلع على مجلة أجنبية ، أو أن أسمع بساحة سيوه ، أو أن اكتب مقالا ، لو لم يكن في صيدا رجل اسمه الشيخ أحمد عارف الزين ؟

يومئذ ، يا قارئي ، كنا في الجنوب لا نعرف صحفا ولا مجلات، ولا سيارات ولا طيارات ولا راديو •

هذه المستحدثات ، كانت ما تزال ــ بالنسبة الينا ــ في علم الغيب •ولكن فعلها كان يجتمع في مجلة واحدة،اسمها «العرفان» لقد كانت الجسر الوحيد الذي تنتقل عليه المعرفة بين العالم وجبل عامل ، فعاش ربع مليون شخص ، أكثر من جيل على غذاء « العرفان » نافذتهم الوحيدة على العالم في الاتجاهين !

وجميع الذين أنتجهم الجنوب من علماء وأدباء وكتاب ــ وما أكثر ما أنتج ! ــ انما برزوا على صناعة القلم والكلمة من منبر « العرفان » قبل سواه •

هذا المنبر ، قام بارادة رجل واحد ، وتضحية رجل واحد ، هو الشيخ أحمد عارف الزين ، الذي نعيناه للقراء في « حياة » أمس •

كان الفقيد مجموعة مناقب مدهشة ، تمتزج فيها الارادة بالعناد ، والايمان بالاجتهاد ، والتقليدية بالأصالة ، والجرأة بالاستخفاف • يضاف الى هذا وفاء نموذجي ، ونشاط فريد من نوعه ، رافقه من المهد الى اللحد ، وصمود عند الرأي وثبات على العقيدة •

وتبدل الزمن ، ولم يتبدل الشيخ أحمد عارف الزين ، وظل واقفا بسلاحه كالجندي الاخير ، على عرفانه الى نهاية عمره •

ولا نتحدث هنا عما لاقى فقيدنا الكبير في أيام الجهاد التحرري من اضطهاد وسجن وتنكيل فذاك يحتاج الى سفر طويل • ولكننا لا نستطيع أن ننسى ما لاقاه من عقوق في عهد الاستقلال ومن

تجاهل للخدمات المجيدة التي أداها لبلاده ، واغفال رسالته وتضحيته ٠

ولقد تحمل الفقيد هذا الضيم ببساطة الكريم في كبريائه ، وأصر على أن يعيش في عالمه مهما تبدل العالم حوله ٠ واذا كان قد حام في جوه ، في السنوات الاخيرة هوام طنان ، فقد ظل جوهره صافيا طاهرا ، ولاقى ربه ــ على غير ميعاد ــ في بقعة مقدسة طالما عكس عرفانه سناءها وأشاع روحانيتها !

★ ★ ★



زارني ، رحمه الله ، قبيل سفره الى ايران ، مودعا ٠وصدف أن كان في مكتبي أديب مهجري كبير يودعني قبل عودته الى أميركا ، ويقول متأثرا :

ــ لقد اكتحلت عيناي أخيرا برؤية وطني ٠ وأشعر ان منيتي تنتظرني فور رجوعي الى المهجر هذه المرة ٠٠٠

وراح الشيخ عارف يهون عليه ، ويستشهد بأبيات من الشعر تناسب المقام ، وهو الذي يحفظ من الشعر ما لا يحفظه سواه ، حتى قيل أن رأسه كان أكبر ديوان عرفه الشعر العربي في هذا الجيل !

وامتد الحديث الى القضاء والقدر ، فرويت لهما عندئذ أسطورة وردت في احدى قصص الكاتب الانكليزي الشهير سومرست موم ، وخلاصتها ان ملاك الموت نزل بغداد يوما متنكرا ، واختلط بحفل ، وهناك رآه وجيه كبير ، فعرفه ، فخاف على نفسه وفر ٠

وما لبث ملاك الموت أن افتقده ، فسأل صاحب الدعوة عنه ، فأجابه :

ــ لقد سافر الساعة الى خراسان !

فابتسم ملاك الموت وقال :

ـ عجبا ! من قال له انني على موعد معه غدا في خراسان ؟

واذا بفقيدنا يقهقه ، ويقول :

ـ أنسيت يا كامل ، انني أنا الآخر مسافر الى خراسان ؟ لعله ينتظرني هناك !

يا لله ! لقد صدق حدسه ، ولاقى الشيخ عارف الزين حتفه في رحلته الى خراسان !

يا أستاذي !

أنا واحد من الذين فتحوا عيونهم على الدنيا من خلال نافذتك ، واستمدوا منك العدة لاقتحام غمار الحياة ...

والقلم الذي يخط الآن هذه الكلمات ، أمسكته يدك الكريمة في شحطته الأولى ، حتى عام على مداده !

هذا القلم ، وهو يودعك الوداع الاخير ، يحنو على ذكراك بخشوع واجلال .

من جاهد كما جاهدت ، وفي الزمن الذي جاهدت ، وفي الأحوال التي جاهدت لا يموت ، انه يمضي الى ربه ، وهو ينادي: اللهم اني أديت الرسالة ! اللهم لبيك !

الحياة : العدد ٤٤٥٠ الخميس في ٢٠ تشرين أول ١٩٦٠

رأس كل حركة قومية ونهضة وطنية

كلمة: جريدة الأيام بدمشق

نعت صيداء ، وآل الزين ـ العلامة الكبير فقيد العروبة الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان ، وسيحتفل يوم الاحد المقبل باقامة حفل الاسبوع ٠

ولقد هز نعي هذا الشيخ العربي الجليل البلاد ، وكان له دويه في محافل العلم والادب والوطنية ، فقد وقف الفقيد الغالي حياته على خدمة العروبة والاسلام ، وعلى خدمة العلم والأدب ، وعلى نشر مآثر السلف ، وذخائر الاجداد ، وعلى تثقيف الجيل بالثقافة العربية الاسلامية ٠ وكانت مجلة العرفان طيلة نصف قرن مشعل وطنية وقومية ، ونور هداية ، وسجل مفاخر ، ومباءة ذخائر ٠

يضاف الى ذلك ان الفقيد كان من الرعيل العربي الاول ورأس كل حركة قومية ، ونهضة وطنية أيام الانتداب الفرنسي ولاقى الألاقي وعانى الكثير ومع ذلك فما دُب الصريخ ، وما دعا الداعي الا وكان الشيخ أول الملبين ، أو في مقدمة المستجيبين لا يعوقه عن ذلك عائق ، ولا يقعده مقعد ! ولطالما لازم في ذلك الفقيد الكبير العلامة الشيخ أحمد رضا العاملي عضو المجمع العلمي العربي في دمشق فلا يرى أحدهما الا وكان الآخر معه ٠

وفضلا عن الجهود التي كان يبذلها في سبيل اصدار العرفان

والمحافظة على مستواها العلمي والادبي والقومي الرفيع ، فقد ألف عددا من الكتب النفيسة وحقق عددا كبيرا منها وطبعها في مطبعته حتى أن مطبوعات العرفان طيلة نصف قرن تضاهي مكتبة كبرى لوحدها ، ولقد طوي هذا العلم الخفاق في صيداء بفقد الأستاذ الكبير ، وخسر العلم والأدب ركنا ركينا ، وحصنا حصينا ، يضاف الى ذلك ما عرف فيه من كريم المهزة ، ونبل السجايا ، وشرف المزايا ، والاخاء والوفاء .

رحم الله الاستاذ الكبير الشيخ أحمد عارف الزين رحمة واسعة ، وأغدق على جدثه صيب رضوانه ، وأدخله فسيح جنانه وجعله في عليين مع الشهداء والأولياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا . وعزاء جميل لأنجاله الاكارم ولآل الزين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

دمشق ــ جريدة الايام : العدد ٧١٣٦ بتاريخ ٢٨ ربيع الثاني

الشيخ أحمد عارف الزين

انتقل الى رحمته تعالى في مدينة مشهد في ايران حيث كان يقوم بزيارة الأماكن المقدسة المرحوم المأسوف عليه الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » الصادرة في صيدا . وقد كان،رحمه الله،من رجال القلم البارزين ،ووطنيا مناضلا.

وسيق الى المنافي والسجون أكثر من مرة في عهدي الاتراك والانتداب وأسهم في العديد من المؤتمرات الوطنية والمجالات العلمية .

ويحتفل بأسبوع الفقيد عصر الاحد في بهو مقبرة القلعة في صيدا . وتقبل التعزية في منزل الفقيد في صيدا ابتداء من يوم الثلاثاء الواقع في ٢٦ تشرين الاول .

رحمه الله وألهم آله نعمة الصبر والسلوان .

العمل : العدد ٤٤٧٤ ــ الاربعاء ١٩ ت١ ١٩٦٠

الفقيد الكبير عارف الزين

فجع الأدب والجهاد وفجعت معها الصحافة والوطنية بوفاة صديقنا العلامة الكبير الاستاذ الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان • فقد توفاه الله في ايران حيث كان يزور العتبات المقدسة عن عمر حافل بالجهاد والمكارم والتضحيات • فعم الأسف عليه من الأوساط الكريمة التي عرفته في مختلف مواقفه رجلا لا تلين له قناة ازاء عقيدة اعتنقها عن ايمان ، لا تغريه أعظم المغريات،وكم رافقه صاحب هذه الجريدة في عهد الانتداب وعهد الاستقلال أيضا ، في مختلف الظروف والاحداث وعرف فيه ذاك الرجل الصلب والصحافي العالم ، والوجه البارز في الرعيل الاول الذي لم يلق ويا للاسف من دول العرب التي خدمها وضحى كثيرا في سبيلها ما يجب أن ينال ، فكانت أكبر مكافأة له اطمئنان ضميره الى ما فعل وقناعته بثقة نالها من كرام أخصاء في الوطن والمهجر ، وما خلف من تراث في مجلته الراقية وهي أعظم مكافأة كمأثرة لكبار النفوس •

ألا رحمة الله تترى على ضريح الصديق الكبير عداد ما أحسن ، وعزاؤنا الحار لأولاده وعائلته ، ولاصدقائه الأوفياء وطنا ومهجرا وانا لله وانا اليه راجعون •

القلم الصريح : العدد ١١١٤ ـ ١١١٥ تاريخ ٢١/١٠/٩٦٠

أسبوع الشيخ أحمد عارف الزين

أقيم عصر أمس في صيدا احتفال خطابي مهيب ، لمناسبة مرور أسبوع على وفاة الاديب العلامة الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » المحترمة •

وقد اشترك بالحفل عدد كبير من الشخصيات السياسية والوطنية ورجال الدين والأدباء والشعراء •

وقد ألقيت عدة خطب وقصائد في تعداد مواقف الفقيد الوطنية والادبية والانسانية • وكان في طليعة كلمات التأبين كلمة النقيب السابق الاستاذ روبير أبيلا بتكليف من مجلس نقابة الصحافة •

اننا ننتهز هذه المناسبة لنكرر تعازينا بالفقيد الكبير ، الذي كان من رواد الحركة القومية والوطنية في لبنان ، كما كان من رواد الصحافة والادب والنشر •

الكفاح : العدد رقم ٨٠٩ ٢٤ ت١ ١٩٦٠

الفقيد العلامة أحمد عارف الزين

غصت دار الفقيد العلامة الشيخ أحمد عارف الزين في صيدا اليوم بكبار المعزين جاؤوا كلهم من مختلف الانحاء اللبنانية يعزون العلم والصحافة والاخلاق الرصينة بوفاة أديب كبير ومناضل حر توفي في ايران ووري جدث الرحمة في مشهد •

والفقيد الكبير صاحب مجلة « العرفان » من المجاهدين الذين سيقوا الى المنافي والسجون أكثر من مرة في عهدي الاتراك والانتداب وسبق أن ساهم في المؤتمرات الوطنية والمجالات العلمية فكان الصوت الداوي والقلم الحر مدافعا عن القضايا الوطنية الكبرى • وسيحتفل باسبوع الفقيد عصر الاحد في ٢٤ الجاري في بهو مقبرة القلمة ـ صيدا •

و « اليوم » تكرر تعازيها بالفقيد الكبير سائلة له الرحمة والرضوان ولآله جميل الصبر والعزاء •

اليوم : العدد ٥٢٩٦ ١٩ ت١ سنة ١٩٦٠

في ذمة الله الشيخ عارف الزين
فقيد الادب والفضيلة والصحافة العربية

نعي الينا آل الزين من لبنان الشيخ الجليل العلامة الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان الذي انتقل الى رحمة الله يوم أمس مأسوفا على سجاياه ومكرماته وجهاده الوطني والادبي الطويل في سبيل العروبة والفضيلة والدين ، وقد قوبل نعيه بالوجوم والألم بسبب ما كونه الفقيد لنفسه من مكانة رفيعة في النفوس خلال حياته الحافلة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه وألهم ذويه العزاء والصبر الجميل وعوض وطنه عن فقده ، وسيقام له اسبوع حافل يوم الاحد القادم في صيدا مسقط رأسه ومقره الاخير ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

دمشق ـ جريدة النصر : العدد ٤٧١٢

مات الشيخ أحمد عارف الزين

نعت أنباء طهران أمس شيخ الصحافة اللبنانية والعربية الوطني الكبير الشيخ أحمد عارف الزين مؤسس مجلة «العرفان» الصيداوية الشهيرة ، وعضو المجلس الوطني لانصار السلم في لبنان ، وأحد كبار العاملين في البلاد العربية في ميادين الحركة الوطنية التحررية ، وفي سبيل قضية السلم العالمي .

لقد شارك الفقيد في الجمعيات العربية السرية التي كانت تعمل لاستقلال البلاد العربية عهد الدولة العثمانية ، وكان من جملة الشخصيات اللبنانية الذين أحيلوا الى المجلس العرفي بعاليه أيام جمال السفاح التركي ، واستشهد بعضهم في حادث ٦ أيار المشؤوم .

وقد امتاز الفقيد طوال حياته السياسية والصحفية بصلابة وطنيته وبثباته على الموقف المشرف المعادي للاستعمار في جميع مراحل النضال الوطني من أجل تحقيق الاستقلال ، ثم من أجل توطيد الاستقلال ، ولطالما تعرض للاغراء والمساومة ، فترفع عن كل اغراء وكل مساومة ٠

وخدم الفقيد في مجلته « العرفان » تراث الحضارة العربية أجل الخدمات ، بما كتب ونشر وبحث ٠

ومذ أخذت حركة أنصار السلم في لبنان تكسب تأييد مختلف الأوساط الشعبية والوطنية كان الفقيد بين كبار اللبنانيين الذين رافقوها باخلاص وثبات ومنحها مطلق العطف والتأييد حتى آخر أيام حياته ٠

اننا نأسف لهذه الخسارة بوفاة الشيخ الجليل المجاهد ، ونتقدم بأحر التعازي لآله ولأنجاله وأنصار السلم بلبنان ٠

النداء : العدد ٩٣٥

* * *

لم يصدق الناس النبأ

كلمة : جريدة الهدى

العالم العلامة ، والمجاهد الوطني الكبير ، الشيخ أحمد عارف الزين ، من رعيل قادة العرب الافذاذ ، أولئك الذين سطروا في تاريخنا المجيد صفحات خالدات ، ووقفوا بوجه الجور والطغيان وقفات بطولية ، في عهد السلطنة العثمانية وعهـد الانتـداب الفرنسي ، فكانوا خير مدرسة تلقن عنها رجالاتنا الابرار دروس الوطنية والجرأة والايمان •

وبالأمس القريب ، انطفأت هذه الشعلة الفريدة ، واختفى هذا القبس المشع ، فقيل : مات العلامة والمجاهد الكبير فضيلة الشيخ أحمد عارف الزين •

لم يصدق الناس النبأ ، لأنهم اعتـادوا أن يروا صاحـب العرفان كتلة من الهمة والنشاط ، بالرغم من تجاوزه الخامسة والسبعين من العمر ولأنه ــ رحمات الله عليه ــ كان ملء سمع الناس وبصرهم ، يتحدثون بجهاده وتضحياته ومواقفه الوطنية الرائعة ، لأن أمثاله في هذا العصر من النوادر ، وهو الذي لم ترهبه قوة ولم يرضخ لأية سلطة استبدادية ، بل كان يسير في طليعة المجاهدين المناضلين للذود عن أمتهم ووطنهم •

فبموت الشيخ أحمد عارف الزين تنطوي صفحة مجيدة من تاريخنا الخالد ويخفت الصوت الذي ظل خمسا وسبعين سنـة يجلجل في الدفاع عن الكرامة والعزة والقومية ، فتشمل الخسارة لبنان والعالم العربي أجمع •

ولقد كان فضيلته تاريخا قائما بنفسه ومدرسة اجتماعية وطنية وحرية وكرامة ، بعدما كتب صفحة مجيدة في سبيل لبنان والعروبة .

والفقيد الكبير كان قد غادر لبنان الى (مشهد) في ايران لزيارة الأعتاب المقدسة لآل البيت الأطهار ، حيث وافاه الاجل وهو في حاضرة الامام علي بن موسى الرضا سلام الله عليه فجرى دفنه هناك .

واننا والأسف يحز في نفوسنا نتقدم من آل الفقيد بواجب التعزية ، خاصة من آنجاله الكرام ، سائلين المولى أن يتغمده برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جنانه ، وأن يلهمهم نعمة الصبر والعزاء .

هذا ويتقبل آل الفقيد التعازي بمنزله ابتداء من يوم الثلاثاء الواقع في ١٨ الجاري . وستقام ذكرى الاسبوع في ساحة مقبرة القلعة في صيدا بعد ظهر الاحد ٢٣ الجاري .

الهدى : العدد ٣٧٩١ ٢٠ ت١ سنة ١٩٦٠

* * *

المكافح المجاهد حتى يومه الأخير

كلمة : الجمهور الجديد

الوجه الكريم الذي توارى عنا في الاسبوع الماضي • ولن نأنس باشراقه بعد الآن ويا للاسف ، كان من الوجوه النبيلة القليلة التي بقيت لنا من السلف الصالح •

كان المغفور له الاستاذ الشيخ أحمد عارف الزين ، منشيء مجلة « العرفان » الممتازة ، أحد أبطال الرعيل الاول الذي عمل في العهد التركي للبعث العربي ، وكانت الناس تسخر من فكرته ومن حماسته لها ، ولكن السخرية ما كانت الا لتزيده ايمانا بأن الأمة العربية واصلة حتما الى بعثها وان المجد العربي عائد يوما •

وفي الحرب العالمية الأولى سبق الاستاذ أحمد عارف الزين الى المجلس الحربي في عاليه • مع الذين سيقوا من رفاقه وزملائه العاملين في الحقل العربي ، وسجن واضطهد ، فكان حافزا جديدا ليقويه في رسالته •

وبعد انتهاء الحرب وقف الاستاذ الزين من الانتدابات التي فرضت على الاقطار العربيةموقفا ينسجم انسجاما كاملا وماضيه فسجن واعتقل وعطلت مجلته غير مرة ، وهدد براحته ورغيفه ولكنه لم ينثن ، وظل ذلك المكافح المجاهد حتى يومه الاخير •

ومن غرائب الصدف أن فقيدنا العزيز تمنى مرارا أن يموت في أحد المزارات الشيعية المقدسة وأن يدفن فيه وقد سافر

في الشهر الماضي الى مشهد (ايران) في زيارة روحية فانطفأت شعلته وفارق الحياة فدفن مكرما مبكيا عليه في جوار الامـــام الرضا وترك لنا في لبنان أعطر الآثار وأكرمها ٠

فالى جميع أصدقائه وأنسبائه ، والى أنجاله المحترمين ، ولا سيما زميلنا العزيز الاستاذ نزار ، أحر تعازينا القلبية ولشيخنا الجليل المفضال رحمته تعالى ورضوانه ٠

الجمهور الجديد : تاريخ ٢/١١/١٩٦٠

* * *

إنّ الأديب رسول الخير في وطن

كلمة : جريدة العصر

فجعت الصحافة العربية بأعرق صحفي بل بأشرف قلم لم ينحرف الا مع الحق ، ولم يندفع الا في سبيل الوطنية والاصلاح هو العلامة المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » شيخة مجلاتنا السياسية والادبية في الشرق العربي توفاه الله في ايران حيث كان يؤدي فرضا دينيا فدفن في مدينة « مشهد » بجوار الابرار الصالحين وأحدثت وفاته في لبنان وبلاد العرب عامة وفي مدينة صيداء خاصة هزة أسف عميق ولا عجب فانه أول من فتح للادب والنهضة فتحا مبينا في جبل عامل ولبنان الجنوبي بانشاء جريدة جبل عامل ثم مجلة العرفان منذ نيف وخمسين عاما ، وكان رحمه الله عالما واسع الاطلاع ، أبي النفس صادق الوطنية ، كريم اليد ، وفيا لاصدقائه ومواطنيه وهو مرسل الشرارة الأولى ضد الاستعماريين التركي والفرنسي وله جولات في مقارعة المستعمرين بقلمه ولسانه وخطبه ، وقد سيق الى السجون مرارا وهدد بالاعدام ولكنه ظل ثبت الجنان متين الايمان بعقيدته ووطنه فلم يتراجع ولم يهادن حتى آخر أيامه ٠

وكانت داره في صيداء محجة كبار المعزين ، وكانت حفلة اسبوعه حافلة بما ألقي فيها من تأبين شعرية ونثرية لكبار الأدباء والشعراء ، واننا اذ نشعر بالفراغ الذي تركه الفقيد الكبير في صيدا وفي الأوساط الصحفية والعلمية ٠ وقد كان لنا نعم الصديق والزميل فاننا لا نجد دمعة أحر من اعادة نشر قصيدتنا في اليوبيل الذهبي لمجلته « العرفان » الغراء وهي خير

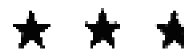
تعبير عن تقديرنا لمواهب الفقيد ومآثره مكررين التعزية لانجاله الأعزاء ولآله الكرام وفي طليعتهم حضرة النائب يوسف بك الزين ، آملين أن يواصل نجل الفقيد الاستاذ نزار رسالة أبيه على خير ما نعهد من نشاطه وأدبه ٠

قصيدة صاحب العصر في يوبيل العرفان

هذا لواؤك فوق الشرق خفاق ... مطرز بالنهى والعلم : براق
قد مد ظلا على الاذهان فانفتقت ... مباسما من حلاها اللفظ ينساق
خمسين عاما تبنيت الهدى طرفا ... تتلى ، وآيا لدنيا العلم ميثاق
كأن « عرفانك » الميمون طالعه ... نجم له في رحاب النور آفاق
يزف للعين اشعاعا ذوائبه ... سحر حلال ، وآداب وأخلاق
ان الاديب رسول الخير في وطن ... وشمعة ـ لضياء الناس مهراق
حلفت لو رفعوا تمثاله ذهبا ... يفيض منه على اليوبيل اشراق
لما وفوه حقوق الفضل كاملة ... وقصرت ذمم فيها واعناق



يا صاحب العيد والدنيا مهللة ... لمرقم أنت في مغناه سباق
صدق الرواية من شقيه منبلج ... وعطره في بياض الطرس عباق
به رفعت بنود الضاد عالية ... وصنته فهو عف البث مصداق
ثارت فيه لحق العرب في زمن ... السجن قد كان فيه بعض ما لاقوا
أي الميادين لم تفلح بساحتها ... ولم يكن لك ارعاد وابراق
تلك الصحيفة في كفيك ما طويت ... وحبرها من عيون الليل دفاق
سهرت حتى تجلى الصبح بعددجى ... ولم تنم ، ووراء العين سراق
فكنت في الحرس اليقظان قائده ... وكنت أول من قاسوا ومن ذاقوا
وقد أذبت شهي العمر بين يد ... تنشي ،وأخرى لها فيالجود اغداق
تقري الضيوف ببيت لا ثراء به ... لكنما الله للمضياف رزاق
والمال عندك أن يشفى الاوام به ... لا أن يروى به حرص واملاق
قناعة النفس في الاحرار ثروتهم ... وثروة الجهل أموال وأرزاق



قل للاديب الذي غلت أناملـه | الليث ما عابه قيـد وأطـواق
لولا يراعك عين المجد ما انفتحت | في موطن ، أو بدا للحق احقـاق
ولا جنى الشعب في استقلاله ثمرا | تدار منـه بيوم النصر اطبـاق
نسوك في النعمة الكبرى فحظهم | شهد ، وحظـك تنكيـل وارهاق
تبقى عظيما على فقد وقد صغرت | نفوسهم ، وبعين العدل قد ضاقوا
العبقرية لا تمحـى مفاخرهـا | وفي الدنى صحـف تتلى وأوراق

يوسف فضل الله سلامة
صيدا ـ العصر

كلمـة النهـج

وجاءنا من خراسان انها تجاوبت من وفاته بأصداء يمتزج فيها الحزن بالفرح ، فهي اذ أسفت لفراق فارس عقائدي باسل ، مجدت خاتمته الطيبة ، ورأت سعيه الى مثواه في جوار الامـام الضامن عليه السلام كرامة تتوج عمله الصالح بأحسن القبول ، وما لا ينسى أن خراسان برهنت مرة أخرى على طبع ايماني منقطع النظر ، فقد تناولت نعشه فئاتها المختلفة ، ومشت تحته جماهيرها خاشعة ، على نحو رد عنه وحشة الغربة ، وملأ فردوسه بأنفاس الأهل الطيبين ، ثم أقيمت الفواتح لروحه سخية بارة • وأبنته الصحف وفية مشكورة •

ألا رحم الله فقيدنا الغالي وجزى ايران وخراسان خاصـة خير ما يجزي المؤمنين العاملين •

الشّيخ أحمد عارف الزّين

ذلك الوجه الوطني الذي لن يغيب

كلمة : الدكتور حسين مروّة

قبل أن حفظت الحرف ، حفظت عن أمي ـ يا طيب ذكراها ـ اسم « العرفان » ..

كانت أمي تسمي كل كتاب (عرفانا) وكل جملة كتب (عرفانات) ..

لم أفهم سر التسمية هذه حتى وعيت ، وتعلمت الحرف ، وصرت أبحث في مكتبة أبي الضخمة عن كتاب مطبوع بالأحرف الحديثة ، لا بالمطابع الحجرية ، تسهل عندي قراءته .

كنا حينذاك في سنوات الحرب العالمية الأولى ، وكانت قريتنا (مجهل) من مجاهل هذه البقعة التي تسمى جبل عامل ..

وأول مرة ـ عهد ذاك ـ تنورت عيناي بهذه الأحرف : « العرفان » مكتوبة بخط جميل واضح على جبهة « كتاب » عرفت بعد ذلك أن اسمه « مجلة » .

وأول مرة ، أيضا ، في ذلك العهد تلامع في ذهني هذا الاسم : « أحمد عارف الزين » مكتوبا كذلك بخط جميل واضح تحت اسم « العرفان » ..

وبقي اسم هذا (الكتاب) ـ (المجلة) ، واسم (أحمد عارف الزين) ، بضع سنين مجرد اسمين يبعثان البهجة في عيني وذهني ، دون أن أعرف سبب ابتهاج العين والذهن بهما كلما طالعتهما ،

وقد كنت أحب قراءتهما كل يوم ، وأحب أن أرسمها بالقلم (الغزار) أقلد خطهما بجهد غير مملول ..

كنت أحس بدافع خفي قوي أن لهذين الاسمين شأنا ما في حياتي ذات يوم ..

كانا يفتحان أمام عيني وذهني آفاقا مضيئة ، ولكنها مبهمة غامضة ..

حتى اذا بدأت حياتي المدرسية ، بدأت أعرف لماذا كانت أمي تسمي كل كتاب عرفانا وكل جملة كتب (عرفانات) .. ولماذا البهجة تلك كانت تقترن عندي باسمي (العرفان) و (أحمد عارف الزين) .

كانت التسمية تلك على لسان أمي ، تعبيرا عن حقيقة واقعة في بلدنا المعزول : جبل عامل . والحقيقة الواقعة هذه ، هي أن (العرفان) كانت أولى خيوط النور من فجر النهضة العربية الحديثة يمتد الى (مجاهل) حياتنا هناك في جبل عامل ..

من هنا يجب أن يبدأ من يريد أن يعرف سيرة أحمد عارف الزين في أنبل صفحاتها ، وأبهج مآثرها .

لقد كان يجمع لنا خيوط النور من كل مكان ويبثها شعاعا في جبلنا نلمح به فجر الحياة العربية الطالع ، حين لا ملمح للنور في هذا الجبل الا من حيث يطلع (العرفان) ، ومن حيث يكتب صاحب (العرفان) .

فاذا كان قد طمح ناس عندنا للعلم الحديث يتعلمونه ، وللادب الجديد ينشدونه أو يكتبونه ولاسباب المعرفة يتشبثون بها من وراء (المجاهل) كلها ، وللتراث العربي الصالح يتخيرون أطايبه وفضائله ، فذلك لأن (عرفانات) أحمد عارف الزين كانت الحافز الاول لهذا الطموح كله ، يوم لا حافز غيرها في ذلك المعتزل الراكد الخامد .

واذا كان قد ظهر ناس من الشباب عندنا ، في ظلام العهد

الاستعماري الفرنسي ، يجهرون في المواسم والمحافل بيننا بنداء الحرية والتحرر والاستقلال ، ويقفون بجرأة أشبه بالمغامرة حيال الاقطاعية والرجعية المناصرتين للاستعمار ، فذلك لأن وطنية الشيخ أحمد عارف الزين كانت تلهم وتحفز وتثير .

في غمرة النضال العربي :

منذ بدأت معركة التحرر العربي في لبنان،لخلع نير الاستعمار التركي العثماني .. ظهر أحمد عارف الزين مناضلا في المعركة لا يتأثر بالنزعات « الاصلاحية » المحض ، التي كانت تحاول اخفاء الصفة الاستعمارية لدولة الاتراك العثمانيين بستار من « بهاء » وجه الخليفة .

دخل في المعركة « السرية » أولا ، حين كانت المعركة ما تزال في نطاق التجمع العربي السري ، مطالبا بحق العرب في الاستقلال لا بمحض « الاصلاح » !..

ثم ظهر في المعركة علانية ، حين لم يبق مجال للمعركة الا أن تخرج الى النهد دون استتار ، واذا به ، أول مرة ، في قافلة السجناء العرب الوطنيين في عاليه ، عام ١٩١٢ ، « متهما » أمام المستعمرين الاتراك بأشرف ما « يتهم » به وطني شريف تجاه حكم أجنبي مستعمر .. وكان له موقف هناك من مواقف الوطنية الصلبة التي لا تعرف اللين ولا المساومة .. وعاد الى « عرفانه » يطلق حزمات الضياء من جديد في جبل عامل ، وفي لبنان كله ، وخارج لبنان من ديار العرب ..

وحين استضرى جمال السفاح في بلادنا ، مسلطا ارهابه الغاشم على الحركة الوطنية في سوريا ولبنان ، كان أحمد عارف الزين ، مرة أخرى ، في قافلة الوطنيين العرب « المتهمين » أمام « محكمة » السفاح العسكرية في عاليه ذاتها ، عام ١٩١٥ .. غير أن الطغاة لم يظفروا بالوثائق « الجرمية » التي تدين

صاحب « العرفان » ، فانتقموا منه بحرق داره في صيداء ، وتعطيل « عرفانه » ، حتى نهاية الحرب الكبرى •

في مكافحة الاستعمار الفرنسي :

•• وانتقلت المعركة ، بعد الحرب ، الى ميدان جديد ، الى كفاح الاستعمار الفرنسي الذي دخل أرضنا محتلا ، ثم أقام فيها مقنعا بقناع عصبة الأمم : الانتداب ••

هناك ظهر أحمد عارف الزين في الميدان الجديد هذا ، أصلب وطنية ، وأعلى منزلة في غمرة النضال الوطني التحرري •• رفع راية الكفاح في ميادين الفكر والادب والسياسة معا ، وصمد الى وجه القضية الاستقلالية صمود المؤمنين الواثقين بالنصر حتى في أشد مواقف الحرج وفي أحلك ظلمات الارهاب ، وفي أطغي تيار الطغيان ، لا يهادن المستعمرين وعملاءهم وزبانيتهم مقدار ذرة،ولا يساوم علي وطنيته وعروبته التحررية بمقدار شعرة ، محتملا السجن ، والنفي ، والاضطهاد ، وسد أبواب العيش ، بشجاعة وثقة وكبرياء ••

سمعت قائدا وطنيا كبيرا رافقه في بعض مواقف الكفاح الوطني أيام الفرنسيين •• سمعت هذا القائد ، وقد أبلغناه أمس نبأ وفاة الشيخ الجليل المجاهد ، يقول :

ــ « هذا وجه وطني لن يغيب ، وان مات •• لن يغيب عنا نحن الذين عرفناه في ذلك الزمان ، فعرفنا فيه الاخلاص الحق جوهرا خالصا لا غش فيه مطلقا » •

تلك شهادة هي ــ عند من يعرفون هذا القائد الوطني الكبير ــ تزيدنا وتزيدهم علما بأن صفة المجاهد ، حين تطلق على أحمد عارف الزين ، انما تطلق صادقة لا يشوبها ادعاء ولا تهريج ولا تضليل ••

في عهد الاستقلال :

•• وحين جاء عهد الاستقلال في لبنان ، هل ألقى المجاهد السلاح والراية ، وقعد يستريح ، ذلك أبعد ما يكون عن طبيعة المجاهدين الصادقين المخلصين •

ان عهد الاستقلال يفتح ميدانا جديدا لكفاحهم الوطني •• ميدان الجهاد لتوطيد الاستقلال لنفي الاستغلال عنه ، لتحريره من مخلفات الاستعمار والاستئثار والفساد والخيانات ••

في هذا الميدان أيضا ظهر أحمد عارف الزين وهو ذلك المجاهد بعينه •• ومن جديد حمل السلاح والراية يكافح مع المكافحين عناصر السوء من بقايا الاستعمار ، وعناصر السوء من مستغلي الاستقلال ، وعناصر السوء من أدعياء الوطنية الظالعين ، تحت ألف ستار في موكب المتسللين الى بنيان استقلالنا بوجه للاستعمار جديد •• وجه مقنع خادع مضلل ، يتسمى بأسماء مقنعة خادعة مضللة •

ومرة أخرى ، وفي عهد الاستقلال أيضا ، تلقى الشيخ الجليل المجاهد صنوفا من الاضطهاد والحرمان •• ولكنه يصمد صموده القديم الجديد ، ويصبر صبره المؤمن الجميل ، ويثبت ثباته العنيد المجيد ••

في حركة أنصار السلم :

•• وينفتح ميدان آخر في جبهة النضال للمناضلين الصادقين جبهة السلم العالمية ، بل الوطنية كذلك •

فقد هبت عاصفة التحرر الوطني في بلاد العرب جمعاء ، وفي بلدان آسيا وافريقيا عامة ، وصعدت موجة الحركة التقدمية في عالمنا المعاصر كله •• وألقى الاستعمار نفسه أمام هذه العاصفة وهذا التيار يكاد يتزعزع مكانه وينهار بنيانه ، ويكاد ظلـه

ينزاح عن وجه البسيطة فلم يجد سبيلا الى البقاء الا باثـارة الحرب الباردة وتهيئة الحرب اللاهبة ، والانهماك بالتسلح حتى يلقى البشرية في مهلكة جديدة رهيبة ·

هنا نهضت قوى السلام والتحرر والتقدم في العالم ، لتتجمع وتتكاثف صفوفا عظيمة منيعة تملأ جوانب الارض ، حتى تسد الطرق كلها على طغاة الاستعمار والاحتكار ، فلا يثيروها حربا مجنونة حمقاء تأكل الاجساد البشرية وحريات الشعوب معا ·

وهنا ، كذلك ، وجد الشيخ أحمد عارف الزين مكانه بين المكافحين من أجل السلام ، أي مـن أجل الحريـة والاستقلال والحياة ·

وبدافع من وطنيته ذاتها ، ومـن طبيعـة الانسان الطيب الشريف في ذاته ، انتظم في حركة أنصار السلم في لبنان ، نصيرا للسلم ، مجاهدا في سبيله ، محتملا مشاق الاسفار على شيخوخته لحضور مؤتمرات مجلس السلم العالمي · حاملا راية النضال من جديد في صفوف قوى السلام العريضة الكثيفة الجبارة ·

وهنا أيضا صمد الشيخ الجليل المجاهد الى الغاية ، لا يعبأ بالطنين يحوم حوله ليثنيه عن أشرف غاية وطنية انسانية ·

واذا كان قد مات الشيخ أحمد عارف الزين ، فان وجهـه الوطني الناصع النقي لن يغيب عنا أبدا ، كما قال ذلك القائد الوطني الكبير الذي رثاه بأبلغ كلمة ، وأصدق شهادة ·

جريدة الأخبار : بيروت ٢٣/١٠/١٩٥٠

مقدار الأسف على صاحب العرفان

بقلم : محمد يوسف مقلد

خبر انتهاء حياة الرجل العظيم العلم ، ومدى صداه وتأثيره في (المحيط) الذي يعرف سيرة هذا العظيم الفقيد ـ أقول ان خبر انتهاء حياة هكذا انسان ، لهو أبلغ دليل ، وأصدق مقياس على مقدار قيمته ، وأهمية وجوده في مجتمعه الذي أحس بهول الفراغ وجسامة الخطب .

ولقد كان لخبر انتهاء حياة الشيخ أحمد عارف الزين أول أمس وقع مؤثر كوقوع القمر لعله الاخير من أقمار الرجال العامليين (العامليين) الذين افتقدناهم في الليلة الظلماء !

كنت منذ ٤٨ ساعة مضت على اعلان النبأ الفاجع ، أتتبع ملاحظة نفسية صامتة ، في ملاحظة (مقدار الاسف) على صاحب العرفان في نفوس الناس من جميع الطبقات .. ووالله لقد رجعت بأعظم غبطة ، لأني وجدت أعظم الاسف على الشيخ من جميع الطبقات !

لك أن تسأل ، اذا كنت لا تعرف ـ وتلك مصيبة ! ـ من هو الشيخ أحمد عارف الزين وما (محله من الاعراب) حين لا بد لنا أن نطلب (محلا) لكل انسان في أجرومية التقدير والتقييم لمنازل الرجال ومراتبهم في عالم الموازين .

(وساعة) كل انسان حين تأتي هي ميزانه الذي ينصب فورا في قارعة الصحيفة اليومية التي كأنها قارعة الطريق ..

لم يكن الشيخ ـ رحمات الله عليه ـ زعيما (صاحب شارع) بل كان مقدرا محترما أكثر من أي زعيم ٠

ولم يكن في العلم (اينشتين) ولا في الفلسفة أفلاطون أو ابن رشد ، ولا في الادب الامام علي ، ولكنه ـ رحمه الله ـ كان أكبر داعية للعلم والفلسفة والادب في مجلته مدة نصف جيل ٠٠ وأن كثيرا من الاسماء اللامعة الآن في لبنان والعالم العربي ، مدينة بكثير من الفضل (للعرفان) ، فهل من مكذب لآلاء هذا الانسان ؟

أما وطنيته ، وما أدرانا بها ، فكانت كدينه : ايمانا عجيبا لا تزعزعه المغريات الجهنمية المعروفة ٠٠ التي طالما زعزعت (أركان) الوطنية والدين ٠٠

كان صاحب خلق عظيم ، نفتقر في هذا العصر أتمس افتقار الى كثير من صفاته ومقوماته ٠

حسبه غنى أخلاقيا مترفعا ان « مطبعة العرفان » ـ في صيدا ـ التي ساهمت بأوفر نصيب من « الاشعاع اللبناني » الذي نتغنى به ، والتي خلقت من أصبحوا اليوم من أقطاب أصحاب الارصدة والمطابع ، ان مطبعة العرفان هذه ، هي اليوم أفقر مطبعة في الشرق ! وان صاحبها مات ، ولم يترك سواها من حطام هذه الدنيا !

وحسبنا عقوقا ـ وأخص بالذكر أبناء جبل عامل وخاصة المتمولين منهم ـ نحو هذه « الأبوة » في العلم والأدب والوطنية ، اننا هبطنا بانسانيتنا وأخلاقنا وشهامتنا هبوطا جعل أي مخلص آخر قد يأتي بعد الشيخ أحمد عارف الزين ، يعد الى المليون قبل أن يفكر بالمجازفة بعمره وماله من أجل خدمة قوميتنا ووطننا وتاريخنا !

الكفاح في ١٩٦٠/١١/١٨

صحف ايران

أما صحف ايران فقد كتبت عنه الشيء الكثير ونخص بالذكر جريدة « خراسان ديني » التي كتبت عن وفاته مرارا وتكرارا وكانت قد كتبت عنه في حياته فذكرت جهاده وفضله وتضحيته ومجلة العرفان وأخذت منه حديثا عن الصحافة والصحف في لبنان ·· ومما قالته : ان جهاده قد ملأ الدنيا وان تضحيته قد عرفها القاصي والداني وان فضله قد عم الذين عرفوه والذين لم يعرفوه ·

ومما كتبته هذه الصحيفة بعد وفاته : « ان خسارتنا بالمرحوم الشيخ أحمد عارف الزين عظيمة جدا ولا يعوضها شيء » ·

ومما قالته :

« ان وفاة هذا العلامة المجاهد قد غمرتنا ببالغ الحزن والأسى فنحن نقدم تعزيتنا الحارة الى الشيعة في لبنان عامة والى أبنائه وباقي أسرته خاصة · وبالأمس جرى له تشييع عظيم من مسجد ملا هاشم الى صحن المشهد المقدس وقد ألقى خطباء المنابر تآبين في المكبرات عن المرحوم · وفي الليلة الماضية جرى دفنه في الصحن المقدس ، وستقام الفواتح عن روحه بصورة متواصلة الى يوم الاسبوع ·

وقد كتبت أيضا ما يلي :

لقد انتقل الى دار البقاء الضيف الكبير الذي جاء لزيارة المشهد المقدس في خراسان · ان وفاة هذا الصحافي العظيم المخلص والمناضل المجاهد الشيعي الفذ قوبلت بكل أسف وأسى

وحزن وقد جرى له تشييع عظيم منقطع النظير لم تشاهد خراسان مثله وأقام له العلماء في خراسان مأتما عظيما في مسجد « جواهر شاد » وقد حضر المأتم ممثلو الصحف ومختلف الطبقات وجميع العلماء الأعلام وفي الختام اعتلى المنبر الخطيب الكبير الشيخ محمد المحدث وتكلم عن مقام الروحانيين وعن فضل المرحوم المقدس وأثره الكبير وجهاده في سبيل الشيعة والمسلمين عامة .

أحمد عارف الزين في ذمة الله

نعت الانباء المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان « وقد وقع نعي سماحته على العالم الاسلامي وقعا شديدا قاسيا فالفقيد المجاهد ممن وضعوا دعائم النهضة العلمية والسياسية الحديثة في لبنان وحمل راية الجهاد الشريف والقلم الحر منذ عام ١٩٠٥ ليكتب في « ثمرات الفنون » لليازجي ، و « الاتحاد العثماني » و « حديقة الاخبار » ، دافع عن وطنه وزاد عن حماه زود الأسود ثم أصدر في عام ١٩٠٩ مجلة (العرفان) وأصدر في عام ١٩١٢ جريدة اسبوعية باسم (جبل عامل) سجن بعدها وعطلت جريدته ومجلته ، ثم أصدر العرفان التي بقيت صفحة ناصعة أشرقت على صفحاتها كلمات المصلحين والمجاهدين ثم أحرقت العرفان عام ١٩١٥ وزج بالفقيد المجاهد في السجن وعاد بعد ذلك الى عام الحرية عام ١٩١٨ وأصدر العرفان ومضت في جهادها . ثم يعود الفقيد الزين الى المنفى عام ١٩٢٨ ويأتي عام ١٩٣٦ ويسجن مع غيره من الزعماء ، ويخرج لينشر على الناس تفسيره للقرآن الكريم بعشرة أجزاء وكثيرا من نفائس الكتب .

ويحتفل العالم الاسلامي عام ١٩٥١ بتكريم الشيخ أحمد عارف الزين بمناسبة بلوغ العرفان سن الخمسين ، واشتــرك الملوك والرؤساء والأدباء والشعراء بهذه المناسبــة وأشــادوا بعبقرية الرجل وجهاده •

تسعة وسبعين عاما من الجهاد قضاها في خدمة أمته وعقيدته ففي ذمة الله والخلود القلب الذي هدأ بين يدي ربه وهو يؤدي صلاته في محراب الامام الرضا (ع) في مدينة (مشهد) في ايران •

مجلة الأخاء الطهرانية

العدد ٣ السنة الأولى ١١ جمادى الأولى ١٣٨٠ ١ت٢ ١٩٦٠



* * *

فقيد العروبة والعربية

بقلم : محمد قره علي

في ذمة الله ، أيها المجاهد العريق !

في ذمة الله القلب الذي سكت بين يدي ربه وهو يؤدي صلاته في محراب الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة « مشهد » في ايران .

في ذمة الله الجهاد الشريف ، والقلم الحر ، في ذمة الله الايمان الاسلامي الرفيع ، والعروبة الصافية والوطنية الحقة . في ذمة الله ، من نفي وسجن ، ولم تلن له قناة ، ولم يركع على أبواب المغريات ، ولم يمد يده الا ليصافح ، أو ليصفع !

في ذمة الله من لم يحن رأسه الا الى ربه ، ولم يستح الا من ضميره ، ولم يفخر الا بعفته ووجدانه .

في ذمة الله الخلق الرضي ، واللسان المهذب ، والقلم العف ، والسخاء الحاتمي والوفاء السموءلي .

في ذمة الله فقيد العروبة والعربية الشيخ أحمد عارف الزين .

في ذمة الله والوطن ، من شرع قلمه عام ١٩٠٥ ليكتب في « ثمرات الفنون » لليازجي ، و « الاتحاد العثماني » و « حديقة الاخبار » مدافعا عن وطنه ذائدا عن حرمة أمته ، يوم كانت كلمة الحق برقبة !

ثم لم يكتف بهذه المنابر فأصدر عام ١٩٠٩ مجلة «العرفان» وما أدراك ما «العرفان» مدرسة جبل عامل من ألفه الى يائه ، وسفيرة الأمة العربية والقلم العربي الى كل صقع وصوب من

أرض العرب وغير العرب ينقل لهم الطيبات وينقل عنهم الطيبات من الآداب والفنون ، يخطب فتهتز المنابر ، ويكتب فتستنير البصائر • يقدم العالم في أبحاثه ، والمتأدب في محاولاته والشاعر في روائعه وفي غير روائعه •

وفي العام ١٩١٢ أصدر الفقيد الكبير الشيخ عارف الزين في صيدا جريدة اسبوعية باسم « جبل عامل » فاذا الصرخة اللاهبة ، والصيحة المدوية ، واذا هو عام ١٩١٢ سجين في عاليه مع صحبه الميامين من الشهداء والابطال • واذا (العرفان) و (جبل عامل) وصاحب العرفان وجبل عامل في سجن واحد •

ثم تمر الايام شهرا بعد شهر ، واذا الشيخ عارف خارج السجن يقف في صيدا على عتبة العرفان ليعلن صدورها من جديد ، واذا هو مع عبد الكريم الخليل والعريسي والمحمصاني وسعيد عقل وسعيد حيدر والخازن وباولي وغيرهم ممن كتب لهم شرف الاستشهاد ، كما كتب له ولغيره ممن كتبت لهم السلامة شرف الجهاد •

ثم تدور الأيام • ويدور (العرفان) لينقل الى صيدا والى جبل عامل والى كل صقع رسائل فارس الخوري والشهبندر وشكيب أرسلان وأحمد شوقي وحافظ ابراهيم وايليا أبو ماضي وأمين الريحاني والياس فرحات وجورج صيدح وغيرهم من فرسان الطليعة ، كما ينقل الى أبناء العروبة أيضا صيحات فيصل الأول وسعد زغلول والنحاس وهنانو والجابري والسنوسي وعبد الكريم ويوسف العظمة وسلطان الاطرش وسعيد عمون وغير هؤلاء من أبطال الكفاح والنضال والاستقلال •

ثم ينقل آثار الأعلام من رجالات جبل عامل أمثال السيد محسن الامين والسيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر فاذا المساجلات العلمية والادبية بين

هؤلاء وكبار المستشرقين من ألمان وفرنسيين وانكليز • واذا « العرفان » في ميادين الجهاد والكفاح صحائف دعوة الى التحرر والانطلاق •

وفي العام ١٩١٥ ، يقبض على الشيخ عارف الزين ويساق الى الديوان العرفي ، وتندلع النيران في دار « العرفان » فاذا هي أثر بعد عين •

وتمر سنة وبعض السنة ، والشيخ عارف سجين هنا ، وشريد هناك • ويأتي عام ١٩١٨ فتهدأ لعلعة المدفع ، ويتنفس التراب عن روائح الشهداء ، وعن مواكب العائدين ، فتصدر «العرفان» كما بدأت للجهاد المستمر والتوثب المستمر •

سنوات عشر مرت على العرفان تصدر شهرا وتعطل شهرا آخر ، حتى كان عام ١٩٢٨ فاذا بالجنود الافرنسيين يقبضون على صاحب « العرفان » ويسوقونه الى المنفى ، ثم يعاد الى السجن ثم يعود الى العرفان بعد عشرة أشهر •

في هذه الحقبة اشتدت قسوة الانتداب ، حتى اذا كان عام ١٩٣٦ ، وكان قد طفح الكيل ، وقف الشيخ أحمد عارف الزين في صيدا وفي بيروت الى جانب المرحومين عبد الحميد كرامي ورياض الصلح وعادل عسيران ، فاذا بعضهم في القامشلي والبعض في سجن الرمل •

وبعد وقت غير يسير عاد الشيخ أحمد عارف الزين الى صيدا الى عرفانه وجهاده المتواصل الى كبريائه الوطني ، واباته العربي يصدر « العرفان » والى جانبه عشرات الكتب القيمة من مخطوط نادر ، ومطبوع تناهي خبره ، الى تراجم ، ثم الى نشر تفسير القرآن بأجزائه العشرة ، وغيره من الكتب التي طالما أفادت المكتبة العربية • وطالما استوت مراجع ومصادر لرجال العلم والادب في مجال من مجالات الادب والعلم •

وفي عام ١٩٥١ تحتفل الدنيا العربية بتكريم الشيخ أحمد عارف الزين في صيدا لمناسبة بلوغ العرفان سن الخمسين ، فاذا الملوك والرؤساء ، والادباء والكتاب والشعراء كلهم يكتب ويخطب مشيدا بعبقرية الرجل الذي خدم أمته وبلاده بأمانة واخلاص فتعلق له الأوسمة ، ويهتف باسمه العديد من شباب العرب • كما هتف باسمه في كل مؤتمر عربي أو ناد أو مؤسسة اجتماعية ، من مؤتمر القدس الى مؤتمر بلودان ، الى باندونغ •

من مصلح اجتماعي الى رائد وطني ، الى عامل انساني ، وزعيم سياسي ، هذا هو فقيدنا وهذه لمحة عن حياته ، وقد انطفأ نورها بعد أن بلغ من العمر تسعة وسبعين عاما ، كان كل عام من أعوام حياته بمثابة عمر من أعمار الكثيرين من الناس ! فعزاء لصيدا ، وعزاء لأمته ، وعزاء لآله وذويه ،ولنا جميعا •

محمد قره علي : الحياة

* * *

الشيخ أحمد عارف الزين

مثل أعلى في الإخلاص والجرأة والصراحة لكل صحفي في هذا الجيل وكل جيل ومات وشعاره « الحق أحق أن يتبع »

بقلم : الشيخ محمد جواد مغنية

« وقل ربي ادخلني مدخل صدق ، واخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » .

لم أر آية تنطق بلسان الفقيد الكبير أظهر من هذه الآية الكريمة ، فلقد كان صادقا في جميع أقواله وأفعاله ، فلم يستعمل الكذب والدس والرياء لكسب الاموال ، ولو أراد الشيخ عارف الاموال والمناصب لما عصت عليه وامتنعت عنه ، ولكنه أراد أن يكون المجاهد المخلص فتم له ما أراد .

أراد الشيخ عارف أن يضرب مثلا من نفسه على أن المصالح العامة فوق المنافع الشخصية وأن الواجب أعظم من المناصب ، وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، لقد أراد ، وعلى الأصح لقد أراد الله للشيخ عارف أن يكون المثل المحسوس الملموس للضمير الانساني ، واذا أراد الله أمرا أن يقول له كن فيكون . لقد اختفى الضمير الانساني في زحمة الأطماع الا عند الصفوة الخالصة ، ويأتي في طليعة هذه الصفوة المرحومين الشيخ أحمد رضا ، والشيخ أحمد عارف الزين ، والشيخ سليمان ظاهر .

لقد كان الشيخ عارف كاتبا ، ولم يكن كاتبا كبيرا كطه حسين ، وكان شاعرا ، ولم يكن شاعرا عظيما كشوقي ، وكان صحفيا ، ولكن لم يكن صحفيا فنانا كعلي آمين ومصطفى آمين ، ولكنه كان الكاتب الحر ، والشاعر المخلص ، والصحفي الحق المسؤول أمام الله والتاريخ • واذا لم يكن الشيخ عارف قدوة في فن الصحافة فانه يجب أن يكون المثل الأعلى في الاخلاص والجرأة والصراحة لكل صحفي في هذا الجيل وفي كل جيل ، بل يجب أن يكون قدوة لرجال العلم والادب في ايثار الحق على شهواته ونفسه وأولاده •

ان الشيخ عارفا لم يفتح الممالك ، ولم يؤسس المصانع والمعامل ، ولم يقم بالثورات الدامية ، ولا بالانقلابات الحكومية، ولكنه أسس النهضات ، ونشر الثقافات ، وحوكم وسجن واضطهد لأنه حاصر الحريات ، وجاهد من أجل العدالة والمساواة ، لقد حمل الشيخ عارف رسالة التقدم والنضال ، وأنهك حمل هذه الرسالة قواه ، واستنزف أمواله وميراثه من أبيه ، ولكنه لم يعبأ ، ولم يشك ويتبرم ، لأنه يرى أن هذا بعض ما يجب عليه ، وان هذه هي مهمته ، بل مهنته •

ولو ان مصورا قديرا خرج للناس صورة تمثل جهاد الشيخ عارف لجاءت الصورة صرحا شامخا من جديد نافع زاهر يقوم على أساس من ماض عريق بالمآثر والمفاخر •

ان اخلاص الفقيد لعقيدته ، واخلاصه لوطنه ، واخلاصه لقوميته وعروبته قد استبد بتفكيره ، واستغرق عقله وقلبه وجميع أحاسيسه ، واذا بحثنا عن سر هذا الاخلاص والجهاد لوجدناه كامنا في صفاء فطرته ، وفي ولائه لأهل البيت (ع) فقد امتزج حبهم بلحمه ودمه ، وسيطر على جوارحه وجوانحه ، فكان يردد لمناسبة وغير مناسبة ، ومن حيث يريد أو لا يريد :

بنو هاشم رهط النبي وانني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

والغضب لأهل البيت غضب لله ، والرضى بهم رضاء بالحق ومبدأ العدل : وما أخلص أحد الولاء لأهل البيت ، وقرأ سيرتهم وتاريخهم الا تسربت الى نفسه نفحة من أرواحهم الزكية ، وأثر من آثارهم الدينية ، وحسبك شاهدا على هذه الحقيقة سيرة الشيخ عارف ، وقد كافأ أهل البيت الشيخ عارف فاختاروه اليهم ، وضموا جسمه الى أجسامهم الشريفة في تربة واحدة ، وحسن أولئك رفيقا ٠

وبالتالي ، فان التاريخ سيسطر للشيخ أحمد رضا والشيخ عارف الزين والشيخ سليمان ظاهر صفحات وصفحات من نور تقرأها الأجيال بخشوع واكبار ٠

مات الشيخ عارف غريبا عند امام غريب ، مات وشعاره : الحق أحق أن يتبع ، وهذا هو مبدأ الأئمة الأطهار : مات الشيخ عارف ، وهو يقول بأفعاله قبل أقواله : الشريف من شرفه الله ، والعزيز من أعزه الجهاد في سبيل الله ، والعظيم من عظمه الخلق المحمود عند الله والخالد في هذه الحياة من خلده العمل الخالص لوجه الله ٠

التلغراف ـ الطيار : العدد ٣٢٧٥ بتاريخ ٢/١١/١٩٦٠

* * *

المجاهد العدلي الكبير
أحمد عارف الزين

بقلم : خضر عباس الصالحي

رُوع العالم الاسلامي والعربي بفقد الشيخ الجليل ،والمجاهد الشهير ـ أحمد عارف الزين ـ وقد أثار نعيه المفاجيء عاصفة هوجاء من الأسى والحزن والألم في قلوب جميع الناس الطيبين في شتى أنحاء الارض ، وانطوت بموته صفحة نقية حافلة بالكفاح والنبل والشهامة والاريحية والمثل الرفيعة ، فقد كان طيب النفس ، ضحوك السن ، بارع النكتة ، لاذع الفكاهة ، متميزا بضبط النفس وسعة الصدر ، يمقت الشر والعدوان ، ويتفجر ثورة على الظلم والطغيان ويتحسس بما يضطرب حوله من أحداث ومشاكل ، ويعمل في سبيل الخير والبناء والابداع وامتاز بالفكر الثاقب ، والشعور الصادق ، وبعد النظر ودقة الملاحظة ، وقوة العزيمة ، وصلابة الرأي ، مع رقة طبع ، وصفاء نفس ، ونقاء روح ، وكانت العقيدة عنده أقوى من كل سلاح ، فناضل بحماس وصرامة في جميع مجالات النشاط الانساني من أجل حياة وارفة الظلال ، يانعة الثمار ، ولاعداد جيل مزود بالمعرفة الصحيحة ، ومتسم بطابع الخلق العلمي الرصين ، ولا دافع له في كل ذلك الا حب الخير وخدمة الانسانية وتطوير الحياة ومحاربة الخديعة والغش والخيانة !٠

انه مستودع ضخم للأحاسيس والعواطف والافكار المتحررة ، وكاتب واع رشيق الألفاظ ، عميق المعاني ، جزل الأسلوب ،

تشرق كتاباته بكل رائع وبديع ، وتدل على سعة اطلاعــه ، وعمق ثقافة ، تساير العقل ، وتساوق المنطق ، مــع مرونـة تفكيره ، وسلامة ذوقه ، وروعة تحليله ، ورقة تعابيره ، ويقف مثلا شامخا في كفاحه من أجل المثل الانسانية العليا ، واشاعــة السعادة والرخاء والطمأنينة في جميع مناحي الحياة ، وتحقيق العدل ، ونشر المساواة وتقويــة عرى التضـــامن بين الشعوب العربية ، ولاجراء المزيد من التقدم والتطور والتفاؤل بمستقبل زاهر منير ، وكنت أتتبع آثاره الفكرية بشوق ولهفة فاذا بها تهدف الى خير الشعوب ، وتكفل السعادة لبني الانسان ، وتتابع تيار الوعي الصاعد !

وهذه مجلته ـ العرفان ـ الذائعة الصيت ما تزال تواصل الصدور منذ احدى وخمسين سنة وهي تمهد السبيل أمام طلاب المعرفة الكاملة ، وتسعى جاهدة للكشف عن كفاءات مخبــوءة لدى الشباب ، وقد أخذت مكانها المرموق ودورها الهام في الذود عن حق الشعوب العربية في الحرية والسيادة الوطنية التامة ، والاجهاز على الاستعمار البغيض ، وفضح عملائه المأجورين الذين ماتت ذممهم وضمائرهم ، فباعوا أوطانهم للدخلاء بثمن بخس ، ليحصلوا على متع الحياة الرخيصة ، والامجاد الكاذبة ، وليستأثروا بكراسي الحكم المزيفــة ، فعملوا على ترسيــخ وتوطيد قواعد السيطرة الاجنبية ، لادامة نفوذهم واستغلالهم ، واستمرارهم على انتهاك الأعراض ، واستلاب ثروات الشعب ، ومصادرة الحريات العامة ، وقتل المواهب ، وكبت الرأي ،وحجر الفكر ، ولكن ـ العرفان ـ المناضلة كانت بالمرصاد لهؤلاء الخونة الشقاة فألهبت ظهورهم بمقالاتها النارية ، وخضدت شوكتهم وحطمت أصنامهم المصطنعة ومزقت صورهم الشوهاء وآدانتهم بالخزي والعار ، وأثارت في قلوبهم الرعب والفزع ، وشدت من أزر الحركة الوطنية التحررية في كل جزء من أجزاء وطننـــا العربي الكبير ، في الجزائر ، في فلسطين ، في عمان ، فضربت أروع الامثلة في صدق الجهاد ، وقوة الايمان ، ورسوخ العقيدة،

وتوهج الروح القومي ، وتدفق الحماس الوطني !

وحقا ..! ان موت المكافح العربي الصامد ـ أحمد عارف الزين ـ قد هز ضمير الانسانية وترك عشاق أدبه ، وعارفي فضله ، ومقدري نضاله العنيـد في متاهـة مـن الحزن والغم والوجوم الرهيب ، أما أنا .. أنا بالذات فلقد شعرت بأحشائي تتمزق ، ودموعي تترقرق وقلبي يمتلىء بالمرارة العميقة ، ولم تلبث أن سقطت الجريدة من يدي بغير وعي ، وأنا أقرأ نبأ وفاته بحيرة قاتلة ..

ترى .. لم كل هذا الالم المحرق الذي ألهب قلبي الملتاع ؟ وأنا لم أشاهده ، أو أحظ بمجالسته والاستماع الى حديثه العذب المسكر ، ألأنني كنت أتلقف بحرارة كل ما يدبجه يراعه السيال من مقالات طريفة في الادب والاجتماع والتاريخ ، فأتحسس وكأنه يعبر تعبيرا صادقا عميقا عن خلجات نفسي ، وانفعالات عواطفي ، وأشواق قلبي ، ويفصح ببراعة عن آمالي وأحلامي ومطامحي ، فيغمرني طوفـان مـن الحب الجارف ، ويكتسـح مشاعري تيار من الهوى العارم ! تجاه هذا الشيخ الوقور المثابر الذي لا يعرف الوني والكلال والوهن طوال حياته والذي سار قدما الى قمة الكرامة والاباء والعزة يحدوه الثبات على المبدأ . وهو يخترق طريقا وعرا شاقا شائكا ، ليس فيه غير الاهوال والرياح والاعاصير والضباب الكثيف ! ولكنه وهو الرائـد الجسور المقدام ظل حثيث الخطى ، شديد الثقة بنفسه ، صارم العزم ، كبير الطموح ، حتى حقق ما يصبو اليه من هدف نبيل ، وأمل منشود ، وحلم رفاف ، فشعت سيرته باشراقة النبل والطيبة والمحبة والتسامح ، وتوهجت بأضواء البسالة والجرأة والصمود وسطعت بأنوار الذكاء والالمعية والأصالة . وزخـرت بأشرف الاعمال ، وأجمل المآثر ، وأعمق التجارب ، واذا به يصبح في مقدمة رواد الفكر الاحرار ، وفي طليعة حاملي مشاعل الحرية ، ورافعي راية الكفاح ضد الاستعباد والاستبداد والتعسـف !

ليدفع بالشعوب المضطهدة للمطالبة بحقوقها والاستماتة في الذب عن حريتها ضد مغتصبيها ، ولتحقيق أهدافها على أساس من التحرر ، ولتوفير أسباب الازدهار والنمو الكامل !

ومرت بالأديب الحر الموهوب ــ أحمد عارف الزين ــ سنوات عجاف ، وذاق مر الحياة وحلوها ، وسلك طريقا محفوفا بكثير من المصاعب والمحن ، للتوصل الى الحقائق المجردة ، وبسبب من وطنيته الصادقة العريقة ولعدم انصياعه لقوى الجور والغدر والاضطهاد كابد الآلام والعذاب ، وتصدى له الانتهازيون والنفعيون بالنقد الجارح لعرقلة مساعيه الرامية الى توفير جو من الرخاء والرفاه والاستقرار لشعبه الامين ، لكن نقدهم لم يكن متسما بطابع الموضوعية ، أو خاليا من أساليب الطعن والتشهير والغرض الدنيء ، فارتدت تلك السهام المسمومة الى صدور مصوبيها .

لقد تناول المشاكل الاجتماعية وسائر وجوه الحياة بالبحث والنقد الموجه الهادف ، وناقش الآراء مناقشة موضوعية في ضوء الأسس والقواعد العلمية ، واستوعب الحقائق المرة الصارخة ، ودعم قوى الخير والحق والحرية ، وغرس روح المسؤولية الاجتماعية في نفوس الشباب ، لاعدادهم كي يكونوا لبنة قوية في صرح الوطن العربي الكبير ، ودعا الى تدارس تعاليم الاسلام بأمانة وتجرد . وللخروج بالأدب العربي المعاصر من نطاقه الاقليمي الضيق الى الأفق العالمي الواسع ، وابعاد شبح الحرب عن الشعوب الآمنة الوادعة الحرب الطاحنة التي تأكل الارواح والاموال ، واجتثاث جذور كل نظام رجعي مهترىء ، ينخر في كيان المجتمع ، ويفت في عضده ، ويشوه معالم الحياة الاصيلة ، ويقضي على القوى والطاقات الخيرة،ويضرب الحركة الجماهيرية النامية ويدعها تعاني ضيق الفكر وجدب الشعور وموت العواطف !

وكان متشبعا بمفاهيم وقيم المعاني الانسانية ، ومستوعبا بقلبه الكبير عواطف شعبه ، ورافعا لواء العدل والحق والفضيلة وهادفا الى رفع المستوى الادبي الذي أمده بالقوة والفتوة والحياة وتحدى جميع العقبات ، حتى رأى ثمرات جهوده تأتي أكلها ، وتتكلل كفاحاته الدائبة بالنجاحات الحاسمة والنتائج الرائعة ، والانتصارات الباهرة ، وشاهد بعض الشعوب العربية ترفل بأبراد العزة والكرامة والحرية قبل أن يغمض عينيه اغماضة الأبد .

ان موت هذا الأديب الانساني ذي المواقف الوطنية المشرفة ليعد خسارة كبرى تمنى بها الشعوب العربية والاسلامية ، وقد أصيبت الجماهير التقدمية بلوعة النفس ، وفداحة الخطب ، تلك الجماهير الواعية المنطلقة التي فتح لهـا نوافذ الجمال والانعتاق والنور ، انها تثمن الأدوار الفعالة التي قام بها على مسرح الادب والعلم والسياسة ، وستحتفظ له في حنايا ضلوعها أجمل الوفاء ، وأروع الاخلاص على مر الأيام !

انه سيبقى في أذهان الناس خالدا في تراثه الفكري الشامخ ، ومنارا هاديا يقتفي آثاره كل شعب مضطهد مكبل بالأغلال والقيود يحاول الانفلات منها عبر جسر من جماجم الشهداء وأشلاء الضحايا .

فيا أيها الشيخ المجاهد العظيم لئن أهيل عليك التراب ، وغبت عن الانظار ، فان ذكراك العاطرة العبقة حية في ضمير كل الشعوب المحبة للسلام والاخوة والحرية .

بغداد : خضر عباس الصالحي



القرآن ، العرفان
أبجدية حياته ومماته

كلمة : السيد جعفر شرف الدين

الموت سنة الله في خلقه ، وسر الطبيعة في تكوينها • والاسف تعبير جازع عن عجز الانسان أمام هذه السنة وذلك السر كليهما •

هذا الأسف يعم ويشمل ، أو يصغر ويكبر زنة المأسوف عليه كماً وكيفاً • فاذا كان الفقيد عالما أو أديبا أو زعيما فانما نبكيه فقيدا ، ونلتمس لمكانه الشاغر عميدا •

أما اذا كان الفقيد كل هؤلاء مجتمعين فكيف نبكيه فردا • ثم كيف نلتمس لثلمته سدا •

واذا رأينا الأوساط الاسلامية ، والمحافل العربية ، والمجامع شرقية وغربية قد اهتزت لفقد الشيخ أحمد عارف الزين فانما لانفلات حلقة من حلقاتها ، وانطواء راية من راياتها •

ركن انتصب طودا شامخا ، يواكب النهضة تلو النهضة ، والقافلة بعد القافلة ، والجيل غب الجيل ، حتى أصبح أبـا لشتى وثباتنا التحررية ، وحاويا لمختلف مذاهبنا الفكريـة ، ورائدا يمارس النضال في ساحاته ، ويشد في الروع شد الليث في وثباته •

ما المنابر والأعواد الا نبرة من نبراته • ما الحنايا ما المحاريب الا ترجيعة لصلاته ، ما العطف ، ما الحنان الا لهثة من لهثاته •

ما السيف ، ما الضيف الا بسمة من بسماته ، ما التسامح ، ما المحبة الا سمة من سماته ، ما حاتم ما طيء الا كسرة من فتاته • ما المعتقل ما السجن ، الا نزهة من نزهاته ، ما التشريد ما التنكيل ، الا عنفوان صفاته • ما شهداء أيار الا من رفاقه ولداته ، ما محمد عبده والافغاني الا من معلميه وهداته • القرآن العرفان أبجدية حياته ومماته •

هذا هو الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان • وهذه هي مثله نقرؤها ونستقرئها • نعرضها ونستعرضها • نقف عندها ونستوقف • نبكي ونستبكي • ولكن لا كمثل امرىء القيس من ذكرى حبيب ومنزل • بل من ذكرى نور خبا هيهات أن يشع كمثله نور •

هذا هو فقيدنا الكبير وهذه هي مثله •

هذا هو العقد الذي انفرط • العقد الثمين الذي يندر أن تلتئم حباته وتجتمع مآتيه وصفاته •

ذلك ان الرجل ملتقى لصفات لا تتيسر لشخص عادي وان كان عبقريا • فالعبقرية تنعطف بصاحبها عبر اتجاه واحد يبرز منه وينكشف في جميع الاتجاهات الاخرى اما ان تجتمع لواحد طاقة جماعة من الناس فهذا لا يحدث كل يوم •

أرأيتم الى رجل واحد يرتبط به تاريخ جيل بشتى نواحيه الحضارية ، من فكر واجتماع وأدب واقتصاد وعلم ومعرفة •

أرأيتم الى كتاب يحيي تراث أمة ، ويؤرخ حضارة شعب ؟ العارف وعرفانه رائدان ولد على يديهما كل أديب في جبل عامل والعراق • وشاركا بولادة وعمادة كل أديب عربي في الوطن وفي المهجر •

العارف وعرفانه بعثا كل مؤرخ ، كل عالم ، كل أديب ، بعثاهم من شتى مراقدهم من بطون التاريخ ، من خلال المطبوعات

الحجرية ، والمخطوطات الاثرية ، من أعماق التاريخ مما قبل الهجرة الى يومنا الحاضر • ودأبا على احيائه مدى ستين عاما دون ملل أو برم •

فما من تحقيق تاريخي ، وما من مشكلة فكرية ، أو نضالية ، ومن حدث علمي أو وطني عبر التاريخ الا بسطة المارف في عرفانه •

وما من عالم ، أو أديب ، أو مصلح ، أو مجاهد الا وكان العرفان وصاحبه يأخذان بيده ويطوفان به في الشرق والغرب ، ثم يتركانه خالدا في الخالدين •

ومطبعته هي الأخرى دخلت التاريخ معه من بابه الكبير ، اذ كانت أغنى المطابع في أول أمره ، وأصبحت أفقر المطابع في آخر عمره •

ولو أراد لاغتنى واقتنى ولكنه يا للمجد الباذخ خرج من الدنيا بطمريه بعد أن عاش حياته بقرصيه لا صفراء ولا بيضاء ولكنه خرج حين خرج غنيا بالشوامخ من آثاره ، بالروائع من مجلدات أسفاره • وخرج حين خرج والعفاة الحداة يتغنون بطيبات أخباره •

ولا بد لي هنا من أن أصرخ واستصرخ ، وأنادي بحفظ المشعل الذي تركه فقيدنا الكبير وهاجا بين أيدينا • وأدعو الى مده بالزيت والوقود ليستمر في انارة دربنا الطويل •

وانها لوصمة في جبيننا جميعا أن ينطوي العرفان بانطواء جسم صاحبه ، ولو لم يترك الرجل صوتا يمتد فينا امتداد الحياة لما كان لزاما علينا أن نرفع صوتا خافتا ، أو ننعش روحا ميتا • ففاقد الشيء لا يعطيه • ونحن انما من روحه نأخذ لنعطيها • ومن آثاره نقتبس لننشرها •

فيا اخوان الفقيد الكبير في الوطن وفي المهجر وفي جميع

مطارح النوى من افريقيا الى الاميركتين : العرفان أمانة « نزار واخوا نزار ورفاقه يحملون المشعل » وأنتم مغتربين ومقيمين تواكبون المشعل ، تحفظون الامانة •

اللهم اشهد ان فقيدنا عاش لمبادىء أوليائك ، ومـات على حبهم ، غريبا عند غريب ، وقريبا عند قريب • فأنزل على روحه في عليائها ، وفي جوار امامها الثامن الضامن بركته ، بركـة العترة الطاهرة ، بركة آيتها الخالدة •

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » •

جعفر شرف الدين

* * *

كلمة الاستاذ ملحم كرم

ـ نقيب المحررين ـ

بعد أن صال وجال الاستاذ كرم بأسلوبه الفصيح ولسانه الطلق ، في الكلام عن حياة الفقيد العظيم صاحب العرفان وجهاده في سبيل القضايا العربية منذ زمن الاتراك الى قضية فلسطين، الى قضية الجزائر الى غيرها قال خاتما كلمته البليغة :

فباسم نقابة محرري الصحافة التي لي شرف رئاستها أقول ان الصحافة في لبنان اذ تفخر بالشيخ عارف وتسأل الله أن يجزل مثوبته ، تفخر كل الفخر بنجله الاستاذ نزار الزين وهو الصحفي القدير المخلص والمنشيء المبدع ، فمن كانت العرفان ميراثه ومن كان نزار الزين خليفته فمرتعه في الخلود ومصير « عرفانه » الى ازدهار وتألق وأيام زاهيات .

ولئن افتخر الشيعة بأن امامهم الاعظم هو علي ابن أبي طالب عليه السلام وان امامهم العظيم هو جعفر الصادق «ع» ولئن افتخروا بالامام السيد عبد الحسين شرف الدين مؤسس هذه الكلية الجعفرية ، فحق لهم اليوم أن يباروا الدنيا بأن المرحوم العلامة المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين كان قائد نهضتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية فحقق لهم في نصف قرن ما تعجز دولة كبرى عن تحقيقه .

ومرة ثانية تنضم نقابة المحررين الى نداء العلماء فتؤيد العرفان ورئيس تحريرها الاستاذ نزار وتعلن أنها مستعدة لأن تنفذ كل رغبة من رغبات وحاجات العرفان وأصحابها متطوعة تمشي في طريق نصرة الحق •

وآملنا وطيد أن يسير رئيس التحرير الجديد وأن يسير اخوان نزار ـ ونحن منهم بكل فخر ـ على خطى الرئيس الراحل الباقي الذي يعيش في كل واحد منا •

هذا مع العلم ان المسلك وعر والتعاريج شاقة ولكن يجب أن ينطلق الركب دون أن تردعه الحواجز فالفرس الجواد لا يقف في طريقه شيء•

ملحم كرم

❋ ❋ ❋

الله مع الصالحين

كلمة : الدكتور شكر الله جراد

سكون الموت وسكينة الزهد ووقار العلم وطمأنينة الايمان كل هذا عدتك ورواؤك وعلى كل هذا حملت أعوادك المنابر والطهر مثواك وأكفانك النور ٠

الله في الصالحين ! دعة هنا ومراتب هناك ٠

الله في الصالحين ! كمد حتى الموت وموت رائع الاشراق ٠

اذا تقلب الناس في الدنيا وتقلبت وضجوا بها وضجت وجالوا واستطالوا وتمردوا ونسوا وزخرت بالطمع صدورهم وعصفت بهم الهوجاء والكبرياء وزينت لهم الدنيا وتاه بهم السراب ثم زلزلهم زلزال الفشل فانقلبوا عن حياة جوفاء الى جوف قبـر أجوف ٠٠٠ فالصبر قوة المؤمن والجلد جهاده والموت نهايته في المطاف وقبلته وثوابه ٠

الله في الصالحين : كمد حتى الموت وموت رائع الاشراق ٠

من لي عند وجوم الناس ٠ من لي عند عتمة القبر ٠ بجبين مشرق وجفن باسم ووجه مقبل مطمئن !

من لي ساعة الهول بقلب يهلل طربا وشوق يتوثب كالفجر من فجوات الغيوم وأمل يرف ٠٠ يرف أبيض شفافا طلقا كجناح فراشة !٠

الله في الصالحين : دعة هنا ومراتب هناك !

اذا كان الموت تراث الناس

اذا كان الموت في الناس قضاء سواءا فليس الناس كلهم عند الموت سواء !

أفمن آب الى سيده مؤتمنا أمينا مثابا كمن اقتيد أسيرا ؟

افمن عاش بدينه واستنار لسبيله والتزم في خطاه فولج الآخرة كتابه بيمينه كخابط ليل قلبه أشد سوادا ، قبض على نحره ، أم كذئب في غور الوادي يجوس أطبقت على أنيابه أنياب فخ .

افمن مات مؤمنا فقاده رضوان فورد الحوض فنهل فارتوى كمن يهيل عليه التراب والنار مخلب ابليس ؟

اذا كان الموت في الناس قضاء سواءا فليس الناس كلهم عند الموت سواء .

لأننا أردنا العيش خفضا ومتعة وادخارا روعنا الفناء !

ولأننا خضنا الحياة فرصة ووديمة وواجبا حرصنا على كل هنيهة نوسعها عملا حتى اذا أذن المغيب كان لنا أجلا يرتجى وثوابا يرجى وراحة ومآبا !

من الناس من حياتهم نار تضرم ، تتآكل في شعلتها حتى آخر جذوره فكأنما الارض بهم أتون يأتي على الهشيم ويصهر المعدن .

ومنهم من حياتهم كالمستنقع الآسن تشيح عنه الشمس وتتثاءب من حوله الزواحف ولا يحوم فوقه الا الهوام .

وهكذا الناس هذا خامل يتسكع وذاك قاعد يقدم الأعذار وذاك ذئب أقبل على الارض كمتاع ينهب فولغ وأوغل وباع دينه بالدنيا حتى اذا ذهبت عنه انقلب على وجه جبينه في الرغام وشدقه في النتن .

هكذا الناس وهكذا فوقهم كما ترتفع فوق الطحالب الباسقات: يتطاول الابطال يتطاولون حتى سدة الشمس .

كرّمك الله يا صاحب العرفان كم كان جبينك يلمع في الشمس وكيف كان جنانك يضرم الحماسة في رعدة المستسلمين

وكيف كان قلبك يفجر الرحمة من صخور القلوب •

كرّمك الله يا صاحب العرفان لو أنه أعاد تكليفك فهل كنت — على شوقك الى وجهه وغبطتك في جواره — هل كنت تحجم أو تتردد أو هل كان يثنيك عن الجهاد ممر طويل وملل وعقوق •

لست أدري يا صاحب العرفان لم تأخذني غمرة من الرضى عند كل جنازة لمصلح أو ذكرى لشهيد •

لعل ذلك غرورا منا لأنا نعرف الحق ونوفيه ونقر للعاملين عملهم ووهما منا بأنهم يعملون استدرارا لثناء ويستشهدون لتمثال ينصب أو ذكرى تقام •

لست أدري كم يغمرني الرضى عند كل جنازة لمصلح أو ذكرى لشهيد •

لعل ذلك — على الأصح — استنكاف منا عن الجزع وتمرد على اليأس وايمان باستمرار تاريخنا على الخصب والعطاء وما أنت يا صاحب العرفان الا اتباع من ذاك الخصب ودفقة من ذاك العطاء وحلقة من عقد متماسك مديد في الاجيال ودرجة من درجات سلم متصاعد حتى القمة وبادرة من بوادر أمل ينعقد ، ينعقد حتى اليقين !•

أجل لقد حاول أن يبهظنا القدر حتى يئس ولم نيأس !

ولئن أشاح عنا في حقب مظلمات وجه الزمن وتنكرت لنا الأيام وكفننا النسيان وانهال علينا التراب فان تربتنا خصبة وبذورنا حية فأنبتها حرارة ايماننا بصعودنا المستمر ومزن سمائنا الهتان !

بوركت يا صاحب العرفان يا ابن الأولين ورائد الطالعين •

لقد عملت وأحسنت عملا فاذهب اليه مطمئنا الى موفور أجرك •

لقد عملت وجاهدت فوفيت واسترحت •

نعم الجهاد جهادك وهنيئا لك موتتك الأولى وراحتك الكبرى •

هنيئا لك : حيث اضطهدت جاهدت وحيث أحببت استرحت !

شكر الله حداد

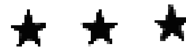
أيوبيلك الخمسون أم عرس فاتح

قصيدة : إبراهيم شرارة

طوى البيد ، لا عن جفوة وترحلا ... وراوده عنا السلو وما سلا
الى جدث في الرافدين ، ترابه ... من الخلد في صدر الخلود تأصلا
فان تك جنات النعيم لقاصد ... فباب علي كان للخلد مدخلا !
ويمم نحو الشرق يطوي متاهة ... من الارض على الفجر بالفجر يجتلى
يروم بلوغ الشمس في رداة الضحى ... فكان الرضا للشمس دارا ومعقلا



تجاذبني معناك أول مرة ... فامرع من غرسي الذي كان أمحلا
صنعت لك الشعر الجميل وقصرت ... قوافي لما كان صنعك أجملا
وأكثرت في معناك قولي وكلما ... قربت الى معناك كنت المقللا
ويقلاني القالي ويعذل جاحد ... وعذري اني أستطيب بك القلى
أمن حسد ؟ والشعر يجحد ذاته ... اذا لم تغني فيك رائعة العلى



اذا ابتليت نفس الكريم بزاحم ... من الامر فاختار الاذى وتقبلا
أو انتفضت للحق همة ثائر ... وكانت هي البلوى فاصمد مبتلى
بشهيد ! ولم أغمضت عينا قريرة ... ككل شهيد بالفخار تكللا
تخيرت من درب الشهادة جمرها ... ورحت الى أرض الفداء مهرولا
ورائدك السبط الشهيد الذي قضى ... وحيدا ولكن زلزل البغي أعزلا
ترابك ! سل في كربلا عرصاتها ... وجرحك ! سل مجدا هناك مؤثلا
فكل شهيد فيه ريح ابن فاطم ... وكل تراب عانق الحر كربلا !
أساءت لنا كف المنون وأحسنت ... اليك ، وحقا أن تجور وتعدلا
رقيب على الاسرار يعلم اننا ... سنجزع للفقدان فيما تعجلا ..
ويعلم ما تخفي سريرة أحمد ... فقد كان يرجو جانب الله موئلا
حملت الثرى ثقلا خفيفا وثقلت ... علينا المنايا فيك أن تتحملا

فمنزلنا منها الرثاء ، وفي حمى   علي بن موسى ، مهدت لك منزلا !
ثمانون والدنيا تروح وتغتدي   ستخلد في الدنيا وتهزأ بالبلى
سلاحاه ، في قلب النهار يراعه   وتقوى اقامته الدجى متبتلا
وكم منزل في عامل كان خاليا   بدا أحمد فيه قرين محفلا
وأمنع ما شد العرين وشاده   منيعا على الدنيا اذا السبع اشبلا
وصيدون أم الفاتحين وبدعة   على الدهر كانت في الفتوحات أولا
بدأنا بها حرفا ، وزورق فاتح   نرود به الدنيا واحمد اكملا
هي الفتح من لبنان شد سفينة   كريما وفي صدر الزمان تغلغلا
هي الحرف من لبنان فانشر شراعه   فما آن للامجاد أن تترجلا
ويا احمد العرفان ، أي مجلة   تقرب أطماح الرجال الى العلى
كتاب حواشيه الرضا ، وسطوره   نمير ، اذا الظمآن يمم منهلا
تزاحمت الاجيال حول ضفافه   عطاشى الى حرف ترقرق جدولا
وزين للاجيال آمال عامل   بأنك فيها كنت جيلا مؤملا
تعلمت فيه كيف تستيقظ المنى   على اضلع عنت وقلب تعللا
وكيف تهيب المكرمات بجندها   ويرخص مهر المكرمات وان غلا
هو المنبر الهدار ، أطلع للعلى   من الليل رغم الليل صبحا محجلا
عشية كان الصمت موتا بعامل   وزحزح عنه الموت فاستل فيصلا
عشية كان القول حقا محرما   وشب حريق الثائرين فحللا
يراع يشب الحرف منه مجامرا   ويغلي الى نصر المروءات مرجلا
هو الدعوة الكبرى الى كل رائع   هو الجحفل الجرار يزحم جحفلا
فلا حمم البركان تخرس داعيا   ولا الريح في الايام تطفيء مشعلا
أيوبيلك الخمسون أم عرس فاتح   تلا مصحف المجد التليد ، ورتلا
أقمنا لك الذكرى فأورقت خاطرا   وآتمرت بستانا وأينعت سنبلا
هنا في قصور العلم في كل خلجة   جرى قلم فيها دما ، وتسلسلا
تغازلك الحوراء من « عامليه »   لها العلم أقراط ، وأحرفه الحلى
هواها سل الينبوع عنه ، فانه   سقي من معين الحرف راحا فأثملا
فما هو بستان ، ولكنه الجنى   وما هو قرآن ، ولكن تنزلا
ولا هو من نسج الحرير طراوة   لبسنا به غزلا ، ولم نؤت مغزلا
هو الحرف من لبنان فانشر شراعه   فما آن للريان أن يترجلا ..
ولبنان مهد الحاملين حروفها   الى أبعد الدنيا فأعطى وأجزلا
أقام عليه حارس في يمينه   لواء وفي اليسرى الصباح الذيجلا
شهاب اذا غنيته في قصائدي   فاني أغني في الذرى الشم اجدلا

ابراهيم شرارة

أيها الشهيد لبنان
أين المصلح المجاهد صاحب العرفان ؟؟

هل هي المصادفة وحدها التي وقتت ليتذكر كاتب عربي معروف (ناصر الدين النشاشيبي) المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين مؤسس مجلة « العرفان » فيكتب عنه مقالا يتحدث فيه عن آثاره ومواقفه النضالية وتاريخه الاصلاحي العريض واسلاميته التي فرضت نفسها على الساحتين العربية والاسلامية ، وليتذكر معه وفي نفس الوقت المجلس الثقافي الجنوبي اسم هذه الشخصية الفذة ، فيعمد المجلس الى تدشين نشاطاته بالقاء محاضرة عن الشيخ أحمد عارف الزين هي الأولى من سلسلة المحاضرات التي يقدمها المجلس تحت عنوان : (وجوه ثقافية من الجنوب) تتناول شخصيات جنوبية عاشت زمنها وأثرت فيه ، وكان لها موقع حركة وما تزال !

وهل هي المصادفة وحدها التي وقتت صدور المقال والقاء المحاضرة بعد يوم واحد من سفر وزير الخارجية الايرانية قطب زاده عائدا الى طهران بعد أن اجتمع بالمجلس الشيعي الأعلى وقادة حركة أمل •• وبعد ساعات من اغتيال السيد حسن الشيرازي في بيروت ؟

هل هي المصادفة أم ان الاحداث الاخيرة التي تجري على الساحة اللبنانية ، من اغتيال وتقاتل الاخوة في الله والدين وتراشقهم بلغة الموت والدمار هو الذي جعل من لبنان « الشهيد الذي وصفوه » ؟

ان الساحة اللبنانية بالذات التي تصرخ : أليس فيكم رشيد ؟

هي التي جعلت هؤلاء وأولئك يتذكرون اسم الشيخ أحمد عارف الزين . لقد ذكرتهم به الغيوم الحزينة السوداء التي تظلل سماءه بسبب مأساة العراك الطائفي .. ذلك ان اسم الشيخ الزين وعرفانه ومواقفه وجهاده يحملون الى الناس ، كل الناس الصور الزاهية لمواقف دينية وقومية وسياسية نبيلة لا يزال الذين عاشوا أحياء يرزقون ... ـ كما يقول ناصر الدين النشاشيبي ـ :

هل تعرفون اسم : الشيخ أحمد عارف الزين ؟

هل تسمعون عن مجلته التي كان اسمها (العرفان) ؟

في مطلع هذا القرن صدرت في مدينة صيدا مجلة تحمل اسم (العرفان) ويرئسها الشيخ الجليل أحمد عارف الزين ، وكان الشيخ من أوفر العلماء قدرا وأوسعهم أدبا وأكرمهم خلقا .. وكان مسلما يعتز باسلامه ويفخر بلبنانيته ويحارب الفرنسيين على أرض وطنه . وكان في افتتاحياته وكلماته يبشر بالوحدة الصحيحة ، ويراسل الأساطين في مصر وسوريا والعراق من أجل حثهم على الدعوة لمثل دعوته ، وكانت له جولات وصولات مع رجالات من أمثال محمد عبده ، ورشيد رضا ، واسعاف النشاشيبي ، والحاج أمين الحسيني ، والشيخ اسماعيل الحافظ (والد الدكتور أمين الحافظ) والامير شكيب أرسلان ، ورجالات العلم والفقه في مختلف عواصم العرب . وكان على الدوام يعقد اجتماعاته في النبطية مع الشيخ سليمان الظاهر والشيخ أحمد رضا ويدفع في كل بياناته معهما ضد أي خلاف بين السنة والشيعة داعيا الى الوحدة الاسلامية بكل معانيها ، هاتفا على الدوام بتوقيعه الصريح :

(.. ان الطائفية والمذهبية في لبنان انما عادت وترعرعت

وقويت لحساب الفرنسيين وتوجيهاتهم لكي يوازوا بها المذاهب المسيحية المختلفة في البلاد التي يحكمونها •• اننا نعترف بوجود خلافات طبقية في بلادنا قد تزول مع الايام عندما يصبح الفقير غنيا ، ولكن المستعمر يشجع ترعرع الخلافات المذهبية عندنا وعند اخواننا المسيحيين لأنه يدرك انها ـ على عكس الخلافات الطبقية ـ غير معرضة للزوال فانها باقية ما بقي الدين وانه اذا كان من السهل رأب الصراع الطبقي الا أنه من الصعب رأب الصراع المذهبي) •

هكذا كان يكتب رجال كأحمد عارف الزين ، وهكذا كان يكتب عبد الحميد كرامي وبشاره الخوري واميل الخوري وهكذا كان الحال على أيامهم في الامس البعيد ••• ترى كيف هو الحال الآن وفي عهد من نرى ونسمع من البارزين على المسرح ؟

مجلة الجديد

* * *

أعـــلام مـن لبنـــان

أحمد عارف الزين

برنامج يكتبه الدكتور ميشال سليمان

صوت منفرد :

عرفناه رمز السماح ، وداعيــة السلام ، ورجــل الابــاء والوطنية الحق ·



وعرفه الجميع ، من قبل ، رجل الشجاعة آن الجبن ، ورجل النهوض في وجه الجمود ، وتمزيق حجب الجهالة ، يوم الجهل كان يسوق الناس بعصاه ·

واكب جل الاحداث التي عصفت في لبنان ودنيا العرب سحابة نصف قرن ونيف ، وعاشها بايمانه الراسخ على وعي وموقف عميق وصلب · فلم تهن له عزيمة امتحنت بالحرمان والاضطهاد ولم تعزف به نفسه عن الاسهام في ما امتحن به الاحرار في هذه الارض ·

وكان العارف بصدق نفسه وبما ينبغي أن تندغم فيه من جهاد في سبيل الحرية والحق · فكانت لذلك « العرفان » وعاء الحركة التي تصل جزءا من لبنان بلبنان ، وتصل لبنان بأشقائه العرب ، وصحيفة تغذى بايــاء صاحبها : الشيخ أحمد عارف الزين ·

– موسيقى –

– ١ –

(ولد الشيخ أحمد عارف الزين في قرية شحور قضاء صور سنة ١٨٨٣ في كنف عائلة بها شغف بالعلم والادب ولما أتم دراسته الأولى ، وقد شب عن الطوق انتقل الى صيدا وفي نفسه حنين قديم الى كل كتاب تعلم فيه حرفا ، وقد كان يسمى يومذاك «عرفان» • فأسس مجلة « العرفان » سنة ١٩٠٩ وجعلها منبرا للحركات الفكرية والادبية والاجتماعية ، ومجالا رحبا للطاقات الفنية ، يتعهدها بعلمه الجم وثقافته الواسعة ، واحاطته بالتراث • وقد رفد « العرفان » بجريدة « جبل عامل » سنة ١٩١١ التي حفلت بمقالاته العنيفة المعبرة عن نزعته الاستقلالية عن الامبراطورية العثمانية ، ومناهضة الظلم والاستبداد ، ودعوته العرب لكي يكونوا أبدا يدا واحدة في نضالهم ضد جميع الأعداء • وقد عطلها الحكم الاجنبي التعسفي مرارا) •

(الشيخ أحمد عارف في مثل هذا الشهر من سنة غبرت يتحدث في شؤون البلاد في مناسبة الأعياد) •

أحدهم :

جئت سيدي الشيخ لكي أتقدم بتهاني بالعيد السعيد •

الشيخ أحمد :

مرحبا بك ، أعاده الله على الأمة أجمعين بالخير والسؤدد •

أحدهم :

وكيف يرى سيدي الشيخ اطلالة العيد هذا العام ؟•

الشيخ أحمد :

يا صاحبي ، لي في العيد أمنيات غاليات ، ولا أحب أن يمر

العيد الا مزدهيا بتحقيقها ، وبهذا يكون العيد عندي لو نالت البلاد ما تريد ، وأفلحت قضايانا الوطنية • هذا لكي لا نقول : عيد بأية حال عدت يا عيد •••

أحدهم :

ولكن ••• لا بد لكل منا من الاحتفاء بالعيد على طريقته •

الشيخ أحمد :

اسمع ما كتبته البارحة في هذا الصدد ، قلت : « يا عيد عذرا ان لم نحتف بك ونرفع من شأنك وأنت الرفيع الشان • لأننا نخاف على مقدرات أمة عربية عبس لها الزمان ، وغدر بهـا الاخوان ، وشتان بين الدمعة والابتسامة • يا عيد ، ان فرح القوم بعيدهم ، ومرح الأولاد بجديدهم ، فالعيد والجديد عندنا آمال أمة وأمانيها » •

يا عيد ، أرأيت كيف غدر الاقوياء بالضعفاء ، وكيف خان العهود الحلفاء وكيف ضاعت سنة الوفاء •

يا عيد أين ذهب جهاد العرب ، وكيف ظلت دماء شبان العرب، اذهبت وتذهب سدى ، أم فاز بتراثها العدى ؟•

يا عيد ، ما أهاب بنا الى مخاطبتك ، وما حفزنا الى معاتبتك ، الا الدم الذي يغلي في أجسامنا ، وتلك الآمال التي خابت بها أحلامنا ، فكنا وحالنا كما سمعت من الشاكين :

« وكيف أعبر عن حالة ضميرك مني بها أعرف »

أحدهم :

يردد : وكيف أعبر عن حالة ضميرك مني بها أعرف

الشيخ أحمد :

يا عيد ، هل تأتي بعد الآن وقد انضوت تحت لواء المروبة الآمال ، ونال العرب والشرق ما ينشده من حرية واستقلال ؟•

يا عيد ان حققت لنا الآمال ، وأعدت لنا هذه الذكريات ، فأهلا بك · يا عيد انا أحببنا وطننا حبا لا تشوبه تلك الشوائب التي يتستر بها الكثيرون · لذلك نثلنا لك صراحة ما في كنانتنا ، على هذا نستقبل العيد،ونهنيء · وانا على هذا العهد لمقيمون ·

— موسيقى —

— ٢ —

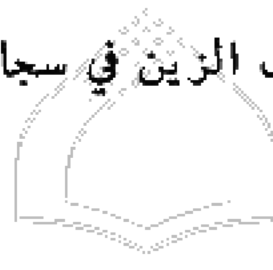
(ولم تن للشيخ أحمد عارف الزين قناة في مناهضة الاستعمار ومقاومة الجهل والجمود · ومضى معتصما بروح البسالة والاقدام ، وبشغفه بالحرية والمثل العليا ، ونزوعه الى الاسهام في الكفاح الوطني التقدمي فلقي على يد المستعمرين وصنائعهم العديد من ضروب العسف والاضطهاد ، كان أولها سنة ١٩١١ زمن المجلس العرفي البغيض ، وقد تتالت بتوالي نضال الشيخ ضد الانتداب الفرنسي ،حيث اعتقل سنة ١٩٢٥ بتهمة «مناصرة الثورة السورية» · ثم اعتقل ثانية سنة ١٩٣٦ وعقب الافراج عنه بعث اليه الفرنسيون بالمستشرق الشهير « لويس ماسيتيون » يعرض عليه مطابع حديثة لمجلته العرفان ، بالاضافة الى منصب رفيع اذا هادن الانتداب · لكن الشيخ هزأ بها جميعا واستمر في جهاده الصابر بعزيمة لا تلين) ·

وظلت « العرفان » الصوت الوحيد الذي يحمل أصداء حياة الجنوب وجبل عامل جميعا وما زالت بعهدة عميدها الأستاذ نزار الزين · وظل صاحبها يهتم بأحوال الجنوب وبأحاسيسه الادبية والشعرية واللغوية · وقد أسهم في جميع المؤتمرات الوطنية والعربية والاجنبية التي عقدت من أجل الاستقلال ، ووحدة العرب · كما أنه شارك في المجلس الوطني لانصار السلام في لبنان وحضر العديد من مؤتمراته الوطنية والدولية · وبقي شعلة وقادة من الجهاد والجسارة الادبية الى أن وافاه الأجل سنة

١٩٦٠ في مشهد الامام علي بن موسى الرضى ودفن هناك ·

لم يترك الشيخ أحمد عارف ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية الا وعالجها في « العرفان » طوال نصف قرن · وقد خلف من التآليف : « تاريخ صيدا » ، وكتاب « العراقيات والعامليات » وهو مجموعة دراسات أدبية وشعرية ، وقصة « الحب الشريف » وهي رواية تدور حوادثها في جبل عامل · و « حقائق ودقائق » و « مجمع البيان في تفسير القرآن » للامام الطبرسي · وكتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني وقد حققهما وقدم لهما ·

(الشيخ أحمد عارف الزين في سجال له حول الوطنية) ·



الشيخ أحمد :

لطالما سمعت الكثيرين يتحدثون عن الوطنية ويزايدون · اللهم اشهد انني لم أكن يوما الا من الصادقين ·
ويا أيها الذين عمهوا في الفهم الخاطىء لكم مفهومكم للوطنية ولي مفهومي ·

لكم وطنيتكم المبنية على الاعراض والاغراض،ولي وطنيتي المؤسسة على الجوهر والعقيدة الراسخة ·

لكم وطنيتكم المشوبة بالمطامع والمنافع ، ولي وطنيتي التي لا تشوبها الشوائب ·

لكم وطنيتكم التي تذبل أزهارها وتتساقط أثمارها ، ولي وطنيتي التي تزدهر أزاهيرها ، ويفوح عبيرها ·

لكم وطنيتكم التي يلفظها التاريخ من فيه ، لانها عفنة ، ولي وطنيتي التي يحفظها التاريخ في صدره ·

لكم وطنيتكم التي شاخت وهي في طفولتها ، ولي وطنيتي التي تزداد نضارة وشبابا .

لكم وطنيتكم التي أذابها ملح أعداء الوطنية ، ولي وطنيتي المحلاة بشهد أنصار العربية .

لكم وطنيتكم التي غرست في أرض سبخة ، وسقيت بماء آجن ، ولي وطنيتي التي نبتت في أرض خصبة ، وسقيت بماء أصفى من البلور .

لكم وطنيتكم التي تبين لدى الحك انها مزيفة ، ولي وطنيتي التي يزدها المحك بريقا ولمعانا .

لكم وطنيتكم التي كشلت عاقبتها وساءت خاتمتها ، ولي وطنيتي التي ستكلل بالظفر عواقبها ، ويكون ختامها مسكا ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

ألا طبتم أبناء شعبي احياء بحياة الوطنية الحق ، وطابت بكم الوطنية ، يوم على نصرتها تجمعون .

* * *



همسة

عنوان رقي الأمم الاهتمام بكتّابها وعلمائها •
ومقياس حضارة شعب مساهمته في تخليد مناضليه • فاي نضال أشرف من الكلمة الجريئة تجلجل في دنيا الظلم ، وأي عمل أنبل من نشر نــور المعرفة ليهزم جحافل الجهل والتخلف ، وأي منارة أجدر بالعناية والرعاية من مجلة أو صحيفة نذر صاحبها نفسه في سبيــل رسالتهــا الوطنيــة والقوميــة والاسلاميــة والانسانية •

واذا كان المعنيون بالفكــر والثقافــة في لبنــان قــد خصصوا سنة عالمية لبعض الأدباء اللبنانيين ، فالمطلوب منهم بمناسبة اليوبيل الماسي لمجلة العرفان أن يخصصوا لصاحبها الاديب والمفكر والعالم الجليل الشيخ أحمد عارف الزين سنة عالمية اعترافا بما قدمه هذا الفارس العلم من معرفة حقيقية انسانية شاملة أثرت الفكــر اللبناني وأعطته قيمة فعلية على المستوى الوطنــي والقومي والعالمي •

فقدسية الكلمة لا تنكر ، وفضل ناشرها لا يضاهى !!

داود بيرم

الشيخ أحمد عارف الزين

عرفانه ضياء
وجهاده بناء

بقلم : داود بيرم

فالحديث عنه كعلم من أعلام أمتنا ، دخول في عالم المعرفة ، ومحراب الكلمة ، وفيء الجهاد لغد أفضل ٠

فمنذ أبصر النور نهل من معين عائلته العريقة في التقـوى والعلم والنضال عشق المعرفة وحب الوطن ، واكتسب من تلك الأرومة الاصيلة قوة العزيمة والجرأة في الحق ٠

وعندما شب هاله ما تقاسيه أمته العربية والاسلامية عامة ووطنه ومنطقته (جبل عامل) خاصة من مرارة الجهل والفقر والمرض ، فحمل الأمانـة على درايـة واعيـة منه بأهميتهـا وخطورتها ، وعظم المسؤولية ومدى التضحية في الحفاظ عليها ٠

الأمانة ، ما الامانة ، وما أدراك ما الامانة ، يوم كان الناس يعانون لوثة البدع والخرافات بابتعادهم عن الدين الاسلامي الحنيف الذي جاء به سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مبشرا وهاديـا ، ويعيشون حالـة التخلـف الحضاري للتحجر الفكري والأمية المتفشية في حياة الكثيرين ، والذين ان تعلـم بعضهم فنذر يسير من القراءة والكتابة لا يكشف غموضـا ، ولا يساعد على تبيان حقيقة ٠

والظلم يمارس بلا هوادة من قبل الاتراك ثم الفرنسيين ، يعاونهم في الداخل مـن هم أشبـاه الرجال ولا رجـال ، ماتت

ضمائرهم فباعوا أوطانهم وتنكروا لأبناء وطنهم طمعا في ثروة أو رغبة في جاه ٠

فانبرى فريق من حملة الاقلام ، أصحاب الافكار النيرة الى انشاء الصحف والمجلات ايمانا منهم بأنها أفضل وسيلة لتهذيب الشعوب وتنوير العقول ، وخير عامل على رقيها ونجاحها ، وأسس شيخنا الجليل أحمد عارف الزين مجلة (العرفان) فكانت ينبوع دراية ونبراس هداية ، ومنبرا حرا لقرائح ومواهب فتية ، وميدانا لافكار ومعارف غنية ، وجعل شعار عرفانه قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وثنّاه بقول الرسول العظيم محمد بن عبد الله : (تعلم العلم من المهد الى اللحد) ٠ فلم يترك ناحية من نواحي الحياة العقلية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والادبية الا وعالجها في عرفانه ، لاعتقاده بأن العرفان مدرسة سيارة ، العلم فيها لا يقتصر على نوع معين من المعرفة بل العلم الصحيح هو الاحاطة بكل فكر انساني وديني يهدف الى سعادة الانسان ، والعالم الحق لا يعني رجل الدين فحسب ، بل العالم من تمكن من كسب المعارف وسخرها لصالح مجتمعه وأمته ، أي تعلم العلم وعمل بما فيه بكل ما أوتي من قدرة فكرية ٠

والكتابة عنده لم تكن وسيلة لكسب مادي ، أو تزلف لصاحب جاه ، بل آمن بها رسالة خلقية لمحاربة الزعماء المستبدين لرفع ظلمهم وطغيانهم عن كاهل المواطنين ، كاشفا ما جاهدوا في ستره ، موضحا ما حاولوا تمويه حقيقته ، داعيا الى الاصلاح ومكافحة الرشوة ، عملا بهدي الاسلام (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ٠٠٠) ، مبشرا بالحرية وأهميتها في حياة الفرد والجماعة مدافعا عن الحق والحقيقة ، مسترشدا بالقول السديد : (لمَ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) ، شاهرا سيف الكلمة الصادقة والصريحة في وجه البغي والعدوان سواء أكان

من دخيل مستعمر أو حاكم مأجور ، (أفضل الجهاد عند الله كلمة حق تقال في وجه سلطان جائر) • وضاقت صفحات (العرفان) فأردفها شيخنا بجريدته (جبل عامل) دعا فيها الى الوحدة العربية معتبرا خلاص العرب من أوضاعهم المتردية يكمن في العمل على تحقيقها ، معتزا بعروبته مرددا نشيده المحبب الى قلبه :

ان تسل عني فهذا نسبي عربي عربي عربي

وقد آلمه ما حل بالعرب من نكبة ومآس ولا سيما في فلسطين فآمن بوحدة النضال العربي والاسلامي (يد الله مع الجماعة) فدعا لها وسعى سعيها ، ايمانا منه بأن النضال ضد الاستعمار والصهيونية جهاد في سبيل الله ، والعرب والمسلمون مدعوون لنبذ الخلافات والصراعات فيما بينهم ليكونوا أشداء على أعدائهم رحماء فيما بينهم ، فالله يحب أن يكون الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا ، والتنازع والتقاتل يؤدي الى الفشل والهلاك وسوء العاقبة والمصير ، وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله •

واذا أولى شيخنا الجليل قضايا الأمة العربية والاسلامية الاهتمام الكبير ونادى بالاصلاح مع معاصرين له نهجوا طريقه كالأمير شكيب أرسلان ، والكواكبي والشيخ رشيد رضا والسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ، فانه لم يغفل لحظة عن معالجة الاوضاع الوطنية ، فجعل شعار جريدته (جبل عامل) حب الوطن من الايمان • وليس أدل على حبه لوطنه من الاهتمام بالناحية التربوية والتعليمية لخطورتها في تربية النشء وتكوينه خلقيا وفكريا ، فدعى الى ايجاد المدارس الوطنية والاكثار منها حفاظا على الشخصية الوطنية ووصل حاضرها بماضيها من أجل مستقبلها ، لأن المدارس الاجنبية التي انتشرت في ربوع لبنان ولا سيما بعد أحداث ١٨٦٠م ، لم تكن غايتها ــ في نظره ــ السعي للنهوض العلمي والثقافي بأبناء الوطن ، بل همها التبشير

بأهدافها التي تخدم مصالحها وخدمة فئة معينة من المواطنين دون سواها ، وايجاد جماعة من المتعلمين القياديين الذين ينهجون في مراكزهم وفق رغباتها •

ولا يعني هذا أن الشيخ أحمد عارف الزين كان كارها للحضارة الوافدة على ربوعنا ، بل نراه تعلم اللغة الفرنسية والانكليزية ، وظل عقله عصريا منفتحا لم تربكه التيارات المختلفة ، بل كان ابن عصره ، رفض القشور وسعى نحو الحقيقة ، نادى بالحفاظ على التراث والأخذ بكل جديد صالح لمساعدة الوطن والأمة للنهوض من كبوتها • فهو كعربي رأى مصلحة بلاده في الحياد الايجابي بين المعسكرين المتنافسين المتناحرين ، وهو كمسلم كره الجمود ، وأحب لنفسه ولقومه التطور • والى جانب القضية التربوية والتعليمية كان له نظرية محددة في سبيل الاستقلال الاقتصادي والذي اعتبره صنو الاستقلال السياسي • فرأى ضرورة الامتناع عن شراء البضائع الاجنبية أو الترويج لها وتشجيع البضائع الوطنية ، وتمكين صغار التجار من الحصول على قروض بسيطة الربح ،والاهتمام بالاصلاح الزراعي بتقديم التسهيلات اللازمة لتوفير الآلات الزراعية الحديثة للفلاحين وتشجيع الزراعة بشتى الوسائل الممكنة ، وايجاد صناديق للتوفير أو الاقتصاد لتكون عونا للفرد حال فقره أو عجزه ، وتأليف جمعية للاستقلال الاقتصادي تعمل على بث روح الاقتصاد في البلاد ولا تدخل بها السياسة العالمية ولا السياسات المذهبية •

وبعد / فتحية اجلال لك في ذكراك ، وحسبك أيها العالم المجاهد علواً في الحياة وفي الممات ، ولتقر عينك في عليائك ، فغرسك مورق ، وثمره يانع رغم المحن والأعاصير ، وعرفانك باقية ــ باذن الله ــ بقاء الضاد وجبل عامل رمز العزة والاباء ، ومنارة الثقافة والفكر والعطاء •

العدد الممتاز ٨ و ٩ و ١٠ مجلد ٦٩ ، تشرين الاول « اكتوبر » تشرين الثاني
« نوفمبر » كانون الاول « ديسمبر » ١٩٨١م الموافق ذو الحجة
ومحرم وصفر ١٤٠١ ـ ١٤٠٢هـ

علم، أدب، فكر، سياسة

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
١	صورة مؤسس العرفان	
٢	عزيزي القاريء	نزار الزين
٣	تكريم العارف ومناصرة عرفانه	الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
٣	تكريم العرفان وصاحبها	السيد محسن الامين
٤	الدفاع عن كرامة الحق وشرف الحقيقة	السيد محسن الحكيم
٥ ـ ٦	الفقيد العظيم	الشيخ عبد الكريم الزنجاني
٧ ـ ١٧	الشيخ وعرفانه	زهير مارديني
١٨ ـ ٢١	الشيخ أحمد عارف الزين : حكايته	صدر الدين شرف الدين
٢٢ ـ ٤٢	عالم أديب مجاهد ومجلة رائدة	شفيق الارناؤوط
٤٣	صورة الشيخ مع قسم من عمال مطبعته	
٤٤	رثاء سنوي للصديق العظيم صاحب العرفان	الدكتور زكي المحاسني
٤٥ ـ ٤٧	بارك الله التكريم والمكرم والمكرمين	السيد عبد الحسين شرف الدين
٤٨	جهاد في سبيل الحق	الشيخ محمد كامل القصاب
٤٩ ـ ٥١	سوق عكاظ والعلماء والادباء	الدكتور شريف عسيران
٥٢ ـ ٥٥	صاحب العرفان	عبد العزيز سيد الاهل
٥٦ ـ ٥٩	الشيخ البطل	بولس سلامة
٦٠ ـ ٦١	رسالة الى العرب والمسلمين	الدكتور عمر فروخ
٦٢ ـ ٦٣	صدق جهادك	الدكتور عيسى الناعوري
٦٣ ـ ٦٤	العرفان ساحة جهاد	الياس فرحات
٦٥ ـ ٦٧	يا دولة الادب السامي	محمد علي الحوماني

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر
٦٨ ـ ٦٩	تحية من العراق	محمود الحبوبي
٧٠	يا صاحب اليوبيل	عبد الرؤوف الامين
٧١ ـ ٧٦	أحمد عارف الزين	الدكتور محسن جمال الدين
	رسول من رسل الانسانية فقدناه	
٧٧ ـ ٧٩	حجة للشيوخ وحجة للصحافة	عبد الله القلقيلي
٨٠	مهرجان العلم والجهاد	زهير عسيران
٨١ ـ ٨٣	الصحافة الرصينة	سعيد أبو الحسن
٨٤ ـ ٨٦	سقيا لهذه الوجوه ما أكرمها وما أطهرها	كامل مروة
٨٧ ـ ٨٩	انسان الطيبة أحمد عارف الزين	رئيف خوري
٩٠	مشهد من احدى الحفلات التذكارية	
٩١ ـ ٩٣	لقد كنت أمة وحدك وتاريخا	رشيد بيضون
٩٤ ـ ٩٦	الاقربون أولى بالمعروف	الدكتور بطرس ديب
٩٧ ـ ٩٨	حفلة تأبين فقيد العروبة أحمد عارف الزين	
٩٩ ـ ١٠٣	الشيخ أحمد عارف الزين البطل المجاهد	د. محمد عبد المنعم خفاجي
١٠٤ ـ ١٠٦	وقف الجهاد	السيد عبد اللطيف فضل الله
١٠٧ ـ ١٠٩	سيد الكلمة المهذبة	سعيد عقل
١١٠ ـ ١١٣	يوم كانت الكلمة تحرق شفتي قائلها	الشيخ عبد الله العلايلي
١١٤	أزف الليل « شعر »	بولس سلامة
١١٥ ـ ١١٨	شيخة المجلات	عبد الله المشنوق
١١٩ ـ ١٢٧	آمنت بعبقرية القلم	عبد اللطيف اليونس
١٢٨ ـ ١٣٠	لقد كنت أمة وحدك	روكس العزيزي
١٣١ ـ ١٣٢	العارف الله	عبد المطلب الامين
١٣٣ ـ ١٣٤	اعلامة الجيل	يوسف أبي رزق
١٣٥ ـ ١٤١	العظيم لا يموت ولكنه يرتفع منارا	عبد الكريم الحمود
١٤٢ ـ ١٤٣	زفرات واحساسات	محمد كامل شعيب العاملي
١٤٤ ـ ١٤٨	المجاهد المثالي	محمد قاسم كزما
١٤٩ ـ ١٥١	الصفحة المشرقة في عالم الخلود	فاضل خلف
١٥٢ ـ ١٥٤	مجاهد يغيب	كاظم حطيط

الصفحة	الموضوع	الكاتب أو الشاعر
١٥٥ ـ ١٥٦	كلمة حق في موقف الحق	أنيس ملحم جابر
١٥٧ ـ ١٦٠	عبر اثنين وثلاثين عاما	كامل مروة
١٦١ ـ ١٦٢	رأس كل حركة قومية ونهضة وطنية	جريدة الايام
١٦٢	الشيخ أحمد عارف الزين	جريدة العمل
١٦٣	الفقيد الكبير	القلم الصريح
١٦٣ ـ ١٦٤	اسبوع الشيخ أحمد عارف الزين	الكفاح
١٦٤	الفقيد العلامة أحمد عارف الزين	اليوم
١٦٥	في ذمة الله فقيد الادب والفضيلة والصحافة العربية	النصر
١٦٥ ـ ١٦٦	مات الشيخ أحمد عارف الزين	النداء
١٦٧ ـ ١٦٨	لم يصدق الناس النبأ	الهدى
١٦٩ ـ ١٧٠	المكافح المجاهد حتى يومه الاخير	الجمهور الجديد
١٧١ ـ ١٧٢	ان الاديب رسول الخير في وطن	العصر
١٧٣	فارس عقائدي باسل	النهج
١٧٤ ـ ١٧٩	الشيخ احمد عارف الزين ذلك الوجه الوطني الذي لن يغيب	الدكتور حسين مروة
١٨٠ ـ ١٨١	مقدار الاسف على صاحب العرفان	محمد يوسف مقلد
١٨٢ ـ ١٨٤	تشييع لم تشاهد خراسان مثله	صحف ايران
١٨٥ ـ ١٨٨	فقيد العروبة والعربية	محمد قره علي
١٨٩ ـ ١٩١	الشيخ أحمد عارف الزين مثل أعلى في الاخلاص والجرأة والصراحة	الشيخ محمد جواد مغنية
١٩٢ ـ ١٩٦	المجاهد العربي الكبير احمد عارف الزين	خضر عباس الصالحي
١٩٧ ـ ٢٠٠	القرآن ـ العرفان أبجدية حياته ومماته	جعفر شرف الدين
٢٠١ ـ ٢٠٢	حقق في نصف قرن ما تعجز دولة كبرى عن تحقيقه	ملحم كرم
٢٠٣ ـ ٢٠٥	الله في الصالحين	شكر الله حداد
٢٠٦ ـ ٢٠٧	أيوبيلك الخمسون أم عرس فاتح	ابراهيم شرارة
٢٠٨ ـ ٢١٠	أيها الشهيد لبنان أين المصلح المجاهد صاحب العرفان	الجديد
٢١١ ـ ٢١٦	الشيخ أحمد عارف الزين	الدكتور ميشال سليمان
٢١٧ ـ ٢٢١	السنة العالمية وشيخ العرفان	داود بيرم



العرفان

تأسست سنة ١٣٢٧هـ

مجلة ثقافية سياسية شهرية   العدد ١/٧٠   ربيع الأول ١٤٠٢هـ - كانون الثاني ١٩٨٢م

كلمتي

تأسست مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ في الوقت الذي ندرت فيه المجلات في العالم العربي ، وقارعت الاستعمارين العثماني والفرنسي ، فاقفلت عدة مرات وشرد مؤسسها المرحوم الشيخ احمد عارف الزين، وحكم عليه بالسجن والغرامة والنفي . وبالرغم من كل ما واجهته من صعوبات ظلت المجلة سائرة تنشر العلم والمعرفة والوطنية في جميع الانحاء بينما اقفلت نظيراتها في العالم العربي ولم تقدر على الاستمرار . وتخرج منها عدد كبير من الادباء والشعراء والمثقفين .

وبعد وفاة مؤسسها في شهر تشرين الاول سنة ١٩٦٠ تابع ابنه نزار الرسالة التي أسسها والده ، وواجه الاهوال والمصائب بشجاعة ، فسرق منزله وتحطم، وسرق مكتبه ، ومكتبته الفريدة من نوعها ، وأصبح بلا منزل ولا مكتب ، ومع ذلك ظلت تصدر العرفان لتظل كما كانت صوت الشعب المظلوم . ومن شدة المصائب التي مرت عليه انفجر دماغه في ٢٠ تموز سنة ١٩٨١ . وانهى بوفاته المجلد ٦٩ من المجلة.

بعد ثلاثة ارباع القرن من تأسيسها لم تعتمد « العرفان » على دولة او حاكم ، او على زعيم ، او على متنفذ ، بل كانت من الشعب والى الشعب المؤمن الصادق الوفي .

فباسم هذه الرسالة الوطنية الشريفة ، تطل « العرفان » على العالم من اجل المحافظة على التراث الفريد الذي بنته منذ تأسيسها . واننا نرحب باقتراحاتكم وملاحظاتكم وآرائكم .

المحرر

العرفان

مجلة سياسية ثقافية مستقلة
تصدر في مطلع كل شهر
سنتها عشرة اشهر
مؤسسها سنة ١٩٠٩م
احمد عارف الزين
صاحبها من ١٩٢١ الى ١٩٨١
نزار الزين
جميع المراسلات باسم المدير
فؤاد زيد الزين
صندوق البريد ـ ٤٧٥٠ ـ بيروت ـ لبنان
هاتف ٣٥٢٥٥٠
الاشتراك السنوي :
في لبنان وسورية : ٥٠ ل٠ل٠
في الخارج : ١٢٠ ل٠ل٠
فيجميع الاقطار بالبريد الجوي: ٤٠ دولارا
ثمن العدد :

لبنان ٥ ل٠ل٠	ابو ظبي ٥ دراهم
سورية ٦ ل٠س٠	دبي ٥ دراهم
الاردن ٥٠٠ فلس	مسقط ٢٠٠ بيسة
الكويت ٥٠٠ فلس	اليمن ٦ ريالات
قطر ٥ ريالات	العراق ٧٠٠ فلس
البحرين ٥٠٠ فلس	تونس ٧٠٠ مليم
السعودية ٥ ريالات	المغرب ٨ دراهم
عدن ٧٠٠ فلس	الجزائر ٦ دنانير

وكيل التوزيع العام :
الشركة العربية للتوزيع ش٠م٠ل٠
تلفون : ٣٤٧٩٠٠
ص٠ب : ٤٤٢٨
تلكس : ارابكو ٢٣٠٣٤
بيروت ـ لبنان

الفهرســت

الصفحــة

٣	جبل عامل	حسن الامين
٧	القرآن الكريم : رسـالة الله الى الانسـان في المبدأ والمعاد والمعاش	د. معروف الدواليبي
١٦	تلك المعاني المهجورة	عبد اللطيف شرارة
١٩	الصراع السياسي وتطور السلطة في مكـة قبل الاسلام .	د. ابراهيم بيضون
٢٦	جبل عامل في العهد الشهابي	العميد الركن د. ياسين سويد
٣٣	عودة الكلمة والتعبير بالمداورة	د. عباس مكـي
٣٨	من تاريخ دمشق	عيسى فتـوح
٤٢	المدخل الى الوفاق الوطني	هشام قبلان
٤٧	اهل الكتاب في المجتمع الاسلامي	حسن الزين
٥٤	قصة امراض القلب	د. محمد ياسين
٥٧	ازمة التعليم في لبنان	الياس مرعي
٦٥	قصـة : حارس البناية	د. رشاد ارغوث
٧٣	يـا ام هاني ــ شـعر	موسى الزين شرارة
٧٥	ذكريا تمدرسية ــ شعر	فتى الدواوير
٧٦	من وحي الجنوب ــ شـعر	ابـن الجنوب
٧٧	أبواب العرفان	
٧٨	خــواطر	نصرت توفيق حرفوش
٧٩	مع الخـــالدين	سمير شيخـــاني
٨٣	كتــب	
٨٦	صــــحة	د. حافظ الزين
٨٨	مراسلة ومناظـــرة	
٩٠	زراعـــة	
٩١	اقتصـــاد	
٩٢	السؤال والجواب	
٩٣	مع الاحـــداث	

جبل عامل

بقلم : حسن الامين

اصل اسم جبل عامل هو : « جبال بني عاملة » . ثم صار : « جبال عاملة » . ثم صار : « جبل عاملة » . ثم : « جبل عامل » .

وبنو عاملة الذين نسبت اليهم هذه الجبال هم : بنو عاملة بن سبأ ، القبيلة اليمانية التي هاجرت من اليمن ونزلت هذه الجبال (١) .

ويقع جبل عامل في جنوب الجمهورية اللبنانية على شاطىء البحر المتوسط ممتدا حتى حدود فلسطين الشمالية . ومن هنا لحق به اسم « الجنوب » .

حدوده

المستفاد من تحقيقات علماء هذه البلاد ومن توجيه نسبة العاملي عند متقدميهم لمن خرج من قرى هذه الناحية من العلماء ان حد هذه الجبال او هذا الجبل يبتدىء من الشمال بمصب نهر الاولي شمال صيدا ؛ فتدخل مدينة صيدا فيه ، ثم يذهب صعدا الى الشرق شمالي قرية البرامية ويتجاوز في خطه قرية « روم » من جهة الشمال الى ان يصل الى « جزين » فيضم اليه واديها وشالوفها ويقطع جبل النومات منحدرا الى مشغرة ويتصل بنهر الليطاني من شمالي سحمر ثم يذهب الى ان يحط على ينبوع نهر الحاصباني وينجه عندئذ جنوبا على مجرى النهر المذكور فيدخل فيه جبل الظهر ومشغرة وعين التينة وميذون وسحمر ويحمر وقلية وزلاية ولوسه من قرى البقاع الجنوبي ، وتدخل فيه قرى كوكبا وبرغز وسوق الخان من ناحية حاصبيا . ثم ينتهي هذا الخط على ضفة بحيرة الحولة الغربية وينعطف غربا جنوبي مقام « يوشع » وشمالي « الهراوي » ويمتد غربا فيتبع مجرى وادي « فارة » وينتهي عند مصب « وادي القرن » جنوبي قرية « البصة » التي كانت مدار نزاع بين العامليين وحكام عكا وصفد .

ولكن بعضا اخر من العامليين لا يرون التوسع في حدود جبل عامل على هذه الصورة ؛ بل يخرجون منه جبل الظهر وقرى مشغرة وعين التينة وميذون وسحمر ويحمر وقلية وزلاية ولوسة ؛ كما ينفون ان تكون قرى كوكبا وبرغز وسوق الخان والخالصة ضمن حدود الجبل .

(١) تفرد صاحب كتاب (العرب قبل الاسلام) المنسوب للاصمعي بالقول ان « عاملة » هو عاملة بن الحارث بن مالك بن ربيعة .

وان ما حمل السابقين على التوسع في حدود جبل عامل ان عددا من اعلام القرى التي ذكرناها ومنها مشغرة نسبوا الى جبل عامل ولقب كل منهم بالعاملي . والظاهر ان هذه النسبة انما هي من باب التغليب ، كنسبة عدد من اعلام قرية « كرك نوح » الى جبل عامل وتلقيبهم بالعامليين ، مع ان احدا لم يقل ان كرك نوح هي من جبل عامل (٢) .

مساحته

يبلغ متوسط طوله من الجنوب الى الشمال نحوا من ثمانين كيلومترا ومتوسط عرضه (اذا جعلنا منتهاه من الشرق الجنوبي ضفة بحيرة الحولة ومن الشرق الشمالي منتهى جبل الظهر) الى ساحل البحر نحوا من اربعين كيلو مترا فيكون مربع المساحة نحوا من ثلاثة آلاف ومائتي كيلو متر .

العرب في جبل عامل

قلت في مطلع الكلام ان تسمية جبل عامل بهذا الاسم تعود الى القبيلة العربية اليمانية « عاملة بن سبأ » ، فالجبل عربي اصيل في عروبته .

ولكن الى اي زمن يعود وجود العرب فيه ؟

الذي لا ريب فيه ان وجود العرب في جبل عامل يعود الى ما قبل سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، اي الى قبل حصار الاسكندر لمدينة صور . فعند حصار الاسكندر لها كانوا موجودين . لكن الذي لا نعرفه ، هو الى متى يمتد زمن وجودهم قبل الحصار . ونكتفي هنا بايراد بعض النصوص :

جاء في الصفحة ٥٤١ من Revue Biblique « ريفيو بيبلبك » في بحث عن الاسكندر في سوريا وفلسطين بقلم الاب ف.م.ابل : « وخلال حصار الاسكندر لصور وبينما كان يسلح اسطوله ويضع آلات القذف والهجوم، اذا به يعلم ان ثلاثين من رجاله قتلهم عرب من لبنان بغتة » .

وذكر كنتوس كورثيوس المؤرخ الروماني الذي كتب في عهد الامبراطور كلاوديوس تاريخ الاسكندر (٤١ — ٥٤ ب.م) في عشرة كتب : « حدث ان هاجم المكدونيين بعض الفلاحين العرب على جبل لبنان فقتلوا حوالي ثلاثين منهم واسروا بعضهم » .

ثم يقول : « وعهد — اي الاسكندر — بالاشراف على الاعمال الى اثنين من قواده وزحف بقسم من الجيش الى بلاد العرب » وهذه العبارة وردت في الفقرة ١١ من الكتاب الرابع .

وقال الدكتور اسد رستم في مقال له : « والاسكندر الكبير اذ تحدته صور وصمدت في وجهه واضطر ان يحاصرها حصارا طويلا . أحب في يوم من ايام الحصار أن يروح عن النفس برحلة صيد قصيرة ، فقام من ضواحي

(٢) الشيخ احمد رضا في مجلة العرفان .

صور ممتطيا جواده واتجه شرقا متسلقا جوبا وتبنين ، فوجد نفسه فجأة بين قوم من العرب . هكذا يقول اريانوس اقدم من ارخ للاسكندر واقربهم اليـــه زمنا » .

ولكن كيف كانت الحياة العربية قبل وصول الاسكندر وبعد وصوله إلى اول الفتح الاسـلامي ؟

ان احدا لا يستطيع الاجابة على هذا السؤال .

الفتـــح الاســلامي

وفي العام الثالث عشر للهجرة دخل المسلمون الفاتحون مدينة صيـــدا وصـور وغيرها . وبذلك دخل جبل عامل فيما دخل فيه غيره من البــلاد المفتوحة ، وصار جزءا من ذلك المدى الواســـع الذي ذابت فيه جميـــع الكيانـــات .

ومن هنا اننا لا نطمع في ان نجـــد لجبل عامل ملامح خاصـــة في تلك الفترة ، ولا ان يكون له ما يميز تاريخه عن تاريخ غيره من الاقطار فيما عدا شيئا واحدا ظل على طوال العصور ميزة جبل عامل وطابعه الفريد . واعني به الفكر والشـعر والادب .

ففي العهد الاموي يبرز لنا من جبل عامل شاعر موهوب رفيع الصوت، يزاحم جريرا والفرزدق ذاك هو عدي بن الرقاع العاملي الذي كان فـــي الطليعة من شـعراء ذلك العهد .

وتمضي السنون خلال العهديـــن الاموي والعباسي ، ولا شيء يميز جبل عامل عن غيره سوى الفكر والشعر والادب . فنرى خلال مطالعاتنا اسـماء عاملية متفوقـــة في شتى ميادــين الفقه والحديث واللغـــة والتفسير والتاريخ ، حتى والحرب والسياسة . فنسمع بأسماء بكار بن بلال العاملي وشهاب بن ابراهيم العاملي وهمام بن معقل العاملي وقبيس العاملي والحسن ابن محمد العاملي وابي سلمة الحكم العاملي وابي عبد الله العاملي وثعلبة ابن سلامة العاملي وسحيم بن وثيل العاملي ومحمد بن محمد بـــن سماك العاملي ثم الغرناطي وعبد المحسن الصوري وغيث بن علي الصوري واحمد ابن شبيب ابو زرعة الصوري والحسين بن احمد بن عبد الاحد الصوري ومحمد بن ابراهيم أبو عامر الصوري وابو عبد الله محمد بن علي الصوري الرحالة الذي وصل الى بيهق فانشد رئيسها ابا سعد بن منصـــور :

هل من قرى يا ابا ســعد بن منصور

لخادم قادم وافاك مـــن صور

وسليمان بن محمد الصيداوي وصالح الصيداوي ومحمد بـــن مكي الجزيني واحمد بن الحسين الصوري الجزينـــي وعلي الصائغ الجزينـــي وابو معن السمرقندي وغير هؤلاء ممـــن يعيا عنهـــم التعـــداد والاحصـــاء في كـــل عصر

واكثر من ذلك ان جبل عامل اصبح دار هجرة علمية يقصده لدراسة في معاهده ؛ وممن هاجر اليه لطلب العلم ناصر بن ابراهيم البويهي وعبد الله التستري واحمد بن فهد الحلي وابو مسلم وابراهيم ابنا محمد شبانة وغيرهم .

واول بحث منظم عن رجال الفكر والادب والعلم في جبل عامل هو كتاب « امل الامل » وكل الذين ذكرهم هذا الكتاب هم ممن ظهروا بعد القرن السادس الهجري .

وهكذا فان تاريخ جبل عامل بعد الفتح الاسلامي انما هو قبل كل شيء تاريخ الفكر والقلم ، وما عدا ذلك فتاريخ بسيط لا مأثرة فيه تسمو على سواه ، ولا ظاهرة تميزه على ما عداه من تاريخ البلاد العربية في شتى العهود ؛ فقد كان يخضع لما تخضع له ويسير في الركب الذي تسير فيه .

لقد راينا فيما تقدم انه في مفتتح العهد الاموي يبرز شاعر عاملي يباري اكابر الشعراء ويقتحم قصور الملوك والامراء .

وهنا يبدو لنا تساؤل لا بد منه : كيف تأتي لهذه المنطقة ان تبرز مثل هذا الشاعر اذا لم تكن عريقة في الشعر ؟! وما هي العوامل التي كونت شاعريته ومن هم الشعراء الذين سبقوه ؟ والواقع ان الذي عرفنا بابن الرقاع هو اتصاله ببلاط دمشق ومزاحمته لجرير والفرزدق ، ولولا ذلك لطمست اخباره . ومعنى هذا انه لا بد ان يكون سبقه غيره من الشعراء الذين ضاعت اخبارهم .

ثم كيف كانت الحياة العربية من قبل وما هي العوامل التي كونت شاعرية عدي بن الرقاع العاملي . ومن هم الشعراء الذين سبقوه ؟

كل ذلك طمسه التاريخ فلم يكشف لنا عنه . ولكن شيئا واحدا يلفت النظر ، هو ان مؤرخا ذكر اسم « الظرب بن حسان بن اذينة بن هويسن العاملي » وذكر انه ملك العرب في الوقت الذي كان فيه ملك الفرس سابور .

فمن هو هذا الملك العاملي وما هو مدى استقلاله وما هي رقعة ملكه وما هي حقيقة عصره ؟.

التفاصيل مجهولة والمصادر مفقودة ، ولكن في هذا القول الذي ذكره السمعاني في كتابه الانساب ما يشعر انه كان لبني عاملة ملك كالغساسنة والمناذرة ، وان ملكهم يسمى ملك العرب .

واذا كنا قد عرفنا الكثير عن ملوك الغساسنة والمناذرة فاننا لا نعلم اي شيء عن ملوك العامليين ، هذا اذا كان قد بقي لهم ملوك حتى اوائل الفتح . بل اننا لا نعرف شيئا لا عن الملوك فحسب ، بل عن الشعب وحياته وعلاقاته الاولى مع بني قومه الفاتحين وموقفه منهم وموقفهم منه .

بيروت **حسن الامين**

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

رسالة الله إلى الإنسان

"في المبدأ، والمعاد، والمعاش (١)"

بقلم د. معروف الدواليبي

١ — ان خير طريقة لوصل طلاب المعرفة بالقرآن الكريم هو ان نجرد لهم القرآن اولا من جزئياته وتفصيلاتها، وأن نردهم الى كلياته العامة، ومقاصده المحدودة في ثلاث. وهي تلك التي حملتها رسالة القرآن منذ أيامها الاولى، ثم ما لبثت هذه الرسالة ان اخذت بالتأكيد عليها في صور مختلفة، وبالايجاز تارة، وبالتفصيل تارة أخرى، وذلك حسب ظروف المخاطب، ومقتضيات الاحوال، واساليب التربية العلمية الناجحة، وفي خلال ثلاث وعشرين سنة.

٢ — اما هذه الكليات والمقاصد فهي:

اولا — العقيدة في « مبدأ » هذا الكون، وانه هو « الله ».

ثانيا — العقيدة في « معاد » هذا الكون ايضا، وانه الى « الله ».

ثالثا — الالتزام بشريعة « معاش » الانسان في حياته المرضية القصيرة على هذه الارض، وذلك من اجل سعادته في « معاشه ومعاده ».

والى هذه الكليات والمقاصد الثلاثة يشير الله سبحانه في قوله في القرآن الكريم: « انه يبدؤا الخلق ثم يعيده، ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون (٢) ».

٣ — هذا، وقد انطلق القرآن الكريم في كل ذلك من منطلقات حية واقعية لا تصنع فيها، وهي تحيط بكل انسان من وجوده بعد العدم الى

(١) اعتمدنا هذا التقسيم آخذا من الحديث الشريف الوارد في سورة « قل هو الله احد ... »، وسورة « الفاتحة »، فقد قال رسول الله: « قل هو الله احد ... » تعدل ثلث القرآن، وقال فيسورة « الفاتحة » انها « أم القرآن »، أي الجامعة لجميع مقاصد القرآن. وبالتأمل في سورة « قل هو الله احد .. » نجدها لم تتجاوز ذات الله باعتباره « المبدىء للكون »، ثم بالتأمل في « الفاتحة » نجدها تناولت « المبدأ » في « رب العالمين »، ثم تناولت « المعاد » في « مالك يوم الدين »، ثم تناولت « المعاش » في باقي السورة.

(٢) السورة العاشرة — يونس — الاية (٤).

عدمه من جديد ، وتدعوه الى التفكير الجدي في مصيره ، وقد بصره القرآن في كل ذلك ، والح عليه في صور مختلفة بوجوب استخــدام عقله وتفكيره وبحثه العلمي من اجل سعادته في الدارين .

٤ ــ وانه لمن المفيد ان نتناول موضوعنا ضمن الفقرات الموجزة التالية:

اولا ــ مقدمة في التعريف الموجز بشخص محمد عليه الصلاة والسلام ، تعريفا يلقي الضوء عليه . وعلى جملة الرسالة التي جاء يدعو اليها البشرية كلهـا .

ثانيا ــ معلومات عامة وموجزة ايضا عن القرآن الكريم ومقاصــد الرسالة القرآنية الثلاثة .

ثالثا ــ مكان التربية القرآنية العلمية في تحقيق مقاصد القرآن الثلاثة

مقدمة في التعريف بمحمــد

٥ ــ اما محمد عليه الصلاة والسلام فهو :

ــ ابن مكة واليتيم في ابويه منذ طفولته الاولى .

ــ ولقد نشأ وترعرع في كفالة عمه ابي طالب الحليف للفقر .

ــ ونشأ اميا كما جاء ذلك في القرآن نفســه ، وهو يتلى على الجميع في حياته ؛ يعرفه كل انسان حينذاك من مؤمن به وكافر .

ــ ولم يبلغ الخامســة والعشرين من عمره حتى أطلق عليه ابناء قومه لقب « الامين » كأبرز صفة من صفاته التي جعلته محببا الى الناس ومحمودا لديهم في سلوكه .

ــ وان امانته هذه ، وصدق حديثه ، وحرمة بني قومه له قد جعلت منه مستودعا لامانات الناس من مسلمين وغير مسلمين ، وكذلك جعلت منه قبل الاسلام الحكم الذي ارتاح له سادات قريش لحل اعظم مشكلة كادت تعصف بهم يوم تجديد بناء الكعبة .

ــ وان عقله وتفكيره النيرين قد حملاه منذ ايام شبابه الاولى على الابتعاد عن عبادة آلهة قومه من الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ، وعلــى الاعتزال من وقت لآخر في بعض كهوف الجبال تصفية للنفس ، وبحثا عن الحقيقة ، حتى جاءه الوحي بتكليفه بالبدء بدعوة بني قومه الى ترك عبادة الاصنام ، والى عبادة الله خالق السموات والارض ومن عليها ، مع أمــر الله لهم بالتزام اوامره في العدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وفي النهي عن كل ما هو قبيح فاحش ، وما هو مستنكر ، وما فيه عدوان وظلم .

٦ ــ ولقد دعاه سادة قومه المشركين الى ترك شتم اصنامهم ، والى ترك دعوته لعبادة الله وحده ، على ان يعلنوه ملكا عليهم لما عرفوا فيه من نجابة وخلق نبيل ، فأجابهم : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله ، او اهلك

غيبه » .

٧ — وحينما هدده اعداء دعوته بالقتل تحداهم القرآن الكريم علنا وقال : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ... والله يعصمك » — اي يحميك — من الناس (١) ... وقال القرآن ايضا : « يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون (٢) » ... وكذلك كان . وقد أتم محمد دعوته بكل اطمئنان الى وعد الله بحمايته ، وبانتصار دعوته . على الرغم مما قد مر فيه من حالات ضعف واضطهاد وتهديد ما كانت تبشر بالانتصار .

٨ — هذا ، وقد ميز القرآن صراحة ما بين شخصيتين لمحمد : فهو في الاصل رسول الله الى الناس فيما يبلغهم عن الله من ناحية ... ثم هو من ناحية ثانية وتبعا للاولى ولي امرهم للنظر في شؤونهم مدة حياته معهم على ان يبايعوه البيعتين : بيعة على الاسلام ، وبيعة على الطاعة له .

٩ — أما شخصية محمد الاولى فلا تخضع اعمالها الى اية مشورة مع الناس ، وذلك مصداقا لما جاء في القرآن : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته (٣) » .

١٠ — واما شخصية محمد الثانية التابعة باعتباره ولي امر المؤمنين عملا بما قد جاء في القرآن من قوله : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم (٤) » ، فقد أمره الله بمشاورتهم كما جاء في القرآن الكريم أيضا : « وشاورهم في الامر (٥) » ، وذلك لتكون سيرته معهم أسوة حسنة لمن بعده ممن يتولى امرا من أمورهم بموجب الشورى بينهم ايضا عملا بما جاء في القرآن الكريم : « وأمرهم شورى بينهم (٦) » ، حيث أعتبرت الولاية بعده من شؤونهم ، ولذلك تركت في ذاتها واشكالها لاختيارهم ، وتبعا لظروفهم المتطورة ، ووفقا لمصالحهم الزمنية المتغيرة ، حتى لا يكون هناك شكل ثابت فيما لا يمكن تجميده على شكل منذ ذلك الزمن كما هي سياسة التشريع القرآني في كل ما قد سكت عنه ، على ان لا يخرج عن روح الشريعة العامة في تلمس الخير والمصلحة للامة ، وعلى اساس المفهوم الشرعي القائل : « اينما كانت المصلحة فثم حكم الله ، وان لم ينزل به الوحي . ولا قال به الرسول » .

١١ — واخيرا فان محمدا قد مات بعد ان امر اهل بيته ساعة وفاته بأن يتصدقوا بجميع ما في بيته مما كان من الدراهم القليلة ، وحرم عليهم ان

(١) السورة الخامسة ـ المائدة ـ الاية (٦٧) .
(٢) السورة التاسعة ـ التوبة ـ الاية ٣٢ .
(٣) السورة الخامسة ـ المائدة ـ الاية (٦٧) .
(٤) السورة رقم (٣٣) ـ الاحزاب ـ الاية (٦) .
(٥) السورة الثالثة ـ آل عمران ـ الاية (١٥٩) .
(٦) السورة (٤٢) ـ الشورى ـ الاية (٣٨) .

يرثوا عنه شيئا مما قد تركه ، وقال في ذلك : « نحن معاشر الانبيـــاء لا نـــورث » .

١٢ ـــ وهكذا نشأ محمد فقيرا . ومات فقيرا ، وبشر بانهيار دولتـــي فارس والروم بعده أمام دعوة الاسلام . وكذلك كان . وترك ذريته واهل بيته لا يرثون عنه شيئا من متاع الدنيا ، على الرغم من سيادته الشاملة التي وضع المسلمون فيها جميع اموالهم وارواحهم تحت تصرفه .

١٣ ـــ واخيرا ختم رسالته مودعا وهو لا يفكر بغير سلام الانسان ، والعمل لخيره على اختلاف الاعراق والاجناس والاديان ، وقال في ذلـــك كله : « لا تعودوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » كما قـــال : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه انفعهم لعياله » .

معلومات عامة عن القرآن الكريم ومقاصد الرسالة القرآنية

(١٤) أ ـــ اما القرآن الكريم فهو : الكتاب الذي « انزله الله للنـاس » على محمد عليه الصلاة والسلام كما جاء في القرآن الكريم : « انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق . فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليهـــا (١) » .

ولم يخاطب في ذلك الا العقل ، ولم يدع الا الخير ، مع اعلان وحدة الاسرة البشرية من غير تمايز في الاعراق ، او الاجناس ، او الاوطان . وقد نقل الينا نقلا متواترا : حفظا وكتابة بطريق جماهير لا تحصى ، من لدن محمد حتى الان ، بصورة لا شك فيها . وهذا ما لم يتوفر مثله في النقل لاي كتاب سماوي اخر . وقد تعهد الله بحفظه فقال : « انا نحن نزلنا الذكر ـــ وانا له لحافظـــون (٢) » .

(١٤) ب ـــ وهو خاتم الرسالات السماوية السابقة . وقد قامت رسالته على اعتبار ان الانســان منذ خلق على الارض قد مر في تجارب كثيرة، وان هذه التجارب قد اكسبته معرفة وخبرة كافيـــة ، وانه لذلك لم يعـــد الانسان عملا بشريعة القرآن في حاجـــة الى قيادته عـــن طريق المعجزات وخوارق العادات ، بل قد آن الاوان لتحريره وعدم قيادته الا عن طريـــق خطاب العقل والتشجيع للعلم ، والتعمق في الفكر والملاحظة ... وقد كان في ذلك اول تكريم لهذا الانســان في رسالة القرآن .

ولذلك جهر القرآن بأن دعوته الشاملة لجميع بني الانسان انما يتفهمها منه اهل العقل والعلم والفكر ، وقال في ذلك تارة : « يفصل الايات لقوم

(١) السورة ٣٩ ـ الزمر ـ الاية ٤١ .

(٢) السورة ١٥ ـ الحجر ـ الاية ٩ .

يعلمون (٣) » .. وتارة : « نفصل الآيات لقوم يعقلون (٤) » .. وتارة أخرى : « نفصل الايات لقوم يتفكرون (٥) » .

١٥ — وانطلاقا من ذلك فان دعوة القرآن للانسان قد اقتصرت على وجوب تعميق معرفته العلمية ، والعقلية ، والفكرية ، في مقاصد القرآن الكلية الثلاثة التالية :

اولا : في (مبدأ) هذا الكون والانسان ، وانه هو (الله) .

ثانيا : في (معاد) هذا الكون والانسان ، وانه الى (الله) .

ثالثا : في الالتزام بشريعة (معاش) الانسان مدة حياته العرضية القصيرة على هذه الارض المكلف (بعمارتها) والمسئول عن (عبادة الله فيها) وذلك من اجل ضمان سعادته فيها فردا وجماعة اولا ، ثم ضمان سعادته الابدية بعدها ثانيا . وقد تضمنت شريعة القرآن ، (الارشادات) الى كل ذلك بصورة كلية ، وقد بين الرسول ما لا بد من بيانه ، وترك للمؤمنين (حق الاجتهاد) في جميع ما يجد لهم مما قد سكت عنه الرسول والقرآن .

١٦ — ولقد تناول القرآن تلك المعارف الثلاثة في مجموعة من الايات قد بلغت (٦٣٤٢) آية . وقد تناولها جميعها على اسس تربوية علمية كما سنشير اليها مرة ثانية في مبحث « التربية العلمية » ، وربط فيها لذلك ما بين الايمان بالله وبين اوامر الله بالالتزام بشريعة « معاش الانسان » من اجل خيره وسعادته في المعاش والمعاد .

غير ان ما قد خصص للمعرفة حول شريعة « معاش » الانسان مدة حياته العرضية القصيرة على هذه الارض لم يتجاوز « خمسمئة » من ايات الاحكام الشرعية ، اي انها كانت دون العشر من مجموع آيات القرآن ، وذلك تقديرا لتطور الانسان واختلاف وقائع الحياة ، ورغبة بمساهمة الانسان في استنباط الاحكام وفقا لقواعد القرآن العلمية العقلية الثابتة في كل ما قد يجد له من وقائع حيوية حديثة لم يتناولها القرآن ولا الرسول .

١٧ — وقد كانت كل آيات القرآن ، وفي جميع المعارف الثلاثة الواجبة ، هي آيات كلية ارشادية لجميع رجال العلم ، من غير كهنوت او احتكار للعلم في الاسلام . وكما ترك للانسان تبعا لتغير الظروف وتقدم العلم حرية النظر والتعمق العلمي والتفنن فيه حول حقائق المبدا والمعاد ، فكذلك كانت آيات الاحكام حول « شريعة معاش الانسان » كلية مثلها ، واشتملت على قواعد واحكام عامة واجبة العمل بها على مثل الاحكام العامة في الدساتير العالمية اليوم . غير ان هذه الاحكام الكلية في القرآن هي مما لا يقبل التغيير

(٣) السورة العاشرة ـ يونس ـ الاية ٥ .

(٤) السورة الثلاثون ـ الروم ـ الاية ٢٨ .

(٥) السورة العاشرة ـ يونس ـ الاية ٢٤ .

والتبديل ، وذلك بسبب طبيعتها الثابتة علما وعقلا ومصلحة ، كالامر بوجوب العدل بين الناس ، وكتحريم البغي والظلم ، وكايجاب الشورى في أمور الامـة .

١٨ ــ هذا ، وقد ترك للرسول بنص القرآن بيان جميع ما قد كانوا في حاجة الى بيانه حسب الوقائع مدة حياته ، كما ترك للمسلمين حرية الاجتهاد فيما قد سكت عنه بيان الرسول ، بل وكذلك فيما قد سكتت عنه نصوص القرآن ، وذلك في كل ما قد يجد لديهم من وقائع مع تغير الظروف والازمان . وقد الحق بالشريعة كل ما جاء به الاجتهاد ، كما هو ثابت ومعروف لدى كل دارس لشريعة الاسلام . وهكذا فان الاجتهاد في اصدار الاحكام كان ولا يزال حقا ثابتا للفرد وللجماعة باقرار وتشجيع من رسول الاسلام ، وليس من حق أحد ايقاف هذا الاجتهاد ، بل قد ندب الرسول احيانا الى « الشورى » في الاجتهاد فقال جوابا لسائل عن احكام مسائل لم يأت لها ذكر لا في القرآن ولا في السنة ، فقال : « اجمعوا لها العالمين ، ولا تقضوا فيها برأي واحد » . وبذلك تسقط دعوى من زعم من المستشرقين بانه لا حق لاحد من الامة بالمساهمة في استحداث الاحكام عملا بشريعة القرآن ، وان ذلك « قد نزع نهائيا من ايدي المؤمنين على الارض ، واختص بهما الله وحده » .

١٩ ــ وتتميما للتعريف بمقاصد الرسالة القرآنية حول « المبدأ والمعاد » فقد أوجبت هذه الرسالة على الانسان النظر العلمي العميق فيما في السماء والارض وما بينهما ، وخاصة في التكوين العجيب الدقيق في خلق الانسان نفسه ، وفتحت بذلك لكل انسان آفاق السموات والارض للبحث العلمي من غير تخوف من نتائج الكشف العلمي ، ومن غير حجر عليه فيها . بل قد فرضت رسالة القرآن ذلك فرضا على الانسان وقالت: «قل انظروا ماذا في السموات والارض (١) » ، وقالت ايضا : « وفي الارض آيات للموقنين ، وفي انفسكم ، افلا تبصرون (٢) » ، وفي ذلك شجب صريح لمن يتوقف عن البحث العلمي الذي أوجبه القرآن .

٢٠ ــ وهكذا فقد كلفت رسالة القرآن الانسان باكتشاف قوانين الكون واسرار الخليقة العلمية المحكمة والدالة على قدرة صانعها وحكمته فيها ، وقالت في ارشاد الانسان الى ذلك كله : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب (٣) » ، كما قالت ايضـا :

(١) السورة العاشرة ـ يونس ـ الاية (١٠١) .
(٢) السورة (٥١) ـ الذاريات ـ الاية (٢٠ ـ ٢١) .
(٣) السورة (٣) ـ آل عمران ـ الاية (١٩٠) .

« الشمس والقمر بحسبان (٤) » ، وكما قالت ايضا في الارض : « وانبتنا فيها من كل شيء موزون (٥) » ، داعية بصراحة في كل ذلك الى استكشاف أسرار الطبيعة من جماد ونبات وانسان ، ومؤنبة كل من يقف عن هذا البحث العلمي ، وكان هذا هو سر التقدم العلمي المجيب في عصور الاسلام الذهبية .

٢١ ــ وتشير رسالة القرآن فوق ذلك فيما يتعلق بمعاش الانسان على الارض الى ما قد القي على عاتقه مدة حياته من وجوب عبادة الله فيها ، ووجوب عمارته لها ، وفي ذلك يقول القرآن :

« يا قوم ، اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » (٦) ــ اي طلب منكم عمارتها . وقد زاد الرسول في بيان ذلك فقال : « اذا ادرك احدكم الساعة ــ اي نهاية حياة الارض ــ وفي يده فسيلة ــ اي شجيرة صغيرة ــ فليزرعها » ، وفي ذلك تأكيد ، على الواجب الملقى على الانسان في الاستمرار في عمارة الارض حتى وكأنه يعيش أبدا ، وشجب للتقاعس عن العمل وزيادة الانتاج لمصلحة الاجيال حتى ولو لم يكن للجيل العامل فيه حظ منه .

٢٢ ــ وقبل ختام هذا المبحث حول مقاصد القرآن الثلاثة في « المبدا ، والمعاد ، والمعاش » ، وتبسيطا لرسالة القرآن لدى طلاب المعرفة للقرآن ، نوصي الراغبين في ذلك :

اولا ــ اذا ارادوا التعرف على حقائق الرسالة القرآنية حول « المبدا ، والمعاد » فليرجعوا الى استعراض اية سورة في ذلك من « السور المكية » المشار اليها في عنوانها ، والبالغة (٨٦) سورة من اصل (١١٤) من سور القرآن ، حيث يجدون الموضوع في كل ذلك واحدا ولكنه مختلف في العرض وفي الصورة وفي الاسلوب من سورة الى اخرى ، بشكل جذاب ، وتحت شعار الدعوة الى استعمال العقل والفكر والعلم بأحدث ما يستطيع الانسان ابتكاره من وسائل البحث العلمي والتكنولوجيا الحديثة .

ثانيا : واذا ارادوا التعرف على قواعد السلوك الانساني ، ومبادىء « الشريعة » العامة في سياسة الفرد والمجتمع ، والممزوجة في آن واحد مع حقائق المبدا والمعاد المهذبة للنفوس ، فليرجعوا الى استعراض اية سورة في ذلك من « السور المدنية » البالغة فقط (٢٨) سورة ، والخاضعة ايضا الى استعمال العقل والفكر والعلم من اجل الكشف عن اسرار الحكمة فيها .

(٤) السورة (٥٥) ــ الرحمن ــ الاية (٥) .
(٥) السورة (١٥) ــ الحجر ــ الاية (١٩) .
(٦) السورة (١١) ــ هود ــ الاية ٦١ .

مكان التربية القرآنية العلمية
في تحقيق مقاصد القرآن الثلاثة

٢٣ — اننا هنا لا بد لنا من التاكيد على مكان « التربية القرآنيـــة » العلمية العقلية على « العقيدة الاسلامية » ، وذلك بصورة خاصة حول :

— « مبدأ » هذا الكون وانه هو « اللـــه » .

— و « معاده » ، وانه الى « الله » ، وان الناس مبعوثون اليه ليوم عظيـــم .

٢٤ — وانه منذ اصبحت هذه العقيدة ارثا وتقليدا ، وهجرت في ذلك « آيات القرآن التربوية العلمية العقلية » المهذبة للنفوس ، والداعية الى تقوى الله ؛ لم يعد في الامكان ان يكون مسلمنا اليـوم كالمسلمين الاولين الذين قال فيهم سبحانه وتعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمـــرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » . خاصة وان كتب التربية في البرامج الرسمية عندنا اليوم هي نسـخة عن كتب التربية كما تدرس في جميع برامج الثقافة العالمية المادية من شرقية وغربية ، وهي متعارضـة مع قواعد التربية الاسلامية من ناحيتين اساسيتين :

اولا — انها تحدد « المعرفة العلمية » بأنها ما خضـع للحس وللتجربة ، ولما كان القول بوجود الله لا يخضـع للحس وللتجربة . فان القول بوجود الله ليس من العلم بشيء .

ثانيا — انها تجعل من علم التربية علما ماديا قاصرا على تعلم الحياة من أجل الحياة .

٢٥ — ولذلك فان الايمان بالله قد أقصي نهائيا من علم التربية وكتبها . وارجعوا اليها ان شئتم فيما يدرس منها في برامج علم التربية لديكم . وقد اصبح من واجب المسلمين الاخصائيين في علم التربية ان يسارعـــوا اليوم الى استدراك هذا النقص في الناحيتين ، لان تقدم العلوم اليوم اصبح يرفض هاتين الناحيتين وعليهم ان يصححوا تعريف « المعرفة العلمية » بما يشمل الاستدلال بالمشاهد المحسوس على الغائب ، وبما يرفع من مستوى الانسان في تربيته وكرامته عن مستوى الحيوان في حياته وغريزته .

٢٦ — هذا ، ويلاحظ فيما سبق في مبحث « مقاصد القرآن » ان آيات القرآن في جملتها حول مقاصد القرآن في « المبدأ ، والمعاد ، والمعاش » قد بلغت (٦٣٤٢) اية ، في حين ان ايات التشريع لم تتجاوز الخمسمئة اية منها ، وهي في ذلك دون العشر من مجموع آيات القرآن ، وقد اختص « المبــدأ والمعاد » . بباقي الايات وهي (٥٨٤٢) اية ، وفي ذلك دليل على ما قد اعطاه القرآن من الاهمية لعقيدتي « المبدأ والمعاد » ، من اجل صلاح حال الانسان وسلوكـــه في « معاشـــه » .

٢٧ — وهكذا فقد ربى المسلمون الاولون علميا وعقليا وفكريا على

الايمان بالله ، خلال واحد وعشرين عاما من نزول الوحي ، وعلى ان الله هو الذي بدا الخلق ، وانه هو الذي يعيده بعد الفناء ، وانه سبحانه وتعالى لم يخلقهم عبثا ، وانهم اليه راجعون ، والى غير ذلك من النصوص القرآنية التي يجملها قوله سبحانه وتعالى : « انه يبدؤا الخلق ، ثم يعيده ، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط . والذين كفروا لهم شراب من حميم ، وعذاب اليم بما كانوا يكفرون (١) ، وكذلك قوله : « ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ، الا يظن اولئك انهم مبعوثون ، ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين (٢) » .

٢٨ — وهكذا فان من تربى علميا وعقليا وفكريا على هذه العقيدة القرآنية في (المبدا والمعاد) وتاكد في ذلك من نصوص القرآن الكريم ، ومن واقع الحال : ان الحياة الدنيا بالنسبة للحياة الاخرة ما هي الا كلمح البصر ، وانها دار مرور لا دار استقرار ، وان الدار الاخرة لهي الحيوان (أي الحياة الحقيقية) ، وان مصير الانسان في الدار الاخرة انما هو تبع لسلوكه في الفترة القصيرة في الحياة الدنيا ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ... نقول انه من تربى هذه التربية القرآنية في عقيدته في الله علما وعقلا وفكرا ، صحت عندئذ صلته بالقرآن على نحو الصلة فيما بين القرآن وبين المسلمين الاولين ، وعندئذ أصبح انسانا سويا ، وواحدا من الامة التي قال فيها الله سبحانه وتعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، وفي ذلك فليتسابق المتسابقون .

الرياض — معروف الدواليبي

(١) السورة (١٠) — يونس — الاية (٤) .

(٢) السورة (٨٣) — المطففين — الاية (١—٦) .

تلك المعاني المهجورة

بقلم : عبد اللطيف شرارة

العلم ، كل علم ذو وجهين : الاول هو الوجه الخير ، والاخر هو الوجه الشرير . الاول يحسن به العالم استعمال علمه ، والثاني يسيء به العالم الاستعمال .

ذلك هو اول معنى من المعاني الرفيعة الجليلة التي هجرها الناس في هذه الايام ، واوشكوا ان ينسوها نسيانا شبه تام ، ان لم يكن تاما ، في تمرسهم بالعلوم ، ودعوتهم الى العلوم ، واقبالهم على العلوم في شتى جوانب الحياة وافاقها ...

ولقد كان الانسان ولا يزال ، يقف أمام الطبيعة ، وظواهر الكون ، وأحداث الحياة موقف المتسائل عما يخفاه من اسرار ، وما يعرض له في بدنه خاصة ، من عوارض العلل ، ثم يسعى ما وسعه السعي ، وراء اجوبة عن تساؤلاته ، وادوية لادوائه . ثم كانت المصادفات تسوقه الى كثير من الاكتشافات . وهذه الاكتشافات نفسها تزيده فضولا ، وتشد من عزيمته على ارتياد الافاق المجهولة ، ولا يكاد يصل الى أفق ، حتى ينفتح لذهنه أفق ... وتلك هي قصة النزعة العلمية في حياة الانسان المعاصر ، من اولها الى اخرها ، فهي في مبدئها تساؤل ، ودهشة ، وشعور بالالم ، ومصادفة ، وفضول ، وليست في أساسها شيئا غير هذه الاشياء منفردة أو مجتمعة .

غير أن البنيان الشاهق الذي تام من بعد ، خلال العصور ، فوق ذلك الاساس ، ونعني به تعدد العلوم ، وتنوعها ، وتفرعها ، ايقظ الفكر البشري على نفسه ، وحمله مع الايام ، على مواجهة العلم كشيء منفصل عنه . وفي جو هذا الانفصال الذي لا يبرره اصل العلوم ولا اساسها ، تعددت الاهتمامات وتنوعت ، ونشأ تيار فكري جديد يصرف اهتمام الناس الى « العلم » ، بعد ان كان منصرفا الى الدين مثلا ، او الادب ، او الشعر..

ويبدو ان الاصل في هذا التيار الفكري الجديد ، اي في هذا الاهتمام الفائق بمعطيات العلم ، انما يكمن في النتائج الحسية والفوائد العلمية التي أفضى اليها الطب ، وحققتها الرياضيات ، وانجلت عنها بعض النظريات الفلكية ، من عهد كوبرنيكوس ، مرورا بغاليلو ، ونيوتن ، الى الاقمار الصناعية ، والمنجزات الذرية والنووية في عصرنا هذا .

ويبدو كذلك ان اول من مثل هذه النزعة العلمية وعبر عنها بمجهوده وحياته ، او حولها الى تيار فكري جارف ، هو الفيلسوف الإيطالي جيامبا تيستافيكو الذي عاش ستا وسبعين سنة ، تقضى اقل من نصفها في القرن السابع عشر ، ومعظمها الباقي في القرن الذي تلاه ، وهو يعمل في سفره النفيس « العلم الجديد » ، وهو السفر الذي تبنت منظمة الاونسكو ترجمته ، بعد مضي نحو من مائتين وخمسين عاما على وضعه .

وجاء بعد فيكو عالم فرنسي شهير : بيير — أوجين مارسيلان برتيلو ، عاش ثمانين سنة ومات عام ١٩٠٧ ، وهو يشدد تشديدا ملحا ، متواصلا على « قيمة العلم » و « ضرورة الحرية الفكرية الشاملة » في المجال العلمي .

ثم جاء العالم الرياضي هنري بوانكاريه بكتبه الثلاثة : « علم وطريقة »، « العلم والفرضية » ، « قيمة العلم » يدعم ذلك التيار ، ويمدها بالقوة ، ويزيده اندفاعا وانتشارا . وكان رينان بين برتلو وبوانكاريه في الزمن ، قد وضع « مستقبل العلم » مشيرا فيه الى ان المستقبل للعلم ، وليس لاي نشاط فكري اخر ، ورينان هذا هو الذي انكر ان يكون للسيد المسيح وجود على الارض ، او في التاريخ الحقيقي !!!

وهكذا ، تحولت النزعة العلمية الى ضرب من التعبد الديني خلال القرن الماضي ، وشهد الناس كاتبة امركية تدعى ماري — بيكر ادي ، تنشر عام ١٨٧٥ ، سفرا عنوانه « علم وصحة » يتحول الى اثر مقدس لدى اتباع مذهبها الديني الجديد « العلم المسيحي » . ويعظم الاثر الذي أحدثته افكارها الى درجة تضاءل معها كل تاثير لاي سفر اخر في ايامها . وسر ذلك ان ماري — بيكر ادي كانت « تلبية » طبيعية خالصة ، لحاجة عصرها الى اليقين العلمي من جهة ، والحاجة الى الايمان في اطاره القديم المتوارث ، من جهة اخرى . وكان اوغسطين تيري في منتصف القرن الماضي ، قد بين أن « في العالم شيئا يعلو بقيمته على المتع المادية ، افضل من الثروة ، واحسن من العافية نفسها ، الا وهو الاخلاص للعلم » .

غير ان هذه النزعة الطاغية الجارفة ، الى العلم وفوائده ومعطياته ، التي اعتبرها المفكرون والمؤرخون ابرز علامات الاعصر الحديثة ، وملتقى اهتمامات المعاصرين ، لم تكن حادثا فذا ، منعزلا في تاريخ الانسانية . فنحن نعثر في هذا التاريخ على مفكر صيني قديم يدعى تشو — وانغ تسو ، مات حوالي العام ٣١٥ قبل المسيح ، وكان معاصرا لارسطاطاليس في الجانب الشرقي من هذا الكوكب ، يقول : « انما هو حب العلم الذي نشر الفوضى في العالم ، هذه الفوضى التي لا تزال سائدة منذ السلالات الثلاث . واساتذة العلم هم الذين كانوا السبب في تلك الفوضى » .

ذلك بأن العلم ينطـــوي في قراريه على خطر جسيـــم ، هو « اساءة استعماله » . ومتى اسيء استعمال شيء ، أو فكرة ، او عاطفة ، تحول النفع المرتقب الى ضرر ، وشاهت الصورة التي انطبعت في الاذهان عـــن قيمته (أو قيمتها) ، وانقلب الوضـع النفسي تجاهه او تجاهها ، الـــى ضيق وتبرم وضجر .

وهذا الوضـع ذاته هو الذي جعل جان ـ جاك روســـو الفرنسي ، يلتقي مع تشو ـ وانغ تسو الصيني ، رغم ان مسـافة اثنين وعشرين قرنا تفصل بين هذين المفكرين ، بالاضـافة الى الفواصل العديدة التي تجعلهما غريبين كل الغربة عن بعضـهما .

لقد ساء ظن روسو بالعلم الى درجة تبعث على الاسى والاســـف ، اذ اعتبر تقدم العلوم سببا في الانحطاط الاخلاقي ، وأوغل به سوء الظـــن حتى رد العلوم كلها الى رذائل خلقية مشـينة ، مقرر هذا التقرير الخطير : « ولد علم الفلك من الخرافة ، والبلاغة مـــن الطمع والكراهيـــة والملق والكذب ، والهندســـة من البخل ، والفيزياء من الفضول الباطل ، والعلوم كلها حتى علم الاخلاق ، من الكبرياء البشـرية » .

لا جدال ان روسو يبالغ ، ثم لا جدال ان لمبالغاته هذه ، أسســـا ومبررات في مسالك بعض العلماء ، ثم في المساوىء التي نجمت عن التقدم العلمي خاصة ، في كثير من الحقول والمجالات ، اذ زود هذا التقدم كـل شرير بالوسـائل التي تعينه على اعمال روحه الخبيثة في ارواح الاخرين ، ومكنه من تحقيق اهدافه البغيضـة ، اللاانسانية .

ذلك هو « القفا » لا الجيد من النزعة العلمية . وقد اتيح لهذا القفا البشـع ، ان يسيطر ويطغى على الوجه المشرق النير الذي يزهو به كل علم ، وتزدهر به كل معرفة ، لان الناس حملوا قسـرا ، بفعل السياسـات والدعايات والضلالات المتراكمة ، على « هجر » الكثير من المعاني الخفية الدقيقة التي كانوا يحتفون بها ، ويرعونها في نفوس الناشـئة ، وفي مقدمتها « الاحتراس » من سوء استعمال العلم ، والاحتياط لما يؤدي اليه ذلك السـوء .

لقد آن للناس في هذه الديار ، وفي غيرها مـــن ديار العالـــم ، ان « يفطنوا » الى هذه الحقيقة ، وهي ان الجهل لا يزال اقل ضررا من علـــم يساء استعماله ... والى اللقاء عند معنى اخر مهجور .

عبد اللطيف شرارة

الصراع السياسي وتطور السلطة في مكة قبل الاسلام

بقلم : د. ابراهيم بيضون

كانت ثمة منعطفات ثلاثة اسهمت على فروقاتها في التكوين الحضاري للحجاز القديم ، حيث كان لمكة دور الريادة فيه ووضعه على مفترق عصرين مختلفين . المنعطف الاول ، تمثله **مكة الحنيفية** المتصلة بعهد ابراهيم وابنه ، و « البيت » الذي أقاماه على « ربوة حمراء » فيها ، حسب رواية الاخباريين القديمة (١) . بيد ان هذه الحقبة على اهميتها ، محاطة بالكثير من الغموض (٢) ، لا سيما التحديد الزمني لذلك الحدث ، الذي اتخذت مكة من خلاله موقعها القدسي المميز في شمالي شبه الجزيرة العربية . فهنالك حلقة او اكثر على امتداد بضعة قرون ، تفتقد المادة التاريخية المتصلة ، الامر الذي يعيق اية محاولة جدية لدراسة هذه الفترة المبكرة على نحو متكامل . ولكنها رغم ذلك ، مثلت الامتداد الحضاري لمكة القديمة والركن الاساسي في زعامتها الحجازية ، سواء على المستوى الديني او الاقتصادي او السياسي .

والمنعطف الثاني تمثله **مكة الخزاعية** ، التي اكتسبت ملامحها الوثنية على يد عمرو بن لحي الخزاعي (٣) ، حسب زعم الاخباريين . وتبدو هذه الحقبة اكثر وضوحا وتفصيلا ، لا سيما الظروف التي تم فيها « الانقلاب الديني » المنسوب الى هذا الاخير والذي يرجح بانه كان استجابة لضغط القبائل المحيطة بمكة او المتعاملة معها خارج الحجاز ، التي تدين بالعقيدة الوثنية . وبذلك يكون (الخزاعي) ، الذي نسب اليه القيام باتصالات مبكرة مع القبائل المقيمة على تخوم الحجاز ، المؤسس الاول للمجتمع المكي وواضع بواكيره التنظيمية ، حيث تبلورت بعد ذلك خلال قرون ثلاثة (٤) من السيادة الخزاعية ، كانت كافية لتكوين شخصية الوثنية المعروفة التي استقرت في اواخر القرن الرابع الميلادي .

اما المنعطف الثالث والاخير ، فهو الذي يقترن بالمرحلة الحاسمة من تاريخ مكة القديمة والانتقال من نطاق التجارة المحلية والاعتماد على حركة

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج٢ ص ١٨ ، ١٩ .
(٢) الازرقي ، اخبار مكة ج١ ص ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) الكلبي ، كتاب الاصنام ص ١٩ ، السهيلي ، الروض الانف ج١ ص ١٠٢ ، ١٣٧ .
(٤) الازرقي ، اخبار مكة ج١ ص ١٠٣ ، المسعودي ، مروج ج٢ ص ٣٩ ـ ٤٢ .

القبائل المجاورة ، الى نطاق التجارة العالمية والقبض على زمامها في المنطقة، عبر شبكة من التحالفات الداخلية والخارجية (الايلاف) ، وهو ما تمثله **مكة القرشية** ، التي تدين في تكوينها لقصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي (٢) . وقد تصادف ذلك مع بدايات تراجع او انهيار المراكز الحضارية والتجارية ، التي قامت على اطراف شبه الجزيرة . ففي الجنوب ، كانت اليمن تعيش حالة من التمزق السياسي تحت تأثير موجات التبشير ، المقنعة بالاطماع الفارسية والبيزنطية فضلا عن الحبشية (٣) . وفي الشمال ، شهدت كل من الشام والعراق انكفاء لنفوذ الغساسنة في الاولى وللمناذرة في الثانية ، بعد تغير الاسباب التي كانت وراء ظهورهما ، كوسطاء بين الفرس والبيزنطيين من جهة ، وبين القبائل العربية الواقعة على تخومهما من جهة ثانية . ذلك ان استمرار التحرك القبلي في هذا الاتجاه ، قد احدث خللا في المعادلة القديمة ، وهي الاعتماد على حليف عربي « مانع » ، خاصة بعد اشتداد تنافس القبائل ، الذي جاء على حساب دويلات الاطراف ، مما أدى الى اضعافها من ناحية ، والاتصال المباشر مع هذه القبائل التي تقلص خطرها من ناحية اخرى (٤) .

وفي ظل هذا التطاحن القبلي الدائر على اطراف شبه الجزيرة ، كان ثمة دور متميز تشغله مكة وسط هذه الاخيرة ، فتنبض فيها كالقلب وتعكس تأثيرها وراء الحدود حتى الاطراف . ومن المؤكد ان تطور النظام السياسي في هذه المدينة ، ارتبط بنموها التجاري الى حد كبير ، حيث اصبحت منذ القرن السادس « السوق الحرة » المركزية التي تتوفر فيها السلع على اختلافها ، وتتأمن كافة الخدمات والمعاملات التجارية ، بما فيها تنظيم الديون والفوائد والودائع (٥) ، الى اخر ما تفرد به السوق المكي في هذا المجال ، بحيث اصبح مقصد المحترفين من التجار او المتبادلين سلعهم باخرى من البدو ، دون ثمة ما يحد المبادرة او يعيق الحرية الشخصية . ولم يكن تحقيق هذا الموقع الذي بلغته مكة ، امرا ميسورا حينذاك ، لو لم تنجح قريش — حسب تعبير مؤرخ معاصر ، « اقناع قبائل الحجاز وحدود الشام

(٢) المسعودي ، مروج ج٢ ص ٣٢ ، ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ص ١٠٣ .
(٣) السهيلي ، الروض ج١ ص ٤١ ، ٥١ .

(٤) من اشهر هذه القبائل : بنو كلب في الشام وبنو تغلب في الجزيرة وبنو بكر بن وائل في العراق . طه الهاشمي ، خالد بن الوليد مجلة الرسالة ص ١٦٥ ، عدد ٦٦ (القاهرة ١٩٣٤) . صالح العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ص ٩٥ — ٩٦ .
(٥) H. Lammens, la Mecque à la veille de l'Hégir p. 231 - 236

والعراق بفائدة ترك الطريق التجاري مفتوحا » (٣) ، اي بتحييده عن صراعات المنطقة الشمالية ، المهددة له بين الحين والاخر . وكان ذلك بالفعل احد اهم انجازات القرشيين الذين اظهروا براعة فائقة في الفصل بين التجارة والسياسة ، بحيث جاء التزامهم بشؤون الاولى ، بقدر ابتعادهم عن شجون الثانية .

وقد نتساءل عن القوة المحركة لهذا الدور المحوري في مكة ، والمنظمة لكافة شؤونها الحياتية في ذلك الوقت ؟.. فالمؤسسة التي يشير اليها المؤرخون ، مترادفة مع قصي زعيم قريش ، وهي (دار الندوة) ، تمثل النواة الاولى لذلك النظام شبه « التعاوني » بين الفعاليات الاكثر نفوذا في المدينة . فمن هذه « الدار » التي يفترض انها ذات طابع جماعي ، كانت تتخذ القرارات وتحدد المواقف ، بما يعبر عن المصلحة المشتركة . وهي لا تكاد تختلف كثيرا عبر هذا الاطار عن المسجد في مطالع عهود الاسلام ، حيث كان له دور بارز في الحياة السياسية العامة للدولة ، مع الفارق النوعي في الاستقطاب الذي كان محصورا بكبار التجار والمتمولين في (دار الندوة) ، ومفتوحا لكافة الفئات المتساوية في العقيدة ، كشرط مبدئي ، في المسجد .

ولعله من المفيد تحديد الاطار السياسي لدار الندوة ، استنادا الى روايات المؤرخين الاوائل . فثمة اتفاق في المضمون على دورها الاساسي ، كمجلس للتشاور واداة منظمة لمختلف الشؤون الحياتية في مكة . وقد اقتصر (الطبري) القول: «وفيها كانت قريش تقضي امورها» (٤)، بينما (الازرقي)، وهو متقدم عليه قليلا ، كان اكثر وضوحا وشمولية بقوله « فحاز قصي شرف مكة وانشأ دار الندوة ، ومنها كانت قريش تقضي امورها ، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي الا ابن اربعين سنة للمشورة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم اجمعون » (٥) . ومن الواضح عبر هذا التصور ان (دار الندوة) ، كانت تعتبر نواة السلطة السياسية في مكة ، على نحو اعطى لمؤسسها حق التنفيذ وامتياز الوراثة . ومن الناحية التنظيمية ، اشترط لعضويتها الذين تجاوزوا الاربعين ، دون ان يجري ذلك على ابنائه الذين اعفوا من هذا الشرط .. اي ان حق العضوية اقتصر على ذوي

(٣) رضوان السيد ، من الشعوب والقبائل الى الامة مجلة الوحدة ٢٤٥ ، عدد ٤ (بيروت ١٩٨٠) .

(٤) تاريخ الطبري ج٢ ص ١٨٤ .

(٥) اخبار مكة ج١ ص ٩ .

النفوذ او « الندى » (١) ، الذين بلغوا في موقعهم الاجتماعي والاقتصادي حدا يمكنهم من « الانتداء » الى هذا المجلس » فيتحدثون ويتشاورون (٢) ، دون ان يكون لذلك صفة تقريرية او الزامية .

ولكن ما هي الشروط الضمنية لعضوية (دار الندوة) ، التي يفترض ان يتسع فيها ليضم كافة الفئات الاجتماعية في مكة ، وذلك على غرار ما عرفته بعض المجتمعات القديمة ، لا سيما الاغريقية (٣) ؟.. هل تتوقف العضوية عند شرط السن الذي ينبغي أن لا يقل عن الاربعين كما اشار (الازرقي) (٤) ، أم تتجاوزه الى الاوضاع الاقتصادية للعضو ؟ لقد انطوى هذا المجلس على هيئتين من حيث المبدأ : احداهما استشارية (عامة) ، والثانية تنفيذية (الملأ) اذا ما توفر الاجماع للقرارات الصادرة عنهما . وكانت كلتاهما تعكس طبيعة المجتمع التجارية وتعبر عن نمط الانتاج المحوري فيه ، بحيث سيكون للعامل الاقتصادي ، الدور التقويمي الاول في تحديد مكانة الفرد الاجتماعية في مكة ، فالثروة ادت الى تمزيق وحدة القبيلة والى نوع من التفاوت الاجتماعي بين الفروع القرشية ، اصبحت معه العلاقة عضوية بين دخل الفرد والحقوق التي يتمتع بها ، ولذلك فان مواقع النفوذ والزعامة كانت غير مستقرة ، ومتجاذبة تبعا للتفوق الاقتصادي للفرد . اما احتفاظ بني هاشم بالزعامة رغم تدهور أوضاعهم المالية ، فان ذلك لم يكن اكثر من تقليد متوارث ، بحيث اصبحت زعامة ابي طالب مثلا ، ادبية اكثر منها فعلية .. وربما فاقه نفوذا في هذا المجال كل من اخويه العباس وابي لهب ، فضلا عن زعامات مستجدة فرضت نفسها نتيجة لاوضاعها الاقتصادية المتقدمة ، كبني أمية وبني نوفل وبني اسد ، الذين شكلوا ما عرف بحلف « المطيبين » ، احد اهم مراكز النفوذ في مكة عشية الاسلام (٦) . ولم يحل ذلك ايضا دون بروز شخصيات تجاوزت حدود الاسرة في التأثير السياسي والمعنوي ، كعبدالله بن جدعان الذي ينتمي الى (تيم) ، محققا لنفسه بفضل ثرائه الواسع ، مكانة خاصة في (الملأ) وفي المجتمع المكي لم تصل اليها هذه الاخيرة (٧) .

بيد ان التعاون في النفوذ لم يؤد الى زعزعة النظام الذي احتفظ بحد معين من التماسك وتجنب الصراعات المحلية ، حيث تغلبت عليها المصلحة المشتركة للفروع القرشية المسهمة فيه . وهنا تكمن أهمية الدور المتوازن الذي شغله مجلس (الملأ) في تسيير شؤون المدينة وتوفير حد نسبي من

(١) ابن ظهيرة القرشي ، الجامع اللطيف ص ١١٧ .
(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ج١ ص ٥٢ طبعة القاهرة .
(٣) لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان ، مقدمة في التاريخ الحضاري ص ١٣٢ وما بعدها .
(٤) اخبار مكة ج١ ص ١٠٩ .
(٦) المسعودي ، مروج ج٢ ص ٢٣ . السهيلي ، الروض ج١ ص ١٥٣ . وات ، محمد
(٧) الفاسي ، العقد الثمين ج١ ص ١٥٤ و Lammens, La Mecque p. 168 - 17

المسؤولية الجماعية . وتحدد بعض مصادر المؤرخين الوظائف المتفرعة عن هذا المجلس ، حيث كان نواتها ستاً (٣) في عهد قصي ، ثم تجاوزت العشر قبيل الاسلام (٤) ، استجابة لتطور اوضاع المدينة ، وظهور فروع جديدة في قريش وهي المنتمية من حيث المبدأ الى « البطاح » ، دون « الظواهر » الذين كانـوا خارج (الملأ) ، واقتصر دورهم كمـا يرجع علـى الشؤون الدفاعية (٥) . ولكن هذه المصادر خلت من الاشارة الى رئاسة (الملأ) ، خلافا للندوة التي خضعت لنفوذ بني عبد الدار ، زعماء حلف « الاحلاف » ، وهو يأتي بعد حلف « المطيبين » من حيث الاهمية في النظام المكي . ففي عهد قصي الذي جمع بيده السلطة الكاملة ، كانت هذه الوظائف تعود اليه بما فيها (الملأ) ، الذي تحول بعده الى سلطة جماعية ، توحد مصـالح القرشيين وتجمع بين احلافهم ، او بعبارة اخرى كان القاسم المشترك بين فروعهم المتنافرة . ولعل الحضور المعنـوي للسلطة ، وهـو ما وصفه (لامنس) بـ « الظل » (١) ، كان أقوى من السلطة كمضمون عملي ، وذلك لصعوبة تحديدها في المجتمع المكي ، حيـث جاءت انعكاسـا واضحا للنمط الاقتصادي السائد فيه ، مما انطوى عليه من مصالح وعلاقات متشـابكة ومعقدة .. وهذا سيؤدي حكما الى بروز كبار التجار ، الذين كانوا اكثر مقدرة على استيعاب مشاكله والتعاطي بصورة اكثر واقعية مع اهتماماته الحياتية المختلفـة .

وهكذا فان السلطة في مكة ، كانت عبارة عن مراكز نفوذ تقررها الاهمية الاقتصادية ، دون ان يكون لاسرة ما او زعيم ما ، السيادة الكاملة ، على غرار ما كان لقصي زعيم قريش الاول . ولعل هذا الاخير شاء استمرار هذه الصيغة وراثية مع ابنائه ، مهيئا ابنه البكر (عبد الدار) زعيما لمكة من بعده ، على رغم ما يشار الى ضعف شخصيته (٢) وتفوق اخوته عليه ، لا سيما (عبد مناف) الذي اشتهر في حياة ابيه وبدا اكثر جدارة بالزعامة من بعده (٣) . على ان (الازرقي) نحا اتجاها اخـر في روايـة انتقال

(٣) السقاية ، الرفادة ، القيادة ، الندوة ، السدانة ، اللواء . وكانت الوظائف الثلاث الاخيرة موحدة يتولاها بنو عبد الدار بصورة عامة . الازرقي ، اخبار مكة ج٢ ص ١٠٩ – ١١٢ . ابن ظهيرة القرشي ، الجامع اللطيف ص ١١٤ – ١١٨ .

(٤) استجدت الوظائف التالية : المشورة ، السفارة ، الاشناق ، الايسار ، القبة والاعنة. ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٣ ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٥) المسعودي ، مروج ج٢ ص ٣٢ . وات ، محمد في مكة ص ٣٣ .

(١) Lammens, La Mecque p. 161

(٢) الطبري ج٢ ص ١٨٤ . البلاذري ، انساب الاشراف ج١ ص ٥٣ .

(٣) يشير الطبري الى ذلك بقول منسوب لقصي مخاطبا ابنه عبد الدار : « لالحقنك بالقوم (عبد مناف ، عبد العزى ، عبد قصي) وان كانوا قد شرفوا عليـك . لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء لحربهم الا

السلطة ، فتبدو وكأنها تمت وفق تدبير مسبق ، شارك فيه قصي ، حيث وزعها مناصفة بين (عبد الدار) و (عبد مناف) ، رغم انه آثر الاول على الثاني حسب قوله (١) . ولكن كفاءة الاخير تدخلت لمصلحته ، ليصبح في وقت لاحق راس التيار القوي الذي ستؤول اليه الزعامة الفعلية في مكة ابان العهد الوثني .

وهكذا سيؤدي غياب قصي كشخصية مؤسسة الى تفجير ازمة الحكم في مكة ، خاصة وان خليفته (عبد الدار) لم ينجح في ملء فراغه ومواجهة تنافس الاخوة الاقوياء . ولم يطل الوقت حتى قام ابناء (عبد مناف) ، الذين ورثوا نفوذ الاخير وطموحه ، بانقلابهم ضد بني عبد الدار وانتزعوا منهم السلطة الفعلية ، وذلك بزعامة كبيرهم عبد شمس (٢) . ولعل هذه المرحلة كانت المنعطف الاكثر اهمية في تكوين الشخصية السياسية والاقتصادية للاقليم الحجازي بزعامة مكة ، حيث اختمرت ملامحها آنذاك ، في وقت اضطربت فيه العلاقات الساسانية ــ البيزنطية ، وما رافقها من اغلاق طريق العراق او ركوده ، ومن ثم تنشيط الطريق البري بين اليمن والشام ، عبر الحجاز وتهامة .

بيد ان هذا « الانقلاب » لم يحقق عودة الحكم الفردي الى مكة ، لان احدا من الاخوة الاربعة (٣) المشاركين فيه، لم يتح له الاستئثار بالسلطة او الانفراد بها ، ولكنه اسهم في تكريس صيغة خاصة في النظام المكي ، وهي حكم الاقلية (الاوليجاركية) ، التي ظلت متداولة حتى الفتح الاسلامي للمدينة . اما الجانب الاخر في هذه الحركة ، فهو ارتباطها بتطورات التجارة العالمية ، التي كان لها انعكاس واضح عليها ، سواء في التوقيت المناسب ، ام في التنسيق المشترك ، ام في توزيع الادوار ، الى اخر هذه المعطيات التي هيأت ظهور نظام « الايلاف » ، محور الحياة السياسية والاقتصادية في مكة ، واحد ابرز مسوغات الانقلاب الذي تزعمه بنو عبد مناف . وقد اشار (الطبري) الى المعاهدات التي قام بانجازها اركان النظام الجديد مع القوى السياسية خارج الحجاز بقوله : « فكانوا اول من اخذ لقريش العصم . فانتشروا من الحرم . . اخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم

بيدك ولا يشرب بمكة ماء الا من سقايتك وما يأكل احد من اهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش امورها الا في دارك ، فأعطاه داره ودار الندوة التي لا تقضي قريش امرا الا فيها واعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة ». تاريخ الامم والملوك ج٢ ص ١٨٤ ، راجع ايضا انساب الاشراف ج١ ص ٥٣ ، الروض الانف ج١ ص ١٥٢ .

(١) اعطى عبد الدار : الحجابة ودار الندوة واللواء ، وعبد مناف : السقاية والرفادة والقيادة . الازرقي ، اخبار مكة ج٢ ص ١١٠ .

(٢) قيل انه توأم لهاشم، الطبري ج٢ ص ١٨٠ . السهيلي ، الروض الانف ج١ ص ١٥٣ .

(٣) هاشم ، عبد شمس ، نوفل ، المطلب . الطبري ج٢ ص ١٨٠ .

وغسان . واخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك السبب الى ارض الحبشة ، واخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب الى العراق وارض فارس . واخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير فاختلفوا بذلك السبب الى اليمن » (١) .

لقد كانت هذه الحركة ، استجابة لمتغيرات جذرية في المنطقة ، ،مخضت عن تمويل خطو طالقوافل باتجاه مكة ، مما اتاح لها الخروج من دائرتها المحلية كسوق تبادلي للقبائل المجاورة او محطة تقتصر على تأمين خدمات التجار والمسافرين ، الى دائرة أوسع ، لا تتوقف عند حد في علاقاتها المتشعبة .. او بعبارة اخرى ، وجد أصحاب « الايلاف » آنذاك ، فرصتهم النادرة في تنفيذ « انقلابهم » الداخلي ، ومن ثم القيام بالخطوة التالية التي وضعت موضع التنفيذ ، عندما اعلن (هاشم) ، ابرز الاخوة المتحالفين ، تسيير الرحلتين الشهيرتين (الى الشام واليمن) . ويبدو ان الظروف كانت موانية لمثل هذه الخطوة ، التي حظيت بتأييد عريض في فروع قريش ، نتيجة اتخاذها ذلك الخط « التعاوني » الهادف الى تحقيق حد ادنى من التكافل الاجتماعي والاقتصادي في مكة (١) .

ابراهيم بيضون
استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانية
استاذ مشرف في قسم الدراسات العليا
في الجامعة اليسوعية

(١) الطبري ج٢ ص ١٨٠ ، راجع ايضا المسعودي ، مروج ج٢ ص ٣٢ وكذلك البلاذري ، انساب ج١ ص ٥٩ .

(١) راجع الابيات المنسوبة لمطرود بن كعب الخزاعي :

يا ايها الرجل المحول رحله — هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت عليهم — ضمنوك من جوع ومن اقراف
الاخذون العهد من آفاقها — والراحلون لرحلة الايلاف
والمطعمون اذا الرياح تناوحت — حتى تغيب الشمس في الرجاف
والخالطون غنيهم بفقيرهم — حتى يكون فقيرهم كالكافي

المسعودي ، مروج ج٢ ص ٢٣ . البلاذري ، انساب ج١ ص ٦٠ .

جبل عامل في العهد الشهابي

١٦٩٧ - ١٨٤٢

— ١ —

بقلم العميد الركن د. ياسين سويد

انتهى حكم المعنيين لامارة الشوف عام ١٦٩٧ وخلفهم الشهابيون في حكم هذه الامارة ، ورغم تبدل الحكام ، فان الخط السياسي العام الذي اتبعه زعماء جبل عامل تجاه الحكم الشهابي لم يتبدل عما كان عليه تجاه الحكم المعني ، اذ انه ، كما في عهد الامراء المعنيين الذين خلفوا فخر الدين المعني الثاني ، لم يكن للامراء الشهابيين في جبل عامل ، حكم ثابت مستقر . ورغم ان كلا من هؤلاء الامراء كان يطمح الى ان يتولى حكم هذا الجبل ، بضمان من والي صيدا ، فغالبا ما كانت مهمتهم تنحصر في معاونة هؤلاء الولاة في جباية الضرائب والاموال المترتبة على العامليين ، اذا نمنع هؤلاء عن دفعها ، وهكذا نرى بشيرا الاول ، بعد عام واحد من توليه الحكم ، أي عام ١٦٩٨ ، يلبي دعوة ارسلان باشا المطرجي والي صيدا ، ويزحف الى جبل عامل بجيش قوامه ٨ آلاف مقاتل ، ليخضع احد زعمائه ، الشيخ مشرف ابن علي الصغير ، الذي خرج على الوالي ، وقتل بعض اعوانه ، واعتصم في قريته (المزيرعة ، او المزرعة او مزرعة مشرف) فيقاتله الامير فيها ، وينتصر عليه ، ويقتل عددا كبيرا من جماعته ، ثم يقبض عليه وعلى اخيه محمد ابن علي الصغير ، ويسوقهما الى الوالي الذي يسجنهما ، وتطلق يد الامير ، مقابل ذلك ، في صفد واقاليم جبل عامل (بلاد بشارة والشقيف واقليمي الشومر والتفاح) .

وتسلم الامير حيدر حكم الامارة الشهابية عام ١٧٠٦ ، فكان اول عمل قام به هو محاولة السيطرة على جبل عامل ، وكان بشير باشا ، الذي اصبح واليا على صيدا ، قد اعاد الشيخ مشرف الى حكم اقطاعته في بلاد بشارة (بعد ان كان ارسلان باشا قد اطلق سراحه) ، والتمس الامير حيدر من بشير باشا حكم جبل عامل بعد ان اغراه بالمال ، فاقطعه اياه . وفي عام ١٧٠٨ ، زحف الامير حيدر على جبل عامل بجيش قدره بعض المؤرخين بـ ١٢ الف مقاتل (١) ، وكان آل الصغير ، مع حلفائهم من آل منكر حكام اقليمي الشومر والتفاح ، وال صعب حكام الشقيف ، قد اعتصموا في بلدة « النبطية » فهاجمها الامير حيدر ، ودارت بين الفريقين معركة انتهت

★ من كتاب « التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين ، الجزء الثاني : الامارة الشهابية » وسيصدر قريبا .

بانتصار الامير الشهابي واحتلاله للبلاد ، حيث نصب عليها متسلما من قبله هو الشيخ محمود ابو هرموش ، بينما تشتت آل الصغير وحلفاؤهم تاركين حكم الجبل للامير الشهابي .

ولم تكن الحال بين الشهابيين والعامليين في عهد الامير ملحم (١٧٣٢ — ١٧٥٤) بأفضل منها عما كانت عليه مع من سبقه من حكام هذه الامارة ، اذ استهل الامير ملحم المذكور حكمه باظهار طموحه للتوسع نحو جبل عامل ، ففي عام ١٧٣٤ ، طلب من سليمان باشا العظم ، والي صيدا ، ان يقطعه بلاد بشارة ، وكان زعماؤها ، من آل الصغير ، قد خرجوا عن طاعة الوالي وامتنعوا عن اداء الاموال الاميرية اليه ، فأقطعه اياها ، وقام الامير ملحم بحملة على هذه البلاد حيث نازل زعماءها في بلدة « بارون عام ١٧٣٤ نهزمهم ، وفر آل الصغير الى القنيطرة .

وفي عام ١٧٤٣ خرج المناكرة والصعبية على الوالي سعد الدين باشا العظم ، والي صيدا ، فارسل الامير ملحما الشهابي لتأديبهم ، ودارت بين الفريقين معركة ضارية في جوار قرية « انصار » انتهت بهزيمة العامليين ولجوئهم الى داخل القرية ، حيث أقدم الامير ملحم على اقتحامها واحراقها ، ثم عاد بعسكره الى دير القمر ، وقد خسر العامليون في هذه المعركة نحو الف وستمائة قتيل ، كما قبض الامير على اربعة من مشايخهم ، ويذكر « دي لان Do Lane » قنصل فرنسا بصيدا ، في رسالة منه الى وزير الدولة الفرنسي « الكونت دي موريباس Comte De Maurépas » بتاريخ ٢٠ آب من العام نفسه (١٧٤٣) ، هذه الوقعة بقوله : « ان الصدر الاعظم حانق جدا ، بسبب رفض مشايخ المتاولة دفع الضريبة ، وبعض المتوجبات الاخرى لحكامهم ومنهم سليمان باشا — والي صيدا — لذا ، فقد امره ، كما امر امير الدروز — الامير ملحم الشهابي — بمحاصرة قلاعهم وتصفية سكان تلك البلاد جميعا بحد السيف ، وهكذا فقد دخل الامير ، عند تلقيه هذا الامر ، بلاد المتاولة ، بجيش مقداره خمسة عشر الف رجل ، حيث نشر النار والدمار في كل مكان حل فيه » (٢) .

وفي عام ١٧٤٩ اعتدى المناكرة على اقليم جزين ، وكان داخلا في حكم الجنبلاطيين حلفاء الشهابيين ، فقتلوا اثنين من اتباع الشيخ علي جنبلاط حليف الامير ملحم ، فحشد الامير جيشا وسار لقتالهم حيث لقيهم في قرية « جباع الحلاوة » فقاتلهم وقتل منهم نحو ثلاثماية رجل .

مرت ولاية الاميرين منصور واحمد الشهابيين (١٧٥٤ — ١٧٦٣) ثم ولاية الامير منصور منفردا (١٧٦٣ — ١٧٧١) ، على الامارة الشهابية ، دون حوادث ذات اهمية بين العامليين والشهابيين ، وذلك لان الامراء الشهابيين كانوا منشغلين ، في هذه الفترة ، بالخصومات والصراعات الداخلية فيما بينهم ، مما قيض للعامليين نوعا من الاستقلال الذاتي والتصرف الحر ، الا ان ذلك لم يمنعهم من التحسب واليقظة ، خاصة وقد لقوا ،

في خلال انتفاضاتهم المتعددة على الحكم العثماني ، وبالتالي على الحكمين المعني والشهابي ، من الشدة والقسوة ما جعلهم لا يطمئنون الا لحكم زعمائهم ، وكان عليهم ، في الوقت نفسه ، ان يزيدوا من قواهم الذاتية من جهة ، وأن يبحثوا ، من جهة اخرى ، عن تحالفات عسكرية تتيح لهم الصمود والمنعة . وفي هذه الاثناء ، قام ، في العامليين ، زعيم وحد صفوفهم وجمع كلمتهم ، هو الشيخ ناصيف النصار ، من آل الصغير ، الذي وصفه « شفالييه دو توليس » de Taulies قنصل فرنسا بصيدا ، في رسالة منه الى « الدوق ديغويون » Duc D'Aiguillon بتاريخ ٢٨ حزيران ١٧٧٢ بأنه « الشيخ الكبير الذي اشتهر في كل سوريا بشجاعته » (٣) . كما قام ، في ديار عكا وصفد ، حاكم طموح وقدير ومتحفز هو الشيخ ظاهر ابن عمر بن ابي زيدان ، الذي اشتهر بظاهر العمر ، وقد تسلم تلك الديار من والي صيدا ، بشير باشا ، في اول عهده بالولاية عام ١٧٥٦ ، واخذ يرقب ، بعين حذره ويقظة ، ما يجري في شمال بلاده وجنوبها ، ففي مصر حاكم يحلم بالتوسع شمالا ، نحو بلاد الشام ، ويطمح للتعاون مع حاكم مدبر في فلسطين يسهل له دخول تلك البلاد ، هو علي بك الكبير وقائده محمد بك ابو الذهب ، وفي جبل عامل مشايخ عانوا الكثير من الظلم العثماني المتحالف مع امراء آل معن ومن بعدهم آل شهاب ، فأضحوا تواقين للتحالف مع قوة تساندهم وتعزز قوتهم وتشد أزرهم ، وهكذا التقى ، في ساحة فلسطين ، وعلى امتدادها ، شمالا من صيدا ، وجنوبا من مصر ، ثلاث قوى تكمل بعضها ، هي قوة المصريين والصفديين والعامليين ، وقد بلغ هذا التحالف ادقه في اول معركة خاضها ضد العثمانيين وحلفائهم الشهابيين في صيدا عام ١٧٧١ مما حدا بدراغون Dragon النائب التجاري الفرنسي بصيدا ، الى تسميته « باتحاد كونفدرالي Confédérations بين مصر والشيخ ظاهر العمر والمتاولة ، ضد السلطان وولاته وحكامه ، وذلك في رسالة بعث بها الى الدوق ديغويون وزير الدولة الفرنسية ، بتاريخ ٢ أيار ١٧٧١ (٤) .

الا ان التحالف بين العامليين والشيخ ظاهر العمر لم يكن سهلا في بدايته ، فقد سبقه صراع مسلح بين شيخ مشايخ العامليين ناصيف النصار والشيخ ظاهر ، حيث تقاتلا في عدة معارك اهمها « معركة تربيخا » التي جرت عام ١٧٥٠ ، فقد كان الشيخ ناصيف ، في هذه الفترة ، في مقره تبنين ، وقد حصن قلعتها واشاد فيها ابراجا منيعة ، وشحنها بالرجال والسلاح ، وبسط ، منها ، سلطانه ، على كل انحاء جبل عامل ، وكان جارا حدوديا للشيخ ظاهر الذي رغب في « التحرش » بالزعيم العاملي فطالبه ببلدتي « مارون الراس »و « البصه » باعتبارهما من بلاد فلسطين، فرد الزعيم العاملي رسول الشيخ ظاهر خائبا مما دفع الشيخ ظاهر لاحتلالهما فثارت الحرب بين الزعيمين ، وكانت وقعة « الدولاب » او «تربيخا» التي

هزم فيها الشيخ ضاهر ووقع اسيرا بين يدي الشيخ ناصيف الذي « انقض عليه » و « مكن الرمح من صدره ، ثم عفا عنه واكتفى بسلبه فرسه » (٥) ؛ وقد قتل من رجال الشيخ ضاهر في هذه الوقعة نحو ١٥٠ خيالا كما قتل من رجال الشيخ ناصيف نحو عشرين خيالا ، وغنم الشيخ ناصيف مئة فرس من خيل الشيخ ضاهر بعد ان قتل خيالتها (٦) . وانتهى الصراع المسلح بين الزعيمين بمعاهدة تحالف ودفاع انجزت بينهما في عكا عام ١٧٦٧ ، حيث « حلفا اليمين على السيف والمصحف ان يكونا وشعباهما متضامنين متصافيين ما دامت الارض والسماء » (٧) ، وكان هذا التحالف قد تم بناء لوساطة بين الطرفين قام بها الامراء الشهابيون وحلفاؤهم المشايخ الجنبلاطيون ، وكانوا ، حينذاك ، على علاقة حسنة بالفريقين . يحدثنا عن ذلك قنصل فرنسا بصيدا المسيو « كليرامبو Clairambault » في رسالة منه الى وزير الدولة الفرنسية « الدوق دي براسلان Duc De Braslin » بتاريخ ٢٣ نيسان ١٧٦٧ ، جاء فيها : « الشيخ ناصيف النصار هو اليوم شيخ مشايخ المتاولة الذين يقيمون من صيدا حتى ارض عكا ، وهو يحمي الشيخ عثمان ابن الشيخ ضاهر العمر الذي لجا اليه — وكان الشيخ عثمان قد خرج عن طاعة ابيه فلجا الى الشيخ ناصيف — وبما ان الحرب في هذه البلاد تهدا ثم تجدد كل ثلاثة اشهر ، فانها تنتهي بخراب احوال الفلاحين ، وباعطاء المبرر لمشايخهم لتاجيل دفع الضرائب والمستلزمات المالية للوالي . وقد وصل الى هنا — اي الى صيدا — الامير اسماعيل — امير وادي التيم — وثلاثة من مشايخ الدروز هم الشيخ علي جنبلاط والشيخ عبد السلام العماد والشيخ كليب النكدي ، وهؤلاء يعاضدون الشيخ ناصيف ، فعملوا على احلال الوفاق بينه وبين الشيخ ضاهر العمر » (٨) . ولا يغربن عن بالنا ان هذا الوفاق قد تم في عهد الامير منصور الشهابي (١٧٦٣ — ١٧٧١) الذي كان كما قيل عنه « لين العريكة لا يخلو من جبانة قليلة » ، فعمل على احلال الوفاق محل الخصام بينه وبين العامليين طيلة مدة ولايته ، حتى اصبحوا يوالونه حقا .

وما ان تم الوفاق بين الشيخين ناصيف النصار وضاهر العمر حتى انقلب هذا الوفاق الى تحالف وطيد ، نظرا للعداوة التي كانا يكنانها للعثمانيين والشهابيين ، وكانت اول تجربة ناجحة لهذا التحالف هي الوقعة التي جرت بين المتحالفين وبين عثمان باشا والي دمشق عند بحيرة الحولة في ايلول عام ١٧٧١ ، اذ انه ، ما ان انتهت ولاية الامير منصور ، وخلفه في الحكم ابن اخيه الامير يوسف (عام ١٧٧١) حتى انتفض العامليون مجددا ضد حكم درويش باشا (والي صيدا وابن عثمان باشا الصادق والي دمشق) ، فرفضوا دفع الاموال الاميرية ، وطردوا عمال الوالي من ديارهم ، فعزم عثمان باشا عندئذ على مهاجمة جبل عامل وبلاد صفد ، تعزيزا لمركز ابنه

والي صيدا ، ومساعدة له ، فسار لقتال العامليين والصفديين بجيش قدره بعض المؤرخين بعشرة الاف مقاتل مع ١٢ مدفعا ميدانيا و ٤ مدافع لدك الحصون (٩) وهب العامليون والصفديون لقتاله بقيادة كل من الشيخ ناصيف والشيخ ضاهر ، وساروا لملاقاته عند الحدود الجنوبية الشرقية لجبل عامل ، وعسكر الشيخ ناصيف برجاله ، وكانوا نحو خمسماية فارس ، قرب مقام النبي يوشع ، بينما عسكر عثمان باشا بجيشه عند بحيرة الحولة ، واغتنم العامليون والصفديون ظلمة احدى الليالي وتقدموا نحو عدوهم فاحاطوا به من جميع الجهات وفاجأوه وهو غير متحسب لهجومهم ، ثم اطبقوا عليه ، ودارت بين الفريقين رحى معركة عنيفة انتهت بهزيمة الوالي وقتل عدد كبير من جيشه قدره بعض المؤرخين تقديرا نرى فيه كثيرا من المبالغة ، وهو ٨ آلاف رجل (١٠) بينما قال اخرون ان هذا الجيش « قد فني عن اخره، ومن سلم من القتل رمى نفسه في البحيرة فمات غرقا » (١١) وقد غنم المهاجمون كثيرا من خيول المنهزمين واسلحتهم وامتعتهم وعتادهم ، ولم يفقد الشيخ ناصيف سوى واحد من رجاله فقط (١٢) ، بينما فر الوالي نحو دمشق طالبا النجاة لنفسه ، ويذكر « دراغون » النائب التجاري الفرنسي بصيدا ، ان درويش باشا والي صيدا قد فر من المدينة عندما علم بهزيمة والده عثمان باشا في هذه الوقعة ، الا انه عاد اليها بعد ذلك بحماية من جند الامير يوسف الشهابي (١٣) .

ولا ريب في ان الذي دفع الامير الشهابي للدخول في هذه الحرب الى جانب الوالي العثماني هو ما وصله من انباء عن اجتياح العامليين لبلدة مرجعيون وقرى الحولة ، وهي ، في ذلك الحين ، من اعمال خاله الامير اسماعيل امير حاصبيا ، فجهز الامير يوسف ، عند ذلك ، لقتال العامليين ، جيشا قدر بعشرين الف رجل ، من مشاة وخيالة ، وارسل الى خاله الامير اسماعيل ، ليلاقيه بمن عنده من المقاتلين (١٤) ، ثم نهض من عاصمته دير القمر ، باتجاه صيدا ، حيث عسكر عند جسر الاولي ، فبات ليلته هناك ، وانطلق ، في اليوم التالي ، الى بلدة « جباع الحلاوة » حيث تحشد آل منكر وحلفاؤهم من آل الصغير وال صعب ، فلما عرف هؤلاء بضخامة الجيش الذي جاء به الامير لقتالهم ، تفرقوا ورحلوا عن البلاد بلا قتال ، بينما وصل الامير الى « جباع الحلاوة » فاحرقها ، كما احرق جميع قرى اقليم التفاح (١٥).

واتصل العامليون بحليفهم الشيخ ضاهر ، يطلبون منه العون والنجدة ، فكتب الشيخ ضاهر الى الامير اسماعيل امير حاصبيا يتوسطه لكي ينصح ابن اخته الامير يوسف باحلال الصلح بينه وبين العامليين ، وارسل الامير اسماعيل كتاب الشيخ ضاهر الى الامير يوسف ، وطلب منه ، باسمه الشخصي ، ان يتوقف عن مطاردة العامليين وارهاقهم تجاوبا مع وساطة الشيخ ضاهر ، ولكن الامير يوسف رفض قبول الوساطة ، كما

انه لم ينتظر وصول خاله الامير اسماعيل الذي طلب منه البقاء في مركزه دون مس حتى وصوله ، فانطلق بجيشه الى كفر رمان فأحرقها ، ثم الى النبطية (تشرين الاول ۱۷۷۱) حيث كان العامليون قد استقروا بعد ان جمعوا فلول مقاتليهم فبلغت نحو اربعة الاف مقاتل ، وانضم اليهم حليفهم الشيخ ضاهر الذي اغاظه عدم قبول الامير يوسف لوساطته ، وعزم الجميع على ملاقاة المهاجمين ، وما ان وصلت طلائع جيش الامير يوسف الى النبطية حتى بادرها العامليون ورجال الشيخ ضاهر بالقتال جنب الذعر في صفوف جيش الامير يوسف وولى جنده منهزمين وقد تركوا خلفهم ، حسب بعض المؤرخين ، نحو الف وخمسماية قتيل ، ولم ينقذ الامير يوسف وجيشه الا وصول خاله الامير اسماعيل بجيشه ، ولكن الامير يوسف ظل يتقهقر بجيشه حتى دخل امارته ، وخاف درويش باشا والي صيدا من لقاء العامليين وحلفائهم ففر من المدينة (١٦) .

وقاد الشيخ ضاهر الهجوم باتجاه الشمال ، وكان ذلك طموحا قديما لديه ، فدخل صيدا فاتحا حيث مكث فيها مدة ، ثم عين عليها متسلما من قبله هو احمد آغا الدبكزلي ، وغادرها الى فلسطين . وحكم العامليون صيدا في هذه الفترة ، واقاموا فيها يتحرشون بامارة الامير يوسف ، واستقرت العداوة بين الامير يوسف والولاة العثمانيين من جهة ، والشيخ ضاهر وحلفائه العامليين من جهة اخرى ، ولم يكن ممكنا ان تسمح السلطنة للشيخ ضاهر وحلفائه بهذا الانتصار، فأرسل عثمان باشا والي دمشق يطلب من الامير يوسف تجهيز جيش لمقاتلتهم ، وكتب الى الوالي خليل (او خليل باشا) والي القدس ، ومعه الجزار ، ان يرافقه في هذه الحملة ، وامدهم بكل ما يلزمهم من معدات القتال ، فتجمع للامير يوسف نحو عشرين الف مقاتل ضربوا حصارا حول صيدا مدة اسبوع كامل كاد الدنكزلي في نهايته ان يستسلم ويسلم المدينة للمحاصرين لولا ان الشيخ ضاهر اوفد سفنا مسكوبية حربية ، استأجرها لهذا الغرض ، فأطلقت مدافعها على الجيش المحاصر ، مما اضطره الى فك الحصار عن المدينة .

ورغم ذلك ، فقد حاول الشيخ ضاهر ان يتحاشى استئناف القتال ، فأرسل الى الامير يوسف يطلب منه ان يرجع بعسكره الى جسر الاولي شمالي صيدا ، الا ان الامير ابى ذلك ، فزحف الشيخ ضاهر وحلفاؤه (المصريون هذه المرة) والعامليون ، تجاه صيدا والتقى الجيشان في سهل « الغازية » جنوبي شرقي صيدا (١٢ حزيران ۱۷۷۲) حيث جرت بينهما معركة انتهت بهزيمة الامير يوسف وحليفه الوالي خليل ومن معهما ، وطارد الشيخ ضاهر وحلفاؤه فلول جيش الامير يوسف حتى حدود امارته ، بينما فر الوالي خليل بمن معه الى دمشق .

حواشـــي

(١) يزبك اوراق لبنانية ، الجزء السادس ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٥٦ ص ٢٧٧ (رسالة من احد مديري الرهبنة اللبنانية المارونية الى رئيسه العام في روما ، اخذت من مخطوطة بعنوان « سجل اللبودي » ص ٥٩ ـ ٦٠ ، في مكتبة الرهبان الحلبيين الموارنة بروما) .

(٢) Ismail, Doc. diplomatique et consulaires T2 p. 72.

(٣) Ismail, Ibid, T2 p 240

(٤) Ismail, Ibid, T2 p. 169.

(٥) آل صفا ، تاريخ جبل عامل ، ص ١١٨ ، وآل فقيه ، جبل عامل في التاريخ ، ج٢ : ٩٤ ـ ٩٦ . ويذكر آل فقيه ، وكذلك آل صفا ، ان الشيخ ناصيف أعاد للشيـــخ ضاهر فرسه وكانت تسمى « البرصاء او البريصة ، تصغير برصاء » قائلا « لا حاجة لنا بالبريصة بعد ان رجعت لنا البصيصة » ، ويقصد قرية « البص » التي كان الشيخ ضاهر قد احتلها فاستعادها الشيخ ناصيف بعد هذه الوقعة . ويذكر آل فقيه ، نقلا عن الشيخ علي السبيتي ، انه ، اي الشيخ علي السبيتـي ، قد « اركب » الشيخ ضاهر ، على فرسه « بيده » (آل فقيه ، المصدر السابق ج٢ : ٩٥) .

(٦) آل فقيه م.ن. ج٢ : ٩٥ .

(٧) آل صفا ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٨) Ismail, Op. Cit. T2, p. 151

(٩) آل صفا المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(١٠) آل فقيه المصدر السابق ، ج٢ : ١٠٧ .

(١١) آل صفا ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(١٢) ـ آل فقيه ، المصدر السابق ، ج٢ : ١٠٦ ـ ١٠٨ ، وآل صفا ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ وانظر ، لذلك ، رسالة المسيو دراغون ، النائب التجاري الفرنسي بصيدا ، الى الدوق ديغويون وزير الدولة الفرنسية ، بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٧٧١. Ismail, Op. Cit. T2. p. 190

(١٣) الرسالة نفســها اعلاه p. 191 - 193 والنظر ، لذلك ، آل فقيه ، المصدر السابق ، ج٢ : ١٠٨ .

(١٤) يذكر دراغون في رسالته المشار اليها اعلاه انه يتوقع ان يصبح جيش الامير يوسف، بعد انضمام خاله الامير اسماعيل اليه ، نحو اربعين الف مقاتل ، معظمهم مـن المشاة (Ismail, op. cit. T2 p. 193) ذلك ، ولا شــك ، مبالغة واضحـة بقــوة الامير .

(١٥) رسالة دراغون نفسها Ismail, Ibid, T2 p. 195.

(١٦) انظر رسالة دراغون المشار اليها اعلاه Ismail, Ibid. T2 pp. 195 - 196 ويرى بعض المؤرخين ان رجال الشيخ علي جنبلاط الذين كانوا في عداد جيش الامير يوسف لم ترقهم هذه الحرب فانكفأوا ، مما ادى الى تضعضع صفوف جيش الامير ثم هزيمته . ويذكر « دراغون » في رسالته المشار اليها اعلاه ان الشيخ علـــي جنبلاط ، الذي كان قد بقي مع ثلة من رجاله في صيدا لحماية واليها ، علم بالهزيمة التي مني بها جيش الامير فقرر مغادرة المدينة في اليوم التالى للمعركة (٢١ تشرين الاول) مع رجاله وبرفقته الوالي ، Ismail, Ibid, T2 p. 196

عودة الكلمة والتعبير بالمداورة

بقلم د. عباس مكي

بمناسبة عودة مجلة العرفان الى الصدور، احياء للتراث الفكري العاملي الذي شاركت هي نفسها بتكوينه، مستعيدة بذلك دورها الحافظ للفكر الاصيل والمروج له والمحرض على انتاجه. بهذه المناسبة نخطر في بالنا وبالحاح بالغ محنة التعبير في بلادنا واعتلال الديمقراطية فيه. وتدور خواطرنا في هذا المجال حول ما تطلق عليه عملية « عودة الكلمة والتعبير بالمداورة »:

اننا نتساءل: هل ان عودة « العرفان » الى الظهور هي عودة لقوة الكلمة في بلادنا الصابرة او ان فيها اعادة اعتبار لرمزية التعبير بالمداورة ؟؟. مقالنا هذا هو تجسيد وتسجيل لخواطرنا، يتراوح من الكلمة المباشرة الى الرمزية المداورة !.

وهذه القضايا كلها مرتبطة بمسألة الرقابة التي تظهر احيانا بخجل واحيانا اخرى بجراة متمادية في بلادنا. ولعل اخطر ما تخضع له الكلمة في اطار الرقابة الطويلة هو انها تدخل، نتيجة للكبت الطويل، في عالم مركب من الهوامات التي تتجذر في النفس وتصل الى اقصى حالات التاثير والتاثر وتحمل معنى القوة والعزم والصلابة وتصبح ميدانا خصبا لنشوء توجهات غاشية لا عقلانية احيانا، وذلك بسبب اغراق الكلمة وهواماتها في عالم متشابك من ردات الفعل على الواقع المعاش وعلى قهر حرية التعبير ... وكأن الكلمة التي تصدر عن رجيع بعيد للواقع المعاش — ونتيجة للكبت الطويل — تفتقد معنى واهمية التعبير المباشر وتدخل في متاهات الفعل وردات الفعل في عملية انتقام معقدة لحقها الاول المفقود.

ان اواليات الرقابة تجهل هذا الواقع وتعتقد عن خطأ فادح ان الكبت المباشر للكلمة يفقدها اهميتها ويكفل على المدى الطويل عملية دفعها الى عالم النسيان النهائي ... ويفقدها الطابع العاطفي المباشر والمؤثر والفعال .. ان العكس هو الصحيح تماما، وهو الذي يتكفل بادخالها في متاهات الهوامات اللاواعية على ان تكون في عودتها قوة غاشية لا تقهر. وهذا ما يجسد ما نسميه عودة المكبوت او عودة الكلمة بالمداورة.

واذا عدنا الى بعض الدعوات التاريخية ومن واقع المحيط المادي الذي نعيش فيه، نرى ان « الكلمة » التاريخية هي التي تشكل الاساس الهوامي لمجمل هذه الدعوات ولما تحمله من « حقوق » تاريخية، فهذا النبي نال هذا والكتاب دوّن هذه الكلمة ... مما يكسب الدعوة صفة القداسة ويوصلها

الى مرتبة الالوهية ومما يعطيها استتباعا قوة التحريك الهوامي الهائلة .

والمداورة ، هي عملية تعبيرية لا واعية في معظم الاحيان ، كردة فعل على قوانين المنع والتحريم الاساسية التي يفرضها المجتمع . وهذا يتم بسبب الحاح الفكرة او الكلمة الدفينة والمكبوتة بتأثير من الرغبة العميقة عند المفكر والكاتب . وهذا الشكل التعبيري بالمداورة يتم من خلال عمليات ترميزية معقدة تحاول ان تغافل قوانين المنع بحرفيتها وحيثياتها المحدودة . على ان تشكل طريقا مداورا يحاول ان يكون بمنأى عن قواعد المنع والتحريم المباشرة . ان هذه العملية هي اشبه بمياه النهر التي تبحث لها عن مجرى مقبول بحسب طبيعة الارض التي تجري فيها هذه المياه ؟ او كالنبتة التي تنمو وهي تداور حجرا او تربة صلبة بحيث يأخذ جذعها الشكل الذي تسمح به طبيعة هذه الارض . فهي تكوّن لذلك السبيل الوسط الذي يحترم جزئيا وشكليا عملية المنع ، ولكنه يشبع جوهريا الرغبة الاساسية للطاقة الكامنة التي تطلب الاشباع بشكل من الاشكال ... وهذا هو التعبير بالمداورة للمعطيات الموضوعية حسابا في عملية التحايل على مبدأ الواقع .

واما اشكال التعبير بالمداورة فيمكن ان تأخذ المسالك المختلفة التالية :

ا ــ نتيجة للرقابة على التفكير والتعبير الحر ، يمكن ان تأخذ الرقابة وجها شكليا ، اي انها يمكن ان تظهر على طريقة نشرات وكتب وطبعات مهربة في معزل عن السلطة والرقابة والاجهزة المختلفة . وهذا ما يتبعه في واقع الحال المفكرون الذين يمنعون من دخول البلاد هم وفكرهم وكتبهم او الافلام التي تطالها الرقابة ، او الاحزاب التي يمنعها قانون الدولة من ممارسة العمل السياسي او الترويج الفكري لايديولوجية الحزب الممنوع . والواقع ان الدولة بأجهزتها ، لا تستطيع ، مهما بلغت طبيعتها البوليسية ، ان تتحكم بواقع الفكر والنشر والتعبير في بلد ما ، والامثلة على ذلك كثيرة وتأتي من بلدان متعددة . وفي معظم البلدان نجد ان الاحزاب والمفكرين والكتاب الذين يطالهم المنع والتحريم يهربون النشرات والاخبار والافكار بالوسائل المختلفة .

ولعل ذلك من اسهل السبل للرد على عمليات الرقابة . ونشير الى ان الرقابة عندنا تعمل كثيرا في هذا المجال وهذا ما نستدل عليه من عدد المرات التي تعمد فيها الرقابة الى توقيف جماعة تروج لكتاب ممنوع او لمنشورات ممنوعة ، او لصحيفة ممنوعة .. او توقف مجلة او صحيفة او نشرة عن الصدور لمخالفتها قوانين الرقابة في غفلة من مقص الرقيب !

ب ــ كما يمكن ان يكون التعبير بالمداورة على شكل صور ابلاغية مختلفة ، وخاصة في المجال الادبي والفكري العام ، علما بأن هذا النوع من التعبير بالبلاغة من طباق وجناس وتشبيه واستعارة وكناية وما الى ذلك .. هو الشكل الاكثر فعالية للرد على واقع الرقابة الصارمة . اننا نرى ، من

قراءتنا لتاريخ الشعر والادب عامة ، بروز ونشوء وتطور المدارس الرمزية المختلفة بشكل متوازن ومتواز مع نشؤ الانظمة التعمية الصارمة التي تحاول ان تغتال حرية الفكر والتعبير باشكالها المختلفة . فالطريق الشعري والابلاغي عامة هو اقصر الطرق واغناها واكثرها فعالية للرد على قواعد المنع والتحريم وعلى قساوة النظام السياسي القائم وعلى ايديولوجيته الاستنسابية .

ولعل ما يسمى بالشعر الحديث او المحدث ، او الشعر المنثور والنثر الشعري ، والمدارس التعبيرية المختلفة في مجال الرسم والنحت والمسرح وغيرها وغيرها ... من سيريالية وما الى ذلك .. كلها اشكال من التعبير بالمداورة كردة فعل على ضيق افق الرقابة وقساوة الاجهزة القائمة وطبيعة النظام القائم . ولذلك نجد دائما تزايد ظهور الشعراء والكتاب والادباء والمفكرين الثوريين حين تقوى رقابة الاجهزة وتتكاثر تحديات النظام وهذه ظاهرة واضحة خاصة في بلدان العالم الثالث التي يعتبر عالمنا العربي جزءا اساسيا منها .

ج — والشكل الثالث من الاشكال التعبيرية بالمداورة ، هو الشكل التقليدي والكلاسيكي الذي نعرفه جيدا في لغتنا العربية : انه يعتمد لغة رمزية خيالية هي لغة الحيوان للتعبير عن واقع المعاش . ويمكن ان نأخذ مثلا على ذلك ما عمد اليه عبد الله بن المقفع من اعتماد لغة الحيوان للدلالة على واقع معاش على المستوى السياسي والاجتماعي .

فهو اعتمد هذه اللغة على لسان الحيوان في كتابه الشهير « كليلة ودمنة » وغني عن القول ان الكاتب ، اعتمادا على خياله الخصب ، ووعيه العميق لمجريات الامور على اصعدة المعاناة المختلفة ، عبر مداورة وبشكل تحريك للحيوانات ومشاعرها بقالب انساني معبر . وتحدث بذلك عن واقع الملوك والوزراء والامراء والمسؤولين ، واعطى حكما عميقة الدلالة تصلح لان تكون كتابات سياسية بليغة الدلالة .

كما يمكن ان نشير الى لافونتين الفرنسي ، وخرافاته عن الحيوانات على نفس النسق وفي نفس الاطار والسياق الذي يتحدث فيه ابن المقفع .

من الملاحظ ان هذه العمليات التحريكية على لسان الحيوانات قد عممت فعلا على مجالات العمل السياسي والفكري والتعبيري الواسعة ، على انها تعتبر ملجأ تهرب اليه الكلمة والفكرة في مواجهة سلطة القمع وقساوة الرقابة وبطش السلطان وطبقة الحكم وحكم الطبقة .

ولعل هذا الشكل المداور من التعبيرات هو الاكثر طرافة والاكثر ايحاء وفعالية بالنسبة للكاتب والمفكر لما يتيحه له من امكانيات الجرأة في التعبير لان ذلك يتم على لسان الحيوان وهو بالتالي خرافي ، وللقارىء فيه لذة القراءة وبعد الخيال وفائدة التفكير والايحاء ، ثم ان الرقابة تقف حائرة

امام هذا النوع من التعبير ، لان معانيه خافية وتداور الفكرة والرقابة في آن واحـــد .

ان انتاج الاشكال التعبيرية بالمداورة في اقطارنا العربية ليست سوى نتاج لمعضلة الديمقراطية في بلادنا . او لاشكالية ديمقراطية الكلمة المشدودة بين الفكر العربي المحافظ والفكر العربي التقدمي : والسؤال هو التالي :

هل يستطيع الانسان العربي العادي ، او المفكر العربي المثقـف ، ان يقول ويكتب ما يعتقد انه صدى ورجيع معاناته الاساسية واليومية في المجتمع او في القطاع الذي يعيش فيــه ؟

لقد قيل ــ عربيا ــ ان حرية الكلمة هي المقدمة الاولى للديمقراطية . فالى اي مدى يطبق وتحت اي من الظروف يغتال هذا الشعار ؟ وواقــع الحال ان الانتاج الفكري والكلمة والكتاب المعبر عنه ، مصادر في البــلاد العربية اجمالا . وتتم هذه المصادرة عن طريق الرقابة تارة باسم الديــن وطورا باسم الثورة وفكرها ومصــالحها العليا .

ولكن من غير الثابت ، علميا ونفسانيا واجتماعيا ، ان هذه الطريقة في الرقابة هي الصـحيحة بشكل مطلق وهي التي يجب ان تكون في كل الاحوال . وعلى هذا فاننا لا نستطيع ان نحدد بشكل مطلق ان اي نظام ــ لصالح الدين او لصالح الثورة والتقدم ــ يمكن له ان يمنع الفكر عن التعبير عن ذاته بواسطة الكلمة والكتاب ، بل على العكس ، نرى ان هذا الواقع الرقابي يشير الى ان الجهاز الايديولوجي والمؤسسي هش ومصطنع لدرجة انه يخاف من الفكر الحر والتعبير العفوي عن حقائق المعاناة اليومية التـي تعيشها اوسع الجماهير . والمقولة التي تحاول ان تبرر الرقابة الصارمة هذه على اســاس عدم امكانية الجماهير لفهم وممارسـة الديمقراطية وحرية التعبير ، هي في النهاية آواليات دفاعية بالغة الدلالة على جزئية الشرعية الرسـمية ، وجزئية تعبيرها عن مصـالح الجماهير ، ولصالح فئة ضيقة .

وهذا يعتبر ايضا مؤشرا الى ان التعبير الديمقراطي في ازمة الانظمة العربية وهي ازمة تتساوى فيها الانظمة التقدمية والانظمة المحافظة اجمالا .

والجانب الاساسي في هذه الازمة ، يتمثل في اشكال الرقابة وواقعها .

والنقطة الاخيرة التي تفرض نفسها بفعل هذا التداعي الحر للافكار بمناسبة عودة مجلة « العرفان » الى الصدور تتركز حول قضية الابداع ما بين الاصالة والتجديد :

ان من الصدف الغريبة والمضحكة في آن واحد ، هي ان اصحــاب الحكم والفكــر السائد في اقطارنا العربيــة يقفون موقفا قمعيا مــن بعض التيارات الجذرية ، على اساس انها مستوردة مــن الخارج . أي انها لا تتناسب مع الواقع المحلي والعربي ... في الوقت الذي لا نجد فيه اثرا للابتكار او التدامج مع الواقع في مجمل النتاج العربي . ذلك ان عمليــة

النسخ والتقليد المقبولة من جانب اصحاب الراي والنفوذ في مواقع السلطة ، هي العمليات التي تخدم مصالح هذه الفئات .

ان مستوى الابداع في الانتاج الفكري العربي يصطدم عموما ودائما بالانماط المحنطة التي يفرقها منطق السلطة من ناحية ، ومنطق التقليد المحافظ من ناحية ثانية . حتى عمليات الرجوع الى باطن التراث ومحاكاته والاستنباط منه ، فانها تصطدم دائما بالانماط التي يجب الركون اليها . هذا فضلا عن الابحاث العلمية التي لا يسمح بها الا اذا اتت متناسبة مع منطق الحكم .

ان الابداع والتجديد والابتكار ... تعبر كلها عن عمليات التفاعل بين الواقع المحلي مع الواقع الغربي . وفي ذلك يتم فهم الواقع والتفاعل معه واستنباط الافكار والصور والمعاني منه بشكل يتناسب مع موقع الانتماء لهذا الواقع اضافة الى اعطاء لمسة ذاتية وخاصة على هذا الانتاج تشير الى وجود الحس المرهف وغنى الرؤية واتساع الافق وحركة الحياة وحيوية المشاعر عند منتج الفكر والراي .

ان كل شيء مقبول ومحتمل في اطار عمليات الابداع ، على ان يتم ذلك في اطار من البناء المتكامل والناضج . وفي الابداع لا يمكن الا ان يتم التمازج بين الثقافات المختلفة ؛ على ان هذا التمازج لا يوجد الا اذا تم استيعاب الحضارات والثقافات ووصل المنتج الثقافي الى عملية ابتكار جديدة من خلال الاستيعاب الواعي واللاواعي ، في اعماق ذاته وعقله وفكره لعناصر الثقافات والافكار المختلفة والمكونة للابتكار ـ الخلق الجديد .

ان عودة مجلة « العرفان » الى الظهور لمؤشر خير على توسع امكانات التعبير الحر عن فكر المثقف العربي اللبناني بشكل مبدع وخلاق : ان كان لا يخلو المداورة الذكية فانه لا يخلو ايضا من الاصالة المجددة .

عباس مكي

مِنْ تَارِيخ دِمَشق

بقلم : عيسى فتوح

عثرت في مكتبة احد الاصدقاء على مخطوطة قيمة عنوانها « نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان » الفها « اسكندر ابكاريوس » على اثر فتنة عام ١٨٦٠ التي اندلعت في لبنان ، وامتد لهيبها الى دمشق . نسخت المخطوطة — التي تقع في تسعة فصول — عن المخطوطة الاصلية الموجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة حاليا ، تحت رقم (٥ : ١٧١) وكان المؤلف قد اهداها لمصطفى فاضل باشا ، وقيل لباي تونس (١) .

تقع المخطوطة التي بين يدي في مئتي صفحة من القطع الصغير ، وبالرغم من انها نسخت بخط واضح وجميل ، الا انها لا تخلو احيانا من بعض الاخطاء ، اما اسلوبها فيميل الى السجع ، وهو الاسلوب الذي كان متبعا في ذلك الزمان .

تعرض المؤلف في هذه المخطوطة لذكر حوادث جبل لبنان التي جرت عام ١٨٦٠ ، وامتدت الى دمشق ، وكان وقودها التعصب الذميم ، والجهل الاعمى ، وذلك على عهد الوالي التركي احمد باشا ، وسادت البلاد موجة من التقتيل والنهب (٢) دامت حتى شهر تموز من تلك السنة ، وقد أحجم جنود الاتراك عن التدخل ، لان ارزاقهم لم تدفع لهم ، وهكذا فقد ثلاثون الف نصراني ونيف حياتهم في هذه الفظائع ، كما ان اليهود لعبوا فيها دوراً لا يستهان به ، فارثوا النار المشتعلة وزادوها ضراما ، وهو امر لم يشر اليه مؤرخو هذه الفتنة المشؤومة ، فقد كانوا — كما يقول المؤرخ اسكندر ابكاريوس — يلقون الردم على النصارى المختبئين في آبار المياه والاوكار والدهاليز .

وقبل ان اتعرض لذكر وجهاء المسلمين الذين حموا النصارى وعطفوا عليهم في حي الميدان وقلعة دمشق ، وفي طليعتهم الامير عبد القادر الجزائري ، لا بد من كلمة موجزة للتعريف بالمؤلف الذي توفي في ٢٣ كانون الاول عام ١٨٨٥ ، اي بعد وقوع هذه الفتنة بربع قرن . فهو اسكندر ابكاريوس ، من طائفة الارمن الغريغوريين ، نشأ هو وأخوه حنا على حب الاداب منذ نعومة أظفارهما .

جال اسكندر في انحاء اوروبا ، ثم عاد الى بيروت ، واشتغل بالتأليف ، ثم سافر الى مصر وخدم حكامها ومدحهم ، فأجازوه بتقليد عدة

مناصب ، لكنه عاد اخيرا الى بيروت بقصد الاستشفاء ، فتوفي فيها بعد اصابته بمرض « السحج » ، وترك مؤلفات عديدة منها : « نهاية الارب في اخبار العرب » الذي طبع في مرسيليا عام ١٨٥٢ ، كما الف سنة ١٨٥٨ كتاب « روضة الادب في طبقات شعراء العرب » قرظه ابو الحسن الكستي ، وديوان شعر ، يقول الاب لويس شيخو (٣) انه لم يزل مخطوطا ، بينما يقول جرجي زيدان انه مطبوع ، علما بأن زيدان (٤) توفي سنة ١٩١٤ ، والف شيخو الجزء الثاني من كتابه « الاداب العربية في القرن التاسع عشر » سنة ١٩٣٥ .

ومن كتب اسكندر ابكاريوس ايضا « المناقب الابراهيمية » في سيرة ابراهيم باشا ، و « نزهة النفوس وزينة الطروس » ...

نعود بعد هذا الى المخطوطة ، وبنوع خاص الى الفصل الثامن الذي سماه « في ملحمة دمشق الشام وما أجراه الامير عبد القادر الجزائري في حق النصارى من مزيد العناية والاهتمام » الذي تعرض فيه لشرح تلك الفتنة السوداء التي اشترك فيها الدروز والمسلمون ، ولعب فيها اليهود دور الثعلب المكار ، ليصطادوا في الماء العكر ، وقد دامت تسعة ايام ، ويقول زيدان سبعة ايام ، من ٩ الى ١٨ تموز سنة ١٨٦٠ ، بدافع من والي دمشق انذاك احمد باشا ، الذي كان قصير النظر ، سيء المعاملة ، ولولا الامير عبد القادر الجزائري ومن حوله من المغاربة واعيان دمشق من حي الميدان المعروف بشجاعة اهله وشهامتهم ، كسعيد النوري ، وصالح المهايني لدامت الفتنة مدة اطول من تسعة ايام ، ولذهب ضحيتها اكثر من خمسة آلاف مواطن بريء .

لا داعي لوصف ما جرى في تلك الايام العصيبة ، بل احب ان اشير ، كما اشار المؤلف ، الى الدور العظيم الذي لعبه هؤلاء الجنود الطيبون المجهولون في حي الميدان ، بعكس ما كان متوقعا ، فقد كان « كثيرون من المسلمين يحمون كثيرا من المسيحيين ، وكانوا يقدمون لهم الاطعمة الفاخرة ، ويصرفون عليهم المصاريف الوافرة ، وكان في الميدان صالح آغا المهايني ، وسعيد آغا النوري ، وهما من اصحاب المروءة والدين ، فمنعا اسلام الميدان ان يتعرضوا للعيسويين ، وكان صالح آغا يقبل في بيته اجواقا من النصارى الهاربين ، ويقدم لهم الاطعمة والفواكه حينا بعد حين » .

اما الامير عبد القادر الجزائري فقد خلع عليه المؤلف كثيرا من صفات التبجيل والتعظيم والاحترام ، فهو « سعادة الهمام الاكرم ، والسيد الماجد الافخم ، الفائز من العلوم بأعلى المراتب ، والمرتقي في الشرف اسمى المناصب ، ذو الفضل الباهر ، والاصل النقي الطاهر » .

ويضيف المؤلف انه « لما رأى تلك الاهوال ، وما وقع في المدينة من الاختلال ، والبوار والنكال ، اخذته الشفقة والحمية ، ودعته شيمته

الابية ، الى اغاثة الطائفة النصرانية ، وتخليصها من هذه البلية ، فسارع مبادرا الى الاسواق ، وفرق ابطاله في كل شارع وزقاق ، وخاض في جمهور المردة (المتمردين) واطفأ تلك النار المتقدة ، وخلص عددا كثيرا وجما غفيرا ، من الرجال والصبيان ، والبنات والنسوان ، ورفع عنهم سيوف البغي والعدوان ، وابدل خوفهم بالامان ، وكان يتلطف بهم غاية التلطيف ، ويؤانسهم بالكلام الرقيق اللطيف ، ويعزيهم على ما اصابهم وما دهاهم ونابهم ، فانفق عليهم مبلغا عظيما ، ومقدارا من المال جسيما ، فتضاعفت في الارتقاء مرتبته ، وارتفعت عند الملوك منزلته ، واتاه الشكر من جميع ملوك الدول ، وقدموا له مزيد الثناء على هذا العمل ، وتواردت اليه منهم الهدايا والتحف ، والرتب الاولى من نياشين الشرف ، واكتسب بذلك صيتا حميدا وذكرا جميلا ، يفوح كالعنبر جيلا فجيلا ، ولو اردنا ان نستوفي بالتفصيل ما فعله هذا الامير الجليل ، والسيد الفاضل النبيل ، من المعروف والخير الكثير ، لاحتجنا الى مجلد كبير ... » .

هذا هو الوجه المشرق لتلك الفتنة النكراء ، وهؤلاء هم اصحاب الايدي البيضاء ، الذين نصروا وحموا اخوانا لهم في الارض والعروبة والوطن الواحد .

ويشير المؤلف الى ان اهل الميدان والمغاربة وبعض اسلام المدينة ، كانوا اكثر وعيا من اولئك المشاغبين حبا بالسلب والنهب والاستيلاء على الاموال ، يدفعهم طمعهم وجهلهم ، اكثر مما يدفعهم تعصبهم ، ولا عجب ان يستشري مثل هذا التعدي في زمن انقطع فيه حبل الامن ، وشاعت الفوضى، وانتشر الظلم والفساد ، دون وازع من ضمير ، او عقاب من حاكم او مسؤول . وعلى اثر هذه الفتنة الطائفية ، عزل الوالي احمد باشا ، وحل محله فؤاد باشا ، فتولى محاكمة الفوضويين والمعتدين فورا ، وفرض عليهم العقوبات الصارمة ، فاستتب الامن ، وهدأت الاحوال ، ولذلك راحت المدائح تنهال عليه ليس من المسيحيين فحسب ، بل من المسلمين الذين قال الشاعر محمود نسيب باشا بلسانهم :

اشرقت بالعدل اقطار الشآم	مذ فؤاد الملك اعطاها نظام
اشرقت من بعد ما قد اظلمت	برهة لا ينجلي عنها ظلام
يا أهيل الشام ماذا غركم	اذ غدوتم ملة حازوا زمام
اذ لهم من كل حق ما لنا	وعليهم ما على اهل السلام

والقصيدة تقع في خمسة عشر بيتا ، كلها لوم وتقريع لاولئك المتمردين الذين عاثوا في ارض الشام فسادا .

ولا تخلو المخطوطة من الاشارة الى بعض الاسر الكريمة المجهولة التي لم تحب ان تذكر اسماؤها ، لانها فعلت الخير من اجل الخير ، فآوت كل من لاذ بها هاربا من حد السيف ، من ذلك « ان احد الهاربين من الموت

قرع باب احد الدور في ضواحي المدينة يطلب الامن ، فسارع ابن صاحب البيت الى فتح الباب ، والسيف في يمينه ، وهم ان يطير راس الطارق عن جسده ، فنهض الرجل في الحين ، ورد عن ذلك الرجل المسكين ، وادخله الى البيت، وطيبقلبه، وسكنروعه ورعبه، وقابله بالبشاشة والاكرام، وقدم له ما حضر من الطعام ، وبعد ذلك البسه ثوبا نظيفا ، وأمر له بفراش فنام ، وبقي عنده على هذه الحالة عشرة ايام ، وكان في اثناء ذلك قد تغيرت صحته فداركه العلاج ، حتى زال عنه السقام ، وبعد ذلك التمس منه الكشف عن اهل بيته الذين كانوا في القلعة فقال : حبا وكرامة ، وركب وسار بوجه السرعة ، ولما وصل الى هناك اجتمع بهم فوجدهم في حال السلامة ، وطمنهم عليه انه موجود عنده بكل عزازة وكرامة ، وارتد راجعا فطمنه عليهم ، وبعد ذلك ركب معه واوصله اليهم ، فقبل الرجل راسه ويديه ، وشكره واثنى عليه ، وقال له : لقد غمرتني بأفضالك على طول الزمان ، وليس عندي ما أكافيك به على هذا الاحسان ، ولكن يكافيك عني القدير المنان . فقال : ان عملي معك لم يكن لاجل المكافاة ، لان اجري لا يضيع عند الله .. وكثير من هذه الحوادث التي جرت من المسلمين ، ولولاها لم يسلم أحد من النصارى الدمشقيين .

ويختم اسكندر ابكاريوس هذا الفصل مؤكدا ان « هذه القضية الكلية لم ترض بها امة الاسلام ، انما هي صادرة من الاوباش المتمردين ، الذين تجاوزوا بارتكاباتهم حدود الشريعة والدين ، والله الذي امره بين الكاف والنون ، يجازي كل قوم بما يعملون » .

دمشق — عيسى فتوح

(١) تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج٤ ص ٢٦٠ وقد سمى المخطوطة « نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان » .

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي صفحة ٥٧٣ .

(٣) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج٢ ص ١٣٣ .

(٤) تاريخ اداب اللغة لزيدان ج٤ ص ٢٦٠ .

المدخل إلى الوفاق الوطني

بقلم : هشام قبلان

تدخل المأساة اللبنانية عامها الثامن دون أن يظهر في الافق المظلم بادرة امل تشير الى الخلاص من اهوال حرب ليست كغيرها من الحروب التي عرفها العالم ، ان لجهة اسبابها ومسبباتها ، او لجهة اساليب القتال التي خاضها المتخاصمون .

مئات من الكتب والابحاث دبجتها الاقلام في الداخل والخارج عن ازمة لبنان ، منها الموجه ومنها المجرد ومنها البين بين ، حتى عاف اللبنانيون الاراء والحلول ، والشعارات التي تتبدل على الدوام ، وباتوا يتعطشون الى الخلاص من محنتهم ، بعد ان انهار الكثير من مؤسسات الدولة ، الواحدة تلو الاخرى ، ابتداء بالجيش وانتهاء بتعطيل القضاء وشل العدالة ، وترك البلاد دون رقيب او حسيب ، ليأكل القوي الضعيف ، وتسحق الطبقات الفقيرة والمتوسطة تحت وطأة الغلاء وجشع المحتكرين . فيهاجر من يهاجر، ويبقى من يبقى محطم الاعصاب بلا امل او رجاء !

وآخر ما طرح على الساحة اللبنانية من آراء ، الدعوة الى الوفاق الوطني والتفاهم من اجل انقاذ لبنان من الضياع خوفا من تقسيمه او اقتطاع اجزاء منه ، او الابقاء على دويلات الامر الواقع فترة من الزمن ، قد تطول او تقصر حسب اتجاه السياسة الدولية .

الملفت للنظر والخطير في آن واحد ، التسليم بالنظرية القائلة بأن مصير لبنان مرتبط بأزمة الشرق الاوسط ، وبأن هذه الازمة مرتبطة بالوفاق بين الجبارين : الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ، والانتظار القاتل حتى يتم الاتفاق بينهما ، دون اية مبادرة لبنانية وعربية تخفف من آلام لبنان والاخطار المحدقة به وبالمنطقة .

صحيح ان الهيمنة السوفياتية — الاميركية على العالم قوية نتيجة سياسة « الرعب النووي » ، وغير صحيح ان ميدان حربهما الباردة في الشرق الاوسط مقتصرة على لبنان .

لقد نجا لبنان في الحروب العربية — الاسرائيلية الاربعة ، لان الظروف قضت بأن يبقى واحة أمان في قلب المنطقة المتفجرة .

اما لماذا تفجر الوضع في لبنان ، وجبهات الحرب باردة ، فلسبب مهم ، هو انه اصبح يضم القيادات الفلسطينية ، العامل المؤثر في القضية

الفلسطينية ، الشغل الشاغل للعرب منذ ثلاثين عاما ونيف .

الا ان التوازن الدولي منع اسرائيل من القضاء على الفلسطينيين في لبنان ، ومنع بالمقابل القضاء على من يناصبهم العداء . وهكذا منذ بداية الحرب اللبنانية حتى الان ، لم يتمكن اي فريق من حسم المعركة عسكريا ، وبقي كل طرف في خندقه . فلا غالب او مغلوب ، بل ترقب وجمود ؛ وكان الخاسر الاكبر حتى الان ، الشعب اللبناني .

ولو أن هذا الشعب ادرك بجميع فئاته هذا الواقع ، لاتخذت الحرب مسارا اخر ، واقتصرت اضرارها على اقل عدد ممكن من الخسائر البشرية والمادية .

نحن الان على مفترق طريقين لا بد للبنانيين من اختيار احدهما : طريق الوفاق الجدي ، او طريق الخصام الذي لا يعلم نتائجه الا الله .

فالوفاق يجعلنا نتخطى الاثر السلبي لحالة الجمود والترقب ، بعد ان بدأ الصراع بين الجبارين يتجاوز لبنان الى المنطقة بكاملها .

ويحضرنا تصريح المستشار النمساوي برونو كرايسكي في اواخر شهر تشرين الاول ١٩٨١ ، بأنه لا يستبعد اقتسام الشرق الاوسط بين القوتين العظميين على غرار ما حصل في اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم في كوريا منذ أمد ليس ببعيد !

اما كيفية حصول القسمة ، فما زال في عالم الغيب ، ولا احد يدري ان كانت القسمة ستتم بالوسائل الهادئة ، ام اثر حروب محلية او انقلابات عسكرية !

وربما كان لبعض دول المنطقة راي باختيار الجانب الذي تنحاز اليه وربما العكس .

هذا هو الراي السائد حاليا ، وقد تحدث تطورات تستبعد القسمة ، وتتيح لبعض الدول ان تبقى على الحياد .

وحتى يحين الاوان لا بد من توافق وتفاهم بين اللبنانيين ، اقله ان لا يقتلوا بعضهم بعضا بأيديهم ولا يدمروا وطنهم وبيوتهم واقتصادهم .

ولكي نقتنع بالوفاق لا بد ان نضع حقائق كثيرة امامنا ، ونشرحها الى كافة اللبنانيين ، والى الفلسطينيين لكونهم الهدف الاساسي الذي تريده اسرائيل .

المسؤولون الفلسطينيون مطلعون تماما على المخطط الاسرائيلي الرامي الى تشتيت الشعب الفلسطيني في الدول العربية والعالم ، فلا تبقى اكثرية فلسطينية في اي مكان تطالب بالعودة الى ارضها المغتصبة ، ويحذف اسم فلسطين من الذاكرة .

وحتى الان لم تستطع اسرائيل بلوغ هدفها النهائي ، لان الفلسطينيين رفضوا هوية غير الهوية الفلسطينية ، ومكثوا في الخيام كلاجئين بانتظار العودة . ويوم يتخلون عن هويتهم ويتركوا خيامهم ويقبلوا بالتوطين ،

فسينتهي امرهم الى التشتت في انحاء العالم ، كما حصل لليهود فيما مضى ، ويبقى الخوف الاعظم من طرد ما تبقى من الفلسطينيين من فلسطين ؛ فيقظة العرب واجبة ، والتصدي لمثل هذا الاحتمال واجب ديني وقومي .

وما دام الفلسطينيون يعون هدف اسرائيل ولا يكتمونه ويجاهرون به ؛ فلماذا لا يتم التفاهم بين اللبنانيين كافة وبين الفلسطينيين ؟

الم يدركوا جميعا ان حرب لبنان لم تفد احدا ، وانها استنفدت قوى اللبنانيين وسنوات من عمر القضية الفلسطينية ؟

لم يعد مهما من كان على صواب ومن كان على خطأ ؛ اقله في الظرف الراهن . فالمهم ان يعي الجميع حقيقة الوضع العربي والعالمي ؛ فلا يعيشون اوهام الماضي واحلام المستقبـــل .

فعرب اميركا في ناحية ، وعرب السوفيات في ناحية مقابلة ، وعرب العرب — ان وجدوا — في حيرة من امرهم !

فالعالم يعيش اليوم في دوامة الخوف والقلق ، وكل دولة تبحث عن مصلحتها دون اي اعتبار اخر .

ثم ان على اللبنانيين ان يتذكروا انهم لم ينشئوا دولة قوية تستطيع ان تقف في وجه الاعاصير . ولا بأس ان استعرضنا بايجاز الاخطاء على الصعيد الداخلـــي .

فيوم تكاتف المسلمون والمسيحيون بمساعدة بريطانيا من اجل الاستقلال ونالوه ، خيل للجميع ان التعاضد المسلم — المسيحـــي لا يمكن ان تنفصم عراه ، وان الدين لله والوطن للجميع ، لا فرق بين لبناني واخر الا بولائه لوطنه ، وبعطائه من اجل بقائه واستمراره حرا سيدا مستقلا شامخا شموخ الارز في ربى جباله الشماء ...

ما اجملها من اقوال اثارت الحمية ، وبدأت عهود الاستقلال تتوالى والاخطاء تتراكم ، والقلوب تتنافر ؛ فيعود الى المسلمين حنينهم للعروبـــة والوحدة ، والى المسيحيين خوفهم من « مواطنية الدرجة الثانية » التـــي عاشـــوها في ظل العهود الاسلامية .

وبينما العالم يتقدم والدول تنظر الى مصالحها ، كان لبنان في واد اخر من الخصومات والاثارات الطائفية والمذهبية ، واقتسام مغانم الدولة ، وتعطيل قوانين الجزاء ومجالس التأديب امام المتنفذين والانصار والمحاسيب والازلام . وساد شعار « لا عهد يحاســـب الاخر ، ولا مسؤول يحاكـــم مســـؤولا » !.

وباختصار فان لبنان لم يحكم كدولة ؛ بل كان اشبه بامارات اقطاعية طائفية ضمن شعب تقتله الحـــزازات المحلية والالقاب الطنانـــة الرنانة . واصبحت سياسة الدولة كما وصفوها « ســـياسة المختار والناطور »⁽٠⁾ او سياســـة النكايات والحزازات الحزبية الضيقة ولو على حســـاب الدولـــة وسمعتهـــا .

واطلقت حرية القول والعمل في لبنان ، واضحى مشرع الابواب لكل طارىء وسوق عكاظ العرب والعالم ، وملتقى « الايديولوجيات » ومركزا لتصفية الحسابات . ولم يبق من ملك او رئيس عربي الا وقامت صرخته احتجاجا على مهاجمته في صحيفة او مجلة او كتاب . وكان لهذا الوضع اثره الذي لا يخفى في الازمة اللبنانية .

واذا عدنا الى الصحف القديمة ، لهالنا ما تضمنته من اخبار الصفقات والرشاوى والسمسرات ، الى جانب الطعن بالقضاء وبنزاهته والمطالبة المستمرة بتطهيره ، دون التحسس بأية مسؤولية يولده هذا الطعن في نفوس المواطنين والاجانب . ودون ان يطال العقاب من اثروا ثراء فاحشا دون حق .

وكانت النتيجة ان فقد اللبناني ايمانه بدولته ، وبات يتمنى زوالها ليزول معها الفساد ... وعندما سنحت الفرصة كان اول من سدد لها الطعنة بدافع الانتقام الذي طغى على تفكيره دون اي تقدير للنتائج .

ولئن كانت حرب لبنان ومآسيها لن تضع كل لبناني امام مسؤولياته ، ووعيه للحقيقة ولاخطار المستقبل ، فان المأساة ستكون اكبر من كل تصور ، وعندها لن ينفع الندم ولن يفيد أي علاج .

فالمدخل الصحيح الى الوفاق يكون بتلافي اخطاء الماضي وايصال الحقائق الى افكار عامة الناس بصدق وامانة دون طرح الشعارات المستحيلة والتلهي بالتوافه .

فدول العالم ، بما فيها الدول العربية مشغولة بهمومها ، بعد أن طغى على العالم الخوف من الجوع ، والخوف من الحرب النووية ، والبحث عن المواد الاولية ، وتحسين الاوضاع الاقتصادية والمعيشية والمالية . وكل دولة تنظر الى مصالحها دون الالتفات الى ما مضى من مواقف ، عدائية كانت او وفاقية .

فدول اوروبا مثلا ، والعداوة بينها تاريخية ، (المانيا ، فرنسا ، انكلترة ، اسبانيا الخ ...) طرحتها جانبا وتكتلت في مجموعات اقتصادية (السوق الاوروبية المشتركة) ، او عسكرية (الحلف الاطلسي وحلف فرصوفيا) . ولم يعد للمفهوم الديني أي وزن في الوقت الحاضر ، الا اذا كان وسيلة لغايات عسكرية او سياسية او مالية .

وعلى اللبنانيين ان يعوا حقيقة مهمة ، وهي ان موقع لبنان « استراتيجي » للغاية ، وان توفر المياه فيه له أهمية بالغة ، لان حاجة العالم الى المياه العذبة ستكون في العقد المقبل ، كحاجته اليوم الى النفط .

ملاحظة هامة نبديها ، تتلخص بأن ما عرضناه ليس خافيا على السياسيين وفئة المثقفين ، ولكنها خافية على الكثيرين من عامة الشعب ، او ان صورتها وحقائقها مشوشة في اذهانهم . ومن المهم كثيرا ان تصل الى

كل الناس بالصورة الصحيحة لا المموهة . وهذا عمل وطني مطلوب من الجميع دون استثناء في الظروف الصعبة والمصيرية التي يجتازها لبنان .

ويجب ان نعترف بأن الوصول الى الوفاق صعب وشاق ، ولا بد من قادة عظام جبابرة للقيام بالمهمة ، لان جراح الحرب لن تندمل بسهولة ، ويلزم وقت طويل ليعود لبنان الى سابق عهده ، دون ان يمنع ذلك من السعي الدؤوب الى انقاذ ما يمكن انقاذه .

هذه المبادىء هي اجمالا المدخل الى الوفاق الوطني اللبناني ، ويبقى السؤال الاهم : من هو القادر على ان يأتي بالحل ؟

قطعا ليس الذي يعطي الحل على صفحات الجرائد وامام شاشة « التلفزيون » ، ولكنه الذي لا يكشف اوراقه ، ويضع الجميع في اطار الوفاق الوطني ويفرض الحل فرضا ولو بالضغط المعنوي ..

فحل الازمة اللبنانية اشبه بالحرب ، وليس على القائد ان يعلن خطته الحربية امام الجميع ، والا كانت نتيجتها الفشل .

انأمل قريبا بأبطال ومعجزة ؟؟؟

بيروت في ١٩٨١/١٢/٨ **هشام قبلان**

الى رجال الصحافة والاعلام :

صدر للاستاذ محمد ابو مرعي

رئيس دائرة الصحافة في وزارة الاعلام

بعد كتابه « الصحافة اللبنانية وقانون المطبوعات »

كتاب : حرية الصحافة في لبنان

منذ العهد العثماني حتى اليوم

أوسع دراسة قانونية مقارنة تناول فيها المؤلف حرية الاصدار وحرية



النشر .

عالج حرية الصحافة وحرية الصحافي ، في اطار القوانين اللبنانية ، منذ العهد العثماني حتى اليوم .

قدم بأسلوب علمي أبرز فصول حكاية صحافة لبنان مع الحرية حتى اليوم .

حلل القوانين والنصوص تحليلا دقيقا بقلم قانوني متمرس وخبير اعلامي .



أهل الكتاب في المجتمع الاسلامي

بقلم : حسن الزين

الحديث عن العلاقات الاجتماعية التاريخية بين المسلمين واهل الكتاب ينطلق من كونها الانعكاس الحي لموقف الاسلام والشريعة الاسلامية من هذا الموضوع . هذه العلاقات تطورت عبر التاريخ الاسلامي وتداخلت وانتجت احداثا وتفاعلات وبنيات اجتماعية كانت بحد ذاتها او اضحت تعبر عن كثير من القيم والمؤسسات الاسلامية التي ساهمت في صياغتها واعطائها المكان والمدى المناسبين ، وقد مرت بفترات مظلمة خلال تاريخها الطويل ، تخللها ظلم واعتداءات وصفها مؤرخون بافاضة في القول ليظهروها نتيجة تعصب مرير ووصفها اخرون بغير ذلك من النعوت وارجعها البعض الى غير ذلك من الاسباب ، ولكن مدتها الزمنية القصيرة بالقياس الى تاريخ التعايش الطويل ودوافعها التي نشأت خارج محركات التاريخ الاسلامي بعيدا عن ما يحكم فلسفته من قواعد واصول وما سبقها او رافقها او تلاها من وقائع تختلف عن غيرها مما هو شائع ومعتاد . كل ذلك ربما جلا غوامض نشوئها واضاء الجوانب المظلمة من اسبابها ونتائجها .

العلاقات الاجتماعية التاريخية بين المسلمين واهل الكتاب في المحيط الاسلامي تقدم فكرة صحيحة وواضحة ، في تصور ربما حمل بعضا من مظاهر براغماتيه ، لموقف الاسلام منهم وربما كان الواقع اشد تعبيرا وترجمة للمواقف من البحوث المجردة والنقد الخيالي لانه يبتعد بنا عن الاسطورة بقدر ما يقترب من الحياة في مختلف وجوهها وتشعباتها التي قد تعصى على النظرية والخيال .

لا بد للفكر الديني في تعصبه او تسامحه من ان ينعكس على هذه الحياة الاجتماعية في عصور يساهم فيها الدين مساهمة فعالة تجعله العامل الاشد والاقوى في رسم خطوط هذه الحياة وتحديد اهدافها وغاياتها وابعادها عن كل ما يتعارض معه او لا يتفق مع تصوراته للكون والحياة فتستخلص منها آفاق التسامح او ابعاد التعصب الذي كان يسودها .

كان الدين الاسلامي في اساس الحياة الاجتماعية ومنطقها منذ ظهوره . ولا نستطيع ان نتصور علاقات تنشأ وتنمو بالتعارض مع معطياته في خطوطها العريضة واسسها المميزة حتى في الحالات التي كانت تتطور فيها هذه العلاقات الى تفصيلات واعمال تؤدي الى مخالفة بعض اوامر الدين الاسلامي ونواهيه . تلك هي القاعدة ومغايرة التفاصيل هي الشذوذ وهذا

لا يغير من القاعدة في شيء .

الدول الاسلامية والكلام لبرنارد لويس (١) واجهت بلدانا ظل المسلمون فيها اقلية لمدة ما ثم اصبحوا اكثرية ساحقة دون عامل عنف او اعتداء وذلك تمثل بوجه اشد في الشرق الاوسط . ولم يذكر التاريخ اية تفاصيل عن اسباب هذه الوقائع ، ولكن في كلتا الحالتين كانت علاقات المسلمين بالمواطنين من اهل الكتاب على نسق ونمط معينين .

ذلك ما سنحاول دراسته متوخين تكوين فكرة واضحة عن ما كان يسود هذا التعايش من مبادىء التسامح او التعصب والاعتداء او مظاهر الاندماج في المجتمع الواحد او الفرقة القاتلة التي تزرع العنف والقسوة والفساد بين ابناء البلد الواحد علما بان بعض المظاهر الاجتماعية تبدو جد معبرة في هذا السبيل . القرآن الكريم تقدم الصورة الصالحة لاهل الكتاب : (أن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

هذه الصورة التي نجدها في كثير من الايات سوف تتفاعل في نفوس المسلمين ومجتمعاتهم ودولهم وتؤدي الى تعايش يتسم بالاحترام المنطلق من اسس الدين ونظرته السمحاء. ومهما تعددت مظاهر تخالف منطق هذه الاية وما شابهها وتعبر عنها احيانا تفاعلات ليست في خط مستقيم مع جوهر الايات ومعناها ، فلا بد من تتبع اسباب هذه المظاهر خارج نطاق القرآن والدين في حنايا ومجاهل مؤثرات اخرى عنصرية او سياسية او قومية وما شابه مما يستقيم مع طبيعة البشر في كل زمان ومكان ، وتبقى الحقيقة التاريخية التي تعطي هذا الموقف الديني ابعاده الاجتماعية والسياسية الكبرى ، ليبقى وراء كل واقعة او تعايش كالذي نشأ في المجتمعات الاسلامية الاولى وتطور عبر مختلف العصور المتتالية .

يقول برنارد لويس (٢) من معهد الدراسات المتقدمة في برنستون على لسان رحالة بريطاني زار اليونان في عهد الاحتلال العثماني : (ان ما يشعرون به ضد الاحتلال العثماني لا ينجم عن الاضطهاد المباشر الذي يصيب الانسان في جسمه ولكن عن ردة الفعل العامة التي تجعلنا اكثر احساسا بالاهانة ، التركي من بورسلين واليوناني من فخار . جاهل تركي يستطيع اهانة مثقف يوناني ، وسافل تركي يستطيع رجم اسقف يوناني ، راقصة تركية تستطيع ان تسخر من سيدة مجتمع يونانية . كلما كانت الاهانة اشد كلما تركت اثرا امر ، وحتى لو لم تتم ، يكفي ان تكون ممكنة . هذا هو السم الحقيقي في الاضطهاد التركي والسبب الحقيقي للثورة اليونانية) .
ورغم كل ذلك والكلام لا يزال للكاتب نفسه فان وضع غير المسلمين في الدولة الاسلامية خلال القرون الوسطى وتحت الحكم العثماني يبقى أحسن من وضع غير المسيحيين في اوروبا العصور الوسطى .

ما ورد على لسان الرحالة البريطاني لا يمكن تفسيره عبر معطيات القرآن والسنة ولا بد من تتبع اسبابه خارج هذا النطاق بعد ان تحول الحكم العثماني عن المبادىء والاسس التي تحكم ابعاد الدين الحنيف ، الى استعمار لا يختلف في صفاته واسسه عن الاستعمار القديم والحديث وينطلق من دوافع قومية وتسلطية تسيطر على اعمال حكامه وخزنته ومفكريه .

وليس اقرب الى توضيح ما ذكرنا من هذا الكلام لويلفرد كانتول سمث الاستاذ بجامعة مككيل بكندا ، يقول سمث (٣) : ان حركة السنوسيين في ليبيا وبرقة كانت الى حد ما ، احتجاجا ثوريا على عجز الاتراك وفسادهم واستغلالهم . والواقع ان اول احتجاج واول حركة ثورية في الاسلام الحديث ، لم تكن موجهة ضد الغرب بل ضد هذا الانحلال الداخلي ، قامت هذه الحركة في تلك البقعة من العالم الاسلامي البعيدة غاية البعد عن الاحتكاك الغربي وهي الجزيرة العربية . تلك اذن كانت فترة من فترات الاضطهاد التركي البغيض في نظر الاسلام والناتج عن ما سماه سميث الانحلال الداخلي . وقد عانى المسلمون غير الاتراك في هذه الفترة من الاضطهاد ما قارب او ربما فاق ما عانى منه المسيحيون اليونان . لذلك لا يمكن نسبة هذه التصرفات ، كما يدل عليه سياق بحث برنارد لويس الى الاسلام رغم ما اشار اليه من ان هذا الوضع يبقى احسن من وضع غير المسيحيين في أوروبا القرون الوسطى . ولا يمكن اعتماد كتابة الرحالة البريطاني كمثال للعلاقات بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك التاريخ ، لان الفترة الزمنية تلك كانت تقع ضمن فترات قليلة جدا ساد فيها الاضطراب هذه العلاقات لاسباب ليست قريبة من الدين وليست بعيدة كل البعد عن العنصرية والاستبداد المخالفين لمبادىء الاسلام ومثله التي طبعت المجتمعات الاسلامية بطابع معاكس . وليس بغريب ان نلاحظ في بعض مراحل التاريخ شكوى المسلمين من امتيازات يتمتع بها أهل الكتاب في بلدانهم ففي عهد العزيز بالله زاد بلاط الخليفة في اكرام النصارى وذلك انه كان للعزيز أصهار مسيحيون منهم ارستس خال السيدة ابنة العزيز بالله وقد صير بطريركا على بيت المقدس (٤) . ونجد في شعر الحسن بن بشر الدمشقي اشارة الى هذه الحالة :

تنصر فالتنصر دين حق ... عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا ... وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا الـ ... عزيز ابن وروح القدس فضل

والنتيجة التي نخلص اليها من خلال هذا الشعر وهذه الحالة تشير الى ان تلك العلاقات لم تكن لتصدم الراي العام الاسلامي وفقهاء العصر ، او هي لم تكن منكرة من الوجهة الدينية في نظر المسلمين . وما كان كل ذلك

ليحصل لو انه اصطدم بعقبة دينية منشأها القرآن الكريم او السنة او الفقه . يعبر عن هذا الاستنتاج عدم اهتمام الخليفة بمحتوى هذا الشعر باديء الامر ثم حبس الشاعر على اثر الحاح الفضل ثم اطلاق سراحه بعد ذلك دون الاهتمام بما تعرض له في شعره . ولو كان لهذا الشعر اثر اجتماعي بغيض او ردة فعل شعبية ، لكان تصرف العزيز يختلف بل يشابه ما عهدناه من الحاكمين في مثل هذه الاحوال عندما يتناول الامر مسائل تتناقض مع المعتقدات العامة او الشعور العام .

ولكن يبدو ان الرؤية الاجتماعية كانت تناسب مع رضى الراي العام ومعتقداته وتعبر عن التسامح الذي يحكم المفاهيم الاسلامية التي كانت سائدة في ذلك العصر ولولا ذلك لكان لنا ان نتصور مصير الشاعر مشابها لما لقيه غيره من الشعراء عند تعرضهم لمقام الخليفة بما يخشى ان يثير شعور المسلمين او حفيظتهم خصوصا عندما يتناقض ذلك مع اوامر الدين ونواهيه . ومما يقودنا الى تلمس درجة من الاندماج الاجتماعي بعيدا عن شعور العزلة الذي يسود عادة الاقليات التي يلفظها مجتمع البلد الذي تقيم فيه ، هذه الالفة للاعياد المسيحية التي امتدت الى درجة جعلت الاحتفال بها عادة يقوم بها المسلمون كل عام .

وقد كان وضع النصارى في جميع الاقطار الاسلامية مرضيا جدا سواء بالنسبة للحرية التي يمارسون في جميع امورهم الدينية والدنيوية او بالنسبة للاحترام الذي يتمتعون به .

يقول بونه موري Bonet Maury في كتابه عن الاسلام والنصرانية في افريقية (٥) : سيرة مسلمي المغرب ومصر والشام في القسم الاول من القرون الوسطى تجاه النصارى ، سيرة تسامح وتساهل لا بل سيرة ولاء واحسان بخلاف الامم المسيحية التي كانت سالكة تجاه الاسلام خطة البغض والعدوان بدون رحمة ولا هوادة) الى ان يقول : « ثم بلغت العلاقات بين ملوك المغاربة والافرنج ، ان كان امراء تونس ومراكش يستخدمون في جيوشهم جندا من الافرنج يأذنون لهم باقامة شعائر دينهم علنا ، في الثكن التي ينزلون بها » . ومن الوثائق المشهورة الشاهدة بعظم التسامح الذي كان عليه ملوك الاسلام لذلك العهد المعاهدة التي عقدها ابو عبد الله المستنصر صاحب تونس مع فيليب الجريء ملك فرنسا وشارل دوق انجو وتيبو ملك نافار سنة ١٢٧٠م وذلك بعد وفاة القديس لويس ملك فرنسا والتي جاء بها في الشرط السادس : « ان الرهبان والقسوس يمكنهم ان يقطنوا في ممالك امير المؤمنين وتعطى لهم الارض اللازمة لبناء الكنائس والاديرة ودفن الموتى . ولهم ان يقيموا شعائر دينهم ويلقوا المواعظ علنا كما لو كانوا في بلادهم » (٦) . الى ان يقول : « والزحفة السابقة التي قام بها القديس لويس ملك فرنسا كانت وجهتها مصر فاثارت الحفيظة الدينية عند اهلها بعد ان كانوا اولا في غاية التساهل مع المسيحيين » .

وهكذا وضعت هذه الحملة حدا لذلك التسامح الذي اتسمت بـه العلاقات بين الاقباط والمسلمين في مصر بعد ان وصل بعضهم الى اعلى مراكز الحكم بفضل هذا التساهل وحافظت مؤسساتهم وخاصة الاديرة على ما يشبه الحصانة التي جعلت الدولة تتغاضى عن مخالفات يرتكبها مسلمون داخل هذه الاديرة كمعاقرة الخمرة وغيرها مما يحرمه الدين الاسلامي .

يقول الاستاذ (متز) في كتابه عن الحضارة الاسلامية (٧) في القرن الرابع الهجري : (وكانت الاديرة المسيحية منتشرة في كل اجزاء بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحية ولم تكن الحكومة الاسلامية تتدخل في شعائر اهل الذمة الدينية) . ثم اننا نرى المؤلف عند الحديث عن احد اديرة العراق « برقتي » يشير الى عيده الذي يجتمع اليه الناس وهو عيد الصليب كما يشير الى ان بعض الخلفاء كانوا يحضرون (اعيادهـم ومواكبهم ويأمرون بصيانتهم) .

علاقات النصارى بالمسلمين في البلدان الاسلامية كانت كما يبدو من خلال الوقائع التاريخية تتأثر كثيرا بالحروب التي يشنها الصليبيون على البلدان الاسلامية ، ولكن ذلك لم يمنع من اجماع المؤرخين على ان حياة النصارى كانت في الاحوال العادية تسـودها اجواء من الامن والحرية والاستقرار والاحترام ، اما الاضطهاد فانه لا يظهر في تاريخ الاسلام الا لماما اذا صح ان نسمي الاحتياطات التي تستدعيها ضرورات الامن ومستلزمات الحروب اضطهادا .

ولا بد هنا من ان نعرج على دراسة اوضاع الطائفة الاخرى من اهل الكتاب وهي الطائفة اليهودية التي كانت تتواجد في الممالك الاسلامية خلال كل فترات تاريخها .

هنا لا بد من الاشارة باننا اعتمدنا في بحثنا على اقوال مؤرخين من اليهود لجلاء حقيقة الاوضاع التي كان يعيش في كنفها يهود البلدان الاسلامية في مختلـف العصـور .

يقول نسيم رجوان رئيس تحرير جريدة (اليوم) الاسرائيلية (٨) : تمخض اللقاء بين اليهود والعرب في القرون الوسطى عن نتاج حضاري هام ومثمر . كان اليهود قد عانوا خلال قرون من الشقاء والبؤس حيث كـان الملوك الاسبان القساة الغلاظ ، بعيدين عن الشفقة والرحمة . وعندما دخل المسلمون اسبانيا ، لم يكتفوا بتحرير اليهود من الاضطهاد ولكنهم كما يقول الدكتور ايزيدو ابستاين ، شجعوا نشر حضارة كانت توازي بخصبها وعمقها اشهر الحضارات في مختلف العصور . ويتابع الكاتب الاسرائيلي نسيـم رجوان قائلا : ان نشاطات الغزاة العرب الثقافية والتجارية والفنية جعلت من اسبانيا البلد الاكثر ثقافة وانفتاحا على العلم في اوروبا . واذا كـان جميع المؤرخين اليهود يجمعون على الاشادة بالحكم الاسلامي في اسبانيا

وبما اتصف به من تسامح فان بعضهم ينصرف الى الاعتراف بواقع لا يمكن انكاره وهو انه ، والكلام للدكتور أروين‌روزانثال في كامبردج، (باستثناء العصر الثلمودي ، لا يوجد عصر اشد ابداعا ولا اكثر ايجابية في تاريخنا المضطرب الطويل ، من عصور ثبت فيها الاسلام نفوذه من المتوسط حتى المحيط الهندي) بعد الفتح الاسلامي تمتع يهود اسبانيا بحرية في الفكر والعمل جعلتهم يتعاطون جميع انواع الاعمال . فبجانب رجال الدولة ذوي النفوذ امثال حصداي بن شبروت وصموئيل هانا جيد نجد مجموعة من علماء قواعد اللغة والشعراء والفلاسفة نذكر منهم يوناح بن غاناش وسليمان بن جابيرول وموسى بن عزرا .

وهنا لا بد من الاشارة الى هذا الكلام للكاتب الصهيوني نسيم رجوان: يتحدث فيه عن اليهود في القرون الوسطى : بينما كان اخوانهم في اسبانيا يتمتعون بالحرية والامن ، فان هؤلاء كانوا يعيشون فوق بركان يهدد كل وقت بالانفجار . (كانوا معرضين دائما للاضطهاد ويعيشون في عزلة تزيد وتنقص حسب الظروف) الى ان يورد التشبيه التالي : في هذه الظروف والآفاق التي تشبه في ضيقها وانكماشها ازقة الغيتو التي كانوا يعيشون فيها) واذا كنا قد حصرنا بحثنا بيهود الاندلس لضيق المجال فان ذلك يكفي لتقديم توضيح لتعامل الاسلام والمسلمين مع اليهود استنادا الى المبادىء الاسلامية والمواقع القرآنية التي حددت لهم . يبقى ان التعامل معهم في سائر البلدان الاسلامية لم يكن ليختلف وقعا ولا خطى عن ما كانوا عليه في اسبانيا، وان الحريات والحقوق التي كانت لهم في سائر البلدان لا تختلف عنها في الاندلس . واذا كان من سخرية التاريخ ان يقدر لاحفادهم التعامل مع المواطنين العرب في فلسطين ضمن خط معاكس تماما للمعطيات السابقة التي اخذ بها المسلمون العرب في تعاملهم مع اليهود ، فان مسيرة الحضارة الاسلامية في الاندلس قد كان لها باعتراف اليهود انفسهم الاثر الاول في تمكنهم من المحافظة على تراثهم بحرية أبقت لهم بذرة الحياة التي كانت تختنق في اوروبا القرون الوسطى . ولفهم وجهة النظر هذه يمكن التمعن في هذا الكلام للمؤرخ اليهودي سيمون دبنوف في كتابه : تاريخ اليهود عند حديثه عن يهود الاندلس : لاول مرة يتمكن قسم من الشعب اليهودي من التمتع بحرية الفكر وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر بلغ تطور الفكر اليهودي قمة النجاح (٩) .

ويقصد بذلك ظهور عدد من مفكري اليهود في اسبانيا الذين مكنتهم حرية الفكر التي كانت سائدة الى جانب التسامح الاسلامي في مطلع الالف الثاني الميلادي من شرح وتفسير التعاليم الدينية اليهودية بشكل مكنها من الاستمرار والبقاء . وفي هذا المجال يبدو كلام المفكر اليهودي المعاصر نسيم رجوان شديد الدلالة حيث يقول : استطاع يهود اسبانيا ان يحددوا ويفسروا

اليهودية بوضوح وقوة لم يعرفا عبر تاريخ الشــــعب اليهودي . ويبدو تأثير الحضارة الاسلامية صارخا في قوله : وطريقة الشرح واشكاله كانت تعتمد الى حد كبير على الاستعارة من الثيولوجيا والفلسفة الدينية الاسلاميتين (١٠).

يبقى ان علاقات اليهود بالمسلمين لم تتأثر بالحروب الصليبية كما كان شــان العلاقات المسيحية ولم تتأثر بالاعمال التي قام بها الفاتحون الجدد نظرا للعلاقات غير الودية التي كانت تربطهم بالصليبيين .

فالتعامل مع اهل الكتاب كان في الدولة الاسلامية يقوم على مبادىء الحرية والمساواة في القول والعمل ، وقد حفظ المسلمون وحافظوا علــى مؤسسات اهل الكتاب وحضارتهم عبر تاريخهم كله وحتى في احلك الظروف قساوة . واذا كانت بعض ازمات قد شابت تاريـــخ التعايش الطويل فانها كانت في اكثر الاحيان ترتبط بعوامل خارجية سرعان ما تزول بزوالها ؛ ولا شك بأن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد احكما رسم اطر هذه العلاقات عبر ما ظهر فيهما من مواقف ومبادىء تتعلق بالقيم التي يفرض احترامهـــا على كل مسلم . وقد أدت، عندما اتبعت، الى تجسيد حقائق الخصب الحضاري والعطاء الاجتماعي في اشد صوره قربا من الحياة والتطور . ولكي نتمكن من تصور اسباب المصير القاتم الذي نواجه اليوم خطاياه وآلامه ؛ ولكي نتجاوز هذا المصير الى صنع حاضر جديد السنا بحاجة الى قراءة جديدة لتاريخنا تميز فيه بين الغث والسمين على ضوء الادوات الفكرية الجديدة والتجارب الحضارية المعاصرة علنا نلقي بكل ذلك ضوءا على هويتنا التي تكاد تتمزق في معالم الضياع والغربة والبعد عن استعمال الامكانات البشرية والحضارية الهائلة في وجهها المنتج الصحيح !! اليست حرية الفكر ومنطق التسامح هي الاساس في بناء يقوم على الابداع والخلق بعيدا عن الجمود والتحجر والنقل ؟

حسن الزين

حواشــي

(١) العدد (٣ ـ ٤) ص ٧٨٧ من مجلة Annales الفرنسية لسنة ١٩٨٠ .

(٢) نفس المرجــع .

(٣) ص ٤٩ من كتاب الاسلام في نظر الغرب ترجمة اسحق الحسيني .

(٤) ص ٩١ من كتاب الحضارة الاسلامية الجزء الاول لادم متز .

(٥) ص ٢٤٩ من كتاب حاضر العالم الاسلامي للوثروب ستودارد الجزء الاول .

(٦) ص ٢٥٤ من المرجع السابق نقلا عن بونه موري .

(٧) ص ٧٢ من المرجع ٤ .

(٨) العدد ٢٥٣ لعام ١٩٦٧ من مجلة الازمنة الحديثة لجان بول سارتر . ص ٨٢٣ .

(٩) المرجــع الســـابق .

(١٠) المرجــع رقــم ٨ .

قصة أمراض القلب

- ١ -

بقلم : د. محمد ياسين

... كما انه لا يمكن فصل طب امراض القلب عن بقية اقسام الطب ، كذلك لا يمكن فصل تاريخ الطب نفسه وقصته عن تاريخ الانسانية في مخاضها الطويل العسير ، وجهادها المستمر من اجل التقدم ، وتطورها نحو الافضل ، عبر هذه العصور الطويلة والاحقاب المتتالية حتى يومنا هذا .

فلقد كانت الامراض ، في نظر الشعوب القديمة ، تنسب غالبا الى أسباب خفية او فوقية لا يستطيع الانسان العادي فهم كنهها ولا معرفة اسبابها ، ولا ربطها بحياته وعلاقاته وغذائه . وكيف يكون له ذلك وهو المعتقد ان المرض لا ينجم عن كل هذا وانما ينشأ عن تأثير روح من الارواح في الانسان وتسلطها عليه .

هذه النظرة جعلت الطب سرا من الاسرار يكتنفه الغموض . وجعلته ايضا حكرا على فئة معينة من الناس تتداوله وتتناقله جاعلة منه أداة انتفاع ومجال استغلال وطريق هيمنة .

ونحن اليوم لا ننكر ما قدمته لنا الاجيال السابقة في مجال الطب ، ولا يمكن ان نقول بأن طبنا الحديث — بما توصل اليه — هو من نتاج العصر الحديث وحده ، ولا اثر للعصور السابقة فيه بل لا بد من التاكيد على ان الطب كغيره من المعارف الانسانية تطور مع الزمن حتى كان على ما هو عليه اليوم . ولكن هذا التقدم الطبي لم يكن في الغالب الا نتيجة لعبقرية شخص او قدرة ملاحظته او عمق تجربته . وبعد ان يصطدم بالكثير الكثير من الافكار المناهضة والاراء المعارضة والمؤامرات التي يحوكها ضده اولئك المنتفعون باسرار يزعمون انها ملكهم وحدهم ، ويقتصر عليها .

لقد تقدم الطب عبر الحقب الطويلة ببطء حتى كان عهد ليس بالبعيد ، حيث بدأ وبشكل خاص ، طب امراض القلب والشرايين ، يتقدم بخطى حثيثة وثابتة ، بفضل التطور العلمي والتقني الذي عم العالم كله ، ونتيجة لعملية الاتصال السريعة الدقيقة المنتظمة بين اجزاء عالمنا كله ، حيث اصبحت جميع الجهود الانسانية تتضافر وتتعاون في كل الحقول العلمية والتقنية والطبية وغيرها ، مشكلة اوركسترا متناسقة متعاطفة متكاملة لخدمة الانسان . وتأمين سلامته وحفظ صحته وزيادة رفاهيته .

الطب الحديث جذوره عند العرب

لقد تخطى الطب قرونا عديدة كان خلالها عرضة للهزات وتأثير العواطف ، حتى جاء عصرنا الحاضر وسلك فيه الطب طريقا ثابتة هي طريق العقل والمنطق والتجربة والاقتناع في محاولة جادة لبلوغ النجاح والوصول الى الحقيقة .

ويعتقد الكثيرون اليوم ان الطب الحديث المعتمد على المراقبة والتحليل والفحص السريري والتشريحي منقطع تماما عن الطب في العصور الخوالي وانه لا جذور له في ذلك القديم ، وانه بدأ يرسي قواعده منذ اقل من اربعة قرون حين اكتشف هارفي الانجليزي سنة ١٦٢٨م الدورة الدموية .

لكننا ، ونحن نستعرض تاريخ الطب العربي ابان عصور ازدهار هذه الامة ، وهذا ما سنأتي على ذكره في الصفحات المقبلة ، لا بد وان نبين ان هذا الاعتقاد خاطىء وينبغي لاصحابه ان يعودوا الى الوراء قليلا ليتبينوا خطاهم .

فهناك تشابه وتقارب بين طب العرب في عصورهم الزاهية المزدهرة وبين الطب في ايامنا هذه في كثير من الخطوط العريضة والاتجاهات ، كتحري الحقيقة والتفتيش عن اسباب المرض ، والاعتماد على اقوال المريض .

هذا بالاضافة الى ما حمله الطب العربي الى الغرب فكان سببا رئيسيا من اسباب وصول الغربيين الى ما هم عليه الان من اعتماد على الملاحظة السريرية ، والكشف السريري ، ثم التجربة وفاعلية العلاج .

.. وابن النفيس كان اول من اكتشف الدورة الدموية

والحقيقة الجديرة بالذكر ايضا هي أن أول من اكتشف الدورة الدموية لم يكن — كما يزعم البعض — هارفي الانكليزي ، وانما الطبيب العربي ابن النفيس ، الذي ولد في دمشق عام ١٢٢٠م وعمل طبيبا في مستشفى المنصوري في القاهرة ، ثم رئيسا لاطباء مصر . ومن خلال المقارنة نجد ان اكتشاف الدورة الدموية كان قبل هارفي بأربعة قرون تقريبا .

ويجمع مؤرخو الطب الان على ما اوردناه ، بل ان البعض يؤكد ان هارفي لم يكن بعيدا عن الاطلاع على آراء ابن النفيس واقواله في هذا المجال . ولكن هذا الرأي لا يمنعنا من الاعتراف لهارفي بالفضل ، اذ يعود اليه بدء معركة كسر طوق الاراء والنظريات الطبية القديمة ، وبداية تحديث الطب على اسس أقرب الى الواقع والحقيقة .

وتسارعت الخطى نحو ارساء قواعد الطب الحديث في القرن الثامن عشر ، فجاء بعد هارفي بقرن من الزمن « مورغاني » الذي ادخل جديدا في طب القلب والشرايين باعتماده في دراساته وابحاثه على الاصابة القلبية وعلى التشريح .

ثم جاء بعد « مورغاني » ، في القرن التاسع عشر « لاينك » فاضاف

اشياء مهمة جدا في هذا المضمار ، حيث اكد على اهمية التنصت والاستماع الى دقات القلب ، ووضع تحليلاته التي تعتبـر ذات قيمة كبيرة في هـذا المجـال .

ثم جاء بعد « مورغاني » ، في القرن التاسع عشر « لاينك » فاضاف اشياء مهمة جدا في هذا المضمار ، حيث أكد على اهمية التنصت والاستماع الى دقات القلب ، ووضع تحليلاته التي تعتبر ذات قيمة كبيرة في هذا المجال .

وجاءت نهاية القرن التاسع عشر وعلى وجه التحديد سنة ١٨٩٥ لتسجل انتصارا كبيرا وطريقة رائعة من طرق التشخيص ، وذلك باكتشاف أشعة رونتجن ، وبدء التصوير الشعاعي .

وتتتابع الاعمال الجديدة في مجال طب امراض القلب فيصدر في فرنسا عام ١٩٠٨ أول عدد من مجلة « أرشيف امراض القلب والشرايين » وتتبعها في الصدور بعد عام واحد فقط ، في بريطانيا ، مجلة « القلب » لتوماس لـوي .

ومن ثم بدىء باستعمال آلة قياس الضغط الشرياني على يد كورتكوف الروسي .

اما تخطيط القلب فلم يستعمل كما يجـب الا بعد الحرب العالميـة الثانيـة .

هذا ، ولقد بقي الفحص السريري الحاكم المطلق في مجال طب امراض القلب حتى كان ذلك التقدم العظيم في علمي الكيمياء والبيولوجيا ، ودخلنا طور تمييل القلب وامكانية تصويره من الداخل . اما في الحقل العلاجـي فقد تقدم علم التخدير والانعاش ومعالجة اضطرابات نظم القلب وغيرها ، وكان ذلك في الوقت نفسه الذي تقدم فيه الانسان في حقل الجراحة وبخاصة في جراحة الصمامات والشرايين القلبيـة .

وجاء العهد الاخير الذي نحيا في ظلاله ، وهو عهد الذرة والالكترونيك ، فتمكن الانسان من استغلال هذه الطاقات الجبارة في مجال الطب القلبي وفي المراقبة الفائقة للقلب وتشخيصه ثم علاجه . كما استعمل الصدمة الكهربائية في معالجة كثير من الحالات . وكذلك اجهزة تنظيم دقات القلب (بطاريات البيسمكر) وحث القلب وتسييره في حالات الوهن او التوقف عن النبض او عدم انتظامه بشكل يهدد سلامة المريض ، او يسيء الى صحته وحياته .

واليوم ايضا ، وان كان ذلك ما يزال محـدودا ، بدأت العقـول الالكترونية تحتل مكانها الذي تستحق في هذه المسيرة بالمساعدة على تشخيص امراض القلب والشرايين ومراقبتها ومن ثم المساهمة في معالجتها وشفائها .

أزمة التعليم في لبنان
- ١ -

بقلم : الياس مرعي

عندما يطالع المرء عنوان المحاضرة « ازمة التعليم في لبنان » يتبادر الى ذهنه لاول وهلة انها واحدة من الازمات الدارجة مثل ازمة الماء او ازمة الكهرباء : هناك خلل طارىء سيصلح ولــو بعد حين ولا تلبــث ان تعود الامور الى نصابها .

أزمة التعليم ليست هذه ولا تلك ولا هي ما تعودنا ان ندعوه في زمن مضى « هموم تشرين » يوم كان يستقطب اهتمام العائلة تأمين مقعد في مدرسة والتفتيش عن كتاب ، هموم تشرين تلك ــ سقى الله عهدها ــ طوتها الايام ولفتها الغيوم السود وغرقت في لج واسع عميق من ازمات عديدة لا حصر لها .

ازمة التعليم فاعلة ومنفعلة في آن ، ربما كانت في اساس كل ازمة ولها من كل ازمة نصيب : ازمة الكهرباء مثلا ربما كانت نتيجة نقص في الكفاءة العلمية او التقنية او نتيجة نقص في الاخلاق انها نتيجة ازمة تربية وتعليم ــ وهي تصب في ازمة التعليم عن طريــق عرقلة العمل وتضييــق فسحة الانتاج وخفض المردود ، مثلها ازمة الماء وازمة السير والمواصلات الى ما هنالك من ازمات ...

ازمة التعليم ككل ازمة لها جذورها ومسبباتها وابعادها ...

سنعود الى التاريخ نستعرض اوضاع التعليم في لبنان عبر مراحل ثـلاث :

١ ــ مرحلة ما قبل الانتداب
٢ ــ في ظــل الانتداب
٣ ــ في عهد الاستقلال

محاولين تبيان الخطوط العريضة للنظام التعليمي وللسياسة التعليمية السائدة والتي ــ رغم التغييرات التي حدثت على المسرح السياسـي ــ بقيت مستمرة في خط واتجاه محدد رسمته ايديولوجية مسيطرة من مجمع اللويزة عام ١٧٣٦ الى مجمع الكسليك عام ١٩٧٦ .

★ افتتح المجلس الثقافي للبنان الجنوبي موسمه الثقافي للعام ١٩٨١ - ١٩٨٤ بمحاضرة القاها الاستاذ الياس مرعي حول « ازمة التعليم في لبنان » نثبت فيما يلي القسم الاول من هذه المحاضرة :

جذور الازمة

١ ـ مرحلة ما قبل الانتداب

لم تدخل مهمة تعليم « الرعايا » في اطار مهام الدولة في القديم فكانت هذه تكتفي بتعليم ابنائها وادواتها من اجل تامين عملها واستمرارها مكان الحاكم ياتي بمعلم لابنائه من الامراء ولبعض ابناء انصاره من الزعماء . ولم تاخذ المدرسة مفهومها التقليدي البدائي الا مع رجال الدين مرشدين ومبشرين فنشأت في المعبد او بجانبه يتولاها هؤلاء لنشر تعاليمهم اولا ثم تطورت لتشمل بعض معلومات في اللغة والخط والانشاء والحساب .

حتى اذا ما قرر احد الحكام انشاء مدرسة كان قراره مستندا الى عقيدة دينية يريد ترسيخها ويبقي انتشارها كما فعل جلال الملك علي بن عمار عندما انشأ مدرسة طرابلس سنة ١٠٧٩ والتي سماها دار الحكمة في سبيل نشر الدعوة الفاطمية على غرار دار الحكمة التي انشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي في القاهرة .

كانت تلك المدارس ملتحقة بالجوامع وفي المناطق المسيحية كانت أديرة الرهبان مراكز التعليم والتثقيف .

ولما كبر عدد المدارس في الاديرة حرصت السلطات الدينية على ايجاد تنسيق وتنظيم يؤمن وحدة المرجع ويؤدي الى وحدة الهدف فعقدت الكنيسة المارونية مجمع اللويزة عام ١٧٣٦ لتدبير شؤون هذه المدارس وللتدليل على انخراط هذه الكنيسة في امور التعليم واهتمامها بنشره .

وبعد حملة نابوليون على مصر عام ١٧٩٨ وحملة ابراهيم باشا على لبنان والانفتاح على المؤثرات الغربية ـ تمهدت الطريق امام قوافل المبشرين الذين شرعوا يتنافسون على افتتاح المدارس : منها المدارس الكاثوليكية : فرنسية : يسوعية . والانجيلية : انكليزية واميركية فكانت الكلية السورية (الجامعة الاميركية) عام ١٨٦٦ والجامعة اليسوعية ١٨٧٥ . هذا الاندفاع الخارجي نقل العدوى الى الطوائف المحلية ودفعها الى انشاء مدارسها وعقد بينها تنافسا في هذا المجال ، كالذي حصل بين البعثات الاجنبية ، فالموارنة اخذوا يحولون اديرتهم الى مراكز تعليم وفي عام ١٨٥٣ اسسوا جمعيتين للراهبات المارونيات اولوهما مهمة انشاء مدارس للاناث في المناطق الى جانب مدرسة الحكمة التي انشئت عام ١٨٧٥ اما طائفة الروم الكاثوليك فكان قد تم لها انشاء مدرسة عين تراز ١٨١١ ثم المدرسة البطريركية عام ١٨٦٢ ثم مدرسة دير المخلص عام ١٨٦٧ والكلية الشرقية في زحلة عام ١٨٩٥ .

وللروم الارثوذكس دير البلمند ١٨٣٣ ثم الثلاثة اقمار ١٨٥٢ في سوق الغرب ثم في بيروت عام ١٨٦٦ والمدرسة الاهلية في بيروت عام ١٨٨٠ وزهرة الاحسان عام ١٨٨٢ وقد نالت هذه الطائفة ومدارسها العون من الكنيسة

الروسية بواسطة جمعية فلسطين الارثوذكسية الامبراطورية .

اما المدرسة الوطنية التي انشأها المعلم بطرس البستاني فكانت لا طائفية .

اما الطوائف الاسلامية فقد اسست جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية سنة ١٨٧٨ بقصد تحسين احوال ابناء الطائفة عموما عن طريق فتح المدارس والجمعيات الخيرية مع التشديد على تعليم البنات ـ امهات المستقبل وكان قد سبقها حسن البنا الذي اسس المدرسة الرشدية عام ١٨٦٣ واحمد عباس الازهري الذي اسس الكلية العلمية الاسلامية عام ١٨٩٥ .

اما الشيعة فقد اسسوا مدارس جبل عامل في حناويه عام ١٨٧٨ وبنت جبيل عام ١٨٨١ والنبطية عام ١٨٨٢ والمدرسة الحميدية عام ١٨٩٢ بالاضافة الى مدارس جباع وجزين وشقرا ومشغره وتبنين ... واما الدروز فاهم مدرسة انشأوها كانت المدرسة الداودية في عبيه عام ١٨٦٢ .

وهكذا كانت كل طائفة تقوم بانشاء مدارسها الخاصة بها تتولى جمع ابنائها حولها تلقنهم تعاليمها وترسخ فيهم مقوماتها الخاصة محاولة المحافظة على شخصيتها وعاداتها وتقاليدها التي تميزها عن سائر الطوائف .

كان لبنان في تلك الحقبة من التاريخ واقعا تحت الحكم العثماني فماذا كان موقف السلطة تجاه النشاطات التربوية المتنوعة والمتعددة المصادر والاتجاهات ؟

كانت الدولة العثمانية تعتمد نظام « الملة » بالنسبة للاقليات الدينية . هذا النظام الذي يمنح هذه الاقليات استقلالا في مجال الاحوال الشخصية وفي امور التعليم . وقد تكرست هذه السياسة باتفاقيات عقدتها الدولة مع بعض الدول الاوروبية تمنحها بموجبها امتيازات والتي كانت في اساسها اقتصادية بقصد توظيف الراسمال الاوروبي الذي غزا سائر مقاطعات الامبراطورية العثمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر هذه الامتيازات التي استغلت في المجال الطائفي فاصبحت كل دولة اوروبية حامية لطائفة معينة وكان الطائفة دولة صغيرة ضمن الدولة الكبيرة ، فصار الموارنة والكاثوليك دينيا في صف واحد مع فرنسا والروم الارثوذكس مع روسيا والبروتستانت مع بريطانيا . وهكذا اصبحت هذه الفروقات ارضا خصبة لقيام الفروقات السياسية ولتنوع الولادات الوطنية . وكان نظام المتصرفية بالتالي نتيجة طبيعية لمثل هذا الوضع .

كان موقف السلطة العثمانية في الظاهر سلبيا في المجال التربوي : تركت الامر للطوائف ، المحلية منها والاجنبية ، لتختط لنفسها السياسة التربوية التي تريدها وتتبع في مدارسها المناهج التي تناسب اغراضها . وكانت هذه السياسة وهذه المناهج ، في معظم الحالات ، تستلهم النماذج الاجنبية التي ترتبط بها هذه الطائفة او تلك . هذا الموقف السلبي في الظاهر

كان موقفا سياسيا ايجابيا مستوحى من سياســة الدولة العليا ــ ومن ايديولوجيتها : سياسة التفرقة والشقاق ــ لتأمين استمرارية السلطــة . بدليل انها في منتصف القرن التاسع عشر عندما عمدت الى وضع تنظيم شامل للتعليم وعلى اسس مركزية . انشأت مجلس المعارف الذي تحول فيما بعد الى وزارة المعارف العامة التــي تولت شــؤون التعليم في مختلــف انحاء الامبراطورية . لم تحد عن الموقف السابق واستثنت من هذا التنظيم المدارس الخاصة التي تقوم على ادارتها فئات طائفية . وكان من نتائج هذا الاستثناء ان غالبية المدارس التي كانت تعمل في لبنان بقيــت خارج هــذا التنظيم ، باعتبارها كانت تابعــة لهذه الطائفة او تلك ، وظلــت علــى نفس الخط السياســي .

وقد امتدت هذه الحرية الممنوحة للاقليات لتشمل امتيازات خاصــة منحتها الدولة العثمانية لفرنسا ، في شؤون التعليم .

عام ١٩٠١ عقد اتفاق فرنسي ــ عثماني نص على اعطاء المــدارس الفرنسيه تسهيلات كبرى ، منها الســماح لها بتوسيع ابنيتها وادارتها مــن دون الرجوع الى السلطات العثمانية ، كما كان مطلوبا من المدارس الخاصة الاخــرى .

ــ والامتياز الثاني كان اعفاء المدارس التي تنشئها الحكومة الفرنسية من شرط الاجازة المسبقة .

ــ الامتياز الثالث كان اتفاق عام ١٩١٣ الذي اشترط عدم انشــاء مؤسسات فرنسية في احياء معظم سكانها او كلهم من المسلمين ــ هــذا الاستثناء الذي كرس لها الحق الكامل في سائر الاحياء وجعلها شريكة في تحمل المسؤوليــة التعليمية .

في نهاية هذه المرحلة ــ نهاية العهد العثماني ــ يمكــن ان نرسم الخريطة التعليمية على الشكل التالــي :

ــ مدارس حكومية رسمية تعلم اللغة التركية .

ــ مدارس طائفية موزعة على جميع الطوائف والمذاهب الموجودة في لبنان تعلم اللغة العربية ولغة اجنبية هي لغة الدولة التي ترتبط بها .

ــ هيمنة ظاهرة للمدارس الفرنسية او تلك التي تعتمد اللغة الفرنسية بنتيجة الامتيازات المبينة اعلاه .

اذن ضمن اطار السياسة التربوية المبينة اعلاه هناك :

ــ تعدد طوائف .

ــ تعدد انظمــة .

ــ تعدد لغات وتعدد ثقافات وتعدد ولادات .

ــ تعدد جماعات ــ لكل منها شخصيتها واستقلالها الذاتي في ممارسة طقوسها وعاداتها .

تلك كانت الارضية التي ارتكز عليها الانتداب .

٢ ــ في ظــل الانتداب

فرنسا لم تكن غريبة عن الديار : فرنسا المنتدبة هي فرنسا المعلمة ، المبشرة ، الحليفة والشريكة في المسؤولية التربوية منذ عشرات السنين وصاحبة المؤسسات الدينية والتعليمية والاقتصادية والتجارية وصاحبة العلاقات الوثيقة والوطيدة مع فئة واسعة من اللبنانيين وذات التأثير البالغ في جوانب الهوية الثقافية للبنان .

دخلت فرنسا المنتدبة الى لبنان من الباب الواسع وانفتحت امامها المجالات التي كانت تشغلها او تؤثر فيها فعملت على تركيز اوضاعها وتثبيت مواقعها بوسائل ثلاث :

ــ التشديد على اللغة والثقافة الفرنسيتين .

ــ توحيد المناهج والامتحانات الرسمية .

ــ اقامة نظام اداري مركزي مع الحفاظ على المشاركة مع القطاع الخاص .

مستندة في البدء على نصوص صك الانتداب التي ساهمت في وضعها وتدبيجها بما يلائم مصالحها ويسمح لها بتحقيق اهدافها كما يتبين من نص المادة الثامنة مثلا : يطلب من السلطة المنتدبة ان تشجع التعليم العام الذي يجب ان يعطى **باللغات الوطنية المستعملة في سورية ولبنان** . ان حقوق كل جماعة بأن يكون لها مدارسها لتعليم ابنائها وتثقيفهم بلغتها الخاصة لا يمكن منعه او الانتقاص منه ، شرط ان يكون هذا متلائما مع الحاجات التربوية العامة التي قد ترغب الدولة باقرارها » .

فايراد عبارة اللغات الوطنية المستعملة في سورية ولبنان يبيت غاية المنتدب بادخال لغته كلغة وطنية مستعملة الى جانب اللغة الوطنية الاصلية ــ اللغة العربية ــ واستنادا الى هذه المادة صدرت القرارات والمراسيم التنظيمية تنص على اجبارية تعليم اللغة الفرنسية كاحدى اللغات الرسمية في لبنان وسوريا كما جاء في المادة السابعة من القرار رقم ٢٦٧٩ تاريخ ١٩٢٤/٨/٢١ ثم كما جاء ايضا في المادة الثانية من القرار ٢٨٥٢ تاريخ ١٩٢٤/١٢/١ التي تنص على ان تدرس علوم الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والعلوم الطبيعية باللغة الفرنسية .

ثم تأتي المادة السادسة عشرة من صك الانتداب بنص صريح : « على ان تكون اللغتان الرسميتان الفرنسية والعربية لسوريا ولبنان » .

ثم اتى الدستور الذي وضع سنة ١٩٢٦ ــ على يد لجنة ثلاثية برئاسة الفرنسي (بونكور) ليؤكد النصوص الواردة في صك الانتداب فكانت المادة العاشرة من الدستور التي تنص على ان « التعليم حر ، ما لم يخل بالنظام العام ، او ينافي الاداب او يتعرض لكرامة أحد الاديان او

المذاهب . ولا يمكن ان تمس حقوق الطوائف من جهة انشاء مدارسها الخاصة ، على ان تسير في ذلك وفاقا للانظمة العامة التي تصدرها الدولة في شأن المعارف العمومية » . نفس مضمون المادة الثامنة من صك الانتداب .

والمادة الحادية عشرة من الدستور (قبل تعديله سنة ١٩٤٣) اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية في جميع دوائر الدولة ، واللغة الفرنسية ايضا لغة رسمية وسيحدد قانون خاص الاحوال التي تستعمل بها . هي ذات المادة السادسة عشرة من صك الانتداب . والامثلة والشواهد كثيرة ومتعددة .

فنلاحظ ان الخط العام للتشريع في المجال التربوي كان متواصلا متكاملا عبر عدة عهود : فمنذ عهد الامبراطورية العثمانية والتركيز قائم على حرية التعليم وعلى استقلال المؤسسات التربوية وعلى حماية حقوق الطوائف والمذاهب بانشاء مدارسها الخاصة .

هذا الخط يشكل الفواصل والحدود بين فئات عدة من الشعب وهو الذي تم الاصرار على توكيده وترسيخه وجاءت جميع النصوص المتعلقة بالشؤون التعليمية والتربوية مستوحاة منه وعاملة على تعميق اثره في زيادة الفواصل وفي تعميق الفوارق بين فئات الشعب .

واستقلال المؤسسات لم يكن تاما كان يسمح به في الحدود التي تبقى فيها مصالح واهداف السلطة مؤمنة وعندما تدعو الحاجة ، عندما تتعرض هذه المصالح والاهداف للانتقاص ، كانت تصدر القوانين اللازمة حفاظا عليها : هذا ما تم بالفعل عندما لاحظت الدولة المنتدبة ان هناك تهاونا في تعليم اللغة الفرنسية في المدارس الخاصة فأصدرت القرار رقم ٧٩٦٢ ايار ١٩٣١ الذي ينص في مادته العاشرة : « على ان تعليم اللغتين العربية والفرنسية اجباري في جميع معاهد التعليم الخاصة » كما اشترطت المادة السادسة منه تقديم « بيان بعدد الساعات الاسبوعية المخصصة لكل من اللغتين العربية والفرنسية قبل السماح بفتح المدرسة . وتبعا لتحديد المواد التي يجب تعليمها باللغة الفرنسية وتلك التي تعلم باللغة العربية بلغ مجموع الساعات بالفرنسية ٦٧ ساعة ونصف بينما حظيت المواد التي تعطى بالعربية ٥٥ ساعة ونصف وذلك كما حددها المرسوم رقم ٤٢٩٨ تاريخ ١٩٢٨/١٢/٣١ (منهاج التعليم الابتدائي) . وكان توزيع الدروس الاسبوعي يعطي ١٤ ساعة للعربية و ١٦ للفرنسية في مرحلة التعليم الابتدائي — ويعطي ١٢ ساعة بالعربية مقابل عشرين ساعة بالفرنسية بالنسبة للمرحلة التكميلية — .

بالاضافة الى هذه النصوص الصريحة بفرض هيمنة اللغة الفرنسية والعمل على تقليص مجال اللغة العربية ، عمدت الدولة الى وضع قيود اخرى للتشديد وللسهر على تنفيذ هذه النصوص التنظيمية فأصدرت المرسوم

رقم ١٢٢٠ تاريخ ١٩٢٦/١٢/٢ والذي الفت بموجبه لجنة لاختيار الكتب التي تعلم في المدارس — المادة الثالثة منه تنص : ان حق اختيار الكتب الموضوعة باللغة الفرنسية والمطبوعة في فرنسا عائد الى اللجنة . اما الكتب الجديدة الموضوعة بالعربية او بالافرنسية والمطبوعة في لبنان او في البلاد المجاورة فلا يجوز استعمالها في المدارس الرسمية او المدارس الخاصة ، ابتداء من نشر هذا المرسوم ، الا بقرار يصدره مدير المعارف العامة بعد موافقة اللجنة » .

اما القيد الثاني الذي وضعته السلطة المنتدبة فهو ما ورد في المراسيم الاشتراعية ذات الارقام ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ تاريخ ٥ ك٢ ١٩٣٣ والتي تنص على « عدم السماح لاي شخص بمزاولة احدى مهن الطب والصيدلة والمحاماة في اراضي الجمهورية اللبنانية الا اذا كان يحمل شهادة البكالوريا اللبنانية او شهادة معادلة لها » . مما اجبر المعاهد الخاصة على التقيد بالمناهج الرسمية وبالامتحانات الرسمية لتضمن استمرارها ولتوفر لخريجيها مجالات العمل . فضاق مجال الحرية الذي نص عليه الدستور ، الى الحدود التي رسمتها السلطة .

اما القيد الثالث فكان التشديد على المركزية التامة في كافة شؤون التعليم . فبعد صدور الدستور بتاريخ ١٩٢٦/٥/٢٣ ، صدر المرسوم رقم ٥ تاريخ ٣١ ايار ١٩٢٦ القاضي باحداث « وزارة المعارف والفنون الجميلة تكون مهمتها تنظيم معاهد التعليم المختصة بالدولة » . وفي ٢ نيسان ١٩٢٨ صدر المرسوم رقم ٣٠٣٢ القاضي بانشاء مجلس اعلى للمعارف العامة في الجمهورية اللبنانية برئاسة وزير المعارف العامة وشملت صلاحيات هذا المجلس « البرامج وطرق التعليم ، انظمة الامتحانات ، المراتب العلمية ومعادلتها ، انظمة المدارس الحرة ، الكتب المدرسية المباح تعليمها او التي يجب منعها » . بالاضافة الى الامور الادارية . كان يضم هذا المجلس ممثلين عن القطاع الخاص بعدد اقل مما كانوا في مجلس المعارف العمومية السابق وكان هذا المجلس الجديد وكذلك وزارة المعارف ذاتها خاضعة للمفوض السامي في كل ما يصدر عنه من قرارات .

عن طريق هذا المجلس وعن طريق الوزارة تم اخضاع جميع المؤسسات وخصوصا الخاصة منها للسلطة المركزية بطريقة شبه مباشرة .

وقد برز هذا التاثير وهذا التدخل بوضوح من خلال الاجراءات التي اتخذتها السلطة بشأن فتح المدارس الخاصة ؛ وشروط التفتيش ؛ اذ اقامت نظاما ثنائيا في التفتيش ففصلت بين المدارس الخاصة الاهلية والمدارس الخاصة الاجنبية ، فكان حق تفتيش المدارس الاهلية للسلطات المحلية التي تعينها الحكومة ولمفتشي المعارف التابعين للمفوضية العليا » . اما المدارس الاجنبية فقد انيط تفتيشها بمستشار المعارف في المفوضية العليا او من ينوب عنه من مفتشي دائرة المعارف الفرنسية .

كانت السياسة التربوية الفرنسية ترمي الى تقريب جميع المدارس الخاصة من النهج الفرنسي وخاصة فرض اللغة الفرنسية ، ولكن شرط ان لا يدفع هذا التشديد المدارس الاهلية الى اغلاق ابوابها . كانت تشدد القيد من جهة ومن جهة ثانية تقدم المعونة والتشجيع ، فهي التي وضعت قانون ١٠ اذار ١٩٢٨ القاضي « بمنح المعونات المالية للمدارس الخاصة الابتدائية بنسبة ١٠ ليرات ذهبية في السنة وكان يحق للمدارس ان تتقاضى من الطلاب اجرا رمزيا لا يتعدى ليرة سورية واحدة في الشهر » .

كانت حصيلة هذه السياسة التي اعتمدتها الدولة المنتدبة حوالي عشرين كما تبينها الاحصاءات كما يلي :

اولا : ان من مجموع كل سبعة تلاميذ واحد منهم فقط في مدرسة رسمية مقابل اثنين في مدرسة اجنبية واربعة في مدرسة خاصة اهلية .

ثانيا : انه من كل عشرة تلاميذ في المدرسة الرسمية كان هناك ثلاثة فقط من المسيحيين .

ثالثا : ان التعليم الخاص كان تعليما طائفيا صرفا ، بمعنى ان كل نوع من المدارس استقطب تلك الفئة من التلاميذ التي تنتمي الى طائفة المدرسة ذاتها لدرجة ان عدد التلاميذ الذين التحقوا بمدارس لغير طوائفهم كان قليلا جدا (مسلمين في مدارس مسيحية) وفي بعض الحالات لا وجود له (مسيحيين في مدارس اسلامية) .

رابعا : ان الغالبية العظمى من طلاب المدارس الاجنبية كانت من الطوائف المسيحية وان هذا يصح بالنسبة للمدارس الفرنسية والايطالية بشكل خاص ، اما المدارس الانكليزية والاميركية فكانت تضم نسبا اعلى من الطوائف غير المسيحية ، برغم ان المسيحيين كانوا يفوقون على النصف .

هذا هو الوضع التعليمي في لبنان عشية الاستقلال والذي كان ثمرة تطور تاريخي طويل . والذي يحمل الطابع البارز للسياسة الفرنسية ، سماته البارزة التنافر في تركيبه الاجتماعي بالرغم من الاطار المركزي الذي اضفاه عليه الفرنسيون .

الياس مرعي

قصّة جديدة

حارس البناية

بقلم د. رشاد دارغوث

ما كان بحسب ان انتقاله من مسكنه القديم المستأجر الى البناية الجديدة التي اشترى شقة فيها ، سيكون مجلبة لهذه المتاعب التي لا تحصى ولا تعد . فالمياه المشتركة . لا تستقر في الخزان العام حتى تنفد . والمصعد لا يتحرك بين الطبقات الثماني حتى يعود فيتوقف . والتدفئة لا تنتظم يوما حتى يفسد حالها في اليوم التالي . والبرد شديد ، فقد كانت عواصف كانون وبرده — في هذه السنة — مما شجعه على هذه المغامرة . فاستدان الكثير . ليدفع نصف الثمن ، مؤملا ان يدفع الباقي ، ويسدد الديون اقساطا ، من رواتبه . ومن تعويضات نهاية الخدمة ، خلال السنتين المقبلتين .

ويقول لنفسه :

— كان بيتي المستأجر ... لا يشكو اية من هذه العلل ... فالمياه فيه خاصة . ووفيرة برغم ان كميتها لا تتجاوز نصف المتر .. بل كانت تفيض عن حاجات المنزل الواسع ، بغرفه الخمس ، ومنتفعاته الكثيرة . ومشكلة الصعود الى الطبقة الثالثة كنت احلها باستعمال « السلة » ، تدليها من اعلى لتنقل الاغراض فيها ، من اسفل الدرج . ثم تقتصر طلعاتك ونزلاتك ، على مرة او مرتين في اليوم والليلة ! بقيت التدفئة ... وكنت حللت مشكلتها .. منذ زمن بعيد ، فاستعملت مدفأة الحطب تارة ، ومدفأة الغاز تارة اخرى .. او الاثنتين معا ! فما الذي حملك على مثل هذه المغامرة فدفعت اخر قرش ، مما اقتصدت على مدى سنوات وسنوات ، لتشتري مسكنا ، وتشتري معه جميع هذه المتاعب ؟

كان ذلك في اواخر الستينات . وكان اولاده قد بلغوا مرحلة الشباب .

وقد حدثت لبعض الشبان حوادث قلبية ، ذهب بعضهم ضحيتها — من جراء اجهاد هذا العضو بصعود السلالم وغيره ، من الاعمال المرهقة . وكان عبثا نصحه لاولاده :

— اصعدوا ... بهدوء ، فان السلالم العالية تأكل القلوب كما يأكل المنشار الخشب ! فهم مصرون على تسلق الاثنتين والسبعين الدرجة ، من سلم المنزل، في لحظات، وقفزا يشمل ثلاث درجات دفعة واحدة. وكان احدهم ، ولا سيما الكبير ، يميل الى البدانة ، والصغير الذي جاء فارع الطول ، يصلان الى اعلى الدرج ، بطرفة عين — وهما يكادان تنقطع انفاسهما ، وتنحل ركبهما .

اما هو ، برغم الخمسين ، فقد كان يرتقي تلك الدرجات بهدوء ، متمهلا عند كل مصطبة ، ليتنفس تنفسا عميقا ... ثم يستانف الصعود فيصل الى المنزل مرتاحا .

وفوق ذلك ، كان شعوره ان قلبه ، كقلوب آبائه واجداده ، قوي . اذ لم يمت واحد منهم ، بهذه العلة . اما اولاده ، فما ورثوه عن أمهم ، وذويها ، كان عاملا في ازدياد خشيته ، وباعثا على التفكير الجدي ، في الانتقال الى مسكن يتوفر فيه مصعد ، ما دام لم يعد بالامكان سكنى الطبقات الارضية ، التي تحولت ، حتى في البيوت القديمة ، الى دكاكين او مخازن ومعارض للاثاث وشتى الادوات المنزلية .

وفوق ذلك ، كان شعوره ان قلبه ، كقلوب آبائه واجداده ، قوي ، الى غزو الذباب ، والغبار ، والحشرات الاخرى ! فلم يكن بد من السعي لامتلاك شقة علوية ، بعد ان ارتفعت اجور المنازل الحديثة حتى صارت اجرة الشقة الواحدة تعادل عشر ثمن العقار .

وهكذا قرر صاحبنا ، بعد استشارة اولاده ، الذين تخرج بعضهم من الجامعة ، ويتابع بعضهم تخصصه فيها ، ان ينتقل الى بيت الشراء بعد ان طال مكوث الاسرة في بيت الكراء ... وانفقت بالفعل ، على استئجار المنازل ، ما يوازي ثمن شقة ، عدا ونقدا .

ولكن هذه المتاعب ، لم تكن تخطر له ببال . كل الظواهر تدل على ان النعيم ينتظر مالك الشقة ، في هذه البناية ، الجميلة ، والصغيرة ، بالنسبة الى غيرها من بنايات تنبت في العاصمة كما تنبت رؤوس البصل ، او صيصان الدجاج في الحاضنة الكهربائية !

ويسأل صاحب البناية — الذي يسر له الشراء بشروط مغرية ، دون تعنت او استغلال لجهله اسرار الموضوع :

— ما سبب انقطاع المياه ... كل يوم ... بل كل ساعة ؟ وتعطل المصعد ... وعدم انتظام التدفئة ؟ فيجيب الرجل الذي لا تدل مظاهره واقواله الا على الصدق والاستقامة :

— غريب ... مع ان حارس البناية ... موجود ! وكمية المياه كافية .. والمازوت متوفر ...

وتبقى المشكلة عالقة ... اياما بل اشهرا ، أعتدل بعدها الطقس ، واكتمل عدد الاسر التي اشترت سائر الشقق ، فسكنتها او اجرتها وانتخب المالكون ، من بينهم ، مديرا مسؤولا ، يشرف على اعمال الحارس ، ويوجهه .

وبرغم اصرار صاحب البناية الاصلي ، على انتخاب صاحبنا مديرا ، فانه اعتذر ، واناب عنه من اشترك في اختيار المدير المسؤول ... واستبشر بعد ذلك خيرا ، لان الشخص الذي اختاره الشركاء كان من افضل الناس ،

علما وخلقا ، ودرايـــة .

ولكن المشكلة ظلت قائمة ، وزادها تعقيدا غياب الحارس باستمرار ، فهو لا يستجيب لنداء « الانترفون » ولا يصادفه صاحبنا ، كلما دخل او خرج من البناية ، بل يكاد لا يذكر ملامح وجهه ، اذ لم يره اكثر من مـــرة او مرتين خـــلال عام .

ويسأل صاحبنا المدير المسؤول :

ــ اين الحارس ؟ لعلك تراه اكثر مني ، ارجو تنبيهه الـــى وجوب « حضوره » في مدخل البناية !

ويأتي الجواب مخيبا للامـــل :

ــ نبهته مرارا .. فهو ينتظرني ، صباحا حتى اغادر منزلي ، ومساء حين اعود من عملي ... وبعد ذلك ، لا يرى له احد وجها ، ولا يسمع صـــوتا !

حرضت اسئلة صاحبنا المتكررة همة المدير المسؤول ، فاخذ في مراقبة حارس البناية .. وفي يوم قال له :

ــ اكتشفت ان هذا الحارس ... يعمل دهانا .. في حياته العادية..

ــ وكيف يجمع بين الوظيفتين .. في وقت واحد ؟

ولم يطل الجدل حول الموضوع ، ولا حول وجوب استبدال هـــذا الحارس ــ الدهان بسواه . فالامر جد ، ولا سبيل الى طول البال ، والصبر ، فوق ما صبر جميع السكان . فاستبدل على الفور ، بعد تنبيهات متكررة ، وانذارات حازمة ، واعطي تعويضا يوازي اجرة شهر .. مع انه لم يمض على استخدامه اكثر من سنة لم يحضر في اكثر ايامها . الا انه كان هو حريصا على ايذاء من كان السبب في صرفه من العمل ، الذي لم يقم به ابدا ــ فجاء بعد ثلاثة ايام ، ورش سيارات اولئك الذين اعتبرهـــم خصوما ، « بالبوية » ، كما قذف مدخل البناية بذلك الدهان .. انتقاما ، وتعبيرا عن استيائه !

وغادر صاحبنا ، صباح تلك الليلة ــ منزله واذا بالحارس الجديد ــ يزيل عن ارض المدخل وجدرانه آثار تلك الجريمة البشعة ، ويقول :

ــ لو احسست بوجوده .. لفككت رقبته !

ويقدر المتضررون ما انزله بهم ذلك الحارس الوفي .. بما لا يقل عن الف ليرة .. ثمنا لازالة الاضرار ، او تجديد دهان السيارات المشوهة !

وبالفعل راح الحارس الجديد يبذل جهدا مشكورا في الاستجابة لطلبات السكان ، وتأدية الخدمات الخاصة ، لكل منهم . وخاصة طلبات المديـــر المسؤول . فهو يغسل سياراتهم ، ويجلب لهم حاجاتهم اليومية ، من مخازن التمويـــن المجاورة ، او يؤدي ما يكلفونه مـــن مهمات .. في الاســـواق والمؤسسات . ولكن المشكلة لم تبرح قائمة : المياه تنقطـــع ، والمصعـــد يتعطل ، والتدفئة ــ للمياه الجارية ــ ليست على ما يرام .

ويستحث صاحبنا همة المدير المسؤول من جديد .. فيكتشف ، وان متاخرا ، ان الحارس السابق قد نزع « سيفون » بعض الحمامات في الطبقة غير المسكونة ، حتى ذلك الحين . فكانت المياه تتسرب منه ، كلما امتلأ الخزان العام ، وتذهب هدرا ، ويقول لصاحبنا :

— واكتشفت انه كان يستحم في مغطس تلك الشقة ، كل يوم ، مرة او اثنتين .. فيستهلك على حمامه نصف كمية المياه !

ويقول صاحبنا ، مستدركا :

— ولكن .. هناك المصعد .. وتسخين المياه ..

فيعد المدير المسؤول بالاهتمام بهذا وبذاك ايضا . ولكن الشهور انقضت ولم يتمكن من وضع حد لهذا الخلل المتمادي ، والشامل لجميع المصالح المشتركة !

ثم هذا الحارس ، برغم انه ادعى انه متعلم حتى حدود الشهادة التكميلية ، هو امي .. وسلوكه وحده دليل على اميته : هذا الانصراف عن واجباته ، تدريجيا ، الى غسل السيارات ؟ نحن لسنا بحاجة الى من يغسل السيارة بقدر ما نحن بحاجة الى حارس .. يصون مدخل البناية ، ومرافقها ، ويسهر على منع الشحاذين والباعين المتجولين من طرق الابواب ، في كل ساعة — والاولاد من استعمال جرس « الانترفون » لازعاج السكان !

ويقول المدير المسؤول :

— هذه هي الحراسة .. في مفهومي ! اما الالتهاء عنها ، بتادية خدمات خاصة .. فامر يعيد الوضع الى ما كان عليه في الستة الاشهر الاولى !

بانتهاء السنة ، اختار الشركاء مديرا جديدا اظهر استعداده للعمل على ازالة اسباب الشكوى . وكان صاحبنا اشد المتحمسين لاختيار المدير الجديد . فوعده بوضع حد لتصرفات الحارس ، وتنظيم عمله ، بعد تحديد واجباته ضمن مخطط اتفق الرجلان عليه ، وهو مستوحى من طبيعة الاشياء، ومنطق الامور . ويقول المدير الجديد :

— ثلاثة ايام .. وينتهي كل شيء ! لقد استدعيت الحارس ، واخذت منه مفاتيح المرافق والمصالح المشتركة .. وسأوجهه بنفسي ، فان استقام ، ابقيناه ، والا استبدلناه خلال اسبوع !

ثم تمضي الشهور ، والمدير الجديد ، لا يبدي ولا يعيد . والحارس ممعن في اهمال واجباته الاساسية ، لينصرف عنها الى ما يرضي به المدير الجديد ، وزوجته ، وكل من يستفيد منه فائدة مادية مباشرة . وصاحبنا يزداد تبرما — هو وسائر السكان — من هذه الحالة التي تفاقمت . فعمد ، بعد ان اهمل المدير الجديد الاستجابة الى مطاليبه ، الى الاتصال مباشرة بالحارس :

— لماذا لا تمسح مدخل البناية ؟ وهذه الاقذار على سطح الكاراج (المرآب) وفي داخله .. وحضورك ؟ دقائق تلازم فيها المدخل ، ثم تختفي ساعات ؟ وهؤلاء النسوة اللواتي .. يأتين الى غرفتك .. وكيت وكيت .. فيأتي الجواب من الحارس ، دون تحرج :

— ما شغلتي ان اكنس .. وانا دائما حاضر .. والنسوة .. واحدة بنت عمي ، وثانية امراة ابن عمي ، وثالثة طالبة استخدام ...

وتتصاعد حرارة الحوار بين صاحبنا والحارس ، كلما امعن الرجل في تنبيه ذلك الشاب الذي يتمرد دون منطق ، ليعود فينحني امام الحزم والجدية حتى يلامس جبينه الارض وهو يقــول :

— انا بأمرك يا بك ! اللي تريده يصير ..

ثم يعمد بعد ذلك الى غسل سيارته .. او تقديم بعض الخدمات .

— اذا شئت يا بك .. سجائر امريكية تهريب ! بنصف ثمن !

ويأتي الجواب دائما ، حازما وحاسما :

— انا لا ادخن .. ولا اشتري بضاعة مهربة . .ثم ارجوك : لا تغسل سيارتي ابدا لا

ويهبط صاحبنا الى الكاراج — ذات صباح مبكرا ، بعد ان تلفن « للحارس » عدة مرات ، فلم يجب . واذا به مقبل على غسل سيارتي المدير المسؤول باهتمام بالغ . فلما رآه .. احمرت وجنتاه واعاد الكرة قائلا :

— الان ... سأغسل سيارتك !

فجاء جواب الرجل قاطعا مانعا :

— قلت لك .. واكرر ، لا تلمس سيارتي ابدا . اما فهمت ! قم بواجبك كحارس ، فهذا وحده يرضيني .

في ذلك الحين قرر صاحبنا تسلم ادارة البناية — لا للاستمتاع بحقوق المدير وصلاحياته او للاستفادة من الامتيازات التي يمنحها « الحارس » لمن يقبضه اجرته الشهرية — بل .. لتنظيم هذا العمل ، بعد ان اصبحت حالة البناية اسوأ ما يمكن ان يتصوره الانسان .

وهكذا في مطلع السنة الجديدة اختار الشركاء صاحبنا مديرا للبناية وهــم يقولون :

— نحن من الاول اردنا .. ان تكون انت المدير . ولكنك رفضت مرتين !

وبعد الشكر وارفضاض الجلسة ، استدعي المدير المسؤول الجديد حارس البناية ، وابلغه امام الذين تخلفوا عــن الانصراف من الشركاء — تعليماته التي لم تكن جديدة عليه ، الا انها مكتوبة هذه المرة . ثم طلب اليه التوقيع على نسخة منها ، اثباتا لتبلغه محتواها .

وفي اليوم التالي .. استمر الحارس في خطته دون الاهتمام بما ورد في التعليمات الخطية . فاستدعاه المدير ، وسأله عن المبرر :

— انا وقعت امس .. دون ان اقرا ! ولست مستعدا لتنفيذ هذه

التعليمـــات !

ـ اذن يحسم من مرتبك اجر يوم واحد . واذا تابعت خطتـــك : يتابع الحســـم !

وتأزم الموقف ، في اليوم الثالث . فالحارس يأبى ان ينفذ التعليمـــات ـ وهي أبسط ما يمكن ان يطلب من أجير ـ والمدير مصر على تنفيذها ولو اقتضى الامر صرف ذلك الحارس من الخدمة .

وتتابع الاحداث ، فيقف وراء الحارس من كان يخدمهم من الشركاء ، وبعض المستأجريـــن . كما يسرع الاجير الـــى الاستنجاد ببعض الجيران والاصدقاء الذين اعتقد ان بامكانهـــم التأثير .. للحيلولـــة دون قيامـــه بواجباته .. والاستمرار في الاساءة الى البناية واهلها ، واستغلال هذه « الوظيفة المريحة » .

وكان المدير الجديد قد اكتشف ان كميات المازوت المشتراة ، لحساب البناية ، لم تكن تصب في الخزان الخاص ، بل يتقاسم الحارس وســـائق الصهريج ثمن الكمية ... او ثلثها او اكثر .

وان عيارات الماء كانت مجالا لتلاعب الحارس . فهو « يفتح » عيارا على اخره ليزود البناية بالماء ـ ثم يربط نبريجا بخزان البناية المجاورة ، ليبيع اهلها ماء البناية الاصلي !

والمصعد .. الذي يتعطل ، كان ضحية سوء الصيانة .. من جهة ، وضحية سرقة الحارس للتيار الكهربائي الذي يغذي المصعد ، وذلك كي يبيعه لتنوير شقتين مستأجرتين من بعض الاغراب !!

اما غرفة الاستعلامات ، وهي مقر الحارس المفروض ، فقد جعلهـــا مستودعا للسجائر المهربة ، وملتقى لبعض النسوة الرخيصات والسواقين الذين يتصيدونهن ... يوما بعـــد يوم !

كل هذا اكتشفه المدير الجديد ، وقامت على صحته وتماديه الادلـــة والبراهين . فلم يكن ثمة بد من اطلاع بعض الشركاء على .. تلك الامور المخجلة والمضرة .. فضلا عن اساءتها الى السكان منفردين ومجتمعين ، والى البناية . ويقول لاحدهـــم :

ـ كنت قررت ان .. اهجر هذه البناية . ابيع شقتي ، وانصرف ، بعد عجزي عن تحريك من سبقني في ادارتها . في الاتجاه السليم . اما الان فانا احاول الاصلاح .

ـ وانا معـــك !

قالها الجار الطيب الذي انفرد بمعونة المدير الجديد ، وشد ازره في المعركة الفاصلة ! وكان قد انقضى شهر . والحارس يراوغ ويطـــاول ، ويستمهل لكي ... يباشر عمله بانتظام ، او ضمن حدود التعليمات المكتوبة .
ولم يوفر وسيلة من وســـائل الضغط بالوساطة تارة ، وبالتهديد طورا ..

ولكن دون جدوى . فقد استدعاه المدير للمرة الاخيرة وقال له :

— امامك اربع وعشرون ساعة اخرى ! فاما ان تستقيم واما ان تستقيل ! وحينئذ لك تعويض شهر وربما زدته من جيبي بمقدار اجرة شهر اخر ! ثم تبحث عن عمل يليق بك .. فانت ابن عيلة — كما تقول — ولا يمكنك ان تقوم بمثل هذه الاعمال المتواضعة .

ولكن عقل هذا الشاب، كما يبدو لرائيه من خلال حول في عينيه ، لم يستطع تقبل هذا الحل . فعمد الى الشغل ، وافتعال الحوادث التي تستفز رجلا كصاحبنا ، حر الضمير ، مستقيم الاطوار ، الا ان كل ذلك وتكرار الوساطات زاده اصرارا على اصرار ، ولا سيما ان الوضع ، وما ينتج عنه من فساد وافساد ، متعلق ببيته واهله ، كما هو متعلق بجيرانه ، وهم عنده مثل اولئك الاهل ، محبة وتقديرا .

فاستدعى حارسا .. جديدا ، كان فيما مضى شرطيا . وعرض عليه العمل ، وشروطه المكتوبة — فما كان من هذا الرجل الذي عرف : في سلكه السابق ، معنى النظام ، وذاق شرف الخدمة العامة — الا ان قال بقبول تام :

— هذه الشروط .. هي ابسط ما يمكن ان يفرض على الحارس .. وانا مستعد ، ولكن بشرط واحد من قبلي اذا سمحت .

— وما هـو ؟

— ان تسلمني انت المفاتيح .. لان هذا الحارس الموجود ، قال على مسمع مني بانه لن يسلمها لاحد ! واخشى ان اصطدم به .. فيحدث ما لا تحمد عقباه !

هذه الكلمات اوحت لصاحبنا بتدبير ، رأي ان لا مناص منه . فاتصل برئيس الشرطة ورجا اليـه ان يساعده بتدبير مـا يراه .. فقال الرئيس الصـديق :

— سابعث اليك بشرطيين من فرقة النجدة .. وحينئذ يجري التسلم والتسليم بحضورهما دون حادث !

وهكذا كان .. الا ان الحارس الاحمق ابى تسليم المفاتيح .. وطلب ان يسمح له بالتغيب فترة .

— ولماذا ؟ سأله احد الشرطيين . والمدير يصر على اتمام العمل فوراً، بعد ان اعياه الظفر بهذا التعلسب .. اكثر من شـهر ونصف الشهر — فاجـاب :

— لاستشير محامـي !

وضحك الحضور ضحكة السخرية من اجير .. كان يقدم النارجيلات لزبائن المقهى البلدي ... فارتقى الى « سدة » حارس . ولكنه لـم يحسن سياستها . انه الان يتحدث عن محام له . وعن استشارة يجريها كأنه احد اقطاب الاعمال او الصناعة او المال !

وحينئذ انبرى رئيس المفرزة الى القول : — هات المفاتيح .. ثـم اذهب واستشر من شئت !

ولما رفض الحارس باصرار وحاول الهرب ، التفت رئيس المفرزة الى الشرطي الاخر وقال لـه :

— طيب الحق به .. واذا حاول الهرب فاطلق عليه النار !

وهنا تصور صاحبنا المدير ان المسألة التي كانت اهمالا في الواجبات — لا يجوز ان تتطور الى جناية تقع على ذلك المهمل ، المسيء ، مهما بلغ اهماله ، وحجم اساءته . فقال راجيا متوسلا :

— ارجوك يا افندي ، ارجوك من كل قلبي .. لا تمكنه من الهرب .. لانه سيهرب كما فعل قبل اليوم مرات .. ارجوك خذ المفاتيح منه الان كي لا تقع جنايـة !

حينئذ .. انصاع الحارس المتمـرد — وسلم المفاتيح وخرج وهـو يتهدد ويتوعـد .. فما كان من احد الشرطيين ، الا ان اجابه على ذلـك التحدي الوقح والكلمات النابية ، بلكمة .. اخرسته .. واسالت الدموع من عينيـه .

وانتهى كل شيء ! انتهى هدر المازوت والمياه ، والكهرباء ، ومتاعب المدير الجديد الذي يدير البناية ، كما يدير كل رجل حكيم منزله — وانتهت نتائج الفوضى ، والاهمال ، وسوء السلوك . فكان يتلقى من الشركاء ومن الجيران التهاني — كأنه اتى عملا بطوليا ، فيرد شاكرا ويقول :

— كل عمل تريد نجاحه .. يجب اعداد العنصر البشري العامل له . وحارس البناية عمل جديد .. مهنة مستحدثة يجب اعداد عمالها .. ولو في مدرسة خاصة .

رشاد دارغوث

يا أم هاني -١-

شعر موسى الزين شراره

لقد انسيتني يا أم هاني ... بلطفك والشمائل والمعاني
وبالحسن الذي لولا تشببي ... « وسبعون » انوء بها سباتي
وغادرني كمن سلبته « ليلى » ... حجاه علي يبكي من رءاني
اجل انسيتني ظلم الليالي ... وقسوتها واحداث الزمان
وما القى ويلقى اليوم اهلي ... بعامل (٢) من هوان وامتهان
وسجنا (٣) كالجناة غداة كانت ... « فرنسا » في مرابعه حواني
وذنبي انني حر صريح ... فؤادي ان نطقت على لساني
وتشريدي وجيش(٤) الغزو خلفي ... يطاردني كشرير وجاني
ونار البغي تلتهم الضحايا ... وتهدم فوق ساكنها المباني
ودارا لي « ببنت جبيل » كانت ... لاهل الشعر كرمة ابن هاني(٥)
اذا ما زارها « رضوان » يوما ... توهم انها دار الجنان
حديقتنا « عكاظ » للشوادي ... ترتل فوقها شتى الاغاني
« وشايا » يحتسيه بها مساء ... رفاق ما لهم في الظرف ثاني
جميعهم رقيق اريحي ... اديب الخلق واليد واللسان
له راض البيان فكل لفظ ... يفوه به ـ كدر او جمان
يمر الوقت مهما طال فيها ... ويمضي كالدقائق والثواني
فيسكرنا الحديث كان شربنا ... من « الاقداح » صهباء الدنان

● ● ●

ابنت الشاعر المرهوب اني ... زميل ابيك ، في سحر البيان
وفي الشعر المجنح والقوافي ... وانجاب اليتيم من المعاني
وانسي مثله صب معنى ... باوطان لها حسن الجنان
يعيش بربعها شعب شقي ... تخدر بالوعود وبالاماني
على «اعراشها» وعلى الكراسي ... المدجل والمنافق والاناني
ومن باع الضمير وما يسمى ... ويدعى بالابا والعنفوان
فباتت بعد عزتها مشاعا ... وميدانا « لشذاذ الزمان »

● ● ●

ابنت الشاعر عفوا عفوا ... اذا ما باح في سري لساني

(١) جارتي في بيروت عندما نزحت اليها سنة ١٩٧٠ تحت ضغط القصف والاجتياح الاسرائيلي وهي اديبة محافظة جدا وابنة شاعر • لذلك احتفظ باسمها •

وجئت اليــك اشــكو ما تقاسي
وضيــم لا يطيق لــه احتمــالا
اقول بخاطري وديـــار اهلــي
واهلي في الخيام السود (٦) عاف
ويندب والدجى ساج «بجيفا»

وما تلقى بلادك مــن هـــوان
ولا يرضى بـــه غير الجبـــان
غنائـــم والحدائق والمغانـــي
علـــى اوطانه يبكـــي وعانـــي
المرابـــع والمتاجـــر والمغانـــي

ويذكر بالاسى والحزن « يافا »
اعرب نحن !! والاقصى اسير
وجـــل كبارنا « عبد ذليـــل »

وجنـــات واثمـــار دوانـــي
ينوح به الاذان علـــى الاذان
يجرره « الدولار » بـــلا عنان



ابنت الشـاعر الموهوب غنـــي
ويأســــوا او يلملـــم داميـــات
انوح فيحســـب العذال هدبـــا
واني هائـــم بجمال « حوا »
واني ما برحت اصـــوغ شـعرا
وان الشيب لم يكبح جماحـــي
واني سوف اقضي العمر صبا
وما علموا باني لســـت ممـــن
احب الحســـن اعبده ولكـــن

لعل غنـــاك يشفي ما اعانـــي
عميقـــات يمج بهـــا جنانـــي
لفاتنـــة باسهمـــه رمانـــي
وان بهـــا غرامـــي وافتتانـــي
وانظم في مفاتنهـــا الاغانـــي
عن ـــالتشبيبـــ او يثني عناني
صريعا « للسلافة والغواني »
جميع «همومه» حسن الحسان
بلادي اولا « والحسن ثاني »

موسى الزين شراره

(٢) جبل عامل ـ الجنوب •
(٣) اشارة للسجن الذي زرته مرارا في عهد الانتداب الفرنسي •
(٤) جيش العدوان الاسرائيلي
(٥) بنت جبيل بلدتي وكرمة ابن هاني اسم اطلقـــه الادباء في مصر على دار امير الشعـــراء شوقي •
(٦) خيام اللاجئين الفلسطينيين •

ذكريات مدرسية

ايقظتني حسرة عادت اليا ... فتتعتعت كمن عب الحميا
وتذكرت زمانا قد مضى ... كنت فيه لم ازل بعد صبيا
ورفيقي (احمد) نعم الفتى ... كان اشفى حالة منه (عليا)
يتباهى بقمطر ابيض ... وحذاء ، فلقد كان غنيا
وانا امشي ببطء حافيا ... (شمتتي) تبدي لما كان خفيا
دفتري رث ، وشعري اشعث ... ولد (سكي) كان جرحي دمويا
مثل اطفال « الجنوب » انتابني ... مرض للفقر اضحى (عامليا)
رغم هذا البؤس ، اهفو دائما ... لمكان صار عندي اثريا
يوم كان الصف جدا ضيقا ... وقعود الارض امرا عفويا
ومن الاستاذ يبدو راسه ... وكثيرا ما نراه جانبيا
غرق الطربوش فيه معربا ... ان عرف الديك ارقى حبشيا
يشرح الدرس ، ينادي صائحا ... هل فهمتم ، جلكم صار غبيا
وانا امحو بكمي ما بدا ... فوق لوحي ، كان خطي مابليا
لا ارى الا قليلا ، لا اعي ... فمكاني كان محدودا قصيا
واعود الظهر اروي ما جرى ... وبأني صرت تلميذا ذكيا
فتعيد الام ترديد الدعا ... وانال المصر عطفا ابويا
ذكريات كيف انسى ذكرها ... انها اغلى ، وابهى ما لديا

شقراء : فتى الدواوير

من وحي " الجنوب "

لقد جلب الحماة لك الخطوبا ... ومن لبنان سموك الجنوبا
وراحت بالصمود عليك تثني ... فئات عبرك امتلأت جيوبا
وبينك والعدو اللد خلوا ... وقد اوصوك اياك الهروبا
تعاني من جراحك ما تعاني ... وتحتمل المصائب والكروبا
كذاك الطير يحسب ذابحوه ... لدى خفقاته جذلا طروبا
تباكوا يوم محنتك احتيالا ... وقد ذقت الاذى منهم ضروبا
وما وفوك حقا قرروه ... اذ لك مستحبا ام وجوبا

● ● ●

انائبنا الكريم وانت عنا ... الم يان لوقتك ان تنوبا
الم تشعر بما منه نعاني ... الم يبلغك ما يدمي القلوبا
فليل سباتنا اضحى نهارا ... وصبح معاشنا امسى غروبا

انغفو والقنابل في حمسانا ... تحل فتملأ الدنيا لهيبا ...
انسعى حيثما الفنتوم تلقي ... صواعق فوقنا رعدا غضوبا
فتمطر من قذائفها شواظا ... وترسل من لوافحها هبوبا
تدمر كل شيء لامسته ... وتمحو ما تقدر أن تصيبا
فتترك دارنا قفرا يبابا ... وتترك ربعنا محلا جديبا

• • •

فيا لغزا عجزنا عن مداه ... ويا سرا جهلناه عجيبا
انحن منك يا لبنان حقا ... وانت كما نرى وطنا حبيبا
نبات مشردين بكل صقع ... فكيف تجيز عيشك ان يطيبا
ويضربنا الصهاين كل يوم ... فما يرعى هلالا ام صليبا
ويتلف زرعنا من كل نوع ... فذا حرقا وذا نسفا رهيبا
نبات على الطوى وبغير ماء ... وانت منعما طربا لعوبا

• • •

اخي يا ابن المدينة يا عقوقا ... ويا من رحت تحتكر العيوبا
وما هذا الغنى كنزت مالا ... لتكثر من مساويك الذنوبا
فليلك والنهار لقد تساوى ... نراك مداوما ابدا داوبا
لتجمع مال اهل الارض طرا ... وتوصد من تسربه الدروبا
الم تشعر بآلام الثكالى ... الم تسمع بمن اضحى سليبا
لعمري ان يكن يحدوك يوما ... ضمير كان اولى ان تذوبا

• • •

ويا هذا الذي سقياك وعد ... الكذوب وتصطفي الرجل الكذوبا
متى نلقاك مصداقا وفيا ... بعهدك تحسن القول المصيبا
فتعطي يا فتى الاخلاص حقا ... شعوب الله اهدته شعوبا
اتسلب عدة الموتى وتذري ... على اجداثهم دمعا صبيبا
وترجع رافعا للراس فخرا ... كانك ما اقترفت هناك حوبا

دعاء

الهي بالجنوب وساكنيه ... واسلاف لنا سكنوا الجنوبا
اجرنا من ذوي مطل وختل ... ومكر يجعل الولدان شيبا
قنا شر اليهود وتابعيهم ... قنا من شرهم يوما عصيبا
قنا شر السماسر يا الهي ... ولا تجعل لهم فينا نصيبا
قنا شر المزايد في القضايا ... بعيدا كان ذلك أم قريبا
قنا من شر افاك اثيم ... وجنبنا أخا جشع سغوبا

ابن الجنوب

أبوابُ العـرفَان

١ ــ المغتربــون

ابتداء من العدد القادم سننشر في هذا الباب ريبورتاجات عن وضعية المغتربين اللبنانيين في افريقيا والبلدان العربية ، والمشاريع التي يقـومون بها ، واحوالهم في البلاد التي يعيشون فيها . ونرجو الكتابة الينا عما يريد المغترب نشره في هذا المجال .

٢ ــ بلدة نموذجيــة

سننشر ابتداء من العدد القادم في هذا الباب تقريرا شاملا عن بلدة نموذجية عاشت الاحداث وقدرت على مجابهتها والصمود في وجه التيارات المختلفة التي تألبت عليها .

كلمــة شكــر

يتقدم آل الزين بالشكر الجزيل من جميع الذين واسوهم بمصابهـم الاليم بفقد عزيزهم المرحوم :

نزار الشيخ احمد عارف الزين

صاحب مجلة العرفان وجريدة جبل عامل

ويخصون بالشكر الصحافة اللبنانية التي ساهمت مساهمة فعالة في تأبين الفقيد ، والاذاعة اللبنانية التي سجلت ونقلت وقائع الحفل التأبيني ، والصحافة العربية التي غطت النبأ الاليم .

ويشكرون جميع المؤسسات التي اشتركت في الحفل التأبيني : المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، نقابة الصحافة اللبنانيـة ، نقابة المحرريـن اللبنانيين ، اتحاد الكتاب اللبنانيين ، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ، مدير الفرع الاول لكلية الحقوق ، وعريف الاحتفال .

وجميع الذين واسوهم سواء بحضورهم شخصيا او بارسال برقياتهم ورسائلهم ، سائلين الله تعالى ان لا يفجعهم بعزيز .



خواطر
خمس ست كلمات

بقلم نصرت توفيق خريش

الاخاء ، مفتاح كل الصناديق المغلقة في وجه الغير — بما فيه صناديق النفس — ان الاخاء هو طريقنا الى السعادة الاسمى .

★ ★ ★

ليست الحياة ، ان ينصرف الانسان بكليته الى كسب المادة يتحدى بها جاره او صديقه ، بل الحياة ان لا نهمل الجانب الاهم منها — وهي القيم الانسانية التي لا يجوز ان ننساها — ...

★ ★ ★

لا يمكن ان تكون محبتنا للوطن صادقة ، الا اذا كنا نحب بعضنا بعضا .

★ ★ ★

الانتصار العلمي الذي ما زال الانسان يحرزه عن طريق الالة برا وجوا لا يكتمل الا اذا انتصرت الاخلاق فيه ، وتوجهت بهذا العلم نحو الخير والامان .

★ ★ ★

ليس من قوة تضاهي قوة الايمان . عندما تتمسك الشعوب بحقها في الكرامة والحياة .

★ ★ ★

لا تكتمل جدارة الشهادات .
ولا تسمو قيمة الانسان الذي يحملها .
الا اذا اقترنت بالابداع والعمل .

★ ★ ★

الحرية التي ابتكرت الافكار الجديدة ، استنبت الانسان فيها : جرائمه الكبيرة .

★ ★ ★

قد لا يحتاج الحكم الى علوم كثيرة ، ولكنه يحتاج حتما الى اخلاق وفيرة .

نصرت توفيق خريش

مَع الخالدين



هيلين كيلر : خارج الظلمة
(١٨٨٠ - ١٩٦٨)

بقلم سمير شيخاني

صوت : عمياء ، صماء ، بكماء منذ طفولتها المبكرة ، ولكنها ارتفعت فوق عاهتها المثلثة لتصبح واحدة من الشخصيات الفذة المعروفة في العالم الحديث ، ومصدر وحي والهام للمكفوفين وذوي البصر في كل مكان . انها هيلين كيلر المولودة سنة ١٨٨٠ والمتوفاة سنة ١٩٦٨ . وعندما زارت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ، هرع الصبيان والبنات من القرى الصغيرة النائية لتحيتها صائحين : « هيلين كيلر ! » . فلقد اخترق اسمها الادغال قبل عصر الراديو أو السينما . ومع انها كانت تشعر بحرارة رد الفعل البشري هذا فانها لم تشأ ان تكون منعزلة عن سائر ابناء البشر . فقد كانت تؤمن بان العميان ينبغي ان يعيشوا ويعملوا مع سائر الناس ، متحملين المسؤولية الكاملة ..

ولدت هيلين كيلر في مدينة تسكمبيا من اعمال ولاية آلاباما الاميركية في ٢٧ حزيران سنة ١٨٨٠ وعاشت سعيدة ، بل أسعد نساء العالم ، ثماني وثمانين سنة ، وبرهنت على ان الانسان الاصم والاعمى يمكن ان تكون له حياة مليئة ومفيدة مثل حياة أي انسان اخر يستطيع ان يسمع ويرى .

• **هيلين كيلر :** الواقع ، يا سيدي ، ان تلك السعادة ادين بها قبل اي كان الى والدي التي عقدت العزم على ان تجعلني اتغلب على عاهتي اللتين اصبت بهما اثر مرض خبيث وانا بعد دون السنتين من عمري . وقد كانت تلك مأساة حقا ، وبدا ان كل سعادة قد اختفت من حياتي .

صوت : وهكذا علمتك والدتك ان تستعملي يديك في صنع الاشارات لتفصحي بها عما تودين قوله ، ولكي تسترشدي بهما طريقك ؛ وكانت رفيقتك الدائمة فتاة زنجية هي ابنة الطاهية التي كانت تعمل لدى اسرتك ؛ كما كان لك كلب يتبعك اني ذهبت .

هيلين كيلر : كنت شديدة الولع بهذا الكلب ، وكنت احب الحيوانات والطيور ، وطالما خرجت الى الحديقة لاطعم الدجاج وامسح اجساد البقر أوان الحلب .

صوت : وطاف بك والداك على عدد من الاطباء الذين لم يستطيعوا ان

يعيدوا اليك نعمتي البصر والسمع . وعندما بلغت السادسة من العمر لجأ الى مخترع التلفون الكسندر غراهام بل طالبين اليه النصح فيما خص تعليمك وتدريبك ، فدلهما على معلمة تدعى الانسة آن سوليفان ، وكانت في العشرين من عمرها اذ ذاك ، وقد اصيبت بالعمى ، وهي طفلة ، ولكنها شفيت منه جزئيا . وقد تدربت على تعليم المكفوفين وتخرجت معلمة من معهد بركنز للمكفوفين في مدينة بوسطن . ولعل قصة تعليمك وتدريبك يمثلان اروع انجاز تم في حقل تأهيل المعاقين ، يا سيدتي .

هيلين كيلر : لقد وصلت الانسة سوليفان الى منزلنا قبل عيد ميلادي السابع بقليل . والحقيقة ان هذه المعلمة جعلت الحياة مغامرة جديدة بالنسبة الي . فقد علمتني ان أصغي واتحدث بواسطة يدي . واذكر انها اعطتني في اول صباح جاءت فيه الينا دمية وعلمتني ان اتهجأ كلمة « دمية » على يدها . وشيئا فشيئا تعلمت كيف أتهجأ واقرأ اسماء كل الاشياء المحيطة بي . والتي استعملها يوميا . وهكذا تدربت على الكلام على يدي معلمتي ، وكنت أطرح الاسئلة واجيب عنها بتلك الطريقة المبتكرة ، وما هي الا ثلاثة اشهر حتى كتبت رسالتي الاولى الى نسيبتي آنا .

صوت : وسرعان ما تعلمت القراءة بواسطة قطع من الكرتون عليها احرف نافرة كنت تلمسينها بيديك . وتدريجيا بدأت تؤلفين الكلمات والجمل بنفسك ، وتقرئين تلك التي كانت تضعها الانسة سوليفان امامك .

هيلين كيلر : وليس هذا فحسب بل انني درست الجغرافيا على خرائط صنعت على ارض الحديقة وذلك بتحسس اشكال الجبال والوديان وضفاف الانهر بأصابعي . ودرست الطبيعة بحفظ النباتات والازهار في آنية زجاجية ، وكنت المسها كل يوم لاعرف كيف هي ، وكيف تنمو .

صوت : وعندما بلغت الثامنة من عمرك حملتك الانسة سوليفان الى معهد المكفوفين في بوسطن حيث تعرفت على سائر الاطفال المكفوفين الذين كانوا على جانب كبير من السعادة والرضى في ذلك المعهد ، بحيث ان الزائر ما كان ليشك لحظة في انهم محرومون نعمة النظر . ولعل مغامرتك التالية الكبرى حدثت عندما بلغت العاشرة . فقد تعلمت الكلام .

هيلين كيلر : صحيح ، يا سيدي ، فقد علمتني مدرسة ماهرة أن اضع يدي على فمها واحس بدقة كيف انها تؤلف الكلمات بلسانها وشفتيها . ولكن انقضت فترة طويلة قبل ان يصبح باستطاعة احد ان يفهم الاصوات التي كنت احدثتها . الا ان معلمتي والانسة سوليفان لم ييأسا ، ومع مرور الوقت استطعت ان اتكلم بحيث كان يفهمني حتى الغرباء بكل يسر وسهولة .

صوت : في سن العاشرة هذه كنت قد تعلمت قراءة ابجدية برأي

صوت : وكانت الجامعة الخطوة التالية التي خطوتها عندما دخلت معهد كمبردج للفتيات في ولاية ماساتشوسس . وكانت الانسة سوليفان تذهب برفقتك وتجلس بقربك في الصف لتنقل اليك ، او بالاحرى الى يدك ، المحاضرات التي كانت تلقى . وقد تخرجت من الجامعة سنة ١٩٠٤ ، وكنت في الرابعة والعشرين من عمرك ، وقد ذاعت شهرتك ، فراحت تنهال عليك الطلبات لالقاء المحاضرات وكتابة المقالات في الصحف والمجلات . ودعيت الى معرض سانت لويس لكي تثيري اهتمام العالم بتعليم الصم والمكفوفين .

هيلين كيلر : الا ان الجموع الغفيرة تمردت على كل سيطرة عندما ظهرت امامها فراحت تعبر عن تقديرها لي ولما قمت به من اجل التغلب على عاهتي ، تارة بانتزاع الورود من قبعتي ، وتارة بشدي من ملابسي حتى تمزقت .

صوت : وعندما خرجت من الجامعة ، لم تشائي ان تحيي حياة اية امراة عادية ، بل عزمت على تكريس كل جهودك للعمل من اجل المكفوفين الذين لم يكونوا محظوظين مثلك . وما هي الا سنتان حتى تم تعيينك عضوا في لجنة المكفوفين في ولاية ماساتشوستس ، فبدأت عملا استمر حتى نهاية حياتك .

هيلين كيلر : وعكفت على كتابة الرسائل والمقالات والكتب محاولة ان اجعل الذين ينعمون بالنظر يهتمون بأولئك المحرومين منه ويمدون اليهم يد المساعدة . وهكذا قمت في الثلاثينات من القرن العشرين بجولاتي المتكررة في مختلف ارجاء العالم القديم والجديد ، واضعة نصب عيني دائما المكفوفين، متحدثة عنهم ، جامعة الاموال من اجلهم .

صوت : وكنت في تلك الفترة قد اصبحت مشهورة ، فكان اولئك الذين قرأوا عنك يهرعون لمقابلتك ، وراحت الدرجات الفخرية والاوسمة من بلدان عديدة تتدفق عليك . ولكن في غمرة هذه السعادة العارمة راحت صحة معلمتك آن سوليفان تتدهور . وكادت تصبح عمياء ، ولم يعد في وسعها ان تكون رفيقة هيلين كيلر النشيطة المتعافية فتوفيت سنة ١٩٣٦ ، بعد فترة قصيرة من اجراء اخر عملية من سلسلة عمليات جراحية في العينين .

هيلين كيلر : لا يمكنك ، يا سيدي ، ان تقدر هول الصدمة التي حلت بوفاة معلمتي ورفيقتي المخلصة طوال نصف قرن من الزمن .

صوت : الواقع ان مهارة آن سوليفان في التعليم والتدريب كانت رائعة كمهارة تلميذتها هيلين كيلر . ولذلك منحتما معا في تلك السنة ١٩٣٦ وسام روزفلت « من اجل تعاونكما الرائع في سبيل التغلب على العوائق والصعاب » .

الخاصة بالمكفوفين ، واصبح بامكانك الاتصال بسواك بواسطة هذه الابجدية اليدوية . وفي ربيع تلك السنة ١٨٩٠ علمت بأن فتاة نروجية كانت مثلك صماء عمياء بكماء قد دربت على الكلام ، فبادرت من فورك ونقلت الى يد آن سوليفان هذه العبارة : « ينبغي ان اتكلم » . وهكذا اخذتك رفيقتك ومعلمتك الاولى هذه الى الانسة سارة فولر ، رئيسة معهد هوراس مان للصم في بوسطن .

هيلين كيلر : وبدات الانسة فولر تدريبي ، فأخذت يدي ومرت بهما على الجزء الاسفل من وجهها ، ثم وضعت اصابعي داخل فمها بحيث استطيع ان اعرف وضعية لسان معلمتي ، واسنانها وحركة فكها الاسفل . وراحت ، وهي كذلك ، تعلمني الحروف الابجدية بلفظها اياها فتنتقل الى اصابعي فأتعرف هكذا عليها . وما هي الا فترة ، وبالضبط بعد الدرس السابع ، حتى استطعت ان أؤلف اول جملة انقل بها ما اريد قوله : « انا لم اعد بكماء » .

صوت : وبلغت الدروس التي تلقيتها على يد الانسة فولر احد عشر درسا ، كانت في الحقيقة بداية صراعك مع النطق . وقد كنت تجهدين في تحسين النطق واللفظ اسبوعا بعد اسبوع وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة وكنت تعيدين الكلمات والجمل طوال ساعات مستخدمة اصابعك لالتقاط اهتزازات حنجرة الانسة سوليفان وحركة لسانها وشفتيها ، وتعابير وجهها وهي تتحدث .

هيلين كيلر : ولم اتوقف قط عن العمل على تحسين صوتي ، والقاء الخطب على الجمهور ، والمحادثة بطريقة النطق المباشر . وقد لاحظ المقربون مني ان نطقي قد تحسن بشكل ملحوظ عندما اصبحت في العقد السادس من عمري .

صوت : ان براعتك الفائقة في النطق وصفت بأنها اعظم الانجازات الفردية في تاريخ التربية . وبعد سنوات من التدرب اصبحت بارعة في قراءة الشفاه بواسطة الاهتزازات . فكان يمكنك بوضع اصبعك الاوسط على الانف وسبابتك على الشفتين وابهامك على الحنجرة ان تسمعي ما يقوله الاخرون ، وخصوصا اذا كان نطقهم واضحا ورنانا .

هيلين **كيلر** : ذلك هو الواقع ، يا سيدي ، فقد وجدت الرئيس فرانكلين روزفلت اروع مثل في هذا الميدان . وبواسطة طريقة الاهتزازات هذه سمعت كل نوادر مارك تواين الظريفة ، واغاني انريكو كروزو ذي الصوت الذهبي . كما نعمت بصوت فيودور شاليابين في اغنية « بحارة الفولغا » ، وروائع انغام كمان ياشا هايفتس ، وقصائد شاعر الريف الاميركي كارل ساندبرغ واغانيه الشعبية التي كان ينشدها بمصاحبة الغيتار .

الاسلام والتطور الحضاري

تأليف حسن الزين

توزيع دار النهار للنشر

ورد في العدد ٢٢٤ من جريدة « النهار العربي والدولي » تاريخ ٢٦/١٠/١٩٨١ الكلمة التالية عن هذا الكتاب :

« الاسلام والتطور الحضاري »

لا تراثية ولا تقليد

كتاب حسن الزين « الاسلام والتطور الحضاري » يناقش العلاقة بين الدين والدولة ، خصوصا في اطار التطور اللاحق بالمجتمع الاوروبي وانعكاس ذلك مفاهيم حضارية وسياسية على واقع البلدان الاسلامية .

يحتل الكتاب مكانته في ضوء التحرك نحو العودة الى الاصول ، وهو اتجاه برز وتنامى منذ ربع قرن . مفكرون عديدون فسروا هذه الظاهرة بانها عودة الى الوراء لاستعادة نظم تجاوزها الزمن . اخرون رأوا في ذلك عودة بالمجتمع الاسلامي الى فتراته الذهبية الاولى ، « بعيدا عن خطايا الحضارة الصناعية الحديثة ، يعتبر المؤلف كلا الموقفين خطأ » ، لان تحقيق التفسيرين غير قابل للحياة والتطور في العصور الحديثة .

عن طبيعة الدولة الاسلامية والنماذج المطروحة لها يقول حسن الزين : « لا بد من الاعتراف بعدم امكان احتكار مفهوم الدولة الاسلامية لنموذج واحد ونوع واحد من انواع التنظيم » ، وذلك لتنوع الاجتهاد لدى مختلف المذاهب الاسلامية وتعددها ، كذلك فان اقامة النظام الاسلامي الجديد تتطلب وقتا طويلا في مجتمع بدا عاجزا عن النمو الذاتي لفترة زمنية طويلة .

في هذا النطاق يطرح حسن الزين طريق الحوار والبحث الجاد وسائل للوصول الى الهدف . فالعودة الى الاسلام او الاصول بلا تبصر وادراك ليست اقل خطرا من تقليد الحضارة الصناعية الحديثة .

يشير الكتاب الى موقف الدول الاسلامية من الدول القومية التي تطبق الاسلام دينا ومذهب حياة ، كذلك يعرض موقف الاسلام من بعض المنظمات الاسلامية التي « تنتمي للاسلام ظاهرا » وتفسح في المجال لاعداد من الناس « تزرع في نفوسهم الحقد والنفور من كل ما يقع خارج دائرة ذكرها المشبوه » .

تنبع الاجابة المتوازنة ، عند المؤلف ، من اظهار النزعة الانسانية في

الاسلام التي في وسعها تحطيم الحواجز بين الفكر والانسان ، « أيا كان مصدر هذا الفكر ومهما كانت جذوره طالما انه يدخل في باب العلم » ومن هنا فالنظام الاسلامي منفتح وحواري (امرهم شورى بينهم) مع الحضارات والشعوب والعقائد الاخرى .

أمراض القلب والشرايين

تاليف : الدكتور محمد ياسين

تتسبب امراض القلب والشرايين بحوالي نصف الوفيات في العالم الصناعي والبلدان المتقدمة ، وتحصد من سكانها اكثر ما يسببه السن والسرطان وحوادث السير كلها مجتمعة .

وفي البلدان النامية ، كالبلاد العربية ، ليس الامر اقل سوءا ، لانها تشكو من هذه الامراض ، الكثرة ، وفي مجابهتها تعاني من نقص هائل في السبل والامكانيات ، وجهل كبير ، بأسبابها وعوارضها والمبادىء الاولية في معالجتها والوقاية منها .

الاصابات القلبية ، ارتفاع الضغط الشرياني والتدخين والكوليسترول السكري وزيادة الوزن ، المشروبات الكحولية ، النشاطات الجسمانية الرياضية ونشفان الشرايين القلبية « مرض الحضارة وآفة العصر » .

وقال المؤلف في المقدمة : « وكان كتابي هذا بما فيه من آراء ومعلومات وتوجيهات وتوصيات ، والذي ان ابغ من ورائه شيئا فان يكون وسيلة للمعرفة الصحيحة والكلمة الناصحة الصادقة » .

وقال الناشر دار الكتاب اللبناني : « هذا بعض ما يبحثه الكتاب ، الذي تفخر مؤسستنا بتقديمه الى القارىء العربي بأسلوبه البسيط الشيق وموضوعاته المتنوعة الشاملة ، المليئة بالنصائح والتوصيات الطبية والمدعمة بالحقائق والمعلومات ونتائج الكثير من الابحاث والدراسات والتحقيقات » .

وقد اقام المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ندوة حول الكتاب ادارها الدكتور في التاريخ ابراهيم بيضون وناقش فيها الاطباء اسامة فاخوري ، سامي الحسامي ، فؤاد فرحات ، بموضوعية مضامين الكتاب وبحضور المؤلف .

ـ قصص الانبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث
تاليف سميح عاطف الزين

الانبياء هم الصفوة المختارة من بني البشر ارسلهم الله سبحانه الى الانسان ليعرف نفسه ويهتدي الى ذاته ، ويدرك الحقيقة .

ولا بد ان يكونوا ـ وقد اختارهم الله ليبلغوا رسالته الى الناس ـ مثلا اعلى للذات البشرية ، وتعبيرا أسمى للنفس الانسانية .

ولذلك فان الاطلاع على سير حياتهم وما شملت عليه من احداث . وما هدفت اليه من عبر وعظات خير دليل لنا لنصل الى الحقيقة التي اراد الله لنا ان نعرفها تمام المعرفة وندركها حق الادراك .

وقد كتبت قصص الانبياء بأسلوب مشرق ومشوق معتمدة على آي الذكر الحكيم في تركيز احداث هذه القصص مبتعدة كل البعد عما وقع فيه من كتبوا في قصص الانبياء من هذه الاسرائيليات التي حشيت بها كتبهم .

وايمانا بقيمة هذه القصص وبوجوب الاطلاع عليها عملت دار الكتاب اللبناني على اخراج هذه المجموعة في كتب صغيرة مجلدة لتكون فائدتها أعم وانتشارها اوسع ، ولكي يتمكن كل قارىء ان يقتنيها بأجزائها المتسلسلة كالاتـي :

١ ـ آدم والتكوين .
٢ ـ نوح وهود وصالح
٣ ـ ابراهيم واسماعيل ولوط
٤ ـ اسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب
٥ ـ موسى وهارون
٦ ـ داود وسليمان ويونس
٧ ـ زكريا ويحيى وعيسى .

ـ مجمع البيان الحديث
تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم
تاليف : سميح عاطف الزين

هذا الجزء من مجمع البيان الحديث يبين معاني مفردات الفاظ القرآن الكريم بشكل شامل ودقيق بحيث يعتمد على آي الذكر الحكيم واللغة العربية من مصادرها الاساسية . ولكي يسهل المؤلف على القارىء ، ذيل صفحات الكتاب بحواشي يبين فيها موقع الايات التي اوردها في القرآن الكريم ووضع رقمها وفي اية سورة جاءت . فضلا عن انه وضع في مقدمة الكتاب اعجاز القرآن الكريم في القرن العشرين وهو الاعجاز العددي والحسابي لالفاظ القرآن الكريم .

٩٨٦ صفحة بسعر ٥٠ ليرة لبنانية .
دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .

صحة

التغذية الصحية

بقلم الدكتور حافظ الزين

سلامة بنيان الجسم وحالته الصحية ، تعتمد بشكل اساسي على نوعية الطعام الذي يأكله : هل كميته كافية ومتنوعة لكي تغطي حاجة الجسم ، أم ان هناك نقص في كمية الاكل او نوعيته .

الطعام هو مصدر :

١) الطاقة الحرارية التي تسير بواسطتها جميع اجهزة الجسم .

٢) المواد الضرورية لبناء الجسم .

وتتم الاستفادة من الطعام بواسطة عملية الهضم ، التي تقوم بتليين الطعام ، ثم امتصاصه في الامعاء ، ثم تحويله في الدم الى طاقة حرارية ومواد بناء الجسم .

انواع المواد في الطعام :

١) **مواد سكرية ونشوية :** بطاطا ، ارز ، عسل ، دبس ، مربى ، خبز ، عنب ، موز ، تمر ...

٢) **مواد زلالية (بروتين) :** حبوب ، بقولات (فول اخضر ، لوبيا ... الخ) . حليب ، لبنة جبنة ، لحم ، دجاج ، سمك ، صفار البيض .

٣) **مواد دهنية :** زيتون ، سمن ، قشطة ، الحليب ، اللحوم ، الزيتون .

٤) **معادن وفيتامينات :** خضار ، فواكه ، لحوم ، حبوب ، حليب .

حتى تكون تغذيتنا صحيحة ، يجب ان يحتوي طعامنا يوميا على اصناف متنوعة تعطي جميع هذه المواد وبكمية كافية .

حالات غذائية خاصة :

١) **ارتفاع الحرارة والحمى :** يجب زيادة كمية الاكل خصوصا السوائل والسكر والزلال . (شوربة خضار مع لحم او دجاج ، لبن مملح ، عصير ، شاي وزهورات ، ارز ، بطاطا مسلوقة ، تفاح ، جزر ...)

٢) **القرحة :** تتطلب الامتناع عن المقالي وبعض الحبوب التي تؤذي المريض وتسبب له الحرقة والبهارات وقشر البندورة . ويستحسن :

أ ــ توزيع الطعام على ٥ ــ ٦ وجبات بمعدل وجبة كل ٣ ــ ٤ ساعات .

ب ــ شرب الحليب او الماء قبل الاكل بربع ساعة .

٣) **السكري :** تتطلب الحماية الامتناع عن الحلويات والاقلال من المواد السكرية والنشوية والفواكه الحلوة (موز ، عنب ، تين ...) وفحص الدم للسكري مرة كل شهر .

٤) **ارتفاع الضغط** : الطعام قليل الملح ، مع التخفيف كثيرا من اللحوم والجبنة والبيض .

٥) **ارتفاع الملوحات** : الطعام قليل الملح ، مع التخفيف كثيرا من اللحوم والجبنة والبيض .

٦) **السمنة** : الاقلال من السكر والنشويات والدهنيات وجعل اغلب الاكل من الزلال (البروتين) والخضار وبعض الفواكه وذلك لمدة طويلة مع ممارسة الرياضة او المشي لمسافات طويلة .

الاهمال في غذاء الجسم قد يسبب الحالات التالية :

أ ــ الاسهال : يجب تناول الكثير من السوائل لتعويض الخسارة .

ب ــ الامساك : تناول الاكلات المليئة : خضار مسلوقة ، فواكه ، دبس ، حليب .

ج ــ النفخة والغازات : يجب ١) ملاحظة الاكلات التي تسببها والامتناع عنها ، ٢ ــ تناول سائل النعنع المغلي ، ٣ ــ اغلاق الفم عند المضغ حتى لا يبلع الهواء مع الطعام .

د ــ الحموضة : شرب الحليب او الماء قبل الاكل او بعده بنصف ساعة يفيد .

هـ ــ التخمة : يجب الامتناع عن الطعام لبضع ساعات ثم تناول السوائل والاكل الخفيف حتى تخف التخمة والالام .

و ــ المغص : هذه الاضطرابات يمكن تجنبها بمراعاة المسائل التالية :

١) غسل الخضار والفواكه جيدا .

٢) تناول الماكل الطازجة وحفظ الباقي في البراد او رميه اذا كان قديما .

٣) غسل اليدين قبل الاكل وبعد الخروج من المرحاض .

٤) ابعاد الذباب والحشرات عن الاكل .

٥) الاكل على مهل ومضغ الطعام جيدا في الفم حتى يصبح لينا مثل القطن .

٧) عدم الاكثار من الماء مع او بعد الاكل ــ فقط قبل الاكل بربع ساعة او بعد الاكل بساعتين يسمح فقط بجرعات صغيرة مع الاكل او بكسوب واحد بعد الاكل بعشر دقائق .

٨) عدم تناول الاكلات التي لا تناسب حالة الجسم الصحية .

٩) تناول الاكل الطبيعي وعدم اخذ أدوية الفيتامين او الحديد الا بأمر الطبيب .

١٠) تناول العشاء قبل النوم بساعتين على الاقل .

١١) تناول الطعام المتنوع الذي يزود الجسم بحاجته من جميع المواد

مراسلة ومناظرة
بالقلم العريض

كتبها سنة ١٩٤٥ الشاعر المعروف موسى الزين شراره في مدينة فريتون عاصمة سيراليون الافريقية جوابا على رسالة من السنغال وردته من اخيه ورفيق جهاده المرحوم الحاج علي بيضون يخبره بها انه مريض :

بلاد كل ما فيها ينادي — باعلى الصوت بالقلم العريض
لكل مهاجر فيها وضيف — بلاد السود لم تخلق لبيض
جسومكم « النواعم » ما برتها — يد الباري « مراتع للبعوض »
ولا خلقت لترمقها ذكاء — بعين الحاقد الخصم النقيض
دعوني وارحلوا او بين ميت — مصيركمو جميعا جميعا او مريض

فاجاب بالابيات التالية :

يراعك بالقريض له لسان — يسيل الشهد منه او يفيض
صحيح الذوق يشربه رحيقا — وينكر طعم الذوق المريض
يطيب لمعشر الاحرار منا — كما طابت لناسكها الفروض
فعش للخالدات من القوافي — ولا عاش الحسود ولا البغيض
ولا عاشت بعاملة (١) رجال — «تحاحي» كالدجاج ولا «تبيض»

(١) جبل عامل الجنوب .

بين الامين وفضل الله

كتب السيد محسن الامين الى السيد نجيب فضل الله هذه الابيات وكان قد تاخر عن حضور الدرس معتذرا بالمطر والبرد وكان حديث عهد بعرسه :

البرد عاقك يا مولاي والماء — عن مجلس الدرس ام عاقتك اشياء
اصبحت اكتمها والله يعلمها — اذ كان يغني عن التصريح ايماء
ام قد نبت همة قد كنت اعهدها — من قبل وهي كحد السيف شماء
فاقدم هديت بلا ريث ولا مهل — فآفة العلم امهال وابطاء

فاجابه السيد بهذه الابيات :

ما عاقني عنك الا البرد والماء — ففي فؤادي من فعليهما داء
وما تؤخرني اشياء تحسبها — مثل الذي فعلته قبل شقراء
ذرني وموقدني والنار أضرمها — فلي بها من سواها اليوم اغناء
وهمتي بقيت للصيف كامنة — فسوف يأتيك عنها فيه انباء

بين الأب والابن

قال الشيخ محمد علي عز الدين المتوفي سنة ١٢٠١هـ مخاطبا ولـده الشيخ علي ومحركا حميته على طلب العلم والمعارف :

ابنـي من يخطب علية يدرع — صبرا لهـا ليعد من اكفائهـا
ابنـي ان علية ابنـة مالـك — مخدومـة للعز مـن آبائهـا
ابنـي ان علية ابنـة مالـك — حب القلوب أقـل مهر نسائها
نبئت ان عليـة شمس الضحى — مرفوعة والناس تحت ردائهـا
نبئت ان عليـة في خدرهـا — كالبدر يجلى في دجـن سمائها
فاصمد لها فلكم رمت ذا مـرة — قصرت خطاه عن وصول خبائها
ودع الكرى ان الكرى من دائها — واسـهر فديتك فهو عين دوائها
واهن لها نفسـا تعز فانمـا — عين الحياة الموت تحت لوائها
لله قـوم ادلجـوا لطلابهـا — حمدوا السرى مذ أصبحوا بفنائها

فاجابه ولده الذكي الشيـخ علي بما يأتـي :

اباه انـي مذ نظـرت عليـة — اضمرت في نفسي دخول خبائها
اباه ان عليـة ابنـة مالـك — قد احرقت كبدي بحسـن بهائها
اباه انـي مـذ انيط تمائمـي — كنت المشوق لوصلها ولقائهـا
كم جرعت قلبي بكاس صدودها — ولكم شربت الكأس من صهبائها
فساخطبن عليـة من اهلهـا — علما بانـي اليو ممن اكفائهـا
وساركبن الـى علية صعبـة — كالريح ان عصفت على بطحائها
وساحمدن لها واجعل مهرهـا — نفسا تعـز على بدور سمائها
واهين نفسـا طالمـا كرمتهـا — لاكون حامـل ثقلها ولوائهـا
ولقد سالت الناس عن احوالها — قالـوا ابوك مشيـد لبنائهـا
كانـت علية قبلـه مهجـورة — وبه الوفود تكثـرت بفنائهـا
فاهنا بها ان كنت ممن ادلجوا — لسراتهـا بصباحها ومسائهـا
وانعم ابي عينا فاني ارتجـي — برضاك ان اغدو ابا أبنائهـا

زراعة

تناقص الغذاء العالمي

ـ اتجه وضع الغذاء العالمي المزعزع بالفعل نحو الاسوا . هذا التقييم المتشائم قدمه خبراء في الاغذية والزراعة من مختلف انحاء العالم ، في مسودة تقرير رفعوه الى منظمة الاغذية والزراعة ، التي اجتمعت مؤخرا في روما . وتنبأ أولئك الخبراء بأن اية زيادة في الانتاج هذا العام ـ اذا حدثت اية زيادة اطلاقا ـ ستكون اصغر زيادة منذ ١٩٧٢ ، العام الذي سبق المجاعة التي شهدها العالم . فرغم الزيادة الكبيرة التي تم تحقيقها في الولايات المتحدة ، فان من المتوقع ان ينخفض الانتاج في الدول المتقدمة الاخرى ، وبصورة خاصة في الاتحاد السوفياتي . وقد ارتفع انتاج الدول النامية ، غير انه لم يرتفع بصورة كافية ، بحيث يؤمن اطعام ملايين الاطفال الذين ولدوا فيها خلال العام . وقال الخبراء ان الصين وامريكا اللاتينية ستسجلان زيادتين كبيرتين في انتاجهما . وان انتاج العالم من الحبوب سيكون اقل بنسبة اربعة بالمائة من الرقم القياسي الذي سجل في العام الماضي . وهذا يعني ان المخزون سينخفض الى « الحد الادنى » ، في حين ترتفع الاسعار بصورة ملموسة .. ولقد اصبح وضع المخزون من الحبوب في الدول النامية « حرجا » بصورة خاصة .

وتحذر منظمة الاغذية والزراعة من احتمال ارتفاع احتياجات العالم من المساعدة الغذائية الى ١٧ مليون طن على اقل تقدير ، بحلول ١٩٨٥ . وحثت المنظمة على عقد مؤتمر جديد خاص بالمساعدة الغذائية « في اسرع وقت ممكن » ، دون انتظار عقد اتفاقية دولية خاصة بالقمح ، وهي الاتفاقية التي ما زالت معلقة في المفاوضات الجارية منذ شهور كثيرة .

وتقول مسودة التقرير ان المحصول العالمي ارتفع بنسبة ثلاثة بالمائة فقط خلال السبعينات ، وهو اقل كثيرا من الهدف الموضوع وهو اربعة بالمائة . كما ان المساعدة الخارجية الخاصة بالزراعة كانت ايضا اقل كثيرا من الاحتياجات المقدرة . كذلك فان عائدات الدول النامية من تصدير الاغذية على الصعيد العالمي استمرت في التدهور . والنتيجة هي ان العالم اليوم يدخل الى الثمانينات ولديه من الجياع عدد يعادل فعليا ما كان عليه يوم بدأ السبعينات .

مالذي يمكن عمله ؟ يجيب الخبراء قائلين ان هناك حاجة ملحة للمزيد من الاستثمار في الزراعة .

اقتصاد

قروض للدول العربية

— سوف يؤدي قرض من جمعية التنمية الدوليـة مقداره ١١ مليون وحدة من حقوق السحب الخاصة (١٤ مليون دولار) ، الى مساعدة مصر على انتاج المزيد من الاسماك للاستهلاك المحلي .

وصرح المسؤولون في هذه الجمعية ، التي تعد فرع البنك الدولـي للاقراض الامتيازي ، بأن مشروع مزارع الاسماك هذا ، الذي يعد الاول من نوعه بالنسبة لمصر ، سوف ينتج ٣٫٨٠٠ طن اضافية من الاسماك سنويا ، قيمتها حوالي ستة ملايين دولار .

والمشروع ، الذي ينتظر ان يتكلف ٢٦٫٣ مليون دولار ، عبارة عن برنامج تجريبي لزراعة الاسماك تجاريا في مياه الصرف والاراضي الغـير صالحة للزراعة ، يستغرق خمس سنوات .

ويتضمن المشروع تسهيلات للمزرعة السمكية وما يتصل بها من معدات وبنيات اساسية ، واسكان العاملين ، وتسهيلات ومعدات للتدريب وجمع زريعات البوري ، وتسويق الاسماك ، وانجاز دراسات المشروع ، والمعونة الفنيـة .

ولتقليل المخاطر الصحية الناشئة عن نشر البرك للامراض المعدية ؛ ادخلت عدة تصميمات واجراءات وقائية في المشروع الذي ستنفذه وزارة الزراعة المصريـة .

وقد اشتركت منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة مع البنك الدولي في تحديد المشروع واعداده .

وقرض جمعية التنمية الدولية لمدة ٥٠ عاما ، منها عشر سنوات فترة سماح . والقرض بلا فوائد ، وبمصاريف خدمة قدرها ٣/٤ بالمئة لتغطية النفقات الاداريـة .

— وافقت الرابطة الدولية للتنمية على تقديم قرض مقداره ٩٫٤ مليون وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة (اي ما يساوي ١٢ مليون دولار)، لتنفيذ مشروع كهربة احد مناطق الجمهورية العربية اليمنيـة . والرابطـة الدولية للتنمية مؤسسة تابعة للبنك الدولي تقدم قروضا بشروط ميسرة .

ويمثل المشروع اول جهد تقوم به اليمن الشمالية لتزويد مناطق ريفية بالكهرباء ، وهو يشكل المرحلة الاولى من برنامج لكهربة جميع انحاء اليمن الشمالية يستغرق تنفيذه ١٨ عاما .

وتتضمن المعونة الفنية التي سيتم تقديمها وفقا لهذا المشروع ، تدريب

موظفي المؤسسة العامة لكهرباء اليمن ، وهي مؤسسة تملكها الحكومة ، وتنفذ هذا المشروع الذي يستغرق سنتين .

ويتوقع لهذا المشروع ان يؤمن خدمات كهربائية كافية ويعول عليها ، لحوالي ١٧ الف مستهلك جديد ، وان يحسن نوعية الخدمة لحوالي ٥ر٢٠٠ مستهلك قديم .

ومما يذكر ان قرض الرابطة الدولية للتنمية لمدة خمسين سنة ، على ان يبدأ تسديد اقساطه بعد عشر سنوات ، بدون فوائد ، لكن تدفع عليه رسوم خدمة نسبتها ثلاثة ارباع بالمئة سنويا ، لتغطية النفقات الادارية للرابطة .

السؤال والجواب

س : ما هو عدد المسلمين التقريبي في دول العالم ؟

صيدا — ح.ن

ج : لا توجد للان ارقام ثابتة واكيدة عن عدد المسلمين في دول العالم ، لان كل مرجع يختلف عن المرجع الاخر في الاحصائيات . وقد ورد في العدد ٦ تاريخ ١٩٨١/١٢/٤ من مجلة « المسلمون » السعودية هذا الاحصاء :

المسلمون في العالم

عدد المسلمين ونسبتهم لتعداد السكان :

اندونيسيا	١٢٣ر٨ مليون	٩٠٪	اثيوبيا	١١ر٨ مليون	٤٠٪
بنجلاديش	ــر٨٢ مليون	١٠٠٪	السودان	١١ر٧ مليون	٧٢٪
الهند	٨٠ر٠ مليون	١٣٪	العراق	١١ر٠٠ مليون	٩٠٪
باكستان	٧٢ر٣ مليون	٩٧٪	سوريا	١٠ر٠ مليون	٩٠٪
الاتحاد السوفيتي	٥٠ر٠ مليون	١٩٪	السعودية	٧ر٢ مليون	١٠٠٪
			ماليزيا	٦ر٥ مليون	٥٠٪
مصر	٤٢ر٠ مليون	٩١٪	النيجر	٤ر٢ مليون	٨٥٪
تركيا	٤١ر١ مليون	٩٨٪	مالي	٣ر٥ مليون	٢٣٪
ايران	٣٤ر١ مليون	٩٨٪	ليبيا	٢ر٩ مليون	٨٨٪
نيجيريا	٣١ر٣ مليون	٤٧٪	تشاد	٢ر١ مليون	٨٠٪
المغرب	١٨ر٣ مليون	٩٩٪	المملكة المتحدة	٢٠ر٠ مليون	٢ر٥٪
الصين	١٧ر٩ مليون	٢٪	موريتانيا	١ر٤ مليون	٩٦٪
الجزائر	١٧ر٣ مليون	٨٧٪	تونس	١ر١ مليون	٩٩٪

مــع الاحــداث

● كانت حصيلة حرب السنتين ٦٥ الف قتيــل و ٢٠٠ الف جريح ومصاب ، حسب متوسط الاحصائيات .

● وبعد حرب السنتين كانت هنالك احداث بارزة اهمها :

— محاولة اغتيال ريمون اده واصابة مرافقه على طريق نهر الكلب في ١٩٧٦/١١/١١ .

— انفجار سيارة مفخخة قرب منزل كمال جنبلاط في المصيطبة ومقتل شخصين واصابة ٢٤ بجروح في ١٩٧٦/١٢/٤ .

— في ١٩٧٧/١/٣ انفجرت سيارة مفخخة في طلعة العكاوي فــي الاشرفية ومصرع ٣٥ شخصا وجرح ٥٣ اخرين .

— في ١٩٧٧/٣/١٦ وقع حادث اغتيال كمال جنبلاط مع اثنين مــن مرافقيه في منطقة « دير دوريت » في الشوف ، نتج عن هذا الحادث ردود فعل فورية ادت لسقوط حوالي ١٥٠ قتيلا .

— في ١٩٧٧/٣/٢٨ انفجرت عبوة ناسفة قدرت زينتها بـ ٧ كيلوغرامات من الـ « ت.ن.ت » امام باب منزل وزير الدفاع فؤاد بطرس ، ونجا منها مع عائلته باعجوبة .

— في ١٩٧٧/٧/٨ قام ١٢ مسلحا بخطف طائرة كويتية كانت تقــل السفير عبد الحميد البعيجان بعد اقلاعها من مطار بيروت وطالبوا بمبلغ من المال وبالافراج عن المعتقلين السياسيين في السجون العربية .

— في ١٩٧٧/٨/٢٤ انفجرت عبوة ناسفة في سوق الخضار في ساحة البرج وأدت الى مقتل ٣ اشخاص وجرح ١٢ اخرين .

— في ١٩٧٧/٩/٢ انفجرت عبوة ناسفة في الحازمية قرب دار الصياد ادت الى اصابة ٤ اشخاص بجروح وتتابعت خلال هذا الشهر تفجير العبوات الناسفــة .

— في ١٩٧٨/٢/١ انفجرت عبوة في ساحة الشهداء ادت الى اصابة ١٨ شخصا بجروح ، بعد يومين انفجرت عبوة ثانية في « التياترو الكبير » وجرح ثلاثة اشخاص .

— في ١٩٧٨/٢/٧ وقعت اشتباكات عنيفة بين الجيش والردع فــي الفياضية امتدت الى مختلف المناطق الشرقية ، وادت الى سقوط ٣٠ قتيلا و ٦٤ جريحا من الطرفين .

— في ١٩٧٨/٤/٩ وقع خلاف بين شخصين في الشياح — عين الرمانة تطور الى اشتباك سقط فيه ستة جرحى ، وقصفت خلاله مواقع الردع في الشياح حيث سقط قتيلان وعدد مــن الجرحى . واتســعت الاشتباكات واستمرت خمسة ايام وسقط بنتيجتها ٣٠ قتيلا و ١١٠ جرحى .

في ١٩٧٨/٤/٢٨ اغتال مسلحان مدير الشؤون الاقتصادية في وزارة الخارجية السفير حسيب العبد الله امام منزله في كورنيش المزرعة .

— في ١٩٧٨/٥/٢ انفجار عبوة ناسفة في « حي العبي » الذي يسكنه ال فرنجية في زغرتا مما ادى الى سقوط ٣٨ جريحا .

— في ١٩٧٨/٦/٧ اغتيل نائب رئيس اقليم زغرتا الكتائبي جود البايع في مكان عمله في شكا .

— في ١٩٧٨/٦/١٣ اقتحمت مجموعة مسلحة مؤلفة من ١٥٠٠ عنصر بلدة اهدن واغتالت النائب طوني فرنجية وزوجته وابنته و ٣٠ شخصا من سكان البلـدة .

— في ١٩٧٨/٦/٢٨ عثر في بلدة « القاع » على ٢٧ شخصا قتلوا في مجزرة جماعية .

— ومن ١ الى ١٩٧٨/٧/٥ اشتعلت خطوط التماس وسجل سقوط اكثر من ٢٠٠ قتيل و ٦٠٠ جريح ، واعلن الرئيس سركيس عن استقالته ، وعاد عنها في منتصف الشهر .

— في ١٩٧٨/٧/١٩ تسلمت قوة من الجيش الامن داخل مرفأ بيروت .

— في ١٩٧٨/٧/٢١ انفجرت جبهة الحدث وقتل بنتيجتها ١٨ شخصا وجرح ٥٠ غيرهـم .

— في ١٩٧٨/٨/١٣ انفجرت بناية في منطقة الفاكهاني وهوت بشكل كامل وبلغ ضحايا الحادث ١٨٦ قتيلا . وظلت الحوادث مستمرة الى ان جرى التوصل لوقف اطلاق النار في ١٩٧٨/١٠/٩ .

— في ١٩٧٨/١٠/١٥ توصل المؤتمر العربي الذي عقد في بيت الدين الى تأليف لجنة متابعة عربية .

— في اوائل تشرين الثاني ١٩٧٨ وقعت جريمة مروعة في بعلشمية حيث عثر على افراد عائلة مؤلفة من تسعة اشخاص مذبوحين داخل منزلهم .

— في ١٩٧٨/١٢/٨ اطلقت النار فوق جونية على الطائرة المروحية التي كانت تنقل السفيرين الشاعر (السعودية) والبعيجان (الكويت) ونجـا السفيران وتحطمت الطائرة .

— في ١٩٧٩/١/٢٣ استهدفت متفجرة لاسلكية في سيارة مفخخة في منطقة الصنوبرة ، علي حسن سلامة (ابو حسن) فاستشهد مع ٤ من مرافقيه و ٤ مواطنين كما جرح في الحادث ١٦ شخصا .

في ١٩٧٩/٣/١٩ اعلن حزب الكتائب عن كشف محاولة لاغتيال بشير الجميل بواسطة سيارة ملغومة ومعدة للتفجير لاسلكيا .

— في ١٩٧٩/٥/١٣ نجا النائب امين الجميل من محاولة اغتيال تعرض لها في المتن الشمالي .

— في ١٩٧٩/٥/٢٤ اغتيل الصحافي الالماني روبرت بغيفر مراسـل صحيفة « شتيرن » في محلة المنارة ، وفي ٢٩ منه انفجرت عبوة داخل سينما

بلازا في سن الفيل وقتل رجل وجرح ٢١ شخصا .
— في ١٩٧٩/٦/٤ نجا بيار الجميل من محاولة اغتيال .
— في ١٩٧٩/٦/١٤ اغتيل في طرابلس احمد المير الايوبي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي .
— في ١٩٨٠/٢/١٣ خطف النائب ادمون رزق الى زغرتا .
— في ١٩٨٠/٢/٢٣ تعرض موكب بشير الجميل لتفجير لاسلكي في الاشرفية ادى الى مقتل طفلة الجميل و ٨ من مرافقيه والمارة ، وسقوط ١٩ جريحا .
— في ١٩٨٠/٣/٤ عثر على الصحافي سليم اللوزي مقتولا في عرمون .
— في ١٩٨٠/٣/١٢ الرئيس كميل شمعون ينجو من محاولة اغتيال على اتوستراد الدورة .
— في ١٩٨٠/٤/١٢ تفجير لاسلكي ينجو منه النائب امين الجميل في المتن .
— في ١٩٨٠/٥/٢ اغتيال السيد حسن الشيرازي عند مستديرة الجناح .
— في تموز ١٩٨٠ اغتيل نقيب الصحافة رياض طه ، وسقط الى جانبه سائقه سهيل الساحلي .
— في ١٩٨٠/٨/٢٩ نجاة داني شمعون من محاولة اغتيال .
— في ١٩٨٠/٩/٢٢ مقتل الدكتور امين زهر في عيادته في سوق الغرب .
— في ١٩٨١/٢/٥ اختطاف القائم باعمال الاردن في لبنان هشام المحيسن .
— في ١٩٨١/٢/١٩ محاولة اغتيال البطريرك مكسيموس الخامس حكيم .
— في ١٩٨١/٤/١ اكتشاف سيارة مفخخة بـ ٢٠ كلغ « ت.ن.ت » و ٣ قذائف هاون من عيار ٨٢ ملم و ٢٠ ليتر بنزين قرب جريدة « السفير » وتعطيلها .
— من ١٩٨١/٤/٢ تجددت الاشتباكات على نطاق واسع .
ومع نهاية العام ١٩٨١ دخلت خطة تفجير الاوضاع الامنية في المنطقة الغربية مرحلة شرسة ، فاغتيل عبد الوهاب الكيالي عضو المجلس الوطني الفلسطيني واغتيل المحامي جبران دياب عضو الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وانفجرت سيارة مفخخة في بعل محسن الواطي . وانفجرت متفجرة في المصيطبة بيد حاملها نقولا برباري . وفي ١٩٨١/١٢/١٥ انفجار ضخم نسف مبنى السفارة العراقية في الرملة البيضاء . وفي اليوم التالي عثر على اربعة صواريخ موجهة الى منزل صاحب « السفير » طلال سلمان فجرى تعطيلها قبل ٣ دقائق من انفجارها . وبعدها انفجرت سيارة مفخخة في محلة الاونيسكو .

اثينا
كوبنهاغن
فرانكفورت
جنيف
اسطنبول
لندن
مدريد
ميلانو
باريس
روما
زوريخ
بيروت
ابيدجان
كانو
لاغوس
مونروفيا
تونس

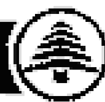
ابو ظبي
عدن
عمان
انقرة
بغداد
البحرين
بنغازي
القاهرة
الظهران
الدوحة
دبي
جدة
الخرطوم
الكويت
لرنكا
مسقط
راس الخيمة



في جدول رحلاتنا الحالي يمكنكم أن تجدوا الرحلة المناسبة وموعد السفر الملائم



تؤمن شركة طيران الشرق الأوسط اوسع خيار من الرحلات انطلاقاً من بيروت الى ٣٢ مدينة في اوروبا، الشرق الاوسط وافريقيا. ان شركة طيران الشرق الاوسط التي تتمتع بـ ٣٤ سنة من الخبرة تؤمن لكم جدول رحلات دقيق يضمن راحتكم وسلامة أعمالكم



MEA

الشركة التي تستحق ثقتكم

ملحق العدد الاول من المجلد ٧٠ من « العرفان »
وجريدة « جبل عامل »

صاحبها من ١٩٦١ الى ١٩٨١
نزار الزين
جميع المراسلات باسم المدير
فؤاد زيد الزين

ملحق خاص عن المرحوم :



نزار الشيخ احمد عارف الزين

والمتوفي في ٢٠ رمضان سنة ١٤٠١هـ الموافق ٢١ تموز سنة ١٩٨١م ، وعلى اثر الوفاة كتبت الصحف عدة مقالات في رثاء الفقيد نثبت قسما منها في هذا الملحق ، والقسم الاخر في الاعداد اللاحقة . وبتاريخ ٦ ايلول سنة ١٩٨١ دعت نقابة الصحافة اللبنانية ولجنة التابين وآل الزين لحضور الحفل التابيني الذي اقيم للفقيد في قاعة النادي الحسيني في صيدا ، وافتتح بعشر من القرآن الكريم . ثم كلمة المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى لسماحة العلامة الشيخ محمد مهدى شمس الدين نائب رئيس المجلس ، وكلمة اتحاد الكتاب اللبنانيين للامين العام المحامي الاستاذ احمد سويد ، وكلمة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي للدكتور ابراهيم بيضون استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانيه عضو المجلس ، وكلمة نقابة الصحافة اللبنانية للاستاذ باسم السبع المدير المسؤول لجريدة السفير وعضو مجلس النقابة ، وكلمة نقابة المحررين اللبنانية للنقيب السابق الاستاذ فريد طيارة ، وكلمة مدينة صيدا للدكتور محمد المجذوب مدير الفرع الاول لكلية الحقوق وكلمة الختام للنائب الاستاذ عبد اللطيف الزين . وكان عريف الاحتفال الاستاذ حسن شمس الدين . وسنثبت قسما من الكلمات في هذا الملحق والباقي للاعداد القادمة .



دور الكلمة والفكر

لصاحب السماحة

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين والسلام عليكم أيها الاخوه ورحمة الله وبركاته .

في هذا الحفل ، نستعيد أكثر من معنى ، كلها تلتقي على تاريخ الفكر والكلمة في لبنان ، وعلى دور الفكر والكلمة في لبنان : من خلال مجلة العرفان ومؤسسها المرحوم الشيخ احمد عارف الزين ، وصديقنا فقيدنا الاستاذ نزار الزين وجميع الاقلام التي سجلت في العرفان منذ تأسيسها حتى الان . سجلت نهضة وتطلعات وطموحا للبنان وللعرب وللمسلمين قل أن وجدت مجلة في العالم العربي والاسلامي سجلته . وهذا يؤدي بنا الى الحديث عن دور الكلمة والفكر في الفتنة التي تعصف بنا منذ سنوات ولا تزال فيها فيها يبدو بقايا كثيرة نعوذ بالله منها ونعمل متعاونين لوضع حد لها .

منذ سبعين عاما بدات العرفان تصدر في هذا البلد العريق الكريم عاصمة جبل عامل ، عاصمة الجنوب . فكان في الفكر حينذاك عاصمة لبنان . وبدات من خلال تضحيات وجهود المرحوم الشيخ احمد عارف الزين تشرق ليس في لبنان فقط ، اذ كنا اطفالا في العراق وكنا نعرف العرفان ، وكان غيرنا اطفالا في بلاد اخرى وكنا نعرف العرفان . دخلنا الى جانب كبير من الدنيا والى جانب كبير من هموم الناس : دخلنا من باب العرفان . هذه المجلة التي تسجل حياة جيلين من أسرة آل الزين العريقة في تاريخ هذا الجبل ، وجيلين من كل المفكرين والمهتمين بشؤون النهضة التي دخلتها الامة العربية والامة الاسلامية حين ولدت العرفان وكأنها كانت سجلا لنهضة الفكر .

★ الخطاب الارتجالي الذي القاه سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في الحفل التأبيني .

ما الذي يميز هذه المجلة : — اولا هي مجلة نهضاوية وليست مجلة سلفية بالمعنى الضيق للسلفية . هي مجلة مستقبل كانت تنظر الى المستقبل. وهي في نفس الوقت مجلة اسلامية .كانت تحتفظ ، وتحرص ، وتضيء الينابيع الاساسية لنهضة هذه الامة . لم تكن مبتورة عن ماضيها في الفراغ الذي يريد البعض لنا ان نتيه فيه . ولم تكن مغلقة امام تطلعات المستقبل . محصورة في صيغ الماضي . ولا اقول في فكر الماضي ، لان فكر الماضي هو فكر المستقبل . فكر القرآن . وفكر الاسلام . هو فكر المستقبل ايضا . ولكن للفكر صيغ وللفكر أطر وتعابير . هذه هي المتغيرات التي ينبغي ان تشتمل عليها النهضة .

في الوقت الذي كانت فيه مجلة اسلامية لم تكن فيه مجلة اسلامية ايضا كانت مجلة وطنية لبنانية يلتقي بها القلم المسيحي والفكر المسيحي والتطلع المسيحي مع القلم والفكر والتطلع الاسلامي .

كانت مجلة قومية عكست في فترة الثورة الكبرى في العالم العربي التطلعات والامال والالام ومخاوف المستقبل في كل العالم العربي . وعلى رأس ما عكست القضية الفلسطينية . ونكبتها . ومعاناتها طيلة عقود وعقود من السنين . هذه المجلة بهذا النحو هي مجلة بانية تشكل نموذجا وامثولة لكل الصحافة التي يفترض فيها ان تبني القلوب . وان تبني العقول ، وان تقرب فيما بين القلوب والعقول ، لا ان تكون اداة هدم . واداة تفرقة وتشكيك . وهي نموذج لامر كنا نشكو منه ولا نزال نشكو منه ، واعتقد انه ساهم مساهمة كبيرة جدا في ايجاد المناخ الملائم للفتنة في لبنان . وربما كان لا يزال يساهم في ذلك حتى الان . وهو الموضوع التربوي : الكتاب التاريخي، والكتاب الاجتماعي، واساليب التعليم والتربية المتنوعة في لبنان التي تسلمت في مطلع عهد الاستقلال الكتاب التاريخي والكتاب الاجتماعي . واساليب التعليم والتربية المتنوعة في لبنان التي تسلمت في مطلع عهد الاستقلال شعبا متآلفا الى حد كبير ، فعمقت فيه الخلافات ، واوجدت فيه عقليات وتطلعات متنوعة ، وخلقت فيه اساطير بعضها بالكتب ، وبعضها بالاساليب ، خلقت أساطير لبعض الطوائف اللبنانية جعل منها شيئا خياليا ليس بالواقع .

هذا الامر اعطاها دورا ، واعطاها ماضيا وحاضرا ومستقبلا لا نعرف له في الواقع اي اساس . وكان رد الفعل على ذلك محاولة خلق أساطير اخرى ، ومحاولة خلق احلام اخرى لدى الاطراف المقابلة . وهكذا توزع الناس في لبنان شيعا واحزابا، توزعوا عقائد ومذاهب وطنية ادت الى ان يوجد مناخ الفتنة في لبنان ، ليس هذا كل السبب ولكنه المناخ الذي هيأ للمسألة الاجتماعية ان تأخذ مداها ، وان تستغل للتخريب بدل ان تستغل للبناء ، والذي جعل من المسألة السياسية اداة للتخريب بدل ان تكون منطلقا للبناء ،

وكل التناقضات وكل النتوءات التي يحبل بهـا كل مجتمع في الدنيا هـي في لبنان تحولت بسبب المناخ الذي ولده الى حد كبير الاسلوب التعليمي والكتاب المستعمل في حقل التعليم هنا وهناك حوله الى مشروع للفتنة . الى مشروع قابل للفتنـة .

الان كنا نسمع تلاوة مباركة من كتاب الله سبحانه وتعالى وتلا المقرىء هذه الاية المباركة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكـم » .

الله تعالى يربط في هذه الاية وفي غيرها ذكرتها الان لاننا سمعناهـا الان . في هذه الاية يربط بين سداد القول وبين صلاح العمل . ليس العمل الشخصي : « يصلح لكم اعمالكـم » مقابلة جمع بجمـع يصلح العمـل الجموعي . يصلح العمل الوطني . بعبارة اخرى . اذا قيل القول وكـان سديدا . اما اذا كان قولا غير سديد فانه لا يصلح العمل . هو يفسـد العمل . هو يجعل المناخ الوطني مناخا مسموما .

ما نواجهه في حياتنا الفكرية . وانا اقف امام نخبة من المفكرين والكتاب والادباء يشرفون هذا الحفل . وانا اقول بصراحة — ما نواجهه وما نعانيه في حياتنا الفكرية هو على مستوى الخطورة التي نواجهها في حياتنا السياسية . لا أدري ان كان المفكرون قد قاموا بدور ايجابي في هذه الفتنة : قاموا بدور مصلح . ولكنهم بالتاكيد لم يقوموا بدورهم الحقيقي قبلها بالتاكيد . ربما لان كثيرين منهم لم يقدروا حجم الكارثة التي كان يمكن ان تنشـا عن عمليات التنظير والتحريض وما الى ذلك التي كانت تمارس من قبل جميع الاطراف . لا أبريء طرفا من الاطراف ربما اكون انا احدهم ايضا في بعض الحالات . ولكن نستطيع الان ايضا ان نتدارك كل اخطائنا بأن يوضع نهج للعمـل الفكري الوطني يخرج لبنان من دائرة مزايدات القوى العظمى من الشرق او من الغرب . ويخرج لبنان — وهذه ليست مهمة صحافية وليست مهمة سياسيين — بالدرجة الاولى هي مهمة مفكرين ومهمة صحافة فكرية وادبية لها وثوق شعبي كالذي تتمتع به مجلة العرفان : ان تخرج لبنان من دائرة القوى العظمى . تضع حدا لتطلعات هذه القوى ، في ان تجعل من هـذا البلد ، ومن شعبه ، ومن طلائعه . ومن أدوات التعبير فيه ، وعلى راسها الكتاب المطبوع والمجلة والصحيفة ، تخرجه من ان يكون اداة في يدها ، وتخرجه من أن يكون حقلا لتجاربها الاعلامية ، وعلم النفسية الاجتماعية. ونحن لمعلوماتكم لسنا فقط حقلا للتجارب بالسلاح التقليـدي الجديـد ، واساليب حرب العصابات ، وحرب الشوارع ، وفي الماضي ، وان شاء الله لا يعيد الله تلك الايام كانت تفتعل معارك لتجربة تكتيك معين فقط . ولا يوجد اي سبب سياسي ، واي سبب عسكري ، ولا اي سبب أمني لانتقـال المعركة الفلانية في مجموعة الشوارع الفلانية ، فقط خبير في حرب العصابات

وحرب الشوارع من الغرب او من الشرق يريد ان يجري تكتيكا معينا في سير المعركة لاجل اختيار التكتيك ، ويذهب فيها من يذهب من اطفال ونساء ، ويدخل في تاريخنا رقم جديد في قائمة من يسمون شهداء او ضحايا وما الى ذلك .

هل هذا تدخل وقبض على حرية التفكير ؟ كلا ، ليس لهذا اي دخل : الكتابة السياسية لا شأن لنا فيها ، والصحافة اللبنانية في اغلب ممارساتها تصرفت تصرفا وطنيا ، وفي اغلب مؤسساتها . الكتابة الفكرية هي التي تسوق الثوابت في عقل المواطن ، وهي التي تسوق الثوابت في تصرف الجماعة لتدخل عليها تغييرا اساسيا . يجب ان تنمو المصالحة العامة : المصالحة الوطنية العامة . واي شعب من الشعوب لا يوجد فيما بين فئاته وجماعاته خلافات سياسية او خلافات ايدلوجية . لكن المعنى الوطني العام هو الذي يدخل في كل بيت ويعني كل طفل يحمل كتبه ويذهب الى المدرسة ، ويعني كل سيدة قلقة على اطفالها ، ويعني كل عامل يسعى الى رزقه . هذا لا يمكن ان يكون موضع خلاف ايدلوجي او موضع خلاف سياسي : الكل يفترض انهم يعملون من اجل هؤلاء كما يدعون . هل تكون النتيجة أن يقتل هؤلاء في سبيل رغيف الخبز . كل هذه الافكار والتطلعات نستوحيها من تاريخ العرفان ، ومن دور العرفان التي كانت تدخل كما يدخل النور ، وكما يدخل الهدى الى القلوب والى العقول فتجمع حولها بدل ان تفرق . تكون رابطة بين جميع الفئات في العرفان . في سجلها الطويل لا اكاد احتمل انه يوجد قلم من الاقلام في لبنان التي لها شأن لم يكتب فيها ولم يعبر عن تطلعاته على صفحاتها . لماذا ؟ لانها تحمل هذا المعنى الوطني الجامع الذي يشكل جوهر وحقيقة الوطن . بقي معنى في العرفان : العرفان تصدر في الجنوب – جنوب لبنان – تصدر في صيدا ، ولها ربيبة صغيرة أسمها جريدة جبل عامل : هذه المجلة حملت قضية الجنوب ولا احب ان اقول مأساة الجنوب حملت قضية الجنوب منذ ان كانت هذه القضية جنينية في مرحلة جنينية : التخلف في الجنوب ، حرمانه ، حالته السياسية ، واخيرا مستقبله ومصيره السياسي . وهي القضية المطروحة الان : الحرمان والتخلف والاهمال أي من الادارة ومن الدولة توجت بالخطر المصيري : الخطر على المصير السياسي للجنوب . ان يبقى الجنوب كما نعرفه او يقتطع منه قسم تتخذه اسرائيل . أن يبقى كما نعرفه او يقسم في ادارتين . ان يبقى جزء من لبنان . ان يبقى أهل الجنوب فيه يحرثون ارضه ويعمرونها وينشئون فيه الروح العرفانية التي كنا نتحدث عنها او يصبح كل هذا تاريخا .

هل تصبح هذه الارض رهينة جديدة في يد الاسرائيليين ؟ رهينة أخرى وليست اخيرة في يد الاسرائيليين . مرتفعات الجنوب خاصة المجاورة لفلسطين تصبح مكانا لمستوطنات اسرائيلية جديدة . هذه ليست أسئلة

يمليها الخوف : هذه اسئلة ناشئة عن وجود عمل نحو هذا الاتجاه ، ووجود اهمال يمزز هذا الاتجاه ، يوجد عمل اسرائيلي، يوجد عمل دولي، يتوجه نحو هذا الاتجاه . يوجد عمل او لا عمل : يوجد لا عمل عربي يمززه تواطؤ دولي قد يؤدي في النهاية الى واقع كهذا . كيف يواجه ؟ هل يواجه بمزيد من التمزق الوطني . هل يواجه بالتشكيك بالذات وبالاخرين . هل يواجه بالارتهان للقوى العظمى ، وبالارتهان لسياسات المنطقة الكبرى ، او يواجه بالتصميم على انجاز هذا العمل البسيط .

ان هذه الارض بحدودها الدولية التي فرضت علينا ايضا ، ان هذه الارض لا تغدو رهينة جديدة في ايدي الاسرائيليين ، وهي يمكن ان تكون رهينة جديدة في ايدي الاسرائيليين .

ان هؤلاء الناس الطيبين : المسلحين والبسطاء والعمال وكل الناس، ان لا يكونوا لاجئين في ازقة بيروت او في ازقة اي مدينة في العالم ، ان ياكلوا خبزهم من عملهم لا من صداقة الدولة الاجنبية وفائض الاطعمة فيها ، ان لا ندبج مقالات المدح والشكر لمنظمة الزراعة الدولية لانها اعطتنا كذا طنا من القمح الفائض لنطعم جياعنا . هذه القضية ببساطة وعلى كل المقاييس هي قضية محقة وانسانية .

اما من الناحية السياسية فببساطة نقول في عاصمة الجنوب الكلام الواضح البسيط : يقال ان الجنوب يجب ان يبقى هكذا لاجل القضية الفلسطينية . بدون صنميات . بدون عبادة افكار صنمية ، وبدون مجاملات ، في اقوال كهذه الذي يجامل يكون خائنا او ينتحر . في قضايا المصير المجاملة هي الخيانة او الانتحار . لا تعلو قضية في الدنيا على القضية الفلسطينية ، على امال حياتنا ، في ان نعود فنشم تراب ارض فلسطين نكحل اعيننا بمآذن وابراج كنائس فلسطين ، لا تعلو قضية في الدنيا على هذا . وهذا ليس مذهبا سياسيا ، هذا معتقد ديني اسلامي اخلاقي اعلى من الاسلام ايضا : اخلاقي .

ولكن هذه القضية التي وهبها العرب انفسهم زورا وبهتانا ، ولم يهبوها شيئا في الحق والحقيقة ، نحن وهبناها انفسنا في الحق والحقيقة .

واخيرا التجأنا الى هذا الطرح الذي لا ، لن امل اعادته . لا نريد ان نكون شهداء . لا نريد ان نكون شهداء بدون ثمن نريد ان ننتصر ، نريد ان نكسب . تاريخ الشهادة المنافقة في العالم العربي يمتد الى ابعاد طويلة من السنين . تاريخ الشهادة المنافقة انتهى بنا الى ضياع كل فلسطين ، والى ضياع اراض خارج حدود فلسطين التاريخية الطبيعية ، والى التهديد بسيادة العصر الاسرائيلي على منطقة الشرق الاوسط . في المقابل : شعوب افريقيا السوداء حققت لنفسها درجة من الحرية . خلال الاربعين سنة الماضية شعوب افريقيا السوداء وكثير من شعوب اميركا اللاتينية حققت لنفسها

مستويات عالية من التقدم والانمتاق . خلال هذه الفترة فقدنا جميع فلسطين وفقدنا زيادة عليها ما يسمى بالاراضي المحتلة واصبحنا نعيش تحت مظلة الرعب الاسرائيلي الذي يصل الى حدود كربلاء في العراق فيضرب في ١٢٠ ثانية ، في دقيقتين ، يضرب مفاعلا نوويا ويعود دون ان يحدث شيء على الاطلاق . هذه المقارنة ، في ظل مقارنة كهذه ، خيانة ان نقول يبقى الجنوب على حاله ، هو ايجاد ظروف سياسية وعسكرية لنصر اسرائيل ، خيانة حقيقية ، موضوع الاستراتيجية العربية ، او الاسلامية اذا امكـن هو الموضوع المنقذ ، بدون هذا لا فرق . الامريكيون او السوفيات موجودون ونحن داخلون الى نخاعنا في الاستعمار الجديد الذي دخل الى كل بيت ، وحكم كل سلعة ، وحكم كل برميل نفط ، ودخل في كل اطار سيارة من هنا او من هناك . بدون استراتيجية عربية لاجل الجنوب ، لا بد من تطبيـق قرارات مجلس الامن بشأن الجنوب ، لاجل ان يبقى هذا البلد عربيا مسلما اهله فيه ، ولاجل ان يبقى فيه الحد الادنى من الامن ، لاجل حد اعلى من الصمود . الان أنتم تعلمون جميعا وتستطيعون ، من لم ير يستطيع ان يرى بعينيه ، على بعد ٣٥ كيلومترا من هنا يوجد مكان اسمه وادي ابو جميل ، يوجد مكان اسمه لا اعرف ماذا يوجد فيـه : عشرات الالوف من مهجري الجنوب ، هؤلاء صامدون ! امام من صامدون ؟ هذا الصمود ! في القرى المذعورة الخالية يوجد صمود ! لا يوجد صمود ، توجد هزيمة هذه طلائع الهزيمة ، وهذه طلائع الضياع .

من سيكون مسؤولا عن هذا من ؟ الامريكيون والاوروبيون والسوفيات؟ نحن نكون مسؤولين .

نحن نبكي ملكا مضاعا مثل النساء لاننا لم نحافظ عليه بمسؤولية . من يواجه الله سبحانه وتعالى بدمعة الارملة وبمرضها وبطفلها من ؟ الحرب مع اسرائيل لها شروطها . الانظمة لن تحارب اسرائيل . لن . كلها لا استثني احدا منها على الاطلاق . لن تحارب اسرائيل . تدخل في تجارب معينة . نعم . حرب تستهدف الكيان الصهيوني . لن . في اللغة العربية للتأبيد . لن تحارب اسرائيل لانها لم توجد لتحارب اسرائيل . الذي يحارب اسرائيل هو هؤلاء الناس ، هو الشعوب هذه الشعوب هي التي تستطيع ان تحارب وهي التي نستطيع بالتأكيد ان تنتصر . وسيأتي اليوم الـذي تحارب فيه الشعوب او يهدي الله الانظمة بشكل من اشكال الهداية لتكون انظمة حرب . الى ان يحصل هذا لا يمكن اعطاء رهائن جديدة للاسرائيليين لا يمكن ، لا بد من ايجاد حالة مراجعة عامة تضع حدا لهذا . في هـذا النطاق لجنة المتابعة العربية حققت تقدما لا شك فيه على صعيد الفتنـة التي تعصف بلبنان . ولكنه لا يزال تقدما ناقصا . لاننا لم نتأكد حتى الان عن حجم المساحة التي عولج فيها موضوع الجنوب اللبناني ومستقبلـه

ومصيره في هذه المعالجة . وافقنا على تشجيع ودعم عملية السلام في لبنان من خلال رؤية وطنية متكاملة تستوعب كل التطلعات ، وتلغي العامل الاسرائيلي في هذه الفتنة ، وتحصره في عوامله اللبنانية والعربية ، وافقنا على هذا لان لبنان جزء من الجنوب ؛ لم اخطيء انا ، لبنان جزء من الجنوب ، لان لبنان بدون الجنوب لا يمكن ان يبقى ، ولكن هل سيقتصر الامر على هذا الحال ، نحن بينا لهم ، للجميع بينا ، ان الامر اذا اقتصر على هذا الحال فلا امل في اي حل على الاطلاق والفتنة آتية بأشد مما عرفناها في الماضي : الموافقة والتأييد لعملية السلام في لبنان التي تتم من خلال الحل العربي ، من خلال تعريب الازمة وبهذا الشكل المتكامل الذي يمثل جميع التيارات ، وجميع وجهات النظر ، دعم مشروط بأن يكون الجنوب أساسا ، بأي شكل يوافق لجنة المتابعة ، ولكنه في جميع الحالات يكون أساسا والا ، ان تهدأ بيروت ويهدأ لبنان الداخلي وتنتقل كل الشلل ، وكل القوى ، وكل المنظمات . وكل تجارب السلاح ، وكل دكاكين المرتزقة ، تنتقل الى الجنوب ، هذا الامر قد يواجهنا : ان الذي يقفل مكتبه في بيروت ، او حتى في صيدا ، ينتقل الى الارض السائبة التي يراد تقديمها الى الاسرائيليين كثمن ، وحينئذ ستكون فتنة لا يعلم الا الله مداها . لبنان ليس مقدسا ابدا اذا لم يكن الجنوب مقدسا ، ولا يوجد أحد مقدس على الاطلاق في العالم العربي ، اذا لم يكن الجنوب مقدسا ، بكل مسؤولية أقول ستكون فتنة وستكون مذبحة اذا اهمل المصير السياسي للجنوب على النحو الذي نخافه .

لن يعتصم أحد بشيء على الاطلاق ابدا ، ان يكنس لبنان ، ان ينظف لبنان الداخلي ، من كل المزبلة البشرية والسلاحية والمالية الموجودة فيه . ويكون الجنوب هو المزبلة !! لا ، هذا لا يكون ، الفتنة ولدت من هنا ، بدأت في الجنوب ، وانتشرت في كل لبنان وانحسرت الى الجنوب ثم عادت الى الانتشار . هذه القيمة يجب ان ترتفع عن كل لبنان ، وليس عن لبنان الداخل فقط . اللبنانيون في الجنوب ليسوا اولاد الجارية ابدا لم يكونوا يوما اولاد الجارية، ولن يكونوا في المستقبل اولاد الجارية . واللبنانيون في الجنوب ليسوا ناقصين في حقوق المواطنية ، والصيغة التي وجد بموجبها لبنان كان الجنوب في صميمها . حينما يخرج منها الجنوب ، لا يعود هناك لبنان على خريطة المنطقة ، ومن ثم لا تكون هناك كيانات متعددة على خريطة المنطقة . الجنوبيون سيتحولون الى ارهابيين لا يوفرون حرمة لاحد اذا لم يضمن المصير السياسي للجنوب كاملا . كل قرية تضيع ، سيتحول اهلها الى فرقة ارهابية ، خبز الصدقة سينتهي عهده . هذا الكلام قلناه للجميع ، فهمه الجميع فهما كاملا ، ولا يوجد هناك ابدا من يجرؤ على ان ينكر انه بلغ بأوخم النتائج التي يمكن ان تنشأ عن خيانة قومية كبرى كهذه ، هذه خيانة قومية ، ليست خيانة للجنوبيين ، وليست خيانة للبنانيين هي خيانة

للامة العربية بأسرها. باي صيغه منصيغ الضياع ابتداء من التوطين والى صيغ الاحتلال هي خيانة قومية كاملة شاملة لا نقبل بها ابدا .

الله سبحانه وتعالى يتغمد برحمته الواسعة الاستاذ نزار الزين الذى كانت ذكراه كما كانت محطات حياته وكما كانت وستبقى مجلة العرفان منطلقا دائما للرؤى الوطنية والقومية والاسلامية المسؤولة . بالنسبة للعرفان . « العرفان » انا اعلم وكثير من الاخوة المفكرين وغيرهم يعلمون انها طيلة سنين كانت تعاني . وان نزار الزين رضوان الله عليه كان يلهث وراء اية امكانية من اجل ان يبقى « العرفان » صوتا عاليا ومرتفعا في هذا البلـد . بوفاة نزار الزين لا يجوز ان تتوقف « العرفان » . الاستاذ عبد اللطيف بك الزين والاستاذ زيد الزين وآل الزين عموما هم على هذا الخط ؛ وعلى هذا الاستعداد . ولكن اشعر اننا نحن اهل العرفان واسرة العرفان مسؤولون ان نعطي العرفان دفعة معنوية ؛ ودفعة مادية ايضا ؛ لاجل ان تعيد تجديد نفسها ؛ ولاجل ان تستمر في رسالتها . لا اظن انه يشرف احدا منا ان يكون قادرا على شيء ؛ وان يدخل في تاريخه ان العرفان لم تصدر ؛ وهو قادر على ان يعطيها قدرة ما على ان تتابع الصدور . اعتبر ان هذه المجلة امانة في اعناقنا جميعا وسنكون ان شاء الله باجمعنا سنكـون اوفياء لهـا .

اسال الله سبحانه وتعالى ان يحفظكم جميعا وليس لي ان اعزي آل الزين هذه الاسرة التي اعطت الكثير في العلم والادب والفكر والسياسة نحن جميعا اسرة العرفان نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا لان نبقى ثابتين على طريق الصدق والحق ويغفر الله لنا ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد مهدي شمس الدين

وكتب الاستاذ زهير ماريدني في جريدة « صدى لبنان » الكلمة التالية :

نزار الزين بين يدي الله !

بقلم زهير ماريديني

تسمرت قدماي عند باب مستشفى الجامعة الامريكية في منتصف شهر حزيران الماضي ، فقد التقيت بالطبيب الذي كان يعالج نزار الزين . وسألت الطبيب عن حالة صديقي ، فوضع يده فوق كتفي . كانما يريد ان يتوكأ عليها حتى لا يتعثر وهو يتكلم ... وقال :

لقد خرج الامر من يد الطبيب واصبح في يد الله ! المهم انه حين سيخرج من المستشفى غدا عليه ان لا ينام وحده في المنزل . يجب ان يكون هناك شخص الى جانبه باستمرار . وقد ألحت بذلك الى شقيقه زيد . ولكني اعتقد انك الوحيد الذي يمكنه مفاتحته بهذا الموضوع . لقد ذكر اسمك اكثر من مرة وهو في غيبوبة طويلة !

واجتاحتني كآبة مخيفة ، حاولت ان اجتاز الباب الى داخل المستشفى او خارج المستشفى ، فلم استطع .. كانت خطواتي ترتعش .. لا بل كانت تئن ، وتختنق .. وتكاد تجهش بالبكاء !

واخذت الاسئلة الطائشة تنطلق من راسي وتنهال على راسي !

ما اعجب ان نموت بلا منطق ! ولكن فيم العجب ؟

اننا لا نعرف لماذا نحيا .. فعلام نصر على ان نعرف لماذا نموت ؟

ويا لها من بلاهة ، ان نطمئن على المريض وهو بين يدي الاطباء ونخاف عليه اذا ما اصبح بين يدي الله !

نزار الزين هو الان بين يدي الله ، فلم اعد اخاف عليه .. لقد حاولت بعد خروجه من المستشفى ان اقنعه بالذهاب الى الجبل ، ليمضي الى جانبي اياما في بحمدون .. وعرف نزار اسباب الحاحي فراح يردد :

يا اخي لماذا تخاف علي من لقاء الله ، لقد اشتقت الى هذا اللقاء ، لم اعد اتحمل هذه الحياة ، لقد تعبت من الناس ، ومن مواجهة الصعاب .. انني لا استطيع ان اعيش في هذه الغابة البشرية . فهناك في الاخرة يمكنك ان تستلقي بهدوء بعيدا عن السفه والعهر الذي غرقنا فيه .. واحتلت عليه لكي يذهب ويتناول غذاءه في نادي الخريجين لكي اراه يأكل ، وهناك راح يخطو كالشباب ويتصنع الفتوة لكي يوهمني انه اضحى صحيحا سليما .

وجلس معنا الصديق الاديب وديع ديب ، وكان حديثنا عن لبنان وما يجري فيه ، وكان نزار يستأنس بحديث وديع ديب . واوصلته الى المنزل بعد ان وعدني انه لن ينام وحده . وانه يمضي يومه في بيته ، وينام مساء في دار شقيقته زبيد .

حين رأيته لاول مرة كان قادما لتوه من صيدا ، وكان نحيلا ، حلو الحديث والمعشر ، كريما مضيافا ، وكان منزله مشرعا للعلماء والادباء الذين يأتون الى بيروت ولا يجدون من يسأل عنهم سوى نزار . وقد شدني اليه ذلك الخجل (الزيني) الشهم الذي لا تخطئه العين .. وتوالت اجتماعاتنا في مقهى فلسطين ايام كان هذا المقهى ملتقى الادباء العرب باخوانهم اللبنانيين .. وقال لي :

« اريدك ان تكتب في العرفان فانا لا يسعدني شيء في العالم قدر ان تقبل الكتابة في اخر مجلات الارث والتراث .. ولكن !! »

— « ولكن ماذا يا استاذ نزار ؟ » . واجاب وخجله يمتزج في كل لفظة يطلقها :

— « لقد علمت من الشاعر احمد الصافي النجفي انك رفضت عرضا مغريا للكتابة في مجلة نفطية مشهورة ، وانا لا استطيع ان اقدم اليك الكثير .. فهل تقبل بالقليل ؟ » .

وتدخل المرحوم احمد الصافي النجفي في النقاش وقال :

— «هذا المجنون لا يقبض منك خاصة ، فاعتبره من الان محررا مجانيا » .

وبدات اكتب في العرفان باسمي الصريح ، وباسماء اخرى مختلفة كان الصافي يخترعها » . كنت اجد في (العرفان) ادب الوجدان العربي الذي حمصته شمس الصحراء .. كلمات قديمة جديدة كموسيقى سيد درويش .. بل واكاد اقول ليس ادبا فقط ، ولكنه انغام قادمة من تلك الدنيا القديمة التي كدنا ان ننساها .

امس الاول ، دخل نزار الزين منزله وحده ، واستلقى على السرير ، ومات بشكل لا معنى له ، لقد انفجر دماغه من كثرة ما تراكم على هذا الدماغ من صدمات ، وما تلقى من ضربات موجعة .. موجعة لا يعرف عمق المها الا امثال نزار من الذين وهبوا حياتهم كلها من اجل الدفاع عن قضية ، والوقوف الى جانب الحق . وكانت قضية نزار الابقاء على مجلة « العرفان » حية تؤدي رسالتها التي وضعها مؤسسها الشيخ احمد عارف الزين . ومن المفارقات العجيبة التي لا نجد لها تفسيرا مهما اوتينا من ذكاء وعلم ، ان اخر عدد صدر من « العرفان » ولم يوزع كان عن الشيخ احمد عارف الزين ، وما قيل فيه بعد وفاته ، كان نزار يشعر في اعماقه انه سيغادر هذه

الدنيا الغدارة فاحب ان يودعها بالقاء التحية على والده مؤسسها . وكم كانت تحية خيرة وجميلة ورائعة .

نزار الزين لم يتزوج خوفا من ان تغار الزوجة من ضرتها المجلة . فكان يشرف على اعداد المواد بنفسه . ويصححها ويحمل الاعداد بيده الى المشتركين ، وقليل منهم كان يدفع دريهمات الاشتراك . وكثير منهم كان يتلقاها مجانا لعلمه ان نزار لا يملك ان يطالب احدا باشتراك .. وجاءت الاحداث لتدمر المكتب في المزارعة . والبيت في الشياح ، والتهمت النيران محتوياتهما من كتب ومجموعات واثاث وكليشات وارشيف .. كل الذي بقي من العرفان صاحبها نزار فقط . فلم يتراجع ولم يستسلم . وظل يصدرها . يحمل اعدادها في حقيبته الجلدية ويوصلها الى المشتركين . ويكتب العناوين بيده ويضع طابع البريد في هذه اليد التي انهكتها المأساة . واذا بهذا القدر يشفق على الجسد المنهك فيستل الروح منه دون ان يشعره بأنه قد فارق الدنيـــا ..

هكذا مات نزار خفيفا دون ان يثقل على احد ، كما عاش خفيفا يتلقى ضربات القدر بقلب مؤمن وزهد موصوف .

مات نزار الزيـــن .
هكذا نعاه لي ابن اخيه قبيل افطار يوم الثلاثاء الماضي .
ولا حول ولا قوة الا بالله ...

يا اصدقاء نزار في الساحة العربية العريضة ، يعز علي ان انعي اليكم واحدا من اصدق واشرف من عرفت ... ربما لـم تعرفوه الى الان كثيرا ، ربما لن يكون حديث الناس كنجوم الصحافة الادبية ، ولكني متأكد انه سيخلد في تاريخ ادبنا خلود لغتنا وحياتنا ...

وعزاء لك يا حركتنا الادبية الكثيرة العدد القليلة النوع .

زهير مارديني



أعظم حكايات الجنوب ★

للاستاذ باسم السبع

كلمتي في هذه المناسبة ، كلمة الصحافة التي اعطاها نزار ربيع العمر ، وكلمة الصديق الذي نشأ على اسم العرفان وتغذى من حروفها وتأثر في نهجها ، وكلمة المواطن الذي يقف عند باب الجنوب ليتلمس محنة الوطن .

نزار الزين ، أيها الطيب حتى البراءة ، المتواضع حتى الاختفاء ، النظيف في عصر الارتزاق ، الواضح كما العرفان مسلكا وارادة وثباتا على النهج .

لئن نحيي ذكراك اليوم ، فانما نحيي ذكرى قطعة من تراث ، خفق طوال قرن مضى من هذه المدينة بالكلمة الحرة المجاهدة ، بالصحافة تطبع الحرف وتضعه في خدمة المقهورين ، الذين حاصرهم الجهل عن سابق اصرار وتعمد ، فكانت منارتهم الى العلم وسبيلهم الى الرفض والانعتاق من الذل .

نزار الزين ، ايها الاسم الذي التصق باعظم حكايات الجنوب ، بالشيخ المجاهد ، بعرفانه ، فحفظ الارث ودافع عنه حتى اليوم الاخير من حياته ، ودفع من عمره وماله وايامه ، ثمنا باهظا لتبقى العرفان ارثا يتواصل تراثا ، ومؤسسة لن تتمكن نكبات الدهر من انهائها .

خسارتنا فيك اننا نفقد هذا الحارس الامين ، الذي وقف لاكثر من ربع قرن ، يحمي العرفان ، بعينيه وعقله وقلبه وقلمه ، يتابع بمفرده ، وحيد الارادة ثابت العزيمة ، ما تعجز المؤسسات الكبرى عن فعله .

فتحية لك يا نزار ، تحية لك أيها الجندي المجهول ، يقضي مذ لما على ما حل بالعرفان ، من تبدد لتاريخها ومجموعاتها ، ولذلك فان حزننا في هذه المناسبة هو حزن مزدوج ، حزن عليك يا أعز الزملاء ، وحزن على من أسباب « العرفان » .

★ كلمة الاستاذ باسم السبع المدير المسؤول لجريدة السفير وعضو مجلس نقابة الصحافة اللبنانية التي القاها في الحفل التأبيني باسم النقابة .

وبعد ، أيها الحفل الكريم .

ان حزن المناسبات يفتح فينا دائما احزان الوطن ، نستذكر ما حل بهذا الشعب من ويلات ومصائب اودت بحياة عشرات الالوف من ابنائه وقضت على سنوات طويلة من الطموح والتطور .

فماذا نقول مثلا ، ونحن عند باب الجنوب ، ونحن على حدود بقايا أرض تدافع عن شرف الوطن وعن كرامة الامة . ونشاركها من حين الى اخر شرف القول والخطب ، ومساعدات نجمعها من هنا وهناك ، وكأن الدولة وما فيها ، وكأن الاحزاب وما فيها ، وكأن القيادات وما لديها تحولت الى جمعيات خيرية واندية اجتماعية ، ان لم نقل الى متسول اعرج يطرح نفسه فوق رصيف الانظمة ، يستجدي المال والغذاء باسم الذين يهبون الدم ويقدمون الروح .

ان الجنوب في ايام القهر التي تواجهه ، وبعد عمليات القضم التي يتعرض لها ، لا يحتاج الى اموال المحسنين تقذف اليه لاعادة بناء منزل تهدم ، أو زرع حقل احترق .

الجنوب يحتاج الى احسان من نوع اخر ، يحتاج الى « احسان » سياسي اذا صح التعبير ، يحتاج الى قرار وطني وقومي بالانقاذ من الضياع ومن الاجتياح اليومي النفسي والعسكري لمنازل اهله .

فمند الجنوب ايها الاخوة ، يتوقف المصير الوطني الحقيقي ، ومنه تتحدد صورة الوطن — المستقبل ، فاما ان ننجح في انقاذ الجنوب ونختزل الطريق الى وطن عربي ديموقراطي . واما ان نفشل وتكون الغلبة لوطن اسرائيلي جديد يهدد حضارة الامة ومستقبلها وضرورة بقائها .

ان اسرائيل تتقدم الى كل منزل من منازلنا ، وان منطق السادات يخترق كل حواجز النضال والتقدم التي تقام هنا وهناك . ان عصر الخيانة يستشري بشكل مخيف مهددا مصير هذا الوطن بالدرجة الاولى ، ومهددا الجنوب بشكل خاص باعتباره الممر الى الخلاص او السقوط .

لا اريد ايها السادة ان أثقل على المناسبة بهموم استراتيجية او سياسية ، لكن الامر على ما يبدو بات يتطلب حجما كبيرا من الصراحة .

فالايام التي نمر بها الان - هي الاسوأ وهي الاردأ على الاطلاق . انها ايام الاختراق النفسي لبديهيات العمل الوطني والقومي . ان اسرائيل تتحول تدريجيا الى هم ثانوي من همومنا ، بعد ان كانت الهم الرئيسي طوال سنوات النهوض القومي والوطني الماضية . ان اسرائيل تتحول الى كلمة مألوفة لدى العقول والاذان ، تتطور من عدو مخيف الى عدو أليف . يتعايش معنا وقد بردت فينا النزعة التي تحمينا منه .

اننا نخشى على انفسنا مما يدور حولنا . انها المرحلة التي نفقد فيها التضحية ، انها مرحلة الكفر، مرحلة الكفر بكل القيم والمبادىء والشعارات. لا

نهوض فيها ولا انبعاث . انه عصر التمويت والتفتيت واستباحة دم البشر . انهم يقتلون فينا نخوة الدفاع عن القضية ، يستهلكون كل ما لدينا من اعصاب ، ويشحنوننا بكل ما لديهم من توتر .

هذه هي حقائق الموقف الذي نواجه ، الناس هنا تئن تحت ضغط الحلفاء ، واخطاء رفاق الخندق الواحد . الناس هنا تمل ، تضجر ، تيأس ، وتحزن لكل ما يجري امام العيون ولا تجد له تبريرا ، غير الرغبة في القتل والدمار واستسهال جعل الخلافات الثانوية قضايا مصيرية .

لقد ارهقتنا لجان الامن والتنسيق وتدبير شؤون البيت الواحد . اننا نريد ان نخرج من حروب الازقة والاحياء والزواريب ، نريد ان نستعيد القضايا الاساسية ، نريد ان تطمئن الى حقنا في العيش ، الى حقنا في تسوية مسيرة النضال الوطني والقومي . نريد ان نعطي الحليف خندقه وسلاحه ، رغبة منا وليس رهبة منه . نريد ان يستقيم السلاح الى حيث يجب ان يصوب ، وان تستقيم العلاقات السياسية بما يوقف التسيب على مختلف المستويات .

اننا نطالب الحلفاء هذه المرة . نطالب هذا التحالف العريض من القيادات والهيئات والاحزاب والحركات . نطالب بقدسية معينة للعمل الوطني لا تخترقها الشواذات . نطالب لعلم فلسطين بان يبقى منزها عن التدنيس بتصرفات لا عقلانية ، نطالب بالقرار الوطني المستقل الذي يعطي لهذا الشعب الحق بها مش سياسي يتحرك من ضمنه ، نطالب بنزع فتيل التقاتل ، ووقف هذا التمدد المخيف من التعصب باسم الدين ، نطالب ان تفسح امامنا فرصة استعادة زمام الامور واسترجاع قضايا نفتقدها . نطالب بان نتخلص من سرقة الاراضي ومصادرة البيوت الى ما هو اهم واكبر وانظف . نطالب بفرصة جديدة تعطى لهذا الشعب كي يثبت انه الاجدر على الصمود والاقدر على مواجهة العدو .

ايها الحفل الكريم ،

عذرا ان خرجت عن السبيل ، لكنها كلمة اردتها من وحي كلام الناس . اما صاحب المناسبة فمسك على اللسان يستذكر صاحبها بالطيب والخلق والمكرمات .

باسم نقابة الصحافة اللبنانية ارفع التحية لنزار الزين في يومك ، ولا اعزي ، فانا فيمن يتقبلون العزاء . وعزاؤنا جميعا هذا التراث المعظم الذي اسسه شيخ العرفان وحافظ عليه الفقيد العزيز .

باسم السبع

اخـــي نـــزار

هل تتسـع الدموع السخية لرثائك في أسطر قليلة أم تحتاج الى مجلد كبير تسجل فيه كل شـاردة وواردة من حياتك المليئة بالتضحية والشجاعة وانكار الذات .

لقد اختطفتك يد المنون — وهذه مشيئة الله تعالى — وانت في عز عطائك ومكافحتك لقوى الشر التي تألبت على هذا الوطن العزيز طيلة سبع سنوات . فلم يقدر قلبك ان يتسع لكافة انواع الاسلحة المدمرة التي تصيب ابناء وطنك صباح مساء ، فهـو يتمزق لهذا الجو العابـق برائحة البارود والسموم الحارقة للاطفال والنساء والشباب والشيوخ . ولم يقدر دماغك على مقاومة الافكار الخبيثة التي سيطرت على مجمل الاحداث من تجـارة الطائفية الى تجارة الادمغة ومآسيها ، فانفجر بالرغم مما كنت عليه — في الايام التي سبقت هذا الانفجار الرهيب — من سعادة وراحة ضمير لانك اصدرت عددا خاصا عن المرحوم الوالد المؤسس . ولم تتصور انك على موعد مع القدر عند استلامك هذا العدد الخاص ، لانك اعلنت عن جائزة مالية لمن يكتب عن مؤسس العرفان دراسة شاملة ، وكنت تخطط للاحتفال باليوبيل الماسي للمجلة في سنة ١٩٨٤ ، وبدأت توزع الطاقات المختلفـة لانجاح هذا الاحتفال .

ليست بضع كلمات قادرة على ان توفيك حقك — يا أخي — فقـد كرست حياتك للعرفان ، ورفضت ان تتزوج الا العرفان ، وتحملت الاعتداء عليك ونهب بيتك ومكتبك وأعز ما كرست حياتك لاجله مجموعات قيمـة من العرفان والمجلات القديمة والمخطوطات النادرة ، ووقفت لتكافح وتجالد دون ان تثنيك هذه المصائب عن الاستمرار في اصدار العرفان في احلـك الايام واردأ الظروف .

نحن أهلك وأسرتك نؤمن بالله سبحانه وتعالى وانا لله وانا اليـه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، نعاهدك على السير بالعرفان قدما الى الامام ، والمحافظة على هذا التراث الذي أسسه احمد عارف الزين .

شقيقك زيد الزين

العرفان
تأسست سنة ١٣٢٧ هـ
مجلة ثقافية سياسية شهرية
عدد ٢ م ٧٠   ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ـ شباط ١٩٨٢ م

دعـوة ...

اول ما يتبادر الى ذهن من يسمع بأن العدد الثاني من المجلد السبعين يصدر ، هو السؤال عن تاريخ هذه المجلة ، عن نهجها طيلة السنوات السبعين الماضية . ويتصور القارىء الذي لا يتتبع تطور المجلة ، انه بعد ثلاثة أرباع القرن من النضال والكفاح في ميدان الصحافة لا بد ان تمتلك هذه المجلة جهازا ضخما ، او ان تكون مؤسسة كبيرة تستطيع ان تصدر في حلة زاهية ، ومحتوى زاخر ، وان تكون سباقة في ميدانها . ولكننا نقول وبكل تواضع اننا ننطلق من نقطة البداية . والتفسير بسيط لكل من عاصر العرفان وعرفها . فالمجلة كانت تقوم على جهود فردية ، وكانت دائما تسعى الى غد أفضل ، والى نهضة شاملة على صعيد الوطن والامة . فلم يكن الهدف من اصدار العرفان ماديا ولن يكون . وان انتقلت العرفان الينا واصبحت امانة لدينا من حيث العرف والتقليد، نقول ونشدد انها ليست لنا.

« العرفان » لكل انسان مؤمن ، صادق ، مخلص لوطنه ولامته . وهي امانة لدى كل من يريد الخير لشعبه ولقومه وللانسان بوجه عام . وهنا يكمن دور « العرفان » واهميتها ، وذلك في قدرتها على حمل الفكر الصافي في صيغة جديدة : تطرح حلولا المشاكل المعاصرة ، الفكر الاصيل المرتبط بالتراث التاريخي والثقافي . فبالفكر يرتقي الانسان ، وبتحديد الفكر وتوحيد الاهداف تنهض الامة ، واستقلال الشعب يتعلق الى حد كبير بمدى ارتباطه بتراثه .

من هنا دعوة للمفكرين ان يتحرروا من قيودهم المعيشية الروتينية ، ليصنعوا نهضة . ودعوة للقراء للتعاون وطرح الاقتراحات والتصورات والانتقادات الموضوعية البناءة .

فؤاد الزين

العرفان

العدد ٢ مجلد ٧٠

ربيع الثاني ١٤٠٢هـ ـ شباط ١٩٨٢م

ثقافية سياسية مستقلة

تصدر مرة في الشهر

سنتها عشرة اشهر

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	راي حر	
٤	انذار جنوبي	د. محمد المجذوب
	ادب	
٦	تلك المعاني المهجورة	عبد اللطيف شرارة
	جبل عامل	
٩	الشاعر القرشي العاملي	حسن الامين
١٤	جبل عامل في العهد الشهابي	العميد الركن د. ياسين سويد
٢٢	ابن الجنوب	جعفر شرف الدين
	دراسات اسلامية	
٢٧	الصراع السياسي وتطور السلطة في مكة قبل الاسلام	د. ابراهيم بيضون
٣٣	قصة النبي عيسى	زهير ماريدني
٤٤	من وحي البداية التي تجاوزت كسرى وقيصر	د. وجيه كوثراني
٤٩	راي الاسلام في نظام الفائدة	د. محمد عبد المنعم خفاجي
٥٤	حرية المعتقد في الاسلام	حسن الزين
	شخصيات	
٦٠	الناقد الانكليزي وليم هازلت	عيسى فتوح
	طب	
٦٣	قصة امراض القلب	د. محمد ياسين

الاشتراك السنوي :
في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل.
في جميع الاقطار
بالبريد الجوي ٤٠ دولارا
اشتراك المؤسسات والدوائر
الرسمية ٢٠٠ ل. ل.
الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

وكيل التوزيع العام :
الشركة العربية للتوزيع ش. م. ل.
تلفون : ٢٤٧٩٠٠
ص. ب : ٤٢٢٨
تلكس : ارابكو ٢٣٠٣٢
بيروت ـ لبنان

مؤسسها في صيدا سنة ١٩٠٩
احمد عارف الزين

جميع المراسلات باسم المدير :
فؤاد زيد الزين
ص. ب : ٢٧٥٠ بيروت ـ لبنان
هاتف ٢٥٦٥٥٠

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	شعر	
٦٥	فادي النبي	الشيخ محمد حسين الزين
٦٦	ضجة عظام	د. علي شلق
٦٧	صباح الارز	ابراهيم بري
٦٨	الليل	عدنان مردم بك
٦٩	البيت الكئيب	فتى الدواوير
٧٠	ام عادل	روكس بن زائد العزيزي
	شعر شعبي	
٧١	يا جنوب	خليل شحرور
	ابواب العرفان	
٧٢	خواطر	نصرت توفيق خريش
٧٣	مع الخالدين ـ بانتنغ	سمير شيخاني
٧٧	تربية وعلم نفس : ماذا عن علاقتنا بالطفل	د. مني فياض
٨٦	مراسلة ومناظرة	شرارة وياسين
٨٨	كتب : قاموس العادات الاردنية	جعفر الخليلي
٩٣	مع الاحداث	
٩٧	ملحق خاص	

ثمن العدد : لبنان ٥ ل.ل. / سورية ٦ ل. س. / الاردن ٥٠٠ فلس / الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات / البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية ٥ ريالات / عدن ٧٠٠ فلس ابو ظبي ٥ دراهم / دبي ٥ دراهم / مسقط ٦٠٠ بيسة / اليمن ٦ ريالات / العراق ٧٠٠ فلس / تونس ٧٠٠ ملم / المغرب ٨ دراهم / الجزائر ٦ دنانير /

رأي حر

انذار جنوبي

بقلم : د. محمد المجذوب

عندما تنهار الدولة وتتبخر هيبتها وتتلاشى سلطتها ... وعندما يصاحب ذلك غياب في القيادة الواعية على جميع المستويات ... وعندما يتفاقم هذا الوضع ويتأزم سنة بعد سنة ولمدة سبع سنوات عجاف متلاحقة ... وعندما يتكاثر عدد « المتزعمين » المتسلطين ، الآمرين الناهين، في كل قرية وحي وشارع وزاروب ... وعندما ينجح الغباء في تضليل اصحاب القضية الواحدة والمصير المشترك وبث الاحقاد والضغائن في نفوسهم وتحريض فئة على فئة لاتفه الاسباب ... وعندما تحتدم المعارك الطاحنة بين الاشقاء ، ليل نهار ، وفي كل شبر من الارض ، ودون مبرر معقول او مقبول ... وعندما تحصد هذه المعارك « الاخوية » من الارواح البريئة ما لم تسجله حتى الآن غارات العدو الشرسة ... وعندما تنطلق ، في كل يوم ، الاسلحة الخفيفة والميدانية دون هدف معين أو غرض واضح ، فتقتل وتخرب وتدمر ... وعندما يدعي الجميع بانهم حماة الحمى وبأن طريقهم هي وحدها التي تقود الى النصر المؤزر ... وعندما تفقد القيم معناها والكلمات فحواها ، فتختلط الوطنية بالخيانة ، والشجاعة بالتهور ، والطيبة بالشراسة ، والتخطيط بالارتجال ، والمصلحة القومية بالمصلحة الفردية ...

عندما يحدث ذلك يضطر المواطن الى البحث عن حلول لوضعه المتردي خارج اصول المنطق وقواعد السلوك الاجتماعي وتعاليم المدرسة والكتب ومواعظ عباقرة « التنظير » .

وتلك هي حال الجنوب والمواطن في الجنوب بعد ان اجتاحت ارضه جحافل الاعداء والاحباب ، ودمرت مأواه واهلكت ماشيته واحرقت زرعه قنابل القريب والبعيد ، وبعد أن عرف التشريد والتهجير ، واصابه القلق والضياع ، وزاغت عيناه وضاق صدره لكثرة الجنرالات والقوات والشارات والتيارات المختلفة ، المتدفقة عليه ، والمتحركة حوله .

لقد اعتقد الجنوبي ، في اول الامر ، بأن دولته ستنهض بعد أن تلقت درسا . ولكنه سرعان ما اكتشف ان الدرس كان سهما مسموما اصابها في الفؤاد .

ويمم وجهه شطر الاشقاء العرب ايمانا منه بان اغاثة الشقيق الملهوف هي من الشيم العربية الخالدة . ورفع اليهم شكواه بعد ان وصف بلواه ،

وسائلهم المعونة للتغلب على محنته الملعونة ، ونبههم الى ان ما حل بـه قابل للتمدد والانتشار وبلوغ اعتابهم الكريمة . ولكنه سرعان ما اكتشف ان الجماهير التي كانت هادرة في عهد عبد الناصر قد اصبحت اليوم ، بفضل الانظمة الحاكمة ، هادئة ساكنة لا تبحث الا عن لقمة العيش . واذا قدر لبعضها ان يتحرك ليعبر عن نقمته ، تكفلت الانظمة ، التي وصل معظمها الى سدة الحكم والتسلط في غفلة من الزمن الرديء ، بقمعه سريعا او بتدجينه تدريجيا وغسل دماغه يوميا حتى يثوب الى رشده ويصبح قادرا على التسبيح بحمدها . واكتشف كذلك ان هذه الانظمة مستعدة « للتبرع » بأي مبلغ في سبيل الابقاء على الوضع المتأزم في لبنان ، لان هذا البلد « الشقيق » الذي تحبه لم يكتف بفضيلة السياحة والترانزيت ، بل طمح الى ان يكون منبرا الكلمة الحرة التي تقاوم الاستبداد وتدك العروش ، والانظمة التي « ناضلت » من اجل الوصول الى الحكم لا تحب سماع الكلمات « الجوفاء » .

وقيل للجنوبي بأن هناك منظمة عالمية قامت لحماية الحقوق وتعزيز العدالة ونشر الوية الحرية في العالم ، فالتجأ اليها وطلب مساعدتها فارسلت اليه قوات دولية تمركزت في بعض القرى واكتفت بتسجيل ما يجري من مآس فوق ارضه . وما درى الجنوبي المسكين ان منظمة الامم المتحدة ، بفعل الصراع بين الكبار وبسبب سيادة مبدأ القوة في العلاقات الدولية ، ستبقى عاجزة كل العجز عن حل المشكلات والازمات الكبرى .

لقد طلب من الجنوبي ان يصبر ويصمد ويقاوم ففعل ، وان يتحمل التضحيات الجسام فلم يتوان . غير ان صبره كاد ان ينفد . وقد وجد نفسه منذ فترة امام خيار مر : اما هجرة الارض ، واما الصبر والبقاء . وفضل البقاء وتحمل الصعاب . وهو اليوم يجد نفسه ، مرة أخرى ، امام خيار اصعب : اما السكوت عما يجري حوله وفي ارضه من اعمال لا تمت بصلة الى الفداء والنضال والبطولة والتحرير ، مع ما يترتب على ذلك من خطر على حياته واسرته وممتلكاته ؛ واما التمرد على هذا الوضع واللجوء الى الحلول الجذرية ، مع ما يترتب على ذلك من نتائج قد تكون وخيمة عليه وعلى الغير .

والتمرد هنا يعني الانفجار . وهذا النوع من الانفجار لا يخضع لقاعدة او منطق . والمطلوب من كل مسؤول ، سواء اكان مسؤولا عن نفسه أم عن غيره ، ان يعي هذه الحقيقة .

ان الجنوبي الذي ضرب المثل بصموده وتضحياته مستعد لمتابعة المسيرة الشاقة اذا كانت المسيرة جزءا من مخطط استراتيجي واضح محدد . ولكنه يرفض الاستمرار في التضحيات التي قد تكلفه وجوده وخسارة ارضه اذا كان الغرض من كل ما يحدث حوله استدرار الاموال العربية والاغراق في المعارك الجانبية وتدريب الابناء على كيفية التقاتل والتذابح بسلاح عربي وسواعد عربية .

محمد المجذوب

تلك المعاني المهجورة

بقلم : عبد اللطيف شرارة

ـ ٢ ـ

كثيرة هي الكلمات التي تتردد على الالسنة مـــن غير ان تكون دلالتها واضحة ، وذلك هو السبب الاساسي العميــق الكامــن وراء الاضطراب او القلق الذي يعاني منه المعاصرون ، ويتحدث عنه الادباء والمفكرون ، على نحو لم يسبق له مثيل في حقبة غابرة ، او مرحلة من مراحل التاريخ المعروفة .

ولا دواء للقلق ، مهما تفلسف المحدثون ، وكثر القول عنه والقائلون ، الا بالعودة الى معنى آخر مهجور ، هو « الحزم » . فما هــو الحزم ؟ وكيف يكون ؟ ومتى يتحقق داخل الذات وخارجها ؟

ــ الحزم على التحقيق ، يكون اول مـــا يكون في التفكير قبل ان ينتقل الى العمل ، ثم في تصور صحيح للغاية من العمل . ومعنى ذلك ، ان تحـزم امرك كله ، وجهدك كله ، على تبين الحقيقة في كـــل قول وعمل ، وان تتدبر العواقب ، وتحتفظ بهدوئك غير متأثر بهوى ، او نزعـــــة ، او انحياز الـى جانب يحجبك عن رؤية الواقع في موضوعيته الماثلة لعيان الآخرين ، بمقدار ما هي ماثلة لعيانك ، حتى اذا بلغت في تعقباتك وتبيناتك الفكرة التي لا تسيء اليك ، ولا تمس بحقوق الآخرين ، مضيت في تنفيذها ، وعزمت على الوصول بها الى منتهاها .

ذلك هو الحزم في التفكير ، ومحوره الاساسي شرف القصد ، وسلامة النية ، والجد في طلب الحقيقة . اما الحزم في العمل ، فانه يتسـم ، اكثـر ما يتسم ، بالصمت ، وتـجنب الملهيات ، وعدم الضيق بالعراقيل والعقبات ، وتقبل الانتقادات بتفهم ورحابة صدر ، والانصراف المطلق الى الافادة مــن الاخطاء ، وتسجيل هذه الاخطاء في بعض المواقف والحالات .

والمهم ، كل المهم في الحزم جملة وتفصيلا ، ان يكـــون للمـــرء ، او للمراة ، هدف واضح ونبيل معا ، في الفكر والعمل على السواء ، لان غموض الهدف كانحرافه عن الخير ، يبلبل الذهن ، ويضعف قوى الروح ، فـــلا تسير نحوه بثبات ، ولا تنشط بعد لتحمل المصاعب والتغلب على المكاره .

ذلك بأن الحزم وحده ، اي هذه القوة في الارادة ، او اعتبار القوة غاية في حد ذاتها ، لا يدفع شرا ، ولا يعود بخير ، بل ان ضرر القوة حين تكـــون

عمياء ، لا يسيرها عقل نير ، ولا تتجه نحو غاية شريفة، اشد ما عرف التاريخ البشري من اضرار على مدى العصور ، وفي جميع البلدان ، وعلى مختلف المستويات الفردية والعامة .

وهنا ، اي عند اعتبار القوة غاية ، يختلط معنى الحزم على مدعيه ، ويتسرب التشوش الى مجمل تفكيره ، وصفاء عقله وادراكه ، فان « العناد» شيء ، والحزم شيء آخر . العناد ضعف ، والحزم قوة . العناد ظلام في النفس ، والحزم نور في العقل .

هكذا ، وعلى هذا النحو يتضح لنا معنى الحزم الحقيقي الصحيح الذي يؤدي ، على الدوام ، الى نتيجة خيرة ، صحيحة .

اما ذلك النوع من الارادة الذي يتفجر في اعمال شريرة ، ويندفع به صاحبه مع هوى ارعن او نفع خاص يعود في النهاية بالضرر عليه ، وعلى المجموع ، فما هو في شيء من الحزم ! انه ضرب من السلوك الذي تنطبق عليه صفة « الرعونة » ، او الانسياق مع انفعال آني ، احمق !

هذا ، في اول منزلة . وللحازم في المنازل التي تلي ، صفات يتميز بها عن غيره من البشر ، هي التي تعطي الحزم الحقيقي معناه ، وتوضح لنا ما غمض من اسراره .

واول ما يتصف به الحازم هدوء الطبع ، فانه لا ينفعل بيسر وسهولة، ولا يضطرب حيال الاخطار المفاجئة ، ويأبى ان يتلقى الاخبار والافكار والآراء والاعلانات بالتصديق او التكذيب ، وانما يسلط عليها اضواء الفكر، ويتحرى مصادرها ، ويدرس مواضع الشك في صحتها ، وتقاط الصواب في كل منها.

والصفة الثانية التي تلازم الحازم ، انما هي التفاؤل ... الحازم في كل ظرف ، متفائل . ومرد تفاؤله انه يعرف قيمة الحقيقة ، وقيمة العمل بمقتضى الحقائق . ومعرفته هذه تجعله على ثقة لا تتزعزع من تغلب النور على الظلام ، والحق على الباطل ، والحقيقة على الخداع والكذب والغرور . فهو بسبب من ذلك ، يستل دواعي الغبطة من عوامل الشؤم ، وينفذ الى مكامن الامل الوضيء في ركام الاحداث الاليمة .

والحازم اخيرا يلتزم بالشجاعة الى جانب هدوئه وتفاؤله ، فلا تقعده المخاوف عن السير نحو هدفه الرفيع الشريف ، ولا يتوانى عن بذل الجهد في الاحتياط للمستقبل ، وصون الكرامة . وهذه الصفات تتعاون فيما بينها على تركيز فكره ، وراحة باله .

ذلك هو الحزم في معناه الصحيح . وهو هو المعنى الذي يتداوى به القلق . واذا كان هذا العصر قد هجره ، فذلك لانسياقه مع انفعالات لم يفكر فيها ، وتعلقه بعلوم لم يحسن استعمالها ، وانصرافه الى حيازة المتع، واسباب الرفاهية ، وتلبية الشهوات ، فوقع في هوة القلق .

والحزم بهذا المعنى ، وهذه القدرة ، فلسفة توشك ان تكون شاملة ، وهي الفلسفة التي مثلها معظم اللبنانيين المحدثين ، فيما عانوا وكابدوا في ظل الاوضاع الاليمة ، القاسية التي نجمت عن امراض العصر وظلاماته . ولنا في جهود المهجريين منذ قرن كامل حتى اليوم ، وما لقوا من عذاب ، وتحملوا من اوصاب ، مثل رائع على الحزم ، والنتائج التي يفضي اليهما الحزم ، رغم كل بلاء ...

عبد اللطيف شرارة

تصويب

وردت في العدد الماضي بعض الاخطاء بالرغم من جميع الجهود التي بذلت لتلافيها ، فنرجو المعذرة ، وهي :

على الغلاف الخارجي وردت كلمة « شعر » وتحتها اسماء كتاب مواضيع لا علاقة لها بالشعر . وفي الداخل :

الصفحة	الخطأ	الصواب
١	التراث القريد	التراث الفريد
٢	د. رشاد ارغوث	د. رشاد دارغوث
٢	نصرت توفيق حرفوش	نصرت توفيق خريش
١٩	لم يوضع ــ ١ ــ في القسم الاول	ــ ١ ــ في القسم الاول من البحث
٢٠ الى ٢٥	وضعت الارقام في الحواشي بشكل غير متسلسل	وضع الارقام بشكل متسلسل
٨١	الصفحة ٨١	صفحة ٨٢
٨٢	صفحة ٨٢	صفحة ٨١
٨٣	لم يذكر موضوع الباب بخط كبير في العنوان	جريدة جبل عامل
٩٩	٩٩١	٩٩

عدا بعض النقاط والاحرف التي لم تظهر جليا والتي لا تخفى على القارىء .

الشاعر القرشي العاملي

بقلم : حسن الامين

في طيات الزمن شعراء افذاذ لم تواتهم الحياة بما يضمن لهم الطمأنينة والاستقرار والعيش الكريم ، بل جابهتهم بالشدة والفقر والحاجة ، فنبت بهم الديار فعالجوا محنتهم بالاسفار ، وانطلقوا من صقع الى صقع ينشدون ما يحفظ ارماقهم ويكفل ارزاقهم ، ولكنهم ظلوا في كلا حاليهم غير ناجحين ولا مطمئنين ، وعاشوا مشتتي البال ، وماتوا مخيبي الآمال .

وكانت جناية الزمن لا على حياتهم وحدها ، بل على مواهبهم ، فتمزق شعرهم وغاب اثرهم ولولا بقايا حفظتها لنا بعض المجاميع فاوصلت شيئا من اخبارهم ونتفا من آثارهم ، فبلغتنا مبعثرة ، دالة على محنتهم ومشيرة الى سيرتهم . فكان من حقهم علينا ان نحفظهم في بعض ما لهم من حق ، وان ننفض الغبار عنهم لعل في ذلك بعض التكفير عن جناية الزمن عليهم .

ومن هؤلاء شاعر توزعت هويته بين العراق ولبنان ، فهو اذا كان عراقي المنبت فقد كان لبناني المستقر ، تغنى بلبنان عاصمة وجبلا ، وانتمى الى زعمائه مدحا ومصاحبة ، ثم كانت له وقفات شعرية في سوريا وايران وغيرهما .

ذلك هو الشيخ عباس القرشي الشاعر العراقي العاملي ، المولود في النجف والمقيم في جبل عامل والمدفون في حلب . ولم نعرف تاريخ مولده ، بل عرفنا تاريخ وفاته وهو سنة ١٢٩٧ هجرية . وقد وصف في موسوعة « اعيان الشيعة » بانه كان لغويا شاعرا بليغا خطاطا، فنشا مترسلا حافظا .

ولد في النجف بالعراق وفيها بدأ دراسته الاولى ، ثم راى طغيان الفقر عليه فقرر الهجرة الى جبل عامل . واذا كانت محاولته الاولى في هجرته نشدان المال ، فقد غابت هذه المحاولة بعد وصوله الى الجبل واستقراره في بلدة « جبع » وحلت محلها محاولة نشدان العلم . فقد كانت جباع في ذلك الوقت عامرة بدراسات اللغة العربية والعلوم الاسلامية في المعهد الكبير الذي كان يشرف عليه الشيخ عبد الله نعمة . فانتمى الى هذا المعهد وعكف على الدراسة فيه متخصصا باللغة العربية وآدابها حتى تفوق في ذلك . وفي خلال اقامته في جبل عامل طرأ عليه ما جعله يرتحل الى طهران لفترة محدودة لقي فيها سفير الدولة العثمانية منيف باشا ، ويبدو أن هذا كان يجيد اللغة العربية ويتذوق آدابها فانس بالشاعر وسر بمدائحه .

اما اثر طهران في شعره فقد كان ذا وجهين ، فهو نفور مــن حكامها الذين يتلهون بلهوهم وصيدهم عن مصالح الشعب ، ويهملون هــذه المصالح وينغمسون في مشاغلهم الخاصة البعيدة عن المشاغل العامة ، فقال في ذلك هذه الابيات وكأنه كان يتنبأ بالثورة الايرانية الاخيرة الجارفة التي بدت له طلائعها منذ اكثر من مائة سنة :

عجبت لطهران مـاذا بها لمعتبر عاقل مـن عبر
اذا جئتها فاصطبر للاذى وهيهات مالك مـن مصطبر
لقـد تركتها ولاة الامور سدى وكذلك اهل الخبر
أصيبت بصائرهم بالعمى فضلوا وابصارهم بالعـور
فايـن المفـر الا يعلمون بيوم يقال بـه لا مفر

والوجه الآخر لاقامته في طهران يتجلى في مصاحبته للسفير منيف باشا فهو يقول :

عليك بطهران لا تستبدلن بهـا تنل بطهران اوطارا واعمالا
اضحى «منيف» بها للنازحين عن الاو طان مأوى وللعافين امـوالا

على ان له في طهران ابياتا تدل على حادثة لا تعرف تفاصيلها ، ولكن نعلم من الابيات انها كانت مطاردة لبعـض العصاة المشاغبين والتغلب عليهم وان كنا لا نعلم من المخاطب بها :

اضحت بك الناس في طهران كلهم في ظل دوحة عـدل ذات افنان
اقمت فيها حدود الله فاحتبست خطى العصاة بها عن كل عصيان
ارسلت في الـبر غاويهـا جلاوزة مثل النجوم هوت في اثر شيطان
فنام من كان قبل اليوم ذا سهر وبت ترقبـه في طرف يقظان

واقامته في جبل عامل جعلته مواطنا من مواطنيه الشغوفين به ، فهـو يحن اليه في طهران حنين النازحين عن اوطانهم ، فهو يكتب الـى الشيـخ يحيى الحر من طهران الى بلدة « جبع » :

يا ساكني « جبع » اروم لقاءكم ومنال اقصى النجم دون مرامي
كيف اللقاء وكيف تدنـو دار من « بالـري » ممن داره بالشام
يا لهف نفسي لـو علمت لكان في « جبع » الى حين الممات مقامي
شوقي اليكم ما حييت فان امت تشتق الى ذاك التراب عظامي

وهنا تختلط علينا اخبار سيرته فان في شعره ما يدل على حياة لبنانية

طويلة ، فهل كانت هذه الحياة كلها قبل سفره الى طهران ، ام انــه عــاد فاستانف الحياة من جديد في لبنان . فمما وصلنا من اخباره انه ذهب الـى مصر ، وقد نص في موسوعة « اعيان الشيعة » عـلى انـه اجتمـع بادبائهـا وشعرائها ووقعت بينه وبينهم مطارحات ومناظرات .

ولكننا لا نعلم من هم هؤلاء الادبـاء والشعراء الذين لقيهم ، ولا شيئـا من نصوص تلك المطارحات والمناظرات .

اما حياته العاملية فهي حافلة بالنشاط الشعري والادبي فقـد اتصل برجال جبل عامل وانشدهم اشعاره فيهم فقال مثلا في علي بك الاسعد وقد خرج من عنده ولم يؤذنه خوفا من ان لا ياذن له ، فكتب اليه معتذرا :

زرت ابـن اسعد فانهلت انامله … علي بالجود مثل الوابل الغـدق
ثـم انصرفت بـلا اذن ولا عجب … اني خشيتعلى نفسي منالغرق

ولما مات علي بك هذا رثاه بالشعر .

وهو يقول في السيد محمد الامين :

نعمنا برؤيا ابـن النبي بليلـة … لها القدر بالرؤيا عـلى ليلة القـدر
فوالله ما ادري اوجه ابـن فاطم … تبدى لنـا بالليل ام غـرة البـدر

ويقول في محمد بك الجواد المنكري :

وريح عاصف تزجـي السحابـا … تذكرنا العهاد عـلى العهـاد
فمـا زالت تسح السحب حتى … ظنناها نـوال ابـي الجـواد

وهو يرثي الشيخ عبد الله خاتون حين توفي بالنجف وجاء خبر وفاته الى جبل عامل :

بوركته من ساكن ارض « الغري » ويا
ارض الغري لقـد بوركت مـن سكن
جاورت خـير الورى بعـد النبي فيا
طوبى لمن كان جارا مـن ابـي حسن

واعجبته بيروت فقال فيها :

لي مهجة حبهـا عنـي ببيروت … تركتها بين خمـار وحانـوت

تركتها بين نـدمـان غطارفـة	غـزوا غلمـة بيـض مصاليت
كاللؤلؤ الرطب منشـورا تخالهم	اذا صحواء وسكاري كاليواقيت

كما شاقه الريف العاملي فقال في بلدة « جبع » التي قـد تلفظ ايضا « جبـاع » :

اذا رمت الجنان وانت حي	فلا تعدل قلوصك عن جباع

على انه ترك في كل محل حله اثرا شعريا ، ففي مسيرته انـه قصد استنبول عاصمة الدولة العثمانية ، والذين ذكروا ذهابه اليها لـم يذكروا السبب في ذلك ولكنهم ذكروا انه لقي فيهـا صديقه القديم السفير منيف باشا الذي كان قد انتقل اليها ، وان هذا سعى له فعين مصححا في جريدة الجوائب التي كان يصدرها اللبناني العريق احمد فارس الشدياق . وهكذا عاد شاعرنا لبناني المهنة بعدما كان قد اصبح لبناني الوطن .

ويبدو جليا ان اقامته في استنبول اذا كانت قـد هيأت لـه استقرار المورد المالي — ولو ضئيلا صعبا — ، فانها لـم تهيء لـه استقرار النفس وطمأنينة القلب . فقد بعدت به الدار بعدا سحيقا ، فلا هو في مسقط رأسه في العراق ، ولا في موطنه المختار جبل عامل ، بل هو على ارض نائية بعيدة لا تحفل بمنتديات الادب ومجالس الشعر ، بل هي غريبة اللغـة والبيئة . لذلك تراه يرسل دموعه بقصيدة نذكر منها :

ما ضر ذي غربة « بالروم » ليس له	الف ولا بدار ثوى فيهـا ولا سكن
يقضي النهار فان جن الدجى طرقت	همومه وتحامـى جفنـه الوسن
لا تعذلوني على ما قد منيت بـه	انـي بما قـدر الرحمان مـرتهن
ولي مـن البين وجـد لا خفاء بـه	بـاد وآخـر مثـل النـار مكتمن

ويبدو صريحا انه كان له من قبل من شبابه وصحته مـا يبعث بـه الآمال وينسيه وحشة الغربة ، ولكنه الان في سن متقدمة لم يحقق فيهـا شيئا من مطامحه ، بل زادته يأسا على يأس ، لذلك فهـو يكمل الابيات المتقدمة قائلا :

قـد كان غض شبابي في غضارته	تظلني والهوى افنانـه اللـدن
فأخلقت جدتي الايـام وانصرمت	تلك الحبال وولى ذلـك الزمـن
واصبح الشيب في راسي يلوح له	للنفس مني الـى ورد الردى سنن

وكما قلت فان تفاصيل حياته يكتنفها الغموض ، ونحن لا نعلم الا انه كان شديد الشوق الى العودة الى النجف نادما على الرحلة كلها منـذ فارق النجف الاشرف ، فهـو يقول :

اسفي فارقت اهلي ضلة		واراني هالكا من اسفي
ارني يا رب اهلي سالما		وامتني بينهم في النجف

ثم يصمم على العودة الى العراق ليموت في النجف الاشرف فيمر في حلب ، ويبتهج فيها ابتهاجا يتجلى في شعره . ومبعث ابتهاجه ان في حلب ذواقين للادب ، مما لم يكن مثله في استنبول التي كان عيبها عنده ان لا الف له فيها يساجله الشعر ويناظره في الادب . ويبدو ان احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب كان في شاغل من متاعبه وهمومه عن ان يجالس الشاعر المسحج في جريدته ويطارحه المنثور والمنظوم ، وانه وجد ضالته في حلب فغفر لها ما اتاه من بعض ساكنيها من ذنوب ، لان البعض الآخر كان يهتز للادب :

يا رب زد حلبا من كل عارفة		واغفر ذنوبا اتت من ساكني حلب
فكم بهم من اخي علم ومعرفة		يهتز مثل اهتزاز السيف للادب

ويبدو شغفه بالشعر وتولعه بالادب ، وانهما وحدهما منيته في الحياة في قوله :

فيا ليت كتب الناس كانت جميعها		دواوين من غر القصائد والشعر
وكانت جميعا لي وكنت موفرا		بكثرة مالي والزيادة في عمري
فاقضي بها يومي الى الليل كله		واقضي بها ليلي الى مطلع الفجر
ولست ابالي بعد معرفتي بها		اذا حان يومي ان اوسد في قبري

فهو هنا حين يتمنى ان تنقضي حياته مع الشعر ودواوينه يشترط ان يقترن ذلك بوفرة المال ، والا فلا اقبال على شيء في الحياة مع مصاحبة الفقر الذي ظل صاحبه الدائم .

ويبدو جليا ان امانيه لم يتحقق منها شيء ، فلا توفر له المال ، ولا استطاع العكوف على قصائد الشعر ، فقد ظل يردد :

الفت عسري حتى ما يفارقني		كعاشق لم يزل الفا لمعشوق
وما فؤاد ام موسى يوم فارقها		موسى بافرغ من كيسي وصندوقي

اما امنيته الكبرى وهي ان يعود الى النجف الاشرف فيموت فيه ، فلم تتحقق هي الاخرى . فانه صمم على العودة ومضى في طريقه حتى وصل الى حلب ، وفيها انتهت حياته .

بيروت		حسن الامين

جبل عامل في العهد الشهابي
١٦٩٧ - ١٨٤٢

١٦٩٧ – ١٨٤٢

– ٢ –

بقلم : العميد الركن د. ياسين سويد

ولم يكتف الشيخ ضاهر بذلك ، بل ارسل السفن المسكوبية لحصار مدينة بيروت بحرا – وكانت محمية شهابية – فدمرت ، بمدافعها ، بعض ابراج المدينة ، ثم نزل جند هذه السفن الى المدينة فنهبوها وعادوا الى سفنهم ، وظل حصار السفن المسكوبية لبيروت قائما الى ان دفع امراؤها مبلغا من المال قبضه قائد الاسطول وعاد قافلا الى عكا .

واستمر التحالف بين العامليين ، بزعامة الشيخ ناصيف النصار ، وبين المصريين بزعامة علي بك الكبير ، والصفديين بزعامة ضاهر العمر ، قويا ومتينا ، حتى عام ١٧٧٤ . حين وقع الخلاف بين حاكم مصر الجديد محمد بك ابو الذهب (الذي خلف علي بك الكبير في الحكم اثر انقلاب قام به ضد سيده) وبين الشيخ ضاهر ، فاعلن ابو الذهب الحرب على الشيخ ضاهر ، وهاجم بلاده بستين الف مقاتل ، مما اضطر الشيخ ضاهر الى الفرار ، بينما احتل ابو الذهب عكا وصفد وصور وصيدا ، الا انه لم يستمر في حكم هذه البلاد سوى ايام معدودات ، اذ توفي فجأة ، فانسحبت الجيوش المصرية اثر وفاته ، وعاد الشيخ ضاهر الى عكا ، ولكنه اغتيل عام ١٧٧٦ على يد احد رجاله من اتباع الدنكزلي ، وتسلم احمد باشا الجزار ولاية عكا ، فكان اخضاع جبل عامل وادخاله في سلطته اول اهتماماته ، وزحف اليه عام ١٧٨١ بجيش قدره المسيو ارازي Arazy قنصل فرنسا العام بصيدا ، بما يراوح بين ثلاثة الاف واربعة الاف خيال ، وذلك في رسالة منه الى « الكونت دي فرجين « Comte de Vergenne » وزير الدولة الفرنسية ، بتاريخ ٢ تشرين الاول ١٧٨١ (١٧) ، فتصدى له الشيخ ناصيف ، مع حلفائه من مشايخ العامليين ، بفرقة من الخيالة قدرها بعض المؤرخين بسبعماية خيال فقط ، ويذكر هؤلاء المؤرخون ان سبب ذلك هو ان الشيخ ناصيف لم ينتظر وصول النجدات اليه ، فهب لملاقاة جيش الجزار بمن كان معه من الجند في قلعة تبنين ، وخاض ، بخيله القليلة ، معركة غير متكافئة ، ضد جيش لجب ، (١٨) الا ان « ارازي » اشار في رسالته التي سبق وذكرناها ، ان مشايخ جبل عامل قد اشتركوا في هذه

المعركة الى جانب الشيخ ناصيف وان شيخين ، على الاقل ، قد اسرا فيها (١٩) .

ودارت المعركة بين الفريقين في ايلول من العام نفسه ١٧٨١ ، قرب بلدة « يارون » وكانت معركة ضارية وغير متكافئة حقا ، وقد استبسل فيها العامليون ، وخاصة قائدهم الشيخ ناصيف الذي ظل يقاتل بنفسه الى ان سقط قتيلا ، وسقط معه ما يراوح بين ثلاثماية واربعماية من رجاله ، وهزم الباقون .

وما ان علم مشايخ جبل عامل بموت قائدهم في وقعة يارون واقتحام جيش الجزار لبلادهم يمعن فيها تدميرا وتخريبا وباهلها تقتيلا ، حتى فروا من وجهه وتشتتوا في انحاء مختلفة من بلاد الشام ، كما لجأ قسم كبير منهم الى الحرفوشيين ببعلبك (٢٠) .

ويتحدث ارازي في رسالته المذكورة عن هذه الوقعة فيقول : « أن موت الشيخ ناصيف ونحو ٣٠٠ او ٤٠٠ من خيالته ، وفيهم عدد من الزعماء ، وضع ، بضربة واحدة ، حدا لهذه الحرب ــ حرب الجزار مع العامليين ــ وذلك بتشتيت باقي المشايخ الذين وقع اثنان منهم في قبضة الباشا » (٢١) .

وبمقتل الشيخ ناصيف ، خضع جبل عامل لحكم الجزار طيلة ربع قرن من الزمن ، وحتى وفاة هذا الاخير عام ١٨٠٤ .

ومنذ ان تولى الجزار حكم ولاية عكا (بما فيها جبل عامل وصيدا) لم يعد للشهابيين يد في هذه الولاية ، وهكذا ، فقد انقضت ولاية الامير يوسف (١٧٨٩) والعقد الاول من ولاية الامير بشير الثاني ، حتى وفاة الجزار (١٨٠٤) دون أن يكون لهؤلاء الامراء في جبل عامل اي تأثير ، ولكن العامليين الذين يقودون التمرد والثورة على كل حكم اجنبي ، وانسوا في حياتهم شيئا من الحرية والاستقلال الذاتي ، لم يستكينوا لحكم الجزار الذي تميز بالقسوة والشدة ، فحكم البلاد بالحديد والنار ، وقضى على قسم كبير من زعماء بني عاملة وشرد القسم الاخر الى عكا وحلب والاناضول ، وهاجر العلماء والمثقفون الى البلاد الاسلامية كالهند والعراق وايران وافغانستان خوفا من ظلم الجزار وبطشه ، فاصبح تاريخ احتلال الجزار لجبل عامل نهاية فترة من الحكم الذاتي تمتع به الجبل طويلا ، ولكن البلاد عرفت ، في عهد الجزار ، عددا من الانتفاضات كتلك التي قام بها الشيخ حمزة بن محمد النصار من آل الصغير والشيخ علي الزين صاحب شحور ، اللذان شكلا فرقة من الثوار اخذت تهاجم المراكز الحكومية العائدة للجزار ، فهاجمت تبنين وقتلت عاملها المعين من قبل الجزار واستولت على

المال الموجود في خزانته (٢٢) ، الا ان انتقام الجزار كان شديدا ، اذ فاجـأ المتمردين في بلدة شحور بفرقة من جنده فقضى على زعيمهم الشيخ حمزة وفر الشيخ علي الى ايران وتشتت شمل المتمردين جميعا .

يستدل من ذلك إن الانتفاضات في عهـد الجزار لم تكن منظمة ولم يقيض لها زعيم كناصيف النصار يوجهها التوجيه الصحيح ، فغالبا ما كانت خالية من اي توجيه ثوري او اية غاية سياسية محددة ، كما كانت لا تتورع عن ايقاع الضرر بالاهالي او برجال الجزار لا فرق ، ويندد الشيخ علي السبيتي بهذا الامر ، في مجموعته ، فيقـول : « كـان دور العصابات والفدائيين . . . اتعس دور مر على جبل عامل ، وقع فيها بين نارين : نار زبانية الجزار ونار رجال الثورة ، فالزبانية التي كان يقذفها الطاغية تعيث في البلاد فسادا ، وتضيق الخناق عـلى الاهلين المساكين ، وتؤلف منهم فرقا . . . لمطاردة العصابات فلا تظفر بهم ، والثوار يشنون الغارات للسلب والنهب وحرق القرى وتدمير البيوت متغلغلين في بطون الاودية بين الاحراج والغابات معتصمين برؤوس الجبال » (٢٣) .

ولكن الكابوس الخانق الذي كانت شخصية الجزار المعروفـة بالبطش والظلم والارهاب قد فرضته على اهل جبل عامل طيلة مدة حياته ، ارتفع بعد مماته عام ١٨٠٤ ، ورغم ان واليا جديدا عين على عكا هو سليمان باشا ، الا ان حرب العصابات في جبل عامل لم تتوقف ، بل اتسعت وعمت جميع انحاء البلاد ، وشملت سلطة الثوار فكا وصفـد ، فصاروا يفرضون الضرائب والرسوم ويعاقبون المتمردين على اوامرهم ، وقد قيض للعامليين ، في هذه الفترة ، زعيم قوي وقادر وذو نفوذ ، كابيه ، هو الشيخ فارس بن ناصيف النصار ، الذي قاد الثورة ضد الوالي الجديد، وكان هذا « سلس القياد لين العريكة » بعكس الجزار سلفه ، فقرر أن وسيلة التودد واللين مـع الثوار العامليين اجدى من البطش والارهاب ، فتوسط لديهم الامير بشيرا الثاني الشهابي (١٧٨٩ ـ ١٨٤٠) وكان هذا سياسيا قديرا ومحنكا ، استطاع ، بدهائه وقدرته السياسية ، ان يتوصل مع الثوار الى شروط للصلح تنهي الثورة ، وقد وقع على هذه الشروط ، في بيت الدين ، كل من جرجس باز مدبر الامير ومعتمده ، وحسين الشيت معتمد الشيخ فارس النصار : وهي تتلخص بما يلي :

١ ـ العفو عن جميع الثائرين .

٢ ـ اعادة اقليم الشومر الى جبل عامل ، وكان قد سلخ عنه بعـد وقعة يارون عام ١٧٨١ .

٣ ـ ان لا يكون لموظفي الدولة سلطة على الجبل ، وان يرجع اهله ،

في حل خلافاتهم ، الى عميدهم الشيخ فارس (النصار) الذي يمثلهم تجاه الحكومة ، وبه تحصر الاتصالات ، وعليه تعود المسؤولية (٢٤) .

وقد وافق والي عكا سليمان باشا ، وراغب افنـــدي ، معتمد الباب العالي ، على هذه الاتفاقية ، فكانت موافقتهما اعترافا صريحا بنـوع مـــن الحكم الذاتي لجبل عامل ، وهو الامر الذي حرم منه هـذا الجبل طيلة حكم الجزار ، وقد اتخذ الشيخ فارس النصار بلدة (الزرارية) مقرا له ، فبنى فيها دارا للرئاسة على نفقة الدولة .

وظلت هذه المعاهدة قائمة حتى ولاية عبد الله باشا الذي خلف سليمان باشا على عكا ، وفي عام ١٨٢١ عقد عبد الله باشا ، مع مشايخ جبل عامل ، اتفاقا جديدا اعاد اليهم ، بموجبه ، حكم بلادهم كما كان في السابق ، وكان العامليون اوفياء للوالي المذكور ، فخاضوا معـــه القتال ضد درويش باشا والي دمشق في معركتي المزة وجسر بنات يعقوب ، وظل هـذا الاتفاق قائما بين عبد الله باشا وجبل عامل حتى عام ١٨٣٢ العام الذي احتل فيه ابراهيم باشا بلاد الشام ، فدخل جبل عامل في الحكم المصري الذي الحقـه بالامارة الشهابية ، وكان قد تولاها الامير بشير الثاني ، فكان الحاقه بهـذه الامارة احد اهم اسباب اشتراك العامليين بالثورة التي قامت ، فيما بعد ، في بلاد الشام ، على المصريين والشهابيين معا ، وذلك للنزاع البعيد الجذور الـذي كان قائما بـين العامليين والشهابيين .

ثار العامليون على المصريين وحلفائهم الشهابيين ، فكان ذلك اول مرة في تاريخهم يتحالفون فيها مع العثمانيين الذين طالما حارب العامليون ولاتهم وثاروا عليهم ، وولى الامير بشير حفيده الامير مجيدا ابن الامير قاسم حكـم جبل عامل فبطش هذا بالعامليين ونكل بهم وسجن رجالهم وحقر علماءهم ، واتخذ سياسة العنف والشدة سبيلا لمعاملتهم بدلا مـــن اللين والمسايرة ، فقاد ثورة العامليين عليه واحد من زعمائهم هو الشيخ حسين بـــن شبيب (بن فارس الناصيف) واخوه محمد علي . وقد استمر العامليون في ثورتهم هذه ضد الشهابيين وحلفائهم المصريين طيلة ثلاث سنوات (١٨٣٦ـ ١٨٣٩) كانوا ، في خلالها ، يهاجمون مراكز الحكومة ويطردون عمالها ، ولـم يتمكن الامير مجيد الشهابي من اخماد هذه الثورة ، فاخـــذ ينكل باهالي الثـوار واقربائهم وذويهم ، مما اضطر عددا من وجهاء الجبل وزعمائه الى التدخل لوضع حد لهذه الثورة ، بشرط الحفاظ على كرامة زعيميها وحياتهما ، الا انهما ابيا ذلك وفضلا مغادرة البلاد الى حوران وضواحي دمشق ، ولكـــن مرضا الم باحدهما الشيخ حسين فظل في منزله بقرية « ياطر » حيث قبض عليه واقتيد الى المشنقة مع واحد من اتباعه ، اما اخوه محمد علي ، فقـد فر الى خارج البلاد ولم يعد اليها طيلة حياته .

ولكن لم تكن تلك نهاية الثورة ضد الحكم المصري والشهابي في جبل عامل ، فقد حمل لواءها من جديد وفي عام ١٨٤٠ واحد من اشهر زعماء آل الصغير بعد ناصيف النصار ، هو حمد البك المحمود ، الذي اعلن الثورة في وقت كانت الدول الكبرى قد اتفقت فيما بينها على انتزاع بلاد الشام من محمد علي واعادتها الى حكم السلطنة ، وتحركت الجيوش العثمانية براً ، تساندها اساطيل الدول الكبرى بحراً ، لتنفيذ هذا الاتفاق ، ووصلت طلائع الجيش العثماني الى حلب ، كما ابرت الجيوش المتحالفة على طول الساحل الشامي كله ، عندها انطلق حمد البك بثورته من جبل عامل ، فقاتل الامير مجيداً الشهابي ، حليف المصريين ، عند « جسر القعقعية » ، وهزمه ، ثم تابع تقدمه مع فرقته شمالاً حتى وصل بها الى حمص ، حيث اتصل بالجيش العثماني المرابط هناك ، فانضم اليه واشترك معه في محاربة المصريين ، مظهراً من البطولة ما اكسبه ثناء القائد العثماني عزت باشا واعجابه ، فعينه حاكماً لجبل عامل ومنحه لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة ، وعهد اليه بمطاردة الجيش المصري في الجنوب ، فعاد حمد البك ليقاتل فلول هذا الجيش في رميش ووادي الجش وشفا عمرو واستولى على صفد وطبريا والناصرة (٢٥) ، وما ان استقر الحكم العثماني في جبل عامل من جديد حتى ثبت حمد البك في منصبه كحاكم عام على هذا الجبل (٢٦) وظل كذلك حتى وفاته عام ١٨٥٢ ، حيث خلفه في الحكم رجل يدعى علي بك الاسعد الذي توفي عام ١٨٦٥ ، فكان اخر الحكام الاقطاعيين الذين تولوا حكم جبل عامل في هذه الفترة ، اذ حكمت الدولة العثمانية ، بعد هذا التاريخ ، بلاد عاملة ، حكماً مباشراً ، فانتهت بذلك حياة جبل عامل السياسية ، وزال الحكم الاقطاعي المحلي من البلاد .

اما عن التنظيم والتجنيد والتعبئة عند العامليين في هذه الفترة فلم يكن ذلك مختلفاً عما كان عليه في الفترة السابقة ، اي في العهد المعني ، وقد سبق وتحدثنا عن ذلك في الجزء الاول من كتابنا (٢٧) . وبالاضافة الى ما سبق وقدمناه في هذا المجال ، فقد قدم لنا بعض القناصل الفرنسيين معلومات هامة ومفيدة عن الوضع العسكري للعامليين في ذلك الحين ، اذ وصف قنصل فرنسا بصيدا ، «شفاليه دي توليس «Chevalier du Taulis في رسالة منه الى « الدوق ديغويون «Duc d'Aiguillon بتاريخ ٣٠ نيسان ١٧٧٢ ، المقاتل العاملي بانه « لم يكن معتاداً ابداً على البقاء طويلاً في ساحة القتال ، او على خوض الحرب بعيداً عن موطنه » وذلك في مجال الحديث عن حصار علي بك الكبير والشيخ ضاهر العمر ليافا في العام نفسه ، اذ ترك معظم العامليين ــ كما يروي القنصل الفرنسي في الرسالة نفسها ــ ساحة القتال وعادوا الى قراهم ، ليشيعوا ان « يافا حصن لا يؤخذ » (٢٨) .

ولكن ذلك لا ينفي ما قدمه العامليون من معونة عسكرية للشيخ ضاهر

العمر وحلفائه المصريين في اثناء تحالفهم معه ؛ اذ يذكر هذا القنصل : في مذكرة بعث بها الى حكومته بتاريخ اول ايار عام ١٧٧٢ انه ، في اثناء مهاجمة الامير يوسف الشهابي وحلفائه العثمانيين لصيدا ، في العام نفسه ، بقصد تخليصها من يدي ضاهر العمر وحليفه علي بك ، كان العامليون على اهبة الاستعداد لان يقدموا، لمساعدة حلفائهم الصفديين والمصريين ، جيشا يراوح عديده بين ٣ و٤ الاف مقاتل (٢٩) وقد بقي هذا الجيش في بقعة التجمع وعلى مقربة من ساحة القتال بناء لاوامر الشيخ ضاهر نفسه .

ويذكر القنصل الفرنسي « دي توليس » نفسه ، في مذكرة رفعها الى حكومته بتاريخ ٢ ايار ١٧٧٢ ، ان الشيخ ناصيف النصار ، شيخ مشايخ جبل عامل ، قد اشترك ، مع قواته ، الى جانب الشيخ ضاهر العمر ، في حصار نابلس ، في العام نفسه ، دون أن يحدد عدد القوات التي اشترك بها الشيخ العاملي في هذا الحصار (٣٠) ؛ كما يقدم ، في رسالة بعث بها الى الدوق ديغوبون بتاريخ ٢ حزيران ١٧٧٢ ، شهادة جيدة بحق المقاتلين العامليين ، منوها بشجاعتهم ، فيقول : « يستطيع المتاولة ان يقدموا بين ٥ و٦ الاف مقاتل ، وقد تلقوا الاوامر ، في جميع قراهم ، بان يكونوا على اهبة الاستعداد للسير الى القتال . انهم شجعان ، وانتصاراتهم الاولى ، بالاضافة الى القيادة التي تعودوها منذ عام — وفي هذا اشارة واضحة للشيخ ناصيف — اعطتهم ثقة بالنفس هي ، بالتالي ، قيمة الشجاعة » الا انه يعود فيقول : « انهم ليسوا سوى فلاحين مسلحين لا يستطيعون ترك ارضهم طويلا » (٣١) ، وربما يكون في ذلك تبرير لما سبق واورده في رسالة سابقة ، بانهم غير معتادين على القتال بعيدا عن مواطنهم .

وقد ايد « دي توليس » في شهادته الجيدة عن المقاتلين العامليين ، قنصل فرنسي اخر بصيدا هو « تايتبوت Taitbout » ، وذلك عام ١٨٠٦، اي بعد مرور اكثر من ثلاثين عاما على ما ذكره سلفه « دي توليس » ، فقد وصف « تايتبوت » المقاتلين العامليين ، في معرض اجابته على بعض الاسئلة المتعلقة باوضاع الطوائف في هذه البلاد ، بانهم « جنود جيدون » (٣٢) .

اما عن عدد القوات التي كان يمكن لمشايخ جبل عامل ان يبعثوها للقتال ، فلم يصلنا عنها الا القليل ، اذ بينما يذكر الشاعر والرحالة الفرنسي « لامارتين » ان العامليين قدموا لضاهر العمر ، باشا عكا ، عام ١٧٦٠ ، نحو عشرة الاف مقاتل (٣٣) وانهم كانوا احداهم العوامل في انتصاراته ، فاحتلوا ، في ذلك الحين ، صور ، « وقاتلوا الدروز بشجاعة فاوقعوا بجيش الامير يوسف — الشهابي — هزيمة كاملة ، وكان هذا الجيش من ٢٥ الف مقاتل ، بينما كانوا — اي العامليون — خمسماية فقط » (٣٤) وان تخليهم عن باشا عكا — الشيخ ضاهر نفسه — « كان سببا لخسارته وموته» (٣٥) ، نجد القنصل الفرنسي «دي توليس» يتحدث، في مذكرة بعث

بها الى حكومته بتاريخ ٢٧ حزيران ١٧٧٢ ، عن العامليين وجيشهم، فيقول: « يستطيع كل شيخ من مشايخ بني عاملة ان يعد ، تحت السلاح ، من ٢٥٠ الى ٨٠٠ مقاتل ، وهؤلاء المشايخ ، مجتمعين ، يمكن ان يعدوا جيشا من ٢٥٠٠ خيال و ٣٥٠٠ راجل » (٣٦) اي ما مجموعه ٦ الاف مقاتل ، وهو يختلف كثيرا عن الرقم الذي اعطاه لامارتين ، الا انه يظل ، في نظرنا ، اقرب الى الصواب ، وهو اقصى ما كان باستطاعة العامليين أن يجمعوه في ذلك الحين ، حتى انه ، في العام ١٨٢١ ، وعندما قرر عبد الله باشا ، والي عكا، أن يعيد الى المشايخ العامليين حكم بلادهم ، بعد ان كان قد طردهم الجزار منها ، طلب اليهم ان يضعوا ، تحت السلاح ، وبصورة دائمة « الفين نفر خيل وزلم عسكر مقيمين الى اي وقت لزموا للوزير » (٣٧) . وقد وافق المشايخ العامليون على ذلك ، وابتدأوا « في تدبير خيل وسلاح » (٣٨) .

وقد حاول المؤرخان ، آل صفا والشيخ احمد رضا ، تحديد الشخصية العسكرية العاملية في عهود الاقطاع ، الا انهما وقعا ، كثيرا من الاحيان ، في المبالغة (٣٩) ، ورغم ذلك ، وبعيدا عن الاسلوب العاطفي والادبي الذي تحدث به هذان المؤرخان عن تلك الشخصية ، فان ما يمكن استنتاجه ، في هذا المجال ، هو ان العاملي كان ، في تلك الفترة من تاريخه، مقاتلا بفطرته ، الا انه كان يفتقر دائما الى الفن العسكري المنظم ، فظل ، بسبب ذلك ، يعتمد على شجاعته وبسالته اكثر من اعتماده على اسلوب قتالي تكتيكي محدد ، اللهم سوى أسلوب « الكر والفر » الذي كان سائدا في ذلك الحين ، باستثناء ما كان يأتي « بداهة » و « دون ادنى حساب » ، باعتبار ان التكتيل العسكري هو « فن القتال ، او فن ادارة المعركة بشكل يضمن للقائد احراز النصر » .

ياسين سويد

الحــواشي

(١٧) Ismail, Ibid. T2 P. 385

(١٨) آل صفا ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، وآل فقيه المصدر السابق ، ج٢ : ١٥٥

(١٩) Ismail. Op. cit, T2 P. 385

(٢٠) رسالة ابازي نفسها (Ismail, Ibid. T2 P. 385)

وانظر ، آل صفا ، المصدر السابق ص ١٢٧ ، وآل فقيه ، المصدر السابق ، ج٢ ١٥٤ ـ ١٥٦ وكرامة ، بطرس ، مصادر تاريخية ، ص ٦٨ .

(٢١) Ismail. Op. cit. T2 P. 385

(٢٢) آل صفا ، م. ن، ص ١٤١ .

---

(٢٣) الزين ، محمد عارف ، مجلة العرفان ، مجلد ٤٣ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٥ نقلا عن مخطوطة للمؤرخ العاملي الشيخ علي السبيتي .
(٢٤) آل صفا ، م. ن. ص ١٤١ .
(٢٥) آل صفا ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ – ١٥١ .
(٢٦) م. ن. ص ١٥٦ .
(٢٧) انظر الجزء الاول ، الامارة المعنية ص ٤٠ و ١٣٠ – ١٣٢ و ٣٦٤ – ٣٦٥ .
(٢٨) Ismail, op cit, T2 P. 205
(٢٩) Ismail, Ibid, T2 P. 210
(٣٠) Ismail, Ibid, T2 P. 212
(٣١) Ismail, Ibid, T2 P. 225
(٣٢) Ismail. Ibid, T3 P. 52
(٣٣) Lamartine. Voyage en orient, VIP. 466
(٣٤) Lamartine. Ibid, VI PP. 466-467
ولا شك في ان لامارتين يعني بهذه الهزيمة وقعة كفر رمان – النبطية (١٧٧١) ، ونرى ان هنالك مبالغة في تقدير جيش الامير يوسف .
(٣٥) Ibid
(٣٦) Ismail, OP. cit. T2 PP. 253-254
(٣٧) الشهابي ، تاريخه ، طبعة الجامعة اللبنانية ببيروت ، قسم ٣ : ٧١٠ .
(٣٨) م. ن. ص. ن.
(٣٩) انظر الجزء الاول ، الامارة المعنية ، ص ٣٦٤ – ٣٦٥ .

الثقال

شعر : موسى الزين شرارة

يواكبني الثقال بكل درب ... كأني الشهد والثقلا ذباب
اعند الله عنهم ان سئلنا ... وقلنا لم خلقتهم جواب ؟!
امتحان للألى رقوا شعورا ... واحساسا بخلقك ام عذاب
ام انهم لمن جحدوا وشكوا ... بما اسديت من نعم عقاب
حنانا قل لهم رقوا قليلا ... فكل المذنبين الى تابوا

موسى الزين شرارة

أين الجنوب

بقلم : جعفر شرف الدين

تلعب الامم على الساحة العربية بكرة القدم !
بالرؤوس التي حان قطافها ..
ويلعب العرب على الساحة اللبنانية بكرة السلة :
بالرؤوس التي آن اوانها ..
ويلعب الجميع على الساحة الجنوبية بالكرة الطائرة !
بالرؤوس التي حان حينها ..
أولئك يصطرعون حتى آخر عربي ..
ولا اصابة في مرماهم ..
واؤلاء يحتربون حتى آخر لبناني ..
ولا رمية في هدفهم ..
واولاء يحتربون حتى آخر لبناني ..
فتتكسر النصال على النصال ..

★ ★ ★

وجرح الجنوب ينزف ..
دوليا .. عربيا .. لبنانيا .. ينزف .
واللعبة تدور .. ترقص ..
على اشلاء انسانية الانسان ترقص ..
وتجدف .. على المبادىء .. والشعارات تجدف .
والجنوبي يقاتل ..
من اليسار .. مع اليمين .. يقاتل
من موقع ايمانه بالحق المطلق يقاتل
بصبره .. بقهره .. يقاتل ..
بخيره .. بشره .. يقاتل ..
بجوعه . ورغيفه في فم غيره يقاتل ..
بعطشه ، دماؤه سراب .. لا شراب . يقاتل .
بتهجيره . وبيته فوق ظهره . يقاتل .
بمأساته . وكربلاء في صدره . يقاتل .
اين لواؤه .. وما هو انتماؤه ؟..
اين هويته .. وما هي هوايته ..
الجنوبي : لبناني عميق الجذور
عربي : عريق الاصول ..

انسان . يعيش انسانيته ..
انسان صنعه ابو ذر علي عينه .. ويده صناع .
بقلبه وعقله رعاه .
فكان خير مرعي . لخير راع
زاد محمد اطعمه ..
وحب علي سقاه مع الرضاع .
من ضلالة هداه .
واوجده بعد الضياع ..

★ ★ ★

الجنوبي بقية السيف ..
رافض الذل والحيف ..
حليف كل مظلوم ..
ثائر على كل ظالم ..



غريب على أرضه ..
يحتضن المغترب عن ارضه ..
يقاتــل معــه ..
وفي خندق واحد يموتان
فكل غريب للغريب حبيب ونسـيب .

★ ★ ★

الجنوبــي يقــوم ..
من بين الانقاض يقوم
يقف على الاطلال يودع ..
ثم يعود . وما أن يسلم حتى يودع
ويعود .. الى قدره يعود ..
الى جوار الباب (الخبيث) يعود ..
والدوامة تــدور ..
تفترس نهــاره .. تفترش ليله ..
ثم ينزح .. ثم يعود ..
يطبق فمه على مرارة القرية .. وحرارة التهجير
يــستصرخ غير مصرخ .. يستجير غير مجير .
يــستجير من الرمضاء بالنار ..
وساعة كان الطغاة يستلمون ويسلمون « العريش »
ساعة كان فرعون يتسلم ويستسلم ..
ساعة ذاك . كان فرعون الآخر يصب حممه على الجنوب .
عربون « سلام » يصبها ..
وعربون استــسلام يشرب نخبها ..
يشرب نخب كافور .
على انقاض صيدا والنبطية وصور ..

★ ★ ★

ويحمل الجنوبي من جديد بيته على ظهره ..
ويحتضن كربلاءه في صدره ..
يحمل قدره في الهاجرة يهجر .. ويتهجر ..
اما شرعة حقوق الانســان .
فكانت تحصي الصواريخ ..
اما اكبر نصب للحرية في العالم فقد ثبت !
انه اكبر نصاب على الحرية في التاريخ ..
كان في واشنطن يطل من عليائه ..
يمارس هوايته : يتفرج .. يتشفى ..
يمثل عصابة الامم ..

وكان الجنوبي على مد الزمن ومداه
وقود كل ثورة .. وحطب كل معركة
وفي غاب الذئاب كان :
لقمة الآكل .. ومذقة الشارب
وهو لو عرف نفسه لكان :
قائد كل ثورة .. رائد كل وثبة .. فارس كل حلبة .
لعبة الامم تدور ..
تنتقل من الشرق الاقصى . الى الشرق الاوسط .
ومن الشرق الاوسط الى لبنان ..
ومن لبنان الى الجنوب ..
انه الوفاق الدولي . انه الخلاف العربي ..
انه الضياع اللبناني ..
اين الجنوب ؟..
اينه يا اكثرية صامتة . ويا بندقية ناطقة ..
اينه يا جبهة لبنانية .. جنوبية .. شرقية وغربية .
اينه تجمعا اسلاميا : سنيا . شيعيا ودرزيا .
اينه اين مكانه في الصيغ التي تصوغون .
اينه اين عنوانه في التاريخ الذي تكتبون ..
هل غرق في الرمال المتحركة . او ضل في متاهة الضياع .
هل ازدردتموه فيما ازدردتم من غالي او من سقط المتاع .
هل هو لاهله . ام هو : مشاع .. مباح .. او مباع ..
ام هل نقلتموه من جبل عامل الى جرود البقاع ...

★ ★ ★

اين الجنوب ..
اين عصا الجنوب .. اين عصا موسى
اين صدر الجنوب .. اين جنوب الصدر :
اينه يا ابا جهل .. ويا ابا لهب ..
اينه يا داحس .. يا غبراء .. يا حمالة الحطب ..
هل هو محتجز فيطلق .. هل هو حي عند ربه يرزق ..
هل هو حي عند ربه يرزق ..
من السائل .. من المسؤول ..
هل هي الالوية الايطالية ..
هل هي الاقبية الليبية ..
هل هي الاقنية العربية ..

★ ★ ★

اين الجنوب .. من السائل .. من المسؤول :
هل هي « الشرعة » الدولية ..
هل هي « الوحدة » العربية ..
هل هي « الحضارة » اللبنانية ..
هل هي ورقة الشرق الاوسط يلعبها الوفاق الدولي ..
هل هي ورقة اسرائيل .. تساوم بها الولايات المتحدة ..
هل هي ورقة العرب .. يراهن عليها الاتحاد السوفياتي ..
هل هي ورقة لبنان تقامر بها دولة العدوان ...

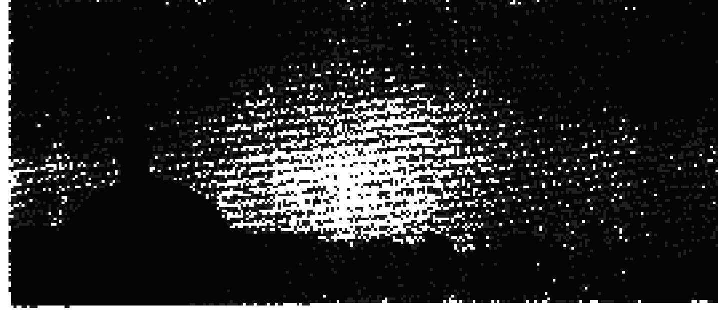
★ ★ ★

ايها العرب :
العبوا ورقة المصير المشترك ..
بالممارسة لا بالشعار ..
ضعوا الفعل موضع القول ..
تستعيدوا كل أوراقكم من اللاعبين ..
وتأخذوا مكانكم الحقيقي بين الامم ..
ايها اللبنانيون :
انقذوا ورقتكم من براثن اسرائيل ..
استرجعوها . باسترجاع الابن الضال ..
فبالمحبة تبنى الاوطان . وبالحقد تهدم .
وبالمحبة يحيى الانسان . لا بالخبز ..
اذا فقد الملح فبالمحبة تملحون ..
اما اذا فقدت المحبة .. فان ..
أن الحقد هو البديل .. وان
ان الحقد هو .. اسرائيل ...

جعفر شرف الدين

الصراع السياسي وتطور السلطة في مكة قبل الاسلام

- ٢ -



وكان نظام « الايلاف » يمثل في جانبه الاقتصادي او الاجتماعي ، احد اشكال التطور في السلطة ، من « الفردية » في عهد قصي الى « الاقلية » في عهد هاشم وحلفائه ، الذين كانت حركتهم في الجانب الاصلاحي منها ، ترمي الى ايجاد تكافؤ نسبي بين الفئات القرشية ، المتعايشة في ظل مجتمع تجاري ، مهدد بطغيان الفئة المتمولة واستئثارها . ولكن هذا النظام الذي فرضته طبيعة المجتمع الاقتصادية ، والحاجة المشتركة الى سلطة ما لم تكن موجودة في المضمون ، كانت الثغرة الاساسية فيه ، افتقاده الاطار السياسي العام ، الذي افترض ان يكتسب طابعا عمليا من التمثيل .. او بعبارة اخرى لم ينجح « الايلافيون » في تشكيل مؤسسة تعاونية تماما ، وغير متناقضة الاهداف والمصالح ، على نحو يتطابق مع مضمون « الايلاف » الرامي الى توفير الرزق والاستقرار للمكيين ، حيث يعيشون في بيئة قاسية جرداء (١) . ولان العلاقة كانت واضحة بين الثراء والنفوذ السياسي للفرد، فقد نتج عن التطور المذهل للتجارة المكية ، بمصادرها المتنوعة وحرية التكسب منها ، ولادة زعامات جديدة ، كان لها دورها في تمزيق الوحدة القبلية وبعثرة مصالحها واضطراب انتماءاتها ، ومن ثم ادت الى ظهور « جيوب » مستقلة او متعارضة مع مراكز النفوذ القديمة ، وذلك في فرع او اكثر من « العائلة القرشية » الكبيرة .

ومن خلال هذا الواقع للعلاقة بين السلطة والنمط الاقتصادي في مكة،

(★) سقط سهوا في العدد الماضي ذكر القسم الاول من هذا المقال .

(١) « لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » سورة قريش .

فقد تأثر تكوينها السياسي بهذه المتغيرات الى حد كبير . ولعل احد مؤشرات هذه العلاقة البارزة ، ظهور التكتلات (الاحلاف) بخلفيتها التجارية الواضحة ، حيث عبرت بصورة ما عن طبيعة هذه المرحلة ، سواء في الصراع بين مراكز النفوذ القديمة والجديدة ، او في التفاوت الاجتماعي الذي اسفر عنه . وقد يفسر ذلك ظهورها – اي الاحلاف – في وقت متأخر من القرن السادس على الارجح ، حيث افتقد النظام تماسكه بعد غياب (عبد المطلب)، الذي كان اخر من جمع في يده السلطتين المعنوية والمادية في العهد الوثني .

وكان قيام حلف « المطيبين » ، باكورة التكتلات السياسية في مكة ، تغطية للصراعات الداخلية في احد اهم مراكز النفوذ من جهة ، ومحاولة لتطويق طموح المراكز الاخرى والحد من اخطارها من جهة ثانية . اما القوة المحركة لهذا التحالف ، فكان يمثلها بنو امية (عبد شمس) ، الجناح المنافس لبني هاشم في فرع عبد مناف ، متكتلين مع كل من بني اسد وزهرة وتيم والحارث (١) . فقد شعر هؤلاء بقوتهم التجارية الصاعدة وما رافقها من توسيع الدائرة الاستقطابية للمجتمع المكي ، الامر الذي تطلب ضرورة التدخل المباشر لحماية مصالحهم من المنافسة الجدية . ولم يكن هذا الحلف موجها ضد بني هاشم ، حيث تم احتواءهم اقتصاديا بعد تقلص دورهم التجاري ، ولكن ضد الخصم التقليدي من بني عبد الدار وحلفائهم، الذين كان لبعضهم شأن غير قليل في التجارة المكية ، خاصة بني مخزوم . ومن هنا كان الحضور الحقيقي في حلف المطيبين لبني عبد شمس ، خلافا لحضور بني هاشم المعنوي ، حيث مهد ذلك لاخراجهم منه اثر الانشقاق الذي تعرض له فيما بعد .

وكان لا بد لهذا التحالف ، بدوافعه المصلحية البحتة أن تؤدي سياسته الاحتكارية الى المجابهة مع مصالح الفئات غير المنضوية تحت لوائه، لا سيما الاقل ثراء ، حيث عادت عليها هذه السياسة بالضرر الكبير . فقام تكتل منافس (الاحلاف) ، كانت الزعامة الادبية فيه لبني عبد الدار ، ولكن قوته المادية تمثلت ببني مخزوم ، فضلا عن مشاركة بني سهم وجمح وعدي (٢) ، الذين كانوا من متوسطي الثروة بالمقارنة مع اعضاء التكتل السابق .

ولقد كانت المنافسة شديدة بين « المطيبين » و « الاحلاف » .. فالحلف الاول تطلع الى دعم مواقفه السياسية والاقتصادية ، بالحؤول دون

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ج٢ ص ١٧ . المسعودي ، مروج ج٢ ص ٣٣ .
(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢ ص ١٧، المسعودي ج٢ ص ٤٣٢، السهيلي، الروض ج١ ص١٥٢

قيام مراكز مستجدة على حساب نفوذه ، والاخر حرص على حماية مصالحه المهددة واثبات وجوده في مرحلة من الفرز الحاسم للقوى المتصارعة، توسلت القوة سبيلا الى تحقيق اهدافها الحيوية . ولم يكن غريبا ان يتنادى « المطيبون » من هذا المنطلق الى « افناء » خصومهم « الاحلاف » (لتفن كل قبيلة من اسند اليها (١)) ، ذلك الشعار الذي عبر عن حدة الصراع وضراوة التنافس بين الحلفين .

ولكن الحرب التي اشار المؤرخون (٢) الى وشوك اندلاعها بين تكتلي قريش ، لم تتجاوز حدود التعبئة النفسية ، حيث تحولت المجابهة الى مهادنة واستبدال قرار « التصفية » بميثاق للتعايش . ذلك ان كلا الطرفين تجنب على الارجح حلا خارج مالوف التقاليد القرشية ، فلجأ الى تسوية خلافاته مع الاخر عبر طريق لا يفضي بهما في النهاية الى الحرب ، خاصة وان مكة كموقع اقتصادي متميز في شبه الجزيرة ، ستكون المتضررة الاولى من هذا الصراع الذي ستصيب سلبياته « الاحلاف » و « والمطيبين » على السواء . وهل هذا الاخير حقق في السلم الذي فرضته الارادة القرشية ، الجزء الكبير مما طمح الى تحقيقه في الحرب . فقد خرج معزز الموقع ، محافظا على السلطة الفعلية المتوارثة ، بينما اقتصرت مكاسب « الاحلاف » على وظائف الشرف (الحجابة ، اللواء ، الندوة) (٣) ، التي جاءت بمثابة ترضية معنوية لبني عبد الدار . على ان الانجاز الاكثر اهمية الذي حققه هذا التكتل ، هو الاعتراف بشراكته للمطيبين في زعامة المدينة ، رغم التفاوت في النفوذ بين كلا التحالفين .

ان خلفية هذا التمزق للجبهة القرشية ، متصلة بنمو التجارة في مكة وظهور نسبة غير محدودة من كبار الاغنياء ، تجارا وصيارفة ومرابين وسماسرة (٤) ، الذين سيطروا بفضل ثرواتهم الطائلة على سياسة ومقدرات المدينة . وكان اسهام هؤلاء واضحا في تمزيق وحدة العائلة (البطن) ، الذي ادى بدوره الى اختلال الشخصية المركزية المتوازنة التي اشتهرت بها قريش . ذلك ان حلف « المطيبين » الذي آلت اليه السلطة الفعلية ، لم يمثل فقط اتحاد الفروع (البطون) النافذة والقوية ، ولكنه عبر في الوقت نفسه

---

(١) « ثم سوئه بين القبائل ، ولز بعضها ببعض ، فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم ، وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار وعبيت بنو زهرة لبني جمح وعبيت بنو تيم لبني مخزوم وعبيت بنو الحارث بن فهر لبني عدي بن كعب ثم قالوا لتفن كل قبيلة من اسند اليها». السهيلي ، الروض ج١ ص ١٥٤ .

(٢) ابن اسحق ، السير والمغازي ص ١٠٧ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٥ ص ١٨٧ . السهيلي ، الروض ج١ ص ١٥٤ .

(٤) Lammens, La Mecque P 221 - 223 .

عن اهداف خاصة ومصالح فردية لبعض كبار التجار ، ربما تعارضت مع الاتجاه السياسي للفئة التي ينتمي هؤلاء اليها . ولم يكن غريبا من جهة ثانية ، استقطاب هذا التكتل ، لاولئك الذين امسكوا بزمام الثروة في مكة ، سواء من موقع التحالف العضوي المتقلب على شتى الالتزامات ؛ كأبي جهل « المخزومي » وابي لهب « الهاشمي » ؛ او التعاطف المصلحي مع الرضوخ للقرار « العائلي » عند الضرورة ، كالعباس بن عبد المطلب (هاشم) وعبد الرحمن بن عوف (زهرة) ، في وقت كانت كلتا المجموعتين على خلاف « جبهوي » ـ اذا جاز التعبير ـ مع الحلف المذكور .

وهكذا فان الاتفاق الذي اوقف المجابهة المحتملة بين تكتلي « المطيبين » و « الاحلاف » ، لم يحقق ما يتجاوز هذه المهادنة التي اسفرت عن تجميد مؤقت للموقف السياسي في مكة ، دون ثمة انعكاس ايجابي على جوهر المشكلة التي بلغت حدا من التعقيد ، مع ازدياد ثراء « الاقلية » المسيطرة وتعاظم نفوذها . وكان فشل « الاحلاف » في التعبير عن مصالح الاكثرية في قريش وتحقيق توازن نسبي في المدينة ، وراء ظهور تكتل ثالث (حلف الفضول) ، افرزه صراع التكتلين المتنافسين ، للقيام بهذا الدور « التوازني » ، حيث استطاع من خلال تشكيله الاجتماعي والقبلي ، ومن ثم التوقيت المناسب الذي اختاره ، تجاوز طموح «الاحلاف» المتواضع ، وطرح نفسه سلطة جماعية بديلة ، تتوسط كافة الاطراف القرشية في مكة .

ان ثمة خلفيات ثلاثا ربما حركت هذا التكتل في مرحلة تاريخية دقيقة من تاريخ الحجاز ، اي نحو عشرين عاما قبل الاسلام (١) : الخلفية الاولى ، اقتصادية وهي تكاد تجمع عليها مصادر المؤرخين التي اشارت الى مضايقة قريش ـ المقصود هنا تكتل المطيبين ـ للغرباء واضطهادها لهم (٢) . فأثار ذلك المتضررين في التكتل نفسه (هاشم ، المطلب ، اسد ، الحارث) ، وهم من اعضائه المؤسسين ، وتمردوا على استئثار بني عبد شمس ، الذين احتفظوا ، من حلفائهم في التكتل ، ببني نوفل ، حيث كانوا بدورهم من كبار الاغنياء واصحاب « الرفادة » عشية الاسلام (٣) .

وقد يبدو حلف « الفضول » امتدادا لسلفه « المطيبين » (٤) ، حيث اكثرية الاعضاء في هذا الاخير اسهمت في تشكيله .. وقد يبدو ايضا انه مجرد تعديل له في الشكل والاسم، بينما المضمون التجاري لم يمس او يتغير،

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ج٢ ص ١٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج٢ ص ٢٩١ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ج٢ ص ١٧ . الفاسي ، العقد الثمين ج١ ص ١٥١ .
(٣) العقد الفريد ج٣ ص ٣٢٦ .
(٤) وات ، محمد في مكة ص ٢٢ .

خاصة وانه انطلق من بيت ثري كبير من (تيم) هو عبد الله بـن جدعان (١) وشاركه فيه اخرون لا يقلون عنه ثـراء من بني هاشم او بني زهرة . ولكن تكتل « الفضول » رغم اهمية الدور الذي قام بـه في مواجهة « طغيـان » المطيبين ، فانه لم يكن ثورة عليه ، بقدر ما كان حركة داخلية استهدفت من خلال طابعها الاحتوائي مصالح التجار الكبار دون أن تتجاهل الصغار منهم . ولقد توافق هذا الاتجاه في التكتل الجديد ، مع احياء (دار الندوة) التـي انعقدت فيها اولى اجتماعاته ، وذلك بمبادرة مـن الزبير بن عبـد المطلب (هاشم) (٢) . وعلى ضوء هذا الموقف ، ظهـر اصحاب « الفضول » ابعـد نظرا في استيعاب المتغيرات المختلفة التي وصلت مؤثراتها الـى مكـة في ذلك الحين ، تلك التي تجاهلها « المطيبون » ، فضلا عن « الاحلاف » الذين وقفوا على الحياد من هذه « الحركة » ، ربمـا لتورطهم في اسبابها المباشرة حيث كان وراءها احد رجال بني سهم (٣) ، من اركان التكتل الاخير .

اما الخلفية الاجتماعية ، فهي واضحة في انتصار المنشقين لرجل قدم الى مكة معتمرا وتاجرا ، فلم يجد من يدفع عنه الظلم الذي لحق به . وقـد يكون من السذاجة ، الاخذ بحادثة عادية كهذه ربما تكرر الكثير قبلهـا فـي مجتمع استقطابي مثل مكة ، سببا موضوعيا لانقلاب جماعة « الفضول » . ولكن ذلك لا يحول دون اتخاذها ، كنموذج ليس اكثـر ، مؤشرا لاخفـاق المطيبين في تحقيق علاقة متوازنة بين القبائل ، سواء في مكـة او خارجها . ولعل الديباجة ـ التي صاغت بيان المجتمعين في بيت عبد الله بن جدعان كما تناقلها المؤرخون « لا يظلم احد في مكة الا كنا جميعا مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفا ووضيعا ، منـا او مـن غيرنا » (٤) ـ تكاد تحمل بعض الملامح الجديدة لمجتمع اخر في مكة . ولكن علينا الا نبالـغ كثيرا في تصوير المدى الذي بلغته هذه « الحركة » على الصعيد الاصلاحي ، لان جماعة « الفضول » وهم من اركان النظام الوثني في مكـة ، لم يرفضوا الوضع القائم او يثوروا عليه ، حيث ارتبطت مصالحهم بوجوده ، بل خلافا لذلك تمسكوا به ، ولكن مع شيء من التطور يتلاءم والمستجد من المعطيات.

---

(١) الفاسي ، العقـد الثمين ج١ ص ١٥١ .

(٢) المسعودي ، مروج ج٢ ص ٢٧٠ .

(٣) قيل ان رجلا من زبيد من اليمن قد باع سلعة من العاص بن وائل السهمي ، فماطله في ثمنها دون ان ينتصر له احد من قريش ، وخاصة من تكتل « الاحلاف » الذي ينتمي اليـه السهمي . راجع : مروج الذهب ج٢ ص ٢٧٠ . العقـد الثمين ج١ ص ١٥١ . البدايـة والنهاية ج٢ ص ٢٩١ .

(٤) العقد الثمين ج١ ص ١٥١ . راجع ايضا تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٨ ومروج الذهب ج٢ ص ٢٧١ والكامل في التاريخ ج٢ ص ٤١ .

ولم يكن موقفهم من المطيبين موجها ضد النظام ، بقدر ما كان انقاذا له من هيمنة الاقلية واستئثارها بالثروة والسلطة وكل ما يؤدي الى اختلال المقومات الاساسية للمجتمع « التكافلي » في مكة .

وتبقى اخيرا الخلفية السياسية لتحالف « الفضول » ، الذي كشف ظهوره ازمة النظام واضطراب مركزية السلطة . ولكن زعماء « المطيبين » رغم براعتهم التنظيمية في التجارة ، لا سيما الخارجية ، فان القليل من جهودهم اتجه الى شؤون الادارة والحكم ، بحيث ظلت السلطة السياسية في مكة مبهمة حتى في الوقت الذي اصبح فيه ابو سفيان ، الرجل القوي او شيخ قريش (١) ، كما كان يطلق عليه . فالنفوذ الاقتصادي لم يماثله نفوذ سياسي معنوي لبني عبد شمس ، الذين لجأوا غالبا الى اشراك بعض رجالات مخزوم (٢) (من الاحلاف) في السيطرة على المدينة ، وذلك من موقع تأثيرهم التجاري قبل اي اعتبار اخر .

وهكذا جاء خروج خمسة فروع قرشية من حلف « المطيبين » ، اي ما يعادل نصف المجتمع المكي وتشكيلها تكتلا جديدا ، وربما لم يكن له من النفوذ الاقتصادي ما ينافس به الحلف السابق ، ولكنه كان يمتلك القوة المعنوية التي تؤهله لان يكون مقدمة لتغييرات غير عادية في هذه المدينة والاقليم الحجازي عامة . فكما تحولت مكة الى مركز عالمي التجارة في القرن السادس (٣) ، ستطل في القرن الذي يليه بما هو اكثر خطورة وجذرية على الصعيد الحضاري ، ليس في شبه الجزيرة فقط ولكن في المنطقة بأسرها . ذلك ان اهمية حلف « الفضول » من هذه الرؤية ، ما جسده من مرحلة انتقال بين عصرين او المسافة بين « الملأ » وبين « الدولة » . وليست مصادفة ان يشهد هذا التكتل عودة بني هاشم الى الصدارة ، بعد ان افل نجمهم او كاد مع غياب عبد المطلب . فاذا بأحد ابنائه (الزبير) (٤) يأخذ المبادرة في دعوة اركان « الفضول » الى الاجتماع في (دار الندوة) ، رمز السلطة « المفرغة » في ذلك الحين .

ابراهيم بيضون
استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانية
استاذ مشرف في قسم الدراسات العليا
في الجامعة اليسوعية

---

(١) Lammens, La Mecque P 166

(٢) وات ، محمد في مكة ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣) O'Leary, Arabia Before Muhammade P 182

(٤) المسعودي ، مروج ، ج٢ ص ٢٧ . البلاذري ، انساب ج١ ص ٥٧ .

قصة النبي عيسى

بقلم : زهير ماريني

- **يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**
- **اثبت القرآن لعيسى معجزتين لم يرد بهما خبر في الاناجيل : معجزة كلامه وهو رضيع ، ومعجزة المائدة التي انزلت على الحواريين .**

ذات ليلة قبل ١٩٨١ سنة تذكرت (مريم) انها نسيت ان تسقي شجرة الورد التي نبتت فجأة وسط صخرتين فخرجت من محرابها في طريقها الى الشجرة ..

لم تكد تتهيأ الخروج حتى نادتها الملائكة :

ـ (يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) .

توقفت مريم وازداد شحوب وجهها ..

اضاء المحراب بكلمات الملائكة : نوع من الضوء تبدو الشمس الى جواره مثل شمعة مطفأة .

ان (مريم) تشعر في الايام الاخيرة بتغيير يشمل روحها وجسمها كله .. ليست عندها مرآة لتنظر فيها لكنها تحس ان لون دم القوة والشباب ينسحب تاركا مكانه للون اكثر طهرا واعمق اصالة .. انها تحس الشحوب رغم انها لا تراه .. وتشعر بضعف بشري وقوة غير عادية ، وكلما زاد جسمها نحولا زادت روحها قوة .. ملأها هذا الاحساس بالتواضع والعظمة .. وتسلل اليها الاشفاق من المسؤولية العظيمة التي القيت على كتفيها الرقيقتين ..

(يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) .

بهذه الكلمات البسيطة فهمت مريم ان الله يختارها، ويطهرها ويجعلها على رأس نساء الوجود .. هذا الوجود والوجود الذي لم يخلق بعد .. هي اعظم فتاة في الدنيا وبعد قيامة الاموات وخلق الاخرة ..

وعادت الملائكة تتحدث :

(يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) .

وملأ قلب مريم احساس مفاجيء بان شيئا عظيما يوشك ان يقع ..
كانت تحس ذلك احساسا غامضا منذ أيام لكن احساسها يتأكد الان .

انحدرت الشمس نحو فراشها واستيقظ الليل .

وجلس القمر على عرشه الفضي في السماء وحوله رعيته من السحاب الجميل الابيض .

وجاء منتصف الليل ومريم منهمكة في الصلاة ، ثم انهت صلاتها وتذكرت شجرة الورد فحملت بعض المياه وخرجت لتسقي الشجرة .
كانت شجرة الورد تنبت بين صخرتين في مكان يبعد عن محرابها خطوات .. وكان المكان مهجورا من الناس ولا احد يقترب منه ..

وفجاة سمعت (مريم) صوت اقدام تستقر على الارض .. لم تسمع صوت اقدام تسير .. انما سمعت صوت اقدام تستقر على الحصى والرمل والتراب .. ملأها الخوف لحظة .. شعرت بانها ليست وحدها .

ـ السلام عليك يا مريم .

فوجئت مريم انها امام صوت بشري يصدر عن انسان ..

قالت (مريم) قبل ان ترد عليه السلام :

(اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) .

وابتسم الواقف هناك ابتسامة نقية .

(قال : انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ..)

لم يكد ينتهي الغريب من كلمته ، حتى اضاء المكان بضوء غريب لا يشبه ضوء الشمس ولا ضوء القمر ولا ضوء المصابيح ولا الشموع ولا النار .. كان هناك نور شديد الصفاء .. وراح هذا النور يتجمع حول الواقف في شكل اجنحة راحت تزيد حتى ملأت الافق حول (مريم) ودارت في رأس مريم كلماته .. (انما انا رسول ربك) .. آه .. هذا سيد الملائكة، الروح الامين جبريل عليه السلام ، وقد تمثل لها بشرا سويا ..

قالت : (انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ..)

قال الروح الامين :

(كذلك قال ربك .. هو علي هين .. ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا) .

استقبل عقل (مريم) كلمات الروح الامين .. الم يقل لها ان هذا هو امر الله .. وكل شيء ينفذ اذا امر الله .. ثم اي غرابة في ان تلد بغير ان يمسسها بشر .. لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم من غير اب او ام ، لم يكن هناك ذكر وانثى قبل خلق آدم . وخلقت حواء من آدم فهي قد خلقت

من ذكر بغير انثى .. ويخلق ابنها من غير اب .. يخلق من انثى بغير ذكر .

والعادة ان يخلق الانسان من ذكر وانثى .. العادة ان يكون له اب وام لكن المعجزة تقع عندما يريد الله تعالي ان تقع ..

عاد جبريل عليه السلام يتحدث :

(ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح بن مريم وجيهــا في الدنيــا والاخرة ومن المقربين .. ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) .

زادت مريم دهشة .. قبل ان تحمله في بطنها تعرف اسمه .. وتعرف انه سيكون وجيها عند الله وعند الناس ، وتعرف انه سيكلم الناس وهــو طفل وهو كبير .

سيصبح عندما يكبر رسولا لله ونبيا رسالته هي الحب ..

ومرت الايام ، كان حملها يختلف عن حمل النساء .. لم تمرض ولــم تشعر بثقل ولا احست ان شيئا زاد عليها ولا ارتفع بطنها كعادة النساء .. كان حملها به نعمة طيبة .

وجاء الشهر التاسع فخرجت مريم ذات يوم الى مكان بعيد .. انهــا تحس ان شيئا سيقع اليوم .. لكنها لا تعرف حقيقة هذا الشيء .

قادتها قدماها الى مكان يمتليء بالشجر .. مكـــان لا يقصده احـد لبعده .. مكان لا يعرفه غيرها .. لم يكن الناس يعرفون ان (مريم) حامل . وانها ستلد .. كان المحراب مغلقا عليها ، والناس يعرفون انها تتعبد فــلا يقترب منها احد .

وبدات مريم تلد ..

(فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) ..

ان الم الميلاد يحمل لنفس العذراء الطاهرة آلاما اخرى تتوقعها ولــم تقع بعد . كيف يستقبل الناس طفلها هذا .. وماذا يقولون عنهــا .. انهم يعرفونها عذراء .. فكيف تلد العذراء .. هل يصدق الناس انها ولدته بغير ان يمســـها بشر .. وتصورت نظرات الشك ، وكلمات الفضول ، وتعليقات الناس وامتلأ قلبها بالحزن .

وولد في نفس اللحظة من قدر الله ان يحمل في قلبه احزان البشرية .. لم تكد مريم تنتهي من تمنيها الموت والنسيان ؛ حتـــى ناداها الطفل الذي ولــد :

(فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، وهــزى

اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقـري عينا ، فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليـوم انسـيا ..) نظرت مريم الى المسيح .. ما انبل وجهه .. لم يكن وجهه احمر مجعدا مثل من يولد ، ولكنه كان ناعما ابيض .. وقد ارتسم عليـه الطهر والمحبة .. وكان الطفل يرقـد عـلى حشائش الارض الخضراء ويتكلـم .. يحدثها ان تكف عن حزنها .. ويطلب اليها أن تهز جذع النخلـة لتسقط عليها بعض ثمارها الشهية .. فلتأكل ، ولتشرب ، ولتمتلىء بالسلام والفرح ولا تفكر في شيء .. فاذا رات من البشر احدا فلتقل لهم اني نذرت للرحمن صوما فلن تكلم اليوم انسانا .. ولتدع له الباقي ..

وتظرت (مريم) الى المسيح بحب .. كان طفلا لم يزل مولودا منـذ لحظات ، ولكنه يحمل مسؤولية امه على كتفيه .. كما سيحمل بعد ذلـك آلام الفقراء على كتفيه .

وظهر لمريم في وجه الطفل تعبير غريب .. تعبير مـن جـاء الى العالم لا ليأخذ منه شيئا وانما ليعطيه كل شيء .

ان تفكير مريم كله كان يدور حول مركز واحد .. هو عيسى ، وهـي تتساءل بينها وبين نفسها كيف يستقبله اليهود .. ماذا يقولون فيه .. ماذا يقولون عنها . هل يصدق احد من كهنة اليهود الذين يعيشون عـلى الغش والخديعة والسرقة ، هل يصدق احدهم وهو بعيد عن السماء ان السماء هي التي رزقتها بطفل . ان موعد خلوتها ينتهي ، ولا بـد ان تعود لقومها فماذا يقـول الناس .

في البداية حاصرتها الاسئلة .. ابن من هذا يا مريم ؟ لمـاذا لا تردين ؟ هو ابنك قطعا .. كيف جاءك ولـد وانت عذراء ..؟

(يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) ..
اشارت بيدها لعيسى .

واندهش الناس .. فهموا انها صائمة عـن الكلام وترجـو منهم ان يسألوه هو كيف جاء ..

تساءل الكهنة ورؤساء اليهود كيف يوجهون السؤال لطفل ولـد منذ ايام .. هل يتكلم طفل في لفافته ؟
قالوا لمريم :

(كيـف نكلم من كان في المهد صبيا ؟)
قال عيسى :

(اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا اين ما كنت

واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا .. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا .. والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) .

لم يكد عيسى ينتهي من كلامه حتى كانت وجوه الكهنة والاحبار ممتقعة وشاحبة ..

كانوا يشهدون معجزة تقع امامهم مباشرة .. هذا طفل يتكلم في مهده .. طفل جاء بغير اب .. طفل يقول ان الله (قد آتاه الكتاب وجعله نبيا) هذا يعني ان سلطتهم في طريقها الى الانهيار .. سيصبح كل واحد فيهم بلا قيمة عندما يكبر هذا الطفل .. لن يستطيع ان يبيع الغفران للناس او يحكمهم عن طريق ادعائه انه ظل السماء على الارض او باعتباره الوحيد العارف في الشريعة ..

شعر كهنة اليهود بالمأساة الشخصية التي جاءتهم بميلاد هذا الطفل .. ان مجرد مجيء المسيح يعني اعادة الناس الى عبادة الله وحده .. وهذا معناه اعدام الديانة اليهودية الحالية .. فالفرق بين تعاليم موسى وتصرفات اليهود كان يشبه الفرق بين نجوم السماء ووحل الطرقات . وتكتم رهبان اليهود قصة ميلاد عيسى وكلامه في المهد .. واتهموا مريم العذراء ببهتان عظيم .. اتهموها بالبغاء ، رغم انهم عاينوا بانفسهم معجزة كلام ابنها في المهد . واسدل الستار موقتا على القصة .

واتجه اليهود الى (هيرودوس) يوغرون صدره على الطفل وامه ، فاستدعى الحاكم هيرودوس كاهن اليهود وقال له :

ــ اريد ان احدثك في موضوع يثير قلقي ايها الكاهن .

قال الكاهن :

ــ اتمنى ان اخدم جلالتك ..

قال الحاكم :

ــ سمعت اخبارا متضاربة عن طفل ولد وتكلم في مهده ، وقال انه سيخلص شعبه .. ما هي حقيقة القصة ؟ قال الكاهن :

ــ هل تهم جلالتكم الديانة اليهودية ..؟
قال الحاكم ثائرا :

ــ لا اهتم بشيء غير سلطان روما .. اجب عن سؤالي ايها الكاهن .

كان الكاهن قد راى عيسى يتكلم في مهده .. وكان يفهم انه لو قال هذا فسوف يثير المتاعب لنفسه ؛ واختار ان يكذب نصف كذبة .. فقال للحاكم انه سمع عن القصة ، ولكنه يشك فيها .

بعد ان انتهى الحوار انصرف الكاهن وبدأ الحاكم يفكر .. ماذا لو كان هذا الكاهن يكذب .. لقد رأى في عينيه وميض الكذب .. وهو يعرف هذا الوميض لانه كاذب هو الآخر ..

في نفس هذا الوقت ..

كانت مريم تخرج من فلسطين كلها الى مصر .. بامر من الله .

قطعت صحراء سيناء مع قافلة كانت تتجه الى مصر ، سارت تحمل عيسى في نفس الطريق الذي سار فيه موسى من قبل حين ظهرت له النار المقدسة ونودي من جانب الطور الايمن .

وفي مصر عاش المسيح طفولته وصباه ، ثم جاء مريم نفس الغريب الذي امرها أن ترحل من فلسطين وامرها هذه المرة ان تعود لفلسطين .

قال لها : هلك الملك الظالم فعودي بابنك يا مريم ، جاء الوقت على الخير ليعتلي عرشه . سيكون عرشه قلوب الفقراء والتعساء والصادقين .

عودي يا مريم .

وعادت مريم .

ومرت مياه كثيرة في نهر الاردن .

وكبر عيسى وادرك الشباب .

خرج عيسى من بيته في طريقه الى المعبد اليهودي .

كان اليوم هو السبت .

لم يكن هناك بيت يهودي يستطيع ان يوقد نارا او يطفئها يوم السبت او ينزع قشرة ثمرة .. ممنوع في هذا اليوم أن تعجن امرأة عجينها ، او ان يغسل غلام كلبه ، او ان تضفر فتاة شعرها .

كان موسى قد امر باحترام يوم السبت وتخصيصه لعبادة الله .

وذهبت الحكمة من احترام يوم السبت ، وبقي يوم السبت نفسه .. ميدانا خصبا لتطبيق النصوص الحرفية الجامدة . صار يوما مقدسا عند اليهود ، واحاطوه بسياج من التقاليد الشكلية الجوفاء .
سار عيسى قاصدا المعبد .

ورغم انه يوم السبت .. فقد مد عيسى يده الى ثمار حقل واخذ منه ثمرتين أعطاهما لطفل فقير جائع .

كان هذا التصرف في الديانة اليهودية يعد خروجا عن الديانة اليهودية.

وصل عيسى الى المعبد ووقف داخله وطاف ببصره حوله .

ان حيطان المعبد صنعت من خشب الصندل ذي الرائحة المعطرة .. والستائر من القماش الفاخر المنسوج بالذهب .. والمصابيح الفضية تتدلى من السقف .. والشموع تملأ المكان بالضوء ، ورغم ذلك كان الظلام يملأ القلوب .

وفي مكانه البعيد الذي وقف فيه كان عيسى يشبه نقطة الضوء الوحيدة في المكان .. وكان الله لم يأمره بعد ان يفرش هذا الضوء لاكبر عدد من الفقراء والتعساء والحزانى .

طالت وقفة عيسى في المعبد ..

كلما ادار وجهه حوله وجد كهنة .. كان هناك عشرون الف كاهن .. اسماؤهم مسجلة في الهيكل ، يتعيشون منه ، ويقبضون مرتباتهم من خزائنه ، وكانت حجرات المعبد تمتلىء بالالاف منهم في ملابس الحفلات .. هؤلاء هم اللاويون بقبعاتهم المدببة وجيوبهم العريضة التي يحملون فيها كتب الشريعة ، وهؤلاء هم الفريسيون بملابسهم البنفسجية الواسعة ذات الاطراف المنسوجة بالذهب .. وهؤلاء هم خدم الهيكل الرسميون في ملابسهم البيضاء ، وهؤلاء هم الصدوقيون ، وهم طائفة الكهنة الارستقراطيين التي تتحالف مع السلطة الحاكمة وتثري عن طريق هذا التحالف . لاحظ عيسى ان عدد زوار الهيكل اقل من عدد الكهنة ورجال الدين .. كان المعبد يمتلىء بالخراف والحمام التي يشتريها زوار المعبد لتقديمها قرابين تذبح داخل المعبد فوق المذبح .

كانت كل خطوة داخل المعبد تكلف السائر نقودا .

ان القيمة الوحيدة التي عبدها الناس في هذا الزمان كانت هي النقود .

صار الترف المادي او الثراء هو القيمة الوحيدة التي يتصارع عليها الناس جميعا ، لا فرق في ذلك بين رجال الشريعة او رجال الحياة .

ان الصدوقيين والفريسيين يتعاملون في الهيكل كأنهم داخل سوق يستغلونه للاثراء على حساب الضحايا الذين يوقعهم حظهم في دخوله .

وكثيرا ما كان الصدوقيون والفريسيون يتشاجرون في امور الشريعة العليا ، ومثال ذلك مشاجراتهم بشأن توريد الاضحية اللازمة الذبيحة اليومية في الهيكل .

طاف عيسى بعينيه في المكان ..

لاحظ الفقراء الذين لا يستطيعون شراء الاضحية ولا تقديم القرابين . لاحظ كيف يعاملهم الكهنة ويهشونهم كالذباب .

وفكر عيسى بينه وبين نفسه .

لماذا يحرقون الحيوانات ويذهب لحمها دخانا في الهواء .. وهناك الاف الفقراء يموتون جوعا خارج المذبح ؟ لماذا يظنون ان الله يرضى عندما تتلطخ المذبحة بالدماء وتذهب الاضحية الى بيوت الكهنة ودكاكينهم لبيعها بعد ذلك ..؟ لماذا يجب على الفقراء ان يستدينوا ليصرفوا نقودهم في شراء حيوانات الذبيحة ؟ ولماذا لا تصلح الا الذبائح التي يربيها الكهنة ..؟ وماذا يفعل الكهنة بهذه النقود ؟ واخيرا .. اين مكان الفقراء في المعبد .. ان كل من هنا اغنياء معهم نقود .. اليس غريبا ان يدخل الانسان بيت الله ومعه نقود ..؟

وانصرف عيسى من المعبد وخرج من المدينة كلها الى الجبل ..

وفي هذه الليلة المباركة ..

قبضت من الارض روحا نبيين كريمين .. هما : يحيى وزكريا .

في نفس الليلة .. نزل الوحي على عيسى بن مريم ، وصدر له امر الله تبارك وتعالى ان يبدأ دعوته الى ملكوت السماء .

ولكن كيف يتصرف عيسى ازاء هذا الفساد كله ؟

لقد بعث عيسى مؤيدا للتوراة كما انزلها الله عز وجل على موسى .. لا يهدم نبي عمل نبي سابق .

كل الانبياء حلقات في سلسلة واحدة هدفها النقاء والحق وتوحيد الاحد .

كيف يتصرف عيسى ازاء شريعة القصاص الموسوية ؟
كان تصرفه الهاما من خالقه سبحانه .

رد عيسى القوم الى الغرض الاصلي من الشريعة .. ردهم الى حكمتها الداخلية الاصيلة ..

ردهم الى الحب .
لن يقول المسيح لمن يضربه على خده الايمن شيئا ..
لن يسعى الى ضربه على خده الايمن ..

سيدير المسيح عليه الصلاة والسلام له خده الايسر ..
هذه هي شريعة عيسى ..
لا تختلف شيئا عن شريعة موسى ..
هي عمق بعيد من اعماق شريعة موسى ..
هي العمق الاخير لهذه الشريعة ..

يريد عيسى أن يثبت للقوم حوله شيئا هاما ، يريدهم ان يفهموا ان الشريعة ليست ان تنتقم لنفسك وتضرب . الشريعة الحقيقية ان تسامح وتعفو وتحب .

تصير قادرا على الحب .

ليست القدرة على الحب امرا في طاقة البشر جميعا ، وليست حاسة تولد بميلادهم ، انما هي نهاية طريق من المعاناة والالم ، وهي بداية الوجود الانساني الحقيقي .

ان عديدا من وحوش الغاب والدواب تحب انفسها ، وتقاتل من اجل الطعام والشراب ، وتطعم ابناءها وتدخر لهم ، الفرق بين الانسان والحيوان هو فارق في درجة الحب .. لا يستطيع الحيوان ان يتجاوز ذاته بالحب الى ذوات الاخرين ، اما الانسان ، فهو الكائن الذي يستطيع ذلك ..

وفي ذلك يكمن مجده وانسانيته .

افهم المسيح قومه ان الانسان لا يصير انسانا الا اذا انخلع من ذاته واحب الآخرين . وكلما ازداد القلب الانساني اقترابا من ابعد الناس عنه ، هنالك يقترب الانسان من انسانيته .

(سمعتم انه قيل فلتحب قريبك ولتبغض عدوك . اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم . احسنوا الى مبغضيكم . وصلوا من اجل الذين يسيئون اليكم ويضطهدونكم) ــ انجيل متى ــ

تميزت دعوة عيسى ــ منذ بدايتها الى النهاية ــ بالشفافية والنقاء البالغين ، وبكونها دعوة تستهدف خلاص الروح ، او دعوة تعتبر دستورا للسلوك الفردي ، وليست نظاما للحياة وقانونا للمجتمع وتشريعات محددة .

لن تجد في دعوة عيسى مثلا نظاما تشريعيا للميراث ، او الوصية ، او الزكاة .. لن تجد نظاما تشريعيا يقرر عقوبة للقتل او السرقة او الزنا .. لن تجد تشريعا للزواج والطلاق والنفقة ..

تجاوزت دعوته كل هذه التفصيلات الدقيقة الى النبع الاصيل وهو الروح ..

كان عيسى يريد احياء الروح الانساني ، وقيادته الى النور الخالق . ولهذا السبب جاء عيسى مؤيدا بالروح القدس .

والروح القدس هو جبريل عليه السلام .

ونحن لا نعرف الكيفية التي ايد الله تعالى بها عيسى .. هل صحبه جبريل ولازمه طوال بعثته ؟ ان جبريل عليه السلام يتنزل على الانبياء

بالرسالات ، او بالمعجزات ، او ينزل على قومهم بالعقوبات .. لكنه لا يمكث معهم طيلة الوقت ، فهل لازم جبريل عيسى حتى رفع عيسى ..

يكاد القلب يطمئن لهذا التفسير ، فقد كان في حياة عيسى شيء ملائكي .. وكانت لديه قدرة خارقة على المعجزات ، وبلغت قدرته حد احياء الموتى باذن الله ، كما بلغت قدرته حد النفخ في طين صنع كهيئة الطير فاذا هو يطير باذن الله ..

لم يكن عيسى يقرب النساء ايضا .. عاش حياته حتى رفعه الله لم يمس امراة ولم يتزوج .. وهذه صفة ملائكية ايضا ، فقد كان معظم انبياء الله تعالى يتزوجون ويملكون عديدا من النساء ، وتقدر كتب اليهود عدد نساء بعض انبيائهم (كسليمان مثلا) بالف امراة ، ولا نريد ان نتوقف عند الرقم لان معظم الارقام تعرضت لعوامل التعرية والمحو والتبديل ، غير اننا نريد أن نشير الى طبيعة عيسى التي أرتفعت عن دواعي الجسد ورغباته المشروعة .

لقد عاش حياته متبتلا كابن خالته يحيى .. واذا كان يحيى ناسكا يعيش في الجبال والصحارى ويبيت في المغارات والكهوف ، فالامر يبدو طبيعيا بالنسبة له ، اما عيسى فعاش وسط مجتمع المدينة .. وليس لاستغنائه عن النساء كلية ، وليس لمعجزاته الباهرة المتصلة بالروح في رأينا غير تفسير واحد ، هو تأييده بروح القدس طيلة الفترة التي استغرقتها دعوته .

وتلك نعمة لا نعرف احدا من الانبياء اوتيها من قبل .

قال الله تعالى في سورة المائدة :

(اذ قال الله يا عيسى بن مريم : اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك . اذ ايدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني ، وتبرىء الاكمه والابرص باذني ، واذ تخرج الموتى باذني ، واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين . واذ اوحيت الى الحواريين أن امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون) .

وهناك معجزة اخرى يذكرها القرآن الكريم في سورة المائدة .. في قوله تعالى :

(اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم : هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين .

قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وانت خير الرازقين ، قال الله اني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) .

وكانت المعجزة السادسة هي انزال المائدة من السماء بطلب الحواريين .

وهناك معجزة سابعة وردت في سورة آل عمران ، وهي اخباره عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ولم يعاينها ، فقد كان ينبيء صحابته وتلاميذه بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم .

(وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين) .

هذه هي معجزاته السبع .. تسبقها معجزة ميلاده من غير اب .. وتليها معجزة رفعه الى السماء حين حاولت السلطات الحاكمة صلبه .

لقد اثبت القرآن الكريم لعيسى معجزتين لم يرد بهما خبر في الاناجيل :

معجزة كلامه وهو رضيع في المهد ، ومعجزة المائدة التي انزلت على الحواريين من السماء ، كما اثبت له كرامة انقاذه من أيدي اليهود فلم يسمح لهم بتغييبه او قتله وانما رفع الى السماء .

وأوصى النبي محمد بالمسيحيين خيرا ، وتزوج من مارية القبطية .

يروي ابن جرير نقلا عن ابن عباس ، ان رجلا من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ولدان مسيحيان ، فاسلم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اذا كان يجب عليه اكراه ولديه على اعتناق الاسلام ، وهما يرفضان كل دين غير المسيحية ، فانزل الله تعالى الاية الكريمة :

(لا اكراه في الدين) .

وعندما جاء رسل نجران المسيحيون الى المدينة لمفاوضة النبي . منحهم نصف مسجده ليؤدوا صلاتهم فيه .

وقام محمد يوما لجنازة ، فقيل له انها جنازة يهودي فقال :

ــ اليست هي نسمة .

وقال عليه الصلاة والسلام : من اذى ظلما ، يهوديا او نصرانيا ، كنت خصمه يوم القيامة ، قد يدوم الملك على الكفر ولكنه لا يدوم على الظلم .

بيروت　　　　　　　　زهير ماريني

من وحي البداية التي تجاوزت كسرى وقيصر

بقلم : د. وجيه كوثراني

تهل ذكرى مولد الرسول العظيم ، في زمن يحمل في كل يوم عبرة للتذكر ودعوة لاستحضار الذكرى حية ، متدفقة مشبعة بالتفاؤل والامل .

ذلك ان مولد النبي عليه الصلاة والسلام ، كان تجاوزا لتاريخ نطل عليه من نافذة اليوم . فنرى هذا التاريخ قبلية وثنية، وعصبية طائفية، نراه تفككا اجتماعيا تحللت فيه القيم الانسانية والروابط العامة ، وبرزت البسوس حروبا أهلية مدمرة . نراه انفلاتا للأنا الفردية الجامحة ، في مجال يتصارع فيها الطواغيت من كل صوب ، صغارا على مستوى قبائل موالية للكبار ، وكبارا على مستوى هرقل وكسرى ، نراه صراعا بين يسار تابع ويمين ملتحق ، بين قيصرية شرقية وفاشية غربية . نطل على تاريخ واحد في زمن تدعو فيه الذكرى وتلح على التغيير والتجاوز .

« يا ايها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

ولم ينطفيء نور السراج لحظة واحدة في هذا التاريخ ، كانت قوى البغي والجور تتشكل على مستوى الدولة والسلطان ومشاريع العصبيات والتغلب ، وفي الوقت نفسه كان الاسلام يحيا في شهيد وثورة وانتفاضة ، كان يحيا في نص قرآني كريم وسنة شريفة ، وفي احكام فقهاء وفتاوى مجتهدين ، ومواقف مؤمنين .

لم ينطفيء نور السراج لحظة واحدة وفي وقت كان الاجتياح الاستعماري الغربي يعمل تدميرا ونفيا لحضارات الشعوب المقتحمة ويعمل على تدمير الاقتصاد المحلي وتشويه الثقافة الاسلامية واقتلاعها من النفوس والعقول عبر مناهج قاهرة ، وجامعات قاصرة ، ومدارس تقوم على غسل العقول وتعليب الانسان وتوضيبه ، فكما تعلب السلعة وتبرمج الالة في نظام انتاج يتوخى الربح وتراكم الثروة على حساب قيمة الانسان ، هكذا تحددت وظيفة التعليم الغربي في علاقته باعداد الانسان ، انسان الانتاج الالي والاستهلاك اللامحدود ، انسان المعرفة المجزاة ،

---

١ ـ الكلمة التي القيت في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في الجامعة الامريكية بدعوة من نادي التراث العاملي .

الإنسان الذي يتوهم ان حريته تمارس بعيدا عن حرية الجماعة ، وفي حلقة مفرغة من الذاتية التي تدور على نفسها بلا فاعلية اجتماعية او سياسية ، انسان الاجهزة والمؤسسات والاحزاب التي يديرها عقل الاحتكارات الكبرى وعقل الدولة واجهزة اعلامها ومخابراتها ..

تلك هي صورة التعاليم التي وصلتنا من الغرب فاعتقدنا انها مصدر نهضتنا الحديثة ، فسمينا الفردية فيها حرية ، وتنافس الاحتكارات وصراع القوى المتسلطة ديمقراطية .

ورب سائل : والعلوم البحتة من رياضيات وفيزياء وكيمياء وطب ؟ اين نضعها ؟

والجواب انه ينبغي التمييز بين التعلم من الاخر والاقتباس عنه من موقع المستقل والسيد ، وبين التعلم من الاخر من موقع التابع والعبد . في الحالة الاولى يمكن ان نسمي ذلك تواصلا حضاريا مفيدا ، نلاحظ نموذجه في تاريخ علاقة الاسلام الحضاري في مرحلة سيادته باليونان وحضارات الشعوب الاخرى ، ونلاحظ نموذجه ايضا في تاريخنا الحديث في تجربة بعثات الازهريين الى اوروبا ايام محمد علي باشا في مصر . كانت هذه البعثات وسبب اعدادها المنهجي الاسلامي في الازهر ، تستوعب بشكل متفوق لغات اوروبا وعلومها البحتة ، وتخضع مناهج علومها الوصفية الانسانية للنقد والتقويم .

ولم يصبح الامر تقليدا وانبهارا ، ونقلا للنموذج الغربي الا بعد فشل تجربة السيادة والاستقلال ، وفرض عملية الاستلحاق بالغرب بالعنف والقوة والاحتلال ..

بذلك برزت لغة المغلوب ، لغة استلاب ، لغة تماه مع الاخر ، اذ نتوهم ان محاكاتنا له بلغته ومفاهيمه ، وقيمه ، توصلنا الى قوته وعلمه وموقعه . ولم نكتشف ان علاقة المغلوب بالغالب ، علاقة العبد بالسيد لا تسمح بالتعلم الحر ، والتبادل الحضاري المنفتح ، فلا الغالب يقدم سر غلبته ولا المغلوب بقادر على التمييز والتبصر والاختيار الامثل .

تلك كانت مشكلة علاقتنا بالغرب : فخا ومأزقا للنهوضيين العرب والاسلاميين . لم يأت الخلاص حتى الان لا من اتقان لغة الغالب فقط ، ولا من التماهي معه قيما وفكرا وتاريخا وتحديثا وتعليما ..

بل اتى من تلك الشعلة التي لم ينطفيء وهجها في التاريخ ، اتى من مقاومة عنيدة تتقن غير لغة الغرب ، تتقن لغة القرآن الكريم ، وتستوعب الشريعة احكاما فقهية ملائمة للعصر . فتسقط معاهدة بين حكومة الشاه وبريطانيا من خلال فتوى آية الله الشيرازي في تحريم التبغ في ايران .

ـ تنظم حرب جهاد في العراق ضد الاحتلال الانكليزي من خلال فتاوى علماء النجف الشريف ، في ضرورة الجهاد ضد امارة الاجنبي ، حتى ولو كان ذلك تحت راية السلطان العثماني المستبد .

ـ تقوم حرب الريف في المغرب بقيادة قاض شرعي هو عبد الكريم الخطابي .

ـ وتنهض ثورة عارمة في ليبيا ضد فاشية موسوليني بقيادة مدرس ومقرىء للقرآن في كتاب من كتاتيب القرى هو عمر المختار ..

تلك كانت البدايات مؤشرا الى ان رسالة الاسلام استمرت خافقة في قلوب المسلمين ، حية في ضمائر علمائهم وفقهائهم ، متحركة في عقول مجتهديهم ، رغم الجمود والتحجر ، ورغم ما يسميه التنويريون « عصر الانحطاط » .

تلك كانت البدايات في عصر التغلب محطات على طريق مولد دائم متجدد لرسول الدعوة ولحامليها من بعده ، وما احوجنا اليوم للتواصل مع البدايات فكرا وممارسة ، منهجا وتطبيقا ، تعليما وسياسة ، في المدرسة والجامعة كما في الحياة العملية .

وهنا تبرز الحاجة اكثر ما تبرز ، وفي سياق هذه النهضة الاسلامية الانسانية المباركة ، الى ردم الهوة ما بين المثقف الحديث الذي هو نتاج عصر الغلبة الغربية وما بين الفقيه الذي يحمل امانة النص الشرعي في تمثل الجماعة والامة له ، ما احوجنا الى الغاء ما ارساه الغرب في وعينا بأن ثمة « رجال دين » يشكلون طبقة دينية ، في المجتمع . ما احوجنا الى ان يصبح العلم واحدا ، بان تصبح المعرفة وكما كانت في عصر الازدهار الاسلامي ، وكما مارسها الرسول كلا لا يتجزأ الى قطاعات .. ذلك ان المنهج الاسلامي في المعرفة والعلم لا يفصل بين علوم الفقه والفلسفة والتاريخ والعلوم التجريبية من طب وفيزياء وكيمياء .

والنقد الذي يوجهه القطاع الرافض من المثقفين الغربيين لمناهج العلوم كما درست وتدرس في الغرب الان ، ينطلق من وعي وحدة المعرفة في الانسان دون ان يلغي ذلك الاختصاص ودوره ، على الا يعني الاختصاص انفصالا وانقطاعا ما بين قطاعات المعرفة ، على الا يعني تحويل الانسان الى قطع يتم برمجتها في المدرسة والجامعة .

هذا النقد الذي نسمع اصداءه في الغرب عساه يقنع من يصر على التقوب من مثقفينا ، بأن ثمة تجربة اسلامية غنية في هذا المجال ينبغي ان ترتكز اليها نهضتنا وينبغي ان تستلهم منها الكثير :

الم يكن انتشار الكتاب وواجب تعلم القرآن سببا في قلة نسبة الامية بين المسلمين ، حتى في عصر الجمود والانحطاط ، او لم يكن زوال الكتاب والاقلاع عن تعلم القرآن وحلول المدرسة الحديثة محلهما سببا في تكاثر نسبة الامية بين المسلمين ، في وقت لم تستجب فيه المدرسة الحديثة ببرامجها ووظيفتها وقيم كتبها لانماط حياة الناس وقيمهم ومعاشهم ؟

لا يعني ذلك دعوة ضد المدرسة ، وانما دعوة للتفكر في قاعدة اسلامية تحل معضلة الامية في العالم الاسلامي .

ايضا الم تنشأ علاقة الفصل والانقطاع بين المعلم والمتعلم في المدرسة الحديثة الغربية وفي الجامعة الحديثة نفسها ؟ هذه العلاقة القائمة على التلقين والتلقي ، وعلى التكرار والامتحان الشكلي تضرب قواعد اساسية في التجربة التعليمية في الاسلام . تضرب القاعدة التي تنطلق من خيار الاستماع الى اي استاذ والتتلمذ عليه ، ومن خيار المناقشة والجدل في الحلقات والزوايا ، تضرب القاعدة التي تنطلق من ضرورةالتدرج المتعلم على طريق الاستيعاب والهضم وعلى طريق ممارسة التعليم في ذات الوقت بالنسبة لمن هم دون المتعلم استيعابا .

فالتدرج هنا لا يقوم على منافسة فردية ومقاييس اعتباطيسة شكلية سرية تجري في امتحانات ارهابية ، انما يقوم على مكاشفة علنية بين جماعة المعلمين والمتعلمين الذين هم جسم واحد ، وعلى اقرار واقتناع من قبل الجماعة باهلية المتدرج واجازته .

كل هذا يعرفه النجفيون والازهريون القدامى ، يترحمون عليه ، او يصرون على استمرار وتعميق ما تبقى منه ..

انطلاقا من هنا يمكن الحديث عن استقلال الجامعة عن الدولة والسلطان ، يمكن الحديث عن استقلال العلم عن السياسة المستبدة ، استقلال المعرفة عن ايديولوجية الحكم والحكام ... ذلك ان شروط الاستقلال متوفرة هنا ، وشروط الديمقراطية والحرية ايضا : ان القاعدة التي ترتكز اليها كل هذه الشروط التنظيمية والتعليمية تقوم على استقلال العلم والعالم عن ايديولوجية الدولة والسلطان .. تلك كانت محنة الفقهاء والعلماء في التاريخ الاسلامي وفي الدولة الجائرة اليوم .. انها محنتهم في اشخاصهم ، ولكنها عظمتهم في دورهم في حفظ الاسلام مستقلا ومتجاوزا قوى التسلط والبغي والجور .

ما معنى رفع شعارات نسمعها كل يوم : ديمقراطية التعليم ، الحياة الاكاديمية والمجالس التمثيلية في الجامعة ..

في ظل سيطرة البرامج الاحادية الجانب في العلوم الانسانية ، وفي ظل

قيام التعليم على التلقين والامتحان السري ، في ظل سيطرة العمل الحزبي الموسمي الذي يسعى نحو السلطة واحتلال المواقع ، في ظل صعود النخب « المتغربة » التي تنقل نقلا حرفيا مناهج العلوم الاجتماعية والانسانية والتاريخية من الشرق ومن الغرب ، يصبح التمثيل والحياة الديمقراطية والاكاديمية والمشاركة ممرات للسيطرة النخبوية ، ووسائل لتنصيب زعامات صغيرة تتحكم في مقدرات العلم ومؤسساته .

تمدنا التجربة الاسلامية بدرس كبير : استقلال العلم عن مشاريع السلطان ونظرياته بالتماثل تماما مع استقلال الرسالة النبوية عن سياسات كسرى وقيصر .

ـ وحدة التعليم والتعلم ضمن جماعة متماسكة تقوم على الحوار والمناقشة وحرية الاختيار .

تمدنا التجربة الاسلامية بدرس كبير :

ـ ذهنية نقدية تسمح بمراجعة المسلمات التي استوردناها قوانين غالية دون ان نخضعها لتاريخيتها ونسبيتها في معرفة الحقيقة الانسانية .

واخيرا ،

وفي اوضاعنا الراهنة حيث تأسست التبعية في بنى اجتماعية وكيانات سياسية قائمة ، وحيث نشأت مؤسسات ثقافية تقوم على النموذج الغربي بشقيه ، في اوضاعنا الراهنة ، تطرح تحديات العصر علينا جملة من الاختيارات : لكن المأزق يكمن في اننا لا زلنا نشكل طرفا لمركز ولا يزال هذا المركز قادرا على تجديد غلبته السياسية من خلال شبكة هائلة من الاقنية الاقتصادية والثقافية والمؤسسية ، هل نستطيع ان نكسر هذه التبعية لكي نختار عن وعي مشروعنا الثقافي الانساني ، مشروعنا الذي نستطيع ان نتعامل من خلاله مع الغرب دون خوف ولا انبهار . ان شرط ذلك هو الحرية ، من هنا تكون البداية ، بداية الاستقلال التي فتحتها في طريق الانسانية دعوة محمد (ص) .

البداية التي لا بد ان تتجاوز كسرى وقيصر .

وجيه كوثراني

رأي الإسلام في نظام الفائدة

بقلم د. محمد عبد المنعم خفاجي
عميد كلية الآداب في اسيوط

— ١ —

الفائدة في استعمالنا اليوم هي الربـــا بالمعنى الفقهي ، يقـــول مؤلف كتاب « الفقه على المذاهب الاربعة » في الصفحة ٢٤٦ : « ومنه (اي الربا) ما هو معروف في زماننا من اعطاء مال بأجل بفائدة (٢٪) » . ويقول كينز احد زعماء الاقتصاد في انجلترا (ـ ١٩٤٦) اثـــر اتفاقية بين بريطانيـــا وامريكا حول قروض للحكومة الانجليزية : « لا استطيع ابد الدهر ان انسى ذلك الحزن الشديد ، والالم المرير ، الذي لحق بي ، من معاملة امريكا لنـا في هذه الاتفاقية ، فانها ابت ان تقرضنا شيئا الا بالربا » .

ولقد اعلن كينز البريطاني (ـ ١٩٤٦) ، وشاخت الالماني (ـ ١٩٥٠) .. ومن قبلهما آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) البريطاني ... والثلاثة من اعلام الاقتصاد ، اعلنوا الحرب على نظام الفائدة ، والاقراض بها ودعوا الى الغائها .

والفائدة او الربا حرام في الاسلام ، وهذا التحريم لـــه حكمة بالغة ، حكمة انسانية رفيعة ، تنطلق من مبدأ الاسلام الانساني ، ومـــن نظريتـــه الاقتصادية السمحة ، ومن ضرورة ان يكـــون المـــال في خدمـــة الانسان والمجتمعات والشعوب ، وأن يكـــون ملتزمـــا بمبادىء السماحـــة ، واليسر والانســـانية .

ان الشركات الكبرى تقف وراء كل دعاية موجهـــــة لتحليل التعامـــل بالفائدة الربوية ، وتقلب صور اعمالها الربوية الى صور كثيرة منتجة ، مـــن بيع وشراء وشركات وغيرها ، او الى صور اعمال تدخل تحت البر والاحسان والمواساة وانقاذ الفقير . وقد استعاضت عن اصطلاح الربا الى اصطلاح آخر بديل عنه ، وهو الفائدة . ومن ثم يجب على الباحث أن لا ينخدع بوســائـل الدعاية من جهة ، والا يقف عند الظواهر من جهة اخرى ، بـــل عليه النفوذ الى الجوهر ، والى حقائق الاشياء وحدها دون غيرها ..

فالشركات الانتاجية العالمية تفرض سيطرتها عـــلى الاسواق ، لتتمكن من توزيع بضاعتها ومنتوجاتها . ومن ثم فهي تقود دولها الـــى استعمـــار الامم الضعيفة ، لتضمن بقاء سيطرتها على اسواقها وعـــلى مصادر الثروة

فيها ايضا ؛ وفي ذلك ما يرشدنا الى الاضرار الجسيمة التـي تنتج من القروض الربوية ؛ وما يدلنا على الحكمة الالهية العظيمة في تحريم الربا والفائدة ايا كانت .

— ٢ —

انه لا خلاف بين فقهاء الاسلام في تحريم ربا النسيئة ، ويسميه البعض ربا الديون ، وهو ربا جلي ، وكان متعارفا عليه منذ الجاهلية ، يقول الامام مجاهد ــ كما ورد في تفسير الامام الطبري ــ : كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين ، فيقول : لك كذا وكذا وتؤخر عني ، فيؤخر عنه . ويقول قتادة : « ربا الجاهلية ان يبيع الرجل البيع الى اجل مسمى ، فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده أخر عنه » . فكانت الزيادة بدلا من الاجل ، فابطله ــ اي ابطل الربا ــ الله عز وجل حرمه .

اما ربا الفضل اي الزيادة ، وهو ربا البيوع ، بالزيادة في احد البدلين المتفقين جنسا ، مما يجري فيه ربا الفضل ، حيث يحرم في حال التجانس التفاضل والنسأ ، اي التأجيل ، والتفرق قبل التقابض . وفي حال اختلاف الجنس يحرم النسأ والتفرق قبل التقابض ، وذلك فيما يحرم فيه الربا لعلة واحدة كالذهب والفضة والقمح والذرة مثلا .

وجمهور الفقهاء على ان ربا الفضل محرم في الاسلام كربا النسيئة ؛ والنصوص على ذلك كثيرة ، فقد ورد عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب الا وزنا بوزن » ، رواه مسلم وابو داود والنسائي . وورد كذلك : «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، فمن زاد او استزاد فقد اربى الآخذ والمعطى فيه سواء » .

ولابن عباس راي في حل ربا الفضل مستدلا بحديث مروي : « انما الربا في النسيئة » .. ويروى انه رجع عن رايه في ذلك .

وقد حاول الشيخ محمد رشيد رضا التقريب بين راي الجمهور وراي ابن عباس في ربا الفضل ، حيث حصر الربا المحرم في ربا الجاهلية .. وربما القرض مما يرجع الى ربا الفضل كما يذهب اليه مؤلف كتاب « الفقه على المذاهب الاربعة » ، ويعده بعض الفقهاء قسما مستقلا بذاته ، فعندهم ان ربا القرض بفائدة تشترط عند العقد لا يدخل في مفهوم ربا الفضل .

واكثر القروض المألوفة التي يظهر منافاتها لروح الاسلام وانسانيته وحرصه على معاونة المحتاجين ، هي القروض الاستهلاكية ، وهي التي يأخذها المحتاج لسداد دين عليه او لموازنة ميزانيته المعيشية او لقضاء بعض مطالب حياته الخاصة . فهذه القروض لا يحتاج تأكيد حرمتها الى بيان، ولا الى شرح الحكمة فيه ، اذ ان الربا والفائدة هنا مما يتنافى مع مبادىء

الاسلام وروحه المأثورة من التعاون والتكافل والبر والخير والاحسان والمواساة ، وهذا الربا يهدم جميع الخصائص التي جعلها الله من مقومات المجتمع الاسلامي ، وهو مناقضة لقوله تعالى « ويؤثرون على انفسهم » .

وقد صارت القروض اليوم في اغلبها للانتاج لا للاستهلاك ، كما كانت من قبل . والمقترض في القروض الانتاجية اليوم هو الامم والشركات والمؤسسات الكبرى ، ولم يعد المقترض هو المستهلك الفقير ، ولا الطبقات الصغيرة المحتاجة للمساعدة والمعاونة والحماية .

والقرض في حد ذاته حلال ، ولكن الفائدة المشترطة عند العقد ، اي الربا على هذا القرض الانتاجي، حرام قطعا كالفائدة على القرض الاستهلاكي سواء بسواء . فالفائدة في القروض عامة : استهلاكية او انتاجية ، هي ربا محرم قطعا ، وربا قريش في العصر الجاهلي كان قروضا انتاجية ربوية ، فلما جاء الاسلام حرم الربا من اساسه تحريما عاما ، يشمل كل زيادة على راس المال ، وصار بذلك القرض بنوعيه : استهلاكيا او انتاجيا مثلا بمثل . .

وقد ثبت للاقتصاديين ان الفائدة الربوية في القروض الانتاجية تلحق اضرارا جسيمة بالاقتصاد القومي ، فالبنوك في استغلالها للودائع المالية لديها استغلالا قريبا انما تخلق نقودا مصطنعة هي ما يسمى بالائتمان التجاري ، وهي في ذلك تغتصب وظيفة الدولة المشروعة في عمل النقود ، مما يزعزع النظام الاقتصادي ، ويفضي الى الازمات ، اذ يصبح التعامل حينئذ ليس بالذهب والفضة ، ولا بما يقوم مقامهما من الاوراق النقدية ، بل يجري بالشيكات لتي تسحب على الودائع المصرفية . . وبطبيعة الاشياء تسير البنوك على بسط هذه العملة في الرخاء وقبضها في الازمات .

ويقرر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر المنعقد عام ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م ان الاقراض بالربا محرم لا بنتيجة حاجة ولا ضرورة ، وان الاقتراض بالربا محرم كذلك . وحسبنا في ضرر الفائدة الربوية في القروض الانتاجية اننا نجدها :

اولا : من جانب متقاضيها وآخذها من اخطر الاسلحة الفتاكة في فرض سيطرة طبقات اصحاب الاموال على المجتمع ، اذ يجمعون بهذه الفوائد الربوية قوة المال في ايديهم ، ثم يسيطرون بها على اقتصاديات الامة، او على سياستها الداخلية والخارجية تبعا لذلك ، بل على تقاليدها واخلاقها وسلوكها وعاداتها ، دون ما كد ولا مجهود ، لان اغلب المال الذي تحت ايديهم ، والذي يقرضون منه ، هو مال الودائع التي يودعها الافراد لديهم .

وثانيا : من جانب دافع الفائدة ، يعمل بمختلف الوسائل على فرض هذه الفائدة على جمهور المستهلكين لانتاج شركاته ومؤسساته ، فيضيف هذه الفوائد الباهظة كلها على الانتاج ، مما يؤدي الى رفع سعر المنتوجات،

فاذا ما كسدت بضاعة بسبب غلائها او لضرورات اخـــرى وتوقف توزيعها اضطر صاحبها الى تخفيض اجور العمال ، او الى الاستغناء عن عدد منهم ، او الى تخفيض اجور اثمان المواد الاولية التي تدخل في الانتاج ، وفي ذلـــك كله ضرر بالغ بالمجتمع .

— ٣ —

ولقد حاول كثير من العلماء ومن رجال الاقتصاد اباحـــة كثير مـــن الاعمال الربوية بدعوى الضرورة والتيســير على الناس ، وهذا منطق باطل ،

ولو جاز هذا المنطق لذهب اناس الى اباحة كـــل مـــا حرم اللـــه بهذه الحجة السفسطائية الواهية .

لقد قالوا باباحة الفائدة المعتدلة على القروض الانتاجية ، بدعـــوى الضرورة او المصالح المرسلة ، او غير ذلك من الدعاوي والتكلفات . وقالوا باباحة الفائدة في القروض الاستهلاكية ما دامت قليلة ، ومن ثم اجاز الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا التعامل بالفائدة في صناديق التوفير ، وقالوا باباحة اوراق اليانصيب ، وسوى ذلك بحجة ضرورة مثـــل هـــذه المعاملات في اقتصاد الامم اليوم ، وللتيسير عـلى الناس في شؤون حياتهم . وهذا كله لا يثبت امام الحقيقة ، ولا يمكن بسببه ان نحلل حرامـــا ولا ان نحرم حلالا .

واما التأمين وهو متداول بيننا اليوم فقد قرر المؤتمر الثالث لمجمـــع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف (١٣٨٦هـ — ١٩٦٦) جـــواز التأمين الاجتماعي والتعاوني والصحي (٣/٥١٢ المؤتمـر الثالث) . امـــا التأمين الخاص فقد دعا الفقهاء الى بحثه على ضوء احكام الشريعة .

وفي القروض الاستهلاكية الربوية يمكن ان تقوم بها مجردة عن الربـــا صناديق الزكاة ، او بيت مـــال المسلمين ، او مؤسســة للقرض الاسلامـــي تنشأ للاقراض بلا فائدة .

ان دعوى اباحة الفائدة الربوية في القروض وغيرها ، لحاجـــة التيسير والمراعاة لضرورات الحياة دعوى باطلة . ومثل هـــذه الدعوى انما تخضع لمنطق الاقتصاد الغربي وسيطرتـــه على المسلمين وعلى الاقتصاد في بلادهم . فالفائدة الربوية والتعامل بها فرض لسيطرة راس المـــال ، واستغلالـــه لظروف المحتاج ، واذلال له ، واثراء لبيوت المال الصهيونية في اوربا وامريكا وهي بيوت لها اغراض اخرى . ولا ننسى اننا في مصر كان الاقتصاد المصري منذ اوائل القرن العشرين في ايدي اليهـــود وكانت ثروات الطبقات الفقيرة كلها في جيوبهم ، سدادا لفوائد ربوية .

ومن امثلة هذه الآراء الغريبة ما زعمه رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه « مناهج الالباب » الى اقتضاء الاحكام والمعاملات المصرية وتنقيح الاقضية

والاحكام الشرعية بما يوافق مزاج العصر بدون شذوذ .

— ٤ —

ان الشيوعية اليوم تحرم الربا في بلادها ولا تتعامل به ، وكانت المانيا النازية كذلك في عهد هتلر لا تتعامل بالربا ، واسست بنوكا لا ربا فيها ابدا، وتنشىء المانيا الشرقية اليوم بنوكا جردتها من الربا نهائيا ، وهم اليوم يعودون الى نظام الاسلام في الاقتصاد شيئا فشيئا ، يأخذون منه بعضا ويتركون بعضا ، وفي نظام الاسلام الاقتصادي الخير العميم ، والرخاء الكثير ، والسعادة الشاملة ، بل في كل ما اتى به الاسلام من نظم ومبادىء وتشريعات .

ولا ننسى ان المصارف الاوربية في اغلبها هي بيوت ربوية ، نشأت على ايدي الصيارفة اليهود ، وتطورت هذه المؤسسات حتى اصبحت اليوم تتحكم في الاقتصاد العالمي . واول مصرف انشىء في جنوه عام ١١٧٠م ، ثم انشىء في البندقية مصرف اخر .

ان اساس الاقتصاد الغربي هو الحافز الاقتصادي . أما الاقتصاد الاسلامي فينبني على الحافز الديني والاجتماعي والخلقي . واذا كان آدم سميث صاحب كتاب « ثروة الامم » الصادر عام ١٧٧٦م قد نادى بأن الثروة مفهوم مادي خالص ؛ فقد ابان الاقتصادي البريطاني سيسموندي (١٧٧٣ — ١٨٤٢) ان الثروة ليست مفهوما ماديا خالصا ، بل هي مفهوم يقاس بمدى ما تحققه هذه الثروة من رفاهية الانسان والانسانية ورخائهما .

ان الفائدة الربوية محرمة في الاسلام على سبيل القطع ، وقد حرمتها اليهودية والمسيحية ، واستمرت الكنيسة المسيحية في بدء عصر النهضة الحديثة في تحريمها ، وكان لوثر واتباعه يتشددون في تحريمها . ومنذ اواخر القرن ١٦ اجازت القوانين الوضعية في اوروبا التعامل بالربا . ثم اخذت الكنيسة المسيحية في اباحة التعامل به منذ القرن ١٧ . ولاول مرة صدر في انجلترا عام ١٨٣٣ قانون يعترف بمشروعية الفائدة الثابتة .. ومن البدهي ان اليهود يتعاملون بالربا منذ القديم مع حرمته في شريعتهم ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك عنهم فقال : « واخذهم الربا وقد نهوا عنه » (١٦١ سورة النساء) .

وقد قرر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ان كثير الربا وقليله حرام .

وبعد فالفائدة هي الربا ، ومن حسن الحظ ان المصارف الاسلامية تجاهلت الفائدة وطرحتها من مفهومها الاقتصادي ، وسارت على قاعدة الربح والخسارة شأن عقود الشركات والمضاربة وهو المفهوم الاسلامي الواجب العمل به .

القاهرة — **محمد عبد المنعم خفاجي**

حرية المعتقد في الإسلام

بقلم : حسن الزين

يحدثنا التاريخ ان المفكر اليهودي موسى بن ميمون اضطر قبيل مغادرته لوطنه الاندلس ان يتظاهر هناك باعتناق الاسلام ولكن ضويق في مصر حيث كان على راس اليهودية ؛ فقدابتلي باخر زمانه برجل من الاندلس فقيه يدعى بأبي العرب بن معيشة ، وصل الى مصر واجتمع به وحاققه على اسلامه ، وشنع عليه ورام اذاه، فمنعه عنه عبد الرحيم بن علي الشهير باسم (القاضي الفاضل) وقال : « رجل مكره لا يصح اسلامه شرعا » واذا لم يتيسر اثارة مسالة الردة . (١)

هذه الواقعة لم تكن الوحيدة في التاريخ الاسلامي القريب والبعيد ، لان مبدأ حرية المعتقد الذي كرسه الاسلام (لا اكراه في الدين) قد طبق في استمرارية تسترعي الانتباه عبر جميع العصور ، حتى انه رغم كثرة ما شهد الحكم العثماني من خروج متعددة الجوانب على المبادىء الاسلامية كلها في فترات مختلفة من تاريخه فان مبدا حرية المعتقد بقي اقلها تعرضا للتجاوزات واشدها استمرارية .

ويذكر المؤرخون ان مفتي القسطنطينية قد افتى حوالي نهاية القرن السابع عشر الميلادي في قضية الامير الماروني يونس الذي ارغمه والي طرابلس الشام على اعتناق الاسلام ، ثم عاد جهرة الى عقيدته المسيحية . فأوضح المفتي الراي القائل بأن الاعتراف بالاسلام اذا كان مبنيا على العنف والاكراه فهو باطل وغير صحيح وقد صادق السلطان على هذه الفتوى . وكتب بطريرك انطاكية المعاصر ستيفانوس بتروس في هذا الصدد في منشور له : ان يونس هذا عني بأن يبعث عن طريق سلطان الترك العظيم بالرسائل واحكام القضاة التي اكدت ان الارتداد عن الدين الذي اكره على اعتناقه باطل ولا قيمة له . (٢)

الفترة الزمنية الفاصلة بين الفتويين شهدت من التحولات الاجتماعية والفكرية ما ترك بصماته على معظم تصرفات المسلمين وعاداتهم . ولكن هذه العلاقة بين الفكر الديني والانسان والقدر اللازم من حرية المعتقد لمثل هذه العلاقة بقي على ما يبدو يحتفظ بمستواه وازدهاره القديمين .

ونستطيع ان نتصور استمرارية هذه المبادىء ، عبر ما حمت من قيم وابعدت من اخطار ، رغم تعدد محاولات القهر والاستبداد في فترات زمنية متباعدة حينا ومتقاربة احيانا .

لايضاح هذا الشعور نورد هذه الواقعة التاريخية التي جرت في مصر : فقد ذكر ميخائيل شاروبيم في الجزء الرابع من كتابه (الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث) ان والي مصر عباس باشا الاول – حفيد محمد علي – طلب من الشيخ ابراهيم البيجوري شيخ الازهر اصدار فتوى بنفي الاقباط الى السودان فرفض الشيخ ذلك وذكره برعاية الاسلام لاهل الذمة قائلا له : الحمد لله لم يطرأ على ذمة الاسلام طارىء ولم يستول عليها خال حتى تغدر بمن هم في ذمته الى اليوم الآخر . (٣)

من هذه الوقائع المختلفة المظاهر والعصور نستخلص ان عامل الاكراه المادي المستند الى القوة لم يكن يوما سبيل ضغط في يد المسلمين الذين حظره عليهم دينهم فتقيدوا بذلك حتى في احلك عصور الانحطاط . ولكن الربع الثاني من القرن الاول للهجرة شهد بداية التحول الكبير باتجاه الاسلام . وصار هذا التحول يأخذ من الابعاد ما جعله يحقق خلال مدة قصيرة نسبياً امتداده الكبير في معظم مناطق الشرق الاوسط . ولدارس هذه الظاهرة التاريخية ان يفتش عن اسبابها ويتقصى نتائجها ضمن المبادىء والمعطيات الاسلامية . وهذه الاسباب لم تكن محض عسكرية تعتمد القوة والاكراه المادي سبيلا لفرض العقيدة الاسلامية كما رأينا .

فهل كانت في اساسها اقتصادية تعتمد اسلوب الضغط المالي على الفئات غير المسلمة سبيلا لفرض الدين الجديد ؟ ام كانت وليدة ضغوط معنوية نتجت عن الامتيازات التي كان يتمتع بها المسلمون في المجتمعات التي خضعت لنظامهم السياسي ؟ ام كانت هذه الاسباب بعيدة عن كل تلك الفرضيات بعد أن لعب الحوار والاقناع دوره الكبير عبر اجيال ساهمت فيه بحرية وعمق نجم عنها تلك التحولات التاريخية الكبرى ؟

للاجابة على هذه التساؤلات يبدو المبدأ الذي اقامه القرآن الكريم شديد التعبير والدلالة (لا اكراه في الدين) . هذا المبدأ هو الذي حدد العلاقة الفكرية بين المسلمين وغير المسلمين في الاقطار المفتوحة ومنع وابعد كل اساليب القهر والاكراه التي كان باستطاعة المسلمين العرب ان يلجأوا اليها .

ولكن بعض المؤرخين يتحدثون عن ضغوط اقتصادية ومعنوية كانت سببا دفع ببعض الفئات الى اعتناق الاسلام !

ويقصدون من وراء كل ذلك بعض المسيحيين الذين تعرضوا (لضغط اقتصادي) بسبب الجزية التي كانوا يدفعونها لبيت المال . فهل كان اثر هذه الضريبة بالقدر الذي يصفون وكان لتأثيرها ما صوروا من نتائج ؟

والجزية لم تكن من محدثات الاسلام بل هي قديمة . عرفها اليونان فوضعها الاثينيون على سكان سواحل آسيا الصغرى مقابل حمايتهم من

هجمات الفينيقيين حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت فينيقية يومئذ من اعمال الفرس ، وكان الفرس يجبون الجزية من رعاياهم . يؤيد ذلك ما اورده ابن الاثير في كلامه عما فعله كسرى انو شروان في الخراج والجند . قال : « والزموا الناس الجزية ما خلال العظماء واهل البيوتات والجند والمرازبة والكتاب ومن في خدمة الملك . كل انسان على قدره اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم واربعة دراهم » . (٤)

اما جرجي زيدان فيقول ان العرب اخذوها عن الفرس لفظا ومعنى . فعربوا لفظها حتى صار جزية وعدلوا في كيفية جمعها . وقد رفعوها عن المسلمين كما فعل كسرى ايضا لان المسلمين عندهم هم الجند والعظماء واهل البيوتات الذين استثناهم كسرى من الجزية .

من هذا الكلام لجرجي زيدان يتضح معنى الجزية كضريبة منبثقة عن النظام بعيدا عن القهر او الاكراه طالما انها في اساس استعمالها لم تكن تستهدف الشعوب المغلوبة ، وطالما انها فرضت على المواطنين الفرس انفسهم قبل الاسلام ، وانها استعملت بنفس الغاية والدافع بعد الاسلام . طريقة جبايتها هذه تنطلق اذن من اسباب اقتصادية ومالية تفرضها ضرورات الحكم ومستلزمات النظام .

ولكن من اجل التثبت من كل ذلك لا بد من توجيه اضواء البحث على مقدار الجزية التي تحدث عنها بعض المؤرخين الاجانب بالكثير من المرارة ، والكثير من الاطالة، والكثير من الوصف لحالات الدافعين وغطرسة القابضين! فهل كان مقدارها يتناسب مع ما الصق بها من اوصاف باعتبارها اداة اكراه على اعتناق الدين الجديد ؟

يقول آدم متز : ان غالبية دافعي الجزية كانوا يدفعون الحد الادنى حتى ان بنيامين يقول : (ان اليهود في كل بلاد الاسلام يدفعون دينارا واحدا) وكذلك يقول بتاحيا : (ان اليهود في العراق لا يدفعون شيئا للخليفة وانما يدفع الواحد في كل عام دينارا واحدا لرأس الجالوت) . (٥)

وقد ظلت الجزية عند المقدار الذي فرضته الشريعة وانما كانت تتغير تغيرا يسيرا بحسب تغير العملة وكانت الحكومة في مصر في اول القرن الثالث الهجري تكتفي بأخذ نصف دينار . ولكن في سنة ٣٩٠ هـ اضطر البطريرك جيورجيوس المصري ان يدفع دينارا ونصف دينار بعد ان كان يدفع دينارا واحدا . (٦)

ولكن طالما ان قيمتها زهيدة بهذا المقدار ، لماذا فرضها المسلمون وقد كانوا بغنى عنها عبر فرض ضرائب اخرى كالزكاة وغيرها ؟

ولماذا اعطي لها هذا القدر الكبير من الاهمية الذي لا يتناسب مع قيمتها المالية ؟ فكانت في نظر البعض اداة لاكراه اهل الكتاب على اعتناق

الدين الجديد ؛ وكانت في نظر اخرين اداة احتقار من اجل اذلال اهل الكتاب ودفعهم الى درجة اجتماعية ادنى من المسلمين ؟

للاجابة عن كل ذلك او بعضه نستطيع ان نتصور في نظرة براغماتية ان الجزية ازيلت من المجتمع الاسلامي القديم فماذا يحدث ؟

تصبح امام نوعين من المواطنين (الرعايا) نـوع يعفى من جميع الضرائب وجميع الوجبات ويتمثل في اهل الكتاب من الصناعيين وغيرهم من غير الملاكين ، بينما يدفع المتساوون معهم في الثروة والعمل ضريبة الزكـاة وغيرها من الضرائب التي تفرض على المسلمين .

ويصبح مالكو الاراضي من اهل الكتاب ايضا في وضع اقتصادي غير متساو مع زملائهم من المسلمين ، اذ يعفون من دفـع ضريبة الزكاة بينما يدفعها الاخرون .

فهل يمكن لهذه النتيجة ان تتوافق مع العدالة والمساواة اللتين عبـر عنهما النظام الاسلامي في جميع منطلقاته ؟

من هذه الجهة لا نجد غرابة في فرض الجزية على اهل الكتاب طالما انهم يعفون من دفع الزكاة بسبب احترام معتقدهم وشرائعهم التي لا تقر مثـل هذه الضريبة !

وهنا يمكن للقارىء ان يقدر مدى العدالة الاجتماعية والتسامح الذي احترم ربما على حساب المساواة في الاعباء المالية بين المسلمين واهل الكتاب في المجتمع الواحد .

ومن اجل توضيح مدى اهمية الجزية كسبب لاكراه اهل الكتاب عـلى اعتناق الاسلام سعيا وراء التخلص منها يمكن تذكـر قيمتها السنوية وهي على العموم دينار واحد في العام وقد زادت حتـى بلغت في بعض الاحيـان دينارين او ثلاثة في العام . ولكن هل يعقل ان يكون هذا المبلغ سببا لتغيير الدين مهما بلغت القيمة العملية للدينارين في ذلك الزمن البعيد الـذي كان للدين فيه الاثر الاول في حياة الفرد والمجتمع ؟

يذكر بنيامين انه (كان لا يدفعها ، اي الجزية ، الا الرجل القادر على حمل السلاح وكان اهل الذمة بحكم ما نالوه مـن تسامح المسلمين ودخولهم في ذمتهم وحمايتهم يدفعون الجزية ، كل واحد منهم بحسب قدرته وكانـوا ثلاث طبقات تدفع الدنيا منها اثني عشر درهما والعليا ثمانية واربعين درهما في السنة او دينارا او دينارين او ثلاثة في البلاد التـي عملتها ذهب وكانت هذه الجزية اشبه بضريبة للدفاع الوطني) (٧) .

لم يكن فرض الجزية اذن تدبيرا انتقاميا . ولا يبدو مما وصلنا مـن اقوال المؤرخين ما يشير الى ذلك صراحة او ضمنا .

من هذا المنطلق يمكن ايضا تفسير التدابير الاحترازية التي اتخذت بحق بعض اهل الذمة في الثغور وبعض المضايقات التي حدثت على اثر رجوع هرون الرشيد من حرب الروم في هرقلة . يقول جرجي زيدان : الظاهر ان نصارى الثغور ساعدوا ابناء طائفتهم الروم في تجسس احوال المسلمين واستخدموا الكنائس لهذه الغاية فامر الرشيد بالتضييق عليهم انتقاما منهم وخصص امره بأهل الثغور على الحدود وشدد على الخصوص في مخالفتهم هيأة المسلمين في لباسهم دفعا لتنكرهم وتجسس احوال المسلمين والا فالرشيد من احسن خلفاء بني العباس عدلا ورفقا بأهل الذمة . (٨)

هذه هي قصة اللباس الخاص والظروف الخاصة التي تسببت باعتماده واقتصار هذا الاعتماد على سكان الثغور من اهل الكتاب نتيجة للتجسس الذي حدث ويمكن ان يتم هذا التجسس دون علم او تخطيط من سكان الثغور هؤلاء ، فالرومي المسيحي يستطيع ان يندس بينهم داخل كنيسة ما، دون ان يفتضح امره مما لا يستطيع عمله ربما داخل مسجد او بيت من بيوت المسلمين نظرا لالمامه باصول الشعائر المسيحية التي يقوم بها المسيحيون العرب واستطاعته اخفاء هويته وغايته خلف هذه الشعائر التي يتقن ، وقد يكون من بينهم ، اي نصارى الثغور ، من يتكلم اللغة البيزنطية فيسهل دون علم او قصد ربما ، عمل المتسللين .

واذا كانت امور التجسس تكافح اليوم بعلامات مميزة تعذر وجودها في ذلك الزمن جواز السفر والتأشيرة والاتصالات السريعة وغيرها فمن هنا يمكن ان نتفهم الاسباب الموجبة للتدبير الذي اتخذ في ذلك الزمن السحيق ، واذا كان قد اسيء استعماله في فترات تاريخية اخرى فان ذلك قد واجه سببا واحدا ونتيجتين : السبب هو استبداد عارم عابر كان يؤول دائما بعد زواله الى ازالة العدوان واعادة الاعتبار السابق .

اليست هذه الاسباب في وقائعها مشابهة لما تفرضه ظروف الحرب او الامن العام في كثير من فترات العصر الحديث ؟

واذا كانت وسائل الاعلام العالمي تبرر اليوم التدابير غير الانسانية التي تتخذ ضد المواطنين العرب في الاراضي المحتلة فان من سخريات التاريخ ان تلجأ الاقلام ذاتها الى انتقاد وقائع كان لها مبرراتها وظروفها في الزمن القديم ؟

اذا كان الاكراه المادي لم يستعمل ضد اهل الكتاب وهذا ما لا يتسع المقام لاضافة بينات تثبته زيادة عما ذكرنا وهي كثيرة ، فان الاكراه المعنوي بقي ايضا بعيدا عنهم في جميع العصور . لا شك بأنه قد حدث احيانا وفي فترات متباعدة خرق لهذه الروح العالية . ولكن كل اسبابه كانت من صنع نزوات عابرة لاستبداد بعيد عن منطلقات الدين ووجدان المجتمع الاسلامي ، لذلك كانت تزال بسرعة كل آثار ذلك الاستبداد .

واذا تذكرنا ما حدث لفئات من المسلمين من غير اهل الكتاب في هذه الفترات امكننا توضيح الرؤية التاريخية لكل هذه الامور .

لقد حفظ الاسلام النظري والعملي لغير المسلمين الحقوق والحريات التي حمت شعائرهم وحفظت مؤسساتهم ومكنتهم من المساهمة بصورة فاعلة وقادرة في بناء الحضارة الاسلامية .

محمد بن عبد الله (صلعم) كان يقول : (من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) .

وعلي بن ابي طالب (ع) كان يقول : (دماؤهم كدمائنا) وكل هذا الكلام وكثير غيره أرسى قواعد المساواة الكاملة بينهم وبين المسلمين وابعد عنهم أي اثر لاي ضغط او اكراه سببه المعتقد او الشعائر .

ان جميع عقود الصلح التي كتبها المسلمون في مصر كانت تنص على ان (لهم الامانة على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص) .

هذه هي ملامح اوضاع غير المسلمين فيما يتعلق بحرية المعتقد في المجتمع الاسلامي القديم وفي النصوص الدينية الواجبة الاتباع من قرآن وحديث ، وهي بعيدة عما يصوره المغرضون يسودها التسامح وتميزها المساواة القانونية الكاملة في اطار من حرية المعتقد متماسك وشديد . ولا تشوبها اعمال شذت او تصرفات طفت لانها نقطة في بحر ذلك الزمن الطويل واجهتها معهم فئات كثيرة من المسلمين دون استثناء . ولانه حتى هذه الاعمال ، لم تكن تهدف الى تغيير الاديان واسبابها وغاياتها كانت سياسية تتعلق بأركان الحكم وتأمين استمراريته في اغلب الاحيان .

حسن الزين

الحواشي

١ ـ العقيدة والشريعة لجولدتسيهر ص ٢١٠ نقلا عن تراجم الحكماء للقفطي .

٢ ـ رحلة الى سوريا وجبل لبنان (دي لاروك) باريس ١٧٢٢ ج٢ ص ٢٧٠ .

٣ ـ العدد ٢٧٦ من مجلة العربي محرم ١٤٠٢ هـ ، ابراهيم الفحام .

٤ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ج١ ص ٢٠٨ نقلا عن ابن الاثير .

٥ ـ رئيس الطائفة اليهودية .

٦ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ ص ٦٥ وما يليها .

٧ ـ المرجع رقم ـ ٤ ـ

٨ ـ المرجع السابق .

الناقد الإنكليزي وليم هازلت

بقلم : عيسى فتوح

يعتبر وليم هازلت من ابرز النقاد الانكليز الذين ظهروا في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، ولعبوا دورا كبيرا في تطور الادب الانكليزي . فقد كان ناقدا لا يشق له غبار ، فاق زميليه « لام » و « هنت » ، وكان لكولردج أثر كبير في توجيهه ورعايته ، فلمع نجمه ، وذاعت شهرته .

تدرب هازلت على فن التصوير وهو صغير ، فأثر ذلك على نقده فيما بعد ، وصار يستخدم الكلمات كما لو أنها صور يروعه لونها ، ولكنه كان عصبي المزاج ، حاد الطباع ، صعب المراس ، بعكس صديقه « لام » الذي كان طيب القلب ، ولذلك ضاق به حتى اخلص الاصدقاء ، ونفروا منه ، كان يهاجم الناس بدافع من طبعه المشاكس ، ولم يسلم من نقده احد ممن تقدموه أو عاصروه ، وقد انعكست هذه الطباع الحادة على حياته الخاصة ، فتزوج مرتين دون ان يوفق في اي منهما ، اذ اختلف مع زوجته اختلافا شديدا ادى إلى الطلاق ، كما هجرته زوجته الثانية بعد مدة قصيرة من زواجهما .

وقف هازلت ازاء العالم موقف التحدي والمصارعة ، فهاجم كل ما تواضع عليه الناس من آراء وعقائد هجوما يدل على سداد رايه ، ونفاذ بصيرته ، وصواب حكمه في اكثر الاحيان ، وبلغ به الاعتداد بنفسه حدا جعله يستهين بغيره ، لكنه كان اذا اراد النقد ، كبح جماح نفسه ، وضبط اهواءه وانفعالاته ، وتظاهر بالاتزان ، فهو بذلك مزدوج الشخصية ، لا ينطبق نقده على حياته . كان النقد طبيعة متاصلة فيه ، ينقد كل ما يصادفه لانه ذو نظرة نفاذة . ينقد الادب كما ينقد الحياة بصراحة تامة ، مصدرها ثقته بنفسه ، واعتداده بشخصيته القوية ، لا يهمه رد الفعل ، ولا يثنيه ما قد تعكسه هذه الآراء من تذمر او سخط ، فقد كان لا يرى في شلي شاعرا مجيدا ، بالرغم من اجماع الآراء على تفوقه وعبقريته ، الا انه كان معجبا جدا بأدب عصر النهضة ، ويرجع له الفضل في تحليل الكثير من شخصيات شكسبير المسرحية .

كان هازلت وطنيا متحمسا ، ومصلحا صادقا ، تشبع بآراء الثورة الفرنسية ، وامتزجت الحرية بدمه ، فافتتن بنابليون ، وانفق سنواته

الاخيرة يحاول كتابة سيرته ، ويبدو تأثير نابليون عليـــه في « كتاب الحب » الذي نشره عام ١٨٢٣ ، كذلك هام بروسو ، فكتب من وحي آرائه كتــاب « روح العصر » عام ١٨٢٥ ، قدم فيه صورا نقدية لمعظم المعاصرين له .

لقد فهم هازلت الفن فهما دقيقا ، والف فيه الكتب التي تكشف لنــا عن تلك الملكة القوية التي وقفت على اسرار الفن العميقة ، والتي تدل عــلى سعة اطلاعه ، واحاطته بكل انواع الجمال ولكنه لــم يعن بالتفسير الفلسفي للفن . ومهما يكن من امر فقد حاول ان يكون أمينا مع نفســه ، لـــم تعوزه الجرأة والشجاعة ليتحدث بصدق وصراحة عما يحســه او يراه ... واغرم بالمسرح الذي كان يقول فيه : « نحب المسرح لاننــــا نحب ان نتحدث عــن انفسنا ، ونحن لا نحب شخصا لا يحب القصص التمثيلية » .

واذا كان هازلت قد خالف النقاد الذين جاءوا بعده بنظريات ثابتة في النقد ، متأثرين بالفلسفة التجريبية ، ونظريات التطور العلمي الحديث التي شملت كل انواع العلوم ، ولم يسلم منها حتى الادب ، فاظهرت اثـــر البيئة في الشاعر والكاتب ، فانه لم يعدم قوة التمييز الدقيقة التي هي اولى صفات الناقد الجيد ... بالاضافة الى عدد من الصفات الاخرى التي لم تتوافر لاي ناقد آخر : فقد احب الشعراء والكتاب حبا عميقا ، وعكف عــــلى دراسة آثارهم ، حتى اصبحت عباراتهم مالوفة عنده ، تجري على لسانه كما تجري الآيات على لسان الواعظ . فاذا اراد ان ينقد شخصا او كتابا ، اخبرنا عــن كيفية حبه او كراهيته له ، وحاول ان يوقفنا عــلى اعجابه الشخصي بهــذا الشاعر ، اما بطريقة مباشرة ، او بطريقة غير مباشرة .

يعد هازلت من ابرع نقاد الشعر بنوع خاص ، لـــم يرض ان يخضعه لصور الكلام او قوانين العلم ، فهو عنده اللغة العالميـــة التـــي تصل القلب بالطبيعة ، وهو دراسة للانسان وبهجته في مختلف العصور . ويرى انـــه ليس فرعا من فروع التأليف ، بل المادة التي تكونت منها حياتنا ، وما عداه منســي ، وكل شيء في الحياة يسمو بمقدار ما فيه من الشعر .

ليس الشعر في تلك السطور المقفاة الموزونة ، بـــل في نمـــو الازهار ، وانتشار روائحها العطرية وهي تستحم في اشعة الشمس الدافئـــة ... ولا يقف عند هذا ، بل يرى ان الخوف شعر ، والحب شعـــر ، والامل شعر ، والكراهة شعر ، وكذلك الحقد وتأنيب الضمير ، والاعجــــاب والجـــلال والرحمة ، واليأس والجنون ... فالشعر هو ادق اجزائنا الداخلية ، وهو الذي يرقق ويهذب ويسمو بوجودنا ، ولولا الشعر لكانت حيـــاة الانسان كحياة الحيوان لا معنى لها ، والانسان في رأيه حيوان شاعر .

والطفل شاعر في الحقيقة عندما يبدأ في لعبـــة الاختفاء والبحث ، أو ستعيد قصة « جاك القاتل الجبار » ؛ والراعي شاعـــر عندما يشرع لاول مرة في تتويج سيدته باكاليل من الازهار ، والقروي شاعـــر عندما يشاهد قوس قزح يزنر السماء ، والبخيل شاعر عندما يعانق ماله .. كـــل هؤلاء يعيشون في دنيا خيالاتهم واحلامهم ، وليس للشاعر عمل اكثر من ان يفصح عن افكار الاخرين واعمالهم ...

ليس من اليسير الاحاطة بكل آراء وليم هازلت في النقد ، ولــو انعمنا فيها النظر لرأينا انها تشف في مجملها عن نظره الثاقب ، وفكـره العميق ، ورؤيته الشاملة ، وعلمه الغزير ، فلا غرو ان نطلق عليه لقب « جبار النقد» في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، ويتزعم حركته طوال هذه الفترة، مع انه لم يعش اكثر من اثنين وخمسين عاما .

عيسى فتوح

العرفان منذ ٧٢ سنة

قلعــة تبنين

ذكرني يا صاحب العرفان ما لا انساه من معالم اوطاني فنطق لساني مخاطبا لقلعـة تبنين التي افنت الاجيال ولم يؤثر على أسوارها الدهر فقلت :

يا أيها الصرح ان الدمــع منهمــل — فهل تعيد لنا يا دهر مــن رحلوا
وهل بقي فيك من ينعى معي فئة — هم القاديم في يــــوم الوغى الاول
قد كنت للدهر نورا يستضاء بــه — اخنى عليك البلى يـــا أيها الطلل
كم زينتك قدود الغيـــد رافلـة — بالعز تسمو ووجه الدهر مقتبل
ابكيك يا صرح كالورقاء نادبـــة — شوقا اليهم الى ان ينتهي الاجــل
قدكنت مسقط رأسي في ربي وطني — ان الدموع على الاوطان تنهمـــل
تبنين ان كنت في بعدي على حزن — فاليوم يوم رجوعي القلب يشتعل
وقفت وقفة مشتاق بـــه شغف — علي ارى اثرا يحيى بـــه الامل
اذ الاحبـــة قـد سارت رحالهم — فزاد شوقي كما قلت بي الحيــل
فالنفس شاكية والعين باكيـــة — والكبد دامية والقلب مشتعــل
اعلى هيو سنت ابراجا لها عجب — تسارع الدهر لا ضعف ولا ماـل

مصــر — **زينب فواز**

(العرفان ج٦ مجلد ٢ سنة ١٩١٠)

قصة أمراض القلب

بقلم : د. محمد ياسين

— ٢ —

واقد وصلنا الى كل هذا التقدم الذي ننعم به اليوم ، ولكنا ما زلنا نتساءل وبالحاح عن اسباب حدوث الكثير من الامور ، وعن كيفية حدوثها ، دون ان نجد جوابا مقنعا .

فلقد اجرى بلفورد سنة ١٩٦٧ عملية زرع شرياني لمساعدة شرايين تاجية معطوبة ، وتقدمت هذه الجراحة اليوم تقدما فعالا ، وانتشرت بشكل واسع جدا ، ولكننا ما زلنا رغم ذلك كله نتساءل ، ودون ان نصل الى جواب واف ، عن كيفية حدوث نوبة خناق صدري وعن اسبابه في بعض الاحيان ، بينما لا يرينا التصوير الشعاعي للشرايين القلبية ابة اشارات لاصابة ما .

ومنذ اكثر من مائة سنة والنيتروغليسرين يثبت فاعليته العجيبة ، في مكافحة نوبات الخناق الصدري وازالتها ، وما زلنا نحاول التعرف على كامل طريقة عمله وفاعليته ، ونكتشف في هذه المحاولات الكثير من فوائده وحسناته .

واقد قام الاطباء حتى اليوم بزرع اعداد كبيرة من القلوب ، وكان هذا اقصى ما يطمح اليه المختصون بجراحة القلب ، كما لا يزال « فيتريا » صاحب القلب المزروع في مستشفى « كنتني » في « مرسيليا » حيا يرزق وقد مضى على زرع قلبه احدعشر عاما ، وبالرغم من كل هذا التقدم الطبى الجراحي الذي احرزناه فما زلنا نبحث بشكل حثيث عن حقيقة مرض تصلب الشرايين ، وما هي اسبابه حقا ، وفي ابة مرحلة من مراحل العمر يمكن استئصاله ، وكيف ؟.

ان ما وصلنا اليه ليس كل ما نطمح اليه ونريده .. لقد قضينا على اسباب كثيرة ، ولكننا ما زلنا نجابه في كل يوم اسبابا جديدة غيرها ، وما زلنا نشكو من ثغرات عديدة في عالم طب امراض القلب والشرايين .

لقد قدم لنا كثيرون ، خلال قرون عديدة ، كثيرا في مجال طب القلب : لقد نقبوا ولاحظوا وراقبوا وحللوا ، وان كانت تحليلاتهم وتعليلاتهم تفسد في كثير من الاحيان ما يصلون اليه او يحصلون عليه . ذلك لان الحقيقة قد

تكون في ما نلمسه ونكتشف وجوده ونتحقق منـــه ، لا في التفسيرات او التعليلات التي تعطى لهذه الظاهرة او تلك . وهذا ما يجب ان يكون المبدأ الاول لطب امراض القلب والشرايين كعلم ، والمرتكز الاساسي للوصول الى ما نطمح اليه ونتمناه من نتائج، وهذا ما يدعونا ايضا الى الغوص في الاعماق، مستعملين كل الوسائل والسبل ، اعماق الخلية ومـــا يجري فيها مـــن تفاعلات كيماوية وبيولوجية ، وحتى ذرية . اذ ربما كانت لامراضنا القلبية جذورها العميقة في البذور الاولى لشخصيتنا من جهة ، واعماق الحيـــاة الانسانية وابعادها الكونية من جهة ثانية .

وهذه النقطة بالذات تدعو الـــى الجزم بأنــه لا بد ان يكون لطب اليوم جذوره الممتدة بعيداً في عالم الامس . . ولذلك لا بد من العودة الـــى الطب بعامته وطب امراض القلب والشرايين بشكل خاص عنـــد الشعوب والامم القديمة ، لنكون فكرة عن تطوره وتقدمه طيلة هذه القرون الماضية ، وتكون لنا بذلك عظة وحكمة وعبرة .

في اقصى الشرق عرف الصينيون طريق القلب

عندما يراد البحث في تاريخ الطب عند القدماء ، لا بـــد من الوقوف بعض الشيء عند الطب الصيني التقليدي لما له من مكانة خاصة يستحق من اجلها الوقوف والتمحيص ، ولا بد بشكل خاص من التعرف على ما كـــان للصينيين من آراء في مجال القلب والشرايين .

فصحيح ان الصينيين كانوا يعتبرون الطب كـــلا لا يتجزأ ، وانهم لـــم يكونوا يعترفون بالاختصاص ، ولكنهم رغم ذلك أولوا القلب عنايـــة خاصة ، وكتبوا عنه الكثير . فكان عندهم خامس اربعة اعضاء نبيلة هــــي (الكبـد والطحال والرئتان والكليتان) .

وربط الصينيون بين القلب والنجوم وعادلوا بينها فقالوا بأنـــه كما للدب الاكبر سبعة كواكب فكذلك القلب سبع فتحات ، وأن لم يكن لهـــذه الفتحات وجود حقيقي .

اما أوعية القلب الدموية فموجودة في نظرهم ، ولكنها غير هذه التـــي نعرفها اليوم ، بل لا توجد علاقة بين تلك الاوعية التـــي عرفهـــا الصينيون والاوعية التي نعرفها اليوم اصلا . . وكانوا يسمون هـــذه الاوعية الدموية « المريدين » وعددها في نظرهم اثنا عشر زوجا ، ولها اربعة وعشرون زوجـــا جانبيا . و « مردين » القلب من بين هذه « المرديانات » عبارة عن خط وهمي ينطلق من منطقة القص في وسط الصدر الامامي ويتجه نحـــو الكتف ليصل الى الذراع والكف والاصابع .

محمد ياسين

فادي النبي

شعر : الشيخ محمد حسين الزين

انا في الغري ولادتي وفطامي ... وثقافتي بثقافة الاسلام
جاورت ايام الطفولة « حيدرا » ... من كان اول منعم وامام
واقمت ايام الصبا في « عامل » ... وطن الجدود الغر والارحام
وطن العباقرة الاولى نبغوا بما ... علموه او كتبوه بالاقلام
والوا عليا في زمان لم يكن ... احد يواليه من اهل الشام

★★★

ثم ارتجعت الى معاهد « حيدر » ... باب العلوم وملهم الاحكام
« فادي النبي » المصطفى في مكة ... ليل ائتمار عصابة الاجرام
ليل المبيت على فراش « محمد » ... من غير ما وجل ولا احجام
ومبيد ابطال الظلال يقودهم ... صخر بن حرب عابد الاصنام
حيث التقوا في يوم احد غدوة ... وتحالفوا مع عصبة الحاخام
وتلاحم الجيشان جيش « محمد » ... وخصومه الاشرار بالصمصام
فجلا الوصي عن النبي جموعهم ... فتفرقوا هربا الى الآكام
ثم التقوا من حول سورك «يثرب» ... في الخندق المشهور بالاعلام
فسقاهم « الكرار » كأس منونهم ... وقضى على «عمر» (١) بقطع الهام

★★★

و «بخيبر» فتح الحصون جميعها ... فاستسلم الثوبان للضرغام
لم يثنه الباب الكبير « ومرحب » ... عن كسب معركة المصير السامي
وبفتحها قد كان اول فاتح ... قد نال خير شهادة ووسام
« لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى ... الا علي » مرعب الاخصام
نادى به جبريل في افق السما ... وغدا نشيد الفخر والاعصام

اي الفضائل لم ينلها حيدر ... من يوم مولده ليوم ختام ؟
فمن التطفل ان نحاول جمعها ... في نظم شعر او بديع كلام
هل مرأة ولدت سواه بمسجد ... وجبت لديه شعائر الاحرام ؟
او هل دعا الاله « احمد » جاهدا ... « للطائر المشوي » بالاضرام ؟
هل غيره صان الكلام ليعرب ... بقواعد صيغت من الالهام ؟
تكفيه آية « انما » (٢) في حصرها ... للاولياء على مدى الايام
بالله جل جلاله ورسوله ... ووليه المتصدق القوام
يكفيه مجتمع الغدير (٣) وما جرى ... في حفلة التنصيص والاعلام
« من كنت مولاه فهذا حيدر ... مولاه » قد بلغت للاقوام
ما صدفة نص النبي على اسمه ... بل انه وحي من العلام

ضجـة عظـام

شعر : د. علي شلق

قصب البحر تهجا لغة الموج ـ ولم يشهر حساما
خلته كثبان رمل ترذف الصمت بغاما
كلما ازبد صخر ، في مدى النجم ترامى
ويله ما وشوش القاع ، وما بل اواما
يطحن الزر ويرغي طحلب الشط ضراما
خلته بمضغ فكيه ، ولا شيء ... ولا ما ...

ايها المحرور كم خضخضت رجليك كدما
ولبست الغابة الحمرا ، وبعبعت النياما
وتناولت الثريا منذ لعلعت الصداما
قد رايناك ، وما زدت على هر مراما
فمتى تلتمس الصمت عليقا ولجاما ؟

في بلاد العرب ، كم جاع الايامى ، واليتامى
والخفافيش تمادت تتخم الشرق ظلاما
كم اذلت كف صهيون من العرب كراما
تحتوي القدس وتنوي بعده البيت الحراما
ولديك المال والبترول يستشري نظاما
فالى م الزيف مرميا على الذل الى م ؟

علي شلق

يكفيه ان محمدا استاذه قد زقه بالعلم زق حمام
يكفيه من نهج البلاغة انه في كل علم مرجع الاعلام
مهما تكثفت العداوة حوله فالشمس لا تخفى بدر قتام
والحق لا يمحى بريشة اعمه مغموسة بمداد حقد .. نامي
لولا « الكتاب » و « نهج » حيدر لم تكن
للضاد معجزة وللاسلام .

محمد حسين الزين

---

(۱) هو عمرو بن عبد ود فارس الاحزاب قتله علي بن ابي طالب فارس الاسلام .

(۲) هي آية « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » اجمع المفسرون على انها نزلت في فضل علي بن ابي طالب لما تصدق بخاتمه وهو راكع .

(۳) هو غدير خم الذي بلغ النبي فيه رسالة ربه بعد قوله تعالى : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

صباح الارز

شعر : ابراهيم بري

يا صباح الارز ، بوركت صباحا — فيك ، وجه الله قد شع ولاحا
يا صباح الارز ، هيأت لنا — فرصة ، فيها تلمسنا النجاحا
عندما اشرقت ، هبت نفحة — من حناياها عبير الوحي فاحا
انها انسامنا البكر التي — تنفح الخير غدوا ورواحا
تشهد الشمس بأنا امة — طلعت في جبهة الكون صباحا
يوم لقنا العلى ، درس العلى — يوم كافحنا فشرفنا الكفاحا
يوم ركزنا على الافق اللوا — والى الانجم صممنا الرواحا
وحملنا الحرف في رحلتنا — وعلى العالم ، مددنا الجناحا
وطعنا الموج في مهجته — ففتحنا فيه ارجاء فساحا
واقتفت ريح الصبا آثارنا — فسبقنا في مدى الجري الرياحا
فاذا نحن على جفن العلى — لمحة ، في ظلها الكون استراحا
طوقت جيد الدنى في زندها — وعلى غاربها مدت وشاحا
يوم صاح الساح ، من يحرسني — فملأناه سيوفا ورماحا
وانحنى الغازي على اقدامنا — يطلب العطف ، ويستجدي السماحا
يا صباح الارز نور افقنا — وعلى ارجائنا مد الجناحا
ايقظ الغافين من احلامهم — قل لهم : هبوا فديك الفجر صاحا
واسكب النور على هدي القرى — وتخطاها سهولا وبطاحا
ان تجد منا عليلا ، داوه — او جريحا ، فانتزع منه الجراحا
فعلى ضوئك سددنا الخطى — وعلى هديك احرزنا النجاحا

ابراهيم بري

الليـــل

شعر : عدنان مردم بك



ترب الزمان وسـره المستغلـق
من دونه الدنيا تـرث وتعتـق
اطباقه لجـج المحيط ، تلاطمت
اثباجـه وتواكبـت تتدفـق
تجري بمنهمر القتـام ولاتنـي
تـدداح عاصفـة ولا تترفـق
غمرت سحائبها الشعاب ولم تزل
بسحائب ترد الشعاب وتغـدق
طلعت سراياهـا بسود طلائـع
من دونها جثم الحمـام الازرق
وبكـل افـق رايـة منشورة
كجناح نسر فـي سماء تخفـق
عذباتها القتـم الـذي صفحاته
في كـل افـق تستجـد وتغسق
تطوي وتنشرها الرياح ، ولا تني
ابـدا لمزمـار الريـاح تصفـق

وكواكب الجوزاء فـي قتم الدجى
شعل على طول المدى تتألـق
نثرت على افـق سحيق غـوره
اخفى من الدهر السحيق واعمق
وتجمعت اشتاتهـا كتائـب
راحت لريب هـواجس تتحلـق
او انها مقل الزمان عـلى الدجى
تستطلع الغيب الخفي وترمـق
وكأنما الجـوزاء درع احكمت
حلقاتها وتشابكـت تتنسـق
دقت غرائب صنعها حتـى خفي
من دقة فيهـا الجليل والمشرق
وتخبط الناس الاولى في سرهـا
فمكذب فـي امرهـا ومصـدق
ومن العجائب لم تـزل آياتهـا
لسائـل بلسان حـال تنطـق

والريح تـزأر كالهصور وتـارة
لهواجس الذكرى تئن وتشهـق
مخرت مصفقة الشراع الـى مدى
ما كان يـدرك شأوه او يلحـق
تجري على سنن الغواية فلكهـا
في مشرع الليل البهيم وتعنق (١)
دارت بمنعرج الشعاب ولم تـزل
في كل منعرج تـدور وتنعق (٢)
وشراعها لا تنطـوي عذباتـه
دون الدجى يومـا ولا يتخـرق
ما انفك يضرب تائهـا كمشـرد
في شاسع والليـل داج مطبـق
والارض في سنة النزيف(٣) تثاءبت
ضجرا لمزمار الريـاح يشقشق

(١) تعنق : تسرع في السير
(٢) تنعق : صوت الغراب
(٣) النزيف : السكران

نظرت بمقلــــة مدنف متوجــــع ... والدمــع فـي اجفانه يترقــرق
ونوافج الروض الانيق كديمــــة ... منهلــة فــوق الثـرى تتدفـق
عصفت غوارب نفحهــا فتضوعت ... اعرافها بنوافــــج (٤) تتفتـــق
فالطيب منهل عــلى سرر الربـى ... وسحابه طــــل يسـح وريـــق
غمر الفضاء ولم تـــزل اعرافــه ... فواحة وبها الفضاء مخلـــق (٥)
والليل في ثوب الحداد على المدى ... من غصة الاشجان مغض مطـرق

دمشق — **عدنان مردم بك**

(٤) نوافج : واحدتها نافجة وهي وعاء المسك (٥) مخلق : متطيب

البيـت الكئيب

شعر : فتى الدواوير

كان لـــي بالامس مأوى ... عشت فيــــه لا اهــاب
خالي البـــال سعيــدا ... لـــم اذق طعم العذاب
ربــــع قــرن والاماني ... اقبلت مــــن كــل باب
مثل مــــاء النبع صاف ... قــــد توالت بانسياب
غــــير ان النـــاس للنـــاس ابتـــــلاء واختـــراب
حولـــوا كـــل بهيـج ... ورضـــي لاكتئـــاب
فتركنا ذلـــك البيـــت ... لدنيـــــا الاغتــراب
اشهـــر مــــرت فكانت ... لامتحــــان وانتكـــاب
يأمـــل الانسان خـــيرا ... ولكـــم يخطـي الحساب
ليتنـــي كنـــــت ترابـا ... فوقه تمشي الـــدواب
قبل ان انــــزح عنــــه ... نحــو صحــراء السراب
زرتــه يـــا ويـح قلبـي ... بعـــد خوف وارتقاب
ونعيب البـــوم فيـــه ... رائـــع بين الخــــراب
واذا بالزهـــــر يبـــدو ... ميتــا فـــوق التــراب
ومـــواء القط يشكـــو ... باكيا بعـــد الصحـــاب
عضه الجـــوع فاضحـى ... مثل طيف فـــي اهــاب
يتمنـــى فـــي الزوايــا ... كســـرة بعـــد ارتيـــاب
عنكبـــوت الفقـــر فطـــــاه باسمــــال الثيــــاب
لــم اجـــــد ردا لشكــــواه وقـــد طـــال العتـــاب
غـــير آهـــــات اتــــت منـــي وقـــول باقتضــاب
انت مثلــــي صرت يـــا ... قطي بـــلا ظفـر وناب
نحـن فـي غـــاب لنحيـــا فيـــه كـــن مثـــل الذئـاب

كوانج ٦ ــ ١٢ ــ ١٩٨١ — ((فتى الدواوير))

أم عـــادل

شعر : روكس بن زائد العزيزي

اهديها الى كل سيدة اسعدت زوجها ، او تحاول ان تسعده ! !..
ذكـرى ام عادل لنصف السنة !

سلام عليك يــــا عزيزة ، انني — اصارحك ان الحيــــاة عقـــام !
فما لذ لي عيش ، ولا طاب مضـجع، — اسامر حزني ، والجميع نيـام !
امصدر الهامي ، تباركت في الملا ، — وحاط ضريحا انت فيــه سلام ،
احييك عن بعد ، وفي القلب لوعة، — واخشى دنوا ، والصبور همام ،
فلا الحزن يجديني، ولا الصبر زائر، — وعيشي اضحى، ليس فيه نظام،
احيي ضريحا ، قد تخذته موطنا، — ملائكة الرحمان ، فيــــه قيام !
الام على اني وفـــي لذكرهـــا ، — فلست بعيرا ، في الفـلاة يسام ،
فلو كان قلبي صخرة ، هد ركنها — غياب حبيب ، عـز فيه ، مرام ،
« تعد ذنوبي ، عند قوم كثيرة » — ولو انصفوني، ما تخرص فام! (١)
وكنت لي الدرع الحصينة اتقـــي — صروف الليالي ، ان تكـدر عام ،
فان كان بعض القوم صما قلوبهم ، — فقلبي ، لوقد الحب ، فيه ضرام،
فأدركت اني بعــــد بينك اعـزل — سلاحي آهات ، ودهري قتـام ،
تطاولت الايام ، حتـى حسبتها — دهورا ، تولاها أسى ، وظـلام !

الدود يغدو ذلك الخلق والوفا ؟ — لي الله ، ان ذكـره لحمام ، (٢)
ايا دود ! لا تأكل يمينـــا سخية ، — حذار فؤادا ، كان فيــــه مقام .
الا سامح اللــه الاسـاة ، فانهم ، — اساءوا ، وهل بعد الممات ملام ؟
لعلك ادركت مقامـــي ، فخفته ، — فآثرت ترحالا ، فهـــــذا ذمام !
امد يدي ، كي تعلمي ان طيفك ، — سميري ، ولو ان الضريح رغام !.

عمان في ٢٩ ــ ٧ ــ ١٩٨١ — **روكس بن زائد العزيزي**

---

(١) فام كلمة اردنية صميم ، لا نظير لها في الفصحى ، تعني الذين لا يفهمون مراصـــي الكلام ! وصدر البيت ، مستعار مـــن ابي العلاء المعري .
(٢) الحمام ، هو الموت .

يا جنوب

شعر : خليل شحرور

يا جنوب يا ارض الملاني قلوب
لو قطعوني بحبك وما بتوب
كيف ما التفت بشوف من حولي
جنوب المآس والمآسي جنوب
ما في ولا دولي بلا صولي
الا بلادي يا صبر ايوب
كل زاروب والو دولي
وكل دولي في لها زاروب

ولليوم بعون اهلك الابرار
سياج للدار وسند للجار
الجامع بقي بأرضك وظل الدير
متصان رغم اللي جرى والصار
يا ساحة المدفع وغصن الطير
كبار صرنا والليالي زغار
كنا حطب للنار عند الغير
واليوم صرنا ع الاعادي نار

ما فيك الا العالم العامل
والكاتب المشهور والعامل
بالشرف أهلك والوفا تحلوا
رغم الفقر والحاكم الهامل
وبين العرب ع جروحك يطلو
قديش عنهن صابر وحامل
ودعوة الوحدة للشرق كلو
اول ما طلعت من جبل عامل

وضياعك اللي لفها الحرمان
جنات اجمل ما خلق ربي
رغم التعسف والقهر والعدوان
بتضل صوت الواجب تلبي
(الخيام) كانت ملتقى الاديان
وساحة جهاد وواحة صحبي
العم يدعي بحماية الانسان
عطل جرسها وهدم القبي

ومجلة العرفان يا لبنان
كانت قبل ما الارز رمزك كان
وبقيت فكر واعي وضمير وعين
تسهر على العلم وعلى الايمان
واللبحوا بعضن من الدينين
ع التذكرة هودي بشر عميان
لا سامعين كلمة فؤاد الزين
ولا قارئين مجلة العرفان

خليل شحرور



خواطر في ست كلمات

بقلم : نصرت توفيق خريش

لئلا يقال عنك ، انك مت عاجزا او مهزوما ، وسلاحك في يدك ، ولا مفر من تسليم او استسلام .. فلا تستسلم دون ان تستخدم سلاحك ، وتكتب شهادة الدفاع والبطولة بدمك ، رسالة غالية ، الى الوطن والحبيبة والاهل . قبل ان يعانقك تراب الارض .

لا يموت الناس من الجوع الطعامي فقط ...

هنالك جائعون اخرون ، يحتاجون الى الحب والحنان .

★ ★ ★

السعادة السعيدة ، هي التي تستطيع ان توزع حلاوتها على اكبر قدر من البشر .

فيتقاسمونها ويسعدون ..

الدفاع عن الوطن :

يحتاج بالاضافة الى العتاد الحديث ، الى قلب يحب ...

لان القلوب التي تكره تتشاغل بالكراهية ولا تقاتل عن الوطن ...

الذين يحبون هم المقاتلون الحقيقيون ...

اسألوا الجندي على حدود بلادي كيف كان يدمن على حب الارض ...

واسألوا العالم كيف يرثي لحال مقاتل لا يحب .

★ ★ ★

في القديم اضربت نساء الاغريق عن معاشرة الرجال ، وتراست « ليزيستراتا » هذا الاضراب حتى ينهي الاغريقيون الحرب .

وفي ايامنا هذه لو عادت « ليزيستراتا » الى شوارعنا ومقاهينا ، لدعت نساء العالم الى الاضراب من جديد ، لان الرجال اصبحوا يتقنون كل شيء الا الرجولة .

نصرت توفيق خريش

مع الخالدين

بانتنغ : مكتشف الانسولين
(١٨٩١ – ١٩٤١)

بقلم : سمير شيخاني



صوت – احتفل العالم الطبي في سنة ١٩٧١ ، باليوبيل الخمسيني لاكتشاف انجع دواء لداء فتاك لا يرحم ، طالما حير الطب ، وذهب ضحيته الالاف المؤلفة في اربعة اقطار المسكونة . اما الداء فهو السكري ، واما الدواء فهو الانسولين ، واما مكتشف الدواء المعجز فهو الدكتور فريدريك بانتنغ الذي سنقضي معه بعض الوقت في الحديث حول اكتشافه الجليل .

دكتور بانتنغ : اسمح لي ان اذكر في مطلع هذه المقابلة انك عندما دخلت المختبر صبيحة السادس عشر من ايار من سنة ١٩٢١ ، لم تكن تبدو انك من الذين ستخلد اسماؤهم في عالم الطب . .

صوت – احتفل العالم الطبي في سنة ١٩٧١ ، باليوبيل الخمسيني لاكتشاف انجع دواء لداء فتاك لا يرحم ، طالما حير الطب ، وذهب ضحيته الالاف المؤلفة في اربعة اقطار المسكونة . اما الداء فهو السكري ، واما الدواء فهو الانسولين ، وما مكتشف الدواء المعجزة فهو الدكتور فريدريك بانتنغ الذي سنقضي معه بعض الوقت في الحديث حول اكتشافه الجليل . . .

دكتور بانتنغ ، اسمح لي ان اذكر في مطلع هذه المقابلة انك عندما دخلت المختبر صبيحة السادس عشر من ايار من سنة ١٩٢١ ، لم تكن تبدو انك من الذين ستخلد اسماؤهم في عالم الطب . .

بانتنغ – ذلك هو الواقع ، يا سيدي . فقليلون هم الذين يبدون انهم سيخلدون – على حد تعبيرك – وهم في التاسعة والعشرين من عمرهم .

صوت – واسمح لي كذلك ان اكمل رسم صورتك ساعة دخلت ذلك المختبر . فقد كنت تبدو اشبه ما يكون بالفلاحين : قوي البنية ، في كتفيك انحناء قليل ، عيناك زرقاوان ضاربتان الى الاخضرار ، ضخم الانف ، ناتيء الذقن . اما صوتك فكان خافتا ، متلعثما ، يفضح خجلا غريزيا فيك . وما ان دخلت ذلك المختبر حتى طلبت من السيد تشارلز بست ان تباشرا العمل لضيق الوقت .

بانتنغ – حقا ما تقول . فقد كان الوقت قصيرا بالنسبة الي . كنت قد

طلبت من جامعة تورنتو السماح لي باستخدام المختبر مدة ثمانية اسابيع ، مع عشرة كلاب ، وذلك بمعاونة رجل متخصص بالكيمياء والفيزيولوجيا . فكان أن عرفوني الى الدكتور تشارلز بست . امـا الموازنة التي رصدتها لاختباراتي تلك ، فلم تكن تتجاوز المئة دولار . بذلك المبلغ وضعت نصب عيني كسب المعركة ضد مرض اعيا الاطباء حتى ذلك الحين ، عنيت داء السكري الفتاك .

صوت — وسألت مساعدك بست اذا كان يقرأ الفرنسية ، فاجابك بالايجاب . فدعوته الى المكتبة لتراجعا في احد الكتب كيف ان رجلا فرنسيا يدعى هيدون قد استأصل البنكرياس من جسم احد الكلاب . وكانت تلك البداية ؟

بانتنغ — صحيح ... كلانا كان يعرف مدى فتك داء السكري الرهيب الذي وصفه احد اطباء الاغريق قبلنا بالفي سنة بقوله انه « داء يذوب فيه اللحم فيفرزه الجسم مع فضلاته » . اما اجسام المصابين بهذا الداء فانها تتوقف عن حرق السكر وتحويله الى طاقة . وبدلا من ذلك تصبح اجسامهم اجساما آكلة ، تلتهم الدهن المخزون والبروتينات . ويرافق ذلك عطش لا يروى ، فان ضحايا داء السكري يشربون كميات كبيرة من الماء يوميا دون ان يفرزوا الا كمية ضئيلة من السكر . فضلا عن ان شهيتهم الى الاكل تصبح كبيرة . وكان العلاج الوحيد لذلك الالتزام بحمية غذائية قاسية لاصلاح التوازن الكيماوي المختل في جسم المصاب .

صوت — على ذلك كان المصابون بداء السكري يخيرون بين امرين لا ثالث لهما : فاما ان يأكلوا جيدا اليوم ويموتوا غدا ، واما ان يقللوا من الوحدات الحرارية في طعامهم اليومي ، ويقضوا فترة من الوقت في حالة من الحزن والارهاق والارتباك .

بانتنغ — لقد رأيت شخصيا كيف ان داء السكري قد حول فتاة في الخامسة عشرة من عمرها كانت زميلة لي في الدراسة في مدينة اوليستون في منطقة اونتاريو ، الى فتاة حزينة مثيرة للشفقة ، ما عتم الموت ان اختطفها بسرعة . واخبرني مساعدي تشارلز بست ان عمته آنا ، وكانت امرأة قوية البنية ، فارعة الطول ، وفي مستهل عقدها الثالث ، قد هزل جسمها كثيرا قبل ان تفارق الحياة . ولا اغالي اذا قلت ان العالم لا بد انه قد اعتبرنا — الدكتور بست وانا — غير قادرين على مواجهة هذا العدو القاتل ، اذ كانت خبرتي في البحث العلمي تكاد تكون صفرا . فقد بدأت بالحاح من اسرتي في دراسة اللاهوت ، ولكن التلعثم الذي كان يلازمني جعلني اتحول الى دراسة الطب . ولا اكتمك انني كنت تلميذا عاديا .

صوت — مرحى لهذه الصراحة ، يا دكتور بانتنغ . والمعروف ان مساعدك بست كان في الثانية والعشرين من عمره عندما تعرفت اليه وبدأتما العمل معا . وكان في هذه الاثناء يحضر لنيل شهادة الدكتوراه في الفيزيولوجيا والكيمياء الحيوية . هل لك ان تستمر في سرد قصة حياتك ؟

بانتنغ ــ بعد ان خدمت كجراح في الجيش الكندي في الحــرب العالمية الاولى ، ونلت وسام الصليب العسكري لشجاعتي افتتحت عيادة لجراحــة تقويم الاعضاء المشــوهة في مدينة لندن في مقاطعة اونتاريــو بكنــدا . وكنت انتظر المرضى الذين لم ار منهم احداً . ولم تكن خطيبتي ترى ان لها مستقبلا مع طبيب مثلي ، ففسخت خطبتها لي ، وهجرتني . وهكــذا غامــرت بمواردي الضئيلة الهزيلة على مذبح ايماني في قدرتي عــلى معالجــة داء السكري . فتخليت عن ممارسة التطبيب ، وبعت كــل اثــاث العيادة ، والكتب ، والادوات الطبية ، وكل شيء اخر !..

صوت ــ ومن هنا لم يكن بوسعك ان تمنى بالفشل مرة ثانية ، اليس كذلك . اكمل قصتك ، يا دكتور بانتنغ . ماذا كانت خطوتك التالية ؟

بانتنغ ــ كان المعروف ان البنكرياس ، ذلك العضو البطني ذو اللــون الاصفر الشاحب ، الشبيه بفرخ الضفدع ، والذي ينتج العصارات التــي تساعد على الهضم ، له علاقة ما بداء السكري . ففي المانيــا سنــة ١٨٨٩ استأصل اوسكار منكوفسكي ، البنكرياس من جوف احــد الكلاب لكــي يعرف كيف يستطيع هذا الحيوان ان يحيا بدونه . وفي اليوم التالي تبين له ان الكلب الذي كان في صحة طبيعية في اليوم السابق قد اصيب بداء السكر .

صوت ــ هل كانت عصارات البنكرياس ، اذن ، تحتوي عــلى عامل ينظم التغيرات الكيماوية في السكر ؟

بانتنغ ــ لقد قام عدد من الباحثين باختبار ذلك عــلى الكلاب ، فلم يصلوا الى نتيجة تؤكد ان البنكرياس يحتوي على ذلــك العامل الذي ينظم التغيرات الكيماوية في السكر . ومن هنا تساءلوا : اذا لم يكــن في عصارات البنكرياس ذلك العامل المطلوب ، فأيــن يمكن ان يكــون ؟. » واجــروا اختباراتهم الجديدة ، ولكنهم خرجوا منها خائبين . وعندها جــاء دورنا ، بست وانا لاكتشاف تلك المادة المجهولة المحيرة ، بل المراوغة . فكنا نقــوم باختباراتنا على الكلاب في ذلك المختبر الذي اصبح قبل نهاية الصيف اشبه بالحمام التركي لكثرة البخار الذي كان يتجمع فيــه . ولتفادي الحــرارة الشديدة كنا نخفف من الملابس تحت معاطف المختبر البيضاء التي نرتديها . ونظرا لقلة مالنا كنا ناكل في المختبر البيض والنقانق يوما بعد يوم . وسرعان ما انتهت فترة الاسابيع الثمانية ، دون الوصول الى نتيجة .

صوت ــ لقد كانت تلك مناسبة ممتازة للاقــرار بالهزيمة والفشل ، والتخلي عن مواصلة الابحاث ، ولكنك لم تفعل ذلك . فقد عرف عنك عنادك الشديد . وفي الحرب العالمية التي اشتركت فيها جرحت في ذراعك اليمنى جرحا بليغا بفعل شظية قنبلة . فشاء الاطباء قطع ذراعك تلك ، فرفضت ، ورحت تعنى بها وتعالجها حتى شفيت . . .

بانتنغ ــ وهكذا ، يا سيدي ، اردت مع زميلي بست ان نعنى بمشروعنا المريض ونعالجه ليتم له الشفاء ويستعيد صحته . وكان البروفسور دجون ماكليود ، رئيس دائرة الفيزيولوجيا الذي زودنا بكــل التسهيلات للقيــام

بابحاثنا ، في اجازة يقضيها في اوروبا . فقلنا بيننا وبين نفسينا انه لن يعرف ان المدة انتهت اذا نحن واصلنا تجاربنا في المختبر ، عـــلى الكلاب التـــي استهلكنا منها العشرات قبل ان نحصل عـــلى المادة المجهولـــة لمعالجة داء السكري ، في ٢٧ تموز من سنة ١٩٢١ .

صوت ــ ولقد كانت تلك حقا اكثر لحظات حياتك اثـارة ، ولا ريب . اليس كذلك ؟ ولكنك لم تقل لي اي اسم اطلقت على اكتشـافك .

بانتنغ ــ لقد اسمينا اكتشـافنا « اسليتين » . الا انه بعد ذلك بفترة طويلة اقنعنا البروفسور ماكليود بتغييره الى انسولين . غير انه بقي امامنا أن نعلم اذا كان الانسولين يفيد البشر ، كما افاد الكلاب التـــي اجرينا عليهـــا تجاربنا . وهكذا كان علينا ان نعلم اذا كان الانسولين لا يضر البشر . وكنـــا قد تاكدنا من ان الانســولين لا يفيد اذا اخذ جرعة بالفـــم . فحقنت بست بذراعه ، وحقنني بدوره ، ولبثنا ننتظر النتيجة . ولما ثبت لنا انه لا يؤذي ، عمدنا الى اعطائه لمريض بالسكري في مستشفى تورنتـــو العـــام ، المقابل لمختبرنا ، وكان فتى في الرابعة عشرة من عمره يدعى ليونارد طومسون ، هد السكري قواه في مدى سنتين ، واصابه بالهزال ، وهدده بالموت بعـــد بضعة اسابيع على ابعد تقدير ، بعد ان بات لا يستطيع رفع راسه عن الوسادة .

صوت ــ وراحت الانعامات تنهمر عليكما ، انت وبست . فقد كوفئتما بجائزة ريف ، البالغة خمسين دولارا من اجل افضل بحث علمي اجري تلك السنة في الجامعة . وعين لك البرلمان الكندي مرتبا سنويا قدره ٧٥٠٠ دولار يصرف لك مدى الحياة . ثم اطلق اسمك على معهد ضخم للابحاث .

بانتنغ ــ وكذلك اطلق اسم بست بعد ذلك على معهد اخـــر للابحاث . ولما حزت جائزة نوبل سنة ١٩٢٣ اقتسمت المبلغ مناصفة مـــع الدكتـــور بست . وقد بقينا نحن الاثنين في الجامعة ، نقوم باختباراتنا كل على حـــدة طوال السنوات التالية . ولكن الاثارة القديمة في عملنا كانت مفقودة . وذات صباح ممطر من ايام شباط سنة ١٩٤١ قلت لبست : « ما قولك يا تشارلي في العودة الى العمل معا ؟ انت تهتم بالكيمياء ... ولنا ... »

صوت ــ ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . فبعد ثلاثة ايام كنت قـــد اصبحت الميجور السر فريدريك بانتنغ ، وتعمل في قضايا طب الطيران . وقد ركبت قاذفة قنابل ذات محركين ووجهتك انكلترا ، عندما لاقيت حتفك في سقوط الطائرة وسط عاصفة ثلجية ، وتحطمها بالقرب مـــن ميناء مـــسقريف في نيو فاوندلاند . ولعل اروع رثاء لك واكثرها تاثيرا في النفس ، ما قيل بعد ذلك بخمس سنوات في اجتماع عقدته جمعية المصابين بداء السكري فـــي لندن : « لولا بانتنغ لكان هذا الاجتماع لقاء اشباح يندبون مصيرهم !!! »

سمير شيخاني

ماذا عن علاقتنا بالطفل ؟

بقلم : د. منى فياض

الطفل كائن صغير لم يزل يثير الحب والاهتمام والاعجاب ، في كل العصور وفي كل المجتمعات ، وعند كافة الطبقات الاجتماعية ، لكن هذا الكائن الصغير الهش ، كان يثير الاهتمام بشكل مختلف ، وبمقدار ما كانت تسمح به الظروف المعيشية للاسرة التي تحتضنه (اسرة زراعية ، حرفية ، مدينية او ريفية) ، ولا يزال مدى الاهتمام بالطفل متعلقا حتى ايامنا هذه بالشروط نفسها على كل حال ، ولو تغيرت الاسباب المعلنة (كما سنرى لاحقا) .

ومرحلة الطفولة هذه كانت تمر بسرعة نسبية ، بحيث انها لم تكن تترك اثرا عميقا في بعض المجتمعات (اوروبا) ، مما يدعو للاهتمام بها بشكل كبير . (١)

حتى ان بعض الباحثين الغربيين يبحثون حاليا تاريخ الاطفال في اوروبا ، فيجدون ان الطفل في الغرب لم يكن مرغوبا فيه مطلقا ، كان الطفل « يثير الخوف » (٢) والطفولة كانت تعتبر رمزا لقوة الشر ، ذلك ان الطفل يتكون انطلاقا من الخطيئة (٣) . والطفل ظل في اوروبا ما قبل القرن الثامن عشر ، معتبرا كشيء مزعج ، انه ثقل غير مرغوب فيه . ومن اكثر علامات نبذ الطفل في القرون الوسطى وحتى القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، رفض الام اعطائه الثدي ، ففي تقرير للشرطة الباريسية عام ١٧٨٠ ، ورد ان نسبة الف طفل فقط ، من ٢١ الفا ، تبقى مع الام ، بينما يعطى العشرون الفا الباقون للمرضعات المستأجرات ، والعديد من هؤلاء الاطفال كانوا معرضين للموت دون معرفة وجه ونظرة امهم ! هذا اذا افترض ان الذين يتسنى لهم العودة لحضن الام سوف يتلقون الاهتمام الكافي للتعويض عن النقص الكبير في « العناية الامومية » الذي تعرضوا له منذ ولادتهم . (٤)

اذن كان الطفل في الغرب لا يثير اي اهتمام او « مشاعر خاصة » قبل بدايات القرن الثامن عشر . هذا في اوروبا ، فاذا ما انتقلنا الى العالم الاسلامي فوجئنا بالاختلاف الذي يصل حد التناقض مع هذه النظرة التي بدأت تتوضح على ايدي الباحثين والمؤرخين الاوروبيين حديثا .

فالطفولة في الاسلام كانت ولا تزال محط الانظار ، والعناية والرأفـــة بالطفل واجب على الاهل ، ومن المعروف عـــن النبي (ص) انــه كان ولوعـــا بالاطفال ، لا يرضى اغضابهم ، ويدعو الـــى محبتهم وملاطفتهم وتقبيلهم ، ويروى عنه الكثير من الاحاديث التي تنقل لنـــا مشاهد عيانية عـــن كيفية تعامله مع الاطفال ، وهي نبذات من التعامل تذكرنا بما تدعو اليـــه احدث النظريات الاوروبية ، التي « استفاقت » فجأة عـــلى مفهوم الطفولة وعـــلى مرحلة الطفولة ، وذلك بفعل عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا (٥) .

فالطفل في الغرب لم يكن اكثر من « شيء مسل » « لعبة » يتسلى معه عندما يرغب البالغ بذلك ، لكن حاجاته الخاصة لم تكن تؤخذ بعين الاعتبار. وانعكســت هذه الممارسة حتى على الطب ، فلقد ظل « طبيب الاطفال » غائبا عن العالم الغربي حتى عام ١٨٧٢ . (انظر ص — ٦٩ — Badinter)

فالاطفال كانوا يدخلون ضمن حيز الاهتمامات النسوية فقط . بينما يلاحظ في الحضارة الاسلامية اهتماما كبيرا حتى بطب الاطفال ، فلقد وضعت كتب عديدة عن كيفية العناية بالطفل والاهتمام به ، وذكرت امراض الاطفال وطرق علاجها ، ومن اهتم بهذه الامور هم من كبار الاطباء ، كالرازي وابن سينا (٦)

ونلاحظ منذ البداية اختلافا بينا في « نوعية » النظرة والاهتمام المعطاة للاطفال بين الشرق والغرب .

فعندما يلاحظ الان بأن الطفولة بدات تأخذ حيزا كبيرا مـــن اهتمـــام المربين ، لا يزال يزداد اتساعا منذ ظهور علم النفس وحتـــى الان ، يجب أن لا يغيب عن اذهاننا ان هذه الملاحظة لا تشمل الا العالم الغربي ، ذلـــك ان العالم الاسلامي كان دائم الاهتمام بالطفولة .

يبقى علينا تحديد المرحلة المسماة الان بالطفولة ، تاريخيا كـــان الطفل يظل طفلا خلال مرحلة هشاشته الكبرى فقط ، فسرعان ما يصبح صبيـــا صغيرا في سن السبع سنوات ، فيلتحـــق بالبالغين لاكتساب حرفة مـــا . ويصبح راشدا في مرحلة بلوغه كما يذكر Veulerse « بان الفتى فـــي المجتمعات الفلاحية الشرقية كان يصبح رجلا في حوالي الخامسة عشرة مـــن عمره وعليه آنئذ الالتزام بشريكة المستقبل » . كذلك الطفلة تصبح فتاة بين سن التاسعة والثانية عشرة وتتم خطبتها حينذاك (٧) .

ويلتقي الشرق والغرب عـــلى هـــذا الصعيد كما يذكـــر Ariès فلقد توافق بروز فئة الـــسن هذه ، المسماة طفولة والمعينة منذ الولادة وحتى سن الخامسة عشرة ، مع بروز المدرسة كمؤسســة عامة ، شعبية والزاميـــة في الغرب ولما كان الغرب هو النموذج الحضاري الغالب في مرحلـــة السيطرة

هذه ، فسرعان ما سادت هذه المؤسسة المدرسية الغربية سائر المجتمعات التقليدية (٨) ، وصار مقياس التقدم والتأخر هو الغرب ومؤسساته بالنسبة للتحديثيين ، واتخذ الكتاب التقليدي في بلادنا شكل المدرسة ووظيفتها ، وبدات عملية عزل الاطفال وحجرهم كما هو حاصل في الغرب .

ولقد برزت المدرسة كمؤسسة في الغرب ، وأبرزت معها الطفولة والمراهقة كفئتي سن محددتين ، في حقبة تاريخية واجتماعية معينة ، فهذا التوافق الزمني الذي جمع تشكل المدرسة والطفولة بمعناها الحالي لم يكن عرضيا ولا صدفويا . لقد كان نتيجة تغيرات كثيرة ، شملت الاسرة والحي ، ضمن الاطار الاجتماعي العام ، فليس من قبيل الصدفة ايضا بروز الاسرة النووية في هذه المرحلة بالذات . ذلك ان ما ساعد على ابرازها هو انتقال المجتمع الاوروبي من مجتمع حرفي ـ زراعي الى مجتمع صناعي . فانتقلت الحياة الاسرية من حياة التعاون والتعاضد بينها وبين الجماعة الموجودة ضمنها ، الى الحياة الفردانية التي يوجبها التصنيع والى المنافسة الحسرة (عنوان الديموقراطية الاوروبية) . فانفصلت بالتالي هذه الاسرة ، في تلك الفترة (القرن الثامن عشر والتاسع عشر) عن المجتمع التقليدي التي كانت متواجدة فيه ، اي الحي والقرية والجماعة Communaure ، وانغلقت على نفسها ، ولم تعد تقيم علاقاتها العاطفية الاساسية في الخارج ، بل صارت تقيمها في الداخل .

ومن هنا برز شعوران جديدان مهمان ، لم يكونا شائعين (اذ انهما موجودان ولكن بشكل جرثومي وكشواذ معظم الاحيان) وهما « الشعور او الاحساس بالطفل » وبالتالي الاهتمام العاطفي به ، وتمحور الاسرة حوله . والشعور « بالحميمية الاسرية » ، اي مشاعر الحب بين الزوجين والتي صارت هي اساس الزواج وقاعدته ، بعد أن كان قائما على توافق اسرتي الزوجين ومصالحهما .

ولم يبرز هذا التحول في العالم الغربي ، داخل الاسرة فقط ، بل عبر عنه خارجها ايضا وعلى مستوى المجتمع ككل .

كيف نلاحظ هذا التغير ؟

قبل النصف الثاني من القرن العشرين لم يكن المجتمع الغربي قد افرز بعد مؤسسات عديدة ، كما هو حاصل الان ، للاهتمام بالطفولة وبسلعها الاستهلاكية . ان نظرة سريعة الى السوق الاستهلاكية الان ، ترينا اهمية المكانة والحيز اللذين تشغلهما الطفولة في المجتمع الغربي الحالي . وبما اننا في حالة تبعية اقتصادية وثقافية للغرب ، فمن الطبيعي ان تنعكس هذه الممارسات عندنا .

فالمؤلفات والكتب المختصة بالاطفال ، من علمية وغير علمية ، ابحاث

او دراسات وغيرها ، صارت تشكل « ادبا » قائما بذاتـــه . كذلــك الكتب المختصة للاطفال ، صارت تشكل جزءا مهما من الانتاج العــام للكتب . ولا يقتصر الامر على هذا الميدان بل يتعداه الى كل ما يمس الطفل من قريب او بعيد ، فلقد اوجدت الراسمالية « سوقا جديدا » لمختلف سلعهــا الكمالية ؛ ولم تعد ادوات الزينة مقتصرة على النساء ، بل توصلت الـى الاطفال ؛ كما ان تسـويق الاغذية الخاصة بالاطفال صار جزءا مهما مــن تجارة الاغذيــة العالمية ، (مع انه ثبت ضررها ، لكن هناك اصرار غريب على استهلاكها ، وذلك طبعا من اجل « تحرير » الام من « عبودية » تربيـــة الاطفــال) كذلك الالعاب والالبسة وما شابه .

كلها تشكل « نموذجا » جديــدا في التعامل مع الاطفال . والحملات الدعائية المستعملة لترويــج هـــذه البضائع قادرة جدا ، بحيث انهـــا تجعل الاهل يشعرون بعقـــدة ذنب اذا هم لم يستطيعوا تامينها لطفلهم . وينسى الاهل ان اجيــالا لا تحصى قد ربيت دون اللجوء الــى هــذه « الوسائل الحديثة » ، ومع ذلــك نمت ونضجت وانتجت عباقرة عظام لا يقلون ذكاء ولا صحة عــن الاجيال الحديثة .

هذه « السوق » الجديدة التــي اوجدتها الراسمالية حديثا ، كانت نتيجة استغلال هذه الاخيرة للابحاث النفسانية التــي تمحورت حــول الطفولة منذ بداية القرن العشرين . فلقد تبين ان الطفل كائن ذو خصوصيات معينة ، وان لكل مرحلة من مراحل نموه خصائص ومميزات معينة ، لــم تكن مميزة من قبل . فتم التركيز على هـــذه الخصوصيات وعلى كيفية التعامل مع الطفل على ضوئها . (٩)

فما هي الخلاصة التي نستنتجها من كل هذه الدراسات والابحاث ؟

مما لا شك فيه ، ان هذه الابحاث قد ساهمت بشكل فعال في تعميــق معرفتنا للطفل وفي تعديل تعاملنا معه في احيان كثيرة وبشكل ايجابي . لكننا نعرف ايضا في ان هذه الدراسات قد انخرطت في تياراته ، ولكل تيار وجهة

نظر مختلفة عن الاخر ، وهدف مختلف هو الاخر . ونعلم ايضا ان الخطأ هو من خصائص الانسان . نورد هذا الكلام لكي نبين مدى نسبية أي مفهوم من المفاهيم وللتذكير بأن أي علم اذا كان لا يخدم فئة معينة ونظاما معينا فانه مستقل من قبلهما على الاقل .

ونستشهد في هذا المجال بمدرسة التحليل النفسي ، فهي من أغنى المدارس التي درست الطفل وساهمت في معرفته .

تلفت نظرنا آنا فرويد في كتابها « السوي والمرضي عند الطفل » الى ان التحليل النفسي قد سلط الضوء على اهمية الاحداث التي تحصل في سني الطفل الاولى . ولقد لفتت الانتباه خاصة الى اهمية السنة الاولى من العمر . وساهم هذا التيار في بلورة تربية تحليلية (منها اعطاء حرية اكبر للنزوات الطفلية في مرحلة من مراحله ومحاولة تقوية الانا عند الطفل لحصول توازن افضل لديه في مرحلة اخرى، واخيرا في محاولة ايجاد التكامل في العلاقات الليبيدية عند الطفل) .

هذه التربية التي كانت تركز في كل مرة على اخر الاكتشافات التي حدثت في ميدان التحليل النفسي ، ادت الى اعطاء بعض النصائح التربوية للاهل . هذه النصائح كانت متجانسة في سنوات معينة ، ومتناقضة ومتعارضة فيما بينها ، تنفي الواحدة منها الاخرى في سنوات تالية . بعض هذه النظريات قد اثبت، فائدته العملية وبعضها اثبت ضرره . وتستنتج آنا فرويد بأن التربية التحليلية لم تف بغرضها ، لان هدفها الاساسي هو ان تكون سلاحا وقائيا فعالا ضد الاضطرابات النفسية . لكن بالرغم من تغير نمط التعامل بين الاهل ، المتقنين لنظريات التحليل النفسي ، واولادهم ، ظل هؤلاء الاطفال ، معرضين كالاطفال الذين سبقوهم ، للقلق والنزاعات ، وبالتالي ظلوا معرضين للاصابات العصابية ولغيرها من الامراض العقلية .

وتورد آنا فرويد هذه الملاحظات في مجال البحث عن افضل الطرق لمعرفة الطفل معرفة عميقة وجيدة للمساهمة في مساعدته .

واستشهادنا بها تم لكي يبرهن على ان لا شيء مطلق ، واذا كانت مساهمة آنا فرويد تشكل في حينها خطوة متقدمة في هذا المجال وبالنسبة لرقعة معينة من العالم ، فلابد من ان هذه الخطوة ستتبعها خطوات اخرى تعارضها ، تطورها ، تسبقها . وهذا يدل على مدى « نسبية » النظرة الى الطفل والى مشاكله . وهذا ما يجب ان يدعونا الى التعامل مع النظريات النفسية والتربوية حول الطفل بشيء من الليونة ، فلكل مدرسة اسباب معينة دعت الى وجودها ولها هدف معين تسعى الى تحقيقه . لذلك من الافضل موضعة كل تيار او اتجاه في مكانه الصحيح ، وفي اللحظة التاريخية

التي انتجته . واذا كان الهدف الاساسي الذي نسعى وراءه هو سعادة الطفل وتوافقه النفسي ، فلا داعي للبحث عن افضل النظريات العويصة السائدة وعن اكثرها تأثيرا في مجتمع معين ، بل علينا البحث عن ايجابيات التربية الاجتماعية في اي مجتمع كان ، ومحاولة تقييم هذه التربية ومعرفة مدى تناسقها مع ما يسعى المجتمع الى تحقيقه عبرها . اي مدى التوازن بين اهداف التربية واهداف المجتمع الذي انتجها ، وفي هذا المجال نود الاشارة الى مجلة صدرت عن الاونيسكو (١٠)، بعنوان تربية الطفل اجتماعيا، فهذه المجلة استعرضت انماطا مختلفة من التربية في مجتمعات عدة تقليدية، والاستنتاج الاولي الذي يطلع به قارؤها ، هو ان لكل تربية في اي مجتمع ، وظيفة اجتماعية معينة ، تساعد على ترسيخ قيم هذا المجتمع عند الطفل وتكيفه عليها . والمقالات التي تتخذ نموذجها التربية التقليدية في بيئات محددة ، تزيد اعتقادنا رسوخا بأهمية هذه التربية التقليدية في المحافظة على التوازن في تلك المجتمعات . وهنا كذلك نجد ان الدراسات النفسانية التي تعتمد الوسائل العلمية المتطورة التي قدمها التقدم التكنولوجي في المجتمع الراسمالي الحديث، ليست سوى نموذجا اخر يبرهن على ان وظيفة التربية النفسية هي ايجاد توازن معين في هذه المجتمعات .

ولقد صار من الواضح الان بان الاراء حول كيفية تربية الطفل ، غير متفق عليها . وصار من الشائع مثلا الكلام عن نمطين كبيرين في التربية ، النمط الفرنسي ، التقليدي ، المتشدد والمتقيد بالمواعيد المحددة في الرضاعة والنظافة وغيرها من الامور المتعلقة بتربية الطفل ، والنمط الامريكي المرن ، الذي يعطي وزنا لرغبات الطفل . ويساهم اطباؤنا في تعزيز هذه الاراء .

ولعله من المفيد هنا الاستشهاد بسبيتز Spitz ، من التيار التحليلي النفسي في اميركا ، والذي كتب مقالا منذ اكثر من ثلاثين سنة ، بعنوان « هل للاهل من ضرورة ؟ » (١١) يتحدث فيه عن هذه الاشكاليات ، وينتقد الاراء الشائعة والتي يعتنقها الاطباء وغيرهم فيقول بأن تربية الطفل حاليا هي جد اعتباطية ، اذ ان الطفل يخضع اكثر من اي فرد اخر للنزوات والميول الاجتماعية الدارجة (اي التي هي على الموضة) في لحظة معينة ، وخاصة فيما يتعلق بالعناية به . ويرى سبيتز بأن كل الامور المتبعة العناية بالاطفال ، في ما عدا طعامهم (وحتى هذه المسالة لا اعتقد ان شركات التغذية العالمية الاحتكارية تهتم كثيرا بمراعاتها ، فالكثير من الابحاث تؤكد ضرر المحفوظات المعدة للاطفال خصيصا ، فالهم الاول لهذه الشركات هو الربح وليس صحة المستهلك حتى ولو كان طفلا) لا تهدف فعلا مصلحتهم ، اذ انها موضوعة لمجموعة من الاعتبارات الخارجية : تسهيل الحياة الاجتماعية العادية للام عندما يتبع نظام التغذية المنظم والصارم ، جعل

العناية بالطفل اسهل وافضل من الناحية العملية للجسم الطبي في مستشفيات التوليد عندما تنصح الام باتباع الرضاعة الاصطناعية ، وعزل الطفل عزلا تاما في غرفة منفصلة خوفا من انتقال العدوى اليه . الخ .

وهنا نلاحظ بأن ما يمارس على الطفل في هذا المجال هو نوع من العنصرية يرفض البالغ رفضا باتا في ان تطبق عليه .

فهل يعقل مثلا ان يحبس سكان مدينة نيويورك ويمنعوا من التجول خوفا من ان تحصل لهم العدوى من المسافرين الى هذه المدينة ؟

ام ان العكس هو الذي يحصل ، فتجري الرقابة على الوافدين الى المدينة ، بينما يعيش سكانها حياة طبيعية ؟

هل يقبل البالغ الامتناع عن الطعام الا في ساعات محددة بدقة بالغة وان لا يلتهم الا كميات موزونة كذلك بالغرام ؟ على ان يمنع عن تناول أي شيء بين الوجبات ، وذلك من اجل اعطاء القيمين على المطاعم الحرية التامة في ممارسة ما يرونه مناسبا بين المواعيد المحددة !

ايتقبل البالغ العطش دون ان يرويه بشيء ما ، ما دام قد تناول مشروبه في اخر وجبة تناولها ؟

ان امثال هذه الممارسات تحصل بوتيرة عالية على الاطفال ، ويحصل اكثر منها ايضا ، وهم لا يملكون شيئا حيالها . وهي مفروضة على الاطفال لانها موضوع حملات دعائية كبيرة ، مما جعلها تتسرب الى كل الطبقات الاجتماعية من جهة والى كل اقطار العالم من جهة اخرى . ومما أوجد الحاجة الدائمة لمثل هذه الانباء وانتبعها ، الآلة الدعائية القادرة ، الى جانب الاهتمام الكبير المعطى حاليا للانباء الطبي ، الصحي والتربوي .

هذه الانماط التربوية المذكورة ، التي تختلف من حقبة الى اخرى ، قد ترافقت مع تغيرات اجتماعية واقتصادية معينة . فلقد اضطرت المرأة للعمل في المصنع ، مما ساهم في تغيير نمط الحياة الداخلية .

لذلك اوجدت نظريات اجتماعية وطبية متخصصة بشكل كبير ، لاعطاء التبرير لهذا التطور الحاصل . ويشدد سبيتز بان هذا التغير الاجتماعي الذي حصل ، هو الذي ساهم في بلورة النظرية التي ترى بأن تغذية الطفل يجب ان تتم حسب تنظيم زمني محدد وليس حسب حاجات ومتطلبات الطفل التي يحددها هو بنفسه . وهذا التنظير يهدف في اعماقه الى اعطاء الام حرية اكبر لكي تستطيع القيام بوظائف اخرى خارج البيت ، (ولسنا هنا بصدد انتقاد عمل المرأة خارج البيت ، لكننا بصدد نقاش مصلحة الطفل بالدرجة الاولى ، فلا بأس ان تتفرغ الام للطفل خلال سنة واحدة على الاقل وذلك يستدعي اعطاءها اجازة لمدة سنة من مركز عملها) .

وإذا كان من الملائم للمرأة العاملة في المصنع ، أن لا ترضع طفلها الا كل اربع ساعات ، فان هذا النظام غير ملائم لحاجات الطفل الحقيقية ذاته ، كما اثبت سبيتز ذلك من خلال تجاربه المديدة التي اقامها خلال سنوات .

وهنا لا نعود نستغرب كيف ان النظريات السلوكية Behavioristes تدعو الى عدم حضن الطفل او حمله او مداعبته . اذ ان هذه اللوحة ملائمة جدا للطفل الذي يجب ان يوضع عند الجارة او عند « البوابة » او ما شابه.

وتفسير هذا السلوك « عقلانيا » سهل جدا . فالطفل الذي يدلل كثيرا يفسده التدليل ، لذلك من الممكن ان يصبح طفلا متطلبا ، باكيا ، متسلطا . وحكمة تلك السنوات كانت : « ان من يحب جيدا ، يعاقب جيدا » (١٢) .

ومن الملاحظ الان حدوث ردة فعل على هذه المواقف التي تدعي « العلمية » . ان هناك عودة جذرية « للاصول » اي ان تترك الحرية للام ولمشاعرها كأم في الدرجة الاولى ، لكي تحدد هي نوعية علاقتها بطفلها . اذ ان احسن طريقة في التربية بالنسبة لفينيكوت هي اتباع « عفوية » الام ومشاعرها الخاصة تجاه طفلها ، فانه يرى بأن الام تصاب بنوع من « الانهماك الامومي » الذي يصل حد المرض خلال الخمسة اشهر الاول من عمر الرضيع ، فهذه المشاعر هي القادرة على تنظيم العلاقة بين الام والطفل . لكن الام موجودة بالدرجة الاولى في « وضعية اسرية » ، انها زوجة قبل ان تكون اما ، لذلك تكون مساهمة الاب كبيرة جدا في ايجاد الجو المناسب لكي تستطيع الام القيام بمهامها . اذن دعم الام المادي والمعنوي مهم جدا للتوصل الى التوازن المطلوب لتربية الطفل تربية حسنة . وافضل شروط التربية الجيدة هي « الحب » ، واعتقد ان الامهات « التقليديات » يعرفن ذلك بشكل حدسي مباشر . تبقى الامهات « الحديثات » اللواتي يضعن بين احدث النظريات النفسية ويحترن ايهن يخترن لاعتمادها في تربية طفلهن ، وهي عملية تؤدي الى جهد ضائع اذا ما كانت الام فعلا لا تملك وسائل دفاعية امام هذه النظريات المتناقضة في احيان كثيرة .

منى فياض

الحـــواشي

(١) الطفولة والحياة الاسرية في النظام القديم
Ph. Ariés : L'enfance et La Vie familiale
Sous L'ancien régime (Seuil)

(٢) الحب كفائض
E. Badinter : L'amour en plus (Flammarion)

(٣) العلاقة الجنسية تظل معتبرة في المسيحية « الخطيئة الاولى » ولا ينسى ان الطفـــل ثمرتها ـ استشهاد من سان اوغوستان ـ المرجع السابق ص ـ ٤٢ .

(٤) هذه التسمية « عناية امومية » اتخذت معنى « المفهوم » بالنسبـــة لعلمـاء النفس المعاصرين . وصار من البديهي ان الطفل المحروم منها يعاني من اضطرابات نفسية وعقليـــة عديدة . اكثر من استعملها Spitz - Bowlby وحاليا يستعملها winnilolt

(٥) لمن يهمه بحث الموضوع مراجعة
سبق ذكره
— Ariés
— Badinter
— Schorter: naissance de la famille moderne, Seuil.

(٦) للاستفاضة في هذا الموضوع راجع :
ـ العناية بالطفل والمرضعات في الطب العربي لـ ـ سامي حمارنة ـ تاريخ العـــرب والعالم ـ عدد ٢٤ ـ ١٩٨٠ ، وفيه ثبت بكل الاطباء العرب الذين اهتموا بهـــذا الموضـوع .
ـ طب الاطفال عند العرب ـ د. محمود الحاج قاسم محمد، نشر آلمراقب دار الحرية
ـ حكم القيام والتقبيل في الاسلام ـ محمد احمد الرفاعي ـ مكتبة الغزالي ـ سوريا.
ـ تحفة المودود باحكام المولود ـ ابن قيم الجوزية ـ مكتبـــة دار البيـــان ـ دمشق
والكثير غيرها مما لا مجال لذكره هنا .

(٧) ويلرس : فلاحو سوريا والشرق الادنى ـ بالفرنسية ..

(٨) نود الاشارة هنا ، الى انه في كل مرة نورد فيها لفظة « تقليدي » نقصد بها المجتمعات الاهلية المحلية التي لم تلتحق بالنموذج الغربي التحاقا تاما ، فبقيت محافظة عـــلى قيمها وانماط حياتها التاريخية ، عبر مقاومتها الذاتية للغرب . وذلك لكي نؤكد ان استعمالنا لهذه اللفظة لا يقصد بها معنى سلبيا كالذي يعطيه لها بعض التحديثيين .

(٩) اعتقد ان هذا الوعي الاوروبي « المفاجيء » لمرحلة الطفولـة وخصائصها ، والتركيز الشديد الذي تم عليها ، ويتم الان ، يعبر بالاضافة الى الاهتمام العلمي الموضوعي بالاطفال ، عن عقد ذنب تجاه هذه الفئة التي ظلت منبوذة ومحتقرة حتى فترة قريبة نسبيـا ، لذلك يعبر « كل » هذا الاهتمام عن عملية « تعويض » نفسي .

(١٠) المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ـ الاونيسكو ـ عدد اربعون ـ السنة العاشرة عـام ١٩٨٠ .

(١١) Spitz : في مجلة «Psyché» عدد ٣٠ ـ ٣١ ـ ١٩٤٩
Les Parents Sont ils nécessaires

(١٢) سبق ذكره Spitz : op cité

مراسلة ومناظرة

من عبد اللطيف شرارة

الى الدكتور محمد ياسين

اخي الدكتور محمد ياسين

تحية طيبة عاطرة

لم اكد اتصفح كتابك القيم الذي تفضلت باهدائه الي في مطلع الشهر المنصرم ، حتى اخذت القلم لاكتب اليك ، ولكني وجدت ، حين اخذت في الكتابة ، اني في عجلة من هذا الامر ، فتريثت اخذا مني بالقول المأثور « في العجلة الندامة ، وفي التأني السلامة » ، اذ لا يكفي ان يتصفح المرء مثل هذا الكتاب القيم ، ليصبح في حل من الكتابة عنه ..

وهنا ، لا بد لي من الاشارة الى معاناة سابقة في هذا الموضوع خاصة، وهي معاناة « كتابية » ، وليست طبية ، اذ سبق لي ان نقلت عن الانكليزية كتيبا صدر عن وزارة الصحة البريطانية ، كان عنوانه « تغلب على داء القلب » ، ونشره يومذاك بالعربية صديقنا محمود صفي الدين ، في نسخ محدودة .

هذه اول تجربة . والتجربة الثانية ان طبيبا من زملائك ، لا حاجة الى ذكر اسمه ، جاءني يوما بكتاب فرنسي للدكتور ج. ر. راجيه ، يحمل هذا العنوان : « انسداد القلب . الوقائع والاساطير » ، ورغب الي في ترجمته ، حتى اذا مضيت في هذا العمل ، وجدتني أمام « داعية » للطب الاسرائيلي ، وانجازات اسرائيل في هذا الحقل العلمي ، فاقلعت عن تلك الترجمة ، ووقفت ... غير آسف !

لم اكن « آسفا » ، لاني تذكرت جملة وردت على قلم الطبيب الذكر الذي انتهت اليه رئاسة الاطباء في عصره ، اعني الشيخ داود بن عمر الانطاكي ، في المقدمة التي وضعها لسفره النفيس « تذكرة اولي الالباب » ، يصف يقول :

« كان الطب من علوم الملوك يتوارث فيهم ، ولم يخرج عنهم خوفا على مرتبته .. حتى جاء ابقراط ، فبذله للاغراب حتى تعاطاه اراذل العالم كجهلة اليهود، فرذل بهم ولم يشرفوا به . وهذا لعمري قول الحكيم الفاضل افلاطون ، حيث قال : الفضائل تستحيل في النفوس الرذلة رذائل ، كما يستحيل الغذاء الصالح في البدن الفاسد الى الفساد » .

وكنت قد اطلعت على كتاب الدكتور عابد قهواتي « امـراض القلب » الذي شاركه في تأليفه تسعة أطباء من جامعة حلب ومستشفاها ، تعرفا مني الى المصطلحات العربية الحديثة في هذا المجال (صدر هـذا الكتاب عـام ١٩٧٨) .

لست أذن « دخيلا » على موضوع كتابك ، ولا على حرفتك الشريفة ، حتى ليصح اعتباري ، بمعنى من المعاني ، زميلا لك ، في الكتابة : لا فـي ممارسة الحرفة .

ننتقل الان الى صلب الموضوع ، الى كتابك « امراض القلب والشرايين» فاحسب اول ما احسب ، ان من واجبي ازجاء تهنئة لـك عـلى « حسن التبويب » ووضوحه ، اذ قسمت بحثك الى سبعة ابواب غير متشابكة ، ولا متداخلة ، رغم ترابطها ، وقد بينت في مقدمتك انك لم تهدف الـى وضع « موسوعة قلبية » ، وان كتابك لا يحوي « كـل مـا يمكن ان يهـم الناس وامراضهم أو يثير اسئلتهم ويشبع حشريتهم » . وكان بـودي ان تستعمل كلمة « فضولهم » بدلا من « حشريتهم » ، فان على طبيب مثلك ، ان يعالج لسان الناس ، ايضا ، كما يعالج القلب منهم !

اما النبذة التاريخية التي سردت بها قصة هذا النوع من الطب ، فهي في نظري ، في غاية الجودة . واذا كان فيها بعض الاخطاء التاريخية ، فذلك لا يؤخذ عليك ، وانما على المصادر التي استقيت منها ، وما انت تقوم بعمل « مؤرخ » او «محقق تاريخي» ، يغوص في التفاصيل ، فالمهم تبيين الخطوط العريضة . وهذا ما قمت به خير قيام . ولكـن كان من الافضل أن نجد لمؤلفات الشيخ داود الانطاكي ، ذكرا في « المصادر والمراجع » التي استندت اليهـا .

وماذ احدثك بعد ؟

لقد اعجبني بيانك ، واسلوبك في العرض ، حتى ليصح وضعك في عداد الكتاب او الادباء الموهوبين . ولا اقول ذلك انسياقا مع العاطفة نحوك ، بل تقريرا لحقيقة كنت اعرفها ماثلة للعيان في شخص المرحوم الدكتور تقـولا فياض الذي عرفته المحافل الادبية خطيبا مفوها ، وشاعرا ملهمـا ، بنسبة ما عرفه الجسم الطبي نطاسيا بارعا . ولدي في مطلع حديثك عـن « النفخة القلبية » شاهد ودليل ! وهو مثل تطرد عليه الامثلـة في معظم « ابواب » كتابـك .

وليس لي أن أتجاوز البيان والاسلوب ، الى ما هو من اختصاصك في الصميم ، فانا لا اود ان اقارن سفرك بغيره من الاسفار الاجنبية التي تتناول الموضوع نفسه . ولكني اشير ، وانا واثق ، الى انه افضل ما كتب بالعربية، في موضوعه ، فلك تقديري ، والسلام عليك من اخيك

عبد اللطيف شرارة

قصة ميلاد كتاب

قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية

لمؤلفه العلامة الجليل الاستاذ روكس بن زائد العزيزي

بقلم : جعفر الخليلي

— ١ —

منذ ان بدا العرب يخرجون من الجزيرة متبضعين ، متاجرين بين الجزيرة ، والعراق ، وبين الجزيرة والشام ، ومتواصلين لاغراض شتى تخصهم قبل الاسلام ، ومنذ توغلهم في الاقطار البعيدة بعد الاسلام ، بدواعي الفتوح التي ابعدتهم عن ديارهم ، تحسسوا بالعجمة ، او خافوا من العجمة ان تفسد لهم مباني لغتهم ، وتغير من لغتهم لهجاتهم ، كما خافوا — ان لم يكن قد وقع لهم — ان تتغلب دواعي البيئة في هذه الاقطار النائية على عاداتهم ، وتقاليدهم ، واخلاقهم التي كانوا يعتزون بها ، التي تتجلى فيها شجاعتهم ، وحسن ضيافتهم ، وشهامتهم ، واساليب سلامهم وحربهم .

ولم تكن القراءة والكتابة شائعة في الجزيرة ، في القرن الخامس والسادس وما قبلهما ، باستثناء القليل ممن كان يمارسهما في بعض انحاء الجزيرة ، كاليمن ، وفي بعض القبائل ، كقبيلة (قريش) بـ (مكة المكرمة) كذلك لم يتم تسجيل شيء من احوال البلاد العربية ، وعاداتها ، واساليب حياتها ، لكي يعتمدوها ، ويعولوا عليها ، توقيا من العجمة والبيئة .

ومما لا يلائم حياتهم ، غير الشعر الذي يحفظه الرواة . وتتداوله الالسن ، ولكن الشعر وان يكن قد حوى الشيء الكثير من اخلاقهم وعبر عن عاداتهم ، وصفاتهم العامة ، ولكن الشعر وحده لا يصلح لان يكون وسيلة لبث الروح العامة ، التي جبل عليها عرب الجزيرة ، وان حظي هذا الشعر بالمقام الارفع عند الادباء والمتأدبين ، وخص بالعناية الفائقة .

وفي مقال للامام الشيخ (محمد عبده) وهو يستعرض كافة (الصور والتماثيل) واعتزاز اهلها بها ، يقول فيه : (اذا كنت تدري السبب في حفظ سلفك للشعر ، وضبطه في دواوينه ، والمبالغة في تحريره ، خصوصا شعر الجاهلية ، وما عني الاوائل — رحمهم الله — بجمعه وترتيبه — في الاسلام — امكنك ان تعرف السبب في محافظة القوم — من ايطاليين ، وفرنسيين او يونان وغيرهم — على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل ، فان الرسم ضرب من الشعر الذي يرى ، ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى .

ومع ذلك ، فان هذا المسموع وهو الشعر ، لا قدرة له وحده على ان يبني سدا دون تفشي العجمة ، وحائلا دون تسرب العادات ، ودون انتشار التقاليد غير المألوفة بين العرب المقيمين خارج الجزيرة ؛ لا سيما وهؤلاء العرب — وان كثروا — فهم اقلية بين الشعوب الاعجمية ، على ان ما خلفه لنا الشعر الجاهلي لم يكن شيئا كثيرا ، وانما يكاد ينحصر ب (المعلقات) وبعض الدواوين كديوان (النابغة) وديوان (علقمة) وديوان (الاعشى) واشعار لطائفة من الشعراء لا ننكر اثرها — لحد ما — في تصوير حياة المجتمع عند العرب ، قبل الاسلام . والعرب لهجات متنافرة ، فلهجة (بني تميم) — مثلا — كسر الحرف الاول من فعل المضارع ، ولهجة (مازن) قلب الميم باء والباء ميما اذا وقعت في اول الكلمة ، ولهجات اخرى تسقط (الالف واللام) من التعريف ، وتحولها الى (ميم) وبعضها تسقطها من اصلها وتجعل الكلمة نكرة . وغير ذلك من اللهجات ، والمصطلحات ، ومباني الالفاظ وتصريفها ، التي لم يكن الالمام بها ومقارنتها بلغة (قريش) ولهجتها سهلا متيسرا لمن لا تتاح له الاقامة الطويلة بالجزيرة .

لكي يخرج باطلاع لغوي كاف ، فكيف لو اراد الوقوف على العادات ، والتقاليد واساليب المعيشة ، والحياة العامة ، ومن حسن الحظ ، ان كانت هناك بقايا تدل على ان في الجزيرة اسواقا موسمية يتبضع منها قاصدوها البضائع التجارية ، والبضائع الادبية ، والوقوف على صور التحكيم في ميادين الشعر والادب ، والخصومات ، والعهود ، كسوق (عكاظ) — مثلا — واندية تجري فيها قصص السلف ، والحوادث الجارية ، يسمر فيها السامرون .

يقول الدكتور (خليل ابراهيم) ظاهر مستندا على عدد من المصادر الموثوق بها : « وكان للقبائل جميعا ، المتحالفة منها ، وغير المتحالفة مجلس يضم شيوخ عشائرها ، وهو ندوتهم التي ينظرون فيها شؤون قبيلتهم وكان كل فرد يستطيع ان يحضره ، وان يتحدث فيه ، ولم يكن له موعد معين

وفي العادة كانوا يجتمعون مساء ، وكلما حزب امر ، او ظهر ما يدعو الى الاحتجاج ، تناقشوا فيه ، وتحاوروا ، وقد يخطبون ، او يستمعون الى بعض منظوم شعرائهم ، وفي اثناء ذلك يدلي سادتهم بحكمهم و تجاربهم في حياتهم ، والى ذلك يشير (زهير بن ابي سلمى) اذ يقول في مدح (هرم بن سنان) وقومه :

« وفيهم مقامات حسان وجوههم ، واندية ينتابها القول ، والفعل
وان جئتهم الفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى باحلامها الجهل

ويستبان من استعراضنا لمن الم ببيئة الجزيرة العربية في الجاهلية ودرس شؤونها ان كان لعرب الجزيرة عدد غير قليل من الندوات الموسمية وغير الموسمية ، كدار الندوة ، ونادي (قريش) ومجالس سمر كانت تعقد في بيوت رؤساء القبيلة ليلا تجري فيها مختلف الاحاديث عن الانساب والحروب ، وتراجم بعض الاسخياء ، وبعض الشجعان ، وما كانوا قد سمعوا به ، او راوه بعيونهم ، وكل هذا كان من التراث الذي لا يجوز التفريط فيه لا لاستقامة اللغة ، وضبط قواعدها ، ولا للاحتفاظ بتاريخ امة كانت تعيش في بيداء صحراوية ينعدم في كثير من نواحيها الماء ، والنبات والشجر فحسب ، وانما لتصوير لون من الحضارة التي تدعو العربي ان يباهي بها بين الشعوب وهو خارج الجزيرة ولذلك صار حتى للكلمة المعتادة شأن في تحقق معناها واعرابها ، وقد تستدعي الكلمة الواحدة التجوال بين البلدان للوقوف على اصلها وصحة نطقها من مصدرها .

روى (ابو عثمان المازني) وهو احد اعلام النحو واللغة والادب في العصر العباسي الاول ــ ان جارية غنت بحضرة (الواثق) من شعر (العرجي) :

1 (ظلوم) ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ــ ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب (رجلا) بالفتح فمنهم من نصبه ، وجعله اسما لـ (ان) ومنهم من رفعه على انه خبرها ، اما الجارية فكانت مصرة على ان شيخها (ابا عثمان المازني) المقيم بـ (البصرة) هو الذي لقنها اياه بالنصب ، فامر (الواثق) باشخاص (ابي عثمان) المازني من (البصرة) اليه ، وليس من شك ان جلب شيخ مسن من (البصرة) وفي مثل ذلك الزمن الذي تنعدم فيه الوسائل السريعة المريحة لا يخلو من مشقة ، ولكن الوقوف على اعراب كلمة كانت موضع شك ليبيح لتلك الاجيال المثقفة تثقيفا ادبيا لغويا ان يجشم الخليفة شيخا مسنا مشقة السفر حتى ولو كان في الهند وليس بـ (البصرة) .

ومثل (ابو عثمان) بين يدي (الواثق) ، ويقول (ابو عثمان) ـ على رواية (ابن حجة) ـ فلما مثلت بين يديه ، قال :

ـ ممن الرجل ؟

قلت : ـ « من مازن ، يا امير المؤمنين » .

قال : ـ « اي الموازن ؟ »
قلت : ـ « من مازن ربيعة »

فكلمني بكلام قومي ، وقال :

« بأسمك ؟ » ـ اي ماسمك لان (مازن) هؤلاء يقلبون الميم (باء) والباء ميما اذا كانت في اول الاسماء فكرهت ـ يقول (ابو عثمان) ان اجيبه على لغة قومي ، واحول اسم (بكر) ـ وهو اسمي ـ الى (مكر) على لهجة قومنا ، لئلا اواجه الخليفة بـ (المكر) واقول له : « ان اسمي (مكر) . »

فقلت : « بكر ، يا امير المؤمنين » ، ففطن (الواثق) لما قصدته وأعجبه مني ذلك . ثم قال : « ما تقول في قول الشاعر :

أ (ظلوم) ان مصابكم رجلا ـ اهدى السلام تحية ـ ظلم

اترفع (رجلا) بالضم ؟ أم تنصبه ؟

فقلت ـ يقول (ابو عثمان) ـ : ان الوجه هو النصب يا أمير المؤمنين.

قال : « ولم ذلك » ؟

قلت : « ان (مصابكم) مصدر بمعنى : ـ اصابتكم »

فأخذ (الزيدي) في معارضتي ، فقلت : ـ « هو بمنزلة قولك : ـ ان ضربك زيدا ظلم . فالرجل مفعول لمصابكم ، ومنصوب به ، والدليل عليه : ان الكلام متعلق ، الى ان تقول (ظلم) ، فيتم » .

فاستحسنه (الواثق) وامر لي بألف دينار .

كل هذا ، يدل على مدى اهتمام القرون الاولى الاسلامية ، بلغتهم ، ولهجاتها وصحة القواعد ، الى جانب الاهتمام الكبير بحضارتهم واساليب حياتهم وتقاليدهم التي لا يمكن التعرف بها ، والاحاطة بشؤونها عن بعد ، وعن غير وقوف تام على الوانها .

لذلك كانت جزيرة العرب يومذاك بمثابة الجامعات الاجنبية التي توفد ابناءها اليها اليوم للتخصص . فكان الخلفاء والعلماء والمتتبعون ،

والقادرون على قضاء وقت طويل في البوادي ، يفدون الى الجزيرة ، او يوفدون ابناءهم ليتسنى لهم البحث عن كثب عن صحة اللغة العربية ولهجاتها ، وانساب القبائل واحوالها ، وكل ما يتعلق بالاصالة عند العرب، في ميولهم ، وطباعهم والتزاماتهم ، وهو امر من المستلزمات في تصوير الحضارة ودراسة نشأة الشعوب ولكن العرب لم يكونوا حينذاك يعرفون الحضارة واسمها ، وعلم الاجتماع واهدافه ، وكل ما كانوا يعرفونه ، هو ان دواعي قومية كمالية ، تدعوهم الى ذلك .

يقول الدكتور (محمد مصطفى هدارة) عن خروج الشافعي الى البادية لتثقيف لغته ولهجة لسانه ، ويتبحر في اساليب الحياة الروحية والمادية : يقول : ـ « وخرج (الشافعي) الى البادية، حيث كانت الفصاحة العربية بمنأى عن العجمة ، والفساد ، واللحن ، ولزم قبيلة (هذيل) وفي ذلك يقول (الشافعي) نفسه : « خرجت من (مكة) فلازمت (هذيلا) بالبادية أتعلم كلامها ، وآخذ طبعها . وكانت (هذيل) من افصح العرب ـ ارحل برحيلهم ، وانزل بنزولهم . فلما رجعت الى (مكة) جعلت انشد الاشعار واذكر الآداب والاخبار . »

ويقول الدكتور (محمد مصطفى هدارة) : « ويبدو أن مقامه ـ اي الشافعي ـ في البادية طال عدة سنين ، ولم يكتسب فيها الفصاحة والمعرفة اللغوية فحسب ، بل روى قدرا عظيما من الشعر العربي حتى ان (الاصمعي) قرا عليه ـ بعد ذلك ـ في (مكة) اشعار (الهذليين) وشعر (الشنفرى) وروى عن (الشافعي) قال : « اروي لثلاثمئة شاعر مجنون ، وهو يعني حفظه اشعار عشاق العرب ، امثال (قيس بن الملوح) المعروف بـ (مجنون ليلى) .

عمـان **جعفر الخليلي**

فريد أبو شهلا



في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٨٢ انتقل الى رحمته تعالى نقيب الصحافة اللبنانية فريد ابو شهلا . وغيابه البس الصحافة اللبنانيـــة مجددا ثـوب الحداد ، وهي لم تخلعه بعد ، اذ لم يمض على غياب نقيبها رياض طه عـام وبعض العام .

واقيم للفقيد مأتم وطني حاشد شاركت فيه قيادات سياسية ورسمية ووفود شعبية ، وبعد القداس القيت كلمات تأبينية للمطران عودة والرئيس الوزان والوزير اده ورئيس المجلس البلدي في بيروت ونقيب المحررين ونقابة الصحافة واسرة مجلة الجمهور ونجل الفقيد الراحل ميشال ابو شهلا .

والقى نقيب المحررين الاستاذ **ملحم كرم** كلمة قال فيها: ما سقط القلم من يده لانه مات ، بل مات لان القلم من يده كان قد سقط ، لقد عز عليه ان يباعد المرض بينه وبين انتاجه الغزير ، فوضع هو حدا لحياته . هذا الذي نتكلم في رثائه اليوم كبير بين الكبار وخالد بين الخالدين . لبنانيا في القمـة كان ، وصحافيا في الطليعة ، ونقيبا في الناجحين ، وداعية مخلصا للوحـدة الوطنية .

دخل الصحافة دخول النابغين، فاذا هي في ممارسته وفي كلماته الحاح نزعة وصوت دعوة . هذا الصحافي لا يشاطر ، انه المقال ، التحليل ، النقد،

الترجمة ، هذا رجل نرى فيه ذاتية صارخة تعبر عــن نفسها بوضوح دائم اينما كنت منه .

بعيد على اخذ الاساطير ، فما اقربك اليوم من بدئه وما ابعدك عــن النهاية ، هذا مريض كمال ما وافته الهناءة الا بالاحلى ، لقد عرف واكتشف معنى الجدة في الكلمة وفي مبناها القديم ، جنباتها مسحة من غرابة الاصل .

فريد ابو شهلا من صحفيي الطليعة ، ينزع عن عباراته مـا ليس نبضا والفصاحة في جنبات كلماته غير ظلم . ان فريد لكثرة ما هــو قارىء عرف كيف يتعامل مع قرائه. فنشأت بينه وبينهم الفة وعلاقة حميمة؛ تفعل فعلها في بقائه واستمراره . ان القارىء فريد دائما غير استقامة حال ؛ فهو امــا عيناه شاخصتان الى الفضاء ، واما يداه مرتفعتان ، وامــا اصابعه على مكبه ، الا انه لا يقلب يوما شفة من سآمة او ضجر .

واذا تعب اللون يوما على صورة من صوره ، او اصابك مــن كتابته بعض ركون ، فيكون ذلك من فرط حس المعجبين واخــذ الطالعين ، انـه رتوب الصلاة على التلاوة .

في محبة لبنان سلخ ٤٠ عاما من عمره ، اعطاها في سبيل شموخه وعزته وكرامته ، فاذا هي مداميك اربعين عاما . اربعون مدماكا في بنـاء لبنـان ، مداميك يسير في ركابها الزمن خاشعا مسخرا ذليلا ، مداميك تحــج اليها الحرية متبركة بلثم جدرانها ، مداميك تتحرش بها الكرامة لكي تزداد اباء .

لم يكن فريد انسانا بل كان انسانية ، لقــد سكنته لبنانيته وعروبته ، كما يسكن البرق المفاجاة ، وكما يسكن الوطن الديمومة ، هذا هــو فريــد ابو شهلا .

يا فقيد الصحافة والكلمة ، وحدة الوطن عملت لها خلقا وايمانا وقناعة كنت دائما تؤمن كما نؤمن نحن وكما يؤمن كل مخلص بان ليس في لبنــان اكثرية او اقلية ، ان الاكثرية اقلية اذا اعطت لبنان قليـــلا . والاقلية اذا اعطت لبنان كثيرا .

كنت تقول ان قضية لبنان تؤلمك ان تهبط الــى حضيض السلع والمساومات وكنت تقول ان الذين تسببوا في محنة لبنان لــن يكونوا هــم المخلصون والمنقذون ، خلاص لبنان سنحله على يد القيادات المخلصة ، على ايدي الجماعات المجردة ، واذا قال الذين كانوا وراء المأساة بـل دعونا نحن نحل المشكلة ، سنقول لهم ، كلا ، لن تكونوا الاولياء لان جريمة صنعتموهــا بايديكم لستم امناء ان تحلوها بايديكم .

يا فقيد الكلمة ، عليك وهو ما كنت تطالب ، دائما وعلينــا جميعا ان نخلص السياسة من الدنس ، وان نبعدها عن مرض الشهوة ، ذلك ان مرض الشهوة كمرض العقل كلاهما الجنون ، الا انه في العقل جنون يمسح الادران؛

اما في الشهوة فادراك يحركه الجنون ، ويكون هذا اكثر الجنونين خطرا لانه ادراك مخرب يسير بشهوة ويقف بشهوة .

كنت ابدا ضد كل وصمة، وكنت تحل المشاكل بالبسمة بالخلق بالكرم، ماذا يعني اننا تهاوينا ؟ ايعني ان الصحافة تشهد تهافت روادها واحدا فواحد قد استسلمت ؟ معاذ الله بل نحن هنا اخواني وانا لنقول اننا لن نضعف ولن نهون وسنزداد تماسكا ، فلا ينتظرن احد ان نضعف او نستسلم .



كان رجال الصحافة والموت على موعد !

فبعد ساعات من غياب النقيب فريد ابو شهلا، مات صحافي من اعتق رجال المهنة ، هو الفرد ابو سمرا ، صاحب « القلم الصريح » . كلاهما من جنوب لبنان . النقيب ابو شهلا ، جذور عائلته من بلدة ميمس والفرد ابو سمرا من جديدة مرجعيون .

النقيب ورث الصحافة عن ابيه، والفرد ابو سمرا اسس جريدته في العام ١٩٣١ ، وهو يقول : « حضرت الى بيروت وقدمت طلبا الى وزارة الداخلية للسماح لي باصدار جريدة لم اقرر اسمها من قبل ، الا ان مدير المطبوعات الح علي بوجوب التسمية ، فكان « القلم الصريح » .

« القلم الصريح » منذ ولادتها واجهت الكثير من الصعوبات ، فصراحتها تخطت المألوف ، مما عرضها التوقيف وسبب لصاحبها « وجع الراس » الذي تورثه عادة مذكرات الجلب وجلسات التحقيق والاعتقالات . لكن « القلم الصريح » تابعت مسيرتها الجريئة ، وكانت صلة وصل بين لبنان المقيم ولبنان المهاجر حتى العام ١٩٧٦ ، فاضطر صاحبها الى تعليق صدورها .

لم يتوقف الفرد ابو سمرا عن الكتابة ، فهو تابع رسالته في « الجمهور الجديد » وفي « صدى لبنان » ، محللا ، مطالبا العرب واهل الدنيا بالالتفات الى الجنوب وعروسه مرجعيون ، داعيا الى توحيد الجهود من اجل لبنان كريم حر ، من اجل لبنان كما عرفه في ايام شبابه ، ايام كان يغنيه في « قلمه الصريح » مع فارس الخوري وفارس الدبغي والشيخ عارف الزين والشيخ سليمان ظاهر والشيخ احمد رضا .

سنديانة عتيقة جبارة لولا طول السنين لما هوت .

« النهار » **جوزف نصر**

اثينا
كوبنهاغن
فرانكفورت
جنيف
اسطنبول
لندن
مدريد
ميلانو
باريس
روما
زوريخ
بيروت
ابيدجان
كانو
لاغوس
مونروفيا
تونس

ابو ظبي
عدن
عمان
انقرة
بغداد
البحرين
بنغازي
القاهرة
الظهران
الدوحة
دبي
جدة
الخرطوم
الكويت
لارنكا
مسقط
رأس الخيمة

في جدول رحلاتنا الحالي يمكنكم أن تجدوا الرحلة المناسبة وموعد السفر الملائم

تؤمن شركة طيران الشرق الأوسط أوسع خيار من الرحلات انطلاقاً من بيروت الى ٣٢ مدينة في اوروبا - الشرق الاوسط وافريقيا.
أن شركة طيران الشرق الاوسط التي تتمتع بـ ٣٤ سنة من الخبرة تؤمن لكم جدول رحلات دقيق يضمن راحتكم ويلائم أعمالكم




MEA

السشركة التي تستحق ثقتكم

ملحق العدد ٢ من المجلد ٧٠ من العرفان
وجريدة

جبل عامل

ملحق خاص عن المرحوم :
نزار الشيخ احمد عارف الزين
١٩١٥ – ١٩٨١

ولد في صيدا في سنة ١٩١٥م ، بعد ست سنوات من تأسيس والده المرحوم الشيخ احمد عارف الزين مجلة العرفان في صيدا . وتلقى علومه الابتدائية في صيدا ثم انتقل الى الكلية الاسلامية في بيروت ومنها الى مدرسة الفرير وذهب بعدها الى باريس حيث تلقى علومه الصحفية وحصل على دبلوم الصحافة من جامعة السوربون . وعندما عاد الى لبنان في سنة ١٩٣٩ كانت الحرب العالمية الثانية على الابواب ، فلم ترق له الوظيفة ، ففضل العمل الحر في الصحافة ، فكرس وقته لمساعدة والده في تحرير مجلة العرفان وجريدة جبل عامل ، وكان ينشر في مختلف الصحف والمجلات .

وعندما توفي والده في اواخر سنة ١٩٦٠ استلم المجلة والجريدة وكرس حياته للحفاظ على تراث « العرفان » حيث حجبت عدة مجلات عاصرتها وبقيت العرفان صامدة ، وعندما يعرض عليه الزواج ، كان يجيب لقد تزوجت العرفان وهذا يكفيني . وثابر على اصدار « العرفان » وجريدة « جبل عامل » الى حين وفاته في ٢٠ تموز سنة ١٩٨١ في بيروت اذ انفجر دماغه بعد أن ضربته الهزات العاصفة التي ضربت وطننا الحبيب في الصميم ، لا سيما القطعة الغالية منه جبل عامل الذي كرس المرحوم نزار حياته للمطالبة بحقوق جبل عامل ورفع مستواه .

وكان قد ترك صيدا قبل الاحداث وسكن في ساحة البريد في الشياح واتخذ مكتب العرفان في بناية العازارية فوق نقابة الصحافة ، فدمر مسكنه في الشياح وذهبت معه مكتبة ضخمة ونهبت بقية المكتبة من بناية العازارية فخرج من الاحداث دون ان يملك حتى مجموعة من العرفان الواجب حفظها مع سير المجلة .

بلغ عدد الذين نالوا شهادة الدكتوراه عن « العرفان » عشرة ، وفي كل مرة يحضر لزيارة المرحوم نزار طلاب الدكتوراة لاخذ المعلومات فـلا يجـد

المرجع عنده بعد ان نهبت مكتبته ، وكانت امنيته ان يصدر كتابا خاصا عن المرحوم والده مؤسس العرفان ، فجمع في عدد العرفان الاخير مقتطفات من مقالات كتبت بمناسبة اليوبيل الفضي وبمناسبة حفلات التأبين واستلم عدد العرفان من المطبعة قبل ثلاثة ايام من وفاته حيث كان سعيدا اشد السعادة لانه حقق بعض امنيته ، واعلن في هذا العدد عن تخصيص جائزة مالية لمن يكتب عن مؤسس العرفان كتابا يتناول مجمل حياته السياسية والثقافية والاجتماعية والنضالية .

وكتب الاستاذ محمد فرحات في جريدة السفير الكلمة التالية :

نزار الزين حافظ ((العرفان))

مات امس وحيدا ، نزار الزين ، الذي حفظ « العرفان » وحيدا منذ العام ١٩٦١ حين تركها والده المجاهد الشيخ احمد عارف الزين الى الدار الاخرى .

احب نزار « العرفان » واحبته منذ كان طفلا يرى مطابعها في صيدا حيث تجتمع النخبة العربية والاسلامية وتلتقي اقلامها على الصفحات المضيئات . احبها نزار صداما من اجل الحقيقة ، منذ كانت اصداء اصوات عبد الكريم الخليل ورفاقه تتردد في جنباتها وعلى درج المكتب العتيق . .

واحب نزار « العرفان » مدرسة تعلم فيها ذلك النمط الذي يمزج المعرفة بالجهاد حتى تبقى الكلمة شاهدا ومحاربا في آن . . واحب «العرفان» محررا فيها ثم قيما على التحرير بعد وفاة والده الشيخ قيما يحفظ تراثا ويؤمن استمرارا .

في الثلاثينات تابع علومه في فرنسا بعدما انهى المرحلة الثانوية في لبنان آثاره مقالات متفرقة في مجلدات « العرفان » العريقة ، ومساهمات في مؤتمرات فكرية عربية واسلامية واثره الاكبر انه حفظ « العرفان » ونذر لها العمر .

محمد فرحات

مؤسسة العقيدة الثابتة

النائب المحامي عبد اللطيف الزين



ليس لي ، كقريب للفقيد ، ان اعدد مزاياه او أن ابين فضائله ، وان كنا في اطار العائلة قد افتقدناه اخا حبيبا ، كريم النفس ، عالي الهمة ، وانسانا متواضعا سديد الراي مؤمنا ومجاهدا.

لكن حين يغيب الموت انسانا ، كنزار الزين ، ارتبطت حياته بقضية عامة وبرسالة دينية ووطنية ، يكون افتقاده عاما ، وتكون خسارته شاملة ، فيحق حتى القريب النسيب ان يقول في دوره ومكانته كلاما لا يصدر عن الهوى او القرابة .

لقد وهب نزار الزين حياته لمجلة العرفان ، التي كانت باب المعرفة الوحيد لجبل عامل ، وكانت نافذته الوحيدة على العالم . العرفان التي كانت وما زالت المؤسسة الوطنية الصادقة : مؤسسة العقيدة الثابتة ، مؤسسة الايمان الراسخ، مؤسسة العلم والادب، مؤسسة الصحافة الحرة، مؤسسة القضية الاسلامية ، واخيرا مؤسسة القضية العربية . وحمل نزار مشعل المجلة بكل امانة واخلاص واجتهاد وشجاعة ، فحافظ بذلك على تراث نفيس ارساه والده الشيخ احمد عارف ، الذي كان مجموعة مناقب مدهشة ، تمتزج فيها الارادة بالعناد ، والايمان بالاجتهاد ، والتقليدية بالاصالة ، والجراة بالاستخفاف ، تضاف الى هذا وفاء نموذجي ونشاط فريد من نوعه رافقه من المهد الى اللحد ، وصمود على الراي ، وثبات على العقيدة . وتعاون الشيخ عارف على انتاج التراث ونشره مع رعيل من العلماء والادباء الافذاذ ، فاناروا بما كتبوا وعملوا طريق النهضة والتحرر لاجيال واجيال .

لم ينحصر اثر مجلة العرفان في لبنان فحسب بل تعداه الى معظم اقطار العالم الاسلامي ، لانها كانت منبرا واسع النفوذ لاقلام مؤمنة شجاعة تميزت آثارها بالايمان بالله وبالوطن وبالتزام الحق وابعد عن الجمود والتزلف ، وبالدفاع عن قضايا العالم العربي والعالم الاسلامي ، فما ارتبطت بنظام ولا

انتسبت لزعيم ، بل التزمت قضايا الديـــن والاخلاق ، وقضايا العروبـة والاسـلام ، وقضـايا الحرية والتحرر ، وقضـايا الانسـان المقهور المعذب في كل مكـان .

والعرفان مع ذلك كله ، أو لذلك كله ، مرجع لا غنى عنه في كتابة تاريخ جبل عامل الحديث ، بل انها المرجع الاول دون مغالاة .

في ذكرى مرور اربعين يوما على وفاة نزار الزين لا بد ان نتذكر اولئك الذين صنعوا مجلة العرفان والتزموا برسالتها ، لاننا نعيش اياما رديئة عـز فيها الرجال الصادقون ، المؤمنون ، المجاهدون ، الصابرون الذين لا يبتغون الا مرضاة الله ورفعة الاوطان ويضحون في سبيل ذلك بالمال والنفس .

فرحمة الله عليك ايها الراحل الكريم ورحمة الله عـلى اولئك الرجال الرجـال .

ايهـا الاخـوة

اسمحوا لي ان اتوجه اليكم ايها الحفل الكريم بالشكـــر العميـق الصادق على حضوركم ومواساتكم ، وان اتوجه بشكر خاص الـى السـادة الخطباء ، سـائلا المولى ان يفرج كرب هذه الامة وان يعيد الى ربوعنا الفـرح والهناء ، وان يحفظكم جميعا سالميـن . (1)

عبد اللطيف الزين

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

برقية دولة الرئيس الاستاذ تقي الدين الصلح :

الاستاذ زيد الزين

بأسف بالغ تلقيت نبأ المصاب الكبيـر ، ارجـو قبـول تعزيتي ومشـاركتي القلبية سـائـلا للفقيـد واسع الرحمـة والرضوان ، ولكم وللاسرة جميل الصبر والسلوان .

---

1 ـ كلمة آل الفقيد القاها في الحفل التأبيني نائب النبطية معالي الاستاذ عبد اللطيف الزين

الجنوب عنوان القضية

المحامي احمد سويد



هوذا فارس جنوبي يسقط في الساحة .

فارس لم يمتشق يوما حساما دعي البطولات ، راعفا بالغرور والالق .

ولم تستهوه يوما صهوات مجد كاذب ، غرار الطالع ، غرار الألق .

فارس لم تثر حوافر جواده الذي لا يتعب غبار الساحة، كيلا يتهامس الناس : هو ذ فارس الساحة .

وانما كالجدول المتواضع المغمور ، كان .

ينساب في السهل حييا هادئا صموتا ، ليضيع في جنباته ، ويتغلغل في عمق اضلاعه ، ثم لتترجمه ، معجزة الحياة من بعد ، جنات ممرعة من الخصب والعطاء والثمرات والنماء ، وسنابل الذهب .

يوم استنفد الكفاح الطويل المر ايام الشيخ المجاهد ، سلمه الراية ، وهو يمضي الى ربه وسدرة خلوده .

لم يوصه خيرا بالعرفان ، وهي بعض ارثه الذي انطوى على كل ارثه !

لم يوصه : لانه كان على يقين بأن نزارا هو خير من يكمل الرسالة ، ويحفظ الارث ، ويصون الامانة .

وكان الفتى يعرف اي عبء القاه الشيخ على كاهله .

كان يعرف ان العرفان لم تكن يوما وسيلة للتعيش او مؤسسة التجارة !

كان يعرف انها منارة هادية جنوبية الموقع ، ولكنها عربية الاشعاع ، قومية الدور ، والمدى .

كان يعرف انها فوهة بركان ناشط ابدا ، وبعض حممه الرفض التغييري ، والقلق المصيري ، والتمرد الجامح والغضب المدمر الدامي .

كان يعرف الثوابت الرواشح في سياسة المجلة ، ويعرف في الوقت

نفسه انه في زمن رديء ، تكاد تتخلخل فيه كل الثوابت .
المغريات تحف به من كل جانب ، وما عليه كي يظفر بما تعد ــ وما اشهى ما به تعد ــ الا ان ينحرف قليلا عن المسار ؟ ويحور بعض الشيء في استقامة الخط .

والمثبطات شواهق شعثاء تسد عليه ، افق الدرب ، وعرض الطريق .

وهو في مواجهة هذه ، وحيال تلك ، فرخ نسر طري الجوانح ، رخص التجربة ، لدن العصب ، وان نماه الى رحابة الاجـواء ولا نهاياتها مراس عتيق عريق .

هنا بين دفتيها يتجمع الجنـوب : تاريخـه ، وقائمـه ، افراحـه ، اشواقه ، جراحه ، كل مآسيه .

هنا بين دفتيها يتجمع العبق القومي ، مـنذ تفتحت براعم التـوق الوحدوي ، وبانت ملامحه ، وتوضحت مراميه .

هنا بين دفتيها يتصادى الفكر والشعر والعلم وتتلاقى جميعها في عناق لا نهاية له، ويرصد سير الزمان، وحركة تطوره، وفعل الاحداث فيها وفيه.
فاحملها يا نزار .احمل كتابك بيمينك ، ولا تتهيب ، فما عرف التهيب من كان مثلك ، ربيب الكفاح الذي لا يليق ، مليل النضال الذي لا يطالـه فتور أو نصب .

وقبل الفتى الطري التحدي الكبير الذي وضعته الاقدار في مواجهته .

قبل المخاطرة ، وخاض بكفاءة البطل معركة التصدي ، معركة تثبيت الثوابت في نهج المجلة المشكاة ، المجلة المدرسة ، المجلة التيار .

هو ذا فارس جنوبي يسقط في السـاحة بلا ضجيج ، ولا رنين صبوح .

هو ذا مهند عاملي يتحطم فوق الساحة ، قبل اوانـه ، فما اقسى ان يتحطم قبل الاوان، مهند مقاتل صادق اللهجة صلب الشفرة ؟ لدن العصب .

ما اقسى أن يرحل الاحرار ، في اللحظات ، المفاصل من تاريخ امتهم ، من تاريخ وطنهم .

الجنوب وانت يا نزار ، قضيتان تتداخلان ، وتنضويان تحت عنـوان واحـد :

هو . . . خاصرة مطعونة بالف خنجر ، مسكونة بالهم والحزن والصلابة وهاجس الموت وارادة الحياة .

هو ابن تعودت العشيرة ان تنكره ، وان يعتبره ذوو القربى مخاوقـا ضائع النسب مطموس الهوية .

هو ارض اقطعها الوطن « الشهم » .. لكل الـــوان البؤس والحرمان والاهمال والفقر ، واباح ترابها للنزق النازي ، والصلف الصهيوني وشهوات اسرائيل .

وانت ، يا نزار ، جندي عشت في الخندق ، تأكل مـــن لحمـك حين تجوع ، وتشرب من وريدك حين تعطش ، وتتمترس وراء الكلمة الصاعقـــة لفرط صدقها ، الكلمة السيف لفرط صراحتها وجرأتها ، الكلمة الرســالة لفرط صفائها ونقاوتها وطهرها .

وانت ايضا ، انكرك ذوو القربى ، انكرتــك العشيرة ، ونسيك الوطن الكبير ، وصمدت وحدك . نزفت ، واثخنتك الجراح ، ولكنك لم تركع .

تساقطت عضوا فعضوا ، ولكنك ظللت تعطي بصمت ولم تلق سلاحك ، وها انت تستشهد لكي تبقى القضية التي آمن بهـا والدك الشيخ ، وضحى لها ، وحملت من بعده ، بيرقها ؟ وكانت العرفان منـــذ نشأتها ، منبرهـا الاشمخ ، وصوتها الاعلى ، ومطلها الباهر على الدنيا العربية !

فاطمئن يا نزار

القضية باقية ، والجنوب وهو عنوان لها صامد ، والعرفان ، وهـــي علمها ، صامدة ، وذكرك ، وانت جنديها باق . فالموت بالنسبة للمناضلين الصامتين الزاهدين مثلك الذين لم تغرهم الدنيا ولا بهارجها ليس هو النهاية ، بل ضجعة المقاتل ، واستراحة المحارب ، وسلام النفوس الابية ! (١)

احمد سويد

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

برقية معالي وزير الماليـــة الدكتـــور علـــي الخليـــل

في حفل التابين بعدما شارك في ذكرى الوفاة والاسبـــوع :
السادة نقابة الصحافة اللبنانية
الســادة آل الزين الكرام
كلمات تتســاقط فتولد شلالات معرفـــة يستقيهـــا المتابعـــون .
رحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته ولكم من بعده طول البقاء

---

١ ــ كلمة اتحاد الكتاب اللبنانيين للامين العام للاتحاد المحامي الاستاذ احمد سويــد ، القاها في حفل التابين .

الرواد الطليعيون

النقيب فريد الطيارة

ايها السادة



نجتمع اليوم ونتلاقى هنا لنشترك جميعا في احياء ذكرى من فقدتم وفقدته اسرة الصحافة والعلم والثقافة والوطنية الخالصة لوجه هذا الوطن اللبناني والوطن العربي الكبير ، اعني المرحوم المغفور له الاستاذ نزار عارف الزين ، وما اكثر من سقط في ميدان الشرف والكرامة على هذه الارض الطيبة ، ارض جنوبنا الغالي ، الصامد ابدا في وجه كل الرياح ، يبذل ويبذل ولا يبخل او يمنن على احد ، وقد ارتضى ان تبقى تربته مجبولة بدماء الشهداء ، وفي فضائه تحوم ارواح قبلت ان تبقى منارة نور وعطاء بلا حساب ، وعلى ظهرها اجساد علمت الاخرين كيف الصبر وكيف الثبات والايمان .

نزار عارف الزين ؟ كلكم تعرفونه ، وقد خبرتموه ، وحككتم جوهره ، فكان اصيلا لالاء وقد ارتوى مما ترتوون ، وعاش كما يكون عيش الشرفاء الكرماء ، ولا غرو ، فهو من هذا الجنوب قرة الاعين وحبة القلوب ، وهو قد ورث ايضا عن المرحوم والده الطيب الذكر الشيخ احمد عارف الزين ، المآثر الحميدة ، والاخلاق العالية ، والجرأة والحكمة والسيرة الحسنة ، والسلوك المناقبي الكريم ، واخذ عن مؤسس « العرفان » العمل والتطبيق ، لشعاراته التي كان يرددها طيلة حياته ، ومنها : الحق احق ان يتبع ، وهذا مبدأ الائمة الاطهار . وقوله : العزيز من اعزه الجهاد في سبيل الله ، والعظيم من عظمه الخالق المحمود عند الله » وقوله : « الخالد في هذه الحياة من خلده العمل الصالح لوجه الله » .

على هذه الشعارت كانت سيرة نزار ومسيرته ، وبالاقتداء بالمرحوم والده كانت خطواته تتبع سبيل من سلف ، فلقد كان الشيخ احمد عارف الزين واحدا من رعيل اولئك المجاهدين الاحرار ، الذين عرفهم الجنوب اللبناني مكافحا ومنافحا ومحتملا صابرا مع اخوانه الذين بذلوا كل مرتخص وغال في سبيل الوحدة القومية ، وفي سبيل حرية هذا الوطن وسيادته

واستقلاله ، وقد انتقل اكثر اولئك المجاهدين الابرار الى بارئهم والتزم الباقون منهم في الحياة بيننا بما نشأوا عليه وترعرعوا وشبوا وشابوا وشاخوا ، ونحن ندعو الله ان يبقيهم ذخيرة هدي وهدى ونور . وعلى يدي ذلك المجاهد الوحدوي الاستقلالي نشأ فقيدنا نزار عارف الزين ، فكان صورة تحكي لنا ما مضى وما هو باق الى ان استرد الله وديعته لينتقل الى دار البقاء ، مع اولئك الذين صدقوا ما عاهدوا عليه ، وما بدلوا تبديلا !

لقد كان جبل عامل ، الجنوب اللبناني ، هاجس من نحيي ذكراه اليوم، وكان في فكره وقلبه وعلى شفار قلمه طيلة حياته ، فهو ـ رحمه الله ـ بعد ان تخرج حاملا شهاداته الجامعية العالية في الصحافة وادب الصحافة ، انكب على مشاركة المرحوم والده الشيخ احمد عارف الزين في اصدار « العرفان » ، هذه المجلة التي كانت منارة مشعة بالعلم والمعرفة ، وكانت نبعة يستقي منها معين الوطنية الصادقة والمتجه القومي العربي الامين ، منذ تأسيسها عام ١٩٠٩ ميلادية ، وبعد وفاة الوالد المؤسس ، تابع اصدار « العرفان » حريصا على ان يواصل بها الرسالة التي اضطلعت بها وحملتها بأمانة ، فما غابت عن مريديها ، بل عززها فقيدنا نزار بصحيفة اصدرها الى جانب « العرفان » وقد حملت اسم « جبل عامل » تأكيدا لاستمساكه بهذا الجزء الغالي من وطننا الجامع ، بل انه زادنا برهانا ودليلا على وفائه وبره بالجنوب في مؤلفه الذي افتتح به حياته الصحفية والادبية عام ١٩٣٧ وكان اسمه « جبل عامل في ربع قرن » ، ثم سكب مما في نفسه من تطلعات نحو الحرية والسيادة والاستقلال بكتابه عام ١٩٣٩ وعنوانه « الاستعمار في بداية الانهيار » ثم اتبعهما بغيرهما فاثبت انه المتابع لرسالة والده طيب الله ثراه، في منهجه الخلقي والسياسي والوطني بامانة لم توهنها صروف الدهر مدى الحياة التي عاشها بيننا مسهما في تأسيس النهضة الفكرية ، ومناصرا الحريات ، ومجاهدا من اجل العدالة والمساواة ، فكان صورة معبرة عن هذا الجنوب اللبناني الذي حفل بكل اسباب العزة وظواهر الكرامة والشمم والاباء .

ايها السادة

ان من نشارك اليوم في احياء ذكراه يستحق منا الكثير الكثير ، فان ما ادى واسدى ، ليفوق كلمة التذكر والذكرى ، وعزاؤنا اننا مؤمنون ، نستسلم لارادة الله وقضائه وقدره واليوم الاخر ، وعزاؤنا ان الله سبحانه وتعالى قد بشر المؤمنين بالخير العميم في دار البقاء ، وقد ذكرنا في محكم كتابه الكريم مرارا وتكرارا بالموت ، وانه حق وحتمي ، فلقد قال لنا سبحانه في سورة « الرحمن » : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ، وقال لنا في سورة « آل عمران » : « كل نفس ذائقة الموت ،

وانما توفون اجوركم يوم القيامة » . كما قال لنا في سورة « العنكبوت » : « كل نفس ذائقة الموت ، ثم الينا ترجعون » . كما قال لنا في سورة « الواقعة » : « نحن قدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين » ... صدق الله العظيم .

حسب ابناء الجنوب انهم رواد طليعيون في ميادين الصبر والكفاح والعطاء . وانهم مواكب ابطال في ارض لا تبخل على الوطن كله ، والامة كلها، بأغلى الغوالي . وان يكون نزار عارف الزين واحدا ممن قدمهم الجنوب لشعبنا وامتنا دون حساب .

الا فلنستمطر شآبيب الرحمة على ان نحيي ذكراه اليوم ، ولنسأل الله تعالى أن يجعله بين الصديقين ، وان يسكب نعمة العزاء في افئدة اهاله وذويه ، وان تستمر رسالة الحق والخير والعدل والسلام والخصب في عنفوانها على ايدي المتابعين والتابعين المؤمنين ، وان نذكر دائما قوله تعالى في سورة « الاحزاب » : « فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ! (١)

فريد الطيارة

كتبت جريدة « الشرق » بعد وصف حفلة التأبين الكلمة التالية :

وفي هذه الذكرى يتوجه أصحاب جريدة « الشرق » وأسرتها الى آل الفقيد وأسرة الصحافة بعميق المشاعر حيال خسارة الادب والصحافة بفقد ركن من اركان المعرفة في بلد الاشعاع والنور الذي لن تقوى عليه جميع حجب الظلام المستشرية ، لان المشعل الذي يساهم فقيدنا بقسط في اذكاء شعلته سيبقى يلمع في العتمات ليبددها .

١ ـ كلمة نقابة محرري الصحافة اللبنانية للنقيب السابق الاستاذ فريد الطيارة القاها في حفل التابين .



تصنع رجال المستقبل

للدكتور محمد المجذوب

في الثلاثينيات من هذا القرن ، كنا صغارا في المرحلة الابتدائية من الدراسة وكان منزلنا الذي نشأنا وترعرعنا فيه يقع في نزلة باب السراي ، على بعد خطوات من مطبعة العرفان ومكتب المجلة . وكنا ، بعد انصرافنا من المدرسة ، نهرع الى ساحة باب السراي نلهو ونلعب بالكرة ، وكرتنا كانت من صنع محلي ، كانت مكونة من كتلة محشوة ببعض الاقمشة القديمة .

وفي يوم من الايام ، وزعنا انفسنا على فريقين ، فاشتدت المنافسة بيننا وعلا صراخنا وضجيجنا . واذا بشاب هادىء يخرج من المكتب الارضي الملاصق للمطبعة ويتقدم منا ويرجونا التزام الهدوء لان والده يعقد اجتماعا مهما في مكتبه . وسألنا عن الشاب فقيل لنا بأنه نزار ، وهو ابن الشيخ احمد عارف ، صاحب المطبعة والمجلة . وكاننا كنا نريد التثبت من صدق قوله ، فاقتربنا من المكتب وشاهدنا رجالا يحيطون بمكتب الشيخ ويتبادلون الاحاديث .

وبعد ايام جرت مظاهرات في صيدا وسمعنا الناس يتحدثون عن اعتقال الشيخ احمد عارف . وبعد مدة خرج سكان صيدا لاستقبال الابطال الذين اعتقلتهم سلطات الانتداب . وسارت الحشود في شارع الشاكرية تحمل فوق حسكة بحرية الشيخ احمد عارف وبعض رفاقه . وصفقنا وهتفنا للابطال دون ان ندرك ، لصغر سننا ، حقيقة ما حدث .

وفي المساء روينا للاهل ما شاهدنا وسألناهم عن هذا الشيخ الوقور الذي يلازم مكتبه المجاور للمطبعة ، يقرأ الصحف ويقلب الكتب ويدبج الصفحات ويترك المكتب الى المطبعة ثم يعود اليه حاملا اوراقا ينكب على تصحيحها . وها هو اليوم يقف فوق حسكة تتهادى بين الجموع وتهلل لراكبها القلوب والحناجر . وقالوا لنا : انه شيخ مجاهد مناضل يكافح من اجل تحقيق الوحدة العربية والتخلص من الاستعمار واعادة الروح الى الحياة الاسلامية .

وسألناهم عما يفعله الشيخ في مكتبه كل يوم فقالوا لنا : ان مكتبه هو محراب الكلمة يؤمه رجال دين وعلم وقلم من مختلف ارجاء الدنيا . وفي هذا المحراب تخرج الافكار الوطنية التي تحرك نفوس العرب وتدعوهم الى الانتفاضة والثورة على المستعمرين الغربيين والحكام الظالمين .

وسألناهم عن مجلة العرفان التي ينتظرون صدورها بشوق ويطالعونها بلهفة ، فقالوا لنا : انها منبر الكلمة الحرة ورسولها الى العرب . انها مفخرة صيدا . انها الكابوس الذي يؤرق جفون المستعمرين . انها في كل عدد تقذف حمما في وجه المنافقين والدجالين والمتاجرين بالدين والعروبة . انها تدعو العرب والمسلمين الى التسلح بالعلم والمعرفة لمقاومة الحكام الظالمين والقضاء على الآفات الاجتماعية وتغيير اوضاعنا السياسية والاجتماعية ومواكبة الركب الحضاري من جديد .

وسألناهم عن سبب اعتقال الشيخ الجليل الذي لا يريد الا الاصلاح فقالوا لنا : انه صاحب كلمة حرة ؛ والكلمة الحرة تخيف الحكام لانها قادرة على فضح اسرارهم وكشف مخازيهم ودك عروشهم . ويبدو ان هناك حربا دائمة بين الحكام والمعرفة فأهل العلم يجهدون في نشر المعرفة ، فيجتهد الحكام في طمس معالمها وتشريد اصحابها .

ومع اننا لم نتمكن ، نظرا لحداثة السن كذلك ، من استيعاب كل ما قيل لنا ، فقد فهمنا شيئا مهما يتلخص في ان هذا الشيخ الذي رفع فوق الاكتاف بعد ان غاب فترة عن مكتبه هو بطل من الابطال ، بطل لا يقل شأنا او وزنا عن الابطال الذين نقرأ عنهم في كتب التاريخ او نراهم في السينما ، وان كان ابطال التاريخ يمتطون الخيول ، وابطال السينما يتمنطقون بالمسدسات ، فالبطل كما قيل لنا ، يمكن ان يخوض المعارك ويصرع الاعداء وهو يحمل رسالة او يلوح بقلم او يتحصن بمجلة .

والى جانب هذا الفهم المبسط او البسيط للامور فقد شعرنا باعتزاز مرده الى ان الشيخ البطل يعيش في صيدا ، وان مجلته تطبع في صيدا ، واننا نسكن على مقربة من مكتبه ومجلته ومطبعته .

ومنذ ذلك اليوم اصبحت « العرفان » موضع فخرنا وتفاخرنا . وبامكاننا ذكر حادثتين تدلان على مدى اعتزازنا بها (وهو اعتزاز بلغ حد التعصب لها) . وقد جرت الحادثتان عندما كنا في نهاية المرحلة الابتدائية من الدراسة .

ففي احد الايام ذكر زميل لنا عاش مع اهله فترة من الزمن في مصر ، اسم مجلة مصرية وقال بانها اعظم مجلة عربية . فتدخلنا وقلنا له بان مجلة

« العرفان » اعظم منها . فاعترض وأصر على رأيه . فسألناه عن سبب تفضيله المجلة المصرية على العرفان فقال : لانها تصدر من عاصمة كبيرة . فقلنا له : ان « العرفان » افضل منها لانها جعلت من صيدا عاصمة كبيرة يحج اليها العلماء والمفكرون .

وفي احدى المرات طلب منا استاذ الانشاء كتابة موضوع عن قلعة صيدا ، باعتبارها احدى المآثر التاريخية ، فوجدنا انفسنا مدفوعين الى اجراء مقارنة ، تتسم بالصدق والعفوية ، بين القلعة ومجلة العرفان . وكتبنا آنذاك نقول : ان القلعة حجر والمجلة فكر ، والحجر مادة والفكر روح ، والروح اسمى من المادة واخلد على الزمان . ان القلعة ستنهار يوما وتفنى ، اما اعداد « العرفان » فستبقى تتصدر المكتبات وتتحدى الفناء وتنهل منها الاجيال . وانهينا موضوع الانشاء بالتأكيد على ان « العرفان » اصبحت ، بالنسبة الى تاريخ صيدا ، من المآثر الخالدة التي تضاهي القلعة.

ومرت الايام ، وانتقلنا الى المرحلة الثانوية من الدراسة ، واصبحنا مع اهلنا من قراء « العرفان » . وكنا كلما تقدمنا في معارج السن والمعرفة ازددنا اعجابا بها واكبارا لمؤسسها .

وعندما غاب المؤسس قام الابن (الذي طالبنا يوما عندما كنا صغارا بالتزام الهدوء) يتابع الرسالة بهدوء المؤمن ورصانة العالم لمدة تتجاوز العشرين عاما ، الى أن لبى نداء الباري العظيم .

ان مدينة صيدا تنتهز هذه المناسبة الكريمة والجليلة لتعبر لجميع افراد اسرة المغفور لهما الشيخ البطل وحامل المشعل من بعده ، عن اسمى آيات التقدير والمحبة والاعتزاز والاكبار ، فهي قد ازدادت شهرة وعزة ومجدا بوجود هذه الاسرة الطيبة فيها ، وباصدار « العرفان » منها . وهي قد تأثرت الى حد كبير بكل المبادىء والقيم القومية والاخلاقية والانسانية التي بقيت « العرفان » تبثها خلال سبعين سنة . وهي قد تعلمت من الشيخ البطل وابنه الذي تابع مسيرة النضال الفكري دروسا قيمة لا تنسى في الثبات على المبادىء ، والنضال من اجل العقيدة ، والتضحية في سبيل عزة الوطن ، ومقارعة الاستعمار ، ومصارعة الاستبداد ، والايمان العارم المطلق بقدرة العرب على تجاوز المحن والنكبات واللحاق من جديد بركب الحضارة ، والاعتقاد الجازم بأن العلم المقرون بالقيم الاخلاقية هو سبيلنا الى التطور والتقدم والابداع .

ولعل من اعظم المآثر التي خلفها مؤسس « العرفان » واسرته للصيداويين ، الرفض الشامل لكل نزعة تعصبية ، طائفية كانت ام مذهبية . فالشيخ احمد عارف كان مسلما ، ومسلما فقط ، فلم يؤثر عنه يوما (وعلى

ذلك ربي اولاده) انه ميز بين الناس بسبب انتماءاتهم الطائفية او المذهبية او العرقية .

ان مدينة صيدا مدينة بالشيء الكثير لاسرة « العرفان » . ويكفيها فخرا ان اسمها اقترن باسم مجلة فكرية علمية انجبت العشرات من رواد النهضة العربية الحديثة .

وبما انني من ابناء صيدا الذين غرفوا من نهر (العرفان) ، وبما أن الالاف من العرب وغير العرب ، من المفكرين وغير المفكرين ، كانوا يقصدون صيدا ، لا لزيارة اماكنها الاثرية فقط ، وانما في الدرجة الاولى للتعرف الى « العرفان » وصاحبها ، وبما ان صيدا اشتهرت بالوطنية والتضحية والكرم وعزة النفس والعرفان بالجميل ... فانني اسمح لنفسي (ولعلي بذلك اعبر عن شعور جميع الصيداويين) بان اوجه عتابا ، يشوبه اللوم ويكتنفه الاستغراب وتلفه حرقة تحز في النفس ، الى الشخصيات والجمعيات والدوائر المسؤولة في صيدا لتقاعسها الكبير عن القيام بجزء بسيط من واجبها تجاه الذين كرسوا جهودهم لخدمة صيدا ورفع شأنها واسسوا فيها منارة للعلم لا يخبو شعاعها ، ومدرسة سيارة الوطنية لا تغلق ابوابها ، ومصنعا لرجال المستقبل لا يتوقف عن العمل .

انني اشعر بالخجل والحرج عندما اجد ان المسؤولين في مدينتي لم يفكروا بعد في تكريم من اكرمهم بكل ثروته الفكرية ، او في احياء ذكرى من احيى ذكرهم في العالمين وخلد اسمهم في كتاباته العديدة ، او في اقامة نصب تذكاري يذكر الاجيال بعالم فاضل مبدع كان يردد في خطبه :

ان تسل عني فهذا نسبي   عربي عربي عربي

وتعزيتنا ، ان قصر المسؤول عن اداء الواجب ، ان المحبين والمقدرين والمعجبين والمعترفين بالفضل من ابناء الشعب كثيرون ، وأن الذكرى المرسومة في القلب والفكر اعظم واعز من الذكرى المجسدة في تمثال ؛ وان اروع وسام يحمله مفكر او مصلح او شهيد هو وسام الاكبار الشعبي من رتبة : خالد في القلوب . (١)

محمد المجذوب

---

١ ـ كلمة صيدا لمدير الفرع الاول لكلية الحقوق في بيروت الدكتور محمد المجذوب التي القاها في حفل التابين .

وكتب النائب السابق السيد جعفر شرف الدين في جريدة السفير الكلمة التالية :

« العرفان » بعد نزار الزين هــل مؤسسة تبعثها ؟

القى الاستاذ نزار الزين عصاه ، واستقر به النوى ، عــلى محطتــه الاخيرة ، بعد رحلة قاسية ، اصعبها القدر الذي وضع على منكبيه امانــة ابيه « العرفان » فناء بحملها ما يقرب من العشرين سنة . بعــد ان حملها ابوه ما ينوف على خمسة وخمسين عاما .

وكان نزار رحمه الله يعد العدة لاقامة امرين ، فيهما تمجيد «العرفان» وبعثها : اولهما يوبيل ماسي احتفالا بمرور خمسة وسبعين عاما من عمرها . وثانيهما لجنة تضع كتفها الى كتفه لتستأنف عطاءها الكبير ، بعــد ان تركت بصماتها على تاريخ هذا القرن ، مشرقة بفكره ، محتضنة الفكــر التراث ؛ وبذلك كانت دائرة معارف القرن العشرين ، وما قبله من قرون ، وبه ايضا كانت مؤسسة شامخة .

هذه المؤســسة لا يقوى على حمل رايتها فرد . ومع ذلك فقد استمرت بينما تقطعت الــسبل بغيرها من زميلاتها كالمقتطف والهــلال وسواهما مـــن امهات المجلات في هذا العصر ، فمنها ما انتهى او انكفأ ومنها ما تحول عـــن مساره . الا « العرفان » فانها لا تزال تحث الخطى عــلى محجتها بحملها الفادح .

حملة مشعل « العرفان » كانوا عمالقة الفكر والعلم والجهـــاد ، مـــن صفوة الجيل الراحل امثال الســيد محسن الامين والسيد عبد الحسين شرف الدين ، والشيخ احمد رضا ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ محمد رضا الشبيبي ، والامير شكيب ارسلان ، وابراهيم هنانو ، وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد كرامي وعارف النكدي .

هؤلاء مع مؤسس « العرفان » العلامة المجاهــد الشيــخ احمد عارف الزين يشخصون بارواحهم الى « العرفان » في عصر التقنية والتوثيق ، بعد ان كانوا رحمهم الله بمثابة مؤسسة تحتضن « العرفان » وقد تركوها امانة في هذا الجيل من علماء وأدباء لبنان وبلاد العروبة والاسلام . فهل يتنادون لاقامة هذه المؤســسة ، في هذا المنعطف الخطير الذي يقفون على حافته .

« العرفان » شعلة اضاءها الســلف ، ولا يمكن الا ان يستمــر الخلف ، في ابقاء ذبالتها ، ومواكبة مسيرتها .

جعفر شرف الدين

وكتبت مجلة « الجمهور » الكلمة التالية :

نزار الزين و ((العرفان))

علـــى مفتـــرق طـرق

يبدع الاديب الكلمة ثم يخر صريعها . هكذا كان نزار الزيـن صاحب مجلة « العرفان » التي سلمه اياها عام ١٩٦١ والده الشيخ احمـــد عارف الزين . فشرع صفحاتها لكل كتاب الضاد في المشرق والمغـــرب . فتجمعت فيها نخبة من الاقلام العربية والاسلامية تمدها بمقالات في الفقــه والشريعة والقصة والفلسفة والاجتماع ، وتنشر فيها شعراً قوميا وعاطفيا .

واصبحت « العرفان » التي كانت تصدر شهريا ملتقى الاقلام النخبة، كما اصبحت مدرسة تخرج فيها عدد وافر من الادباء العرب الذين واكبوها منذ نشأتها . وقد امدها بمقالات فيها نزعة انـــانية ، وبمواضيع اجتماعية حكى فيها قصة ابن الجنوب المعذب (وهو كان ابـــن الجنـــوب) . وكانت مقالاته دروســا في التهذيب والتوجيه ، وقـــد احبها طلاب العلم وكانـــوا ينتظرونها بشوق .

وكان نزار الزين صاحب كلمة شرف . ما ابتز بقلمه . وما قال كلمته من اجل كـسب مادي . كان الادب عنده صناعة وتوجيها . وكـــان الادب منفذاً الى عالم الانسان .

وكانت « العرفان » ملتقى رجالات الادب والفكـــر فـــي لبنان والعالم العربي . وكانت مقالاتها تنم عن اصالة كاتبيها وعن جهادهم في حقول المعرفة والعلم .

مات نزار الزين وحيداً وجنوبه غارق بالمأساة . ومات قبل ان يـرى الكابوس الاسرائيلي يرحل عن ارضـه المعذبة . وترك « العرفان » وحيـــدة مثلما استلمها وحيداً من ابيه عام ١٩٦١ .

التغيّر والرقيّ

يلاحظ القارىء في أعداد العرفان الأولى من المجلد سبعين تغييراً يطرأ على معظم مكوّنات المجلة، من طباعة ونوعية الورق والاخراج والتبويب والتصوير والاعلان إلى المضمون والنهج العام؛ مما يلفت النظر ويدعو إلى التقريظ والإنتقاد. ذلك مردّه إلى عدم توفّر الإختصاص المناسب، لذلك إعتُمِدَت طريقة التجربة والخطأ فقد كان الهدف القريب الإستمرار في إحياء هذا التراث الثمين وكان الهاجس الأول الصدور الدائم. فهذه الأعداد هي فعلاً تجريبية حتى لو لم نُسَمِّها كذلك. على كل حال بدأت الصورة النموذجية للمجلة تتوضّح ونرجو أن نصل إلى مرحلة تُرضي القارىء إرضاءً تاماً ونرضي أنفسنا أيضاً، فنحن آخر من يرضى عن عملنا وأول من ينتقده. ولكن وبمعاونة المخلصين الذين يشاركون في إنجاح العرفان غيرةً على نشرِ المبادىء الحقة والوعي الضروري وغيرة على استمرارية العرفان نهجاً مستقلاً وتراثاً حياً، نطمح أن نصل إلى مستوى عالٍ وسنظل نسعى لذلك بكل ما أوتينا من عزم وإرادة. فالتغيير مهم ولكن الأهم أن يكون نحو الأفضل وأن يكون إرتقاءً ورقياً مستمراً وأن يتخذ شكل النمو الطبيعي للأشياء. فكل عمل فيه أخطاء وكل كائن حي معرض للخطأ وهو إذن بحاجة للتغيير، للتحسين وللإصلاح.

وإنسان هذا العصر هو بأمسّ الحاجة إلى الإصلاح. هذا الإنسان الذي أهمل كل ميزات إنسانيته فحصرها في الجانب المادي فقط. فنرى هدف الإنسان في ايامنا هذه مادياً؛ يعمل، يقاوم، يحارب للحصول على جاه وثروة ومركز وعظمة. ومقياس التقدّم والحضارة والرقي أصبح مادياً بحتاً، فالمظاهر والتكنولوجيا والإختراعات الآلية وابتكار الأسلحة والفوز بالحروب مقياس. وتتكون مفاهيم حياتية وعقائد على أسس مادية فالرأسمالية منتشرة انتشار الوباء بينما هي رائدة في الإستعمار وتدمير الشعوب وغزوهم الثقافي والإقتصادي والقضاء على حضاراتهم وتراثهم. والشيوعية التي تنطلق من إنكار حقيقة مطلقة وهي وجود الله وتفرض نفسها من خلال نظريات مفكرين عاديين ألّهوا وعُظّموا.

تركيز على المادة، هَوَسٌ بالمادة. ويسقط الإنسان وترتفع الآلة. وتسقط الأخلاق والفضائل والقيم وتبرز الأنانية وحب الذات وحب التملك وانغماس في الملذات واتباع الغرائز. ويغيب الإيمان ويُحارَب الدين ويعتبر رجعيةً وتعصّباً!

متى نحقق إنسانيتنا؟ متى نرتقي؟ متى نطمح إلى رقي روحي وأخلاقي وانساني ومادي؟ وكيف؟

عقيدتنا هي الوسيلة. أن نتعلّق بالإسلام تَعلُّق الغريق بخشبةِ النجاة. الإسلام: دين العقل والعمل. الإسلام: عقيدة التوحيد والمبادىء الثابتة. الإسلام: دين ودنيا. الإسلام: الإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله. الإسلام: النظام الشامل والكامل للفرد وللجماعة. الإسلام: حضارة السماء متى نطبّقه على الأرض؟ متى نصبح «خير أمة أخرجت للناس»؟ متى نبني حضارتنا ونكف عن الإقتباس والتقليد ونحرّر عقولنا من الإستعمار الثقافي والنفسي والإقتصادي الباقين في بلادنا بعد ذهاب الإستعمار العسكري.

الطريق طويل وشاق ويحتاج إلى كثير من الجرأة والشجاعة والتكاليف بالأنفس وبالأموال ولكنه يوصل إلى حياة نحياها بشرف وكرامة ونحقق الإنسان فينا.

فؤاد الزين

العرفان

العدد ٣ مجلد ٧٠

جماد الأول ١٤٠٢ هـ ـ آذار ١٩٨٢

ثقافية سياسية مستقلة

تصدر مرة في الشهر

سنتها عشرة أشهر

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	فكر	
٤	في الفكر السياسي الماركسي	د. حسن الضيقة
١٦	مفهومنا للحرية	عبد اللطيف شرارة
	مواضيع اسلامية	
٢٦	المجتمعات الإسلامية في مواجهة التحدي	حسن الزين
٣١	قصة النبي محمد	زهير مارديني
	تاريخ	
٤٣	الدولة والبادية الحجازية	د. ابراهيم بيضون
٤٩	صيدا في الماضي	د. طلال المجذوب
	أدب	
٥٧	الرفض وشم على جبين الجنوب	جعفر شرف الدين
٦١	عدنان مردم .. شاعراً	د. محمد عبد المنعم خفاجي

الاشتراك السنوي

في لبنان وسورية: ٥٠ ل. ل.

في جميع الأقطار: بالبريد الجوي ٤٠ دولار

اشتراك المؤسسات ٣٠٠ ل. ل.

للمشتركين في الكويت مراجعة وكيلنا:

السيد هاني شفيق الزين

وكيل التوزيع العام

الشركة العربية للتوزيع ش. م. ل.

تلفون: ٢٤٧٩٠٠

ص. ب: ٤٢٢٨

تلكس أرابكو ٢٣٠٣٢

بيروت ـ لبنان

مؤسسها في صيدا سنة ١٩٠٩

احمد عارف الزين

جميع المراسلات باسم المدير

فؤاد زيد الزين

ص. ب: ٢٧٥٠ بيروت ـ لبنان
هاتف: ٢٥٦٥٥٠

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	شعر	
٦٦	كأنهم شرفاء	موسى الزين شرارة
٦٨	أماه	بشار الزين
٧٠	عرفت الله	ابراهيم بري
٧١	شجيرة الغوياب	فتى الدواوير
	أبواب العرفان	
٧٢	**من تراثنا:** صفحة من تاريخ جبل عامل العلمي	الشيخ سليمان ظاهر
٧٨	**كتب:** تجربة الكتابة الماركسية	د. وجيه كوثراني
٨٢	قاموس العادات واللهجات الاردنية	جعفر الخليلي
٨٥	**تربية:** الرضاعة ورسالة المحبة	د. رشاد دارغوث
٨٧	**خواطر:** عودة للأصول	حسن يزبك
٨٩	**طب:** تاريخ أمراض القلب	د. محمد ياسين
٩١	**مع الأحداث**	قلم التحرير
٩٧	**ملحق خاص**	

ثمن العدد

لبنان ٥ ل. ل./سورية ٦ ل. س. / الاردن ٥٠٠ فلس /الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات/البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية ٥ ريالات / عدن ٧٠٠ فلس / ابو ظبي ٥ دراهم / دبي ٥ دراهم / مسقط ٦٠٠ بيسة / اليمن ٦ ريالات / العراق ٧٠٠ فلس / تونس ٧٠٠ ملم / المغرب ٨ دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم
في الفكر السياسي الماركسي
كومونة باريس بين النظرية والواقع

بقلم د. حسن الضيقة

مقدمة:

كاد الفكر السياسي الغربي المعاصر بتعبيراته المذهبية المختلفة (ليبرالي، اشتراكي، شيوعي)، ان يفرض نفسه على المستوى العالمي، مرجعاً عقائدياً ونظرياً وحيداً. منجزاً بذلك إحدى اهدافه الأساسية في أن يقبل على مستوى الشعوب الاوروبية وشعوب العالم قاطبة، كمنظومة فكرية عالمية وشمولية، قادرة على إستيعاب وتفسير كافة أشكال الممارسة السياسية. ووصل الأمر بكافة القوى والفئات التي تواصلت مع تجربة الفكر السياسي الغربي الحديث، الى حد التسليم بهذه الواقعة تسليماً كاملاً واعتبارها مسلمة عامة لا يرقى اليها الشك في مفاهيمها وتصوراتها العامة. وان ثارت الجرأة عند بعض هؤلاء، فهي لا تتجاوز حدود «الاجتهاد» في التفاصيل، دون التعرض البتة الى الأسس العامة لهذه المنظومة، مهما إشتدت الصعوبات المتأتية من كثرة الوقائع والمعطيات التي تفسح المجال واسعاً للتشكيك بصدق وشمولية منظومة الفكر السياسي الغربي.

هذه الوضعية شكلت كارثة فكرية، فيما يخص شعوب العالم الثالث، على عدة مستويات:

فهي أولاً، أنجزت احدى اهداف الفكر الاستعماري المعاصر في علاقته بالشعوب المستعبدة على المستوى العالمي، خاصة فيما يسمى بدائرة شعوب العالم الثالث؛ اذ جعلت طوائف واسعة من هذه الشعوب، تعتقد بالمرجعية العامة للفكر السياسي الغربي المعاصر. وبذلك حولت هذه التجربة من معطى تاريخي يمكن للفكر الانساني، بشموليته التي تتخطى حدود تجربة الفكر السياسي الغربي، أن يتعامل معها كحالة أو كواقعة تاريخية، هي موضع تأمل ونقاش، الى حالة كلية أي لا تاريخية. فقد تم تصنيم هذه التجربة وجعلها مثلاً أعلى، تتحدد شرعية أي تجربة سياسية لشعوب العالم قاطبة،

إنطلاقاً من عدد السجدات التي تؤدى لهذا الصنم.

ولكن خطورة المسألة لا تقف عند هذا الحد، بل تتخطاها لتطال بعداً آخر، أكثر خطورة بالنسبة لشعوب العالم الثالث خاصة. هذا البعد الآخر، يكمن في تغييب ونفي التجارب السياسية المختلفة التي عاشتها هذه الشعوب قديماً وحديثاً. اذ يندر، على سبيل المثال، ان نرى تياراً فكرياً يتواصل مع منظومة الفكر السياسي الغربي الحديث، قد إهتم أو إعترف على الأقل بمشروعية الاطلالة على تجارب الممارسة السياسية لشعوب العالم الثالث في مواجهة النسق السياسي الغربي المعاصر من خارج الأطر والقوالب النظرية والمنهجية الغربية.

فقد تم تغييب هذه التجارب ونفيها وكأنها وباءً إيديولوجياً، يتعارض ويخل، بالمعادلات الذهنية التي تم توضيبها من قبل تجربة الفكر السياسي الغربي.

ان هذه الوضعية ولّدت حالة فكرية معتلّة، لم تكتنز من التجارب والممارسة التاريخية التي ولدتها شعوب العالم الثالث في صراعها التاريخي مع الفكر السياسي الغربي المعاصر، الشيء الكثير. مما جعلها تواجه هذا الفكر وهي روح ضعيفة، لا تمتلك نفسها. تدخل حلبة الفكر وهي في حالة من الضعف والهزال، بحيث تستسلم عند أول مواجهة مع فنون الصراع الفكري التي يمتلكها المفكر السياسي الغربي المعاصر. إن هذه الحالة التي عاشها ويعيشها المفكر السياسي المحلي، تتضمن ومنذ البداية حالة إستلاب وإستتباع وإستبعاد كاملة. وبالتالي فهي تترجم نفسها في المعاش كحالة تكرارية ميتة للفكر السياسي الغربي. مما يجعلها ومنذ البداية في مرتبة أدنى من تجربة الفكر السياسي الغربي نفسه.

لذا فهي تعيش إختلالات أساسية تترجم نفسها عبر أشكال عدة:

فهي لا تعرف الأرض التي تقف عليها. أضف الى ذلك الاختلال بين ما حفظته من مقولات فكرية عامة وبين واقعها نفسه. مما يؤكد موت ملكة الابداع والانتاج وتحويل الفكر السياسي المحلي الى حالة إستهلاكية لا مبدعة، تقتات على موائد الآخرين.

ان الاخطار التي تولدها الطوائف المستتبعة، تكمن في كونها تمارس عملية تزوير وتحطيم واضحة لتجاربها السياسية المعاشة. فهي حتى عندما تضطرها الوقائع والتطورات الى رؤية مسار تجربتها السياسية فانها تطل على هذه التجربة، وقد تسلحت منذ البداية بعدة مسلمات فكرية ومنهجية ـ فرضها عليها النموذج الغربي ـ بحيث يغدو عملها الفكري لا يتخطى حدود الرياضة الذهنية الاستنباطية، التي ترمي الى إستنطاق الواقع قولاً يتناسب مع المسلمات التي تم إعتناقها مسبقاً. أضف الى ذلك إنها تتحول الى حجاب فكري، يلعب دوراً واضحاً في تشويه تاريخ وواقع الممارسة السياسية لشعوب العالم الثالث، ويشكل بالتالي احدى آليات الاستضعاف والاستتباع الفكريين والتاريخيين. أو بلغة

أخرى تترجم هذه «الممارسة» الفكرية نفسها على المستوى المعاش كأداة قمع وإرهاب، نظراً لما تفتقده من مشروعية على مختلف المستويات الفكرية والسياسية بتعقيداتها المختلفة. فوراء لبوس العلمية والثورية والانفتاح على الناس وقضاياهم تكمن ممارسة فكرية وسياسية مضادة للناس ولسنن تطورهم وقضاياهم المعاشة والمستهدفة

هذا الاطار الناظم لوضعية الفكر السياسي التكراري والمنتشر في الحياة الفكرية لشعوب العالم الثالث عموماً، والذي كرس نفسه عبر مؤسسات وأحزاب وأقلام شتى، يحتاج الى معالجة في العمق لتجنب المخاطر التي يتركها وراءه. سنحاول في هذه المقالة أن نتوقف عند إحدى محطاته الرئيسية، محاولين التدليل على الملاحظات العامة التي أوردناها، بالعودة الى قراءة حالة تاريخية محددة، كي نتمكن من تجاوز عموميات الكلام الى تخصيصاته المؤشرة. هذه الحالة التاريخية «او الواقعة التاريخية»، موضع نقاشنا هي: «كومونة باريس»، التي أعلنت في ٢٨ آذار عام ١٨٧١. والتي تمحورت حولها غالبية النصوص السياسية للمدرسة الماركسية بغالبية إتجاهاتها ونزعاتها. فما هي أبعاد هذه النصوص على ضوء هذه الواقعة التاريخية أو الكومونة؟

فرنسا في ظل الامبراطورية الثانية:

تعتبر المرحلة التي مرت بها فرنسا في ظل الامبراطورية الثانية، التي إمتدت في الفترة الممتدة ما بين ١٨٤٨ - ١٨٧٠، تعتبر مرحلة «إنجاز الثورة الصناعية»، والازاحة النهائية لبقايا النظام الاقطاعي، وفسح المجال واسعاً أمام النمو الرأسمالي[١].

أي ان فرنسا في ظل الامبراطورية الثانية عرفت مرحلة نمو وازدهار اقتصادي متميزة، وضعتها مباشرة بعد انكلترا من حيث ثقلها الاقتصادي والسياسي والعسكري. وقد ترجمت هذه الوضعية نفسها على المستوى الاقتصادي على النحو التالي: ففي ميدان السكك الحديدية، كان طول هذه الخطوط عام ١٨٥٠ لا يتجاوز ٢٩١٥ كلم، بينما بلغ عام ١٨٦٩ ما يزيد على ١٦٤٦٦ كلم[٢]. وهذا التحول يعكس حركية اقتصادية واسعة، هي بمثابة مؤشر لمزيد من تداخل وتوحد الدورة الاقتصادية للمجتمع الفرنسي عموماً، كما إزداد عدد الآلات البخارية زيادات كبيرة جداً، ففي عام ١٨٥٠ كان عدد هذه الآلات ٦٠٨٠ آلة، بينما تجاوز هذا العدد عام ١٨٦٩، ٢٦٢٢٠ آلة[٣]. وهذا مؤشر أيضاً، لوتائر النمو الصناعي الآخذ في التركز في ظل الامبراطورية الثانية. كما زاد إنتاج الفحم ٢٠٠٪، خلال عشرين عاماً، وهذا مؤشر للمدى الذي وصلته وتيرة الانتاج الصناعي. أما على صعيد التجارة الخارجية، فقد بلغت ٧ مليارات فرنك عام ١٨٦٤، بعد أن كانت لا تتجاوز ملياران

---

١ - Histoire économique des grands pays capitalistes, E 100, Paris, 1977, P. 292
٢ - Henri lefebvre: la proclamation de la commune: Gallimard, Paris, 1965, P. 70.
٣ - IBID: P. 70

في بداية الامبراطورية[٤]. كما زاد الاسطول التجاري ١٥٠٠ سفينة، مما رفع قدرته على الحمولة من ١٣٣٠٠ طن الى ١٤٣٠٠٠ طن[٥]. كما بلغت قيمة الرساميل الفرنسية المصدرة الى الخارج ما يزيد على ١٠ مليارات فرنك.

كل ذلك في اطار توسع إستعماري، لم تعرفه فرنسا منذ ايام نابليون الأول. فقد تمكنت الامبراطورية الثانية من غزو الصين عدة مرات بين عامي ١٨٥٤ - ١٨٦٠، كما تمكنت من احتلال سايغون (١٨٥٩ - ١٨٦١)، ومن ثم كمبوديا (١٨٦٣)، كما غزت المكسيك (١٨٦٢ - ١٨٦٧)، كما غزت سوريا عام ١٨٦٠[٦]، كل ذلك مضافا الى رصيدها الاستعماري السابق في قارات افريقيا وامريكا وآسيا[٧]. كما ان فتح قناة السويس عام ١٨٦٩، فتح المجال واسعاً للقوى الأوروبية ان تحسن وتدعم فعاليتها العسكرية والتجارية على المستوى العالمي، خاصة ان فرنسا في تلك المرحلة تأتي في المرتبة الثانية بعد انكلترا من حيث فعاليتها العسكرية والاقتصادية.

ضمن هذا الاتجاه العام لتوسع وامتداد النفوذ الاستعماري للامبراطورية الفرنسية الذي أمّن لها مجالاً خارجياً هاماً، يلعب دوراً أساسياً في تأمين حاجيات النمو الصناعي القائم، يمكننا ان نفهم، إحدى مكونات بروز فرنسا كدولة كبرى، تطمح وتمارس دوراً اساسياً في خريطة الصراع العالمي في تلك المرحلة.

في هذا المناخ اعلنت فرنسا الحرب على بروسيا في ١٥ تموز عام ١٨٦٠، مستهدفة مد نفوذها الى حوض الراين في بروسيا، وما يؤمنه ذلك من ضرب الدولة البروسية ومنع توحيد المانية من جهة، وتأمين سيطرتها الاقتصادية على ثروات حوض الراين، وبالتالي فرض هيمنتها على القارة الأوروبية[٨].

ولكن أهداف نابليون الثالث ضربت مجتمعة على يد بسمارك، حيث منيت الامبراطورية الفرنسية بهزيمة شاملة بين ١٥ تموز ١٨٧٠ و ٢ أيلول عام ١٨٧٠[٩]. وتعود أهم أسباب هذه الهزيمة الى البنيان السياسي والعسكري للامبراطورية، فقد ظلت الامبراطورية الفرنسية «متعلقة بالفن العسكري لنابليون الأول الذي كان في سنة ١٨٧٠ قد أصبح بالياً. وكانت الى ذلك تجهل كل شيء عن الجيش البروسي الذي استوعب عبقرية كلاوزوفيتس الحربية»[١٠].

---

٤ - Histoire économique des grands pays capitalistes: op. cit. P. 273

٥ - Henri lefebvre: op. cit: P. 70.

٦ - Histoire...: op. cit.: P. 301

٧ - Jean - louis Miège: expansion européenne et décolonisation de 1870, Paris, P. V. F, 1973, p. 174 - 177.

٨ - Histoire...: op. cit. p. 302

٩ - العفيف الأخضر وآخرون: من كومونة باريس الى مجازر عمان، كتاب خاص صادر عن مجلة دراسات عربية، ١٩٧١، ص: ١٩.

١٠ - المصدر نفسه: ص: ١٦.

لقد أدت الحرب مع بروسيا، الى هزيمة كاملة للامبراطورية على مختلف المستويات، فقد تم تمزيق الجيش الامبراطوري، واحتلت فرنسا، وتم تطويق باريس. وأجبرت الامبراطورية على تقديم تنازلات أساسية: منها التنازل عن حوضي الالزاس واللورين لبروسيا، وما يشكلانه من ثقل اقتصادي في الدورة الاقتصادية العامة للدولة الفرنسية. كما أجبرت فرنسا على تقديم ٥ مليارات فرنك كغرامة حربية وهي قيمة كل ما تملكه فرنسا من موجودات ذهبية في تلك المرحلة مما أدى الى افلاس الخزينة. كما ان مصاريف الحرب بلغت ١٥ مليار فرنك، اضف الى ذلك انخفاض مستوى الانتاج الصناعي وتدهور التجارة الخارجية[١١] ... كل ذلك في اطار هزيمة قومية عامة انهارت معها عظمة «الدولة الكبرى».

ان إنهيار الامبراطورية فسح المجال أمام «تيير» لاعلان «حكومة الدفاع الوطني»، وهو «رجل سياسة مجرب»، «كان معارضاً معتدلاً في ظل الامبراطورية الثانية، يطمح لارساء جمهورية برجوازية برلمانية.. لم يوافق على الحرب مع بروسيا.. وعندما وقعت الهزيمة رفع شعار انقاذ ما يمكن انقاذه»[١٢]، مستخدماً كافة الأساليب العقلانية المكيافلية. قدمت هذه الحكومة نفسها للدفاع عن الوطن، وعلى هذا الأساس دعمتها كافة القوى الشعبية، وعبروا عن هذا الدعم بانخراطهم في حرسها الوطني، الذي تسجل فيه «كل الباريسيين القادرين على حمل السلاح، وبلغ عددهم ٢٠٠ ألف مليشي»[١٣].

الكومونة: المقدمات والوقائع:

ولكن «حكومة الدفاع الوطني» بقبولها بشروط الصلح المخزية، ومحاولتها مركزة السلطة بيدها، فسح المجال لتفجر التناقض فيما بينها وبين «الدوائر العشرين» للقوى الشعبية المسلحة في باريس.. ان حكومة تيير، كانت حكومة «برجوازية» دون جيش «برجوازي»، مما فسح المجال واسعاً امام القوى الشعبية لتتصدر الساحة السياسية والعسكرية، تحت شعار «النضال ضد الغزاة»، و«والوطن في خطر». وهذا ما دفع تيير الى تسليم باريس للعدو، فبدأ بتسليم الحصون وتجريد القلاع والمدافع وخرج من باريس الى فرساي.. بينما احتفظ الحرس الوطني (الميليشيا) بأسلحته ومدافعه وبدأ بالتأهب للدفاع عن باريس في وجه العدو. وبذلك فتح الاستسلام امام العدو، من قبل تيير، الباب امام الحرب الأهلية بين الفئات الشعبية وحرسها الوطني من جهة، وبين حكومة تيير والبروسيين من جهة أخرى[١٤].

أمام كل ما تقدم من وقائع وهزائم وخيانات وجد الباريسيون انفسهم أمام ضرورة تولي مصائرهم بأيديهم فكان اعلان الكومونة في ١٨ آذار ١٨٧١.

١١ـ Histoire...: op. cit.: p. 302.

١٢ـ Henri lefebvre: op. cit.: p. 405.

١٣ـ العفيف الأخضر وآخرون: مرجع سابق، ص ٢٠٠.

١٤ـ المصدر نفسه: ص: ٢١ - ٢٢.

يبين البيان الذي اصدرته اللجنة المركزية للحرس الوطني في باريس في ١٨ - ٣ - ١٨٧١ ، الروحية والطموح الذين كانا يلفان المناخ السياسي للكومونة ، فقد جاء في البيان المذكور ما نصه: «ان عمال باريس قد أدركوا من خلال عجز وخيانات الطبقات الحاكمة ، ان ساعة انقاذهم للموقف قد دقت»[١٥]. ان وقوف انصار الكومونة في البداية، عند اعلان الجمهورية في ٢ ايلول ١٨٧٠ ، وراء حكومة الدفاع الوطني ، ثم صدامهم معها في الاشهر الأولى من عام ١٨٧١ وصولاً الى اعلان الكومونة في ١٨ آذار ١٨٧١ يكشف لنا بوضوح ان المدخل الأساسي لفهم اهداف الكومونة ، كامن في المهمة الأساسية المطروحة على الامة الفرنسية في تلك المرحلة وهي انقاذ فرنسا من خطر السيطرة البروسية ، بما تحمله من أبعاد استراتيجية وسياسية واقتصادية مختلفة ، مضافاً الى ذلك، رفض استسلام باريس. فالهزيمة التي تعرض لها الوطن، والتخاذل الذي مارسته قوى الامبراطورية بأغلبية قواها ، هو الذي ادّى الى الفرز السياسي فيما بين خط القوى الشعبية من جهة ، وخط القوى الحاكمة المستسلمة من جهة أخرى . ولعل في ذلك كان يكمن تخوف ماركس عندما أعلن عشية اعلان الجمهورية في ايلول ١٨٧٠ ، «نحيي ظهور الجمهورية في فرنسا ، لكن تخالجنا مخاوف نرجو ان لا يكون لها أساس . ان هذه الجمهورية لم تقوّض العرش بل انها اخذت مكانه الذي ترك شاغراً . لقد أعلنت (الجمهورية) لا كعنصر اجتماعي بل كإجراء للدفاع الوطني وحسب»[١٦]. ولكن ما حصل بين ٢ أيلول ١٨٧٠ و ١٨ آذار ١٨٧١ ، بيّن ان الجمهورية لم تطرح كعنصر اجتماعي فقط ، بل أيضاً لم تعمل كحكومة دفاع وطني وهذا ما أسقط شرعيتها أمام أعين الباريسيين . مما رمى اعباء المقاومة للغزو الأجنبي على كاهل الحركة الشعبية بمختلف قواها من «عمال» و «حرفيين» و «برجوازية صغيرة» و «تجار» و «طبقة وسطى» و «فلاحين».

بادرت الكومونة بين ١٨ و ٢٦ آذار الى انتخاب اللجنة المركزية للحرس الوطني، حيث ضمت ممثلين لكافة القوى الشعبية في باريس من المعتدلين الى اليساريين بمختلف اتجاهاتهم . وانبرت لتنظيم نفسها عبر عدة اجراءات تنظيمية وعسكرية واقتصادية تمحورت حول المهام التالية:

ففي ٣١ آذار الغت الكومونة التجنيد الاجباري والجيش الدائم، وركزت جهودها على الحرس الوطني المسلح الذي تناوب على قيادته عدد من كبار الضباط الذين انضموا اليه، بعد هزيمة جيش الامبراطورية .

كما قاموا بعدة اجراءات لصالح اصحاب الدكاكين والتجار والحرفيين، عبر اصدار قرار ينص على تأجيل دفع الحوالات . وفي ١٨ نيسان تم الغاء الديون، كما تم ايقاف بيع

١٥ـ المصدر نفسه: ص: ٥ .

١٦ـ Marx, Engels, Lenine,: «Sur la commune de Paris», Editions du progrès, Moscou, 1971, p. 34.

الممتلكات المرهونة في بيت الرهون البلدية. كما قامت الكومونة بعدّة اجراءات لصالح الفئات العمالية، أهمها الغاء العمل الليلي، وتخفيض عدد ساعات يوم العمل ورفع الأجور، وانتخاب مجالس عمالية.

هذا الى جانب رفع شعار المطالبة بفصل الكنيسة عن الدولة والغاء التعليم الديني، واعلان ممتلكات الكنيسة ممتلكات عامة[١٧].

ولكن بمقابل ذلك عملت الكومونة على حماية أموال وزارة المالية التي كانت تحوي كمية من المال عجزت حكومة تيير عن أخذها معها عندما انتقلت إلى فرساي. وعندما واجهت الكومونة صعوبات مالية، طالبت البنك المركزي بمد يد العون لها. « كان بالبنك في ٢٩ آيار ٧٧ مليون نقداً، ١١ مليون سبائك، ١٦٦ مليون نقداً، ٨٩٩ في البورصة و ١٢٠ مليون ودائع. لكن بعد مفاوضات مع نائب مدير البنك de plocue الذي استطاع بكل سهولة اقناع رسول الكومونة البرودوني Beslay بأنه « حارس ثروة فرنسا » لا أكثر، رضيت الكومونة بتسبقة ١٦٦٩٠ ألف فرنك فقط، منها ٩٤٠٠ ألف ملك لبلدية باريس. وفي نفس الوقت اعطى نفس البنك لحكومة تيير « كل المبالغ الضرورية لتجهيز الجيش »[١٨] الذي قضى على الكومونة بعد ذلك بعدة ايام.

انصار الكومونة في الجزائر:

« ادى اعلان كومونة باريس في آذار ١٨٧١ الى تصاعد الحركة الثورية في الجزائر مرة ثانية فجرت في البلاد تظاهرات تحت الشعارات « لتعش باريس! ولتسقط فرساي » ونشرت الصحف الثورية أخباراً مفصلة عن فعالية كومونة باريس. وأوفدت الجمعية الجمهورية في الجزائر مندوبيها الى فرنسا وانضموا الى كومونة باريس بعد وصولهم الى العاصمة واصبحوا من مجاهديها وبناتها النشيطين »[١٩].

وكان لأنصار الكومونة صحيفة تدعى «Algerie francaise» متصلة بالجمعية الجمهورية في الجزائر، وقد حددت هذه الصحيفة مهمات انصار الكومونة، في عدد لها صادر في تشرين الاول ١٨٧٠ على النحو التالي:

١ ـ النضال ضد العدو الخارجي.
٢ ـ النضال من أجل تأسيس جمهورية مستقلة في الجزائر فيما لو بعثت الملكية في فرنسا ».
٣ ـ النضال ضد انتفاضات السكان المحليين[٢٠].

ان انصار الكومونة في الجزائر عندما أحسوا بخطر الانتفاضة التي قام بها مسلمو الجزائر في آذار ١٨٧١، انقلبت مواقفهم رأساً على عقبوأصبحوا من أشد المتحمسين

١٧- Marx..., op. cit.: p. 130 - 137.

١٨- المفيف الأخضر وآخرون: مرجع سابق: ص: ٣٦.

١٩- لوتسكي: تاريخ الاقطار العربية الحديثة: موسكو، ١٩٧١، ص: ٣١٨

٢٠- المصدر نفسه: ص: ٣١٧.

للملكية. ولهذا عندما أوفد قادة فرساي الاميرال غيدون الى الجزائر في شهر نيسان ١٨٧١، لم يجد هذا الأخير اية مقاومة له من قبل الفرنسيين الموجودين في الجزائر على اختلاف وجهاتهم السياسية سواء من انصار الكومونة أو من انصار الملكية[٢١]. ففي مواجهة التحديات التي فرضتها ثورة مسلمي الجزائر في تلك الفترة، انضوى الفرنسيون جميعاً تحت راية الامة الفرنسية، وبالتحديد تحت راية الطرف القادر على تأمين ورعاية مصالحهم الاستعمارية في الجزائر.

ملاحظات حول الكومونة:

هناك مسائل وموضوعات عديدة طرحتها الكومونة للنقاش السياسي. وقد عالجتها الماركسية على ايدي مؤسسيها واتباعهم فيما بعد، على نحوٍ ما. خاصة لجهة ما أسمته المدرسة الماركسية الدروس المستقاة من ثورة الكومونة... ونرانا هنا امام خيارين: اما ان نتابع بالنقاش كافة الموضوعات الماركسية التي طرحها الفكر السياسي الماركسي استناداً الى تجربة الكومونة، واما ان نركز على الجوانب الأساسية التي تعنينا من هذه التجربة، خاصة الجانب المتعلق بأمية تجربة الكومونة. اذ برأينا يشكل هذا الجانب نقطة القياس الأهم لمعرفة واقع الكومونة الفعلي، والمكان الذي احتلته في المناخ العام للفكر السياسي على العموم، وللفكر السياسي العالم - ثالثي بشكل أخص.

خاصة وان هناك سؤالاً، كان يؤرقني وأنا اتابع مختلف الكتابات الماركسية وهي تعالج تجربة الكومونة، جاعلة منها نموذجاً عالمياً يقتدى به. وخاصة في تأكيدها وتقريرها لأممية الكومونة وعالمية فاعليتها على مستوى «البروليتاريا العالمية»... فقد كان يطفو الى سطح مخيلتي وانا أقلب نصوص ماركس وانجلز ولينين وتروتسكي وغيرهم، سؤالاً كبيراً يدور حول المعطى التالي:

اننا نلحظ طوال الفترة التي حُكمت فيها فرنسا من قبل الامبراطورية الثانية، والتي كانت أثناءها تحقق هذه الامبراطورية انتصاراتها الساحقة على مستوى الشعوب المستعمرة، تاركة وراءها الموت والدمار للملايين من الشعوب[٢٢]، لم تقم في باريس وفي فرنسا عامة، أية مبادرة أو حتى إنتقاد لفظي لما يقوم به الاستعمار الفرنسي من حملات ابادة وتصفية بحق الشعوب المغلوبة على أمرها. بل على العكس من ذلك نفاجأ بكلمات المديح والثناء للدور التنويري والتحضيري الذي يتم انجازه على ايدي «الحضارة الغربية» ممثلة بالاستعمار الفرنسي وغيره[٢٣].

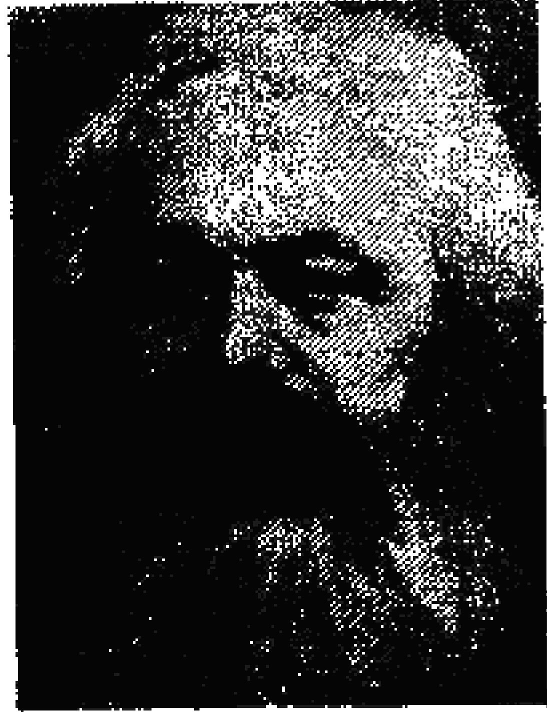
ومع ذلك نرى ماركس نفسه يؤكد وبكل برودة أعصاب، أممية الكومونة التي لا تناقش، قائلاً:

«اذا كانت الكومونة أداة التمثيل الحقيقية للعناصر السليمة في المجتمع الفرنسي،

٢١- لوتسكي: المصدر نفسه، ص: ٣١٩.

٢٢- بسام العسلي: المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي: دار النفائس، بيروت، ١٩٨٠.

٢٣- ماركس، انجلز: الماركسية والجزائر: دار الطليعة، ١٩٧٨.



وبالتالي الحكومة القومية حقاً، فهي في نفس الوقت الحكومة العمالية حقاً، وتحت هذا العنوان، وبصفتها بطلا مقداماً لتحرير العمل، فقد كانت ايضاً الحكومة الأممية حقاً. اذ أنها تحت انظار الجيش البروسي الذي ضم الى المانيا محافظتين فرنسيتين (الالزاس ولورين) كانت هي تضم الى فرنسا عمال العالم قاطبة «.» كانت الامبراطورية الثانية عيداً للنصب العالمي فقد لبى دعوتها النصابون من كل الأصقاع ليشتركوا في ولائمها المتهتكة وفي نهب الشعب الفرنسي... اذا كان الساعد الايمن للسيد تيير هو جومسكو، الغشاش الحقير، وساعده الايسر هو مادكوفسكي، الجاسوس الروسي، فإن الكومونة قد أتاحت لكل الأجانب شرف الموت في سبيل قضية لا تموت (...) فلقد نصبت عاملاً المانياً (في الحقيقة مجري) وزيراً للعمل فيها، كما أتاحت لابني بولونيا البطلين (الجنرال دومبروفسكي وفروبلوفسكي) شرف أن يكونا على رأس المدافعين عن باريس»[24].

24- Marx,...: op. cit.: p. 68 - 69.

سنحاول كشف الابعاد الايديولوجية والسياسية التي تتحكم بهذه الرؤيا عبر مناقشة واقع الكومونة من عدة زوايا:

١ - البعد الأول يطال النص الفكري الذي قدمته الكومونة، والذي يعكس طبيعة الاستهدافات التي كانت تطمح الى تحقيقها. فالمسألة الأولى التي تشكل مدخلاً لقراءة النص السياسي للكومونة، هي كونها تندرج ضمن اطار رفض القوى الشعبية الفرنسية للهزيمة أمام الدولة البروسية. وبذلك فتح باب التناقض مع السلطة الملكية الفرنسية حول هذه المسألة، حول مسألة سياسية بالغة الأهمية، هذا التناقض في معالجة مسألة الصراع مع الدولة الالمانية فتح المجال للقوى الشعبية الفرنسية للخروج على السلطة القائمة، خاصة بعد ان انسحبت هذه السلطة من باريس واصبح من المفروض على الشارع الشعبي الباريسي، ان يتناول بالحل مشاكله على يديه. ان الكومونة والأشكال السلطوية التي بنتها تندرج ضمن هذا الاطار العام.

٢ - البعد الثاني: يكشف لنا هذا البعد المتعلق بالموقف من البنيان الاستعماري العام للامبراطورية الفرنسية، اتجاهاً نحو التطابق التام فيما بين السلطة الملكية الفرنسية وبين اتباع الكومونة ومنظريها من برودون وباكونين وصولاً الى ماركس وانجلز. فإن

عدم الاشارة لا من قريب ولا من بعيد للسياسة الاستعمارية الفرنسية على المستوى العالمي وما أدت إليه من تدمير وافناء وعمليات نهب وقرصنة على مستوى قارات اميركا وافريقية وآسيا. يكشف لنا التطابق التام بين سياسة الكومونة وسياسة الامبراطورية الفرنسية. وهذه المسألة لا تكشف نفسها على مستوى النص السياسي الذي قدمته الكومونة أو منظري الكومونة فقط. بل يؤكد نفسه ايضاً على مستوى الوقائع التاريخية. فسياسة انصار الكومونة في الجزائر ومشاركتهم المباشرة في كومونة باريس وتغييب اية اشارة ولو دعم لفظي الى حركة التحرر الاسلامية في الجزائر يكشف لنا بعد التطابق فيما بين السياسة «البروليتارية» والسياسة البرجوازية في مواجهة شعوب المستعمرات الفرنسية. ان كلام ماركس وانجلز حول كون «الحكومة القومية حقاً، هي حكومة أممية حقاً»، لا اساس له من الصحة: لا على مستوى الوقائع التاريخية ولا على مستوى النص الفكري. وهذا يكشف لنا ان هناك ارضاً واحدة يقف عليها انصار الملكية وانصار الكومونة. وهي ارض المنحى الاستعماري التدميري في مواجهة الشعوب الأخرى.

فالطبقة العاملة في تلك المرحلة، وفي كل مرحلة ليست مقولة ميتافيزيقية يمكننا الانطلاق منها، كمسلمة فلسفية لا يرق اليها الشك، بل على العكس من ذلك فهي واقعة تاريخية تمتلك تكويناً فكرياً وعقائدياً معيناً، وتسبح ضمن دورة اقتصادية - سياسية محددة. ولا يمكنها الخروج عليها على قاعدة المرجعية الفكرية والعقائدية التي كانت سائدة في الفكر الأوروبي وما زالت سائدة إلى يومنا هذا. فالتعصب القومي والعقائدي، والمخيلة الامبراطورية الاستعمارية كانت الماء الذي تسبح فيه كافة التيارات السياسية والفكرية في تلك المرحلة على اختلاف مشاربها.

وليس عن عبث اننا نجد ماركس يجهد نفسه ليثبت البعد الاممي للكومونة فيشير الى مشاركة مجري وبولونيين في هذه الانتفاضة، ولكن هل الوجود الفردي، ينفي أو يغير في طبيعة السياق العام الذي اندرجت ضمنه الكومونة، خاصة عندما نعلم ان الجنراليين اللّذين اشار اليهما ماركس ما هما الا جنراليين اوروبيين هما من نبلاء بولندا، اللّذين تعرضت نبالتهما للانهيار - لهذا السبب او ذاك - وقد سبق وقدّما خدماتهما العسكرية لجيش الامبراطورية الروسية وفيما بعد قدّما خدماتهما لجيش الامبراطورية الفرنسية، قبل ان يطردا للشك بمصداقية ولائهما، لكونهما بولنديين واحدى قطعات الجيش البروسي بقيادة «مولتكة» كانت بأغلبيتها من البولنديين[٢٥].

وهذه الوضعية لا تطال فقط هذين الجنرالين، بل تطال غالبية قادة الكومونة العسكريين، فكلوسيريه ورسل وغيرهم من القادة العسكريين الذين قادوا الكومونة، ليسوا الا عسكريين نظاميين، سبق وخدموا

٢٥- ناجي علوش: تفاصيل المعركة العسكرية ودروسها: في كتاب من كومونة باريس الى مجازر عمان مرجع سابق: ص: ١٦٦.

في جيش الامبراطورية الفرنسية ولم يكن التحاقهم بالكومونة لسبب سياسي يطال ابعاد هذه الثورة، كما حاول ان يصورها فيما بعد منظرو الماركسية. بل كان جل همهم، الدفاع عن باريس بعد توقيع معاهدة الاستسلام مع بسمارك. «فرسل»، لم تكن الاشتراكية أو ماركس او برودون أو بلانكي تعني شيئاً بالنسبة له، وهو لا يعرف شيئاً عما يدور في باريس، ولقد قال مرة: «انني لا اعرف شيئاً من يكون الثائرون، ولكني أعرف ضد من يثورون، وهذا كاف»[٢٦].

ان الاختلال لا يطال فقط القيادة العسكرية للكومونة، بل يطال البناء النفسي والعقائدي لقوى الكومونة الشعبية على المستوى القاعدي ايضاً. فمسائل عدم الانضباط والتردد عندما يطلب منهم القتال خارج مناطق سكنهم. فمع ان عدد الحرس الوطني كان يحدود ١٩٠٤٢٥ في الثالث من أيلول، فإن عدد الغائبين منهم، بإذن وبلا اذن بلغ ٢٧٧٧٤، ولم يكن «رسل» يستطيع الاعتماد على أكثر من ثلاثين الفاً من أصل المجموع، اضف الى ذلك الاهمال والشرب والخمرة[٢٧]....

ان ما تقدم ذكره، يجب الا يفهم على أنه ابتئاس من قيمة هذه الانتفاضة، فنحن نرى ان هناك جانباً ثورياً فيما تقدم، فأحد اوجه الكومونة، بما هي رد على تخاذل وخيانة السلطة الملكية لمصالح الشعب الفرنسي، وبما هي ايضاً كسر لحدود السلطة القائمة ومحاولة للبحث عن آفاق جديدة في بناء السلطة على أسس أكثر مشروعية والتصاقاً بالناس، يحمل سمة ايجابية عالية لا يمكننا تغييبها. ولكن المشكلة تكمن فيما يتجاوز هذه المعطيات لأسباب عدة أهمها:

١ ـ لقد جرى تضخيم هذه العناصر الايجابية، وتم التنظير لها من قبل المدرسة الماركسية وكأنها تحصل لأول مرة في التاريخ. مع أن اطلالة سريعة على اية تجربة ثورية أخرى ـ طبعاً خارج حدود المجتمع الاوروبي ـ تكشف لنا ان ما تقدم ذكره من عناصر ايجابية تضمنتها تجربة الكومونة هي امتداد طبيعي وعفوي وفطري لثورة المستضعفين عبر التاريخ. ان الطريقة التي ساقت بها المدرسة الماركسية دروس تجربة الكومونة، تم تبويبها وهندستها وكأنها ولادة من عدم لا سابق لها في التاريخ. وبذلك كانت تطمح الماركسية وبملء وعي مفكريها الى هدف آخر، أكثر أهمية وخطورة. هذا الهدف هو تغييب ونفي كافة التجارب الثورية في التاريخ القديم والمعاصر لثورة الكومونة نفسها. وبذلك كانت تهدف الماركسية الى الحفاظ وتأكيد أسبقية وفرادة الممارسة السياسية الأوروبية. وهذا يتضمن طبعاً موقفاً عنصرياً مبيتاً تجاه التجارب الثورية السابقة والمعاصرة لتجربة الكومونة.

٢ ـ لقد تم ابراز الكومونة على أنها ثورة بروليتارية ذات طابع عالمي. وفي هذه النقطة تكمن عدة مغالطات فادحة، جرّت الويلات على كثير من شعوب العالم الثالث. فالمتتبع للنص السياسي للكومونة ولوقائع الممارسة الفعلية يكشف انتفاء وجود هذا البعد الاممي

٢٦ـ المصدر السابق: ص: ١٦٩.

٢٧ـ ناجي علوش: مصدر سابق: ص: ١٦٧ ـ ١٦٩.

للكومونة. بل على العكس من ذلك، يلحظ تطابقاً بين موقف الكومونة ممارسة وفكراً وبين الخط الاستعماري العام للدولة الفرنسية في علاقتها بالشعوب الأخرى. فمن غياب اية اشارة الى طبيعة الدولة الفرنسية والدور الذي تلعبه على المستوى العالمي، وصولاً الى الموقف الفعلي الذي اتخذه انصار الكومونة في الجزائر يكشف لنا الأرضية السياسية المشتركة لكافة الأطراف السياسية في علاقتهم بالآخرين.

٣ ـ لقد حاول الفكر السياسي الماركسي، على أيدي مؤسسيه، ومن ثم على أيدي مريديه المحليين، جعل دروس الكومونة على النحو الذي فهموه، ذات سمة أممية، وشمولية وبالتالي فإن على كافة التجارب الثورية ان تقتدي به. هذا مع العلم إن هذه الدروس، ليست الا دروساً جزئية مرتبطة بظرف وزمان معينين. وبالتالي فإن إمكانية تعميمها أو تكرارها على المستوى العالمي، غير واردة على الاطلاق. فالدروس التي استخلصت من الكومونة تتناقض في أحيان كثيرة مع الدروس التي يمكننا استخلاصها من تجارب ثورية أخرى، حصلت في مناطق أخرى من العالم في الفترة نفسها، وقبلها وبعدها. ولنا في هذه المسألة مداخلة أخرى إن شاء الله. **للبحث صلة.**

حسن الضيقة

قرآن كريم

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام * وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد * وإذا قيل له اتّق الله أخذَتْهُ العزّةُ بالإثم . . .﴾

سورة البقرة (٢٠٤ ـ ٢٠٦)

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردّون إلى أشدّ العذابِ وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعملون﴾

سورة البقرة (٨٥)

﴿وما لهم به من علمٍ إن يتّبعون إلاّ الظنّ وإنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾

سورة النجم (٢٨)

﴿ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أهواءهُم لَفَسَدَتِ السموات والأرض ومَن فيهِنّ﴾

سورة المؤمنون (٧١)

صدق الله العظيم

مفهومنا للحرّية (١)

بقلم عبد اللطيف شرارة

لا يزال الموضوع، موضوع حديثي إليكم في هذه الأمسية غامضاً، وقد يأخذ في الاتضاح، شيئاً فشيئاً، عندما نطرح هذا السؤال: «ما معنى: فهم؟»

هنا، أفتح القاموس «لسان العرب» مثلاً، مادّة «فهمَ»، فأجدُ هذا التفسير: «الفهم معرفتك الشيء بالقلب!»، و«المفهوم» كما تبيّن المعاجم الفلسفية الحديثة «فكرة مجرّدة لا يمكن أن تتحرك نسبياً، وتتعيّن بواسطة كلمة.». ونحن «لا نستطيع أن نفكر بمفهوم ما كالشجرة مثلاً أو الفضيلة إلا بالتفكير في شيءٍ ما يتّصل اتصالاً وثيقاً بالشجرة أو الفضيلة، أي أنّ فهم كلمةٍ من الكلمات يشبه لائحةً مفتوحةً من أحكامٍ لا حصر لها، بحيث يتأرجح الفكر بين سلسلةٍ من التأكيدات القائمة...»

هذه محاولات في الإيضاح تشوّش الذهن، ولا تنجلي عن شيءٍ ذي شكلٍ محدّد، ويظلّ العقل العربي أقدر على التقاط الحقائق من أي عقلٍ آخر، فالفهم يعني بكل بساطة، أن تعرف الشيء بقلبك، لا بعقلك، ولا بحواسك الخارجية. وقديما قال المتنبّي يصف عصره:

ومـا الجمـع بين الماء والنـار في يـدي ... بأصعـب مـن أن أجمع الجدّ والفهما

وهو الذي قال أيضاً وكان يصدر عن تجربة غنيةٍ، فريدة، مريرة، لكثرة ما ابتلي بالنقاد والأعداء:

وكم مـن عـائـبٍ قـولاً صحيحـاً ... وآفتُـهُ مـن الفهـم السقيم

والفهم لا يكون سقيماً إلا حين يكون القلبُ الذي يُعرف به الشيء هو السقيم، وتصحيح المفاهيم الذي يتحدّث عنه الفلاسفة في أيامنا هذه، إنما يعني تخليص القلوب من آفاتها، إذا نحن أخذنا بوجهة النظر العربية. وهذه كما ترون، مهمة شاقّة، يصعب أداؤها في هذا العصر الضائع في أدغال الأباطيل والأضاليل، المضطرب في مشتجر الدعايات والمخاتلات، وقد تنوّعت به وسائل الإعلام، وتعدّدت على نحوٍ لم يعرف عصر من عصور التاريخ، ولا مُني به مفكرٌ من المفكرين الأقدمين.

غير أني سأحاول ـ بكل تواضع ـ أن أبيّن ما نفهمه من كلمة «حرية»، فتراثنا واضح، ولغتنا لغة البساطة والفصاحة، وتاريخنا، وآدابنا، وأشعارنا كلّها أدوات نستعين بها على إدراك

---

١ ـ نص المحاضرة التي ألقاها الاستاذ عبد اللطيف شرارة في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت في ١٩٨٢/١/٢٨.

ما قد يخفى، وكشف ما قد يحتجب، وما علينا إلا أن نلجأ إلى تلك الأدوات نستفهمها ونستقرؤها، ونغوص في قرارتها، لنفهم ونستوعب، وينجلي أمامنا كلّ ما لم يظهر بوضوحٍ بعد.

أودّ ـ أيها السيدات والسادة ـ أن أقصّ عليكم قصة حوارٍ طريفٍ جرى بيني وبين الدكتور محمد حسين هيكل الذي تولّى رئاسة «الأحرار الدستوريين» بعد وفاة محمد محمود باشا في مصر.

كان ذلك في بيت مري يوم أنعقد أول مؤتمر لأدباء العرب، إذ أتيح لي آنذاك شرف التعرّف إلى محمد حسين هيكل، ولقيتُهُ مرةً وسط حلقةٍ من أصدقائه يُفيض في الثناء على جهود نفرٍ من المناضلين الأوروبيين والأمريكيين الذين قضوا أيامهم على هذه الأرض، وهم يكافحون الرق، ويجاهدون في تحريم تجارة الرقيق، حتى إذا أنهى كلامه، قلت له متعمّداً إثارته:

ـ يظهر أنكم في مصر، يا باشا، لا تقرأون الشعر!

حلق فيّ متعجّباً، ولا نهاية لتعجبه... وقال:

ـ ويظهر أنك أنت أيضاً لا تقرأ النثر الذي يسبق الشعر!

كان يشير بذلك، إلى أنه هو الذي كتب مقدمة «الشوقيات»، فأجبته على عجل:

ـ أنا أقصد يا باشا، أنكم لا تقرأون في مصر، شعراء فلسطين.

أشرق وجهه ـ رحمه الله ـ وزالت عنه جميع علامات التعجب، وقال:

ـ أنت تريد أن تذكّرني بشيء! قل... ما هو؟

ـ نعم! هو بيت للمرحوم إبراهيم طوقان، قاله في حادثة شهيرة:

وسمعت من منع الرقيق وبيعه   نادى على الأحرار: «يا من يشتري!»

عند ذلك، تناول ورقتين قدّمها لي، وقال: «اكتب هذا البيت»، وحين فرغت من كتابته، أملى عليّ بدوره، أبياتاً لشاعر الأقطار العربية، خليل مطران، جعل عنوانها «الحرية»، وهي:

كسّروا والاقلام هل تكسيرها   يمنع الألسن أن تنطق هجرا
قطّعوا الألسن هل تقطيعها   يمنع الأعين أن تنظر شزرا
كفّفوا الأعين هل تكفيفها   يمنع الأقدام أن تركب بحرا
حطموا الأقدام هل تحطيمها   يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا
أخذوا الأنفاس هذا جهدكم   وبه منجاتنا منكم فشكرا!

وحين انتهى من إملائه، قال منتصراً، وكأنه الآن أمام عيني:

ـ ها نحن إذن نقرأ الشعر في مصر، وهذه هي الحرية كما فهمها خليل مطران، وتلك هي حرية الغرب كما فهمها إبراهيم طوقان!

الناحية المهمة التي أردت لفت إنتباهكم إليها من خلال هذا الحوار، هي أن مفهوم الحرية يختلف بين عصر وعصر، وبلدٍ وبلد، وحتى بين شخصٍ وشخص، مما يفيد أنها، خلاف كلّ ما عداها، من المعاني المجرّدة، لا تتحجر في شعار، أو في تمثال، أو في مبدأ أو عقيدة، ولا تتقيّد بفردٍ من الأفراد، أو سلطةٍ من السلطات، فإذا تحجرّت أو تقيدّت، فقدت معناها، وخسرت حرارة وجودها، وتحوّلت كغيرها من الشعارات، إلى كلمة جامدة، وجثةٍ هامدة لا حياة فيها، ولا فكر ولا حس وراءها.

وذلك يقودنا إلى تصور حقيقي لا محيص عن الأخذ به، ولا جدوى في مناقشته، وهو أن الحرية جوٌّ نفسي في جانب، ومناخ اجتماعي في جانب آخر، فلا يمكن أن يكون حرا في ذاته، أي امريءٍ تستحوذ عليه نزعاته، وتتحكم به رغباته، ويسترسل مع شهواته، وينساق على غير هدى، إلى أعمالٍ وأحوالٍ لم يفكر في نتائجها، ولم يكن يصدر بها إلا عن أحلامٍ وعواطف وتخيلاّت، كالإسكندر مثلاً حين قرّ في روعه أنه «إله»، وراح يتصرّف على هذا الأساس في التمرس بالحياة، وصلاته بالناس من حوله، وأصبح على يقينٍ أنه يحق له ما لا يحق لغيره. والإسكندر هنا، مثلٌ تطرد عليه الأمثلة في حيوات الأفراد... فإن هؤلاء الذين تستعبدهم انتصاراتهم في أي حقلٍ من حقول الحياة العامة أو الخاصّة، يشبهون الإسكندر، ولكن على درجات، وتتفاوت عبودياتهم النفسية بتفاوت الأمكنة والأزمنة والأحوال والظروف.

ها نحن نصل إلى منطقةٍ من التفكير بالغة الوضوح، عامرةٍ بالنور، نتبين فيها على نحو ملموس، أن الحر إنما يكون حرا أولاً وقبل كل شيءٍ في ذاته، بمعنى أنه لا يخضع لنزعة، ولا تسترقه رغبة، ولا تستهويه بارقة من بوارق الرفاهية، أو النعمة، أو الاستعلاء.

ذلك هو الجو النفسيّ الذي تختنق به كل عبودية، ولا تتحقق بدونه أية حرية. وهذا هو على التحقيق، ما جهدت الأديان الكبرى، ولا تزال تجاهد في الوصول إليه، وعلى رأسها، وفي مقدمتها: النصرانية والإسلام.

لقد طرأ على الفكر الديني في الأعصر الأخيرة، تطور خطير لا يصح تجاهله، ولا يجوز بحالٍ من الأحوال إغفاله. وهذا التطور الذي أفضى إليه الفكر الديني، يعود إلى جملةٍ من العوامل والتغيرات التي لا سبيل إلى تفصيلها في مثل هذا الحديث، فهي خارجةٌ عن موضوعنا، ولكنها على صلةٍ وثيقة به. وأهم هذه العوامل كان، تقدم العلوم، وانصراف الناس في كل مكان، إلى العلم ومعطياته، والإفادة منه، في كل حقلٍ وميدان.

أما نوع هذا التطور الخطير، فهذا ما تبيّنُهُ عبارة وضعها موريس ماترلنك، عالم بلجيكا وشاعرها وأديبها في النصف الأول من هذا القرن، على لسان أحد أبطاله: «وماذا يهمني من المسيح إذا أحيا الموتى؟ إنه لا يدل بذلك إلا على مقدرة خاصّة به. ولكن المسيح يهمني عندما يدلّني على فكرةٍ أستطيع أن استعمل بها حياتي للخير!»

هذا معناه أن الفكر الديني تحوّل في أوروبا، وأميركا من بعد، عن كل ما هو فوق طاقة الإنسان، يستغرق استغراقاً تاماً شاملاً، في كل ما هو من شأن الإنسان، وفي حدود قدرته، وضمن إمكاناته العقلية والجسدية.

ولم نكن نحن في هذه الديار بحاجة إلى الانتظار طيلة هذه القرون، لندرك تلك الحقيقة، فقد وردت في التنزيل الحكيم هذه الآية: ﴿أما الزَبَدُ فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.﴾

المهمّ إذن هو ما ينفع الناس. تلك هي العقيدة الأساسيّة التي أهملها علماء الكلام، وأهل الصوفية والتصوّف، وانصرفت عنها عصور الانحطاط وعهود التخلّف والفوضى. لتغرق في الزبد الذي ذهب جفاءً، ولم يمكث في الأرض شيء منه.

ونعود الآن إلى موضوعنا، فنجد أن تلك القناطير المقنطرة من الخطب والمقالات والمؤلفات والدراسات والأبحاث التي وضعها الشرقيون والغربيون عن الحرية، تكاد كلّها تذهبُ جفاءً إذ لم يكن لها من حصيلةٍ غير ما شهدنا ونشهد، من فتنٍ وحروبٍ، واعتداء على حيوات الناس وهدر لكراماتهم وجهودهم.

هناك لا مشاحّة سر وراء هذه الأوضاع التي يشكو منها الجميع: الشرقيون والغربيون على السواء. وذلك السر كامن في هذه النقطة، وهي أن الحرية جوّ نفسي، بمقدار ما هي مناخ اجتماعي. وقد عرفتم جوّها النفسي، فما هو إذن مناخها الإجتماعي؟

يلوح لي بكثيرٍ من الجلاء، أن المناخ الاجتماعي الذي تعيش فيه الحرية وتنمو، ولا يمكنها أن تعيش في غيره، يقوم على أربعة أركان: اللا إكراه، اللا سيطرة، إمرة الناس على أنفسهن، حرية الرجوع عن الخطأ.

اللا إكراه قضية الإيمان الأولى، بل تكاد تكون المحور الذي تدور عليه سائر القضايا في علاقة الإنسان بالإنسان، وهي الأساس في كل ما ينفع الناس من شؤون الفكر، والأدب، والشعر، والعلم، والدين.

كان تعالى قد أوضح: ﴿لا إكراه في الدين، قد تبيّن الرشد من الغي.﴾ ثم كشف لرسوله هذه الحقيقة: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.﴾

ليس الايمان إذن مما يفرضه بشريّ على كائن بشريّ آخر، وقد عجب محمد إقبال المفكر الهندي الشهير، لما يشيع من الخطأ في بيان هذه النقطة، واستشهد بالآية الكريمة: ﴿وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.﴾

لا مجال إذن للإكراه، وكلّ من يمارس الإكراه، أو يأخذ به كأسلوب في التعامل مع الآخرين، إنما يرتكب إثماً بحق نفسه، وحق غيره. وعلم الأدلة الجنائية يشدّد ويؤكد هذا

المعنى، وهو أن من يسعى في تدمير الحياة الداخلية عند غيره، إنما يدمّر حياته الداخلية أولاً، ويقضي على ينابيع المعاني الإنسانية فيها.

ننتقل الآن إلى الركن الثاني من أركان المناخ الذي تزدهر به الحرية، وهو «اللا سيطرة». وهذا جانبٌ من الفكر الشرقي القديم، والإسلامي من بعد، لم يتوفّر الدارسون والباحثون على إيلائه ما يستحق من اهتمام ورعاية، ولا استنبطوا منه بعد، كل ما يمكن أن يستنبطوه.

قال تعالى يخاطب رسوله: ﴿فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر﴾. ويتحدّث القرآن في مقام آخر، عن أولئك الذين أظهروا العداء للرسول، وأوغلوا في إيذائه: «أم يقولون: شاعرٌ نتربّصُ به ريب المنون... أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون... أم عندهم خزائن ربك، أم هم المسيطرون؟!».

هذه الآيات كلها تشير، بما لا يقبل الخطأ في التفسير أو التأويل، إلى أن السيطرة، أو الرغبة في السيطرة، من ألدّ الأعداء للايمان الصحيح، وللحرية النفسية الصحيحة.

كان السيد المسيح عليه السلام يقول: «مملكتي ليست من هذا العالم.» ويعني بذلك، أكثر ما يعني، أنه لا يريد السيطرة، ولا العلو في الأرض، وإنما يريد هداية الناس إلى الحق...

وخلاصة القول: إن الذين يسعون للسيطرة، ويعملون في سبيل السيطرة، ويحاربون من أجل السيطرة، ليسوا على شيءٍ من الحرية، أيّا كان حظهم من العلوم والتقنيات، ومهما بلغت قدرتهم على الفلسفة والتفلسف!

ومع ذلك، نجد فيلسوفاً اسمه «ألفرد آدلر» يؤكّد أن الرغبة في السيطرة، هي التي توجّه سلوك الأفراد والمجتمعات. وليست مثل هذه الفلسفات سوى تعبيرٍ عما يحتمل في نفوس واضعيها، وعما يرسب في أغوار مجتمعاتهم من نزعاتٍ وميول. ثم نجد من يندفع وراء هؤلاء الفلاسفة من شبابنا وطلابنا، وهم لا يعرفون، أو يكادون لا يعرفون شيئاً من تراثهم الروحي والأدبي. ولو عرفوا القليل القليل منه لأدركوا أن الرغبة في السيطرة أعدى أعداء الحرية التي يتغنون بها، ولا يحيطون بشيءٍ من أسرارها ودقائقها.

وكان المغفور له أمين الريحاني يقرّر بصراحةٍ متناهية، قائلاً: «ينبغي للإنسان أن يحرر نفسه بنفسه. ينبغي له العمل في الداخل قبل الخارج، عندئذ تكون حريته روحية أكثر منها مادية. تكون صافيةً من الغِش والخداع، وأساً للحياة الحقيقية الشريفة، لا شعلة نارٍ لإضرام أهواء النفس والجسد، أو امتيازاً للسلب والتعدّي، أو براءةً للقذف والتهجّم.»

وها نحن نصل ـ أيها السيدات والسادة! ـ إلى حديث المرأة، وكيف نفهم حريتها من خلال التراث.

هناك حديث نبوي شريف، أجمع رجال الحديث على صحته، وهو: «آمروا النساء في أنفسهن»، ويفسّره اللغويون بقولهم: «أي شاوروهنّ في زواجهن.» ولكن، ليسمح لنا

رجال اللغة، رغم كلّ ما نكنه لهم من حبّ وتقدير، أن نجد في تفسيرهم هذا فراغاً لا بد من سدّه، إذ كان في مستطاع الرسول العربي أن يستخدم كلمة «شاوروا»، ولكنه تعمّد استعمال كلمة «آمروا»، بمعنى أن الأمر للمرأة في نفسها، ولا يصح أن يكون لغيرها من الرجال أو النساء على السواء.

وإذا كان للمرأة أن تتولّى أمر نفسها، فهذا يعني أن لها ملء الحرية في إصدار هذا الأمر، أو الامتناع عنه.

بيد أن المسألة ليست بهذه البساطة، فعندما تصبح القضية قضية أمرٍ نصدره، أو نمتنع عن إصداره، تتدخّل الشريعة بكل ما يكتنف تطبيقها من ظروف وملابسات. وهنا يستوي الرجال والنساء في وجوب التقيد بالشريعة، والانصياع لما تمليه من قواعد.

قال تعالى يخاطب رسوله: ﴿ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمر، فاتّبعها ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون﴾.

وهنا نجد بكل وضوح، أن على المرأة أيضاً، حين يكون لها الأمر، أن تتبع الشريعة، وترفض أهواء الذين لا يعلمون. والشريعة ـ كما هو معلوم ـ تلزم الإنسان بواجبات، وتفرض له حقوقا، وتقيد سلوكه أكثر ما تقيده، بمعرفة الحقوق والواجبات، أي لا غنى عن العلم والمعرفة، في استعمال الحرية. وتلك هي شريعة «الأمر» سواء توجه إلى النفس، أو إلى الآخرين.

هذا الموقف الذي لا سبيل إلى الجدال فيه، ونعني ربط الأمر بالشريعة والمعرفة، يرشدنا إلى أدقّ ما يخفى على الناس من المفاهيم الغامضة، كالحرية والحق والإيمان.

لقد رأينا الأستاذ خالد محمد خالد، يبيّن بوضوح يبلغ حدّ الإشراق، حين كتب يقول: «لا أعرف بين حقوق الحياة الإنسانية حقا يمكن أن يكون مطلقاً. كل الحقوق فيها نسبية، وكل الواجبات كذلك، إلا حق الكلمة، فهو في رأيي حق مطلق، لا قيود عليه ولا منتهى له، والكلمة كما نعنيها هي الفكرة الصادرة عن روية واقتناع... وإن أول أمر تلقاه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، لم يكن: صلّ، ولا صم، ولا جاهد، وإنما كان: إقرأ... ونحن لا نكون اقتناعنا وإيماننا إلا بالكلمة وحدها...» (انتهى كلام الأستاذ خالد).

وعلى هذا، وانطلاقاً من هذه الحقائق، لا مندوحة عن تزويد المرأة بالمعرفة، لتكون قادرةً على افتتاح حريتها، وتحمل تبعاتها في الهيئة الاجتماعية، وبناء المستقبل، وهي بلا مراء، أثقل من تبعات الرجل، وأعمق أثراً، وألصق بالحياة العامة.

بقي عليّ أن أعرض لكم ـ سيداتي، سادتي ـ أغمض نقطة في حديثي إليكم، ألا وهي حرية الرجوع عن الخطأ التي يفتقدها معظم المعاصرين، أو هي فكرة «التوبة» عند الأقدمين.

هنا، أعود فأقصّ عليكم قصة حوارٍ آخر، جرى لي مع واحدٍ من كبار المجتهدين الأعلام، وقد سمعته يومَ الناس في الصلاة على أحد الأموات، ويقول: «اللهم لا نعلم منه إلا خيرا، وأنت أعلم به منا، فإن كان محسناً فزد اللهم في حسناته، وإن كان مسيئاً فتجاوز اللهم عن سيئاته، إنّك أنت الغفور الرحيم.»

سألت ذلك المجتهد الكبير:

ـ هل لي أن أعرف يا مولانا. سرّ هذه الشهادة التي تطلقونها في الصلاة على كل ميتٍ، كائناً من كان: «اللهم لا نعلم منه إلا خيرا».

قال:

ـ هذا سؤال وارد. والجواب عنه أننا لا نعلم إذا كان هذا الميت قد تاب قبل أن ينتقل إلى جوار ربه، ولا نعلم إن كان ربنا وربه قد تاب عليه وغفر له. فقولنا: إننا لا نعلم منه إلا خيرا، يفيد من جانبنا أننا لا نعلم إن كان الله قد هداه وعفا عنه، فالهداية والعفو من شأنه عز وجل، وما هما من شأن العبد، كائناً من كان.

قلت:

ـ ذلك يفيد أنه لا مجال للحكم على أحد، وبصورةٍ نهائية قاطعة؟!

ـ نعم! لا مجال لحكم نهائيّ من قِبَل العبد على النيات، فالأحكام إنما تصدر على الأعمال، ولنا ما ظهر، ولله ما بطن، فلا يصح أن نحكم على أحدٍ بالكفر مثلاً، ما دام باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه، وما دام الله جلّ شأنه هو الذي يهدي من يشاء، ويعفو عمن يشاء.

على أنه يمكننا أن نقتنع بهذه الحقيقة، حين نلاحظ منطق الهداية، ما دامت الهداية قضية فكر وتفكير، وهي أن يظل مجال الرجوع عن الخطأ، فسيحاً في كل ذات حرة، فإذا ضاق هذا المجال، وخسر الإنسان حرية التراجع عن الخطأ، كان معنى ذلك أنه خسر حريته كلها، لأن الحرية لا تتجزأ داخل الذات، وإن تعدّدت صورُها وصفاتُها من الخارج.

وإنا لنلاحظ اليوم أن المصيبة الكبرى التي مُني بها المعاصرون، وهم لا يعرفون أنهم بها مصابون، إنما هي خسارتُهم هذا النوع من الحرية، بحيث طغى العناد على المرونة، وتسرّب الضعف من جراء العناد إلى حياة الأفراد والجماعات، وطغت الدعاية على كل ما عداها في كل مضمار، فلا تلمح بعد أثراً للتسامح، ولا للهدوء في تقبل الآراء، أو في الرد عليها، وانبثّت فكرة الصراع، والتنازع من غير نظرٍ في حقٍ أو إنصاف، وتحوّل الفكر عن الاجتهاد والتمحيص والتحقيق. وكانت حصيلة ذلك كله، أن سرت البلبلة إلى الرأي العام، مما أدّى إلى افتقاده في كل حقلٍ وميدان. وافتقاد الرأي العام، نتيجة التفتّت والتمزق يجعل الفرد ينحي باللائمة على المجموع، في كل ما يشكو منه. وبهذا، يوغل الفرد والمجتمع في متاهات لا حصر لها، تضيع بها الحقوق والواجبات والتبعات والاتجاهات...

والواقع أنه لا يصح ولا يجوز أن يطلب الفرد إلى المجموع ما لا يملك تحقيقه، حين تكون الوسائل إلى تحقيقه غير متوفرة، فالمجتمع مشدودٌ إلى الحياة بأغلال لا فكاك له منها، ولحياته مقومات أساسية ماثلةٌ في الأرض التي يعيش عليها، والهواء الذي يتنشقه، والعالم المحيط به، وهو نتاج الماضي والتراث في أفكاره وعاداته ونزعاته، فلا يمكنه أن يتحلل من هذه الأشياء بين عشية وضحاها، ولا يملك أن يقف منها موقف الناقد النزيه، والباحث الرصين. المجتمع كمجتمع لا ينقد، ولا يبحث، ولا يدرس، وإنما يتأثر، ويقتدي، وينفعل.

- نعم! إنما يطلب إلى الفرد في أي مجتمع، وكل مجتمع، أن يعيد النظر في نفسه، وموروثاته، وتطلعاته العامة والخاصة، ويوفق بين هذه وتلك، وأن يتأمل في كل ما حوله، ويروز إمكاناته ووسائله، ومن ثمة يعمل بالتدريج على شق طريق للإصلاح يمكنه السير عليه نحو أهدافٍ يعتقد بسموها، وإن تراءت لغيره على خلاف ما يراها، فالمجتمع يحتاج إلى وقتٍ أطول مما يحتاج إليه الفرد، ليتمكن من فهم الأحداث، واستشراق النيات والأهداف.

وثمة ناحية جديرة بكل اعتبار في كل موقفٍ يحاول به الفرد إحداث تغيير في المجتمع، ونعني بها النأي عن العناد في مواجهة الواقع، فإن الواقع الاجتماعي لا يؤخذ بالعنف، والعنف لا يغير شيئاً من الواقع، وذلك هو ما تشف عنه الآية الكريمة: ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾، وهو ما يوضحه هذا التوجيه البيّنُ المشرق: ﴿أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.﴾

المهم إذن هو «الإقناع» والاستعداد للاقتناع. وهذا الاستعداد هو ما دعوناه حرية التراجع عن الخطأ. وكنت قد بيّنت في أكثر من موقف أن ما تتميّز به ثقافتنا العربية، على العموم، إنما هو اعتمادها على الإقناع، لا الإخضاع. وكل ثقافةٍ تحاول الإخضاع، تنتابها الأمراض نفسها التي انتابت شعوب أوروبا وأميركا في أوائل هذا القرن، ولا تزال أعراضها قائمةً حتى هذه الساعة، ألا وهي الشعور بالقلق، والغربة، والغثيان، والعبث، والتمرد، والانسياح مع اللا معقول.

لا أريد أن أخوض في حديث هذه الأمراض، فكلكم يعرفها، وقد أفاض في تشخيصها ومحاولة علاجها أدباء الغرب وفلاسفته، وقد انتقلت بالعدوى إلى أداني الأرض وأقاصيها، ولكني أشير هنا، بمجرد إشارة، إلى أنها كانت - أي تلك الأمراض - نتيجة التفكير في الإخضاع، وحشد وسائله، ونبذ كل محاولةٍ للإقناع، أو هي نتيجة إكراهٍ مقنّعٍ تارة، وتارةً غير مقنّع.

وثمة سببٌ آخر لانتشار هذه الأمراض، قلمّا يفطن إليه الباحثون، وهو نشوء هوّةٍ ثقافية سحيقة بين شعوب الشرق والغرب، ما كان يجوز أن تنسحق إلى هذا الحد، لو أتيح إدراكها في مستهلّ نشوئها.

لقد بيّنت أن الحرية مناخ، تتحدد عوامل نشوئه وامتداده واستمراره في أربعة مواقف أساسية: اللا إكراه، اللا سيطرة، إمرة النساء على أنفسهن، حرية التراجع عن الخطأ. ولكن أحداً من أبناء الغرب الحديث لا يقرّ لنا بهذه الفضائل، أو يعرف أن هذه هي الأسس الصحيحة التي يقوم عليها تفكيرنا في مراس الحياة الاجتماعية، وتدبّر شؤوننا وتفادي عللها وأسقامها، ولديه في كثير من أحداث التاريخ ووقائع الحياة اليومية ما يؤكد له أن تقريراتنا هذه لا تعدو مجال النظر، وأن الأعمال والمسالك مخالفة للأقوال والنظريات.

لا ندحة هنا، عن مواجهة هذه الاعتراضات بكل ما في طاقة البشر من صبر، وهدوء، وروية، فقد قرأنا أن أحد كبار المستشرقين ذهب هذا المذهب، وهو أن فكرة الحرية غريبة عن حياة الشرقيين، وأنها وفدت عليهم من الغرب، ولم يحسنوا بعدُ تطبيقها أو التعامل بها، ولا سيما في حياتهم السياسية.

والاستنجاد بالتاريخ ـ أيها السيدات والسادة! ـ في تأييد مثل هذا الاعتراض أو دحضه، لا يمكن أن يؤدّي إلى شيء ذي بال، فإن العهود الوثنية القديمة التي شهدت امبراطوريات بابل، والفراعنة، وفارس، وأغريقيا وروما، تستوي جميعها من هذه الزاوية ولا يمكن أن تجد لقوم فضلاً على قوم. وقد عرفتم المأزق الذي أنتهت اليه الحضارة الهلينية على يد الإسكندر وخلفائه.

وقد يختلف الأمر بعض الشيء عما كان، حين ننظر من هذه الزاوية أيضاً، إلى العصور الحديثة التي تتباهى بما حققت من تقدم في مجالات العلم، وعلى صعيد الحرية، حيث نلمس في أوروبا لمس اليد، حنيناً إلى العهود الوثنية، ورجوعاً بالإنسانية إلى أيام الفراعنة والأكاسرة والقياصرة والتبابعة، وتجديداً للعنصريات التوراتية. وما أيام نابليون، وعصر الملكة فيكتوريا، وأحاديث هتلر وموسوليني بأشياء بعيدة. إنها لا تزال ماثلة، وإن نسيها الشيوخ، وجهلها معظم الشبان، ولم يمض عليها اكثر من أربعين عاماً.

أما التناقض بين الأقوال والأعمال، فإنه سمة الحضارة الراهنة في كل مجال، ولا سيا في المجال الشرعي ـ السياسي. وإني لفي غنى عن التوسع في بيان هذه السمة، ولكن لا بُدّ من الإشارة إلى قضيتين مهمتين: الأولى حق تقرير المصير الذي لا يعدو أن يكون عبارة ضبابية هبائية، يطلقها مطلقوها في الهواء، دون أن تعني لهم على الأرض شيئاً. والثانية، قضية السلام، والجنرال ديغول هو الذي كان قد بيّن، أن إعداد الحرب في أوروبا، كان يتم خلال عهود السلم، كما أوضح صديقنا الدكتور محمد المجذوب، مدير الفرع الأول لكلية الحقوق في بيروت، بما لا جدوى في إنكاره، ولا معنى لمجادلته، أن السلام الذي تتحدث عنه إسرائيل مثلاً، خداع وتضليل ومخاتلة.

هذان مثلان تطرد عليهما الأمثلة في بيان التأثير الذي قامت به الحضارة الراهنة في تشويه المفاهيم، وتضليل العقول والقلوب والنفوس.

علينا إذن، أن نصر، ونلح في الإصرار، ونستمر في الإصرار، على أن هذه المواقف الأربعة: اللا إكراه، اللا سيطرة، إمرة النساء على أنفسهن، الانفساح في مجال التوبة، أو حرية التراجع عن الخطأ، هي الدعائم الحقيقية لما نسميه حرية، فهذا هو واقعنا الثقافي، وهذا ما ينكشف عنه تراثنا الحقيقي.

وإذا كان في مسالك بعض الأفراد، ونزعات بعض الجماعات، ما يتنافى وهذا الذي بيّناه وعرضناه، فذلك لا يمنع بحالٍ من الأحوال، أن يكون هذا هو مثلنا الأعلى في الحرية، وأن يكون هذا هو مفهومها الصحيح في أعماق قلوبنا. ولله وحده، جلّ جلاله أن يهدي الضالين، وهو الذي يمن على المستضعفين ويمكّن لهم في الأرض، ويجعلهم الوارثين.

عبد اللطيف شراره

● الحرية السياسية تبقى عقيمة ان لم ترتكز إلى الحرية الروحية وليدة العلم الصحيح والتهذيب.
● الثورة الحقيقية تبدأ فكراً وشعوراً ولا يبقى من آثارها بعد أن تمر، إلاّ ما كان منطبقاً على ما نضج في الأنفس والعقول، بل لا ينمو من بذورها إلاّ ما رافق التربة التي تزرع فيها.
● التعصب والخوف هما توأما الجهالة والتقليد.
● الإصلاح الحقيقي هو الإصلاح الجذري إذ الثوب البالي خير من الثوب المرقع.
● المدنية الحقة تقوم على العدالة الإجتماعية والمساواة.
● الشعب الأمثل يعي الإنسانية ويعمل على تحملها بحزم وإباء.

أمين الريحاني

قرآن كريم

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾

سورة البقرة (٢٥٦)

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾

سورة يونس (٩٩)
صدق الله العظيم

المجتمعات الإسلامية في مواجهة التحدي

بقلم: حسن الزين

يقول غوستاف لوبون: {إن العرب كانوا أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين}.

هذه الحرية هي التي دفعت بالمسلمين فور انطلاقهم، إلى ولوج جميع سبل المعرفة وتقصي كل كنوزها التي عرفها العالم القديم، دون أن يجدوا في ذلك أية غضاضة أو يخشوا أي انتقاد.

وكان المدى الذي وصلت اليه هذه الحرية في القرون الأولى للهجرة على قدر من السعة والانفتاح بحيث جعلت من المدارس الفكرية الجديدة منافذ تتعدى رؤيتها كل ما وصل إليه العلم في مختلف الحضارات المعاصرة، لتطل الحضارة الاسلامية الجديدة على العالم بشخصيتها المستقلة ووجهها المعبر وافقها الواسع ولتستخدم هذا الفكر في نشر الدين الجديد ورفع رايته حتى ليتركز في عقول ونفوس سكان أخصب المناطق في العالم حضارة وفلسفة وعطاء، وهي مجمل منطقة حوض البحر الابيض المتوسط حيث ترعرعت ونمت أهم الحضارات وأبقاها على الدهر من جبل طارق حتى تركيا مروراً بقرطاجة والاسكندرية والقدس الشريف وصور وصيدا وبيروت واللاذقية دون ان ننسى بغداد وفارس وما لهذه الاسماء في آذان المؤرخين من صدى يذكّر بقصة الحضارة كلها، وبما كان لسكانها ومفكريها من فضل على العلم والادب والفلسفة وما كان لهذه العلوم من مستوى كبير في تلك الديار عندما انطلقت الحضارة الاسلامية في طريقها إليها، تحمل معها من حرية الفكر واستقامة الدين ما حطم بسرعة ملفتة كل الحجب التي كانت تقف بوجه امتداد هذا الدين والشعارات والآيات التي يحمل من قوله تعالى لرسوله الكريم ﴿فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر﴾ إلى قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ وقوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

يقول الامام محمد عبده تعليقاً على الآية الكريمة الأخيرة: فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو إلى الخير وهم

المراقبون عليها يردونها إلى السبيل السوي إذا انحرفت عنه وتلك الأمة ليس لها فيهم إلا الدعوة والتذكر والانذار والتحذير ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس ان يتبع عورة أحد، ولا يجوز لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد. ومن خلال هذه المبادىء وغيرها وذلك الشرح نرى إن الفكر الاسلامي والمبادىء الاسلامية تختلج اليوم في حنايا أحدث النظم العالمية بمختلف اتجاهاتها كدليل قوي وجبار على العطاء الكبير الذي قدمته الحضارة الاسلامية وتأثيرها في نتاج الفكر السياسي والاجتماعي في العصور الحديثة من خلال ما قامت عليه بذور هذا الفكر وقواعده منذ نشأته من نتاج التفاعل مع الحضارة الاسلامية. هذه الحرية التي لا تعرف الحدود في علاقة الإنسان بالغير، حتى ان العلاقة بالله في أمور الدين لا تحتاج إلى وسيط بينه وبين الله عز وجل، كانت من أهم ما حرك وأنبت القيم الحضارية الجديدة منذ نهاية القرون الوسطى وبداية عصور النهضة في اوروبا على ما نعتقد.

يقول الإمام محمد عبده تعليقاً على بعض ما سبق ذكره من آيات: (لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف أو خلف). أمام هذه الآيات وهذا الكلام ماذا نقول لأولئك الذين يخشون على الاسلام من أنظمة تقيم الحريات وتقيم العدالة بين الناس أو تحاول ذلك والإسلام رائد العدالة الاجتماعية ومثير كل قيمها في وجه عالم كان كله بجميع أقوامه وأنظمة حكمه يتنكر لها؟ ماذا نقول لهم سوى أن الإسلام هو دين الحرية والمساواة والجدال والأمر بالمعروف وليس دين العنف غير المستند الى قاعدة (الجدال بالتي هي أحسن) هو الطريق الذي رسم الله للحوار والتفاهم بين المسلمين وغير المسلمين وبين المسلمين أنفسهم؟ ولكن هذه الحضارة التي حملت بذور الانفتاح على كل جديد ودوراً للعقل يجعل من منطقه وقواعده أساساً لكل تشريع تستدعيه حاجات جديدة في عصر جديد، تواجه اليوم من خلال التخلف الذي يسود المجتمعات الاسلامية بما يرافقه دائماً من تقهقر دور العقل والفكر خطراً يهدد أركانها بالتقوقع والانقراض اذا لم تمتد طرق الاصلاح إلى عمق المجتمع الحديث عبر جوهر الدين الحنيف فما هي الاسباب وكيف تتكون النتائج؟ لقد كان للخوف من تفسيرات تقدم للرأي العام ومن آراء بعض العناصر الاسلامية المتطرفة في محاربتها لكل جديد وغيبة الاجتهاد الشجاع واختفاء المجتهدين، شأن كبير في تأخير اصلاحات تقتضيها طبيعة الزمن وتطور الاحداث؛ والإحجام عن القيام بها رغم ضرورتها ينشأ عن الخوف من معارضتها، وتكون النتيجة ازدياد نسبة التخلف ونسبة الجهل بالمقارنة مع دول العالم المتحضر الحديث.

من يقرأ التاريخ يرى أن الخوف الدائم الذي يسبب تأخير المبادرات الاصلاحية، يؤدي دائماً إلى نتائج سلبية ليس أقلها

حصول عكس ما يرمي إليه المتخوف وما يخشاه على نفسه ومجتمعه. لقد أصبحت الضرورة تقضي على جميع الأنظمة السياسية في الدول الاسلامية احداث تغييرات جذرية في قضايا كثيرة هامة اجتماعية وفكرية واقتصادية، لتمكين مجتمعاتها من تخطي الحد الأدنى من الشروط الضرورية للمحافظة على بقائها على اتصال مع شؤون الزمن ومقتضيات الحياة. فهل يقف الدين عائقاً في هذا السبيل؟

وهل كان الإسلام في أي زمن حجر عثرة أو حاجز منع في سبيل تطوير المجتمع ودفعه في الطريق الصحيح؟

منذ فجر الإسلام ظهرت ملامح النظر الصائب إلى التغيير الملازم لكل عصر، فجاءت على لسان قادة المسلمين في كل فترة زمنية يستشعرون فيها بالحاجة إلى ذلك التوجه (علموا أولادكم السباحة والرماية...) (إنهم مولودون لزمان غير زمانكم) هذا الكلام وكثير غيره يظهر الوجه الايجابي للفكر الاسلامي في هذا السبيل ودلالته لا تكمن في الوقائع المادية التي يحددها بقدر ما تكمن في روح هذا الاتجاه الذي يظهر في مطلع عصر الخلفاء الراشدين تطبيقاً للأسس التي بشر بها الرسول الأمين والتغيير الجذري المطلوب يمكن إن يتم بأسم الإسلام أو بمباركته وليس على حسابه كما يريد البعض ان يزعم، لأن أفقه الذي يتسع لكل مقتضيات الاصلاح وعطاءه الذي يشمل جميع فروع التقدم، يسهلان حصول النتائج المرجوة من التحول الكبير ويحققان كل ما يغرس في نفوس الناس ايجابيات التطور والبعد عن التخلف.

ولم يعد السكوت والسكون بذابين عن الشعوب والحكومات تلك الاخطار القاتلة المحدقة بالمجتمعات الاسلامية في جميع اقطارها أليس ابرزها الخطر الأسرائيلي الدائم الداهم في دولة تتجه دائبة لتحقيق اهدافها الدينية والتوسيعية المتمثلة في أخطر ما يواجه المسلمين من تحولات تهددهم كحضارة ودين بالانقراض المادي والمعنوي؟

الاحتياطات والتغييرات التي تتخذها الدول الاسلامية موضع التحدي أدت إلى اختلاف بين في ملامح تلك الدول سواء لجهة بناء السلطات العسكرية والمدنية أو لجهة اعتماد التشريعات المؤدية إلى اصلاحات اجتماعية واقتصادية وسياسية لا بد منها من أجل مواجهة الخطر الكبير، فيا اختلفت تلك البنى والتشريعات اختلافاً بيناً تبعاً لقربها المادي أو بعدها من مركز الخطر الدائم. فاعداد الجيوش وأرقام الموازنات والتنظيمات الاقتصادية أخذت تنعكس مداً وجزراً في البلدان الاسلامية وفق تقديرها لنسبة الخطر واهميته وطرق الاحتياط لمواجهته. وقد عبرت هذه الاختلافات في البنى العسكرية والسياسية والاقتصادية والتشريعية عن خلافات في وجهات النظر بالنسبة لتقدير الخطر ومدى قربه أو بعده من الدول المعنية. خطر آخر واجهته وعاشته الحضارة والمجتمعات الاسلامية منذ

قرنين من الزمن يوم دخل الاستعمار حلبة السباق مع رياح التخلف في العمل على تقويض دعائم الحضارة والمجتمعات الاسلامية مدفوعاً برواسب التحدي القديم والجديد وعوامل الطمع في السيادة والاستغلال.

هذا الخطر أخذ يظهر منذ مطلع عصر النهضة حيث باءت محاولات محمد علي المتواضعة في نقل الحضارة التقنية الغربية إلى مصر، بالفشل بعد أن انتبه إليها بسرعة حكام الغرب المعاصرون ثم كانت أهم اعمال كرومر تدور حول خفض عدد أفراد البعثات التي تقصد أوروبا للتخصص الفني من عسكري أو تقني أو هندسي وزيادة عدد أفراد البعثات التي تتخصص في العلوم الإنسانية. مدركاً أن نقل فنون التقنية الغربية هو ما تحتاجه مصر لكي تتحول إلى دولة قوية تستطيع الوقوف بصلابة وعنف بوجه الاستعمار البريطاني من اجل مصالحها وطموحات شعبها ومقتضيات تطور مجتمعها، مدركاً أيضاً ان موقف الاسلام من محاولات الاصلاح والتقدم واضح في تشجيعه لكل عمل يبذل في سبيل طلب العلم وتقدم المجتمع وإن كان يعلن غير ذلك. وإذا كانت الظروف التاريخية التي نعيش، على هذا القدر من الخطورة، وكانت أوطاننا بكل ما فيها وما تمثل معرضة لهذا التحدي الدائم الداهم.

وكان أهم ما يسبب تقهقرنا وعجزنا هو هذا التخلف البغيض الذي يخيم على أجيالنا، على مدننا وقرانا، وطبقاتنا الميسورة وغير الميسورة، وهذه النفوس التي تحاول الهرب من الواقع والابتعاد عن الحقيقة متوسلة إلى ذلك عدم الرؤية وتصور النجاة في وسائل تزيد من وقوعنا في المهالك، فما العمل واللحظة التاريخية المناسبة تتضاءل وتبتعد يوماً بعد يوم؟ ما العمل وأكثر الاصوات التي كانت ترتفع بشجب أعمال الاعتداء على كياناتنا الفكرية والمادية والاجتماعية، تتضاءل يوماً بعد يوم أيضاً، بعد أن ترى في ردات فعلنا على الاحداث ما لا يتناسب مع الخطر المحدق الذي يهددنا؟.

إذا كانت (الضرورات تبيح المحظورات) فمؤسساتنا العامة من قضاء وتشريع وانظمة تحتاج إلى تغيير سريع في كل ما يبتعد بها عن التجاوب مع اهدافنا الآنفة الذكر ومع حاجاتنا الاجتماعية المتناسقة مع تلك الأهداف فنقيم من القضاء مثال عدالة تعيد الثقة إلى المواطن الذي فقدها ومن تشريعنا تعبيراً دقيقاً عن حاجات مجتمعاتنا المنبثقة من تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، من أقدس ما في جوهر تراثنا وأهم ما يواجه حاضرنا من أخطار، وابعد تطلعات مستقبلنا الهادفة إلى تمكين استمرارية مقولة التطور الذي بقي عبر تاريخنا الطويل شعلة في طريق الفكر والعلم.

لقد شهد الربع الأخير من القرن الحالي تطورات سريعة تشد بعض المجتمعات الاسلامية في مختلف الاتجاهات نتيجة لما ذكرنا من بناء علاقاتها في الداخل والخارج في المجالات التي تحقق صمودها في وجه

الاخطار الخارجية المتزايدة وزادت نفقات موازنات بعضها فيما يصرف على تقوية جيشها وتعزيز دفاعها مما جعلها تعجز لحد ما عن اقامة استراتيجية تقدمية تسد مكامن النقص وترفع أزمة التخلف بينما تجاهلت مجتمعات اسلامية أخرى عن إهمال أو عجز ربما، تهيئة الكوادر والأسس اللازمة لمواجهة مثل تلك الاخطار، فانصرفت إلى إقامة تنظيم اقتصادي رفع دخل الفرد وعزز التطور الثقافي والاجتماعي فيما استمر قطاع الدفاع على حالة من الضعف والتفكك تقنيا وبشرياً وعسكرياً، ونتيجة لكل ذلك نشهد اليوم تطور دول اسلامية تختلف أنظمتها وطرق حياتها السياسية والعسكرية والاجتماعية اختلافاً شديداً يسيطر عليهما تخلف يزيد ويتناقص باختلاف الجهود التي تبذل في بعضها من أجل القضاء عليه.

فما هو تأثير الإسلام في هذا المجال الذي يتصل بالكثير من مبادئه وطرق التعامل فيه؟

رغم كل ما نواجه من جهود خيرة تبذل هنا وهناك، في أماكن كثيرة من العالم الاسلامي، يمكن القول إن اختفاء الاجتهاد وابتعاد الفكر الاسلامي عن دوره الحقيقي في المجتمع لابتعاد علمائه ومنظريه عن مواجهة المشاكل الجديدة والمسائل الطارئة ولينصرف أكثرهم إلى اجترار إضبارات الماضي وشرح ما كتبه الرجال الاوائل وإلى اضافة الحواشي والشروح والهوامش والتعليقات، كل ذلك جعلهم عاجزين لعدة قرون عن مواجهة المسائل الجديدة بحلول



تعبىء القوى وتشحذ الأذهان والهمم في الطريق الطويل الذي كتب على مجتمعاتنا سلوكه من أجل البقاء حضارة قوية متماسكة.

ولكن المبادىء الإسلامية وجوهر التراث الإسلامي تأتلف مع كل تطور يستند إلى حاجات اجتماعية واقتصادية وفكرية تفرضها ظروف العصر وحضارته ومع كل ما يتطلب اشباع هذه الحاجات من تغيير وكل ما يفرضه من جديد.

ولكن مساهمة كل ذلك في بناء المجتمع والإنسان يحتاج إلى فتح باب الاجتهاد من جديد وإلى اجتهاد يتسم بالشجاعة في القول والعمل بحيث يتمكن من نفض غبار التاريخ عن جوهر التراث العربي الإسلامي بعيداً عن مظاهر الخرافة والمسخ والتقليد؟ ومن الانفتاح عبر روح هذا التراث على كل مجاري الفكر والحياة في كل زمان ومكان. وإذا كان الله عز وجل قد أقسم بالقلم وما يسطرون وكانت أولى كلماته إلى رسوله: إقرأ. فإن الطريق إلى إزالة كل مظاهر التخلف تبدو على شيء من الوضوح واليسر عبر كل ذلك، لا لبس فيها ولا ابهام؛

حسن الزين

قصة النبي محمد

آخر رسالات السماء الى الارض:

« أقرأ باسم ربك الذي خلق »

ولد محمد بن عبد الله داعياً الى القراءة والعلم والحرية وصراع قوى الظلم .

بقلم : زهير مارديني

حين انطفأت شموع التوحيد في مشارق الارض ومغاربها ، واوشك الظلام الكثيف ان يطبق على العقل ولم يعد هناك غير قلة قليلة من الغرباء الموحدين، شاءت رحمة الله ان تبعثه بآخر رسالات السماء الى الارض .

ووسط كآبة الحياة وليلها الموحش . . جاء شمس الانبياء .

يصلي عليه الله عزّ وجلّ رحمة وبركة . وتصلي عليه الملائكة ثناء واستغفاراً . . ويصلي عليه المؤمنون تكريما وتعظيماً .

قال الحق في سورة الاحزاب :

﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ .

المكان : ارض الجزيرة العربية .

الدنيا ليل . . الهزيع الاخير من الليل . .

رأت آمنة بنت وهب حلماً ذات ليلة .

شاهدت نفسها تقف وحدها وسط الصحراء ، وقد خرج منها نور عظيم اضاء المشرق والمغرب وامتد نحو السماء .

واستيقظت آمنة من نومها فلم تعرف تفسير رؤياها . . ولا عاشت حتى لتعرف تفسير رؤياها .

في ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول .

ولدت آمنة بنت وهب طفلها اليتيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب حفيد اسماعيل بن ابراهيم بن آدم .

كانت الدنيا تموت عطشاً اليه قبل ان يولد .

كان عطشها عظيماً الى الحب والرحمة والعدالة . .

الرمال تمتد صفراء حتى تلتقي بالافق ..

خيام مكة ..

في خيمة خشنة منها يولد طفل يتيم سيصبح فيما بعد مسؤولا عن ارواء عطش العالم الى الحب والعدالة والحرية والحق ..

على مسافة خطوات من مولده .. تملأ الاصنام ساحة البيت العتيق، وحول الكعبة التي بناها ابراهيم واسماعيل لتكون بيتا لله يعبد فيه وحده .. ويأمن الناس فيه وحده .. في هذا البيت القديم الذي بناه قبله آدم ..

تمـلأ تماثيل الالهة الحجرية والخشبية المكان كله .. دليلاً يشهد على سقوط العقل العربي وانحداره. وبعيداً عن مكة، كانت يثرب او المدينة تمتلىء باليهود الذين جاؤها هرباً من اضطهاد الرومان.

وحطوا كالذئاب على اخصب الارض واحتكروا تجارة المتعة وشيدوا مستعمراتهم مستغلين ضعف الوجود العربي وانقسامه على نفسه .. وهو وجود كانت لديه القدرة على التناحر والقتال اربعين عاماً لاسباب تافهة.

وكان علماء اليهود يتاجرون بكل شيء .. ابتداء من الذهب وانتهاء بالتوراة، فيخفون منها اوراقاً ويظهرون اوراقاً ويحرقون اوراقاً ليزدادوا ثراء على ثراء. وعلى حين كان اليهود يعبدون الذهب ويجيدون التجارة ويتفننون في المؤامرات .. كان العرب يعبدون الحجارة ويجيدون القتال ويتفننون في قرض الشعر وتعليقه على استار الكعبة .. وكان العرب يعيشون في ظل نظام القبائل المتخلف .. شيخ القبيلة هو السيد الحاكم، وقيمته تتحدد بمقدار عدد رجاله وكثرتهم وقدرتهم على القتال، وفضل المرء ينبع مـن اصلـه، وعصبيتـه هـي قيمتـه، وفخره بالانساب هو كرامته، والتعصب لصنم معين هو دينه .. وكانت كل قيم الشهامة والكرم والنجدة والوفاء لا تدور الا داخل الاطار الضيق للقبيلة الواحدة، او القبائل المتصالحة.

في هذا الجو برز الى الوجود يتيماً، غادر ابوه الدنيا، وهو جنين في بطن امه.

قال تعالى:

﴿الم يجدك يتيماً فآوى﴾.

ورباه الحق عزّ وجل من طفولته .. وامتحنه باليتم وهو جنين، وبالجوع وهو صبي وكهل، وبفقدان وهو طفل، وبالوحدة وسط الجماعة، وباليقظة وسط النيام، وبآلام تعقبها آلام.

الصقته امه بصدرها اكثر من ذي قبل وهي ترى انصراف المراضع المقبلات من البادية عن حضانته. كانت التقاليد السائدة في مكة ان ترسل الاسر الشريفة ابناءها الى البادية لانطلاق الهواء وتوافر اللعب .. ولم تكن المرضعات تتكالب الا على ابناء الاغنياء.

ولما كان سيد الناس فقيراً . . فقد انصرفت عنه المراضع . .
اخذته حليمة بنت ابي ذويئب، وأعلنت انها ستحضنه .

قبلته حليمة بين عينيه وعادت به الى رحلها ، وضعته في حجرها والقمته ثديها الأيمن ليرضع ما شاء الله أن يرضع . . كانت تعلم أن ثديها جاف فقالت: الهيه به . . وجد فيه الرضيع - على دهشة منها - ما يشبعه . . تدفق الحليب في صدرها حناناً وحباً وآية من الله . . انتهى من رضاعته فمنحته ثديها الأيسر فرفضه، تاركاً اياه لأخيه من الرضاعة، واتبع ذلك دائماً . .

أهي حكمة عليا هذا الاكتفاء بالقليل . .

أم ان الرضيع كان يربي نفسه على الزهد والقناعة قبل أن يربي الرجال على التضحية والرجولة .

عادت حليمة إلى بادية بني سعد وهي تحمل محمد بن عبد الله .

تقول حليمة :

(كان طفلاً لا يبكي ولا يصرخ قط، إلاّ اذا تعرى)

حين بلغ عامه الثاني فطم . . وأرادت أمه ان تأخذه . ولكن حليمة لم تستطع ان تستسلم لهذا الانفصال القاسي . فالقت بنفسها عند قدمي الأم وأخذت تقبلها وهي تسألها ان تتركه معها حتى يشب صحيحاً في هواء البادية . ومكث رسول الله - ﷺ - في بادية بني سعد خمس سنوات .

ومرت الأعوام وانتهت فترة بقائه مع حليمة في بادية بني سعد . . وكانت فترات اثرت في وجدانه تأثيراً عميقاً .

روى أنه كان يذكر صباه في بني سعد بالفخر، ويذكر ايثارهم وتصرفاتهم بالرضا . . قال: انا من بني سعد ولا فخر . . كانوا إذا جاع فيهم أحد اقتسموا الطعام فيما بينهم .

عاد محمد الى مكة وعمره خمس سنوات .

عاش اياماً مع أمه التي كان حزنها على ابيه قد تجسد في ملامح الوجه أثراً رائعاً لنبل الحزن وشفافيته ، ورأت امه وفاء لذكرى ابيه الراحل ان تزور قبره بيثرب ، والمسافة بين مكة ويثرب اكثر من خمسمائة كيلو متر في صحراء قاسية تخلو تماماً من الحياة .

وقطع الصبي الرحلة الشاقة .

بعد هذه الرحلة الشاقة . . عاش محمد بن عبد الله عند اخواله في المدينة شهراً .

رأى الصبي الصغير البيت الذي مات فيه ابوه قبل أن يولد هو . . زار مع امه القبر المتواضع الذي دفن فيه والده . . انطبع في قلبه اول معنى لليتم وهو يرقب دموع الأم الصامتة . واحتلت المدينة بآلامها جزءاً فسيحاً في قلبه . . فلما اذن الله له ان يهاجر اليها بعقيدته فيما بعد، كان

يحدث اصحابه عنها وعن رحلته الاولى اليها ، حديث محب للمدينة ، محزون لمن تحوي القبور بها من اهله .

انقضى الشهر عند اخواله فصحبته أمه عائدة به الى مكة بعد رحلة الوفاء .

وصلا الى منتصف الطريق . . لم يعرف محمد بن عبد الله سرّ امتقاع وجه الأم وشحوبه . . وهبط ملك الموت بقعة تسمى (الابواء) . . وحين غادرها كانت آمنة بنت وهب قد لحقت بالرفيق الأعلى . ماتت الأم وتركت وحيدها مع خادم يتفتت قلبها على طفل يفقد أباه وهو جنين ويفقد أمه وهو ابن ست سنين . . وعاد محمد وحده دامع العين باكي القلب قد ادرك نضجه بعد ان صهرته احزان الحياة وقسوة اليتم .

سئل رسول الله بعد بعثته : ما طريقك ؟ قال :

(المعرفة رأس مالي . والعقل أصل ديني . والحب أساسي . وذكر الله انيسي . والحزن رفيقي) هي رفقة قديمة بدأت في طفولته .

سقاه الله في طفولته من انهار الحزن العميق ، ليمنح الناس بعدها ثمار الخلاص والفرحة .

عاد الصبي الى مكة محزوناً صامتاً ، فزاد جده عبد المطلب في حبه واعزازه . . بعد عامين اثنين . . حين وصل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الى الثامنة من عمره . . مات اكبر حصن من حصونه البشرية . . مات جده عبد المطلب .

وسار الصبي وراء نعش الجد صامتاً كالكبار . . صلباً كالرجال . . تذوب رمال الطريق تحت قدميه في دموعه الصابرة المحتسبة الشجاعة .

لا نعرف لماذا حدث ما حدث .

ما هي حكمة الله تعالى في حرمان اخر انبيائه من عطف الاب وحنان الأم ورعاية الجد . . أكان الله عزّ وجل يريد ان يمنح اخر انبيائه حناناً وحباً من لدنه وحده . . أكان الله يربيه بالحزن ويرهف مشاعره بالألم . . أكان الله تعالى يصنع قلب رسوله لنفسه .

بعد وفاة جده كفله عمه ابو طالب ، والقى الله محبته في قلب عمه فقدمه على ابنائه وأعزه وأكرمه وكان يجلسه على فراشه الذي يبسطه أمام الكعبة ولا يجلس عليه غيره .

وعاش محمد بن عبد الله في قلب صحراء مكة مستيقظ القلب ، صاحي الوجدان بين قوم من الغافلين والسكارى وعبدة الاصنام وتجار الخمور ، والشعراء ، والمحاربين ، وشيوخ القبائل . وجو الصحراء يزيد خمول الخامل ويزيد حدة اليقظان . كشعاع الشمس الذي ينمي الاشواك والورود معاً .

وقد كان محمد بن عبد الله في طفولته صامتاً معظم الوقت ، فلما كبرت سنه زاد صمته ، كان لا يتكلم الآ اذا دعاه أحد للكلام . وكان لا يشارك الفتيان لهوهم ، مدفوعاً في ذلك بحزن داخلي لا كبرياء . انه ينفرد بنفسه ، يفتح عينيه على امتداد الرمال . لسانه يتوقف وقلبه يعمل .

يتأمل في طفولته سجود قومه للأصنام ويعجب . . كيف يسجد العاقلون لحجارة لا تضر ولا تنفع ولا تتكلم ولا تحس . . ورث من جده البعيد كراهيته الفطرية لعالم الاوثان والأصنام .

وانطوى داخل اعماقه على احتقار عظيم لهذه المعبودات الحجرية، احتقار جعله لا يقترب منها ابداً غير ان قلبه الكبير كان ينطوي على حزن أعظم من حزن جده ابراهيم . كان حزيناً لأن العقل الانساني يعبد الحجارة والذهب والكبرياء وسلطان الحكام . . وكان يستمع الى الناس ويتأمل شؤون الحياة وأحوال الجماعات، ويلاحظ صراع الناس على الأشياء التافهة والهالكة فتزداد دهشته ويعمق حزنه .

الا يعرف الناس انهم سيموتون مثلما مات ابوه وأمه وجده .

لماذا يثيرون كل هذا الصراع ليكسبوا مزيداً من الشرور في النهاية .

وكلما تقدمت به السن زاد زهده في الحياة، وراحت سيرته تضوء في انحاء مكة، أنه لا يشبه احداً من الفتيان . ورغم اعتقادنا في حزنه الذي يعود لأسباب عامة . . لم يكن يبدي دخيلة نفسه لأحد، ولا كان يتطلع لهداية احد، ولا كان يقصد اصلاح حال المجتمع أو الانسانية، صحيح ان الاسئلة تثور في ذهنه مضطربة ملحة تبحث عن جواب، لكن عقله وحده لم يكن يهتدي الى الجواب او الخلاص .

(ووجدك ضالا فهدى) . .

وكان فقيراً لا بد ان يشتغل ليأكل . . واشتغل راعياً للغنم مثل داود وموسى وغيرهما من انبياء الله . . كان يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة .

ثم سافر في قافلة عمه (ابو طالب) الى الشام وعمره ١٣ سنة . ونظر في أحوال الأمم الأخرى فزادت دهشته لهذه الجاهلية . وكلما شاهد الناس يتخبطون زاد حزنه ورق قلبه واشتد تفكيره عمقاً . وفي هذه الرحلة الى الشام، وقع للصبي حادث اغلب الظن انه زاده حيرة على حيرة .

كان الراهب (بحيرا) يقف في نافذة الدير الذي يتعبد فيه في سورية حين لفتت نظره سحابة بيضاء من الغيم، تعترض - على خلاف العادة - زرقة السماء الصافية، وكان الجو صحوا فبدت هذه الغيمة مثيرة للدهشة . . وهبط نظر بحيرا من السماء بحيرا من السماء إلى الأرض فوجد السحابة التي تشبه طائراً أبيض . . تحلق فوق قافلة صغيرة تتجه نحو الشمال . . ولاحظ بحيرا إن السحابة تتبع القافلة . . وحين اناخت القافلة لتستريح اسفل الدير ولجأت إلى الظل . . تبخرت السحابة .

دق قلب الراهب بعنف . . يعلم من اوراقه المسيحية ان نبياً سيخرج إلى الدنيا بعد عيسى . . نبيا تذكر الأوراق المسيحية القديمة صفته وتبشر به .

ترك بحيرا مكانه واسرع يأمر بإعداد طعام كثير، ثم ارسل إلى القافلة رسولا يدعوها إلى تناول الطعام، عاد الرسول يرافقه المكيون إلى بحيرا .

قال احدهم مازحاً مع بحيرا :

ـ وحق اللات والعزى، إن لك يا بحيرا لشأنا اليوم. ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بكم كثيراً. فما شأنك اليوم.

اجاب بحيرا :

ـ انتم ضيوفي اليوم.. مرّ على سؤال الاعرابي بغير ان يجيبه عنه أو يكشف له سرّ هذا الكرم المفاجيء. ووفد ضيوفه فراح يطعمهم ويتأمل فيهم باحثاً عن العلامات التي قراها في اوراقه للرسول المنتظر فلم يعثر على شيء.. سالهم:

ـ يا معشر قريش.. هل تخلف منكم احد عن دعوتي؟

قالوا نعم.. تخلف منا واحد فقط.. تركناه لحداثة سنه. قال بحيرا :

ـ لقد دعوتكم جميعاً. ادعوه فليحضر هذا الطعام.

قال رجل من قريش:

ـ واللات والعزى إنه للؤم منا ان يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام دعينا إليه.

اعتذر عمه بأن محمداً لم يزل صبياً، ثم قام بعضهم فاحضره. لم يكد بحيرا ينظر في صفاء العينين ويغوص في حزنها النبيل حتى ادرك انه يقترب من هدفه.. ظل صامتا يرقب محمد بن عبد الله حتى أكل القوم وتفرقوا وجلس محمد وحده.

قام إليه بحيرا.. قال: يا غلام اسألك بحق اللات والعزى ان تخبرني عما اسألك عنه؟

كان بحيرا يريد ان يعرف موقف هذا الصبي من اوثان قومه واصنامهم.. اجاب الصبي :

ـ لا تسألني باللات والعزى شيئاً.. فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما. قال بحيرا :

ـ اسألك إذن بالله. قال الصبي:

ـ سل ما بدا لك.

راح بحيرا يسأل الصبي عن اسرته ومكانته في قومه واحلامه وارائه.. وكان الحوار يجري بعيداً عن القوم.. فإنهم ما كانوا يسكتون عنه لو صرح ببغضه لاصنامهم..

وجاءت الإجابات مؤكدة ليقين الراهب إنه يجلس امام النبي الذي بشر به موسى.

بعدها ترك الصبي ونهض إلى ابي طالب. سأله ما هذا الغلام منك؟ قال ابو طالب: إنه ابني.

قال بحيرا :

ـ ما ينبغي أن يكون ابوه حياً. قال ابو طالب.

ـ إنه ابن اخي . مات ابوه وامه حبلى به . قال بحيرا :

ـ صدقت . . ارجع به إلى بلدك واحذر عليه من اليهود

تساءل ابو طالب عن السر فيما يقوله الراهب . . ادرك الراهب إنه تحدث أكثر مما ينبغي فقال :

ـ سيكون له شأن .

لم يفصح أكثر . ولم يحدد هذا الشأن .

ومرّ الحادث بغير ان يعلق بذهن احد ، أو يلفت انتباه احد ، فلا محمد فهم من كلام الراهب الغامض شيئاً محدداً ، ولا اصحاب القافلة تناقلوا هذا الحديث أو اشاعوه .

طُوي الحادث وإن زاد حيرة محمد .

ما الذي بينه وبين اليهود ليحذر الراهب عمه منهم .

ثم ما هو هذا الشأن الذي تنبأ به الراهب .

ما هي علاقة هذا كله باحزانه العميقة وحيرته . .

طافت الاسئلة قليلاً حول ذهنه ثم غاصت خارج منطقة الرؤية . .

وعادت القافلة عودة طبيعية إلى مكة . .

وعاد محمد بن عبد الله إلى انفراده بنفسه ، وتأمله في احوال الكون ، وشقائه ليكسب لقمة عيشه ، وخدمته العفوية للناس ، وايثاره لهم على نفسه ، عاد إلى هذا كله في صمت وسكينة . .

يوماً بعد يوم . .

كان يفيض بالثقة والرحمة والامانة والحب . . مثلما يفيض المصباح بالنور . اشتهر بين قومه بالامانة والصدق . ولم يكن صدقه أو امانته موضع شك أو بحث لدى اهل مكة . . وحين جاء برسالته بعد ذلك بسنوات طوال ووقف ضده المجتمع كله ، وانقلب عليه الملأ من قومه . . لم يجرؤ احدهم ان ينال من امانته وصدقه . . إنما ادعوا إنه مسحور أو فقد وعيه . . وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة . . حين تم الاتفاق على قتله وتفريق دمه بين القبائل . . وحاصروا بيته لاغتياله ، في هذه الساعات الحرجة . . قرر الهجرة . . ولكنه اوصى علي بن ابي طالب ابن عمه ان يبقى في بيته ليرد جميع الامانات التي أودعها عنده اعداؤه واصدقاؤه إلى اصحابها في الصباح . فتأمل كيف استأمنه الاعداء على اموالهم واثقين من حفاظه عليها . .

يوماً بعد يوم . . كانت سنه تزيد . . وكان نقاؤه وصدقه يزيدان .

وفي بحار الصمت الموحشة حيث نشر محمد بن عبد الله اشرعته البيضاء كان لا بد أن يلتقي بالحقيقة الازلية التي التقى بها قبله انبياء الله ورسله . وأدرك محمد بن عبد الله ان هذا الكون العظيم ربّاً هو خالقه . . ربا واحداً لا إله غيره . وعبد قلبه رب العالمين قبل أن يبعثه رب

العاملين الى الناس . . وحيل بينه وبين متع الشباب البرىء أو لهوه العادي الذي لا يعتبر خطيئة في سن الشباب ، وعلى حين كان شباب مكة يتباهون بعدد الكؤوس التي شربوها من الخمر . . وعدد أبيات الشعر التي قالوها في النساء . كان محمد بن عبد الله قد عثر على نفسه ، في كهف هادىء في جبل عظيم .

كانت أصفى أوقاته هي التي يقضيها في هذا الكهف .

كان يغوص بأعماق قلبه في الكون ، ويفكر في عظمة اسراره ورحمة خالقه وجلاله . وفي عامه الخامس والعشرين . . تعرف بأم المؤمنين زوجته الأولى خديجة بنت خويلد . كانت هي في الأربعين من عمرها . . كانت سيدة ذات شرف ومال تعمل في التجارة . مات عنها زوجها وطمع بها الطامعون لثروتها وكانت تبحث عن رجل يخرج بمالها الى الشام تاجراً . وبلغت أسماعها أخبار عديدة عن صدقه وأمانته ونقائه . . فأرسلت اليه تستأجره ، وخرج في رحلته الثانية الى الشام وعمره ٢٥ سنة ، بارك الله في رحلته فعاد بربح مضاعف لخديجة فما تطلع الى مالها ، ولا الى جمالها ، ووقف بكرامته واستغنائه موقف النبيل المتجاوز . . وامتلأ قلب السيدة بحبه . . عرضت عليه الزواج فقبل . ووقف عمه يخطب في حفل زواجه قائلا :

ـ ان محمداً لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به شرفاً ونبلا . وفضلا وعقلا . وان كان في المال فقيراً فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة .

وأتاح له الزواج فرصة أكبر للتأمل والانفراد والتعبد . .

ومضت به الحياة تزيد نبله رسوخاً وفضله انتشاراً ، كما تزيد في عزلته واغترابه . كان منعزلا بقلبه عن دنيا الصراع المحموم حول ماديات الحياة .

وكان مغترباً بعقله الصافي فوق دوامات الهراء الجماعي والظلام الوثني السائد . وراحت سنه تقترب من الأربعين . .

وبعد ان كان يحس الوحدة وسط الناس ، صار يفضلها بعيداً عن الناس . . ان تأملاته الماضية تباعد بينه وبين قومه .

ويظل دائب البحث حتى يهديه الله الى غار حراء . ويحسّ ان فرحته باكتشاف الغار صادقة .

أخيراً يستطيع ان يخرج من مكة . . يسير أميالا قليلة ثم يبدأ الصعود . . يظل يصعد ويصعد . . كلما ارتقى الجبل انفسح المجال ورق الهواء وانكشف الحجاب وامتدت الرؤية وسقط الحس وبقي حدس النبوات . .

أخيراً يدخل الغار . .

الصمت نائم . . والقلب يقظ ، ولا شيء يعترض الرؤية الداخلية العميقة . . ومع العزلة والسهر تولد الافكار وتنشر أجنحتها وتحلق أولا في فضاء الغار ثم تنطلق . . لا شيء يحدها أو يعوق انطلاقها الحر .

كان يجلس في غار حراء يوماً حين فوجيء بجبريل يقف على باب الغار . . احتضنه الملك وضمه الى صدره بشدة وهو يأمره قائلا :

ـ اقرأ . .

قال محمد بن عبدالله :

ـ ما أنا بقاريء .

يريد أن يقول أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة . . كيف يقرأ اذن ؟

عاد الملك يضمه لصدره ضماً شديداً حتى ظن الرسول أنه الموت ، ثم اطلقه الروح الامين وهو يأمره . . اقرأ . .

وعاد يرد قائلا :

ـ ما أنا بقاريء .

ويعود الملك الكريم لاحتضانه ويعود لامره ان يقرأ . .

ويجيب مرتجفاً :

ـ ماذا أقرأ . . ؟

وتلا جبريل عليه السلام أول آيات في آخر رسالات السماء الى الارض:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم﴾ .

بعدها اختفى الروح الامين كما ظهر فجأة .

أحس الرسول نفس الخوف الذي احسه موسى وهو يستمع الى النداء الاقدس في وادي طوى .ومثلما جرى موسى فزعاً هرع محمد بن عبدالله عائداً الى بيته . .

هبط الى الصحراء وسار عائداً الى بيته وزوجته . جسده يرتجف بعنف . . وثمة احساس بالبرد والخوف والقلق . . أيكون هذا اتصالا بالجن وعالم الكهانة . أيكون قد خولط فصار يسمع أصواتاً ويرى وجوهاً لا وجود لها في الحقيقة . .

خشي الرسول على نفسه لبغضه للكهانة والكهان . . ودخل بيته يرتجف . . قال لزوجته :

ـ زملوني . . زملوني . .

وبدأت تغطيه بأغطية الصوف وتمسح العرق عن جبينه . . فوجئت زوجته بشحوب وجهه وارتعاشه . . سألها :

ـ أي خديجة ، مالي . .

ثم حدثها الخبر . . وانهى كلامه بقوله لقد خشيت على نفسي .

وأدركت خديجة انها أمام أمر هائل . . أمام بشرى لا تدري كنهها على وجه التحديد . .

بشارة ليس فيها ما يستوجب خوفه على نفسه أو قلقه على عقله . . قالت خديجة رداً على تخوفه :

ـ أبشر . . فوالله لا يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

رغم هذه الكلمات المطمئنة لم يزايل الرسول قلقه . . وانطلقت به خديجة الى ورقة بن نوفل . وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، ويعرف أوراق التوراة والانجيل وكان بصره قد ذهب للشيخوخة .

قالت له خديجة : أي ابن عم . . اسمع من ابن أخيك . .

قال ورقة : يا ابن أخي ما ترى ؟

قص عليه الرسول ـ ﷺ ـ قصته كاملة . .

قال ورقة وهو يرفع وجهاً يضيء بالدهشة :

ـ هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى . . يا ليتني فيها جذع .

أدرك ورقة بن نوفل كعالم . . أنه أمام النبي الذي بشرت به التوراة والانجيل . عاد يقول بعد لحظـــة صمـــت :

ـ ليتني أكون حياً اذ يخرجك قومك .

تساءل الرسول :

ـ أو مخرجي هم ؟

قال : نعم ، لم يأت رجل بمثل ما جئت به الآ عودي . وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً .

انتهى الامر وبدأ بعث الاسلام .

نفذت مشيئة الله تعالى وتم اختيار آخر أنبياء الله في الارض وأول المسلمين .

جاء الاسلام رسالة عالمية وانسانية خالدة . ليست مقصورة على العرب دون العجم . وليست مقصورة على قبيلة أو شعب أو أرض أو زمان . انما هي لكل انسان . بتحديد أكثر . .

هي دعوة للعقل الانساني . . اينما كان وحيثما كان . . بلا قيد على المكان أو على الزمان . . هذه العالمية لم تكن شيئاً معروفاً في الرسالات الآلهية القديمة ، كانت كل رسالة توجه لشعب معين ، في زمن معين .

ولهذا السبب كانت المعجزات الباهرة الوقتية تسند الرسالات القديمة . فلما جاء الاسلام دعـوة للعقل الإنساني بالانطلاق ، لم يعد هناك مبرر للمعجزات الباهرة ، تكفي كلمة واحدة لتبدأ دعوة العقل الانساني الى المأدبة . . تكفي كلمة (اقرأ) .

ولتكن هذه القراءة باسم الله . . باسم ربك الذي خلق . . خلق الانسان من علق . .

تأمل بداية النشأة وذروة الوصول . . هنا تكمن المعجزة الحقيقية ان كنت تبحث عن معجزة

حقيقية.. اقرأ وربك الاكرم.. هو الاكرم الذي أنعم ابتداء بالخلق والرزق، وحف انتهاء بالرحمة واللطف، وهو الاكرم الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم.

هذا هو الاسلام في جوهره.. دعوة الى القراءة. وهي دعوة تؤدي بالضرورة الى العلم. يقول الله تعالى في سورة (فاطر):

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وخشية الله لا تنبع الآ من العلم، يستحيل ان يلد الجهل بأي صورة من صوره أي خشية من أي نوع. والعلم في الاسلام اذن ضرورة اساسية.. وليس ترفاً أو حلية.. ولقد عزّ المسلمون وحكموا الارض يوم فهموا الاسلام على حقيقته.. فلما سقط منهم هذا الفهم عادوا الى أسوأ ما كانوا عليه في الجاهلية.. عادوا لا يملكون من أمورهم شيئاً.. فضلاً عن أمور العالم.

والعلم في الاسلام هدف أصيل في خلق الوجود.

﴿وما خلقت الجن والإنس الآ ليعبدون﴾..

كيف نفهمها اليوم.. وكيف فهمها الجيل الاول من المسلمين أصحاب الرسول واتباعه وجنوده؟ نفهمها اليوم فهماً سطحياً فنعتقد أن كلمة (ليعبدون) تعني طقوس العبادة، ورسومها الظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، والصلاة والصوم والحج والزكاة.. ولا بأس ان يكون المصلون الصائمون مستعبدين في أوطانهم، محتلين في ديارهم، يعيشون عالة على أفكار الغرب وصناعاته؛ ويتسولون علومه وفنونه؛ ويستهلكون منتجاته ولا ينتجون شيئاً. لا يوجهون مصير الحياة لخير، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، شأنهم شأن ريشة تلعب بها الامواج.

أما الفهم القديم الأصيل للكلمة.. فكان التالي: ﴿وما خلقت الجن والأنس الآ ليعبدون﴾..

قرأها ابن عباس.. الآ ليعرفون.

تأمل أنت خطورة الفارق بين طقوس العبادة وشكلياتها، وعمقها البعيد في المعرفة التي تؤدي لخشية الله.

كان المسلم الاول يؤمن ان الله خلقه ليعرف.. وكان طموح المسلمين الاوائل مثيراً للدهشة. لقد انطلقوا لتحرير العالم كله.. يد تمسك القرآن، ويد تمسك السيف لتحطيم الأغلال، اغلال الراسفين بالأغلال.

ثم سقط من الاسلام جوهر العلم فسقط من المسلمين مقعدهم في قيادة الحياة وتوجيهها وعادوا لذيل القافلة البشرية.

جاء الاسلام يدعو الى القراءة والعلم وخشية الله وعبادته وتوحيده.. واذا كان العلم هو أول جناح في الاسلام.. فان الجناح الثاني هو الحرية.

اعلن رسول الله أن لا اله الآ الله.. لا معبود سوى الله.

وتعني هذه الدعوة ببساطة سقوط الآلهة التي تحكم الارض جميعاً.. سواء أكانت آلهة من

المصالح الخاصة، أم من الثراء، أو الملوك، أو الحكام، أو المفاهيم السائدة أو قيم الآباء والاجداد أو الاصنام الحجرية والخشبية . . الى آخر سلسلة الآلهة المدعاة والكاذبة .

يخطىء من يتصور ان (لا اله الآ الله) في الاسلام . . هي مجرد كلمة يتمتم بها المسلم وكل شيء حوله في الحياة يكذب تمتمته .

ان (لا اله الآ الله) . . في الاسلام . . صراع عظيم مع قوى الظلام في النفس . .

صراع اذا انتهى باسلام النفس . . انتقل الصراع الى الحياة أشد قسوة وعنفاً حتى تسلم الحياة . . ويستحيل ان يقع الصراع الآ اذا توافرت الحرية . . حرية العقل في الشك والرفض، وحريته التي تنتهي به الى ادراك حدوده ومقدرته، وحريته التي تسمو به الى ايمان عميق ثابت، ومسؤوليته عن حريته . . وهي مسؤولية تعني ان عليه ان يحمل السلاح ليحرر الآخرين مثلما حرر نفسه . . هذا هو الاسلام في جوهره . علم يقوم على الحرية . ومسؤولية تتبع الحرية، وثمرة أخيرة هي التوحيد في عمقه البعيد .

اذاً فهم التوحيد على حقيقته، تحرر الانسان من عبوديته لغير الله، وتحرر الانسان من خوف الموت وهمّ الرزق . وتحرر الانسان من شح النفس ورعب الايام القادمة .

جاء محمد بن عبدالله - ﷺ - ليعلن ان الله هو المعبود بحق . . وان الناس جميعاً عبيده . وبتحرير الناس من عبوديتهم للناس، تبدأ الحرية الحقيقية .

أعلن الرسول ان الموت انتقال من دار الى دار . ليس نهاية صامتة غامضة لحياة غير مفهومة . . انما هو انتقال . . وخشية الموت لا تنجي من الموت . . والحرص على الحياة لا يطيل الاجل، فلكل اجل كتاب . وإذن تصبح الشجاعة عنصراً من عناصر الشخصية الاسلامية ونسيجاً من نسيج خلايا جسم المسلم . أعلن الرسول ان الرزق في الدنيا مضمون . قال الله تعالى: ﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ . . السعي الى الرزق واجب المسلم، والثقة في كرم الله على المسلم ان يؤمن به . قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ ولقد ضمن الله تعالى رزق الدنيا، وأمر بالسعي نحو رزق آخر . وقال تعالى عن الامة الاسلامية:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ .

تأمل كيف يذكر الله تعالى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الايمان بالله . لتنبيه الأذهان الى أهمية الجهاد في سبيل الله .

ان الآية تعني حمل السلاح للدعوة الى الله . . وقتال الظالمين في الارض .

جاء محمد بن عبدالله في رسالة الاسلام بالامر الالهي بقتال الظالمين . . والدفاع عن المستضعفين من الناس .

هذا جوهر الاسلام كما جاء به محمد . دعوة الى القراءة والعلم والحرية وصراع قوى الظلم .

زهير مارديني

الدولة والبادية الحجازية في مطالع القرن الهجري الأول

بقلم د . ابراهيم بيضون

ثمة حدث بارز في مستهل خلافة أبو بكر، من الصعوبة فصله عن حركة الفتوح، وهو حرب القبائل في الداخل أو ما سمي بالردة، التي كانت بدون شك مقدمة الانتشار العربي الإسلامي الواسع . وإذا كان مصطلحا عدم استخدام تعبير « الفتح » في اطار العمليات العسكرية التي جرت في شبه الجزيرة، باستثناء مكة التي كان لسقوطها أهمية تاريخية، فان الانتصار على القبائل المرتدة، ومنها من كانت لديه قوة المنافسة الجدية في دولة (المدينة) ، يمثل بداية طليعية لحركة الفتح التي بدأت من الداخل قبل انطلاقتها الخارجية وراء الحدود .

وكانت الردة في بعض فصولها قد ظهرت في أواخر أيام النبي[١]، مسهمة بشكل مباشر في حل أزمة الحكم التي كانت تنسج خيوطها آنذاك في (المدينة) ، وذلك بدفعها الاتجاهات السياسية الى تجميد تناقضاتها والتكتل حول الخليفة في وجه الخطر المشترك . فهنالك ايجابيتان من هذا المنظور، تنعكسان مع هذه الحركة على عاصمة الخلافة : الأولى سياسية، أدت الى تسهيل أزمة الحكم في هذه الأخيرة، وتراجع التحرك المفترض للمعارضة . والثانية عسكرية كتجربة رائدة في حرب واسعة النطاق ومتجددة الاساليب، على نحو غير مألوف في الحروب الاقليمية، المحدودة الامكانيات والنتائج .

وليس من السهولة الاحاطة بحجم القوة المقاتلة التي كانت في متناول الخلافة، واذا كانت متكافئة مع خطورة المهمة وتوزع جبهات القتال . ولكن من المرجح أن (المدينة) لم تدفع بالجزء الأكبر من المسلمين الاوائل (الانصار والمهاجرون) ، حيث اقتصرت حسب رواية الزهري على أقل من ثلاثة آلاف مقاتل[٢]، وذلك تحسباً لانفجار داخلي في ظل أوضاع لا تزال غير مستقرة[٣] . وكانت هذه القوة نواة الجيش الذي شاركت فيه القبائل الحجازية بنسب

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٢١٣ - ٢٢٠

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٨١

(٣) المكان نفسه . Choufani AL -RIDDAH, P. 48 - 70

متفاوتة، وفي طليعتها قريش غير المهاجرة وثقيف (ربما في حدود الفين لكل منها) وثلاثة آلاف لمجموع القبائل المقيمة بين مكة والمدينة[٤]. وهذا الرقم تقريبي وغير مستقر على الارجح، حيث طرأ عليه ارتفاع بعد اندلاع الحرب وتعدد الجبهات. وكان الاسلوب القتالي الذي استخدم في ملاحقة القبائل المرتدة، هو نفسه المتبع في معارك الفتوح في وقت لاحق، بعد أن أصبح تقليداً عسكرياً خاصاً لدى العرب المسلمين.

وكانت «ذي القصة» وهي هضبة بالقرب من (المدينة)[٥]، مركز العمليات الحربية، بعد اخضاع وصف بأنه «أول الفتح»[٦]. ويبدو أن للتعبير دلالة النصر، الذي جاءت بواكيره الأولى ضد القبائل المتاخمة لعاصمة الخلافة (عبس ذبيان وسليم...)[٧]، التي اتخذت محور تمردها هذه المنطقة، حيث اتخذ الفتح، كمفهوم عسكري بعداً آخر يتعدى خضوع هذا الموقع غير المحصّن. ومن «ذي القّصة» خرج خالد بن الوليد القائد العام لجيش الخلافة، بألويته الاحدى عشر، مستهدفا مراكز التمرد الأكثر خطورة، قبل توزيع قواته في معارك جانبية على أطراف شبه الجزيرة - (اليمن، حضرموت، البحرين)[٨]. وفي أقل من عام، كانت لديه القدرة، من خلال قيادة موحدة وجبهة متماسكة، على تحقيق مهمته الصعبة، بالقضاء على هذه الحركة الخطيرة وتصفية جيوب المتمردين.

ولقد اختلف المؤرخون في تقويم هذه الحركة وتفسير دوافعها الرئيسية.. فثمة من رأى فيها ابعاداً داخلية تتمحور حول علاقة القبائل بالمدينة، كأن تكون ثورة على الزكاة أو على «ملكية» قريش، حيث لم تألف هذا النمط من الالتزام المركزي بالسلطة، أو تكون احتجاجا على قرار (السقيفة)، الذي لم تشارك فيه، ولكن فرض عليها، كما فرضت العقيدة قبل ان يختمر لديها الإيمان والاقتناع، فظلّت هامشية التأثير في مواقفها وحياتها الاجتماعية. وثمة من جعل لهذه الحركة، امتدادا خارجيا، حيث القوى السياسية المتضررة من قيام دولة جديدة في المنطقة، أسهمت في تحريض هذه القبائل بشكل أو بآخر[٩].

على أن تواتر الدوافع المحركة لثورة القبائل، لا يتجاوز تساؤلات أخرى قد يكون لها من الموضوعية نصيب. ولعل التوقيت الذي بدا وكأنه غير عفوي في مرحلة انتقال ليست عادية، لم يفرض حتمية جبهوية أو قضية مشتركة للقبائل المتمردة. فهل تأثرت هذه الحركة بخطوط القوافل، التي يفترض أنها خضعت للتعديل مع انتقال النشاط التجاري ومركزية المواصلات

---

(٤) الطبري ج ٣ ص ٢٢٥. راجع بحث، خالد بن الوليد لطه الهاشمي. مجلة الرسالة، عدد ٦٦، ص ١٦٥٤، ١٩٣٤.

(٥) خليفة بن خياط ج ١ ص ٨٠.

(٦) الطبري ج ٣ ص ٢٢٤.

(٧) خليفة بن خياط ج ١ ص ٨٢.

(٨) الطبري ج ٣ ص ٢٢٥.

(٩) عبد الحميد بخيت: عصر الراشدين ص ٧٠ وما بعدها.

الى العاصمة؟. وقد لا يتنافى البعد الجغرافي للحركة مع هذا الاتجاه، حيث انفجرت في مراكز تجارية حساسة، كاليمامة (حنيفة) والبحرين (بكر)، بما لها من أهمية في تجارة الخليج الفارسي. وربما كانت الاولى التي وصفت بأنها أكثر الوديان « نخيلا وتمرا من سائر الحجاز »[10] معنية بالمتغيرات التي استهدفت « ايلافها » مع قريش، حيث كانت احد المصادر لتموين هذه الأخيرة بالحبوب[11] ويبدو ان تحكم (المدينة) باسعار هذه السلعة، بعد تحول المركز التجاري اليها، وما رافقه من تكاليف اضافية نتيجة لتعديل خط القوافل من مكة الى العاصمة، قد أوجد تخفظا من ادارة هذه الأخيرة التي قيّدت ارباح التجار وهذبت كثيرا من وسائلهم القرشية القديمة[12]..

ولعل فرضية الدافع الاقتصادي بتأثيره الجزئي أو العام، على حركة القبائل، متداخلة مع فرضية أشد وضوحا، تمس مباشرة الخلفية السياسية لثورة القبائل، التي طغت فيها البداوة المتجذرة على سطحية التجربة في الاسلام. ولذلك بدت خارج معركة (السقيفة) وصراع التكتّلات في (المدينة)، الا ما يصيب مصالحها التقليدية ويلحق بها الضرر. واذا كان لها من موقف في هذا السبيل، فهو ضد الاسلام كمضمون جماعي وحضري، متناقض في المبدأ مع فردية القبائل وبداوتها المتغلبة. وكان هذا التصادم قد ظهر بشكل محدود في أعقاب الهجرة[13] التي كانت في ذاتها نمطا متطورا من الاستقرار غير مألوف لدى المنظومة البدوية السائدة في شبه الجزيرة. فالرّدة من هذا المنظور، تعني الثورة على (المدينة) كنظام غير متعايش مع نمط الارتحال والغزو وشتى « القيم البدوية »، التي أصبحت تمردا على النظام وخروجا على مبدأ الجماعة، وهما من دعائم الدولة الاساسية.

ومن ناحية اخرى، فان الانتقال السريع في ولاء الجزء الأكبر من القبائل بعيد سقوط مكة، احدث لديها شيئاً من ازدواجية الأنتماء. فقد شعر رؤساؤها باضطراب سيادتهم على جماعاتهم، عندما تحولوا الى جباة للصدقات منها، كوسطاء مع الدولة أو موظفين لديها تستدعيهم عند الحاجة، بعد أن أصبحت محور هذه السيادة. وهذا ما أصاب الزعامة القبلية بضربة شديدة، نتيجة الافراغ من رموزها الأكثر أهمية، وذلك بتدجين رؤساء القبائل وقطع مورد العيش التقليدي، سواء الغزو بالنسبة للفئات الظاعنة، أو ضرائب المرور بالنسبة للفئات النازلة على طرق القوافل، حيث ألغيت بدورها مع الغاء « الايلاف » وانتقال هذا الحق الى (المدينة)[14].

واذا كانت هذه الحركة في جانب سياسي منها، مدفوعة بهذا الاعتبار كردة فعل على تحجيم

---

(١٠) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٨.

(١١) جواد علي: المفصل ج ٧ ص ٣٨.

(١٢) Lammens, la Mècque p. 245

(١٣) روم لاندو: الاسلام والعرب ص ٣٤.

(١٤) الطبري ج ٣ ص ٢٤٣.

البداوة في شبه الجزيرة، فانها في جانب سياسي آخر، لم تكن بعيدة عن تطورات (المدينة) بعد غياب النبي، التي جاءت بأبي بكر الى الخلافة. فثمة من استثنته هذه الأخيرة من موجة الردة ومنحته البراءة بعد مقتله وهو زعيم بني حنظلة التميمي، مالك بن نويرة. فقد لا يكون تحركه الغامض، منفصلا عن موقف خاص من هذه التطورات[١٥] عـوقب عليه بالقتل، ربما وجدنا تفسيراً له في القرار السريع الذي انتهى الى هذه النتيجة، كسابقة متميزة في حرب الردة، حيث سقط خارج نطاق المجابهة المسلحة التي اودت بالاخرين[١٦].

وهكذا فان البداوة كنظام اجتماعي واقتصادي، لم تتعاطف في العمق مع الاسلام الذي توجّه منذ بداياته الى المجتمعات الحضرية في الحجاز، متفاديا الاتصال الجدي بالقبائل البدوية، المرتهنة لمواردها المعيشية غير المستقرة. فقد كانت الكلمة الفاعلة آنذاك للمدن (الجماعة) التي مثلت التيّار المتصاعد في شبه الجزيرة، المتصادم حكما مع تيّار البداوة (الفردية) بقبائلها المتبعثرة. ولم يكن يجمع بينهما أكثر من تعايش مرحلي، فرضته المصالح المشتركة للاتجاهين حيث تضارب كلاهما في الواقع مع الآخر، تحت تأثير تطور الحركة التاريخية، التي جعلت من الاتجاه الحضري، على قلته العددية في مركز التفوق على الاتجاه الآخر، بحيث أصبح ذلك أكثر بلورة ابان السيادة القرشية في مكة والموقف غير الودي الذي تحكم في علاقاتها الضمنية مع البدو[١٧].

ولقد برز التناقض واضحا بين دولة (المدينة) والقبائل المتاخمة لها، بعد تذبذب الموقف البدوي من الاسلام. وكان الاختيار محسوما لدى النبي، الذي رفض مهادنة هذه القبائل المتقلبة حينا والمتآمرة حينا آخر، الا في نطاق الدولة. على أن المجابهة مع البداوة كانت في الوقت نفسه جزءا من الصراع المحوري ضد القوى الوثنية واليهودية المناهضة للدولة. فقد أدّت هزيمة هذه القوى الى تقلّص النظام القبلي وانحسار دائرة الاختيارات المستقبلية امامه، بما في ذلك الحاد، بعد انتصار تيّار على آخر. ولكن العلاقة مع النظام الجديد لم تتعد الولاء لشخصية النبي، انطلاقا من مفهوم الارتباط المعنوي بشيخ القبيلة أو سيدها المطاع، في ظلّ إطار أكثر مركزية.

وبسقوط مكة، آخر خط دفاعي للنظام القبلي، بلغت المجابهة مع الاسلام ذروتها في (حنين)، كنتيجة مباشرة لفتح هذه الأخيرة[١٨] ولم تكن هذه موقعة عادية على هامش الفتح،

---

(١٥) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية ج ١ ص ١٤٩.

(١٦) خليفة بن خياط ج ١ ص ٨٤. الطبري ج ١ ص ٢٤٣.

(١٧) Lammens, La République Marchande de la Mecque: P. 58

(١٨) بدأت هذه المعركة بعد نصف شهر من فتح مكة. تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٥.

ولكنها كانت معركة البداوة بأقوى قبائلها (هوازن، ثقيف)[١٩][لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين][٢٠] ومن هنا كانت مؤشراً الى ركود المعارضة البدوية ضد النبي واعترافها الشكلي بدولته، مقتصرة في تعاطيها مع هذه الأخيرة على الجانب السياسي من الاسلام، بينما المحتوى الديني ظلّ مجهولاً أو كاد ومرتهناً لعلاقة ظرفية مع النبّي مؤسس الدولة ومحورها انطلاقا من هذه الذهنية القبلية.

وكانت وفاة النبي قبل تطور هذه العلاقة من المهادنة الى الاحتواء، تخفي وراءها أزمة أخرى موقوتة غير السقيفة، إنفجرت فيما عرف بحركة الردة بعد شهور قليلة من هذه الأخيرة. وإذا كانت أزمة (الأنصار) في ذلك الوقت محصورة في تحقيق مشاركة متكافئة أو نسبية مع (المهاجرين) في السلطة، فان أزمة القبائل كانت أوسع دائرة في ثورتها على مركزية (المدينة)، المرتبطة معها بحلف مؤقت عبر شخصية النبي. فقد كشفت هذه الحركة سطحية الولاء القبلي للدولة واضطراب وحدتها السياسية، التي كان على الخليفة الأول أن يستعيدها قوية صلبة. وبالفعل فان المجابهة الحقيقية مع البداوة إنتقلت الى أبي بكر، فكانت أولى مهماته الخطيرة، حيث لم يكن اعتراضها عليه إلا رفضاً للاستمرارية في النظام الجديد، المتعارضة مع التأرجح القبلي والنزعة الاستقلالية وما يصب في البعد السياسي الرئيسي لحركة الردة. فكأن ما قاله (الحطيئة) في خلافة أبي بكر، يعبّر عن مضمون العلاقة بين البداوة المتزعزعة والدولة الصاعدة المستمرة:

أطعنا رسول الله مذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكرا اذا مات بعده ... فتلك لعمرو الله قاصمة الظهر؟
ابوا غير ضرب يجثم الهام وسطه ... وطعن كأفواه المزققة الحمر
فقوموا ولا تعطوا اللئام مقاده ... وقوموا وإن كان القيام على الجمر[٢١]

وقد يحمل قول الحطيئة، على عفوية أو قصد، صوت البداوة المتحركة بأقوى قبائلها في شبه الجزيرة العربية فكان وضوح السيادة القرشية الجديدة عشية وفاة النبي وانتقال الارث العظيم الى خليفته أبي بكر، أحد حوافز هذا التمرد الذي استهدف الانتماء القرشي في الخليفة، قبل انتمائه الاسلامي. ذلك إن هذه القبائل التي «تآلفت» من قبل مع مكة في نطاق مصالح متبادلة، دون

---

(١٩) المكان نفسه ج ٣ ص ١٢٥.
(٢٠) سورة التوبة الآية رقم ٢٥ و٢٦.
(٢١) ديوان الحطيئة، شرح أبو الحسن السكري ص ٧١ - ٧٢

ثمة هيمنة سياسية مباشرة، رفضت تحوّل هذه العلاقة الى تبعية إلزامية مصحوبة بالزكاة، واجدة فيها اتاوة قرشية أكثر منها ضريبة يقررها الولاء للدولة[٢٢].

ومن هنا فان خطورة هذه الحركة، كونها تمثل في المحتوى السياسي الغالب، أحد أهم فصول السقيفة التي انعطفت بالخلافة نحو تحدّيات مصيرية، كانت في طليعتها حركة الردّة. على أن كفاءة الخليفة القوي وتفوق الأداة العسكرية الخارجة من تجربة فذّة مع النبي، فضلاً عن صلابة الجبهة السياسية في (المدينة).. كل ذلك تظافر معاً في التصدّي لهذه المحنة وتذليل اول محاولة تستهدف وحدة الدولة في نطاق حرب مسلحة. كما تراجعت البداوة كتيّار «متغلب» في شبه الجزيرة، لتصبح أكثر التزاماً بالواقع الذي تمردت عليه، عندما أخذ بريق المدن المزدهرة، يجتذب تلك القبائل وتستأثر بحماستها الفتوح، حتى غدت مادتها الفاعلة منذ بدايات العقد الثاني للهجرة.

ابراهيم بيضون

---

(٢٢) ظهرت بوادر التملص من الزكاة في أواخر أيام النبي. وقد ورد في تاريخ الطبري أن وفوداً من العرب «يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة» جاءت اليه «فلم يقبل ذلك منهم» ج ٣ ص ٢٢٦.

السر العجيب

لقد حار المؤرخون من الغربيين والمستغربين في فهم السر العجيب الذي حول هذه الأمة من رعاة غنم، إلى رعاة أمم.. ومن قبائل بداوة إلى أمة حضارة.. وهيأ لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتح لها باب السيادة على معظم الدنيا القديمة في عشرات من السنين لا عشرات من القرون!!

ولكن العارفين لا يدهشون ولا يحارون، فالسرّ معروف، والسبب معلوم. إن مردّه هو ـ إكسير ـ الإيمان الذي صبه محمد (ﷺ) في نفوس أصحابه فنقلهم من حال إلى حال، من وثنية إلى توحيد، ومن جاهلية إلى إسلام.

* * * *

الله يُعرف من آثاره

سأل أحدهم أعرابياً كيف يؤمن بالله وهو لا يراه فأجابه الأعرابي: البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرضٌ ذات فجاج ألا تدلان على الواحد القدير؟



صيدا في الماضي
تجارتها وحركة مينائها في أواخر العهد العثماني..

بقلم د . طلال المجذوب



عُرفت صيدا بموقعها التجاري الهام على شاطىء البحر الابيض المتوسط، كما عُرف اهلها، منذ القديم بنشاطهم التجاري خصوصاً عبر البحر الى جزائر المتوسط وبلدانه والى المحيطات الواسعة. وعرفت المدينة ازدهاراً اقتصادياً وحركة تجارية نشطة احياناً، كما عرفت انحطاطاً اقتصاديا وجموداً في الحركة التجارية احياناً اخرى. وفي أواخر القرن الثامن عشر اخذت تجارة صيدا بالتقهقر واستمرت كذلك مع بداية القرن التاسع عشر، بينما اخذت بيروت تحتل مكانة صيدا التجارية تدريجياً.

اذ منذ ١٨٠٨ اخذت صيدا تصدر اقمشتها الحريرية والكتانية عن طريق ميناء بيروت، بعد ان كانت تصدرها من مينائها مباشرة. وفي سنة ١٨٣٣ اصبحت تجارة دمشق مع بيروت تعادل تجارتها مع صيدا وصور وعكا معاً. وازدادت أهمية بيروت بعد انشاء منارتها (١٨٦٢) وكانت اول منارة على الساحل السوري، وانشاء مينائها الحديث (سنة ١٨٩٣).

ورغم تدهور وضع ميناء صيدا التجاري، إلا أنها احتفظت بعلاقة تجارية مميزة مع دمشق لسهولة اتصالها بها، وعدم انقطاع الطريق شتاءاً، كما هو الحال بالنسبة لطريق بيروت ـ دمشق. بالاضافة الى أن المدن والمناطق المجاورة لم ترَ في بيروت بديلاً من صيدا، وظلت تستخدم ميناءها كمركز شحن وتوضيب لبضائعها المصدرة لأوربا، بالاضافة الى استمرار سكان تلك المناطق بشراء حاجاتهم من سوق صيدا لرخص اسعارها عن بيروت[٢].

---

١ ـ علي الحسني: تاريخ سوريا الاقتصادي، دمشق، ١٣٤٢ هـ . ص ١٩٩ .
٢ ـ توما كبال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص ١٧٤ .

تعاملت صيدا تجارياً مع معظم موانيء الساحل السوري (بيروت وطرابلس واللاذقية وصور وعكا وحيفا-ويافا) ومع الداخل (دمشق وحلب وجبل لبنان) ومع موانيء مصر (دمياط والاسكندرية) ومع ازمير واسطنبول، وقبرص والجزر اليونانية. كذلك ارتبطت مع اوربا بطريق مباشر او عن طريق ميناء بيروت، فمثلاً في سنة ١٩٠٨ كانت اربع مراكب مشحونة خرّوباً مبحرة من صيدا الى صور لإفراغ حمولتها في الباخرة الانجليزية «امستردام» الراسية في ميناء صور، لكن عاصفة واجهتها قرب شاطيء عدلون فغرقت احداها بحمولتها[٣].

ومن الموانيء التي كانت لها صلة تجارية بصيدا كذلك، إما مباشرة أو عن طريق ميناء بيروت موانيء بنغازي وطرابلس (على الساحل الليبي) ومرسيليا (في فرنسا) وليفربول ولندن (في انجلترا) واوديسا (على ساحل البحر الاسود). ومن احصائية لحركة ميناء صيدا التجارية يتبين ان وارداتها لسنة ١٨٦٢ كانت:

من بيروت	جلود	٢٨٠٠ كلغ	بقيمة ٨ الف فرنك
	قهوة	ـ	بقيمة ١٠ الف فرنك
	سكر[٤]	ـ	بقيمة ٢٠ الف فرنك
	ملح	ـ	بقيمة ٢٥ الف فرنك
	نيلة	ـ	بقيمة ١١٠ الف فرنك
	خام	ـ	بقيمة ٢٠٠ الف فرنك
	قطن	١٢٠٠ بقجة	بقيمة ٢٠ الف فرنك
	طرابيش	٩٠٠ دزينة	بقيمة ٢٠ الف فرنك
	سلع مختلفة	ـ	بقيمة ٢٠٠ الف فرنك
من صور	سلع مختلفة		بقيمة ٥ آلاف فرنك
من عكا	حنطة		بقيمة ٤٠ ألف فرنك
	سلع مختلفة		بقيمة ٣٠ الف فرنك
من يافا	سلع مختلفة		بقيمة ١٥ الف فرنك
من طرابلس	حنطة		بقيمة ٣٠ الف فرنك
	سلع مختلفة		بقيمة ٢٠ الف فرنك
من حلب	سلع مختلفة		بقيمة ١٠ آلاف فرنك
من دمشق	سلع مختلفة		بقيمة ٧٠ الف فرنك
من قبرص	ملح		بقيمة ٧٠ الف فرنك

٣ ـ الاقبال، العدد ٢٢٩ في ٦ كانون الثاني ١٩٠٨.

٤ ـ كان السكر المستورد أنواعاً فمنه السكر «الدرس الناعم» وسكر «الشقف» وسكر «القوالب».

	سلع مختلفة	بقيمة ٥٠ الف فرنك
من الجزر اليونانية	سلع مختلفة	بقيمة ٥٠ الف فرنك
من مصر	أرز[٥]	٧٥٦ الف كيلو بقيمة ٢٨٠ الف فرنك
	قهوة	بقيمة ١٥ الف فرنك
	ملح	بقيمة ٣٠ الف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٢٥٠ الف فرنك
من بلدان مختلفة	سلع مختلفة	بقيمة ١١٧ الف فرنك

أما صادرات صيدا للسنة نفسها (١٨٦٢) فكانت كما يلي :

الى بيروت	حرير	بقيمة ٣٥ ألف فرنك
	موز	بقيمة ٥ آلاف فرنك
	زيت	بقيمة ١٠ آلاف فرنك
	مشمش	بقيمة ألف فرنك
	شرانق حرير	بقيمة ٢١٠ آلاف فرنك
	قمح	بقيمة ٨ آلاف فرنك
	جلود	بقيمة ٣ آلاف فرنك
	برتقال	بقيمة ١٥ ألف فرنك
	ليمون حامض	بقيمة ٧ آلاف فرنك
	تين مجفف	بقيمة الف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٢٠ الف فرنك
الى صور	حرير	بقيمة الفي فرنك
	جلود	بقيمة الف وخمسمائة فرنك
	برتقال	بقيمة الف وخمسمائة فرنك
	موز	بقيمة ٥٠٠ فرنك
	مشمش	بقيمة ١٥٠٠ فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٥ آلاف فرنك
الى عكا	حرير	بقيمة ٣ آلاف فرنك
	جلود	بقيمة ١٥٠٠ فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة الفي فرنك
الى جبل لبنان	حرير	بقيمة ٥ آلاف فرنك

---

٥ ـ كان الارز المستهلك في صيدا أنواعاً منها ارز الذواقي المخصوص (وهو اجودها) ثم عين البنت والفيومي والرشدي والجابوني والتجاري وكذلك الأنجليزي .

	برتقال	بقيمة ١٠ آلاف فرنك
	ليمون حامض	بقيمة الفي فرنك
	موز	بقيمة ٥٠٠ فرنك
	مشمش	بقيمة ١٠ آلاف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٢٥ ألف فرنك
الى يافا	حرير	بقيمة ٤ آلاف فرنك
	جلود	بقيمة ١٥٠٠ فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٥ آلاف فرنك
الى دمشق	حرير	بقيمة ١٥ الف فرنك
	برتقال	بقيمة ٨ آلاف فرنك
	ليمون حامض	بقيمة ٥ آلاف فرنك
	موز	بقيمة الف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ١٥ الف فرنك
الى حلب	حرير	بقيمة ٥ آلاف فرنك
	جلود	بقيمة ١٢٥٠٠ فرنك
	موز	بقيمة ٩٥٠٠ فرنك
الى القاهرة	حرير	بقيمة ٤٠ الف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٢٠ الف فرنك
الى الاسكندرية	حرير	بقيمة ٢٥ الف فرنك
	جلود	بقيمة الفي فرنك
	مشمش	بقيمة ٥٠٠ فرنك
	تين مجفف	بقيمة الفي فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ٢٠ الف فرنك
الى دمياط	حرير	بقيمة ١٠ آلاف فرنك
	جلود	بقيمة الفي فرنك
	مشمش	بقيمة ٥٠٠ فرنك
	تين مجفف	بقيمة ٣ آلاف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ١٥ الف فرنك
الى اللاذقية	حرير	بقيمة ١٠ آلاف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ١٠ آلاف فرنك
الى اسطنبول	حرير	بقيمة ٢٢ الف فرنك
	موز	بقيمة الفي فرنك

الى الجزر اليونانية	حرير	بقيمة ٩ آلاف فرنك
	برتقال	بقيمة ٤ آلاف فرنك
	ليمون حامض	بقيمة ١٥ الف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ١٥ الف فرنك
الى قبرص	حرير	بقيمة ٤ آلاف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة ١٠ ألف فرنك[٦]

ومن أرقام الصادرات والواردات يمكن تحديد النقاط الرئيسية التالية:

١- مجموع واردات صيدا (١,٨٩٩ ألف فرنك) يفوق صادراتها (٧٢٣,٥ الف فرنك) بحوالي مليون ومائتي الف فرنك.

٢ - إن استيراد صيدا كان بالدرجة الاولى من بيروت (٨٣٧ الف فرنك) ثم مصر (٥٧٥ الف فرنك) ثم قبرص بالدرجة الثالثة (١٢٠ الف فرنك)

لكن يجب ملاحظة ان معظم البضائع التي استوردتها صيدا من بيروت هي بضائع اجنبية المنشأ كانت بيروت قد استوردتها.

٣ - إن أبرز واردات صيدا هي القهوة والملح والسكر والحنطة والارز والنيلة والجلود والقطن والخام والطرابيش

٤ - إن صادرات صيدا كانت بالدرجة الأولى الى بيروت (٣١٥ الف فرنك) ثم الى مصر (١٤٠ الف فرنك) ثم جبل لبنان (٤٩٥٠٠ فرنك) فدمشق (٤٤ الف فرنك) لكن يجدر الذكر هنا ايضا إن معظم صادرات صيدا الى بيروت ليست لاستهلاك اهل بيروت، ولكنها برسم التصدير للخارج.

٥ - إن أبرز صادرات صيدا هي: الحرير، الموز، المشمش، البرتقال والليمون الحامض، وشرانق الحرير والتين المجفف والجلود والزيت.

وفي السنة نفسها كان عدد السفن التي أمّت ميناء صيدا ١٢٨٦ مركباً حملت ٢٧٨٩٨ طناً من البضائع المختلفة. وفي سنة ١٨٦٦ صدرت صيدا عن طريق الميناء تبغاً وحرير مشاقة وقطناً، وتيناً مجففاً وصابوناً وجلوداً قيمتها جميعها ٨,٣٩٠,٥٠٠ فرنك، وكان مجموع حمولة السفن في ميناء صيدا ٥١٥٠ طناً، ولا شك إن هذه الأرقام لا تصور صادرات وواردات صيدا تماماً، لأن كمية لا بأس بها من صادراتها ووارداتها كانت تأتي براً ولا تدخل ضمن هذه الأرقام[٧].

٦ - تقرير القنصل الاميركي العام في بيروت عن حركة التجارة في ميناء صيدا لسنة ١٨٦٢ برقم ت / ٣٦٧ جـ ٤

٧ - رسالة شبلي ابيلا في ٢٥ تموز ١٨٦٧ ملحقة برسالة القنصل الاميركي العام في بيروت في ٢ آب ١٨٦٧ رقم ت / ٣٦٧ جـ ٦.

ويستفاد من التقارير القنصلية ان استهلاك صيدا من النفط الاميركي قد ازداد كثيراً منذ سنة ١٨٨٠ وكان سعر صندوق الكاز الامريكي ستين قرشاً ولا شك إن ازدياد استعمال الكاز في الاستعمال المنزلي وفي الاضاءة مؤشر على تحسن أو ترقي في أوضاع صيدا، وفي أوائل القرن العشرين كان الحاج رجب الجبيلي وأولاده وأحمد النقيب وعلي الكشتبان أكبر مستوردي الكاز في صيدا، ففي سنة ١٩١٠ استورد رجب الجبيلي خمسة آلاف صندوق كاز، وفي سنة ١٩١٣، استورد أحمد النقيب وعلي الكشتبان الكاز من روسيا وبلغ ١٥٠٠ صندوق، وبموجب القوانين لم يكن مسموحاً لأي تاجر أن يضع في محله أكثر من ستة صناديق ويضع الباقي في المستودع (كازخانة) الذي انشأته البلدية لمصلحة تجار المدينة خوفاً من نشوب الحرائق.

كما استوردت كميات كبيرة من الخشب الأميركي لاستهلاك معامل الخشب في صيدا التي تصنع صناديق لتعبئة الخمّر (القار) الذي يصدر الى فرنسا والحمضيات التي تصدر الى أوديسا. أما في مجال الصادرات لهذه السنة فقد نشط تصدير الشرانق (الى فرنسا) والتبغ (الى مصر)[٨].

وفي سنة ١٨٨٤ صدرت صيدا كميات كبيرة من البرتقال والليمون الى أوديسا، وظلت علاقتها التجارية مع امريكا بواسطة ميناء بيروت. ويستفاد من التقاليد القنصلية أن السفن البريطانية العاملة على البخار بدأت ترسو في ميناء صيدا بأعداد كبيرة منذ سنة ١٨٨٣ اذ دخلته في هذه السنة ١٤ باخرة بريطانية بمجموع حمولتها ٧٥٠٣ اطنان[٩]، وعلى ما يبدو فإن بريطانيا وقد احتلت مصر (١٨٨٢) عملت على تنشيط تجارتها وبالتالي زيادة نفوذها في بلاد الشام منذ تلك السنة (١٨٨٣).

ومنذ مطلع القرن العشرين اخذت حركة صيدا التجارية تزدهر وتزداد خصوصاً منذ سنة ١٩٠٥، حيث اتسعت تجارة الأقمشة، بازدياد عدد محلات بيعها، وكذلك الى ازدياد إقبال أهالي المناطق المجاورة على التسوّق من صيدا توفيراً لمصاريف الإنتقال الى بيروت ونظراً الى رخص الأسعار في صيدا عنها في بيروت، بالاضافة الى أن التجار الصيداويين اخذوا يجلبون كثيراً من السلع التي كانت متوفرة في بيروت فقط، حيث استوردوا الرز والكاز والسكر والجلود والبن والفستق مباشرة من بلدانها، دون وساطة بيروت، مما جعل اسعارها تقل عن أسعار مثيلتها في بيروت.

وفي أوائل القرن العشرين تبين لنا سنة ١٩٠٥ مثلاً، مقدار صادرات صيدا ووارداتها:

---

٨ ـ تقرير القنصل الاميركي العام في بيروت John Edgar رقم ١٩٠ وتاريخ ١٥/١٠/١٨٨٠ برقم ت/٣٦٧ جـ ١٤

٩ ـ تقرير القنصل البريطاني العام في بيروت Eldridge للسفير في اسطنبول Earl of Dufferin في ٢١ آذار ١٨٨٤ وفي Public Record Office برقم ف. ر ١٩٥/١٧٢٣.

فالواردات مثلاً كانت :

كاز	٢٣ الف صندوق	من باطوم (على البحر الاسود)
	٧٥٠٠ صندوق	من امريكا
سكر	١٢ الف كيس	من الاسكندرية
ارز انجليزي	١٤ الف كيس	من الاسكندرية
أرز رشيدي	٢٢ الف قفّة	من رشيد
ملح	٢٢٩٤٥٠٠ كيلو	من بنغازي
طحين	١٢١٥ كيساً	من بيروت والشام وصامسون .
حبوب	١٠٠ الف كيله	من صفد وعكا وحيفا .
	١٧٥ الف كيله	من الشقيف وبلاد بشارة والجديدة وحاصبيا .
حُصُر	١٠ آلاف حصيرة	من الاسكندرية .
فستق العبيد	٨٠٠ كيس	بطريق الاسكندرية .
خشب	حمولة ٥٠ فاكون	من الأناضول .
جلود	٥٠ بالة	من الاسكندرية .
أكياس	١٠ آلاف كيس	بطريق الاسكندرية
جبن عكاوي	٨٠٠ سحارة	من عكا وحيفا
نيلة	٣٢٥٠ كيلو	بطريق بيروت
تنباك	بقيمة ٢٥ الف ليرة عثمانية	غير محدد
تبغ	بقيمة ٢٦٠٠ الف ليرة عثمانية	غير محدد
بصل	٢٥٢٧٢٠ كيلو	من طرابلس وقبرص
بن	١٤ الف كيلو	من عدن

أما أهم الصادرات للسنة نفسها فكانت :

شرانق	٩٥ الف كيلو	الى لبنان
شرانق	١٤٠ الف كيلو	بطريق ميناء صيدا
فول وحلبة	٦٤٣٠٠ كيلو	الى ليفربول ومرسيليا
تين مجفف	٧٢ الف كيلو	الى الاسكندرية
زيت	٤٨ الف كيلو	الى الاسكندرية
زيتون	١٦٨٠٠ كيلو	الى الاسكندرية
زبيب	٢٤ الف كيلو	الى الاسكندرية
ماء الزهر	٦ آلاف كيلو	الى سوريا ومصر واسطنبول
أكيدنيا	٣ آلاف سحارة	الى بيروت ولبنان وطرابلس



تبغ	٦٠٠ كيس	الى الاسكندرية
رمان	٧٥٠ قنطاراً	الى بيروت ومصر
جوز	بقيمة ٣ آلاف ليرة	الى بيروت
بيض	٤٠ الف بيضة	الى الاسكندرية
بيض	٤٠٠,٦٠٠ بيضة (من قضاء صيدا)	الى بيروت
دجاج	٧٥ ألف طير (من قضاء صيدا)	الى بيروت

حضيات يصدر منها في أوقات الموسم ١٥ الف حبة يوميا الى بيروت ولبنان وسوريا

و ٤٦ الف صندوق	الى اسطنبول واوربا
و ١٤ الف صندوق	الى ليفربول بانجلترا
وكمية غير محددة بواسطة المراكب الصغيرة	الى الاسكندرية

وكانت قد دخلت ميناء صيدا في تلك السنة عينها (١٩٠٥) نحو ١٦٥ باخرة حمولتها ٣٨٨٦٠ طناً و ٧٣٨ مركباً شراعياً حمولته ١٠٦٩٦ طناً[١٠].

تبين من الارقام السابقة إن الصادرات والواردات كانت بكميات كبيرة وإن البضائع كانت متنوعة، مما يبرز نشاط الحركة التجارية في هذه الفترة، خصوصاً إن علاقات صيدا التجارية مع القرى والمناطق المجاورة لها كانت نشطة وبازدياد، فكانت حاصبيا وراشيا وجديدة مرجعيون ترسل القمح والشعير والسمن والصوف والشعر، وبلاد بشارة ترسل عبرها الفحم والقمح والعدس وأصناف الحبوب والدجاج والبيض. كما كانت حيفا وعكا تتاجر بالجبن المعروف بالعكاوي وكانت النبطية ترسل اليها كل ما كان يفيض من قمح بعد انتهاء سوقها الاسبوعي يوم الأثنين.

وفي تلك السنة ازدادت كميات الحرير المستخرج في صيدا وكذلك كميات السمك المصاد في مياهها وصدر معظمه الى بيروت، واستمر تعامل صيدا مع البلدان نفسها تقريباً حتى نشوب الحرب العالمية الأولى. أما حركة الميناء فكانت في نشاط مستمر، فبلغ مجموع السفن سنة ١٩٠٧ مثلاً ١٠٣٥ حملت ٥٥٤٩١ طناً.

طلال المجذوب

---

١٠ ـ توما كيال: ملاحظات عمومية على تجارة صيدا، المشرق، مجلد ٩، عدد ٤ في ١٥ شباط ١٩٠٦، ص ١٥٨.

الرّفض
وشم على جبين الجنوب

بقلم: جعفر شرف الدين

الجنوب: جرح لبنان المفتوح..
يكتب يومياته.. بدمه يكتب..
في يوم شؤم من آذار هجم التتار..
وصاح في الجنوب. فما صوّح الجنوب
صاح فيه من الجو. فارتاعت الاجواء. وما ارتاع.
وصوّت فيه من البحر. فانداحت امواجه وما انداح..
ونادى فيه من البر. فانصاعت البراري وما انصاع.
وأخذ عليه العدو، آفاق الأرض، وأطراف السماء.
فما سقط.. ولا ركع.. ولا انحنى..



نعم سقط المراهنون على الجنوب. وركعوا.
سقطوا أمام صامد. وركعوا أمام واقف.
وانحنوا أمام قامة الجنوب المنتصبة.
نعم خسيء المراهنون عبر التاريخ وخسروا.
خسروا الرهان، أمام ابي ذر زعيم الرافضة.
يوم ان ردد معه جبل عامل فعل الرفض.
رفض الضلال. واتبع الهدى.
وخسروا أمام حفظة الامانة من بعده.
امام الرجال الابدال. يوم أن رفضوا الضيم.
يوم قالوا للطغاة: لا. فكان «الشهيد الأول»
ذلك الذي ارتفع نعله على تيجانهم..
لحظة رفعوه على الأعواد.
وكذلك ارتفع الشهيد الثاني
حتى تأرجح أخمصه فوق رؤوسهم.



وينطوي الزمن . فتدور على جبل عامل دورة (الجزار)
تفري سكينه الجلود . دون ان تقوى على النفوس .
ويزهق سيفه الاجسام . دون أن يتغلب على الأرواح .
وانبجس نهر الدم يجري ، في سكك جبل عامل ودروبه .
لم تبق هضبة لم تضرج . او صخرة لم تصبغ بالارجوان .
فهذه بلاطة (يارون) لا تزال مضمخة بدم زعيم عاملة
الشيخ ناصيف النصار ، حاكم جبل عامل من آل علي الصغير .
وهذه بيادر (شحور) لا يزال يعبق فيها دم الشيخ حمزة النصّار .
وتابع علماء جبل عامل المسيرة . مسيرة الرفض . ودفعوا جزيته .
فمنهم من استشهد . ومنهم من تعرض لأنواع العذاب . وما بدلوا تبديلا .
وشرد بقية السيف من العلماء والزعماء . .
شرد السيد صالح شرف الدين . السيد محمد الأمين . الشيخ ابراهيم يحيى .
الشيخ قبلان الأسعد . الشيخ محمد الحر . الشيخ علي الزين .
الشيخ علي خاتون .



وارتوت الأرض بملح الأرض . بأكسير الحياة .
وتكسرت النصال على النصال . .
كسرها (الجزار) بالضربة الأوجع والأفجع .
إنها القضاء على الحضارة العلمية في جبل عامل . .
لقد أطعم عدو الله تراث (عاملة) المطبوع والمخطوط للنار .
حتى كانت كتب جبل عامل ومحفوظاته وقودا لأفران عكا .
وهكذا طمس الطاغية عصر (عاملة الذهبي)



ويدور الزمن . فيعشوشب الدم والعرق والدموع .
ويطلع الخلف ليحمل راية السلف .
ليخوضوا معارك الإباء والنخوة والعنفوان .
فمن واقعة (بحيرة الحولة) الى واقعة النبطية وكفررمان .
وكانت معركة (حارة صيدا - الغازية) الثالثة . لا الأخيرة .
استبسل العامليون في أتون هذه المعارك .
تجوهرت اصالتهم في العقيدة والصلابة . أمام التحدي .
تبلور انتماؤهم لربيب خاتم النبيين ووصية أمير المؤمنين .
أمير الرافضين .



ويدور الزمن . فتدور الدائرة على أباطرة العثمانيين .
ويتقاسم العالم تركة الرجل المريض .
لبنان . كان نصيب الفرنسيس .
وجبل عامل . ما هو دوره . إن لم يكن الرفض دوره .
رفض الاحتلال . بكل أسلحة الرفض .
باللسان رفض . ورفض بالبندقية .
رفض الاحتلال بكل أشكاله وألوانه .
سواء ما سمي إنتداباً أو حماية أو وصاية .
رفضه أمام لجنة (كراين) بعثة (ولسن) .
رفضه في مؤتمر وادي الحجير .
بل نادى بالاستقلال التام الناجز
بالوحدة مع سورية العربية
سورية بكامل ابعادها القومية والتاريخية والجغرافية .
بفلسطينها ولبنانها . وبكل ما كان يعرف ببر الشام .
ورفض بنفس الوقت الفتنة التي أوقدها المحتلون .
رفضها وحارب موقديها .
حاربهم في بطون الجبال . ومن على ظهورها .
ودفع ضريبة النضال . تقتيلاً وتشريداً .
قتل من شبابه ، زهورها وعطورها .
ولوحقت قيادته . تحت كل حجر ومدر .
وصبح في بيوتها نهباً وهدماً وحرقاً .
وحكم بالموت على القادة . وكان في طليعتهم . .
السيد عبد الحسين شرف الدين .

ويجثم الانتداب الفرنسي، عشرين عاماً على صدر لبنان .
عانى فيها جبل عامل: القهر والكيد والعذاب .
عانى الغربة على أرضه والحرمان .
ولم يكن حال الجنوب بعد الانتداب أفضل مما قبله .
ونقطة الضعف فيه بنظر المتسلطين هي نقطة قوته .
إنه صعب القياد . لا يهون لدى نفسه . فكيف يهون على السلطة . ينطلق من حقه الصراح .
وتنطلق السلطة من ثقتها بايمانه .
ثقتها بالتزامه الحفاظ على وحدة الأرض .
ووحدة المواطنية . وليكن بعد ذلك ما يكون .
إذن فليصمد الجنوب للمعاناة . ما دام هو لا غيره (ام الولد)

* * *



ويدور الزمن . فتغزوه اسرائيل .
من البحر والبر . ومن الجو تغزوه .
ترشقه بالحديد . بالنار . بالحقد .
رعدت طائراتها . فما ارتعد الجنوب .
ودبت آلياتها على أرضه . فما اندب .
وشقت اليه سفنها البحر . فما انشق .

* * *

نعم في يوم شؤم من آذار . هجم التتار .
ورفضهم الجنوب . نبذهم . لفظهم .
ما ضعف أمام الوعد والوعيد .
بل بقي منتصباً . صامداً . مناضلاً .
بقي ملتزماً بقضيته . قضية الشرف .

* * *

وانكفأ العدو . وبقي الجنوب مكانه .
بقي صامداً . صابراً . محتسباً . .
المجد والخلود للجنوب والجنوبي .
لبقية السلف . وثمالة الخلف .
لبقية السيف . لرافض الباطل والحيف .

جعفر شرف الدين

عدنان مردم . . شاعرا

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي عميد كلية الآداب في أسيوط

- ١ -

عرفت عدنان مردم منذ سنين طوال، في دواوينه الثلاثة التي صدرت له: نجوى (١٩٥٦ - دار المعارف بالقاهرة) - صفحة ذكرى (١٩٦١ - عن الدار نفسها) - عبير من دمشق (١٩٧٠ - بيروت - عويدات)

وقرأت له مسرحياته الشعرية بعد ذلك: غادة أفاميا (١٩٦٧ - بيروت) - العباسة (١٩٦٨) - الملكة زنوبيا (١٩٦٩) - الحلاج (١٩٧١) - رابعة العدوية (١٩٧٢) - مصرع غرناطة (١٩٧٣) - فلسطين الثائرة (١٩٧٤) - فاجعة ميرلنغ (١٩٧٥) - ديوجين الحكيم (١٩٧٧) - وكلها من طبع بيروت.

وبين يديَّ ديوانه الأخير «نفحات شامية» الذي صدر في بيروت عام ١٩٧٩، مضمخاً بعبير الحب للشام، ولمدينته العريقة دمشق، ذات التاريخ الطويل الحافل.

وعدنان مردم بك من أسرة المردميين ذات الماضي العريق في التاريخ والأدب واللغة والشعر وعلوم الدين. وبحسبنا والده خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي بدمشق من قبل، وصاحب الآثار الأدبية الخالدة المشهورة، والذي يكتب عنه صديق لنا رسالة للدكتوراه، وهو «خير الدين كم المازه».

وعدنان مردم من طبقة جيل الرواد في الأدب السوري الحديث من أمثال: أبو ريشة، وأمجد الطرابلسي، وأنور العطار، وزكي المحاسني، وسواهم. وهو شوقي النزعة، ينتمي إلى مدرسة البعث الجديد، ويشبه عزيز أباظة في الشعر المصري المعاصر، وفي اتجاهاته الفنية والأدبية، وموسيقاه الحلوة، وخياله التصويري البديع، شاهدان له على رفعة محلّه في الشعر، وتميزه فيه.

وسأكتفي في هذه الكلمة بالحديث عن ديوانه الأخير «نفحات شامية» الذي يمثل الكلاسيكية الجديدة خير تمثيل بكل خصائصها وسماتها الفنية والفكرية.

«نفحات شامية» يمثل شاعرنا الكبير عدنان مردم بك خير تمثيل، فهو يحمل روحه الوطنية المتأججة، ويحمل طابعه الشعري البديع الجديد، ويحمل موهبته التصويرية الرفيعة الأصيلة، ويحمل منهجه في نظم القصيد وموسيقاه، ويحمل قبل كل شيء فكره وثقافته وطابع فهمه للحياة.

وأبواب الديوان الكبرى هي: الوصف والطبيعة - صور فنية - المعذبون في الأرض - شيء من القلب - تأملات - صور من التاريخ.

١ - فالوصف والطبيعة تسع قصائد جميلة مؤثرة: دمشق التاريخ - الليل من دمشق القديمة - سوق الحميدية - برك الماء في بيوت دمشق - قاسيون في الثلج - وصف ليالي الحسوم - النارجيلة - القرية في الليل - وصف الجفاف والمحل.

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد لنتعرف إليها وإلى الشاعر، ولتكن قصيدته «الليل في دمشق القديمة» بأبياتها الثلاثين. وبموسيقاها الحلوة التي ترجع إلى بحر الخفيف، وبقافيتها الدالية المحدودة، وبخصائصها الفنية المتميزة. القصيدة تدل على ملكة الشاعر الرفيعة في التصوير والوصف والخيال. ويكاد الشاعر يمثل لنا الليل في رهبته وسطوته في دمشق القديمة أروع تمثيل. ودمشق القديمة قد تختلف عن الجديدة في هبوط الليل عليها، فلا شك أنه لقدمها وأطلالها وحاراتها وشوارعها الضيقة، ولأهلها المكافحين أثراً متميزاً بالليل، ومَنْ منا لا يقف مذهولاً أمام روعة الليل في حي الحسين في القاهرة، وهو الحي القاهري الفاطمي القديم، الذي يأخذ بالليل زينته وجماله وبهاءه كأنه عروس تتزين في ليلة زفاف، مما لا نجد شبيهه في ليل القاهرة الجديدة، في أحياء الزمالك أو جاردن سيتي، أو مصر الجديدة، أو مدينة المهندسين مثلاً.

والشاعر يبدأ قصيدته بوصف الظلام، الذي يلقيه الليل على الكون رهيباً ذا سَوْرة وسلطان.

عصف الليلُ في الفضاء البعيد ... بغواشٍ ملءِ البسيطة سود

وترامى في شاسعٍ كعُبابٍ ... تترامى أطباقُه عن وعيد

وقتامُ الظلامِ في كل أفق ... يتراءى كبيرقٍ معقود

نشر الرعبَ في النفوس فجاشت ... خوف رعب أضالعٌ كبنود

وهو هنا يمثل رهبة الليل وسطوته، وحلوله على الكون، وكأنه البحر اللجيُّ، تثور أمواجه بوعيدها وتهديدها، وسواد الظلام يبدو في كل أفق ظاهراً مرفوعاً، وكأنه القَلَمُ المرفوع، والراية المعقودة

ثم يعود الشاعر إلى دمشق التي لا تهرم أبداً، ولا تعرف في الليل الرهيب غير الوداعة والسكون والمهادنة

واستكانت دمشق تحت جناح ... لظلام على الورى ممدود

نعمــــت دونــــه دمشـــــق بقـــــي:
مـــن ظلال، واستسلمـــت للهجـــود
مـــن رآهـــا في غمـــرةٍ حين ألقـــت
بـــــذراعٍ على التراب، وجيــــد
خــــالها الرّود أطبقـــت بجفـــون
لمنــــــــام على سرابِ الوعـــــــود

إلى أن يقول:

وتـــراءت دمشـــق خلـــف نقـــاب
مـــن جلال لغـــابـــرٍ مـــن حـــدود
جثمـــت كـــالقضـــاء مـــا تـــمّ ريـــبٌ
وهـــي تـــرنـــو بمقلـــة لبعيـــد

فدمشق تستسلم للسكون في الليل، وتنام ملء جفونها، كأنها الغادة الهيفاء، تستسلم للنوم في سراب الوعود وكنت أظن أن الليل في دمشق القديمة يبعث فيها الحياة والحركة والنشاط، كما نرى في حي الحسين، أو حي السيدة مثلاً في القاهرة، ولكن الأمر هنا بالعكس كما يصوره الشاعر الكبير.

ويستمر الشاعر في وصف الليل في دمشق القديمة، فيصفه بالطرافة، ويصفها بالصمت المطبق، حيث يقول:

تجدُ الليـــلَ في دمشـــق طـــريفـــاً
يبهـــر العينَ بـــالطـــريـــف الجديـــد
ويطـــول الصمـــتُ العميـــقُ ويعلـــو
بـــالأمـــاني مـــن طـــارف وتليـــد
تجـــدُ الصمـــتَ ضـــاربـــاً بجـــرّان
دون ليـــل أطبـــاقـــهُ مـــن حـــديـــد

ثم يعود إلى دمشق وتاريخها التليد الحافل وكفاح أبنائها على طول العصور فيقول فيما يقول:

ودمشـــق التـــاريـــخ همسُ نشيـــد
عبقـــري على شفـــاه الخلـــود
ذكـــريـــات مـــن عبـــد شمس أراهـــا
بظنـــوني وخـــاطـــري ونشيـــدي
سطعـــت كـــاليقين فهـــي ضيـــاءٌ
لنفـــوس حيرى وطـــرفٍ جحـــودِ

وأراهـا تلـذ في كـل سمـع
كلحـون علـوية الترديـد

يـا بلادي ومـا تـرابـك عنـدي
بـرخيص ولم يكـن بـزهيـد

طاب عندي (كـالبيـت) طهـراً، وطـابـت
ذكـريـاتٌ عـزيـزةٌ مـن جـدودِ

وهنا ننوه بأمرين: موسيقى الشاعر الرائعة، وملكته التصويرية الرفيعة؛ ثم بطبعه الشعري الجميل وموهبته الأصيلة في نظم القصيد، ونجد هنا قاموس الشاعر اللغوي، هذا القاموس الذي ينمُّ عن اعتداد بالتراث، ورجوع إليه، واعتزاز به، وعن ثقافته اللغوية الواسعة. وأشير هنا إلى أن المقطع الأخير في هذه القصيدة، قد صدَّرَ به الشاعرُ ديوانه، تحية لدمشق ولتاريخها الطويل العريق وقصائد هذا الباب كله تعود إلى بحر: الكامل، والخفيف والرمل والمتقارب.

٢ ـ وباب الصور الفنية يشتمل على ست قصائد هي: راقصة آه يا زين ـ المتحلقون حول النار ـ ثور السانية أو الساقية ـ وصف هرة ـ مدرب الحمام ـ شارب النارجيلة.

ولنخصَّ بالحديث هنا قصيدته «شارب النارجيلة» التي تعود إلى بحر الوافر؛ والتي يصف فيه سحب الدخان، التي تخرج من فم شارب النارجيلة، ويصف ما يعتريه من آلام وعذاب وأدواء. ثم يصف طرحها في ركن من الدار، ويصف رقة زجاجها وصفاءه، وعزتها عند صاحبها، ويصف القوم الذين يجلسون إليها للشراب.

يقول في مطلع هذه القصيدة:

أطـالَ يَعُـبُّ مـن سـؤر النـدامـى لظـى، ويمجُّهـا سمًّـا زؤامـا

ثم يقول:
أعـذبـاً عـبَّ شـاربُهـا وشهـدا أم الأسقـامَ يكـرعُهـا لمامـا
أطـال عـنـابـه بيـديْـه لما عَن الإصباحِ مـن عنـتٍ تعـامـى

ثم يقول:
ثـوت (نـرجيلـةٌ) في عقـر ركـن وقـرّت كـالأذى سكـن العظـامـا
مطـارفُهـا الزجـاجُ صفـت وراقـت كما صفـت المدامـعُ مـن يتـامـى
تكـادُ لـرقـة ولفـرط صقـلٍ تسيـلُ كغـروب سـاريـةٍ تـرامـى
ومـا ينفـكُّ شـاربها حفيـاً كـأن بها يـرى بـدرا تمامـا

إلى آخر هذا الوصف العميق الجميل، ثم يسترسل إلى شاربيها فيقول في وصفهم:

تـرى سمّـارهـا رقُّـوا وراحـوا بجلبتهـا على ضغـن كـرامـا

يطيلــون الحديــث بلا عتــاب ويخفــون العــداوة والخصــامــا
رضــوا بــالــدون مــن عمــر ذليــل وعــاشــوا دهــرهــم أبــدا نيــامــا

وإذا عدنا إلى قصيدته «النارجيلة» في باب الوصف والطبيعة، التي تعود إلى مجزوء بحر الكامل، والتي مطلعها:

تــاجٌ لها فــوق الجبينْ يــذكــو على كــسر السنينْ

ويقول فيها:

ضمَّتْ من البلور ثــوبــا ســالَ مــن هَيَــفٍ ولين
شفَّتْ طــرائــف نجــه كــأشعــة الفلــق المبين
بلــورهــا مــن رقــة همس الوســاوس والظنــون
والماء في أحضــانها صَخِــبٌ، وطــورا مستكين
يتلــو أقــاصيــص الهوى ويقصُّهــا للســامعين
تلقــاه يسهــب تــارة وتــراه يــوجــز من شجــون
هــو واللظــى متجــاوران معــاً على كــسر السنين
ضمّتها (نــرجيلــةً) ضمَّ المتيم بــاليمين
خــرطــومهــا عبــق الشــذا للظــامعين الحالمين

ثم يتحدث عن شاربها حديثاً عذباً رقيقاً رفاقاً. وقد استوقف نظري البيت:

أنفــاسهــا حكــت السلافــة رقــة للظــامئينْ

وأظن فيه خطأ مطبعيا، ولعله:

أنفــاسهــا حكــت الســوا لــف رقــة للظــامئين

نجد هذه القصيدة أكثر عذوبة، وأروع تصويراً، وأحلى موسيقى؛ وإن كانت مضامين القصيدتين واحدة..

وقصائد الباب الثاني تعود إلى بحر الكامل والمتقارب والوافر، ويشبه الباب الثاني في الاعتزاز بالقاموس اللغوي - ويشترك معه في الطبع الشعري الأصيل، وفي قوة ملكة الوصف والتصوير، حتى لنكاد تحسبنا أمام ابن المعتز الشاعر الخليفة العباسي (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) من جديد.

القاهرة عبد المنعم خفاجي

كأنهم شرفاء (١)

شعر: موسى الزين شراره

«لا هتلر» بر ولا «الحلفاء»   الكل في هضم الشعوب سواء
«بولونيا» لا يخدعنك بكاؤهم   - لولا المصالح - ما هناك بكاء
زعموا وكذب زعمهم في أنهم   لولاك لم تبصرهم الهيجاء
لا تركني لوعودهم وعهودهم   - عند الحقيقة - كلها اغراء
ما انت صخر(٢) لا يغرك ما ترى   عيناك منهم ما بهم «خنساء»
الكل ذئبان - اعيذك منهم   واعيذ قومي - والضعاف الشاء
هذي فلسطين تسيل دماؤها   وتئن تحت ترابها الشهداء(٣)
ما بالهم وصراخها بلغ السما   اذانهم عن سمعها صماء
منهم في «حي» نكبة   وبكل «بيت» مأتم وعزاء
غرباء فيها اهلها وبربعها   يتنعم «الشذاذ» والغرباء
بيعوا كعبدان فلم تشفع بهم   احسابهم والاوجه «البيضاء»
فاذا الاعزاء الأباة جدودهم   لا ذل قوم اعبد واماء
ولنا - اعيذ الله - طبقا للذي   يهوى العدو ويشتهي - زعماء
اجدادهم «نبلا» - برغم هوائهم   كانوا - وهم «كجدودهم نبلاء»
عبر العصور مع العداة لشعبهم   ولأرضهم وديارهم اعداء
ولكل غاز فاتح مستعمر   - مهما سمت القابهم - عملاء
«للأنكليز» وان تشدد شعبنا   منهم وبيعت ارضنا «حلفاء»
فالذل «فن» عندهم «وسياسة»   يدعى وتعفير الجباه «دهاء»
ضعفاء هذا الكون لا يغرركم   دمع القوي فانما هو «ماء»
أنتم «فريسة» سواء في الوغى   والحرب او في السلم يا ضعفاء
لا تلمسوه وان الآن فانه   - عند الحقيقة - حية رقطاء

---

١ - كتبتها سنة ٩٣٩ وانا في مدينة فريتون عاصمة سيراليون الأفريقية حيث كنت مهاجراً - أو متوارياً من الاستعمار الفرنسي - وكان الحلفاء بهذا التاريخ بقيادة «شمطاء الاستعمار» بريطانيا يملأون الدنيا عويلاً ونواحاً على بولونيا ويحملونها «قميص عثمان» بوجه المانيا «الهتلرية» كما تحملها اليوم امريكا فلا عجب إذا ما اعاد التاريخ نفسه.

٢ - شقيق الشاعرة العربية خنساء التي بكته كثيراً وابنته بروائع الاشعار.

٣ - كانت طلائع الحملة الصهيونية قدبدأت بغزو فلسطين ودارت المعارك الدامية.

لا عاش كم هدمت على اطماعه ... دور وسالت للشعوب دماء
لا تسألوا «الدكتور» عن داء الورى ... «الأنكليز» هم البلا والداء
لولاهم ومطامع لا ترتوي ... هذا الوجود سعادة ورخاء
هم نكبة الانسان منذ آدم ... فهمو همو الافعي وهم «حواء»
لو بالسماء ولا «ابالغ» واحد ... منهم يمينا ما هناك سماء
منهم تعلمت الثعالب روغها ... وتعلمت تلوينها الحرباء
الخُنْثُ بالايمان فن عندهم ... يدعى وتمزيق العهود ذكاء
قد اتقنوا فن الخداع فكلهم ... «ذكر وانثى» بالخداع سواء
لله درهم برغم شرورهم ... تلك التي ضاقت بها الغبراء
وبرغم ما اغتالوا وما قتلوا وما ... للأبرياء الآمنين اساؤا
ينعون للمدنيا «جرائم هتلر» ... - لا يخجلون - كأنهم شرفاء
العدل دوماً والسلام شعارهم ... والعدل منهم والسلام براء
باسم السلام يحاربون وباسمه ... يستعمرون وهم له اعداء
ما سعرت للحرب نار في الورى ... يوماً وثارت ثورة هوجاء
ألاّ وهم خلف الستار لمن لها ... اذكى واجج نارها اعداء
رحماك ربي اي شعب ما اكتوى ... منهم وعمت ربعه الارزاء؟
والى جحيم من جورهم ... ومن الفساد جنانه الخضراء
وديار خير اقفرت من اهلها ... واحتلها بعد الرخاء شقاء
يتنعمون بخيرها وبكل ما ... جادت واعطت أرضها المعطاء
فكأنه حق لهم او أنه ... ارث به قد اوصت الآباء
او أنهم «لله ابناء» وقد ... «مات الاله» وهم له ورثاء[4]

موسى الزين شرارة

4 - هكذا كان رأي الجماهير والشعوب في هذا الوقت «باستاذه الاستعمار» بريطانيا فلا ادري ماذا يقولون الآن هل يترحمون عليها أو يقولون دعوت على «عمرو» فمات فسرني فعاشرت اقواماً بكيت «على عمرو»

إن شعباً حكامه أنجاس ... هو شعب قد طلقته الحواس
ورمته يد الزمان ببؤس ... وغزاه الإملاق والإفلاس



إذا خضعت للجهل والذل أمة ... قضت نحبها قهراً وشق علاجها
وكل بلاد أرهق الظلم أهلها ... إذا لم تثر لا يستقيم اعوجاجها



من رباعيات فؤاد الجرداق

«أمّـــــاه»*

شعر: بشار الزين

يا سلوة النفس يا أمي ويا سندي ... ما للقلوب التي تهواك في كمدِ
اني رأيت عيوناً للأسى دمعت ... ترنو إليك فهلْ أبصرت من أحدِ
باكٍ من البعد يا بعداً قد أفترقت ... منه الأحبّة بين البيت واللّحدِ
باكٍ على الفقد محزوناً ومكتئباً ... على فراقٍ له في القلب كلُّ ندي
يا نسمة الخير التي من دارنا رحلت ... من أين يأتي نسيم مثلها لغدِ
أمي فديتك كنت النور مؤتلقاً ... أصبو إليه بشوق تائقٍ وصدِ
دنياي كنتِ أمانٍ كلها فرحٌ ... بالقرب منك أنا كالطائر الغردِ
عيشي ولا أنت لن يبقى على نسقٍ ... من الجمال ولا من وجهه الرّغدِ
قد بورك البيت لمّا كنت ساكنة ... فيه وكان بفضل الله في سعدِ
لي في حنايك عطف لا يعادله ... عطف على الأرض في حجم وفي عددِ
لسانك الطهر ذكر الله شاهده ... بالفكر بالشكر بالتسبيح بالحَمْدِ
ذكراك أماه أنسام تداعبني ... لكنْ غيابك نارُ ألهبت كبدي
إن قيل ما الحب قلت الأم صورته ... أو قيل ما العطف قلت الأمّ قلْ وزدِ
هيهات أنسى وهلْ أنسى مودتها ... منذ الطفولة حتى آخر الأمدِ
اني عهدت بها الأخلاص مرتهناً ... بدينها الحق بالايمان ممن سددِ
الوالدان وما أسمى صفاتهما ... هما غذاءا لطيب النفس كالشّهدِ
يكفي الأمومة في الاسلام أن لها ... حق المبرة والإحسان والمددِ
قد غيّب الموت صدراً كان يحضنني ... أيضاً وغيّب وجهاً كان لي رفدي
آمنت بالله اني لست ـ معترضاً ... فالأمر لله في روحي وفي جسدي
يا بسمة كان دار العز مسكنها ... أحبّت الأهل والقربى ولم تعدِ
قد ارشدتني إلى الاسلام مؤمنة ... يا صدق مؤمنة يا خير معتقد
كم كنت آمل أن نحيا إلى زمنٍ ... نرتاح فيه ونسقى صافي الزبدِ
لكن غربت وأحداث تهددنا ... وهالنا اليوم رهن الموت والبددِ
وصرخة الحرب في أوطاننا بقيت ... عبثاً على الكل لم تنفع ولم تفدِ

★ نفثات وآهات للشاعر بمناسبة وفاة والدته المرحومة الحاجة رئيفة الحاج علي الزين شقيقة مؤسس العرفان.

كـــأنما الجن والشيطـــان ملعبهـــــم في ســاحــة الشرق في لبنــان في بلـــدي
يحز في النفس أن تشــقى مــرابعنــا ويضــرب الديــن عــن آمــالنــا الجددِ
ويصبــح الغــرب في بلــداننــا ملكــا ومع شعـب صهيـون بـالامـوال والحُشـدِ
ونحن كــالموت صرعسى لا حــراك لنــا لا نستقــر على حــال مــن العضـد
مشردين على أرض ومـــن بلـــدِ ومـــن سلاطين هـــذا العـــالم الوغـــدِ
لــن نستقــر ولــن تجلــو متــاعبنــا حتى نبــايــع شرع الله عــن عمــدِ
شرعـاً يخلـص أهــل الأرض مـن محن بــاتــت تعـود على الأجيـال بــالنّكـدِ
فــالقسـوة الآن بــالاسلام نفهمهــا وبــالـوقـوف أمـام الجور كــالأسـدِ
هــانـت علي صعــاب كنـت أرهبهـا لمّا أخــذت رســول الله معتمــدي
مـع أهـل بيـتٍ غـدوا في سيرة حسنـت نهجاً بضيء بهدي الواحـــد الأحـــدِ
أئمة الحق للاسلام قـــدوتنـــا عنــد الملمات دعـواهــم إلى الجلــدِ
هــم لي عــزاء بــاعمالٍ ومــوعظـة وهــم معــالم لي في منهــجٍ فـــردِ
أمـــاه أمـــاه يـــا أمّـــا فخسـرت بها فخــراً يقــوم على القــرآن والرشـدِ
يشـذي الشـوق هـذا الشـوق يجذبني إليـك يـا خير مـن أكـرمتُهـا بيـدي
ذكــراك أحلى مــن الدنيــا وزينتهــا وأنـــت حــبٌ بقلبي غير مقتصــدِ
اني أيـــث مـــن الأحــزان أثقلهــا وكـــل حــزن لــه وقــع على كبــدي
رحماك يــا رب للام التي وهبــت حيــاتها تلــك للاسلام للصمــد
إفتــح لها الـروض وأدخلهـا بمغفـرة وأجعـلْ لها النــور منشــوراً الى الأبـدِ

بشار الزين

كــل عيش للــردى مــرجعــه هــدم الموت بــه كــل أمــل
ليس مــن ورّث عــرشــاً ملكــا أو على الملــك تفــانى واتكــل
انما الملــك الذي حــد الهوى وعــن اللهــو تنــاءى وعــدل
وحيــاة قــد خلا سلطــانها من تقــى الله قصــاراهــا الفشــل
ليس عنــدي أي مــال إنما كــل مــالي فيــه علم وعمــل
كــن مسبح الله صبــاحــا ودجــى إن مــن يترك ذكــر الله ذل
إن عبــدي يــوم ألقــاء فما لي عبــد غير وجــه الله جــل
ايــه يــا دنيــا افعلي مــا شئتــه ان شمس الحشر أدنــى مــن زحــل
مــن مغــانيــك بشبر أكتفــي وعــن البر اجتــزاء بــالــوشــل

عرفت الله

شعر : ابراهيم برّي

عـــرفـــــت الله في نبـــض القلــــوب
وفي صمـــت المســـاء لـــدى الغـــروب

وفي الانســــــام تنفحني حيــــــاة
اذا انهلّـــت مـــن الافـــق الرحيـــب

عـــــرفـــــت الله ، يحضر في ضميري
بســـاعـــات الخطيئـــة والذنـــوب

وفي الماء الذي احســــوه طهــــرا
فيطفــيء مـــا بصـــدري مـــن لهيـــب

عـــــرفـــــت الله في إشراق شمس
وفي قمـــر يميـــل الى المغيـــب

عـــرفـــــت الله في عينيــــك، لما
احـــدّق في عيـــونـــك يـــا حبيبي

فـــألمح في ســـوادهما حنـــانـــا
وانســـامـــا تهب مـــن الجنـــوب

ولســـت ارى بشخصـــك أي عيـــب
لأنـــك قـــد سمـــوت عـــن العيـــوب

عـــرفـــت الله اشراقـــا بـــافقـــي
يبـــدد ظلمـــة اليـــأس الرهيـــب

أسير على الدروب فــــألتقيــــه
بجنبي ، اذ أسير على الدروب

عـــرفـــت الله ، حين سمعـــت عيسى
يكلّمـــه على خشـــب الصليـــب

الهي ، كيـــف تتركني غـــريبـــا
وأنـــت أبـــو المعـــذب والغـــريـــب

عـــرفـــت الله مـــن آيـــات طـــه
تهلّ عليـــه مـــن لـــدن الغيـــوب

تكلمنـــا فننصـــت في خشـــوع
لنبرة ذلـــك الصـــوت الحبيـــب

عـــرفـــت الله ايمانـــا وحبـــا
وطهـــرا ذاب مـــن مهـــج القلـــوب

ابراهيم برّي

« شجيرة الغوياب »

شعر : فتى الدواوير

عندي شجيرة « غوياب » أداعبها ... غرستها في فناء القلب والبصر
أحبها مثل أم جاءها ولد ... تخشى عليه من الأحداث والغير
أطوف في الليل مبهوراً بحضرتها ... أغصانها أمل ينمو على حذر
في كل يوم أفليّها وأسمعها ... أسماء ربي وآيات من السور
وكلما شمست من نوارها ألقاً ... منيت نفسي بأرطال من الثمر
قوامها مثل « بسكال » إذا خطرت ... في عامها السابع المحفوف بالصور
تدعو « هشاماً » وتدنو كي توشوشه ... في لهفة الناي يروي لوعة الوتر
مثل الفراشة تشكو بعد صاحبها ... بذبذبات تسوافيه على الأثر
سبحان من زود قرنيها وعلمها ... فن التخاطب والأرسال كالبشر
يا ليته بعد موتي ردني لأرى ... ما جد في الأرض من دوارة القمر
أود لو عدت طفلاً كي أرافقها ... في رحلة العمر عندي عدة السفر
لكن عمري مضى والداء هدمني ... بالكوخ أهوي من الأعياء والخور
وكل ما دار في نفسي وفي خلدي ... فيه التهرب من حربابة الحفر
أطوف في الليل كالملهوف ملتمساً ... عطف الأزاجير لا بل راحة الحجر
عامان مرّا وصار الحلم زقرقة ... هذي العصافير قد حطت على الشجر
فرحت أبحث عن أسباب بهجتها ... والفجر يفصح عن انشودة القدر
رأيت كوزاً من الغوياب مستتراً ... وراء غصن يحاكي رقة السحر
غاف تلفسح بالأوراق في دعة ... كالطفل قد نام بعد اللهو والسهر
كأنه قال والأنسام شاهدة ... لا تزعج الخلق واكتم صحة الخبر
وعندما تطلع الآمال باسمة ... وتشرق الشمس من كهفي ومنحدر
ناد الصغيرة « بسكالاً » وصاحبها ... واشهد علينا جميع البدو والحضر
كيما أبارك للأطفال كلهم ... إن البراءة برهان على الصغر
واقنع بحظك في الدنيا إذا عبرت ... خواطر الشعر فيها أروع العبر

كوللك ... فتى الدواوير

من تراثنا

صفحة من تاريخ جبل عامل العلمي

بقلم : الشيخ سليمان ظاهر

لجبل عامل سالف مجيد في العلم، وقدح معلى في حلبات الفضل، وشأو بعيد في سماء العرفان، وسلف صالح في عالم التصنيف والتأليف، كان لهم في أطراف البلاد العاملية، معاهد علمية، يتخرج منها افاضل العلماء، ويتوافد عليها الطلاب من كل فج عميق، ويرد مناهلها ظماء المعرفة من كل مرمى سحيق.

وناهيك أن يوجد في هذه الرقعة الضيقة في عصور متقاربة من مدارس العلم ما يربو على العقود وأن يكون منها ما هو اشبه بالمدارس الكلية من حيث النظام ومن حيث تعميم الدروس كمدرسة ميس التي كان يديرها الشيخ علي عبد العالي الميسي[1] من أكابر العلماء المصنفين والتي كان طلابها يربون على ثلاثمائة طالب من جبل عامل ومن العراق والعجم ومن اطراف سوريا من الامامية واقدم من هذه المدرسة العالية عهداً مدرسة جزين ومدرسة مشغرة وهناك مدارس أخرى كمدرسة جبع ومدرسة عيناثا والكرك وبعلبك إلى غير ذلك مما لا نحاول احصاء عددها في هذه العجالة ولا نجد متسعاً للتفصيل - ومن يتصفح كتاب « امل الآمل »[2] ويراجع القسم الاول منه وهو المخصص لعلماء جبل عامل والذين ظهروا فيه في آجال لا تزيد على اربعة قرون ونصف قرن أي من القرن السابع الهجري إلى اواخر القرن الحادي عشر وهو زمن مؤلف ذلك الكتاب يعلم المبلغ الذي بلغه جبل عامل من المكانة العلمية والشوط البعيد الذي ادركه في حلبات الفضل.

وقد وجد بعضهم احصاء على ظهر كتاب امل الآمل لمؤلفه وهذه صورته.

عدة علماء القسم الأول مئتان وتسعون وزيادة يسيرة وعدد رجال القسم الثاني الف ومئة عشرة وعدد مؤلفاتهم الف وخمس مئة وسبع وعشرون.

وجاء في مقدمة ذلك الكتاب « وسادسها[3] كثرة من خرج من جبل عامل من العلماء والفضلاء والصلحاء وارباب الكمال وستعرف جملة منهم مع أني لم اطلع على الجميع[4] ولا

١ - المتوفي في عام ٩٣٣ وهو من أجلة اساتذة الشهيد الثاني.

٢ - لمؤلفه الشيخ محمد الحر العاملي من اعيان القرن الحادي عشر » . .

٣ - أي سادس المرجحات لتقديم القسم الأول المخصص لتراجم العلماء العامليين على القسم الثاني.

٤ - الف كتابه في بلاد العجم بعد نزوحه عن جبل عامل بعشرين عاماً وهذه المدة كافية في نشأة قسم غير قليل على اكتساب العلم والفضيلة قد لا تتصل به اخبارهم لبعد الشقة بين بلاد العجم وجبل عامل.

على مؤلفاتهم كلها ولا يكاد يوجد من أهل بلاد اخرى من علماء الإمامية أكثر منهم ولا أحسن تأليفاً وتصنيفاً ولقد أكثر مدحهم والثناء عليهم القاضي نور الله في مجالس المؤمنين وذكر إنه ما من قرية هناك إلا وقد خرج منها جماعة من علماء الإمامية وفقهائهم انتهى. وقد سمعت من بعض مشايخنا إنه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر الشهيد الثاني وما قاربه وستعرف إن شاء الله إن عدد علمائهم يقارب خمس عدد علماء المتأخرين وكذا مؤلفاتهم بالنسبة إلى مؤلفات الباقين مع إن بلادهم بالنسبة إلى باقي البلدان أقل من عشر العشر أعني جزء من مئة جزء من البلدان فظهر ما قلناه».

إن عصر العلم الذهبي في جبل عامل هو عصر الشهيد الأول وما يليه وعصر الشهيد الثاني وما سبقه وتأخر عنه وما زال للنهضة العلمية فيه أثر مجيد بعد عصر مؤلف كتاب امل الآمل وتمتد حتى اواخر القرن الثاني عشر الهجري ومن ثم أخذ يتراجع ويستند تراجعه إلى السياسة الظالمة التي كان يساس بها وللحكومات الاقطاعية التي كانت تسومه خسفاً وعسفاً وترهقه ذلا وضيما شأنه شأن الاصقاع السورية التي كانت تساس بهذا النوع من الحكم ايام كانت الفوضى ضاربة سرادقها بالقطر السوري وحكامه يضربون السكان بعضهم ببعض عملا بمبدأ «فرق تسد» وسعياً وراء الاصطياد من الماء العكر.

وإنما تعمر بيوت العلم حيث تنشر اظلة الأمن وتخفق اعلام الراحة والسكينة وسوريا عامة وجبل عامل خاصة لم تكن على شيء من ذلك وخاصة في مدى قرنين كانت تتراوح فيها بين رياح مطامع الحكام وشعلة الثورات الأهلية التي كان يضرمها بين بنيها أولئك الحكام الطغام ـ ومن يعلم ان حاكماً لبنانيا من الحكام الاقطاعيين استصدر فتوى من بعض العلماء بوجوب محاربة العامليين حرباً دينية اخشن في شكلها وصورتها من حرب ذوي الردة. استصدر تلك الفتوى الجائرة والتي لا تنطبق على شريعة من الشرائع اذلالا للعامليين وتدويخاً لبلادهم وقد اهاج بتلك الفتوى فرقاً كثيرة امدته بجيش يناهز العشرين الفاً على رواية الأمير حيدر الشهابي وعلى رواية العامليين اضعاف ذلك استنفر ذلك الجيش العرمرم المختلط لقهرهم في بلادهم وهم اعزة في ديارهم ولهم وراء قوتهم التي كان يناهز فرسانها عشر آلاف قوة حليفهم الشيخ ظاهر العمر من يعلم ذلك وما أجلبه أحمد باشا الجزار على جبل عامل بخيله ورجله ومصادرته علماءه وتشريد من شرد منهم تحت كل كوكب وغمامة، وما سلب من كتبهم، وما جعله منها طعماً للنار، وما ذهب منها طي التراب اخفاءً لها عن عيون زبانيته الاوغاد، يعلم كيف انتزع منه العلم، وكيف تقلص عنه ظله، وكيف اخلقت ديباجته.

تلك منازع السياسة وهذه آثارها ومثلها وبما يقارنها من حوادث الظلم وكوارث الجور المريع خوت نجوم العلم من سوريا وكان منها لجبل عامل أوفر نصيب.

نعم تجلب الراحة العلم، والا من يعمر بيوته، والعدل الشامل يرفع قصوره لم تمر اعوام على مهلك الجزار، ولم يطو غير زمن يسير على

حكمه والأدالة منه وقد ولي أمر جبل عامل نفر منه لهم ضلع من المعرفة حتى أخذ يستعيد بعض مجده العلمي وعمرت فيه مدارس اكتظت بطلاب العلم وكان اشهرها مدرستان مدرسة جبع ومشيد بنيانها الرفيع العلامة الشهير المرحوم الشيخ عبد الله نعمة ومدرسة حنوية ومؤسسها العلامة العامل خاتمة رجال التصنيف والتأليف ورافع لواء العلم في جبل عامل المرحوم الشيخ محمد علي عز الدين وأخذت بعد ذلك تشاد بيوت العلم ولكن لم تكن تعمر كثيراً فكانت كلما هبت ريح مدرسة سكنت الأخرى فأسست في آجال متقاربة مدارس بنت جبيل وعيثا والنبطية الفوقا وانصار والتميرية والنبطية وحنويه وجبع وشقراء وعيناثا والخيم. وقد أخرجت هذه المدارس فريقاً من رجال العلم وعلق عليها محبو رقي جبل عامل آمالاً كباراً، وحسبوها خطى واسعة في سبيل العرفان، وطلائع لإزدهار العلم فيه، واسترداد سالف ايامه ولكن لم يطل على ذلك المطال حتى جاء الأمر على عكس القضية، وعلى نقيض ما امل المأملون فأخذت المدارس تقفل المدرسة تلو المدرسة حتى اقفلت أو كادت تقفل كلها.

ما الذي وقف في وجه ذلك الآتي؟ ولماذا برزت تلك الهمم؟ وكيف جفت هاتيك العزائم؟

هل ذهب الشعور من النفوس العاملية بفضيلة العلم؟ على من تلقي تبعة ذلك الأهمال؟ هل العلماء وحدهم المسئولون عنه؟ أم يشاركهم فيه الأعيان واماثل القوم وكل الطبقات ومسئولية كل طبقة على نسبة ما تشغله من المكانة في النفوس العاملية أم هناك اسباب أخرى خفيت علينا وجوهها وعميت طرقها.

لا ريب إن وقوف قطر يتاوج بسكانه، ويشغل حيزه الواسع مائة الف أو يزيدون وفيه علية الأعيان، وأفاضل العلماء موقف الجمود، وتركه التعليم، واقفاله المدارس، وفيها بعض البلغة لتثقيف العقول، وللتربية الدينية.

إن وقوف هذا القطر هذا الموقف من الجمود بغتة وبعد ذلك الأحساس الذي كان منتشراً في نفوس سكانه بوجوب التعليم، ولو بالمحافظة على القديم، لمن الحوادث التي لا يصح السكوت عن البحث عن اسبابها، ويجدر بالباحثين والمفكرين أن يعيروها جانب الاهتمام، فإن مسئلة العلم والتعليم مسئلة المسائل في هذا العصر وفي كل عصر، وحياة الأمم بكل اصولها وفروعها، وفي كل حالة من حالاتها مرتبطة ارتباطاً عظيماً بحياتها العلمية.

لا أرى ما يراه غير واحد من أن السبب في الإهمال هم العلماء خاصة أو هم والأعيان مشتركان أو النشء وحده أو الطبقات الأخرى فإن واحداً من ذلك لا يصلح أن يكون سبباً في هذا الانقلاب الفجائي والتغيير السريع فإن العهد غير بعيد على المدارس العاملية التي كانت آهلة بالطلاب أمس، وهي اليوم مقفلة الابواب مقفرة بعد ايناسها، والعلماء الذين كانوا يديرون بها حركة التعليم لا يزالون احياء يرزقون ولم يكن التعليم قائماً على اعطيات الأعيان، ونفقات اغنياء القطر، فحبسوا عن الطلاب اعطياتهم ونفقاتهم، فهجر هؤلاء مدارسهم، وغادروا دروسهم ولا كان العلماء ينفقون على الطلاب، فامتنعوا عن الانفاق، فتركوا لذلك حلقات العلم، ولا كان الطلاب

ينقدون رؤساء المدارس مرتبات خاصة على التعليم، فمنعوها عنهم، فامتنعوا هم عن تعليمهم، لم يكن شيء من ذلك ليرجع إليه أمر الأهمال، فإن التعليم كان مجانياً، والطلاب كانوا يكفلون أنفسهم، وأكثرهم قانع بالكفاف وهم أواسط القوم والقسم الأكبر كل على غيره من ذويه اتكالي لا يتبلغ بلغة من العيش إلا بشق الأنفس.

نعم لا أرى شيئاً من ذلك سبباً للأهمال وإن كان يراه الكثيرون ممن لم يدرسوا هذه المسألة درساً عميقاً، ولكنني أرى بعد البحث الدقيق والنظر العميق، إن السبب اجتماعي واقتصادي واداري أما الأول فإن من الأمور المقررة التي لا تقبل المشاحة والجدال إن الأمم مهما كان مركزها من الاجتماع صائرة إلى وحدة اجتماعية تبلغ بها مستوى متحداً من حيث المزايا الجوهرية، والخصائص العمرانية، ومن حيث الرقي الصوري والمعنوي، ومما لا نزاع فيه أن لكل عصر روحاً عامة تفيض خواصها على الكافة فتتبعها في مؤثراتها المعنوية من حيث الروح والجسد وتسير معها مضطرة مقهورة، مسخرة لأفاعيلها، منقادة لأحكامها، منفعلة لسننها، وكل انقلاب يحدث في المجتمع البشري خاصاً وعاماً هو مقر لتلك المؤثرات الهائلة، ضروري الحصول عند اجتماع اسبابه المقررة .ومن ذلك سير روح قدوة الضعيف بالقوي في مقوماته ومميزاته، ونزوعه إلى مشاركته في مزاياه، وقد تسير القدوة في الضعيف بالقوي سيراً اضطرارياً وعلى غير علم منه بالأقتداء، فالانقلابات الاجتماعية تتبع الروح العامة في كل عصر، وتسير على وفق المقتضيات من حيث الحاجيات والكماليات، متدرجة من الحاجي إلى الكمالي.

إن للعمران اصولاً إذا احتفظ بها استبحر، وزخر بحره، وظهر امره. وإذا اهملت عفى أثره، وانطمس خبره.

كانت الأمة العربية قبل الإسلام وقبل الاختلاط بالأقوام الأخرى ذات نظام اجتماعي خاص ولكن ذلك النظام لا يرجع إلى اصول عمرانية تبلغ به المستوى الذي بلغته عند ظهور الإسلام في تعاليمه الراقية، وقوانينه السامية، وقد اعدها للتغلب على الأمم المجاورة لها من الفرس والرومان والقبط والصقالبة والتي كان لها مدنية باهرة، وبحر من الحضارة زاخر فما لبثت وقد ادال لها الإسلام دولاتها، وملكها نواصي ملوكها، وصوالجة سلاطينها، وعروش قياصرتها، وتيجان اكاسرتها، إن مددت بأبصارها إلى استشراق ما في جو تلك الأمم من الاصول العمرانية، وما بحاضرتها من القواعد الاجتماعية، فأخذت منها ما لا ينافي تعاليم دينها القويم، وما يجتمع مع اصوله في أمري المعاش والمعاد.

شعرت بعظم الحاجة إلى تلك الأصول العمرانية وقد استتب لها سياسة أمم وشعوب مختلفة العناصر والأديان وأحست بوجوب الأخذ مما يلائم الروح العامة التي افاضها عليها الإسلام، واصول الاخلاق المطبوعة عليها من تلك الأمم، ورأت إن النقطة المركزية للحصول على حل نظريات العمران والأجتماع، هو ولوج ابواب العلم والفلسفة فأقتبست منها ما مزجت به مع المستفاد من الدين، والمطبوع من الفطرة فكانت لها المدنية الأولى بين مدنيات الأمم، والحكمة العالية التي تلقى عنهم دروسها

الأولية العالم غربية وشرقية سيراً بعامل القدوة واستهواء لتلك الروح العامة.

اقتدى العرب بالأمم، ومشوا في السبيل الذي مشت فيه، وسلكوا جواده اللاحبة وطرقه النافعة، وكان الاقتداء اضطراراً تبعاً للحاجيات والكماليات فكان لهم بذلك فضل تربية الأمم وتعليم الشعوب.

هذه هي الروح العامة التي تسير في الأفراد والجماعات، وتنفخ في الشعوب والأمم، هي التي قلبت في العصور الأخيرة هيئة العالم وبدلت أوضاعه من حيث الاجتماع والسياسة وغيرت شكله من حيث التربية والتعليم.

نفخت في الشرق نفخة فدب في اقوامه نسيس الحياة، وهب والقدوة تسيره اضطراراً إلى تبديل اشكالها السياسية والأجتماعية والعلمية والاخلاقية.

إن تلك الروح كما تؤثر في الأمم من حيث شؤونها الصورية، تحدث فيها التأثير نفسه من حيث الأحوال المعنوية، وحيث أثرت في قلب هيئة التربية والتعليم في كثير من ربوع المشرق عامة، وفي سوريا خاصة والقطر العاملي رقعة من رقاعها، وهو اقرب من قاب قوسين أو أدنى إلى الحواضر والقصبات والمدائن والبلاد التي تغير فيها شكل التربية والتعليم فقد أثرت في نفوس ابنائه وإن لم يكونوا بذلك التأثير بعالمين فرأوا إن العكوف على اصول التعليم القديم مع ما يقارنه من مثبطات الهمم وبعد مدى التحصيل والذي لا يفيد شيئاً في أمر المعاش مضافاً إلى انحصار التعليم في النظريات وخلوه من روح التطبيق العملي وشعور النفوس بالحاجة إلى تعلم علوم أخرى أصبح يرى نفسه من يغفلها هو والجاهل سواء.

نعم إن روح التعليم التي سرت في كثير من البلاد ناهجة منهج الجديد وأخص مزاياها تقريب العلوم النظرية الدقيقة بفضل مناهجها الجديدة إلى الأفهام وتخرج مدارسها النشء المتعلم بمدة لا تبلغ العقد من السنين عالماً متفننا عارفاً بوجوه تطبيق العملي منه على النظري هي التي وقفت بالنشء العاملي موقف الجمود فاختار الجهل المطبق على تعلم لا ينيله مأرباً، ولا يبلغه مطلباً، مضافاً إلى ما ينظر إليه من المستقبل المظلم الذي يرى فيه المعيشة الأتكالية قضاء محتماً عليه، لا يجد عنها مفراً ولا محيصاً سيما وقد تغيرت اوضاع المعيشة وأشكالها تغيراً عظيماً.

الثاني السبب الاقتصادي. إنّ المدارس العاملية لم تكن ذات نظام، ولا كان التعليم فيها يخرج عن الاختيار، ولذلك كان نصيب أكثر المتعلمين النفع القليل والتحصيل الذي لا يصح السكوت عليه هذا أولاً وثانياً قد عرفت من تضاعيف هذه النبذة إن طلاب العلم كانوا فريقين المتوسط والفقير ولقد كانت وجوه المعيشة تضيق بالمتوسط فما بالك بالفقير الذي لا يملك شروى نقير.

نعم كان يتبلغ الفقير بعض البلغة ولكنه لا يخرج بها عن منطقة الضرورة ولا كان يبلغه بغير المسألة: وناهيك ما يبعث ذلك في نفوس السائلين من الإتّكال وفقدان الشمم، وثالثاً إن ما كان يرضي به المتوسط والفقير من النفقة القليلة بالأمس لم يرض به اليوم، وقد تغيرت وجوه المعايش سواء فيما يرجع إلى

المأكل والملبس، أو فيما يرجع إلى المساكن، أو في كل حالة من حالاتها مضافاً إلى تصاعد أثمان كل شيء ـ رابعاً ـ إن تكاليف الحياة اليوم غيرها أمس وقد زادت اضعافها في جبل عامل ولما كانت القدوة كما عرفت آنفاً سنة من السنن الأجتماعية المقررة فقد سرى أثرها في نفوس الضعفاء بالاقوياء وأصبح اقتداء المتوسط بالغني والفقير بالمتوسط أو بالغني من الأمور الضرورية، ولم تقتنع كل طبقة بما كانت تقتنع بها أمس وطلاب العلم طبقة من الناس، وجماعة من أمة تغيرت هيئة تكاليف حياتها، فأصبح لهم مثل ذلك التغيير حذو القذة بالقذة، ولما كان أكثر الطلاب لا مورد لهم من موارد المعاش وقد شعروا بما تطلبه منهم الحياة الفردية والحياة العائلية التي سيصيرون إليها وتعليمهم لا يضمن لهم شيء من طرق الاكتساب والمعيشة الأتكالية مما تعافها النفوس الأبية سيما في هذا العصر الذي هو عصر عمل وجهاد فقد انفل أكثرهم في لهوات العمل مع العامليين، وفتح ابواب الهجرة إلى ديار العالم الجديد (اميركا) وكثرة المهاجرين العامليين دفع بالكثيرين منهم إلى المهاجرة تلمساً للرزق، وارتياداً للثروة.

الثالث السبب الأداري إن للادارة الحميدية يداً ظاهرة، في تراجع العلم العاملي، واقفال ابواب مدارسه، وطموس معالمها

كان طلاب العلم يتوفرون على التحصيل والتعليم وهم يعلمون إنهم يسئلون، ولا يعفون من خدمة العسكرية ما لم يبرهنوا على استعدادهم أمام هيئة تختبر تحصيلهم ولكن الادارة الحميدية ابطلت هذا الاختبار وحسبت ابطاله رفقاً بالطلبة ونصرة للعلم والعلماء فكان الأمر على العكس حيث اصبح التعليم من جري ذلك أثرياً خلوا من كل منفعة لإنخراط الكثيرين في سلك الطلبة فراراً من خدمة الجندية واختلط الحابل بالنابل ولم يميز المفضول من الفاضل فكان ابطال الامتحان ضربة قاضية على تلك البقية الباقية من التعليم العاملي وذهب بها إعادة الامتحان في العهد الجديد ولكن بعد أن صبت النفوس إلى تغيير هيئة التعليم وامتدت ابصار العامليين إلى الأقتداء بمجاوريهم في كل مرافق الحياة وشؤونها الاجتماعية والاقتصادية. هذا ما أراه من اسباب تراجع العلم في قطرنا العاملي.

فهل يعمل العامليون مع العاملين في ملاشاة تلك الأسباب ويسيرون في التعليم على مثال مجاوريهم حافظين لأنفسهم مراقبة التعليم إذا كانوا يتخوفون على ناشئتهم نزع اصول اخلاقهم والذهاب بآداب دينهم أولاً، فمصير جبل عامل إلى جهل مطبق حيث لا رجاء باعادة التعليم القديم والجديد منبوذ عندهم؟ وهل يرون ترك التعليم البتة أم يدعون نشأهم يرتطم في حمأة الأخلاق الفاسدة ولا يحولون بين الكثيرين منه وبين الهجرة إلى الديار الأمريكية بمراعاة قواعد العمران والاجتماع والاقتصاد وإلا فأن من أمثال أولئك المهاجرين وهم على غير بضاعة من علم وهدى وعلى غير بينة من جهاد الحياة ومرافقها البلاء النازل لجبل عامل والعامليين وتلك:

منزلة ما خلته يرضى بها
لنفسه ذو أدب ولا حجى

جريدة جبل عامل العدد ١ سنة ١٩١١

سليمان ظاهر

ن سعد للثقافة العربي

تجربة الكتابة التاريخية الماركسية
قراءات في أزمة المنهج والنظرية
د. حسن الضيقة
عيساف الفكر العربي

تجربة الكتابة التاريخية الماركسية

قراءات في أزمة المنهج والنظرية

تأليف : د. حسن الضيقة

مراجعة : د. وجيه كوثراني

يقدّم الدكتور حسن الضيقة في مساهمته، التي هي في الأساس دراسة نقدية للكتابة الماركسية عند سمير أمين، مناقشة جدّية لموضوعات أساسية في النظرية الماركسية العامة ولصيغ تجلياتها واستخداماتها عند اقتصادي نهج نهجاً مستقلاً عن المؤسسة الماركسية الأوروبية وبالتحديد عن مركز ثقلها المتمثل بالمدرسة السوفياتية. (ص ٧).

من هنا أولاً أهمية النموذج المختار للمناقشة. فهو نموذج يعتبره الماركسيون المركزيون (الأوروبو - سوفياتيون) « بدعة عالم ثالث ». ومع ذلك يبقى سمير أمين مشدوداً إلى المنطلقات المنهجية الماركسية العامة. ومن هنا تأتي ثانياً أهمية دراسة الدكتور الضيقة. فهي بتناولها لخصوصية كتابة سمير أمين التي تقدّم نفسها منحازة للأطراف في وجه المركز، تكشف عن استمرارية ارتباط هذه « الخصوصية » بالمنطلق الماركسي العام، ومن خلال طرحها للتساؤلات الجادّة حول الموضوعات المعالجة عند سمير أمين، يدعو الدكتور الضيقة لمنهج يطمح في ان يخرج من دائرة المركزية الأوروبية خروجاً كلياً، لا أن يبقى اجتهاداً في بلورة خصوصية تتمحور حول الماركسية وتدور بالتالي في فلك المركز وإن اعتقدت أنها تفلت منه بخصوصية النظرة، أو خصوصية « الثورة الاشتراكية ».

إن المنهج المدعو له يتجاوز حدود استخدام المفاهيم التي أرستها الماركسية كمسلّمات وقوانين علمية عالمية ينصب على دراسة تواريخ الشعوب كما هي وعبر معطياتها وتجاربها وانطلاقاً من قياس حضاراتها التي أنتجتها هذه الأخيرة قبل الاجتياح الرأسمالي الغربي، وفي ظل مقاومتها أيضاً لهذا الاجتياح. وهنا يتمحور السؤال حول مدى علمية « التفسير التطوري للتاريخ » واعتبار مرحلة النظام الرأسمالي « إطلاقية في التاريخ والعالم ». إذ إن هذه الاطلاقية التاريخية كما يقول

المؤلف، تنفي تاريخية تشكل النظام الرأسمالي نفسه لتحيل بنية اشتغاله وحركيته وطرقها إلى نقاط قياس مطلقة بالنسبة لما سبقه وما يتميز عنه من مجتمعات ونظم اجتماعية مختلفة..» (ص ١١ - ١٢).

اذن لم يعد النظام الرأسمالي في الماركسية «شكلاً تاريخياً»، وإنما «نمط انتاج» تُجرَّد ادالية عمله إلى مفاهيم قوانين يضعف التاريخ والمجتمع والعالم على أساسها ويصبح كل ما عداه: «ما قبل رأسمالياً» أو «متخلفاً» أو مرشحاً للدخول في التاريخ عندما يعم نمط الإنتاج الرأسمالي فيه أو يقفز عنه «بثورة اشتراكية» من شأنها «تطوير قوى الإنتاج» وفق الترسيمة المفهومية نفسها للماركسية.

وينظر المؤلف إلى الماركسية كإحدى المدارس الإيديولوجية التي أنتجها النسق الأوروبي وهي بذلك لا تصح وحدها مرجعاً لدراسة تاريخ الرأسمالية الأوروبية نفسها. إنها إحدى تعبيراته الفكرية على مستوى معرفة الواقع (ص ١٧ - ١٨): فكيف يمكن اعتبارها مرجعاً لمعرفة العالم وهي مع غيرها من المدارس الإيديولوجية الأوروبية لا تعكس بالضرورة وقائع التاريخ الأوروبي نفسه «فتاريخ النسق الأوروبي الحديث ليس بالضرورة تاريخ المدارس الإيديولوجية الأوروبية المختلفة» (ص ١٨).

ويدعو المؤلف في هذا السياق إلى «التحرر من رتبة سلطة الإيديولوجية الأوروبية - ولو بحدود جزئية - والانفتاح على الوقائع التاريخية المختلفة، سواء في داخل النسق الأوروبي الحديث (بوجهيه القديم والحديث) أو في المجتمعات البشرية المختلفة في أفريقيا وأميركا وآسيا». ذلك إن هذا الانفتاح «سيفسح المجال واسعاً أمام الباحث لإعادة النظر بجملة من التصحيحات الإيديولوجية وبجملة من القواعد المنهجية التي يرسف فيها (المثقف الحديث) في وقتنا الراهن[1]. وسيجد نفسه مضطراً للتعامل بشكل نقدي مع المناخ الإيديولوجي الأوروبي بنسختيه اللتين تعكسان وجهي عملة واحدة». (الرأسمالية والاشتراكية) (ص ٢١ - ٢٢).

إن العودة إلى تاريخية تشكل الرأسمالية من خلال الوقائع، لا من خلال الترسيمة الذهنية وتسلسل المفاهيم حول مراحل تطور انماط الانتاج، تتيح للمؤلف أن يعيد النظر في «مسلّمة» نشوء الرأسمالية من داخل النظام الأقطاعي كأمر حتمي للتطور. فالحروب الصليبية التي شكلت التعبير عن عنف المجتمع

---

١ - ثمة نماذج باهتة لهذا المثقف تجدها اليوم في سوق مثقفي بيروت، نماذج لا تحكي القواعد المنهجية الأوروبية بأمانة وصدق وكما يعبّر عن ذلك بعض الكتّاب ممن يصرحون بانتمائهم إلى تيارات غربية معينة، وإنما تفعل ما هو دون ذلك فتختلس النص الأوروبي اختلاساً وتدّعيه لنفسها مفهوماً ونظرية ومرجعاً. فيمسخ كتاب دومنيك شفاليه «مجتمع جبل لبنان...» عند وضّاح شرارة مثلاً ويعنون منسوباً اليه «في أصول لبنان الطائفي». ويستعار عنوان «جسد الملك» لميشال فوكو ويصبح عند شرارة «جسد السلطان»، ويلصق دون اشارة مرجعية مفهوم كلاستر وعنوان كتابه «المجتمع ضد الدولة» في مقالة شرارة: «المثقفون ومشكلة انفصام الدولة عن المجتمع»: الفكر العربي عدد ٣؛ ١٩٧٨.

الأقطاعي الأوروبي الموجه ضد الخارج وبالتحديد ضد الإسلام، مع ما ترتب عليها من نتائج هي في أساس نشوء الرأسمالية في أوروبا. ففي مناخ الحملات الصليبية، نما وتوسع دور المدن الإيطالية في الحروب الصليبية، وكانت الأرباح التي تراكمت من جراء الحملات البحرية في أساس النهضة المدينية في ايطاليا. (ص ٣٢).

ذلك إن للحروب الصليبية وجهين: «تطور وتحول من جهة. وتدمير وافناء من الجهة المقابلة. هاتان كانتا وجهتي السياق التطوري للنسق الأوروبي: بناء في الداخل ونفسي وتدمير للخارج. انه تطور مشروط بنفي الآخرين وتدميرهم ونهبهم. تلك هي الشروط المنهجية الضرورية لمتابعة البحث في أسس وشروط صعود الغرب إلى موقع الهيمنة والسيطرة على المستوى العالمي» (ص ٤٤).

هذه الشروط التي ينطلق منها المؤلف لمتابعة بحث السيطرة الغربية، تتيح فهم اوالية السيطرة البريطانية ابتداءً من القرن الثامن عشر على الاقتصاد العالمي، وفهم مسألة تطور القوى الانتاجية في داخلها. فهذه الأخيرة ليست إلا إستجابة لزيادة الطلب عن الانتاج. وازدياد الطلب هذا مرتبط أساساً بوجود سوق خارجية، (ص ٤٩). ثم أن البحث عن تاريخية تلك الشروط تتيح أيضاً فهم طبيعة التفوق الأوروبي آنذاك. إنه ليس تفوقاً (حتى نهاية القرن السابع عشر)، بمستويات التقنية والانتاج. انه «يتركز أساساً في مضمار إستخدام الأسلحة النارية، ضمن مشروع سيطرة عالمي متعدد الأبعاد» (ص ٥١).

من هنا تربط محاولات إبادة الحضارات القديمة بصعود وتفوق النسق الأوروبي الحديث. وهذا ما يؤكد عليه المؤلف عندما يشير الى ابادة مئة مليون نسمة في القارة الأميركية كانوا منضوين ضمن أربع حضارات أساسية (ص ٥٦ ـ ٥٧). وعلى ضوء ذلك يناقش المؤلف مفهوم قوى الإنتاج فيرى إن هذا المفهوم «قد خلط بين وقائع التطورات التقنية بمختلف أوجهها فأدرجها مجتمعة ضمن المستوى الإنتاجي. فهنالك التطورات التقنية المتعلقة بعملية الانتاج، ولكن هنالك أيضاً التطورات التقنية المتعلقة بالآلية الحربية مضافاً اليها الخبرات العسكرية والقتالية المختلفة». ويلاحظ المؤلف: «عدم وجود تزامن وتساوق فيما بين هذه المستويات المحايزة». ويعطي المثل التالي: «ان مقارنة بسيطة بين مستوى تطور القوى الانتاجية المرتبطة بعمليات الانتاج المختلفة، بين الصين والهند عشية «اخضاع الغرب الأوروبي لها في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبين المستوى الانتاجي للبرتغال أو بريطانيا، يظهر لنا بكل وضوح تفوق الصين والهند على الغرب الأوروبي في ميدان الفاعلية العسكرية بالمقارنة مع الغرب الأوروبي في تلك المرحلة. والأمر نفسه ينطبق على دراسة مقارنة للوضع الانتاجي للحضارات الهندية الأميركية مقارناً بوضع أوروبا الإنتاجي في الفترة نفسها» (ص ٥٨ ـ ٥٩).

وفي سياق نقاشه لمفهوم قوى الانتاج، ينتقد المؤلف ادراج الناس (القوى العاملة) ضمن هذا المفهوم. إذ لا يمكن اعتبار الموقع

في الانتاج » هو الحاسم في تكوين وضعية الجماعة ». إنه عنصر مهم ولكنه جزء من عناصر أخرى مهمّة في « لوحة ممارسة كلية » . هذه الكلية هي التي تعطي هذا العنصر دلالته وموقعه وهي التي تحدد الثقل الذي يتمتع به في المجرى العام لحركة الناس والمجتمع » (ص ٦١) .

وهذه النقطة هي التي تتيح تحرراً من وطأة الإيديولوجيا التي تقدّم نفسها عبر تمثل النخبة لها « حقائق » « وعقلانية » تتطابقان مع نظرة الحزب حامل مشروع السلطة أو المدافع عن السلطة القائمة . وإذا كان نقد استخدام المقولة الماركسية التي تحول الناس إلى « قوى انتاج » يندرج عند المؤلف في دعوة تحريرية للإنسان من قيود « الموقع في الانتاج » فإن هذا النقد يندرج أيضاً في نظرة نقدية أوسع « لمفهوم التسلط الشكلي والتسلط الفعلي » ومفهوم التبادل في الماركسية . ذلك أن الرأسمالية في المركز لم تستتبع البلدان المختلفة في أنماط انتاجها ونماذج حياتها عن طريق التغيير في تقنيات الانتاج ووسائله وصولاً إلى انجاز اقتصاد رأسمالي عالمي . ذلك أن التدمير الحضاري والتصفية البشرية في المجتمعات الهندية الأميركية وكذلك في أفريقيا كانت شرطاً لتوفير السيطرة الرأسمالية من قبل المركز .

وهذه السيطرة لم تتم عن طريق اوالية اقتصادية . بل هي عملية سياسية وثقافية وحضارية واقتصادية كاملة اتسمت بالعنف منذ مرحلة الغزوات الغربية الأولى وصولاً إلى مرحلة الامبريالية . وهذه السيطرة جوبهت من قبل حضارات الشعوب وكان على رأس هذه الحضارات المقاومة الحضارة الاسلامية . إن هذه المقاومة تطرح تساؤلاً حول مدى صلاحية مقولة : « التحول نحو نمط انتاج رأسمالي ناجز » ، وهل هذا التحول هو « تقدمية » في التاريخ ؟ . ألا تصبح المقاومة الاسلامية لهذا التحول وفق المقولة الماركسية ، مقاومة ضد « تقدمية » التاريخ أي رجعية ؟ .

إن النقد الذي يوجهه حسن الضيقة لمفهوم التسلط الشكلي والتسلط الفعلي ومفهوم التبادل غير المتكافىء ، يشكل ركيزة لإعادة قراءة التاريخ وقراءة الاقتصاد العالمي والاقتصاديات القومية قراءة نقدية جدّية ، لا تعترف بعالمية الاقتصاد الرأسمالي كإنجاز قائم ولا مفر منه إلا من داخله . « لقد أرسى هذا النسق آليات وعلاقات عملت وتعمل على الدوام باتجاه نفي الخارج والتسلط عليه . من هنا تأتي الاستفاقة العقائدية والثقافية والسياسية لشعوب « العالم الثالث » لتعبر عن هذا المأزق التكويني للنسق الغربي الحديث » . (ص ٩١) . ويضيف المؤلف مستنتجاً : « إن الصراع الذي تخوضه شعوب العالم الثالث ضد النسق الغربي الحديث (بوجهيه الرأسمالي والاشتراكي) لا يندرج ضمن مقولة صراع الشرق مع الغرب بل يندرج تحت عنوان محدد : التخلص من سيطرة نسق تاريخي بعينه » (ص ٩٢) . من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة ، إنها صيحة حارة وصادقة على الانخراط بنهضتنا المتواصلة مع تاريخنا المقاوم .

وجيه كوثراني

قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية

للعلامة روكس بن زائد العزيزي

- ٢ -

بقلم جعفر الخليلي

كان كل الإهتمام والرعاية، والعناية بالتراث العربي لغة، وقواعد واجتماعاً وتاريخاً، يوم كانت القومية العربية والدولة في العصر الأموي وفي الأعصر العباسية الأولى، موحدتين، أو شبه موحدتين، وحين كثر تغلغل العجمة وتقاليدها داخل الدولتين المذكورتين، وداخل الشعوب العربية، وظهرت ملوك الطوائف، وخرج الأمراء على الخلفاء قبل وبعد العصور المغولية، تفككت تلك الوحدة وما لبثت إن صار لكل قطر من الاقطار العربية - حتى الجزيرة منها - لغات ولهجات وتقاليد ومذاهب، واحكام تخالف طبيعته الجزيرة الأولى، وحتى لقد دخلت على الحروف الهجائية حروف جديدة، لم يكن يألفها العربي القديم، ولم يطق الفم أن يمضغها، مثل (الباء) المنقطة بالنقاط الثلاث، والجيم، و (الزاى) و (الفاء) المنقطة بالنقاط الثلاث والكاف الفارسية، فلم يعد التمييز ممكنا بين العربي وغيره في بعض الاقطار العربية التي اضاعت النطق الصحيح، في حين كان يقال: «أن العرب افصح من نطق بالعناء». ولم يزل هذا التفرق يتسع نطاقه حتى اضاع العرب في بعض اقطارهم، ضبط حرف (الذال) وصاروا ينطقون بها (زايا)، ومثلها حرف (الظاء) كأنها (الضاد) قد تحولت إلى (زاى) هي الأخرى، وكثر انتشار الكاف الفارسية. أما الذي اضاعوه من طباعهم ومزاياهم، وتقاليدهم، فقد كان أكثر وأكثر.

وأول من عني بهذه الدراسة، دراسة السير، والمزايا، والتفكيك الذي اصاب العرب، فحرمهم عن طباعهم الأصلية، بسبب تداخل الشعوب الاجنبية في مطاويهم، وحلل هذه الطباع، كان (ابن خلدون) ولذلك حين ظهر علم الاجتماع إلى الوجود، فطن العلماء إلى ان فاتح هذا الباب، باب الاجتماع، كان (ابن خلدون) الذي خص تحليل الطباع، والصفات والمزايا بالشيء الكثير من الاهتمام.

وعلم الاجتماع هو دراسة المجتمع بجميع خصائصه، وصفاته، ومزاياه من لغته، وعاداته، وتقاليده، ودينه. ورد الكثير من هذا إلى اصوله، وأول من فتح باب هذا العلم وسماه علماً،

كان العالم الفرنسي (اوغست كونت) - وذلك في عام ١٨٣٩ وأول كتاب جمع فيه محاضراته في علم الاجتماع كان كتابه المسمى (الفلسفة الوصفية) ومن ذاك اليوم وجهت هذه الدراسة انظار العلماء إلى دراسة الشعوب، من هذا الطريق ثم توسع هذا العلم، فاختص كل عالم بدراسة جانب من جوانب هذا العلم، فمنهم المختصون بالاديان، وآخرون باللغة، وغيرهم بالفولكلور وإلى أبعد من هذا بكثير.

وظهر في البلاد العربية من اختص بتعقيب الامثال، أو الاساطير أو الانساب لقطر واحد أو أكثر، ولكن مثل هؤلاء كانوا قليلين، لأن هذا التتبع يحتاج إلى مجهود كبير.

قلما يستطيع واحد أن ينجز منه المطلوب، ما لم يشد ازره آخرون من العلماء ولا سيما إذا كانت هذه الدراسة مقتصرة على قطر من اقطارنا العربية، لكثرة ما انتاب هذه الاقطار العربية من تغيير، وتبديل في اللغة، والتقاليد حتى في المذاهب الدينية.

والحق إنها الجراة، وجراة كبيرة أن ينبري شخص وإن اوتي من الملكات الشيء الكثير لدراسة مجتمع عربي من جميع نواحيه، ولربما كانت هذه الجرأة شبيهة بالمعجزة، وصاحب المعجزة هو البحاثة العلامة اللغوي الواسع الاطلاع الاستاذ (روكس بن زائد العزيزي) الذي شهد الأب (انستاس الكرملي) عميد علماء اللغة في زمانه بمقدرته ومواهبه خطياً. أما الموضوع، فكان (قاموس العادات، واللهجات والأوابد الأردنية).

وإلى جانب اطلاع المؤلف الواسع، لكونه من اصل قبلي، عربي، ومحيط بتاريخ القبائل، وعارف بسننها، فانه نزل إلى هذا القاموس الواسع المحيط باللغة المألوفة في الأردن، وبقبائلها واصولهم، وعاداتهم وما اتصفت به كل جهة من جهات الاردن بصفات خاصة، ذات طابع قديم أوحديث. لقد نزل إلى تأليف هذا القاموس مستنداً إلى (١٥٠) مصدراً بالاضافة إلى ما يختزن في صدره من المعرفة، فوضع بعد سنين من جهد مضن، ودراسة عميقة، وتحقق دقيق، ومقابلة للشيوخ المسنين المعروفين بسعة الاطلاع، فوضع هذا القاموس (قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية) في ثلاثة اجزاء. لم نبالغ إذا سميناه بالمعجزة. وعبد الطرق لعلماء الاجتماع إذا ما ارادوا أن يعرفوا الأردن معرفة كاملة، ويستخلصوا حضارته، وطبيعته، ولون نشأته، وعلاقته بالاصل العربي، وما بقي من التراث الاصيل، وما لم يبق عند السكان والقبائل، وتقع هذه الأجزاء في نحو ألف صفحة من الحجم الكبير، وقد رتبه المؤلف على الحروف الهجائية بعد أن جاء في الجزء الأول على تصوير اللهجات، واختلافاتها، وكيفية النطق بالكلمة، عند كل قبيلة من القبائل مستشهداً بالشعر، فمثلاً حين كسرهم القافية في المضارع، بدلاً من الرفع يأتي بقول (سالم القنصل) شاهداً، فيقول:-

يا رب تعز الشيخ عزاً يدوم (كذا) يا رب وإنك تنصره من سماواك. وكثيراً ما ينصبون المضاف إليه، بدلاً من جره، يقول شاعرهم:-

عقب هـ المعلون كلب   دار ينبح مثل (اباه)

وفي العراق، يرفعون المضاف إليه، فيقول شاعرهم مثل (ابوه) ويورد لكل قبيلة لهجتها. وفي ذكره لـ (الكرادشة) يقول: (الكرادشة) كما يقال، قدموا من (حوران) ونزحوا والمعايعة من (الكرك) بعد نزوح (العزيزات) عنها، ولهم اقرباء في (الناصرة) يسمون (ال كردوش) ونساء (الكرادشة) يلفظن الكاف (هاء) في (هيك) فيقلن (هيه).

وهكذا يأتي على جميع القبائل ـ التي ذكرها وشافهها ـ بما عرفوا به من الاوصاف، لغة، وطبيعة، واصلاً، ويأتي باللغات والمصطلحات حسب الحروف المجائية، في الاجزاء الثلاثة، إلى أن تنتهي الحروف ويقول في (آه) مثلاً ـ اي: ـ يا للأسف، وهي مستعملة عند الارادنة بدوهم وحضرهم:

قلـــت آه وابيــــــاه ع الغــــــانمين   وين اللي ايشب ابريقه البيت لله نار؟

ويقول في معنى ذلك: «يا أسفي، ويا أسف والدي على فقدان الاجواد فأين الكرم الذي يشعل في ساحة بيته ناراً للضيافة؟

ومن التقاليد، يروي اشياء كثيرة عند البدو، ويقول: ـ من كرامات الابل عند البدو، إنه لا يجوز للمرأة حلب الناقة، فكان لبن الابل قربان لله، أو ذبيحة للهيكل، لا يحق للمرأة تقديمها، لأنها من خصائص الكهنوت، المقصور على الرجال.

ويقول: «إن البدو يرون أن سوق الابل بغير عصا اللوز امتهان لها لإعتقادهم إن عصا اللوز خاصة بالانبياء، وإنهم استعملوها في سوق ابلهم، وقد قال شاعرهم:ـ

ابعصـــــا اللـــــوز ايهوزه هــــــوز   او تمشي هــرفــا، مــــا هــــوكـــــز

ويقول في معنى ذلك، إنه لا يضرب ذلوله، فهو رفيق بها، وإنما يوهم ذلوله بأنه يرد ضربها، ومن شدة رفقه بها، لا يستعمل سوى عصا اللوز ولنشاط هذه الراحلة، فإنها تمشي بسرعة، غير مدفوعة بالضرب دفعاً وغير ذلك الكثير الذي ربما تجاوز عشرة آلاف كلمة، وأكثر في هذه الاجزاء الثلاثة.

عمان   جعفر الخليلي

نوادر

- سقط أحد اللغويين أو النحويين أو السجاعين في بئر فجاء أحدهم لإخراجه فقال له اللغوي: أحضر لي حبلاً دقيقاً، وخذ بيدي أخذاً رفيقاً وشدني شداً وثيقاً، واجذبني جذباً رقيقاً، فقال له الرجل: والله لن أكون عليك شفوقاً... وتركه ومضى!
- الكامخ يُصنع من الحنطة واللبن وهي أكلة قدمت لأعرابي فلم يستطبها وأكل منها قليلاً ودخل المسجد فسمع الإمام يقرأ في الصلاة (حرمت عليكم الميتة ولحم الخنزير) فقال الأعرابي والكامخ يرحك الله.

الرّضاعة ورسالة المحبّة!

بقلم د. رشاد دارغوث

بعد أن شاع العنف: يا نساء العالم أرضعن أطفالكنّ!

تمر على البشرية أدوار، تعاني فيها من الكفر بالقيم، وفي طليعتها الأخلاق الفاضلة، مما يسرع بها الى الانحطاط فالأنهيار. وقد شهد التاريخ مصرع أمم كثيرة، بهذا الداء الوبيل. ويكفي أن نذكر سقوط الرومان، تحت اقدام برابرة الشمال، وإنهيار بغداد تحت سنابك خيل المغول.

ولا يهمنا ان نعلّل ذلك، أو نفلسف. فلهذا وذاك مجال آخر، سبق لأبن خلدون أن وفاه حقه، في «مقدمته» المعروفة.

إلا أننا، من خلال استقرائنا ومشاهداتنا، والتجارب التي عانيناها، في أنفسنا، وفي من حولنا - وقعنا على أسباب لا تقل عما أورده إبن خلدون في بحثه عن فلسفة العمران، وبواعث نهضة الأمم وسقوطها، ولا تنحط عما أرتآه فيما بعد علماء الإجتماع من آراء، كانوا فيها، في هذا المجال، تلامذة للمؤرخ التونسي المذكور.

وحسبنا، في بادىء الأمر، أن نلاحظ إن المرأة كانت وراء كل إنحطاط، كما هي وراء كل إرتقاء. والمرأة أمّ اولاً، وأخيراً! هذا هو ناموس الطبيعة. وكما إن الأب يورّث النسل خصائص الجنس، كذلك الأم تنقل اليه تلك الخصائص. ومعلوم كذلك إن الوراثة تشمل نقل الإستعداد لما يكتسبه الوالدان في حياتها. فالمدمن على الخمرة أو التدخين، ينقل الى نسله الإستعداد لإدمانها. هذا وذاك ثابتان في الوراثة، والطب، وإن لم يصبحا من القواعد الثابتة.

وقد جاء في الحكم المأثورة: «الولد سر أبيه»! ونستطيع أن نضيف: إنه سرّ أمّه أيضاً». وقد فسّر القدامى هذا السر «بأنه ما يضمره الوالدان حين التلقيح، من خير أو شر، من صلاح أو فساد، من محبة أو بغض، من تسامح أو حقد...

وشيء آخر هو هذا المقام الطويل، في أحشاء الأمهات، بعد أصلاب الآباء. ألا يتكيف كل حيّ بالبيئة التي ينشأ فيها؟ فكيف لا يتكيف كل مولود، بما في صلب أبيه، ورحم أمه؟

وبعد الولادة، هذه الرضاعة التي تستمر أشهراً، أو سنين، ألا تنقل الى المولود، عبر الثدي، جميع ما في قلب الأم، ونفسها ودمها وفكرها وعقلها... من مناعة إنسانية، وبذور للعواطف البشرية، والأخلاق والصفات والملكات... وسائر ما يميّز الإنسان عن سواه، وكل إنسان عن أي إنسان آخر؟

حتى الشخصية ومقوماتها، وهي في كل إنسان أشبه بخطوط إبهامه، ذات معالم خاصة به لا يشاركه فيها أحد ـ إن الأم تنقلها الى وليدها عبر ثدييها، هذين الحقين اللذين ملئا حياة ونعمة، وبركة ـ أو موتاً ونقمة ولعنة!

فإن صلحت الأم، أخلاقاً وعملاً، إيماناً وسلوكاً، صحة ونفساً، جرى اللبن ترياقاً من صدرها الى روح المولود وجسده، والعكس صحيح.

فإذا عدنا الى التاريخ نستقرئه والى الحاضر نستنطقه: متى بدأ الانحلال في الأمم القديمة، والمعاصرة ـ لوجدنا إن بداية كل إنهيار تلازمت وبداية إمتناع الأمهات عن الإرضاع. وفي جميع الحالات، كنّ يكلن إرضاع أولادهن الى... نساء مستأجرات أو الى ...الحيوانات! وفي كلتا الحالتين تخسر الأم من أنوثتها، وإن ربحت بعض مقاييس الجمال ـ لفترة من الزمن ـ وتخسر الأمة ابناءها وبناتها، على طول الزمن.

ويكفي أن نلقي نظرة الى ما يقع حولنا... في العالم بأسره! ألا نرى الامهات، بتأثير خادع من الأناقة ومقاييس بعض المستهترات، قد عزفن عن الإرضاع ـ واكتفين بإعطاء المواليد « مصاصة الحليب؟ ترى هل بإمكان البقرة مثلا... أن تحلّ محلّ الأم، في منح الوليد الصفات الإنسانية والأخلاق البشرية، والإستعدادات السامية، إذا حلّت محلها، بحليبها، في منحه الغذاء الكافي لجسده، ولنمو ذلك الجسد؟

إن أخشى ما نخشاه هو أن ينقلب الناس، بعد بضعة أجيال، لا الى ثيران يتناطحون ـ كما فعلوا في الحربين الاخيرتين ـ بل أن ينقلبوا جميعهم الى بشر، لا همّ لهم إلاّ الملذات المادية وحدها: يجترون بالأطعمة، وينغمسون في الموبقات، وينسون أن للإنسان رسالة أخرى، أسمى وأروع.

تلك الرسالة تنقلها الأم « البشرية » الى أولادها، بطريق الرضاعة: إنها رسالة المحبة. وهي من عند الله.

بيروت: رشاد دارغوث.

عـــودة للأصـــول

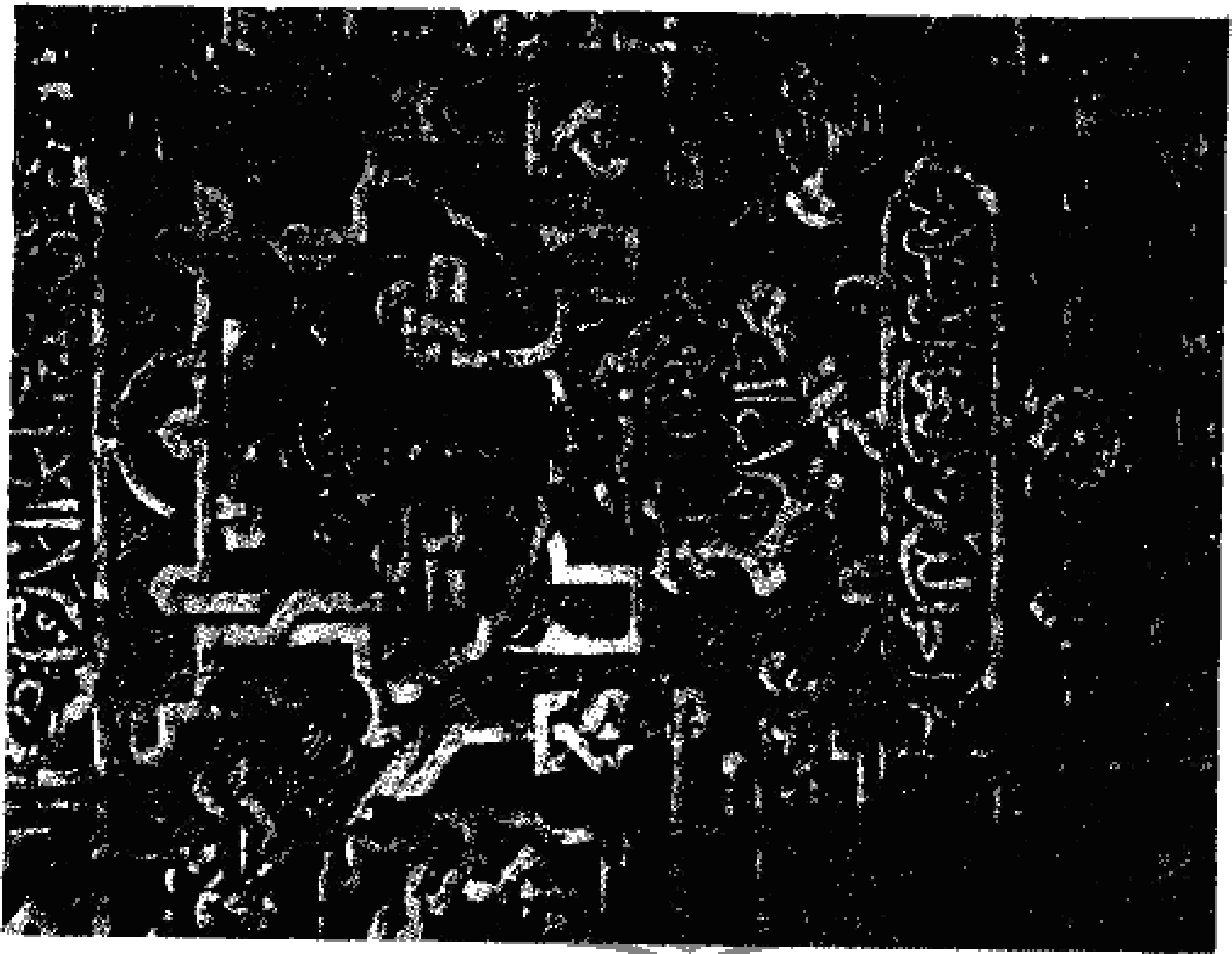
بقلم حسن يزبك

قالت لي إبنتي، الطالبة في أحد المعاهد العليا - في دكار - بعد عودتها الى البيت، أريد أن تساعدني - يا أبي - في هذا الموضوع الفلسفي المهم. لقد طرحتْ علينا أسئلة تدور حول فلسفة الأغريق والحضارة الأوروبية - والدور الفكري البارز الذي لعبته الفلسفة العربية - بعد ظهور الاسلام - بالنسبة للحضارة الغربية - عامة.

قلت لأبنتي: أنا - اصلاً - لست فيلسوفا - إنما سأحاول قدر الامكان - مساعدتك وتقديم بعض الأفكار والآراء حول هذا الموضوع. إنه موضوع مهم ومثير. وستكون أفكاري من وحي شعوري العربي والانساني.

تعتبر الفلسفة الاغريقية القديمة أم الفلسفات كلها. ونستطيع أن نقول ونعترف أن التفكير الفلسفي الاغريقي القديم - يعتبر الاساس الانساني الذي قامت عليه حضارة الغرب. مثل هذا الاعتراف - ليس هو المهم. المهم هو ان نحاول بكل تواضع إبراز دور العرب - بعد ظهور الاسلام - دورهم الابداعي الرائد - بالنسبة لواقع الحضارة الاوروبية - خاصة - ولواقع الحضارة الانسانية - عامة. بعد ظهور الاسلام وبروز مبادىء الرسالة - رسالة الحق والفتح المبين وانتشار الدعوة المحمدية الكريمة - بدأت تظهر في الأفق - معالم الانطلاقة الانسانية الجديدة - انطلاقة عهد وانطلاقة حضارة. في ذلك الوقت حصل ذلك الاتصال والاحتكاك الكبيرين بين العرب - كوعي إنساني جديد وبين الفلسفة اليونانية أي الاغريقية. ونقلتْ الفلسفة الاغريقية للعرب بواسطة كبار المترجين، وتأثر العرب بالفلسفة بمعالم هذه الفلسفة وحاولوا دراستها وهضمها جيدا - وهكذا تسنى دخول العرب التاريخ وبناء حضارة عربية - إنسانية زاهرة. ويجب أن نوضح هنا - إن العرب لم يكتفوا بالنقل فقط - بل - أضافوا أشياء كثيرة من أفكارهم الخاصة وحاولوا تفسير الأشياء المنطقية والفلسفية الكبرى - حسب ما يوافق ويتناسب مع الواقع العربي - الاسلامي الجديد.

في ذلك العهد - كانت مدن - قرطبة واشبيليا وبغداد وتونس والقاهرة - كانت تمثل - مراكز العلم والاشعاع الفكري - والثقافة الانسانية. وكانت اوروبا تعتمد عليها - كأساس لتثقيف ابنائها وبناء حضارتها. عندما - كانت اوروبا راقدة وتغط في سباتها - كانت رايات الحضارة العربية - الاسلامية ترفرف هنا وهناك. لو أردنا عقد مقارنة - مثلا - بين فلسفة اوغست كونت وفلسفة عبد الرحمن بن خلدون الاجتماعية أو بين الكوميديا الآلهية التي كتبها دانتي وبين رسالة الغفران التي أبدعتها مخيلة أبي العلاء المعري أو بين بخلاء الجاحظ وبخيل موليير - لتبين لنا - للمنصفين كيف أن



العرب سبقوا الأوروبيين أشواطاً في ميدان الفكر والثقافة والفلسفة. وكما أن العرب نقلوا فلسفة الاغريق للغتهم ودرسوها واعتمدوا عليها - كمرحلة - كذلك أوروبا - اعتمدت الفكر العربي وتناولت الثقافة العربية - الاسلامية - كمنطلق - لتبني معالم حياتها الجديدة - آنذاك.

ابنتي الحبيبة /

الاسئلة التي طرحت عليكِ - كانت أسئلة مهمة، مثيرة. وكنت مضطراً أن تتحلى كتابتي بهذا الطابع وان اعتمد طريقة الشرح والمقارنة. المسألة لا تمثل العودة للماضي - للوراء - عودة يكتنفها الجمود. إنها محاولة للعودة للينابيع الصافية العودة للأصول - للتراث. هل تفهمين ماذا تعني كلمة العودة للتراث؟ إنها حركة أو محاولة جادة تعني أولا وقبل كل شيء أن نكون واعين لمدى إرتباط الماضي بالحاضر عسى أن يساعد هذا الارتباط تحديد تطلعات المستقبل. العودة للتراث - هو تذكير حي نابض بالديمومة والحركة - إنها إنارة الطريق أمام مسيرة حضارة العرب والمسلمين والإنسان الجديد. وكذلك أردت - عبر - كلماتي أن أبرز وأبلور فكرة الانفتاح الفكري الانساني بين المجتمعات والشعوب. إنها الفكرة التي حملها الشاعر سنغور - حيث قال / (كي نحاول إبراز فلسفتنا الزنجية وتقديمها للعالم - كنهج وجود افريقي - يجب أن نكون منفتحين على أفكار وثقافات الأمم والشعوب الأخرى).

أخيراً: إنها محاولة مغترب عربي - يريد إبراز صوت الحضارة العربية - الاسلامية في الخارج: حضارة مضت وستعود.

دكار - حسن يزبك -

قصة أمراض القلب

- ٣ -

بقلم د . محمد ياسين

ماذا يوجد في القلب « عند الصينيين » وماذا يجري في أوعيته ؟

لقد كان الصينيون يرون أن في القلب طاقة هي الطاقة الحيوية الأساسية والمبدئية ، وأن هذه الطاقة لا ترى ولا تلمس ، ولكنها تجري في جسم الإنسان بدون توقف ، فهي تنطلق من الرئتين بين الثالثة والخامسة صباحاً ، وتكون في القلب بين الحادية عشرة والواحدة بعد الظهر . ثم تتابع بعد ذلك جولتها نحو الأمعاء والمثانة ، وتعود من جديد نحو الرئتين .

أما الأوعية الدموية فلا يجري فيها الدم فقط - في نظر الصينيين - وإنما يشاركه في ذلك الهواء والريح الحيوية « الين واليَنغ » .

في تشخيص الصينيين للمرض اعتمدوا على النظر إلى المريض وجس نبضه لمعرفة مزاياه وخصائصه ، وكانوا إذا وجدوا تجانساً بين لون وجه المريض وقوة نبضه ، يعتقدون بأن شفاءه قريب ، أما إذا كانت هناك مفارقة بين الاثنين فذلك يدل على أن حال المريض سيئة وأن العضو المصاب أو المريض ليس كما ينبغي وليس على ما يرام .

أما في علاجاتهم فكانوا يستعملون الأدوية والعقاقير ويلجأون في كثير من الحالات إلى مغلي الزهورات [كانوا يفضلون النباتات ذات الطعم الحاد لتنشيط القلب والنباتات المرة لتهدئته] .

ولكن العلاج بطريقة وخز الإبر يبقى عندهم طريقة العلاج الرئيسية ، ولها مبادئها وأصولها ، وللقلب كما سبق وقلنا « مرديانات » عديدة تقع عليها نقاط « محطات » منشطة ونقاط مهدئة ونقاط ذات فعالية مختلفة .

وهكذا تختار النقطة (١) لتنشيط القلب في حالة بطء النبض أو عدم انتظامه ، والنقطة (٧) لتهدئته في حالة تسارع دقاته أو في حالة ارتفاع الضغط الشرياني .

ولكن الذي يجب أن نتذكره دائماً ولا ننساه أن مريدين القلب - عندهم - ليس خاصاً به دون غيره إذ نجد عليه نقاطاً تؤثر على أعضاء أخرى ، فمثلا النقطة (٥) تؤثر على الضيق النفسي والقلق والخجل وغيرها ، بينما تؤثر النقطة (٦) على الصداع ونفث الدم والخفقان .

وانطلاقا من هذا الاعتقاد آمن الصينيون أن الجسد كل لا يتجزأ ، وأن القلب والشرايين لا يمكن فصلها مطلقاً عن بقية الأعضاء وأن العلاج - في كل الأحوال - ينبغي أن يقوم على توازن تام كامل بين « الين والينغ » .

الآشوريون والبابليون لم يكونوا - كبعدهم الزمني عنا - بعيدين عن طب اليوم

لم تكن قصة الطب وتاريخه لينفصلا في شرقنا الأدنى عنها في بقية الأمم والشعوب، فكما عند الأمم القديمة، كان الساحر والروحاني والطبيب جميعاً يعملون متعاونين أو منفصلين في معالجة المرضى.

وكثيراً ما كان الطبيب يستعين بالنباتات والأعشاب لعلاج مرضاه، ويهتم بالمراقبة والملاحظة في التشخيص والعلاج، كما يهتم بجس النبض وملاحظة التغييرات التي تطرأ عليه، ويمكن القول إن طب الآشوريين والبابليين قد شكل مدخلاً جيداً وصحيحاً إلى طبنا اليوم.

ولكن لا بد من الإشارة إلى أنهم لم يكونوا يعرفون القلب حق المعرفة، فكانوا يعتبرونه مركز الذكاء والذاكرة وحركات النفس، والنشاطات المختلفة السيء منها والحسن. بينما يعتبرون الكبد مركزاً لتوزيع الدم ينطلق منه ويعود إليه، حتى ليظن كثيرون أن التعبير العربي السائد «يا كبدي» إنما جاء من أصول آشورية.

التهابات صمامات القلب وتصلب الشرايين عند المصريين القدماء ومعارفهم في هذا المجال

ليس من السهل الحكم على مدى تقدم الطب عند المصريين القدماء، ولا على ما أولوه من عناية وأعطوه من قيمة، ولا على مدى إلمامهم بأمراض القلب والشرايين ومعرفتهم لأسبابها وعلاجها، بالرغم من كل ما وصلنا عنهم بفضل قراءة المخطوطات التي عثر عليها العلماء مكتوبة على أوراق البردي، وأهم هذه البرديات بردية «إيبر» التي يبلغ عدد سطورها ٢٢٨٩ سطراً، وبالرغم من أن هذه البرديات قد أعطتنا الكثير عن حياتهم ومعارفهم ومن بينها الطب.

أما المومياءات التي ثبت أن بعضها كان مصاباً بتصلب الشرايين وبعضها الآخر كان يحمل تكلسات هامة عند الشريان الأبهر، فقد كان لوجودها أثر كبير في إلقاء بعض الضوء على أوضاعهم الصحية ومعارفهم الطبية آنذاك. إحدى هذه المومياءات، وتعود إلى ألف سنة قبل المسيح، كان صمام القلب التاجي فيها يحمل بعض الندبات، مما يحمل على الاعتقاد أن التهابات الصمامات كانت مرضاً موجوداً منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة تقريباً.

ولقد تحدث المؤرخ «هيرودوت» عن نقطة هامة في الطب عند المصريين، وهي قضية الاختصاص فقال بأن المصريين القدامى عرفوا الاختصاص في معالجة الأمراض، حتى أنه لم يكن يسمح للطبيب إلا بمعالجة نوع واحد من المرض فحسب.

محمد ياسين



عودة سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

عاد سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين الى لبنان بعد رحلة الى افريقيا لتفقد الجالية اللبنانية، وإلى فرنسا حيث التقى وزير الخارجية كلود شيسون.

ـ وقال حول نتائج جولته الافريقية: كانت الزيارة الى افريقيا لتفقد الجاليات اللبنانية هناك واطلاع هذه الجاليات على اوضاعنا في لبنان، اوضاع لبنان عموماً وأوضاع الجنوب بشكل خاص، وللاطلاع أيضاً على آراء قيادات هذه الجاليات التي تمثل احدى أعظم الانجازات اللبنانية في العالم.

أضاف: الحمد لله، كانت الزيارة في اقصى مستوى حدود النجاح. وقد تمكنا من الاطلاع على آراء جميع الجاليات اللبنانية في البلدان التي زرناها، هذه الجاليات التي اغتنم فرصة وصولي إلى الوطن لأوجه اليها من هنا التحية والاكبار لعزمها وتصميمها ولما حققته من نجاح ولاوجه التحية والشكر الى رؤساء البلاد الافريقية التي زرتها والى حكومات هذه البلاد التي تستضيف ابناءنا، والتي يساهم ابناؤنا المهاجرون في اعمارها.

عن طبيعة المحادثات التي اجراها مع الوزير شيسون اثناء زيارته الى باريس قال سماحته: لقد اجتمعت الى الوزير الفرنسي شيسون والى أركان وزارة الخارجية الفرنسية وتحدثنا معاً في القضية العربية، قضية الشرق الاوسط، وفي قضية لبنان على نحو مركز، وفي الاخطار الآنية التي تواجه الجنوب اللبناني نتيجة للتهديدات الاسرائيلية الملحة وقد كانت لقاءاتنا مع الوزير الفرنسي، ومع المسؤولين الفرنسيين الاخرين، ناجحة ومثمرة، وأرجو ان تترتب عليها نتائج ايجابية وفوائد ان شاء الله.

وعما اذا كانت هناك نتائج قريبة، قال: تعلمون ان ما يجري هو امر في غاية التعقيد، وفي غاية الخطورة ولا بد من مراقبة كل ما يجري، من اجل اصدار حكم على توقيت النتائج. علينا ان نعمل.

حول ما اذا كان يملك معلومات معينة على صعيد قيام اسرائيل بعدوان جديد على الجنوب. قال: عندي معلومات تؤكد ان الخطر جاد. وإن اسرائيل مصممة، والعمل الدولي الذي يقوم به العرب ويقوم به اصدقاؤنا في العالم، ومنهم الفرنسيون الذين اكدوا موقفهم لجهة حفظ الجنوب، هذا العمل لا اعتقد انه يكفي، بل لا بد من رفع وتيرة مستوى العمل العربي لتنفيذ مضمون القرارين ٤٢٥ و ٤٢٦ وما لحقها من قرارات بشأن الجنوب، ولتنفيذ مقررات القمم العربية بشأن الجنوب، وإلا فاني اخشى بالتأكيد ان يأتي يوم نبكي فيه على حدود الجنوب.

ـ وقام سماحته بجولة تفقدية على قرى الجنوب ومما قاله أثناء الجولة : « إن الحروب لا تواجه إلا باستراتيجية اسلامية وعربية، وبحرب تحرير شعبية شاملة تضع فيها الأمة الإسلامية والعربية كل امكاناتها . كنا نقول وما نزال بفتح الجبهات العربية بحيث لا تبقى جبهة جبل عامل تنزف وحدها . وأمام القضية الكبرى لا يوجد مقدس ومقدسات، وسنقدم أول الشهداء ان حارب الجميع . وطالب بتطبيق قرارات مجلس الأمن مشيراً الى أن اسرائيل ترفض السماح بتطبيقها والعرب غير مبالين . كما طالب بتطبيق قرارات المؤتمرات العربية إبتداء من مؤتمري الرياض والقاهرة وانتهاء بمؤتمر فاس .

وأكد سماحته على المواقف الآتية :

ـ توجد قضية، هذه القضية هي حاضرنا ومستقبلنا في هذه البلاد، القضية التي تهدد مصيرنا، أن نكون أو لا نكون .

المؤامرة التي تتهدد جبل عامل، هي في إهماله في أبسط شؤونه الحياتية، من أجل دفعة الى الهجرة وجعل الأرض رخيصة لتُشترى بأبخس الأثمان من أجل تحويل أبنائه وبناته عمالاً خارج أرضهم، في صيدا وبيروت أو حتى خارج لبنان .

ـ المؤامرة تبدأ من الدولة اللبنانية ونظامها العفن : الطائفية السياسية . هذا النظام الذي صنف اللبنانيين الى فئات وطوائف . يجب أن تُلغى دولة الإقطاع السياسي، دولة رأسمال الفلتان، الذي يبيع الانسان والوطن والأرض في سبيل رصيد إضافي في البنوك .

المؤامرة هذه تركز على تهجير السكان، والعدوان الإسرائيلي المستمر، وبالفوضى الداخلية التي لا تجعل لأحد كرامة والتي يتفرع عليها الطريق والهاتف والرغيف .

الفوضى التي انتجت أحياء وادي ابو جميل في بيروت، والتي أنتجت أعظم حي في أبيدجان رأيته في أفريقيا، مستنقع القذارة والتخلف، هذه الفوضى سنقمعها، لسنا ضعفاء وعاجزين، ولن تستطيع أي قوة أن تهزم هذه الإرادة ـ لا الإرهاب الفكري ولا الجسدي، ولن نقبل براءات ذمة من أحد .

ـ خسرنا كثيراً لأننا رفضنا أن نكون جزءاً من هذه الفتنة، جميع الأطراف أرادوا أن نكون لهذا الفريق أو ذاك، وكنا وما نزال نقول لا شرقية ولا غربية . لكن الفتنة لم تتوقف وانتقلت بكل عناصرها إلى الجنوب لأن المخطط الأساسي يقضي بأن تنقل إليه

ـ يجب ان يعود كل النازحين، المكان المناسب ليس وادي أبو جميل . الخلاص هنا، كل إنسان يسكن في هذه الأرض حتى لمجرد السكنى، هو يساهم في دحر المؤامرة عن نفسه ووطنه ـ سنتصدى للإسرائيليين ولكل من يحاول ان يذل الناس



مجلس نقابة الصحافة

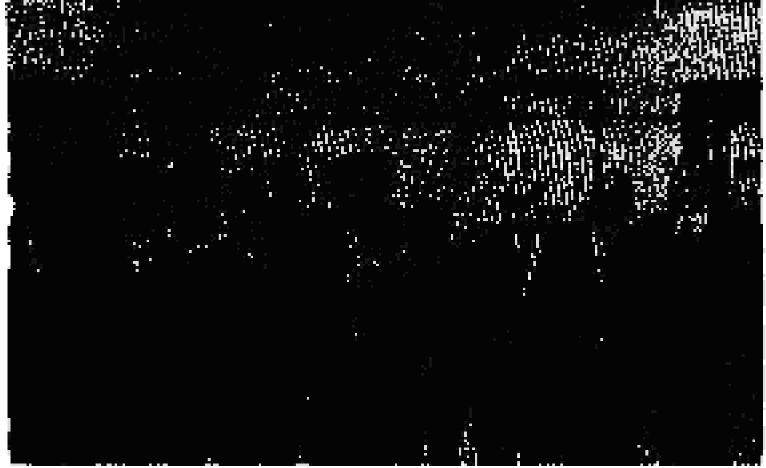
انتخب مجلس نقابة الصحافة اللبنانية هيئة مكتبه التنفيذي الجديد، ففاز بالاجماع الأساتذة: محمد البعلبكي نقيباً، فاضل سعيد عقل نائباً للنقيب، باسم السبع أميناً للسر، وجورج عميرة اميناً للصندوق.

وقد جاء انتخاب نقابة الصحافة، وقبلها انتخاب نقابة المحررين برئاسة النقيب ملحم كرم، أروع مثال على مبادىء الوفاق الوطني التي لم تبصر النور بعد بين السياسيين.

وقد ألقى النقيب البعلبكي كلمة مطولة جاء فيها:

لقد اوليتموني شرفاً عظيماً اذ محضتموني ثقتكم الجماعية الغالية فاخترتموني لحمل هذا العبء الكبير والقيتم علي معه محبة منكم كبيرة اعتز بها كل الاعتزاز. وانه في الحق لعبء كبير بحجم ضخامة الدور الذي هو دور نقابة الصحافة اللبنانية في جميع المجالات: « دورها المهني ازاء الصحافة، ودورها المبدئي ازاء الحرية ودورها الوطني والقومي ازاء لبنان وازاء العروبة.

« لقد جاءت الانتخابات النقابية الاخيرة شاهداً جديداً على المستوى الارفع الذي التزمت به الصحافة اللبنانية في مختلف الظروف، وخصوصاً في ظروف لبنان المظلمة المتمادية، اذ كانت ولا تزال المؤسسة القدوة والنموذج المثالي لما يجب ان تكون عليه سائر مؤسسات المجتمع والدولة من تحسس بالمسؤولية الوطنية وحرص على وحدة الصف الوطني حين عصفت ولا تزال بلبنان اعاصير الفرقة والتشتت والانقسام. فاعطت الدليل الحي على ان باستطاعة اللبنانيين على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم وانتماءاتهم، والصحافة اللبنانية هي المنبر الحر والمرآة العاكسة لكل هذه العقائد والمذاهب والانتماءات اعطت الدليل الحي على ان باستطاعة اللبنانيين جميعاً ان تلتقي قلوبهم وعقولهم على ارادة الخير والبناء في جو رائع من المودة والالفة والاحترام المتبادل لا يباعد بينهم حقد، ولا يفصل بعضهم عن بعض انعزال، ولا تفرق صفوفهم قوى الشر المتربصة بهم وبالوطن مهما بلغت من الشراسة والامعان في التآمر.



الذكرى الرابعة لاجتياح جنوب لبنان

آذار ١٩٧٨ - ١٩٨٢

« الجنوب كتاباً »

أقيم في الساعة الخامسة من مساء السبت الواقع في ١٣ آذار سنة ١٩٨٢ معرض « الجنوب كتاباً » بدعوة من المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في قاعة وزارة السياحة في بيروت.

افتتح المعرض دولة رئيس مجلس الوزراء الاستاذ شفيق الوزان وألقى كلمة بالمناسبة. وألقى الاستاذ حبيب صادق الامين العام للمجلس الثقافي كلمة جاء فيها :

الجنوب يرحب بكم اجل ترحيب فانتم، اليوم، ضيوفه الكرام، ولا عجب فالجنوب كان، ولما يزل، دار ضيافة مُشرع الابواب للأحبة ورفاق الدرب ولعشاق الحرية. والجنوب كان، ولما يزل عنوان السخاء. وآية سخائه اختياره الشهادة فداء للوطن والعروبة. ثم ان الجنوب متعدد الساحات في عطائه فهو قد اعطى، ولم يزل، ضوء عينيه وماء يديه، اعطى دمه ثم هو قد اعطى وما برح يعطي غذاء طيباً للفكر والوجدان في الوان، يعطي من تجليات العلم والادب والشعر والفن. وتلكم الشهادة الناطقة هذا المعرض الذي اقمناه، هنا، في صدر العاصمة، ليقول الجنوب كتاباً ومخطوطة فمطبوعة، رغم ان المعرض لا يقدم وليس بوسعه ان يقدم كامل النتاج الذهني لابناء ذلك الجناح الجنوبي من لبنان، انما هو يقدم فقط، ما تيسر لنا الحصول عليه، في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، من مؤلفات ومخطوطات فيه النفيس والنادر والمفقود.

وأضاف، يقيم المجلس الثقافي للبنان الجنوبي هذا المعرض الخاص في الذكرى الرابعة لاجتياح اسرائيل حدود الوطن الجنوبية واحتلال قطاع منه ما انفك، ليوم الناس هذا، تحت وطأة الاحتلال، بجزء واسع منه، ويشكل هذا المعرض فقرة هامة في البرنامج الحافل الذي اعده المجلس لهذه الذكرى الوطنية.

والمجلس اذ يقيم هذا المعرض فمن اجل ان يكون شهادة ونداء في آن معاً تحت عنوان « الجنوب كتاباً ».

ان يكون شهادة تفصح عن الدور الكبير الذي قام به ابناء ذلك الجبل العاملي اي الجنوب اللبناني، على مسرح الحياة العلمية والفكرية والادبية منذ مئات السنين وذلك بجهود محض ذاتية

تتسم بتفضيلي العصامية والتحدي فالظروف المحيطة كانت مكتظة بالمعوقات والمصاعب وبالرغم من ذلك فقد جاء هذا النتاج العظيم، كيفاً وكماً، فاغنى المكتبة العربية بثروة طائلة من المؤلفات والمطبوعات وعزز حركة الثقافة الوطنية في لبنان باسهامات ابداعية اصابت حظاً وافرا من التقدير والاعجاب. واحتلت منزلة متقدمة على المستويين المحلي والعربي وبعضها قد ترجم الى لغات اجنبية.

وتابع صادق: لقد اردنا ان يشكل هذا المعرض نداء موجهاً الى الضمير الوطني والقومي فالعالمي، نداء يهدف الى امرين اثنين، الاول التوكيد على فاشية الكيان الصهيوني اي على طبيعته المعادية للانسان والحياة والحضارة وذلك خلافاً لما يدعي سادة هذا الكيان. وخلافاً لما يدعيه انصارهم والحلفاء في دول العالم الغربي والاميركي خاصة. والامر الثاني هو دعوة جميع الاخيار، هنا وهناك، ودعوة مختلف الاوساط والهيئات الثقافية والاجتماعية والسياسية للانخراط في حملة مسؤولة من اجل انقاذ جنوب لبنان أي من اجل انقاذ لبنان بأسره من حرب التمزيق والابادة فالاغتصاب التي تشنها اسرائيل عليه منذ سنوات وسنوات.. والعالم في حالة غياب.

وقال: ومن نتائج هذه الحرب ليس القضاء على الانسان والعمران فحسب بل القضاء ايضا على معالم الحضارة فيه فمن اثار تاريخية في صيدا وصور وارنون، هي كنوز وثائقية تهم الاسرة البشرية قاطبة الى خزائن للكتب النادرة والمخطوطات النفيسة التي كانت عامرة بها المكتبات الخاصة في الجنوب وهي اليوم عرضة للتلف والضياع وقد احترق بعضها بالفعل وترمد تحت وطأة نيران العدو الاسرائيلي وصواريخه الثقيلة.

وفي هذه اللحظات الاخيرة حيث يقرع فيها حكام اسرائيل واركان حربها طبول الحرب ضد لبنان انطلاقاً من جنوبه. في هذه اللحظات بالذات تصبح الضرورة الى عملية الانقاذ هذه مسؤولية تاريخية كبرى على مختلف المستويات الوطنية والعربية والعالمية.

وأنهى صادق كلمته بشكر من رعى المعرض وأسهم فيه.

- وتضمن المعرض أجنحة لمؤلفات عن الجنوب ولمؤلفات كتاب عامليين مرتبة بحسب اسماء المؤلفين. وصور كبيرة للسيد محسن الأمين والشيخ احمد رضا والشيخ احمد عارف الزين والسيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ عبد الحسين صادق والشيخ سليمان ظاهر وغيرهم في الأجنحة المخصصة لمؤلفاتهم. وتضمن أيضاً خرائط وصوراً ونماذج من صحف ومجلات واقلام عن الجنوب تعرض عرضاً متواصلاً.

- وقد قدم للمعرض بملصق تضمن صورة غلاف العدد الاول من مجلة العرفان عند تأسيسها سنة ١٩٠٩ وصورة ثانية لوضع الجنوب اليوم.

بهذه المناسبة أعد المجلس الثقافي للبنان الجنوبي برنامجاً حافلاً بعنوان: « لبنان بجنوبه ».

وأورد في مقدمة هذه الاحتفالات ما يلي:

سنة رابعة تمضي على ذلك الاجتياح الواسع النطاق الذي قامت به القوات الاسرائيلية على جنوب لبنان في منتصف آذار من العام ١٩٧٨ .

ان صورة ذلك العدوان الهمجي ما انفكت عالقة في الأرض دماراً واحتلالا وفي الانسان جراحاً وتشريدا .

وبمثل ما كان يخرج به على الناس في آذار من كل سنة يخرج المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في آذار هذه السنة ببرنامج خاص بالذكرى يحشد فيه كل امكاناته ويحيي جميع علاقاته وذلك:

- تمجيداً لتضحيات أبناء الجنوب ودعماً لصمودهم الشجاع .

- وحضاً للهمم في لبنان وفي سائر البلاد العربية، من أجل تحرير ذلك الجزء الحدودي من تراب الوطن، ومن أجل تحصين ليس الجنوب فحسب بل لبنان بكامله في وجه الاعتداءات الاسرائيلية المرتقبة دائماً .

أما البرنامج فقد تضمن:

أولاً - محاضرات سياسية:	**للأساتذة**
١ - في الجنوب اللبناني تتقرر وحدة لبنان وسيادته وعروبته .	عبد الله الأمين
٢ - جنوب لبنان: باب الصراع العربي - الاسرائيلي	انعام رعد
٣ - قضية الجنوب اللبناني في ضوء آخر تطورات الوضع لبنانياً وعربياً ودولياً	كريم مروة
٤ - مقومات الصمود في جنوب لبنان بمواجهة العدوان الصهيوني	نبيه بري ومحسن ابراهيم في ندوة يديرها حبيب صادق
ثانياً - محاضرات متنوعة	
١ - الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان: أضرارها على قطاعي السياحة والخدمات	الوزير مروان حمادة
٢ - الخراب الاجتماعي في الجنوب بسبب العدوان الاسرائيلي عليه ومحاولات الترميم	الوزير عبد الرحمن اللبان
٣ - جنوب لبنان والاعلام	رضوان مولوي
٤ - دور التربية الوطنية في ارساء وحدة لبنان واستقراره وتقدمه	د. نجيب ابو حيدر

جبل عامل

ملحق خاص عن المرحوم: نزار الشيخ احمد عارف الزين



خزائن الفكر العاملي(١)

للدكتور ابراهيم بيضون

يتسامرون في العشايا على منحدر الضوء الخافت.. على الوجوه القاسية كالزمن، بعضٌ وقار ثقيل وبقايا كلمات مبهمات وأخاديدُ لأحلام مقتولة.

يرحلون في الكلمة بعيداً، وعلى صهوة بيت من الشعر يعودون من سفر.. لكأنه الزادُ اليسير والهوايسة الخجلى والسؤال الحائر.

ثمة كتابٌ تتناقله الأيدي بشوق وتلتهمه العيونُ على ظمأ.. فهو متحدثٌ أم صامت، قطبُ المجلس المألوف، دونما حاجة للتعريف عن نفسه، حيث الكتابُ كل الكتب، اتخذت العرفانَ اسمها الآخر، المطبوعَ في الذاكرة العاملية منذ مطالعَ هذا القرن.

ثمة اشكاليةٌ لحركة الثقافة في الجنوب،

١ - كلمة المجلس الثقافي الجنوبي للدكتور ابراهيم بيضون عضو المجلس وأستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية والأستاذ المشرف في قسم الدراسات العليا في الجامعة اليسوعية، ألقاها في حفل التأبين.

تكاد تتمحور بصورة رئيسية حول العرفان، المجلةَ التي لم يقتصر دورُها على نشر نتاج كان معاصراً أو إطلاق مواهبَ كانت حبيسة، بقدرِ ما كانت الطليعةَ الثقافيةَ والواجهةَ الاصلاحيةَ، خلال منعطف حاسم في تاريخ المشرق العربي، كما كانت الصوتَ الجريءَ المعبِّر عن مختلف قضاياه ابّان العهود الثلاثة المتعاقبة، بحيث تفقدُ أهميتَها تلك النظريةُ التي ترى في العرفان مجردَ منبر أدبي، واكب جيلاً أو أكثرمن روّاد الحركة الثقافية العاملية. ذلك أن العرفان اتخذت منذ نشأتها، سمةً غيرَ فردية، رغم انصهارها في شخصية المؤسس، حيث كان كتّابُها مشاركينَ بطريقة ما في تحريرها، وبالتالي فقد وُلدت ولها طابعُ المؤسسةِ، إنطلاقاً من مؤشرين اثنين، لم يكونا خافيين على معاصري هذه المجلّة أو المطلّين عليها عن كثب:

الأول، أن العرفان مثّلت ظاهرةً ليست عاملية فقط، بل عربيةً ربما من منظور نشأتها كمؤسسة متكاملة، عناصرُها المجلةُ والمطبعةُ، فضلاً عن البيت، الركن المحوري فيها. ولعل هذا الأخير - وهنا يكمن المؤشرُ الثاني - كان الوجه الحقيقيَّ للعرفان أو مطبخها الفكري في لغة الصحافة. فقد ظلّ طوال اكثر من نصف قرن، ملتقى النخبةِ من مثقفي الجبل العاملي، وندوةً دائمةَ الانعقاد أو تكاد، لا يقتصر حضورُها على الوجوه التقليديةِ المألوفة، وإنما اعتادَ التردد عليها كبارُ الأدباء والشعراءِ من البلدان العربية، حتى اصبحت تماثلُ الندواتِ الشهيرةَ التي درج عليها بعض كبار الكتّاب في ذلك الوقت.

ففي ظلّ هذا المناخِ الفكري الجماعي، وتلك المشاركةِ العفويةِ، كانت تصدرُ العرفان، حيث الكلمةُ غيرُ «منخّسة»، لها مَزَجُ الثورة وقضاءُ السيف ولونُ النهار.

ايها الأصدقاء...

ان تاريخَ العرفان، وهي تقتربُ وشيكةً من عيدها «الماسي»، يجسّد ثلاثةَ ابعادٍ لقضية واحدة، هي قضيةُ الأنسان في الأرض المعطاء، حيث الجنوبُ المفتعلُ هامشاً لوطنٍ طائفي، يكتسبُ بالتحدّي، وعبر مخزونٍ حضاري وتجربةٍ واعية، مدلولاً لهوية سياسيةٍ وانتماءٍ وطني، ربما على نحو غيرِ متكرّرٍ في مكان آخر:

فالبعدُ الأول، هو ظاهرةُ المؤسسةِ، التي كان لها دورٌ اساسي في الكشف عن الوجهِ الثقافي الجنوبي، حيث لم يكن سبيلٌ الى بروز تلك الأسماء التي أصبح لبعضها شهرةٌ عريضة، دون مؤسسةِ العرفان. ولعل قولَ العلامة المؤرخ السيد محسن الأمين، ينطوي على مصداقية خاصة في هذا السبيل، لا سيما حين يصدر عن واحدٍ من أركان هذه المؤسسة ورموزِها التاريخيين:

«كم تخرّج عليها من شاعر مُجيد وكاتب سديد وعالم رشيد، وكم كشفت عن كنوز خبيئة من الأدب الرفيع، ما كانت لولاها لتظهر وما كان أصحابُها ليعرفوا».

والبعد الثاني، يعكس الموقفَ النضاليَّ

الحقيقيّ لمؤسسة العرفان، سواء من الحكم العثماني، حيث كانت هدفَ السلطة تهديداً او تعطيلاً، كما كان صاحبُها ملاحقاً أو مستجوباً أو معتقلا. ام من الانتداب الفرنسي عندما اختارت العرفانُ موقعَها الطليعي المناهضَ له وتبنّت الأصواتَ الجريئة المندّدة به.. أم من المسألة الفلسطينية، إنطلاقاً من الثوابت التي جعلت الجنوبَ وثيقَ الارتباط بتلك المسألة، المتداخلة عضوياً مع دعوةِ «الوحدة السورية»، والتوجهِ القومي الذي التزمت به العرفانُ منذ البواكيرِ من اعدادها، وتبلور في «جمعية فتاة العروبة» التي كان صاحبُها من روّادها المؤسسين في بدايات الحرب الأولى.

اما البعد الثالث، فهو يمثّل الجانبَ الأصلاحيَّ في مؤسسة العرفان، التي خاضت معاركَها التقدميةَ الجريئةَ، ضد رموز الأقطاع والغطرسةِ والجمود، مشرّعة صفحاتِها امام المواهبُ الصاعدة، التي وجدت بدورها في العرفان، متنفسَها للتحرك وفرصتَها للعطاء. فكان من الصعوبة بقدرٍ كبير، فصلُ هذا الرعيل من الروّاد عنها، حيث بقي اميناً لها وفياً على مدى السنوات الطويلة، في وقت حل ذلك الخطُّ الاصلاحيُّ المستنير الى هؤلاء، الحصانةَ للتعبير عن افكارهم حتى غير المنسجمة مع صاحب المجلة. ولعلنا معترفون بأنها ظاهرةٌ متميزة في تاريخ الصحافةِ الأدبية، ليس في عصر العرفان فقط، أن تخترقَ الكلمةُ على خطورتها احياناً، حواجزَ المراقبةِ وسلاسلَ القيود، قبل أن تصبح مادةً للنشر.

ايها الأصدقاء...

في ظلّ هذا البيت ـ المؤسسة، نشأ نزار الزين عاشقاً للعرفان، هاجساً بها، جَلْداً في وجهِ متحدياتها، ملتزماً حتى التشبثِ باستمرارها خارج عبق البخور وجاذبية الأرقام السوداء... كانتَ مهمةٌ جليلة حمل ثقلها بصبر وصمود، محبطاً صنوف العثرات التي اعترضته على امتداد الطريق الصعب. ولعله استحق عن جدارة وسام العرفان أو الأعترافَ بالجميل، بأنه كان الأمينَ على هذه المؤسسة والمناضل من أجل بقائها شامخةً ناصعةَ الجبين نحو عشرين عاماً ونيف، في وقت اشتدت فيه المضاربةُ والمزاحمة، فضلاً عن الغزارةِ في الصحافة الفكرية والأدبية. ولعل العرفان اكثر ما نُكبت في هذه الحقبة، بالأقلام التي ترعرعت على صفحاتها، ثم هجرتها بعد اشتدادِ عودها واتساعِ دوائرِ الجذب حولَها. وكان الصديق المرحوم عبد المطلب الأمين منسجماً مع ذاته، في انتقاده هؤلاء العاقين ـ وهو منهم حسب تعبيره ـ:

«فبعد أن بدّلتُ زَغَبي الأدبي بالريش، انصرفتُ عن العرفان، وكان شأني في ذلك شأن كلِ العصافيرِ وحتى الكواسرِ التي نشأت في عش العرفان».

وقد نكون في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الأكثرَ تأثراً والتزاماً بنهج هذه المؤسسةِ الرائدةِ في دورها الجنوبي، سواء في احياء التراثِ المنسيِّ أو تشجيعِ الأقلام الفتيّة.. فنحنُ، متواضعين، نحمل اعباءَ الدورِ نفسِه الذي حمله العرفانُ خلال

مرحلتها الذهبية في ثلاثينات هذا القرن.. ومن ثم نطمح الى أن يكون المجلسُ، ذلك الملتقى الجمعَ للمثقفين الجنوبيين، والمنبرَ المفتوحَ للقضايا الجنوبية، متلمسين بكل فخر واعتزاز مسيرة العرفان، مؤسسة ونضالاً واستقطاباً، وطليعة ثقافية وطنية.

ايها الأصدقاء...

عندما تناقلت الأخبارُ موتَ الصديق الاستاذ نزار الزين، ما كان أسرعَ ما توقفتُ عند العرفان، يخالجني شعورُ الخوف على هذه المجلة، شعورُ كل جنوبي يفتقد رفيقَ درب، أليفاً لديه عزيزاً على قلبه..

فقد كانت العرفان على مدى ثلاثة ارباع قرن، وثيقة نضال وشهادة وطنية، كما كانت خزانة الفكرِ العامليّ، الحافظة له من الضياع والمزيلة عنه حُجُبَ الغبار وستائرَ النسيان.

.. مسؤولية ثقافية.. جنوبية بالتحديد، ان تستمرّ العرفان.. نحتضنها كرمز.. نلتصق بها كتاريخ.. فالكثرة الكاثرة منّا ـ عاقةً أم وفيةً ـ هي ابنة العرفان ومن عصر العرفان.

ابراهيم بيضون

رحيل نـزار الزيـن صـاحـب مجلـة العرفان

وكتب الاستاذ عيسى فتوح في جريدة «البعث» في دمشق الكلمة التالية:

مهما نسيت من الاصدقاء، فلا يمكنني ان انسى الاستاذ المرحوم نزار عارف الزين صاحب مجلة (العرفان) وجريدة (جبل عامل) ورئيس تحريرها، بعد ان رحل عنا الى الابد في منتصف شهر تموز الماضي، اثر نوبة قلبية لم تمهله طويلاً، فقد وجد في منزله ميتاً، وكان يسكن وحده منذ ان توفي والده الشيخ احمد عارف الزين وهو يزور الاماكن المقدسة في ايران ١٩٦١، حيث دفن هناك، وترك له عبء مجلة العرفان التي لم تتوقف عن الصدور في بيروت، بالرغم من كل ما اصاب هذه المدينة الصابرة من دمار وويلات، وظل يصدرها شهرية بحجمها العادي ـ ما عدا الاشهر الاخيرة ـ حتى بلغت مجلدها التاسع والستين، فهي بذلك اقدم المجلات الادبية الحية، وكان رحمه الله يذهب الى المطبعة يومياً، تحت وابل من رصاص القنص، بعد ان نهب مكتبه ودمر في بناية العازارية. لم اغفل عن مجلة العرفان، بعد ان استقطبت المجلات الغنية الكتاب، وراحت تغدق عليهم المكافآت السنية، وكنت اعتبر النشر فيها وفي الاديب اكبر مكافاة لي، فهما مجلتان عريقتان، اعرض صاحباهما عن المادة واعتبرا الصحافة الادبية رسالة سامية مقدسة، ولم يجن احد منهما من هذه المهنة غير المتاعب والالام، ولكن يكفيهما فخراً أن مجلتيهما العرفان والاديب لاالبير

اديب تلاقيان كل التقدير من دوائر الاستشراق وكبار الادباء والمثقفين في الوطن العربي والمهاجر، فهما المجلتان الوحيدتان اللتان تتسابق مكتبات الجامعات والمجامع العلمية واللغوية في الشرق والغرب على اقتنائها.

تعتبر مجلة العرفان التي اسسها الشيخ احمد عارف الزين (والد نزار) في الخامس من شباط سنة ١٩٠٩ من ارقى المجلات العربية، وقد صادف مؤسسها الكثير من المصاعب والخسائر الفادحة، ومع ذلك ظل دائباً على مقارعة الحكم العثماني، حتى حكم عليه بالاعدام، بتهمة تأليف «جمعية فتاة العروبة»، وهو بالاضافة لذلك، مؤسس اول مطبعة في مدينة صيدا والجنوب اللبناني عامة، وقد ادت مطبعته اعظم الفوائد بما نشرته من امهات الكتب في مختلف انواع العلوم والفنون والاداب.

ولد نزار في صيدا عام ١٩١٥، وتلقى علومه الثانوية في كلية المقاصد الاسلامية والكلية الوطنية الانجيلية في صيدا، والكلية الاسلامية وكلية الفرير في بيروت، كما تلقى بجامعة السوربون، ومعهد الصحافة في باريس، ولذلك فهو يتقن اللغتين الفرنسية والانكليزية.

حارب الاستعمار والاقطاع والجهل منذ نعومة اظفاره حتى شبابه وكهولته، وظل يدعو الى وحدة العرب وتضامنهم حتى آخر يوم من حياته.

الف كتاب «جبل عامل في ربع قرن» وهو كتاب اجتماعي سياسي، صادرته السلطات الفرنسية ايام الاستعمار واحرقته وشردت مؤلفه مدة من الزمن، واقيمت عليه اربع عشرة دعوى بسببه، فقضى مدة التشرد في دمشق التي كان يعتبرها وطناً ثانياً.

اما مؤلفه الكبير باللغتين العربية والفرنسية فهو كتاب «الادب المقارن بين الشرق والغرب» ويقع في الفي صفحة دون ان ينتهي من تاليفه، وله كتاب «ادب الاسلام» ولا يزال مخطوطاً ايضاً وكتاب «يا اتباع محمد احيوا اخلاق محمد» وكان يتوقع ان يدفع بهذه الكتب الى المطبعة، لكن المنية عاجلته، لعسى ان تتنادى الاقطار العربية لانشاء مؤسسة باسم «مؤسسة العرفان» لمواصلة اصدار المجلة وطبع كتب المرحوم نزار ووالده.

عيسى فتوح

نزار الزين الغائب وجه صحافة من الجنوب

وكتب الاستاذ نصرت توفيق خريش في جريدة النهار الكلمة التالية:

نزار الزين، وجه من الصحافة اللبنانية في الجنوب. غاب في بيروت عن عمر ناهز الستين. عرفته في منتصف الستينات، في اثناء اشتغالي في جريدة «العصر» في صيدا لصاحبها الشاعر البعلبكي يوسف فضل الله سلامة من الرعيل الاول في صحافة المحافظات.

تعهد اصدار مجلة « العرفان » عند وفاة والده العلامة الشيخ احمد عارف الزين في ١٩٦٠ وحوله نخبة من الاقلام الطليعة، حتى بعد نقل مكتب المجلة من صيدا الى بناية اللعازارية في شارع الام جيلاس في بيروت، وهي التي تحول مكانها جحيم معركة في الاحداث، واضطراره الى المتابعة مهاجراً في ضواحي بيروت من مكان الى آخر.

كان دؤوباً مهذب اللسان والكلمة المكتوبة، صافي القلب، وفيا في علاقاته مع اصدقائه مهنياً واجتماعياً. وندر ان تخلف عن مناسبة دعي اليها او وجد من الواجب ان ينهض لها مختاراً.

تأثر الى حد كبير بوالده الذي جعل من « العرفان » منذ تأسيسها في ١٩٠٩ منبراً للمواضيع الوطنية ومحاربة الجهل والطائفية والاقليمية والتنديد بالجمود الديني، وداعياً الى تعليم المرأة عبر اقلام فارس الخوري والامير شكيب ارسلان واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وايليا ابو ماضي وأمين الريحاني وغيرهم من اقلام النهضتين اللبنانية والعربية.

من ذكريات الوفاء ان آخر لقاء قبل انقطاعنا في الحدود كان في مستشفى الروم في بيروت، اذ عادني مع جمهرة من الاصدقاء حاملي متاعب الجنوب، بعد يومين من خضوعي لجراحة مستعجلة في تموز ١٩٧٥ لاصابتي بالقصف الاسرائيلي على الحدود. ورغب في مداعبتي وتخفيف آلامي، وقال: « يا صاح من ير مصائب غيره تهن عليه مصيبته. هناك ندوب الامواس في رأسي من ١٥ مسلحاً سطوا علي في منزلي في العاصمة طمعاً في سلبي قبل اسابيع ولم يجدوا معي اكثر من ٣٠ ليرة وساعة يد وبطاقة صحافية. والفارق بيني وبينك ان الاعتداء علي من مسلحي الداخل، وعليك انت من مدافع الخارج. اعاننا الله على تحمل هذه الايام بالصبر والتجلد، وحمى الله مواطنينا من الاعظم ».

ورددت: « ربما جاءك المسلحون ليحتفلوا معك بذكرى الـ ٦٨ لتأسيس « العرفان » ويكافئوك على طريقتهم « وضحكنا، « وشر البلية ما يضحك ».

وظل يصدر « العرفان » شهرياً الى ان وصل بها حتى وفاته الى ٦٩ مجلداً مكوناً بها موسوعة متشعبة الابحاث من علم وادب وفقه وتاريخ واجتماع وشعر وحكمة. وابرز من كتبوا في « العرفان » من لبنان والبلدان العربية والمهاجر هم: فوزي سابا وميشال سليمان وصفاء خلوصي ومحمد علي الزغبي وعلي زيعور وسمير شيخاني والشيخ عبد اللطيف بري ووديع ديب ووداد سكاكيني ومحمد شرارة ومحسن سليم وعبد اللطيف شرارة وحبيب صادق وحسن الامين وتوفيق وهبي وكعدي كعدي وحافظ اديب الزين وعلي ابراهيم ومحمد الكرمي ورُوكس العزيزي ونصرت توفيق خريش. ومن الشعراء زكي قنصل ومحمد كامل شعيب واحمد الصافي النجفي ورشيد سليم الخوري، الشاعر القروي، وموسى الزين شرارة وجورج صيدح وابراهيم بري ومحسن الامين وجورج كعدي وزهير مارديني وصالح جودت ومحمد كزما ومحمد نجيب فضل الله.

من كلماته عن لبنان: « لبناننا هو منارة ضوء وهدى ونبراس ثقافة وعلم. ومشعل حرية واخاء. في قممه اعشاش نجوم. وفي سفوحه وكور ونسور. وفي ودیانه منابت خير. وفي ارزه شموخ الازل. وفي شعابه انفتاح الابد. وفي صنين وقار السنين. وفي كل منحنى من منحنياته اثر لجحفل مغير وجحفل مرتد». وعن حظه من الثقافة: «لبنان الذي هو بلد الاشعاع. لبنان الذي اوتي سكانه مبلغاً كبيراً من العلم والادب والثقافة. لبنان الذي وزع العلماء والادباء والمثقفين على جميع اقطار الدنيا حظه قليل من حب حكامه للادب والثقافة ومن الاعتناء الحقيقي بالثقافة، ومن معرفة الحقائق عن الثقافة».

و «المشكلة في لبنان انه دول ضمن دولة لا دولة ضمن دولة فقط، فتح صدره منذ الانتداب لجميع مجرمي العالم المسلحين الذين لفظتهم الدنيا. فكان اللبنانيون وخصوصاً المسالمين كبش المحرقة... ان لبنان حقاً بلد العجائب والغرائب والاشعاع والظلام في آن...».

والمجلات الثقافية «من المعلوم ان المجلات الثقافية في البلاد العربية تصدرها الحكومات الا في لبنان فيصدرها الافراد. ومن المعروف ان الناس في اكثرهم انصرفوا عن الادب الرفيع الى اللا أدب الجنسي او الحزبي».

لهفي عليك، تهوي وفي قلبك حرقة على الوطن وانت تغالب هموم المهنة وزمن الجحود.

نصرت توفيق خريش

خسارة القلم الشريف

برقية المحامي الاستاذ محسن سليم رئيس لجنة الدفاع عن الدستور والحريات:

لجنة تأبين المرحوم نزار بن المغفور له الشيخ عارف الزين صيدا

لن يسعدني الحظ بمشاركتكم في الحفل التأبيني الذي سيقام للفقيد الغالي المرحوم نزار نجل المغفور له فقيد لبنان والعروبة الشيخ احمد عارف الزين في الثامن من هذا الشهر لأني سأكون في ذلك التاريخ خارج لبنان. إن خسارتنا بمؤسس مجلة العرفان وبنجله الفاضل الذي حمل الرسالة من بعده لكبيرة وكبيرة جداً انها خسارة القلم الشريف الحر الذي ندر وجوده في عصرنا الحاضر، وخسارة الوطنية الصادقة وخسارة الحفاظ على التراث اللبناني الاصيل النابع من الايمان العميق والوجدان المخلص لعائلة الفقيد المفجوعة ولأسرة العرفان التي فقدت عميدها، ولآل الزين الكرام اوفر العزاء بهذه الخسارة الكبرى. ولنا جميعاً اصدقاء العرفان وقادري جهادها في سبيل القضايا الوطنية والعربية اوفر العزاء. رحم الله المجاهد الكبير الشيخ احمد عارف الزين رائداً من رواد الفكر والوطنية ونجله الفاضل نزار مكمل الرسالة من بعده، والهمنا جميعاً الصبر والسلوان على هذه الخسارة الوطنية.

محسن سليم

الزين في ايامه الاخيرة

وكتب الدكتور وديع ديب في مجلة الأديب الكلمة التالية :

نزار الزين بالنسبة لي صديق وابن صديق . فقد كنت التقي به بالاتفاق حيناً وبالموعد حيناً اخر مرتين في الاسبوع . على ان صلتي بدار العرفان وبالمرحوم والده تمتد الى اكثر من اربعين سنة ، الى اليوم الذي كنت فيه اذهب بمعية ابن بلدتي الخيام ، الشاعر عبد الحسين عبد الله في زيارة لدار العرفان في صيدا حيث كنا نجتمع بوالده في ديوان ادبي يضم الكثيرين من ادباء البلاد العربية وذلك في فترات مختلفة وبخاصة في الصيف . ففي مجلس آل الزين كانت تتاح لنا فرص طيبة للتعارف بين اديب وآخر . وهكذا فقد كانت دار العرفان في عاصمة الجنوب ملتقى ادباء العرب ورجالات الفكر والسياسة من كل بلد عربي او اسلامي . ثم كان ان توفي الشيخ أحمد عارف الزين وتسلم الامانة بعده ولداه اديب ونزار ثم ما لبث ان تفرد نزار العمل واصبح هو رئيس تحرير العرفان المسؤول ومتولي جميع اموره .

وكان ان ازدادت صلتي به ولا سيما في السنوات العشر الاخيرة وبخاصة في السنوات السبع العجاف التي كان فيها لبنان وما يزال الى يومنا هذا ، يعاني مأساة الصراع العربي والدولي على ارضه ، بحيث عم الخراب جميع قراه ومدنه ولم تنج مطبعة او مكتبة من التلف والفوضى .

ومع هذا كله فقد بقيت الابتسامة لا تفارق وجه نزار ، شأنه في ذلك شأن كل لبناني لا يعرف هزيمة العمل ولا يقنط من رحمة ربه . وقد بقي نزار هو الذي يكتب كلمة العدد العرفاني وهو الذي يشرف على تصحيح المواد المرسلة اليه . وهو الذي يراقب عملية الطباعة والتجليد . وهو الذي ينقل الاعداد الى اصحابها من المشتركين والاصدقاء وقد يجد احيانا من يساعده من مثل الاديب زهير مارديني ومن مثل اخيه القاضي زيد الزين فيخففان عنه بعض العبء الادبي او المادي .

ولكن صحة نزار كانت آخذة في الانهيار . فقد اجريت له عملية في عينيه للماء الازرق على يد الطبيب الجراح سمير سلمون وكانت عملية ناجحة استعاد بها نشاطه الادبي ثم كان ان وضعت له بطارية في صدره بحجم حبة اللوز من اجل مساعدة القلب المتعب على ضخ الدم الى سائر اجزاء الجسم . ومع هذا فقد استمر صاحب هذا القلب الكبير يعمل مجاهداً من اجل متابعة العمل الجليل الذي قام به والده سنة ١٩٠٩ هذا وغني عن البيان ان للعرفان الفضل الاول في النهضة الادبية في جنوبنا الحبيب وفي سائر الامصار العربية .

فالى روحك يا اخي نزار ارفع هذه الكلمة عربون شكر ووفاء . يا من كنت تعمل مجاهداً في صمت ومحبة من اجل وطنك دون ما تبرم او سأم . ولطالما سمعتك تردد كلمة للإمام علي نصح بها لولده الحسين قائلا :

« يا بني لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك » .

وديع ديب

مجلة «العرفان» صوت حركة الفكر العربي الاسلامي

وكتب الاستاذ سعيد الصباح في مجلة «الراية» الكلمة التالية:

في العشرين من تموز عام ١٩٨١ غيب الثرى صاحب ورئيس تحرير مجلة «العرفان» الاستاذ نزار الزين، اي بعد عشرين عاماً وتسعة اشهر وستة ايام من وفاة والده الشيخ احمد عارف الزين الذي قاد مسيرة «العرفان» لواحد وخمسين عاما ونيف.

«العرفان» في تاريخ بلاد العرب كانت بوتقة النور وبؤرة الضوء وسط جهالة وظلمات عصور الانحطاط العثمانية، وهذا المنبر الواسع لكل الافكار القومية والوطنية في زمن المخاض العسير وفي بداية عصر النهضة العربية.

عام ١٩٠٩ ولدت مجلة «العرفان» وبعد عام على قيام الانقلاب العثماني بقيادة جمعية «الاتحاد والترقي» ضد الاستبداد الحميدي، يومها استبشر قادة النهضة العربية بامكانية الوصول الى تحقيق نوع من المساواة والقضاء على الفساد والتمييز في اطار الدولة العثمانية وان تتحقق بعض المطالب القومية العربية، في عهد بداية التفتح القومي في خضم الصراع التاريخي الكبير ما بين قوى الامبريالية الغازية والشعوب المستعمرة (بفتح الميم)، لكن امال الدعاة القوميين العرب سرعان ما احبطت عندما سقطت الاقنعة عن وجوه زبانية جمعية «الاتحاد والترقي» فاذا بهم دعاة «طورانية عنصرية» معادية لتطلعات العرب القومية.

في هذا المناخ ولدت «العرفان» كصوت مناد بحق العرب في الحرية وتقرير المصير وفقاً لمبدأ «اللامركزية» وبحق شعبنا العربي في الوصول الى عصر التحضر وخلع قيود الجهالة والاستعباد.

وشكل صدور العرفان «فقرة نوعية» في مسار النضال العربي حيث كانت تجمع المناضلين في مجالات الثقافة والسياسة ومع احتدام الصراع ما بين قيادة النهضة العربية والاستبداد العثماني فان هذا المستبد كان بالمرصاد لهذا الصوت العربي العاملي فاقدم على تعطيل «العرفان» ومنعها من الصدور نهائياً عام ١٩١٢ ثم اقتيد صاحبها الى المجلس العرفي عام ١٩١٥، لكن احراقه للمستندات والوثائق المتعلقة بنشاطاته ضمن الجمعيات العربية وظروفاً اخرى انقذته من حبل المشنقة، ليعاود اصدار «العرفان» بعد زوال كابوس الاستبداد العثماني، ولتنعم البلاد لفترة قصيرة بحكم الدولة العربية العتيدة التي اعلنت في دمشق، لكن هذا الحلم لم يدم حين انقضت جحافل الاستعمار الافرنسي على الدولة العربية التي سطرت ملحمة واقعة «ميسلون» الخالدة بقيادة وزير دفاعها يوسف العظمة.

وكانت غزوة الافرنسيين لجبل عامل واحراق مدنه وقراه، وبالمقابل فان محاولة

ذكية بذلها المستعمر الافرنسي لحمل صاحب « العرفان » على السير في ركابه او الوقوف على الاقل موقف الحياد ما بين المناضلين ضد الانتداب وزبانيته، فاقدم المستشرق « ماسنيون » على تقديم عرض مغر للشيخ أحمد عارف الزين بتزويده بمطبعة حديثة وبامكانات مادية لتطوير المجلة، لكن صاحب « العرفان » رفض هذا العرض.

في هذا الزمن ولد نزار احمد عارف الزين وفي ظل اجواء النضال اليومي لوالده ترعرع وغا، وفي بدايات وعيه كان يرى الصراع المستمر ما بين دعاة الاستقلال والوحدة العربية السورية وبين قوى القمع الاستعمارية الافرنسية من جهة اخرى، وشاهد التعطيل المستمر « للعرفان » من قبل سلطات الانتداب ويطالع عبر صفحاتها المناظرات الدينية بين السادة محسن الامين وعبد الحسين شرف الدين وعبد الحسين نور الدين وعبد الحسين صادق.

والمناظرات الشعرية بين الاستاذين محمد كامل شعيب العاملي واديب فرحات.

والمناظرات اللغوية بين الشيخين احمد رضا وسليمان ظاهر.

وقصائد الشيخ محمد علي الحوماني وعبد الرؤوف الامين وموسى الزين شرارة وعبد الحسين العبد الله وبدوي الجبل.

واخر الابحاث عن اكتشافات حسن كامل الصباح العلمية.

هذا ناهيك عن الابحاث الادبية والقومية لاميري البيان شكيب وعادل ارسلان.

في ظل اجواء نضال هذه الدوحة العرفانية العاملية نشأ نزار الزين وتتلمذ، لكنه ذهب الى فرنسا وبالتحديد الى جامعة السوربون في العام ١٩٣٥ ليدرس الصحافة وليعود في العام ١٩٣٨ « محبا للتحرير » كما احب والده ان يسميه حين عاد ليساعده في تحرير مجلة « العرفان » التي بقيت امينة لتراثها النضالي طوال عهد الانتداب، ولتتابع النضال ضد الفساد والافساد في عهود الاستقلال ولتقف ومن خندق الكلمة مع دعوة الوحدة العربية ومدافعة عن الحق العربي في فلسطين والى جانب الحركات الثورية في العالم الاسلامي.

عندما توفي الشيخ احمد عارف الزين عام ١٩٦٠ تابع نزار رسالة والده في السير بمجلة « العرفان » ضمن خط قومي عربي تحديثي مرتبط بالتراث وجذوره.

وجاءت الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ لتسبب صدمة اليمة لصاحب « العرفان » عندما احرقت مكاتبها واتلف ارشيفها، وقبل هذا التاريخ شهدت هذه المجلة نوعاً من الانتكاس ناتج عن انتقال الغالبية الساحقة من رعيل كتاب « العرفان » الى جوار ربهم مما سبب نقصاً في الاقلام المحررة، واصرار الجيل الجديد من الكتاب على تقاضي البدل عن كتاباتهم بينما لا امكانيات لهذه المجلة لتأمين بدلات الاتعاب فضلا عن نفقات الطباعة واكلاف الورق.

هذه العوامل مجتمعة دفعت بصاحبها لاصدارها بمجلد واحد كل ثلاثة اشهر.

وقبل وفاته بيومين التقيت به والحبور باد على وجهه وخاطبني قائلا:

لقد انجزت بعونه تعالى اصدار عدد خاص عن المرحوم الوالد ونأمل ان يصل هذا العدد « الممتاز » لمجلة « الرابة » التي اقدرها كثيراً . وسوف احضر لك معي نسخة من المجلد لشهري كانون ثاني وشباط ١٩٨١ والتي اعدت فيه نشر المقابلة التي اجرتها معي مجلتكم والتي نشرتها في ١٩٨١/٣/١٥ .

شكرا لك يا استاذ نزار والى اللقاء غداً وفي اليوم التالي لم يتم اللقاء لأن صاحب « العرفان » مضى نحو خالقه .

وبعد نزار الزين ما هو مصير « العرفان » ؟

يجيب اخوه القاضي زيد بان مجلة « العرفان » ستتابع الصدور وشهرياً هذه المرة وسوف توضع الاسس لمتابعة صدورها ابتداء من اوائل العام القادم ، محافظة على خطها العربي والاسلامي التقدمي التراثي الثوري .

مجلة « العرفان » التي قال فيها العلامة المرحوم السيد محسن الامين « فكم تخرج على « العرفان » من شاعر مجيد وكاتب سديد وعالم رشيد ، وكم كشفت عن كنوز خبيئة من الادب الرفيع ما كانت لولاها لتظهر وما كان اصحابها ليعرفوا » .

هذه « العرفان » التي غدت مرجعاً للدراسات الاسلامية في العالم ، وصارت اكبر الجامعات الغربية تحتفظ بها كمؤشر على حركة الفكر العربي الاسلامي .

هذه المجلة التي نظم حولها ما يزيد عن العشر دارسين اطروحاتهم عن الدكتوراه .

هذا الصوت العربي الاسلامي العاملي يجب ان يستمر وبزخم اقوى واشد ؟

سعيد الصباح

صاحب مجلة العرفان نزار الزين في ذمة الله

وكتبت مجلة « الثقافة » في دمشق الكلمة التالية :

● توفي في بيروت الاستاذ نزار احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وجريدة الجبل ورئيس تحريرها ، فقد وجد في غرفته ميتاً بالسكتة القلبية ، وكان قبل بضع سنوات قد اجريت له عملية جراحة في القلب ووضعت له بطارية لتقوية النبض .

● تولى المرحوم الزين المجلة بعد وفاة والده في ايران حيث دفن هناك وذلك في الستينات ، وقد بلغت المجلة الآن عامها التاسع والستين اي في عمر المرحوم نزار .

● عاش نزار الزين حياته نظيف الكف ، جريء القلم ، حر الضمير ، يقول كلمته بلا وجل ، ولم يجن من وراء الصحافة الا المتاعب ، ولكن يكفيه فخرا ان مجلته كانت تلقى الاعجاب والتقدير من الاوساط العلمية والادبية ومجامع اللغات ، وكبار المثقفين والمستشرقين . رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

● ومجلة الثقافة التي كانت تربطها بالفقيد أواصر من المحبة والصداقة والزمالة تتقدم من آل الفقيد ومن قراء « العرفان » بالتعزية القلبية .

بعض من العرفان لعارف الزين

وكتب الاستاذ محمد خليفة في مجلة القومي العربي بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد صاحب العرفان المؤسس ما يلي :

جريرته انه لم يكن متأوربا، لم يكن مزدوجاً والا لكانت المهرجانات، واليوبيلات انعقدت لذكراه.

جريرته انه لم يخلع العمامة عن رأسه، ولم يذعن لسطوة الثقافة الاخرى لم يقرأ سوفوكليس، ومالارميه، ودانتي. ولم يرطن بفرنسية أو انكليزية. ولولا ذلك لكان احمد عارف الزين احد أعلام الثقافة في لبنان والغرب، ولكانت ترجمت اعماله، وخصصت له سنة دولية...

ما الفارق بين الزين، وجبران؟.

انه الفارق بين ابن رشد، وابو حنيفة.

والمسافة بينهما هي المسافة بين التابع والمتبوع. بين الظل والمتظلل بلغة الرياضيات.

جبران، الذي لم يكن إلا صورة مهتزة لفلسفة «الكيان اللبناني» فحمل كل تناقضاته وحضاريته المختلفة. جبران الذي لا يزيد في التقييم النهائي، عن أديب عادي، أتقن التبعية للغرب، وأذعن لها. جبران هذا نحتفل العام به ونتوجه نبيا «للبنان» ورسولاً «منزلاً» من الالهة الغربية.

وأحمد عارف الزين، هذا النموذج الفذ للطليعة الاهلية، الشعبية، ـ بكل ما تعنيه هذه الكلمات ـ نموذج المثقف الامين على تراثه وحضارته وعناصر شخصيته الروحية والقومية بدون مركبات نقص. نموذج المجاهد ـ لا المناضل ـ الذي يجد موقعه في خندق واقعه امام القوم لا فوقهم، ولا على يسارهم او يمينهم.

أحمد عارف الزين هذا سرعان ما نطليه بالدهان الاصفر ونرميه في قاع النسيان بين ـ كتب التراث الصفر ـ وكأن صحافتنا التي كان من روادها الاول تخجل من نشر صورته لان له لحية، ويرتدي قفطاناً وعمامة.

مائة عام هجرية مرت على ميلاد احمد عارف الزين ـ ١٣٠١ ـ ١٤٠١ ـ وهو لا يزال قضية معاصرة، ودعوى منشورة أمامنا يقيمها نموذجه علينا.

انه قضية معاصرة.

اننا كمثقفين وبعد شوط طويل من التحديث والنهضة، والبناء والثورة، والنكسة والردة لا تزال متخلفين عن نموذج احمد عارف الزين. لا نزال متخلفين عن استيعاب شروط بناء النموذج المعاصر للمثقف العربي.

ولد في ذروة عصر النهضة العربي وشهد نهاياته، محمد عبده ورشيد رضا والكواكبي وارسلان.. وساهم في صناعة ستين عاما

بعد ذلك، بقدرة خلاقة، على متابعة ايقاع الازمنة المتغيرة السريعة.

كان علامة اسلامية، فقيها، مخلصاً لاسلاميته، مدركا لجوهر الاسلام التحرري، والانساني، والحضاري. وكان عربيا، معتزا بعروبته، متعصباً لها تعصبا مقدساً!

« ان تسل عني فهذا نسبي

عربي عربي عربي ».

ولم يكن لديه ثمة فصل او امكانية للفصل بين النسيج واللحم، أي بين العروبة والاسلام. هذه القضية التي لا يزال بعضنا حتى اليوم قاصرا عن ادراك لحمتها.

قاوم الامبراطورية التركية، والاستبداد الطوراني في مرحلة التتريك.

أسس جمعية فتاة العروبة في اثناء السيطرة التركية، ثم جمعية لنشر العلم في مرحلة الانتداب.

وقاوم الاستعمار الفرنسي، وفي سبيل ذلك كان يدخل الحبس بين الفينة والاخرى.

ولم تكن المقاومة عنده ـ وعند نموذجه ـ واجبا سياسياً او مهمة استثنائية يقوم بها ـ كما هو الامر عندنا اليوم ـ كانت المقاومة عنده تبعة ثقافية، دينية، انسانية، اخلاقية لا تحتاج لاستعداد خاص او تهيؤ استثنائي. لانها صفة ملازمة للانسان. شيء في داخله ومنه، في تكوينه الثقافي، ما دام هذا التكوين يقوم على ارث اسلامي، الجهاد ـ بكل مراتبه وانواعه ـ شيء صميمي فيه.

والمقاومة عنده ايضاً مقاومة بالقلم، وبالنفس، لم تكن المقاومة بالقلم لتشكل مهرباً له من المقاومة بالنفس ـ كما هو الامر في افضل حالاته اليوم ـ فالمقاومة واحدة ايضاً بكل الدفاعات والاسلحة.

أسس اول مجلة في « الجنوب اللبناني » العرفان. لم يهرب من الجنوب المحروم، الجنوب الظل الى بيروت العاصمة، والضوء. فالعرب عادة استجدت مع مثقفي هذا الزمن. ثم أسس اسبوعية « جبل عامل ».

وخلال سنوات كانت ـ العرفان ـ احدى اهم المجلات الثقافية العربية الى جانب « الهلال » و « الرسالة » و « الكتاب » و « المقتطف »، بل صمدت حيث انهارت غالبية هذه الشقيقات.

استطاع ان يحمل جبل عامل ويقدمه الى العرب قطعة من التراث والحضارة امتزجت فيها العروبة والاسلام.

واستطاع ان يستحضر الى صيدا الجنوب عمالقة النهضة في عصره، فكان ارسلان والشهبندر وأحمد شوقي، وحافظ ابراهيم وابو ماضي والريحاني وفرحات وصيدح بعض كتاب مجلته.

في الخمسينات، ومع الاستقلالات العربية، كان أحمد عارف الزين قد أصبح يرى ان الامتين العربية والاسلامية تسيران في معارج التقدم، فكان يساهم في مختلف النشاطات العربية والدولية بروح ثورية طليعية شابة، وبافق فكري رحب وانساني.

فوقف الى جانب ثورة ٢٣ يوليو المجيدة منذ بداياتها، وايد سياسات الزعيم ج. عبد الناصر. وكان يرى بحركته العربية والاسلامية والدولية تجسيداً معاصراً لحركتي العروبة والاسلام. فأيد الوحدة السورية - المصرية، وهو الذي وقف حياته داعية للوحدة الشاملة، وأيد حركة عدم الانحياز، والتحالف مع المعسكر الاشتراكي، والاتحاد السوفياتي، وكان وهو الفقيه، ورجل الدين، يرى بهذا التحالف تعبيرا عن انفتاح الاسلام على الفكر الانساني والحضارة في مختلف العصور. وكان يدافع عنها في وقت صعب على «رجال الدين» ضيقي الافق فهم علاقات العصر...

وفي عام ١٩٦٠ رحل احمد عارف الزين اخر رحلاته. وأحمد عارف الزين يظل مفكرا من مفكري النهضة الوطنية والعربية والاسلامية، ومجاهدا كبيرا من رعيل المجاهدين الذي اسسوا الاستقلال. وقاتل بين الشعب ضد الاستعمار في لبنان وبلاد العروبة، وخاصة في فلسطين. وهو رائد من رواد الصحافة والنشر.

بعد أقل من عامين - ١٩٨٤ - تحل الذكرى المئوية - الميلادية - لميلاد أحمد عارف الزين.. ونحن نقترح - بل ندعو ونطالب - باحياء هذه المناسبة. فذلك وحده، بعض من «العرفان» نرده للعارف، صاحب «العرفان».

محمد خليفة

«العرفان»: عدد خاص عن منشئها أحمد عارف الزين

وكتبت جريدة السفير عن العدد الخاص الذي اصدره المرحوم نزار قبل وفاته:

في العدد نصوص من كبار الكتاب والادباء اضافة الى اخبار من الصحف اللبنانية والعربية والايرانية الصادرة عام ١٩٦١ عقب وفاة مؤسس «العرفان».

الشيخ عارف الزين. عرف شهرة واسعة في مجال الادب والشعر والدفاع عن الحق. وعرف النضال القومي. منذ طفولته. حين سمع اخبار جده الاكبر الحاج زين الذي قيل انه عمر فوق المئة وتوفي سنة ١١٧٧ هـ. بقرية شحور. والذي خلف الشيخ علي الزين الذي عبر عنه الشيخ علي السبيتي في مخطوطته النادرة التي بقيت بعد حرق مكاتب جبل عامل «بصاحب شحور» وانه كان من «ذوي المكانة العالية». ولما امتد ظلم الجزار وإلي عكا ابت نفسه العالية البقاء تحت سيطرته فجهز جيشا كان هو مدبره

واحد آل علي الصغير رئيسه وتوجهوا الى تبنين وقتلوا عامل الجزار وساروا نحو العراق. فالتجأ آل علي الصغير الى احدى قبائل العرب وتوجه الشيخ علي الزين واخوته الى العراق. فبقي احدهم ويدعى الشيخ حسين لطلب العلم في النجف الاشرف. وتوجه الشيخ علي واخوه قاسم الى بلاد العجم والهند. ونظرا لما اتصف به الشيخ علي من ذكاء وشجاعة واقدام. استطاع التقرب من ملك الهند «نواب» الذي جعله وزيرا له وقيل انه تزوج بابنته وبعد وفاته قام مقامه. ثم لما احتل الانكليز الهند لم يعط قياد الطاعة لهم فحارب مدة سنتين ادت به الى الرجوع الى شحور. وولد له بعد رجوعه جد الشيخ الحاج سليمان الزين. وكان كاتبا وشاعرا واديبا. عاش في صيدا واشتغل بالتجارة وخلف اربعة اولاد اولهم حسين المعروف بالشيخ ابو خليل وكان متفقها. والثالث الحاج علي الزين والد الشيخ عارف وكان عالما اديبا فقيها. اما الرابع فهو الحاج اسماعيل الزين والد قرينة الشيخ احمد عارف الزين والمرحوم يوسف بك الزين.

ولد مؤسس «العرفان» في قرية شحور - قضاء صور سنة ١٨٨٣ وتلقى علومه الدينية والمدنية في القرية وفي النبطية. حيث درس اللغة الفرنسية وفي العام ١٩٠٤ اقام في صيدا، حيث بدأ حياته الصحافية والادبية والسياسية في سن مبكرة بمراسلة اكبر الصحف المنتشرة في العهد العثماني.

انشأ الشيخ احمد عارف الزين مجلته الشهرية «العرفان»، وصدر الجزء الاول منها في شهر شباط من العام ١٩٠٩. وفي العام ١٩١٠ انشأ اول مطبعة لطباعة المجلة وفي العام ١٩١٢ اصدر جريدة «جبل عامل» الاسبوعية. التي اوقفتها السلطات التركية بعد ستة من صدورها وحكم على صاحبها الشيخ عارف بالسجن شهراً ونصف الشهر في الديوان العرفي ببيروت لهجومه على طغيان السلطة العثمانية وعلى «جمعية الاتحاد والترقي» التي كانت تعمل على تتريك الشعوب العثمانية. كما اشترك في العام ١٩١٢ مع الشهيد توفيق البساط في تأسيس «جمعية نشر العلم» وانتخب رئيسا لها.

بعد ذلك اشترك الشيخ عارف، بالحركات العربية على اختلافها. وظل ينادي بالاستقلال حتى وقعت الحرب. وفي العام ١٩١٥ سيق صاحب العرفان مرة اخرى الى المجلس العرفي بعاليه بتهمة تأليف «جمعية فتاة العروبة» مع عبد الكريم الخليل ومحمد حيدر.

كان الشيخ عارف في طليعة الشخصيات التي هاجمت الانتداب الفرنسي بعنف، شارك في مجمل المؤتمرات الوطنية المناهضة للانتداب. والمطالبة بالحرية والاستقلال. وقد اعتقلته سلطة الانتداب في ١٥ تموز ١٩٣٦، اثر دعوته لاعلان الاضراب في صيدا.

«العرفان» تصدر الى الآن. ونأمل استمرار صدورها بعد وفاة صاحبها ورئيس تحريرها نزار الزين منذ ايام.

قصص الانبياء في القرآن الكريم

تأليف سميح عاطف الزين

الأنبياء هم الصفوة المختارة من بني البشر أرسلهم الله سبحانه إلى الانسان ليعرف نفسه ويهتدي إلى ذاته، ويدرك الحقيقة.

ولا بد أن يكونوا ـ وقد اختارهم الله ليبلغوا رسالته إلى الناس ـ مثلا أعلى للذات البشرية، وتعبيراً أسمى للنفس الانسانية.

ولذلك فإن الاطلاع على سير حياتهم وما شملت عليه من أحداث. وما هدفت إليه من عبر وعظات خير دليل لنا لنصل إلى الحقيقة التي أراد الله لنا أن نعرفها تمام المعرفة وندركها حق الادراك.

وقد كتبت قصص الأنبياء بأسلوب مشرق ومشوق معتمدة على آي الذكر الحكيم في تركيز أحداث هذه القصص مبتعدة كل البعد عما وقع فيه من كتبوا في قصص الأنبياء من هذه الاسرائيليات التي حشيت بها كتبهم.

وإيماناً بقيمة هذه القصص وبوجوب الإطلاع عليها عملت دار الكتاب اللبناني على اخراج هذه المجموعة في كتب صغيرة مجلدة لتكون فائدتها أعم وانتشارها أوسع، ولكي يتمكن كل قارىء أن يقتنيها باجزائها المتسلسلة كالآتي:

١ ـ آدم والتكوين.
٢ ـ نوح وهود وصالح.
٣ ـ ابراهيم واسماعيل ولوط.
٤ ـ اسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب.
٥ ـ موسى وهارون.
٦ ـ داود وسليمان ويونس.
٧ ـ زكريا ويحيى وعيسى.

الناشر: دار الكتاب اللبناني

بيروت ـ شارع اميل اده ـ الصنايع
مقابل الاذاعة اللبنانية ـ بناية السالم ـ الطابق الاول
تلفون: ٣٤٩٠٥٥ ـ ٣٤٩٣٧٠ ـ ٣٤٩٦٧٧
برقياً: كتالبان
ص. ب.: ٣١٧٦ ـ تلكس LE ٢٢٨٦٥

العرفان

أسست سنة ١٣٢٧هـ

مجلة ثقافية سياسية مستقلة

تصدر مرة في الشهر ـ سنتها عشرة أشهر

تأسست في صيدا سنة ١٩٠٩ م.

العدد ٤ مجلد ٧٠ جمادى الثانية ١٤٠٢هـ ـ نيسان ١٩٨٢ م.

كلمة

مما لا شك فيه أننا مررنا في العالم الإسلامي والعربي بفترة صعبة وبمشاكل خطيرة هددت كياننا الحضاري وشخصيتنا الثقافية واستقلالنا الإقتصادي والسياسي. هذه التهديدات كانت بمجملها من مصدر واحد هو الإستعمار الغربي بأشكاله المختلفة ووجوهه المتنوعة. ومن أهم عوامل الضعف التي ما زالت كامنة في بلادنا نتيجة سيطرة الغرب في القرن الماضي هي التبعية له واعتباره النموذج والمثل الحضاري الأعلى فنحن لا نفكر ولا ننظر الى واقعه من منطلق عقلي سليم بل من عقدة النقص عندنا تجاهه وعدم ثقتنا بأنفسنا وبقيمنا وبمعطياتنا الحضارية والفكرية والتراثية. ومن عوامل الضعف أيضاً التي هي من رواسب الماضي والتي أرساها المستعمر بعمق هي التجزئة وتفكك أمتنا إلى دويلات ووطنيات تقوم على مفاهيم وأنظمة غريبة جداً، فأهملنا تجاربنا الماضية في الدولة والسياسة ودستورنا الشامل الكامل المنظم لكل ما نحتاجه في المجتمع. كما أننا أهملنا لغتنا وتناسينا أننا عرب ذات لغة وتاريخ وثقافة وتراث مشترك وبقينا جامدين لا نعمل في سبيل الوحدة بل نتغنى بالعهود الغابرة ونتمنى أماني زاهرة. وفي لبنان التفكك في أوجه والتجزئة تتجلى في سنين طويلة من الحروب والإقتتال. فما أحوجنا اليوم إلى وحدة في العالم الإسلامي وما أحوجنا إلى وحدة عربية وما أحوجنا إلى وحدة وطنية في لبنان. من هنا تطمح العرفان لأن تكون منبراً للفكر الإسلامي الأصيل الذي على أساسه تنطلق الوحدة العربية الإسلامية ـ إن توفرت الإرادات ـ وكذلك تطمح لأن تكون منبراً للفكر المسيحي الأصيل المستمد معطياته من تعاليم السيد المسيح عليه السلام ـ لا من الحضارة الغربية التي فصلت الدين عن الدولة وقامت معادية للدين المسيحي على أنقاض الكنيسة... وذلك كي تؤدي العرفان رسالتها في خدمة الوطن والأمة.

العرفان

المؤسس: أحمد عارف الزين.

المدير: فؤاد زيد الزين.

العنوان: مجلة العرفان
ص. ب: ٢٢٥٠
بيروت ـ لبنان
هاتف: ٢٥٦٥٥٠

الاشتراك السنوي:
في لبنان وسوريا:
الأفراد: ٥٠ ل. ل.
المؤسسات: ٣٠٠ ل. ل.
في جميع الأقطار بالبريد الجوي
٤٠ دولار.

وكيل التوزيع العام:
الشركة العربية للتوزيع
ش. م. ل.
سنتلفون: ٢٤٧٩١٠
ص. ب: ٤٢٢٨
تلكس: [illegible]
بيروت

ثمن النسخة: [illegible]
لبنان ٥ ل.ل. / سوريا ٧ ل.س. / الاردن ٥٠٠ فلس / الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات / البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية [illegible]
[illegible] / الإمارات ٥ دراهم / عمان [illegible] / اليمن [illegible] / العراق ٢٠٠ فلس / [illegible]
[illegible]

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٤	الجنوب جرحاً ومجداً	الشيخ محمد مهدي شمس الدين
	فكر	
١٤	العلم والحكمة	روجيه غارودي تقديم وتعريب د. حسن الضيقة
١٩	أقزام الفكر يتطاولون على عمالقته	زهير الماريني
	مواضيع إسلامية	
٢٣	أبواب إبليس العشرة	د. طلال عتريسي
٣٠	إدراكنا والغيب	جهاد سعد
٣٤	توحيدية الفارابي : بين الخط القرآني إلى حل مأزق الحضارة	محمد صادق فضل الله
٤١	الاسلام والتنمية	حسن الزين
	تاريخ	
٤٩	دول عربية مجهولة : بنو مرداس	حسن الأمين
٥٦	أسماء العائلات والصبيان والبنات في صيدا	د. طلال المجذوب
	أدب	
٦١	تلك المعاني المهجورة : العِفَّة	عبد اللطيف شرارة
٦٥	بين المقامة والقصة	أحمد عيتاني
٦٨	عدنان مردم .. شاعراً	د. محمد عبد المنعم خفاجي
٧١	جبل عامل	جعفر شرف الدين
٧٣	العرفان تولد بصمت	فؤاد الزين



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
شعر		
٧٥	كلّما أرخص الجنوب دماء	محمد علي صادق
٧٨	وجود الله	بشار الزين
٧٩	قالت: إلى أين	ابراهيم بري
	أبواب العرفان	
من تراثنا		
٨٠	صفحة من تاريخ جبل عامل العلمي	الشيخ سليان ضاهر
المراسلة والمناظرة		
٨٧	هنيئاً للذي يهجوه شعري	موسى الزين شرارة
٨٨	بين شاعرين	الحوماني ومحمود
تربية		
٩٠	اللعب: حلقة أساسية في التعلم والإبداع لدى الطفل	د. هيام المولى
طب		
٩٦	قصة أمراض القلب	د. محمد ياسين
مع الخالدين		
٩٩	ميكيل انجيلو العظيم	سمير شيخاني
خبر لر		
١٠٥	خمس ست كلمات	نصرت توفيق خريش
١٠٦ كتب		
١٠٨ مع الاحداث		

ترتيب المقالات يخضع للتبويب الفني للمجلة وليس حسب مكانة الكاتب أو أهمية المقال.

الجنوب جرحاً ومجداً

بقلم: سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، والسلام عليكم أيها الإخوة والأبناء جميعاً ورحمة الله وبركاته.

نجتمع لنتحدّث عن جرح من أكبر جراحنا وأشدّها خطراً في العصر الحديث، وهو جرحنا في جبل عامل أو إذا شئتم في لبنان الجنوبي. هو جرح من جملة جراح في جسد هذه الأمة وروحها. في كل مكان توجد جراح تنزف، من الجسد أو من الروح، في الجغرافيا وفي الثقافة، وفي الإقتصاد وفي القرار السياسي و في كل شيء. ويبدو لنا أنّ كلّ سلبيّات هذه الجراح وكلّ ما سبّبته من ضعفٍ وانكسار تجمّعت معانيه ومعطياته لتتركّز في الجنوب. فيشكّل الجنوب، في حاضرنا وفي مستقبلنا، أكبر خطرٍ نواجهه على مصيرنا وفي معركتنا الدائرة مع الصهيونية العالمية ومع خلفيتها التي تتمثّل في الإستعمار الجديد الذي تقود شر معالمه أمريكا.

أنتم تعرفون المضمون الحضاري للجنوب، ألخصه لكم بأنّ **هذه الأرض في هذه المنطقة من العالم شكّلت منذ ما يزيد على ألف عام أحد قلاع الثقافة العربية والإسلامية واستمرّت في عطائها لهذه الثقافة ولهذه الحضارة طيلة هذه القرون** دون أن تتأثر أبداً وبوجه من الوجوه بأي أزمة سياسية وأي نكبة تتناول وجودها ومصيرها حتى الآن. ولكنّها في هذا الحقل بالذات، كانت لفترات طويلة موضوعاً للتعتيم ـ كما يقولون ـ وموضوعاً للتجهل بسبب ما مر علينا في الماضي من عقد طائفية أو بسبب نوع الحاكم الذي يتولى أمر السلطة في هذه المنطقة منذ الأمويّين وانتهاءً بالفرنسيين. ولكنّ هذا كلّه لم يمنع أهل هذا البلد من أن يكونوا دائماً أوفياء لتراثهم ولفكرهم ولمستقبلهم أيضاً. **فحافظوا طيلة ما يزيدُ على ألف عام، حافظوا على أنفسهم بما لهم من مضمون ثقافي وحضاري رغم جميع النكبات التي مرّت عليهم والتي في بعض الحالات إستهدفت، لا إخضاعهم، وإنّما إستهدفت إبادتهم كجماعة سياسية ثقافية**. واستمرّوا وهم موجودون الآن. وهذا **إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ عنصر القوة هو موجود في صميم شخصية أهل هذه المنطقة، القوة في الروح والقوة في العقل والقوة في الإرادة والقوة في تحمل المشاق والقدرة على اجتيازها**.

الآن، بعد كلّ ما مضى، يواجه المسلمون ـ على الأقل في منطقة الشرق ـ والعرب ـ على الأقل في منطقة الشرق الأوسط ـ واللبنانيون يواجهون حالة شاذّة وخطيرة هو أنّ

* نص المحاضرة التي ألقاها سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، في الجامعة الأميركية في بيروت بتاريخ ١٩/٣/٨٢ في إطار أسبوع الجنوب في ذكرى الإجتياح الإسرائيلي للجنوب في آذار ٧٨.

الجنوب في خطر جدّي وحقيقي. يكمن في غمرة ما يحيط بالمنطقة من أخطار أن يكون الجنوب هو الضحية التالية للهجمة الصهيونية عليه. وفي هذه الحالة، نحن نرى الأمور كما يلي. في هذه الحالة، سيكون هذا الحادث إذا وقع ـ ويمكن أن يقع في أيّ وقت ـ بداية الكارثة بالنسبة إلى المنطقة برمّتها إن، من حيث **السيطرة الكاملة للصهيونية كنظام سياسي واقتصادي وكنمط حضاري أيضاً على هذه المنطقة. وسيكونُ بداية لنشوء وتطبيق** لإعادة تطبيق **التصوّر القديم للكيانات السياسية في هذه** المنطقة والذي يقوم (هذا التصوّر) على أساس **أنّ الكيانات السياسية المتجانسة مذهبياً هي الكيانات القابلة للبقاء** (وهو ما اصطلح عليه باللغة الصحافية والشعبية **بالدول الطائفية**). **وهذا يشكّل الحصن الحقيقي للصهيونية والمبرّر لوجودها في هذه المنطقة.**

هذا الخطر قائم وفعلي. نريد أن نتفهّمَ بسرعة الأسباب التي جعلته يوجد والوسائل التي يمكن أن تحول دونه. أما الأسباب التي جعلته يوجد فهي ذات وجهين: وجه لبناني محلي ووجه عربي دولي. **الوجه اللبناني المحلي** يتضمّنه النظام اللبناني وطبيعته والدولة اللبنانية وطبيعتها. فمنذ تشكيل هذا النظام وقيام هذه الدولة على أساسه في مختلف عهودها ـ منذ أوّل عهد وحتى عهدها الحاضر ـ هذا النظام، بكل السلبيات التي يتضمنها بداخله، بكل الأحاديث التي اشتمل عليها ليبدو وكأنّه نظام ديمقراطي متطوّر، ليبدو هكذا بينما هو في الحقيقة نظامٌ خالٍ من الديمقراطية الحقيقية ومتخلّف لجهة فكرة الدولة والمجتمع في العصر الحديث. هذا النظام وهذه الدولة بما يتضمّناته من نواقص ومن عجز تسبّب في نشوء ما يسمّى عندنا مناطق الحرمان وفئة المحرومين. تصوّروا أنّ هذا النظام منذ سنة ١٩٤٣ وحتى الآن ـ منذ ٣٩ عاماً ـ لم يستطع أن يُكوّن، من خلال جميع سياساته، وطناً متجانساً في وضعه الإنمائي، ازدادت مناطق معينة نموّاً ـ ربّما بفضل النظام، وربّما بفضل أهلها ـ ولكنّ مناطق أخرى ازدادت تخلّفاً، ليس في الجنوب فقط، وإنّما في مناطق لبنانية كثيرة توجد فيها جميع الهويّات المذهبية للشعب اللبناني. ووجدت في مناطق الحرمان هذه فئة المحرومين. نتحدّث عن الجنوب لأنّ وضعه الجغرافي يجعله أشدّ المناطق اللبنانية خطراً بما هو قطرٌ متخلّف من لبنان. هذا التخلّف، الذي لا يمكن أن يكون مسؤولاً عنه ولا يمكن أن يتحمّل وزره سوى النظام والدولة اللبنانية بمختلف عهودها، هذا الوضع جعل الجنوب الإبن المريض دائماً في لبنان، وجعله الثمرة المشتهاة لكلّ المشاريع الصهيونية منذ بداية الحركة الصهيونية في أوائل القرن الماضي. هذا هو الوجه المحلي.

أما **الوجه العربي الدولي** فهو يرتبط بما يسمّى أوّلاً **المشكلة الفلسطينية** ثم سُمّي ثانياً بمشكلة الشرق الاوسط بعد هزيمة حزيران واحتلال أراضي عربية أخرى خارج فلسطين، ونوعية العمل العربي التي واجهت هذا الواقع. العمل العربي الذي واجه هذا الواقع لم

يكن في وقت من الاوقات على الإطلاق في مستوى هذا الواقع. كان دائماً عملاً متخلّفاً عن الواقع وكان الواقع أسرع منه وأسبق منه، ومن هنا فقد كان هذا العمل يأتي دائماً بنتائج سلبية بالنسبة الى صيرورة الأحداث في المنطقة وفي لبنان بوجه خاص ومنذ البدء - لا أقول منذ سنة ١٩٤٨ ربّما حتى منذ سنة ١٩٣٦ - ظهر للجميع وكأنّ الجنوب هو إحدى الثمرات المقبلة للتوسّع الصهيوني في المنطقة. ومع ذلك، لا نظام الانتداب الفرنسي ولا نظام الإستقلال اللبناني ولا الأنظمة العربية الأخرى إستطاعت أن تدرك أو استطاعت أن تتصرّف على مستوى الإدراك حيال هذا الخطر بما يستحقه هذا الخطر. **هذه الأنظمة طيلة عقود من السنين إستسلمت لأحابيل ومؤامرات السياسات الغربية والشرقية** - لا أستطيع في المراحل الأولى لنمو الكارثة في أمّتنا أن أغفل دور الإتحاد السوفياتي - إستسلمت للسياسات العربية والشرقية في هذه المنطقة، **فكانت تزداد تمزّقاً وإنقساماً ومن ثَمّ تزداد عجزاً وخوفاً، بمقدار ما تزداد غنىً ونموّاً في مجتمعات الترف وفي عقلية الترف التي شلّت في الأنظمة كل قدرة على الصمود وكل قدرة على المقاومة**... إلى السنوات الأخيرة التي اشتعلت فيها الفتنة في لبنان كجزء من مخطّط الإستعمار الجديد لتصفية القضية الفلسطينية ولإعادة ترتيب شؤون المنطقة بما يتناسب مع الحقبة الجديدة كنتيجة لنمو الحاجة إلى الطاقة والخوف على منابع النفط من أن تتأثّر بالأوضاع السياسية لأوطاننا.

وُجدت الفتنة في لبنان وأخذت صورة كونها فتنة طائفية في حالات، وأخذت صورة كونها فتنة طبقية في حالات أخرى، ولم تكن في الحقيقة فتنةً طائفية في الواقع كما لم تكن فتنةً طبقيةً في الواقع. وإنّما **كانت مؤامرةً دولية لأجل القبض على المنطقة برمّتها في لبنان. وصُدِّرت هذه الفتنة** بعد أن استنفدت جميع أغراضها في لبنان في الداخل، **صُدِّرت إلى الجنوب**. وهي منذ سنوات تتفاعل في الجنوب بالشكل الذي يتجسّد في مظهرين: **مظهر الإحتلال الإسرائيلي الفعلي** القائم فعلاً في الشريط الحدودي والتهديد بالإحتلال لمساحات أوسع من الجنوب، هذا وجه؛ والوجه الآخر هو **الفوضى الداخلية في الجنوب** التي أنهت كل وجود للقانون وكل قدرة لممارسة القانون وتطبيقه.

أمام هذا الواقع الذي يُشكّل سيفاً مُسلّطاً باستمرار على لبنان وعلى القضية برمّتها في العالم العربي وفي العالم الإسلامي. **ما هو الموقف؟** هناك اجتهادات كثيرة تبدأ من الحرب الشاملة مروراً بجميع الصيغ لتصل إلى فكرة الإتفاقات المنفردة مع الإسرائيليين كما هو منطق كمب دايفيد. إذا استبعدنا صيغ السلام المنفرد وإذا استبعدنا أيضاً صيغ السلام الجماعي التي تسعى وراءها انظمة عربية كثيرة لا يبقى أمامنا سوى فكرة الحرب والحقيقة **أنّ فكرة الحرب هي الفكرة الصحيحة الوحيدة في المواجهة منذ بدأت هذه المحنة حتى الآن** - ليس منذ سنة ١٩٣٦ فقط - منذ بدأ المشروع الصهيوني في أواخر القرن الماضي. وعبر التعامل مع المشروع الصهيوني وفقاً لمنطق الحرب، التعامل معه وفقاً

لمنطق الدبلوماسية أو السياسة، بما فيها من توازنات، هو الذي جعل المشروع الصهيوني يتقدّم باستمرار وينتصر باستمرار على حساب العالم الإسلامي والعالم العربي. الحقيقة هي أنّه ليس أمامنا في مواجهة هذا المشروع سوى فكرة الحرب. ولكن أي حرب؟ نحن أطلقنا منذ مدة شعاراً يلخّص رؤيتنا **للفكر الذي يقود العمل العسكري القومي** ـ لأننا في هذه الفترة أمام حروب عربية إسرائيلية ـ **ضد إسرائيل**. عن هذا الفكر أنّه **فكر الحروب بالتقسيط والهزائم بالجملة**. قلنا عن **هذه الحروب أنها حروب بالتقسيط تنتج هزائم بالجملة**. وإذا راجعنا سجل الأعمال العسكرية ضد العدو الصهيوني منذ أول حرب كبيرة بمقاييس المنطقة في سنة ٤٧ ـ ٤٨ إلى آخر حرب خضناها في سنة ٧٣، فماذا **نجد؟ نجد أنّ الحروب كانت بالتقسيط، ترسم أهدافاً محدودةً خاضعة لمعادلات السياسة الدولية** في العالم العربي والولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي كأنّ كل نظام من الأنظمة العربية مسموح له أن يحارب على مدى كذا كيلومتر وفي نطاق المدينة والقرية الفلانيتين ويقف عند هذا الحد كانت هناك خارطةٌ للحرب وكان كل نظام وكل جيش من جيوش هذه الأنظمة يتوقّف عند الحدود التي رُسمت له أو التي رسمها لنفسه أو التي نُصح بأن يعتمدها **رعاية للتوازنات التي كانت تُصنع أو تُخترع في أمريكا أو في أوروبا الغربية أو في أوروبا الشرقية أو فيها مجتمعة**. بلحظات يمكن لكل واحد منا أن يراجع سجل هذه الحروب بالتقسيط منذ سنة ٤٧ حتى سنة ٧٣ فماذا سيجد؟ سيجد أنّ **كل حرب من هذه الحروب كانت تنتج هزيمة من الهزائم تنتهي بتسوية لوقف إطلاق النار وتنتهي من ثَمّ بضم أراض جديدة إلى المشروع الصهيوني، وتذويب مجموعات جديدة من السكان الأصليين أو طردهم، وإدخال المنطقة الجديدة في الدورة الإقتصادية للكيان الصهيوني** وهكذا... **الحروب بالتقسيط والهزائم بالجملة**.

ولن يكون المستقبل بالتأكيد أفضل من الماضي. توجد حتى عند العلمانيين في العالم العربي عقلية غيبية سحرية تعتمد على أنّ العرب أصحابُ حق ولا بُدّ لهذا الحق أن ينتصر. **الحق لا ينتصر بالعقلية السحريّة الغيبيّة. الحق ينتصر حينما تكون له مخالب وحينما يُعمل هذه المخالب بالأسلوب المناسب**. أما حينما يبقى حقاً مجرّداً فنستطيع أن نقدّم سجلات من التاريخ منذ نشوء الحضارة حتى الآن لهزيمة الحق وأعظم حق، لقتل الأنبياء والمرسلين والمصلحين ولإغتصاب الحقوق للشعوب كلّها على مدى جميع التاريخ. هذا المنطق السحري العربي الغيبي هو يحكم حتى عقل العلمانيين العرب. الإعتماد على فكرة العدالة الدولية والإعتماد على فكرة القانون الدولي وما إلى ذلك. توجد حقيقة بسيطة جداً وبكل أسف هي مجهولة على نطاق واسع عندنا. في العالم العربي نحن مع المشروع الصهيوني نتعامل مع خلاصة حضارة بكاملها: من الثقافة البسيطة إلى الفانتوم وأكثر الآلات تطوراً مروراً بكل التنظيمات والمؤسسات. **نحن نتعامل مع أخلاقية معينة ترى أنّ الحق**

والقانون وفكرة العدالة هي داخل حدود جغرافية معيّنة، **أما خارج هذه الحدود الجغرافية فالحق نفسه يأخذ معنى آخر ويأخذ أبعاداً أخرى**. نستطيع أن نجد في سياسات العالم الغربي وفي سياسات العالم الشرقي وفي صحف هذا اليوم **تناقضاً في مفهوم الحق**. ما هو موقف أمريكا في السلفادور أو في فلسطين من موقفها في مكان آخر. ما هو موقفها من هذا النظام العربي أو ذاك فيما يتعلق بتشجيع فكرة الإرهاب الدولي. أو ما هو موقف الإتحاد السوفياتي بين موقفنا في فلسطين أو بين موقفه في الأفغانستان وما إلى ذلك... هذه الفكرة نحن مخدوعون بها **كل حضارة تصنع قيمها وحقّها وباطلها ومفاهيمها**. نحن حينما نتعامل مع المشروع الصهيوني ومع خلفيته الإيديولوجية في التوراة أو الحضارية الثقافية في العالم الغربي نتعامل مع قيم معينة يختلف فيها مفهوم الحق تماماً عن مفهومنا ولذلك **الإعتماد على كل هذه المفاهيم** - أقول الإعتماد وليس الإستعانة أو التعامل - من مؤسسة الأمم المتحدة إلى أية منظمة متخصصة أخرى، **هو إعتماد على الخراب، إعتماد على الوهم**.

إذاً، هذا **المنطق** قاد وأتاح طيلة ما يقرب من أربع عقود من السنين - بعد تأسيس وإنشاء الصيغة السياسية للفكر الصهيوني للدعوة الصهيونية في فلسطين - **قاد إلى هزائم بالجملة. والخطأ الأساسي كان دائماً يكمن كما لا يزال يكمن حتى الآن في فهم الطريقة التي ينبغي أن يواجه بها هذا المشروع في فلسطين**.

نحن - وهذا أمر كررته كثيراً - منذ سنة ١٩٦٧ بالتحديد - ولا أقول قبل هذه السنة - وفي أول مؤتمر قمة عربي عُقِد في عمّان بعد هزيمة حزيران، إقترحنا على هذا المؤتمر - وكان يضم أصحاب القرار في العالم العربي في ذلك الحين - أن لا حل حقيقي لهذه القضية إلاّ أولاً، **باعتبار القضية الفلسطينية قضية إسلامية وإخراجها** نهائياً من دائرة كونها قضية عربية فقط، قومية أو إقليمية، إخراجها من دائرة الأنظمة العربية وحتى من دائرة الأمة العربية.. إعطائها بعدها الحقيقي الإسلامي. **ثانيا**، قلنا أنّ الحرب بالأسلوب الذي تم منذ سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٦٧ هذه نتيجتها لذلك **لا بد من تجنيد جميع طاقات الأمة وإيقاف السياسات الإنمائية التي بدأت تُتبع منذ ذلك الحين في العالم العربي والتي تهدف إلى إنشاء مجتمع ترف ومجتمع رخاء وانشاء مجتمع حرب بكل ما يعنيه مجتمع الحرب في العالم العربي وإعتماد حرب شعبية شاملة**. لماذا؟ ولا يزال موقفنا وفهمنا للحالة هو هذا الموقف وهذا الفهم حتى الآن. لماذا؟ **نحن من جملة أخطائنا أننا منذ دخلنا في مفهوم الحرب الحديثة**، بعد نشوء الإستقلالات العربية في الثلاثينات، **ونحن نعتمد الفكر والتكتيك والفلسفة والآلة الغربية** يعني فكر وفلسفة وتكتيك وآلة الحضارة الغربية في حروبنا. وحروبنا ما هي؟ **حروبنا المشروعة هي حربنا فقط ضد الإسرائيليين** - لا أستطيع أن أتحدث عن حربنا فيما بيننا: الحروب على الحدود والحروب على المياه الإقليمية وعلى هذه المدينة هل هي تابعة لهذه القارة العربية أو

لتلك القبيلة العربية، لا أتحدث عنها.. وهذه الحرب التي يخوضها بعض العرب الآن ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ.. إعتمدنا طيلة هذه العقود من السنين على هذه الفلسفة وعلى هذا الأسلوب وعلى هذه الآلة. **نحن في صميم تكويننا النفسي والعقلي بحكم أننا ننتمي الى عالم ثقافي آخر والى عالم حضاري آخر والى عالم آخر من القيم لا نستطيع أبداً في هذه المرحلة من نموّنا أن ننجح في أية مواجهة تعتمد أسلوب العدو. كل إنسان لأجل أن ينجح يجب أن يحارب بأسلوبه وبفلسفته وبآلته.** خذوا مثلاً على ذلك. حينا نُخضع أنفسنا لشريعة الحرب والسلم الحديثتين نكون قد تخلّينا طوعاً عن حقّنا. حينا يصدر أمر بوقف إطلاق النار من مجلس الأمن لنا وللإسرائيليين، ونمتثل هذا الأمر معطين الحق لمجلس الأمن في أن يصدر أمراً مطاعاً نكون قد تخلّينا عن حقّنا طوعاً. وهذا أمرٌ مختلف مع فلسفتنا ومع عالم القيم الذي ننتمي إليه. أفهم أن يكون وقف إطلاق النار لأجل أن نستردّ حقّنا بالسلم. أمّا أن يكون وقف إطلاق النار لمجرّد التخفيف من عدد القتلى عندنا أو عند الإسرائيليين أو لأجل حماية بعض الأبنية أو المشاريع عندنا أو عند الإسرائيليين! .. **والحقيقة لأجل إتاحة الفرصة للإسرائيليين الذين ينتمون فلسفة وقيماً وتقنية لنفس العقل الذي أصدر الأمر ـ عقل مجلس الأمن ـ وهذا أمر كان دائماً ينطوي على معنى الهزيمة.**

نحن لا نستطيع أن نحارب إلاّ إنطلاقاً من فلسفتنا ومن أسلوبنا ومن فهمنا للآلة ـ يعني من الآلة التي نفهمها. الذي يحصل، إبتداءً من رابع جيش في العالم وهو جيش الشاه المقبور وانتهاءً بكل الجيوش العربية الحديثة التي تبنى الآن بمستقبل العالم العربي كلّه. الجيوش العربية التي تُبنى الآن لا تبنى بمال الماضي ولا بمال الحاضر تُبنى بمال المستقبل، تبنى بالخبز الذي سيأكله الأجنّة في المستقبل. ماذا حصلنا منها هذه الطائرات والدبّابات والأجهزة الإلكترونية. حصلنا أننا نبعث كوادر إلى العالم الغربي أو الشرقي تتدرّب سنين طويلة ثم تأتي لتمارس خبرتها تحت إشراف متخصّصين أجانب لسنين طويلة، ويكون هذا السلاح قد طوّر وقد ملكت إسرائيل السلاح المطوَّر وأصبحت كل طائرة أو كل دبّابة أو كل سفينة أو غواصة مقبرة لطاقمها أو فخّاً له. وندخل في مباراة وصفقات أسلحة جديدة.. **لا يمكن إذاً ـ في فهمنا ـ أن نحارب الإسرائيليين بشروطهم. نحارب حربنا بشروطنا.** العبارة الشائعة في الأدبيات السياسية اليومية للصحافة والحكام والمسؤولين العرب أننا نرفض أن نمكن الإسرائيليين أن يختاروا زمان الحرب ومكانها.. نحن نختار زمان الحرب ومكانها ـ إن شاء الله من الآن إلى بعد خمس قرون!.. ـ **لن نختار زمان الحرب ولا مكانها، هم الذين سيختارون زمان الحرب ومكانها وأسلوبها وحجمها ما دمنا خاضعين لهذا المنطق.**

أطلت عليكم في هذا الكلام لأشرح لكم رؤيتنا للموقف. **نحن نرى أنّ الحل لا يكون إلاّ بالحرب الشاملة.** أمّا هذا الأسلوب من الحروب وهذا الأسلوب من انتظار

الساعات والأيام والظروف الدولية المناسبة فهو إنتظار «غودي»، هو إنتظار الوهم، إنتظار المستحيل.

الجنوب يوجد الآن في خطر ضمن هذه العقلية، ضمن العقلية في الاطار السياسي والثقافي وعالم القيم الذي يحكم هذه المسيرة الآن. الجنوب ـ هذا الذي سميته أكبر الجراح فينا ـ حالته قائمة ضمن هذه الحالة. فلأعرض عليكم. هو ضمن الحالة التي أدّت إلى التقسيم. وهو ضمن الحالة التي أدّت إلى سقوط مشروع التقسيم لمصلحة الإسرائيليين. وهو ضمن الحالة التي أدّت إلى ضياع شرم الشيخ في سنة ١٩٥٦ ثمن لانسحاب إسرائيل من سيناء وهو ضمن الحالة التي أدت إلى سقوط جميع فلسطين ومعها ما سمّي أخيراً بالأراضي العربية المحتلة وهو ضمن الحالة التي أدّت في العام الماضي إلى ضم الضفة الغربية وإطلاق إسم يهودا والسامرة عليها. وهو ضمن الحالة التي أدّت قبل أشهر إلى ضم الجولان. وهو ضمن الحالة التي ينسحب فيها الإسرائيليون من سيناء وفقاً لاتفاقات كمب دايفيد. وهو ضمن الحالة التي تؤدي إلى جميع أفكار السلام ومشاريع السلام في الشرق الأوسط.

وفقاً لهذه الرؤية نرى أن الجنوب سيكون ضفة غربية أخرى وسيكون جولاناً آخر وسيكون رهينة جديدة في أيدي الإسرائيليين وسيكون شعبه مشرَّداً إذا بقي خاضعاً لحنته الحاضرة وبقي موجوداً في ضمن هذه الحالة التي بقيت موجودة في ضمن أربعة عقود من السنين ولم تنتج سوى حروب بالتقسيط وهزائم بالجملة. ونحن نرى أنَّ مؤامرة أمريكا التي اشتهرت بإسم كيسنجر هي تجعل الجنوب أحد الجوائز التي ينبغي أن تأخذها إسرائيل أرضاً ومياهاً وإيديولوجيا ـ لا ننسى أن جبل عامل هو الجليل الأعلى وهو موجود في صميم الفكر التوراتي ـ انّه احدى الجوائز التي ينبغي أن تقدّم إلى إسرائيل وينبغي أن تكون على أنقاضها، على اللحم العاري لأبنائها ثمن حل مشكلة الشرق الأوسط.

ما العمل؟ يوجد خيارين فقط. الخيار الآتي الذي يعمل الزمن ضدّه باستمرار منذ ١٩٤٧ للآن وهو **خيار الحرب**. هذا الخيار والخيار الآخر هو إخراج الجنوب من دائرة الفتنة في لبنان تمهيداً لإخراج لبنان من دائرة الفتنة بتطبيق قرارات مجلس الأمن الدولي لإنهاء الإحتلال الإسرائيلي وإنهاء حالة الفوضى إبتداءً من القرار ٤٢٥ بجميع مفاعيله التي يأتي في طليعتها إنهاء الإحتلال الإسرائيلي ويأتي فيها إنهاء حالة الفوضى بإيجاد حالة يسود فيها القانون عن طريق عودة الدولة إلى الجنوب. الخيار الآخر، الأفضل والأعدل والأنبل هو الحرب. أمام فكرة الحرب وأمام خيار الحرب أنتم تعرفون ما هو الموقف العربي. الموقف العربي الذي يرفع شعار الحرب أيضاً وفقاً لهذا الفهم ولهذه العقلية، أو الفهم العربي الذي يرفع شعار السلم. **فكرة الحرب تبدو بعيدة جداً**. لو كنا نحن في الجنوب أصحاب القرار أو أصحاب القدرة على تخريب قرار السلم أو قرار

الحرب بالتقسيط، لكنا فعلنا ولكنّنا لسنا كذلك. إذاً نحن أمام خيارين. ويوجد الخيار القائم فعلاً. خيار الحرب الذي يبدو غير مهيأ الآن ويمكن التفكير بثلاث شواهد قريبة هي: أولاً، مجلس الدفاع العربي المشترك الذي عقد بعد ضرب مفاعل تموز العراقي والذي عجز (هذا المجلس) حتى عن إصدار بيان للرأي العام فضلاً عن أن يأخذ قراراً بالحرب؛ مروراً بلجنة استراتيجية مصغرة التي اقترحت أن توضع للدفاع عن الجنوب خطة استراتيجية عربية والتي لن تجتمع؛ وانتهاءً بالوضع القائم في الجامعة العربية فعلاً الآن. أمام هذا، لا نجد لأجل تحقيق الشعار الثاني **شعار الحد الأدنى من الأمن لتأمين الحد الأعلى من الصمود في الجنوب** سوى إغلاق الجرح الكبير والخطر في الجنوب بتطبيق قرار مجلس الأمن وقرارات مؤتمرات القمة العربية على وضع الجنوب.

الخيار الثالث هو الخيار القائم فعلاً. **أن يبقى الاحتلال الإسرائيلي قائماً بتوافق دولي عربي بإرادة إيجابية دولية وبإرادة سلبية عربية، باللاموقف العربي وبالتآمر الدولي. وأن تبقى الفوضى الداخلية في الجنوب قائمة، نحن نرى أنّ هذا الخيار هو خيار تهيئة المسرح للاحتلال الإسرائيلي الكامل تنفيذاً للخطط التاريخية للمشروع الصهيوني.** طبعاً، قلنا: **الإسرائيليون سيجدون أقسى قتال واجهوه إذا نفذوا إعتداءهم الذي يعلنونه الآن. سنقاتلهم حتى بالأظافر. لكن، الواقعة ستقع. سنموت شهداء أبطالاً ولكن سَتُسْتَعبَدُ أرضٌ عربيةٌ إسلاميةٌ جديدة إضافةً إلى الأراضي التي إستُعْبِدت.**

بصراحة، الموقف يبدو لنا على هذه الصورة وعلى هذه الشاكلة. لا نجد أبداً أيَّ مخرج من هذا المأزق إلاّ هذا المخرج. **هذا المخرج يحتاج إلى إرادة عربية** ولا نستطيع أن نعتمد في شأنه على غير الإرادة العربية لأنّه يستحيل أن تكون هناك إرادة دولية في هذا الموضوع لأنّ الإرادة الدولية قد تكون في بعض الأوقات في بعض مظاهرها قد تكون جزءاً من المؤامرة. إذا **حدث** هذا، وخرج الجنوب من دائرة الخطر المباشر، **وسيبقى هو والعالم العربي كلّه في دائرة الخطر إلى أن يعاد النظر في الموقف بكامله لأسلوب مواجهة المشروع الصهيوني.** إذا حدث هذا سيحدث بالتأكيد أنّ لبنان سيخرج أيضاً من دائرة الفتنة ويمكن حينئذٍ سدّ الثغرة الكبيرة التي يشكّلها لبنان الآن على جمع الوضع في المنطقة بكاملها. هذه هي رؤيتنا للوضع في الجنوب في نطاق الرؤية العامة لمشكلتنا في المنطقة، لمشكلة أمتنا برمّتها وبأسرها في المنطقة.

في هذا النطاق، أود أن أدخل على الصورة عاملاً جديداً بدأ منذ سنة ١٩٧٨: **الزلزال الإسلامي الذي أنجزه الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني في إحدى أكثر الثورات جذرية في عصرنا الحديث.** لست في وارد الكلام عن خصوصيات الثورة الإسلامية. أتناول هذا الجانب الذي يخص مناسبة حفلنا. فوراً إنتقل شعب بكامله مملوءٌ إيماناً وحماساً ومصداقية إلى موقفه العلني الذي كان مقموعاً بنظامه الأوّل. الموقف الذي

يلتزم قضايا الحرية في العالم وعلى رأسها قضية فلسطين، والذي نقل دائرة الصراع في المنطقة من المستوى الذي تحدثت عنه ـ مستوى الحروب بالتقسيط ـ والتوازنات إلى شعار اللاشرقية واللاغربية، **والذي عمل على أن يخرج كل المنطقة من دائرة القيم السياسية المحكومة بالعالم الغربي ـ الرأسمالي أو الماركسي ـ إلى دائرة قيم جديدة تنبع من حضارة المنطقة ومن ثقافتها**، والذي أراد ولا يزال يريد أن ينقل مستوى هذا الصراع إلى وضعه الصحيح وهو الوضع الإسلامي الذي يجعل من أكثر من مليار مسلم في العالم يَرَوْن أنّ شرفهم وأرضهم ومصيرهم حتى في القبر منتهك في فلسطين. هؤلاء، لماذا تكالبت عليهم الدنيا؟ لأجل إخراجهم من دائرة هذا الصراع ولأجل وضعهم خارج حلبته. ولماذا كان بعض العرب هم المخلب الذي استخدمه الإستعمار الأميركي لأجل شلّ كل فاعلية في هذا التوجه؟ لماذا؟ لماذا الآن يقف أكثر العرب إلى جانب هذه الحرب الإجرامية ـ ليس الإجرامية في حق إيران ـ الإجرامية في حق كل طفل عربي وكل قبر عربي وكل جنين عربي. لماذا؟ **هذه مسألة تتحدانا**. لا تتحدى رجال السياسة. **هي تتحدانا نحن الذين نحمل هذه الرؤية. تتحدى الجيل الذي لم يفسد بعد، الذي لم يدخل في عقلية الترف وفي عقلية سياسات الإنماء في العالم العربي التي هي سياسات سلم وليست سياسات حرب ولا حتى سياسات حذر.**

أن تصحح هوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي وأن تأخذ أبعادها الكاملة ومفهومها الكامل هي الفكرة التي يكمن فيها في المستقبل الأمل الحقيقي وليس الوهمي في التحرير. بالنسبة إلى الجنوب، بالنسبة إلى جبل عامل، سيكون عيداً حينما يؤخذ قرار الحرب ولا تكون هناك في ذلك الحين أية حرمة لا لترابه ولا لإنسانه لأنّ هناك حرمة أعظم ستكون هي حرمة مستقبل هذه الأمة ومستقبل هذه الأرض، أرض الأمة وليس أرض قسم من الأمة.

أمّا أن يبقى وضع الجنوب في الحالة التي تحدثت عنها التي يأخذ فيها الموقف بعده الحقيقي في أنّ الجمهورية الإسلامية العربية الإيرانية هي العدو الأول للأمة العربية وأنّ العدو الإسرائيلي يجب أن تحشد له جميع الطاقات لأجل الوصول معه إلى حل سلمي، **هذه الإرادات وهذه المفاهيم للقيم لا يمكن أن يُسَلِّم جبل عامل إليها إطلاقاً. نحن لا نثق،** بصراحة، ولذلك نحن نصرّ وسنعمل على أن يخرج الجنوب من دائرة الخطر بهذا الأسلوب. **وقد انتظر الجنوب طويلاً وانتظر أهله طويلاً. أنْ تقع الكارثة وأنْ يأكل أهله خبز الصدقة هذا يوم أسود لا نريد أن نراه. وقد حذّرت مراراً وسأكرّر الآن أنّ هذه الكارثة إذا وقعت لا قدّر الله، أقسم لكم أنّه لن يكون هناك لاجئون. ستحدث حالة مقاومة لا يعرف إلاّ الله مداها ولن تحترم هذه المقاومة حينئذ قصراً ولا كوخاً، لن تحترم نظاماً ولا شعباً، لن تحترم أية شرعية من الشرعيات ابتداءً من لبنان وانتهاءً بطنجة. لن تكون هناك حرمة لأي أحد.**

هذا الكلام أقوله كتحذير، لذلك المساحات والمواقف الرمادية يجب أن تنتهي. فكرة الحرب هي الفكرة الأصح والأنبل والأجدر بشروطها التي ذكرتها. جميع العسكريين وجميع الاستراتيجيين وجميع المنظّرين - وقد تحدثنا معهم - يعرفون أنَّ هذا حقيقي. لم يكن إلاّ الفكرة التي ستنتصر في النهاية.. هي الفكرة التي ستنتصر في النهاية لأنَّ **إسرائيل لا تريد سلاماً. إسرائيل لا تطبق سياسة وإنّها تطبق «الايديولوجيا». ونحن بصراحة، لا نريد سلاماً أيضاً. الذين يريدون السلام يعيشون خارج حقائق التاريخ والواقع معاً. ولكن، الحرب التي نريدها هي الحرب بشروطنا. فإذا لم تكن، لا نريد الهزيمة بشروطهم أبداً.** لا بدّ، كمرحلة من إخراج الجنوب من دائرة الخطر بالأسلوب الذي اقترحناه.

قبل أن أودعكم - وأنا عظيم السعادة في تنظيم هذا الاسبوع وقد أتيت إلى هذا البيت العلمي، أتيت من معرض للكتاب الجنوبي. وكان عندي في الصباح جرحى ومعاقون من الجنوب - أريد أن أتحدث معكم عن معنىً نعرفه جميعاً للجنوب هو معنى الإمام السيد موسى الصدر. السيد موسى الصدر قضيّته ليست مع الإسرائيليين وليست مع «المجوس»!. قضيته مع العرب المسلمين.. منذ أكثر من ثلاث سنين.. هو سافر بعد أن انكشف في سنة ١٩٧٧ - ١٩٧٨ إلى عواصم عربية متعددة لأجل أن يشرح لهم حقيقة بسيطة بعد أن تبيّنت المؤامرة التي ذكرتها لكم - **المؤامرة على الجنوب لتسوية القضية وتذويب أهلها فيما نسمّيه بمؤامرة التوطين** - ليقول أنه هذا الجنوب وهذه خارطته، هو أرض، جزء من لبنان العربي وهو يحتوي على أعظم كثافة سكّانية في جميع المنطقة ويمكن أن يضيع. كان يحمل هذا التحذير إلى هذه العواصم. وكانت سفرته المشؤومة إلى ليبيا وكان إخفاؤه حتى الآن. حينما **نتذكّر الآن الجنوب جرحاً ومجداً ومستقبلاً** نتذكّر هذا الصميم الجنوبي الذي يلخّصه هذا الإسم الإمام موسى الصدر.. **كيف أنّ هذا الجنوب الذي يلخّصه الإمام موسى الصدر إختُطِفَ وأخفي لقطع الطريق على وعي المؤامرة وعلى وعي الفتنة في سبيل إكمال المؤامرة على الجنوب بأيدٍ عربية تدّعي الإسلام أو بالأحرى تدعي الإسلام والعروبة أيضاً.** هذه الأيدي هي التي ستؤمّن على مصير الجنوب؟!.. التي مارست عملية الجريمة والتي تواطأت فيها والتي تسترت عليها والتي جَبُنَت عن المواجهة فيها. هذا أيضاً جرح. وهو جرح يمكن للإخوة العرب وللأخوة المسلمين عرباً وغير عرب أن يعالجوه ببساطة. السؤال الحائر الذي يبحث عن جواب هو: **متى يعالجون هذا الجرح؟**

نسأل الله تعالى أن يعلّمنا ما نجهل، وأن يوفّقنا للعمل بخير ما نعمل وأن يرعى العرب والمسلمين جميعاً وأن يقوي أصحاب الحقوق في كل الدنيا لنيل حقوقهم وإقرار مبدأ العدالة وأن ننقذ الجنوب بالعمل وأن يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

العِلم والحِكمة (١)

تقديم وتعريب: د. حسن الضيقة

١ - تقديم:

من الافتراءات التي يُرمى بها المسلمون، من قبل بعض العقول المتغرّبة والتي تمّ إلحاقها بالمؤسسة الثقافية الغربية السلطوية، أنّهم برفضهم للغرب، يعملون على حرمان الشعوب الاسلامية من العلوم والتقنيات التي أنتجها هذا الغرب رغم كونها حيادية. في الواقع إنّ ما يرفضه المسلمون هو البنيان الثقافي والعقائدي الذي يتحكّم بفلسفة تطور العلوم في الغرب. ولَهم في رفضهم هذا مبررات كثيرة أكثر من أن تحصى. هذا الموقف الأساسي يستتبع رؤية مسألة أخرى في غاية الأهمية وهي أنّ العلوم الغربية، ليست علوماً محايدة، بل تطورت ونمت ضمن مقاييس ومعايير حضارية هي التي أعطتها وجهة وأدواراً محددة، صبّت في التحليل الأخير في طاحونة النظم الاجتماعية القهرية التي أنتجها الغرب والتي تجسّدت في الواقع التاريخي المرئي في وجهيه (الرأسمالي والشيوعي)، نظماً إجتماعية وسياسية واقتصادية قاهرة ومستبدة سواء في علاقتها بالشعوب المختلفة، أو في علاقتها بالانسان الذي تتحكم بمساره داخل أسوارها.

من هنا يرى المسلمون، أنّه لا بد باديء ذي بدء من التواصل مع البنيان العقائدي والثقافي للاسلام، مما يسمح بتوليد إنسان متوازن وموصد قادر على امتلاك معايير وقيم توحيدية تسمح له فيما بعد، سواء في علاقته بتجربة العلوم الغربية أو تجربة العلوم الحضارية للثقافات غير الأوروبية، بأنّ يتعامل مع هذه العلوم وهو محصّن بميزان التوحيد والعدل والتقوى، مما يجنّبه إحتمال الاستلاب والاستتباع وشل فاعليته الثقافية والإنسانية، ولا يتحوّل الى مجرد أداة مستهلكة لعلوم الغرب، تلهث وراء ذاعها دون بصيرة قادرة، على التأمل والتفكر والانتاج.

إنّ البنيان العقائدي الإسلامي، يُزوّد طلبة العلم بميزانٍ توحيدي وبالتالي إنساني يجعلهم قادرين على ربط العلم بدوافعه وغاياته. إذ في ذلك يمكن للشعوب الاسلامية أن تطل على علوم الغرب، لا كحالة «بهيمية»، بل كحالة انسانية راقية، تمتلك القدرة على فرز هذه العلوم واستلهام عناصرها، رامية جانباً كل ما يتعارض مع غاياتها وأهدافها مبقية على العناصر التي تتواءم وتتلاءم مع تصوراتها ومشروعها الحضاري، معيدة توضيب هذه العناصر ضمن حقل دائرتها الثقافية التوحيدية. مما يعطي لهذه العلاقة مع علوم الغرب ضمانة عدم الانحراف والإعتلال.

---

(١) مقاطع من كتاب: Roger Garaudy, Promesses de l'Islam, Seuil, Paris, 1981

من المفارق أن ما ورثته النخب الثقافية المحلية التابعة من الغرب، هو البنيان الثقافي والفكري السلطوي، مما جعلها أداةً طيّعةً بيد هذا الغرب نفسه (بأوجهه الفكرية المختلفة)، يُوظّفها ساعة يشاء في صدامه المستمر مع البنيان العقائدي والثقافي الاسلامي. فهذه النخب التابعة والمقلّدة دخلت ميدان النشاط الفكري داخل مجتمعنا الإسلامي، بعد أن تربّت وتدرّبت على أيدي المؤسسة الفكرية الغربية، مما جعلها ومنذ البداية، تحتل موقعاً عدائياً وسلطوياً في علاقتها مع شعوبها المسلمة. وإنَّ هذا الدور الرجعي، الذي وُضعَ لها فكرياً وسياسياً، جعلها عاجزة أصلاً عن التواصل مع العلوم الغربية نفسها، بما هي حالة علمية إنتاجية. فهي تستخدم لغة «العلم» الغربي، لتقتل وتنفي أسس ومرتكزات صيرورة العلوم الاسلامية. كما أن إرتهانها للمؤسسة السلطوية الغربية (بوجهيها الرأسمالي والشيوعي)، أعمى بصيرتها عن التواصل مع عناصر الثقافة الغربية التي أخذت تعي المخاطر الكبيرة التي تحيط باستمرار التجربة العلمية الغربية.

إنَّ تجربة الفكر المحلي التابع، تجربة مُرّة جرّت على شعوبنا الويل والدمار. ويقع على عاتق الشباب المسلم مسؤولية الخروج من حالة الانحطاط والتردي التي تملأ الساحة الفكرية والاجتماعية. فعلى عاتقهم تقع مسؤولية، توفير المناخ الملائم لنمو وازدهار الشخصية الاسلامية القادرة على التعامل الانساني، المتحرر من السيطرة والقهر الفكريين، مع العلوم الغربية من جهة ومع العناصر الثقافية التي تتواصل مع خط التوحيد والعدل والتقوى بهذا الشكل أو ذاك. مما يفسح بالمجال واسعاً أمام شعوبنا للخروج من عصر الغربة الجماعية والفردية الى عصر الأصالة الدائمة التدفّق والإقتراب من الصراط المستقيم.

ولنا في المقاطع التالية للمفكر الفرنسي المعروف روجيه غارودي، مثالاً بسيطاً لما أسلفنا ذكره. فهذا المفكر الذي تقلّب طويلاً في إحدى المؤسسات السلطوية الغربية (الحزب الشيوعي الفرنسي)، نراه هنا يتجه انطلاقاً من تجربته الطويلة، يتّجه نحو تلبية نداء الفطرة الانسانية، معلناً بداية الخروج على خطر الوثنية الغربية، محذّراً الانسان في كل مكان، من كارثة استمرار اللهاث وراء هذه الحضارة المريضة والتي عمّ وباءها أرجاءً كثيرة من العالم.

٢ ـ النص:

يستند تاريخ العلوم والتقنيات، كما يدركه الغرب الى مسلمة ضمنية: علينا قياس «تقدم» العلوم والتقنيات إنطلاقاً من معيار واحد ألا وهو فاعليتها في تأمين أقصى التحكّم بالطبيعة والبشر. إنَّ هذا التحديد الكمّي الذي يرتكز على إرادة القوة والسيطرة (مع العِلم أنّها تؤدي إلى تدمير الطبيعة والبشر)، والعلوم والتقنيات التي تستخدمها أصبحا الهدف الأعلى، والقيمة الوحيدة، أو دين «التطور» و «النمو».

يُنصّب الغرب نفسه حكماً على الحضارات الأخرى، معتبراً أن المسار الذي إتّبعه هو المثال ـ النموذج، والاحتمال الوحيد، مقرراً استناداً إلى ذلك، بأنّ أي شعب، أو حضارة، او علم، او تقنية، هي « بدائية »، « متخلفة »، « متأخرة »، وفقاً للموقع الذي نعينه لها في هذا المسار، أي حسب درجة تشابهها معنا.

ألا يرى الاتباع المتطيّرين لدين النمو والتطور، بأننا نقع في « الظلامية » عندما نطرح السؤال على هذا النحو: أليست أوروبا والغرب إتبعتا منذ مرحلة « النهضة » طريقاً منحرفاً (أي منذ الولادة المتزامنة للرأسمالية والإستعمار)، حيث نمت هذه الايديولوجيا التبريرية للرأسمالية والإستعمار، محدّدة بذلك للعلوم والتقنيات هدفاً وحيداً يبتغي تمكيننا من أن نصبح « أسياد الطبيعة وملاّكيها »، كما كتب ديكارت في مقالته حول المنهج، **بدل تأمين نمو وازدهار الانسان، كل انسان، والانسان ككل.**

الانسان ككل، أي الانسان بكافة أبعاده: بما فيها علاقاته الفنية بالطبيعة، التي ترسي كعلاقة إبتهاج وفرح بكينونتها الحية، بدل أن تكون مجرد خزّان مواد أولية ومزبلة لنفاياته؛ وعلاقاته بالآخرين، التي ليست علاقات تنافس، ومواجهة، وسيطرة، كما حدّدها هوبز: « الانسان هو ذئب في علاقته بالانسان ». إنّ ذلك أدّى إلى حالة « الجموع المتنابذة »، دون هدف ودون محبة؛ وعلاقاته بالأجيال التي تبشر بمستقبل مغاير لما ترسمه الآلة التي تطحنا في عجلة دورانها، مستقبل الشاعرية الدائمة التدفّق، وهذا ما لا تعطينا إياه العلوم والتقنيات.

هذا الدين دين « النمو » و « التقدم » هو الذي يصادر الغالبية العظمى من الناس ويسلبهم أنفسهم: إنّه نمو يُعمّق ويضاعف الاختلال والجور في البلدان « المتطورة »، وأثره أخطر على « البلدان المتخلفة »، ذلك أنَّ نمو « النمط الغربي » لم يكن ممكناً دون نهب ثروات تلك البلدان المادية والبشرية. **وفي الواقع ليس هناك بلدان متخلفة وأخرى متطورة بل بلدان « مسيطرة » وأخرى « مخضعة ». بلدان « مريضة » وأخرى « مخدوعة ». فالأولى مريضة من حيث نموها والثانية مخدوعة بسراب هذا النمو الإنتحاري الذي قادته نخبها التي أعِدّت في الغرب، فاعتقدت بأن مستقبلها إنما هو ماضي البلدان « المريضة » ومصيرها في تقليدها لهذه البلدان.**

هذا التطيُّر المتحجّر والمميت هو سمة « العلموية ». وهو إعتقاد يرى في العلوم الوضعية والتقنيات الملازمة لها حلاً لكافة مشاكلنا وبأنّه لا وجود لأية معضلة إنسانية خارج ما تطرحه هذه العلوم من حلول. وإنّها لمفارقة أن يُطلق على هذا التطيُّر صفة « الحداثة » التي من شعاراتها الاكثر غباءً ودفعاً نحو الإنتحار « لن نوقف التقدّم ».

لقد صرف تيمورلنك أياماً وأيام ليذبح ٧٠٠٠٠ إنساناً إبّان إحتلاله لاصفهان فبني منها هرماً. أمّا في هيروشيما فقد حصلنا على النتيجة نفسها في ثوانٍ معدودات. إنّه دون ريب تطور علمي وتقني اكيدا إنَّ عالمنا اليوم يمتلك مليون قنبلة « هيروشيمة » (ما يساوي خمسة

أطنان من المتفجرات الكلاسيكية فوق كل رأس من سكان الارض). إنّه تطور علمي وتقني آخر بكل تأكيد! » ولن يتوقف التقدم «1.

إن الثورة الخضراء وبذارها العجائبي ضاعفا خلال خمس سنوات محاصيل الأرز في جنوب شرق آسيا . . . ولكن التقنيات الاوروبية التي تعتمد على تعميق الاثلام في الفلاحة والتي فرضت في بعض البلدان من العالم الثالث تطمر الطبقات الرقيقة من التربة العضوية . ويصدّر الغرب أسمدة كيمائية كاسرة بما تمتلكه من طاقة إلاّ أنّ الجزء من العالم الثالث الذي يفتقر الى النفط لم يعد، بعد أن رزح تحت الديون، قادراً على شرائها . إنّ الغرب يطوّر تقنيات قطع الغابات، ويدعم الزراعات الأحادية الجانب، مما يجعل من منحدرات جبال هملايا، مناطق جرداء، وتغطي الفيضانات بنغلادش وتنتشر المجاعة في منطقة الساحل . تقدّمٌ تقني وعلمي لا شك فيه يؤدي الى موت خمسين مليون جوعاً في العالم الثالث عام ١٩٨٠ . هذه الأرقام سيتم تجاوزها : ٨٥ مليون خلال خمس سنوات!

أمّا « التقدم فلا يتوقف » . متى إذن نعي أنّ نموذج النمو الغربي إختلالٌ وشذوذ؟ وظاهرة تاريخية مرضية؟

العلم إفراط وتجاوز إن لم يكن له هدف الا نفسه وإذا ترك يستشري على حساب كافة القيم الاخرى. إنّه نمو معتل وتضخّم مرضي يصيب المعرفة المفصولة عن الحياة، وضمور ابعادها الأخرى:

ألا يصلح الحب والابداع الفني، والتفكّر في الهدف من الحياة، والتوق الى التوازن والتناسق في علاقاتنا مع الطبيعة والبشر، بأن يكون نموذجاً به تصنف الحضارات الاخرى، وتقاس علومها وتقنياتها .

لن نستطيع تقييم « تطور » العلوم والتقنيات ضمن دائرة حضارية معينة دون الاخذ بنموذجها الثقافي وبالحاجات المطلوب إشباعها . وليس كافياً أن نتساءل حول كيفية تحقق العلوم والتقنيات بل أيضاً حول غائيتها، أي ما هي الاهداف التي تحكمها ؟

إن العلوم الصينية أو الهندية او الاسلامية لم تكن لتُدرك بمعزل عن الانسان بل كانت في خدمته، ولم تقيد هذه الغائية الانسانية تفتّح هذه العلوم وازدهارها .

وإن لم تحذو العلوم الإسلامية حذو العلم في الغرب منذ القرن الخامس عشر فليس لعلة بها وانما **لرفض الاسلام ان يعالج فرعاً ما من العلوم خارج ما يعتبره هدفاً لوجوده ومعنى له**. إنّ علوم الصين والهند وبلاد ما بين النهرين والديار الاسلامية عرفت مراحل ازدهار هامة في وقت كانت فيه أوروبا جاهلة، ومذاك **إنتقلت أوروبا من جهل البربرية الى بربرية العلم.**

لسنا بصدد نفي أو إنكار مساهمات الحضارة اليونانية او المسيحية أو عصر النهضة أو القرن العشرين الغربية، ولكن المهم ان يتم ربط هذه المساهمات بقيمها الملازمة لها : **الخلق البطيء**

للانسان بواسطة الانسان، وخاصة أنسنة الانسان، فالمؤكد ان المساهمة الغربية ليست الوحيدة ولا الأكثر أهمية.

على ضوء هذه الروحية، يمكن لنا ان نعرض حصيلة العلم الاسلامي واستهدافاته. كي لا نقع في الخطأ الذي ارتكبه غالبية مؤرّخينا، في اعتبارهم لهذا العلم مجرد نقل للعلم اليوناني، والايراني، والهندي، والصيني، أو مجرد حلقة من الاكتشافات التي وجدت في ما قبل تاريخ العلم «الحديث» ولا فائدة منها (تاريخية بحتة) إلاّ لكونها حضّرت الأرضية لولادة علمنا، الذي نطلق عليه بكل إعتداد العلم، بدل تسميته بالعلم الغربي.

كي نتمكن من معرفة والتقاط العلم الاسلامي في فرادته ودلالته المميزة، علينا ألاّ نفصله عما يحدد غاياته ومقاصده: الايمان الاسلامي، تلك القوة الحية التي تشكّل روح هذا العلم.

إنّ مبدأ التوحيد، الذي يشكل مفتاح سبر أغوار تجربة الايمان بالله، يرفض الفصل بين العلم والايمان. فكل ما هو موجود في الطبيعة، يشكل «دلالة» الحضور الإلهي، وبذلك تغدو معرفة الطبيعة، كما العمل، شكلاً من أشكال الصلاة، فعل تقرب من الله.

فالقرآن والحديث، ما انفكّا يحثّان على البحث العلمي، مشجعين التعلم حتى من أولئك الذين لا يشاركون المسلمين إيمانهم. وهذا ما يفسّر الدور المخصب للاسلام، والإزدهار العلمي الذي انتشر حيثما انتشر الاسلام. قال رسول الله (ﷺ): «**مَن سَلَكَ طريقاً يَبْتَغي فيهِ عِلْماً سَلَكَ اللّهُ بِهِ طَريقاً إلى الجنّة**». وعن الرسول (ﷺ): «**مِدادُ العلماءِ أفضلُ عند اللّهِ من دَمِ الشهداء**».

ففي العصر الذي ظهر فيه الاسلام، كانت الدوائر الحضارية الأخرى تقيم نوعاً من الحواجز والفواصل بين الانسان والطبيعة، والله.

... إنّ مبدأ الايمان (الاسلامي) يدمج كل العلوم في كلٍ عضوي، لأنها مجتمعة تتمحور حول موضوع العالم، الذي بكليته، ليس إلاّ تجلياً لآيات الله. فالكون هو «أيقونة» يتجلى الواحد عبرها بألف رمز.

إنّ إحدى السمات الاساسية للعلوم العربية، كامنة في عدم الفصل بين علوم الطبيعة والمرئيات من جهة، والعلوم الإلهية من جهة أخرى. ليست هناك فواصل بين مختلف العلوم من الرياضيات الى الجغرافيا. وهذا ما يفسّر العدد الكبير من العبقريات الموسوعية في الثقافة الاسلامية... ■



أقزام الفكر يتطاولون على عمالقته


عباس محمود العقاد


طه حسين

بقلم زهير المارديني

بعد أنْ وصلوا في القاهرة إلى العبور للقلب العربي وانهالوا عليه بخناجرهم الصهيونية المصنوعة بأيدي مناحيم بيغن واسحق شامير ويوسف بورغ، وتركوه ينزف، أشهروا نبالهم اليهودية السامة للعبور إلى الفكر العربي والثقافة الاسلامية لضرب تراثنا الحضاري، وقيمنا الثقافية بشكل يصور موقف الفئة التي تتحكم بمصر بموقف الوارث السفيه الذي يبدّد ميراثه وينفقه على الغانيات والقمار، بدلا من أن يصونه ويستثمره. وتزيد هذه الحملة ضراوة يوماً بعد يوم كلّما أوغلوا في سياسة تهويد مصر بالرغم من شعب مصر، حتى أصبحنا لا نستبعد بعد وصول موشى ساسون (إبن بائع البيض اليهودي في حارة اليهود بدمشق) إلى القاهرة كثاني سفير للصهيونية في قاهرة المعزّ - **فهذا اليهودي العتيق الذي يتقن العربية، والمتخصص في التاريخ الاسلامي يحمل معه خطة تهويد الثقافة المصرية - لا نستبعد نبش القبور، وإخراج الموتى وحرقهم علنا.**

ففي الشهور الماضية، إقتحم ارصفة القاهرة كتاب ضخم بثمن بخس، عنوانه:

«الفارابي والحضارة الانسانية» بقلم الدكتور سامي النشار.

المؤلف يعلن صراحة، وبدون حياء تجريد الفارابي من عروبته، مستندا في ذلك الى منحيات في شخصيته. فالفارابي في رأيه ليس عربيا، واسمه واسم اسرته لا يقدم اي تدعيم لذلك، كما أنه ليس تركيا ولا فارسيا بدليل أنّه لم يكتب كلمةً واحدةً بالتركية ولا بالفارسية. ويقول في كتابه:

«.. لم يكن الفارابي تركياً ولا فارسياً، وهناك تنازع بين الامتين حوله، ونحن العرب ندّعيه أيضاً. فهو يأتي إلى بغداد في سن الخمسين، وهو لا يعرف فيلسوفنا الكندي، وليس في كتبه الاولى وبخاصة «الجمع بين رأيي الحكيمين» أدنى إشارة الى علم الكلام. لقد ظهر علم الكلام والفقه في «إحصاء العلوم» وهو كتاب متأخر».

ويسلمنا البحث «النشاري» إلى توكيد مؤداه أنّ المنابع الفكرية للفارابي ليست من نتاج الحضارة العربية. وهذا من شأنه أنْ يطرح عديداً من التساؤلات في مقدمتها:

- إذا لم تكن منابع الفارابي عربية فما هي منابعه إذن؟؟ ثم كيف يكتب بالعربية وهو لا

يعرفها ؟ وهل هناك نتاج فكري لهذا الفيلسوف بلغة غير العربية ؟ وإذا كان هناك هذا النتاج الفكري، فلماذا لا يذكر؟ والغريب أنّنا نسمع هذه النغمة التي يشارك فيها مع الأسف (لويس عوض) وبدون أسف (أنيس منصور)، **في الوقت الذي نقرأ فيه كتاباتٍ جادةً تؤكّدَ عروبة المنابع الفكرية لأعلامنا العرب، بل والأكثر تَبْلُور دورهم في تكوين الفكر الانساني عامةً. وهو دور واسع المدى عميق الاثر شمل العلوم، كما شمل الفنون ولم يقتصر على الفلسفة والعلوم الطبيعية والفيزيائية بل امتدّ الى الادب، القصة منه والشعر، والى الفن الموسيقي والمعمار، حيث تمت عملية الاخصاب الفكري بين العقل العربي البالغ نضجه وتطوره والعقل الاوربي وهو بسبيل يقظته وتلمس طريقه في منطقتي اسبانيا وجنوب ايطاليا في عهد ملوك النورمان في القرنين الثاني والثالث عشر. نقرأ هذا في عشرات من الكتب يتسم مؤلفوها بأمانة العلماء، ووعي المؤرخين، فلا تهويل لقدرنا ولا تهوين لامرنا.**

واذكر من هذه الكتب على سبيل المثال:

« دور العرب في تكوين الفكر الاوربي » للدكتور عبد الرحمن بدوي، و« قادة الفكر الاسلامي في ضوء الفكر الحديث» للدكتور راشد البراوي، و « أصول علم الاقتصاد» للدكتور محمد حلمي مراد الذي يقف الآن مع اخوانه في مواجهة عملية تهويد مصر. إنّ الدكتور مراد يثبت أنّ الفضلَ في تكوين بعض النظريات الاقتصادية الحديثة مثل « نظرية العمل وفائض التنمية » يرجع الى ابن خلدون الذي كان أكثر تقدّما وتطورا من كارل ماركس الذي جاء بعده بمئات السنين وجعل هذه النظرية وغيرها من النظريات الخاصة بالعمل والعمال محور تفكيره. هذا الى جانب كتابات عباس محمود العقاد في هذا المجال، وفي مقدمتها كتاباه « أثر العرب في الحضارة الأوربية » و « الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ».

إخراج طه حسين من قبره!

ونفس هذا الموقف الذي نتخذه من تراثنا الحضاري، نتخذه من قيمنا الفكرية الثقافية. وحين نذكر هذه القيم يتوارد الى الذهن أولئك الذين أسهموا بآثارهم الأدبية وأعمالهم الفكرية في البناء الثقافي لامتنا العربية، واستطاعوا أنْ يقيموا جسوراً قوية بين فكرنا المعاصر والفكر العالمي. وفي مقدمة هؤلاء العملاق عباس محمود العقاد، وطه حسين!

حتى الدكتور طه حسين لم ينج من هذه الاتهامات بعد مماته، ولا ندري ما هي علاقة دور النشر اليهودية (بفريد شحاتة) سكرتير طه حسين الخاص. فقد اتفقت بعض دور النشر اليهودية مع هذا (الشحاتة) على إعادة طبع كتابه القديم الذي تناول فيه طه حسين بالشتم والسب. من ادّعاءات (فريد شحاتة) ـ الذي كان يقرأ لطه حسين: أنّه كان يكتب للدكتور مقالاته وكتبه على مدى أربعين سنة، وأنّ طه حسين كان يسرق من الكتب الاجنبية، وقد آن الاوان للكشف عن هذه الاكذوبة الكبيرة، وتحطيم هذا الصنم الجاثم على قلب الادب العربي،

وأنّه ـ أي شحاتة ـ قد تعاقد مع دار نشر يهودية لنشر مذكراته عن طه . إنّ نشر إدّعاءات هذا السكرتير من جديد ومن قبل دار نشر يهودية يكشف من تلقاء نفسه عن الهجمة الصهيونية الجديدة بكل أبعادها .

ومنذ فترة وجيزة يصدر كتاب اعيد طبعه مجددا من قبل دار نشر مصرية معروفة بصلاتها اليهودية القديمة ، بعنوان « طه حسين في ميزان الاسلام » لانور الجندي . إنّ كلّ سطر في هذا الكتاب رصاصة موجهة الى عميد الادب العربي . ففي الكتاب :

« طه حسين ملحد . . ومتآمر على الاسلام ، وداع للشيوعية ، وسارق للافكار الاجنبية ، وتلميذ الحركة التبشيرية ومرتد عن الاسلام حيث اعلن اعتناقه للمسيحية في إحدى كنائس فرنسا ، وهو منافق وانتهازي وكذاب . الى آخر هذه الاتهامات التي أقلّها انه عدو للعرب مخرب للغتهم وأدبهم . »

ويأتي بعد ذلك شتام آخر هو الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، حيث صدر له قبل شهرين كتابا بعنوان « طه حسين مفكراً » .

الكتاب مليء بالاخطاء الفادحة . ويكفي أنْ يكون عنوانه هو الآخر لا يدل على مضمونه ، فهو في الوقت الذي يقول في هذا العنوان أنّ طه حسين مفكّر ، تراه يقدم على الصفحات (٣٧) و (٧٢) ما يناقض ذلك . وتزداد نغمة التهجّم والتطاول وكأنّه يقدّم حيثيات يصل بعدها الى الحكم على طه حسين بأنّه لم يكن مفكّرا ولا مثقفاً ، بل هو مجرم ووثني وكافر . وأنّه يستحق الشنق بعد الموت ثم الحرق بعد ذلك . وكان يكفي ان يخص هذا الدكتور ـ المتخصص بالتجريح ـ طه حسين وحده ، لكن كيف ورغبة التجريح متوفرة لديه ؟ إنّه يتناول بالسب والتجريح أساتذة طه حسين وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده ولطفي السيد ، ويكفي دليلا على ذلك ان نقرأ سطرا واحدا من هذا الكتاب الجارح الصفحات يقول :

« إنّ محمد عبده ولطفي السيد وطه حسين هم نعال للارجل البريطانية في مصر » .

ويقول في مكان اخر : « إنّ لطفي السيد مجرم ، نذل ، نفعي ، منافق » .

ثم يقول هذا المؤلف عن الامام محمد عبده :

« المعروف أنّ محمد عبده بعد رجوعه من منفاه انحرف عن طريق جمال الدين الافغاني في اصلاح المسلمين فتخلّى عن العمل السياسي ، واتجه الى فكرة تعليم المصريين وتنويرهم أولاً لكي يحصلوا على الاستقلال ، وكان هذا الانحراف بفعل توجيه اللورد كرمر وتضليله اياه . »

القزم يتطاول على العملاق !

كذلك من أساليب الهدم ما بدأنا نقرأه في مجلة (. . .) القطرية لمحمد جابر الانصاري الذي يبدو أنّه يكتب ويشطب ثم يشطب ويكتب . نقرأ لهذا الانصاري كلاما يمس فيه عملاق الفكر العربي عباس محمود العقاد .

من السهل على أقزام الفكر مهاجمة العقاد، لأنه رجل واضح وصريح وشجاع. ولكن من الصعب تجاهل جهوده الضخم في خدمة الثقافة والفكر. سنوات تماثل ضعفي عمر الانصاري اياه.

ولنقرأ بعض ما كتبه وشطبه وكتبه هذا الانصاري.

«أم ترانا نصدق ان العقاد كان عملاقا وهو الذي أسس شهرته على نقض شاعرية شوقي، حتى اذا استوى على عرش الشهرة، رفض ان يصحب معه احدا الى هناك. وظل يحارب كل موهبة، وبقي حتى آخر يوم في حياته يحارب الشعراء الجدد، وهو الذي كسدت دواوينه العديدة لخلوها من الشعور، وتهافتت كتبه التاريخية والفكرية، وعدا عليها الزمن لخلوها من عنصر الصدق الفكري».

لو عرف هذا الكاتب الانصاري شرف الضمير لاعترف بالعقاد فكراً وموقفاً. لاعترف ان العقاد على وجه الخصوص استطاع ان يستوعب الاداب العالمية. شرف الضمير يقول له: إنَّ العقّاد قلم جبار وإنَّه كتاب ضخم من التراث الادبي الحديث.

وقبل الانصاري تصدى فتحي رضوان إلى العقاد في كتاب نشره «عصر ورجال» حيث ذكر ان العقاد خدم الانكليز، ومدح الملك، وأنّه جبان لا يهاجم قويا الاّ وهو مستند الى من هو أقوى منه!

هذا الاتهام البشع مرفوض شكلا وموضوعا، لأن وراءه خلفيات يستشعرها المنصف من عبارات كثيرة مثل قوله:

«ولو كنا ممن يفعلون فعل العقاد، وينهجون نهجه لاهدرنا كل ما فعل كما أهدر هو جهاد مصطفى كامل الباهر وآثاره الباقية». إنَّ افكاراً إنتقاميةً تفوحُ من بين السطور. والمسألة لا تزيد عن مجرد انتقام من العقاد يقوم به المؤلف لزعيمه، وهنا يفتقر الحديث الى الدقة والموضوعية، ويوصف صاحبه بأنّه يكتب بطريقة من يطلب الثار. **وتتوالى اساليب الهدم للقيم العربية والاسلامية، فهناك** من يشك في شاعرية شوقي.. معلنا أنّه لم يكن كاتب كل شعره وإنّما هناك من كان يكتب له الشعر! ومحمود تيمور لم يكن المؤلف الحقيقي لقصصه ورواياته، وإنّما كان هناك من قام بذلك نظير راتب شهري منتظم. وسبحان الله الذي يعطي ولا يمن. فهؤلاء الكتبة السريون، او **هؤلاء الشياطين الذين نسمع عنهم ولا نراهم كيف ظهرت مواهبهم هكذا مثرية متدفقة بعد سن الخمسين؟ أين كانوا عندما كان هؤلاء العمالقة وغيرهم - من المفترى عليهم - يملأون الدنيا ويشغلون الناس؟ وأين هم الان؟ ما هي آثارهم الادبية والفكرية بعد ذلك؟ والاكثر لماذا لم يظهروا الاّ بعد المباشرة في عملية (التطبيع) وبعد وفاة هؤلاء العمالقة؟**

تساؤلات كثيرة ربما تذكرنا بنعمة اسمها: - الخجل او الحياء!

لكي يبقى السؤال الاكبر مطروحا: أليس لمصلحة إسرائيل يُهدم تراثنا وقيمنا؟ ■

زهير الماردين

أبواب ابليس العشرة

بقلم: د. طلال عتريسي

لا يقتصر البحث عن سر النفس وحالاتها، وعن طبيعتها ومصيرها على الفلسفات المعاصرة، بل يوغل هذا الهم المعرفي في اولى دوائر الزمن البعيد منذ لحظة المعصية الاولى، يوم وسوس الشيطان لآدم فاطاع نفسه الامارة بالشهوة. وسقط في الذنب فخسر الجنة. وحتى اول جريمة قتل في تاريخ الانسانية، يوم دفع حب الرئاسة قابيل لقتل اخيه هابيل.

وعلى قاعدة الاختلاف في طبيعة النفس ووظائفها، ترعرعت فلسفات ومذاهب. وتنوعت نظريات ومناهج. واحتكر التقسيم المعاصر للعلوم الانسانية، خصوصاً في فروع التربية والنفس والاجتماع، هذا التنوع في النظريات والفلسفات والاتجاهات. كما انبثق عن كل مفهوم للطبيعة الانسانية، من الافكار الوضعية الى الاديان السماوية، منهج خاص في التشخيص والعلاج، وتشريع معين لعلاقة الانسان بالانسان، ولدوافع السلوك الانساني عموماً.

اين يقف الاسلام من كل ذلك؟

وهل هناك تصوّر قرآني معين للنفس الانسانية يترتب عليه منهج خاص في تحديد دوافع السلوك الانساني وفي تنظيم علاقة الانسان بالانسان؟

هذا ما سنحاول البحث عنه من خلال تناولنا لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن النفس.

بين النفس والروح:

لا بد، ابتداءً، من البحث عن الحدود غير الواضحة في احيان كثيرة بين النفس والروح.

ترد كلمة الروح في القرآن الكريم (روح. روح الله. روحاً. روحنا...) أربعة وعشرين مرة[1]. وتختلف معانيها باختلاف مواضع الآيات التي نزلت فيها. الا أنّ البحث في مضامين الآيات يسمح لنا بملاحظة ثلاثة معاني أساسية للروح:

(١) راجع المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، كلمة (روح). كذلك معجم الفاظ القرآن الكريم، دار الشروق، كلمة روح ص ٢٦٣ دار احياء التراث العربي.

١ ـ **بمعنى رحمة الله:** ﴿وَلاَ تَاْيْئَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ.﴾ (يوسف/ ٨٧)

٢ ـ **بمعنى جبريل:** وهو روح القدس والروح الأمين. ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ.﴾ (المائدة/ ١١٠) ﴿قلْ نَزَّلَهُ روحُ القُدُسِ﴾ (النحل/ ١٠٢)، ﴿نَزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ﴾ (الشعراء/ ١٩٣)، ﴿تعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ.﴾ (المعارج/ ٤)، ﴿يومَ يَقومُ الروحُ والملائكةُ صَفّاً.﴾ (النبأ/ ٣٨). إلى آخر الآيات بهذا المعنى.

٣ ـ **معنى إعجازي غير واضح وغير محدد.** هذا الاعجاز يتجلى في سورة الاسراء ـ ٨٥ ـ بعد سؤال اليهود للرسول (ﷺ) عن الروح، فتنزل عليه الآية: ﴿ويسألُونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ من أمرِ ربّي وما أُوتيتم من العِلمِ إلاَّ قليلاً﴾. كما يرد المعنى الاعجازي ذاته للروح في(سورة الحجر ٢٩ وحتى ٧٢): ﴿فاذا سوَّيتُهُ ونَفَخْتُ فيهِ من روحي فَقِعُوا لهُ ساجدينَ﴾ وكذلك في سورة (السجدة/ ٩): ﴿ثُمّ سَوّاهُ ونَفَخَ فيه من روحِهِ﴾.

فالروح هنا هي تلك القدرة الإلّهية الربّانية المطلقة اللامتناهية التي تحوّل الجماد إلى حي متحرك: إنها إذن سر الحياة، وسرّ الخالق: ﴿قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا﴾.

كما ترد مرة **بمعنى القرآن أو الوحي** في (سورة الشورى ٥٢): ﴿وكَذَلكَ أوحَينَا إليكَ روحاً من أمرِنَا﴾[٢]

إن معنى الروح ضمن هذه الحالات الثلاث رغم الوضوح النسبي للمعنيين الاول والثاني يبقى إعجازياً خارج المقدرة المعرفية للعقل البشري، مرتبطاً باتساع القدرة الإلّهية اللامتناهية.

أما كلمة «نفس» فترد في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمئة مرة. وصيغة ورودها هي التالية:

«نفس»، «نفساً»، «نفسك»، «نَفْسَه»، «نفسها»، «نفسي»، «النفوس»، «نفوسكم»، «الانفس»، «انفسكم»، «أنفسنا»، «أنفسهم»، «أنفسهن».

إلا أنّه يمكن حصر المعاني الاساسية «للنفس» ضمن ثلاث حالات:

أولاً: بمعنى الذات. وهو الكائن. أو الانسان. او المخلوق. هذا المعنى يتضمن الشيء الظاهر والباطن على السواء. او الجسد والروح معاً. انه الشيء الملموس والمدرك. ﴿لا تقتلوا النفس التي حرّم الله﴾، ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً﴾، ﴿قالا ربنا ظلمنا

(٢) في تفسير الجلالين. ﴿وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا.﴾ اي القرآن.

انفسنا..﴾ ﴿من تلقاء نفسي..﴾، ﴿شهيداً عليهم من انفسهم..﴾، ﴿وقتلت نفساً..﴾ ﴿ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه..﴾ ﴿الذين أسرفوا على انفسهم﴾ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾، ﴿قال ربِّ إني لا املك إلا نفسي وأخي﴾ ﴿ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم﴾، ﴿ولا على أنفسكم حرج﴾، الى العديد من الآيات بهذا المعنى.

ثانياً: **بمعنى الضمير والقلب.** أي القوة الكامنة غير المرئية. وفي التفاسير «أنها ما يوجه الانسان الى الخير والشر». إنها القدرة غير الملموسة التي تنتج سلوكاً وعملاً. وهي الافكار والنوايا أيضاً حتى دون أن تتحوّل الى فعل. ﴿نعلم ما توسوس به نفسه﴾، ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾، ﴿فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين﴾، ﴿واذكر ربك في نفسك﴾، ﴿الله أعلم بما في انفسهم﴾، ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾، ﴿حتى يغيّروا ما بانفسهم﴾، ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾، ﴿ضاقت عليهم انفسهم﴾....

ثالثاً: **بمعنى آدم**. وهي تتكرر تقريباً بنفس الصيغة: «نفس واحدة».

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء)، ﴿من نفس واحدة﴾ (الاعراف) ﴿جعل لكم من انفسكم أزواجاً﴾ (النحل) (الشورى) اي خلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء[٣]. ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ (الزمر)

اضافة الى هذه المعاني الثلاثة ترد كلمة «النفس» مرة **بمعنى الروح** وذلك في (الآية التوبة /٥٥): ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُعذِّبَهُم في الحياة الدنيَا وتَزْهَقَ أنفُسُهُم﴾[٤] وأحياناً للدلالة على الله سبحانه وتعالى: ﴿تَعْلَمُ ما في نَفْسِي ولا أعْلَمُ ما في نفسِكَ﴾ (المائدة /١١٦)، ﴿كَتَبَ رَبُّكُم على نفسِهِ الرَّحمَةَ﴾ (الانعام / ٥٤)، ﴿واصطَنَعْتُكَ لنفسي﴾ (طه / ٤١).

حالات النفس:

إلاّ أن ما سبق ذكره من معان للنفس يختصر كل شيء. فقد ورد في القرآن الكريم في بعض الآيات ما يمكن اعتباره تصنيفاً للنفس أو تشخيصاً لحالاتها.

﴿يَأيَّتُها النفسُ المطمئنَّةُ..﴾ (الفجر ٢٧)، ﴿إن النَّفسَ لأمّارةٌ بالسُّوءِ﴾ (يوسف ٥٣)، ﴿لاَ أُقسِمُ بيومِ القيامةِ ولاَ أُقسِمُ بالنَّفسِ اللَّوامَةِ﴾ (القيامة/ ٢)

فهناك اذن من خلال هذه الآيات: «نفس **مطمئنّة**» و «نفس **أمارة**» و «نفس لوّامة».

ما هي هذه الحالات أو التصنيفات الثلاث للنفس؟:

---

(٣) تفسير الجلالين. (سورة النحل/ ٧٢)

(٤) راجع معجم الفاظ القرآن الكريم. دار الشروق ص ٦٧٥ (انفسهم اي ارواحهم.)

فالنفس المطمئنة: هي النفس المؤمنة الموقنة المصدقة بالثواب والبعث. وهي التي ترضى بما قدر لها. لا تعلو ولا تستكبر ولا تنحرف عن الصراط المستقيم[٥]

والنفس اللوامة: قيل أنّها النفس الانسانية التي تلوم صاحبها يوم القيامة. فالكافرة تلومه على كفره وفجوره، والمؤمنة تلومه على قلة الطاعة وعدم الاستكثار من الخير[٦].

والنفس الامارة: هي صفة للنفس الانسانية اي انها كثيرة الامر بالسوء والشهوة، تميل بطبعها الى الاهواء، والمعصية[٧].

هذه الحالات الثلاث للنفس هي في طبيعة خلقها وتكوينها. فهي مطمئنة ولوّامة وأمّارة. فالاطمئنان الذي أودع في النفوس من حيث هو اتباع للصراط المستقيم، يقابله في نفس الوقت الامر بالسوء الذي يؤدي الى المعصية والانحراف. وهذا ما تعبّر عنه، وتلخصه بدقة عميقة الآية الكريمة. ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها.﴾ (الشمس/ ٩). وما بينهما هو حالة اللوم التي ترافق النفس يوم القيامة لعدم اكثارها من التقوى او لانحرافها وخيبتها في الفجور والمعصية.

اذن إنّ النفس إمّا أن تأمر سوءاً بالانحدار نحو السقوط الغرائزي، والمعصية الابليسية (الفجور). وإمّا أن تجاهد صعوداً نحو الحق المطلق والخير المطلق، نحو الله سبحانه وتعالى (التقوى).

المقياس القرآني:

من خلال هذا الفهم القرآني للنفس الانسانية **يصبح التوقف عند الآية الكريمة ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس ٩/ ١٠) نبراساً لمعرفة المقياس القرآني في الفلاح والخيبة، او بتعبير آخر في السواء والانحراف في السلوك الانساني، ومعرفة العلاقة بين الفجور والتقوى داخل النفس الانسانية.**

«إنّ فلاح الانسان - وهو يعرف التقوى والفجور بتعريف الهي والهام باطني - أن يزكّي نفسه وينمّيها انماءً صالحاً بتحليتها بالتقوى وتطهيرها من الفجور. والخيبة والحرمان من السعادة لمن يدسّيها.»

«**والفجور**.. شق ستر الديانة. فالنهي الالهي عن فعل او عن ترك حجاب مضروب دونه، حائل بين الانسان وبين اقتراف المنهي عنه شق للستر وخرق للحجاب..».

---

(٥) راجع تفسير الطباطبائي. المجلد العشرون ص ٢٨٥. تفسير الطبرسي مجلد (٩ - ١٠) ص ٤٨٢.
(٦) راجع تفسير الطباطبائي. مجلد (٢٠). ص ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - وتفسير الطبرسي مجلد (٩ - ١٠). ص ٣٩٣
(٧) الطباطبائي. مجلد (١١). ص ١٩٧ - ١٩٨ - الطبرسي مجلد (٥ - ٦) ص ٢٤١.

« والتقوى .. جعل النفس في وقاية ... وهي الورع عن محارم الله . »

الفلاح: هو الظفر بالمطلوب وادراك البغية. والخيبة هي خلاف ذلك.

الزكاة والتزكية: هي نمو النبات نمواً صالحاً ذا بركة.

التدسي: وهو من الدس. ادخال الشيء في الشيء بضرب من الاخفاء. ويراد به الانماء على غير ما يقتضيه طبع النفس. »[8]

ان فلاح النفس في تزكيتها اي في تقواها، ووقايتها وورعها عن محارم الله. والخيبة هي تدسية النفس وفجورها وانحرافها عن طبعها، وشقها لحجب الدين.

وتصبح العلاقة التصاقاً بين الفلاح والتزكية والتقوى وبين الخيبة والفجور والتدسية. اي أنّ التقوى تؤدي الى فلاح الانسان فتصلح النفس بالتزكية وتفسد بالتدسي والفجور يؤدي الى انحرافه.

وهكذا يكون المقياس القرآني في السواء والانحراف (في الفلاح والفجور)، قائماً على الصعود نحو التقوى والورع عن محارم الله، أو الهبوط نحو المعصية والفجور. من المهم هنا التأكيد على أنّ شرعية تحديد الانحراف او السواء انما تنبع من القرآن، لتعود للاحتكام اليه في حركة دائرية متواصلة ومستمرة. ولا يدخل ضمن هذه الدائرة من المقياس القرآني في الفلاح والخيبة أيّ اعتبار آخر، اي لا يعود مثلاً ومن حيث نقطة الانطلاق السلوك السوي من حيث المبدأ هو السلوك الذي يوافق عليه اكثر الناس أو يقبله اكثر الناس. كما لا يعود مقياس الانحراف السلوك الفردي المنعزل. إن المقياس الاسلامي للفلاح والخيبة لا يتحدد بكثرة من يقف الى هذا الجانب أو ذاك، بل في من يقترب من القرآن فيهتدي أو يبتعد عنه فيضل[10]. ولو كان الامر على عكس ذلك لكان مقياس الحق والفلاح في قريش موقف كثرة المشركين وليس منهاج الرسول ودعوته. **بالاستناد الى القرآن وبالعودة الدائمة اليه يتحول مقياس السواء والانحراف في السلوك الانساني في المفهوم الاسلامي الى مقياس ثابت دائم لا يتبدل بتبدل الظروف والاوضاع الاجتماعية وبالحدود الجغرافية او المكانية.** وبهذا تقع امور كثيرة وسلوكات متعددة ورغبات مختلفة ضمن دائرة الانحراف الذي توسوس به النفس الامارة، حتى لو لم تتجسد معظم هذه الرغبات في فعل وسلوك. وحتى لو كان المألوف هو غير ذلك لأنه ليس بالضرورة ان يكون المألوف هو المقياس.

---

(٨) راجع تفسير الآية في تفسير الميزان (مجلد ٢٠) ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٩) «تنبيه الغافلين» ص ٢٠٥/ ورد ذكره في كتاب نحو علم نفس اسلامي. د. حسن محمد الشرقاوي. ص ٩٨. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية.

(١٠) مع التاكيد على «الاقتراب من القرآن لا يعني العزلة عن الناس. بل العكس هو الصحيح: «من اصبح ولم يهتم بامور المسلمين فليس منهم». «الحديث الشريف»

يكشف لنا الامام السمرقندي في « تنبيه الغافلين » عن مكائد الشيطان . ويبين لنا انه يأتي الى الانسان من عشرة أبواب :

الباب الاول :

يقبل الشيطان على الانسان في **صورة الحرص وسوء الظن** . فاذا قابله الانسان بالثقة في الله والقناعة به تعالى ورده مستعيناً بقوله تعالى : ﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ (هو د : ٦) ، ينحسر الشيطان عندما يجد العبد يحسن الظن بالله ويثق في منه وعطاياه وفضله .

الباب الثاني :

يأتي الشيطان احياناً الى الانسان من **باب الحياة الدنيا** ، فاذا قابله بالزهد فيها والخوف من الله ودفعه بقوله ان الدنيا **قصيرة** مهما طالت وأن الموت آت لا ريب فيه ، يرتد الشيطان خاسئاً .

الباب الثالث :

يأتي الشيطان من ناحية **طلب الراحة والاستجمام والميل للأسر والرغبة في التنعم** ، فاذا ما صدق الانسان نفسه وخالف هواها وذلك بطول المجاهدة والتزهد في النعم ... انحسر الشيطان ، وكسرت شهوته ، وابتعد عن العبد وهرب منه .

الباب الرابع :

احياناً يوسوس الشيطان للانسان من باب **التعجب والغرور** فيحسن له عمله ويزين له المعاصي ، وهنا يتوجب على العبد الصادق ان يقابل الشيطان بخوف العاقبة بقوله تعالى : ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ (هود / ١٠٥) .

الباب الخامس :

يدخل الشيطان احياناً موسوساً في صدر العبد من باب **الاستهزاء والاستخفاف ، بل والتعالي على الاخوان** ، وعلى العبد ان يصده وذلك بالقيام بواجباته نحو اخوته في الدين ومعرفة حقوقهم عليه وحفظ حرماتهم ، وبتقوى الله . ويستعين بقول عز من قائل : ﴿ولله العزة ولرسوله والمؤمنين﴾ (المنافقون ٨) .

الباب السادس :

يأتي الشيطان الى الانسان من باب **الحسد والحقد** على غيره من الناس ، ويجب ان يتقوى العبد من هذه الغواية ، ويقابل الشيطان بالعدل وقسمة الله التي قسمها على عباده . كما يجب ان يرد وسوسة الشيطان مستعيناً بقوله تعالى : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ (الزخرف / ٣٢)

الباب السابع :

يدخل الشيطان احياناً من باب **الرياء** . وهو نوع من الشرك الخفي ، فيحسن العبد اعماله ، ويمتدح افعاله ، ويشكره على احسانه وهذا الباب خطير اذا لم يغلقه العبد بالاخلاص ويرد على الشيطان بالإيثار والتواضع ومخالفة الأهواء .

الباب الثامن :

يأتي الشيطان أحياناً من **باب البخل** ، والبخل جبلة في الانسان فطر عليها ، وهوى من أهواء النفس تنزع اليه ، فاذا لم يخالف العبد وسوسة الشيطان في هذا الباب انتصر عليه واغواه ، لذلك يتوجب على العبد ان يقابل الشيطان بان يقول : « كل ما في يد الخلق فان ، وما عند الله باق » .

الباب التاسع :

يدخل الشيطان موسوساً الى العبد من **باب الكبر** . . وعلى العبد ان يقاوم الشيطان بالتواضع . . ويتذكر قول الله تعالى : ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ .

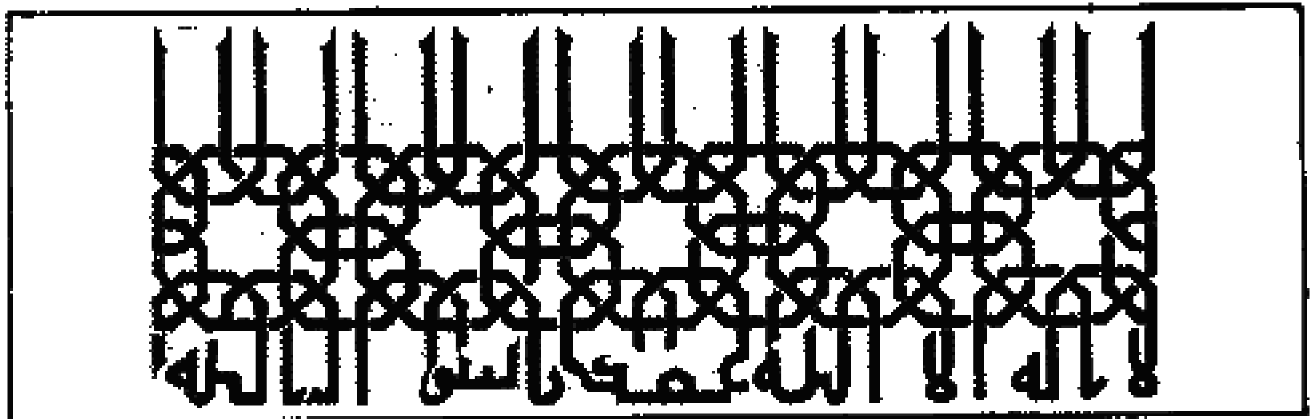
الباب العاشر :

يدخل الشيطان الى صدر العبد موسوساً له من **باب الطمع** ، وعلى العبد الصادق ان يصده باليأس في الدنيا والثقة في الله ، اي اليأس فيما عند الناس والثقة فيما عند الله .(١١)

طبعاً ان اي منهج آخر غير المنهج الاسلامي قد لا يرى في رغبات النفس الأمارة طريقاً للانحراف والمعصية . بل قد يذهب الأمر باغلب الافكار والمناهج الوضعية الى اعتبار التناقض مع رغبات هذه النفس او كبح جماحها مرضاً وقلقاً وانعزالاً .

ان المنهج الاسلامي يستمد اصوله من النص القرآني الكلي . ولا يمكن باي حال من الاحوال ان نشرك مع هذا المنهج ، او نسقط عليه آراء ونظريات قد تشكلت من رحم فلسفات متنوعة لا تمت الى فلسفة القرآن التوحيدية بصلة . ■

طلال عتريسي



(١١) نحو علم نفس اسلامي . ص ٩٨ ـ ١٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إدراكنا والغيب

بقلم: جهاد سعد

الله... الوحي... المعاد... الملائكة... الحساب... الجنة... النار، مفردات يعتقد بعضنا بأن بينها وبينه أمداً بعيداً، وأنَّ هذا الأمد حقيقة ثابتة لا تتغيّر طالما أنّنا في هذه الدنيا الفانية، وطالما أن الإنسان... إنسانٌ ولم يتحوَّل بعد إلى ملاكٍ او خادم من خدّام الملكوت.

هل يتوافق هذا الإعتقاد مع ما يطرحه الإسلام بين أيدينا؟ وحتى وإن كان الغيب بعيداً هل رسم الإسلام لنا طريق الوصول إلى الغيبيات وإدراكها بشكل من أشكال الإدراك؟... لم نطرح هذه الأسئلة إلاّ لأنّها صالحة لتكون مقدّمةً للبحث ومدخلاً إلى فهم الإلتقاء بين الغيب والشهادة[1]

فلنشرع إذن بالبحث لنستشفَّ منه الجواب:

- غيبٌ على مستوى عالمنا:

الغيبُ ليس شيئاً غريباً عن عالمنا الإنساني بمعنى أنّه ليس مفهوماً أضافَهُ الدين ولم يكُن له وجودٌ حقيقي قبلَهُ فَكُلُّ الحقائق والقوانين التي اكتشفها الإنسان في زماننا كانت في العصور السابقة غيباً عن وسائله البدائية لاكتشافها، ولم تكن غيباً عن نظام الكون، ولم يحوّل جَهْلُ الإنسان لها دون أدائها لدورها على أكمل وجه. فهل بَدَأَ قانون الجاذبية يعمل أو هل وُجِدَ هذا القانون منذ اللحظة التي اكتشفه فيها نيوتن؟ أم أنَّ نيوتن أضافَهُ فقط إلى سجل الإكتشافات في مكتبة المعرفة الإنسانية. وطالما أنّنا في سبيل البحث عن وسيلة للوصول إلى إدراك غيبيّاتٍ فمن الطبيعي أنْ نمرَّ بمراحل شبيهةٍ بالمراحلَ التي سَبَقَ أنْ مَرَرْنا بها في إدراكنا لما كان غيباً. فاكتشافات الإنسان رافقت نموَّ الوعي العلمي والعقلي لديه، وعلى هذا فإنَّ ما نسمّيه «الغيبُ» **بالتعبير الديني، هو غائبٌ عن مقدارنموّنا الإيماني الحالي، واكتشافنا له مرهون بدرجة نموّنا العقائدي والتكويني، بمعنى أنَّ درجة الإيمان كلّما ارتفعت ودرجة الميول إلى الروح كلما زادت، زادت معها معرفتنا لهذا الذي كان غيباً. وكما انَّ اكتشاف القوانين الغيبيّة علمياً لا يمكن إلاّ بالعيشِ في عالمِ التجارب والإختبارات والتحليل العقلي، فكذلك غيبيّات الإيمان لا يمكن الحصول على مفهومٍ واضحٍ ويقينيٍ لها إلاّ بالعيشِ في عالم الممارسة**

---

(١) استدل فلاسفة الإسلام من الآية الكريمة: «عالم الغيب والشهادة» بأن «الشهادة» هي العالم المادي المرئي.

الإيمانية فالدلائل العقلية مهما كانت ساطعة البراهين وجليّة التأثير لا تأخذ مفعولها الصحيح دون مستوى إيماني رفيع .

ـ وللإستنتاج :

... معرفتنا لحقيقة كل ما يذكره الإسلام في كتاب الله وسُنّة رسوله عن الغيبيّات ليس مرهوناً فقط بالقناعة العقلية المطلوبة ولكنّه مرهونٌ أيضاً بالإيمان الذاتي بأنّ ما يذكره الله تعالى هو حقيقةٌ بالنسبة له وغيبٌ بالنسبة لنا ، بالإضافة إلى شيءٍ آخر هو إزالة العوائق التكوينية التي تمنع إدراكنا الكامل لهذه الغيبيات . فحواجز الحس والمادة التي تحيط بالإنسان من كل جانب هي على حَدّ تعبير القرآن الكريم « غِطَاءٌ » يمنع إدراك الحقائق الروحية الكونية في الدنيا والآخرة ، ولذا يذكُرُ القرآن أنّنا في عالمٍ ما بعد الموت ، بعد ان تنسلخ الروح عن إطار تلك الحدود ، سندرك الحقائقَ الغيبيّةَ ونرى الملائكة ونعرف الجنة والنار : ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[٢]

هذا بالنسبة لما بعد الموت فهل يمكن الوصول إلى نفس اليقين في الدنيا ؟

ـ الأولياء :

إنَّ أولياءَ الله الصالحين يُعبّرون عن ذلك الصنف من البشر الذي بَلَغَ فيه التكامل الإيماني والتكويني ذروته في الدنيا ، فأدرك الحقيقة بفضل سعيه الدائم اليها . وأكثر ما يوضح هذه المقولة إحدى أقوال تلميذ الرسول الأعظم (ﷺ) الإمام علي (ع) : « **والله لو كُشِفَ عنّي الغِطاءُ ما ازددت يقيناً .** » فكلّما ازداد الإنسان إيمانا ، كلّما ازدادت شفافية هذا الغطاء حتى يصبح وجوده غير مانع من رؤية ما وراءه . بمعنى آخر يصبح وجوده وجوداً شكلياً اقتضته ظروف اعتبارية .

ولا شك أنَّ السبب الأساسي والمهم الذي كان وراء تلك العبارة للإمام علي (ع) هو ملازمته النبي (ﷺ) منذ الطفولة . فقد قُدِّرَ لليقين الإيماني المتكامل أنْ يَتجَسَّدَ في محمد (ﷺ) : « **والله لو وضَعوا الشمسَ في يميني والقمَرَ في يساري على أنْ أتركَ هذا الأمرَ ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه .** »[٣]

وعلى هذا فمن الطبيعي ان يسكن هذا اليقين في كيان من لازم الرسول (ﷺ) منذ نعومة اظافره .

يقول سماحة الإمام السيد موسى الصدر ـ عجّلَ اللهُ فرجه ـ : « **إنَّ التعاليم الدينية تحتاج إلى نماذجَ من البشر يُجسّدونها ويحققون تنفيذها تحقيقاً كاملاً لكي يخرجوها من الفرضية المثالية (ايديالية) ولكي لا يكون للناس على الله حجة .** »[٤]

---

(٢) سورة ق (٢٢) .

(٣) قالها رسول الله (ﷺ) بعد أن عرضت قريش كل ما استطاعت من إغراءات لقاء استغنائه عن الدعوة إلى الله .

(٤) من المقدمة التي كتبها سماحة الإمام لكتاب « فاطمة الزهراء وتر في غمد » للأديب سليمان كتانة . أوردها الأستاذ حسين شرف الدين في كتاب « منبر ومحراب » الذي صدر مؤخراً .

والإنسانُ في سَعْيِه الدائم إلى رضوان ربِّهِ يَمُرُّ بمراتب توازي أنبياءَ الله الصالحين، وكُلَّما اقترب من هذه المراتب كُلَّما تحوّلَ الغيبُ في إدراكِه البصيري إلى واقع. عن الرسول (ﷺ): «**علماء أُمّتي كأنبياء بني اسرائيل.**» وعن الباقر (ع): «**إنَّ من الناس من يغبطهم الأنبياء والصدّيقون.**»[٥] **وإذا نظرنا إلى إنساننا المعاصر، نرى أنَّ المسافة بينه وبين الأنبياء وأولياء الله الصالحين لا تقلُّ أبداً عن المسافة بين ما يعرفه هذا الإنسان ضمن إطار حسه المادي وبين ما يجهله عن الغيب.** ومن هذا المنطلق يرتبطُ السعي إلى مرتبة اولئك الطاهرين إرتباطاً جسمياً رئيسياً بإدراكنا لما هو مستتر عن معرفتنا في حالتنا الإنسانية الحاضرة

ـ صحبة القرآن الكريم:

كلّما ازددنا استغراقاً في بحث الغيب، تعاظمت حاجتُنا إلى خطوة عمليةٍ آنيةٍ تساعدنا على التقرب من حقائقه وعلى تحسُّسِ مكنوناته للإلتحاق بركب المهتدين الصالحين.

لا غرابة في أنْ نقول أنَّ هذه الخطوة تتجلى في صحبة القرآن الكريم فهي الأسلوب الأمثل لإدراكِ الحقائق الغيبية «بعَيْنِ ٱلْبَصيرة» لأنَّه يَستَحْضِرُ معظم الحوادث التي تتعدّى إدراكَنا الحسّي، ويتحدث عنها كحقيقةٍ واقعيةٍ مما يُمكِّنُنا من العيش، ولو للحظاتٍ[٦] فيما وراء الغطاء المحدود الذي يمنع الرؤية الواضحة لتلك الحقائق. وحتى في تشبيهات القرآن نرى تمثيلاً مصغّراً لحوادث الغيب الكبرى.

ففي سورة يّس تقوم الساعة في احشاء مخيلتنا وفي صميم كياننا حين يتدرّج السياق إلى ذكر الآية الكريمة ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ.**﴾[٧] وفي سورة إبراهيم يتكرّر نفس التأثير عند: ﴿**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ**﴾[٨] والأمثلة في هذا المقام كثيرة.

أمّا ما ذكرناه عن تشبيهات القرآن فمثاله الآية التاسعة في سورة فاطر التي تشبّه إحياء الأرض بعد موتها بساعة النشور، مما يلفت الإنتباه إلى أنَّ إنبات النباتِ هو نموذج مصغّر ـ على مستوى قدرات عالمنا ـ يُستفاد منه الإستدلال على آيات البعث والحساب. تقولُ الآية الكريمة ﴿**والله ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ**﴾.[٩]

---

(٥) بمعنى أنّ من الناس من يفرح لهم الأنبياء والصديقون لمعرفتهم لثوابهم على سعيهم نحو اليقين.

(٦) ولو أخذنا بعين الإعتبار ان اللحظة في الزمن القرآني تعادل مئات السنين في عالمنا الحاضر تستطيع ان تكون فكرة عن انعكاس هذه «اللحظات القرآنية» على حياتنا الحاضرة ﴿**إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون.**﴾

(٧) سورة يّس (٥١ ـ ٥٢)

(٨) سورة إبراهيم (٢١)

(٩) سورة فاطر (٩)

سيضطرنا شرح وجه الشبه بين الإنبات والنشور إلى قليل من الإستذكار العلمي ولكن الأمر سيتضح في النهاية بإذن الله:

إنَّ تشبيه إنبات النبات ببعث الأموات ينبع من أنَّ كيفية الإنبات شبيهة بكيفية البعث بمعنى أنَّ العناصر التي تؤلف النبتة وتتسبّب في تكوينها وتركيبها تكون في بادىء الأمر مفكّكة في الأرض فيساهم المطر في تجمعها على بعضها وإخصابها لتؤلف وحدة حياتية متكاملة الجسم. وهذه الحال تنطبق على جسد الإنسان الذي يتفكك إلى موادّه الأوّلية العضوية حين يدفَن في التراب ويتسبّب الأمر الإلهي بقيام الساعة بإعادة تركيب هذه المواد العضوية ليبعث هذا الميت من جديد ويتعرض للحساب. وهكذا فإنَّ إنبات النبات ـ بهذا المعنى ـ بعث متواصل ونشور متواصل ومثال عيني عن واقع غيبي.

- إستدلال فلسفي:

« الكون ظل الحق ولمّا كان الحق جميل فالكون جميل مثله». عبارة أبدعها الشهيد مرتضى المطهري (رض) في شرحه لأحد أبيات الشاعر الحكيم حافظ الشيرازي[10]. وإذا أردنا أن نُوظِّف هذه الصياغة الجميلة لخدمة موضوعنا نقول: « الحاضر ظل الغيب ولما كان الغيب حق فالحاضر حق مثله». والأمور حسب الفلسفة يُعرف وجودها من مصاديقها بمعنى أنّه لو لم يكن هناك « شر وفساد وتعب وفقدان ونقص وضعف وأمثالها في هذا العالم لما كان للخير والصحة والراحة مصداق ولا عقل منها معنى لأنّا إنّما نأخذ المعاني من مصاديقها.»[11]

وكذلك حقيقة وجود الغيب المطلق تدلنا عليه حقيقة وجود الحاضر المحدود.

- نسبية الغيب:

الغيب عن كل شيء هو غيب مطلق والغيب عن بعض الأشياء هو غيب نسبي. وقد اتضح لنا مما سبق أنَّ كل ما يذكره الدين عن الغيبيات، غيبٌ بالنسبة لمرحلة معينة من النمو الإيماني ولوسيلة معينة من وسائل الإدراك، ولكنه ليس غيباً عن أقصى مراحل اليقين الإيماني ولا عن الإدراك البصيري للإنسان الذي هو عين الروح.

وليس ذلك اليقين ولا تلك الوسيلة في الإدراك مقتصرة على طبقة معيّنة من البشر، بل هما المصير الحتمي لأي إنسان يسعى إلى رضوان ربه باحثاً عن بناء الآخرة مزدرياً لحطام الدنيا. ■

جهاد سعد.

---

(١٠) كتاب العدل الإلهي ص ٧٣.

(١١) تفسير الميزان لآية الله العظمى السيد محمد حسين الطباطبائي ـ قدس الله روحه ـ المجلد ٨ بحث ابليس.

توحيدية الفارابي
من الخط القرآني إلى حل مأزق الحضارة

بقلم: محمد صادق فضل الله

في البداية، لا بد من تجاوز مشكلة الأصول اليونانية والساسانية في فلسفة الفارابي بحيث يتركز الجهد على أوجه التطابق مع الفكر الاسلامي، أولاً. ثم الاخذ بعين الاعتبار البنية الفكرية الاسلامية، كبنية مفتوحة، ضالتها الحكمة أينما وجدتها فهي أحق الناس بها. وهنا قد يصح الكلام عن شيء من منطقة فراغ محدودة - وإن كان البعض يفرغ فيها الترف الفكري - حيث يحث الاسلام على سن السنن الحسنة، تبعاً للحديث المشهور. على أنّ هناك حدوداً لا يمكن تجاوزها. والواقع أنّ نظرةً لفكر الفارابي من هذه الزاوية، يمكن أنْ تثمر. فالفارابي في أغلب كتبه يهضم التراث اليوناني ويعطيه بعداً إسلامياً خالصاً. ولعل الذروة في هذا المجال كتابه «الحروف».[1] والواقع أن عملية الهضم هذه نستطيع تعميمها، أو لنقل نحن نضطر لتعميمها هنا تأسيساً لهذا البحث.

ينظر الفارابي نظرة توحيدية لله، وما فوق الطبيعة، والطبيعة والإنسان. فهذه كلها حلقات مختلفة لسلسلة واحدة. فالعلاقة بين الله والطبيعة، وما فوق الطبيعة، وبين الله والإنسان كالعلاقة بين الشمس والنور الذي تبعثه. من هنا نفهم كيف أنّ الله هو «المدبر الحقيقي للمدنية الفاضلة، كما هو المدبّر الحقيقي للعالم. وأن تدبيره تعالى للعالم بوجه، وتدبيره للمدنية بوجه آخر، غير أن بين التدبيرين تناسب»[2] لكن في هذه النظرة التوحيدية، ينقسم العالم عند الفارابي إلى الظاهر والمخفي، أو الظاهر والشيء في ذاته per se تماماً كما كان الامر عند كنط. فالفارابي يؤكد بأنّ «الوقف على حقائق الاشياء لا يتيّسر للقدرة البشرية، من حيث أنّنا لا نعرف من الاشياء الا خواصّها، ولوازمها،

(١) الفارابي، «كتاب الحروف»، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق بيروت، ١٩٧٠ م.

(٢) الفارابي، «الملة»، ت. م. مهدي، دار المشرق، بيروت. ص ٦٥.

- هل غاص الفارابي هنا على عمق كلمات الامام علي: «مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة»، نهج البلاغة الخطبة الاولى.

وأعراضها، ولسنا على معرفة بفصولها المقوّمة لكلٍ منها والتي تشير إلى حقيقتها»[٣] أين تصبح توحيدية الفارابي؟ هل في الامر ازدواجية؟. والواقع أنَّ ملاحظة جدل الفارابي الصاعد والنازل ثم ملاحظة كون هذا التقسيم هو تقسيم معرفي منطقي مقبول حتى في المجال العلمي. وهذا ما ينفي الازدواجية في الموضوع.

من هنا لا بد من التوحيد والترابط الذي ينطلق من الإنسان المحيط، اللافرد، إلى العقل الفعّال وما فوقه، ثم إلى الله. فالمدنية تشبه البدن، والمنزل على قياس المدنية، والإنسان كائن اجتماعي كماله في اجتماع المدنية[٤]. وكما أنَّ القلب هو العضو الرئيسي، كذلك الامام في المدنية. فالتنظيم والترتيب شيء أساسيّ هنا.[٥] على أنَّ الفارابي يؤكد على وحدة الكائنات في عالم ما تحت القمر، إبتداءً من الأخس، كالعناصر الأربعة، وإنتهاءً الى الأعلى والأرقى كالإنسان. فكل ما هو موجود في عالم ما دون فلك القمر يؤلف وحدة متفاوته بالأفراد، ولكنها تنتظم في صيغة هذة الوحدة الطبيعية التي تتطلع الى الأعلى حيث السعادة الحقيقية والتي هي غاية الاجتماع البشري تكون بالاتصال بالعقل الفعّال. ومن هنا نعرف كيف أنَّ هذه الاشياء «لا بد من ائتلافها وارتباط بعضها ببعض وانتظامها وانتظام أفعالها وتعاضدها حتى تكون على كثرتها كشيء واحد، عن قوة تدبير ذلك الواحد لها ونفاذه في جميعها»[٦] ثم إن من أهم أدوار هذه السعادة التي تُفاض من العقل الفعّال معرفة مراتب الاشياء، «التي كلما ازددنا صعوداً قلّت كثرة وازدادت وحدة الى ان تصل الى الإله جلَّ ثناؤه»[٧]. وهكذا يستند الفارابي الى فلسفة تؤكد وجود حقائق مطلقة ثابتة فاعلة في العقل البشري ومرتبطة به. من هنا نستطيع ان نفهم كما سيأتي، الدين والسياسة، ثم لماذا لُقبَّ كتاب السياسة المدنية بمبادىء الموجودات. ولماذا تضمن كتاب «آراء اهل المدنية الفاضلة» في أغلب فصوله أبحاثاً ما ورائية. إنه الرابط التام بين السياسة ومعرفة مبادىء الموجودات. وهذا الخط هو ما سنلاحقه الآن دون الخوض في تفاصيل مهمة جداً في فلسفته، كالملة والفلسفة، وبنية مدنيته. وهذه رغم أهميتها ليست ضرورية هنا وتحتاج لبحث آخر إذا اردنا وضعها ضمن نظرتنا هذه.

في مجال الطبيعة، يعيّن القرآن أحداثها، وتركيبها، واتساقها، كآيات تحمل كل الاهمية العلمية. إنها الطريق الى الحقيقة، وليست الحاجز الذي يخفي عنا الحقيقة بل لا بد

---

(٣) د. جعفر آل ياسين، فيلسوفان رائدان، دار الأندلس، ص ٨٢ - ٨٣.

(٤) «آراء أهل المدينة الفاضلة» ص ١٢٥ وما بعدها.

(٥) نفس المصدر، ص ١٢٠. نشير هنا أنَّ طرح الامامة بموازاة القلب في الجسم مسألة كلامية معروفة قبل الفارابي وفي زمنه. ويبرز هذا الأمر في محاورة هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد، أنظر: «رجال الكشّي» ص ٩٢ - ٩٣.

(٦) «آراء أهل المدينة الفاضلة»، ص ٢٢. و «الملة» ص ٦٣.

(٧) «الملة»، ص ٦٤.

للمرء ان «يتفكّر» في هذه الايات بطريقة جدية، ليعرف أنّها لم تخلق باطلاً، ويعرف بالتالي عظمة الله، وحقيقة وجوده هو كإنسان من حيث انتفاء العبثية من حكمة ايجاده، تماماً كما أنّ ظواهر العالم ليست اوهاماً او أشياء مجردة من القيمة تحجب الله، وبالتالي لا يمكن تجاهلها أو دفعها جانباً. وهنا يختلف القرآن، ومن ثم الفارابي مع التصوّف، فلم تعد المسألة مسألة وحدة وجود، بل إن المسألة هي مسألة توحيد وجود. بمعنى وحدة الطبيعة مع ما فوقها، والإنسان مع الطبيعة، والإنسان مع الإنسان، والله مع العالم والانسان، كما مّر معنا خلال رؤية الفارابي السابقة حيث النظام والتجانس والوعي. ولعل أبلغ تصوير قرآني على هذا الامر: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ...﴾[8] هكذا تنتمي الجماعة البشرية الى محور واحد لا يقبل التناقض، او الفوضى.

فالنظام أساس كل شيء، لا تناقض بين الانسان والانسان، والانسان والطبيعة ولا تناقض بين الطبيعة وما فوقها، وبين الدنيا والآخرة، والروح والجسم[9] هذه ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[10] من هنا العبودية المطلقة لله، والحاكمية المطلقة ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَا...﴾[11]. فلا تناقضات اجتماعية، قانونية، سياسية، عرقية، جغرافية (...) لأن ذلك كله يفترض منهج التناقض لا النظام، منهج الكثرة الأنقص عند الفارابي لا الأكمل حيث الوحدة كما مرّ معنا. من هنا يرفض الإنسان كل القوى الأخرى، ويرتبط بالوعي والإرادة اللذين يسودان الوجود حيث مصدر الدعم والتوحيد نقطة مركزية واحدة وكل ما عداها تافه وخاطىء. الطاقة لله الضابط الأعلى للموجودات. وهذه الطاقة هي التي تدفع الإنسان للثورة على جميع السلطات الزائفة، الجاهلة، المتنافرة والمتناقضة التي لا تؤدي الى أي إتصال لحلقات السلسلة. فالأهم أنّ هذه الطاقة مسؤولة كخليفة الله ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[12] من هنا المسؤولية بتطبيق العدل ورفض الظلم، التناقض، التنافر، الكره، الحقد (...) لا بد من التوحّد والترابط حيث «يأتلف بعض مع بعض ويرتبط بالمحبة، وتتماسك وتبقى محفوظة بالعدل وأفاعيل العدل»[13]. و«المحبة

(٨) سورة النور (٣٥).

(٩) تصبح المفارقة عند الفارابي أن لا تحتاج النفس للجسم كآلة، وذلك بأن تكون النفس التي تخص الإنسان وهو العقل النظري، وهنا يتساوى الموت والحياة.

(١٠) البقرة (١٣٨).

(١١) يوسف (٤٠).

(١٢) البقرة (٣٠).

(١٣) الفلسفة السياسية عند الفارابي، بنعيد العالي، ص ٨٢، أورده عن كتاب «الفصول».

في هذه المدنية تكون أولاً لأجل الإشتراك في الفضيلة، ويلتئم ذلك بالاشتراك في الآراء والأفعال (...) فإذا اتفقت آراء أهل المدنية في هذه الاشياء، ثم كمل ذلك بالافعال التي ينال بها السعادة بعضهم مع بعض يتبع ذلك محبة بعضهم لبعض ضرورة »[١٤]. نفس الخط ونفس الغاية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١٥]. وإذا تعذّر التغيير لا بد من الهجرة « فلا بد من هجرة الفاضل من السير الجاهلة والاصبح كالعضو الغريب في الجسم »[١٦] كذلك النبي موسى الذي ترك مصر وقصورها ليعود مغيراً المحيط بالدفع الإلهي. ولابراهيم كذلك دوران. ثم « ظالمي انفسهم » الذين ركنوا للظلم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ...﴾[١٧]

من هنا السير في طريق التكامل حيث يحقق الانسان في ذاته تلك القيم التي يؤمن بتوحيدها جميعاً في الله المستخلف. فغاية المدنية الفاضلة الصياغة على نسق الموجودات الكونية. وأول وأهم مهمة لرئيس المدنية الفاضلة هي أن « يتأسى بالله »[١٨]

وبُعد الإستخلاف يعني أنّ صفات الله واخلاقه من العلم والعدل والقدرة والرحمة بالمستضعفين والانتقام من الجبارين، تقع ضمن هذه الدائرة، كما جاء في الحديث الشريف « تشبّهوا باخلاق الله ». ولما كان الله مطلقاً، والإنسان محدوداً فمن الطبيعي أن تتجسّد عملية تحقيق تلك القيم إنسانياً في حركة مستمرة نحو المطلق[١٩]. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٢٠]. فهنا إرتكاسة توحيدية ترفض وتجتث كل ما عداها، كل ما لا يتوافق مع صفات ضابط الكائنات الاعلى.

وفي نفس الخط تسير الملل الفاضلة عند الفارابي، تحمل معنى واحداً لا لأنها تُثبت نفس الشيء وتسير في نفس الخط، وتحمل نفس الحقائق، بل لأنها تقوم أيضاً بنفس الوظيفة، حيث تُتخيّل مبادىء الموجودات ومراتبها للمعقول العامة. من أجل ذلك يمكن ان تُحاكى هذه الأشياء لكل طائفة ولكل أمّة بغير الامور التي تُحاكى بها للطائفة الاخرى وللأمة الاخرى. ولذلك يمكن أن تقوم أمم فاضلة ومدن فاضلة مختلفة الملل وإن

---

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) الحديد (٢٥).

(١٦) « الملة »، ص ٥٦

(١٧) النساء (٩٧).

(١٨) الملة، ص ٦٥

(١٩) شهادة الانبياء وخلافة الإنسان، السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، ص ١٥ وما بعدها.

(٢٠) الإنشقاق (٦).

كانوا كلهم يؤمنون سعادة واحدة بعينها[٢١] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[٢٢] فالدين واحد والمسألة مسألة إختلاف الانبياء في دعاواهم وظروفها. من هنا يبيّن الفارابي عامل المخيلة إلى جانب العامل العقلي في نظرية النبوة، ليستطيع ان يضع في منظور بنائه مجالاً للتحرك في طبيعة الأنبياء وما تصوّر من اختلافهم وإن كان في الامر إختلاف في العالم المحسوس و « هكذا تعود النبوات ذات درجات ومراتب تتباين بعضها مع البعض الآخر حسب حاجة المجتمع الى هذا الإنسان الممتاز. ولكن العامل المشترك بين الطرفين هو مقياس الكمال الذي يجتمع في هذا الكائن العاقل من حيث كونه فيلسوفاً ونبياً ومرسلاً، أو بالاحرى حيث تتوحد فيه المتخيلة النادرة وقدرة العقل العملي »[٢٣]. وفي هذا الخط نلتقي بالأمم الفاضلة المنقولة من السير الجاهلية بواسطة المشرع، النبي، الرئيس، الفيلسوف. إنه يحاول أن يربط تاريخ الأمة بعلة غائية صالحة بالنسبة للأمم الفاضلة. إنه يحاول أن يوجد نوعاً من العلاقة بين هدف وغاية. فمجتمع التوحيد له غاية صالحة، التشبه بالمطلق كما ذُكر، محاربة كل ما يتناقض مع النظامية والوحدانية، بينما أمم الشرك تسير نحو التعدّد والتناقض، من هنا هي تُفتّت هدفها وتلغي تاريخيّتها ووجودها. بينما العكس في المدنية الفاضلة حيث يسود النظام الذي يؤمن نتيجةً وفعلاً مؤثراً. كل انسان له طاقة يفجرها في مجتمعه وطاقة الانسان تتعداه لتصب في أرضية الامة وهذه الطاقة تنتظم في الأمم الفاضلة، تبعاً للجدل الصاعد والنازل بين الانسان والعالم والله كما مر معنا، بينما هي عند الامم الجاهلية تندثر، وتزيد في الواقع الجاهلي. لو وقفنا هنا قليلاً لرأينا أن المدنية الفاضلة تعمل، تمارس فعلاً من خلال الحكمة التي تعني عند الفارابي كما مر معنا التشبه بالله بقدر الطاقة الانسانية. من هنا الخلق والتغيير والفعل، بمعادلة بسيطة تصبح المدنية الفاضلة تساوي بكلمة واحدة الانقلابية. وهنا نرى كم نحن قديمي العهد بالدعوة لتغيير العالم لا لتفسيره التي أسس ماركس عليها فلسفته. نرى هنا كيف أنّ الفارابي سبق ماركس إلى هذه النظرة الفلسفية المهمة وجعل المعرفة قوى فاعلة ومغيّرة للسلوك - كما مرّ معنا إنّ هذا التغيير الفردي هو نفسُه التغيير الجماعي بناءً لنظرة الفارابي التي تلاحق الانسجام والتعاضد والارتباط بالمحبة وافاعيل العدل كما لاحظنا بداية. إذن هناك عمل للفرد وهناك عمل للامة. ويحقق عمل الامة النظام عند الفارابي بناءً لتوحيديته من الرئيس، القلب، حتى أخس الاعضاء، كل له مسؤوليته كما البدن وعمله يدخل في كتابه كفرد وفي كتاب الامة ايضاً. ولنأخذ هنا

(٢١) « السياسة المدنية »، الفارابي، حققه فوزي نجّار، بيروت ١٩٦٤، ص ٨٦.

(٢٢) الشورى (١٣).

(٢٣) فيلسوفان رائدان، جعفر آل ياسين، ص ١٣٨.

رؤية الامام السيد محمد باقر الصدر في نظرته للسنن التاريخية حيث استشهد على هذا الامر بالآيتين: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَ نُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا • ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[24] هذا حساب الفرد. وهناك حساب الأمة ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ • هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[25]. إذن هناك قرآنياً ـ وكما يقول الإمام الشهيد ـ وكما يرمي الفارابي ـ هناك ثلاثة أبعاد في سنة التاريخ: بُعدٌ من ناحية العامل، ما يسميه أرسطو بالعلة الفاعلية. وبُعدٌ من ناحية الهدف، ما يسميه أرسطو بالعلة الغائية. وبُعدٌ من ناحية الأرضية، ما يسميه أرسطو بالعلة المادية. وهكذا يبقى للفرد بعده في الموضوع فلا يُسحق تحت عجلات مجتمعه، كما يسحق في مجتمع هيغل مثلاً.

وبَعْدُ، ماذا في الامر لو تكلم الفارابي عن الأمم الجاهلة، كما اعترض بنعبد العالي مبرراً عدم وجود أمم فاضلة عند الفارابي، حيث «لم يتحدث عن آراء أهل الأمة الفاضلة»[26]. وهنا نصل الى مفهوم الأمة عند الفارابي، نقطة مهمة بالتأكيد، واذا كنا لن نتناول المسألة هنا، فإني أحب أن أتساءل أين موقع الفارابي من المفهوم القرآني، وبالتحديد إنطلاقاً من الاية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾[27] والآية الكريمة الثانية: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ...﴾[28] فهل أن مجتمع التوحيدالذي يسمى إليه الفارابي هو مجتمع الفطرة الأولى، قبل النبيّن، هذا المجتمع الذي تلخصه الآية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...﴾[29]. هل يريد الفارابي أن يصل إلى هذا المجتمع قبل أن ينحرف عن خط العدل، وتأتي الرسالات الإلهية مبشرة ومنذرة للعودة الى هذا الخط، حيث كان البغي أساس الإختلاف كما تتابع سورة البقرة في آيتها الآنفة الذكر ﴿..وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ..﴾. على ضوء هذا، كيف يتحدد مفهوم الأمة عند الفارابي؟ إنّ الحديث هنا ليطول.

في نهاية المطاف، إن هذا التأطير، هو عناوين سريعة لعمل يقتضي الكثير من الجهد. وإن عملاً من هذا النوع يملك مشروعية وواقعية قد لا يتوفران للنظرة المعاكسة. وهو

(٢٤) الاسراء (١٣ ـ ١٤).

(٢٥) الجاثية (٢٨ ـ ٢٩).

(٢٦) الفلسفة السياسية عند الفارابي، عبد السلام بنعبد العالي، ص ٥٨ ـ ٥٩.

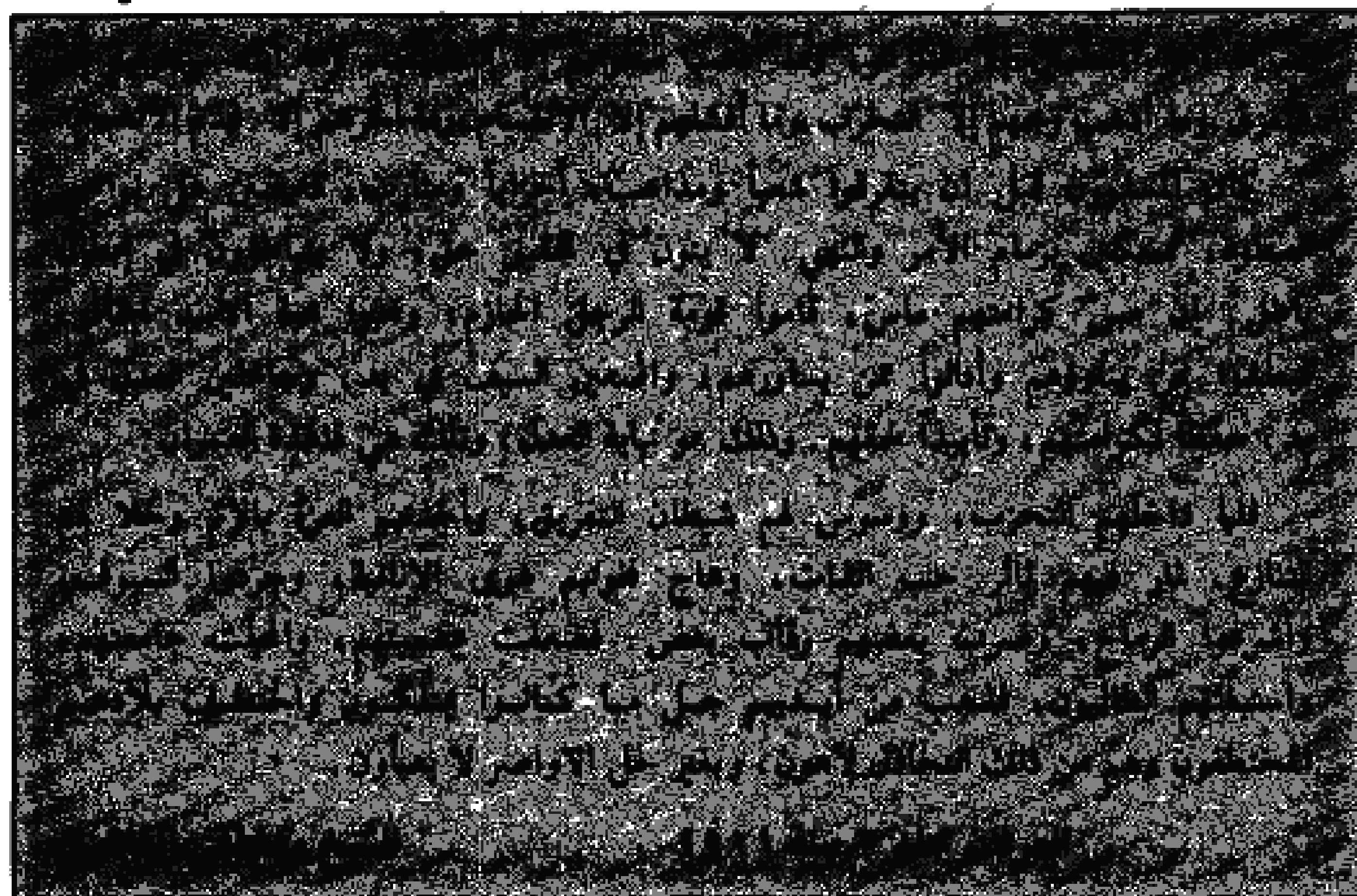
(٢٧) يونس (١٩).

(٢٨) البقرة (٢١٣).

(٢٩) الروم (٣٠).

سيكون مثمراً بالتأكيد . وتتضاعف اهميته وفائدته في حاضرنا هذا ، حيث بدأ الإسلام يطرح نفسه كحل لمأزق الحضارة . بل إن بعضاً من كبار مفكري هذا العصر بدأوا بالانجذاب نحو الاسلام وطرحه كحل للمأزق الحضاري على أساس هذا المنهج القرآني الذي حاول تجسيده الفارابي كما رأينا بلمحة سريعة . وهنا يجب التركيز على كتاب « نداء للأحياء » للفيلسوف المعاصر روجيه غارودي ، كأبرز من يمثل هذا الإتجاه . وحيث رأى أنَّ الإسلام بهكذا منهج توحيدي « يجعل الانسان في حياته الخاصة مكاناً لتجلي الخالق »[٣٠] ـ وهذه عبارة لابن عربي استشهد بها غارودي ـ هذا المنهج وحده هو الذي يحل مأزق الحضارة . ولنوسّع قليلاً ، ولنسمعه يقول وهو يتحدث عن الإسلام : « هذه الديانة الفتية لا تخضع إذا فُهمت وموربست بحقيقتها للإنتقادات الموجهة للاديان الأخرى كالحفاظ على النظام الذي يكرّس سلطة الاغنياء على الفقراء ، والاقوياء على الضعفاء ، ووضع التقدم العالمي للحفاظ على الاوهام ، والدعوة للصلاة لتأمين حاجات الانسان بدل الدعوة للعمل . فالتطابق في الاسلام مع الإرادة الإلهية لا يعني القدرية ، بل إنه كما ثبت عبر العصور محرك للعمل ، للتغيير الاجتماعي وللتقدم العلمي »[٣١] . وأخيراً ومن خلال هذه الرؤية أود أن أشير الى أن قراءة اسلامية علمية وتطبيقية لهذا الكتاب هي اكثر من ضرورية .■

محمد صادق فضل الله



(٣٠) Appel aux Vivants . R. Garaudy. Seuil p: 185

(٣١) Appel aux vivants. Roger Garaudye. Seuil. P: 200

الاسلام والتنمية

بقلم: حسن الزين

في كتابه عن «الاسلام أمام التطور الاقتصادي» دعا جاك أوستروي J. Austruy المسلمين قبل فوات الأوان لوضع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم وقواهم المبدعة الهائلة، ثم حذرهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فسوف «يجبرون على قبول تغييرات غير سليمة في نظمهم الأساسية نتيجة لإتباع منهج في الانماء مفروض عليهم من الخارج»[١]. فهل يمكن لهذه الخصائص والقوى الكامنة أنْ تؤلف مذهباً جديداً يعرض حلولاً جديدةً للمشكلات البشرية في التنمية الاقتصادية؟

للاجابة على هذا السؤال لا بدّ من الاشارة الى ثلاثة مبادىء تكاد ترسم الاطار الفكري للرؤية الاسلامية في هذا المجال.

إنَّ الاسلام يستهدف دائماً حرية الانسان ويريده أن يكون حراً حتى في علاقته مع الخالق عزَّ وجل، فهي تتم بدون وسيط، ولكي يكون حرّاً لا بدّ أنْ يكف عن الإعتماد على الآخرين. إذن القاعدة الاساسية للاستقلال في الاسلام كما في الحياة هي الاستقلال الاقتصادي.

والاسلام يوجب تهيئة وتوفير فرص العمل لكل قادر ويعتبر أنَّ القيمة الحقيقية هي قيمة العمل قبل رأس المال و ﴿**وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾.

والمبدأ الثالث ينطلق في سعة أفق ودقة بيان من تسخير العلم الذي حث الأسلام عليه في كل مناسبة، لخدمة الانسان ونفعه أي لتنمية قدراته وسد حاجاته الفكرية والحياتية وقد جاء في الحديث الشريف: «**اللهم إنّي أعوذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ**»[٢].

وإذا كان التقدم التقني هو نتيجة للتقدم العلمي وليس العكس صحيحاً، وإذا كانت التنمية الاقتصادية في كل بلد هي الكفيلة بخلق التكنولوجيا وليس العكس هو الصحيح[٣] ـ وإنَّ ذلك يكاد يصبح من المسلمات في مطلع الثمانينات من هذا القرن ـ فإنّ بامكاننا إنطلاقاً من هذه المبادىء أن نحاول تقصي ملامح الأسس التي يمكن أن يقوم عليها منهج في الإنماء يتماشى مع التطلعات والمبادىء الاسلامية في هذا المجال.

---

(١) J. Austruy: L'islam face au développement social ص ١١٢ ـ ١١٣ نقلا عن كتاب «نظرات اسلامية في الاشتراكية الثورية» للدكتور معروف الدواليبي.

(٢) «كما تحدث الرسول» لخالد محمد خالد ص ٥٠٣

(٣) مجلة الفيصل عدد ٥٨ ص ١٨

علاقة الإسلام بالحداثة تبرز من خلال الحلول التي يمكن أن يقدّمها للمشكلات البشرية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من مختلف جوانبها وهذه الحلول تتمركز كلها حول حرية الانسان التي تعتمد بدورها على الاستقلال وقاعدة الاستقلال هي الاستقلال الاقتصادي .

والاستقلال الاقتصادي يعني محاربة جميع أنواع الاستغلال وكل ذلك يستدعي أن تكون القيمة الاولى والحقيقية للعمل . وليس عبثاً أن تعمد أكثر الدراسات عمقاً في مجال التنمية والقضاء على التخلف في بلدان العالم الثالث الى الإتّجاه نحو اعتماد الاستقلال الاقتصادي المبني على إعطاء العمل البشري القيمة الأعلى في المجتمع:

« المطلوب ـ والكلام لكوليبالي شارل استاذ علم الاقتصاد في جامعة أونتاريو بكندا ـ إجراء تغييرات جذرية في عمق السياسة الاقتصادية من أجل تحريك عوامل اقتصادية ينبثق عنها مصالح وفوائد تدفع بالمنتجين الى استعمال تقنيات تعتمد على العمل البشري، ولا بدّ من إدخال إصلاحات مؤسّساتيّة وإجتماعية واسعة من أجل مدّ شعوب العالم الثالث بالأسباب الضرورية والكافية لكي تُنمّي إنتاجيتها وتوسّع دائرة تجديداتها التكنولوجية . فالتقدّم التقني لا يمكن أن يتم بعيداً عن مستوى وكمية وقيمة العمل البشري، وإلا فالنتيجة تكون انعدام الهدف من التنمية وبقاء التخلف وازدياده . »

من هذا الكلام يظهر الاتجاه الى اعتبار أنّ هدف كل تنمية أو تطور يجب ان يكون الانسان وليس تحقيق الكثرة في الانتاج التي لا تؤدي إلاّ إلى تكديس الثروة وزيادة الفروقات بين البشر وتكريس الاستغلال وتجميع الثروات بعيداً عن الطبقات الفقيرة إذا لم تعتمد على العمل البشري .

والتقدم التقني المبني على العمل البشري في البلدان النامية لا يلقى تشجيعاً من البلدان المتقدمة لأنها ـ الكلام لكوليبالي شارل ـ : « على العكس تقفل ابوابها بوجهها » الى أن يقول: « وتعمد البلدان المتقدمة الى وضع العراقيل في وجه منتجات البلدان النامية . »

وتكاد تجمع الدراسات على أنّ أسباب فشل سياسة التنمية في بلدان العالم الثالث خلال الستينات والسبعينات تتلخص في مسألتين: عدم اعتماد العمل البشري كقيمة وكوسيلة أساساً للتقدم التقني وعدم الانطلاق من مبدأ الاستقلال الاقتصادي وتطبيقه بدقة واستمرار .

بعد تخطي العقد الثاني من بدء عملية التطوير والإنماء في بلدان العالم الثالث (١٩٦٠ ـ ١٩٧٩) أظهر لنا تفحّص الامور ـ والكلام لإحدى المجلات الامريكية ـ ، أنّ التطوّر لم يحصل مطلقا . كثير من بلدان العالم الثالث بقيت على حالها من الفقر ولست أنها تتقهقر، وفي كثير من الحالات بلغ الفقر مرحلة لا يهدد خطرها فقط نوعية الحياة بل الحياة نفسها . ثم إنّ الخط الفاصل بين الأغنياء والفقراء في بلدان العالم الثالث آخذ في الاتساع بسرعة، والتطوّر الاقتصادي عن طريق التصنيع والتموين يزيد في غنى الاغنياء وفي

فقر الفقراء، فالتطور الذي حصل كان شديداً في اتجاهه نحو الانحراف وقد أدى الى توسيع دائرة الفقر الخبيثة. فلماذا حصل كل ذلك؟

هذه النتيجة كانت وراء البحث عن نظام اقتصادي عالمي جديد يتطلب فلسفة جديدة الجذور. وفي هذا المجال ظهرت تطلعات الاقتصادي السويدي ج. أدلر كارسون في تحبيذه لما يسمى نظام التعادلية المعاكسة Egalitarisme inverse وفيه نعد مجتمعاتنا بطريقة تمكنها من «تخفيف البؤس وتحجيمه». إنّه يرى أنّ رفع مستوى معيشة الأغنياء ليس بذي أثر طالما بقي في العالم آلام وبؤس وشقاء. فإذا قارنا بين هذا الكلام وبين ما يقوله مكسيم رودنسون عن أنّ الاسلام يؤمن بمبدأ التعادلية بما يعني تعادل وتساوي حظوظ الناس في التمتع بخيرات الدنيا، تمكنّا أن نلمس الواقع في كلام الباحثين عن أسس لمذهب جديد يملأ الفراغ الذي تركه المذهبان السائدان حالياً في مجتمعات تكاد تتآكلها الغربة والضياع والتخلف.

إنّ تعريف التنمية الذي يأخذ بعين الاعتبار النمو الاقتصادي كمعيار يتعرض لأخطاء جسيمة. فزيادة الانتاج، إنتاج المواد والخدمات شرط ضروري للتنمية ولكنها ليست كافية لضمان هذه العملية بكل وجوهها. إنّ الاتجاه الذي أخذ يظهر منذ مدة في تعريف التنمية على المستوى الخلقي بأنها رفع لمستوى معيشة وكرامة الانسان وحريته أو بالقضاء على الفقر والبطالة وعدم المساواة هو مرآة للهموم التي كان يتمخض عنها فكر العالم العربي والعالم الثالث: الاستغلال الحديث، هيمنة فكرة النمو، التهديد الذي عاشته الشخصية الثقافية، والشعور باستحالة التحديث وشعور غامض بوجوبه وألم من جراء البطء. هذا التعريف هو المفضل في هذا الاتجاه وهو ينسجم مع نظرة الاسلام لعملية التطور والتقدم من خلال التمحور حول الانسان كوسيلة وهدف: ﴿إذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة﴾[٤] وقد جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة تعقيباً على هذه الآية الكريمة وتفسيراً لها ما يلي[٥]: «فُسّرت بأنّه (أي الانسان) ينوب عن الله تعالى في إجراء أحكامه وتنفيذ إرادته في عمارة الكون وسياسته»

ومن خلال هذا التعريف وتلك المبادىء تجري البحوث والمحاولات لاظهار ملامح الاسس التي يطرحها الاسلام للتنمية وهي تلخص التعاطي مع مشاكل العصر الحديث في تقديم الحلول الضرورية لما يواجه الحضارة الحديثة من تحديات تتناول الانسان في سعيه نحو حياة أفضل. واذا كانت مشاكل العالم الثالث تستوعب القسم الاهم من هذه البحوث فلأنّها الأكثر بروزاً والأشد إلحاحاً في هذا المجال.

إنّ الاستقلال يعني بالنسبة لبلدان العالم الثالث ليس فقط حكماً مستقلاً وإدارة ذاتية لاستقلال مواردها إنما مسؤولية إسعاد شعوبها بتأمين مستوى معيشي لائق في جميع مظاهره.

(٤) سورة البقرة ـ (٣٠)

(٥) معجم ألفاظ القرآن ـ اصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة ص ١٨٣

أكثرية هذه البلدان كانت فقيرة وفقرها يتميز بانخفاض سوق العمل وبالبطالة والأمية المتفشية وسوء التغذية والمرض وشروط السكن الرديئة. والسؤال المطروح: ما هي أصلح السبل لتأمين العيش الرغيد والتطور لهذه الشعوب؟

نصائح الأمس القريب كانت تتركز في مجموعها على التصنيع وتكثيفه في مناطق المدن ومكننة الزراعة وتكاثر التوظيفات الخاصة الاجنبية والتكنولوجيا المستوردة من البلدان النامية والحصول على المساعدات من البلدان المصنَّعة وتحريك عمليات التصدير وإيقاف التكاثر السكاني وتحقيق مجتمعات تتسم بالمركزية والبيروقراطية لأنّ التطور الاقتصادي يتطلب الوحدة السياسية.

بهذه النصائح أخذت بلدان كثيرة من العالم الثالث وكانت التجربة الكبرى خلال الستينات، ولكن فشلها كان ذريعاً والنتيجة كانت مزرية، فماذا حدث؟

كانت نتيجة هذا الفشل دافعاً للعديد من بلدان العالم الثالث في اتجاه الاقتناع بأنّ زرع التكنولوجيا الرأسمالية المتطورة في محيطها المختلف تماماً عن محيط البلدان المصنَّعة التي صدَّرت تلك التكنولوجيا، لا يعطي أية نتائج مرضية. فلماذا وكيف لاقت هذا المصير بعد عقد من الزمن بذلت خلاله المال والجهد والتخطيط؟ إنّ السبب الأهم يكمن في انعدام الاستقلال الاقتصادي وسنرى كيف تدور جميع المشاكل المعاكسة وتتمحور حول هذه النقطة بالذات:

١ ـ إنّ الظروف الاقتصادية والاجتماعية في بلدان العالم الثالث لا تتمتّع بالاستقرار الذي يسمح بفرض نظام صناعي شديد التطور.

٢ ـ إنّ شعوب العالم الثالث تريد دخول عهد التصنيع التقني ولكن تنقصها الخبرة والمعرفة التقنية وكل ذلك يستبعد اعتماد جهود واسعة غير محدودة فالتصنيع يجب أنْ يراعي ويتماشى مع مزاج الشعب واستعداداته ومع المظهر الحضاري للسكان ومع خصائصهم المميزة.

٣ ـ أحد أكبر مشاكل التصنيع كونه يعتبر لحاقاً بركب الدول الصناعية ويتم بصورته الكلاسيكية ببناء مصانع الصلب والسدود الكبرى.

كثير من البلدان الصناعية مهددة الآن بالانهيار من جراء هذه المشاريع الكبرى. ولكن لماذا لا تتمتع الظروف الاقتصادية والاجتماعية بالاستقرار في العالم الثالث؟ وكيف يمكن لهذه الشعوب الوصول الى مرحلة التصنيع الذي لا يكون تقليداً أعمى لتصنيع الدول المتقدمة؟

الجواب على كل ذلك يكمن في انعدام الاستقلال الاقتصادي لأنّه الشرط الأوّل لإمكانية إجراء إصلاح في هذا السبيل. والدول المعنية مفتقرة الى الاستقرار الذي تتلاعب به أهواء الدول الصناعية المتقدمة ذاتها نتيجة لسيطرتها على وسائل الانتاج بواسطة المساعدات التي تقدمها وتوظفها في المجالات التي تتناسب مع مصالحها دون مصالح البلد المقترض أو المساعد، وتتدخل عن طريق خبرائها وموظفيها في شؤون البلد النامي، أما الخبرة والمعرفة التقنية فإنّها

تأتي أيضاً عن طريق البلد المتقدم، وهي كثيراً ما تتناقض مع مصالحه ومصالح شركاته وأمواله ، لذلك يقوم عادة بوضع العراقيل بوجه تدريب العدد الكافي من العمال والتقنيين .

وما هو أشد صعوبة أنَّ بلدان العالم الثالث لا تستطيع بسهولة البدء بتنفيذ خطة التنمية الخاصة لحل مشكلة الفقر عندها طالما أنَّ الجهاز الصناعي الذي تحتاج إليه من أجل هذه الغاية هو ملك الشركات والبيوت الاجنبية ومن الصعب إقناع هذه الشركات بطي اعتباراتها المستندة إلى عوامل محض اقتصادية لتصبح في مستوى حاجات الشعوب المحلية . هناك قليل من الأمل بإمكان لجوئهم الى إدخال أنواع التكنولوجيا البسيطة التي تسمح باستخدام المزيد من اليد العاملة بهدف تخفيف وطأة البطالة .

ويبدو أن همهم الاكبر هو مجاراة المنافسة العالمية وإذا لم تسمح بذلك الظروف المحلية يكتفون بالهجرة الى مكان أكثر ملاءمة وتسامحاً . وأسباب كل ذلك لا بد أن نردّها الى فروق جوهرية بين أهداف البلدان النامية والبلدان الصناعية المتقدمة .

في البلدان النامية اتجاه نحو توزيع عادل للموارد العالمية وشروط جيدة للتبادل بينما يجنح الآخرون في البلدان المتقدمة الى المحافظة على ثرواتهم وزيادتها . ومن هنا نستطيع أن نفهم سر فشل المساعدات والقروض الأجنبية في رفع المستوى الاقتصادي للشعوب المتخلفة أو النامية . هذه المساعدات والقروض تعطى عن طريق إتفاقات تتضمن بنودها شروطاً ومواصفات تتناول طرق توظيفها ووسائل تنفيذ أعمالها في اتجاه مصلحة البلد مانح القرض وإشباع حاجات اقتصاده فنرى البلد الغني بيد عاملة كثيرة وبطالة متفشية ينشيء بهذه القروض صناعات تحتاج الى أقل كمية ممكنة من اليد العاملة واكبر كمية من رأس المال لانها تصل الى هذا البلد نصف مصنعة . فماذا تكون النتيجة؟

في الداخل يتكدس رأس المال في أيدي قلة من الناس يحصلون على أرباح من جراء الوساطة التي يقومون بها من الوجهة التجارية في الداخل والخارج . وفي الخارج يساهم رأس المال المعطى في تعزيز اقتصاد البلد مانح القرض بحيث يعود هذا القرض مع فوائده وأرباحه دون أن يحقق أية نتيجة في البلد الذي اقترض نظراً لانعدام الاستقلال الاقتصادي في البلد النامي بحيث يخضع لشروط بعيدة عن حاجاته ومصالحه لأنها تنبع من واقع البلد المقرض. إنَّ بلدان وشعوب العالم الثالث تبدو من هذه الناحية حبيسة تناقض هام: من جهة يريدون الحصول دفعة واحدة على كل ما في التقنية من حداثة لتحقيق نموهم وهذا يحتاج ليد عاملة مدرّبة تدريباً تقنياً جيداً مما لم يُتح لهم ، ومن جهة أخرى ليس لهم سوى موارد مادية محدودة في نفس الوقت الذي يتمتعون فيه بيد عاملة فائضة وغالبا ما تكون غير معدة تقنياً وتبقى بدون استعمال، فيضطرون الى استيراد اليد العاملة (تحت اسم الخبراء) الاجنبية مع الوسائل التقنية المطلوبة . وبدلاً من أن يساهم ذلك في تقدم البلد من الوجهة الاقتصادية، تصبح الآلة والعامل عبئاً اقتصادياً يجعل منه مجتمعاً استهلاكياً يندفع نحو تبذير أمواله بعيداً عن حاجاته الاقتصادية

وحتى الثقافية والاجتماعية فالطائرة الحديثة تُستورد مع طيّاريها والآلة الالكترونية مع مهندسيها . وهكذا يتقلّص حجم العنصر البشري المدرّب في البلد النامي الى عدد من مساعدي خبراء الشركات ومعاونيهم . عقدة المسألة تنحصر في التوازن المطلوب بين طرفي القضية وفي استعمال للموارد يتيح لكل مساحة البلد المعني الاستفادة القصوى . إنّ على الشعوب المحتاجة للتنمية أن تحاول الحصول على اعلى نسبة من مواردها أي من الارض ومن الجهد البشري وأنْ تستعمل هذه النسبة في الطريق الصحيح ضمن استراتيجية اقتصادية مستقلة ومتكاملة .

إذن يجب توجيه الاهتمام الى استخدام البشر وليس الى المال . وقد جاء في الحديث الشريف : **« قليل العمل مع العلم كثير وكثيره مع الجهل قليل[٦] »**، وفي الآية الكريمة : **﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون[٧] ﴾** من كل ذلك لا بد ان نستنتج أنّه لا يمكن تطعيم بلد ما بالتصنيع كما يحدث لأي جسم غريب لأنّ التصنيع ينمو في الوسط الاجتماعي للبلد المعني ويتطور وفقاً للمزاج والأوضاع والوجه الثقافي الذي يميّز السكان وعلى النسق الخاص بهم . إنّ نموذج التكنولوجيا اللازم لتحقيق هذا التصنيع ينبثق من الشعب نفسه ضمن إطار موارده التي تتطور لتصبح مجهزة، لذلك ما يجب حفظه أنّ التنمية والنمو الاقتصادي والتكنولوجي يجب ان تخضع للحاجات الاجتماعية والبشرية وليس العكس .

وإذا كانت التنمية الاقتصادية في كل بلد هي الكفيلة بخلق التكنولوجيا واذا كان التقدم التقني هو نتيجة للتقدم العلمي وليس العكس هو الصحيح فإنّ الحديث الشريف : **« أعوذ بالله من علم لا ينْفع »** يبدو معبّراً في هذا المجال بحيث يحدّد العلم إطار التقدم التكنولوجي في بلد من البلدان عبر الحاجات الاجتماعية والبشرية ضمن كل ما يشبع هذه الحاجات فينفع الناس .

من المفيد إذن فهم التنمية على أنّها قدرة متصاعدة على التجديد من منطلق الموارد المحلية، مما يعني أن نتوجّه نحو تقنية خاصة نافعة أكثر من التوجه نحو تقنية متقدمة . وأنْ نمنح مسألة تنظيم الجماهير أهميتها القصوى باعتبارها العامل الرئيسي الذي يحدّد ما إذا كانت تقنية ما يمكنْ أن تستعمل بوجه نافع مفيد . ولكن العلاقات التجارية بين بلدان العالم الثالث تشبه كثيراً ما كانت عليه في العهد الاستعماري . الأولون يتابعون تقديم المواد الأولية في مقابل المواد المصنّعة . وأسعار هذه المواد تبدو غير واقعية . والمنتجات الضرورية جداً لإشباع الحاجات المحلية تباع لبلدان الاستعمار السابق من أجل شراء اشياء مصنّعة لا تساهم مطلقاً في تخفيف وطأة الفقر . هذا النوع من التبادل يسير في اتجاه مخالف لمصالح بلدان العالم الثالث وهذه البلدان لا خيار لها غير التبادل التجاري فيما بينها وغير إعطاء الأفضلية للتنمية المركزة من الداخل (autocentre).

إنّ بلدان العالم الثالث بحاجة لأن تشعر بقيمتها واحترامها وأن تتلمّس هويتها ضمن محيطها

---

(٦) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير .

(٧) سورة الزمر - (٩)

الاجتماعي والاقتصادي دون أن تلجأ الى تقليد أعمى لبلدان أخرى متقدمة. عليها أن تكتشف إمكاناتها الداخلية من أجل ولوج طريق الإنماء الطويل من دون الاعتماد على المساعدة أو المساهمة الاجنبية إلاّ في حالات قليلة. هذه الحالة النفسية، إذا وجدت، ستؤلف القيمة الأسمى التي تضع تلك البلدان على الطريق القويم من أجل تحقيق إنماء بشري ممركز. حركة التغيير تولد وسط قبول شعبي ينطلق من الداخل ويتشاطره الجميع وليس وسط توجيهات مستوردة وأجنبية والعامل الأهم يبدو في التخلص من التبعية الفكرية.

التغييرات السياسية في البلدان (النامية) تفقد أي تأثير هام على المدى إذا لم تحدث في نفس الوقت تغييرات اقتصادية وثقافية. والآية الكريمة تبدو معبّرة في هذا السبيل: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** لأنَّ هذه التغييرات تبقى عديمة الفائدة اذا لم تقم مجموعة الشعب بكامله بقيادة الصراع على جميع الجبهات الإجتماعية المتعلقة بالعقليات السائدة ولا أحد يستطيع القيام بدلاً عنها بهذه المهمة.

على هذه البلدان أنْ تحاول التحكم بمصيرها الخاص ضمن إطار مجتمعاتها بعد أن تطوّق هذه المجتمعات بمركزية تنبثق من الداخل، وهذا التمحور الاقتصادي الداخلي سيدفع بها الى استعمال مواردها التي تتمتع بالكثرة والوفرة وهي الموارد البشرية أي اليد العاملة لتستبدلها بالموارد المالية غير المتوفرة وهذا يعني تحويل اليد العاملة الى رأسمال؛ ونشاطات الخبراء التقنيين من مهندسين وأطباء وأساتذة وغيرهم يمكن ان تصبح فاصلة وفعّالة في مجالات نجاح او فشل بعض نواحي التخطيط. ولكن ما يبدو شديد الاهمية هو أن تقوم هذه البلدان بتحديد الأهداف والخطوط الكبرى لسياستها الانمائية والاهتمام بتحضير وإعداد قسم كبير من أبنائها من أجل تنفيذ الاعمال الضخمة المطلوبة المحدّدة.

إن الاكتفاء الذاتي يمهّد للاستقرار الاقتصادي، ومن أجل تحقيق هذا الهدف يتبغي السعي لتحجيم التبعية تجاه المساعدات الخارجية بدلاً من زيادتها لأن هذه المساعدات لا تتمحور حول إشباع حاجات البلدان التي تتلقى المساعدة بل تلك التي تقدم المساعدة في أكثر الاحيان.

لا بد أن نلاحظ هنا أن موضوع العدالة الاجتماعية في الاسلام يلتصق بقوة مع كل ما ذكرنا ويؤلف الركن الاساسي لتحقيق كل ذلك؛ فالدين الذي يحذّر الذين يكتنزون الذهب والفضة أي يكدّسون رأس المال الطفيلي بدل توظيفه في مشاريع عمرانية او اجتماعية، ويجعل «للسائل والمحروم» حقاً معلوماً في أموال الناس وينادي بقيمة العمل الحقيقية اذ **﴿ليس للانسان إلا ما سعى﴾**. فيقدّمها على قيمة رأس المال، إنما يعتمد المبادىء والأسس التي تدفع المجتمع في طريق «الاكتفاء الذاتي». وإلاّ فمن غير الممكن إعطاء الافضلية للعمل البشري ومنع حصول الانسان على أقل أو أكثر من قيمة عمله، في مجتمع يسوده طغيان فئة على فئة لأنَّ الفئة الطاغية إقتصادياً هي بحد ذاتها نتيجة اعتماد اساليب في التنمية غريبة عن مبدأ إشباع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للبلد موضوع هذه التنمية. وما عملية الاشباع هذه سوى تطبيق لمبدأ

الاكتفاء الذاتي في أهم جوانبه إتساعاً وقيمة. والعدالة الاجتماعية المفقودة تفسّر دون شك فشل الحلول الكلاسيكية في المجتمعات غير المكتملة النمو. ففي كثير من هذه البلدان تقوم بنى سياسية واقتصادية بعيدة عن العدالة ترتبط بالمصالح الاستعمارية الجديدة وهي تضع السلطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أيدي أقلية تتمتع بجميع الامتيازات. وعلى أساس ذلك يزداد خط الفوارق الاجتماعية امتداداً واتساعاً بين الفقراء والأغنياء. واذا كان من واجب دول العالم الثالث وحقها المطالبة بإلغاء الفوارق وإقامة العدالة على المستوى الدولي فإنّ عليها تطبيق هذه المبادىء داخل مجتمعاتها نفسها. إنّ على هذه الدول أن تقيم تغييرات بنيوية داخلية عنيفة وفعّالة، فالعدالة الاجتماعية في كل بلد هي مقدّمة لاقامة عدالة اجتماعية عالمية شاملة. وإذا لم يحصل ذلك فإنّ التقديمات والقروض التي تتم على النطاق العالمي قد تمكّنها من الاستفادة من مواردها الخاصة. ولكن هذه المساعدات سوف تتجه الى تسهيل عمل قطاع التصدير وتقوي بالتالي تلك الأقلية التي تحتكر السلطة الاقتصادية في البلاد. هذه الأقلية هي التي أشار اليها الاسلام وسمّى أفرادها «مترفين»، وحمّلهم مسؤولية تدمير مجتمعاتهم. إنّ على القادة في بلدان العالم الثالث أن يعمدوا الى محاربة هذا النوع من الإنماء بمختلف الوسائل، وبدون ذلك فان أي تخطيط وأي مؤتمر عالمي ليس له أي حظ من النجاح في التصدي بطريقة معبرة لتردّي الأوضاع. في الماضي حاولت كثير من الدول النامية إعتماد حلول بسيطة لمداواة تخلّفها، فلجأت إلى الرساميل والتقنيات ذات المنشأ الخارجي، وبعيداً عن تقديم الحلول، أزّمت هذه المحاولات جميع المشاكل وزادتها ضراوة. بانتقاء هذا الاسلوب نتجاهل مسائل التغييرات البنيوية والعوامل السياسية الفاعلة في مسلسل التطور الانمائي، ونسير بعكس نظرية الاكتفاء الذاتي لانه بدلا من اقامة البناء من الاسفل على المستوى القومي الوطني باتجاه الأعلى على المستوى الدولي يبدو كأننا نتبع الطريق العكسي.

من هنا يبدو أنّ على الشعوب المعنية بالتنمية أن تعمل على اكتشاف هويتها وأنّ اقامة بناء يتبع حرفياً مقاييس البلدان المتقدمة وقواعدها كمسلّمات للتنمية هو بحد ذاته خطأ فادح سواء جاءت هذه القواعد من الشرق أو من الغرب فالنقل لا يمكن أن يؤدي الى نتائج إيجابية في القضاء على التخلف وإزالة أسبابه. ■

حسن الزين

دولة عربية مجهولة :
بنو مرداس *

بقلم : حسن الأمين

مؤسس الدولة المرداسية هو صالح بن مرداس سنة ٤١٤ هـ ولقبه أسد الدولة . وهو من بني كلاب القبيلة العربية الكبيرة التي كانت تنزل ضفاف الفرات والجزيرة . وهي كلاب بن ربيعة ، بطن عظيم من عامر بن صعصعة ، من قيس عيلان من العدنانية .

كان الكلابيون مادة الدولة المرداسية وركيزتها ، منهم تستمد القوة وعليهم تعول في الشدائد .

وكانت أبرز ميزات صالح الفروسية وما يستلزم تلك الفروسية من حب المغامرة واقتحام الصعاب والوصول الى السلطة . ويبدو أن أول مغامرة لصالح كانت سنة ٣٩٩ هـ وانه كان معروفا بفروسيته ونجدته ، إذ استعان به (ابن مكحان) ليمكنه من السيطرة على الرحبة[1] وذلك فيما يروي ابن الأثير ، إن الحاكم بأمر الله الفاطمي أمر نائبه بدمشق لؤلؤ البشاري بالمسير الى « الرحبة » ليزيح عنها المستولي عليها بدران بن المقلد العقيلي ، وان لؤلؤاً نجح في تحقيق هدف الحاكم غير ان رجلاً من أهل الرحبة يدعى (ابن محكان) استطاع السيطرة على الرحبة

• « كنت قد نشرت كلمة موجزة جداً في احد اعداد العرفان القديمة عن بني مرداس . وفي هذه الكلمة ايضاح لذاك الايجاز »

(١) الرحبة جمعها رحاب ، والرحاب في الاصل : مواضع في الاودية متواطئة ليستنقع الماء فيها وما حولها مشرف عليها ، وهي أسرع الارض نباتا ، تكون عند منتهى الوادي في وسطه وتكون في المكان المشرف ليستنقع الماء فيها ، واذا كانت في الارض المستوية نزلها الناس ، واذا كانت في بطن المسيل لم ينزلها الناس واذا كانت في بطن الوادي فهي حفرة غير عميقة تمسك الماء وينزل الناس في ناحية منها . وقد غلب اسم الرحبة على اكثر من بلدة . والمقصود هنا رحبة مالك بن طوق ، وبينها وبين دمشق ثمانية ايام ومن حلب خمسة ايام والى بغداد مائة فرسخ والى الرقة نيف وعشرون فرسخا – على ما يقول ياقوت الحموي – وهي بين الرقة وبغداد .

وينتسب الى الرحبة هذه جماعة وكان أسد الدين شيركوه ولى الرحبة يوسف بن الملاح الحلبي وآخر معه من بعض القرى فكتب اليه يحيى بن النقاش الرحبي :

كم لك في الرحبة من لائم   يا أسد الدين ومن لاح
دمرتها من حيث دبرتها   برأي فلاح وملاح

وله فيه :

يا أسد الدين اغتنم اجرنا   وخلص الرحبة من يوسف
تغزو الى الكفر وتغزو به   الاسلام ما ذاك بهذا يفي

وملكها . ولكن رأى انه لا يستطيع الانفراد بالدفاع عنها فتطلع الى فارس جديد بالمحالفة فوجد ذلك في صالح بن مرداس الكلابي فاستنصره فقدم عليه وأقام عنده مدة . ولكن الأمر فسد بينهما فتقاتلا ثم عادا فتصالحا وتزوج صالح ابنة ابن محكان على ان هذا الزواج لم يسو الأمور بينهما وانتهى الحال الى أن دبر صالح اغتيال ابن محكان وسيطر وحده على الرحبة وأحسن السيرة في الناس وحكمهم حكما سليما ، إلا ان الدعوة كانت للفاطميين .

وهنا تبدو لنا فجوة كبيرة في سير الأحداث التاريخية ، فاننا لا نعلم كيف انتهى امر صالح في الرحبة ، بل نجد أنفسنا فجأة أمام حدث جديد يبدو فيه صالح بن مرداس مالكاً لمدينة حلب ، اذ يقول ابن الأثير وهو يتحدث عن السنة نفسها ٣٩٩ : « في هذه السنة قتل ابو علي بن ثمال الخفاجي ، وكان الحاكم بامر الله صاحب مصر قد ولاه الرحبة فسار اليها فخرج اليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله وملك الرحبة ، ثم ملكها بعده غيره فصار امرها الى صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب » ولا تنتهي الفجوات ، بل نحن امام فجوة اخرى يبدو فيها صالح بعيداً عن ملك حلب محاولاً الوصول الى هذا الملك ، اذ يقول ابن الاثير وقد وصل الى سنة ٤٠٢ اي بعد ثلاث سنين من الحدث المار ذكره : « في هذه السنة كانت وقعة بين ابي نصر بن لؤلؤ صاحب حلب وبين صالح بن مرداس » . وهكذا بينما يتركنا ابن الأثير مع صالح وهو صاحب الرحبة ،اذا به يفاجؤنا به وقد صار صاحب حلب ،ثم اذا به يفاجؤنا به مرة اخرى ينازع على ملك حلب ! . . فماذا حدث لصالح خلال هذه الفترات وكيف تطورت به الأمور؟ هذا مايسكت عنه ابن الأثير ، ويأخذ بالقفز بنا من حادث الى حادث دون الربط بين تلك الحوادث ! . .

وهذا عيب الاسلوب الذي سار عليه المؤرخان الكبيران الطبري وابن الأثير ومن تبعهما من جعل الاحداث متسلسلة حسب السنين لا حسب تتابع تلك الأحداث نفسها . فانت حين يعنيك امر قضية من القضايا التاريخية لا تستطيع ان تعثر عليها متتابعة تتابعاً يبدأ من أولها وينتهي بآخرها ، بل عليك ان تفتش عنها موزعة بين السنين ، وان تقلب عشرات الصفحات لتربط الواقعة بعضها ببعض وتضم أولها الى آخرها ، هذا عدا يمكن أن يفوتك من الأحداث المتصلة إتصالاً وثيقاً بتلك الواقعة ، كما هو حادث في قصة صالح بن مرداس هذه .

ثم نجد بعد ذلك صالح بن مرداس يقاتل بقايا الحمدانيين على ملك حلب اذ كان امر الحمدانيين قد انتهى الى ابي الفضائل حفيد سيف الدولة ، بعد ان أوحى اليه والده ابو المعالي وجعل مولاه لؤلؤاً مدبر أمره وذلك سنة ٣٧٨ ثم توفي لؤلؤ سنة ٣٩٩ فخلفه ولده مرتضى الدولة . وفي سنة ٤٠٢ اغار صالح بن مرداس في ٥٠٠ فارس على حلب وطالب مرتضى الدولة بجوائز الكلابيين مستضعفين اياه بسبب تسلط حكومة مصر عليه فاحتال مرتضى الدولة على الكلابيين وأدخلهم حلب وأغلق عليهم ابوابها وقتل منهم نحو ٢٠٠ واسر ١٢٠ بينهم صالح بن مرداس، ولكن صالحاً نقب حائط السجن والقى نفسه من سور القلعة وهرب ، واجتمعت عليه بنو كلاب ونزلوا على قرية حاصد فألف مرتضى الدولة جنداً من أهل حلب

والتقى بصالح عند تل حاصد فانكسر جيش مرتضى الدولة واسر، ثم أفتدى نفسه بمال وعاد الى حلب.

وتتوالى الأحداث بعد ذلك حدثا بعد حدث حتى كانت سنة ٤١٤ وفيها تم قيام الدولة المرداسية إذ انه في هذه السنة تحالف عرب البادية بالشام والجزيرة على اقتسامها فيا بينهم من الدولة الفاطمية، على ان تكون حلب الى عانة لصالح بن مرداس، والرملة الى مصر لحسان ابن مفرج الطائي، ودمشق واعمالها الى سنان بن عليان. فزحف صالح الى حلب وقاتل عليها ابن ثعبان أو شعبان الكتامي والي حلب من قبل المصريين، فاستولى صالح على حلب، وبذلك قامت الدولة المرداسية.

وقد عاصر بنو مرداس ثلاثة خلفاء عباسيين هم القادر بالله والقائم بامر الله والمقتدي بالله. وشملت دولتهم بعلبك وحمص وصيدا وحلب ومنبج وبالس والرقة والرحبة وامتدت الى عانة فملكت جميع وادي الفرات الشامي[٣].

وصالح مؤسس الدولة هو الذي حاصر معرة النعمان سنة ٤١٨ هـ وضايقها ورماها بالمنجنيق في مسيره من فلسطين الى حلب، ولما رأت المدينة ان لا قبل لها بقتاله لجأت الى ابي العلاء المعري فخرج الى صالح شفيعاً للمعرة ودخل عليه فاحتفى صالح به وأعلى منزلته وشفعه بالمعرة، واستنشد صالح ابا العلاء الشعر فانشده. ونظم ابياتاً منشورة في لزوميات المعري.

ومات صالح هذا قتلاً حين استنجد به حسان بن المفرج الطائي على انو شتكين. وذلك ان الخليفة الفاطمي الظاهر جهز جيشاً لقتال صالح صاحب حلب، وحسان صاحب الرملة. فانجد صالح حسانا ومضى اليه فاعتركوا في «الاقحوانة» قريباً من بحيرة طبريا، فقتل صالح وولداه في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٢٠ ونجا ولده نصر فحضر الى حلب فملكها ولقب شبل الدولة.

ويقول صاحب (النجوم الزاهرة): ولما انهزم شبل الدولة نصر بن صالح الى حلب وملكها، طمع صاحب انطاكية الرومي في حلب، وجمع الروم وسار اليها واحاط بها وقاتل اهلها، فكبسه شبل الدولة نصر من داخلها ومعه أهل البلد فقتلوا معظم أصحابه وانهزم ملكهم صاحب انطاكية اليها في نفر يسير من اصحابه، وغنم نصر اموالهم وعساكرهم» ويزيد صاحب النجوم الزاهرة قائلاً: «وسر الظاهر هذا بنصرة نصر لكون الاسلام يجمع بينهما»

وفي سنة ٤٢٩ زحف الدزبري على حلب فتغلب عليها وقتل شبل الدولة. وفي سنة ٤٣٣ مات الدزبري بحلب فاسرع اليها ابو علوان ثمال بن صالح المرداسي الملقب بمعز الدولة وملكها.

---

(٣) قال ابن شداد في الاعلاق الخطيرة: ان صالح بن مرداس ملك حصن ابن عكار سنة ٤١٦، كما قال ابن العديم في زبدة الحلب انه سنة ٤١٦ ملك صالح حمص وبعلبك وصيدا وحصن ابن عكار بناحية طرابلس. وبعد مقتل صالح استولى على عكار متولي طرابلس من قبل للظاهر ابن الحاكم صاحب مصر.

ثم كانت محاولتان للفاطميين للاستيلاء على حلب لم تنجحا حتى كانت سنة ٤٤٩ وفيها تنازل ثمال عن حلب للفاطميين فسلموها الى الحسن بن ملهم، فاساء هذا السيرة في أهل حلب فكاتبوا محمودا بن صالح المرداسي فحضر وتسلم حلب، فسيَّر الفاطميون اليه ناصر الدولة بن حمدان فجرح وأسر واستتب ملك حلب وقلعتها لمحمود.

وفي سنة ٤٥٣ أستولى ثمال على حلب مرة ثانية بمعاونة الفاطميين. ويبدو جلياً ان صلة ثمال بن صالح بالخليفة الفاطمي المستنصر صلة جعلت منه واحداً من رجال الدولة الفاطمية وليس ادل على ذلك مما جاء في ديوان ابن ابي حصينة المعري من مقدمة لإحدى قصائده التي مدح بها ثمالاً:

« قال يمدح..... بهاء الدولة العلوية وزعيم جيوشها المستنصرية، علم الدين ذا الفخرين مصطفى أمير المؤمنين أبا العلوان ثمال..... سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة ».

وفي ثمال يقول ابن ابي حصينة:

لقد عــز قــوم شــايعــوك وحصنــت ثغــور عليهــا مــن سيــوفــك اقفــال
فلا يجزع الاسلام مــا دمــت ســالما فقــد عــز غيلٌ فيــه مثلــك رئبــال
ومــن دون هــذا الشــام أنــت وفتيــة « مــرادســة » شم العــرانين أبطــال

قال محمد بن حيوس شاعر الدزبري[٣]: معرضا ببني مرداس:

فــدع الألى مــرقــوا فــان بعــادهــم عــن ذا الجنــاب لهم عقــاب مــؤلم
أولاد مــــرداس لسيفــــك طعمــــة في كــــل أرض أنجدوا أو اتهمــــوا

فرد عليه ابن ابي حصينة شاعر ثمال من قصيدة مشيراً الى الفرق بين الدزبري الذي بعثه الفاطميون الى الشام أميراً فخانهم واستبد بالأمر وبين المرداسي الذي ما زال ناصحاً مخلصاً للفاطميين:

ايــن الذيــن تفــوهــت شعــراؤهــم بــالمين وافتخــروا بما لم يعلمــوا
زعمــوا بــانــا طعمــة لسيــوفهــم في كــل أرض أنجدوا أو اتهمــوا
ان يصــدقــوا فسيــوف مــن تــركتهــم صرعــى تهزهــم النســور الحوم
بخراب حمص والجبــاب خبيثــة منهــم كــأن ميــاههــن العنــدم
لا ينجحــن الدزبــري بما جــرى قــدمــا فقــد وضــح الطــريــق الاقــوم
شتــان بين الدزبــري وبين مــن نصــح الامــام نصيحــة لا تتهــم
هــذا يعــق وقــد أطــاع وذا عصى مــن بعــد ان أضحــى يعــز ويكــرم
أمــا العــواصم والثغــور فلم تــزل تحمــى بنــا دون الملــوك وتعصم

---

(٣) هو الشاعر الدمشقي محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس الغنوي

وفي ثمال بن صالح يقول عبد الله بن سنان الخفاجي:[٤]

تـــزور جيـــاده أرض الاعــــادي ... وأطــــراف الرمـــــاح لها دليـــــل
وملـــــك شــــاده طعــــن الموادي ... تــــزول الراسيـــات ولا يـــزول
حــذار فـــان في حلــب ليـوثــــا ... أنــــابيـــب الرمـــاح لمن غيـــل
ومـــن بطــن الشــآم الى رجيـــل ... مـــرابـــع نبتها الاســـل الطـــويـــل
يشيـــــــــــد دونها لبني كلاب ... بيـــوت مـــا يضـــام لها نـــزيـــل
تسيــــل شعـــابها بنـــدى ثمال ... فليس لها الى كلأ رحيـــــــــل

ويقول محمد أسعد طلس محقق ديوان (ابن ابي حصينة) في مقدمته للديوان «... حلب التي أزدهرت فيها الحركات العلمية ازدهاراً عظيماً في عهد بني حمدان، وقد استمر ذلك الازدهار في عهد بني مرداس الذين كانوا لا يقلون كثيرا عن الحمدانيين تشجيعا للعلم وحدبا على أهله وبخاصة زعيمهم صالح بن مرداس وابنه ثمال بن صالح، فقد كانا محبين للعلم وأهله، كما كانا من أصحاب المواهب العربية الصافية التي تمجد الشعر وتكبر قدر اللغة».

أما في الكفاح العسكري فقد صمد المرداسيون في حلب صمود الحمدانيين في عهد سيف الدولة فقارعوا الروم وصدوهم عن البلاد وانتصروا عليهم.

قال ابن ابي حصينة[٥] في ثمال وفيها اشارة الى معارك المرداسيين:

---

(٤) اخذ الادب عن ابي العلاء المعري وغيره، وسمع الحديث وبدع فيه. توفي بقلعة اعزاز من أعمال حلب مسموماً سنة ٤٦٦ هـ (١٠٨٩) م وقد كان واليا عليها. وهو شاعر مجيد متفنن في ضروب الشعر وقد مدح الامراء من بني مرداس وبني منقذ وبني ملهم والمتأخرين من بني حمدان. ترك ديوان شعره وكتاب سر الفصاحة الذي اراد بتأليفه ان يوضح حقيقة الفصاحة ويكشف عن سرها لانه يؤمن بان لكل جمال في الكلام سبباً يمكن الاهتداء اليه، فاراد ان يضع كتابا يستطيع به دارسه ان يحلل ويستدل ويعرف الوجوه والاسباب.

(٥) ابو الفتح الحسن وقيل (الحسين) بن عبد الله من معاصري ابي العلاء المعري في معرة النعمان. ولد ونشأ فيها، اتصل بالدولة المرداسية في حلب فكان من شعرائها المنقطعين اليها، وقد ارسله تاج الدولة بن مرداس الى الخليفة الفاطمي المستنصر في القاهرة فمدحه بعدة قصائد ومن شعره وهو في مصر:

اقـــول وقـــد اشرفـــت ذات عشيــــة ... على النيـل مـن احـدى الهضـاب الشـواهـق
ومــن دونها فسطـــاط مصر وزاخـــر ... كـــأن بشطيـــه مـــروك الخرائـــق
خليلي شيحـــا بــــارق الشـــام انني ... نظـــــرت الى ايماض تلك البــــوارق

كما ذهب الى دمشق واتصل بعلمائها وزار مشاهدها ووصف اماكنها المقصودة واتصل بالبادية واهلها عن كثب فاطلع على كثير من اهلها وسجل وقائعهم وكثيرا من أحداثهم.

وقد وصف شعره بانه السهل الممتنع، عذب الالفاظ حسن السبك. وكان مكثرا طويل النفس، وكان يطمع للقب الامارة، وفي مدائحه للمستنصر الفاطمي كان يلمح الى ذلك فاناله المستنصر بغيته فاصبح يلقب بالامير، ثم نال اللقب نفسه من محمود بن نصر بن صالح المرداسي. وبعد الامارة الفخرية توصل الى الامارة الفعلية حيث ولي بعض البقاع.

وعدا شعره في المرداسيين فله مدائح ومراثٍ في امراء عصره وكبار رجاله. ولما مات ابو العلاء رثاه بقصيدة مطلعها:

العلم بعــــد ابي العلاء مضيـــــع ... والارض خـــاليــــة الجوانـــب بلقـــع

توفي ابن ابي حصينة في سروج سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) وله ديوان شعر مطبوع في دمشق سنة ١٩٥٦ في جزئين.

ولتحمدن كما حمدت « بتبل »[٦] والخيل تعثر بالقنا المتقصد
والشرك منك ومن شقيقك هارب هرب الشحاح من الغمام المرعد
لولا سيوفكم البواتر لالتقى من بالثغور ومن ببرقة (منشد)[٧]
استدتم الاسلام ان سيوفكم لمعاقل الاسلام افضل مسند

وفي هذه القصيدة يقول مشيراً الى هدايا وصلت الى ثمال من الخليفة المستنصر:

فيها نسيم ابي الأئمة حيدر ونسيم خير الانبياء محمد

وفي سنة ٤٦٣ قطع محمود بن نصر خطبة المستنصر الفاطمي بمصر وخطب للقائم العباسي. وتوفي محمود سنة ٤٦٧ فملك بعده ابنه نصر. ولم يحمد المؤرخون سيرة محمود. وانتهت حياة نصر قتلا سنة ٤٦٨ وذلك أنه خرج الى التركمان في الحاضر وهم الذين كانوا ملكوا أباه حلب فاراد نصر نهبهم وحمل عليهم فرماه تركي منهم في حلقه فقتله، وملك بعد حلب أخوه سابق.

وفي سنة ٤٧٢ حصر حلب ابو المكارم شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران المقلد بن المسيب صاحب الموصل ودام حصاره لها الى ابتداء سنة ٤٧٣ وكان الشريف ابو علي الحسن بن هبة الله الحسيني مقدم الاحداث في حلب هو رئيس المدينة فتمكن وقويت يده وسلم المدينة الى ابي المكارم المذكور فتسلمها وسلم قلعتها واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود المرداسي. وبذلك انتهت الدولة المرداسية في حلب.

ويضيع ذكر بطولات المرداسيين في ثنايا التاريخ فلا يحفظ لنا منها الا نتفا موجزة، هي صورة مجلوة لمآتيهم، فتمثلهم وقد تجردوا لرد الغارات وحفظ العواصم، واستبسلوا في الحفاظ على ما بايديهم من الوطن العربي. ولا أدل على ذلك من هذه الوقعة الواحدة التي ترينا مدى الخطر الفادح الذي داهم بلاد الشام فكان المرداسيون أكفياء له أي أكفياء.

ففي العام ٤٢١ أي بعد مقتل صالح بعام واحد وصل ملك الروم « ارمانوس » الى حلب ومعه ملوك الروس والبلغار والالمان والبلجيك والخزر والأرمن ـ كما نص المؤرخون ـ في ستمائة الف من الفرنج فتصدى لهم شبل الدولة نصر بن صالح، ووقف في وجه زحوفهم الكثيفة حتى هزمها وتبعهم الى اعزاز وأسر جماعة من أولاد ملوكهم وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة.

وتعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ العرب والمسلمين اذ قل ان تسنى للغزاة أن يحشدوا مثل هذا الحشد العظيم، ويؤلبوا مثل هذه القوى الرهيبة... ستمائة الف مقاتل كانت شيئاً مخيفا في تلك الأيام، لا سيما امام دولة ناشئة كالدولة المرداسية.

وإذا كان المرداسيون لم يحظوا كما حظي الحمدانيون بشاعر مثل المتنبي يغني في العصور صدى بطولاتهم، فانهم لم يحرموا شعراء إذا كانوا دون المتنبي عبقرية فلم يكونوا دونه

(٦) تبل: من قرى حلب من جهة عزاز (٧) برقة منشد ماء لبني تميم وبني اسد.

تحمساً وعاطفة، فرأينا شاعر المرداسيين الحسين بن ابي حصينة المعري يخلد هذه المعركة بشعره الجميل ويحملها أغنية على الشفاه العربية الشادية، وينظم هذه القصيدة وينشدها لبطل المعركة شبل الدولة نصر بن صالح بظاهر قنسرين، والتي نأخذ منها ما يلي:

الى نصر وأي فتى كنصر | إذا حلت بمغناه الركاب
أمتهك الفرنج غداة ظلت | حطاما فيهم السمر الصلاب
جنودك لا يحيط بهن وصف | وجودك لا يحصله حساب
«وارمانوس» كان أشد بأسا | وحل به على يدك العذاب
اتاك يجر بحرا من حديد | له في كل ناحية عباب
اذا سارت كتائبه بارض | تزلزلت الاباطح والهضاب
فعاد وقد سلبت الملك عنه | كما سلبت من الميت الثياب
فما ادناه من خير مجيء | ولا اقصاه عن شر ذهاب
فلا تسمع بطنطنة الاعادي | فانهم اذا طنوا ذباب
ولا ترفع لمن عاداك رأسا | فان الليث تنبحه الكلاب

وما كان للدولة ان تعيش اكثر مما عاشت في عصر الفتن الصاخبة، فزالت الدولة ولكن القبيلة لم تزل فظل بنو كلاب ابطالا في الميدان العربي. وحسبك أن يقول عنهم القلقشندي في الجزء الرابع من (صبح الاعشى): «كانوا عرب اطراف حلب وكان لهم غزوات وغارات عظيمة على الروم وانهم من أشد العرب بأسا».

وظل الكلابيون بقيادة بني مرداس فرسانا مناجيد حتى دهمت العالم الاسلامي الحروب الصليبية فتجندوا لها عام ٤٩١ هـ بقيادة اميرهم وثاب بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. وفي وثاب هذا ومعاركه يقول ابن الخياط من قصيدة:

عتادك ان تشن به مغارا | فقدها شزبا قبا تبارى
كأن أهلة قذفت نجوما | إذا قدحت سنابكها شرارا
وقد هبت سيوفك لامعات | تفرق في دجنته نهارا
أما والسابقات لقد اباحت | لك الشرف الممنع والفخارا
فزر حلبا بكل اقب نهد | فقد تدني لك الخيل المزارا
ويأبى الله ان أبت الاعادي | لناصر دينه الا انتصارا

وفي محمود بن نصر بن صالح يقول عبد الله بن سنان الخفاجي:

لا يذكروا حلبا وبيضك دونها | مشهورة فهي العلبا وهم هم
كم وقفة لك دونها مشهودة | والنقع ليل والاسنة انجم

بيروت حسن الامين



بحث موجز في: أسماء العائلات والصبيان والبنات في صيدا (١)

بقلم: د. طلال المجذوب

مصادر وأصول:

صيدا لا تختلف عن كثير غيرها من مدن بلاد الشام، خصوصاً الساحلية منها، فيما اعتورها من تغييرات ديموغرافية، وما اصابها من موجات هجرات كاسحة منها او إليها، منذ الفتح العربي مروراً بالاحتلال العثماني فالاستعمار الفرنسي، حتى اليوم.

وقد يبدو صحيحاً القول ان معظم عائلات صيدا ليست منها بالأصل، بل تَمُتُّ الى عروق ونجارٍ مختلفة بعضها غير عربي، قدمت اليها لأسباب شتى في اوقات متعددة. واذا كنّا نحاول في هذه الدراسة الموجزة الاشارة الى اصول بعض العائلات، او الى معاني اسمائها، فليس القصد منها الاساءة الى احد، او التشهير به، وانما تبيان ناحية تاريخية معينة من تاريخ مدينة صيدا العريق، ونرجو ان يكون قبولها على هذا الأساس.

واذا ضربنا صفحاً عن احداث صيدا قبل الفتح العربي[٢]، فيمكن القول انها بعد هذه الفترة، خاصة في اثناء الحروب الصليبية، شهدت فترات ازدهار وفترات دمار، وقد بدأ تعريبها منذ فتحها على يدي يزيد بن ابي سفيان سنة ٦٣٦ م. اذ كان المسلمون «... كلما فتحوا مدينة ظاهرة او عند ساحل رتّبوا فيها قدر من يحتاج لها اليه من المسلمين»، ومن هنا فان صيدا شهدت هجرة عربية اليها عن طريق دمشق وعن طريق مرجعيون وجبل عامل.

---

(١) عن «تاريخ صيدا الاجتماعي ١٨٤٠ ـ ١٩١٤» الذي يصدر قريباً

(٢) حيث قام الصيدونيون بثورة على الاشوريين سنة ٦٧٦ ق. م. فجاء ملكهم اسرحدون واحتلها واحرقها، ثم بنى مدينة «كارحدون» قربها وأسكن بها من بقي من سكان صيدون. وكذلك عندما ثارت صيدون على الفرس، فجاء امبراطورهم ارتحشستا الثالث وحاصرهم ثم دخلها بعد ان قتل السكان أنفسهم واحرقوا مدينتهم، كما هو مشهور في كتب التاريخ.

وكان سبب إسكان جماعات عربية مهاجرة في السواحل اللبنانية، ومنها صيدا، المحافظة على تلك المناطق من غارات البيزنطيين وقراصنتهم، لأن كثيراً من سكان تلك المدن نزحوا عنها اثناء المعارك، وانسحبوا مع جيوش هرقل المتجهة نحو الشمال.

وفي العهد العباسي، وبعد ثورة المنيطرة بالذات (٧٥٩م) وجد العباسيون لزوم احضار قبائل عربية لاسكانها في الساحل لتكثير السكان ليصبحوا مؤهلين للدفاع عنها ضد الغزو الخارجي (المتمثل اساساً بالبيزنطيين) وكانت قبيلة التنوخيين، على الأرجح، هي القبيلة الاولى التي جاءت لبنان حوالي سنة ٧٦٣، وسكنت التلال بين صيدا وبيروت.

وسقطت صيدا بأيدي الصليبيين سنة ١١١٠ واثناء الاحتلال الصليبي هجرها العديد من سكانها المسلمين، وبقي قليل منهم مع الصليبيين الذين ملأوا المدينة حيث اصبحت بارونية يمتد نفوذها من الدامور الى الليطاني.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية، بقي عشرات الالوف من الصليبيين غير المقاتلين في هذه البلاد، بالاضافة الى عشرات الالوف غيرهم ممن اخذوا اسرى او سبايا حرب توزعوا على العائلات في المدن المختلفة، ومع الوقت، وحفظاً لأنفسهم اخذ هؤلاء الصليبيون يندمجون بمذهب المنطقة التي هم فيها ويتعربون، بحيث اصبح الصليبيون في منطقة جبل عامل شيعة، والذين على الساحل سنّة او مسيحيين ارثوذكس او كاثوليك، واولئك في الجبل موارنة في الغالب او دروزاً في الأقل.

وفي عهد المماليك انتقلت جماعات من الأكراد والتركمان، والشراكسة، في بعض الاحيان، وسكنت لبنان، ومنها مدن الساحل خصوصاً، مثل صور وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس.

وفي عهد الأمير فخر الدين، وكذلك الامراء الشهابيين من بعده كانوا يستجلبون عسكراً للخدمة في جيوشهم من المغاربة الذين كانوا مقاتلين اشداء وخيالة قهرة، وكثير من هؤلاء استوطنوا مدن الساحل، واهمها صيدا، واندمجوا بسكانها.

وعندما انتهت حملة ابراهيم باشا المصري بانسحابه سنة ١٨٤٠ من بلاد الشام، مع عسكره، او من تبقى منهم، فان عدداً لا بأس به من اولئك الجنود خلعوا الألبسة العسكرية وآثروا البقاء في مدن لبنانية وسورية عدة، ومن بينها صيدا.

وعلى هذا الأساس فان عائلات صيدا ترجع الى اصول عربية وصليبية وتركمانية وتركية وكردية وشركسية وفارسية، وقد تعربت جميعها، مع الأيام، واندمجت وانصهرت معاً.

اما العائلات المسيحية في صيدا فان البعض منها يرجع الى اصول عربية، والبعض الآخر الى اصل صليبي، كما ان كثيراً من مسيحيي صيدا قدموا، قبل ثلاثة قرون تقريباً اليها من طرابلس وعكار وبعلبك وبعض مناطق شمال لبنان، حيث استقدمهم الأمير فخر الدين للاستفادة من خبراتهم في الزراعة وفي بعض المهن كالبناء، وبعض الحرف كالحدادة والنجارة.

واذا كانت العائلات اليهودية قديمة العهد في صيدا (حالياً لم يبق إلاّ عائلة واحدة)، فان كثيراً منها يرجع في اصله الى اسبانيا عندما هاجروا منها بعد استعادة المسيحيين السيطرة عليها.

فمن العائلات الصيداوية ذات الأصل الشركسي عائلة اباظة. والتي تنتمي الى الاتراك عائلات قبرصلي (المسلمة) وقبرصي (المسيحية) وريّس المينا وقراكلي والقواص (جدهم باشا تركي كان يلي صيدا) وكولاه (انقرضت اليوم). ومن العائلات التي تنتسب الى اصل الباني عائلة ارناؤوط. وممن ينسب الى اصل اوروبي برتران وكاتافاكو، كما ان اصل عائلة ابيلا من مالطة.

وتنتسب عائلات البزري ومجذوب وحمود والمغربي الى المغرب، كما تنتسب عائلات جلال الدين والسبع اعين والزين (السنيّة) الى الحجاز، او الى جذور عربية عموماً. كما تنحدر عائلة عسيران من اصل فارسي. وهناك عائلات الزين (الشيعية) من شحور قرب صور، وحشيشو من الصرفند. كما تنتمي عائلات زهار ونموّر الى شمال لبنان، وعائلات سعد والمصري واسكندراني والصعيدي الى مصر. كما ان عائلات خلاط وزكا وصاصي ودباته ونقاش المسيحية من دمشق اصلاً.

اسماء ومعاني:

اما معاني اسماء العائلات الصيداوية فيمكن حصرها في خمس فئات رئيسية هي:

أ ـ النسبة الجغرافية الى بلد او مكان:

مثل عائلات ادلبي (نسبة الى ادلب) وبعاصيري (بعاصير) وبغدادي (بغداد) وجباعي (جباع) وحبوشي (حبّوش) وحجازي (الحجاز) والديماسي (الديماس) والرشيدي (رشيد) والشامي (الشام) والطرابلسي (طرابلس) والعكاوي (عكا) والقبرصلي (قبرص) والمارديني (ماردين) والمصري (مصر) والسبع اعين (نسبة الى نبع السبع اعين شمال صيدا) والحريصي (حريصا) والصفدي (صفد).

ب ـ نسبة الى الحرفة او المهنة مثل:

الخياط ـ الحداد ـ النجار ـ الدباغ ـ السروجي ـ السكافي ـ السقّا ـ السكاكيني ـ صابونجي ـ الصبّاغ ـ الصياد ـ الضابط ـ القباني ـ المخلّلاتي ـ المغربل ـ الملاّح ـ البستاني ـ الخباز ـ الداية ـ الفران ـ القنواتي ـ القهوجي ـ النحّاس ـ النقاش ـ البواب ـ البنّي ـ البيرقدار ـ البيطار ـ الترياقي ـ الحريري ـ الحكواتي ـ الحلاق ـ الخروبي ـ الجوهري ـ السايس ـ الترجمان ـ السومي ـ الكيّال ـ الفاخوري.

ج - النسبة إلى شيء أو اداة مثل:

كبريت - الابريق - الكوز - الكشتبان - المدقة - البساط - المجدرة - شختورة - حلاوة - عجينة.

د - النسبة إلى نبات او حيوان:

الحوت - الجردون - دبانة - زهار - بصل - زيتون - نخلة - فلفل - غزال - البسّ - كوسا - لوبية - الديك - الصوص - الرز - الزعتري - سبانخ - كبش - جاموس - الجيز - واوي.

هـ - لقب او صفة يحمل ذماً او مدحاً مثل:

ابو حوش - ابو دراع - ابو زينب - ابو شامه - ابو عقدة - ابو غدة - ابو غليون - ابو فطور - الأظن - الببو - ست ابوه - ست أمه - النتشي - النعسان - المجذوب - مشلوط - المعضّم - التوّام - هبش - العتّيش - القصير - الطويل - الظريف.

وهناك اسماء عائلات تحمل اسماء تركية او لاتينية مثل بيرقدار (حامل العلم) والبتكجي (النحّال) والمهتار (الكبير) والدالي يلطه (الدليل حامل البلطة) والسريدار (محرفة عن سردار بمعنى القائد) وبازجي (كاتب) وخوردلي (محرفة عن خورده لي بمعنى بائع النثريات) وخانزاده (ابن الأمير) وقراكلي (محرفة عن قره كَلي اي ذو الوردة السوداء) اما اسماء العائلات اللاتينية فمنها: برتران وكاتافاكو وافتيموس واورفانوس والسنيورة وورومانوس، وكذلك ارجح ان يكون اسم عائلة سنقينا لاتينياً.

. . . والصبيان والبنات:

ليس في اسماء الصبيان خصوصيات كثيرة وانما هناك اسماء مركبة تحمل معنى دينياً، وكذلك اسماء الانبياء والاولياء والقديسين. وبشكل عام فان اسماء الصبيان عربية او معرّبة عن اصول ارامية او سريانية او لاتينية. فمن الأسماء الدينية:

محمد واحمد ومحمود وعيسى وموسى وابراهيم ويونس واسحق واسماعيل والياس وبطرس وبولس وتوما وايلي ويحيى وخضر وحنا، وكذلك اسماء الأشهر: رمضان وشعبان ورجب.

ومن الأسماء المركبة:

ما يبدأ بلفظة عبد (عبد الكريم، عبد الله، عبد الغني، عبد العال . . . الخ) او ما ينتهي بلفظة دين (سعد الدين، عز الدين، شمس الدين، بدر الدين . . . الخ)، واذا كانت هذه الاسماء الاخيرة المنتهية بلفظة دين قد خفت نسبتها، فان الأسماء المركبة من لفظة عبد وكلمة اخرى، لا تزال دارجة بكثرة حيث يسود الاعتقاد لدى المسلمين ان خير الأسماء «ما عُبّد وحُمّد».

لكن معاني اسماء البنات متعددة واصولها مختلفة ويمكن ادراجها ضمن الفئات التالية:

أ ـ اسماء تحمل معنى جميلاً، وذات جرس موسيقي، حتى لو لم يكن لها معنى احياناً مثل:

حُسْن، محاسن، غنوة، صفية، زهية، بهية، خيرية، آسية (مؤاسية)، حبوبة، رندلى، دالية، دانية.

ب ـ اسماء تحمل في اعطافها الاعجاب بالبنت، او تقريظ محاسنها، او التمني بالمستقبل الطيب لها:

بدر الدجى، ما شاء الله، منار السّنا، دام العز، ست البنات، زيد الكرم، رفاه، فرح، تغريد، ريّات، دلع.

ج ـ اسماء ذات اصول تركية وفارسية وهي غالباً لبنات مسلمات مثل:

خاتون (عن التركية بمعنى السيدة الجليلة) وشهريان (محرفة عن شهر بانو بمعنى سيدةالمدينة) وملكناز (بمعنى مدلّلة الملك) ومثلها شاهناز (مدلّلة الشاه) وبولنده (من بلند بمعنى الطويل) وروشنه (من روشن المنير) وجيهان (من جهان بمعنى الدنيا)، شيرين (الحلوة).

د ـ اسماء ذات اصول لاتينية أو يونانية او احدى اللغات السامية القديمة وهي غالباً لبنات مسيحيات مثل:

اديل (الشريفة وهي جرمانية)، اميلي (الصادقة) وبرباره (الغريبة، من اللاتينية) جوليا (من اللاتينية، الجميلة) حنّة (من العبرية بمعنى النعمة) دانيال (من العبرية بمعنى الله يدين) ورحاب (من العبرية بمعنى المتكبرة) وشارلوت (الشريفة) وصوفي (من صوفيا بمعنى الحكم) وكلارا (من اللاتينية بمعنى النقيّة) ومدلين (نسبة الى مريم المجدلية) ومرغريت (بمعنى اللؤلؤة من اليوناني) وهنريت (من اللاتيني بمعنى النجمة) وهيلانه (من اليونانية بمعنى الفاتنة).

اما اليوم فان كثيراً من الآباء والأمهات يطلقون على أولادهم اسماء لا تحمل معنى دينياً، او توحي بطائفة معينة، من باب الحرص، واستبعاداً للطائفية، كما ان البعض الآخر منهم يسمي اسماً قد لا يحمل اية دلالة معينة لمجرد انجرسه موسيقي ولفظه جميل. وعلى كل حال لكل زمان اسماؤه التي تدرج وتشتهر فيه. ■

صيدا — طلال المجذوب



تلك المعاني المهجورة

بقلم : عبد اللطيف شرارة

- ٣ -

تحدثتُ عن « ضرر العلم » حين يُساء استعماله .

ثم عن « الحزم » كميزة إنسانية جديدة في محاربة القلق والتغلّب عليه .

وحديثي في هذا الشهر يتناول معنى آخر هجره المعاصرون، ألا وهو « العفّة » وسيكون هذه المرة على شيء من التقريع لهاجريه . وربما بدا « ثقيلاً » من بعض الوجوه لبعض النفوس، فقد نسي الناس أن في الحياة شيئاً اسمه العفّة، لكثرة ما انهال على أسماعهم من نظريّات وأفكار وفلسفات صرفتهم عن الحقائق، وأغرتهم بالاصطناع، وزينت لهم الانسياق وراء الأوهام في كل حقل وميدان، وساقتهم سوقاً إلى « التحلّل » المطلق من كل ما هو قديم في الأخلاق والعادات والتقاليد !

ذلك بأن التعبيرات الفنية الحديثة من رقص، وموسيقى، وشعر، وحتى من نثر، وتصوير (السينما والتلفاز) تؤكد على نحوٍ أو آخر، أن إنسان هذا القرن، فقد إلى حدٍّ بعيد، كل انسجام داخل نفسه، كما فقد السيطرة على ما يدور فيها، ووقف عاجزاً حتى عن التفكير في امتلاك هذه السيطرة، والإضطلاع العملي بأسبابها ومقوّماتها . وهذا ناشيء فيما يبدو، عن هذه الحرية السطحية الجوفاء التي نالتها الفتاة العصرية، وساقت أوروبا وأمريكا، وكل من تأثر بهما، إلى الاستهتار والعنف .

وكان كل ما فعله سيغموند فرويد، وأتباعه وتلامذته، أنهم أفرغوا الجنس من الحب، ثم أتخموا الحب من بعدُ بالجنس . وحين قاوموا « الكبت » على صعيد الطب والعلم، إنما قاوموا على التحقيق، معنى « النزاهة النفسية »، هذا المعنى الذي تفصح عنه كلمة « العفّة »، وهي صورة أخلاقية تراءت للمعاصرين باهتة منفّرة، وباتت لا تؤدي في هذا الجو الفكريّ المعاصر، شيئاً مما تحمل في حقيقتها من قوة، وجمالٍ وحرية صحيحة، غير مزيفة !

العفّة، عفة الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، ليست في جوهرها، إلغاءً للإحساس، ولا كبتاً للشعور، ولا إذعاناً لإملاءات النظام الكاذب الذي يفرض اصطناع الحشمة،

والتظاهر بما يرضي الذوق العام، وإنما هي توفيق ذاتي بين احترام الإنسان نفسه ورغباتها في جانب، وتغليب لهذا الاحترام على الإغراءات والجاذبيات الخارجية، في جانبٍ آخر.

هذا هو معنى العفة. وهذا هو مضمونها الحقيقي. وليس القلق المعاصر الذي انتاب غالبية الرجال والنساء، سوى تعبير عملي، واقعي، عن إخفاق الكائن الإنساني في أداء تلك العملية، عملية التوفيق الكامنة وراء العفة، والمتضمنة احترام النفس وتغليبه على رغباتها.

والإنسان عندما يخفق في عملٍ لا يقدر أحدٌ في الأرض أو في السماء، أن يؤدّيه عنه، ولا يصح أن يؤدّيه له سواه، لأنه من طبيعته لا يتأدّى إلا على يده شخصياً - أقول عندما يخفق في عملٍ كهذا، وتظهر خيبة لنفسه وللملأ، يفقد كل انسجام داخليّ، وتسري البلبلة إلى حياته العاطفية، ولا يستطيع بعد أن يقتنع بفكرةٍ، أو بقيمةٍ، أو بمبدأ، فضلاً عن أن يقنع غيره...

وذلك لأن حياة العواطف هي التي تقرر سيرة الإنسان ومسلكه، فإذا كانت هذه العواطف «تحيا» داخل النفس، وهي متضاربة متنازعة، انتهى بها التضارب إلى الوهن، وساقها التنازع إلى السقم، فلا تلبث بتأثير وهنها وسقمها، أن تجمد، وتجمّد حاملها، من ناحية فكرية.

لا بُدّ إذن من عاطفةٍ قوية، صارمةٍ، حازمةٍ، تملؤها الصحة والعافية، تتمكن بها المرأة خاصة، من السيطرة على بقية ما يعمر نفسها من أحاسيس وعواطف وانفعالات. ولن ينازع أحدٌ في أن أقوى العواطف وأجدرها بالحياة، وأرفعها شأناً في سلّم القيم الصحيحة، إنما هي احترام النفس.

ذلك بأن احترام النفس وحده، ولا شيء سواه، يحقق للذات حريتها الداخلية العميقة، ويجعلها في حصنٍ منيع، عالي الأسوار، يقاوم العواصف، ويغمره الدفء، ويخطّط بمنأى عن القلق والصخب، لتوفير أسباب المصير الآمن المطمئن، ويغلق جميع الأبواب التي يلج منها تدخل المتدخلين، وفضول الفضوليين. ولا سبيل إلى تحقيق الانسجام داخل النفس إلا ببناء ذلك الحصن والتمركز فيه، والعمل في داخله بعد ذاك، على توطيد أسسه، وتقوية دعائمه.

ولقد اهتدى الاقدمون إلى هذه الحقيقة العلمية التجريبية يوم نصحوا ما وسعهم النصح بـ «الكتمان»، وأوصوا بـ «الاحتشام»، وجعلوا الموت مع الحب والعفة، والكتمان، ضرباً من الاستشهاد.

والمسألة ليست أن تحيا المرأة ولا المرء في حالٍ هي الكآبة، ولا أن مثل هذا «التحصن» يؤدّي - كما يتصوّر المعاصرون - إلى الظلام، واحتجاب النفس عن مجالات العالم وأفراحه ومسراته، بل العكس هو الصواب فيما ينتهي إليه نشدان الانسجام النفسي،

والوفاق العاطفي داخل الذات، فنحن نعلم، كما أوضح أحد الباحثين الكبار، أن «الحالات العاطفية هي التي تشدّ مختلف عمليات الذهن بعضها إلى بعض، وتجعلها مترابطةً، متراصة، وهي التي تكمن أيضاً وراء تفسّخ الذهن وتهافت العقل والأفكار التي هي محض أفكار، تظل عاجزة، ما دامت لا تلاقي عاطفةً تكافح من أجلها.

المراد إذن، أن نحول دون تفسّخ الذهن وتهافت العقل ـ وهذا هو ما تحققه العفّة! ـ عن طريق العاطفة أو الحالات العاطفية نفسها، وذلك في أن نضع سلّماً للعواطف، يحتلّ منه احترام الذات أعلى درجاته، ويتمكن من عليائه فيها أن يوجّه العواطف الأخرى، ويديرها، ويوفق فيما بينها، ويجعلها تكافح، وتتعاون في الكفاح من أجل فكرة صحيحة ومعقولة تنسجم وإياه، أي واحترام الذات.

وليس من المعقول، ولا من المقبول أن ننفي الحب، ونحن ننشد العفة، من الحياة النفسية، لأنه لا ينتفي وهو في جذورها، وعليه تقوم، وبه تنتعش وتزدهر. والذين ينفونه منها، يضعون مكانه الأسى والمرارة، والشعور بالفراغ، ونزعة الهرب، وما يواكب هذه الظلمات مجتمعةً من تفاهةِ وجود وضيق أفق... وفي الناس، أناس هذا العصر خاصة، من ينفي الحب، ولا يعترف بوجوده، بل يحسبه مرضاً من أمراض النفس، ويضع مكانه الجنس. وذلك هو الضلال المبين.

بيد أن الملاحظ من جهة أخرى، أن هذا الحب المموّه بالجنس، أو هذا الجنس المموّه بالحب، يتحوّل في المجتمعات التي أرهقها الترف، كالتي يرهقها العوَز، إلى «أداة تخريب»، ويصبح الشكل والجوهر، أو القلب والقالب، أيها كان الحب أو الجنس، كلاهما فارغاً من محتواه الحقيقي، من الحرية نفسها إذ تنصبّ على السلوك الخارجي من غير تحررٍ داخلي، هذا التحرر الذي تمثله العفة بأوسع معانيها، وأرحب آفاقها.

وقد تكون أفضل الوسائل في معالجة هذا الموقف الخطير الذي سيق إليه المعاصرون بفعل التيارات الفكرية الجارفة، والأخطاء المتراكمة التي وقعت فيها الحضارة الراهنة على أيدي بعض الفلاسفة والأدباء والشعراء والقاصين والفنّانين ـ قد تكون الوسيلة الفضلى، أن نعود بالتربية إلى نقطة الانطلاق، وهي احترام النفس وتحقيق حريتها في مقاومة ما ينتابها من عبوديات. وحرية الذات كاحترامها، كفيلان بتقويم الإعوجاج، وإصلاح الأفكار والنزعات، وإيجاد الانسجام بين الشعور والفكر والعمل.

وهنا ينتقل معنى العفة بطبيعته الأساسية، من صعيد الفرد إلى صعيد المجتمع، ويتحوّل مجالُهُ من الحياة الشخصية ومشكلاتها، إلى معضلات الاجتماع والاقتصاد والسياسة، أي ليشمل العلاقات الإنسانية جميعها.

وكان معاوية بن أبي سفيان قد توجّه بهذا السؤال إلى أعرابي وفد عليه من البادية:

ـ ما تعدون المروءة؟

وأجاب ذلك الأعرابي:

ـ العفّة والحرفة!

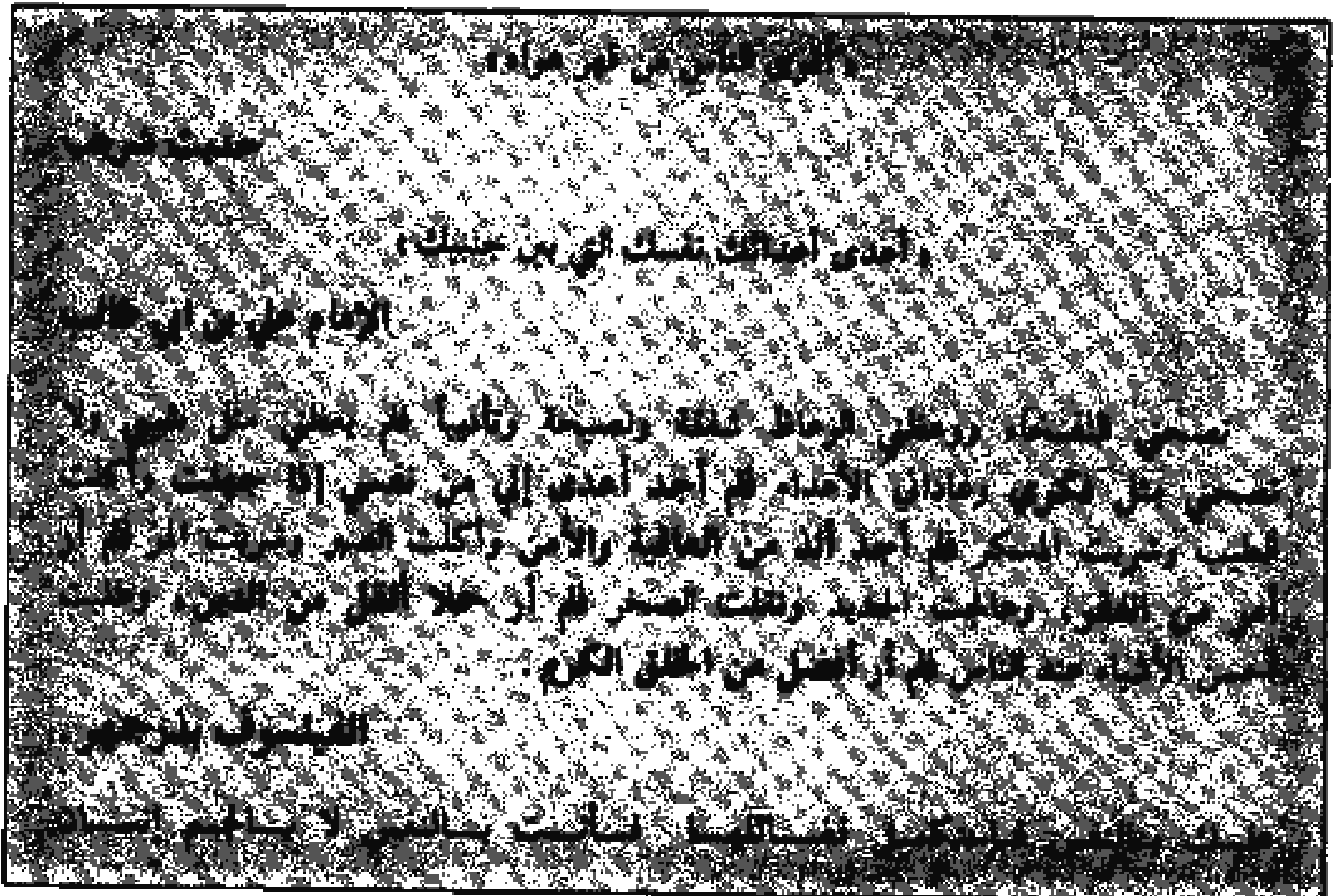
وهذا معناه أن العفّة إنما تتحقق إجتماعياً، بممارسة حرفةٍ أو عملٍ يمكّن المرء ـ والمرأة أيضاً ـ من احترام النفس وصون كرامتها، فإن من شأن الانصراف إلى عملٍ ما، والاستغراق فيه، أن يحول دون اشتغال الفكر بتوافه الأمور، وتجنّب الثرثرة، ويحمل النفس على الصبر.

وحين تكون العفة شاملةً تصرف صاحبها عن كل ما يسيء إلى نفسه، بنسبة ما يسيء إلى غيره، فلا يعتدي بعدُ، ولا يظلم، ولا يحاول حتى أن يظلم غيره أو يعتديَ عليه، لأن إنصاف الآخرين، ضربٌ من النزاهة تفرضه عفةّ اليد، وعفة اللسان، في كل موقف ومأزق.

وهكذا... نجد أن العفة في جوهرها، معنى يسوق إلى السلام الاجتماعي، ويقضي بحضوره في النفس والمجتمع، على كل ما هو عنف واضطراب وفوضى. فهل يصح، وتلك هي حاله، أن يهجره المعاصرون؟

ـ ها نحن نجد، ونلمس أن الذين هجروه غرقوا إلى آذانهم في العنف، واستحوذ عليهم الاضطراب، وهدّت الفوضى كلّ ما بنوه... وهم لا يشعرون!

عبد اللطيف شرارة


«أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»

الإمام علي بن أبي طالب

بين المقامة والقصة

في الأدب المقارن

بقلم: أحمد عباني

المقامات لون من الترسل يتخذ شكل قصة أو أقصوصة، يتحدث بها راوٍ خيالي ابتدعه خيال الكاتب، وتدور في حوادثها حول مغامرات بطل خيالي ابتدعه خيال الكاتب أيضاً، يتسم بالذكاء والظرف، والمعرفة الواسعة والثقافة الشاملة، مع قدرة على الشعر والنثر والخطابة، والجدل والمحاورة. وهو إلى ذلك جوّاب آفاق، لا يستقربه مقام، صاحب حيلة، مراوغ مخادع منافق، مغامر من الطراز الأول، يلبس لكل حال لبوسها، يتلون بألف لون، ويظهر بألف شكل، يمتهن الكدية والاستجداء، مستغلاً في ذلك ذكاءه وعلمه، وشعره ونثره، ويزاولها في أغلب الأحيان متنكراً، فتسلخ له في أكثر الأحيان مواقف ومجالس يوفق فيها إلى غايته، إذ يقع على قوم يجهلونه، فيجذبهم إليه بلسانه الذرب، وبيانه الفصيح، وعلمه الوافر، ويحرك لديهم مشاعر الأعجاب به، أو الشفقة عليه، فيحصل منهم حينذلك على طعام وشراب ومال، وربما حصل منهم على ثياب أيضاً، ولكن بعد أن يعرض عليهم بعض غرره، وينثر فيهم شيئاً من رائع درره!

وبطل المقامة واحد، لا يتغير لدى الكاتب الواحد في جميع مقاماته، ويتكرر ظهوره في كل مقامة، فهو مثلاً أبو الفتح الأسكندري في مقامات بديع الزمان الهمذاني، وأبو زيد السروجي في مقامات الحريري، وميمون بن خزام في مقامات اليازجي. وكذلك راوية المقامة، فهو واحد في جميع المقامات لدى الكاتب الواحد، لا يتغير، بل يتكرر ذكره في مطلع كل مقامة، فهو عيسى بن هشام في مقامات بديع الزمان الهمذاني، والحارث بن همام في مقامات الحريري، وسهيل بن عباد في مقامات اليازجي.

والمتفق عليه أن الذي ابتدع هذا الضرب من الترسل هو بديع الزمان الهمذاني، من أشهر مترسلي العصر العباسي الثالث، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة. نعم هناك من ينسب إلى بديع الزمان فضل التقليد لافضل الابتكار، ويقولون انه قلد في مقاماته أستاذه أحمد ابن فارس، أو أنه قلد ابن دريد في مقصوراته، ولكن ليس لدينا ما يثبت أنه قلّد ابن فارس. أما مقصورات ابن دريد فهي عبارة عن أحاديث وأخبار تدور حول مجالس عقدت في البوادي، تدل على فصاحة الأعراب، وزلاقة لسانهم، وجميل بيانهم، ولكنها تختلف في تركيبها

وتفصيلها عن تركيب المقامة وتفصيلها، فابن دريد يرويها عن مصادر مختلفة ورواة متعددين، لا عن راوية واحد، كما هي الحال في المقامات. وأبطالها أشخاص يتغيرون من مجلس إلى مجلس، يختلف الواحد منهم في كل مقصورة عن غيره في الأخرى، على خلاف مع المقامات، فهي تدور لدى الكاتب الواحد حول بطل واحد. وعلى هذا فنحن مع القائلين بأن بديع الزمان الهمذاني هو واضع هذا الفن، ابتكره ابتكاراً، ولم يقلد فيه أحداً، بل قلده فيه من جاء بعده، أمثال الحريري وابن الجوزي والسيوطي والقلقشندي واليازجي. ولكن أشهر هؤلاء هو الحريري الذي صاغ خمسين مقامة قلد بها البديع في الموضوع والغاية والحبكة القصصية، كما قلده في أوصاف أبطاله وأوصاف راويته، ولكنه حين أحب أن يقلده في أسلوبه المنمق ولغته المزخرفة، وعبارته المسجوعة، غالى في ذلك وبالغ، والتزمه التزاماً، بل نحته نحتاً، فأترعت مقاماته بالتكلف المستكره، والتصنع المقيت، واضطر إلى الإكثار من الغريب، فشاع الغموض والتعقيد خلالها، فضلاً عن الجفاف والجفاء، وجاءت معانيه شاحبة باهتة، لا تقف على قدمين. ثم جاء اليازجي فقلد الحريري، فكان أشد منه بعداً عن الطبع والذوق، فجفت عبارته، وبهتت معانيه، وتقلص موضوعه، وغابت الصورة عنده، وانكمش المعنى، وجاء كل ذلك في سبيل الصناعة اللفظية والتكلف البياني.

والمقول ان واضعي المقامات لم يتوخوا فيها الفن القصصي، بل توخوا فيها إظهار براعتهم في اللغة والكلام، شعره ونثره، ومعرفتهم الواسعة في مختلف علوم عصرهم، فلجأوا في ذلك إلى هذا النوع من القصص الذي لم يحاولوا أن يجيدوا حبكته وبناءه، بمقدار ما حاولوا أن يجيدوا لغته وينمقوا بيانه. فجاءت المقامات مفعمة بالمترادفات والعبارات القوية الجزلة المبنية بناء محكماً، والتعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة، مشحونة بالشواهد، من آيات كريمة وأحاديث شريفة، وأبيات من الشعر، أو أمثال قديمة وأقوال سالفة. فهي والحق يقال، أشبه بمعجم لفظي واسع ضخم يشمل المفردات والمترادفات وألوان العبارات، وينطوي على ثروة لفظية لا يقدرها إلا من اطلع عليها، وتذوقها وأفاد منها، رغم ما فيها أحياناً من تكلف مقيت ونحت مستكره، وزخرف في القول والمعنى، يخرج فيه صاحبه عن الحد المعقول والمدى المقبول. ولذلك أيضاً جاءت عناصر القصة ضعيفة فيها، فموضوعها غير منوع، إذ يدور في كل مقامة حول حادث أو خبر يظهر خلاله بطل المقامة متنكراً في مجلس من المجالس، ثم يجري بينه وبين الراوي أو بعض الحضور حديث أو حوار في موضوع أدبي أو ديني أو لغوي... يظهر خلاله بطل المقامة براعة في الحديث، وسعة في الاطلاع، وقدرة على المحاورة والجدل وغزو نفوس السامعين. وأخيراً يعرفه الراوي، ولكن بعد أن يذهب، وأحياناً نادرة قبل أن يذهب، بعد أن يكون قد حصل على شيء من هبات القوم وعطاياهم. أما عقدة المقامة فواحدة أيضاً لا تتغير، هي معرفة هذا البطل واكتشاف أمره من قبل راوية المقامة، وهي عقدة ـ على ما نرى ـ بسيطة ساذجة، غير مركبة، يضاف إلى ذلك أن كُتّاب المقامة قلما وفقوا إلى عرضها في أسلوب قصصي يبعث الشوق والحرارة في النفوس، ويحركها إلى معرفة النهاية.

ولولا هذه الحيل اللغوية، والصور البيانية، والأحاجي اللفظية التي حفلت بها المقامات، والتي تحرك اهتمام القاريء آناً بعد آن، لفقدت المقامة كل حياة، ولأصبحت جامدة لا حراك فيها، ولكانت أشبه بمجمع من العبارات القوية الرائعة، فيها طباق وجناس وسجع واستعارة وتورية وكناية... بعضها مرصوف إلى جانب بعض، أو لكانت من القصة كالمومياء من الأنسان الحي.

ومع ذلك، فهناك من يظن أن المقامات هي من باب القصة كما يعرفها الأدب الحديث. والحقيقة أن المقامات لا تثبت للقصة من كل ناحية ولو ارتدت ثوبها. نعم فيها الحكاية والحوار والوصف، وفيها العقدة والحبكة والتدرج في حل العقدة، وما شابه ذلك من عناصر القصة ومقوّماتها، وقد تتناول عظة أو فكاهة أو تتعرض لخواص بيئة، ولكن تنقصها أشياء تبعدها عن طبيعة القصة: ينقصها التنويع في الموضوع، والتنويع في العقدة، والتنويع في الأشخاص وفي الحوادث والأماكن والظروف والحالات، فكل هذه العناصر واحدة ثابتة تقريباً لا تتغير، وتتكرر في كل مقامة. ثم ينقصها التحليل النفساني وتصوير العواطف وعرض الأهواء ورسم المشاعر ولا سيما عواطف الحب والكراهية والحقد والأنانية والايثار والخوف.... وينقصها التغلغل في طبقات المجتمع لتصوير حياة هذه الطبقات وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها وأساليبها في العيش والتفكير. وينقصها المغزى الاجتماعي والأخلاقي الذي يدافع عن فكرة أو يهاجم مبدأ. ثم تنقصها المرأة، فالمرأة في المقامة لا تلعب دوراً بارزاً يضارع دور الرجل، بل لا تظهر إلا نادراً، وإنما يؤتى على ذكرها عرضاً في ثنايا الحوادث. ومن هنا لا تشتمل المقامة على هذا العنصر المشوق الذي ينشأ في القصة الحديثة عن اشتراك الرجل والمرأة في بناء حوادثها، وما يثيره هذا الاشتراك من مشاكل تحرك العواطف، وتثير النفوس، وتسبغ على القصة روحاً وحياة. وأخيراً ينقصها هذا العمق والاسهاب في الوصف والتصوير مادياً ونفسياً، فأصحاب المقامات لا يتعمقون في تصوير موصوفاتهم، ولا يدققون في تحليلها وتفصيلها، بل يدورون حولها دورة سريعة خاطفة، ويعرضونها علينا عرضاً عاماً مجملاً، خالياً من التفصيل والتكميل...

كل ذلك مما جعل المقامات تختلف عن القصة في نواح كثيرة، بعضها يمس الشكل، وبعضها يمس الجوهر، وهي إذا أشبهت القصة من نواح أخرى بعضها يتصل بالشكل وبعضها يتصل بالموضوع، فليس بمقدورنا القول انها قصة بما في هذه اللفظة من معنى حديث، بل قصة من نوع آخر. وربما كان هذا لا يضير واضعي المقامات ومبتكريها، ولا ينال من مكانتهم شيئاً، فهم كما قدمنا لم يتوخوا بمقاماتهم هذه أن يقدموا للناس فناً «قصصياً»، بل توخوا أن يقدموا لهم مدرسة لغوية وثروة لفظية وأساليب بيانية، وفي هذا نراهم ولا شك قد وفقوا إلى حد بعيد.

أحمد عيتاني

عدنـــان مردم ... شـــاعراً

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

- ٢ -

والمعذبون في الأرض عشر قصائد هي: بائع الصحف - الجزار - موزع البريد - الخباز - الفلاح - الحداد - الراعي - ضاربة الودع - حجر رمضان - بائع الصبار.

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد، ولتكن «الفلاح»، لنتعرف عليها وعلى الشاعر من خلالها، ولنرى كيف نظر شاعرنا الكبير إلى هذا الرجل المسكين المعذب في الأرض، الذي عني بوصفه، غيلمته بوصف أشباهه من المعذبين في الأرض، في هذا الديوان، وفي ديوانه الآخر «عبير من دمشق».

يقول الشاعر الكبير في مطلع هذه القصيدة التي نظمها من بحر الرمل:

صامتٌ والحقلُ همس ونداءْ   واجمٌ والصبح نفح وعطاءْ

ثم يصف املاقه وكدحه وسقمه وكفاحه، كما يصف بكوره وشقاءه بمحراثه وبالأرض التي يزرعها، فيقول فيما يقول:

هبَّ يسقي ضاربًا في شاسعٍ   بيمين هي والصخر سواء
أيقظ المحراث من غفوته   فانبرى المحراث يحدوه الرجاءْ
نَخَبَ الأرضَ، ولم تألُ يدٌ   تنخُبُ الأرضَ له كيفَ يشاءْ
صدره في صدرها لا يأتلي   عالقًا ما كرَّ صبحٌ أو مساءْ
كمحبَّين التقى ثغراهما   بعدَ أن برَّح بعدٌ وجفاءْ

ثم يصف الشاعر صبر الفلاح وهمته وعفّته وأسماله الباليات يقول:

جَدَّ الفلاح لم تغرب له   همةٌ ما أشرقت يومًا ذكاءْ
لبس الصبر على المرّ ولم   يُعيهِ في العيش مُرٌّ أو بلاءْ
هو كالطير على السعي هوًى   كلما يخفق للفجر لواءْ
ما على الفلاح لو رثَّت له   شملةٌ، والعرض في الطهر سماءْ

هذه القصيدة الرائعة التصوير لا حدّ لجمالها ولا لبلاغتها ولا لروعتها، وفي آخرها يقول الشاعر:

يَدُهُ المجفاءُ سالت في الربى   رحمةً، فالنفع منها والعطاءْ

سقت الأرض دماً من جرحها بسخاء لا يدانيه سخاء
وتَضَتْ أحلامها الغر التي فاحَ منها الطيبُ وانهل الضياء!

وقصائد هذا الباب ترجع الى بحر الخفيف والكامل والرمل وموسيقاها حلوة، وتتميز هي والقوافي بالرنين الجهوري الصدى، ولا الهامس اللحن.

٤ ـ وباب «شيء من القلب» يحتوي على ست قصائد، هي: الشباب ـ على الطريق ـ دون الرصيف ـ المغنّي المقفر ـ غصص الذكرى ـ الذكريات الأليمة.

ولنأخذ من هذا الباب قصيدته «الشباب» لنرى ما تحتوي عليه من قيم فنية أو فكرية، ولتكون مادة لفهم الشاعر كذلك.. فماذا فيها؟ وما هو المعنى الخفيّ بين حواشيها؟

يقول الشاعر في مطلع قصيدته هذه، التي نظمها من بحر خفيف:

زيِّفٌ حلم، وعالم مسحور ملؤهُ التيهُ والرؤى والغرورُ
تجدُ الصعبَ دونه غيرَ صعبٍ وسواءٌ لديهِ ليلٌ ونورُ
ولياليه فتنةٌ وعطور وصحاريه جدول مسحور

ثم يستمر في وصف الشباب فيقول:

الشباب الفينان فيض نعيم فاح منه الشذى، ورف العبير
يتراءى في أعين الغيد حلما سرمديا، لا ينتهي ويغور

ثم يقول في كفاح الشباب وجلاده للأيام، وسعيه في الأرض والكون:

والشباب الفينان جذوةُ نور وانطلاق إلى العلا ومسيرُ
جعل الأرض حلبةً لصراعٍ مستمرٍّ يصول فيها المغير
وأتى النجمَ غازيا حين ضاقت سُبُلُ الأرض دونه والبحور
وتحدى الأقدار طيشا وجهلا وهو ذرٌّ في الكائنات صغير

ويتحدث عن قصر أيام الشباب ومعجزاته كذلك فيقول:

ما الشباب الفينان غير شهاب يتراءى لفترة ويغور
تنحلي به الحياةُ ويحلو شظفُ العيش والشقاء المريرُ
كيف أوفي الشباب حقا ومدحا وهو دنيا وعالم مسحور

والقصيدة تصويرية جميلة، وفيها نغمة الحزن على أيام الشباب، وفيها كذلك صورٌ من كفاح الشباب ومعجزاته وعبقريته؛ ولكنها تخلو من العنصر الذاتي المثير. والشاعر قلما يتحدث عن نفسه في شعره إلا عرضاً ورمزا.

وقصائد هذا الباب من الخفيف والوافر والكامل والرمل. ومن قصائده الجميلة الرائعة العميقة قصيدة (غصص الذكرى) التي يذكر فيها ماضي وصال مشرق بالحب والحنين واللوعة وهي قصيدة عالية الطبقة من الشاعرية. ويقول فيها الشاعر:

قدحتْ ذكراكِ في النفس لظاها   وأعادت لوعة طال شجاها
جئت مغناكِ ضحى أسأله   عن ليالٍ وَأدَ البين صباها
نشرت ذكراك أياماً لنا   غالها ريْبُ العوادي وطواها
ليس في الذكرى التي تشتاقُها   ما يسلّ النفس أو يشفي صداها

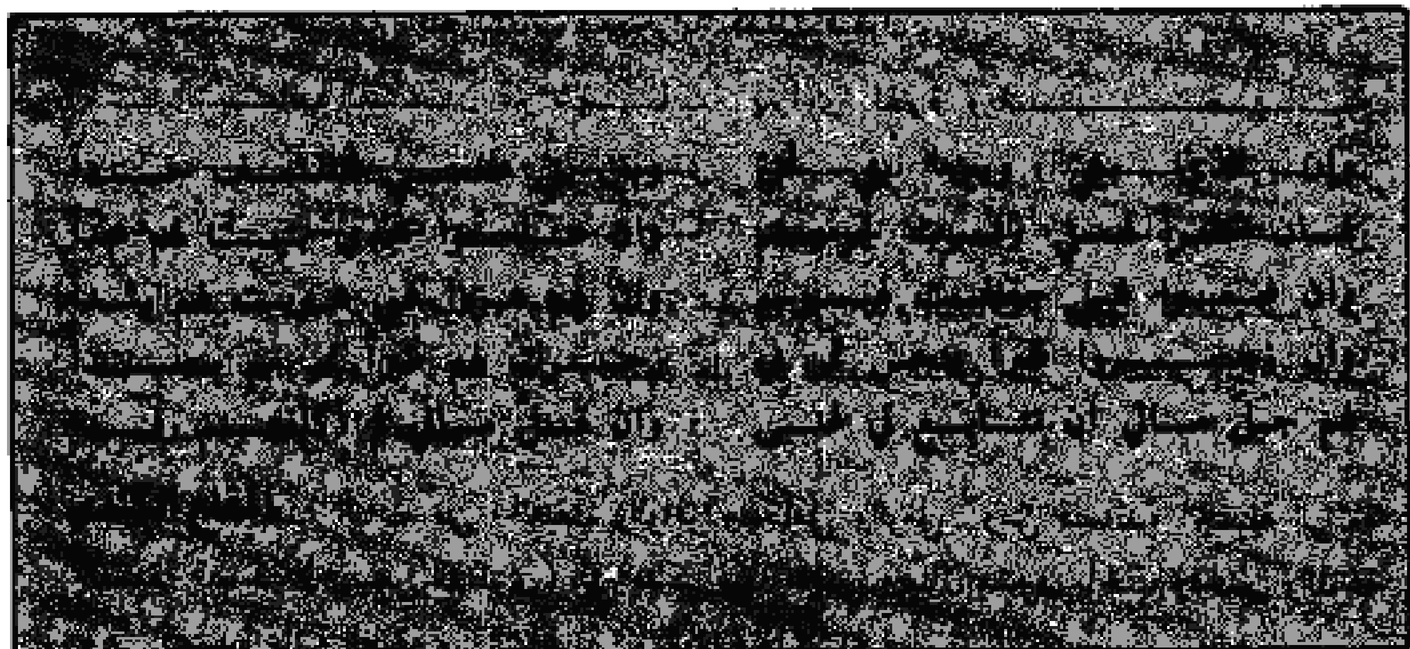
٥ - وفي التأملات ست قصائد كذلك: الشمس - السمكة السجينة في قفصها البلوري - عالم القمر - وصف ليالي رمضان - أيتها الأرض - النبع المنقطع - - ، وتعود هذه القصائد الى بحر الكامل والرمل.. وهي قصائد رفافة دقيقة التصوير.

٦ - والباب الأخير في الديوان هو «صور من التاريخ»، ويحتوي على ثمان قصائد، هي: وقعة عين جالوت - جلنار وهي زوجة الملك التي حاربت معه المغول في عين جالوت وقتلت دونه لترد بنفسها عنه سهم أحد المغوليين، فقضت شهيدة في ساحة الحرب - الحرب في الجولان - الدمار في القنيطرة - ابن زيدون - محنة بيروت - بيروت بعد عام من الفتنة - سقوط تل الزعتر.

والقصائد من بحر الخفيف والوافر والكامل والبسيط الذي نظم منه قصيدة واحدة في الديوان هي قصيدته «الحرب في الجولان»، وهذه القصائد يمتزج فيها وهج الفن بعبق الذكريات التاريخية الحافلة.. ولا نستطيع الحديث عنها هنا لطول الدراسة، ورغبة في الإيجاز.

وبعد، فماذا أقول عن شاعر بردى الكبير، عدنان مردم بك، هذا النغم الشجي، الذي يعيش مع الإلهام في ذرى الشام، وذكرياته العبقات، والذي يحوّل كل شيء في الحياة إلى نغم جميل ساحر، والذي أمسك بعصا الشاعرية، فتحولت في يده الى معجزة من معجزات الفن، قل أن نجد مثلها عند الكثير من الشعراء.. إن ديوانه «نفحات شامية» وحي من السماء.

القاهرة   محمد عبد المنعم خفاجي



جبل عامل

بقلم : جعفر شرف الدين

جبل عامل : قرى ومزارع . تعلو جبلاً . وتهبط وادياً .
تطل من على هضبة . أو تستقر على منحنى .
تقعد على بساط تحت عين الشمس . او تلتف بحرج في جوار الغمام .
ورب قرية صارت الى مدينة . او قصبة تحولت الى حاضرة .
ورب قلعة توّجت شاهقاً من جباله . او حصن امتطى وتداً من اوتاده .

(يشرق) جبل عامل ، من على سلسلة جبال تنطلق من صفد عبر وادي التيم .
تلمّ بجبل الريحان ، لتنتهي لدى جبل جزين .
و(يغرب) مع الشمس على شاطىء الابيض المتوسط .
أما (شماله) فينحدر من جزين عبر نهر الاولي ليصب معه على شاطىء صيدا .
وجنوب الجنوب ، هو (جنوبه) في خط نصف دائري ، يصل الناقورة ببنت جبيل وينحرف
حتى ينتهي إلى السلسلة التي منها انطلق .

أمّا جبل عامل الأرض فهو تربة خصبة العطاء .
يزدهر في ربوعها الزرع ويدرّ في بطونها الخير والضرع .
وتعرش على هضباتها الأغصان . متهدّلة بالعصف والريحان .
ويضحك في كل فصل من فصولها من كل فاكهة زوجان .
وتتوالد مواسمها فاذا كل موسم موسمان .
وكما تربة (عاملة) خصبة في زرعها وضرعها .
فانها خصبة في انسانها .
ذلك الذي تزدهر فطرته بالطيبة والصفاء
وتدر سليقته بالتقرير والتدبير والذكاء
وتعرش في طبعه : الشجاعة والأمانة والوفاء
وتضحك في كل جارحة من جوارحه : المحبة والتضحية والعطاء

واذا كانت تربتها قد أينعت وازدهرت
بالخضرة : فاكهة وأبّا وحدائق غلبا
وبالانسان فطرة وطبعا ، سليقة ووضعا .
فكيف تفعل هذه التربة بمقوّمات هذا الانسان :
غير حسّ مشبوب ، لشاعرها الملهم .

◄

وفكر موهوب، لأديبها المعلّم .
ولوح مكتوب، لفقيهها العيلم .
غير لسان مادف، هو أفصح من نطق بالضاد .
وقلم راعف، هو واضح النقاط على الحروف .
حتى لتكون الموهبة في بلادي تولد مع النبتة،
تحبو مع الشتلة، تترعرع مع الشجرة،
تزدهر في كل زوج بهيج .
ويكاد سمت الايمان وسمات العفوية والنخوة والعنفوان،
تكاد هذه الخصائص تكون هوية العاملي وهوايته .
ويكاد العاملي، حين يرد روحها الى اهابها ويضعها في نصابها،
يكاد يرى امامها في محرابها .
يرى إنسان (ابي ذر) يضيء إنسان عينيه .
وقلبه يخفق في سويداء قلبه . وروحه تسكن لحمه وعظمه .
وبخوره يُعطّر تربته . ويراود ديمه .
يقف على بابه . ويتبتّل في محرابـه .
يُبحر في شريعته وشرعه . وينهل من طاهر ضرعه .

هو ذا (العاملي) . هو ذا جبل عامل .
كما كان . كما يجب ان يكون .
وهو ذا معلمه (أبو ذر) إمام المحرومين .
تلميذ المصطفى وحبيبه وليّ المرتضى وربيبه .
الثائر للّه . للمتعبين . . للمعذبين .
الغاضب لله . . للحفاة . . للكادحين .
عنه أخذ جبل عامل واعطى . ومنه استلهم وألهم .
وبه كان ملء السمع . ملء البصر .
على أرضه كان . وعلى كل أرض .
تحت كل كوكب سفر اليه علماءه .
مُصْحرين . . ومُبْحرين . . وعلى كل ضامر . .
فعلى صخور الحجاز وأباطحه، وَشْم آثارهم
وفي صحاري العراق وواحاته، لوح أخبارهم
وعلى أديم فارس وقممها، بصمات أصابعهم وأصداء منابرهم
وفي كل مطرح من مطارح الاسلام، شامخ قبابهم، وعالي منائرهم .
إنّهم العلماء . . انهم ورثة الانبياء . .

جعفر شرف الدين

العرفان تولد بصمت

بقلم: فؤاد الزين

جبل عامل. ١٩٠٩ م. ليل عبوس يخيّم على أرض طيبة. فقر ينهش من لحم المساكين. جهل ينتشر كالوباء. ظلم يجلد بسوطه الابرياء. غشاء وضباب يعميان العيون والأصابع الملعونة تحرّك الفتن.

كان صمت حزين ويأس قاتل، كان جبل عامل راقداً على وسادة من نار... ولكن هناك، في أحشاء الجبل، كان نهرُ إيمانٍ ينبع من قلب مجاهد جبّار[1]

نهرٌ يفيض، يطوف في الأعماق.. يهز الأسس.. ويرتعش الجبل... يتمخّض الجبل... وكانت الولادة... رزق العملاق طفلة. كانت الطفلة من نور أثيري باهر. طفلة من نور!.. ولدت العرفان الطفلة.. ولدت بصمت.. فنهر الإيمان حين ينساب نوراً بين الصخور الجوفاء لا يحدث جلبة.. نهر الإيمان يتصاعد شلالاً يخط سطوراً في السماء. يصنع تاريخاً. يبني مجداً من أفكار العظماء. فيغيّر وجه السماء وتضاريس الأرض ومعالم الجبل.

فمن سواد وعتمة في دياجير الليل الى ضياء وانوار تصنع النهار.

ومن شقاء وبؤس تحت لواء الفقر إلى سعادة وطمأنينة في غنى الروح.

ومن ضلال وضياع في هوّة الجهل إلى هدىً ويقين في خطى العلم.

ومن عيش ذليل تحت رحمة الظالم إلى ثورة وجهاد ينصر المظلوم ويعزّه.

كبرت العرفان في محيط عربي، فكري، عميق، في جبل عامل. وكان روّاد النهضة العربية يتحفونها بأعزّ ما لديهم وكانت تنثر دُرَرَهم في أنحاء العالم...

مضى نصف قرن على الولادة وصلت فيه العرفان إلى أسمى المراتب وأصبحت مرجعاً للعلماء والبحاثة..

بعد نصف قرن من الجهاد والكفاح إنتقل العظماء إلى دار مقر.. إنتقلت...

---

(١) إشارة إلى مؤسس مجلة العرفان في صيدا سنة ١٩٠٩ المجاهد والمناضل والعلاّمة الشيخ أحمد عارف الزين (رحمه الله) الذي قاوم الحكم العثماني المستبد والإنتداب الفرنسي الغاشم طيلة حياته ثابتاً على المبادىء الحقة طيلة نصف قرن.

١٩٦١ م . ولدت العرفان من جديد . كانت الولادة طبيعية . بُعِثَت في غير زمان ومكان . لم يكونوا هنا . ذهبوا . كان غيرهم .. لم يهتموا ... في حياتها الثانية العرفان نشأت ربيبة الشبل[٢] فالأسد ولّى ... صمدت عشرين عاماً . كانت وحيدةً منسيةً . تخلّى عنها الخلاّن والرفاق وندَرَ الإخلاص والمحبة . كانت تتخبّط في بحر أمواجه شرّ وحقد وفساد وقمع ونبذ .. كانت صامدة في زمن ندر فيه الصمود دون مقابل . كانت وحيدةً .. وكانت الوحدة قاتلة ....

١٩٨٢ م . العرفان تولد للمرة الثالثة ، تُبْعَثُ من جديد .

العرفان تولد من أشلاء الوطن المصلوب ، من أنقاض الجنوب المسلوب .

العرفان تولد في عصر البغضاء والحروب ، في زمن تطاحن الأنظمة والشعوب .

العرفان تولد من تناقض العقائد والأفكار ، من اقتتال العبيد والأحرار .

العرفان تولد بصمت . لم يُبلّغ أحد كي يأتي ويحضر عملية الولادة . كانت الولادة قسرية . لم تكن اعتيادية ... ولكنها كانت واجبة فلقد كان الهاجس الأوحد أن يولد الطفل ... أن يعيش ..

العرفان تولد بصمت . أعطوها بطاقة هوية . مزّقتها . حاولوا أن يعطوها هوية اخرى ، رفضت . إنّهم يعطوها هوية تطابق هواهم . العرفان تريد هوية تطابق احلامها ، أفكارها ، مبدأها ، منهجها ..

العرفان تحلم بالوطن الموحد الحر . العرفان تحلم بجيل عامل يقاوم ، يصمد .. يداوي جراحه ، يجمع أبناءه . العرفان تحلم بالأمة تسير على خطى النبي العربي . العرفان تحلم بالعالم ينهل من نبع حضارة السماء .

العرفان تخطو خطوتها الأولى . تعثر . تحبو . تمشي . تضحي . تصارع .

العرفان تدعو لأن يُجسِّدَ الذِكْرُ أفعالا . العرفان تدعو الصالحين ليلتفوا حولها كي تنمو .. وتكبر . حتى تصبح أمّاً تحضن فكراً حراً يغيّر واقعاً مرّاً .. كي تقوى وتنهض وتمد يدها للعاثرين ..

العرفان تنبش بقايا الوحدة المدفونة ، علّها تعود من منطلق أفضل . العرفان تبحث عن غدير القيم والمبادىء الإنسانية . العرفانُ تثور ، ترسل صوتاً ، يدوّي في أرجاء الأرض يدعو إلى العمل ، إلى العلم ، إلى محاربة الظلم وإحقاق الحق ، إلى الجهاد ، إلى الإيمان ..

فؤاد الزين

---

(٢) إشارة إلى الأديب الكبير نزار الزين (رحمه الله) صاحب مجلة العرفان ومديرها المسؤول من عام ١٩٦١ م . إلى ١٩٨١ م .

كلّما أرخص الجنوبُ دماءً (١)

شعر: محمد علي صادق

يا فقيدَ الجنوبِ يكفيه فقداً ... ما دهاهُ من هجرةٍ واختلالِ
قد ألمت به الخطوبُ جساماً ... وعليه دارتْ رحى الأهوالِ
كلّما رامَ فسحةً من رجاءٍ ... شامَ في الغربِ خيبةَ الآمالِ
آثروا ساحةَ الجنوبِ مجناً ... يتصدّى عنهُمْ لِشرِّ الوبالِ
فتنةٌ حاكَها دهاةٌ عتاةٌ ... أحكَموا نسجَها على الأنوالِ
فوقَ كأسٍ وعند مرتعِ أنسٍ ... يتبارَوْن في حلول العلالِ
كلّما أرخصَ الجنوبُ دماءً ... كافؤوه بأحقرِ الأموالِ
وإذا شفَّهُ المصابُ شفاهُ ... مجلسُ الأمنِ باحتدامِ الجدالِ
وتولّتْ فيه الطّواريء دوراً ... زادَ في حدّةِ البلاءِ الحالي
ربَّ آسٍ يقودُ نحوَ المآسي ... ودواءٍ يُفضي لداءٍ عضالِ
أينَ حقُّ الجنوبِ بالذودِ عنْ الحوضِ ... أباءَت حقّاً بشرِّ المآلِ
كيفَ ينجو وأمّةُ العُرْبِ تلهُو ... كيفَ يرجو ومجلسُ الأمنِ سالِ
سوفَ ترتدُّ للكبارِ صغاراً ... قطرةٌ فيه من دم الأطفالِ
وتفلُّ الطغيانَ أنّى ترامى ... غصّةُ اليأسِ في لهى الكهّالِ

* * *

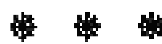
والزعاماتُ في صراعٍ عنيفٍ ... بلظى الحقدِ يغتلي ويُغالي
يتهادون في الأرائكِ زهواً ... ويجرّونَ مُترَفَ الأذيالِ
بينَ رهطٍ من الفضيلةِ عارٍ ... في رداءٍ من التزلّفِ بالِ
يحسبونَ الجنوبَ ما زالَ ضرعاً ... لاحتلابٍ ومسرحاً لاحتفالِ
أينَ هُمْ أينَ، من تحرُّرِ جيلٍ ... يتحدّى توثّبَ الأشبالِ
من صميمِ الحرمانِ ينزو عطاءً ... وبنورِ الإيمانِ يجلو الليالي

(١) دموع وفاء على القاضي المرحوم فريد مطر.

إنْ يَغِبْ بَدرُه سَيطْلَعُ شَمساً ... يَنْبري هَديُها لِمَسْحِ الضلالِ
لَوْ أتاحُوا لَهُ الخِيارَ لأفْتى ... مَنْ سَيَبْقى في صَفْوةِ الغِربالِ
وسُراةُ البلادِ في رَحْبِها جالَسوا ... فآلوا للعِزِّ والاجْلالِ
فَعلى الشاشةِ المُضيئةِ مِنْهمْ ... أوجهٌ زاحَتْ نُجومَ الجمالِ
هكذا دورُهمْ بمأساةِ حُكْمٍ ... فيهِ سادَتْ شَريعةُ الأنذالِ
فَسَلِ القائمينَ بالأمرِ عَنْهُمْ ... كَيفَ يَحْظَوْنَ بالرِّضى والدَّلالِ
بَيْنَ شَرْقٍ تقاسَموهُ وغَرْبٍ ... وجَنُوبٍ وأوْسَطٍ وشَمالِ
مُستقلِّين بالزِّمامِ تَناهَتْ ... لِمقاليدِهِمْ شُؤونُ الأهالي
يَتَلهَّوْنَ بالوِفاقِ جِهاراً ... ويَجِدُّونَ باطِناً لانْفِصالِ
كيفَ يَبغونَ في البلادِ سَلاماً ... ووِئاماً ورَهْطُهُم في اقْتِتالِ
ويَقولونَ للسيادةِ عُودي ... وَهْيَ مُنْصاعةٌ لَهُمْ بامْتِثالِ
ويقولونَ للحُكومةِ سُودي ... وهْيَ مَحْكومةٌ بِنَهجِ اعتدالِ
ويقولونَ للقرائحِ جُودي ... وَهْيَ مَغلولةٌ بِغيرِ غِلالِ
بَيْنَ عَزْلٍ وبَيْنَ رفضٍ لِعَزْلٍ ... جَعَلُوا الحُكْمَ وحْدَهُ الانعزالي



يا أخَ الصَّبرِ عِيلَ صَبرُ البَرايا ... فالزَّوايا مُنْسوءةُ الآجالِ
كَيفَ تَسْتَسلِمُ الذِّئابُ بِغابٍ ... غابَ عَنْها تَرصُّدُ الرِّئبالِ
والكَراماتُ كَيفَ تُشرى بقومٍ ... أذعنوا للتَّحبيبِ والإغْوالِ
قَدْ تَخلّوا عنِ الدِّيارِ هَواناً ... وعَلَيها يَسْتَمطِرونَ الغَوالي
فإذا جارَ في الجوارِ عَدُوٌّ ... ثارَ لِلثأرِ جَحْفَلُ الأشْبالِ



سائِلَ الأرزَ هَلْ تَقاعَسَ يوماً ... عَنْ هَوى العُربِ والوَفاءِ المِثالي
فَيُعادي مَنْ للعُروبةِ عادى ... ويُوالي مِنْ أجلِها مَنْ تُوالي
أيْنَ ضَلَّتْ بِها الشَّهامةُ حَتّى ... تَرتَضيهِ مُمَزَّقَ الأوصالِ
كَيفَ تَرمي لَهُ بِحَبْلِ خَلاصٍ ... وَهْيَ موثوقةٌ بِشَتّى الحِبالِ
كَيفَ نَبغي في العُرْبِ وحْدَةَ صَفٍّ ... وَهْيَ مِنْهُم مَرصودةٌ باغتيالِ
قَدْ كَفانا بِهِمْ وبالأرزِ فَخراً ... واعتزازاً بمُعْجِزاتِ الأوالي
فَلنُبادِرْ لِصَبِّ ماءٍ بِنارٍ ... يَتنزّى لَهيبُها باشْتِعالِ
ولنُسارعْ لِحَسْمِ فادحِ حالِ ... يَتمادى هَولاً مع الأحوالِ



قُلْ لجيشِ البلادِ وهُوَ المرجَّى ... لاَ تَدَعْهَا تُفْضِي إلى أطْلاَلِ
فَهْيَ تَدْعُوكَ للحُدُودِ دِفَاعاً ... يَتَسَامَى عَنْ كُلِّ قِيلٍ وقَالِ
إنْ تِلْكَ السِّنِيَّ مرَّتْ عِجَافاً ... فَاخْتَتِمْهَا بِالصَّيِّبِ المِطْلاَلِ
ولْتَبِدَّدْ بالسَّيْلِ أوْهَامَ شَعْبٍ ... يَنْشُدُ المَاءَ فِي مُتَسَاهَةِ آلِ
كَيْفَ نُرْضِي شُمُوخَ لُبْنَانَ إنْ لَمْ ... يَنْتَقِشْ الثَّارَ مِنْ عَدُوٍّ قَالِ
أَنِفَتْ مِنْ قِرَابِهَا البِيضُ إذْعَاناً ... وَتَاقَتْ إِلى القِرَاعِ العَوَالِي

* * *

يَا أَخَ الوُدِّ أسْتَمِيحُكَ عُذْراً ... عَنْ لِسَانٍ يَرْثِي لِسَانَ الحَالِ
فَأَحَقُّ الوَرَى بِنَعْيِ طَمُوحٍ ... بِالذُّرَى وهْوَ فِي ثَرَى الأَوْحَالِ
أَنْتَ أَذْكَيْتَ فِي الجَوَانِحِ نَاراً ... كُلُّ عِرْقٍ لَهَا بِقَلْبِيَ صَالِ
فَاعْتَنِي وَقَدْ عَصَتْنِي القَوَافِي ... بِبَلِيغٍ مِنْ وَحْيِكَ السَّلْسَالِ
مَنْ لِشِعْرٍ يَصُدُّ عَنْهُ التَّجَنِّي ... وَلِحَقٍّ يَحْمِيهِ مِنْ إِغْفَالِ
جَوْهَرُ الشِّعْرِ مَا يُصَاغُ أَصِيلاً ... لاَ دَخِيلاً مِنْ سَافِلِ الأَقْوَالِ
ووُصولُ المحقِّ للحقِّ عَدْلٌ ... وهُوَ ظُلْمٌ لِلْحَقِّ بِالإيصَالِ
وسُمُوُّ المُرَادِ في الأَنْفُسِ العَصْمَاءِ ... يَأْبَى التَّعْزِيزَ بِالإِذْلاَلِ

* * *

يَا صَدِيقَ الوَفَاءِ مَوْعِدُنَا الخَصْبُ يُنَادِي ... والمُتَّكَا مِنْكَ خَالِ
كَيْفَ تَنْصَاعُ لِلنَّوَى وتُوغِلُ فِي البَيْنِ ... وتَعْنُو لِطَارِقِ التَّرْحَالِ
أَتُرَاهَا ضَاقَتْ بِهِمَّتِكَ الدُّنْيَا ... وَنَاءَ الخَفَّاقُ بِالأَثْقَالِ
أَمْ تُرَى شَاقَكَ احْتِجَابُ حَبِيبٍ ... فَأَزَحْتَ الدُّجَى لِفَجْرِ الوِصَالِ
أَيْنَ أَيَّامُنَا الصِّبَاحُ وَسُمَّارُ اللَّيَالِي ... وحُلْمُنَا المُتَلاَلِي
والنَّجَاوَى العِذَابُ فِي مَوْكِبِ الشَّوْقِ ... خِلاَلَ الأَصْبَاحِ والآصَالِ
وانْطِلاَقُ الفُرْسَانِ فِي حَلْبَةِ النَّرْدِ ... سِجَالاً يَا طِيبَهُ مِنْ سِجَالِ
ومُحَيَّاكَ يَسْتَهِلُّ مِنَ البِشْرِ ... نَدِيَّ الرُّوَاءِ زَاهِي الظِّلاَلِ
حِينَ كَانَتْ بِنَا المَوَاعِيدُ تَزْكُو ... وَلَنَا تَزْدَهِي المُنَى بِاخْتِيَالِ
مَا حَصَدْنَا سِوَى الخُصُومَةِ والمَوْتِ ... وعُدْنَا بِذَابِلِ الآمَالِ
فَالأَمَانِي الوِضَاءُ فِي آخِرِ الأَشْوَاطِ ... تَخْبُو والشَّمْسُ رَأْدَ الزَّوَالِ
صَوَّحَتْ بَعْدَكَ الرِّيَاضُ وَسَادَتْ ... وَحْشَةُ العُمْرِ فِي الرُّبُوعِ الخَوَالِي
قَدَرُ الحُرِّ أَنْ يُكَرَّمَ بِالمَوْتِ ... ويُحْكَى حِكَايَةَ الأَبْطَالِ
وخُلُودُ العِظَامِ يَسْمُو عَلَى الآجَالِ ... مُسْتَظْهِراً عَلَى الأَجْيَالِ

محمد علي صادق

«وجود الله»

شعر: بشار الزين

هذا الوجود حقيقةٌ … فَليمعنِ المرء النظرْ
والكون خلق محدثٌ … آياته رهن البصرْ
من قال للارض ارضَخِي … كوني لآدم مستقرْ
من قال للبحر استقم … واحمل مراكب للسفرْ
من قال للارض اسبحي … من حول شمس مسبح قمرْ
من أنقص الارض التي … أطرافها ثلج حجرْ
من ثبّت الطود العظيم … فسال في الوادي النهرْ
من ألزم الاسماك ان … تحيا بماء دون برْ
من ألهم النحل التي … تمتصّ معسولَ الزهرْ
من أنبت الاشجارَ من … من أطعم الناس الثمرْ
من مد للطيرِ الجناح … فطار من فوق الشجرْ
مَن سخر الحيوان من؟ … مِن أمره هَطَلَ المطرْ
من قال للمولود كن … إن كان انثى او ذكرْ
من علم الانسان أنْ … يرقى فصنّع وابتكرْ
من قال للرسْل اذهبوا … وآهدوا وردّوا من كفرْ
أو كان هذا صدفةً … أم صنعَ أرض أم بشرْ
لا والذي بثّ الهوا … وأحاطَ علما واقتدرْ
بلْ قوة جبارة … خلقت عوالم في قدرْ
بل إنه رب الورى … ما كان ابدى أو سترْ
ولقد هدانا للكتابِ … فهل تبعنا ما أمَرْ

بشار الزين

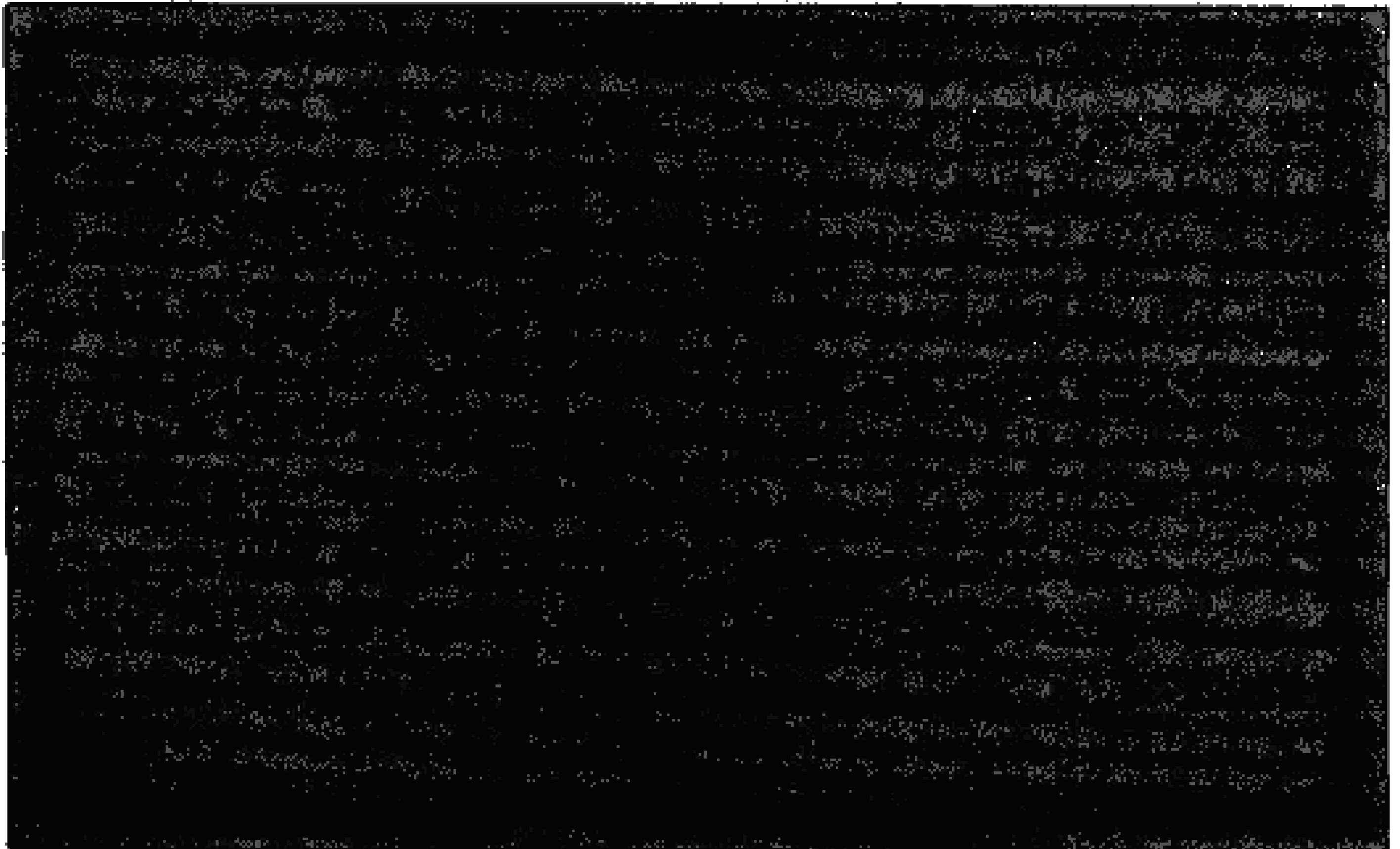
قالت: إلى أين

شعر: ابراهيم بري

قالَتْ: إلى أيْنَ؟ قُلْتُ: الشوقُ ناداني ... لِكَيْ أزورَ أحبّائي وَخِلّاني
قالَتْ: وأينَ تَراهُمْ بَعْدَما فَقَدَتْ ... أوْطانُهُم، وَاغْتَدوا مِنْ غَيْرِ أوْطانِ؟
فَقُلْتُ: قَوْمي في لُبنانَ، ما بَرِحُوا ... هُم أرْزُ لُبْنان، بل هم صَخْرُ لبنانَ
أنْ يَهْدِمَ الدَّهْرُ بُنْياناً لَنا وَلَهُم ... فَفي الحَقيقَةِ نَبْني السَقْفَ بُنْيانَ
لبنانُ يَبْقى إذا العُدْوانُ فاجَأَهُ ... فَسَوْفَ أدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ عُدْوانِ

قالَتْ: أخافُ مِنَ التَّقْسيمِ إنْ جَمَحَتْ ... بِنا الخُيُولُ لِصَدٍّ أوْ لِهِجْرانِ
فَقُلْتُ: ذاكَ سَرابٌ يُخْدَعُونَ بِهِ ... بَلْ ذاكَ لُعْبَةُ أطْفالٍ وغِلْمانِ
لُبْنانُ نَحْنُ بَنَيْناهُ بِآمالِنا ... وَنَحْنُ أحْرى بِهِ، مِنْ كُلِّ إنْسانِ
أهْلي هُناكَ، وَجيراني، وَلا عَجَبٌ ... إذا التَصَقْتُ بِأهْلي، أوْ بِجيراني
رِفاقُ عُمْري، مَهْما الدَّهْرُ فَرَّقَهُم ... يَظَلُّ مَسْكَنُهُم عَقْلي وَوِجْداني
هُمْ قَوْمُنا، وَهُمُ في العَيْشِ إخْوَتُنا ... فَكَيْفَ تَنْزَحُ عَنْ أهْلٍ وإخْوانِ؟
أرْواحُنا سَكَنَتْ أبْدانَنا، فَلَهُم ... لا تَفْصِلُوا بَيْنَ أرْواحٍ وَأبْدانِ
وَقَرْيَتي، أيْنَما صَلّى الخَيالُ بِها ... فَاللهُ مُقْتَرِبٌ، وَالجَوُّ رُوحاني

ابراهيم برّي



بقلم الشيخ سليمان ظاهر

- ٢ -

■ أتينا في نبذتنا الأولى على ما تراءى لنا من أسباب تراجع العلم في جبل عامل، وتقاعد العامليين عامتهم وخاصتهم عن استرجاع الفائت، واسترداد الذاهب. وإنه ليؤلمنا ويؤلم كل عاملي غيور على ملته ووطنيته وقوميته أن نصرّح بهذه النبذة بما لا نحب التصريح به لولا أنّ لنا غرضاً نافعاً نتوخى معه محض الخير لهذا الجبل والله من وراء القصد. إذا تألمت النفوس الضعيفة من إظهار الداء فلتكن أشدّ تألما من كتمانه ومن كتمان الادواء ما يقتل. ننظر الى ما يحدق بنا من الأخطار وما يساورنا من أفاعي الخطوب المتتابعة ونفكر فيا خبأته لنا الأيام من الأهوال في معمعان حياتنا ولا نعد لمصادمتها من عدة، بل نصرف قواتنا ومواهبنا في إضعاف قوتنا، ننظر الى ذلك كله فلا نرى سبباً له ولما نستقبله من الفناء في الأمم القوية، وذهاب مميزاتنا وخصائصنا واندماجها في مميزات وخصائص الأقوام الغالبة، إلا الجهل الضاربة سرادقه في بلادنا، وعلة العلل لكل ما آل اليه امرنا من ضعف ملكات الخير، وفساد الاخلاق، وإهمال أمري المبدأ والمعاد.

أغفل قومنا كافة والحكومة خاصة أمر النظر والفكر في حياتنا العلمية والقضاء على سلطان الجهل اغفالهم العمل والسعي لخير هذا القطر المعروف بصحة النسيم، واعتدال الأقليم، والمعروفة ابناؤه بذكاء القرائح، وصفاء الاذهان ولطف الأذواق.

إنّ بلاداً اخرجت العديد الأكثر من رجالات الفضل،وذوي النبوغ من اساطين العلماء، وعلية البلغاء، مثل الشهيدين الاول والثاني والبهاء العاملي والحر العاملي وابن المؤذن الجزيني ومحمد بن محمود المشغري العالم المتفنن والشاعر المبدع واحد اساتذة السيد علي بن معصوم صاحب سلافة العصر وعبد المحسن الصوري الشاعر المطبوع وعلي بن يوسف النباطي ونجيب الدين الرحالة الجبعي ووالد البهائي الحسين بن عبد الصمد الحارثي وعلي بن عبد العال الميسي صاحب المدرسة الكبرى السالف الذكر وظهير الدين ومحمد بن علي الحرفوشي وأولاد الشهيد الاول وأحفاده وزوجته ام علي وابنته ام الحسن وصاحب المعالم الحسن بن الشهيد الثاني واحفاده محمد بن الحسن وعلي بن محمد وزين الدين بن علي وصاحب المدارك الى غيرهم من جهابذة العلماء وفحول الفضلاء ممن نعد منهم ولا نعددهم ومن المتأخرين عن هذه الطبقات من علماء القرنين الثاني عشر والثالث عشر السيد ابو الحسن بن قشاقش والسيد جواد صاحب

مفتاح الكرامة والسيد فخر الدين فضل الله الحسيني الشاعر والشيخ ابراهيم يحيى الشاعر المفلق وحفيده الشيخ ابراهيم صادق شاعر عصره والسيد علي ابراهيم الحسيني والشيخ علي مغنية النابغة العاملي في الذكاء والعلم والعمل والتحصيل والشيخ عبدالله نعمة الجبعي الشهير والشيخ محمد علي عز الدين[1] والشيخ موسى شراره[2] والشيخ علي سبيتي اللغوي وأخوه الشيخ حسن العالم الطبيب والشيخ علي زبدان من كبار فضلاء عامل وشعرائه والشيخ محمد علي خاتون من أجلة علماء عصره والسيد محمد الأمين مفتي بلاد بشارة والشيخ عبد الله البلاغي والشيخ محمد علي عبد النبي الشاعر المجنون - ومن المعاصرين الشيخ مهدي شمس الدين من رجال التصنيف والتأليف في هذا العصر والسيد علي محمود قشاقش[3] من أكابر العلماء وأفاضل الفقهاء وأخوه السيد محمد من صلحاء العلماء وأذكيائهم والسيد حسن يوسف مكي[4] من أكابر العلماء العاملين والسيد نجيب فضل الله الحسني من جهابذة العلماء وذوي النقد الواسع والسيد محسن الأمين قشاقش من العلماء المتوفرين على التصنيف والتأليف لم يبلغ الخمسين عاماً وله من المصنفات والمؤلفات زهاء ثلاثين كتاباً والشيخ عبد الحسين صادق يحيى عالم الشعراء وشاعر العلماء غير مدافع والشيخ حسين مغنية من محققي العلماء واتقيائهم والسيد حسن ابراهيم[5] بقية السلف الصالحين والعلماء البارعين وولداه الفهامتان السيد محمد والسيد مهدي والعلامة المدقق الشيخ حسين المحمد من أحفاد محمد بن محمود المشغري الشاعر ومن مترجمي السلافة وخلاصة الاثر والعالم المفضال الشيخ عبدالله الحر من أحفاد الحر العاملي صاحب أمل الامل والعالم الشاعر الناثر السيد محمد فضل الله الحسني والسيدان النبيلان العالمان السيد حيدر مرتضى والسيد جواد الشاعر المطبوع والعالم الورع الصالح السيد يوسف بن شرف الدين وولداه الألمعي الفهامة الكاتب العلامة السيد عبد الحسين والسيد شريف الذكي العالم من مهاجرة النجف الاشرف والفهامة المدقق الشيخ ابراهيم عز الدين والسيد محمد نور الدين[6] جليل العلماء والسيد عبد الحسين نور الدين الفهامة البارع والشاعر المطبوع والسيد مصطفى نور الدين من أجلة العلماء وأحفظ حفاظ عصره الشيخ محمد حسين مروه[7] المشتهر بالحافظ وأخوه الشيخ عبد المطلب الشاعر[8] وولداه الشيخ أحمد المدقق[9] والشيخ علي العالم البارع والعلامتان الشيخ عبد الله شومان وأخوه الشيخ مرتضى والعالم الفاضل والشاعر الناثر الشيخ علي مروه والعلماء الافاضل الشيخ نعمة الغول والشيخ عبد الكريم الزين والسيد حسن والسيد حسين قشاقش والشيخ جواد شمس الدين والشيخ محمد امين شمس الدين والشيخ محمود مغنية الشاعر المطبوع من مهاجرة النجف والشيخ موسى مغنية والشيخ جواد سبيتي ومن رجال السياسة والفضل الشيخ علي الحر[10] والشيخ محمد مغنية[11] الى غيرهم ممن لم تحضرنا أسماؤهم ومن نستميحهم عذراً على اغفال

(١) المتوفي عام ١٣٠١
(٢) المتوفي عام ١٣٠٤
(٣) المتوفي عام ١٣٢٨
(٤) المتوفي عام ١٣٣٤
(٥) المتوفي عام ١٣٢٩
(٦) توفي عام ١٣٢٣
(٧) المتوفي عام ١٣٢٦
(٨) توفي
(٩) توفي
(١٠) المتوفي عام ١٣٢٦
(١١) المتوفي عام ١٣٢٥

ذكرهم الذي لم يكن عن قصد وعمد.

إنَّ بلاداً أخرجت مع قلة وسائل العلم فيها مثل هذا العدد من نوابغ العلماء والشعراء ومن لم نبلغ حد الاستقصاء في تعدادهم الى غيرهم من افاضل الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين كالشيخ أحمد رضا العالم والشاعر الكاتب والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وجريدة جبل عامل ومن أعظم العاملين على خير أوطانهم والشيخ محمد سليمان الشاعر المبدع الذي بذّ الشعراء العامليين على حداثة سنه وقرب عهده بصناعة النظم[١٢] والشيخ محمد حسين شمس الدين الشاعر والشيخ علي مهدي شمس الدين الشاعر البديهي والشيخ علي حسين شمس الدين الشاعر[١٣] والشعراء الشيخ اسدالله صفا والشيخ حسن حوماني والكاتب الشاعر محمد أفندي جابر.

ومن الشعراء الذين لا ضلع لهم ضليع في علوم العربية الحاج محمد عبدالله والحاج علي الزين والد صاحب العرفان وشبيب باشا الأسعد وأمين أفندي عبد الله والشيخ توفيق البلاغي الصوري ومن النساء وخاصة من أسرة آل الصغير عدد عديد وقلّ من لا يحسن النظم من رجال تلك الاسرة الكريمة ومن شعراء القرن الثالث عشر من الأمين أحمد حرب وهو شاعر مجيد وأذكر له بيتين أنشدهما لبعض الأجلة:

وعدت قلبي بوعد غير منتجز
حاشا لمثلك أن يوفي بما وعدا
وعدٌ تماطل لا يوفى وان وقعت
امّ السماء وقام الدهرا وقعدا

(١٢) توفي (١٣) توفي عام ١٣٢٩

ومن النساء العامليات اللاتي لهن ضلع ضليع من المعرفة ولم يتدارسن العلم ولا المحيط العاملي يسمح لهن بالتعليم (منى) من بنت جبيل حاضرة القسم الجنوبي العاملي وكانت ذات اطلاع واسع في الآداب والشعر وعلم الهيئة وزينب فواز الكاتبة الشهيرة بالديار المصرية.

إن بلاداً أخرجت مثل ناصيف النصار الصغير وعلي الفارس الصعبي من أبناء أواخر القرن الثاني عشر وحمد البك وعلي بك الأسعد ومحمد بك الى غيرهم ممن تقدمهم وتأخر عنهم والذين ساسوا البلاد العاملية أفضل سياسة ودفعوا عنها الاسواء والارزاء في الأزمنة التي كانت تموج سوريا فيها ببحر من الفتن والقلاقل والشعوب يتخطف بعضها بعضا بفضل السياسة الاقطاعية فحفظوا لجبل عامل عزه وأباءه وقارعوا عنه الاعداء ونهضوا به الى العلاء.

إن بلاداً أخرجت مثل خليل بك الاسعد وولده كامل بك الطائر الشهرة واحد مبعوثي لواء بيروت الى غيرهم من علية القوم ممن لا نحاول ان ننوه باسمائهم ولا نجد متسعاً لذلك وسيحيط به كله كتابنا تاريخ عامل الذي نعد لاخراجه المواد الكافية مع اخينا وصديقنا الشيخ احمد رضا.

إن بلاداً أخرجت مثل هؤلاء النوابغ في العلم والادب والسياسة لما يتألم لحالتها الحاضرة كل محب للعلم وهو يرى لها تلك الصحيفة التاريخية البيضاء ويراها اليوم على كثرة العلماء والاعيان خلوا من المدرسة، عطلا من التعليم بشكليه الجديد والقديم، وقد تناهب نشأها الجهل المطبق والهجرة المضرة.

لا رجاء باعادة الحياة الى مدرستها القديمة وقد تبدلت أوضاع الحياة الاجتماعية والاقتصادية، واشربت القلوب محبة الجديد، وتمشت في العروق والمفاصل تلك الروح العامة ودب دبيبها في النفوس اختياراً واضطراراً تبعا لناموس القدوة وسيرا مع عامل التنازع، وتأثراً بافاعيل العصر.

ولا مفكر من ابنائها ممن يناط بهم أمر التفكير في الحال والاستقبال ولا ظهير للمفكرين والعاملين على اشادة مدرسة يتطبق التعليم فيها على تلك الروح العصرية العمومية مع مراعاة حالة البلاد الدينية والاجتماعية.

ولا الحكومة تمد اليها يد الاسعاف فتحي شعباً ذكياً حياة طيبة يتعرف منها وجوه تكاليفها فينتفع بقيامه في نفسه مدرباً على جهاد الحياة عاملا نشيطاً، وينفع المجموع العثماني من حيث عمران بلاده، ومن حيث معرفة الواجب له وعليه حيال العثمانية، وتجاه العثمانيين.

كشف الانقلاب العثماني الغطاء عن الشعوب وعرف كل شعب موقعه حيال ذلك الانقلاب الذي لم يكن انقلاباً سياسياً فقط بل كان انقلاباً اجتماعياً وفكرياً - كانت الحياة بكل ما تفيده من المعاني محدودة قبله، ولكنها ليست محدودة بعده، ولكل شعب من المقام الأجتماعي ما يحسنه وما يعده من العدد في جهاد الحياة وجماع تلك العدد العلم والتربية فماذا كان حظ جبل عامل المتماوج بسكانه من فضل التربية والتعليم والانقلاب في أواخر عامه الرابع؟

الحكومة لا تعذر في اغفالها أمر النظر فيه والعمل على اصلاحه ولا أدل على ذلك الاغفال من خلو داخليته من مدرسة ابتدائية قامت على بعض ما تجبيه منها من حصة المعارف اللهم إلا ما خصصته بعد الانقلاب لمدرسة النبطية الأبتدائية ومدرسة جبع ومدرسة قانا مما لا تجني البلاد منه نفعا يذكر.

وابناء البلاد لا يعذرون إن قصرت الحكومة باهمالهم الأمر وتركهم السعي واذا آثروا الاتكال على الاعتماد فيها بالهم جامدين لا يبدون حراكا، ولا يطالبون حكومتهم بما ينهض ببلادهم ليس من حيث العلم فقط بل من حيث الادارة ومن كل وجهة اصلاحية. كاد اليأس، ان يخالط كل نفس، والقنوط أوشك أن يسد كل منفذ في وجوه المفكرين، وفريق العاملين المصلحين وخاصة بعد ان بصروا بذلك النور الضئيل الذي كانت ترسل أشعته بقية مدارس العلم في هذا الجبل على الطائفة المتعلمة وقد خبأ ضوءه وانطفأ بصيصه.

كانت المدارس العاملية في آخر أدوارها أشبه بمدارس تحضيرية يتلقى الطلاب فيها مبادىء العلوم الادبية والدينية ومنها يرتحل من سعفه الحال أو من يرضى بعيش الاتكال، الى مدارس النجف الكبرى التي هي أشبه بالكليات وبمجموعها أمثل بجامعة اسلامية، وعلى شاكلة الجامع الازهر من حيث تعليم العلوم الادبية والدينية والعقلية، فينتظم بصنوفها ويأخذ مسائل العلم عن اكبر الاساتذة، وأعرقهم في العلم والمعرفة من علماء

العرب والعجم. يهاجر الطالب العاملي الى النجف ويتوفر على التحصيل وقد يقيم في مدارسه العقد او العقدين من السنين، ولا يرى منها متسعاً للاضطلاع في علمي الفقه وأصوله، لاتساع مناحيها، وتشعب اساليب التعليم، ودقة المسائل، وتنوع طرق الاستخراج والاستنتاج، وتفنن وجوه التمحيص والاستنباط.

ذلك جل ما يحمله الطالب العاملي من مسائل العلم الى قومه، وهو جماع ما يتدارس بمدارس النجف، والعلوم الاخرى لا قسط لها من التعليم ولا تتسع لالقاء دروسها تلك المدارس على سعتها - نعم كان هذا النوع من التعليم مفيدا وافيا بحاجيات الزمن الماضي، وبتعليم الامة مسائل الدين، وأحكام الحلال والحرام، كان كافيا والأمة يقنعها الدليل الاقناعي، ولما تختلط بالاقوام المتشبعين بمعرفة العلوم الكونية والرياضية والفلكية والاجتماعية وكل المسائل النظرية والعملية، وبعد هذا الاختلاط بهذه الاقوام تطلعت النفوس حتى نفوس العامة الى مناقشة العلماء الحساب ومطالبتهم بالدليل اليقيني سواء فيما يعود الى ظواهر الكون، أو الى حكمة التشريع، **حيث تمشت في النفوس شبهات الماديين، ونزعات الملحدين، ونزعات الجاحدين، فاصبح ما يفي بحاجة القوم امس لا يفي بحاجتهم اليوم وقد تسرب الى الكثير منهم أثر تلك الشبهات والنزعات مضافا الى ما سرى في النفوس كافة من الشعور العام بضرورة انقلاب صورة التعليم، وتطبيقها من الوجهتين الدينية والدنيوية على روح العصر.**

اننا لا نحاول ان نغض من كرامة العلماء العامليين، ولا نشاء ان نبخسهم شيئاً من منزلتهم، فان فيهم من أعده ذكاؤه النادر، وذوقه السليم الى النفوذ في أعماق كثير من عويصات المسائل، وحل معاقد المشاكل ولو ساعدهم المحيط لكان منهم النوابغ في الحكمة وعلوم الكون من لا يشق لهم غبار وقد اخذوا من العمل ما هيئته لهم البيئة، وحسبهم أنهم أدوا ما عليهم من الواجب، واذا عذرناهم في الوقوف عند الحد الذي أعده لهم المحيط، فلسنا لهم بعاذرين على الوقوف موقف الاحجام عن تذكير قومهم بوجوب اقامة معاهد للعلم تحفظ عليهم أمري معاشهم ومعادهم وتستبقي على ملكاتهم وتضمن لهم عمران بلادهم التي اضرَّ بها الجهل اضعاف ما اضره بها الظلم.

إن في جبل عامل قرى ودساكر وقصبات ويساكن أكثر سكانها العلماء وخاصة القصبات وهي لا تتجاوز العقد من العدد وكلها واقعة من القرى وقوع النقطة من الدائرة فهل يشق على علماء البلاد واعيانها وعامة سكانها أن يؤسسوا في كل قصبة مدرسة على مثال مدرسة الشام التي أسسها العالم العامل السيد محسن قشاقش المقيم بدمشق؟ إن سكان جبل عامل يربون على مائة الف في داخلية بلاده وقصباته لا تبلغ العشرة فهل يعجز كل عشرة آلاف عن القيام بنفقة مدرسة ابتدائية وهي لا تربو على عشرة آلاف قرش؟ وهل تؤثر شيئاً في ثروة البلاد مهما كانت متأخرة نفقة مائة الف قرش على معاهد العلم؟

لاحت فكرة عالية للمرحوم خليل بك

الاسعد منذ تسع عشرة سنة وفي البلاد بقية صالحة من مدارس العلم الا وهي اشادة مدرسة عالية أهلية تجمع أموال بنائها، ونفقات التعليم من تبرعات الأهالي. علم هذا المفكر الغيور باختياراته الواسعة، وبعد نظره في العواقب، ان حالة التعليم صائرة الى الانقلاب وان للحياة في مستقبل البلاد العاملية تكاليف لا تنال إلا بتغيير شكل المدرسة والتعليم. وان كل ما كان يلاقيه العامليون من الالاقي، سواء في مجتمعهم الخاص، أو في كل مجتمع انفلوا فيه هو نتيجة جهلهم بالواجب عليهم ولهم، واثر من آثار فساد الاخلاق. علم ذلك كله، ورأى تنافس الاقوام من الطوائف الاخرى على تشييد بيوت العلم، وما يجنون منه من ثمرات العز والراحة، فصمم العزم على مكاشفة علماء عامل وصفوة اعيانه وذوي الرأي فيه، بما لاح له من تلك الفكرة. ولما رأى ان النبطية هي حاضرة جبل عامل وأوسط بلاده، اختار عقد اجتماع عمومي فيها يضم صفوة رجال أقضية صيدا وصور ومرجعيون وتم عقد الاجتماع العمومي بدار المرحوم نعيم بك ومحمود بك وفضل بك. ولما كانت النفوس غير مستعدة لمثل هذا المشروع العظيم أكبره قوم، وظن فيه الظنون آخرون، فطويت صحيفته زهاء ست عشرة سنة ولم يفكر فيها مفكر غير نجله الكريم كامل بك الاسعد منذ ثلاث سنين. ظن هذا الغيور ان تلك الفكرة قد أدركت النضوج وان النفوس العاملية قد استعدت لقبولها وتحقيقها. فكاشف فيها في النبطية اثناء عودته من بيروت محمود بك وأخاه فضل بك الفضل وفريقاً من فضلاء النبطية وكلهم حبذ الفكرة وانتهى الامر بضرب موعد لعقد اجتماع عمومي في الطيبة بدار ذلك العلم. وعقد الاجتماع من الفريق الذي أجاب الدعوة من العلماء والاعيان واختتم بافتتاح الاكتتاب الذي بلغ مجموعه ثماني مئة ليرة والمجتمعون المتبرعون لا يبلغون الثلاثين. وقد نشرت الصحف نبأ هذا الاجتماع ونتائجه الحسنة، وعلق العامليون الآمال الجسام على نجاح السعي وخاصة بعد ما علموه من تحمس المكتتبين، وغليان حميتهم، ولكنه لم يمض زمن يسير على ذلك الاجتماع حتى بردت الهمم، وجفت العزائم. ولكن ذلك لم يضعف شيئاً من عزيمة كامل بك، ولا صرف همه عن معاودة النظر في المشروع وإزالة الحواجز عن وجوه نجاحه، فضرب موعداً ثانياً لاجتماع ثان يعقد بالنبطية في دار محمود بك وفضل بك. ووزع المشار اليهما أوراق الدعوة على العلماء والاعيان والوجوه فحضر فريق من المدعوين وتخلف آخرون، واسفر الاجتماع الثاني عن اخفاق السعي. وترك المشروع الذي لم يلاق من استعداد النفوس العاملية له اليوم غير ما لاقاه منذ ست عشرة سنة ولم يظهر شيء من التفاوت في أثر الدعوتين مع اختلاف زمنيهما وتكثر الدواعي والمقتضيات لتلبية ثانية الدعوتين ولا غرو فان **للنهضة الفكرية عللا وجاعها كثرة عديد المنورين والمفكرين ولبابها التضامن الوطني، والتضافر الملي وكلها مفقودات من البلاد العاملية.** ترك كامل بك والفريق المناصر له العمل لذلك المشروع العلمي الكبير والذي هو حجر زاوية رقي البلاد، والناقل لها من هوة الجهل وحضيض التقهقر الأدبي والمادي الى حظيرة العلم وأوج التقدم الصوري والمعنوي. لم يقعد

الفشل ذلك الفريق المصلح عن التفكير لذلك المشروع والنظر له. لم يساعدهم المحيط، وموت الحماسة الوطنية من النفوس، وغلبة الشح المطاع عليها، من ابرازه الى حيز الفعل بصورته المكبرة. فآثروا السعي له على تركه باعداد النفوس له، واشرابها حبه، والعمل التدريجي سيرا بسنته الطبيعية، وخاصة بعد أن علمهم الاختبار وهز الشعور العاملي في المرتين وذهابه على غير جدوى، ان السير بمثل هذا المشروع الكبير بطرق التدريج أضمن له في الحال والمآل. ولما رأوا ان مدرسة النبطية قائمة على ريع أوقاف «جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية» الثابتة والذي اذا امتدت اليه ايدي المحسنين بالاحسان والاسعاف زادت منشآتها فتكثر وارداتها. واظهر لهم احتكاك الرأي بارقة أمل بمستقبل لهذه المدرسة مجيد، يتحقق بها بعض الاماني لوضع الحجر الأساسي لذلك المشروع الكبير فصرفوا النظر الى اسعافها، واندفع كامل بك اندفاع الآتي بمعاهدة الفكر لها المرة بعد الاخرى، وبتنشيط عزائم القائمين على رعاية مصالحها في كل فرصة تمر، وبنفحها من ماله المرة بعد المرة وبهز اريحية القوم ببذل الجود من الموجود ومشى على أثره أخواه محمود بك وعبد اللطيف بك، وسرى على هذه الخطة الشريفة محمود بك وفضل بك الحسن، وحسين بك الدرويش حتى بلغ المال المجموع من تبرعاتهم زهاء ثمانين ليرة في سنة واحدة انفقت على تجديد منشآت لجمعية المقاصد. وقد تعهد هذا الفريق المحسن بالتبرع بمثل هذه القيمة مساهمة، مضافاً الى ما أخذه على نفسه من مناصرة القائمين على الجمعية التي تولى رياستها فضل بك النشيط في كل عمل يعود غناؤه ونفعه على الجمعية ويحقق مشروعاتها المنصرفة الى نصرة العلم العاملي. يكاد هذا الفريق ان يكون وحده القائم على تعزيز المدرسة العاملية مع كثرة اعيان القطر العاملي.

انبثق نور الأمل بحياة نهضة فكرية جديدة في جبل عامل قد يكون لها أثر مبرور في مستقبل المدرسة العاملية وعليه يعلق المصلحون والمفكرون ومحبو العلم والآمال الواسعة، وان قلَّ له اليوم المناصرون فسرعان ان يبعث غداً في نفوس القوم روح القدوة وهي أساس الأعمال النافعة. نعم إن للقدوة الصالحة آثاراً مجيدة في رقي الأعمال وتهذيب العقول وتنوير الافكار، وهي مبعث كل احساس شريف، ومنبثق نور كل شعور حي. اقتدى الشاب الأديب فايز بك نجل محمود بك الفضل بأبيه وعمه فقام يناصر الجمعية، وينسج على مثال ما ينسجانه من اسعافها «ومن يشابه أبه فما ظلم».

هذه كلمتنا نخطها اليوم في صحيفة تاريخ جبل عامل العلمي والرجاء يبسم لنا عن ثغر واضح بحسن المآل، وحميد العاقبة والشجرة تنبي، عن الثمرة، والله ولي الأعمال الصالحات. ■

سليمان ظاهر

عن جريدة «جبل عامل» العدد ٢ سنة ١٩١١

* * * *

هنيئاً للذي يهجوه شعري

زار الشاعر المعروف موسى الزين شراره سنة ٩٦٤ صديقه الشاعر والصحافي الاستاذ عبد الغني الخطيب في مكتبه في دار جريدة «الكفاح» الذي هو احد محرريها واثناء «شرب القهوة» اخذ الاستاذ الخطيب القلم وكتب الأبيات الزجلية التالية «ارتجالاً» وقدمها للشاعر شرارة الذي اعجب بها وشكره.

بتكبر بتشيب وبتشيخ
وبتضلك «زين» وزيني
حتى يخلدني التاريخ
بسرحة بيّك تهجيني.

وقد أجابه فيما بعد الشاعر شرارة بالأبيات التالية:

فيا شعراً غدا للناس شغلاً   وبات حديثه في كل قطر
واصبح منبراً ونشيد عز   لكل مناضل ولكل حر
فحطم «للمدجل» كل ناب   وقلّم «للمنافق» كل ظفر
واعلى - صانه الباري - مقامي   على رغم الحسود ورغم دهري
وقلدني «قلادة» كل مجد   وبوّأني شواهق كل فخر
وصلت به على اعداء شعبي   فقاد خطاي من نصر لنصر
ودمر للطغاة قصور جور   بنوها فوق حرمان وفقر

كفاك الفخر انك صرت ذكراً[1]   وايات على شفة وثغر
تغنيك الحداة بكل سهل   بدنيانا وبلقعة ووعر
واني صرت لا اخشى عذولاً   اذا ما قلت في سر وجهر
بكل علية وبكل حفل   هنيئاً للذي يهجوه شعري
فسوف يظل مع هذي القوافي   ويبقى ذكره ما ظل ذكري

موسى الزين شراره

---

(١) للذكر الحكيم

بين شاعرين

أرسل الشاعر الحوماني للسيد عبد الحسين محمود يطلب منه فحماً للوقود فأبطأ، فكتب له هذين البيتين:

وقفــــت نفسي على ثنـــــاء عليـــــك نثراً بـــدا ونظما
(أهــديــك) دراً فهــل تــراني أراك تهدي إلي فحما

فأجابه السيد بهذه الأبيات:

يـــا شـــاعـــراً في اليم بـــرد أرجفــت فيــه ومـــا ألما
فليتني ثـــائـــراً لأهـــدي بيتي (لبيـــت الأديـــب) فحما
ســـأنثر الفحـــم في حماكم فـــاغنمـــه نثراً أتـــى ونظما
وبعثـــت دراً بـــه لغير الفحـــام ـ فـــازدد ـ هـــديـــت ـ فهما

وأخلف السيد عبد الحسين ما وعد به الحوماني من الفحم فكتب اليه الحوماني:

ظننـــت أن لا وفـــاء إلا عنـــد الثريـــا ـ وعنـــد ظني ـ
صدقـــت حـــدســـاً حـــدســـت فيـــه فكـــان منكم وكـــان مني

فأجابه السيد مشطراً ومخمساً ووفى بوعده:

« التشطير »

(ظننـــت ان لا وفـــاء إلا) لـــديـــك والظـــن ليس يغني
وكـــان ظني بـــأنـــك راق (عنـــد الثريـــا ـ وعنـــد ظني ـ)
(صدقـت حـدسـا حـدسـت فيـه) إذ رحـــت في فحمنـــا تغني
أســـأت فيـــه الى القـــوافي (فكـــان منكم وكـــان مني)

« التخميس »

زعمـــت مـــا قـــد زعمـــت جهلا فقلـــت جـــدا وقلـــت هـــزلا
امعجبـــا بـــالقـــريـــض مهلا ظننـــت ان لا وفـــاء إلا
لديك والظن ليس يغني
تفـــديـــك نفسي أأنـــت بـــاق على وداد بلا نفـــاق
اخلفـــت ظني لـــدى السبـــاق وكـــان ظني بـــأنـــك راق
وعند الثريا ـ وعند ظني ـ

اهنـــــتَ في شعـــرك البـــديعي بغير ذنــــب: مـــن تصطفيــــه؛
يــــا مـــن يغني بملء فيـــــه صـدقـت حـدسـاً حـدسـت فيـه
إذ رحت في فحمنا تغني

بُنيـــــت طبعــــا على الخلاف منكم اصــــــافي وكم تجافي
اخـــو يـــراع اخـــو اعتســاف اســـأت فيـــه إلى القـــوافي
فكان منكم وكان مني

فأجابه الحوماني وقد وصل الفحم فتيتا ونديا من المطر غير بالغ نصف ما وعد به

بثلـــث مـــا قـــد وعـــدت فيـــه بعثـــت لكـــن فتيـــت فحـــم
اظنكم قـــــد لمستمـــــوه فجـــــاء منكم نـــــديّ جسم
نهل بعثتم بــــــه مــــــدادا أخـــط فيـــه رقيم نظمـــي
لله نظـــم حـــررت فيـــه علي حـــــربـــــا بغير سلم
وأي نظـــم نبيـــت فيـــه الي جهلا (بغير علم)
وكم (نفـــاق) أخـــذت فيـــه أخـــاك لكـــن بغير جـــرم
بعثـــت فيـــه وقـــد بـــراني كـــانـــون سقما فـــزدت سقمي
وأوسعتني الوشـــــــاة هما بما افتروه فـــــزدت همّـــي
نفضــــــت كفـــي امس مما وعـــدت لكـــن بغير عـــزم
فـــاتبعــــت فحما بغير كسر وغير مـــــــاء وغير ذم
احمد ربي الى أنـــــــاس غنيـــت عـــن فحمهـــم (بفحمـــي)

وفي جلسة شعرية أمام «نوفرة» في سنة ١٩٢٥ قال الحوماني:

«نـوفـرة» إن صعـدت مـن ثقـوبها تنـاثـر مـن أسلاكهـا حبـب الدر
رأت فـوقهـا بـدر السما فتطلعـت إليـه ومـن شـوق مـدامعهـا تجري
ومـذ أيقنـت ان لا لقـاء تـراجعـت ممثلـة في قلبهـا صـورة البـدر

وقال عباس عبيد معلم مدرسة البرج آنذاك:

«نـوفـرة» أجيـل الطـرف فيهـا كـأني نـاظـر عقـد اللآلي
عليهـا مـن جنـان الخلـد زهـر تجلّـى بين ربّـات الحجـال
محاسنهـا سبـت عقلي ولبي فقـل لها فـدى روحـي ومـالي

اللعب : حلقة أساسيّة في التعليم والابداع لدى الطفل

بقلم : د . هيام الملي

تتميز الطفولة منذ الأشهر الاولى وحتى ست سنوات تقريباً بنشاط غالب هو اللّعب. وهذا أمر لا يمكن تجاهله . فالطفل العادي يلعب بشكل طبيعي وعفوي جداًلدرجة أنّه لا يمكن تصوّر طفل لا يلعب إلاّ في حالة المرض الجسدي أو النفسي . لذلك فقد قيل أنَّ « الطفولة هي ذروة النشاط اللّعبي » وأنّها « وطن الالعاب » وانّه « ربما تنتهي مرحلة الطفولة عند الادراك بأنَّ الحياة ليست لعباً مستمراً » (جو سدورف) ، و « يعرف الراشد أنّه يلعب ، بينما الطفل ، مع أنّه يلعب دائماً ، فهو يجهل ذلك »[1] .

إنَّ اللعب الذي يمكن أنْ يكون ، في الحدود القصوى ، مرادفاً للطفولة ، أصبح من أساسيات فهم وتفسير النمو الحسي - الحركي والنفسي والعقلي لدى الطفل . هذا إلى جانب الدور الاجتماعي - الثقافي الذي يؤديه اللعب في عملية إنخراط الطفل في البيئة المباشرة له وفي تمثله للأدوار والقيم الاجتماعية المعاشة من حوله ، والسائدة في المجتمع العام .

إنَّ تلازم اللعب مع الطفولة (الطفل يلعب لأنه طفل : Buytendjik) قد فسح المجال واسعاً أمام الدراسات النفسية - الاجتماعية للنظر في كيفية الاستفادة من اللّعب في التربية والتعليم والعلاج النفسي . هذا الى جانب الكتابات والدراسات النظرية العامة التي حاولت ان تبحث عن دور ووظيفة اللعب بالنسبة للطفل .

ورغم الجهود المبذولة في هذا الاطار والتي أدت إلى إعتماد « التربية الحديثة » على اللعب كوسيلةأساسية في دور الحضانة ورياض الاطفال ، فإنّه لم يزل هناك من يعتبر أنَّ اللعب ما هو الا هدر للوقت . يعبّر عن هذا الموقف أحد التربويين الاميركيين في قوله : « عندما فرضت الفكرة القائلة بأن طفل الثلاث سنوات يمكن ان يجد متعة في تعلّم القراءة والكتابة بالقدر الذي يجده في اللعب . . . إكتشفنا اننا أضعنا وقتا ثميناً للأمة »[2] .

---

(١) J. Baudet et Sarrazanas : L'enfant et les jouets: Education Nouvelle/ Casterman 1972. p. 17

(٢) Eda Le Shan: Complot contre l'enfance. éd. Stock 1970. P. 85



هذا الموقف، إذا عبّر عن شيء، فهو يعبر عن مدى صعوبة البحث في مجال اللعب عند الطفل بسبب اتجاه البعض إلى إسقاط مفهوم اللعب عند الراشدين (استراحة او استجمام أو لهو.. عمل غير مجدي..) على عالم الطفولة، وبالتالي اختلاف مفهوم اللعب ووظيفته باختلاف الارضية التي يقف عليها الباحث وباختلاف المنظار الذي يرى من خلاله اللعب.

ولا يسع الكبار، مهما كان تصوّرهم للّعب إلاّ الإبتسام والتلهي أمام تفجر الفرح وتعبيراته بأصوات وحركات الاطفال الذين يلعبون. بعدها فليفهم الكبار ما يشاؤون وليلعب الصغار ما شاؤوا. «ان فهم القنبلة النووية هو لعب أطفال بالمقارنة مع صعوبة فهم لعب الاطفال»[٣].

إنّ لعب الاطفال يكاد يتماثل مع الابداع الفني. ويكمن وجه التماثل في عدم الاكراه وعدم البحث عن المنفعة لدى الطفل الذي يلعب كما لدى الفنان. ويكمن ايضا في الابتكار والخيال والعفوية.. وكذلك في القدرة على التعبير عن المستويات النفسية العميقة، لدى الطفل ولدى الفنان على السواء. فاللعب هو قبل كل شيء أداة تعبير خاصة بالطفولة:

«لقد اعترف فرويد مرة انه على عالم النفس ان يرمي السلاح أمام سطوة الفن. إنَّ عالم النفس الذي يحاول أن يراقب الطفل الذي يلعب يجد نفسه في علاقة من ذات النمط»[٤].

إنّ مراقبة الاطفال وهم يلعبون تشكل مدخلاً أساسياً لفهم الابعاد الوظيفية للّعب في عملية النمو النفسي والعقلي والاجتماعي. هذه المراقبة، على صعوبتها من حيث ضرورة وجود مراقب غير متدخل حتى لا يخلق جوا مصطنعاً ومن حيث ضرورة عدم اسقاط مفاهيم الراشدين حول اللعب على نشاطات الصغار، يجعلنا نؤكد مع «بريان سوتون سميث» على «أنّ اللعب نشاط لا بد وأنْ يُؤخذ مأخذ الجد»[٥].

---

(٣) المرجع السابق: ص ٩٥ – ibid., p 95

(٤) Brian Sutton Smith: Le jeu chez l'enfant. Psychologie, Septembre, 1972. No 32

(٥) المرجع السابق.

ولعل اهم الدراسات التي اعادت الاعتبار لِلّعب وأقدمها ما كتبه « كارل كروس » على أساس مراقبته للعب الحيوانات محاولاً أنْ يماثِل بين لعب صغار الحيوانات والاطفال[٦] . وقد اعطى بذلك وجهة نظر معقولة واضعاً حداً للافكار الشائعة في هذا المجال، مثل اعتبار اللعب استجماماً وراحة بعد التعب! أو اعتباره فائضا عن طاقة الطفل الحركية؛ فقد كان اللعب، كما يلاحظ بياجيه، موسوماً بأنّه « شبه نشاط بدون دلالة وظيفية وأيضا مضراً بالاطفال »[٧] .

إنَّ ما ركّز عليه كارل كروس هو إعتبار اللعب عملية تمرين مسبق للوظائف التي يحتاجها الطفل فيما بعد في سن الرشد. « إن سبب ألعاب الطفولة هو أن بعض الغرائز، خاصةً تلك المهمة بالنسبة للحفاظ على النوع، تظهر في وقت لا يكون فيه الحيوان (من المرتبة العليا) بحاجة فعلية لها. وبكونها على نقيض التمرين الجدي اللاحق فإنّ الالعاب هي ما قبل التمرين أو تدريب للغرائز المعنية ».

وبالتماثل فإنّ الطفل يمارس ويطور بواسطة اللعب وظائف لا تنضج فعليا الا في نهاية مرحلة الطفولة. لذلك هو تدريب مسبق، ولذلك يقول كروس « إنَّ الحيوانات العليا لها طفولة لكي تلعب ».

أمّا « بياجيه » فإنّ أعماله حول النمو النفسي التكويني للطفل، قد فسحت مجالاً مهماً لدراسة اللعب وعلاقته بتكوّن الرمز والذكاء:

« إذا كانت عملية تكوّن الذكاء توصل الى توازن بين التمثل Assimilation والمواءمة coordination ، فإنّ اللعب هو أساساً تمثُّل وتمثّل يتقدم على المواءمة »[٨] .

ولقد اعتبر بياجيه أنّهُ توجد استمرارية وظيفية للّعب ولكنه أكّد على عدم الاستمرارية، نسبياً، على مستوى بنية اللعب. وفق هذه البنية فإنّ الألعاب تندرج ضمن فئات ثلاث :[٩]

١ _ الألعاب التمرينية

٢ _ الألعاب الرمزية

٣ _ الألعاب المنظّمة على أساس قاعدة جماعية.

وفي مجال آخر، يؤكد بياجيه على مسألة ارتباط اللغة بتكوّن الرمز: « إنَّ اكتساب اللغة هو نفسه خاضع لوظيفة رمزية تتوطد عبر المحاكاة واللعب تماماً كما في تطوّر أوليات اللغة »[١٠] .

---

(٦) K. Gross: Les jeux des animaux, 1896. trad. française, Alcan, 1902, Paris.

(٧) Piaget, La formation du symbole p. 165

(٨) ibid, p. 94

(٩) ibid., p. 116 - 154

(١٠) ibid., p. 6



يمكن أن نستنتج مما سبق أن اللّعب، على المستوى الوظيفي، هو عملية تعلّم بالمعنى العام للكلمة. إنّه عملية تستمر قدماً عبر بنى اللعب منذ المرحلة الحسيّة - الحركية حيث اللعب - التمرين، بترافقه مع اللذة، يساعد الطفل أن يظهر قدراته المكتسبة في مجال آخر، بهدف التكيف، مروراً باللعب الرمزي الذي يغني اللغة إنتهاءً باللّعب المنظّم على أساس قاعدة جماعية حيث يصبح التكيّف والخضوع للقوانين مسألة تعلّم اجتماعي. إنّ اللّعب المنظم كما لخص سماته Henriot مستعيدا وصف بياجيه، هو «مؤسسة تستلزم التعاون وتثير الالتزام»[11].

وباختصار، «إنّ اللّعب هو إتجاهٌ نحو المستقبل، يستشرف العلاقات الاجتماعية ويؤدي الى اللغة»[12].

إنّ ما يهمنا من الموضوعات الآنفة الذكر، هو التأكيد على تلازم مسألتين هامتين ولعب الاطفال: التعلّم والتعلّم الاجتماعي من جهة، والتعبير والإبداع من جهة ثانية.

والسؤال المطروح هو: الى أيّ مدى يعمد المربّون والاهل على استغلال هذا التلازم وتنمية مسألة التعلّم والاستكشاف ومسألة التعبير والتعبير الابداعي لدى الطفل الى حدودها القصوى؟ وطبيعي أن يبقى السؤال بلا جواب راهن، نظراً لما يتطلّبه هذا من بحث او أبحاث ميدانية من

(١١) Henriot J., Le jeu, P. U. F. 1969 p. 37 cité par Gutton, Ph, Le jeu chez l'enfant, Larousse/ Université, 1973, p 118

(١٢) ibid. p 162.

قبل مجموعات عمل تحاول ان تسبر أولاً ما هو سائد في الموقف من لعب الاطفال وما هي طريقة تعامل الاطفال مع الالعاب التي بحوزتهم أو طريقة لعبهم، حسب مراحل العمر والدراسة (ما قبل المدرسة، المدرسة) وحسب البيئات والفئات الاجتماعية. وبعدها يمكن تحليل استراتيجيات العمل التربوية البحتة (في دور الحضانة والروضة والمدرسة) والتربوية الاجتماعية (الاهل، سوق الالعاب، مصادر ثقافة الاطفال: الوسائل السمعية - البصرية، أدب الاطفال ومشتقاته، المجتمع المحلي بعلاقته المتشابكة وما يشكّله من مصدر أساسي مؤثر في طريقة اللعب وفي التعامل مع الالعاب)...

وفي هذا المجال لا يسعنا سوى أن نسجّل بعض الملاحظات الاولية التي قد تلقي الضوء على المشكلة.

- من الملاحظ أنّه في البيئات المدينية خاصة، تكثر الألعاب (جمع لعبة) (jouets) وتتراكم لدى أطفال الفئات المتوسطة وما فوق من حيث مستوى الثقافة والدخل. وكلما اتجهنا صعداً في الهرم الاجتماعي، كلما ازداد عدد الالعاب واختلفت أنواعها والعكس صحيح كلّما اتجهنا نحو الادنى. وهذا لا يعني أنّ أطفال الفئات الدنيا يلعبون قليلاً، وانما فقط أدوات لعبهم «المسوّقة» قليلة. كذلك الحال بالنسبة للأرياف حيث لم تغزُ سوق الالعاب بيوت المقيمين هناك، علماً أنّ نشاط الاطفال اللعبي يكاد يفوق نشاط أيْ طفل متخم بألعاب السوق.

إنّ الألعاب الموجودة في السوق [محلاّت كبيرة وصغيرة، مكتبات (في جزء منها)، عربات متجولة] برسم الاستهلاك لكل طفل يرى، باتت تشكل عند إقتنائها من قبل الطفل، رمزاً للمكانة الاجتماعية والثقافية أيضاً بالنسبة للأهل، وذلك حسب الكثرة والوفرة والتنوع. وغالباً ما يختار الاهل ألعاب أطفالهم وأصدقاء أطفالهم (عن طريق تبادل الهدايا) وغالباً ما يقع الاختيار على النماذج المنمنمة المنقولة حرفياً أو المتطورة وهمياً عن نماذج عالم الكبار والعالم المتقدم صناعياً.. ولا خيار لهم بالأحرى غير ذلك: سيارات مختلفة الأنواع والمهمات من الحجم الصغير إلى الحجم الوسط (بقياس الصغار طبعا). ناقلات.. أعتدة حربية «منمنمة» تفوق بأنواعها أعتدة أي من البلدان «النامية».. ولا تسل عن رجال الفضاء والرجال الآليين وغيرها من الالعاب المسيّرة ذاتياً او ميكانيكياً وهذا الى جانب حديقة الحيوانات المخملية. في هذه الحومة تضيع الألعاب التركيبية ولكن تبقى العرائس والدمى في الصدارة، مع كل «جهاز العروس» الجميلة والمتطلبة، من الملاعق والصحون الى الغسّالة والجلاّية والتلفزيون[13].

هذه «النّمَيْذَجات» عن عالم الكبار، تبهر الطفل للوهلة الاولى، يستمتع بغرابتها او حركتها، وربما استفاد بمقارنتها مع ما هو موجود بالحجم الكبير. أوْ حاول أنْ يتخيّل غرائبها

---

(١٣) Roland Barthes, Mythologies, Ed. du Seuil 1957, p. 58 - 60.

في حال عدم وجود الأصل. وربّما أيضاً اكتشف كيفيّة تركيبها وأسرار داخلها في حال تكسّرها أو تفككها! ولكنها تبقى بعيدة عنه غريبة عن خياله، غير محرّكة لابداعاته التعبيرية.

في المكان الآخر، حيث الهواء النقي يمنع أمراض التخمة باللعب المذكورة، يخيّل الطفل فوق ظهر حصان - غصن شجرة أو خشبة مرميّة، يصنع أشكال لعبه بعناصر طبيعية من التراب والماء، أو العجين... واذا أرادها أكثر ثباتاً وديمومة صنعها من الخشب أو من أسلاك معدنية أو من بقايا أيّ شيء يمكن أنْ يتحول الى شكل ما. وربما ساعده أحياناً كثيرة أهله في هذه الحرفة. ولكنه يبقى محافظاً على العهد مع لعبته لأنّه يعرف ثناياها.. لأنّه يستطيع أنْ يسميها، أن يعطيها وظيفة ما في خياله وفي «واقعه». كذلك الفتاة التي تصنع دميتها بيديها او بمساعدة امها.. تستعمل خلال صنعها أدوات عديدة وأنواعاً من الاقمشة والاشياء التي تأخذ قيمة معينة عندما تدخل في تركيب هذه الدمية.. إنّها تستطيع أن تغير شكلها، أن تكبّرها، أن تجعلها أصغر.. وتصغر المسافة بين الدمية والطفلة فترى فيها عواطفها وانفعالاتها دون وجل.

اما الدمية المترفة المعروضة في المحلات الكبيرة، فإنّها ضد الكسر وضد اللعب... إنّها كما المرأة الدمية تشكل نموذجا إستعراضيا من نوع الكماليات المغلّفة بورقة فاقعة الالوان تجذب المستهلك.

إنّ المقصود، بعد هذا كلّه، ليس «موشحاً» إيكولوجياً ضد إنعدام التوازن الذي تسببه المدينة وحسب، ولا المقصود حرمان الاطفال من ابتكارات العصر الذهبي للألعاب ولا إبقاء المحرومين منهم، محرومين أبداً من متعة اقتناء اللعبة.

إنّ ما لا بُدّ منه خلال هذه الملاحظات، والمطلوب جعل الطفل في حالةٍ أكثر انعتاقاً أمام مغريات الألعاب المسوقة، ومساعدته على أنْ يكتشف بيئته بنفسه وتعويده على ممارسة إمكاناته الخلاّقة في صناعة الدمية.. وفي تمثّل الأدوار والعلاقات والرموز... في لعبه الايهامي..

إنّها دعوة ضد الاستهلاك المتعاظم لكل الأشياء الجاهزة سلفاً، إستهلاك يقوم به الأهل في ما يخصهم ويخص أطفالهم جاعلين منهم «مستهلكين صغار» للألعاب الجاهزة كما للأفكار المنمطّة. ولعل هذا هو مقتل الابداع ومقتل التّعلّم لدى الطّفل الذي تعود أن يُراكِم اللُّعَب في غرفته كما يُراكِم التمثلات الثقافية - الاجتماعية التي يقدمها أهلُه ومصادر المعرفة المتنوّعة في فكره ومُخَيِّلته... دون أنْ تعطي هذه «المراكمة» الإمكانات الخلاّقة للتعلم والتّعلم الاجتماعي والتعبير بكل اشكاله.

هيام المولى

قصة أمراض القلب

بقلم د. محمد ياسين

- ٤ -

هذا عن الطب عند المصريين بشكل عام، أما ما كانوا يعرفونه عن حقيقة القلب والشرايين فمختلف والمعلومات عنه غير واضحة تماماً، وإن تكن بعض المخطوطات لا تخلو من ذكر أشياء مثيرة عن القلب والأوعية الدموية، مثل: «إن الهواء يدخل من خلال الأنف فيذهب إلى القلب والرئتين، ومنها إلى كل أنحاء الجسم». ومثل ما ورد في مخطوطة أخرى لـ «إيبر» يعود تاريخها إلى حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، ويفهم منها أن المصريين لم يكونوا يجهلون النوبة القلبية؛ «عندما تعاين مريضاً بالقلب يشكو آلاماً في الذراع والصدر من جهة القلب، فهذا يعني أن الموت يقترب منه»!

أما النبض الشرياني وعلاقته بنشاط القلب فيظهر أنه كان معروفاً لدى المصريين، إذ ورد في إحدى البرديات التي كتبت عام ١٥٥٢ قبل الميلاد، في بدء الكتاب السري لأطباء القلب في معرفة حركة القلب: «توجد أوعية من القلب إلى كل الأعضاء. إذا وضع الطبيب أو جراح يده أو أصابعه على الرأس، على اليدين، على مكان المعدة، أو القدمين، فإنه يفحص بذلك القلب لأن الأوعية موجودة في كل الأطراف، إنه القلب يتكلم عبر كل أوعية الجسد».

الإغريق، وأمراض القلب والشرايين

ترك الاغريق لنا كثيرا من الدلائل المخطوطة وغير المخطوطة تثبت ما توصلوا إليه في هذا المجال، وتبين مدى تقدم معارفهم، في حقل طب أمراض القلب، عن معارف غيرهم من الأمم والشعوب القديمة، وقد ساعدهم على هذا التقدم ظهور الأبجدية في أيامهم.

ولقد بقيت المعلومات المهمة في تاريخ الطب اليوناني تعود حتى قرن من الزمن إلى أبوقراط والأطباء الأبقراطيين في مخطوطاتهم.

ومن خلال هذه المخطوطات نجد أن الاغريق كانوا على جانب كبير من إجادة الفهم والمعرفة وخاصة فيما كتبوه عن تشريح القلب.

والقلب ـ عندهم ـ عضو هام ونبيل، وهو مركز الذكاء. وقد لفتت الأوعية الدموية انتباههم كما انتبهوا إلى جريان الدم فيها، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى معرفة ذلك بشكل حقيقي ودقيق. كما أنهم تعرفوا على بعض أمراض القلب ولكنهم لم يردوها إلى أصولها القلبية أو الشريانية إلا في حالات نادرة جداً.

ومما ورد في مخطوطاتهم الدالة على عمق معرفتهم في هذا المضمار ـ إذا قيسوا ببقية الأمم ـ قولهم مثلاً: « القلب بشكل هرمي، وبلون أحمر غامق، يلفه غشاء أملس، وحوله سائل شبيه بالبول بحيث يظن أن القلب يدور في مثانة ».

أو وصفهم للقلب بأنه « عضلة جد قوية، وتحت غلاف واحد هناك بطينان الأيسر منهما أكبر من الأيمن». أو ذلك الوصف الدقيق الرائع لصمامي الشريانين: الأبهر والرئوي: « على مدخل كل منهما ثلاثة أغشية بشكل نصف دائرة في أطرافها، وعندما تقترب من بعضها، كم هو عجيب كيف تغلق المداخل، حدود الأورطيين ».

لكن الأبوقراطيين كثيراً ما كانت ملاحظاتهم وتحليلاتهم قاصرة عن الوصول إلى الحقيقة، وكثيراً ما نجد لهم معتقدات فيزيولوجية وتشريحية لا تمت إلى الحقيقة والواقع بأي سبب، ولا ترتكز إلى أية قاعدة علمية أو طبية معقولة. فقد كانوا يعتقدون مثلاً أن الهواء يدخل في القلبين الأيمن والأيسر على حد سواء، وأن الدم يندفع في البطين الأيمن إلى الرئتين لتغذيتها.

لكننا ـ من ناحية ثانية ـ نرى أن بعض ملاحظاتهم وآرائهم ـ فيما يتعلق ببعض أمراض القلب وأعراضها ـ على قدر كبير من الجودة ومقاربة الحقيقة:

« تكرر الآلام القلبية عند كبيري السن مقدمة لموت مفاجىء ».

« السمان أكثر تعرضاً للموت المفاجىء من أصحاب الأجسام النحيلة ».

وفي كلامهم عن خناق الصدر:

« الألم يتجه نحو الترقوة، أو هو بشكل ثقلا في الذراع أو حول حلمة الثدي ».

و « في مرض حاد، الآلام الحادة التي تنتقل في قليل من الوقت إلى الترقوة والظهر، هي آلام مشبوهة ».

كل هذا ـ طبعاً ـ مجرد أوصاف وافتراضات لم يؤكد الأبوقراطيون على مصادرها القلبية، ولكنها على كل حال دليل على أنه قد كانت تحصل في ذلك الزمن حالات جلطة قلبية وحالات خناق صدري وغير ذلك.

وجاء بعد الأبوقراطيين أفلاطون. ورأيه في القلب والرئتين شبيه برأي أبوقراط وجماعته. فالهواء يدخل إلى الرئتين لترطيب الدم، ثم يذهب إلى القلب، ومنه إلى كل أنحاء الجسم.

أما أرسطو فقد عارضهم ـ كما يظهر ـ وإلى حد ما في بعض الأمور، فقال مثلا بأن الدم يختلج في شرايين كل الحيوانات، ويعبر عن خضاته بالنبض و « كل الشرايين تنبض في آن واحد لأنها مرتبطة بالقلب الذي هو في حركة دائمة ومعه الشرايين وفي نفس الوقت». والقلب في نظره « مصدر الحرارة والحياة، أما الموت فهو الخلل الناتج عن فقدان الحرارة، وعلامته توقف القلب عن الحركة ».

لكن أرسطو لم يبتعد كثيراً عن سابقيه من الاغريق فقد كان يعتقد أن القلب

يتلقى الدم من الكبد والأوعية المعوية، ويتلقى من الرئتين « الهواء لترطيب الدم » .

مدرسة الاسكندرية:

اضحت الاسكندرية بانتقال أفضل أطباء اليونان إليها حوالي عام ٣٣٠ ق . م . مركز الثقل في ميدان الحقل الطبي، ولكن القلب لم يكن بالنسبة إليهم إلا مركزاً للروح أما الشرايين فهي أقنية هوائية .

وقد اشتهر من أطباء الاسكندرية « هيروفيل » الذي اهتم اهتماماً بالغاً بالنبض، حتى ليقال إنه أول من راح يعده بالنسبة للوقت .

الرومان . . جالينوس . . وأمراض القلب .

نتيجة لاكتساح الرومان لبلاد اليونان وللشرق في إبّان القرن الأخير قبل الميلاد بدأ الأطباء الكبار يتجهون نحو روما .

ومن أشهر أطباء العهد الروماني « سلس » و « جالينوس » .

أما سلس فقد سجل نقطة جيدة في التعرف إلى حقيقة الشرايين والدم فقال بأن الشرايين يجري فيها الدم لا الهواء كما كان يظن أبوقراط والأبوقراطيون من قبل .

ولكن سلس رغم هذا الرأي الرائع الذي سجل له لجأ الى طريقة غريبة في مداواة المرض الذي كان الاغريق يدعون أنه قلبي والذي يتميز بتعب وانحطاط شديد وعرق كثير . وهذه الطريقة هي أن يمسح المريض ببعض زيت الورد والسفرجل والريحان . . وخارج الحالات الشديدة كان يعطي مريضه بعض النبيذ .

وبقي الطب الروماني عدة قرون يراوح مكانه مستفيداً من طب اليونان متأثراً طريقه حتى جاء جالينوس آخر كبار أطباء اليونان وأشهرهم وأعظمهم، حوالي القرن الثاني الميلادي .

وبحق يمكن اعتبار جالينوس أول الأطباء القدامى المحدثين، حيث اعتمد وإلى حد كبير على البحث والتجربة . وبالرغم من وقوعه في كثير من الأخطاء الناتجة عن اعتقاده بأن ما شاهده في جثث الحيوانات لا بد وأن ينطبق على الإنسان، فإنه بقي أشهر الأطباء الرومان على الإطلاق قروناً عديدة .

ولقد برع جالينوس في مجال الطب القلبي - بالقياس إلى زمنه - وأجاد في وصفه لعضلة القلب وصماماته وللأوعية الدموية بنوعيها « الأوردة التي تصل إلى القلب من أنحاء الجسم، والشرايين التي تخرج من القلب إلى الجسم » .

ويتميز الدم الشرياني في رأي جالينوس عن الدم الوريدي بأن الأول قد نقي بفضل الهواء الآتي من الرئتين إلى الدم بينما تقل نقاوة دم الأوردة لقلة الهواء فيها .

رغم كل هذه الملاحظات الجيدة والآراء الصحيحة التي جاء بها جالينوس، إلا أنه قال بآراء بعيدة عن الحقيقة والواقع وبخاصة فيما يتعلق بعمل القلب والشرايين والتجويفات وغير ذلك كثير .

في الحلقة المقبلة: تاريخ الطب عند العرب .

ميكيل انجيلو العظيم في حوار حول وفاة رفاييل

بقلم سمير شيخاني

يقول الفيلسوف الاميركي جورج سنتيانا في إحدى قصائده إن الله ضاعف الخليقة عندما خلق شكسبير . . . والقول هذا ذاته يمكن أن يقال عن ميكيل انجيلو، هذا الجبار بين الجبابرة الذي وُصف بأنه « إزميل الله » .

أبصر ميكيل أنجيلو النور في فلورنسا السنة ١٤٧٥ ، وترعرع فيها، ونشأ في اسرة لا نساء فيها . كان له أربعة أشقاء، وقد توفيت والدته وهو بعد في السادسة من عمره . دخل محترف غرلندايو وهو في الثالثة عشرة ليتدرب على يدي هذا الفنان الذي كان وقتئذ يزين بالرسوم جدران كاتدرائية سانتا ماريا الجديدة .

ولكنه لم يستطع البقاء طويلا لدى غرلندايو الذي تملكه الحسد والغيرة من مهارة ميكيل انجيلو الفنية، فكانت تلك نقطة تحوّل في حياته، إذ أنصرف باكراً الى دراسة النحت على يد النحّات العجوز الشهير برتولدو الذي كان يعطي دروسه للناشئين في حديقة قصر لورنزو العظيم، واشتهر برعايته الفنون . وقد حدث ذات يوم أن شاهد لورنزو ميكيل أنجيلو الفتى ينحت تمثالاً متقن الصنع من قطعة رخام مهملة، فأعجب به، وأدخله قصره، وعامله مثل اولاده وأجلسه الى المائدة معهم . ومذ ذاك تفتحت أمام ميكيل أنجيلو آفاق واسعة جديدة ما كان ليحلم بها فحول هذه المائدة الفخمة كان يتحلق كبار شعراء العصر وعلمائه . وكانت القراءات القيّمة تحتل مكان الثرثرة الفارغة . وقد اطلع الفنان الفتى في تلك المرحلة من حياته على فلسفة أفلاطون، وشاعرية دانتي .

وهكذا برزت فيه موهبة جديدة . فقد نظم فيما بعد سبعاً وسبعين قصيدة، تبدو في إخلاصها أنها ذوب روحه الكبيرة الزاخرة بالعواطف السامية، والرؤى السماوية . سوى أن شخصيته الإنسانية كانت على نقيض روحه . كان غضوباً، سيء الطبع، مرّ اللسان . . .

وفي السنة ١٤٩٢ التي توفي فيها لورنزو العظيم، إنطلق ميكيل انجيلو الى روما التي كانت فيها وفاته السنة ١٥٦٤ .

(ميكيل أنجلو في محترفه البارد المظلم . . . هناك تمثال لم يتم بعد، يقع عليه نور مصباح نحاسي خافت يحمله انطونيو اوربينو، خادم الفنان) .

ميكيل أنجيلو ـ لقد مضى علي أيام وأنا حزين.. الليل بهيم، وعلى ضوء هذا المصباح الشاحب أشاهد عالماً من الافكار... ترى ما الساعة الآن؟

أوربينو ـ أعتقد إنها أوشكت أن تقارب منتصف الليل. يجدر بك أن تأوي الى فراشك.

ميكيل أنجيلو ـ المطر غزير في الخارج، وإنه ليخيل الي أن نهراً يتدفق من السماء على السطوح. ألا تشعر بالعاصفة الهوجاء؟ ألا ترى البرق يسطع من خلال خشب النافذة؟ ولكن يا للهدوء الذي يختفي وراء كل هذه الجلبة! إن قصف الرعود البعيدة رائع، وليس ثمة أي صوت بشري زائف حقير، يرتفع لازعاجي... بإستطاعتي أن أبدع... أن أخلق. إن روحي حرة طليقة... إنني سعيد... بوسعي الآن أن أنطق الرخام... هوذا الرأس الحي يتجلّى أمامي.. إنه يتململ أبيض ناصعاً تحت الأزميل الذي يُبرز تقاطيعه واحداً واحداً.. إنها تتكلم هذه التقاطيع، يا أوربينو!

أوربينو ـ أيها المعلم.

ميكيل أنجيلو ـ إنك تستسلم للرقاد فوق مقعدك.. يجمل بك أنت أن تأوي الى فراشك.

أوربينو ـ لا يسعني ذلك. أنام عندما تنام أنت... لا قبلك.

ميكيل أنجيلو ـ يا للعناد الغريب!

أوربينو ـ صحيح أنني لم أعد شاباً، وأخشى البقاء مستيقظاً الى هذه الساعة المتأخرة، ولكن المركيزة قالت لي: «عندما لا يخلد سيدك الى الراحة لا تخلد أنت الى الراحة، وسترى ما إذا كان يهتم بصحة خادمه العجوز».

ميكيل أنجيلو ـ إمنحني بضع دقائق أخرى... هناك شيء يجب أن أتمه.

أوربينو ـ بضع دقائق لا أكثر... فالمركيزة تود...

ميكيل أنجيلو ـ حسناً إذن... أرو لي قصة تطرد عني النوم.

أوربينو ـ ذهبت اليوم الى الكاتب العدل...

ميكيل انجيلو ـ دعنا من هذا الحديث.

أوربينو ـ إنه يقول إن الفتاتين اللتين قدمت إليهما مهراً محترمتان.

ميكيل أنجيلو ـ يسرني ذلك، يا أوربينو... أتمنى لهما كل سعادة. إنهما صبيتان محبوبتان مع إنهما قبيحتا الشكل.

أوربينو ـ وقد رأيت إبن أخيك... جاء في أثناء غيابك.

ميكيل أنجيلو ـ حسناً.. فاذا اتفق أن عاد قل له أن يدعني وشأني، ويهتم بشؤونه.

أوربينو ـ إنه يعتقد، وهو على صواب في إعتقاده، إن أهم شيء في نظره أن يشكرك على مبلغ الثلاثة آلاف كراون التي منحته إياها، وأنت لا تملك ثروة.

ميكيل أنجيلو ـ يعلم جيداً أنني أحبه، ولا حاجة به الى شكري.

أوربينو ـ الساعة تدق الواحدة، أيها المعلم. الواحدة بعد منتصف الليل.

ميكيل أنجيلو ـ لقد انتهيت. إلا أنني أشعر بجوع شديد. هل لديك طعام هنا؟ أنظر في الطبق.

اوربينو ـ سأرى.. آه إنك تهمل شؤون منزلك... ما أن ترى النقود بين يديك حتى تمنحها لأول سائل.

ميكيل أنجيلو ـ الإنسان لا يحتاج إلا الى القليل القليل للإبقاء على وحدة جسده وروحه، وإلا إنه بحاجة الى جماع قوته للتسامي بروحه.

اوربينو ـ هذه كسرة خبز، ولكنها يابسة، وقطعة جبن، وقليل من النبيذ في قعر هذه الزجاجة.

ميكيل انجيلو ـ رائع. هات كل ذلك.
(قرع عنيف على الباب)

ميكيل انجيلو ـ من الطارق في هذه الساعة المتأخرة؟ أنظر، يا اوربينو.

اوربينو ـ من الطارق؟

صوت ـ انا... أنطونيو ميني... إفتح، أيها المعلم... أنا تلميذك.. لديَّ أخبار هامة لك

ميكيل أنجيلو ـ تلميذي أنطونيو ميني، افتح الباب. هل من أنباء سيئة؟

انطونيو ـ آه، أيها المعلم... إنها لكارثة رهيبة!

ميكيل انجيلو ـ ما وراءك؟ إنك شاحب اللون.

انطونيو ـ رفاييل يموت... لا شك أنه مات الآن!.

ميكيل انجيلو ـ رفاييل... يا آلهي!

انطونيو ـ كنت في محترفه مع إثنين من تلامذته هما تيموسيو فيتي والفارو فالو. وكانت الساعة حوالي الثالثة، فجاء الخادم يقول إن سيده مريض، فقد أصابته حمّى منذ مساء أمس.

ميكيل انجيلو ـ منذ الامس؟ لا يدهشني ذلك. كان رقيق البنية... نصف امرأة، ونصف رجل. أنهك قواه بالعمل وبالاستسلام الى اللهو. قابلته لأربعة أيام خلت وهو يقوم بحفريات في كامبو فاتشينو. واذكر أنني حذرته من الحفر في هذا الوقت من السنة. أتقول إن حالته سيئة؟

انطونيو ـ إذا لم يكن فارق الحياة الآن فلن يعيش حتى مطلع الفجر. طلب أن يحمل الى المحترف، وقد رأيته شاحب اللون، كالمغمي عليه، وعيناه عالقتان بلوحته «التجلّي»، وبالقرب من السرير الذي أقيم له هناك على عجل وقف أصدقاؤه من الرجال الروحيين، وبعض من السادة الذين لم أعرفهم..

◀



« لا بييتا » La Piéta – لميكيل أنجيلو – موجودة في كاتدرائية مار بطرس في الفاتيكان .

ميكيل انجيلو ـ اوربينو، هات قبعتي وعباءتي، ينبغي لي أن أذهب . رفاييل ... رفاييل يموت! رباه، هل هذا معقول؟! هيا بنا . لنسرع!

اوربينو ـ مهلاً ، يا سيدي .. دعني أضيء المصباح ... سأنير طريقكم ...

ميكيل انجيلو ـ أتقول أن لا مجال لإنقاذه؟ هل أنت واثق؟ هل أستدعي الأطباء؟ ماذا قالوا؟ ماذا فعلوا؟ هيا بنا .

انطونيو ـ كان هناك أطباء عديدون ... نظراتهم كانت كئيبة، وقد هزوا رؤوسهم جميعاً ... وقد افصحت لنا عيونهم أن عملهم أعجز من أن يفعل شيئاً .

ميكيل انجيلو ـ تعال، يا اوربينو، هل أنت مستعد ؟

اوربينو ـ ها أنذا، يا سيدي .

ميكيل انجيلو ـ سر في المقدمة . . . اسرع .

(يخرجون الى الشارع المظلم . . . المطر توقّف، والسحب تذروها الرياح، فتنجلي السماء عن جزء من القمر الذي يرسل أشعته الباهتة على البيوت والطريق . يُسمع وقع خطى شديد) .

ميكيل انجيلو ـ ما هذه الجلبة ؟

اوربينو ـ ستعرف كل شيء بعد أن نجتاز ركن الشارع .

انطونيو ـ الى الأمام . حذار من هذا المستنقع أيها المعلم .

(الخادم يسند ميكيل انجيلو بذراعه . . . وفي تلك اللحظة يمر موكب قداسة البابا، يتقدم عربته التي أسدلت على نوافذها الستائر ضباط، وجنود، وخدم، وحاملو المشاعل التي تلقي أنوارها الحمراء على المنازل) .

ميكيل انجيلو ـ (مخاطباً أحدهم) ـ ما معنى هذا ؟

احدهم ـ إن قداسة البابا عائد الى قصر الفاتيكان .

ميكيل انجيلو ـ هل رفاييل ؟ . . .

احدهم ـ مات رفاييل، لم يبقَ في إيطاليا غير ميكيل انجيلو وحده .

(يتابع الموكب سيره، بينما يتهالك ميكيل انجيلو على مقعد حجري . . السحب انجابت والقمر يتلألأ في كبد السماء)

ميكيل انجيلو ـ إنني بقيت . . . حقاً بقيت وحدي ! في العام الماضي مات ليونارد دا فنتشي، والآن مات رفاييل، وجميع الذين عرفناهم نحن الثلاثة، واستمعنا اليهم رحلوا منذ زمن طويل . وأنا وحدي بقيت . جاء وقت كنت أتمنّى فيه أن أكون الوحيد الفريد الذي لا ينازعه أحد في معرفة الأسرار السماوية المبدعة، الخلاقة . كنت أعتقد أن سعادة المرء التي ما بعدها سعادة أن يشبه الشمس، في وسط الفلك، لا مثيل لها، ولا منافس . . جاء وقت لم أكن لأحبّ فيه ليوناردو، وكنت أهزأ في أعماق نفسي برفاييل . وكنت أردد فيما بيني وبين نفسي لأقنعها أنني أنظر اليها من علٍ . أجل، يا ميكيل انجيلو، مرت أيام كنتَ فيها مخلوقاً حقيراً، قصير النظر، لا يعجبك أحد لا يشبهك . والحقيقة أنهم كانوا جميعاً مثلك، أو أفضل منك . . . والآن أصبح لي كل ما اشتهيت النجوم ترصّع السماء، وها أنذا وحدي . . . وحدي في وحشتي . وهناك تيسيانو، إنه عبقري عظيم، وهناك اندريا دل سارتو . وهناك . . . ولكن هيهات مهما تبلغ شهرتهم فلن يضاهوا ليوناردو دا فنتشي الراقد هنا . . . ؟ آه ورفاييل، يا لجماله، ولذكائه، ولحلاوة حديثه ومظهره ! كان له كل ما لا أملك، وكل ما لا أستطيع الوصول اليه . أحبّه

الجميع لأنه كان يستحق حب الجميع . رباه ـ رباه ، ماذا عراني ؟ ماذا يجيش في نفسي ويستدر دموعي ، أنا الذي لم أبكِ في حياتي فيما أفكر ؟

اوربينو ـ تعال ، أيها المعلم ستصاب بالبرد .

انطونيو ـ هات ذراعك ، ولنعد الى منزلك !

ميكيل انجيلو ـ أجل ، ينبغي أن نحفظ قوتنا ونعمل ما دمنا معلقين بسلسلة الحياة . . .

كان ميكيل انجيلو في الثلاثين من عمره عندما أقام في المدينة الخالدة روما ، يعمل في النحت والتزيين ثلاثين سنة متواصلة . ومن أبرز أعماله في هذه المرحلة ـ الى جانب ضريح البابا يوليوس الثاني الذي لم يتم ويعتبر آية في النحت ـ تزيين سقف كابيلا السيستين في الفاتيكان الذي يرتفع عن الأرض زهاء أربعين قدماً وتبلغ مساحته حوالي ٤٣٥٦٠ قدما مربعا . وهو مقوس وتتخلله نوافذ لقد كان مثل هذا العمل مشكلة كبرى للرسام الماهر ، فكيف به بالنسبة الى مايكل انجلو الذي لم يمارس الرسم طويلا ، ولا سيما الرسم في وضعية كهذه ، إذ كان عليه أن يستلقي على ظهره فوق لوحة خشبية ويزين هذا السقف وهو نائم . وكانت قطرات الدهان تتساقط على وجهه وهو يعمل فرشاته في الرسم . وكان الطعام يرسل اليه . . . . الى فوق ، فيأكل ولا ينزل من مكانه إلا وقت النوم .

أما الموضوع الذي إختاره ميكيل انجيلو لوحة كبرى لتزيين السقف فهو التكوين ـ تكوين العالم في الأيام السبعة الأولى ، وسقوط آدم وحواء من الجنة ، والطوفان .

وزين ميكيل انجيلو كذلك جدار كابيلا السيستين القائم خلف المذبح في غضون سبع سنوات ، وكان موضوع اللوحة هذه يوم القيامة .

وتقدمت السن بميكيل انجيلو وتولاه الضعف والوهن ، وكان قد تعرف بسيدة نبيلة تدعى فيتوريا كولونا ربطت بينهما صداقة متينة فكانت مستودع سره . فلما توفيت أصبح كالناسك يعيش في أحد المنازل الحقيرة في روما مع أنه كان يملك عدداً كبيراً من المنازل الفخمة ، والمزارع ، وثروة لا بأس بها ، ويعيل اشقاءه ، ويمنح باستمرار مبالغ من المال للفتيات الفقيرات مساعدة منه على أزواجهن . وبلغ الثمانين من عمره فراح يتعاطى الهندسة ، وكان بعد مبتدئاً عندما كلّف إتمام كاتدرائية القديس بطرس التي بقيت بدون سقف زهاء خمسين سنة من وضع الحجر الأساسي لها . وقد استغرق العمل فيها وقتاً طويلاً كان ميكيل انجيلو بشغله في تصميم العديد من الكنائس ، والقصور ، والبوابات ، والجسور ، والمتاحف ، والساحات العامة ، والسلالم ، في طول روما وعرضها ، حتى أن أسلوبه الهندسي ما عتم في النهاية أن سيطر على المدينة الخالدة . وقد رأى قبل وفاته في التسعين من عمره عمله في كاتدرائية القديس بطرس يقارب النهاية ، فرأى أروع قبة في العالم تتجاوب فيها مع كل نغمة تتعالى من الأرغن أو من الكورس آخر أصداء هذه الروح الجبارة .

سمير شيخاني

خمس ست كلمات

بقلم نصرت توفيق خريش

في مآتم الكبار، الشعور بالاعتزاز، عند بعض الناس، يطغى على الشعور بالحزن... فيعصو الدمع عندهم.

* * *

البطولات في العصر الحديث، تؤديها الآلة.
فاين هي البطولات التي سيقوم بها الانسان إذن، ما دامت الآلة مكانه؟
الجواب: بطولة الانسان، بعد الآن، ان ينتصر على احقاده ورواسب ذاته.

* * *

بعضهم يملأ الدنيا احتجاجا: ويشغل الناس كلاما، ويغيب عن باله، انه رغم كل فرص الحرية والحركة التي اتيحت له، لم يعمل شيئا... حقيقة كهذه تكشف المضللين.

* * *

يكون النصر في متناول اليد، عندما يكون هنالك:
رؤية حسنة،
وتحمس بالقضية،
فانسجام، فتوحيد كلمة.

* * *

ان العواصف عندما تضرب، تضرب رؤوس الجبال.
وهكذا المصائب عندما تنزل، تختار كبار الرجال.

* * *

اذا أقمنا القلاع والحصون، وبنينا الدور والقصور، وفشلنا في بناء المواطن، فبناؤنا المادي فاشل، وعرضة للزوال.

* * *

ان التفاوت الكبير بين التقدم الاقتصادي والتأخر الأخلاقي عند الفرد،
يجعل من الاصلاح مهمة مستحيلة.

* * *

السؤال: هل أصبح العامل مسمارا في الآلة، متى صدىء القوا به، خارج المعمل؟

الجواب: الجواب ليس عند اصحاب المصانع والمعامل، بل عند الانسان نفسه، عاملا ورب عمل، وحاكما مشرفا!...

نصرت توفيق خريش

«أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي»

حسن الزين

أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي

بحث في الأوضاع الاجتماعية والقانونية

تأليف: حسن الزين

يعرض كتاب «أهل الكتاب في المجتمع الاسلامي» لحسن الزين (توزيع «دار النهار للنشر»)، عبر ١١ فصلاً، موقف الاسلام من اهل الكتاب معتبراً ان حرية المعتقد والفكر هي الاساس في تعامله مع اهل الكتاب. ورسم المؤلف صورة للاوضاع القانونية والاجتماعية التي عاشها اهل الكتاب على طول مراحل الدولة الاسلامية، وانطلق من واقعين: الواقع القديم (الدولة الاسلامية في مراحلها الاولى)، والواقع الجديد (مرحلة الدولة العثمانية وما تلاها). ويعتبر حسن الزين ان مختلف العهود التي عقدها النبي محمد اصبحت نموذجاً لمثيلاتها في مختلف عصور الحكم الاسلامي، وهي كانت في مصلحة التسامح ومصلحة (اهل الكتاب من مسيحيين ويهود. وهذا بالطبع أدى الى تمكين أهل الكتاب من احتلال موقعهم في المجتمع الاسلامي، فتوضحت الهيكلية الاجتماعية والقانونية للمسيحيين واليهود في القول والممارسة في صورتها المثلى».

ويشير المؤلف الى العصرين الاموي والعباسي وبروز دور ثقافي كبير لأهل الكتاب، وظهور قوانين تحد من حرية فئات منهم، ووصل عدد منهم الى مراكز الحكم (وزراء ورؤساء ديوان الجيش وكتاب دواوين)، وظهور الفتن الطائفية والمذهبية بين المسلمين وخروج بعض الطوائف والمذاهب الاسلامية المخالفة لمذهب الحاكم.

وفي فصل «في العهد العثماني» يعالج المؤلف وضع اهل الكتاب في الدولة العثمانية وعلاقاتهم بطبقات المجتمع الاسلامي. وابرز هذه العلاقات بروز معاهدات توالت عبر مختلف عصور الدولة العثمانية في علاقاتها مع الدول الاوروبية الكبرى. ويعتقد المؤلف هنا أن تأمين مصالح اقتصادية وسياسية للبلدان الموقعة للمعاهدات «ادى الى تمزيق وحدة المجتمع العثماني حتى داخل تركيا نفسها».

عن «النهار العربي والدولي»

«لبنان»
قضية ورجال

تأليف: زهير المارديني

عندما يكتب صحافي وأديب مثل زهير المارديني إنما لا يكتب بقلمه فحسب، وإنما يسجل كذلك شعوره وتجاربه وأحاسيسه بأسلوب شيّق وكتابة ممتعة.

فبعد مؤلفاته «عشرة من الناس» و «شاهد على المذبحة» و «ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني» و «نهاية شاعر بيرم التونسي»، أصدر كتابه «لبنان: قضية ورجال»، حيث يطلع القارىء على رأي الدكتور امين الحافظ وهو يحدثنا عن أدق الأسرار التي عاشها في المجلس النيابي والحكم.

ثم نذهب مع أكرم زعيتر في رحلة ممتعة يحدثنا فيها هذا العربي عن الأيام التي قضاها وهو يسمع دوي القنابل والصواريخ ويدوّن ذكرياته.

ورحلتنا مع منح الصلح فيها غذاء للفكر، يكشف خلالها أعماق شعور المسلم والمسيحي، والمرحلة التي مرّ بها لبنان قبل الاستقلال وبعد الإستقلال.

ويشرح الدكتور بطرس ديب الماضي الذي أوصلنا الى هذا الحاضر وكيف يمكن إنقاذ المستقبل.

ويروي جوزف ابو خاطر اخطار التقسيم الذي ما يزال شبحه يهدد الجميع قاتلين ومقتولين.

ويطرح قبلان عيسى الخوري الخطط لبناء لبنان وفق أسس وقواعد جديدة.

ويقول الاستاذ سليم اليافي في المقدمة: «لقد عاش الاستاذ زهير قضية لبنان وجروح لبنان.. يعيشها مع دمه.. مع الدموع والآلام، ومع الابتسامة والآمال. يعيشها صيحة بعد ان كان يتغنى بالشعراء والحاسين وينادم كبار الادباء والفنانين.. نراه اليوم ينادم كبار السياسة والادب، وهو يكتب بلسانهم وافكارهم يؤرخ ملامح القضية من زوايا متعددة وآفاق مختلفة، وقد نجح في انتزاع آراء هؤلاء الرجال العرب الذين يحبون لبنان والعرب».

جنوب لبنان والاعلام

في سياق البرنامج الذي وضعه المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ألقى الاستاذ رضوان مولوي مدير عام وزارة الإعلام محاضرة بعنوان «جنوب لبنان والاعلام» استهلها مشيداً بصمود الجنوبيين في مواجهة التحدي الاسرائيلي، كما حيا الانتفاضة التي تحولت الى شبه ثورة شعبية في وجه العدو الاسرائيلي.

وتطرق الى السياسية الرسمية الإعلامية من قضية الجنوب والى الحملة العربية لنصرتها.

عن الإعلام الاسرائيلي قال: «أنه استطاع خلال ثلاثين عاماً غسل دماغ الرأي العام في الغرب وخنق ضميره مستخدماً وسائل الاعلام الغربية التي كانت وما زالت تخضع لنفوذ الصهيونية.

وعن الاعلام اللبناني حول الجنوب شرح خطة اعلامية متكاملة يشرف على تنفيذها بدعم من الجامعة العربية وتشمل مختلف اجهزة الاعلام في الغرب.

وأكد وزير السياحة الاستاذ مروان حمادة ان لبنان «سيبقى دولة موحدة ديموقراطية بلا تقسيم ولا توطين ولا انحراف عن خط الانتماء العربي».

واستبعد الوزير حمادة امكانية اجتياح اسرائيل للبنان «لكونه غابة من البنادق وارضه قابلة للحرب الشعبية، مما يجعل الاجتياح عملية خطرة تستحق استعمال الهاتف الاحمر بين موسكو وواشنطن».

لكنه اكد ان لاسرائيل اهدافا سياسية وعسكرية وسياحية في لبنان، وانها خططت منذ نشأتها لضرب لبنان، واتجهت بمخططاتها التآمرية الى داخله في غياب تضامن عربي فعلي.

وتحدث الوزير حمادة عن ابعاد المواجهة مع اسرائيل فقال: ان قضيتنا مع الصهيونية طويلة لا تنتهي الا بانهيار مطامعها الجهنمية فهي دخلت فلسطين العربية لا لتتعايش وتعيش بل لتلتهم الارض وتشرد اهلها ولتجعل من فلسطين منطلقا الى كل ارض عربية ولبنان هو الهدف الاول للطغمة الاسرائيلية العنصرية في جدول عدوانها، انها تريد ارض لبنان ومياهه تريد شعبه سكانا بدون هوية ولا تاريخ ولاليات اقتصاديا كان او سياسياً تماماً كما تفعل في الاراضي المحتلة.

واضاف ان الحرب المستمرة بيننا وبين اسرائيل لم تكن عفوية ولا بنت الظروف الدولية وان قولا كهذا جهل وافتراء اذ انها خططت منذ نشأتها لهذه الكارثة التي تتخبط فيها. وهي تحارب منذ عشرات السنين ثقافتنا واقتصادنا وتتسلل بسمومها الى عقر دارنا». ولتنفيذ مخططها حاولت في البداية ان تضرب لبنان ببطء. فتآمرت على مركزه المالي والثقافي وعلى مغتربيه محاولة الايقاع بينهم وبين بلدان اغترابهم

ولما اخفقت بدلت تصاميمها واتجهت اليه بكامل اسلحتها التآمرية، اتجهت نحو الداخل في غياب تضامن عربي فعلي فنجحت المؤامرة في جو من الخلافات بين الدول العربية فتحققت الحسابات واشتعلت الفتنة، وما زالت المطرقة الاسرائيلية تهوي على كل قائم من مرافقنا الحيوية، ولقد كان نصيب القطاع السياحي من المحنة كبيرا جدا فزعزعت بناه العقارية والاقتصادية والمالية، وانهارت الفنادق والمطاعم والملاهي وتضررت الاثار وطرق المواصلات واقفلت الاستراحات السياحية كاستراحة صور وعلقت المهرجانات الدولية في بعلبك وجبيل وغيرها.

وعدد الوزير حمادة انواع السياحة في لبنان، ثم انتقل لتحديد آثار العدوان الاسرائيلي على قطاعي السياحة والخدمات ولا سيما في الجنوب فقال: ان الضربات الاسرائيلية ولا سيما عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧، وضرب مطار بيروت عام ١٩٦٨ واجتياح الجنوب عام ١٩٧٨، ادت الى تهجير عدد كبير من الجنوبيين الى بيروت الشوف وصيدا والبقاع، وقدرت مصلحة الانعاش الاجتماعي عدد المهجرين بحوالي ١٨٥ الف شخص وشمل الاجتياح الاسرائيلي للجنوب ١٥٠ بلدة وقرية وادى الى تدمير ست قرى والحاق الاضرار بحوالي ٨٢ قرية حسب تقارير الصليب الاحمر الدولي.

شمس الدين يوجه نداء لابناء جبل عامل

وجه الشيخ محمد مهدي شمس الدين نداء الى الجنوبيين بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٨٢:

«ايها الاخوة والاخوات الاعزاء يا ابناء جبل عامل العظيم المبارك.

ان العدو الاسرائيلي يعود الى توجيه التهديد والوعيد ويكشف مجددا عن نياته بالعدوان على لبنان الجنوبي (جبل عامل) موطن البطولات والعلم والتقوى على مدى التاريخ.

إن العدو الاسرائيلي يمكن ان يقوم في هذه الايام بعدوان واسع النطاق امام سمع العرب والعالم وبصرهم ومستفيدا من تشرذمهم وتخاذلهم عن المسؤولية ومتذرعا بالفوضى الداخلية في الجنوب التي الغت كل اثر للدولة والقانون، ومستفيدا من رأس الجسر الذي يحتله في الجنوب.

وان هدف هذا العدوان هو الاستيلاء على الارض والمياه وتوسيع رقعة الاحتلال وتهجير اللبنانيين لاجل حل القضية الفلسطينية وحل قضية الشرق الاوسط على حسابنا.

إننا نواجه الان أعظم أيامنا شرفا وأشدها مرارة وأكبرها مسؤولية امام الله تعالى. **وإننا لسنا وحدنا في مواجهة هذا العدوان الاجرامي البربري، فان الله معنا** وان ايماننا بالله وبحقنا في الحياة الحرة

الكريمة اعظم سند لنا في مواجهة هذا العدو الباغي وفي التغلب على جميع المصاعب التي تحيط بنا. وحسبنا التأسي باصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الذين قال فيهم الله تعالى بعد غزوة بدر الكبرى التي غلبت فيها القلة المؤمنة المحقة الكثرة الكافرة المبطلة الباغية: ﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم﴾.

لن نستسلم للعدوان، بل سنقوم بواجبنا في التصدي له والقتال ضده ومقاومته بكل قوة ومواجهة المعتدين الاسرائيليين بكل سلاح للحيلولة دون تحقيق اطماعهم. وعلينا في الوقت نفسه واجب الصمود والثبات في الارض ومقاومة النزوح بكل الوسائل والامكانات لان المؤامرة التي تهدف الى احتلال الارض تهدف ايضاً الى تفريغها من السكان تمهيدا لفرض الاحتلال من جهة والتوطين من جهة اخرى.

إني واثق من وعيكم للمؤامرة وابعادها واطرافها الظاهرة والخفية، وواثق من تصميمكم على فضحها واحباطها وهزيمتها. ومن عزمكم الثابت على البقاء في الارض والمرابطة في الثغور ومواجهة العدو، فقد رأيت ذلك كله فيكم جميعا ورآه وسمعه العالم اجمع فكان موضع دهشته واكباره.

ايها الأعزاء، يا أهلنا في جنوب لبنان.

حافظوا على وحدة كلمتكم ووحدة صفكم وتجاوزوا كل الخلافات العارضة في سبيل الموقف المصيري. والان وقبل كل شيء حافظوا على الوحدة الوطنية في الجنوب، هذه الوحدة التي صهرت الطوائف والمذاهب في بوتقة وطنية واحدة على مدى الاجيال، ولا تسمحوا لأي داعية تفرقة ان يفرق بينكم ويشتت كلمتكم. وواجهوا العدو بقلب واحد وعزيمة واحدة.

وفي هذه الساعات العصيبة التي تمر على أهلنا ووطننا، أوجه أيها الاعزاء باسمكم جميعا، باسم الاطفال والنساء والرجال، باسم المقاتلين تحذيرا وتهديدا الى العالم كله: **ان الكارثة اذا وقعت على الجنوب اللبناني واهله فاننا سندفع بكرة النار الى كل مكان ولن ندع احدا على الاطلاق في العالم العربي وخارجه ينعم بالسلام والامن والاستقرار على حسابنا، على حساب لحمنا وارضنا.** سنفجر الرعب والموت والدمار في كل مكان من العالم وبخاصة اولئك المسؤولين عن طغيان العدو الاسرائيلي ودعمه وتيسير المناخات له ليقوم باعتداءاته.

ولذا فان مصلحة الجميع هي في ان يضعوا حدا نهائياً للعدوان الاسرائيلي وان يضعوا حدا لاحتلال ارضنا في الجنوب.

أيها الاعزاء، اعود الى تذكيركم بواجب التصدي للعدو والصمود في الأرض. **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.**

بيان المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

يعيش الجنوب اللبناني منذ فترة طويلة في جو الهجوم الإسرائيلي المرتقب على الجنوب وسط دعاية إعلامية عالمية لم يسبق لها مثيل. وإزاء الاستعدادات لمواجهة هذا الوضع، فوجئت جميع الأوساط بالمعارك بين أبناء الصف الواحد المفترض فيهما أن تحول البنادق الى العدو الصهيوني.

ففي مساء ١٩٨٢/٤/١٢ إنفجر الوضع في السكسكية والزرارية وعدلون، وامتدت الاشتباكات في الأيام التالية الى انصار والدوير وكفرحتى، لتشمل قرى قضاء الزهراني والنبطية، ووصلت الى العباسية ودير قانون في قضاء صور، وامتدت الى الضاحية الجنوبية لبيروت والى شوارع الخندق الغميق وزقاق البلاط والمصيطبة في بيروت، وأوقع ضحايا وجرحى تجاوز الثلاثمائة جريح وضحية.

وعقد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى اجتماعاً طارئاً لهذه الغاية وأذاع البيان الآتي:

«في اجتماعه الاستثنائي الطارىء درس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى اليوم الوضع الخطير جدا في الجنوب والذي بلغ ذروته فجر يوم باستباحة قرى عدة وتهجير اهالي عدد كبير من قرى اخرى نتيجة للقصف المدفعي والصاروخي المركز واستعمال مختلف الاسلحة على هذه القرى من قبل القوات المشتركة، مما اسفر عن سقوط عدد كبير من الضحايا والجرحى الابرياء من ابناء الجنوب وتهديم المنازل وتدمير الممتلكات، ولا يزال هذا الاعتداء الشنيع مستمرا الى هذه الساعة مما يحمل على الريب بان الهدف هو استباحة الجنوب بأسره ومصادرة حريته وارادته السياسية وخلق حالة خطيرة جدا تؤدي الى نزوح اهله منه وتفريغه.

ان المجلس ازاء هذا الوضع الخطير والمريب اذ يحيي ويبارك وعي وشجاعة اهلنا في الجنوب يطلب بالحاح من جميع المسؤولين عن هذا العدوان الخطير في المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية بالكف فورا عن قصف القرى وسحب المسلحين منها وسحب الاسلحة المسلطة عليها. لان استمرار هذا الوضع ينذر بعواقب خطيرة جدا على الوضع العربي برمته.

اننا نواجه الان اعتداء اسرائيليا وشيكا على الجنوب وان اهل الجنوب الذين كانوا يعبئون انفسهم من اجل مواجهة العدوان الاسرائيلي وكانوا يوطنون انفسهم على تلقي الرصاص الاسرائيلي، يواجهون الآن رصاصا عربيا يفترض ان يوجه الى اسرائيل ويواجهون تهجيرا عربيا كنا نترقب ان تقوم به اسرائيل.

واكد ان المجلس يرفض هذا الواقع ويدينه ولن يسكت عليه ويدعو كل الشرفاء والمخلصين في العالم العربي والاسلامي الى رفضه وادانته وشجبه، فان قلعة العرب والاسلام في الجنوب لا يجوز ان تستباح على هذا الشكل ولا يجوز ان يتعرض الآباء والامهات الذين تحملوا طيلة جيل كامل تبعات القضية واخطارها للاذلال والاستباحة، كما لا يجوز ان يتعرض الابناء الذين يحملون بصدق واخلاص امانة القضية لاستباحة دمائهم وكرامتهم.

ان المجلس اذ يعود الى توجيه تحية الاكبار الى ابنائه الابرار اهالي الجنوب اللبناني على وعيهم وشجاعتهم وتمسكهم بحريتهم وارادتهم السياسية فانه يطلب اليهم الاستمرار في تمسكهم بارضهم والدفاع عن حريتهم وكرامتهم، كما يطلب اليهم في الوقت نفسه، بالرغم من المرارة والالم، ان يبقوا اوفياء امناء على التزامنا جميعاً بقضايانا الوطنية والقومية والاستمرار بالاستعداد للتصدي للعدوان الاسرائيلي.

مجمع البيان الحديث
خاتم النبيين محمد (ص)

تأليف: سميح عاطف الزين

المجلد الاول - ٧٨٠ صفحة من القطع الكبير.

«إن الأفكار مهما بلغت عمقاً وتناهت لاستيعاب أوضاع، تظل بلا جدوى، وكأنها لم تكن، إن ظلّت حبيسة في رؤوس أصحابها، ولم تنطلق الى مواقع الحياة تؤثر فيه. ولا يكون لها مثل هذا التأثير إن لم تدخل في قناعات رجال أقوياء، يستطيعون تحويل التصورات الى قرارات، والدراسات الى سياسات. ومن أولى من رجل السلطة يقتنع بفكرة فيحيلها واقعاً وحقيقة، ومَنْ أفضل لها من أشخاص يتمتعون بنفوذ وقوة يجسدونها نمط حياة وأسلوب تعايش.

والفكر الاسلامي الذي يحمله محمد ﷺ استجابة للوحي الإلهي، كمن فيه من القوة ما جعل الدعوة التي حملها تأخذ مداها الى الحد الذي أطلقها حقيقة يجب أن تعانق عقول ونفوس أصحاب النفوذ حتى تتمكن من إقامة الحكم الذي تستهدفه.

ولذا تهيأ الرسول الأعظم، بعدما ضربت المنازل في منى واعتلتها الرايات تُعلن عن النازلين فيها، لملاقاة شيوخ القبائل ورؤسائها للاتصال بهؤلاء الذين وحدهم يملكون السلطة آنذاك، ويُجَسّدُون من دون غيرهم مراكز القوى في بيئتهم، فيكونون أهل نصرة لمن استنصر بهم.

بخلاف ما نشهده اليوم من حيث تتوزع هذه المراكز للقوى ما بين الحاكم والتاجر، والسياسي والقائد العسكري. وكل واحد منهم يكون من أهل النصرة».

الناشر دار الكتاب اللبناني

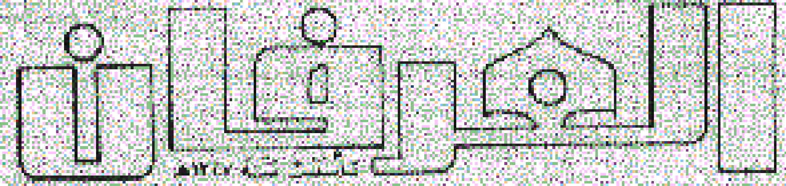
بيروت - شارع اميل اده - الصنايع

مقابل الاذاعة اللبنانية - بناية السالم - الطابق الأول

تلفون ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٣٧٠ - ٣٤٩٦٧٧

برقياً: كتالبان

ص. ب. ٣١٧٦ - تلكس LE ٢٢٨٦٥



فكرية ثقافية سياسية مستقلة

تصدر مرة في الشهر ـ سنتها عشرة أشهر.

تأسست في صيدا سنة ١٩٠٩ م.

العدد ٥ مجلد ٧٠ رجب ١٤٠٢ هـ ـ أيار ١٩٨٢.

كلمة

بصدور العدد الخامس من العرفان في انطلاقتها الجديدة نشعر بارتياح كبير خاصة بعد أن تخطينا كثيراً من الصعاب والمشقات في سبيل إرساء أسس متينة للمجلة. والآن وقد أصبحت سنة العرفان في منتصفها تطمئن القراء وتبشرهم باستمرارية مجلتهم في نهجها الرسالي وخطها المبدئي وفي تحسن دائم إن شاء الله. ويعود الفضل في هذه الاستمرارية ـ رغم الامكانيات الضئيلة ـ إلى دعم محبّي العرفان ومريديها وإلى كثير من المحبة والعطاء والتعاون التي يتصف بها الكتّاب والعاملين في العرفان. هذا العطاء الذي يبلغ ذروته حين يقدّم الكاتب عصارة فكره ودراساته في سبيل إرشاد الناس إلى الحقائق وإلى الطريق القويم وفي حثهم على التفكير والفهم. فهنالك حقائق كثيرة لو اطلعنا عليها لوفرنا على أنفسنا تجارب كثيرة غير مجدية. فنحن حين نقرأ تاريخ مجتمعاتنا في الشرق ونتواصل معه لنستشف منه أصولنا وتقاليدنا وعاداتنا نقدر أن نختار حياة تتناسب مع شخصيتنا فنتجنب طرق عيش «مستوردة» دخيلة على عاداتنا تؤدي بنا إلى الشقاء. وكذلك حين نقرأ تاريخ بلادنا نقدر أن نحدد أعداءنا وخصومنا وأصدقاءنا من بين الدول المتصارعة حالياً على النفوذ في الساحة العالمية. ليس فقط في التاريخ بل في الأدب والشعر وكل شيء علينا أن نقرأ كتابات هؤلاء الذين نذروا أنفسهم للعطاء، كي نتبلغ رسالتهم بصدق وأمانة وننقلها بدورنا إلى الأجيال اللاحقة.

العرب

المؤسس: أحمد عارف الزين.

المدير: فؤاد زيد الزين.

العنوان: مجلة العرفان

ص. ب: ٢٧٥٠

بيروت ـ لبنان

هاتف: ٢٥٦٥٥٠

الاشتراك السنوي:

في لبنان وسورية:

الأفراد: ٥٠ ل. ل.

الدوائـــــر الرسميـــــة والمؤسسات: ٣٠٠ ل. ل.

وكيل التوزيع العام:

الشركة العربية للتوزيع

ش. م. ل.

تلفون: ٢٤٧٩٠٠

ص. ب: ٤٢٢٨

تلكس أرابكو ٢٣٠٣٢

بيروت ـ لبنان

وكيل العرفان في الكويت:

هاني شفيق الزين

هاتف: ٦٥٢٩٦١

ثمن العدد

لبنان ٥ ل.ل. / سورية ٦ ل. س. / الأردن ٥٠٠ فلس / الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات / البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية ٥ ريالات / عدن ٧٠٠ فلس / أبو ظبي ٥ دراهم / دبي ٥ دراهم / مسقط ٦٠٠ بيسة / اليمن ٦ ريالات / العراق ٧٠٠ فلس / تونس ٧٠٠ مل / المغرب ٦ دراهم.

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٤	الغزو الثقافي الغربي الممهد والمتوافق مع الإستعمار الحديث في الوطن العربي	د. وجيه كوثراني
	مواضيع إسلامية	
١٥	لمحات من الفعل الحضاري الإسلامي في أوروبا	حسن الزين
٢٢	الأنبياء والآباء الأولون في القرآن	د. نظير الجاهل
٣٠	المرأة والرسالة	جهاد سعد
	تاريخ	
٤٠	الطب عند العرب	د. طلال المجذوب
٥١	الضحاك بن قيس الفهري	د. ابراهيم بيضون
٥٥	مساهمة جبل عامل في حركة استقلالية مصرية	حسن الأمين
٥٩	أدهم خنجر ثائر من جبل عامل	جهاد بنوت
٦٣	من تاريخ الصهيونية	د. حافظ الزين
	فلسفة	
٦٦	المجتمع والسياسة عند ابن طفيل	أحمد عيسى
	أدب	
٧٥	تلك المعاني المهجورة: أدب الصمت	عبداللطيف شرارة
٧٨	بالمحبة لا بالخبز يحي الإنسان	جعفر شرف الدين
	شعر	
٨٠	القمر	عدنان مردم بك
٨١	الى موسوليني	موسى الزين شرارة
٨٢	شكوى مغترب	فتى الدواوير

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٨٣	قريتي	ابراهيم بري
٨٤	الولادة	أبو العلاء
٨٥	أرَقٌ رهيب وحده المأمول	عدنان قلمة
	ابواب العرفان	
	من تراثنا	
٨٦	الجامعة الاسلامية	الشيخ مصطفى الغلاييني
	المراسلة والمناظرة	
٩١	بين سيدين	الحسن وفحص
	اوراق مهجرية	
٩٢	التضامن الاسلامي العربي الافريقي	حسن يزبك
٩٤	رسالة ابيدجان	احمد طرابلسي
	تربية	
٩٦	تأثير الاضطرابات العقلية على شخصية الطفل المتخلف	د. منى فياض كوثراني
	مسرحية	
١٠٣	محاكمة الاولمب	سمير شيخاني
	خواطر	
١٠٦	خمس ست كلمات	نصرت توفيق خريش
١٠٧	كتب	
١١٠	مع الأحداث	

الغزو الثقافي الغربي الممهد والمتوافق مع الاستعمار الحديث في الوطن العربي ★

بقلم: د. وجيه كوثراني

ثمة مرحلة تاريخية شكلت على امتداد القرنين الخامس عشر والسادس عشر شكلا لتلاق وافتراق بين وضعين تاريخيين ـ جغرافيين، وبداية مسار لعلاقة ستتحدد لاحقاً بين هذين الوضعين في صيغة «مركز واطراف» في صيغة سيطرة واستتباع.

ـ الوضع الاوروبي: الذي خرج من انكماشه التاريخي الطويل مرة ثانية بعد الحروب الصليبية التي كان من ابرز نتائجها الاقتصادية نمو المدن في اوروبا وتمركز الثروة المنهوبة من الخارج فيها[1]. هذا الخروج تم عبر حركة التفاف على العالم الاسلامي والبحر المتوسط واكتشاف رأس الرجاء الصالح طريقاً الى الهند والوصول الى «القارة الجديدة» عبر الاطلسي. هذا الحدث الذي يدرس كجزء من النهضة الاوروبية حمل في طياته عنفاً دموياً مورس بلا اي قيد ضد الحضارات المهاجمة بصورة قرصنة ونهب للثروة والانسان.

ـ والوضع الشرقي الاسلامي (ومن جملته الوضع العربي) الذي كان يحاول آنذاك ان يخرج تباعاً من نتائج غزوة هولاكو لبغداد وآثار الحروب الصليبية، وغزوة تيمورلنك. وكانت الدولة العثمانية قد برزت قوة سياسية اسلامية كبرى: اخترقت اوروبا من ناحية البلقان، وتصدت واوقفت الغزو الاسباني لشمال افريقيا. بيد ان هذه القوة التي استطاعت ان تمنع الاختراق الاوروبي من ناحية المتوسط، لم تكن لتستطيع ان تصمد طويلا من خلال بنيتها كدولة ـ جباية في علاقتها بالمجتمع. فالمؤسسة العسكرية العثمانية بارتباطها بنظام الجباية القائم على الالتزام الضريبي (أي منذ تحول التيّار العسكري إلى إلتزام)، ما لبثت ان تفككت وتشرذمت[2]. بيد انه من المفيد ان نلاحظ ايضاً ان هذا السبب غير كاف لوحده لتفسير

★ هذه الورقة هي محاولة تلخيص مكثّف لمشروع دراسة يحمل العنوان التالي: «الاختراق الثقافي الغربي للمجتمعات الاسلامية: أشكال التوافق وأشكال المقاومة». وكانت الخطوط الرئيسية للدراسة قد قدّمت في مؤتمر التربية الاسلامية (بيروت المقاصد ١٥ ـ ٢١ آذار ١٩٨١) بعنوان: «الاسلام والمركزية الأوروبية». والورقة الحالية قدّمت في مؤتمر «الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني للوطن العربي» الذي انعقد في تونس بين ٣٠ آذار و ٣ نيسان ١٩٨٢ ضمن محور «الغزو الثقافي الغربي الممهد والمتوافق مع الاستعمار الحديث في الوطن العربي».

(١) حسن الضيقة: تجربة الكتابة التاريخية الماركسية: قراءات في أزمة المنهج والنظرية بيروت ٨١ ص ٢٨، ٣٢

(٢) قارن: S. Divicioluu: Modèle économique de la société ottomane les: XIV et XV siècles, La pensée, Avril 1969

احتمالات الاختراق الغربي للعالم الاسلامي . فمن المعروف ان ازدهار هذا العالم كان قد ارتبط في مراحل تاريخ حاضراته المختلفة بالتجارة، حيث تشكلت دوائر تجارية متداخلة . وقد توزعت هذه الحاضرات فائض التجارة دون ان يطغى مركز على طرف . لقد توزع الازدهار في العصور العباسية مثلا من سمرقند الى مدن المغرب مرورا ببغداد ودمشق والمدينة ومكة[٣] . أما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي توج انحداراً في العالم الاسلامي منذ هولاكو الى الحروب الصليبية، فقد انقطعت الطريق نهائياً على احتمال تحريك حركة التبادل التجاري داخل العالم الاسلامي وبقيادة الدولة العثمانية . لقد وجدت نفسها في القرن السادس عشر أمام جمود اقتصادي عام . وقد تعمق هذا الجمود بفعل انتزاع الملاحة البرتغالية حركة التجارة العربية في المحيط الهندي، وضربها الملاحة العربية والاسلامية وانتقال النقل التجاري وحركة العبور من المتوسط الى الاطلسي والهندي[٤] . ولذلك اعتقدت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن السادس عشر - وفيما بعد وهي في اوج قوتها العسكرية - ان منحة الامتيازات للتجار الاوروبيين لارتياد اسواق الدولة العثمانية كمستأمنين من شأنها ان تحرك عملية التبادل التجاري وتغني الجباية التي يقوم عليها خراج أهل الدولة[٥] .

لكن الانفتاح على التجارة الغربية في ظل هذا الجمود وفي سياق استنزاف النقد المعدني من البلاد، وفي ظل اندفاع التجار والمغامرين الاوروبيين لاقتحام العالم، واقتسام الارباح الناتجة عن استنزاف الثروات المعدنية بينهم وبين دولهم التي وضعت تحت تصرفهم اساطيلها وجيوشها، كان يؤدي تدريجياً الى تشكل سلطات عملية غربية في الداخل العثماني عبر المواقع الاقتصادية والسياسية التي حققتها معاهدات الامتيازات للجاليات التجارية الاجنبية والتابعين لها من المحليين .

ومع الثورة الصناعية الاوروبية التي قامت على استنزاف الاطراف، لا على التراكم الداخلي (الاوروبي) تحول الطرف الى سوق متخصص تابع . ولضمان هذه التبعية وتوسيعها شملت الامتيازات الاجنبية أصعدة اخرى من النشاط، كان ابرزها حركة التبشير والارساليات التعليمية .

بذلك وحتى نهاية القرن التاسع عشر - كانت قد تحققت تبعية كاملة للمركز الاوروبي، أكان ذلك على مستوى الدولة (وذلك عبر الديون وضغوط المصارف الاجنبية)، او على مستوى التجار المحليين (وذلك عبر انخراط هؤلاء في شبكة علاقات التبادل مع اوروبا) أو

---

(٣) قارن: موريس لومبار: الاسلام في عظمته الاولى ص : ٩٠، ١٠٠، ١٠٨، ١١١، ١٣١ .

(٤) F. Braudel: La mediterrannée et le monde mediterennéen Paris 1979, p. 458,459

(٥) Mgr. Basile Homsy: «Les capitulations et la Protection des chrétiens au XVII^{e} s. et au XVIII^{e} s. p. 15 - 16

راجع حول مفهوم الدولة القائمة على الجباية والسيطرة على السوق: ابن خلدون المقدمة ص : ٢٧٩، ٢٨٦

على مستوى قطاع هامشي من الاقتصاد والمجتمع والثقافة فيه إذ اصبح الارتباط كاملاً في هذا القطاع على مستوى السلعة، والسكة الحديدية، وشق الطرق، والمصرف، والمرفأ، والعلم والمدرسة[٦].

هذا الاستتباع في علاقة الوضعين الجغرافيين التاريخيين أكدته سيطرة قدمت نفسها «عالمية» في مشروعها الحضاري والثقافي والعلمي والسياسي. اذ يصل الأمر باحدى الدول الاوروبية (المملكة البريطانية) في حرصها أن تنشر قيمها الحضارية التجارية في العالم الى حد فرض تجارة الافيون على الصين بالعنف والقوة وتخوض بريطانيا من اجل ذلك حربين ضد امبراطور الصين، لأن هذا الاخير تجرأ ان يمنع المراكب الانكليزية من تهريب الافيون الى شواطىء الصين، فمس بذلك «قدسية» قانون حرية التبادل العالمي[٧]. كذلك تفرض اوروبا على السلطان عبد المجيد اتفاقية جمركية لا تتعادل فيها رسوم الواردات مع رسوم الصادرات، ويهدد محمد علي باشا بالاسطول الانكليزي اذا لم يتخل عن مشروعه التضييقي «الاحتكاري» وإذا لم يفتح أبواب مصر على مصراعيها للسلع الاجنبية[٨]. ويتحول بفعل الضغط الاوروبي نظام الملل العثماني الى نظام امتيازات للاقليات: امتيازات تمنع عملية التوازن الاجتماعي - الاهلي وتدفع بالاقليات الى مشاريع بناء دول تقوم على النموذج الغربي وتتقاطع مع مشاريع مناطق النفوذ ومشاريع التقسيم في الشرق العربي[٩]. وتنزل الحملة الفرنسية في سورية عام ١٨٦٠ بحجة حماية الكاثوليك والموارنة، لتضمن لتجار الحرير الفرنسيين مصدر انتاجه في جبل لبنان ولتساعد على اقامة وضع سياسي مستقر «للأصدقاء المحليين» ولتضغط على السلطان في شأن صفقة ده لسبس في قنال السويس ولتدعم الإرساليات التبشيرية ومشاريعها. وتكر سلسلة الاحتلالات الاجنبية للبلاد من الجزائر الى تونس، فمصر، فليبيا، فالعراق فبلاد الشام.. الى ان تستقر صيغة «الدولة الحديثة» في الاقطار المجزأة في مطالع القرن العشرين كصيغة اندراج في «الوصاية» أو الانتداب ام المساعدة للدخول في «عالمية» الحضارة الغربية من حيث الاستهلاك والثقافة والقيم.

---

(٦) راجع حول الموضوعات الواردة في الفقرة: - هرشلاغ: مدخل التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، ترجمة مصطفى الحسيني، دار الحقيقة بيروت ٧٣، ص: ٧٢، ١٠٤. - دافيد لاندز: بنوك وباشوات، ترجمة عبد العظيم أنيس، دار المعارف بمصر ٦٦ - ص: ٩٤، ١١٠، و ١٢٣، ١٥٧.

J. Thobie: Intérêts et impérialisme francais dans l'empire ottoman. 1895-1914, Paris 1977, P. 647-698.

وبالنسبة للارساليات التعليمية راجع: مصطفى خالدي، عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ط ٥ ص: ٦٥، ١١٢.

(٧) راجع بانكارك: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد ص: ١٢٤، ١٤٣.

(٨) مكسيم رودنسون: الاسلام والرأسمالية، ترجمة نزيه الحكيم بيروت ٦٨. ص: ١٨٧، ١٩٠.

(٩) راجع مساهمة لنا في هذا الموضوع في: المسيحيون العرب. بيروت ٨١، دار الأدب والفن دراسات ومناقشات، بالاشتراك مع آخرين.

وفي اطار هذه العلاقة يحرص المركز الغربي على القضاء على اشكال المقاومة الاهلية المحلية وتكييف الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية في الداخل وفق النموذج الحضاري الام. وذلك في حركة توسع دائم للسوق الرأسمالي في المناطق التي تختلف من حيث الثقافة والانتاج والاستهلاك والقيم والاذواق. وهنا يلعب «الغزو الثقافي» ضمن صيغة «التثقيف» و«التمدين» وأحياناً «التحديث» الدور الممهد لهذا التوسع الذي تبرز فيه قطاعات اجتماعية وثقافية متوافقة في الداخل مع توجهات الاستعمار الحديث.

بهذا المعنى يصبح «الغزو الثقافي» الغربي عملية دائمة في تاريخ علاقة الاستتباع والسيطرة. فهو لا ينتهي كممهد عند مدارس الارساليات في القرن التاسع عشر مثلاً، بل انه يبدأ من هناك ويستمر حتى اليوم عبر شبكة معقدة من الاقنية الثقافية الحديثة.. اذ طالما ان هناك حاجة لتطويع المناطق الممتنعة عن الاستهلاك الغربي، وطالما ان هناك مستجدات في هذا الاستهلاك (مستجدات تقدم كحاجات في عملية تغيير الاذواق وقيم الثقافة ونمط الحياة)، وطالما ان هناك «ضرورة» لتجديد الغلبة السياسية للغرب في علاقة تبعية دائمة متجددة، طالما أن هناك ضرورة لتجديد الغزو الثقافي بصيغ مختلفة: ابتداء: من السلعة النسيجية في القرن ١٩ التي تقلد السلعة المحلية وتستجيب للذوق المحلي، وانتهاء باستخدام آخر ما اكتشف من آلات الكترونية وذلك بمعزل عن حاجات الانسان ووضع القوى العاملة وانماط المعاش، ومروراً باستيراد افخم السيارات وسلع الترف تلبية لحاجات شخصية طفيلية.

وكل ذلك يسير جنباً الى جنب مع الاختراق الثقافي لمناهج الفكر السياسي العربي، ولمناهج العلوم الأنسانية وحتى لمناهج دراسة الاسلام ودراسة التاريخ العربي الاسلامي.

يحدثنا المفكر الايراني الشهيد علي شريعتي في احدى محاضراته: «الحضارة والتحديث»(١٠)، عن مثل ذي دلالة على الجهد الذي تبذله الرأسماليات الغربية ودولها في استخدام العلوم الاجتماعية والنفسية والانتروبولوجية في فهم العوائق التي تقف في وجه الاستهلاك الغربي، وتحديد الوسائل التي تؤدي الى توحيد العالم من حيث القيم والاذواق الاستهلاكية للسلعة الحديثة. يقول «بينما كنت ادرس في اوروبا اعلن مصنع للسيارات عن حاجته لاستخدام طالب في علم الاجتماع وطالب آخر في علم النفس، وبأجر جيد، ولما كنت آنذاك ابحث عن عمل، فضلاً عن اهتمامي ان أعرف لماذا يحتاج مصنع للسيارات الى عالم اجتماع وعالم نفس تقدمت الى هذا العمل. وفي المقابلة التي جرت مع مسؤول العلاقات العامة في المصنع، بادر هذا الاخير بقوله: «انك تتساءل لما نتوجه الى من درس علم الاجتماع في حين انه يفترض ان نتوجه الى من يدرس العلوم التقنية». ولما اجبته بالموافقة أخذ يشرح لي بعد ان تناول خريطة لآسيا وافريقيا. قال: لنأخذ مثلا مدن .A. B. C. D ان سيارات المصنع تباع هنا بشكل جيد: بينما في مدن .X. Y. Z لا نجد مشترين لها. وتابع: ليس المهندس هو الذي يمكن ان نطلب منه

---

(١٠) Ali Shari'ati : Civilisation et modernisation p. 24

معرفة السبب، بل عالم الاجتماع هو الذي ينبغي أن يفهم ما هو ذوق هؤلاء الناس ولماذا لا يشترون هذه السيارات، حتى اذا كان الأمر يتعلق بنا غيرنا اللون أو الموديل. واذا كان الأمر لا يتعلق بنا غيرنا ذوق الناس... ويعطي المسؤول امثلة عن الاختراق الذي تمكنت منه شركة (رينو) حيال قبيلة تعيش على ضفاف تشاد وذلك من خلال تمكين رئيس القبيلة من اقتناء سيارتي «رينو» فخمتين واحلال قيمة اقتناء السيارة (كقيمة معنوية ـ اجتماعية للزعامة) محل اقتناء «جوادين» كانا سابقاً رمزاً لسلطة الزعيم وقد استتبع ذلك تعلم سوق السيارات من خلال خبراء الشركة، والمساعدة في البدء بشق طريق لبعض الكيلومترات كتمهيد لاشاعة حاجات اقتناء السيارات مع كل ما يستتبع ذلك من توسيع شبكة الاستهلاك الغربي على كل الاصعدة، حتى على صعيد ايصال عطر (كريستيان ديور) لنساء القبيلة اللواتي كن يتجملن بمواد نباتية تستخرج من اشجار الغابة[11]. تلك هي النقلة التي يسميها مسؤول العلاقات العامة في شركة «رينو» تحديث القبيلة، ونقل الحضارة اليها. وهو تحديث يقتضي كما يقول شريعتي، تغييراً في التقاليد، وعبوراً من القديم الى الجديد في مجال الاستهلاك في الحياة المادية... بهذا ينبغي على كل ما هو غير اوروبي ان يصبح حديثاً. اي ان يصبح كل البشر موحدين حول نموذج الانسان الاوروبي. والوسيلة الموصلة الى ذلك هي في تغيير الثقافات المحلية وفي تغيير الدين أو تكييفه وفي القضاء على التقاليد والقيم والاذواق[12].

وفي حالة الاسلام الذي استمر يقاوم الاختراق الغربي طيلة القرن التاسع عشر ووجه اعتماداً على بعض الدراسات الاستشراقية بمحاولات سياسية أوروبية تبغي تحويله الى دين عبادة يعزل فيه «السياسي» عن «الديني»، فيتحول «الديني» الى «بابوية رمزية»، ويصادر «السياسي» بيد الدولة الغربية أو بيد اتباعها المحليين. وقد وجدنا خلال بحثنا في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية وثيقتين استشاريتين كتبتا عام ١٩١٥ من قبل لجنة الدراسات الاسلامية في وزارة المستعمرات الفرنسية في موضوع «الخلافة» وكيف «ينبغي» التعامل مع الاسلام السياسي. وتقترح لجنة الدراسات على الدبلوماسية الفرنسية المساعدة في الدفع في تجزئة الاسلام الى اسلام تركي واسلام عربي مشرقي، واسلام عربي مغربي. وتشدد الوثيقتان على أهمية الفصل ما بين السياسي والديني لتجنب خطر التحرك من طرف مراكز الحوزات العلمية والجوامع في المدن الاسلامية الكبرى.

وتطالعنا هنا مشكلة التحديث والنقل عن الغرب كمجال اقتباس منذ الفترة التي عرفت بعصر النهضة وحتى يومنا هذا. اذ نرى ان بعض الاتجاهات التحديثية في الوطن العربي والعالم الثالث على وجه الاجمال وتحت شعار «العقلانية» و«القوانين العالمية» و«حتمية» تطور المجتمعات في مسار واحد، تحاول ان تدافع عن مقولات من بينها الحديث عن جوانب ايجابية في علاقة اوروبا «بالخارج»[13]، أو عن ازدواجية او تعددية ثقافية وحضارية حصلت بفعل

(١١) المرجع نفسه ص: ٢٥.

(١٢) المرجع نفسه ص: ٢٦.

(١٣) معظم أصحاب الاتجاه الليبرالي العلماني منذ عصر النهضة وحتى اليوم.

التثاقف[١٤]، او عن احتمالات لاختيار ايديولوجيات ثورية غربية نافعة للوطن العربي ولمجتمعات العالم الثالث[١٥].

هذه الاتجاهات تعبر في الواقع عن حالة الضياع الثقافي الذي يميز علاقة المغلوب بالغالب. فعندما تقدم الخيارات من قبل الغالب وحده لا يمكن الحديث عن « ازدواجية ثقافية » ولا يمكن الحديث عن تلاقح ثقافي واخذ وعطاء « ... ان ما يحصل فعلا في اطار العلاقة غير المتكافئة هو شكل من أشكال التقليد لبعض تيارات الثقافة الغربية، وشكل من اشكال الاختراق للثقافة العربية الاسلامية يسمح بتكييفها وتطويعها وفق متطلبات النموذج الحضاري للغالب والذي هو بالدرجة الاساسية نموذج انتاجي استهلاكي يتحول معه الانسان الى آلة او جزء من الآلة ».

ولعل ما يفسر هذا التوافق مع وجهة السيطرة الغربية على مستوى المثقف المحلي هو أنه بنى لاوروبا وللعالم تاريخاً افتراضياً قام على « تحريف» السبب في فهم نهضة اوروبا وثورتها الصناعية « وفي تحليل ما اطلق عليه الجمود والتأخر والتخلف في تاريخ البلدان المستتبعة اذ قدم سبب نهضة اوروبا الرأسمالية على انه العلم والمدرسة، والعقلانية وضمن السبب الأساسي الذي هو العنف الموجه نحو الخارج، والقرصنة والاستنزاف والتدمير (عقلانية الربح)، وكذلك طمس التفكك والجمود الاقتصادي العام الذي كان من جملة اسبابه التفاف اوروبا على اقتصاد المتوسط، واستنزاف النقد المعدني من الاسواق، والقضاء على انتاج الحرف المحلية بينما نسبت المقاومة الاهلية التي قامت ضد هذا التدمير الحضاري الى عقلية التحجر والتعصب الديني وعدم الاستعداد للانفتاح للتعلم من الآخرين المتمدنين. حتى نصح بعض رواد عصر النهضة بضرورة محاسنة المستعمرين للافادة منهم (فارس نمر)[١٦]، ووصل الأمر ببعضهم الى التبشير بنظرية « كوسمو بوليتيه» للعالم تطمس فيها الثقافات المحلية والمصالح القومية والوطنية فيرى شبلي الشميل مثلا انه من الخطأ ان يقوم المجلس التشريعي في مصر عام ١٩٠٩ بمعارضة تمديد امتياز قنال السويس للانكليز، لان القنال قناة عالمية. فهي تخص العالم ولا تخص مصر وحدها[١٧].

ويذهب التنظير المركزي الاوروبي في اعادة كتابة التاريخ العالمي في مرحلة التوسع

(١٤) Sélim Abou: Le bilinguisme Arabe-Français au Liban

(١٥) مثلاً: نديم البيطار في مناقشة كتاب الاستشراق لادوار سعيد.

(١٦) المقتطف مجلد ٣٦، ص: ٢٦٠، ٢٦٥.

(١٧) عندما ناقش المجلس التشريعي في عام ١٩٠٩ مسألة تمديد امتياز قنال السويس وانتهى الى الرفض كتب الشميل ان من مصلحة مصر تمديد هذا الامتياز وقبول البدل المعروض من الشركة، لان التقدم العلمي أسرع اليوم مما كان عليه في الماضي. وكذلك التقدم الاجتماعي ومفهوم الوطن على تحول: وقريبا سيشمل العالم كله. وعندما ينتهي الامتياز عام ٦٨ لن تكون القناة ملكا لمصر اكثر مما تكون ملكا للصين أو أميركا. فلتأخذ إذن مصر البدل المعروض ما دام حقها في القناة معترفاً به ولتستخدمه في سبيل الخير العام. ورد في ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ص: ٣٠١ - الترجمة العربية.

الاستعماري لفرض صورة تاريخية عالمية لكل الشعوب، تصل مع ارنست رينان، في «دراسته لعلاقة المسلمين بالعلم والفلسفة والتطور» الى اعتبار الاسلام والمسيحية الشرقية السامية سبباً في التأخر والتخلف». وتصل العقلانية الاوروبية مع رينان الى تقسيم عنصري للحضارات وانتاج العلوم. اذ يقول: «فهذه المقدرة على الانتاج الحضاري مقصورة على العرق الآري، والساميون بتمثلهم الديني البسيط الذي تشكل المسيحية البدائية الشرقية احد روافده - يمثلون ازدراء الفنون والفكر الحر... يمثلون جمود العقيدة وتبسيطية الايمان»[١٨].

ولم يعدل هذه الصورة السائدة بعض محاولات الاستشراق المتعاطف مع الإسلام. فالصورة السائدة هي في ازدراء الحضارات الأخرى المختلفة في توجهها ونظرتها للإنسان والوجود والسلطة. وحتى في حال إبداء «شهادة الإنصاف» بحقها في بعض الموضوعات، فانها تتم من خلال تقويم المتشابه فيها مع أوجه النظرة الأوروبية. لذلك يفصل إبن رشد مثلا عن الحضارة العربية الإسلامية ويربط بالهلينية والعقل اليوناني[١٩]. وكذلك ينظر إبن خلدون كحالة فريدة بل شاذة في التاريخ العربي فينظر اليه من داخل اوروبا لا من داخل الإسلام[٢٠]. وحتى جمال الدين الافغاني في منهجه الفلسفي يربط في نظر ارنست رينان اليه باصله الآري، هذا الأصل الذي يعتبره مصدراً وحيداً للفكر الفلسفي والعلمي.

واذا كان رينان يمثل حالة عنصرية من حالات الثقافة الغربية في تعاملها مع الثقافات الأخرى، فان النظرة الاستشراقية المتعاطفة بقيت أسيرة علاقة السلطة بالمعرفة في مرحلة تشكل سيطرة الغرب على العالم. وعلى وجه التحديد على العالم الاسلامي وعلى الوطن العربي. وهنا يقع المثقف المحلي في مزلق خطير عندما يحاول ان يحدد موقفه من الاستشراق على أساس انتقائي ومعياري من نوع حسن وسيء، وايجابي وسلبي، وتقدمي ورجعي، وعلى أساس التصنيف لأشخاص المستشرقين بمعنى ان هذا كان تابعاً للدولة الاستعمارية أو مستشاراً لها وذاك كان عالماً مستقلا لا علاقة له بالسياسة. إن هذا المزلق يغفل عن موضوعه علاقة المعرفة بالسلطة وبالتحديد هنا بالسيطرة الغربية وأشكال التمهيد لها في الداخل. فالتراكم المعرفي الذي تكوّن في الغرب على قاعدة النصوص الاستشراقية التي كان بعضها ضد الحضارة العربية - الاسلامية وبعضها مع هذه الحضارة ومعجبا بها لا يمكن فصله عن أوالية السيطرة الغربية وعن طبيعة علاقة التفوق التي بنيت بين العالمين.

وهنا وعلى هذا المستوى لا أهمية للحديث عن مستشرقين معجبين بالحضارة العربية أو بالاسلام، او عن مستشرقين علماء حياديين. فالاستخدام الوظيفي للمعرفة لا يحدده حسن نية هذا المستشرق أو ذاك من معرفته. ذلك ان ماسينيون مثلا وصل اعجابه بالصوفية الاسلامية

---

(١٨) Maxime Rodinson: Marxisme et monde Musulman. Paris 1972 P. 97-98.

(١٩) قارن: أرنست رينان: ابن الرشد والرشدية - نقله الى العربية عادل زعيتر - القاهرة ١٩٥٧ - ص: ١٣ - ١٨.

راجع ايضا رضوان السيد «عن العقل والسلطة في المجال العربي الاسلامي» المسيرة، عدد ٦ بيروت.

(٢٠) قارن ايف لاكوست: العلامة ابن خلدون - ترجمة ميشال سليمان بيروت ١٩٧٤. ص: ٢٦٧، ١٦٩.

الى حد كبير .. وكان يعتقد أن من واجب الغرب، وواجب فرنسا بالتحديد ان تفهم المسلمين وتساعدهم، وتستجيب لمطالبهم. ومع هذا كان مستشاراً لوزارة الخارجية الفرنسية ووضع معرفته بالاسلام في تصرف المفوضية الفرنسية في سوريا في عام ١٩٢٥ للمساعدة في حل مشكلة الانتفاضة السورية آنذاك.

وهذا الدور لا يقلل من أهمية ماسينيون في معرفة الاسلام ولا يقلل من أهمية أبحاثه حول الحلاج لهذا ينبغي أن ينظر للاستشراق من موقع النقد والاستيعاب لمرحلة تاريخية معينة في علاقة الغرب والشرق، وبتحديد أكثر لعملية بناء السيطرة الغربية. وهذا من شأنه أن يجعل من النظرة نظرة علمية مستوعبة وواسعة لا تقوم على الفرز النمطي والانتقائي ولا تقوم على الرفض والتجاهل في موقف سلفي. بل تقوم على جعل الاستشراق جزءاً من الدراسات التاريخية ومصادرها عن الشرق والغرب معاً، عن أوروبا والاسلام معاً، عن طريق العلاقة بين الطرفين.

إن طرح موضوع الاستشراق بهذه الصيغة وهي الصيغة التي تطرحها المرحلة الراهنة: (مرحلة الاستقلال الثقافي في العالم العربي والاسلامي)، يشكل احدى مؤشرات البدء بهذا الاستقلال الثقافي الواثق بالنفس، حيث يتحول الاستشراق الى موضوع للدرس ويصبح جزءاً من معرفة أصابت وأخطأت ولكنها في الحالتين وظفت في مرحلة تاريخية معينة في مشروع تغلب الغرب.

إن الاستقلال الثقافي يطرح بالاضافة الى ضرورة هذا الاستيعاب الناقد للاستشراق باعتباره شكلاً من الأشكال الممهدة للاختراق الثقافي الغربي عبر تأثيرات فرضياته ومنهجيته في الداخل يطرح مهمة البحث عن الخلل المنهجي في ما أرسي في أذهان المثقفين العرب من أنماط منهجية في النظر والتفكير والمعالجة وذلك في شتى العلوم الانسانية التي تأسست في العصور الأوروبية الحديثة والتي وصلتنا عبر أقنية المؤسسات الحديثة، وحتى في علوم الحضارة العربية الاسلامية نفسها كعلم التاريخ مثلا.

فعلى مستوى الوعي التاريخي للمثقف العربي الحديث، نجد تمثلاً لسياق التاريخ الأوروبي: ماضيه وحاضره، نهضته وثورته الصناعية والتكنولوجية.

ان تمثل مفاهيم التاريخ الأوروبي حول هذه المسائل واعادة انتاجها محلياً على مستوى الخطاب المحلي ينعكس جملة من الشعارات والتصورات عن الماضي (ايديولوجيا)، وهي تصورات تبني تاريخاً افتراضياً على قياس التاريخ الاوروبي نفسه، وتتمثل دون نقد أو استيعاب نتائج علوم انسانية بنيت على تجريبية في واقع محدد لا ندري مدى توافقها مع التجربة المحلية.

ففي المنهج التاريخي يتم التحقيب بصورة تعسفية للتاريخ العربي - الاسلامي، وذلك على اساس التحقيب الاوروبي المركزي للتاريخ: قديم، ووسيط، وحديث. وتلك مصطلحات تحمل مضامين محددة في الاقتصاد والأفكار والعلاقات الاجتماعية لا يجوز سحبها على كل تواريخ العالم.

فالقرون الوسطى أو القروسطية تحمل في اوروبا مضمون سيطرة الكنيسة والاقطاع (بمعنى فيودالية)، وتمثلا للمسيحية الكاثوليكية قائما على أعنف أشكال ضبط الانسان وكبته وسجنه في اتون من المحرمات [٢١]. بينما تقدم المرحلة التاريخية الاسلامية الموازية زمنياً نموذجاً حضارياً يتميز نسبياً بالانفتاح والتسامح والحرية. ومن مظاهر ذلك التعددية الدينية والمذهبية والتوليف الاقوامي بين الشعوب، صراع الافكار والاتجاهات التعبير عن العواطف في الحياة اليومية للانسان بصيغ نقلتها آنذاك كتب الادب والسير والتراجم. وكان أقل تعبير عنها في الحضارة القروسطية (الاوروبية) يعرض صاحبه لاطلاق الحرم والحرق وعقوبة التعذيب الجسدي. [٢٢]

ومع هذا فرض التوسع الاستعماري الغربي في سياق توسع الرأسمالية بين مركز وأطراف صورة لاستحضار التاريخ العربي والاسلامي هي صورة القرون الوسطى بالذات، وصورة التحديث المرتبط بقيم النهضة وعصر الأنوار، والثورة الصناعية والتكنولوجية. وهي صورة تقدم نفسها في سياق حركة التوسع الرأسمالي انطلاقاً من المركز «فيودالية» وقنانة وكنسية اكليركية من جهة، وليبرالية وديمقراطية وعلمانية من جهة أخرى. تخلف وتأخر من جهة، وتقدم وتطور من جهة أخرى. وكل هذه المصطلحات تقاس وفق المفاهيم التي أرستها التجربة التاريخية الغربية. وهي مفاهيم تحتل قاعدة النهج في البحث التاريخي والفكري - الفلسفي. والاجتماعي، والاجتماعي - النفسي.

وقد يحاول بعض المؤرخين ألا يتقيدوا في التحقيب التاريخي الزمني الأوروبي من حيث امتداد الفترة الزمنية فيعتبر المؤرخ سعيد عاشور أن «العصر الحديث» بالنسبة لبلاد الشام مثلا ابتدأ مع حملة ابراهيم باشا وان «العصر الوسيط» هو عصر الحكم العثماني. إلا ان مقارنته بين العصرين لا تستحضر إلا النموذج الحضاري الاوروبي: القروسطية المرادفة لسيطرة الدين، والحداثة المرتبطة بوضعية عقلانية هي انفلات العقل من سيطرة الدين. وهنا يتحول «المنهج العلمي» بالرغم منه (وبسبب رغبته كمسلم في عدم زج الاسلام في القروسطية) الى منهج عنصري معاد للاتراك العثمانيين، بحيث تصبح كل المصائب مرتبطة بالسيطرة العثمانية - التركية التي تربط حكما بالقروسطية الاوروبية [٢٣].

وفي الواقع ان وضع التاريخ التركي - العثماني في سياق التاريخ الاسلامي لا يضير الاسلام في شيء. لقد حلل ابن خلدون اسباب تحول الدولة العصبية الى دولة مستبدة وجائرة بالرغم من

---

(٢١) قارن: André Coutin: «Huit siècles de Violences au quartier latin» Paris, p. 17-46

(٢٢) قارن: Michel Faucault: «Surveiller et Punir» Paris: 1975. p. 9-21

(٢٣) انظر على سبيل المثال: سعيد عاشور «المجتمع الشامي في العصر العثماني بين العصور الوسطى والحديثة». المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام - جامعة دمشق ١٩٧٨.

انطلاقها من الدعوة وتمثل الشريعة ولم يشك احد في اسلامه. فليس في نسبة الحكم العثماني الى مرحلة القروسطية اي خلفية علمية. ويبقى ان البحث عن مرحلة قرون وسطى وعصور حديثة في التاريخ العربي الاسلامي يعكس موقفا يربطنا بالمركزية الغربية، وبشكل إحدى الصيغ المتوافقة، مع السيطرة الثقافية للاستعمار الحديث.

ومن جهة أخرى يدفع تبني هذين المفهومين (القروسطية والحداثة) انطلاقاً من موقف الوضعية الاوروبية الى انتقائية في البحث التاريخي والفلسفي تجعل الدين خارج التاريخ تحرص على البحث عن ظواهر العصر الحديث الاوروبي في التاريخ الاسلامي: القومية بما هي ترجمة كمصطلح ومفهوم وايديولوجيا بـ(Nationalisme) والامة بـ(Nation) والدولة كنموذج إداري مؤسسي يدمج عضوياً الأمة والمجتمع. فنرى مثلا أحد الباحثين في الفكر الفلسفي العربي - ناصيف نصار - يعنون كتابه: «مفهوم الامة بين الدين والتاريخ» (وكأن الدين ليس من التاريخ)، ويحرص ان يجد لظواهر العصر الحديث الاوروبي جسورا في نصوص التراث. ففي معالجته لمفهوم الامة عند ابن خلدون يخلص نصار الى القول: «انه (مفهوم الامة) من المفاهيم الخلدونية التي تعتبر جسورا يمر عليها الفكر العربي من ثقافة القرون الوسطى الى ثقافة العصور الحديثة»[٢٤].

هذا النزوع لدى المثقف المستعمر (بفتح الميم) المتوافق مع مفاهيم الغالب وقيمه والذي يبحث عن أصالته الثقافية في تراثه لكن بعد ان يخضع مصطلحات تراثه لمفهومية يعتبرها علماً (أي حقيقة موضوعية لأنها تتلاءم وتتوافق مع مفاهيم العلوم الانسانية الوضعية في أوروبا)، هذا النزوع لا يطرح أي تساؤل أو شك حول علمية هذه المفاهيم، أي كليتها وعالميتها. فالقرون الوسطى هي قرون وسطى بالنسبة للعالم كله والعصور الحديثة، هي عصور حديثة بالنسبة للعالم كله. وإن حاول البعض أن يميز تاريخه بالاختلاف الزمني فإنه يتوافق في منهج مرحلته للحقبات مع المفاهيم والمضامين التي انتجتها السيرورة التاريخية الغربية وفق تصور مراحل إنماط الانتاج، أو وفق مراحل القديم والوسيط والحديث.

والتراث بالنسبة للمثقف المستعمر (بفتح الميم) هو حقل انتقاء يتواصل معه عبر جسور تربط بين المصطلحات والمفاهيم وذلك على أساس تحميل المصطلح التراثي مفهوما حديثا. والحديث دائما هو في مدى التوافق مع المفهوم الذي تعلمه المثقف المستعمر في الكتاب الاوروبي الذي يقدم صورة ايديولوجية للعلم. بيد ان الصورة الايديولوجية تصبح مع المثقف المستعمَر العلم بعينه: فالدين والقومية والأمة والدولة والديمقراطية والعلمانية والاشتراكية... مفاهيم تكتسب تعريفات العالم بالباسها مضامين مرادفاتها الاوروبية وتصبح نقلا عن ديدرو، ومازيني، ورينان، وماركس، ولينين، وستالين.. حقائق كونية يستعيدها المثقف المستعمر قوانين علمية وينصح بالعودة اليها في كل مناسبة لرسم طريق الخلاص.

---

(٢٤) ناصيف نصار: مفهوم الامة بين التاريخ والدين بيروت ١٩٧٩ ص: ١٤٠.

وتأخذ نظريات التحليل النفسي والنظريات التربوية الغربية على يد بعض باحثينا طابع الترجمة والنقل وتلصق بأوضاع لم تدرس تاريخيتها وواقعها ووظائفها من الداخل: الدين، القبيلة، العشيرة، العائلة، ومختلف المؤسسات التاريخية المحلية المستمرة.

لذلك تدخل أمور كالاسلام، والعلاقات العائلية والعشائرية والمللية، بالنسبة لبعض الماركسيين في باب ما قبل الرأسمالية أو في نمط الانتاج الاسيوي أو الاقطاع الشرقي، وتدخل بالنسبة للتحديثيين الليبراليين في تصنيف أبسط هو قطاع التخلف المترسب من القرون الوسطى[٢٥] وتصبح هذه المصطلحات في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والتربوية سحراً قادراً على تفسير مختلف الظواهر النفسية والاجتماعية والاقتصادية... (العنف، الكبت، العقد النفسية، الغيبية، وقاعدة لتصنيف السوي والمرضي ولتحديد التقدم والتأخر، وهنا يختزل التاريخ حتى الالغاء في الغرق في المركزية الغربية وذلك مرتين ومن موقعين ودفعة واحدة:

أولا: يلغي التاريخ الغربي عندما لا توضع النظرية الغربية في التاريخ، أي عندما يصرف النظر عن دراستها في ظروفها التي أكسبتها صفة العام. وعندما يصرف النظر عن الحركة النقدية الاوروبية نفسها لعلمها.

ثانيا: يلغي التاريخ الشرقي، والعربي - الاسلامي على وجه خاص عندما لا تعتبر مؤسساته وقيمه المغايرة لقيم لتحديث، أي لقيم أوروبا الحديثة والمعاصرة إلا جزءاً من قطاع «التخلف» فلا تدرس كصيغ من انماط الحياة والعلاقات الانسانية بمنهجية تجريبية، بل تعطى تصنيفات ومواصفات معيارية تصل عند البعض الى حد الرغبة في التبرؤ من هذا التاريخ وصب الحقد عليه أو الى حد الاستلاب والأغتراب عن الواقع وذلك كنتاج لسيطرة ثقافية تجد لها في الداخل من يتوافق معها ويلتحق بها عن وعي أو غير وعي، حتى ولو أعتقد البعض أنه يقاوم السيطرة الغربية عبر التماهي معها وعبر تمثل قيمها وتقليد اسلحتها.

السؤال: كيف يمكن ان نبني لنفسنا تاريخاً ومستقبلاً ونحن نتمثل مساق التاريخ الغربي، نتمثل ماضيه وحاضره، نهضته وثورته الصناعية؟. أي بكلمة نموذجية الذي بُني على محاولة تدمير تاريخ الآخرين، وعلى الأخص تاريخنا العربي - الاسلامي؟.

والجواب: لا يرتبط بصيغة ثقافية تُقدَّم في مؤتمر أو كتاب أو نص، أو فولكلور. إنه يرتبط بمعركة حضارية طويلة، تحتل فيها معركة التحرر من السيطرة الغربية المحور الأساسي.

وجيه كوثراني

---

(٢٥) من نماذج هذه الدراسات:

- سلوى الخماش: المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف، بيروت دار الحقيقة ١٩٧٣.
- ابراهيم بدران، سلوى الخماش: دراسات في العقلية العربية، الخرافة، بيروت ١٩٧٣.
- مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي: مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور. معهد الانماء العربي - بيروت ١٩٧٨.

لمحات من الفعل الحضاري الاسلامي في أُوروبا

بقلم: حسن الزين

مؤرخ الحضارات الايطالي الشهير سيزاريو G. A. Cesareo يشير الى الدور الكبير الذي كان لصقلية في صنع عصر النهضة في ايطاليا بقوله: «من مدينة پالرمو في صقلية انطلقت الحركة الكبرى لعصر النهضة الإيطالية». والفترة التي يطلق عليها الاوروبيون إسم عصر النهضة La Renaissance، تعتبر في نظرهم الاساس الذي انطلق منه الفكر الغربي الحديث ونمت في ظله الحضارة الغربية الحديثة.

ولكن لماذا وكيف انطلقت الحركة الكبرى التي يشير إليها المؤرخ، من هذه الجزيرة القابعة في جنوب إيطاليا التي تحمل اليوم أعباءها الاقتصادية والفكرية والاجتماعية.؟

صقلية هذه ومدينة پالرمو فيها بالذات كانت أحد أهم مراكز التأثير الاسلامي في جنوب القارة الاوروبية.

لقد ظلت صورة هذا الدور بعيدة عن الأضواء لأن الأبحاث والكتابات الحديثة التي انصبت على دراسة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية في مطلع هذا القرن لم تتصف بالموضوعية إلا بنسب معينة تتراوح سعة وضيقاً بين التعصب الذي يشعره التاريخ والسرد المتحيز الذي ينير جانباً واحداً من الحقيقة في تعتيم مقصود على جوانب أخرى.

المصادر والظروف كانت متوفرة في مطلع هذا القرن لعدد من مفكري الغرب ومؤرخيه فقط لاجراء الدراسة المشار إليها والاسباب كانت علمية واجتماعية وسياسية واستعمارية في أكثر الاحيان!!

وإذا كان من الانصاف الإعتراف بالموضوعية لبعض من المستشرقين الذين انصبوا على دراسة الحضارة الاسلامية، فانه لا بد من ملاحظة مفادها ان هؤلاء على قلتهم، حتى الذين يعترفون للحضارة الاسلامية بقيم وانجازات كبرى، كانوا يحاولون جاهدين الابتعاد بالتاريخ الاوروبي عن طريق التأثر بهذه الانجازات.

ربما ابتعدنا في تقصي اسباب ونتائج هذه الأبحاث التاريخية المغرضة ولكنها اشارة كان لا بد منها لتوضيح ما نحن بصدده.

موضوعنا كان التساؤل عن السبب الذي دعا مؤرخا كسيزاريو للتعبير بهذه الصورة المثيرة عن الدور الذي قامت به (صقلية) في صنع حضارة عصر النهضة في ايطاليا.

ربما كان في كلام المفكر الالماني المعاصر رولف پالم، ما يلقي ضوءاً على الدور الحضاري الذي أشرنا إليه: «في حكم فريدريك الثاني (توفي عام ١٢٥٠ م) أصبحت صقلية جسراً

بين الشرق والغرب، وكأي أمير مسلم[1] يحترم نفسه هيأ فريدريك الثاني أفضل الظروف للباحثين والفنانين والأدباء والموسيقيين». ويتحدث الكاتب عن طفولة الامبراطور: «كان لا يزال ولداً عندما صار يتقن تسع لغات وتعلم استعمال وقراءة الاعداد الحسابية باللغة العربية أمام التجار! وقد ألف الفكر العربي من خلال مناقشاته المتواصلة مع أئمة المساجد في پالرمو. والقاضي الذي اعجب بذكائه ولاحظ إمكانياته مكن له من قراءة الكتب في العلوم والفلسفة - بالعربية بالطبع -»وصف فريدريك الثاني، الذي أصبح ملك صقلية فيما بعد،الأثر الذي تركته هذه المطالعات في نفسه قائلاً: «كنت أتنشق عبيرها السحري».

ما يهمنا من هذا الكلام لا يهدف الى وصف طفولة الامبراطور الكبير فريدريك الثاني التي كانت قاسية، بعيدة عن شؤون الملك الذي أعيد إليه شابا، بقدر ما كانت قريبة من حياة فقراء صقلية في ذلك الزمن، ويقول عنه المؤرخون أنه كان لا يستقر في منزل وكثيراً ما يبقى ضيفاً متنقلاً في بيوت پالرمو، وأنه كان يفضل بيوت المسلمين لأنها كانت تحوي «ذلك النوع المنعش من الحمامات الساخنة!». ما يهمنا اذن ليس تلك الفترات القاسية من طفولته ولكن الطبقة الاجتماعية التي كان ينتمي إليها فريديك الطفل في صقلية والقدر من العلم الذي كان بامكان هذه الطبقة غير الموسرة ان تحصل عليه وتتمتع به في تلك المدينة المسلمة، كما يصف المؤرخون پالرمو في ذلك العهد.

هذه الطبقة لا يحدثنا التاريخ عنها كثيراً وما يرد فيه لا يزيد على ما تفرضه الحاجة من أجل وصف حدث من الاحداث التي كان يضعها العظماء من حكام تتابعوا فيما بعد، أو من أجل صدفة عابرة أو ربما جملة معترضة في كتب المؤرخين الغربيين في القرون الوسطى بما كانت تفرضه عليهم نظمهم السياسية والدينية الحاكمة.

وربما كان لا يصل إلينا شيء من أمر فريدريك الثاني والمناهل الثقافية التي تيسرت له والحضارة التي رعت طفولته وشبابه ثقافياً لو بقي في عداد تلك الطبقة ولم يصبح امبراطوراً فيما بعد. جاكوب بوركهاردت الاختصاصي السويسري في تاريخ الحضارات يقول عنه أنه: «أول إنسان حديث[2] اعتلى العرش في أوروبا».

ما يعنينا ليس كون الحضارة الاسلامية هي التي صنعت شخصية فريدريك الثقافية فحسب. أهم من ذلك يبدو في نظرنا هذا الاشعاع الذي كانت تتصل بواسطته تلك الحضارة بافئدة وعقول جميع الطبقات الاجتماعية في البلدان الاوروبية التي قدر لها ان تنتقل إليها.

ومنطق الأمور يحتم أن تكون قد قدمت الغذاء الفكري للكثيرين من أمثال فريدريك الطفل الفقير، واثرت في تكوينهم الثقافي والفكري في ذلك الزمن، رغم ان المؤرخين تحدثوا عن طفولة فريدريك فقط باسهاب كبير وتفصيل كبير لأنه اصبح ملكاً فيما بعد! ولولا ذلك لزال ذكره من كتب التاريخ وزالت معه ملامح أمكن التعرف من خلالها على المستوى الثقافي

(١) فريدريك لم يكن مسلماً والاشارة هنا موجهة الى التقليد في نمط الحياة

(٢) المقصود استباق عصره بعدة قرون تصله بعصورنا الحديثة.

والفكري الذي كان يحيط به المسلمون نشر حضارتهم والحرية التي كانوا يرعون بواسطتها نشر الثقافة والفكر في صقلية وغيرها .

فريدريك مثل من أمثلة قدر لها أن تستوعب قدراً من حضارة القادمين المسلمين وتتأثر بها وتتفاعل معها ، وإذا كان دوره السياسي قد أعطى لشخصيته الثقافية بعداً إعلامياً أوسع فإن هذا الدور ذاته لا بد أن يؤدي لتفاعل حضاري أبعد مدى مع نتاج الفكر الحضاري الاسلامي ومعطياته خصوصاً وانه ترك أثره في جميع مراحل حياة الامبراطور السياسية والاجتماعية وأدى به الى خصام شديد مع البابا في ذلك الزمن؛ يؤيد هذا الاستنتاج ما كان للحكام في ذلك الزمن من أثر كبير في توجيه مجتمعاتهم نظراً للسلطة المطلقة التي يتمتعون بها .

وظاهرة فريدريك الثاني الذي أصبح فيما بعد ملكاً للقدس، تعبر من خلال طفولته وشبابه والمكان الذي نشأ فيه (صقلية) عن ذلك الصراع الذي كان قائماً لجهة التفاوت الفكري والاجتماعي من منطلق المفهوم الحضاري الآخر لشؤون المجتمع والحياة بالإضافة الى التيارات الفكرية الوافدة مع المسلمين وبواسطتهم .

وكان هذا الفكر وتلك المفاهيم تواجه المجتمعات الاوروبية القريبة من أماكن تواجدها عبر العلاقات التجارية والاقتصادية وعبر التواجد المشترك في أكثر الاحيان بين مختلف الاديان في المكان الواحد . ولولا ذلك لما قيض للطفل ثم الشاب فريدريك هذا القدر من الثقافة وهذا القدر من التفوق .

ولا بد هنا من العودة لما يقوله مؤلف كتاب « أعلام الرسول » الالماني المعاصر روولف بالم: « ان تقاليد عائلة فريدريك هوهنستوفر » ترتكز الى المدنية الاسلامية، التي تعود لنصف قرن من الزمن وحداثته تتمثل في نشر مدنية وطنه الروحي (بالرمو) رغم ما لقي من مقاومة وردات فعل رجال الاكليروس والأشراف. لا شيء أكثر ولكن ذلك كان سبب عظمته. وكان أيضاً توضيحاً وشرحاً مثالياً لما استطاعت ان تقدمه الحضارة العربية عندما انفلتت من حروب القبائل، لجهة التقدم والرقي. وإذا كان فريدريك يظهر بمظهر نصف مسلم في ذلك الوقت فإن هذا لم يكن فقط بسبب رغبته في تحسين نوعية الحياة في مجتمعه ولكن وبدون شك لأنه يريد أن يمجد تلك الحضارة التي يدين لها بأقوى وأهم خلجات حياته، تلك التي حددت معالم كل تطوره اللاحق » . انتهى كلام بالم .

فريدريك كان ظاهرة اجتماعية وثقافية تنطلق أسبابها من صراعات وتفاعلات وتأثيرات اجتماعية وثقافية نشأت عن عوامل متعددة تنحدر كلها أو أكثرها من إطار التحدي الكبير الذي واجهته المجتمعات الاوروبية في منطلقات ومعطيات الحضارة الاسلامية القادمة ومعها كل معطيات الفكر العالمي في ذلك الزمن مصاغة في قالب عربي اسلامي .

وإذا كان جاكوب بوركهاردت يرى في فريدريك الثاني: « فكراً متحرراً من التقاليد يحلق في فضاء التاريخ » فإننا لا نشاركه هذا الرأي ليس من منطلق الغض من قيمة فريدريك الشخصية والثقافية والتحررية ولكن لأن الرجل ابن بيئته وليس غريباً عن الظروف الاجتماعية

والثقافية التي أفرزته ولا يمكن أن يكون مستواه الاجتماعي والثقافي شاذاً في المحيط الذي ينتمي إليه، لأن التيارات الفكرية الجديدة التي تفاعلت في صقلية كان مجال تأثيرها وفعلها مجتمعاً بكامله وليس شخصاً أو عدة أشخاص، فالرجل كان ينتمي في صباه لشريحة اجتماعية متوسطة او ربما أدنى، عندما قيض له الحصول على ذلك القدر من العلم والمعرفة التي نمت بظلها مواهبه وصقلت شخصيته الثقافية والاجتماعية، وهذه الظروف كانت بدون أدنى شك، وفقاً لمنطق الأمور، متوفرة لأعداد كبيرة من مختلف الطبقات الاجتماعية في ذلك الزمن خصوصاً الطبقات العليا، طالما أنها كانت بمتناول الطبقات الاجتماعية الدنيا وبهذا القدر من السعة.

هذه الكثافة التي رافقت نشر الوعي واستيعابه ألفت، على ما نعتقد، السبب الكبير للدور الكبير للحركة الكبرى التي انطلقت من صقلية بالذات، كما يقول سيزاريو.

ولكن دور الحضارة الاسلامية في صقلية لم يكن وحده القدرة الفاعلة في المجتمع الايطالي ومن ثم الأوروبي في ذلك الزمن، لأنه لا بد من إضافة ما أفرزه الغزو الصليبي من صدام حضاري كانت نتائجه مغايرة ربما لحركة التاريخ المعتادة فالغالب قد تأثر بالمغلوب وقلده في نمط حياته وحركة تطوره وسعة انفتاحه على مختلف الثقافات العالمية.

الغزو الصليبي ادى الى احتلال دام مدة من الزمن كانت كافية لصنع تأثير حضاري هز القارة الاوروبية من الأعماق وحرك طاقاتها العلمية والاجتماعية باتجاه عصر النهضة الذي كان في أساس الحضارة الاوروبية الحديثة. وإذا كان فريدريك الثاني الذي تحدثنا عنه قد حصل نموه الثقافي والاجتماعي في صقلية، فانه بحكم اعتلائه عرش القدس فيما بعد قد واجه نتائج الحروب الصليبية وتأثر باللقاء الحاسم الآخر بين المجتمعين.

يحدثنا التاريخ ان جامعات أقيمت في اوروبا مباشرة بعد عودة الفرسان الصليبيين من المشرق متأثرين بالحضارة الاسلامية.

أنشئت أولى جامعات أوروبا في سالرن عام ١١٠٠ م وفي باريس عام ١١١٠ م وفي اوكسفورد عام ١١٦٧ م وفي مونبلييه عام ١١٨١ م وقد خضعت هذه الجامعات وغيرها في اوروبا لإدارة وسلطة الرهبان أو الكنيسة باستثناء جامعة بالرمو في صقلية التي كانت أول جامعة اوروبية تتمتع بالحرية في هذا المجال دون أن تخضع لسلطة الرهبان أو الكنيسة.

يقول رالف بالم في هذا الشأن «في النهاية تظهر خريطة البحث التاريخي والجغرافي في مجال مختلف المنشآت الجامعية ان معاهد التعليم الاولى في اوروبا، لا تبتعد إلا تدريجياً وبقدر يفرضه منطق التطور الحاصل عن دائرة تأثير المدنية الاسلامية».

انصرف الصليبيون بعد عودتهم الى فتح الجامعات ومن ثم فتح تاريخ تراثهم الحضاري القديم ولكن الدور الاسلامي كان رائداً في هذا المجال وقد تعرفوا على هذا التراث ضمن ما حملت اليهم الحضارة الاسلامية منه بعد ان طبعته بطابعها الخاص وتجاوزته في العديد من المجالات.

ولكننا نبقى هنا في اطار الوقائع التاريخية المعبرة التي وصلت الينا رغم كل ما تعرض له التراث الاسلامي في اوروبا من هزات وتعتيم، سواء في عصر النهضة أو قبله؛ ولا يستطيع باحث أو عالم، تحديد أو حتى تصور كل ذلك الفكر الذي أحرقه الاسبان مع ما أحرقوا من جماعات اسلامية او بدونها احياناً ولا كل ذلك الفكر الذي أغرقه التتار في مياه دجلة والفرات عبر مئات الالوف من الكتب والمصنفات وإذا كان الصليبيون قد عادوا الى اوروبا يحملون افكاراً جديدة وتوجهات علمية واجتماعية جديدة فلا بد أن نتساءل عن الحالة الحضارية التي كانوا عليها عند وصولهم وعن طرق حياتهم وموقفهم من بعض القيم والاخلاق؟ وإذا كان المقام لا يتسع في هذا المقال لكل هذه الامور، فلا بد من إيراد بعض الوقائع المعبرة في هذا المجال عن موقف من الانسان والضمير والحرية فيما تم من إبادة جماعية نتيجة وجهة نظر تربط الجدارة بالحياة بالدين فكل من هو خارج هذا الدين لا يستحق العيش. هذه المواقف كانت وراء عدم استجابة أكثرية مسيحي الشرق الساحقة لمساعدة الصليبيين بل قيامها بالوقوف بوجههم بصلابة وعنف كما حدث في مصر عندما واجههم الاقباط متحدين مع المسلمين في موقف قومي جدير بالاحترام، دفع بالصليبيين لمنع الحجاج الاقباط من دخول القدس.

ومن هذه الوقائع ما جرى عندما فتح الصليبيون القدس.

يقول المؤرخون أنه ساد الرعب خلال اسبوع كامل في اورشليم القدس، وألقي بعض المسلمين من أعلى الأسوار بعد أن أحرقوا أحياء وقطعوا إرباً، وقد ربطت هذه القطع الى اخشاب أحرقت ورميت من الأعلى. ثلاثماية شخص قتلوا بعد أن التجأوا الى درجٍ مئذنة مسجد عمر بن الخطاب وبعد أن اعطوا الأمان ويتحدث شاهدا عيان هما ريموند داجيل وماتيو دوديسا عن قتل ما بين ٦٥ إلى ٧٠ ألفا من الأشخاص في القدس وعن تسلل الكوماندوس والكلام لا يزال للشاهدين المؤرخين، الى البيوت وقتل المرضى في أسرتهم، والنساء خلال إرضاع أطفالهن. ويسجل ريموند داجيل هذا الكلام: «في مسجد عمر وصلت الدماء الى ركاب خيلنا» ودون أي تأثر يضيف: «هذه المشاهد كانت تبعث السرور في عيوننا أينما اتجهت». وللقارىء أن يقارن بين هذا القول الذي حظي باجماع المؤرخين وبين الوقائع التي رافقت دخول عمر بن الخطاب الى بيت المقدس، وأن يتصور لماذا كان موقف نصارى الشرق عاصفاً ومعاكساً ولماذا كان الصليبيون بعيدين كل البعد عن الدين المسيحي فيما اقترفوه وما انجروا اليه.

وكيف كان مستواهم الحضاري عندما دخلوا الشرق وكيف أصبح عندما عادوا ليباشروا فتح الجامعات على الطريقة الاسلامية كما لاحظنا من كلام المؤرخ الغربي الكبير.

ولكننا نلاحظ ان كل الفكر الاستشراقي في النصف الأول من القرن العشرين يصنف الإسلام كدين صراع وحرب وهذه النظرة تنبعث من النظرة القروسطية للاسلام، إذن من نظرة هؤلاء القادمين المقاتلين الذين أدخلوا الحرب والموت والدمار الى بطون المعابد والمقدسات!! وإذا كان للقدامى عذرهم في الجهل المخيم والتعصب الذميم والحقد الطاغي بسبب

الجهلُ والتخلف فإن لأسباب النظرة الأخرى دوافع استعمارية كانت في طريقها الى تحقيق مطامعها العدوانية عن طريق تزوير التاريخ وزرع الشك في نفوس الناس والكفر بتراثهم.

وبعد كل ذلك هل يمكن تبين آثار الفعل الحضاري الاسلامي في الفكر الغربي الحديث او في تاريخ نشوء هذا الفكر؟

إذا كنا نعني بالحضارة الاسلامية بالاضافة الى عطائها الخاص كل ذلك التراث العالمي الفكري الذي نقلته فإن اوروبا مدينة بكل اسباب النهضة الى هذه الحضارة وإذا اعتبرنا أن من المسلم به لدى أهل المعرفة والفكر أن الحضارة، كل حضارة لا يمكن إلا أن تكون حلقة في سلسلة الفكر العالمي، متأثرة بها مؤثرة فيها، ولا يمكن أن تنطلق من العدم، فان الحضارة الاسلامية من هذا النطاق، تحمل قيمتها العالية وتراثها المجيد.

الفكر اليوناني والروماني والهندي والصيني وغيره، كله نقلَ الى أوروبا في ثياب عربية وأطر عربية.

ولكن بعيداً عن كل هذا أو قريباً منه وفي إطار آخر يتصف بالاصالة والابداع يستطيع الباحث تتبع آثار الفكر الإسلامي الأصيل في الأعماق التاريخية للفكر الغربي الحديث.

يقول العلامة الفرنسي الشهير بوافان Boivin في كتابه (أزمة الديمقراطية الغربية) عام ١٩٣٥: «فإن جميع المواقف الفكرية التي أدت بمجموعها إلى تحقيق الثورة الفرنسية، كانت قد اتخذت قبل نهاية حكم لويس الرابع عشر: نظرية العقد الاجتماعي، وتفويض السلطة، وحق الرعايا في الثورة ضد الأمير، كل هذه الأمور كانت تناقش في السر والعلن وبوضح النهار انتهى كلام بوافان. ولكن جميع المواقف الفكرية التي يشير اليها لم ولا يمكن أن تنشأ فجأة، (وهذا هو شأن المواقف) بل كانت نتيجة وعي ثقافي واجتماعي لا يجد جذوره في الحضارة التي كانت سائدة في أوروبا عند إطلالة الألف الثاني للميلاد، ولا يجد جذوره في الفكر المغلق الذي كان سائداً في اوروبا قبل ذلك الزمن؛ فهذا الوعي كان إذا على علاقة بحضارة اخرى او انه كان نتيجة لاختمار فكر هذه الحضارة وتأثيرها في مجتمع ما خلال فترة من الزمن تكون كافية لاحداث التفاعل المشار اليه وبروز نتائجه في ضمير ذلك المجتمع ووجدانه تربيةً لهذا الضمير وصقلاً لذلك الوجدان الشعبي. هذا هو منطق التسلسل والتطور، الذي يعرفه علم الاجتماع الحديث ويحدد أحياناً قواعده.

أول هذه المواقف كما بينا يبرز من خلال نظرية العقد الاجتماعي التي شرحها روسو في كتابه الذي يحمل الاسم نفسه وحددها بعقد وهمي يتم بين الامة مصدر السلطات والحاكم، وتفوض الامة للحاكم بموجب هذا العقد حق الحكم باسمها ومن أجل حماية مصالحها. هذه النظرية لا تجد أساساً لها أو مؤشراً في غير حضارة الاسلام ومفهومه للحكم إذا كان روسو قد سمي أبا الديمقراطية من خلال تقديمه لنظريته هذه، فإنها ليست غريبة عن مفهوم الإسلام للحكم ان لم تكن في أساس هذا المفهوم منذ ١٤ قرناً.

فهل كانت هذه النظرية التي اعتبرت عبر تطبيقها من اهم منجزات الثورة الفرنسية، واعتبر جانْ جاك روسو واضعها أو هو سمي أبو الديمقراطية بسببها هل كانت بعيدة او مختلفة عن مفهوم الحكم في الإسلام؟

يقول إبن خلدون في المقدمة: « وكانوا اذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعقد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي (بيعة) مصدر (باع)».

فالسلطات اذن تفوض للحاكم بموجب هذا العقد «الإجتماعي» الحقيقي. والفارق يكمن في أن روسو يعتبره وهمياً وإن كان يرتب عليه نتائج قانونية ملزمة بينها هو في نظر الإسلام عقد حقيقي يبقى قائماً ما قامت ولاية الحاكم، فتفويض السلطة اذن وهو من أهم منجزات الثورة الفرنسية كان في أساس نظرية الحكم في الاسلام. ومبدأ سيادة الامة لم يكن غريباً عن التراث الاسلامي عبر نصوص كثيرة منها ما ذكره الرازي من «أن الامة هي صاحبة الرئاسة العامة» كما يتبين حين تقرر أن «تعزل الامام لفسقه» ومنها ما قاله الماوردي في «الأحكام السلطانية» أنه اذا تنازع اثنان على الامامة وادعى كل واحد منهما أنه الاسبق، لم تسمع دعواه، ولم يحلف عليها، لأنه لا يختص بالحق فيها وإنما هو حق المسلمين جميعاً، فلا حكم فيه ليمينه ولا لنكوله عنه.

ونعود للمبدأ الآخر الذي عرضه Boivin أي حق الرعايا في الثورة ضد الأمير! إنه في المنظور الاسلامي نتيجة لازمة لمخالفة العقد من قبل الحاكم وللأمة الحق عندئذ في عزله «لفسقه» أي لأنه خالف شروط العقد، كما ورد في كلام الامام الرازي. والتاريخ الاسلامي حافل بالفتاوى التي قضت بالعزل والاحداث التي أدت إليه!

إن الاختلاف في مجال التفاصيل والتطبيق واختلاف الظروف التاريخية بين الحضارتين ليست من أهداف بحثنا في عرضنا لتأثير الحضارة الاسلامية في مجرى عصر النهضة الغربية، لأن ما تصدينا له ليس سوى وجه من وجوه التأثير الاسلامي الفاعلة في الحضارة التي قامت عليها عصور النهضة في أوروبا؛ وهذا التأثير يتناول أهم عطاءات الفكر والثقافة وأشدها عمقاً.

هذه الدراسة كانت محاولة لابراز أحد وجوه العطاء الفاعل من الحضارة الاسلامية بالقدر الذي يتسع له المقام، اما الدراسة الشاملة فإنها تحتاج الى جهود تبذل وقوى فكرية تتضافر لابراز جميع معالم الشخصية الاسلامية الثقافية من خلال ذلك التراث المتشعب الكبير.

وقد كان بحثنا ينطلق من فكرة أن الحداثة كانجاز غربي هي نتيجة طبيعية للدينامية التاريخية التي لم تنقطع، ولتبادل حضاري عالمي لعب فيه العالم الاسلامي كوحدة تاريخية حضارية دوراً هاماً وموضوعياً وبرز عبره دور الاسلام فكان دوراً تمدينيا وتوحيدياً بين شعوب مختلفة كما كان قوة دينية ثقافية وحضارية.

حسن الزين

الانبياء والاباء الاولون في القرآن

(ملاحظات نقدية حول الانتروبولوجيا السياسية)

بقلم: د. نظير جاهل

بسم الله الرحمن الرحيم. يفصل القرآن الكريم في العديد من سوره قصص الانبياء سلام الله عليهم راسماً خطوطاً عامة لظاهرة النبوة مظهراً السنن التي تقوم عليها. ومن هذه السنن ان الانبياء (ع) قد أرسلوا دون استثناء الى شعوب يسميها القرآن اهل القرى. وعلى الرغم من ان هذه التسمية وردت في بعض الآراء للدلالة على قوم فرعون فإنها اطلعت بصورة خاصة على نوع من التجمعات البشرية تقع على هامش الحضارات الكبرى، وهي حضارات ـ دولة قاهرة تتمثل بانسان ـ اله او بملك يمثل الآلهة في الارض. وتسيطر هذه الحضارات على مناطق شاسعة تنمو على ضفاف الانهر، فيما تقع القرى عادة وسط مناطق معزولة طبيعياً وغالباً ما تكون وسط الصحراء.

ما هي العلاقة بين هذين الاجتماعين؟ ان النظرة القرآنية الى هذا المتكون او المركب الاجتماعي مختلفة جذرياً عن نظرة «علم الانسان» او الأنام أو «علم السلالات» في الغرب واقصد بذلك ما يسمى بعلم الانتروبولوجيا أو الاتنولوجيا. فهذا العلم بشتى مدارسه قد اعتبر ان هذه الشعوب الغابرة او «البدائية» من أهل القفر أو من اهل الغابات، والتي تعيش على الرعي والصيد والقطاف أو الزراعة البسيطة انما شعوب اصلية وجدت قبل الحضارة ـ الدولة، أي ان هذه الحضارة هي نتاج تطورات حتمية حصلت في الاجتماع الغابر وهذا قول الماركسيين، أو عارضه وهو قول المدرسة البنيوية والنيتشويين الحديثين (كلاستر وغوشيه...)[1]. إلا ان هذه التيارات تتفق حول الرتابة العامة التي تلخص مسار البشر واشكال اجتماعهم مصنفة هذه الاشكال في ثنائية تقوم على الايجاب والسلب إلى مجتمعات تاريخية تبدأ بظهور الدولة (أو بالصراع الطبقي الذي يمهد لتشكل الدولة بالنسبة للماركسيين عند دوليه مثلاً...) والى المجتمعات تتميز بسلب التاريخية (بالقبل او بالضد..).

وهناك اجتهادات في هذا المجال تجعل من ظهور الدولة مقياساً لانفصام المجتمع على نفسه وبداية التاريخ كصراع يقوم على التناقض والتضاد («النيتشويون»)، وأخرى ترهن التاريخية الفعلية بالدولة دون أن تنفي الصراع الطبقي في الاجتماع الغابر والآسيوي ـ (عند دوليه)...

وفي هذه اللوحة التي تريد لنفسها الشمولية، يتأرجح الاسلام بين التاريخ واللاتاريخ، فهو تارة نسق «بيزنطي» آسيوي خارج التطور لن يلتحق بالحضارة إلا بعد «استبدال القرآن

(١) ولعل هذا الرأي الذي يقر بعدم وجود حتميات انتقال ضروري بين الغابر والحضارة هو أقرب الى الوجهة القرآنية. كما سنرى بعد حين، اضافة الى أن الماركسية تدعي اكتشاف سنن للانتقال من نمط انتاج الى آخر دون ان تبين هذه السنن... وهذا ما يبينه حسن قبيسي في كتابه: رودنسون ونبي الاسلام»، دار الطليعة، ص١٢٦ ـ ١٣١.

بالقانون المدني» وهذا رأي ماركس وانجلز في كتاباتهم السياسية وطوراً نسقاً تاريخياً نشأ كتلبية لحاجة العصر الى دولة تدفع الشعوب نحو « التقدم» وتسمح لها بالالتحاق بالحضارة الاروبية وهذا رأي رودنسون . . .

والمهم في هذه التصنيفات انها تضعنا أمام خيار ثنائي:

فاما الاجتماع الغابر «المتخلف» بالمنظور التطوري أو اجتماع اللاسلطة ورفض الدولة بمنظور الانتروبولوجيا النيتشوية. واما الحضارة الدولة القهرية.

أما الاسلام فيقيم نظرته الى علاقة الحضارة ـ الدولة القهرية والقرى او الشعوب الغابرة، التاريخ / سلب التاريخ، من ضمن لوحة مثلثة يرتسم التاريخ فيها كزمن تؤصله الدولة القاهرة حيث تظهر كمصدر لتعاقب اشكال المجتمع ومراحله. وسلب التاريخية «الدهر» كنتاج لاختلال اجتماع فطري يقوم على التواصل؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾[٢]

﴿كان الناس امةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكِتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾[٣] ويفسر السيد محمد باقر الصدر هذه الآيات على الشكل الآتي:

«وقد جاء في التفسير عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ان الناس كانوا امة واحدة على **فطرة الله** فبعث الله النبيين». ثم يقول «يعرف في ضوء هذه النصوص أن الجماعة البشرية بدأت خلافتها على الارض بوصفها امة واحدة...» ثم يتابع «وهكذا شكلت الفطرة في البداية اساساً لإقامة مجتمع التوحيد وكان الانسان ـ **ممثلاً في الجماعة الانسانية كلها** ـ يمارس خلافة الله على الارض وفقاً لذلك وكان خط الشهادة قائماً الى جانب خط الخلافة ممثلاً في الانبياء وكان دور الانبياء في تلك المرحلة ممارسة مهمة الشهيد الرباني مهمة الهادي والموجه والرقيب كما يفهم من النص القرآني الثاني اذ اعتبر بعثة الانبياء الذين يحكمون بين الناس في فترة تالية[٤]. ويتبين من ذلك أن الاسلام يجعل من مجتمع الخلافة اللاسلطوي ليس فقط اصلاً بل مجتمعاً قياسياً يتجه اليه. وتسمح لنا هذه الرتابة بتحديد الانقسام بين المجتمعين الغابر والحضاري كاختلال في حالة لاسلطوية فطرية يأتي الانبياء «الحاكمون» ليوجهوا الناس اليها، ويتبين من مجيء النبيين الى الشعوب الغابرة ان هذه الشعوب هي المؤهلة رغم ممانعتها ومقاومتها خط النبوة، لتحقيق هذا الاقتراب من الحالة الفطرية والتواصل معها.

اننا اذن امام رؤيتين الرؤية الثنائية التاريخ / سلب التاريخ ـ والرؤية الثلاثية التي تدخل مفهوم التواصل القائم على الفطرة وهو ما تريد تفصيله هذه الدراسة كونها تتخذ منه مقياساً لفهم ظاهرة النبوة واعادة تشكل الوسط الثنائي الاجتماع الحضاري / الاجتماع الغابر.

(٢) يونس، ١٩

(٣) البقرة، ٢١٣

(٤) السيد محمد باقر الصدر، خلافة الانسان وشهادة الانبياء، دار التعارف، ص ٤١ ـ ٤٣.

أما الرؤية الأولى الثنائية وهي رؤية المستشرقين كافة فتقود حين تطبق في دراسة القرآن والسيرة الى معادلتين متضائفتين الاسلام يساوي حضارة دولة قاهرة والنبوة انتقال من المجتمع القبلي الى مجتمع الدولة مصوراً الاسلام كمنافس للحضارات الشرقية (الفرس والروم) أو كمكمل لها .

ولعل كتاب حسن قبيسي « رودنسون ونبي الاسلام » بما هو محاولة لاستبدال الاستشراق الماركسي بالانتروبولوجيا النيتشوية في فهم النبوة يقدم مثلاً جلياً عن هذه الرؤية التي تشوه حقيقة الدعوة الاسلامية .

يوهمنا قبيسي ان ما يقوم به هو نقد جذري لافكار رودنسون حول « الظاهرة المحمدية » فيما يتبنى مقولته الرئيسية وهي ان الاسلام في الاساس هو دولة امبراطورية : « كما خلصت في الباب الرابع الى مناقشة مقولة الدولة التي يعتبرها المؤلف (رودنسون) « حاجة العصر العظمى » ... « لا شك في أن الاسلام قد بنى « دولة وحضارة » كما يقول رودنسون . لكن الاختلاف معه لا يدور حول مآل الأمور بل حول سيرورتها . انه يعتبر ان الدولة كانت حاجة عند الجاهليين ... » بينما حاولت ان ابين ان هذه الدولة وإن كانت قد انتهت بفرض نفسها قد لاقت ممانعة شديدة ... »[5] فالنقاش يدور اذن حول ما اذا كانت هذه الدولة التي تقوم على طاعة البشر للبشر والتي مهدت لها النبوة هي حاجة العصر ام لا ، وكأنما امر هذه الدولة ومدى تعبيرها عن الدعوة الاسلامية محسوم سلفاً وأمر لا جدال فيه ولا نقاش .

ولكن ماذا لو كانت هذه الدولة قد لاقت معاندة شديدة اكثر بما لا يقاس من معاندة الجاهليين لدولة الحضارات الكبرى المحيطة بهم ، حتى انها دارت في تاريخ من الانهيار المستمر وبدت دائماً كاختلال تواجهه القوى الحية المتمثلة بالتيارات الرافضة او الممانعة لهذه الدولة التي لا يرى المستشرقون الاسلام إلا في مرآتها وفكر فقهائها ؟ ...[6]

لنعد الى افكار غوشيه وكلاستر التي يحاول الكاتب قراءة « التراث الاسلامي » او الاسلام بما هو « تراث » عاجز عن تفسير نفسه . فهذه الأفكار تحاول بدورها تطبيق الفلسفة النيتشوية على الشعوب الغابرة لدحض النظرية الماركسية في الانتروبولوجيا . ما هي المنطلقات الاساسية لهذين الباحثين ؟

المجتمع الغابر مجتمع ضد الدولة وهذا يعني ان مجمل تنظيم هذا المجتمع يفهم من خلال مقاومته لسلطة قهرية كامنة فيه يمانع ظهورها عبر مجمل نشاطه . أي ان هذا المجتمع ليس ما دون الدولة كما تقول التطورية الماركسية ولكنه اصل - مثال يفسر الديني في حالته الجنينية

(٥) « رودنسون ونبي الاسلام » ، ص ٢٠ و ٢١ .

(٦) انظر مقالتي حول الاصل والتواصل في الاسلام ، الفكر العربي عدد ٢٢ .

والديني في المنظور النيتشوي ظاهرة موحدة لها زمنها التطوري نحو التوحيد الذي يرسخ السلطة الشاملة يقول نيتشه :

« إن الشعور بالدين تجاه الالوهية لم ين يتعاظم عبر آلاف السنين، وذلك دائماً بالنسبة نفسها التي تعاظمت بها ونمت فكرة الله والشعور بالألوهية على الأرض... ان السير نحو الدولة الشاملة الواحدة هو على الدوام سير نحو.. شمولية الالهي ايضاً... والاستبداد باخضاعه للفئة النبيلة المستقلة يمهد الطريق نحو مذهب توحيدي ما »[٧].

فالدين يبدأ بمناهضة الدولة ثم يصبح قاعدتها الرئيسية ذلك ان المجتمع الغابر مضطر لكي يمنع تشكل الزعامة القسرية الى وضع السلطة في عالم اللامرئي في عالم الاموات الذي يتمثل بالآباء الاولين، إلا أن هذا الانفصام الاصلي الذي يمكنه من رفض طاعة البشر الأحياء بشكل انفصاماً اولياً بين البشر ومصدر سلطتهم، يؤسس امكانية انفصالهم اللاحق الى اسياد وعبيد امراء ومطيعين.

يجعل قبيسي من هذه الأفكار شبكة نظرية يضع في مربعاتها المعلومات التي يقطفها من التراث الاسلامي: لماذا رفضت الشعوب الغابرة الانبياء في القرآن او ليس لأنهم رفضوا طاعة البشري وترك دين آبائهم الاولين: « كيف نفسر هذه الممانعة الشديدة لتخلي القوم عن دين آبائهم الاولين؟... » ويأتي الجواب بصيغة السؤال: « لماذا لم تكن شعوب ما قبل التوحيد تؤمن بالبشر؟ بالبشر الاحيا؟ »[٨]

ان هذا التحليل المرتكز الى المراجع العلمية الغربية «Les Autorités»[٩] يبدو ذا لمعان خاص وكأنما الاحداث تتلاقى بالتماثل فتقارب نفسها بنفسها لتثبت عقلانية أبي جهل وكذب الخطاب القرآني الذي انما يريد تاسيس تسلط البشر على البشر، هكذا.

إلا أن هذا النوع من التعليل غالباً ما يترك ثغرة واحدة تعرضه للانهيار الكامل، وهذا ما حصل فعلاً بالنسبة للمؤلف، لنسمعه يقول: (« ولما احتج موسى على اتهامه من قبل قوم فرعون، فقال ﴿ أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ﴾ قالوا بما يشبه الاحتجاج الصارخ: ﴿ أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض ﴾ (يونس ٧٨) ويعجب القرآن من تبرير الاولين لكل ما يفعلونه بما في ذلك « الفاحشة باسم دين الاباء» واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا »)[١٠] ثم يتساءل كما رأينا سابقاً

(٧) المرجع نفسه ص ٨٤.

ـ وهكذا اذا فهم هذا النص في اطار الكلام حول الاسلام يكون الدين الاسلامي اكثر تسلطاً من جميع الاديان اليهودية والنصرانية.. التي يأخذ عليها الشرك وهذا ما لم يفكر به نيتشه نفسه!

(٨) المرجع نفسه ص ٨١ و ٨٣

(٩) المرجع نفسه ص ٨٩.

(١٠) المرجع نفسه ص ٨٥

« كيف نفسر هذه الممانعة الشديدة لتخلي القوم عن دين آبائهم؟ » .

والجواب هنا حاضر بالطبع فإن الشعوب الغابرة لم تكن لتؤمن بالبشر الاحياء لأن طاعة البشري هي الاساس الديني التي قامت عليه الدولة الناجزة ولكن ماذا يفعل قبيسي بقوم فرعون الذين يرفضون موسى (ع) باسم سنة آبائهم الاولين ويطيعون فرعون ويؤلهونه في الوقت نفسه؟ هل يكون موسى اشد تسلطاً من فرعون؟ وما هي علاقة سنة فرعون الحضارية بسنة أبي الجهل الغابرة؟ فالاثنان يدينان لآبائهم الاولين ويرفضان الانبياء بحجة ﴿ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذا لخاسرون﴾ فهل يقر قبيسي مثلا ان التفضل خاص بالانبياء وليس بفرعون؟

والواقع أن مسألة فرعون تبدو مزعجة ، في سياق هذا التحليل الانتروبولوجي، فعلى فرعون ان يغيب دائماً وكذلك هرقل وكسرى لكي يصح ليس فقط التحليل الثنائي الاستشراقي بل ايضاً تبريرات فقهاء الدولة التي ينطلق المستشرقون ويجعلون منها الصورة المعبرة عن الاسلام .

لماذا يدين قوم فرعون بدين آبائهم الاولين ويقبلون به كانسان ـ اله وترفض الشعوب الغابرة طاعة الرسل متمسكة بدين آبائها ألأنها تخاف من تسلط الاحياء على الاحياء؟ يظهر ان دين الآباء الاولين الذي يردد الأشكال الماضية لا يعلم من السلطة القسرية إلا بقدر ما ناهضها الآباء الاولون .

ولكن اية سلطة هي التي مانعها اولئك الآباء، وهل أن ممانعتهم هذه، تختصر مجمل تنظيمهم الديني، الذي يشمل كافة نشاطاتهم والرموز التي يتشكل منها؟

لقد سمعنا جواب غوشيه انه ينطلق من فرضية بيار كلاستر الذي يعود بدوره الى نيتشه، حول اصالة السياسي في المجتمع يقول كلاستر :

«حتى في المجتمعات التي تغيب عنها المؤسسة السياسية (حيث لا يوجد زعماء مثلاً)، حتى هنا، فإن السياسي يبقى حاضراً وهنا تطرح مسألة السلطة : ليس بالمعنى المخادع الذي يحض على إعطاء اعتبار لغياب سياسي مستحيل، ولكن على العكس من ذلك بالمعنى الذي يمكن لشيء ما ان يوجد في هذا الغياب. اذا لم تكن السلطة السياسية ضرورة ملازمة للطبيعية الانسانية، اي للانسان بما هو كائن طبيعي (وهنا يخطىء نيتشه) فهي بالمقابل ضرورة ملازمة للحياة الاجتماعية، اننا نستطيع تصور السياسي دون العنف ولكننا لا نستطيع تصور الاجتماعي دون السياسي»(١١) .

حيث لا توجد الدولة من الممكن ان يتوجد السياسي ذلك ان المجتمع الغابر ليس ما دون السياسي، هذا صحيح، ولكن لماذا ينقسم المجتمع الغابر الى سياسي واقتصادي وايديولوجي

(١١) بيار كلاستر، مجتمع اللادولة، تعريب وتقديم د. محمد حسين دكروب، المؤسسة الجامعية، ص ٢٤ .

(ديني)[12] أي لماذا يكون للسياسي نصاب خاص؟ الجواب يكمن في عقل الغربي نفسه فحتى كلاستر الذي يقود الانتروبولوجيا الى اقصى ما تصل إليه في تعاطفها مع الشعوب الغابرة، لا يستطيع ان يتخلى عن انويته الحضارية، إن المجتمع الغابر يصبح هنا حقل اختبار لنقد النظرة الماركسية التي تقول بتحديد الاقتصادي لمستويات المجتمع، ولكن ماذا لو كان هذا الانقسام الى مستويات تجزيء نشاط البشر هو من مفاعيل الدولة القسرية نفسها.

وسوف نرى فيا بعد كيف أن ذلك السياسي المفصل كحقل من النشاط السلطوي الذي يعبر عن نفسه بسلسلة من الضرورات التي تحتم وجود الدولة، لن يبرز في الاجتماع الاسلامي رغم الجهود الهائلة التي بذلت في علم الكلام...

إن الدولة القاهرة تبدو في الفكر النيتشوي ضرورة أولية، وإن لم تعد طبيعية كما جاء في فلسفة نيتشه، إنها ضرورة تجعل من الدولة حضوراً غائباً او حضوراً لا يغيب الا حين يبذل المجتمع الغابر «الاصلي» الذي يمثل الاختيار اللاسلطوي بنظر النيتشويين - جهوداً هائلة لمانعته، وترتسم مجمل رموزه الدينية وفقاً لهذه المانعة: **الدولة** - وهنا تعني في المصطلح الذي نستخدمه: السلطة القسرية - **هي اذن ضرورة وليست اختلالاً** هذا ملخص قول هذه المدرسة ولهذه المسألة اهمية كبرى في فهم الديني في هذه المجتمعات، فهي تنقسم على نفسها الى واقع يدل على شهود: عالم البشر والى غيب هو عالم الخرافي: الارواح والقوى الغيبية المتحكمة بمصير البشر. إن هذا الانقسام يبدو حالة اصلية: يبدأ الديني منها ثم يتطور نحو التوحيد. كيف يتطور نحو التوحيد، انها مسألة بسيطة: ببروز الانبياء تتجسد القوى الغيبية في بشري ويبرز تسلط البشر على البشر.

إلا أن هذا التعليل يفترض عدة مسائل يجعل منها مسلمات: الاولى، وهي ان المجتمع الغابر هو حالة اصلية، الثانية وهو ان المجتمع السلطوي ينتج عن هذا التحول الآلي للعلاقة بين الشهود والغيب، الثالثة ان الدولة هي ضرورة يرفضها الغابر ثم يقع تحت وطأتها ولا مجال له او منفذ إلا بتأخير التاريخ السلطوي. الرابعة وهو أن الغيب مسألة من صنع البشر كأن نقول ان الإنسان هو الذي خلق الله وليس هناك اي برهان قاطع يجعل هذه المسألة اكثر بداهة من القول بأن الله خلق الانسان إلا اذا ما اعتبرنا أن القيم التي تفرضها القوة الغربية التي تقرن الجديد بالكفر هي بديهيات لا تناقش، والخامسة وهو ان الاسلام يجعل من الانبياء مجسدين للقوى الغيبية وهذا يفترض ان نبي الاسلام لا يحترم اعجاز القرآن وإنه تصرف وكأنما هذا القرآن من صنعه، او أنه فعلاً من صنعه: «مع محمد حصل التماهي بين وجهة نظر البشري،

(١٢) قارن بالدكتور حسن الضيقة، تجربة الكتابة التاريخية الماركسية، كتاب الفكر العربي ص (٥٨).

ووجهة نظر الالّهي والسؤال الاكبر هو حول السبل والاوالات التي جعلت هذا التماهي ممكناً . كيف تمكن بشري يدعى محمد بن عبد الله من حمل الناس على الاعتراف به شخصياً بوصفه ممثلاً لمبدأ تنظيم المجتمع، بوصفه « المصطفى » الذي اتخذ « الخفي » او « الغيب » شكلاً بشرياً ـ لغة القرآن واحكامه ـ من خلاله »[١٣] .

واني لا اعتقد ان هذه الأمور هي مسلمات بسيطة يكفي لبرهانها الاعتماد على رأي الذين مانعوا النبوة في المجتمع الغابر، فهذه الممانعة تدل على ان هذه المجتمعات ترفض سلطة البشر على البشر، طاعة البشري حين يصبح مصدراً للسلطة، ولكنها لا تدل قطعاً على ان شروع الانبياء هو تحويل هذا المجتمع إلى حضارة السلطة القاهرة التي تقوم على مبدأ الطاعة القسرية وإن صدام المجتمع التوحيدي مع هذه الحضارة هو تناقس وليس حركة تفوض هذه السلطة، لا شيء يدل ان الاسلام هو أمبراطورية أو أنه يختصر الى دولة الإسلام التاريخية، أو ان هذه الدولة استطاعت التعبير عن حركة الاجتماع الاسلامي وتواصله مع اصوله وان الاسلام قد انهار بانهيارها أو أنه الآن يسعى في حركته الى استعادتها .

وأورد قبل البدء باستقراء السنن التي تحكم خط النبوة على أساس الرئاية المثلثة أن أشير إلى وقوع هذه القراءة الثنائية (التاريخ / سلب التاريخ) في الخطأ المنهجي السائد لدى المستشرقين، الا وهو اعادة اللفظ القرآني إلى أصوله الجاهلية . فالدين مثلاً اصله الدَّين في لسان العرب :

هذا التشابه الذي يكتشفه قبيسي يعطيه برأيه حق تسليط الفلسفة النيتشوية على الاسلام واعادة الاديان الى اصل واحد وتفسير الظاهرة الدينية انطلاقاً من شعور البشر بأنهم يدينون لقوى غير مرئية، هذه الفكرة التي يأخذها غوشيه عن نيتشه ويبني على قاعدتها مجمل تحليله حول « دين المعنى وجذور الدولة »[١٤] . ان هذا الاسلوب في المقارنة بين معنى اللفظ القرآني واللفظ نفسه في الجاهلية فاسد، كونه لا يأخذ بعين الاعتبار كيف يتعامل المسلمون والفقهاء منهم مع هذه الالفاظ القرآنية أو كيف تعاملوا معها طوال قرون، وكيف فهموا دلالاتها وعلاقة هذه الدلالات بالمعنى الجاهلي للفظ، يقول السيد الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن :

(١٣) رودنسون ونبي الاسلام ص ١٣٠

ـ هل ان النبي يجسد الغيب هل ان لغة القرآن (الباطن والظاهر) لغة الاعجاز التي لا يصنفها البشر هي تجسيد، هذا نوع من الاستخفاف نرد عليه فيما بعد عندما نركز تحليلنا على علاقة الغيب بالشهادة في الاسلام .

(١٤) مارسيل غوشيه، دين المعنى وجذور الدولة، ترجمة وتقديم علي حرب، الفكر العربي عدد ٢٢، ١٩٨١، ص ٣٢ ـ

« ... كما أن سائر السنن والعادات والرسوم الدائرة بينهم (المسلمين) في عهد النزول باسمائها المعروفة المعهودة كلما نزلت آية متعرضة لحكم متعلق بشيء من تلك الاسماء بامضاء أو رد أو أمر أو نهي لم يكن بد من حمل الاسماء الواردة فيها على معانيها المسماة بها من غير ان تحمل على معانيها الاصلية. وذلك كالحج والبيع والربا والربح والغنيمة وسائر ما هو من هذا القبيل فلم يمكن لأحد ان يدعي أن المراد بحج البيت قصده، وهكذا وكذلك ما اتى به النبي ﷺ وآله من الموضوعات الشرعية ثم شاع الاستعمال حتى عرفت باسمائها الشرعية كالصلاة والصوم والزكاة وحج التمتع وغير ذلك لا مجال بعد تحقق التسمية **لحمل الفاظها الواقعة في القرآن الكريم على معانيها اللغوية الاصلية** بعد تحقق الحقيقة الشرعية أو المتشرعية بها »[15]

والمقصود هنا أن الوعي الفقهي ينظر أولاً إلى الدلالة القرآنية كمقياس يضبط تطور المعاني فيما بعد ويستقرىء ثانياً هذه المعاني من مجال الدلالات القرآنية العامة ولا يعيد الالفاظ الى معانيها الجاهلية بصورة آلية وان استعادها في بعض الاحيان.

فالدين مثلاً لا يأتي في النص القرآني بمعنى الدَين لقوى الغيب المتسلطة على عالم الشهود، بل ان الدين لله هو صراط نحو الله من هنا يأتي اللفظ ايضاً بمعنى النهج « لكم دينكم ولي ديني »، لذلك فالتعبد الذي يقوم عليه لله ليس مجرد استبدال العبودية للبشر أو للاصنام بعبودية لله تحمل المضامين نفسها -

- وبالمناسبة كيف يمكن تفسير استعباد الانسان الغابر للآخر الغابر ضمن فرضية مجتمع غابر يرفض السلطة القسرية؟! -

فالعبودية في الإسلام تفترض ان الانسان خليفة الله يتواصل بالغيب عبر الانبياء، انه يفترض علاقة بين الغيب والشهادة مغايرة لتلك التي تبني عليها اديان تجسد القوى الخفية في البشر، أديان الخوافي أو الانسان الاله وهذا ما نفصله فيما بعد..

وعلى كل حال، يبقى ان هذا الاستخفاف بالرموز التي يعيشها البشر وبنظرتهم الى لغتهم ودينهم هو محرك الفكر المترجم الذي يبحث في كل مرة عن مراجع فكرية في الغرب «Autorités» تنقله من « الظلمة البهيمية » الى نور الاستشراق بحلله الجديدة -

للبحث صلة -

نظير الجاهل

---

(١٥) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي، المجلد الرابع، ص ٢٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة والرسالة

بقلم: جهاد سعد

﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾ [١]

من نافذة هذا الفهم الشامل للإيمان بكتب الله ورسله، الذي يلخص تلك السلسلة المضيئة الشديدة التماسك إلى حد الإلتحام، سننظر إلى موقع المرأة في الرسالة معتبرين أن رؤية الإسلام لهذا الموقع كتبت سطورها الأولى قبل بعثة الرسول ﷺ بآلاف السنين.

... وان مريم العذراء رضي الله عنها أنجبت مع السيد المسيح دوراً من الأدوار التي أرادها الله للمرأة في كل العصور وصل إلى سن التكليف[٢] في زمن بعثة الرسول ﷺ فوضع ضمن الإطار التشريعي المناسب له.

يعني أن الرسالة التي هي الإسلام تشمل كل ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وما أتاه لرسله دون تفريق بين أحدٍ منهم فالمسيحية مثلاً ـ تبعاً لهذا الفهم ـ تعني تلك الفترة من الإسلام التي اتفق تاريخياً أن تسمى «المسيحية» بإعتبار أنها غصن من أغصان شجرة ﴿... طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾[٣] وكذلك اليهودية.

نعم هذا تعريف بعيد عن ما نشهده اليوم من واقع مشحون بالعصبيات الطائفية أو معنى مهجور للرسالة ـ على حد تعبير الأستاذ عبد اللطيف شرارة ـ ولكنه المعنى الذي لا بد أن نلجأ إليه عند أوّل «استنطاق» لآيات القرآن الكريم التي تكلمنا عن أدوار أهدتها المسيحية واليهودية للمرأة بلسان الإسلام.

وعلى ضوء هذا المفهوم ستخط سطور هذا البحث.

حضارات ما قبل العدل:

لم يكن للمرأة كمخلوق ذات أهمية قصوى في تركيبة المجتمع تأثير يذكر في بناء صرح الحضارات القديمة. وبالتالي لم تطرح في شأنها أي أفكار تهدف الى انتشالها من براثن التقاليد

(١) آل عمران الآية ٨٤.

(٢) سن التكليف هو التعبير الفقهي للسن الذي يجب فيه القيام بالواجبات العبادية كالصلاة والصيام...

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٤ ـ ٢٥.

الاجتماعية الهشة المحكومة بمنطق السيطرة والقوة. وحتى الحكماء القدماء الذين مثلوا دور الاصلاح الاجتماعي في العصور الغابرة ليس لهم آراء مشرقة في مسألة حقوق المرأة «فالهنود والصينيون واليونان القدماء وعرب الجاهلية أجمعوا على كره المرأة وكره ولادتها وقتلها إن لزم الأمر. ففي اليونان القديمة كان الاثني يعلق غصناً من الزيتون على باب داره عندما يولد له طفل لكي يعبر عن فرحته وعن نجاته من مصيبة «الطفلة»... والاسبارطي كان يقتل سبعة من كل عشر بنات يولدن له... وفي جانب آخر من الأرض كان الفراعنة يعتبرون الزوجة متاعاً للرجل يتصرف بها كيف يشاء وفي الشرق الأقصى وشبه القارة الهندية كان البراهمانيون يلزمون على المرأة طاعة زوجها وأكثر من ذلك فرضوا على الأرامل أن يلحقوا بأزواجهم حرقاً بالنار واذا لم يفعلن لم يكن يسلمن من سلطة أهل أولئك الأزواج... ونبي الصين كما لقبوه وهو كونفوشيوس أوحى بوجوب طاعة المرأة لزوجها ولأبويه من بعده حتى ان لهما ان يزوجاها ممن يشاؤن. وفيما بعد كان البرابرة في اوروبا يجعلونها تحت وصاية وليّها وهي ابنة ويجعلون املاكها في قبضة زوجها اذا تزوجت.. وبلغ من الجرمان أنهم جوزوا للزوج بيعها وتقديمها لضيوفه والتوصية بها لسواه»[4] ولم يكن عرب الجاهلية أكثر تقدماً بالنسبة الى من سبقهم فَوَأْدهم للمرأة كان شائعاً بالاضافة الى كره ولادتها وملكتها لزوجها بعد موته وقد كان شائعاً أيضاً في تلك الأيام ظاهرة الزواج الجماعي لامرأة واحدة من قبل عدة أخوة.. والحديث يطول كلما حاولنا أن نعود الى تاريخ تطور رأي المجتمعات القديمة عن المرأة وتظهر لنا أكثر فأكثر معالم الظلم والافتراء التي كانت تسيطر على كل ما يحيط بحقوق المرأة في تلك العصور ولعل هذه اللمحة تفي بالغرض المطلوب لننتقل باطمئنان الى موقع المرأة في شرائع الرسالات الالهية وفي شرائع الانبياء الذين بعثوا على نطاق خاص وعام[5].

المرأة في الفترة التمهيدية للرسالات:

إن المجتمعات تمر في مراحل تطورها بفترات شبيهة بمراحل نمو الإنسان أي أنها تمر بفترة طفولة وحداثة ومراهقة ونضوج، لذا كان لا بد أن تراعي الرسالات الإلهية هذه المرحلة وكان حجم الرسالة يكبر كلما ازداد نضوج المجتمع البشري وازداد معه خطر الإنحراف الذي ينتاب هذا المجتمع بالإضافة إلى أن وجوه الشر متعددة المستويات ومتفاوتة الخطر وعلى هذا فإن للخير عدة وجوه في مسيرته السرمدية نحو إزالة الآثار السيئة التي تتركها الإنحرافات ولكنه في النهاية جسد واحد عقله «الله» وأعصابه المرسلين وأعضاءه المهتدين.

(٤) راجع «المرأة في الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد جميل بيهم الصفحات ٥٥ ـ ٦٠.

(٥) يستفاد من أحد الأحاديث التي نقلت عن الباقر (ع): ان «النبوة الخاصة هي النبوة التي بعثت لقوم معينين في التاريخ ففي القرآن الكريم مثلاً تحدثنا الآيات عن النبي هود الذي بعث في قبيلة عاد، وصالح الذي بعث في ثمود، وشعيب (وعليهم الصلاة أجمعين) الذي بعث في قوم مدين وآخرون من انبياء بعثوا في أقوام أخر لا يعلمهم إلاّ الله كما أشار القرآن الكريم وبهذا المعنى تكون النبوة العامة هي النبوة التي لم تختص بأناس معينين بل شملت الأرض بمن عليها كنبوة موسى (ع) وعيسى (ع) ومحمد (ص) وقد بلغ عدد الأنبياء، كما نقل عن الرسول (ص) في إحدى الروايات ١٢٤ الف نبي بينهم ٣١٣ مرسل أربعة منهم عرب وأشرفهم محمد (ص)».

كان لا بد من هذه المقدمة لنوضح أن الأنبياء كانوا يبرزون القضايا الحيوية ومنها حقوق المرأة بالشكل الذي يتلاءم مع حجم دعوتهم ولا يكون غريباً عن درجة الوعي الإجتماعي الذي وصل إليه قومهم وهذا هو السبب الأساسي في أن الانبياء الذين مهدوا للمرسلين لم تكن لديهم خطة شاملة عن حقوق المرأة كما حدث فيما بعد عند ظهور المرسلين ولكن سيرهم المباركة تحكي لنا قصة اهتمامهم في هذا الموضوع بشكل يسمح لنا أن نكون فكرة عن موقفهم. فمما عرفناه من سيرة نوح (ع) «إن الله أوحى إليه بأن امرأة اسمها عمورة ابنة ضران بن اخنوخ ستكون اول من يؤمن بك وعندما أمره تعالى بإطلاق الصيحة التي أنذر فيها قومه واخبرهم انه بعث منقذاً لهم من عذاب شديد كانت عمورة أول من أعلن إيمانها جهرة رغم كفر قومها وجبروتهم فحبسوها وظلموها عقاباً على ايمانها... فتزوجها عليه السلام وولدت له وصيَّه سام (ع). - كان لنوح (ع) زوجتان، كافرة غرقت في الطوفان وعمورة التي حملها معه في الفلك[٦] - «ولا شك ان ايمان عمورة (ع) كان اكتمالاً لدعوة نوح (ع) بوجهيها الإنسانيين فكما كان هو حجّة على من لم يؤمن من الرجال كانت هي حجة على من لم تؤمن من النساء[٧]. **وفي سير حفدة نوح (ع) من الأنبياء الطاهرين حوادث مماثلة تهدف في معظمها إلى لفت أنظار المجتمعات النائمة عن دور المرأة الحيوي وتطهير صورتها عنها، هذه الصورة التي حجبت عن مسار التطور الإجتماعي وكادت ان تبقى على حالتها وجادها رغم تقدم البشرية ورقي حضارتها.**

فسارة الزوجة الأولى لإبراهيم (ع) هي أول من آمن به أيضاً ولعل حادثة زواج ابراهيم (ع) من هاجر (رضي) هي احدى الأدلة البارزة التي تعبر عن أخلاقية النبي الكريم في تعامله مع شفافية الحس عند زوجته «فقد كانت سارة في أول الأمر عاقراً لا تلد، وبعد هجرة ابراهيم (ع) من أرض نمروذ دخل في ملك رجل من الأقباط اسمه عرارة الذي أعجب به وبجمال زوجته فوهبه جارية من أجل جارياته وهي هاجر (رضي) لتخدم سارة (ع)، وطالت المدة وليس لإبراهيم (ع) أولاد فقال لزوجته: «إن شئت ملكتني هاجر لعلي أرزق منها»[٨]. وهذا الاستئذان للزوجة إن دلّ على شيء فإنه يدل على احترام لمكانتها وعدم رغبة في ظلمها رغم ان العكس هو الذي كان شائعاً في معظم بقاع الأرض... فأذنت له فتزوج هاجر وولد منها اسماعيل (ع) وقصة إتصال هاجر واسماعيل (ع) بمراسم الحج أصبحت شائعة ولكن الحكمة من اشتراك هاجر وولدها وبالتالي الرجال والنساء فيما بعد في الطواف والجري بين الصفا والمروة ضمن الحج أصبحت جديرة بالذكر، فاذا كان الطواف حول الكعبة المشرفة «يرمز

(٦) راجع كتاب «الأنبياء» لعبد الصاحب الحسني العاملي.

(٧) هذا لا يعني ان نوح (ع) لم يكن حجة على جميع الناس من الجنسين وأن عمورة لم تكن كذلك فهذه حقيقة لا جدال فيها. بل يعني أن العوائق التي واجهت نوح (ع) لتمنعه من ايمانه والعوائق التي واجهت عمورة لم تحول دون الجهر بإيمانها وتحديها لذلك الواقع السيء.

(٨) «الأنبياء» للعاملي.

إلى تمحور جهود الحياة الإنسانية حول وحدانية الله»[9] فهذا يعني ان حكمة الله كرّست في شعائر الحج فكرة التعاون الأزلي الأبدي بين قطبي الحياة الإنسانية حين أجازت للرجال والنساء أن يطوفوا معا حول رمز وحدانيتها.

لعلنا تخطينا بذكرنا للحج التسلسل الطبيعي للافكار... فلنعد إذا للبداية.

يتضح مما سبق ان بداية التبشير والانذار عند نخبة الانبياء الذين مهدوا لظهور المرسلين كانت دائما تقوم على كاهل نبي داع وامرأة مؤمنة. وان ظاهرة المشاركة الفعلية للمرأة في التغيير الجذري للمعتقدات والعادات الاجتماعية ابتدأت مع ظهور الانبياء الدعاة وأخذت تكبر بقدر ما تسمح لها ظروف الدعوة وقابليات المجتمعات مما مهد للادوار الكبرى التي مثلتها المرأة على مسرح التاريخ الرسالي فيما بعد.

مع اليهودية من المهد

﴿واوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني أنّا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين، وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون، واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[10].

ثلاثة نساء تبادلن بارادة الله وحكمته تنفيذ المشيئة الالهية بخلاص موسى (ع) من بطش فرعون ليكون له عدوا وحزنا. ومن الجدير بالاهتمام في هذا الموضوع ان كل امرأة منهن كانت تمثل وجها مكثفاً من الوجوه الكبرى التي تعيشها النساء في مراحل حياتهن ففي سياق الآيات الكريمة أم تضحي وأخت تراقب عن كثب حرصا على أخيها وزوجة تعطف رغما عن امر مليكها... لا ضير إن قلنا إذن **ان هذه الآيات تحمل في باطن ما تحمل تذكيراً بالدور الحيوي للوجوه النسوية في مرحلة الاعداد لأي رسالة تبشيرية جديدة فقد قال تعالى لموسى عليه السلام ﴿وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾**[11] وهذه الآيات تبرهن ان الله تعالى القى بعضاً من هذه المحبة من خلال أمه واخته وما يصح ان نسميها منقذته وللعلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي - أعلى الله مقامه - في تفسير الميزان اشارة في هذا الموضوع من

---

(9) «الإسلام على مفترق الطرق» للاستاذ محمد أسد ص ٢٣ - ترجمة الدكتور عمر فروخ.

(١٠) سورة القصص الآيات ٦ - ١٣.

(١١) سورة طه الآية ٣٩.

ضمن تفسيره للآية الكريمة ﴿**وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون**﴾ . يقول ـ قدس الله روحه ـ عن امرأة فرعون « وإنما قالت ما قالت لأن الله سبحانه القى محبة منه في قلبها فعادت لا تملك نفسها دون ان تدفع عنه القتل وتضمه اليها . قال تعالى فيما يمن به على موسى عليه السلام . ﴿والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾ .

مع المسيحية

تكاد كلمة مريم في وصف القرآن الكريم لها عليها السلام ترادف كلمة « عفة » أو ان صح التعبير هي « العفة الناطقة » فهي (رضى) في سيرتها المباركة جوابنا الحيّ عن كل الاشكالات التي تطرح بشأن موضوع الصلة الموضوعية بين فعالية المرأة في محيطها وبين ما استحبه الدين لها من الالتزام وعدم التبرج . وسيأخذ هذا البحث نصيبه من الاهتمام بعد ان نمر على ما أعطته الرسالة المسيحية للمرأة بشخص السيدة العذراء من مكانة وعلى انعكاس هذه المكانة على الفكر المسيحي اللاهوتي بشكل عام . ﴿ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشرا سويّا﴾ [١٢] . في هذه الآيات الكريمة التي وردت في سورة « مريم » يبتدىء الاخبار القرآني عن ولادة السيد المسيح (ع) مع أن الحديث عن فترة ما قبل ولادته كان قد تلاشى امام الحديث عن الفترة التي تلت بزوغ شمسه (صلوات الله عليه) . وبهذا يتضح أن ابتداء القرآن بهذه الآيات هو بمثابة تنبيه الى أن الآيات والمعجزات التي سبقت الميلاد المجيد لا تقل عظمة وأهمية عن المعجزات التي ظهرت على يدي السيد المسيح في فترة تبشيره (ع) ومن وجهة أخرى هذه الآيات تدل على ان **الرسالة المسيحية ابتدأت في اللحظة التي نفخ فيها روح الله جبريل (ع) في جسد مريم (ع) فهذه الحادثة هي « الآية الأم » لكل المعجزات التي اثبتت نبوة عيسى (ع) فيما بعد.**

اذن المسيحية انتشرت في احشاء مريم (ع) بشخص رسولها قبل ان تطل على العالم بوجهها المخلّص وقد ظهر فيما بعد ان تلك الأحشاء كانت معينا من المحبة طبع الدعوة النصرانية بطابعه **فجَسّدُ السيد المسيح كان إناءً معدنه التوحيد صبغه الله من احشاء مريم بطلاء المحبة لانها اللون الأرضي المناسب لأي دعوة الى الله تظهر في زمن تسوده التفرقة والنزعات ويتزعمه البطش والأحتكار باسم الآلهة** وحتى الآن نجد الفكر اللاهوتي النصراني يعبر عن الله بأنه « محبة » كتأثير طبيعي من تلك الفترة « الاعدادية المريمية » التي سبقت ولادة السيد المسيح (ع) . ويتجلى هذا التأثير بشكل أوضح في أسلوب الدعوة المسيحية وفي مضامين الأناجيل والعظات التي تفوح دعوات الى التسامح والمغفرة والمحبة في الوقت الذي تخلو فيه من الاحكام والقوانين التشريعية .

---

(١٢) سورة مريم ١٦ ـ ١٧

عودة الى مريم (ع) والعفة:

إن سياق قصة مريم (ع) يوحي للوهلة الأولى بأنها لم تساهم في تلك المكانة العظيمة التي وصلت اليها وأن الله تعالى سيّرها بمشيئته وبدون اي مشاركة تذكر منها إلى مرتبة «المرأة الذروة» وجعلها أمّاً لأحد اشرف الانبياء وكرّمها كل هذا التكريم لأنها كانت احدى المراحل التي مرّت بها معجزة ولادة عيسى (ع).. (في مضمون ما سبق اتضح ان دورها (ع) في ولادة عيسى (ع) كان أساسياً وضرورياً ولم يكن ابداً ثانوياً وعابراً). ولكن المتتبع لسيرتها (ع) من خلال كتاب الله تعالى يرى خلاف ذلك. وقبل أن نعبر الى الضفة التحليلية لدورها في هذه المكانة سنطرح هذا السؤال كمقدمة للتوسيع «في اي وجهة من الوجوه ساهمت مريم (ع) في الوصول الى هذا الدور العظيم..؟».

إن القرآن الكريم يوضح لنا من خلال آياته الكريمة بشأن إحدى اشرف نساء العالم ان **دور المرأة يزداد اهمية كلما ازدادت تعففاً واحصاناً لذاتها بعكس ما هو شائع عند بعض المتفلسفين من ان العفة تحول دون أن يكون للمرأة فعّالية في محيطها**. ففي سورة الأنبياء يعلل الله تعالى سبب اختيار مريم (ع) لدورها الشريف بالقول: **﴿والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾**[13]. «وفي سورة التحريم تأتي الآية الكريمة ﴿ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[14]. توضيحاً وتفسيراً للآية السابقة ومن السهل جداً أن نلاحظ في هاتين الآيتين الكريمتين ان احصان مريم (ع) لنفسها او بمعنى آخر تعففها كان سبباً اساسياً لارتقائها لمرتبة الاولياء الصالحين وشرطاً ضرورياً لاكتمال «نطفة» دورها المقدس. ﴿احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾.. نعم لقد كانت العفّة طريقاً سلكته مريم (ع) بملء ارادتها لأنسنة انثويتها فكان أن وجدت في طريقها آية من آيات الله تنظم ولادتها «الابن الانسان».. وتجعلها نموذجاً مقدساً لأي امرأة تطمع الى دور طليعي في محيطها تحت وظل رضوان الله.

مع الاسلام

قبل الشروع بهذا البحث الواسع الافاق أرى أن من المناسب طرح مسألة تتعلق بالطرق التي نوقش فيها هذا الموضوع تحت عناوين مختلفة وهذه المسألة تتعلق بالطريقة التي نتمنى ان يطرح فيها الاسلام بشكل عام.

انطلاقاً من بعض الكتب ـ لا جميعها ـ التي سمحت لنا الظروف بمطالعتها في موضوع المرأة والاسلام هناك انطباع عام من أن الكاتب يتخذ فيه موقف المدافع والراد على ادعاءات

(١٣) سورة الأنبياء الآية ٩١.

(١٤) سورة التحريم الآية ١٢

المعادين للدين الحنيف مما يشغله عن الطرح العلمي لصميم ما يقوله الاسلام في المرأة ونصل الى الدفة الأخيرة للكتاب ولدينا إحساس بأن ما يدّعيه الاعداء خطأ ولكن ليس لدينا بديل فيما يطرحه الاسلام... لا شك ان الفترة الأخيرة التي ازدهرت فيها الادعاءات المضللة تسببت في هذا الموقف « الدفاعي » الذي اتخذه بعض كتابنا الأكارم ولكن هذا لا يعني ابداً أن نخمد نار الهجومية التي اشعلها الرسول الأعظم (ص) والتي تعلمنا ان نزداد هجومية كلما تعاظمت « الجاهلية »... ولا ادعي ان ما سيأتي في هذا الموضوع سيمثل كل ما تطمح إليه من طرح « هجومي » للاسلام ولكنني ابذل جهدي للكتابة بلغة من يغرف من محيط ليسقي صحراء جفت فيها مياه المفاهيم الدينية المشرفة .

التناقض والحل : « الآيات القرآنية الكريمة قالت بأن الإنسان خلق من تراب وقالت بأنه نفخ فيه من روحه **سبحانه وتعالى . اذا فهو مجموع نقيضين اجتمعا والتحما في الانسان: حفنة التراب تجره الى الأرض، تجره الى الشهوات الى الميول، تجره الى كل ما ترمز اليه الارض من انحدار وانحطاط وروح الله سبحانه وتعالى التي نفخها فيه تجره الى أعلى تتسامى بانسانيته الى حيث صفات الله الى حيث العلم الذي لا حد له الى حيث الجود والرحمة والانتقام »**[١٥] .

ويعلق الشهيد الثالث على هذه الحقيقة فيقول ان كل شعور بالمسؤولية صادر عن نفس هذا الجدل سيساهم في افراز هذا التناقض . ويستفاد مما ذكره الشهيد وبعض علمائنا الافاضل : « **إن الحل يتمثل بتغليب افضل النقيضين عن طريق شعور بالمسؤولية خارج عن اطار ذلك الجدل ولا شك ان افضلها هو التوجه الروحي الى الله سبحانه وتعالى** » .

... ونعود لموضوع المرأة لنبحث وجوه التناقض في تركيبها بحثاً عن افضل النقيضين فهي في النهاية انسان ولكن ذلك الجدل الإنساني في اعماق تركيبها متمثل على سطح تكوينها بتناقض ظاهر بين انسانيتها التي تبحث عن ظروف ملائمة لتتفجر وبين انثويتها الطاغية على كل حركة من حركاتها وسكنة من سكناتها وبمعنى اقرب الى ما سبق **هناك تناقض ظاهر بين التوجه الانساني في صميم حياة المرأة وممارساتها ، وبين التوجه الانثوي الذي يملك كل امكانيات السيطرة على طاقاتها المتوسطة بين الاتجاهين** وكما سبق واشرنا فان اي شعور بالمسؤولية أو أي إصدار فكري وتحليلي وأي ممارسة عملية نابعة من صميم جدل كهذا ستحمل سمة التناقض الذي يدور ضمن حلقة مقفلة ليس فيها سوى القلق والبؤس والجمود **والحل ليس بجديد حسب ما ذكره الاسلام فمن الطبيعي ان يُغلّب الدين الحنيف التوجه الإنساني في المرأة على نقيضه بمعنى ان يقود هذا التوجه الانساني انثوية المرأة ولا تبقى الطاقات الخلاقة فيها محبوسة بين جدران الانوثة المؤقتة** وبناء على هذا المبدأ نجد ان تشريعات الاسلام ـ نتيجة فهمها لذلك التناقض التكويني في المرأة ـ تحاول دائماً ان توفر

(١٥) اية الله العظمى الشهيد الثالث السيد محمد باقر الصدر ـ على الله مقامة في مقدمات في التفسير الموضوعي للقران ص ١٥٦ .

البيئة المناسبة لتنمية الطاقات الانسانية الخلاقة حين تستحب للمرأة الحياة التي تتلاءم مع لطافة تكوينها والتي انعكست نفسياً الى ميل داخلي لعطاء يطغى عليه الطابع العاطفي عندها.

ـ **وقفة مع المرأة والغربة:** لحسن الحظ يمثل المجتمع الغربي بالنسبة لنا نموذجاً حياً يوضح لنا النتائج الكارثة لتغليب الجانب الانثوي على طبيعة حياة المرأة ورغم ان تلك النتائج اصبحت غنية عن التعريف سنستفيد منها لاستنتاج يتصل بما سبق.

ان الفترة التي تبلغ فيها الجاذبية الانثوية عند المرأة ذروتها محصورة بين لحظة النضوج البيولوجي وبين « سن اليأس »[16]. وفي هذه الفترة ترتفع مكانة المرأة في محيطها كلما ارتفع مستوى جاذبيتها وتنحدر تلك المكانة مع انحدار الجاذبية ايضاً حتى يصل الانحدار الى ادناه وعمر المرأة لم ينته بعد، فتقضي ما تبقى منه في لحظات « احتضار اجتماعي » أو ان صح التعبير « موت اجتماعي » متمثل بغربة موحشة عن كل ما حولها تظهر بشكل ثورة عارمة على الشيخوخة التي أفقدتها لذة العيش في مجتمع لا يراعي ما تبقى منها من انسانية تصاغرت لقلة استعمالها. وان شئنا التعمق اكثر في بحث اسباب الغربة وانواعها نرى ان المرأة في الغرب تعاني نتيجة تغليب انثويتها من غربتين:

ـ غربة حين تدخل المعترك الاجتماعي دون اي حائل بين دورها ودور الرجل فتحس نتيجة لذلك انها مزروعة في غير مكانها وان المجتمع ما هو إلا شرائع سنّها الرجل وركبها على مقياس امكانياته. وهذا شيء طبيعي ففي فترة الجمود التي مر بها دور المرأة في تاريخ اوروبا توفر للرجل ان يسن ما شاء له من قوانين ويجمع ما يستطيع من خبرة في المعترك الحضاري دون اي مراعاة لتلك المسجونة المقيدة ولا لامكانياتها. فنما فيها في سجنها العطش الاعمى الى الحرية ومنذ اللحظة التي فكّت فيها القيود اندفعت تنازع الرجل ادواراً هي من صميم امكانياته فكان أن احست بالغبن والسيطرة وبالتالي بالغربة عن كل ما حولها لأنه قام على أساس غيابها وليس حضورها الفعال.

ـ وغربة بعد ان تستنزف عمر انثويتها وتفقد تلك النظرة المحترمة والمكانة التي طالما تزعمت من خلالها المجالس ولفتت إليها الانظار. وهذا النوع الثاني يتجلى في كتابات الأديبات الاوروبيات بشكل لا يخفى على أي مطلع ولعل كتابات « سيمون دو بوفوار » رفيقة درب جان بول سارتر عن الشيخوخة تشكل اوضح دليل لدينا عن ذلك الخوف من غربة ما بعد الانثوية.

وعلى سبيل التعميم ليس هناك مشكلة اجتماعية تخص المرأة ودورها في المجتمعات الغربية إلا ولها صلة وثيقة بذلك التغليب للجانب الانثوي في المرأة على حساب انسانيتها فهلا فعلنا العكس؟... ام اننا لم نتنبه بعد الى ان حاضر المجتمع الغربي بكل مشاكله يمثل مستقبل المجتمع الشرقي ان استمر في هذا البعد عن ما تبقى من تمسك بالقيم الاسلامية؟

---

(١٦) على حد تعبير الغرب.

... قبل ان يتحول حديثنا الى سرد لمأساة سأعود الى عرض الوجهة المقابلة التي تمثلها **الشريعة الاسلامية حين تعتبر ان المرأة انسانة في طفولتها وصباها وكهولتها ترتقي اليها النظرة بقدر ما حافظت على ذلك الميل الانساني فيها وتنامت معه بمعنى ان النظرة الى المرأة من الوجهة الإنسانية ستتصاعد مع كل فترة من فترات عمرها وستقاس بقدر ما اعطت من عطف وحرص وعناية ووفاء وليس بقدر ما أخذ منها من عمر وشرف وكرامة وحياء . وطالما انها انسانة في كل مراحل عمرها ومعطاءة في المجال الانساني في كل مراحل عمرها بدرجات متفاوتة فلا مبرر للاحساس بالغربة التي انتفى الدافع الاساسي لها حين احست انها ارتقت مع العمر ولم تنحدر معه.**

ـ **المثل:** فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين او النموذج المتكامل لكل ما أراده الله في امرأة. كانت ـ وما تزال ـ تشخيصاً حياً للاسلام ككل في ولادتها وحياتها وجهادها وأقوالها فقد كان على الاسلام ان يقول كل شيء في فترة قصيرة من عمر الدهر ـ ٢٣ عاماً ....

... اقول كان على الإسلام أن يقتلع الآثار السيئة للماضي وان يصلح ما فسد في الحاضر وأن يزرع بذور المواجهة في نفوس البشر لكل ما سيأتي من انحراف في المستقبل في فترة لا تتجاوز الربع قرن . ونفس الحال ينطبق على سيدة نساء العالمين فقد كان عليها أن تكون امرأة لكل العصور وفي كل الوجوه، في عمر لم يتخطى العقد الثاني حسب اصدق الروايات . ولهذا نراها (ع) في سيرتها المباركة تستنزف الادوار التي تلعبها المرأة عادة في كل المجتمعات . فتكون ابنة بارة بأبيها واختاً عطوفاً على اخواتها وأما حنوناً لأبنائها وزوجة مثالية لزوجها وثائرة حيث ينبغي ان تكون الثورة ومدافعة بكل جوارحها عن حق حين يهدر هذا الحق... وكما كان لكل قول أو فعل للاسلام بشخص نبيه (ص) امتداد زمني يتخطى حدود الدنيا كان لكل قول أو فعل للمرأة المسلمة بشخص الزهراء (ع) امتداد زمني يطوي عمر الدهر.

ـ وإذا اردنا ان نصل هذا المنحى من التربية الإنسانية للمرأة اسلامياً بسيرة الزهراء (ع) نجد ان الرسول الأعظم ﷺ جعل من الزهراء نموذجاً حياً للعطاء الإنساني في ذروة نضوجها الأنثوي لدرجة انها (ع) تخطت التسلسل الطبيعي في حياة أي امرأة... فالعمر الأقرب إلى العطاء الأنثوي في عمر الفتاة هو عمر المراهقة او « فترة البنوة » والعمر الأقرب إلى العطاء الإنساني في حياتها هو عمر النضوج المتكامل او « فترة الامومة »... وسيرة الزهراء (ع) تقول أنها كانت « أمّاً لأبيها »[١٢] وهي ابنته وكانت اختاً لعلي (ع) وهي زوجته او بمعنى آخر انسانة **بكل معنى الكلمة وهي انثى وانثى بكل معنى الكلمة وهي انسانة.**

يقول سماحة الإمام السيد موسى الصدر ـ عجل الله فرجه ـ ملخصاً المعاملة المتبادلة بين الرسول ﷺ وابنته المباركة: « ... كان يعاملها معاملة الأم فيقبل يدها ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة ويودعها وينطلق من عندها إلى الأسفار والرحلات وكأنه يتزود من هذا النبع

(١٢) عن الرسول ﷺ انه قال: « فاطمة أم ابيها ».

الصافي عاطفة لسفره... ومن ناحية أخرى نجد ان احساس النبي بالأبوة كان يتجسد في صلاته مع فاطمة وحينما أمر الناس بأن يخاطبوا محمداً برسول الله ونفذت فاطمة هذا الأمر، منعها رسول الله ﷺ وطلب منها ان تخاطبه يا أبت «... ونلاحظ في سيرة الرسول الأكرم ﷺ كثرة دخوله عليها في حالات تعبه وآلامه او حينما يجرح في الحروب او حال جوعه أو فقره او دخول ضيف عليه، ثم تقابله « فاطمة الأم » ترعاه وتحتضنه وتضمد جروحه وتخفف من آلامه وتقابله **فاطمة البنت** تخدمه وتطيعه وتهيء له ما يحتاج إليه »[18].

وقبل ان استسلم للسهو، ليس من الصدفة في شيء ان تكون خديجة الكبرى (ع) زوجة الرسول ﷺ هي أول من يؤمن به فكل ما حدث في عصر البعثة هو امتداد ومحصول طبيعي لكل ما زرعته المراحل الأولى من الرسالة.

ولعل في كلمات السيدة خديجة (رضي الله عنها) للرسول ﷺ بعد ان جاءها مرتعداً من هول ما رأى وما سمع: « أبشر، فوالله لا يخزيك الله ابداً، انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ». دلالة على **أنه خرج من غار حراء ليدخل في كهف أمان حي اسمه خديجة (رض). ﴿وإذ إعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من امركم مرفقاً﴾**[19].

- خاطرة:

إذا كان لا بد من كلمة تجمع أطراف هذا البحث فهي **أنّ الإرادة الإلٓهية عبّرت عند عدلها الرسالي في بعث نوح وعمورة، وإبراهيم وسارة، وموسى وأخته وعيسى وامه، ومحمد وزوجته**[20]**.. - صلوات الله عليهم أجمعين - وقد تجسدت هذه الإرادة بشكلها التشريعي في رسالة خاتم الأنبياء فظهرت بشكل احكام تهدف بمعظمها إلى خلق مجتمع يميزه توازن الطاقات الإنسانية بين الجنسين بمعنى أن كل التشريعات الإسلامية للمرأة ترمي إلى توضيح الصورة الإنسانية لها كي لا تقل مرتبتها اجتماعيا عن مرتبة الرجل فهي حين تتساوى معه فيما يميزها عن بقية « الخلق » ستكوّن برفقته سطحاً متوازياً للمجتمع وعلى هذا فإنها حين تختار الإلتزام بكل شيء إلاّ التشريع الإسلامي فإنها ستفرض على نفسها مرتبة اجتماعية أدنى من الرجل ومن الطبيعي حين ذاك ان يتعرج السطح الإجتماعي بسبب انحدارها.**

جهاد سعد

---

(١٨) من المقدمة التي كتبها سماحة الإمام لكتاب « فاطمة الزهراء وتر في غمد » للأديب سليمان كتانة.

(١٩) سورة الكهف الآية ١٦.

(٢٠) بعكس الأديان اللاسماوية التي لم يصاحب مرشديها وجهاً نسوياً للدعوة. فلم نجد في التاريخ مثلاً امرأة شاركت بوذا في تعاليمه ونفس الأمر ينطبق على كونفوشيوس وماني.

الطب عند العرب

بقلم: د. طلال المجذوب

في هذا الوقت الذي يعاني فيه عالمنا العربي تخلفاً حضارياً كبيراً، وفي الوقت الذي قلّت فيه مساهمة العرب وانجازهم في مسار الحركة العلمية خصوصاً والحضارية عموماً، قد يكون الحديث عن «بعض» منجزات العرب الحضارية، في الماضي، اكثر من دغدغة للأحلام وللعواطف، وأكثر من اعتماد على الماضي ونبش تراثه، قد يكون فيه حافز مهم لبعث الهمم ولاستثارة العقل والمنطق كي يبدأ العرب مواكبة الحضارة العالمية والمساهمة في انجازاتها بدل التغنّي بتاريخنا، كما كان يفعل شعراء الجاهلية عند البكاء على الاطلال.

وقد تراءى لي ان تسليط الأضواء على الطب عند العرب، وان كان بايجاز يتناسب وهذه المقالة، قد يكون مفيداً لأن الطب العربي بلغ الذروة في التقدم والانتشار، سواء بتعمقه التكنولوجي أو بآفاق انتشاره الواسعة، ولأن الحديث عن الطب في الماضي يثبت ان الأمة العربية، واللغة العربية بالتالي، قادرة على استيعاب العلوم والابداع فيها، في هذا الوقت الذي يكثر الحديث فيه عن تعريب المناهج العلمية في مختلف مستويات التدريس.

ان ميزة الاسلام انه فتح آفاق العلم والمعرفة بلا قيود او حدود، ومن هنا فان كثيراً من العلماء العرب لم يكونوا ابناء النخبة وإنما من عامة الناس، لكنهم في مناخ الحرية ذاك استطاعوا احتلال الصدارة في الحياة العلمية والتقدير الشخصي. فأول كلمة نزلت بالقرآن كانت «اقرأ»، وكثيراً ما وردت مصطلحات اولي الالباب وأولي الابصار واولي النهي اشارة الى العرب والمسلمين، وأخذ العرب بعض الوقت حتى تمكنوا من ناحية العلوم نقلاً عن الحضارات السابقة، ثم اخذت العبقرية العربية تبدع ابتكارات واكتشافات جديدة في شتى نواحي العلوم في الرياضيات والفيزياء والفلك والصيدلة والطب وغيرها.

وسرعان ما اصبحت الحركة العلمية حركة جماهيرية واسعة، ولم تظل مقتصرة على بلاطات الخلفاء وقصور الامراء وضمن جدران المختبرات، وفي محيط مجالس العلماء وندواتهم، واستطاعت ان تشدّ اليها كل نابغة وعبقري عربي، فلم يمض على نشوء الدولة العربية قرن وبعض القرن حتى صار العلماء بعشرات الالوف، وكثرت مراكز العلم ومدارسه ابتداء من غرناطة وقرطبة واشبيليه، مروراً بفاس والقيروان والقاهرة، وكذلك دمشق وحلب وطرابلس وبيروت، وانتهاءاً ببخاري وسمرقند وصرد وغيرها. وادى ازدهار الحياة الاقتصادية وارتفاع مستوى العيشة الى ان يكون لدى الناس الوقت الكافي للترف الفكري والمال اللازم لشراء الكتب التي تنسخ باليد، بحيث صار تقليداً عربياً ان يكون في كل بيت «كُتُبيّة» مبنية في

صلب احد جدرانه لتوضع فيها الكتب التي لا غني عنها كجزء من الحياة الاجتماعية، كما كثرت المكتبات العامة التي كان بعضها يضم مئات الالوف من الكتب، بالاضافة الى فتح اسواق واسعة للوراقين (اي باعة الورق والكتب) في معظم الدول العربية، وقد ذكر اليعقوبي ان كان في بغداد سنة ٨٩١ اكثر من مئة بائع كتب كانت حوانيتهم تستخدم فضلاً عن بيع الكتب لنسخها وكتابة الخط والزخرف، كما كانت تقام فيها، احياناً ندوات ادبية صغيرة. بالاضافة الى ان كثيراً من طلاب العلم كانوا يحصلون على نفقات علمهم وعيشهم من نسخ المخطوطات وبيعها لتجار الكتب؛ ثم هل تنسى الجاحظ الذي كان يستأجر دكان الورّاق ليمضي ليله فيه ينسخ ويقرأ حتى قضى نحبه بين الكتب التي أحبها.

وفي مجال العلوم هناك نقطة جديرة بالملاحظة وهي ان العرب استخدموا المنهج العلمي الذي يعتمد المنطق وينحو الى البحث والتدقيق والمراقبة والاستقراء كما جعلوا الشك والتجربة ركنين اساسيين في اعمالهم العلمية وبحوثهم.

وقد ورد في الرسالة السابعة لاخوان الصفا نص الدستور الذي اتخذه العرب في بحوثهم العلمية، اذ ان كل عالم عربي يسأل عند كل أمر او قضية:

هل هو (وجود الشيء من عدمه) — اين هو (مكان الشيء)
ما هو (حقيقة الشيء) — متى هو (زمان الشيء)
كم هو (مقدار الشيء) — لِمَ هو (مبرر وجود الشيء)
كيف هو (صفة الشيء) — من هو (تعريف الشيء)
اي شيء هو (طبيعته)

وبذلك يحيطون بالموضوع احاطة تامة شاملة ويعالجونه على هذا الاساس وفي الطب لم يخرج العرب عن هذا المنطق وهذا المنهج العلمي.

لقد نقل العرب طبهم عن اليونان والسريان وكذلك عن اطباء جند يسابور وهي مدرسة طب يونانية بصيغة فارسية، كما تعرفوا الى طب الهنود، وهضموا كل ذلك ثم بدأوا بممارسة الطب العربي ودفعوه الى الامام خطوات واسعة، والممارسة الطبية أغنت العرب بالمعلومات الطبية وبخبرات جديدة، ولما كان من عادة الأطباء السريان تسجيل ملاحظاتهم على كُناشات (كراريس) فإن هذه الكناشات سرعان ما تحولت، في العهد العباسي، الى بداية المؤلفات العربية الطبية التي قُدّر للبعض منها أن تظل الأساسي في الدراسات الطبية في جامعات اوربا حتى القرن السابع عشر.

التعليم الطبي:

التعليم الطبي كان قسمين: قسم نظري يجري عبر محاضرات ودروس تلقى، وقسم عملي من خلال الملاحظات السريرية في المستشفيات باشراف الشيخ الطبيب او الاستاذ الطبيب.

وتعتبر «دار الحكمة» في بغداد التي أسسها المأمون اول جامعة علمية في الاسلام، والمستشفيات التي انشئت صارت مع الأيام مدارس طبية لتخريج الأطباء، مثل المدرسة المنصورية التي بناها المنصور قلاوون في القاهرة.

وانتشر التعليم الطبي منذ القرن الثالث للهجرة، وألّفت الكتب الخاصة بتدريسه مثل «محنة الطبيب» اي امتحان الطبيب للرازي، و«النافع في كيفية تعليم صناعة الطب» لعلي بن رضوان رئيس اطباء مصر، و«المسائل» لحنين بن اسحاق، و«ما الفارق» للرازي وكلاهما يضم اسئلة واجوبة دقيقة عنها.

ومنذ مطلع القرن الرابع للهجرة لم تسمح الدولة لأحدٍ بممارسة الطب إلا بعد نيل اجازة من كبير الأطباء الذي تعينه الدولة. وقيل ان ذلك بدأ سنة ٣١٩ هـ (٩٣١) في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله، اذ اخطأ أحد الأطباء بمعالجة رجل من العامة في بغداد، فصدر أمر الخليفة الى سنان بن ثابت بن قرة باجراء امتحان للأطباء ليحق لهم نيل اجازاتهم، وقيل انه اجرى امتحاناً لأكثر من ٨٦٠ طبيباً في بغداد وحدها.

وكان يخصص في كل مستشفى قاعة كبيرة يجلس فيها الطبيب وحوله تلاميذه يلقي عليهم محاضراته النظرية، وفي القاعة مكتبة تضم مراجع طبية للطلاب. وذكر ابن ابي اصيبعة في طبقات الأطباء إن أبا المجد بن أبي الحكم كان يدور على المرضى بالبيمارستان النوري بدمشق، ويتفقد احوالهم، وبعد فراغه من ذلك، يأتي فيجلس للايوان الكبير الذي للبيمارستان، ويجري مباحث طبية ويقريء التلاميذ من حوله ويظل على ذلك ثلاث ساعات.

وكان تدريس الطب يستمر ثلاث سنوات اعدادية يدرس الطالب خلالها علوماً اخرى كالحساب والهندسة والمنطق، ويقرأ الطالب خلال سنوات الدراسة ١٢ كتاباً لأبقراط و ٩ لجالينوس وكتاب الحشائش لديسقوريدس. وبعض الكتب الطبية كانت موسوعية مثل «القانون» لابن سينا، وبعضها خاصاً بأمراض معينة مثل «الكافي في امراض العين» لابن خليفة الحلبي، و«بذل الماعون في فصل الطاعون» للعسقلاني.

وكان على الطبيب التلميذ ان يكتب رسالة في موضوع طبي اشبه بالاطروحة اليوم، فيمتحن فيها (أي يُناقش بلغة العصر) ثم اذا نجح يحصل على الاجازة، وهذه الاجازة مكتوبة، وهذه صورة واحدة منها في القرن السادس عشر الميلادي:

صورة ما كتبه الشيخ الأجل عمدة الأطباء ومنهاج الألباء الشيخ شهاب الدين ابن الصايغ الحنفي رئيس الأطباء بالديار المصرية اجازة للشاب المحصل محمد عزام احد تلامذة الشيخ الأجل الشيخ زين الدين عبد المعطي رئيس الجراحين على حفظه لرسالة الفصد كما سنبينه:
«الحمد لله ومنه استمد العناية

الحمد لله الذي وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين وهدى من شاء للطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الأوقات والأزمان الى يوم الدين.

وبعد فقد حضر عندي الشاب المحصل شمس الدين محمد بن عزام علي المؤذن الجرواني المتشرف بخدمة الجراح والتقيد بخدمة الشيخ الصالح بقية السلف الصالحين العارفين وشيخ طائفة الجراحين بالبيمارستان النصوري هو الشيخ عبد المعطي المشهور بابن رسلان نفعنا الله ببركاته ورحم اسلافه العارفين الصالحين وعرض عليّ جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة الفصد واوقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة والرسالة المذكورة للشيخ الامام العلامة التام شمس الدين محمد بن ساعد الانصاري شكر الله سعيه ورحمه واسكنه بمسابيح جناته بمنه وكرمه، عرضاً جيداً دلّ على حسن حفظه للرسالة المذكورة وقد اجزته ان يرويها عني بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية . . . ».

وبعد ان ينهي التلميذ امتحانه الطبي ويحصل على الاجازة الطبية، لا بد له من ان يقسم يمين ابقراط بالمحافظة على شرف المهنة، وكان ذلك القسم يجري امام المحتسب.

وكان يشترط لمن يريد ان يصبح طبيباً ان يكون معتدل المزاج ومنتظم الأحوال وجيد الاخلاق، كما اشترطوا لمن اراد تعلم الطب اي استاذاً فيه أن يكون صبوراً مثابراً قوي الادراك والملاحظة، متحملاً لأعباء النسخ والتعليم عفيفاً لا يأنف من ان يتعلم، هو نفسه، ممن هو دونه.

واشترط ابن رضوان للطبيب ان يكون كاتماً لأسرار مرضاه، رغبته في ابراء مريضه اكثر من رغبته بنيل الأجرة، عفيف النظر خصوصاً وانه يدخل البيوت ويطّلع على أسرارها، وان يكون مأموناً على الارواح والأموال فلا يصف دواءاً قتّالاً ولا يُعلّمه، ولا يصف دواء يسقط الأجنّة، وان يعالج عدوه كما يعالج حبيبه.

ومع ذلك، فقد كان هناك اطباء دجالون، وآخرون طامعون بالأجر اكثر من اهتمامهم بالعلاج، وتلك طبيعة بشرية موجودة في كل زمان ومكان، لكنهم، لحسن الحظ، كانوا قلة كما تخبرنا المصادر المعاصرة.

التخصص:

كان الطبيب العربي يتخصص بفرع طبي، حتى اذا اتقنه نزع الى تخصص آخر، وهكذا، حتى يتقن كل المعارف الطبية وفروعها، عكس اليوم، وبذلك كان الطبيب المتخصص من المبتدئين، اما الطبيب الكبير فكان متخصصاً وعارفاً بكل انواعه وضروبه، وهذا لا يمنع من اشتهار بعض كبار الأطباء باختصاص طبي معين. وهكذا كان هناك الأسناني (طبيب الاسنان) والكحّال (طبيب العيون) والجرائحي (الطبيب الجراح) والطبائعي (طبيب الأمراض

الداخلية) والفصاد (الذي يخرج الدم بواسطة الجرح) والحجام (الذي يخرج الدم بواسطة العلق) والمجبّر كما كانت هناك طبيبات من النساء للأمراض النسائية والولادة.

التشخيص:

برع الأطباء العرب بالتشخيص، خصوصاً السريري منه، واستطاعوا معرفة الامراض الصعبة وتلك المتشابهة وقدموا لكل واحد منها وصفاً دقيقاً يجنّب الطبيب الوقوع في الخطأ، واعتبروا فحص النبض، كما قال علي بن العباس المجوسي، مهماً في معرفة حالة المريض.

ولاحظوا لون الجلد، فإن كان مصفرّاً دلّ ذلك على زيادة الصفراء (اليرقان) وان علته البقع دل ذلك على قصور الكبد، وكان ابن سينا يفرّق بين المغص المعوي والمغص الكلوي، كما فرّق بين التهاب الحجاب الحاجز (الفاصل بين المعدة والامعاء) وبين التهاب الكبد. وعرف العدوى في السل الرئوي وفي الامراض التناسلية، وتكلم عن الورم الخبيث (السرطان) ووصف شكله ولونه واعراضه وان معالجته الفضلى هي الجراحة.

وقام الاطباء العرب بالتشريح وتعرفوا الى خصائص الجسد البشري، كما اجروا تجارب مخبرية على الحيوانات خاصة القرود.

وكان المريض يُسأل عن مكان الالم وعن طريقة معيشته وعاداته، وعن الأمراض التي اصيب بها سابقاً، وعن حالة عائلته الصحية، وعن مناخ منطقته، أشبه بالاسئلة التي يطرحها طبيب هذه الايام.

العلاج:

الطبيب الذي يحسن التشخيص لا بد من ان يحسن العلاج، وكما برع بعض الأطباء العرب بالتشخيص فقد برعوا كذلك بالعلاج، واستخدموا لذلك عقاقير وعلاجات استخدمتها الأمم قبلهم وابتكروا ادوية وطرقاً جديدة للعلاج لم يعرفها احد قبلهم، بل ان بعض وسائل علاجهم لا تزال تستخدم حتى الآن باعتبارها ارقى ما توصل اليه الفن الطبي، وان كان بتقنية اكثر دقة وتقدماً.

وقد استخدموا العلاج المنزلي والعلاج السريري بالمستشفى كليهما، وكان العلاج بالمستشفيات مجانياً، وهي مرحلة لم نصل اليها بعدُ في معظم بلادنا العربية، بل انه في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي جُعل لكل مقْعد (مشلول) خادماً ولكل ضرير (اعمى) قائداً، وهو ترف صحي نصبو اليه اليوم. وكان كل مريض لا يستطيع الذهاب الى المستشفى، يأتيه الأطباء الى منزله ويقدمون اليه العلاج والغذاء حتى يشفى. وكل من يخرج من المستشفى معافى يعطى مرتب شهرين كفترة راحة ونقاهة وحتى لا يضطر للعودة للعمل فينتكس صحياً، وهي مرحلة لم تصل اليها اية دولة في العالم حتى اليوم.

والمستشفى كان يدعى بيمارستان، وهي مؤلفة من بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان فيكون معناها الحرفي بالفارسية مكان المريض؛ وقد ظلت المستشفيات العربية مكاناً للاستشفاء من كافة الأمراض حتى عصر الانحطاط العربي عندما اخذت تقتصر على مرض الامراض العقلية، ومن هنا لا تزال التسمية الشعبية الحرفة مارستان تطلق على دور الأمراض العقلية.

والمعتقد أن أول من أنشأ مستشفى ثابتاً هو الوليد بن عبدالملك الأموي سنة ٨٨ هـ (٧١٠ م) ورتب له الاطباء.

كانت المستشفيات ثابتة ونقالة، وهذه كانت اما نقالة مع الجيوش أشبه بمستشفى الميدان اليوم، وأما تُرسل الى الأرياف البعيدة حيث لا يوجد مستشفى أو الى السجون لمعالجة نزلائها أو الى الأماكن الموبوءة في مواسم معينة.

كان المستشفى عادة قسمين منفصلين أحدهما بالمرضى من الرجال والآخر بالمريضات من النساء، ولكل مرض جناحه الخاص، فهذا للجراحة وذلك للأمراض العصبية وثالث للعيون ورابع للامراض الباطنية وغيرها.

وكان يشرف على المستشفى رئيس عام، ولكل قسم رئيس معاون له أطباؤه وموظفوه الاداريون ومن يتبعهم من خدم وطباخين وغسالين وغيرهم.

ومن المستشفيات العربية التي بلغت شهرة عالمية آنذاك البيمارستان المنصوري في القاهرة بناه السلطان المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٨٣ هـ. (١٢٨٤ م) وخصص له أوقاف واسعة، وكان مرضاه من عامة الشعب وعلية القوم، وكان يدفأ شتاء باشعال الحطب ويبرّد صيفاً بواسطة المراوح الكبيرة، وتغطى أرضه بأوراق الأشجار العطرية، وترسل اليه بين فترة وأخرى فرق موسيقية وغنائية لتسلية المرضى وإسعادهم، وظل يعمل حتى أواخر القرن التاسع عشر وبناؤه لا يزال قائماً حتى اليوم كأثر سياحي وحضاري.

وقد رتّب فيه الأطباء الجرائحية والطبائعية والكحالية للمحرورين ومن جميع الاختصاصات، وكانت به قاعة للرمد واخرى للجرحى وثالثة للمحرورين والرابعة للنساء وغيرها لمن افرط به الاسهال (ديزنتاري)، وكان ينفق كل يوم خمسة قناطير من الطعام، مدحه الشاعر البوصيري:

انشـأت مـدرسـة ومـارستـانـا لتصحّـح الأديـان والأبـدانـا

وعندما كان الأمير جمال الدين آقوش مسؤولاً عن إدارته كان يتفقد أحوال المرضى ليلاً نهاراً ويشرف على حسن العناية به، ويتنكر أحياناً ليستطيع كشف كل تقصير أو اهمال يلحق بهم. وكان كل مريض يشفى يعطى خمس قطع ذهبية عند خروجه من المستشفى ليستعين بها على تدبير عيشه دون أن يلجأ الى العمل لفترة ما، وهي ما نسميه

اليوم بفترة النقاهة، وان كانت هذه الفترة على حساب المريض اليوم، أو بنصف المرتب أو بجزء منه كما تنص على ذلك التشريعات الصحية لبعض الدول العربية.

والبيمارستان النوري في دمشق بناه نورالدين محمود زنكي في منتصف القرن السادس للهجرة، وكان مخصصاً للفقراء عموماً، وبه عشرات الأطباء، وحبست له الأوقاف الواسعة، ولا يزال بناؤه حتى اليوم كأثر سياحي قرب الجامع الأموي.

والبيمارستان العضوي بناه في بغداد عضو الدولة البويهي سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) على شاطىء دجلة وكان به ٢٤ طبيباً. وكان التطبيب به على أرقى ما وصل اليه الفن الطبي آنذاك ومجاناً لكل من أحتاج من أبناء الشعب، وكانت نفقاته من الاوقاف الواسعة التي حبست عليه.

والمستشفى العتيق في حلب الذي أمر ببنائه الملك العادل نورالدين محمود زنكي أوكل الى الأطباء اختيار مكانه وليس للمهندسين، فذبحوا خروفاً وسلخوا جلده وقطّعوه أربع قطع وعلقوها ليلاً بأطراف المدينة الأربع، وعند الصباح أختاروا المكان الذي كانت فيه قطعة اللحم أحسنها لوناً وأطيبها رائحة لبناء المستشفى باعتبار المكان افضلها مناخاً.

وفي مستشفى أحمد بن طولون في القطائع كانت توجد مكتبة من ١٠٠ ألف مجلد في سائر العلوم ليراجعها التلامذة والأطباء.

وكان يلحق بكل مستشفى خزانة شراب (صيدلية) مجانية تضم كل أنواع الأدوية أقراصاً وسوائل ومراهم وذروراً (بودرة)، كما تضم مخزناً للخضار والفواكه الطازجة لإطعام المرضى.

ومنذ عهد المنصور العباسي أنشئت الصيدليات العامة، كما جُعل لكل مستشفى ميدان صيدلية ملحقة به. ومنذ عهد المأمون أصبحت جميع الصيدليات في الدولة العربية تحت إشراف حكومي، وكان بكل مدينة عميد للصيادلة يقوم بامتحانهم ويمنحهم رخصة العمل إذا نجحوا ويسجل أسماءهم في الجدول الخاص بهم. فمثلاً ابن البيطار العشّاب المشهور كان لفترة طويلة عميد الصيادلة في القاهرة، كما كان بكل مدينة مفتش خاص يراقب تحضير الأدوية ويقوم بجولته برفقة شرطة الصحة، على حين تتم صناعة الأدوية وتركيبها حسب التعليمات الرسمية.

وكان الأطباء يعملون بالمستشفى على مدار الساعة، لكل طبيب وقت نوبته، وكان العرب يبدأون العلاج بالحمية (الريجيم بلغة عصرنا) الغذائية لإراحة الجهاز الهضمي ولكشف الاختلاطات الناشئة مع المرضى عملاً بالقول العربي الشهير بهذا المجال «المعدة بيت الداء والحمية أساس كل دواء» وكذلك «البطنة تذهب الفطنة» أي أن التخمة تجعل الانسان خاملاً بليداً. وإذا لم تنفع الحمية لجأوا للأدوية المفردة (أي المستخرجة من نوع

واحد من العشب) فان لم تُجْدِ لجأوا الى الأدوية المركبة والى الفصْد والحجامة والكيّ والجراحة. فمثلاً كان الطبيب ابن واقد الاندلسي يعالج بالغذاء ويرفض اللجوء الى الدواء.

ورغم تقدمهم الطبي فإنهم لم يستطيعوا كشف الفيروسات والجراثيم وإنما توصلوا الى معرفة انتقال بعض الأمراض بالعدوى، وإن الماء والهواء والتراب من أسباب العدوى. ومن الأمراض التي عرفوا انها معدية السل والحصبة والجدري والجرب والجزام.

وفي الجراحة بلغوا ذروة التقدم وقد وصف ابو القاسم الزهراوي أكثر من مئة أداة جراحية كانت معروفة في زمانه، وقد برعوا في جراحة العظام واستئصال الأورام واللوزتين، وجراحة البلعوم والمرئي على خطورتها وأجروا عمليات جراحية في الشرايين؛ واستخرجوا الجنين في الولادات العسرة، وفتّتوا الحصاة، في المثانة، واستخدموا خيوط الحرير لخياطة الجروح، كما أستخدم بعضهم أمعاء الحيوانات لذلك الغرض، كما عمل الرازي فتيلة الجرح من القطن او النسيج لقطع النزيف، وكانت عملية اللوزتين تتم بجذبها بصنارة الى الخارج ثم بقطعها بآلة حادة.

وعالجوا الغدد اللمفاوية في العنق وحذروا في كتبهم الطبية من ان يصيب الجراح عصباً مهماً كعصب الصوت اثناء الجراحة فيصيب المريض ببلية جديدة.

ومنذ القرن الرابع للهجرة كانت للعرب براعة فائقة في عملية قدْح الماء استخراج المياه الزرقاء من العين Cataract ويعتقد ان أول من أجرى مثل هذه العملية بواسطة ابرة مجوفة الطبيب الجراح عمر بن يونس من أطباء الأندلس. وقد وصف علي بن عيسى في كتابه « تذكرة الكحالين » ١٤٣ دواءاً مجرباً لعلاج امراض العين، وهو أول من استخدم التخدير اثناء عمليات الجراحة في العين. وتقدم العرب في طب العيون لم تسبقهم اليه أية أمة من الأمم، حيث عرفوا العين وأقسامها وميكانيكية الرؤية ودرسوا مختلف الأمراض التي تصيبها ووضعوا لها العلاجات المناسبة.

وإذا لم يكن مؤكداً ان العرب مخترعو التخدير، فانهم على الأقل أول شعوب العالم التي أستعملته على نطاق واسع في المعالجة والتخفيف من آلام المريض، فقد أستخدموا الماء البارد جداً في التخدير الموضعي، وعرفوا استخدام مسحوق جوز الطيب في تسكين الألم موضعياً، كما استخدموا الثلج لقطع الدم، لكن المؤكد، كما تقول زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » ان العرب هم مخترعو الاسفنجة المخدرة، اذ كانت تبلل بعصير مواد مخدرة، كالشيلم أو الزؤان أو زهرة ست الحسن Belladonna ثم تجفف بالشمس، وعند الاستعمال ترطب ثم توضع على أنف المريض فيركن للنوم العميق أثناء إجراء العملية الجراحية له.

كما استخدموا الأسفنجة المشبعة بالخل أو بمواد أخرى لتدهن بها الجراح فتساعد على التئامها. كما لم يغفلوا عن فحص بول المريض مبدئياً وكانوا يسمون ذلك «تفسرة» أي أنه يفسر بأية حالة صحية المريض.

واستطاع ابن سينا ان يضع أدوية أقراصاً مغلفة لحفظها وذكر أحمد بن محمد الغافق في كتابه «الأدوية المفردة» أسماء النباتات الطبية وفوائدها وجاء كبير علماء النبات العرب ابن البيطار ووصف في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» أصناف النبات وفوائدها الطبية والمواد الغذائية المفيدة وظل كتابه يدرّس في أوربا عدة قرون، كما ان رشيد الدين الصوري في القرن الثاني عشر كان أول مؤلف نباتي يصطحب رساماً الى جبال لبنان وغوطة دمشق يرسم له النبات بألوانه ومختلف مراحل نموه وهو يصفها ويلاحظها وفي كتابه «الأدوية المفردة» ذكر اسماء ٤٦٦ دواءاً عشبياً.

وقد حذّر ابن رضوان الأطباء من الأدوية المغشوشة أو المغلوطة وكذلك من تلك التي تغيّر مفعولها بمرور الزمن أو فسدت لسوء صنعها أو حفظها.

ولا يوجد مرض لم يعرفه العرب آنذاك، فامراض الجهاز العصبي أوصوا بمعالجتها بالأدوية المهدئة، وعرفوا الأمراض النفسية فكتب ابن عمران من أطباء تونس في القرن ٣ الهجري عن المالنخوليا (القلق وعدم الثقة) وكتب ابن الهيثم حول تأثير الموسيقى في الانسان والحيوان.

بل ان العرب وصلوا في هذا المجال مرحلة تفوق ما تعرفه أرقى مستشفيات العالم اليوم، فكان المريض في حالة النقاهة من مرض خطير ينقل الى قاعة خاصة بالناقهين حيث تأتيهم فرق الموسيقى أو فرق التمثيل الهزلي بين فترة وأخرى لترفه عنهم وتساعد على سرعة شفائهم.

بل ان السلطات في بعض البلاد العربية كانت تطلب من المؤذنين ان يطلبوا الانشاد قبل اذان الصبح من المآذن حتى لا يتسرب اليأس والسأم الى نفوس المرضى القلقين. بل كانت تعزل اولئك المرضى بالأرق في قاعة منفردة حيث تشنف آذانهم الموسيقى الهادئة، أو يأتيهم قاص ماهر ليسمعهم حكاياته المسلية حتى يدركهم النوم، اليس ذلك ارقى ما وصل اليه الطب اليوم وان اختلفت التقنية؟ حيث لم يكن معروفاً لديهم التلفزيون والراديو والكاسيت الخ...

ومما يدل على معرفتهم بأعماق النفس البشرية ان أخوان الصفا في احدى رسائلهم ذكروا انه على الطبيب ان يترك للمريض حرية التحدث عن مرضه لما في ذلك من فائدتين: الأولى انه قد يجري على لسانه وصف يساعد الطبيب على التشخيص وثانيها ان ذلك الحديث يريحه ويزيل ضيقه ويساهم في سرعة شفائه.

وكان الغذاء يقدم لكل مريض بقصعة (وعاء) خاصة به حفظاً لأصول النظافة .

وعرفوا الطب الوقائي أو طب الطوارىء، فقد قيل ان أحمد بن طولون جعل في مسجده في القطائع طبيباً حاضراً يوم الجمعة ليخف الى معالجة أي من المصلين يصيبه طارىء ما . وكان على الطبيب ان يحمل معه كيساً يضم دست الباضع ومرهمدان المراهم ودواء الكندر لقطع الدم وقطناً واسفنجاً، كما كان للأطباء زياً خاصاً بهم لكن المراجع المعاصرة لم توضح لنا شكله أو لونه .

ومن أشهر الأطباء لدى العرب .

أبو بكر الرازي :

ولد في الري جنوب طهران واليها نسب وهاجر الى بغداد وتولى رئاسة إحدى مستشفياتها، ألّف مئات من الكتب أشهرها « الحاوي » ويضم وصفاً طبياً للأدوية وتركيبها وملاحظات سريرية جمعها من مراقبة مرضاه، وكتاب « النصوري » عالج فيه تشريح الجسم البشري والأمراض وتأثير الأدوية والأغذية فيها والجراحة والسموم والحميات، وترجم الى اللاتينية وظل مرجعاً في جامعات أوربا الطبية حتى أواخر القرن السابع عشر، وكتاب « الجامع » وجمع فيه العلوم الطبية القديمة والحديثة واشتهر بالكيمياء الى جانب الطب .

ابن سينا :

ولد في بخارى وعاش في القرن الخامس الهجري وبرع في الفلسفة والهندسة وغيرها الى جانب الطب . أشهر كتبه « القانون » تناول فيه التشريح وقواعد حفظ الصحة والأمراض والعلاجات والعمليات الجراحية وترجم الى اللاتينية، وكان هو، وكتاب الحاوي، اكبر مرجعين طبيين لجامعات أوربا حتى نهاية القرن ١٧ وله قصيدة طويلة « الأرجوزة في الطب » تتضمن معلومات طبية بطريقة تسهل على طلاب الطب حفظها . وله كتاب « الشفاء » وكتاب « النجاة » ومائة كتاب في معالجة مرضاه واستخدم لذلك الحمامات الباردة والساخنة والحقن الشرجية والأدوية الأخرى، وطُبع هذا الكتاب بنصه الأصلي في روما لأول مرة سنة ١٥٩٣ وظل يدرس في جامعات أوربا سنوات طويلة .

ابو القاسم الزهراوي :

ولد بالزهراء في الأندلس، ويعتبر كبير الجراحين العرب، أصدر كتباً عدة أشهرها « التصريف لمن عجز عن التأليف » وفيه يتحدث عن الطب الداخل والكيمياء، وعن الجراحة وزيّن كتابه برسوم الآلات الجراحية، واشار بضرورة استعمال الكيّ بدل المبضع في فتح الخراجات والأورام ووصف كيفية استئصال الحصى من المثانة وأجرى عمليات

شق القصبة الهوائية بنجاح، ووصف عمليات الولادة الصعبة وصفاً دقيقاً وتألف كتابه من ٣٠ جزءاً.

علي بن عباس المجوسي:

عاش بالقرن الرابع الهجري كتابه المشهور «الكتاب الملكي» الفه لعضد الدولة البويهي، عالج فيه عمليات التجبير واستئصال الأورام واللوزتين الملتهبتين واستطاع كشف الدورة الدموية بالأوعية الشعرية.

ابن زهر:

أبو مروان بن زهر ولد باشبيلية فهو أندلسي، كتابه «التيسير في المداواة والتدبير» وعالج فيه الأمراض الباطنية والجراحية ووصف التهاب غشاء القلب.

البغدادي:

هو موفق الدين بن عبداللطيف البغدادي عاش حتى مطلع القرن السابع الهجري، ولد في بغداد وعاش فترة في دمشق وأقام في القاهرة في عهد صلاح الدين الأيوبي ومات في بغداد، يعتبر أعظم علماء التشريح العرب خاصة فيما يتصل بالمفاصل ومن كتبه الشهيرة «الكفاية في التشريح» وكتاب «النخبة» وكتاب «مقالة في التنفس».

ابن نفيس الدمشقي:

عاش بالقرن ٧ هجري ولد بدمشق وعاش بالقاهرة، انتقد بعض آرائه جالينوس وابن سينا، وألف كتاب «شرح تشريح القانون» و«الموجز» وهو خلاصة لكتاب القانون، كان أول من كشف الدورة الدموية الرئوية. رغم جهله مهمة التنفس في تحميل الدم بالاوكسيجين اللازم للاحتراق فقد اكتشف ميكانيكية الدورة الرئوية وسبق ويليام هارفي وغيره من الاوروبيين لعدة قرون.

ابن ماسويه الماريديني:

ولد بماردين في القرن العاشر الهجري، له كتاب عن العقاقير يقع في ١٢ جزءاً يبحث فيه بالأدوية ومضادات السموم وظل كتاب الصيدلة المدرسي في أوربا لعدة قرون.

وهناك علي بن الطبري وأبو داود بن جلجل الأندلسي وابن أسلم الغافق ومئات غيرهم.

طلال المجذوب. **صيدا**

الضحّاك بن قيس الفهري

رجل الادارة الاموية وقائد «الانقلاب» الزبيري في الشام

بقلم: د. ابراهيم بيضون

كانت خلافة معاوية الثاني التي أحيطت بستار كثيف من الغموض وتركت وراءها تساؤلات عديدة، قد وضعت النظام الأموي على مفترق خطير، بعدما نسب الى الأخير اعتراضه على مبدأ الوراثة ومطالبته باعادة «الشورى» الراشدية[1]. ويبدو أن هذا الخليفة كان ضحية الصراع الداخلي في اسرته، الذي أخذ في الظهور منذ وفاة معاوية الأول. على أن ما يثير الأهتمام ازاء تلك التطوّرات، ذلك الدور الاستقطابي الذي شغله أنذاك الضحاك بن قيس الفهري وجماعته القيسيين، مما جعله أقوى رجالات الشام حيوية وفاعلية. ولعل ما حققه الزعيم الفهري حينذاك، كان أشبه بانقلاب سياسي، استهدف في المقام الأول نفوذ الكلبيين، الذي طغى في خلافة يزيد، على حساب النفوذ الفهري خاصة والقيسي عامة. فنجح الضحاك بعد تهيئة الظروف لانقلابه، في عزل خصومه عن واجهة الاحداث وارغامهم على الابتعاد عن دمشق، بعد ان بايعته «اجناد» الشام بكاملها، باستثناء الاردن، معقل الكلبيين، الذي انفرد بموقفه المؤيد للبيت الأموي[2].

ولقد اسهمت «العصبية الاقليمية» بدور ما في هذه الحركة التي قادها الضحاك، بانضمام النعمان بن بشير اليها، وهو آخر (الانصار) آنذاك في الادارة الاموية، بعد ان شعر بقوة ابن الزبير والثقل السياسي الذي أوشك أن يعود معه للحجاز. وحظيت هذه المحاولة التي اعتمدت على نفوذ الفهريين في دمشق، بدعم عسكري في «الاجناد» الرئيسية في الشام، وفي طليعتها حمص (النعمان بن بشير) وقنّسرين (زفر بن الحارث الكلابي)، حيث اعتُبر كلاهما من الركائز الاكثر أهمية التي اعتمد عليها النظام الاموي[3]. فكان لذلك اسهامه في النجاحات السريعة التي تم تحقيقها ورافقت انهيار الموقف السياسي في عاصمة الخلافة، الى درجة افتقد معها «شيخ الامويين» مروان ابن الحكم، الامل في انقاذ الوضع وعودة الامور الى نصابها. وخالجته حيناً فكرة الاعتراف بخلافة ابن الزبير، تحت تأثير الخوف من الضحاك رجل

(١) ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ١٣١. ابن طباطبا، الفخري ص ١١٨.

(٢) الامامة والسياسة ج ٢ ص ٤١. البلاذري، انساب ج ١ ص ٣٥١. المسعودي، مروج. ج ٢ ص ٨٣.

(٣) كان قد حدث صراع على جند فلسطين بين الضحاك وزعيم الكلبيين حسان بن بحدل الذي تولى شؤونه بالاضافة الى الأردن منذ عهد معاوية. فقام ناتل بن قيس بطرد روح بن زنباع ممثل الزعيم الكلبي من فلسطين والسيطرة عليه باسم ابن الزبير. تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٥. ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ١٤٥ - ١٤٦.

« الاجناد » القوي ، لولا تصدّي عبيد الله بن زياد له بعد اخراجه من العراق[4].

لقد كان الضحاك من خلال هذه المحاولة يطمح الى استلام السلطة الفعلية في الشام، في اطار خلافة زبيرية تقوم على انقاض خلافة الامويين وحليفهم الكلبي حسان بن بجدل. فثمة معادلة سياسية ربما دارت في خلد الضحاك، الحجازي الاصل (من قريش الظواهر)، وهي اقامة تحالف زبيري ـ فهري في وجه التحالف الاموي ـ الكلبي الذي بلغ حداً كبيراً من التماسك في عهد يزيد. ولأن ابن الزبير لم يستجب لدعوة الخروج من الحجاز رغم اعتراف الامصار به، فان الزعيم الفهري وجد نفسه قادراً على التحرك بحرية في الشام ومستفيداً ما أمكن من الظروف التي جاءت في مصلحته حتى ذلك الوقت. ولكن المفاجأة ان لا يستطيع هذا الاخير، رغم تلك المعطيات، تحقيق ما كان يصبو اليه من نجاح، وهو ما يدعونا الى البحث عن ثغرات هذه الحركة ومناطق الضعف فيها. فهنالك انقسام في البيت الاموي وتراجع بلغ حد اليأس على نحو ما ذكرنا، وكذلك شبه اجماع على خلافة ابن الزبير في مختلف الاقاليم، فضلا عن التفوق العسكري[5] الواضح، بعد انضمام ثلاثة من الاجناد الاربعة الرئيسية في الشام.

على ان بضعة مؤشرات قد تحمل الينا سرّ التحول المفاجيء في موازين القوى لمصلحة الامويين وفشل حركة الفهري التي كانت تصب في الاتجاه الزبيري المعاكس. فمنها تكتل الامويين في الشام بعد أوامر إبن الزبير واليه على (المدينة) بنفيهم « مع عائلاتهم ونسائهم الى الشام »[6]، ذلك الخطأ الذي اعترف به ابن الزبير حسب قول اليعقوبي[7]، وأدى الى تعزيز جبهتهم، وذلك بقيادة بني العاص، الاكثر عدداً وتماسكاً من الفرع السفياني. وكان وجود مروان على رأس الفرع الاول، قد أثار حماسة المتمسكين بـ « الشرعية الاموية »، حيث طرحه هؤلاء « مناضلا » تاريخياً في سبيلها « منذ يوم الجمل »[8]، مما حسم الخلاف الاموي لمصلحته في « مؤتمر » الجابية ضد وليّ العهد « الشرعي »، فضلا عن منافسه التقليدي[9] في تكتل بني العاص: « فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص بعد خالد، على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد وامارة حمص لخالد بن يزيد »[10].

(٤) اورد المسعودي عن موقف مروان في ذلك الحين بأنه عندما « رأى اطباق الناس على ابن الزبير واجابتهم له، اراد ان يلحق به وينضاف الى جملته، فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند حاقه بالشام وقال له انك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل ». المسعودي، مروج ج ٣ ص ٨٥. راجع ايضاً الطبري ج ٧ ص ٣٤.

(٥) خليفة بن خياط ج ١ ص ٣٢٦.

(٦) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٥

(٧) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٥.

(٨) ابن الاثير، الكامل ج ٤ ص ١٤٨.

(٩) ورث عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق هذه المنافسة عن ابيه الذي تقاسم النفوذ على الحجاز مع مروان خلال عهد معاوية.

(١٠) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٨.

ويبدو ان الامارة الاولى كان لها دور كبير في « التسوية الاموية » ، انطلاقاً من الاهمية السياسية التي تمتعت بها كعاصمة للخلافة ، بحيث ان صراعاً شديداً عليها ، قام بين الضحاك وعمرو بن سعيد (الاشدق) ، انتهى لمصلحة الاخير[11] الذي ساوم مروان عليها لقاء الاعتراف بحقه في الخلافة من بعده[12] . ونتيجة لذلك فقد استمرت دمشق مقر نفوذ « الاشدق » حتى مقتله ، في اعقاب انقلابه على عبد الملك بن مروان ، الذي كانت خلافته خرقاً لما اتفق عليه مع ابيه[13] . ومن ناحية أخرى فان الضحاك الذي كان أحد ابرز قادة الجيش الشامي الذي اسسه معاوية ، كانت تعوزه المرونة والخبرة السياسية ، عندما اعطى لحركته تلك الصبغة القيسية الحادة ، متجاهلا القبائل اليمنية في « معقلها » الشامي ، خاصة الكلبيين ، الأكثر نفوذاً في المنطقة منذ تقلص النفوذ الغساني مع سقوط الحكم البيزنطي فيها .

وفي ضوء هذا الواقع استطاع معاوية في الماضي ، تحقيق معادلته الناجحة ، القائمة على الاعتراف بأهمية هذه القبيلة التي كان ينظر الى زعيمها على أنه « رئيس قحطان وسيدها بالشام » حسب قول المسعودي[14] ـ ومن ثم التوازن مع القبائل القيسية الاخرى واستيعاب تناقضات الطرفين ، ما استطاع سبيلا الى ذلك . فكان لا بدّ ان يثير الضحاك بسلوكه الفئوي حفيظة الكلبيين ، الذي شعروا بالخطر على مصالحهم المرتبطة بالاسرة الاموية ، وان يؤدي في النهاية الى « فرز » القوى السياسية في الشام ، عبر مجابهة قبلية حاسمة بين اليمنيين والقيسيين ، كان للزعيم الفهري دوره الرئيسي في التحريض عليها .

وتبقى اشارة اخيرة اوردها (الطبري) على هامش اخباره عن الصراع السياسي بين قبائل الشام عشية المعركة الفاصلة ، وهي « إن الضحاك بن قيس كان قد دعا قيسا وغيرها الى البيعة لنفسه ، فبايعهم يومئذ على الخلافة[15] . وهي تنطوي على طموح الزعيم الفهري الى ما هو أبعد من دور الحليف الكبير الطامع بولاية الشام ، مجسداً ذلك بالقول المنسوب لعمرو بن سعيد له « ارضيت أن تكون بريداً لابن الزبير وأنت أكبر قريش وسيدها تعال نبايعك »[16] . على أن هذا الأمر ، إن سلّمنا به ، فقد يكون على الأرجح نوعاً من الاستدراج الاموي لزعيم قوي في الشام ، لا يستطيع أحد تجاهل الدور المؤثر الذي يقوم به ، وذلك بغية احتوائه والتخفيف من ارتباطه بالخلافة الزبيرية . ولعل الموقف نفسه ـ حسب ما أورده (ابن كثير) ـ تكرر في محاولة ابن زياد استدراج الزعيم الفهري بدوره لكي « يدعو الى نفسه وذلك إنما فعله مكراً منه

---

(١١) المسعودي ، مروج ج ٣/ص ٨٥ .

(١٢) المسعودي ، ج ٣ ص ٨٦ .

(١٣) تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٧٦ ـ ١٨٠

(١٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٨٦ .

(١٥) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٧ .

(١٦) الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٥ .

وكبارا ليفسد عليه ما هو بصدده، فدعا الضحاك الى نفسه ثلاثة أيام»[١٧]. فكان ذلك سبباً، حسب رواية المؤرخ التي اقتبسها من (المدائني)، في اضطراب الجبهة المؤيدة لابن الزبير في الشام ومن ثم هزيمتها امام جبهة التحالف الاموي ـ الكلبي في مرج راهط. على إن «قرشية» الفهري التي ألمح اليها ابن زياد، ليست كافية لدعم طموح الضحاك الى الخلافة، في وقت انحصرت المنافسة فيه بين تياري الامويين و (المهاجرين) في قريش، دون ثمة دليل يحملنا على الاعتقاد بوقوع الضحاك (الذي ينتمي الى قريش الظواهر) في هذا الشرك، حيث لم يكن في متناوله، المسوّغ الشرعي الذي يؤهله لهذا الطموح، استناداً الى «ثوابت» المرحلة بشأن هذه المسألة.

ونخلص الى القول بأن الجبهة الشامية التي كان لها الفصل في الصراع على الخلافة بين الامويين وابن الزبير، وهو أمر تجاهل الأخير أهميته، باعتماده على القيسيين الذين حوّلوا هذا الصراع الى حرب قبلية ضد اليمنيين، مسجلا بذلك أفدح اخطائه حين دفع هؤلاء بكل فئاتهم الى التكتل مع البيت الأموي، خشية الهيمنة القيسية على الشام. كذلك فان طرد الأمويين من الحجاز، ضيّع عليه فرصة الإفادة من الانقسام الذي لم يكن خافياً في هذه الأسرة، ودفعها بصورة غير مباشرة الى التكتل الجبهوي، على النحو الذي جرى بعيد معركة «الجمل»، بحيث أن هؤلاء المطرودين انفسهم نجحوا في انقاذ الخلافة الأموية من السقوط. ولقد قيل أن سبب الفشل القيسي، هو تلكؤ[١٨] ابن الزبير في تبنّي حركة الضحّاك، مما أفقدها، ليس فقط الدعم العسكري، ولكن التغطية «الشرعية» المتكافئة، مع تلك التي احاطت بالتحالف الأموي ـ الكلبي[١٩] الذي كرّسه مرة أخرى «مؤتمر» الجابية.

وهكذا فان مجمل الظروف هذه، اسهمت معاً في دعم الموقف السياسي في الشام لمصلحة هذا التحالف، الذي دافع بشراسة من مواقعه في مرج راهط[٢٠]، حيث كانت في مضمونها حرب القبائل الشامية على السيادة والنفوذ والامتيازات[٢١]؛ هذه الحرب التي ألحقت الهزيمة «التاريخية» بالقيسيين، ومعهم نفوذ ابن الزبير في الشام، كانت المنعطف الأكثر خطورة في تاريخ «الخلافة الزبيرية»، التي بدأ «العدّ العكسي» لها فعلياً في مرج راهط.

ابراهيم بيضون

---

(١٧) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٤١.

(١٨) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤٠. (١٩) بنو أمية وكلب وغسان ومن انضم اليهم من السكاسك والسكون. ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ١٤٩.

(٢٠) المكان الذي اجتمع فيه امراء القيسيين: الضحاك بن قيس الفهري، زفر بن الحارث الكلابي ناتل بن قيس الجذامي، فضلاً عن الزعيم «الأنصاري» النعمان بن بشير.

(٢١) ابراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ص ٢٠١.

مساهمة جبل عامل في حركة استقلالية مصرية

بقلم: حسن الأمين

محاولة محمد علي باشا قهر الدولة العثمانية واكتساح حكمها في بلاد الشام واقامة حكم مصري عربي على أنقاضه.

هذه المحاولة سبقتها اخرى نجحت أول أمرها كل النجاح لولا أمر طارىء كما سنفصله:

دخل السلطان سليم القاهرة منهياً الحكم المملوكي الذي كان قائماً في مصر، للسيادة العثمانية، وقام عهد جديد افتتح هو أيضاً بالمماليك، فإن السلطان غادر مصر في شهر ايلول من العام نفسه واكلاً الحكم فيها الى خير بك، من مماليك السلطان الغوري ونائبه في حلب، وكان تخلى عن سلطانه وانضم الى السلطان سليم.

وبعد وفاة خير بك سنة ١٥٢٢ كانت الدولة ترسل لحكم مصر (باشا) عثمانياً، لم يكن ينفرد بالحكم الفعلي بل كان يشاطره المماليك الكثير من شؤونه الى أن استطاع هؤلاء المماليك السيطرة سيطرة كاملة على البلاد في عهد علي بك الكبير الذي دخل في صراعات عنيفة مع غيره من المماليك الى أن استطاع الانفراد بالحكم سنة ١٧٦٣ ولكنه غلب على أمره واضطر الى الفرار الى القدس، ثم الى عكا حيث توطدت الصلات بينه وبين ظاهر العمر الذي ساعده على العودة الى مصر، ثم انقلبت عليه الأمور ثانية واضطر الى الفرار وملاقاة ظاهر العمر من جديد، فالعودة الى مصر سنة ١٧٦٦.

وهنا حاول علي بك الاستقلال نهائياً في مصر وقطع صلاته بالاستانة والتخلص من السلطة الاسمية التي كانت للدولة على مصر. فطرد الباشا العثماني وامتنع عن دفع الجزية للباب العالي، ثم ضرب النقود باسمه سنة ١٧٦٨ وأرسل الى صديقه ظاهر العمر يخبره بكل ذلك.

وكان ظاهر العمر في صراع دائم مع العثمانيين الى أن استأثر بالحكم في عكا. وهكذا اجتمع للصديقين سيطرة كاملة على بلديهما فتحت لهما آفاق المطامع الواسعة.

والى جانب ظاهر العمر كان يقيم أمير جبل عامل ناصيف النصار، وكان أول الأمر في خصام مع ظاهر ثم تحالفا على اعدائهما المشتركين. وناصيف نفسه يتمتع باستقلال في جبله لا يقل عن مثيله في القاهرة وعكا.

وهنا تم التفاهم بين علي بك الكبير وظاهر العمر على توحيد قواهما بأن تزحف قوى مصر الى بلاد الشام فتضم اليها قوى عكا فتتألف مجموعة تستطيع اكتساح بلاد الشام جميعها. وتم التفاهم

بين ظاهر العمر وحليفه ناصيف النصار على توحيد قواهما في هذا المعترك ومساهمة جبل عامل في قيام الدولة الجديدة.

ونحو سنة ١٧٦٨، جهر ظاهر العمر بمطالب صريحة لدى الباب العالي بأن يكون له حكم عكا مدة حياته، ثم لأولاده، وزاد فطالب بحكم الناصرة وطبرية وصفد وبلاد الجليل.

وكان يطالب بذلك من مركز قوة بعد انتصاره على عثمان باشا والي دمشق، وكان لهذا الانتصار صدى بالغ عند علي بك الكبير.

ويبدو ان علي بك لما اطمأن الى مناعة حليفه في بلاد الشام اراد أن ينطلق في ميدان آخر يضمن له بسطة في الملك وسعة في الحكم فاتجهت أنظاره الى الحجاز، فوجه اليه في شهر صفر سنة ١١٤٨ هـ (١٧٧٠ م) حملة ناجحة استطاعت الاستيلاء على الحجاز واقامة شريف في مكة يأتمر بأمر حاكم مصر الشريف عبد الله، الذي اعطى - بما له من سلطة روحية - لقب «سلطان مصر وخاقان البحرين» لعلي بك الكبير.

وبعد هذا النجاح اخذ علي بك يتهيأ لحملة بلاد الشام، وجاء في مخطوط هذا النص: «وكان علي بك عزم على العصيان للدولة وطمع في تملك بلاد العرب»، مما يدل على ذيوع أهداف علي بك وانها عمل يؤدي بالاستقلال في البلاد العربية.

وفكر في الاستعانة على تحقيق أهدافه بالامبراطورة كاترينا امبراطورة روسيا على ان ترسل اليه المهندسين لاستخدامهم في الحصار، والضباط لتنظيم جيشه تنظيماً حديثاً، ولكن هذه الفكرة لم تسفر عن شيء عملي.

وأراد علي بك أن يجد المبرر لحملته فأرسل في آذار سنة ١٧٦٧ الى الباب العالي يشكو من عثمان باشا والي دمشق محتجاً بأن بعض المصريين المطرودين استقبلهم عثمان باشا وشجعهم. كما أراد أن يستغل عواطف الشعب الشامي الذي كان يشكو من مظالم عثمان باشا، فأصدر منشوراً في كانون الأول سنة ١٧٧٠ يبشر به الشاميين بسعيه لانقاذهم من الظلم.

وتتشابك الروايات هنا فيبدو من المصادر القديمة المخطوطة ان عثمان باشا والي دمشق قد بادر الى تحدي ظاهر العمر، وربما كان ذلك اتفاقاً مع الدولة رداً على مطالب ظاهر العمر التي ذكرناها. وان عثمان باشا اتفق مع امراء الشوف في لبنان وعزموا على غزو ظاهر، وان هذا أرسل يستنجد بعلي بك وإنه أنجده بحملة يقودها اسماعيل بك قوامها عشرة آلاف مقاتل، طليعة للحملة الكبرى. فأرسل ظاهر أولاده فقدموا مع اسماعيل بك الى عكا. لكن هذا تباطأ في انجاد ظاهر العمر وتعلل ببعض العلل. وكان علي بك جهز حملة يقودها محمد أبي الذهب زحفت على الشام عبر الصحراء، كما ارسل سفناً لنقل الميرة من دمياط الى عكا.

ويقول كتاب «الحملة الفرنسية» بأن عدد الجنود المصريين كان أربعين ألفاً، ويقول مصدر آخر: «خرجت العساكر المصرية قاصدة بلاد الشام يقودها محمد بك أبو الذهب والتقى أولاً

بالمناجق المرسلة (بقيادة اسماعيل بك) وجاء أولاد العمر ومشايخ المتاولة (العامليين) وانضموا اليه فصار جيشه ينيف على ستين ألفاً». وهذا المصدر لم يحدد عدد الجنود المصريين فاذا اخذنا بما جاء في المصدر الأول يكون عدد المنضمين من جنود فلسطين وجنود جبل عامل عشرين ألفاً.

وتقدم محمد أبو الذهب بحملته المصرية العاملية الفلسطينية طالباً دمشق فاشتبك بقوى عثمان باشا فهزمها، ثم خيم حول دمشق، وأرسل الى الدمشقيين كتاباً أحضره من علي بك يتضمن ذماً لعثمان باشا واستنصاراً بالدين عليه، قائلا إن المذاهب الأربعة أفتت بقتاله وأن الأمة لا تجتمع على الضلالة فاستخرنا الله وسألناه أن ينصر دين محمد بعلي (يعني نفسه)، فخرج الدمشقيون الى أبي الذهب مستأمنين فأمنهم ودخل دمشق في نهاية تشرين الثاني سنة ١٧٧١ وتقدم الى القلعة وكان جنوده يحاصرونها فاستسلمت وفر عثمان باشا الى حمص.

كان النصر الى حد ما حاسما، إذ استطاع أبو الذهب أن يهزم قوى الدولة متمثلة بعثمان باشا، كما اجتاز فلسطين، وأصبح الطريق مفتوحاً أمامه لاستصفاء بلاد الشام كلها.

وهنا حدثت المفاجأة وكانت وستظل لغزاً من الألغاز، فان محمد أبو الذهب وهو في قمة انتصاره بدلاً من أن يواصل الزحف متوغلا في سوريا، اذا بـه يعلـن الانسحـاب الى مصر واهدار النصر اهداراً كاملا.

واختلفت الأقوال في أسباب التراجع فنسبه بعضهم الى تأثير اسماعيل بك قائد الحملة الاولى الذي رفض من أول الامر القتال مع ظاهر العمر، وانه أخذ يخوف ابا الذهب عاقبة الأمر والخروج على السلطان، وانه كان يستغل بعض التصرفات ويحذره من ظاهر العمر قائلا له: «أنظر كيف يجلس علي[1] الظاهر في مجلسك كأنه في مجلس بعض الصعاليك».

ومهما يكن من أمر فان محمد أبو الذهب انسحب من دمشق وعاد في طريقه التي جاء منها متجهاً الى مصر.

وأسقط في أيدي الفلسطينيين والعامليين وعاد كل منهم الى بلاده.

ولسنا الآن في صدد تدوين الأحداث التي وقعت من بعد بين علي بك وأبي الذهب وإنما نكتفي بالقول، أن عودة أبي الذهب الى مصر بمثل ما عاد به من الخيانة أدت الى نشوب صراع بينه وبين علي بك، كانت نهايته انهزام علي بك ولجوءه مع فريق من جنوده الى حليفه ظاهر العمر وتعاونهما في فلسطين على قتال العثمانيين. ثم عودته الى مصر مزوداً بنجدات من ظاهر العمر، فتلقاه أبو الذهب وهزمه، ثم لم يلبث ان مات في ١٥ صفر سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣) متأثرا بجراحه التي أصابته خلال المعركة.

أما أبو الذهب فيبدو أن أحلام علي بك الكبير عاودته هو نفسه فطمع بالاستيلاء على بلاد الشام، ولكن لا تحالفاً مع ظاهر العمر وناصيف النصار، بل حرباً عليهما. فخرج في اذار سنة

(١) ابن ظاهر العمر.

١٧٧٥ وتقدم الى فلسطين وانتصر على ظاهر العمر في يافا وتقدم نحو عكا فانسحب منها ظاهر متحاشياً الاصطدام بأبي الذهب. ولم يجد ظاهر ملجأه إلا عند حلفائه العامليين فقصد جبل عامل وحل في قلعة هونين ضيفاً على الشيخ قبلان.

وبعد انتصار أبي الذهب على الفلسطينيين بقي أمامه ناصيف النصار حليف ظاهر، وفي رواية عاملية، ان ناصيف قصد الى عكا متصلا بأبي الذهب وان أبا الذهب احتفى به وأكرمه. والواقع انه بعد هزيمة ظاهر العمر لم يكن للعامليين قبل بمحاربة أبي الذهب فكان لا بد لهم من معالجة الأمر بالوسائل السلمية. ولا ندري حقيقة ما حدث في عكا بين ناصيف وأبي الذهب، فان رواية أخرى تقول ان أبا الذهب منع ناصيف من الرجوع الى ان يأتي جميع الزعماء العامليين.

على ان ما لا شك فيه أن أبا الذهب كان مصمماً على الزحف على جبل عامل سالكاً إليه طريق الحولة وكان لا بد من اعمال الروية والحكمة فاجتمع كبار علماء الجبل كالسيد أبي الحسن الأمين والسيد فخر الدين العيناتي والشيخ محمد الحانيني والشيخ الخاتوني والسيد حيدر نور الدين وتداولوا مع ناصيف النصار الأمر، ويبدو أنهم رأوا ان يتظاهروا بالشدة وان يتعاملوا باللين، فأضرموا في الليل النيران في الجبل المطل على معسكر أبي الذهب في الحولة، وامتدت النيران من هونين الى ديشوم، وأرادوا باضرامها التظاهر بكثافة الجموع المحتشدة. ثم أعقبوا ذلك بأن توجه ناصيف النصار وحده لا يصحبه الا رجل واحد من بيت الحاج من قرية شحور الى مخيم أبي الذهب، وتقدم ناصيف الى « كاخية » أبي الذهب، وقال له: أنا ناصيف النصار، وهذا سيفي في عنقي ولا نريد حرباً مع أبي الذهب، فخذني اليه.

فقال له الكاخية: ان الباشا يموت فاذهب فليس عليك بأس، فعاد ناصيف، ومات أبو الذهب، في ليلته تلك، وحنطت جثته وأرسلت الى القاهرة ودفنت في المدرسة التي انشأها تجاه الأزهر.

وكان العامليون حين علموا بتوجه أبي الذهب اليهم خافوا خوفاً شديداً لضآلة قوتهم أمام قوى ابي الذهب، وتحسبوا لكل شر وبلاء. وليس أكثر دلالة على ذلك من انهم أرخوا تلك السنة وهي سنة ١١٨٩ هجرية، بهذه الكلمات: (سم، هم، غم)، وهي تعدل بحساب الجميل ١١٨٩. كما ان أحد مؤرخيهم قال يصف الواقع: « أبو الذهب اتعب في سطوته جميع العجم والعرب، وما أحد إلا ونزل به الهم والكرب. وحل بالناس الويل والعطب، وكل يقول: الهرب ثم الهرب ما دام أبو الذهب لنا بالطلب ».

ولما سمع ظاهر العمر بوفاة ابي الذهب عاد الى عكا وأخذ يطيل ايدي الاذى اكثر من قبل فارسلت عليه الدولة سنة ١١٨٩ اسطولاً حاصر عكا وضربها بالقنابل فخرج ظاهر بعياله فاغتاله مغربي كان عبداً من عبيده سنة ١٧٨٢م.

حسن الأمين

ادهم خنجر

ثائر من جبل عامل

بقلم : جهاد بنوت

عرف المشرق العربي في مطلع القرن الحالي ، ونظراً لانتهاء حكم بلادنا أربعة قرون وبداية استعمار غربي ، عرف ثواراً أفدوا الوطن بأرواحهم منهم من خلد بالتاريخ ومنهم من تسيهم الشعب والتاريخ . من الطائفة الثانية كان ثوار لبنان وبالأخص ثوار جبل عامل المضموم للبنان بعد إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ ومن ثوار جبل عامل كان أدهم خنجر .

ـ ولهذا ولأني إبن جبل عامل وابن لبنان قررت أن أعيد وبفضل عدة مراجع منها « العرفان » تراث الجدود والكتابة عنهم بعد أن عرفت كفاحهم وجهادهم ، واليوم استعرض كفاح مختصر لثائر عاملي هو أدهم خنجر ـ

ـ ولد أدهم خنجر في أواخر القرن التاسع عشر في بلدة المروانية من أعمال جبل عامل ومن أسرة اقطاعية تنتمي إلى آل الصعب حكام الشقيف في التاريخ العاملي ، جده محمد علي شبيب الصعبي الثائر على ابراهيم باشا وبمساعدة شقيقه حسين الشبيب . ولدى حملته على الشام من ١٨٣٦ ـ ١٨٣٩ ، وكان محمد علي شبيب قد نجا من محاولة اعدامه التي قام بها المصريون بيد أن الإعدام طال شقيقه حسين وفر محمد علي إلى بلدته المروانية حيث تزوج فيها وأنجب ولداً هو خنجر والد أدهم .

في بداية شبابه عاش أدهم خنجر حياة اقطاعية لكنه كان قريباً للشعب المعذب ، ولم يتركه الموت ليستمر في حياة ترف فقد اختطف والده وهو في مطلع الشباب وتركه كبيراً لعائلته من الذكور ودخلت مأساة حياته بعد أن تزوجت والدته وحرمته من ورثته .

وقد شب على نهاية الحكم التركي وبداية الاستعمار الغربي الذي نهب الأرض تراثاً وشعباً .

ـ وكان لاقطاعية ادهم خنجر وعيشته الأعلى من الشعب مادياً تسمح بممارسة هوايته المفضلة وهي الصيد ، فلم يكن منزله يخلو من البنادق والخرطوش ، ويحكي معاصرو أدهم أنه كان هدافاً قوياً وكان يهدف على الجرار التي كانت صبية القرية تنقل بها الماء على رؤوسهن الى بيوتهن وكان أدهم يسقطها عن رؤوسهن ـ

ـ وما كادت المآسي تقرب من الجبل العاملي ، وما كادت البلاد تنقسم وفق معاهدة سايكس ـ بيكو المشؤومة واعلان دولة لبنان الكبير حتى كان أدهم خنجر قائداً لعصابة

قوية تتنقل في كل أنحاء جبل عامل مطاردة الفرنسيين وممارسةً عليهم ضغوطات كانت حقاً ترهبهم .

- ولم يعرف بالتحديد تاريخ انطلاقة أدهم خنجر غير أن سلام الراسي يعلن « ١٩٢٠ » بداية أعماله الثورية « حيث ترأس الحركة المعروفة آنذاك بـ « أدهم وصادق »[١] نسبة لأدهم خنجر وصادق الحمزة صديقه في الكفاح والجهاد .

- كان سلاح أدهم خنجر عبارة عن بواريد من صنع المانية[٢] بعضها موروث عن الأتراك والبعض غنائم من جيش الاحتلال الفرنسي « وكانت فرقة أدهم خنجر تضم العشرات من الرجال، وميدان عملها منطقة الشقيف ومركزها الأساسي قلعة الشقيف »[٣] - وكان ادهم يزور بين الحين والآخر قريته المروانية وينام في منزله الذي ما زال قائماً فيها حتى الآن حيث يزور أهله وأقاربه « ولطالما كان الشعب النائم على السياسة الإقطاعية التي كانت سائدة داخل البلدة والتي ظلمت أشد الظلم يلتف حول أدهم يشكون له سوء حالهم وكأنهم يجدون به مخلصهم من الظلم »[٤] علماً بأنه ابن الإقطاعية - وكان الفرنسيون يزورون منزلـه ويبحثون فيه عن السلاح والعتاد وبمساعدة أعوانه الذين كان أدهم خنجر يحاربهم ولم يكن أدهم ذلك الطائفي المتعصب فجده محمد علي شبيب حمى المسيحيين الهاربين من بطش الدروز في منزله في المرواتية وكان من بينهم المعلم بطرس البستاني وأمن لهم الحماية الى صور[٥] .

- استطاع الثائر أدهم خنجر ان يبلي الفرنسيين في عدة معارك ففي المصيلح يذكر معاصروه أنه انتظر قدوم حاملة فرنسية مع جنود عدة ولدى وصولها للمكان المذكور فاجأها أدهم بالرصاص مع « زلمه » واسقط منهم عدة قتلى مما دعاهم للفرار تاركين السلاح والعتاد الذي استولى عليه أدهم[٦] .

وهناك عدة معارك أخرى على جسر الخردلي وفي الشقيف، وكان الفرنسيون يقصفون عليه وهو في قلعة الشقيف من النبطية[٧] -

- كان لأدهم خنجر ولثوار جبل عامل شعبية كبيرة ذلك أن الشعب كما ذكرت كان تحت الحكم الاقطاعي ففي مشاركته بمؤتمر الحجير المعقود على نبع الحجير في جبل عامل في الرابع

---

(١) سلام الراسي « لئلا تضيع » .

(٢) في حديث للحاج محمود كوثراني أحد معاصري أدهم خنجر .

(٣) حسن محمد سعد - (جبل عامل بين الاتراك والفرنسيين) .

(٤) من الحديث مع معاصر أدهم .

(٥) « العرفان » م ٥٠ - ج ١٠ ايار ١٩٦٣ .

(٦) من المقابلة مع الحاج محمود الكوثراني .

(٧) من دفتر الذكريات الجنوبية - حسن الأمين -

والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٢٠ انطلقت الجماهير العاملية تستقبل أدهم خنجر لدى وصوله للمؤتمر هاتفة:

وزد على بير الضحـــــــــــي حمر الشلافـي غـــــــربـــــــت[٨]

- وفي ٢٣ حزيران عام ١٩٢١ وبينما كان الجنرال غورو يقوم بزيارة للأمير محمود الفاعور أمير عرب الفضل وسيد منطقة الجولان فوجيء على مشارف بلدة القنيطرة برصاص غزير كان مصدره فرقة أدهم خنجر حيث أصيب الجنرال غورو بكم ذراعه المبتورة « ونجا بأعجوبة في حين قتل أمين سره القومندان « برانيه » وأصيب مرافقه حقي بك العظم رئيس دولة سورية في ذلك الوقت برصاصة في فخذه وأخرى في ذراعه وثالثة في شفته »[٩].

أما أدهم فإنه كان في كنف الأمير عبد الله بعدما فرّ من الفرنسيين اثر تجريدهم لحملة نيجر على جبل عامل حيث دخلوا منزله في المروانية ونهبوه - ويقول سلام الراسي « يمكن أن يكون الأمير عبد الله قد أراد أن يثأر لأخيه الملك فيصل الذي خلعه الجنرال غورو من عرش سوريا، على يد أدهم خنجر »[١٠].

وكان لهذه الحادثة أثر عند الفرنسيين مما دعاهم لتجريد حملة واسعة على المنطقة ونكّلوا بأهالي بلدتي مجدل شمس وجباتا ودمروا بيوتهم وفرضوا عليهم غرامات مالية باهظة جداً - ولم تنته أعمال أدهم خنجر الثورية بهذه الحادثة ففي تموز سنة ١٩٢٢ « توجه أدهم خنجر على رأس عصابته لنسف محطة توليد الكهرباء في دمشق، انكشف امرهم فلاحقتهم السلطة الفرنسية »[١١] وكان أدهم يعلم أن في جبل الدروز قائداً ثورياً هو سلطان باشا الأطرش فالتجأ إليه في بلدته « القرية » لكن أحد الجنود عرفه والقي القبض على الثائر الوطني الذي « اقفل مع اصدقائه الثوار جبل عامل في وجه العدوان الفرنسي »[١٢]، لكن صاحب المنزل سلطان الأطرش لم يكن في المنزل الذي « عد ذلك خرقاً لتقاليد الضيافة في جبل الدروز التي تقضي بحماية المستجير مدة من الزمن مهما كان وضعه »[١٣].

لمّا عرف سلطان الأطرش بالأمر طلب من المسؤولين الفرنسيين اطلاق سراح أدهم فرفضوا. ثم أرسل رسالة الى الجنرال غورو جاء فيها « .... صعب علي إهانة قاصدي، نوعاً عن عشائر الجبل وسوريا. الحل الوحيد اطلاق الرجل(....) غير مجهول إن موتي وإهانة ضيفي مثل بعضها في عوائد السوريين »[١٤].

---

(٨) الشعر العاملي الحديث - د تيصر مصطفى نقلاً من اطروحة محمد جابر.

(٩) سلام الراسي « لئلا تضيع » مؤسسة نوفل.

(١٠) المصدر نفسه السابق.

(١١) من مقابلة لجنة صباح الخير مع سلطان باشا الأطرش.

(١٢) صفحات من تاريخ جبل عامل - د. منذر جابر.

(١٣) تاريخ الدروز الموحدين السياسي.

(١٤) جريدة النهار - ٢٧ - ٣ - ١٩٨٢.

أما أدهم خنجر فإنه نقل بسيارة وعرف سلطان الأطرش بالأمر فرابط عند قرية الشعلة وهاجم السيارات والمدرعتين وانقض عليها مع رفاقه وهي تطلق عليهم النار وفرّت السيارة التي كانت تنقل أدهم مما حدا بسلطان الأطرش ان يعلن الثورة منذ ذلك الوقت وعندما عرفت السلطات الفرنسية بالأمر ارسلت طائرة الى السويداء لنقل أدهم خنجر وتقلته جواً الى دمشق ثم الى بيروت .

ولما علم سلطان الأطرش بالأمر صرخ: « لا حيلة لنا بالسماء . أما في الأرض فإننا مستعدون لبذل ارواحنا في سبيل كرامتنا »[١٥] وقامت الطائرات بقصف منزله في القرية مما حداه ان يلتجيء الى شرقي الأردن كما التجأ اليها أدهم خنجر من قبل .

ـ وبعد وصول أدهم خنجر الى بيروت ، أتى الفرنسيون به الى بلدة المروانية حيث استقبله الفقراء وطلبت السلطة الفرنسية ان يكفل أحد الاشخاص الاقطاعيين أدهم حتى يطلقوا سراحه نظراً لهياج الدروز في جبلهم وهياج شعب جبل عامل بسبب حادثة أدهم لكن ايّاً لم يكفله »[١٦] .

ويحكي معاصرو أدهم والذين شاهدوا الجند المرافقين لأدهم أنه بعد إعلان نبأ إعدامه في بلدته المروانية فاضت عيناه بالدموع ونظر نظرة وداع لأرضه الأبيّة أرض جبل عامل التي وهبها حياته واستشهد من أجلها . وإنه قبل وداعها وكان موسم الحصاد شاهد ابناء بلدته على البيادر فأمسك بسنابل أرضه الأبية وفركها بيده وأنه شرب من عين البلدة آخر « شربة » الحرية وأُخذ مكبّلاً الى بيروت حيث أعدم بالرصاص السنغالي .

وهكذا طوى جبل عامل صفحة من تاريخه الثوري بمقتل أدهم خنجر حيث سبقه صديقه صادق الحمزة .

« بمقتل أدهم خنجر طوى جبل عامل صفحة من تاريخ الثورة وفتح جبل الدروز صفحة من الثورة ذاتها »[١٧] .

ـ وقد عطلت مجلة العرفان عاماً كاملاً عندما كتب العاملي حسن الأمين موضوعاً عنه بعنوان « شبابة من نار »[١٨]

جهاد بنوت

---

(١٥) تاريخ الموحدين الدروز السياسي .

(١٦) معاصرو أدهم .

(١٧) مجلة « العرزال » العدد الرابع .

(١٨) من دفتر الذكريات الجنوبية حسن الامين .

الصهيونيــــــة

تاريخها - عقيدتها - تنظيماتها - اساليبها

- الحلقة الاولى -

«معرفة العدو جيداً، هو نصف الطريـق إلى النصر»

بقلم: د. حافظ الزين

إن وضوح الرؤيا السياسية والنضالية، لا يعتمد على معرفة القدرات الذاتية فقط، بل تتطلب أيضاً معرفة الطرف الآخر الذي هو موضوع الصراع والمجابهة. الحديث عن فلسطين في خصوصيتها التاريخية، يستدعي حديثاً موازياً عن الصهيونية؛ وعملية النضال، تستدعي وحدة جدلية ومنطقية لا يمكن تجزئتها بين المعرفتين. هناك فلسطين و «إسرائيل»، هناك حركة الثورة العربية والإسلامية والصهيونية.

إن الصهيوني لا يدافع عن مجموعة أوهام، بل عن أكاذيب ابتكرها وخلقها وعمل على فرضها لأجل الوصول إلى مصالح محددة. هذه الأكاذيب التي أوصلت إلى قيام دولة «إسرائيل»، تحولت إلى قناعات يتربى عليها المواطن منذ طفولته. الصهيوني الاسرائيلي الذي أصبح عمره الآن أربع وثلاثون سنة يؤمن بأنه يدافع عن حقه في الحياة والبقاء على أرض ثبت أقدامه فيها بالتضحيات والدماء، ومن هنا يؤمن بعدالة قضيته، ويؤيد كل تطرف يبعد عنه خطر العدو، وكل استعراض عضلات يشعره إنه الأقوى وبالتالي في مأمن من الزوال. الاسرائيلي يهرب من التفكير في الطرف الآخر، يهرب من الماضي، لا يسمح لنفسه بالتفكير في قضية الفلسطيني، يعمل على أساس الأمر الحاضر والواقع، وعلى صنع مستقبله الآمن على حساب من يعمل في نظره على إعادته كيهودي إلى بؤس الشتات والمهانة في اصقاع العالم. الايديولوجية الصهيونية مضللة موضوعياً، تكتب التاريخ وتعالجه من خلال معطياتها التي تفرضها، لا من خلال مبادىء الحق والعدالة الانسانية التي يفترض نظرياً أن تصنع التاريخ.

على الرغم من ادعاء الصهيونية وبعض مؤرخيها أن حركتهم عريقة وتكاد تضاهي في قدمها قدم اليهودية نفسها، لكن الواضح أن الحركة الصهيونية بعقيدتها ومفاهيمها ولدت في إطار نظريات الفكر الامبريالي وخططه في العقود الأولى من القرن التاسع عشر في أوروبا، ثم تبلورت بين يهود روسيا وأوروبا الشرقية خاصة، وبعض دول أوروبا الغربية، خلال

النصف الثاني من القرن التاسع عشر كردة فعل على الأفكار الشوفينية والعنصرية التي سادت تلك البلدان في هذه الفترة، والتي حفزت المثقفين والحركيين اليهود على اعتناق الأفكار الصهيونية.

يمكن تلمس بدايات نشاط الحركة الصهيونية إذا جاز لنا التحديد، في عام ١٨٦٢ عند نشر كتابين لمؤلفين يهوديين يدعوان إلى حل المسألة اليهودية التي تأزمت في أوروبا وقتها، بإقامة دولة يهودية في فلسطين ونقل اليهود إليها وهما كتاب «دونيشات تسيون» أي (بحثاً عن صهيون) لمؤلفه الحاخام تسفي هيرش كاليشر، و «روما والقدس» لمؤلفه موسى هس.

بقيت آراء كاليشر وهس حبراً على ورق خلال العشرين سنة التالية، دون أن تبذل جهود جدية لإخراجها إلى حيز الوجود، عدا محاولتين محدودتين:

الأولى قامت بها جمعية «الإليانس اليهودية - الفرنسية» التي أقامت عام ١٨٧٠ مدرسة زراعية لليهود في فلسطين بالقرب من يافا أطلق عليها إسم «مكيفة يسرائيل» وذلك بهدف نقل يهود فلسطين إلى العمل الزراعي المنتج.

الثانية كانت قيام الثري اليهودي البريطاني «سير موش مونتيفيوري» الذي أقام عدداً من المساكن ليهود القدس خارج أسوار المدينة المقدسة.

لكن هذا الوضع تغير منذ مطلع ثمانينات القرن الماضي، عندما أدى اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني عام ١٨٨١ من قبل جماعة من الثوار الروس، كان بينهم إحدى اليهوديات، إلى قيام حملة منظمة من المذابح ضد اليهود في روسيا وبولونيا. جاءت هذه المذابح تتويجاً للاجراءات والقيود المعادية للسامية التي فرضتها سلطات روسيا القيصرية على مواطنيها اليهود من جهة، ولانهيار أسس حياتهم الاقتصادية، بعد أن قطعت حملة تصنيع روسيا وسيرها على طريق النمو الرأسمالي شوطاً لا بأس به من جهة أخرى.

أدت هذه الإجراءات إلى هجرة واسعة لليهود بتشجيع من السلطة الروسية نفسها، وتوجه معظم هؤلاء إلى الولايات المتحدة، واستمرت الهجرة طوال الربع الأول من القرن العشرين، وأسفرت عن دخول ٣ ملايين يهودي إلى القارة الأميركيه. عدد قليل من هؤلاء لا يزيد على البضعة آلاف، توجه إلى فلسطين.

مسألة الهجرة هذه، شغلت المجتمع اليهودي وأثارت نقاشاً حاداً وواسعاً بين المثقفين اليهود. مع تبلور الاقتناع بحتمية الهجرة، بدأ الحديث عن إقامة دولة يهودية في مكان ما من العالم. هذه الدعوة من جانب المثقفين اليهود، تأثرت بشكل واضح بالمناخ السياسي السائد في أوروبا يومها، خاصة بعد حصول عدد من الشعوب على استقلالها القومي من جهة، وازدياد النشاط الاستعماري في آسيا وأفريقيا من جهة أخرى. ارتأى هؤلاء بأن الشعب اليهودي لا يقل شأناً عن باقي الشعوب الأوروبية، ويحق لليهود أن يطالبوا باستقلالهم القومي وترك البلدان التي يعيشون فيها مضطهدين، واستعمار جزء خاص بهم في فلسطين وجوارها.

لماذا اختيرت فلسطين؟

المناطق التي عرضت على اليهود لإقامة دولتهم هي « غرينلند » و « الأرجنتين » و « أوغندا » . لكن اصرارهم على فلسطين كان بسبب الرابط الديني بين اليهود وفلسطين التي هي منشأ ديانتهم من جهة وبفضل تشجيع عدد من الشخصيات الاستعمارية الرئيسية من جهة أخرى، فتصاعد القول بضرورة الإسراع في خلق دولة تابعة يسكنها اليهود في فلسطين، تشكل في الدرجة الأولى عائقاً أمام الطموحات القومية للعرب التي كانت قد بدأت تتصاعد نبرتها، وأمام وحدة واستقلال الوطن العربي، وذلك بسبب الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة باعتبارها مدخلاً إلى أفريقيا وجسراً لآسيا، وقد برزت أهمية هذا التفكير بشكل واضح بعدما باشر محمد علي الكبير في مصر تحقيق خطته الطموحة لتوحيد مصر وسوريا الكبرى وشبه الجزيرة العربية وبناء دولة مستقلة فيها خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر، فتولدت القناعة بضرورة خنق أية دولة مستقلة ناشئة أو اي مسعى وحدوي في مهده قبل أن يشكل خطراً على المخططات الاستعمارية ومواجهة الشعور القومي العربي المنتشر والمتصاعد في شتى أنحاء الوطن العربي .

إذاً كان هناك قواسم مشتركة بين الاستعمار والصهيونية، والصهيونية لم تكن إلا فرعاً من شجرة الايديولوجية الاستعمارية وصنيعة من صنائعها . اما خصوصيات الايديولوجية الصهيونية فتؤكد على الطابع العنصري وعلى تعميق جذور التعصب والعدوان على غير اليهود .

حافظ الزين

... يتبع .

الحلقة الثانية : الهجرات الصهيونية .

« اهدافنا الرئيسية: تفتيت الوحدة الاسلامية، ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها » .

ت. إ. لورنس العرب

« انتم الاسرائيليون لا يجب ان تشعروا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم. لا عطف ولا رثاء، حتى ننتهي من ابادة ما يسمى بالحضارة الاسلامية، التي سنبني على انقاضها حضارتنا » .

مناحيم بيغن

« اذا سبّب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية، يمكن للاسلام ان يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة اخرى... وارجو الا يتحقق ذلك...! »

ارنولد توينبي

المجتمع والسياسة عند ابن طفيل

أحمد عيس

حياته ومؤلفاته:

هو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي، «العلم الثاني [بعد ابن باجه] في تاريخ الفلسفة الاندلسية»[1]، و«أول امام عظيم للفكر الفلسفي في اسبانيا في عهد الموحدين»[2]. لا نعرف عنه الكثير★ سوى إنه ولد في اوائل القرن السادس للهجرة بوادي آش احدى مدن ولاية غرناطة؛ ودرس الطب والفلسفة في اشبيلية وقرطبة. اتصل ابن طفيل بأمير الموحدين انئذ، الأمير يوسف أبي يعقوب بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ)، ثاني امراء اسرة المهدي. وكان ابو يعقوب هذا محباً للعلم والحكمة والفلسفة، فجمع من كتب الحكماء الشيء الكثير. وتفيدنا المصادر إن المودة بين الأمير وابن طفيل كانت عظيمة؛ حتى إنه يذكر إنه كان لابن طفيل اثر في توجيه سياسة خلفاء عبد المؤمن، ولعب دوراً كبيراً في بلاط ابي يعقوب[3]. ومما يذكر إن ابن طفيل هو الذي قدم ابن رشد للأمير، ويؤكد غوتييه[4] إن ذلك حصل سنة ١١٦٩ م. وبقي ابن طفيل على علاقة جيدة مع الخلفاء حتى وافاه الأجل سنة ١١٨٥ م.

يذكر ابن الخطيب ان ابن طفيل علم الطب في غرناطة والف فيه كتابين؛ كما إن المراكشي مؤرخ الموحدين، يذكر إنه رأى بنفسه كتباً في الفلسفة والنفس والشعر بخط الفيلسوف. وبالاضافة إلى هذا يحدثنا المؤرخون عن «رسالة تبودلت بينه وبين ابن رشد في الطب؛ ويذكر البطروجي الفلكي وابن رشد ان ابن طفيل وُفق لنظام فلكي يخالف النظام الذي وضعه بطليموس. بيد إننا على جهل تام بهذا النظام الفلكي وبغيره من النواحي الأخرى..»[5]. ولا

★ - راجع عن حياة ابن طفيل: المراكشي: المعجب في اخبار المغرب، ص ١٧٢ - ١٧٤.
ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٢، ٤٩٢.
دائرة المعارف الاسلامية المترجمة، مادة ابن طفيل.
فؤاد افرام البستاني: دائرة المعارف، مادة ابن طفيل.

١ - فخري، د. ماجد: تاريخ الفلسفة الاسلامية، ترجمة د. كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، ٧٩، ص ٣٦٢
٢ - اوليري، دي لاسي: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية اسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢. ص ٢١٢.
٣ - نادر، د. البير نصري: رسالة حي بن يقظان، المطبعة الكاثوليكية، ص ٣
٤ - غوتييه، ليون: حي بن يقظان
٥ - محمود، عبد الحليم: فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان، مكتبة الانجلو المصرية، بدون تاريخ، ص ١١.

يستبعد د. نصر الله[٦] إن «تكون مخطوطة ابن طفيل الفلكية قد وقعت بين ايدي علماء الغرب واستغلوها لصالحهم، فهناك من يشير [دون أن يشير د. نصرالله إليه] إلى أن آراء ابن طفيل قد تكون شبيهة بنظام كوبرنيك وغاليلة». ويعتبر دي. بور ان هذا الأمر ليس أكثر من زعم لا يؤخذ به[٧].

والواقع إنه، على الرغم من قلة المعلومات وضبابيتها في الآن نفسه، تفيدنا رسالته الوحيدة التي وصلتنا «حي بن يقظان» إنه كان على اطلاع واسع على ثقافة عصره؛ فهي تحوي بالاضافة إلى الفلسفة، التصوف والفلك والطب. وهذا مما يؤكد لنا، إنه وإن لم تصلنا تصانيفٌ له في تلك الموضوعات، فإنه على الأقل كان على معرفة عظيمة بتلك الموضوعات وقضاياها؛ وهو يدلي لنا بكل ما يملكه من معلومات في تلك القضايا على لسان بطل قصته حي بن يقظان.

أغراض ابن طفيل في رسالته:

في بداية رسالته يطالعنا ابن طفيل بتعليقات وانتقادات على فلسفة كل من الفارابي، الغزالي، ابن سينا وابن باجة. ويشير إلى ان غرضه من وضع تلك الرسالة إنما هو تبيان اسرار الحكمة المشرقية واستجلائها، وبالتالي طريق الوصول إلى الحق[٨]. وهو في هذا ينتقد ابن باجة الذي قال بأن الحق ـ الله نصل إليه عن طريق الفلسفة فقط وليس عن طريق الزهد والتقشف[٩]. إذ إن ابن طفيل يعتقد بأن الوصول إلى الحق يمر عبر طريقين: طريق العلم والنظر أولاً، وطريق الذوق والتأمل ثانياً. لذا فالمعرفة عند ابن طفيل تختلف عن تلك التي عند الفلاسفة والمتصوفة، إنها في الواقع «فلسفة تصوفية أكثر منها الهيات تصوفية»[١٠]. إنها معرفة قائمة على العقل والحدس معاً. والحقائق إذا ما حصلت بالعقل والذوق تصبح أكثر وضوحاً، كما إن رتبة المعارف الذوقية اعلى من تلك العقلية[١١]. ويلتقي ابن طفيل مع الغزالي في القول بعدم امكانية التصريح عن تلك المعارف. وتبقى الحكمة المشرقية، حكمة الشيخ الرئيس ابن سينا هي الأولى عند ابن طفيل[١٢]. «إن الكشف في الحكمة المشرقية يأتي عن طريق الإرادة والتفكير فإذا هو إدراك عقلي واضح، أما في التصوف، فإن ما يسمى كشفاً عندهم يأتي من طريق امانة الحواس وإنكار التفكير، فإذا هو صور تنسج في الخيال»[١٣].

٦ ـ ابن طفيل الأندلسي: رسالة حي بن يقظان. تحقيق د. محمد عزت نصر الله، دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت، الطبعة الأولى. تشرين الأول ١٩٧٠، ص ٦.

٧ ـ دي. بور، ت ج: تاريخ الفلسفة في الاسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة، ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨، ص ٢٤٩.

٨ ـ ابن طفيل الأندلسي: مرجع سابق، ص ١٧.

٩ ـ فخري، ماجد: مرجع سابق. ص ٣٦٥.

١٠ـ اوليري، دي لاسي: مرجع سابق، ص ٢١٢.

١١ـ ابن طفيل الأندلسي: مرجع سابق، ص ١٧ ـ ٢٧.

١٢ـ نفسه، ص ١٧. ايضاً: فخري، ماجد: ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

١٣ـ فروخ، د. عمر: الفارابيان، منشورات مكتبة منيمنة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٥٠، ص ٦٢.

والغرض الآخر الذي يقول ابن طفيل في آخر رسالته، ولعله الأهم، هو «ما ظهر في زماننا هذا من آراء مفسدة نبغت بها متفلسفة العصر وصرحت بها، حتى انتشرت في البلدان، وعم ضررها وخشينا على الضعفاء الذين اطرحوا تقليد الأنبياء صلوات الله عليهم، وأرادوا تقليد السفهاء والاغبياء أن يظنوا إن تلك الآراء هي الأسرار المضنون بها على غير أهلها، فيزيد بذلك حبهم وولوعهم بها. فرأينا ان نلمح اليهم بطرف من سر الأسرار لنجتذبهم إلى جانب التحقيق، ثم نصدهم عن ذلك الطريق»[١٤]. إن هذا الرأي هو الذي اعترّف به على إنه الموقف الرسمي الصحيح للموحدين والذي تدافع عنه قصة حي بن يقظان[١٥].

المجتمع والسياسة:

إذا كانت غاية السياسة الأولى هي الإنسان، وإذا كان الأنسان في جميع سلوكاته يتطلع نحو السعادة، فلن تكون بالتالي غاية السياسة إلا سعادة الإنسان.

١ ـ السعادة:

السعادة عند ابن طفيل لا تحقق إلا بدوام المشاهدة، مشاهدة الحق[١٦]. ويصبح الهدف منهج يتأتى عنه تحقيق تلك المشاهدة؛ فترتبط السعادة في النهاية بالمنهج الذي هو نظرية في المعرفة. وتصبح السعادة، كما هي الحال عند الفلاسفة العقلانيين، فعل معرفي.

المنهج المعرفي عند إبن طفيل منهج متدرج: يبدأ بالمعرفة القائمة على الحسّ والتجربة، مروراً بالمعرفة العقلية (النظر)، وإنتهاء إلى مرحلة التصوف أو الحكمة المشرقية القائمة على العقل والحدس. إنه منهج يبدأ من المحسوس إلى المعقول ومن الجزئيات إلى الكليات وصولاً إلى الحق. وقد استطاع ابن طفيل من خلال اعتماده على هذا المنهج المعرفي أن يتوصل إلى معرفة الطبيعة وما بعد الطبيعة، وان يعرف السبب الأول ونفسه، واخيراً إلى أن يبلغ مرحلة الشهود والفناء[١٧]. وهذه المرحلة النهائية هي التي قصر عن بلوغها ابن باجه[١٨]، وهي برأيه اسمى درجات المعرفة أو قمة المعرفة الإنسانية.

إذن المعرفة منهج يعتمد الحسّ والنظر والحدس في عملية ارتقاء نحو الحق ليتسنى للإنسان دوام المشاهدة، فيحقق بذلك كمال ذاته ولذتها، أي سعادته «تبين له إن كمال ذاته ولذاتها إنما هو بمشاهدة ذلك الموجود الواجب الوجود على الدوام، مشاهدة بالفعل ابداً، حتى لا يعرض عنه طرفة عين لكي توافيه منيته، وهو في حال المشاهدة بالفعل، فتتصل لذته دون أن يتخللها ألم»[١٩].

١٤ـ ابن طفيل الأندلسي: مرجع سابق، ص ٩٦ ـ ٩٧.
١٥ـ الفكر العربي ومركزه في التاريخ، مرجع سابق: ص ٢١٢.
١٦ـ راجع عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص ٤٠.
١٧ـ راجع ماجد فخري، مرجع سابق، ٣٦٥ ـ ٣٦٩. أيضاً دي بور، مرجع سابق، ص ٢٥١.
١٨ـ راجع ماجد فخري، مرجع سابق. ص ٣٦٥.
١٩ـ ابن طفيل الأندلسي، مرجع سابق. ص ٦٨ ـ ٦٩.

إلا أن دوام المشاهدة دون الأعراض طرفة عين لا يتيسر لإنسان، وذلك بفعل حاجات الفرد الطبيعية والغريزية، وبفعل تواجد هذا الفرد في بيئة تلقي عليه تأثيراتها المختلفة. وقد تمكن حي ان يتوصل إلى أقصى ما يمكن، رغم هذه الموانع، وذلك عندما أقر بتشابهه مع الموجودات، وبالتالي إن عليه ان يتشبه بأفعالها للوصول. ومشابهته للموجودات تتوضح من وجوه:

أولاً من حيث بدنه:

فهو مشابه للحيوانات غير الناطقة[٢٠]، لذا لا بد من التشبه بها في حفظ نفسه واستمرارها (اكل، دفء، حاجات غريزية..)[٢١].

وثانياً من حيث روحه الحيواني:

فهو مشابه للاجسام السماوية[٢٢]، لذا عليه التشبه بها بالمداومة على طهارة نفسه وإزالة الاوساخ بالاغتسال.[٢٣]، حتى يتلألأ حسناً وجمالاً.

وثالثاً من حيث قوته العاقلة:

تلك القوة التي عرف بها واجب الوجود[٢٤]، لا بد له من التشبه بصفات واجب الوجود[٢٥].

ويعتبر ابن طفيل، إن التشبه الأول عائق أمام المشاهدة إلا انه ضروري. إذ أن إهماله يكون اعتراضاً على فعل الفاعل، أي الله، وهذا لا يجوز؛ كما إن ضرورته الثانية تنبع من أنه مرحلة اساسية وأولية للإنتقال إلى التشبه الثاني. ويضع ابن طفيل قواعد اساسية واخلاقيات للسلوك في هذه المرحلة يفرضها لاحقاً.

وفي حالة التشبه الثاني تحصل لحي مشاهدة عظيمة، إنما غير صافية.

أما في التشبه الثالث، وهو الهدف والغاية، تحصل المشاهدة الصرف والاستغراق المحض، فيغيب عن ذاته - يفنى، وهنا سعادة الموجود الحقيقية[٢٦].

وعند وصوله إلى هذه المرحلة «غابت عن ذكره وفكره السموات والأرض وما بينهما، وجميع الصور الروحانية والقوى الجسمانية، وجميع القوى المفارقة للمواد، والتي هي الذوات العارفة

٢٠- نفسه، ص ٧٣.
٢١- نفسه، ص ٧٥.
٢٢- نفسه، ص ٧٣.
٢٣- نفسه، ص ٧٨.
٢٤- نفسه، ص ٧٣.
٢٥- نفسه، ص ٧٨.
٢٦- نفسه، ص ٧٣ - ٨٠.

بالموجود الحق، وغابت ذاته في جملة تلك الذوات، وتلاشى الكل. واضمحل، وصار هباء منثوراً، ولم يبق إلا الواحد الموجود الثابت الوجود.. واستغرق في حالته هذه، وشاهد ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٢٧].

٢ ـ الاخلاق:

ذكرنا آنفاً أن حياً كان قد توصل إلى مبادىء اخلاقية اعتمدها في «التشبه الأول»، وكانت هذه المبادىء تعينه على بلوغ هدفه؛ وهي مبادىء آدابية وسلوكية، نعرض منها الآتي:

أ ـ في تعامله مع النبات والحيوان في الطبيعة، كان هاجسه الأول الحفاظ على النوع؛ فتلك الموجودات وجدت لغاية، فهي تعيش لذاتها ولله، فلا يجوز أن يتصرف بها على هواه[٢٨]. والقضاء على أي نوع منها يعتبر قطعاً لتلك الغاية، «والاغتذاء بها مما يقطعها عن كمالها ويحول بينها وبين الغاية المقصودة بها، فكأن ذلك اعتراض على فعل الفاعل»[٢٩]. وبما إن الغذاء ضروري، رأى أن «يأكل لحوم الفواكه التي تناهت في الطيب وصلح ما فيها من البزر لتوليد المثل على شرط التحفظ بذلك البزر بأن لا يأكله ولا يفسده ولا يلقيه في موضع لا يصلح للنبات..»[٣٠].

ب ـ حتى هذا لا يكفي، بل يكتفي منه بما توجبه الضرورة[٣١]. إن الغذاء للاستمرار وليس لهدف آخر كالالتذاذ مثلا..[٣٢].

ج ـ كذلك اعتمد حي مبدأ آخر يساعد على حفظ النوع واستمراره من الحيوان والنبات، وذلك بأنه «ألزم نفسه أن لا يرى ذا حاجة أو عاهة أو مضرة أو ذا عائق من الحيوان أو النبات وهو يقدر على إزالتها عنه إلا ويزيلها..»[٣٣].

د ـ وفي أماكن أخرى نستطيع أن نتلمس، ومن خلال تصرفات حي، بعض المبادىء الاخلاقية والآدابية[٣٤]؛ فنحن نلاحظ مثلاً تعامله مع الظبية التي أنشأته واعتنت به، فعندما تمرض نراه «يرتاد بها المراعي الخصبة، ويجني لها الثمرات الحلوة، ويطعمها..»[٣٥]؛ وذلك عرفاناً منه بالجميل نحوها.

٢٧ـ نفسه، ص ٨٠ ـ ٨١.

٢٨ـ دي بور، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

٢٩ـ ابن طفيل الأندلسي، مرجع سابق، ص ٧٥.

٣٠ـ نفسه.

٣١ـ نفسه، ص ٧٤.

٣٢ـ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص ٤٠ ـ ٤١.

٣٣ـ ابن طفيل الأندلسي، مرجع سابق، ص ٧٧.

٣٤ـ ابن طفيل: حي بن يقظان، قدم له وحققه فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٦٨ ـ ٧٠.

٣٥ـ ابن طفيل الأندلسي، مرجع سابق، ص ٣٧.

٣ ـ الدين والفلسفة :

والتساؤل الذي يطرح هنا هو حول مدى إمكانية المنهج الذي يطرحه ابن طفيل من أن يتبناه المجموع، ويخطو خطواتهم باتجاه السعادة. وبكلمة ثانية، ما مدى حظ هذا المنهج من التطبيق الواقعي في المجتمع؟

والواقع أن أي منهج يعتمده الإنسان في سلوكه لا بد أن يتصف بمواصفات منها: أن يكون ممكن الفهم والتمثل والتطبيق، ومن ثم مدى أهمية وحجم الفعاليات الاجتماعية الناتجة عن التطبيق بالمقارنة مع الاهداف المتوخاة. لذا، وكنتيجة، لا بد للمنهج والذي هو تصور وسلوك في النهاية أن يتوافق والتكوين الإنساني؛ ذلك إنه منهج يُفترض فيه أنه عام وللجميع. إذن، هناك اساس أولي هو الذي يمنح المنهج شرعيته؛ هذا الأساس هو التكوين الإنساني: الفطرة البشرية «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[٣٦]. وليس الحالات الشاذة ـ المتميزة، بل الفطرة العادية المتيسرة لكل إنسان «وخلقكم من نفس واحدة»[٣٧]. بهذا فقط، ينشط المنهج اجتماعياً إذا اعتمد بشكل فعلي. وخلاف ذلك، سيبقى المنهج جهداً فردياً، معزولاً، بعيداً عن أن يتحقق فعلياً أو أن يتمظهر في سلوكات جماعية.

والحقيقة أن ابن طفيل لا يطرح هذا المنهج ليصبح فعلاً أو سلوكاً جماعياً. إنه يدرك مدى استحالة هذا الأمر، وإنه لن يتيسر إلا للقلة، وهم ذوو الفطر الفائقة؛ بينما أكثرية المجموع هو من ذوي الفطر الناقصة كما سنعرض لاحقاً. يبقى الهدف من تصريحه بهذا ما يورده لنا في نهاية رسالته؛ إن بعض العامة عملوا على الاستعاضة عن الدين بالفلسفة. لذا تأتي رسالته لتبين مدى صعوبة هذا الطريق في محاولة لردعهم عنه «فرأينا أن نُلمح إليهم بطرف من سر الأسرار لنجتذبهم إلى جانب التحقيق، ثم نصدهم عن ذلك الطريق»[٣٨]. ويصبح الهدف في النهاية، أن لا قدرة للعامة على المضي في طريق الفلسفة الشاق، لذا يجب أن يقصروا عن السعي وراءها وأن يلتزموا بحدود الشرع الظاهرة[٣٩]. والمقارنة هنا بين الدين والفلسفة من حيث الوظائف والغايات والحقائق كما يوردها ابن طفيل تصبح ضرورية.

لقد توصل حي، وهو الفيلسوف المتصوف، بعقله وبفطرته الفائقة إلى جميع الحقائق التي أتت بها الأديان السماوية. وهذا ما أقر به اسال[٤٠] بعد سماعه وصف حي لمعارفه، فإنه ـ أي اسال ـ لم يشك «في أن جميع الأشياء التي وردت في شريعته من أمر الله عز وجل، وملائكته،

٣٦ـ القرآن: سورة الروم، آية ٣٠.

٣٧ـ القرآن: سورة الزمر، آية ٦.

٣٨ـ ابن طفيل الأندلسي: مرجع سابق، ص ٩٧.

٣٩ـ دي بور: مرجع سابق، ٣٥٣. أيضاً عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص ٤٧.

٤٠ـ اسال: واحد من الذين تثقفوا، في جزيرة قريبة للجزيرة التي ولد فيها حي ـ ملة صحيحة محاكية للموجودات بالامثلة تواتراً عند احد الانبياء. وقبلوا والتزموا شرائعها. إلا إنه رغب بالوحدة والمناجاة، فالتمس لذلك الجزيرة التي نشأ فيها حي، نصر الله: ٨٨.

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وجنته وناره، هي أمثلة هذه التي شاهدها حي بن يقظان..»[41]. إلا أن الفرق بين الأثنين، معارف حي وحقائق الملة، إن حياً عاين الموجودات الحقيقية بضرب من المكاشفة (شاهد ذواتاً للافلاك ولنفسه مفارقة للمادة..)، بينما الملة حاكت تلك الموجودات «بالأمثلة المضروبة التي تعطي خيالات تلك الاشياء، وتثبت رسومها في النفوس، حسبما جرت به العادة في مخاطبة الجمهور..»[42]. وتصبح النتيجة بالتالي، إن الملة والفلسفة تتطابقان بما تحملانه من حقائق، الا أن اختلافهما يكمن في طريقة التعبير عن تلك الحقائق.

وبكلام آخر، إن للدين ظاهراً وباطناً؛ الظاهر هو ما يتعلق به جمهور العامة في المجتمع، والباطن هو ما تحاول الفلسفة الغوص فيه واستكناه سره، «وتتطابق عنده المعقول والمنقول، وقربت عليه طرق التأويل، ولم يبق عليه مشكل في الشرع إلا تبين له، ولا مغلق إلا انفتح، ولا غامض إلا اتضح، وصار من أولي الألباب..»[43]. وإذن فإن دور الفلسفة هو: تفسير الملة وحل اشكالاتها ورموزها. وبالمقابل التزم حي كل الفرائض والتكاليف التي في الملة إذ إنه «لم ير فيها شيئاً على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم»[44].

على هذا لم يبق امام حي سوى التوجه للمجتمع في محاولة «لتبيان الأمر على حقيقته لهم»، وهنا يعرض لنا فئات المجتمع وأقسامه معتمداً في ذلك القدرات العقلية والفطرية كأساس لهذا التقسيم. فكيف رأى ابن طفيل المجتمع؟

٤ ـ **المجتمع**: ينقسم المجتمع برأي ابن طفيل إلى فئتين: خاصة وعامة، والأخيرة تنقسم بدورها إلى مجموعتين: نخبة مميزة وأكثرية. ولكل فئة من هذه الفئات خصائصها المميزة نستعرضها بإيجاز.

أ ـ الخاصة:

هم فئة قليلة من ذوي الفطر المميزة؛ من طباعهم المداومة على التفكير، اذهانهم ثاقبة ونفوسهم حازمة. أشد غوصاً على الباطن، اطمح في التأويل وأكثر عثوراً على المعاني الروحية، يميلون للعزلة والانفراد عن المجموع ويأنسون بمناجاة ربهم[45]. يمثلهم في الرسالة آسال.

ب ـ العامة:

هم الكثرة المطلقة، ومن ذوي الفطر الناقصة؛ وهم فئتين:

٤١ـ ابن طفيل الأندلسي، مرجع سابق، ص ٩٢.
٤٢ـ نفسه، ص ٩٨.
٤٣ـ نفسه، ص ٩٢.
٤٤ـ نفسه، ص ٩٤.
٤٥ـ نفسه، ص ٨٨.

١ ـ نخبة:

القلة المميزة؛ أقرب إلى الفهم والذكاء إلا انهم أكثر احتفاظاً بالظاهر، وأشد بعداً عن التأويل، وأوقف عن التصرف والتأمل؛ يقلقون بملازمة الجماعة لدرأ الوساوس وإزالة الظنون المعترضة[٤٦]. ويمثلهم في القصة سلامان.

٢ ـ الجمهور:

الكثرة الغالبة؛ من خصائصهم البلادة والنقص وسوء الرأي وضعف العزم، إنهم «كالانعام بل اضل سبيلاً»[٤٧]. «كل حزب بما لديهم فرحون»[٤٨]، اتخذوا الههم هواهم، ومعبودهم شهواتهم، وتهالكوا في جمع حطام الدنيا.. لا تنجح فيهم الموعظة ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة، ولا يزدادون بالجد إلا اصراراً.. قد غمرتهم الجهالة وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون..[٤٩].

واذ أراد ابن طفيل التوجه إلى هذا المجتمع، فإنه بطبيعة الحال لن يتوجه لجمهور العامة الجاهلين، والذين هم دون الحيوانات غير الناطقة.. بل إن التوجه هو ناحية النخبة من العامة، سيما وإن سلامان منهم وبيده مقاليد السلطة السياسية.

إلا ان حياً عاد والفشل ملء إهابه. إذ انه كلما «ترقى عن الظاهر قليلاً وأخذ في وصف ما سبق إلى فهمهم خلافه، فجعلوا ينقبضون منه وتشمئز نفوسهم مما يأتي به..»[٥٠]. ويحاول حي معهم بأساليب أخرى لما رآه فيهم من حب للخير ورغبة في الحق «إلا انهم لنقص فطرتهم، كانوا لا يطلبون الحق من طريقه ولا يأخذونه بجهة تحقيقه ولا يلتمسونه من بابه..» عندها يئس من اصلاحهم، وعلم ان اصلاح هذا المجتمع هو بحكم المستحيل؛ وعلم بالتالي الحكمة من وراء ارسال الرسل، والحكمة من وراء مخاطبة العامة بالتمثيل والاعراض عن المكاشفة. إذ إنه لا قدرة للعامة على فهم ذلك.

هنا يؤكد ابن طفيل الغاية الاساسية من الرسالة وبالتالي الوظائف الاجتماعية والسياسية المنوطة بالدين. فالدين للمجموع؛ ويحاول بالتالي تهيئة اسباب السعادة للأكثرية المطلقة من البشر ـ ذوي الفطر الناقصة، وذلك بما يضعه من حدود للتعامل بين الناس والتغلب على شقاء الحياة؛ وليحتلّ كل منصبه وموقعه الملائم له. إذن يصبح الدين بمثابة الوازع الاجتماعي «وإنما حظ أكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة إنما هو حياتهم الدنيا ليستقيم له معاشه ولا يتعدى عليه

٤٦ـ نفسه، ص ٨٨.
٤٧ـ القرآن: سورة الفرقان، آية ٤٤.
٤٨ـ القرآن: سورة الروم، آية ٣٢.
٤٩ـ ابن طفيل الأندلسي، مرجع سابق، ص ٩٢ ـ ٩٥.
٥٠ـ نفسه، ص ٩٤.

سواه فيما اختص به..»[٥١]. وعلم عندها «إن الحكمة كلها والهداية والتوفيق فيما نطقت به الرسل ووردت به الشريعة، لا يمكن غير ذلك، ولا يحتمل المزيد عليه، فلكل عمل رجال، وكل ميسر لما خلق له..»[٥٢].

وهكذا يتضح تمايز آخر بين الفلسفة والدين، إلى جانب التمايز في طرق التعبير عن الحقائق، هذا التمايز الثاني هو أن الفلسفة تمنح السعادة القصوى ولكن لفئة محدودة جداً من البشر، هم ذوي الفطر المميزة، بينما هدف الشريعة أن تهيء اسباب السعادة للأكثرية المطلقة.

إن هذه التمايزات، وربما غيرها، تخفي وراءها قاعدة اساسية يقولها ابن طفيل في رسالته، هذه القاعدة أو الحقيقة هي: إنه لا تناقض بين المعقول والمنقول، كما مر آنفاً. أي لا تناقض بين الفلسفة والدين، ليس على الصعيد النظري - الفكري فقط، بل وأيضاً على الصعيد العملي. فالغاية العملية من الدين والفلسفة واحدة، وهي سياسة المجتمع السياسة الأفضل. وهذا لا يمنع، برأي ابن طفيل، من أن يكون هناك مستويات في فهم الدين. فالدين منظوراً إليه من الظاهر تستخدمه السلطة وتستفيد منه لتسوس العامة، ويشكل بالتالي، وازعاً اجتماعياً وسياسياً، وضابطاً لحسن سير المجتمع وتحديد حدوده. وهو - أي الدين - منظوراً إليه من الداخل - الباطن، تحاول السلطة عبره الوصول إلى أفضل السياسات، وتالياً لتجسيد المدينة الفاضلة، مدينة الموحدين الباطنيين، وذلك بفهم الدين فهماً يتجاوز الظاهر ويعتمد العقل اساساً في عملية الفهم.

إذن الغايات العملية واحدة، وتختلف النظرة باختلاف الزاوية المنظور منها وإليها؛ وبذلك تتوحد الفلسفة والسياسة على راس الهرم السلطوي، فتلاحظ دور العقل في العملية السياسية، وفي الآن نفسه تسوس السلطةُ العامة بالدين، فيتوحد الدين مع السياسة.

وهذه هي الخاتمة التي تريدها رسالة حي بن يقظان، والتي تعمل على نشرها، وهي خاتمة، لا حاجة لتكرار إنها الايديولوجية الحقيقية لدولة الموحدين والاساس النظري الذي تقوم عليه تلك الدولة.

أحمد عيسى

---

٥١ - نفسه، ص ٩٥.

٥٢ - نفسه.

تحذير

علمت ادارة مجلة العرفان بأن بعض الأفراد وبعض دور النشر عمدوا إلى طبع مؤلفات المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين، مستغلين عدم ملاحقتهم من قبل المرحوم نزار الزين.

إن إدارة العرفان تحذر الذين طبعوا مؤلفات مؤسس العرفان، أو المراجع التي حققها أو دققها، بأن يجروا تسوية أوضاعهم مع إدارة المجلة حبياً خلال مهلة شهر من تاريخ هذا الإعلام، وإلا اضطررنا لملاحقتهم قانونياً، والتشهير بهم على صفحات الصحف ليكونوا عبرة لمن يعتبر السرقة الأدبية فضيلة مثل...

تلك المعاني المهجورة

أدب الصمت

بقلم: عبد اللطيف شرارة

تقدمت إليّ مرةً إحدى الفتيات النابهات، وبيدها مجموعة أوراقٍ مطبوعةٍ على الآلة، وقالت:

ـ هذا بعض ما كنت أكتب، وبودّي أن أصدر هذا «البعض»، في مجموعة خاصة تحمل اسمي، على أن تتفضل أنت، بوضع مقدّمة لها.

وقرأت المجموعة، فإذا هي نثر كالشعر، أو هي شعر منثر، لا يملك أن يتقيّد بوزن ولا قافية، بيد أنه يوحي بما وراءه، ويكشف عن تجارب وحالاتٍ تأملية، عاطفية، خالصة، وكنت قد عرفتُ ما يشبهُه في كثيرٍ من المقطّعات البيانية لدى امين الريحاني وجبران.

ولكن أدب تلك الفتاة أعاد لذهني واحداً من تلك المعاني المهجورة التي أخذت أفكر بها منذ ذلك الزمن، وأعني به «قيمة الصمت».

وحملني هذا المعنى المهجور على كتابة المقدّمة لتلك الفتاة، وهذا بعض ما جاء فيها:

كنت أطالع ذات يوم بحثا فلسفياً دقيقاً، في مجلةٍ فلسفية كبرى، حول «العلاقة اللاكلامية» حيث يقرر الباحث أن «كل إنسانٍ يشعر بالخوف لا يطيق السكوت» وأن «الاتصال الضروري للعلاقة يقوم بالكلام، ولكن العلاقة بين اثنين، إنما تذوب في وصالٍ روحي بالصمت، وفي الصمت».

أعجبت بهذه التقريرات، ونقلتُها إلى سيدة تمارس التعليم، والتعليم لا يقوم إلا بالكلام، وسألتها ما إذا كان لديها من تعليق، فقالت بكل بساطة:

أما سمعت عبد الوهاب يغنّي بيت شوقي:

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عينيّ في لغة الهوى عيناك

وأضافت:

هل زاد صاحبك «الفيلسوف» شيئاً على المعنى الذي أشار إليه شوقي؟!

هناك، على التحقيق، ما يصح أن نسميه «أدب الصمت»، وإذا أنت فكرت في هذه

التسمية، أشرقت منها على آفاقٍ فكريةٍ وعاطفية تترامى للذهن وتنبسط أمامه، وتنبسط إلى ما لا نهاية . . .

ذلك بأن الأدب في مظهره، وكلام قبل كل شيء، وهو في جوهره « حياةٌ خفية »، لا نملك أن نعرف عنها شيئاً لا بالكلام، فإذا أضيف الصمتُ إلى الأدب، كان معنى ذلك، رغم التناقض الواضح في هذه الإضافة، أن ثمة محاولةً من أديب الصمت، أن يعبّر عن الحياة الخفية، ويحتفظ في الوقت نفسه بالإبقاء على خفائها. أفي الإمكان ذلك؟ وهل يقدّر لمثل هذه المحاولة أن تبلغ حظًّا، ولو ضئيلاً، من التوفيق؟ أم أنه محكوم عليها، سلفاً، بالإخفاق؟

- قد يتجه الذهن، في مثل هذه الحالة، إلى تبنّي وسيلةٍ من وسائل التعبير غير الادب، كالتصوير مثلاً، أو الحفر، أو النحت، أو الموسيقى، وكلها وسائل إفصاح تلتزم الصمت، ولا تستخدم الكلام، وإنما تومىء إلى المعاني إيماء، أو توحي بها إيحاء. ولكن استخدام الكلمات المكتوبة من غير مخاطبةٍ مباشرة، يظلّ أسلوباً في التعبير يشبه التصوير أو النحت، كمن يكتب لفتاةٍ بحضورها، وعلى مرأى منها، دون أن يكلمها. ألا يصح اعتبار هذا الأسلوب نوعاً أدبياً، قائماً بذاته؟

الحقيقة أن الموسيقى ليست أنغاماً متصلةً لا تنقطع. وإنما هي تتألف من أصوات وفترات سكوتٍ متعاقبة. ولفترات الصمت في ثنايا الكلام، عند تخاطب اثنين أو أكثر، معانيها ودلالاتها التي « يحس » بها ويدركها المتخاطبون. وهذا كله يفيد، أن الصمت لا يعد وأن يكون في سياق العلاقة، أية علاقة إنسانية، ضرباً من التعبير.

إلا أن الصمت مع طغيان الحياة داخل النفس، أمرٌ خارجٌ عن طاقة الإنسان، وأقوى من أن تتحمله الروح، ولا سيما روح المرأة، في مُشتَجَر الأحاسيس، وصَخَب العواطف، وانهيال الهواجس والخواطر. فلا بُدَّ من منفذٍ في هذا الجدار الكثيف، جدار الصمت، إلى تنشق هواءٍ جديد، والإشراف على حياةٍ غير الحياة الخفية التي تزخر بها النفس. لا بد من أسلوب يقيم به الصمت على دلالته، ويحرر النفس في الوقت ذاته، من مخاطر « البوح » و « مجازفات » البيان، لأن الذين لا يرون الأخطار التي تهدد النفس في طمأنينتها، من جراء الإفصاح عما يعتمل بها، أبعدُ الناس عن فهم الواقع والتفجرات التي تحدثها فيه محاولة تغييره بمجرد عرضه. وكذلك هو شأن البيان الذي لا يطمئنُّ صاحبه إلى صحته أو انطباقه على ما يشعر، فقد يقول واحدنا شيئاً، ويرمي بقوله إياه إلى شيءٍ آخر، ولكن الأداة، أداة البيان لم تسعفه، حتى إذا بلغ الآخرين، وجد أنه جازف بكل شيءٍ عزيزٍ على نفسه وقلبه، حين حاول أن يبين ما لا سبيل إلى تبيينه، على حقيقته، فيضطر إما إلى الاعتذار عن عجزه وتقصيره، وإمّا إلى مقارعة الذين لم يفهموا، والذين لا يريدون أن يفهموا، وكان في غنى عن هذه الاعتذارات والمقارعات . . .

ثم إن للصمت، من جهة أخرى، دلالة موضوعية ثابتة، إذا لم يرافقه أي نوعٍ من أنواع البيان، وهي الجمود، والعيّ، والخمول، والبلادة، والموت، فلا يصح الإخلاد إليه مع

الحياة، ولانه حق للروح في توثباتها، عن بثّ الحركة فيه، ولو همساً، لتغيير دلالته الموضوعية في أذهان الآخرين، بالنسبة إليها.

هذا مجمل ما يمكن أن يقال في «أدب الصمت» الذي ذكّرني به ديوان «أنت لولاي رماد»، وذلك مجمل ما أوردته في المقدمة التي كتبتها له.

غير أن الصمت كمعنى مهجور في هذه الأيام، غير أدب الصمت، رغم الصلة الوثيقة بينهما، فنحن نعيش اليوم، في «عصر الثرثرة»، أي في عصر نسمع به جعجعة ولا نرى طحناً، في عصر هو أبعد ما يكون عن الحكمة والكياسة، وأقرب ما يكون إلى الطيش والتشنّج والانفعال! ولا عجب أن يكون كذلك، فالدعاية تحوّلت فيه إلى علم يستغلّ العلوم والآداب والفنون جميعها، ويسخّرها لمآربه وأغراضه التي تصبّ كلها في الربح المادّي، والابتزاز المعنوي، وطمس الحقائق، وتضليل الآخرين. والمرأة تحتلّ منه مقاماً لم يسبق لها قط أن بلغته في زمن من الأزمان. فمن أين يأتي الهدوء؟ وكيف نفيد من الصمت؟

ـ لا جدال أن التربية الحديثة، بما تنشد من حرية وانطلاق، وتحمل على المشاركة في إبداء الرأي، وتشجع البحث والاختبار، أتت على تلك النزعة التي كانت تمجّد السكوت، ومحت أو كادت تمحو كل أثر لما كان سائداً من قبل حول الرصانة، وما تستدعيه الرصانة من تحلّ بالصمت، وتهيّب للكلام.

والحقيقة الأخيرة التي لا مناص من الأخذ بها، هي أن هذا العصر فقد الفضيلة التي يتسم بها الصمت، بنسبة ما فقد الفضيلة التي يتّسم بها الكلام، فلا هو يتقيّد بأدب الصمت، ولا يجعل من كلامه، حين يتكلّم، أدباً.

وليس في الأمر أدنى سر، فالأدبُ الحقيقي إنما هو أدب النفس، وأدب النفس يُؤْثِرُ الصمت، ويضيق بالكلام... في غير محلّه.

عبد اللطيف شرارة

الإسلام نور وعقل

إن انتصار الإسلام على الوثنية وجبروتها، والجاهلية وعاداتها، وانتشاره في كل زمان ومكان لدليل واضح على أنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وحجته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، بل والحق أن كل مبدأ من مبادئ الإسلام، وكل حكم من أحكامه هو نور وعقل لا ريب فيه.

الشيخ محمد جواد مغنية

بالمحبة لا بالخبز يحيى الانسان

بقلم: جعفر شرف الدين

أن تحب . . فإنك تعيش انسانيتك .
لأن المحبة والانسانية من جوهر واحد .
وما الحياة، والوجود، والكون، إلا من هذا الجوهر الفرد .
المحبة تسامح، وسلام، وعطاء:
تسامح يلغي الحقد . وسلام ينفي الحرب .
عطاء حتى حفظ الذمار ، وإقالة العثار .
حتى الإيثار . حتى القضاء على الاستئثار .
تسامح مع المسيء . وسلام للمحارب . .
المحبة تفحم البغضاء . وتنهنه الغلواء .
فإذا هما يذوبان:
رقة حتى المحبة . وشفافية حتى التسامح .
لولا المحبة بين الأرض والسماء .
بين الشمس، والهواء، والماء .
لما ضحك الربيع، لعبوس الشتاء .
وما تعرّى الخريف، أمام مراودة الرياح .
وما أوسع الصيف بساطه للأخذ والعطاء .
لما شدا الطير . وفاح عرف الزهر
ولا انس الغاب . بالسباع وبالذئاب .
ولا أنست الحياة بالانسان .
أو ليس اسم الانسان، مشتقاً من الأنس .
والأنس ألا يروّض الوحشة والوحوش؟!
ويهدهد الغربة والغربان؟!
اذا فقد الخبز . لا تتجهم الحياة .
واذا فقد الملح . لا تتعطل مسيرة الكون .
أما إذا فقدت المحبة . فكيف يستمر الوجود . .
الخبز لا يمكن أن يفقد . ما دامت الأرض أرضاً .
والملح لا يمكن أن يفقد . ما دامت البحار بحاراً .
والمحبة لا يمكن ان تفقد . ما دام الانسان إنساناً .
أما إذا فقد الانسان انسانيته . فهو ليس بإنسان .
المحبة تنبع من نفس الإنسان . الانسان .
والنفس امارة بالسوء .

كل شيء له بديل . . إلا المحبة .
المحبة لا بديل لها . إلا هي بالذات .
وما دامت تنبع من نفسك . ايها الإنسان .
وما دمت سيد نفسك . فانتصر على نفسك:
اصبرها على السوء . إقهرها على دفعه .
إدفع بالتي هي أحسن، السيئة .
فإذا الذي بينك وبينه عداوة:
كأنه وليٌّ حميم . . .
مرّ باللغو مرور الكرام . .
وإذا خاطبك الجاهل . قل له
عليك مني السلام . . .
اغفر للا عنيك . . . سامح المتجنين عليك .
تلك هي المحبة .
تلك هي الشجاعة . والفروسية .
تلك هي انسانيتك . يا إنسان .

كيف تتعامل مع الناس . بما لا تتعامل به مع نفسك .
بل كيف تحب لنفسك . ما لا تحبه لغيرك .
هنا يكمن الداء . وفيه يكمن الدواء .
لذلك سميت حياتنا ، الحياة الدنيا .
فتعالوا الى كلمة سواء . يا أهل الدنيا .
كلمة . . تجعل الدنيا ، عُليا . .
فالدنيا . بنا كانت دنيا . وعُليا بنا تكون .
تكون بالكلمة السواء . .

بالمحبة . . . .
الناس . كل الناس . من طينة واحدة جبلوا .
برأهم الله . وبرأ تكافأ الفرص معهم .
رأهم متساوين . في الحقوق والواجبات .
شركاء . فيما تنبت الأرض . وتنزل السماء .
والناس . كل الناس . بطريقة واحدة يولدون .
وبطريقة واحدة يموتون .
ينزلون حين الولادة . من مكان لا يزيد عن حجمهم .
وينزلون حين المات . في مكان لا يزيد عن حجمهم
فهم في الولادة وفي الموت . شرع سواء . .
يستقبلون الحياة . ويودعونها عراة : . .
ابناء الطغاة . كما ابناء المستضعفين .
ويستحيل على الأقوياء . تمييز ابنائهم . .
تمييزهم على ابناء الضعفاء ، في الولادة والموت .

نعم يستطيع الأقوياء ، ان يمتازوا .
ان يتصرفوا ، في فترة ما بين الولادة والموت . .
أن يهزّوا معادلات الوجود . .
أن يخلّوا بنظام تكافؤ الفرص . .
أن يقوموا بدور ، يتعارض مع الفطرة .
مع شرعة بارىء النسم . فالق الحياة والموت .
ذلك إن المحبة عندهم : بغضاء . والتسامح : عداء .
وإلا فلماذا . . لماذا لم يولدوا . ويموتوا . كما يشاؤون .
إنهم لو استطاعوا . لفعلوا . . . .
وها هم . في فترة ، ما بين الولادة والموت .
في فترة الحياة الدنيا . يحملون ما يشاؤون .
لأنهم يستطيعون . .

يمشون الى غاياتهم ، على الجثث يمشون . .
يأكلون لحم المستضعفين . ودمهم يشربون . .
يغتالون فرص ، من لا حول لهم ولا قوة . يغتالون .
يزرونهم لا فرصة لهم . ولا نصيبا . . .
يزرونهم : معذبين في الأرض محرومين . .
قتل الانسان . ما اكفره . . .

الحرمان اذن من طبيعة الإنسان . لا من طبيعة الوجود .
لأن واجب الوجود . أوجدهم متساوين .
كافأ الفرص بالفطرة . لكل المخلوقات . .
جعل الإنسان سيد هذه المخلوقات . .
سخر الكون لخدمته . وعلمه :
هداه النجدين .
ترك له حرية التصرف . حرية الاختيار .
اطلق يده . فكفر بأنعم الله :
اغتصب كل ما طالته يداه .
تبت يداه . . .

المحبة لقلقة في فم الإنسان . ولعق على لسانه .
إنها عنده كالوحدة الوطنية . يتشدق بها .
يرسلها شعاراً . . . شعاراً يتضمن العكس :
فالمحبة . تعني البغضاء . والوحدة . تعني الفرقة .
لو وضع لشعار ، برسم التنقيد .
لما بقي آكل ومأكول . قاتل ومقتول .
بل لعادت الحياة مضيئة .
لا نسج الانسان مع الفطرة :
يشرق كالشمس . ويسطع كالقمر .
يغرد كما الطير . ويفوح كما الزهر . .
يقلع جلد السبع . ويلبس أهاب الانسان .
فالمحبة . لا بالخبز . يحيي الإنسان .

جعفر شرف الدين

القمر

شعر: عدنان مردم بك

لا عينه تغفو ولا هو يسأم ... ما عام ليل، غريبه متجهم
تبلى العصور حياله وشبابه ... ذاك الشباب جديده لا يهرمُ
وبنه على الحُقب السحيقة لا تني ... تُحصي السنين على الزمان وترقمُ
وتدون التاريخ في احداثه ... فيما يقرره المصير ويرسُم



هو والزمانُ التوأمان ترافقا ... ويظل في تسرف الشبيبة يحلُم
أو لم يضي قتم الدجى من (آدم) ... وأحال جهم الأفق ثغرا يبسِم
فتنت روائعه الأولى فتفرقوا ... شيعاً وكلّ سادر يتوهم
عبدوه عن شغف به ومحبة ... وسعوا بافئدة اليه ويمموا



زان السماء بما أفاء ولم تزل ... يمناه تُغدق بالجليل وتُنعم
أضواؤه وشيء الربيع على الربى ... فيما تطرز كفه وتنمنم
حال الدجى سحراً يشع بثاقب ... لمشاعل أنوارها تتضرم
فبكل سفح من سنا أنواره ... ألق يشوق سناه أبيض مخرم
أو أنه صافي اللجين تلاطمت ... دون الثرى أثباجه تتحطم
حسناته نعم السحاب تتابعت ... أطباقه تنهلُّ بل هي أعظم
بعث الحياة جديدةً اشكالها ... فاذا الجماد بسحره يتكلم
فالظل وشوشة خفي جرسها ... واللون ينفح بالعبير ويفغم



في الأفق أعراس له ومواكب ... وعلى الثرى يمور عرمرم
والطير دون غصونه لهواجس ... فتق الحنينَ جراحُها يترنم
والقلب يعصف بالجناح كطائر ... أصحته من ريب الحوادث أسهم



خلتْ السماء صحيفة بثواقب ... سطرت وبدر الافق فيها المرقم
بل كان فاتحة الصحيفة، دونها ... مُقَل الورى عُشيتْ وراحتْ تحلُم

دمشق

عدنان مردم بك

إلى موسوليني (١)

شعر موسى الزين شراره

بنيتو[٢] حامي الاسلام اني ... أراك على شفير الانهزام

اذا وليت «قالاسلام» يبقى ... ـ اذن مثل القطيع ـ بغير «حامي»

زعمت حماية الاسلام زوراً ... ومنك جراح مهجته دوامي.

فكم للعرب والاسلام ثأر ... لديك وكم دم زاكٍ حرام

ببرقة[٣] ما أحتدمت له كبيراً ... لسنٍ أو عطفت على غلام

فليث «شهيدنا» المختار[٤] حياً ... لينظر كيف عاقبة الطغام

وكيف الحق رغم الجور يعلو ... وينتقم «اللئام من اللئام»



بنيتو. والزمان كما تراه ... بلا عهد ـ كهتلر ـ أو زمام

يدير الشهد آونةً بجام ... عليك وعلقماً آناً بجام

فبينا أنت جار للثريا ... اذا بك تحت أطباق الرغام

فكيف خدعت بالايام أو ما ... دهاك وأنت داهية الأنام؟!

لخوض الحرب في جيش هزيل ... جبانٍ في الهزيمة كالنعام

أغرك «ليث لندن» في أناةٍ ... وصمتٍ ـ منه حيناً ـ وابتسام

غداة على المنابر كنت تعلو ... وتخطب بين حشد كالسوام

فيهتف عالياً ويملء فيه ... يحي فيك سيده «العصامي»

فيسكرك الغرور وليس بدعاً ... غرور النفس يسكر كالمدام

فليتك ايها «الدوتشي»[٥] تبقى ... حيادياً تحارب «بالكلام»

ولم تصبح وانت «زعيم روما» ... أبو «الفاشست» مهزلة الأنام

يقودك «هتلر» كالبعير أنّى ... أراد وكيف شاء بلا زمام

خدعت به غداة غزا فرنسا ... وأرداها فقمت للاقتسام

ولم تعلم بأن الحرب شيء ... وشيء آخر «صف الكلام»

(١) كتبت سنة ٩٤٢ في مدينة فريترن سيراليون الافريقية أثناء وجودي بها مغترباً.

(٢) بنيتو. هواسم الطاغية موسوليني الذي كان يدّعي حماية الاسلام زوراً وبهتاناً وهو أعدى أعدائه.

(٣) برقة احدى مدن ليبيا المغربية العربية التي اجتاحها جيوش الفاشية واشاعت بها الدمار والنهب وسفك الدماء.

(٤) الشهيد البطل عمر المختار الذي أعدم ومثل به الفاشيون الغزاة البرابرة رغم شيخوخته التي عناها امير الشعراء شوقي بقصيدته التي رثاه بها ـ بقوله

سبعون لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضباته أعياء

(٥) الدوتشي تعني باللغة الأبطالية «الزعيم».

وإن وراء ما أملت حرب ... يشيب لهولها رأس الغلام
فذق طعم الهوان فكم عزيز ... أهنت من «المغاربة» الكرام
ولا تعبث فعقبى الجور ذل ... ونل ان لمت نفسك بالملام
فما أنا شامت حاشا فأنني ... كريم والشماتة للئام.
ولكنني أخ وابن لقوم ... «ببرقة» جرعوا كأس الحمام
سفكت دماءهم ويداك عاثت ... بما ملكت يداهم من حطام
فباتوا بين مقتول شهيد ... ومسجون يئن بلا طعام

موسى الزين شرارة

شكوى مغترب

شعر: فتى الدواوير

علمتني النزوح ريح الأماني ... فانتجعت الترحال عبر الزمان
منذ فجر التاريخ عندي مطايا ... ملجمات، ومطلقات العنان
همتي كالجبال فيها شموخ ... والجديدان: مركبي للأماني
لي طنين كالنحل عبر الخلايا ... وامتصاص الرحيق أدمى لساني
أينما رحت في جبيني ندوب ... (كوكو نار) ويلمه لبناني
زفرة، بعد زفرة في تفان ... كي أكون المواطن الانساني



كم عزيز دفنت في كل صقع ... كم حبيب نسيت حتى بكاني
كل عام أقول عندي يقين ... أن حجي للبيت آت ودان
كلما شدني لأهلي حنين ... قلت يا حظ: أين بيض الاماني
قد حرمت الحنان طفلا صغيراً ... ليتني بت تابعاً في مكاني
مات كرمي، وشاع فيه شحوب ... في (الدواوير) حيث فجر افتتاني
ثم هارت جدران بيتي؛ وأمي ... كم تمنت من شوقها، لو تراني
وأبي الواهن العجوز المعنى ... دائم الحزن من بعيد يعاني
والليالي أعقاب تبغ تفانت ... بددتها الأحلام مثل الدخان
تلك حال المعذب اللبناني ... تلك شكوى الغريب في كل آن
فهي لحن للشوق باك شجي ... دامي الوقع، لاهباً في الحنان

كولخ — **فتى الدواوير**

قريتي

شعر: إبراهيم بري

لي قريـة بجدار الافـق عالقـة — كأنها لوحة من عالم ثاني
يمرّغ الفجر خديه بوجنتها — ويفتح الصبح فيها قلبه الحاني
وللطيور صلاة في مياكلها — على تناوح انسام واغصان
ولا يفارق آذار خمائلها — ويستمر عليها زهو نيسان
ويهرع الغيم مشتاقاً ليلثمها — بجيدها الغض او في طرفها الراني
وفي شبابيكها الخضراء تضحك لي — دوماً وجوه احبائي وخلاّني
وللحسان الصبايا مجلس رغد — عبر الاصيل بظل الحور والبان
ايـن التفت على تلك الدروب أرى — سرب الشباب مشى مع سرب غزلان



احنت عليها يد الإبداع ترسمها — بريشة ما انضوت في كف فنان
إطارها المنتهي ضمّت جوانبه — روائع الله من غاب وشطآن
أهلي بنوها... اقاموا صرح عزتها — على الإباء... تسامت قدرة الباني
وخيلها لم تزل في الساح صاهلة — وسيفها يتحدى كل ميدان
وكل نفحة عطر من شمائلها — تهدي الشفاء لجرح المدنف العاني
تلك الأماكن تحيا في مخيلتي — دوماً، وتسرح في عقلي ووجداني
لو إن ربي في الدارين خيّرني — ما كنت اختار ارضاً غير أوطاني
وقلت: يا رب خلّ الخلد مزدلفا — للمؤمنين، وخلّيني بلبنان
فإن في شطه دفئي وعافيتي — تحت اغصانه روحي وريحاني
ما لي وللخلد، إن الخلد في وطني — وفي ربى قريتي جنات رضوان
حسبي، اذا لفّني تسوب الفناء به — اني على الدهر فيه الخالد الفاني

ابراهيم برّي

الولادة

شعر ابو العلاء

اليومَ نولد من رمالكِ كربلاء   واليومَ نُكتبُ في سجل الاوفياء
للسبط يشرق ساطعاً متوهجاً   للصدر ينبض عزةً شمماً إباء
للسبط تستجدي البطولةُ جرحَهُ   وبكفّهِ تزهو زهورُ الكبرياء
للصدر غَيْبَتُهُ المكان ولم يزل   في وجنةِ التاريخ رمزاً واقتداء
للدين يتّجرُ الكبر بإسمه   وبإسمه تغتال كلَّ الانبياء
لدموع أم في الجنوب تأزرت   بالليل وارتسمت بحبرٍ من شقاء
قمطَتْ بأوردةِ الرجاء وليدها   واستصرخت عبثاً ضمير الأقوياء
للأرض تهتك تستباح وكفها   لم يثنهِ النكرانُ يوماً عن عطاء
اليوم تولد من عيون ترابنا   من مهجةِ الأحجار من مجد الدماء
سُكبتْ على جرح الجنوب فأينعت   أنشودةً ووصيةً «لا للبكاء»
ونعم لموتٍ يستحيل سنابلاً   في صفقة الايام في روض البقاء
اليوم نُرسم في السماء كواكباً   برّاقةً تعطي الضياء الى الضياء
ونخط في صدر الخلود حكايةً   عن شُرّدٍ لم يعرفوا طعم الهناء
ذاقوا الترحل والنزوح وكوفئوا   بقنابلٍ تجتثُ طيبَ الابرياء
بقنابل من أخوةٍ تهدى لهم   من رفقةٍ في الصف أو من أصدقاء
صبوا على روض الصداقة حقدهم   فتناثرت عقداً دماء الشهداء
وعقيدةً ومسيرةً رغم الردى   الله ما أقسى عقوق الأصدقاء
اليوم نولد يا زمان طفولتي   يا أمسيَ المزروع في غضب الشتاء
شجراً ربيعيَّ الجذور فهللي   يا أرضيَ الثكلى فقد غاب المساء
واطل فجر البائسينَ وصوحت   أملُ السنابل واستفاق الشرفاء

أبو العلاء

أرق رهيب وحده المأهول

شعر: عدنان فلحة

يا رب إني متعب وعليل ... فالشمس في عيني دجىً وأفول
شللي وآلامي ورائي لم يزل ... فالكل فيه غصة وذهول
يا رب مالي والحياة كئيبة ... فالجرح أدمى والنزيف يسيل
حلت بي الآلام منذ ولادتي ... أرق يهدد والعناء ثقيل
أروِ لي الغصن اليبيس فإنني ... فربيع عمري في الحياة محول
فالعمر طال والحياة حزينة ... شللٌ يصاحب والشقاء طويل
شلت يميني لست أدري ما الهوى ... فالنور في عيني مداه ضئيل
إني بكيت الغصن منذ طفولتي ... فالغصن باكٍ والربيع بخيل
إني بكيت الحب يوم تعللي ... أين الهوى والشعر والتنويل
أين الدوا يا رب يشفي مؤمناً ... منك الرجا والطيب والتأميل
يا رب إني مؤمنٌ بعقيدتي ... أنت الرجا والبر والتسهيل
نزلت بي الأحزان منذ ولادتي ... أرقٌ رهيب وحده المأهول
ماذا يريد الكون إني راحلٌ ... فالدفع جسار والعليل قتيل
فالعمر طال والحياة رهينة ... بيد القضاء مقيد مكبول
إني شربت الكأس قبل أوانه ... داً يلح وساعدٌ مشلول
خذني وخلصني كفاني كآبةٌ ... فالموت عندي غاية وخليل
خذني وخلصني كفاني كآبةٌ ... يا رب إني مرهقٌ وعليل

القماطية ـ عدنان فلحة

الجامعة الاسلامية

بقلم الشيخ مصطفى الغلاييني

رغبت الي أيها الصديق ان اكتب للعدد الممتاز من «العرفان» مقالاً بهذا العنوان. فكنت إذا تقدمت للكتابة فيه نزاعاً عراني هاجس من السياسة وهاجس من الاجتماع فأخرني عنه باعا ذلك لأن كلمة «الجامعة الاسلامية» قد أخرجها غير العثمانيين عن الحيز التي هي فيه. وفهمها مواطنونا من غير المسلمين على غير وجهها. لهذا يثور ثائر اولئك من التلفظ بها ويخشون من تحقيقها ويخاف هؤلاء من أن تكون وسيلة للتعصب عليهم. وآلة للتنفير منهم. ولكن دون ما يفهمه هؤلاء واولئك. ودون ما يفهمه المسلمون، بعدالمشرقين ولو علموا ماذا نريد بالجامعة الاسلامية لما كان للذعر في نفوسهم متسع. ولما وجد للخوف منها في قلوبهم منفذ ولو كسم الخياط.

نعم اني قد احجمت عن الخوض في هذا الموضوع باديء ذي بدأة، حذراً من سوء تأويل الاجانب، (وهو الهاجس السياسي) وحرصاً على رابطة الوطنية التي بيننا وبين مواطنينا (وهو الهاجس الاجتماعي) غير اني قد رأيت الواجب يدفعني الى الكتابة. ويحفزني نحو الكلام اظهاراً للحق وتوضيحاً للقصد. وازاحة لسوء الفهم. وحبا بازالة سيء التفاهم.

أصاب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ امد ليس بالقصير، انحلال عام، وخطب طام، فأحاط بهم الويل من كل جانب، وحاق بهم الخمول من كل جهة ففقدوا ما كان لهم من مجد، واضاعوا ما كان لديهم من قوة السلطان، ورفعة الشأن، وعظيم الشنآن. فصاروا في مؤخرة الأمم بعد ان كانوا في المقدمة، وامسوا في ليل من التأخر دامس، بعد أن كانوا يبيتون وأنوار المدنية تضيء لهم كل مكان، وتبدد كل ظلام.

اصابتهم في كل شأن من شؤونهم، ونابتهم في كل امر من أمورهم مصائب لو صبت على الدهر لهلع، ونوائب لو نزلت بالطود لتصدع، وحل بهم من تفرق الكلمة، واناخ في ربوعهم من انحلال العرى، ما لو حل بغيرهم من الأمم واناخ في سواهم من الشعوب، لأصبحت كأمس الدابر فكانت مع الهالكين، وذهبت مع الذاهبين.

مضت عليّ برهة من الزمن، وانا في تفكر دائم، وهم متواصل، لما أصاب المجتمع الاسلامي من الإنحلال، ونابه من تبدد المجد، حتى خرج بنوه عن القصد ومشوا في غير الجادة فخيّم الجهل فوق دورهم واناخ الشؤم في عقر بيوتهم ورحاب قصورهم، وعمّ الخمول ارجاء بلادهم، فلا ترى جماعة من جماعاتهم خالية من الشقاء فكنت كلما فكرت في هذا الأمر يعظم همي، وينمو غمي، فكم ليلة قسرت فيها الفكر على التأمل في ادوائنا وكم نهار ادمنت فيه التفكر لأعرف مصدر هذا الشقاء واكتنه سبب هذا الداء، وكثيراً ما كنت اسأل عن ذلك

الجهبنات، فلم ار منهم ما يثلج الصدر، أو يبرد الغلة. فكان منهم من قارب المحز ولم يحر من الصواب على عرف. ومنهم من وصف حتى كاد يروي الظمأ ويطفي الاوار. وكثير منهم وضعوا الهناء في غير مواضع النقب فصوّحت لذلك زهرة آمالي وذوت دوحة رجائي. فلما اشفيت على هذه الحال، كدت احكم بأن لا سبب لذلك واحقق إن لا مخلص من هذا الشقاء، ولا مناص من هذا العناء، فهو قد أصاب الامة اتفاقاً، ولا يتركها إلا اتفاقاً.

ثم رجعت الى نفسي ولمتها على هذا الحكم الجائر، الذي لا يرضى به البرهان، ولا يقر عليه الوجدان. فقلت: كيف يكون ذلك؟ وإن الله قد ربط الاسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات، فلا يحدث شيء في الكون إلاّ وله سبب معلوم او يمكن علمه، غير أن الناس ليست في ذلك سواء فمنهم من اوتي علماً وافراً وعقلاً راجحاً، فهو يدرك الاسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، ومنهم من قصر على تلك الرتبة، فهو يعلم من الاشياء بحسب ما اودعه الله فيه من العلم والعقل، غير انه قد ارشده الى الاسترشاد بمن فوقه فهماً ودراية: «وفوق كل ذي علم عليم». وليس من العقل ان يحكم الإنسان على شيء بايجاب او سلب، إلا بعد أن يقتله علماً وينحره فهماً. فإن عجز عن ذلك، فليسع إلى من سبقوه سعياً، وليأخذ عنهم ما قصر فهمه عن ادراكه: «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون».

نعم إن ذلك النظام الالهي، نظام ربط الاسباب بالمسببات، واضح لا شك معه في الاحوال الطبيعية. فإنك لا ترى شيئاً يحدث إلا وله سبب معلوم او خفي، وليست الحال كذلك في الامور الاجتماعية وذلك، لأن هاتيك الاسباب مبنية على الحس والكشف، والاسباب الاجتماعية مبنية على العقل والتأمل والنظر المعنوي. لهذا لا يتناولها كل عقل، ولا يدركها أي انسان، لأن المعارف البشرية، وخصوصاً الاجتماعية منها، مهما ترقت فيها لم تزل في دور الطفولة، والطفل لا يمكنه إلا ادراك ما هو محسوس باحدى الحواس الخمس. نعم ربما يكون عقله الغريزي معيناً له على ادراك بعض الصور المعقولة، اذا مثلت لديه، حتى صارت كأنها محسوسة، او بالغ انسان في توضيحها وتقريبها من ادراكه. لذلك تراه اذا رأى صورة المحسوسات أنس بها وألفها. وإن عرضت عليه مسئلة من المعقولات، نفر منها كأنها وحش ضار. ولكن لا ينبغي للمربي ان يهمله وشأنه أن رآه نافراً، بل يجب عليه ان يرغبه فيها، ويقربها من ذهنه وفهمه، بجميع الاسباب الممكنة.

الطفل يستغرب كل مالا يكون قيد الحواس، غير انه متى عرف السبب زال عجبه وذلك لأنه قد ركز في كل نفس حتى الأطفال ان حدوث امر بلا سبب محال. نعم ربما يكون السبب في بعض الاوقات مجهولاً أو غريباً، فيظن من لا روية له ولا نقد انعدام السبب، وان الشيء قد حصل اتفاقاً بلا علة، وهو كما علمت من الجهل وعدم التبصر.

إلا وأن المسببات الاجتماعية هي كالمسببات الطبيعية، خاضعة لنظام خاص وتابعة لقانون معلوم. فكل ما يطرأ على الجسم الاجتماعي من الامراض والادواء، له أسباب وعلل خاضعة لذلك الناموس العام والنظام المحكم، إلا وهو ربط الاسباب بالمسببات، وإن جهلها أحد

فالذنب ليس على الناموس بل على الجاهل. والجهل بها كما اسلفنا ناتج عن كونها أموراً عقلية ليست قيد الحواس الظاهرة، فليس لنا سلطة عليها ومع هذا فربما يكون لهذا السبب الاجتماعي عدة اسباب تكون داعية للجهل به فمن وهبه الله عقلاً كاملاً، ومعرفة بالأمور وافرة، هداه الى كثير من تلك الاسباب التي يعرف بها ما أصاب جسم المجتمع من الأمراض، فيسهل عليه وصف الدواء، متى عرف الادواء. لأن تشريح المرض ومعرفة ماهيته نصف الدواء.

وإن لما أصاب المسلمين في انحاء الأرض كافة من التأخر، وما نابهم من الاضمحلال، اسباباً اجتماعية، وادواء يعرفها المفكرون من الامة وأهم هذه الاسباب انحلال الرابط، وتفشي داء التقاطع. فلا يعرف المسلم في الديار الشامية شيئاً عن أخيه في الديار العراقية أو اليمنية أو المصرية أو في بلاد الجزيرة أو الأناضول أو غيرها من البلاد العثمانية وبالعكس. ولا يعرف المسلم العثماني شيئاً عن أخيه المسلم الهندي أو الصيني او الروسي أو غيرهم، وبالعكس. مع ان المسلمين سواء كانوا في مشارق الارض أو مغاربها مأمورون بالتعارف والتعاطف، والاتحاد والتعاون، وأن يكونوا يداً واحدة على من أراد بهم أو بأحدهم سوء. وان يكونوا جسماً واحداً، تديره روح واحدة. يتألم المسلم الشرقي لألم أخيه الغربي ويثب المسلم الغربي مدافعاً عن أخيه الشرقي وبذلك يتحقق معنى الآخاء الاسلامي المعني بقول النبي ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً». وبذلك يتجلى معنى الاتحاد المفهوم من قوله تعالى: ﴿ولا تفرقوا ولا تنازعوا، فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

ما اضر المسلمين إلا التناكر، وما أذهب سطوتهم إلا التخالف، وما أباد سيطرتهم إلا التفرق، وما أذهب ريحهم إلا التحزب، وما أفشلهم إلا الانقسام، وما أخرهم إلا عدم الانضمام.

كان المسلمون قبل ان يتفرقوا شعباً ومذاهب، احزاباً ومشارب، قابضين على نواصي السطوة، ممسكين بزمام الأمر والنهي. لا ينون في تحقيق حق، ولا يتباطؤون في ابطال باطل. إن مس كرامتهم ماس، قاموا قومة الرجل الحازم، وهبوا هبة الاسد الغادر، فبطشوا بمن يناوؤهم وأنالوا ممن يساورهم. واضعين السيف في يد، وجاعلين العدل في يد. حفظاً لكرامتهم، وتأييداً لحقهم. وذلك هو نهاية العدل، وتلك هي قاعدة العمران.

فلما داخلهم التحزب، ووسوس لهم شيطان التفريق، واخذتهم العزة بالاثم وحلا لهم التنازع، ثار فيهم ثائر حب الذات، وهاج نخوتهم هوى الانانية، وجردوا السيوف، أشرعوا الرماح، وضرب بعضهم رقاب بعض، فضعفت عصبيتهم، وانحلت جامعتهم، فطمع فيهم الاعداء واستذلهم الالدّاء، واستنجعهم الفاتحون، واستبغثهم الطالبون، فذهب من ايديهم جل ما كانوا يمتلكون واختطف بلادهم المختطفون وهم عن ذلك بالتخاذل لاهون، وبغير حلّ الأواصر لا يعبأون.

زد على ذلك كساد سوق العلم، وعدم الالتفات للمدنية. فلا مدارس ترقيهم، ولا كتب مفيدة بين ايديهم، مع انهم كانوا سادة العلم مدنية وعلماً وسطوة، وقد تبع ذلك اهمال الدين،

وعدم النظر الى تعاليم القرآن مع ان فيه لو عقلوا من الآيات البينات، وأحوال الاجتماع والعمران ما لو علموا بجزء منه لكانوا اليوم كما كانوا بالأمس، سادة الأرض، والقابضين على زمام الأمر والنهي، ولكن أنّى لهم ذلك؟ ولا جامعة تجمعهم ولا رابطة تربطهم، علماؤهم متخاذلون، واغنياؤهم باخلون وامراؤهم متنافرون، وسلاطينهم متشاكسون.

لو تضامن العلماء، وتركوا التعصبات المذهبية جانباً، وعملوا على جمع كلمة المسلمين تحت لواء الدين، ولو اتفق اغنياؤهم على بذل المال في سبيل تشييد المدارس والمصانع والمعامل، ولو اتحد امراؤهم واقيالهم وملوكهم على الدفاع عن بيضة المسلمين والذود عن حياض الدين. لو تكافل العلماء والاغنياء والامراء والاقيال الملوك على ذلك، لنهض المسلمون نهضة مباركة اجفل منها العالم اجمع، ووقف كل من يريد بهم سوءاً عند حده. وكان لهم من وراء ذلك صولة وسلطان وعزة ورفعة شأن، هيهات ان يطاولهم فيها مطاول، بل تقصر دونها يد المتطاول.

أنا أترك الكلام على ما أصاب المسلمين في العراق والشام والاندلس وغيرها فيما مضى، حتى أدى التشاكس والتخاذل والانانية الى تأخر البعض في العلم والمدنية وذهاب الاندلس بأسرها من ايدي المسلمين، بما كان فيها من علم وفير ومدنية مدهشة. فإن الكلام في ذلك لا يفيد، ولا يجلب غير ازدياد الاسف، ولا يأتي بسوى الأسى والحسرة. بل اتكلم على ما أصاب مصر والجزائر وتونس حتى جعلها تحت نير الاحتلال. وعلى ما يصيب البلاد المراكشية الآن من جراء تخاذل امرائها وتطاعن ابنائها وتطاحن رجالها، حتى سبب ذلك دخول الفرنسيس إليها، وتوغلهم في احشائها. اتكلم على ما يصاب به المسلمون في البلاد الفارسية من تفرق الكلمة، واضمحلال الرابطة، حتى طعن بعضهم احشاء بعض، فنتج عن ذلك دخول الاجانب فيها، محتجين بالاصلاح وتسكين ثوائر الفتن.

اتكلم على ما يحل باخواننا المسلمين الذين تحكمهم بعض الدول المتعصبة، من الضغط والتضييق وعدم اعطائهم الحرية في دينهم ومدارسهم، وغير ذلك مما يفتت الاكباد ويدمي القلوب.

فلو كان المسلمون متضامنين، وملوكهم متحدين، لما حصل شيء مما تقدم ذكره بل كان المسلمون في الشرق والغرب في سعادة وهناء وعز ورخاء.

فالمسلمون لا ينهضهم الا جامعة تجمع شتاتهم وتضم متفرقهم، حتى يتألف منهم على اختلاف اجناسهم ولغاتهم عصبية واحدة وهي «العصبية الاسلامية» التي يسميها المصلحون من المسلمين «الجامعة الاسلامية».

فالجامعة الاسلامية هي الضالة التي ننشدها، والغاية التي نطلبها، ومن المحال ان يكون للمسلمين شأن، أو يرجى لهم نهوض، إلا باتحادهم واتفاقهم وتضامنهم وتكافلهم، ليكونوا يداً على من يصارحهم بالعداوة او يمد اليهم يداً بسوء.

نحن نعني بالجامعة الاسلامية ان يتفق المسلمون من سوقة وأمراء واقيال وملوك في مشارق الأرض ومغاربها على ما يعلي شأنهم، ويشد ازرهم، ويقوي جامعتهم، ويوسع نطاق العلوم والمعارف بينهم، وأن يجعلوا القرآن الكريم امامهم الذي به يقتدون، ومنارهم الذي به يسترشدون، لأنهم ان فعلوا ذلك ساووا الامم التي سبقتهم مدنية وعلماً وصناعة وتقدماً ولا نظن ان أحداً من غير المسلمين ينكر علينا ذلك. اللهم إلا من كان يروم محق المسلمين، أو أن يبقوا بما هم عليه متمسكين فنهوض المسلمين مما يوطد دعائم السلام العام، بين الأنام. ومن أهم الوسائل التي ترقي غير المسلمين من الشرقيين، لأن الشرق لا ينهض إلاّ بنهوض المسلمين كما حقق ذلك جهابذة علماء الاجتماع والعمران من الغربيين.

إن الاسلام يأمر أهله بالعلم والمدنية وأن يكونوا مع مواطنيهم يداً واحدة في اصلاح شأن الوطن، ويحضهم على أن لا يمدوا يد الاذى لأحد، وأن لا يبدأوا بالعدوان من لم يصارحهم به، خصوصاً من كان معهم في وطن واحد. والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة لا يتسع لها صدر هذه المقالة. ومن اطلع على القرآن الكريم وكلام الرسول العظيم يتحقق صحة ما نقول. وقد ذكرنا طائفة من ذلك في كتابنا «الاسلام روح المدنية» الذي رددنا به على (لورد كرومر) في عدة فصول، أهمها فصل التعصب في الإسلام» فليراجع من شاء».

واصرح دليل على ما نقول ان غير المسلمين قد عاشوا كل هذه المدة تحت كنف المسلمين في كل مقاطعة حكموها وهم احرار في دينهم وأعمالهم، لا يناصبهم العداء أحد، ولم يتعرض اليهم باذى. وبالعكس المسلمون الذين أخذ بلادهم الاجنبي او الذين هم اليوم وقبل اليوم تحت سيطرة غيرهم فإن كثيراً منهم يسامون الخسف ويرهقون عسراً.

فليطمئن الموجسون خيفة من الجامعة الاسلامية بالا فإنها ولا شك متى تحققت ستكون رسول السلام ورائد الوئام ومصباح الأخاء العام (بين كل الانام).

إن الجامعة الاسلامية كانت قوية الشكيمة قبل ان يضعف أمر المسلمين. وما صلاة الجماعة والحج واجتماع المسلمين على اختلاف اجناسهم ولغاتهم في صعيد واحد إلا أثر من آثارها وبقية من بقايا أعمالها. غير أن اشتغال المسلمين بالتفرق وتمسك ملوكهم واقيالهم بالتحزب وعدم الألفة قد أضاع الحكمة من ذلك الاجتماع العظيم وجعله عملاً مجرداً عن الفائدة السياسية والاجتماعية.

غير اني أرى في الأمة اليوم نوراً ضئيلاً ونهضة مباركة وعزماً جديداً يبشرنا بأن سيكون لها مستقبل حميد وآت مجيد ويدلنا ان غيوم التفرق قد قرب انقشاعها وإن قيود الخمول قد آن انكسارها فرجال الأمة اليوم ناهضون وعلى ترقية شأنها عاملون وبما ينهضها مشتغلون ولسان حالهم يقول: «الى الجامعة الاسلامية ايها المسلمون».

مصطفى الغلاييني **العرفان مجلد ٣ سنة ١٩١١**

بين سيّدين

ترك السيد نور الدين محضر المدرسة الدينية في النجف إلى بلدة جبشيت فأرسل له صديقه السيد محمد الحسيني هذه الأبيات:

غـادرت روض العلم لما أينعـت أثماره وزهـت كـأزهـار الربى
وهجـرتنـا ولم تـرع عهـد ودادنـا ومضيـت عنـا معـرضـاً متجنبـا
أنسيـت منتـزه الجزائـر والظبـا تعدت بجانبـك المسـارح ملعبـا
مـن كـل هيفاء يمسك جيدهـا فتنـا بغير بيانها لسـن تعجبـا
والماء يجري كـاللجين مـترقـرقـا والزهـر في الأكمام يبسم للصبـا
وسهرنـا للشرق حيث هنـاك مـن تـركتك صبـا في الغـرام معذبـا
ذهبت بلبـك نظـرة مـن غـادة تـركت بقلبك لوعـة لـن تـذهبـا
هيفـاء نحّتهـا الصبـا فتمايلـت غصنـا ولاحت للنـواظـر كـوكبـا
فتّانـة مـا ازدهت فيهـا صبـوة إلا وزادت نضـرة وتحببـا
فتنـت بشمائلهـا فبتَّ مسهـداً دنفـا على جمر الغضـا متقلبـا
أتـروم وصلاً مـن (فلانـة) بعـدمـا (سـارت مشرقـة وسرت مغـربـا)
أفلست مـن عطـف الحسان ولم تنـل منهـا على طـول الإقـامـة مـأربـا
فـرحلـت عنـا (للقـرى) وتخذتها سكنـاً وودعـت الأمـاني والصبـا
خلفـت قلبـك حـائماً حـول الحمـى وذهبـت (والآمـال قـد طـارت هبـا)
فسلام عليك تحيـة مـن صـاحـب يعبـق لـذكـرك كلما هـب الصبـا

فأجابه السيد نور الدين:

هيجـت وجـدي يـا محمد عنـدمـا ذكـرتني عهـد الجزائـر والربى
مـا كـان ظني أن تصعـد زفـرتي بعـد القنـوط مـن المنـازل والظبـا
لم أنس عهـد ودادكم لا والتي قبـل الشبيبـة صيرتـك الأشيبـا
إني على عهـد الإخـاء مثـابـر وغـرار عـزمي في المحبـة مـا نبـا
غـادرت روض العلم أهـوى زهـره لكـن حظـي لم ينلني المأربـا
ولئـن رحلـت إلى القـرى لضرورة فلغير بعـدكـم فـؤادي مـا صبـا
لم أنس منتـزه الجزائـر والظبـا غدت لـفؤادي في الحقيقـة ملعبـا
يـا حبـذا لشروق الربيعي طلاتها حلـت علينـا بـالعـوامـل والظبى

رسالة دكار

السنغال والتضامن العربي والاسلامي والافريقي



بقلم حسن يزبك

يوم: ٤ نيسان من عام: ١٩٨٢ الجاري ـ كان الشعب السنغالي الكريم يحتفل بذكرى عيد استقلاله الى: ٢٢. اي منذ ٢٢ سنة، والشعب السنغالي بقيادة زعمائه المخلصين يعمل ويناضل من اجل: بناء بلدة وارساء اسس التقدم والتطور والازدهار.

وهذه الذكرى الجديدة لعيد الاستقلال السنغالي تحمل في طياتها عدة معاني ومفاهيم قيمة. فخلال ٢٢ عاماً من الاستقلال استطاع الشعب السنغالي ان يقوم بعدة انجازات ـ سواء في الميدان الداخلي وعلى صعيد العلاقات السنغالية ـ الافريقية والعربية ـ والاوروبية. قضية التضامن العربي ـ الافريقي اصبحت مبلورة، بفضل الجهود التي بذلها الرئيس الاستاذ عبدو ديوف ـ ابن الشعب السنغالي البار. وكذلك تضامن الشعب السنغالي مع شعوب البلدان الاسلامية. إنها مبادىء مسيرة الشعب السنغالي وهو يقوم ببناء مجتمعه وتوضيح موقفه ـ محلياً ـ وعالمياً، وإبراز مفاهيمه وقيمه الانسانية العليا. وما دمنا نتحدث عن السنغال ـ عبر ـ ذكرى استقلاله يجب ان نبحث اشياء مهمة أخرى تتناول قضية وماهيات الوجود السنغالي عامة.

ـ التواجد الأخوي الموجود بين الاسلام والمسيحية في السنغال ـ شيء له قيمته واهميته ـ مع العلم ان تسعين بالمئة من ابناء الشعب السنغالي هم: مسلمون. ثم الوحدة القائمة بين الطوائف الدينية: لا طائفية ولا مذهبية ضيقة: يكفي أن نكون مسلمين فقط ونحاول خدمة قضية الوجود السنغالي عن طريق الفهم الواعي الذي يجب ان نحمله عن الاسلام ومبادئه». هذا هو شعار السنغاليين الاول وهم: يحاولون بناء وطنهم. وما اروع ذلك الانسجام الطيب الموجود بين رجال الدولة وبين رجال الدين في السنغال. كل انسان يعمل حسب طاقته وفي حدود صلاحياته وإمكانياته. والهدف هو: حاضر السنغال ومنحه المكانة اللائقة في المستقبل.



ـ ضمن نطاق الموسم الثقافي الخامس التابع لمدينة اصيلة المغربية سينعقد المنتدى العربي ـ الافريقي تحت شعار: من أجل تفاهم عربي ـ افريقي افضل. موعد انعقاد هذا المنتدى سيكون في شهر: آب القادم. وسيكون: تظاهرة ثقافية عربية ـ اسلامية ـ افريقية

رائعة. وسيكون دور السنغال ـ دوراً ايجابياً بنّاء. كيف لا والرئيس ليوبولد سدار سنغور ـ رئيس جمهورية السنغال السابق ـ سيكون من ابرز شخصيات المنتدى. سنغور: شاعر افريقيا والانسانية. سنغور فيلسوف الزنجية ومجسِّد فكرتها وكرامتها ـ عبر ـ ابحاثه ودراساته. سنغور الذي سلَّم القيادة ـ قيادة البلاد لرفيقه عبدو ديوف، فكان التسليم حدثاً تاريخياً رائعاً، واستمرت القيادة في البناء والتقدم. واستحق الاستاذ عبدو ديوف لقب: ابن الشعب المخلص لقضية الشعب.

ـ بدأت بعض دور النشر الفرنسية والافريقية مؤخراً بنشر واصدار بعض الروايات التي كانت قد كتبتها الاديبة السنغالية مريم باه ـ قبل وفاتها. توفيت مريم باه منذ عام تقريباً، وتركت اشياء فكرية كثيرة تتناول قضية المرأة السنغالية ونضالها من اجل التحرر والتقدّم. ابرز رواية انسانية كتبتها هذه الأديبة هي: الرواية التي تحمل اسم: رسالة طويلة جداً. تتحدث فيها عن وضع المرأة السنغالية داخل مجتمعها، وتثير قضية تعدد الزوجات ـ تثيرها بشكل دراماتيكي عنيف. وقد حصلت عليها عدة جوائز محلية وعالمية. ويعتبر زوجها من كبار المفكرين الاشتراكيين وهو عضو بارز في البرلمان السنغالي.

دكار حسن يزبك

شكر وتقدير

تتقدم إدارة مجلة «العرفان» بالشكر والتقدير الى الأفاضل أنصار «العرفان» على مساعدتهم في انطلاقتها من جديد وهم يؤلفون اللائحة الأولى في بدء مسيرة المجلد السبعين. وهم السادة مع حفظ الألقاب:

في دكار: الشيخ أحمد مروة ـ فاروق صبرا ن

في الكويت: الحاج زيد الكاظمي ـ الحاج محمد قبلان ـ الحاج حسين معرلي ـ الحاج فاضل جفال.

في لبنان: الحاج مرتضى حمود ـ سعيد فخري ـ عبد الكريم يوسف الزين ـ مصطفى الحاج رضا خليفة ـ عبدالكريم محمد الزين.

في السعودية: عدنان محمد الخليل ـ حسن محمد الخليل ـ عزت محمود الخليل.

رسالة أبيدجان

مقابلة مع المحامي أحمد طرابلسي

تم انتخاب الفرع الإقليمي للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم لمدينة أبيدجان في شاطيء العاج على الشكل الآتي:

الرئيس: نجيب زهر. نائبا الرئيس: سليم فرحات وعلي فقيه، أمين السر العام: مصباح ضاهر. نائب أمين السر: فؤاد سلامة. أمين الصندوق: حسن حمقة: نائب أمين الصندوق: كارلوس زريق. المستشارون: إبراهيم بارود، سيدو ياسين، جوزيف خوري، علي ضاهر، علي شرف الدين، ميشال بوضو، علي شمس، محمد غندور، حسن حجازي، سعيد الحسن، دنيا طعان، نجيب كجك وأحمد طرابلسي.

وبهذه المناسبة أجرى مراسلنا في أبيدجان هذه المقابلة مع المحامي الأستاذ أحمد طرابلسي مستشار الجامعة.

س ١: قبل الدخول في قضية الجامعة يهمنا إعطاء القراء فكرة عن علاقتك بالدول الإفريقية عامة وبشاطيء العاج خاصة، أي بصفتك محامياً معروفاً كيف انتقلت إلى دنيا الإغتراب؟

س ٢: هل لك أن تعطينا لمحة عن المغتربين في شاطيء العاج: عددهم التقريبي، وضعهم الإجتماعي، علاقتهم بالسلطات، نشاطهم الثقافي؟

س ٣: ما هي تطلعاتك المستقبلية بصفتك مستشار الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم لمدينة أبيدجان، وما هي المشاريع التي تنوون القيام بها، بالنسبة لمغتربي أبيدجان؟

ج١ - باسم الله أبدأ لأنه البداية والنهاية وتبياناً للحقيقة اعترف بصراحة بأن الدافع للاغتراب كان ليس بسبب المعاناة المادية أو بسبب علاقة القرابة الدموية أو العصبية أو الغيرة الأقليمية لكل قرية جنوبية لأن وضعي الإجتماعي والإنساني والقومي أيام كنت على مقاعد الدراسة في الجامعة اللبنانية عام ١٩٦٢ لا يدفعني لمثل هذه المغامرة لكن أوضاع الدولة بأجهزتها القمعية كانت تلاحقني مع غيري من الشباب الوطني طالبة مني شخصياً بترك لبنان حفظاً على حياتي بانذار مباشر شهوده أحياء في المكتب الثاني والأمن العام لليوم لهذا هاجرت أو إغتربت مكرهاً لنيجيريا بمساعدة أخ انسان ورفيق نضال وزميل تعليم وتعلم وجندي بار وفي بما في الوفاء من معنى هو المغترب الكريم: «يوسف محمود جيدر» من عرب صالم. حيث كان نعم الأخ في الغربة أي العالم الجديد.

وسيدنا الإمام علي (ع) يقول: «أخي من يذكرني في غربتي وفي كربتي وفي موتي» لهذا اغتربت إلى نيجيريا وأنا في السنة الثالثة حقوق «جامعة اللبنانية».

ومن نيجيريا عدت للبنان متزوجاً وحاملاً شهادة الحقوق والمال والبنين . عام ١٩٧٢ حيث أقمت خمس سنوات اعمل بمهنة المحاماة حتى انكشفت الحقيقة وبانت حقائق المبادىء النظرية بالممارسة العملية وهنا اسمح لنفسي بالقول ابتعدت ليس هرباً من حكم الأجهزة إنما من فلتان أصدقاء الأمس ورفاق الدراسة والنضال على الاحلال مكان السلطة بكل شيء ديماغوجي إن صح التعبير لهذا تهت في افريقيا ثانية إلى ليبيريا فشاطيء العاج فبالليومي فالداهومي فنيجيريا ثم الزائير وأخيراً العودة لشاطيء العاج بحيث وجدت مجتمعاً ذبت به ضمن مجموعة إنسانية خلاقة تعمل لآخرتها كأنها تموت غداً وتعيش لدنياه الكريمة كأنها تعيش أبداً . فعرفت بهذا المجتمع النموذجي الجديد معنى الحياة وشعرت بلذة النعمة ورجعت إلى الينابيع الروحانية وكان ذلك عام ١٩٧٨ .

ج ٢ - المغتربون في شاطيء العاج صورة عن لبنان الإيديولوجي الفكري العقائدي والطائفي والديموغرافي السكاني ولكن هناك مجموعات لها وزنها الكمي والنوعي من قانا والزرارية والنبطية وكذلك تمثل مختلف قرى لبنان من الشمال والجنوب والبقاع والجبل وبيروت بحيث يقدر عددهم بين أربعين ألف وستين الف مهاجر أكثرهم من المغتربين الجدد الذين فرزتهم الأحداث اللبنانية وأوضاع بعض الدول الإفريقية المجاورة . والجالية اللبنانية في شاطيء العاج تتمتع بنوعية فريدة سواء كانت اقتصادية ، تجارية ، صناعية ، أو علمية فهنا أكثر من عشرين طبيباً كل في اختصاصه ونفس العدد من المهندسين وأما معشر المحامين فعددهم خمسة يعملون في المهن الحرة وللجالية نشاط اجتماعي مكثف وثقافي عال ورياضي أحسن في معظم اقاليم شاطيء العاج ، وتتميز علاقة المغتربين بالشعب العاجي وبالسلطات المحلية بصفة مميزة لا تفرقة عنصرية أو مذهبية بل أخوة إنسانية مع الاحترام المتبادل وخاصة بتقدير ورعاية رئيس البلاد هنا أطال الله عمره الرئيس القدوة والمثل « فيلكس هوفي بونيه » فهو الأب والأخ والقائد للعاجيين خاصة وللبنانيين عامة .

ج ٣ - إن إحساسي بنجاح الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم بمهمتها ورسالتها الوطنية اللبنانية في افريقيا ناتج عن تجارب سابقة في مسيرة الجامعة منذ حضور « جوزف بحمدوني » و « نتاليو شدياق » وغيرهما ثم كوني شاغلاً لأمانة السر في فرعي لاغوس ثم كانو نيجيريا واليوم مستشاراً عاماً للفرع في أبيدجان هو نابع من معطيات وتواجد وتنوع شخصيات الفرع هنا فهم من نخبة ابناء الجالية الذين وضعوا أنفسهم لهذه المهمة التكليفية وعلى رأس هذا الفريق العامل الأخ والإنسان السيد نجيب زهر الذي يتمثل فيه قول « لقمان » بأنه : تواضع عند رفعه وعفو عند قدره وعطاء بغير منّة » إن فرعنا كله امل بالعطاء المنتج عملاً لأن هناك عدة مشاريع منها هبة للعاجيين عشرة مدارس قيد التأسيس وكذلك سنباشر ببناء نادي اجتماعي ثقافي رياضي صحي لأبناء الجالية اللبنانية يكون جاهزاً للإفتتاح يوم انعقاد المؤتمر العالمي للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم في تشرين الثاني ١٩٨٣ في أبيدجان وأخيراً

المغترب اللبناني في أفريقيا الخضراء الدائمة خاصة قلبه وعقله وأمواله وآماله مع خلاص لبنان وهو يضعها في سبيل لبنان الموحد أرضاً وشعباً ومؤسسات . . . .

لماذا قد يؤدي التخلف العقلي الى اضطرابات في شخصية الطفل المتخلف؟

بقلم: د. منى فياض كوثراني

سوف نحاول في هذه السطور ان نبحث عن انعكاسات التخلف العقلي على مجمل شخصية الطفل، وكيف يمكن لهذا التخلف ان يغيّر نمط علاقات الطفل مع الآخرين، وكيف يتخطى دائرة امكانياته الذهنية كي يصل في النهاية الى امكانياته الانفعالية والعاطفية.

لن ندخل هنا في نقاش نظري لتحديد ماهية التخلف العقلي ولنبحث في أسبابه وجذوره. بل سوف تأخذه من زاوية كونه واقعة أو حالة موضوعية موجودة في المجتمع بنسبة معينة، مهما كانت صفة هذا المجتمع أو هويته.

نلاحظ اذن ان بعض الأطفال يكتسبون المعارف المدرسية أو الاجتماعية ببطء أكثر أو بصعوبة أكبر من باقي الأطفال الذين في مثل سنهم، ونلاحظ كذلك أن هذه الفئة من الأطفال تتصرف كمن هم دونهم في السن، انهم في الحقيقة أكثر ارتباكاً، وأكثر بطئاً في ادراك بعض العلاقات المنطقية، وفي التوصل الى بعض الرموز. أي أنهم يعانون من صعوبات في تعميم نتيجة ما لتجربة ما.

وهذه المعطيات التي ذكرناها تنطبق كذلك على تكيفهم العام واليومي. وتتأكد من ذلك بواسطة اجاباتهم على مواقف تجريبية، متطابقة، مقننة وهي ما يعرف بروائز الذكاء.

والكلام هنا يدور حول المتخلفين البسطاء (مع ندرتهم في مجتمعنا بسبب امتصاص هذا الأخير لهم) والمتخلفين متوسطي التخلف. أي الأطفال الذين يتراوح حاصل ذكاءهم من ٥٠ الى ٧٠ ـ QI ٧٥ (أو من ٦ الى ١٠ سنوات عقلية).

لماذا؟ لأنهم عادة يشكلون نسبة كبيرة بين المتخلفين، وثانياً وهي النقطة الأهم لأنهم يعون مشكلتهم أكثر، بينما الأطفال شديدي التخلف لا يطرحون مشكلة من هذه الناحية، لأنهم معضوليون عن المجتمع منذ ولادتهم، ولأن الاسرة تلاحظ باكراً تخلفهم واختلافهم ولأن المدارس ترفضهم منذ البداية.

متى يلاحظ تخلف الطفل بسيط التخلف أو متوسطه؟

من الصعب جداً ملاحظة عجز بسيط أو متوسط عند طفل صغير جداً في السن، أي في سن ما قبل المدرسة. وتقييم هذا التخلف اذا ما وجد غير أكيد. اذ ان الاشارات غير واضحة

وقيمتها التشخيصية متغيرة جداً . بالطبع سوف تكون الام قد لاحظت أحياناً بعض التأخر في المشي أو الكلام أو انها وجدت صعوبة أكبر في جعله نظيفاً، أو أنه بقي « طفلاً » لمدة أطول من إخوته، (وهذا يتطلب وجود أخوة سريعي النمو) . لكن هذه الاشارات في حينها ليست دليلاً ثابتاً على تخلف الطفل . هنا يجب ان نؤكد ان الطفل يظّل موضع عناية (يلبس ملابسه، ينزّه، يحكى معه، يضحك له، يحمل، يتسلق الكراسي، ينبش الخزائن، يلعب مع الاطفال الآخرين . وهكذا يكتسب هذا الطفل، بسرعة متوسطة أو بطيئة نوعاً ما، كلمات يتندّر بها الأهل . يفخرون بها، يضحكون لها اذا ما كانت مشوّهة، (انه يقلّد أخاه الأكبر، يرقص، يحب الموسيقى، يفهم كل ما يقال له (وكل الأسر تقول ذلك) .

وباختصار ينمو الطفل في بداية حياته، بوجود تخلف موضوعي ام لا، ينمو هذا المتخلف، بشكل طبيعي .

هل يبدو هذا الكلام متناقضاً ؟

كلا، لأن الطفل يحصل على المكتسبات الحركية والكلامية والاجتماعية الاساسية المتناسبة مع الامكانيات التي تقدمها له أسرته .

فالاسرة سوف تشجعه، تعلمه المشي وأن يقول « صباح الخير » . ولكنه لن يُضرب اذا لم يمش في يوم ميلاده الأول بالرغم من محاولات أمه لتشجيعه، ولن تحصل مأساة فيما يختص بمحاولة تعليمه كلماته الأولى، هذا طبعاً عندما تكون الأسرة متوازنة ولا تعاني من اضطراب ما، وعندما يكون التشجيع خالياً من القلق الشديد أو الشعور بالغيظ .

اذن ينمو الطفل في هذه الفترة في جو من الأمن العاطفي، واذا تعطّل هذا الجو الأمني فلن يكون ذلك لسبب تأخر الطفل، بل لأسباب أخرى معروفة : الانفصال بين الزوجين، الحوادث الصحية المهمة، نقص شديد في العناية الأمومية، قلق زائد عند الوالدين، حالات هلعية عاطفية (فيما يتعلق بتربية الطفل على النظافة مثلاً) .

اذن لن تظهر عند هذا الطفل في هذه الفترة إضطرابات سلوكية ناتجة عن هذا التأخر بالذات .

لكن سرعان ما ينتقل الطفل من البيئة الاسرية الى الجماعة . وتصبح تربيته خاضعة لقواعد مقننة، وذلك عندما يندمج الطفل في المؤسسات المدرسية .

يذهب الطفل الى مدرسة الحضانة في البداية، وهي تتصف بغياب الطابع الاجباري عنها، وباللاانتظام في الذهاب اليها، وبالطابع اللعبي لكل نشاطاتها التربوية، وعدم استعمال معايير المقارنة والتصنيف . وهذا الطابع يشكل ضماناً لتكيف الطفل وتطوره الطبيعي، فهو لا يختلف جذرياً عن رفاقه، فمن المعتاد ان تختلف الصفات الجسدية كثيراً عند الاطفال في هذه السن . كذلك المعلمات تحترسن من تقييم الأطفال حسب معايير محددة، فالمعلمة قد تعطي حبة بوبون ◀

لطفل ما لأنه تجح بتركيب لعبة تطابق صعبة، ولآخر لأنه لم يبوّل في بنطاله اليوم. اذن لن يُعدم هذا الطفل وسيلة لايجاد مكاناً له في مدرسة الحضانة.

لكن منذ الحضانة يتضح أن الطفل متأخر تقريباً عن رفاقه في كل شيء -خاصة في التمارين الحسية ـ الحركية ذات الدلالة الخاصة. وهنا عند ملاحظة إختلافه، يكمن خطر التفكير بإبعاده عن حضانة الأطفال الأسوياء. إن قبوله وابداء التسامح تجاهه، واعطاءه أكبر قدر من الانتباه أفضل بكثير من عزله، بل يجب قبوله طالما أن البيئة أكثر تنوعاً وليونة كلما صار تكيفه ممكناً وحتى أكثر سهولة. فلا يجب ان يغيب عن بالنا أن على الطفل في نهاية الأمر أن يتأقلم مع بيئة سوية (الاسرة ـ المجتمع)، لذلك كلما أوجدنا له ظروفاً تربوية خاصة كلما جعلنا عملية اندماجه اللاحقة أكثر صعوبة.

إذن يحصل التمييز بين الطفل السوي وبين الطفل المتخلف منذ نهاية فترة الحضانة، عندما يتوّجب عليه اكتساب الرمزية المكتوبة: القراءة والحساب.

أما ما سوف يعمق هذه الهوّة ويحفرها فهي المدرسة الابتدائية. إن محتويات التعلم وتراتبه ووتيرة اكتسابه محددة مسبقاً حسب متوسطات تجريبية، ومحددة حتى في تفاصيلها. والامتحانات محددة بشكل عام حسب السن. مما يشكل نظمة صلبة من التقاليد تنضم الاسر اليها بشكل عام، ولا تستطيع اختراقها على حال.

وليس من قبيل الصدفة ان ترافق مفهوم التخلف العقلي عملياً مع المدرسة الالزامية بالاوروبية (خاصة التخلف البسيط).

وليس من قبيل الصدفة ان Binet-Simon قد حددا مفهوم التخلف العقلي حسب معايير السن (سن زمنية ـ سن عقلية).

ان المدرسة الالزامية هي التي ابرزت هؤلاء الأطفال بالرغم من أنهم لم يكونوا يشكلون فعلاً، بلهاء القرية، قبل انتشارها بالشكل الحالي الذي عرفته.

وكل طفل يبتعد عن الشروط التربوية المتوسطة، اما لأن مستواه أدنى من الباقين، إما لأن تطوره أبطأ، فسوف يكون عرضة لأن يوجد في موقف لا تكيفي اجتماعي ولا تكيفي اجتماعي ـ عاطفي بشكل أكيد. ان التخلف العقلي سوف يصبح سبباً مباشراً وغير مباشر للاضطراب في نمو وتوازن الشخص. فمن النادر ان تقبل المدرسة امثال هذا التأخر كوقائع تحتاج الى تربية أكثر بساطة، أقل تجريداً واكثر بطئاً، دون ان يستدعي ذلك فصله عن مجموعة الاطفال بالضرورة.

يضاف الى ذلك ان المدرسة غير مؤهلة دائماً لتطبيق وسائل لينة في التعامل مع هذا الطفل بشكل عفوي، فالمدرسون هم أسيرو نظمة إدارية، أسيرو برامج، موارد وامتحانات. بينما هذا اللين ممكن في مدارس الريف ذات الصف أو الصفين، فقد يتأخر الطفل عن مجموعة رفاقه،

لكنه يظل منتمياً الى هذه الجماعة « السوية » بالذات.

الصدّ والقلق:

اذن هذا الطفل الموجود في مدرسة والمتوجب عليه الحصول على مكتسبات معينة محددة عادة حسب سنّه وليس حسب مقدرته العقلية، لن ينجح في القيام بما هو مطلوب منه، أي لن يستطيع ان يتابع وتيرة الاكتساب المتوسطة في صفه. فماذا سينتج عن ذلك: الفشل والاحباط وهذان سوف يحدّدان عملية الصد. اذ ان تجربة النجاح والإشباع هي التي سوف تساعد على تحديد انماط ردات الفعل المتكيفة والنشيطة.

يفترض في امكانية الفشل عادة، عند الاطفال في العملية التربوية، ايقاف الاجوبة البسيطة للتوصل الى التأمل، الشك العقلاني ومحاولة البحث، ان التربية عادة تقدم للطفل دوافع ومحفزات يتوصل في رده عليها لنتائج مرضية أو غير مُرضية، والتربية الحسنة تعطي الطفل وسائل مناسبة للوصول الى النجاح بشكل أكثر فاعلية كلما تقدمت به السن. ولكي تكون التربية فعالة وايجابية يجب ان توصل نسبة كافية من الأفراد الذين يكوّنون الجماعة الى النجاح، وكل واحد من هذه المجموعة خلال تتابع عملية التكرار.

لكن عندما تضع البيئة الطفل في مواقف محددة مقدمة له دوافع للسلوك ذات عواقب مُرضية أو غير مرضية، مُعطيةً إياه وسائل لتحقيقها لا يمكن استعمالها، عندها تصبح هذه المحاولة التربوية ليست غير فعالة فحسب، بل مضرّة كذلك والطفل المتخلف الذي لا يمتلك الوسائل الملائمة لتحقيق النجاح المطلوب في المدرسة سوف يتوصل الى الفشل لأن محاولاته سوف تكون غير متكيفة. وهذا ما سوف يبعد الطفل بشكل آلي عن رفاقه، وسوف ينحصر ضمن انماط سلوك ذهنية بدائية وهو ما يوصله الى الصدّ المكثف.

إن موقف هذا الطفل المتخلف الموجود في اطار مدرسي عادي يخضعه لمتطلبات مشابهة لتلك المطلوبة من رفاقه الاسوياء، سوف يصبح مشابهاً لموقف الحيوان الذي يُجبر على المرور فوق سطح مكهرب للوصول الى طعامه. فبعد عدد معين من المحاولات المؤلمة وغير الناجحة لا تعود ردة فعل الحيوان أمام غذائه المقدم له في مثل هذه الظروف محاولة لاشباع حاجته للغذاء، بل سوف تصبح التوقف والانقباض، الذي يستمر عادة حتى بعد ازالة اللوحة الكهربائية، اذ أنه يكون قد تشرّط على هذه الأستجابة: أي صد ردة الفعل السوّية.

فبينما خلق المجتمع الحديث، حاجة ثقافية أولية عامة (معرفة القراءة الجيدة، الكتابة، الحساب بشكل معقول، مع امتلاك حد أدنى من المعارف العامة) وهذه الحاجة الاجتماعية والذهنية مقيّمة منذ الطفولة عن طريق متطلبات الأهل والمعلمين. وقد تكون مقيمة أكثر ضمن جماعات الاطفال. واشباع هذه الحاجة مرتبط بالطاقة الكامنة الموجودة عند الطفل ذاته، وهذه الحاجة موجودة عند الطفل المتخلف لكنه لا يتوصل الى اشباعها ضمن الشروط التربوية

المذكورة سابقاً . اذ أن تكرار عملية الفشل واللاإشباع سوف تشرط الصد عنده . فحتى عندما يصل نمو الطفل الى مستوى يسمح له باستيعاب المكتسبات التي ظل يصطدم بها خلال سنوات، سوف يظلّ الصد يلعب دور المعرقل لمتابعة تطوره .

ولا تقتصر عملية الصد على افشال عملية الاكتساب لاحقاً عند الطفل، بل ترتبط بمظهر انفعالي يصيب كافة الشخصية وهو القلق .

القلق وضعف بناء الشخصية عند التخلف:

قد يقال ان القلق ليس سوى اضطراب آني لا يدوم سوى زمن حدوثه، طبعاً إن لحظات الصد الكثيفة التي تترافق بموجة انفعالية عنيفة تدوم لفترة قصيرة، لكنها المظهر الخارجي الحاد لحالة أكثر كموناً ولكنها أكثر جدية . مما يجعلها تتغلغل في شخصية الفرد بكاملها وتؤثر على مستقبله . ان « أزمة القلق » تمثل هلعاً مع انها محدودة في الزمن، وبما ان كل اضطراب شامل يضعف الجهاز النفسي لاحقاً، فلنتذكر ان الطفل المتخلف كثيراً ما يتعرض لمواقف القلق الحاد في حياته . وصار من المتفق عليه تربوياً ان الطفل لا يحصّل اكتساباته إلا عندما تؤدي به الحاجة الى عمل فعّال يسبب له الاشباع، وليس عن طريقة الحاجة غير المشبعة (التي تؤدي الى القلق) . وتكرار هذا الفعل الذي يؤدي الى الاشباع هو الذي يشكل وسيلة تكيف تساهم في بناء شخصية الطفل .

بينما نجد ان الطفل المتخلف موجود دائماً امام مواقف تتخطاه مما يؤدي لتشكل الصدّ الحصري والذي ينتج عنه حاجز يمنع التوصل الى اكتسابات جديدة . وبالتالي يصبح من جديد عاملا جديداً منتجاً للقلق . هذا القلق يساهم في جعل تخلف الطفل العقلي أكثر خطورة .

وهذه التجارب المتكررة والتي لا ينتج عنها سوى الاحباط لا يمكن ان تساعد في بناء ذهنية ثابتة متجانسة وعقلانية .

وكما تقول Snhelder ، تظل المكتسبات الجديدة عند المتخلف شديدة البشاشة، ووجود الفرد امام مسائل معقدة جداً لا يستطيع حلّها تستدعي انهيار آخر الوسائل التي وصلت الى النضج لأنها تكون أكثر هشاشة بسبب جدّتها، وبالتالي يعود الطفل الى وسائل تكيفية اكثر بدائية لأنها برهنت عن صلاحيتها في مرحلة سابقة .

ونستشهد هنا بالحالات التي وضعتها Inhekder بشبه التوازن وببطء الانتقال من مرحلة استدلالية الى أخرى والتأرجح بينهما .

هذه التعابير تصف بشكل جيد الحالات الذهنية غير الثابتة والهشة التي تجعل تفكير المتخلف تحت رحمة كمية من العوامل الداخلية أو الخارجية التي تجر المتخلف الى النكوص ولو المؤقت على الأقل . فيكفي بعض الحيرة وبعض انشغال البال، او لحظة تعب أو لامبالاة حتى يتغير فجأة مستوى التفكير وينكص .

وكلما طالت مدة شبه التكيف أو شبه التوازن عند الطفل كلما كانت أكثر خطراً . لأن الفشل يقبل بصعوبة أكبر كلما كان مفاجئاً وغير منتظراً .

والاضطراب الذي حصل بسبب هذا التأرجح والانهيار، بالاضافة الى ردات الفعل العاطفية عليه من قبل البيئة تجعلنا نراقب نكوصاً على المستوى الطباعي عند الطفل بالاضافة للنكوص الذهني : اضطرابات عصابية (اضطرابات في الجهاز البصري - الحركي - الهضمي)، سوء تكيف اجتماعي، جناح، أو اضطرابات شائعة : مصارخة - عدوانية - الهروب بواسطة الاحلام والتعويضات المختلفة .

الحرمان العاطفي عند الطفل المتخلف

كلما كانت الحاجة ملحة، كلما كان عدم تحقيقها أكثر إيلاماً، وكلما كان القلق الناتج عنها أكثر عمقاً .

في حالة الطفل الذي يواجه الضرورات الاجتماعية (وهي معظم الأحيان مدرسية في المرحلة الراهنة) يصبح قلقه أشد كلما كان فشله كثير الحدوث. وهذا الفشل المتكرر هو نتيجة مباشرة للتخلف العقلي كما لاحظنا .

وهنا تتدخل العوامل العاطفية .

يميل الطفل في بداية الأمر الى الاحساس الدائم نوعاً ما بالعجز وبانعدام المقدرة، والبرهان على هذا العجز عنده، تكرار فشله .

لكن هذا الشعور يصبح أكثر اجتياحاً وعتواً كلما سَدّت البيئة العائلة والبيئة المدرسية كل منفذ امامه قد يسمح له بإيجاد مُتنَفّس يظهر فيه ديناميته ويبرهن على فعاليته لتأكيد نجاحه .

فمن الملاحظ عامة ان رد فعل البيئة على فشل الطفل المتكرر هو تقليل أوقات اللعب المسموح بها والغاء النشاطات الحرّة ومنعه عن الاهتمامات التي تعجبه، وذلك لكي يطلب منه التركيز على نشاطاته المدرسية حيث من الصعب نجاحه فيها . وكلما فشل أكثر كلما ازداد شعوره بالنقص .

وهكذا تقام « الحلقات التربوية المفرغة » الكثيرة الحدوث . والتي من الصعب ان نبرهن عن قيمتها السلبية أمام المربين: فكلما فشل الطفل، كلما طلب منه ان يعمل بشكل أكبر، لكن عندما يتعلق الأمر بطفل متخلف، ذي قدرات محدودة، كلما زدنا عدد المرات التي يفشل فيها، وكلما سمحنا بإبراز شعوره بالنقص : وهذا الشعور بالنقص بحد ذاته يصبح بالتالي سبباً في زيادة إعاقته، وفي تقليل امكانية نجاحه .

وتبدأ المظاهر السلبية للشعور بالنقص بالظهور، فهو سوف يرى نفسه مختلفاً عن رفاقه، لا يستطيع مشاركتهم في كل نشاطاتهم (خاصة المدرسية منها والقائمة أساساً على التنافس)

وسوف يدفع ببطء الى هامش الحياة المشتركة للمجموعة، وهذا ما ينتج عنه شعور حاد بالنبذ.

حتى الآن تكلمنا عن العلاقة بين التخلف العقلي بارتباطة بالتنظيم المدرسي، مفترضين ان للمعلمين وللأهل مواقف حيادية من الطفل أو حتى ايجابية. لكن معظم الاحيان هذا غير صحيح، فالأهل لا يقبلون بسهولة فكرة أن الطفل متخلف فستكون ردة فعلهم التالية:

في البداية يبدأون بنصح الطفل وفيما بعد يبدأ التهديد والوعد، لكن عند تكرار الفشل فنحن امام خيارين: «انها غلطة المعلم، أو غلطة الطفل»؛ وسوف يزداد عمل الطفل المدرسي في كل الحالات في المنزل، ويجبر على القيام بتمارين لا يمكن له ان يفهمها. فيجد الطفل نفسه في وضعية مأزقية، يطغى فيها التوتر الشديد فيغطي القلق عندها جميع تصرفات الطفل. هذه الوضعية تؤدي به الى التعبير عن متاعبه على شكل متاعب نفس - جسدية: فهو يبكي معظم الأحيان، رأسه يؤلمه، لا يأكل جيداً.

وتغفل الاسرة مشكلة التكيف المدرسي للمتخلف وتنتقل الى المستوى الأخلاقي والعاطفي. فهذا الطفل لا ينجح لأنه كسول ولا يملك إرادة حسنة ولأنه عنيد يفعل ذلك عن قصد.

وهذه الاحكام الأخلاقية تكون غالباً في أصل تكوين عقدة الذنب التي غالباً ما نجدها عند المتخلف.

وكلما وجد الطفل في بيئة اسرية ذات مستوى فكري واجتماعي مرتفع كلما كان أثرها أكثر سلبية، فهي بيئة سيئة للطفل المتخلف اذا لم تدرك المشكلة، لأن هذا الطفل يضع مثال الأنا عنده بعيداً جداً عن ذاته، ومن هنا تنتج لديه صورة عن نفسه محقرة وسيئة.

وعلى العكس من ذلك تتحمّل البيئات المتواضعة اجتماعياً، ريفية كانت أو مدينية بشكل أفضل وجود المتخلف لديها. فهم يقبلون بشكل أفضل إمكانية مستقبل متواضع مثال الأنا الطفل: «فهو إذا لم يستطع الذهاب للمدرسة، فهذا لا يمنعه من أن يكون عاملاً جيداً.» وهنا لا يشعر الطفل بنفسه أنه منبوذ.

إذن أن أولوية المدرسة تلعب دوراً أقل أهمية في البيئة المتواضعة، وبالتالي يحتفظ التكيف الاجتماعي الاجمالي بكل قيمته.

والحل: ان نقبل المتخلف كما هو، وأن يحبّ كثيراً لذاته وليس لما سوف يكونه أو لما لن يستطيع «أن يكونه»، وعدم اعتبار النجاح المدرسي هو المقياس الوحيد لنجاح الشخص أو فشله في الحياة. إن سعادة الفرد غير متعلقة بكمية المعارف التي يكون قد اكتسبها في حياته أو لا!

منى فياض كوثراني

محاكمة الاوليمب

مسرحية من فصل واحد لادغار شين روبات

ترجمة سمير شيخاني

الاشخاص ـ الاسكندر ذو القرنين، جنكيزخان، فريدريك الكبير، نابوليون بونابرت، كاتم السر.

المكان ـ غرفة على قمة الاولمب.

الزمان ـ الوقت الحاضر.

(يرفع الستار عن هؤلاء الخمسة وقد عقدوا مؤتمراً خطيراً)

كاتم السر ـ نجتمع الآن هنا، ايها السادة، بأمر عال. أما الغاية من اجتماعنا فهي أن تحكموا على ضوء اعمالكم الماضية واخطائكم العديدة في ما أتاه ادولف هتلر من أعمال.

الاسكندر ـ افتتح المناقشة بصفتي اكبركم سناً. انتُخبنا للتحقيق في امر هذا الانسان الذي اصبحت ايامه معدودة. فقد حاول، كما حاول ثلاثة منا على الأقل، ان يحتل ما يدعوه البشر العالم، وما هو في الواقع الأرض بأسرها.

اما رابعنا، انت يا فريدريك الكبير، فقد شيدت دعائم امبراطورية صغيرة بالنسبة الى امبراطورياتنا. وقد دعوناك الى هذا الإجتماع لأن هذا الإنسان المدعو هتلر يسره دائماً أن يحذو حذوك وينسج على منوالك، ويدّعي انك جده الروحي. وعلى هذا أرى من المناسب أن تدلي إلينا برأيك بادىء ذي بدء.

فريدريك ـ قد لا أكون سوى فاتح بسيط بالنسبة إليكم، ولكنني على كل حال كنت من أعظم رجال الاستراتيجيا في عمري. فهتلر من هذه الناحية جد ضعيف، وأرتكب أخطاء فاحشة، وأضاع نفسه بسوء استعماله الآلة الحربية العظمى التي كانت بين يديه. ولو اتيحت لي هذه الآلة العسكرية الجهنمية لدوخت الارض، ولكنت نداً لكم في الفتح والاستعمار. كان هتلر يتخذ القرارات الجنونية الواحد تلو الآخر. فتدور عليه الدوائر بعد انتصارات ميدئية ذات قيمة. فهو بنظري جندي غرّ...

الاسكندر ـ هذا ليس من شأننا الآن. ولم نجتمع إلا للنظر في مسألة اخلاقية أدبية. ولا ننسى ان كلاً منا قضى فترة غير قصيرة في التكفير عن ذنوبه، وقاسى مرارة العيش والحرمان، ولكننا في النهاية خلّصنا نفوسنا من القصاص الابدي جزاء سيئاتنا وشرورنا، والمنكر الذي ارتكبناه. أنا الآن في نعيم، بالرغم من إنني اجريت الدماء انهاراً في كثير من البقاع، وغزوت

الاصقاع البعيدة، وتحديت الارادة الربانية بادعائي الالوهية. على اني لم آتِ هذه الأعمال إلا من أجل خدمة حضارة عصري المتقدمة بصفتي تلميذاً لآرسطو، وحامل مشعل الثقافة والحكمة الاغريقيتين. حملت واياي الحضارة والتمدن والمثل العليا الى شعوب كثيرة على وجه البسيطة.أخضعتها وحكمتها بحد السيف، وخلّفت فيها طابع اليونان السماوي. وسيظل أكثر هذه البلدان موسوماً بهذا الطابع الى الابد.

جنكيز خان ـ أما أنا فقد اعتمدت أساليب همجية عندما احتللت القسم الأكبر من امبراطورية الاسكندر المقدوني، بعد نشوئها بخمسة عشر قرناً ولكنني لا اكتمكم اني وجدت آثاراً لنفوذ هذا الفاتح العظيم في كل مكان حللت به. فمن نهر الاوكسس الى نهر جيحون. ومن الاندوس حتى الفرات امتدت الثقافة اليونانية التي غرسها الاسكندر في غزواته. وكانت قوية الجذور الى درجة عجز معها فرساني الرحّل الاجلاف عن اقتلاعها.

ولم تكن في هذه المثل العليا التي كانت لبطل الأغريق، ولم تكن غايتي من الفتح سوى تنظيم امبراطورية عالمية تسير اجزاؤها كافة بدقة وانتظام، ويعاونني في الاشراف عليها بعض القادة والاعوان وتشدها بعضها الى البعض الآخر شبكة واسعة من خطوط المواصلات لم يسبق لها مثيل، وهكذا نجوت من القصاص الابدي لأنني حاولت ان أُدخل التنظيم الى عالم اقلّ ما يقال فيه انه كان فريسة الفوضى الضاربة اطنابها في كل بقعة من بقاعه.

نابوليون ـ إنك رجل متواضع، يا جنكيزخان. ففي وسع هتلر من هذه الناحية ـ ناحية التنظيم ـ أن يطلب الغفران مقابل ما حققه في هذا الباب. فهو الذي اوجد تنظيماً عجز البشر عن الاتيان بمثله. غير ان تنظيمه كان من أجل الفتح والاستعمار، وجر الخراب والدمار الى البلدان الساكنة المطمئنة. أما أنت فقد فتحت البلدان واستعمرتها من اجل تنظيمها وصهرها جميعاً في بوتقة واحدة. على أنني اخفقت أنا في تبرير فتوحاتي لأنني اتخذت من التنظيم ستاراً. ولم انجُ في النهاية إلا لأنني نشرت على الملأ مبادىء الثورة الفرنسية الكبرى، وساهمت في الغاء الرقيق الابيض، وازالة الظلم والعدوان، ونبذ خرافات القرون الوسطى، وهضم الحقوق. وبكلمة لأنني ازلت بيدي نسيج العناكب الذي تكاثف على العالم على مر القرون. ولا شك في ان العالم الذي بتحته بحد السيف، وحكمته ردحاً من الزمن، ثم فقدته بعد أن غُلبت على امري، هذا العالم لن يعود الى سابق عهده من العفونة والنتانة.

فريدريك ـ أما وقد ذكرتم جميعاً الأسباب التي ساعدت على خلاصكم وكفّرتم بها عن ذنوبكم وشروركم، فاني اجد نفسي مسوقاً الى بسط ما كان فيه خلاصي. ولا أكتمكم إن المبدأ الذي سأتكلم عنه قد شوهه هتلر بقلة لباقته ومهارته، وحوّله الى خطيئة عظمى: عنيت مبدأ البروسية. كانت البروسية تعني في أيامي وبفضل جهودي المتواصلة خدمة الدولة خدمة صادقة لا زيغ فيها. خدمة بعيدة عن الاثرة والمنفعة الشخصية.

كانت البروسية تعني في عصري تضحية الموظف بشخصه من أجل ازدهار الوطن الذي يعيش

في كنفه دون أن يرجو أية مكافأة مادية، مكتفياً بتقدير جده ونشاطه تقديراً روحياً ومعنوياً.

كنت اشعر بأنني خادم وطني الاول. وكل ما فعله الكابورال هتلر من تحيته « هايل هتلر»، وقمصانه السوداء والسمراء، وقادته المداهنين، الى موظفي رايشه الاغنياء الذين كانوا يرجفون فرقاً ويموتون رعباً من اساليب شرطته السرية، لم يكن إلا ليشوّه بروسيتي تشويهاً فظيعاً، حتى جعل منها اخيراً صورة كاريكاتورية للبروسية القديمة الاصيلة.

لهذه الاسباب أحكم أنا بتجريمه لأنه لا يستحق الرأفة والعفو.

الاسكندر ـ اقترح التصويت بعد أن أقترع زميلنا فريدريك دون ما تردد. لقد عرفنا جيداً ان محاولة فتح العالم واستعماره هي جريمة منكرة بحد ذاتها، يزيد في فظاعتها ما يرافقها من الخداع، والقسوة، والاضطهاد.

أما أنا فقد كانت الاغريقية التي نشرتها في الآفاق السبب في خلاصي، كما شفع التنظم واحلاله محل الفوضى بجنكيز خان. وكان السبب في خلاص فريدريك بروسيته المرادفة للتضحية في خدمة المجتمع. وشفعت بنابليون الحرية المادية والروحية، ومبادىء الثورة الفرنسية التي حملها الى الانسانية المغلولة الموثقة. وضع نابوليون حداً للثورة الكبرى ولكنه ظل ابنها البار.

والحقيقة اني لا أرى في قضية هتلر مثل هذه الاسباب التقديرية المخففة. فقد هدر حضارة ولم يشيد بدلاً منها. اجل، هدم الحضارة الانسانية العظمى، حضارة غوته، وهايني، وليسنغ، ودورر، وهولباين، وهوتن وقانت، وخلق نظاماً جديداً، ولكن تنظيمه لم يكن في مصلحة البشرية، بل كان في مصلحته هو اذ اتاح له ولأعوانه ان يبسطوا سيادتهم على الأمة الصاغرة المكتفة اليدين التي دعيت بهزء وسخرية « الجنس المختار السيد». وحبّب الى شعبه الموت، ليس من أجل مثل عليا، بل من اجله هو، وفي سبيل اتباعه. وجر الاهوال والبؤس والدمار والعذاب لشعبه، ولشعوب الامم الاخرى التي وقعت فريسة لآلته الجهنمية. وعلى هذا اقترع ضد ادولف هتلر.

جنكيزخان ـ وانا اقترع ضده!

نابليون ـ لا يسعني ان أشذ عن الاجماع!

كاتم السر ـ جرّم المجلس ادولف هتلر باجماع الأصوات، بعد ان استحال ايجاد مبرر لأعمال هذا الرجل. وسأرفع هذا التقرير الى القاضي الأعلى. فاليه وحده القول الفصل وتحديد موعد التنفيذ.

(يسدل الستار ويغادر الجميع القاعة).

سمير شيخاني

خمس ست كلمات

بقلم: نصرت توفيق خريش

قد يكفر الناس العاديون، بالعذاب والنفي والاضطهاد.
لأن مثل هذه الامور، تحتاج الى رجال اقوياء بإيمانهم،
يستطيعون احتمالها حتى الغلبة.



مؤسسات كثيرة، لا تحمل اسماء مؤسسيها.
ومع ذلك فان واضعيها يفرحون بها.
لأنهم أنشأوها كالاهرامات حجرا فوق حجر، بسحبة من العمر.
قال لي أحدهم: انا أشكو ذلك، فان هرم الجيزة لا يحمل اسم خوفو.



مسؤولية المقاتل، ومسؤولية الحاكم، تلتقيان في ميزان الوطن.
فتقول وزنة المقاتل لوزنة الحاكم: انني المحبة لبلادي.
وترد الاخرى، وانا مثلك محبة، عندما احمل مسؤولية الرؤية والتخطيط للغد.



الوطن المخلص:
من اذا غابت بلاده عن انظاره، لم تغب هي عن فؤاده....
وأفكاره....
وأعماله....

عندما يتصاعد الانتقاد ضد بعض الاشخاص في المسؤولية، لا يعني ان الذين سبقوهم كانوا افضل منهم.
بل لتحميلهم القسط الكبير من مسؤولية الحاضر، ليكونوا احسن ممن سبقهم.



لا غنى عن المحبة...
الحقد لا يشيد شيئا... التضحية بالقليل تحفظ الكثير.



المبدأ له خط واحد لا خطآن.
وفي تقييم المبادىء: وعلاقة الناس بها، لا يوجد طريق ثالث: فاما مع
واما ضد... هكذا افهم المبدأ.



في عيد الاستقلال، يجب ان تذهب الاعلام الى الحدود، فترتفع على السواري،
حتى اذا كانت معالم الحياة والاقتصاد والثقافة والاجتماع مزدهرة هناك، ازدهت هذه الاعلام تيها فوق سواريها.

نصرت توفيق خريش



تفسير جديد للتاريخ الاسلامي

للدكتور محمد عبد الحيّ شعبان

مراجعة د . صفاء خلوصي

هذا لون جديد في كتابة التاريخ، أو قُل إعادة تفسير له، كما ينصّ على ذلك عنوان الكتاب الذي صدر من مطبعة جامعة كمبرج وأهدي الى الشيخ أحمد زكي اليماني الذي يعتدّه المؤلف نمطاً من أسلافه كبار الوزراء العباسيين؛ وهو جزء ثان لكتاب سبق أن أصدره الدكتور شعبان بنفس العنوان للفترة الواقعة بين القرن السادس ومنتصف القرن الثامن للميلاد.

أما الكتاب الذي نحن بصدده فتبحث فصوله التسعة في قيام الدولة العبّاسيّة والحرب الأهليّة بين الأمين والمأمون وما أعقب ذلك من انحلال في الامبراطورية ثم ينعطف قلم المؤلف الى الاقطاع وأصوله والصراع الاقتصادي الاقليمي، وقد خصّص فصلين متعاقبين لانحلال السلطة المركزية للحكومة ليشفعها بموضوع التحالف البويهي، ثم يجعل الفاطميين فصل مسك الختام، ويخيّل إليّ أن بالجزأين اللذين أصدرهما حتى الآن جزءاً ثالثاً يمتد من منتصف القرن العاشر للميلاد إلى سقوط الدولة العبّاسيّة في أوائل النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد.

لقد اعتمد المؤلف في الدرجة الأولى على المصادر العربية ونعم ما فعل، لأن محور الكتاب اعادةُ تقييم لتاريخنا الاسلامي في ضوء مصادره وعظاته الأصلية وإذا كان الأمر كذلك فقد كان من الأصوب اهمال المصادر الأجنبية بالمرة ليكون عنوان الكتاب وهدفه متسقين مع محتواه ومصادره، ويبدو أنه استمد مادةً غير قليلة من كتابه «الثورة العباسية» الذي نشرته مطبعة جامعة كمبرج سنة ١٩٧٠ وهو في الأصل رسالة جامعية ظهرت بدرجة الدكتوراه.

تدور احداث التفسير الجديد للتاريخ الاسلامي في العصر العباسي بين ظهور العباسيين والغزو السلجوقي سنة ١٠٥٥ للميلاد، فيؤكد الباحث عدم قدرة الدولة العباسية بوضعها الجديد على النهوض بمتطلبات مُثُلها العليا التي من أجلها أودت بكيان الدولة الأموية، وكان من نتائج إخفاق العباسيين السياسي ظهور وحدات سياسية صغيرة.

قد يكون بعض الحق مع الدكتور شعبان، ولكننا لن ننصف الدولة العباسية إذا قلنا انها أخفقت في تحقيق مُثُلها العليا، فقد حاولت نشر لواء المساواة بين الرعية كافةً، وقضت على تعالي الحكام على رعاياهم، وشجعت الحركة العلمية ولا سيما الترجمة من اليونانية والفارسيّة والهندية وتركت تراثاً وثقافةً وحضارةً بحيثُ أصبح بمقدورنا أن نتحدث عن شيء يسمّونه «الحضارة العبّاسيّة»، أما أن الدولة تجزّأت

بعد مائة عام من قيامها فهو أمر محتوم، فللدول كما للافراد اعمار وآجال، كما يقول ابن خلدون، وأصبحت الدولة أشبه بالحكومة اللامركزية تدين بالولاء لبغداد تحت تاج الخليفة العباسي، ويكفي هذا النظام فخراً أنّه أشرقت تحت لوائه أنوار القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أعظم القرون في تاريخ العروبة والاسلام، بل ومن أعظم الفترات في تاريخ البشرية جمعاء.

أما ثورة بابك والزّنج والقرامطة فهي مما يمكن توقعه في عهد أي دولة وفي أي بقعة من الأرض، فكل عهد له مؤيدوه ومعارضوه، وقد صدق المؤلّف حين قال: «إن ذروة الامبراطورية العباسية استقطبت قدراً هائلاً من التجارة العالمية». وهذا مما يدل على أن اقتصاديات الدولة كانت قائمة على أساس راسخ مكين، وإن الثورات التي ذكرها المؤلف الفاضل كانت سياسية مذهبيّة عنصرية أكثر منها اقتصادية، وانها اتّخذت الاقتصاد ذريعةً لها لئلا تُفقدها المجاهرة بالأغراض الحقيقية شعبيتها لدى الجماهير وأمام الرأي العام العبّاسيّ يومذاك. ويسيطر التفسير الاقتصادي على الكتاب برمته ولم يَستثنِ المؤلف من ذلك حتّى الدّعوة الفاطمية، فقد كتب عن الفاطميين على زعمه أكثر مما كتب عن أي مظهر آخر من مظاهر التاريخ الاسلامي وقد لخص كانارد Canard نتائج البحوث كافةً، بما في ذلك بحثه بثلاث عشرة صفحة من صفحات الطبعة الجديدة للموسوعة الاسلامية فالحقائق الاساسية لتاريخ الفاطميين قد ثبتت ورسخت، ولكن هذه البحوث جميعاً تشترك في نقطة ضَعْفٍ أساسيّة واحدة فهي لا تأخذ بنظر الاعتبار التطورات التي سبقتها ولا الظروف الخطيرة في المناطق التي سيطر عليها الفاطميون، وهي غير متزنة لأنها ركّزت انتباهَها كلّه على نسب الخليفة الفاطمي الأول أكثر مما انصرفت الى الأوضاع الاقتصادية في مناطق نفوذه، ويضيف الدكتور شعبان قائلاً: «إننا لا نستطيع أن نفهم تاريخ الفاطميين من دون فهم لمختلف الملابسات لسياستهم الاقتصادية الواسعة النطاق التي لم يذكر عنها الباحثون حتى الآن إلا الشيء النزر اليسير، فنظامُ الضرائب الذي كان حجر الزاوية في نجاح الفاطميين واخفاقهم لم يناقش، وتُرك مغضياً عنه كأن لم يكن». وينتقد الدكتور شعبان مقارنة الأستاذ برنارد لويس لظهور العباسيين في خرسان بظهور الفاطميين في تونس، فأي تماثل إتفاقي إنما هو سطحي يجب أن ينظر اليه بحيطة وحذر، فقد كانت هناك اختلافات كبيرة بين الحركتين من حيث طبيعة استنادها ومؤسساتها وانظمتها وأغراضها ومثلها العليا، فالفاطميون تركزوا في تونس وبعد ستين عاماً قاموا بخطوة عجيبة خارقة إذ انتقلوا بقضهم وقضيضهم إلى استفزوا في مصر لم تعد أي أهمية لرعاياهم السابقين الذين أصبحوا خلال بضعة عقود مستقلين عنهم بل ومناوئين لهم. وينكر الدكتور شعبان ان يكون تفسير هذا الانتقال لغرض قلب الخلافة العباسية وإنما لإقامة امبراطورية إسلامية كبرى،

مصر من دون أن يلقوا نظرة وراءهم وإذا ونحن لا نفهم كيف يمكن تحقيق ذلك مع الإبقاء على الخليفة العباسي ببغداد؛ ويتعرض الاستاذ المؤرخ الدكتور شعبان الى الأوهام التي وقع فيها الأستاذ برنارد لويس من حيث تحديد نطاق السيطرة الفاطمية إذ أدْخَلَ فيها بالاضافة الى مصر وأقاليمها، الشمالَ الافريقي وصقلية وفلسطين وسوريا والساحل الافريقي للبحر الأحمر واليمن والحجاز، فيرد الدكتور شعبان قائلاً: «لم تكن هناك امبراطورية للفاطميين من هذا القبيل في أي دور من الأدوار، اذ لم يكد الفاطميون يغادرون تونس حتى تقلّصت حدودهم الغربية إلى نقطة لا تكاد تبعد عن غربي الاسكندرية وانتهى اهتمامهم بسورية قبل أن تترسخ أقدامهم هناك، وكانت فلسطين خارج سيطرتهم في أغلب الوقت، ولم يسيطروا على الحجاز مطلقاً. أما القول بأنهم أخضعوا اليمن لسلطانهم فيحتاج إلى خيال واسع إنه أشبه بتعست اتصال عن طريق الرسائل بزواج حقيقي!...»

بمثل هذا الأسلوب الفكه يكتب المؤرخ شعبان كتابه الجديد الذي كنا نود لو أنه اختار له عنواناً أكثر إنطباقاً عليه من نحو «نقد للمؤرخين المستشرقين في ضوء المصادر الاسلامية» فما كتبه ليس بتفسير جديد بقدر ما هو تصحيح ونقد وتعديل، ولكن على كل حال لكل شيخ طريقته كما يقولون.

جامعة أكسفورد

صفاء خلوصي

الزيات والرسالة

يقدم معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي صاحب دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض للمكتبة العربية عدة مؤلفات قيمة وقد نشر حديثاً: دراسات في الصحافة الأدبية: الزيات والرسالة لمؤلفه دكتور محمد سيد محمد، عالج في الفصل الأول سيرة الزيات، وفي الفصل الثاني تاريخ الرسالة بمراحلها الأربعة. وفي الفصل الثالث تحرير الرسالة. وفي الرابع قضايا الرسالة، وفي الفصل الخامس الإخراج والادارة والتوزيع والاعلان. وفي الفصل السادس تحليل وتقييم دور الرسالة وأثرها في الحياة الأدبية والفكرية في المجتمع.

إن هذا الكتاب في ٢٣٠ صفحة قطع «العرفان» يعد مرجعاً في الدرجة الأولى لرجال الصحافة لأنه يعطي فكرة واضحة عن مجلة الرسالة المصرية وصاحبها الدكتور أحمد الزيات منذ إنشائها، ومختلف التطورات التي طرأت عليها، وأيضاً يعد مرجعاً لجميع الأدباء والمثقفين الذين يريدون الاطلاع على طريقة عمل الصحافة الادبية من خلال هذا المثل.

دار الرفاعي.

في سلسلة المكتبة الصغيرة، من منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض صدرت الكتب التالية:

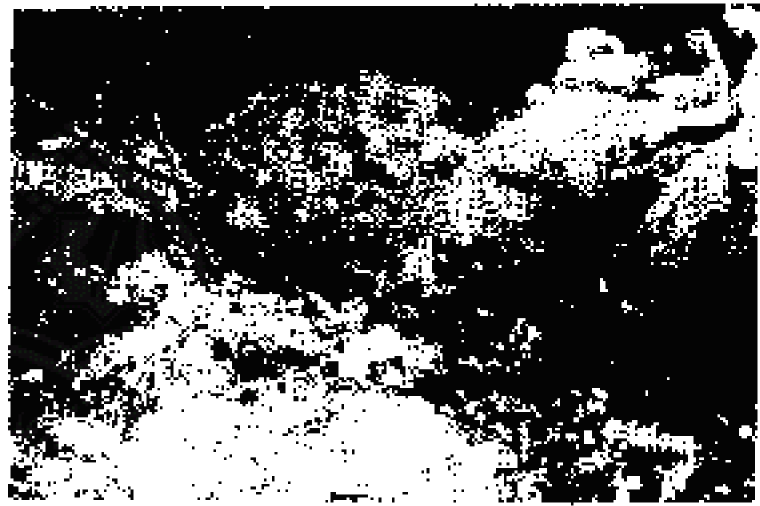
المتنبي والقرامطة للدكتور محمد محمد حسين.

الأعمش الظريف للدكتور أحمد محمد الضبيب.

الأمير الثائر تميم بن المعز للاستاذ محمد عبد الغني حسن.

الورّاقة والورّاقون في التاريخ الاسلامي للاستاذ لطف الله قاري.

بتاريخ ٩ أيار اغار طيران العدو ولمدة ٩٠ دقيقة على ثلاث مناطق سكنية في الجنوب والشوف هي تلال مغدوشة وضهور الصرفند والدلهمية. بدأت الغارات في الرابعة بعد الظهر وتولتها تشكيلات مؤلفة من ١٤ طائرة من طراز «أف ١٥» و«أف ـ ١٦» و«كفير»، رمت بقذائفها وصواريخها فوق مرتفعات الدلهمية بين السعديات والدامور، وفوق قرى عقلين وضهر عقلين، (وقد دمرت كل المنازل وعددها ٢٠)، والدبية والبرجين والنجارية وعقتانيت والدمشقية وجوار سبلين.



في الوقت ذاته، كانت تشكيلات مماثلة تغير فوق تلال مغدوشة وضهور الصرفند، حيث سقطت القذائف في وادي تفاحتا وضيعة العرب والداوودية وجوار مغدوشة وضهور البابلية وعلى الطريق الساحلي بين الصرفند والزهراني.

استمرت الغارات حتى الخامسة والنصف مساء، ورمت الطائرات الإسرائيلية خلالها قنابل موقوتة توالى انفجارها طوال ساعتين من انتهاء الغارات، وساهم ذلك في عرقلة عمليات الاغاثة ونقل المصابين وزاد في حجم الأضرار المادية.

ـ وبتاريخ ١٥ أيار، ما أن هدأت الحالة في طرابلس، حتى انتقلت الى صيدا، فقد توتر الوضع الأمني في مدينة صيدا، اثر تبادل اطلاق نار بين عناصر من الجيش اللبناني وآخرين من «جيش لبنان العربي» على طريق الرميلة، مما أدى إلى سقوط قتيل و ١١ جريحاً، واحتجاز خمسة عسكريين وثلاث سيارات عسكرية وجرت اتصالات تم خلالها تطويق الحادث واعادة الهدوء الى المنطقة.

وتفاصيل الحادث، انه في التاسعة إلا عشر دقائق وبينما كانت ثلاث سيارات جيب عسكرية من نوع «لاندروفر» تابعة للجيش اللبناني متوجهة الى بيروت من ثكنة محمد زغيب في صيدا، وأثناء وصولها الى منطقة الرميلة حيث يوجد حاجز «لجيش لبنان العربي»، حصل اشتباك بين الطرفين استعملت فيه الأسلحة الرشاشة والقذائف الصاروخية، مما أدى إلى فرض جو من الذعر والحذر في المنطقة، فتوقفت حركة السير واقفلت المحلات التجارية وانتشرت حواجز «للجيش العربي» ودوريات على طريق الرميلة السعديات، واستنفرت عناصر الجيش اللبناني في ثكنة صيدا وأقامت حاجزاً على طريق عام صيدا ـ جزين، فيما شهدت مدينة صيدا حالة من الحذر رافقتها حالة من التوتر فأقفلت المدارس وبعض المحلات وخفت حركة السير.



- وبتاريخ ١٦ أيار امتد التوتر الى مدينة صيدا ووقعت اشتباكات أدت الى سقوط قتيل و٧ جرحى وتضرر عدد كبير من المحلات التجارية قدرت الخسائر بملايين الليرات. ففي منتصف ليل السبت - الاحد قامت مجموعة مسلحة بمداهمة منزل عضو اللجنة المركزية للتنظيم الشعبي الناصري رفيق بشاشة (٣٥ سنة) وأطلقت قذيفة «ب - ٧» على المنزل مما أدى الى مقتل بشاشة.

وما ان شاع الخبر في صيدا، حتى انتشر المسلحون في الشوارع والأحياء وراحوا يطلقون النار ووقعت اشتباكات دامية في الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل بين عناصر من التنظيم الشعبي والأمن الموحد

استخدمت في الإشتباكات مختلف انواع الأسلحة الرشاشة الخفيفة والمتوسطة اضافة الى القذائف من نوع «آر - بي - جي» و«ب - ٧» و«ب - ١٠» و«انيرغا» أدت الى سقوط ٧ جرحى نقلوا الى المستشفى.

وأدت الإشتباكات الى احتراق عدد من المحلات التجارية والبسطات الواقعة في سوق «البزركان» والسوق التجاري المؤدي الى أحياء صيدا القديمة كما أصيبت المحلات بأضرار مادية متفاوتة.

وذكر تقرير امني من نسبة ٩٠ في المائة من المحلات والمستودعات التجارية الواقعة في شارع الشاكرية - فينيقيا قد احترقت.

وسجل سقوط قذيفة في مقهى ومحل «جنة الفاكهة» الواقع قرب مركز هاتف صيدا دمرت المحل وأحرقت محتوياته.

ونفذ الإضراب المفتوح في الأيام التالية الى أن يتم تسليم الفاعلين

أما حشد الألوية الإسرائيلية على الحدود، ومحاولات إسرائيل الإستيلاء على مياه الليطاني، فالجنوب يعيش أجواء القلق والرعب في كل ثانية من الزمن. ونحن نتساءل ألا يكفي الجنوب الحرب المستمرة؟ ألا يكفيه دماراً وخراباً وتهجيراً؟! الجنوب إلى أين؟

العرفان

فكرية ثقافية سياسية مستقلة

تصدر مرة في الشهر - سنتها عشرة أشهر

تأسست في صيدا سنة ١٩٠٩ م.

العدد ٦ مجلد ٧٠ محرم ١٤٠٣ هـ - تشرين الاول ١٩٨٢

كلمة

في الخامس من حزيران سنة ١٩٨٢ صدر العدد الخامس من العرفان، وتسلمته الشركة من أجل توزيعه كالعادة، وكانت المفاجأة: الاجتياح الإسرائيلي للبنان. فمن الطبيعي أن يجمد التوزيع بعد أن واجهتنا حرب ضروس حرقت الأخضر واليابس، وأوقعت ضحايا بالمئات والآلاف، ودمرت قسماً كبيراً من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والمحلات التجارية والأبنية الشاهقة، وألحقت أضراراً بالممتلكات والمزروعات وفي كل مرافق الحياة العامة والخاصة. من هذا الواقع المرير نتقدم من قراء العرفان بالاعتذار للتأخير في الصدور نظراً للظروف الاستثنائية التي مرت بها البلاد، بعد أن كنا قد وضعنا الأسس اللازمة لصدور المجلة بصورة منتظمة شهرياً. وأننا على النهج الرسالي في استمرارية المجلة بالرغم، إن لم تدهمنا القوة القاهرة والمفاجآت، ونأمل أن نضع القراء في العدد السابع المقبل في أول دراسة عابرة عن الأحداث اللبنانية مع جذورها التاريخية ومن مواضيعها، لبنان التاريخ في مواجهة لبنان الواقع، أحداث لبنان عام ١٩٨٢ على ضوء الرسائل المتبادلة بين بن غوريون وموشي شاريت والياهو ساسون عام ١٩٥٤، وجاءت اسرائيل الى لبنان، جيوشاً يهودية في بيروت، هل انتهى دور وأمراء السياسة في حكم لبنان والتحكم به، لبنان في المركبة الأمريكية.

العرفان

المؤسس: أحمد عارف الزين.

المدير: فؤاد زيد الزين

العنوان: مجلة العرفان

ص. ب: ٢٧٥٠

بيروت - لبنان

هاتف: ٢٥٦٥٥٠

الاشتراك السنوي

في لبنان وسورية

الأفراد: ٥٠ ل. ل.

الدوائر الرسمية

والمؤسسات ٣٠٠ ل. ل.

في سائر الأقطار: بالبريد الجوي

١٠٠ دولار

وكيل التوزيع العام

الشركة العربية للتوزيع

ش. م. ل.

الهاتف: ٣٤٧٩٩٠

ص. ب: ٤٣٢٨

تلكس أرابكو ٢٣٠٣٢

بيروت - لبنان

وكيل العرفان في الكويت:

هاني شفيق الزين

هاتف: ٦٥٣٩٦٦

ثمن العدد

لبنان ٥ ل. ل. / سورية ٦ ل. س. / الأردن ٥٠٠ فلس / الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات / البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية ٥ ريالات / عدن ٧٠٠ فلس / أبو ظبي ٥ دراهم / دبي ٥ دراهم / مسقط ٩٠٠ بيسة / اليمن ٦ ريالات / العراق ٧٠٠ فلس / تونس ٧٠٠ مليم / المغرب ٥ دراهم

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٤	إنها أزمة خلقية لا طائفية ولا سياسية	جعفر شرف الدين

مواضيع اجتماعية

٦	نشأة الضمان الاجتماعي في لبنان	حسين عبد اللطيف حمدان



أدب

١٢	الحلقة المفقودة في نهضتنا الثقافية	د . رشاد دارغوث
٢٣	صيدا في قصائد [illegible]	د . طلال المجذوب
٣٠	ملحمة شعرية: قصة القط والفيران	زهير مارديني

مواضيع اسلامية

٣٤	لمحات من الفعل الحضاري الإسلامي	حسن الزين
٣٩	ابن الأزرق	د . ناهض قديح

طب

٤٦	قصة أمراض القلب	د . محمد ياسين

تربية

٥٣	الطفل بين الوراثة والتربية	د . طلال عتريسي

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	خواطر	
٦١	خمس ست كلمات	نصرت توفيق خريش
	تاريخ	
٦٢	الصهيونية	د . حافظ الزين
	شعر	
٦٦	نضال اليوم	موسى الزين شرارة
٦٧	دمعة حرّى	شريف ياسين ياسين
٦٨	الأعمدة الخالدة	ابراهيم بري
٦٩	نفثات	بيراغوديوب
٧٠	يادرة الشرق	بشار الزين
٧١	نزار الزين	خضر عباس الصالحي
	أبواب العرفان	
٧٣	مع الأحداث:	يوميات الهجوم الاسرائيلي على لبنان

إنها أزمة خُلقيّة
لا طائفيّة .. ولا سياسيّة

بقلم: جعفر شرف الدين

يعاني العالم. ونعاني نحن في هذه الرقعة من العالم، أزمة جائحة. أزمة تتقنع بوجوه مستعارة، فاذا هي أزمات.. يعنونها مفتعلوها بعناوين صارخة:

إنها أزمة طائفية.. إنها أزمة سياسية.
إنها أزمة اقتصادية.. إنها أزمة إجتماعية.
إنها أزمة غلاء.. إنها أزمة سير.

لا أيها السادة:

إن هذه المقولات، وتلك العناوين: مزوّرة.

زوّرها سماسرة السياسة، والإقتصاد، والطائفية.

زورها تجار الديموقراطية، والإشتراكية، وعدم الإنحياز.

زورها الإستثمار، الإستئثار، والإستعمار..

الأنانية. الإبتزاز، الإحتكار، والإستحمار..

زورها النظام الموجّه، باسم الجماهير..

زورها النظام الحر، باسم المبادرات الفردية.

أزمة عالمية: شرقية وغربية. ويمينيّة ويسارية.

تلبس الثوب المناسب. في البلد المناسب..

يصنعها «القادرون» باسم الشعوب في «قوالب» نظرية.

ويطبقونها على الجماهير، باسم النظام، باسم الوطن.

يُسحق (الفرد) في سبيل المجتمع، كما ينظّرون..

ويسحق (المجتمع) في سبيل (الأفراد) كما يطبقون.

* * *

العقد شريعة المتعاقدين.

والحكم عقد بين الدولة والشعب.

الأزمة لا تكمن في العقد، ولا في النظام.

الأزمة تكمن في الممارسة.. في التطبيق. في اللعب على القانون. في العبث بالنظام.

العقد بني على العدالة. والنظام إستند إلى الديموقراطية.

ولكن الطرف المتمثل بالسلطة، جدف على الطرف المتمثل بالشعب.

هنا تكمن الأزمة. هنا في النفوس. لا في النصوص.

في الخلق.. لا في اليافطات السياسية التي رفعوا.

لا في النظريات الإقتصادية التي وضعوا.

إنه تجديف على العقد. على النظام. على المجتمع.

إنه أزمة خلقية. لا سياسية. ولا إقتصادية.

إنه أزمة الضمير: بسحق إنسانية الإنسان.

يسحقها في صاحبه كسلطة. وفي مجتمعه كشعب.

لذلك كان في المجتمع وهاد وهضاب، جبال وسفوح.

شبعٌ حتى التخمة.. وجوع حتى الطوى..

ثروة حتى الإجتياح.. وفقر حتى الجريمة.

إستعلاء لا يُطال. وهوانٌ حتى الإذلال.

تمتّع حتى السيادة.. وتمرّغ حتى العبودية.

* * *

بعثت لاتمم مكارم الإخلاق.

هذه رسالة الإسلام عبر محمد.

رسالة شرع بها عيسى. واتمها محمد.

والمتسلطون في الشرق وفي الغرب من هم.

إنهم عيسويون ومحمديون.

الهوية تدعي ذلك، والممارسة تكذب الإدعاء.

الحاكمون في الشرق وفي الغرب، ينظمون.. ينظّرون.

العدالة. تكافؤ الفرص.. هي المدار، وعلها المسار.

ولكن.. إنهم يقولون ما لا يفعلون.

إنهم يتقنّعون.

بالديموقراطية. بالعدالة يتقنعون.

وبالطغيان يمعهون.

لو كان المسلمون، على مستوى الإسلام.

وكان المسيحيون، على مستوى المسيحية.

بل لو كان المسلمون، مسلمين.

ولو كان المسيحيون، مسيحيين.

لو أقفل الصيارفة، وتجار الهيكل دكاكينهم..

لو التزم الشيخ والأسقف بالإنجيل والقرآن.

لو التزم الحاكم بمنطلقاته ومقولاته.

لو التزم المحازب بعهد شرعته.

لو التزم المحارب بقداسة قضيته.

لو التزم المسلح بشرف سلاحه.

لو التزم هؤلاء وأولئك لانتفت الأزمة

فلا أزمة سياسية. ولا أزمة إقتصادية.

لا أزمة طائفية. ولا أزمة إجتماعية.

لا أزمة تفجير وتهجير.

لا أزمة قبور وقصور.

لا أزمة قهر نفوس وإعتقال أفكار.

بل لا أزمة سير.

لو كان ذلك كذلك:

لانتقلنا من البداوة، إلى الحضارة.

من عالم الذؤبان، إلى عالم الإنسان.

* * *

ازمتنا واحدة:

إنها أزمة ضمير.

جعفر شرف الدين الموسوي

نشأة الضمان الاجتماعي في لبنان وخصائصه

بقلم: القاضي حسين عبداللطيف حمدان

بدأت حركة الضمان الاجتماعي في لبنان بخطوات بطيئة وغير منتظمة ولا واسعة، وسارت متفرعة ومتشعبة تعمل على اشباع بعض الحاجات الاجتماعية، عن طريق المساعدات الاجتماعية النقدية والعينية تارة، وعن طريق بعض أنظمة التدارك الاجتماعي والتشريعات العمالية تارة أخرى، ولكن في غير إنتظام ولا إنسجام فالى جانب الخدمات المتعلقة بالشؤون الصحية من وقائية وعلاجية التي تؤمنها الدولة بواسطة المستشفيات والمستوصفات وسائر المؤسسات الحكومية المختصة، وإلى جانب الاعداد المهني الذي تقوم به بعض المعاهد الرسمية، وإلى جانب الاعانات المالية التي تقدمها الدولة إلى دور الايتام والعجزة وإلى الجمعيات الخيرية والاجتماعية لمساعدتها في القيام بواجبها في مساعدة الفقراء والمعوزين والعجز، وبالاضافة إلى نظام التأمين الخاص ضد الاخطار وضد حوادث العمل لدى شركات التأمين التجاري، وإلى جانب أنظمة التقاعد وتعويضات الصرف والتوفير، اقر المشرع اللبناني بموجب قانون الموجبات والعقود، المعمول به اعتباراً من ١١ تشرين الأول سنة ١٩٣٤، الحق للعامل[١] بالحصول على تعويض عن الاضرار التي تلحق به من جرّاء صرفه من العمل بصورة تعسفية. كما أقر مسؤولية رب العمل عن كل مخالفة لأحكام المادة ٦٧٤ منه - أي من قانون الموجبات والعقود - التي توجب على رب العمل أن يسهر على توفير ما يلزم من شروط السلامة والصحة في أماكن العمل، وأن يسهر على العدد والآلات والادوات وجميع الاشياء التي يقدمها للعملة والمستخدمين أو الخدم لتنفيذ اعمالهم، حتى لا ينجم عنها أي خطر على حياتهم وصحتهم غير الخطر الملازم لاجراء العمل على منوال عادي وأن يقوم بكل تدابير واجب تستلزمه ماهية العمل والاحوال التي يتم فيها، لحماية حياة العملة والمستخدمين أو الخدم، وصيانة صحتهم في أثناء الاعمال التي يقومون بها تحت ادارته، ولحسابه. وقد أعتبر قانون الموجبات والعقود أيضاً رب العمل مسؤولاً عن الحوادث والنكبات التي يصاب بها الأجير في أثناء قيامه بالعمل الذي أوكل إليه، إذا كانت الحوادث والنكبات ناشئة عن مخالفة مستأجره للأنظمة الخاصة المتعلقة بممارسة تجارته أو صناعته أو مهنته، أو عن عدم محافظته على تلك الأنظمة (م ٦٤٨ من قانون الموجبات والعقود). وإذا كان الأجير يعيش

(١) لقد اطلق قانون العمل اللبناني كلمة أجير على كل عامل ومستخدم. وقد اعتبر مستخدما، كل أجير يقوم بعمل مكتبي أو بعمل غير يدوي. واعتبر عاملا كل أجير لا يدخل في فئة المستخدمين (المادة ٣ من قانون العمل).

في منزل مخدومه أوجب القانون على هذا الأخير أن يقدم له نفقات العناية به، سحابة عشرين يوماً، إذا أصيب بحادث أو بمرض، لم يكن ناتجا عن خطأ الأجير نفسه، ولم يكن باستطاعته - أي الأجير - الحصول على تلك العناية من إحدى جمعيات التعاون التي اندمج فيها، أو من شركة ضمان كان مضموناً لديها، أو من دائرة الاسعاف العام (م ٦٤٥ - ٦٤٦ موجبات وعقود).

وبموجب القانون الصادر في ٢٧ أيار عام ١٩٣٧ الذي عدل المادة ٦٥٦ من قانون الموجبات والعقود، أقر المشرع للأجير الحق بتعويض قدره راتب أو أجرة شهر واحد عن كل سنة مبتدئة من الخمس سنوات الأولى، وراتب أو أجرة نصف شهر عن كل سنة مبتدئة من السنين الباقية إذا فسخ رب العمل العقد، ولم يكن الفسخ مسببا عن مخالفات لموجب العقد أو خطأ أرتكبه الأجير (م ١/٦٥٦ معدلة من قانون الموجبات والعقود). كما اوجب على رب العمل الذي يطلب إلى الأجير الكف عن العمل دون ان يراعي مهلة التنبيه التي حددها القانون - وهي شهر واحد إذا كان عقد العمل قد تنفذ لمدة ثلاث سنوات أو أقل، وشهران إذا كان العقد قد تنفذ لمدة تزيد عن ثلاث سنوات (م ٦٥٢ معدلة من قانون الموجبات والعقود)، ان يدفع للأجير تعويضاً آخر يساوي راتب أو أجرة المهلة الواجب مرورها، أو المدة الباقية من هذه المهلة، معتبراً كل تنازل سابق عن حق التعويض باطلا لا يعتد به (م ٢/٦٥٦ معدلة من قانون الموجبات والعقود).

وبموجب القانون الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم ٢٥ تاريخ ٤ ايار عام ١٩٤٣ الخاص بطوارىء العمل أقر المشرع للأجير الحق بالحصول من رب العمل على تعويض عن الاضرار التي يتعرض لها أثناء أو بسبب قيامه بالعمل، ولو لم يرتكب رب العمل اي خطأ. بمعنى أن رب العمل يلزم بالتعويض بمجرد حصول الضرر للأجير أثناء العمل أو بسببه، سواء أوقع الحادث بخطأ رب العمل، أو بنتيجة الظروف الطارئة أو القوة القاهرة أو خطأ الأجير نفسه.

وبموجب قانون العمل الصادر في ٢٣ أيلول سنة ١٩٤٦، حقق المشترع مزيدا من الضمانات للأجراء، كتحديد ساعات العمل، واقرار التعويض عن ساعات العمل الاضافي، ووجوب كفاية الأجر، لسد حاجات الأجير الضرورية، وحاجات عائلته، وتنظيم الصرف من الخدمة، واقرار تعويض الصرف على أسس جديدة وفرض تدابير وقائية وصحية لضمان سلامة الاجراء في المؤسسات التجارية والصناعية، وتقرير الاجازات الاسبوعية والسنوية والمرضية واباحة النشاط النقابي وتوفير الحماية لليد العاملة اللبنانية من المزاحمة الاجنبية. غير أن جميع هذه الأنظمة والقوانين، لم تحقق سوى بعض الضمان، وبصورة غير وافية لأنها لم تغط جميع الحالات التي تسبب للعمال بؤسهم وشقاءهم، وقصرت في تحريرهم من أسباب الخوف والقلق وفي توفير الطمأنينة لهم، ولم تصدر في اطار سياسةتأمينية محددة وواضحة. وهذا ما حمل المشرع اللبناني بتاريخ ٢٦ أيلول سنة ١٩٦٣ وبعد دراسة بدأت منذ سنة

١٩٥٨ في اعقاب اخماد الثورة التي حصلت في ذلك العام. على اصدار قانون للضمان الاجتماعي هو في الحقيقة قانون للتأمينات الاجتماعية يغطي حالات المرض وطوارىء العمل والامراض المهنية والتعويضات العائلية. وتعويض نهاية الخدمة وتعويض العجز والوفاة، ويطبق بصورة تدريجية وعلى مراحل ثلاث. وقد جاء هذا القانون حصيلة تفاعلات اجتماعية واقتصادية وسياسية مختلفة، وتلبية لدواعي التطور الاجتماعي والاقتصادي، باعتبار أن حماية العامل ضد الاخطار الاجتماعية واطمئنانه إلى غده، ينعكسان على كفايته الانتاجية، فترتفع، وعلى مردوده الانتاجي، فيزداد، وتنتعش بازدياده الثروة الاقتصادية وحركة التنمية. وهو ـ أي قانون الضمان الاجتماعي ـ وأن لم يأت شاملا من حيث الحالات والافراد المعنيين بالضمان، ولا كافيا من حيث نوع ومقدار التقديمات التي نص عليها إلا أنه يعتبر خطوة هامة على طريق الضمان الاجتماعي الشامل، نرجو أن تعقبه خطوات أخرى، لكي يصبح للبنان ضمانه الاجتماعي الكامل الذي يسهم في انعاشه وازدهاره، ويقضي على البؤس والحرمان في صفوف ابنائه، فيخلق فيهم الشعور بالتضامن والتكافل، ويشيع في ربوع لبنان الأمن والاستقرار.

خصائص الضمان الاجتماعي في لبنان:

يتميز الضمان الاجتماعي في لبنان بطابعه الاقليمي وقيامه على المشاركة والالزام، وتعلقه بالنظام العام.

أ ـ الطابع الاقليمي:

يقصد بالطابع الاقليمي للضمان الاجتماعي في لبنان أن قواعده القانونية لا تختص بمنطقة معينة من أقليم الدولة[٢]، بل تمتد لتحكم الاقليم كله. وبذلك فأن قانون الضمان الاجتماعي في لبنان، يسري على جميع اللبنانيين والاجانب المخاطبين بأحكامه، حيثما وجدوا ضمن الاراضي اللبنانية[٣]، في حدود الشروط التي نص عليها.

ب ـ المشاركة:

يقوم الضمان الاجتماعي في لبنان على المشاركة الاجبارية في تمويله، حيث يتحمل أرباب

(٢) وقد يحصل أن تنفرد أجزاء معينة من أقليم الدولة بنظام قانوني خاص للضمان الاجتماعي، وذلك في حالات استثنائية يغلب أن يكون مؤقتة، كما حصل لمنطقة الألزاس واللورين عندما اعيدت إلى فرنسا في عام ١٩١٩ بعد أن كانت تابعة لألمانيا وفيها نظام التأمين الاجتماعي الالماني ضد المرض وحوادث العمل والعجز والشيخوخة والولادة والدفن. وقد ظل هذا النظام نافذ المفعول في المنطقة حتى صدور نظام التأمين الاجتماعي الشامل الموحد عام ١٩٢٨.

(٣) زهدي يكن، شرح قانون الموجبات والعقود، ج ١١، ص٣٠ رقم ٣٨١ والمرجع المشار إليه في الهامش رقم ٢.

العمل والعمال والدولة في تحمل نفقاته. وتقوم هذه المشاركة على أساس أن المخاطر التي تحيق بالافراد تنعكس آثارها على سلامة المجتمع وامنه. ولذلك فان المتحمل بعبء الضمان لا يجب أن يكون بالضرورة المستفيد منه، لا سيما وأن الفئات المحتاجة إلى الضمان، هي أقل الفئات قدرة على دفع نفقاته.

وتتحقق المشاركة في تمويل الضمان الاجتماعي بنسبة معينة من الدخل أو الأجر، ويرتبط تحديد هذه النسبة بالقدرة على تحمل عبء الضمان الاجتماعي، وليس بجسامة الخطر المؤمن منه في قيمته ودرجة احتماله[٤].

ويتحمل بعبء التمويل أرباب الاعمال وحدهم بالنسبة لطوارىء العمل والامراض المهنية والتعويضات العائلية وتعويض نهاية الخدمة، ويتحمل به العمال وأرباب العمل والدولة بالنسبة لضمان المرض والامومة.

جـ ـ الالزام:

ان الضمان الاجتماعي في لبنان هو نظام إلزامي، باعتبار أن القصد منه، هو العدالة الاجتماعية، واضفاء الحماية على فئات من العمال والمستخدمين، وبخاصة الكادحين والمعوزين منهم، تقتضي مصلحة المجتمع حمايتهم، توفيراً لأمنه، ودفعاً لكل ما يخل بنظامه نتيجة لاختلال قوى ونشاط افراده. وهو قصد لا يتحقق لو ترك للفئات المعنية بالضمان، الحق برفضه، أو عدم الالتزام بأحكامه، لا سيما وانه ـ أي الضمان ـ يفرض على أرباب العمل والعمال المساهمة في تمويله. ولذلك فان قانون الضمان الاجتماعي اللبناني يتولى تحديد المخاطر والحالات التي يقتضي مواجهتها والأشخاص المعنيين بهذه المواجهة، سواء باعتبارهم مستفيدين، أو باعتبارهم مولين، ثم يحدد لهم حقوقهم وموجباتهم دون نظر لارادة أي منهم، ويفرض عليهم الالتزام بأحكامه تحت طائلة العقوبة[٥]، واعتبار الاتفاقات المخالفة له باطلة[٦]. ولسلطة الوصاية[٧] أن تلغي القرارات الصادرة عن مجلس الادارة، والتي لا تتفق مع نصوصه وأنظمته[٨].

---

(٤) مصطفى الجمال وحمدي عبدالرحمن «التأمينات الاجتماعية» ص ١٠٤.

(٥) راجع المادتين ٨٠ و ٨١ من قانون الضمان الاجتماعي.

(٦) راجع المادة ٥٧ من القانون ذاته.

(٧) أي لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، علما بأن الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي يخضع أيضاً لوصاية مجلس الوزراء المسبقة، بالنسبة لبعض اعماله.

(٨) انظر زهدي يكن في شرحه لقانون الموجبات والعقود ص ٣٠ رقم ٣٨١ ج ١١.

د ـ الضمان الاجتماعي والنظام العام[9]:

ان الدور الذي يقوم به قانون الضمان الاجتماعي في تحقيق اهداف المجتمع في العدالة والأمان الاجتماعيين جعل من قواعده قواعد آمره، وجعل منه ركيزة من ركائز النظام العام الذي يقوم عليه المجتمع اللبناني. ويترتب على اعتبار قانون الضمان الاجتماعي من النظام العام، عدم جواز الاتفاق على ما يخالف أحكامه، والقول ببطلان مثل هذا الاتفاق، واحلال قاعدة الضمان التي حصلت مخالفتها، محلة تلقائياً ومباشرة غير أن غلبة الطابع الحمائي على قانون الضمان الاجتماعي، يحصر بطلان الاتفاقات المخالفة لاحكامه في الاتفاقات التي تزيد من هذه الحماية فتكون موافقة للنظام العام، ومن ثم صحيحة. فاذا ما نص عقد العمل مثلا على أن يتحمل رب العمل بنصيب العامل في اشتراك الضمان الضمان أو أن يقدم اعانات اضافية، إلى جانب تقديمات الضمان، فأن هذا الاتفاق يكون صحيحاً وملزماً لصاحب العمل.

ويترتب على اعتبار قانون الضمان الاجتماعي من النظام العام، عدم جواز التفرغ عن التقديمات النقدية التي يقررها أو الحجز عليها، إلا لتنفيذ موجبات غذائية شرعية. وتطبيقاً لذلك نصت المادة ٥٧ من قانون الضمان الاجتماعي اللبناني على «ان التقديمات النقدية، لا يمكن أن تكون موضوع تفرغ أو مقاطعة أو تعهد من أي نوع كان، إلا لتنفيذ موجبات غذائية شرعية، وفي هذه الحالة يجوز حجزها لغاية نصف قيمتها».

ولكن هل معنى ذلك أن التفرغ عن تقديمات الضمان النقدية، أو التعهدات التي تجري بشأنها، أيا كان نوعها، تكون باطلة في جميع الاحوال، سواء حصلت قبل استحقاق هذه التقديمات أم بعد استحقاقها؟

ان الجواب على هذا السؤال يقتضي ربط شرعية النزول عن الحقوق المتعلقة بالنظام العام، بالهدف من تقريرها. فالحقوق المتعلقة بالنظام العام لهدف توجيهي، تتصل بالمصلحة العامة، ولا يصح النزول عنها بأي حال من الأحوال لما في هذا النزول من مساس بالمصلحة المذكورة. أما الحقوق المتعلقة بالنظام العام، لهدف حمائي، فتتعلق بمصالح فردية، ويجوز التنازل عنها بعد استحقاقها. أما قبل هذا الاستحقاق فأن النزول عنها، يعتبر نزولا عن القاعدة القانونية المقررة لها، وبالتالي تعطيلا لمبدأ الحماية الذي فرضه المشرع وهو أمر غير جائز.

ولا شك أن قانون الضمان الاجتماعي في لبنان يغلب عليه الطابع الحمائي، ولذلك يمكن القول أن تقديمات الضمان النقدية يمكن التفرغ عنها أو اجراء المقاصة بشأنها، أو اخضاعها

---

(٩) انظر مصطفى الجمال وحمدي عبدالرحمن في «التأمينات الاجتماعية» ص ١٤٢ - ١٤٤ رقم ١٠١.

لأي تعهد من التعهدات أبتداء من وقت استحقاقها وفي الحدود التي تستحق فيها. أما قبل هذا الاستحقاق فكل اتفاق بشأنها يقع باطلا باعتباره مخالفاً للنظام العام.

وهكذا فالمضمون الذي استحق تعويض المرض أو الطارىء أو معاش العجز يستطيع التبرع عنه في حدود ما يستحق له منه.

وعلى هذا النحو يجب أن يفهم نص المادة ٥٧ سالفة الذكر. فتعتبر التصرفات التي ترد على تقديمات الضمان النقدية من تفرغ ومقاصة وغيرهما، صحيحة إذا وقعت بعد استحقاق هذه التقديمات وباطلة إذا وقعت قبل ذلك[١٠].

وللمحكمة إذا عرض عليها نزاع يتعلق بأحكام الضمان أن تثير عفوا ما تراه مخالفاً للنظام العام. حتى أن للفريقين أن يثيرا مباشرة ولأول مرة أمام محكمة التمييز أسباب الدفاع المبنية على أحكام الضمان المتعلقة بالنظام العام[١١].

وأن تطبيق قواعد الضمان الاجتماعي لا يمكن تعطيلها بسبب حسن نية الخاضع لأحكامها[١٢].

حسين حمدان

---

(١٠) انظر بهذا المعنى حسن الفكهاني في «المدونة العمالية» ج ١، قسم ٢، ص ٥٧٠ - ٥٧١، قرار محكمة القاهرة الابتدائية، دائرة ١٠ عمال، رقم ١٠٩٤ سنة ٥٤، عمال كلي، جلسة ١١ - ١٠ - ٥٥، وقد جاء فيه انه «ليس في تنازل العامل عن حق طلب التعويض، ما يخالف النظام العام، إذا كان هذا التنازل، قد وقع وقت وجود هذا الحق. وأن المخالف للنظام العام، ولنصوص قانون العمال، هو التعاقد مستقبلا على التنازل أو الحرمان من التعويض». وأنظر بذات المعنى، وفي ذات المرجع، ص ٥٨٠ و ٥٨٢، القرار الصادر عن ذات المحكمة، في القضية ٤٨٢ سنة ٥٥، مستأنف عمال، جلسة ٢٠/١٠/١٩٥٥، والقرار الصادر عن القاهرة الابتدائية، الدائرة التاسعة، عمال، في القضية رقم ١٢٥٦ سنة ٥٣ كلي تجاري.

وفي تعليق للاستاذ حسن الفكهاني في ذات المرجع، ص ٥٩٨، جاء قوله أن البطلان الذي قصدته المادة ٥٠ من القانون ٣١٧ لسنة ٥٢، حكمية حماية حقوق العامل المستقبلة. فلا يجوز لرب العمل، أن يمس الحقوق التي رتبتها القوانين الموضوعية عنه، عند التعاقد أو أثناء سريان العقد. أما إذا انتهى عقد العمل على أي وجه، فقد زالت عدة التحريم، وأصبح للعامل مطلق السلطان في التصرف في حقوقه، فله أن يتمسك بها على الوجه الذي يرتضيه، وله أن يتنازل عنها كلها أو بعضها، لسبب أو لغير سبب. ومتى تنازل عن شيء فلا يجوز له الرجوع فيه. وهذا ما قضت به محكمة استئناف القاهرة أكثر من مرة.

(١١) زهدي يكن في شرحه لقانون الموجبات والعقود، ج (١١) ص (٣٠) والمراجع المشار إليها في الهامش ٣ من ذات الصفحة.

(١٢) زهدي يكن، ذات المرجع، ص ٣٠ - ٣١، المرجع المذكور في الهامش من الصفحة ٣٠.

الحلقة المفقودة في نهضتنا الثقافية

بقلم: د. رشاد دارغوث

استيقظنا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وإذا بأصوات خيرة ونبرات حلوة، تقول وتردد دون ملل: إلى العلم، إلى العلم... العلم نور! فاصغينا باهتمام إلى ذلك النداء الصافي الجرس، لأنه شبيه بالدعوة السابقة التي صدرت عنا وتجاوبت بها أطراف العالم من قبل، ثم نسيناها: «أطلب العلم من المهد إلى اللحد».

وكان أن إستجابت شعوبنا لهذا النداء، لا بقوة ما فيه من صدق وإخلاص فحسب، ولا بداعي الحاجة الملحة، بل لما إستقر في «لا وعي» هذه الشعوب، كل فرد من هذه الشعوب، من رواسب ماضيها العريق، ومقومات شخصيتها المتميزة!

ولعل عصور الإنحطاط والإستعمار التي رانت على شعوبنا، قرونا متطاولة، لم تكن إلا لتزيد ذكرى ذلك الماضي تأججا في النفوس، وتلك الشخصية حيوية عند الإمتحان شأنها شأن الضغط على الأجسام السائلة، يزيد في طاقتها وقدرتها.

وهكذا أقبل الناس على المدارس التي أخذت بالتكاثر، وغدت بالسرعة التي تقتضيها الظروف الخاصة، ظروف ما بعد الحرب، ووفرة المقبلين عليها، وقلة المعلمين الأكفياء والمربين الصالحين من بنيها. وكان لا بد والحالة هذه من قيام التنافس بينها، وهي المؤسسات المختلفة المتعددة النزعات بسبيل الإستئثار بأكبر عدد من التلامذة والطلاب، وبالتالي بأكبر قسط من الربح.

فكان هذا السباق الذي لم ينته، في سبيل الشهادات الصحيحة والمزورة، وهذا التفاخر بالألقاب المستحقة والمشتراة، فضلاً عن التزاحم المستمر بين مختلف الثقافات والدعاوات!

وقد كنا، ولا نزال، إذا دخلنا أكثر تلك المدارس والكليات... لا نجد فيها من وسائل التعليم والتربية الصحيحة، شيئا مذكورا. بل نحن في أكثرها مختبراً واحداً، تتعلم فيه الناشئة كيف تطبق العلم النظري أو كيف تتمثل المعرفة وتهضمها، بتحويلها من كلمات محفوظة ميتة إلى عمل حي فاعل.

العلم النظري:

وهكذا جاء إقتصار التعليم على الناحية النظرية مبطلاً للجهود الشاقة المبذولة في حقل الثقافة العامة، إذا لم نقل أنه كان مفسداً. فقد إنقلب الفتى المتعلم عندنا إنسانا لا يستطيع أن يعمل أي عمل، ولو كان ذلك مهنة أبيه، بل صار ذلك الفتى إلى حال يحتقر معها أباه وكل

عامل يدوي . أي أن العلم المرغوب فيه كي يكسب المتعلم مهارة وحذقا في العمل ، ويقرب ما بين الأجيال للتعاون على خيرها وخير الأمة ، قد انقلب إلى مانع أو « عازل » يحول بين صاحبه وبين الإنتاج ، ويحول بينه وبين التضامن مع سواه .

والإنتاج لا يكون في الإستخدام ولا في ما يسمونه بالأعمال أو المهن الحرة . بل يكون الإنتاج في إستنبات الأرض، وإستخراج ما في جوفها ، ثم في صناعة ما نستنبته وما نستخرجه . كما يكون الإنتاج كذلك في ما ينشئه رجال الفكر والعلم والفن من مبتكرات خيرة ، وأعمال بناءة ، وفنون أصيلة !

وهكذا حالَ العلم النظري بيننا وبين الإنتاج ، وهو عمود الإقتصاد الفكري ، والإقتصاد قوام الحياة فصرنا نستورد من الخارج حتى اللقمة والقميص . فذهبت بذلك ثروتنا الوطنية المخزونة ، ولم نبرح نخسر في كل عام أكثر دخلنا الوطني ، أي مجموع ما يجنيه الشعب بعرق الجبين ونور البصر، ندفعه ثمنا لتلك المستوردات التي لا تعد أنواعها ولا تحصى كمياتها ، ومنها الشهادات والألقاب الفارغة !

حتى الصناعة التي رافقتنا منذ أقدم العصور كصناعة السفن لم ترتق إلى مرتبة محترمة ، لأن العلم النظري لم يوفر لنا الفنيين الصالحين ، ولا بعث الإيمان في قلوب المتمولين فحملهم على تدعيم تلك الصناعات برؤوس أموالهم ، أو مد الإختصاصيين الآخرين لإنشاء صناعات ملائمة للبيئة .

وأورد على سبيل المثال أن أحد الإختصاصيين في علم البيولوجيا (علم الحياة) ـ وقد يكون الوحيد في بلادنا ـ قد اضطر بعد إنهاء دراسته في أوربا إلى الإستخدام بمعاش زهيد ... لأنه لم يجد المال اللازم لإنشاء مختبر ، يتمكن فيه من تطبيق علمه وإستكشاف الأسرار التي لم تبرح تكتنف الحياة !! وأن إحدى الإختصاصيات بالكهربا، عندنا تبحث الآن عن المال اللازم لإنشاء مختبر تفيد فيه من علمها ، وتفيد به الوطن من إختصاصها النادر .

فلو كان إيماننا بالعلم الذي تعلمناه يوازي إيماننا بالذهب الذي يختزنه فريق منا .. أو « بالورق » الذي ننفقه بالألوف على موائد القمار والمآدب والحفلات ... لوجدنا العشرات من أرباب المال يسارعون إلى « إستثمار » أموالهم بهذه الطريقة التي لا ينقصها حتى تكون « تجارية » رابحة إلا قليل من البذل في أول الأمر ـ كما نبذل على الإعلانات ـ ثم تغطي الأرباح الخسائر وتفيض !

والزراعة ، مهنتنا الأساسية ، لم تبرح وسائلها عندنا كما كانت في أيام أسلافنا ... وكذلك أصنافها التي نزرعها اليوم وبالطرق القديمة ذاتها ، هي هي الأصناف التي عرفها أولئك الأسلاف منذ ثلاثة آلاف سنة . في حين يغزو أسواقنا كل جديد من مزروعات العالم المتمدن ، وأزهاره المختارة ، وخضره وفواكهه الممتازة التي جوّدها المزارعون هناك بالإختيار ، والعناية ، وإستنباط الوسائل والوسائط الملائمة !

أما نحن، والمهندسون الزراعيون منا، على الأخص، فيا برحنا نحفظ ما يقال في الكتب عن كيفية قطاف الزيتون مثلا دون تكسير أغصانه، وعما يحدثه المزارعون في البلاد الأخرى، من عجائب لتطبيقهم قواعد العلم التجريبي، ثم نقطف الزيتون ونكسر أغصانه... أو نذيع الأحاديث الزراعية الجميلة من محطة الإذاعة!! وكفى الله المزارعين الجهود والمتاعب الأخرى!

وأبناء المزارعين الذين تعلموا ويتعلمون، بعيدا عن بيئتهم، جميع ما لا يفيدهم في حياتهم العملية، قد انصرفوا عن الأرض، وهجروا القرى تاركين تلك «الأم الرؤوم» إلى حيث يتوفر لهم العمل السهل الهين، سواء كان بالإستخدام أو بالوظيفة!

ونحن جميعا ندرك، بل نتحسس، ما ينشأ عن تلك الهجرة الخطرة من مآسي وويلات وفوضى، وإنحلال خلقي وجرائم وأمراض!

العلم طاقة:

فلماذا لم يثمر فينا العلم الذي تعلمناه ثمرا يشبه ما أثمره ويثمره في سوانا من الأمم والشعوب التي نهضت معنا، أو بعدنا، وليس لها ما لنا من أصالة وماض عريق في الحضارة؟

نحن نعلم أن المعرفة - وهي لباب الثقافة - قوة فاعلة، تؤثر حتى في الصخر فتنفجر منه الماء، وفي الفحم فتحوله إلى... زبدة!

فأين «العارفون» عندنا، العاملون بما تعلموه، يستفيدون ويفيدون من الماء الذي فجره الله في بلادنا ينابيع فياضة، ومن اللبن... الذي لم يسحب الباعة زبدته بكاملها، بل أين العلماء المخترعون الذين يحولون «المعرفة» إلى طاقة مولدة؟

ألقيت هذا السؤال على صديق لي هو أستاذ في إحدى الجامعات... فما وجد جوابا مقنعا سوى... التعلل بالزمن، وبان النزعة إلى الإبتكار تأتي... فيا بعد. فقلت له: يا صديقي! إذا صح هذا القول على زنوج افريقيا... وغيرهم من الشعوب «الجديدة» فلا يصح على شعوبنا العريقة، ذات الملكات الأصيلة، والإستعدادات التي صقلها الزمن، منذ آلاف السنين!

الواقع أن ثمة نقصا في نهضتنا الثقافية، حال ويحول وسيحول دون نضجها... وبالتالي إتيانها بالثمرات، شأن كل نهضة سليمة!

نقص أساسي!

فما هو هذا النقص؟ هذا هو السؤال! لماذا نجد حتى الطالب، في المانيا مثلا، يستنبط كل جديد وهو على مقاعد الدرس، ولا يخترع «العالم» عندنا شيئا جديدا، ولو سلخ عشرات السنين، بعد حصوله على أعلى الشهادات؟

تذكرون أن إنهيار المانيا، بعد الحرب العالمية الاولى، كان انهيارا تاما. حتى لقد إعتقد الرأي العالم العالمي بأنه لن تقوم لها قائمة بعد ذلك! وفي الواقع سادتها الفوضى كما سادها الفقر والجوع والاجرام والإنحلال الخلقي...

ومع ذلك كان «الولد» الفقير اليتيم من أبناء تلك الأمة المتفسخة لا يني يفكر، وهو يطلب العلم ويقوم في وقت واحد بأعباء رب العيلة، ثم يستنبط ويبتكر الوسائل الكفيلة باعالة أمه وأخواته وأخواته الصغار.

روي أن أحد أولئك الصبيان الأيتام قد ابتكر مهنة يعيش وأهله منها، بدلاً من اللجوء إلى الشحاذة أو... الإجرام. فاخذ يقشر البطاطا وهي رائجة في المانيا، ثم يبيعها بزيادة ضئيلة على السعر... فكان لهذا الإبتكار رواج منقطع النظير عند ربات البيوت الحريصات على أناقة أيديهن، وجمال أناملهن! ويقال أن ذلك الوليد اليتيم قد اغتنى واغنى بيته الذي انقلب إلى مصنع... يعج بمقشري ومقشرات البطاطا، كل يوم!

ومثل آخر ذلك الطالب الانكليزي... الذي لاحظ أن رفيقاته في المدرسة يتضايقن لتساقط «الدبابيس»... عن شعورهن الملساء المسترسلة. ففكر في الأمر وابتكر لهن «الدبوس المجعد» فكان له من ذلك الإختراع ربح وفير، وكان أن فتح لبلاده أفقا جديدا في صناعة الدبابيس...!

أما نحن، فانتم أدرى بما نحن عليه من عقم، وعبودية فكرية، وحب أعمى لتقليد الأغيار... كأننا بعض عبيد افريقيا! حتى لغتنا مثلا، واللغة مظهر للحياة الفكرية، لا نعنى بتطويرها العناية الكافية لكي، تساير النهضة العلمية والفنية والأدبية بل نحن على العكس، نفسدها إذا تكلمنا بها، عامدين متعمدين. وإذا أحوجتنا الظروف لقحناها بما تيسر من كلمات أعجمية، مؤثرين هذا الجهد اليسير على بذل المجهود العلمي لجعلها لغة حية حقا، تعيش معنا في المعهد، وفي الشارع، في المكتب وفي المصنع، في الكتاب وفي الحياة!

أقول هذا، لأن اللغة ظرف لكل علم. فاذا لم يكن ذاك الظرف صالحا، فكيف يستوعب المظروف، وكيف نستفيد منه؟

لقد أورثنا الأقدمون لغة مرنة مطواعة قابلة الإشتقاق والتطور إلى أبعد الجدود، وأدبا يفيض بالخير والجمال والخلق المتين. فماذا ترانا سنورث أبناءنا؟ وأي عذر سنتذرع به لديهم إذا أخذونا بتقصيرنا حتى في جعل لغتنا المكتوبة هي اللغة المحكية، وكليهما في مستوى حياتنا وثقافتنا العامة، وأدبنا صورة عن تلك الحياة؟

لماذا يخجل أحدنا إذا لحن في اللغة الأجنبية التي يتعلمها، ولا يرى في «تكسير» لغته الأصلية أي حرج؟ وأين مثقفونا اليوم من مثقفي القرون الوسطى، قرون النور في شرقنا المظلم اليوم!

مثقفونا اليوم، على العموم، يقضون أوقات فراغهم في الملاهي، ودور القمار وما شابهها.
أما مثقفو تلك القرون التي ينعتها الغربيون بالمظلمة ـ استنادا لما كانوا هم عليه ـ فكانوا يقيمون في كل بيت مجلسا أو صالوناً، وفي كل قصر منتدى، للعلم وللأدب!

ويكفي أن نذكر مجلس الرشيد وابنه المأمون، ومجالس من تلاهما من الخلفاء، ثم مجالس الوزراء في كل من الممالك المستقلة التي نشأت في ظل الدولة العباسية، فالفاطمية، من بغداد حتى حلب غربا، ومنها إلى الهند شرقا، ومصر جنوبا!

وقد جمع الأديب الكبير أبو حيان التوحيدي ما دار في بعضها من مناقشات ومناظرات وما استجد من أفكار، في كتاب ضخم دعاه «الإمتاع والمؤانسة». فهل «لمجالسنا» نحن اليوم، نحن المثقفين، ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين، عصر العلم والطاقة الذرية الهائلة، من «حصيلة» ذات قيمة، باستثناء القيل والقال، و «توافه السياسة» المحلية، والمماحكات الحزبية، أو أحاديث الخلاعة والفسق والفجور؟

وإذا تركنا جانبا شؤون الفكر واللغة وما يتصل بها ـ مع أن الإصلاح في اللغة هو أساس كل أصلاح، وبعث الفكر هو أصل كل بعث ـ ونزلنا إلى واقع الحياة اليومية، فأي عمل مفيد قمنا به، بعد أن تزودنا بالعلم، نستطيع أن نفاخر به أسلافنا أو أن يعتز به أحفادنا؟

أنشأ أجدادنا الأقربون هنا جمعية المقاصد ومدارسها، ورتبوا لها الأوقاف بمثابة موارد ثابتة ـ فهل أقمنا للنوابغ ما يرمز إلى اعترافنا بجميلهم، تخليدا لذكراهم او تشجيعا للعاملين المخلصين على الإستمرار في التضحية؟

ونحن إذا عدنا إلى أبعد من هذا التاريخ الحديث، لرأينا النهضة العربية، في صدر الإسلام، تثمر بعد مدة قصيرة لا تتجاوز ما قضيناه منذ بداية نهضتنا الحاضرة. فقد كانت تلك النهضة قائمة على العلم والخلق، على المعرفة والإيمان، بل على الإيمان بالمعرفة التي تنقلب حينئذ إلى طاقة محيية، وعمل بناء خلاق. شأنها في ذلك شأن الطعام الذي تشتهيه النفس فنأكله ثم نمضغه ونهضمه فيتحول في الجسد لا إلى دم محي فحسب، بل إلى حيوية وقوة وقدرة خلاقة.

وهذه أمة اليابان في التاريخ المعاصر، فتحت عينيها على النور المتدفق من الغرب. فما مضت خمس وعشرون سنة حتى هبت لتزاحم في كل صعيد أعظم أمم الغرب صناعة ومهارة واختراعا وابتكارا!

بل هذه هي الولايات المتحدة الأميركية، التي كانت منذ عهد قريب مجاهل وصحراوات، وكانت شعوبها خليطا من اللاجئين وفدوا إليها من كل واد وصقع، إنها انقلبت بين قرن وآخر إلى أمة تتربع فوق ذروة المدنية والحضارة.

ذلك أن نهضة اليابان قد قامت على أسس متينة من العلم التجريبي والنظام والتنظيم، والإيمان بكيان الأمة وشخصيتها المتميزة. والأمريكان، وإن كانوا أمة جديدة، فهم مجموعة شعوب أصيلة تمازجت، فكان نضج الحضارة عندهم سريعا.

وهو الأمر الذي كان يجب أن يكون عندنا، ونحن لا نقل عن هؤلاء ولا عن عؤلاء أصالة وعراقة!

فما هو المانع، بل ما هي الحلقة المفقودة التي تحدث هذا الفراغ في سيرنا الحضاري، وتحدث هذه الأزمات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في شعوبنا وفيما بينها. فتبلبل أمورنا، ونستمر في الدوران حول أنفسنا كي ننتهي إلى حيث بدأنا، مثل ابريق الزيت، في القصة المعروفة!

وهذه الظاهرة الخطيرة التي نتلمسها في الأفراد والجماعات، في جميع البلاد العربية، والتي تتلخص في أننا نقول، ولا نفعل، هل هي مفتاح تلك الحلقة المفقودة؟

فنحن نقول ولا نفعل، حتى ليخيل إلينا إننا مصابون بمرض الازدواج، ازدواج الشخصية... الذي ينتهي في مرحلته الأخيرة إلى مرض الشيزوفرانيا العضال. حتى «الأخوة» أو التعاون الأخرى، لا تعني في أفواه الناس، والكبار منا خلاصة، غير الخصام والعداوة على أتفه الأمور والأسباب. وإذا كان الأخوان دواتين شقيقتين كانت الأخوة بمعنى القطيعة... والتعاون بمعنى الطعن في الظهر!

فما هو السر في ذلك، وكيف السبيل إلى الخلاص؟

الثوب الملائم:

العلم الذي اقتبسته اليابان حين نهضتها، والأمريكان في تطورهم، كان ثوبا ملائما لكل من هؤلاء وهؤلاء. ونحن حينما كنا شعوبا حية كانت أثوابنا في مختلف العصور، ملائمة لأبداننا. لذلك قامت عندنا في هذا الشرق أقدم الحضارات الخيرة، وذلك بمساهمتنا الفعلية في العهود الفنيقية الفارسية البيزنطية الرومانية، وبمشاركتنا التامة في العهد العربي الإسلامي!

ولم يكن في تلك المساهمة أو المشاركة أي عجب. فنحن أمة عريقة كما قلنا، أو أمة وسط، كان علينا واجب خطير، نحو أنفسنا ونحو العالم. فاديناه رسالات باقية في التجارة والصناعة وفي العلم والفكر.

وكان علمنا اذ ذاك أو ثقافتنا العامة ثوبا مبطنا بالخلق، فكان علما نافعا وكانت ثقافة خيرة خلاقة.

أما هذا العلم الأجوف، هذه المحفوظات والثرثرات الكلامية... التي نستظهرها ونكتفي بحفظها، فإنها هي التي اشقتنا واشقت بنا غيرنا.

هذا العلم المقتصر على ما لقنونا من معلومات وما نقلوا إلينا من نظريات... إنما هو ثوب ظاهرة حرير، وباطنه شوك... ومادية تجارية وعبودية أبدية.

تلك المادية العمياء التي طغت على القيم والمثل العليا عندنا، فخنقت روحيتنا المخصبة، دون أن نستبدل بها كسوانا نظاما يستمسك به المجتمع أو تنظيما يسوس الأفراد. شأن الغراب الأبله الذي قلد مشية الحجل في الأسطورة. فصرنا عبيدا كالإنسان الآلي... لا نتحرك إلا بباعث خارجي أو لمنفعة خاصة، وعدنا ذئابا يعدو بعضنا على بعض، دون وازع أو رادع!

برنامج الغد:

لا بد أنكم تتساؤلون الآن عما يجدر بنا عمله بعد أن صرنا إلى هذه الحال التي تعم الشكوى منها، في كل صعيد، فكريا كان أو اقتصاديا واجتماعيا.

لقد قلنا مرارا وكتبنا ذلك تكرارا، بان الإرادة في تحويلنا عن سبيلنا الطبيعي، أو الإصطناع الذي نتكلفه كي نكون غير أنفسنا، هو أساس العلل التي نشكو منها جميعا.

ففي صعيد الثقافة نحن بحاجة إلى علم تجريبي يستمر به تقليد أمتنا في الزراعة والصناعة والتجارة التي ازدهرت عندنا منذ فجر التاريخ، فوفرت لنا أسباب الحياة والتقدم والعمران، كما مكنتنا من المساهمة في إقامة صرح الحضارة العالمية.

وبتعبير آخر نحن بحاجة إلى ثقافة علمية تحملنا على العمل والإنتاج والإنشاء والخلق لا إلى ما نحن بسبيله من ثقافة «كلامية» أضعنا في طلبها حيوات أبنائنا منذ أجيال، دون أن تثمر فيهم سوى ثمرات عجاف، تعيش على الجدل، وتنهي روح الشعب، وتقضي على الحس الإجتماعي!

نحن بحاجة إلى ثقافة علمية تستبطن الخلق كما تستبطن «طرة» القرش «نقشته». فوجه للعلم وآخر للخلق، إذ لا خير في عالم لا أخلاق له!

ولا ننس أننا نعيش في الشرق، مهبط الأديان، فنحن مؤهلون منذ اضطلعنا بتبليغ الرسالات السماوية، لأن نؤدي للمجتمع رسالة مستمرة، تستمد عناصرها من روح الخير والحب والأخوة الإنسانية الشاملة.

وما حرصنا على سلامة تلك الرسالات وإستمرارها إلا رسالة خاصة، بحد ذاته. فكيف يريدون من شعب أو شعوب أعدتها البيئة لمثل هذه الرسالة الخطيرة أن تتحول عنها، دون أن يختل التوازن في مجتمعها؟

أذكر أنني صحبت رفيقا لي من منطقة كسروان سنة ١٩٢٨، في رحلة إستكشافية إلى هذه الجبال البديعة... وصادف أن ركبت في السيارة معنا فتاة أجنبية... فلما استأنست بحديث رفيقي الذي كان يدلني على روائع الطبيعة ويذكر لي أسماء القرى والمؤسسات التي

مررنا بها، بلغة فيها الكثير من الكلمات الأجنبية ـ تدخلت تلك الفتاة بالحديث، وكانت على جانب من الظرف والجمال والثقافة، فقالت لرفيقي الذي كان يفاخر بما وصلت إليه بعض « الأوساط » من « تفرنج »:

ـ تطوروا ما شئتم... ولكن ابقوا شرقيين! فقد أحببناكم لأنكم شرقيون، لا لأنكم نسخة مشوهة عنا... نحن الأوروبيين!

اذكر هذا لا كي أدعو إلى « رجعة » عما نحن بسبيله من أسباب المدنية والحضارة. فقد كنت ولم أزل من القائلين بان علينا أن نتلقى « النور » من حيث جاء. وقد كان هذا النور شرقيا في زمن ـ وهو « غربي » في هذا الزمان. فما علينا إذا نحن « استنرنا » به اليوم كما إستنار سوانا « بنورنا » فيما مضى.

أقول « استنرنا » أي إننا فتحنا حيث نحن النوافذ والأبواب للنور الدافق، ولا أقول « استحلنا » إلى هباء... منثور، تحت أشعة ذلك النور!

المهم أن تبقى لنا شخصيتنا وكياننا. فنجعل كل علم من مقومات تلك الشخصية، ونجعل كل معرفة من معطيات ذلك الكيان. وحينئذ نستمر في الحياة، أو يدوم لنا وجود بقدر ما يستمر وجود المخلوقات الفانية!

ونحن إذا استعرضنا بعض « النماذج » الحية لمثقفينا، وما هم عليه، أمكننا توضيح المقصود. وأنني مقتصر على ثلاثة أمثلة تتناول المربي والطبيب ورجل القلم... لما لكل من هؤلاء من أثر عظيم في المجتمع بما يؤديه من رسالة خطيرة.

١) فالمربي عندنا ـ المعلم كما يدعونه حتى الآن، أو الأستاذ، رجل مثقف على العموم إختار هذه « المهنة » ليعيش. وقد اعتدنا أن نكرمه بترديد بيت من الشعر... لشوقي رحمه الله، يقول فيه:

« قـــم للمعلم وفـــه التبجيلا كـــاد المعلم أن يكـــون رســـولا! »

ثم نكتفي بذلك القول الجميل. ولكنه هو لا يكفيه ذلك. فليس بالكلام وحده، يحيى الإنسان! ولا سيما من كان كالمربي إنسانا مرهف الحس، واسع الآفاق شامل المعرفة. وأعني المربي الموهوب الذي يستحق اللقب الشريف.

فهل نعجب بعد هذا إذا أعطانا « المربون » مما نعطيهم... فبادلونا كلاما بكلام، وإهمالا بإهمال؟ فصار التعليم تجارة، والتربية إعدادا لنيل الشهادات وسباقا في سبيل الرتب والألقاب؟

ونحن في هذه الناحية سائرون من سيء إلى أسوأ. فقد كانت مدارسنا منذ ربع قرن أعلى مستوى منها اليوم. وكان طلابها وخريجوها، على مختلف الدرجات، أعمق ثقافة وأكمل وعيا.

ولسنا هنا بسبيل تشخيص الداء ووصف الدواء. فلذلك مجال آخر. ولكننا نرى أن إعداد المربين الصالحين للبيئات التي يعملون فيها، على ضوء متطلبات تلك البيئات، كفيل بالحيلولة دون ما هو أشد سوءاً أيضاً! ولا ننسى ما قاله الشاعر القديم:

إن المعلم والطبيـــــــــب، كلاهما   لا ينصحـــــان إذا هما لم يكـــــرما!

وأنتم أدرى بما يتوجب لاكرام رجل رسالة وفكر مثل المربي، دون تقتير أو تقنين. ففي ذلك الخطوة الأولى نحو إصلاح المدرسة، وبالتالي إصلاح العيلة، ومن بعد إصلاح المجتمع وسائر ما يتصل به من إقتصاد وإدارة وقضاء وسياسة. وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيصبح فيه للمربي عندنا مثل ما للقاضي - على الأقل - من حرمات وامتيازات.

٢) أما الطبيب فمهمته شبيهة بمهمة المربي. هذا يسهر على إعداد الأرواح والنفوس وتوجيه العقول والقلوب. وذاك يسهر على سلامة الأبدان وبالتالي سلامة القلوب والعقول. فالعقل الصحيح في الجسم الصحيح.

وقد يكون الطب النظري الذي تقتصر ثقافة أكثر أطبائنا عليه هو عند الأساس من كل شكوى وتذمر في هذه الناحية. وقد قال لي أحدهم: لن يصبح أحدنا «طبيبا» قبل أن «يمارس» مهنته مدة أقلها عشر سنوات!

ثم هذه الكثرة التي لا اختصاص لها من الأطباء الذين تخرجهم جامعتان، فضلاً عن الذين يدرسون في الخارج... هل استطاعت أن تحول دون انتشار الأمراض والأوبئة، أو أن تعمل على اكتشاف دواء شاف، على الأقل؟

ثم أليس من سبيل للحيلولة دون تجمع الأطباء في العاصمة... بحيث يزيدها ذلك تخمة واختناقا، في حين تموت سائر المدن الأخرى في عزلتها القاسية؟ اليس من «الإنسانية» أن ينبر كل طبيب زاويته، ويداوي أو يسهر على صحة أبناء قريته؟ ولو تحمل معهم، في سبيل إداء رسالته هذه، أقسى أنواع الحرمان؟

٣) وثالث الثلاثة هو رجل القلم، شاعرا كان أو ناثراً، أديبا أو محاميا أو صحفيا، فما هي الرسالة او الرسالات التي يؤديها من يحملون هذه الألقاب عندنا، هم وأتباعهم وأتباع أتباعهم، من ناشرين وكتبيين وموزعين وسينمائيين...

يكفي أن نستعرض الواقع لنتلمس أسباب الشكوى والتذمر العامين. يكفي أن نرى أكثر ما تصدره دور النشر والمطابع من مجلات إستهتارية وكتب جنسية، وقصص «الخلالية»، وأفلام خلاعية، وصحف تجارية و... ويكفي أن نحتك بالناشرين الذين يتبلغون المؤلفات والمؤلفين... ويستغلون الناشئة والمدارس، وأن ندخل المدارس والمعاهد التي تتجر بالناشئة وتقامر بمستقبل الشعوب...

بل أننا لا نعجب، بعد الإطلاع على ذلك كله، من قريب أو بعيد، لهذه الفوضى الضاربة

أطنابها، في صعيد الفكر والقلم. ولهذه البلبلة في المفاهيم والمقاييس والموازين، وهذه «العشائرية» في القيم والتقييم... حتى ليخيل إلينا أن «أسواق الخضر أو مال القبان» قد إنتقلت إلى أسواق الأدب والفكر في لبنان!

تبعة الأحرار:

إنني أتوقف معكم هنا لأتساءل بلسانكم مرة جديدة، عما إستفدناه من العلوم والمعارف النظرية التي حفظناها؟ وعن نفع الشهادات والألقاب التي يفاخر بها بعضنا البعض الآخر؟

هل كان لتلك العلوم والمعلومات المحفوظة أثر في تطوير المجتمع يوازي الجهود والأموال المبذولة؟

لا شك أننا لم نهدر عبثا ما انفقناه من أموال وجهود وأعمال. فنحن قد اتقنا المظاهر، وسبقنا حتى أساتذتنا في الترف والبذخ.

ولكن «ليس التكحل في العينين كالكحل» هذا هو منطق الحياة. التكلف والإصطناع لا يؤديان إلا إلى هذه النتائج التي نتخبط فيها، وتعم الشكوى منها، في كل صعيد.

والحق هو أنه ما كان لنا قبل الآن أن نختار السبيل التي نسلكها، لأننا لم نكن نملك زمام أمورنا. أما الآن وقد بلغنا رشدنا، فما علينا إلا أن نرسم لانفسنا خطة السير في المستقبل. فاما أن نستمر في «إستحالاتنا» كالضفادع... فنفقد مبررات وجودنا، وأما أن نعمل على دعم شخصيتنا المتميزة فنزيد في مقومات كياننا، ونحمل تبعات الأحرار.

هل نظل نتحول من مزارعين وصناعيين وتجار... إلى أطباء ومحامين وصيادلة... لا نجد عملاً، أم نتخصص في الزراعة، وفي الصناعة وفي التجارة، فنعمل كما في الماضي لانفسنا ولأوطاننا؟

هل نثابر على استيراد الفيتامين ث (c)، في علب محفوظة، ونصفه في معالجة مرضانا... وهو الفيتامين المتوفر في حضياتنا، بصورته الطبيعية، في كل فصل من فصول السنة؟

وهل نتابع «استيراد» القوانين والأنظمة والمقاييس الأدبية والفكرية الموضوعة لسوانا وبعقلية غير عقلية شعوبنا، وذلك كي ننشرها في الصحف، دون أن نطبقها أو نحاول تطبيقها حتى على انفسنا؟

وهل نستمر على إعتبار كل سطر خطه «أجنبي» خيرا من أي «كتاب» عندنا... إلى أن يقوم أحد المستشرقين فيدلنا على ما يحتويه ذلك الكتاب القديم من كنوز المعرفة، ويمنحنا فوق ذلك لقب «دكتور» أو ما شابه من الألقاب؟

أعود فاكرر القول بانني لست أدعو إلى رجعة عما نحن آخذون به من أسباب الحضارة

والمدنية، بجميع أسبابها دون استثناء. ولكننا نريده أخذا منسجما مع استعدادنا، وتطورا يلائم مزاجنا وبيئتنا وعقائدنا في الحق والخير والكمال.

نريدها ثقافة موجهة شطر استثمار مرافقنا الحيوية، من تربة خصبة عطاء، وبحر هادىء جواد، وسماء صافية خيرة. فيكون العلم لنا معوانا على بلوغ ما بلغه الآخرون، وما سبق أن بلغه أجدادنا، لا ملهاة نتلهى بها، وجدلا بيزنطيا يحول بيننا وبين التعاون والتضامن والقوة!

وحينئذ نستمر في إداء رسالتنا الأزلية... فنجعل من مجتمعنا أولاً، مجتمعا في المستوى الذي نريده له، ويفرضه علينا سبقنا في هذا المضمار، وذكاؤنا الوقاد، وإمكانات البيئة التي نعيش فيها، من قلب العالم، في الخلق والإنشاء والتوجيه والإشعاع!

ولعل الشاعر القديم الذي حذر من الثوب المستعار، كل ثوب... إنما عنانا بقوله المأثور:

مـــن تـــردى بـــرداء مـــــا رآه لأبيـــــه
ســـوف يـــأتيـــه زمـــان يتمنـــــى الموت فيـــــه!

وإننا نسأل الله أن لا تقودنا الغفلة إلى ذلك المصير. فنحن متفائلون لأننا نؤمن بالله، وهو خير محض. ونكره التشاؤم لأنه من خلق الشيطان. فإذا كان ما كان حتى الآن خطوة أو خطى كتبت علينا، فمشيناها دون وعي، فإنه يتحتم علينا اليوم، وقد وعينا، أن نخطو الخطوة أو الخطوات التي تقودنا إلى الخلاص، إلى النجاة.

وإننا إن شاء الله لفاعلون!

رشاد دارغوث

حِكَم

ثلاث موبقات: ١ ـ الكبر، فإنه حطّ إبليس عن مرتبته. ٢ ـ والحرص، فإنه أخرج آدم من الجنة. ٣ ـ والحسد، فإنه دعا إبن آدم لقتل أخيه.

علي بن أبي طالب

أنفع الأشياء أن يعرف الرجل قدر منزلته، ومبلغ عقله، ثم يعمل بحسبه

الشافعي

من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه

عمر بن عبد العزيز

ما ذل ذو حق وإن اطبق العالم عليه، ولا عز ذو باطل ولو طلع من جبينه القمر

المتنبي

صيدا في قصائد الشعراء

بقلم د . طلال المجذوب

لماذا صيدا ؟

ليس الدافع الرئيسي لكتابة هذا المقال انني احد ابناء صيدا ويلذُّ لي مشاركة الآخرين لي في التمتع بما جادت به قرائح الشعراء، على مرّ العصور، مدحاً بصيدا وبأهلها . بل لأن صيدا تستحق ان يُجمع عنها ما قاله فيها الشعراء من قصيد لأنها بعراقة تاريخها، وجمال مناظرها ومحاسن أهلها تستحق، دوماً، الثناء، والمديح .

فهي المدينة اللبنانية العريقة الناعمة بين كتف الروابي الخضر، وبين احضان الموج على الشاطيء الجنوبي للبنان، حيث يمتد سهل ساحلي خصيب طارت شهرته فيا ينتجه من برتقال لذّ طعمه، واكيدنيا حَلَىَ مذاقها، وراق منظرها، بالاضافة إلى الموز وقصب السكر، والتوت والرمان .

كما تمتليء روابيها، خاصة عند اطلالة الربيع، بالورود والزهور بعضها غرْس اليد، وبعضها الآخر نبْت الطبيعة كالبنفسج والسوسن والزنبق وشقائق النعمان وغيرها حتى صارت صيدا تعرف « بمدينة الربيع الدائم » .

يضاف إلى تلك المناظر الجميلة ما طُبع عليه اهلها من حلاوة معشر وطيب مخبر، وهدوء ورويّة، وذوق وكياسة إلى جانب وعي وطني صادق وحسّ حضاري اصيل، جعل المدينة تستحق لقب « المدينة الوادعة » .

هذا كله، جعل الشعراء، وهم الأكثر قدرة على تذوّق الجمال، ينظمون القصيد تلو القصيد في وصف محاسن صيدا ومحامد سكانها، فأشار بعضهم إلى اصالة حِرَفها ودقة صناعتها، وأشاد بعضهم الآخر، بطيب هواها وجمال حدائقها وفوح الشذى من ازهارها، وانشد قسم ثالث معدداً مناقب سكانها وحسن معشرهم. وهؤلاء الشعراء بعضهم جاءها زائراً، وبعضهم مرّ بها عابراً، وبعضهم الآخر اقام في ربوعها بعض الوقت فأثارت احاسيسه وحركت عواطفه، كما كان البعض منهم من ابنائها وغير غريب عن أرضها .

(*) من ابناء صيدا، يحمل الليسانس في التاريخ من جامعة طهران والماجيستير من جامعة عين شمس (بالقاهرة) ودكتوراه دولة في التارخ الحديث من جامعة القديس يوسف في بيروت، يعمل استاذ المادة التاريخ في ثانوية صيدا الرسمية الأولى للبنات، ومحاضراً في الجامعة اللبنانية الفرع الخامس؛ له كتاب واحد وعشرات المقالات في الصحف والمجلات اللبنانية والعربية مثل العربي وتاريخ العرب والعالم والعرفان والنهار والسفير وغيرها .

أما ان تكون «العرفان» مختصة بهذا المقال، فلأن العرفان وليدة صيدا، وكثيراً ما امتلأت صفحاتها تأريخاً لها، أو ذكراً لأهلها، أو وصفاً لمعالمها، بالاضافة إلى ان كثيراً من هذه الاشعار سبق نشرها على صفحات العرفان نفسها قبل اربعين أو خمسين من السنين، وكان عملنا في هذا المجال اننا جمعنا باقة صغيرة من تلك الاشعار من على صفحات الجرائد والمجلات، وبعض الكتب ودواوين الشعراء لنقدمها هدية إلى صيدا وأهلها.

في البدء كان هوميروس:

لعل أول من وصلنا شعره من القدماء عن صيدا، الشاعر اليوناني الاعمى «هوميروس» الذي مدح القماش الذي كانت تنسجه الصيداويات.

عابقُ الطيبِ ومنشورُ الشذا ... فوق أُزرٍ زانها الوَشْي الجميل
نَسَجَتْها غيدُ صيدا نُقَبا ... والفتى «فاريس» منها جَلَبا

وكان هوميروس قد قال ان الفتاة التي ترتدي ثوباً من صنع بنات صيدون هي سعيدة، وكسبت صيدا بذلك النسيج شهرة واسعة، حتى كان الاغريق يقدمون منه لآلهتهم.

ثم ابن الساعاتي:

ولما زارها ابن الساعاتي المصري في القرن الثاني عشر سرّ من مناظرها فقال:

لِلّه، صيْداءُ من بلادٍ ... لم تُبْقِ عندي هَمّا دَفينا
تَرجسُها حِلْيةُ القَوافي ... قد طَبّقَ السَهْلَ والحُزونا
وكيسف ينجو بها هَزِمٌ ... وأرْضُها تُنْبِتُ العُيونا

وجاء النابلسي:

وفي سنة ١٦٦٣ زارها الرحالة الشاعر عبد الغني النابلسي فأعجبته مناظرها، وارتاح إلى معاشرة سكانها فتغنّى بها قائلاً:

نَزَلْنا من حِما صيدا ... بماءٍ طيّبٍ نبْعُه
فكانت اعيُنُ السَبْعة ... علينا الأعْيُنُ السَبْعة

ونبع السبع اعين لا يزال حتى الآن في شمال صيدا، ومياهه شحيحة الآن، بعد ان كانت في الماضي غزيرة جداً تتدفق من سبعة ينابيع فيه. وطال مقام النابلسي في صيدا فقال شعراً جديداً.

صادَ قلبي هَوَى الأحِبة صَيْدا ... عندما جئتُ قاصِداً أرضَ صَيْدا
بلدةٌ طابَ رونقُ البحرِ فيها ... فأزالتْ عنّا من الهَمّ قَيْدا
اعجبَتْني لطافةُ الماء منها ... والهواءُ الذي انْبرىَ تَبْريدا
ساحلٌ مطلقُ الجوانبِ غضٌّ ... يقذفُ الدُرّ من حَصَاهُ نَضيدا
فيه صَحْبٌ لنا هناكَ كرامٌ ... كل شَهْمٍ منهم يَلُوحُ فريدا

يحفظونَ الودادَ بالصدقِ حتى ... من أتاهُم لا يعرفُ التنكيدا
صانَهم ربُّهم وخصّ حِماهُم ... بالمعالي فلا يزالُ مشيدا
أمّدَ الدهرِ ما النسائمُ هبَّت ... وسَمِعْنا طيرَ الرُّبى غرّيدا

وفي مطلع هذا القرن:

وعندما جاءها الشيخ ابراهيم الحوراني خطيباً في حفلة التخرج في مدرسة البنات الاميركية فيها سنة ١٩٠٣ جعل خطابه قصيداً قال فيه:

قدمَ الزمانُ وصبْوتي تتجدّدُ ... فكأنّني في كلِّ عَصرٍ أوْلَدُ
شيخاً أرى بين الشيوخِ وأمْردًا ... في المُرْدِ مما شابَ منه الأمْرَدُ
وَصَفُوا لنا الدُّنيا على غيرْ الهدى ... والحقّ ما دُنياكَ إلا مَشْهَدُ
فيها تَبايَنَتِ الرُّؤى وتَعَدّدتْ ... وتوحّدت حُسْناً فلا تَتَعدّدُ
وأحبُّ ما فيها إليّ شذا الصِّبا ... من أرضِ صيدا والحدائقُ تشْهَدُ
أرضٌ كفردوس النعيم نساؤها ... حورُ الجنان لها المحاسنُ تَسْجُدُ
ورجالُها اعلامُ نورٍ في الدُّجى ... والنورُ في غَسَقِ الدّياجي يُحْمَدُ
ما أنسَ لا أنسى الذي شاهدتُه ... من أنسِكُم فنظيرُهُ لا يوجَدُ
في مُهجتي زرعتْ يمينُ ودادكم ... شكراً وما زرعَتْ يمينٌ تَحْصُدُ

وجاءها زائر آخر:

وعندما زارها عبدالعزيز الاديب مراسل جريدة ثمرات الفنون سنة ١٩٠٤ ارسل إلى جريدته مقالاً يصف فيه جمال صيدا وتوّجهُ بهذين البيتين:

بقومِها الصيِّد «صيدا» في البلاد سَمَتْ ... كالوَرْدِ في روضةٍ من يانعِ الزَّهْرِ
فان تَشُم فبديعُ الشكلِ منظرُها ... وان تَشُمّ فروحُ العابقِ العطرِ

وآخر جاءها خاطباً:

وفي سنة ١٩١٢ زارها الشاعر عساف الكفوري خطيباً في حفلة مدرسة الفنون الانجيلية للصبيان، فقال فيها ابياتاً من شعره:

صيداء عفواً يا كريمةَ معْشرٍ ... ليس الغريبُ اذا أتاك غريبا
لو كنتُ «أعزَبَ» اذ أتيتُكِ خاطبا ... ما عُدْتُ إلاّ خاطباً مخطوبا

وواحد من اهلها:

وجاشت نفس الشيخ الاديب احمد عارف الزين بحب صيدا فقال فيها شعراً نشره في العشرينات من هذا القرن على صفحات العرفان:

حَيِّ مناظِرَكِ الغرّا ومَرآكِ ... يا زهرةَ المدنِ سَرّ القلبَ ذِكراكِ

هامتْ بكِ النفسُ يا صيدا ومن عجَبٍ ... ان تَرْغبَ النفسُ بين المدن إلاّكِ
جمعْتِ منظرَ بحرٍ راقَ منظرُهُ ... ومنظرَ البرِّ قد لبّى وحيّاكِ
هذي الحدائقُ ترنو وهي ضاحكةٌ ... وذي الجداولُ تحكي أنّةَ الباكي
وذاكَ يمٌّ علاهُ الموجُ فارتسَمَتْ ... على صفائحه أصداءُ شكواكِ
يا بحرَ صيدا ذكّرها بما صنَعوا ... فأنتَ يا بحرُ نِعمَ الشاهدُ الحاكي
أيامَ صيدون حيثُ الفلْكُ قد صنعَتْ ... وناطحتْ في عُلاها هامَ أفلاكِ
لا تذهبي منه يا صيداءُ مُغضبةً ... فالجدُّ مجدُكِ والعلياءُ عَلياكِ
كم جابَ أهلوكِ قِدْماً غمرةً وسعَوْا ... في اليمّ حتى غدا طَوْعاً ليُمناكِ
جاسوا خلالَ دِيارٍ وابْتنوا سُفُناً ... قد قاوموا في قُواها كلَّ فتّاكِ

وصوت من العراق:

وزارها محمد رضا الشبيبي، من شعراء العراق وادبائه، في شتاء سنة ١٩٢٠ فنشر قصيدة في مدحها والتغني بمحاسنها :

عَروسٌ من البُلدانِ ليس لها مَهْرُ ... ومِصْرٌ سِبَتْني لا العِراقُ ولا مصرُ
وما هي لما قلّدتْني نعتَها وشاطئَها ... إلا القِلادَةُ والنَّحْرُ
أما انتظمتْ نظْمَ القلائدِ دورُها ... لئاليءَ أصدافٍ وحَصْباؤها دُرّ
وغيرَ كثيرٍ من بَدائعِ بَلْدةٍ ... كصيداءَ أنْ أغرى بها أنّها سِحْرُ
وما هي إلا الشِّعْرُ صيغَ مدنيةً ... فأنّى يُواتيني لأنعتَها الشِّعْرُ
دَنَوا منّةَ الأفلاكِ عنّا لقد بدتْ ... لنا الشمسُ من صيداءَ وارتفعَ البدْرُ
أهَلْ أنا في صيداءَ كلاّ وإنّما ... أزيحَ عن الفردوسِ لي ولَها سِتْرُ
وَرَحلْتُ اليها بالصبابةِ إنّها ... مُرامُ فتًى مثلي صَبابَاتُهُ كُثْرُ
ومعتدلٌ طِبْقَ المزاجِ مزاجُها ... فلا بردُها بردٌ ولا حرُّها حرُّ
ديونٌ لصيداءَ عليَّ ضمانُها ... وَرهْنٌ وَفاها إنّني رَجُلٌ حُرُّ
وما راقَ من صيداءَ الا بشاشةٌ ... وإلاّ ابتسامٌ مثلَ ما ابتسمَ الثغرُ
وما أنتِ يا صيداءُ إلا مَلاءَةٌ ... من الوردِ محبوباً لِرائدكِ النَّشْرُ
تَرجّلُ، إنْ هبّتْ، غدائرَكِ الصَّبا ... ويَغسلُ، بالأمواجِ، أرجُلكِ البحرُ
جبالُكِ تحناناً عليكِ عواطفٌ ... ومُحْدَوْدباتٌ مثلَ ما احدودبَ الظَّهرُ
أبَتْ جُملةُ الأشيا إلا لَطافةً ... بصيداءَ حتى أنتِ أيّها الصخرُ
فأمواجُها زُرقٌ بديعٌ صفاؤها ... وأجبُلُها بيضٌ وأربُعُها خُضْرُ
ألمَّ بصيداءَ المشيبُ مبكّراً ... وأسرعَ فيها وهي غانيةٌ بِكْرُ
فما زادَها إلا شباباً وفتْحةً ... من العُمرِ طالتْ كلما انكمشَ العُمْرُ
أمِن شجرِ الليمونِ هذا تجلّبَتْ ... جلابيبَ قطنٍ أبيضَ أكثرُ حُمْرُ

مواسمُ صيداءَ من الثلج وَضّحٌ ... وأيامُ صيداءَ مُحجّلةٌ غُرُّ

وجمال ربيعها:

وفي سنة ١٩٢٦ نظم الشاعر الشيخ سليمان ظاهر من النبطية قريضاً في مدح الربيع في صيدا فقال:

أمـا الجمالُ وروعتـاه وسحـرُهُ ... فـإليكِ يـا صيـدا يعـزى سـرُّهُ
زهـرُ الربيـعِ المجتنـى بـك شـاقني ... في الدهـر لا أفـقُ السماءِ وزهـرُهُ
وكفـاكِ ان ربيـعَ دهـركِ كلّـه ... مـا زالَ يطّلـعُ كـلَّ يـومٍ شهـرُهُ
شجـرُ الحدائـقِ فيـكِ مطـويٌّ على ... سـرِّ النسيمِ وفي يـديـه نشـرُهُ
ولأنـتِ يـا أمَّ المدائـنِ جـوهـرٌ ... بـك جـوهـرُ الإبـداعِ زيـنَ نحـرُهُ

كنت كرسي فخر الدين:

وانشد الشاعر الصيداوي محمود باشو سنة ١٩٢٨ قصائد حبه لصيدا وابنائها:

يـا حبّـذا نفحـاتٌ فيـكِ عـاطـرةٌ ... بها نسيمُـكِ حيّـانـا وحيّـاكِ
والوردُ وجنـةُ حسنـاءَ متيّمـةٍ ... والفلُّ دمعٌ همى مـن طرفِها البـاكي
دُعيـتِ سيّـدةَ الأبحـارِ مـن قِـدَمٍ ... اذ كـانَ أمهـرَ بانـي الفلـكِ أبنـاكِ
وكنـتِ كرسيَّ فخـرِ الديـن يـوم بَنى ... فيـكِ الحصـونَ والإسعـافَ والآكِ
وكنـتِ فُرضـةَ مُـدنِ الشـامِ أجمعِهـا ... للإتّجـارِ بيـومُ الكُـلَّ عليـاكِ

والوجه الآخر لصيدا:

ويبدو ان شاعراً متألماً لوضع صيدا المتأخر في الثلاثينات من هذا القرن بثّ شكواه على صفحات مجلة العرفان دون ذكر اسمه:

يا مهبطَ الحسنِ يـا عـرشَ الملـوكِ ويـا ... سليلةَ المجـدِ مـا للـدهـرِ أشقـاكِ
لم يبـقَ مـن مجدِكِ الخالي سـوى أثـرٍ ... خطّـتْ يـدُ الدهـرِ فيـه مُـرَّ شكـواكِ

بين القديم والحديث:

وفي سنة ١٩٣٣ نظم الشيخ علي الزين من جبشيت قصيدة طويلة في صيدا هذه بعض من ابياتها:

صيـدا تمرّدَ واستبـدَّ هـواكِ ... بفـؤادِ كلـومٍ والحشـاشـةُ ذاكـي
وهفـتْ بجانحـه هـوىً وصبـابـةً ... شيـمُ الوفـا والعطـفُ مـن أبنـاكِ
الضّـائعيـنَ ازاهـراً ولطـائمـاً ... والسـاطعيـن أهلّـةً بـذراكِ
والساحـريـنَ بـراعـةً وفصـاحـةً ... والثـابتيـنَ مبـادئـاً بـولاكِ
أتقـرُّ منـكِ على الهوانِ حفيظـةٌ ... أم تخفـتُ الأيـامُ صـوتَ إبـاكِ

وعلى مَبادئ للشبابِ نبيلةٍ ... رسَخَتْ عقيدتُكِ وشبَّ هَواكِ
وتوحّدَتْ نزعاتُ نشؤكِ بعدما ... دَرَسوا مناحي النفسِ من أدْباكِ
وتقولُ كلُّ مُدِلّةٍ بحليّها ... ما أحْقَرَ الألماسَ عندَ حِلاكِ

ودورها الوطني:

وفي سنة ١٩٣٦ عقد مؤتمر الوحدة السورية في صيداء، وقال موسى الزين شرارة هذه القصيدة في ذلك المؤتمر:

صيداءُ انتِ من الجنوبِ الغابُ ... الظفْرُ انتِ لعاملٍ والنابُ
فيكِ اللَّبَاتُ أوانسٌ وعقائلٌ ... والأُسْدُ فيكِ الفاتكونَ شبابُ
ايقظتِ عاملَ من عميقِ سُباتِهِ ... لما تعالى صوتُكِ الصخّابُ
وأهبتِ فيهِ تهتفينَ لوحدةٍ ... يا طالما حَنَّتْ لها الأعرابُ
فتوحّدَتْ نزعاتُهُ وميولُهُ ... فاذا الجميعُ أحِبّةٌ وصحابُ
وحطّمتِ غلاًّ كانَ من حلقاتِهِ ... «بشكوف»(★) والزعماءُ والنوابُ
للهِ دركِ كلُّ أهلكِ «خالدٌ» ... إنْ قامَ ينشُدُ حقَّهُ القرضابُ
وجميعُهم، إنْ شعرتْ نارُ الوغى ... تشري الكماةَ، غضنفرٌ وثّابُ
فلِذا رياضُكِ والمرابعُ جنّةٌ ... مِسْكٌ أريجُ زهورِها ومَلابُ

جمال فوق جمال:

وفي سنة ١٩٣٨ تغنّى بها عبدالحسين عبدالله فقال:

صيداءُ ما هذا البها والرونقُ ... كلُّ الجمالِ على جبينكِ يخفقُ
نشرتْ بساحتكِ الطبيعةُ حُلّةً ... خضراءَ وشّاها الربيعُ المونقُ
يتضاحكُ النسرينُ في جنباتِها ... ويَجُرُّ معطفَهُ عليها الزنبقُ
ومسارحُ الغيدِ الحسانِ على الحمى ... بدرٌ يغيبُ وآخرٌ يتألّقُ
وفي كلِّ ربعٍ من رياضكِ جنّةٌ ... وبكلِّ ناحيةٍ أريجٌ يعبقُ
يتحيّرُ الرائي بأيِّ جميلةٍ ... يلهو وأيِّ مليحةٍ يتعشّقُ
رقصتْ على الشاطيء عرائسُ دوحِهِ ... فغدا لها البحرُ الطروبُ يُصفّقُ
تتراكضُ الأمواجُ مسرعةَ الخطى ... فكأنّها الجُردُ العرابُ السُّبّقُ
وكأنّها فرقُ الغزاةِ عواديا ... تنهدُّ في الشاطي المنيعِ وتزهقُ
لم يثنها طولُ العراكِ ولا وَنَتْ ... عزماً ولا ملَّ الكفاحَ الفيلقُ
وحدائقُ الليمونِ مثلُ عرائسٍ ... مجلوّةٍ بحليّها تتألّقُ
ايخافُ فقراً اهلُها ونباتُها ... ذهبٌ على اغصانِهِ يتعلّقُ

(*) كان الحاكم الفرنسي لجبل عامل وكان ظالماً ومكروها من ابناء جبل عامل.

يـا جنـةَ الدُنيـا وَصَلْتُـكِ والحَشَـا مُتَـأَلـمٌ مـن غيْظِـه يتمـزّقُ
فتَبَـدَّدَ الهمُّ المُبَـرِّحُ وانْطَـوَتْ أشْبـاحُ الآمـي وخَـابَ الأَحْمَـقُ

ومزيد من الشعر:

وتغنى علي شلق بصيدا انطلاقا من المدينة الأم صيدون:

بـالأسـاطير ايها الموجُ رِفْقـاً بلُهـاتِ القُلـوعِ مـن صَيْـدون
خلْـفَ طَيّـاتِـكِ الغِضـابِ اخْتِلاجٌ لشِـراعٍ رَاخٍ وهَـزْجِ سَفِينِ
كم تعـرّى الفجـرُ في ظِلّهـا وانـداحَ نَجـومـاً نشرْنَ شَـوقَ عيُـونِ
كلّما مَـوَّجَ العُبـابُ تَلْمينَ سِنينـاً إلى صُـدورِ سِنينِ
فـالشـواطـيءُ طـروسُـكِ الشُهْـبُ مـا هـزّتْ شِمالٌ وَشَـعَّ وَحْـيُ يَمينِ

لو ان بحرك يا صيداء:

والشاعر المدني نشر قصيدة في صيدا سنة ١٩٤٦:

بيْنَ الضلـوعِ مُقيمٌ طـابَ منـزِلُـهُ أهْمَلْـتُ قلبْـي وقلبي ليْسَ يُهمِلُـهُ
صيـداءُ رفقـاً بِنَـاءٍ مـالَـهُ سَبَـبٌ غيرَ التعلُّـلِ لـو يُجـدي تَعَلُّلُـهُ
لـو ان بَحْـرِكِ يـا صيـداء اغْـرقـهُ لكـانَ ارْحَـمَ مـن دمـعٍ يُبَلّلُـهُ
صيـداء لسْتِ بنـاسٍ منـك عـارفـةً في معهـدٍ راق للطلاب منهلُـهُ
فيـه تعلمـتُ ان العِلْـمَ منقصَـةٌ كـالجهـلِ، مـن دون اخلاق تكمّلُـهُ

وصوت من البترون:

وزارها الخوري طانيوس منعم من البترون، فسعد بمناظرها وبصحبة اهلها والتنزه في «استراحتها» فودعها لقصيدة حب:

للاستراحـة في صيـداءَ تَـذْكـارُ وفي مـرابعهـا للحُـبِّ تَسْيـارُ
كـان اللقـاءُ بها فُضْلـى هَنَـاءَتِنـا وكـان أيْسَـرَ مـا جُـزْنَـاهُ مِشْـوَارُ
يَشُـتُّهـا الشـوقُ مُلْتَـاعـاً وغـالَبَني ذاك الحنينُ وقـد شَطَّـتْ بِنَـا الدّارُ
ورُحْـتُ أنْشَـقُ منهـا فَـوْحَ زَنْبَقَـةٍ في كُمِّهـا مـن عَبيرِ الحُبِّ أسْـرارُ
أمـامَنَـا البَحْـرُ مُهْتَـاجـاً كعـاطِفَتي ومَـوْجُـهُ في حَنَـايـا الصَـدْرِ هَـدَّارُ
نَمْشِي على هَـوْنِنـا حينـاً وتَحْسِـدُنَـا بيْـنَ الجَنَـائِـنِ أزْهَـارٌ وأبْصَـارُ

وبعد، فان الاصوات التي تغني جمال صيدا، وتتغنى بمحاسن اهلها لن تتوقف، لأن ذاك الجمال، وهذه المحاسن، ليسا شيئين طارئين على صيدا واهلها، بل هما اصيلان فيها، وجزءاً منها، بل هما سمتها الأصيلة وطابعها الدائم، وهذا سيظلان بيت القصيد في اغاني الشعراء واناشيدهم التي تتعرض لوصف صيدا أو لمدحها، فطوبى لصيدا، وطوبى لأهلها، المدينة اللبنانية العريقة على الشاطيء الجنوبي للبنان.

طلال مجذوب

الشاعر جعفر الخليلي

يترجم من الفارسية قصة القط مع الفئران

ملاحمة شعرية

ظاهرها القصة والحيوان .. وباطنها العظة والانسان !

إعداد ـ زهير مارديني ـ

لا نعرف بالضبط متى ترنّم فم الدنيا بالشعر، ومتى تحركت أوتار اول فم بنغمه، فالشعر قديم كقِدَم الورود، وألوانه وأغراضه مختلفة كألوان الزهر وأنواع الشذاء، وللشعر نشاؤه واغراضه . قلائل هم الذين فهموا الشعر أدباً يهدف للحياة السعيدة .. وقلائل أيضاً هم الذين فهموا ما في الحياة من أسرار ومشاعر وتطلعات فعرضوا كل ذلك ببيان سمح مشرق .. وحوار يكون بنبوع لطف يتصل بالقلب مثل الاذن .. لا ترنيمة منغومة تتصل بالاذن فقط .

من هؤلاء القلائل يأتي الشاعر العربي الاستاذ جعفر الخليلي مدّ الله في حياته . إنه لم يترك القلم والنغم رغم تقدم السن وتكسر نصال الهموم على الجسم المنهك . فالخليلي لديه دائماً ما يعطيه للعربية . ومن هذا العطاء ترجمته لقطع نفيسة بأهدافها الانسانية السامية تعتبر بحق من عيون الادب الفارسي والرباعيات .

لقد ترجمها الى العربية مع جودة في السبك، وقوة في الاسلوب، وإتقان في المطابقة والمساوقة مع الاصل . ولا غرابة في ذلك فالشاعر يملك ناصية اللغتين العربية والفارسية، يقودهما، يحركهما، يهمزهما ليوصلها الى روضته الفواحة وأوراده الكثيرة وشتلات رياحينه . القصة الشعرية التالية التي عرّبها الخليلي من الفارسية الى العربية هي للشاعر الايراني (عبيد زاكاني) من شعراء القرن الثامن للهجرة، من القصص الشعري المشهور في الأدب الفارسي، وهو يرمي بها الى نقد خلقي اجتماعي، ظاهره القصة والحيوان .. وباطنه العظة والانسان .

القط والفيران

إنْ كنتَ ذا عقلٍ وذا ذكاءِ
تمعّنْ في فلسفة الاشياءِ
اصغِ الى حكاية الزمانِ
في قصة القط مع الفيرانْ
منظومة تحلو بها الاشعارُ
والعقل في تصديقها يحارُ



فقد رووا أنْ كان في كرمانِ
قط كعفريت عظيم الشأنِ
فبطنه كالطبل عند الحربِ
والصدر يحكي الترس عند الضربِ
والذيل ذيل الاسد الهزبرِ
أمّا إذا نزا فنزو النمرِ
وذا زئيره إذا ما زأرا
يرعب في آجامها أسد الشرى
وما انتوى يوماً خواناً وقصدْ
الآ وفرّ من أمامه الاسدْ



وذات مرة من المرارْ
يمم حانة لصيد الفارِ

ثم اختفى خلف دنــان...
كاللص، والفار به لا يدري
إذ وثبت بعد قليل فأرة
من حائط فوق دنان ...
وأقبلت تعبّ أيّ عبّ
حتى غدت سكرى لفرط الشرب

* * *

فخالت الدنيا وما تحويه
طوع يديها كيف تشتهيه
وعمل السكر برأسها العمل
حتى تخيلت بأنّها بطل
قالت ألا ليت رأيت القطا
كنت قطعت الرأس منه قطا
وكنت أحشو جلده بالتبن
برّا، ليغدو مثلا للجبن
ما القط إلا الكلب بل وأحقر
إنْ هو في الميدان راح يخطر

* * *

وسمع القط كلام الفأر
فأي عار مثل هذا العار
أن ينبري فار لمثل الاسدِ
ويملأن صدره بالحردِ
فلم يقل شيئاً وكل ما فعل
جثا وراح يستعد للعمل
وسنّ أسناناً له ومخلبا
ثم على الفأرة توّاً وثبا
كخرّة النسر من الجبال
خرّ على الفار من الأعالي

* * *

فقالت الفأرة وهي نادمة
عفواً فلست لك إلاّ خادمة

أما الذي جرى على لساني:
فهو هذاء الأرعن السكران
فليس من طبعي الهذاء والهذر
وإنّما الهذاء طبع من سكر
فضحك القط وقال حسبي
مما اختبرت من ضروب الكذب
وأكل الفأرة وهي تجتدي
وسار سالكاً طريق المسجدِ
يا رب تبت فقني العثارا
لن آكلنّ بعد هذا فارا

* * *

وللذي أهرقت ظلماً من دمِ
كفارة أدفعها للمعدمِ
(متّان) من خبز نقي الحبِ
كفّارة أدفعها عن ذنبي
وظلّ يستميح عفو الباري
والدمع في العين كسيل جاري
وكان حينذاك خلف المنبرِ
فأر وقد لاذ باحدى الحفرِ
في أذنه انصبّ إنتحاب الهرّ
وقد رأى الدموع كيف تجري
فراح يعدو في سرور وجذل
ينقل للفيران كل ما حصل
يقول بشراكم بعهد زاهر
عهد سلام بالوداد عامر
بشراكم بشراكم يا قومي
لن تؤكلوا من بعد هذا اليوم
فالقط من إجرامه قد تابا
ولازم الصلاة والمحرابا
فدقّت الدفوف والطبولُ
وقد علا الهتاف والتهليلُ

* * *

وقمن سبع من سرايا الدولة
وكلهن من ذوات الصولة
وقلن فلْنَهْدِ الى (السّنّورِ)
هدية تليق بالامير
فحملت واحدة بكف
قنينة تعدل ألف ألف:
وحملت أخرى لحوم الضأن
مشوية زكت بها الأواني
وجاءت الأخرى بصحن ممتلي
من الزبيب الحلو مثل العسل
وطبقاً تحمل اخرى من رطب
تزري لئاليه بلألأ العنب
وأخريات جاءتا بصحن
من لبن وزبدة وجبن
وجاءت السابعة الاخيرة
تخطر في (صينية) كبيرة
مشحونة بكل ما قد جادا
طهيا ومن كل الطبيخ زادا
محفوظة بما يلذ الاكلا
من (شربة) الليمون او ما شاكلا
ورحن يحدوهن حسن النيّة
وكل فار حاملاً هدية
نحن وإن كنا أقل شأنا
منك وكنا في الدنا فيرانا
لكننا في الحب والحنان
لسنا أقل من بني الانسان
فالطف بنا فكل ما نريدُ
منك الرضا وإننا عبيدُ
واقبل هدايانا فأنت داري
كم هي بخسة هدايا الفار

* * *

فهش حينذا وبش الهرّ

واستقبل الوفد بما يسر
وشكر الآله في أعماقه
بما أتاه الغيب من أرزاقه
يقول كم قد عضني الجوع
وكم ذقت الامرين وكابدت الالم
وفي سبيل الله كم قد صمت
وفي صلاة الليل كم قد همت
منتظراً يوماً كهذا اليوم
يجزيني الله به عن صومي
وقال للوفد حللتم أهلا
تقدموا فقد وطأتم سهلا
واقترب الفار، وخوفَ القربِ
يهتز كالسعفة في المهب
هناك كالأبطال في الميدان
القى بنفسه على الفيران
وفي براعة من الوثوب
قد حال بين الوفد والهروب
فتحت كل مخلب أسير
وآخر في الفن يستجير
ولم يفر منه إلاّ اثنان
فرا وكانا شاهدي عيان
جاءا الى الفيران يصرخان:
يا فار يكفيكم من الهوان
أن تلزموا بيوتكم، والهر
ليس لكم من بطشه مفر
بالت عليكم ثعالب البلد
وأنتم من أكثر الخلق عدد
وبلغ الحماس أقصى حد
منهم وعم الحزن كل فرد
وعقدوا المجلس للتشاور
وذكروا كل الذي لم يذكر
وقرروا من بعد تلك المشورة
أن يحضروا عند مليك الفئرة
وبعد أن صالوا هنا وجالوا
جاءوا الى مليكهم وقالوا
قد نالنا الضيم وحل الذلّ
بنا فما بعد لنا وقبل
فإن هذا القط في سطوته
وما روى الجميع عن وثبته
ما استطاع أن يصطاد إلا واحداً
في كل عام لو تصدى جاهداً
لكنه اليوم بفضل ما بدا
عليه من تقوى وزهد وهدى
أصبح طامعا بعكس الامس
لا يكتفي منا بغير خمس
يأكلهن في زهاء ثانية
ولا يبقي للغداة باقية
لم يقو ان يزهق إلا نفسا
في العام أما اليوم خمسا خمسا
والفضل كل الفضل للرياء
يضاعف الرزق بلا عناء
وحينما أتم تلك الشكوى
وأوضح الفيران سر البلوى
قال المليك يا سراة البلد
يا من أعزّ ما احتوتهم كبدي
صبراً فاني منزل بالهر
نازلة تروي بكل عصر
وبعد أسبوع من التحشيد
جاء المليك بالجيوش الصيد
من كل فار باسل كمي
شديد عزم في الوغى قوي
تجاوز الآلاف من مئات
من حاملي السيوف والرماة
فمن فوارس ومن مشاة
تحجب عين الشمس في الفلاة
مدججين بضروب الاسلحة
من كل نفس للنزال جانحة

❀ ❀ ❀

وحينذا قام وزير الحرب
وكان من ذوي الحجى واللب
وقال يا عاهل هذي الدولة
عندي اقتراح أن أبحث قوله
منتدباً من قبل السلطان
محنكاً يجمع بين الشدة
واللين وهو في الدهاء عمدة
يواجه الهر كدبلوماسي
وكالرسول الفطن السياسي
يطلب منه ان يزور العاصمة
مفاوضاً اولاً فحرب قائمة
إن تكن القوى اداة صالحة
لم تك يوماً وحدها بالراجحة
فانني اخشى الرياء والدجل
اضعاف ما أخشى ملاقاة البطل
وكان ممن زاول السفارة
فأر جميل النطق والعبارة
فوقع اختيارهم عليه
منتدباً عن ملكهم إليه
وأقبل المندوب وهو يعرف
كل الذي قد يقتضيه الموقف
فأحسن السلام والكلاما
ولطّف التعبير عما راما
إن ما أتى به المندوب
ان ارتضاه فهو المغلوب
فبالرياء نال في دنياه
جاهاً ويخشى أن يضيع الجاه
لكنه لا يستطيع وحده
أن يلتقي الجيش وأن يرده

وبعد لحظة من التفكير
في أمره اهتدى الى التدبير
فحملق الهر بوجه المنتدب
واتهم الفار بقلة الادب
وقال من يكون ذا السلطان
ومن هم الفار وأين كانوا
أتبلغ الجرأة والجسارة
أن تتحدى مثل شخصي فأرة
فلست بالبارح من مكاني
ولست بالخارج من كرماني
فقل لمولاك مليك الفار
إني هنا للجيش بانتظار
وراح في السر يخطط الخطط
ومن جميع المدن يجمع القطط
من كل قط لهذمي المخلب
تري الاعاجيب به ان يثب
مختفياً خلف صخور الجبل
مستتراً بظل ليل أليل
وجاء جيش الفار في البيداء
يزحف لا يعلم بالخفاء
وقد نوى محو الرياء والدجل
ليجعلن الهرّ مضرب المثل
يقدمه السلطان فوق الفيل
تحفه الهيبة في القبيل
ونزلت من الجبال الهررة
وفاجأت هناك جيش الفئرة
وأدرك الفار بأن ما حصل
لم يك إلاّ بعض تلكم الحيل
لكن هذا لم يصد عزمها
ولم يخفها أن تريش سهمها
فنزلت للحرب في عزيمة
لا تعرف الخوف ولا الهزيمة
وامتلأت صحراء فارس بما
خرّ من القتلى وسال من دما
فلم تعد تعرف أي شي
ولم تفرق ميتا من حي
ووجد الهر التقي الورع
ـ فيما جرى ـ أكثر مما يطمع
فطاف كالرحى بهم وجالا
وقلب اليمين والشمالا
واستيقظت في ذهن جيش الفار
ـ من بعد أن اصيب بانكسار ـ :
الحكمة التي تقول: الكلّ
إن فات لا يفتك منه الجلّ
فها هو القط المرائي الكاذب
ها هو ذا بيننا يحارب
فلم لا نلقي عليه القبضا ؟
ولم لا نضرب فيه الارضا ؟
وغار فأر من كماة الرهط
مقتفياً حملة ذاك القط
يسنده جمع من الفرسان
ذو شهرة بالضرب والطعان
فاجهزوا كلهم عليه
ووضعوا القيود في يديه
وحملوه بعد حرب قاصمة
لهم وقد فروا به للعاصمة
وقيل من كانت له غنيمة
كهذه لم يمن بالهزيمة
وعمت الافراح كل الفار
وقالت النفس اخمدي يا ناري
فها هو الرياء كله هنا
مجسماً في صورة القط لنا
وأمر السلطان أن يأتوه
بذلك القطّ ويشنقوه
وحينما جيء به إليه
مكبلا ، سبّ الرياء فيه
فمسّ ذلك السباب القطّا
وهاجه وانكشف المغطى :
عن اشرس الطباع والصفات
عند الوحوش الشرس في الغابات
وحطم القيد وكالليث هجم
فما رآه الفار إلا وانهزم
وسادت الفوضى الجيوش والحرس
فلم تميز فيلها من الفرس
وعصفت بالتاج والسلطان
فليس من تخت وصولجان
وقد غدا ملكهم شذر مذر
فلم تجد منهم ولا بعض اثر
أما الذي قد رنّ في المسامع
فهو خلاف ما جرى من واقع
فالفار وهو الجانب المظلوم
ما غيره عند الورى ملوم
وانه الآكل لا المأكول
وانه الظالم والمسؤول
لأن هراً صائماً مصليا
قضى الزمان ناسكاً منزوياً
يغزوه جيش الفار في محرابه
وينزل التعذيب والبلوى به



وهكذا قال لنا ـ الزاكاني ـ
أعني (عبيد) شاعر الزمان
بأن هذه القصة العجيبة
والنكتة المحبوكة الغريبة
لم أروها على سبيل المزح
وإنما على سبيل النصح
فافهم بني ان خلف الهررة
مغزى ، ومثل ذاك خلف الفئرة

زهير مارديني

لمحات من الفعل الحضاري الإسلامي في أوروبا

- ٢ -

بقلم: حسن الزين

(قال عمر لسلمان أملك أنا أم خليفة؟ قال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة، وبكى عمر!)[١]

واضح هنا أن التسمية ليست إلا رمزاً لفروق أساسية في النظر إلى مصدر الحكم لأن الملك من صفات الله عز وجل في القرآن الكريم. ما يهمنا من هذه الرواية ليس التسمية بحد ذاتها بقدر ما هو دلالتها التي تعبر عن فارق كبير يميز الخلافة عن مثيلاتها من المؤسسات التي كانت تقف في رأس البناء الهرمي للحكم في العالم القديم المعاصر لها، من أجل تبين الخطوط الكبرى التي تميز هذه المؤسسة الإسلامية وتلك التي تستمد منها شرعيتها.

هل كان لسلطتها حدود أم إنها سلطة مطلقة تقدم الشرعية والمبرر لكل ما يقرره الخليفة أو يقوم به من أعمال؟

السلطة المطلقة كانت سمة ظاهرة في الأمبراطوريتين اللتين كانتا تحكمان العالم المتحضر يومذاك، يتمتع بها الإمبراطور أو الملك دون حدود أو قيود.

ولكن ما جاء به الإسلام كان شيئا مختلفا لا نجد له مثيلاً في عصور سابقة ولا في عصور لاحقة لدى أمم أخرى. ويمكن أن نتبين بعض سماته في النظم التي بدأ بعضها يطل على العالم الحديث عبر ثوراته المختلفة.

(خلافة وليس ملكا) ولا بد هنا من أجل توضيح الصورة أن نحيط بما كان للملك في تلك العصور من حكم مطلق يعتبره الحاكم حقاً جاء من الله سبحانه، لا علاقة لأحد من المحكومين به ولا صلة له بظواهره وخوافيه. ووضع العبارة في إطارها التاريخي واجب من أجل توضيح شكل عطائها الجديد والأثر الذي تركه هذا العطاء في حضارات الآخرين.

أهم ما يميز الخلافة كمؤسسة إسلامية هامة هو أنها تنتج عن الشورى التي يتم عبرها اختيار الخليفة، وتمهد أمام علاقة تعاقدية بين الحاكم والأمة. يقول ابن خلدون في المقدمة: «وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعقد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع). وقيمة هذه العلاقة التعاقدية فيما ترتبه من حقوق وما تفرضه من واجبات وفيما يمكن أن تؤدي إليه عند الإخلال بمقتضيات العقد. فاذا أخل الخليفة بها وجب خلعه وتولية غيره. هل لنا أن نتبين في هذه النتيجة ملامح نظرية (حق

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٧٩ ط القاهرة.

الرعية بالثورة على الأمير) هذا الحق الذي ظهرت خطوطه الكبرى في الفكر الذي سبق الثورة الفرنسية وهيأ لها فاعتبره المؤرخون الأساس الدافع إليها والهدف الموجه لنتائجها وغاياتها؟

من أجل الإجابة على السؤال، لا بد من الإشارة إلى نظرية (العقد الإجتماعي) التي طرحها جان جاك روسو، الفيلسوف الفرنسي في كتابه الشهير وهي تفترض وجود عقد وهمي بين الشعب والحاكم، يفوض الشعب بموجب هذا العقد سلطة الحكم إلى الحاكم، من هنا نشأت نظرية (التفويض)، وهنا تبرز نظرية (حق الرعية بالثورة على الأمير) كنتيجة منطقية لنظرية العقد الإجتماعي. ومن أجل هذا كله سمي روسو أبو الديمقراطية، وكانت هذه النظريات الأساس الذي قام عليه مبدأ سيادة الأمة واعتبارها مصدر السلطات، وبه تم إقصاء نظرية الحق الالهي التي سادت لقرون عديدة نظم الحكم في أوروبا وعندما قال لويس الرابع عشر عبارته الشهيرة إنما كان يجسد تلك النظرية في أقصى جذورها.

لكن ما أشرنا إلى حدوثه في عالم الفكر الغربي قبل الثورة الفرنسية لم يحدث فقط في حدود عقل إنسان واحد اسمه جان جاك روسو، وإنما وقع بسبب تغيير جذري حدث في كافة المناخ العقلي الأوروبي منذ ما يسمى بعصر النهضة وخصوصاً منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي وإذا كان روسو قد ترجم هذا التغيير الفكري الشامل فلأنه ولد وترعرع في ذلك المناخ الذي كان حلقة كبرى في التطور الحضاري ونتيجة للتفاعل الكبير الذي استمر لعدة قرون. ولنا أن نشير هنا إلى أن بداية القرن السادس عشر شهدت جلاء العرب المسلمين عن الأندلس وان نشير إلى نتائج الغزو والصليبي والهزيمة الصليبية وما أدى إليه كل ذلك من تفاعل ثقافي وعبر يطول شرحها وقد لا يتسع المجال لسردها هنا.

ما تحدثنا عنه من ملامح ثقافية يؤلف لدى جميع الباحثين الأساس النظري الذي أدت تفاعلاته الفكرية إلى قيام الثورة الفرنسية وانطلاق النظم الديمقراطية في العصر الحديث.

ولتوضيح ذلك نقدم على سبيل المثال هذا الكلام للكاتب الفرنسي الشهير Boivin بوافان[٢]: (.. فإن جميع المواقف الفكرية التي أدت مجموعتها إلى تحقيق الثورة الفرنسية كانت قد اتخذت قبل نهاية حكم لويس الرابع عشر: نظريات العقد الإجتماعي وتفويض السلطات، وحق الرعايا في الثورة ضد الأمير، حكاية قديمة منذ العام ١٧٦٠ م، جميع هذه الأمور كانت تناقش في السر والعلن وفي وضح النهار) إنتهى كلام الكاتب. وهو هنا يلخص المواقف الفكرية التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية عبر ثلاثة أمور ينتج عنها مبدأ سيادة الأمة واعتبارها (مصدر السلطات) هذا الفكر يعتبره الغربيون جديدا ويعتبرون نتائجه وما أدى إليه أحداثاً (غيرت وجه العالم) نحن لا نريد أن نغضّ من قيمته الثورة الفرنسية ولا من قيمة المواقف الفكرية التي أدت إليها ودعمتها ولكننا نريد أن نتساءل هل

---

(٢) أزمة الديمقراطية الغربية تأليف بوافان، باريس ١٩٣٥ ص ٤٧١.

كانت هذه المواقف الفكرية غريبة عن الفكر الإسلامي القديم كله أو بعضه، ولماذا لا يحق لنا أن نتحدث على علاقة تفاعلية بينها وبين ذلك الفكر الذي بسط جناحه على قمة الفكر العالمي لعدة قرون من الزمن؟ نظرية العقد الاجتماعي كانت في أساس نظرية الحكم في الإسلام كما ظهر من كلام ابن خلدون وغيره، وإذا كان روسو قد قال بعقد اجتماعي (وهمي) فإن هذا العقد في نظر الإسلام حقيقة قائمة، وفي ذلك يقول طه حسين: لكن البيعة عقد بين الإمام والرعية تلزمها معاً[٣].

وقد كانت نظرية سيادة الأمة مبعث تأمل في تاريخ الفقه الإسلامي فجاء في ما ذكره الإمام الرازي: أن الأمة هي صاحبة الرئاسة العامة كما يتبين حين تقرر (أن تعزل الإمام لفسقه)، وكما جاء في كلام الماوردي في (الأحكام السلطانية) أنه: (إذا تنازع اثنان على الامامة وادعى كل واحد منهما أنه الأسبق، لم تسمع دعواه، ولم يحلف عليها لأنه لا يختص بالحق فيها وإنما هو حق المسلمين جميعا فلا حكم فيه ليمينه ولا لنكوله عنه.) ولكن سيادة الأمة ليست مطلقة في الإسلام كما هي في نظر الديمقراطية الغربية، لأنها مقيدة بالقرآن والسنة، فالاطلاق في السلطة غير موجود هنا، كما هو في الحضارة الغربية.

وإذا كانت السيادة قد انتقلت من السلطان إلى الأمة، وأدت إلى كثير من الخير فإن الأخطاء التي حدثت في وقت إزدهار هذه النظرية مباشرة بعد الثورة الفرنسية على يد الجمعية التأسيسية التي انتخبت في ظل (سيادة الأمة) والتي رأسها روبسبير وما أدت إليه هذه الأخطاء من إستبداد. قد يفوق ما سبق الثورة من بعض نواحيه، إن هذه الأخطاء، تعبر عن ثغرات يجب تداركها في سبيل إستكمال الأهداف التي من أجلها قام مبدأ سيادة الأمة. وعن أن القول بعصمة الأمة عن الزلل، يظل مشكوكا فية، لان الأفراد، هم الذين يمثلون الأمة ويعبرون عن رغباتها.

ومن هذا المنطلق فإن القيد الذي ظهر عبر نصوص القرآن والسنة ربما كان عنصر وقاية أكثر مما هو وسيلة تقييد؛ فهو يحمل حماية لحقوق الإنسان وللحريات العامة وضمانة لحسن استعمالها. ألم تحمل هذه النصوص تفاصيل حرمة المنزل، وحرية القول والعمل والحركة والعقيدة بالدقة التي عرفتها نصوص القوانين الحديثة وربما أكثر تفصيلاً؟ وهنا نعود لنقول أن الخطأ وهزيمة الحرية حين يحصلان (وكثيراً ما عرفهما التاريخ الإسلامي) فلأن البشر هم المفسرون والمجتهدون ولأنهم كأفراد عرضة للإنحراف من أجل الأهواء، وعرضة للخطأ والتهور، حين ينحرفون وحين يخطئون!

إذا كان الفكر الحديث قد صنع القانون باسم الأمة ثم قدسه لأنه ارادتها لدرجة العبادة فنسمع من أحد أعضاء الجمعية التأسيسية الفرنسية بعد الثورة هذا الكلام:

---

(٣) طه حسين في مجموعة (اسلاميات): الفتنة الكبرى علي وبنوه ص ٧٩٠.

حينما يتكلم القانون يجب أن يصمت الضمير.) فإن النصوص الإسلامية حين حددت أطر القانون العامة، تركت مجال الإجتهاد واسعاً ووضعت له قيداً واحداً بإطلاق، وهذا القيد هو مبدأ (العدل) وجعلت من تحقق شروطه أساساً لتطبيق النص، كل نص، والحد كل حد (وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فاذا ظهرت إمارات الحق، وقامت أدلة العقل وأسفر وجهه بأي شكل كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره.) كما يقول ابن القيم في (أعلام الموقعين) أو (أن الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام) كما يقول ابن تيمية في (الحسبة). من هذا المنطلق فان تلك الخلافة التي تساءل عمر بن الخطاب عن شروطها وموجباتها، في قلق الخائف من أن يكون في سلوكه وتصرفاته أشياء لا تتفق مع أهدافها، كانت تتميز وتختلف عن المؤسسات القائمة في الامبراطوريات المعاصرة لنشأتها، بقدر ما تختلف العدالة عن الإستبداد والديمقراطية عن الدكتاتورية.

ولكن هذه المؤسسة انحسرت في بعض أنظمتها عن مسرح الحكم عبر فترات كبيرة من تاريخ الإسلام والمسلمين وسارت أحياناً في دروب الحكم المطلق فذللت بعض تلك القيود التي عرفها الخلفاء والمسلمون وحالت بينهم وبين طريق الشر والإستبداد، ومكنت لشعوبهم من التمتع بقدر كبير من التقدم والإزدهار. وبزوال هذه القيود أو بعضها اقتربت الخلافة من مفهوم الملك المطلق في العصور القديمة، لذلك نرى ابن خلدون يقرر أن الخلافة الخالصة كانت في الصدر الأول حتى آخر عهد الإمام علي بن أبي طالب (ثم صار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق، ولم يظهر التغيير إلا في الوازع الذي كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا.) من هذا المجال يمكن القول أن الخلافة والملك التبس بعضها ببعض في كثير من أطوار التاريخ الإسلامي بعد عهد الخلفاء الراشدين. وقذف بعض الخلفاء بمبدأ الشورى جانبا ليستبدوا بأموال الشعب وبالسلطة كما يشاؤون لا كما يشاء الله؛ فتتم البيعة ليزيد بضغط من القوة وتخويف من البطش حين يقوم يزيد بن المقفع[٤] خطيباً في حفل البيعة ويقول (أمير المؤمنين هذا) مشيراً إلى معاوية (فإن هلك فهذا) مشيرا إلى يزيد (فمن أبى فهذا) مشيرا إلى سيفه. ويقول له معاوية بعدها: (إجلس فإنك سيد الخطباء) ليس للخليفة تاج ولا عرش ولا صولجان ولكنه عندما يعتلي منبر المسجد ليقول: (من قال لي بعد اليوم - إتق الله - ضربت عنقه) كما فعل عبدالملك بن مروان، فان سمة الإستبداد الذي يمارس هكذا، تفوق في تعبيرها ما يرمز إليه التاج والصولجان. إن هذا الذي يضرب أعناق الناس لكلمة يقولونها، ليس خليفة ولكنه مستبد وجبار.

هنا لا بد أن نقف عند مقتل الإمام الحسين بن علي على يد رجال يزيد بن معاوية وبأمر منه، وما حفل به مصرع أهل البيت من أبناء الرسول (ﷺ) والقلة التي استشهدت معهم،

---

(٤) العقد الفريد لابن عبدربه جزء ٢ ص ٣٠٧.

من مآس بقيت صورتها علامة قاتمة سوداء في التاريخ الإسلامي كله .

هذا التحول الكبير في سلوك الحاكم ومفاهيم الحكم في فترات تطول أو تقصر، لم يتمكن من تحطيم هيكلية النظام وإن كان قد تمكن من إحداث تخريب كبير وتفرات كثيرة، فقد ظلت قيم كبرى من هذا النظام قائمة في مجتمع المسلمين لم تمكن حتى لبعض من الخلفاء والحكام الذين انحرفوا فطغوا من هدم ما يهدد جوهر الإسلام بالتقهقر والانقراض، وسبب ذلك أن هذه القيم كانت راسخة في ضمير المجتمع الإسلامي فبقيت تساهم في صنع تاريخه حتى في أحلك عصور الظلام والإستبداد. يضطر الحاكم المنحرف لاقامة أوامر الشرع ونواهيه اتقاء لغضب الأمة ودفعاً لانتفاضاتها، فيضطر زياد بن أبيه إلى تنفيذ حكم الشرع بالمسلم الذي قتل ذمياً ظلما وطغياناً، بعد أن كان قد حكم بدفع الدية فقط[5] بضغط من أهل الكوفة بقيادة حجر بن عدي. وزياد بن أبيه هو القائل في خطبته (البتراء): (لآخذن البريء بالمسيء والصحيح بالسقيم!) ويحدثنا التاريخ عن أن بعض الخلفاء في العهد العثماني اعتزلوا الحكم بسبب فتاوى صدرت عن المرجع الديني (المفتي) خوفاً من غضب الرأي العام، الإستبداد إذن ظل يواجه روح المقاومة وعنفها المستمد من النصوص التي خولفت بشدة ولكنها قاومت بشدة بسبب المناخ الفكري الذي عجز عن إخماده كل طغاة الداخل والخارج (ملك أو خليفه) سؤال كبير ظل حائرا في محيط التاريخ الإسلامي منذ انتهى عهد آخر الخلفاء الراشدين حتى نهاية الحكم العثماني، ولكن الخلافة المؤسسة ظلت تشد نفوس المسلمين، كل المسلمين إلى منعطفاتها وقيمها، رغم كل التفسيرات والإجتهادات واختلاف الآراء حول الأطر والتفاصيل لأنها تمثل من الفكر السياسي واجهة لا يزال العالم يتفاعل معها في حضاراته المختلفة ويتأثر بها كما رأينا في مطلع هذا المقال.

حسن الزين

---

(٥) الفتنة الكبرى: علي وبنوه لطه حسين (اسلاميات ص ١٠٠٨).

وقائع مهمة في الإسلام

هجرية	ميلادية	
١	٦٢٢	هجرة الرسول من مكة الى المدينة
٢	٦٢٤	حرب بدر مع أهالي مكة
٣	٦٢٥	حرب أحد مع أهالي مكة
٥	٦٢٧	حرب الخندق مع اهالي مكة
٨	٦٣٠	إفتتاح مكة
١٠	٦٣٢	حجة الوداع
١١	٦٣٢	وفاة النبي وخلافة ابي بكر

يتبع صفحة ٤٥

ابن الأزرق

- ١ -

بقلم: د. ناهض قديح

أ - اسمه الكامل:

لقد ورد اسم ابن الازرق، في الصفحة الأولى من كتابه «الابريز المسبوك في كيفية أدب الملوك»[١]، كما يلي: أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم ابن الازرق الأصبحي.

وقد ذكر السخاوي الاسم على الشكل التالي: محمد بن علي بن محمد بن علي ابن قاسم بن مسعود، أبو عبدالله الأصبحي الغرناطي المالقي المالكي، ويعرف بابن الازرق[٢].

ب - أصل أسرته:

إنحدر ابن الازرق من أسرة أندلسية قديمة، وأكثر الظن أن أسرته لها صلات بفاس، وذلك لوجود أسرة «الازرق» فيها حتى اليوم. وسميت أسرته، بالازرق، لزرقة بشرة أبنائها، وهي صفة جسدية لازمته أو لازمت أسرته. إلآ أن الأهم، هو أن أسرته «الازرق» لا علاقة لها بالازارقة[٣] الذين ينتمون إلى «نافع بن الازرق»[٤] زعيمهم ومؤسس فرقتهم. وهذا يعني انه لا يمت بصلة للطبيب المشهور بابن الازرق[٥] ولا لعبدالله المعروف بابن

---

(١) هو مخطوط، موجود في المكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم ١٣٧٥.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع (ج ٩، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت)، ص. ٢. وأنظر ترجمته في دائرة المعارف، لفؤاد افرام البستاني، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) ابن الازرق، بدائع السلك (تحقيق النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧) ج ١، مقدمة المحقق، ص ٧.

(٤) المتوفي سنة ٦٠ هـ. وهو مؤسس فرقة الازارقة، من أكبر فرق الخوارج، وأعنفها وأشدها شوكة. ويرى أصحاب هذه الفرقة: ان كل من يخالفهم، هو كافر مشرك. لذلك استباحوا قتل نساء واطفال المخالفين لهم (الشهر ستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٨، حاشية رقم ١. وأنظر عن آراء هذه الفرقة المصدر عينه، ج ١، ص ١١٥ - ١٢٢. وأنظر، ابن حزم، كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل، مج ١، ج ١، ص ١٦١ - ١٦٥.

(٥) هو إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي بكر، المشهور بابن الازرق، وهو يمني كان حياً سنة ٨٩٠ هـ/١٤٨٤ م. صنف تسهيل المنافع في الطب والحكمة، المشتمل على شفاء الاجسام، وكتاب الرحمة (اسماعيل البغدادي، هدية العارفين، دائرة العثمانية، استانبول، مج ١، ١٩٥١ - ١٩٥٩، ص ٢٤).

الازرق، وهو من الامراء الامويين[٦] .

جـ ـ ولادته:

من خلال ترجمة السخاوي السابقة لابن الازرق، يتضح أنه ولد في بلدة «مالقة» وليس كما ذكر عنان أنه من وادي آش[٧] . والحقيقة إنني لم ألحظ تاريخ ولادة ابن الازرق في المصادر التي ترجمته، ولم تذكر سنة ولادته .

إلاّ أن محقق كتاب «بدائع السلك» الطبعة التونسية، يذكر تاريخ وفاة ابن الازرق في مقدمته إنها كانت سنة ٨٣١ هـ/١٤٢٦ م. مستنداً بذلك على صاحب كتاب «الأنس الجليل»، حيث يثبت هذا الأخير أن ابن الازرق توفي بعد أن بلغ الخامسة والستين من العمر. وبما أننا نعلم تاريخ وفاة ابن الازرق التي حدثت سنة ٨٩٦ هـ/١٤٩١ م، نستطيع اثبات تاريخ ولادته[٨] كما ذكرت سابقا .

د ـ منابع ثقافته:

ان كتاب «بدائع السلك» يظهر مقدرة ابن الازرق العلمية، وسيشعر كل دارس لهذا الكتاب أنه أمام دائرة معارف واسعة، ويتأكد ان ابن الازرق كان قد قرأ واستوعب كتب سابقيه ومعاصريه الباحثة في مختلف جوانب الثقافة الاسلامية، وسيجد القارىء نفسه امام باحث ثاقب النظر[٩] .

والحقيقة، أن بذور هذا التراكم الثقافي الذي امتلكه ابن الازرق، أتى مع حفظه للقرآن وهو في بلدته «مالقة» حيث نشأ . شأنه في هذا شأن كل طالب علم أو فقه في عصره . ثم درس العلوم الاسلامية التي كانت سائدة أيامه وبدأ ينتقل بين العديد من علماء المغرب يستفيد منهم ويأخذ عنهم المعرفة، بالدرس على يد بعضهم حينا، وبمجالسه البعض الآخر حينا كما سنرى .

لقد تتلمذ ابن الازرق لكثيرين، وبالاضافة إلى رغبته العلمية وذكائه، كان لهؤلاء الائمة الفضل لوصوله إلى ما كان عليه من غزارة في العلم ومعرفة في كل العلوم والفنون .

---

(٦) هو عبدالله بن عبدالرحمن بن الوليد، المعروف بابن الازرق، ولاّه عبدالله بن الزبير بلاد اليمن. كان كريماً حتى الاسراف، فعزله وولى مكانه إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص (فؤاد افرام البستاني، دائرة المعارف، ج ٢، ص ٣٣٣).

(٧) محمد عبدالله عنان، نهاية الاندلس، ط ٣، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٩٠ .

(٨) ابن الازرق، بدائع السلك، ط ت، ج ١، مقدمة المحقق، ص ١٠، ١١ .

(٩) انظر ابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، مقدمة المحقق، ص ١٦ .

هـ ـ اساتذته :

١ ـ عندما انتقل إلى غرناطة، درس ابن الازرق على يد عالمها ومفتيها الإمام أبي أسحق إبراهيم بن فتوح العقيلي الأندلسي[١٠] وكان له الأثر المباشر في بناء ثقافته الواسعة.

أخذ عنه النحو والفقه وعلم اصول الدين والمنطق وتأثر به كثيراً، وكان جل انتفاعه به[١١]. وقد ذكر ابن الازرق شيخه هذا في كتابه «بدائع السلك» فقال «... حسبها ألفيته بخط شيخنا الاستاذ العلامة أبي أسحق بن فتوح رحمه الله»[١٢].

كان ابن الازرق يجل استاذه هذا ويقدره. وقد كان معجباً بطريقته بالتعلم التي كانت تسمح بالحوار بين المعلم والطالب. وهي التي استعملها بن فتوح مع ابن الازرق نفسه فقد كان هذا المعلم يعطي الحرية للمتعلم حتى في مخالفة استاذه الرأي، بشرط أن يكون التلميذ مسلحاً بدلائل وحجج علمية مقنعة. وتحدث ابن الازرق عن استاذه هذا وعن طريقته في التعليم، في كتابه «روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام»، فقال: «لقد كان شيخنا العلامة، أبو اسحق إبراهيم بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا... ومخالفة الشيخ في بعض المسائل إذا كان لها وجه، وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء، ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، ولكن مع ملازمته التوقير الدائم، والاجلال الملائم. فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم، وكان قد أخذ عنهم، وخالف مالك كثيراً من أشياخه.... وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل..... وشاهدنا ذلك في أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى، ولا ينبغي للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة إذا كانت على الوجه الذي وصفناه»[١٣].

٢ ـ أما شيخ ابن الازرق الثاني فهو «الامام أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي الغرناطي» ٧٨٤ ـ ٨٦٥ هـ/١٣٧٩ ـ ١٤٦٠ م. أخذ عنه ابن الازرق.

---

(١٠) المتوفي سنة ٨٦٧ هـ. وقد كان يقرأ لتلاميذه علوماً شتى مثل مقالات ابن رضوان في المنطق، ورجز ابن سينا، ومختصر ابن رشد في الاصول، رجمع الجوامع، وكراسة الجزولي، والتسهيل لابن مالك، وكتاب سيبويه، (احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٩ هـ، ص ٥٤).

(١١) احمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٥٣. والمقري، أزهار الرياض (ج ٣، تحقيق السقا وغيره، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢) ص ٣١٧. ومحمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة جديدة عن ط ١، ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م. ص ٢٦٠.

(١٢) ابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، ص ٧٦.

(١٣) المقري، نفح الطيب (تحقيق إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨) ج ٢، ص ٦٦٩ ـ ٧٠١.

مواضيع الع...

وكان يحضر مجالسه، وينهل من بحر علومه، ويغترف منه، الثقافة والفقه[١٤].

٣ ـ وقد استفاد ابن الازرق في استيعاب الفقه المالكي من الإمام أبو جعفر أحمد بن أبي يحيي بن محمد الشريف التلمساني[١٥]. وهو قاضي الجماعة في غرناطة، وهو «العلامة المحقق المفسر الفقيه الفهامة»[١٦].

٤ ـ واستاذ آخر، انتفع منه ابن الازرق واستفاد من مجالسه، وهو القاضي محمد أبو يحيي بن محمد بن أبي بكر بن عاصم القيسي الغرناطي، وهو من كتّاب الدولة النصرية ووزرائها. وهو «آية الله» في النظم والنثر، وكان أديباً بارعاً. أعجب به كل علماء عصره، وكان قاضي الجماعة بغرناطة[١٧]. وقد مدحه ابن الازرق، بقصيدة طويلة، يقول فيها:

خَضَعَتْ لِمعطَفِهِ الغصونُ المُيَّسُ ... ورنا فهام بمُقلتيهِ النرجسُ
ذو مَبْسِمٍ زَهرُ الرُّبا في كسبهِ ... متنافسٌ عن طيبهِ متنفسُ

إلى أن يقول:

يا مُطلِعَ الانوار زَهراً يُجتَنَى ... ومُشَعْشِعَ الصَّهْباة ناراً تُلمسُ
بِكَ مَجْلِسُ الأنسِ اطمأنَّ وبايِنِ عا ... صمٍ اطمأنَّ من الرِّياسةِ مَجْلِسُ[١٨].

٥ ـ أما الشيخ الإمام محمد بن زكريا بن الجبير اليحصبي[١٩] الذي كان شاعراً يهاجم المعتزلة، ويمجد اهل السنة، كان متكلماً جريئاً ومعلماً لابن الازرق. فقد درس عنده الأدب. وقد وصفه ابن الازرق بأنه «شيخ الأدباء، وحجة البلغاء، الكاتب المجيد الأبرع»[٢٠].

---

(١٤) احمد بابا: نيل الابتهاج، ص ٣١٤، ٣٢٤، ومحمد بن مخلوف شجرة النور الزكية، ص ٢٦٠؛ والمقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٦٩، والمقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٧.

(١٥) المتوفي في سنة ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م، (شجرة النور الزكية، ص ٢٦٧).

(١٦) المقري، أزهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٧. والمقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٩٩. واحمد بابا، نيل الابتهاج ج، ص ٣٢٤. ومحمد بن مخلوف، شجرة النور، ص ٢٦١.

(١٧) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣٢٢، واحمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٥٣.

(١٨) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢، وقد أوردها المقري كاملة وهي مؤلفة من ٤١ بيتاً.

(١٩) هو احد إعلام المتأخرين بالاندلس، وقد نقل الوادي الآشي، تلميذ ابن الازرق ابياتاً لليحصبي يهاجم فيها المعتزلة (المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢٠) انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٩، ص ٢١. وابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، مقدمة المحقق، ص ١٣، ١٤.

٦ ـ ومن اساتذة ابن الازرق، أيضاً، الإمام محمد بن يوسف بن أبي قاسم العبدري الأندلسي الغرناطي، عالم غرناطة وصالحها وشيخها، المشهور بالمواق. وهو مفتي الحضرة بغرناطة، توفي عام ٨٩٨ هـ/١٤٩٣ م، بعد سقوطها ودخول الاسبان إليها[٢١].

٧ ـ كما استفاد ابن الازرق من الإمام عبدالله أحمد البقني، أبي الفرج الغرناطي، وهو من علماء غرناطة المشهورين الممتازين، لم يقف صاحب نيل الابتهاج على تاريخ وفاته، بل اكتفى بالقول: إنه كان حياً في حدود سنة ٨٦٠/١٤٥٥[٢٢].

٨ ـ وقد استفاد ابن الازرق من الإمام إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد البدوي الأنصاري الأندلسي[٢٣].

هذا عدد قليل من اساتذة ابن الازرق، الذين زودوه بالثقافة والعلوم، ومن المؤكد إنه استفاد من كثيرين غيرهم التقاهم في رحلاته واسفاره ولم يتسن لنا معرفة اسمائهم فرداً فرداً لعدم توفرها في المصادر التي تحدثت عن ابن الازرق وترجمته. والحقيقة إننا ما زلنا نجهل الكثير منهم.

و ـ مكانته:

من خلال ترجمات ابن الازرق نستدل على أنه كان شخصية مهمة على الصعد العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية. فمحمد بن مخلوف، صاحب كتاب «شجرة النور الزكية» يقول: أن ابن الازرق ولد بمالقة وولي قضاء الجماعة بغرناطة «وهو الفقيه، الإمام، العمدة، الهمام، المتفنن العلامة، المحقق، الفهامة»[٢٤].

ويصفه المقري، بأنه «الإمام العلامة الخطيب الحجة، الأعرف المؤرخ الناظم الناثر، الراوية قاضي الجماعة بحضرة غرناطة»[٢٥].

أما تلميذه «محمد بن الحداد» فيقول عنه «شيخنا وبركتنا العالم الجليل الخطيب المصقع، البليغ المفيد، إمام وقته في العلوم والتحصيل والفهوم، قاضي الجماعة، سيدنا أبو عبدالله محمد بن علي بن الازرق، رضي الله عنه، وأمتع ببقائه، ووصل اسباب سعادته»[٢٦].

---

(٢١) احمد بابا، نيل الابتهاج، ص٥٣، ٣٢٤.

(٢٢) احمد بابا، نيل الابتهاج، ص١٥٩.

(٢٣) المرجع عينه، ص٥٣.

(٢٤) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٦٢.

(٢٥) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص٣١٧.

(٢٦) المرجع عينه، ج عينه، ص٣٠٣، ٣٠٤.

وقد لقبه « المقدسي » بشمس الدين وبقاضي القضاة[٢٧].

ان هذه الاقوال والاوصاف لابن الازرق، ترسم لنا شخصيته المحترمة من الجميع، وتعطينا صورة عن تقدير الكثيرين له، وتوضح لنا المكانة العلمية الرفيعة التي يحتلها، ومركزه الفقهي الذي يحتليه، وتظهر لنا، أيضاً، تحصيله الفني بمختلف أنواع العلوم والفنون، الذي يتمتع به.

ز - ابن الازرق الشاعر:

ان القصائد المتفرقة التي عثرت عليها، تؤكد لنا ان ابن الازرق لم يكن فقيها عالماً، وأديباً بليغاً، فقط. إنما كان شاعراً، وشاحاً رقيقاً، أيضاً. وقد ترك لنا قصائد وأبيات كان ينظمها في المناسبات. إلاّ أنه لم يترك ديواناً شعرياً معروفاً بإسمه[٢٨].

وما الشعر والموشحات، سوى دليل على عبقرية واحساس مرهف، وخيال واسع، وإصالة أكيدة، وتملّك من اللغة والالفاظ والعبارات. فمن نظمه عند وفاة والدته:

تقـــولُ لِي ودمــــوعُ العينِ واكفـــةٌ ... مـا أفظـه البَيْـن والترحـالَ يــا ولـــدي
فقلتُ ايـن السُّـرِي قـالـتْ لـرحةِ مَـنْ ... قدْ عزَّ في الملكِ لم يـولـدْ ولم يَلِـدِ[٢٩].

ومن شعرهِ عند نزول الاسبان بمرج غرناطة، يوصي بالصبر على الشدائد:

مَشـــوقٌ بخيماتِ الأحبـــةِ مـــولـــعُ ... تُـــذكّـــرُهُ نجدٌ وتغـــريـــه لَعْلَـــعُ
مـــواضِعكـــم يـــا لائمينَ على الهوى ... فلمْ يبـقَ للسلـوان في القلـبِ مَوْضِـعُ
ومَـن لِي بقلـــبٍ تلتظـــي فيـــهِ زفـــرةٌ ... ومَـن لي بجفــنٍ تنهمــي منـهُ أدمُـعُ
رويـدَكَ فـارقُبْ للطائـفِ مــوقعـاً ... وخـلِّ الذي مِـن شـرِهِ يتـوقّـعُ
وصبراً فـــــان الصبرَ خيرُ غنيمـــــةٍ ... ويا فـوزَ مَـنْ قـد كـان للصبرِ يَرجِـعُ
وبتْ واثقاً بـاللطـفِ مِـن خيرِ راحـمٍ ... فـألطـافُـه مِــن لمحةِ العينِ أسْـرَعُ
وإن جـلَّ خطـبٌ فـانتظرْ فـرجاً لَـهُ ... فسـوفَ تـراهُ في غـدٍ عنـكَ يُـرفَـعُ
وكُـنْ راجعـاً لله في كـلِ حـالـــةٍ ... فليس لنـا إلاّ إلى اللهِ مـرجـعُ[٣٠].

ومن بديع نظمه القصيدة التي مدح بها وزير الدولة النصرية، أبا يحي بن عاصم. يقول فيها صاحب « أزهار الرياض »، الذي أوردها كاملة: إنها « من غرر النظام وحر الكلام،

(٢٧) الزركلي، الاعلام، (مطبعة كوستاتسوماس وشركاه القاهرة، ط ٢، ١٩٥٤ - ٩٥٥). ص ١٨١. وابن الازرق، بدائع السلك، ط ت، ج ١، مقدمة المحقق، ص ١٠.

(٢٨) انظر قصائد وابيات شعرية لابن الازرق هي ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٩ - ٣٢١. ونفح الطيب، ج ٢، ص ٧٠٢، ٧٠٤.

(٢٩) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٩.

(٣٠) المرجع عينه، ج عينه، ص ٣١٩، والمقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٧٠٤.

وأثبتها لغرابتها»[٢١]. وقد أوردت منها عدة أبيات عند ترجمة ابن عاصم، والكلام عنه، كونه استاذاً لابن الازرق.

إلا أن صاحب أزهار الرياض علق في نهاية القصيدة وقال: «حدث لي شك، هل هي من نظم القاضي أبي عبدالله ابن الازرق المذكور، أو من نظم ابن الازرق الآخر، الذي جرى ذكره في كتاب «روضة الاعلام». وتابع المقري أنه حفظ من هذا الكتاب ما كان ينشده ابن الازرق لبعض أهل عصره.

ان عمّتِ الافقَ من نقعِ الوغى سحبٌ فَشِمْ بها بـارقـاً مـن لَمـعِ ايماضِ
وإن نَوَتْ حـركـاتُ النصرِ أرضَ عِـدىً فليس للفتـــــح إلاّ فِعْلِيَ الماضي[٢٢]

ولم يوضح المقري، من هو ابن الازرق الآخر.

ناهض قديح

---

(٢١) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢.

تتمة صفحة ٣٨

هجرية	ميلادية	
١١	٦٣٢	وفاة فاطمة ابنة النبي
١٣	٦٣٤	وفاة ابي بكر. خلافة عمر
١٥	٦٣٥	حرب اليرموك وفتح سوريا ولبنان
١٦	٦٣٧	حرب القادسية، فتح العراق
١٩	٦٤٠	فتح مصر
٢١	٦٤٢	بناء القاهرة القديمة
٢١	٦٤٢	حرب نهاوند ـ فتح ايران
٢٣	٦٤٤	وفاة عمر. خلافة عثمان
٣٠	٦٥٠	تدوين القرآن
٣٥	٦٥٦	ابتداء الحروب الداخلية مقتل عثمان ـ خلافة علي
٣٦	٦٥٦	حرب الجمل وانتصار علي. مقتل طلحة والزبير، معاوية يطالب بدم عثمان.
٣٧	٦٥٧	حرب صفين بين علي ومعاوية
٣٨	٦٥٨	حرب النهروان ضد الخوارج
٤٠	٦٦١	مقتل علي بيد ابن ملجم. الحسن مكان ابيه خليفة ومعاوية ينادي بخلافته

قصة أمراض القلب

بقلم د. محمد ياسين

الطب عند العرب

يقول ابن خلدون: «ومن فروع الطبيعيات الطب، تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة (وقاية الأصحاء) وبرء المرض بالأدوية والأغذية».

لقد كان الطب العربي في الجاهلية بدائياً جداً، وكان حكراً على أناس قلائل غالباً ما كانوا يتناقلونه بالوراثة. وكان الأطباء يعتمدون فيه على التجربة، ولكن الصفة الغالبة كانت فقدان القاعدة العلمية وضعف التجربة، ولذلك كان الناس يولون الحمية الوقاية أهمية كبيرة، وما أكثر الأمثال والتوصيات والحكم التي تطالب الإنسان بالحمية في ذلك الوقت.

ولعل هذه التوصيات التي جاءت مطالبة بالحمية كانت على جانب كبير من الحق، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة الأخطاء التي كان يقع فيها الأطباء، مما جعل الكثيرين يفقدون ثقتهم بهم وبالطب.

وجاء العهد الأموي ليتقدم الطب ولكن ببطء وهوادة، وقد روي أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان طبيبان اثنان من نصارى دمشق أولهما أبو الحكم، وكان ثقة خصصه معاوية للعناية به وبخاصته. وثانيهما وهو ابن أثال، وكان خبيراً بتركيب الأدوية، وعلى معرفة جيدة بالأدوية المفردة، وخصائص السموم، وقد استخدمه معاوية للتخلص من أعدائه بدس السمّ لهم في أنواع من الأطعمة ولا سيما في العسل، وبواسطة هذا الطبيب تخلص معاوية من كثير من مناوئيه من زعماء المسلمين وأئمتهم. وقيل إن معاوية كان يقول: «إن لله جنوداً من عسل» ويقصد بذلك استعمال ابن أثال للعسل المسموم للتخلص ممن كان يريد معاوية التخلص منه.

لكن الحدث البارز في مضمار الطب الأموي كان في عهد الوليد بن عبد الملك حيث تم تأسيس أول مستشفى عربي وعين له أطباء وممرضون، وذلك قبل ثمانمائة سنة تقريباً من تأسيس أول المستشفيات في أوربا: مستشفى ستراسبورغ سنة ١٥٠٠ م ومستشفى أوتيل ديو في باريس سنة ١٥٣٦.

وكان العصر الذهبي للطب، عصر بني العباس، فقد تمت سيطرة العرب على مساحات شاسعة من البلاد والأمصار في آسيا وافريقيا والأندلس، ودانت هذه الأقطار كلها بالدين الإسلامي وتكلمت العربية. وهدأت الحروب بعض الشيء، وازدهر الوضع الاقتصادي، وارتفع العمران، وعاش الناس في ظلال نعيم وترف، فتنوعت الأطعمة وازدادت، واكتظت المدن بالسكان.

ونتيجة لهذا كله كان لا بد للأمراض أن تزداد وتتنوع وللآفات أن تظهر . وكان لا بد من طب متطور للعناية بالناس وتطبيبهم، فاهتم الخلفاء بالطب وأنشأوا المستشفيات والصيدليات، وراح الأطباء يفدون من شتى أمصار الامبراطورية إلى العاصمة بغداد وإلى المدن الكبرى آنذاك . وكان من هؤلاء الوافدين أطباء كبار تركوا بصماتهم واضحة في عالم الطب، وكان أثرهم عظيماً في تاريخه وتقدمه حتى عدت هذه الفترة فترة تقدم عظيم ونقلة جبارة وصلة وصل رائعة بين الطب القديم والطب في عصرنا الحديث .

المستشفيات كانت عامة (للدولة) وخاصة

قبل أكثر من ألف سنة، وفي أكثر المدن العربية من بلاد الأندلس وحتى بلاد الهند، كان يوجد، إلى جانب العديد من المستوصفات والعيادات، الكثير من المستشفيات العامة والخاصة، وفي قرطبة وحدها وجد حوالي خمسين مستشفى، وذلك لتضاهي بغداد عاصمة الدنيا في ذلك العصر .

وأشهر مستشفيات الامبراطورية العربية في ذلك العصر: مستشفى عضد الدولة في بغداد، ومستشفى النوري في دمشق، ومستشفى المنصوري في القاهرة الذي « كان قصراً عظيماً ومن أعظم المستشفيات وأغناها » .

والجدير بالذكر أن هذه المستشفيات كانت تستقبل كل المرضى ومن جميع الطبقات، وفيها أطباء مختصون بجميع فروع الطب .

كما أنه لم تكن الدولة والخلفاء والحكام وحدهم الذي ينشئون هذه المستشفيات، وإنما إلى جانب الدولة وجد أغنياء رأوا من واجبهم القيام بهذه المهمة الإنسانية فتأسست بذلك المستشفيات الخاصة ومن أهم هؤلاء الذين كانت له مستشفيات خاصة الطبيب سنان بن ثابت الذي كان مستشفاه يضاهي مشافي الدولة عناية وتقديم خدمات، وكان الأطباء يناموت في قسم منه خاص بهم .

كما ألحق بهذا المستشفى مدرسة للطب كان لها الفضل في تخريج كثير من الأطباء المهرة .

الأطباء وممارسة مهنة الطب

لقد كان العمل في المستشفيات يشبه الى حد بعيد ما يجري اليوم، حيث كان رئيس الأطباء (الذي كان يختار من بين زملائه نتيجة امتحان دقيق للكفاءة العلمية) يقوم بصحبة مساعديه من الأطباء والممرضين بزيارة المرضى صباح كل يوم للاطلاع على أحوالهم ومناقشة أوضاعهم . وكان مساعدوه يدونون ملاحظاته وأقواله ويطبقون تعليماته فوراً ودون تأخير .

أما طلاب الطب فكانوا يتلقون دروسهم النظرية بالتحلق حول رؤسائهم، وتلقي المحاضرات والدروس ومن ثم كانوا يقومون بصحبة اساتذتهم بزيارة المرضى والاحتكاك بهم في

المستشفيات وبهذه الطريقة تكون الناحيتان النظرية والعملية قد تكاملتا عند تلميذ الطب .

وبعد مدة الدراسة يحصل التلميذ على شهادة تثبت قدرته على ممارسة المهنة فتعطى له شهادة رسمية ممهورة بخاتم الخليفة أو الحاكم تشهد له بعلمه وكفاءته .

ولقد بدأ العرب في إعطاء الشهادة الرسمية للذي أنهى دراسة الطب في بغداد حوالي سنة ٩٣١ م بعدما نمي إلى الخليفة العباسي أن طبيباً بغدادياً عالج مريضاً وأخطأ فسبب له الموت . فأمر الخليفة بإنشاء غرفة للأطباء وعين سنان بن ثابت رئيساً لها وطلب إليه أن يمتحن كل الأطباء ـ ما عدا المشهورين منهم وأطباء الدولة ـ ويمنح الناجح في الامتحان شهادة يسمح له بموجبها بممارسة مهنة الطب . ويمنع الراسب من العمل في هذا الحقل .

ويمكننا ان نقول باختصار إن الطب عند العرب كان ـ وإلى حد بعيد ـ مطابقاً ومشابهاً في خطوطه العريضة للطب في أيامنا هذه . غير أن كثيرين من علماء اليوم ـ والمستشرقين بشكل خاص ـ يحاولون نكران الصلة بين الطب اليوم والطب في العصور السالفة ، وبخاصة الطب عند العرب ، وهذا في رأينا تجن كبير وظلم عظيم وإغماط لمكانة العرب في هذا المجال الحيوي ، وذلك لأن الطب العربي أيام ازدهار الامبراطورية العربية كان يحمل الكثير من خطوط الطب العريضة التي تسير عليها اليوم كالمنهج العلمي ، والاهتمام بالفحص السريري ، وبأقوال المريض فيما يتعلق بحالته وشكواه ، إلى جانب الاعتماد ـ وإلى حد كبير ـ على التجارب والاختبارات لمعرفة مفعول الأدوية ، وحتى ردة فعل المريض والمرض نفسه عليها .

ومن وجوه التشابه بين الطب العربي وطب اليوم المدارس التي تلقن الطب لأبناء الامبراطورية الواسعة ، فقد كانت هناك مدارس عديدة يتلقى فيها الطلاب القسم النظري من دروس الطب ، بينما كانت الناحية العملية مؤمنة في المستشفيات الكثيرة التي كانت منتشرة في أكثر المدن العربية ، حيث كان الطلاب يحتكون يومياً ـ كما ذكرنا ـ بالمرضى اثناء مرافقاتهم لأساتذتهم قبل أن يحصلوا على إجازة ممارسة المهنة ويستقروا في عياداتهم الخاصة لمعالجة المرضى .

ولقد كان عدد الأطباء في تلك الأيام كبيراً ، ففي أيام المقتدر العباسي كانوا يزيدون عن ٨٦٠ طبيباً في بغداد وحدها ، وهؤلاء الأطباء كانوا يختلفون من حيث المركز والقدرة والشهرة ، لكن المشهورين جداً كانوا قلة ، ولم يرد في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة إلا أسماء ثلاثمائة وخمسين طبيباً في كل العهود الإسلامية في المشرق والمغرب . وهم لم يكونوا كل الأطباء وإنما المشهورون منهم ، ومع هذا فقد فات ابن ابي أصيبعة ذكر بعض المشهورين ، ومنهم معاصر المؤلف ، ورفيقه ، على قول بعض الروايات ، ابن النفيس .

وابن النفيس ـ رغم عدم وروده بين أطباء عيون الأنباء ـ أحد أربعة أطباء عظماء لا بد لنا من الوقوف عندهم والكلام عن أعمالهم ، وذلك لما كان لهم من مكانة في مجال العلم والمعرفة ، ولما

قدموه في مجال الطب بشكل عام وطب القلب والشرايين بشكل خاص من آراء قيمة وأفكار أثبتت صحتها بعد قرون طويلة وهؤلاء الأطباء الأربعة هم:

١ ـ أبو بكر محمد بن زكريا (الرازي)

ولد الرازي سنة ٣٢١ هـ وبرع في الطب، وألف فيه كثيراً من الكتب من أشهرها: كتابه: «الحاوي» وفيه أضاف، إلى ما وصل إليه الهنود والافريقيون في حقل الطب، تجاربه وملاحظاته. وكتابه: «برء الساعة» وهو ردّ الرازي على الأطباء الذين زعموا أمام الخليفة أن الأمراض تتطلب وقتاً طويلاً ليبرأ المرضى منها. ونلاحظ في الكتاب أن الرازي يعتبر هذا الزعم من الأطباء إنما هو لابتزاز المرضى، والمعالجة على هذه الشاكلة عمل غير شريف.

ووضع الرازي أيضاً كتاباً اشتهر باسم «طب الفقراء» وفيه وصف لأمراض كثيرة وطرق معالجتها بالوسائل الميسورة في كل آن ومكان.

وقد عرفت أوربا أهمية كتب الرازي وظلت تعمل بما فيها كمرجع أكبر وأساسي ما ينيف على أربعة قرون. ويدلنا هذا على ما في هذه الكتب من معلومات قيمة تشهد له على عبقرية فذة.

ولا عجب في ذلك، فقد كان طبيبنا أبو بكر أو من دون ملاحظاته السريرية (الاكلينيكية) في كل حالة عالجها، وأكد على ما للقلب والنبض من أهمية في معرفة خطورة المرض، كذلك تعرض للإصابة القلبية في الأمراض المعدية.

ومما روي عنه ـ دالاً على عبقريته العلمية ـ أن الخليفة العباسي عضد الدولة أوكل إليه مهمة اختيار مكان مناسب لبناء مستشفى كبير وحديث في بغداد. فعلق في عدة أماكن من بغداد قطعاً كبيرة من اللحم، وانتظرها يوماً واحداً وعاد لينظر ما حل بها، وفي المكان الذي بقي فيه اللحم أقل فساداً وتلفاً اختار موقع المستشفى المذكور.

توفي الرازي سنة ٩٢٤ م فقيراً محتاجاً، وأقيم له تمثال في جامعة الطب في باريس تكريماً لعلمه وتخليداً لذكراه.

٢ ـ الشيخ الرئيس ابن سينا

ولد ابن سينا منذ حوالي ألف عام (سنة ٤٢٨ هـ، ٩٨٠ م) وبقيت كتبه المصدر الأول والوحيد لتدريس الطب في أوربا خلال قرون عدة.

له ستة عشر كتاباً في الطب أشهرها «القانون» الذي قسمه إلى خمسة أجزاء دون فيها كل ما وصل إليه من معلومات طبية عن القدماء والمعاصرين.

القلب عند ابن سينا يعطي الحياة، وبه يختلف الحيوان عن النبات، وهو أصل الحرارة التي تنطلق في الشرايين.

أما النبض فقد أعطاه ابن سينا ما يستحقه من دراسة واهتمام، وحاول الربط بين تغيراته وأحواله والعديد من الأمراض، مراعياً بطبيعة الحال أثر العوامل النفسية والعصبية عليه.

٣ ـ ابن رشد:

عاش في اشبيليه بالأندلس حوالي سنة ١٦٦٢ م، واشترك مع مروان بن زهر بوضع كتاب «الكليات» وكتاب «التيسير في المداواة والتدبير».

وقد تكلم ابن رشد في كتاب التيسير عن الآفات القلبية، وبخاصة عن بعض إصابات غلاف القلب الخارجي (التامور).

ويعتبر بحق أول من عدد الأنواع المختلفة من التراكمات السائلة بين القلب وغشائه.

٤ ـ ابن النفيس (١٢٢٠ م ـ ١٢٨٨ م)

«لو لم أكن واثقاً من أن كتبي ستعيش بعدي مدة عشرة آلاف سنة ما كتبتها».

هذا ما كتبه ابن النفيس الذي ولد بدمشق سنة ١٢٢٠ م وتعلم فيها الطب في مستشفى النوري، وذهب من بعد إلى القاهرة حيث رأس مستشفى المنصوري فيها سنوات عدة.

ولقد وصل ابن النفيس إلى نتائج باهرة في مجال طب القلب والشرايين، وعرف الصلة الوثيقة بين التنفس والنبض، وبين التنفس وجريان الدم من القلب إلى الرئتين وبالعكس.

لقد أعلن هارفي الانكليزي سنة ١٦١٦ م عن وجود الدورة الدموية الصغرى، وكان ذلك بعد حوالي ٦٠ سنة فقط من اكتشاف سارڤيتوس الاسباني لها وتسميتها «بالدورة الدموية الرئوية». وما من شك أن هذا الاكتشاف والاعلان خطوة كبيرة وجبارة على طريق الطب وهدية رائعة للإنسانية.

وبقي الناس يعتقدون أن أول مكتشف للدورة الدموية الصغرى سارڤيتوس وهارڤي طيلة مدة أربعة قرون كاملة حتى جاء من يكشف أن ابن النفيس هو الذي سبق إلى هذا الكشف ونادى به وبغيره من الآراء الجريئة الجليلة.

فلقد قال ابن النفيس الذي اهتم كثيراً بتشريح القلب في شرحه «لقانون ابن سينا»:

ـ إن تغذية القلب تتم بواسطة العروق الموزعة فيه، وليس كما كان معتقداً حتى أيامه في البطين الأيمن من القلب.

ـ إن الدم يذهب من القلب إلى الرئتين ليتشبع بالأكسجين، لا لتغذيتها كما كان يعتقد سابقوه ومعاصروه، ومنهم جالينوس الشهير.

ـ إن الأوردة والشرايين تتصل فيما بينها في الرئتين فتشكل داخلها دورة دموية كاملة.

- إنه ليس في شرايين الرئتين أية رواسب أو هواء - كما كان يظن جالينوس - وإنما يوجد الدم فقط.

- إنه يوجد بين شطري القلب الأيمن والأيسر «حاجب صلب» محكم الإغلاق. وليست في هذا الحاجب أية مسام ظاهرة أو خفية كما كان يعتقد جالينوس».

سرفيدس الاسباني وهارفي الانكليزي وبداية عهد طب القلب الحديث

بعد ابن النفيس بثلاثة قرون تقريباً كان سرفيدس الاسباني اذن أول من أكد في أوروبا وجود الدورة الدموية الرئوية الصغرى.

ولسنا ندري إذا كان سرفيدس هذا قد اطلع على ما كتبه ابن النفيس في هذا المجال أم لا، ولكن الأمر الذي لا شك فيه على الإطلاق، أنه كان مطلعاً على علوم العرب وطبهم، وملماً بلغتهم.

ولقد ألف سرفيدس كتابه «إعادة بناء المسيحية» وضمنه بعض ما يعتقد، وذكر فيه اكتشافه للدورة الدموية الرئوية الصغرى. فكان هذا الكتاب سبباً جعل «كالفن» زعيم الحركة البروتستانتية آنذاك يأمر بحرقه حياً فأحرق بالقرب من جنيف.

وعلى كل حال فإن سرفيدس لم يعرف إلا الدورة الدموية الصغرى، أما الدورة الدموية الكبرى فقد جهلها تماماً.

وهكذا.. حتى جاء هارفي الانكليزي سنة ١٦٢٨ م كما ذكرنا سابقاً فأكد على دور القلب في الدورتين الكبرى والصغرى بين الأوردة والشرايين، ونقض نهائياً ما كان يظنه جالينوس حقيقة وهو أن الدم يمر من القلب الأيمن إلى الأيسر عبر فتحات صغيرة في الحاجز بين القلبين، وذلك بوصفه الدورة الدموية الرئوية الصغرى.

والقلب - عند هارفي - يمتلىء دائماً أثناء انبساطه، ويدفع بهذا الدم اثناء انقباضه في اتجاهين: الرئتين، والجسم، عبر الشريانين: الرئوي والأبهر.

مات هارفي وهو ينعت وأتباعه «بالدجالين»، وبقيت أوروبا تؤمن بكلام جالينوس، غير آبهة بأفكار هارفي وآرائه في الدورة الدموية، حتى قبل مالك فرنسا لويس الرابع عشر طرح هذه الآراء على بساط البحث والمناقشة، وكان ذلك بعد وفاة هارفي بخمسين سنة على الأقل.

وهكذا نرى أن الطب بشكل عام، وطب القلب والشرايين بشكل خاص، لم يصلا إلى ما هما عليه اليوم إلا بعد تطور عميق وطويل عبر آلاف من السنين قدم فيها الإنسان عصارة فكره وزبدة عمله الجاد الدؤوب، ونجد أن شعوب العالم في الشرق والغرب معاً قد أعطوا في سبيل تقدم هذا العلم بسخاء وجرأة وإخلاص.

◄

ولا بد من الإشارة إلى أن طبنا الحديث، لم يكن ليصل إلى هذه الدرجة العظيمة من التقدم، لولا هذه الخطوات الجريئة الجبارة التي قام بها كثيرون من أعلام الطب والعلم في القرون الأخيرة من عمر البشر وبخاصة القرن العشرين. ولكن لا بد من الاعتراف بأن الطريق أمام هؤلاء العلماء المحدثين كانت شبه معبدة ما عليهم إلا السير عليها، وكانت القاعدة قوية ثابتة بشكل يدفع همة الشجاع إلى متابعة هذا البناء وإتمامه. ويرجع الفضل ـ دون ادنى شك ـ إلى ما قدمه كبار الأطباء الاغريق كأبوقراط وجالينوس، وإلى هذا الجهد العظيم المتواصل الذي قام به أطباء العرب طيلة قرون من الزمن كانت فيه هذه الأمة تتربع على عرش الحضارة في العالم. إننا لم نذكر من هؤلاء الأطباء إلا قلة من كبار مشاهيرهم، وهم وغيرهم من أطباء الأمم الأخرى يعتبرون اليوم وعندما يذكر من لهم فضل في تقدم الطب وطب القلب شكل خاص، من القلائل الذي قدموا وبذلوا وأعطوا البشرية والإنسانية بجرأة، وسخاء وإخلاص.

إنتهى

محمد ياسين.

ـ هدئ غضبك

اذا كانت الادلة العلمية تقول ان الغضب يزيد من ارتفاع ضغط الدم، فان زوال الغضب يخفض ضغط الدم.

وكان الباحثون العاملون في مدرسة الصحة العامة التابعة لجامعة ميشيغان يدرسون تأثير الغضب على ارتفاع ضغط الدم عندما اكتشفوا ان ضغط الدم ينخفض عندما يزول غضب المرء.

وهذا نبأ سار للاشخاص الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم، وهو حالة خطرة لا يعرف منشؤها، لانه يعتقد في عدد كبير من الحالات، ان العوامل النفسانية هي المسؤولة عن ارتفاع ضغط الدم. واذا صح ذلك، فان العديد من المرضى يمكنهم السيطرة على ارتفاع ضغط الدم عندهم بالامساك عن الغضب.

ويقدم البروفسور ارنست هاربورغ التفسير التالي: عندما يجابه المرء بموقف عدائي يتفجر غاضبا عادة، او يكبت ذلك الغضب، او يتخذ خطوات لتسوية الخلاف. وقد اكتشفنا ان الاشخاص الذين يسيطرون على غضبهم عندما يجابهون بنزاع ما، يكون ضغط الدم عندهم اقل مما كان متوقعا.

ويقول الدكتور هاربورغ ان سر بقاء المرء هادئا يكمن في بحث المشكلة التي تثير الغضب وتقصي اسبابها بطريقة متجردة. والبحث المجرد يساعد في ازالة سبب الغضب.

الطِّفل بين الوِراثة والتربيــة*

مراجعة: د. طلال عتريسي

الكتاب بجزئيه عبارة عن مجموعة محاضرات القيت في احدى جوامع طهران سنة ١٩٦١ م وهو لهذا السبب يتميز ببساطة واضحة. كما تحتل الأمثلة العملية المستقاة من الحياة اليومية حيزاً كبيراً من مضمون هذه المحاضرات الثلاثين.

يستند المؤلف الشيخ محمد تقي فلسفي إلى القرآن الكريم وإلى أحاديث الرسول (ﷺ) والأئمة عليهم السلام في مناقشته لبعض الاتجاهات الغربية في تربية الطفل. وفي تبيانه للتربية القويمة وللشخصية السوية التي يسعى الإسلام لتكوينها. إلا أنه من جهـة أخـرى يستعـرض بعض القضايا التربوية العامة التي تعتبر من البديهيات مني أمور التربية، أو لدى المهمتين بها. وليس ذلك، على ما يبدو، نتيجة ضعف أو تقصير، بل رغبة من الكاتب في تبسيط وتحرير مفاهيم اعتادت أن تكون حبيسة الكليات والمعاهد والجامعات، فنقلها محاضرات يومية أو أسبوعية عبر الجامع إلى المئات والألوف من الناس. يضم الجزء الأول من الكتاب خمسة عشر محاضرة تدور مواضيعها حول الذنب وحرية التعلم. السعادة ودور الأم. القضاء والقدر. الأطفال اللاشرعيون. النظام الطبيعي في الأحياء. العقل والحرية وتنمية المشاعر. تغذية الروح والجسد. دور الأسرة في التربية. المعرفة الفطرية. الوجدان الاخلاقي. الإختبار النفسي. تعديل الميول. التربية على أساس الإيمان. والتربية في ظل العدل والحرية وبها يختتم الجزء الأول من الكتاب.

هناك بعض المعالجات الملفتة للنظر ضمن هذه المحاضرات تفتح افاقاً وتثير اسئلة لم تتطرق إليها سابقاً معظم النظريات التي تعنى بالطفل وبتربيته. ففي المحاضرة الاولى (حول الذنب ـ حرية التعليم) يبحث المؤلف في معالجة الإنحراف. ويرى أن الجانب السلبي في السلوك وفي التفكير أقوى من الجانب الإيجابي. «إن كفة الإبتعاد عن الذنوب ـ الجانب السلبي ـ ترجح في ميزان السعادة البشرية على كفة الاتيان بالواجبات. ـ الجانب الإيجابي ـ» وتكون التقوى «هي اجتناب المعاصي». كما يرى أن أسباب الإنحراف الأخلاقي والسلوكي لا تقتصر على الفعل ذاته. بل تكمن أيضاً، وهذا أهم، في التفكير في الإنحراف. ولذلك نهى الإسلام عنه، وجعل الأعمال بالنيات حتى لا تؤدي النوايا المنحرفة إلى سلوك منحرف. و «التفكير في الذنب حتى ولو لم يصل إلى مرحلة التطبيق. فانه يوجد ظلمة روحية في القلب...».

(*) الكتاب في جزئين: تأليف الشيخ محمد تقي فلسفي.

وفي محاضرته الثانية حول السعادة البشرية، يعرض المؤلف لآراء بعض العلماء اليونانيين الذين حصروا السعادة في أربع صفات هي: الحكمة والشجاعة والعفّة والعدالة، دون إعتبار للبدن ومتطلباته. ثم ينظر إلى المدنية الحديثة التي تتمسك بالجانب المادي لتحقيق سعادة الإنسان. بينما ينتهج الإسلام مبدأ الواقع. فينظر إلى الإنسان من جميع جوانبه المادية والمعنوية، والروحية والجسدية. ويرى إن التوازن والوحدة بين جميع هذه العناصر هو الذي يشكل أساس السعادة.

ويعرض في المحاضرات الثالثة والرابعة والخامسة إلى قوانين الوراثة وكيفية إنتقالها إلى الجدود البعيدين، وإلى دور الأم في تكوين الطفل أثناء فترة الحمل. فيشدد على أهمية صفاتها الخلقية والنفسية لأن هذه الأخيرة لها حظ كبير في الانتقال إلى الطفل أيضاً. ومن هذه الفكرة ينطلق ليبحث مسألة علاقة طفل الزنا بالاخلاق غير السليمة التي يمكن أن يكتسبها هذا الطفل. فيربط بين الراحة النفسية للوالدين في حالة علاقة طبيعية وبين انجاب الولد. أي امكانية تأثير الحالة النفسية (هدوء ـ اطمئنان، أو قلق وخوف.) على التكوين النفسي والعصبي للمولود. ولا يعتبر أن هذه المكونات نهائية، بل يرى امكانية غلبة البيئة والتربية على عوامل الوراثة إذا لم تكن هذه الأخيرة صحية (كالجنون مثلاً ـ).

تعريفه للتربية

«التربية الصحيحة هي التي تكون مطابقة للفطرة الواقعية للإنسان. ولا يوفق المربي إلى ذلك إلا عندما يدرك جميع الميول والغرائز الطبيعية في الإنسان أولاً والعمل على تنمية تلك الميول وارضائها في مقام التربية ثانياً.» (ص ١٨٩).

هذا التعريف الذي يقدمه المؤلف في محاضرته السادسة يطرح على بساط البحث مسألة عامة لا تزال «التربية الحديثة» تعالجها من وجهات نظر مختلفة. فالمشكلة الأساسية في التربية تكمن في معرفة الطبيعة الإنسانية ـ الفطرة ـ هذه المشكلة اختلف فيها العلماء والفلاسفة والمربون. فمن قائل بان الطبيعة الإنسانية خيرة (روسو) إلى قائل بأنها شريرة (هوبس).. الخ. وأهمية جزم المعرفة في هذا التكوين الفطري للإنسان تكمن فيما يترتب على ذلك من نظرية تربوية تسعى لتكوين الشخصية الإنسانية.

أما المؤلف فيرى من خلال الإسلام أن فطرة الإنسان فيها الخير والشر معاً «ونفس وما سواها الهمها فجورها وتقواها.».

هذا التحديد لفطرة الإنسان يترتب عليه منهج تربوي معين. إن الإعتراف بوجود قوى فاجرة وقوى تقية في النفس الإنسانية منذ ولادتها يعني أن على القيمين على التربية أن يسعوا منذ البداية إلى:

١ ـ احياء الإستعدادات الفطرية المفيدة.

٢ ـ اماتة الميول المنحرفة والإتجاهات الشريرة.

هذه النظرة تضيف بعداً تربوياً جديداً وهي في كل ذلك تختلف عن النظريات الفلسفية أو التربوية التي لا ترى في النفس الإنسانية إلا سطحيّاً مبسطاً أما للخير وأما للشر.

نقطة هامة أيضاً يجب التوقف عندها في المحاضرة السابعة حول إرتباط سعادة المجتمع وتطوره بالفضائل الخلقية (أحاديث حول مكارم الأخلاق ص ٢٢٧). يقيم المؤلف تشبيهاً بين تطور المجتمع وتقدمه وبين نظام عمل السيارة. فقوة محرك السيارة (الجانب الإيجابي)، يقابلها ارتباطاً قوة جهاز الإيقاف (الفرامل ـ الجانب السلبي).

«والمؤسف أن البشرية تسير بقوة المحرك فقط دون القوة الكابحة للخطر والسقوط...» «ولهذا السبب ارتبط العلم بالايمان. وقامت الآيات الأولى في القرآن على عمودي الإيمان والعلم. فلقد قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق﴾. فقدم بذلك الإيمان بالخالق العظيم، ثم عقب عليه بذكر العلم: ﴿اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.﴾ (سورة العلق).

يوجه المؤلف نقداً إلى رياض الأطفال بسبب النقص التربوي فيها. لان الطفل بحاجة للتعلم ممن هم أكبر منه سناً، ولسبب عدم التوازي بين حنان الأم الخاص للطفل وبين حنان المربية التي تقدمه لمائة طفل..

وتبرز أيضاً أهمية الأسرة في التربية في وصيّة النبيّ (ﷺ) للاباء والأمهات وأولياء الأسر بالمحافظة على اليتيم واحتضانه ضمن دائرة الأسرة.

في المحاضرة العاشرة يناقش المؤلف المعرفة الفطرية. فيرى أن الوجدان من الأمور الفطرية. وهو ينقسم إلى قسمين: الوجدان التوحيدي والوجدان الإخلاقي. وبناء على ذلك فإن الإنسان «يدرك بفطرته إن هناك قوة لا محدودة تسيطر على هذا الكون.» كما تميز قواه الباطنة بين الخير والشر. لكن هذه المعرفة الفطرية غير كافية للإحاطة بكافة شرائع وتفاصيل الخير والشر لذلك كان لابد من وجود الأنبياء الذين من أهم واجباتهم إيقاظ الجوانب الفطرية عند الإنسان. يقول الإمام علي في ذلك: «فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه،يستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول.» (نهج البلاغة). ولهذا السبب يسمي الرسول في القرآن الكريم باسم المذكرّ أحياناً، وباسم المعلم أحياناً أخرى. ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾. (سورة الغاشية/ ٢٠)

وحول هذه النقطة يعتبر المؤلف أن الفكر الفرويدي ينحرف عن طريق الفطرة في تفسيره للدين وللبصر والأخلاق. ففرويد ينكر الفطرة التوحيدية، وينكر فطرية الوجدان الأخلاقي. ويرجع الأخلاق إلى النواهي الإجتماعية، والدين إلى الحاجة للتخلص من ا لخوف من القوى الطبيعية. ويلتقي مع فرويد في هذا الإنحراف عن الفطرة التفسير الشيوعي للدين والأخلاق. ويستند المؤلف إلى بعض الآيات التي تؤكد قناعته بفطرية الوجدان. «ونفس

وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها». أي بيّن لها ما تأتي وما تترك (سورة الشمس ـ ٧ ـ ٨)، ﴿وهديناه النجدين﴾ (سورة البلد/ ١٠) أي نجد الخير ونجد الشر.»...

مناقشة فرويد:

يستند فرويد للبرهان على عدم وجود الوجدان الفطري، إلى قصة القبيلة الخيالية التي تم فيها حادثة قتل الأب بواسطة الأبناء بسبب الصراع على النساء. وبعد هذا الفعل صدر الأمر من النفس والقائل بعدم الإقدام على القتل.

إن القتل هنا ليس فطرياً بدليل أنه لم يتم في حالة طبيعية. بل في حالة شهوة. كما أن أفراد هذه القبيلة لم يكونوا أحراراً وطبيعيين ولا يمكن اعتبارهم مقياساً لتشخيص الفطرة الإخلاقية.

اذن تعتبر المدرسة الفرويدية أن القتل في القبيلة البدائية الموهومة كان بسبب الغريزة الجنسية.

أما المدرسة الإسلامية،فترى أن أول حادثة للقتل في تاريخ البشرية وقعت بسبب حب الرئاسة وثورة القوة الغضبية. وما يجمع بين هاتين المدرستين أن القتل كان في ظرف غير عادي وحالة غير طبيعية.

كما ترى المدرسة الفرويدية أنه ربما لو لم تقع هذه الجريمة في تلك القبيلة فإن أحفاد الإنسان الأول سيستمرون في قتل بعضهم.. إلى أن صدر الأمر النفسي بمنع القتل.» ولكن التاريخ يعلمنا أن هذا القرار لم يكن له أي أثر. ذلك أن القتل استمر بين أبناء البشرية. وقد يقول الفرويدون أن القتل كان يحصل قبل صدور ذلك الإعلان. أي أن أفراد البشر كانوا يقتلون بعضهم في الحالات الإعتيادية. وجاء الإعلان يمنع حدوث تلك الجرائم.. وهذا مخالفة للواقع. ذلك أن الحيوانات لا تتصارع فيما بينها الا بدافع غريزة الجوع أو الجنس. أما في الحالات العادية فلا يزاحم بعضها بعضا. إلا إذا أدعت المدرسة الفرويدية أن الإنسان أحط من الحيوانات.» (راجع المحاضرة الحادية عشرة.)

أما حولالإختبار النفسي فيرى المؤلف أن فرويد ليس أول من استند إلى فلتات اللسان وإلى الأحلام لاكتشاف الضمير الباطن. يقول الإمام علي (ع): «ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.». كذلك تفسيرات «ابن سيرين» للأحلام قبل ثلاثة عشر قرناً.

حول العلاقة بين العقل والغريزة يقدم المؤلف نظرة الإسلام لهذه العلاقة المختلفة عن معظم النظريات المعروفة التي ترى السعادة والحرية في اطلاق العنان للغرائز دون كبتها أو تنظيمها. بينما في الإعتبار الإسلامي تؤدي سيطرة العقل على الغرائز الى الحكمة والتوازن. في حين أن غلبة الهوى تجنح بالانسان نحو الإنحراف والسقوط والتوتر. واتباع الهوى مقياس

السواء والإنحراف في الاسلام. « لا تدع النفس وهواها، فإن هواها، رداها.». « اشجع الناس من غلب هواه.» (الإمام علي) « أرأيت من اتخذ الهه هواه، افأنت تكون عليه وكيلا» (قرآن كريم).

ينتهي الجزء الأول من الكتاب بالدعوة لتربية على أساس الإيمان بالله، في ظل العدل والحرية.

أما محاضرات الجزء الثاني فتدور حول: مسؤولية الوالدين في تربية الطفل. تدريب الطفل على الصدق واحترام شخصيته. الإسلام وتكريم الطفل. تنمية عواطف الطفل. تنمية الإيمان في نفس الطفل. عقدة الحقارة. الإفراط في المحبة. الإعتماد على النفس. الحياء. التكبر. التواضع...

تدور المحاضرة الأولى حول مسؤولية الوالدين في تربية الطفل. فيراها المؤلف لا مسؤولية اجتماعية واخلاقية فحسب، بل مسؤولية دينية يفرضها الإسلام على الوالدين. وينتقل من بحث هذه النقطة ليتناول موضوع التعامل مع الطفل. أي سلوك الأهل أمام أطفالهم. وينطلق من مثل الوفاء بالعهد الذي يتعلمه الطفل من والده ليعمم هذه القاعدة على مجمل سلوك وتصرفات الأهل التي يكتسبها الطفل باديء ذي بدء من أهله وذويه. ولذا وجب أن ينتبه هؤلاء إلى كل الفاظهم وإلى كل حركة من حركاتهم. « عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله (ﷺ): « أحبوا الصبيان وارحموهم، واذا وعدتموهم أوفوا لهم، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم» (الوسائل للحر العاملي ج ٥/١٢٦).

واستتباعاً للمحاضرة الأولى يتحدث المؤلف عن تدريب الطفل على الصدق في المحاضرة الثانية، فيرى أن لا يحمل الطفل ما لا يطاق حتى لا يضطر إلى الكذب كما يتناول حالات متنوعة يضطر فيها الولد إلى الكذب. لمعالجة ذلك يدعو إلى ما يسميه إحترام شخصية الطفل الذي يمنع تكون عقدة الإهانة والتحقير في نفسه.

ومن احترام شخصية الطفل، يتوسع الكاتب، مستنداً إلى أحاديث القرآن الكريم والأئمة عليهم السلام ليعرض نظرة الإسلام إلى التعامل بين الناس. إلى القانون الذي يفرضه على الجميع دون إستثناء. « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن.» (قرآن كريم). وعن الإمام الباقر (ع) « قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم.» (الوسائل للحر العاملي ج ٤) ولا ينسى المؤلف أن يشير إلى فطرية اللعب عند الطفل. « عن الإمام الصادق عليه السلام» « الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين».

أما الفكرة الأكثر أهمية قياساً إلى ما تطرحه التربية الحديثة والتي يدور محورها حول حرية الطفل. فهي دعوته إلى تقويم سلوك الأبناء. لكي يبقوا ضمن دائرة إحترام الوالدين. « جرأة الولد على والده في صغره، تدعو إلى العقوق في كبره.». حول هذه النقطة دار جدل كبير في أوروبا في الأوساط التربوية، خصوصاً مع مطلع هذا القرن. وقد أجمعت وقتها

معظم الإتجاهات التربوية الحديثة على ضرورة ترك الحرية المطلقة للطفل لكي يعبر عن شخصيته دون أي شكل عن أشكال القمع أو الضبط، وحتى دون تدخل من الكبار. أما الآن فقد بدأ بعض التربويين الغربيين بإعادة النظر في المسألة كما تحمله من خطورة على شخصية الطفل التي تتكون دون موجه ودون منظم أو ضابط.

تعامل الرسول مع الطفل.

إلا أن الدعوة لضبط الطفل وتوجيهه لا تعني تحقيره واضطهاده، فهذا مما يخالف تعاليم القرآن والرسول. «اكرموا أولادكم، واحسنوا آدابكم.». (حديث شريف).

«روي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ـ مرضعة الحسين عليه السلام ـ قالت: «أخذ مني رسول الله ﷺ وآله حسيناً أيام رضاعه فحمله، فأراق ماءً على ثوبه، فاخذته بعنف حتى بكى. فقال ﷺ: مهلاً يا أم الفضل، أن هذه الأراقة الماء يطهرها، فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين؟» (ص ١٠١). وقد جاء في الحديث «التلطف بالصبيان من عادة الرسول.».

تدور المحاضرات التالية حول ضرورة الدقة في مراقبة الطفل ونمو مشاعره وعواطفه لأن هذه الأخيرة تنمو قبل العقل. ولأن «أول صورة يرسمها الطفل في ذهنه عن الله تنبع من علاقاته مع والديه. وكذلك أول فكرة ترتسم في مخيلته عن الطاعة والسماح والإستقامة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسلوك الأسرة..» (ص ١٧٠) ولا يقتصر عدم تحقير الطفل على الأهل فقط، كذلك يجب على جميع الناس أن لا يحقروا بعضهم بعضاً. ويشدد المؤلف على هذه المسألة حتى تحتل صفحات محاضرة ونصف (الواحدة والعشرون والثانية والعشرون).

التوازن في التربية

بين الأفراط في المحبة وتدليل الطفل، وبين الشدة والقسوة يعرض الكاتب لموقف الإسلام المتوازن من التربية حيث لا قسوة متناهية ولا دلال متناه. ويبيّن كيف أن هذه الطريقة هي الوحيدة التي تقوم شخصية الطفل وتعلمه الإعتماد على النفس والشعور بالمسؤولية وتنهاه عن الإعتماد على الناس. وتخلق فيه القدرة على المقاومة والصلابة أمام متغيرات الحياة وأعبائها.

هذا النموذج من التربية يخلق شخصية إنسانية منفتحة. تسعى للتدامج مع الآخرين ولا تخشاهم. وحتى هذه القضية ليست قضية فردية مزاجية بل يحض عليها الرسول ويجعلها أعظم وأرفع. «قال رسول الله (ﷺ): «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.». (ص ٢٥١)

أما جوهر هذه الشخصية التي تضع لبناتها التربية الإسلامية، فهي الإتكال على الله. إنها عقيدة المسلمين. «وأصحاب هذه العقيدة لا يخسرون المعركة أمام مشاكل الحياة أبداً..» (ص ٢٧٤).

هذا التوازن يطال أيضاً مسألة الحياء. (المحاضرة الخامسة والعشرون) فهناك الحياء المحبذ والحياء غير المحبذ. الإسلام يرى ضرورة الحياء عند الجميع رجالاً ونساءً. قال علي عليه السلام «أحسن الحياء استحياؤك من نفسك.» وقال رسول الله (ﷺ): «إذا لم تستح فافعل ما شئت.». والفعل هنا غير محصور بجنس معين. إلا أن ذلك لا يعني أن يستحي المسلم في كل الظروف وفي جميع المناسبات. ففي الحديث «ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه». وعن أمير المؤمنين «ولا يستحين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم، أن يقول: لا أعلم.». (ص ٣١٠).

يناقش المؤلف كذلك قضية هامة في العلوم الإنسانية وخصوصاً في علم النفس. وهي قضية القياس. أي هل يمكن قياس مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية؟. لقد أخضع الغرب بعلومه الحديثة الإنسان المعاصر إلى مختلف أنواع التجريب. ولم تستثن عواطفه وقيمه وأهدافه من هذا القياس. أما المؤلف فيرى أن هناك نوعين من الحقائق: ما يقبل القياس، وما لا يقبله. «.. فالسل والسرطان مثلاً مرضان خطيران..، كل منهما يكفي لأضعاف المصاب، وتحول جسده وتدمير حياته. لقد اكتشف الأطباء جميع الأعراض المميزة لهذين المرضين... والحسد أيضاً داء خطير كالسل والسرطان، .... إنه يفسد العقل ويقتل الإنسانية.. هذا المرض ليس قابلاً للفحص والقياس في المختبرات، أنه لا يملك ميكروباً خاصاً. ولا يمكن مشاهدته تحت المجاهر القوية.». ويتهم المدنية الحديثة بقصورها عن إدراك الحقائق غير القابلة للقياس. «لقد سيطرت العلوم التجريبية.. على أفكار الناس وعقولهم.. وتركت الحقائق غير القابلة للقياس بيد النسيان والإهمال... فانكروا وجود الله، وسخروا من الإيمان به وبالأنبياء.. وهذا نقص كبير في المدنية المعاصرة..» (ص ١٥٩ ج ٢).

موضوع التكبر الذي يتناوله الكاتب فيه تصوير دقيق ومبسط لعلاقة المتكبر بالآخرين، لذلك الاختلاف بين التقدير الذي يسبغه المتكبر على نفسه، وبين التقدير الحقيقي الذي يراه المجتمع والآخرون فيه. ولا يفوته أن يردّ الأساس النفسي للتكبر إلى عقدة حقارة قد تكون متأصلة في نفس الإنسان فيحاول مواجهتها أو التغلب عليها بأسلوب متطرف ينتهي به إلى التكبر والتعالي على الآخرين. عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه.». أما من عرف قدره فهو الذي يفوز باحترام الناس ويتمكن من التواصل معهم. «من وقف عند قدره أكرمه الناس.» «إن التواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعة. فتواضعوا يرحمكم الله». (حديث شريف).

التكبر مذموم ومكروه في الإسلام. إنها عادة جاهلية. والإسلام يدعو المؤمنين إلى التواضع. إلى إحترام الصغير والكبير. فالتفاضل بين الناس أساسه التقوى والتقرب من الله. ولا إعتبار لقيم الحسب والنسب. تقول الآية الكريمة ﴿ولا تُصعِّر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً، إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾. وعن أمير المؤمنين «شر آفات العقل

الكبر .». وعن الإمام الباقر «ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قل أو كثر .». إذن التواضع المطلوب يجب ألا يصل إلى حد الذلة والإنحدار والإنحناء أمام الآخرين. «ولا تصعّد خدك للناس .». إنه التوازن دائماً. كما أنه «لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه .» (حديث شريف).

ينتهي الجزء الثاني من الكتاب بمحاضرة تدعو إلى علاج القلق والحقارة بسلوك طريقي الإيمان والعلم.

تجدر الإشارة في نهاية هذه المراجعة إلى أن المؤلف يستشهد أيضاً بآراء بعض الكتاب الغربيين لتدعيم وجهة نظره حول فكرة ما. ويتميز كتابه كما ذكرنا بتفصيل وتوسيع وتبسيط. هذه الميزة لا تتوفر دائماً في الكتب التي تعالج مواضيع التربية. إلا أن جمهور المحاضرات هو الذي فرض هذه السمة من البساطة.

كما يمكن من خلال الكتاب ملاحظة فرق هام بين مناهج التربية وعلم النفس الغربية وبين منهج الإسلام. فالأولى تحاول البحث عن جذور المشكلة. عن أسبابها. عن الظروف التي سببت ولادة هذه العقدة أو تلك. أما في الإسلام، فيغلب الجانب العلاجي على المشكلة. أي جانب تجاوز العقدة لا للتكيّف مع المجتمع وحسب، بل لتكوين شخصية إنسانية لا تقيدها حدود الجغرافيا والسياسة، تستلهم في بنائها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الكتاب، رغم كثير من البدهيات التي يناقشها، إلا أنه يعرض كل ذلك ببساطة ومتانة متناهية. ومهما اختلف مستوى القراء فسيجد كل واحد ما يلفت نظره ويفيده، إن على مستوى طريقة العرض والتحليل أو في الأحاديث والآيات والقصص.

طلال عتريسي

مكافحة سوء التغذية

أصبحت مشكلة سوء التغذية، بكل وضوح، من كبرى مشاكل الصحة العامة في عالم اليوم. تلك هي نتيجة المباحثات التقنية التي تمت في جنيف في اطار الجمعية العامة لمنظمة الصحة الدولية، والتي دامت ثلاثة اسابيع.

وحذر الخبراء من ان لا احد، بما في ذلك الوكالات الصحية، وقد ادرك حتى الآن، خطورة مشكلة سوء التغذية الحقيقية، ومضاعفاتها الجسيمة، وآفاتها القاتلة مستقبلا.

وحتى اذا امكن التخفيف من وطأة المجاعات العامة عن طريق المعونة الغذائية المباشرة فستبقى هناك ملايين من حالات سوء التغذية، وهي تمثل بدورها نسبة بسيطة من الناس، الذين لا يصيبون ما يكفيهم من الغذاء.

واشارت الجمعية العامة لمنظمة الصحة الدولية، على سبيل المثال، الى ان اكثر من ٥٠ بالمئة من معدل الوفيات في البلاد النامية، تعود في معظمها الى ان الاطفال الذين لم يبلغوا الخامسة من العمر، لا يتناولون ما يكفيهم من الطعام.

خمس ست كلمات

بقلم: نصرت توفيق خريش

مسؤولية الحرب، مسؤولية ثقيلة جداً...

لا تنتهي بإنتهاء الحرب، بل ما هو بعد الحرب.

★ ★ ★

الوطنية، ممارسة يومية.

صناعتها العمل والبذل، من أجل الوطن وإبناء الوطن.

وإلا ما قيمة المال والحياة بلا ممارسة وطنية.؟...

★ ★ ★

وقفة بطولة واحدة، فيها رجولة وكرامة، في سبيل الوطن:

تغني عن مئات الساعات التي تلاك فيها كلمات التغني بالعز والبطولات.

★ ★ ★

تقول للبعض

تعالوا، وانضموا إلينا للعمل.

يجاوب بعضهم:

أنا حرّ، لا أريد أن أعمل.

قل لهذا: أنت لست حرّاً، وترفض الحرية، لأنك عبد للكسل والخمول!...

★ ★ ★

إهتمامنا بالسياسة وحدها، بحيث أننا ننسى الإنسان وما يحيط به من ضروريات أخرى لا يعني إكتمال وعينا الحقيقي لقضايا الأرض التي نعيش عليها...

فراغ كهذا يورث الأجيال القادمة، حضارة فارغة.

★ ★ ★

أن تحبّ الحياة، أن تعمل من أجلها، وأن تضحي في سبيلها.

ثم، أن تعرف نفسك وتتسلّق سلّمها، مكتشفاً حقيقة الذات:

الصعود على سلّم نفسي، خير من الصعود على سلالم الآخرين.

★ ★ ★

للتاريخ دائماً صورتان...

لأن واضعي خطوط التاريخ فئتان...

واحدة راضية... وأخرى ناقمة... وكل منها تكتب على هواها.

فلا تسألوا كيف تضيع الحقائق.

★ ★ ★

عجيبة هي صفحات التاريخ.

فالمؤرخون لا يسطرون الا للمنتصرين...

نصرت توفيق خريش

الصهيونية

الحلقة الثانية

بقلم: د. حافظ الزين

الهجرات الصهيونية:

كانت حصيلة موجة الهجرة اليهودية من روسيا وبولونيا ورومانيا خلال الفترة من ١٨٨١ إلى ١٩٠٤ قدوم نحو ٢٥ ألف مهاجر إلى فلسطين، وهو ما عرف «بالهجرة الصهيونية الأولى». اتجه عدد من هؤلاء إلى إقامة المستوطنات الزراعية في فلسطين، ولكن لم يمر أكثر من عامين على بداية مشاريع الاستيطان هذه، التي تعتبر بمثابة نقطة الانطلاق للنشاط الصهيوني على أرض فلسطين، حتى كانت حركة «هواة (احباء) صهيون» التي دعمت هجرة معظم أولئك المستوطنين، تعلن إفلاسها، فاستنجد المستوطنون بالبارون روتشيلد في باريس. وقد استطاع روتشيلد منذ ثمانينات وحتى نهاية القرن الماضي شراء مساحات من الأراضي الزراعية لصالح هؤلاء المستوطنين. معظم هذه الأراضي كانت ملكاً لعائلات إقطاعية كبيرة، بعضها كان يسكن خارج فلسطين. وقد وصل عدد المستوطنات المقامة حتى مطلع القرن الحالي نحو ٢٠ مستوطنة.

جدول رقم - ١ -

مساحة الاراضي المنتقلة إلى ملكية اليهود في فلسطين من ١٨٨٢ إلى ١٩٠٠

السنة	مساحة الاراضي (بالدونم)
١٨٨٢	٢٥,٠٠٠
١٨٩٠	١٠٧,٠٠٠
١٩٠٠	٢٢٠,٧٠٠

يجمع مؤرخو الصهيونية على أن هذه التجربة (الهجرة الأولى) قد باءت بالفشل، ويردون اسباب ذلك إلى اعتماد المستوطنين على العمال العرب في إدارة شؤونهم... «حيث أضطروا بسبب قلة خبرتهم في شؤون الزراعة إلى تشغيل العمال العرب لديهم وتناسوا ضائقة إخوانهم خارج فلسطين مهمتهم في تحقيق الصهيونية وتنفيذ الدور الطليعي الذي أوكل إليهم لخلق أوضاع مناسبة في فلسطين لاستيعاب المزيد من المهاجرين إليها». تظهر في هذا الكلام الملامح الأولية للروحية العنصرية الصهيونية ناصعة لا مواربة فيها.

هرتزل:

على الرغم من انبثاق منظمات صهيونية متفرقة ذات اتجاه استيطاني، فإن قيادة مركزية لم تظهر. وفي الوقت الذي كانت فيه تجربة الاستيطان الصهيوني الأولى تصل إلى طريق شبه مسدود، كانت الفكرة الصهيونية تنتعش في مكان آخر بفضل يهودي هنغاري الأصل يدعى الدكتور تيودور هرتسل، كان قد انتقل للعيش في باريس ليعمل مراسلاً فيها لصحيفة

نمساوية. وهو مؤلف كتاب «دولة اليهود» عام ١٨٩٦ وأحد كتب الصهيونية الرئيسية، ومؤسس «المنظمة الصهيونية العالمية» في المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل (سويسرا) بتاريخ آب ١٨٩٧، وأول رئيس للمنظمة.

وأعلن المؤتمر برنامج الحركة الذي صيغ بعناية فائقة وفحواه أن هدف الصهيونية هو وطن معترف به ومؤمَّن قانوناً في فلسطين يتحقق بالتنظيم والاستيطان والتفاوض، تحت مظلة الدول الاستعمارية.

أسفر نشاط هرتزل السياسي منذ عقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ وحتى وفاته عام ١٩٠٤، عن مكاسب عديدة.

١ - إقامة المنظمة الصهيونية العالمية والأجهزة التابعة لها.

٢ - تأسيس مؤسسة كاييمت لاسرائيل (JNF)، واعتبرت الاداة الرئيسية لشراء الأراضي في فلسطين.

٣ - أرسيت القواعد التنظيمية والفلسفية للصهيونيين المتدينين (أكثر التجمعات الصهيونية عنصرية) الذين كانوا من كبار معارضي مشروع إقامة دولة يهودية في أوغندا والذي عرضته الحكومة البريطانية على هرتزل، وأجبروه على التخلي عنه، بعد أن هددوه بالانشقاق عن المنظمة. كما أن هرتزل، كسباً لتأييدهم، بادر إلى تأليف كتاب جديد هو «الارض الجديدة - القديمة» عام ١٩٠٢، يصف فيه دولة المستقبل اليهودية ونظامها وطريقة العيش فيها - في فلسطين دون غيرها (نقضاً لما كتبه في «دولة اليهود» حول إمكانية إنشاء دولة اليهود في الارجنتين مثلاً وليس في فلسطين بالذات).

الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٨)

صادق موت هرتزل، بداية موجة جديدة من الهجرة اليهودية من روسيا استمرت نحو ١٥ سنة وعرضت باسم «الهجرة اليهودية الثانية». خلال هذه الفترة، دخل إلى فلسطين حوالي ٣٠ ألف مهاجر جديد. لكن معظمهم ترك فلسطين خصوصاً خلال الحرب العالمية الأولى بحيث لم يبق منهم سوى ٦ آلاف مهاجر. معظم هؤلاء المهاجرين كان من الشباب المتحمس، الذي قدم من روسيا إثر الاضطرابات التي وقعت فيها وقتها، وكانوا متأثرين بالمبادىء الاشتراكية المنتشرة هناك في ذلك الوقت، ويحلم بدمج هذه المبادىء مع افكاره الصهيونية وإقامة مجتمع عمالي يسعى إلى تحقيق «الصهيونية الاشتراكية» في فلسطين. لكن مع وصولهم إلى فلسطين صدمهم الواقع، فالحركة الصهيونية كانت تعارض حتى ذلك الحين القيام بنشاط استيطاني رسمي في فلسطين قبل الحصول على ضمانات دولية لذلك. ولم تكن في ذلك الحين تملك الامكانات المالية الكافية لذلك.

ثبت هؤلاء المهاجرون أقدامهم في فلسطين من خلال إقامة مزارع جماعية خاصة بهم (الكيبوتز والموشاف) واعتبروها حجر الأساس لإقامة المجتمع الصهيوني الإشتراكي الذي تطلعوا إليه. ومع معاناتهم الاقتصادية، اتجهوا إلى وضع الأسس لتصوراتهم حول بناء المجتمع الصهيوني - الاشتراكي في فلسطين وملخصها في أن «الحركة الصهيونية ملزمة بالعمل على إدخال تغيير طبقي على حياة اليهود الوافدين إلى فلسطين، بواسطة نقلهم إلى

العمل الزراعي المنتج بدلاً من المهن التي كانوا يتعاطونها سابقاً كالتجارة والنشاطات المالية والحرفية .

جدول رقم ٢

مساحة الاراضي المنتقلة إلى ملكية اليهود حتى عام ١٩٢٥ .

السنة	مساحة الأراضي (بالدونم)
١٩١٤	٤٢٠,٠٠٠
١٩٢٣	٥٩٤,٠٠٠

(من ضمنها صفقات الاقطاعيين القاطنين خارج فلسطين: ٦٦٨,٠٠٠ دونم)

... ويقول مكتب الإحصاء المركزي الصهيوني أن تعداد الجالية اليهودية في فلسطين كان يقارب ٥٦٧٦١ . وكان معدل المهاجرين بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٩ يبلغ ٩ آلاف مهاجر في العام الواحد . معظم هؤلاء كانوا من يهود أوروبا الشرقية (خالوتزيم) وقد وفدوا تحت تأثير ثورات ما بعد الحرب العالمية الأولى، واخيراً الوعد الذي تضمنه تصريح بلفور عام ١٩١٧ . وجاء ٨٤ ألفاً من « الغوليم » (يهود الطبقة الوسطى والراسماليين) إلى فلسطين في الاعوام ١٩٢٤ - ١٩٣١ نتيجة الأزمة الاقتصادية في بولندا . وفي الأعوام ١٩٣٢ - ١٩٣٩ قدم ٢٦٥ ألفاً من أوروبا الوسطى وألمانيا، ثم بدأ بعد هذا التاريخ تقسيم الهجرة إلى قسمين .

١ - **هجرة شرعية**، تتم بموافقة رسمية من سلطات الانتداب البريطاني ضمن « الحد الاقصى المسموح به » .

٢ - **هجرة غير شرعية** عن طريق التسلل، وكانت أيضاً تتم بمعرفة سلطات الاحتلال بواسطة المؤسسات الصهيونية والوكالة اليهودية التي اعترف الانتداب البريطاني بشرعيتها وهو في نص ضمَّنه صك الانتداب عام ١٩٢٢ . وحتى أيار ١٩٤٨ ، تم توطين ١٣٠٨٦٥ من اليهود بهذه الطريقة .

هكذا نجد أن الهجرة قد استُعملت كسلاح لخلق تجمع صهيوني في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، ليكون نواة الشعب اليهودي المكوِّن للكيان الصهيوني . وبعد ١٩٤٨ ، استمرت موجات المهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم بالتدفق على الكيان المغتصب، تتمياً لتشريع تعسفي من جانب واحد باعتبار كل يهودي أينما وجد، مواطناً « إسرائيلياً » له الحق في أرض فلسطين بوصفها « أرض الميعاد » .

الهيئات المسؤولة عن الهجرة .

حتى بداية الحرب العالمية الأولى ، كان الصندوق القومي اليهودي مسؤولاً عن عمليات نقل واستقبال المهاجرين في فلسطين، وتم في هذه الفترة إنشاء مكتب صهيوني في مدينة يافا للإشراف على هذه العمليات . وقد أنشأ الصندوق ٤٤ قرية ومستعمرة لتوطين المهاجرين،

وبلغ مجموع ما وظفه الصندوق خلال السنوات ١٩٠٨ - ١٩١٤ ما قيمته ٦١٢ ألف جنيه استرليني. حين تسلمت الوكالة اليهودية صلاحياتها في فلسطين باعتراف الانتداب البريطاني، انتقلت إليها مسؤولية عمليات الهجرة، وجرى إنشاء صندوق آخر هو «الكيرن هايسود» (الصندوق التأسيسي لفلسطين) عام ١٩٢١، لتمويل ميزانية الوكالة اليهودية. وقد جرى خلال الاعوام ١٩٢١ - ١٩٣٩ توظيف مبالغ مالية بواسطة الوكالة والكيرن هايسود في مختلف حقول الاستيطان والتدابير الاجتماعية بلغ مجموعها (٣١٦, ٠٠٣, ٣١) جنيه فلسطيني، وخلال الأعوام ١٩٤٠ - ١٩٤٥، وظفت ٧٩١, ٤٣٥, ١٠ جنيه استرليني.

ثم جاء قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٨ الذي قسم فلسطين إلى دولتين كما يلي:

جدول رقم ٤

الدولتين اليهودية والعربية التي نصّ على انشائها قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ - توزيع الاراضي والسكان

		الدولة اليهودية	الدولة العربية	القدس
توزيع الأراضي	(٪ من المجموع)	٥٦,٤٧	٤٢,٨٨	٠,٦٥
توزيع السكان	يهود	٤٩٨,٠٠٠	١٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠
	عرب	٤٠٧,٠٠٠	٧٢٥,٠٠٠	١٠٥,٠٠٠
	المجموع	٩٠٥,٠٠٠	٧٣٥,٠٠٠	٢٠٥,٠٠٠

مشروع التقسيم هذا، زوّد القوات العسكرية الصهيونية بخريطة معترف بها علنياً أو رسمياً لأغراض الاستيلاء على الأراضي ورفدها بالمزيد من المهاجرين، واستخدام هذا الواقع الجديد في مجالات الدعاوة الصهيونية.

بعد ١٩٤٨ غدت الهجرة مفتوحة أمام كل يهودي يرغب في ذلك، وللاهمية تضمنت «وثيقة الاستقلال» التي أعلنت يوم قيام الكيان المغتصب بنداً ينص على أن «دولة إسرائيل ستكون مفتوحة أمام الهجرة اليهودية لجمع الشتات»، وفي مؤتمر عقد في تل أبيب بعد ثلاثة شهور من قيام الكيان، قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية، أن «الهجرة إلى البلاد واستيعابها ليست وظيفة رسمية فقط بل هي هدف قومي» ونتيجة لهذا القرار، بقيت مهام الهجرة اليهودية على عاتق الوكالة اليهودية، وحددت اللجنة التنفيذية الصهيونية مهام الوكالة بما يلي:

١ - تنظيم الهجرة اليهودية.

٢ - استيعاب المهاجرين في الكيان.

٣ - العمل على دمجهم في اقتصاد الدولة، وتوظيفهم في المزارع والعناية بهم.

٤ - ملاحقة عملية إعادة تثقيفهم.

حافظ الزين

انفصال اليوم[1]

شعر موسى الزين شراره

اذا مـــا شئـــت أن تمسي زعيماً خطيراً متخماً جـــاهـــاً ومـــالا
وتمتلك « سابق[2] » كالريح أماً
مشى هـــز الثـــوابـــت والجبـــالا
وقصرك أيـــن منـــه « قصر شيـــخ » بـــارض بلاده « البترول » مـــالا
تغـــزّلْ في « عـــروبتنـــا » وشبـــب بـــوحـــدتنـــا وحـــبّ الانفصـــالا[3]
« وثـــرثـــر » في المحـــافـــل والنـــوادي ونـــاقش واملأ الدنيـــا جـــدالا
وسفـــه كـــل مـــن يبـــدي اعتراضـــاً إذا قلـــت المحـــال أو الخيـــالا
ومـــن يـــأبـــى إذا مـــارحـــت تطـــري وتمتـــدح المضلـــل والضلالا
ولا تترك أبـــاً مـــن دون شتم
ولا جـــداً ولا عماً وخـــالا
وان شـــاهـــدت جمعـــاً قـــم خطيبـــاً « وهـــوش » كـــي يقـــول النـــاس قـــالا
ونظـــم كـــل يـــوم مهـــرجـــانـــاً ورتـــب كـــل يـــوم احتفـــالا
وأبّـــن كـــلّ مـــن يقضي شهيـــداً
بمعـــركـــة ونـــح نـــوح الثكـــالى
تطـــرّف مـــا استطعـــت ودع « لمثلي »
انـــا « الغـــر الغبي » الاعتـــدالا
فـــأني لا ازال لكـــل غـــر يـــرى في الكـــون مـــا يـــدعـــى محالا
ويـــؤمـــن « بـــالعقـــائـــد والمبـــادي »
ويخشى النقـــد أو يعطيـــه بـــالا
يموت مـــن الظما والماء يجري ـ امـــام عيـــونـــه ـ عـــذبـــاً زلالا
ويـــدمـــي قلبـــه شعـــب يعـــاني التفكـــك والضيـــاع والانحلالا
ويخشى منـــه أو يخشى عليـــه ـ إذا كثرت منـــابـــره ـ الزوالا
ودبـــج في الصحـــافـــة كـــل يـــوم
ـ بلا لـــون ولا طعـــم ـ مقـــالا

(١) كتبت في شهر كانون أول سنة ٩٦٣ .

(٢) سيارة « كاديلك » طبعاً .

(٣) المقصود انفصال الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٦١ .

وهناجم ، طغمة ، باتت مصاباً لهذا الشعب أو داءً عضالا
وسم الشتم والتجريح جهداً جهاداً للعروبة أو نضالا
وسم الاتحاد هنا حراماً وسم الانفصال هنا حلالا
وقلّد الانفصال هنا وحبّذ هناك الانفصال والاغتيالا
وهدد - من بعيد - أو فقلد
زميلاً [4] ان خلا طلب النزالا
وكن غصناً له الاموال ريح فأنى مالت الاموال مالا
وان دارت رحى الهيجا ونادت « فلسطين » الاشوس كن « غزالا »
وقل ما شئت لا تخشى ملاماً ولا نفياً تخاف ولا اعتقالا
فعهد كان يشقى الحر فيه وتحويه السجون مضى وزالا
نضال اليوم بات كما تراه شعارات وشارات ومالا
ودكاناً لمأجور وبوقاً لمغمور ورزقاً للكسالى
وغاباً ما بساحته هصور تصول به « الارانب والثعالى »

موسى الزين شراره

(٤) المقصود الذي عناه المتنبي بقوله .
وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الكر وحده والنزالا

دمعةُ حزنٍ على زهرة نادرة!

« تحية متواضعة الى روح المغفور له الأستاذ نزار عارف الزين آملاً أن تكون جديرة بذكراه العطرة »

يا زهرةً من جبلي.. أحزنني أن تذبلي
كُنتِ من النوع الذي بعطره لم يَبْخل
لو يعلم النّحل الذي يحيا على التنقّل
بساعة النَّزع التي فيها آنقضاء الأجل
لقاء ما يَشْتارُهُ وعاف صنع العَسَل
لكنّه شريكنا في عيشنا بالأمل
ما أنتِ أولى زهرةٍ تُدعَيَن أن ترتحلي
فكلّنا لسَفَرٍ نكسُبُهُ من عمل
وفوزنا رهنٌ بما نكسُبُهُ من عمل

شريف ياسين ياسين

الأعمدة الخالدة

شعر: إبراهيم بري

وقفت اسمع ايقاع الازاميل
تهوي على الصخر في وحي وتنزيل

ترتل الفن، والجدران خاشعة
تصغي لرنة هاتيك التراتيل

هنا الخلود جثا في ظل اعمدة
قامت على الدهر، من جيل إلى جيل

اعلت مشاعيلها الحمراء، فاحترقت
ستائر الليل، من وهج المشاعيل

تروي حكاية اجداد، لنا انتسبوا
ايـن الجدود، ألا ردي، ألا قولي؟

هذي التماثيل، كادوا ينطقون بها
لو هزت، الروح اضلاع التماثيل

لمحت خلف زجاج الذكريات بها
حشد الجيوش على ضوء القناديل

فالبر يلهث من خيل عليه جرت
والبحر يصرخ من ثقل الاساطيل

وركب قيصرها الجبار يعبر في
رواقها وسط تكريم وتبجيل

وفي الشبابيك ربات الجمال بدت
ملوحات ــ بأطراف المناديل

وللمغنين في ناديه متكأ
فيه العتابا تلاقت بالمواويل

وحوله نفحات الطيب عابقة
من شعر سوسان، أو من خد راحيل

ما أكرم الورد تدعونا براعمه
لكي نبكّر في ضمّ وتقبيل

قالوا بأنك صنع الجنّ فابتسمت
هزءا شفاهك من تلك الاقاويل

فقدرة العقل والابداع في وطني
ترفعت، وسمت عن كل تأويل

طاقت ازاميلها في الصخر تلهمه
حتى تحرّكَ من نقر الازاميل

يبدّل الدهر ما شاد الألى قلعا
لكنّ صرحك لم يخضع لتبديل

إبراهيم برّي

المحبة

أقول لمن أتى الأرضا
أنا بالحقد لا أرضى

وأنت أخي بلا جدل
فهل أخفي لك البغضا

فلا تطو القلى اني
أرى حب الورى فرضا

أما قال المسيح لنا
(أحبوا بعضكم بعضا)

حليم دموس

نفثات[1]

شعر: بيراغو ديوب

ترجمة: فتى الدواوير

إصغ للأشياء دوماً قبل كلُ الكائناتْ
فزفيرُ النار يُسمعْ كخرير الساقياتْ
واستمعْ للريح في الأدغال صوتُ النائحاتْ
نفثةُ الأجداد تأتي دائماً بعد المماتْ
إن من ماتوا على قيد الحياةْ

* * *

إنهم في الظلّ حيث النورُ حيثُ الظلماتْ
إنهم يسعون مثل الغير فوق السابلات
إنهم في رعشة الأشجارْ تهتزّ عرايا مائسات
إنهم في الغاب حزنٌ، فاق كلّ الترجمات
إنهم في الماء يجري ثم يغفو في سُبات
إنهم في الكوخ بين الناس ما زالوا على قيد الحياة

إصغ للأشياء دوماً، قبل كلّ الكائنات
فزفير النار يُسمع كخرير الساقيات
واستمع للريح في الأدغال صوت النائحات
نفثة الأجداد تأتي من سُماع الهمهمات
دائماً بعد الممات

إنهم لم يرحلوا يا صاح ما صاروا رفات
إن من ماتوا يعيشون ككلّ الكائنات
إنهم في ثدي كلّ الأمهات
إنهم في صرخة الطفل على باب الحياة
إنهم في فضلة العود وقودٌ للعفاة
إن من ماتوا يعيشون وما صاروا رفات
إنهم في النار تخبو ثم تذكو في أناة
إنهم من مبسم الأعشاب سالوا قطرات
إنهم في الصخرة الصماء معنى للثبات
إنهم في الغاب في الأغصان في قيد الحياة

إصغ للأشياء دوماً قبل كلّ الكائنات
فزفير النار يُسمع كخرير الساقيات
واستمع للريح في الأدغال صوت النائحات
نفثة الأجداد تأتي في جميع الأمسيات
إنها تجديد عهدٍ فيه توطيد الصلات
بين هذي الكائنات بازدياد النفثات
ومصير الراحلين من سموا بعد الممات

إنه عهدٌ أكيدٌ فيه دستورُ الحياة
باتحاد الحركات وازدياد النفثات
في مسيل النهر يجري والضفاف الصافنات
نفثاتٌ تتوالى كأريج النسمات
في الصخور الصم في الأعشاب تجري عبرات
نفثاتٌ دائمات حيثما للظلّ نورٌ أو كثيفُ الظلمات.

في أنين الغاب في الأشجار تهتزُّ عرايا مائسات
بانسياب الماء يجري ثم يَغفو في سُبات
زفرات بازديادٍ عائدات.

نفثةُ الأمواتِ ما زالوا على قيدِ الحياة
إنهم باقون في الدنيا وما صاروا رفاق.

إصغ للأشياء دوماً قبل كلّ الكائنات
فزفير النار يُسمع كخرير الساقيات
واستمع للريح في الأدغال صوت النائحات
نفثة الأجداد تأتي من جميع الوجهات
إنهم والله ما زالوا على قيد الحياة.

« فتى الدواوير »

---

(١) قصيدة لشاعر أفريقيا وأديبها الدكتور بيراغو ديوب، وقد ترجمت أعماله إلى كثير من اللغات الحية في العالم. ويعمد الاستاذ منير صالح « فتى الدواوير » إلى ترجمة ديوانه إلى العربية.
« العرفان ».

يادرة الشرق

شعر: بشار الزين

اتصدق العين يا بيروت أم حلمُ   أم سنة الله حلت وانطوى الكلم
مكانك اليوم لا بالأمس ففاجعة   وعبرة الدهر هل في ذلك الندم
يادرة الشرق كنت الزهر عابقة   براقة اللون في بنيانك الشمم
يؤمك الناس سياحا ليكتسبوا   صفو الهواء وفيه العطر منسجم
كم جاءك الرزق والنعماء مسبغة   والله ينعم حتى تشكرَ النعم
فالطيب والحب والخيرات كم دفقت   والناس والجهد والعمران كم عظموا
لكنها النفس زاغت ثم ما لبثت   ان خانت الحق واستشرى بها السقم
فكنت باللهو مثل الشر عابثة   وكنت بالفَحشي مثل النار تضطرمُ
لبست زهو غرور الزيف مترفة   وفي ملاهيك جن العهر والنغمُ
والعيش قد صار للمتخوم من ترف   لا يعرف الجود بل في الشح يلتحم
أما الفقير فان الكوخ حاضنه   ضاقت به الارض وانهارت به القيمُ
والناس من حوله عربيد غانية   مَلآك أبنية مثرٍ ومغتنمُ
فالظلم مقتدر والفقر منتصر   والغش منتشر والرغب منتقم
تلك المآسي على أبوابك ارتسمت   زادت من البؤس واستقوى بها العدمُ
فيك الاناس على صنفين قد جعلوا   صنف له الغمّ والثاني له الغُنُم
شعارك الزيفُ يا بيروت قد فسدت   منه المكارم واستعلى به اللممُ
أمانة الله ما راعيت منبتها   ولا استقامت بك الاخلاق والحِكَم
قد غاب عن ناسك الايمان فانتشرتْ   فيهم جرائم سفاح فما رحموا
تفجرّ الوضع حرمانا وضائقة   وعربد الشر والاجيال قد صُدموا
وثورة الحقد هبتْ من مكامنها   وآلة الحرب دبت واختفى السَّلَمُ
ومدفع النار والصاروخ قد نفثا   متاجرّ القوت والاسواق فانردموا
مدينة الرعب انت اليوم سائبةٌ   وفي شوارعك الآثار والرممُ
لبئس أمرك يا بيروت إذ وهنتْ   فيك الحياة ومات الفكر والقلم
أذاقك الله طعمَ الخوف فارتجفتْ   بك القلوب وخر الشاهق الهَرَمُ
مالم تعودي إلى الرحمن مؤمنة   قولي علي عذاب الله يا امم

بشار الزين

نزار الزين
فقيد لن يُنسى

شعر: خضر عبّاس الصالحي

لما بجسم «نزار» قد رمى الأجلُ ... تحت الثرى وألمّ الحادث الجللُ
أسيلت من أعيني دمعاً يسيل دماً ... هل ينفع الدمع حين الدمع ينهمل؟
هيهات ما رقأت للدمع واكفة ... من المحاجر مثل الغيث تنهطل
تحدّرت من معين القلب ساقية ... لمدمعٍ قد جرى فيه الدم الخضل
لم يخمد الدمع حزناً شبّ في كبدي ... فالحزن يلهب مهما تدمع المقل
تسوغلت رعدة الآلام في جسدي ... لشهقةٍ بلظى الآهات تشتعل
وكيف لم تندلع نيران عاطفةٍ ... من الهموم بقلبٍ ملّه الملل
قلب تمزّقه أنياب غائلةٍ ... من الخطوب وضاقت حوله السبل
ليل التحسّر قد طالت هواجسه ... وفي الفؤاد جراح ليس تندمل
وزمزمت من جراح القلب زوبعة ... فراعني من صداها الذعر والوجل
يا راحلاً شعّ فيه النبل مؤتلقاً ... حتى غدا نبله يجري به المثل
طباعه سلسل عذب وعفّته ... كالعطر بين الرياض الفيح ينتقل
خصاله روضة فيحاء ناضرة ... قلب الوجود بريّا عطرها ثمل
هو الربيع إذا هلّت بشائره ... فكلّ عينٍ بلون المرج تكتحل
هو الخميل إذا هبّت نسائمه ... فكلّ روح بعطر الورد تغتسل
هو الوفاء إذا ما حلّ في جسد ... فالنفس من خيرها يسمو بها الغزل
إذا اللئيم عليه ثار معتدياً ... وحاول النيل منه صدّه الخجل
وإنْ تحدّث فالآذان صاغية ... كأنّها ينطوي في لفظه العسل
لن يحني الهام مهما ناله شجن ... وما أعترى سعيه الإحجام والكسل
لم يبدِ ضعفاً إذا ما الدهر حاربه ... وليس يخشى الحيا من مسّه البلبل
والريح في جنبات الكون إنْ عصفت ... تبدّدت إنْ تحدّى عصفها الجبل
إنّي لأندبُ مَنْ بيضٌ مكارمُهُ ... ما شاب أعماله زيغ ولا خطل
وأذرف الدمع حزناً بعد فرقته ... ذاك الذي لم ينل من جهده الزلل
وان سكبت دموعي عند محنته ... فليس يسردعني لوم ولا عذل
صوب الغمام حكى دمعاً ترقرقه ... عين يسهّدها الإعوال والكلل

(١) بمناسبة مرور سنة على وفاة المرحوم نزار الشيخ احمد عارف الزين (١٩١٥ ـ ١٩٨١). صاحب العرفان وجريدة جبل عامل من ١٩٦٠ إلى ١٩٨١.

والنفس مشبوبة الآهات واجفة ... والعقل مضطرب الافكار منذهل
حسبت انّ الدنى في يوم رحلته ... ليلاً فلا قمر فيها ولا زحل
شيّعت أجمل آمالي لمرقده ... وهل تطيب حياة ما بها أمل؟!
وإنّي الشاعر الحسّاس تذبحني ... سكّين همٍ وبالأحداث أنفعل
وقارض الشعر ان خانته تجربة ... فانّها قرضه للشعر مفتعل
إنّي لأعجب من أوهام ذي جشعٍ ... بالبخل متصفٍ بالمال يحتفل
كأنّه خالد طول الزمان وما ... يصطاده الموت وهو القاهر البطل
كم من ملوكٍ طغوا تيهاً وغطرسة ... ومن غناهم أكفّ الناس تنتهل
حتى إذا ما دنا موت لساحتهم ... هووا تحت رجل الموت وانخذلوا
أجسامهم ضمّها تحت الثرى جَدَثٌ ... كأنّهم ما بغوا يوماً ولا اقتتلوا
للدود أمسوا طعاماً في مقابرهم ... وكان يكسوهم الديباج والحلل
وكم غنيّ بجمع المال منشغل ... وفيه لم يدر أنّ الموت منشغل
كلاّ الأنام توافيهم منيّتهم ... فقد توفّي حتى القادة الرسل
وإنّما المرء مهما عاش من زمنٍ ... لا بدّ للقبر يوماً فيه يرتحل
من السنين إذا ألفاً قضى رجل ... أليس كالحلم تمضي ان مضى الرجل؟
للموت لغز إذا حاولت اكشفه ... أزداد جهلاً وستر اللغز منسدل
والموت سرّ عميق ما أحاط به ... لا الحاضرون ولا أجدادنا الأول
وكم أصابت سهام الموت روح فتى ... وأخطأت هرماً قد شلّه الشلل
قلٍ للذين تمادوا في غوايتهم ... لكلّ حيّ فانّ الموت معتقل
كلٌ إلى الموت يمضي بعد سفرته ... فسفرة المرء عند الموت تكتمل
لما ادلهمت رؤى الدنيا انكفأت على ... نفسٍ تعذّبها الاحزان والعلل
ورحت أستشرف الدنيا وأسبرها ... فلم يجابهني إلا الغشّ والحيل
ما أروع العمل البنّاء تبذله ... فالمرء يفنى ويبقى بعده العمل
وإنّما المرء بالأخلاق قيمته ... وماله قيمة مَن همّه الدجل
لما ترامى لسمعي النعي ذات ضحى ... صعقت منه كمن قد مسّه خلل
لقد فقدناه في يوم نحسّ به ... إحساس من دبّ فيه اليأس والفشل
وشعلة الصبر في فقدانه انطفأت ... فالليل معتكر والمنتدى طلل
ومدمعي الطافح الجيّاش مندفق ... وآهتي بهديل الوُرْق تتصل
مثل الجريح بساح الحرب حيث غدا ... قلبي تمزّقه الأسياف والأسل
نَمْ في ضريحك نوماً هانئاً رغداً ... ألم تعش في رحاب الله تبتهل؟

بغداد — خضر عباس الصالحي

يوميات الهجوم الإسرائيلي على لبنان

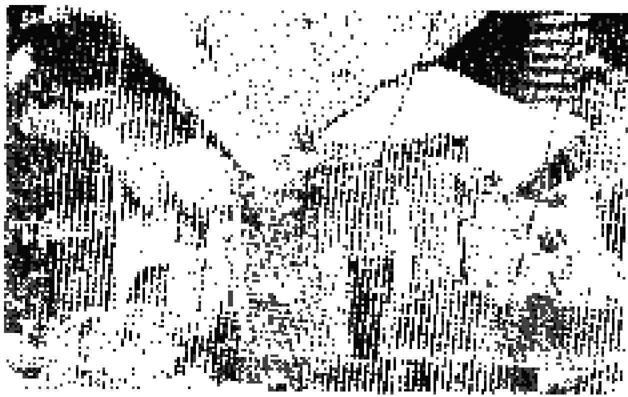
حزيران ١٩٨٢

في ٣ منه - تعرض شلومو أرغوف سفير إسرائيل في لندن لإصابة بليغة خلال محاولة لإغتياله. وذكرت مصادر وزارة الخارجية البريطانية أن مهاجم السفير قد أصيب وتم اعتقاله من قبل حراس السفير كما تم إعتقال رجلين آخرين اشتبه بهم.

- أعرب رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن عن إستيائه من مطالبة الإدارة الأميركية إسرائيل بأن تتصرف «في اعتدال» في لبنان، وأكد في رسالة بعث بها إلى وزير الخارجية الأميركي الجنرال الكسندر هيغ أن «أي رئيس للحكومة الإسرائيلية لا يمكن أن يتخلى عن مسؤولياته ويتراجع في ما يتعلق بحق الدولة في الدفاع عن مواطنيها الذين يهددهم الإرهاب.

٤ - صرح ناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية أن «لا صلة للمنظمة بمحاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن وقال: نحن في المنظمة لا نلجأ إلى مثل هذه الأساليب.

- قامت عدة تشكيلات من الطائرات الإسرائيلية بالإغارة على مناطق مدنية وأهداف عسكرية في بيروت وجنوب لبنان. كما شاركت البوارج الإسرائيلية في قصف الساحل الجنوبي، وتعرض جنوب لبنان أيضاً لقصف مدفعي إسرائيلي مركز على طول خط النار. وقدرت الخسائر البشرية الناجمة



بحوالي ٦٠ شهيدا و ٢٧٠ جريحا كلهم من المدنيين.

- عقد رئيس جمهورية لبنان ورئيس الحكومة إجتماعا على أثر الغارات الإسرائيلية حضره وزير الخارجية وتقرر فيه تقديم شكوى عاجلة لمجلس الأمن الدولي. وقام مندوب لبنان الدائم لدى الأمم المتحدة بتقديم هذه الشكوى وطلب من المجلس أن يدرس على وجه السرعة الوضع الناتج عن هذه الغارات.

- أعلن في البيت الأبيض أن الرئيس الأميركي رونالد ريغان الموجود حاليا في باريس لحضور إجتماع قمة الدول الصناعية الغربية السبع في فرساي، بعث برسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن يعرب فيها عن سخطه إزاء محاولة إغتيال السفير الإسرائيلي في لندن. وأكد الرئيس الأميركي أن فكره كله هو الآن مع عائلة السفير والشعب الإسرائيلي «في هذا الوقت العصيب» وذيل الرسالة بتوقيع «رونالد».

وكذلك بعث وزير الخارجية الكسندر هيغ برسالة مماثلة إلى بيغن ندد فيها بما أسماه «العمل الجبان».

- في تصريح أدلى به في باريس، ربط وزير الخارجية الأميركي الكسندر هيغ بين

ما قامت به إسرائيل في لبنان » ومحاولة إغتيال السفير الإسرائيلي في لندن ».

أدانت وزارة الخارجية الأميركية، في بيان صادر في واشنطن، ما وصفته بالأعتداء المخزي على السفير الإسرائيلي في لندن، ودعت جميع الأطراف المعنية إلى التوقف فورا عن أعمال العنف.

- أعلن وزير العلاقات الخارجية الفرنسي كلود شيسون أن ممثلي الدول الصناعية الغربية السبع المجتمعين في فرساي « صعقوا لأنباء الغارات الإسرائيلية على بيروت وأعربوا عن الهم وأسفهم الشديدين لسقوط ضحايا بريئة ». وأشار الوزير الفرنسي إلى أن لبنان هو الذي يدفع الثمن في كل مرة تجري فيها أحداث خطيرة في الشرق الأوسط.

٥ - وسعت تشكيلات الطيران الإسرائيلي ميدان عملياتها وشملت غاراتها ٥٥ منطقة وقرية في بيروت والشوف والجنوب كما قامت البوارج الحربية والمدفعية الثقيلة بقصف مماثل. وقد أدت هذه العمليات إلى سقوط حوالي مائة شهيد وثلاثمائة جريح.

- قامت القوات المشتركة بقصف مدفعي وصاروخي كثيف للتجمعات الإسرائيلية في مناطق الجليل الأعلى. كما تمكنت وسائط الدفاع الجوي من إسقاط طائرتين حربيتين إسرائيليتين واستطاعت القوات المشتركة التصدي لعمليات إنزال عدة قام بها الجيش الإسرائيلي وإفشالها.

- أصدر مجلس الأمن الدولي قرارا، حمل الرقم ٥٠٨، أبدى فيه قلقه العميق إزاء تدهور الوضع الراهن وخرق سلامة لبنان وإستقلاله وسيادته، ودعا كافة الأطراف إلى التزام وقف النار في وقت لا يتعدى الساعة السادسة بالتوقيت المحلي من يوم الأحد السادس من حزيران، كما كلف الأمين العام للأمم المتحدة بالقيام بالجهود الممكنة لتنفيذ القرار وإعداد تقرير إلى المجلس خلال ٤٨ ساعة.

وقد تم التوصل إلى هذا القرار الذي تقدمت به اليابان أثر مشاورات مكثفة.

- وصف الجنرال الكسندر هيغ وزير الخارجية الأميركي الوضع في لبنان بأنه « خطير جدا ». وأعلن أن المبعوث الأميركي الخاص إلى الشرق الاوسط فيليب حبيب استدعي على جناح السرعة إلى فرساي للتشاور معه قبل توجهه إلى المنطقة، وأشار هيغ إن الرئيس رونالد ريغان والمسؤولين الأميركين « يتابعون عن كثب التطورات ». وأضاف « إننا نقوم بجهود ديبلوماسية مكثفة في محاولة للحفاظ على وقف إطلاق النار ».

- قال الرئيس فرنسوا ميتران في مؤتمر صحافي أن موقف فرنسا المبدئي من قضية لبنان « واضح وبسيط يتلخص بالمساهمة - حسب رغبة السلطة الشرعية - في دعم إستقلال لبنان ووحدته وسلامة أراضيه »، وأشار إلى أن فرنسا لا تقوم بعمل منفرد وإنما تساهم في إطار العمل الدولي ».

- وجهت الحكومة الفرنسية نداء « إلى جميع الأطراف المعنيين » في الشرق الأوسط لضبط النفس وذلك « لمصلحة إعادة السلام إلى المنطقة ». وجاء في بيان تلاه بإسم الحكومة الفرنسية الناطق الرسمي باسم قصر الاليزيه ميشال فوزيل « مع أن حادث

الإعتداء على سفير إسرائيل في لندن هو عامل إجرامي يستوجب الإدانة، فإن فرنسا لا تستطيع إلا أن تستنكر في شدة عمليات قصـــــف الطيران الإسرائيلي للأراضي اللبنانية».

٦ ـ بدأت إسرائيل إجتياحاً واسعاً لجنوب لبنان في أعقاب يومين من العمليات العسكرية البحرية والجوية، وقد دخلت الأراضي اللبنانية على ٦ محاور في القطاعات الشرقي والأوسط والغربي. وصلت القوات الإسرائيلية إلى صور وحصلت عمليات إنزال في رأس العين وبرج الشمالي والبص. وفي القطاع الأوسط دارت اشتباكات بين القوات الإسرائيلية والقوات المشتركة في قضاء النبطية وفي القطاع الشرقي تقدمت القوات الإسرائيلية في إتجاه حاصبيا وكوكبا امتدادا حتى بلدة قلايا.

وقد أعلنت القوات المشتركة في بياناتها عن إسقاط ٤ طائرات حربية وتدمير ٤٢ دبابة وأسر طيار وقتل عدد من الجنود.

أما إسرائيل فقد إعترفت بإسقاط طائرة حربية واحدة وأسر طيارها وطائرة هليكوبتر واحدة وفقدان ملاحيها.

ـ أصدرت الحكومة الإسرائيلية بيانا في ختام جلستها الأسبوعية قالت فيه أن مجلس الوزراء أصدر التعليمات «إلى قوات الدفاع الإسرائيلية لوضع جميع السكان المدنيين في الجليل بعيدا عن مرمى نيران المخربين في لبنان... إن إسم العمليــة هــو السلام للجليل». وأضاف البيان بأنه «خلال العملية لن يهاجم السوريون إلا إذا هاجموا قواتنا». وأشار البيان إلى «أن إسرائيل ما زالت تتطلع إلى توقيع معاهدة سلام مع لبنان مستقل ومحافظ على سلامة أراضيه».

ـ وجه مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل رسالة إلى الرئيس الأميركي رونالد ريغان قال فيها «لقد تلقى الجيش الإسرائيلي أمراً بإبعاد المخربين إلى مسافة ٤٠ كلم في إتجاه الشمال»، وشدد فيها على «أن إسرائيل لا تريد سنتيمترا واحدا من أرض لبنان».

ـ صرح وزير الخارجية الإسرائيلي أسحق شامير أن الحرب مع منظمة التحرير الفلسطينية «تستهدف الغاء هذه المنظمة كونها تحولت عقبة في طريق السلام. إن هذه المنظمة تمنع الحكومات العربية من البحث جديا في السير على طريق السلام»، وأكد شامير أنه «لا يوجد أي سبب لنزاع بين إسرائيل ولبنان، وإن إسرائيل مهتمة بالمحافظة على سلامة الأراضي اللبنانية وإعادة السيادة إلى هذا البلد عبر رحيل العناصر الغريبة عن لبنان».

ـ قرر مجلس الوزراء اللبناني في جلسة إستثنائية طارئة عقدها برئاسة الرئيس الياس سركيس وشاركت فيها القيادات العسكرية، الدعوة إلى عقد قمة عربية فورا لمناقشة الوضع الخطير الناتج من الإجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان، وطالب المجموعة الدولية والدول الصديقة بإتخاذ التدابير والإجراءات التي يفرضها ميثاق الأمم المتحدة. وأشار الرئيس الوزان بعد مغادرته الإجتماع إلى أنه لدى الجيش اللبناني أوامر بالتصدي للعدوان أينما وجد.

- إستدعى الرئيس الياس سركيس سفراء الدول الكبرى: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا وبريطانيا. وطلب منهم أن تحمل دولهم لوقف العدوان فوراً.

- أعلنت الحركة الوطنية اللبنانية قرار «القتال من غير حدود دفاعاً عن أرض الوطن» وحملت أميركا «المسؤولية السياسية عن تمكين إسرائيل من غزو بلادنا». وجاء هذا الإعلان بعد إجتماع طارىء عقدته اللجنة التنفيذية للمجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية.

- بعد إجتماع عقده وفد من حركة «أمل» إلى الرئيس الياس سركيس طالب نبيه بري رئيس مجلس قيادة الحركة بأن ينبت الوفاق اللبناني الآن من بين النيران والقذائف. كما وجه نداء إلى مقاتلي حركة «أمل» للدفاع عن كل شبر من أرض الجنوب والبقاء فيه «ما بندقية مرتفعة فوق أرضه وأما شهادة تسقي. تلك الأرض بدمائنا».

٧ - اتسعت رقعة العمليات العسكرية الإسرائيلية البرية والجوية والبحرية على جبهة شملت صور وصيدا وحتى السعديات. والنبطية وحاصبيا وأطراف البقاع الغربي. استطاع الإسرائيليون إحتلال قلعة الشقيف وحاولوا عزل مدينة صيدا التي تشهد اشتباكات عنيفة بين القوات المشتركة والقوات الإسرائيلية، كما جرى إشتباك جوي بين الطائرات الحربية السورية والإسرائيلية، وقال مصدر عسكري سوري على أثره أن طائرة سورية واحدة وطائرتين إسرائيليتين قد سقطت خلال الإشتباك، في حين قال متحدث عسكري إسرائيلي أن نتيجة الإشتباك كانت إسقاط طائرة سورية في حين لم تصب الطائرات الإسرائيلية بأذى.

- إجتمع مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل بحضور أرييل شارون وزير الدفاع إلى فيليب حبيب المبعوث الشخصي للرئيس الأميركي رونالد ريغان ولم يصدر في ختام الإجتماع أي تصريحات عن الطرفين.



وكان مجلس الوزراء الإسرائيلي عقد إجتماعه الأول قبل لقاء بيغن وحبيب وعقد إجتماعه الثاني مساء ولم يصدر عن المجلس أي بيان.

وصرح مسؤول إسرائيلي بعد الإجتماع مع حبيب أن الجيش الإسرائيلي لن ينسحب من لبنان إلا إذا تم التوصل إلى حل سياسي

يضمن بقاء المستوطنات بعيدة عن مرمى المدفعية.

- شملت العمليات العسكرية مناطق الشوف ودخلت قوات إسرائيلية مؤللة منطقة الشوف الأعلى ووصلت حتى الباروك وعين زحلتا حيث اشتبكت مع القوات السورية. كما قامت القوات الإسرائيلية بعمليات إنزال عدة على الساحل وشددت الحصار على المناطق المحاصرة. كما دخلت القوات الإسرائيلية أيضاً منطقة جزين. وحصلت إشتباكات جوية بين الطيران الإسرائيلي والطائرات السورية كان حصيلتها إسقاط خمس طائرات إسرائيلية وثلاث طائرات سورية حسب بيانات قيادة الأركان السورية في حين افادت المصادر العسكرية الإسرائيلية عن إسقاط ست طائرات سورية.

وأشارت بيانات القوات المشتركة إلى أن خسائر الجيش الإسرائيلي اليوم قد بلغت حوالي ٦٦ دبابة و ٣٥ ناقلة جنود و ٢٤٥ جنديا ما بين قتيل وجريح.

- قال مناحيم بيغن، في جلسة عقدها الكنيست الإسرائيلي بناء على طلب كتلة النواب الشيوعيين لمناقشة العملية العسكرية، إن إسرائيل لا تريد حربا مع سوريا وأضاف «إنني من على هذا المنبر أدعو الرئيس حافظ الأسد، وهو يعرف كيف يحترم الإتفاقات، إلى إعطاء أوامره للجيش السوري بعدم التعرض للجنود الإسرائيليين». وهاجم بيغن منظمة التحرير الفلسطينية وأضاف «إنني أتفق مع ما ذكره الرئيس رونالد ريغان أمام البرلمان البريطاني من أن الجيش الإسرائيلي يجب أن يسحب من لبنان وإقتلاع الإرهاب من الشرق الأوسط الذي يهدد سلام العالم بأكمله».

- قال بيريز في خطاب القاه خلال الجلسة نفسها «إن سوريا مسؤولة عن المدافع الفلسطينية التي تطلق نيرانها من المناطق التي تسيطر عليها» وأضاف «أن على حبيب أن يفهم السوريين ذلك».

وخلال الجلسة المذكورة سقط إقتراح النواب الشيوعيين بسحب الثقة من الحكومة باغلبية ٩٤ صوتا مقابل ٣ أصوات وامتناع عشرة عن التصويت.

- عقد فيليب حبيب الموفد الأميركي إلى الشرق الأوسط إجتماعا إلى مناحيم بيغن كما إجتمع أيضاً إلى شمعون بيريز زعيم المعارضة ولم تصدر أية معلومات رسمية عن الإجتماعين.

٩ - الوضع العسكري:

٩ - قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف بطاريات صواريخ «سام - ٦» في سهل البقاع خلال معركة جوية عنيفة قالت دمشق إنها أسقطت خلالها ٢٦ طائرة إسرائيلية وفقدت ١٦ طائرة سورية فيما قالت تل أبيب إنها أسقطت ٢٢ طائرة سورية وإن كل طائراتها عادت سالمة. وعلى صعيد التقدم البري دارت معارك دبابات عنيفة في البقاع الغربي وفي الجبل ثم توقف التقدم الإسرائيلي في عين زحلتا كما دارت معارك عنيفة على الساحل وفي الدامور وخلده.

- أعلن الجنرال أرييل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي أمام لجنة الشؤون الخارجية ◄

والدفاع في الكنيست «إن الجيش الإسرائيلي لن يبقى في لبنان بعد الإنتهاء من عملية السلام للجليل».

ـ عقد مجلس الوزراء اللبناني إجتماعا ناقش فيه التطورات وقد أصدر المجلس بيانا، تم ابلاغه للسفير الأميركي روبرت ديلون، أعرب فيه عن سخط وأسف الحكومة اللبنانية لإستخدام الولايات المتحدة حق «الفيتو» على قرار يطالب بإنسحاب إسرائيل فوراً من لبنان.

ـ إستخدمت الولايات المتحدة الأميركية حق الفيتو ضد مشروع قرار قدمته إسبانيا في مجلس الأمن يطالب مجددا بأن تسحب إسرائيل قواتها فورا ومن دون شروط من لبنان. وقد صوتت الدول الـ ١٤ الأخرى إلى جانب المشروع.

١٠ ـ إستمرت المعارك البرية والجوية والبحرية على طول الساحل من خلدة حتى الناقورة، وفي الجبل وإشتدت في سهل البقاع بين القوات الإسرائيلية والقوات السورية وقام الطيران الإسرائيلي بغارات جديدة على مواقع بطاريات صواريخ «سام ـ ٦» فاشتبك معه الطيران السوري. وكانت حصيلة الغارات إسقاط ٦ طائرات إسرائيلية حسب البلاغات السورية أما الناطق العسكري الإسرائيلي فأفاد بأنه تم إسقاط ٢٥ طائرة سورية وتدمير بطاريات الصواريخ السورية

ـ قال وزير الدفاع الإسرائيلي، في مقابلة مع التلفزيون الإسرائيلي، إن ما تصر عليه إسرائيل في لبنان هو حزام أمان يمتد مسافة ٤٥ كيلو مترا من حدودها. وأكد أن إسرائيل لا تريد حربا مع سوريا.

وأضاف بأن الجيش الإسرائيلي لا ينوي البقاء في لبنان.

وكان مناحيم بيغن رئيس الوزراء قد تلقى رسالتين من الرئيس الأميركي رونالد ريغان حضه فيهما على وقف النار والإنسحاب من لبنان. إلا أن الوزير الإسرائيلي أسحق موداي صرح بعد جلسة عقدها مجلس الوزراء أن واشنطن «لم تمارس أي ضغط على إسرائيل ولم تحدد لها مهلة. بالطبع سيكون هناك وقف للنار ولكن لم يتحدد موعده بعد.

ـ أعلن شمعون بيريز زعيم حزب العمل المعارض بعد إجتماع عقده مع مناحيم بيغن رئيس الوزراء «أن الجيش الإسرائيلي لا يعتزم إحتلال بيروت».

١١ ـ أعلنت كل من إسرائيل وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية التزامها بوقف إطلاق النار إبتداء من الساعة ١٢ ظهرا من يوم ١٩٨٢/٦/١١.

وقد بادرت إسرائيل إلى إعلان وقف إطلاق النار في بيان أصدرته الحكومة الإسرائيلية. كما أدلى ناطق رسمي سوري بأن الرئيس حافظ الأسد أوضح لدى إستقباله المبعوث الأميركي فيليب حبيب أن سوريا توافق على وقف إطلاق النار على أساس الإنسحاب الإسرائيلي الشامل من الأراضي اللبنانية. وفي بيروت أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية إنها تلتزم وقف إطلاق النار على أساس قراري مجلس الأمن ٥٠٨ و ٥٠٩. وجاء ذلك في رسالة بعث بها ياسر عرفات إلى الأمين العام للأمم المتحدة جافييه بيريز دي كويار.

وقد جاء وقف إطلاق النار بعد معارك جوية وبرية عنيفة شملت كافة مناطق القتال بالإضافة إلى القصف البحري الكثيف الذي تقوم به البوارج الإسرائيلية وقد صرح ناطق عسكري إسرائيلي إن المعارك الجوية أسفرت عن إسقاط ١٨ طائرة سورية. وصرح ناطق عسكري سوري أن القوات السورية شنت هجوما معاكسا ودمرت للعدو ٣٠ دبابة و ٣ قواعد صواريخ ودفعته إلى الوراء ١٠ كيلو مترات.

والجدير بالذكر أن ناطقا عسكريا إسرائيليا أعلن عن مقتل الجنرال يكوئيتيل أدم نائب رئيس الأركان الإسرائيلي في المعارك التي دارت قرب الدامور.

- أصدرت الحكومة الإسرائيلية بيانا قالت فيه بأن الجيش الإسرائيلي أنجز مهامه في عملية سلام الجليل وأنه سيلتزم وقف إطلاق النار. وأعلنت مصادر إسرائيلية رسمية أن هذا الوقف للنار لا يشمل منظمة التحرير الفلسطينية.

- قال رئيس الأركان الإسرائيلي «إن خروج القوات السورية من لبنان يشكل شرطا من شروط إستمرار وقف النار».

- صرح شمعون بيريز بعد إجتماعه إلى بيغن أن فيليب حبيب سيشترك في المفاوضات المتعلقة بحدود وقف إطلاق النار.

- أعلنت إسرائيل وقف إطلاق النار مع المقاومة الفلسطينية في بيروت إبتداء من التاسعة ليلا، مشددة على أن ذلك لا يعني إجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية.

منظمة التحرير الفلسطينية والقوات المشتركة جددت موافقتها على وقف النار على أساس قراري مجلس الأمن الرقم ٥٠٨ و ٥٠٩.

وجاء وقف النار بعد مشاورات سوفياتية - أميركية سبقت الإعلان الإسرائيلي. وقد تم إتصال بين الأمير فهد ولي العهد السعودي والرئيس رونالد ريغان، كذلك جرت إتصالات مع ياسر عرفات.

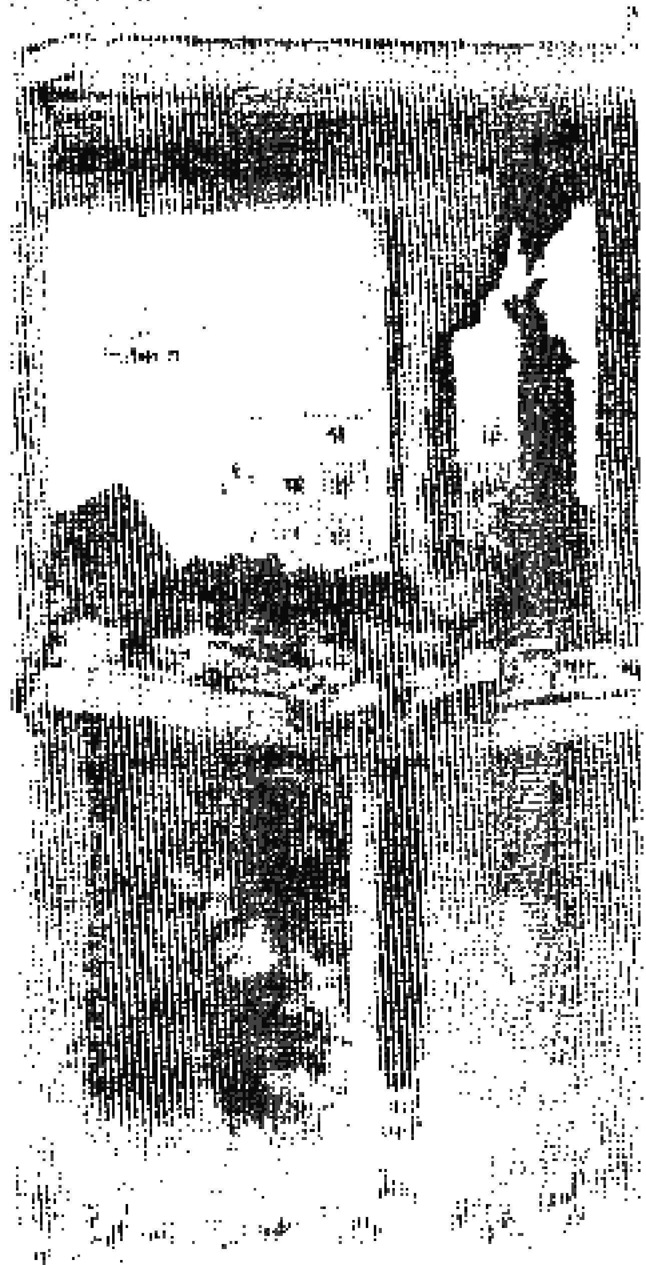
وقد سبق وقف إطلاق النار معارك عنيفة برية وبحرية رافقها قصف جوي إسرائيلي شديد. وأعلنت القوات المشتركة إنها أحبطت ٥ محاولات إنزال في خلدة والأوزاعي وكبدت العدو خسائر في العتاد والأرواح.

وفي منطقة عاليه تقدمت القوات الإسرائيلية إلى مشارف بيصور وكيفون وفي البقاع وصل الإسرائيليون إلى طريق راشيا.

وفي دمشق أعلن مصدر عسكري رسمي أن الصواريخ السورية المضادة للطائرات ما زالت في سهل البقاع وأوضح أن وقف النار الذي وافقت عليه سوريا لا يعني أن المعركة قد انتهت ولا يعني الدخول في المتاهات السياسية.

- قال وزير الخارجية الإسرائيلي أن «وقف إطلاق النار كان بمبادرة منا». وأكد شامير أنه «لا إتفاق مع المخربين ولا يمكن التوصل إلى اتفاق مع هؤلاء»، وحذر من أي ضغط أميركي على إسرائيل قائلا «يعرف الأميركيون أن أحدا لا يستطيع إجبارنا على شيء»، وأضاف «أن سياسة إسرائيل هي التوصل إلى إتفاق سلام مع

كل الدول العربية بما فيها لبنان » لكنه شدد على أنه لن يكون هناك مجال لإشراك منظمة التحرير في المفاوضات وعلى أنه لن يكون هناك حل وسط بالنسبة إلى إصرار إسرائيل على حزام أمني .



وكان شامير قد أعلن بأن « القوات المسيحية لم تقدم أي مساعدة إلى القوات الإسرائيلية » ، وأشار إلى « أن إسرائيل ليست مهتمة بدخول اللعبة السياسية اللبنانية أو مضايقة الجهود الرامية إلى تحقيق الوحدة الوطنية التي تبذل حاليا في لبنان » . وأوضح شامير أن لجنة وزارية إسرائيلية من سبعة أعضاء ستبحث مع حبيب في وضع إتفاقية لوقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا فقط .

ـ صرح أسحق رابين أحد زعماء حزب العمل الإسرائيلي المعارض أنه لا يزال هناك ما بين ٧ آلاف و ١٠ آلاف فدائي فلسطيني في بيروت وإن السوريين ما زالوا هناك أيضاً » وسيظل هؤلاء عاملاً يلعب دوره في تحديد مستقبل لبنان » . وقال أن الولايات المتحدة وأوروبا الغربية يمكن أن تساهما في قوة دولية تتمركز في المناطق التي تنسحب منها إسرائيل .

١٣ ـ إحتلت القوات الإسرائيلية بقيادة الجنرال أرييل شارون وزير الدفاع بلدة بعبدا وتمركزت في مواقع محيطة بالقصر الجمهوري . ثم واصلت تقدمها نحو الحدث وأدركت مشارف الشويفات . وتجدد القتال على محور خلدة ـ الأوزاعي يرافقه قصف مدفعي وصاروخي بري وبحري وجوي شمل أحياء عدة في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية .

وأعلن مصدر عسكري إسرائيلي أن خسارة اليومين الماضيين قد بلغت ١٦ قتيلا و١٧٦ جريحا .

ـ توفي الملك خالد بن عبدالعزيز ونصب الأمير فهد ولي العهد ملكا كما عين الأمير عبدالله وليا للعهد .

ـ نقلت لجنة وزارية إسرائيلية إلى فيليب حبيب المبعوث الرئاسي الأميركي إلى الشرق الأوسط شروطا إسرائيلية لتسوية

سياسية تسبق إنسحاب إسرائيل من لبنان وهي:

أ - إن إسرائيل لا توافق على أن تكون في لبنان قواعد للمخربين.

ب- إن إسرائيل لن تغادر المنطقة التي إحتلها جيش الدفاع الإسرائيلي إلا بعد أن يتم إتخاذ الترتيبات المناسبة التي تمنع قيام تأسيسات جديدة لمنظمات التخريب، وتضمن سلامة المستوطنات في الشمال بعيدة عن مدى قذائف المدافع وصواريخ الكاتيوشا.

ج- تطمح إسرائيل أن تجلو عن لبنان كل القوات الأجنبية الموجودة فيه.

وذكرت الإذاعة الإسرائيلية أن مناحيم بيغن رئيس الوزراء عارض فصل القوات بين سوريا وإسرائيل كما عارض مجلس الوزراء تشكيل قوة دولية لأن الاتحاد السوفياتي سيشارك فيها.

- وجه الإتحاد السوفياتي إنذارا شديد اللهجة إلى إسرائيل بضرورة الإنسحاب الفوري من لبنان وحذر من أن أعمالها تهدد المصالح السوفياتية. وأشار الإنذار الذي نقلته وكالة «تاس» إلى أن «الإتحاد السوفياتي يقف فعلا وليس بالأقوال إلى جانب العرب».

- وسعت القوات الإسرائيلية مناطق إنتشارها فتجاوزت خط بيروت - دمشق وتمركزت في عين سعادة والحازمية والفياضية والمكلس والجمهور وجسر الباشا والمنصورية في المتن الشمالي ولحظت خطوط الإشتباكات هدوءا نسبيا.

- قال وزير الدفاع أرييل شارون أن الجيش الإسرائيلي «أغلق جميع الطرق المؤدية إلى بيروت، وهو يسيطر على هذه الطرق المؤدية إلى بيروت، وهو يسيطر على هذه الطرق سيطرة تامة. ولقد نصبت الحواجز عليها لمنع القوات السورية من العودة إلى بيروت ودخول عناصر أخرى من المخربين، وكذلك لمنع فرار زعماء المخرجين منها».

- عقد النواب الإسرائيليون من تجمع «المعراخ» المعارض الذين يشغلون عضوية لجنة الخارجية والأمن إجتماعا بناء على دعوة رئيس حزب العمل شمعون بيريز. وأصدر المجتمعون قرارات منها الإلتزام بالأهداف المعلنة للعملية العسكرية، وتشكيل قوة دولية فعالة لتأمين الهدوء والإستقرار في لبنان، وإعتبر المجتمعون «أن مشاركة وحدات من الولايات المتحدة الأميركية أمر مرغوب فيه». كما أعلنوا تأييدهم لتقصير مدة تواجد القوات الإسرائيلية في لبنان، وتشكيل حكومة لبنانية مستقلة وإخراج جميع القوات الأجنبية من لبنان والإمتناع عن إحتلال بيروت». ودعا المجتمعون إلى الإمتناع عن الإشتباك مع القوات السورية، والإستعداد الى الدخول في مفاوضات مع الأردن بمشاركة ممثلين فلسطينيين في شأن التوصل إلى سلام وحل سياسي للقضايا المستعصية على الحل العسكري.

وكان بيريز قد ذكر أن بيغن أكد له إن إسرائيل لا تخطط لإحتلال بيروت، وأبلغ الصحافيين قوله «إنها ستكون غلطة أساسية، ويجب أن لا ندخل أبداً عاصمة عربية».

- قال متحدث باسم وزارة الخارجية

الإسرائيلية أن السلطات الإسرائيلية لن تطبق على الفلسطينيين الذين أسروا في لبنان قانون أسرى الحرب في حين سيعامل الجنود السوريين كذلك.

- بعد إجتماع عقده الرئيسان إلياس سركيس وشفيق الوزان صدر قرار بتشكيل هيئة إنقاذ وطني برئاسة رئيس الجمهورية وتتألف من: رئيس الحكومة شفيق الوزان، نائب رئيس الحكومة وزير الخارجية والمغتربين فؤاد بطرس، النائب نصري المعلوف، نبيه بري، بشير الجميل ووليد جنبلاط.

وبعد إذاعة القرار أعلن السفير الأميركي روبرت ديلون من القصر الجمهوري أن حكومته تدعم كليا هذه اللجنة.

- إعتبر وليد جنبلاط رئيس المجلس السياسي للحركة الوطنية اللبنانية أن الصيغة المقترحة لهيئة الإنقاذ غير مقبولة وهو يفضل أن تكون أكثر شمولية وطنيا ومسيحيا وإسلاميا.

وأصدرت الحركة الوطنية بيانا قالت فيه أنها مع كل عمل إنقاذي يستهدف رفع نير الإحتلال وتوحيد كل القوى للتصدي.

- تمنى «التجمع الإسلامي» و «جبهة الجنوب»، بعد إجتماع عقدوه في منزل الرئيس صائب سلام، التوفيق للرئيسين سركيس والوزان في عمل هيئة الإنقاذ الوطني.

كما دعا المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى اللبنانيين إلى توفير كل فرصة متاحة لإنهاء الإحتلال وإنقاذ الوطن. وقد أيدت شخصيات وهيئات سياسية هيئة الإنقاذ.

أجرى الموفد الأميركي الخاص فيليب حبيب، الذي وصل بعد الظهر إلى بيروت قادما من تل أبيب، جولة أولى من المحادثات مع الرئيس الياس سركيس وصفها مصدر رسمي بأنها في «الإطار الذي يوفر حلولا للبنان».

- أكد الدكتور بطرس غالي وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية أن مصر بعثت إلى الحكومة الإسرائيلية بطلب مستعجل لوقف النار صادر عن الفلسطينيين.



١٥ - تجددت الإشتباكات على محور خلدة - صحراء الشويفات، وصدت القوات المشتركة هجوما على مخيم عين الحلوة وواصل الإسرائيليون إنتشارهم في المتن الشمالي ووصلوا بيت مري واحتلوا دير القلعة، كما اقتحموا بلدة الشويفات وقطعوا طريق صيدا القديمة.

- وصف مصدر رسمي إسرائيلي التحذير السوفياتي بأنه «إستعراض للقوة يستهدف إعادة مكانة الإتحاد السوفياتي لدى

الدول العربية »، وأضاف بأن إسرائيل لا تعتبر نفسها مهددة بالفعل.

أعلن مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل، في مقابلة مع التلفزيون الإسرائيلي قبل ساعات من مغادرته إلى الولايات المتحدة، إنه مستعد للتوقيع على إتفاق سلام مع الرئيس الياس سركيس غدا إذا أراد ذلك سواء في القدس أو في بيروت. وأشار إلى أن واشنطن وتل أبيب متفقتان على « ضرورة مغادرة جميع الجيوش الغريبة لبنان »، والمح إلى وجود تباينات بسيطة أميركية إسرائيلية تناقش كأصدقاء.

ـ إجتمع المبعوث الأميركي الخاص فيليب حبيب في بعبدا إلى شفيق الوزان رئيس الوزراء وفؤاد بطرس وزير الخارجية. وإعتذر عن لقاء كامل الأسعد رئيس المجلس النيابي « لأسباب أمنية ».

ـ إستقبل الرئيس الياس سركيس المبعوث الرئاسي الفرنسي فرانسيس غوتمان الذي صرح بعد الإجتماع أنه إستوضح ما يريده لبنان وأشار إلى أن فرنسا لا تستطيع أن تقدم مفتاح الحل.

١٦ ـ هدوء نسبي تخلله معركة محدودة في صحراء الشويفات واحتلال القوات الإسرائيلية كلية العلوم.

ـ صرح أسحق شامير وزير الخارجية في باريس « إن إسرائيل تضع شرطين للإنسحاب من الأراضي اللبنانية » وهما: تشكيل حكومة لبنانية قوية وحرة يمكن الحوار معها، وتشكيل قوة متعددة الجنسيات تنتشر على مسافة ٤٠ كلم من الحدود الشمالية لإسرائيل بضمانة الولايات المتحدة ومشاركة عدد من الدول التي ترغب في ذلك.

ورفض شامير مشاركة الإتحاد السوفياتي في هذه القوة.

ـ أصدرت الحكومة الكويتية بيانا دعت فيه الدول العربية إلى عقد قمة عربية « بهدف التوصل إلى وسيلة تضع حدا للعدوان الإسرائيلي ».

١٧ ـ قصف متقطع على الضاحية والمطار، إشتباكات في منطقة عاليه، وقطع طريق غاليري سمعان.

ـ إغتيال نائب مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية كمال حسين وشاب يدعى نزيه مطر في مدينة روما وصدر بيان عن مكتب المنظمة إتهم إسرائيل بالجريمة.

ـ صرح مصدر رسمي سوري أن بلاده ترحب بجميع المتطوعين العرب الراغبين في القتال إلى جانب أخوانهم السوريين والفلسطينيين.

ـ إلتقى الموفد الأميركي الخاص فيليب حبيب اليوم الرئيس الياس سركيس والرئيس شفيق الوزان والوزير فؤاد بطرس. ثم إلتقى الشيخ بشير الجميل.

ـ أصدر البرلمان الأوروبي قرارا يدعو إلى انسحاب كل القوى المسلحة غير اللبنانية من لبنان ويرفض فرض عقوبات إقتصادية على إسرائيل.

ـ صدر في فيينا بيان مشترك في ختام محادثات أجراها الرئيسان فرنسوا ميتران وبرونوكرايسكي طالب بإنسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية ورحيل كل جيش أجنبي آخر عن لبنان إلا إذا قررت المجموعة الدولية بموافقة الحكومة اللبنانية عكس ذلك.

١٨ - طالب الشيخ بشير الجميل قائد القوات اللبنانية في خطاب ألقاه في عناصر الشرطة الكتائبية، السوريين والفلسطينيين بمغادرة لبنان قبل فوات الأوان، وأشار إلى أن «القوات اللبنانية» ستعود إلى المناطق التي كانت قد غادرتها الأعوام الماضية كجيش بمنطق الدولة لا بمنطق الحزب.

- التقى الموفد الأميركي الخاص الرئيس كميل شمعون الذي صرح بعد الإجتماع أن حبيب أبلغه دعم بلاده لوحدة لبنان وسيادته.

- وافق مجلس الأمن الدولي بأكثرية ١٣ صوتا وامتناع ٢ (الإتحاد السوفياتي وبولونيا) على تمديد فترة إنتداب القوة الدولية المؤقتة في جنوب لبنان شهرين.

- إجتمع مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل الذي يزور الولايات المتحدة الأميركية، إلى الجنرال الكسندر هيغ وزير خارجية أميركا الذي صرح بعد المحادثات بأنها كانت «مهمة جداً وجدية» وقال أن «فكرة ذهاب قوات أميركية إلى لبنان للمساعدة على حفظ السلام محتملة إلا أنها مجرد إفتراض».

- قال الجنرال آرييل شارون في مقابلة تلفزيونية أنه يعتقد «إن لبنان سيكون البلد العربي الثاني الذي يوقع معاهدة سلام مع إسرائيل». وأعرب عن أمله في أن يكون عرب اليهودية والسامرة (الضفة والقطاع) قد فهموا أنهم الوحيدون القادرون على حل مشاكلهم عن طريق التعايش مع إسرائيل في إطار مشروع الحكم الذاتي». وكرر شارون تحذيره للسوريين ومطالبتهم بالخروج مع الفلسطينيين من لبنان.

١٩ - صرح ناطق باسم رئيس وزراء إسرائيل أنه «إذا وافق زعماء المنظمات التخريبية على إلقاء سلاحهم، فإن إسرائيل ستضمن لهم حرية المرور إلى خارج بيروت. أن نحو ٧ آلاف من أفراد منظمات التخريب الذين بقوا في بيروت الغربية في الواقع العقبة التي تحول دون تشكيل حكومة حرة في لبنان».

٢٠ - عقدت هيئة الإنقاذ الوطني كاملة إجتماعها الأول بعد مرور ستة أيام على تشكيلها. وإستمر الإجتماع ثلاث ساعات صرح الرئيس شفيق الوزان على أثره أن مجرد الإجتماع خير والجو أخـــوي مثير للإعتزاز.

- أعلن العميد ريمون أده رفضه أي شكل من أشكال التعاون مع هيئة الإنقاذ وناشد اللبنانيين عدم التعاون معها.

كما قال الرئيس رشيد كرامي أن هيئة الإنقاذ هي تغطية وتسهيل لقرارات «مناقضة لمصالحنا» وطالب الحكم بالمطالبة بانسحاب إسرائيل.

وعقد «التجمع الإسلامي» وجبهة الجنوب» إجتماعا في منزل الرئيس صائب سلام إعتبر أن لقاء الهيئة مؤشر إيجابي وإن مهمتها تاريخية في ظروف خطيرة.

وحدد الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى مهمة الهيئة الوحيدة بإنهاء الإحتلال، وأضاف أنه لا بديل عن دولة عادلة.

- إجتمع فيليب حبيب إلى الرئيس سركيس وفي حضـــور الرئيس الوزان والوزير بطرس.

- تدهور الوضع الأمني في بيروت بقصف مدفعي على الضاحية الجنوبية

واشتباكات على محور جسب جنين في البقاع، في حين هدأت جبهة كيفون وسوق الغرب في قضاء عاليه.

- قال وزير الإعلام السوري أحمد إسكندر أحمد أن القوات السورية لن تخرج من لبنان بقرار إسرائيلي أو أجنبي. وأضاف «لقد قدم لنا عبر قائد القوات العربية العميد سامي الخطيب إنذار إسرائيلي بسحب القوات السورية من بيروت وقد رفضنا هذا الإنذار، وبعد يومين تلقينا طلبا نسب إلى فخامة الرئيس اللبناني بسحب قواتنا فرفضناه بطبيعة الحال». وأضاف يقول «كما تعلمون فإن الدبابات الإسرائيلية تحيط بقصر بعبدا... وكانت قناعتنا وما زالت أن مثل هذا الطلب قد أملي أملاء على صاحبه...». وأعلن إسكندر أحمد أن سوريا توافق على مرابطة قوة مشتركة سوفياتية - أميركية في لبنان للإشراف على إنسحاب القوات الإسرائيلية منه.

٢١ - شهد الوضع العسكري تصعيدا خطيرا تميز بتواصل القصف المدفعي الإسرائيلي لاحياء عدة في المنطقة الغربية من بيروت والضاحية الجنوبية، وبتقدم إسرائيلي نحو عاليه واحتلال عين تراز ورشميا.

- إستقبل الرئيس الأميركي رونالد ريغان مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل، وبعد الإجتماع أدلى الرئيس ريغان بتصريح للصحافيين قال فيه أن الولايات المتحدة وإسرائيل ترغبان في «إنهاء العنف في لبنان» والتوصل إلى «لبنان سيد مستقل تحت سلطة مركزية قوية»، وأضاف أن كلا الجانبين متفقان على أن إسرائيل «ينبغي ألا تكون عرضة للعنف من الشمال» وإن واشنطن ستستمر في العمل لتحقيق هذه الأهداف و «تأمين إنسحاب كل القوات الأجنبية من لبنان».

وأعلن بيغن للصحافيين أيضاً أن إسرائيل لا تطمع «بأي شبر من أرض لبنان»، مجددا الأعراب عن رغبته بأن يوقع لبنان وإسرائيل «معاهدة سلام ويعيشان بسلام إلى الأبد».

- أجرى الرئيس الياس سركيس إتصالا هاتفيا بالملك فهد الذي جدد له دعم السعودية الكامل للبنان.

- قال الوزير الفرنسي كلود شيسون «هناك ٦٠٠ ألف فلسطيني في لبنان. إن تجاهل وجودهم يستبعد كل إستقرار في لبنان».



٢٢ - أعلنت إسرائيل موافقتها على وقف إطلاق النار بناء على طلب فيليب حبيب، وذلك بعد تصعيد خطير في الموقف العسكري شهد قصفا كثيفا للطيران الحربي الإسرائيلي في بيروت والجبل ومعارك بالدبابات بعد تقدم إسرائيلي لإحتلال منصورية بحمدون. كما قامت المدفعية والبوارج الإسرائيلية بقصف عنيف على الضاحية الجنوبية واحياء بيروت الغربية ردت عليه القوات المشتركة بقصف مماثل.

- إجتمعت هيئة الإنقاذ الوطني إلى فيليب حبيب وتركز بحثها معه حول ضرورة

وقف النار كما نقلت إليه الورقة الفلسطينية مع موافقتها عليها. ووعد حبيب بأن يقدم رداً عليها بعد الإتصال بالأطراف المعنية. وكان وليد جنبلاط ونبيه بري قد هددا بالإنسحاب من الهيئة والمفاوضات إذا ما استمر القصف البري والجوي والبحري.

لبنان:

- وجه المفتي حسن خالد كلمة لمناسبة بدء شهر رمضان إلى اللبنانيين قال فيها أن الوقفة الدينية الموحدة بين المسلمين والمسيحيين هي ضماننا الأول والأخير لجلاء الجيش الإسرائيلي.

كما طالب المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الأمير قبلان اللبنانيين، في رسالة رمضان التي وجهها، بدعم هيئة الإنقاذ ومهمتها.

- أعلنت السفارة الأميركية في بيروت في بيان لها أنها أوقفت جميع نشاطها في مقرها ببيروت الغربية. وبأنها لم يعد بمقدورها مساعدة أو حماية الأميركيين إذا لم يغادروا هذا القطاع فوراً.

- شارك عشرات الآلاف في تظاهرة ضخمة سارت في شوارع باريس احتجاجاً على الغزو الإسرائيلي للبنان، دعا اليها الحزب الإشتراكي والحزب الشيوعي والنقابات العمالية وتنظيمات أخرى.

- إستبعدت مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا إشتراك بلادها في أية قوة لحفظ السلام في لبنان.

٢٣ - تجددت المعارك على نطاق واسع وتقدم الإسرائيليون باتجاه بحمدون الضيعة بعد معارك عنيفة بالدبابات وقصف جوي عنيف وتعرضت بيروت الغربية لقصف بري وبحري.

- أبلغ فيليب حبيب هيئة الإنقاذ الوطني خلال إجتماعه إليها أن إسرائيل رفضت المقترحات الفلسطينية ووافقت فقط على وقف إطلاق النار، وطرح حبيب أسئلة قال أنه يريد عنها أجوبة دقيقة وهي تتعلق بموضوع إنسحاب الفلسطينيين وتجريدهم من السلاح وعلى مستقبل وجودهم العسكري وتصورهم لوضعهم في المستقبل القريب في لبنان. وقد أخذ رئيس الحكومة شفيق الوزان على عاتقه الإتصال بمنظمة التحرير للحصول على أجوبة بهذه الأسئلة.

- وإجتمع حبيب مساء بشكل منفرد مع الشيخ بشير الجميل عضو هيئة الإنقاذ، كما إستقبل البطريرك الماروني خريش.

- قال مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل، في تصريح صحافي بعد عودته من واشنطن، إن إسرائيل لن تنسحب من لبنان قبل تشكيل قوة متعددة الجنسية، وأشار إلى أنه لمس تطابقاً في وجهات النظر بينه وبين الرئيس الأميركي ريغان، كما هاجم الأمم المتحدة ووصفها بأنها منظمة معادية لإسرائيل.

٢٤ - دخلت القوات الإسرائيلية مدينة عاليه ووصلت بحمدون بعد معارك عنيفة وقصف الطيران الإسرائيلي مناطق في بيروت الغربية والجبل وساهمت البوارج والمدفعية في قصف الضاحية الجنوبية وبيروت الغربي.

- عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة مشاورات أيد على أثرها جهود هيئة الإنقاذ الوطني. وقد جرى خلال الجلسة إتصال قام به الرئيس الياس سركيس بالملك فهد وإتصال آخر أجراه الرئيس الوزان والوزير بطرس بالأمير سعود الفيصل.

- إستقبل الرئيس اللبناني إلياس سركيس سفير فرنسا في بيروت الذي وضعه في أجواء مبادرة ميتران.

- صرح الشيخ بيار الجميل بأنه لا مبرر لهيئة الإنقاذ إذا كنا سندور في حلقة مفرغة.

- أعلن كرم بقرادوني عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب أن الحزب يرشح الشيخ بشير الجميل لرئاسة الجمهورية.

- إجتمع حبيب إلى الرئيس سركيس، وقد دعا حبيب السلطة اللبنانية إلى اتخاذ موقف مما يطرح، وقال أنه باق في لبنان حتى الحصول على نتيجة ملموسة سواء إيجابية أو سلبية.

٢٥ - سقطت المنطقة الممتدة من عاليه حتى الجمهور في أيدي القوات الإسرائيلية بعد معارك عنيفة شارك فيها الطيران الإسرائيلي بكثافة وكما شاركت البوارج الحربية والمدفعية والطيران في قصف أحياء بيروت الغربية والضاحية الجنوبية. وقد أعلنت إسرائيل عن إسقاط طائرتين سوريتين حربيتين في معركة جوية قصيرة.

وأعلن الفرقاء مساء التزامهم وقف إطلاق النار.

- قدم وزير الخارجية الأميركي الكسندر هيغ إستقالته وقبلها الرئيس رونالد ريغان الذي عين على الفور جورج شولتس خلفا له. وعلل هيغ إستقالته بالإنحرافات السياسية الأميركية الخارجية بالنسبة إلى الخط الذي أرسى ريغان قواعده عند وصوله إلى البيت الأبيض.

- أعلن لاري سبيكس الناطق باسم البيت الأبيض أن الحكومة الأميركية تدرس في عناية فائقة الإقتراح الفرنسي إرسال «قوة تشكل في رعاية مجلس الأمن إلى لبنان.

- وضع الرئيس شفيق الوزان و ٦ من الوزراء المسلمين إستقالاتهم تحت تصرف الرئيس الياس سركيس، وصرح الرئيس الوزان بأن الإبتزاز غير مقبول وأنه لا يستطيع الإستمرار في هذه الأجواء كما هاجم الموفد الأميركي حبيب وقال «تريدونني أن أسكت وفيليب حبيب يتفرج على قصف الأحياء كأننا فئران في هذا البلد».

- أعلن وليد جنبلاط رئيس المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية إنسحابه من عضوية هيئة الإنقاذ الوطني وإتهم رئيس الجمهورية والحكومة ووزير الخارجية «بالضلوع في المؤامرة الجارية على الأراضي اللبنانية لرفضهم إدانة الإحتلال الإسرائيلي».

وأعلن المحامي نبيه بري رئيس مجلس قيادة حركة أمل تجميد عضويته في هيئة الإنقاذ الوطني.

- صمد وقف النار في بيروت وتقدمت القوات الإسرائيلية في الجبل فاحتلت سوق الغرب والقماطية وعاليه محققة إتصالا كاملا بين قواتها. كما قام الطيران الإسرائيلي بغارة على بطاريات صواريخ سام في البقاع.

- إستخدمت الولايات المتحدة الأميركية حق النقض ضد مشروع قرار فرنسي يدعو إلى فك الإرتباط بين القوات في بيروت الغربية وتحييد العاصمة اللبنانية.

- إتخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأغلبية ١٢٧ صوتا ضد ٢ (إسرائيل والولايات المتحدة) قرارا يدعو إلى إنسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان

في وقت لا يتعدى السادسة من صباح غد، واتخاذ إجراءات عملية لتطبيق قراري مجلس الأمن الرقمين ٥٠٨ و ٥٠٩.

- شهدت تل أبيب تظاهرة شارك فيها حوالي ١٠ آلاف شخص حملوا لافتات ضد الحرب في لبنان وتدعو للسلام في لبنان. وقد نظمت التظاهرة «لجنة مناهضة الحرب في لبنان». وخلال التظاهرة تليت عريضة ضد الحرب وقعها ١٠٠ عسكري ينتمون إلى كتيبة للمدرعات «عادوا من لبنان».

٢٧ - نثرت الطائرات الإسرائيلية مناشير فوق بيروت الغربية تدعو السكان إلى استغلال وقف إطلاق النار وإنقاذ حياتهم بالخروج من بيروت عبر طرق محددة، مشيرة إلى أن «جيش الدفاع الإسرائيلي يواصل حربه ضد المخربين».

وقد تمددت القوات الإسرائيلية في اتجاه القرية في منطقة حمانا حيث حصلت اشتباكات في قبيع والشبانية.

- وجه الرئيس الياس سركيس نداء عاجلاً إلى ملوك ورؤساء الدول الصديقة والشقيقة دعاهم فيه إلى انقاذ مدينة بيروت من «الكارثة الأكيدة المحدقة بها».

- إنتهت الدورة الطارئة لمجلس جامعة الدول العربي على مستوى وزراء الخارجية أعمالها في تونس بمؤتمر صحافي عقده الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة قال فيه أنه تم تشكيل لجنة سداسية لمتابعة الجهود العربية على الصعيد الدولي من أجل دراسة امكانيات تنفيذ قرارات مجلس الأمن. وشكلت اللجنة من: الجزائر، السعودية، الكويت، سوريا، لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية.

- نفى الجنرال أريبل شارون وزير الدفاع أن يكون بيغن تعهد للإدارة الأميركية بعدم دخول بيروت. وقال أن الحكومة لم تعط أمرا للجيش بعدم دخول العاصمة اللبنانية».

الفاتيكان:

- دعا البابا يوحنا بولس الثاني إلى الإعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وأشار إلى أنه سيقيم قداسا يوم الثلاثاء القادم (١٩٨٢/٦/٢٩) من أجل تخليص لبنان من المحنة التي يمر بها.

٢٨ - لليوم الثاني على التوالي نثرت الطائرات الإسرائيلية مناشير تدعو سكان بيروت الغربية إلى مغادرتها والتوجه شمالا أو شرقا.

- عقد في قصر بعبدا إجتماع ضم الرئيسين سركيس والوزان والوزير بطرس وفيليب حبيب. وسلم الوزان لحبيب أفكارا فلسطينية «تتضمن إبقاء وجود عسكري رمزي في ثكنتين في شمال لبنان بإشراف الجيش اللبناني وتسليم الأسلحة إلى الجيش وإبقاء عناصر عسكرية مسلحة في المخيمات الفلسطينية يختلف عددها باختلاف أحجام المخيمات. وتتناول المقترحات أيضا تصورا لخروج المقاومة وقادتها من لبنان وتطلب مهلة زمنية لتنفيذ ذلك.

- قال الشيخ بشير الجميل في لقاء تلفزيوني مع شبكة (أي. بي. سي) الأميركية أنه آن الآوان لنضع في قفص الإتهام كل الأشخاص من لبنانيين وغرباء كي نرى من هو المسؤول عما يحصل في لبنان ونجعله يدفع ثمن المئة ألف لبناني الذين استشهدوا، وأشار إلى أن ما يهمه هو إخراج جميع الغرباء من لبنان.

- رحب الجنرال شارون بأي عرض مصري للمساعدة في إجلاء الفلسطينيين سلميا.

ـ نظمت حركة « السلام الآن » مهرجانا حضره عشرة آلاف شخص طالب بوقف الحرب في لبنان وبايجاد تسوية سياسية مع الفلسطينيين .

ـ أبدى البابا يوحنا بولس الثاني إستعداده للذهاب فورا إلى لبنان « من أجل قضية السلام » .

ـ جدد دين فيشر الناطق باسم الخارجية الأميركية أهداف الادارة الأميركية فيما يتعلق بالوضع في بيروت بأنها أهداف الحكومة اللبنانية ولخصها :

أ ـ نشر الجيش اللبناني في العاصمة .

ب ـ إنهاء الوجود العسكري الفلسطيني داخل بيروت وحولها .

ج ـ إنسحاب جميع القوات الأجنبية أي القوات الإسرائيلية والسورية .

د ـ إقامة حكومة لبنانية قوية .

٢٩ ـ إجتمع الرئيس شفيق الوزان والوزير بطرس إلى فيليب حبيب الذي أبلغهما رفض إسرائيل (٣ نقاط من المقترحات الفلسطينية هي : الإنسحاب ٥ أو ١٠ كيلومترات من حول بيروت ، إبقاء عسكري فلسطيني في لبنان ، إبقاء منبر سياسي وإعلامي للمقاومة في لبنان .

ـ التقى مدير المخابرات في الجيش اللبناني جوني عبده وضباط لبنانيين مع رئيس جهاز الأمن في المقاومة الفلسطينية (أبو الزعيم) وضباط فلسطينيين وتناول البحث بعض التفاصيل في حال التفاهم نهائيا على حل سياسي لمشكلة بيروت والوجود الفلسطيني فيها .

ـ نالت الحكومة الإسرائيلية الثقة بأكثرية ٦٠ ضد ٤٧ . وكان مناحيم بيغن قد رفض خلال الجلسة إعطاء أي تعهد بعدم دخول بيروت الغربية ، وأعلن أنه وافق على طلب الفلسطينيين مغادرة بيروت حاملين أسلحتهم الفردية ، وأكد مجددا أن إسرائيل لا تريد الإحتفاظ بأي جزء من الأراضي اللبنانية وانما تريد معاهدة سلام .

٣٠ ـ عقد مجلس الوزراء الإسرائيلي إجتماعا إستثنائيا قرر فيه تمديد المهلة المعطاة للولايات المتحدة لبذل جهود تستهدف إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت .

ـ إتخذ الجنرال رفول إيتان رئيس الإركان قرارا بتمديد الخدمة العسكرية للإحتياطيين الذين يقاتلون في الوقت الحاضر ٣ أشهر على الأقل .

تموز ١٩٨٢

في الأول منه ـ وصل الشيخ بشير الجميل قائد « القوات اللبنانية » الى الطائف بناء على دعوة رسمية من وزير الخارجية السعودي . وتأتي هذه الزيارة خلال انعقاد اجتماعات اللجنة الوزارية العربية لاستكمال بحث أزمة لبنان . وكان الجميل قد ادلى بتصريح الى وكالة الصحافة الفرنسية قال فيه رفضه وجود قوات غربية وحتى دولية على ارض لبنان ، كما رفض قيام لبنان مسيحي أو تقسيم البلاد ، كما أضاف بأنه غير معني بالحروب التي نشنها اسرائيل على لبنان .

عاد موريس درابير من اسرائيل بتمديد للمهلة التي اعطتها اسرائيل لفيليب حبيب ليتابع جهوده الديبلوماسية .

ـ قال مناحيم بيغن رئيس الوزراء في حديثه الى مجموعة من الصحافيين الاميركيين والكنديين ، ان الجيش الاسرائيلي « يتردد في

اجتياح بيروت الغربية لان ذلك يمكن أن يؤدي الى وقوع اصابات في صفوفه كذلك في صفوف السكان المدنيين في المدينة... لكن علينا التخلص من بقايا المخربين في بيروت وفي لبنان الذين يراوح عددهم بين ٦ و ٧ آلاف مخرب».

وأكد بيغن استمرار دعم اسرائيل للرائد اللبناني سعد حداد معربا عن امله «ان يجد الرائد حداد مكانه اللائق في الحكومة الوطنية المقبلة في لبنان».



٢ ـ عقد الجنرال ارييل شارون وزير الدفاع مؤتمراً صحافياً في فندق الكسندر في الاشرفية، اكد فيه إن اسرائيل «مصرة على عدم وجود مخربين سواء من الناحية السياسية او العسكرية في لبنان». ورفض اقتراح «وجود بعضهم في طرابلس»، وابدى «ارتياحه الى موقف الولايات المتحدة المطابق لموقف اسرائيل»، واعرب عن امله في ان ينفذ «القسم الثاني من اتفاقي كامب ديفيد الا وهو اقامة حكم ذاتي في يهودا والسامرة».

ـ دعا مناحيم بيغن رئيس الوزراء خلال استقباله الشيخ امين طريف الزعيم الروحي للطائفة الدرزية، «ابناء جميع الطوائف اللبنانية الى نسيان الماضي وفتح صفحة جديدة من اجل اقامة حكومة لبنانية جديدة وقوية».

ـ بعد عودته من الطائف مباشرة اجتمع الشيخ بشير الجميل الى فيليب حبيب.

ـ اجتمع حبيب الى الرئيس الياس سركيس والرئيس الوزان والوزير بطرس والشيخ بشير الجميل في قصر بعبدا الذي وضعهم في اجواء المحادثات التي جرت معه في الطائف.

وصرح الشيخ بشير بعد الاجتماع بأنه على كل قوة غير لبنانية مغادرة لبنان فوراً، وهاجم منظمة التحرير الفلسطينية بشدة واصفا تصريحاتها وسياستها «بالكذب».

٣ ـ قام عضو الكنيست السابق زعيم حزب شيلي يوري افنيري بزيارة لبيروت الغربية حيث اجتمع الى ياسر عرفات ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقال افنيري بعد المقابلة ان عرفات لم يحمله اية رسالة الى رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن وانما اكتفي بان حمله رسالة تضامن مع الالاف من الاسرائيليين الذين شاركوا في المهرجان المعارض للغزو الاسرائيلي للبنان.

ـ عقد مهرجان شعبي ضم حوالي مائة الف شخص (حسب اذاعة اسرائيل)، احتجاجاً على غزو لبنان وحمل المتظاهرون لافتات طالبوا فيها باستقالة رئيس الوزراء بيغن ووزير الدفاع شارون وبالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من لبنان.

وقد نظمت المهرجان «حركة السلام الان».

ـ طلب يوسف بورغ وزير داخلية اسرائيل من المستشار القانوني للحكومة ابداء رأيه في ما اذا كانت زيارة افنيري مخالفة للقوانين.

ـ أحكمت القوات الاسرائيلية الطوق على بيروت واشتباكات على المحاور يتخلله قصف مدفعي شديد على الضاحية الجنوبية .

٤ ـ اقفلت اسرائيل بوابات العبور بين المنطقة الغربية من بيروت والمناطق الاخرى كما قامت بقطع المياه والكهرباء وخطوط التموين عنها . وايضا قامت البوارج الحربية بقصف بحري على الاحياء .

٥ ـ تدهور خطير واشتباكات عنيفة حول المطار وقصف مدفعي شمل احياء الضاحية وبيروت الغربية وبعبدا ، عقبه موافقة الاطراف على وقف النار (الخامس) .

ـ استقبل الرئيس سركيس المبعوث الاميركي فيليب حبيب وقوم معه الوضع في ضوء تجدد القتال وطالبه بوقف النار وشدد على وجوب فك الحصار عن العاصمة من اجل المواطنين اولا وبالتالي لتمكين رئيس الحكومة من معاودة مهمته التفاوضية .

اجرى حبيب اتصالات باسرائيل اثمرت عن وقف لاطلاق النار .

ـ نفى ناطق عسكري اسرائيلي ان تكون اسرائيل قطعت المياه والكهرباء عن بيروت الغربية .

ـ وافق مجلس الامن الدولي بالاجماع على مشروع قرار اردني يطالب باحترام حقوق السكان المدنيين في لبنان ويندد بأي عمل عنيف ضدهم .

ـ عاد الى دمشق الرئيس السوري حافظ الأسد بعد محادثات اجراها مع الملك فهد وقالت وكالة «سانا» ان الجانبين اكدا استمرارهما في دعم منظمة التحرير الفلسطينية .

٦ ـ انهار النار الخامس وتجددت الاشتباكات على محاور الضاحية والمطار وشمل التراشق احياء عدة في المنطقة الغربية والضاحية وصولا الى بعبدا والحازمية وجسر الباشا وعين الرمانة وقرن الشباك .

ـ قال الرئيس الاميركي رونالد ريغان في لقاء مع مجموعة من المسؤولين في ١٣ ولاية اميركية ، ان الحكومة اللبنانية ابلغت الموفد الاميركي فيليب حبيب «ان قوة متعددة الجنسية يمكن ان تكون اساسية في عملية مؤقتة لحفظ السلام في بيروت ، وقد اقترحت في شكل غير رسمي ان تكفل الولايات المتحدة في المساهمة في هذه القوة . إن الحكومة اللبنانية لم تقدم طلبا رسميا ، إلا اني وافقت من حيث المبدأ على المساهمة بوحدة صغيرة وهذه الموافقة مرهونة بتوافر شروط معينة .

وصرح لاري سبيكس الناطق باسم البيت الابيض انه يرجح ان يبلغ تعداد هذه القوة بين ٨٠٠ والف رجل وستكون لها مهمة محددة هي مساعدة القوات المسلحة اللبنانية في اجلاء رجال منظمة التحرير الفلسطينية المسلحين من بيروت في شكل منظم ، وبما يضمن سلامة هؤلاء ، وكذلك المساعدة في انتقال السلطة الى الحكومة اللبنانية . وقال أن مثل هذه القوة لن تكون جزءاً من قوة متعددة الجنسية من المنوي تشكيلها لترابط في جنوب لبنان بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منه ، ان هذه القوة ستكون في بيروت لفترة محددة لا تتجاوز ٣٠ يوما .

٧ ـ كشف اسحق شامير وزير الخارجية ، بعد اجتماع استثنائي للحكومة الاسرائيلية عن خطة اميركية من ٩ نقاط

تتضمن: انسحاب القوات الاسرائيلية لعدة كيلو مترات حول بيروت، إجلاء القوات الفلسطينية باسلحتهم الفردية بحرا الى ميناء اللاذقية السوري ومنه الى البلدان العربية، ووجود وحدات اميركية لضمان امن العملية، وتمركز في بيروت قوة دولية - فرنسية، وقيام حكومة لبنانية مستقرة وذات سيادة مع احتفاظ منظمة التحرير بتمثيل سياسي في لبنان ودمج وحدتين فلسطينيتين صغيرتين بالجيش اللبناني الى حين جلاء كل القوات الاجنبية.

وقال ياكوف ميريدور وزير الشؤون الاقتصادية ان اسرائيل ترفض اي وجود سياسي او عسكري لمنظمة التحرير في لبنان.

- قال ناطق عسكري اسرائيلي ان عدد قتلى الجيش الاسرائيلي في لبنان ارتفع الى ٢٧٧ جندياً.

- اعرب شيمون بيريز عن اعتقاده بتزايد احتمالات التوصل الى حل سياسي لمسألة بيروت واعاد التأكيد بأن القضية الفلسطينية هو اساس المشكلة.

٨ - وجه الرئيس ليونيد بريجنيف تحذيرا في رسالة بعثها الى الرئيس الاميركي رونالد ريغان من ارسال قوات اميركية الى لبنان.

واعرب الرئيس بريجنيف في رسالته عن امله «في ان تفعل الولايات المتحدة كل شيء يتعلق بها لوضع حد للعدوان الاسرائيلي».

- دعا الجنرال شلومو بوم مستشار ارييل شارون وزير الدفاع الى انشاء دولة فلسطينية في الاردن «بكل السبل بما فيها العسكرية».

- قال لاري سبيكس ان البيت الابيض لم يعتبر التحذير السوفياتي انذارا، واوضح ان عرض ريغان ارسال قوات الى بيروت «لا يزال خطة طارئة».

- استقبل دوغلاس هيرد وزير الدولة البريطانية للشؤون الخارجية الوفد العربي المنبثق عن اللجنة الوزارية السداسية الذي ضم كلا من وزير خارجية البحرين الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة، وفاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير، وقائد السبسي وزير خارجية تونس الذي تخلف عن الاجتماع بسبب تأخير في وصوله الى لندن.

٩ - قال الموفد الاميركي فيليب حبيب، في تصريح لصحيفة «واشنطن بوست»، ان «اتفاقا سيتم التوصل اليه في نهاية الاسبوع لضمان نزوح رجال المنظمات الفلسطينية عن غرب بيروت». واشار الى «ان نزوح المنظمة عن بيروت وانسحاب اسرائيل ووصول القوات الدولية سيتم في آن مع أخذ حساسية رجال المنظمات حيال وجود جنود اسرائيليين عندما يغادرون بيروت في الاعتبار».

١٠ - سلمت الحكومة الفرنسية رسالة الى الحكومة اللبنانية، عبر سفيرها في بيروت بول مارك هنري الذي نقلها الى وزير الخارجية اللبنانية فؤاد بطرس، جاء فيها تأكيد موافقة فرنسا من حيث المبدأ على المشاركة بعناصر فرنسية في قوة دولية حالما تحدد لجنة مشتركة لبنانية - فلسطينية طبيعة وتشكيل ومهمة ومدة تدخل، هذه القوة، بعد موافقة جميع الاطراف المعنية وهذا يشمل منظمة التحرير الفلسطينية الصريحة على جميع الترتيبات، بالاضافة الى موافقة

الولايات المتحدة الاميركية .

- قال شمعون بيريز زعيم حزب العمل ان الاردن يحتاج « الى مفاوضات معنا بسرعة . ان الملك حسين يعرف ان هنا مسؤولين يريدون قلبه وابداله بياسر عرفات واقامة دولة فلسطينية ، في الاردن . ان هذا المشروع الذي يدعو اليه وزير الدفاع اريبل شارون هو مشروع خيالي ولكن على الملك حسين اخذه بعين الاعتبار » .

١١ - قصف شديد متبادل على مدى ١٦ ساعة شمل بيروت الغربية والشرقية وبعبدا والجمهور والحازمية والشويفات وخلده وكافة احياء الضاحية الجنوبية . وقد تم التوصل الى اتفاق لوقف النار ابتداء من التاسعة مساء .

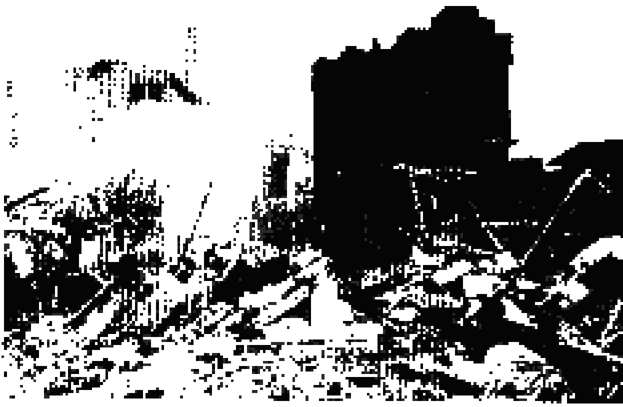
- ذكر ناطق عسكري اسرائيلي ان ٢٨ جنديا اصيبوا نتيجة تبادل القصف ، وحذر من ان اسرائيل لن تسمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بشن حرب استنزاف ضد جيشها حول بيروت .

- قال الرئيس اسحق نافون ، في كلمة القاها في احتفال ، « ان المقارنة الرهيبة التي اجراها الرئيس ميتران بين الحملة التي نقوم بها في لبنان وتدمير الالمان قرية اورادور مثيرة للاشمئزاز . واعتبر نافون ان « هذا الافتراء شتيمة لذكرى اليهود الذين اغتالهم النازيون » . واضاف ان « الرئيس الفرنسي تجاوز الحد هذه المرة » .

١٢ - اجتمع الرئيس الياس سركيس والرئيس الوزان في حضور الوزير فؤاد بطرس الى فيليب حبيب الموفد الاميركي الرئاسي . وصرح الرئيس الوزان بأن الاجتماع تناول متابعة المفاوضات الجارية وتطرق الى القصف المجنون الذي وقع أمس .

- قال الرئيس كميل شمعون بعد لقائه مع الرئيس الياس سركيس ان فشل الحل السياسي يحتم الحل العسكري .

- قال وزير الدفاع اريبل شارون ، في كلمة القاها في ضباط سلاح الجو الاسرائيلي ، « ان الوقت الذي اعطيناه لفيليب حبيب ينفذ . وإذا فشلت المفاوضات فان سلاح الجو والمشاة يعرفون كيف يجب ان يتصرفوا من اجل ان تطل علينا وعلى المنطقة مرحلة جديدة » .



١٣ - قال جورج شولتس وزير الخارجية الاميركي في شهادته امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، ان الأزمة في لبنان تكشف حقيقة مركزية هي انه يجب معالجة مشاكل الشعب الفلسطيني . واشار شولتس الى ان هناك مهلة ثلاثين يوما امام فيليب حبيب لاحلال السلام في لبنان .

- اعلن الرئيس الحبيب بورقيبة الغاء دعوته الى قمة عربية طارئة في شأن لبنان نظراً الى عدم مشاركة الجميع في هذه القمة .

- صرح مناحيم بيغن رئيس الوزراء انه « مقتنع بان المخربين سيغادرون لبنان » .

ـ اكد دان مريدور الناطق باسم الحكومة الاسرائيلية تسلم اسرائيل الخطة الفلسطينية لحل الازمة في بيروت، وقال: «لم نأخذها مأخذ الجد، ان الشيء الوحيد الجديد هو انهم وافقوا على المغادرة. وكل ما تبقى لا يزال غامضاً».

١٤ ـ عقد مجلس الوزراء اللبناني للمرة الأولى منذ احتلال القوات الاسرائيلية منطقة بعبدا، اجتماعا انتهى الى «تأييد رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ووزير الخارجية والمغتربين في مواقفهم وتصورهم وخطواتهم لمعالجة الازمة الناشئة عن الاحتلال الاسرائيلي وفي القواعد المعتمدة لتأمين انسحاب جميع القوات المسلحة غير اللبنانية من الاراضي اللبنانية». وقد اعلن الوزيران خالد جنبلاط ومروان حمادة تحفظهما على البيان وقالا انهما ايدا خلال الجلسة «الخطوات التي قام ويقوم بها رئيس مجلس الوزراء. ولم يطلبا من أحد كما لم يعطيا احدا موافقة على مجمل السياسة المتبعة في المجال الخارجي».

ـ صرح السناتور تشارلز بيرسي رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ان «مصدرا محايدا» ابلغه ان منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد للاعتراف بوجود اسرائيل وشدد على كون هذا المصدر «يوثق به».

ـ اذاع زعماء الاشتراكية الدولية المجتمعين في كوبنهاغن بيانا من ٦ نقاط دعوا فيه الى احترام وقف النار وعدم احتلال بيروت عسكريا وقيام لبنان جديد من دون قوات اسرائيلية وسورية وفلسطينية: وشدد البيان على ضرورة حل المشكلة الفلسطينية عبر السبل السياسية وليس العسكرية، وعلى اخذ المقتضيات المشروعة لأمن اسرائيل في الاعتبار في عملية السعي الى ايجاد حل للازمة.

١٥ ـ استقبل الرئيس فرنسوا ميتران وفد الجامعة العربية الوزاري الذي ضم محمد طالب الابراهيمي وزير الخارجية الجزائري وراشد العبدالله وزير خارجية دولة الامارات العربية وفاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية. وهذه المرة الاولى يستقبل رئيس فرنسي مسؤولا فلسطينيا رفيعا.

وصرح ميشال فوزيل الناطق باسم الاليزيه ان المقابلة لا تشكل «التفاتة خاصة» من فرنسا نحو منظمة التحرير و«لا تنطوي على تغيير في السياسة الفرنسية» حيال النزاع في الشرق الأوسط. واشار الى ان تشكيل الوفد الوزاري العربي كان نتيجة قرار لجامعة الدول العربية وحدها وان على فرنسا عدم التدخل في اختيار أعضائه. وذكر فوزيل ان الرئيس الفرنسي كرر امام الوفد الموقف الفرنسي واستعداد فرنسا للمساهمة في «حل يكون تحت مسؤولية الامم المتحدة وفي خدمة السلام».

١٦ ـ قال وزير الخارجية فؤاد بطرس، في مقابلة مع صحيفة «الكوتيديان دوباري»، ان «لا مجال اطلاقا لاعادة تجديد فترة قوة الردع العربية على نحو بسيط وساذج. وما من شك في ان المشكلة ستفرض نفسها من زاوية جديدة».

١٧ ـ التقى وليد جنبلاط رئيس المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية بالشيخ بشير الجميل «قائد القوات

اللبنانية » في احدى قاعات القصر الجمهوري في بعبدا . وقد وصف جنبلاط الاجتماع بانه ايجابي وبناء ومحاولة لتذليل بعض العقبات للوصول لاحقا الى تصور مشترك حول صيغة لبنانية متطورة .

ـ وقال الشيخ بشير الجميل انه حان الوقت لوضع الاسس الجدية لنتخطى نهائيا سنوات الحرب ولنبني وطنا قويا .

وكان جنبلاط قد قام بزيارة الرئيس الياس سركيس كما توجه بعد الاجتماع الى لقاء فيليب حبيب الموفد الاميركي الرئاسي .

ـ قال الرئيس كميل شمعون ان حل ازمة الفلسطينيين المحاصرين في بيروت الغربية يعني الوصول الى ابعد من نصف حل الازمة كلها ، واكد على ضرورة اجراء انتخابات الرئاسة في موعدها الدستوري .

١٨ ـ عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي اجتماعا صدر عنه بيان مقتضب اشار الى ان المجلس « بحث في الوضع في لبنان » وقال نائب رئيس مجلس الوزراء ديفيد ليفي « لا بد من اتخاذ قرار قريبا ذلك ان الوضع بات خطرا في ضوء الطريق المسدود الذي وصلت اليه المفاوضات » .

١٩ ـ استقبل جورج شولتس وزير الخارجية الاميركي وفد الجامعة العربية الوزاري الذي ضم الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي والسيد عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري واجرى معها محادثات تناولت الازمة اللبنانية خصوصا قضية بيروت الغربية . واعقب اللقاء الثلاثي اجتماع بين شولتز ووزير الخارجية السوري .

واكد الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية دين فيشر انه « من غير الوارد » ان يستقبل المسؤولون الاميركيون خالد الحسن خلال اقامته في واشنطن . والجدير بالذكر ان الحسن هو العضو الثالث في وفد الجامعة العربية .

ـ اعلن لاري سبيكس الناطق باسم البيت الابيض ان الرئيس الاميركي قرر ان يعلق الى اشعار آخر تسليم اسرائيل ٤٠٠٠ قنبلة عنقودية .

ـ قال الرئيس حافظ الاسد انه من « غير المعقول طلب خروج القوات السورية » من لبنان « فيما القوات الاسرائيلية موجودة في بيروت » . واكد ان القوات السورية « لم تدخل لبنان لمحاربة اسرائيل » .

ـ قال الجنرال اريل شارون وزير الدفاع ، بعد لقائه في اليرزة مع الموفد الاميركي الرئاسي فيليب حبيب « ان احتمال ترحيل الفلسطينيين من بيروت الغربية لا يزال ممكناً بالوسائل الدبلوماسية وان الجهود مستمرة في هذا المجال » . وكرر ان اقتراح اسرائيل بايواء الفلسطينيين الذين يسلمون انفسهم لا يزال قائما » .

ـ قال مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل ، في كلمة القاها في مجموعة من مشوهي الحرب ، « ان معركة تصفية منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان لم تنته ، إلا انها ستنتهي قريبا . . . » ، واضاف بيغن بان لديه « اسبابا وجيهة للاعتقاد ان اسرائيل لن تخوض حربا لمدة ٤٠ او ٥٠ سنة » .

٢٠ ـ قال الرئيس السوفياتي ليونيد بريجنيف ، في حديث نشرته صحيفة « البرافدا » ، انه « قبل كل شيء على اسرائيل والولايات المتحدة التقيد بقرار مجلس الامن الخاص بوقف العدوان على دولة لبنان ذات السيادة وقبول الانسحاب الفوري

غير المشروط للقوات الاسرائيلية . . . ان رفع الحصار عن بيروت الذي تفرضه القوات الاسرائيلية امر اساسي . وكخطوة اولى في هذا السبيل نحن لسنا ضد فك الارتباط بين القوات التي تدافع عن بيروت الغربية والقوات الاسرائيلية ». وكرر بريجنيف تحذيره بان بلاده ستقف « بشكل قاطع ضد وجود قوات اميركية في الاراضي اللبنانية . كما دعا الدول العربية الى « ان تضع كل ما يفرقها جانبا » . وجدد دعوته الى عقد مؤتمر دولي خاص بالشرق الاوسط تحضره كافة أطراف النزاع اضافة الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

٢١ ـ تجددت المعارك بكافة الاسلحة على مختلف المحاور، وقام الطيران الاسرائيلي بغارات مكثفة على احياء بيروت الغربية كما قامت البوارج الحربية والمدفعية الثقيلة بقصف هذه الاحياء . وكانت الحصيلة خلال اليومين الماضيين نحو (٢٣٨) اصابة بين قتيل وجريح في بيروت الغربية .

٢٢ ـ خلال جولة شرق اوسطية اجتمع الموفد الاميركي الرئاسي فيليب حبيب في دمشق الى الرئيس السوري حافظ الاسد في حضور عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري، وقالت وكالة « سانا » ان الرئيس الاسد ابلغ حبيب موقف سوريا المبدئي والمعلن في ان المشكلة الرئيسية في لبنان هي الاحتلال الاسرائيلي وطريقة انهائه وان الجهود يجب ان تتركز على هذه الامور .

هذا وقد غادر حبيب دمشق لاحقا متوجها الى السعودية .

٢٣ ـ استقبل الرئيس الياس سركيس وكذلك الرئيس شفيق الوزان السيد فاسيلي بوتنغان مبعوث الرئيس الروماني تشاوشيسكو .

٢٤ ـ قصف عنيف وغارات جوية، على احياء بيروت الغربية اغارت الطائرات الاسرائيلية على قواعد بطاريات صواريخ سام السورية في البقاع وسقوط طائرة اسرائيلية واسر طيار .

ـ اعلن الشيخ بشير الجميل قائد « القوات اللبنانية » ترشيح نفسه رسميا لرئاسة الجمهورية اللبنانية وحذر من تعطيل نصاب جلسة الانتخابات .

ـ عقد مجلس الوزراء اللبناني اجتماعا في حضور الرئيسين الياس سركيس وشفيق الوزان قرر فيها المشاركة في اجتماعات اللجنة الوزارية السداسية العربية في الطائف . وصرح الرئيس الوزان بعد اجتماعه الى الرئيس سركيس بانهم في انتظار عودة الموفد الاميركي الرئاسي فيليب حبيب من جولته العربية للاطلاع على نتائج المحادثات التي اجراها بصدد انتقال المسلحين الى خارج لبنان، وكرر الوزان الموقف الرافض لانتقال المقاتلين الى الشمال او البقاع والاصرار على الانتقال الى خارج لبنان .

٢٥ ـ خلال اجتماعه الى وفد من الكونغرس الاميركي سلم ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لعضو الوفد بول ماكلوسكي وثيقة موقعة تعترف فيها منظمة التحرير الفلسطينية بجميع القرارات الصادرة عن الامم المتحدة والمتعلقة بالقضية الفلسطينية . وبعد انتهاء الاجتماع عقد الوفد بحضور عرفات مؤتمراً صحافيا اذاع فيه ماكلوسكي مضمون الوثيقة واضاف ان هذه القرارات تعترف بوجود اسرائيل « وان المنظمة تكون بذلك

قد اوفت بالشروط المطلوبة لاعتراف الولايات المتحدة بالمنظمة ». وقال ماكلوسكي انه سيعود فورا الى واشنطن حيث سيوصي وزير الخارجية جورج شولتز ببدء محادثات فورية مع منظمة التحرير، واعرب عن امله في ان يشاركه زملاؤه التوصية. ولكن نيقولاي رحال عضو الوفد قال ان ما فعله عرفات يشبه ما قاله في السابق عندما وافق على خطة السلام السعودية التي تعترف ضمنياً بحق اسرائيل في الوجود.

وقال عرفات رداً على اسئلة الصحافيين حول صحة ما قاله ماكلوسكي «نعم كل القرارات المعلقة بالفلسطينيين».



ـ اصدرت وزارة الخارجية الاسرائيلية بياناً وصفت فيه موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على قرارات الامم المتحدة بأنها «مناورة اعلامية».

ـ اجتمع المبعوث الاميركي الرئاسي الى الرئيس المصري حسني مبارك وغادر القاهرة متوجها الى روما حيث اجتمع الى وزير خارجية ايطاليا.

٢٦ ـ لليوم الخامس على التوالي تقوم الطائرات الاسرائيلية بالاغارة على احياء بيروت الغربية ويشمل القصف المدفعي البري والبحري كافة احيائها، كما صدت القوات المشتركة محاولة انزال اسرائيلية في منطقة «السمرلاند».

قال الناطق باسم البيت الابيض لاري سبيكس ان وثيقة ياسر عرفات «لا تلبي شروطنا» واعلن بان الولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية وتتفاوض معها قبل ان تعترف هذه «بوضوح» بحق اسرائيل في الوجود وبقراري مجلس الامن الرقم ٢٤٢ و ٣٣٨.

ـ سلم مندوب لبنان في الامم المتحدة غسان تويني مذكرة الى الامين العام للامم المتحدة تتهم «القوات الاسرائيلية الغازية» بمحاولة ايجاد سلطة موازية للسلطة اللبنانية في المناطق التي تحتلها، ومضايقة المؤسسات الرسمية اللبنانية ومنعها من ممارسة مهامها.

٢٧ ـ قام الطيران الاسرائيلي لليوم السادس على التوالي بما مجموعه ٣٦ غارة جوية على احياء بيروت الغربية ادت الى سقوط ٣٥٠ اصابة بينها ٨٤ قتيلا و ١٤٢ جريحا في منطقة الروشة وحدها، كما قامت البوارج الحربية والمدفعية الثقيلة بقصف عنيف لهذه الاحياء. وقد احصت القوات المشتركة مجموع الاصابات من المدنيين في الايام الستة الماضية بـ ٦٤٢ اصابة.

ـ بعد اجتماعه الى رئيس وزراء اسرائيل ووزيري الخارجية والدفاع قال المبعوث

الاميركي الرئاسي فيليب حبيب بان مهمته « جيدة جداً » وانه مقتنع بانه سينجز مهمته « التي احرزت تقدما جيدا ».

٢٨ - اعلان الوقف السابع لاطلاق النار بعد عمليات حربية برا وبحرا وجوا طوال ١٣ ساعة. وبعد سبعة ايام متواصلة من الاشتباكات.

- عاد فيليب حبيب المبعوث الاميركي الرئاسي من اسرائيل الى بيروت بعد ان حصل على موافقة اسرائيلية على وقف اطلاق النار، واجتمع فور وصوله الى الرئيسين الياس سركيس وشفيق الوزان، وقال الرئيس الوزان بعد الاجتماع ان البحث تناول كيفية تثبيت وقف النار كما تناول النتائج التي حققها حبيب خلال جولته، واشار الى ان هناك تقدما محسوسا قد تحقق في المفاوضات.

٢٩ - اصدرت اللجنة الوزارية العربية السداسية التي اجتمعت في جدة خلال اليومين الماضيين بيانا ختامياً طرحت فيه ضرورة العمل على تحقيق: وقف للنار في لبنان، وانسحاب المقاومة الفلسطينية من بيروت، ورفع الحصار عن بيروت، وضمان امن وسلامة سكان بيروت لبنانياً ودولياً، تنفيذ قراري مجلس الامن الدولي رقم ٥٠٨ و ٥٠٩ تنفيذا كاملا.

٣٠ - سقط اتفاق وقف اطلاق النار السابع واغارت الطائرات الاسرائيلية على بيروت الغربية وضواحيها كما قامت البوارج والمدفعية بقصف عنيف للاحياء والمخيمات. وبعد اتصالات اجراها المبعوث الاميركي فيليب حبيب تم التوصل الى اتفاق ثامن لوقف النار.

٣١ - اجتمع فيليب حبيب المبعوث الرئاسي الاميركي الى الرئيسين الياس سركيس وشفيق الوزان في حضور الوزير بطرس. وصرح الرئيس الوزان بانه قد تم البدء بعمل تنفيذي مفيد لمباشرة كل ما تم عليه الاتفاق « هنا او في جدة ».

- عرضت جين كيركباتريك رئيسة الوفد الاميركي في الامم المتحدة تعديلاً لمشروع القرار المصري - الفرنسي المقدم لمجلس الامن، يقترح حذف عبارة، « حق تقرير المصير » واستبدالها بعبارة « حل المشكلة الفلسطينية بجميع ابعادها ووجوهها ». وقد رفض الوفدان المصري والفرنسي هذا التعديل.



آب ١٩٨٢.

في ١ منه - هجوم اسرائيلي على مطار بيروت واحتلاله خلال ١٥ ساعة من القصف البري والبحري والجوي على بيروت الغربية وضاحيتها تجاوزت معدل ٣ قذائف في الثانية وبلغ مجموعها حوالي ١٨٥ الف قذيفة حسب تقدير القوات المشتركة اضافة الى ٢١٠ غارات جوية بمعدل غارة كل ثلاث دقائق. وكانت الحصيلة ١٦٥ قتيلا و ٤٠٠ جريح، وافادت تقارير القوات المشتركة عن تدمير ٣٠ آلية اسرائيلية واسقاط طائرة واصابة ٨٠ من الجنود بين قتيل وجريح في حين قال



ناطق عسكري اسرائيلي ان ٩ جنود فقط اصيبوا بجراح خلال الاشتباكات وفي الساعة الخامسة مساء وبعد اتصالات مكثفة اجراها الموفد الرئاسي الاميركي فيليب حبيب تم الاتفاق على وقف اطلاق النار التاسع.

ـ بناء على طلب لبنان عقد مجلس الامن الدولي جلسة طارئة اصدر فيها قراراً (حمل الرقم ٥١٦)، طالب بوقف نار فوري في لبنان وعبر حدوده وبارسال مراقبين دوليين فوراً الى لبنان لمراقبة الوضع في بيروت على ان يرفع الامين العام للامم المتحدة تقريراً عن تنفيذ هذا القرار في مدة لا تتجاوز ٤ ساعات.

ـ عقد مجلس الوزراء جلسته الاسبوعية وصرح دان مريدور الامين العام للمجلس بان بيغن قد طلب من السفير الاسرائيلي في واشنطن ابلاغ حكومة الولايات المتحدة بناء على قرار مجلس الوزارة «ان اسرائيل

مستعدة لوقف النار في لبنان بشرط واضح هو ان يكون ذلك تاماً ومشتركاً».

- صرح مسؤول اسرائيلي بـان الموقـف من قرار مجلس الامن الدولي (٥١٦) حول المراقبين الدوليين هو من اختصاص مجلس الوزراء الذي سيبحثه في جلسته القادمة.

- قال الجنرال ارييل شارون، في حديث اجراه معه التلفزيون الاسرائيلي، «نحن لا نشن هجوماً واسعاً على بيروت ونفضل جلاء منظمة التحرير بالطرق الديبلوماسية» وأكد ان قواته تسيطر على مطار بيروت والمناطق المجاورة. واشار شارون الى انه لم يقل في أي يوم ان القوات الاسرائيلية «لـن تـدخـل بيروت الغربية». كما هاجم الدول العربية لـرفضهـا استقبـال الفـدائيين الفلـسطينيين





مذكراً بان اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي اقترحت ايواء هؤلاء مؤقتاً.

ـ استدعى الرئيس الياس سركيس سفراء الدول الكبرى في لبنان وطالب حكوماتهم بموقف واضح وحازم.

وكان الرئيس سركيس وقد استقبل المبعوث الرئاسي الاميركي فيليب حبيب وطلب منه بذل اقصى الجهود الممكنة لوقف النار والعامل على ايجاد مخرج للمأزق الذي وصلت اليه المفاوضات.

واجرى الرئيس سركيس مشاورات هاتفية مع الرئيس الوزان في حضور الوزير بطرس تم على اثرها إبلاغ مندوب لبنان لدى الامم المتحدة بدعوة مجلس الامن الى اجتماع عاجل لدرس الاوضاع الخطيرة في لبنان.

من جهة ثانية وجه الرئيس شفيق الوزان نداء الى دول العالم والامم المتحدة دعا فيه الى وقفة منتصرة للحق والانسان.

٣ ـ تقدم الاسرائيليون الى حي المريجة واستمرت الاشتباكات في الضاحية الجنوبية.

ـ اعلن الامين العام للامم المتحدة جافيير بيريزدي كويار انه لن يتم ارسال مراقبين من الامم المتحدة الى بيروت قبل موافقة الاطراف المعنية (اسرائيل ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية).

ـ اعلن مسؤول اسرائيلي ان مجلس الوزراء لن يبحث في مسألة الموافقة على ارسال المراقبين الدوليين قبل نهاية الاسبوع وبعد عودة وزير الخارجية اسحق شامير من واشنطن.

ـ قال ياكوف ميريدور وزير الاقتصاد ان اسرائيل تعارض اعادة اسكان اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات قريبة من الحدود الاسرائيلية ـ اللبنانية. واضاف بان اسرائيل تفضل ان يعاد اسكانهم في دول عربية اخرى.

◄

ـ وجه الرئيس السوفياتي ليونيد بريجنيف رسالة شخصية الى الرئيس الاميركي رونالد ريغان دعاه فيها الى اتخاذ «الاجراءات الاكثر ضغطاً على «النحو الاكثر الحاحاً» من اجل منع «ابادة الناس في بيروت».

وصرح الرئيس ريغان رداً على الرسالة «اننا نرفض الافتراءات التي تضمنتها رسالة الرئيس بريجنيف والتي تدعي بان الولايات المتحدة لا تبذل كل ما وسعها من اجل التوصل الى حل سلمي للازمة اللبنانية». واكد ان ادارته تبذل جهودها «عبر السفير فيليب حبيب وكذلك في الامم المتحدة».

٣ ـ اجتمع الموفد الاميركي الرئاسي فيليب حبيب الى الرئيسين الياس سركيس وشفيق الوزان في حضور الوزير فؤاد بطرس. وعقد الرئيس الوزان بعد الاجتماع ندوة صحفية قال فيها ان قرار المقاومة الفلسطينية بالمغادرة هو قرار نهائي واشار الى انه تسلم جواب منظمة التحرير على تصور حبيب ونقله اليه، وأوضح الوزان ان السعي يتركز على ازالة التباين بين مشروعي حبيب والمقاومة. واكد على ان موقف الحكومة اللبنانية بضرورة ان تكون المغادرة الى خارج لبنان مباشرة قد ابلغ الى جميع الاطراف.

٤ ـ هجوم اسرائيلي واسع على بيروت الغربية وضاحيتها بدأ الساعة الثالثة صباحاً تحرك على ستة محاور: الاوزاعي، المطار حي السلم والليلكي، غاليري سمعان، المتحف والمرفأ. تسانده الطائرات وقصف بحري عنيف تخلله عمليات انزال فاشلة وقصف مدفعي شديد لكافة انحاء العاصمة وضواحيها.

وافادت تقارير القوات المشتركة عن معارك عنيفة تكبدت فيها القوات الاسرائيلية ٢١ دبابة و ١٨ ناقلة جنود مدرعة و ٣ كاسحات الغام واصابة ١٠٠ جندي اسرائيلي بين قتيل وجريح.

واشارت التقارير الاسرائيلية العسكرية الى وقوع ٦٤ اصابة في صفوف قواتها. واستطاعت القوات الاسرائيلية الوصول الى ثكنة هنري شهاب في حين اضطرت قواتها



الى التراجع على محور المتحف ولم تستطع على المحاور الاخرى.

ـ قال متحدث بلسان الجيش الاسرائيلي ان ما تقوم به القوات الاسرائيلية ليس هجوماً كبيراً وانه جاء رداً على انتهاكات وقف اطلاق النار وهو يهدف اساساً الى تحسين المواقع الاسرائيلية حول مطار بيروت.

ـ قال اسحق شامير وزير الخارجية، في واشنطن، ان التقارير الخاصة بالهجوم العسكري مبالغ فيها، «وان اسرائيل ما تزال تفضل تسوية سلمية لاخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان».

ـ وجه الرئيس اللبناني الياس سركيس، عبر المبعوث الامريكي فيليب حبيب، رسالة الى الرئيس الاميركي رونالد ريغان تضمنت احتجاجاً شديداً على ما يحدث في العاصمة بيروت من تقتيل الابرياء وخراب ودمار».

ـ قال الشيخ بشير الجميل بعد زيارة قام بها للرئيس كميل شمعون «بيروت عاصمتنا تحترق... اللبنانيون الساكنون فيها اهلنا يموتون، لا يحق لنا ان نبقى نتفرج على الحريق»... ودعا الى ان يتحمل اللبنانيون مسؤولية انقاذ انفسهم ويضعوا حداً «لمأساة بيروت الغربية» باخراج المسلحين الفلسطينيين منها، ولانقاذ لبنان بخروج جميع القوات غير اللبنانية من الوطن كله.

ـ اصدر الرئيس الاميركي رونالد ريغان، بعد اجتماع عاجل لمجلس الامن القومي، بياناً دعا فيه منظمة التحرير الفلسطينية الى الانسحاب فوراً من لبنان، ودعا اسرائيل الى المحافظة على وقف النار.

كما وجه الرئيس ريغان رسالة الى مناحم بيغن رئيس وزراء اسرائيل طالب فيها بالمحافظة على وقف النار ووعده بان تعمل الولايات المتحدة مستعجلة على اخراج الفدائيين من العاصمة اللبنانية.

ـ عقد مجلس الامن الدولي جلستين رسميتين، بناء على طلب الاتحاد السوفياتي لمناقشة التطورات الناجمة عن محاولة الاجتياح الاسرائيلي لبيروت الغربية.

وقد تقدم الاتحاد السوفياتي بمشروع قرار يدعو الى اتخاذ عقوبات الزامية ضد اسرائيل، إذا لم تنكفىء القوات الاسرائيلية عن مواقعها الجديدة في بيروت الغربية خلال ٣ ساعات.

ـ صرح متحدث عسكري رسمي ان القوات الاسرائيلية خسرت ١٩ قتيلا في المعارك التي دارت حول بيروت امس.

ـ غارة جوية تدمر بناية في منطقة الصنائع تدميراً كاملا يؤدي الى سقوط ٢٥٠ قتيلا وجريحاً. محاولة تقدم على المتحف تتصدى لها القوات المشتركة، قصف مدفعي عنيف على أحياء بيروت الغربية.

ـ استخدمت الولايات المتحدة الاميركية حق النقض (الفيتو) ضد مشروع قرار تقدم به الاتحاد السوفياتي يدعو الى عدم تزويد اسرائيل بالسلاح وعن تقديم اي مساعدات عسكرية لها الى ان تنسحب قواتها من المواقع التي احتلتها منذ الاول من آب.

وقد صوتت ١١ دولة الى جانب القرار وامتنعت كل بريطانيا وزائير وتوغو عن التصويت.



كما تقدمت اسبانيا والاردن بمشروع قرار يؤكد ضرورة فرض عقوبات صارمة على اسرائيل بسبب خرقها قرار الاسرة الدولية، وانسحاب القوات الاسرائيلية فوراً.

وبعد نقاش حاد اجل المجلس جلسته من دون ان يصوت على اي من مشروعي القرارين او ان يحدد موعداً لذلك.

- اصدر مجلس الامن الدولي قراراً، باغلبية ١٤ صوتاً وامتناع الولايات المتحدة الاميركية عن التصويت، دعا فيه اسرائيل الى سحب قواتها فوراً الى مواقعها قبل الاول من آب، والامتثال للقرار رقم ٥١٦ الداعي الى وقف كل الاعمال العسكرية وايفاد مراقبين دوليين واعلن المجلس انه إذا لم يذعن اي من الاطراف المشتركة في الازمة للقرار فانه «سيفكر في اقرار وسائل فعالة تمشياً مع ميثاق الامم المتحدة».

- رفض مجلس الوزراء الاسرائيلي، في اجتماع عقده فور وصول وزير الخارجية اسحق شامير الذي عاد من واشنطن، قرار مجلس الامن الرقم ٥١٦، وقال متحدث باسم المجلس ان الحكومة لن تصدر امراً الى القوات الاسرائيلية بالعودة للمواقع السابقة كما ان المجلس رفض طلب ايفاد مراقبين دوليين.

- تظاهر حوالي ٥ آلاف من الاسرائيليين في سن الجندية في تل ابيب احتجاجاً على الغزو الاسرائيلي للاراضي اللبنانية وطالبوا بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية.

٨ - بيروت والضاحية: تلاحقت منذ الفجر عمليات القصف البحري والبري والجوي وبلغت ذروتها في اشتباك على محاور المتحف - المحكمة العسكرية.

وشمل القصف مناطق الرملة البيضاء، سبينس، الجناح، بئر حسن، محيط المدينة الرياضية، دار المعلمين، السفارة الكويتية، بيوت الضباط، الطريق الجديدة، الفاكهاني،

صبرا، شاتيلا، قصقص، سباق الخيل، الحرش، الطيونة، اطراف الشياح والغبيري، مار مخايل، طريق المطار، حارة حريك، برج البراجنة، بئر العبد، صفير والمريجة.

على صعيد العبور ظل الانتقال متوقفاً في الاتجاهين عبر بوابتي المتحف والمرفأ. فيما سهلت القوات الاسرائيلية عبور غاليري سمعان.

٩ ـ منذ الصباح بدأت البوارج تقصف بيروت الغربية الساعة ٤ بعد الظهر. اغارت الطائرات الاسرائيلية على المدينة الرياضية ومخيم صبرا. الساعة ١٢،٤ دقيقة. قصفت الطائرات الاسرائيلية المنطقة من مستديرة المطار الى شاتيلا.

الساعة ٥،٥ دقائق اغارت الطائرات على الرملة البيضاء ومنطقة الجناح.

الساعة ٣٥،٥ دقيقة جددت الطائرات غاراتها على محيط السفارة الكويتية والمدينة الرياضية وبئر حسن.

الساعة ٥ و ٤٠ دقيقة غارات جوية على محيط قصر رياض الصلح.

بين الساعتين ٦ و ٦ و ٥٥ دقيقة غارات جوية اسرائيلية على منطقة برج البراجنة، المدينة الرياضية، مستديرة المطار، بئر حسن، بناية المشنوق، الرويس، مدرسة القتال، سبينس، حارة حريك.

الجبل: أغارت الطائرات الاسرائيلية على مواقع القوات المشتركة والقوات السورية في مناطق ترشيش وبوارج وجبل الكنيسة.

١٠ ـ بيروت والضاحية: منذ الصباح حلق الطيران الاسرائيلي فوق بيروت والضاحية.

الساعة ٢ بعد الظهر قصف الطيران منطقة شاتيلا فيما بدأت البوارج البحرية قصف احياء بيروت خصوصاً منطقة البربير ـ رأس النبع ـ سباق الخيل. وظل القصف مستمراً حتى ساعة متأخرة من الليل.

البقاع: شن الطيران الاسرائيلي على المواقع السورية في ضهر البيدر.

جبيل: واصلت القوات الاسرائيلية المدرعة تقدمها في اتجاه جبيل وكانت عبارة عن ٤٠ دبابة سلكت الطريق الساحلي.

١١ ـ بيروت والضاحية: يوم عاصف ومحموم من القصف البري والبحري والجوي استهدف العاصمة وضاحيتها الجنوبية في شكل لم يسبق له مثيل، ولم يترك القصف المتنوع الذي بدأ في الساعة ٦ و ١٥ دقيقة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر اي منطقة من المناطق المستهدفة فيها خصوصاً برج البراجنة والفاكهاني ومحيط المتحف وسباق الخيل ورأس النبع وشارع حمد والرملة البيضاء وصولا الى السمرلاند.

الساعة ١٢ ظهراً بدأ الطيران الاسرائيلي غاراته على مواقع القوات المشتركة مدى ساعتين ونصف ساعة وشمل محيطي المدينة الرياضية والسفارة الكويتية وصبرا وشاتيلا والفاكهاني والرملة البيضاء وسبينس وبرج البراجنة ومستديرة المطار والاوزاعي وبئر حسن.

واثناءها قصفت البوارج البحرية مناطق البربير وكورنيش المزرعة ومحلة ابي شاكر والكولا ومحيط المدينة الرياضية وسبينس ومخيم مار الياس والرملة البيضاء وبئر حسن وشاتيلا وصبرا والشياح وبئر العبد وحي السلم.

جبيل: تابعت القوات الاسرائيلية تقدمها



الى تلال اللقلوق والعاقورة وزادت تعزيزاتها في منطقة البقاع الغربي .

١٢ - بيروت والضاحية : على امتداد ١١ ساعة كاملة وخلال ٢٢٠ غارة جوية و ٤٤ الف قذيفة حاولت اسرائيل تدمير بيروت فاسقطت ٥٠٠ ضحية بين قتيل وجريح ، وحطمت ٨٠٠ منزل بينها ٦٠٠ في المخيمات .

بدأت القوات الاسرائيلية قصفها منذ الفجر ، من البوارج البحرية والدبابات ومدفعية الميدان ابتداء من الشاطىء بين الرملة البيضاء وبين الاوزاعي حتى المتحف ومحاور الضاحية الجنوبية .

الساعة ٦ صباحاً بدأ الطيران الاسرائيلي شن غارات على مواقع القوات المشتركة واستمر حتى الساعة ٤ بعد الظهر . مستهدفاً مناطق الفاكهاني والجامعة العربية والمدينة الرياضية والكولا وصبرا وشاتيلا وبيئس والمزرعة والرملة البيضاء والطيونة وتلة الخياط ومحيط السفارة السوفياتية وعائشة بكار والمتحف وميدان سباق الخيل ورأس النبع والروشة . وشارع فردان والريفييرا والمنارة والسان جورج ومنطقة الفنادق وبرج البراجنة ومار الياس وحارة حريك والتحويطة والمهنية العاملية وحي الليلكي كما سقطت قذائف على اطراف منطقة الحمراء .

١٣ - طبق اتفاق وقف النار الحادي عشر على جبهات بيروت والضاحية الجنوبية مما اتيح المجال أمام فيليب حبيب ليتابع مهمته ، فتسلم من رئيس الوزارة الجواب الفلسطيني على اقتراحاته .

١٤ - عاد السفير حبيب الى اسرائيل ناقلا ما آلت اليه المفاوضات في شأن اجلاء المسلحين الفلسطينيين عن بيروت ، بعد ان توصل الى حل لتسليم المنظمة لوائح اسمية كاملة بعدد المسلحين المغادرين وتوقيت دخول القوة المتعددة الجنسيات بيروت .

١٥ - تقوم استعدادات كبيرة لتأمين انتخابات رئاسة الجمهورية في ٢٣ آب لتجنيب البلاد أي فراغ دستوري محتمل .

١٦ - انصبت جهود السفير الحبيب مع جميع الاطراف لتحييد منطقة قصر منصور ووصول جميع النواب لاداء واجبهم الدستوري .

١٧ - تعرض اريل شارون الى مهاجات عنيفة من أكثر الاوساط الاسرائيلية والدولية ، لدرجة ان عدداً كبيراً من الاسرائيليين يطلق على القتال في لبنان تعبير « حرب أريل » .

١٨ - بعدما تبنت الجبهة اللبنانية ترشيح الشيخ بشير الجميل لرئاسة الجمهورية ، وعارضه اجتماع اسلامي ، وتعثرت حماية قصر منصور ، تأجل انتخاب

الرئيس الى ٢٣ آب في المدرسة الحربية.

ـ وافق مجلس الوزراء اللبناني على برنامج انسحاب المسلحين الفلسطينيين وعلى طلب قوات دولية.

١٩ ـ اسرائيل وافقت على خطة الترحيل للمسلحين الفلسطينيين والسفير حبيب أدخل تعديلات اقترحتها.

٢٠ ـ انسحبت اسرائيل من مرفأ بيروت ومحيطه وتسلمها الجيش بعدما تسلمت الأسيرين وجثث ٩ جنود وأنجزت الترتيبات لتنفيذ الاتفاق.

٢١ ـ نفذت المرحلة الاولى من ترحيل المسلحين الفلسطينيين وأبحر ٣٩٧ مقاتلاً الى لارنكا.

٢٢ ـ نفذت المرحلة الثانية من الترحيل وابحر اكثر من الف مقاتل الى تونس بعضهم من لواء عين جالوت في جيش التحرير الفلسطيني ومن القيادات.

٢٣ ـ انتخب الشيخ بشير الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية في الدورة الثانية بأكثرية ٥٧ صوتاً في جلسة اكتمل فيها النصاب وحضرها ٦٢ نائباً في المدرسة الحربية بالفياضية.

ـ أبحر ٧٠٠ مقاتل الى اليمن الجنوبية في المرحلة الثالثة.

٢٤ ـ أبحر ٥٥٧ مقاتلا الى اليمن الشمالية في المرحلة الرابعة.

٢٥ ـ أبحر ٥٠ مقاتلاً ممن لم يتمكنوا من الرحيل في المراحل السابقة.

٢٦ ـ تقرر عقد القمة العربية في فاس في ٦ أيلول.

٢٧ ـ نفذت المرحلة الاولى من انسحاب المقاتلين من بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية براً عن طريق بيروت ـ دمشق الدولية. وغادر نحو ١٣٥٠ عسكرياً من لواء حطين في جيش التحرير الفلسطيني العاملة تحت القيادة السورية.

٢٨ ـ غادرت مرفأ بيروت في طريقها الى طرطوس دفعة ضمت ٧٦٤ مقاتلاً.

٢٩ ـ توجه ١٢٨٠ جندياً من لواء القادسية براً الى دمشق بحراسة ايطالية، فيما غادر ٤٠٤ آخرون بحراً الى مرفأ طرطوس.

٣٠ ـ غادرت الدفعة الاولى من اللواء السوري الـ ٨٥ والمؤلفة من ١٥٠٠ جندياً براً.

ـ غادر ٥٨٨ مقاتلا بحراً الى اليونان، وكان ابرز المغادرين ياسر عرفات وابو الزعيم ومحمود اللبدي.

٣١ ـ بلغ عدد الذين غادروا بيروت وضاحيتها الجنوبية براً وبحراً منذ بدء الانسحاب في ٢١ آب الماضي، ١٤٧٤٩ مقاتلا بينهم ١٦٧ جريحاً وجنود لوائي القادسية وحطين في جيش التحرير الفلسطيني واللواء الـ ٨٥ السوري. وقد تم ترحيلهم الى الاردن والعراق وتونس والبحرين وسوريا والسودان والجزائر، في حين وزع الجنود السوريون في البقاع.

أيلول ١٩٨٢

في ١ منه ـ انتهى ترحيل الفلسطينيين واسرائيل تقلصت قواتها في بيروت.

٢ ـ وجه الرئيس ريغان نداء الى انطلاقة جديدة لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وأعلن مبادرة أساسية للسلام في المنطقة. وشدد على التزام كمب ديفيد زامن اسرائيل داعياً الى الاعتراف بالحقوق

المشروعة للفلسطينيين عبر كمب ديفيد. وان خطة ريغان تقول بانسحاب إسرائيلي كامل من الضفة الغربية وغزة ولكن من دون تحديد موعد لهذا الانسحاب او بارتباط تام بين الاردن وادارة الضفة الغربية. والخطة لا تدعم اقامة دولة فلسطينية مستقلة.

٣ - بدأت قوى الامن تنفيذ الخطة الأمنية لبيروت وضاحيتها بفتح طريق السوديكو وازالة المتاريس من البربير.

٤ - جرى انسحاب اسرائيلي جزئي من بئر حسن وكامل من حي السلم، وتمركز الجيش في ثكنة هنري شهاب والريجي ومحيط كلية العلوم، والدرك انتشر في الضاحية وازال متاريس ومخالفات.

٥ - درايبر تابع في اسرائيل الانسحاب من محيط بيروت، وفي بيروت عادت قوى الأمن الى الفنادق.

٦ - استدعت واشنطن فيليب حبيب، وشارون هدد مجدداً إما المعاهدة أو كيان خاص بالجنوب.

٧ - تراجعت القوات الاسرائيلية من الجناح وبئر حسن، وبدأ الجيش اللبناني انتشاره في الضاحية.

٨ - قام الرئيس المنتخب الشيخ بشير الجميل بزيارة مبنى التلفزيون وألقى خطاباً تاريخياً وأوضح بأنه سيبني دولة العام ألفين، وقال: «بعد اليوم آمل أن أنفذ الثواب والعقاب. فمن يعمل جدياً سيكرم ويرفع ويحترم. وسيقال ان هذا عمل. ومن أخطأ



عن حسن نية سنصلحه بطريقة لبقة. ومن أخطأ عن سوء نية سنقول له: لا مكان لك هنا. لم يعد بالإمكان التسليم بمنطق انه كلما تغيرت حكومة وجاءت حكومة جديدة يأتي الوزراء الأربعة والعشرون بجماعاتهم وضيعهم ليضعوهم في الادارة، فالدولة لم تعد قادرة على تحمل كل فاشل في مهنته وحياته».

٩ - قصفت الطائرات الإسرائيلية لليوم الثاني الصواريخ السورية في البقاع. والقوة الاميركية غادرت، والجيش دخل مخيم البرج.

١٠ - اعلنت القمة العربية الثانية عشرة في ختام اعمالها في مدينة فاس المغربية، خطة عربية للتسوية في الشرق الأوسط، أطلق عليها اسم «ميثاق فاس» وترتكز الى مشروع الملك فهد.

١١ - التقى الرئيس المنتخب الشيخ بشير الجميل الرئيس صائب سلام عند مركيس في بداية حوار على لقاء المصيطبة، وتركيز على التعاون المسيحي الإسلامي وعلى انسحاب كل القوات.

١٢ - صرح الرئيس المنتخب لوفد من البسطة زاره في بكفيا بأنه يأمل ان يرد

الزيارة في ابسطة وألاّ يعود أي غريب على أرضنا.

١٣ ـ تفاعلت قضية اشتباك الجيش مع انصار الثورة واعاد الجيش للسيطرة على منطقة رأس النبع بعد التفجير الذي ارتكبه «انصار الثورة» في ١٣ منه وذهب ضحيته عشرات الجرحى والقتلى وتهديم وتصديع الأبنية.

١٤ ـ حصلت المفاجأة: اغتيل رجل الـ ١٠٥٤٢ كلم²، قبل تسعة أيام من أدائه القسم الدستوري وتسلمه مهماته في سدة الرئاسة الاولى. ففي الساعة الرابعة وثماني دقائق من بعد ظهر يوم الثلاثاء وقع انفجار هائل في مبنى من ثلاث طبقات في الأشرفية: الطبقة الاولى من بيت الكتائب الرئيسي في الأشرفية، فيما كان الرئيس الشيخ بشير الجميل يستعد لإلقاء كلمة في جمهور من المحتشدين كعادته كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع في حضور عدد من مسؤولي الحزب في منطقة الأشرفية. وتبين ان المؤامرة كانت لا تزال مستمرة.

وعلى أثر الاغتيال دخلت القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية واجتاحتها، وحصلت مجزرة في مخيمي صبرا وشاتيلا، وتضاربت الآراء حول عدد الضحايا ما بين ألف وثلاثة آلاف قتيل.

١٥ ـ شيع الرئيس الشهيد في احتفال حاشد الى مثواه الأخير في بلدته بكفيا.

ـ اجتاح الاسرائيليون بيروت الغربية من ٧ محاور، وغطت تقدمها من البر والبحر كان يقوى حيناً ويخف حيناً تبعاً لحجم المقاومة التي واجهتها.

١٦ ـ تابعت القوات الاسرائيلية اجتياحها لبيروت الغربية بعد حرب شوارع.

١٧ ـ مسلحون هاجموا مخيمي صبرا وشاتيلا وتسفوا منازل أصحابها وقدر عدد القتلى فوق الألف قتيل، بعد اقتحام مستشفى عكا وقتل ١٨ من المرضى والأطباء والممرضات.

١٨ ـ تفاعلت ردات الفعل على المجزرة في جميع أنحاء العالم.

ـ من أجل تدارك الفراغ الدستوري عينت جلسة الانتخاب في ٢١ أيلول في الفياضية.

ـ رشح حزب الكتائب الشيخ امين الجميل للرئاسة. وأعلن الرئيس كميل شمعون ترشيحه للرئاسة.

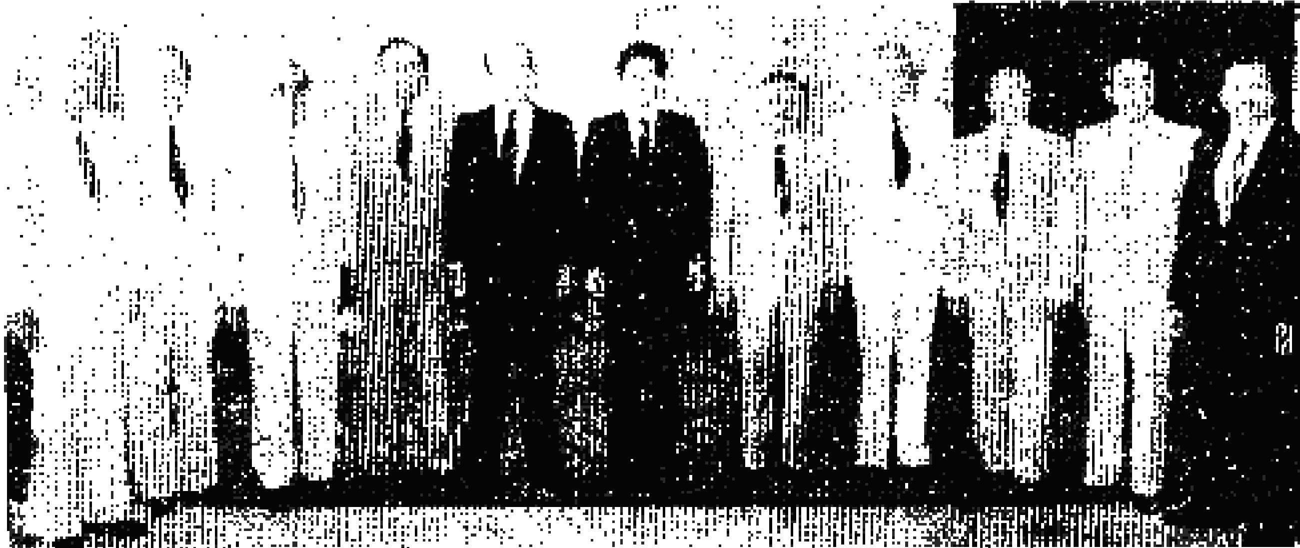
١٩ ـ اللقاء الاسلامي الوطني أيد الجميل.

ـ بدأ الجيش اللبناني التمركز في محيطي صبرا وشاتيلا.

٢٠ ـ رئيس دولة اسرائيل طالب بلجنة تحقيق في المجزرة وبيغن دعا الى جلسة استثنائية اخرى.

ـ انسحب الرئيس كميل شمعون من الترشيح.

٢١ ـ انتخب الشيخ امين الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية بالإجماع.



٢٢ ـ بدأ الرئيس الجديد استعداده لتسلم سلطاته الدستورية.

٢٣ ـ تسلم الرئيس السلطات بعد أن أقسم اليمين الدستورية واعلن ان لبنان يأبى الأنسلاخ ويرفض الارتهان، وانتماؤه الى محيطه العربي خيار حُرّ يحدده واقعه ودوره.

٢٤ ـ حبيب بحث مع بيغن في الانسحاب الكامل واسرائيل اعلنت نقل المعدات من الغربية. والقوة المتعددة الجنسيات تتمركز في المخيمات وبيروت الكبرى.

٢٥ ـ ٤٠٠ ألف تظاهروا في تل أبيب مطالبين باستقالة بيغن وشارون وبلجنة تحقيق في المجزرة.

وفي ٣٠ أيلول دشن الرئيس الجميل توحيد بيروت وفتح المطار وانطلقت مسيرة السلام بانتشار الجيش وقوى الأمن الداخلي في مختلف أحياء بيروت الغربية.

وفي ٧ تشرين الاول ١٩٨٢ تشكلت الحكومة الجديدة على الوجه الآتي:

ـ شفيق الوزان رئيس مجلس الوزراء، وزيراً للداخلية.

ـ الدكتور ايلي سالم نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للخارجية والمغتربين.

ـ روجيه شيخاني وزيراً للعدل والاعلام.

ـ بيار خوري وزيراً للاشغال العامة والنقل والزراعة.

ـ ابرهيم حلاوي وزيراً للاقتصاد والتجارة والسياحة.

ـ بهاء الدين البساط وزيراً للموارد المائية والكهربائية والاسكان والتعاونيات.

ـ الدكتور عدنان مروة وزيراً للصحة العامة والعمل والشؤون الاجتماعية.

ـ عصام خوري وزيراً للدفاع الوطني وللتربية الوطنية والفنون الجميلة.

ـ جورج افرام وزيراً للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية والصناعة والنفط.

ـ عادل حمية وزيراً للمال.

وكانت على الأثر انطلاقة الرئيس الى مجلس الامن الدولي حيث ألقى خطاباً قوطع بالتصفيق عدة مرات ثم ألقى خطاباً في الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة، ثم اجتمع بالرئيس ريغان في واشنطن، وبالرئيس ميتران في باريس، وبالبابا وبرئيس ايطاليا قبل أن يعود الى لبنان ليستعد لجولته في البلاد العربية.

ترقبوا

في الخامس من كانون الأول سنة ١٩٨٢

صدور

العدد السابع من مجلة «العرفان»

وفيه

أول دراسة محايدة عن حرب صيف ١٩٨٢ وجذورها التاريخية

من مواضيعها

١ ـ **لبنان التاريخ في مواجهة لبنان الواقع**: تاريخ الطوائف الدينية منذ الكنيسة الشرقية مروراً بالفتح العربي، وقبل أربعة قرون من التاريخ: لبنان والفينيقيين، الجبل والصليبيين، الامارة الاقطاعية: امارة فخرالدين، الامارة الشهابية، الحركات الطائفية في القرن التاسع عشر، متصرفية جبل لبنان، الدستور وتشريعات الطوائف في لبنان.

٢ ـ **أحداث لبنان عام ١٩٨٢**: على ضوء الرسائل المتبادلة سنة ١٩٥٤ بين بن غوريون وموشي شاريت وإلياهو ساسون: وكيف وضع الثلاثة أسس التقسيم، وكيف خططوا لغزو لبنان.

٣ ـ **وجاءت إسرائيل الى لبنان**: هيروشيما يهودية في بيروت: الارغون زفاي ليوي، شتيرن، هاشومير، غوردوتيا، تسعيري زيون، حشموناتيم، منسودة زئيف، بريت ترومبلدور، البالماخ، الهاغانا. قنبلة «فاكيوم بريشن الارتجاجية»...

٤ ـ **حرب الفضيحة من بيروت المخطوفة**: ثلاث قذائف كل ثانية!!

٥ ـ **الجنون اليهودي يدمر بيروت**: لعبة الموت.

٦ ـ **لبنان في المركبة الأميركية**: هل انتهى دور أمراء السياسة من حكم لبنان والتحكم به؟

٧ ـ **بيروت تعري الجيش اليهودي**: الخاتمة أم البداية؟

العرفان

تصدر مرة في الشهر

[illegible]

تأسست في صيدا سنة ١٩٠٩

العدد الخاص ٧ ـ ٨ [illegible] ١٩٨٢

كلمة

أن «العرفان» في انطلاقتها نحو التطور الافضل تود أن ترافق الاحداث لتقدمها لقرائها عبر التجارب. وقد عمد عدد من الكتاب لوضع دراسة عن الجنوب في مواجهة جيوش الاحتلال. غير أن وضع الجنوب في ظل الاحتلال أهاب بنا لنستأجل نشر هذه الدراسة الى أن يتم الجلاء التام عنه. فأول منطقة محررة من الاحتلال هي بيروت وبيروت أول منطقة تمارس الدولة اللبنانية عليها سلطتها عبر الجيش وقوى الامن وبقية دوائر الدولة.

ونقدم للقراء دراسة عن حرب سنة ١٩٨٢ وخلفياتها وواقعها. كتبها صحفي عاش الصحافة وعاناها. وخاض تحقيقات صحفية من ثورة الجزائر الى ثورة الكونغو فلم تكن قذائف احدث الآلات مدمرة لتثنيه عن عزمه بمواجهتها بقلب شجاع وعزيمة صادقة. لنعيش ريشته بدم الاحداث ليقدم لقراء العرفان تجربة شخصية عن هذه الحرب.

المحرر

المؤسس: أحمد عارف الزين

[illegible]

هاتف: ٢٤٦٦٥٠

[illegible]

[illegible]

ثمن العدد

لبنان ٥ ل.ل. / سورية ٦ ل.س. / الأردن ٥٠٠ فلس / الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات / البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية ٥ ريالات / عمان ٥٠٠ فلس / ابوظبي ٥ دراهم / دبي ٥ دراهم / مسقط ٦٠٠ بيسة / اليمن ٦ ريالات / العراق ٧٠٠ فلس / تونس ٧٠٠ مليم / المغرب ١٠ دراهم

المحتويات

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٤	الجامعة العربية لم تفهم لبنان .	زهير المارديني
٥	مقدمة	د. سليم اليافي
١٣	هذا هو لبنان التاريخ والواقع	زهير المارديني
٢٧	أحداث لبنان عام ١٩٨٢	
	رسائل بن غوريون وشاريت وساسون عام ١٩٥٤	
٤١	هيروشيما يهودية في بيروت	
٥٦	حرب الفضيحة في بيروت المخطوفة	
٦٥	بيروت تعري الجيش اليهودي وتفضحه	
٧٥	الجنرال اليهودي يهمر بيروت	
٨٢	ماذا بعد نزع سلاح المقاومة	
٩٠	لبنان في المركبة الأميركية	
٩٦	ملحق : وثائق عن جذور القضية الفلسطينية تنشر لأول مرة	
	موسوليني حذرنا من الوطن القومي اليهودي	
١٠٢	هذا هو رأي هتلر باليهود	
١٠٨	اللقاء الأخير بين الحسين والحاج أمين	

حروب الآخرين في لبنان :

بقلم ـ زهير المارديني



الجامعة العربية لم تفهم لبنان

.. وأخيراً أقنعت الدكتور سليم الياقي أن يتكلم..

ولكن ماذا عند الرجل ليرويه؟

الفصل الأول من حديثه هو الفصل الأخير..

والقصة الأخيرة هي القصة الأولى..

لقد عاش الدكتور سليم الياقي أحداث لبنان (من فوق) يوم كان في منصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية.. ثم عاشها (على الأرض) في بيروت.

وسمعت منه، مع المرارة والأسى، قصة المأساة اللبنانية، أو على الأصح المأساة العربية في لبنان، وقصص زياراته للعواصم العربية ومباحثاته مع مسؤوليها لإنقاذ ماء الوجه على الأقل بإيقاف الاقتتال.

لم تكن أحاديثه مجرد عبارات إنشائية كعادة أقرانه حين يتفاصحون، بل كانت كلمات كلها تصرخ ألماً، وفزعاً، وخجلاً، و... دموعاً!

كانت حياته مسرحية تنقصها الحبكة.

بدأ المطاف في وزارة الخارجية بدمشق يوم كان الدخول الى الجنة أسهل من موافقة الوطنيين على إدخال أحد اليها، وانتقل بعدها الى السعودية، فارتدى عباءة، وامتطى جملاً، وعمل دبلوماسياً على الطريقة السورية التي كانت سائدة، والقائلة بان سورية هي قلب العروبة النابض.. فالمفوضية السورية في السعودية كانت لكل المناضلين.. لكل المجاهدين.. لكل المؤمنين بالوحدة العربية.. لكل العاملين من أجل فلسطين..

عاد الياقي بعدها الى دمشق ليصبح نجماً متألقاً من نجوم الوطنية والوحدة.

وتقوم الوحدة المصرية السورية فإذا بسليم الياقي يعيش أتراحها، تاركاً لغيره أفراحها.. له الغرم، ولهم الغنم.. ثم جاء الانفصال بعاره فاذا بشعلة الفرح تنطفىء في عيون الوحدويين الحقيقيين على ضربات الهزائم المتسارعة.. وأخيراً انتهى المطاف بالياقي الى المنصب الثاني في الجامعة العربية حيث المسؤول يرى كل شيء، ويسمع كل شيء ويدفن في قفص ضلوعه كل شيء!

(نحن سكوت والهوى يتكلم)

هذا هو التعبير الذي أرى فيه الوصف الدقيق للأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية الذي شهد النكسات تنهمر على وطنه كالمطر ثم تصب بكل ثقلها البغيض في لبنان.

يتحدث فيخيل إليك لأول وهلة أنه إعرابي على باب الله، فإذا اطمأن إليك ـ وقلما يطمئن ـ أفاض ولمست في ثنايا حديثه روح العربي الجريح الذي يجيد الكتمان ويعرف قدر الرجال.

كان له في مأساة لبنان آراء لا أرى من المصلحة الآن إعلانها، لأنني أفضل ان اتخلى عن مثل هذا العمل للرجل نفسه.. كل ما أقوله ان الياقي كان يخفي في أحاديثه معي عن لبنان الكثير من الأسرار.. فهل تنقصه الجرأة؟

إنه يؤثر أن يلاحق (أطفال السياسة) وهم يلعبون بالنار ليتأكد من أنها أحرقتهم بعد أن احرقوا الوطن.. وحين تلح عليه لكي يتكلم يجيبك:

ـ يا أخي ألم تعقل.. لقد انتحرت الكلمة العربية!

زهير



مقدّمـة

بقلم ـ الدكتور سليم اليافي ـ

الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية سابقا

هل تذكر يا صديقي تلك الأيام التي أمضيناها سوية نستمع ونعاني ونتحدث، في البيت والشارع والملجأ، نستمع إلى أصوات القنابل والصواريخ والرصاص بدلاً من البلابل والشحارير؟

نعاني أزمة نفسية حادة ونتنقل، حرصاً على حياتنا من مخبأ إلى مخبأ، ومن ملجأ إلى ملجأ، ومن بيت إلى بيت، ومن شارع إلى شارع نتحدث عما يجري في لبنان، وعما جرى في لبنان سنوات وسنوات . .

نتحدث عن قضية لبنان وعن قضية فلسطين . .

وموسيقى وسمفونيات القصف، ونيران المدافع، وحمم الطائرات اليهودية تلازمنا .

هل تذكر وأجهزة متعددة للراديو في أيدينا نتابع الأخبار ونستمع وننتظر صامتين إلى ما يخبؤه لنا الغد ، وقد أراد الله لنا أن نبقى أحياء ومن معنا لنتابع مشاكل لبنان، ومشاكل فلسطين وعدوان إسرائيل الوحشي ولنحلل هذه المشاكل ومواقف العرب . .

هل تذكر ما كنا نسمعه من إخواننا اللبنانيين عن العرب، وعن جامعتهم، ومن المؤسف أن أحداً لم يكن يتحدث عنهم (بخير) .

لقد كانت أمنيتك أن تكتب عما حدث وتسجله في كتاب، وتكتب عن الخريطة العربية وعن خريطة لبنان في جميع مجالات ما حدث .

وها هو كتابك، طالعته بكل اهتمام، ملبياً رغبتك تقديمه إلى القاريء العربي . . . الذي سيحكم عليك، ولكنني سأقدمه دون تعليق أو مدح أو نفاق . .

سأقدمه بكلمات عن لبنان والجامعة العربية لعلها تتمم وتكمل ما ذهبت إليه من أفكار، وسجلت من وثائق .

يا صديقي الغالي :

إن أحداث لبنان وما تبعها من نكبات ودماء وعدوان أوجدت لدى المواطنين، بعد صمت عربي رهيب، خيبة أمل في منظمتهم التي كانوا يأملون منها كل الخير، ولكن النقمة كانت كبيرة ولم يعد أحد يذكرها (بالخير) بل انصرفوا عن الاهتمام بها أو التحمس لها.

كانوا ينتظرون منها الكثير الكثير، وبقيت لدى الكثير منهم خيوط من الأمل بأن تتحرك أو يتحرك الأشقاء من خلالها، ولكن بقي الصمت العربي مستمراً مما أدى الى هذه النقمة وعدم الاهتمام. والكل كان يتحدث عن الجامعة

ومنظمتهم الدولية الإقليمية سائراً في ركاب من كان يشعر بقلة الحماس لها سواء في المجتمعات الأكاديمية أو السياسية أو المجتمعات الأجنبية بشكل عام، متسائلين أين المجتمع العربي الذي نعيش فيه، أين الإنسان العربي ونحن نشكل حلقة قوية في كيانه وتركيبه.

الكل كان ينتقد

الكل كان يناقش مبررات وجود هذه المنظمة التي لم تستطع أن تضع نفسها في الصورة التي تبعث على تقدير الرأي العام وتحمسه لها، كما عجزت عن اقناع الرأي العام العربي بشكل خاص والرأي العام الدولي بشكل عام بأنها منظمة دولية جادة، وبالتالي كان الجميع يؤكدون ان لا فائدة منها ترجى ولا مستقبل لها.

وكان علي أن أدافع عن هذا الواقع إلا أنني أعترف أنني فشلت في ذلك، وهذا ما يؤكد أن تقويم الجامعة وتقويم دورها تقويماً علمياً موضوعياً وواقعياً أمر من اصعب الأمور، لأن الواقع على الأرض لا يساعد على أن أقوم بمهمة الدفاع عنها وأنا الذي عشت فيها وخيبت طموحاتي وآمالي، كما خيبت آمال وطموحات الكثيرين..

فالجامعة ليست إلا جهازا مشتركاً للدول الأعضاء فيها فاذا لم تتفق كلمة هذه الدول فإنها لا بد عاجزة عن القيام بدورها وتحقيق طموحات ميثاقها، وهي طموحات قبلنا بها بالرغم من ضعفها، فاصبحت نادياً يجتمع فيه الأعضاء وهذا أضعف الإيمان، حتى هذا النادي لم نعطه الطابع القومي ونجعل منه مؤسسة قومية عربية.

والكثيرون، وأنا منهم، يرون إن التبعة والمسؤولية تقع على عاتق الجامعة نفسها، وعلى كاهل أمانتها العامة بصفة خاصة. فهي، أي الأمانة العامة، المسؤولة الأولى عن اعداد العمل الوحدوي العربي وتحقيق التضامن والتكامل وتنفيذ الأهداف المقررة في ميثاقها بالرغم من غموض هذه الأهداف، فمسؤولية إخفاق الجامعة إذن تقع على عاتق الجامعة نفسها قبل أن تقع على عاتق الدول الأعضاء.

وهنا تبدأ الحلقة المفرغة التي لا حدود لها، فالجامعة تلقي التبعة على الدول العربية، والدول العربية تلقي بدورها التبعة على الجامعة، فالدول تنتظر من الأمانة العامة آراء وأفكاراً ومبادرات وجهازها والحمد لله كثير العدد، والأمانة العامة تنتظر، جامدة، من يحركها ومن يقدم لها المبادرات لتتحرك، الأمر الذي يجعل أمر الدفاع عن الجامعة أمر شديد الصعوبة.

* * * * * * *

في لبنان خلافات ونزاعات ودماء وحرب...

ماذا فعلت الجامعة.. ماذا فعل العرب؟!

وقبل أن نجيب على هذا السؤال بشقيه علينا أن نتحدث عن دور الجامعة في تسوية النزاعات وما قد ينشأ عنها من مضاعفات، وما قد تحدث من نزيف دماء..

ما هو هذا الدور؟ دور تسوية ما قد ينشأ من منازعات بين الدول الأعضاء فيها بالطرق السلمية، دور تسوية ما قد ينشأ من منازعات داخل الدول العربية نفسها ذات طابع إقليمي ودولي كما حدث في لبنان خصوصاً إذا ما تحولت إلى صراع مسلح.

وما حدث في لبنان أدى الى تقسيم الجامعة شيعاً وأحزاباً بين مؤ يد ومعارض لكل من الجانبين او الجوانب المتنازعة . . ترى هل أريد لها ذلك . . . ؟

والجامعة ، وهي جامعة دول ، لا تستطيع التدخل في أي نزاع ينشب في داخل أية دولة بحجة عدم التدخل في الشؤ ون الداخلية لهذه الدولة ، تلبية لرأي من يقول بضرورة الحفاظ على سيادة الدول الأعضاء في المنظمة الإقليمية العربية . . وهذا ما حدث في لبنان .

وبالرغم من أنّ ما حدث ليس عملية داخلية بالمفهوم القانوني والدولي لها بل هي عملية ، كلنا نعرف أسبابها ومراميها ومبرراتها . .

إذن :

فالجامعة ، لا تتدخل إلاّ لفضّ المنازعات بين دولتين أو أكثر من الدول الأعضاء (المادة الخامسة من الميثاق) وتتوسط ، من خلال مجلسها في الخلافات التي يخشى منها وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة أخرى او غيرها للتوفيق بينهما وهنا يهمني أن أذكر ان التحكيم والوساطة التي يقوم بها مجلس الجامعة غير ملزمين لأي طرف دون موافقة أطراف النزاع .

وجاءت المادة الأولى من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي (١٩٥٠) تؤ كد ان الدول المتعاقدة ـ حرصاً منها على دوام الأمن والسلام واستقرارها ـ عزمها على فض جميع المنازعات الدولية والإقليمية بالطرق السلمية ، سواء في علاقاتها المتبادلة فيا بينها أو في علاقاتها مع الدول الأخرى .

وأكرر ولؤ كد إن أية وساطة أو تحكيم أو تدخل في تسوية النزاعات العربية هي اختيارية وغير ملزمة ، وتلافياً لهذا النقص والخلل ، حاول مجلس الجامعة إنشاء جهاز قضائي وإقامة محكمة عدل دولية عربية ، فلم تفلح هذه المحاولة حتى الآن بالرغم من ان دراسات ومشاريع عدة لتحقيق إنشاء هذا الجهاز موجودة وترقد ، ناعمة البال ، في خزائن الجامعة .

ويبقى أن نذكر أن ما بقي من هذه المنظمة ، في هذا المجال ، هو العمل الدبلوماسي والاتصالات السياسية مغلفة بالدبلوماسية السرية الهادئة ، وهذا هو الأسلوب المفضل لدى الدول العربية لتسوية المنازعات والخلافات التي تقع بينها ، واستعمال الدبلوماسية السرية الصامتة تحاشياً (لاعلان الفشل) عند حدوثه .

• • • • • • •

ونعود إلى لبنان . .

ونعود إلى سنوات ثماني مضت . .

نعود إلى عام ١٩٧٥ . . . بل إلى عام ١٩٥٧ ، مؤ كدين أن مشروع أيزنهاور كان سبباً من أسباب النزاع بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان ، يضاف إلى هذا رواسب الوحدة السورية المصرية ، وخوف لبنان على استقلاله . . . من أن يذوب في هذه الوحدة . .

وما حدث في لبنان منذ عام ١٩٧٥ كان تمهيداً لاتفاقات السادات وبيغن في (كامب ديفيد) وكان نتيجة لرواسب ١٩٥٧ وللصراع البارد والحار بين الدول العظمى من اجل بسط النفوذ ، وكان أن تبنت دولنا العربية هذا الصراع .

فكان ما كان، وكانت الاضطرابات، والحقد، والنزاعات العقائدية والتمزق الحزبي والطائفي، والتشرذم السياسي لدى جميع الطوائف، وكانت الانتماءات والولاءات توزع هنا وهناك.. وتحول كل هذا إلى حرب أهلية حقيقية، كل طرف يحاول أن يفرض رأيه وسياسته على الطرف الآخر. وتعقدت الأمور إلى أبعد مدى، وهي تتألف من عدة عناصر شرحها الأستاذ المارديني في كتبه عن هذا الموضوع ويتمم الشرح في كتابه الذي أقدمه للقارىء الكريم.

* * * * * *

وبالرغم من أن أحداث لبنان تتسم بالطابع الأيديولوجي والسياسي والطائفي، والوطنية والقومية والعربية والدولية، إلاّ أنها كانت ذات خلفية اقتصادية، وجهت لمصلحة إسرائيل في المقام الأول بقصد تمزيق القوة الاقتصادية والمالية والاجتماعية للبنان، مع اغتيال الفكر فيه تمهيداً للعدوان والغزو والاجتياح والعمل على إزالة المقاومة الفلسطينية من الوجود.

وتفاعلت فيما بينها كل هذه التناقضات الى جانب الصراعات والحزازات والنعرات الحزبية والشخصية والطائفية فكان أن مزقت تيارات التعصب والحقد، هذا البلد وهددت سلامة وحدته.. ونتيجة لذلك حدث خلاف عربي عربي، وارتدى الطابع الدولي، وأخذت الدول الكبرى تغذيه وتساند طرفاً دون آخر في هذا الصراع..

وماذا فعلت الجامعة؟

وهي مشغولة بأكثر من خلاف وحرب ونزاع وصراع، فأهملت كل شيء.. ومن هنا خيبة الأمل.

* * * * * *

عندما بدأت أحداث لبنان وقد عشناها في الأمانة العامة ساعة بساعة ويوماً بيوم ندرس ونحلل ونتابع.. وأذكر مرة أثناء اجتماعنا الأسبوعي - الأمين العام مع مساعديه ومستشاريه - لبحث هذا الموضوع بعد أن تفاقم الوضع وبدأت الدماء تسيل، اقترحنا على الأمين العام أن يتدخل فوراً، وعلى الأرض، ويحاول إيقاف هذه الحرب وإبعاد لبنان عن التدخل الخارجي وتدخل الدول الكبرى ومحاولة جمع الأطراف المتنازعة لحل خلافاتها... ولكن الأمين العام رأى أنّ الدول العربية ما زالت تعيش في جو الصراعات والخلافات منذ استقلالها، وهذه حلقة من حلقات الصراعات العربية التي نعرفها، وإن أي تدخل يتطلب مبادرة عربية من إحدى الدول أو بقرار من المجلس..

وأذكر ان النقاش تركز بين المجتمعين على ضرورة التدخل واتخاذ المبادرة الفورية وعدم انتظار المجلس وقراراته خصوصاً وأن ما قاله كان صحيحاً من حيث أن الدول العربية تعيش في الخلافات التي تزداد يوماً بعد يوم، وأن الجامعة هي المرآة لهذه الخلافات.

وكان رأيي أن عدم التدخل وقبول هذه النظرية هو تخلف الجامعة عن القيام بواجبها تجاه الدماء التي تنزف، وإذا كانت الجامعة هي مرآة فلا ضرورة لوجودها، أو لا مبرر لاستمرارها، وعليها أن تثبت وجودها..

وتوقف البحث ولم يتدخل الأمين العام إلاّ بعد أن استمزج وحصل على موافقة الدول العربية وكان أن سافر، بعد تردد، إلى بيروت، ثم أوفد ممثلاً شخصياً، ثم عمل على إنشاء قوة رمزية للرقابة.

وأخفقت الجامعة في تسوية الخلاف، وأضاعت فرصة ذهبية لاثبات وجودها واستعادة ثقة الأمة العربية بها.

ولم تنجح هذه القوة في فصل الأطراف المتنازعة إلاّ بعد أن تم تدخل القوات السورية والعربية في لبنان.

وبهذا فقدت الجامعة صفتها وهويتها القومية وعادت مؤسسة موظفين.

وهنا لا بد لي من أن أعترف أن الجامعة اسهمت بأجهزتها المختلفة في الماضي، في تسوية بعض الخلافات، ولكن ما تم جاء عن طريق الجهد الشخصي للأمين العام، أو لغيره من كبار مساعديه في الجامعة (قضية اليمن مثلاً) . .

إلاّ أن الجامعة ما زالت تعيش في جو المحاور والتكتلات والتأثر بالحرب الباردة بين المعسكرين الكبيرين، وبالحرب الباردة أو الساخنة بين الدول العربية نفسها، ساخنة إعلامياً وسياسياً وايديولوجياً، وهي تنظر (بخجل) الى الخلافات العربية دون أن تقتحم هذه الخلافات، أو تحلل أسبابها ومبرراتها الأمر الذي يعقد مهمة الجامعة في تسوية ما يعرض عليها من منازعات محلية أو عربية ويجعلها صعبة وعسيرة سواء على المستوى الداخلي المحلي، أو المستوى الإقليمي العربي، أو المستوى الدولي .

وارتبطت المشكلة اللبنانية بالمشكلة الفلسطينية لوجود المقاومة، كل المقاومة على أرض لبنان، وكان أن تعقدت الأمور أمام الجامعة . . فهل تعمل على حل المشكلة اللبنانية أم القضية الفلسطينية . . وهل يعتبر حل الأولى مدخلاً لحل الثانية أم العكس؟

وهكذا عاش لبنان سنوات ثمان من القتال والدمار والحقد إلى أن جاءت إسرائيل غازية معتدية، تعرف ما تريد من لبنان . . وهكذا ضاع الإنسان العربي في فراغ ومتاهات الخلافات وعجز الجامعة عن التصدي لحلها وأخفقت الجامعة لا في تجنيب لبنان الكثير من المآسي وأن تحميه من تفاقم الصراعات التي تهدد كيانه، بل أخفقت في حل كثير من الخلافات في الوطن العربي الكبير . .

وسبب ذلك أن الجامعة لم تدرس مشكلة لبنان، وأعماق المشكلة وخلفياتها التاريخية البعيدة والقريبة، ولم تدرس أو تحلل الكيان اللبناني . . والمجتمع اللبناني . . وتركيبته، حتى أنها لم تتذكر كلمة قالها الشيخ بشارة الخوري :

(إن طريقة الحكم في لبنان تختلف عنها في العالم بأسره)

وكل ما أرجوه هو أن يقرأ هذا الكتاب المسؤولون في الجامعة ليفهموا هذه المشاكل والخلفيات لعلهم يستطيعون أن يعملوا لتدارك ما فاتهم ويستعيدوا ثقة الأمة العربية بهم .

• • • • • •

كثيرون هم الذين يجهلون تاريخ لبنان وتطوره ونشوءه وسكانه وقبائله ـ مع تأكيدي على هذا التعبير ـ وكثيرون لم يفهموا لبنان ومن هؤلاء جامعة الدول العربية . . ومسؤوليها . .

كثيرون لم يدرسوا تاريخ لبنان ومشاكله وخلفيات هذه المشاكل وهي ذات طابع تاريخي وسياسي وعرقي وديني، وصلة هذه المشاكل بالقوى الكبرى وبإسرائيل وبالقضية الفلسطينية وبالعرب وبالقومية العربية . .

كثيرون لم يدرسوا الوثائق الصهيونية، ولعلهم لو فعلوا لوجدوا أن مطامع إسرائيل في لبنان . . كل لبنان . . سابقة لمجيء الفلسطينيين إليه، وسابقة لبروز المقاومة كقوة عربية بدأت تصارع إسرائيل وتتحداها . .

حتى أن الكثيرين لم يدرسوا أسباب ما حدث في لبنان منذ ١٩٧٥، أو ما حدث في ١٩٥٨ ولم يحللوا إتساع الخلافات والمعارك وعدم التوصل إلى الوفاق المنشود، والخطر الذي يهدد ـ وما يزال ـ لبنان والذي تحقق بالغزو والاجتياح الصهيوني . .

كثيرون لم يركزوا على ارتباط سياسة لبنان الخارجية بأوضاعه الداخلية أكثر من ارتباط اية دولة أخرى بتلك

الأوضاع. ولم يعرفوا كيف تتفاعل في لبنان سياسات مختلفة ولكل منها وسائلها الخاصة والتي التقت عند هدفين:

أولهما مصلحة الطائفة التي ينتمي إليها واضعو ومنفذو السياسة وقد ذهبوا في ذلك خارج حدودهم وادعوا تمثيل الطائفة في المنطقة كلها..

وثانيهما العوامل الاقتصادية، لأن لبنان ينظر الى العالم الخارجي وعلاقاته به من خلال منظار الاقتصاد اللبناني. هذا مع الحرص على أن تكون له سياسة تقليدية هي الحرص على إيجاد علاقات ودية مع جميع الدول، بمعنى آخر إقامة نوع من الحياد الأمر الذي جعل منه ملجأ سياسياً واقتصادياً لكل العرب، ولا ننسى أنه بالرغم من وجود عشرات الطوائف الدينية في لبنان، وعشرات الأحزاب السياسية فقد اتبعت الدولة في لبنان سياسة ودبلوماسية ذات اتجاهين عربي، وغربي، فعملت على إرضاء بعض من هذه الطوائف والأحزاب.

وقد سبق ان قال الكاتب (كيبلنغ):

(إن الشرق شرق والغرب غرب، ولن يلتقي التوأمان أبداً)

إلا ان السيد إميل البستاني أضاف الى ذلك في كتابه (زحف العروبة): لقد أخذ نصف لبنان على عاتقه أن يثبت صحة النبوءة بينما صرف النصف الثاني كل اهتمامه الى إقامة الدليل على كذبها.

ولئن كان لبنان متمسكاً بالأمم المتحدة، فإنه كان يرى أن الميثاق يضمن له استقلاله وسيادته كما يضمن استقلال كل عضو من أعضاء المنظمة، ولهذا حاول الابتعاد عن أي تكتل عسكري أو أجنبي، أو الانضمام الى أي حلف، وعدم انحيازه الى أي تكتل عربي، جزئي أو شامل، وبالتالي يرى أن صيانة استقلاله وهو حريص عليه، تعتمد على دعامتين:

الأولى الضمانة العربية الجماعية

والثانية الضمانة الدولية..

وعلينا أن لا ننسى أن طبيعة تكوين المجتمع اللبناني تملي عليه هذه السياسة وهذا الحرص على سيادته إذ ان التنوع والتناقض في هذا المجتمع يمليان عليه كدولة اتباع هذا السياسة، وهذا ما جعل لبنان يتسع لمختلف الآراء والعقائد السياسية الاجتماعية. وكما قلنا فإن للبنان سياسة عربية لا بد من اتباعها لكونه يعيش في المحيط العربي ولكونه جزءاً من المجتمع العربي، وقد تاجر الكثيرون في لبنان وخارج لبنان بالعروبة، وبالطائفية وبالعقائد الدينية والسياسية الأمر الذي أدى الى إضعاف دور لبنان العربي..

.. وجاء ميثاق ١٩٤٣ فأكد على وجه لبنان العربي، إلا ان الطائفية والمؤامرات على لبنان من الداخل والخارج مزقت وشوهت هذا الوجه، وبدأنا نسمع شعارات تقف بوجه الشعارات العربية، وظهرت فكرة القومية اللبنانية والفينيقية..

إلا ان الكثيرين نسوا أو تناسوا أن لبنان لا يمكنه أن يعيش إلا في المجتمع العربي إذ أن رأس ماله: هو المناخ والهواء والجبال والماء والعلم والاقتصاد والمال والتجارة، نسوا أو تناسوا أن زبائن لبنان في تقوية رأس ماله هم العرب، والعرب وحدهم، وأن توثيق علاقاته مع العرب يجعله يربح الكثير ولا يخسر أبداً..

كما أن الكثيرين نسوا أو تناسوا أن مصلحة لبنان الحياتية والمادية والحفاظ على كيانه ووحدته مرتبط، كل هذا، ارتباطاً وثيقاً بالمصلحة العربية، هذا بغض النظر عن الروابط التقليدية والتاريخية التي تربطه بالوطن العربي، الأمر الذي أدى الى تقوية التيار المعادي وازدياد المؤامرات عليه..

ونسي الكثيرون أن لبنان كان في طليعة الذين ساهموا في قيام جامعة الدول العربية بعد وضع ميثاقه الوطني، ومن خلاله شرحوا سياستهم العربية وأوضاعهم الداخلية، وبالتالي ركز ممثلو لبنان عند وضع ميثاق الجامعة على ضرورة إضافة ملحق اقترحه الوفد اللبناني يؤكد على استقلال لبنان وعدم المساس به بأي حال من الأحوال، هذا مع التأكيد على وجه لبنان العربي.

نسي الكثيرون إخلاص لبنان للجامعة التي أخلصت له، وساعدته على استقلاله وقدم لها كل ما يمكنه، ووصل به الأمر الى أن يلعب دور الوسيط في كثير من الأحيان بين الدول العربية، والأكثرية الساحقة من اللبنانيين سؤولين كانوا أم مواطنين على اختلاف ميولهم تؤكد دوما على وجه لبنان العربي، وتجمع على ضرورة بقاء هذه المؤسسة القومية والتعاون بين العرب من خلالها وإن اختلفت نظرتهم الى مدى هذا التعاون واعتباره دعامة لاستقلال بلادهم.. ولكن الجامعة بعد أن توسعت مشاكلها انتهى بها الأمر الى أنها أصبحت مجرد جمع شمل حكومات مختلفة فيما بينها فأهملت لبنان.. وأهملت كثيراً من القضايا والاهتمام بإيجاد الحلول لها، والجامعة كما قلنا سابقاً هي المسؤولة بالدرجة الأولى..

ولعلها تصحو..

لعلها تصحو بعد ان تأكد الكثيرون أن الجامعة ليست الأداة التي تعين العرب في هذه المرحلة الشائكة والحاسمة والمصيرية في تاريخهم الحديث، ويجب أن تعمل وتبادر وتتخلى عن دورها كصدى ومرآة للخلافات أو للعمل المشترك للأعضاء المكونين لها.

الا نرى أن كثيراً وكثيراً جداً من الأعمال الهامة في الوطن العربي تتم بعيداً عن الجامعة العربية وخارج نطاقها..

إنني لا أدعو كما دعا الكثيرون الى إعفاء الجامعة من نشاطها السياسي وأن تكتفي بتنسيق النشاط الثقافي والاقتصادي والاجتماعي.. بل ادعو الى إحياء هذه المنظمة وإعطائها الزخم المطلوب وتقوية قدراتها، لأن تبقى افضل صيغة لجمع الشمل، ولمّ الشعث ووحدة الصف.

* * * * * *

اخي الأستاذ زهير

لقد أطلت ولدي الكثير مما أقول وأضيف فعذراً.. وأنت تعرف بعض ما أحمله لك من محبة وتقدير وهي عواطف رسختها في نفسي معرفتي الوثيقة بك وما زادتها الأيام الا قوة.

وفي كتابك الجديد هذا، وهو يتمم سلسلة كتبك عن لبنان، تعيد إلى الذاكرة، ذاكرة العرب، كل ما نسوه أو تناسوه.. وهذا الكتاب الذي تضعه بين أيدي قرائك الكثيرين، يشرح معظم المشاكل في لبنان ويبين اسبابها ومبرراتها والتي لا تقود الى وضعه الطائفي وتعدد الطوائف فحسب بل إلى نظرة الشك والحذر التي تنظر بها كل طائفة الى الطائفة الأخرى، الأمر الذي أدى الى حيرة الحكم بين انتماء لبنان الى العروبة أو الى الغرب، أو الى الشرق، فوصل إلى حد ان اتهمه الكثيرون بالعجز والتقصير..

لقد ذكرت الجميع بتاريخ لبنان ومشاكله، وأكدت أن لبنان يجب أن يبقى من صنع اللبنانيين أنفسهم وتعاونهم مع إخوانهم العرب تجاه المؤامرات والانتكاسات، ويهمني ان أؤكد أن الكيان اللبناني هو من أبرز الأمثلة في تاريخ الشعوب الذي أثبت إمكانية إيجاد مجتمع من جماعات مختلفة، وطوائف متعددة، وكان التعايش بينها ولقاؤها الصادق

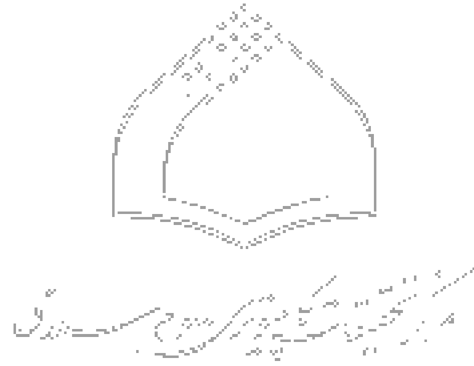
مصدراً لوحدة الأهداف والمصالح، وهذا ما يدعو الآن، وفي هذه الظروف الصعبة التي يعيشها لبنان إلى ضرورة ضم الجهود وتنسيقها والوقوف بوجه المؤامرات.

ولقد أثبت كل ذلك وطرحت القضية..

فهل يقرأ العرب؟

وهل يتحركون ويعلمون أن أي شيء يمس لبنان سيؤثر عليهم ويغير الخارطة العربية بكاملها.

سليم الياقي



هذا هو لبنان التاريخ والواقع

شجرة أرز خضراء . .

وزمردة كجنون الربيع

و(كتلة) ثلج بيضاء، بيضاء . . .

هذا هو لبنان الذي شاءت أقداره أن (يذبح) إرضاء لشهوات محلية وعربية ودولية . .

ولكن، والحديث يجري الآن عن لبنان، فإن كل مواطن يريد أن يتعرف على حقيقة هذا البلد بعيداً عن صخره المرد وثلجه وشطآنه، ومياهه التي تصفع وتداعب وتركض ثم ترتد على الشواطيء. فهل بالإمكان أن نقفز من فوق غواية الخلاف الحزبي، والتجارة، والاقتصاد، لنصل إلى السؤال الذي يبحث عنه الجميع وهو:

ما هو حقيقة الوضع اللبناني الذي تعددت فيه الطوائف الدينية منذ القدم وتوازنت ومهرته بطابع فريد يضحو فذاً اذا رددناه الى اطار طبيعي وفصلناه عن السياسة: وطرحنا السؤال الرئيسي :

هل لبنان تجمع طوائف أم شعب واحد؟

فإذا وصلنا إلى هذا السؤال، فاننا ولا شك، نريد معرفة الجواب عليه بموضوعية وروح علمية . . بعيداً عن المزايدات والتشنجات والمبالغات التي تصور الصيغة اللبنانية كنموذج فريد من نوعه . . .

قبل أن أقتحم محاولة البحث عن جواب لهذا السؤال عكفت على قراءة معظم المؤلفات التي صدرت عن لبنان وتاريخه، ومنها كتاب الدكتور ادمون رباط (التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري)، ومعظم ما كتبه العديد من الباحثين (جواد بولس، يوسف ابراهيم يزبك) والعديد من المؤرخين الذين تناولوا هذا الموضوع بحياد علمي . . وما أرويه هنا إنما هو نتاج ما قرأت واطلعت وسمعت . . .

هذا اللبنان . !

مما لا شك فيه أن النظام الطائفي في لبنان، إنما هو نتاج لنمط حياة جماعية عاشت خلال قرون في الدولة الإسلامية . .

فالدولة الإسلامية، وفقاً للآيات القرآنية، هي دولة يشكل الدين أساسها، ويكوّن اللحمة بين مواطنيها، إلاّ أنها، وإنطلاقا من حرية المعتقد في الإسلام (لا إكراه في الدين)، تؤمن صيغة للتعايش بالنسبة لغير المسلمين فيها. فأهل الكتاب، الذي رفض النبي دائماً اعتبارهم من الوثنيين أو الكفار، يستطيعون الاستمرار في دينهم ومعتقداتهم دون أي إكراه، وقد شكلت الاتفاقات التي عقدها النبي في تعامله مع المسيحيين أساساً لنظام تعايش الطوائف (اليهودية والمسيحية) في ظل الإسلام، فتميز بالتالي في الدولة الإسلامية، وخلال مجمل تطورها التاريخي، نوعان من المواطنين:

١ ـ المؤمنون. .

٢ ـ أهل الذمة، أي الذين وضعوا تحت ذمة النبي في حياته «من أذى ذمياً فقد آذاني، ومن آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة» ومن ثم في ذمة الإسلام وضميره بعد وفاة النبي.

فتعايشت بالتالي خلال قرون التجمعات المسيحية واليهودية مع جماهير المسلمين، دون الانصهار معها في تضامن عام يشكل مفهوم الوطن الحديث (كما عرفته أوروبا)، وكانت تحكمها قوانينها الخاصة التي تعنى بتطبيقها مراجعها الدينية المختصة، بكل ما يعني ذلك من تكوين ذهنية وتقاليد. إلاّ أن هذا النظام لم يقتصر فقط على الطوائف المسيحية واليهودية، بل تعداها فعليا إلى كل المذاهب المتفرعة عن الإسلام الأم التي كانت تسمح لها ظروف حياتها في جبال وعرة ومنعزلة من ممارسة معتقدها وتطبيق قوانينها دون أن تعترف لها الدولة بذلك. . . وقد عرفت هذه الحالات في بلدان كثيرة منها (سورية، سنجار، وكردستان) وطبعا لبنان.

فوجود وتعايش ست طوائف رئيسية مختلفة في نقطة جغرافية ضيقة كلبنان، هو إذاً نتاج قرون من التطور الديمغرافي والاجتماعي في ظل دول إسلامية مختلفة (من الأمويين والعباسيين، إلى المماليك وأخيراً العثمانيين) حمت جميعها خصوصيات الملل وقوانينها الخاصة.

وتعود استقلالية الطوائف هذه إلى ممارسة للسلطة والحكم ورثها لبنان عن الدول الإسلامية. .

فالمتتبع للممارسة السياسية اللبنانية الفعلية يرى أن الفكرة التي قام عليها الدستور في أوروبا، وهي فكرة وضعية القانون واستقلال السلطة العامة عن الأشخاص هذه الفكرة غائبة تماماً، وغيابها يعود إلى أن الأمبراطوريات والممالك الإسلامية التي عاش الشرق العربي «الشرق الأدنى» في كنفها، لم تكن تعرف هذه النظرة الأوروبية الحديثة إلى الدولة وإلى الحكم، فبعد حكم الخلفاء الراشدين حيث كان للمبايعة دور (إشراك الجماهير باختيار رأس السلطة) كان الحكم طيلة خمسمائة سنة من خلافة الأمويين والعباسيين، مطلقا، يستطيع فيه الخليفة التصرف كما يشاء، ومن ثم أصبحت السلطة السياسية في عهد المماليك للقوة العسكرية المحضة، وهي مرتبطة بأهواء الحاكم.

وهكذا نرى أن الطريقة التي عولجت بها مشكلة الحكم في صدر الإسلام مدرسة في الحكم، والنظام الذي توصل إليه أهل ذلك العصر كان نظاماً فاضلاً قام على قواعد سليمة مستندة إلى حقائق الأشياء وطبائع البشر وحاجات زمانهم، وكل زمان، ولو احترم الحكام فيما بعد مبدأ الشورى وقاعدة الانتخاب لما وقعت الفتن فيما بين الناس، وقد دلت تجارب الأمم على أن الحكم الديمقراطي لا يستقيم إلاّ إذا وجد ضمن الديمقراطية فئة مختارة ممتازة معدة للقيادة والتوجيه. ومن هنا يتضح أن الممارسة الخاطئة للحكم هي المسؤولة عن عدم انصهار الشعوب والأديان المختلفة التي تجاورت خلال قرون في الممالك الإسلامية، وهي بالتالي إحدى الأسباب الرئيسية لتدهور سلطنة العثمانيين السريع، فبينما كانت

الدول الاوربية قد وحدت شعوبها من خلال المؤسسات المشتركة التي كانت تحكمها، لم تستطع السلطنة العثمانية هضم التناقضات الطائفية والسياسية والقومية بين مواطنيها، وكان وضع (أهل الذمّة) النقطة الرئيسية التي استطاعت أحياناً الدول الأجنبية التدخل من خلالها في شؤ ون السلطنة. . حتى إذا أقدمت الدولة العثمانية على الإصلاحات المستوحاة من القوانين الغربية الحديثة ـ اصلاحات فترة ١٨٣٩ ـ ١٨٥٦، وفرمان ـ ١٨٥٦ ـ ومن ثم دستور ـ ١٨٧٦ ـ أتت هذه الإصلاحات، وهي تسبق بذلك الدولة اللبنانية التي تتواكب فيها العصرنة المفرطة مع النظام الطائفي، أتت هذه الإصلاحات لتدعم نظام الملك وتؤ كد على حمايته، وفي الوقت نفسه الذي تعلن فيها المساواة بين كل المواطنين على حد سواء. . كما جاء في الدستور العثماني الإصلاحي، نجد أن التطبيق يختلف فيفرق بدلاً من أن يجمع. . من هنا يظهر أن لبنان من حيث تركيبه السوسيولوجي الطائفي والنظام السياسي المستند إليه، إنما هو نظام نشأ على تراكم الأخطاء، وتجاهل المشاكل واعتماد القوة في مواجهة الاضطرابات والثورات التي تنشأ.

تاريخ الطوائف الدينية

إن وجود طوائف مسيحية متعددة يعود ولا شك إلى الانقسامات التي مزقت الكنيسة الشرقية، وقد حصلت الإنقسامات هذه على ثلاث موجات:

في القرن الخامس نشأت الكنيسة النسطورية ومذهب أحادية طبيعة المسيح، وبعدها، في القرن الحادي عشر حصلت القطيعة النهائية بين بطريركيات الروم الارثوذكس والكنيسة الغربية (روما).

وأخيرا، حصلت داخل الطوائف الشرقية موجة انقسامات انطلاقا من القرن السادس عشر، وغرضها العودة الى كنف الكنيسة الغربية.

أما حول تمزق الكنيسة الشرقية في القرن الخامس، فمرده خلافات لاهوتية حول طبيعة المسيح تدعمها في الوقت نفسه تناقضات سياسية واجتماعية عنيفة بين مصر، سورية، وأرمينيا من جهة، وروم بيزنطة من جهة أخرى. . . تشكلت من جراء هذه الخلافات خمس طوائف مستقلة عن كنيسة بيزنطية تؤ من بأحادية طبيعة المسيح، أي بمذهب إدانة المجمع المسكوني في عام ٤٥١، وتعبر عن التطلعات القومية للشعوب الخاضعة لسلطة الامبراطورية البيزنطية لتستعمل اللهجات المحلية في الطقوس الدينية، أي القبطي في مصر، والسرياني في سورية، والأرمني في أرمينيا. ونشأت الطائفة المارونية في الوقت نفسه تقريباً حول ناسك قديس يتعبد الله في دير قرب حماه، ودخل أتباع مار مارون في خلاف مع الكنيسة السورية التي نشأوا في كنفها، فانشقوا عنها بعد أن لاقوا الاضطهاد من المسيحيين السوريين، وانشأوا بطريركية مستقلة. .

. . وجاء الفتح العربي

إن الوثائق التاريخية المحفوظة في الأديرة تشهد على أن جميع الطوائف المضطهدة في ذلك الوقت، رحبت بالفتح الإسلامي، وهناك شهادات عديدة من رهبان ورجال دين تؤ كد هذا الترحيب، وقد أدى الفتح الإسلامي إلى تكريس تجمع المسيحيين في طوائف مستقلة ومتماسكة يحمي وجودها القانون. . . فعاشت حياتها وتقاليدها الخاصة التي بدأت في القرن السادس عشر الحركة الكبرى للعودة إلى حظيرة روما (انضم الموارنة إلى روما منذ الحروب الصليبية)، وذلك تحت تأثير البعثات الدينية الآتية من فرنسا، ومن ثم تدخل روسيا التي جعلت نفسها حامية للروم الارثوذكس.

أما بعد الدولة العثمانية، فقد دخلت الطوائف المسيحية الثمانية عشر في الشرق في القوميات. ونشأ في لبنان وحده نظام طائفي شجعه الانتداب، كما شجعته عوامل مختلفة منها الهجرة الأرمنية إلى لبنان، وهجرة المسيحيين لأسباب سياسية من سورية والعراق ومصر..

هذا عن تاريخ الطوائف المسيحية، أما عن تاريخ الطوائف الإسلامية:

فالسنّة لم يتحولوا الى طائفة إلا في عهد الانتداب حيث فعلوا ذلك في البداية مكرهين، لأن المسلمين السنّة كانوا يشكلون في عهد الأمبراطوريات الإسلامية والعثمانية لحم الدولة الحي. وتاريخ الدروز والشيعة الذين شكلوا طوائف فعلية منذ قرون، غير مكتوب، نظراً لأن الدولة الإسلامية لم تعترف لهم بكيان مستقل.

ويتلخص وضع الطوائف الحالي في لبنان في وجود إحدى عشر طائفة مسيحية تتوزع بين الكنيسة الشرقية والغربية، وثلاث طوائف إسلامية، هذا بالإضافة الى الطائفة اليهودية.

إن استعادة هذا التاريخ هام ولا شك، لأنه يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هجرة الموارنة من سورية إلى الجبل اللبناني إنما جاء نتيجة اضطهاد الكنيسة السورية الشرقية، وليس النظام الإسلامي. أما عن سيطرة الإسلام، فالماروني يبرر وضع أهل الذمة كمواطنين درجة ثانية، بينما يتجاهل أن الشيع المتفرعة عن الإسلام لم تكن حتى تتمتع بحق الوجود ككيانات مستقلة..

الدستور وتشريعات الطوائف في لبنان

صيغت التشريعات الحالية للطوائف اللبنانية خلال مرحلتين:

في عهد الانتداب حيث أكدت السلطة النظام الطائفي ورسخته، كما مدته من جهة أخرى إلى التجمعات الإسلامية التي لم تكن تتمتع به بعد، ومن ثم في عهد الاستقلال. فقد جمد ميثاق ١٩٤٣ التناقضات فترة من الزمن، وجاءت الممارسة لتضع المشكلة عارية امام الحكم.

إن الدستور الذي منحته سلطة الانتداب للدولة اللبنانية في عام ١٩٢٦ لا يلعب فعلياً ضمن هذه التشريعات إلاّ غطاء لبنية تحتية من القوانين اللاحقة. فهو يكرس في مواده (٩، ١٠،) وخاصة ٩٥ الطائفية السياسية، إنما الأنظمة الداخلية الفعلية للطوائف التي تكرس تقوقع كل طائفة على نفسها، باعتبارها كياناً سياسياً فعلياً، وتمنع حركة تدامج المجتمع اللبناني، أتت فيما بعد في قوانين لاحقة.

المادة التاسعة من الدستور تضمن وجود النظام الطائفي، كما تبشر أيضاً بتصميمه ـ المادة العاشرة، في معرض تحدثها عن التعليم في لبنان، تؤكد على حق الطوائف في مدارس خاصة لها. ولكن النص الذي يمثل الوجه السياسي للطائفية هو نص المادة ٩٥ حيث يحكي عن التوزيع الطائفي (العادل) في الوظائف العامة وفي تشكيل الوزارات. هذا الإجراء تعتبره المادة نفسها موقتاً، إلا أنها لا تضع له أي حد إلا الإساءة لمصلحة الدولة، مما جعل التوزيع يمتد إلى كل مرافق الدولة، في الوضع الحالي.

وقد لعب الانتداب أيضاً دورا هاماً في التشريعات الخاصة بالطوائف. إذ فكرت فرنسا منذ بداية انتدابها بوضع

نظام عام للطوائف الموجودة في سورية ولبنان على حد سواء، إلاّ أن مشروعها هذا إصطدم بصعوبة تحويل وعي أفراد الطائفة السنية إلى وعي طائفي، وذلك بسبب وعي الإسلام السنّة لكونهم جوهر الدولة وأساسها في الدولة الإسلامية والعثمانية. وقد دخل الشعور الطائفي الى الإسلام السنّة في لبنان حين شعر هؤلاء انهم معزولون بين أكثرية مسيحية فاعلة وقد قطعت جميع العلاقات التي تصلهم بالسنّة في الخارج.

ويبدو أن مشروعاً لتنظيم وضع الطوائف القانوني قد رأى النور في سنة ١٩٢٦، وكان يحد من صلاحيات المحاكم الطائفية، كما إنه كان يتوقع إقرار الزواج المدني. وقد رفض بسبب معارضة الطوائف بأجمعها له، أما القرارات التي أصبحت نافذة فهي:

القرار رقم ٦٠ الذي عدله القرار رقم ١٤٦، وحدد الأول في عام ١٩٣٦ بينما حدد الثاني في عام ١٩٣٨.

لقد شكلت هذه القرارات تحولاً فعلياً في النظام الطائفي الموروث عن السلطة العثمانية والمعمول به منذ قرون.. إذ أنها وحدت المستوى بين أهل الذمة والطائفة السنية المهيمنة في الإسلام، كما كرست (حرية المعتقد) بشكل مطلق. هذه الحرية كانت موجودة في الإسلام، فقد كان ممنوعا على المسلم اجبار أهل الذمة على اعتناق الإسلام، كما كرس القرار رقم ٦٠، حق أي شخص في الخروج من طائفته والدخول إلى طائفة أخرى.

أتت المعارضة الفعلية لهذه القرارات في سنة ١٩٣٩ حيث أحدثت ضجة كبيرة في دمشق، في الأوساط الإسلامية، وكانت أجواء اوروبا تتلبد بغيوم الحرب العالمية الثانية، فاضطر حينئذ المفوض السامي (غبريال بيو)، خوفاً من الهياج الشعبي، لايقاف مفعول القرارين بالنسبة للمسلمين وحصره في الطوائف التاريخية فعلاً، أي المسيحية منها واليهودية.

أكملت عهود الاستقلال ما أرساه الانتداب فكان قانون ٢ نيسان ١٩٥١، وقد صيغ كتنازل لرؤساء الدين المسيحي بعد تعديل الدستور لجهة التمديد لبشارة الخوري. وهو يحدد صلاحيات رؤساء الطوائف ونظامها الداخلي بالنسبة للطوائف المسيحية والطائفة اليهودية (١٢) طائفة. وهذه الصلاحيات تشمل كل الأحوال الشخصية، العائلة وتكوينها، وجودها واستمراريتها.. كما أنها تشمل ايضاً الأوقاف والمؤسسات الخيرية.

إن قانون ١٩٥١ كرس النظام الطائفي بشكل قوي جداً، إذ انه جعل من الطوائف المسيحية والطائفة اليهودية كيانات سياسية تتمتع باستقلاليتها وتحكمها أنظمتها الداخلية.

أما بالنسبة لمسألة الإرث، فقد خضعت في الطوائف المسيحية، ومنذ الفتح الإسلامي، للشريعة الإسلامية، مما طبع العائلة المسيحية واليهودية بالطابع البطريركي حتى أتى قانون ٢٣ حزيران ١٩٥٩ واسمه (قانون الارث لغير المسلمين) فوضع المساواة المطلقة بين ورثة الجنسين، ويقول الدكتور ادمون رباط:

(لقد عمق قانون ١٩٥٩ الفجوة بين المسلمين وأهل الكتاب).

أما القوانين التي تناولت وضع الطوائف الإسلامية، فلم تأت إلا بعد الاستقلال، وهي تشكل الظاهرة السياسية الأكثر أهمية منذ بداية عهد الاستقلال، أي ظاهرة توسع النظام الطائفي كي يضم الإسلام الى كنفه.

أمنّ المرسوم الاشتراعي رقم ١٨ الصادر في ١٣ كانون الأول ١٩٥٥، أمنّ للطائفة السنية استقلالية فعلية بما يختص بحياتها الدينية والاجتماعية والإدارية والمالية. كما عدد المجالس الإسلامية السنية المختلفة ونظّمها. ولكن الطابع الهام والخطير لهذا التشريع أثر في التعديل الذي أدخله عليه قانون ٢٨ ايار ١٩٥٦ الذي يسمح للمجلس المختص ضمن الطائفة تعديل المرسوم الاشتراعي نفسه، بالرغم من أنه صادر عن المشرع اللبناني.

بذلك أصبحت الطائفة السنية عملياً كياناً سياسياً مستقلاً. ولم تعترف لها الدولة بوجودها الخاص الأ لتسلخها عن السيادة الوطنية (الدكتور ادمون رباط).

بالنسبة للطائفة الشيعية، لم يكن معترفاً بوجودها كطائفة في ظل السيطرة العثمانية، ولم يتسن لها ذلك إلاّ تحت الانتداب. وكان ينبغي مبدئياً (ادمون رباط) على أثر صدور المرسوم الاشتراعي رقم ١٨، إصدار تشريع آخر يختص بالشيعة في لبنان فيجعل من مرجعها الأخير النجف في العراق، أي خارج الأراضي اللبنانية. بعدها نظم القضاء الجعفري، ثم صدر قانون المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ١٩٦٠ الذي أعطى الطائفة الشيعية كيانها الخاص.

اما الطائفة الدرزية فهي لم تتمتع بأي نظام خاص خارج لبنان حتى سنة ١٩١٨ أي حتى انحلال الدولة العثمانية، لكن وجودها كطائفة منذ القدم سمح باستمراريتها الطائفية دون أي نص مكتوب، وقد حصل الدروز على نظامهم الطائفي في قانون صدر في ١٣ تموز ١٩٦٢ حيث حددت سلطات المجلس الطائفي وشيخ العقل.. إلاّ أن الذي يلفت النظر في وضع مجالس الطوائف الإسلامية الثلاث هو أن الدولة تضع يدها عليها عملياً إذ أنها تمدها بالمال، مما يجعل من أفراد هذه المجالس موظفي دولة بمعنى ما.

نستنتج من خلال هذا العرض الموجز لتشريعات الطوائف اللبنانية، أن الشعب في لبنان لم يكن سوى تجمع طوائف (موزاييك طائفي بموجب تعبير الدكتور فاضل الجمالي) تتعايش بموجب اتفاق عام. وهذه الصلاحيات القانونية للطوائف تؤدي إلى حتمية انعدام أي شعور تضامن أو انتماء موحد في صفوف الشعب الذي لا يشكل قومية بالمعنى الغربي الحديث... أيضاً لقد عملت عهود الاستقلال بأجمعها (وهنا الغرابة) على تكريس الطائفية وترسيخها قانونياً...

قبل أربعة قرون من التاريخ

لم تشكل الامارة اللبنانية كيانا سياسيا في ميزاتها الاساسية، إذ أنها بقيت في معظم الاحيان مجرد ادارة محلية خاضعة للسلطة العثمانية المتمثلة بباشوات الساحل، كما لم يعرف الجبل الوحدة السياسية بل بقي مجزءاًالى اقطاعات تتقاسمها عائلات متناحرة بين بعضها ومع الامير. ذلك ان الدروز كانوا يحرزون الغلبة الواضحة في الجبل حتى القرن التاسع عشر. وقد عرف (درزيا) بالنسبة لاوروبا لدرجة انه كان يسمى (جبل الدروز). من جهة اخرى، لا يرتدي التعايش (الدرزي الموراني) والمساواة ـ اذا كان هناك تعايش ومساواة ـ معناه الحديث، فالدروز والمسيحيون كانوا يعيشون في ظل نظام (الملل العثماني). وكانوا من الاقليات المللية التي لا وزن لها في جسم السلطة العام. بالتالي، لم تكن المسألة الطائفية مطروحة بشكلها الحديث. وعندما نتحدث اليوم عن (تعايش) و(مساواة) نفترض ضمنا (تنافرا) و (امتيازات)، هذا التنافر الطائفي وهذه الامتيازات لطائفة معينة لم تتوفر الا منذ القرن التاسع عشر، في ظل ضعف السلطنة العثمانية وتغلغل النفوذ الاوروبي، وبالتالي، فان خصوصية البنية الاجتماعية التي ولدت الكيان السياسي

اللبناني، أي وجود طوائف تطلب المساواة في ظل صراع دولي يشجعها ويؤ من لها الحماية، لم تتوفر إلاّ في القرن التاسع عشر، ولا يمكن ان نعزو وجود الكيان في ميزاته الحديثة إلاّ الى هذا القرن.

لبنان والفينيقيين..

لا يمكن فهم الكيان اللبناني دون الجبل الذي يشكل محور هذا الكيان. إن لبنان لم يكن في العهود القديمة إلا تسمية جغرافية لجبل تكسوه غابات كثيفة، وهو بذلك اسم شبيه بجملة أسماء قديمة لمناطق مجاورة، أما حول (الفينيقيين) (الفينيقيون يتحدرون من أصل سامي)، أي الكنعانيون الذين بنوا مدنهم على طول الساحل السوري - وليس اللبناني فقط - فإنهم تعرضوا للغزوات التي تعرض لها الساحل اللبناني والسوري من أشوريين وبابليين وفرس وسلاجقة ورومان وبيزنطيين.

بدأت هجرة الموارنة - وهم سوريو الأصل - الى لبنان الشمالي في النصف الثاني من القرن السابع أي بعد الفتح الإسلامي وسقوط سورية في يد الفاتحين (وقعت معركة اليرموك في ٢٠ آب ٦٣٦) فانضمت اليهم التجمعات المسيحية الصغيرة الموجودة (ومنها المردة الشهيرون وهم قوم من المسيحيين أتت بهم بيزنطية ودفعتهم إلى محاربة العرب الموجودين في السواحل، وقد استطاع الخليفة الأموي، عبد الملك بن مروان، الإتفاق مع جوستينيان الثاني بشأن ترحيل مقاتليهم في عام ٦٨٩). ومن ثم، تقدم المسيحيون في القرون اللاحقة نحو مناطق الوسط في كسروان والمتن والشوف، وبعدها الى الجنوب، أما الطائفة الدرزية - وقد تشكلت حول الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي بشر باسم الراهب درزي - فانطلقت من وادي التيم تنتشر فيما بعد في مناطق الوسط، وخاصة في الشوف، وكان طابع لبنان درزياً في تاريخه..

هذا عن مجيء الموارنة والدروز الى جبل لبنان وتوزعهم الجغرافي فيه، وقد انضمت إليهم فيما بعد تجمعات من الشيعة وحتى من النصيريين والاسماعيليين..

الجبل والصليبيين

اما عن الحقبة الرئيسية في تاريخهم قبل الامارة الاقطاعية، فهي دون شك فترة الحملات الصليبية وما تبعها من تحديد مصير اهل الذمة والشيع المتفرعة عن الاسلام.

شكلت الحملات الصليبية الاصطدام الأول بين لبنان والغرب، وقد اتسمت علاقاتهم على أثرها بالحذر والتوتر، انطلقت الحملة الأولى في ربيع ١٠٩٧ بجيش يقارب عدده (١٥٠٠٠٠) رجل، وكانت في ٧ حزيران ١٠٩٩ أمام المدينة المقدسة. سقطت المدينة في ١٥ تموز بعد شهور من الحصار، واندفع الجنود وهم يصرخون (هذه مشيئة الله) لارتكاب أفظع المجازر التي عرفها التاريخ، فأبادوا سكان المدينة بأجمعهم بما فيهم الأطفال والنساء. ويروي لنا العديد من المؤرخين المسيحيين عن التعاطف بين الموارنة والصليبيين في تلك الحقبة، ومنها انضمام الموارنة إلى كنيسة روما في تلك الفترة، أما الطوائف المسيحية الشرقية الأخرى، فكانت تقيم العلاقات مع الإفرنج، وحالها في ذلك حال الشيع المتفرعة عن الإسلام، دون أن تصل هذه العلاقات كلها إلى المستوى التي وصلت إليه مع الطائفة المارونية..

انتصر صلاح الدين الأيوبي على جيش الصليبيين في حطين في ٢ حزيران ١١٨٧ وحرر القدس، وقد أنجز السلاطين المماليك فيما بعد الحرب ضد الصليبيين وأجلوهم نهائيا عن عكا في ١٨ آيار ١٢٩٥.

أثرت الحملات الصليبية بشكل بالغ على مصير (أهل الذمة) والشيع المتفرعة عن الإسلام بشكل عام، ومصير الطوائف التي تعيش في الجبل بشكل خاص، وفي سنة ١٢٨٣، تسلق جيش السلطان قلاوون الجبل ودمر بشرى واهدن وحدث الجبة كما ارتكب المجازر بحق سكانها، وقد نزّح على أثر هذه الحملة التأديبية الوف الفلاحون إلى قبرص حيث لا تزال قراهم موجوده.

في الوقت نفسه، كان الاضطهاد عنيفاً جداً بالنسبة للشيع المتفرعة عن الإسلام، وكانت الحملات الرئيسية ضد الجبل، أي ضد الشيعة والدروز والنصيريين والموارنة الموجودين فيه (وكان الجبل يشمل حينئذ المتن وصنين وجبل الكنيسة). وذلك في سنوات ١٣٠٢، ١٣٠٦ و١٣٠٧ في أيام السلطان الناصر.

ووقعت المعركة الرئيسية في صوفر حيث هزم جيش الجبل المكون من (٢٠٠٠٠) عنصر، ومعظمهم من الدروز يقودهم (آل مزهر) و(آل أبي اللمع)، ودمرت قرى الجبل كما أبيد سكانها ولم يبق للنصيريين من أثر فيه. في هذه الأثناء، كان موارنة كسروان قد أنجزوا تعريبهم الكامل بقيادة مقدميهم ورهبانهم، وكانوا حتى القرن الثالث عشر يتكلمون اللغة السريانية.

بذلك، كانت الصورة التي يقدمها جبل لبنان في بداية تحرك العثمانيين صورة شعوب عربية، تتوزعها طوائف مختلفة وتشملها شبكة إقطاعية مكونة من بعض العائلات الرئيسية في كل طائفة تتوجها إدارة الدولة السنية.

الإمارة الإقطاعية..

يجعل الدكتور أدمون رباط من هذه الفترة التي تمتد من عام ١٥١٦ إلى عام ١٨٤١ فترة تجسد الكيان اللبناني، ويستند في حكمه هذا إلى الاستقلالية الادارية التي تمتع بها الجبل في عهد الامارات.

كيف نشأت هذه الاستقلالية الإدارية وماذا تعني الإمارة بالتحديد؟

كثيرون من المؤرخين يوضحون أصول هذه الاستقلالية الادارية التي تتعدى جبل لبنان لتشمل جميع الدول الإسلامية الناطقة باللغة العربية، والإمارة مؤسسة عربية قديمة نابعة من السلطة التي يتمتع بها القائد او الأمير وهي تتوج غالباً شبكة من العلاقات الإقطاعية تتدرجت في الجبل من أمير إلى مقدم وشيخ وعوام، والاقطاع - الكلمة مشتقة من فعل اقطع - يعني في بلادنا نمطاً من الممارسة للسلطة عرف منذ تدهور العثمانيين، أي منذ فترة القرن الحادي عشر. وقد درجت من حينه السلطة المركزية على اقتطاع جزء من أراضيها وتسليم إدارتها إلى موظف كبير يستلم شؤون الحكم فيها، دون أن يكون له حق التشريع ومقابل ضريبة يدفعها كل سنة الى السلطان - عرفت باسم الميري في الجبل. هذه الممارسة للحكم بقيت بالضرورة منوطة بالسلطة المركزية وأهوائها التي يحق لها في أي وقت استعادة الأراضي التي اقتطعتها.

أما بالنسبة للجبل، فقد تمتعت طوائفه في فترة المماليك بنمط من الحياة المستقلة نظراً لبعد الجبل ووعورته، إنما لم يعرف مؤسسة محلية للسلطة - الإمارة - كالتي عرفها في عهد العثمانيين حيث كرس السلطان سليم، أمام فخر الدين الأول الممتثل أمامه، استقلالية الجبل الإدارية.

وقد تمتعت في حينه أسرة المعنيين بنوع من السيادة المعنوية على العائلات الإقطاعية الأخرى، وتحدد منها الأمراء اللبنانيون. فأصبحت الاستقلالية الإدارية بظل الإمارة عرفاً عاش عليه الجبل مئات السنين. إلا انها لم تكرس في أي نص، وقد احتفظت دائما السلطة المركزية لنفسها بحق القيام بحملات تأديبية إذا لم تعجبها سياسة الأمير الحاكم.. وكانت هذه السلطة تحيط بالجبل من جميع جهاته، متمثلة بباشوات صيدا وطرابلس ودمشق.

من هنا جاء استعمال بعض المؤرخين لتعبير (استقلالية إدارية)، وهؤلاء لم يستعملوا مطلقا (الاستقلالية السياسية)، فهي إدارية بمقدار ما تبقى وظيفة (المقاطعجي) والأمير إدارة شؤون الجبل - فتتسع بذلك وتنمي شخصيته الاجتماعية المميزة - دون أن تستطيع الوصول إلى الحيز السياسي بسبب موقع الجبل المحاط بولايات عثمانية من جميع جهاته يقيم معها صلات اقتصادية حيوية - المرافىء بالنسبة للساحل ومخزن الحبوب بالنسبة للبقاع - وصلات سياسية يشرف عليها الوالي، بحكم تمثيله للقوة المركزية، على سياسة أمراء الجبل، من جهة أخرى لا نستطيع التحدث عن إستقلالية سياسية للجبل في حين لا يتمتع بالوحدة السياسية وتتوزع السلطة فيه بين الأمير و(المقاطعجي) الذين ينازعونه والذي لا تتعدى سيادته عليهم الطابع المعنوي، إلا أن المشروع السياسي - إذا جاز التعبير - كان دائماً موجود يبتديء في الجبل كما في الإمارات والولايات الأخرى - بمحاربة الأمير للاقطاعيين الذين ينازعونه بهدف توحيد السلطة وينتهي بالحملات العثمانية التي تواجه بمقاومة يائسة يضمحل بعدها المشروع السياسي.

وتجدر الإشارة إلى بعض الميزات الخاصة التي ارتداها الإقطاع في الجبل، بفعل تعدد الطوائف، ذلك أن التعدد الناجم عن وجود تجمعات دينية واجتماعية مختلفة في الجبل تحكم كل منها عائلاتها الاقطاعية الخاصة سمح للفلاح اللبناني بالاحتفاظ بحريته الفردية وبحقه في الملكية الخاصة، وتفسر هذه الحرية حركة الهجرة الدائمة التي أتت بعائلات مارونية بكاملها في القرن الخامس عشر والسادس عشر من الشمال إلى كسروان والمتن والشوف. وقد ارتبطت بذلك الإقطاعية في الجبل بتعدد الطوائف الموجودة فيه، ونسجت هاتان الظاهرتان معا بنيته الاجتماعية.

إمارة فخر الدين..

شكلت إمارة فخر الدين الثاني مشروعاً ناجحاً طيلة ثلاثة وأربعين سنة، وانتهت على اثر حملة عثمانية تأديبية قادها (أحمد كجك) باشا في عام ١٦٣٢.

فما هو الخيط الذي يربط هذه الإمارة بلبنان الحديث فيجعل منه بداية وجود الكيان السياسي اللبناني؟

هناك ثلاث نقاط لا بد من شرحها:

حققت الإمارة الحدود التي رسمتها الطبيعة للبنان (في بعض الأحيان تعدت هذه الحدود لتشمل الجليل واجزاء من الأراضي السورية).. أي الساحل بالإضافة إلى الجبل والبقاع.. وجمعتها في اطار وحدة سياسية مستقلة حيث زرعت أسس الدولة الحديثة.

حقق الأمير فخر الدين الوحدة السياسية من خلال التحالفات التي أجراها مع معظم العائلات الإقطاعية الكبرى من مختلف أنحاء الجبل ومن خلال القضاء على أعدائه اللدودين، خاصة (آل سيفا). وقد اتبع في نمط حكمه سياسة اقتصادية، اجتماعية، وإدارية، تهتدي (دون مغالاة) بمبادىء الدولة الحديثة، فأمن الازدهار الاقتصادي من خلال تطوير الزراعة والتجارة، وكرس حرية المعتقد والمساواة بين الطوائف، مما شجع حرفي وفلاحي الشمال الموارنة

على الإنتقال إلى مناطق الشوف والمتن . . أيضاً أرسى قواعد الأمن والعدالة في إمارته، وبهذا تعدت اذاً ممارسة الأمير للحكم إدارة شؤ ون الجبل وفق منطق المصالح المحلية الضيقة، وأدت عملياً إلى تخطي السلطنة العثمانية في بعض المجالات، إذ أقام الأمير صلات مستقلة مع الغرب كما إنه حارب والي دمشق، مصطفى باشا وانتصر عليه.

والجدير بالذكر هنا إنه لا توجد اية وثيقة تاريخية صحيحة تؤ كد أن الأمير المعني فكر في إقامة دولة لبنان مستقلة عن السلطة العثمانية، كما أن فترة أربعين عاماً (كما يقول ادمون رباط) غير كافية لتطبع هذه المناطق بطابع مميز بدليل أن (حركات) القرن التاسع عشر اقتصرت على الجبل ولم تتعدى حدوده.

الإمارة الشهابية

انتقلت الإمارة إلى الشهابيين في أواخر القرن السابع عشر عام ١٦٩٧ فأمسكوا زمامها طيلة قرن ونصف، وهي، في حقبة أولى امتدت طيلة القرن الثامن عشر، لم تختلف عن سائر إمارات السلطنة، فلم تخرج عن سيطرة والي صيدا الذي بقي إشرافه على شؤ ون الجبل ملموساً، إلاّ أنها شهدت حدثين كان لهما أثرهما البالغ فيما بعد على تركيب الجبل الاجتماعي والديمغرافي.

فقد جرت في عام ١٧١١ معركة عين داره التي حسمت نهائياً الخلاف بين القيسيين واليمنيين، بانتصار الفريق الأول. وجرت إثر المعركة هجرة شاملة للدروز اليمنيين إلى جبل حوران، من جهة أخرى، شهدت صفوف الأمراء الدروز في أواخر القرن الثامن عشر تحولاً نحو الديانة المسيحية (أمراء أبي اللمع، وأولاد الأمير ملحم شهاب). وكان لهذا التحول أثر بالغ في تاريخ الجبل.

أما الحقبة الثانية من الإمارة الشهابية ـ وهي فترة حكم الأمير بشير الثاني من عام ١٧٨٨ إلى عام ١٨٤٥ ـ فإنها ترتدي أهمية بالغة من حيث أنها مهدت مباشرة للحركات الطائفية التي أعقبتها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي تتميز، على الصعيد العام، بدخول الدول الاوروبية على مسرح السياسة العثمانية، تحت ستار حماية الأقليات الدينية، ومطامع فرنسا وانكلترا في سورية ولبنان، وشكلت حملة بونابرت الترجمة العملية لهذه المطامع، إلاّ أن فشلها حد من أثرها بالنسبة للجبل، ومن ثم اتخذ التدخل الاوروبي السياسي شكلاً واضحاً خلال حكم محمد علي والأزمة التي خلقها للسلطنة العثمانية.

على الصعيد المحلي حدثت تغيرات في البنية الديمغرافية للجبل لم تكن لمصلحة الدروز. فقد هاجرت إليه عائلات مسيحية انخرطت ضمن الطائفة المارونية. كما شهد هجرة بعض الطوائف السورية التي انشقت عن طوائفها الاصلية أثر انضمامها إلى روما، وبفعل النمو الديمغرافي عند الموارنة بدأت مؤ شرات غلبتهم العددية، فتشكلت في المتن والشوف تجمعات محض مارونية، كدير القمر مثلا . .

إلا أن العامل الأهم في تفجير أحداث الستينات كان سياسة الأمير بشير الشهابي بما حققته من أضعاف شرس للاقطاع الدرزي، وما اتسمت به من تحالفات مطلقة فيما بعد لسياسة ابراهيم باشا، وأدت تلك السياسة إلى سقوط الإمارة وانتهاء استقلالية الجبل ووضعه مباشرة تحت حماية الدول الأجنبية، ومقتضيات سياستها ومطامعها.

تقسم إمارة بشير الثاني إلى فترتين :

الفترة الأولى (١٧٨٨) (١٨٣٢) وهي فترة ما قبل احتلال ابراهيم باشا للبلاد. وقد أتبع الأمير أبانها سياسة (محض لبنانية)، فأرسى الأمن والعدالة، وأمّن الإستقرار لحكمه بعد الاضطرابات التي اتسمت بها بدايته، وخلال هذه الفترة تكوّن عداؤه الحاقد لأولاد الأمير يوسف الشهابي وجرجي باز، ففتك بهم فيا بعد بابشع الطرق.

أما الفترة الثانية (١٨٣٢ - ١٨٤٠) فقد تضافرت سياسة ابراهيم باشا (ذات المنحى الليبرالي الغربي) مع احقاد الأمير بشير الشهابي لتزرع بزور التفرقة بين الموارنة والدروز.

أدخل ابراهيم باشا انماط إدارة جديدة وثورية بالمقارنة مع الأنماط المألوفة... فقد حقق مبدأ المساواة بين المسيحيين والمسلمين، وسمح للمسيحيين باعتمار العمامة وركوب الخيل، وعين البعض منهم في وظائف هامة، وانشأ مجالس إستشارية - دواوين - في التجمعات السكانية التي تتعدى (٢٠٠٠٠) نسمة. وكان المسيحيون والمسلمون متساوين في عدد مقاعدهم في تلك المجالس، وساعد بسياسته تلك على تنشيط حركة تحرر الفلاحين الموارنة في الجبل.

إلاّ أن العمل السياسي لابراهيم باشا كان تحطيم الاقطاع والقضاء عليه، فألغى إمتيازاتهم، وحول (المقاطعجية) الى موظفين أو جباة يتقاضون معاشات محددة في الدولة. وقد طبق هذه السياسة على عائلات الجبل دون تمييز، وانتهز حينها الأمير بشير الشهابي الظرف للفتك بمناوئيه من الإقطاعيين الدروز، فقتل بعضهم ونفى البعض الآخر وصادر أموالهم ودمر ممتلكاتهم، فأثار بذلك حفيظة الدروز ضده، وبما فيهم الفلاحين الدروز..

من جهة أخرى حملت إدارة ابراهيم باشا سكان الجبل أعباء كان لها أثرها في إثارة القلاقل. فقد أثقلت كاهلهم بالضرائب، وفرضت سياسة الإحتكارات وخاصة بالنسبة للحرير. وفرض ابراهيم باشا التجنيد الإجباري الذي يتنافى وعادات الجبل وتقاليده. كما انه جرد جميع الأهالي من السلاح. وقد تعاون الموارنة مع ابراهيم باشا مقابل وعد قطعة على نفسه باعفائهم من الضرائب الجديدة وعدم تجريدهم من السلاح. وقد كان لهذا التعاون أثر بالغ في الخلافات الطائفية، ولكن وعي الموارنة دفعهم للعمل على التمهيد لاجتماع عقد بين الدروز والمسيحيين والمسلمين في إنطلياس في ٨ حزيران ١٨٤٠، وأقسموا أمام مذبح كنيسة مار الياس يمين النضال المشترك ضد ابراهيم باشا..

الحركات الطائفية في القرن التاسع عشر

كان إنهيار إمارة بشير الثاني، بفرمان من السلطان، مؤذنا بانهيار استقلالية الجبل عمليا، وانعكس انتصار السلطنة على ابراهيم باشا في إشراف الدول الأجنبية السياسي على أمور الجبل، وأنشأ العثمانيون نظام (القائمقامين) بناء على اقتراح من مترنيخ، وبالاتفاق بين الدول الكبرى والسلطنة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو:

(ما هي أسباب الحركات الطائفية الثلاث وما هي النتائج التي أدت إليها وهي حاسمة بالنسبة لتكوين دولة لبنان في عهد الإنتداب ولاستمراريتها). ؟

حدد التدخل الأجنبي في شؤون (الرجل المريض) الاطار العام لـ[illegible] ـات الطائفية. فاوربا العلمانية اتخذت الباب الطائفي لتحقيق مطامعها في السلطة، فحددت بذلك ردة الفعل للشعوب [illegible] إسلامياً ـ أي طائفياً أيضاً ـ كما ساهمت، من خلال تدخلها المباشر، بتحويل تواجد الطوائف المتعددة الى طائفية سياسية لأحداث الستينيات أنها وثمة اتفاق بين المؤرخين المعاصرين ومنهم الدكتور ادمون رباط على أن السبب الرئيسي لأحداث الستينيات أنها شكلت مقاومة للتحول الذي عصف بالمجتمع الإسلامي القديم، كما عبرت عن حقد جماهير السلطنة لجماعات باتت تطالب بالمساواة، بعد أن عاشت قروناً في وضع مواطن درجة ثانية، إلاّ انه ينبغي الإضافة بأن هذا التحول ـ نحو العلمنة ـ في تنظيمات النصف الأول من القرن التاسع عشر قد أحدثته السلطنة مجبرة، تحت ضغط الدول الاوربية وخوفاً من تدخلها في شؤونها. واتخذت سياسة علمنة الدولة وجهاً أوربياً استعمارياً ومسيحياً. واستخدم المجتمع العثماني هوية الإسلامية لمكافحة الإستعمار الأوربي...

كما نمّى الاستعمار الاوربي الخصوصيات بين الطوائف المسيحية ـ والإسلامية ـ فيما بينها. فنظمت كل دولة لنفسها (زبائن) محليين ونصبت نفسها حامية لطائفة من طوائف الأقليات المسيحية والإسلامية في السلطنة (كانت فرنسا حامية الكاثوليك بما فيهم الموارنة، وروسيا حامية الروم الأرثوذكس. أما انكلترا فاحتضنت الطائفة البروتستانتية ومدت يد المعونة في الجبل للدروز) فاصبح لبنان ـ نظراً لتعدد الطوائف فيه ـ مسرحاً تتصارع فيه الدول الكبرى المتناحرة من أجل السيطرة السياسية والثقافية والتجارية. وبعد الفتنة الأولى عام ١٨٤١، جرى تدويل المسألة اللبنانية، وقام نظام القائمقاميتين تحت الإشراف المباشر للدول الكبرى وجاء على اقتراحها.

من جهة ثانية، أذكى ولاة الأتراك بسياستهم الخلافات بين الطوائف وذلك من أجل الولوج في شؤون الجبل. وكان لوالي بيروت، خورشيد باشا، دوراً بالغاً في إذكاء فتنة الستينات.

أما الأسباب الداخلية للأحداث الدامية، فهي اجتماعية وسياسية تحت الطابع الطائفي. أراد الفلاح الماروني الذي دخلت إليه أفكار الثورة الفرنسية من خلال الإرساليات، التحرر من سيطرة الإقطاع، وكانت ثورته في كسروان ضد الإقطاع، أما في مناطق الوسط حيث اندلعت وانحصرت الحوادث، أي في المتن والشوف، فقد ارتدت شكلاً طائفياً. بالإضافة، شكل نظام القائمقاميتين بما كرسه خلال ثمانية عشر عاماً من انقسام طائفي سبباً رئيسياً في فتنة الستينيات (شكل نظام القائمقاميتين نقضاً فعلياً للبنان، وقد انتهت إلى فشل ذريع وإلى الحرب الأهلية بين الدروز والموارنة، وكان القناصل الأتراك والفرنسيين انفسهم يعتبرون أن التقسيم في عام ١٨٤١ بمثابة المنظم للحرب الأهلية في لبنان) فقد الجبل به وحدته وتقوقع على حدوده الطبيعية مما أثار أزمة اقتصادية في صفوف سكانه، أيضاً، خلق هذا النظام مشاكل طائفية لا تحصى نظراً لوجود أقليات طائفية في كل قائمقامية. كما كرس في صيغته الأولى امتيازات الاقطاع فأثار تمرد الفلاحين الموارنة. ولم يستطع القائمقام التأثير في هذه الصراعات، نظراً لخروجه عن البنية الإقطاعية وموقعه كموظف للسلطنة. لهذا كانت هجرة اللبنانيين متنفساً للتخلص من هذه التناقضات.

على أثر الفتنة الثانية في عام ١٨٤٥، أقر تعديل شكيب افندي لنظام القائمقاميتين. فاضعف الإقطاع من حيث انه الغى الفارق في دفع الضرائب بينه وبين الفلاح العامي، إلا أنه ولأول مرة في تاريخ الجبل كرس دور الطوائف الست الكبرى في حياة الجبل السياسية. فأنشأ مجلس لكل قائمقامية يتوزع أعضاؤه نسبياً على الطوائف، من شأنه بت الخلافات وتحديد الضرائب... بذلك، كان أول وثيقة رسمية تكرس الطائفية السياسية في تاريخ لبنان صادرة عن الدولة العثمانية بموافقة الدول الأوربية الكبرى.

أتت الحركات الثلاث - ١٨٤٢ - ١٨٤٥ و ١٨٦٠ - متزايدة الضراوة. ولم تكن الحركات الأولى إلاّ مؤشرا للحركة الثالثة الحاسمة. مهد لهذه الحركة الأخيرة تمرد الفلاحين في زحلة (ضد القائمقام)، وفي كسروان (ضد الإقطاع الماروني) رفع الفلاحون الموارنة فيها مطلبين أساسيين:

إلغاء الضرائب المدفوعة للإقطاعي، وتملك الأرض التي يزرعها الفلاح.

واستطاع الفلاحون بقيادة الكهنوت الماروني المعادي للاقطاع (وشيوخ الشباب) المنتخب في كل قرية، طرد الإقطاع في كسروان والفتوح وتوزيع أرضهم على الفلاحين.

حركت هذه الانتصارات الفلاحين الموارنة في المناطق المختلطة حيث الإقطاع الدرزي العنيف، إلاّ أن آمالهم اصطدمت بالجبهة الدرزية الموحدة في إقطاع وفلاحين. فاتخذت حركتهم طابعاً طائفياً حتى تدخل الولاة الأتراك والقناصل الاوروبيون.

ابتدأت الفتنة في خريف ١٨٥٩، حيث اشتبك الدروز والموارنة في بيت مري المختلطة، كما وجد راهب ماروني مقتول في (عميق)، وحصلت حوادث قتل في جزين.

استعرت الحرب الطائفية في أيار ١٨٦٠ (فصل الربيع له سوابقه في الحروب الأهلية بلبنان) فقطعت الطرق وانتشرت عليها حوادث القتل الطائفية، وتعاقبت الاجتماعات العامة في الطرف الماروني (الكهنوت)، تقابلها اجتماعات (العقال) في خلواتهم في الطرف الدرزي، وفجأة بدأت المجازر المنظمة بحق القرى المارونية في المتن والشوف ودير القمر، حاصبيا وجزين، ذبح أهلها دمرت بيوتها. وشهدت صيدا هجوماً على بيوت المسيحيين فيها من قبل أفراد قبل إنهم سنّة ومتحالفين مع الدروز. أما زحلة فحاصرها الخيالة الدروز من جميع جهاتها وامتدت الأحداث إلى دمشق فارتكبت مجازر جماعية بحق المسيحيين فيها.

أما القيادات المارونية في كسروان والشمال (طانيوس شاهين ويوسف بك كرم)، فامتنعت عن التدخل، وبقيت قوات طانيوس شاهين ترابط على نهر الكلب، والسبب في هذا الإمتناع يعود إلى تجاوب هؤلاء لدعوة القناصل الاوربيين.

وانتهت المجازر بعد شهرين، حين لم يعد هناك ضحايا للقتل وممتلكات للتدمير.

الناجون من المجازر - التي بلغ رقم ضحاياها ٢٠٠٠٠ خيموا في ضواحي بيروت حيث فتكت بهم الأمراض. اما القرى، فدمرت نهائياً منازلها وكنائسها وعم الخراب أنحاء الجبل.

على أثر انتهاء المجازر، دخل الأسطول الفرنسي مياه بيروت كما لحقته الأساطيل الأوربية الأخرى. وعقدت الدول الخمس الكبرى مؤتمراً في باريس حضر فيه ممثل عن الباب العالي ونتج عنه بروتوكولات ٢ آب، حيث تؤكد أوربا تدخلها المسلح من خلال الأسطول الفرنسي. وتحدد مدة هذا التدخل (بستة أشهر). على أثر هذه الخطوة، أتى وزير الشؤون الخارجية في السلطنة، فؤاد باشا إلى لبنان حيث أدت قراراته الى استتباب الأمن مباشرة، فتعاقبت الإعدامات بحق مرتكبي المجازر، ومنها بحق الوالي نفسه أحمد باشا وبحق عدد كبير من المسؤولين الآخرين.

متصرفية جبل لبنان

نتج عن مجازر الستينات نظام المتصرفية في الجبل. وضعت لجنة دولية تضم الدول الكبرى بالإضافة الى الباب العالي، بعد سنة تقريباً من الاجتماعات المتواصلة في بيروت والقسطنطينية. وحدد في هذه اللجنة في ٩ حزيران ١٨٦١ بروتوكولا اضيف إليه ملحق حول النظام الأساسي في الجبل في أيلول ١٨٦٤ أدخل على البروتوكول الأول بعض التعديلات لجهة امتيازات الموارنة.

هذا النظام بالغ الأهمية لأنه يحدد عدد من الجوانب المركزية في حياة لبنان السياسية الحالية. فهو يعطي للجبل مكانة مميزة في السلطنة العثمانية، باعتراف السلطنة نفسها وبحماية الدول الأجنبية الكبرى. وهو بذلك كرس طيلة نصف قرن ونيف، كياناً سياسياً ألغيت فيه الإمتيازات الإقطاعية وتضخمت الظاهرة الطائفية لتصبح نظاماً سياسياً يدخل في تركيب جميع الإدارات المحلية والوظائف الكبرى. بالإضافة، يؤمن هذا النظام، ولأول مرة، الغلبة السياسية للطائفة المارونية في بعض المناطق.

والنظام الأساسي نصب حاكماً مسيحياً على الجبل يعين لمدة ثلاث سنوات بالإتفاق بين الباب العالي والدول الكبرى وله الصلاحيات الكاملة في تعيين الموظفين بنفسه، دون العودة إلى الباب العالي. أما حدود لبنان المتصرفية فهي حدود الجبل في قائمقاميتين ١٨٤٢، وقد قسمت إلى سبعة أقضية إدارية. ويتمتع المتصرف بمطلق السلطة التنفيذية، يساعده مجلس إداري مركزي في المهمات الإدارية، تتمثل فيه الطوائف الست الرئيسية بتوزيع يؤمن الغلبة للمسيحيين وخاصة للموارنة، فمن أصل ١٢ مقعداً، يحتل المسيحيون سبعة مقاعد، منها أربعة للموارنة. كما أن نائب رئيس المجلس ماروني، بالإضافة، أنشئت أجهزة المتصرفية الأخرى، على قاعدة محض طائفية، فمؤسسة الدرك تحترم التوزيع الطائفي، والمؤسسة العدلية طائفية أيضاً.

استمر حكم المتصرفية في جبل لبنان حتى ٥ حزيران ١٩١٥، يوم استقالة أوهانس باشا، وكانت من نتائجه الأساسية، بالإضافة إلى تكوين معالم الكيان اللبناني التي أشرنا اليها سابقاً، انقطاع الجبل عن كل التيارات الفكرية والقومية التي اجتاحت البلدان العربية آنذاك. كما إنه أدى أيضاً إلى الهجرة الكثيفة...

لقد قام لبنان في حدوده الحاضرة عام ١٩٢٠، وكانت لفرنسا، التي أصبحت بعد مؤتمر فرساي الدولة المنتدبة، اليد الطولى في بعث لبنان هذا، فكان أن كرس لبنان مبدأ الطائفية الدينية وتركزت الحياة العامة على أساس ذلك، فحمل البلد منذ تكوينه عوامل الضعف والتفكك، ولا بد من القول أن الطائفية الدينية وتشدان توازن واهي الأساس إنما تثار بين الحين والآخر، من هذا الفريق أو ذاك، لا صدوراً عن عاطفة دينية ترتبط جذورها بالإيمان العميق إنما الأسباب ظرفية مصلحية بحتة يستغل الدين تأميناً للمكاسب فحسب. فالإيمان الحقيقي بعيد عن ذلك بعد الأرض عن السماء.

هذا الواقع بكل تناقضاته لم يكن موضع اهتمام أهل الحكم في لبنان، بل كان موضع اهتمام المفكرين والسياسيين اليهود، الذين درسوه ووضعوا الخطط للاستفادة منه كما يتضح من البحث القادم:


دافيد بن غوريون


موسى شاريت


بنحاس لافون

أحداث لبنان عام ١٩٨٢

رسائل بن غوريون وشاريت وساسون عام ١٩٥٤

منذ أن بدأت الأحداث اللبنانية تأخذ طريقاً مأساوياً يتنافى والخلق الإنساني، وأصابع الاتهام تتجه الى هناك، الى الأراضي المحتلة حيث يرابط العدو بفكره وخبثه!

ومنذ أن بدأت الأحداث تتصاعد وأخبار الاضطراب في لبنان تحتل مكان الصدارة... فهذا الذي نعيشه إنما وضعت مخططاته على الورق، وعلى أساس مدروس منذ سبعين أو ثمانين سنة... فمن شاء أن يكشف حدود الغد إذن فما عليه إلا النبش في الأمس... شيء من الرؤية الواضحة الى مشاريع الماضي المخبأة يكشف أن الذين رسموا هذه المشاريع إنما رسموها لكي تكون قبورنا نحن...

قبل عام ١٩٧٥، عام الدماء والخراب والدمار... كان هناك من يؤكد أن الضربة القادمة بعد حرب رمضان ستكون هنا في لبنان... ولكن أحداً لم ينتبه، فالعمى كان شعار الجميع بدون إستثناء وكذلك الطرش..!

(ظلمة التآمر) التي تفجرت عام ١٩٧٥، بالدم والدمار، ضد الشعب ووحدته الوطنية، وضد الوطن العربي، هذه (الظلمة) كان يراها العديد من المفكرين العرب...

إن التخطيط لتمزيق لبنان، لم يكن (ابن البارحة)، إنه وليد سنوات... ومعاً سنكتشف في التاريخ الصهيوني القريب أسماء سمعنا بها، وأسماء ما ان سمع بها منا أحد... أسمعتم بتريتش وروبين وأحادهما عام، وايزاكس، وجابوتنسكي وسايد بوثام و... (يوسف ترومبلدور)؟ من لم يكن قد سمع بهم أو ببعضهم فهؤلاء هم الخط الآخر والموازي للأول في الواجهة الخلفية، يقود الركب والدفة ولو ضاق به الربابنة الملاحون... ولقد يقفز إلى الجبين أني إنما اخترت هذا القبيل المتطرف عامداً لبث الهول... وما ذكرته إذ ذكرت إلا لأضع بعض الضوء على الطريق، إذ لو حككت الجلد من أي صهيوني لانكشف لك في النهاية لولا الرياء (بن غوريون، وشاريت وساسون)... وهؤلاء الثلاثة هم موضوع حديثي عن (تقسيم لبنان)..!

ثلاثة وضعوا أسس التقسيم.!

لقد سبق لهؤلاء الثلاثة أن تناولوا التقسيم في ثلاث رسائل تبادلوها:

(بن غوريون، موشي شاريت، الياهو ساسون) في (فبراير) شباط و(مارس) اذار ١٩٥٤، بشأن تنفيذ مخطط لتمزيق لبنان، وإقامة دولة مسيحية... ودلالة هذه الوثائق، التي تنقل عن نصوصها العبرية المنشورة بجريدة دافار

الإسرائيلية الصادرة في ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣ (شهر حرب رمضان)، إنها تؤكد أن المخطط الذي كان بن غوريون يضغط لتنفيذه قبل ٢٢ عاماً، قد بوشر بتنفيذه عام ١٩٧٥ . . .

وإذا كان المخطط لم ينجح اليوم نتيجة وعي إسلامي ـ مسيحي على السواء، فليس معنى ذلك أن إسرائيل قد تخلت عنه . . . وإنما يبدو أن هذا المخطط هو محور رئيسي من محاور الصهيونية . ويظهر أن بن غوريون وموشي شاريت ما يزالا قادرين على تخطيط الحركة الصهيونية في وطننا العربي من القبر. وقبل أن نصل الى هذه الوثائق لا بد من التوقف قليلاً عند حدث لم يصل الى أسماع معظم العرب ورجالاتهم، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على ان مخاوف القادة اللبنانيين الذين حذروا من (مؤامرة التقسيم) كانت في محلها.

لكي لا ننسى . . !

في مثل هذا الشهر من عام ١٩١٩، كانت فرقة يهودية عسكرية، هي بقية اليهود الذين جندهم الإنجليز معهم يوم دخلوا فلسطين مع جماعة التجسس الانجليزية (نيلز) التي نظمتها (سارة هروتون)، تسير بقيادة شخص، اسمه (يوسف ترومبلدور)؟

هو أول صهيوني رفع السلاح في وجهنا وسار يريد وضع حدود الدولة اليهودية عام ١٩١٩ من ناحية الشمال عند نهر الليطاني، وسفوح جبل الشيخ . . . وقد قتل عند (تل حاي)، شمال صفد، بيد بعض البدو. أولئك الذين أرسلوه في المهمة (حاييم وايزمن وبن غوريون وشاريت) أدركوا بمقتله وهم في باريس ان إلحاحهم في إعلان الدولة اليهودية في تلك السنة عبث ما دام ليس في فلسطين يهود، فقبلوا تأجيل إعلانها حتى عام ١٩٣٥ . . .

اليهود كل سنة يزحفون في يوم مقتله إلى (تل حاي) ليزوروا قبر المحارب الصهيوني الأول والجاسوسة التي كانت معه . . .

والآن ماذا تحوي هذه الوثائق؟

مرة ثانية من كانت له أذنان فليسمع . . !

(١) رسالة بن غوريون إلى موشي شاريت:

(سدية بوكر ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٥٤)

عزيزي شاريت:

بعد أن تنحيت عن الحكومة، قررت في قرارة نفسي الاّ أتدخل ولا ابدي رأياً في شؤون سياسة جارية . . . إذ يبدو لي أنه لا ينبغي لي أن أفعل شيئاً من شأنه أن يثقل على الحكومة بأي قدر ومن أية جهة، فلولا انكم دعوتموني انتم الثلاثة (لافون، شاريت، سامسون) لما ذهبت الى اي مكان لابدي رأياً في ما يجري، وفي ما ينبغي أن يعمل.

وبما انني دعيت من جانبكم فقد وجدت أنه من واجبي أن استجيب لرغبتكم، وخاصة لرغبة رئيس الحكومة صديقي شاريت، ولذلك أسمح لنفسي بالعودة إلى موضوع لا يروقك وأن أركز عليه مجدداً . . الا وهو موضوع (لبنان). بدون ما صلة بالأحداث الجارية (كان في تلك الأثناء قد عين اللواء محمد نجيب من جديد رئيساً للدولة، وهذه خطوة حكيمة لا مثيل لها من جانب ناصر او جماعته ـ صحيفة دافار)، فإنه من الواضح أن لبنان هي أضعف حلقة

في سلسلة الجامعة العربية. فالأقليات الأخرى في الدول العربية هي من المسلمين، فيما عدا الأقباط. لكن مصر هي الدولة الأشد تماسكاً ورسوخاً بين الدول العربية. والأغلبية العظمى كتلة متراصة، مكونة من جلدة عرقية واحدة، وموحدة في الدين واللغة، والأقلية المسيحية لا تمس بسلامة الدول والامة وهذا الوضع لا ينطبق على المسيحيين في لبنان، فإنهم أغلبية في لبنان التاريخي ولهذه الأغلبية تقاليد وحضارة تختلف كلية عن تقاليد وحضارة باقي بلاد الجامعة العربية. وحتى داخل الحدود الواسعة (وخطأ غرنسا الأكبر أنها جعلت للبنان حدوداً واسعة) فإن المسلمين ليسوا احراراً في أعمالهم، حتى لو كانوا أغلبية (ولا أدري إن كانوا أغلبية)، بسبب انقسام المسيحيين. وانشاء دولة مسيحية هنا هو شيء طبيعي له جذور تاريخية، وسيلقى تأييد قوى كبيرة في العالم المسيحي سواء الكاثوليكي أو البروتستانتي. وهذا الأمر لا يكاد يكون في حيز الإمكان في الأيام العادية، أولاً ـ لغياب المبادرة والجرأة من جانب المسيحيين ـ ولكن في وقت البلبلة والاضطراب والثورة والحرب الأهلية يتغير الوضع، فيقول الضعيف أنا بطل. ومن الجائز (معروف إنه مامن شيء مؤكد في السياسة) أن هذه الساعة هي الساعة المواتية للعمل على إقامة دولة مسيحية بجوارنا. فبدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الأمر. ويبدو لي أن هذه هي المهمة الرئيسية الآن. أو على الأقل إحدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية. ويجب بذل الإمكانات والوقت والجهد والعمل بجميع السبل التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير جذري في لبنان.

ويجب تجنيد ساسون (من أجل الدولة المارونية فإنني مستعد لاستخدام (ال) وسائر خبراء الشؤون العربية المتوفرين لدينا. وإذا تطلب الأمر مالاً، فيجب الأ نبخل بالدولارات حتى لو جازفنا بالمال مجازفة، فإنه يجب التركيز على هذا الوضع بكل قوانا، ولعله من المجدي هنا استدعاء روبير (شيلوح) الى هنا، فهذه فرصة تاريخية لا يمكن اغتفار تبديدها، والأمر هنا أيضاً لا ينطوي على اي تحرش (بفتوات) العالم، ولسنا في حاجة بالمرة الى عمل شيء (لحساب الغير)، ولكن في رأيي يجب عمل كل شيء بسرعة وبأقصى الإندفاع.

والأمر لا يتحقق أبداً بدون اجتزاء حدود لبنان، ولكن إذا عثر على الأشخاص والمهاجرين في لبنان ليتطوعوا لإقامة دولة (مارونية)، فإنهم ليسوا في حاجة إلى حدود موسعة وجمهور إسلامي كبير، ولن يكون هذا حجر عثرة...

لا أدري ما إذا كان لنا أشخاص في لبنان، لكن من الممكن إيجادهم، إذا كان في النية القيام بهذه المحاولة المطروحة.

المخلص
(د. بن غوريون)

(٢) رسالة موشي شاريت إلى بن غوريون:

(القدس: ١٨ ـ ٣ ـ ١٩٥٤)

سديه بوكر

إلى حضرة السيد دافيد بن غوريون

الشمس عفوك ألف مرة على تأخر ردي على رسالتك الخاصة بلبنان. صحيح أنني قدمت على التوّ ردي السلبي على الفكرة التي طرحتها في حديثنا بمنزلك في تل أبيب، ولكن على اثر الحديث قلت لنفسي أنه ينبغي دراسة الموضوع

فعهدت إلى قسم الأبحاث بوزارتي ليضع دراسة أساسية خاصة بالمحاولات التي بذلت في السابق من أجل أن تضفي على لبنان صفة جمهورية مسيحية وبالاحتمالات الماثلة الآن لحركة تنشأ - إذا نشأت - لإحراز هذا الهدف . .

للأسف أبطأ الباحثون في مهمتهم، ويبدو أنهم منكبون عليها بمزيد من الجدية، ولكن في نفس الوقت مرت أيام كثيرة. على الرغم من أن مشاغلي تعلو إلى ما فوق رأسي ولا نهاية ولا حدود للمضايقات والتعقيدات التي تغرقني وهذا لا ينحصر بأي حال في الشؤون الخارجية، فإنني أبذل الجهد لكي أشرح لك رأيي بشيء من التفصيل، وسأفعل هذا إستناداً إلى معلومات أحتفظ بها منذ أيام سابقة، ولست واثقاً فيما إذا كانت تنطبق تماماً على الوضع كما هو الآن - وهذا ما سأعرفه طبعاً من الدراسات الأساسية - وعلى أي حال، ونظراً لضيق الوقت فإنه لم يعد لدي متسع لدراسة معطيات، وللاستئناس برأي أحد، بل أكتب طبقاً للذاكرة فقط. . .

لا معنى لإثارة حركة من الخارج:

قبل كل شيء يتوجب علي أن أحدد افتراضاً جذرياً أتبعه دائماً، وهو أنه إذا كان هناك أحياناً سبب ومصلحة لعنصر خارجي في أن يتدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد لتأييد حركة سياسية تتآمر من داخله سعياً وراء هدف، فإنه من قبيل الصدفة فقط أن تبدي هذه الحركة أي نشاط ذاتي ينطوي على احتمال تصعيدها أو إكسابها نجاحاً بواسطة تشجيع ودعم من الخارج. . . لا جدوى ولا فائدة في محاولة إثارة حركة من الخارج إذا لم يكن لهذه الحركة وجود في الداخل. . من الممكن تعزيز روح حية إذا كانت تنبض من تلقاء نفسها، وليس من الممكن بعث الروح في جسد لا تبدو وعليه دلائل الحياة.

وبقدر ما أعلم، لا توجد في لبنان الآن حركة تنوي تحويل البلد إلى دولة مسيحية، تكون السلطة الحاسمة فيها بأيدي الطائفة المارونية. هذا هو الانطباع الواضح منذ عدة سنين. ومن الجائز أن يكون قد انطلق ذات يوم شعار كهذا في فضاء لبنان، ومن الجائز أيضاً أن يكون في لبنان أشخاص رفعوا هذا الشعار، لكن حتى في هذه الحالة فإن الأمور لم تصل إلى درجة الحركة الجادة، ولم تجعل الموضوع عملية دائبة ومنظمة. . . ولكن على مرّ الزمن سكتت حتى هذه الأصوات، ونزل هذا الشعار عن المسرح العام وساد وضع من شيوع الصمت وحدث شلل تام في التفكير وجمود في مجال العمل. وكل من يتقدم اليوم ليثير من الخارج، النزعة، إلى لبنان مسيحي كموضوع سياسة عملية، يكون كمن يغمد خنجراً في الريح.

ولا عجب في الأمر، فإن تحويل لبنان إلى دولة مسيحية هو واحد من المستحيلات إذا كان المقصود جهداً مدبراً وموجهاً لهذا الغرض. وأنا أتحفظ في قولي (جهداً مدبراً) لأنني لا أستبعد احتمال تحقق مثل هذا الأمر على أثر سلسلة من الهزات تمر بالشرق الأوسط تحزم الأمور، وتلقي بالأنماط السائدة إلى بوتقة الصهر لتخرج منها قوالب جديدة. أما في لبنان الحالي، كما هو مصاغ في مساحته وتركيبه السكاني وعلاقاته الدولية، فإنه لا يتصور أية مبادرة جادة في هذا الاتجاه. .

إن سكان لبنان المسيحيين ليسوا أغلبية ولا هم يشكلون حتى مجموعة متماسكة داخل نفسها، لا من ناحية دينية، ولا من ناحية سياسية. فالأقلية الأرثوذكسية التي في لبنان تنحو نحو أخواتها اللاتي في سورية، فهي فضلاً عن أنها غير مستعدة لتقديس اسم الرب في حرب من أجل أن يكون لبنان مسيحياً - أي لبنان أصغر من حجمه الحالي ومنفصلاً عن الجامعة العربية - فإن هناك أساساً للافتراض بأن فكرة اتحاد لبنان مع سورية لا تثير لدى هذه المجموعة النفاضة نفسية.

بالعكس، إنها تعتقد أنه في اطار دولة موحدة، ترتفع أسهم الأقلية الأرثوذكسية اللبنانية، وأسهم الطائفة الأرثوذكسية في الشرق عامة، وذلك لسببين بسيطين يتعلقان بالأوضاع السكانية. . . فالأرثوذكس الذين في سورية أكثر عدداً من إخوانهم الذين في لبنان، بينما الأرثوذكس الذين في سورية ولبنان معا يفوقون المارونيين عدداً.

اما عن المارونيين فإن أغلبهم يؤيد منذ عدة سنين نفس الأشخاص العاملين من أعضاء الزعامة السياسية في طائفتهم الذين تخلوا عن حلم إعادة المسيحية إلى لبنان. ووجهوا كل همهم إلى خلق ائتلاف مسيحي إسلامي داخل لبنان. ولقد أدرك هؤلاء الزعماء بأنه لا امل في أن يعيش لبنان الماروني في سلام. وأن مصلحة هذه الطائفة تستدعي قبول أهون الشرين. . . وهذا معناه: مشاركة المسلمين في الحكم ودخول لبنان إلى جامعة الدول العربية على أمل وعلى افتراض أن تردع هذه التسوية مسلمي لبنان عن حنين الإتحاد مع سورية، وتمحي فيهم نوازع الاستقلال اللبناني. . . المارونيون سيعتبرون ذلك مبادرة وخيمة العواقب:

لذلك، فإن الأغلبية العظمى من أبناء الطائفة المارونية المنقادة في هذا الاتجاه ستعتبر كل محاولة لرفع راية الإنزواء والتعاظم الماروني، مؤامرة خطيرة على مركز الطائفة كلها ومساساً بأمنها وكيانها. . وستبدو مثل هذه المبادرة في نظرها وخيمة العواقب. . . إذ أنها ستمزق دفعة واحدة نسيج المشاركة المسيحية - الإسلامية في إطار لبنان الحالي الذي نسج بعمل دؤوب، ومن خلال تضحيات غالية على مرجيل من السنين، ومن شأنها أيضاً أن تلقي بمسلمي لبنان في أحضان سورية، وأن توقع في نهاية الأمر البلاء التاريخي بلبنان بضمه إلى سورية وطمس شخصيته نهائياً داخل الدولة الإسلامية الكبرى.

قد تقول إن هذه الاعتراضات على المشروع لا تليق بجوهره، إذ أنه يقوم على سلخ تلك المناطق التي يرجح سكانها كفة الميزان لمصلحة الإسلام وضد المسيحية، أي منطقة صور ومنطقة البقاع ومدينة طرابلس. لكن من يضمن أن هذه المناطق ستتخلى بسهولة عن انتمائها إلى لبنان وعن صلتها السياسية والاقتصادية ببيروت؟ ومن يضمن أن تتخلى الجامعة العربية بدورها عن المكانة التي لها الآن، بفضل امتداد لبنان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. وذلك بعد أن فقدت مركزها في الزاوية الشرقية من هذا الساحل بعد ضم الاسكندرونة إلى تركيا. . . وكذلك بعد أن فقدت الجزء الجنوبي من الساحل بعد قيام إسرائيل؟ ومن يضمن أن تظل الحرب الدامية التي لا بد أن تنشب نتيجة لمثل هذه المحاولة داخل حدود لبنان فلا تجر سورية فوراً إلى هذه المعركة؟ ومن يضمن أن تظل الدول الغربية واقفة تتفرج من بعيد على محاولة ثورية كهذه وتؤجل تدخلها إلى الساعة التي تستطيع فيها أن تهنىء بالنتائج وتعتمد قيام لبنان المسيحي؟ ومن يضمن أن لا تخطر كل هذه الاعتبارات ببال الطائفة المارونية مسبقاً فلا تردعها المغامرة الخطيرة ردعاً تاماً؟

بالإضافة إلى هذه الاعتبارات السياسية الخطيرة المتراكمة لنبذ الفكرة، تعمل في نفس الاتجاه عوامل اقتصادية حاسمة ايضاً. فنحن لسنا بصدد بحث مشكلة من مشاكل عام ١٩٢٠ أو ١٩٢١ على أثر إعلان (غورو) عن قيام لبنان الكبير، بل نحن بصدد بحث مشكلة بعد انقضاء ثلاثين سنة وأكثر. إذ أن لبنان الجبل قد اندمج في هذه الأثناء بالشقة الساحلية في صور وصيدا، وبسهل بعلبك، وبمدينة طرابلس، ليصبح وحدة عضوية واحدة. كل أجزائه متصلة ومتشابكة من الناحيتين الاقتصادية والتجارية. فلبنان الجبل لم يكن منطقة تعول نفسها خلال السنين التي قبل الحرب العالمية الأولى. وأذكر أن (روبين) يشير في كتابه (سورية كوحدة اقتصادية) إلى أن لبنان كان عشية الحرب العالمية يحصل على عشرين مليون فرنك في السنة كمساعدات صدقة وتحويلات عملة من الأقارب. بينما كان السكان اليهود في

فلسطين ينالون من كل يهود العالم ما مجموعه عشرة ملايين فرنك في السنة من صناديق المساعدة الصهيونية ومؤسسات الصدقة المختلفة ومساعدات الأقارب.

وما من شك في أن ضم المناطق الثلاث، وكذلك مدينة بيروت، إلى دولة لبنان هو الذي جعل إقتصادها متوازناً، وإعادة الوضع إلى سابق عهده لا يعني مجرد إجراء عملية جراحية، بل عملية تكسير اعضاء لا يستطيع لبنان تحملها. وأعود فأقول إن التحول بفضل اغتناء فجائي شيء، وعرض الموضوع أمام العالم عن تعمد ونتيجة لخطة مدروسة مسبقاً، شيء آخر تماماً. ولا أتصور هيئة جادة تشارك في هذه الخطة التي تهدد لبنان بانتحار اقتصادي، حتى ولو لهذا السبب وحده..

غليان لا وجود له:

بعد كل هذه الأمور، فإنني لا أعارض فقط، بل كنت أوافق حتما على تقديم مساعدة فعالة لأي غليان يحدث بين الطائفة المارونية بهدف انفصالها، حتى ولو كان هذا الغليان يتم بدون أي أمل في إحراز الهدف.. كنت ساجد في هذا الغليان في حد ذاته فائدة، وكنت سأجد خيراً في زلزلة الاستقرار الذي كان مرتبطا به، وفي المتاعب التي كان سيثيرها في وجه الجامعة العربية، وفي تحويل الأذهان عن العقدة الإسرائيلية ـ العربية، وفي مجرد إشعال جذوة مطالب الاستقلال لدى المسيحيين. لكن ماذا أفعل إذا كان هذا الغليان لا وجود له كما سبق وذكرت في بداية كلامي. وفي مثل هذه الحالة أخشى أن اية محاولة من جانبنا لإثارة المسألة ستؤخذ على انها دليل على الاستخفاف والسطحية، بل وقد يكون أسوأ من ذلك أن تؤخذ على أنها مساومة عنترية على سلامة وكيان الآخرين واستعداد للتضحية بمصالحهم الأساسية من أجل كسب ميزة مساومة مؤقتة لإسرائيل... أضف إلى ذلك أنه إذا لم يحتفظ بالموضوع طي الكتمان وافتضح أمره ـ وهذه مجازفة لا يجوز بأي حال تجاهلها في أوضاع الشرق الأوسط ـ فإنه لا يمكن تقدير الضرر الذي يصيبنا تجاه الدول العربية والدول الغربية العظمى في آن واحد.. وهو ضرر لن يعوضنا منه حتى نجاح الخطة..

وأخيراً اشير إلى أن الإنقلاب الأخير في سورية ليس الأول من نوعه ويفترض أن لا يكون الأخير.. إنه مجرد حلقة جديدة في سلسلة طويلة من الهزات والتغييرات التي تدل على ضعف الهيكل الحكومي، وهذا وضع ينطبق على جميع الأنظمة. ولو كان هناك أمل في إيجاد حركة انفصال مارونية، فإن الأزمات التي تفجرت في سورية حتى الآن بهذا التتابع السريع، كان يجب أن تنمي وتشجع مثل هذه الحركة منذ زمن بعيد. فإذا لم تتطور الأمور في هذا الاتجاه حتى الآن، فإنه يشك كثيراً في أن يحدث مثل هذا التطور من الآن فصاعداً. وعلى أي حال لا أرى في الانقلاب الأخير أساساً كافياً لنا لاعتماد سياسة التدخل والعمل المباشر في لبنان، وتبديد مبالغ كبيرة من المال ليست متوفرة لدينا، وتعريض أنفسنا من خلال ذلك لكل تلك العثرات التي أشرت اليها..

آسف إن كنت قد أثقلت عليك في إطالة التحليل. لكنني أردت أن اعرض أمامك طريقة رؤيتي للمشكلة بأقصى قدر ممكن من الكمال.

(موشيه شاريت)

(٣) رسالة ساسون إلى موشي شاريت

روما. ٢٥/٣/١٩٥٤

إلى رئيس الوزارة ووزير الخارجية - القدس -

من: إ. ساسون - روما -

قرأت بامعان الرسالتين المتبادلتين بين السيد د. بن جوريون وبينك بشأن (مشروع دولة مسيحية) مارونية في لبنان، وأستأذنكم في إبداء الملاحظات لاكمال الصورة وتوضيح الأمور:

١ - من الصعب الاعتراض على افتراضك القائل انه لا معنى ولا مصلحة في إثارة حركة من الخارج، إذا لم تكن هذه الحركة قائمة في الداخل. وصحيح أنه لا يمكن بعث الروح في جسد لا يبدي علامة على الحياة، لكن الوضع في لبنان أبعد من أن يكون على هذا النحو في نظري.. إننا نجانب الحقيقة إذا حددنا بشكل قاطع بأن جميع المارونيين بما فيهم أهالي بكركي (مقر الزعامة الروحية ورئاسة الكنيسة المارونية) سلموا بالوضع القائم من صميم قلوبهم... فلو كان الأمر كذلك فلماذا نرى معارضة مارونية شديدة لكل مشروع عراقي أو سوري لا يتحدث عن الوحدة العربية أو اتحاد فدرالي عربي وحسب، بل عن شيء أكثر تواضعاً.. عن مجرد مزيد من التقارب بين البلاد العربية؟

٢ - لن نساير الحقيقة إذا قلنا أن جميع الزعماء المارونيين تخلوا عن أحلام إعادة لبنان المسيحي إلى سابق عهده، وأدركوا أن مصلحة طائفتهم تستدعي اختيار (أهون الشرين) ومعناه مشاركة مع المسلمين ودخول الجامعة العربية، ونحن نسمع حتى يومنا هذا مطالبة مارونية بالخروج من الجامعة العربية... ونشهد حتى يومنا هذا هجمات مارونية على أولئك الذين يفكرون في إمكان قيام اتحاد اقتصادي مع سورية، ولا نزال نقرأ حتى الآن على صفحات الصحف المارونية تحذيرات للرئيس الماروني لئلا يتمادى في المشاركة مع المسلمين..

٣ - اتبع العاملون، من بين الساسة المارونيين، سياسة اختيار أهون الشرور.. بعد أن هجرهم أصدقاؤهم الفرنسيون والصهاينة وكذلك البريطانيون... إن حقيقة بحث هؤلاء العاملين عن طريق للاتصال بالولايات المتحدة الآن بواسطة عقد اتفاقات عسكرية واقتصادية منفردة، تدل على أنهم لا يؤمنون بان دخولهم الجامعة العربية يضمن لهم سيادة لبنان وحريته واستقلاله زمناً طويلاً.

٤ - إن افتراضك بأن التسوية القائمة على مشاركة المسلمين ودخول لبنان إلى الجامعة العربية سيردعان مسلمي لبنان عن حنين الاتحاد مع سورية... حتى لو اعتبرناه سلبياً، فإنه ليس في مصلحة المارونيين بل في مصلحة مسلمي لبنان... فهو لا ينطوي على ضمان بأن لا يكون رئيس لبنان مستقبلاً إلا مسيحياً مارونياً.. ولا ينطوي على ضمان بعدم إدخال تعديل أو تغيير في قانون الانتخابات الحالي الذي يحابي المارونيين ويمكنهم من الاحتفاظ بكراسي الحكم.

٥ - صحيح انه لا يوجد غليان (ظاهر للعين) بين الطائفة المارونية.. ولو كان له وجود، لوجدنا فيه خيراً، ورأينا المنفعة في خلخلة الاستقرار التي تواكبه، وفي المتاعب التي سيحدثها هذا الغليان للجامعة العربية الخ... ولكن في رأيي ليس من الصعب خلق الغليان المطلوب لوجود أسس لإثارته... صحيح أن الأرض تميد تحت أقدام المارونيين، إلاّ أن هذه الحقيقة كان يجب أن تفتح عيون كل ماروني لإحداث الغليان المطلوب..

٦ ـ لكن إذا سألتني، أهناك فرصة لمثل هذا الغليان إذا حدث وسار على ما ينبغي، لبلوغ الهدف؟ أرد عليك بلا تردد رداً سلبياً.

فأولاً ـ لا أجد لدينا الأشخاص المناسبين والملائمين والقادرين على الانصراف كلية الى هذا العمل. . .

إن مشاغل وزارة خارجيتنا خلال السنين الست الأخيرة زادت الى ما فوق الرأس، ولم تتمكن وزارتي من تأهيل أشخاص للعمل في المجال العربي.

ثانياً ـ منذ قيام الدولة قطعنا كل الصلات التي كانت لنا مع العالم العربي بصفة عامة ومع لبنان بصفة خاصة. وليس من السهل علينا تمهيد ذلك في وقت قصير.

ثالثاً ـ لا أجد مبالغ المال الكبيرة اللازمة لمثل هذا العمل، وهي أموال ستلقى في ساحة المقامرة، بينما تمر دولتنا بأزمة اقتصادية حادة، وتعد كل قرش وتحدد له مكانه الضروري والمهم.

رابعاً ـ أشك فيما إذا كان المارونيون أنفسهم سيكونون مستعدين للإخلاص لمثل هذا الموضوع حتى النهاية، إذ أنه لا يجوز وضع الثقة حتى في كتائب بيار الجميل، فاللبناني الماروني ليس برجل نضال ولا برجل التضحية، فهو يتحمس بسرعة ويبرد بسرعة، إنه بطل في الكلام وضعيف في ساعديه.

٧ ـ بالطبع لن يظل الموضوع طي الكتمان بل سيفتضح، لكنني لا أقدر إنه سيسبب لنا في الظروف الراهنة ضرراً كبيراً تجاه الدول العربية، فهذه الدول تنسب الينا ألوانا من الخطط الخيالية والنيات الغريبة، والأنشطة الهدامة. ثم لماذا يحق لها أن تتعرض لنا ولا يحق لنا ذلك؟

لماذا يحق لها أن تتحدث في اجتماعاتها وفي المساجد وعلى صفحات الجرايد وفوق كل منبر عام أو سياسي عن رغبتها في مهاجمتنا وتحويبنا وإلقائنا في البحر، ويحرم علينا أن نقوم بأي عمل من شأنه أن يخلخل استقرارها ويحبط خطط وحدتها ويعرضها أمام العالم على أنها دول متنازعة تحاول الواحدة ابتلاع جارتها؟ ومع ذلك فإنني أقرك تماماً فيما يتعلق بالضرر الذي يقع علينا، إذا افتضح الأمر، من ناحية الدول الغربية العظمى، رغم أنها هي ذاتها تفعل ذلك في عدة أماكن. .

آسف إن كنت قد أثقلت عليك في الإفاضة بالكلام. لكنني أردت أن أسهم بقسطي المتواضع لتوضيح الامور وإكمال الصورة.

مع تحيات

الياهو ساسون

• • • • • • •

لا بد أن نلاحظ هنا أن تاريخ هذه الرسائل الثلاث إنما كان في عام ١٩٥٤ . . .

ففي هذا العام كان الوطن العربي مشدوداً الى قضاياه الداخلية وأزماته المختلفة . . .

كانت مصر بعد عامين من قيام ثورة ٢٣ يوليو تدخل معركة إجلاء بريطانيا عن أراضيها . . .

وكان خلفاء الملك عبد الله في الأردن يعملون على ترتيب صفوف الدولة إثر اغتيال مؤسسها عام ١٩٥١، بينما كانت سورية تشهد الإنقلابات المتوالية ابتداء من انقلاب حسني الزعيم، ومروراً بانقلاب سامي الحناوي، وأديب الشيشكلي و . . . و . . . .

في هذه الظروف العصيبة التي كان الوطن العربي يجتازها، كان هناك ثلاثة من القادة الصهاينة الكبار: (دافيد بن غوريون، وموشى شاريت، وإلياهو ساسون، يتبادلون الرسائل فيما بينهم للتخطيط لمرحلة تالية من المواجهة العربية الإسرائيلية بعد قيام دولة الإغتصاب ١٩٤٨ .

وقد تحدد في هذه الرسائل التي نشرتها جريدة (داقار) كما أسلفنا، وخاصة في رسالة (بن غوريون الى شاريت) الأهمية الكبرى التي تنطوي عليها بالنسبة لإسرائيل، عملية تقسيم لبنان، وأهمية إقامة دولة مارونية فيه، بالنسبة للحفاظ على مستقبل الدولة الصهيونية، والعمل على إبقاء العالم العربي في حالة من الإنقسام والتمزق. . . ومن القراءة الخاطفة لهذه الرسائل لا بد أن ندرك مدى المتابعة التفصيلية المتعمقة من جانب القيادات العدوة لحقائق الأوضاع الداخلية في العالم العربي، ومنذ ذلك الوقت المبكر، ويظهر ذلك بوضوح في الخطابات الثلاثة عامة، وفي رسالة موشى شاريت الى بن غوريون في مارس ١٩٥٤ . . . خاصة، حيث تبرز فيها بوضوح متابعته التفصيلية لما يسمى بقضية الأقليات داخل الوطن العربي.

(فالبانوراما) العربية واضحة تماماً، منذ ذلك الوقت وحتى قبله بكثير أمام مخططي التآمر الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والوحدة العربية . . وقد أعربوا عن ذلك صراحة في رسائلهم.

(فلبنان ـ كما قال بن غوريون ـ هي أضعف حلقة في سلسلة الجامعة العربية) و (مصر هي الدولة الأشد تماسكاً ورسوخاً، فالأغلبية العظمى من سكانها كتلة مكونة من جلدة عرقية واحدة وموحدة في الدين واللغة . .) كذلك فقد أسفر القادة الصهاينة، وخاصة بن غوريون عن إدراك كذلك السبل والملابسات الكفيلة بتحقيق المخطط الصهيوني العتيق، وبصورة تمثل استشرافاً يتطابق مع السبل الذي سار فيه بوضوح المخطط التآمري الواضح لضرب لبنان . . . إذ يقول بن غوريون عن مخطط إقامة دولة مارونية في لبنان:

(. . إن هذا أمر لا يكاد يكون في حيز الإمكان في الأيام الحادثة، لغياب المبادرة والجرأة . . الخ . .)، لكن في وقت البلبلة والاضطراب والثورة أو الحرب الأهلية يتغير الموضوع . .

وإذا كان بن غوريون قد تعجل إقامة دولة مارونية في ١٩٥٤ : (هذه الساعة هي الساعة المؤاتية للعمل على إقامة دولة مسيحية بجوارنا)، فإن موشى شاريت، والياهو ساسون، قد كشفا عن الصعوبات، ونقص الوسائل والإمكانات التي تحول دون تنفيذ هذا المخطط في ذلك الوقت . . .

ومن الواضح تماماً، ومن خلال التكتيك الذي اتبعه المتآمرون لضرب لبنان ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، أن مرور ما يزيد عن عشرين سنة على تبادل هذه الرسائل كان فرصة كافية حقاً لإسرائيل، لتوفير كافة السبل والوسائل التي كانت تعوزها وخاصة الأموال، لتنفيذ هذا المخطط في الخمسينات علماً بأن هذا المخطط عاد لا يعني إسرائيل وحدها، بقدر ما أصبح يعني أيضاً مصالح الدول الكبرى التي تحارب التقارب العربي الذي يقود للوحدة. .

فإذا كان بن غوريون قد أعلن في رسالته الى شاريت ١٩٥٤ (من أجل الدولة المارونية فإنني مستعد لاستخدام ال. . .) فإن ذلك يكشف عن توفر الأوكار الإسرائيلية داخل لبنان، وغيرها من الدول المعنية منذ ذلك الوقت بالطبع، وقبله بكثير. . . والمرجح أنه يقصد (بال) شيفرة إحدى الشخصيات أو وحدات التجسس الخاصة المدربة للعمل داخل البلاد العربية، لا سيما وأنه ينصح باستدعاء روبين شيلوح مدير مدرسة الجاسوسية حينذاك ومستشار المهام الخاصة (الجاسوسية) بالخارجية الإسرائيلية، والذي أطلق اسمه بعد وفاته في ١٩٥٩ على المعهد الذي تخصص في تخريج الجواسيس المؤهلين للعمل في الدول العربية وهو (معهد شيلوح). وتقدم هذه الرسائل أيضاً أدلة من التاريخ، على حقيقة القوى التي تساند الصهيونية، ضد وحدة لبنان الوطنية، فعن إقامة الدولة المارونية في لبنان يقول بن غوريون:

(بدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الأمر) وإن هذه المهمة هي (إحدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية)، بينما يؤكد موشي شاريت ضرورة تحقيق ذلك الهدف لتحويل الأذهان عن العقدة الإسرائيلية ـ العربية، في حين يشير الياهو ساسون الى أنه (ليس من الصعب خلق الغليان المطلوب، لوجود أسس لإثارته). على أنه إذا كانت إسرائيل قد خططت منذ عام ١٩٥٤ لمحاولة تقسيم لبنان وإقامة دولة مارونية هناك، في الوقت الذي لم يكن فيه العامل الفلسطيني قد ظهر بعد على أرض لبنان، فالأمر المؤكد أنه أصبح لديها ألف سبب وسبب لأن السير بهذا المخطط المؤامرة قدماً الى الأمام، بعد أن أصبح لبنان، المركز الرئيسي للقوى الفلسطينية الضاربة، ومقر قيادة المقاومة، كل هذا من شأنه أن يدفع بقوى التآمر الصهيوني للتحرك أكثر فأكثر باتجاه إحداث الشرخ في الكيان اللبناني. .

ومن نافل القول التأكيد أن المخطط التآمري يقوم على رافعة إثارة الطائفية. . . وقد جاءت رسائل القادة الصهيونيين الثلاثة ليكفون مؤونة تتبع واكتشاف الأهداف التي يخططون لتحقيقها في العالم العربي، لأنهم يتحدثون عن ذلك بوضوح في هذه الرسائل على لسان الياهو ساسون مستشار الحكومة الإسرائيلية للشؤون العربية في ذلك الوقت الذي يتساءل محنقاً:

«لماذا يحرم علينا، أن نقوم بأي عمل من شأنه أن يخلخل استقرار الدولة العربية، ويحبط خطط وحدتها، ويعرضها أمام العالم على أنها دول متنازعة، تحاول الواحدة، ابتلاع جارتها؟»

شخصيات الرسائل في سطور

(دافيد بن غوريون)

ولد عام ١٨٨٦ في بلدة بلونسك ببولندة. هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦، درس الحقوق في جامعة استنبول. كان في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين رئيساً لادارة الوكالة اليهودية. وعند قيام دولة الاغتصاب، كان أول رئيس وزارة لها، وكان يحتفظ دائماً بوزارة الدفاع لنفسه الى جانب رئاسة الوزارة. عرف بالعناد والسطوة، ولذلك احتكر

السلطة لنفسه منذ قيام الدولة في عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦١ فيما عدا فترة قصيرة تبلغ حوالي العام في ١٩٥٤، والشهر الأول من ١٩٥٥. ثم اعتزل السياسة وانزوى في مسكن على الطراز السويدي في مستعمرة سديه بوكر (حقل راعي البقر) ليكتب مذكراته. وعلى أثر هزيمة إسرائيل في عام ١٩٧٣ أصيب بالشلل، وما لبث أن قضى بعد ثلاثة أشهر من حرب رمضان ١٩٧٣.

كان يدعى (غرين)، ولكنه حول اسمه الى اسم الأسرة العبري واختار اسم (بن غوريون).

(موشي شاريت)

اسمه الأصلي شرتوك، ثم غيرّ اسم الأسرة الى اسم عبري وهو شاريت (أي الخادم).

ولد عام ١٨٩٦ في روسيا، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦، تخرج من المدرسة الثانوية (هرتسليا) بتل أبيب ثم من كلية الضباط في استنبول، ثم كلية الاقتصاد في لندن، كان عضواً في سكرتيرية حزب ماباي، ورئيساً للجنة الصحافة في الحزب وعضواً في مركز الحزب.

كان رئيساً للادارة السياسية بالوكالة اليهودية في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، وعند إقامة دولة الاغتصاب، عين وزيراً للخارجية، وظل يشغل هذا المنصب طيلة أيام حياته السياسية حتى مات عام ١٩٦٠، وعندما اعتزل بن غوريون الحكم عام ١٩٥٤، عين هو رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية.

كان في الاطار الصهيوني، أكثر اعتدالا من بن غوريون، وكثيراً ما دبت بينهما الخلافات، لكن بن غوريون كان يجند الأغلبية من زعماء ماباي الى صفه ليرجح كفته ضد آراء شاريت.

(روبين شيلوح)

اسمه الأصلي (زسلين)، ثم تسمى باسم عبري فاختار (شيلوح).

ولد عام ١٩٠٩ في القدس، تخرج من الجامعة العبرية بالقدس، ثم من كلية المعلمين.

كان عضواً في القسم السياسي بوزارة الخارجية بعد قيام دولة إسرائيل، ثم عمل مستشاراً للمهام الخاصة (أي أعمال الجاسوسية) بوزارة الخارجية، وكان عضواً في وفد إسرائيل في محادثات الهدنة مع الأردن. ثم عين وزيراً مفوضاً لإسرائيل في واشنطن. مات عام ١٩٥٩. ونظراً لضلوعه في أعمال التجسس أنشيء في إسرائيل معهد جاسوسية لإعداد جواسيس للعمل في الدول العربية يعرف بإسمه (معهد شيلوح) يدرب فيه الجواسيس على اللهجات العربية، والعادات والتقاليد العربية، كل حسب أجواء البلد العربي الذي اختير للعمل فيه. ومعظم المنتدبين لأعمال الجاسوسية هذه يجندون في العادة من يهود الدول العربية الذين هاجروا الى إسرائيل.

(بنحاس لافون)

اسمه الاصلي (لوبينكر).

ولد عام ١٩٠٤ في (جاليتسيا) بروسيا. هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٩، وتخرج من جامعة لفوف وكان عضواً في

سكريتيرية حزب الماباي، ثم عين وزيراً للزراعة، ثم سكرتيراً للهستدروت. وفي عام ١٩٥٤ عندما اعتزل بن غوريون عين وزيراً للدفاع. وفي أثناء تلك الفترة نفذت عملية التجسس الاسرائيلية في مصر، والتي عرفت فيا بعد بفضيحة لافون، أو العملية الفاشلة.

بعد ذلك عاد سكرتيراً للهستدروت. ولكن بن غوريون لاحقه وطالب بمحاكمته، بحجة أنه المسؤول عن العملية الفاشلة.

مات في النصف الأخير من عام ١٩٧١ بعد أن احتجب عن النشاط العام منذ عام ١٩٦١.

(الياهو ساسون)

ولد عام ١٩٠٢ في دمشق، هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٧.

كان مسؤولاً عن القسم العربي بالوكالة اليهودية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين. وعند قيام دولة الاغتصاب عين وزيراً مفوضاً في تركيا. وكان عضواً في الوفد الإسرائيلي لمحادثات الهدنة مع الأردن ومصر. ثم عين سفيراً في روما. ويعد مستشاراً للحكومة الاسرائيلية في الشؤون العربية. ويركز جهوده الآن على إجراء اتصالات مع العرب المقيمين في الأراضي المحتلة في محاولة لتكوين قيادة فلسطينية بديلاً عن منظمة التحرير...

* * * *

نلاحظ من هذه الرسائل المتبادلة بين الشخصيات السياسية اليهودية القائدة، مدى إدراك هؤلاء للتطورات التي وقعت في المنطقة بعد عام ١٩٢٠. لقد رافق التطورات اللبنانية العميقة منذ عام ١٩٢٠ نشوء حالات خطيرة في الشرق الأوسط، في طليعتها القضية الفلسطينية التي وضعت على عاتق البلد أعباء جساماً، وألزمته بها بدافع من المصلحة الواحدة ومن المصير الواحد، وبدافع أيضاً من عاطفة صحيحة تغمر القلوب شعوراً بمدى الظلم الذي أحاق بالعرب في فلسطين، وإيماناً بأن الغرب المسيحي هدر الحق التاريخي الثابت وامتهنه وتنكر للمبادىء التي طالما حاول أن يدخل في روع البلاد الضعيفة أنه متمسك بها يعض عليها بالنواجز.

وإلى جانب مضاعفات القضية الفلسطينية وقيام إسرائيل وترسخها على الأرض العربية، نشأت أيضاً تفاعلات تنعكس في خطير نتائجها على الأوضاع اللبنانية بعدما استقلت البلاد العربية تباعاً، وتقدمت إلى العالم تواكبها الإمكانات الهائلة في العدد والمواقع الاستراتيجية والثروة الضخمة، واستأثرت، وتستأثر باهتمام القوى الدولية الكبرى.

ولقد قامت في بعض البلاد العربية انقلابات مدنية وعسكرية أسفرت عن تطور عميق في النظم الدستورية وفي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن المفارقات أن لبنان الحكم لم يهتم كثيراً بهذه التطورات، بل مارس أهل الحكم بلبنان سياسة اللا اهتمام، وجعلوا من بلدهم مسرحاً لتصارع جميع القوى العقائدية، تسرح وتمرح وتعبث بقوانين الأمن وانظمته، ولا بد لنا أن نلاحظ ان المسؤولية مشتركة بين جميع العهود التي تعاقبت، منذ الاستقلال، من دون استثناء، فعقلية الحاكمين هي هي لم تتغير ولم تتبدل، لقد تجاهلوا جميعاً أن الأسباب التي ساعدت على قيام لبنان عام ١٩٤٠ قد طويت وطوى معها مرحلة الميثاق الوطني عام ١٩٤٣. هذا التجاهل هو الذي أوصل إسرائيل الى بيروت بمثل هذه السهولة.

أن كتابي هذا ليس «مؤلفاً»، فليس هناك وقت للتأليف، لقد ظهر في السوق العربية العديد من الكتب «المؤلفة» عن أحداث لبنان ١٩٧٥ وأسبابها ومسبباتها، لهذا فأن وصول إسرائيل إلى قلب بيروت لم يكن مفاجأة لأحد.. وإنما كان مفاجأة للذين لا يقرأون ولا يكتبون، ولا يفهمون..



هيروشيما يهودية

في بيروت



قال لي وهو يحاول أن يوقظني من شرودي:

ماذا ستكتب عن أحداث آب ١٩٨٢ في بيروت المحاصرة، المقهورة، التي استقبلت قنابل الطائرات والبوارج والصواريخ الاسرائيلية بصدرها العاري دون أن تصرخ؟

قلت:

سيان آب الأول أو الخمسون.. الأهم لدي الآن أن يبقى جرح آب حياً حتى يتغير آب.. أن تستمر المأساة كالسوط لا يهدأ في أيدي النخاسين حتى يزول السوط والنخاس.. تراها باقية؟... وتمطت من الجاهلية الأولى صورة أبي قابوس المنذر ويوم بؤسه السنوي لتتصل بأحداث دير ياسين ١٩٤٨ ومذابح آب في بيروت ١٩٨٢.. أيام بعد أيام تحولت بعبقرية شيطان عجيب من محرضات تلامس نخوة المعتصم إلى أيام بؤس مكرورة تنتشلها دودة الأرض حول الشمس من مستقرها، مرة إثر مرة ثم تعود فترميها في غيابة المحفوظات حتى.. قابل!

الذين انغرس آب في دمائهم كاللعنة الأبدية سكيناً جائعاً وراء الشغاف والأعصاب يخشون على هذا الجرح أن يهدأ، إن ابتلعه الخدر فقد يعني ذلك بعض الموت.. رحم الله المتنبي يوم (ما لجرح بميت إيلام)!

إن اليوم الذي وضع العرب وجهاً لوجه، ولأول مرة، أمام المعضلة الشكسبيرية المصيرية: أن نكون أو لا نكون يجب أن لا يعتاده الناس، لأن هذا الاعتياد بالذات هو ما ينتظره بيغن وشارون وشامير على الجانب الآخر من الجبهة، لأنهم يعرفون أنه صورة أخرى من العجز والكساح أمام القدر (الأوديبي) المحتوم!

كما اعتادوا سنة ١٩٤٨ سوف يعتادون سنة ١٩٨٢، بذلك يصرح وزير حربهم، وبهذا الأمل ينتظر وينتظرون ويلعب ويلعبون جميع الأوراق معاً.

ولئلا نعتاد، يجب أن تظل أنظارنا محملقة في أعماق الجرح، في موضوعية وصرامة وقوة، وعلى تحدي المداراة أو ينفع إغماض العيون، واجترار الذل المخيم فوق الرؤوس؟

لا بد أن نعرف كلما أطل آب جديد كم ابتعد آب الأول.. وأن نقيس على مراحل الطريق كم ابتعدنا نحن عن آب.. عن مناخه والعوامل التي أدت اليه.!

ولكن ماذا جرى في آب بيروت ١٩٨٢؟

في يوم الخميس ١٢ آب ١٩٨٢ وعلى امتداد ساعات الليل والنهار أغار الطيران الاسرائيلي على مدينة بيروت

٢٢٠ غارة جوية ألقيت خلالها ٤٤ ألف قذيفة، وكان الهدف المباشر لهذه العملية تدمير بيروت وإلغاء الحياة فيها، ولكن هذا الهدف لم يتحقق لأن حفنة من المقاتلين تصدّت بأجسادها لأكبر قوة عسكرية عرفتها هذه المنطقة على مدى الأزمان والعصور.

يكفي أن نذكر أن ٦٤ طائرة حربية من أحدث الطائرات المقاتلة في العالم شنت وعلى مدى ١١ ساعة عشرات الغارات ألقت خلالها عشرات الآلاف من أطنان القنابل الحارقة والعنقودية والانشطارية على المنازل في بيروت.

لقد سفح الدم العربي في بيروت، واستبيحت الأجواء وراح البحر ينفث عبر مدافع البوارج الحربية الاسرائيلية الحمم اللاهبة، وبلغ عدد القنابل التي ألقيت على الأحياء السكنية والمخيمات والشوارع في تلك الساعات ٦٠٢ قنبلة من عيار ٥٠٠ رطل، وألف وثلاثمائة قنبلة من عيار ٣٥٠ رطلاً ألقتها الطائرات الأمريكية الحديثة التي قادها الطيارون الاسرائيليون، كما ألقيت ١٢ ألف قذيفة مدفعية من البحر، و٣٢ ألف قذيفة وصاروخ من المدفعية والراجمات البرية.

هذه المذبحة التي ارتكبتها القوات الاسرائيلية لم تكن الوحيدة خلال شهر آب فقد سبقتها مجزرة مشابهة من اليوم الأول من آب، وسرعان ما لحقتها ثانية يوم الأربعاء الرابع منه.

المذابح (الأبية) الثلاث متشابهة من جهة التدمير الحقدي، بحيث لم تبق مؤسسة إنسانية على امتداد بيروت وضواحيها لم ينلها التدمير الكامل، فإذا كانت مذبحة أول آب قد تميزت بقصف المؤسسات الاسلامية ودكها، فإنها أيضاً قد تميزت بضراوة الغارات المجنونة.

كانت بيروت في ذلك اليوم تعيش منذ الحصار بدون ماء وكهرباء وهاتف وأغذية وأدوية حين فاجأتها الطائرات الإسرائيلية المجهزة بأحدث ما عرفته التكنولوجيا الأمريكية بغارات متوالية شاركت فيها البوارج والمدفعية والصواريخ، فعلى مدى ١٥ ساعة رمت إسرائيل فوق الرؤوس في العاصمة اللبنانية ١٨٥ ألف قذيفة من البر والبحر والجو، فدمرت الأحياء والبيوت والشوارع والمؤسسات على رؤوس ساكنيها، وسقط مئات الضحايا، ولف ما بقي من الأحياء السواد، لأن الماء غير موجود، وظلت الحرائق مشتعلة حتى أتت على كل شيء صادفته.

يكفي للدلالة على عنف مذبحة يوم الأحد أول آب أنه خلال كل ثانية تلقى ثلاث قذائف، وكل ثلاث دقائق غارة جوية تقوم بها ستون طائرة إسرائيلية تدور فوق مساحة لا تتجاوز ٢٥ كلم من بيروت وتبصق حممها بهسترية لم تعرفها الحروب القديمة والحديثة.

أحداث هذه الأيام الثلاثة من شهر آب ١٩٨٢ أعادت إلى الأذهان ذكرى مرّة لها طعم الصدأ وهي ذكرى الجمعة التاسع من نيسان ١٩٤٨.

ففي ذلك اليوم الأسود قامت قوة يهودية إرهابية مؤلفة من عصابات (الأرغون زفاي ليومي) و(شتيرن) بغارة على (دير ياسين) القرية العربية الفلسطينية، ولم تكن ثمة مناسبة واضحة لاقتراف مثل هذا العمل.

ومنذ ذلك اليوم الذي يفصل بينه وبين الثالث من آب ٣٤ سنة وهذه الحادثة موضع درس المؤرخين والمعلقين، فما حدث في يوم دير ياسين كان مادة لروايات متضاربة، وتفسيرات وأعذار من قبل عصابات الإرهاب الصهيونية، ولكن لم يكن فيما قالوه ما يبرر مقتل (٢٥٠) من العرب الأبرياء بينهم ما يزيد على مئة إمرأة وطفل، ولم يكن أقل مدعاة للمرارة ما قامت به عصابة الأرغون زفاي ليومي من عرض عدد من السجناء العرب في شوارع القدس.

يقول (مناحيم بيغن) زعيم منظمة الأرغون التي قامت بهذه المذبحة الأولى في كتابه (قصة ثورة الارغون):

(.. وفي بقية أنحاء البلاد أيضاً، بدأ العرب يفرون رعباً حتى قبل أن يصطدموا بالقوات اليهودية، وزحفت جميع القوى اليهودية عبر حيفا كما تخترق السكين قطعة الزبد، وأخذ العرب يفرون صارخين: ـ دير ياسين ـ بفزع.)

وفي الوقت الذي يفتخر بيغن بمآثر منظمته، لا يخبرنا بأنها ذبحت نساء وأطفال دير ياسين، وأنها بقرت بطون الحوامل، ومثلت بالأطفال الصغار أمام أعين أمهاتهم، ثم سهلت للبعض سبل الفرار ـ عن عمد ـ حتى ينتشر الخبر المفزع في الأرجاء.

كل هذا حدث قبل يوم أول آب ١٩٨٢ بزمان.

ونغمض الأعين ونضع الأصابع في الآذان، لعل مذابح آب ١٩٨٢ تمر صامتة كيوم التاسع من نيسان ١٩٤٨ دون أن يرقص عارها الشيطاني على الدروب العربية، كل الدروب العربية، أو تمزق بقسوة الجلادين صدورنا المسلوخة لتضيع في الزحمة سياط الآخرين.. الآخرون هم هؤلاء الذين قادوا الأمة الى هذا الواقع الذليل الذي عشناه في بيروت.

ومع أن المسافة لم تبتعد بعد البعد التاريخي بين نيسان ١٩٤٨، وآب ١٩٨٢ لنتبين هل هي النهاية الصغرى في الخط البياني النازل، ونقطة الإنقلاب، أم أنه إحدى نقاط الخط النازل، والمواسم الى إقبال.. مع ذلك فليس يعجزنا أن نتبين مواقع الأقدام دونما حاجة الى رمل المنجمين وحديث الودع!

ليس صعباً أن نتبين أننا وحتى الأطفال منا واللامبالون في (حالة حصار) ليست بيروت وحدها هي المحاصرة.. كل من داخل الأسوار محاصرون حتى الإختناق، والكل متناقضون كالسفينة التي يفترسها بحر الضباب كذلك نحن الآن، ولكن دون شراع أو دفة أو بوصلة تهدي الى الشروق.

بعد التاسع من نيسان ١٩٤٨ كان الأفق أكثر وضوحاً ومواقع الأقدام.. أما في آب ١٩٨٢ فإن تتابع الانهيارات منذ ذلك اليوم قد أضاع الطريق!

أولئك الذين ضربوا في التيه ضالين أربعين سنة ما بين إن عبدوا (عجلاً جسداً له خوار) وبين إن عرفوا طريق الخروج.. نعرف من هم في العهد القديم، وثمة شيء عجيب من تشابه المأساة بين أعينهم التي كانت تدور يومذاك كالدوامات باحثة عن الطريق بكل أفق، ولا شيء غير الصحراء، وبين أعيننا التي تدور اليوم كالجمرة المنطفئة ولات طريق.!

ومثلما كان يوم التاسع من نيسان ١٩٤٨ من صنع أيدي اليهود كذلك كانت أحداث آب ١٩٨٢! منذ ذلك اليوم توطد لدى الصهيونية في إسرائيل وهم كان يقول به (بن غوريون):

(القوة هي الطريق، وإن الحرب حتمية مع العرب). والعسكريون الذين قدموا لدولة تل أبيب كافة انتصاراتها المتتالية تركوا لدى جمهرة في إسرائيل قناعة كاسحة تداوي في الوقت نفسه التفكك الاجتماعي وشتات القادمين من كل فج بأن سبيل الأستقرار إنما هو القوة الساحقة.

حزب الماباي الذي قاد الفترة منذ يوم دير ياسين وضع له بن غوريون هذه السياسة التقليدية فيا بتعداها الى اليوم. . القوة داخل إسرائيل، والعمل المتواصل لإشاعة الفرقة في صفوف العرب خارجها. إن إغراء القوة في أحوال الخوف والشتات القومي لا يقاوم. . حتى الأطفال في المدارس علموهم الحقد على العرب. . فكلمة عربي لديهم سبّة وقد دل إحصاء قام به بعض علماء الاجتماع أن ٦٠ بالمئة من ١٠٦٦ طالباً بين عمر ٩ ـ ١٤ أيدوا الإفناء الكلي للعرب.

قبل أن يقوم جيش اليهود باجتياح لبنان بأيام نشرت جريدة (هاآرتس) تحقيقاً عن الحرب الذي يستعد لها الجيش لسحق (المخربين) واقتلاعهم من جذورهم، وقد تضمن التحقيق حواراً جرى بين ضابط وجندي.

الجندي يسأل والضابط يجيب:

ماذا نفعل بالأطفال والنساء؟

ـ يعاملون كالآخرين بدون رحمة. .

ـ ماذا نفعل بالجرحى؟

ـ لن يكون ثمة جرحى. .

ـ ماذا نفعل بالسجناء؟

ـ نطلق سراحهم لكي ينضموا إلينا. !

ميناحيم بيغن زعيمهم الذي علمهم الارهاب وما ينبغي له (بولوني ٦٢ سنة قائد الارغون والمسؤول المباشر عن مذبحة دير ياسين) يلخص موقف حزبه بكلمة يستعير اطارها من (ديكارت): وبدلا من الكلمة المشهورة:

(افكر فأنا موجود) يقول:

(اقتل فأنا موجود).

لم يقوموا باجتياح لبنان إلا بعد أن زرعوا بذور الاقتتال في الساحة اللبنانية، وفي هذا المجال يقول ميناحيم بيغن- رئيس وزراء إسرائيل.

(لقد استطعنا نقل فكرة الاقتتال إلى قلب لبنان وأطرافه، فاللبنانيون، والفلسطينيون، والسوريون كلهم في لبنان يهاجرون بالحرب. . لقد أضحت كلمة القتل كامنة في هوائهم. . في الأعصاب المشدودة والمتوترة، في الشارع. . في الشوفينية العدوانية، في تأليه قادتهم. . في ارتفاع حمى الاقتتال، في الاستعداد العسكري لدى جميع الأطراف بدون استثناء، إنهم يمضون في الإتجاه العسكري حتى آخر مداه رغم حديثهم المنافق عن السلام، وكل هذا سيكون لصالحنا.) على هذا النحو بدأت المعركة بين العرب واليهود، فكانت مذبحة (دير ياسين) عام ١٩٤٨ وعلى هذا النحو استمرت تارة بأيدي اليهود، وأخرى بفكرهم الذي فرخ في ادمغتنا، وبين المذابح التي جرت بأيدي اليهود والمذابح التي أرتكبت بفكرهم كانت المعارك تتواصل مع الحروب، وفي كل مرة كان اليهود هم المنتصرون، لأن السلم عندهم له طريقان يوصلان الى غاية واحدة هي الوصول الى إطفاء نار المقاومة في النفوس.

إن إسرائيل كانت وستظل تعبير عن حالة حرب، ومن مصلحتها المباشرة ان تنقل هذه الحالة الى الدول العربية المجاورة حتى لا تنتقل إلى إسرائيل. .

إنها تعيش حالة التوتر الحربي، وتنمو على الرضاع الحربي. . منذ عام ١٩٤٨ وهي تمارس الحروب لأنها بالنسبة من السلم الذي تتمناه، تعيش الحالة الاستثنائية وتستغلها لأنها حتى الآن غير قادرة على العيش الطبيعي السّوي، تزرع

الحرب في لبنان وسورية والأردن وفي الأوساط الفلسطينية للوصول الى السلم، فتدخلها الحرب في دوامة من الحقد تبعدها أكثر فأكثر عن إمكان السلم، وتدور الحلقة المفرغة، حرب على الدول العربية تؤدي الى حقد، وحقد في إسرائيل يؤدي الى حرب أخرى.

إن الدراسات التي أعدتها اليهودية العالمية لنتائج حرب رمضان ١٩٧٣ تكشف لهم ان العرب في طريقهم لكي يصبحوا قوة ضاغطة على العالم. . لهذا بادروا الى وأد المقاومة العربية في لبنان قبل أن يستفحل أمرها وتصبح قوة متحركة ضدهم. .

أما وسائلهم في الجانب الخلفي، لا على الواجهة، فتعتمد على شقين أساسيين:

آلة عسكرية تعربد في الداخل. .

وجهاز سياسي دعائي في الخارج يغطي هذه الأعمال. .

افبهذا الحديث تمترون؟

لم يعر أحد من العرب انتباهاً لما صدر عن المؤسسات الصهيونية من دراسات عن المهاجرين الاشكنازيم من اوكرانيا ووسط اوروبا الذين وفدوا إلى فلسطين يحملون البنادق بيد والمحراث باليد الأخرى، لم ينتبه أحد من عنصي الفكر لدينا الى تلك المنظمة اليهودية التي تسمي نفسها (هاشومير) ـ الحارس ـ. عدوّها من الحراس الليليين، واختلط على الناس الأمر فتشابه عليهم جماعة (هاشومير) مع جماعة (غوردونيا) و (تسعيري زيون) و (حشمو نائيم)، حسبوها من دور الكشافة تلك الدار في شرق تل أبيب التي كانت تسمى معقل الذئب (مسودة زئيف) وتجتمع إليها جماعة بيتار (بريت ترومبلدور) أو الدار الأخرى التي كانت تعج بمجموعة سوداء من الحاقدين (الارغون زفاي ليومي).

وحين قام العرب بثورتهم سنة ١٩٣٦ حسبوا أن الـ (٦٠) الفاً الذين كونوا وحدات الليل، ثم وحدات البالماخ (كتائب الضرب السريع) إنما هم مجرد تجنيد يهودي بجانب الانكليز، كتلك الفرقة اليهودية التي تألفت بعد ذلك في الحرب العالمية الثانية، وحسبوا حقاً ما سمعوا من غضب الصهيونية على الجماعات الفاشية العسكرية التي قتلت اللورد موين وشنقت جنود الانكليز بالشجر، ما عرف أحد من غلمان الدعاية العربية معنى أن فرق (هاشومير) ووحدات الليل والبالماخ قد تحولت الى جيش كامل منذ عام ١٩٤٦ باسم (الهاغانا) قبل قيام الدولة بسنتين، وأن الوكالة اليهودية رصدت ميزانية حربية خاصة تلك السنة بمبلغ (١٥,٥) مليون جنيه إسترليني، وأن ثلاثة ملايين جنيه إسترليني قد خصصت لصرفها في لبنان لإقامة مؤسسات إعلامية تطبع الكتب، وتصدر المجلات، وترسل المطابع الحديثة.

كان اليهود منذ اللحظة الأولى يبنون قاعدتهم العسكرية الصلبة في فلسطين ولبنان معاً.

كبار الضباط الذين نعرف اليوم فإنما هم أبناء كتائب البالماخ ووحدات الليل والأرغون زفاي ليومي، كلهم كانت كليتهم العسكرية هذه الوحدات الإرهابية، وتدريب الحرب العالمية الثانية، وكلهم يعرفون عن لبنان أكثر بكثير مما يعرفه المتشدقون بالعبارات المترجمة.

أما الجنود، فكل الشباب على السواء تدربوا في المستعمرات (الكيبوتزات)، وخاصة المستعمرات القريبة من الحدود اللبنانية، وكلما اقتربت المستعمرة من جنوب لبنان لبست أكثر فأكثر اللون الكاكي، وبرز الرشاش في برج المراقبة وفوهة المدفع من حائط السور.

وتتغذى العسكرية الإسرائيلية بالحقد التوراتي دوماً، وإذا كانت هذه المنظمات الصهيونية إنما تجمع اليهود المعتدلين، فطبيعي أن يكون للمتطرفين معسكراتهم الأشد فتكاً:

عصابة الارغون زفاي ليومي بدأت تجاهر اليوم بأن لديها العشرات من المقاتلين الذين يقاتلون على الجانبين تحت أسماء مستعارة وهويات مزورة.

هذه العصابة التي قادت اجتياح لبنان بعسكريها ومدنيها إنما أسسها جابوتنسكي في الثلاثينات، وقد خرجت عصابة أخرى سنة ١٩٣٨ عرفت باسم صاحبها (ابراهام شتيرن)، وإن سماها (ليحيمي حيروت إسرائيل)، وإذا مات جابوتنسكي سنة ١٩٤٠، ثم لحق به الزعيم الذي تلاه (رازال) وهو يحارب العرب في الحبّانية (العراق) سنة ١٩٤١ فإنما أورثا المنظمة صدفة الى زعيم أشد حقداً وسواداً (ميناحيم بيغن) مايزال على رأسها الى اليوم وإن سماها حزب حيروت ثم شكل معها تجمع الليكود الحاكم اليوم. شعار الجماعة بندقية تخترق جنوب لبنان وجنوب سورية من العقبة حتى سهل البقاع (لاحظوا بانتباه انتشار الجيش الإسرائيلي اليوم في لبنان).

هذه الآلة العسكرية يكفي لكي نعرف خطر المكان الذي تحتله في الوسائل الصهيونية والخطط، ومدى الإعتماد الرئيسي عليها ان نعرف أن زعماء اليهود وهم في الغمرة الكبرى من إعلان الدولة عام ١٩٤٨، وبعد ثلاثة اشهر فقط من ذلك الإعلان أسسوا لجنة الطاقة الذرية في وزارة الدفاع، ولنذكر أن القنبلة الذرية الأولى التي كانت أطلقت على هيروشيما لم يكن مضى عليها يومذاك سوى ثلاث سنوات.

(بن غوريون) هو الذي وضع القاعدة لقومه:

(إن البت في الأمور يتوقف على قوة السلاح لا على المقررات الرسمية، وعلى إحداث الفرقة في الجسم العربي مهما كانت الوسائل).

واعود فأذكر أن هذه الآلة الحربية الجهنمية التي اخترعت لمهماتها بالترتيب أسماء: (الدفاع)، ثم (الحرب الوقائية) ثم الحملات لتأديب (المخربين)، ثم الحرب الإنتقامية التي شنت على لبنان، إنما مهمتها الحقيقية ليست فقط تثبيت وجود إسرائيل بالقوة في الشرق الأوسط ولو أن هذا ليس بالقليل، ولكن ما عبّر عنه إسحق رابين (المتظاهر الآن بعدم الموافقة على تدمير لبنان تدميراً كاملاً) قبل الاجتياح الإسرائيلي بأيام حين قال:

(سلامة إسرائيل لا يمكن توفرها إلاّ بدفع العرب الى الاقتتال فيما بينهم، وبهذه الوسيلة فقط يمكننا القضاء على قوة البلاد العربية قضاء تاماً، فحين نتعب من الحرب لا بد لنا من فترة لالتقاط الأنفاس، وهذه الفترة يفترض فينا أن نعمل لإشعال المعارك داخل البلدان العربية).

ومن كانت له أذنان فليسمع:

في كتابه (إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي يقول مؤلفه (إيغال الون) ص ٢١٦ ما يلي بالحرف:

(.. من اخطائنا في حرب ١٩٦٧ أنه كان على إسرائيل أن تهاجم على الجبهة السورية بمجرد انتهاء قواتها الجوية من إخراج القوات الجوية العربية من المعركة بما فيها القوات الجوية السورية، كان يجب القيام بمجهود في ذلك الوقت لإنزال السوريين من على الهضبة وسحق قواتهم المدرعة وإرغام الباقي منها على إعادة توزيع نفسها في وضع دفاعي عن

دمشق واحتلال جنوبي سورية كله، وكذلك جنوبي لبنان كله، ولو أن ذلك قد تم في وقته المناسب لتحقق لنا هدف سياسي كبير القيمة، فضلاً عما فيه من مكاسب أخرى جلية، كانت القوات الإسرائيلية تستطيع أن تقيم إتصالاً مباشراً مع الشعب الدرزي ـ الذي خضع طويلاً لقهر دمشق ـ وتساعد على إقامة كيان سياسي درزي، أي دولة الدروز المستقلة، وقياساً على خبرة إسرائيل مع مواطنيها الدروز، الذين قبلوا بكل نية صادقة التجنيد في قوات إسرائيل بمحض اختيارهم، وفي أعداد كبيرة في قوة شرطة الحدود الباسلة، وخاصة في القرى المتاخمة للحدود السورية واللبنانية، وحافظوا على أكثر العلاقات وداً مع إخوانهم المواطنين اليهود، كان من المعقول أن نفترض أن مثل هذه العلاقات كان يمكن أن تقوم مع المجتمعات الدرزية خارج إسرائيل.

إن دولة درزية كان يمكن بهذا الشكل أن تقوم كدولة فاصلة صديقة بين إسرائيل وكل من سورية والأردن ولبنان، وتساهم كثيراً في استقرار المنطقة، لقد ضاعت هذه الفرصة وغيرها نتيجة للتردد الذي لا موجب له والذي كان من الممكن تجنبه، لقد تأجل الهجوم الإسرائيلي حتى فات الأوان تقريباً عندما وافقت دمشق ظاهرياً على دعوة مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، ولكن موافقة سورية على وقف إطلاق النار لم توقف نيران مدفعيتها الموجهة ضد المستعمرات الإسرائيلية التي استمرت دون توقف، وهكذا منحت لإسرائيل فرصة أخرى وربما أخيرة من الناحية السياسية لإبعاد السوط السوري الذي يلهب ظهرها عن معقلة الحصين فوق المرتفعات).

من هنا يتضح لنا الخطة العسكرية التي نفذها (شارون) في اجتياحه لنصف لبنان، فما عجز عن تحقيقه إيغال الون حققه زميله في الحقد أريل شارون.

وأنتقل الى النقطة الثانية من وسائل الصهيونية الى الجهاد السياسي الدعائي في الخارج.

إننا حين نتعرف على هذه الوسائل سيتضح لنا لماذا أبرزت الصهيونية المذابح التي جرت في لبنان على امتداد حزيران وتموز وآب ١٩٨٢ في الساحة العالمية بالكلمات المذاعة والمصورة. إنها تريد إفهام العالم أنها موجودة وقادرة على التحدي باستمرار.

بين يوم دير ياسين وأحداث لبنان الأخيرة إنما هو المسافة المتشابهة الخطوط، ولا شيء آخر سوى ذلك الطوق التحكمي الذي إنما يحكم أساره ويشد أوتاره في الأعناق، رغبة العملاقين معاً أن تكون المناطق الساخنة في العالم تحت أقصى درجات التحكم والتطويق، أرأيت رعاة المناطق المرعية كيف يغرسون وينقلون الأوتاد لأبقار الحليب فلا ترعى إلاّ في مدى الدائرة التي يحددها الحبل في العنق؟

نتيجة لذلك:

إن المنطقة لم تعد لأهلها.. إن المنطقة التي كان أسمها فيا مضى (لبنان) لم تعد تشكل خطراً.. كل الأخطار التي تهدد مصالح الدول الكبرى وتضطرها الى المراقبة اليقظة كعجائز الزرادشتيين للنار، كلها زالت.. السلاح الموجود في لبنان انفجر في فرقعة واحدة، ولم يعد بين العرب رجلاً مسموع الكلمة أو مرهوب الرأي، والذين كانوا يستطيعون القيام ببعض المبادرات لجعل المذبحة في لبنان محدودة زالوا، منهم من قضى قهراً، ومنهم من استعجله الموت لكي لا يرى شرف الأمة العربية يمرغ في الوحل على هذا النحو المخجل الذي لم يعرفه تاريخ العرب حتى في جاهليتهم... النظم العربية تطوف حول نفسها كالقط الذي يريد أن يصطاد ذيله، وكل حاكم من الحكام العرب يتحسس رأسه ويتساءل متى يأتي دوره.! الاطراف العربية التي تقاتلت بلبنان تئن من الجراح.. تلك هي التسوية المثالية التي تجعل من (فيليب حبيب) مخرجاً لأبشع مسرحية درامية عرفها الشرق، ومخرجاً ناجحاً.

إن الحواة عندما يلعبون حتى بالأفاعي الضخمة لا يلعبون إلآ بعد عملية نزع الأنياب، وقد نزعت أنياب المقاومة العربية بالمشرط الأمريكي.

بعد يوم (دير ياسين) كان الفشل الأكبر الذي سجل هو أن الخوف من المذابح لم يتحول إلى شعور كارث بالخطر. ظل خوفاً من توافه الخوف على المصالح الأنانية، وفي إطار الموجة القصيرة من المصالح، لم يصبح شعوراً جماعياً بالكارثة يفترس الجموع ويلصقها بعضها ببعض كالصخر، لم يصبح من تلك الأخطار المصيرية التي تهز الشعوب حتى النخاع الشوكي، ظل في حدود الذات الفردية ولم يتسع حتى يشمل الأمة كلها. لا أجتمع في قناة واحدة ولا أخذ حده الأقصى من التوتر الإيجابي، ولا اتجه نحو العدو الواضح.. وحتى أحداث آب ١٩٨٢ لم تستطع لا القيادات السياسية ولا الفكرية أن تكشف خطر العدو في حجمه الحقيقي، لم تفهم كيف تحمل الخطر في منزلة فقد الخبز، وقد أثبتنا بالفعل، وبالدليل القاطع أن الشعوب تفاد من أذاها. ويبقى أمامنا معرفة ماذا جرى في لبنان على امتداد شهر حزيران، وتموز، و... آب ١٩٨٢، بعد أن نسينا ما جرى في يوم (دير ياسين) ١٩٤٨.

مثلما وقفت عام ١٩٤٨ انتظر الشحنات الآدمية التي حملتها المراكب من بقايا مذبحة دير ياسين ورمتها على الشاطىء اللبناني في بيروت، كذلك وقفت في بيروت يوم الجمعة ١٣ آب ١٩٨٢ بعد وقف إطلاق النار بالقرب من مبنى مستشفى الجامعة الأمريكية انتظر بقايا أحياء القصف الوحشي الذي تعرضت له بيروت على مدى ١١ ساعة متواصلة.

لم تصدق عيناي أن الدراجات النارية هي التي تحمل الأجساد المقطعة الأوصال، بعد أن تكرسحت سيارات الإسعاف لعدم وجود البنزين.

وتسابق الأهل نحو هذه الدراجات، وتسابقت معهم قلوب الأمهات بحثاً عن أولاد لهن بين الشحنات الآدمية الجريحة التي تنزف.. وبدأت الأمهات تنادي أولادها، ورفعت الأيدي والرؤوس وراء الدراجات النارية لتصفع الوجوه.. كل الوجوه.

والقيت الشحنات الآدمية على الرصيف لتروي وحدها قصص الجهل والخبث والتآمر المقيت.. وشعرنا بغصة، وقلت للدكتور (س. ع):

أرأيت؟! لقد كتب علينا أن نستقبل الشحنات الآدمية من أبناء قومنا شحنة إثر شحنة.. احتضن الحكيم جثة شاءت المصادفة أن تكون جثة فلسطيني من بلدة الناصرة وهرب بها الى الداخل ووضعها على الكرسي بعد أن أتت القنابل الإسرائيلية على قسم الإسعاف وراح يمسح الدم عن الوجه ليتعرف على الملامح ويلامس دقات القلب بيده.

وبدأت قوافل الجرحى المنقولة بمختلف وسائل النقل ما عدا سيارات الإسعاف تصل الى المستشفى.. وتبدأ عملية تفريغ الشحنات الآدمية.

لن أتحدث عن البربرية التي تميزت بها الغارات اليهودية خلال إسقاط حممها البرية والبحرية والجوية على الأحياء السكنية في بيروت وضاحيتها الجنوبية..

لن أتحدث عن اللاإنسانية واللاأخلاقية اليهودية وعن ضربها عرض الحائط بكل القيم والقوانين والأعراف

الدولية، بل اكتفي بذكر نوع القنابل التي استعملت من قبل الطائرات الأمريكية الإسرائيلية في أحداث آب ١٩٨٢ وما فعلته هذه القنابل في الأبنية والأجساد.

من بقايا الجثث التي وصلت الى مستشفى الجامعة الأمريكية ثلاث جثث مقطعة وملفوفة ببقايا حصير سحبت من تحت أنقاض بناية (عكر) هذه البناية التي كانت شاهقة بطبقاتها الثماني التي تتفرع كل واحدة منها الى ثلاث شقق وتتربع فوق ملجأ متين مبني بالباطون المسلح، لكنه رغم متانته لم يستطع ان يشكل حاجزاً بين آخر ما توصل اليه فن التدمير الأمريكي وبين أولئك الأطفال والنساء والشيوخ الذين لجأوا اليه هرباً من القصف.

لقد وصل عدد الشهداء والجرحى تحت ركام هذا المبنى الى ٢٥٠ شخصاً جميعهم من المهجرين الذين دفعتهم النازية المحلية والوافدة الى الهجرة من مخيم صبية واللجوء الى هذا المبنى الذي اشترته منظمة التحرير الفلسطينية لايوائهم.

كانت فرق الانقاذ تغتنم فرصة الهدوء النسبي وتعمل بشكل متواصل مستخدمة الرافعات الكبيرة لرفع الانقاض ولفتح ممر الى ما تبقى من الملجأ.

كان الى جانبي في المستشفى أحد الضباط العرب الذي راح يحدثنا وهو يكافح انطلاق الدموع من عينيه عن هذه القنبلة التي فجرت المبنى بكامله.. وقد استعملت هذه القنبلة على مدى واسع في الغارات (الأبيّة) الثلاث، قال:

هذه القنبلة هي من أحدث القنابل المتطورة لدى الولايات المتحدة الامريكية والتي لم تستخدمها منذ اختراعها، فكان الاجتياح اليهودي فرصة للقيام بعمليات تجارب واسعة على الأسلحة الأمريكية المتطورة.. هذه القنبلة تسمى (فاكيوم بريشن الارتجاجية) أي أنها تفرز مادة كيميائية تمتص الأوكسجين الموجود في الهواء أو تحرقه فيتحدم الضغط من جهة معينة ليتركز ضغط باقي الجهات على المكان الفارغ فيحصل التدمير الضغطي.. ان هذه القنبلة عندما تضرب تحدث ارتجاجا قويا الى جانب تفريغ المكان الذي تمر فيه من الضغط فيحدث التصدع في المبنى أولا نتيجة الارتجاج ثم ينهار المبنى نتيجة الضغط وانعدام الجاذبية وهذا ما حصل في بناية عكر.

كان الضابط يواصل حديثه حين عوت سيارة اسعاف وتوقفت الى جانبنا لترمي شحنتها الأدمية المشوهة، وسأل الضابط أحد المناصر:

من أين؟ وجاءه الجواب من (الرادوف)..

وبنتيجة الحوار عرفنا أن الرادوف تقع في الضاحية الجنوبية خلف المقابر لجهة سقي الحدث، حيث يوجد مبنيان متلاصقان الأول لصاحبه (أبو حسن بدير) ويتألف من ست طبقات، والثاني لصاحبه (أبو علي ناصر) ويتألف من سبع طبقات.

يأوي المبنيان ١٨٠ شخصاً هم من سكان المحلة الذين تجمعوا في ملجأيهما خوفاً من قذائف المدفعية الإسرائيلية البرية والبحرية التي كانت تتساقط على تلك المحلة كالمطر المنهمر.

المبنيان تعرضا للقصف الجوي والبحري والبري، وغارت الطائرات على المنازل والمقابر ودور العبادة والمدارس والمرافق الاقتصادية والصحية والخيرية والاجتماعية فغيرت المعالم وحولت المنازل إلى ركام والأبنية الى أطلال.

نزل من سيارة الإسعاف شاب في مقتبل العمر ذراعه اليسرى مربوطة إلى عنقه والدم يسيل على صدره، روى لنا (أحمد عيسى) كيف أغارت الطائرات على المبنيين فدمّرتها، وقال:

كنا داخل الملجأ حوالي ٨٠ شخصاً بين طفل وامرأة وعجوز وكانت القذائف تتساقط في كل مكان، وبين الحين والآخر كان الناس يخرجون إلى الحمامات أو لتعبئة المياه، وبدأت الطائرات بالتحليق فوق المنطقة، ثم راحت تغير على حي السلم وبرج البراجنة، واستهدفت في جملة ما استهدفته البنايتين فانهار الملجأ في كليهما، وإذا بالصواريخ تلاحق الهاربين فقتلت ٧٠ شخصاً، كانت اشلاء الجثث على جدران الملجأ وشكلت ما يشبه بركة ماء.. ثم اتجهت القنابل إلى المقبرة فدمرت المقابر ونبشت بعضها فخرجت عظام الموتى إلى سطح الأرض. لقد سقط أحد الصواريخ على مجموعة من الأطفال كانت تحتمي في دكان فأحرقت الجميع، لقد كانت الصواريخ من نوع (النابالم)، والمواد التي تنبعث منها تحرق كل ما تصادفه.

كان الشاب أحمد عيسى يتكلم والعيون كلها تبكي.. عيون الأطباء والصحافيين الأجانب وعيون المارة أيضاً، ورحت أفتش عن الدكتور جورج حبش (الحكيم) علّني أجده؛ وكيف لا أذكر (الحكيم) وقد كنا معاً يوم الأحد الحادي عشر من نيسان ١٩٤٨ على الشاطيء بالقرب من ميناء بيروت ننتظر الشحنة الأولى التي أفرزتها مذبحة دير ياسين ١٩٤٨، وكان معنا الدكتور سمير عزام، الطبيب الذي شاءت أقداره أن يشهد المذابح الواحدة تلو الأخرى دون أن ينهار.

يومها كان الحكيم جورج حبش يستعد لتأدية الفحص النهائي في الجامعة الأمريكية ليحصل على شهادة الطب، وترك الفحص وحمل معه ما حصلنا عليه من أدوية وتطوع ليداوي الجرحى مع رفاقه من أبناء صفه.. سمير عزام، وتوفيق شخشير، وانطون (ط).

لقائي مع سمير عزام لقوافل جرحى وجثث عدوان آب ١٩٨٢ لا يشبه لقائي مع الناجين من دير ياسين عام ١٩٤٨، كنا في اللقاء الأول نشتعل حماساً.. أما اللقاء الأخير فيختلف. كان اللقاء الأول مع التحدي، أما اللقاء الثاني فكان مع القهر.. هل تغضب هذه اللفظة؟

كان لقاء مع الدموع.. الأجساد المتلاصقة، والأيادي المتعانقة.. والسؤال عن مصير الأهل والأقارب هو القاسم المشترك بين الجميع.

نساء جئن يبحثن بين الجرحى عن أولادهن، ورجال سقطت كلمة (ما يعرف) عليهم سقوط الصواعق وأخوات جئن يستقبلن أخوتهن فاستقبلوهن بعيون جرحتها الدماء.

امرأة حافية القدمين، إستندت إلى حائط المستشفى وبدأت تطل على كل موكب سائلة عن أولادها الأربعة، وعندما علمت مصيرهم في (الشياح) سحلت نفسها على الأرض وبدأت تضرب رأسها بيديها حتى أغمي عليها.

فتاة جاءت تسأل عن عائلتها بعد أن إضطرتها الظروف للسفر فكان الجواب أن العائلة كلها اختفت في الملجأ الذي ردم بفضل صاروخ زاره، وبدأت بالصراخ مولولة، ثم راحت تشتم بالعربية.

إمرأة تلبس الأسود جاءت تقبل رجلي أخيها الجريح الممدد على الأرض، فلم يستطع بيده المبتورة، إزاحتها فصرخ بها قائلاً:

ـ لماذا يا أختي؟

ومن بين ركام الجثث ظهر أحد الجرحى الـذي رفض أن يسـنـده أحـد، ووقف على رجليه رافعـا بقايا يديه المحروقتين حتى العظم وصرخ:

ـ يا للعار. !

ويرتفع صوت جريح من ورائه يسأل:

أين أبي؟ وأين أمي؟ وأين أخوتي؟ ويجهش صوت أمه بالبكاء لتقول له وهي تصارع الدموع:

ـ وحدي أستقبلك يا ولدي. . ماتوا تحت الردم.

وتطل الممرضة السويدية إيفا في سيارة اسعاف، كانت ممدّدة إلى جانب أحد الجرحى، تنظر أمامهـا الى تلك المشاهد فتترقرق الدموع في عينيها. . واقترب منها صحافي أمريكي فرفضت أن تمد اليه يدها لتصافحه وهجمت على الكاميرا التي كان يحملها وراحت تدوسها بأقدامها وتبصق على وجهه. وفيما كان بقايا الأطباء والممرضات في مستشفى الجامعة الأمريكية يحاولون صنع المعجزات كان عشرات الأهالي ينتظرون على الأبـواب وفي باحـة المـستشفـى، وفي الطريق العام للتبرع بالدم.

دم. . دم. . ترى ماذا سيقول تاريخنا عن الأحداث (الآبية) في بيروت؟

أكتب هذه الكلمات وقد دخلنا الشهر الثالث من حرب فريدة، أكتب وبيروت محـاصرة والـذين ظلوا فيهـا يلتصقون إلى المذياع يتنفسون هواء الملجأ الخانق، فليس في بيروت ملاجىء صحية، لقد تحولـت المستودعـات الى ملاجىء، كما تحولت الأقبية المملوءة بالقذارة والحيوانات الزاحفة الى أمكنة للوقاية من الموت. .

إن مبنى من عشرة طوابق ينهار مثل مبنى ورقي ويهبط على بعضه، ضاغطا البشر والأجساد. . القنابل تتساقط على الرملة البيضاء، تلك القرية البحرية الصغيرة التي اقيمت على أرضها أحلى العمارات، وفي محاولة للكشف عن مكتبي الكائن في قلبها رأيتها وقد حرثت حرثا، وتهاوت أشجارها محترقة أو مهشمة، لم أستطع إلقاء نظرة خاطفة على منزل أديبنا أكرم زعيتر الذي يحتفظ فيه بأغلى ذكرياته وأثمن أوراقه لكثرة السـواد الذي يطوقه، فثمة عمارات إنحنت على البحر بفعل القصف موشكة على الغياب الأخير تحت أمواج المتوسط الهادئة.

هكذا، إذن، تفعل الطائرات الأمريكية اليهودية. !

هل عشتم مثلنا في مدينة محاصرة من قبل يهود.

نحن عشنا، ورأينا، وسمعنا وحين نحاول الوصف يتوقف القلم ويحزن، لأن الكلمات العربية أضحت عاجزة عن التعبير بعد أن إستباحت الأجهزة الإعلامية الموجهة طهارتها.

لقد عشنا في بيروت المحاصرة التي يسكنها قرابة المليون بسبب ستة آلاف مقاتل، أثبتوا للمـلأ أن الاجساد العارية تستطيع أن توقف زحف البرابرة. .

الماء. . الكهرباء. . الوقود. . الدواء. . الغذاء، خمسة عوامل تؤدي مجموعها إلى تعطيل دورة الحياة ذاتها، بل لقد أدى واحد منها، الماء مثلا، إلى خلل كبير في هذه الدورة. . قال لي الدكتور (و. ص) وهو يحمل بيده كالون ماء

فارغ ويسير تحت القصف باحثا عن نقطة ماء ولو ملوثة: لقد مات بين يدي طفل ذو سنتين ظمأ صباح هذا اليوم، لم اترك بيروت وأنا القادر لان صرخات الجرحى دفعتني للبقاء معهم.. هل رأيت مستشفى البربير لقد دمروه.. معليش طالما اننا أحياء فسنعيد بناءه..

إختفى الماء بتاتا ومنعوا وصول الماء إلى بيروت.. وتتخاطف الأسماء: الكوليرا.. التيفوئيد.. الطاعون.. المياه ملوثة أو غير صالحة للشرب، البرابرة الجدد إخترعوا وسائل حديثه لمنع الماء عن المدنيين.. المزابل تعلو مثل تلال صغيرة تتوجها القطط الميتة، وتعبث بها بعض الأيدي باحثة عن طعام ولو فاسد.. أحد الزملاء اخبرني أنه رأى بأم عينيه في شارع الحمراء رجلا كان يمتلك متجرا كبيرا يغتنم فرصة الظلام ويقتحم كومة من الزبالة ليبحث بينها عن شيء يتناوله.. وصارت الفئران المتضخمة تدخل النوافذ، فاغلقوا النوافذ رغم الحر لاتقاء الحيوانات الزاحفة بينهم.

في البسطة رأيت شابا يعمل مهندسا في شركة كبرى يفترش الارض، قال لي بالأمس أصابت قذيفة البناية التي أقطن فيها فدمرتها، لم اجرأ على زيارة بيتي خوفا من أرى أوراقي وذكرياتي طعمة للنيران، وها أنا اجلس بالقرب من بيتي بانتظار ان تاتيني الشجاعة للقيام بالاغارة على منزلي. موقف المدني الصحافي الشاب الذي يعمل في جريدة السفير وقف امام منزله المشتعل بنيران القنابل الحارقة يستصرخ احد رجال الاطفاء لكي يصعد إلى المنزل ليجلب له أوراق إبنه المبعثرة.. فاذا بنقيب الصحافة اللبنانية الاستاذ محمد بعلبكي يتقدم منه ويطلب منه ان يصبر ويأتيه غدا لكي يبحث معه بقضية معينة.. كان منزل محمد البعلبكي قد زاره الصاروخ الحارق ايضا.. كان النقيب صامتا بشكل مذهل.. لقد روى كيف امضى الليل في الممر ينتظر إنفجار البناء الذي يقطنه.. وفي الطريق راح يتفقد دور الصحف، ويسمع قصص الزملاء التي تبكي الصخور الصماء. صارت أذاننا بالغة الحساسية، مرهفة إرهافا مرعبا، لكن الصوت الاكثر دخولا في هذه الحساسية هو صوت الطيران لا سواه.

في الليل نستفيق من نومه الاعياء على هاجس ما، أهي الطائرات مقبلة؟ نرتدي متعجلين ملابس الخروج، ونختطف أحذيتنا في العتمة، ونفتح الباب.. والصوت يقترب في الليل الساكن.. واذا بنا في المفاجأة الساخرة، فالامر لا يتعدى دراجة بخارية سليطة اللسان، قال لي الدكتور (س-ي) لعنة الله على من اخترع هذه الدراجة لقد أصبح صوتها يؤذيني اكثر من صوت الطائرات المغيرة.

صوت الطائرات أضحى سمير المحاصرين، فالطيران الامريكي اليهودي يستمريء تحليق الساعات الطوال، وربما استمرت غاراته وطلعاته على مدار الساعات الأربع والعشرين، قصف أو كشف.. قصف وكشف، والعمارات الشاهقة تسوي بالارض، والأجساد البشرية تتناثر، بينما تغطي بيروت سحب كابوسية، وتحتجب الشمس في الظهيرة، أو تبتديء لماماً، صغيرة حمراء، عيناً واحدة لعالم قاس.. انها شمس الحروب ضد الأبرياء..

اصبحنا نتنفس الهواء داخناً مشبعاً برائحة البارود، «والشحوار» يكسو اشجار بيروت المشلحة من اوراقهاحرش بيروت الذي زرعه الأتراك ليحمي بيروت من التلوث أكلته القنابل الحارقة، صارت الشظايا من مستلزمات الشوارع، كالارصفة المدمرة أو أعمدة الكهرباء المتهاوة الراكعة.. شظايا من كل نوع.. هاون.. هويتزر.. بقايا صاروخ قذيفه مركونة إلى الجدار كانها تحفر قبراً، هيروشيما يهوديه..

اعتقد أن هذا التعبير هو الاكمل.
ولكن ماذا كان المقاتلون يفعلون؟

دنيا المقاتلين تختلف تماما عن دنيانا . . إنهم يتصرفون بهدوء ويضحكون من خوفنا ، منهم من يحمل سلاحه ذاهباً إلى الموقع ، في ليلة القصف المجنون إستطاع شاب لا يتجاوز عمره العشرين ربيعا أن يدمر ثلاث دبابات على خط المتحف ، وحين رآه اليهود تركوا دباباتهم وفروا . . قناص من الداخل أمطره بثلاث رصاصات فهوى على الارض ليزحف إلى بناء يقع خلف قصر منصور (مبنى المجلس النيابي) ومن هناك سار حتى وصل إلى البربير، ومن هناك إنتقل إلى مستشفى الجامعة الامريكية ، حين زرته واصغيت إليه وهو يحدثني عن اليهودي المحصن بدبابته وكيف يخاف مغادرتها . وضعت يدي على حقيقة صعبة التكشف إلا في الملمات ، وهي أن المعارك الظالمة في بيروت أوجدت مقاتلا يمتلك من الوعي الاساسي والثقة بالتنظيم بما يؤهله لبناء دولة ستكون بالتأكيد افضل دولة بناها معظم الدول العربية على امتداد تاريخهم الحديث ، لقد بنى معظم الدول العربية حكمهم على مقاسهم ، بعد أن سحقوا شعوبهم بالنعال العسكرية ، أما المقاتل الذي ولد في أتون المعركة فقد اضحى شجاعاً مقاتلاً وليس كعدوه قاتلاً ، ويا ويل الأنظمة العربية حين يحمل هذا المقاتل هويته وينطلق لبناء حياته بيده .

ترى هل ولد في أتون المعركة المقاتل العنيد الأبي الذي يتحمل ثقل المعارك بابتسامة شجاعة؟ أقول هل لأني أخاف على هذا الوليد أن تلتقطه أيدي السحق من جديد ، لقد رأيتهم هؤلاء الذين يقاتلون كالاسود بنبالة الاسود . . ويضحكون من خوفنا .

القول سهل ولكن التنفيذ أصعب من الصعب ، إذا كيف تم لهؤلاء التغلب على إحتمالات الارتباك؟
كيف تم الاحتفاظ بالشبكة التنظيمية والادارية؟
كيف استمرت الخدمات الاجتماعية والطبية مثلا وسط الذعر العام الذي عمّ الجميع ؟
كيف تم الاحتفاظ على العناصر والكوادر وكتائب المعركة اثناء المعارك؟

أسئلة لا أملك الجواب عليها الآن ، وربما أستطيع الكتابة عنها بعد أن يتوقف القصف . . ويكفي أن أذكر بادرة واحدة أحرقت قلوب الامريكيين واليهود معا ، وهي ان (شرشفاً) ابيضاً واحداً لم يرتفع في بيروت علامة للاستسلام، بل على العكس ارتفعت صرخات تدعو إلى الصمود والمزيد من البطولات والتضحية .

ولا نامت اعين الجبناء!

من حق القارىء أن يصدق ، ومن حقه الا يصدق ما سأقوله ، ما دامت عيوننا فقدت الكثير من قدرتها على الرؤية وسط الدوامة الحمراء . .

ولكني ، أمانة مع النفس وراحة للضمير ، إكتشفت فجأة قانوناً جديداً للموجود والعدم هو «العبث» رأيت بعيني وشممت بأنفي ولمست بيدي أن البريء في هذه المأساة هو الذي يموت ، وأن القاتل لا يصيبه أذى . . اكتشفت ان ذلك يتم بصورة متواترة دقيقة كأنها القاعدة ، وغيرها الاستثناء . . حينئذ أدركت أن قانون العبث اضحى هو القانون السائد ، فلنتصور إلى أي مدى يمكن لمن بقي في بيروت أن يعيش إذا تحكمت فيه الصدفة العمياء ، وقانون العبث؟ وإذا سادت شريعة الغابة إلى هذا المدى ، فمن الممكن أن تصبح مشاركين في المجازر بشكل أو بآخر .

لم يكتب عن صمود بيروت كما يجب ، فما تزال نخاف الحساسيات والتشويش ، لقد صمدت بيروت ، كما لم تصمد مدينة قبلها ، وأوجدت بيروت نوعاً من الألفة العضوية بين من بقي يؤمن بأن القتال لا بد منه ، لكي لا يذكر التاريخ ، ما فعله العرب . . . بالعرب . !



حرب الفضيحة في بيروت المخطوفة



إن كل رعب يمكن أن يجدد
وكل حزن له نهاية ما:
ليس في الحياة وقت تكرسه للاحزان الطويلة..
لكن هذه، إنها خارج نطاق الحياة، خارج نطاق الزمن..
إنها خلود مستمر للشر والطغيان..
لقد تلوثنا بقذارة لا نعرف كيف نغسلها..
قذارة متحدة بالهوام الخارقة للطبيعة..
لسنا وحدنا، وليس البيت، وليست المدينة التي تلوثنا..
بل إن المجتمع كله هو الذي تلوث.

(ت. س. اليوت)

العالم بأجمعه بات يعرف عبر أجهزة أعلامه ووكالات الأنباء وشاشات التلفزيون الصورة المظهّرة لبيروت التي عزلت عن العالم على مدى مائة يوم حيث طوقتها إسرائيل من أطرافها ومنعت عنها حتى التنفس.

كانت بيروت خلال المائة يوم أشبه بباخرة مخطوفة تضم ما يقرب من ٧٠٠ ألف أنسان، وتضم أيضاً ما يقرب من ٢٠٠ ألف فلسطيني بينهم بضعة مئات من المقاتلين، و٣ من ١٢ من قيادات منظمات التحرير من أصل ١٤ من المجلس المركزي لحركة (فتح) والباقي خارج بيروت.

إن القنابل والصواريخ الحاقدة التي أمطرت بيروت بحممها، والبوارج الحربية التي أطلقت مدافعها الصاروخية بإتجاهها لا تدك الأبنية على رؤوس ساكنيها، ولكن مع دكها للحجارة تنفض عن التاريخ المعاصر غبار البيانات والخطابات والسياسات وأشياء لم نكن يوماً نفهمها على حقيقتها.. كما تمزق أيضاً خارطة الوطن العربي التي أخذت تذوب تحت وابل من حمم القنابل العنقودية والانشطارية لتعري ألف نظام ونظام.. بل ألف كتف مشبوه وألف زناد..

لقد شاءت أقدار بيروت أن تشهد آخر الهجمات عبر التاريخ من تيمورلنك في الشرق إلى البابا بيوس الثاني في الغرب، إلى يهود الشتات أخيراً.. إن هذه الغزوات العنصرية لم تستهدف شعباً بعينه، بل كانت تستهدف الشرق العربي من جذوره..

ويظل السؤال ماثلاً: كيف خطفت بيروت؟

في المسرحية التي ألفها أديب ألماني شاب أسمه (رئير فسبائلر) وعنوانها: (الزبالة.. والموت.. والمدينة) يقول بطل المسرحية:

(أنا تاجر سياسة أريد أن أنتقم من الأغبياء والمغفلين وعميان البصيرة.. لماذا؟

إنها حسابات قديمة بيننا.. ولم يفلح الزمن في أن يشفي أحداً منها. إن الناس يقبلون بحكم العادة على السياسيين الذين يتاجرون بهم، ويدمرون الشرفاء، وقد حاولت عبثاً إرشادهم فضلوا.. إنهم بطبعهم يتعلقون بالمهرجين، وفاقدي المروءة والشرف، فرأيت أن افضل وسيلة للانتقام من هؤلاء هو تسليط أشرار السياسيين عليهم، لهذا رحت (أشتري) السياسيين ثم أهدمهم.. لا يهمني إن كان صوت الضحايا الذي أحب سماعه في الليل أو عند الفجر صوت طفل مذبوح.. أو فتاة اغتصبت.. كل ما يهمني، بل يهمني أن يعرف الناس حقيقة السياسيين الذين يذيبون شحم الأبرياء ولحمهم ويكدسون الأموال.. فهؤلاء كل الذي يهمهم الجاه والمنصب والمال ولا يرون امامهم سوى الجماجم والعظام.

هذه المسرحية تعرضت لأعنف هجوم شهدته أوروبا، وأختلف الناس حولها.

أناس قالوا:

ولكنها الحقيقة.. فما الذي ضايق القراء من ذلك؟

وآخرون قالوا:

صحيح أنها الحقيقة ولكن لا داعي لذكرها عارية.!

من المؤكد أن ما ذكره الكاتب الألماني عن السياسيين ينطبق على ما لدينا منهم.. لقد أثبت ما حل ببيروت أن تجار السياسة في الوطن العربي قد أرتكبوا من (الأخطاء) على مدى ثلاثين عاماً ما أصبح يصح فيهم القول: (إنهم يحبون رشاش الدماء وريح القتر).

فما جرى في بيروت خلال حزيران وتموز وآب من عام ١٩٨٢ فاضح، ولا يفيدنا في شيء أن ننكر أو نتجاهل ما وقع. إن قصة أختطاف بيروت قصة طويلة وستكون تاريخاً حافلاً بالفضائح. إذ لم تعرف حروب التتر والمغول أبداً ما عرفته حرب لبنان، لقد تحولت بيروت إلى دم مسفوح وبلد مستباح.

وبينما تتلهى إسرائيل وأنصارها وأزلامها بلعبة الموت يستكين العاجزون في بيوتهم ليموتوا تحت الأنقاض.

لقد هدم الحقد التاريخي مقاييس الحرب والقتال، والنصر والهزيمة، دماء.. دماء.. وسقط كل شيء، بل انهار كل شيء، ولم يعد أمام الأعزل إلا الاستسلام لليأس.

لا يمكننا الهرب من مثل هذا العار القومي الذي لحق بالجميع.. وأدان الجميع فنشغل انفسنا بأشياء أخرى، ونغرق همومنا في إنفعالات أخرى.. فلم يسبق لأي شعب في الدنيا أن شاهد مجتمعه ينهار بمثل هذه البشاعة، والذين

عاشوا (حرب الفضيحة) وكانوا رهائن في الباخرة المخطوفة لا يريدون أن يبكوا. لقد نسوا البكاء اصلا، بعد أن طبعت صور الجثث المشوهة من جراء القصف البري والبحري والجوي على جباههم.. وفي أي مكان يتجهون اليه يكشون من فوق وجوههم ذباب الخزي، ويمسحون من وجوههم طين العار. ومع كل ذلك فان لدى هؤلاء الرهائن ما يروونه.!

يقول بن غوريون في مذكراته:

(لا يمكن ان اتكهن باسم أول دولة عربية ستبادر الى تحقيق السلام مع إسرائيل، ولكني بالطبع أعرف من ستكون الدولة الثانية). وتحققت نبوءة عجوز الصهيونية على أيدي غيره.

هذه بيروت.!

لن اتعرض في حديثي هنا إلى رواية الاجتياح الاسرائيلي للبنان، فهذه القصة لم يحن أوان روايتها، بل أكتفي بالحديث عن بيروت التي خطفت على مرأى ومشهد مائة وخمسين مليون عربي.. فهذه المدينة التي كانت عاصمة الصحافة العربية عاشت طيلة الاشهر الثلاثة وهي محاصرة وشبه مقطوعة عن العالم، فالاتصالات السلكية واللاسلكية تكاد تكون معدومة، ووسائل التنقل مغلقة براً وبحراً، ووسائل الطباعة الحديثة بدأت تلفظ انفاسها الاخيرة وكل ما تسمعه من الناس الخائفين صيحة (أين أنتم يا عرب) مشفوعة بنكهة سوداء تجعل مطلقها وسامعها لا يعرفان من المعني بالصيحة التي تبدو احيانا شتيمة (لا صيحة) أهي الانظمة العربية أم الأمة العربية.

إن مرارة الشعور بالوحدة في المواجهة مع إسرائيل عندما يصل بالمواطن إلى حدود شتيمة أمته فإنما تضرب لدى جيل (العروبة) خط دفاعه النفسي الاخير أمام اسرائيل التي اصبحت الحرب النفسية خط هجومها الاول.

والمواطن (المخطوف) يذكر وهو يرى المسلحين يتمترسون في ركن من بيته لمقاومة أعتى جيش حديث يذكر العلاقات المزرية التي كانت تسود التنظيمات المختلفة من جهة، وبعض هذه التنظيمات والمقاومة الفلسطينية من جهة أخرى، حتى قبل أيام قليلة من الاجتياح الاسرائيلي، ويقارن بين هذا المصير وبين ما كان يرى ويسمع فتعقد الدهشة لسانه وتختنق الصرخة في صدره، فقبل ايام من الاجتياح الاسرائيلي المفاجيء والمذهل كان يعيش حربا فريدة من نوعها هي حرب التعامل بالسلاح الثقيل على زعامة زواريب بيروت الداخلية.. وكان كل هذا يجري باسم العروبة التي تشتم اليوم على كل لسان.

أما وقد وقع ما وقع وفشل الحكام العرب في انقاذ الباخرة المخطوفة بمن فيها وما فيها، فلا بد من الاقتراب قليلا من بعض الحقائق التي ما تزال حبيسة الصدور، والتي تتناول معالم الحاضر لاستشفاف معالم المستقبل. وأولى هذه الحقائق قصة سقوط الشوف بدون ان يطلق طلقة رصاص واحدة في وجه جنرالات اسرائيل.. ومدى جدية المفاوضات التي كانت تجري لتحرير مليون (بني ادم) تحولوا الى رهائن.

الشوف (لا من شاف ولا من دري)!

حين أنهت القوات الاسرائيلية احتلال الشوف كان السيد وليد جنبلاط في بلدته المختارة، وفجأة إنتقل من

المختارة الى بعبدا مروراً بفيليب حبيب في منزل السفير الامريكي باليرزة، واخيرا وصل الى منزله في بيروت (المصيطبة) لبدأ مسيرة (هيئة الانقاذ) التي شكلها الرئيس سركيس ثم تعثرت واخيراً بحثت من جديد خلال لقاء ثلاثي تم بين رئيس الجمهورية ووليد جنبلاط وبشير جميل.. ثم سرعان ما لفظت أنفاسها!

ما أن جلس رئيس الحركة الوطنية وليد جنبلاط في منزله ببيروت حتى طلب من الحاضرين من رفاقه الذين هرعوا للسلام عليه طلب بلهجة حاسمة الأ يسألوه عما جرى في الشوف، لان الأيام ستكشف اشياء كثيرة، خاصة وأن لديه لوائح كاملة بالاسماء والارقام عن قاتل ومن سلم سواء في الجبل او الجنوب او حتى بيروت.

وقبل أن يترك فرصة للتساؤل عن سبب عدم نزوله الى بيروت منذ اليوم الاول للاحتلال قال جنبلاط:

إن ما رأيته خلال فترة بقائي في الجبل لم يتوفر لاحد منكم، خاصة وانني كنت على تماس مباشر مع خطة الغزو ليس للجبل فقط بل للبنان والقضية الفلسطينية.

وتابع جنبلاط قائلا:

لقد تعبت من كثرة رفضي استقبال او لقاء أي مبعوث اسرائيلي، كانوا يأتون إليّ دائما في منتصف الليل، وقد حضر شمعون بيرس زعيم المعارضة بضجة كبيرة في منتصف الليل وفي جعبته كما تصورت حديثا طويلا.

كنت أعلم ـ يتابع جنبلاط ـ خطة إسرائيل، وكنت أرى بعيني ان إسرائيل تريدنا أن نوقع على صكوك الاستسلام، وان أحدا من الاسرائيليين لم يعط حتى الآن ضمانا بان بيروت لن تحتل، كما فعلوا في صور وصيدا والنبطية والمختارة.. حتى فيليب حبيب لا يملك ان يعطي الضمان وعندما سألته ذلك قال:

انه يريد أن يسأل حكومته الجواب النهائي.

وقد وجه رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي بعد ذلك كلامه مباشرة لبعض القياديين قائلا:

لقد تسلمت رسائلكم عبر المبعوثين، وكنت أعرف الحالة السياسية والعسكرية والنفسية التي تعيشون فيها، وها أنذا بينكم للاتفاق على خطة للخروج مما نحن فيه، ولكنني أريد القول مسبقا إن ما تم كان متفقا عليه عربيا ودوليا، ويجب ألا تفاجأوا بأي امر، لأن الجميع تخلى عنا، ويجب ان ننقذ نحن ما يمكن انقاذه، بدون مزايدات وبدون تراجعات، ويجب أن نلتقي مع كافة الأطراف لكي نوضح لها موقفنا الواحد، ولكي نضعها أمام مسؤولياتها، فنحن مقبلون على ما هو أخطر من الاحتلال، نحن مقبلون على تحمل نتائج هذا الاحتلال على الصعيد السياسي، والاجتماعي والوطني.

وأوضح وليد جنبلاط (أن ما سمي بجبهة الانقاذ هي هيئة مطلوب منها ان توقع على شروط الاحتلال وقد سألت رئيس الجمهورية عن برنامجها، فقال أن لا برنامج لها وأن على الهيئة أن تقرر ذلك، وأنا اعرف ـ اضاف جنبلاط ـ أن لدى الرئيس سركيس برنامجا يعرفه هو وفيليب حبيب وفؤاد بطرس وبشير الجميل، وعلينا الآن أن نناضل سياسيا بموقف واحد، لكي نرفض التوقيع على الهزيمة التي يجب أن نعترف بها!!

الحوار الغامض..

وكان وليد جنبلاط قبل نزوله إلى بيروت قد التقى الرئيس سركيس، وشهد القصر الجمهوري خلال اللقاء واحداً من أعصف الحوارات التي شارك فيها جنبلاط، ونورد فيما يلي بعض هذا الحوار كما نقله جنبلاط إلى رفاقه في الحزب.

بادر الرئيس سركيس جنبلاط بالتهنئة بالسلامة، لكن جنبلاط لم يرد سرعان ما بدأ كلامه بقوله:

يا فخامة الرئيس إذا كنت قد هزمت في المختارة فانني أرفض أن أوقع على شروط الاستسلام في أي مكان، وان لديّ شرطين اساسيين للقبول بالدخول في هيئة الانقاذ، الأول وضع برنامج واضح لها قبل الشروع باعلانها واجتماعاتها، والثاني توسيعها لكي تمثل كل القوى السياسية الفاعلة في لبنان.

حول الشرط الأول قال الرئيس سركيس:

ليس هناك برنامجا لديّ، البرنامج يضعه أعضاء الهيئة. وان لا برنامج لديّ حتى الان، وأما بالنسبة للشرط الثاني فإن كل الطوائف والقوى السياسية ممثلة ضمن الهيئة ولا داعي لتوسيعها. وعندما استوضح الرئيس سركيس جنبلاط الاشخاص الذين يقترحهم لضمهم إلى الهيئة بادر جنبلاط إلى الاقتراح بأن يشمل التمثيل في الهيئة شخصيات أخرى اضافة إلى رئيس الوزراء وبالتحديد الرؤساء سليم الحص، صائب سلام، رشيد كرامي، سليمان فرنجية، جان عزيز ريمون اده، اعتذر الرئيس عن توسيع الهيئة، خاصة بعد ان صدر عن جنبلاط كلاماً قاسياً ضد الرئيس قال له:

يا فخامة الرئيس إذا مضيتم في تطبيق مخططكم فإن لبنان سيتصارع مع المجهول!!

ما قاله وليد جنبلاط يختصر نصف القصة الدامية التي تكتب الآن في لبنان، فما هو رأي الشيخ بشير الجميل؟

منذ أكثر من شهر ظهر قائد القوات اللبنانية على شاشة التلفزيون وأعلن أنه في صدد إتخاذ قرار خطير يتطلب موافقة إسلامية لنجاحه، وإلاّ فإنه مضطر لاتخاذ القرار بمفرده إذا لم يلق استجابه إسلامية لمبادرته السلمية.

وقتذاك لم يحدد بشير الجميل نوعية القرار ولا مضمونه ولا أهدافه، واكتفى بترك الموضوع للتداول في بورصة التكهنات.

في هذه الفترة وصلت إلى العديد من القيادات الفلسطينية معلومات تشير إلى ان اسرائيل قد أعدت العدة للقيام بهجوم عسكري كبير يخترق لبنان من جنوبه إلى جنوب بيروت آخذاً في طريقه جميع المواقع والمخيات والمدن اللبنانية بما فيها صيدا وصور والنبطية والدامور.

إلاّ أن الهجوم لم يقع واستمر الاستنفار الاسرائيلي على طول خط النار والحدود الدولية مع لبنان، وتبين فيما بعد ان الهجوم تأجل ولم يلغ، وذلك بانتظار نضوج الظروف السياسية والدولية لتنفيذ القرار.

خلال هذا بدأت اسرائيل تتحدث عن إبادة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها (منبع الارهاب الدولي في العالم).

وهكذا مرت التصريحات الاسرائيلية الجديدة والعنيفة بسهولة ولاقت قبولا لدى مختلف دول العالم خاصة الدول الكبرى ومجموعة الحلف الاطلسي.

(الفلسطينيون إرهابيون، والارهاب خطر على جميع عواصم العالم، والحل إبادة منظمة التحرير بصفتها وكر الارهاب الدولي).

من هذا المدخل السياسي - الاعلامي دخلت القوات العسكرية الاسرائيلية الجنوب اللبناني لتخترق ساحله وجبله ومدنه وقراه وصولا إلى الشمال، ملحقة الاهانات والخسائر بقوات الطوارىء الدولية والقوات المشتركة وقوات الردع العربية، وقوات الشرعية اللبنانية الرسمية حين تمركزت هذه القوات في سرايا بعبدا وجوار القصر الجمهوري.

وبدأت تتوضح رويداً رويداً تلك الشعارات اليهودية التي رافقت الغزو.. سلامة الجليل، منع الارهاب عن سكان الجليل، المحافظة على الطوائف المستضعفة في لبنان، مساعدة الاصدقاء الخ...

ومع وصول الجيش اليهودي إلى قصر بعبدا كانت الاجتماعات تتوالى بين الغزاة، وبين بعض قادة الكتائب، وبدأت الصحف الأجنبية تنقل على لسان شارون بأن عملية الجليل قد مولت من الحلف الاطلسي.. وبدأت الخيوط تتجمع داخل الاجتماعات المغلقة.

من هذه الاجتماعات المفاجئة التي عقدت، ذلك الاجتماع الذي عقد في قرية (بسابا) القريبة من بعبدا، وحضره العديد من القياديين الكتائبيين (٢٠) شخصا، وجرى بحث موضوع التعاون مع الجيش الاسرائيلي، وهذه المرة رفض الوفد الكتائبي موضوع نزع سلاح القوات اللبنانية، فأمر وزير الدفاع الاسرائيلي قواته بتجريد القوات اللبنانية التي تتواجد بالقرب من الجيش الاسرائيلي من أسلحتها، والاكتفاء بموازرة الافراد الكتائبيين الذي يحملون سلاحهم الفردي الخفيف!

واذا كان التاريخ يعيد نفسه فقد سبق للمسيحيين قبل قرن ونصف أن وقعوا في نفس الاشكال. فعندما جاء ابراهيم باشا إلى المنطقة في طريقه لمحاربة الاتراك في «كوناهية» طلب يومها من الامير بشير الشهابي ضمانا لحرية سحب اسلحة المسلمين والمسيحيين في جبل لبنان. فانصاع الامير الشهابي للامر وجمع أسلحة الدروز فقط، وأبقى أسلحة المسيحيين، ومع ذلك مرّ ابراهيم باشا من فلسطين والشام وجبل لبنان. وانتصر على الاتراك في معركة (نزيب) عام ١٨٣٩ إلاّ أن الخدعة التي قام بها الامير بشير لم تمر بسلام، بل كانت من أهم الاسباب التي أدت إلى حرب ١٨٦٠ بين الدروز والمسيحيين.

لم يكن موضوع تجريد جميع القوى اللبنانية من السلاح الموضوع الوحيد الذي بحث في لقاء وفد حزب الكتائب مع شارون، لقد أشار وزير الدفاع الاسرائيلي بصراحة إلى أن اسرائيل تريد إقامة حزام امني حول حدودها مع لبنان في عمق أربعين كيلومترا، وذلك تحت ظل وحماية قوات متعددة الجنسيات على غرار ما حدث في سيناء الواقعة على الحدود المصرية - الاسرائيلية بموجب اتفاقيتي (كامب ديفيد) ومما ألمح اليه شارون أن القوات المتعددة الجنسيات التي تطالب بها اسرائيل على حدودها مع لبنان يجب أن تضم بالاضافة إلى القوات الامريكية والاوروبية الاطلسية قوات من الجيش

اللبناني والاسرائيلي على أن تتواجد القوات الاسرائيلية مع القوات الدولية في سهل البقاع، وجنوب لبنان ويبدو أن وفد حزب الكتائب إلى الاجتماع قد انصبت معارضته على سحب السلاح من بين أيدي الأعضاء العسكريين، وتحويلهم إلى قوة عادية على الساحة اللبنانية، وليس قوة ضاربة إلى جانب السلطة اللبنانية، وقوة ضاغطة عليها.

وقد ظهر لأعضاء وفد الكتائب أن اسرائيل ترسم لنفسها شروطا أبعد مما تعلنها وهي تجريد لبنان من السلاح، وليس جنوب لبنان فقط. ويقول مصدر حكومي مسؤول أنه من ضمن الشروط الاسرائيلية الموضوعة على طاولة الرئيس سركيس تحديد نوع السلاح الذي يمكن أن يستعمله الجيش اللبناني وهو السلاح الدفاعي فقط.

وهناك معلومات موثوقة تؤكد أن قرار إجتياح لبنان، وتصفية الالة العسكرية الفلسطينية، وقرع أبواب الشرعية في بعبدا، وصولا إلى تعيين قوات متعددة الجنسيات عوضا عن قوات الطوارىء الدولية. كل هذه قرارات متخذة مسبقا ومنسق بشأنها بين امريكا واسرائيل، ومعلومية الاتحاد السوفييتي والدول الاوروبية الغربية، ولكن ما هو مرسوم بالحبر الابيض لا يزال غير واضح حتى الان على الاقل، إلاّ أن الاتي أعظم على دنيا العرب العاربة والمستعربة.. ولكن من يقرأ ويسمع..؟

فيليب حبيب العربي الاصل..

تصر واشنطن على تسمية فيليب حبيب بالمفاوض العربي الاصل، فهذا المفاوض وصل للاشراف على الاجتياح وظل في بيروت ساهرا على تنفيذ ما أتفق عليه محليا وعربيا ودوليا. والذين إجتمعوا بالمفاوض الامريكي العربي الاصل قد سمعوا منه تلميحا لا تصريحا أنه يخفي في حقائبه (الكفن) الذي سيواري به المقاتل الفلسطيني التي تعتبره إدارة الرئيس ريغان مقتولا سلفا، وحين (ينكّت) فيليب حبيب مع الخلص من أصدقائه اللبنانيين يقول:

إننا نبحث الان في كيفية (مراسيم الدفن) وان دور لبنان هو فقط قبول التعازي على أرضه، ووضع اكاليل الزهور على القبر.

من هنا يتضح ضراوة المعركة السياسية بعد ضراوة المعركة العسكرية.

فبعد ما حققت اسرائيل أكثر ما تريده على الأرض اللبنانية، وهو حمل لبنان بالقوة السياسية بعد القوة العسكرية على الصلح معها كأمر واقع لا مفر منه، وستربط موافقة لبنان على ذلك بانسحابها مع القوات السورية والفلسطينية من لبنان، وفرض قوات متعددة الجنسيات على الحدود الجنوبية لعزل اسرائيل عن لبنان في عمق ٤٠ كيلومترا.

* * *

كل ما ذكرناه من وقائع لم يأت بالمصادفة، فقد كان له من الفكر اليهودي مرتكز، وفي الدوائر البريطانية ومن ثم الامريكية متسع. كما سيتضح ذلك من البيان الآتي ذكره.

بيروت تعرّي الجيش اليهودي وتفضحه



قبل نهاية القرن الماضي بخمس سنوات نزل إلى السوق (كتاب) إلتقط كلمة الصهيونية ونصبها عقيدة سياسية قومية دينية لجميع اليهود في العالم، والكتاب عبارة عن رسالة صغيرة صاحبها صحفي هنغاري يهودي طويل اللحية لا يفقه شيئا في الدين اليهودي، ولا من اللغة العبرية ولا من ثقافة القدم، إسمه: تيودور (أو بنيامين) هرتزل!

في الكتاب حدد هرتزل مشكلة اليهودية والحل في نقطتين:

أما المشكلة فهي إضطهاد اليهود، وأما الحل فإيجاد دولة خاصة بهم يعيشون فيها. يقول بنيامين هرتزل ابوهم الذي علمهم المكر والحقد وما ينبغي في هذا الكتاب:

(لنفترض مثلا أننا نريد أن نطهر بلداً من الوحوش الضارية، طبعاً لن نحمل الترس والرمح ونذهب فرادى في أثر الدببة، كما كان الاسلوب في القرن الخامس عشر في أوروبا، بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ونطرد بها الحيوانات ونرمي في وسطها قنابل شديدة الانفجار..).

وإذا بدا هذا الاسلوب وقحاً في صراحته، وفي موضوعه، فهل فعل اليهود شيئا آخر يا ترى حين احتلوا بيروت مع سكانها، هؤلاء السكان الامنين الذين إستسلموا لسكين القوات المتعددة الجنسيات التي غدرت بهم وانسحبت قبل فترة إقامتها المحددة بقرار امريكي وافرنسي وايطالي بعشرة ايام؟

وهل أتى بيغن وشارون وشامير هاهنا بجديد لم يجدوه قبل في مبادىء التلمود (كتاب اليهود العتيق)؟
بل هناك شيء لم يتصوره التلمود، ولا نقل في مخيلة هرتزل وهو دعوة اليهود المحتلين إلى التغوط والتبول في الاماكن العامة..

هذا هو الجديد الذي جاء به اليهود الجدد إلى بيروت مع قنابلهم العنقودية وطائراتهم وأسلحتهم المدمرة الحديثة.. لقد ظهروا عراة كما خلقهم ربهم في الامكنة العامة ببيروت وبالوا وتغوطوا علناً امام الناس، وفي رابعة النهار.. فكيف كان ذلك؟

في يوم من أيام الصيف اللاهبة من عام ١٨٨٢ ما أدري أكانت شمسه سوداء أم في مثل عصف اللهب وصلت ميناء يافا القديم، سفينة تافهة اسمها (أصلان) تحمل شحنة غريبة من البضاعة الادمية: مائة عائلة من اليهود الاشكنازيم (السكناج)! واتجهت البضاعة إلى بقعة في شرق يافا إسمها عيون قارة فضربت هناك الجدران والشجر وأقامت مستعمرة لها وضعت على مدخلها اسم: (ريشون لوسيون - ريشون الصهيوني).

ما أعار أحد هذه الجماعة الغريبة اهتمامه. ما سأل أحد عن جمعية (بيلو) التي أرسلتها من أوكرانيا في روسيا. ما عرف أحد أن (بيلو) هي مختصر شعار هذه الجماعة. وان الاسم الكامل بيت يعقوب ليشيفات.

(يا بيت يعقوب هيا نعود) ـ لارض الميعاد ـ وان هذه الشحنة كتبت الخط الاول في النكبة المقبلة لمائة وخمسين مليون عربي .

وما كانت أرض الميعاد في ذلك الحين اكثر من ذكرى متحجرة في ثنايا التوراة ، عاشت كبعض حيوانات الدم البارد ، حياة الخلد والنوم في أذهان جماعة متحجرة الحضارة أكثر من ألفي سنة . . ثم عادت تستيقظ على حرارة التيارات القومية وانفاس من الاطماع اخرى منذ أواخر القرن الماضي . . وليس يدري أحد اليوم أين يرقد ذلك الشاعر الذي أودع في التوراة ، في المزمور التاسع والثلاثين تلك الكلمات التي ربطت بين اليهود وارض فلسطين بالرباط الديني المقدس ، لقد قال وهو أسير مع قومه ، منفي في بابل :

(على أنهار بابل هناك جلسنا
بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون
على الصفصاف في وسطها (وسط الانهار) علقنا أعوادنا
لانه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيم . .
ومعذبونا سألونا فرحا قائلين :
رنموا لنا من ترنيمات صهيون
كيف نرنم ترنيم الرب في ارض غريبة؟
إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني) .

على أننا إذا كنا نجهل أين يرقد هذا القديم ، فإنا نعرف كيف وصل اليهود الى بيروت بعد أن رشوا لهم الطريق ونظفوها من الالغام والزنود البشرية ، وقالوا لهم تفضلوا . .

فبعد مائة سنة بالضبط ، وفي يوم من أيام صيف ١٩٨٢ وصل اليهود الى بيروت وتجولوا في شوارعها وأزقتها ودروبها ودخلوا المنازل يفتشون ويحتقلون ويبولون ويغوطون . .

لقد شاهدناهم بالرغم عنا ، وأدهشتنا الملامح العرقية الصارخة التباين بين الماني اشقر أزرق العين ، وسلافي مستدير الراس والوجه في الشقرة والانف الغليظ وايطالي متوسطي اسمر ذي عين لوزية ، وبلقاني ذي أنف اعقف طويل واسباني وعربي يمني واضح وهندي ، ومقارب للزنج . . فهؤلاء هم في الزعم الصهيوني اليهود الأولون التوراتيون أنفسهم بعد الشتات ، وكلهم يزعم أن أرضه الاولى هي فلسطين . .

وليس يجدي كثير الجدوى اليوم أن وصول هؤلاء اليهود قد تم في غفلة من العرب وقد أعطته الانتصارات المتتالية مبررات التصديق . . والقبول فأنى تجادلون؟

وما كنا لنناقش اصولهم والاحساب لولا أن السيل البشري قد توجه منذ جماعة السفينة الاولى (أصلان) الى لبنان وربطه إلى تلك المشكلة الغريبة التي يسمونها بالقضية اليهودية والتي قامت الصهيونية كنوع من رد الفعل لحلها . . فتحولت كلمة الصهيونية الى المعنى السياسي . .

وصهيون في الاصل صفة وردت في التوراة لجبل بنى عليه داوود حصنه في شرقي القدس وأول من استعملها في الاطار السياسي اليهودي (ناتان بيرنباوم) في التسعينات من القرن الماضي قبل أن يختطفها هرتزل ويحشرها في كتاب يدعو فيه إلى الذبح المتواصل للعرب . .

المذابح المتواصلة خلقت هذه الالة العسكرية التي عربدت في لبنان . . المخطط الصهيوني عرف بالحساب

والكتاب أنه لن يستطيع شراء فلسطين: أرضاً وشعباً حتى ولو انعدمت المقاومة العربية قبل مضي اربعمائة سنة.. إنهم ما اشتروا منها سوى ٩، ٣ بالمائة خلال ستين سنة وقد أعطاهم الانكليز خلال الانتداب ٤ بالمائة اخرى من أملاك الدولة، هذا كل ما حصلوا عليه حتى سنة ١٩٤٧، إذن فيجب أن يعتمدوا على اللحظة الانقلابية التي يصبح فيها باستطاعة قوتهم العسكرية أن تحتل بالمجان الارض اللازمة وتطرد سكانها..

وجاءت اللحظة سنة ١٩٤٨ فاذا بالمذابح المحكمة الاعداد تخلي فلسطين:

(اخلت المذابح لليهود ما عدده (دون بيرتز) في كتابه (إسرائيل وعرب فلسطين) مساحات من اراضي الزراعة أقاموا عليها (٣٥٠) مستعمرة من أصل (٣٧٠) أسسوها بين ١٩٤٨ و١٩٥٣، ومساكن سكنها في تلك الفترة ٢٥٠ ألف مهاجر جديد، ومدنا بأكملها منها: يافا وعكا واللد والرملة وبيسان والمجدل، و ٣٨٨ حاضرة وقرية بأكملها، وأجزاء من ٩٤ مدينة وحاضرة تشمل ربع مجموع المباني في إسرائيل، وعشرة الاف دكان ومخزن و ١٢٠ ألف دونم من بيارات البرتقال أنتجت كل سنة مليون وربع مليون صندوق، عدا حقول الزيتون التي شكلت ثالث صادرات اسرائيل..

سياسة المذابح، قبل مذبحة صبرا وشاتيلا بزمان، سياسة المذابح لتنظيف الارض ليست فقط خطة تعلموها من المانيا ولكنها خطة سنها لهم كبيرهم الذي علمهم الذبح: هرتزل.. ميناحيم بيغن الذي قام بذبح بيروت هو الذي إعترف في لحظة غرور بما يلوث ايديه من الدماء الوحشية، واعترف بعض الكتاب اليهود (جون ودافيد كمبشي) بعمليات الابادة والارهاب في كتاب (تصادم الاقدار).

الاغراء والاغواء جزء من سياسة المذابح، الجزء الممهد. لقد علمتهم التوراة والتلمود أن لكل شيء ثمنا ولكل شخصية مفتاحها، وما من إنسان ليستعصي على الاغراء، وما من قيمة مطلقة.. كل القيم نسبية أمام الغايات والناس يفتنون حتى بالاشياء التافهة والصغيرة وقائمة المغريات طويلة طويلة..

يغشـون حتـى ما تهـر كلابهم لا يسألـون عن السـواد المقبل

ويجب أن يذكر اللبنانيون خاصة، أن قاعدة اليهود الرئيسية هي: اللاتراجع.. كل المرونات اللفظية تعطي، كل العقود والعهود التي لا مناص منها تبرم، توقع، يعلن قبولها.. على ألا يعني ذلك عند التطبيق أي خطوة الى الوراء.. كل المكاسب الاقليمية والسياسية والحربية يجب أن يحتفظ بها.. لا تراجع مطلقاً.. إن هذا الذي نعيشه منذ مائة سنة حتى الآن من نهب واغتصاب وقتل ومذابح إنما وضعت مخططاته، على الورق وعلى أساس من الوعد الاسطوري.. فمن شاء أن يكشف حدود الغد بعد أن سرق الجندي اليهودي ونهب وبال وغوط علنا وأمام الناس في بيروت وخارج بيروت إذن فما عليه إلاّ النبش في الامس، شيء من الرؤية الواضحة إلى مشاريع الماضي المقبورة يكشف أنّى ستكون قبورنا نحن المقبلة؟ وأين تتهيأ الضربة القادمة؟

(آرثر هيتزبورغ) الاوكراني، مؤسس الصهيونية الروحية وفيلسوفها الذي ترأس المؤتمرات الصهيونية سنة ١٩٢٧ بتل أبيب، والذي يعرفه الناس بإسم احاد هام عام واحد من اليهود ظل يقول سنة ١٩١٩:

حاخامات الزمن القديم كانوا يشبهون فلسطين بالغزال الذي ينتفخ جلده كلما حسنت تغذيته... لا حاجة بفلسطين المستقبل (يقصد إسرائيل) أن تبقى محصورة ضمن حدودها التاريخية. فالاستعمار الاستيطاني يمكنه ان يمتد حتى يشمل تلك الرقعة بأكملها التي تضمنتها الوعد الالهي من البحر المتوسط الى الفرات.. ومن جبال لبنان إلى نهر مصر. هذه هي الارض التي أعطيت للشعب المختار...

إن إسرائيل الحالية هي بنت (فلاديمير جابوتنسكي) الاسم الذي يصفونه بانه المحارب والنبي ورجل الدولة، فإسرائيل بنته بالذات: سنة ١٩٠٦ رسم صورة شباب المستعمرات من الناحال الحاليين، قال: يلزمنا إعداد نوع من السكان في فلسطين يملك القدرة في المستقبل على قتال العرب، كل العرب. ثم كتب سنة ١٩٢٠:

(السبيل الوحيد لتحرير أرض الميعاد من الفرات إلى النيل لن يكون إلاّ بالسيف.. بامكانكم إلغاء كل شيء في اليهودية.. القلانس والاشرطة والاناشيد.. كل شيء عدا السيف.. القتال ليس بدعة المانية ولكنه في تاريخ أجدادنا.. هم أعطونا التوراة والسيف، أما القومية العربية فلا يمكننا حتى ولا الرضى عن الحركة العربية، ونفرح من صميم القلب لكل فشل تمنى به ليس فقط في الاردن المجاور، أو لبنان الملتصق، أو في سورية فحسب.. بل وفي مراكش أيضاً). وفي سنة ١٩٢٤ وضع جابوتنسكي البرنامج الذي إعتبره تصحيحاً للصهيونية، جعله في أربع شعارات:

ــ الهدف: الدولة اليهودية

ــ مساحة الدولة: حيث يصل الجندي اليهودي

ــ الاسلوب: الاستعمار الجماعي العسكري

ــ النظام المالي: القرض القومي.

هذا الرجل إنما هو صاحب منظمة (الأرغون زفاي ليومي) الارهابية التي تحمل اليوم لواء الدم والذبح والهدم والتشريد مع ميناحيم بيغن باسم حزب حيروت الذي يعتبر قاعدة تجمع الليكود الحاكم وما مات جابوتنسكي إلاّ بعد ان ترك في شفاه جماعته حتى الآن نشيد (شمول هاياردن ـ شمال الأردن): مارسييز اليهود الشباب:

(مجال حيوي للملايين نريد..

(على ضفتي الأردن..

(للأردن ضفتان..

(الأولى لنا وكذلك الأخرى.!)

يهودية وايزمن وبن غوريون وأشكول حاربت الرجل، قاومته رفضاً، على أنه دكتاتوري وهتلري.. أقامت التحالفات ضده، سمته بالمجرم لقتله (رئيس الوكالة اليهودية)، وقف الاشتراكيون في وجهه، لأنه رفضهم، كان ذلك كله لأنه كان يشكل خطراً على المرحلة بما يفضح من الغد، ولكنه (يعيش) اليوم سعيداً.. شبحه يسيطر على كل شيء، الكنيست والوزارة ومنظمات الشباب والمستعمرات.. ميناحيم بيغن ينطق باسمه بفخار، وشارون ينشد معه النشيد نفسه، وشامير يفاوض باسمه وبشعاراته في واشنطن وباريس ولندن.. هم جميعاً عيال عليه وعلى صراطه في أفكار أربعة هي الإطار الذي تدور فيه إسرائيل اليوم:

الاستعمار المتعصب..

والسيف..

والمدى الحيوي

وهدم العمل العربي المشترك مع هدم المسيحية والاسلام معاً.

ويشمم جابوتنسكي رجل آخر عاصره، وقد مات معه هو: (هربرت سايد بوتام) إنه أكمل ما أنقص صاحبه من الفكر الجغرافي الديني الدقيق، وفي كتابه سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٣٧ عن (إنكلترا وفلسطين) يتحدث صراحة عن (بيروت) التي ستكون حقلاً للتوسع الاستيطاني الاسرائيلي وعن ما بين النهرين، مهد الشعب اليهودي، وعن الجولان

بما فيه دمشق كقطعة من إسرائيل الممتدة من البحر حتى الصحراء . . فهل عرفنا الآن لماذا وصل اليهود الى المتن وبيروت وبالوا وغوطوا؟

بن غوريون أعلن عن هذه الأهداف صراحة سنة ١٩٥٢ في كتاب إسرائيل الرسمي، ثم في كتابه (بعث إسرائيل ومصيرها):

(. . إن بلادنا تمتد من الشمال إلى الجنوب، من قسم لبنان وحرمون إلى البحر الأحمر وفي وسطها يقع البحر الميت).

انضم عجوز اليهودية صراحة في هذا التعريف هو وحزبه الذي يعارض حزب ميناحيم بيغن اليوم . . ومعهم المسؤولون الرسميون عن إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٨٢ وعن الهدنة ولجانها والامم المتحدة وتصريحات السلام . . انضم بن غوريون إلى حزب عدوه ميناحيم بيغن وجعل يفرق بين حدود الدولة التي قامت وحدود الأمة التي يجب ان تكون، ولو أن هذه الامة لم تجتمع بعد، قال:

(دولة إسرائيل إنما قامت على جزء من أرض إسرائيل . . إنها ليست تجسيداً كاملاً للرؤية اليهودية).

واذا أعلن الندم سنة ١٩٦٤ على أن فرصة سنة ١٩٤٨ قد ضاعت قبل ان تحتل إسرائيل المدى اللازم الذي يجسد تلك الرؤية قائلاً:

(ان حدود الدولة كانت أوسع وأبعد لولا تخاذل الجنرالات) فإن ميناحيم بيغن وشارون وشامير قد أعلنا أن مدافعنا أضحت تهدد دمشق من مرتفعات المتن اللبناني . .

فهل نستغرب بعد الآن ان يقول ميناحيم بيغن بعد إحتلاله ما يريد من الاراضي اللبنانية:
(لم نحتل لبنان وإنما جيش الدفاع الاسرائيلي عاد إلى حدوده التاريخية).

إن فيليب حبيب وكل ما فعله حتى الآن لا يتعدى الملهاة المؤقتة، مرسلوه أنفسهم يعرفون ذلك، ولعلهم لهذا ارسلوه،

ألم يسمع الرئيس رونالد ريغان ما قاله شارون في الكنيست:
(يجب ضرب البلاد العربية بحيث يدفع عشرات العرب ثمن كل ضحية يهودية تسقط)؟
إن هذا المدّ اليهودي سوف يتصاعد باستمرار، هكذا يقول بيغن وشارون وشامير.

لقد بدأوا بكلمة (وطن قومي) فوصلوا الى خطوط التقسيم سنة ١٩٤٧ ثم إلى حدود الهدنة سنة ١٩٤٨، ثم أضافوا لأرضهم المناطق المجردة من السلاح على الحدود السورية والاردنية والمصرية، وفي عام ١٩٨٢ وصلوا الى قلب بيروت وبالوا وغوطوا في شوارعها وأبنيتها.

إنهم يماطلون من الخروج من لبنان . . وحجة المماطلة الآن تدور في (الحدود الآمنة) وأن عملية سلامة الجليل تتطلب ٤٥ كيلو مترا منزوعة السلاح، وبعد فترة قصيرة سيكتشف سعد حداد ما فبرر انهم يكذبون عليه وعلى أمثاله من المغرر بهم حين يبدأ الخوض في موضوع سلامة الجليل ميدانياً . . فما حدود الأمن؟ والحدود الشرعية للبنان، وأين

تبدأ الشرعية وأين تنتهي؟ والحدود التاريخية والمقدسة وما كان لها يوما من وجود.. بل بدأوا يتحدثون في صحفهم من أجل الغد أيضاً عن الحدود الحيوية ويتحدث شامير في واشنطن في هذا الميدان عن مياه الليطاني التي تذهب هدراً.. وعن الجولان غير المستغل وعن اراضي حوران البور.. لقد أنزلوا الى السوق وجيشهم على مشارف بيروت سياسة الباب المفتوح.

أما من أجل الغد، فإذا كانت لا تكفي نظرية التاريخ العتيق والحق المقدس حجةً فلقد نزلت الى السوق أيضاً نظرية أخرى ترفد سياسة الباب المفتوح ومعها خارطة إسرائيل المقدسة: نظرية الباب المفتوح يقودها بيغن وشارون وشامير، أما نظرية إسرائيل المقا..ة فنشرها (بنيامين اكسين) أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية، قال:

(إن العالم اليوم يتوزع ثرواته بين بني الانسان.. نحنُ في عهد المساواة والتعاون العالمي ومن العدل أن نأخذ حصتنا، والعرب يحاربوننا لقطعة أرض هي ارض اجدادنا ولا تزيد على بضع عشرات من آلاف الكيلومترات، بينما لديهم أضعاف أضعاف حاجتهم من الأرض والثروات.. أليس هذا منتهى الظلم؟).

لقد حمل شامير معه إلى الولايات المتحدة في جولته الأخيرة خارطة وزعها بشكل مجاني تنقسم إلى قسمين.

القسم الاول خارطة إسرائيل الأمس..

والقسم الثاني باسم إسرائيل اليوم.

وفي هذا الكراس خارطة بعد وصول الجيش الاسرائيلي إلى مرتفعات لبنان.

ويبرر صاحب النظرية نظريته بالارادة الالهية..

ومن يرفض فالآلة العسكرية حاضرة، وجهاز التعمية العالمي حاضر، وهذه هي النظرية وخريطة العمل.. هل ثمة من يُشك في أن الحركة المقبلة ستقطع من جثة الأرض العربية ما تشاء؟

ألم يجعل عمى الزعماء إن كان هناك من زعماء، وقادة إن بقي هنالك قادة من الأرض العربية عاهر الطريق، أو لم يتركوا لبنان وعاصمته بيروت لمصير (المال الداشر)؟

(ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) ـ صدق الله العظيم ـ نعم نحن رأينا الموت ونحن ننظر.. ورأينا اليهودي يخوط ويبول في الأماكن العامة ببيروت ورأيناه يقتحم البيوت ويسرق الحلي وأدوات الزينة، ويضع في جيبه المسروقات التافهة: مشط منفضة سجاير، أقلام الحبر.

رأينا يهود الشتات بأم أعيننا!

ترى هل كان يجب أن يذبح المئات في صبرا وشاتيلا، ونرى اليهودي رأي العين يقتل ويدمر وينهب لنؤمن بأننا أمام الجبارين:

النضال أو الذبح . .

وقال اصوحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مرُّ!

صحيح أننا نجونا موقتا من الذبح ولكن أية نجاة هذه؟

ماذا فعل البرابرة الجدد بالناس الذين نجوا من سكاكينهم المسمومة؟

حين يصادف أحدنا الآخر نقول بعفوية :

لقد تغيرت . . لقد ولدت من جديد .

هذه الولادة ابقت في الذاكرة كل المشاهد ، محفورة في شاشة الذهن .

لقد أضحت شهور الاجتياح مزدحمة بكل الاصوات والخراب والبشاعات إلى درجة أن من عاش في أتونها لا يستطيع أن يقبض على أحدها ويقتدها . .

لقد طالما قلت ورددت أمام من هنأوني بسلامة الجسد :

لم تدمر القنابل اليهودية المباني والاجساد بل دمرت أيضاً الأفكار . لم يكن القصف اليهودي يهدف إلى قتل البشر وحرق الحجر بل كان يهدف أيضاً إلى قصف الأفكار . . لقد قصفت أفكار كثيرة ، ودمرت مفاهيم متعددة ، وسنحتاج الى وقت طويل لإجراء مراجعة عامة لمنظومة أفكارنا وتحديد الفكر الجديد الذي سيخرج من الواقع الجديد . .

كنت كلما أمسكت القلم لأكتب أبحث عن اسلوب جديد للكتابة فأفشل ، إن ما جرى في بيروت يطالبني بإلحاح بإستعمال كتابة جديد تختلف طولاً وعرضاً وعمقاً عن الكتابة التي دمرها القصف اليهودي . .

قال لي أكرم زعيتر الذي نعتبره آخر حبة في عنقود مؤرخي الارث والتراث وقد انتقل من بيته في الرملة البيضاء إلى فندق الكومودور في الحمراء بسبب القصف :

هل تكتب؟ اجبته :

كيف المكن من الكتابة أمام هذا الجنون اليهودي . . لا بد أن أصبح مجنوناً مثلهم لأصف جنونهم . . إنني اكتب صمتي وأنت هل تكتب؟ قال وهو يمسح من عينيه دموعه بمنديله : كيف أكتب وأنا قلق حتى الموت على مكتبتي ، لقد بقيت في بيروت خوفاً على هذه المكتبة التاريخية وحين يتوقف القصف أذهب اليها وأتفقدها رغم المخاطر . . إن فيها مذكراتي وذكرياتي وكل ما بقي لدي من هذه الدنيا العربية السوداء . .

اكرم زعيتر ما يزال يجهل حتى الان تدمير مكتبته بوصول صاروخ حارق إلى قلبها . . فحين وصل القصف إلى فندق الكوكودور غادر بيروت إلى عمان وترك البيت والذكريات وأحلى ما اختزن في حياته عرضةً للدمار . . وبعدها جاء الصاروخ والتهمها .

لم يكن لدينا أثناء القصف ما به نكتب ، كانت هناك ورقة واحدة تلوح أمام اعيننا كتب عليها حكم الموت الذي أصدره شارون لقواته .

سألت الدكتور (. . . رئيس بلدية مصيف اجتاحه اليهود وما زالوا فيه :
- دكتور لقد رأيتهم يقتحمون المصيف فماذا فعلوا؟ قال وقد اتسعت كآبته فغطت مساحة وجهه :
- لقد سرقوا . !
- ولكن غيرهم أيضاً سرق ولم أرك متألماً كما أنت الآن؟ قال :

- الفرق أن غيرهم سرق خلسة ولكنهم سرقوا علنا وأمام أعيننا، هل تصدق ان ضابطا يهوديا إقتحم منزلي ليسألني عن بعض امور المصيف، فاذا به يخافلني ويسرق قداحة رونسون كانت على الطاولة . . فقلت :

- لم اسمعك قبل الان تلفظ كلمة (يهودي) وكنت تصر على تسمية اليهودي بالاسرائيلي أو الصهيوني، فما الذي حدث في نفسك؟ قال :

- بلا كذب وزعبرة . . إن الذي قتل ودمر وسرق هو يهودي، كما أنا عربي . . فلماذا الاحتيال لنسمي الأشياء بأسمائها .

سألت مدير أحد البنوك وقد دخل الجنود اليهود إلى مصرفه . . كيف رأيتهم؟ قال :

قذرون، سفلة . . لم آسف على ما سرقوه من ورق ومحابر وسلل زبالة، بل بكيت حين فتحت درج مكتبي فوجدت أن أحدهم قد غوط في داخله . . كانوا يخوطون ويبولون وينامون إلى جانب قذارتهم . . وحين جلوا عن شارع البنوك بقينا عشرة أيام نكاد نختنق من روائحهم، فأمرت أن تغسل الجدران والمكاتب والكراسي والارض مثنى وثلاث ورباع بكل المنظفات الحديثة، وما تزال روائحهم باقية بآثارها حتى الآن . .

ماذا ستكتب بعد الآن؟

لا أحد لديه الاجابة الصحيحة . . اما ما يردده الآن الإعلام الموجه فهو كلام ملتقط من تحت الانقاض . . من تحت الردم . .

تنابلة السلطان الذين يتثاءبون في أعماقنا، الدجل في القيادات، الهزائم تنهمر كالمطر فلا يزلزل لها كرسي . . كل أولئك يكذبون على أنفسهم الان، إنهم يعيشون العبث الضائع . . وإلى أن يولد الأسلوب الجديد الذي سنكتب به فإننا سنظل نكتب بالصمت، لان ما رأيناه لا يوصف . . ولا يكتب . . فالخرس العربي أكل كل شيء كان معروضاً في سوق نخاسة الفكر . .

الجنون اليهودي يُدمّر بيروت



هل جرّب أحدنا أن يسجل أحاسيسه وهو يقضي الأيام والليالي سجين ملجأ، وحبيس الخوف والرعب والارهاق، ينتظر وصول الصواريخ والقنابل الحارقة لتقضي عليه وعلى جميع من كان يحتمي بملجأ أقرب إلى القبر الواسع؟

هل جرب أحدنا أن يسجل كل هذا على الورق بصدق؟

قلائل هم الذين حاولوا الاقتراب من هذا الجحيم وتصويره بكليات، ذلك لأن المأساة كانت أعمق من كل وصف.. لقد استمرت لعبة الموت في بيروت وكان العالم في سيرك مجنون اشتهر أصحابه بركوب الخطر بين أنياب الاسود، أو أفواه الأفاعي السامة، أو قفزات الموت في الهواء الخالي.!

كنا ونحن في الملجأ نحتضن المذياع ونسمع منه كيف استهترت إسرائيل بكل القيم وكل القرارات ومدت لسانها الطويل كذراعها الناري طويلاً لكل المسؤولين وكل القادة وكل الزعماء، واستهانت بكل العالم، واستحلت دم الأطفال والشيوخ والنساء، واستعملت كل الأسلحة المحرمة من فاتك وحارق وناسف، وتمردت على الجميع وصرخت بكل السفه: ليس في الدنيا غيري، وغير جيشي، وغير مهناحيم، وشارون وشامير.!

طوفان هادر من الحقد الأعمى والكراهية المطلقة، واحتقار مؤلم لكل ما هو عربي.

لقد استحالت ملايين العرب بنظر إسرائيل وأصدقائها وأزلامها إلى ملايين من الذباب لم يعد لها حتى الطنين..

كنت أحسّ وأنا اقترب من الورق في محاولة نقل أحاسيسي انني أحمل الموت معي في كل خلاياي، فكل خلية هي نقطة، وثوب لعزرائيل، وهذه الحالة تختلف عن الموت، أو الاحساس بقربه، ليست هي الموت، ولكنها نوع من عدم الشعور بالموت، وعدم الشعور بالحياة أيضاً.. فالذي لا يرغب في الحياة يرغب في الموت، والذي لا يرغب في الموت يرغب في الحياة، فكلاهما يرغب في شيء، أما الذي عاش في الملجأ ايام الجنون اليهودي فقد كان عبارة عن بقايا انسان لا يرغب حتى في الرغبة!

لقد عشنا خلال شهر رمضان وما قبله وما بعده على حافة الحياة، وعلى حافة الموت، انقطعت صلتنا بالواقع.. كان أحدنا يعيش منعزلاً، إنه معزول.. إنه منقطع.. إنه مقطوع، ولا توجد لديه وسيلة للاتصال بالناس، إنه بلا يدين ولا رجلين، لا توجد عنده أطراف للاتصال بالدنيا حوله، يشعر بأن الواقع نفسه بعيد عنه، كأنه ينظر اليه من العدسة الصغيرة في النظارة المكبرة، فكل شيء على مسافة منه، والمسافة بعيدة ووسيلة المواصلات محفوفة بالمخاطر، أو على الاصح لا توجد وسيلة للمواصلات، لقد تحول إلى مشروع انسان يعجز عن الاتصال بالغير، أو أنه إنسان عنده

احاسيس بأن الآخرين عاجزون عن الاتصال به، ومعنى هذا أن هناك نقصا فيه هو، أو نقصا في الواقع، وأن هذا النقص جعله (قعيداً)، جعله جامداً في مكانه وربطه في ركن من الملجأ العفن، وهذا القعد مستمرّ في الارض، كلما اقترب من الواقع إبتعد عنه، وكلما اقترب الواقع منه ابتعد عنه.

وتوقف المذياع عن البث لحظات وإذا بصوت المذيع يتحدث بدموعه مناشدا القتلة إيقاف اطلاق النار لحظات ليتسنى للصائمين الوصول إلى الماء في حال وجوده..

كان المذيع يواصل صرخاته المبحوحة حين انفتحت أمام عقلي مدينة غامضة من الحزن الأسود، مدينة طرقاتها هي المهانة وحيطان بيوتها أحجار محروقة في نار غضب هادئة.. أما حجرات البيوت فحسرات آدمية تجتمع تحت الضوء وتدخن!

وتنعقد سحائب الدخان تحت المصابيح، ويبدو الظاهر ضائعا منصرفا، وثمة عمق تنصهر فيه أصوات الصواريخ والقنابل وتتحرك وتتخاطب بلغتها الفولاذية الخاصة التي يستحيل تسجيلها.. وكل شيء يثور، وجداول المياه تجري حول البركان فتشرب منها العصافير والثعابين على سواء، وتجيء اللحظة التي تتوقف فيها أفواه الطائرات عن الحديث الصاخب واللاهب والخارق.. لقد إتفق الحديد والفولاذ والرصاص والبارود على القيام بنزهة خارج البركان!

الشيء المؤكد أن ريش الطيور كان يحترق، وتحولت الثعابين السامة إلى سماد محروق يغزي الأرض. أصغى جاري في الملجأ وهو مهندس يعمل في شركة كهرباء بيروت إلى صوت المذيع الباكي، وألقى سيكارته من يده وراح يسحق بقاياها بقدمه الغاضبة وقال:

- إحساسي بالألم لا يعادله إلاّ شعور دفين بأن ما نراه ونسمعه ونحسه إنما هو نذير جنون يهودي جماعي لا يستطيع أحد ايقافه.. فالجنون أحيانا لا يصيب الأفراد فحسب، بل الجماعات أيضا، وفي مثل هذه الحالة يتجمد العقل وتنطلق الغرائز..

إنخرطنا في حديث طويل وعميق.. إنهم يوقظوننا، ليس أكثر مدعاة لليقظة من شعورك بأنك تعيش الجنون اللا محدود وأنت أعزل.. فهذا الجنون يوجه أحيانا ضربات الغدر الموجع.

صرخ أحدنا من ركن بعيد:

ترى هل ستمر هذه الاحداث كما مرّت غيرها.. أفضل أن تظل أحداث هذا الجنون اليهودي جروحا داخلية عميقة في ضمائرنا.. وكم أتمنى أن يبتعد أطباء السياسة عن وصف علاجهم الموقت لما نعانيه.. الحزن المكتوم أفضل في مثل هذه الأحداث.. إنه يوجعك ويجعلك أقرب إلى تقسية مواجهة البراكين..

قال أحدنا:

لو أن حكام العرب ساروا جميعاً في جنازة صامتة، وسار خلفهم ممثلون لشعوبهم المقهورة حزنا على الضحايا البريئة التي تسقط لأحسسنا أن هناك من يشاركنا مأساتنا.

إعترض واحد:

لو حدث هذا لكان لهذا الموكب الحزين دوي، وكان له ردّ فعل داخلي هو الاحساس بارتياح.. لقد فعل العاجزون شيئاً.

قال آخر لم يكن قد تكلم بعد:

حمداً لله أن شيئا من ذلك لم يحدث، لا يريد قدرنا أن تحسَّ بارتياح، يريد أن تظل صدورنا ثقيلة بغير راحة، ويريد حزننا مكتوما بغير تعبير، ويريد فجيعتنا كامنة بغير عناء أو عويل.. يريد قدرنا لنا هذا كله، لأنه يريد أن نستيقظ على واقعنا الحقيقي، ونفتش بأنفسنا عن العلاج. طاف الحديث ساعات الليل والنهار حول عديد من الأشياء، ثم كان يعود في كل مرة إلى منطقة الدم المسفوح في بيروت..

كانت الكلمات أحيانا تتوقف في حلوقنا، وتطوع احدنا وفتح (الترمس) المملوء بالشاي، لقد كان الشاي مرًا رغم أننا حليناه بكمية من السكر.. انتهى الأمر، ولم تعد كل قطع السكر في الأرض قادرة على محو مرارة الأفواه، فما أشقَّ الحديث حين تكون كلماته قد فقدت بكارتها.

كنت أستعرض من الذاكرة ما مرَّ بي من صعاب منذ أن وصلت إلى بيروت حين سمعت صوتا يصرخ:

لقد توقف إطلاق النار..

وخرجنا من الملجأ ورأيت الناس يزحفون إلى خارج بيروت.. إلى حيث لا يدرون.

توقف أحدهم وسألني هل ستبقى في بيروت..؟

تجمدت الكلمات في حلقي لم أكن أدري ماذا افعل، ورحت أحدق بمحدثي الذي سرعان ما استأنف حديثه قائلاً:

هل تريد شيئاً..؟

لم أجبه، ولم أدخل معه في حوار حول البقاء في بيروت أو مغادرتها.. فقد كان إلى جانبه ابنته وعمرها ما يقارب السنة، لم تكن تدري أن أمها قد ماتت تحت الانقاض، لم تفهم البنت شيئا مما كان يجري حولها، وكانت تستغرب بكاء والدها وهو يغادر بيروت. لا زال على وجه البنت الصغيرة شبح ابتسامة، أما أنا فقد تذكرت وأنا اشاهد دموع الأب وابتسامة الطفلة الشتلات الثلاث التي زرعتها في السجن.. ترى هل قطعوها؟

لم يدم وقف اطلاق النار طويلاً، وسرعان ما عدنا إلى الملجأ لنستأنف الحديث، أو على الأصح الثرثرة حول هذا الذي يجري حولنا ولا نجد له تفسيراً يتناسب مع العقل.

لقد كان الشاعر الالماني (شيلر) عند ما يغلبه النوم من التعب يضع مصباحاً قريباً من وجهه، فكلما غلبه النوم قرب رأسه من النار فيصحو، فهو يوقظ نفسه بالنار.. وكذلك بعض الشعوب لا تستيقظ إلاّ إذا وجدت نفسها وسط النار..

قبل أن نستقبل نار إسرائيل كنا نستقبل ناراً أخرى، فقد كان المجتمع في لبنان ضحية سوس تسلل إليه وبدا يأكله من داخله، حتى أصبح الإنسان في لبنان لا يحمل ملابسه وإنما يحمل كفنه.. إنه إنسان يمشي في جنازة نفسه.. إنسان ميت هو النعش وهو المشيعون وهو المقبرة أيضا! لقد استيقظت في أعماق بعض الناس في لبنان روح غريبة وحشية، وكان هناك دعوة للقتل.. فإذا بهذا البعض يمارسون القتل بهستيريا، وغرق الجميع في حمامات الدم.

وقد كان الرومان يطلقون الوحوش على المساجين، ويتفرجون عليهم بنفس الحماسة التي يتفرج بها الأسبان على مصارعة الثيران، ويتفرج بها أبناء أندونيسيا على مصارعة الديوك، ويتفرج بها اليابانيون على المصارعة اليابانية.. لقد كان الرومان يعانون من التخمة، فلا بد أن يقتلوا التخمة.. ولابد أن تكون دماء حية.. دماء حيوانات أو دماء بشر.. وكذلك كان البعض في لبنان خلال أيام المحنة الصغرى التي سبقت المحنة الكبرى بوصول إسرائيل إلى قلب بيروت.. يتفرجون على الدم المسفوح ويوسعون أحداق عيونهم دهشة!

في مسرحية الكاتب الفرنسي (جان تارديو) وعنوانها:

ـ من هناك؟

في هذه المسرحية نجد الأسرة تتناول طعام العشاء.

الأب والأم والابن. ويدق الباب وينهض الأب ويفتح لسيدة مجهولة تخبر الأسرة كلها عن كارثة ستصيبها حالاً.. وبعد لحظات ينفتح الباب ويدخل إنسان ضخم جداً، ويمسك الأب ويخنقه ويرميه خارج البيت، وتشير السيدة المجهولة الى الأم أن تنظر من النافذة، وتنظر الأم من النافذة فتجد مئات الجثث، وينظر الابن الى جثة والده، وهنا ينهض الأب ويدخل البيت وتسأله زوجته:

ــ من الذي قتلك؟ ويجيب:

ــ ليس إنساناً! وتسأله الزوجة:

ــ من أنت؟ ويجيب:

ــ لست إنساناً! وتسأله:

ــ ومن كنت؟ ويجيب وهذا هو أهم ما في المسرحية الصغيرة:

ــ أنا لا أحد.!

هذه المسرحية عرضت في عواصم العالم، ومثلت هنا في لبنان على الطبيعة في أكثر البيوت التي زارتها الصواريخ والقنابل، فكنا نسمع ونرى مثلها كل ساعة ولا نتحرك، لقد فقدنا الاحساس بآدميتنا، فأصبح واحدنا لا أحد!

حين قالوا في إذاعتهم أن جبهة المتحف قد سقطت وأن القوات الاسرائيلية تزحف الى البربير دفعني الجنون الى مرافقة صحفي أجنبي راح يلتقط الصور الحية ويختزن الصور الاخرى في ذاكرته، ودخلنا معا منطقة سباق الخيل ورأينا أغرب حرب في الدنيا، آلة حربية هائلة تبصق الحمم وتحاول التقدم يواجهها شباب لا يتجاوز عمر أكبرهم على العشرين عاما، يتصدون لهذه الآلة الجهنمية بصدورهم العارية فاذا براكب الدبابة المحصنة يترك دبابته ويهرب..

وسألني الصحفي الأجنبي:

ــ ما هو شعورك تجاه ما رأيت، فقلت:

لو اختلف الوضع وأتيح لراكب الدبابة أن يقاتل لما تحول الى قاتل، ولكن ماذا نفعل مع هؤلاء الذين حصنوا اليهود بكل هذه الآلة وأطلقوهم ليقتلوا لا ليقاتلوا.!

من ألوف السنين عرف الناس جنون المجتمعات، وقد جن المجتمع اليهودي فجأة وراح يمارس جنونه على الارض في بيروت.. كان يختال بطائراته ودباباته وبوارجه لقناعته بان أحداً لن يتصدى له.. في فندق (الكومودور) حيث يقيم رجال الصحافة الأجنبية كنا نغتنم فرصة الهدوء النسبي لتناول فنجان القهوة الذي كان متوفراً ونتحدث..

أجانب وعرب، مناضلون وأشباه مناضلين، متصيدون للأخبار ومعلقون عليها.. كانت جلساتنا تمثل جلسات المؤتمرات العربية التي عقدت من أجل لبنان وما يجري فيه.. والغريب أننا لم نتفق ولا مرة واحدة لتحديد الأسباب الحقيقية لوصول لبنان إلى ما وصل اليه.. أو على الاصح لوصول العرب إلى ما وصلوا إليه!

أعتقد أن (برناردشو) هو الذي قال أن الامريكان والانكليز شعبان تفصل بينهما لغة واحدة.. وهو يقصد أنه على الرغم من أن الشعبين يتكلمان لغة واحدة إلاّ انهما غير متفاهمين، كما لو كانا يتكلمان لغتين مختلفتين. ولو حاولنا أن نستعير هذه العبارة الساخرة وطبقناها على رجال السياسة العرب لقلنا: إن أهل السياسة في دنيا العرب غير متفاهمين لأنهم يتكلمون لغة واحدة!

فاللغة الواحدة ليست دليلاً على أن التفاهم ممكن بين الذين يتكلمونها، سواء أكانوا إنكليزاً أو إفرنسيين أو صينيين، أم عرب، فالخلافات بين أهل السياسة العرب لا بداية ولا نهاية لها، وقد خيل الينا بعد أن ضربتنا إسرائيل على رؤ وسنا أن المسؤ ولين العرب سيتكلمون لغة واحدة، ولكن النتيجة جاءت عكس ذلك تماماً، والنتيجة أن اللبناني يحس أن كلام الجميع غير مفهوم، مع أنهم يتكلمون اللغة التي يتكلمها أقرانهم.. فكأن اللغة هي التي تفصل بين العرب بعضهم مع بعض.

كان هذا الموضوع عن اللغة التي يتبادلها الحكام العرب هو بداية الحوار الذي جرى بيني وبين صحافي إفرنسي يراسل عدة صحف اوروبية، ويقيم في (الكومودور) لتغطية أخبار لبنان.

وقد سبق لهذا الصحافي أن عمل في فيتنام فترة طويلة، وكان قبلها قد عمل في الكونغو، ولديه خبرة صحفية واسعة عن الأحداث وأسبابها، ومع ذلك فقد شعر بعجزه عن فهم (خرس العرب) وبيروت تحترق، فراح يشاركني في الحديث عن اللغة غير المفهومة التي يتبادلها شعب واحد.

كان حزينا كأقصى ما يكون الحزن حين شاهد فندق السان جورج ركاماً، وكان ساخطاً أشد السخط على الذين جعلوا من هذا الفندق متراساً لهم، فقد كان يرى في هذا الفندق صورة مصغرة لمدينة بيروت التي كانت ضاحكة فأضحت مقهورة، لم يكن يهمه أن يحترق فندق فينيسيا ولا فندق الهوليدي إن، وإنما كان يهمه أن يظل فندق السان جورج سليماً، وبعيداً عن الدمار، فهذا الفندق حسب تعبيره يختزن في ردهاته أجمل ذكريات بيروت العربية.

أكتب هذه الكلمات عشية دخول جيش البرابرة الشاروني المناحيمي ومن معهم الى صبرا وشاتيلا ليفتك بألوف الأطفال والنساء والشيوخ فماذا استطيع أن أكتب؟

إن كل ما كتب عن هذه (المذبحة) مجرد كلمات وأرقام باردة ترددها الاذاعات العربية والأجنبية وصحفها ووكالات أنبائها، فليتخيل كل منا نفسه وزوجته وطفله الصغير الذي يرضع، أو ذو السنتين او طفلته بنت الثلاث سنوات أو الـ ٦ أو العشر سنوات، أو فليتخيل أخاه الصغير أو أخته الصغيرة، أو فليتخيل أمه العجوز وأباه الشيخ وقد سدت عليهم جميعا كل المنافذ ثم أمطرهم البرابرة بوابل من نيران الدبابات والصواريخ.. كان هجوم البرابرة على مخيمات صبرا وشاتيلا ومار الياس هجوم كاسح.. لم يكن لدى ما بقي من سكان هذه المخيمات ما يدافعون به عن أنفسهم، كانوا عبارة عن كتل بشرية في بحر من الأعداء.. إندفع البرابرة الجدد باتجاه الفقراء فحصدوا منهم ثلاثة آلأف قتيل في الساعات الثلاث الأولى، وبدأت الجرافات والدبابات تسحق الجثث مع التراب..

ألا ويلنا من البرابرة الجدد!

من أنا لأنسى الليالي السود ورائي، والليالي السود أمامي!

كيف لمن عاش المذبحة في بيروت أن ينسى غارات البرابرة الجدد على المدينة العزلاء، فقد كانت الطائرات اليهودية تغير على امتداد الساعات والدقائق والثواني ترمي قذائفها فإذا بجدار جاري يتهدم، ويبدو لي في فجوته سرير جارتي الصبية وقد مزقتها الشظايا في بياض أغطيتها، وما كادت تستيقظ. إنني أرى في يقظتي ومنامي هؤلاء الأقزام من بابل الجديدة يتجولون في شوارع بيروت، ولا ينفكون يذهبون ويجيئون في دوار من حماسة جنون، وشهوة شيطان، عيونهم الحمر على بيتي وأولادي، واوراقي ومذكراتي، وصور ذكرياتي وكل من أحب في هذه الدنيا.

الصور العديدة المطبوعة في شاشة الذهن لا يمكن أن تنسى.. فها هو الحاج سليم الذي عرفته في صبرا يبيع الخضار والفاكهة يطرق بابي ليبيعني بعض ما كان لديه من العلب المحفوظة الموزعة عليه من الصليب الأحمر، إنه يبيعني المعلبات ليشتري خبزاً لثلاثة أطفال هي كل ما بقي لديه من عائلته التي كان يفاخر بأنها تجاوزت الثلاثين شخصاً، لقد استطاع الإفلات من مخيم مار الياس بعد أن رأى عائلته تحت عجلات الحديد تطحنها الجرافات اليهودية.. ها هو يأتيني هارباً يحمل بقايا أمتعته على ظهره، وأسمع قصته الدامية فلا أعرف أين اغمد قلمي، أفي نحري لأتخلص من الحياة، ام في أي عمل حقير أبقي به على حياتي الطويلة التافهة..

ها هو إبراهيم الناصري بائع البصل في مخيم صبرا يفاجئني بعد دخول القوات المتعددة الجنسيات وقد جاءني سيراً على الأقدام وقد دفن أربعة من أطفاله على قارعة الطريق مع أمهم يقول لي:

أستاذ هل في أزقة بيروت وأرصفتها مكان بعد لضحايا جدد؟

من يستطيع ان يروي للتاريخ ما جرى في بيروت.

إن المباراة الدامية التي شهدها الناس على الساحة البيروتية كانت شيئاً غريباً وعجيباً.

اللاعبون في هذه المباراة من اليهود وأزلامهم وتابعيهم كانوا يتحصنون داخل الدبابات، يصوبون فوهاتها الى العمارات والملاجيء والشوارع فاذا بالرؤوس تتدحرج بالعشرات، وبالمئات.. وكان هناك أكثر من حكم غير منظور، وكل واحد يوجه الاوامر عبر مذياع خفي.

الرؤوس تتدحرج عن الأجسام فلا تجد حتى من يغطيها..

المباراة تستمر، ولا يهم أبداً عدد هذه الرؤوس.. بل المهم مضاعفتها.

كانت القنابل تتجاوز البشر الى الحجر فتحرقه، وتحرق معه النفوس، وما في داخل النفوس.

التدمير الذي جرى لا يمكن ان يوصف لانه ابعد من حدود النظر، والدموع التي سالت من مآقي أصحاب الممتلكات المحروقة لم تكن دموعاً عادية، بل كانت دموعاً محروقة، اختلط فيها الماء بالدماء فبدت كأنها خارجة من جمر.

هؤلاء المساكين الذين تصارعوا مع الزمن لاقامة مؤسساتهم المالية، وعرفوا الجوع والحرمان وانتصروا على الحياة.. هؤلاء تحولوا وهم يرون أرزاقهم تحترق إلى أطفال ينتحبون.

كل واحد من مشاهدي مباراة الموت صب جام غضبه على أحد.. ومع انهم يعرفون إسم المجرم وهويته، فان أيا من الناس لم يتجرأ على تسميته.

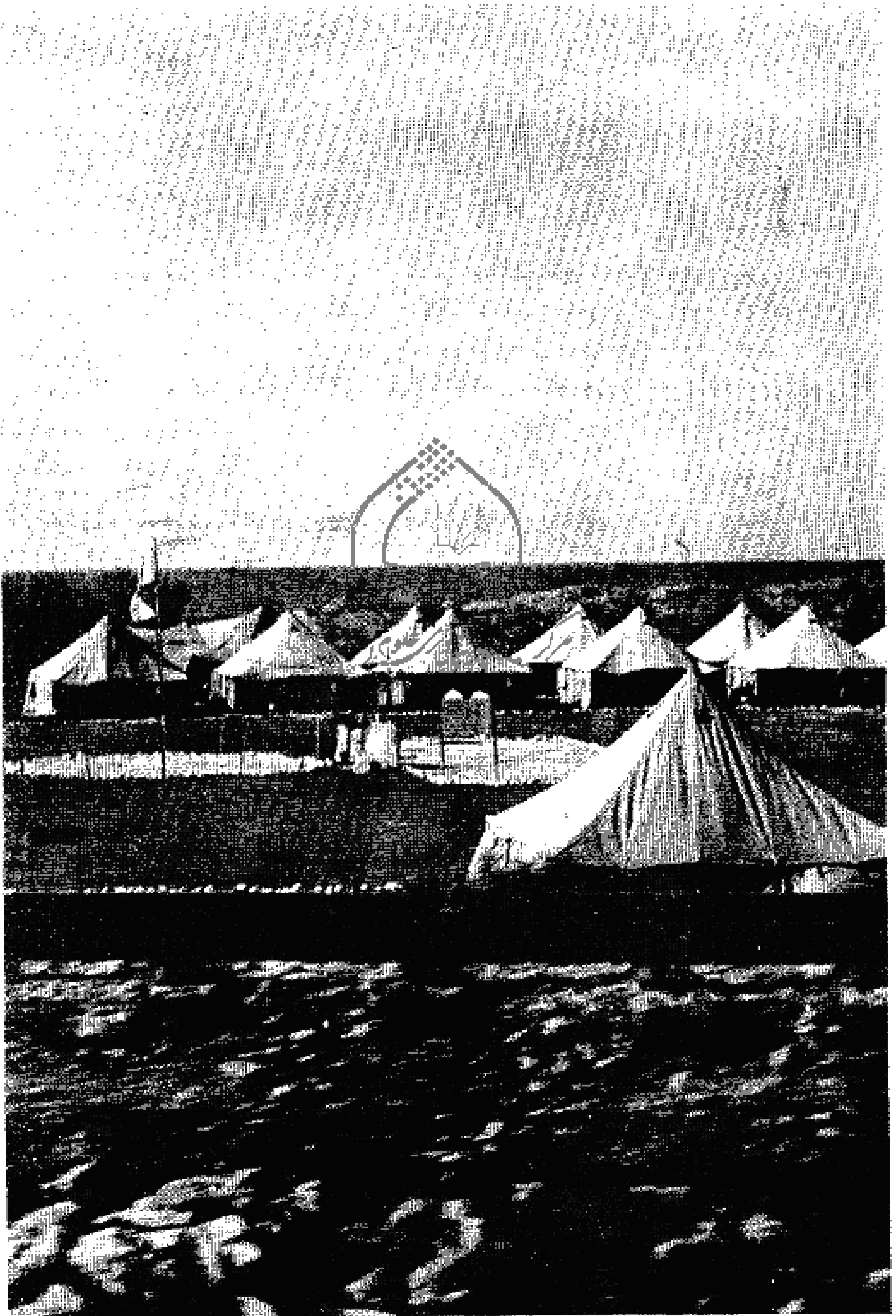
أحيانا يتحول المصاب الى مخبول..
واحيانا أخرى يهذي..
شيء من هذا، أو أكبر من هذا حدث في لبنان.. ففي أيام المذبحة هزم الإنسان العربي من الداخل..

لقد هدمت مقاييس الاقتتال، وارتبك القوم، فقد إنهار كل شيء، وسقط الجميع في الهاوية. واعتقد الناس، كل الناس، أنهم أمام يوم أبدي، يوم لا يتحرك.. لقد وقف عنده الزمن، كما يقف إنسان أمام ميت، وفقدت أرقام القتلى والجرحى مدلولها، فلم تعد آلاف القتلى والجرحى، ومئات المباني التي دمرت.. لم يعد كل هذا يهزّ أحدا، لقد سقطت قيمة الربح والخسارة، وتكوم الانسان في الملجأ يحتضن اطفاله ويعيش معهم يوما بيوم، وساعة بساعة، ولحظة بلحظة.. أصبح الألم هو الهواء الذي نتنفسه.. وهو الطعام الذي لا نهضمه، وهو الشيطان الذي نلعنه.

إن الذي قُتِلَ ولده بالرصاص والقنابل اليهودية الامريكية.. والذي هُدِمَ بيته بقصف حاقد، مثل هذا الانسان لا يمكنه أن يوضح الفوارق في ذهنه، لقد اختلطت عليه الأمور.. في أكثر الأوقات كان متفرجاً على لعبة الموت.. وهو لا يدري لماذا يتفرج..

هل نقبل هزيمة أنفسنا؟

ماذا بعد نزع سلاح المقاومة؟



ربابنة السفن في أعالي البحار إذا رأوا عن بعد قطعة من جد الثلج طافية تسبح في البحر، حولوا الدفة بعيداً.. بعيداً وعملوا على القياس والحساب. إنهم يعلمون أنها الموت الابيض، تعلموا أن هذه الجمديات التي تزحف من أطراف المناطق القطبية، إنما يطفو منها فوق الماء العشر فقط.. وأما تسعة الاعشار فتحت الماء خفي دفين.. ولقد حاول ربان (ذكي) مرة وقد رأى جدتين من بعيد، أن يمرّ بينهما.. ما قدر أن الجمدتين موصلتان تحت الماء، أو أنهما رأسان ظاهران لكتلة جدية واحدة.. وكانت يومذاك نكبة الباخرة المشهورة (تيتانيك) سنة ١٩١٥، وكان الغرق - وهي فخر البحار لعهدها - بما فيها ومن فيها.

كم مرة نكبت باخرتنا، بما فيها ومن فيها بسبب جهل الربابنة وخرق القائمين على الدفّة، وإخفاء الحقائق، كل الحقائق عن الناس.

ليس من موضوعي هنا.. خطأ الحسبان، وجريمة الإصطدام بالجهود دون الإنتباه للمصالح والخطط الخفية التي تربط شرقاً بغرب وكتلة بأخرى.. ما إليها قصدت. !

السؤال الذي نصبته لنفسي إنما يدور في فلك آخر!

إنه في ظاهره سؤال متأخر عن موعده ١٥ سنة!

لماذا تعثرت المقاومة الفلسطينية أكثر من مرة، فخرجت من الاردن أولاً ١٩٧٠، ومن لبنان ١٩٨٢؟ وما هو مصير هذا الوليد الذي نشأ يتيماً، وترعرع ضائعاً، وشاب متمرداً، فتنكر له الاهل، وتآمر ضده البعيد والقريب، وود الجميع إقتلاعه من جذوره؟

الآن بتنا نعرف السؤال، ولكن هل بإمكاننا معرفة الجواب (بدون كذب)؟

رغم معرفتنا أن الجواب الظاهر السريع يعرفه حتى الجاهل منا، وحتى الطفل، فما من جديد فيه يكشف حول هذه المأساة التي صفعتنا في بيروت، والتي بدأت تسحق منا العظم، تطحننا طموحا وأطفالا وكرامة وأرضا وقادة.. رغم كل هذا فمن ذا الذي بات يجهل فينا قصة (المذبحة) في مخيمي صبرا وشاتيلا، وماذا فعلته في الاجساد البشرية والنفوس، وما هي العوامل الخفية والمستترة والظاهرة التي جعلت من المذابح شعاراً للهزائم التي توالت علينا بشراسة منذ ظهور المقاومة حتى الآن؟!

ومع ذلك، فاني أحسب ان طرح السؤال من جديد له ما يبرره. . فهل هذا الذي كان كله، من أرض عربية تئن تحت الجزمة اليهودية. . وقوافل كخطوط النمل مشردة على الدروب، وأشلاء آدمية جمعت دون تعداد وكومت في حفر جماعية حول المدينة الرياضية لتكون قرابين غير مباركة ليهوه، إله اليهود الوثني (يعتبر لدى اليهود إلهاً خاصاً بهم وليس بإله لجميع البشر)، ولتكون ايضاً بمثابة (شاهد عدل) على الكذب الفاضح الذي إعتمدناه منذ دخولنا الصراع مع اليهودية؟

لم يكن هذا هو الدافع الرئيسي لملامسة موضوع (المقاومة). . ظهورها. . تشتتها. . ومستقبلها. بل كان هناك دوافع أخرى منها إتفاق الجميع على إفساح المجال أمام الأقلام المتصهينة والمرشحة للتصهين لتخوض في الموضوع، أما الأقلام العربية التي عاشت (المذابح) ورأت، ووعت، فمحظور عليها الاقتراب منه لاسباب باتت معروفة لكل من غمد القلم في نحره لكي لا يشارك في (مذابح الكذب) ولكي (لا يُطعَن)!.

والآن، فهل من الممكن ملامسة الحقيقة المتعلقة بهذا العمل الفدائي الفلسطيني الذي أضحى كالمؤودة التي سئلت باي ذنب قتلت؟

لنبدأ القصة من محطتها الاخيرة التي شهدت الدموع الحزينة والحسرات المكبوتة، ثم نأتي بعدها إلى المحطات الاخرى التي أدت إلى هذه المحطة!

في الكويت نبتت الفكرة

في عام ١٩٥٩ وصلت إلى دور المجلات في بيروت مجلة تحمل إسم (فلسطيننا) وقرأناها بصوت عالٍ في إجتماع هيئة التحرير، وأقسمنا على عدم ذكر أي شيء من مضمونها في المجلة التي كنا نعمل فيها تاركين لمن أصدرها مهمة شرح أهدافهم وسط الاجواء الفلسطينية، خوفا على هذه الأهداف من التشويه والاستغلال.

لقد تضمن العدد الأول أفكارا فتية تستهدف تجميع كل الشبيبة الفلسطينية، من اليسار كما في اليمين حول أفكار بسيطة هي: (يجب أن تكون الحركة الوطنية الفلسطينية، وبشكل شديد الصرامة، مستقلة عن الدول العربية، وعليها أن تهيء نفسها لحرب شعبية طويلة الأمد، بدعم حيوي من الشعوب العربية ومن حركات التحرر الوطني في العالم الثالث).

بعد فترة عرفنا قصة هذه المجلة، وعرفنا أن ياسر عرفات المهندس الذي تخرج من كلية الهندسة من جامعة القاهرة قد ذهب إلى الكويت كمهندس للأشغال العامة قد أسس شركته الخاصة، ولحق به أبو اياد (صلاح خلف) كمدرس، وهناك بدأت الخيوط تتجمع للانطلاق، أبو يوسف من قطر، وأبو جهاد من الخليج. . وبدأت الاتصالات التمهيدية بين هؤلاء وبين أبناء وطنهم السليب الأخر لتحقيق الأهداف التي وردت في العدد الأول من مجلة (فلسطيننا).

باقي القصة معروفة للخاصة التي يحتفظون بأسرارها في صدورهم، ولكن بعد أن وصلت الأهداف الفتية الى ما وصلت اليه هل يصح أن تبقى هذه الأسرار حبيسة الضلوع.

إفهموها يقي . !

بعد سنوات من إنطلاقة ياسر عرفات ورفاقه، وفي ٢٣ حزيران ١٩٨٢ قال المبعوث الامريكي فيليب حبيب لوليد جنبلاط في قصر بعبدا:

(إن هناك قراراً عربياً ودولياً لنزع سلاح المقاومة الفلسطينية فلا حاجة بعد الآن إلى مزيد من الضحايا).

ولم يصدق جنبلاط يومها ان كلمة (عربي) مقترنة بكلمة (دولي) فسأل جنبلاط فيليب:
- تقول قراراً عربياً؟
فأجابه:
- نعم قرار عربي ودولي بنزع سلاح المقاومة الفلسطينية.

قال فيليب حبيب عبارته هذه بلهجته اللبنانية وأرفقها بابتسامة ذات مغزى لكي يدرك وليد جنبلاط الحقيقة فلا يغرق في الأوهام.

ومثلما إستقبلت الأنظمة العربية ظهور المقاومة الفلسطينية بالصمت، إستقبلت تجريدها من سلاحها بالتآمر الصامت، وهكذا تحقق الحلم (العربي) و(الدولي) باعادة المقاومة الفلسطينية إلى المرحلة التي كانت عليها قبل صدور العدد الاول من (فلسطيننا). ويتلخص هذا الحلم بتحجيم حركة المقاومة الفلسطينية إلى المرحلة التي كانت عليها قبل عام ١٩٦٥، عام ظهور حركة (فتح) بصورة رسمية، أي حركة لاجئين لا رأس لهم، بل فيهم أكثر من عشرين رأساً، وهي المرحلة التي فرط فيها عقد الفلسطينيين بعد الهزيمة الحزيرانية ١٩٦٧ وتبعثروا في حزبي البعث السوري والعراقي، وحركة القوميين العرب، والفت كل مجموعة منهم حركة وتنظيما مستقلا مرهونا لدولة أو نظام عربي، فحركة القوميين العرب اخرجت من بين ظهرانيها من الفلسطينيين:

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. ثم إنشقت عنها الجبهة الشعبية الديمقراطية، ثم الجبهة الشعبية - القيادة العامة - ثم جبهة التحرير الفلسطينية، ثم الجبهة الشعبية الثورية..

أمام هذا التشرذم كان لابد من خروج المرحوم أحمد الشقيري الذي شهد ولادة منظمة التحرير الفلسطينية، وبعد خروجه إثر مؤتمر الخرطوم ١٩٦٧ توحدت المنظمة نظريا بين ١٩٧٠ - ١٩٨٢ وأصبحت على الصعيد الرسمي العربي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في مؤتمر الرباط عام ١٩٧٤، واستطاعت أن تصمد بفضل ياسر عرفات وأساليبه في فهم الذاتية الفلسطينية. ولكن بعد أن خرجت المنظمة على النحو الذي خرجت فيه من لبنان، فما هو مصير (التوحيد النظري) هل سيظل متماسكا ولو ظاهريا على الاقل، أم أنه سيتعرض للانقسام العلني تحقيقا للحلم العربي الدولي الذي يريد فصم التوحيد النظري، واعادة التقسيم العملي؟

رؤيا.. وظروف..

إذا كان القرار (العربي) و(الدولي) قد جرّ المقاومة الفلسطينية إلى الحرب الاسرائيلية على الأرض اللبنانية، فإن

هذا (الجزّ) لا يعفي القيادة الفلسطينية الممثلة في حركة (فتح) من مسؤولية الوقوع في هذا الفخ المنصوب بأيدٍ عربية ودولية . .

إن قيادة (فتح) لا تخفي في مجالسها الخاصة مسؤوليتها في قيادة هذه الحرب على الارض اللبنانية، فهذه القيادة التي تعاهد مؤسسوها في الكويت عام ١٩٦٥ على الوفاء لبعضهم البعض مهما كانت الظروف والنتائج . . بل والمخاطر لم تدرك حجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها . .

ولعلنا لا نذيع سرا حين نؤكد أن الانقسامات، والاختلافات بهذا العهد بدأت عندما أبعد عن المنظمة السيد خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة (فتح)، ومنع حتى من الحضور إلى بيروت منذ عام ١٩٧٧، وذلك لأن كل العاملين في مكاتب المنظمة في الخارج وصلوا إلى مراكزهم بفضل جهوده، وأصبحوا بفضله تابعين له وليس لمنظمة التحرير . وليس لرئيس الدائرة الخارجية السيد فاروق قدومي، وقد قتل بعض العاملين في مكاتب الخارج لهذه الأسباب، ولا حاجة للتفصيل هنا. ثم تم إبعاد صلاح خلف (ابو اياد) عن عضوية منظمة التحرير الفلسطينية لأنه (كبر زيادة عن اللزوم) وبات يقال بأنه ممثل الجناح اليساري في المنظمة، والرجل الثاني بعد ياسر عرفات، إلاّ أن صلاح خلف إحتفظ بمركزه في (فتح) لانه المسؤول عن الأمن، كما احتفظ خالد الحسن بمركزه باعتباره (وزير مالية) المنظمة غير الرسمي في دول الخليج . .

وقد تكرس الانقسام مؤخراً، وبالتحديد قبل الحرب الإسرائيلية ـ اللبنانية، وبعد سلسلة من المشاكل بين الأبوين (أبو عمار وأبو أياد) عندما إتفق الأخير مع القيادة الحاكمة في سورية والاتحاد السوفييتي، وبين إسرائيل والولايات المتحدة الامريكية، إلاّ أن (أبو عمار) رفض السفر إلى سورية لتوقيع المعاهدة باعتباره رئيساً للمنظمة . ثم جاءت الحرب الاسرائيلية ـ اللبنانية لتنقل الصراع إلى حرب التصريحات . .

فبينما كان (أبو عمار) يقول في مجالسه أنه سيحول بيروت إلى (ستالينغراد) كان (أبو أياد) يصرح ولاول مرة أن الفلسطينيين على إستعداد للانكفاء إلى المخيمات، والاتفاق مع الحكومة اللبنانية على بقية التفاصيل . .

وعندما قال (أبو عمار) انه سيلقن الاسرائيليين درساً في لبنان، كان (أبو أياد) يصرح بأنه لو انسحب الاسرائيليون عن محيط بيروت ١٠ كلم فإن المسألة ستسوى دون حرب .

ولأسباب معروفة إختلف الرئيس صائب سلام مع صلاح خلف فتدخل ياسر عرفات لاصلاح ذات البين لكن الرئيس سلام رفض، وغادر أبو أياد بيروت دون أن يودع صائب سلام، كما رفض (أبو عمار) أن يغادر مثل جميع قادة المقاومة دون استثناء إلى دمشق، وآثر السفر إلى دولة أوروبية (اليونان)، واغتنمها (أبو أياد) الفرصة وصرح بأن (أبو عمار) غادر إلى اليونان لانه لا يثق بأية دولة عربية . . والذين سمعوا من أبي عمار، وأبي اياد قصة خلافاتهما أثناء الأحداث اللبنانية يذكرون ولا شك تلك القصة :

ففي إحدى الاجتماعات التي كانت تعقد في إحدى العواصم العربية المعنية مباشرة بالأزمة اللبنانية، ويحضرها كبار المسؤولين في هذه العاصمة، وقيادة فتح، وكان النقاش يجري حول الصراعات الدولية كان رئيس هذه الدولة العربية حين يريد أن يستفسر عن موقف موسكو كان يسأل بجدّية أبو أياد:

ترى ما هو رأي اخواننا الرفاق في موسكو حيال ما يجري في لبنان . .

ويفهم الحضور عندها المغزى من توجيه هذا السؤال! والحقيقة أن صلاح خلف أعرب عن رأيه فيا بعد وتحدث بإسهاب اثناء وجوده في دمشق عن تخلي السوفييت عن المقاومة وتركها تلاقي مصيرها!

الانقسام اللعنة . .

وكما إنقسم الحكام العرب قبل حرب ١٩٦٧ إلى تقدميين ورجعيين وما بينهما ، كذلك إنقسم الحكام العرب بعد حرب ١٩٧٣ إلى معسكرين معروفين وعلنين رغم أن الخلافات كانت شكلية بين حكام المعسكرين . . فهل تنقسم منظمة التحرير إلى شقين أو أكثر بعد خروجها من بيروت محطمة اليد والقلب؟

إن مظاهر هذا الانقسام قد تجلت بشكل مستغرب حين الخروج من لبنان ، لقد إتفقت فصائل المقاومة (اليسارية) على أن تذهب إلى سورية (الجبهة الشعبية ، والجبهة الديمقراطية ، والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة) ، بينما إختار (أبو عمار) أن يكون مقره تونس حيث الجامعة العربية مصطحبا معه كل كوادر قيادته العسكرية في منظمة التحرير، ونخبة (فتح) من مقاتلي (الفرقة ١٧) ، ولأول مرة تنشق منظمة فتح التي هي المنظمة الأقوى والأكثر عدداً وعدة في منظمة التحرير ، فيأخذ منها (أبو عمار) النخبة ، ويرافق ابو أياد وأبو جهاد وأبو الوليد وأبو الهول والباقون كل جماعتهم إلى سورية .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا رغم قسوته هو:

هل ستصبح منظمة التحرير الفلسطينية منظمتين ، إحداهما وهي تسمي نفسها بالرافضة في سورية بزعامة صلاح خلف (أبو أياد) ومعه الجناح اليساري . . ومنظمة المعتدلين بزعامة ياسر عرفات (أبو عمار)؟

وهنا لابد من التساؤل عن مصير ذلك الجناح الفلسطيني المتواجد اصلاً في سورية .

ومهما كان الرأي والاجتهاد والتنظير فان المياه ظلت تجري من تحت أقدام المقاومة والمقاومين منذ عام ١٩٧٣ حتى الآن سواء إنشقوا أو اتفقوا . .

إن الانشقاق القيادي داخل جسم المقاومة الفلسطينية لم يكن بخاف على الحكام العرب ، ولا على الطرف الدولي المعني بأزمة الشرق الأوسط ، وعلى ضوء هذا الانشقاق الذي جرى وضع القرار العربي والدولي بنزع سلاح المقاومة ، ترى ما هو القرار العربي والدولي بعد أن يكرس هذا الانشقاق بصورة علنية؟

إن العارفين بالأسرار وما تخفي الصدور يؤكدون أن الانشقاق الجديد شرّ لا بد منه ، ومن الافضل أن يكون علنياً هذه المرة ليتعرف الناس على الباكين من المتباكين . .

لقد كان الانشقاق موجودا بالفعل منذ عام ١٩٧٣ ، عام الاصطدام المسلح بين منظمة التحرير والجيش اللبناني أيام الرئيس سليمان فرنجية . في ذلك الوقت إتبعت المقاومة الفلسطينية تكتيكاً جديداً أثر توقيع إتفاق (ملكارت) الذي

ينظم الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان . . فقد ظهرت ازاء الاتفاق الذي أشرف عليه أبو عمار صقور وحمائم، وظهرت التصريحات، والتصريحات المضادة، وتدخلت العواصم العربية بخيلها وإبلها لتكريس الانشقاق بشكل علني إلى أن جرى إجتماع بين الأمناء العامين لكل الفصائل قال فيه أبو عمار:

(يجب أن نكون مختلفين على هذا الامر، بل المطلوب أن نكون مختلفين)، فقاطعه أحمد جبريل قائلاً:

(لماذا نختلف ما دمنا قادرين على الاتفاق)؟ اجابه أبو عمار:

(إذا انتظمت العلاقات الفلسطينية اللبنانية وفق إتفاقية القاهرة العامة، وإتفاقية ملكارت الخاصة تكون قد كسبنا الجولة، وإذا لم يتحقق تكونون أنتم أهل الرفض قد كسبتم الجولة، وبذلك لا نكون جميعا كفلسطينيين قد زحفنا على بطوننا باتجاه بارقة أمل ستعمل الأطراف الدولية والعربية على إنشالها).

ومنذ ذلك التاريخ أخذت سياسة منظمة التحرير الفلسطينية هذا المنحى بين من يسمى بالرافضين وبين ما يسمى بالقابلين. . وهذا في الواقع ليس إنشقاقا، وقد بدأ كذلك عند ما أبدى الموافقون إستعدادهم للخروج من بيروت، والمعارضون رفضهم القاطع لذلك، لكن عندما تأكد للموافقين والرافضين معا هذه المرة أنه لا مفر من ترك بيروت خرجت كل المقاومة وكأنها صاحبة موقفٍ واحدٍ موحد.

من المؤسف أن قرار النقد الذاتي العربي يأتي عادة متأخراً، ومثلما كانت الاستراتيجية الفلسطينية خاطئة في الاردن ولبنان، كذلك كان التكتيك خاطئاً، ولكن كل هذا لا يعفينا من الاقرار بأن ولادة المقاومة الفلسطينية في الهيكلية العربية غير طبيعية، وبسبب هذه الولادة كان النمو بدوره غير طبيعي، لقد دفعوا بالمقاومة الفلسطينية إلى لبنان دفعاً، والذين تولوا هذا (الدفع) كانوا يعرفون مسبقا أن مصير المقاومة في لبنان سيكون التصفية الجسدية مهما تعاظم أمرها، والفلسطينيون الذين كانوا قبل عام ١٩٦٧ مجرد ورقة رابحة في الأيدي العربية، والكسب الاعلامي الوطني، اصبحوا في لبنان عام ١٩٧٠ أكبر من مجرد (جمعية خيرية) بل (سلطة) بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولهذا كان حجم القضاء على هذه (السلطة) يوازي حجم أية سلطة متمكنة. .

لكن هل تقسيم المقاومة الفلسطينية أو إنقسامها هو الغاية المطلوبة (عربياً) و (دولياً) لحل المشكلة اللبنانية؟

إن العجز العربي، والسلبية السوفيتية، والمطامع اليهودية، والأهداف الأمريكية البعيدة، وسذاجة وأخطاء المعنيين بالشؤون اللبنانية، قد ساهمت بتحقيق غزو لبنان وخروج المقاومة أو إخراجها لا فرق. .

إن كل شيء بدأ ينتهي بشكل سيء، والآتي أعظم أكثر مما يتصوره المغفلون الفرحون بانتصار غيرهم. فمن الصعب الان ونحن في غمرة نتائج الحرب وما فيها من مختلف المشاعر غير الطبيعية هنا وهناك وهنالك أن يقال رأياً صريحاً في نقد الذات، أو في نقد الغير، لأنه ما من طرفٍ من أطراف الصراع الذي شهدته الساحة اللبنانية، إلا وله ما له، وعليه ما عليه من الأخطاء والخطايا، ولا بد من مراجعة نقدية وضميرية لجميع الأطراف إن كانت صادقة فيما ترفعه من أهداف معلنة حول وحدة لبنان واستقلاله. ذلك أن الهم الاول الذي يواجه العهد الجديد في لبنان هو تنظيم العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية من جديد بعد أن أسقطت الأحداث الدامية كل الاتفاقيات، وكل التعهدات. . ولعل عودة الرئيس شفيق الوزان إلى رئاسة الحكومة من شأنه أن يسهل هذا الموضوع الهام والشائك، لقد عاش الرجل تفاصيل مأساة خروج المقاومة من بيروت، فهل سيكون بامكانه أن يكمل المشوار؟

هل انتهى دور «أمراء السياسة» في حكم لبنان والتحكم به؟

لبنان في المركبة الأميركية



(.. أثناء الثورة الفرنسية غادر العديد من الأشراف وطنهم ثم عادوا إليه بعد سقوط نابليون. أي أنهم غابوا ما يقارب الربع قرن فنظر إليهم الناس. وقالوا فيهم: (لم ينسوا شيئاً. ولم يتعلموا شيئاً!)

حين عقد رئيس الجمهورية الشيخ أمين الجميل ورئيس الحكومة السيد شفيق الوزان أطول جلسة مشتركة في تاريخ لبنان السياسي (١٢) ساعة يوم الخميس السابع من تشرين الأول لغربلة نتائج الاستشارات النيابية التي أجرياها لتأليف حكومة العهد الاولى توصلا الى نتيجة مذهلة لم يكونا ليتوقعاها خاصة بعد شلالات الدماء التي سالت على مدى السنوات العجاف المنصرمة.. لقد وجدا ان وضع (اهل السياسة) اشبه بتناحر قوم يتنازعون ثياب شخص يحتضر، وهمهم أن يأخذوا بردة ولو بالية قبل أن ينقذوا المريض! وبينا كان أهل السياسة والنيابة ينتظرون صدور مراسيم تأليف الحكومة من اوساطهم، جاءت النتيجة صدور مراسيم (حكومة العشرة) من خارج نطاقهم جميعاً.. فكانت المفاجأة غير المتوقعة التي صدمت (امراء السياسة) هؤلاء الذين كانت اقوالهم تتصدر يومياً واجهات الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية.

لم يدر في أذهان (أمراء السياسة) أن هذا الحاضر العاصف إنما زرعته رياحهم الهوجاء، فحين وقع الرئيس الشيخ أمين الجميل مراسيم تأليف وزارة العشرة كان لبنان الذي عرفه (أمراء السياسة) قد (فرط) من قمة الهرم حتى أسفل القاعدة.. مثل اللبن الذي يسكب على الأرض، وهوى النظام القديم، هذا النظام الذي تحول بعد سنوات الاقتتال الدامي الى متاريس مكتظة بالسلاح وميليشيات، وعصابات، ورجال سياسة دهريون يسعون كالافاعي، ومبتذلوا سياسة عضهم الطمع، واعمت بصائرهم الأحقاد بسبب تصرفاتهم، وفيما عدا ذلك فراغ يعوي.. فالشعب الجريح منكفيء على نفسه، مختبيء خلف جدرانه، من قرف.. من خوف.. من يأس، ومن كفر قومي بكل ما فرزته اعمال هؤلاء.

كانت كل المظاهر والظواهر قبل صدور مراسيم حكومة العشرة تصرخ بأنها النهاية، نهاية النظام الذي تفكك وهوى.. فكان من حق (رئيس جمهورية الاجماع الوطني) بل من واجبه وواجب رئيس الوزارة الذي إختاره إبعاد الخطر الذي يصفق بأجنحته السود حول شراع نظام ممزق، والانطلاق من (نقطة الصفر).. ذلك أنه ما جرى في لبنان منذ عام ١٩٧٥ حتى بداية نهاية عام ١٩٨٢ قد ترك وراءه آثاراً ورواسب تراكمت بعضها فوق البعض الآخر،

وتفاعلت مع العوامل البشرية في اعماق نفوس السياسيين الذين اعتادوا أن يصنعوا للاحداث في لبنان، وكانت نتيجة هذا التفاعل تلك الأحداث التي من شأنها الابقاء على دماء الجروح التي تواصل نزيفها دون أن يتمكن التضميد من ايقافها، وإذا كانت طبيعة الحياة سترغم الافراد على تضميد جروحهم بأنفسهم، فلا بدّ من أن تكون حكومة العهد الاولى التي أخذت على عاتقها مسؤولية الانقاذ مؤلفة من أشخاص لم تتلوث ثيابهم بالآثام العتيقة، ولم تعبث ضمائرهم بما عبثت به ضمائر المسؤولين عن هذا المصير. ومهما يكن من شأن قدرة الحكومة الجديدة على مواجهة الصعاب، وإحتمال نجاحها أو فشلها في هذه المهمة الصعبة، فمما لا شك فيه أن معركة الحكومة الاولى ستكون مع (أمراء السياسة) الذين وجدوا أنفسهم بعد كل المواقف والتصريحات والتمنيات والآمال خارج (صحن الحكم)، واذا كان (أمراء السياسة) سيعتمدون في حربهم مع حكومة العهد الاولى على الاساليب اياها التي افشلت التجارب الممثلة يوم بدأ الرئيس فرنجية عهده بحكومة الشباب (صائب سلام)، كما بدأ الرئيس سركيس عهده بحكومة التكنوقراط (سليم الحص)، فإن عهد الشيخ أمين الجميل لم ينطلق من فراغ، فقد إعتمد في البداية على المشاعر الشعبية المرحبة يردفها غطاء امريكي واضح المعالم، وهو الغطاء المتكفل دولياً وعربياً ومحلياً على إخراج جميع القوات الغريبة المسلحة من لبنان، وافساح المجال امام الجيش اللبناني (وحده) لاملاء الفراغ.

من هنا جاء الحضور الامريكي في الحكومة ملتصقاً بفيليب حبيب ووجود القوات الامريكية في لبنان واحتمال الحصول على مساعدة أمريكية كبيرة مع زيارة الرئيس الجميل إلى واشنطن، وهذا الحضور الفاعل يتمثل في دور الاستاذ (إيلي سالم) نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية. فإيلي سالم المتزوج من أمريكية، وعميد كلية العلوم والفنون في الجامعة الامريكية منذ عام ١٩٧٤، وأستاذ دراسات الشرق الاوسط في جامعة (جونز هوبنكز) والاستاذ السابق في (أنديانا) والمعني بالبرامج الثقافية والتربوية عن الشرق الاوسط، والوجه العلمي المقبول لدى جمهرة المثقفين في بيروت خاصة، هذا الوجه سيكون الرافعة لسياسة العهد الخارجية.

لبنان في المركبة الأمريكية

إن إعتماد العهد الجديد على حكومة المهنيين الناجحين يتفق تلقائياً مع تطلعات الادارة الامريكية التي وضعت الاهتمام بأزمة الشرق الاوسط في قائمة الاولويات، ومن هنا جاءت البداية للعهد بمثابة التأكيد على مواصلة المسيرة عند نقطة إلتقاء عهد الشيخ أمين بتطلعات الادارة الامريكية.

لقد سبق للادارة الامريكية منذ بداية الاحداث في لبنان أن (نصحت) أمراء السياسة بالتخلي تدريجياً عن مواقعهم في الحكم، وافساح المجال أمام الجيل التقني لاحتلال المراكز التوجيهية في الحكم، وحين أيقنت هذه الادارة أن لا فائدة من النصح كانت الخطوة الجديدة التي بدأها العهد. ومع أن معظم (أمراء السياسة) من خريجي السياسة الامريكية الشرق اوسطية، فان إهمالهم على هذا النحو من الأصدقاء خاصة كان صدمة غير متوقعة لهم، لقد جهل أمراء السياسة في لبنان خاصة أن السياسة الامريكية الخارجية قد تطورت مع المصالح المتشابكة والاهداف.. وليس ذنب الادارة الامريكية أن الاصدقاء لم يتعلموا شيئاً!

والدليل الذي نسوقه هنا لعدم تعلم أمراء السياسة شيئاً من الاحداث ما واجه الرئيس الجميل والرئيس الوزان اثناء قيامهما بالاستشارات.

لقد طلب الرئيس أمين الجميل من الأحزاب الرئيسية والكتل النيابية لوائح بأسماء الشخصيات المرشحة للتوزير، وحين استعرضها مع الرئيس الوزان وجد أمامه مرشحاً عمره (٨٢) سنة، وآخر تجاوز الثمانين بسنوات، وثالث فشيخ عن الخامسة والسبعين وفق اعترافه، ورابع لا يستطيع مغادرة سريره بسبب أمراض الشيخوخة و. . و. .

إن هذا الواقع المغرق في السخف لم يكن بعيداً عن تصور المبعوث الامريكي اللبناني الأصل السيد فيليب حبيب الذي يعلم أكثر من غيره قصة (أمراء السياسة) في لبنان وتاريخهم ودورهم في إيصال لبنان إلى ما وصل إليه، لهذا لم يكن من المقبول (امريكيا) قبول لبنان في المركبة الأمريكية المبحرة بقيادات من هذا القبيل.

مفاجأة على الدرب. !

صباح تأليف حكومة العشرة وصفت إذاعة إعدن التشكيل بأنها (موقف ايجابي سجله العهد الجديد حين لم يدع نفسه يغرق طويلا في مستنقع المستوزرين) واملت إذاعة الرئيس فرنجية (لبنان الحر الموحد) أن تتبع هذه الخطوة خطوات مماثلة بحيث يعطى ما للدولة إلى الدولة، وما للاختصاص إلى الاختصاص. .

لقد تعمدنا الاشارة إلى هذه المفاجأة لأسباب تخفى عن العديد من العارفين للاسرار وما تخفي (المصنفات). . ذلك أن الرئيس فرنجية الذي يعكف الان على تدوين مذكراته سيكشف من خلالها الأسرار التي أوصلت لبنان الى حافة الهاوية، ومن هذه الاسرار تلك المذكرة التي وصلت الى القصر الجمهوري صباح الثالث من شهر كانون الأول ١٩٧٦ عن طريق السفارة اللبنانية في باريس. . وإذا كان الظرف الحاضر لا يسمح بنشر نصها الكامل قبل الاستئذان من الرئيس فرنجية، فإن الاشارة اليها يربط الحاضر بالماضي القريب.

تقول هذه المذكرة:

(. . اطلعت السفارة اللبنانية في باريس على معلومات سرية هامة تلقتها الحكومة الفرنسية من وزارة الخارجية الأمريكية، وهي واحدة من سلسلة مذكرات متبادلة بين وزارتي الخارجية في الولايات وفرنسا حول الأزمة اللبنانية ومتابعة حكومتي البلدين للمخطوات للخروج من الازمة، وترجو السفارة اللبنانية في باريس أن ينحصر تداول هذه المعلومات في أضيق الحدود الممكنة بحيث لا يطلع عليها أحد من غير المعنيين مباشرة.

ثم تمضي المذكرة مستطردة:

لقد تلقت وزارة الخارجية الفرنسية مذكرة سرية من الخارجية الامريكية إستهلتها باهداء التحية إلى زميلتها الفرنسية، مذكرة بمذكراتها السابقة التي تتضمن إنتقادات شديدة لمن تسميهم الخارجية الامريكية (الأمراء الذين يحكمون لبنان).

ويظهر أن المذكرات الامريكية تنطوي على إنتقادات شديدة لهؤلاء (الأمراء الذين يحكمون لبنان ويتحكمون به، ويريدون العودة إلى حكمه والتحكم به).

وتشاطر الخارجية الامريكية زميلتها الفرنسية الرأي في ضرورة تغلب الرئيس سركيس على مرحلة حكم هؤلاء الأمراء، وأن توقف ما تسميه المذكرة الامريكية (تدليع الأمراء الزعماء) وتشير المذكرة الى أن وزارة الخارجية الأمريكية فهمت أن قمة الرياض شجعت الرئيس اللبناني سركيس على ممارسة حكم شبيه بحكم الرئيسين أنور السادات وحافظ الأسد في مصر وسورية، أي حكم رئاسي فيه حصر للمسؤوليات وتركيز لهذه المسؤوليات.

وتقع المذكرة الأمريكية في ثماني صفحات فولسكاب، وتتضمن سبع نقاط رئيسية اضافة إلى نقاط ثانوية، ويمكن تلخيص هذه النقاط بالآتي:

١ ـ وجوب إنهاء مهمة (الأمراء الذين يحكمون لبنان ويتحكمون به).

٢ ـ ترى الخارجية الامريكية أن من مصلحة الفلسطينيين إعتماد أسلوب الحوار والمفاوضات والاقلاع عن العنف، لأنه الأسلوب الوحيد الذي من شأنه تحقيق مطالبهم الوطنية.

٣ ـ إن (قوة الردع العربية) هي جيش سركيس اللبناني.

٤ ـ جيش لبنان هو الجيش الوحيد الذي يجب أن يفرض سيطرته في النتيجة.

٥ ـ لا علاقة بالولايات المتحدة ولا لأي جهة أخرى بالحل السياسي اللبناني الداخلي، وأن على الزعماء اللبنانيين أن يجدوا بانفسهم هم الصيغة التي تلائم لبنان من دون أي تدخل خارجي.

٦ ـ فهمت الخارجية الامريكية من خلال إتصالاتها المباشرة مع الدول العربية المستعدة لمؤازرة لبنان، أن هذه الدول ترغب في أن يظهر لبنان مظهرا يختلف عن السابق بحيث يضع في الحكم والحكومة (المفكرين المخططين المنتجين) وبعبارة أخرى كما ورد في المذكرة (الحكام الجدد الذين لا يحبون الظهور والتظاهر والمظاهر).

٧ ـ إذا كانت هناك مطالب ذات طابع طائفي شائكة ومعقدة، فقد فهمت الخارجية الامريكية أنه تم التفاهم في قمة الرياض على أن تحال هذه المطالب على اللجنة الرباعية (المصرية ـ السعودية ـ السورية ـ الكويتية) على مستوى السفراء، أو إذا إقتضى الامر على مستوى رؤساء الحكومات، أو على مستوى رؤساء الدول العربية الذين أوضحوا للرئيس سركيس في الرياض أنهم على استعداد دائم لعقد إجتماع رباعي على مستوى القمة لحل أي إشكال، أو لدرس أي مطالب ذات طابع طائفي مصيري في لبنان.

كما تبدي الخارجية الامريكية إهتمامها بأمرين: التسوية السلمية والحرص على مصير لبنان حاضراً ومستقبلاً.

وتؤكد الخارجية الامريكية في مذكرتها أن إسرائيل لن تحتل جنوب لبنان ولا أي جزء من الأراضي اللبنانية ما دامت الولايات المتحدة تعتبر لبنان دولة (صديقة)، وما دامت الولايات المتحدة تؤكد بين الفينة والأخرى حرصها على إستقلال لبنان وسيادته وسلامة أراضيه، وما دام لبنان (في وضع الدولة المسالمة غير المعتدية).

وتؤكد الخارجية الأمريكية من جهة أخرى، أن مياه لبنان هي ملك للبنان.

كذلك تؤكد الخارجية الأمريكية جوابا على سلسلة المذكرات الفرنسية، أنها حريصة على لبنان وعلى دوره وعلى طابعه، وأنها تستطيع أن تؤكد انه لا غنى عن دور بيروت كعاصمة لبلد مستقل وكمركز في الشرق الأوسط.

وتشير المذكرة إلى أن الخارجية الأمريكية مطلعة على تذمر الدول العربية من المبالغات السياسية والحزبية

والصحافية في لبنان، وهي تترك للرئيس اللبناني أن يعالج ذلك بما يراه مناسبا في ضوء مقررات مؤتمرات القمة العربية المتلاحقة.

وتبدي الخارجية الامريكية اخيراً في مذكرتها، إستعداد أمريكا للمساهمة مع فرنسا واي فرقاء آخرين في مشاريع الإعمار والإنماء في لبنان.

التاريخ يعيد نفسه

وهكذا يتضح حقيقة الإهتمام الأمريكي الفرنسي المشترك بلبنان ومستقبله، فإذا كانت الظروف المحلية والعربية والدولية لم تمكن الرئيس سركيس من عزل أمراء السياسة في لبنان عن دورهم، فهل سينجح الرئيس الشيخ أمين في إيصال لبنان إلى شاطىء السلامة وهو داخل المركبة الأمريكية القادرة على حمايته من الأطماع اليهودية؟

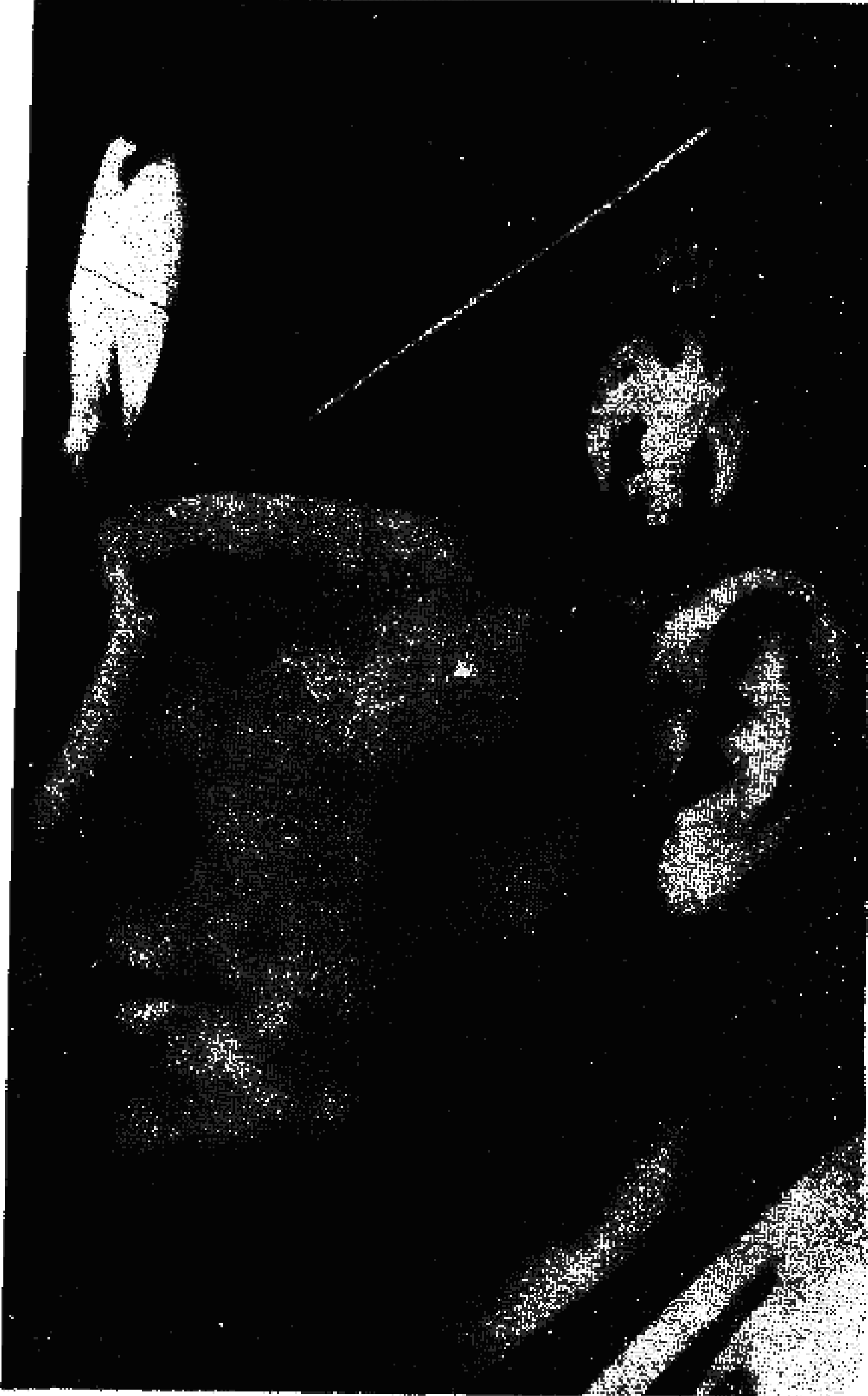
ملحق

وثائق عن جذور القضية الفلسطينية

تنشر لأول مرة

الحاج أمين الحسيني قال لي:

موسوليني حذرنا من الوطن القومي اليهودي



هل جرّب أحدنا أن ينظر إلى وجهه في المرآة؟ أن يسأل نفسه بعد السنوات السوداء من الدمار كان العدو خلالها وما يزال يرقص رقصة الفرح . . ؟ وأن يحمل مطر اللؤم الذي يهمي بعد ذلك . . ؟ أن يسأل نفسه بصدق وشرف لماذا تعثرت الثورة الفلسطينية؟ ومن هو المسؤول عن شلالات الدماء التي سالت وكان آخرها ما سال في مخيمي صبرا وشاتيلا من دماء ما تزال تستصرخ الضمائر. !

الذين تغلي الدماء في رؤوسهم بسرعة قد يجدون في ذلك بعض الحرج أو كله . . أما أنا وقد عشت المأساة وحاورت العديد من الشخصيات العربية والأجنبية المعنية بالقضية الفلسطينية مباشرة فقد هالني أن تظل الأقلام المتاجرة بالمآسي العربية حية تسعى . . تشوه . . تزور . . تصوغ الأكاذيب أكاليل من الكلام الموجه في عبارات مديح تستهوي جهال التاريخ الحديث . . لهذا استنفرت الذاكرة، وأمسكت بالقلم لأروي، ولأول مرة، بعض الأحاديث التي سمعتها من الحاج أمين الحسيني عن قضية العرب الأولى، والتي أبقيتها حبيسة الأوراق والضلوع خوفاً من اتهامي بمعاداة السامية . ! وقد وجدت في ذلك بعض الراحة، وبعض ما يستحق الاهتمام والرواية! وما من سادية او تشفٍّ من الذات كانت تلك الشطحة، ولا عن رغبة في التفكير بجلد الجسد . . أولئك الرهبان الذين كانوا يجلدون أنفسهم بالسياط حتى تدمى الظهور والأكتاف تكفيراً عن الخطيئة الأولى . . لهم دينهم ولي دين . . ولكنها في الواقع محاولة للتجاوز في أعماق الجراح تحت ضوء جديد للوقوف العاري مع خوفنا القديم من مواجهة الحقائق وجهاً لوجه . . فمن يدري لعلها تخجل العيوب . !؟

لن أقف عند ما ينشر اليوم في بعض الصحف العربية، وعند ما يذاع ويتلفز عن استبدال لفظة (اليهودية) بـ (الصهيونية)، وأهمية الركض بسرعة الى واشنطن للركوع على باب البيت الأبيض وطلب الغفران من (أبانا ريغان) تقدس اسمه، ليساعدنا على مواجهة اليهودية العالمية ومخططاتها . . ولن أذكر ما فعله الأمريكان والسوفييت في دنيانا منذ اعترافهم العلني بإسرائيل عام ١٩٤٨ . . ولكنني سأتناول فقط بعض ما حدثني به الحاج أمين الحسيني خلال تفرغي لوضع مذكراته عن مقابلته لكل من (موسوليني) و (هتلر)، وحديثهما له عن (قضية فلسطين)، فقد تعمدت إغفال هذه الأحاديث، رغم أهميتها، في مذكرات الزعيم الأول لفلسطين، والتي دونتها قبيل وفاته في الرابع من حزيران ١٩٧٤، وقد كرمه الله جلّ وعلا حين أخذه الى جانبه لكي لا يرى ما رأيناه من خزي وعار وذلّ.

إن من المفارقات العجيبة في دنيانا العربية، الإصرار على اعتماد العمى في معالجة هذه القضية والتستر وراء الفاظ (الصهيونية) و (التطرف) فلا نذكر الاسماء بمسمياتها خوفاً من الاتهام بعداء السامية . . ولا أقصد عمى الأبصار، بل عمى البصائر . . فبعد أن ارتكب مثلث الاجرام (بيغن، شارون، شامير) ما ارتكبوه من مذابح في لبنان عامة، وفي مخيمي صبرا وشاتيلا خاصة، فقد بات العالم كله يعرف عدو السامية الحقيقي من المتهم بها . . فالذين اشهروا هذا السلاح في وجوه الأحرار، واعتاشوا من هذه الفرية ضالين ومضللين، ما كانوا ليتجرأوا على الاتهام لولا القمع الفكري الشرس الذي مارسته عهود النكبات والهزائم المتلاحقة.

وثمة شيء عجيب في تشابه المأساة بين أعينهم التي ما تزال تدور كالدوامات باحثة عن تغطية لفظية لحقيقة الاضطراب الذي تعانيه الأمة العربية . .

المفتي قال لي :

كنا نتحدث عن هربه الأسطوري من طهران الى بلاد المحور . . وسألته :

ـ لماذا لجأت الى المحور ولم تلجأ الى البلدان الأخرى؟

قال :

إن مصلحة أمتي هي التي تملي اختياري ، إن مصير فرد يعتبر لا قيمة له عندما يتعلق الأمر بمستقبل الأمة . . لقد ذهبت الى بلاد المحور بحثاً عن التأييد لقضية بلادي . . وبهذه الصفة قابلت الدونشي والفوهرر . قلت :

ـ صاحب السماحة أثارت إقامتكم على أرض المحور في اوروبا حيث تركت الحرب العالمية الثانية وخاصة النازية والفاشية ذكريات مؤلمة ـ تعليقات كثيرة ـ فلقد اتهمتم من قبل اليهود بالتعاون مع النازية والفاشية . . قاطعني قائلاً :

ـ إن الرأي العام من عمل وسائل الإعلام التي تنقل الأحداث ، وقد شوهت حقيقتها في غالب الأحيان ، وليس لنا نحن العرب وسيلة للتعبير عن انفسنا . . إن وجهة نظرنا لم تشرح ، أو إنها لم نعلل ولم توضح . . .

ـ ولكنا لا تنقصنا وسائل الاعلام . . ؟

ـ نعم . . . ولكننا نسيء استعمالها . . إن الأسس التي تعتمدها دعايتنا خاطئة وتساهم في فشلنا . . قولوا لي هل افادتنا دعايتنا شيئاً في اوروبا؟ أنا اعرف ما تعتقدون . . إنها لم تنفعنا بشيء . . لقد كانت أمام تخرصات أو صراخ اجش . . وعندما كنت اقرأ ما يكتب عن إقامتي في المانيا كنت اتساءل :

أين كانوا يريدون أن أذهب؟ إلى المنفى؟ إلى السجن؟ أن اسلم نفسي للانكليز؟ هل كانوا يريدون أن أذهب الى أعدائي بمحض إرادتي؟ ما هو الثمن؟ لم يخفني الموت أبداً . . ولكنني كنت أريده موتاً مجدياً لأمتي . . لم تكن مهمتي سهلة في بلاد المحور وبوسعكم أن تروا ذلك فيما سأرويه لكم عن ظروف تلك الرحلة . .

مقابلة الدوتشي

يمضي المفتي قائلاً :

كنت أعلم قبل أن أصل روما أن مهمتي لن تكون سهلة فيها ، وإن صعوبات كثيرة تنتظرني فيها ، وأولها وأصعبها الآ اسمح لهم بالظن إن وجودي يمكن أن ينفعهم بشيء .

كان بين العرب وايطاليا حساب طويل وقديم ، ولم أغذّ نفسي بالوهم . . كانت ليبيا تعاني من الاحتلال الطلياني ما تعانيه بقية الأقطار العربية من الاحتلالين الفرنسي والانكليزي . ومنذ سنة ١٩١١ ، أي منذ نزول الجيوش الايطالية في الشواطيء الليبية وشعب ليبيا خاضع للظلم والاضطهاد ، ولكم سال دم إخواننا عبر المقاومة التي امتدت حتى سنة ١٩٣٣ ، لقد لاقى عمر المختار قائد تلك المقاومة ـ وهو الشيخ ذو الستة والتسعين عاماً ـ حتفه فأعدم رغم احتجاجات العالم . .

وكانت ايطاليا الفاشية فوق ذلك تطمح لاحتلال تونس .

بعد أن اتصلت بي السلطات الايطالية حددنا موعداً لزيارة موسوليني . . وفي اليوم الموعود جاء موظفو المراسم اليّ في فندق (اكسيلسيور) ووجدت نفسي في السيارة التي تحملني الى موسوليني جنبا إلى جنب مع الايطاليين الذين قتلوا القائد العظيم عمر المختار . . أمام المسؤوليات الكبيرة لا بد لنا من أن نواجه الواقع وأن نتصرف!

استقبلني الدوتشي في مدخل قصر (فينسيا) الشهير بشرفته التي يخطب منها موسوليني في جموع الايطاليين الذين كانوا يأتون لاستماعه.

كان البارون (انفوزو) نائب وزير الخارجية إلى جانبه نظراً لغياب الكونت (شيانو) في زيارة رسمية في برلين.

كان موسوليني ينتظرني في باب مكتبه الواسع وكأنه قاعة محاضرات . .

استقبلني بسرور ظاهر . . كان مظهره ومشيته يبعثان فيّ الشعور اني جئت أحيي احد أولئك القادة الرومان وكأنه بعث وتزيى بزي ايطالي . . كان رأسه المرتفع وخيلاؤه تظهر قوة فكيه وكانت عيناه تدفعاني للتفكير بنابليون وانطونيوس . .

كانت طبيعته القوية الحازمة تقربه من نابليون . . إذا تحدث عن التاريخ الروماني بدأ بليغا وظهر إعجابه بروما التاريخية وأمبراطوريتها والأمل الذي يعيش فيه وعليه بأن يكون باني ايطاليا الجديدة . . ايطاليا الغازية . . ترى أين كان يذهب به خياله؟

لم يكن صعبا فهم مطامعه التي يخفيها بكثير من اللباقة الدبلوماسية .

كان صوته يبدي عاطفة حسية . . كان بريق عينيه الذي يلتمع في نظراته يكشف عن حدس السياسي الذكي وحلم الانسان العاطفي . . انطونيوس على شواطىء مصر . ! كانت شخصيته تظهر اتزانا بين رجل الدولة والفنان . . كان فنّ عزف الكمان ظاهراً في حركات يديه!

وقد سمعت أنه كان عازفاً ممتازاً .

كان يرى إن مهمته ـ وكان يتحدث عن ذلك بحماس ـ في أن ينهي الميوعة الايطالية وأن يبني ما تهدم خلال قرون . كان معجباً بغاريبالدي محرر ايطاليا ، وكان يقدر ان شرف اتمام رسالته المحررة وإحياء المجد الروماني يعود الى موسوليني نفسه . . قال لي وهو يشد على يديّ :

أحييك باسم الشعب الايطالي وحكومته وباسمي أنا . . ورافقني حتى مكتبه ، فجلس كل منا على مقعد أمام الأخر . وبقي البارون انفوزو جرياً على عادة موسوليني بالنسبة لمعاونيه في الزيارات الرسمية أن يظلوا واقفين .

وبعد أن هنأني على سلامتي سألني عن الطريق التي اتبعت حتى وصولي الى البلقان . .

كان الحديث يدور بالفرنسية التي يتقنها إلى جانب لغات عديدة اخرى .

لقد أدهشني بمعرفته لتاريخ ومشاكل الشرق الأوسط . . كان يستمع اليّ بانتباه شديد ، فشرحت له مواقفنا دون أن أترك أي التباس يمكن ان يؤدي في المستقبل الى سوء تفاهم ، فلقد عزمت من المقابلة الأولى على توضيح كل شيء ، فما كان بودي أن أعيد مع المحور الخطأ الذي وقعنا فيه مع الحلفاء .

كنت أعلم أن هتلر يكن احتراماً خاصاً لموسوليني، وعلمت أن هذا الأخير كان يعارض في حرب ضد الاتحاد السوفيتي.. وكم تساءلت ما هي الأسباب التي دفعت بالفوهرر لعدم قبول نصيحته..

لقد أوحى لي في هذه المقابلة الأولى رغم طموحه انه رجل لا ينسى الواقع، وكان حسه العملي يمكنه من التمييز بين الواقع والوهم.. كانت أفكاره نتيجة تفكير طويل مبني على الحساب.. منطق واقعي يوحي باستراتيجيته، ولقد أوحى إليّ انه إنسان موهوب بذكاء عملي لا تغيب عنه العملية في مهمته التي كانت ترمي لتحقيق مثل أعلى، أعني إعادة بناء الامبراطورية الرومانية.

شرحت له بوضوح تام مطالب العرب بالاستقلال والوحدة ورفض كل أشكال الاستعمار، من الاستعمار المباشر حتى الحماية والانتداب والقواعد العسكرية. لقد تبينت، ولا أكتمك، ذلك من ملامحه إنه لم يكن ينتظر كل هذا الموقف الصارم مني. قلت له:

إن هدفنا الأول هو إنقاذ فلسطين من المؤامرات العالمية وأن نلغي مرة واحدة مفهوم الوطن القومي اليهودي على أرضنا. إن إيماننا بالدفاع عن وجودنا هو الذي يملي علينا الكفاح ضد الوطن القومي اليهودي، وليس التعصب كما يزعم المتخرصون.. إنه الحق الذي يمنحنا إياه انتسابنا لأرضنا.. إن كل وطني له الحق في أن يطالب بأرض وطنه وليس التعصب دافعاً لقضيتنا..

لقد كانت العلاقات في الوطن العربي أخوية دائمة بين المسلمين والمسيحيين، لقد تعاون العرب دائماً في سبيل وطنهم وفي اعتقادهم الديني.

اجابني:

أعرف ذلك، إن ما أعلمه عن العرب، وخاصة عن الدين الإسلامي هو كثير، لقد درست القرآن والتاريخ الاسلامي والتسامح الذي يحله الاسلام محلاً أسمى، ولكن هؤلاء وأشار إلى الكونت انفوزو لا يعلمون شيئاً...

تساءلت بيني وبين نفسي: ترى هل يستصغر معاونيه أم أنه لا يحترمهم؟

استمر قائلاً:

إن مطالبكم تحظى باحترامنا واهتمامنا.. إننا راغبون في مساعدتكم على تحقيقها، ونحن على استعداد للاعتراف بأمانيكم.. اما عن الوطن القومي اليهودي فلكم الحق في كفاحه.. إننا ندعم هذا الكفاح، ونقف إلى جانبكم.

لقد حاول الـ(٤٦٠٠٠) يهودي المقيمون في ايطاليا والذين لا تتجاوز نسبتهم (١) من (١٠٠٠) من السكان السيطرة علينا. إنهم رغم تمتعهم بحقوق المواطن التي اعطاهم اياها شعبنا لم يعطوا أي دليل على تعلقهم بهذا الشعب.. كل منهم جاسوس.. إنهم يقومون بالدعاية ضد ايطاليا ويساندون اعداءها.. إنهم طابور خامس بيننا.. وسنتخذ الموقف الذي يستحقه موقفهم منا.. وأضاف في نهاية حديثه:

انتم أصدقاؤنا وحلفاء بلاد المحور في هذه الحرب التي ستبدل كثيراً في مستقبلنا ومستقبلكم، إننا نتعاون معكم تعاوناً مبنياً على الثقة والتعاون المتبادل.. إنني بهذه الروح أرحب بكم بيننا.. لقد وصلتم في الوقت الذي توقظ فيه منطقة الشرق الأوسط اهتماماً كبيراً، وأنا من ناحيتي اهتم بذلك اهتماماً كبيراً، وأنا سعيد بوجودكم بيننا، وعندما تذهبون الى المانيا ارجو ان تنبهوا الفوهرر إلى اهمية الشرق الأوسط وخاصة قناة السويس.. إنها عنق الامبراطورية

البريطانية . . هناك تستطيع خنقها والى الأبد . . إن جبهة الشرق الأوسط هي التي تساهم في النصر الذي يبدل مصير الحرب!

فهمت من كلامه انه يعتمد عليّ كي اقنع الفوهرر بعدم جدوى الحملة التي يعدها ضد روسيا ، كان موسوليني يعلل حجته باظهار الستراتيجية الكلاسيكية الروسية التي تتلخص في جرّجيوش الاحتلال الى الثلج والجليد والسهول فتعمد بعد ذلك الى إفنائها في هجوم معاكس . . وملح في الحديث إلى نابليون وشارل الثاني عشر ملك السويد اللذين وقعا في الفخ . .

صحبني الدوتشي الى باب القاعة وهو يحرر تهانيه ويلح على البارون انفوزو أنه سينفذ أوامر زعيمه بدقة وانه سيضع نفسه تحت تصرفي . . فطلبت إليه بعد الشكر ان يسهل لي شكليات السفر اللازمة الى رحلة اقوم بها لبرلين في أسرع ما يمكن . . فسألني قائلاً دون أن يخفي دهشته : منذ الان؟ لماذا لا تقيمون بيننا؟ فأجبته :

لابد من السفر وسأعود لروما عندما تتهيأ الفرصة .

وبدلاً من أن نذهب الى الفندق رافقني الموظفون إلى فيلا عظيمة في ضواحي روما هي فيلا سكارلاتي التي وضعتها الحكومة الايطالية تحت تصرفي ، وقد وجدت ان حقائبي سبقتني اليها . لم أقم في هذه الفيلا غير يومين قبل سفري برلين نقلت على أثرهما الى قصر آخر هو فيلا كولونا الكائنة في جبل مونتي ماريو المشرف على روما . . ولهذه الفيلا قصة طريفة . . كان جد عائلة كولونا من الصليبيين وقد حمل معه عندما عاد من القدس عموداً زعم الرواة أن السيد المسيح جلد عليه وقدمه هدية للبابا الذي منحه لقب أمير كولونا ، وورثت العائلة منذ ذلك التاريخ الثروة والجاه ، لقد تزوج احد أفراد العائلة سيدة لبنانية من عائلة سرسق التي لعبت دوراً هاماً في السياسة الايطالية خلال الحرب العالمية الثانية بفضل ذكائها وفهمها وكرمها وسعة اطلاعها ، ولقد كانت تعمل في خدمة الحلفاء . . كانت أبواب قصرها مفتوحة لعلية القوم في روما يؤمها الأمراء والارستقراطيون والوزراء ، وكان من عداد ضيوفها الدائمين الكونت شيانو يأتي الى ولائمها وحفلاتها ، وكانت تحيطه بالرعاية والأصدقاء والصديقات . . كانت تحاول إقناعه بقوة الحلفاء وتفوقهم في الانتاج الحربي ، العامل الوحيد الذي يقرر مصير الحرب والعالم وخاصة ايطاليا ، وكانت هذه السيدة تقنعه بأنه الرجل الذي تنتظر ايطاليا مبادرته كي تمكن له مستقبلاً عظيماً نظراً لكفاءته ولمركزه الحالي . .

ولقد نجحت السيدة اللبنانية بالتأثير على الكونت تأثيراً عظيماً ، فقد كان شيانو صهر موسوليني وأقرب معاونيه إليه ، فدفعته لأن يكون في صف المعارضين الأول لموسوليني في جلسة ٢٥ أيلول ١٩٤٣ الشهيرة حيث خانت الأكثرية في المجلس الفاشيستي الأعلى الدوتشي . . في ذلك اليوم أوقف موسوليني بعد لقائه مع الملك فيكتور عمانوئيل ، وبقي في سجن سري حتى انقذه الضابط الألماني الشهير(سكورزيني) وأخرجه من قلعة مونتي ساسو في ١٣ كانون الأول ١٩٤٣ . .

سألت المفتي عن انطباعاته من مقابلة موسوليني فقال:

خرجت من مقابلتي الأولى مع موسوليني محتاجاً ، لقد أيد الدوتشي الأماني الحربية في الاستقلال والسيادة قائلاً:

باسم الحكومة الايطالية أجيب رغباتكم بالاعتراف بأمانيكم الحقة وبمساعدتكم بتحقيقها مع حكومة الرايخ التي تتبنى ــ على ما أعتقد ــ نفس الموقف .

لقد أدت المفاوضات التي دارت بيننا وبين الحكومتين الايطالية والالمانية فيما بعد الى تصريح رسمي وقعه وزيرا خارجية الدولتين . .

الحاج امين الحسيني قال لي :

هَذا هوَ رَأي هتلر باليهود



يقول الحاج أمين الحسيني:

ثاني يوم قابلت فيه موسوليني استقبلت في فيلا سكارلاتي السفير الالماني فون ماكنزن حفيد المارشال الالماني الشهير يصحبه الكونت فون بسمارك المستشار في سفارة الرايخ الثالث في روما وتحدثنا عن تفاصيل الزيارة التي نويت القيام بها إلى المانيا.

في ٨ تشرين الثاني ١٩٤١ تركت روما بالقطار قاصداً برلين، وفي التاسع منه وصلت ممر برينر الذي اشتهر بعد مقابلات هتلر وموسوليني فيه. كان على رصيف المحطة وفد رسمي في استقبالي يرأسه وزير الدولة الدكتور (اوتومايسنر) يحيط به رئيس البروتوكول والدكتور ملشرز مدير عام الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الالمانية والدكتور غروبا. ورافقوني إلى برلين حيث حللت ضيفاً على الحكومة الالمانية التي أحلتني في قصر (شلوس بلفور) الذي بني عام ١٨٧٥ والقائم في حي (نيوغارتن).

قام طيران الحلفاء بغارة ليلية في اليوم التالي لوصولي للعاصمة الالمانية، فأيقظني الموظف المكلف بشؤوني وقادني إلى ملجأ القصر. لقد عجبت لما رأيت.. عدة غرف للنوم، وقاعات للطعام والاستقبال وعيادة مجهزة بما تتطلبه العمليات الجراحية والعناية بالجرحى..

في ٢٠ تشرين الثاني استقبلني فون روبنتروب في وزارة الخارجية الالمانية القائمة في ويلهلم شتراسة، ودام الحديث معه ساعة ونصف..

لقد فوجئت حين قابلت هذا الرجل، فلم تكن الصورة التي كانت في ذهني عنه من خلال الصحافة تتفق مع صورته الحقيقية، لقد جهدت الصحافة في تشويه شخصية الوزير لدى الرأي العام، فلقد وصفته على انه وصولي ماهر ومحدود الضمير والعقيدة.. وجدتني أمام مخطط حقيقي وقور لا تخفاه الوقائع. ولم تكن بساطة حديثه تخفي دقة أحكامه. كانت الناحية العقلانية الواقعية في شخصيته تطغى على الناحية العاطفية. وكان يبدو لي علمياً أكثر من غيره من الالمان.

قال لي وهو يستقبلني:

اخيراً أتشرف بمعرفة الرجل الاسطوري.. لقد تتبعت نشاطكم بإعجاب.

كان خلال الحديث مستمعاً يقول فكرة بين الفينة والفينة.. قال لي:

يجب أن تحل القضية الفلسطينية ضمن نظرة عالمية دون الاهتمام بموقف الانكليز، هذه القضية يمكن أن تثير أحداثاً عالمية خطيرة، إن فلسطين عربية وحل قضيتها يجب أن ينبثق عن هذه الحقيقة مهما كانت الشروط.

وقال بالنسبة لأحداث العراق:

كنت أود لو أنها تأخرت حتى ظروف أكثر ملائمة نستطيع فيها أن نقدم عوناً مجدياً، لقد تألمنا لمصير هذه الثورة وللنتائج الحزينة التي تعرض لها أصدقاؤنا الشجعان.

فهمت من الحديث إنه يستنكر على الدكتور غروبا وبعض أصدقائه تشجيع العراقيين على القيام بمحاولة في غير أوانها. فأكدت له أن العراقيين يشاركونه الرأي ولكن الانكليز لم يمكنوهم من انتظار الفرصة المناسبة.

وابلغني التاريخ المتفق عليه لموعد مع هتلر وسألني عن موضوع الحديث الذي أريد الخوض فيه معه فشرحت له أهداف كفاحنا التي سببت وجودي في المانيا وقلت:

نحن نريد أن نقيم التعاون المتبادل بتوقيع معاهدة مع المانيا وحلفائها تعترف فيها بحقوق العرب في الاستقلال وتساعد في إلغاء وعد بلفور. . لقد أرسلت إلى هنا سكرتيري الخاص السيد حداد لأن التصريح الالماني لم يكن بنظرنا كافياً ونريد تصريحاً مفصلاً ودقيقاً. إن تجربة شعبنا وخيبته مع الانكليز تدفعنا لهذا الالحاح. ولكنا بعد أن تلقينا رسائل أوضح مع مساعدكم الأول هرفون فايساكر يوجد لدينا الآن القواعد الأساسية لهذه المعاهدة. أجابني: نحن عازمون على الاعتراف باستقلال البلدان العربية ومساعدتها في تحقيق أمانيها، ولكن الفوهرر يفضل حفاظاً على مصلحة الطرفين ألاّ يعطي تصريحات تزعج المجهود الحربي الآن وتثير ضجة لدى بعض الأمم التي تفضل الآن عدم إحراجها. .

ولما سألته من يعني؟ أجاب:

تركيا مثلاً لها بعض المطالب في الأرض السورية. . قلت له:

إن مصلحة تركيا أن يكون على حدودها دولة صديقة بدل دولة كبيرة كفرنسا. . بوسعنا أن نرسل رسولاً الى فرنسا يطمئن الأتراك إلى نوايانا الطيبة، وأن يقوم بمفاوضتهم بهذا الأمر. قال: بوسعكم أن تنقلوا رأيكم للفوهرر، ولؤكد لكم على كل حال إننا متفقون على قاعدة التعاون التي تؤ ول إلى تحقيق ما تطمحون اليه.

مع هتلر

ويمضي المفتي قائلاً:

في الرابعة والنصف بعد ظهر ٢١ تشرين الثاني ١٩٤١ قابلت أدولف هتلر، فوهرر المانيا وزعيم الرايخ الثالث. لم أكن أنتظر أن استقبل بمراسيم استقبال رسمي. عندما ترجلت من السيارة في ساحة المستشارية في مدخل بوابتها الكبيرة استقبلتني الموسيقى العسكرية وطلب الي مرافقي موظف المراسم في وزارة الخارجية الالمانية أن استعرض سرية حرس الشرف ثم صحبني عبر قاعات المستشارية الكبرى وممراتها حتى قاعة الانتظار فطلب إليّ رئيس المراسم أن أنتظر حتى يعلن عن قدومي، وبعد أقل من دقيقة استقبلني هتلر في مكتبه وأبدى لما دخلت الترحاب.

كان يحيط به عدد كبير من معيته وبينهم ترجمانه الخاص الهر شميدت الذي نقل لي حديثه إلى الفرنسية.

قال لي بعد أن طلب إلي الجلوس أمامه:

اهنئك وأهنيء نفسي ان قد نجوت من عدونا المشترك. لقد تابعت قلقاً مراحل تنقلك من طهران الى برلين إني اعتبر خلاصك نصراً. . إن تاريخ حياتك معروف عندي بتفاصيله. إن كفاحك يحظى باحترامي. إني أقدر المعركة

العظيمة التي خاضها الشعب الفلسطيني بشجاعة وحيداً لا يعتمد على أحد ضد الامبراطورية الانكليزية واليهودية العالمية . إن جرأة هذا الشعب وتصميمه العنيد وتمسكه بحقوقه وتفانيه تستحق إعجاب العالم .

كانت قوة صوته ولهجته الصارمة العميقة تخيل لي إنها تتردد في القاعة . . كان تعبير وجهه يرتسم على وجوه الذين حوله حتى لكأن كلا منهم يردد في داخله أقواله التي تقطعها الترجمة ، ولاحظت إن شفاه بعضهم تتحرك كأنها تتمتم معه ما يقول . . كانت عيونهم تتسع حدقاتها أو تصغر وفقاً لحركة عيني الفوهرر وكانوا يقطبون حواجبهم أو يحركون رؤوسهم معه تبدو عليهم المشاركة في التعبير كأنهم مأخوذون بمغناطيسيته . كان جو الحديث حاراً على هدوء ، وكانت لهجة الفوهرر المليئة تضاعف معنى الكلمات فتحفرها في ذاكرة محدثة حتى لكأن لها معان أبعد من معانيها الحرفية ينعكس فيها مزاجه العنيف .

قال :

إن لاقامتك بيننا معنى كبير ويجب أن تؤتي بثمارها واعلم إن هدفك الأول أن تعبر عن الآمال العربية وإرادة هذا الشعب بالكفاح ضد عدو الانسانية المشترك . .

وترك لي بعد ذلك مجال الحديث . وبعد أن شكرته لكرم ضيافته الذي لقيته في المانيا ذكرت العلاقات الطيبة التي تجمع بين المانيا والإسلام ، والتي تحققت في عهد السلطان عبد الحميد ، قلت له :

إن المانيا لم تعتد عبر تاريخها الطويل على أي بلد عربي أو إسلامي . لقد عانى شعبنا أعباء سياسات محدودة غير شاعرة بحقوق الشعوب في الحياة والحرية . لقد فرضت هذه السياسات الظالمة على شعبنا الاستعباد فقد رزخ شعبكم تحت معاهدة فرساي ونتائجها المخربة وعلى شعبنا وعد بلفور والاستعمار والحماية والانتداب والانفصال . . لقد جمعتنا الآلام المشتركة في قدر واحد ، إن كفاحنا واحد يجمعنا . إن رسالتنا تستحق تضحيات كبرى . إن الشعب العربي الذي نكثت بريطانيا بعهودها له التي قطعتها في الاتفاقات المعقودة مع الشريف حسين ، لن يتوقف عن الكفاح . أما نحن الفلسطينيين فسنظل أول من يقاتل حتى آخر ابنائنا . سنتمسك بأرض الوطن تمسك حياة أو موت . ولن نسمح للانكليز بأن يجعلوا من أرضنا رقبة جسر للاستعمار البريطاني . إن شعبنا الذي قاسى من تجربة الحرب الكبرى ليرغب في عقد معاهدة مع بلدان المحور وخاصة مع المانيا لحفظ حقوقه وتعلن على الرأي العام حتى إذا انتهت شكوكه انضم الى المعركة التي هي معركتنا ضد عدونا المشترك .

لاحظت وأنا أعرض رأيي على الفوهرر أن جفناه أقل حركة مما عند الآخرين وكأن سكونهما يعطي وزناً وقوة لنظرته الصارمة . وكان لوجهه الهادىء تعبيراً متعالياً يبدي طبيعته المتحدية المسيطرة . . رأيت أن انتباهه شديد ، لا يترك كلمة من كلماتي تفوته ، وأحسست كأنه يستعيد آرائي ويعد الجواب عليها في دخيلته . . يحسُّ محدثه إنه قريب بعيد مما يجب في شخصيته على صرامتها . .

استأنف قائلا :

لقد شرحت استراتيجيتي في (كفاحي) أولا : سأكافح اليهود دون وني .

كان لكلمة يهودي وقع خاص عندما يلفظها . . قال :

(إن إلغاء الوطن القومي اليهودي هو جزء من معركتي . إن اليهود ـ كان يشدد على آخر حرف من يهودي ـ

يريدون أن يقيموا دولة مركزية تكون قاعدة لنشاطهم وأهدافهم المخربة. إنهم يريدون أن يهدموا كل الدول، . كل شعوب العالم، إنه من الثابت أن اليهود لم يقوموا بأي عمل بناء في فلسطين. دعايتهم كاذبة. . كل ما جني في فلسطين بناه العرب لا اليهود منذ ما قبل التاريخ. إن طبيعتهم لا تسمح لهم بالبناء، ولقد قررت أن أجد بأي ثمن حلاً دقيقاً نهائياً للمشكلة اليهودية، وبعد ذلك سأدعو أولا كل دول أوروبا، ثم البلدان التي من غير أوربا أن تتعاون معي لنضع حداً نهائياً لليهودية العالمية التي تشكل خطراً يهدد العالم أجمع) كان هتلر هادئاً في حديثه، أحسست أنه يفتح قلبه فلم يخف علي قناعته بضرورة وضع حد لجرائم اليهود واستمر قائلاً:

أليس عجيباً وغيفاً أن يتعاون عدوان مختلفان مبدأ وهدفاً، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، أقصى اليمين وأقصى اليسار؟ تناقض عجيب! لقد استطاعت اليهودية العالمية جمعها بالاحتيال. .

ارتفع صوته، وتقلصت عضلات وجهه، وأخذ يشدد على مخارج الحروف كما يفعل الخطباء العرب حين يشددون على حروف القلقة. كان يقترب مني وهو يتحدث وتزيد إشارات يديه في معنى كلماته فتتقلصان فتقويان تعبير وجهه وعيناه تقدحان شرراً:

ان تجمع المتناقضين، الرأسمالية والماركسية وتقربها بحبل واحد كي يخدما مصالحها، ولكن الأمر لن يدوم. . .

وقطعت يده شيئاً ما يراه هو وحده. .

إن ذلك ضد الطبيعة.

تابع حديثه صافي الهدوء وفي عينيه نظرة ملهم:

إننا نتابع كفاح موت أو حياة، معركة تحسم نهائياً بين الوطنية الاشتراكية واليهودية ونجاحها يأتي بعون إيجابي هام للعرب الذين يكافحون معنا. . إن وعداً عاطفياً لا معنى له. . ان الضمانات التي تدعمها القوة المنفذة هي وحدها ذات معنى واقعي. والحرب العراقية خير مثل لذلك فرغم كسب العراقيين لدعم الشعب الالماني العاطفي لم تمكنا الظروف من أن نأتيهم بالمساعدة العسكرية الضرورية لهم. لقد رأى الشعب الالماني في الثوار العراقيين رفاق سلاح وآلام، فلقد عانوا نفس ما عانينا ولم تكن المساعدات التي أرسلناها كافية للنصر على القوة البريطانية. أما عن الكفاح الذي يقرر مصير العرب فلا أسمح لنفسي بالحديث إلا كمبدأ أي مؤمن برسالته وكقائد عسكري وجندي شاعر بواجباته. كل من يساهم في انتصار هذا الكفاح النبيل يخدم العرب وعلينا أن نميز بين ما ينفعنا وما يضر بنا في سيرنا المنتصر ضد اليهودية العالمية وبريطانيا العظمى وأعدائنا الآخرين، وعندما نحقق النصر تدق ساعة تحقيق الآمال العربية. .

إن الوضع في هذه الفترة هو كما يلي:

نحن نقاتل الآن كي نشق طريقاً لنا في القوقاز الشمالي ونلاقي صعوبات شديدة في النقل سببها خطوط المواصلات: تخريب الطرق والخطوط الحديدية والشتاء والثلج والبرد، إننا إذا استعجلنا بإعلان تصريح يتضمن استقلال سورية يضعف موقف حكومة فيشي وتتخلى عنا بينما يشتد موقف ديغول وسلطته. ويظن الفرنسيون إن دعمهم لانكلترا يخدم مصالحهم ويستخدم أعداؤنا سورية مثلاً لإثارة مخاوف الفرنسيين على امبراطوريتهم. مثل هذا التصريح يخلق لنا مصاعب كبرى تمنعنا عن حشد جيوشنا في الشرق.

وبعد وقفة قصيرة استمر وقد بدأ على الفوهرر التفكير:

اريد ان اقول لك شيئاً يجب أن يظل مكتوماً بيننا . . أولا سأتابع الكفاح حتى القضاء على اليهودية العالمية . . ثانياً: عندما تصل جحافلنا المصفحة وقوات الطيران الالماني إلى منحدرات جنوبي القوقاز يصبح الوقت مناسباً للتصريح الذي تطلبون ويحين تحرير العرب . إن المانيا ليست لها أية مطامع في أية دولة عربية . . ثالثاً: أنا سعيد إنكم نجحتم بالوصول سالمين. إني أؤكد لكم أن الساعة التي تقودون فيها العرب إلى الحرية باتت قريبة وعندما تأتي لن أحفل بالنتائج التي تترتب على هذا التصريح عند الأمم الأخرى . . رابعاً: أعتقد إن انتصارنا في الشرق سيسبب سقوط الامبراطورية الانكليزية إن الطريق من روستوف لايران ثم العراق هو اقصر من الطريق من برلين إلى روستوف . . أنا اعرف أن العرب قلقون من أجل التصريح الذي عنيتم ولكن أسمح لنفسي بأن أذكركم إني في السنوات الخمس الأولى من وصولي للحكم لم أعط أي تصريح رسمي فقد انتظرت الساعة التي استطيع فيها دعم تصريحاتي بقوة السلاح . ولا تنسى إني عندما أساعدكم فإني أقوم بواجبي لمصلحة ألمانيا . وفوق ذلك فإن المانيا ليست لها مطامع استعمارية خارج أوربا فلقد ذهب زمن الامبراطوريات الاستعمارية ولن أعيد أخطاء الامبراطوريات الكبرى التي كانت تحلم باجتياح العالم . إن قواتنا العاملة الآن في شمال أفريقيا لا تستهدف احتلال الأرض وإنما كي تتابع الحرب ضد العدو . لن أطالب بمستعمرات المانيا القديمة التي أخذت منها بعد الحرب العالمية الأولى ، إن الرايخ الثالث لا مطامع له إلاّ في القارة الأوربية ذات الحضارة القديمة حيث يستطيع الشعب الالماني أن يحيا ويتفتح وعندما يغلب الانكليز ستعود قواتنا الموزعة في العالم كي تلعب دورها التاريخي الحضاري . ليست لنا مطالب في البلدان العربية فنحن أصدقاؤكم وبوسعكم أن تعتمدوا علينا ، ولكن اعتمدوا على انفسكم أولاً ، فنحن نفكر أولا بمصالح المانيا وعليكم أن تفكروا بمصالحكم أولاً . .

أمام الوضع العام الذي شرحه الفوهرر اقترحت عليه معاهدة سرية فقال :

إن الاتفاقات السرية لا تظل بالضرورة سرية ، فلا بد من أن يطلع عليها بعض الأشخاص فتنكشف بعد قليل ، لقد أعطيت في حياتي تصريحات قليلة على عكس الانكليز الذين أعطوا تصريحات كثيرة دون أن ينفذوها . أما انا فأتقيد بوعودي ، قلت مرة لمارشال فنلندا إن بلاده تستطيع الاعتماد علينا إذا هاجمها العدو مرة أخرى ، وكانت هذه الكلمات القليلة أكثر اهمية من تصريح مكتوب ، ولألخص لكم قراري : أعلن لكم عندما نصل جنوب القوقاز تحين ساعة تحرير العرب وبوسعكم أن تعتمدوا على هذه الكلمة .

دام الحديث ساعة وخمس وثلاثين دقيقة عندما تركت الفوهرر كنت أشعر ببعض القلق رغم تأكدي من الاستراتيجية التي يتبع . وكنت قانعاً قناعة مطلقة بعزمه على الكفاح ضد اليهودية وأعوانها الاستعماريين ، فلقد كان رجلاً لا يتزعزع إيمانه بأفكاره ، شديد الحماس بتحقيق أهدافه ، وكانت مصلحة الرايخ هي همه الأساسي ، كل ما ينفع الشعب الالماني يحظى بحقده أو اهتمامه . . فقد كانت المانيا عنده كل شيء . .

اللقاء الأخير
بين الحسين والحاج أمين

اللقاءات المتكررة التي تجري في عمان بين جلالة العاهل الأردني ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات هي التي دفعتني لاستنفار ذاكرتي والعودة بها إلى الأيام التي كنت خلالها أدون ذكريات الحاج أمين الحسيني عن مراحل كفاحه.

لقد سبق لي أن أغفلت في ذكرياته الكثير من الأحاديث التي تثير بعض الحساسيات في الساحة العربية، ومنها هذا الحديث الذي رواه لي في منزله بالمنصورية، القريب من مصيف (بيت مري). ومن المفارقات ان هذا المنزل قد دمر بعد أن امتدت إليه يد الاثم فأتت على كل ما فيه، بما فيها المذكرات التي كنا نعد العدة لاصدارها.

كنت قد ذهبت إليه لانتقاء الصور، فألمت به وعكة اضطرتني لمغادرة المنزل، وبعدها غادر دنيانا إلى دار البقاء:

كان المفتي يومها يصر على الانزواء وعدم التكلم.. وسألته:

صاحب السماحة متى صليتم آخر مرة في المسجد الأقصى (هذا الحديث جرى في شباط ١٩٧٣) قال:

كان ذلك عام ١٩٦٧، كان يوم أول مارس لأكون أكثر دقة، كنت منقبضاً، وقد غمر قلبي حزن عميق لقد ذهبت إلى المسجد لأحاول استرجاع أفكاري.. لقد استحال عليّ أن أنام ليلة أول مارس ١٩٦٧..

ـ صاحب السماحة ألم يدفعكم حدسكم وقتها إلى الشعور بالهزيمة المقبلة؟ قال:

ـ الواقع إني كنت منقبضاً وحزيناً جداً..

ـ أرجو الا يكون ذلك وداعاً نهائياً! أجاب بقوة:

ـ لا لن يكون، فأنا واثق بأننا سنعود ونسترد هذا المسجد وفلسطين كلها.

شعرت بتسرب الألم الذي أحدثه ذكرى زيارته الأخيرة للمسجد الأقصى فرحت أحاول دفعه للكلام في موضوع آخر.. فسألته:

ـ هل لاحظتم تغيرات في المسجد الأقصى بعد فراقكم الطويل له، قال:

ـ لقد وجدته كما تركته عام ١٩٣٧، فلم أزل أحس بأصابعي على الأعمدة، ولم أزل أسمع صدى صلواتي يتجاوب في قبته.. لقد أوحشني المحراب الواسع.. محراب صلاح الدين.. وكم افتقدته.. وجدته وكأنه يفتح ذراعيه لي، وقد اندفعت نحوه ليحتضنني.. ولم تكد لدموعي أن تتوقف طوال الصلاة القصيرة التي أديتها، لقد كان قلبي يدق كما كان رخام المحراب يدق أيضاً.. كان من المستحيل ان أنام ليلة أول مارس ١٩٦٧.. كنت أسمع الأقصى يناديني ولكن الطريق كانت تبدو لي وكأنها لا نهاية لها.. وبينما كانت الطائرة تحلق فوق مطار القدس رأيت القبة تبتسم لي، لقد تركت قطعة من نفسي في كل ركن من أركان المدينة، على كل رابية من رباها.. وكم تذكرت الجبل الذي استشهد فوقه إبن عمي عبد القادر وهو يدافع عن المدينة.

ـ لقد قابلتم يا صاحب السماحة الملك حسين خلال هذه الزيارة، فهل تذكرون ماذا دار بين جلالته وبينكم.. لقد كان الظرف حرجاً جداً، وكان التوتر بين العرب واليهود قد بلغ أوجه؟ صمت المفتي قليلاً وكأنه يستحضر ذاكرته المثقلة بأحداث السنوات القليلة الماضية، ثم أخرج منديله من جيبه ومسح به جبهته وقال:

في هذا اللقاء الذي تم في القصر الملكي بعمان رحب بي الملك حسين كثيراً وهو يردد:

ـ هذه البلد بلدكم ونحن بحاجة إلى رأيكم واستشارتكم، واستعرضنا معا لقاءات سابقة يوم اتصل بي عام

١٩٦١ وطلب مني العودة إلى وطني، وكنت أعلم أن هذه العودة ستثير عليه الكثير من الحرج، ففضلت التريث وشكرته في حينه، وقد شعرت وأنا أصغي إلى حديث جلالته رغبته الأكيدة في أن يبذل كل ما يستطيع في سبيل القضية الفلسطينية. لقد أوقف حياته من أجل هذه القضية، وكنت أتلمس صبره وشجاعته وصموده وأذكر إني قلت له:

ـ احذروا الحلول السلمية، فجلالتكم تعلمون إن العرب مسالمون والخصم مخادع، فاحذروا هذه الحلول..

وكنت قبل أيام من هذه المقابلة أصدرت كراساً حذرت فيه من تعريض الضفة الغربية وهي الجزء الأكبر من البقية الباقية من فلسطين لاجتياح يهودي مسلح في الوقت الذي يختاره الأعداء لهذا الاجتياح فتسقط في أيديهم غنيمة باردة دون أن يكون لها سند من دفاع عربي تعتمد عليه في دفع العدوان وينشأ عن ذلك كارثة جديدة بضياع أقدس بقاع فلسطين وأهم مواقعها العسكرية، وتشريد بقية الفلسطينيين، وضياع ممتلكاتهم وأموالهم ومقدساتهم وفي طليعتها المسجد الأقصى المبارك وسائر الأمكنة المقدسة، وبخسائر فادحة في النفوس، كما وقع في قطاع غزة عام ١٩٥٦، بل أشد وأدهى.. وكان نص ما ورد في هذا الكراس في مخيلتي حين كنت أتحدث مع جلالته، وقد طمأنني جلالته ووعدني بأن يظل دائماً الوفي الأمين لهذه القضية المقدسة.

من آثار المؤلف المطبوعة

الشيوعية بقلم قادتها في الشرق	صدر عام ١٩٦٠
عشرة من الناس «الجزء الاول»	صدر عام ١٩٧٥
عشرة من الناس «الجزء الثاني	صدر عام ١٩٧٩
شاهد على المذبحة	صدر عام ١٩٧٦
ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني (الطبعة الرابعة)	صدر عام ١٩٧٨
نهاية شاعر «بيرم التونسي»	صدر عام ١٩٨١
لبنان قضية ورجال	صدر عام ١٩٨٢
اتظنون انكم خير أمة أخرجت للناس	صدر عام ١٩٨٢

من آثار المؤلف التي تحت الطبع

وحدة الانفصال

عشرة من الناس «الجزء الثالث»

الصف والتصوير دار قدموس

الطباعة ليباتوغراف

مجمع البيان الحديث
خاتم النبيين محمد (ص)

تأليف: سميح عاطف الزين

المجلد الثاني - ٧٨٠ صفحة من القطع الكبير.

«إن الأفكار مهما بلغت عمقاً وتناهت لاستيعاب أوضاع، تظل بلا جدوى، وكأنها لم تكن، إن ظلّت حبيسة في رؤوس أصحابها، ولم تنطلق الى مواقع الحياة تؤثر فيه. ولا يكون لها مثل هذا التأثير إن لم تدخل في قناعات رجال أقوياء، يستطيعون تحويل التصورات الى قرارات، والدراسات الى سياسات. ومن أولى من رجل السلطة يقتنع بفكرة فيحيلها واقعاً وحقيقة، ومَنْ أفضل لها من أشخاص يتمتعون بنفوذ وقوة يجسدونها نمط حياة وأسلوب تعايش.

والفكر الاسلامي الذي يحمله محمد ﷺ استجابة للوحي الإلهي، كمن فيه من القوة ما جعل الدعوة التي حملها تأخذ مداها الى الحد الذي أطلقها حقيقة يجب أن تعانق عقول ونفوس أصحاب النفوذ حتى تتمكن من إقامة الحكم الذي تستهدفه.

ولذا تهيأ الرسول الأعظم، بعدما ضربت المنازل في منى واعتلتها الرايات تُعلن عن النازلين فيها، لملاقاة شيوخ القبائل ورؤسائها للاتصال بهؤلاء الذين وحدهم يملكون السلطة آنذاك، ويُجسّدُون من دون غيرهم مراكز القوى في بيئتهم، فيكونون أهل نصرة لمن استنصر بهم.

بخلاف ما نشهده اليوم من حيث تتوزع هذه المراكز للقوى ما بين الحاكم والتاجر، والسياسي والقائد العسكري. وكل واحد منهم يكون من أهل النصرة».

الناشر دار الكتاب اللبناني

بيروت - شارع اميل اده - الصنايع

مقابل الاذاعة اللبنانية - بناية السالم - الطابق الأول

تلفون ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٣٧٠ - ٣٤٩٦٧٧

برقياً: كتالبان

ص . ب . ٣١٧٦ - تلكس LE ٢٢٨٦٥



فكرية ثقافية سياسية مستقلة

تصدر مرة في الشهر ـ سنتها عشرة أشهر.

تأسست في صيدا سنة ١٩٠٩ م.

العدد ٩ ـ ١٠ مجلد ٧٠ ـ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ كانون الأول ١٩٨٢ م

كلمة

نختتم السنة الـ ٧٣ من إنشاء «العرفان» وسنة المجلد السبعين منها، بحمد الله على أننا سرنا بالعرفان في أحلك الأيام التي مرت على البلاد. وأننا إذ نعتذر من القراء لعدم تمكننا من إصدار المجلة خلال فترة الاجتياح، فإننا قد عوضنا على القراء عن العددين اللذين تعذر إصدارهما بوضع كتاب عن الاجتياح يعرض بما يوازي أضعاف ثمن العدد من المجلة. ومع هذا العدد عدد خاص من الماضي هدية عن العدد العاشر.

وكل ما نرجوه أن نوفق بالاستمرار في السنة الجديدة بزخم أقوى وعزيمة أمضى لمواجهة كافة الصعوبات.

المؤسس: أحمد عارف الزين.

المدير: فؤاد زيد الزين.

العنوان: مجلة العرفان

ص. ب: ٢٧٥٠

بيروت ـ لبنان

هاتف: ٢٥٦٥٥٠

الاشتراك السنوي:

في لبنان وسورية:

الأفراد ٥٠٠ ل.ل

للدوائر الرسمية والمؤسسات ٣٠٠ ل.ل

في جميع الأقطار بالبريد الجوي ٤٠ دولار.

وكيل التوزيع العام:

الشركة العربية للتوزيع

ش.م.ل

تلفون: ٢٤٧٩٠٠

ص. ب: ٤٢٢٨

تلكس أرابكو ٢٣٠٣٢

بيروت ـ لبنان

وكيل العرفان في الكويت:

هاني شفيق الزين

هاتف: ٦٣٨٥٩٥

ثمن العدد

لبنان ٥ ل.ل / سورية ٦ ل.س / الأردن ٥٠٠ فلس / الكويت ٥٠٠ فلس / قطر ٥ ريالات / البحرين ٥٠٠ فلس / السعودية ٥ ريالات / عمان ٧٠٠ فلس / ابو ظبي ٥ دراهم / دبي ٥ دراهم / مسقط ٦٠٠ بيسة / اليمن ٦ ريالات / العراق ٧٠٠ فلس / تونس ٧٠٠ مم / المغرب ١٠ دراهم

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٤	نحو السلام	عبد اللطيف شرارة
	مواضيع اجتماعية	
٦	مفهوم الضمان الإجتماعي وأهدافه	القاضي حسين عبد اللطيف حمدا
	أدب	
١٧	العلماء ورثة الأنبياء	جعفر شرف الدين
١٩	ابو القاسم الشابي	زهير المارديني
٢٨	وثيقة هامة عن الصافي النجفي	عيسى فتوح
٣٤	شعراء من جبل عامل	علي يوسف نور الدين
	مواضيع اسلامية	
٤٢	من تاريخنا الروحي	د . محمد عبد المنعم خفاجي
٤٦	لمحات من الفعل الحضاري الاسلامي في اوروبا	حسن الزين
٥١	ابن الأزرق (٢)	ناهض قديح
	تاريخ	
٥٨	التنظيمات الصهيونية	د . حافظ الزين
	قصة	
٦٢	هارب من اهله	د . رشاد دارغوث
	شعر	
٦٦	حياتي عتماء بدون ضياء	د . صفاء خلوصي
٦٧	يا لعصفور تحنى بالدماء	فتى الدواوير
٦٨	من وحي عاشوراء	د . يحي شامي
٦٩	يا أخي أيها المرء الندي	بشار الزين
٧١	زيتونتي في جبل عامل	عدنان فلحة

[illegible]

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	ابواب العرفان	
	من تراثنا	
٧٢	متى ترتقي أخلاقنا ؟ ؟	**مؤسس العرفان**
	خواطر	
٧٣	خمس ست كلمات	**نصرت توفيق خريش**
	مع الخالدين	
٧٤	حسن كامل الصباح	**اعداد سمير شيخاني**
	المراسلة والمناظرة	
٧٩	أنا ابن الشعب	**موسى الزين شرارة**
	اوراق مهجرية	
٨٢	يوم الحسين و ـ حقوق الانسان في السنغال	**حسن يزبك**
	كتب	
٨٣	معلمة هكذا عرفتهم	**تأليف جعفر الخليلي** **مراجعة: روكس بن زائد العزيزي**
	وثيقة	
٩٣	الإعلان العالمي لحقوق الإنسان	
	طب	
٩٧	قصة الكورتيزون	
	علم وتكنولوجيا	
١٠٠	قمر الطاقة الشمسية	
١٠٣	**مع الاحداث**	

نحو السلام

بقلم: عبداللطيف شرارة

قال الشاعر:

ومن ظنّ ممن يُظْهِرُ السوءَ أنّه
يُجازى بلا سوءٍ، فقد ظنّ منكرا!

وهؤلاء الذين يظهرون العداء، ثم «يطالبون» بالسلام، إنما ينطوون على ضربٍ من الغباء تجلّ عنه البهائم؛ لأنهم يعيشون بالظن، ولا يمكنون أنفسهم من الفهم، فهم الناس والأشياء على حقيقتها. والبهائم لا تظن، ولا تتصرف بوحيٍ من الظن، وإن أعوزها الفهم، ولهذا تظل أرفع منهم مستوى في تناول الحياة، والتصرف بها ومعها.

لقد توجه قاضي القضاة أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، إلى وزير طلب نُصْحَهُ، بهذه العبارات: «... وقُدْ نفسك إلى العدل، يَنْقدِ الناسُ بهِ إلى طاعتك، ويكفّوا به عن معصيتك: ويقتصروا عليه في مطالبتك، فإن من جازف في الأخذ، جوزف في الطلب، ومن ناصف نوصف. والعرب تقول في المجازفة من أمثالها: «دخل بيتاً ما خرج منه[1]». وقال السيد المسيح: «بالمكيال الذي تكيلون، يكال لكم وتزادون!».

تلك هي المعادلة الرياضية: «تريدُ السلام، عليك بالعدل أولاً» وما في الأرض ولا في السماء من قوة تستطيع أن تغيّر هذه المعادلة، فهي طبيعية كالطبيعة، وحيوية كالحياة، وحقيقية كالحقيقة.

ثم إن لكل معنى من المعاني الإنسانية منطقَهُ وطريقه، فللحرية منطقها، وللكرامة منطقها، وللسلام أخيراً منطقه، وطريقه.

وليس من منطق السلام في شيء أبداً، أن «تظهر السوء» وتنتظر أن تجازى بلا سوء، أن تكيل بمكيال الشر، وتنتظر أن يكال لك بمكيال الخير!

وليس من منطق السلام أيضاً أن ترى لك من الحق ما لا تراه لغيرك، فالحق، بمجرد أنه حق، يستعلي على الأشخاص

والأحزاب والأهواء والعواطف، ويساوي بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والمحزون والمسرور.

ذلك هو منطق السلام، ولا جدوى فيه من الشغب والصخب، ولا تؤثر فيه الدعايات، ولا يؤخذ على حين غرّة، ولا يميل به عن خطه غدرٌ أو احتيال. إنه المنطق الصارم الذي تكشفت عنه تجارب التاريخ، وعبر الزمان في كل مكان.

أما الطريق إلى السلام، فإن من أسهل الأمور على الانسان أن يعرفها، حين يأخذ بمنطقه، ويصغي إلى إملاءاته. ولكن المشقة كل المشقة في أن يسلك المرء تلك الطريق، في أن يعمل بما يعلم، في أن يتصرف بما يمليه المنطق، منطق السلام.

ولكن من يريد السلام، وهو واثق مما يريد، عازمٌ على تحقيق ما يريد، لا يحفل بمشقة، ولا تثنيه صعوبة، ولا يتراجع أمام عقبة.

بقي أن هؤلاء الذين يطالبون بالسلام، وهم يمارسون الحرب عملياً في أبشع صورها وحالاتها، إنما ينقصهم الذكاء الحقيقيّ، ينقصهم الذكاء المبدع!

لقد آن للبشرية أن تدرك هذه الحقيقة، وهي أن الذكاء لا يكون بجمع المال، ولا بالنجاح في خداع الساذجين المغفلين، ولا بإعمال النار والقذائف المحرقة في حياة الأبرياء الآمنين... فهذه كلها «تصرفات» ليس فيها ذرة من فهم أو ذكاء. إنها حماقات، وسفاسف، وترهات، وألاعيب طيش، ومظاهر حقد، وعلامات بغضاء!

الذكاء الحقيقي المبدع هو ذاك الذي يُشرِفُ منه الإنسان على نتائج الأعمال، قبل أن يعمل، ويمكّنه من معرفة المستقبل استناداً إلى حسٍّ صحيح، وشعور عميق، وذهن صافٍ يتيح لصاحبه «دراية الغائبات قبل ورودها» كما عبّر المسعودي قبل أكثر من عشرة قرون.

لقد استطاع نيرون أن يحرق روما، واستطاع هولاكو أن يحتلّ بغداد، واستطاع نابليون أن يلج موسكو وهي شعلة نار، وأكداس رماد، بيد أن أحداً من هؤلاء، لم يستطع قط أن يحقق انتصاراً نهائياً، وانتهوا جميعاً إلى شيء واحد، وموقف واحد، اسمه «الندم»، ساعة لا ينفع الندم!

الذكي إذن ليس الذي يحقق فوزاً عابراً، أو انتصاراً يشعر من بعد أنه «انتصار تافه» لا قيمة له ولا معنى.

إنما الذكي حقيقة وفعلاً، ذلك الذي ينطلق من رؤيا الخاتمة، من إدراك العاقبة، ثم يبني على أساسها، ويتصرف بوحي منها... ولا يمكن أن تكون خاتمة من يقتل، ويدمر، ويزهق الأرواح، على شيء من الراحة والهناءة. ولا يمكن كذلك أن تكون عاقبة الإجرام شيئاً أفضل من بدايته! لقد اضطر هتلر أخيراً إلى الانتحار!

العاقبة دوماً للمتقين.

عبداللطيف شرارة

مفهوم الضمان الاجتماعي وأهدافه

بقلم: القاضي حسين عبداللطيف حمدان

١ . ما هو الضمان الاجتماعي:

الضمان الاجتماعي في اصطلاحنا هو تعريب لعبارة Sécurité Social الفرنسية أو Social Security الانجليزية، أو ما هو بمعناها في اللغات الاخرى. وقد ظهر هذا الاصطلاح لأول مرة في التشريع الامريكي، عندما أصدر الرئيس روزفلت في ١٤ آب ١٩٣٥ قانوناً لمساعدة الشيوخ والعاطلين عن العمل من ضحايا الأزمة الاقتصادية التي ضربت الاقتصاد الامريكي عام ١٩٢٩. وأسماه «القانون الامريكي للضمان الاجتماعي» Social security American Act. وبالرغم من أن هذا القانون لم يتضمن من الضمانات الاجتماعية سوى ضمان الشيخوخة وضمان البطالة، الا أنه يتميز بأنه كان أول من استعمل اصطلاح «الضمان الاجتماعي» في لغة التشريع، وجعل من هذا الضمان أداة من أدوات السياسة الاقتصادية والاجتماعية الهادفة الى تحرير الفرد من الحاجة.

ومن التشريع الامريكي انتقل الضمان الاجتماعي الى تشريعات البلاد كما انتقل الى الاتفاقات والمواثيق الدولية، ولا سيما الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة في العاشر من كانون الاول لعام ١٩٤٨، الذي نص في مادته الثانية والعشرين على أن «لكل فرد باعتباره عضواً في المجتمع، الحق في الضمان الاجتماعي».

وهكذا عم الضمان الاجتماعي، حتى أصبح شعاراً لكافة الجهود الاقليمية والدولية الهادفة لاقامة العدل الاجتماعي وتوفير العيش والطمأنينة للافراد. وقد بلغ من اهتمام الحكام والشعوب بهذا النظام حداً أصبح معه الضمان الاجتماعي السمة المميزة للمجتمعات الحديثة.

لكن ما هو الضمان الاجتماعي؟

الواقع ليس هناك تعريف موحد للضمان الاجتماعي، سواء في التشريع أو في الفقه. غير أنه من الرجوع الى مختلف التعاريف الفقهية والتشريعية يتبين أنها تلتقي جميعاً على أن الضمان الاجتماعي يحمي الافراد وعائلاتهم من الاخطار والحوادث التي تؤثر في قدرتهم على الكسب، أو تزيد في أعبائهم المعيشية وهي التالية:

المرض، الأمومة، العجز، الشيخوخة، اصابات العمل والامراض المهنية، الوفاة (حماية عائلة المتوفي)، الاعباء العائلية، البطالة.

وهذا ما يحمل على الاعتقاد أن الضمان الاجتماعي هو نظام للحماية من هذه الاخطار والحوادث. ومما يعزز هذا الاعتقاد أن الاتفاقات والمواثيق الدولية التي تتحدث عن الضمان الاجتماعي، وبخاصة الاتفاقية رقم ١٠٢ العائدة لمنظمة العمل الدولية، عندما تدعو الدول المعنية فيها الى احترام حق الافراد في الضمان الاجتماعي تكتفي بتعداد الاخطار والحوادث التي تهدد الافراد، والتي ينبغي حمايتهم منها وهي لا تتعدى الاخطار والحوادث التي ذكرناها فيما تقدم.

غير ان الحقيقة، أن الحماية من هذه الاخطار ليست هي هدف الضمان الاجتماعي، وانما هي وسيلة لضمان الأمن الاقتصادي للافراد. ذلك لأن الأمن الاقتصادي للافراد هو هدف الضمان. وبما أن الاخطار المتقدمة تؤدي بما تسببه من انقطاع في الدخل، أو زيادة في النفقات المعيشية، الى إحداث خلل واضطراب في حياة الافراد الاقتصادية، فقد اقتضى حمايتهم منها بتعويضهم عن الدخل المفقود، عندما ينقطع الدخل، وبتغطية النفقات التي تنجم عن الزواج والولادة.

ولهذا نلاحظ بأن القانون البريطاني يعرّف الضمان الاجتماعي بأنه «تأمين دخل معين يحل محل الكسب عندما ينقطع بسبب المرض والبطالة والاصابات والشيخوخة والموت، وتغطية النفقات الاستثنائية التي تنجم عن الزواج والولادة والوفاة، على أن يكون ذلك مقروناً بالعمل على انهاء حالة الكسب بأسرع وقت ممكن». وهذا التعريف يتفق مع ما ذهب اليه الاقتصادي البريطاني الكبير بيفريدج، وهو خير من شرّع للضمان الاجتماعي قواعده. اذ قال بأن «الضمان الاجتماعي هو القضاء على الفاقة».

وهذا التعريف يتفق مع صورة الضمان الاجتماعي كما رسمها الاعلان العالمي لحقوق الانسان. فبعد أن نصت المادة ٢٢ منه، على أن «لكل انسان باعتباره عضواً في المجتمع الحق في الضمان الاجتماعي»، حددت المادة ٢٥ مضمون هذا الحق بقولها أن «لكل شخص الحق في مستوى لائق من المعيشة لتأمين صحته وسعادته، وصحة وسعادة عائلته، خاصة من حيث الغذاء والكساء والمأوى والخدمات الطبية والاجتماعية الضرورية. وله الحق في الضمان في حالة البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة، وفقد وسائل العيش الاخرى نتيجة لظروف خارجة عن ارادته. كما أن للأمومة والطفولة الحق في الاعانة والمساعدة اللازمة. وان جميع الاطفال يتمتعون بنفس الحماية الاجتماعية، سواء أكانوا قد ولدوا من زواج أو من دون زواج».

وهكذا نتبين أن الضمان الاجتماعي نظام يهدف الى القضاء على الفقر، وحماية الانسان من الحاجة والعوز، عن طريق ضمان العيش له ولعياله في المستوى الذي يليق بكرامة الانسان مهما كانت الظروف، وأيا كان الوضع الذي يتوجد فيه. وسبيل الضمان الى هذا الهدف، ضمان العمل للافراد وحماية قدرتهم عليه، ومنحهم الاعانات النقدية في حال انقطاعهم عنه لسبب

خارج عن ارادتهم. ويقوم الضمان الاجتماعي في سعيه الى تحقيق ما يرمي اليه من ضمان عيش الافراد وحماية أمنهم، بتقديم المساعدات الطبية والمالية للمرضى والعجزة والشيوخ ويساهم في تغطية الاعباء العائلية، ويرعى الأمومة والطفولة، ويقوم بإعالة الأرامل والأيتام.

وهكذا يوفر الضمان الاجتماعي الامن والطمأنينة للانسان، ويحرره من كل ما يثير فيه الخوف من مفاجآت الأيام.

واذا كان الضمان الاجتماعي بصورته هذه لم يتحقق في كثير من المجتمعات وبخاصة في البلاد النامية، فيجب أن يكون بالنسبة اليها هدفاً تسعى الى تحقيقه.

٢ . التمييز بين الضمان الاجتماعي والانظمة المشابهة له:

هناك ثلاثة أنظمة تلتقي مع الضمان الاجتماعي في العمل على حماية الانسان من بعض المخاطر الاجتماعية التي يتعرض لها في حياته وهذه الانظمة هي: المساعدات الاجتماعية والتأمينات الاجتماعية، والتأمين التجاري.

الا أن هذه الانظمة بالرغم مما يبدو بينها وبين الضمان الاجتماعي من شبه في الغاية، تختلف عنه في بعدها ونطاقها وطبيعتها. وهذا ما تظهره لنا مقارنة سريعة نجريها بين الضمان الاجتماعي وبين هذه الانظمة.

أ) الضمان الاجتماعي والمساعدات الاجتماعية:

الضمان الاجتماعي ـ كما رأينا ـ نظام يهدف الى حماية الفرد من الحاجة عن طريق ضمان حد أدنى من العيش الكريم، له ولعياله سواء في الظروف العادية، أي في الاوقات التي لا يتعرض فيها الفرد للاخطار المختلفة، أو في الاوقات غير العادية، أي عندما يتعرض الفرد لأي خطر من الاخطار التي تهدده في سلامته وعيشه، كالمرض والحوادث والعجز والشيخوخة والبطالة والوفاة.

أما المساعدات الاجتماعية فهي العطاءات أو الخدمات التي تقدمها الحكومات والجمعيات والافراد للفقراء والمعوزين، بدون مقابل.

ويختلف الضمان الاجتماعي عن المساعدات الاجتماعية من النواحي التالية:

١ ـ تؤدى تقديمات الضمان الاجتماعي للمضمونين، مقابل اشتراكات يدفعها صاحب العمل بمفرده، او صاحب العمل والعامل، او مع مشاركة الدولة. اما المساعدات الاجتماعية فتعطى بدون مقابل.

٢ ـ تؤدي تقديمات الضمان الاجتماعي الى المضمون كلما توافرت شروطها. بغض النظر عن دخله. اما المساعدات الاجتماعية فلا تقدم لطالبيها الا اذا كانوا بحاجة الى المساعدة.

٣ ـ تعتبر تقديمات الضمان الاجتماعي حقاً للمضمون يمكنه المطالبة بها قضاء اذا لم تصرف

له رضاء، اما المساعدات الاجتماعية فهي مساعدات اختيارية، يترك امر تقديرها للجهة التي تقدمها.

غير انه بالرغم مما بين الضمان الاجتماعي والمساعدات الاجتماعية من اختلاف نلاحظ ان النظامين يتفقان في سعيها لمقاومة الحاجة. ولذلك قد تكون المساعدات الاجتماعية احدى الوسائل التي يلجأ اليها الضمان الاجتماعي لتحقيق اهدافه في الحماية من الحاجة، كما هو حاصل في نيوزلندا، حيث تعتبر المساعدة الاجتماعية احدى الركائز التي قام عليها القانون النيوزلندي للضمان الاجتماعي، الصادر عام ١٩٣٨.

ب ـ الضمان الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية:

يقصد بالتأمينات الاجتماعية ذلك النظام الذي يكفل للمؤمن الحماية الصحية والاقتصادية ضد الاخطار التي تصيبه في سلامته او في قدرته على الكسب وبمقتضى هذه الحماية يصرف للمؤمن تعويض عن الاجر الذي فقده في حال انقطاعه عن العمل. وتقدم له خدمات العلاج والتأهيل لمساعدته على التخلص من حالة العجز التي وقع فيها، والعودة الى مجال نشاطه الاقتصادي، ويقوم نظام التأمينات اساساً على تحصيل الاشتراكات مقدماً لتؤدي عنها التقديمات في حالات الطوارىء التي يتعرض لها المؤمن عليه.

ومن أمثلة التأمينات الاجتماعية: التأمين الصحي والتأمين من طوارىء العمل والامراض المهنية، وتأمين الشيخوخة.

اما الضمان الاجتماعي فهو أشمل من التأمينات الاجتماعية لانه بما يرمي اليه من تحقيق الامن الاقتصادي للافراد وحمايتهم من كل المخاطر التي تهدد سلامتهم وسعادتهم يستوعب كل ما تسعى التأمينات الاجتماعية الى تحقيقه. ولذلك تعتبر التأمينات الاجتماعية احدى الوسائل التي يعتمد عليها الضمان الاجتماعي في تحقيق اهدافه.

وهكذا، يكون الفرق بين الضمان الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية هو الفرق بين الهدف والوسيلة.

غير ان بعض الدول العربية تطلق اسم الضمان الاجتماعي على نظم التأمينات الاجتماعية المطبقة لديها كما هو حاصل في العراق ولبنان وتونس، كما تطلق بلاد عربية اخرى هذا الاسم على المساعدات العامة التي تصرفها الدولة للمحتاجين كما هو الحال في جمهورية مصر العربية.[١]

ج ـ الضمان الاجتماعي والتأمين التجاري:

يقصد بالتأمين التجاري ذلك النوع من التأمين الذي تقوم به شركات التأمين التجاري لتغطية خطر معين مقابل مبلغ معين يلتزم بدفعه طالب التأمين.

(١) محمد حلمي مراد في «التأمينات الاجتماعية في البلاد العربية» فقرة ٦ ص ٧.

والتأمين التجاري يتفق مع الضمان الاجتماعي في ان كليهما يهدف الى تغطية المخاطر التي يتعرض لها الافراد مقابل ما يستوفى منهم من اقساط او اشتراكات الا ان التأمين التجاري يقوم بهذه المهمة بقصد تحقيق الربح. بينما الضمان الاجتماعي يقوم بها استجابة لحاجة المجتمع الى صيانة قوى ونشاط افراده. ولهذا يتميز التأمين التجاري بأنه مشروع خاص تقوم به شركات تجارية تسعى لتعويض ما تبذله من جهد في تنظيم عملية التأمين وتحقيق الربح المقابل لرأس المال المستخدم في هذا الغرض.

بينما يتميز الضمان الاجتماعي بأنه مشروع عام تقوم به هيئة عامة او ذات نفع عام على الاقل؛ ليس لها من هدف سوى حماية المضمونين وتغطية ما يتعرضون له من مخاطر.

وهذا ما يجعل نفقة الضمان الاجتماعي اقل دائماً من نفقة التأمين التجاري وكذلك، يتميز التأمين التجاري بأنه تأمين فردي يسعى بواسطته كل فرد على حدة، لتأمين نفسه ضد خطر معين مقابل ما يدفعه من اقساط.

بينما الضمان الاجتماعي هو ضمان عام بواسطته يسعى المجتمع الى تحقيق اهدافه في التنمية والامن الاجتماعي. ولهذا يعتبر الضمان الاجتماعي اداة من ادوات السياسة الاجتماعية في يد الافراد لتحقيق منافعهم الخاصة.

ويترتب على اختلاف الوظيفة التي يؤديها التأمين التجاري عن الوظيفة التي يؤديها الضمان الاجتماعي اختلاف في طبيعة كل منهما.

فالتأمين التجاري، تأمين اختياري متروك امر الاستفادة منه لتقدير اصحاب العلاقة لانه يقوم على تحقيق المصالح الخاصة لاطرافه، ويتوقف على قدرتهم على دفع اقساط التأمين.

اما الضمان الاجتماعي فهو ضمان اجباري. وهذا امر طبيعي طالما ان القصد منه هو اضفاء الحماية على فئة من المواطنين تقتضي مصلحة المجتمع حمايتهم توفيراً لامنه، ودفعاً لكل ما يخل بنظامه. نتيجة لاختلال قوى ونشاط افراده. وهو قصد لا يتحقق لو ترك للفئات المعينة الحق برفض الضمان لا سيما في المجتمعات التي لا تدرك اهمية التضامن الاجتماعي في سبيل الصالح العام.

ثم ان عبء التأمين في التأمين التجاري يقع على طالبي التأمين. اما في الضمان الاجتماعي فيتحمل بهذا العبء العمال وارباب العمل والدولة. ذلك لأن الضمان الاجتماعي تقوم على فكرة مواجهة الطوارىء الاجتماعية بصورة جماعية، عن طريق المشاركة في تمويل الضمان وتقوم هذه المشاركة على اساس ان المخاطر التي تحيق بالافراد تنعكس اثارها على سلامة المجتمع وامنه. وكذلك فان المتحمل بعبء الضمان لا يجب ان يكون بالضرورة المستفيد من الضمان، لا سيما وان الفئات المحتاجة الى الضمان هي اقل الفئات قدرة على دفع نفقاته[٢].

(٢) مصطفى الجمال وحمدي عبدالرحمن في «التامينات الاجتماعية» ص١٠٤.

وتتحقق المشاركة في تمويل الضمان الاجتماعي باقتطاع نسبة من الدخل او الاجر ويرتبط تحديد هذه النسبة بالقدرة على المساهمة في تحمل عبء الضمان الاجتماعي وليس بجسامة الخطر المؤمن منه في قيمته ودرجة احتماله.

وهنا يختلف الضمان الاجتماعي عن التأمين التجاري ايضاً. ذلك لان القسط في التأمين التجاري يحسب على اساس درجة احتمال تحقيق الخطر، وقيمة مبلغ التأمين اللازم لتغطية هذا الخطر في حال تحققه.

٣ ـ اهداف الضمان الاجتماعي

اذا كان الهدف الاساسي للضمان الاجتماعي ضمان الامن الاقتصادي للافراد فان له في نفس الوقت اهدافاً اخرى اجتماعية واقتصادية نجملها فيما يلي: ـ

أ ـ رعاية الفئات الكادحة وصيانة العنصر الانساني.

ب ـ القضاء على الطغيان الطبقي، وتوزيع الطبقات الاجتماعية توزيعاً عادلاً.

جـ ـ اشاعة التضامن بين العمال وارباب العمل.

د ـ زيادة فرص العمل والاستخدام.

هـ ـ زيادة الانتاج ورفع مستوى الاجور.

ونعرض لهذه الاهداف على التوالي:

أ ـ رعاية الفئات الكادحة وصيانة العنصر الانساني:

لقد رأينا ان أرباب العمل تمادوا في استغلال الطبقة العاملة، دون اي اعتبار لانسانية هذه الطبقة وحقها في مقومات الحياة الاساسية حتى اصبحت الاستهانة بشخصية العامل الانسانية هي الطابع المشترك لتاريخ العمل في جميع أنحاء العالم حتى القرن التاسع عشر.

وقد رأينا ان الضمان الاجتماعي كان ثمرة من ثمرات التفاعل بين هذا الوضع المتردي للعمال ونضالهم في سبيل تحسين اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وبين التطورات الفكرية والاقتصادية والسياسية، وانه قام لتوفير الحماية للفئات الكادحة والنهوض بها اجتماعياً واقتصادياً.

وقد تجلت هذه الحماية بالرعاية الصحية والعناية بالامومة والطفولة والعجزة والشيوخ وضمان حد ادنى من الدخل في حالات الانقطاع عن العمل بسبب المرض والعجز والشيخوخة والبطالة.

ففي مجال الرعاية الصحية يقوم الضمان الاجتماعي بتقديم الخدمات الوقائية والعلاجية والترميمية.

فبالخدمات الوقائية يعمل الضمان على حماية الافراد من التعرض للامراض، وبالخدمات العلاجية والترميمية يعمل الضمان على انقاذ الافراد من مخاطر الامراض والاصابات التي يتعرضون لها، بالرغم من الجهود الوقائية المبذولة واعادتهم كلا او بعضاً الى مواقعهم الاصلية في ميدان النشاط الاقتصادي.

ولا يخفى ما لهذه الخدمات من الرقي الارتفاع بمستوى الصحة العامة والخاصة وفي اشاعة الطمأنينة والامان في نفوس الناس. وما لذلك كله من انعكاس على البنية الاجتماعية.

وفي مجال العناية بالامومة والطفولة يهتم الضمان الاجتماعي بتقديم العناية الطبية اللازمة قبل الولادة واثناءها وبعدها، وبتقديم عناية مماثلة للطفل.

وفي مجال العناية بالعجزة والشيوخ يهتم الضمان الاجتماعي بان يوفر لهم الرعاية الطبية والاجتماعية الى جانب ضمان عيشهم.

ولا شك ان الضمان الاجتماعي باهتمامه في حماية الصحة العامة والخاصة، وبرعايته الامومة والطفولة انما يعمل على صيانة العنصر الانساني وضمان القدرة الانتاجية.

كما انه بمساعدته العجزة والشيوخ انما يعمل على حماية الكرامة الانسانية من المهانة ويعبر عن وفاء المجتمع نحو اولئك الذين اعطوه ما وسعهم العطاء ابان شبابهم وقدرتهم على العمل.

اما بالنسبة لضمان الحد الادنى من الدخل في حالات الانقطاع عن العمل بسبب المرض او العجز او الشيخوخة او البطالة فان الضمان الاجتماعي يعمل على ان يقدم للافراد اعانات نقدية لا تقل كميتها عن الحد اللازم لضمان لمستوى معقول من العيش الكريم، وان لا تزيد عن الحد المعقول، بحيث تعزى الافراد بالتكاسل والتمارض وعدم الرغبة في العودة الى العمل في الوقت المناسب ما داموا يحصلون على اعانات مرتفعة في اثناء عدم قدرتهم على العمل.

وقد تكون هذه الاعانات النقدية على شكل معاش، اي ايراد دائم كمعاش الشيخوخة ومعاش العجز الدائم او على شكل ايراد مؤقت لمدد معينة كتعويض المرض وتعويض الامومة او في شكل تعويض يمنح لمرة واحدة كتعويض نفقات الدفن او تعويض نهاية الخدمة بالنسبة للانظمة التي لم تقر معاش الشيخوخة.

وهكذا تجد الفئات الكادحة في الضمان الاجتماعي الواحة التي تمدها باسباب الطمأنينة والهناء، وتصونها من عوامل الضعف والقلق والخوف.

ب ـ القضاء على الطغيان الطبقي واعادة توزيع الطبقات:

لقد رأينا ان تركز الثروة في ايد قليلة، وتحول الغالبية من الافراد الى العمل التبعي، أدى الى انقسام المجتمع الى اقلية تملك وسائل الانتاج وتستحوذ عليه، واغلبية تقدم عملها وجهدها لصالح هذه الاقلية.

وقد تعمق هذا الانقسام بفعل استهانة طبقة اصحاب الاعمال بحقوق الطبقة العاملة وعدم مراعاتها لانسانية هذه الطبقة.

وقد ادى هذا الطغيان الى الاضطراب في علاقات الانتاج والاخلال بالامن الاجتماعي.

من هنا كان اهتمام الضمان بالقضاء على هذا الطغيان لتوفير الامن المفقود واعادة توزيع الدخل على اساس من العدل.

وقد وجد الضمان الاجتماعي سبيله الى هذا الهدف باشراك اصحاب رؤوس الاموال في تمويل نظامه بنسبة مواردهم ودخولهم. باعتبار ان هذا الامر قد يؤدي بعض الشيء الى تخفيف لفروق في الدخول. ذلك لان المساهمة في تمويل الضمان بمقادير نسبية من مداخيل الافراد، سيجعل مقدار هذه المساهمة يزيد مع ازدياد الدخل، ويقل مع انخفاضه. حتى ان بعض الافراد من الفقراء، قد يعفون من المساهمة في هذا التمويل لفقرهم - كما في نيوزيلندا[٣]. في حين انهم يتمتعون بتقديمات الضمان اكثر من غيرهم.

اما ارباب العمل فهم يساهمون في تمويل الضمان دون ان يستفيدوا من تقديماته لعدم حاجتهم اليها. وهذا فضلا عما يؤدي اليه من انخفاض في دخولهم فانه «ينهض بالطبقات الكادحة التي حرمت من وسائلها الخاصة في الانتاج ويصل بها الى مستوى لائق للمعيشة»[٤].

ثم ان الدولة كثيراً ما تستخدم الضمان الاجتماعي كاداة للتأثير على الهيكل السكاني للبلاد واعادة توزيع الطبقات الاجتماعية توزيعاً عادلا. فالبلاد التي تشكو نقصاً في عدد السكان، يمكنها ان تشجع على زيادة المواليد عن طريق تقرير او زيادة التعويضات العائلية التي تمنح للمتزوجين، وعن طريق ضمان الامومة والطفولة.

اما البلاد التي تشكو من زيادة في عدد المواليد فيمكنها ان تستغني عن هذا القطاع من قطاعات الضمان الاجتماعي وتوجيه موارده نحو قطاعات اخرى لا تشجع على زيادة المواليد. ولذلك نلحظ نمواً مطرداً لضمان الاعباء العائلية في بلد كفرنسا، كانت تشكو من انخفاض نسبة المواليد عن المستوى المطلوب. بينما نلحظ غياب مثل هذا الضمان في البلاد المتخلفة التي تشكو من ارتفاع نسبة المواليد فيها[٥].

وكذلك قد تعمد الدولة التي تشكو من نقص الايدي العاملة في قطاع معين او في اقليم معين الى توجيه موارد الضمان الى رفع المستوى الصحي او الى تحقيق التدريب والتأهيل المهني المطلوب او زيادة المساعدات المادية في القطاع او الاقليم المذكورين مما يشجع على هجرة الايدي العاملة الى القطاعات او الاقاليم التي تشكو مثل هذا النقص، مما يساعد على قيام طبقات مهنية او اجتماعية جديدة، على اساس من العمل والكفاءة وحدهما، دون ان تطغى طبقة على اخرى، وبهذا يتحقق التوزيع العادل للطبقات ويرى الدكتور محمد طلعت عيسى في كتابه «التأمين الاجتماعي فلسفته وتطبيقاته»[٦] ان نظام الطبقات ضرورة، لان الطبقات من

---

(٣) صادق مهدي السعيد في «شؤون العمال في الضمان الاجتماعي والعمل في العراق» ص ١٠.
(٤) محمد طلعت عيسى - المرجع السابق ص ٣٩.
(٥) مصطفى الجمال وحمدي عبدالرحمن - في «التأمينات الاجتماعية ص ٨٧».
(٦) انظر ص ٤٠.

مستلزمات الحياة في المجتمع الانساني، ولا يمكن قيام مجتمع تنعدم فيه الطبقات، او مجتمع تصود فيه طبقة واحدة[٧].

«ويرى سان سيمون ان وجود النظام الطبقي تأكيد لطبيعة الحياة الاجتماعية ويدعو الى اعادة التوزيع الطبقي بحيث تجد كل طبقة المسكان الذي يتفق مع فائدتها للمجتمع والذي يتفق مع مدى ما تقدمه من خدمات للمجموع[٨].

ج ـ اشاعة التضامن بين العمال وارباب العمل:

من الواضح ان تنافر المصالح بين العمال وارباب العمل وعدم قيام تعاون بينهم كان وما يزال من اهم اسباب الاخلال بالامن الاجتماعي وعدم الاستقرار في علاقات الانتاج.

لذلك، يحرص الضمان الاجتماعي على ازالة اسباب هذا التنافر، وتهيئة الاجواء المساعدة على تحقيق التعاون المفقود بين العمال وارباب العمل، وذلك عن طريق تحميل او اشراك ارباب العمل بنفقات ضمان المخاطر التي تحيق بالعمال. بحيث يتحمل ارباب العمل وحدهم. او بالاشتراك مع العمال بعبء الخسارة التي تنزل بأحدهم اذا ما تعرض لخطر من المخاطر.

ومن الحالات التي يتحمل فيها ارباب العمل وحدهم بعبء ضمان العمال، نذكر حالات طوارىء العمل والامراض المهنية ونظام التعويضات العائلية ونظام تعويض نهاية الخدمة.

ومن الحالات التي يشترك فيها العمال مع ارباب العمل في تحمل هذا العبء نذكر ضمان المرض والامومة الذي تساهم فيه الدولة ايضاً.

ولا شك ان تحمل ارباب الاعمال او اشتراكهم مع العمال في تحمل اعباء المخاطر التي تحيط بهؤلاء من شأنه خلق الشعور بالتضامن في ما بينهم، ويحملهم على مراعاة المبادىء الانسانية والاخلاقية في ما يقوم بينهم من علاقات فيخلق بذلك المناخ الملائم لاقامة التضامن بينهم. وهذا بدوره ينعكس على الحياة الاجتماعية ككل، فيشيع فيها الاستقرار ويخيم عليها الامن الاجتماعي.

د ـ زيادة فرص العمل والاستخدام:

من الواضح ان الضمان الاجتماعي بما يوفره للمضمونين من اعانات عينية ونقدية في حالات المرض والبطالة والعجز والشيخوخة وغيرها. انما يشيع الاستقرار في حياتهم المعيشية ويزيد في اقبالهم على طلب السلع والخدمات، الامر الذي يؤدي الى زيادة الاستهلاك، وزيادة الاستهلاك تغري اصحاب رؤوس الاموال بتوسيع نطاق استثماراتهم واقامة المصانع الجديدة او توسيع المصانع القائمة. وهذا من شأنه ان يخلق مجالات جديدة للعمل، ويزيد في فرص الاستخدام، وبالتالي في الطلب على الايدي العاملة لتلبية الحاجات المتزايدة لجمهور المستهلكين.

(٧) قرآن كريم

(٨) نقله محمد طلعت عيسى ـ المرجع السابق ـ ص١٠ ـ.

ولا شك في ان الانتعاش في قطاع الاستثمار والانتاج، وبالتالي في سوق العمل، يوفر للعمال حياة اقتصادية افضل، ومستوى معيشياً ارفع، ويخلق لديهم الشعور بالاطمئنان والاستقرار.

هـ ـ زيادة الانتاج ورفع مستوى الاجور:

لقد أكدت البحوث العلمية التي اجريت على فئات مختلفة من العمال ان شعور العامل بالاستقرار واطمئنانه الى الغد، بفضل ما ينعم به من حماية اجتماعية ضد مخاطر العمل والحياة، يحملانه على تأدية عمله في ظروف نفسية واجتماعية ملائمة مما يزيد في انتاجيته، وفي مقدرته على الابداع والابتكار.

وبما ان الاجور تتأثر دائماً بالمستوى الفني والكفاية الانتاجية للعمال، فان العامل سيجد نفسه مدفوعاً دائماً الى تحسين مستواه المهني وزيادة كفايته الانتاجية ليظفر باجر اعلى وبمستوى معيشي افضل، وهذا سينعكس على الانتاج كما ونوعاً، فيزيد فيه ويرفع من قيمته.

ولا شك ان الضمان الاجتماعي، يشكل عاملا هاماً في خلق هذه الظروف وفي تهيئة المناخ الملائم لنموها.

فقد رأينا ان الضمان الاجتماعي، بما يوفره للعامل من اعانات نقدية وعينية في حالات المرض والعجز والشيخوخة والبطالة، يوجد الاستقرار في حياته المعيشية ويجعله مطمئناً الى مستقبله، مما يزيد في اقباله على طلب السلع والخدمات. وهذا بدوره يزيد في الاستهلاك، ويدفع اصحاب رؤوس الاموال الى توسيع نطاق استثماراتهم عن طريق اقامة المصانع الجديدة، او تحسين وتوسيع المنشآت الانتاجية القائمة فيزيد الانتاج كما يزيد الاقبال على طلب الايدي العاملة لمواجهة طلبات المستهلكين المتزايدة وان الزيادة في طلب الايدي العاملة تؤدي الى ارتفاع في الاجور، عملا بقاعدة العرض والطلب، ولا سيما في ظل الاجواء الاقتصادية المذكورة.

ويلاحظ من جهة اخرى ان الضمان الاجتماعي قد يؤدي الى زيادة حجم التبادل التجاري بين البلاد المختلفة. ذلك ان البلد الذي يكون غير قادر على انتاج بعض السلع المطلوبة بنتيجة ازدياد القوة الشرائية للافراد، وزيادة حاجاتهم سيضطر الى استيرادها من البلاد الاخرى، مما يؤدي الى زيادة الانتاج في البلد المصدر، ثم ان البلد المصدر، قد يضطر لاستيراد بعض السلع من البلد المستورد لفرض تسوية حساباته معه. فيؤدي هذا الى زيادة الاستثمار والانتاج في البلد المذكور.

ويرى بعض الاقتصاديين ان الافراط في مسائل الضمان الاجتماعي يعرقل نمو البلاد المتخلفة اقتصادياً، لان نفقاته استهلاكية ويفضلون توظيف الاموال في مجالات التنمية الاقتصادية، لان التنمية الاقتصادية هي وحدها التي تسمو بمستوى الانتاج القومي، وترفع مستوى المعيشة في البلاد ولو بعد حين[9].

---

(٩) الاستاذ سعيد حمادة، في بحثه «الصلة بين التنمية الاقتصادية والتكامل الاجتماعي في الشرق الاوسط». وهو منشور في كتاب الدورة الثالثة لحلقة الدراسات الاجتماعية بالدول العربية ص ١٣٠، مصر ـ القاهرة سنة ١٩٥٠، ثم التخلف الاقتصادي والتكامل الاجتماعي للدكتور زكي هاشم، منشور في نفس المصدر ص١٣٥.

وهذا القول يصح لو كان الضمان الاجتماعي يهدف الى تخفيف اعباء الفقر عن طريق المساعدات المالية او التأمين الاجتماعي البدائي، كما كان الحال في ظل تشريعات الفقر البريطانية الصادرة في اوائل القرن السابع عشر[١٠].

اما وان الضمان الاجتماعي بمفهومه الحديث يهدف الى صيانة القوى البشرية عن طريق تأمين سبل الوقاية والعلاج وتوفير الراحة والعيش للافراد وحمايتهم من المخاطر والحاجات حتى يستمروا في نشاطهم الاقتصادي فانه يؤدي الى تأمين الطاقة الانتاجية وهي العنصر الهام والضروري للتنمية الاقتصادية ودفعها قدماً في مجالات التقدم والازدهار.

ثم ان الضمان الاجتماعي كثيراً ما يستثمر امواله الاحتياطية في مشاريع اقتصادية والمالية معينة. وهذا الاستثمار يؤدي الى خلق صناعات ومجالات للعمل جديدة، تمتص الايدي العاملة المتعطلة، فينشط الانتاج، ويزيد الاستهلاك بحسب الظروف والاحوال الاقتصادية والاجتماعية.

ونجد المثل على ذلك في لبنان حيث يساهم صندوق الضمان الاجتماعي حالياً في مشاريع التنمية اللبنانية، بشرائه سندات على الخزينة او بتقديم القروض مباشرة للدولة بهدف تحقيق بعض المشاريع الاجتماعية او باعطاء سلفات للمضمونين في حدود نصف تعويضات نهاية الخدمة المستحقة لهم. وقد بلغت الاموال التي يساهم فيها الصندوق حتى الآن تسعة وثمانين مليوناً ومائة وخمسة وثلاثين الف ليرة لبنانية تقريباً. موزعة كما يلي: ٢٨/ مليون ليرة سندات على الخزينة صرفت فعلا /٦١/ مليون ليرة قرض لوزارة الصحة، بهدف انشاء مستشفيات،/١٣٥/ الف ليرة سلفات من اجل بيوت سكن للمضمونين. وقد استفاد من هذه السلفات ستون او خمسة وستون شخصاً.

٤ ـ ملاحظة:

ان اهداف الضمان الاجتماعي على النحو الذي ذكرناه، انما تبرز في ظل النظام الرأسمالي. اما في ظل النظام الاشتراكي، حيث لا طبقية وحيث العمل مؤمن للجميع، وحيث يتحدد نطاق الاستثمار، وفق خطط اقتصادية مرسومة وحيث يتوازن الاستهلاك والانتاج في نطاق البرامج الاقتصادية المرسومة بحسب الحاجات العامة والخاصة، وحيث تتحدد الاجور بحسب الحاجات والكفاءات الشخصية، وحيث لا دور للافراد في تمويل الضمان الاجتماعي الذي يعتمد في تمويله على ما يخصص له من الاموال الحاجة عن طريق الميزانية، ان في ظل مثل هذا النظام لا مجال لان يحقق الضمان الاجتماعي، اي هدف من الاهداف التي تحدثنا عنها. او ان يكون له اي تأثير في المجالات المتعلقة بهذه الاهداف. باستثناء ما يتعلق منها بحماية الطبقات الكادحة وصيانة العنصر الانساني.

حسين حمدان

---

(١٠) صدرت هذه التشريعات منذ سنة ١٦٠١، لتأمين عيش الاقارب والفقراء وتأسست بمقتضاها بيوت للمتشردين والعاطلين عن العمل.

العلماء ورثة الأنبياء

بقلم: جعفر شرف الدين

نعم ورثة الائمة والانبياء.
اذا اقتفوا آثارهم، مثلما تقصّوا أخبارهم.
اذا خرجوا من صحراء الضياع واليأس
الى واحة الرجاء والأمل.
اذا اعتصموا بحبل الله.
اذا برزوا بقيادتهم صفاً صفا
وتصافقوا معها على الجهاد كفاً كفا
ونهدوا على صوت نفيرها زحفاً زحفا.

* * *

نحن الشيعة نتوجه ايام العشر المحرم الى كربلاء.
في الصباح. في الظهيرة. وعند المساء.
نقرأ. نسمع. نأخذ بالتباكي فيأخذنا البكاء.
نتوجه يوم العاشر الى سيد الشهداء:
السلام عليك:
يا وارث آدم صفوة الله.
يا وارث ابراهيم خليل الله.
يا وارث اسماعيل ذبيح الله.
يا وارث موسى كليم الله.
يا وارث عيسى روح الله.
يا وارث محمد خير خلق الله.
يا وارث أمير المؤمنين وحي رسول الله.

* * *

الحسين اذن وارث الانبياء.
وارثهم قولا. ونهض بالارث حتى الشهادة.
ثم حمل ابناؤه الأئمة أمانة الشهادة.
فكانوا لذلك ورثة الانبياء.
ثم ترجم أبدال العلماء جيلا بعد جيل هذا الميراث.
بالعلم سطوره اسفارا. وافنوا فيه اعمارا.
وتعرضت مواكب منهم للاضطهاد والتشريد.
وتعرضت كواكب للسجن والارهاب والتعذيب.
انهم ايضاً من ورثة الانبياء.

* * *

العلماء ورثة الانبياء كمقولة.
انها تماما كمقولة: يا ليتنا كنا معكم.
والفرق بين ورثة الانبياء بالقول
وبين ورثة الانبياء بالعمل
كالفرق بين الفائزين مع الحسين بالتمني والبكاء
وبين الفائزين معه بالكرب والبلاء، في الغاضرية من كربلاء.

* * *

نحن الشيعة من المسلمين في القمة
لأننا أخذنا الاسلام عن القمة.
من السلسلة الذهبية التي تصعد الى عليّ فالنبي
قمة القمم.
من عليّ وأبناء عليّ استقينا الاسلام.
من نبعه الزكي: القرآن والنبيّ.
ومَنْ أعرف بالبيت مِن أهله. وبالأصل مِن
فرعه.
بالدّر مِن مقلعه. وبالماء من منبعه.
ان ذلك من المفاخر المعْلَمَة.
كما انه مسؤولية من المسؤوليات المسَلّمة
ان لم نكن على مستواها. كنا كالعطاش،
والماء فوق ظهورنا.
كالجياع، والطعام في زادنا.
كالأميين، والكتاب يصرخ فينا.

* * *

نحن الشيعة خلف لسلف، هو بمستوى
الامامة.
سلف. اسمه علي تلميذ محمد وربيبه.
سلف اسمه الحسن. الحسين. والتسعة الائمة.
ثم سلف. اسمه ابو ذر. عمار. سلمان. الاشتر.
المقداد.
سلف اسمه المرتضى. الرضي. المفيد.
الطوسي. الصدوق. الكليني.
سلف اسمه الشهيد الأول. الشهيد الثاني.
الشهيد الجديد الثالث.
سلف اسمه المؤسس. المجدد. المحقق.
العلامة.
نحن خلف هذا السلف.
العلماء خلف هذا السلف.
اين نحن. اين العلماء، من السلف هؤلاء.
اين ورثة علم آل محمد.
اين ورثة الشهداء والمرابطين.
اين خلف ذلك السلف.
الذين أصحروا وأجروا مجاهدين. قاتلين.
ومقتولين.
اين هم في هذا المنعطف ما تاريخهم.

* * *

انظروا وقد رفع الستار.
الروايه: صراع الوجود.
المسرح: جبل عامل.
الملقنون: العدو. الصديق. الشرق. الغرب.
أبطال المسرحية: الباب (الطيب). لبنان
(الحر). الحرس (الوطني).
اصدقاء شذاذ الآفاق.
لغة التخاطب: العبرية. (العربية).
السكسونية. الفينيقية.
يرتفع الستار. وتضاء - لا فرق - او تطفأ
الانوار.
لينقلب المسرح، الى غابة. الى غار.
أداتها: الانياب. المخالب. والاظفار.
وحصيلتها: العار. الشنار. والدمار.
يا ورثة الانبياء:
اشلاء الشرف في الجنوب تناديكم.
حبات التراب في جبل عامل تناشدكم.
ابو ذر يصرخ بكم:
شاركوا في صراع الوجود.
كونوا ابطال المرحلة.
اطردوا الملقنين.
اقفلوا الباب (الخبيث).
اسحقوا العملاء.
تكونوا ورثة الائمة والانبياء.

جعفر شرف الدين الموسوي

اهمله قومه
عاش ربيعه وغناه!

أبو القاسم الشابي

بقلم: زهير المارديني.

من منّا لا يحفظ القليل او الكثير من أشعاره؟

من منّا لا يردد (اذا الشعب يوماً اراد الحياة) ويذكر ذلك الشاعر الذي لا يزال ملء السمع رغم السنين الطوال التي مرت على وفاته؟!

قيل لبرنارد شو ذات مرة: لو أتيحت لك فرصة تجاذب اطراف الحديث مع شاعر من بلادك الاحياء او الاموات فمن منهم تختار؟ فأجاب: بانه إذا رغب في حديث مع رفيق، فانه يختار احد الشعراء الذين ودعوا الدنيا وهم في ربيع حياتهم!

ولعل الاديب الانجليزي الساخر انما كان يرغب بالتحدث مع شاعر يرفل في الشباب، لان ازهار التلال تذبل، ولكنها تعود فتتفتح، وستتلألأ شجرة الليلك في الصيف القادم تلؤلؤها الآن، اما شبابنا فلا يعود الينا ابداً، له في العمر ربيع واحد، وتفتح واحد.

ان حمية الشاعرية التي تثور فينا ونحن في سن العشرين سرعان ما تفتر... سرعان ما ترتخي اطرافنا وتبلى حواسنا، واروع ما يقوله الشاعر ينشده في ربيع عمره.

لقد مضى على وفاة الشاعر التونسي (ابو القاسم الشابي) ما يزيد على الأربعين عاما ونيف، ومع ذلك فان ذكراه ما تزال شابة، بكل حيوية الشباب. ولعل السبب في ذلك يعود الى ان الشابي في شعره قد ابدع في عرض الافكار الجميلة، وما كان الشابي يوماً عاجزاً، انه لقادر على جلاء كل غامض.

واذا كنا ما نزال نذكر شعره، فاننا نجهل ان هناك ما يقرب من عشرة شبان يدرسون الادب في معاهد فرنسا، ويعدون اطروحاتهم لنيل الدكتوراه عن الشابي.

وقد جاء أحدهم (جاك سوفيه) الى بيروت سعياً وراء معرفة المزيد عن رأي الجيل العربي الجديد بالشابي الذي يعد في اوربا من أبرز شعراء عصره.

لقد قطع جاك الاف الكيلومترات من باريس الى تونس الى بيروت ليبحث عن الشاعر واخباره، وامضى الايام قريباً من قبره واثاره في (توزر) مسقط رأسه في أقصى الجنوب التونسي.

لم تكن الصدفة وحدها هي التي جمعته بي، ولكن ابلاغه ان لدي بعض المعلومات التي ابقاها عندي السفير التونسي الاديب (محمد صلاح الدين) كانت من الاسباب التي دفعته الى بيروت رغم معرفته التامة بما جرى ويجري في لبنان.

قبل ان يأتي جاك سوفيه الى بيروت قرأ معظم ما كتب عن الشاعر في اوربا وتونس، واكتشف العديد من الكنوز الشعرية للشاعر التي ما تزال دفينه الصدور، والوثائق التي لم تنشر حتى الآن.. والتي ستذكر في الاطروحة ومنها رواية ومسرحية لابي القاسم الشابي.

سادع الكلام الآن للباحث الفرنسي الشاب الذي عاش الايام مع الشاعر، ومع آثاره، ومع اخباره ولا شك ان القارىء سيستمتع بهذه الرحلة السندبادية الحلوة لكثرة ما تحوي من مفاجاءات. يقول جاك سوفيه:

كانت (توزر) تستقبل نهارها بفرحة الحكيم العالم باسرار الحياة، بسيطة هادئة، لا هي بالقرية ولا هي بالمدينة، بل يخيل اليك وانت تستجلي معالمها ان هذا الثغر الصحراوي قد صنع على هيئة ابي القاسم الشابي، وان هذه الجداول والغدران التي تتشعب بين قدود النخيل الهيفاء وجلال القباب التي تعتمر بها البيوت، انما هي التي كتبت ديوان ابي القاسم الشابي حرفاً حرفاً، وصاغت معانيه المترامية بين الوردة والجمر.

ولو كنت معي لقرأت في وجوه الناس هناك شعر ابي القاسم...

ان (توزر) كتاب مفتوح كبكورة العالم، ثمة صمت يعبر احياناً بين قسمات الوجوه كفاصل بين قصيدة وقصيدة، وثمة تحفز وتمرد في عيني طفل، او في ازار شيخ يتكىء على عصاه ويعبر الشارع. وبين امل الطفولة ورجاحة الشيخوخة تتراقص امام عينيك منمنمات الحرف اليدوية بألوانها المشرقة وقد علقت امام المخازن وراحت تتلاعب بها الريح، او تتخاطفها ايدي السياح الذين يقصدون توزر من كل اطراف الدنيا.

على ان كل جمال توزر وسحرها لم يشردا بي عن ضالتي، بل كان كل شيء يذكرني بها من مسام الجص الذي بنيت به بيوت المدينة، الى تلك الزخارف العربية الجميلة التي تزين جدران المنازل والجوامع.

لكن الدوامة التي ودعتها في تونس العاصمة لم تنسني بل انها لاحقتني طوال المسافة الشاسعة التي قطعتها بحثاً عن اسرة الشابي في مسقط رأسه... هنا ايضاً لاحقتني الشفاه المقلوبة والدهشة. ولم يستطع احد ان يعطيني الجواب الشافي.

في (قصر الشعب) برقت اول خيوط الامل في توزر...

كان شاب في محافة الشابي ووداعته سرعان باحث الخطا امامي وقال اتبعني.

ووقفت اما دار عربية متواضعة تزينها النقوش، وعلى البوابة الحديدية المقنطرة ادركت انني امسك بأول الخيط، وانني بدأت.

وقال الشاب: هنا يرقد الشابي.

طبعاً، لم تكن هناك حاجة الى الكلام، كانت هيبة المكان ووقاره ادل تعبير. كانت على الباب كلمة مكتوبة بالحرف الكوفي المنتشر في تلك الاصقاع: (الشابي).

وعبرت البوابة الى صحن الدار حيث يجثم الضريح. وعلى شاهدة المرمر قرأت:

بسم الله الرحمن الرحيم
ابو القاسم الشابي
١٣٢٧ ـ ١٣٥٣ هـ
١٩٠٩ ـ ١٩٣٤ م

أنا يا تونس الجميلة في لج ... الهوى قد سبحت اي سباحة
شرعتي حبك العميق واني ... قد تذوقت مره وقراحه
ان ذا عصر ظلمة غير اني ... من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبي ولكن ... سترد الحياة يوما وشاحه

* * *

اذا الشعب يوما اراد الحياة ... فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلي ... ولا بد للقيد ان ينكسر

تركت مرقد الشابي ومضيت اتجول في توزر حارة حارة الى ان جمعتني الصدفة بفتاة من عمر الورود وسألتها:

هل تعرفين بيت ابو القاسم الشابي؟

ـ هيا.

وسرنا الى البيت عبر طريق متعرج. لكنني لم اجد احداً اذ قيل لي ان اسرة الشابي تقيم في تونس العاصمة..

وعدت الى تونس والتقيت بعبدالحميد الاخ الاصغر لابي القاسم، انه مدرس في كلية الآداب بتونس ايضاً. وجمعني عبدالحميد بابن ابي القاسم الاصغر ويدعى جلال.

قال عبدالحميد:

توفي ابو القاسم وعمري سبع سنوات ونصف. انا اصغر الاخوة، اخوتي اكبرهم ابو

القاسم، ثم محمد امين، ثم عبدالله، ثم انا.. اما اخواتي فهن ثلاث ما زلن احياء وهن متزوجات.

كان والدي قاضياً، درس في الازهر، ثم حصل على تطويع من جامعة الزيتونة، وبعد تخرجه تجول في انحاء تونس..

في الماضي البعيد كانت (الشابية) تعيش في القيروان، لكن في اواخر العهد الحفصي تفرقت في انحاء المغرب العربي الكبير. والشابية اسرة علم.

اذكر انني كنت اصغر الاخوة، وكان ابو القاسم يعطف علي كثيراً، ويصحبني معه في نزهاته، وكان لاخي الكثير من الدواوين المنسوخة منها (اغاني الحياة)، وفي المستشفى الايطالي سنة ١٩٣٤ وفي يوم ٨/١٠/ توفي، والمستشفى معروف الآن باسم (الحبيب تامر).

كل آثار اخي عند ابنه جلال، كانت من قبل عند اخيه الاكبر (الامين)، وقد توفي منذ سنوات بعدما تقلب في مناصب هامة منها وزارة التعليم.

تركت شقيق الشاعر ورحت اتحدث مع المهندس جلال الابن الاصغر للشابي الذي يعمل مديراً لشركة الحديد في مدوين بضواحي تونس. قال جلال:

لا اذكر عن والدي شيئاً غير اشعاره، لانني ولدت قبل تسعة اشهر من وفاته، كان والدي مصاباً بتضخم في القلب، وهو سبب وفاته، اما وفاته بمرض الصدر، كما هو معروف وشائع في المشرق فغير صحيح..

وأنا لست الوحيد، فهناك اخ أكبر مني يدعى محمد الصادق، ويعمل ضابطاً في الجيش... عمري الآن ٤٢ عاماً وعمر اخي ٤٥ عاماً.

لم يكتف جاك بالتحدث مع افراد عائلة الشابي، بل ذهب الى الذين عرفوا الشاعر من المثقفين التونسيين... وهناك راح يجمع اخباره، ويلملم من الافواه تراثه، وقد خرج من هذه الجولة بحصيلة تكاد ان تكون محجوبة عن جميع الذين كتبوا عن الشابي.

الاصغاء الى جاك وهو يحدثك عن الشابي بحماس ينقلك الى عالم جديد لم يسبق له ان الفته. ولقد سجل الساعي الى الدكتوراه كل ما سمع واطلع وقرأ عن الشاعر، ثم دونه على الورق وعلق عليه، ولا ابتعد كثيراً عن الحقيقة حين اؤكد هنا، ان اطروحة جاك عن الشابي جاءت وكأنها تروى في صدفة قصة حياة شاعر عربي اهمله قومه.

من تراث الشابي الذي يعتز به جاك تلك الكلمة التي قالها الشابي في رثاء جبران خليل جبران اثر وفاته. وفيها يقول:

.. مات جبران، ولكن روحه لن تموت

مات جبران واصبح سراً صامتاً في ضمير الموت، وخيالا سارياً في مجاهل الابد الغامض الرحيب. اجل مات جبران واختفى عن هذا العالم الى الابد واصبح بعيداً.. بعيداً عن ابناء هذا الوجود. مات جبران، مات ذلك الذي جبلته الحياة من طين وماء وكبلته باصفاد الزمان والمكان واتخذت منه قصبة جوفاء تتغنى بها حيناً ثم تلقيها عيداناً محطمة في أودية الموت. اما ذلك الذي صاغه الاله من جوهر الحياة. اما تلك الجذوة الالهية المتأججة في قلب جبران. اما روح جبران الغريبة الهائمة الواقفة في مفترق سبل الحياة حائرة متشككة متسائلة مفكرة شادية حالمة. اما عبقرية جبران... اما من جبران فكل حياته حية خالدة لا ولن تموت بل انها ستظل مصدر وحي ومهبط الهام وستظل مقدسة جليلة الى ابد الدهر.

كان جبران روحاً شعرية حالمة. وانشودة سماوية وهائمة وبخوراً سحرياً يتضوع في هيكل هذا الوجود. وبلبلا الهياً غريباً غنى للبشرية المحزونة اغاني الحب والجمال وعلمها محبة الحق واراها بهاء السماء. ترنم جبران بأصوات قلبه وتنهدات روحه في عهود الشباب الجميلة المخضبة بالدموع والاحلام فكانت اناشيده رقيقة ناعمة كأغاني الملائكة. وكانت عميقة داوية كأصوات البحار، وكانت شجية ساحرة كأنّات ناي بعيد.

وتألم جبران فكانت آلامه لهباً شعرياً يرفرف حول ارواح البشر بأجنحة من نور وكانت زوابع من نار تتأجج فتلتهم الانصاب والهشيم.

وفكر جبران. فكانت افكاره عميقة كالموت جميلة كالحياة. فكر كالفيلسوف وتكلم كالشاعر فكان لادبه رقة الشعر وجلال الفلسفة وكان له فن غريب تتعانق في ظله الحقيقة السافرة والخيال الجموح. وكان جبران ثورة في الأدب العربي، ولكنها ثورة حبيبة جانب البناء فيها اكثر من جانب الهدم والتخريب. ثورة ايقظت الناس من سبات الدهور وارتهم افاقاً كانت مجهولة. واسمعتهم هزيم الحياة وعلمتهم ان روح الشاعر كنز لا يفنى وثورة لا تبيد وان في هذا العالم شيئاً آخر غير الامس البعيد...

ويمتاز ادب جبران بميزتين هما في نظري دعامتا مجده الذي لا يزول:

الميزة الاولى: الجدة والطرافة في اسلوبه وفي معانيه وفي روحه، فانك لتقرأ ادبه فاذا اسلوب موسيقي متجاوب النبرات ومعان خيالية رائعة وروح متأججة ترفرف بين السطور.

الميزة الثانية: الحياة. الحياة التي لا بد ان تحرك في صدرك حين تقرأه عاطفة او فكراً او خيالا بل انها تكرهك على ان تفكر او تشعر او تتخيل ومن لا يحركه ادب جبران ولا يثير شعوره، فانما هو روح مقفرة وقلب مهدوم.

وسيقول الناس عن ثورة جبران على قواعد اللغة العربية احياناً اشياء كثيرة، ولكن ذلك لا يحط من قيمة جبران فما هي الا هفوة تغفرها له تلك الثورة المعنوية الخالدة التي خلفها

جبران للعربية، وستمر الدهور وتتعاقب الاجيال وينسى الناس عن جبران كل شيء ولكن لا يستطيعون ان ينسوا هاته الحقيقة. ـ لقد كان جبران عاطفة مشبوبة وخيالا جامحاً وفكراً قوياً يجوب اعماق الحياة.

وسيقول الصديق لصديقه وهو يحادثه في الليلة القمراء تحت ظلال النخيل او على شاطىء اللجة الدواية:

ـ حقاً لقد كان جبران رسول الحق والحب والجمال...ـ

الزمان العدد ٨٣ (٨ جويليه ـ تموز ـ ١٩٣١)

ابو القاسم الشابي

ما نقله جاك عن الشابي يشعرنا بانه كان معجباً بجبران، لقد احب الشابي في جبران ثورته السلمية، ولكن الشابي كان اشعر من استاذه، فبقدر ما كان متأثراً بجبران في شعره كان ايضاً متأثراً بالعقاد و (مدرسة الديوان) في تفكيره.

ان خيال الشابي ولغته من جنس خيال جبران ولغته. الآ ان الشابي ولغته من جنس خيال جبران ولغته. الأ ان الشابي كان ابرع في صناعة النظم. وقد حاول الشابي ايضاً ان يكتب القصة القصيرة كجبران، وآثاره في هذا المجال لا تزال طي الصحف القديمة بانتظار النشر.

تزوج الشابي مبكراً، وهو لا يزال طالباً، الى الطريقة التقليدية، وكان عمره آنذاك عشرين سنة. وقد لازم الشابي مرض عضال هو مرض القلب. وانحصرت اقامته في منطقة عين دراهم الجبلية وفي واحات الجريد، وبعض المناطق الجزائرية الواقعة على الحدود الشمالية.

درس الشابي الحقوق بمدرسة الحقوق العليا في تونس. وكان يتهيأ لمباشرة خطة القضاء. لكنه كان برما بالوظيفة. والمرض هو الذي صرفه عن العمل. اما كيف كان يعيش؟ فيبدو انه كان يتعيش من بعض ما ورثه عن والده ومات وهو في الخامسة والعشرين.

لقد كتب ابو القاسم عن الموت حتى اصطاده. انه المشكلة الابدية التي لم يصل فيها الى جواب. (انه حيرة الوجود التي حطمت فيه الحياة:

ان هذه الحياة قيثارة الله
واهل الحياة مثل اللحون
نغم يشبي المشاعر كالسحر
وصوت يخل بالتلحين
والليالي مغاور، تلحد اللحن
وتقضي على الصدى المسكين
والموت كالمارد الجبار منتصب
في الأرض يخطف من قد فاته الرحيل.)

عرف ابو القاسم الموت منذ اول اطلالة له على الحياة.

عرفه في بيته وفي مجتمعه بشكل خاص. وحاول ان يستجمع قواه لتقديم ما يستطيع اليه سبيلا. ولكن بطش الموت كان صاعقاً، وعجل على نضال الشاعر قبل ان تفرح عيناه بالثمار، وقبل ان تشهد تونس ما كان الشاعر يحلم به ويتمناه لها.

الدراسة التي اعدها جاك عن الشابي فقيرة في المعلومات عن طفولة الشاعر. كل ما استطاع الحصول عليه من اهله واصدقائه لا يتعدى انه ولد في ٢٤ شباط ١٩٠٩ من اسرة عريقة بنشاطها العلمي. كان ابوه الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي عالماً درس بالازهر في القاهرة، ثم بجامع الزيتونة في تونس. وحصل على اجازة التطويع وهي شهادة التخرج من الزيتونة.

وتزوج الشيخ والد الشاعر، قبل ان ينهي الشابي دراسته، وانجب ولده ابا القاسم قبل ان يعين قاضياً شرعياً بعد تخرجه من الزيتونة.

بدأ أبو القاسم حياته الادبية مبكراً، اذ الحقه والده بأحد كتاتيب حفظ القرآن الكريم المنتشرة في كل ارجاء تونس. في سن التاسعة حفظ القرآن مما اثلج صدر الشيخ وشجعه على تلقينه علوم العربية ومبادىء العلوم الدينية، وأرشده الى ما يتوجب عليه ان يقرأه في مكتبته العامرة بالكتب الصفراء. لكن في مستهل عامه الثاني عشر ترك الشاعر مدينته توزر وقدم الى تونس ليتابع تحصيله العلمي بجامع الزيتونة. بعد مضي تسع سنوات حصل ابو القاسم على الاجازة نفسها التي حصل عليها ابوه من قبله. غير ان وفاة والده ١٩٢٩ اصابت الشاعر الطفل بصدمة كبيرة، فقد ارهقته هذه الفاجعة بمسؤوليات مادية وادبية عديدة، ووضعته (وجهاً لوجه مع الحياة بتجاربها العملية الواقعية. وكان حتى ذلك الحين لا يرى احزانها ومشاكلها بطريقة مباشرة، بل كان ينظر اليها من بعيد.)

وهكذا وجد الشاعر نفسه امام مسؤولية جديدة تضاف الى مسؤوليته عن زوجته واسرته. والشاعر يذكر تأثير هذه الفاجعة في قصائده ويرددها في اكثر من مكان، انما قصيدته (قيود الاحلام) كانت اكثر هذه القصائد تصويراً للمشكلات التي اعترضت طريقه بعد الفاجعة بأبيه:

(.. واود ان أحيا بفكرة شاعر
فأرى الوجود يضن عن احلامي
الا اذا قطعت اسبابي مع
الدنيا وعشت لوحدتي وظلامي
لكنني لا استطيع فان لي
اما يصد حنانها اوهامي
وصغار اخوان يرون سلامهم

في الكائنات معلقاً بسلامي
فقدوا الاب الحاني فكنت لفقدهم
كهفا يصد غوائل الايام.

عرف الشابي الحب في مطلع شبابه، وكانت حبيبته فتاة تربى معها في بلدته (الشابية)، وعندما سافر الى تونس للدراسة استولى على حبيبته غم شديد ادى بها الى الموت. وقد حزن الشابي عليها حزناً عميقاً، وكان هذا الحزن سبباً من أسباب مرضه الذي أدّى الى الموت. ولهذه الحبيبة كتب قصيدته (مأتم الحب):

في الدياجي
كم اناجي
مسمع القبر، بغصات نحيبي وشجوني
ثم اصغي، علني اسمع ترديد انيني
فأرى صوتي فريد.
فأنادي
يا فؤادي
مات من تهوى، وهذا اللحد قد ضم الحبيب
فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب
ابك يا قلب وحيدا.
ذل قلبي
مات حبي
فاذرفي يا مقلة الليل الدراري عبرات
حول حبي، فهو قد ودع افاق الحياة
بعد ان ذاق اللهيب.

حياة الشابي الاجتماعية ملآى بالغموض كل ما يذكره اهله والاصدقاء انه في عام ١٨٨٥ زار الشيخ محمد عبده تونس للاتصال بالمثقفين التونسيين ودفعهم الى تصحيح الاوضاع السائدة، ودارت مناقشات بين الشيخ وبين مشايخ الزيتونة، وكان من نتائجها قيام جمعيات فكرية عديدة تدعو الى التجديد، وأبرز هذه الجمعيات كانت جمعية (قدماء الصادقية) التي نادت بأفكار محمد عبده وليس غريباً ان يكون الشابي عضواً بارزاً في هذه الجمعية حيث القى بها محاضرة عن (الخيال الشعري عند العرب) وبسبب هذه المحاضرة تعرض الى اذى العديد من الرافضين للتطور والحداثة. قبل ان يتوفى الشاعر بأربع سنوات كتب يقول:

(... اشعر اني غريب في هذا الوجود، وانني ما ازداد يوماً في هذا العالم الآ وازداد غربة بين ابناء الحياة وشعوراً بمعاني هاته الغربة الاليمة، غربة من يطوف مجاهل الارض ويجوب المجهول، ثم يأتي ليحدث قومه عن رحلاته البعيدة، فلا يجد واحداً منهم يفهم من لغة نفسه شيئاً. الآن ادركت انني غريب بين ابناء بلادي، وتلك مأساة قلبي الدامية).

في شهر ايلول (سيبتمبر) ١٩٣٤ وصل المرض بابي القاسم الشابي الى حد خطير، فذهب الى تونس العاصمة، وكان الثلج يوضع على صدره لتخفيف الامه. ولكن القلب الكبير سكت بينما كان الشابي يرقد في المستشفى بحثاً عن أمل ضعيف.

وفي ٩ تشرين اول ١٩٣٤ مات الشابي في هدؤ ووداعة. من تراثه الضائع:

- يومياته ورسائله.
- محاضرة عن جميل بثينة.
- محاضرة بعنوان (شعراء المغرب) وقد كتب عنها في يومياته يقول:

(عندما حان موعد القائي هذه المحاضرة في النادي الادبي وجدت القاعة خالية فصدمت وكتبت قصيدة (الشاعر المجهول)..

- رواية الاعتراف. او (في المقبرة) يقص فيها على لسان بطلها حوادثه وتأثيراته النفسية.
- مسرحية (السكير)، وهي ذات فصلين من نوع الاعتراف.

زهير الماردي

شكر وتقدير

تتقدم ادارة مجلة العرفان بالشكر والتقدير الى الأفاضل أنصار العرفان [illegible] المنورة [illegible] في لبنان مع حفظ الألقاب:

جميل ابراهيم ـ علي اسماعيل ـ الحاج أحمد شمس الدين ـ كامل بيطار ـ احمد محمد حسين الزين

وثيقة هامة عن الصافي النجفي

بقلم: عيسى فتوح

عثرت بين أوراق الأديب المرحوم فؤاد الشايب (١٩١١ ـ ١٩٧٠) ورسائله المطوية، وأنا أحققها وأعدها للنشر ـ بتكليف من وزارة الثقافة ـ على وثيقة هامة عن حياة الشاعر أحمد الصافي النجفي (١٨٩٦ ـ ١٩٧٧) بعنوان «ترجمة حياة الصافي النجفي بصورة مختصرة كما أملاها»، كتبها الصافي بخط فارسي جميل، وتحدث فيها عن بيئة النجف الدينية التي ولد وعاش فيها قبل أن يرحل إلى إيران وسورية ولبنان، وكيف دخل وهو في الخامسة من عمره «مكتب الشيخة»، وتعلم قراءة القرآن. ثم غادره بعد ثلاث سنوات إلى «مكتب الشيخ» حيث أتقن قراءة القرآن وتعلم الخط، وشيئا يسيطا من علم الحساب، وكيف اضطر إلى لبس العمامة السوداء التي لم تفارق رأسه إلا بعد أن هرب من العراق.

ويحدثنا في هذه الوثيقة أيضاً عن الأهوال والمصاعب التي عاناها في طريقه من العراق إلى الكويت ثم إيران. فقد فر كما يفر الطائر السجين، على حد قوله، وقصد مدينة البصرة، التي كانت يومئذ تحت الإحتلال الإنكليزي، والحرب قائمة على قدم وساق بين الإنكليز والأتراك، فاخترق خط الحرب، وكاد يقع في الأسر، لولا أنـه خلـع لبـاس المشيخـة، وارتدى ثياب العمال، ولما وصل إلى عبادان حاول أن يعمل، لكنه لم يوفق، فركب سفينة شراعية أقلته إلى الكويت، حيث طلب الإشتغال في أحد المخازن فلم يقبل، فاضطر أن يشتغل عاملاً في البناء، لكنه لم يمكث فيه غير يوم واحد من أيام الصيف المحرقة، وترك العمل دون أن يقبض أجرته، ولو وفق في ذلك العمل لصار بناء وليس شاعرا!.

ثم يحدثنا كيف ركب إحدى السفن الشراعية من الكويت إلى ميناء «بندر بوشهر» على الخليج العربي، ثم استبدلها بقارب صغير، ولكن لم يكد القارب يبتعد قليلا عن السفينة، حتى غرق به وبرفاقه، وهو لا يعرف السباحة، فطفا على ظهر صندوق من الشاي كان في القارب، وتعلق به حتى أدركته النجاة... وبعد اثني عشر يوما من الأهوال السندبادية، وصل إلى بلدة «فيروز أباد» فمرض فيها بالتيفوئيد، وبعد شفائه واصل الرحلة إلى طهران، وهو لا يعرف غير كلمات معدودة من الفارسية، فعكف على دراستها حتى أتقنها، وهناك عمل في التعليم، وترجم رباعيات الخيام إلى العربية، وبعد ثماني سنوات قفل راجعا إلى العراق، ولكن حره الشديد أثر على أعصابه، وأشرف على الموت، وليس ثمة من يداويه سوى الدعاء لله، وتدجيل أطباء النجف، ولكن طبيبا حلبيا في كربلاء نصحه بالذهاب إلى سورية، فشد إليها الرحال عام ١٩٣٠، فكان لهوائها النقي، ومناظرها الجميلة الأثر الأكبر في رجوع صحته، وقد طابت له الإقامة فيها حتى صار يعتبرها وطنه الثاني، لا يستطيع الإبتعاد عنها إلا إلى بيروت...

آثرت نشر هذه الوثيقة الثمينة التي كتبها الصافي بخط يده في الثلاثينات، أي قبل خمسين عاما، لأنها أصدق ترجمة لحياته المشردة الحافلة بالغرائب، ناهيك عن التفصيلات والجزئيات التي تضمنتها، وهي أمور تهم الدارسين ومؤرخي الأدب.

★ ★ ★

ولد الصافي سنة ١٨٩٦ في بلدة النجف التي كانت تضم ما لا يقل عن بضعة عشر ألف طالب من طلاب العلوم القديمة، كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والفلسفة العقلية وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه والفلسفة الإسلامية، والعلوم الرياضية، كالحساب والهندسة، وكان طلاب الفرس والترك يشكلون النصف من الطلاب تقريباً، يضاف إلى ذلك عدد من طلاب الهنود والأفغان وكانت بلدة النجف تحوي فوق ذلك عددا كبيرا من الشعراء والأدباء اشتغلوا بالشعر والأدب علاوة على تعلم تلك العلوم، وكانوا ينظمون الشعر على الأساليب القديمة، وبعد إعلان الدستور العثماني تجددت أفكار البعض منهم، فصاروا ينظمون الشعر على الطريقة الجديدة، كالشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ علي الشرقي وغيرهما.

أما العائلة التي ولد منها الصافي، فهي تنتمي إلى السيد عبدالعزيز، الجد السابع للعائلة المذكورة، وقد نزح إلى النجف طلبا للعلم من بلاد عربستان التابعة اليوم لحكومة إيران تاركا هناك طائفته الكبرى المسماة «آل أبي شوكة» التي تؤلف أكثر من عشرة آلاف نسمة، وهي قبيلة يتصل نسبها الصريح بالنبي العربي العظيم محمد.

أقام جد المترجم في مدينة النجف يطلب العلوم الدينية، حتى أصبح من أشهر علماء عصره، وبقيت أسرته تتوارث الإشتغال بتلك العلوم خلفا عن سلف.

والصافي حفيد العلامة الشيخ محمد حسين الكاظمي، أعظم فقهاء عصره، أما جدته لأمه فهي من بلاد جبل عامل.

أجل ولد الصافي في تلك البيئة العلمية في أسرة ترغب في الأدب، فحفظ الشعر منذ نعومة أظفاره، وكانت جميع النوادي التي يحضرها لا حديث لها سوى الأبحاث العلمية والمناظرات والمجادلات العنيفة التي يتعالى فيها الصياح، حتى يكاد يشق طبلة أذن السامع، هذا فضلا عن مجالس التعزية التي تقام لرثاء الإمام الحسين بن علي والبكاء عليه، وكانت تنعقد في أكثر أيام الأسبوع، وكان الشعر الحماسي والرثاء يؤلفان معظم ما يتلى في تلك المحافل، يضاف ذلك إلى مجالس التهنئة في الأعراس والقدوم من السفر، وكان الشعر الغزلي والمديح يتلى فيها بكثرة، وتعلو أصوات الإستحسان والإستعادة من فطاحل الشعراء هناك.

أما تحصيل الصافي فيبدو على الطريقة الآتية: دخل منذ السنة الخامسة من عمره «مكتب الشيخة»، وقد شعر منذ دخوله في ذلك المكتب الذي يضم أطفالا من الجنسين بانقباض في نفسه أثر على صحته، لأنه كان يعشق الحرية ويبغض القيد، وهو لا ينسى عصا الشيخة التي كان يخفق قلبه وتنسحق روحه كلما شاهدها، وهناك تعلم قراءة القرآن، وفي السنة الثامنة من

عمره خرج من مكتب «الشيخة» ودخل مكتب «الشيخ» الذي كان يديره الشيخ محمود والشيخ علي وهما أخوان، وهناك أتقن قراءة القرآن وتعلم الخط متفوقا على أقرانه رغم صغر سنه، وكثيرا ما كان ينوب عن «الشيخ» في إعطاء أمثلة الخط للتلاميذ، وفي السنة الحادية عشرة من عمره مات أبوه بمرض الكوليرا الذي فتك ببيوت كثيرة في العراق، لا سيما النجف، وهو لا ينسى هول تلك الأيام السوداء التي لم يكن يسمع فيها سوى النواح، ولا يبصر سوى جنائز الأموات المتكدسة، والدموع الجارية.

وبعد وفاة أبيه كفله أخوه الأكبر الذي كان عطوفا كأبيه، ولكنه كان حاد المزاج سريع الغضب، قاسيا في معاملة شاعرنا الصافي، ضاغطا على حريته، جارحاً لإحساسه، وقد ولد ذلك الضغط عليه روح الثورة والتمرد منذ صباه.

ولما بلغ سن الثالثة عشرة خرج من مكتب «الشيخ» ودخل في سلك المشايخ وطلاب العلوم الدينية، جريا على طريقة أسرته، واتباعا لقوة الإستمرار التي لا يجوز لأحد الخروج عليها والشذوذ عنها، فدرس الصرف والنحو والمنطق والفلسفة الإسلامية، وعلم أصول الفقه، وشيئا قليلا من الفقه، لأن نفسه كانت تمل دروس الفقه التي لم يكن للعقل مجال حر فيها، وهو بفطرته ميال للتفكير الحر، وقد درس على عدد من الأساتذة، منهم الشيخ محمد حسن مظفر، والشيخ محمد آل نجم، والسيد حسين الحمامي، والسيد علي اليزدي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني العالم الفارسي المشهور، والشيخ مهدي الخالصي العالم المجاهد الذي نفته حكومة انكلترا إلى إيران، ثم رجع إلى العراق وتوفي هناك. وكان رفاق الصافي أثناء درسه علم الأصول على السيد حسين الحمامي السيد علي فحص قاضي الشيعة في بلدة مرجعيون سابقا، والشيخ عباس العزوني الذي هو اليوم عالم وواعظ في أميركا الجنوبية.

كان الصافي منذ صباه ضعيف البنية، عصبي المزاج، فاذا ركض مع الأطفال، كان أسرعهم تعبا، وكان قليل الرغبة في اللعب، كثير الميل إلى الكسل، يفضل الإنزواء والتأمل على الإختلاط بالناس، وكان ألذ أوقاته هو الوقت الذي كان يقضيه في القرية مستلقيا في البستان يستمع إلى حفيف الأغصان، وغناء الأطيار، وكانت الأشغال العقلية تضر بجسمه النحيل وتتعبه منذ ذلك الحين، ولكن تقاليد بيئته وعشيرته كانت ترغمه على إتباع طريقة الأجداد، فأخذت الأمراض العصبية منذ ذلك الحين تنهك جسمه على أثر تلك الأشغال العقلية التي لا تتخللها تسلية في تلك البلدة الدينية التي تحرم كل وسائل التسلية حتى الغناء.

وبعد أن قضى في درس تلك العلوم اثني عشر عاما إشتدت عليه الأمراض العصبية والنوراستينيا، وفي سنة ١٩١٣ توفيت أمه فازداد ألما على آلامه، ولما دخلت سنة ١٩١٤ كان قد بلغ به المرض والضعف أقصى درجاتها، حتى صار لا يستطيع السير، وعند ذلك منعه الأطباء من موالاة الأشغال العقلية، فاضطر أهله أن ينصاعوا مرغمين على السماح له بترك الدروس، وترك حبله على غاربه، ومنذ ذلك الحين الذي امتلك شيئا من حريته الفكرية صار لا يطالع إلا للتسلية، ولذلك صار يكثر من مطالعة كتب الشعر والأدب، ومن قراءة الصحف والمجلات، وكان أكبر أساتذته في ثقافته العصرية هي المجلدات العديدة من

المقتطف التي كان يصدرها الدكتور يعقوب صروف، والمجلدات العديدة من الهلال، ومجلدات من دائرة المعارف للبستاني، وكانت هذه كلها تتوفر له في إحدى المكتبات العامة التي كان يقضي فيها كل يوم ساعات متوالية، وهو يوالي الدرس والتنقيب، وكان ألذ الكتب القديمة التي صادفت من نفسه قبولا وإيمانا عميقا هي لزوميات المعري، وأما رفاقه الذين كانوا أكبر منه سنا وأوسع ثقافة، وقد أثروا عليه بأحاديثهم، فهم الشيخ محمد رضا الشبيبي الشاعر الذي كان له صديقا وأستاذا ومرشدا، ويأتي بعده الشيخ علي الشرقي الشاعر النجفي، وغيرهما ممن سبقوه في ميدان الحضارة العصرية.

وقبل إنتهاء الحرب العامة بسنة، وقد ضاق الصافي ذرعا بالحرب وويلاتها، وانفتحت عينه بواسطة الثقافة العصرية على عوالم جديدة لم يكن يحلم بها، عقد النية على ترك النجف ذلك المحيط الضاغط على حريته، والخانق لأفكاره، وعزم على ترك لباس المشيخة، والدخول في ميدان العمل، ومشاهدة آفاق الحياة الواسعة، وكان له رفيق هو السيد محمد علي كمال الدين صار فيما بعد مديرا لاحدى المدارس في العراق، ففاتحه بعزمه فصادف منه قبولا، فاتفقا على أن يهيأ أسباب سفرهما، ويفرا من النجف مهما كلفهما الأمر، وهكذا كان، ففرا كما يفر الطائران السجينان في القفص متى فتحت نافذته أمامها، وقصدا مدينة البصرة التي كانت تحت إحتلال الإنكليز ليشتغلا هناك ولو عمالا، وكانت الحرب يومئذ قائمة على قدم وساق بين الإنكليز والأتراك، فاخترق الصافي بصحبة رفيقه خط الحرب من جهة الخضر والناصرية، وكادا أن يسقطا في أيدي الأتراك بتهمة التجسس، حيث رأوهما يحاولان العبور إلى الجهة الإنكليزية. ولكنهما نجوا بنفسيهما، وذهبا إلى البصرة، وهناك انفصل الصافي عن رفيقه، وذهب إلى المحمرة، وقبل أن يدخلها دخل إلى بستان مما يلي البلد، وخلع لباس المشيخة، ولبس لباس العمال، وذهب إلى عبادان، حيث حاول الإشتغال هناك، ولكنه لم يوفق، فركب سفينة شراعية أقلته إلى الكويت، وهناك طلب الإشتغال في أحد المخازن، فلم يقبلوه بداعي أنه ليس لديه المعلومات الكافية للاشتغال فيها، فاضطر أن يشتغل عاملا في البناء، فاشتغل يوما من أيام الصيف الطويلة تحت أشعة شمس الكويت المحرقة، ولم يكن قد تعود الأشغال البدنية قبل ذلك، فلم يكمل ذلك اليوم إلا وهو شبيه الأموات من شدة التعب والإعياء، فذهب دون أن يستلم أجرته، ووقع أياما في الكويت مريضا، لا يستطيع السير والحركة، ويقول الصافي: لو أنني توفقت ذلك اليوم في شغل البناء، لكنت اليوم عاملا في البناء أو أستاذا!.

وبعد أيام سافر من الكويت إلى «بندر بوشهر» المرفأ الفارسي على الخليج، وكانت الحرب مشتعلة اذ ذاك بين الإنكليز وعشائر الفرس الثائرة بتحريك من الداهية الألماني «وسموس» الذي كان قبل الحرب العامة قنصل الدولة الألمانية في مدينة «شيراز»، ولما وقعت الحرب جاء إلى جهة السواحل يثير العشائر الفارسية على الحكومة الإنكليزية التي كانت باسطة نفوذها على ساحل الخليج.

وصلت السفينة الشراعية التي كان فيها الصافي إلى قرب مرفأ «بوشهر»، فأخبره رفاقه

بأن نزوله رأسا في بوشهر ربما يجلب له التهمة بالتجسس، وخير له أن ينزل بالقرب منها ويدخلها عن طريق البر، فقبل رأيهم ونزل برفقة بعض المسافرين من السفينة الكبيرة في قارب صغير قاصدا قرية على الساحل، وما كاد القارب يبتعد قليلا عن السفينة حتى غرق به وبرفاقه، ولم يكن الصافي يعرف السباحة، ولو لم يكن في القارب صندوق شاي طفا على الأمواج وتعلق به الصافي حتى أدركته النجاة من الساحل، لكان الصافي و «أمواجه» و «تياره» اليوم في بطون الأمواج، وفي قلوب الحيتان، وفي السحب المتبخرة من البحار.

وصل الصافي إلى قرية «حليلة» الواقعة على الساحل، ومن هناك سافر مشيا على الأقدام قاصدا مدينة «شيراز» في أوعر الطرق الجبلية التي لم يكن تعود سلوك أمثالها، لأن الطريق العادية كانت مسدودة بسبب الحرب، وبعد اثني عشر يوما عانى فيها ما عانى، وهو مرافق لقافلة تجارية، وصل إلى بلدة، فيروز أباد» وهي بلدة العالم اللغوي المشهور الفيروز أبادي صاحب القاموس العربي، وهناك تعرف صدفة بالمرحوم السيد عبد الحسين اللاري العالم المجاهد الذي كان ثائرا في بلدته «لار» بجيش من المتطوعة على الجيش الإنكليزي، ولكنه اضطر بعد حروب طويلة إلى الإنسحاب، بعد أن تفرق جيشه وجاء إلى فيروز أباد ملتجئا إلى صولة الدولة زعيم الطائفة القاشقائية التي تبلغ أكثر من خمسة عشر ألف نسمة، وهم ترك رحل يسكنون في تلك النواحي.

قال الصافي: وقد تعرفت إلى ذلك العالم صدفة، وإذا به يتكلم العربية باللهجة النجفية، وعندما سمع مني إسم طائفتي أخذ يبكي، فسألته عن سبب بكائه، فقال لي: إنني كنت تلميذا لجدك المرحوم الشيخ محمد حسين الكاظمي، وكنت عائشا في كنفه ومن نعمته، ثم أخذ ذلك العالم يحتفي بي إحتفاء زائدا، وبعد مرور أيام مرضت بالتيفوئيد، وكدت أن أموت لولا عناية العالم المذكور بخدمتي، واحضاره طبيبا خاصا لي، وبعد أن ابللت من مرضي أبقاني عنده بضعة أشهر، وبعدها ذهبت إلى بلدة «لار» ومنها إلى «بندر عباس»، ومنها قفلت راجعا إلى العراق، وكانت بغداد قد سقطت في يد الجيش الإنكليزي، ووصلت إلى النجف بعد أن انقطعت أخباري عن أهلي طوال تسعة أشهر قضيتها في السفر، حتى بكوني بكاء الثاكلين. وعند وصولي إلى النجف كانت الثورة العربية الكبرى قد اندلع لهيبها في الحجاز، فنبهت في آمالا عظيمة وأحلاما لذيذة، وحاولت الذهاب إلى الحجاز للاشتراك بالثورة، والدخول جنديا في الجيش العربي ولكن الوسائل لم تتوفر لي حينذاك، ومن ذلك الحين صرت أشتغل حسب استطاعتي في سياسة العراق، لا سيما المقدمات الأولية للثورة العراقية الكبرى التي انتهت بتتويج فيصل ملكا على العراق. ولما اندحر الجيش العراقي، ووصل الانكليز إلى حدود الكوفة، فر شاعرنا الصافي تحت جنح الدجى من النجف عن طريق الجزيرة متخفيا ملتجيا قاصدا طهران، وكان لا يعرف سوى كلمات معدودة من الفارسية، وما مضى عام حتى صار له المام بالفارسية واسع، وبدأ بتدريس الأدب العربي في المدارس الثانوية، وخلال ذلك بدأت به أمراضه العصبية، أو بالأحرى عادت اليه شديدة، فترك التعليم وأخذ صنعة صحافية في مجلات طهران، وافتتح عهدا جديدا في مطالعات أدبية

عصرية، وتابع مجلات المقتطف والهلال، وكثيرا من الصحف المصرية، وقرأ لمعظم الكتاب في الأقطار العربية، ثم صار موظفا في دار الترجمة والتأليف. وشغف الصافي بالأدب الفارسي، وكان أشد الأدباء أثرا في نفسه عمر الخيام، وجلال الدين الرومي الشاعر الصوفي؛ فقرأ الكثير من الثقافة الفارسية، وخالط الأدباء اللامعين كأمير الشعراء، وحيدر علي كمالي، وبعد مرور سنتين على اشتغاله بالأدب الفارسي انتخب عضوا في النادي الفارسي الذي يجتمع ليلة كل أسبوع، وعندئذ بدأ بترجمة عمر الخيام إلى العربية، فظل يعمل في ترجمتها طوال ثلاث سنوات، مما زاد فيه الأمراض العصبية، وأثناء وظيفته الرسمية في دار الترجمة والتأليف، ترجم لوزارة المعارف كتاب علم النفس تأليف علي الجارم ومصطفى أمين ليدرس في دار المعلمين.

بعد ثماني سنوات قفل راجعا إلى العراق، بناء على دعوة أهله ورفاقه، وحنينه وكانت الشرطة العربية تفتشه بحذر كرجل فارسي، فبزته فارسية، وكذلك عمامته، ولحيته.

وصل العراق وبدأ ينشر شيئا من شعره، ورشح لوظيفة القضاء في بلدة «الناصرية»، ولكن حر العراق أثر في أعصابه، فلم يستطع القيام بهذه المهمة، ودخل المستشفى في بغداد، فلم يجده دخوله شيئا، فرجع إلى بلدته النجف، والمرض يزداد يوما فيوما حتى أشرف على الهلاك وليس ثمة من يداويه في مرضه سوى الدعاء إلى الله، و «تدجيل أطباء النجف».

متى يرجو العليل شفاء سقم ... إذا التجأ الطبيب إلى دعاء؟

وقد قال في ذلك قصيدة هذا مطلعها، وذلك بمناسبة ما قال له أحد «أطباء» دجالي النجف: «دعوت لك الله بالشفاء»، وطلب إلى أهله أن يذهبوا به إلى بغداد، فلم يقبلوا حتى صار على حافة القبر، عندئذ حملوه إلى «كربلاء» وعرضوه على طبيب حلبي شخص مرضه، وعالجه حتى أنقذه، ولكنه بقي نصف صحيح، فنصحه بالذهاب إلى سورية، انقاذا لحياته من الخطر إذا بقي في جو العراق. وهكذا شد الرحال إلى سورية، فكان لهوائها النقي، ومناظرها الجميلة الأثر الأكبر في رجوع صحته إليه، وظل ينظم ما استطاع، دون أن يجهد نفسه بأعمال فكرية مضنية، فدفع إلى الطبع «رباعيات الخيام» وديوانه «الأمواج»، فيكون قد نظم قسما من شعره في طهران، والقسم الآخر في العراق، ومعظم أشعاره التي تؤلف ثلاثة أرباع منظوماته كانت في دمشق...

قال الصافي: أما عمامتي السوداء التي هي شعار المشائخ العلويين، فقد وضعت منذ الصبا على رأسي، ولم تفارقني إلا عند دخولي الشام، حيث أبدلتها بالكوفية والعقال، وبعد أن كان الناس يحسبونني فارسيا لعمامتي الفارسية، صاروا يظنونني «بدويا» للكوفية والعقال، أما أنا فلست بدويا ولا فارسيا، ولكن هي المظاهر التي تكون دائما أحكام الناس الخاطئة... أما لحيتي هذه فهي من الأعضاء الأثرية!

دمشق: عيسى مفتوح

شعراء من جبل عامل



مع
شاعر العود والوتر



الشيخ
عبد الحسين بسّام

بقلم: علي يوسف نور الدين

لا الشـــايُ يُنشيني ولا الصَّهْبَـــا، مـــالم تكـــن في جـــانبي حسنـــا،

بهذه الروح المرحة، والنفس الغَزِلَة، يستقبلك وجهٌ بشوشٌ يداعب الثمانين، مؤهلاً بك، داعياً إياكَ إلى منزلِه المتواضع، الناسك على ربوة متصوِّفة، طرَّزها الجلنار، وعطَّرها الغزل؛ وإذا بك في معبد حُبٍّ وإلفةٍ ووداعة، تتأمل من على شرفته، تقاسيم «جبل الشيخ» شرقاً، وتلال «بئر السلاسل» غرباً، لتهيم مع وادٍ صغير ينحدر خجلاً نحو «خربة سلم»، البلدة التي كَوَتْ قلبَ شاعرنا، فألهمته قصائد حبٍ ووعدٍ، وتركتْ في خياله ذكريات أُنسٍ ووَجْدٍ، مع ريمٍ دَلٍّ، يقاسمه الآن رياض الحياة...

إننا مع الشيخ... عبد الحسين بَسَّام، الشاعر العاملي، الذي غنّى للوتر فأرقصه، ونادم القمر فأسلاه، وناغش الناي فأبكاه. فلنستمع إلى شاعر الأنسِ والسَّمَر، شاعر العود والوتر، يتحدث:

ولدتُ في «عيناتا» في قضاء بنت جبيل سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٠ م)، وترعرعت هناك صبياً، أتعلم اللغة والنحو، والبديع والبيان، إلى جانب القرآن، في مدرسة قريتي، على يديّ «سيبويه الثاني» واستاذ علماء جبل عامل الشيخ موسى مغنية، ثم على يديّ غيره من اهل العلم والأدب، «فعيناتا» بلد العلم والعلماء، ورجال الدين والشعراء؛ ومدرستها، تُعَدُّ من المدارس الأولى في جبل عامل؛ كذلك فهي قبلة المحبين وملتقى العشاق، فتلتْ ألحاظُ غيدها أهل

الغرام قبل ان تقتل الأعين الحور «بشّار»[1]، ولا يوجد في جيل من الرعيل الأول، وحتى من هذا الرعيل إلا ويُردّدُ هذا البيت القديم لشاعر مجهول:

على «عين» عيناتنا عَبَرْنا عَشِيَّةً — عليها عيونُ العاشقين عواكفُ

ثم امتدتْ مجالسي مع اهل الأدب والفكر، حتى انضممتُ إلى السّرب.

س هل تعتبر نفسك طائراً غرَّد خارج سربه؟

ج لا، كنت دائماً متكيفاً مع كل الاجواء، غير أن هذا لا يعني أن ليس للشاعر آراء خاصة به، يتفرّدُ بها عن غيره.

س متى بدأت تنشر قصائدك، وأين كنت تنشرها؟

ج بدأت أنشر قصائدي في الثلاثينات، في جرائد ومجلات مختلفة في لبنان وفلسطين، كمجلة «العرفان»، في لبنان، وجريدة «الجامعة الاسلامية» في يافا بفلسطين، وغيرهما، كما ساهم بعض الاصدقاء إعجاباً منهم بشعري، في نشر العديد من قصائدي في العديد من الدول العربية، كالمغرب، وسوريا، وفلسطين أيضاً؛ ومن تلك القصائد التي نشرتها في تلك الفترة، قصيدة «فلسطين»، إذ نشرتها جريدة «الجامعة الاسلامية» في يافا سنة ١٩٣٦، كما نشرتها مجلة «العرفان»، والطريف أن هذه القصيدة بعد أن نشرتها مجلة «العرفان» فوجئت في العدد التالي من المجلة، بالاستاذ نزار الحر ينشر مقالاً نقدياً بعنوان: «تبصرة أدبية» يهاجم فيه شعراء العدد السابق ويرميهم بانتقادات مختلفة، فينتقد قصيدة للشاعر موسى الزين شرارة بأن فيها مجزومات من غير جوازم، وينتقد قصيدة للشاعر عبداللطيف شرارة، بأن الصدر فيها من بحر والعجز من بحر آخر، ثم يأخذ عليّ بأنني أكرر القافية بعد ثلاثة ابيات، وهكذا...، فكان أن ردّدْتُ عليه بكلمة عنوانها: «لو أبصروا لتبصَّروا». وهذه القصيدة حذفت منها جريدة «الجامعة الاسلامية» بيتين مُحْتَجَّةً أن فيها «سياسة». والقصيدة هي:

فلسطين إذا عَظُمَ المصابُ — فلا يُجدي الملامُ ولا العتابُ
فكونوا باسلين لدى الرزايا — ومن بأس العدوّ فلا تهابوا
وموتوا دون مجدكمُ كراماً — كذا الأحرار للأوطان غابُ
فإنّ الغارَ للآسادِ غابٌ — فما في الموت دون المجدِ عابُ
شبابك يا فلسطين كرامٌ — وفيها العزُّ والشرف اللُبابُ
غضبتمْ غضبةً للحقّ أنستْ — تذلُّ لِهَولِها الأُسدُ الغِضابُ
وكادتْ أن تميدَ الارضُ منها — ولولا أن تثبّتها الهضابُ..
حرامٌ أن تذوقَ النومَ عينٌ — وفي الأوطان غدرٌ واغتصابُ
فقوموا واعرضوا عن كل وَغدٍ — خؤون قوله أبداً كِذَابُ
إذا نزل الدخيلُ بأرض قوم — فقل: في أهلها نزل المصابُ

(١) إشاره إلى بيت بشار بن برد:

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ — قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

عـزيـز القــوم لا يبقــى عــزيــزاً ولا يُـرعَــى لــذي لُــبٍّ جنــابُ
ومـن عِظَـمِ المصــائــب والرزايــا عـرينُ الأُسْـدِ تَـنْـكُـثُـهُ الكلابُ!!؟

وهنا أتذكرُ حادثة ترتبط نوعاً ما بهذه القصيدة، وهي أنه بعد مدة من نشرها، ذهبتُ إلى حيفا لزيارة «الشيخ رشيد...»، فدعاني هناك صديق لي إلى منزله، فسألته عن الشيخ رشيد، فقال بأنه مشغول في «معاملات الارض»، فإذا بي وبصورة عفوية أردّدُ:

حسبتُ رحمةً بيــــــــعَ الأراضي ومــــا في بيعهـــا إلا العقـــابُ
رُوَيْـداً إن قَـرَعْـتَ الكـأس شهـداً فَبَعْدَ الشهدِ كم يحكيـك صـابُ...؟!

وإذْ بالصديق ينتفضُ قائلاً: لمن هذا الشعر؟ فقلت: إنه لي، فإذا به يُخرجُ من درج طاولته مجموعة من قصائدي قد نقلها عن الجرائد ويقول: هذه كلها أصبحت على ألْسِنَةِ طلابي في المدرسة.

س هذا يعني أنك ساهمتَ بشعرك في إذكاء الروح الوطنية وقتذاك؟

ج لم يكن لشعري ذاك الدور الكبير، غير أنه لم يكن غائباً أيضاً.

س نستنتج مما تقدم، أنك لا تزال تحفظ ذكريات حلوة عن أصحابك، ومع معارفك، فهل من ذكرى معينة، لا يزال أثرها الجميل يدغدغ خيالك؟

ج أجل، هنالك ذكريات كثيرة، حلوة ولذيذة... ففي إحدى المرات كنت في زيارةٍ لقلعة «تبنين» مع بعض الاصدقاء، وكان بينهم الصديق الاستاذ علي فرّان، وهو من رجال القضاء في لبنان (حاكم صلح وقتذاك)، وإذْ بالقمر يُطِلُّ بدراً علينا، فيخاطبه الاستاذ علي فران قائلاً:

أيها البـدرُ هـل عَـرَفْـتَ الغـرامَ فـألِفْـتَ الدُّجى وعِفْـتَ المنـامـا؟

ثم يلتفتُ إليَّ ممازحاً: أجزْ، فقلت:

وكـأن النجـومَ يـا بــدرُ أمْسَـتْ غـانيـاتٍ هَيَّجنَ فيـكَ الهيـامـا!؟

وفي مرة أخرى تعرفتُ على فتاة من «دير الزهراني» (قرية في قضاء النبطية)، إسمها عليا، وكانت عمياء، فسألتها: أتنظمين الشعر؟ قالت: ربّما، وكانت بيدي وردة، فقدَّمتُها لها قائلاً: صفيها. فتحسَّسَتْها قليلاً وقالت:

حَـرَقْـتَ الوردَ مـن لَمْسِ اليَـدَيْـنِ ومـن حَـرِّ الصبـابــةِ يــوم بَيْــنِ
وكـانــتْ وردةً تــزهــو وتُسْقَــى بماء القلــب مـــن أجفــان عينِ
ألفواهــــا صــــدودُ الحُبِّ حتى غـدَتْ صفـراء شـاحبـةً كَلَـوْنِي
فلــولا الدمــع مــا يجري عليهــا لكـانـتْ في النقـاوة كـاللُّجَيْــنِ...

وبعد مدة بعثتْ إليَّ برسالة فيها هذان البيتان:

قتيلـكَ إن لَمَسْـتَ الوردَ يـومــاً مَليـكَ الزهــرِ يــا عبــد الحسينِ
فهــذي غــابـة الدنيــا نــراهــا على الاحـــرارِ في بُعْـــدٍ وبَيْـــنٍ.

فكتمت هذه الابيات خمس سنوات تقريباً، ثم سألت عنها، فقيل لي: ماتتْ منذ اعوام خمسة...

كذلك لا أنسى لقاءً حمياً آخر مع الاستاذ علي فرّان والشعراء السادة: عبداللطيف فضل الله، ومحمد نجيب فضل الله، وسرحان سرحان؛ وكان هذا اللقاء أشبه ما يكون بمباراة شعرية حامية؛ حيث أنشدَنا الاستاذ علي فران قصيدته التي مطلعها:

جَرتْ يُرنّحُها الدلالُ كأنها تَمِلٌ يَرى دنياه كأسَ شراب...

طالباً إلينا معارضتها؛ فعارضها أولاً الشاعر سرحان سرحان، ثم الشاعر محمد نجيب فضل الله؛ ثم كانت قصيدتي هذه:

جاءتْ تطلّعُ من وراءِ حجابِ غَيْداءُ تحلُمُ بالهوى الخلاّبِ
وتلفتتْ مرتابةً ولطالما لعِبَ الغرامُ بقلبها المرتابِ
ترنو كما يرنو الغزالُ بربوةٍ غنّاءَ تعبقُ من شذا الأعشابِ
لتصيدَ بالأهدابِ صَبّاً هائماً بفواترِ الألحاظِ والأهدابِ
جاءت لتملكَ في جمالِ عيونها مَلِكَ الغرامِ وساحرَ الألبابِ
جَعَلَ التزهُّدَ في الغرامِ حِبالةً ليصيدها صيدَ المها في الغابِ
ويُنيلَها رغدَ الحياةِ تألّماً ويُذيقَها شهدَ الهوى بعذابِ
رجعتْ إلى مهدِ الشقاءِ وأسْلَمتْ لليأسِ للإحقافِ للأوصابِ
تركتْ إلى الأترابِ أوتارَ الهنا وتباعدتْ وَجْداً عن الأترابِ
ومشتْ تَبُثُّ القَفْرَ بعضَ شجونها وتهيمُ في الوادي بغير صوابِ
حتى إذا جَنَّ الظلامَ رأيتَها قمراً تطلّعَ من وراءِ سَحَابِ
قالتْ وقد أدمى البكاءُ فؤادها: رحماكَ لا تتركْ هوى الأحبابِ
وارْعَ المودةَ كي نعيشَ بظلها بنعيمِ وَصْلٍ أو رحيقِ رُضابِ
فتكونَ قيساً في غرامكَ شاعراً وأكونَ ليلى في هوىً وتَصابِ
فأجابها: تحلو الحياةُ وتزدهي بالحبِّ والإلهامِ والإعجابِ
لكنما كَثُرَ الغرامُ وأهلُهُ في كلِّ ناحيةٍ نعيبُ غُرابِ
قالت ونارُ الوجْدِ بين ضلوعها «حَمّلتني تَعَباً على اتعابي»[2]
أنّى يناضلُ في الخميلةِ بلبلاً ذاك الغرابُ مُفرّقُ الأصحابِ؟؟
أغْرَتْهُ في شَهْدِ العتابِ وطالما يحلو الغرامُ لأهلِهِ بعتابِ؟!
ألِفَ الصَّبابةَ في الظلامِ كآبةً ورمى الكتابَ بجانبِ المحرابِ[3]
وغدا يسامرُ في الدُّجى أحلامَهُ متغزلاً في كَلْثَمٍ وربابِ
وغَدا يلاعبُ ريشةً ألوانها قُزَحٌ تطرَّزَ هائماً بسحابِ[4]

(٢) هذا الشطر للاستاذ علي فرّان.

(٣) إشارة إلى بيتٍ للاستاذ علي فران بمعنى أنه أصبح زاهداً من الكتاب إلى المحراب.

(٤) إشارة إلى بيتٍ للاستاذ علي فرّان:

يا ريشةً أغفلتُها ألوانها قُزَحٌ تطرَّزَ هائماً بسَحَابِ.

عرفتُ بأن الحبَّ أوْجَعَ قَلْبَهُ رجعتُ إلى الإكبار والإعجاب
تلقى الحياةَ ضحوكةً وبقلبها أملٌ يُريها العيشَ كأسَ شراب(٥)

س المعروف أن أكثر من سبعين في المائة من شِعْرِكَ في الغزل، فبماذا تفسّر ذلك؟

ج إنني أعشقُ الجمالَ أنّى وُجِدَ، كما أنني كنتُ أحبُّ السَّهَرَ والمنادمة والمؤانسة.

س ما هي الحبيبة في نظرك، وأي لونٍ في شعرك تتخذ؟

ج الحبيبات كالفواكه، وكل فاكهة لها نكهة، والعاشق يرى حبيبته أبهى من الصباح، وأجمل من القمر، وأهيف من الغزال...

س وما هي نكهة حبيبتك؟

ج دع «السماور» في لَحْنٍ وتغريدِ حتّى يجدِّدَ فينا بهجةَ العيدِ
أو إنه في تلاقي الكأس يُسمعنا ألحانَ «معبد» أو أنغامَ داوودِ
والغيدُ تبسمُ من أُنسٍ ومن جذلٍ والحسنُ يُشْرِقُ من ثَغْرٍ ومن جيدِ
إنَّ المحاسنَ لم تعلمْ بموقعها إلاّ من الغيدِ أو من بسمةِ الغيدِ
والحبُّ يُسكرُ مَنْ بالحُسْنِ مُفْتَتَناً بالأعينِ الخُضْرِ أو بالأعْيُنِ السُّودِ
لولا اللواحظ لم تحفلْ بفاتنةٍ تُذْكي القلوبَ، وتُبكي مُهْجَةَ الصيدِ

س يبدو من هذا، أن حبيبتك رائعة الحُسْن... والصوت أيضاً، أليس كذلك؟

ج وهل ليلى تُغَنّينا أناشيدَ المحبِّينَ
لنيلِ الحبِّ في قُبَلٍ وثَغْرٍ كان يسقينا... جنى الشهد؟
فَدًا قلبي يُبدِّدُهُ جفا من كان يعبده
وهل يأتي على عَجَلٍ حبيبُ القلب يشفينا... من الوَجْدِ؟
تعالي نسكنِ الوادي كما العشاقُ في نَجْدِ
هناك الروضُ في جَذَلٍ فيحيينا ويُعطينا... شذا الورد!!

س الملاحظ أنَّ شعرك بجُملته، على نمط القصيدة العربية التقليدية، واليوم تنتشر موجةُ شعرٍ لا بحر له غالباً، يسمونه «الشعر الحر»، فما هو موقفك من هذا الشعر؟

ج إنه ليس بخالد، لأنه يفتقد روح الأصالة، لذا لا يعجبني، وإنْ كنتُ لا أعارض بعض صُوَره.

س ما هو مفهوم الشعر في رأيك، أو ما هو الشعر بالنسبة لك؟

ج الشعر موهبة وثقافة، إنه معنوية ودَفْعٌ للإنسان، هو نَفْسٌ عالية، وكل صاحب نفس عالية لا بد أن يكون شاعراً رغماً عنه؛ وكلّ انسان يحب أن يرى نفسه شاعراً، لأن النفس

(٥) إشارة إلى مطلع قصيدة الاستاذ علي قران.

مطبوعة على حُبِّ الشهرة، والشهرة أنواع، منهم مَنْ يأخذها عن طريق الكَرَم، ومنهم من يناها عن طريق الشجاعة. أو الأدب، أو...، لا أجد إنساناً بإمكانه أن يكون شاعراً ولا يكون، لأن الشعر وَحْيٌ وإلهام. وشعورٌ خاص لا يحسُّ به إلا الشعراء، وأنا عندما يخالجني هذا الشعور حين أَنْظُمُ قصيدةً ما، فإني لا أبيع تلك اللحظة، لحظة الوحي الشعري، بملايين الليرات. لأنني أشعر عندها بلذة غريبة لا توصف.

س ما هي أحَبُّ قصائدك إليك؟

ج هنالك عدة قصائد أحبها أكثر من غيرها تبعاً للمناسبة المتعلقة بها، ولكن توجد قصيدة، كان قد طلبها مني السيد توفيق مرتضى، وكان «حاكم صُلْح» في بنت جبيل، وهذا القاضي كان عازباً والناس يمازحونه بإحدى الفتيات، فطلب أن أنظم له قصيدة، تنطبق على واقع الحال، فكانت هذه القصيدة، وهي بالمناسبة، تحبها زوجتي كثيراً وتعيش معها، وتفضلها على كل قصائدي. وقد عَنْوَنْتُها بـ: «الفتاة المظلومة»:

عكسَ الدهـرُ حَظَّهـا فتـواري ... في ظلام الآلام فجـرُ صِباهـا
لا تلاقي في الحياة هناءً ... وصفاءً يـزيل بعض أساهـا
فكـأن الجمالَ ذَنْبُ العـذارى ... وكـأن الوفـاء رَمْـزُ شقـاهـا
يـوم جـاءت وقلبهـا في اشتعـال ... مـن لهيب النوى وفرط جواهـا
لـوَّع القلبَ بهجـةُ الوجـد منهـا ... واستثـارتْ مدامعي من بُكـاهـا
وهـي تشكـو لشـاعـر عبقـري ... ذي فؤادٍ يـذوب من شكـواهـا:
أنتم النـاس رحمةً وحنـانـاً ... شركـاء الأنـام في بلـواهـا...
لستُ أنسى وُقُـوفَها وهـي تبـدي ... للحبيـب الغريـب رَمْـزَ وَفـاهـا
ونسيمُ الصبـاحِ يحمـلُ للصَّـبِّ ... سلامـاً معطَّـراً مـن شـذاهـا
يعبـقُ الروض بـالأريـج تَـدَيُّناً ... ويثـور الشعـور بَيْـنَ رُبـاهـا
يملأ العينَ نظـرةً مـن بعيـد ... مـن فتـاةٍ عيـونـه تـرعـاهـا
تطلـع الشمس للعيـون صبـاحـاً ... وهـي تبـدو لِخَدَّيْهـا وخبـاهـا
كـي تبثَّ النسيم شكـوى التصـابي ... علَّهـا في النسيم تلقـى شفـاهـا
أو تلاقـي على أشـم الروابي ... مـن تَهادى بهجـرهـا وجفـاهـا
زيَّنـوا الرَّبْعَ كـي تُـزَفَّ عروسـاً ... لفتـاهـا وغـايَهـا ومُنـاهـا
تحسـبُ الدهـر ذا وَفـاءٍ بعهـدٍ ... مـدةَ العمـر لا يخون هـواهـا
قتـلَ اليـأسُ قلبهـا فتـواري ... في ظلام الآلام فجـر صبـاهـا
زوجـوهـا بمن يكـون بعيـداً ... عـن هـواهـا وعمرهـا ونُهـاهـا
لا تبـالي بمالـه حيـث أمْسَـى ... يخدع المالُ أمَّهـا وأبـاهـا
تترك الغيـدَ لأعيـاتٍ ولكـن ... تملأ البيدَ روعـةً مـن عنـاهـا
وهـي تمشي بـروعـةٍ وارتبـاك ... بين قفْـر الدُّنـى وبين قلاهـا
تحرق الوردَ والريـاض زفيراً ... حين تبكي وتـذرفُ الدمعَ آهـا

كيف تعطي الفؤادَ بسمةَ أنسٍ   وسرورُ القلوب عند صفاها

س من خلال هذا الشعر الوجداني، نرى أنك خططتَ لنفسكَ منحىً خاصاً في الحياة، تكتنفه نفسٌ زاهدة؛ فما هي ملامح هذا النمط، وكيف ترسمه لنا؟

ج أرى الفحشاء تبعدُ عن لساني   كبعد السيف عن كفِّ الجبان
وما قلبي سوى قلب كبير   يتوَّجُ بالولاء وبالحنان
طويتُ اليومَ للعلياء سِفْراً   كأن الدهرَ سِفراً قد طواني
أعَلّلُ بالمنى نفسي ولكن   مُحالاً بالمنى تعطى الأماني
إذا الإنسان لم يملك يميناً   تجاهد بالمروءة والأمان
فما يُمناه في دنياه إلاّ   كمثلِ الرمح باتَ بلا سَنانَ
فلا تعجبْ إذا صَرَّفتُ نفسي   كما تهوى فؤادي أو جَناني
إذا جَمَحَ الجوادُ فهل تَراهُ   يردُّ جموحَهُ شدُّ العنان ؟؟

س هل تأثرتَ بأحدٍ من الشعراء، ومن أحَبُّ هؤلاء إليك؟

ج من الشعراء المعاصرين يعجبني شوقي كثيراً، وقد نظمت العديد من القصائد معارضاً لقصائده؛ ويعجبني من القدامى، الشريف الرضي وقوله متغزلاً:

وتلفتتْ عيني فَمُذْ خَفِيَتْ   عني الطلولُ تلفَّتَ القلبُ

كما يعجبني المتنبي حيث يقول:

أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدهر   وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ
تمرَّستُ بالآفاتِ حتى تركتُها   تقول: أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ؟؟

كذلك يعجبني أبو تمام.

س بما أنّنا من الجنوب، والجنوب كما هو معروف، جرحٌ أزليُّ النَّزْفِ في جسد هذه الأمة؛ فماذا يعني هذا الجنوب لك؟

ج ليس هنالك بلد مثل الجنوب، فهو في نظري أحسن وأجمل منطقة في الدنيا، ويكفي أن تُذكرَ لفظةُ «الجنوب» على مسامعي، ولو قُصِدَ بها أيُّ جنوب، فإني أشعر عند سماعها بانشراح وسعادة عظيمين لأنها... جنوب؛ وقد ألقيْتُ في حَفْل افتتاح الفرع الجديد لمدرسة «الصوانة» (قرية في قضاء مرجعيون، حيث يسكن الشاعر الآن) الذي أقامه المؤتمر الوطني لدعم الجنوب هذه القصيدة، وكان بين الحضور عددٌ من مرشحي الانتخابات النيابية لسنة ١٩٧٢، وذلك قبل إجراء هذه الانتخابات باسبوعين تقريباً:

أغداً قريباً قد تجي أو تعتلي   فوق المنابر عصبةٌ تتكلّمُ
في كلِّ وَعْدٍ قد يكون توهُّماً   فإلى متى يُغري الأباة توهُّمُ
وإلى متى يبقى الخداعُ مسيطراً   ويسيطرُ الظلمُ الكبيرُ ويحكُمُ
مَنْ ذا يُردِّدُ والعدوُّ مُحلِّقٌ   فوق المنازل والأمانُ مُحرَّمُ

ويقول يا لبنان ما لك لا ترى ... بلدي الجنوب كيانها متهدّمُ؟!
أرأيت نيران القنابل في القرى ... تُرمَى، وتَحرقُ ما تشاءُ وتهدمُ
فكأنه قد كان عضواً فاسداً ... فقطعتَهُ حتى حياتك تسلمُ!!؟
قسماً بمن رفع السماء عن الثرى ... لولا التخاذلُ، ما بشعبكَ تُعْدَمُ
كلاَّ، ولا كانت فتاةٌ في الحمى ... تبكي قتيلاً بالدماء يلطّم
إن العروبة لا يكون بشرعها ... هذا مسيحيٌ وذلك مسلمُ.

س أخيراً، ما هي التذكرة التي تحب أن تضعها بين أيدي القرّاء الأعزاء؟

ج أحب أن استودعهم بهذه القصيدة، وكنتُ حين نظمتها في «بكفيا» أتصفّحُ ديوان «شوقي»، فقرأت قصيدته المشهورة:

دخل الكنيسة فارتقبتُ فلم يطلْ ... فأتيتُ دون طريقه فزحمتُهُ
فازوَرَّ غضباناً وأعرضَ نافراً ... حالٌ من الغيد الملاح عرفتُه..

فعارضتها قائلاً:

قلبي على طُرُق الحِسَان طرحتُه ... فلعلّه يحظى بمن أحْبَبْتُهُ
ولعلّه يَشْفَى من الوجد الذي ... بحَميمِه منذُ الصبا علّقتُهُ
لا تسألوا عني وعن أحواله ... لمّا على كفّ الغرام تركتُه
أبداً كِلانا قد تجرّع حنظلاً ... وغدا الغرام يُذيبه ويُميتُه
فعشقتُ من بين الظباء لدى الحمى ... ظبياً تأسّس في الضلوع مبيتُه
إنْ جئتُه يوماً وإنْ عاتبتُه ... يزدادُ تيهاً كلما عاتبتُه...

إلى أن قلت:

لَوْ لَمْ يَكنْ دمعي تحرّكَ في الحشا ... لبكيتُه بمدامعي ورثيتُهُ
حُسْنٌ بثغرك لو يُباعُ بريقُهُ ... أو يُشترى من حُسْنه ياقوتُه
أو يشترى بالروح أغلى ما أرى ... قد بعتُ روحي عنده وشَرَيْتُهُ
وَرْدٌ بخدّكَ كالعبير عرفتُه ... فألفتُهُ مُذْ شمتُهُ وعشقتُهُ
لو كان وَرْدُ الخدّ يُؤخَذُ خِلْسَةً ... لأخذتُهُ عن عرشه وسرقتُهُ
لو كنتُ أدري أيَّ عرشٍ ترتقي ... مهما تصعّبَ نَيْلُهُ يمّمْتُهُ
لرأيتَ بدراً من جبينك ساطعاً ... بدراً تسامتْ في العيون نُحُوتُهُ...
هذي حياتي كلها إنْ تسألوا ... عني وعن عمري الذي قضّيْتُهُ
فالحُبُّ خالط مُهجتي وكأنني ... مُذْ جئتُ طفلاً للحياة رضعتُهُ.

نعم... إنه الشيخ عبد الحسين بسام... شاعر من جبل عامل.

علي يوسف نور الدين.

من تاريخنا الروحي

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

كان العصر الفاطمي صورة رائعة لحضارة مصر الاسلامية، وفي ظلاله بلغت مصر اوج تقدمها وازدهارها السياسي والعلمي.

وقد شاركت في بناء حضارة العصر الفاطمي عقول كثيرة من مختلف الشعوب الاسلامية وكانت الصلات الروحية والفكرية بين مصر وإيران في قمة توثقها، وقد عمل على متانتها شخصيات كثيرة مصرية وإيرانية.

ومن أروع هذه الشخصيات الإمام المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي (٣٩٠ - ٤٧٠ هـ و ٩٩٩ - ١٠٧٨ م)، وهو شخصية اسلامية كبيرة، أدت رسالة جليلة في دعم العلاقات السياسية والثقافية والروحية بين مصر وإيران في القرن الخامس الهجري الى الحادي عشر الميلادي؛ وفي ظلال الدولة الفاطمية في مصر، والبويهية في فارس والعراق.

وكان المؤيد في الدين من فلاسفة المذهب الاسماعيلي، وأشهر أئمته. وكان من أسرة دينية كبيرة، وأبوه كان من دعاة المذهب الفاطمي بشيراز، وله صلة وثيقة بالحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي في مصر، كما كانت له مكانته الضخمة، ومنزلته الرفيعة في المجتمع الفارسي. وكان يتمتع باحترام الشعب وتبجيله. وكانت فارس في ظلال الديالمة من آل زيار، والبويهيين من آل بويه؛ تعتنق المذهب الاسماعيلي الذي تعتنقه الخلافة الفاطمية.

- ٢ -

وفي هذا الوسط الديني الجليل، نشأ المؤيد في الدين، وتلقى ثقافته، وأخذ يترقى في مراتب الدعوة الاسماعيلية، حتى وصل إلى رياسة الدعوة في شيراز، وأصبح داعي دعاتها.

وتوثقت صلة المؤيد بالأمراء البويهيين، واستطاع أن يكسب عطفهم، بقوة حجته، وسحر بلاغته. واستمر في العمل من أجل الدعوة في شيراز والأهواز، وأمر الناس بإقامة الخطبة للخليفة المنتصر الفاطمي. ولكن الخلافة العباسية في بغداد ضيقت عليه الخناق، فرحل الى قاهرة المعز لدين الله عام ٤٣٦ هـ.

وفي القاهرة رحب به الخليفة المستنصر بالله، واستقبله استقبالا رسمياً ووصف المؤيد مقابلته التاريخية له وصفاً رائعاً في كتابه «سيرة المؤيد في الدين».

وأصدر المستنصر بالله أمراً بتقليد المؤيد في الدين ديوان الانشاء في القاهرة، وبزيادة مخصصاته المالية؛ واحتل مكانا كبيراً في البلاط المستنصري. وبعد قدومه إلى مصر بثلاث سنوات قدم الرحالة الفارسي ناصر خسرو إلى القاهرة وأقام في مصر ثلاث سنوات. ووصف الحضارة الفاطمية في كتابه «سفر نامة» وصفاً رائعاً.

واستغل المؤيد في الدين عمله في «ديوان» الانشاء» من توسيع نطاق الدعوة الفاطمية وامتدادها إلى بغداد، حيث أمر البساسيري عام ٤٥٠ هـ أن يدخل بغداد، ويدعو على منابرها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وقد فعل ذلك ثلاثة عشر شهراً كاملة. ومن أجل ذلك كله قدرت له الخلافة الفاطمية جهاده من أجل الدعوة والدولة، فاسندت إليه رياسة الدعوة في القاهرة عام ٤٥١ هـ، وبذلك أصبح المؤيد في الدين داعي الدعاة وبفضله قدم حسن الصباح الى مصر عام ٤٦٩ هـ.

- ٣ -

وكان الفاطميون منذ قدومهم الى مصر، جادين في العمل من أجل نشر دعوتهم المذهبية ومن أجل قوة الدولة وازدهار الحضارة ورعاية العلم والعلماء؛ حيث أجزلوا لهم العطاء، وأسسوا دار العلم أو دار الحكمة وملأوها بالكتب من مختلف الفنون والعلوم. وخصصوا جانباً منها ليلقى بها الدعاة محاضراتهم؛ بل جعلوا في العصر الفاطمي مكاناً للدعوة أشبه بقاعة المحاضرات في عرفنا المعاصر. وكان الدعاة والقضاة يقومون بالقاء محاضراتهم كل يوم أحد للرجال، وكل يوم اربعاء للنساء، وكل يوم ثلاثاء لكبارات رجالات الدولة. ويصف المقريزي إقبال الناس على شهود هذه المحاضرات، فيقول: إنهم ازدحموا مرة لسماع القاضي محمد بن النعمان، فمات منهم أحد عشر رجلاً من شدة الزحام[1].

وكان كتاب «دعائم الاسلام» للقاضي النعمان من أهم مصادر الثقافة المذهبية عند الفاطميين.

وقد أسندت رياسة الدعوة في أول قيام الخلافة الفاطمية في مصر إلى عالم كبير، أطلق عليه لقب «داعي الدعاة»، وكانت رتبته تلي رتبة قاضي القضاة»، ويساعده في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، وله نواب ينوبون عنه في الأقاليم؛ وكان يعد الصلة الوثيقة من الخليفة الفاطمي ورعاياه من الشعب من أتباع التعاليم الاسماعيلية. كما كان له منزلة رفيعة في البلاط الفاطمي.

وممن شغل هذا المنصب الرفيع الفاطمي النعمان، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، وغيرهما

---

(١) ٢٢٣/١ خطط المقريزي

من كبار دعاة الاسماعيلية ويوقع مرسوم تعيين « داعي الدعاة » الخليفة الفاطمي نفسه في أغلب الأحايين ، أو نائبه وزير السيف في أحيان أخرى ؛ ويتقاضى مرتباً شهرياً مقداره مائه دينار .

- ٤ -

وكان المؤيد مشمولا برعاية الخليفة المستنصر الفاطمي وبتشجيعه ، وكتب المستنصر اليه مرة يقول :

يــا حجــة مشهــورة مــن الورى	وطــور علم أعجــز المرتقــى
شيعتنــا قــد عــدمــوا رشــدهــم	في الغــرب يــا صــاح وفي المشرق
فــأنشر لهم مــا شئــت مــن علمنــا	وكــن لهم كــالــوالد المشفــق

ومما كتبه المؤيد الى المستنصر قوله من شعره :

سلام على العترة الطــاهــرة	وأهلا بــأنــوارهــا الزاهــرة
سلام على المصطفــى أحمد	ولي الشفــاعــة فــي الآخــرة
سلام على المرتضى حيــدر	وأبنــائــه الأنجم الزاهــرة
سلام عليــك فمحصــولهم	لـديـك أيــا صــاحــب القــاهــرة

وقد خلق المؤيد في الدين عـدداً مـن الكتـب التي تعتبر مـن أمهـات المصـادر في المذهـب الاسماعيلي . ومنها :

١ - المجالس المؤيدية وهي مجموعة محاضرات القاها في مجالس الدعوة يشرح فيها أصول التعاليم الفاطمية .

٢ - سيرة المؤيد في الدين .

٣ - قصيدة الاسكندرية التي تسمى ذات الدرجة .

٤ - ديوان شعر حافل بالقصائد التي تزخم بالمعتقدات الاسماعيلية ، لأن شعره كله كان موقوفاً على حزمه الدعوة وتقريبها إلى جماهير الناس . ومن ثم امتاز شعره بالسهولة والوضوح وتدفق العاطفة الدينية ، وقد وهـب شاعريته للمذهب ، وديوانه فريد في بـابـه ، وفيـه اصـول المذهب كلها ، يقول في الأئمة :

وهــم اولــو الأمــر أئمة الهدى	عصمــة مــن لاذ بهم مــن الورى
مفــروضــة طــاعتهــم على الامــم	قــاطبــة مــن عــرب ومــن عجــم

وفي الديوان قصائد تتحدث عن الظاهر والباطن وعن حل المصطلحات والعقـائـد ، وتحفـل قصائده بالجدل للخصوم وبمدح الخلفاء . وما تزال طـائفـة البهـرة تـردد شعـره حتى اليـوم .

وينشدونه بعد صلاة النوافل، وبخاصة ليلة السابع عشر من رمضان بعد العشاء. ومما يرددونه من شعره قوله:

إلهي دعـــوتـــك سراً وجهــراً   أيـا مـالـك الملـك خلقـا وأمــرا
ويـا مــن يصرفنـا كيــف شـــاء   حيــاة ومـــوتـــا وحشرا ونشرا
إلهــي شـــددت حـــال الرجـــاء   اليــك فمضـــوا إلهـــي وغفـــرا

وللمؤيد فضل رعاية الشعراء، وبخاصة شعراء المذهب والعقيدة.

وإذا كان الحاكم الفاطمي قد أمر وزيره الفلاحي بأن يكتب الى عزيز الدولة والى حلب ليحمل ابا العلاء المعري الى مصر، وبأن يسمح له بخراج المعرّة في حياته.. فان المستنصر الفاطمي قد بذل لأبي العلاء ما لبيت المال في المعرة من أموال، وان كان أبو العلاء لم يقبل منه شيئاً كما أن ظروفه لم تسمح له بالسفر الى القاهرة.

وكذلك كتب المؤيد في الدين الى والي حلب أن يرفع من منزلة أبي العلاء وان يجري عليه من الاموال ما يقوم بحاجاته، وتلك لفتة كريمة عادت على الشعر والشعراء في عصره بالازدهار والقوة.

ـ ٥ ـ

وبعد جهاد طويل، وحياة حافلة وفي عام سبعين وأربعمائة للهجرة توفي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي تاركاً وراءه تراثاً علمياً فريداً، وتاريخا مشرقاً خالداً على الأيام، وصفحات مضيئة من النضال الفكري والروحي ودعم العلاقات السياسية والمذهبية بين شعبين عريقين من أجل الشعوب الاسلامية أثراً في تاريخ حضارة الاسلام، وهما مصر وإيران، فرحمه الله رحمة سابغة، بما أدى لوطنه ودينه وأمته من جليل الخدمات، والسلام عليكم ورحمة الله.

القاهرة ـ محمد عبد المنعم خفاجي

ثلاث في ثلاث

قال الحسن بن سهل: قرأت في بعض الكتب: ثلاث لا يمتنع السائس بشيء من تحمل المداراة بين الأقارب، وتعاهد الأكفاء، والركاكة في العقول. وثلاث لا يستغني عنها ملاحم شرع من الملك:

العدالة في السلطان، والتعفف في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار. وثلاث لا يستقيم معهن الحياة: الهامة، والملل. وثلاث تحط بها ثلاث: الشدة مع الجهلاء، والعجلة مع الثاني، والاسراف مع النقص.

لمحات من الفعل الحضاري الاسلامي في أوروبا

بقلم: حسن الزين

ـ ٣ ـ

المذهب التجريبي والتقدم العلمي

للمؤرخ الفرنسي المعاصر أندره ميكال في كتابه عن الاسلام والحضارة الاسلامية L'Islam et sa civilisation ، كلام يلخص ويبرز الأثر الذي كان للحضارة الاسلامية ولعلمائها في تطوير الفكر الغربي الحديث. جاء فيه: (عندما نأخذ مثالا كالبيروني الذي كان مسلماً مخلصاً وكاتباً كبيراً ولنقل بكل صراحة انه تمتع بمستوى عالمي كبير. لقد كان رمزاً لهذه السلسلة من العلماء الذين نعرف أنهم معلمونا نحن (الاوروبيين) لاننا قاسمناهم حتى الكلمات والتعابير التي كانوا يستعملون كالجبر والكحول الخ...) من هذا الكلام الذي يحمل التعبير الكبير عن التأثير الكبير يمكن ان ننتقل الى كلام آخر اعتبر العلماء والمؤرخون قائله الفيلسوف الاوروبي المعروف ديكارت أول من ترجم بواسطته في القرن السابع عشر ذلك التغيير الشامل في المناخ العقلي الاوروبي الى منهج تفكير (لأنه ولد في هذا المناخ وترعرع فيه). يقول ديكارت: (انه من الممكن الوصول الى معرفة تطبق تطبيقاً نافعاً في الحياة بحيث تترك مدارس التعليم تلك الفلسفة السكولاستيكية وتعلم فلسفة تقبل التطبيق وتتيح لنا بعد معرفة تأثير النار والهواء والاجرام الفلكية وكل الأجرام التي تحيطنا، أن نستخدمها تحت قانونها بالذات لمصلحتنا الخاصة، حيث نتمكن من امتلاك الطبيعة والهيمنة عليها.)

ان هذا الكلام قد اعتبر كمنهج تفكير، ثورة في ذلك العصر وتعبيراً عن قفزة مذهلة تهيء للعقل الاوروبي سبل الفكر النير والعلم المفيد. ولكننا نتذكر كلاماً اسلامياً مشابهاً وربما كان على اختصاره اشد تعبيراً وأبلغ وضوحاً ولعل كلمات ديكارت السابقة تصلح إطاراً لتفسيره والتعبير عنه رغم انه سبقها بأكثر من ألف عام. لقد جاء في الحديث الشريف: (اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع) أليس العلم الذي ينفع ينحصر في العلوم التي (تمكن الانسان من الوصول الى معرفة تطبق تطبيقاً نافعاً في الحياة) كما جاء في كلام ديكارت؟ هنا لا بد من الاشارة الى ما يحفل به كتاب الله من دعوة للانسان الى أن يفتح عقله وقلبه وحسه ووجدانه وبصيرته على العالم والطبيعة والكون، أن ينمي تجربته حتى تستوعب العالم والطبيعة ليصبح في عداد الذين (يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض.) انها دعوة لتعميق الخبرة البشرية ولمد التجربة الى الجذور البعيدة. هذه الدعوة

أدت الى تحولات عميقة في فكر ومصير الشعوب الاسلامية عندما استجابت لها وتفاعلت معها، والى السابع عشر بقدر ما كانت جذورها تعود الى مطلع القرن الاول للهجرة رغم بعد الشقة واختلاف التفاصيل.

وتبدل الظروف وما ادى ذلك اليه من اختلاف في الدلالة والتعبير ربما شبه من خلاله للذين ينكرون علينا هذا الادعاء أننا نتلمس النقل الكامل في الفكر والعبارة والقالب والتفاصيل، دون التفاعل الحضاري المعبر الحامل لبذور التقدم والانطلاق.

لقد كان التفاعل الحضاري الاسلامي مع الغرب شديد العطاء في سعته وعمقه فلم يستطع أشد الاوروبيين عداء للدين الاسلامي أن ينكروا ذلك حتى رأينا مفكر كبيراً كأرنست رنان يقول في معرض حديثه عن (ابن رشد... مذهبه وفلسفته) وعن الحضارة الاسلامية: (تلك الحضارة التي تدين لها أوروبا الحديثة بالكثير من تقدمها في مجال العلوم والفنون).

لقد جرت هذه الحضارة في عروق النهضة الغربية حتى اعمق اعماقها الادبية والفكرية، في تأثير ظهر في أشهر روائع تلك النهضة فإذا بنا نلمح أثر الفكر الاسلامي في (الكوميديا الالهية) لدانتي عبر تصورها لمصير الانسان بعد الموت وهو ما يشير اليه مؤرخ الحضارات الفرنسي أندره ميكال في كتابه عن (الاسلام وحضارته) ولكن هذه الملامح التي ظهرت في الكوميديا الالهية، يقول المعترضون، لا يمكن رغم صحتها ان تؤلف دليلا على تأثير واسع وعميق يحمل ما يكفي لاعتباره عاملا فاعلا وشاملاً في فكر وثقافة عصر النهضة في أوروبا.قد يكون صحيحاً أن ما ظهر في (الكوميديا الالهية) لدانتي ليس كافياً لوحده لاثبات الحجم الحقيقي للفعل الحضاري الاسلامي في أوروبا ولكن عندما تمر بذور التأثير بمؤلف كدانتي فيظهر لديه تصور الاسلام لحقيقة ما بعد الموت وآراء مفكريه حول هذا الموضوع، فان ذلك لا يعني انها اقتصرت على دانتي لوحده فجاءت معبرة عن تأثر شخص واحد هو دانتي من ذلك العالم الغربي الشاسع بهذا الفكر وهذه الآراء! أليس هذا ما يريدنا بعض مؤرخي الغرب ان نعتقد؟ وقد يكون العكس هو الصحيح عندما نتصور العدد الكبير من المثقفين المعاصرين لدانتي الذين لم يتعاطوا التأليف.

ان المدارس العربية الاسلامية في الاندلس قد قامت بدورها الكبير في نشر الثقافة والعلم دونما تفرقة عنصرية او طبقية وقد ادى ذلك لتخريج اعداد كبيرة من المثقفين النصارى واليهود الاوروبيين الذين تعلموا فيها وخاصة منهم بعض رجال الدين، ونعلم أنه حتى بعد سقوط المدن الاسبانية في يد الافرنج فان مدينة كطليطلة أبقت واستدعت كثيراً من العلماء المسلمين وتعاملت معهم فكرياً بكل تسامح واتزان، رغم أنه، وهذا ما يسجله التاريخ، كانت حملة الحقد والعداء للاسلام والمسلمين في أوج تحركها وبعد ذلك لا بد أن نتساءل عن المجالات التي بلغ فيها ذلك التأثير والمواضيع التي شملها؟ هل كانت اقتصادية وتجارية ام سياسية ام فكرية ام كانت ذلك كله لانه يتعلق بالأسس التي تميز الحضارة أية حضارة في نظرتها الى المجتمع والانسان؟

لقد شمل مناخ الفكر الاسلامي مواضيع وصيغ الوعي السياسي والاجتماعي والفكري ◄

والتجاري والاقتصادي. فاذا ما تلمسنا جوانب الفكر السياسي والاجتماعي الذي اسفرت عنه النهضة الأوروبية الحديثة منذ مطلع عصورها نجد فيه ما يقترب كثيراً من صيغ ومبادىء اسلامية مشابهة ومتقابلة معه في سعة أفقها وصمود ركائزها قروناً مديدة من الزمن، فالمساواة والحرية والتسامح واللاعرقية والشورى وهي أهم المبادىء التي انتهى اليها نظرياً عصر النهضة الاوروبية الحديث لم تكن غريبة عن معطيات الفكر الاسلامي ونصوصه لأنها تكرست منذ فجر الاسلام في كتاب الله وسيرة الرسول قبل ان يتناول تفاصيلها جهابذة الفكر والسياسة والحديث من المسلمين.

وقد عرفت العصور السابقة على الاسلام أكثر هذه المبادىء ولكنها لم تتعد يوماً طبقة المواطنين الاصليين على النسق الذي عرفته روما في عصور ازدهارها، فهي لم تمتد لتشمل الاغراب والرقيق حتى جاء الاسلام فعممها نظرياً في شمولية كاملة ضمن نصوصه الكثيرة المتفرقة وعممها عملياً عبر مختلف العصور في مد وجزر يختلفان باختلاف نظم الحكم وتصرفات الحاكمين.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن المبدأ الذي ظهر في دستوري الثورة الفرنسية والثورة الاميركية ضمن هذه العبارة: الناس يولدون أحراراً، يجد جذوره البعيدة والواضحة في كلام الخليفة عمر بن الخطاب: كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ومبدأ المساواة الذي ترجم في الدساتير الغربية ضمن العبارة المتكررة باستمرار والتي تنص على أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، هل يمكن لنا أن نبتعد به عن هذا الكلام المعبر الذي سبقه بقرون عديدة: لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى.

وضمن نفس الاعتبارات والظروف يمكن ان نتحدث عن ضمان جميع الحريات لجميع الطبقات والاجناس والفئات والأديان. كل هذه المبادىء كانت تميز المجتمع الذي انشأه الاسلام عبر الدين الذي اعتنقه هذا المجتمع. وعندما يكون كل ما ذكرنا هو أشد ما ميز معطيات عصر النهضة في أوروبا، فليس من ضروب الخيال أن نفتش عن جذوره في البناء الحضاري الاسلامي الذي واجه أوروبا ودخلها في كثير من أجزائها وأمدها بقبس منه عن طريق التعامل الثقافي الذي كان يتم مباشرة عبر الاحتلال او عن طريق التحدي والمواجهة وما أديا اليه من احتكاكات سببتها الحروب ونتائجها. وليس يهمنا ان تكون عصور التاريخ الاسلامي قد عرفت في كثير منها خروجاً شديداً على هذه المبادىء وتنكراً لها واقترافاً لاحداث منكرة تعادي ما بشر به هذا الدين وتتطاول في الكثير من الاحيان على اسمى منجزاته، لأن كل ذلك لا يقلل من أهمية العطاء ولا يهيمن على نصوصه التي ظلت تتداولها الكتب والعقول وتنتقل في سهولة ويسر من حضارة الى أخرى. هذا لجهة الوعي السياسي والاجتماعي فهل كان للوعي الفكري نفس التأثير واين برزت ملامح اتصال هذا الوعي بجذور اسلامية او جذور عربية اسلامية على الأصح؟ لقد سبق أن أشرنا الى المذهب التجريبي عند ديكارت وألمحنا الى مقارنة أظهرت وجهاً من أبرز وجوه التشابه والتقابل كما أشرنا الى الكوميديا الالهية لدانتي.

واذا كان المجال لا يتسع هنا لسرد الكثير من هذه المقارنات فانه من المفيد إبراز ما أورد أندره ميكال الاستاذ في الكوليج دي فرانس في كتابه عن الاسلام وحضارته عند حديثه عن (العلوم عند العرب) والأثر الحضاري الذي كان لها في أوروبا: كان لا بد من الاختيار بين الرياضيات التي نشرها بكثافة عالم كالخوارزمي وأبو الوفاء البزجاني والبطاني، إنها الجبر ونقل الترقيم والعدد العربي الى أوروبا واكتشاف الـ (Sinus) و (Fangente) وقياس درجة في الدائرة الارضية وفي الكيمياء ثم مع جابر بن حيان وتلامذته استعمال التبخير distillation وتحديد عدد كبير من الاجسام ابرزها الكحول وحامض الكبريت في علم النظريات optique كانت بحوث ابن الهيثم وفي الطب نجد دراسات الرازي عن مرض الجدري وغيره من الأمراض، كما تم تأسيس البيمارستانات (المستشفيات) التي انتشرت في أوروبا بعد عودة الصليبيين من الشرق واستمر التعميم والتأثير حتى وصل الأمر الى أطباء روايات موليير! والى علم صيدلة ونظريات أخرى يقدمها ابن سينا فتؤلف أساس ونواة هذا العلم. وقد تم تأسيس أطلس جديد للكرة الأرضية في بيت الحكمة ببغداد وهو ما سبق ظهور هذا العلم الجديد الذي كان مقتصراً لدى ابن خرداذبة على اهتمامات ادارية لمعرفة شؤون الامبراطورية ثم توسعت نظريات هذا العلم واساليبه مع اليعقوبي والاصطخري ثم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري مع ابن حوقل والمقدسي.

ويجب ان لا ننسى علما النبات والنجوم والمعادن ومن تتلمذوا عليهم وهم كثرة.

كان الحضور العربي الاسلامي واضحاً في جميع هذه الحركات الفكرية باللغة والدين الذي لم يكن لينفصل عن ابحاث العالم واسئلة الفيلسوف. هذا المستوى من التقدم العلمي الذي انضم اليه العالم الاوروبي عبر المدارس والترجمة والاطلاع المباشريجعلنا نطرح السؤال عما اذا كان كظاهرة يلقى نفس التحليل الذي كان لظواهر علمية اخرى مماثلة تمت في عصور النهضة الاوروبية؟ وعلماء الغرب عندما يتحدثون عن أكتشاف البخار تحت الضغط كظاهرة لا يتلقونها كاكتشاف قام به مخترعان هما وات Watt ودانيس بابان D. Papin فحسب وفي حدود عقليها وانما كنتيجة لتغيير جذري حدث في كافة المناخ العقلي الاوروبي. وفي حدود هذا التفسير لظواهر الاكتشافات التي أخذت تظهر منذ بداية القرن السادس عشر في اوروبا، يمكن ان نقدر ما كان للتقدم العلمي المشار اليه عند المسلمين من أثر كبير في تغيير المناخ العقلي الاوروبي عندما اطلع عليه كما ذكرنا عن طريق اختلاط سببه الفتح الناتج عن الحروب الصليبية او التفاعل الناتج عن التعلم والترجمة والاطلاع.

بداية القرن السادس عشر الميلادي كانت بداية عصور نهضة كبرى في اوروبا فهل نشأت هذه النهضة فجأة من مؤثرات يونانية محضة في تجاهل لحوالي الف سنة من مسيرة الحضارة في العالم؟ ولماذا تأخرت هذه المؤثرات أكثر من ألفي عام حتى تعطي أكلها؟ لماذا لم تؤد معطيات الحضارة اليونانية الى هذه النتائج بواسطة البيزنطيين الذين احتفظوا بآثارها العلمية خلال قرون عديدة من الزمن؟ أليس في ذلك ما يشير الى أن السبب يكمن في ما قدم اليها خلال حوالي عشرة قرون على يد العرب والمسلمين من ابداع علمي واجتماعي وسياسي؟

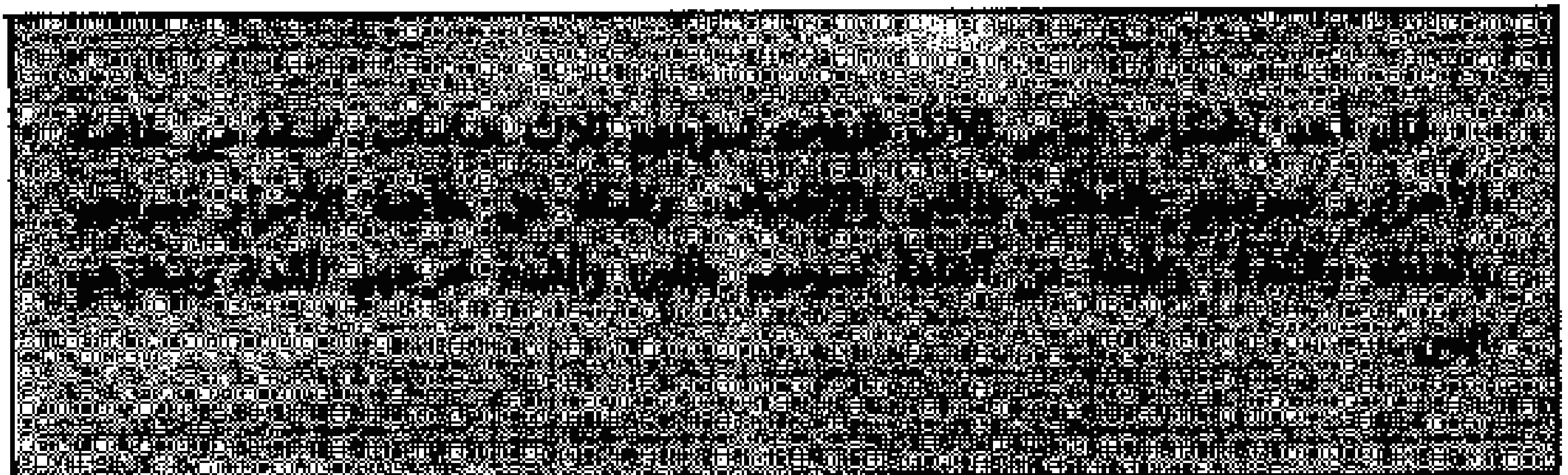
أليست مسيرة الحضارات في العالم سلسلة متواصلة الحلقات التي لا يمكن فصلها وفصل دورها عن مسيرة العلم والحياة، واذا كانت الحضارة الاسلامية قد تفاعلت مع جميع الحضارات السابقة أفليس في ذلك ما يؤكد على قيامها بدورها الفاعل في الحضارات التي تلتها؟

ان ما وصل الينا يؤكد كل ذلك، رغم اسطورة قدمها بعض خدمة الاستعمار تقول بوجود فراغ تاريخي كبير يفصل بين العصر اليوناني وعصر النهضة الاوروبية!!

ان هذه الحضارة الموحدة والمتعددة الاشكال العربية الاسلامية في نواتها الصلبة، التي عبرها ألف تأثير كانت متطورة جداً، لكنها مخلصة لفكرة الوحي، تركيبية لكنها اصيلة بقوة. هذه الحضارة التي لمعت لمدة خمسة قرون ببريق هائل تمثل احد أسمى جهود الانسان، يقول عنها هيغل: (لم يسبق أن حماسة كهذه أحدثت مثل هذه الاعمال الكبيرة).

هذه الحضارة المرتبطة بدين وبنمط حياة لم تفرض معاييرها فقط على مجتمعات متعددة ومجزأة سياسياً. لقد ارادت ان تكون معياراً لكل الاجيال القادمة، وقد رأينا كيف نجحت في ذلك الى حد كبير. والاسباب والاتجاهات المختلفة تنضوي تحت لواء عاملين: النص والممارسة. النصوص الاسلامية إن لجهة ما جاء به الوحي او نقل عن الرسول (ص)، حملت كوادر حضارية سواء في ذلك القوانين الاجتماعية أو الدوافع الثقافية، أو الاسس الحضارية الشاملة. لقد أظهرت فعاليتها في مختلف العصور حتى يومنا هذا، واذا كان الفشل قد دكّ صروح ومعالم محاولات كبرى في اتجاهات اصلاحية يشرها وحمل لواءها العديد من المفكرين فقد كانت الاسباب تنطلق من الممارسات الخاطئة التي حملتها مختلف عصور التاريخ الاسلامي، بدافع من توجهات سياسية واقتصادية أو سياسية معاكسة للنصوص الاسلامية قد لا يتسع هذا المقام للخوض فيها لبعدها عن موضوع بحثنا. إن الكثير من هذه التيارات قد كانت فاعلة في تاريخ اوروبا القديم الثقافي والاجتماعي عبر مراكز الالتقاء التاريخية الكبرى الناتجة عن التحدي المادي العسكري والتفاعل الثقافي عبر خطوط اللقاء الداخلي والخارجي سواء بواسطة الوافدين قاصدي المدارس الاسلامية أو المهاجرين من نصارى ويهود المناطق الاسلامية في أوروبا بشكل خاص أو نتيجة للحروب الصليبية المتتابعة وما نجم عنها وما انتجت من اختلاط وتفاعلات حضارية كان الرابح الوحيد فيها هو الغرب من الوجهة الحضارية ربما نظراً لحالة الانقطاع عن جذوره الثقافية التي كان يعيش فيها وللوعي الحضاري الذي كانت تعيشه هذه المناطق المحتلة من شمالها الى جنوبها.

حسن الزين



ابن الأزرق

- ٢ -

بقلم: د. ناهض قديح

حـ ـ تآليفه:

لقد ترك لنا ابن الازرق ـ حسب المصادر المتوفرة لدينا حتى الآن ـ ثلاثة كتب. أما بالنسبة للكتاب الرابع، والذي ذكره بعض من ترجم ابن الازرق، فسأخصص فقرة لمعالجة الاشكالات حوله، في نهاية هذه الفقرة.

١ ـ الكتاب الأول:

هو «روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام»[٣٣]. وقد ذكر إسم هذا الكتاب في نيل الابتهاج كما يلي: «روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم اللسان»[٣٤]. وهذا الكتاب، غاية في بابه، وهو مجلد ضخم، فيه فوائد وحكايات لم يؤلف في فنه، مثله. ويقول المقري أنه رأى الكتاب المذكور بتلمسان وحفظ منه ما كان ينشده ابن الازرق بعضَ أهل عصره[٣٥] كما مر معنا، وقد أوردت نصاً من هذا الكتاب منقولاً من نفح الطيب عندما تحدثت عن استاذ ابن الازرق، إبراهيم بن فتوح.

٢ ـ الكتاب الثاني:

أما كتاب ابن الازرق الثاني فهو «شفاء الغليل في شرح مختصر خليل». وهو كتاب في الفقه المالكي، وقد رأى المقري، ثلاثة مجلدات منه بتلمسان، ويقول إنه لا يدري، ما إذا كان ابن الازرق قد أكمل الكتاب أم لا. وتقدير المقري بحسب ما رأى أن يكون في عشرين مجلداً. إذ المجلد الأول لم يتم مسائل الصلاة. وقد كتب المقري خطبة الكتاب في كراسة، وقد أتى فيها ابن الازرق «بالعجب العجاب». وهذا أكبر دليل على غزارة علمه واتساعه في الفروع والاصول[٣٦].

إلا أن هناك اشكالاً حول هذا الكتاب من الواجب توضيحه وعدم اغفاله وهو توارد

---

(٣٣) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٨، والمقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٩٩. وشجرة النور الزكية، ص ٢٦٢. وقد ذكره ابن الازرق في كتابه «بدائع السلك» ج ٢، ص ٤٦٢.

(٣٤) احمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٣٢٤.

(٣٥) المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٧٠٠، وازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٨.

(٣٦) المقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٨.

اسم هذا الكتاب مع اسم كتاب «لابن غازي». وقد سأل المقري عمه «الإمام سعيد بن احمد المقري» عن هذا التوارد فأجابه: لعل تسمية ابن الازرق «شفاء العليل» أي بالعين. إلا أن صاحب نفح الطيب لم يقتنع بجواب عمه لأنه رأى الكتاب المذكور بخط الوادي الآشي، تلميذ ابن الازرق وكان اسمه «بالغين» أي الغليل. ثم يؤكد المقري ذاته ان الأسم بالغين بخط عم أبيه أيضاً «الفقيه العلامة، آية الله في معرفة الأحكام، محمد المقري»[٣٧]. وهذا يثبت لنا أن الكتاب المذكور هو لابن الازرق بالاضافة للمصادر التي ذكرت والتي أثبتت ذلك.

٣ ـ الكتاب الثالث:

هو كتاب «بدائع السلك في طبائع الملك» موضوع دراستي، وللاهمية التي يحتلها هذا الكتاب سأتوسع بعض الشيء بتعريفه وترجمته.

بي ايدينا الآن، طبعتان عن الكتاب المذكور:

الطبعة الأولى: تحقيق علي سامي النشار، نشرته دار الحرية، بغداد، عام ١٩٧٧، وهو في جزئين.

الطبعة الثانية: دراسة وتحقيق محمد بن عبدالكريم، نشرته الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، عام ١٩٧٧، وهو في جزئين أيضاً.

والحقيقة ان لكل من الطبعتين ميزات تختص بها:

ـ ميزة الطبعة الأولى:

تضمن الجزء الأول مقدمة للمحقق ودراسة عن حياة ابن الازرق وشيوخه وتنقلاته وتلاميذه وأثره الخ... وتضمن الجزء الثاني مقدمة للمحقق وأختتم هذا الجزء بدراسة نقدية للمصادر التي أعتمد عليها ابن الازرق في تأليفه كتابه و«شذرات من كتاب السياسة لابن حزم»[٣٨] الذي كان مصدراً اساسياً لابن الازرق. كما تضمن هذا الجزء لائحة بالمراجع التي

---

(٣٧) المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٧٠١. والمقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٧، ٣١٨.

(٣٨) ابن الازرق، بدائع السلك، تحقيق النشار، ج ٢، ص ٥١٣ ـ ٥٢٦. وابن حزم، هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو احمد ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ. اصله من الفرس. له كتاب الفصل في الملل في الاهواء والنحل، وكتاب في الاجماع، وكتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها، وكتاب التقريب لحد المنطق. وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل. (احمد بن عميرة الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٠٣، ٤٠٤. ولم يذكر تاريخ وفاته، بل أكتفي بالقول انه مات بعد عام ٤٥٠ هـ/١٠٥٨. أما القفطي في كتابه أخبار العلماء، فيقول ان اصل آبائه من قرية اقليم الرواية من كورة نبلة من غرب الاندلس، وسكن قرطبة، وذكر تاريخ وفاته ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ (القفطي، أخبار العلماء، ص ١٥٦).

اعتمدها المحقق في تحقيق الكتاب، سواء كانت كتبا مخطوطة، أم مطبوعة[٣٩].

إلا ان هذه الطبعة لم تبوب بشكل جيد، حيث اختلطت احياناً العناوين الفرعية بعضها مع بعض. بحيث كان من الصعب تمييزها. هذا بالاضافة إلى بعض الاخطاء المطبعية التي كانت تشوه المعنى في بعض الأحيان.

ـ ميزة الطبعة الثانية:

تضمن الجزء الأول على مقدمة للمحقق ودراسة موسعة عن ابن الازرق. افتقرت هذه الطبعة لترجمة الاعلام التي وردت في نصوص ابن الازرق، إلا ما ندر. كما ان المحقق لم يذكر مصادر ابن الازرق كلها، اللهم إلا ابن خلدون (المقدمة)[٤٠]. إلا أن الجزء الثاني من هذه الطبعة تضمن تخريجا للآيات القرآنية التي وردت في الكتاب. كما احتوى هذا الجزء على تخريج للاحاديث النبوية وآخر للابيات الشعرية وذكر بحورها. وتضمن فهرسا للاعلام والكنى والالقاب والقبائل والاجناس والأمكنة والبلدان والكتب والرسائل.

لقد ذكر كتاب «بدائع السلك» في عدة كتب قديمة، ضمن ترجمات متواضعة لابن الازرق وكلها كانت متفقة على ان الكتاب هو عبارة تلخيص لمقدمة ابن خلدون الشهيرة، مع اضافات وزيادات مهمة عليها. وقبل البدء بعرض ما قيل في كتاب البدائع هذا أفضل أن نستمع لابت الازرق نفسه وهو يتكلم عن كتابه ويحدد الهدف منه والغرض من تأليفه، يقول في خطبة الكتاب:

« ان الملك صورة العمران البشري وقراره، ومعناه الذي يشتمل عليه فوائد الاحتياج واسراره. وأني لمّا رأيت من ذلك ما هو أنور من شمس الظهيرة، وأجلى في الظهور عند الخاصة والجمهور من القضايا الشهيرة، قصدت إلى تلخيص ما كتب الناس في الملك والامارة، والسياسة التي رعيها على الاسعاد بصلاح المعاش والمعاد اصدق امارة، على نهج من محيا الحكمة قناع الاحتجاب، ويأتي في تقريره لتهذيب ما فضل تحريره، بالعجب العجاب، لأتحف به من تشوف لهذا الغرض ولم يعدل فيه من الجوهر إلى العرض، من أمير صدقت فيه

(٣٩) ابن الازرق، بدائع السلك، تحقيق النشار، ج ٢، ص ٤٨٩، ٥١٢.

(٤٠) هو عبدالرحمن بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن خلدون الاشبيلي الحضرمي القاضي ولي الدين المؤرخ المالكي. له تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي، شرح الرجز لابن الخطيب، شرح قصيدة ابن عبدون، شرح قصيدة البردة، طبيعة العمران، عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر في التاريخ، سبع مجلدات. (اسماعيل البغدادي، هدية العارفين، مج ١، ص ٥٢٩).

NASSAR (N.) La pensée réaliste d'Iben Khaldun, Paris, P. U. F. 1967.

ترجم منذ أشهر إلى العربية وصدر عن دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.

رغبته وظهرت، ومأمور وضحت به دلائل الافادة به وبهرت...»[41].

يبين لنا هذا النص، الذي أخذناه من خطبة كتاب بدائع السلك، أشياء كثيرة:

أولاً: ان ابن الازرق كان يعي وعيا كاملاً ما يكتب وما يؤلف، وما يختار من نصوص غيره.

ثانياً: يوضح لنا موضوع كتابه ويحدد محتواه. وكما واضح يتضمن الكلام عن السياسة بشكل عام، وعن علم الاجتماع السياسي بشكل خاص.

ثالثاً: يبرز هذا النص الدوافع التي دفعت ابن الازرق لكتابة كتابه هذا، وتمثلت هذه الدوافع في الاوضاع التي سادت عصره. فابن الازرق عاش وترعرع في ظل الانحلال الخلقي والاجتماعي والسياسي الذي ساد الاندلس، ورأى الاضطرابات والفتن في كل مكان، وعاصر انتزاع الاسبان لدولة واحدة بعد الأخرى من أيدي المسلمين. كل هذا، شكل الحافز الذي دفعه للتفكير بمشاكل مجتمعه التي تسير به نحو الاحتضار. فحاول من خلال كتابه اعطاء الحلول والأدوية الملائمة الشافية. واحب أن يضيء طريق الحكام والسياسيين وشعوبهم. فعمد إلى كتابة بدائع السلك ليكون عوناً لهم في الابتعاد عن التدهور والانحلال، لما تضمنه في قسمه الأكبر من قواعد اخلاقية تُقوِّم السلوك السياسي والاخلاقي.

رابعاً: يؤكد النص أيضاً اعتراف ابن الازرق بأنه لم يأت بشيء جديد، ولا بآراء مبتكرة. فما قام به هو تلخيص لما كتبه غيره في السياسة والاخلاق. إلا أنه يحق نسّق نصوص الآخرين من العلماء والحكماء والأدباء، وأظهرها لنا جميعها بشكل منظم متكامل مبتعد عن الإطالة والاسهاب. وذلك بحذف الجمل المتكررة والمترادفات، وهو يقول: انه هذب النصوص ورتبها، لتفي بالغرض والمعنى، وكان ينسقها لتكمل بعضها البعض[42]. وكان يذكر مصادره ومراجعه التي أعتمد عليها. وهذه الامانة العلمية ميزة كاد أن ينفرد بها.

لا يعارض ابن الازرق في تسمية كتابه «تحرير السياسة» وهو عنوان مناسب له، كما يقول، لأن السياسة «من العلم الذي لا يستغني عنه سوقة ولا ملك»، ومن الواجب الاعتناء والاهتمام بها. ومن سماه بهذا الاسم «فوجهه وضاح الأسرة مشرقها، ولحظه في الاعتبار المناسب، اصيل المناسب معرقها»[43].

لقد قلت في مستهل الكلام على كتاب بدائع السلك ان عدة مصادر قديمة ذكرت هذا الكتاب، وأبدى أصحابها آراءهم فيه.

(٤١) ابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، ص ٣٤، ٣٥.

(٤٢) ابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، ص ٣٦.

(٤٣) المرجع عينه، ج ١، ص ٣٥، ٣٦.

فالمقري صاحب نفح الطيب يقول: إنه « كتاب حسن في موضوعه، لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره، مع زوائد كثيرة عليه »[٤٤]. ويقول عنه المقري ذاته في كتابه ازهار الرياض: « وكتاب بدائع السلك في طبائع الملك، كتاب بديع في موضوعه، لخص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وزاد عليه زيادة كثيرة نافعة، وهو في سفر ضخم »[٤٥].

أما أحمد بن بابا التنبكتي، فيسمي الكتاب « كتاب السلك في السياسة السلطانية » ويصفه بأنه « كتاب حسن مفيد في موضوعه، لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره، مع زوائد كثيرة لا يستغنى عنها بوجه »[٤٦].

أما كتاب شجرة النور الزكية، فيقول صاحبه عن ابن الازرق، أنه ألفّ كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، وهو كتاب حسن مفيد، وقد جمعه من مقدمة ابن خلدون وغيرها[٤٧].

وقد ذكر الكتاب أيضاً اسماعيل بغدادي، فقال: « بدائع السلك طبائع الملك، لقاضي الجماعة، أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد بن الازرق، الغرناطي الأندلسي المالكي المتوفي بالقدس سنة ٨٩٦ هـ/١٤٩١ م[٤٨]. وذكر الكتاب أيضاً، بعد ترجمة قصيرة له، صاحب معجم المؤلفين[٤٩].

٤ ـ الكتاب الرابع:

هو الابريز المسبوك في كيفية أدب الملوك». وحول هذا الكتاب اشكالات كما أشرت منذ البداية، سأحاول ايضاحها ومناقشتها والوصول من خلال ذلك إلى نتيجة حاسمة.

لقد ذكرنا هذا الكتاب صاحب الاعلام[٥٠]، ضمن ترجمة لابن الازرق فقال: « له كتب منها الابريز المسبوك في كيفية أدب الملوك »، ثم يتابع في ذكر اسماء الكتب الأخرى. وذكر الكتاب أيضاً، محمد عبدالله عنان[٥١] في مقالة بمجلة العربي. وقال أن ابن الازرق كتبه قبل

---

(٤٤) و (٤٥) المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٦٩. والمقري، ازهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٨.

(٤٦) احمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٣٢٤.

(٤٧) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص ٢٦٢.

(٤٨) اسماعيل البغدادي، ايضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون (ج ١، طبع بعناية وكالة المعارف، ١٩٤٥) ص ١٧٠.

(٤٩) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (ج ١١، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٨٠/١٩٦٠) ص ٤٣.

(٥٠) الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ١٨١.

(٥١) محمد عبدالله عنان، كتب تأثرت بمقدمة ابن خلدون، مقالة في مجلة العربي (العدد ١٨٢، يناير ١٩٧٤) ص ١٨٩. ومحمد عبدالله عنان، نهاية الاندلس، ط ٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦، القاهرة، ص ٤٩٠.

كتابه بدائع السلك. ويضيف انه استدل على ذلك من مخطوطة محفوظة في الجزائر، بالمكتبة الوطنية. وانه كتاب ضخم، أكثر من ثلاثمائة صفحة كبيرة، ويبدأه ابن الازرق بالكلام عن الجباية وإقامة العدل وخطط الصلاة والفتيا، في أركان الملك وقواعده، إقامة الشريعة وحفظ المال، خطط الكتابة والجباية، ثم عن بطانة الملك والحجابة وغير ذلك. حتى انه يتابع ليقول عن الكتاب، انه طبع بالجزائر منذ فترة طويلة. وبعد ذلك يذكر اسم كتاب بدائع السلك، ويقول ان ابن الازرق قد تأثر فيه بالنظريات الخلدونية، لا بل يلخص كثيراً من نظريات المقدمة، إلا أنه يعلق عليها ويضيف زيادات كثيرة.

إلا ان علي النشار محقق كتاب بدائع السلك، يرد على ذلك ويقول: أنه لم يعثر على كتاب لابن الازرق، يحمل اسم «الابريز المسبوك» هذا الذي يذكره عنان، ثم ان اسم الكتاب لم يرد في بدائع السلك[٥٢].

لقد حصلت على صور للمخطوط المذكور، لذلك استطيع القول: ان ابن الازرق يذكر اسم الكتاب في صفحته الأولى على الشكل التالي: «الابريز المسبوك في كيفية أدب الملوك» ويرد الاسم في الصفحة ١٥٢ من نفس الكتاب: «الابريز المسبوك في كيفية أدب سير الملوك».

ان هذه الصور تؤكد وجود المخطوط فعلا في المكتبة الوطنية بالجزائر وتحت الرقم ١٢٧٥. والكتاب لم يطبع كما ظن عنان.

من خلال قراءة صور المخطوط تبين لي أن كتاب الابريز، هو نفس «بدائع السلك» مؤلَّفَ ابن الازرق. وقد بدّل عنوانه وسماه بدائع السلك عند انتهائه من كتابته. ويدعم هذا الاستنتاج عدم وروده في الترجمات التي ترجمت لابن الازرق، والتي ذكرتها وهي بمثابة المصدر الاساسي والمرجع المهم لمعلوماتنا عن الأندلس ورجالاتها.

كما ان مقارنة بعض النصوص من الكتابين «الابريز» و«بدائع السلك» تثبت ان المؤلَفين هما مؤلّف واحد. مثلاً:

النص في «الابريز المسبوك»:

«ان الجباية... تتوزع على القبايل وذوي العصبية بمقدار غنائهم وعصبيتهم»[٥٣]

النص في بدائع السلك:

«ان الجباية حينئذ توزع على القبائل وذوي العصبية بمقدار غناهم وعصبيتهم»[٥٤]

---

(٥٢) ابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، مقدمة المحقق، ص ٢٠.

(٥٣) الابريز المسبوك، الورقة الأولى.

(٥٤) ابن الازرق، بدائع السلك، ط ع، ج ١، ص ٢١٣.

ونهاية كتاب «الابريز» هي ذاتها نهاية كتاب «بدائع السلك». فعندما تحدث ابن الازرق عن النبي قال:

«ويكره الرائحة الكريهة، ويكتحل بالاثمد[55].. ويكثر دهن رأسه ولحيته.. ويعود المريض... يجالس الفقراء، يقبل المعذرة... أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي، لا يأكل الثوم والبصل والكراث...»[56].

ناهض قديح

---

(٥٥) الاثمر والأثمد: حجر يكتحل به يعرفه علماء الكيمياء باسم انتيموان (المنجد ص ٧١).

(٥٦) ابن الازرق، بدائع السلك، طبعة عراقية، ج ٢، ص ٤٨٢، ٤٨٣، قارن الابريز المسبوك ورقو ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

هجرية ميلادية لوقائع مهمة في الاسلام

٤٠	٦٦٠	صلح الحسن مع معاوية – معاوية خليفة مدى حياته
٤٦	٦٦٦	الحملة الاولى على افريقيا البيزنطية
٤٨	٦٦٨	الحملة الاولى على آسيا الصغرى
٤٥	٦٦٥	الحملة الاولى على صقلية
٤٩	٦٦٩	الحملة الاولى على القسطنطينية
٥٤	٦٧٤	حرب السبع سنوات لغزو القسطنطينية
٥٦	٦٧٦	معاوية يدعو بالبيعة لابنه
٦٠	٦٨٠	وفاة معاوية واستخلاف ابنه يزيد. امتناع الحسين عن المبايعة وذهابه الى الكوفة
٦١	٦٨٠	مقتل الحسين قرب كربلاء. خروج ابن الزبير لانقلاب في مكة
٦٣	٦٨٣	يزيد يحاصر المدينة
٦٤	٦٨٣	موت يزيد. عبدالله بن الزبير يعلن نفسه خليفة ويبايع في الجزيرة. خلافة مروان الاول في دمشق
٦٥	٦٨٥	وفاة مروان وخلافة ابنه عبد الملك
٦٧	٦٨٧	حرب الجزيرة بين شيعي العراق وعبد الله بن الزبير
٧٢	٦٩٢	الحجاج بن يوسف من قبل عبد الملك يحاصر عبدالله بن الزبير
٧٣	٦٩٢	الحجاج يفتح مكة وابن الزبير يقتل في الحرب
٧٥	٦٩٤	الحجاج يصبح حاكم العراق
٨٦	٧٠٥	قتيبة بن مسلم يحكم الايالات الشمالية الشرقية ويبدأ بالفتوحات حتى تركستان الشرقية

التنظيمات الصهيونية

بقلم: د. حافظ الزين

يشكل «المؤتمر الصهيوني العالمي» الهيئة العليا «للمنظمة الصهيونية العالمية». تعيّن المنظمات الصهيونية في مختلف أنحاء العالم الموفدين إلى المؤتمر الذي ينعقد مرة كل أربع سنوات. ينبثق عن المؤتمر ما يسمّى «المجلس الصهيوني العالمي» الذي يؤلف اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية ومقره الرئيسي في كل من نيويورك والقدس، وللمنظمة فروع في أكثر من ٦٠ بلداً.

تقوم هذه الفروع بمهام متعددة، إما بصفة التمثيل الرسمي للمنظمة الصهيونية، أو من خلال مؤسسات وجمعيات وتنظيمات مرتبطة بها، تأخذ أوجهاً علنية مختلفة (خيرية، ثقافية، إجتماعية، دينية، اقتصادية، إعلامية، علمية)؛ في حين تقوم بمهام سرية بواسطة خلايا مفرزة لهذا الغرض (عصابات مسلحة للتهديد والأغتيال، مخابرات للتجسس، مؤسسات مالية للابتزاز والرشوة، مؤسسات عسكرية لتدريب الشباب اليهودي قبل إرساله إلى الكيان الصهيوني، نواد ليلية وفتيات غانيات «لاصطياد» الشخصيات والأموال... الخ).

فيما يختص بالشؤون المالية للمنظمة الصهيونية، من فرض الضرائب على يهود العالم، وجمع التبرعات وتأمين الهبات والمساعدات ـ فتقوم «**الوكالة اليهودية ـ الصندوق القومي اليهودي**» بهذه المهام، وتتولى منظمة ملحقة بها هي «الكيرن هايسود» العمليات المصرفية في تحويل الأموال وتنظيم الحسابات. للكيرن هايسود (فروع في ٣٤ بلداً، وتؤمّن لها الوكالة سيلاً متواصلاً من المال يتدفق على الكيان الصهيوني من ٥٤ بلداً.

الهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود): مؤسسة تنشط بين العمال اليهود والعرب في الكيان الصهيوني، ولها فروع (سرّية غالباً) في بلدان العالم التي فيها تجمعات كبيرة للعمال اليهود. تتمثل فيه الأحزاب والتنظيمات الصهيونية بالانتخاب من خلال: مؤتمر قومي ـ مجلس عام ـ لجنة تنفيذية.

ولا يحق للعمال العرب المنَسَّبين (بفتح النون والسين) للهستدروت المشاركة في الانتخاب.

يرتبط بالهستدروت:
أ ـ منظمة الشباب العامل.
ب ـ مجلس النساء العاملات.

ويشترك مع الدولة في ملكية مؤسسات أقتصادية كبيرة منها:

١ ـ شركة زيم ٢ ـ شركة العامل ٣ ـ شركة المقاولات الصناعية... إلخ.

التنظيم العسكري الصهيوني:

١ ـ القوات النظامية.

٢ ـ قوات الاحتياط:
أ ـ الخط الأول، الأعضاء من ١٨ ـ ٣٩ سنة.
ب ـ الخط الثاني، الأعضاء من ٣٩ ـ ٤٥ سنة.

٣ ـ المنظمات الوطنية ـ منظمة الناحال (شباب الطليعة المحارب) ـ منظمة عسكرية زراعية

ب ـ حرس الحدود: الحراسة والدوريات المتحركة والكمائن على الحدود

ج ـ الدفاع الاقليمي: وحدات ميليشيا ضمن المستعمرات والمستوطنات

د ـ منظمة الجداناة: (كتائب الشباب) من ١٣ ـ ١٨ سنة، مقسمة الى كتائب البر والبحر والجو.

*للناحال والجداناه امتدادات عالمية في التجمعات السكنية اليهودية حيث تقوم بتأطير الشباب الصهيوني تمهيداً لإرساله إلى الكيان الصهيوني.

التنظيمات السياسية الصهيونية: برزت على مسرح السياسة الصهيونية أحزاب وتنظيمات كثيرة وصلت في إحدى المراحل إلى ٢٦ تنظيماً سياسياً تراوحت أطروحاتها من اليمين الديني، إلى اليسار التروتسكي؛ لكن معظمها يتقيد في أدبياته بالمبادىء الأساسية للمنظمة الصهيونية العالمية:

١) القومية اليهودية ٢) العنصرية الصهيونية، ٣) التوسع الاستيطاني لتحقيق كيان «إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات».

اختلفت التحالفات بين هذه التنظيمات عبر تاريخ الاستيطان والإنشاء والانتخابات البرلمانية بعد إنشاء الكيان. نذكر هنا التحالفات المتكونة في الانتخابات لعام ١٩٧٧:

العنوان السياسي	التجمعات والأحزاب السياسية ومنطلقاتها
اليمين	١) **تجمع الليكود:** مكون من تحالف الناحال (حزب الاحرار + حزب حيروت) مع تنظيمات دينية صغيرة. تضم عدداً كبيراً من قادة المنظمات الإرهابية السابقة (بيغن، شارون)، تنادي بتوسيع وتكثيف الاستيطان واعتبار الكيان في حالة استنفار إلى حين تحقيق دولة «إسرائيل الكبرى».
	٢) **الحزب الديني القومي (مفدال):** يرفض أي تعامل مع العرب، ينادي باستمرار «الكفاح لتحرير كافة أراضي الكيان الموعود». يرفض التغييرات الإصلاحية والطابع العلماني ويطالب بالعودة إلى شريعة التوراة.
	٣) **أغودات يسرائيل وعمال أغودات يسرائيل:** أحزاب دينية متطرفة.
الوسط	٤) **داش (الحركة الديمقراطية للتغيير)** بزعامة الكولونيل «يغئال يادين» ـ حركة ليبرالية تضم خاصة رجال الأعمال والرأسماليين وبعض المنشقين عن حزب العمل. تنادي بتخفيف التوتر والحوار والصلح مع العرب ـ تطالب بعلمنة الدولة (المقصود تطبيق التشريعات المدنية وليس الدينية على المواطنين اليهود).

العنوان السياسي	التجمعات والأحزاب السياسية ومنطلقاتها
يسار اشتراكي	٥) حزب العمل: تجمع المعراخ (حزب مباي + أحدوت هفوداه) مع قسم من حزب رامي كان يتزعمه بن غوريون - يطرح الاشتراكية، عضو في «الأممية الاشتراكية الدولية» التي تضم الأحزاب الاشتراكية مثلاً في فرنسا وألمانيا واسبانيا والسويد وحزب العمال البريطاني - إلخ. تسلّم الحكم في الكيان الصهيوني للفترة ١٩٤٨ - ١٩٧٧. من زعمائه (رابين، غولدا مائير، بنحاس سابير)، مازال مسيطراً على الهستدروت.
يسار شيوعي	٦) حركة السلام والمساواة (شلي): تحتفظ بمبادىء الصهيونية لكن تنادي بالسلام مع العرب والحوار مع الفلسطينيين من خلال منظمة التحرير وإيقاف السياسة التوسعية - تضم جزءاً من حزب راقي السابق ومنظمة ماتزبن وقسم من «الفهود السود». يتزعمها «أوري أفنيري».
	٧) الحزب الشيوعي (راكاح) يرفض الصهيونية كايديولوجية لليهود، لكن ينادي ببقاء «إسرائيل» كدولة علمانية تضم اليهود والفلسطينيين من سكان فلسطين ١٩٤٨ بعد إرجاعهم. يطالب بالانسحاب من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وإقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع إن ٨٥٪ من أعضائه من عرب فلسطين المحتلة، يتزعمه «مئير فلنر». يأتلف حالياً مع قسم من «الفهود السود» والفلسطينيين المؤيدين لمنظمة التحرير في إطار الجبهة الوطنية الفلسطينية.

تنظيمات أخرى متفرقة

شهدت انتخابات ١٩٧٧ ثلاثة عشر كتلة خاضت الانتخابات وكونت إضافة الى القوائم المحلية ما مجموعه ثلاث وعشرون قائمة إنتخابية تنافست على أصوات مليونين وربع من الناخبين و ١٢٠ مقعداً. على أثر الانقسامات التي حصلت بعد هذه الانتخابات وصل عدد الكتل السياسية إلى عشرين، وعدد القوائم الكتلوية والمحلية التي خاضت انتخابات حزيران ١٩٨١ إلى ست وثلاثين قائمة تتنافس على أصوات مليونين ونصف من الناخبين.

أبرز التنظيمات الجديدة التي برزت هي:

- شينوي (التغيير): ويتزعمها أمنون رو بنشاتين (منشقة عن داش)
- حركة حقوق المواطن: تتزعمها شولاميت آلوني، وهي حركة علمانية تدعو إلى فصل الدين عن الدولة والتغييرات الاجتماعية المستندة على هذا الأساس.

وهناك بذور لقيام حركة سياسية جديدة لم يتبلور لها شكل تنظيم بعد ويتوزع مؤيدوها بين حزب العمل و «داش» و «شينوي» و «شلي». هي حركة «السلام الآن».

أما حركة شلي وهي التنظيم السياسي لمجلس السلم الفلسطيني ـ الإسرائيلي فيبدو أن هناك فتوراً في العلاقات بين أعضاء مجلس القيادة مما جعل مستقبلها السياسي يبدو متزعزعاً نوعاً ما.

فيما يلي جدولاً يظهر المقاعد على القوى المختلفة في انتخابات ١٩٧٧ و ١٩٨١ مع نسبة أصوات الناخبين التي حصل عليها كل تجمع.

الفئة	انتخابات ١٩٧٧ عدد المقاعد	١٩٧٧ نسبة الاصوات المئوية	انتخابات ١٩٨١ عدد المقاعد	١٩٨١ نسبة الاصوات المئوية
الليكود	٤٣	٣٣,٤٠	٤٨	٣٧,٠٨
المعراخ	٣٢	٢٤,٦٠	٤٧	٣٦,٥٨
داش	١٥	١١,٦٠	ـ	ـ
المفدال	١٢	٩,٢٠	٦	٤,٩٣
أغودان اسرائيل	٤	٣,٤٠	٤	٣,٧٣
عمال اغودات يسرائيل	١	١,٤٠	ـ	اقل من ١٪
حركة تراث اسرائيل	ـ	ـ	٣	٢,٢٩
راكاح	٥	٤,٦٠	٤	٣,٣٢
شلي	٢	١,٦٠	ـ	اقل من ١٪
حركة حقوق المواطن	١	١,٢٠	١	١,٤٤
شينوي	ـ	ـ	٢	أقل من ١٪
الاحرار المستقلون	١	١,٢٠	ـ	أقل من ١٪
بلاتو شارون	١	٢,٠٠	ـ	أقل من ١٪
القائمة العربية الموحدة	١	١,٤٠	ـ	أقل من ١٪
شلوم تسيون (شارون)	٢	١,٩٠	ـ	أقل من ١٪
الحركة الوطنية للتجديد ـ (شيلم)		ـ	٢	١,٥٨
متحياه	ـ	ـ	٣	٢,٣٠

حافظ الزين

هارب من أهله

بقلم: د. رشاد دارغوث

لم يكن احد يدري، لماذا اختار يوسف بك هذه العزلة! فقد هجر مسقط رأسه، وامرأته واولاده منها، ولجأ الى بيروت... حيث استأجر منزلا لا يسكنه معه سواه. وزاد في الحرص، فاختاره طبقة من عمارة، لا شقة في طبقة - وفي اعلى العمارة المنفردة في الشارع الجديد، كيلا يطل عليه احد من الناس، ولا يتصل هو باحد من الناس.

وكان يوسف بك بقية من سلالة اقطاعية، اطلعت عدداً من الرجال العظام وعدداً آخر من الرجال التافهين. ولم يكن يوسف بك لا من هؤلاء ولا من هؤلاء.

لقد كان ديموقراطياً، يؤمن بالحرية. وكان مطلعاً على تطور العلم، يحدث من يلتقيه بما وصل اليه في العالم المتحضر. ثم يستنتج من كل ذلك حكماً قاسياً على مواطنيه، وما وجدهم عليه من تخلف، برغم ان اكثرهم تعلم، ونال فريق كبير منهم اعلى الشهادات الجامعية.

وكان فوق ذلك انيقاً، يرتدي اثمن الاثواب، واقربها الى الذوق. وهو ممشوق القامة، برغم الخامسة والستين التي بلغها منذ عهد قريب. وكان شأن الحساسين من البشر، نحيف البنية، عصبي المزاج، دقيق الملاحظة. ولكن لسانه كان اعجز من ان يطاوعه، فلم يصبح خطيباً، ولا اديباً.

جاء يوسف بك يوماً الى مدير اللاجئين السياسيين، وطلب منه خدمة. فقضاها المدير له، لأنها كانت من ضمن صلاحياته القانونية. وما كان اشد عجب المدير يوم عاد يوسف بك لزيارته، شاكراً كما قال:

- ولأقدم... هذه الهدية الصغيرة!

واذا هي كتاب في «الشخصية» يبحث عن اكتمالها وشروط ذلك. ثم يقول يوسف بك امام تردد المدير:

- انا لست صاحب حاجة... والكرم يهدي ويُهدي... وانت أكمل شخصية رأيتها في حياتي... في هذه البلاد.

كان الثناء مغرياً، والقانون نفسه لم يكن يحظر قبول الهدايا على الموظفين. ومدير اللاجئين رجل في العقد الرابع من عمره الزمني، وفي الفئة الثانية من ملاك الموظفين، ولكنه يكاد يبلغ العقد السابع في نضجه الفكري واكتمال شخصيته الاجتماعية. فقبل الهدية شاكراً، ودعا يوسف بك الى غداء... بالمقابلة.

ومن هنا بدأت بين السياسي اللاجىء والموظف المدير للاجئين، صداقة، لم تكن صحون الطعام أساسها، بقدر ما كان التجاوب الروحي.

ان يوسف بك حر الرأي، جريء في ابداء ما يعتقد انه الحق. فوجد لدى صاحبه كل تفهّم واستلطاف. وقد دعاه ذات يوم للغداء في منزله مع عدد محدود من اصدقائه الخلّص، فقبل المدير الدعوة.

وقد راعه ان يكون ذلك المنزل مرتباً كما بدا له، على أجمل صورة، دون ان تكون فيه... أمرأة. ويشرح يوسف بك لمضيفيه هذه العجيبة:

- الخادمة... تهيء لي الطعام، لأنني لا احب اكل المطاعم والفنادق.. وانا اقوم بسائر الواجبات المنزلية!

يقول يوسف بك هذا وهو يضحك ضحكة صفراء... لا تخفي ما وراءها من الم نفسي يضج في صدره! وذكريات قاتمة تعصف بقلبه.

ولكنه يتجاوز تلك الذكريات المريرة، ويشارك ضيوفه الحديث عن المأكولات، وخاصة آراء الدكتور امين الذي راح يحلل سر نجاسة لعاب الكلب، ويقول:

- إن مرض الكلاب... هذه الأكياس الخطرة القاتلة احياناً، يفسر لنا لماذا قال الاسلام بنجاسة لعابها... وقضى بغسل الاناء الذي يلوك فيه كلب، سبع مرات، احداهن بالتراب!

ويقول يوسف بك، مقاطعاً:

- هذا التراب، والكلسي منه خاصة، يقتل تلك «الفيروسات» التي تسبب اكياس الكلاب...

ثم يلتفت الى مدير اللاجئين المصغي دون ان تفوته ملاحظة الخادمة التي اقبلت تحمل بعض الصحون، ويقول يوسف بك:

- خادمتي المانية... لا تحسن كلمة من لغة البلاد... وذلك اريح!

ويود المدير كالدكتور امين وجميل بك وهم مجموع الضيوف - أن يسألوه كيف يتفاهم معها، فلا يترك يوسف بك لهم مجالا للتساؤل، فيتابع حديثه:

- وفي طريقنا... من المانيا الى بيروت تعلمت منها بعض التعابير... الكافية للتفاهم!

ويلتفت الحضور نحو الخادمة، يحسبونها احدى شقراوات الشمال اللواتي تعج بهن المانية بالملايين، فلا يرون إلا... ممرضة كهلة لا تلفت اليها من كان دون الخامسة والستين... ويتابع الدكتور امين حديثه الطبي:

- كل ما حرمه الاسلام تثبت مضرته، التي عرفها الشارع، قبل العلم بألف عام ونيف... الا تحريم لحم الخنزير... فلم يهتد العلم الى سبب مقبول لتحريمه... الى مضرة تقضي بتحريمه!

◄

وهنا يتبادل الضيوف مع صاحب المنزل الآراء، حول الموضوع، ويسأل جميل بك عما اذا كان الطعام الذي حملته «الممرضة» من لحم الخنزير... فيحتج يوسف بك على لقب الممرضة، دون ان ينفي او يثبت نوعية اللحم، ويقول:

ـ لست شيخاً الى هذه الدرجة... لكي تسموا خادمتي... ممرضة! أنا احتج! جميل بك اكبر سناً مني... ومع ذلك فقد تزوج للمرة الثانية، منذ سنة!

وهنا ينفجر الحضور بضحكة مجاملة، إلا يوسف بك، فان وجهه يغبر بعد القائه تلك النكتة... وتظلم عيناه الخضراوان، كزهر الربيع! بل خيل لمدير اللاجئين ان صاحبه يكاد يصاب بنوبة قلبية!

وبعد انصراف الضيوف، استبقى يوسف بك صديقه الجديد... بعض الوقت:

ـ أرجو ان لا تكون مستعجلا...

ـ ابداً... وصحبتك متعة يا يوسف بك!

تبادل الكهل والشاب هذه الكلمات، والخادمة تروح وتجيء، لتلقي على مدير اللاجئين، نظرات كانت تزداد رقة، بعد كل مرة. وقد صارت، في المرة السادسة، لطفاً شع من عينيها الزرقاوين وشعرها الأشقر ثم اقبلت عليه، وهي تتهادى بمشيتها بدلال ابنة العشرين، وتقول له بلغة فرنسية محطمة:

ـ أريد أن أرجوك عدم تمديد... اقامتي، لأنني أرغب في العودة... الى وطني!

قالت هذه الكلمات، ثم غامت الدنيا في عينيها، واكتسى وجهها حمرة الشفق. فبدت لمدير اللاجئين أصغر كثيراً من سنها التي قدرها لها أول مرة! وقد حاول بصمته الهادىء، وابتسامته المؤاسية، ان يخفف من لوعة المرأة... واضطرابها. وحال مجيء رب البيت الى الدار، بعد ان انهى عمله في الحمام، ليقطع الحوار الذي باشرته، وتحفز الشاب للدخول فيه.

ويوسف بك لم يلق بالا لموقف خادمته، لأنه لم يشاهد ما كان على وجهها من انطباعات. فجلس الى زاويته المفضلة، وأخذ بتقديم السكاير... والسكاكر الى ضيفه، وهو يقول كأنه يستأنف حديثاً قديماً:

ـ أنا ارتضيت هذه العيشة... التي تراها... والوحدة القاسية، لأسباب قاهرة... لم ابح بها لأحد غيرك. ولكنني وجدت عندك روح التفهم، والذكاء والوقاد... فاسمح لي ان اخبرك الآن... اذا كان الوقت يسمح لك بالبقاء!

وكانت إشارة مدير اللاجئين صريحة كرغبته الملحة، في الاستطلاع، وقد ظهرت على وجهه، وفي طريقة جلوسه واقباله على محدثه. فتابع يوسف بك يقول:

ـ أمرأتي تركية... من عائلة كبيرة وعريقة! وقد رزقت منها بنتاً وصبياً! ولما كبر الولدان تغير حالها... إنها لا تنفك تطالبني بالانفاق على مظاهر الترف والرحلات الى

تركيا... كأنني عبد تسوقه بالعصا. وعبثاً كانت محاولتي افهامها انني رجل... في هذه السن بحاجة الى الراحة، والى حسن تدبير الثروة التي ورثتها... فقررت اخيراً هجر مسقط رأسي وامرأتي وولديّ... جميعاً!

قال يوسف بك هذه الكلمات الخطيرة المثيرة، كأنه ينقل نبأ عادياً، قرأه في صحيفة الصباح.

ولما لم يعلق مدير اللاجئين بكلمة، تابع يوسف بك بوحه وكأنه ينفس عن نفسه!

ـ وحباً بالتخلص منهم... مرة واحدة، بعت املاكي، واعطيت زوجتي حصتها، وكذلك كلا من ولـديّ! وابقيت لنفسي مبلغاً... اعيش من استثماره!

وهنا التفت يوسف بك كمن يتفقد ظهره، ليتثبت من خلّو المكان، ثم قال:

ـ دينته لسيدة... جليلة وصهرها، فاحاطاني بالرعاية، وهما يقدّمان لي ما احتاجه من نفقات لقاء ربع المال المودع لديهما، وقدره مئة وخمسون الف ليرة!

افضى يوسف بك بهذه الاسرار الى صديقه الجديد، فكانت المفاجأة مزدوجة لدى مدير اللاجئين. فتساءل بينه وبين نفسه:

ـ وما دخلي انا في هذا الموضوع؟

قالها دون ان ينطق بها، ولكن يوسف بك مرهف الحس، واسع المعرفة عميق الادراك. فشعر بما يدور في خلد صاحبه، فتابع يقول:

ـ والآن، بعد ان استودعتك سرّي... اودّ ان اطلب منك خدمة... خدمة شخصية، كوالد من ولده! فهل تفعل؟

فكاهة

● قال الوليد بن عبيد البحتري (الشاعر المعروف): كنا عند المتوكل على الله يوماً [illegible]

حياتي عتماء بدون ضياء

شعر د. صفاء خلوصي



«سأبكيك ما بكى متمم بن نويرة أخاه مالكاً
وما بكت الخنساء أخاها صخراً... ولن أنساك!» ص.خ.

في أربعين أخيه المحامي الشهيد ضياء خلوصي

رثيتك لو بلّ الغليلَ رثائي ... بكيتُك لو كان البكاء شفائي
أخا العمر ما للعمر بعدك لذّة ... فقد طال من بعد المصاب شقائي
ضياء لأنت الروح والقلب نابضاً ... وأنت بديجور الظلام سنائي
قضينا لبانات الحياة رخيّةً ... وما قد أتى يوم بشر بلاء
سمرنا الليالي الجون صفواً كأنما ... ستبقى (صفاء) نيراً (بضياء)
(وكنا كندماني جذيمة حقبة)(١) ... تضاحكنا الأيام ضحك رياء
فرفقتنا كانت كومضة حالم ... تمرّ على خلّين مرّ رخاء(٢)
لقد كنت خلاً بل صديقاً مواسياً ... مزجت وداداً صادقاً بولاء
وقد راعني عند الرحيل كأنّما ... تقول: وداعاً دون أي لقاء!
وكنت إذا ناديت جئت ملبياً ... ففيم تصم الأذن عند ندائي؟
أغضبة مظلوم أريقت دماؤه ... وراح بلا ثأر ودون بكاء؟
فحُقَّت لك العُتبى، فاني بذلّة ... أطاطىء رأسي خاشعاً بحياء
فلا ثأر أستطيع أخذه قادراً(٣) ... ولا سيف عندي بل دموع رثاء
يراعي مسلول كسيف مسلّط ... لحقّك، لكن أين فيه مضائي؟
تراءيتَ ليلا والدماء غزيرة ... لترفع كفّاً ضارعاً لسماء
قُتلتَ كقتل الصالحين شهادةً ... فنلت بحق رتبة الشهداء
سيصرخ هذا الدم يطلب ثأره ... واذ ذاك تلقى الروح بعض عزاء
سأقضي بقايا العمر المحبُّ قائلاً: ... حياتيَ عتماء بدون ضياء!

أكسفورد صفاء خلوصي

---

(١) تضمين شطر من بيتين لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك، إذ يقول:
وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفارقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(٢) رخاء: ريح لينة لا تحرك شيئاً.
(٣) اشارة الى أنه قتل في حادث دهس مريع تطاير على أثره جسمه اشلاء، وتهشمت حقيبة المحاماة وتمزقت جبة القضاء واختلطت أوراقه بالدماء والأوحال. ولم يقف الجاني الآثم ليأخذه الى أقرب مستشفى على نحو ما يفعل من كان فيه أقل ذرة من انسانية وشهامة، رغم وجود ثلاثة مستشفيات على مقربة من مكان الحادث... ولكن الظالم الجبان لاذ بأذيال الفرار، تلاحقه لعنات التاريخ!...

يا لعصفور تجنّى بالدّماء

شعر فتى الدواوير

أيّ نفـع نـال سيّـاف الرّدى　　عنـدمـا جـار علينـا، واعتـدى
ذات يـوم مـا رأينـا مثلـه　　لا، ولا مـرّ على طـول المدى
فيـه نـادت لي بـذعـر عمّتي　　وارتـدت ثوبـاً حـزينـاً أسـودا
رفـرف القلـب عليهـا خـائفـاً　　في خشـوع ثمّ أمّ المعبـدا
راعفـاً يبكـي بـدمـع عنـدم　　فـوق خـدي بعـد لأي جدا
عندما قـالـت بصوت خـافـت　　مـن رأى بعـد (نجاة) (أحمدا)
ابنتي روحـي أنـا ربّيتهـا　　مثل غصن الورد، يسقيه النـدى
كـلّ شبر كـان نـذرا غـاليـا　　كـان حرزا، كي يـذبّ الحسـدا
عـاش حلمـي، ثمّ صـارت وردتي　　بـالشّـذا تملأ صـدر المنتـدى
منـن الله، فقـد زفّـت ضحـى　　لعـريس، قـد حبـاهـا الولـدا
أمـل بـالعطـف، كم هـدهـدتـه　　كان همّي، كـان عندي الأوحدا
كم سقينـا حـولـه أرض الرّجـا　　كيـف يمسي مـن بهاه أجـردا
عـرّج الموت عليـه سـالبـا　　عمره الغضّ، ومـا بعـد ابتـدا
مثل نسر قـد هوى من حـالـق　　يتحـرّى بـاحثـا، ثمّ اهتـدى
يـا لعصفـور، تجنّـى بـالـدّمـا　　يـا لأمـاني لقـد ضـاعـت سـدى
ورفيـق كـان يحنـو قـربـه　　مـذّ يـرجـوه لأنقـاذ بـدا
في دمـاء قـد جرت فـوق الثـرى　　والسّما بـاب لها قـد أوصـدا
حـدّق الجاني، ولم يـدر متى　　ثمّ هـذا، ثمّ للخـوف ارتـدى
وهـو يبكـي في حنـان صـادق　　مضرمـا في قلبـه مـا أوقـدا
رافعـا لله كفّيـه، وقـد　　تسـألان الله في حـزن غـدا
اذ بيحـيّ ابنتـاني أنتما　　مثل (اسماعيل) كبشي الفـدا؟!!.
يـا الهي، أنـت تـدري المقصـدا　　كيف هـذا، قل لنـا مـاذا بـدا؟
كيف صار العطف كرها قـاتلا　　كيف تمسي الأمّ من أقسى العدا
كيـف سلّـت بيمين مـديـة　　انّهـا كـانـت بثـدي أجـودا
انّي أرجـو جـوابـا مقنعـا　　أنـت ربّ الكـون نبراس الهدى
انّ قـربـاني فـريـد نـوعـه　　حيّـر العقـل فـأمسى مجهـدا
كـلّ أمّ أقبلـت تبكـي لـه　　كـلّ طفـل فـرّ يخشى المشهـدا
ينتهـي العيش، وتبقـى حسرتي　　في لهيـب دائـم لـن يخمـدا

كولخ　　فتى الدواوير

من وحي عاشوراء

شعر د. يحي شامي

شاب الزمان ولم يزل عاشورا ... أبداً يزيد تألقاً وظهورا
يستلهم الشعراء من نفحاته ... غرراً تفيض فينعقدن سطورا
ويردد الأحرار بوح حديثه ... أو ما تلوت حديثه المأثورا
أو ما شهدت دم الحسين مخضباً ... شفق الغروب وفجره المحرورا
وسمعت صوت الرعد فهو هتافه ... دوماً يجلجل في العصور جهيرا
أنّ الحياة الحق وثبة ماجد ... يأبى الهوان ولا يطيق شرورا
وبأنّ للباغي إذا ما أدبرت ... يوماً سيذكره الزمان عسيرا
فاعطف على التاريخ في صفحاته ... واسأل عن الأيام سلْ عاشورا
تنبئك ما زمرُ الطغاة وطيشهم ... والكارعون من الكؤوس فجورا
ذوت السنون العابرات جدودهم ... ذوي الهشيم وتبرّوا تتبيرا
أين العروش ومن تربّع فوقها ... أضحت هباءً في الورى منثورا
حتى القبور عفت وبات ضجيعها ... نسياً كأنه لم يكن مذكورا
لكنْ قبراً بالطفوف مشرّقاً ... جلّت معاظمه وعزّ نظيرا
ما انفك منتجع العفاة وردهةً ... ريّا المناهل مورداً وصدورا
جادته رائحة المزون عشيةً ... وسقته غادية الهتان بكورا
فإذا دنوت من المقام بكربلا ... فاخفض جناحك خاشعاً مبهورا
واخلع نعالك مهطعاً فلأنت بالـ ... ـوادي المقدس إذ تبلّج نورا
وإذا وقفت على الضريح مناجياً ... روح الشهيد وقد هُززت شعورا
هبت عليك من الضريح نسائم ... لكأن في أنفاسها كافورا
ريح الخزامى ريحه وأريجه ... عود تضوّع نكهةً وبخورا
يا زائراً قبر الحسين مباركاً ... ثار الإله ووتره الموتورا
هلاّ أتحت مع الغداة برحله ... وشممت من ذاكي ثراه عبيرا
وقرأت سفر المجد في عرصاته ... مهجاً تسيل وأيدياً ونحورا
جادت بها همم الرجال وفتية ... هبوا ليوثاً للعلى ونسورا
مذ طلقوا متع الحياة ولهوها ... والدور والبيض الحسان الحورا
وسعوا إلى درك المنون فأرخصوا ... أرواحهم لعناقهنّ مهورا
فمصرّع بشبا الرماح تسومه ... نكباء من هوج الرياح حرورا
ومبضّع بظبي الصفاح أذقنه ... من هول معترك الطعان مريرا
وحرائر آل بيت محمد ... أفظعْ بهنّ وقد هتكن ستورا

يا يوم عاشوراء كم من آهة في الصدر ما فتئت تمور سعيرا
كم أكبد حرّى وكم من أدمع لو أنها جمعت جرين نهورا
فاضت لمصرع عترة من هاشم تحكي وجوههم الحسان بدورا
صبروا على وقع الأسنة ساعة وعلى الشفار وقد فرين صدورا
حتى إذا حُمَّ القضاء وزمزمت نسار الحتوف تغيظاً وزفيرا
فازوا بأولى الحسنيين وبوأوا عرش الخلود وطهروا تطهيرا
طبع الأبي إذا الشرور استفحلت أخطارها أن لا يبيت قريرا
يا يوم عاشوراء طال رقادنا ومضى الطغاة يعربدون كثيرا
فاهزز ضمائرنا بعزمك نافخاً روح الحياة وبدّد الديجورا
وليبق صوتك يا حسين مدوياً أبداً على مر الدهور نذيرا
يا أيها المستضعفون ألا انهضوا دكوا العروش وزلزلوا المعمورا

يحيى شامي

يا أخي يا أيها المرء النّدي

شعر بشار الزين

يا أخي* يا ابن أمي وأبي قلبيَ اليوم شديد الكرب
قد تفاجأت بداء معضل بك أودى يا حبيب الصحب
انتقاك الموت منّا مثلما يُنتقى الدّر وطيب الأدبِ
يا أبا الخلّ ويا خلّ الرّضى بعدك الأنس بعيدُ الطلب
قدرُ الله الذي ساق الرّدى سنة الله التي لم تُخب
يا أخي يا شقيق الروح يا طرب النفس بغير الطرب
رحلة العمر التي أمضيتها هي كالحلم كمرّ السحب
عشت بالحرف تلبّي طبعه كم سما الحرف بنشر الكتب
كنت بالخلق المندّى مثلاً نعم الناس بصدرٍ رحب
كيف أنسى ذكرك العاطر ذا وهو أحلى من عطور أطيب
كم شربنا الشاي كأساً مترعاً وارتوينا من لذيذ المشرب
وتجاذبنا حديثاً ممتعاً وتناقشنا بشأن العرب.
وتغنينا بماضٍ مشرق وتباكينا على جيل غبي
كل هذا كان شيئاً رائعاً لا يساوي بوفير الذهب

* في رثاء أخيه المرحوم إبراهيم كامل الزين الذي قضى حياته في نشر التراث والتنقيب عن المؤلفات البارزة في التاريخ.

يا أخي يا ابن أمي وأبي … قد كفاك الله شرّ النوَب
لم أشأ أبكيك فإني غارق … في بلاءٍ مثقلٍ بالخطب
هذه الحرب التي حلّت بنا … أحرقتنا بأتون اللهب
جعلت لبناننا مع أهله … عرضة للهدم أو للنهب
بلدي قد كان في شقوته … مثل نارٍ أضرمت بالحطب
كم حوى من كل شعبٍ عيبه … فهو مسخٌ عاش بؤس الصخب
قوم لوط وشعيب كلهم … نهشوه فبدى كالجرب
أفسدوا أجياله واستدرجوا … كل بنتٍ بالهوى كل صبي
لوّثوا الأخلاق حتى هدموا … ما بنى الأهل بطهر النسب
هذه آثارهم فالينظروا … ما جنت أيدٍ لهم يا عجبي
إن جيلاً صنعوه مثلهم … أحمق الرأي كثير الغضب
أرعن الطبع وطبلاً أجوفاً … لن يبالي في مصيرٍ مرعب
عودة لله يا أمّتنا … في طريق مستقيم خصب
نحو فجرٍ بازغٍ منبثق … من ذرى الاسلام صافي الإرب
يا أخي يا ابن أمي وأبي … هذه الدنيا رهان الكَلِب
اشتكي لله من ضعفٍ ومن … سوء حالٍ زادني بالنَّصب
كل شيء صار عندي تافهاً … غير ديني وتراثي والنبي
ثقتي بالله تبقى بلسماً … دونها أغدو رهين العطب
يا أخي يا أيها المرء الذي … قد وجدت الأهل فيه مطلبي
هي ذكراك ومن قبلك ذكرى … لم تغب بعدُ لأمٍّ وأب
أنتم الآن كطيفٍ عابرٍ … بقيت آثارهُ تلصق بي
أغنني منها فما أعدمها … فهي بالحق جنى مكتسبي
قد تربيت على أخلاقكم … وعرفت الدين منكم مأربي
وتناولت الهدى من حضنكم … وتعلّقت به بالعصب
لم أكنْ أعمى بهذا أبداً … بل قد اخترت الهدى عن كثب
يا أخي يا أيها المرء النّدي … كنت بالايمان فخر الحسب
مؤمناً كنت وسمحاً باسماً … تلك هذي من صفات النَّجب
كم إلى دارك نفسي لجأت … تطلب الرّاحة عند التعب
فعزائي فيك أني مؤمنٌ … بقضاء الله قبل السبب
رحمة منك يا إلهي للّذي … كان رمزاً للشقيق الطيب
وسلام من مآقينا له … تحمل الشوق وحبّ الأقرب
يا إلهي هبْ لهُ جنّته … كي يُرى فيها بأعلى الرتب

بشار الزين

زيتونتي في جبل عامل

شعر عدنان فلحة

العاملية لم تزل في خاطري — تشكو الهوى المشتاق للمشتاق
العاملية لم تزل في طيبها — فالأهل أهلي والرفاق رفاقي
العاملية موطني وسعادتي — فيها الهوى والشعر للعشاق
الشعر عندي نغمة ورسالة — وقصيدة دوت مدى الآفاق
ما زلت أقضي وحشتي وتألمي — متذكراً زيتونتي ومذاقي
ما دمت أذكر بقعتي وحصيرتي — فيها نشأت بعزة ورواق
ما زلت أذكر تحتها قيلولة — والغصن فيها معانقاً أعناقي
زيتونتي... أنت جمال قصيدتي — منك الجمال معانقاً اشراقي
أين الندى والغصن منك مودع — والجار قربك معدم الإشفاق
طال الفراق وفيه باعثة الأسى — يومي وعمري صاحبا إحراقي
زيتونتي يبست أمام عيونه — لم يروها من مائه الدفاق
رباه قصر عمرها يا ويله — من أنة بعثت من الأعماق
هذا هو الإنسان قصر عمرها — هذه الحياة مرارة الإرهاق
أحسست أني للحياة معانقاً — ذاك الوجود معانقاً لفراقي
أواه ما هذا الحريق بساعدي — زيتونتي يبست فأين الساقي
زيتونتي تشكو وتبكي يومها — والطير منتحب على أوراقي
زيتونتي رمز السلام تحية — مني اليك تفوح بالأشواق
أنت الهوى والظل أنت منارة — أنت الهواء العذب لاستنشاقي
زيتونتي عفوا فقد طال النوى — عودي الي بغصنك الخفاق
غنيت إحساسي اليك قصيدة — ردي الهوى للشاعر المشتاق

عدنان فلحة

متى ترتقي أخلاقنا ؟ ؟

بقلم : مؤسس العرفان

ترتقي أخلاقنا متى خلصت نفوسنا من الشوائب وتنزهت أعمالنا عن الأغراض والمآرب .

ترتقي أخلاقنا متى همنا بحب الفضيلة وابتعدنا عن أدناس الرذيلة .

ترتقي أخلاقنا متى حاسبنا أنفسنا ونقدنا أعمالنا كما نحاسب غيرنا وننقد أعمال من سوانا .

ترتقي أخلاقنا متى أحسنا نوايا ولم نبطن خلاف ما نظهر ونسر عكس ما نعلن كما قال الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ترتقي أخلاقنا متى أحسنا تربية ناشئتنا وكنا لها قدوة صالحة في مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وأحاسن العادات .

ترتقي أخلاقنا متى كنا كبار النفوس والأحلام أعزاء على من ناوأنا رحماء بيننا .

ترتقي أخلاقنا متى كنا لا نماري ولا ندالس ، نقول الحق ولو على أنفسنا وننطق بالصدق ولو وارانا في رمسنا .

ترتقي أخلاقنا متى كنا لا نتزلف ولا نتكلف ولا نمدح فلانا بحضوره ونذمه في غيبته .

ترتقي أخلاقنا متى أنشأنا مدارس للذكور والأناث أساسها درس الأخلاق علماً وعملاً .

ترتقي أخلاقنا متى كان عندنا أساتذة هم عنوان الفضيلة وأعداء الرذيلة ،

ترتقي أخلاقنا ترتقي أخلاق علمائنا ورؤسائنا فلا يداورون ولا يمارون ولا يسرقون ولا يكذبون ولا يتجبرون ولا يتكبرون ولا يقولون ما لا يفعلون ولا يعدون ثم لا يفون ولا يكونون كسالى صم بكم عن استماع الحق والنطق به ، فلا يأمرون بالمعروف ولا يأتمرون ولا ينهون عن المنكر ولا ينتهون عظماء على أمتهم اذلاء للأجنبي عنهم كلامهم في الليل يمحوه النهار ويتغلب على أبدارهم السرار .

نحن إذا بقينا نياماً ولم نصلح أنفسنا بأنفسنا وتهذب عاداتنا ونسعى في ترقية أخلاقنا لا نطمع في أجنبي عنا يبوأنا المنصة التي نحلم بتبوئها .

يا قوم لا تغالطوا أنفسكم ولا تحسبوا بأنكم قادرون على ذر الرماد في عيون غيركم ليعمى عن مساوئكم فقد ظهرت المضمرات وطلع الصباح فأطفئوا القنديل ولم يعد يخفى على الناس خافية ، تمزقت الحجب وهتكت الاستار فانتبهوا وتيقظوا قبل أن تناموا نوماً أبدياً لا يقظة بعده وحينئذ لا تنفعكم شفاعة الشافعين ولا تفيدكم ندامة النادمين .

خمس ست كلمات

بقلم: نصرت توفيق خريش

تعجز العلوم، عن ان تقضي على الدين الالهي، والدليل على ذلك، ان الديانات السماوية، ما زالت قائمة منذ مئات السنين ولم تتداع... العلوم تؤدي الى حوار الانسان مع نفسه والآخرين، وتعطي الجواب، على كل شيء مادي. اما ما هو اسمى فجوابه عند الايمان.

الجندية حلّ شريف لمشكلة البطالة، تتيح للمرء العيش على ارض وطنه بشرف، وتجعله واحدا من حرّاس الحياة...

يُنمي الطموحُ، الانسانَ نفسه، وما يلزم طموحه من نماء. لذا نجد بعضاً من الطموحين، يضيقون ذرعاً بالمدارس ويعتبرونها سجناً لطموحهم.

... في الواقع لا يحقق الطموح اهدافه، بغير اسس علمية، المدارس والجامعات احداها.

فوضى التخريب، تصيب الوطن كله، اذا ما أصيب جزء منه.

فاليد التي تخرّب جزءاً من ممتلكاته، ولو في ساعة غضب، لا نصدّق انها تمتدّ لاعماره في ساعات البناء...

ايها القادة، اياكم والفرار من أجل تأمين أنفسكم، عندما تكونون في مراكز القيادة.

نادراً ما ذكر التاريخ، ان قائداً كان يوجّه الناس، لخوض غمار الموت من اجل الحياة، وهرب متخلياً عن مسؤولياته.

... ابقوا مع المقاتلين، الذين يتوجهون، وموتوا ابطالا. فذلك اشرف لكم من الهرب. والعيش بجبانة.

رأيت عدداً من الصور الكبيرة، بحجم الحائط. وقد علّقت هذه الصور العملاقة في عرض الشوارع، كم كان أجدى بأصحابها ان يتعملقوا بالأعمال بدلا من الصور!؟...

الآراء الثورية، مكانها ليس على الجبهة. على الجبهة مكان للبنادق والمدافع والرصاص... وحرام على مبشري الثورات ان يحملوا آراءهم الى هناك، فيضيع المحاربون وقتهم بأحاديث عن حروب الكلام... العدو يحاربنا بالرصاص، فلنحاربه بمثل سلاحه. لا بآراء نحملها الى الجبهة، للمناقشة والمحاورة.

الطامحون الى وطن يعيش بسلام، فاتهم ان السلام كي يعمّ، يحتاج الى نفوس تفدي امنه، في واجب وطني يفرضه المواطن على نفسه، فلا يقابل الدعوة الى خدمة العلم، بشيء من الانزعاج.

نصرت توفيق خريش

حسن كامل الصبّاح

(واضع الاساس في اختراع التلفزيون)

حوارية: اعداد سمير شيخاني

صوت ١ ـ كان حسن كامل الصبّاح يفخر دائماً امامنا بلبنانيته وعروبته.

صوت ٢ ـ ان لكامل من المخترعات اكثر مما لأي مهندس آخر في شركة جنرال ايلكتريك

صوت ١ ـ الشركة تفخر بنبوغ الصباح وعبقريته.

صوت ٢ ـ لقد برهن الصبّاح في اثناء عمله في شركتنا على انه من أعظم وألمع المفكرين الرياضيين في البلاد الاميركية، وان وفاته لخسارة عظيمة لعالم الاختراع.

صوت ١ ـ كان الصبّاح مهتماً في المدة الاخيرة بمشروع كهربة الولايات المتحدة الاميركية بواسطة التيار المتواصل، وقد اقنع جميع مهندسي الشركة بامكانية تحقيق هذا المشروع.

صوت ٢ ـ كان الصبّاح من المدرسة التي أعجبت بالانابيب الالكترونية، فدرسها واستخدمها لمنفعة العالم.

صوت ١ ـ كان الصبّاح بيننا كالمعلم بين أطفاله، يلعب بآرائنا ونظرياتنا الرياضية كما يشاء.

صوت ٢ ـ كان الصبّاح الوحيد بيننا الذي تجرّا على مناقشة آراء آينشتاين الرياضية وانتقادها، والتحدث عن نظرية النسبية كأنه آينشتاين نفسه.

صوت ٢ ـ كان دماغ الصبّاح يشتغل دائماً، وهو يحوي قدر خمسة ادمغة بشرية.

الراوي ـ هذا بعض ما قيل في النابغة اللبناني المخترع كامل الصبّاح الذي زادت اختراعاته على السبعين اختراعاً سجّلت معظمها شركة جنرال ايلكتريك التي كان من كبار مهندسيها وعلمائها، في واشنطن وفي معظم دول العالم. ولقد استحق عن جدارة لقب «اديسون الشرق». وكان يجول في فكره اختراعان عظيمان لو لم يعاجله الموت هما: التلفزيون، الذي عمل فيه منذ السنة ١٩٢٣ عندما دخل الشركة، وكاد يعلنه لو لم يسبقه الى ذلك المخترع الاسكتلندي

ببرد، وتحويل نور الشمس الى قوة محرّكة وتيار كهربائي يقوم مقام البنزين والفحم في تسيير المحركات والآلات الميكانيكية.

* * *

(يرنّ جرس التلفون.)

الصبّاح ـ آلو.. آلو.. اجل يا حضرة المدير.. أتقول ان هناك اخباراً سارة بالطبع؟! أنا آتٍ اللحظة. (يردّ السماعة الى مكانها ويغادر المختبر).

الصبّاح ـ (يقرع الباب ويدخل على المدير) مرحباً، ايها المدير.

المدير ـ اهلا بالمخترع الاول في شركتنا... لقد وصلتني الآن أنباء سيرقص لها قلبك فرحاً واعتزازاً.

الصبّاح ـ لعلها تتعلق باختراعي الاخير؟

المدير ـ انها لكذلك. اخبار عن جهاز التلفزة الذي اخترعته بعد تجارب عديدة. لقد اتممنا معاملات تسجيله، وانفقنا زهاء ربع مليون دولار في سبيل ذلك. سجلناه في واشنطن في ١٨ شباط من هذا العام ١٩٣٠، كما سجلناه في احدى عشرة دولة هي بلجيكا، كندا، انكلترا، فرنسا، ايطاليا، اليابان، اسبانيا، النمسا، الهند، نيوزيلندا، واتحاد جنوبي افريقيا.

الصبّاح ـ الحمد لله الذي كلّل جهودي بالنجاح!.. كل ما أرجو وأتمنى أن تتاح لنا الفرصة لاستثمار هذا الاختراع لما فيه خير الانسان ورفاهيته.

المدير ـ لا حاجة بي الى القول، يا عزيزي كامل، ان اختراعك هذا لمن أهم الاختراعات التي سجّلتها حتى الآن، ذلك بأنه يفتح أمام العلماء والمخترعين أبواباً ما تزال مغلقة. ولا بد لي من ان أهنئك على اختراعك الذي يحوّل أشعة الشمس الى تيار وقوة محرّكة. فالاشعة الشمسية التي تتلقاها هذه المساحات الشاسعة من الارض، وتذهب هدراً، لا سيما في الصحاري القاحلة، اصبح بالوسع الافادة منها في سبيل توفير السعادة لبني البشر من أيسر السبل وأقلّها نفقات.. أخذ الله بيدك ووفقك الى استنباط الكثير مما نحتاج اليه في حياتنا هذه...

الصبّاح ـ شكراً، يا حضرة المدير، واسمح لي الآن أن أعود الى مختبري.

(يخرج عائداً الى مختبره حيث يستقبله زملاؤه).

اصوات ـ انها ولا ريب اخبار سارة.. يبدو ذلك على محيّاك.. فماذا كان يريد منك المدير؟

الصبّاح ـ لقد أبلغني نبأ تسجيل اختراعي الاخير الذي عملت فيه زهاء ستة أشهر.

احدهم ـ اتقصد جهاز التلفزة الذي يحوّل أشعة الشمس الى تيار كهربائي وقوة محرّكة هائلة؟

الصبّاح ـ اجل.. وأنا الآن في سبيل الاستعداد لتطبيق هذا الاختراع في البادية السورية، وذلك باختزان القوة الكهربائية من نور الشمس المحرقة وتوزيعها من ثم على المدن والقرى والمزارع، وادارة المعامل والمصانع.

احدهم ـ هلاّ حدثتنا، يا كامل، عن اختراعك هذا بعد ان بات معلوماً، ولم يعد سراً بينك وبين المسؤولين في الشركة.

الصبّاح ـ حسناً... ان اختراعي لهو عبارة عن جهاز للتلفزة يشتمل على بطارية كهربائية ثانوية تتألف من سبع صفائح معدنية تشكّل فيا بينها ثلاثة خزانات للكهرباء. وقد وضعت بين هذه الصفائح مواد كماوية مشعّة تتأثر بالالكترونات والفوتونات التي تحملها أشعة الشمس عندما تتعرّض اقطاب البطارية الظاهرة لاشعة الشمس، فتتولد على الاثر في البطارية شحنة كهربائية قوية تتحول بالتالي الى تيار كهربائي يُختزن في خزانات البطارية.

احدهم ـ (مقاطعاً) وعلى ذلك يتحوّل نور الشمس باستمرار الى تيار كهربائي، ثم الى قوة ميكانيكية محرّكة تحلّ محل البنزين والفحم في ادارة الآلات والمحركات.

الصبّاح ـ تماماً... واسمحوا لي أن أضيف الى ذلك أنني استخدمت مثل هذه البطارية في تسيير احدى سيارات الشركة، ونجحت في ذلك نجاحاً باهراً. وقد عقدت العزم من ثم على اجراء مثل هذه التجربة في تسيير احدى الطائرات وقد اتصلت بالملك فيصل الاول في هذا الشأن فأرسلت اليه رسالة، واذكر له فيها ماهية هذا الاختراع، وأفاوضه بواسطة الشيخ خليل بزي لانشاء مصانع لتوليد الطاقة الكهربائية، في البادية السورية، وتوزيعها على سائر البلدان العربية. وكذلك اتصلت بالملك عبدالعزيز آل سعود برقياً في أول ايار ١٩٣٤ اهنئه بانتصاره على إمام اليمن. ثم في ٧ كانون الثاني ١٩٣٥، فاوضته في ذلك مشروع المزارع. فهذه البلدان احقّ من سواها بالافادة من هذا الاختراع.. ولقد شرحت لجلالته كيفية الافادة من هذا الاختراع، فقلت: «لنفرض أننا أسسنا مزرعة بطاريات شمسية كهربائية في أواسط البادية السورية بين دمشق وبغداد، ثم صنعنا سيارات كهربائية تسير بواسطة تلك البطاريات عوضاً عن البنزين، فيقف سائق السيارة عند كل مزرعة بطاريات ويستبدل البطاريات التي استنفدت شحنتها الكهربائية في تسيير سيارته ببطارية ملأتها اشعة الشمس بشحنة كهربائية كاملة من تلك المزرعة الشمسية. فبهذه الوسائل، وما شابهها،

يمكننا تحويل البوادي والصحاري الى أماكن آهلة، ويعود الى تلك الاقطار عزها ومجدها السابقان...

أحدهم ـ انك لعبقري فذ، ايها الزميل الكريم، وفوق ذلك فأنت انسان شهم نبيل لم تنسَ وطنك، وما يعود عليه بالخير... حقق الله كل امنياتك..

* * *

الراوي ـ غير ان القدر الغاشم لم يتح الفرصة لكامل الصبّاح كي يطبق اختراعه هذا، فقد عاجله الموت في ٣١ آذار ١٩٣٥ في مدينة شنكتدي الاميركية، وهو بعد في العقد الرابع من العمر، وفي ذروة مجده العلمي، يسير من نصرٍ الى نصر في حقل الكهرباء، قبل أن يقضي في حادث سيارة لم يكن قضاءً وقدراً ـ على ما يزعم الكثيرون.

* * *

الراوي ـ لقد اكتنفت موت الصبّاح الشكوك، وقيل ان في الامر جريمة مبعثها الغيرة والحسد اللذان كان يكنهما له زملاؤه المهندسون من جهة، ولان بعض اختراعاته كانت تؤثر تأثيراً اقتصادياً سيئاً على مصالح الكثير من المؤسسات والشركات في العالم الجديد، وأصحاب الاموال من كبار الرأسماليين من جهة اخرى. فقد كان يعمل باختراعاته على قلب النظام الآلي رأساً على عقب، وذلك بكهربة الحياة على اختلاف وجوهها. ولو ان الله مدَّ في أجله وتمّ له تحويل نور الشمس الى كهرباء وقوة محرِّكة لأصاب شركات البترول العالمية بأشد النكبات.

صوت ١ ـ بودي التعرّف اكثر الى حسن كامل الصبّاح... من هو، وكيف نشأ، وماذا فعل قبل ان غادر هذه الديار الى الولايات المتحدة الاميركية.

الراوي ـ ابصر حسن كامل علي الصبّاح النور في النبطية في ٢٢ آب ١٨٩٤ من أبوين صالحين وبيتي علم وأدب. آل أبيه من أسرة ترجع بنسبها الى الشيخ الصباح أمير الكويت الاول، وتنحدر من سلالة يعقوب بن الصبّاح، الفيلسوف الشهير الذي عاش في أوائل الدولة العباسية.

فقد أثرت التربية البيتية الصالحة في تكوين اخلاقه الرفيعة. وكان منذ حداثته ذكياً، سريع الخاطر، مولعاً بالحساب والشعر، والفلك، تلقّى دروسه الابتدائية في مدرسة في مسقط رأسه السنة ١٩٠١، ودرس الجبر والهندسة من تلقائه، وهو بعد في الرابعة عشرة. ثم انتقل مع الفئة المحظوظة من الطلاب الى بيروت حيث درس اربع سنوات في المدرسة الاعدادية السلطانية، انتقل بعدها الى الجامعة الاميركية حيث درس الهندسة.

صوت ١ ـ اذكر انني قرأت في مكان ما عن دعوته الى الجندية إبان الحرب العالمية الاولى، فماذا تعرف عن ذلك؟

الراوي ـ السنة ١٩١٦ دخل الجيش التركي بعد دعوته الى الجندية، وعيّن في سرية اللاسلكي برتبة ملازم. ثم نُقل في نهاية السنة نفسها الى غاليبولي بعد ترقيته وتسلم قيادة مفرزة اللاسلكي بعد استقالة قائدها الالماني. وبعد ان وضعت الحرب اوزارها عيّن استاذاً للرياضيات في المدرسة السلطانية في دمشق، ولكنه سرعان ما عاد الى بيروت اثر سقوط حكومة الملك فيصل الاولى، فعيّن استاذاً للرياضيات في الصفوف الثانوية في الجامعة الاميركية. ولم يطل به المقام في بيروت، فغادرها الى الولايات المتحدة الاميركية ليلتحق بجامعة بوسطن، ثم بجامعة ايلينوي لدراسة الرياضيات العليا، وفي ١٠ آب ١٩٢٣ قرر، بعد اتمام دراسته، دخول شركة جنرال ايلكتريك حيث بدأ عمله الشاق بمرتب اسبوعي قدره ١٧ دولاراً، رُفع فيما بعد الى ٢٥ دولاراً.

صوت ١ ـ انه حقاً مفخرة من مفاخرنا، ولا عجب ان يُعرف نابغتنا حسن كامل الصبّاح بلقب «إديسون الشرق».

سمير شيخاني

من كلمات حسن الصباح

كان المخترع حسن كامل الصباح كتب عن نظرية اينشتين في مجلة العرفان سنة ١٩٢١ موضوع «لمحة من نظرية اينشتين النسبية».

وفي المجلد ٢١ من مجلة العرفان سنة ١٩٣٠ نشر مقالاً بعنوان «أدوارنا الاجتماعية والدينية ودوالاها» بدأه بما يلي:

أيها اخواني المسلمين ان اعتقاداتهم الدينية وعلى الأخص المتعلق منها بالقدرة الالهية منطبقة تمام الانطباق على روح العلم الطبيعي الصحيح، لأن القرآن الكريم فتئ يحث الانسان على التفكر في خلق السموات والأرض، والتعرف على حكمة الله في خلقه. وما النواميس التي يمشي عليها الكون إلا كلمات الله وإرادته ومن هو جدير أن يستوعب كلمات الله ويتفهم مشيئته في خلقه.

أعلم من تجربتي الخاصة أني كلما لمست ناموساً طبيعياً من النواميس التي تمشي عليها الكهارب والنور، أعطتني حكمة الأول عن وحيه، بل كلما تفكرت أني مخلوقاً كنت بنفسه لا أملك لنفسي ولا يملك لي والدي ضراً ولا نفعاً، كانت النواميس التي تمثل مشيئة الباري عز وجل هي وحدها التي تكفلني وتجعلني ألمع مادة وعقلاً، وما تعاليم الدين الإسلامي كلها إلا انعكاساً لهذه المشيئة وتطبيقاً لما تفرضها.

أنا ابن الشعب

شعر موسى الزين شرارة

كتبت سنة ١٩٦٠ جواباً على قصيدة للشاعر محي الدين الخطيب ارسلها لي بواسطة «مجلة الأحد» يتهمني ـ سامحه الله ـ اني وقفت في بنت جبيل «خطيباً وشاعراً ـ ضد مزارعي التبغ مع اني بكل اسف لم احضر هذا الاجتماع لسبب غيابي عن البلدة».

أخي اراك اخضعت المعاني ... فباتت طوع كفك والبنان
اذا ما قلت كوني الشهد ذابت ... بأكواب البلاغة والبيان
فشعرك لم يقله اليوم «شوقي» ... وقدماً لم يقله «ابن هاني»
ألست تراه في كل النوادي ... على شفة الخلائق واللسان؟!
يرتل في المعابد «كالمثاني» ... ومن فوق المآذن «كالآذان»
رحيق ان مدحت وحين تهجو ... ـ اعيذ الله ـ سم الافعوان
بريك أي ماجور كذوب ... وأفساك بقريته رماني؟!
متى ومن الذي انباك اني ... وقفت مجاهداً ضد «الدخان»؟!
واني قمت في النادي خطيباً ... «اسحر» كيفما شئت المعاني
لأربح «شهرة» ويقلن عني ... «العجائز» عاش نابغة الزمان
وعاش «الشاعر الموهوب» موسى ... فتى الفتيان «خيال الحصان»
ومن ابداً يطارد كل طاغ ... بشعر دونه الغضب اليماني
فيسكرني الغرور ككل غر ... فأبدوا ـ كالإله ـ لمن يراني
واحسب انني اصبحت «فرداً» ... كقاسم[1] ما له ند وثان
يسير البعض تدجيلاً وكذباً ... وراءي بالهتاف وبالاغاني
فادعى «اوحداً فرداً» زعيماً ... خطيراً رغم ضعفي والهوان
كأن السد[2] والتأميم صنعي ... وطرد الغرب من هذي المغاني



أنا ابن الشعب مثلك لا أمير ... خطير حاكم من «آل ثاني»
ترى الضيفان مثل النمل عداً ... اذا عند «العشا» مدت خواني

(١) عبد الكريم قاسم رئيس جمهورية العراق.

(٢) السد العالي الذي بناه قائد الثورة العربية المرحوم جمال عبد الناصر بعدما امم السد العالي.

ولا أنا وارث لقباً كبيراً ... ولا «كاليبك» عندي «شارابان»
ولا عندي كأصحاب الكراسي ... المصارف والمزارع والمباني
ولا تاجرت في شرف القوافي ... - كقوادٍ - يتاجر بالقيان
ولكن شاعر تهوى الثريا ... مكاني والسها والفرقدان
«وقارون» يطأطىء - رغم فقري ... ورغم غناه - هاماً اذ يراني
ورب التاج بالتاج المفدى ... يود لو ان يعطى مكاني
فلو ماالأت في وطني «دخيلاً» ... لكنت اليوم «عضو البرلمان»
«وسجن الرمل»[٣] لو عمرت القا ... لو اني خنت شعبي ما رءاني
فكيف اخونه؟! وهناك مبدأ ... غدا وبات جزءاً من كياني
يضاف اليه - كالقاضي - ضمير ... به كالشعر خالقه ابتلاني
دقيق في محاسبتي اذا ما ... هممت - بشبه معصيته - نهاني
له باظ العسي ان جن ليلي ... وهاجني الكرى وخز السنان
وقاه الله كم نصبت شراك ... لقنص مسروقي منها وقاني
حملت لوا النضال وكنت طفلاً ... - قشت - ولم ازل في المعمعان
فلم ارهب غداة «الشيخ صلّى» ... وكفرني[٤] وللباري شكاني
كذاك «البيك بيكي» لم يخفني ... بقوته ولم يثن عناني
ومال المستشار[٥] وكان جماً ... به تشرى الضمائر ما شراني
ولكني شجاع الرأي حر ... فؤادي ان نطقت على لساني
وحقك ما طلبت الجاه يوماً ... - كوغد - في التزلف او جبان
ولم املق لو اني «مثل غيري» ... اساوم او اوشوش في «القراني»[٦]
ولا «الجرذان» ودعني وولّى ... هزيلاً ضامر الاحشاء عاني
غداة خلت «ديار الخير» حتى ... من الخبز «المعفن» والزوان
وبتُّ بها كرسل الله زهداً ... فلا قمح لدي ولا «قطاني»



حماك الله ربك من اناس ... قديماً - من دسائسهم - حماني
فسلهم ثانياً هل شاهدوني ... - كما زعموا - بذاك المهرجان؟!
فلم اعتب وحقك لو «عميل» ... من العملا ومأجور هجاني
اعان الله قلبي كم يقاسي ... من الصحب الكرام وكم يعاني

(٣) السجن المعروف في بيروت الذي سجنت به وبغيره مراراً في عهد الأنتداب الفرنسي.

(٤) اشارة للفتوى التي صدرت بتكفيري وسفك دمي من بعضهم تزلفاً للاقطاع وتملقاً للأنتداب واذنابه.

(٥) المستشار الفرنسي أو الدكتاتور بتشكوف الذي سيظل عهده الاسود ذكرى مريرة لاحرار الجنوب.

(٦) عفواً اذا ما ورد بها الفاظ عامية قد جاريت بها الصديق شعبان.

من محي الدين الخطيب .

بواسطة مجلة الأحد بتاريخ ٢٤/٤/٩٦٠ .

الى الاستاذ الشاعر موسى الزين شرارة . بمناسبة الاجتماع الذي عقد في « بنت جبيل » احتجاجاً على الغاء رخص زراعة التبغ .

شرارة . مـــا جـــرى في المهـــرجـــان ... ومـــاذا تم مـــن « كـــاني ومـــاني » ؟!
حشـــدتم فيـــه كـــل فتى قـــوي ... وكـــل « معمـــم » ذي طيلســـان
ورحتم تسمعـــون النـــاس طحنـــاً ... وجعجعـــــة والوان البيـــان
فقـــال الســـامعـــون اقيم حقـــاً ... ـ ببنت جبيـــل ـ ســـوق عكـــاظ ثـــان
دوي خطـــابـــة ورنين شعـــر ... افـــاق على حـــداه المشرقـــان
اقمـــت الأرض شرقـــاً مـــن بخاري ... الى غـــرب البلاد فتلمســـان
ولكني رأيـــت الأمـــر هـــزلاً ... ولا يجدي بـــه فيـــض المعـــاني
شهـــدت جنـــازة وشهـــدت ميتـــاً ... نشيعـــه فكـــان الثعلبـــان
فلا رحـــم الآلـــه ثـــرى فقيـــد ... ولا شهـــد الثرى زرع الدخـــان
نبـــات شربـــه « ام ورجس » ... سلـــوا عنـــه الصـــدور ومـــا تعـــاني
فكيـــف عملـــت « يـــا ابن الزيـــن » هـــذا ... واقحمـــت الجنـــوب بمعمـــان
طمعـــت بشهـــرة واثيـــل مجد ... يـــردده فلان عـــن فلان
وتبـــت تقـــارع الاصلاح حق ... يشير اليـــك قـــوم بـــالبنـــان
ويمشي في ركـــابـــك كـــل يـــوم ... ـ الى صيـــدا ـ كبير « اليـــآوران »
فـــدع عنـــك الدخـــان وزارعيـــه ... وعـــودهـــم على زرع القطـــاني
فـــان الخير في عـــدس وفـــول ... وان الدسم في اكـــل الزوان

مجلة الأحد
نيسان سنة ٩٦٠
محي الدين الخطيب

يـــوم الحسين و ـ حقـــوق الانسان في السنغال .

بقلم حسن يزبك

في شهر تموز ـ من عام/١٩٨٢ ـ أقيم مهـرجـان فكـــري ـ انســـاني كبير ـ باسم / المعذبين والمظلومين في كل مكان. وكان الانسان المعذّب يحتل مكانه اللائق بين صفوف المفكرين والفلاسفة والادباء الذين قدموا اروع افكارهم وأحسن آرائهم التي تتنـاول قضية المعذّبين ـ ضحايا الاستعمار والاستعباد والاستغلال: روجيـة غـارودي وارنولد تـوني ومكسيم رودنسـون وجـاك بيرك وفنساي مونتاي وغيرهـم مـن كبـار الكتاب والمفكريـن الذيـن ينـاضلون عبر افكارهم ـ للدفاع عن الانسانية المعذبـة. هؤلاء كانت افكارهم وتأملاتهم الرائعة تبدو ظـاهـرة ومبلـورة أثنـاء حـــدوث تلـــك المهرجانات التي أقيمت باسم حقوق الانسان وقضية الانسان المسحوق.

وكـالعـادة ـ كـــان للسنغـــال دوره الانســاني البـارز في هـذا الميـدان. ميـدان الاعلام والعـدالة الانسـانيـة. لقـد أرادت الدولـة السنغـاليـة بقيـادة الرئيس عبـــدو ديوف ـ ان يتحول البلد السنغالي الى منبر انساني كبير / يبرز صوت الضمير ويجسد مفاهيم العدل والخير والحضارة. هنالك قضايا وأشياء ـ ليست بحاجة الى أسلحـة ذريـة وهيدروجينية ومدافع وقنابل. مطلوب أشياء اسمها اعلام ـ كلمـة ـ تـوعيـة. مطلـوب صوت انساني جديد يعلن كلمة الحق ويبلور مفهـوم التضـامـن الانسـاني بين الشعـوب ويكشـــف عـــن وجــوه الطغيــان والظلم والاستغلال. ـ من هنا نستطيع ان نفهم الدور الانساني العريـق الذي لعبـه ويلعبـه السنغال في مضمار الحب والتفاني والتضامن الاخوي. هذا هو السلاح الذي يمكن ان يقدمه السنغال ـ بلد السلام: سلاح انساني من اجل خير الانسانية.

يوم الحسين ومعركة كربلاء.

هل يمكننا ان نتحدث عن مفاهيم حقوق الانسان وقضايا المعـذبين والمسحـوقين دون ذكر الحسين ومعركة كربلاء؟

بكل تواضع واعتزاز فان معركة كربلاء تمثل اشياء اسمها النضال والبطولة والتضحية من اجل رسالة الاسلام السـاميـة وكـرامـة الانسـانية. عندما كان الحسين يخوض معركة كربلاء، كان يشعر بثقل المسؤولية الكبرى الضخمة الملقاة على عاتقه. انها مسؤولية انقاذ واعادة بناء الاسلام كان يعاني ازمة ومحنة. والانسانية كانت تتعـرض لحركـة تشـويـه وخراب. حركة النضال والاصلاح التي كان يقوم بها الحسين كانت تمثل حركة لإنقاذ الانسانية رسالـة الاسلام ـ تعني رســالـة الانسانية والحضارة. تطبيق مبادىء الاسلام السـاميـة معنـاه محاولـة لفتـــح درب سليم للانسانية. اذن معركة الحسين هي معركة حضارة وانسانية. وما أروع الشعار الكبير الذي حمله الحسين اثنـاء خـوضـه معـركـة كربلاء (ان كان دين محمد والانسانية ـ لم يستقم الا بقتلي يا سيوف خذيني).. كم نحن بحاجة الى الحسين وحركة الحسين وانسانية الحسين ـ ونحن نعاني ابشع محنـة وأخطـر مصير وأسوأ واقع.....

دكار / حسن يزبك.

مَعْلَمَةٌ هكذا عرفتهم

الجزء السادس - ١٩٨٢ م

تأليف جعفر الخليلي

مراجعة: رروكس بن زائد العزيزي

- ١ -

نهج مبتكر، في التراجم، والسِّير، تناول فيه المؤلف ستة من الأفذاذ، الذين عرفهم، فصور فيه حيواتهم، بما تعجز عنه ريشة فنان بارع!..

تفتح هذا الكتاب المؤلف من مائتين وثمانين صفحة، فيأسرك باسلوبه السهل الممتنع، وبما فيه من صدق، واخلاص للحقيقة، ووفاء للصديق، ونقد مهذَّب، ونكتة بارعة، فما أكثر المواقف، التي تحاول ان تحبس دموعك فيها، وقد لا تستطيع!..

اما النكت البارعة التي ترسم الابتسامة على شفتيك، فالضحكة المسموعة، فعديدة أيضاً!..

* * *

وفي أثناء الكلام، ترى سيرة المؤلف، بطريقته المهذبة، وتواضعه البعيد عن الفضاضة، والادعاء.

يبدأ الكتاب بسيرة الحاج (عبد الحسين الأزري) ١٨٨٠ - ١٩٥٤ موضحاً نسبه، مزيلا اللبس الذي يقع بينه وبين الشيخ (كاظم الأزري) صاحب (المائية) المشهورة، التي لم يمر على منوالها في مدح الرسول وآل البيت شاعر طوال القرون الإسلامية سبكاً، وبلاغة، وابداعاً. (هكذا عرفتهم ص ٨) ج ٦. ومن علواء الأزري (كاظم في مدح النبي ﷺ) قوله: -

لا تسل عن مكارم منه عشَّت، تلك كانت يداً على ما سواها،
جوهر تعلم الفلذات من كل القضايا، بانه كيمياها،
حاز من جوهر التقدس ذاتاً، تاهت الانبياء، في معناها،
لا تُجل في صفات أحمد فكراً، فهي الصورة التي لن تراها!
تلك نفس عَـزَّت على الله قدراً، فارتضاها لنفسه واصطفاها!..

وحين يذكر أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول الأزري، في بعض ما يقول من هذه (المائية).

ذاك رأس الموحدين وحامي بيضة الدين، من اكف عداها،
جمع الله فيه جامعة الرسل، وآتاه فوق ما آتاها!

وهـــم الاعين الصحيحـــــات تهدي، كـــل عين مكفـــوفـــةٍ عينـــاهـــا،
علماء، أئمة، حكماء يهتـــدي النجـــم بـــاتبـــاع هـــداهـــا،
ورثـــوا مـــن محمد سبـــق اولاهـــا، وحـــازوا مـــا لم تحزْ آخـــراهـــا!.

* * *

وقد وضح ان (كاظماً) الأزري من سلالة وإعملية. اما (عبد الحسين) الأزري فمن بني تميم. والحاج (عبد الحسن) الأزري، عفيف يحب الفكاهة، وقد اورد له موقفاً مع صديقه (الراوي) من اهل (راوه) فكانا اذا التقيا في مجلس، انس بهما الحاضرون، لما يتبادلان من فكاهة. فقد قيل ان (الراوي) قال لـ (الأزري) في معرض مناقشةٍ وهو يداعبه في احد الايام: «اتدري يا أزري ان الناس يقولون: «انك مجنون!» فاجابه (الأزري) قائلاً: «يا سبحان الله، فقد بلغني عنك أنك مأفون، فان صدق الراوي، فانما هو فيَّ أنا، وفيك أنت، وان كذب (الراوي) فلعنة الله على (الراوي).

وقد قال بيتين من الشعر في صديقه (الراوي) هذا: ـ

«ولم الغ حـــرف الراءِ الا لحكمـــة، اذا نهمت بـالـراوي، تلفظت بـالعـاوي،
وقالوا: «روى عنك الاحـاديـث كـاذب، لقـد صـدقـوا، لكنها كـذب (الراوي)»

* * *

وقد صوّر الأزري ـ كما يقول المؤلف ـ نفسه بهذين البيتين من الشعر:

«عشـــت نقـــي الجيـــب لم اقترف شراً على النـــــاس، ولا ضراً،
ولم أزل مـــن عفتي رافعـــاً رأسي، مـــا بين الورى حُـــراً،
فلـــو يـــدي اليمنـــى جنـــت مـــرة، قطعتها، في يدي اليسرى!..»

وقال عليه المؤلف الفاضل، انه لم يكن يعرف للوجود قيمة الا في شرف النفس وكرامتها: فهو يقول صادقاً: ـ

«أنـــا مـــا دام سلياً شرفي، كـــل شيء دونـــه، عنـــدي أمـــم!.

وقد كان نصيراً للمظلومين، لأنه نشأ والعراق يرزح تحت الحكم العثماني، يوم كان اغلب ولاته يشترون حكم الولاية على العراق من (اسطنبول) بالمال، وكان الوالي يسترد ما دفع من الرشوة برشاوي خفية ورشاوي علنية، فأصبح الشعب الكادح مسحوقاً بمظالم لا حد لها، فالعراك بين القبائل العراقية دائم، والسلب مستمر في الطرقات، فجلد الظلم والظالمين باشعاره الجريئة، لكنه رأى ان الشعر وحده لا ينفع فتحول الى الصحافة وهو عربي النزعة، فطالب بالعدل وبأن يأخذ العرب حقهم، واصدر: أ ـ (المصباح)، ب ـ ثم (مصباح الشرق) ج ـ ثم (الأغرّ) د ـ ثم (الروضة) وكانت الحكومة العثمانية تغلق صحفه هذه، كلما رفع

صوته بجرأة، فلما كثر انصار افكاره المطالبة باللامركزية، قبض عليه، ونفي الى (قيصرية) في الأناضول. لكنه لم ينس بلاده، ولا غابت بغداد عن خاطره، فاسمع ما يقول: ـ

«اذا ذكرتك يا (بغداد)، ارّقني ذكري حبيباً، بروحي كنت افديه،
واوشك الدمع، لولا الصبر يحبسه خوف الشماتة، يجري من مآقيه»

* * *

وقد مكث في المنفى سنتين، تعلم في أثنائها اللغة الفرنسية. ولما زال العثمانيون، كان يتوقع ان تنعم البلاد بالعدل والانصاف، لكن الانتداب البريطاني، خيب امله، فقال: ـ

«اذا أوجعتك سياط الغريب، فعون القريب له، أوجع!»

وفي سنة ١٩٢٦، خاطب الدكتور (عبد الرحمن الشهبندر) قائلاً:

والداء حيث نزلت داء واحد، اذ كنت ادرى الناس في أسبابه،
حب المظاهر في قلوب رجاله، بيع الضمائر فيه، رأس خرابه،
حب المظاهر في قلوب رجاله، وتلون الحرباء في أحزابه،
هذي نتائج ما جنى من سعيه، يا خيبة الآمال في اتعابه،

واذا رأى الذين وصلوا الى الحكم في العراق بلا كفاية. قال بسنة ١٩٣٦:

اضحكتنا، ورب ضحك بكاء، فترة من زماننا رعناء!
فترة ضاعت المقاييس بين الناس فيها، وسادت الأهواء،
لمة من بني الشوارع عاشت، حيث عاش الاعبار واللقطاء!
حشرات طلعن من لقطات الار ض، لما استتبت الظلماء!..

* * *

ومما يذكره المؤلف الفاضل انه قال: ـ

«ممن تحذّر من صلبي نفضت يدي، فكيف أرجو الوفا ممن أصاحبه!؟.»

هكذا عرفتهم ص ٢٤ ج ٦.

يذكر المؤلف الفاضل ان الأزري كان مهملاً لاشعاره، وقد لامه اصدقاؤه على هذا الاهمال، فلما ورث عن زوجته مالاً اراد أن يطبع شعره، فسافر الى دمشق، وتوقع أن يصل اليه المال فلما لم يصل، عاد الى الصراف، وتوفي من غير أن يطبع ديوانه، لكنه طبع بعد وفاته، وقدم له الاستاذ الخليلي.

ومما تعجب له ان الاستاذ المؤلف يتطرق الى أناس من القمم وهو يترجم لمن عرفهم، فقد ورد ذكر، المرحوم علي الشرقي، وحسين الصراف وعبدالرحمن النقيب، والشيخ محمد رضا الشبيبي،

ومصطفى جواد، والعقاد، بلمسات تشير الى قيمة كل منهم، والى المامه بموضوعه الماماً عجيباً.

اما الحاج عبد الحسين الأزري فقد وفاه حقه من ذكر مآثره.

* * *

وبعد الأزري، عرض علينا صورة لشخصية المرحوم (جورج كعدي) وأثنى على عصاميته، ومما قال عليه: «وحياة (جورج كعدي)، تكاد تكون فذة، بل هي بمعنى الكلمة. فان شاباً يخرج من مسقط رأسه ولم يزد عمره على أربع عشرة سنة، ولم تزد معارفه على دراسة ابتدائية، لم تكتمل مراحلها بعد، وليس في جيبه أكثر مما يستطيع ان يوصله الى (البرازيل) ليعمل هناك بما يسد له حاجته اليومية، فيعمل نهاراً في كسب العيش، وليلاً في الانكباب على الدرس، لامر لا يخلو من الدهشة، والاستغراب، ولا سيما اذا عرفنا انه يدرس العربية على نفسه، حتى اتقنها بكل فروعها، من نحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، حتى توسع بالشعر، وحفظ من أشعار العرب قديماً وحديثاً، الشيء الكثير. وتعلم من اللغات: الاسبانية، والبرتغالية، ثم تعلم الانكليزية، والفرنسية، والالمانية، ويدير اعماله مع الشركات بنفسه. وكان بعد ان أثرى مسرفاً في سبيل الخير ومساعدة الناس، إقالة عثرات العاثرين، حتى كاد احسانه يجره الى الافلاس، ولا سيما بعد ان خسر في صفقة تجارية اشمتت به الشامتين!. وفوق الشماتة، واجه نكران الجميل، حتى هتف من اقصى ضمير قائلا:

«وزهدني في كل خير صنعته، الى الناس، ما لاقيت من قلة الشكر،

وقال: -

اتصر وجيبك ايها القلب هيهات يجدي النوح والندب،
الدهر يخذل كل ذي ادب لا السعي ينفعه، ولا الدأب،
عبست له الايام كاشرة، عن نابها، واغتابه الصحب،
وتفننت في ذمه فئة، ابداً حلاهـا التبُّ والتلب!.».

* * *

فهجر (البرازيل) الى (لاباز) من بوليفيا. الفرق بينها وبين البرازيل، كالفرق بين السماء والارض.

وقد كتب الى صديقه المؤلف مرة يقول: «انني شاعر مغمور. يعيش في بيئة مغمورة لا تسمع فيها للعربية ركزاً، ولا خشفاً، ولا ندباً.

وكتب مرة أخرى يقول: «إنني أعيش في هذا البلدمنضماً على نفسي، منطوياً على ذاتي صابر مصابراً، حتى يبلغ الكتاب اجله، ويقضي الله امراً، كان مفعولاً!.. وقد سماه (ايليا ابو ماضي) الشاعر المتألم. وقد كان ابو ماضي يقول: «إن النفس التي لا تتألم، لا جمال فيها.».

قال المؤلف الفاضل: «بدأ (جورج كعدي) يتحسس آلام الحياة أكثر، لأن تأمله في الجوانب الواسعة من الحياة، وزواياها المظلمة المجهولة هنا، كان أكثر، وأكبر. فقال: -

وأفظع ما القى من البين انني اعيش بهذا القفر، كالقفر نفسه،

وقال: -

طويت جناحي وانزويت بوحدتي، كأني حي ميت يسكن الرمسا!..

ولجورج كعدي، رأي في المفكر الكبير (ميخائيل نعيمة) لا يسر النعيمي فجورج يتهم الاستاذ نعيمة بأنه يكره العرب. ص ٤٤ وأنا (العزيزي) لا أرى في (نعيمة) ما يراه قريبه (جورج كعدي)!..

* * *

يقول المؤلف الفاضل، ان جورج كعدي اضطر في سنة ١٩٦٩ ان يجري جراحة تسببت له بالصمم المطبق، ولم يعد يتفاهم مع أحد الا بالكتابة، فألح عليه اقاربه بأن يعود الى لبنان، ولم يستجب الا لرأي المؤلف، لكنه أجاب: «ان لبنان قد تغير، ولم يعد لبنان السابق الذي يعرفه من قبل. وان اكثر ما ينفر الزائر، هو لوم القوم واحتيالهم، (ونصبهم)، و (تيليص) الناس من اموالهم، فهناك أناس، يستخرجون (جوربك) من قدميك، دون ان يمسوا حذاءك، وهذه لعمري بدعة في ابتزاز اموال الناس، لم يروِ لنا التاريخ لها مثيلاً، وقد زرت لبنان مرتين فلقيت هناك عنتاً وارهاقاً..» ص ٥٠.

ويقول ايضاً: «انه سيجرب - لبنان - ولكنه يحاذر من كل شيء، في لبنان، لأن المادة قد افسدت الشعب اللبناني، بعد ان كان من أشرف الشعوب. ولكني سأستنصح برأيك وأعزم على السفر ان شاء الله.»

* * *

وقال: «انه قد ندم على مجيئه الى (لبنان) فهجرها الى (لاباز) وهو ناقم أشد النقمة، حزين أعظم الحزن.

وقد لقي ربه في الثامن والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٧٥ في (لاباز) - بوليفيا.

وهذا (فؤاد عباس) ١٩١٠ - ١٩٧٦

من اهل (الخالص) نسبة الى (نهر الخالص) وقد امتازت (الخالص) او قل اهل (الخالص) بما لم تمتز به مدينة عراقية، وميزتها تلك، ان سكانها كانوا متآلفين متحابين مع انهم خليط من الشيعة والسنة. يشارك بعضهم بعضاً، في الأفراح، وفي الأتراح، وفي الأعياد.

وقد نشأ فؤاد بفضل والده الصالح نشأة طيبة وكان والده يحاوره في قواعد اللغة، ومعاني الشعر.

يقول المؤلف الفاضل، إن والدة فؤاد قالت عند ولادته سنة ١٩١٠ : « ليته لم يولد ، لأنها خافت ان يكون مصيره الموت وهو طفل، كما مات اخوه له وهم اطفال . ما عدا اخاً له مات بعد ان تزوج، وأختاً ، كانت تنظم الشعر العامي ، وتحفظه . وقد احيط فؤاد بدلال لم يفسده . وقد ظهرت بوادر الذكاء والنجابة عليه ، فخصص له جعفر العسكري راتباً شهرياً قدره خمس ربيات، لأنه سر بما انشد له من ترحيب في مدرسة الخالصة ، التي كان فؤاد خطيبها ، فكان هذا الراتب عوناً له ، لأن حالته المالية كانت ضعيفة ، وظل يتقاضى هذا الراتب، الى ان دخل دار المعلمين في (بغداد) .

* * *

وفي بغداد ، كان من المتفوقين ، فاختير لبعثة ، للجامعة الأميركية ، فظهرت مواهبه ، ظهوراً بارزاً ، ولا سيما في الشعر الخاص بالمرأة ، وقد بهره جمال بيروت ، فنظم قصيدة بارعة عنوانها (رأس بيروت) قوامها اربعة وثلاثون بيتاً من البحر الطويل .

وقد كان يحب القراءة كثيراً ، ويقتني خيار الكتب النادرة الغربية : وقد تعلم الفرنسية ، والفارسية ، الى جانب العربية والانكليزية اللتين اجادهما اجادة تامة .

وقد كان (فؤاد) مولعاً بـ (العرق) ولما لم يجد ـ في إحدى الليالي ـ العرق لجأ الى الويسكي ، فقال : « ان ليلته التي فرضت عليه (الويسكي) ، كانت انكد ليلة . وقد أحب في دنياه اموراً ثلاثة : ـ

أ ـ الكتب والقراءة .

ب ـ والعرق

ج ـ والمرأة .

وكان له قدرة عجيبة على تحمل المشروب . فمهما شرب من العرق ، لا يسكر . ومن اروع قصائده تلك القصيدة التي نظمها ، لمناسبة حرمانه من الدخول في حفلة (الوست هول) لأنها كانت مقصورة على طلاب الصف المتخرج تلك السنة ، اذ جاء فيها : ـ

« ايها الزاعمون ان جنان الله مخصوصة بدين وحيد »

وهي مؤلفة من ثلاثين بيتاً قد دعاها (استقبال الزهور) .

* * *

ولفؤاد عباس طبع خاص ، فيوم اعلنت الجامعة الاميركية ان (مي زيادة) ستلقي محاضرة تتناول فيها فلسفة الادب واتجاهاته وأثره في المجتمع والآراء الاجتماعية الحديثة ، ألغى رحلته المقررة الى دمشق وخسر شيئاً غالياً ، في سبيل ان يسمع محاضرة (مي) بعد ان خرجت من (مستشفى العصفورية) . وبعد سماعه تلك المحاضرة قال : « اشهد اني ما سمعت محاضرة ، في

كل ما حضرت من ندوات المحاضرين، تشبه ما القت (مي زيادة) من عمق ادب، وقواعد فلسفة وتصوير للمجتمع الانساني، في نبرات ذات وقع، ووقار جذاب يستلفت النظر، وكانت المحاضرة وحدها تثبت انَّ ما اتهمت به (مي زيادة) لم يكن له اصل، ولا يمكن لأحد أن يقول فيه شيئاً ولا سيما انها القت محاضرتها، وعلى وجهها مسحة الانطلاق والانشراح الذي يجتذب العيون والآذان والقلوب.

* * *

كان فؤاد بعد تخرجه في الجامعة الأميركية ببيروت بدرجة امتياز، قد عين مدرساً ومديراً للمدارس الإعدادية، ومحاضراً فمفتشاً اختصاصياً لـ (اللغة العربية وآدابها) في وزارة المعارف العراقية، فادخل اسلوباً جديداً في تلقين الدروس، والإفادة من النصوص الأدبية، وكان يهتم بأهازيج العوام ويتخذ منها امثلة يسند بها امثلة القريض في درس البلاغة.

ولما احيل على المعاش، شعر براحة، وكافأ الفراش الذي دفع اليه الكتاب، في حين انه لم يعطِ فراشاً مكافأة كل مدة خدمته، لكنه فعل ذلك بسبب فرحته، لتحرره من قيود الوظيفة.

* * *

يقول المؤلف الفاضل ان (فؤاد عباس) كان واسع الآفاق، له في كل قدر من المعارف مغرفة. وهو أديب فكه حاضر البديهة وكان فؤاد يخاف ان يكون له اولاد، ولم يكن يكره الاولاد. كان يرى ان الخلود بعد الموت وهم من الأوهام، وان خير ما يفعله الإنسان هو قضاء الوقت بالقراءة والمطالعة.

ويقول الاستاذ العلامة الدكتور (صفاء خلوصي) واصفاً (فؤاد عباس) بما حرفه: «كان فؤاد اميل الى الحديث، والخطابة الارتجالية البليغة منه الى الكتابة والتأليف، ولعل لسحر صوته الذي لا يمكن ان يدون على قرطاس، أثراً في هذا المنحى الذي انتحاه!.»

وكان الظرف طبيعة أصيلة في (فؤاد) ولو فتشت محاضراته ومجالسه، لما وجدت فيها ما يخلو من هذا الظرف الذي يطعّم به الحديث!.

* * *

وقد تطرق المؤلف الفاضل الى ما يلفقه القوم من النوادر على اهل الحلة كيداً، وهي نوادر مضحكة جداً، فلتراجع في الكتاب في الصفحة الـ ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧.

يذكر المؤلف ان الصحف العراقية التي ذكرت وفاة هذا العبقري، مرت عليها مرورها على انسان مجهول.

* * *

الشاعر الياس فرحات ١٨٩٣ - ١٩٧٦.

من كلمات فرحات، «أنا انعم اليوم بمطالعة مؤلفك الجديد (هكذا عرفتهم) واحد الذين عرفتهم، وعرفوك، متمنياً لو أني واحد منهم لأظفر بما ظفروا ...» لقد قرأت كثيراً، مما كتب على المرحوم الشاعر الياس فرحات، لكني لم أظفر بما ظفرت به في الواحدة والستين صفحة التي خطها يراع الاستاذ الخليلي مصوراً لصفيه (الياس فرحات).

فقصة حبه لـ (أنيسة)، حياة الشقاء التي اجتازها الياس فرحات، نشأته البائسة عبقريته الفذة هذه كلها صورها الاستاذ الخليلي ببراعة منقطعة النظير. فقصيدته (خصلة الشعر) التي فاضت من قلبه، مسطرة بيديه، يوم بلغه ان حبيبته تزوجت:

خصلــــة الشعـــــر التي أعطيتنيهـــــا ، عنــــدمــــا البين دعــــاني بـــالنفير ،
لم أزل أتلـــو سطـــور الحب فيهــــا ، وســـأتلـــوهــــا الى اليـــوم الأخير .
خنـت عهـــد الحب لا بـــأس، فـــإني مكتـــف بـــالأثـــر الحلـــو الثمين!
فـأنـا مـا عـدت أحيـا بـالتمنّـي بعـــــــدمــــــا منيتني عشر سنين!
أشكـــــــــر الله فما الاخلاف مني ، اني كنـــت لـــك الصـــبّ الامين! ..
راجعــــــي سيرة حبي، راجعيهـــــا ، فهـــي نـــورســـاً ســـاطـــع للمستنير ،
واذا مـــرت بـــك أبـــرع سليهـــا ، انها تعـــرف مـــن أمـــري الكثير! ..

* * *

يقول المؤلف: «ان هذه القصيدة، التي سجلت حب الياس فرحات، لا بل قصة ذلك الحب العارم، هي التي دفعته لتقصي اخباره، لأنه - أي فرحات - وصل الى القبر، وهو يحمل حب أنيسة في قلبه!»

ولقد كان (فرحات) مغرماً بالعراق، الى درجة الهيام، ومن ذلك قصيدته التي نشرتها مجلة (الشرق) البرازيلية، يوم وضع حجر الاساس لبناء اول سفارة للعراق في (برازيليا) عاصمة البرازيل سنة ١٩٧٣، خاطب فيها حجر الاساس، قال:

ايـــا حجـــراً، عـــزّ بـــاسم العـــراق، انـــــا نحوطـــــك بـــــالاكبر!

* * *

وكان الياس فرحات، اول من دعا دول النفط لمساعدة اخوانها من العرب المجاهدين، قال تحت عنوان (نفط الكويت):

لـو كـان لي نفـط الكـويـت جعلتـه يمشي على جثـث اليهـــود جنـــودا!

واذا ذكر الانكليز قال: -

كيـــــف ننـــــاهـــــم وننسى انهم اخـــذوا النفـــط، واعطـــونـــا اليهـــودا

* * *

وكما كان فرحات مولعاً بذكر أنيسة، فان المؤلف قد ذكرها كثيراً، ذكر ان (سلمى سري الدين) قالت على (أنيسة) انها كانت مجنونة بحب (فرحات) وان محفظتها كانت مملوءة بجزازات من الجرائد والمجلات، التي يأتي فيها ذكر فرحات وشعره، وكثيراً ما قالت: «انها هي التي خلقت من فرحات شاعراً».

ومن اقواله فيها: ـ

لـو يعـود الشبـاب، عـاد شبـابي، عـنـد خريـة اللمس، والرضـاب،
عند مـن لـو مشـت على جفـن عيني، مـا احـست بـوطئهـا اهـدابي!..

والغريب في امر هذا الشاعر الملهم، انه عاش اربعاً وثمانين سنة، ومات وهو لا يعرف النحو، ولا الصرف، ولا العروض، مع هذا فقد جاء بهذا الشعر الرائع، الذي لا أمت فيه، ولا اعوجاج!.. وقد اشار الى جهله قواعد اللغة والعروض بقوله: ـ

يقـولـون عمـن اخـذت القـريـض، وممن تعلمـت نظـم الدرر؟
ومـا كنـت يـومـاً بطـلـب علم، فـانـا عـرفـنـاك منـذ الصغـر،
فقلـت اخـذت القـريـض صبيـاً، عـن الطير وهـي تغني السحـر،
وعـن خطـرات النسيم العليـل، يمر فيشفـي عليـل البشر،
وعـن ضحكـات ميـاه الجداول، فـوق الجلاميـد، تحت الشجـر،
وعـن زفـرات المحـب الأديـب، يـزاحـه الموسر المحتقـر،

الى ان يقول: ـ

«فـذا الكـون جـامعـة الجامعـات وذا الدهـر، استـاذهـا المعتبر!»

وينفي المؤلف الفاضل دعوى (توفيق قربان) الذي زعم انه هو الذي قوّم لفرحات شعره. ص ١٣٩/ ص ١٤٠.

وقد كان (فرحات) يكره ان يظهر بوجهين فصدق في قوله:
واني أرى الريـاء ممسـرّة، وان خبيـث القـول في الصـدق طيـب

وكان صريحاً صادقاً، في قوله:
واني لمطبـوع على الصـدق جـاهـر، بـآيـاتـه، والنصـل في النصـل يقصر،
أقـول لـزي اليقين: «انـك مبصر، وللاعـور المغـرور، انـك. أعـور!»

* * *

كان لا يحب من ينتقد العرب، وساسة العرب، وكان يحب النكتة ومن ذلك. انه كان قد رأى أن أغلب الجالية العربية في مدينة (فالادارس) من آل زهرالدين الدروز، وكل أسمائهم من هذا الطراز: سري الدين، فخرالدين، تقي الدين، علم الدين، زهرالدين، وكلهم من

أصدقائه، فبعث لهم بتهنئة في عيد الأضحى الذي يعيده الدروز أكبر عيد، ووقع تلك التهنئة بقوله ـ من محروق الدين فرحات! ـ ومن اعتزازه بالعرب، وجه اياهم قوله:

«ولــو أوصى بكــره العــرب ديــن، لكنــت اذن، امــام الملحــدينــا!»

* * *

يقول المؤلف: «وفرحات نقي الضمير، يدل عليه شعره، أينا وقعت عليه، ويعجبك من هذا الصفاء، وهذا الشقاء، ويسحرك بصدق لهجته، وحلو بيانه، واعترافه بانه تعلم الشعر بدون معلم، وصح قوله الشعر، دون الحاجة الى النحو، والصرف، والعروض، وإنه يعرف قدر نفسه، ولم يكذب حين قال:

«واعجــب مــا بي، ان لي عقــل عــالم، أحــاول ان أهدي بــه، قلــب شــاعــر!»

ويقول المؤلف الفاضل: ـ ان فرحات عاش فقيراً، وانه لولا مساعدة ولديه (خالد) المحامي، و (عصام) المهندس، الذي يعيش فرحات معه، لكانت شيخوخته من أتعس ما عاشها شيخ. في حياته، بسبب إبائه، وخيبته في الأعمال التي زاولها، في تطوافه، وانتقاله بين القرى النائية بائعاً دليلاً للشركات، وشارياً حاجات متواضعة، وفي مثل التطواف المنهك المخفق يقول فرحات: ـ

فنشرب مما تشرب الخيــــل تــــارة، وطوراً تعاف الخيل، ومــا نحن نشرب!!..
طــوى الدهــر مــن عمــري ثلاثين حجــة طــويــت بها الاصقــاع، أسعــى واداب،
أغــرب خلــف الرزق وهــو مشرق وأقسم، لــو شرقــت كــان يغــرب!..

* * *

وقد عتب فرحات على الدكتور (سمير القطامي) الذي جعل أطروحته التي نال بها درجة الماجستير، لاعتماده على كتاب (ادبنا وادباؤنا في المهجر) للمرحوم ـ جورج صيدح ـ ولم يرض عن كشف الدكتور سمير، كل أراء فرحات ببعض الأدباء ص ١٦٣، ص ١٦٤. ويعتقد فرحات، ان أحسن من كتب على أدب المهجر وادبائه، هو (محمد عبد الغني حسن).

كان فرحات لا يخاف الموت، وقد قال: ـ

«نحن في اللجـــة التي أنســـت فيهـــا، كــل طــافٍ منــا، سيمسي غــريقــاً،
لــن يطــول افتراقنــا فــالمنــايــا مــالئــات بــالسراحلين الطــريقــا!»

وقد كان يقول في أيامه الأخيرة:

«أتمنى لو كان لي جار يعرف العربية يقرأ رسائلك ـ الخطاب للمؤلف ـ لأن المرحوم فرحات كان قد كف بصره في آخر عمره! وقد لقي ربه في ١٩٧٦/١١/٢٠ رحمه الله.

روكس العزيزي

الاعلان العالمي لحقوق الانسان

في العاشر من كانون الاول سنة ١٩٤٨ أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة الاعلان العالمي لحقوق الانسان وأعلنته، وبعد هذا الحدث التاريخي دعت الجمعية العامة الدول الاعضاء الى ترويج نص الاعلان، والى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته، وخصوصاً في المدارس والمعاهد التعليمية بدون أي تمييز بشأن الوضع السياسي للدول أو الاقاليم.

الديباجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الاسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الانسان وازدراؤها قد افضيا الى اعمال همجية آذت الضمير الانساني، وكان غاية ما يرنو اليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري ان يتولى القانون حماية حقوق الانسان، لكيلا يضطر المرء آخر الامر الى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كانت شعوب الامم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الاساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الاعضاء قد تعهد بالتعاون مع الامم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الانسان والحريات الاساسية واحترامها.

ولما كان للادراك العام لهذه الحقوق والحريات الاهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

المادة الاولى: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميراً، وعليهم ان يعامل بعضهم بعضاً بروح الاخاء.

المادة الثانية: لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الاصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء.

وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو البقعة التي ينتمي اليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي

أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة الرابعة: لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها.

المادة الخامسة: لا يعرض أي انسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة السادسة: لكل انسان اينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

المادة السابعة: كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة منه دون أية تفرقة، كما ان لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الاعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة الثامنة: لكل شخص الحق في أن يلجأ الى المحاكم الوطنية لانصافه من أعمال فيها اعتداء على الحقوق الاساسية التي يمنحها له القانون.

المادة التاسعة: لا يجوز القبض على أي انسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة العاشرة: لكل انسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته امام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلا علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه اليه.

المادة الحادية عشرة: (١) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً الى أن تثبت ادانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

(٢) لا يدان أي شخص من جراء اداء عمل أو الامتناع عن اداء عمل الا اذا كان ذلك يعتبر جرماً وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت الاتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة الثانية عشرة: لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة الثالثة عشرة: (١) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة.

(٢) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة اليه.

المادة الرابعة عشرة: (١) لكل فرد الحق في أن يلجأ الى بلاد اخرى أو يحاول الالتجاء اليها هرباً من الاضطهاد.

(٢) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لاعمال تناقض أغراض الامم المتحدة ومبادئها.

المادة الخامسة عشرة: (١) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

(٢) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو انكار حقه في تغييرها.

المادة السادسة عشرة: (١) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج

وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولها حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

(٢) لا يبرم عقد الزواج الا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملا لا اكراه فيه.

(٣) الاسرة هي الوحدة الطبيعية الاساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة السابعة عشرة: (١) لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.

(٢) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

المادة الثامنة عشرة: لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة.

المادة التاسعة عشرة: لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة العشرون: (١) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

(٢) لا يجوز ارغام أحد على الانضمام الى جمعية ما.

المادة الحادية والعشرون: (١) لكل فرد الحق في الاشتراك في ادارة الشئون العامة لبلاده اما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.

(٢) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

(٣) ان ارادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الارادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي اجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة الثانية والعشرون: (١) لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي ان تحقق بواسطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة الثالثة والعشرون: (١) لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له الحق الحماية من البطالة.

(٢) لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.

(٣) لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولاسرته عيشة لائقة بكرامة الانسان تضاف اليه، عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.

(٤) لكل شخص الحق في أن ينشىء وينضم الى نقابات حماية لمصلحته.

المادة الرابعة والعشرون: لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة الخامسة والعشرون: (١) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفي غير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن ارادته.

(٢) للامومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الاطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أم بطريقة غير شرعية.

المادة السادسة والعشرون: (١) لكل شخص الحق في التعلم، ويجب ان يكون التعليم في مراحله الاولى والاساسية على الاقل بالمجان، وأن يكون التعليم الاولى الزامياً، وينبغي ان يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

(٢) يجب ان تهدف التربية الى انماء شخصية الانسان انماء كاملا، والى تعزيز احترام الانسان والحريات الاساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، والى زيادة مجهود الامم المتحدة لحفظ السلام.

(٣) للآباء الحق الاول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة السابعة والعشرون: (١) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

(٢) لكل فرد الحق في حماية المصالح الادبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمي أو الادبي أو الفني.

المادة الثامنة والعشرون: لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الاعلان تحققاً تاماً.

المادة التاسعة والعشرون: (١) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته ان تنمو نمواً حراً كاملا.

(٢) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والاخلاق في مجتمع ديمقراطي.

(٣) لا يصح بحال من الاحوال ان تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع اغراض الامم المتحدة ومبادئها.

المادة الثلاثون: ليس في هذا الاعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف الى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

قصة الكورتيزون

كان لويس ساريت منهمكاً في مباراة حامية للعبة الاسكواش، عندما ارتفعت الكرة واصابته في عينه، فافقدتها الابصار. وحقنه الطبيب بجرعة كبيرة من عقار الكورتيزون... وبعد اسبوع واحد، كان ساريت قد استرد ابصار عينه كاملا.

في اوائل العام الماضي، احتل ساريت نفسه مكانا في حفل مهيب اقيم بالقاعة القومية للمخترعين الامريكيين. وهو شرف اكتسبه قبل ثلث قرن باعتباره اول كيميائي يقوم بتصنيع الكورتيزون... العقار ذاته الذي انقذ بصره.

وقد وصف الدكتور ساريت الكورتيزون بأنه «مادة كيماوية عضوية معقدة، تتألف من جزيء يضم احدى وعشرين ذرة كربون، بالاضافة الى عدد «مناسب» من الهيدروجين والاوكسيجين. ويفرز الكورتيزون بصورة طبيعية في الغدد الادرينالية لجميع الثدييات، بما في ذلك الانسان. لهذا السبب ظل الكورتيزون نادراً لسنوات عديدة، لضالة الكميات المتوبرة منه. وأدت ندرته الى انه لم يحظ الا بقدر ضئيل من اهتمام البحاثة العلميين لفترة طويلة من الزمن. الا أنه مع بداية الحرب العالمية الثانية، اشتد الاهتمام بالكورتيزون.

وكان سر اهتمام البحاثة الطبيين بالكورتيزون هو ادراكهم لما يسببه عدم وجود الغدة الادرينالية في الحيوانات من ارهاق واحساس بالصدمة، مما حدا بهم الى الاعتقاد بامكان الكورتيزون زيادة مقاومة الانسان للارهاق والصدمة، وهو أمر له قيمته الواضحة بالنسبة للعسكريين.

وأثار قرار محاولة تصنيع الكورتيزون نشاطاً محموماً في عديد من المعامل الكيماوية ومختبرات الابحاث الدوائية... كما أمن أول وظيفة للشاب لويس ساريت، الذي كان قد حصل لتوه على درجة الدكتوراة في الكيمياء من جامعة برنستون. فقد التحق بشركة ميريك، احدى كبريات شركات انتاج الادوية. بعد ذلك بعامين، اي في عام ١٩٤٤ نجح ساريت في تصنيع كميات ضئيلة من الكورتيزون. وما ان حل عام ١٩٤٨ حتى كان قد انتج من الكورتيزون قدراً يكفي للشروع في تجارب عملية لتحديد مدى فائدته.

ويقول الدكتور ساريت: «في مستشفى مايو بمدينة روتشستر في ولاية مينسوتا، كان رجلان على ثقة تامة من أن الكورتيزون سيكون مفيداً وفعالا بالنسبة للالتهابات، مثل التهاب المفاصل. وقدم الرجلان اول جرعة من الكورتيزون لمريضة بالتهاب المفاصل الروماتيزمي، لم تكن تقوى على مبارحة فراشها من فرط ما اصابها من عجز بسبب المرض. وفي اليوم التالي نهضت السيدة من فراشها، ونزلت الى السوق في قلب مدينة روتشستر تتبضع. وتحسنت حالتها

بدرجة كبيرة.

واظهرت هذه التجربة العملية الاولى فعالية الكورتيزون الشديدة ضد الالتهابات. ويقول الدكتور ساريت: «يستخدم الكورتيزون في علاج ما يربو على ثمانين حالة مختلفة. فأطباء الامراض الجلدية يستخدمونه بعد أن أحدث ثورة في علاج الامراض الجلدية، وعديد من امراض الانسجة، وهي امراض شديدة الوطأة تبين أن في الامكان علاجها ايضاً بالكورتيزون.

أمل لشفاء السرطان

يقول الدكتور صول غيسبرغ، رئيس الجمعية الامريكية للسرطان: «مع الاساليب المتوفرة لدينا في الوقت الحاضر، يمكن علاج ٥٠٪ من مجموع الحالات، اي في جميع مراحل المرض. كما انه في المراحل المبكرة، يمكن علاج ٨٠٪ من معظم حالات السرطان الهامة».

الا ان هناك امراضاً سرطانية لا يزال علاجها مستعصياً على الطبيب، ويقول الدكتور غيسبرغ: «بعض الامراض، كسرطان الرئة، يصعب علاجها لانه ليس في الامكان حتى الآن اكتشافها في مراحلها المبكرة، وان كانت هناك برامج تجريبية في الوقت الحاضر تستهدف محاولة اكتشافها في مراحل ابكر وابكر. ومن المفارقات ان ذلك ينطبق على سرطان الرئة، الذي ربما كان أكثر انواع السرطان قابلية للوقاية نظراً لان ٨٠٪ من الاصابة به راجعة الى التدخين».

وفي حين لا يزال الاهتمام الاساسي للطب منصباً على علاج السرطان، وشفائه ان امكن، فان ثمة تركيز على الحيلولة دون حدوث المرض. ومن أهم سبل الوقاية الكف عن التدخين، واكتشاف المواد الكيماوية المسببة للسرطان في البيئة وازالتها. اما في حالات السرطان العديدة التي لا يمكن الوقاية منها لان اصلها موجود داخل الجسم وليست ناشئة عن عوامل بيئية، فان الاكتشاف المبكر قد يكون الفارق بين الموت والحياة.

ومن المعتقد ان اغلبية حالات السرطان العظمى تعزى الى مؤثرات بيئية - أي الى اشياء نلمسها او نأكلها أو نشربها أو نستنشقها. والمختبرات الصناعية تولد كل عام آلافاً من المواد الكيماوية الجديدة، يحتمل ان يكون الكثير منها سبباً للسرطان. وقد طور علماء المعهد القومي للسرطان، التابع للحكومة الامريكية، وغيرهم من العلماء، وسائل موثوقاً بها للفحص، يمكن بها معرفة ما اذا كانت مادة كيماوية جديدة ما، مسببة لمرض السرطان. وأكثر المواد الكيماوية في الواقع مأمونة، ولكن يبقى مع ذلك عدد من المواد الكيماوية الخطيرة في البيئة، يكفي لان يشيع القلق بين الناس.

ولا يزال البحاثة يكتشفون من الادلة ما يشير الى ان بعض انواع السرطان قد يكون لها منشأ وراثي. ومن شأن ذلك ان يؤيد الاشتباه القائم منذ زمن طويل في ان السرطان، او القابلية للاصابة به، امر متوارث. وقد درست الدكتورة ماري كلير كينغ، من جامعة كاليفورنيا، ثلاث عشرة اسرة تكثر فيها حالات الاصابة بسرطان الثدي. تبينت ان المرأة تكون أكثر عرضة للاصابة بسرطان الثدي، اذا كان في اسرتها

امرأة او أكثر سبق ان اصيبت بهذا المرض، وخاصة في سن مبكرة او كانت الاصابة في كلا الثديين.

وفي حين تعزى هذه القابلية الزائدة للاصابة بالمرض الى عوامل مثل الغذاء او البيئة، فقد وجدت الدكتورة كينغ ان افراد الاسرة موضوع دراستها، يحملون عاملا معيناً من عوامل الوراثة ـ أي الجينات ـ من شأنه ان يزيد الى حد كبير خطر الاصابة بسرطان الثدي. ووجدت ايضاً ان هذا العامل الوراثي المشتبه فيه ليس موجوداً لدى كل امرأة في المجموعة التي درستها، وانما في المجموعة فقط في بعض النساء اللاتي ورثنه عن آبائهن.

ويتوقع الدكتور غيسبرغ ان يؤدي هذا الاكتشاف وأمثاله، الى تطوير اساليب فحص شامل لاكتشاف النساء المعرضات للاصابة بسرطان الثدي. وهناك سبل عديدة للبحث عن وجود سرطان الثدي، اسهلها الفحص الذاتي، وهو اجراء يسهل تعلمه، وينبغي على كل امرأة فوق العشرين ان تجريه على نفسها مرة كل شهر على الاقل. اما بالنسبة للنساء فوق الخمسين، فان الدكتور غيسبرغ يوصي باستخدام الاشعة السينية المسماة ماموجرافي.

ويعكف البحاثة الآن على تطوير واختبار عقاقير جديدة لمكافحة السرطان التقليدي لعلاج السرطان الذي ينتشر من مكان الاصابة الاولى الى اماكن اخرى من الجسم. وأدوية السرطان تحتوي على نسبة عالية من السموم وغالباً ما تكون لها آثار جانبية ضارة. الا ان قدراً كبيراً من الاهتمام اتجه في الآونة الاخيرة الى مادة «انترفيرون»، من شأنها ان تحفز اجهزة المقاومة في جسم الانسان للتصدي للسرطان ودرئه.

ومادة انترفيرون ليست عقاراً بالمعنى المفهوم، فهي شيء يولده الجسم ولكن بكميات لا تكفي لمقاومة السرطان. غير ان البحاثة الامريكيين والاوروبيين احرزوا تقدماً كبيراً في تصنيع الانترفيرون، بالاضافة الى تطبيق طرق الهندسة الوراثية، مما يؤدي الى انتاج الانترفيرون على نطاق واسع.

لكن الدكتور غيسبرغ، بحكم خبرته الطويلة مع هذا المرض، لا يرى احتمالا يذكر في ان يتم اكتشاف مادة واحدة يمكن استخدامها لعلاج جميع انواع السرطان. وقد أشير مرة الى ان السرطان بصفة عامة ربما كان مقترناً بعملية الشيخوخة. ويميل الدكتور غيسبرغ الى الاتفاق مع هذا الرأي. أي أنه كلما امتدت بنا الحياة، كلما اصبحنا أكثر عرضة للاشعاعات الضارة، سواء التي من صنع الطبيعة او الانسان، وللمواد الكيماوية وغيرها من العوامل البيئية التي ربما كانت تساهم في ظهور مرض السرطان.

قمر الطاقة الشمسية

- مع بداية القرن الواحد والعشرين سوف يتم تجميع محطة طاقة شمسية ضخمة على شكل قمر اصطناعي في الفضاء لترسل طاقة الشمس الى الارض.

والقمر الجديد سوف يلتقط الطاقة من الشمس، وينقلها عبر هوائيات ضخمة الى الارض، فوق موجات متناهية القصر، بأسعار منافسة للطاقة التقليدية، تقدر بحوالي عشرة سنتات للكيلوات الواحد.

ان القمر سيكلف حوالي ١٥ الى ٢٠ بليون دولار، وسيكون عبارة عن نموذج اولي لمحطة قوى قدرتها خمسة غيغاوات (حوالي ٥ تريليون وات)، تطلق في أواخر سنة ١٩٩٠. ومن المحتمل ان تسد هذه المحطة حاجات مدينة معقولة الحجم في عام ٢٠٣٥.

ومن المنتظر ان تكون مساحة هذه المحطة حوالي ٨ الى ١١ كيلومتر مربع، ووزنها حوالي ٧٥ الف طن.

الرقائق والفقاقيع

- بعد تصغير دوائر المنطق في الدماغ الالكتروني، بدأت محاولات لتصغير الشق الثاني، وهو الذاكرة، او الجزء الذي يختزن المعلومات.

وهناك اتجاهان في هذا السبيل: الاتجاه الاول هو محاولة حشد أكبر عدد من المعلومات في حيز صغير. ذاكرات الادمغة الالكترونية الحديثة يمكن ان تخزن أكثر من أربعة تريليونات من الحقائق في جهاز واحد، أي ما يوازي عمل ٤٠ شخصاً طوال حياتهم. والذاكرات الالكترونية تعمل بسرعة أكبر من الدماغ البشري ببلايين المرات، وتخزن المعلومات في حيز أصغر من خلية الدماغ البشري.

وفي الوقت نفسه، فان اسعار الذاكرة الالكترونية في انخفاض مستمر. وخلال السنوات الثلاث الاخيرة، تم تطوير تقنيات جديدة، خفضت سعر الذاكرات التي تستخدم اشباه الموصلات بمقدار ٧٥٪، الامر الذي زاد الاقبال على شراء الدماغ الالكتروني بعد ان صغر حجمه وانخفض ثمنه، فزادت المبيعات بمقدار ٣٠٪ في السنة.

ووحدات الذاكرة عبارة عن «رقائق» الكترونية مساحتها حوالي ربع مساحة طابع البريد، يمكن ان تختزن معلومات كانت في الماضي تستغرق حيزاً كبيراً. وهي تتكون من آلاف من الدوائر الكهربائية الصغيرة من اسلاك من البلور في دقة الشعر. ورقائق الذاكرة عبارة عن مجموعة من الخلايا تختزن المعلومات من خلال ما يشبه شفرة مكونة من ارقام (هي رقم ١ وصفر). وكل رقم (او صفر) يسمى «قطعة» يحتفظ به او يتذكر عن طريق «فتح» خلايا الذاكرة (للرقم ١)، او «غلقها» (للرقم صفر)، كما الحال في المفتاح الكهربائي. والرقيقة المألوفة الحجم تحوي اربعة آلاف خلية، وتستوعب بالتالي

اربعة آلاف «قطعة» او معلومة. ومعظم الرقائق عبارة عن دوائر متكاملة عالية الكفاءة، تعتبر حفيدة شبه الموصل الذي اشتهر باسم ترانزيستور.

وأصغر هذه الرقائق وأحدثها هي «الفقاعة» الممغنطة. والذاكرة الفقاعة عبارة عن بلورة تعمل جزئياتها مثل المغنطيسات الدقيقة بسبب طريقة تحرك الالكترونات فيها. ويمكن صف مجالات هذه المغنطيسات، مثل آلاف من ابر البوصلات تشير الى اتجاه واحد. وعند تمرير اشارة خلال دائرة تحكم مطبوعة على البلورة، فان مجموعة من المجالات المغنطيسية تنقلب، مثل جزيرة من الاقطاب الجنوبية في وسط الاقطاب الشمالية. هذه المجالات المعكوسة يمكن الكشف عنها الكترونيا ـ وهذا هو السبب في امكان استخدامها لخزن المعلومات. وتحت ميكروسكوب في ضوء مستقطب، يمكن ايضاً ان ترى على شكل بقع سوداء، او فقاعات... وهو ما اعطي الذاكرة اسمها.

وتنتج المصانع اليوم فقاعات قطرها ٥٠ الف آنغستروم (جزء من مئة مليون من السنتيمتر)، أي حوالي عشر الشعرة الانسانية. ولكن المنتظر ان تتمكن الصناعة من صنع دوائر اقل سمكاً: مما سيجعل الذاكرة في المستقبل تشغل حيزاً لا يزيد عن حجم بضعة جزئيات. وهناك محاولات لتحويل الجزيء الى دائرة ذاكرة، الامر الذي يمكن معه خزن مكتبة الكونغرس في رأس دبوس.

ورغم ان الذاكرة التي في حجم الجزيء قد تكون من احلام المستقبل، الا ان منافساً جديداً ظهر للفقاقيع الممغنطة، هي السي سي دي، او «الاداة المزدوجة الشحنة»، وهي عبارة عن شبه موصل يستخدم الكترونات البلورة في خزن المعلومات. والسي سي دي تختزن المعلومات بنفس كثافة الفقاعة، وان كانت اسرع. ويمكن صنعها من أشباه الموصلات العادية، الامر الذي سوف يجعلها أرخص سعراً.

لكن، مثل باقي الذاكرات، فان السي سي دي تنسى اذا توقفت تغذيتها بالتيار الكهربائي. اما الفقاعة فلا تنسى، لأنها تختزن المعلومات مغنطيسياً، ويمكن ان تستمر في اختزان المعلومات دون حاجة الى تيار كهربائي. وهكذا، فان «مناعة» الفقاعة ضد انقطاع التيار، وقدرتها الهائلة على خزن المعلومات والاحتفاظ بها، تجعلانها أكبر تقدم أحرز في مجال الذاكرة الالكترونية.

ومع صغر حجم الذاكرة الجديدة ورخص ثمنها، أصبح من الممكن تحويل حاسب الجيب الالكتروني الى دماغ صغير ـ او ميني كمبيوتر كما يسمى الآن ـ يباع بسعر زهيد. فكل ما كان ينقص حاسب الجيب الالكتروني هو ذاكرة صغيرة الحجم كبيرة القدرة، يمكن الاعتماد على كفاءة ادائها.

طاقة من النبات

استخدم فريق دولي من علماء جامعة ولاية اوهايو ظاهرة التمثيل الضوئي التي تحول بواسطتها النباتات الخضراء ضوء الشمس الى طاقة، لتوليد الكهرباء من الضوء. فقد قامت اليزابيث غروس، عالمة

الكيمياء الحيوية الاميركية، بالتعاون مع الدكتور رافيندرا بها رواج الهندي، وورونغ لونغ بان التايواني، بأخذ خلايا نباتية حية، او جبيلات اليخضور، واحاطوها بمحلولين كيميائيين، فأوجدوا بذلك واحدة من أفضل بطاريات الخلايا الشمسية في العالم.

وعندما تتعرض الخلية الشمسية الصغيرة للضوء، فانها تولد كمية ضئيلة من الكهرباء لا تكفي لتشغيل ساعة رقمية، ولكنها تمثل بداية واعدة في مجال استغلال عملية التمثيل الضوئي. ولا تولد هذه الخلية الكهرباء فحسب، بل تخزنها ايضاً بعكس الخلية الشمسية السيليكونية التقليدية.

وتتألف خلية الطاقة النباتية من مكعب بلاستيكي صغير تنصفه طبقة من الجبيلات اليخضورية، وعلى جانبي طبقة الجبيلات اليخضورية قطبان مغموسان في محاليل كيميائية. وعندما يسلط الضوء على الجبيلات اليخضورية، فانه يرغمها على التخلي عن الالكترونات التي تنطلق الى داخل المحلول الكيميائي. وتولد الالكترونات المتحركة تياراً كهربائياً يحمله سلك متصل بالقطبين، ثم تعود الالكترونات الى الجبيلات اليخضورية.

الا ان المحلول الكيميائي المستخدم في خلايا البطارية النباتية، قادر ايضاً على تحويل الضوء الى كهرباء. وقد كانت هذه القدرة مفاجأة للباحثين.

ولم تعد هذه الخلايا النباتية المولدة للكهرباء شيئاً غريباً نادر الحدوث في المختبرات، ولكنها مع ذلك باهظة التكاليف، لأنها تستخدم اقطاباً من البلاتين، احد اغلى المعادن في العالم. ويعمل الباحثون في جامعة ولاية اوهايو على تحسين هذه العملية، ويأملون في العثور على بديل ارخص للبلاتين. وعلى اية حال فان الباحثين يقولون انه ينبغي الا يتوقع المرء ان تصبح هذه الخلية الشمسية النباتية مولداً هاماً للكهرباء في المستقبل، ولكنها يمكن ان تؤدي ما تؤديه اجهزة تسخين الماء بالطاقة الشمسية في كثير من منازل الولايات المتحدة.

زرع قلب اصطناعي دائم

أجرى فريق جراحي القلب في جامعة يوتاه في سولت ليك سيتي أول جراحة في تاريخ الطب لزرع قلب اصطناعي دائم في صدر الانسان، وذلك في ٢ كانون الأول ١٩٨٢.

وصرح ناطق باسم المستشفى ان المريض، وهو طبيب أسنان متقاعد يدعى بارني كلارك (٦١ عاماً)، سيبقى على قيد الحياة بفضل قلبه الجديد الذي تطلب زرعه في القفص الصدري جراحة استغرقت ٥ ساعات ونصف ساعة. وقال إن القلب الجديد يعمل طبيعياً.

وأوضح أن المريض كان يعاني بطءاً مزمناً في نبضات قلبه ولم يعد هناك أمل في بقائه حياً من دون إجراء هذه الجراحة.

والقلب الاصطناعي الذي يعرف باسم «جافريك ـ ٧» مصنوع من مواد مطاطية ومعدنية وموصول بجهاز خارجي يرسل هواء مضغوطاً الى البطينين الايسر والايمن بحيث ينقبضان ويتمددان ويضخان الدم الى الشرايين.

الجامعة اللبنانية الثقافية في شاطىء العاج

وصل الى لبنان في اواخر شهر تشرين الثاني المحامي الاستاذ احمد طرابلسي الأمين العام للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم فرع شاطىء العاج وهيأ الأجواء لاستقبال وفد الجامعة الذي وصل فيا بعد برئاسة السيد نجيب زهر رئيس فرع شاطىء العاج. وكان للاتصالات التي قام بها المحامي طرابلسي اثرها الفعّال في نجاح مهمة الوفد في لبنان واستقبالهم من قبل الرسميين والجمعيات بحرارة وبترحيب كبير.

وفي الحفلة التي أقامها المغتربون على شرف الوفد في «الميري لاند» قدّم المحامي الاستاذ احمد طرابلسي الخطباء، وأعلن عن توزيع الجوائز المقدمة من رئيس نادي النجمة الى رئيس واعضاء الجامعة والى المسؤولين. وأكد السيد زهر في كلمته ان المغتربين في شاطىء العاج «يرتبطون ارتباطاً كلياً بالوطن الأم عن طريق الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، هذه الحلقة الاغترابية التي تعمل لتوثيق العرى بين المواطن اللبناني والمغترب والوطن الأم». وأضاف «يسعد المغتربين اللبنانيين في العالم وبخاصة في شاطىء العاج ان يساهموا مساهمة فعالة في اعادة تعمير لبنان».

وتابع الوفد لقاءاته والمسؤولين، فزار رئيس الحكومة السيد شفيق الوزان في القصر الحكومي وعرض معه الاوضاع اللبنانية ودور المغتربين في دعم الوطن الام.

بعد الاجتماع الذي دام ٤٥ دقيقة وحضره من الوفد السادة: حسن حقة وعلي غندور واحمد طرابلسي يرافقهم الامين العام للجامعة المحامي رشاد سلامة، قال زهر: «نقلنا الى الرئيس الوزان تقدير المغتربين في شاطىء العاج واحترامهم له ونوعية العلاقة بينهم وبين شعب شاطىء العاج لما يبذله من جهود وطنية جبارة من اجل المحافظة على كيان لبنان خصوصاً.

وللرئيس الوزان محبة كبيرة في قلوب المغتربين لأنه يشكل دوراً اساسياً للتضامن بين لبنان المغترب والمقيم. واستفسر عن أوضاع الجالية اللبنانية وزودنا بارشاداته الكريمة وشجعنا في ما يستحق التشجيع، وحضنا على مزيد من الارتباط حاضراً ومستقبلاً مع الوطن، خصوصاً من خلال انتشارنا في الاغتراب لمناصرة القضايا الوطنية لدى الدول المضيفة ولتوعية المغتربين الى دورهم نظراً الى ما يواجه لبنان في ظل الاحتلال الاسرائيلي.

اننا نغتنم المناسبة لننقل استعدادنا لاعادة اعمار لبنان وللتعاون مع فخامة الرئيس الجميل ومع دولته لما فيه مصلحة لبنان المقيم والمغترب».

وأقيمت للوفد حفلة في مقر الامانة العامة للجامعة في بيروت قلد خلالها الامين العام للجامعة السادة زهر وغندور وطرابلسي وحقة وسام الجامعة المذهب «تقديراً للخدمات التي يقومون بها ضمن اطار

المجلس الوطني للجامعة في ابيدجان تعزيزاً للعلاقات الطيبة القائمة بين لبنان وشاطىء العاج والتي تجلت أخيراً في الهبة النقدية والعينية التي قدمها زهر باسم المجلس الى وزير الصحة العامة والعمل الدكتور عدنان مروة بصفته رئيساً للهيئة العليا للاغاثة».

ثم زار مدير المغتربين في الخارجية السفير سمير الخوري وعرض معه نشاطات الجامعة ودور الجالية اللبنانية.

وكان الوفد زار السيدة صولانج الجميل ارملة الرئيس الراحل الشيخ بشير الجميل معزياً، وبعد الزيارة قال زهر: «ان اغتيال الرئيس الراحل بشير الجميل يشكل خسارة جسيمة للبنان، وزيارتنا للسيدة صولانج ليست لتعزيتها بقدر ما هي لتعزية أنفسنا، اذ ان الخسارة شملت كل اللبنانيين ولا سيما منهم المغتربين، لأنه كان يجسد لهم امل العودة الى الوطن الام، وهم كانوا مهيئين لوضع كل امكاناتهم في تصرفه يوم انتخب للمشاركة في اعمار لبنان، الا ان القدر كان قاسياً وظالماً.

ونحن نؤكد انا على استعداد لوضع كل طاقاتنا للمساهمة في تحقيق مشاريع مؤسسة بشير الجميل».

وزار الوفد أيضاً الشيخ بيار الجميل في البيت المركزي للكتائب وقدموا اليه التعازي. وأكدوا وضع إمكانات مغتربي شاطىء العاج في تصرف العهد الجديد.

وكان الوفد زار وزير الصحة الدكتور عدنان مروة بصفته رئيساً للهيئة العليا للاغاثة، وقدم اليه مساعدة من مغتربي ساحل العاج وملونة فنية للوزارة لتوزيعها على المستوصفات اللبنانية.

وبعد اللقاء قال زهر «ان هذه المساعدة تجسد الشعور الذي عاشه المغترب اللبناني في شاطىء العاج اثناء المحنة».

وبعدما اكد ولاء الجامعة اللبنانية وتأييدها للرئيس الجميل وحكومته، اعلن «وضع امكانات المغتربين في ساحل العاج في تصرف الحكم للمساهمة في المسيرة الاعمارية الوطنية».

واعرب عن امله في ان ترسل المجالس الوطنية للجامعة وفوداً الى لبنان «للاطلاع على ما حل بالوطن فتشارك في مسؤولية اعمار لبنان».

وقال الوزير مروة «ان المساعدة التي شاء مغتربو لبنان في شاطىء العاج ان يقدموها الى المقيمين الذين عاشوا ويلات الحرب التي فرضت عليهم خلال السنوات الطويلة، هي مبادرة وطنية تؤكد على الوحدة التي تربط اللبنانيين اينما وجدوا، وتدفعنا الى المزيد من العمل على توطيد العلاقات وتوسيع اطرها بين لبنان المقيم والمغترب، وتوظيف جميع قدرات المغترب اللبناني الذي تمكن عبر اجيال من الوصول الى مراكز مرموقة في شتى انحاء العالم في اطار دعم لبنان المقيم على جميع الصعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية».

محاولة اغتيال جنبلاط

اذا كان شهر كانون الاول طغت عليه حرب الجبل المستمرة واحداث طرابلس المتقطعة، فإنه بدا خلاله محاولات اغتيال.

فقد نجا الاستاذ وليد جنبلاط رئيس

الحزب التقدمي الاشتراكي في الاول من كانون الاول من محاولة لاغتياله وأصيب وزوجته السيدة جيرفت بجروح طفيفة وقتل احد مرافقيه واثنان من المارة وجرح مرافق آخر و ٣٨ مواطناً.

وكان جنبلاط وزوجته تناولا طعام الغداء الى مائدة صديق في بناية عريضة في شارع ميشال شيحا (محلة القنطاري) المواجهة لمعهد هايكازيان. وبعد ذلك ركبا سيارتها «المرسيدس» المصفحة الرقم ٢٧٠٠٠ ومعها عدد من المرافقين.

وقاد جنبلاط السيارة بنفسه، وما ان خرج بها من مدخل المبنى الى الطريق، وكانت الساعة الثالثة والثلث، حتى دوى انفجار عنيف في سيارة «فيات» مجاورة هز منطقة رأس بيروت، وارتفعت سحب الدخان مغطية الشوارع المجاورة بعدما اشتعلت النار في ١١ سيارة كان بعضها يمر في الشارع وبعضها الآخر متوقفاً. وسارعت سيارات الاسعاف والصليب الاحمر والدفاع المدني والاطفاء لاسعاف المصابين واخماد الحرائق.

كذلك سارع الى مكان الانفجار عناصر من الفرقة «١٦» كانت تستعد لاستقبال رئيس الحكومة السيد شفيق الوزان لدى افتتاحه معرض الكتاب العربي في الصالة الزجاجية لوزارة السياحة القريبة من المكان، فضلا عن قوات من الجيش من مركز في المنطقة. وقطعت هذه القوى الطريق وضربت طوقاً حول المحلة التي بدت كأنها ساحة معركة بعدما امتدت النار الى شاحنة كبيرة متوقفة هناك، فيما تناثرت اغصان الاشجار المحيطة بمبنى معهد هايكازيان على جانبي الطريق وتطايرت ابواب ونوافذ وزجاج لمتاجر ومنازل على مساحة قطرها نحو ١٥٠ متراً، وشمل ضغط الانفجار ابنية في شارع المكسيك ومي زيادة وجوستينيان ومحيط بلعه وشارع سبيرس مركز الصليب الاحمر وحتى مصرف لبنان.

وتطاير حطام السيارة المفخخة الى مسافات راوحت ما بين ٢٥ و ٧٥ متراً وتساقط القسم الاكبر منها في حديقة المعهد.

وخفت عناصر من الشرطة الى سيارة جنبلاط التي انهار عليها سقف المدخل المؤدي الى بناية عريضة واشلاء «الفيات»، وساعدته على الانتقال وزوجته الى سيارة اسعاف للصليب الاحمر والدم يغطي وجهه وقميصه. ونقل الى مستشفى الجامعة الاميركية. واخرجت عناصر اخرى مرافقيه اللذين كانا يجلسان في المقعد الخلفي، وقد قتل احدهما جمال صعب، ونقل الثاني رجا فخر الدين الى المستشفى وهو في حال الخطر.

ونقل الصليب الاحمر قتيلين آخرين احدهما طالب هو فيصل صعب والثاني طوني وهبه، وتمكن من انقاذ ثلاثة كانوا في سيارة اشتعلت فيها النار.

محاولة اغتيال الزين

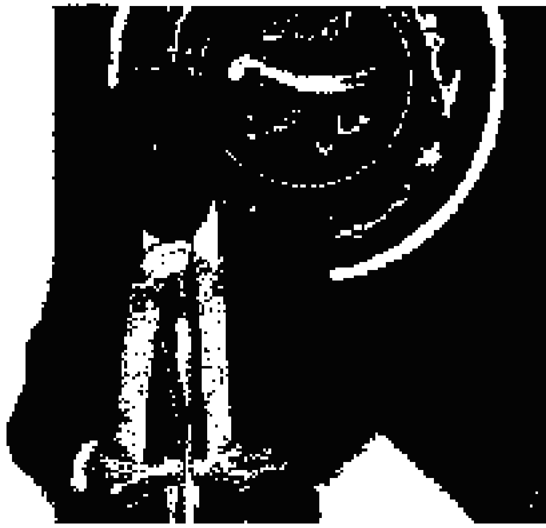
وفي ١٦ كانون الاول تعرض الاستاذ عبداللطيف الزين نائب النبطية لاعتداء مسلح، اذ هاجمه مسلحون بالعصي والمسدسات فيما هو يترجل من سيارته امام منزله في شارع فردان، لكنه نجا ولم يصب بأذى.

وروى الزين انه كان يترجل من سيارته

امام منزله » فاذا بثلاثة او اربعة مسلحين بمسدسات واحدهم يحمل عصا، يحاولون مهاجمتي، فتلقيت بيدي ضربة العصا، وعندئذ اطلق احدهم عياراً نارياً، لكنه لم يصبني لجبانته او عدم دقته - لحسن حظي ربما - واتجهت نحوهم، فيما توجه اثنان منهم نحو سائقي فوضع احدهم مسدسه في رأسه وضربه الآخر».

وقال: «عبثاً يحاولون الايقاع بالبلد والنيل منا جميعاً. ان اثارة الفتنة محاولة فاشلة بفضل العناية الآلهية. وسواء كان السبب دافعاً سياسياً او اي دافع اخر، سامحهم الله، وسنبقى على مواقفنا اللبنانية والوطنية والديموقراطية. وكنت آمل في ان يلجأ من يريد الايقاع بي الى المواجهة بدلا من هذه الاساليب الجبانة. لقد نجوت بحمد الله، واني في بيتي واشكر الذين ابدوا عاطفة واطمئن اخواني المواطنين، واننا على استعداد لمواجهة اي حادث اذا كان يتنافى مع اخلاقياتنا ووطنيتنا وايماننا بلبنان وبالديموقراطية».

واتصل فخامة الرئيس امين الجميل بالنائب الزين مستنكراً الاعتداء كما اتصل الرئيس صائب سلام وعدد من النواب. وزاره رئيس الحكومة السيد شفيق الوزان، وقال: «تألمت لهذا الحادث الذي تعرض له الصديق النائب الزين. وانني استنكر هذه الاساليب المشينة التي تتجاوز كل الحدود بالتعرض لاحد النواب من دون رادع او ضمير، فمثل هذه الاعمال هي حافز جديد لنا على مضاعفة الجهود مع الاجهزة الامنية المختصة، وقد اتصلت ببعضها لاتخاذ مزيد من الاحتياطات الواجبة تدعيماً لمسيرة الامن التي نتمسك بها ونحاول بكل اخلاص ان



نسير بها على طريق النجاح».

واستقبل النائب الزين وفي منزله في كفررمان، وفوداً شعبية وشخصيات وعدداً من المخاتير ورؤساء والبلديات، فضلا عن رجال دين مسلمين ومسيحيين جاؤوا لتهنئته بسلامته مستنكرين الاعتداء الذي تعرض له اخيراً في بيروت.

استقبل الزين لدى وصوله الى منزله استقبالاً شعبياً شارك فيه عدد من الفعاليات والكشافة وحملة الاعلام ورفعت لافتات على مداخل البلدة وفي الشوارع الرئيسية للنبطية تدين الاعتداء عليه.

وزاره ظهراً رئيس دير مار انطونيوس في النبطية الاب يوسف عميل وممثلة رئيسة دير الراهبات في البلدة الاخت سيمون والمحامي ابرهيم حريري مستنكرين.

وقال نائب النبطية: «ان درعنا الواقية ضد رصاص الجبن والعار هي هذه الارادة الشعبية المتجلية في وجوه هؤلاء الجنوبيين الاحرار. ان الجحافل لم تسكتنا في ما مضى والدبابات لم تخفنا واستمرينا في اقتناعنا بقول كلمة الحق، وسنستمر في قولها واضحة صريحة ولن نسمح بان تبدل الكفايات والنزاهات والاخلاق الكريمة بصفقات المحسوبية والاستزلام وانعدام الاخلاق. هم

في سدة المسؤولية ونحن في صفوف الشعب، وهنا كل ايماننا».

واستنكر نائب رئيس بلدية النبطية السيد معين جابر الاعتداء على الزين، ودعا الجميع الى التحلي بالاخلاص ونبذ الاحقاد والضغائن في سبيل المصلحة العامة.

وفي بيروت علق النائب كاظم الخليل بالآتي: «استغربت كل الاستغراب ما تعرض له النائب الزين. واذا كان هذا الاعتداء مفتعلا فاني اعلن ان هذا الاسلوب وهذه الطرق اذا دخلت السياسات المحلية او الشخصية فهي ذات حدين تصيب الجميع ولا يسلم منها اكبر رأس يمكن ان يعتقد انه يستطيع الحفاظ على رأسه ايا كانت سلطته. فهذا عمل دنيء وجبان لا يجوز ارتكابه لأني اعتقد ان هذه الاساليب هي من احط الوسائل ولا يسلم منها احد ويمكن ان تطول الكبير والصغير. ولذلك انصح الجميع بالا يلجأوا الى مثل هذه الاساليب وان يترك الحقل السياسي حراً ديموقراطياً».

من أحداث سنة ١٩٨٢

ـ خلال شهر كانون الثاني حرر الكولونيل الاميركي جيمس دوزير من أيدي الألوية الحمراء.

ـ في ٦ منه بدأ مجلس الأمن مناقشات حول فرض عقوبات على اسرائيل بسبب ضمها للجولان.

ـ في ٢٦ منه انتخب حسني مبارك رئيساً للحزب الديمقراطي خلفاً للسادات، وأقر البرلمان البولوني الأحكام العرفية في البلاد وتسلم الجيش مهمات الأمن فيها.

ـ خلال شهر شباط اعتقلت اسرائيل أربعة من زعماء الدروز في الجولان وأعلنت القرى الدرزية الاضراب.

ـ في ٣ آذار قام الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران بزيارة لإسرائيل.

ـ في ٧ آذار صدرت في مصر الأحكام بإعدام ٥ من المتهمين باغتيال السادات.

ـ في ٢٢ آذار ضرب زلزال عنيف شمال اليابان.

ـ في ٢٣ آذار انطلق مكوك الفضاء الاميركي «كولومبيا» في رحلة تستغرق سبعة أيام

ـ في ٢٧ آذار توفي سلطان باشا الأطرش زعيم الثورة السورية

ـ في ٣ نيسان استعادت الارجنتين جزر المالوين فوكلاند من بريطانيا.

ـ في ٢٢ نيسان أغارت الطائرات الاسرائيلية على مزبود وخلدة والدامور

ـ في ٢٦ نيسان رفع العلم المصري في سيناء بعد إنزال العلم الاسرائيلي على أثر عملية الانسحاب الاسرائيلي.

ـ خلال شهر أيار تحطمت طائرة وزير خارجية الجزائر محمد بن يحيى وهو في طريقه الى طهران فقتل مع جميع من في الطائرة.

ـ في ٤ حزيران بدأت الغارات الاسرائيلية على الجنوب وعلى بيروت مبتدئة بالمدينة الرياضية

ـ في ٦ حزيران استمرت الغارات الاسرائيلية بعنف، وبدأت اسرائيل اجتياح الجنوب وطوقت النبطية.

ـ في ١٢ حزيران استعادت بريطانيا قسماً من جزر فوكلاند وبدأت معركة العاصمة بورت ستانلي

ـ في ١٣ حزيران وفاة ملك المملكة العربية السعودية الملك خالد

ـ في ١٤ خلف الملك فهد الملك خالد ملكاً للسعودية

ـ في ٢٧ حزيران ألقت الطائرات الاسرائيلية بيانات تنذر أهالي بيروت بوجوب مغادرتهم العاصمة.

ـ في ١٣ تموز فازت إيطاليا على ألمانيا الغربية في بطولة كأس العالم التي جرت في اسبانيا بثلاث إصابات مقابل إصابة واحدة.

ـ في ١ آب قصف الجيش الاسرائيلي بيروت لمدة ١٤ ساعة في أكبر غارة يشنها على العاصمة.

ـ في ٩ آب حمل المبعوث الأميركي الخاص للشرق الأوسط فيليب حبيب، بعد عودته الى بيروت، مشروعاً لخروج المقاومة من بيروت.

ـ في ١٢ آب قصف عنيف على بيروت دمر قسماً كبيراً من أحيائها وأوقع ضحايا بالمئات.

ـ في ١٢ آب بدأت القوة المتعددة الجنسيات الانتشار في بيروت

ـ في ٢٣ آب انتخب بشير الجميل رئيساً للجمهورية في المدرسة الحربية في الفياضية بأصوات ٥٧ نائباً

ـ في ٣٠ آب رئيس منظمة التحرير غادر بيروت الى اليونان

ـ في ١ أيلول طرح الرئيس الأميركي ريغان مشروعه للسلام.

ـ في ٧ أيلول إنعقاد قمة فاس الثانية.

ـ في ١٤ أيلول فجر مكتب حزب الكتائب في الأشرفية وأستشهد الرئيس المنتخب الشيخ بشير الجميل

ـ في ١٥ أيلول دخل الجيش الأسرائيلي بيروت بعد مغادرة القوة المتعددة الجنسيات ومقتل بشير الجميل

ـ في ١٥ أيلول نفذ الجيش الأسرائيلي مجزرة في مخيمات صبرا وشاتيلا

ـ في ١٩ أيلول دخل الجيش اللبناني المخيمات الفلسطينية

ـ في ٢١ أيلول أنتخب الشيخ أمين الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية بأغلبية ٧٧ صوتاً من أصل ٨٠

ـ في ٢٧ أيلول عادت القوة المتعددة الجنسيات الى بيروت.

ـ في تشرين الأول زار الرئيس الجميل الدول الكبرى.

ـ في ١ تشرين الأول خلف هيلموت كول هيلموت شميت في منصب مستشار ألمانيا الغربية

ـ في ١٧ تشرين الأول توفي عميد المسرح المصري يوسف وهبي.

ـ في ٢٩ تشرين الأول فاز الحزب الاشتراكي الإسباني في الانتخابات

ـ في ١١ تشرين الثاني فجر مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في صور وقتل وأصيب أكثر من مائتي شخص

ـ في ١١ تشرين الثاني توفي الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف وخلفه في منصب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي يوري اندروبوف.

ـ في ١٥ تشرين الثاني فشلت قمة منظمة الوحدة الافريقية.

في ٢١ تشرين الثاني: وجه الرئيس الجميل أول رسالة الى اللبنانيين لمناسبة عيد الاستقلال من ثكنة هنري شهاب في الاوزاعي وهذا نصها:

نحيي اليوم ذكرى الاستقلال، وأكثر ما بقي من الاستقلال العيد والعلم. ومع ذلك نحتفل بالقليل الذي بقي منه ونعلن تصميمنا



على استرداد الكثير من مقوماته ومعانيه التي غابت.

اني اخاطبكم، في هذا الاحتفال، من نكبة مدمرة، وحولي ابنية مهدومة، ايمانا مني بأن علينا الانطلاق من واقعنا لكي نستطيع تحقيق أحلامنا.

واقعنا اننا نحاول الخروج من محنة كبرى الت بلبنان على امتداد ثمانية اعوام، وتركت آثارها البالغة، في الانسان والارض والمؤسسات، وما برحنا نعاني مضاعفاتها. ان مجتمعنا تضرر ودولتنا تصدعت، وحلت شرور كثيرة في المناطق والعيال. وواقعنا، كذلك، إن أعلاماً عديدة ترتفع في أرضنا وتعلو على علمنا، وان قوى مختلفة تنازع شعبنا وتنازع وطننا حقه وشرعيته وتعرضه لاجسم الاخطار في أكثر من ناحية ومكان.

اليكم ايها الجنود،

واليكم أيها اللبنانيون واللبنانيات،

أتوجه اينما كنتم اليوم، لاصارحكم بحقائق الواقع والتزامات المصير.

اننا ما زلنا ميدانا وهدفا لخطط تتخذ كل يوم وجهاً مختلفاً وذريعة جديدة.

إن وطننا لم يستهدف ولا يستهدف الان، لا لأنه قطعة تمتزج فيها الشمس والقمر والهواء والارض والجبل والبحر فحسب، بل لأنه أيضاً آفاق تتفاعل، فيه وعبرها وعبر الزمن، الحضارات والاديان والافكار والقيم ومجالات الخلق والخُلق.

لقد اقبلت علينا هذه الخطط تحت الف شكل ولون وستار. واليوم تتخذ لنفسها اقبح الوجوه وأقذر الاساليب.

إنها تحاول ان تمزق شعبنا ووحدتنا هنا، وتخضع سيادتنا وارادتنا هناك، وتتذرع بشتى الذرائع للاستيلاء على أرضنا واجتزائها هنالك.

إني أقول بأسمكم لاصحاب هذه الخطط. أقول للقريب والبعيد، للشقيق والصديق والعدو. أقول لكل هؤلاء ان لبنان مستضعف لكنه ليس بضعيف.

كفوا عن جلد أهلنا. ففي التاريخ أكثر من مثال على ان السوط غالباً ما ينتقل من يد الجلاد الى يد الضحية.

ومع ذلك، فنحن منذ سنوات هدف للعديد من الاعلام والجيوش والمطالب التي لا يقرها أي عرف او حق دولي. اننا حريصون على أمن اخواننا وحقوقهم وأمن دول المنطقة والعالم وحقوقهم وأمن دول المنطقة والعالم وحقوقها. وما تخلفنا أبداً عن واجب نحو أحد، ولا فرطنا بحق لأحد. ولا زلنا ملتزمين تأدية واجبنا ودورنا كاملين في ميدان النضال المشروع وفي مسيرة السلام العادل والشامل.

لكننا ما تصورنا ولا قبلنا في الماضي، ولا نتصور أو نقبل الان، ان يحصر البحث في أمن هذا الجانب أو ذاك، وحقوق هذه الجهة أو تلك، عبرنا، وعلى حسابنا، وأن

تكون حقوقنا البديهية في الوجود الكريم والسيادة اللبنانية والاستقلال الوطني، موضع بحث أو تفريط او مساومة.

اني أقولها بأسمكم، أننا لن نخضع ولن نتخلى عن وحدة لبنان، واستقلال قراره. لن نفرط بآخر حبة تراب من الناقورة الى النهر الكبير.

ان أرضنا، كل أرضنا مقدسة، المحتل منها والحر، وليس شرط ان تحتل الارض لتصبح مقدسة.

اني أعلن من هنا، وفي عيد الاستقلال، اننا سنستعيد الاستقلال والأرض بكل الوسائل المتاحة لنا. سنفاوض بالشكل والمستوى والمحتوى الذي تمليه علينا مصالحنا وكرامتنا ووحدة كلمتنا، بلا عقد أو تعجيزات.

الدولة، لا أية جهة أخرى، هي التي ستفاوض. والدولة هي التي ستقودكم، اذا تعذر سبيل التفاوض، في السبل الأخرى، أيا كانت، لاستعادة السيادة مهما غلت التضحيات. ان الدولة لا ترتبط إلا بما تقرره هي، لا أية جهة أخرى تتطفل لادعاء التكلم أو التفاوض أو التقرير بأسم لبنان.

وإن الحكم لن يلزم نفسه الا بمصلحة لبنان، ولن يلزم البلاد الا بما تقرره كلمتها الموحدة عبر مؤسساتها الوطنية وممثليها الشرعيين. ولن نعطي أحداً بطريقة التفاوض والاتفاق ما عجز عن أخذه من أرضنا وكرامتنا بطريقة القوة والحرب.

لسنا وحدنا.

ان قضيتنا تتقدم على الارض وفي الضمائر، في لبنان وجواره، وفي العائلة العربية الكبرى وفي العالم. لمست ان تعاطف الاشقاء العرب معنا، وتجاوب الدول الصديقة، واندفاع منابرنا الاغترابية في العالم وفي العالم الغربي بالذات وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية وشعبها الصديق ورئيسها الكبير، إن كل ذلك يشد من أزرنا، ويعزز عزيمتنا ويشعرنا بأننا لسنا مستفردين في عملية التفاوض ولا في معركة الكرامة والحرية والمصير.

ايها الجنود،

ايها اللبنانيون واللبنانيات،

في موازاة العمل لتحرير الأرض وإستعادة الكرامة والامساك بزمام المصير، نواجه بناء المؤسسات الوطنية والديموقراطية والعمرانية، كعملية شديدة الالحاح، لأنها تؤلف هيكلية الدول الحديثة التي يريدها المواطن ويستحقها.

إن جيشكم عماد الوطن وصائن حدوده وضامن وحدته، هو أول هذه المؤسسات وأهمها، بل هو شرط لغيره، ومن دونه لا سلام للوطن ولا سلامة للمواطن ولا قيام للدولة.

إني أعدكم بأن هذا الجيش سيكون في قفزته النوعية المقبلة، من كل لبنان، وللبنان كله، مرفوع الجباه، مرصوص الصفوف، منيع الجانب، سليم البنيان، وفير العدد، مطور العتاد، خفاق الراية، جيشاً تكبرون به ويكبر بكم ومنكم ولكم.

ولان الجندية شرف، وخدمة العلم حق، كما هي واجب، فسيعطي لأجيالنا هذان الشرف والحق، بتطبيق قانون خدمة العلم في غضون أشهر معدودة تعزيزاً لوفاقنا الوطني وتجسيداً لوحدة الدم والمصير.

إن الجيش سيكون شغل الدولة وفخر

البلاد والحدث الأكبر في مسيرة العـــزة اللبنانية.

وعلى مثال الجيش واستعجال بنائه، وتوفير قدراته، سيتم لقوى الأمن الداخلي والأمن العام ما يمكنها من تأدية مهامها في مجال بسط سيادة الدولة وسلطان القانون.

وضمن هذا التوجه، ستمارس سائر المؤسسات أدوارها، وتتمكن السلطات من الاضطلاع بمسؤولياتها دونما عائق أو تأخير، فيتولى المجلس النيابي الذي أثبت كل جدارة ورفعة ومستوى في أمر الاشتراع والرقابة، وتضطلع الحكومة بمسؤولياتها الاجرائية، فتكون الوزارات خليات عمل وانتاج والادارات مراكز خدمة وتلبية حاجات ويعود القضاء هيكلاً للعدالة مهاباً، فلا ظلم ولا ظلامة، ولا تأخير ولا تأثير الا ما يفرضه القانون والعدل والضمير.

وادارات الدولة على اختلافها ستكون اليوم اكثر منها في أي يوم سابق تحت عين الدولة ورقابتها وتحت ضوء مصالح المواطنين وقضاياهم، وسيكون الثواب والعقاب وسيلتنا، وسيشمل ذلك في ما يشمل، اذا ما اقتضت مصلحة الناس. وقد تقتضي قريباً رفع أية حصانة أو حماية عن الذين يستخفون بمصالح اللبنانيين ويتجاوزون القوانين ويعبثون بالدولة وأموالها وأنظمتها. كما ستعمد الدولة الى تحديث أجهزتها وأساليبها لمواكبة العصر والايفاء بحاجات الناس.

أيها اللبنانيون واللبنانيات،

إننا نصر على أن يرتدي احتفالنا بعيد الاستقلال هذه السنة، طابع القيامة، لا ان تغلب عليه مسحة الحزن. لذلك فأنني، باسمكم جميعاً، أحيي شهداءنا على دروب تاريخنا الطويل، وعلى مر سنوات الحرب والمحن.

أحيي أرواحهم في أي موقع حتى سقطوا، إنها ترفرف فوقنا، قلقة ملهمة، حافزة لنا، على استنهاض ضمائر الاحياء فينا لوقف النزف ووحدة الصف.

إن لبنان في حاجة الى جميع ابنائه وكل قطرة دم تهدر انما من قلب لبنان وتنزف ومن ضميرنا الوطني.

وإنني أهيب بأهلنا في كل المناطق، وبجميع اللبنانيين اينما وجدوا، والى أية عقيدة أو مذهب أو حزب أو فئة انتموا، ان ينتبهوا الى ما يترتب على الفتنة من نتائج ومضاعفات على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى حياة الوطن ومستقبله.

وأعلن من هنا أني سأقود معكم مغامرة الانقاذ الكبرى، من أهوال هذه المؤامرة الكبرى، مهما كلفني ذلك من جهد وعرق ومواجهة وتضحية.

لن أتهاون مع قريب أو بعيد أياً كان، اذا كان المستهدف وحدة لبنان وسيادته. والى غد مشرق عزيز نلتقي فيه صفوفنا بعد طول غياب وعذاب تحت راية علمنا الواحد وجيشنا الواحد، في وطننا الواحد، الأول والأخير لبنان.

عشتم وعاش لبنان».

- في ٢٢ تشرين الثاني: قام الجيش اللبناني بأول عرض عسكري منذ ثماني سنوات.

- في شهر كانون الأول تصاعدت الاشتباكات في الجبل وفي طرابلس أيضاً

- وفي هذا الشهر ضرب زلزال عنيف اليمن الشمالية.

مجمع البيان الحديث
خاتم النبيين محمد (ص)

تأليف: سميح عاطف الزين

المجلد الثاني - ٩٩٠ صفحة من القطع الكبير.

«إن الأفكار مهما بلغت عمقاً وتناهت لاستيعاب أوضاع، تظل بلا جدوى، وكأنها لم تكن، إن ظلّت حبيسة في رؤوس أصحابها، ولم تنطلق الى مواقع الحياة تؤثر فيه. ولا يكون لها مثل هذا التأثير إن لم تدخل في قناعات رجال أقوياء، يستطيعون تحويل التصورات الى قرارات، والدراسات الى سياسات. ومن أولى من رجل السلطة يقتنع بفكرة فيحيلها واقعاً وحقيقة، ومَنْ أفضل لها من أشخاصٍ يتمتعون بنفوذ وقوة يجسدونها نمط حياة وأسلوب تعايش.

والفكر الاسلامي الذي يحمله محمد ﷺ استجابة للوحي الإلهي، كمن فيه من القوة ما جعل الدعوة التي حملها تأخذ مداها الى الحد الذي أطلقها حقيقة يجب أن تعانق عقول ونفوس أصحاب النفوذ حتى تتمكن من إقامة الحكم الذي تستهدفه.

ولذا تهيأ الرسول الأعظم، بعدما ضربت المنازل في منى واعتلتها الرايات تُعلن عن النازلين فيها، لملاقاة شيوخ القبائل ورؤسائها للاتصال بهؤلاء الذين وحدهم يملكون السلطة آنذاك، ويُجَسِّدُون من دون غيرهم مراكز القوى في بيئتهم، فيكونون أهل نصرة لمن استنصر بهم.

بخلاف ما نشهده اليوم من حيث تتوزع هذه المراكز للقوى ما بين الحاكم والتاجر، والسياسي والقائد العسكري. وكل واحد منهم يكون من أهل النصرة».

الناشر دار الكتاب اللبناني

بيروت - شارع اميل اده - الصنايع

مقابل الاذاعة اللبنانية - بناية السالم - الطابق الأول

تلفون ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٣٧٠ - ٣٤٩٦٧٧

برقياً: كتالبان

ص. ب. ٣١٧٦ - تلكس LE ٢٢٨٦٥